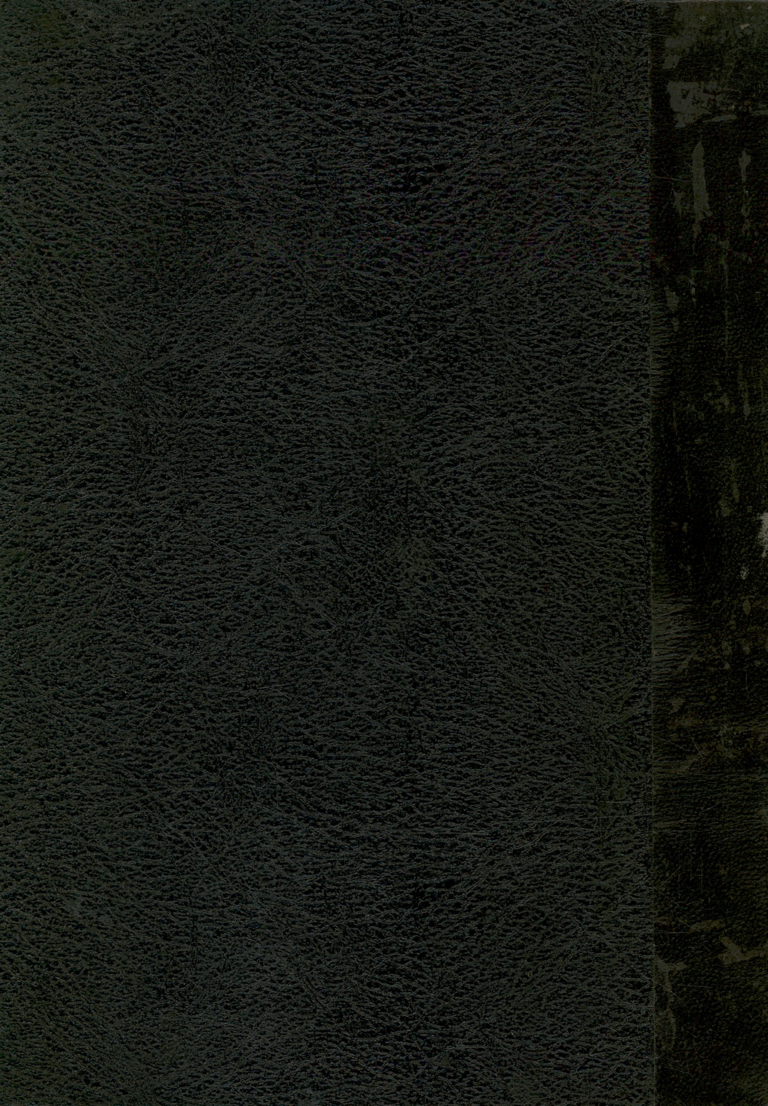
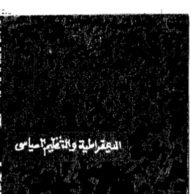






يق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر



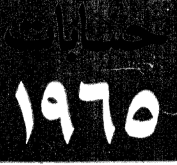




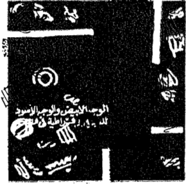


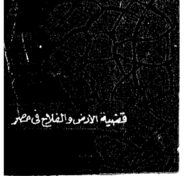








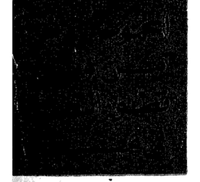




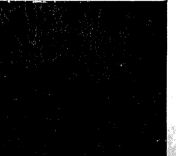
















طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد الاول ـ السنة الثانية ـ يناير ١٩٦٦

■ الطليعة .. عام ١٩٦٦ ـ « الافتتاحية » لطفى الخولى ص ٥

■ حسابات ١٩٦٥ .. وآفاق ١٩٦٦ فى :

● المجتمع الدولى — سعد زهران — ص ١١
● عالم عدم الانحياز — خيرى عزيز — ص ٢٠
● افريقيا — حسين شعلان — ص ٢٩
● الوطن العربى — مصطفى طيبة — ص ٤١
● التنظيم السياسى — لطفى الخولى — ص ٤٩
● الجهاز الحكومى — د. وليم سلمان — ص ٥٧
● التصنيع — عبد التواب سلمان — ص ٦٣
● القطاع العام — د. محمد عجلان — ص ٦٧
● التعاون الزراعى — سعيد خيال — ص ٧٨
● الثقافة والفنون — وحيد النقاش — ص ٨٥
● وثيقة سياسية تنظيمية (تقرير للاتحاد الاشتراكى) — ص ٩٣

● حول قضية الرغيف ومستقبل التنمية

□ رفع انتاجية الذرة .. سبيلنا الى حل جذرى — د. عباس كسيبة — ص ١٠٠
□ بين الدورة الزراعية الثلاثية والدورة الثنائية — حسن عبد اللطيف — ص ١٠٣

● المرأة وعملية التحول الثورى — د. لطيفة الزيات — ص ١٠٦
● البنوك بين الدول الاستعمارية والمستعمرات — د. فؤاد مرسى — ص ١١٠

■ معنى الارقام :

استهلاك وانتاج السلع التموينية الاساسية — د. عبد الرازق حسن — ص ١٢٠

■ تقارير الشهر — ص ١٢٢

■ مكتبة الطليعة — ص ١٤٤

■ مناقشات مفتوحة — ص ١٥١

الجزء الاخير من وثائق تطور التعليم فى مصر — ص ١٥٩

عنوان المراسلات :

« الطليعة »

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا م

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



الطليعة .. عام ١٩٦٦

بهـذا العدد ، تدخل « الطليعة » عامها الثانى ، مسلحة بخبرة عامها الاول ، وبرصيد من الثقة منحه اياها المناضلون فى مصر ووطننا العربى وقارتنا الافريقية ومفكرو وكتاب الحرية والاشتراكية والسلام فى عالمنا المعاصر.
واذا كانت «الطليعة» — **من ناحية الكيف** — قد بذلت كل ما تستطيعه من جهد خلال عامها الاول كى تزامل وتتفاعل بالكلمة والرأى والتحليل والموقف والمناقشة مع جهود المناضلين فى خطواتهم الشجاعة والبناءة على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة والسلام ، فانها بالخبرة المكتسبة ورصيد الثقة تشعر بأن قدرتها على التفاعل وزمالة الطريق قد تضاعفت .

واذا كانت « الطليعة » — **من ناحية الكم** — قد تمكنت خلال عامها الاول أن تكسب آلافا من الاصدقاء — القارئين والموجهين والناقدين — استطاعوا باحتضانهم الحار لها ان يحطموا ارقاما قياسية فى ميدان التوزيع ، وينتصروا لقضية الصحافة الجادة الملتزمة ميثاقيا واشتراكيا ، فانها بالخبرة المكتسبة ورصيد الثقة تثق بانها ستكسب فى العام الجديد مزيدا ومزيدا من الاصدقاء الجدد .

ولقد حاولت « الطليعة » ، بمنهاج علمى ونظرة موضوعية ، ان تمارس خلال العام الماضى التزامها نحو المناضلين من خلال تركيز جهودها الجماعية لتقديم صورة حقيقية وشاملة للتجربة الثورية المصرية فى خطوطها النظرية والتطبيقية الاساسية ، وفى ما صاحبها من ايجابيات وسلبيات معا . وذلك كله بهدف أن تحدد نوعية وأبعاد الارضية الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية لتجربة انسانية تقدمية جديدة .. تجربة الشعب المصرى العربى الافريقى وقيادته الثورية المتمثلة فى المناضل جمال عبدالناصر ،

فى التحرر الوطنى الكامل ، وفى التحول الجذرى بالمجتمع المتخلف شبه الراسمالى شبه الاقطاعى الى مجتمع متطور باصرار نحو الاشتراكية ماديا ومعنويا .

وعلى هذا الاساس تضمنت الدراسات الاساسية « للطليعة » فى اعدادها الاثنىعشر خلال سنتها الاولى مناقشات فكرية وتطبيقية لاهم مفاتيح التجربة . فتناولت هذه الدراسات على التوالى قضايا ومشكلات الارض والفلاح ، والديمقراطية والتنظيم السياسى ، والسياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة وموقفها من الصراعات العالمية المتعددة ، والبيروقراطية ، والطبقة العاملة ، والتخطيط ، والقطاع العام ، والتعاون ، والقانون والنظام القضائى والشرعية الثورية ، والتعليم، والكادر السياسى. وافردت عددا خاصا (السابع) لدراسة ثورة يوليو والطريق المصرى الىالاشتراكية ، تاريخيا وفكريا وقوى اجتماعية واجهزة السلطة والحكم .

واذا كانت هذه « الدراسات الرئيسية » قد شكلت العمود الفقرى « للطليعة » فى عامها الاول ، فلقد صاحبته فى الوقت نفسه ابحاث ومقالات وتحليلات عن قضايا عربية وافريقية ودولية وثقافية متميزة تغطى جوانب مختلفة من ماجريات الاحداث والظواهر فى الحياة . وذلك بهدف الاسهام فى توثيق نظرة وموقف وحركة المناضل بواقع الحياة من حوله .. فى مجتمعه ووطنه وعالمه على السواء . كما قدمت ، بتجميع علمى ، وثائق تاريخية ضرورية للمعرفة العميقة والشاملة للتطورات المتعاقبة فى مجالاتالارض والفلاح ، والاحزاب والتنظيمات السياسية ، والعمل والعمال ، وثورة يوليو والقطاع العام ، والتعليم .

وبجانب اقلام الكتاب والمفكرين المصريين ، فتحت « الطليعة » ابوابها بترحاب وتقدير، لاقلام مناضلين ومفكرين احرار واشتراكيين من وطننا العربى وافريقيا والعالم هم : **برتراند راسل**(بريطانيا) ، **شارل بتلهايم** (فرنسا) **اوسكار لانجه** (بولندا) ، **شى جيفارا** (كوبا) ، **ب . فوكوفيتش** (يوغوسلافيا) ، **اندريه بيبيانييه** (فرنسا) ، **ف.ترابزنيكوف و أ . ليبرمان** (الاتحاد السوفييتى) ،**ميزواندل بيليسو** (جنوب افريقيا) ، **المهدى بن بركة** (المغرب) ، **عبد الله الطريقى** (السعودية) ، **د . امين الحافظ** (لبنان) ، **خيرى حماد** (فلسطين) .

وبدافع من التزام « الطليعة » بتكوين كادر نضالى جديد فى الحقل الصحفى الملتزم بالثورة الاشتراكية ، وفقت « الطليعة » فى أن تجند طاقتين جديدتين اسهمتا ايجابيا فى العمل خلال العام الاول ، هما طاقتا الزميلين **حسين شعلان وخيرى عزيز** .

ولسوف تستمر « الطليعة » فى انتهاج سياسة الباب المفتوحامام جميع الاقلامالحرة والاشتراكية فى وطننا العربى وافريقيا والعالم ككل ، وفى اداء واجبها نحو اكتشاف وتجنيد طاقات شابة جديدة، تسهم بابداعاتهافى حقلالثقافة والصحافة الاشتراكيين.

واليوم .. ماذا عن العام الجديد ؟

لقد انتهت « الطليعة » ، بعد دراسات جماعية وافية لاتجاهات ورغبات المناضلين ومسئوليات الموقف الراهن ، محليا وعربيا وعالميا ، الى وضع خطة عمل وأهداف سنتها الثانية .

ويمكن هنا أن نلخص هذه الخطة واهدافها فى النقاط الرئيسية التالية :

● تركيز جانب من الدراسات الرئيسية على بعض جوانب محددة من قضايا التطبيق العربى للاشتراكية فى مصر ومقارنته بالتجارب الاشتراكية الاخرى . وذلك على أساس تفصيلى وباتجاه البحث عن حلول واقعية للمشكلات التى تبرز خلال العمل. فمثلا سنتناول هذا العام بالدراسة قضية الشباب فى مجتمعنا الراهن .. ما هم ؟ جذورهم الاجتماعية ، مدى قوتهم الكمية والكيفية ؟ اتجاهاتهم الفكرية ؟ مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ؟ كيف يجرى تنظيم طاقاتهم سياسيا فى خدمة البناء الاشتراكى ؟ كيف يعدون ـ فكريا وعمليا ـ لتولى مسئولياتهم فى المستقبل ؟

ما هى الحلول المقترحة لمشكلاتهم فى البيت والمدرسة والجامعة والحقل والمصنع والنادى والشارع والمتعة والجنس والتنظيم السياسى الخ ؟

وفى الوقت نفسه سنركز الجانب الاخر من الدراسات الرئيسية على بعض جوانب من قضايا الوطن العربى الجوهرية ، كقضيتى الوحدة العربية وتحرير فلسطين . وذلك بهدف بلورة مفهوم اشتراكى ورؤية ثورية للعمل والممارسة بالنسبة لهذه القضايا على مستوى المناضلين العرب وظروف مجتمعاتهم الاقليمية .

وهذا التركيز على قضايا الوطن العربى يأتى منطقيا وحتميا بعد تحديد الاطار العام ــ الفكرى والعملى ــ لارضية قاعدة الثورة العربية ، تاريخيا وموضوعيا ، فى مصر .

● ستتابع « الطليعة » باصرار ، التزاما منها نحو التنظيم السياسى ، مناقشة قضايا التنظيم الفكرية والتطبيقية بحيث تظل منبرا مفتوحا وملتزما لجميع المناضلين فى بنائهم للتنظيم الثورى للمجتمع الساعى نحو الاشتراكية .

● ستفرد « الطليعة » صفحات رحبة لعرض التجارب الاشتراكية ومشكلاتها فى عالمنا المعاصر . وذلك بغرض تزويد المناضلين العرب بخبرات الانسانية المتجددة .

● ستضاعف « الطليعة » من جهودها لاعادة بحث وتقويم تاريخنا وتراثنا القومى وثقافاتنا وفنوننا على اسس علميه وبمفهوم اشتراكى ، وذلك بهدف المساهمة فى الوصول الى رؤيه واضحة لتطورنا القومى والحضارى والانسانى ، وتدعيم تيار الثقافة القوميه الانسانية التقدميه وقيمها فى مجتمعنا .

● ستواصل « الطليعة » مواكبتها الواعية لحركات التحرر الوطنى والسلام العالمى، على اساس من وحدة العمل الانسانى فى كل مكان ضد الاستعمار القديم والجديد والاستغلال بكافة صوره ، والحرب والعدوان والعنصرية .

● ستقدم « الطليعة » بجانب ابوابها المعتادة بابين جديدين :

أولهما : نبدأ نشره فى هذا العدد ويتضمن **تعليقات** تحليلية ونقدية بالنسبة لاهم الاحداث المحلية والقومية والعالمية والثقافية خلال الشهر .

اما الباب الجديد الاخر فيتضمن « **كتابات جديدة** » لاقلام جديدة ، تدخل الميدان لاول مرة . ان هذا الباب يستهدف اتاحة الفرصة المنظمة أمام جميع الطاقات العربية الشابة والثورية ، التى تجد ــ بحكم مقاومة القديم موضوعيا لكل جديد ــ عنتا وصعوبه فى التعبير عن آرائها وفى نشر افكارها وابحاثها . ويستهدف هذا الباب ، الذى لا يعترف بخرافه لمعان الاسماء ويشق طريقا ممهدا خلال السدود والحواجز التقليدية، تسهيل عمليات التحام اجيال الخلق والابداع فى مجتمعنا بعضها ببعض وتجديد قواها وحيويتها باستمرار .

ان هذا ، علاوة على انه واجب تشعر « الطليعة » نحوه بمسئوليتها كطريق للمناضلين، ضرورة حياة للعمل الثورى والفكر الثورى بدونه نتعرض لامراض العقم والجمود والوقوف بذواتنا عند حدود اللحظة الحاضرة وليكن بعدنا ما يكون !.

وانطلاقا من هذا الاحساس بالمسئولية نحو « زمالة الحاضر للمستقبل » توجه « الطليعة » نداء الى جميع الطاقات العربية الشابة القادرة على الانتاج الفكرى أن تسهم بأعمالها وابحاثها فى « **كتابات جديدة** » التى سنبدا نشرها بواقع بحثين فى كل عدد ابتداء من شهر مارس ١٩٦٦ .

وترحب « الطليعة » فى « **كتابات جديدة** » بكل بحث علمى المنهج موضوعى النظرة اشتراكي المفهوم ، يرد اليها فى حدود **لا** تتجاوز **١٥٠٠ كلمة** يناقش احد الموضوعات الاربعة التالية على وجه التحديد :

● الوجود الايجابى والوجود السلبى لاجهزة الاتحاد الاشتراكي فى القرية وعلاقاتها مع الاجهزة الحكومية .. عرض وتشخيص للظواهر والاسباب ومقترحات للعلاج .

● قضايا ومشكلات احدى وحدات الانتاج على وجه التخصيص فى مجتمعنا من حيث الادارة والعمل وطبيعة العلاقات بينهما ومظاهر وأسباب البيروقراطية، ومدىممارسة ديمقراطية الانتاج والحوافز ، والاسراف الخ .. كيف يكون العلاج واساليبه وما وقع من تجارب وحصيلتها وذلك كله بهدف زيادة معدلات الانتاج وتحسين نوعه.

● كيف يمكن ان نوحد ــ فكرا وعملا وتنظيما ــ القوى الثورية الشعبية فى الوطن العربى من اجل تحقيق التحرر الحقيقى لجميع البلاد العربية وتقدمها السياسى والاقتصادى والاجتماعى على طريق الاشتراكية والوحدة ؟ .

● واقع الحياة الثقافية والفنية فى مجتمعنا ومدى تخلفه عن واقع الحياة المادى المتطور نحو الاشتراكية . وكيف يمكن ان نطور ثقافتنا وفنوننا ــ شكلا ومضمونا ، جماليا وقيميا ــ لنربى الوجدان الانسانى الاشتراكى فى جماهير شعبنا ، دون ما حجر على حرية الكاتب او وصاية تخنق الابداع الذاتى للفنان ؟ .

و « الطليعة » تأمل من خلال هذه « الكتابات الجديدة » ان تسهم فى اكتشافاقلام وطاقات نضالية ملتزمة، تدعم حيوية ونبض الفكر والفن فى مجتمعنا وتحملمسئولياتها فى صياغة الواقع الجديد المتفتح اشتراكيا .

وبعد .. ان « الطليعة » تواصل التقدم خلال عام ١٩٦٦ ، بنفس منهاجها العلمى ، ونظرتها الموضوعية ، وجهدها الجماعى ، وثقتها التى لا تحد فى شعبها وقيادتها الثورية ومناضليها فى جميع مواقع الفكر والعمل .

الرجل الغائب عن مؤتمر القارات الثلاث

فى الثالث من هذا الشهر يحتضن شعب كوبا اول لقاء واسع ومنظم للقوى الثورية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية من خلال مؤتمر القارات الثلاث .

ان هذا المؤتمر ، الذى يتخطى عرضا وطولا وعمقا كل ما سبقه من مؤتمرات شعبية عالمية ، وينعقد بعد التغلب على عديد من الصعاب والخلافات ، يسلح القوى الثورية فى عالمنا بأداة نضالية جديدة تمكنها من العمل على استعادة زمام المبادرة فى وجه التحرك العدوانى الاستعمارى الذى نشط فى الآونة الاخيرة ، مستغلا ظروف وعوامل التفكك والخلافات داخل الجبهات الثورية .

وحين يتخذ ممثلو الشعوب اماكنهم فى قاعة المؤتمر ، سيكون هناك مقعد واحد كبير شاغر ، لرجل ضئيل الجسد ، غاب عن المؤتمر رغم ارادته وارادة شعبه وارادة القوى الثورية فى قاراتنا الثلاث . وليس هناك من يجهل ان هذا الرجل الغائب بالذات قد جاهد كثيرا من اجل عقد المؤتمر ، وكان ــ بلا جدال ــ احد العناصر القيادية المحركة له ــ عمليا ــ كمناضل عربى افريقى ــ ورسميا ــ كرئيس للجنة التحضيرية .

بيد أن قيام المؤتمر تحت سماء كوبا هو فى حد ذاته تجسيد حى ــ رغم الغياب ــ للوجود النضالى لهذا الرجل الذى عرفناه باسم « **المهدى بن بركة** » من ناحية ، وهو من ناحية اخرى يضع المؤتمرين اول ما يضعهم أمام مسئولياتهم للعمل الجاد من اجل انقاذ حياة هذا المناضل العظيم من أيدى خاطفيه وجلاديه المعادين للحركة الثورية فى القارات الثلاث .

ان جريمة اختطاف « بن بركة » ما تزال رغم مضى اكثر من شهرين تتعثر دون جدوى فى متاهات التحقيقات والاستجوابات القانونية .. وما يزال مصير الانسان فى بن بركة مجهولا ، تسيطر عليه عصابات الليل وتجارة الرقيق والرجعية السياسية. وكل يوم تظهر أسماء جديدة فى قائمة الاتهام التى يتصدرها بوضوح الان « **الجنرال محمد أوفقير** » رجل البوليس والقانون والامن الرسمى فى المغرب .

ليمض طريق التحقيق القانونى الى نهايته .. ولكنه خط طويل ومتشعب وملتو بطبيعته ، خاصة بعد ان تتداخل فيه همسات الدبلوماسيين . اما نحن شعوب القارات الثلاث فيجب ان لا ننسى لحظة وفى جميع الاحوال ، أن الجريمة أولا وأخيرا سياسية الطابع والدافع والهدف . الجناة فيها هم القوة المعنة فى رجعيتها والتى تتخذ من الارهاب الفردى الدموى أسلوبا لتصفية حياة المناضلين ، والمجنى عليه ليس بن بركة وحده وانما كل ما يمثله من قوى شعبية تقدمية محليا وعالميا .

ومن هنا فهذه الجريمة هى جزء لا يتجزأ من حركة الصراع الدائرة فى نطاق مايسمى الان بالعالم الثالث كله بين قوى الثورة والقوى المضادة للثورة . ودور « الجنرال اوفقير » فى جريمة اختطاف بن بركة يماثل تماما دور كل من زميليه الجنرال المغربى « كتانى » و « تشومبى » فى جريمة اغتيال لومومبا شهيد الثورة الافريقية .

وجريمة اختطاف بن بركة ليست فى حقيقتها الا حلقة فى سلسلة الاجراءات الارهابية الدموية التى راحت قوى الثورة المضادة تسلكها بدناءة ووحشية لارهاب المناضلين كافراد عن طريق اصطياد حياة بعضهم مستغلة ظروف التعايش السلمى الذى تفرضه موضوعيات المرحلة ، وما قد يكون هناك من خلافات بين وجهات النظر داخل محيط المناضلين وما يبدو من مظاهر البعثرة فى وحدة القوى الثورية .

ان أسماء المناضلين ، ضحايا عمليات عصابات الثورة المضادة من امثال **فيليكس مومى** (الكاميرون) **ولومومبا** (الكونجو) **وصالح بن يوسف** (تونس) **ودلجادو** (البرتغال) **ونكومو** (روديسيا) **وحجازى** (فلسطين المحتلة) ... تتجمع بقوة والحاح اليوم مع اسم **بن بركة** (المغرب) أمام ضمير قوى الثورة فى قاراتنا الثلاث لتسأل : ما العمل ؟ .

ان الواجب الملح الان على جميع قوى الثورة فى عالمنا ان تتخطى بوعى أمام هذا الاسلوب الدموى الشيطانى للثورة المضادة ، اختلافات وجهات النظر ومظاهر التفكك والبعثرة لتواجه جريمة اختطاف بن بركة وكل جرائم الارهاب الاخرى بجميع أبعادها السياسية فى حركة منظمة جماهيرية واسعة تحاصر المجرمين معنويا وماديا وتشل ايديهم .. لا تهدأ قبل أن تنزل العقاب الصارم بكل المجرمين ــ الفاعلين والمحرضين ــ وتضرب أوكارهم وعصاباتهم وتنقذ حياة بن بركة ونكومو وحجازى .

انه على الرغم من الضباب الذى يحيط اليوم بمصير «بن بركة» فان أغلب الاحتمالات تشير الى انه ما زال حيا وانه محجوز تحت ايد خفية حتى يشفى من آثار التعذيب الوحشى الذى تعرض له . ان مؤتمر القارات الثلاث يجب أن يطالب سلطات التحقيق الفرنسية ــ عالميا ــ بأن تركز جهودها اليوم للكشف عن مكان بن بركة أساسا وانقاذه، وتعبئة الحركة الثورية فى كل مكان كى تساعد بكل طريق وكل أسلوب على الكشف عن هذا المكان والضغط من اجل تحرير بن بركة ونكومو وحجازى من ايدى جلاديهم ووضع المسئولين أمام مسئولياتهم علنا .

ان هذه الجرائم يجب ان لا تمر باى حال دون انزال العقاب الشرعى الثورى بالمجرمين وانقاذ المناضلين والا تفشى اسلوب القوى الاستعمارية والعنصرية والرجعية الارهابى الدموى .. لنتحرك جميعا بجماع قوتنا قبل ان يفوت الاوان ونفقد الثقة فى حماية عناصرنا الثورية من الخطف والقتل على ايدى عصابات الليل والرقيق والرجعية السياسية والعنصرية .

لطفى الخولى

حسابات ١٩٦٥.. وآفاق ١٩٦٦

حفل عام ١٩٦٥ بالاحداث الهامة التى مست جميع جوانب حياتنا، وسوف تنعكس آثارها على مستقبل تطورنا .

انه عام الانتقال من الخطة الخمسية الاولى الى الخطة الثانية للتنمية .. من الصناعات الخفيفة الى الصناعات الثقيلة ، التى تبنى القاعدة الاقتصادية للبنيان الاجتماعى المتقدم .. ماديا ومعنويا .

وهو عام التنظيم السياسى والانتقال من العمل الادارى الى العمل السياسى ، بكل ما يعنيه من تعميق وتوسيع للنشاط الجماهيرى بطليعته الاشتراكية وقيادته الثورية .

وفى عام ١٩٦٥ تمت اعادة ترشيح وانتخاب المناضل عبد الناصر رئيسا للجمهورية . وانتخاب عبد الناصر ليس مجرد حدث عابر ، بل يمثل نقلة حاسمة الى آفاق جديدة اكثر نضجا ، فقد أثمرت النقاط الخمس وتغييرات اساسية فى اساليب العمل .

وعلى النطاق العربى اثمرت سياسة وحدة العمل نتائج ايجابية — دون مساومة على وحدة الهدف — فترتب عليها عقد اتفاقية جدة وفضح البورقيبية وعزلها بعد ان كانت تزاول دورها فى التخريب من الداخل .

تمت خلال ١٩٦٥ وقفة ضرورية ، للتأمل والمراجعة والدراسة والتخطيط .. تقييم ما تم انجازه لتدعيم نشاطنا البناء فيما يجد من مهام .

انه عام التعبئة وحشد الطاقات لمتابعة الطريق دون تردد ، بل بقوى متجددة متوثبة للبناء وخلق مستقبل افضل للانسان العربى ، فنحن « نقبل المراجعة ولا نقبل التراجع » كما اوضح المناضل عبد الناصر .

وقد قطعت الثورة طريقا طويلا مليئا بالتحديات والعقبات والصعاب ، وعبرت مراحل عديدة لكل منها مشاكلها ومشاغلها التى تختلف عن المرحلة السابقة عليها .. مشاكل ماقبل ١٩٥٦ وما بعدها .. القضايا السابقة على ١٩٦١ واللاحقة لها .. استلزمت التروى بين حين وآخر للدراسة وتقييم ما تم بجوانبه السلبية والايجابية لاعادة تنظيم صفوفنا لمواصلة الاندفاع فى طريقنا الثورى .

وعام ١٩٦٥ يمثل مركز انطلاق جديد ، رأت الطليعة ان تقدم عنه تقييما كاملا وحسابا موضوعيا من جميع جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية العربية والافريقية والدولية ، وتستكشف آفاق العام الجديد ومستقبل تطورنا .

حسابات ١٩٦٥ وآفاق ١٩٦٦ فى :

● المجتمع الدولى صفحة ١١
● عالم عدم الانحياز صفحة ٢٠
● افريقيا صفحة ٢٩
● الوطن العربى صفحة ٤١
● التنظيم السياسى صفحة ٤٩
● الجهاز الحكومى صفحة ٥٧
● التصنيع صفحة ٦٣
● القطاع العام صفحة ٦٧
● التعاون الزراعى صفحة ٧٨
● الثقافة والفنون صفحة ٨٥
● وثيقة سياسية وتنظيمية صفحة ٩٣



المجتمع الدولى

سعد زهران



١٩٦٥	العام الذى احتفل فيه العالم بمرور عشرين سنة على انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وهزيمة الفاشية ، وانشاء هيئة الامم المتحدة .

وعلى الرغم مما توحى به الذكرى من معان ، فان الاحتفالات التى اقيمت كانت اقرب الى الاستعراضات العسكرية منها الى مهرجانات السلام ، كما ان الخطب التى جرت على السنة قادة الدول الكبرى ونجوم المحافل الدولية كانت اقرب الى لغة التحذيرات والانذارات منها الى التبشير بمستقبل يسوده السلام والرخاء .

ولا عجب .

فالسلام العالمى ، والعلاقات الدولية لم تشهد فى العشرين عاما الماضية ازمة اشد استحكاما مما شهدت فى هذا العام .

ومن سخرية التاريخ ان المشكلة المباشرة التى اندلعت بسببها الحرب العالمية التى احتفل العالم بمرورعشرين سنة على انتهائها ـ ماتزال باقيةحتى اليوم . ونعنى بها تطلع الامبريالية الالمانية الى التوسع شرقا . فما تزال المشكلة الالمانية بدون حل . وما تزال معاهدة الصلح مع المانيا لم تعقد بعد ، وكل ما تم هو أن الغرب الأستعمارى أعاد بعث الامبريالية الالمانية مرة أخرى بعد هزيمة ثانية فى حرب كبرى .

وما تزال مواجهة هذه الامبريالية ، واتجاهاتها التوسعية والانتقامية ، هى الشغل الشاغلللقوى المدافعة عن السلام فى اوروبا . وانما يتفاقمالحظر اليوم لان الامبريالية الالمانية اصبحت قاب قوسين او ادنى من وضع اصبعها على الزناد الذرىبفضل المشروع المطروح على حلف الاطلنطى لاقامةالقوة الذرية المتعددة الاطراف ، او ما يرادفه من مشروعات .

ومع ذلك ، فنذر الخطر التى تهب على سلام العالم من اوروبا اقل شأنا من نظيرتها التىتعصف فىسماء آسيا : فوق ادغال فييتنام ،وذرا الهيمالايا، ومروج كشمير ، ومياه الباسفيك ، الجزر المتناثرة على حدود المحيطين .

ولا يقترب العام من نهايته الا وتضاف روديسيا (وأفريقيا من ورائها) الى قائمة المناطق الملتهبة على خريطة العالم . وحرب العصابات ، ذات الاهداف الوطنية والمضمون الاجتماعى ، تمتد الى ست من دول امريكا اللاتينية .

هذا عن الخريطة الجغرافية .

وترجمة هذا على الخريطة السياسية ان الازمة اشد ما تكون استحكاما حيث تصطدم قوى الاستعمار الجديد بشعوبالبلاد النامية فىالقارات الثلاث .

واذ تعودت قوى الاستعمار الجديد ،منذ اواخر العقد الماضى ، ان تلجأ ـ اساسا ـ الى اساليب الارهاب المعنوى والضغط الاقتصادى وتدبير الانقلابات الداخلية ، بهدف استعادة المراكز الضائعة ومواصلة استغلالالبلاد الناميةوافقارها ـ فان اواخر عام ١٩٦٤ ، وطوال عام ١٩٦٥ ، شهد التجاء قوى الاستعمار الجديد الى الحرب السافرة ، تشهرها على الشعوب التى تستعصى على ما دونها من وسائل . حدث ذلكمنذ انبدات الغارات على فييتنام الشمالية فىاغسطس ١٩٦٤، ثم الغزو الامريكى البلجيكى للكونجو فى اكتوبر من نفس العام . وبعد ذلك اصبح الالتجاء الى القوة المسلحة هوالطابع المميز للسياسة الامريكيةبصفة خاصة . توسعت الولايات المتحدة فى حملاتها التأديبية ضد فيتنام الجنوبية لتصبح حربا شاملة لا ترضى امريكا فيها دون التسليم بديلا الا ابادة شعب فيتنام الجنوبية (١) . و (تدرج) الامريكيون فى تلك الحرب فمدوا نيرانها الى فيتنام الشمالية، حيث تعانى تلك الجمهورية الناشئة ويلات حرب جوية لم تشهدها بلد من قبل ، وهى لمتكد تستفيق من حرب ضروس ضد الاحتلال الفرنسى استمر تسع سنوات كاملة (١٩٤٥/٥٤) . ولا يخفىرجال الحرب الامريكيون ان طائراتهم تواصل رحلاتها (الاستكشافية) فوق لاوس وكمبوديا ، ويتحدثون صراحة عن امكانية امتداد خطر الشرارات التى تشتعل على حدود هذين البلدين الى حرب عامة فى شبه جزيرة الهند الصينية كلها . ويتحدث الجنرال ماكسويل تايلور (الرئيس السابق لهيئة اركان الحرب الامريكية المشتركة) عن استحالة حصر الحرب الفييتنامية . وتعيد اجهزة الدعاية الامريكية على اسماع الراى العام ما سبق ان قاله الجنرال ماك آرثر (الذى قاد الجيوش الامريكية فى كوريا) عن استحالة تحقيق نصر امريكى حاسم فى اية حرب (محدودة) فى آسيا.

وعلى الجانب الاخرمن الحدودالفيتنامية تتأهب الصين الشعبية لملاقاة اى هجوم قد تقدم عليه امريكا .

وفى افريقيا ، ما يزال العدوان المسلح قائماعلى شعب الكونجو . وان حثالات الخونة والمغامرين الذين يتعاقبون ويتقاتلون على كراسى الحكم فى

(١) انظر مقال الفيلسوف البريطانىبرترالدراسل عن سياسة العنف الامريكيةفى العدد (١١) من الطليعة .



ليوبولد فيل ، شأنهم شأن امثالهم فى سايجون ، ما كانوا ليستمروا اياما لولا وجود آلاف المرتزقة البيض المستوردين من الولايات المتحدة واسرائيل وجنوب افريقيا وبلاد اوروبا الغربية ، وما تزال المذابح ضد الثوار الكونجوليين مستمرة بسلاح وتمويل امريكيين .

وفى روديسيا ، مكنت حكومة ويلسون للاقلية البيضاء ان تعلن استقلالها عن الامبراطورية العجوز الخبيثة ، لتعفى نفسها — رسميا — من مسئولية المؤامرة التى تكتمل حلقاتها اليوم لاقتطاع جنوب القارة ، واتخاذه قاعدة عنصرية للاستعمار الجديد ، ومركزا لمعاودة الهجوم ، واستعادة النفوذ او احكام القبضة على بقية اجزاء افريقيا السوداء . فالمستعمرات البرتغالية (انجولا ، موزمبيق ، غينيا المسماة بالبرتغالية) ، وافريقيا الجنوبية الغربية التى مدت حكومة جنوب افريقيا النفوذ عليها بطريق غير شرعى ،وروديسيا — تشكل رقعة هائلة من اغنى اراضى القارة . وتسعى الحكومات العنصرية والسلطات الاستعمارية فى هذه البلاد الى اقامة تحالف مسلح يخضع الاغلبيه من اهل البلاد الافريقيين ، ويواجه بقية القارة الثائرة ،ويستند الى التأييد الاقتصادى والعسكرى من بريطانيا والولايات المتحدة والمانيا الغربية . وفى قلب منظمة الوحدة الافريقية تقوم غالبية حكومات مجموعة الافروملاجاش (وهى دول كانت نعمرات فرنسية ، وما تزال — بعد الاستقلال السياسى — ملحقة بالسوق الاوروبية المشتركه) — تقوم بجهود تهدف الى تمزيق وحدة النضال الافريقى ، واذكاء الخلافات الاقليمية والقبلية ، والدعوه للهزيمة فى اى حركة تثار ضد الغرب الاستعمارى ،او ضد الحكومات والسلطات العنصرية فى القارة . وفى اقصى الشمال ، لا يسلم الامر من شرور حكام من نوع بورقيبة ، يفعلون فعلهم فى النيل من وحدة النضال الافريقى والعربى لحساب الاستعمار الجديد ، جريا وراء فكرة شوهاء ، هى تقاضى ثمن التخلى عن القضايا المشتركة لمجموع البلاد العربية والافريقية . وتلك فكرة لا تؤدى الا الى اسوا النتائج العملية ، فضلا عن مضمونها النضالى والاخلاقى الفاسد الذى لا يفترق عن الخيانة فى شىء .

وفى قلب القارة ، على مشارف منابع النيل ، تتفاقم مؤامرات فصل جنوب السودان عن شماله، مستفيدة من التفكك الذى يسود العاصمة السودانية المثلثة الذى يجرى على ايدى القوى التى خرجت على خط الجبهة الوطنية .

هكذا ينشب الاستعمار الجديد اظافر دامية فى جنوب قارتنا وغربها ، ويفاقم مؤامراته فى شرقها وشمالها وقلبها . يحيط بها ، ويتسلل اليها ، ويستنزفها . تماما كما يفعل فى آسيا .

وفى امريكا اللاتينية ، ما يكاد يهب شعب للثورة على السيطرة الامريكية المدعمة الا ويلقى العم سام قناع « حسن الجوار » ويستل « عصاه الغليظة » ليؤدب المتمردين . وليست المذابح التى تجرى على ايدى القوات الامريكية وخدامها فى جمهورية الدومينيكان ،منذ ربيع ١٩٦٥ ، الانموذجا لاينتظر غيرها من الجمهوريات العشرين ،وذلك على الرغم من ان ثورة الدومينيكان ابعد ما تكون عن الشيوعية التى يتذرع بها المتدخلون الاجانب .ولم يعد الامر قاصرا على تصريحات من نوع كلام جونسون : «نحن نعرف نوع الحكومة التى نريدها فى الدومينيكان » ، بل ان الاستهانة بالقانون الدولى ومبدا عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول المستقلة بلغ حدا غريبا . ففى سبتمبر الماضى اتخذ الكونجرس قرارا يخول حكومة الولايات المتحدة الحق فى التدخل — باى وسيلة تراها ملائمة — لدفع ما يسمى بالخطر الشيوعى عن اى دولة من دول امريكا اللاتينية .

غير ان المقاومة فى تلك الجمهوريات المعاندة ما تزال فى دور التجمع . وقد اندفعت هذه المقاومة الى طريق حرب العصابات المسلحة احتذاء بالمثل الكوبى (على حد قول الامريكيين) فى خمس جمهوريات هى : فنزويلا وبيرو وجواتيمالا وباراجواى وكولومبيا ، هذا عدا المقاومة المسلحة التى ما تزال مستمرة فى الدمينيكان .

اما شيلى ، فيتزعم رئيسها ، ادواردو فرين ، اتجاها وسطا ، تسير مع شيلى فيه الدوائر الرسمية الحاكمة فى كل من المكسيك واورجواى. ويدعو هذا الاتجاه الى نوع من الوجود الاوروبى فى جنوب نصف الكرة الغربى . وقد جاءت رحلة الرئيس الشيلى الى اوروبا الغربية خلال سنة ١٩٦٥ مكملة لرحلة ديجول التى سبقتها الى عشر من دول امريكا اللاتينية . وهذا الاتجاه ، على الرغم من انه يدور فى اطار الغرب ، الا انه يهدف الى الاستعانة بمنافسين اوروبيين لخلق فرص

افضل للمساومة والضغط على « الجار الجبار » فى الشمال .

وفى مقابل هذه الحركات الثورية والاتجاهات المناوئة تحتضن وشنطن عصبة الجنرالات البرازيليين اليمينيين الذين اقصوا جولارت عن الرئاسة ، ليسلحوا جيوشهم ، ويستخدموهم ضد اخوانهم فى القارة الثائرة . وليس صدفة ان القوات البرازيلية هى الوحيدة التى تشترك مع القوات الامريكية فى ضرب ثورة الدومينيكان تحت علم منظمة الدول الامريكية . وتخلق هذه العملية اساسا لصراعات ومنافسات بين النظم الدكتاتورية التابعة للولايات المتحدة ، وبخاصة بين حكومتى البرازيل والارجنتين ، وتعطى سادة وشنطن فرصا اوسع للتدخل والتوجيه .

الاستعمار الجديد ، اذن ، فى موقع المهاجم . لا شك فى ذلك ... ويستند الاستعمار الجديد فى ذلك الى عاملين اساسيين :

● الخلاف الصينى السوفييتى ، الذى تطور الى ما يقرب من الانقسام الكامل ، وتسبب فى الحاق ابلغ الاضرار بالجبهة العالمية المناهضة للاستعمار والامبريالية .

● انتقال الثورة الوطنية فى عدد كبير من البلاد النامية الى مرحلة البناء الاقتصادى والثورة الاجتماعية . وهذا العامل ، على الرغم من انه عامل موات ، اذ يكسب الثورة مزيدا من الوضوح والتصميم ، ويكسب الاستقلال مضمونه الحقيقى — الا انه يخلق مشكلات جسيمة تهىء للاستعمار الجديد فرصا مستحدثة للضغط والتخريب . فالاحتكارات العالمية توالى حربها للحط من اسعار المواد الخام والسلع نصف المصنوعة التى تعتمد عليها البلاد النامية فى صادراتها وتنمية اقتصادياتها . والغرب الراسمالى لا يكتفى بحجب مصادر التمويل والخبرة الفنية عن البلاد النامية ، وانما يشهر حربا اخرى لجذب العدد الضئيل من اصحاب الخبرة الى بلاده ، باغراءات مادية وافساد معنوى لا يتوقف .

اما الثورة الاجتماعية فمن شأنها ان تحدث استقطابا جديدا للقوى والطبقات الاجتماعية فى البلاد النامية . وهنا يجد الاستعمار فرصته لجذب فئات جديدة تناوىء التطور الطبيعى الذى تندفع اليه الثورات الوطنية ، وهى فئات كانت الى الامس القريب جزءا نشيطا من قوى الثورة الوطنية . وقد تفاقمت فى الفترة الاخيرة التناقضات بين دعاة القومية الضيقة ، الذين يكتفون من الاستقلال بشكله السياسى ، ويحلمون باقامة نوع جديد من الامتيازات الطبقية ، متوهمين امكان تكرار تجارب البلاد المتقدمة فى الغرب ، وبين دعاة الوطنية المستنيرة الذين يواصلون النضال من اجل الاستقلال والبناء الاقتصادى ، ويعلمون الا وسيلة لذلك الا بنقل الثورة السياسية الى مرحلتها الاجتماعية .

واستنادا الى هذين العاملين يبنى الاستعمار الجديد استراتيجيته العالمية . فالهدف الاول للولايات المتحدة اليوم فى الميدان الدولى هو عزل الصين عن اصدقائها وحلفائها الطبيعيين فى العالم الثالث والبلاد الاشتراكية ، وبخاصة عن الاتحاد السوفييتى ، الى الدرجة التى يمكن فيها (تحييد) الاتحاد السوفييتى فى اى صدام مسلح يمكن ان تتطور اليه الامور بين امريكا والصين . ولا نعتقد ان من اهداف امريكا الان الدخول فى حرب طويلة الامد على ارض شبه القارة الصينية ، وانما يحلم العسكريون الامريكيون بتوجيه سلسلة من الضربات القاصمة الخاطفة للمراكز الصناعية والعسكرية الاساسية ، تضمن تعويق جهود الصين لبناء قوتها الاقتصادية والدفاعية لسنوات عديدة مقبلة . وهكذا يصفو الجو للولايات المتحدة فى شرقى آسيا ، وتضمن — على أقل تقدير — تثبيت أقدامها فى المواقع التى تتزعزع فيها اليوم ، كما تضمن تحطيم المثل الصينى فى أعين شعوب آسيا ، الكثيرة السكان ، الوفيرة الفقر .

اما عن المعركة بين الاستعمار الجديد وشعوب البلاد النامية عموما ، فان عناصرها معروفة . ونكتفي هنا بالاشارة الى دور القوى الرجعية فى الدعوة الى الهزيمة .

فالاختناق الاقتصادى الذى تعانى منه غالبية الدول النامية ، (والاستعمار الجديد هو الاصل فيه) ، مضافا اليه الصراعات الاجتماعية والسياسية التى تزداد تنوعا وحدة ، يجعل قوى الرجعية ترفع رأسها متجاوبة مع الهجمة الاقتصادية والعسكرية لقوى الاستعمار الجديد ، وما يترتب عليها من حالة ضيق وقلق وخوف عام . وتتحرك هذه القوى لتستغل تلك الحالة ، لا لتوجيه سخط الشعوب وطاقاتها ضد السبب الاصيل فيما تعانى من عذاب ، ولكن لتدعو الى الاستسلام الى هذا العدو نفسه ، مدعية ان النضال ضده معركة خاسرة وطريق مسدود ، وأن أهداف البناء الاقتصادى والعدالة



الاجتماعية ، وشعارات الاشتراكية وما أشبه ، ليست كلها الا دعاوى باطلة يحسن التخلى عنهـا الى سياسة أكثر واقعية ، بكل ما يترتب على هذا المنطق الانهزامى من تسليم بالعجز عن علاج التخلف الموروث ، وابقـاء الجماهـير فى حالة الفقر المزمن ، وظهـور الامتيـازات الطبقيـة فى اشكال جديدة .

ومن مجموع هجمات الاستعمـار الجـديد ، وحركة الرجعية ، تشكلت الموجة المحافظـة التى عمت كثيرا من بلاد العالم الثالث فى آسيا وافريقيا فى ١٩٦٥ . وهى موجة اتخذت أشكالا متباينة ، ودرجات متفاوتة من الحدة مع اختلاف الظروف والصراعات فى هذا البلد او ذاك . وكان من بعض مظاهر هذه الموجة المحافظة :

● تنحية السيدة باندرانيكا وحزبها عن الحكم فى سيلان .

● زيادة وزن ونفوذ اليمين فى الهند ، وتوجيه سخط الشعب الهندى ، بعد المجاعات والكوارث الاقتصادية ، فى حرب ضروس مع باكستان .

● الانقلاب على سياسة (نازاكوم) التى نادى بها سوكارنو فى اندونيسيا ، وهى سياسة ائتلاف قوى الاحزاب الوطنية والاسلامية والشـيوعية فى النضال ضـد قـوى الاستعمـار الجـديد والتخلف ، وتطور هـذا الانقـلاب الى نوع من الحرب الاهلية .

● التراجع عن المبادىء التى أقرتهـا ثورة ٢١ أكتوبر فى السودان .

ويستطيع الباحث المستقصى أن يجـد امثلة عديدة أخرى .

هذا جانب من الصورة .

والجـانب المقـابل هو استراتيجيـة القـوى المناهضة للاستعمار الجديد .

ونقول بداءة أن هذه القوى ليست لها خطـة موحدة . ومن فصـل القول أن نذكر أن الخلاف الصينى السوفييتى يبرز مرة أخرى كالسـبب الاول لهذه الظاهرة .

ولنبدأ بالصين ، باعتبارها الهدف رقم (١) للاستراتيجية الامريكية .

ان الصين ، من ناحيتها ايضا ، تعتبر الولايات المتحدة هى الهدف رقم (١) فى استراتيجيتها . ان بـكين ترى الا مجـال لتعـايش سلمى مـع الامبريالية الامريكية ، وأن كل الجهـود يجب أن تركز لفضح السياسة العدوانية الامريكية ، وعزل الولايات المتحدة فى الميدان الدولى ، وتكتيل كل القوى الممكنة لاستئصال نفـوذها من كل أركان العالم .

وان من يطلع على البيـانات والخطب التى القيت فى بكين فى أول أكتوبر المـاضى (الذكـرى السادسة عشر لانتصـار الثورة الصينيـة) قد يدهشه التأكيد على « الاوضاع الممتازة فى الداخل والخارج » . غير اننا اذا قرأنا حيثيـات هـذه « الاوضاع الممتازة ... فى الخارج » بشىء من التمعن نجد أنها تستند الى منطق واضح ، هو ما يؤكده القادة الصينيون من أن سياسة امريكا الدولية أشد افتضاحا اليوم مما كانت فى أى وقت مضى ، وأن المعارضة التى تلقـاها (سياسـات القوة الامريكية) تتعاظم فى كل أرجـاء العـالم بالفعل . يتم هذا ، ليس فى مواقع الصـدام مع شعوب القارات الثلاث فحسب ، ولكن فى قـلاع الرأسماليـة المتقـدمة فى أوروبا أيضا ، بل وفى الولايات المتحدة ذاتها . وقد تضافرت فى هـذا عوامل وقوى عديدة ، لا شك أن سياسة المواجهة الصينية كانت احدى عناصرها الهامة ، وبخاصة فى آسيا (باستثناء الهنـد) . ولم يعـد الامر قاصرا على كوريا الشمالية وبلاد الهند الصينية المتفقة مع الصين تقليديا ، وانما امتدت الموجـة المعادية لأمريكا لتشمل بلادا كانت تعتبر من القلاع المضمونة للنفوذ الامريكى ، مثل الباكستان ، التى انعطفت نحو الصين انعطافا عجيبا بلغ الـذروة بعد حربها الاخيرة مع الهند . وكانت الاضرابات والمظاهرات السياسية التى عمت اليابان بمناسبة اعادة العلاقات مع كوريا الجنوبيـة ، هى أكبـر حركة جماهيرية معادية للنفوذ الامريكى شهدتها اليابان منذ انتهاء الحرب ، وقد اصـطحب هذا بنمو ملحوظ لنفوذ اليسار اليابانى ، وهو يسـار موال للصين . واخيرا ، فان بشائر تغيـير بدأت تلوح فى أفق الفلبين ، وان لم تتضح ملامح الحركة بعـد .

ويعتبر القادة الصينيون أن الاتحاد السوفييتى هو المسـئول الاول عن عـرقلة اسـتراتيجيتهم العالمية : (عزل الولايات المتحدة وتصفية نفوذها) ، واستراتيجيتهم الاسيوية : (عزل الهند وتسعير الثورات فى آسيا وفقا للنمط الصينى) . ومن ثم

يدينون سياسة التعايش السلمى مع أمريكا وسياسة تقديم المعونات الاقتصادية والاسلحة السوفييتية لحكومة الهند . وهذا يفسر احتداد الصينيين ضد السوفييت فى جميع المجالات الدولية . وهنا يكمن السبب فى ضعف الموقف الصينى . فالجهود التى يبذلها الاتحاد السوفييتى، بالتعاون مع كل القوى المحبة للسلام ، من أجل نزع السلاح وتجنيب العالم ويلات حرب نووية، هذه الجهود من الصعب تصويرها أمام الرأى العام العالمى المحب للسلام على أنها تسليم للامبريالية الامريكية . كذلك من غير المنطقى بالمرة المساواة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى ميدان العلاقات الاقتصادية بين الدول المتقدمة والدول النامية، بعد كل المساعدات غير المشروطة التى يقدمها الاتحاد السوفييتى لكثير من البلاد النامية ، وبخاصة فى مجالى الصناعة والخبرة الفنية . وتجلى ضعف الموقف الصينى فى المحافل الاسيوية الافريقية ، وبخاصة فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسيوية الافريقية (أول نوفمبر) ، حيث وقفت الصين وحدها مطالبة بابعاد الاتحاد السوفييتى عن جماعة الدول الاسيوية الافريقية، ووقفت مع الاقلية التى طالبت بتأجيل مؤتمر القمة الاسيوى الافريقى الثانى .

وليس خلاف الصين مع الاتحاد السوفييتى هو وحده السبب فيما يصيب علاقاتها من فتور مع كثير من بلاد العالم الثالث . فان سياسة المواجهة النشيطة لامريكا التى تدعو الصين الى انتهاجها غالبا ما تكون أكثر مما تحتمله بعض الطاقات الثورية فى تلك البلاد . ومن ثم ، فان موقف الصين كدولة ، وموقف الحركات التى تتعاطف مع الاسلوب الصينى كثيرا ما يوصف من جانب أقسام من الحركات الثورية هنا وهناك بأنه « يسارى » أو « مخرب » ، وبخاصة ان أصيب أصحابه بفشل أو انتكاس موقت ، كما حدث فى أندونيسيا .

نخلص من هذا أن الطرفين المتطرفين فى القوى الكبرى المتصارعة (ونعنى بهما الولايات المتحدة والصين) يعانيان قدرا من العزلة عن كثير من أصدقائهما وحلفائهما الطبيعيين فى الميدان الدولى .

فهل يترتب على هذه الحقيقة البسيطة الواضحة نتيجتها المنطقية البالغة الخطر ؟ هل يقرب هذا من الصدام المسلح بين العملاقين ؟ .

غير ان السؤال على هذا النحو لا يكتمل الا اذا اضفنا اليه سؤالا آخر هو :

ماذا سيكون موقف العملاق السوفييتى اذا تطورت الامور الى هذا الحد ؟

ولسنا راغبين فى أن نستدرج الى مضاربات على المجهول . غير ان مجرد طرح هذه الاسئلة ، وهى اسئلة لم يعد ثمة مجال للنيل من جديتها ، لهو تعبير عما آلت اليه الاوضاع الدولية الراهنة من تدهور وتعقيد .

وكما أصبح تدهور العلاقات الصينية السوفييتية الى درجة القطيعة حقيقة فى الشرق الاشتراكى ، كذلك أصبح تدهور العلاقات الفرنسية الامريكية فى الغرب الرأسمالى . فاستقلال أوروبا الغربية عن النفوذ الامريكى ضرورة اقتصادية وسياسية كان ديجول أسبق قادة أوروبا فى التعبير عنها وتوجيهها للمصلحة القومية لفرنسا . وقد أدى هذا الى اضطراب العلاقات بين دول أوروبا الغربية ، وأصاب مشروعات الوحدة الاوروبية بالاختلال . وظهر أثر ذلك فى تفكك حلف الاطلنطى ، والارتباك الذى أصاب السوق الاوروبية المشتركة . وتمر أوروبا بفترة اعادة تشكيل للمعسكرات ، شأنها شأن غيرها من مناطق العالم . ولعل خريطة أوروبا المقبلة ، التى تسير نحوها اليوم ، هى أقرب الى الصورة التى تخيلها ديجول ، والتى قال ان حدودها تمتد من الاطلنطى الى الاورال ، أى تضم أوروبا الشرقية والاجزاء الاوروبية من الاتحاد السوفييتى . وقد تميز العام المنصرم بتقارب ملحوظ بين كثير من دول غرب أوروبا وشمالها وشرقها . ويلعب الاتحاد السوفييتى وفرنسا الديجولية الدور الاساسى فى هذا التقارب ، تحديا للنفوذ الامريكى ، ووقوفا فى وجه العسكرية الالمانية . وتجد ألمانيا الغربية فرصتها لتزحف الى مركز الحليف الاول للولايات المتحدة، ولتقترب من تملك السلاح الذرى ، وان كان هذا يترتب عليه نوع من العزلة فى أوروبا ، ويقرب بين خصومها شرقا ، ومنافسيها غربا .

وان كان هذا التقارب الاوروبى عنصرا مواتيا للسلام العالمى، فى عالم تندر فيه العناصر المواتية، الا انه ينطوى على نوع من تمييع التمايز السياسى والاجتماعى بين شطرى القارة . وينعكس هذا على أحزاب اليسار فى أوروبا الغربية . ولعل البلبلة التى تتسرب الى حزب قديم محنك ، مثل



الحزب الشيوعي الفرنسي ، الذي صوت جانب من أعضائه لديجول ، وجانب آخر ضده ، هي من أمثلة الازمة الفكرية التي تعاني منها بعض هذه الاحزاب ، والتي تدفع قسما من قياداتها الى البحث عن صيغ جديدة للصراعات الاجتماعية والسياسية في الغرب الرأسمالي المتقدم على أسس مراجعة صريحة ، كما دفع مجموعات واجنحة ضعيفة الى الانشقاق على أسس صينية!.

وقد أثارت الاصلاحات الاقتصادية الاخيرة في الاتحاد السوفييتي ، وغيره من بلاد أوروبا الشرقية ، ضجة كبيرة في جميع الاوساط . ويؤكد قادة الاحزاب الشيوعية والحكومات الاشتراكية في تلك البلاد أن التوسع في أعمال الحوافز المادية ، والاخذ بمقاييس الربح ، والسوق ، والعرض والطلب ... لا يعني العودة الى الرأسمالية ، لان الاصل هو الملكية . ولا عودة للرأسمالية طالما أن الدولة ، الممثلة لمجموع قوى الشعب العامل ، هي التي تملك وسائل الانتاج . هذا ، بينما يهلل الغرب معلنا ان هذا انتصار للقيم الرأسمالية وللتفوق الاقتصادي الغربي . ويتخذ القادة الصينيون من هذه الاجراءات مادة لاثبات دعواهم ان « المراجعين الجدد » ، الذين يمسكون أعنة الحزب والدولة في الاتحاد السوفييتي وحليفاته الاوروبيات ، انما يرتدون عن طريق الماركسية اللينينية الى طريق اعادة الرأسمالية . وربما يقودنا الخوض في هذا الجدل الى صميم النزاع العقائدي في صفوف الماركسيين بمختلف مذاهبهم ومدارسهم وفرقهم ، وهو ما نحرص على تجنبه ، فليس هنا مجاله . ولكن يهمنا ، بمناسبة الحديث عن التنافس الاقتصادي ، أن نؤكد حقيقتين :

الاولى : أن الحديث عن تفوق الاقتصاد الغربي خرافة . فالثابت ان معدلات النمو في البلاد الاشتراكية أكبر من نظيرتها في البلاد الرأسمالية . وفي العام المنصرم أكمل الاتحاد السوفييتي بنجاح مشروعه للسنوات السبع محققا ارتفاعا في الانتاج الصناعي بنسبة ٨٤ ٪ ، بينما لم تحقق الصناعة الامريكية خلال نفس الفترة الا زيادة قدرها ٣٤ ٪ . ومن المؤكد أن الاجراءات الاقتصادية الاخيرة من شأنها أن تدعم مركز السوفييت في منافستهم مع الامريكيين .

الثاني : أن كثيرا مما يتمتع به الغرب من ميزات اقتصادية انما يعود الى الاستغلال غير الآدمي لموارد البلاد النامية المصدرة للمواد الخام والمواد نصف المصنوعة ، عن طريق كافة أساليب الاستعمار الجديد ، وبخاصة في التجارة الدولية . كما ان سباق التسلح ، وحروب العدوان التي تشن في مناطق متفرقة من القارات الثلاث ويروح ضحيتها الملايين من أبناء كوريا وفييتنام والكونغو والدومينيكان ... هي من العناصر الاساسية التي يعتمد عليها الاقتصاد الغربي في الاحتفاظ بتوازناته القلقة ، ودفع شبح تجدد الازمات . وقد اعلن كبار رجال المال والصناعة الامريكيين عن رضائهم الكامل على سياسة التدرج في الحرب الفييتنامية التي ينتهجها جونسون ، وقالوا أنها ظرف موات للاقتصاد الامريكي . كما أن توسيع الحرب على هذا النحو قد رفع عن الاقتصاد الامريكي الازمة التي كان متوقعا لها أن تحدث في ١٩٦٤ – ١٩٦٥ .

وعلى أية حال ، فقد أكد مؤتمر التجارة والتنمية الذي عقد في نيويورك هذا العام مرة أخرى أن مشكلة المشاكل في الاقتصاد العالمي اليوم هي التدهور المستمر في أسعار المواد الخام والمواد نصف المصنوعة بالنسبة الى أسعار المنتجات الصناعية ، والتي تفقد بسببه البلاد النامية آلاف الملايين من الدولارات سنويا . ان اعادة النسبة بين أسعار المواد الخام وأسعار المنتجات الصناعية الى ما كانت عليه منذ عشرين عاما كفيلة بأن تغني البلاد النامية عن كافة أشكال المعونات التي تتلقاها من البلاد المتقدمة وتزيد . كما أن استمرار قوانين الغابة السائدة في التجارة الدولية حتى اليوم ، مضافا اليها صعوبات البناء الاقتصادي ومخاطر الانفجار السكاني ، من شأنه أن يدفع معظم هذه البلاد الى أوضاع ميئوس منها اما أن تؤدي بالبعض الى صدام رهيب بغير حدود مع النفوذ الغربي بكل أشكاله ، أو الى عودة البعض الى حظيرة التبعية الاستعمارية من جديد . وهذا الافتراض الاخير سيقود مرة أخرى الى تجدد الصراع ضد الاستعمار الجديد ، على مقياس أوسع وأخطر .

واذا عدنا الى الولايات المتحدة تبينا ان تراخي الرادع الشيوعي ، بسبب النزاع الصيني السوفييتي ، ربما كان حافزا ، وان يكن حافزا سلبيا ، لليساريين والليبراليين الامريكيين لكي يضاعفوا من نشاطهم بشكل لم يسبق له مثيل خلال العشرين عاما الماضية . يضاف الى هذا حافز سلبي آخر ، هو خيبة أمل الناخبين الامريكيين في سياسة جونسون بعد أن أعطوه غالبية أصواتهم الكبيرة ، على أمل وقوله في وجه

الاتجاهات العدوانية المتطرفة التى عبر عنها جولدووتر . ومن جهة اخرى ، فان السياسة الرسمية الامريكية ــ اذ تبلغ هذا الحد الخطير من الاندفاع ، يتهيأ الجو لنمو الحركات اليمينية ذات الاتجاهات الفاشية . وهى حركات تضم ملايين الاعضاء ، وترتكب جرائم الحرق والقتل ضد الزنوج والملونين ، وتوزع مئات الملايين من النشرات والمنشورات التى تحتوى دعايات متهوسة من نوع :

● « ان الولايات المتحدة تتعرض لهجوم جيش وثنى وحشى قاس كافر يعمل على تسليم البلاد للامم المتحدة .

● ان ٣٥ الف شيوعى صينى يقفون الان على الحدود المكسيكية ينتظرون الاشارة لعبور الحدود والاستيلاء على كاليفورنيا .

● ان ٢٠ الف كونغولى و ٣٠ الف منغولى يجوسون الان خلال الولاية ، وتطلب النجدة السريعة .

● ان ١٦ الف افريقى من اكلة لحوم البشر يعسكرون فى جورجيا عرايا كما ولدتهم امهاتهم ، وان هذه هى خطة الامم المتحدة لوضع القوات المنغولية والكونغولية على أراضينا . وان نزع سلاح أمريكا يتم لجعلها مجرد ولاية تابعة للامم المتحدة . فلينقذ الله بلادنا ، وليمنع الكارثة » (٢)

وقد يبدو أن ايراد هذه الاقتباسات المضحكة فى عجالة عن السياسة الدولية فى عام نوع من التزيد . غير ان معرفة ان هذا هو الغذاء الفكرى والسياسى لبضعة ملايين من أبناء أغنى وأقوى دولة فى الغرب الامبريالى يعطى لهذه الكلمات أبعادا رهيبة ، ويثير من الاسى والجزع أكثر مما يدعو الى السخرية والضحك . وان كان الرئيس كيندى قد ذهب ضحية هذا التهوس (الذى تسنده دوائر قوية النفوذ فى الجهاز الحاكم) (٣) لمجرد انه حاول أن يختط طريقا يختلف عما تمليه الاتجاهات المتطرفة ، فليرحم الله « الكونغوليين والمنغوليين والافريقيين العراة المتوحشين » ... وأمثالهم ممن يلقيهم القدر العاثر فى طريق هذا الجنون الدموى المتعاظم .

وفى غمرة هذا الجو الكئيب المنذر بالمخاطر يستيقظ الضمير الامريكى ، وتنمو فى داخل أمريكا حركة جماهيرية لم تسبق لها مثيل تدعو لوقف الحرب فى فييتنام،وترك الاسيويين يدبرون شئونهم بعيداعن سيطرةالرجل الابيض ووصايته . ويتقدم شهداء معذبون ليحرقوا أنفسهم فى الميادين العامة ــ احتجاجا وتكفيرا . وفى نفس الوقت تتعاظم حركة الزنوج لمسح عار التفرقة العنصرية عن جبين الامة الامريكية . وتمتزج حركتهم مع حركة دعاة السلام ، وحركة الليبراليين واليسار عموما، الى حد بات المراقبون يتوقعون ظهور قوة ثالثة فى الحياة السياسية الامريكية تهدىء من الاندفاعات العدوانية فى الخارج ، وتعالج مشكلات التفرقة العنصرية ، والبطالة ، والفقر ــ فى أغنى بلد فى العالم .

وقد استهل عام ١٩٦٥ والامم المتحدةمشلولة عاجزة فى دورتها التاسعة عشر ، وانتهى العام والمنظمة أشد عجزا فى دورتها العشرين . وما تزال الولايات المتحدة ناجحة فى اقصاء الصين وعدد من الدول التى لا ترضى عنها . وما تزال الهياكل التنظيمية للهيئة ولوائحها الداخلية تعبر عن علاقات القوى فى عالم مضى عليه عشرون عاما . وما تزال مشروعات تعديل ميثاق الهيئة ونظامها

(٢) عن مقال للدكتور عبد الملك عوده «بصمات اليمين واليسار فى المجتمع الامريكى» ــ الطليعة ، العدد الاول ص ١٤١

(٣) مقال برتراندراسل ــ الطليعة ، العدد (١١) .



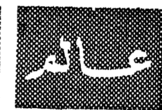
الداخلى تتعثر دون أن تلوح فى الافق بشـــائر مخرج قريب . وباستثناء دور الهيئـة فى الحرب بين الهند والباكستان فىالصيف الماضى (وهو دور ثانوى) فان المشـكلات الدوليـة الهامة هى اما مقصاة عن الهيئة الدولية ـمثل مشكلة فيتينام، أو أن بعضها (مثل نزع السلاح) ما يزال يتعثر بين الاروقة والقاعات والبيانات المعادة المملة التى تبعث النعاس فى جفون المندوبين . وآخر المهازل التى تتم باسم الهيئة الدولية هو ما يجرى الان بشأن روديسيا . فقد نال قرار توقيع العقوبات الاقتصادية على حكومة الاقلية البيضاء أغلبيـة تقرب من الاجماع . ووافقت عليه بريطانيا بين من وافق . ولم يجف مداد القرار الا وبريطانيا تشترى محصول الطباق ،وهو المحصول الرئيسى فى روديسيا ، كما يتدفق البتـرول من الشركات البريطانية الى البلد المعاقب .

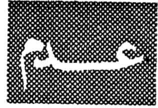
وقد كانت الآمال الكبار معلقة على مؤتمر القمة الافريقى الآسيوى الثانى الذى كان مزمعا عقـده فى الجزائر فى ٥ نوفمبر . غير أن ظلال الخـلاف الصينى السوفييتى امتد ليكون سببا فىارجائه. ولكنه ليس السبب الوحيـد . فان الخـلافات الاخـرى الناشبة بين عـدد من بلاد المجمـوعة الافروآسيوية ، والصعوبات الداخليـة الخطيرة التى يعانيها عدد آخر ، كانت فى خلفية الاذهان التى اضطرت لاتخاذ قرار الالغاء . وان انكماش دور البلاد الافروآسيوية فىالميدان الدولى لهو من عناصر تدهور الموقف الدولى فى العام المنصرم .

وان القيادات الثورية فى القارات الثلاث، آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، مدعوة لاكتشـــاف صيغ وأساليب لمواجهةالهجوم المتزايد للاستعمار الجديد ، وأســاليبه فى الضغط الاقتصــادى ، والتدخل العسكرى ، وتدبير مؤامرات الانقـلاب والتخريب الداخلى . وعلى هـذه القيادات أن تربط رباطا لا ينفصم بين هذه المهمة وبين مهمـة البناء الاقتصادى والثورة الاجتماعية. واذا كانت الخلافات التى ظهرت تعبيراعن ضرورات اجتماعية وسياسية على المستوى القـومى أو الـدولى ، فلتواجه هذه الخلافات بشجاعة ورغبة فى الفهم، فهذا هو الطريق الى وضـوح الرؤيا والهـدف ، واعادة تعبئة القوى المبعثرة . وان مؤتمرشعوب القارات الثلاث الذى سيعقد فى هافانا خلالسنة ١٩٦٦ سيكون فرصة لالتقاء القيادات الثورية ، وتلمس الصيغ والاساليب الجديدة التىتستصرخ الحاجة اكتشافها . ولتذهب قيادتنا الثوريةالى هافانا متحلية بأفضل ما تحلت به من التقـاليد التقدمية الاصيلة فى سـياستنا الخارجيـة التى ولدت على أيدى الثورة .

ان عالم اليوم الذى قصرت أبعاده ، وتقاربت اطرافه ، والتحمت مصــائر سـكانه يتطلع الى القيادات الثورية فى القارات الثلاث . ان هـذه القيادات ـ على حداثتها ـ هى التى يلقى عليهـا التاريخ مهمة الخروج بالعالم من المازق المحفوف بالمخاطر الذى تدفعـه اليه قـوى الاستعمـار والاستغلال والتخلف . ولو كان الاختيار بيد أحد لتهيب أن يتقدم للمهمة . فان تغيير عالم بأسره ليس بالمهمة السهلة . غير أن الامـر ليس أمر اختيار . انما هى حتميـة تاريخيـة . فنحن نعيش على الارض التى تجـرى عليهـا معـارك العصر الفاصلة . ولقد سبق أن اجتزنا الامتحان بشرف وبطولة فى باندونج وبورسعيد . فلنتطلع الى المستقبل بنفس روح الايمان والفداء .ولكن فى مسـتوى المسئوليـة التى تمليهـا الحتميـة التاريخية . والا ... فلن نكون شيئا .

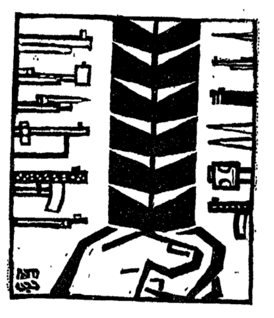








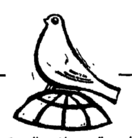
خيرى عزيز



لقد كانت الحاجة ماسة ، منذ مؤتمر عدم الانحياز الاخير فى القاهرة (اكتوبر سنة ١٩٦٤) ، لان تصاغ بشكل واضح ، الحقيقة التى يمكن ان تفسر من ورائها حالة الاضطراب الدولى التى سادت اخيرا والتى بدا للكثيرين وكان ليس لها من ضابط او نهاية . ولقد جاءت كلمات المناضل جمال عبد الناصر الاخيرة ، بلورة سياسية تضع حدا للتفسيرات والتحليلات المبهمة التى اختلطت فى اذهان الكثيرين : « لقد انتقلنا من عصر الكتلتين الى عصر تعدد المراكز ، ومن احتمال الحرب النووية الى استحالة الحرب النووية » (١).

فالمؤتمر الاخير للدول غير المنحازة فى اكتوبر

(١) من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى افتتاح الدورة الثالثة لمجلس الامة فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٥ .



سنة ١٩٦٤ قد انهى اعماله دون ان يكشف بوضوح عن السمات الاساسية للواقع الدولى الجديد فى ظروف تعدد المراكز وانحصار خطر الحرب النووية. وانما بحث موضوعات — يعتبر معظمها — من الموضوعات التقليدية التى كانت مدرجة فى جدول اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة منذ سنوات عديدة (وقف الحرب الباردة) تصفية القواعد الاجنبية والاحلاف العسكرية ، عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، اقرار حق تقرير المصير الخ ، وانفض بقرارات وان كانت تشكل اسهاما لا شك فيه لخدمة قضايا الكفاح ضد الاستعمار وتخفيف التوتر الدولى وضمان السلم — الا انها دارت فى نفس الاطار التقليدى الذى يتفق ومتطلبات ظروف عصر الكتلتين . لقد كان واضحا : « ان دول عدم الانحياز قد اغراها التوسع بالكم فى عدد الدول المشتركة فى المؤتمر ، عن التوسع بالكيف فى اعادة دراسة عالمها واعادة تقييم موقفها منه ومن تطوراته المتحركة بعنف »(٢) ولذا فلا تعتبر مطالبة عبدالناصر «بتطوير وسائلنا» وفق « المنطلقات الجديدة » فى الموقف الدولى ، من قبيل التوجيهات الخاصة بالعمل السياسى للجمهورية المتحدة ، وانما هى تصلح كذلك اساسا للتطوير الشامل فى العمل الدولى ، وعلى وجه اخص لمجموعة الدول التى تتخذ من الناحية الجوهرية نفس موقف الجمهورية العربية المتحدة فى العلاقات الدولية : مجموعة دول عدم الانحياز .

تفكك الصفوف بعد تماسكها

بدا عام ١٩٦٥ بعد تغيرات هامة برزت داخل هذه المجموعة ، ولم تعد الوحدة والمتماسكة فى مواجهة الكتلتين المتصارعتين هى الصورة السائدة ، وانما اصبح التعارض فى الاتجاهات ظاهرة ملموسة . ولو تفقدنا الوضع داخل المجموعة فى بداية ذلك العام ، وعلى الاخص داخل الدول الرائدة فيها ، وهى الهند — اندونيسيا — يوغوسلافيا — الجمهورية العربية المتحدة لوجدنا : الهند تتحرك بدفع من الرجعية الهندية وتحت وطأة صراعها مع الصين — فى اتجاه نحو اليمين والغرب ، ويتجدد نشاط انجلو — امريكى عسكرى وثقافى فى الهند ، له منشأته الحربية وموظفيه العسكريين ويجرى توزيع الاسلحة بواسطة الطائرات النفاثة الامريكية وتوسيع القواعد الجوية الهندية لكى تستقبل المقاتلات وقاذفات القنابل الامريكية ويتحرك اسطول امريكى فى مياه المحيط الهندى ، وتعطى حكومة الهند لراديو « صوت امريكا » حق الاذاعة من راديوكلكتا واندونيسيا — تحت وطأة اوضاعها الاقتصادية وصراعها مع ماليزيا وتزايد نفوذ القوى التقدمية بداخلها تتحرك فى اتجاه يسارى متأثر بالصين ، وتناقش فيها مسألة تكوين « جيش شعبى عمالى فلاحى » « لسحق ماليزيا » ، وهو الاتجاه الذى تأثر بانقلاب ٣٠ سبتمبر الماضى ، ويوغوسلافيا تتعذر عليها الحركة مرغمة سواء فى النزاع الهندى — الصينى ، او فى التدخل فى فيتنام بسبب خلافها مع الصين ، وتبقى الجمهورية العربية المتحدة شبه منفردة فى النهاية اشبه بمعقل كلاسيكى لنظرة وتطبيق عدم الانحياز ، وتجاهد محاولة القيام بدور فعال وسط ظروف دولية بالغة الدقة والتعقيد .

على انه اذا كان الكثيرين قد ابدوا تشاؤما كبيرا بالنسبة لهذا الوضع داخل مجموعة عدم الانحياز ، فينبغى الا يغيب عن البال — بداءة — واقع ان التباين فى الاتجاهات داخل هذه المجموعة ، لايمثل حقيقة سلبية كلية ، وانما هو انعكاس اولا ورغم كل شىء لدرجة ايجابية اعلى من التطور وصل اليها الوضع الدولى ، انعكاس لانتهاء « فلسفة المعسكر » والانقسام الحاد فى العالم الى كتلتين متحفزتين للاصطدام المباشر ، انعكاس للشعور العام بالامن النسبى فى ظروف انحصار خطر الحرب النووية وفى ظروف زوال حدة ازمة الكاريبى التى نشأت بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية عقب عملية حصار كوبا . انه اقرب الى التعبير عن التبدل المصاحب لفترات الانتقال اكثر منه الى التعبير عن التصدع فى موقف عدم الانحياز نفسه باعتباره مرادف للحكم السياسى المستقل القائم على العدل .

على ان ذلك التفسير ينبغى الا يتضمن بحال ، اى تبرير للاستمرار فى الاتجاهات السياسية الخاصة » التى يجمع الكل على اضرارها بقضية التقدم والسلم العالمى ، كما انه لا يتضمن ايضا

(٢) محمد حسنين هيكل « الصورة التى تواجهنا — وغيرنا من الدول غير المنحازة — نتيجة للتغيرات المتلاحقة على اتساع العالم » بـ (بقرب شواطىء مطروقة)الملحق الاسبوعى للاهرام فى ١٤ مايو سنة١٩٦٥ .

اى تبرير للعمل الانفرادى لكل دولة من دول عدم الانحياز على حدة فى مواجهة المشكلات الدولية المتفاقمة ، ذلك ان الامر يتطلب اكثر من اى وقت مضى ، بذل مزيد من الجهد لتوحيد جميع القوى المؤمنة بعدم الانحياز بقصد الاهتداء الى الاساليب الجديدة فى العمل التى تتفق والتطورات الراهنة فى الوضع الدولى .

وعلى العموم ، فقد انشغلت الدول الرائدة فى عدم الانحياز — باستثناء الجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا — بتناقضاتها الداخلية سواء فى الوطن المحلى ،او داخل المجموعة نفسها بحيث شغلت المجموعة كوحدة ، عن الاسهام بشكل اكثر فعالية فى الحد من تفاقم المشاكل الدولية . وقد بذلت الجمهورية العربية المتحدة جهودها بهذا الصدد على مستويين : داخل المجموعة لحل خلافاتها ، ومع المجموعة وفى مقدمتها لحل المشاكل الدولية .

أندونيسيا : « فلتذهب الامم المتحدة الى الجحيم »

كانت اولى المشكلات التى واجهتها داخل المجموعة ، هى التناقض بين اندونيسيا وباقى الدول الرائدة فيها حول الموقف من الامم المتحدة. فبينما اتفقت القاهرة مع سائر الدول الرائدة على ان « بقائها ضرورى لمتطلبات العصر » (٣) . وان احدى المهام الاساسية هى محاولة انتشالها من حالة الشلل الحالية ودعم دورها البناء ، كشفت اندونيسيا عن نفاد صبرها فى صيحة «سوكارنو» فى مطلع العام (١٩٦٥) « لتذهب الامم المتحدة الى الجحيم » ، واعلانه انسحابها منها ومن جميع الوكالات المتخصصة التابعة لها ، بسبب انتخاب ماليزيا عضوا فى مجلس الامن لمدة عام واحد .

على ان الامر لا يتعلق فى حقيقته بماليزيا وحدها ، وانما يرتبط ايضا بذلك «النزوع الاسيوى» الجديد للعمل من خارج نطاق الامم المتحدة وسائر المنابر الدولية والمتأثر باتجاه الصين والاخذ فى الانتشار فى شرق اسيا وجنوب شرقها . يعلن « **دكتور سوباندريو** » : « ان الامم المتحدة قد برهنت اخيرا على عدم فعاليتها ضد الامبريالية والاستعماريين الجدد » ويكمله « **سوكارنو** » : «ان القوى الجديدة الصاعدة ، والصين وكوريا الشمالية واندونيسيا ليست فى حاجة الى الامم المتحدة » ويؤكد **شوان لاى** الاتجاه : « لقد ترعرعنا خارج الامم المتحدة وعشنا حياة طيبة » .

ولما كان ذلك القرار بالانسحاب سيزيد من خطورة الموقف فى جنوب شرقى آسيا ، ويقلل من عدد دول عدم الانحياز التى يمكن ان تلعب دورا ذا اهمية فى الامم المتحدة ، ويضعف من تلك الهيئة باعتبارها اداة دولية للمحافظة على السلم ، كما انه يعد اول سابقة من نوعها يمكن ان تفتح السبيل بعدها لسلسلة من الانسحابات المتوالية تهدد المنظمة بمصير عصبة الامم ، لذا قام « **الرئيس جمال عبد الناصر** » باجراء اتصالات بين دول عدم الانحياز ، وباتصالات مماثلة مع الدول الاسيوية والافريقية للسعى لدى الحكومة الاندونيسية للعدول عن قرارها . وبعث فى ٢٠ يناير سنة ١٩٦٥ بالاشتراك مع الرئيس «**جوزيب بروز تيتو**» والسيدة **سيريمافو باندرانيكة** رئيسة وزراء سيلان وقتذاك بنداء خاص للرئيس سوكارنو لاعادة النظر فى قراره واوضحوا فى ندائهم انهم وان كانوا يدركون عدم ارتياح اندونيسيا لانتخاب ماليزيا عضوا فى مجلس الامن ، الا انهم يؤكدون ان انسحاب اندونيسيا من المنظمة الدولية قد يؤثر على الكفاح ضد جميع انواع الاستعمار وضد التفرقة بين الشعوب . وقد طالب الرؤساء الثلاثة جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة للدول غير المنحازة تأييد النداء الذى وجهوه ،ولقى نداءهم فعلا اهتماما عالميا واسع النطاق كما اجتمع سفيرى الجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا فى كابول بالسيد **محمد يوسف** رئيس وزراء افغانستان بشأن الجهود المبذولة لاعادة اندونيسيا الى الامم المتحدة .واعلن السيد **زكريا محيى الدين** نائب رئيس الجمهورية عند اجتماعه بشاسترى فى نيودلهى ، استعداد الجمهورية العربية المتحدة لبذل مساعيها فى النزاع بين اندونيسيا وماليزيا ، « اذا رغب الطرفان فى ذلك » وصرح بنفس المعنى سفيرنا فى كوالا لامبور **عبد المنعم حسن توفيق** .

(٣) من خطاب السيد محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة فى العيد العشرين للامم المتحدة .



الا ان اندونيسيا استمرت فى انسحابها واعلن ((**سوكارنو**)) فى ٢٠ ابريل انه سيدعو فى المؤتمر الافرواسيوى الثانى فى الجزائر ،الىتكوين منظمة دولية للدول الجديدة ، تضم دول آسيا وافريقيا الثائرة ودول امريكا اللاتينيــة ودول المعسكر الاشتراكى والقوى السياسية التقدمية فى البلاد الرأسمالية ، بما فيها فرنسا وبريطانيا وامريكا . وفى ٢٧ اغسطس اعلنت اندونيسيا رسميا ، انسحابها من البنك الدولى « الذى لم يقرض اندونيسيا ولو سنتا واحدا » (٤)

ويطرح علينا انسحاب أندونيسيا قضية هامة: ذلك انه اذا كانت باكستان وكمبوديا قد اعربتا فى فبراير الماضى أثناء زيارة **سوباندريو** لهما ،عن عدم رضائهما عن تكوين الامم المتحــدة الحالى بحيث راجت التكهنات باحتمال انســحاب الدولتين من المنظمة الدولية وتاكد ذلك فعلا بالنسبة لباكستان عندما هددت بالانسحاب اذا لم تحل مشكلة كشمير فى خلال ٣ شهور ، يصبح من المهم بمكان ادراك ان ذلك « النزوع الاسيوى » الجـديد الذى بدا يسود قوى دوليه خطيره فى شرق آسيا وفى جنوب شرقها انما يفرض علينا خاصة بالنسبة للمستقبل الا نقصر حركتنا على الاشكال التقليدية القائمــة باعتبارها الاشكال الوحيدة للتعاون الدولى ،وانما يتوجب اتباع كل السبل والاشكال الكفيله بضمان استمرار تعاوننا مع تلك القوى سواء على المستوى الثنائى او المستوى الجماعى الجزئى ، باعتبار نظرتها ومواقفها الجديدة هذه ، جزء من واقع دولى جديد علينا الاحتفاظ داخله باكبر حركة وفعاليــة ممكنة .

كما ان ذلك الانسحاب يثير قضية اخرى غاية فى الاهمية والخطورة ، هى ضرورة تعديل ميثاق الامم المتحده ــ الذى لم يعد متلائما مع علاقات القوى الحقيقية فى العالم ــ ليستوعب الحقائق الثورية الجديدة فيه ويحول دون فقدان الثقــة فى المنظمة العالمية الذى يؤدى بالتالى الى انهيارها.

بيد انه اذا كانت السيدة ((**سوبينى**)) نائبةوزير الخارجيــة الاندونيســية والتى اوفدها الرئيس سوكارنو الى القاهرة لشرح موقف اندونيسيا ،قد صرحت أن المسألة المهمة ليست فى الانسحاب او العودة وانما القضية الاساسية هى وجود ماليزيا فى مجلس الامن ، فالســؤال المطروح هو : هل ستعود اندونيسيا الى حظيرة الامم المتحــدة هذا العام (١٩٦٦) بعد ان تكون ماليزيا قد خرجت من مجلس الامن ؟ ان الامر الواضـــح هو ان جميع الجهود التى بذلت لاعادة اندونيسيا الى الامم المحدة لم تجد حتى الان .

مؤتمر الجزائر

راى الرئيس عبد الناصر ان يستغل فرصــة التمهيد لاعداد مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى بالجزائر ، للخروج باكبر نتائج ايجابية فيما يتعلق بالنزاعات المتعلقة بدول عدم الانحياز .لن نتعرض هنا لكل الجهود التى بذلتها الجمهورية العربية المتحدة فى سبيل الاعداد والتمهيد لهذا المؤتمروفى ميدان تقدم العلاقات بين الدول المشتركة فيه،وانما يعنينا منها فحسب ما يخص دول مجموعة عدم الانحياز . اى ما يتعلق بالهنـــد من نزاعات مع الصين او باكستان ، وما يتعلق باندونيســـيا من نزاع مع ماليزيا وتحقيقا لهذا الغــرض اقترحت الجمهورية المتحدة ان لا تثار المنازعات الثنائية او الثلاثية بين الدول داخل المؤتمر وانما خارجه ان امكن . وبدأ **جمال عبـد الناصر**)) محاولاته فى التوفيق ، عندما عمل فى مطار القاهرة الدولى على ان يجمع **لال بهادور شاسترى** رئيس وزراء الهند مع **شواين لاى** رئيس وزراء الصين «لكن شاسترى خشى وقتها ان يستغل معارضوه هذا الوضـــع لاسقاط وزارته ، ومن ثم عرض عبد الناصر ان يتولى جمع الاثنين فى مكان اقامته اثناء المؤتمر فى الجزائر واصبح ذلك بالفعل امرا مقررا» (٥)واذا كان ذلك يعتبر نجاحا لاول محاولة دولية للجمع المباشر بين قادة الصين والهند فى عام ١٩٦٥ ، الا ان احداث ١٩ يونيو فى الجزائر وتأجيل المؤتمر حالت دون اتمامه .

ومن خلال الاتصالات الدولية التى شـــهدتها القاهرة قبل ميعاد انعقاد المؤتمر ، برزت فــكرة عقد محادثات ثنائية بين الدول المتنازعة اثناء انعقاد المؤتمر الكبير تكون أساسا لتسوية المشــكلات

(٤) تصريح ليوسف مودا دالام مدير البنك المركزى فى اندونيسيا فى ٢٧ يناير سـنة ١٩٦٥ .
(٥) محمد حسنين هيكل : رحلة افريقية (الملحق الاسبوعى للأهرام) ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٥ .

القائمة بين الدول الافريقية والاسيوية . وقد تناول ((**عبد الناصر**)) بنفسه بحث هذه المسألة مع **أيوب خان** تمهيدا لعقد اجتماع بينه وبين شاسترى الا ان تأجيل المؤتمر لعب دوره هناايضا كذلك ناقش **عبد الناصر** فى اجتماعه مع **تنكو عبد الرحمن** رئيس وزراء ماليزيا ، النزاع بين أندونيسيا وماليزيا ، وقداعرب الاخير عن ان اشتراك ماليزيا فى المؤتمر سيؤدى الى تخفيف حدة التوتر بينها وبين أندونيسيا وانه على استعداد لعقد اجتماع جانبى مع الرئيس سوكارنو . كذلك عمل عبد الناصر على التقريب بين الهند واندونيسيا ، خصوصا بعد هجوم سوكارنو على الهند لتأييدها اشتراك ماليزيا فى المؤتمر وتبنيها هى وسيلان ونيجيريا الاقتراح المقدم الى وزراء الخارجية باشراكها . وبالجملة فان تأجيل مؤتمر الجزائر ترتب عليه فقدان ثمرة الجهود الايجابية التى بذلها عبد الناصر فى اتجاه عقد اجتماعات ثنائية بين الاطراف المتنازعة لحل الخلافات أو على الاقل لمنع تفاقمها .

مشكلة فيتنام

هذا الدور للجمهورية العربية المتحدة فى أزمة فيتنام ، يتعلق بالمستوى الثانى الذى حددناه لجهودها من قبل ، مستوى عملها مع مجموعة عدم الانحياز وفى مقدمتها لحل المشاكل الدولية . حتى أغسطس سنة ١٩٦٥ لم تكن الجمهورية العربية المتحدة قد قامت بدور خاص فى أزمة فيتنام وانما قامت بجهودها مشتركة مع عدد من الدول الاخرى . وقد أصدرت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى فى ١٦ فبراير بيانا عن الموقف هناك ، طالبت فيه بضرورة وقف العمليات العسكرية وعقد مؤتمر على غرار مؤتمر جنيف وايجاد حل سياسى للمشكلة على اساس اتفاقية جنيف سنة ١٩٥٤ . وسرعان ما شاركتها فى هذا الاقتراح فى ٢٣ فبراير الهند ويوجوسلافيا وكندا . وواصلت القاهرة اتصالها بدول عدم الانحياز لبذل الجهود الممكنة لوقف الحرب . وفى أوائل أبريل ، وعقب بدء الغارات الجوية على فيتنام الشمالية وجه ١٧ من رؤساء دول عدم الانحياز بما فيهم الجمهورية العربية المتحدة ، نداء الى الامم المتحدة والاطراف المعنية بوقف اطلاق النار وحل المشكلة سلميا عن طريق المفاوضات ، لقى تأييد كندا ومجموعة الدول الاسيوية الافريقية على وجه أخص . وبعدها عملت الجمهورية العربية المتحدة على ايفاد السيد ((**حسين ذو الفقار صبرى**)) مستشار ((**الرئيس عبد الناصر**)) للشئون الخارجية الى هانوى ليقوم باجراء مباحثات مع المسئولين هناك . ورغم محاولة المارشال **شن يى** وزير خارجية الصين ، تسهيل مهمة انتقاله فى طائرة عسكرية خاصة من الصين ، الا ان هانوى فضلت - بسبب عنف الغارات الامريكية - ارسال وفد فيتنامى شمالى الى الصين لمقابلته قام أثنائها بشرح الوضع له تفصيلا .

ولقد اتضح موقف الجمهورية العربية المتحدة الملتزم جديا بمبادىء عدم الانحياز عندما طلب **تران فان تيوان** نائب رئيس وزراء فيتنام الجنوبية ، رسميا من حكومة الجمهورية العربية المتحدة : «أن تستكمل العمل الذى بدأ عندما اصدرت دول عدم الانحياز بيانها الخاص بمشكلة فيتنام» وارسال مندوبين من الجمهورية العربية للاطلاع على حقيقة الاوضاع هناك وأوضح «أن حكومة سايجون على استعداد للاتفاق مع الحكومة الامريكية لوقف العمليات الحربية ، وضرب مدن فيتنام الشمالية ، اذا اوقفت العناصر الشيوعية الصينية تدخلها فى شئون فيتنام الجنوبية » واظهر استعداد حكومته لقبول اتفاقية جنيف . وقد كان رد السيد **محمود رياض** وزير الخارجية عليه أن القاهرة كدولة من دول عدم الانحياز ترى ضرورة وقف عمليات ضرب المدن والقرى فى فيتنام الشمالية واهمية تطبيق اتفاقية جنيف وان يكون لشعب فيتنام ان يقرر مصيره بكل حرية . وهو ما اتفق عليه تيتو وشاسترى فى محادثاتهما فى بلغراد فى أواخر يوليو والتى طالبا فيها كذلك باشراك ممثلين لجبهة التحرير الوطنى فى فيتنام الجنوبية فى أى محادثات مقبلة . واذا كان شاسترى قد اقترح فى القاهرة فى اوائل اغسطس اثناء عودته الى نيودلهى عقد مؤتمر لدول عدم الانحياز لبحث المشكلة ، الا ان مؤتمرا بهذا الغرض لم ينعقد واوضح شاسترى نفسه فى القاهرة « انه لا يستطيع ان يحدد المستوى الذى يمكن ان ينعقد عليه هذا المؤتمر لان الفكرة لم تتبلور تماما حتى الان .

أسفرت محادثات **تيتو - شاسترى** فى بلغراد عن اقتراحهما تكليف الجمهورية العربية المتحدة الاتصال ببكين وهانوى لمعرفة موقفهما من المشكلة باعتبارها الدولة الوحيدة التى تستطيع القيام بذلك . كذلك وصلت الى **جمال عبد الناصر**



فى النصف الاول من أغسطس رسالة من لندن تشرح : أن مجلس حلف الاطلنطى بحث الموقف فى فيتنام ، وأن دول عدم الانحياز تتحمل مسئولية خاصة فيما يتعلق بالتدخل . « وأن الجمهورية العربية المتحدة تقف فى أكثر المواضع ملاءمة للقيام بجهد ايجابى » (٦) وأعلن شاسترى بعد ذلك أن دول عدم الانحياز ستبادر الى اتخاذ الخطوات من جانبها بشأن فيتنام عن طريق الوسائل الدبلوماسية وحسم مسألة عقد مؤتمر لدول عدم الانحياز موضحا أنه ليست هناك نية لعقده . وفى الوقت الذى أعرب فيه يوثانت عن عدم اقتناعه بالفائدة الكبيرة التى يمكن أن ترجى من المشاورات الجارية داخل مجلس الامن ، فانه عكف بعناية وكذلك المسئولين فى واشنطون على دراسة الاقتراح الاخير الخاص بوساطة عبد الناصر . وقد أعلنت القاهرة فى ٣ أغسطس رأيها فى المقترحات المقدمة اليها بطلب التدخل وأوضحت أنها وأن كانت « لا تتردد فى بذل أى مسعى فى سبيل السلام » ، الا أنها « ليست على استعداد للقيام بمسعى الا اذا تأكدت أن هناك فرصة حقيقية من ورائه تصون السلام على أساس العدل » وان الامر يقتضى نظرة واقعية تضع الحقائق الصلبة والمبادىء الصلبة أيضا موضع الاحترام . « وان بيان الدول غير المنحازة الذى صدر فى بلجراد فى أبريل لم يعد الان كافيا ، لانه صيغ فى عبارات عامة ، كما أن الحوادث فى فيتنام منذ ذلك الوقت تطورت بشكل واسع وعميق» .

لقد كشف الرأى الذى أبدته القاهرة فى ٣ أغسطس عن رغبتها الجدية فى الوصول الى حل حقيقى ملزم يأتى بنتائج ملموسة فى المشكلة الفيتنامية وكان موقفها انتقاديا من بيان ابريل فى بلجراد الذى يقدم حلولا محددة للمشكلة «والذى كان محكوما بظروف عدد من الدول التى اشتركت فى توقيعه وبالتالى كان تعبيرا عن المساومة مع أضعف الموقعين عليه » (٧) .

ومع كل تحفظات القاهرة ، الا أنها واصلت برغم ذلك جهودها وتمت اتصالات بين السيد **((فريد أبو شادى))** وكيل وزارة الخارجية والسيدين **((نجو ين سوان))** سفير فيتنام الشمالية فى القاهرة و **((شن شيا طانج))** سفير الصين الشعبية . كذلك بحث السيد **((محمود رياض))** وزير الخارجية مع السفير الفيتنامى الشمالى احتمالات تسوية المشكلة ، كما عاد السيد زكريا العادلى سفير الجمهورية العربية المتحدة فى الصين برسالة الى عبد الناصر من شواين لاى تتضمن وجهة نظر الصين فى القضايا الدولية الراهنة وعلى رأسها مشكلة فيتنام ».

ومع كل ذلك ، ورغم أن الحرب فى فيتنام قد وصلت الى مستوى خطير ، فلم تستطع القاهرة ، وهى أكثر الدول غير المنحازة « ملاءمة للقيام بجهد ايجابى » ، أن تحدد حتى الان شكل وتوقيت الحل الذى تراه .

واذا كانت الاراء التى قدمتها القاهرة فى الاقتراح المقدم اليها بالتوسط ، ومواقفها العملية قد كشفت عن شىء ، فقد أظهرت أن الاهتمام الرسمى التقليدى بالقضايا الدولية الذى يتخذ صورة التوقيع على بيانات أو الاشتراك فى مناشدات ذات طابع خطابى عاطفى ، انما غدت بشكل أكثر من ذى قبل ، أساليب غير عملية لحل المشاكل الدولية المتفاقمة خصوصا فى عصر استحالة الحرب النووية الذى لم يعد من السهل فيه أن تستخدم بفعالية الضوابط الرادعة للعدوان كالانذار السوفييتى لبريطانيا وفرنسا الذى استخدم بنجاح فى أزمة السويس سنة ١٩٥٦ .

النزاع الهندى ــ الباكستانى فى كشمير

كان الموقف من النزاع الهندى الباكستانى مثلا من أمثلة التشتت فى الجهود التى بذلتها دول عدم الانحياز خلال عام ١٩٦٥ . فبينما قامت نيجيريا فى ٢٣ أغسطس بشكل منفرد ،

(٦) محمد حسنين هيكل : القاهرة وحرب فيتنام . الملحق الاسبوعى للاهرام ١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥ .
(٧) نفس المرجع السابق .

بعرض وساطتها لايجاد تسوية سلمية بين البلدين، وجدنا الجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا توجهان نداء باسميهما بفض النزاع المسلح . فى حين قامت العراق فى ١٠ سبتمبر بالتحرك فى دائرة عربية واجرت عددا من الاتصالات مع الدول العربية مؤملة ان يكون للمساعى العربية اثرها الواضح فى تخفيف حدة الموقف . وفى حين اظهرت اندونيسيا تأييدها لباكستان ضد الهند واوفدت اليها عددا من الخبراء العسكريين ، اظهرت سيلان موقفا ملتزما بعدم الانحياز ورفضت السماح لهؤلاء الخبراء بالهبوط فى مطار كولومبو واعلنت اغلاق مطاراتها وموانيها امام اى طائرات وسفن تحمل قوات او اسلحة الى الهند او باكستان . هذا بينما قامت الاردن بتأييد باكستان وحق كشمير فى تقرير المصير . وقد وجهت يوغوسلافيا فى ١٧ سبتمبر نداء منفردا من جانبها طالبت فيه بوقف القتال وطالبت الدول الاخرى بالامتناع على التدخل فى النزاع واعربت عن أسفها لقيام بعض الدول بمحاولة زيادة التدهور فى الموقف عن طريق منح المساعدات العسكرية أو التهديد باستعراض القوة . كذلك وجه الاقطاب العرب المجتمعين بالدار البيضاء ، نداء بفض النزاع بالطرق السلمية حرصا على التضامن الافروآسيوى .»

وقد أوفد شاسترى بعدها، السيد «**كريشنا مينون**» الى القاهرة وبلغراد لشرح موقف الهند وأعرب مينون عن ترحيبهم بموقف الجمهورية العربية المتحدة « التى تبذل كل جهودها وامكانياتها ومساعيها الحميدة لحل النزاع الهندى الصينى » .

ما الذى أسفرت عنه كل هذه الجهود ؟ لم تحسم المشكلة ولم يقض على التوتر بين الدولتين، وأكد **على بهوتو** وزير خارجية باكستان فى أواخر سبتمبر أن بلاده ستنسحب من الامم المتحدة فى أول يناير سنة ١٩٦٦ ما لم يتخذ مجلس الامن خطوات حقيقية لحل مشكلة كشمير فى غضون ثلاثة أشهر . وبذا وضعت باكستان بوادر الحلقة الثانية فى سلسلة الانسحابات من الامم المتحدة والتى بدأتها أندونيسيا . اما الهند فقد اعلنت من جانبها ، أنه لا استفتاء فى كشمير فى حين انه شرط أساسى فى التسوية التى تطلبها باكستان .

ورغم أن لال بهادور شاسترى ، أعلن فى أوائل ديسمبر أن بلاده ما تزال ترغب فى عقد معاهدة عدم اعتداء مع باكستان ، الا أن السيد شافان وزير دفاع الهند أعلن فى البرلمان الهندى أن الهند يجب أن تتوقع احتمال قيام الصين وباكستان بعمليات عسكرية مشتركة ضدها ودعا الهند بالتالى لتكون « على اهبة الاستعداد » . وفى كلمته فالتوتر وانعدام الثقة وخطر تجدد القتال المسلح لا يزال قائما هناك . وان كان اجتماع طشقند الذى سيتم فى ٥ يناير بين شاسترى وأيوب خان نتيجة جهود الاتحاد السوفييتى سيكون له آثاره فى تقدم الوضع بين الدولتين خارج نطاق دول عدم الانحياز .

تعتبر الجهود التى بذلتها الجمهورية العربية المتحدة فى قضية نزع السلاح أكثر الجهود الإيجابية حظا من النجاح . ولن نعرض هنا لجميع الجهود التى بذلتها الجمهورية العربية المتحدة من أجل الوصول الى نزع سلاح عام وشامل ، كما لن نعرض للجهود التى بذلتها دول عدم الانحياز مشتركة أو منفردة فى تلك القضية فهذا خارج عن النطاق وانما سنكتفى فحسب ببيان المساهمات التى قدمتها الجمهورية العربية المتحدة على رأس مجموعة عدم الانحياز لمصلحة قضية نزع السلاح .

هذه الجهود تتسم بأهمية خاصة بالنسبة لمستقبل دول العالم الثالث ليس فحسب من زاوية ضمان سلم عالمى عام وشامل وانما لان نسبة غير كبيرة من بلايين الدولارات التى تنفقها الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى على التسلح تكفى وحدها لرفع العالم الاقل تطورا الى مستوى الكفاية الانتاجية ، خاصة وقد رفعت الدول الكبرى ميزانية تسليحها هذا العام بعد أن عملت على تخفيضها فى السنوات الاخيرة .

وتعتبر أولى النجاحات التى تمت بهذا الصدد، موافقة لجنة نزع السلاح التابعة للامم المتحدة فى ١٧ يونيو على مشروع القرار الذى تقدمت به ٢٩ دولة من دول عدم الانحياز لاستئناف محادثات جنيف التى كانت قد توقفت منذ سبتمبر ١٩٦٤، وتوقيع معاهدة حظر التجارب النووية حظرا شاملا وقد أشار مشروع القرار الى تحويل بعض الاموال التى ستتوفر من خفض النفقات العسكرية



تدريجيا الى مشروعات التنمية فى الدول النامية.

وقد نجحت الجمهورية العربية المتحدة كذلك فى أن تكسب موافقة السبع دول الاخرى لعدم الانحياز فى لجنة نزع السلاح بجنيف وكذا موافقة الاتحاد السوفييتى على مشروعها بمد نطاق اتفاقية موسكو على التجارب الذرية تحت الارض من التى تزيد قوتها على ٤ر٧٥ درجة والامتناع عن اجراء تفجيرات اقوى من ذلك . لكن الدول الغربية رفضت المشروع .

كذلك كان من اهم التطورات التى حدثت فى الجمعية العامة فى أواخر أكتوبر موافقة دول عدم الانحياز وغالبية دول امريكا اللاتينية والدول الافريقية الاسيوية القائمة على المبادىء التى اقترحتها الجمهورية العربية المتحدة بشان مسالة انتشار الاسلحة النووية والذى ينص على وجوب للاقتراح الذى تقدمت به الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر نزع السلاح بجنيف وطالبت فيه بتوسيع نطاق معاهدة موسكو لتشمل أيضا حظر التجارب تحت الارض . وقد اثنى عليه اندريه جروميكو باعتباره «اقتراح يستحق كل الاهتمام» كما أوضحت « التايمز » اللندنية أن المؤتمر بعث مزيدا من الامل فى تحقيق خطوة اخرى نحو نزع السلاح ، كما وضع بذور اتفاق جديد عن طريق المشروع العربى .

وقد سجلت الجمهورية العربية المتحدة انتصارا كبيرا فى ٦ نوفمبر عندما تبنت دول عدم الانحياز السبع فى جنيف ، مشروع قرارها بشأن عدم انتشار الاسلحة النووية . كذلك تأييد يوثانت أن تكون المعاهدة خالية من اى ثغرة وتتضمن توازنا مقبولا للمسئولية والالتزامات المتبادلة بين الدول النووية وغير النووية ، ووجوب منع انتشار الاسلحة النووية . وقد وافقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى على هذا المشروع وكذلك اللجنة السياسية الرئيسية للامم المتحدة . وقد وصفت دوائر الامم المتحدة المشروع بانه يهدف الى سد الثغرة بين مشروعى معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية اللذين اقترحتهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وحل « أزمة الثقة » بينهما والواقع أن شبه اجماع الاراء على الموافقة على المشروع دليل على ايجابيته كخطوة فعالة لنزع السلاح من جهة ، كما انه اعتراف ضمنى بنجاح سياسة عدم الانحياز فى ذلك الميدان من جهة اخرى .

كما حققت الجمهورية العربية المتحدة نصرين آخرين عندما وافقت اللجنة السياسية الرئيسية فى الامم المتحدة باغلبية ٩٢ صوتا على مشروع القرار الذى قدمته هى و ٣٥ دولة من دول عدم الانحياز ويدعو الى عقد مؤتمر عالمى لنزع السلاح فى موعد لا يتعدى عام ١٩٦٧ وتشترك فيه الصين الشعبية ، كذلك عندما وافقت نفس اللجنة باغلبية ٨٦ صوتا على مشروع القرار الذى قدمته هى و ٣٤ دولة من دول عدم الانحياز ويدعو الى وقف جميع التجارب النووية .

وقد اكتمل النصر فى أول ديسمبر عندما وافقت الجمعية العامة بأغلبية ١١٢ صوتا ضد لا شىء وامتناع فرنسا وفورموزا على مشروع القرار الخاص بعقد المؤتمر الدولى لنزع السلاح الذى تشترك فيه الصين الشعبية . وقد دعا اعضاء الجمعية العامة الى تشكيل لجنة تحضيرية تمثل معظم الدول لاتخاذ الخطوات المناسبة نحو عقد المؤتمر فعلا . وبذا حققت جهود الجمهورية العربية المتحدة فى قضية نزع السلاح افضل ثمراتها الايجابية لعام ١٩٦٥ .

تناقضات تحمل أخطارا جديدة

على أن من الامور الملفتة للنظر وتستحق التنويه، انه اذا كان مؤتمر عدم الانحياز فى بلجراد سنة ١٩٦١ قد أكد بأن سياسة عدم الانحياز تعمل دون انقطاع على صعيدين متوازيين . صعيد تسوية القضايا الناشئة عن الاتجاه الرامى الى قسمة العالم بين الشرق والغرب ، وصعيد تجزئة الكرة الى بلدان بعيدة التقدم واخرى متخلفة ، فان اتساع الهوة بين البلدان المتطورة والبلدان المتخلفة نتيجة لتطور سياسة الاستعمار الجديد، يوسع معه فى الوقت نفسه ميدان سوء التفاهم والنزاع بين هذه الدول على الصعيد العالمى ، مما

سيضاعف المسئولية على القوى المدافعة عن السلام ومن بينها دول عدم الانحياز فى المرحلة القادمة .

وفى ضوء المتغيرات المتلاحقة فى الوضع الدولى يبدو الخط الخارجى الذى تسلكه فرنسا الديجولية التى تعمل على توثيق علاقاتها بدول العالم الثالث، ذو أهمية خاصة بالنسبة لتناقضات المرحلة القادمة ومراعاتها . وربما يكون بروز السياسة الديجولية الجديدة فى فرنسا بداية من بدايات خلق مساحات سياسية جديدة للعبور عليها بين طرفى التناقض الذى زداد حدة ـ طالما بقى الاستعمار الجديد ـ خصوصا والسياسة الفرنسية لا تعمد فحسب الى اتباع سياسة تقارب مع دول العالم الثالث فحسب وانما تتبع بشكل واضح سياسة صداقة مع الصين الشعبية ومع اصدقاء الصين فى آسيا ، وهى الدولة التى اتخذت لنفسها شعار الدفاع عملة أسمته « شعوب الفقراء » و « الشعوب المضطهدة » فى العالم .

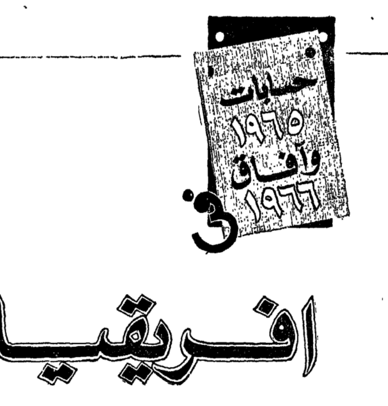
لقد انتهى عام ١٩٦٥ واندونيسيا لا تزال خارج الامم المتحدة ، والحرب الفيتنامية تزداد حدة واتساعا والتوتر وانعدام الثقة قائم بين الهند وباكستان وبينها وبين الصين . ولكن امكن الوصول الى بعض القرارات الايجابية التى تخدم قضية نزع السلاح . ولذا فان القضية المطروحة الان هى : انه اذا كان عدم الانحياز قد اثبت فعالية فى ظروف الكتلتين فأن عليه ان يثبتها فى ظروف تعدد المراكز . واذا كان أحد المطالب اللازمة لتحقيق هذه الفعالية المقبلة ، يكمن فى « تطوير وسائلنا » انطلاقا من الاوضاع الدولية الجديدة . فربما يكون من السابق لاوانه أن يستطيع المرء ادعاء « وصفات » جاهزة للاشكال والاساليب الملائمة تماما خصوصا وظهور المتناقضات داخل الكتل السابقة قد وضعنا فى تلك المرحلة الاولية أمام حالة من « التميع والسيولة » (٨) لا يمكن التخطيط فوقها بسهولة وسرعة . ويستلزم الامر مزيدا من ترقب واستكشاف الظروف الدولية حولنا .

ان الحكم الموضوعى على افاق ومستقبل عدم الانحياز خصوصا عند الفاصل الزمنى الحالى بين عصرين لا يمكن أن يتأتى بمجرد استشفاف ذاتى للقضية ، وانما هو رهن صراعات موضوعية تدور رحاها ولا تزال تدور فى أهم بلدان عدم الانحياز ولم تصل بعد الى نتيجتها الحاسمة . عن أى شىء سيسفر الصراع داخل اندونيسيا ؟ كيف ستستقر الامور فى الهند مع المشاكل الاقتصادية المتفاقمة والدفع نحو اليمين من قبل الرجعية الهندية ، واخطار الحدود من جانب باكستان والصين والاغراءات الانجلوامريكية بالتعاون ، ولانه نتيجة على هذه الصراعات التى ستتكشف جوانب منها دون شك فى هذا العام سيتحدد الكثير مما يمكن أن يقال ـ موضوعيا ـ عن مصير ومسار سياسة عدم الانحياز مستقبلا .

وعلى العموم فأن مجمل مواقف القاهرة السياسية لعام ١٩٦٥ ـ وبغض النظر عن حصيلته النهائية التى تحكمت فيها ظروف دوامة قهرية ـ قدجعل منها القاعدة الاساسية لعدم الانحياز فى عام ١٩٦٥ .. القاعدة التى تمتعت بقدرتها على الحركة وبفعاليتها وسط ظروف دولية بالغة التعقيد والتركيب . وان القاهرة التى انتقل اليها ، باختيارها ، وعلى غير مطمح ذاتى منها فى نفس الوقت ، دور الدفاع عن سياسة ومواقف عدم الانحياز فى عام ١٩٦٥ مدعوة أكثر من أى عاصمة أخرى لبذل جهود متواصلة لتوحيد قوى الدول غير المنحازة والقوى المحبة للسلم فى المعركة ضد الاستعمار والاستعمار الجديد ونزع السلاح وضمان سلم دائم .

وان المطلب الاكثر الحاحا على الصعيد العملى اليوم هو ضرورة التقاء الرئيسين جمال عبد الناصر ، والرئيس اليوغوسلافى جوزيب بروز تيتو باعتبارهما ممثلين لاكثر قوى عدم الانحياز تأهلا للعمل الدولى النشط . وذلك من اجل بحث تطوير وسائل العمل لقوى عدم الانحياز ،وبحث افضل الوسائل الكفيلة بتجميع كل القوى المناضلة للدفاع عن السلام ، وتنسيق جهودها لا لوقف اى اشتباك خطر يمكن ان ينشب فجاة بين الكتلتين ، وانما لمنع كافة أشكال النزاعات الثنائية التى ازداد خطرها وسيزداد طالما استمر الوضع الدولى الراهن على فوضاه واضطرابه .

(٨) محمد حسنين هيكل : العدد الاسبوعى للاهرام ١٤ مايو ١٩٦٥ .



حسين شعلان



تثير مسيرة النضال الافريقى ، خلال عام ١٩٦٥ ، كثيرا من الجدل الذى يدور حول وجهتي نظر . تقول احداها ـ حيث تأخذ جانبا واحدا من الصورة ـ ان حركة التحرر الافريقية قد حققت ـ بنجاحها فى بعض المواقع ـ انتصارا ضد الهجوم المضاد عليها ، وتقول وجهة النظر الاخرى ـ حيث تأخذ أيضا جانبا واحدا من الصورة ـ ان الاستعمار ، هو الذى حقق ـ بنجاح هجومه فى بعض المواقع ـ انتصارا ضد حركة التحرر الافريقية .

والحقيقة أن الصورة أعقد من التحديدات السابقة بكثير . اذ أن حركة التحرر الافريقية ـ كسائر حركات التحرر فى العالم ـ لا تسير نحو اهدافها المحددة ، عبر خطوط مستقيمة وثابتة. لذلك يجب الا نتعجل الحكم على الامور . فهناك ببعض «الانعطافات» ، او اللجوء الى «المناورة» أو « الحلول الوسط » . كما أن التطور يحمل فى حركته ـ عناصر « المباغتة » و « التحول المفاجىء » و « القفزات الهائلة » ، جنبا الى

جئت مع «الانعطافات الحادة» و « الانتـكاسات والتوازنات المؤقتة » .

ومن ثم ، فان كل تحليل لعـلاقات ومواقـع القوى وتطورها ، فى افريقيا ، لا يتمثـل هـذه الحقائق ، يخرج عن طابعه العلمى . وفى ضـوء هذا الفهم ، يجب ان ننظر ونقيم مسيرة النضال الافريقى فى عام ١٩٦٥ وفى المرحلة الحالية-التى يبدأها عامنا الجديد . ولا يمكن ان نتجاهل ــ ونحن نبدأ هذا التقييم ــ الظـروف العالميـة فى اللحظات الراهنة .

أفريقيا .. جزء من العالم

ان احدا لايستطيع ان يتجاهل ــ للحظة واحدة ــ حالة التفكك ــ المؤقت ــ التى أصابت قوى التحرر فى العالم . وهل يمكن للمرء ان يدير ظهره لآثار الخلافات الصينية ــ السوفييتية ، وكيف انهـا سهلت على الاستعمار الفرصة لالتقاط انفاسـه واستجماع قوته ، كى يشن هجوما مضادا على حركات التحرر الوطنى ؟ وهل يستطيع انسان أن يغمض عينيه عن بروز ظاهرة تزايد استخدام القوة من جانب الدول الاستعمارية؟ ان الاستعمار العالمي يشن هجومه فى هذه المرحلة ، بينما تتلقى حركة التحرر الافريقى الضربات الاستعمارية فى استمساك وصمود . وتحرز ــ رغم ذلك ــ عددا من الانتصارات فى بعض مواقعها المتفرقة . ذلك لان العصر قد تحول **نهائيا** لصالح الشعوب .

واذا جاز لنا أن نقول ، ان حـركة التحـرر الافريقية ، لم تعد تمسك بزمام المبادرة تماما كما كانت تمسك به منـذ سنوات قليلة ، فان قادة افريقيا الثوريين ، الذين يدركون حقيقة أبعـاد الموقف ، يسعون الى مراجعة صياغة الشعـارات التي تلائم المرحلة الحالية . وهى الشعارات التى تستطيع أن تجمع تحت لوائهـا مختلف القـوى الوطنية والديمقراطية المعادية للاستعمار .

ومن هم القادة الذين يستطيعون القيام بهـذا الدور الرائد ؟ انهم اولئك القادة الوطنيين الـذين يقدرون أن حركة التحرر فى حالة «اعادة الصياغة»، **لا تعني** التراجع أمام الاستعمار العالمي والرجعية المحلية أو التنازل عن اية مكاسب جوهرية حققتها الشعوب بكفاحها . ولكنهم يدركون أن الانسحاب، ليس سوى **«حركة التفاف»** لاتقاء ضربات العدو المهاجم ، والاستعداد لجولة قادمة تبدأ فيها حركة التحرر هجومها من جديد . وهذا الموقع السياسى، بالتحديد ، هو الموقع الذى احتلته ــ وتحتله ــ الجمهورية العربية المتحدة فى طليعـة الخريطـة السياسية لقوى التحرر الوطني الافريقية .

قضايا ثلاث

فى تاريخ افريقيا ــ منذ الحرب العالمية الثانية ــ بعض السنوات التاريخية التى ستظل، لكل دارس للشئون الافريقيـــة ، « مفاتيح » هامة فى ادراك تطور حركة التحرر الوطنى فى القارة . ولســوف يكون عام ١٩٦٥ ، احد هذه السنوات الهامة . ففى هذا العام ــ ١٩٦٥ ــ شهدت القارة عديدا من الاحداث التى سجل بعضها **تقـدما جـديدا** لحركة التحرر . كما سجل بعضها الاخر عـدة **انعطافات** لحركة التحرر . وكان بعضها الاخير بمثابة « اشارات انذار » ، حيث تهيـأت بعض المواقع لانتكاسات ــ مؤقتة ــ وكسبت القـوى الاستعمارية او الرجعية المحلية بعض الجولات . وكمثال بارز ، فقد بدأت حركة التحرر تحرز ــ فى أوائل ١٩٦٥ ــ تقدما ملحوظا من خلال الثورة الوطنية الكونجولية . وانتهى عام ١٩٦٥ وقـد سحبت قضية الكونجو من جدول اعمال مؤتمـر القمة الافريقى فى اكرا (اكتوبر) بعد ان وجهت ضربات حادة الى الثورة الكونجولية .

ويمـكننا استعـراض حسـابات عام ١٩٦٥ لافريقيا ، من خلال قضايا ثلاث تسير ــ عبرها ــ حركة التحرر الافريقية لتنطلق فى بعضـها من موقع « الفعل » وتدافع ــ فى بعضهـا الاخـر ــ من موقع « رد الفعل » .

وهذه القضايا هى : (١) قضـية التحـرر السياسى . (٢) قضية بناء الاقتصاد الوطنى . (٣) قضية الوحدة الافريقية .

قضية التحرر

يعيش فى افريقيا ، ٣١١ مليون نسمة ،حصل ٢٧٠ مليون افريقى على الاستقلال السياسي حيث يعيشون فى ٣٦ دولة مستقلة . ومعنى هذا ان ٤٠



مليونا افريقيا ما زالوا يناضلون من أجل الاستقلال . ومن ثم **فان حركة التحرر الافريقية ما زالت تواجه حتى اليوم، مهمة استكمال تصفية الاستعمار من بقية ((جيوبه)) القديمة .**

لقد حصلت كلٌ من **مالاوى وزامبيا** (فى أواخر عام ١٩٦٤) ثم **جامبيا** (فبراير ١٩٦٥) ، على استقلالها . كما حصلت **بتشوانالاند** على الحكم الذاتى (مارس ١٩٦٥) . وفى **انجولا وموزمبيق** ، واصل الوطنيون نضالهم المسلح ضد الاستعمار البرتغالى . ولكن تطور الاوضاع فى الكونجو (ليوبولدفيل) تحت حكم تشومبى ـ بالاضافة الى تغير اوضاع علاقات القوى بين حركة التحرر الافريقية والهجوم الاستعمارى المضاد ـ ، قد اثرا على تطور الكفاح المسلح لشعبى المستعمرتين. فقد تعرض الوطنيون الانجوليون ـ الذين يعملون على الحدود المشتركة بين انجولا والكونجو (ليوبولدفيل) ـ لكثير من العقبات والقيود على حرية نشاطهم الوطنى . ورغم ذلك فقد حققت الحركة الوطنية فى انجولا ، مكسبا سياسيا هاما ـ فى ١٩٦٥ ـ باعتراف عدد من الدول الافريقية بجبهة ((الحركة الشعبية لتحرير انجولا)) التى تشن الكفاح المسلح . وذلك بعد أن قامت البعثة المفوضة من ((لجنة التحرير)) التابعة ((لمنظمة الوحدة الافريقية)) ، باجراء تفتيش على الحدود، واعترافها ـ فى تقريرها ـ بأن الجبهة هى التى تقود الكفاح المسلح . وذلك رغم كل المتاعب والعقبات التى وضعها **روبرتو هولدن** رئيس ((حكومة انجولا فى المنفى)) أمام الجبهة التى طالبها بحل تنظيمها والانضواء تحت جناح حكومته ((كأفراد)) .

ورغم المقاومة التى بذلتها شعوب جمهوريتى **جنوب أفريقيا وجنوب غرب افريقيا والمحميات** الداخلة فى منطقة جنوب القارة ، طوال عام ١٩٦٥، الا أن الحركات الوطنية ـ فى هذه المناطق ـ لم تنجح فى احراز نصر مادى ملموس .

لقد كان استقلال مالاوى وزامبيا ، يفترض أن يحدثا تأثيرا واضحا على تطور الحركة الوطنية فى جنوب القارة . ولكن مر عام ١٩٦٥ دون أن يتحقق هذا الافتراض مما يعود الى :

● ضعف التركيب الاقتصادى للدولتين بشكل واضح وتخلف أوضاعهما الاجتماعية، ومن الطبيعى أن يؤثر ذلك فى مدى فعالية حركتهما السياسية واتجاهاتها .

● انقلاب بعض قيادات الدولتين على الحركة الجماهيرية فى شكل حل الاتحادات التى لعبت دورها فى الحركة الوطنية . مما أضعف من فاعلية الدور السياسى الذى يمكن أن تلعبه القوى الوطنية والديمقراطية ـ المحلية ـ بالنسبة للحركات الوطنية فى جنوب القارة .

● انتهاج سياسة داخلية وخارجية اتسمت بطابع ((الاعتدال)) الذى يمثل ـ بمقياس حركة التحرر ـ شكلا من اشكال التهاون مع القوى المضادة . وذلك بالاضافة الى تقاعس بعض القيادات فيهما ، فى مواجهة الضغوط الاستعمارية .

● لقد نالت الدولتان ، الاستقلال ، بالتفاوض وانتظار الموعد الذى حددته المفاوضات مما عكس أثره على مدى تفهم أبعاد الكفاح النضالى والتكيف مع متطلباته .

● الخلافات القائمة ـ والمحتدمة ـ داخل الحركات الوطنية نفسها فى المستعمرات المجاورة وانقساماتها المتعددة .

لقد رسم تطور أحداث عام ١٩٦٥ ، صورة عكسية للافتراض الذى قال بأثر استقلال زامبيا ومالاوى على حركة تحرر جنوب القارة . ففى أواخر ١٩٦٥ اعلنت الاقلية العنصرية فى **روديسيا الجنوبية** الاستقلال من جانب واحد . وأصبح الوضع القائم فى جنوب القارة اليوم ، يمثل خطرا على استقلال كل من مالاوى وزامبيا . وقد رمى الاستعماريون من وراء استقلال روديسيا تحت حكم البيض ، الى **اقامة ((افريقيا عنصرية بيضاء))** فى جنوب القارة تتصل حلقاتها ما بين جنوب افريقيا وجنوب غرب افريقيا والمحميات وبين روديسيا مستندة الى الوضع الاستعمارى العنصرى القائم فى انجولا وموزمبيق ، ليتخذ الاستعماريون من جنوب القارة ، حصنا لصد حركة التحرر المنطلقة من شمال القارة ، ((وبعدا استراتيجيا)) ـ بلغة العسكريين ـ كاحتياطى دفاع عن مصالحهم فى وسط القارة وخاصة فى الكونجو (ليوبولدفيل) .

ولقد أعلنت **القاهرة** ، على اثر استقلال زامبيا ومالاوى وجامبيا، عن استعدادها للتعاون مع هذه الدول الجديدة ومساعدتها على بعث حياتها من جديد ، بالمساعدات الاقتصادية ومدها بالخبراء الفنيين ، كما مدت القاهرة الثوار فى انجولا

وموزمبيق بالمساعدات العسكرية والمالية والطبية واعترفت بالجبهةفى انجولا . ولا تعنى تلك الخطوة من القاهرة مجرد تأييد للكفاح المسلح لشعب يناضل فى سبيل استقلال بلده ، وانما تحدد — فى الاساس — أن القاهرة تقف — بشكل رئيسى — مع القوى الوطنية الحقيقية . كما لعبت القاهرة دورا اساسيا وبارزا فى قرار **مؤتمر أكرا** بشأن روديسيا وادانة العنصرية فى جنوب أفريقيا . واعلنت أنها تعد نفسها فى « حالة حرب » مع حكومة الاقلية البيضاء ولن تسمح بمرور أية سفينة تحمل الشحنات والبضائع الى روديسيا، كما رفضت مرور الطائرات البريطانية المتجهةالى زامبيا فى المجال الجوى لجمهوريتنا ، استكمالا لقرارها الخاص بجنوب افريقيا . واكدت القاهرة استعدادها للاعتراف بحكومة وطنية لروديسيا فى المنفى ومدها بالمساعدات اللازمة عسكريا وماديا .

اشتباكات مع الاستعمار الجديد

وتبادلت حركة التحرر الوطنى الافريقية ، مع الاستعمار والقوى الرجعية ، خلال العام الاخير ، عدة معارك — مباشرة وغير مباشرة — فى كل من الكونجو (برازافيل) والسودان ونيجيريا وتنزانيا وكينيا . وانتصرت حركة التحرر فى بعض هذه المواقع . وتعرضت فى بعضها الاخر لمخاطر تهدد مكاسبها وانجازاتها . وذلك بعد ان نجح الاستعمار الجديد ، فى أوائل ١٩٦٥ ، بممارسة تأثيره فى مساومات سياسية واقتصادية مع حكام **تونس** ، فى أن يعزل تونس عن حركة التحرر الافريقية — والعربية — نتيجة للموقف المعادى الذى اتخذه بورقيبة من قضية فلسطين . مما كان له أثره — بالتالى — على الموقف العملى لتونس من القضايا الافريقية ، ولقد برز فى خروج بورقيبة على اجماع الاعضاء الستة والثلاثين لمنظمة الدول الافريقية الخاص بالقرارات المتخذة فيما يتعلق بقضية تحرير روديسيا من قبضة القوى العنصرية العدوانية . ولقد نجحت القاهرة بالتعاون مع القوى الثورية — عربيا وافريقيا — فى حصر انتكاسة تونس عند حدودها وحتى لاتمتد بتاثيرها الى مواقع اخرى .

لقد تمكنت القوى الثورية فى **الكونجو (برازافيل)** تحت قيادة حزب « الحركة الثورية الوطنية » بزعامة ماسيمباديبا ، أن تحرز انتصارا ضد عميل الاستعمار الجديد « الاب يولو » . ودعم شعب الكونجو برازافيل انتصاره ، بقرار المؤتمر العام للحزب فى منتصف ١٩٦٥ الذى أعلن فيه « ان مؤتمر الحزب اذ يضع فى حسابه فشل الراسمالية وعجزها عن حل المصاعب الاقتصادية الموروثة عن الحكم الاستعمارى . واذ يضع فى اعتباره ضرورة ازالة بقايا آثار الاستعمار القديم والجديد ، وجعل البلاد مستقلة اقتصاديا — وهو الامر الضرورى لتدعيم الاستقلال السياسى — يقرر المؤتمر أن تسلك البلاد طريق الاشتراكية العلمية » .

وفى **تنزانيا** ، نجح حزب التانو فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية لقلب نظام الحكم والضغوط الاقتصادية والسياسية من جانب المانيا الغربية كرد فعل لموقف حكومة « نيريرى » من ثورة الكونجو (ليوبولدفيل) ونتيجة لنشاط لجنة التحرير (منظمة الوحدة) التى تعمل فى دار السلام (العاصمة) . وقد استكملت تنزانيا نجاحها فى مواجهة الهجوم الاستعمارى باتخاذ بعض اجراءات التأميم وتوسيع رقعة القطاع العام لتدعم قاعدتها الاقتصادية وتخليصها من أيدى الاجانب .

ولقد أعلنت **القاهرة** عن ارتياحها للتغيرات التى تمت فى برازافيل . وسعت — طوال ١٩٦٥ — الى تدعيم العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين البلدين . كما اكد الرئيس عبد الناصر مساندة القاهرة لموقف حكومة نيريرى ضد المؤامرات والضغوط الاستعمارية . وأعلن فى اكثر من مؤتمر شعبى — فى أوائل عام ١٩٦٥ — أن شعب الجمهورية العربية المتحدة يقف الى جانب شعب تنزانيا فى نضاله .

وفى أواخر ١٩٦٤ وأوائل ١٩٦٥، حققت حركة التحرر الافريقى انتصارا آخر ضد القوى الرجعية . فقد نجحت القوى الوطنية والديمقراطية فى **السودان** ، فى اسقاط الحكم العسكرى السابق الذى عزل السودان عن حركة التحرر العربية والافريقية . ونجحت الحركة الجماهيرية السودانية — بعد قيامها — فى اتخاذ خطوات قضت على تلك العزلة . وتحسنت العلاقات بين السودان والجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة . واتخذت حكومة سر الختم خليفة التى تشكلت عقب نجاح الحركة موقفا حازما الى جانب ثورة الكونجو . وما لبث السودان أن تعرض الى هجوم استعمارى شنته قوات المرتزقة ،



التابعة لتشومبى ، على الحدود السودانية الكونجولية . بالاضافة الى قيام القوى الانفصالية فى جنوب السودان ــ بمساعدة الاستعمار ــ باحداث اضطرابات استهلكت بعض قوة السودان التى كان من الممكن أن يمد بها حركة التحرر الافريقى . وبعد ذلك سعت القوى اليمينية فى السودان ــ فى أواخر ١٩٦٥ ــ الى تفتيت وحدة القوى الوطنية والديمقراطية مما يتعارض مع مصلحة الشعب السودانى ويعرض ثورته لاخطار حقيقية . ان الاستعمار الجديد يغزل للقوى المسيطرة فى السودان خيوطا من حرير . ولسوف تفاجأ هذه القوى ــ اذا لم تراجع سياستها ــ حين تجد الاغلال ــ التى كانت تبدو كالحرير فى البداية ــ تطوق ايديها فى قوة الحديد .

لقد سارعت **القاهرة** منذ اللحظة الاولى لثورة السودان الى تأييدها والعمل على تدعيمها . بل لقد لعبت القاهرة دورا بارزا وهاما فى محاولات تصفية بعض الخلافات التى بدأت تدب داخل صفوف القوى الوطنية الديمقراطية . كما ساهمت بدور ايجابى فى مباحثات مؤتمر جوبا (مارس ١٩٦٥) من أجل الوصول الى حل لقضية جنوب السودان ، وذلك بارسال وفد من الاتحاد الاشتراكى العربى للمؤتمر .

وفى يناير واكتوبر من عام ١٩٦٥ ، شهدت **نيجيريا** اضطرابات داخلية هددت وحدة ترابها القومى بسبب المعارك الحادة بين جبهة التحالف التقدمى المتحدة وبين جبهة التحالف الوطنى النيجيرى . ويصعب على المرء أن يعزل هذه الاضطرابات عن نشاط العناصر التى يحركها الاستعمار الجديد بين صفوف القوى الرجعية حيث أعلن أحد زعماء جبهة التحالف الوطنى ، أثناء تفجر مشكلة الكونجو ، عن تعاطفه مع تشومبى زاعما أن أسباب مشكلة الكونجو تعود ــ فى رأيه ــ الى « تدخل القوى الخارجية فى بعض الدول الافريقية ، فى الشئون الداخلية لحكومة الكونجو الشرعية » (يقصد مساعدات بعض الدول الافريقية للثوار ضد تشومبى) . ولا يستطيع أحد أن يعزل هذه الاضطرابات التى قامت فى نيجيريا ــ بقصد استنزاف قواها ــ عن مخطط الاستعمار الذى يحرص على ابعاد نيجيريا ــ بشكل دائم ــ عن حركة التحرر الافريقى . لما تمثله كدولة مستقلة من موقع هام يربط وسط القارة بغربها . وما تملكه من امكانيات ضخمة ، بشرية ومادية ، تمكنها من أن تلعب دورا هاما فى حركة التحرر الافريقى . وليس غريبا أن تكون هذه الاضطرابات ، نتاجا لما ترتب على مخطط تجزئى نيجيريا ــ قبل الاستقلال ــ الى أقاليم متعددة تتمتع كل منها بحكم ذاتى .

وفى يونيو ١٩٦٥ ، شن الجناح الليبرالى بقيادة **توم مبويا** من حزب الكانو (حزب كينيا الوطنى الافريقى) ، هجوما عنيفا ضد الجناح التقدمى بزعامة **أوجنجا أودينجا** ، تحت ستار المعارك الايديولوجية حول مفهوم الاشتراكية . واستغل جناح توم مبويا فى هجومه المزاعم القائلة بأن تنزانيا كانت تهرب السلاح الى جناح أودينجا لاحداث انقلاب ضد جومو كينياتا (رئيس الجمهورية وزعيم الحزب) . وسعى الاستعمار الجديد لاستغلال الموقف ــ كما لعب دورا فى تغذيته ــ لعزل **كينيا** وتفتيت وحدتها الداخلية وذلك ردا على موقف كينيا ــ بتأثير الجناح التقدمى ــ من قضايا التحرر الافريقية وخاصة قضية الكونجو . وليس غريبا أن ارتبط هجوم الجناح اليمينى فى الكانو ، بفتح باب المفاوضات مع المستوطنين البيض فى كينيا ، لتعويضهم ــ بسخاء ــ عن الاراضى التى انتزعت ملكيتها منهم .

ان تطور الاحداث فى هذه الدول ، توضح **أولا** : ان اللحظة التى يبدأ فيها تفتت الجبهة الداخلية للقوى الوطنية الديمقراطية ، هى أيضا نفس اللحظة التى تواجه فيها البلاد أخطارا حقيقية على استقلالها مما يؤدى الى استنفاد قواها الذاتية ويهدد بعزلتها . **ثانيا** : ان الهجوم على الاجنحة الديمقراطية والتقدمية ، غالبا ما يرتبط بهجوم الاستعمار الجديد وأعمال مخططه فى ضرب الثورات الوطنية وتغذية الاتجاه الذى يعادى القوى الديمقراطية والتقدمية . **ثالثا** : أن سعى قوى اليمين لتجميد الثورة لا يقف عند حدود تجميدها وانما ينتهى بانتكاس الثورة نفسها . **رابعا** : ان نجاح الهجوم ضد القوى التقدمية من خلف ستار «الاشتراكية الافريقية» ــ كما حدث فى كينيا ــ يوضح أن قضية الاشتراكية غير واضحة ــ على المستوى الفكرى ــ لدى الرأى العام فى هذه البلاد . وذلك رغم أنها الطريق الوحيد لبناء مستقبلها وتحقيق آمالها .

ماذا حدث فى الكونجو ؟

وفى **الكونجو ليوبولدفيل** ، جاء الاستعمار بتشومبى الى الحكم فى منتصف ١٩٦٤ ليواجه

تزايد الثورة الوطنية الكونجولية التى اندلعت فى أواخر حكم سلفه سيريل ادولا . ولكن تشومبى لم ينجح فى أوائل حكمه ، فى ضرب الثورة التى وسعت من الاراضى والمناطق التى كانت تحتلها . وفى مواجهة تعاظم الثورة الكونجولية ، قام الاستعمار ــ بقيادة الولايات المتحدة وبلجيكا ــ بالعدوان على الكونجو فى شكل غزو مسلح ، أريد به لا ضرب الثورة الكونجولية فحسب ،وانما ارهاب حركة التحرر الافريقية وبشكل هام . ورغم ذلك فقد شهدت الشهور الاولى من عام ١٩٦٥ تقدما ملحوظا لقوات الثوار حتى بدا تشومبى يستعين بالمرتزقة البيض من جنوب أفريقيا وروديسيا واسرائيل والمانيا الغربية . مما ساعده فى النهاية ، على توجيه ضربات حادة للثورة . وبعد أن أدى تشومبى دوره ، أبعده كازافوبو ــ ومن ورائه الاستعمار ــ على اثر تفاقم التناقضات الداخلية بين قوى الثورة المضادة فى الكونجو . ولقد خشى الاستعماريون ان يفلت الموقف من يد عملائهم وسط صراعاتهم الداخلية . ولما فشل « ايفارستى كيمبا » الذى كلفه كازافوبو تأليف الحكومة خلفا لتشومبى وفى السيطرة على الموقف ، قام « **موبوتو** » وزير الدفاع الاسبق ، بانقلاب عسكرى للقبض بيد أكثر تشددا على الوضع فى الكونجو باضفاء سمة عسكرية على الحكم لارهاب أية قوة قد تحاول أن تتخطى بالصراع الداخلى اطار استمرار سيطرة الاستعمار على الكونجو .

لقد حققت القوى المضادة للثورة فى الكونجو ليوبولدفيل ، نجاحا ــ مؤقتا ــ ضد قوى الثورة الوطنية فى عام ١٩٦٥ . وقد أثر أكثر من عامل فى الوصول الى هذه النتيجة :

- استخدام الاستعماريين لاعنف وأشد وسائل الارهاب ضد قوات الثورة الوطنية .
- الاستعانة بالمرتزقة البيض المدربين على أحدث الاسلحة وتكتيكاتها العسكرية ، ضد قوات من الوطنيين ضعيفة نسبيا وقليلة الخبرة والمران، سياسيا وعسكريا .
- ولقد لعبت الخلافات السياسية والشخصية التى دبت ــ للاسف ــ بين زعماء الثورة الوطنية، دورا هاما فى الانتكاس بالثورة .
- الدور الذى لعبته دول الافرومالاجاش فى تأييد تشومبى ومساندته،عندما بدى أنه سيكسب هذه الجولة ضد قوى الثورة الوطنية .

لقد حددت **القاهرة** موقفها بوضوح من ثورة الكونجو منذ استقلاله فى ١٩٦٠ . واستمرارا لهذا الموقف ادانت الغزو المسلح للكونجو ،ومدت الثورة الوطنية فى ١٩٦٥/٦٤ بكميات كبيرة من الاسلحة والاموال والمساعدات المختلفة . وكانت القاهرة مركزا هاما من مراكز نشاط الكونجوليين الوطنيين السياسى . حيث قام كثير من زعماء « المجلس الاعلى » للثورة باجراء المحادثات مع الرئيس عبد الناصر . وفى نيروبى (كينيا) لعب الوفد العربى دورا بارزا فى صد هجوم بعض الدول الافريقية من كتلة الافرومالاجاش وتأييدهم لتشومبى .

ورغم انتكاسة ثورة الكونجو ، فلقد شهد عام ١٩٦٥ ، انتصارا واضحا لفكرة « **الكفاح المسلح** » للحركات الوطنية حتى بين الاوساط التى كانت توصف بالاعتدال بالنسبة لهذه القضية .

وقد حققت **القاهرة** فى عام ١٩٦٥ ، انتصارا سياسيا بالنسبة لقضية التسرب لاسرائيل فى **افريقيا** . فقد وصل مؤتمر اكرا الى قرار يقضى بعدم استخدام اراضى القارة للقيام باى عمل تخريبى ضد دولة أفريقية عضو فى منظمة الوحدة . أو أى عمل تخريبى للدول الاستعمارية من خارج القارة . وهذا القرار ــ بعد توضيح الوفد العربى فى مباحثاته الثنائية مع الوفود الافريقية ، لدور اسرائيل فى القارة ــ قد كشف وضع اسرائيل . وقد نتج عن ذلك أن ندد بعض الرؤساء الافريقيين ــ وخاصة بعد زيارات عبد الناصر الى غرب القارة ــ بدور اسرائيل التخريبى فى أفريقيا . فاعلن سيكوتورى ــ لاول مرة بهذه الدرجة من الوضوح ــ « ان هذا التخريب من جانب اسرائيل ليس موجه ضد العرب وحدهم . وانما هو موجه ضد الوحدة الافريقية أصلا وأساسا » . وما زال امام القاهرة طريقا ــ قد يطول ــ لان تأخذ الدول الافريقية موقفا حاسما من تسلل اسرائيل وخاصة بعد أن نجح الوفد العربى ــ بمهارة ــ فى أن يربط مشكلة روديسيا بمشكلة فلسطين . ولسوف يحدد طول أو قصر هذا الطريق ، مدى فعالية الدور الذى تلعبه القاهرة بالنسبة للقضايا الافريقية من جهة ، واستكمال بنائها الاشتراكى بنجاح لاعطاء نموذجا يحتذى من جهة أخرى ، وتقديم حل بديل لبعض ما تسميه اسرائيل « مساعدات » الى بعض دول القارة .

ان التوصيات التى أصدرها رؤساء الدول



الافريقية فى اكرا ، بضرورة تمثيل القاهرة فى معظم اللجان الفرعية لمناقشة عدد من القضايا الافريقية ــ بل ورئاسة بعض هذه اللجان ــ توضح ابعاد نظرة شعوب افريقيا للقاهرة كمركز طليعى لحركة التحرر الافريقية .

التفكك .. لماذا ؟

وفى النهاية يبرز سؤال: ما هى الظروف المحيطة بحركة التحرر الافريقى فى عام ١٩٦٥ ، والتى اضعفت ــ الى حد ما ــ من فاعلية هجوم حركة التحرر ؟ واذ نؤكد ــ فى البداية ــ طابع الضراوة ــ التى وصلت الى حد الغزو المسلح ــ التى واجه بها الاستعمار حركة التحرر الافريقية فى ١٩٦٥ ، فاننا نشير الى الخلافات الصينية السوفييتية التى تركت آثارها بوضوح على تفكك القوى التحررية ــ وانقسامها ــ فى وسط وغرب وشرق القارة وخاصة فى الكونجو ليوبولدفيل وفى هذا المجال يقول جمال عبد الناصر « ونحن نعتبر ان حركة التحرر الوطنى التى اعطاها الاتحاد السوفييتى والصين كلاهما ــ وما زال كلاهما يعطيها ــ كل التأييد والعون قد تأثرت برغم اى شىء بوقوع هذا الخلاف . ونضيف الى هذا ضعف القوى الذاتية للحركات الوطنية والديمقراطية وقلة خبراتها السياسية فى هذه المواقع التى وجهت اليها بعض الضربات . ومن العوامل التى ساعدت على ذلك ايضا، وان جاءت فى المستوى الثانوى ــ التفكك النسبى للقوى التى تلعب دورا طليعيا فى افريقيا لفترة من الوقت فى عام ١٩٦٥ ، اما بسبب مواجهة مشاكل اقتصادية (غانا) او بسبب انشغالها فى كثير من المعارك السياسية فى وقت واحد (الجمهورية العربية حيث انشغلت فى مشاكل نهر الاردن وقضية فلسطين ثم مواجهة الضغط الالمانى الغربى فالامريكى فمؤامرات الرجعية المحلية) . او بسبب بروز التناقضات الداخلية (الجزائر). او مواجهة مؤامرات رجعية داخلية (غينيا وتنزانيا) او تفتت وحدتها الوطنية (كينيا والسودان) .

بناء الاقتصاد الوطنى

يعد اقتصاد معظم الدول الافريقية ، حتى عام ١٩٦٥ ، اقتصادا متخلفا . ويعزى ذلك ــ الى استمرار النهب الاستعمارى لثروات القارة . هذا النهب الذى يشكل العقبة الرئيسية امام تقدم واستقلال القارة اقتصاديا . فما زال نسبة دخل الافريقى فى العام ١٣٤ دولارا ، بينما تبلغ بالنسبة لدخل البريطانى والبلجيكى والفرنسى ما بين ١٤٠٠ و ١٦٠٠ دولار فى العام . وتبلغ بالنسبة للامريكى ٣٠٥٧ دولار .

ومنذ حصول ٣٦ دولة افريقية على استقلالها السياسى ، دخلت الثورة الوطنية فى كل منها مرحلة جديدة من مراحل تطورها . جوهر الصراع فيها هو النضال فى سبيل **الاستقلال الاقتصادى** . والعدو الرئيسى ــ فى هذا الصراع ــ هو الاستعمار ــ الذى يسعى الى تفريغ معنى الاستقلال السياسى من مضمونه الحقيقى ويحوله الى وهم .

لقد ظلت معظم اقتصاديات دول القارة حتى ١٩٦٥ ، تعتمد على انتاج **محصول رئيسى واحد**. يمثل الكاكاو ٧٥ ٪ من قيمة صادرات ساحل العاج و ٥٥ ٪ من قيمة صادرات غانا . ويمثل انتاج وبيع النحاس ٩٠ ٪ من صادرات زامبيا. فاذا عرفنا ان ٨٠ ٪ من **التجارة الخارجية** للحاصلات والمواد الخام فى الدول الافريقية ، قد ارتبطت حتى آخر عام ١٩٦٤ (حيث لم تتوفر حتى كتابة هذا المقال اية احصائيات خاصة بـ ١٩٦٥) بالسوق الرأسمالى العالمى ، ادركنا مدى تحكم الاسواق الغربيةفى اسعار هذه المواد. وفى اوائل عام ١٩٦٥ حاولت دول غرب افريقيا المنتجة للكاكاو ، الاتفاق على سعر موحد له فى مواجهة الاحتكارات العالمية . ولكن حالت الخلافات السياسية الحادة بين هذه الدول ــ فى ١٩٦٥ ــ دون تنفيذ هذا الاتفاق . وفى الوقت الذى بذلت فيه الدول المنتجة للكاكاو جهودا شاقة فى سبيل الارتقاء بالانتاج كما وكيفا ، خفضت الاحتكارات العالمية ثمن طن الكاكاو الى ١٣٠ جنيها بعد ان بلغ متوسط ثمنه فى السنوات السابقة ٢٨٠ جنيها . وقد تسبب ذلك فى ان تواجه دول غرب افريقيا (وخاصة غانا التى بلغ محصولها الاخير ٦٠٠ الف طن) عجزا واضحا فى ميزان مدفوعاتها ورصيدها من العملات الصعبة .

وفى مواجهةواقع التخلف الاقتصادى ،وضعت ٢٠ دولة افريقية منذ سنوات خططا قومية للتنمية الاقتصادية ، تتفاوت من حيث مدى شمولها للاقتصاد القومى او لاجزاء منه فقط .

وقد عانت هذه الخطط ، خلال عام ١٩٦٥ ،نقصا فى توفير الاموال اللازمة لحجم الاستثمارات التى تتطلبها المشروعات . بالاضافة الى قلة مدخرات هذه البلاد من العملات الصعبة مما جعلها تعتمد ــ فى خلال ١٩٦٥ وبشكل واضح ــ على ماتحصل عليه من قروض لتنفيذ مشروعاتها للتنمية .

لقد بلغ متوسط معدل النمو السنوى للدخل القومى فى الدول الافريقية من ٤ــ٥٪ .وهومستوى منخفض لسرعة التطور . اذ يقدر انه اذا زاد معدل النمو الى ٨ ٪ ، فسوف تصل دول القارة، فى أواخر القرن الحالى ، الى متوسط مستوى المعيشة الحالى فى أوربا . وهذا يعنى ــ ان لم تزد نسبة النمو ــ استمرار تخلف دول أفريقيا عن المستوى العام المعيشى بشكل دائم .

وقد قدمت القاهرة فى يناير ١٩٦٥ الى مؤتمر **اللجنة الاقتصادية والاجتماعية** (التابعة لمنظمة الوحدة الافريقية) دراسة ناقشت فيها اهمية قيام الدول الافريقية بتنسيق خططها للتنمية الاقتصادية لتستفيد شعوب القارة من مزايا الانتاج الكبير واتساع السوق وتوطين الانتاج وفقا لمبادىء التنظيم الاقتصادى المشترك. وتملى هذه الضرورة ، صغر الوحدات الاقتصادية القومية فى أفريقيا من جهة ، والتوزيع الجغرافى القائم للمواردوالطاقات الانتاجية من جهة أخرى. حيث يصعب الانتفاع الكامل بهذه الطاقات والموارد الا على أساس مشترك من التنسيق بين خطط التنمية بشكل يراعى الصالح الفردى والجماعى فى أفريقيا .

ولما كان هذا الاتجاه ، يقتضى بادىء ذى بدء ، أن تتوحد المفاهيم التخطيطية بين البلاد المشتركة فى عملية التنسيق ، فقد كان من الصعب الوصول الى اتفاق حول هذه القضية ــ رغم ضروريتها ــ مما يقتضى البحث عن بدايات جزئية وضيقة لتحقيق هذا الهدف على مراحل .

ومن المشاكل التى تواجه محاولات تدعيم العلاقة الاقتصادية وتنسيق اقتصاديات الدول الافريقية ، ارتباط عدد غير قليل من دول القارة **بتكتلات اقتصادية خارجية اهمها السوق الاوربية المشتركة** . وذلك بحثا عن منفذ لصادراتها التى قد لايجد بعضها (المصنع) سوقا افريقية بسبب الحمايات المتعددة للصناعات الوطنية . وترتبط ١٨ دولة افريقية بشكل رسمى بالسوق الاوربية (١) . وذلك يعنى أن ١/٣ مساحة القارة تقريبا ترتبط بالسوق الاوروبية . واذا عرفنا ان دول السوق الاوروبية ، كانت ــ وما تزال ــ احدى القوى الاستعمارية التى تسعى الى استعادة نفوذها فى مستعمراتها السابقة بالبحث عن اشكال جديدة للاستغلال تحل محل الاساليب القديمة ، أدركنا مدى الخطورة التى تتهدد ــ حتى يومنا هذا ــ اقتصاديات عديد من الدول الافريقية ، بارتباطها بمثل هذه التكتلات التى تمثل فى عصرنا الراهن شكلا من اشكال الاستعمار الجماعى .

وتسعى القاهرة بالتعاون مع بعض القوى الثورية ــ بطرح شعار السوق الافريقية ــ الى مواجهة هذه الأخطار التى تتهدد اقتصاديات القارة وتطورها ونموها . وكبدايات اولى ، نحو هذا الهدف، قدمت القاهرة الى اللجنة الاقتصادية والاجتماعية فى أوائل ١٩٦٥ ، دراسة عن « امكانية انشاء منطقة تجارة حرة بافريقيا » . ناقشت فيها اهمية انشاء هذه المنطقة والصعوبات التى تحول دون قيامها « كظاهرة التخلف الاقتصادى وانضمام بعض الدول الافريقية لتكتلات اقتصادية خارج القارة . وتعدد المناطق النقدية بالقارة . وضعف وسائل مواصلاتها » . واقترحت القاهرة ــ فى مشروعها ــ الغاء التعريفات والحواجز الجمركية تدريجيا ، وتكوين اتحاد مدفوعات أفريقى ، وتنسيق خطط تنميتها الاقتصادية وتنمية وسائل مواصلاتها . وفى خلال ١٩٦٥ ، قدمت القاهرة عددا من التسهيلات الائتمانية والقروض لبعض الدول الافريقية ووقعت اتفاقيات للمساهمة فى عمليات البناء الداخلية لبعض الدول . وذلك فى اطار تقدير القاهرة لاهمية وابعاد بناء الاقتصاد الوطنى للدول الافريقية والاستقلال الاقتصادى .

ان لظاهرة اختلاف مستوى التطور الاقتصادى للدول الافريقية ، وجهان. فكما تمثل ــ كظاهرة ــ أساس الاختلافات السياسية ، فانها ــ فى نفس

(١) هى ساحل العاج . بوروندى . فولتا العليا ــ جابون . داهومى . الكاميرون . الكونجو برازفيل . الكونجو ليوبولدفيل . موريتانيا . مالى . مالاجاش . النيجر . رواندا . السنغال . الصومال . توجو . تشاد . جمهورية افريقيا الوسطى .



الوقت ـ تعد اساسا موضوعيا لعمل **توحيدى** لانها تدور فى اطار مشاكل اقتصادية مشتركة تواجهها كل دول القارة . ويتوقف ابراز اى من الوجهين على الاخر ، على مدى **فعالية** الحلول ـ الجادة والتفصيلية ـ التى تقدم من أجل التغلب على ظاهرة التخلف .

كما أن استمرار التاكيد على ضرورة قيام **السوق الافريقية المشتركة** ـ حتى فى مستواه كشعار سياسى ـ يكتسب اهمية سياسية واقتصادية واجتماعية خاصة ، **كحل تقدمى** لتخليص اقتصاديات القارة من ارتباطاتها بالسوق الراسمالى العالمى .

ولا شك ان استكمال بناء شعب الجمهورية العربية المتحدة وشعوب الجزائر وغانا وغينيا ومالى وتنزانيا والكونجو برازافيل ، لخططهم القومية للتنمية وتقدم اوضاعهم الاقتصادية والسياسية ، سيعطى نموذجا ملهما للشعوب الافريقية الاخرى لان تطالب بتحقيق نفس النتائج .

قضية الوحدة الافريقية

ان استقراء تطور احداث ١٩٦٥ فى افريقيا ، يوضح ان حركة التضامن والوحدة الافريقية قد تعرضت ـ لهجوم مضاد من الاستعمار والرجعية فى افريقيا ، استهدف تقويض منظمة الوحدة الافريقية التى تكونت فى ١٩٦٣ .

وليس غريبا ان تكون منظمة الوحدة ـ خاصة بعد مؤتمر القمة الافريقى الثانى فى القاهرة ١٩٦٤ ، وطوال ١٩٦٥ ـ هدفا للهجوم المضاد . فقد مثلت المنظمة منذ نشأتها :

● رمزا لوحدة نضال القارة ضد الاستعمار ورغبة دولها فى التغلب على مظاهر التخلف الاقتصادى الذى يمثل ـ حتى يومنا هذا ـ ملمحا عاما مشتركا لكثير من بلدان القارة .

● دعما للثقل السياسى لدول افريقيا فى المجال الدولى كانعكاس لامانى شعوبها فى القيام بدور ايجابى فى القضايا العالمية . وذلك باعتبار المنظمة واحدة من المنظمات الدولية الهامة (تضم ٣٦ دولة) .

● احد اسس التقدم فى افريقيا اذ تحظى بتأييد شعبى واسع مما يكسب قراراتها ـ اذا ارتبطت بالجماهير ـ مضمونا تقدميا ، لا يمثل خطرا على الاستعمار فحسب ، وانما ـ فى المجرى العام ـ على النظم المستغلة نفسها .

ومن ثم ، كان كل هجوم ضد المنظمة ، هجوما ـ فى نفس الوقت ـ ضد هذه الاهداف .

لقد ظل الاستعمار ـ وما زال ـ يعمل على تفتيت الوحدة الشعبية لكل دولة افريقية على حدة ، على اسس قبلية واقليمية وسياسية لاضعاف وحدة الامة . وانتقل فى عام ١٩٦٥ ـ بشكل واضح ـ الى العمل على تفتيت تضامن ووحدة الدول الافريقية المستقلة لاضعاف جبهة وحدتها على مستوى القارة . وقد تنوعت اشكال الهجوم ضد الوحدة الافريقية فى عام ١٩٦٥ . ويمكن حصرها فى تكتيكين رئيسيين :

● **الهجوم من الخارج** . فقد استهدفت حملة الغزو المسلح على الكونجو واثارة بعض مشاكل الحدود واقامة حكم عنصرى فى روديسيا وتفتيت الجبهات الداخلية فى بعض الدول الافريقية ـ فيما استهدفت اليه ـ وضع العراقيل أمام تطور منظمة الوحدة ودولها نحو تضامن اشمل واكثر فعالية . توقعا بأن تكون مثل هذه المشاكل ، موضع خلاف فى تقديرات الموقف ومواجهتها بين دول المنظمة .

● **الهجوم من الداخل** . وذلك باحياء كيان « **الافرومالاجاش** » الى سابق نشاطه السياسى كمنظمة توازى ـ فى حركتها ـ منظمة الوحدة . ومحاولة لوضع دول القارة امام واقع انقسامى . ففى الوقت الذى حل فيه تجمع « **الدار البيضاء** » (١) نفسه على أثر تكوين منظمة

(١) كان يضم الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى والمغرب والجزائر .

الوحدة ، احتفظ تجمع الافروملاجاش » (٢) بنفسه كاتحاد اقتصادى . وليست هذه دعوة الى احياء كيان « الدار البيضاء » . فبالاضافة الى تعذر ذلك ، فأن دعوة كهذه — دعوة انقسامية تعمق من الخلافات القائمة داخل المنظمة بل تفجرها وتجر حركة التحرر الافريقى خطوات الى خلف ما قبل ١٩٦٣ .

لقد بدى بوضوح منذ أوائل ١٩٦٥ واجتماعات دول « الافروملاجاش » فى أبيدجان ، اتجاه هذه الدول الى العمل على تقويض منظمة الوحدة . فبالاضافة الى تقاعس معظم هذه الدول عن تنفيذ قرارات مؤتمر القاهرة ١٩٦٤ وعدم الالتزام بها ، راحت معظمها تنحاز — بشكل غير مباشر وان كان واضحا — الى جانب تشومبى فى اجتماع نيروبى (١٩٦٥) لوزراء خارجية منظمة الوحدة . ولم تلبث بعدها بشهور ان اعلنت قبول حكومة تشومبى عضوا فى منظمة الافروملاجاش . مما دفع موريتانيا ثم الكونجو برازافيل ثم الكاميرون الى الانسحاب — على التوالى — من عضوية المنظمة وادانة قبول تشومبى عضوا فيها . ولقد كانت خطوة هذه الدول الثلاث ، ضربة حادة ضد كيان الافروملاجاش ، أضعفت من قوته ومن فعالية هجومه ضد منظمة الوحدة بعد ذلك . واصبح كيان الافروملاجاش يعانى — بالتالى — مخاطر تمزق داخلى (*)

وكان من المقرر — منذ مؤتمر القاهرة ١٩٦٤ — عقد المؤتمر الثالث للقمة الافريقى فى أكرا فى سبتمبر ١٩٦٥ . ولكن المشاكل والمناورات التى أثارتها دول الافروملاجاش أدت الى تأجيل عقده حتى اكتوبر من العام الماضى . وفى الوقت الذى كانت تتطلع فيه شعوب القارة الى قرب انعقاد مؤتمر اكرا ، أعلنت معظم دول الافروملاجاش انها ستقاطع المؤتمر . واستندت دعوى المقاطعة الى نقطة أساسية تزعم أن غانا — بحمايتها للاجئين الوطنيين والديمقراطيين من بعض دول غرب افريقيا — تحرض على ما سمى « بالاعمال التخريبية » ضد هذه الدول . كما قيل ان رؤساء دول « المقاطعة » لا يطمئنون على حياتهم اذا ذهبوا الى اكرا . وطالبت هذه الدول بتغيير مكان انعقاد المؤتمر وادانة غانا .

وفى عشية انعقاد مؤتمر اكرا ، وقع حدثين اريد بهما التأثير على انعقاد المؤتمر ونتائجه . ففى ليوبولدفيل أعلن « كازافوبو » — فى مناورة مكشوفة — عزل « تشومبى » وتعيين « ايفارستى كيمبا » رئيسا للوزراء . وذلك بهدف سحب قضية الكونغو من جدول اعمال المنظمة التى كانت تعارض — بشدة — حضور تشومبى للمؤتمر . وفى سالزبورى صرح « ايان سميث » ان حكومته تزمع اعلان استقلال روديسيا الجنوبية تحت حكم الاقلية البيضاء كتحد للمؤتمر ووضع عقبة جديدة أمامه .

وقد لعبت الجمهورية العربية المتحدة دورا توحيديا أساسيا فى تصدى حركة التحرر الافريقية للهجوم المضاد .. حكمته الاعتبارات التالية :

● ان الهجوم على بعض مواقع التحرر ، وخاصة فى الكونجو ، انما يستهدف — ايضا — جر الدول الافريقية التى تلعب دورا طليعيا فى القارة الى معارك يراد بها استنفاد قوتها وطاقاتها فى مجالات حيويتها الاخرى . كما أريد ان يكون مبعثا لاثارة القضايا الخلافية بين الدول الافريقية . ومن ثم لم تتهاون الجمهورية العربية المتحدة فى مد ثورة الكونجو بكل المساعدات والامكانيات التى تقدر عليها . وفى نفس الوقت عملت القاهرة — من خلال منظمة الوحدة — على تجميع الدول الافريقية لاخذ موقف موحد — بقدر الامكان — تجاه هذه المشاكل . ويبرز فى هذا المجال الدور الذى لعبه الوفد العربى فى اجتماع نيروبى .

● عدم الاستجابة لاخذ موقف — من موقع رد الفعل — بالنسبة لاستفزازات دول الافروملاجاش .

(٢) يضم — بعد انسحاب موريتانيا والكونجو برازافيل والكاميرون — داهومى • النيجر • السنغال • ساحل العاج • توجو • تشاد • جابون • فولتا العليا • مالاجاش • افريقيا الوسطى • الكونجو ليوبولدفيل .



وانما عملت القاهرة ــ عن طريق ايفاد المبعوثين الرسميين ــ من أجل الوصول الى **حد أدنى** من الاتفاق حول بعض القضايا الهامة .

● تأييد موقف غانا فى ضرورة عقد المؤتمر فى اكرا ، لان التساهل فى مثل هذا الوقت ، قد يفتح الباب الى تنازلات اخرى بالاضافة لما قد يعنيه من تأييد لمزاعم الافروماالاجاشيين ضد نكروما. وسعت القاهرة الى الوصول الى اتفاق **عام** يقول بمنع اللاجئين السياسيين من القيام بنشاط تخريبى ضد حكوماتهم . ومما لا شك فيه ان حدود « النشاط التخريبى » أمر يخضع لتفسيرات مختلفة يضيق ويتسع تبعا لاختلاف الظروف .

● العمل على عدم اثارة الخلافات الثنائية داخل مؤتمر اكرا . والابتعاد ــ موقتا عن اثارة القضايا التى يتوقع أن تحدث انقساما حادا فى صفوف المنظمة .

● العمل على تجميع الدول الافريقية حول موقف موحد من قضية روديسيا وربطها بقضية فلسطين تمهيدا للعمل من خلالها لاثارة قضية « اسرائيل فى افريقيا » .

● تأكيد أن حل مشاكل القارة يجب أن يتم من داخل القارة نفسها لا من خارجها .

ومن هنا ــ **كان مجرد انعقاد مؤتمر اكرا نجاحا بعد ــ فى حد ذاته ــ استمرارا لحياة منظمة الوحدة وتخطى كل المؤامرات التى وجهت ضدها،** وحتى تنضج الظروف المواتية لتصفية بعض القضايا التى أرجئت تصفيتها ــ موقتا ــ عن عمد تقديرا للظروف المحيطة بها . ولقد كان معنى ذلك ــ فى التحليل الاخير ــ **مراجعة لتكتيك حركة التحرر مع تأكيد احتفاظها بمكاسبها وعدم التراجع عن أهدافها** . وذلك كله ، بهدف تفويت الفرصة على القوى التى عملت ــ وتعمل ــ على تقويض منظمة الوحدة .

ولكن هذا ، لم يلغ ادراك الجمهورية العربية المتحدة لامكانية **العمل على جبهتين :**

● **جبهة المنظمة** ــ عن طريق استمرار الاحتفاظ بها .

● **الجبهات الثنائية** ــ التى لا تلغى دور المنظمة واهميتها .

وانما تسعى الى تقويتها باحراز بعض الانتصارات فى المواقع الطليعية لحركة التحرر الافريقى ، مما يكسب المنظمة أعماقا جديدة وتزيد من فعالية وجودها . وذلك ــ بالتحديد ــ ما يفسر لنا زيارات الرئيس عبد الناصر الى كل من غانا ومالى وغينيا ، غداة انتهاء مؤتمر اكرا فى اتجاه يهدف الى تدعيم وحدة الصف الطليعى لحركة التحرر الافريقى .

١٩٦٦ .. الى أين بأفريقيا ؟

واذا كانت حركة التحرر الافريقى ، قد بدات عام ١٩٦٥ ، وهى تحاول أن تجد حلا لمشكلة الكونجو المنفجرة ، فانها تبدأ عام ١٩٦٦ وهى تسعى لايجاد حل لمشكلة روديسيا الجنوبية .

ولكنها ــ هذه المرة ــ فى مواجهة جبهة تعد ــ رغم كل الظروف المعقدة المحيطة بها اضعف جبهات الاستعمار ، حيث يتجمع حول هذه المشكلة ــ فى المستوى السياسى على الاقل ــ عدد كبير من الدول الافريقية . وستظل قضية روديسيا ــ فى رأيى ــ مجالا للهجوم المتبادل ــ على المستوى السياسى أساسا ــ بين حركة التحرر الافريقى وبين الاستعمار القديم والجديد، وحتى تستطيع الحركة الوطنية فى روديسيا أن تتغلب على واقع تفتتها فتتوحد ثم تعمل ــ بمساعدة الدول الافريقية ماديا وعسكريا ــ على شن كفاح **مسلح** تسعى به الى انتزاع استقلالها الحقيقى . ورغم ذلك فستكون مشكلة روديسيا كقضية وطنية ــ مجالا سياسيا حيا تعمل قوى التحرر الوطنى الطليعية ، من خلاله ، لخدمة قضية الوحدة الافريقية نحو تضامن أكثر فعالية.

ولسوف ينتقل الصراع بين حركة التحرر الافريقى وبين الاستعمار الجديد ــ فى شكله العنصرى ــ من جبهة روديسيا وحدها ليشمل جنوب القارة بأسره .

ورغم التطورات الاخيرة فى **الكونجو** ، فان عام ١٩٦٦ سوف يشهد عددامن المناورات الاستعمارية التى قد تأخذ حدا من المرونة تبدو مسحا من التنازل . فلا يفوتنا ان الاستعماريين يحتفظون بادولا فى اوربا ، لوقت قد تدعو الحاجة — من وجهة نظرهم — الى المناورة على اوتار « المصالحة الوطنية » فوق اراضى المعادن الملتهبة . وقد تجد الحركة الوطنية الكونجولية — وسط هذه التقلبات — مجالا لبداية جديدة . ولكن ليس من المتوقع ان تضيف جديدا **جذريا** ما لم :

● تفض قياداتها التناقضات الحادة التى دبت بينها وارتقت الى مستوى تخطى الخلافات الشخصية التى تثير فى نفس كل وطنى افريقى نفس المرارة التى يثيرها تراب مناجم الماس والذهب فى حلق العامل الكونجولى .

● الاتتردى فى آثار الخلاف الصينى السوفييتى الذى حال — فى ١٩٦٥ — دون خلق الجو الصحى الملائم لوحدة قيادات الثورة الكونجولية .

● ان تمزق — بطرق التوعية المختلفة — اوهام ايمان عدد من قواتها من الوطنيين بالسحر والشعوذة . فكم كان الفرق واضحا — خلال ١٩٦٥ — بين الوطنى الكونجولى وهو يحارب قوات المرتزقة بالقائهم بالتعاويذ والاحجبة ، وبين الوطنى الفيتنامى الذى يدرب النحل — بعد أن تدرب على سلاحه بمهارة — لقتل الجنود الامريكيين .

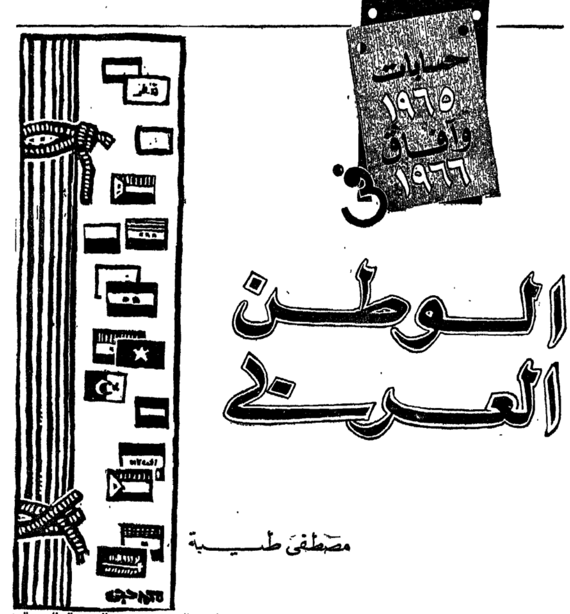
● أن تجد الحركة الوطنية بين صفوفها **زعيما** وقائدا فى مستوى متطلبات الموقف ، قادرا على تجميع صفوف الحركة الوطنية . وتلك احدى مظاهر مأساة ثورة الكونجو بعد اغتيال لومومبا . **ان الثورة الكونجولية فى حاجة الى لومومبا آخر جديد** . وليس فى ذلك تأليه أو عبادة للفرد . ولكنه استجابة لحقيقة موضوعية تؤكد ضرورة دور « الفرد » التقدمى فى ظل ظروف تاريخية محددة .

● والى جانب هذا — كشرط اساسى — ان تلقى من الدول الافريقية ومنظمة الوحدة المساعدات المالية والعسكرية الكافية واللازمة لخوض نضال فعال .

ان الشعور الجارف بالانتصار الذى اجتاح قوى التحرر الافريقى مع بدايات ١٩٦٥ بشأن نجاح الثورة الوطنية فى **السودان** ، يحدوه مع بدايات ١٩٦٦ المخاوف والقلق بشأن التطورات الاخيرة وتفكك الجبهة الوطنية الديمقراطية التى قادت ثورة ٢١ اكتوبر . وتطرح بداية عام ١٩٦٦ سؤالا ملحا فى ذهن كل وطنى افريقى : **ترى هل يستطيع الشعب السودانى ان يتجنب تضحيات وآلام جديدة كتلك التى عاناها من عام ١٩٥٧ ؟** .

ولسوف يكون سبتمبر ١٩٦٦ ، شهرا حاسما فى حياة منظمة الوحدة الافريقية ، حيث سيعقد المؤتمر الرابع للقمة الافريقى فى اديس ابابا . ويومها سنجد جوابا على سؤال يطرحه الكثيرون: **هل ما زال اقتراح نكروما بتكوين مجلس تنفيذى للوحدة الافريقية ، سابقا لاوانه حتى فى عام ١٩٦٦ ؟** فتسليم رؤساء مؤتمر اكرا فى ١٩٦٥ بمبدا طرح المشروع للمناقشة فى مؤتمرهم القادم « بعد دراسته » ، يعنى خطوة اكثر تقدما بالنسبة لمشروع نكروما .

ان اتجاها للقاءات متعددة — ثنائية وجماعية — بين قادة الدول الرائدة فى افريقيا ، يبدو فى افق عام ١٩٦٦ . ولقد اعطى عبد الناصر — فى زياراته لاكرا وباماكو وكوناكرى — اشارة البدء فى هذا الاتجاه ، مما يبعث الارتياح فى نفوس كل الافريقيين الذين يتطلعون الى ان تأخذ حركة التحرر الوطنى الافريقية ، زمام المبادرة من جديد لتشن هجومها بعد ان تستحكم مواقعها .



تواجه حركة الثورة العربية خلال مسيرتها من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة مقاومة شرسة فى كل خطوة تخطوها . ومقاومة تجد أساسها المادى من مخلفات الماضى ، ومن أعداء حاضرها ومستقبلها . ان خصومها المتعددين ما تزال لهم على الارض العربية قوة ونفوذ لا يمكن الاستهتار بهما ، أو التقليل من شأنهما . فالاستعمار القديم والجديد ما يزال له القدرة على التلاعب بمصير المنطقة العربية وعرقلة نموها الثورى . فالصهيونية يساندها الاستعمار تعمل بكل ما لديها من قوة على افساد اساليب النضال العربى، بما تنشره من سموم، وبما تنفقه من اموال. ولا تكتفى الصهيونية ومن ورائها الاستعمار بالابقاء على كيان «اسرائيل» وانما تخطط «لاسرائيل الكبرى» من النيل الى الفرات، حلمها القديم. وتقف الرجعية العربية ، بكل ما تملكه من اسلحة سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية، فى جبهة تضمها مع الاستعمار والصهيونية ،تمتد على طول الارض العربية، لتمنع ارادة التغيير الثورى من بلوغ اهدافها.

والثورة العربية بمضمونها الاشتراكى تواجه بخصوم يتزايدون مع كل تطور اجتماعى جديد. فلم تعد الثورة العربية تقاتل فقط اعداء التحرر الوطنى وانما أيضا القوى الاجتماعية التى تضار مصالحها خلال حركة التغيير الاجتماعى. هذه القوى تشكل الاساس المادى للنفوذ الاستعمارى والرجعية والاستغلال .وعلى الثورة ان تقاتل ايضا فى هذه الجبهة. لقد عاد من المستحيل فصل المعركة السياسية عن المعركة الاجتماعية.

ان الاتساع المستمر للجبهة المعادية للثورة

العربية، امر يفرضه مضمونها الاشتراكى الجديد. لكن ذلك لا يفترض ـ بحكم المستويات المختلفة للثورة العربية ـ اسقاط سياسة الجبهات على اوسع نطاق. ان العبرة بطبيعة الجبهة ودور القيادة فيها. من هنا حين نص الميثاق على «ان وحــدة الهدف لا بد ان تكون شعار الوحدة العربيــة فى تقدمها من مرحلة الثورة السياسية الى مرحلــة الثورة الاجتماعية» لم يلغ الجامعة العربية، ولم ينكر دورها. لكنه حدد مهمتها فى انها «لا تقدر ان تصل الى ابعد من الممكن». واوضح ان سبب ذلك هو «كونها جامعة للحكومات».

فالميثاق بتحديده وحدة الهدف شعارا للثورة العربية، نابع من طبيعتها الاجتماعية الجديدة، لم يسقط من حسابه المعارك الجزئية التى تــفرض وحدات مؤقتة ولاعمال محددة. حدد الميثاق وحدة الهدف شعارا للثورة العربية وحدد اداته السياسية «اتحاد للحركات الشعبية الوطنية التقدمية فى العالم العربى». ولم يسقط من حسابه وحدة الصــف حين ابقى على الجامعة العربية.

وسياسة القمة لم تكن سوى شكلا جديدا لوحدة الصف. فرضتها ظروف محددة، وقامت من اجل هدف محدد. ان وحدة الهدف لا تتناقض مع وحدة الصف. ووحدة الصف لا يمكن ان تكون بديلا لوحدة الهدف. وحدة الهدف تسعى الى كسب المعركة كلهــا. ووحدة الصف تسعى الى كسب مواقع جزئية فى المعركة. وحدة الصف فى خدمة وحدة الهدف وتابعة له. وحدة الهدف هى الاستراتيجية ووحدة الصف هى التاكتيك. وعلى ذلك فوحدة الهدف ثابتة لا تتغير، بينما وحدة الصف متغيرة بتغير الظروف. وبالتالى فالاداة التنظيمية السياسية لوحدة الهدف ثابتة لا تتغير، بينما الاداة التنظيمية السياسيــة لوحدة الصف متغيرة.

وعلى ذلك، فالجامعة العربية، ومؤتمر القمــة، واشكال اخرى تفرضها الظــروف المتغــيرة هى انماط متعددة لاداة وحدة الصف. اشكال سياسية تنظيمية لا تحقق الهدف كله، وانما تحقق جزءا منه، وتستكشف الطريق اليه، وتمهده له. اشــكال تفرضها الضرورة وتنتهى بزوالها.

هذا الاساس هو وحده الذى يصلح اتخاذه مقياسا للحكم على سياسة القمة باعتبارها كانت المحور الاساسى لسياستنا العربية عام ١٩٦٥.

لماذا سياسة القمة ؟

لم تكن بديهية الارتباط بين مطلب تحرير فلسطين وبين الثورة العربية الشاملة مسألة قد غابت عن جمال عبد الناصر حين دعا الى مؤتمر القمة العربى. وانما كانت سياسة القمة طريقا جديدا يعبر عن مرحلة ابرزت ظروفا جديدة. ظروفا تتمثل فى اقامة كيان فلسطين، وفى مشروع عربى للاستفادة من روافد نهر الاردن. يهيء ظروف التصدى للعدو ويسمح باكتشاف العمل العربى وادراك ابعاده، بعد ان كاد النسيان يطوى اسم فلسطين. ولم تكن هذه السياسة تتعارض مع طريق العمل الثورى. فقد كانت سياسة القمة هى سياسة الكم التى تخدم سياسة الكيف. هى التاكتيك الثورى الذى يخدم الهــدف الاستراتيجى الثورى. هى سياســة التاكتيك المرنة، التى تكتسب مرونتها من تــغير الظروف، وتستمد ثوريتها من ثبات هدفها.

وبهذا المعنى قامت سياسة القمة لتستكشف طريق العمل العربى لتحرير فلسطين. نشأت من طبيعة المعركة بين العرب واسرائيل التى تفرض اشكالا من الحركة السريعة يجب الاستعداد لها. وكانت محاولة للتعرف على مقدرة العمل العربى على التحرك السريع فى مواجهة الخطر الاسرائيلى.

ان عجز قطاعات واسعة من الحركة الوطنية فى العالم العربى عن ادراك المضمون الاجتماعى للثورة العربية، امر كان من شأنه حرمان هــذه القطاعات من تحصيل خبرة ثورية لا بد منها.

كان الخطر الاسرائيلى يتفاقم بسرعة. وكانت مشروعات اسرائيل لتحويل مياه نهر الاردن لتوسع من رقعة ارضها الزراعية يستهدف امرين. اولهما كسب سياسى جديد باستجلاب مزيد من المهاجرين، وثانيهما، نواياها الذرية التى اتضحت بشكل يهدد بجعل الامور فى يدها. وامام هذا الخطر الماثل، وبغير انحراف عن الطريق الثورى لتحرير فلسطين، كان لا بد من حركة سريعة. حركة لا تتوهم امكانية تجميع الدول العربية بانظمتها الاجتماعية المختلفة ومواقفها الدولية المتباينة فى عمل ثورى موحد. وانما بغرض استكشاف مواقع العمل العربى وقدرته فى مختلف مستوياته. حركة حصيلتها فى النهايــة ادراك اعمق للقوى الثورية فى مختلف انحاء الوطن العربى لابعاد العمل الثورى. ووضوح اكبــر للرؤية عند الجمهورية العربية المتحدة بحكم مركزها القيادى ودورها الطليعى.

وحين يقول جمال عبد الناصر، بعد هذه الرحلة



الطويلة لسياسة القمة منذ مؤتمرها الاول حتى مؤتمرها الاخير «اذا صلحت النوايا وصدق العزم فان المجهود العربى يستطيع ان يضع نفسه فى اقرب فرصة عند نقطة الاستعداد وان يمسك زمام المبادرة» ، فهو يواصل وضع الملوك والرؤساء امام المسئولية والخطر ماثل. وهو يعطى للقوى الثورية فى كل اجزاء الوطن العربى فرصة الادراك الاعمق الذى يساعدهم على تطوير عملهم الثورى.

ان اثمن ما حصلت عليه الثورة العربية من سياسة القمة هو وعى اكبر بأبعاد العمل العربى. فلقد لاقت سياسة القمة فى بدايتها غموضا عند عدد واسع من الثوريين العرب، سببه عدم ادراك لبواعثها. والثوريون الحقيقيون يشتركون جميعا فى تحمل مسئولية مسيرة الثورة العربية المتعثرة. وزيادة تفاقم الخطر الصهيونى لا يعطى الامكانية الفورية لتحرير فلسطين. ويفرض ذلك بالضرورة الاستمرار فى سياسة القمة لتدفع عن القضية الفلسطينية بعض الاخطار، مادام يمكن تجنبها.

سياسة القمة فى التطبيق

حسب الاستعمار فى بادىء الامر، ان سياسة التضامن العربى، التى مهد لها الطريق مؤتمر القمة الاول للرؤساء والملوك العرب، يمكن تسخيرها لصالح القوى والحكومات الرجعية العربية. لكن المرحلة الثورية التى دخلتها الثورة المصرية طليعة الثورة العربية، كانت تختلف نوعيا عن مراحلها الثورية السابقة. ولم يعد فى الامكان استخدام سياسة التضامن العربى على مستوى الحكومات العربية لصالح الاستعمار والرجعية.

من هنا كانت سياسة القمة مبادرة ثورية. فتحت امكانية التحرك فى كل الجبهات للحكومات الثورية ووضعت الحكومات الرجعية فى وضع لا يسمح لها بالحركة الطليقة لخدمة مصالحها المرتبطة بالاستعمار وجدت الحكومات الرجعية نفسها مضطرة الى الموافقة على قرار ينص على عزم الحكومات العربية على تنفيذ مشاريع تحويل مياه نهر الاردن ردا على مشاريع التحويل الاسرائيلية. ووجدت نفسها مضطرة الى الموافقة على ضرورة تحديد علاقة «الامة العربية بدول العالم على اساس موقفها من القضية الفلسطينية» . ووجدت نفسها مضطرة الى الموافقة على قرارات تطالب بتصفية الاستعمار من الجزيرة العربية، وتصفية قواعده فى الوطن العربى. ووضعها ذلك امام القوى الثورية فى بلدانها بصفة خاصة، والبلدان العربية على وجه العموم، فى وضع المطالب بتنفيذ الالتزامات التى التزمت بها، سواء ما يتعلق منها بالقضية الفلسطينية، او بالقضايا العربية الاخرى، التى صارت تشكل نقاطا اساسية فى جدول اعمال المؤتمرات المتتالية. وحين تحركت القوى الاستعمارية التى بدأت ترى ان سياسة القمة لا تشكل فقط خطرا يهدد مشاريع التحويل الاسرائيلية، وانما يهدد نفوذها ايضا، تحركت الحكومات العربية الرجعية بدورها لعرقلة مقررات وتوصيات مؤتمرات القمة. وزاد من افتضاح الحكومات الرجعية ارتباط محاولاتها لتحويل قرارات وتوصيات مؤتمرات القمة الى مجرد خطوات شكلية لا ترتبط بها كافة الحكومات العربية، بتصريحات ليفى اشكول بأن اسرائيل لا تقف وحدها فى مواجهة المشاريع العربية لتحويل مياه نهر الاردن. ولقد كان افتضاح هذه الحكومات الرجعية فى ذاته كسبا للقوى الثورية. ومع ان قرارات وتوصيات مؤتمرات القمة لتحويل مياه نهر الاردن وروافده قد تحولت عمليا الى مجرد كلمات، فقد تمسكت الجمهورية العربية المتحدة بسياسة القمة. فما كان يريده الاستعمار حين تحرك، وما كانت تريده الحكومات الرجعية حين تحركت معه ، هو اعلان فشل مؤتمرات القمة لتأخذ الحكومات الرجعية حريتها من جديد. خاصة وقد زاد تفاقم الخطر الاسرائيلى.

ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة حتمت عليها« مهما كان ما خذها على سياسة مؤتمرات القمة — ان تتمسك بالصبر وتروض نفسها عليه، تحت الاعتقاد بأنها لا تستطيع فى هذه الظروف بالذات ان تهجر العمل الجماعى العربى، بينما هى الدولة الاقدر على العلمية والاقتصادية والعسكرية حيال خطر طارىء» . وهى التى حتمت عليها «حين جاءت حكومة الاردن وحكومة لبنان فى هذا المؤتمر بغير اقتناع منهما، بالسماح لقوات عربية عراقية للاردن، وسورية للبنان، تدخل للدفاع عن مشروعات التحويل، لم يتحول هذا الموقف، كما كان يمكن فى ظروف اخرى ليصبح الصخرة التى يتحطم عليها مؤتمر القمة الثالث » . ولكن لماذا ؟ لان «الاحتمالات الذرية الاسرائيلية هى اول نقطة توضع فى الاعتبار عند بحث الموقف العربى وتقديره والتخطيط له» (1)

(1) محمد حسنين هيكل من مقال بالاهرام — ١٥ اكتوبر ١٩٦٥

وكان هـذا هـو الموقف الثورى للجمهورية العربية المتحدة. فالاصل فى سياسة القمة هوطرح القضية الفلسطينية بكل ابعادها، ومنع الحكومات العربية من الحركة الطليقة .وبمجرد استــمــرار مؤتمرات القمة ،يشكل فى الوضع العربى الراهن عقبة امام حرية الحكومات الرجعية يجب الاستفادة منها الى اقصى حد. ان براعة التاكتيك الثورى فى سياسة القمة، تبدو فى ان الدعوة الى مؤتمر القمة الاول كانت لمهمة محددة وجزئية فى الاصل. هـى تحويل الروافد العربية لنهر الاردن، وتأمين الحماية اللازمة لهذا العمل فى وجه المناوشات المتوقعة من اسرائيل نتيجة لذلك. ثم يجد المؤتمرون انفسهم امام الاصل وهو تحرير فلسطين. كذلك لم تكن قضية منع اسرائيل من تحويل نهر الاردن، مجرد عمل فنى، وانما كان عملا سياسيا فى المقام الاول. عمل يستهدف طرح القضية الفلسطينية بكل ابعادها. لقد حددت قرارات القمة ان الاصل فى قضية تحويل روافد نهر الاردن هو القضية الفلسطينية حين نصت على «أن الهدف القومى النهائى هو تحرير فلسطين» . وحددت جوهر الطريق العربى الى فلسطين حين اوضحت ان اعداد القوة العربية الذاتية القادرة على التصدى لاسرائيل هو الاساس وان المهمة الاصلية لمؤتمرات القمة تتمثل فى وضع خطة شاملة لتحرير فلسطين ومتابعة تنفيذها.

ولم تقف قرارات القمة عند هذه الحدود العامة، وانما تناولت التفاصيل . تحويل الروافد كالحد الادنى للرد على اسرائيل .وحماية التحويل بتعزيز الدفاع العربى بانشاء القيادة العربية الموحدة . ورصد ميزانية جديدة للتسليح . وتجهيز الخطط العسكرية اللازمة لاحباط كل محاولات التحرش أو الاستفزاز أو العدوان أو الحـرب الشاملة من جانب اسرائيل .

وتناولت القرارات وضع الشعب الفلسطينى فأعلنت حقه فى ابراز كيانه وتنظيم قواه . ونصت على منح التسهيلات لمنظمة التحرير الفلسطينية كى تتمكن من اعداد شعبها لمسئوليته. ان قرارات القمة فى ذاتها برنامجا كاملا للعمل العربى لتحرير فلسطين. برنامج صاغته الجماهير الثورية وقياداتها الثورية فى مؤتمرات القمة وبمبادرة القاهرة. برنامج لا يقوم بتحقيقه غير القوى الثورية، فلم يكن لدى الجمهورية العربية المتحدة اى وهم بأن القمة هى اداة تنفيذه.

ان القول بفشل سياسة القمة ،قول لا يمت الى الثورية بصلة. لقد طرحت سياسة القمة القضية الفلسطينية بكل ابعادها. ورسمت الطريق الى تحرير فلسطين. ودفعت خطر الحرب طوال هذه المدة. وكسبت الثورة العربية اوسع الجماهير فى كل انحاء الوطن العربى جيشا لها اذا ما فرضت عليها الحرب .

ان اثمن ما جنته الثورة العربية بسياسة القمة، هو استقطاب واضح لقوى الثورة وقواها المضادة. فمن جانب ،كشفت التحفظات العديدة للحكومات الرجعية، على تحويل المياه فى الشكل والاساس، وعلى القيادة العربية الموحدة، تشكيلها وصلاحيتها وطبيعة مهمتها، وعلى مسألة الجيوش وخطط تحركها وطريق الانتفاع بها، وعلى منظمة التحرير الفلسطينية كشفت كل هذه التحفظات عن طبيعة اصحابها عند اكثر القوى الاجتماعية تخلفا.

ومن الجانب الاخر كشفت سياسة القمة عن اتجاهات المزايدة والمناقصة للبعثية والبورقيبية ، ووضعتهما فى معسكر واحد مع اعتى القوى الرجعية العربية.

هذا الاستقطاب فى ذاته، وبالمنظار الثورى ، نصر كبير احرزناه بغير ضحايا، وكان مثله فى الماضى يروح من اجله الملايين. احرزناه بالمبادرة الثورية، وتقدير المسئولية، والوعى بحركة الثورة، وبحقيقة ان الزمن عامل اساسى لكسب المعركة.

لكن هذا النصر الكبير يحتاج من القوى الثورية «الى تجديد قواها والى تعميق ارتباطها بالجماهير وامانيها. فالقوى الثورية العربية مطالبة الان بأن تقوم بتحليل سليم لما يواجهها. ذلك أن تلاحم معركة الحرية السياسية مع طلائع الحرية الاجتماعيـة يخلق اشكالا جديدة ومعقدة » (٢)

مواقـع القوى الثورية

لتجـــديد قواهـــا

وتستطيع القوى الثورية أن تجد مواقع معاركها لتجديد قواها وتعميق ارتباطها بالجماهير وأمانيها.

● أن منظمة التحرير الفلسطينية يجب ان لا تقف مكتوفة الايدى فى انتظار منحها حرية العمل. فموقف بعض الحكومات من موضوع تنظيم شعب فلسطين ليس موقفا طارئا ولا عابرا بحيث يمكن تغييره عن طريق المفاوضة أو الخطب. لقد أثبتت تجربة منظمة التحرير الفلسطينية حقيقة أن كل نشاط لا يستند الى حشد وتنظيم شعب فلسطين لا يؤثر فى سير المعركة. ونقطة البدء الضرورية هى وحدة المنظمات

(٢) الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه امام مجلس الامة • نوفمبر سنة ١٩٦٥



والحركات الثورية الفلسطينية ، حتى تنصرف الجهود الى حشد جماهير الشعب الفلسطيني ، بأعلى درجة ممكنة ، وخلال اقصر وقت مستطاع .

- ان توقف الحكومات المعينة في مشروعات تحويل المياه عن اسرائيل ، يجب ان تكون نقطة انطلاق اساسية لشعوبها .

- ان افتضاح البعثية والبورقيبية يشكل ظرفا مواتيا ، وتستطيع القوى الثورية أن تستفيد به الى أقصى حد .

ان القوى الثورية تستطيع تجديد قواها لو فهمت بعمق اكبر الابعاد الثورية لسياسة القمة . ولو انها عرفت ان الدرس الكبير الذى يجب ان تتعلمه، هو أنها لم تع بعمق مغزى سياسة القمة والا لاستطاعت ان تجد العديد من المواقع الثورية التى تنطلق منها .

ان ايمانها بزعامه القاهرة وقيادة جمال عبد الناصر لايكفى وحده لاحراز النصر . لكن وحدتها والتحامها بقيادتها، وحركتها بين الجماهير والارتباط بامانيها هى ضمان النصر الاكيد .

العمل المصرى والعمل العربى

واذا كان العمل العربى يرتكز على العمل المصرى (ويستند اليه فى كل شيء) فان انطلاق العمل العربى اليوم يتوقف على مدى تحرر العمل المصرى الثورى ، من العمل المصرى الرسمى . ان لكل من العملين طبيعته . لكن العمل الرسمى يجب ان يكون فى خدمه العمل الثورى ، بحيث تكون المبادره دائما للعمل الثورى . حقا ان كلا العملين ثورى ، يستمدان ثوريتهما من اهدافهما وطبيعة القائمين عليهما . غير أن العمل الرسمى الذى يفرضه واقع التجزئة ، آن له أن يلتمس مخرجا للقيام بدوره الثورى القيادى على نطاق الامة العربية كلها . فلقد تسببت قيود العمل المصرى الثورى بعمله الرسمى ، الى خلط بينهما عند غالبية الثوريين فى الوطن العربى . ونتيجة لذلك وقعت بعض القوى الثورية اسيرة المغامرة . «أود أن أقول بكل وضوح أن الثورة العربية الشاملة لايمكن أن تكون مجموعة من المغامرات والانقلابات ، انما هى الحركة التاريخية لجماهير الامة العربية فى القفز عبر التخلف الى التقدم السياسي والاجتماعى والثقافى مستندة على القيم الحضارية للامة العربية محققة بالنضال الثورى هدفها » (٣)

غير ان مسئولية القاهرة باعتبار ان العمل العربى «يستند اليها فى كل شيء» ، وبحكم قيادتها للثورة العربية ، تجعل من قضية تحرر العمل الثورى المصرى من قيود العمل الرسمى ، هى القضية الجوهرية .

ولقد ضاعف من الازمة الموقف الذى اتخذه رئيس الجمهورية التونسية من قضية فلسطين . ان ظاهرة البورقيبية فى ذاتها دليل على ضعف العمل العربى. غير ان ماهو اخطر ان يصل الامر بها الى حد الدعوة الى الصلح مع اسرائيل . ان مثل هذا الموقف لم يجرؤ اعتى الرجعيين العرب على اعلانه ، منذ النكسة عام ١٩٤٨ . وان دل ذلك على شيء فانما يدل على وجود حالة من السلبية الجماهيرية فى الوطن العربى لايمكن تجاهلها . ان المغامرة والسلبية باعتبارها رد فعل لها يعبران عن ضعف خطير للحركة الثورية فى الوطن العربى . انهما فى بعض الاحيان يصبحان اخطر أعداء العمل الثورى العربى . وليس من شك فى انه اذا كانت هناك صلة مباشره بين العمل فى المجال الداخلى المصرى وبين العمل المصرى فى المجال العربى ، فبقدر ما تتدعم هذه الصلة ، بقدر ما يقوى العمل العربى كله . وهذه الصلة لايمكن أن تكون مجرد صلة رسمية ، وانما يجب ان تكون صلة ثورية بكل مالها من مقومات ضرورية . أن مثل هذه الصلة تدفع بسياسة القمة ، وبأى سياسة لوحدة الصف نحو الغرض منها ، نحو تدعيم وحدة الهدف .

ان هذه الصلة الضرورية ، والتى يترقبها بلهفة كل القوى الثورية فى العالم العربى ، هى السبيل الوحيد اليوم ، ليس فقط لنجاح سياسة وحدة العمل ، وانما لتأمين الثورة وانتصارها .

مشكله اليمن محصلة

الصراع فى العالم العربى

ان الظروف التى قررت الجمهورية العربية المتحدة فيها ان تتدخل عسكريا لنصرة شعب اليمن، ظروف معروفة .

«كان ذلك فى الفترة التالية لمؤتمر اشتورة فى اغسطس سنة ١٩٦٢ ، الذى اتخذته القوى الانفصالية فى سوريا ــ مؤيدة بواسطة كل القوى الرجعية والانعزالية والانهزامية فى العالم العربى ــ فرصة لشن حملة نفسية عنيفة ضد كل القوى الثورية فى العالم »

وفى مطلع عام ١٩٦٥ كانت قوات الجمهورية

(٣) من خطاب جمال عبد الناصر امام مجلس الامة ، نوفمبر سنة ١٩٦٥ .

العربيةالمتحدة قدانجزتقتالها بنجاح. واستطاعت بذلك أن تحفظ للثورة اليمنية أمنها فى وجه بريطانيا والسعودية ومرتزقة البدر . وبذلك بدأ الجانب السياسىفى المسألة اليمنية يحتل مكان الصدارة. فلقد عادت مشكلة اليمن فى الاساس مشكلة سياسية . وكان على هذه القوات أن تنسحب أن آجلا أو عاجلا ، وأن تترك وراءها نظاما جمهوريا تتوافر له أسباب الحياة . والطريق الضرورى لذلك هو الوحدة الوطنية التى ينبثق عنها حكم وطنى قوى . حكم وطنى يمد يده للسلام ، لا عن عجز للقتال ، وانما من أجل تعبئة الجهود البشرية والمادية لبناء اليمن الجديد . حكم وطنى يقوم على أساس وحدة الجمهوريين اليمنيين أولا ، وعلى علاقة قوية بالجمهورية العربية المتحدة . فوحدة الجمهوريين اليمنيين توفر التعاون مع الجمهورية العربية المتحدة وتعطى للحكم الوطنى فى اليمن القدرة على القتال والمفاوضة معا .

غير أن الوضع فى اليمن وفى العالم العربى لم يعط فرصة لذلك . فمع أن الكتل السياسية المختلفة فى اليمن تجمعت حول شعار «عقد مؤتمر وطنى يحل مشكلات اليمن الداخلية والخارجية» الا أن هذه الكتل كانت انعكاسا للوضع فى العالم العربى وفشلت كل المؤتمرات والاجتماعات فى أن تحقق الحل الملائم لمشكلة اليمن . وبفضل الجهود المستميتة للاستعمار والرجعية العربية، وباستمرار قواعد العدوان فى مدها المتمردين داخل اليمن العون والسلاح ، ونتيجة لانعدام الوحدة الوطنية ، لم يعط كل ذلك فرصة النجاح أمام المؤتمرات والاجتماعات التى عقدت لتحقق حلا ملائما .

وحدة الصف دون مساومة

على وحدة الهدف

أن وحدة العمل العربى عند القاهرة لاتعنى المساومة على وحدة الهدف . أن هدف وحدة الصف هو توفير السلام بشرط أن لايخل بوحدة الهدف، وفى سبيل وحدة الهدف لا تتوانى عن القتال . وعلى هذا الاساس يستمد السلام والحرب معناهما الثورى . وشهد النصف الثانى من عام ١٩٦٥ نشاطا واسعا فى جبهة السلام وفى جبهة الحرب اذ عقد المشير عامر فى اليمن عددا من المؤتمرات العسكرية لبحث الخطة العسكرية المطلوبة . ثم عقد مؤتمرا عسكريا كبيرا على مستوى عال ، اقر بالتفصيل الخطة العسكرية لمجابهة العدوان والقضاء عليه بشكل نهائى . وأعلنت الحكومة اليمنية عن تكوين «الجيش الشعبى» ليحمل مسئوليته فى حماية الثورة . وبعد أن أصبح لليمن الحد الادنى من فرص ممارسة حقوقه ، والنضال من أجل أهدافه التى قام بالثورة من اجلها ، بات التصميم على الدخول فى معركة ساحقة ضد المتمردين. وقوات الجمهورية العربية المتحدة لايمكن أن تستمر فى قتال المتسللين بينما مصدر العدوان يمارس حريته فى امان . واصبح الوضع فى العالم العربى على حافة الحرب. وامام خطورة الاصطدام المباشر ونتائجه على كل العالم العربى ، بادر جمال عبد الناصر مبادرته الثورية كى تمنح جميع الاطراف فرصة أخيرة كى يحل منطق السلام بديلا للحرب .

أعلن جمال عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٥ «أن لدى الجمهورية العربية المتحدة مشروعا للسلام على الحدود اليمنية اذا أوقفت المملكة العربية السعودية عدوانها على اليمن .. وبموجب مشروع السلام هذا . تستطيع الجمهورية العربية المتحدة اذا ما أزيلت قواعد العدوان ضد اليمن ، أن تنفذ خطة لسحب القوات العربية خلال ستة أشهر » وبحسم الثورة أعلن عبد الناصر أنه اذا فشلت المفاوضات وانتهت الى طريق مسدود «فلسوف يكون للصبر حدوده» .

لم يكن أمام الجمهورية العربية المتحدة ، مستندة بحكم مسئوليتها التاريخية ، وايمانا منها بوحدة الثورة العربية ، أن تقف مكتوفة اليدين أمام القواعد الحقيقية التى ينطلق منها العدوان على اليمن .

«لابد أن نصفى قواعد العدوان التى تتجه منها الاعتداءات على اليمن» (٤) وبذلك وضحت الصورة بكل ما تحمله من احتمالات خطيرة . السلام أو الحرب . وحدة للصف دون تفريط فى وحدة الهدف والا فمن أجل وحدة الهدف تشن الحرب .

«فان السماح بضرب ثورة عربية ، بقوة السلاح الاجنبى ، كان سابقة خطيرة ، واذا تركت بغير مراجعة .. فان كل الامال العربية سوف تستباح وتنتهك » (٥)

اتفاقية جدة محصلة

سياسة وحدة الصف

وجاءت اتفاقية جدة محصلة لسياسة وحدة الصف فى ظروف محددة يجتازها العالم العربى .

(٤) من خطاب جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٥
(٥) من خطاب جمال عبد الناصر فى مجلس الامة ٠ نوفمبر سنة ١٩٦٥



أن السياسة فن الممكن ، واتفاقية جدة هي الممكن الوحيد في الظروف المحددة . أنها المحصلة الثورية لصيغة العمل العربي الجديدة ، دون وهم بأنها اداة تحقيق العمل العربي الى منتهاه . فمثل هذا التصور معناه مهما خلصت النيات المساومة على الثورة . لقد نص اتفاق جدة بوضوح على جوهر الاهداف الحقيقية التى قاتلت القوات المصرية ومعها ثوار اليمن من أجلها طيلة ثلاث سنوات .

● فقد نصت على أن المملكة العربية السعودية «تقوم على الفور بايقاف كافة عمليات المساعدة العسكرية بجميع أنواعها ، او استخدام الاراضى السعودية للعمل ضد اليمن» ودلالة هـذا النص لاتكمن فقط فى انه انتزاع لحق الشعب اليمنى فى تأمين حدوده سياسيا وعسكريا ، وانما هو اعتراف صريح من جانب العربية السعودية بدورها فى مساندة القوى المعادية للجمهورية اليمنية وفى كل الحالات تستطيع القوى الثورية فى اليمن وخارجهـا أن تستفيد من هذا الاعتراف الصريح . «أن التجربة التى خاضها الشعب اليمنى — ومهما تكن التفاصيل — قد أبرزت قوى وبلورت أفكارا لم يعد من السهل قمعها أو اخضاعها (٦) .

يضاف الى ذلك ، أن المهمة الاولى للقوات المصرية فى اليمن طوال السنوات الثلاثة الماضية كانت هى انهاء العدوان على الحدود اليمنية ، كى تنصرف اليمن الى تعبئة جهودها لمغالبة مخلفات القرون . وجاءت اتفاقية جدة تعلن بوضوح الايقاف الفورى لكل الوان النشاط المعادى لليمن .

● وبنفس الوضوح نصت الاتفاقية على أن الشعب اليمنى «يقرر ويؤكد رايه فى نوع الحكم الذى يرتضيه لنفسه فى استفتاء شعبى» ومعنى ذلك تأكيد حق الاكثرية فى فرض ارادتها على الاقلية والشعب اليمنى الذى قام بثورته ضد الامامة لن يسمح لها بالعودة ، فلقد أنطلقت ثورته من أجـل النظام الجمهورى .

● والنتيجة المنطقية لتصفية العدوان الخارجى والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب اليمنى ، نصت الاتفاقية على أن الجمهورية العربية المتحدة « تقوم بسحب كافة قواتها العسـكرية من اليمن فى ظرف عشرة شهور أبتداء من ٢٣ نوفمبر » .

فذهاب القوات المصرية الى اليمن كان يستهدف فى الاساس تحقيق هذين المطلبين .

لقد رسمت هذه النقاط حدودا أساسية لمسئولية الجمهورية العربية المتحدة ، وبشكل يتفق مع آمال الشعب اليمنى وطموحه . ورسمت النقاط الاخرى فى الاتفاقية الحدود الاساسية لمسئولية الشعب اليمنى . فعلى المؤتمر الذى يمثل جميع القوى الوطنية واهل الحل والعقد للشعب اليمنى ، وبعد التشاور مع الفئات اليمنية المختلفة ، أن يقرر طريقة الحكم فى فترة الانتقال وحتى اجراء الاستفتـاء الشعبى ، وتشكيل وزارة موقتة تباشر سلطـات الحكم خلال فترة الانتقال ، وتقرير شكل ونظام الاستفتاء الذى سيتم فى موعد اقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ .

وتقع على الشعب اليمنى مسئولية الوصول الى استفتاء شعبى حر ، ينصر الثورة ونظامهـا الجمهورى . ولامجال لعدد كثير من التساؤلات دارت وتدور قبل وبعد اتفاقية جدة، وخلال انعقاد مؤتمر حرض (الذى مازال منعقدا حتى كتابة هذه السطور) .

فالحل الصحيح هو الحل الممكن ، والسياسة فن الممكن . وظروف العمل العربى . واحتمالات تفاقم الخطر الاسرائيلى ، يفرض هذا الحل كالحل الوحيد الصحيح . أن ابتغاء الثورة لايكفى وحده كى تتحقق الثورة ، وأنما لابد من توفر ظروف تحقيقها . والحلول الصحيحة فى مجرى الثورة هى فقط الحلول الممكنة . والدرس الكبير الذى تستخلصه الثورة العربية من معالجتهـا لمشـكلة اليمن هو القدرة الثورية على الربط بين وحدة الصف ووحدة الهدف . الربط بين السلام والحرب بحيث اتضحت عدالة القضية ، سواء ،عولجت بالسلام او بالحرب . أن مفاوضات السلام لم تبدأ الا بعد الاستعداد للحرب ، وفى وقت لم يكن فيه من السهل أن تركب السعودية أو غيرها مخاطرة حرب لاتعرف نتائجها .

ان خبرة وحدة الصف المستقاة من تجربة اليمن يلخصها قول جمال عبد الناصر «أننا مصممون على أن نتيح لصيغة وحدة العمل كل فرصة ممكنة للنجاح ولكننا لانخدع انفسنا ، ولا جماهير أمتنا ، بتصور أن هذه الصيغة هى أداة تحقيق الأمل العربى الى منتهاه» ووحدة الهدف المستخلصة من تجربـة اليمن يقدمها جمال عبد الناصر حين يقول «أن الرجاء الاصيل معقود بالقوى الثورية . . هى وحدها التى تقدر على القطيعة الكاملة مع الاستعمار . . وهى وحدها التى تقدر على اجباره بأن يفك قواعده الباقية فوق الارض العربية . . وهى وحدها التى

(٦) من خطاب الرئيس فى مجلس الامة ،نوفمبر سنة ١٩٦٥.

تقدر على مواجهة التصفية الحاسمة للخطــــــــر الصهيونى » .

ان قيادة الجمهورية العربية المتحدة للثـــورة العربية ، يفرض عليها ان تقدم يد المساعدة والتأييد لكل القوى الثورية فى كل المنطقة العربية . ولكن ذلك لايعنى ولا يمكن أن يعنى ، الحد من حرية أى قوى ثورية فى أى منطقة عربية فى الحركة بملء حريتها . وللجمهورية العربية المتحدة بعد انتقوم بمسئوليتها التاريخية الحرية الكاملة فى قبول الوحدة أو رفضها ، فموقفها من الوحدة يحكمه تطورهـــا الاشتراكى .

وحدة الهدف فى التطبيق

«أن طلب الوحدة لايمكن أن يكون حلا لمشكلة اى حكم عربى .. وانما يتعين على كل بلد عربى أن يدرك بوضوح انه مطالب أن يتحمل عن الوحدة ولا يضع فوق رأسها كل الرواسب والخطايا ،وان المقدمة الطبيعية لطلب الوحدة القومية هى الوحدة الوطنية للبلد المطالب به شرطا وضمانا (٧)

ذلك لان الدرس الكبير الذى يجب ان تستوعبه اى وحدة ، هو ضرورة أن تؤسس على تحالف قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى الاشتراكية وأداته فى ذلك تنظيم اشتراكى يؤمن بالاشتراكية هدفا وعقيدة . ولم يكن عام ١٩٤٥ بالنسبة للوحدة عامها . وانما كان على وجه التحديد محـــاولات للقاء فكرى يقـــود الى الاندماج التنظيمى ثم الى الوحدة السياسية . وهذا هو الدرس الاساسى الذى استخلصته الجمهورية العربية المتحدة من محادثات ١٧ ابريل الثلاثية .

والموقف من الوحدة مع العراق لم يذهب الى أبعد من عمل قيادة سياسية ، تعوق أوضاع العراق من فاعليتها ، وتحدد الاوضاع المحددة فى العراق موقف الجمهورية العربية المتحدة من الوحدة معها .

كما شكل هذا الموقف المحدد ، اساسا ماديا يدفع الحركة الشعبية فى سوريا فى اتجاه اعتبـــار الوحدة مطلبها الاساسى .

ان الوحدة لاتتحقق بمجرد اصطناع اشكـــال دستورية واعلان قوانين توحيدية . وانما الوحدة ترتبط أساسا بمدى التحولات الاجتماعية للبلـــد المطالب بالوحدة .. وبمدى تحقيق الوحدة الوطنية له . وبقدر بعده عن هذا وذاك ، بقدر ما تبتعد قضية الوحدة . وسياسة الجمهورية العربيـــة المتحده التى تقوم على هذا الاساس بالنسبـــة للوحدة ، ليس تقصيرا فى مسئوليتها التاريخية ، وانما هو وعى بحركة الثورة العربية بمضمونهـــا الاشتراكى الذى يفرض عليها هذا الموقف .

ويمكن للمرء تقدير سلامة هذه السياسة المبدئية . لو لاحظ التغيرات التى حدثت خلال عام ١٩٦٥ فى بعض الدول العربية التى طالبت بالوحدة ، سواء على مستوى التطور الاجتماعى ، أو على مستوى الوحدة الوطنية . وكان نفس الموقف بالنسبـــة اليمن دليلا على مبدئيته .

وفى ختام عرض حاول تقييم لسياسة الجمهورية العربية المتحدة فى المجال العربى وخلال عام ١٩٦٥، وعن عمد أراد أن يكون مخصصا للموقف من ثورة الجنوب العربى المحتل ، لايجد ابلغ من كلمات عبد الناصر «ومن حسن الحظ ان القوى الثورية فى الجنوب العربى المحتل فى عدن . وجدت فرصتها وواجبها فى نفس الوقت .. فتدخلت بكفاح بطولى ضد الاستعمار .. وضعه على الفور فى مواقع الدفاع عن نفسه » .

« وبانشغال الاستعمار فى الدفاع عن نفسه فى المعركة الثورية ضده فى الجنوب المحتل .. فان الثورة اليمنية لم يبق امامها كى تفرغ الى اعادة بناء وطنها بعد التخلف الطويل وبعد تخريب الحرب .. غير الموقف القلق على حـــدودها مع المملـــكة العربية السعودية »

ان القوى الثورية فى عدن والجنوب العربى المحتل والخليج ، هى فيلق الصدام الامامى مع الاستعمار وموقف الجمهورية العربية المتحدة على هذا الاساس هو العون الكامل والمساندة التامة ، فليس بينها وبين الاستعمار قيود رسمية تحول دون اتخاذ نفــس الموقف مع بعض الدول العربية التى بها قواعد للعدوان الاستعمارى .

أن الايام التى شهدت الموقف الحاسم من مبعوث بريطانيا ، هى نفسها التى شهدت مفاوضات السلام مع عدن ، وهى نفسها التى شهدت التأييد المطلق لكفاح الوطنيين فى عدن ، والثوار فى الجنوب العربى المحتل .

أن عام ١٩٦٥ لم يكن عام صخب ولامظاهرات . لم يكن عام أحداث براقة تخلب اللب وتخطـــف الابصار . وانما كان بحق عام فن السياسة . عام أحداثه دروس فى علم الاستراتيجية والتاكتيك .

(٧) محمد حسنين هيكل « الاهرام » ١٥ اكتوبر سنة ١٩٦٥





لطفى الخولى

ليس من المتصور - عمليا - أن نعزل « سنة » معينة من نشاط التنظيم السياسى عن مجموع سنوات عمره التى يتداخل فيها الماضى مع الحاضر مع المستقبل . فهى بحكم الواقع والضرورة ، وحدة حية لاتتجزأ . بيد أنه يمكن - فى مجال تحديد اطار للدراسة - اجراء هذا العزل - **نظريا** - وذلك من باب تسهيل وتركيز عملية البحث ، دون ما اهمال للوحدة الكلية وللارتباط والتداخل الزمنى المستمر فى حياة التنظيم .

وعلى هذا الأساس نحاول فى هذا المقال ان نركز البحث على حياة التنظيم السياسى بشقيه الجماهيرى والطليعى خلال عام ١٩٦٥ . وذلك تحقيقا لهدف مزدوج: تقديم حصيلة حساب عن ذلك العام الذى ودعناه بالامس ، والقاء بعض الضوء على خطوات ومسئوليات التنظيم خلال هذا العام الجديد الذى نستقبل شمسه اليوم .

الصورة فى يناير ١٩٦٥

فى يناير ١٩٦٥، بدأ الاتحاد الاشتراكى العربى **— فعليا —** عامه التنظيمى الثالث. وكان **المناضل جمال عبدالناصر** ،كقيادة ثورية ،قد دعاالى تكوين الاتحاد الاشتراكى ليغدو تنظيما جماهيريا لقوى الشعب العاملة المكونة من الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية، وذلك خلال المؤتمر الوطنى لقوى الشعب العاملة الذى انعقد فى مايو ١٩٦٢ . واقر المؤتمر المشروعين اللذين تقدم بهما المناضل جمال عبد الناصر عن **((الميثاق الوطنى))** . دليلا للعمل الثورى حتى عام ١٩٧٠، **((والتنظيم السياسى))** ..اداة شعبية لممارسة هذا العمل. وخول المؤتمر جمال عبد الناصر اتخاذ الاجراءات لقيام التنظيم وقيادته .

وقد صدر تنفيذا لقرارات المؤتمر، القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى . **وذلك** «ليشكل الاطار السياسى الشامل للعمل الوطنى وتتسع تنظيماته لجميع قوى الشعب من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية على اساس الالتزام بالعمل الوطنى فى ترابط وثيق بين المستويات المختلفة من قاعدة التنظيم الى قيادته الجماعية..» (١) **وبهدف** «تحقيق الديمقراطية السليمة ،ممثلة بالشعب وللشعب ،لتكون الثورة بالشعب فى اسلوبها، وللشعب فى غايتها واهدافها. وتحقيق الثورة الاشتراكية التى هى ثورة الشعب العامل. ودفع امكانيات التقدم ثوريا لصالح الجماهير وحماية الضمانات التى قررها الميثاق وهى: كفالة الحد الادنى لتمثيل العمال والفلاحين فى جميع التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بحيث يراعى فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العربى نفسه ان تكون نسبة العمال والفلاحين ٥٠٪ على الاقل باعتبارهم اغلبية الشعب التى طال حرمانها من حقوقها الاساسية ،ومبدأ القيادة الجماعية ،وتدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية، وارساء حق النقد والنقد الذاتى، ونقل سلطة الدولة الى المجالس المنتخبة تدريجيا . » (٢) **ويكون ذلك من خلال العمل على ان يكون الاتحاد الاشتراكى** «قوة ايجابية تدفع بالعمل الثورى. حماية مبادىء الثورة واهدافها. تصفية آثارتحكم الراسمالية والاقطاع . النضال ضد تسلل الرجعية التى تم اسقاطها . النضال ضد تسلل الانتهازية . مقاومة السلبية والانحراف . منع الارتجال فى العمل الوطنى » . (٣)

وفى ٢٩ اكتوبر ١٩٦٢ اصدر جمال عبد الناصر باعتباره رئيسا للاتحاد الاشتراكى، قرارا بتكوين اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد بصفة موقته الى ان يجرى انتخابها خلال المؤتمر القومى الاول للاتحاد. وعقدت اللجنة اولى اجتماعاتها فى ٣ نوفمبر ١٩٦٢، حيث قررت فتح باب عضوية الاتحاد امام الراغبين من المواطنين ابتداء من يناير ١٩٦٣ .وهكذا بدأ الميلاد الفعلى للاتحاد كتنظيم سياسى جماهيرى واعيد فتح باب العضوية للمرة الثانية فى نوفمبر ١٩٦٣ .

وتتحدد شروط عضوية الاتحاد بأن يكون طالبها من قوى الشعب العاملة من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة، وان يكون سنه ١٨ سنة على الاقل وله حق الانتخاب ، وان يكون مواطنا صالحا غير مستغل ولم تصدر ضده احكام مخلة بالشرف وان يؤمن بالميثاق ويتعهد بالعمل فى منظمات الاتحاد الاشتراكى العربى عاملا على تحقيق اهدافه، وان يتقدم كتابة بطلب العضوية (٤) .

وعلى هذا الاساس قبلت بالفعل عضوية **٥٩٢ر٨٧١ر٤ مواطنا ومواطنة** ، هى مجموع قوته البشرية ،حسب آخر احصاء (١٩٦٤) . وتمثل هذه القوة ٩ر٧٥٪ من مجموع قوة هيئة الناخبين فى الجمهورية ، ونسبة ٦ر١٦٪ من مجموع قوى الشعب البالغ عددهم حسب آخر احصاء ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٩ر٢٦ نسمة. وتتجسد قوى العضوية البشرية للاتحاد فى ٦٨٨٨ **وحدة اساسية وجماهيرية** منتشرة فى جميع اقاليم الجمهورية والمؤسسات الانتاجية والعلمية والثقافية ، وذلك على اساس ان الوحدة تتكون كحد ادنى من ٥٠ عضوا على الاقل .

وتمت فى ابريل ١٩٦٣ انتخابات لجان العشرين القيادية لهذه الوحدات على اساس احترام قاعدة ان يكون النصف على الاقل من العمال والفلاحين. وقد اسفرت الانتخابات عن تحقيق نسبة فعلية للعمال والفلاحين تبلغ ٦٧ر٧٠٪ من مجموع العناصر القيادية للجان .

كما اجريت الانتخابات ايضا بالنسبة لعضوية مؤتمرات الاقسام والمراكز والمحافظات. وعينت

(١،٢،٣،٤) القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى ــ مبادىء العمل ــ الاهداف ــ الواجبات ــ المادة الاولى .



اللجنة التنفيذية اعضاء لجان المحافظات القيادية بصفة موقتة الى حين انتخابها اثر انعقاد المؤتمر القومى للاتحاد.

وفى ديسمبر ١٩٦٤ اصدرت اللجنة التنفيذية العليا قرارا بتكوين امانة عامة برئاسة حسين **الشافعى** عضو اللجنة التنفيذية مكونة من ٢٠ عضوا تتولى على اساس قطاعات اقليمية ومهنية واجتماعية ممارسة العمل السياسى القيادى اليومى للاتحاد. فكانت هناك امانات متخصصة بالنسبة لقطاعات الفلاحين، والعمال، والراسمالية الوطنية، والمهنيين، والجامعات، والدعوة والفكر الاشتراكى، والصحافة والرقابة والنشر، والابحاث، والعلاقات الخارجية، والشئون العربية، والشباب، والشئون الادارية، والمعهد الاشتراكى، والتنظيم .

ومع تكوين الامانة العامة شرع فى تكوين الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى الذى يضم طليعة القوى الاشتراكية على اساس اختيارها طبقا لمعايير الصلابة والوعى والقدرة على التحرك السياسى وسط الجماهير . وذلك تنفيذا لما جاء بالميثاق من «ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة، وينظم جهودها، ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات . »

وما ان وافت سنة ١٩٦٤ على نهايتها حتى كانت جميع الوحدات الاساسية والجماهيرية قد عقدت مؤتمراتها السنوية التى ناقشت خلالها مشاكل جماهيرها الفئوية ومشاكل المجتمع ككل وتجمعت لدى الامانة العامة حصيلة ضخمة من التوصيات والقرارات والاتجاهات المختلفة .

على هذه الصورة اقتحم التنظيم السياسى عام ١٩٦٥ .. الاتحاد الاشتراكى استكمل من ناحية البناء الشكلى معظم اجهزته القاعدية والقيادية فى حين ظل الجهاز السياسى تحت التكوين .

خطة العمل ..

وملاحظات القيادة

وبرزت امام الامانة العامة منذ الايام الاولى لعام ١٩٦٥ — كمهمة عاجلة — ضرورة وضع خطة للعمل السياسى للاتحاد الاشتراكى، خاصة بعد ان ظل المناضل جمال عبد الناصر يلح على ان مرحلة العمل الادارى التنفيذى الثورى قد انتهت بعد حسم عملية اختيار الاشتراكية طريقا للتطور منذ صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، وان المرحلة المعاصرة هى مرحلة العمل السياسى للجماهير الشعبية المتجسد فى التحرك القيادى للتنظيم السياسى فى المجتمع .ومن خلال عدة اجتماعات عقدتها الامانة العامة برئاسة جمال عبد الناصر ومشاركة بعض اعضاء اللجنة التنفيذية العليا (المشير عبد الحكيم عامر — زكريا محيى الدين — حسين الشافعى — على صبرى) تم اقرار خطة محددة للعمل : (٥)

تستهدف «تجميع القوى الاشتراكية الصالحة للقيادة وتنظيم جهودها وبلورة حوافزها الثورية لكى تكون دعامة التنظيم السياسى فى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى. »

وذلك فى المواقع الهامة التالية «الجامعات — المهنيون — المدرسون — الصحافة والاذاعة والتلفزيون — الفئات التى تأثرت من عمليات التحول» وخاصة تجار التجزئة كقطاع كبير منتشر — بعض الاجهزة التنفيذية التى لها صلة مباشرة بحل مشاكل الجماهير مثل المعاشات والرخص والاسكان — الشباب — الحركة النسائية . »

وعلى اساس «التحرك السريع لمقابلة العناصر المضادة وما تشيعه بين المراكز المنتفعة من الاشتراكية مستغلة فى عملها بعض الاخطاء الادارية ومحاولة تجسيمها وتتطلب اى سرعة فى الحركة دراسة عميقة للمشاكل التى تستغل فى بعض المراكز مثل الجامعات حيث يركز على بعض نواحى النقص الادارى او التطوير للجامعات دون تمهيد ودون مشاركة مقنعة من هذه القاعدة المستفيدة من الاشتراكية . »

وان «الاتحاد الاشتراكى العربى تنظيم قائم يضم قوى الشعب العاملة .ولقد اقبل الشعب على الانضمام اليه بفاعلية.. ولذلك يجب عدم اهماله. واتخاذ جميع الاجراءات التى من شأنها ان تدعم التنظيم ،وتضع قانونه موضع التنفيذ فى كل مراحله استكمالا لهذا التنظيم . ويرد على كل تصور بأن الاتحاد الاشتراكى تجربة او ان هناك تفكيرا فيما يوحى بالتغيير فتضعف الثقة ويهتز الايمان بالعمل السياسى . »

مع مراعاة انه «من الطبيعى ان اى تنظيم

(٥) راجع نص خطة العمل من واقع محاضر الامانة ، المنشور بالعدد الثالث (مارس ١٩٦٥) من الطليعة .

سياسى يجتمع حول فكر، والميثاق اوضح هذا الفكر كمبادىء وكأهداف وكدليل عمل، وقد يحتاج الامر الى ممارسة التطبيق وابراز الحلول العملية ومتابعة التطبيقات التى تبتعد او تتغالى فى وضع هذا الميثاق موضع التنفيذ مما يكون له رد فعل على الاشتراكية فى ذاتها وهى بريئة من هذه الاخطاء . »

وان «المستفيدين من الاشتراكية فى القطاع الزراعى:

١ ــ المنتفعون من الاصلاح الزراعى . ــ٢ ــ تحديد الايجار بالنسبة للمستأجر بسبعة امثال الضريبة ــ ٣ ــ التسليف على الزراعة بضمان المحصول وليس بضمان الملكية ــ ٤ ــ الغاء سعر الفائدة على السلفيات الزراعية ــ ٥ ــ التوسع فى الخدمات فى القطاع الريفى (الوحدات المجمعة المدارس ــ المستشفيات ــ الوحدات الريفية الطرق ــ تعميم مياه الشرب ــ المحافظة على سعر الذرة الصفراء .

والمستفيدون من العمال :

١ ــ قرارات يوليو الاشتراكية (اشتراك فى الارباح والاشتراك فى الادارة ــ تحديد ساعات العمل ــ الحد الادنى للاجور) ــ٢ــ التأمينات الاجتماعية (الشيخوخة ــ العجز ــ الوفاة ــ اصابات العمل ــ البطالة ــ التأمين الصحى.) ــ٣ ــ تحقيق التشغيل الكامل فى عام ١٩٧٠ــ ٤ ــ التأمين ضد الفصل التعسفى.

والمستفيدون من المثقفين نتيجة التوسع فى التعليم الجامعى:

١ــ التشغيل الكامل لخريجى الجامعات ــ ٢ ــ فتح مجالات واسعة فى قيادات العمل الفنى فى التطبيق الاشتراكى ــ ٣ــ مجانية التعليم .

وبالنسبة للموظفين:

تطبيق قانون المعاشات على جميع موظفى الدولة ورفع نسبة المعاش »

وانه : « لما كان وجود التنظيمات التعاونية والنقابية السابق على قيام الاتحاد الاشتراكى يعطيها شعورا بالذاتية ودخولها ضمن تنظيمات الاتحاد الاشتراكى قد لا يعطيها هذا الشعور بالذاتية وبأنها كيان قائم بذاته وله قوته واعتباره وخصائصه وله فى ضمير جموع العمال والفلاحين اعتبار خاص لارتباطه بحل مشاكلهم الخاصة وتعبيره عن مصالحهم المباشرة. وقد كان للمكاسب التى حصل عليها العمال والفلاحون منذ قيام الثورة وللقرارات الاشتراكية وعمليات التحويل الاشتراكى اثر كبير فى هذين القطاعين ابعدهم عن الاحساس بالطرفية فى مجال المصلحة ،الا انه لم يستطع تذويب الاحساس بالعصبية والاحساس بالوجود. ان ذلك الاحساس لا يمثل تناقضا اساسيا فى المصلحة الا انه قد يبرز فى الاحساس بالتسابق من اجل الوضع القيادى . »

وركزت الخطة على «الديمقراطية والانتاج ليكون كل منهما مدارا للبحث فى المؤتمرات والندوات والاجتماعات التى تعقد سواء فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى او التى ينظمها الاتحاد الاشتراكى بين التعاونيين والفلاحين او بين النقابات والادارة وكل من يمثل الانتاج.. ستجعل للمؤتمرات والاجتماعات جوانب موضوعية يلتقى حولها الناس فى محاولة لتحديد نقط الضعف وطرق العلاج واقتراحات للمستقبل مما يعطى المرحلة التى تبعت التحول الاشتراكى والدخول فى مرحلة الانطلاق ،مجالا للمس المشاكل ،لا على اساس جغرافى قد لا يبرز اطراف المشكلة ولكن على اساس موضوعى وقومى يساعد على اقتراح الحلول والمشاركة الايجابية»

ولما كانت انتخابات الاتحاد الاشتراكى بالنسبة للوحدات الاساسية تكمل العامين طبقا للقانون الاساسى فى ابريل ١٩٦٥ وبالتالى يستلزم الامر اعادة انتخاب لجان العشرين القيادية، فان خطة العمل فى مواجهتها لهذه القضية رأت «تأجيلها لحين انعقاد المؤتمر القومى العام الذى يتعرض لهذا الموضوع ويصدر فيه قرارا، فان عمليات الانتخابات فى غيبة الكادر السياسى، هى من قبيل تحصيل الحاصل . »

وانتهت الخطة الى انه «من اللازم ان نسير فى ثلاث دوائر على اساس انها عملية متكاملة وان كل منها يحدد مجالا رئيسيا يعمل على بلورة ودعم خطة العمل . وهذه المجالات هى:

ا ــ فى الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى قائم.
ب ــ فى مجال طرق التعرف على الافراد الصالحين
جـ ــ كل ذلك من خلال مناقشات موضوعية تدور اساسا حول الانتاج والديمقراطية . »

وحرص المناضل جمال عبد الناصر خلال مناقشة خطة العمل ان يسجل بوضوح الملاحظات الهامة التالية (٦) :

(٦) راجع مناقشات جمال عبد الناصر فى الامانة العامة حول خطة العمل الجديدة للتنظيم السياسى ــ الطليعة العدد الثالث (مارس ١٩٦٥) .



— **يجب** التأكيد على ان التنظيم السياسي بشقيه الجماهيرى والطليعى هو الاصل وهو السلطة العليا فى المجتمع. ويجب ان يقوم داخليا وفى علاقاته مع جماهير الشعب على الاساس الديمقراطى لتحول دون احتكار فئة او مجموعة من الافراد للعمل السياسى .

— **أن** التنظيم ما يزال على الورق ولن يكون موجودا وقائما وفعالا فى المجتمع الا اذا تواجد الكادر ومارس مسئولياته .وان عملية تنشيط الاتحاد الاشتراكى كمنظمة جماهيرية يجب ان تسير فى نفس الوقت وفى ترابط مع عملية تنظيم واعداد الكادر داخل الاتحاد الاشتراكى.

— **بدون** تكوين الكادر الذى يقيم داخل الاتحاد الاشتراكى حزبا اشتراكيا طليعيا لن نستطيع قيادة الجماهير فى الطريق الاشتراكى او نتصدى للقوى المضادة.

— **القوى** المضادة للتطور الاشتراكى موجودة داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر خبيرة ومدربة وحركية وتكون حزبا رجعيا فى الواقع، فى حين تنقص القوى الاشتراكية العدد الكافى من العناصر الحركية.

— **يجب** توفير التفرغ الكامل للعمل السياسى التنظيمى للقيادات حتى مستوى المحافظات على الاقل. والخروج بالعمل السياسى من غرف الاجتماعات الى جماهير الشعب .

— **يجب** ان يتم باستمرار الاتصال بقواعد الاتحاد الاشتراكى وبذل الاهتمام الجدى بالعمل لانهم ركائز الحركة الثورية.

وتردد خلال الاسابيع السابقة على يوم ١٥ مارس ١٩٦٥ ، وهو اليوم المحدد دستوريا لانتخاب رئيس للجمهورية لفترة دستورية جديدة تمتد حتى مارس ١٩٧١ ، ان جمال عبد الناصر ينوى عدم ترشيح نفسه مؤثرا التفرغ كلية للعمل السياسى التنظيمى فى الاتحاد الاشتراكى . ولكن جماهير الشعب ظلت تزحف من المدن والقرى الى القاهرة فى مظاهرات ضخمة تطالب عبد الناصر بترشيح نفسه وقبول طلب مجلس الامة اليه ، باعتبار ان المرحلة الراهنة تستلزم وحدة القيادة الثورية لكل من التنظيم السياسى والجهاز الحكومى . ونزل جمال عبد الناصر على الارادة الشعبية ورشح نفسه لانتخابات الرئاسة وفاز بما يشبه الاجماع . واصبح واضحا بعد اعلانه انه سيمارس مسئولياته من الاتحاد الاشتراكى وانه ينوى التخفيف من بعض الاعباء الرسمية التى يتطلبها منصب رئيس الجمهورية ليمنح اكثر جهده كقيادة للعمل التنظيمى .

خطوات عام ١٩٦٥

واستطاع الاتحاد الاشتراكى على ضوء خطته العامة للعمل ان يحقق الخطوات الرئيسية التالية:

— **أصدرت** امانة الدعوة والفكر الاشتراكى نشرة دورية كل اسبوعين ابتداء من شهر فبراير ١٩٦٥ باسم الاشتراكى «نشرة المناضلين الى مجتمع الكفاية والعدل» لتكون نشرة الاتحاد المركزية الداخلية .

— **اصدار** مجلة الطليعة ابتداء من يناير ١٩٦٥ كطريق للمناضلين الى الفكرى الثورى المعاصر ، وكمنبر للدراسة والمناقشة — الفكرية والتطبيقية — حول قضايا التحرر والاشتراكية فى الوطن العربى وافريقيا والعالم عامة، والتجربة الثورية الاشتراكية المصرية خاصة .

— **بدأ** المعهد العالى للدراسات الاشتراكية فى ممارسة مسئولياته بدورة تجريبية تضم ٦٢ دارسا يمثلون مختلف قطاعات تحالف قوى الشعب العاملة فى مايو ١٩٦٥ ، تلتها دورة اخرى فى اكتوبر ١٩٦٥ بعدد مماثل .

— **شرعت** امانة التنظيم فى العمل على تجنيد كادر للجهاز السياسى ووضعه موضع الاختبار من خلال تحمل المسئوليات داخل الاتحاد الاشتراكى

— قام بضم المؤسسة الثقافية العمالية الى اجهزته وتولى الاشراف عليها سياسيا ضمانا لوحدة التوجيه والفكر .

— **قام** بانشاء منظمة للشباب الاشتراكى ووفر لها امكانيات العمل على اعداد وتدريب كادر من الشباب على اسس تنظيمية وسياسية فى معسكرات تنظيمية خاصة بحلوان .

— **انعقدت** على مستوى الوحدات الاساسية والجماهيرية والمراكز والمحافظات مؤتمرات تنظيمية لمناقشة قضايا الوطن الداخلية والعربية والخارجية وكذلك مشاكل التطبيق الاشتراكى فى مختلف القطاعات ووحدات الانتاج . كما وقعت عدة اجتماعات دورية مشتركة بين الامانة العامة وامناء المحافظات بهدف تنظيم عمليات الاتصال بين القاعدة والقيادة فى التنظيم .

— نظمت الامانة العامة عدة رحلات دراسية سياسية الى عدد من المحافظات كما قامت امانة الفكر والدعوة بتنظيم عدد من الندوات للتوعية الجماهيرية فى كثير من المدن والقرى ووحدات الانتاج .

— **نظم** الاتحاد الاشتراكى حملة شعبيـــــة عامة من اجل الادخار والحد من الاسراف والاستهلاك حققت نتائج ايجابية .

— **نشطت** امانة اتصال وجه بحرى بشكل ملموس فى الاتصال بقواعدها وفى تنظيم العمل السياسى داخل الوحدات الاساسية والجماهيرية بما يتفق وخط التنظيم السياسى .

— **قامت** امانة الشئون العربية بنشاط تنظيمى واسع بالنسبة لقضايا الوطن العربى فشاركت فى مؤتمر المائدة المستديرة لحل مشكلة جنوب السودان الذى انعقد بالخرطوم فى مارس ١٩٦٥ وفى ندوة فلسطين العالمية التى انعقدت بالقاهرة فى مارس — ابريل ١٩٦٥ ، وفى المؤتمر الاول لاتحاد عمال فلسطين المنعقد بغزة فى ابريل ١٩٦٥ وفى اللقاءات الحزبية التى تمت مع كل من حزب جبهة التحرير الجزائرية والاتحاد الاشتراكى العربـــى بالعراق .

— **عمدت** امانة الرقابة والنشر الى القيـــام بصفة منتظمة باجراء تحليلات لنشاط اجهزة الاعلام ولاعداد ارشيف تنظيمى خاص لاعضـــاء الاتحاد القياديين .

— **اشتركت** كل من رئاسة الامانة العامة ، وامانات الفـكر والدعوة والصحافة والعـــلاقات الخارجية والشئون العربية والعمال فى اجراءات اتصالات تنظيمية ولقاءات حزبية فكرية مع عدد من التنظيمات والاحزاب فى مختلف البلاد كالجزائر وتونس والعراق وكوبا ويوغوسلافيا وغينيا ومالى وغانا والاتحاد الســـوفييتى ورومانيـــا والحزب الشيوعى الايطالى والحزب الاشـــتراكى اليابانى وجبهة تحرير فيتنام الجنوبية .

— **قامت** امانة الابحاث بتزويد اجهزة الاتحاد الاشتراكى بدراسات نظرية وتطبيقية عن عدد من المشاكل والقضايا شملت العلاقة بين لجنة الاتحاد الاشـــتراكى واللجنة النقابية وجهـــاز الادارة ، والمجالس الشعبية فى النظامين الاشـــتراكـــى والراسمالى ، ادارة العمل اليومى فى التنظيمات السياسية ، متابعة جهود المحافظات فى تنفيذ اهداف الخطة ، دراسة تحليلية للمدخرات العامة والخاصة بالجمهورية العربية المتحدة . فضلا عن دراسات اخرى حول بعض التجارب الاشتراكية فى البلاد الاخرى .

— **انشاء** الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى من جميع اعضاء مجلس الامة . وقد عقدت الهيئة عدة اجتماعات تنظيمية مع رئيس الاتحاد الاشتراكى واللجنة التنفيذية العليا والامانة العامة .

وفى اكتوبر ١٩٦٥ اجريت على ضوء التجربة وبهدف مواجهة المرحلة الجديدة من التطور وهى مرحلة البدء فى تنفيذ الخطة الخمسية الثانية ، عدة تعديلات . ولوحظ ان من اهم الاتجـــاهات التى عمدت اليها القيادة فى هذه التعديلات القيام بعملية تبادل المراكز القيادية بين كل من الاتحاد الاشتراكى والاجهزة الحكومية التنفيذية . فانتقل **((علـى صبرى))** رئيس الوزراء من الجهاز الحكومى الى الاتحاد الاشتراكى ليتولى مسئولية الامين العام له . وانتقل **((زكريا محيى الدين))** عضو اللجنة التنفيذية العليا وامين محافظة القاهرة والمسئول عن منظمة الشباب بالاتحاد الاشتراكى الى تولى مسئوليـــة رئيس الوزراء . وانتقل **((حسين الشافعى))** عضو اللجنة التنفيذية العليا والمسئول عن الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى الى تولى مسئولية رئاســـة الجهاز المركزى للمحاسبات بقمة الجهاز الحكومى واعيد تكوين الامانة العامة برئاسة على صبرى . وقد لوحظ ثمة اعتبارات جديدة فى هـــذا التكوين تتلخص فيما يلى :

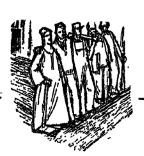
— **اختصار** عدد اعضاء الامانة من ٢٢ عضوا الى ١٤ عضــــوا (اصبحوا ١٣ عضوا بعد تعيين انور بهاء الدين عضو الامانة الى مدير عام لهيئة المدينة الحرة ببورسعيد فى ديسمبر ١٩٦٥) .

— **اقرار** مبدا التفرغ الكامل لجميع الامناء ماعدا **شعراوى جمعة** امين التنظيم والذى اختص بمسئولية تنظيم العلاقة بين الاتحاد والحكومة فقد احتفظ لهذا الغرض بمنصبه الحكومى كوزير للدولة .

— **الغى** فى تنظيم الامانة الجديد بعض الامانات المتخصصة التى كانت قائمة مثل امانة المهنيين والجـــامعات والصحافة والراسمالية الوطنيـــة والابحاث وزعت مسئوليات بعضها على الامانات الاخرى .

وحدد الامين العام الخطوط الرئيسية للعمل السياسى التنظيمى بعد تكوين الامانة الجديدة فى :

— **استكمال** بناء الكيان العضوى للتنظيم السياسى بشقيه الجماهيرى والطليعى . وذلك بالتركيز على تكوين الجهاز السياسى من ناحية وتكوين لجنة مركزية للاتحاد الاشتراكى بحيث تتدرج الاجهزة القيادية للاتحاد الاشتراكى على النحو التالى: لجنة مركزية تنبثق منها الامانة العامة واللجنة التنفيذية العليا فاللجنة الدائمة التى تتولى مباشرة العمل اليومى بقيادة رئيس الاتحاد الاشتراكى .



— « ان نقطة الضعف فى تنظيماتنا السياسية فى الاتحاد الاشتراكى خلال المرحلة السابقة انه لم يكن هناك اعضاء عاملون متفرغون للعمل السياسى ، يمارسون هذا العمل يوميا وشعبيا ونستطيع بهذه الممارسة ان نرى من خلالهم العناصر القيادية السليمة المؤمنة .. ونتج عن ذلك ان الاجهزة التنفيذية اصبحت هى السلطة العليا .. الادارية ثم السلطة العليا السياسية » (٧)

وعلى هذا الاساس وحتى يكون للاتحاد الاشتراكى كيانا ذاتيا فعالا وقادرا على الحركة ومحاسبة اعضائه تقرر التوسع فى نظام القيادات المتفرغة للعمل السياسى وتتجه فى ولائها الى الاتحاد الاشتراكى . وصدرت بالفعل قرارات تنظيمية بتكوين مكاتب تنفيذية فى معظم المحافظات من اعضاء متفرغين تماما — فيما عدا استثناءات قليلة — تعمل بجانب لجان المحافظات الغير متفرغة . وشرعت هذه المكاتب بالفعل فى ممارسة مسئولياتها .

— **العمل** على ان ينتهج الاتحاد الاشتراكى فى عمله اسلوب تنمية القدرة على حل مشاكل الجماهير ذاتيا دون الاعتماد المستمر على احالتها الى الاجهزة التنفيذية وتحميلها كل العبء .وذلك مثل تعبئة قدرات الجماهير المادية والبشرية والفنية — بطريق التطوع السياسى — لانشاء المدارس — الزائدة عما ورد بالخطة — فى المواقع المحتاجة .

— **تسليح** الاتحاد الاشتراكى باجهزة ذات خبرة فنية تماثل اجهزة الخبرة فى الجهاز التنفيذى مع تميزها بان عملها فى الحقل السياسى الشعبى يجعلها اكثر دراية بمشاكل الجماهير وحلها دون تعقيدات مكتبية ، وحتى يمكن للتنظيم السياسى ان يتصدى بوعى وخبرة لمناقشة قضايا البناء الاشتراكى والاحاطة بها من جميع الزوايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية .

— **توسيع** نطاق عمليات تكوين الكادر السياسى عن طريق الدراسات النظرية والتطبيقية والميدانية المنظمة وذلك بفتح معاهد اقليمية فى المحافظات يشرف عليها المعهد العالى للدراسات الاشتراكية المركزى بالقاهرة .

— **تركيز** الجهود على تنظيم وتعبئة الشباب والعمال فكريا وسياسيا .

كشف الحساب

عند هذه الدرجة من التطور انهى التنظيم عامه الثالث فى ديسمبر عام ١٩٦٥ ليطرق ابواب عامه الرابع مع يناير ١٩٦٦ .

ويتضح من **حسابات عام ١٩٦٥** ان التنظيم قد حقق النتائج الايجابية الاتية :

— **تمكن** من بلورة اجهزة مركزية قيادية لازمة لبناء كيانه العضوى على اساس من التفرغ للعمل السياسى والالتزام والولاء التنظيميين .

— **خاض** عدة معارك جماهيرية هامة ، عمل خلالها على تعبئة قواعده فى حملات سياسية موحدة الحركة والاتجاه والهدف ، واستطاع من خلال ذلك ان يكتشف بعض عناصر الكادر الذى كون منه اجهزة المكاتب التنفيذية . ومن اهم هذه المعارك الحملة ضد الاسراف وتزايد الاستهلاك والتى كانت فى حقيقتها الاساس الذى بنيت عليه الاجراءات الاقتصادية الجديدة التى اعلنت عنها الحكومة ووافق عليها مجلس الامة فى ديسمبر الماضى .

— **قطع** شوطا هاما فى عملية تربية كادر سياسى على اساس تنظيمى وسلحه بالخبرات النظرية والعملية سواء من ناحية الكيف او من ناحية الكم عن طريق التوسع فى انشاء المعاهد الاشتراكية الاقليمية المرتبطة بالمعهد المركزى التابع للامانة العامة بالقاهرة .

— **عمد** الى التغلب على عدم امكانية عقد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى بسبب عدم توفر الظروف الموضوعية بعد بالقيام بانشاء بديل موقت لذلك عن طريقين : طريق مركزى تجسد فى الاجتماعات الموسعة للهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى ، وطريق جماهيرى هو التوسع فى عقد مؤتمرات الوحدات الاساسية والجماهيرية .

— **بذل** جهدا بناء فى توعية وتنظيم طاقات الشباب من خلال منظمة الشباب الاشتراكى ومعسكرات ودورات تدريبها فكريا وسياسيا وعمليا .

— **ادار** حركة للتعبئة والتوعية الفكرية بين الجماهير الشعبية فى المدن والقرى شرح خلالها أهداف التنظيم وضرورته وخطة التنمية وخطوط السياسة الداخلية والخارجية . وذلك عن طريق الندوات والمحاضرات ونشرته الداخلية «الاشتراكى» .

بيد انه من ناحية اخرى تكشف حسابات عام ١٩٦٥ ايضا عن بعض النواحى السلبية نركز اهمها فيما يلى :

— **البناء** العضوى للتنظيم — جماهيريا

(٧) محاضرة السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى فى افتتاح الدورة الثانية للمعهد العالى للدراسات الاشتراكية فى نوفمبر سنة ١٩٦٥ .

وطليعيا ــ مايزال يقوم على اساس حلقات وتجمعات فئوية شبه منفصلة مما يحول دون اكتسابه عمليا وبالفاعلية المطلوبة القدرة على الحركة الواعية السريعة والفعالة والموحدة الاتجاه تنظيميا . وعلى هذا الاساس مايزال المعيار الشخصى وموقع العضو من الحلقات والتجمعات هو المتغلب على المعيار الموضوعى الذى ينظر الى العضو وكفايته واخلاصه وعمله السياسى وولائه التنظيمى بغض النظر عن موقعه من الحلقات والتجمعات . وننتج عن ذلك ايضا ان التنظيم مايزال يعانى من تسلط النظرات الجزئية ذات المصالح الفئوية الضيقة بدلا من النظرة السياسية الشاملة التى تحتضن قضايا ومشاكل المجتمع ككل ووفق خطة للاولويات فى ميدان العمل الثورى . كما انه مابرحت عمليات الاتصال والتفاعل المنتظم المستمر بين القواعد والقيادات المركزيـــة مفتقدة فى اغلب الاحوال واذا ماوقعت فانها تتم بصورة «الاوامر شبه الادارية» الصادرة من مكاتب علوية وليست بصورة تنظيمية قائمة على الشرح والتوعية والتوجيه والاقناع . الامر الذى يخلق حواجز وفواصل غير منظورة ــ فكريا وتنظميا ــ بين القواعد والقيادات . وهى الظاهرة التى سبق ان نبه اليها المناضل جمال عبد الناصر من انه يجب ان نتجنب حالة قيام جنود بدون قيادات او قيادات بدون جنود فى التنظيم . ولعل ماكشفت عنه الاحداث بصدد مؤامرة الاخوان المسلمين الرجعية الاخيرة من عدم قدرة بعض القواعد فى التنظيم على ايصال ملاحظاتها وتحليلاتها حول تحرك هذه العناصر الرجعية المتآمرة والمعادية للتطور الاشتراكى الى قياداتها من ناحية، وغيبة بعض القواعد الاخرى من عمليات التحرك الرجعى تماما من ناحية اخرى دليل حى على ذلك .

ــ **ويرتبط** بهذه الناحية السلبية ناحية اخرى وهو عدم تواجد الجهاز السياسى بكادره الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى تواجدا حياوفعالا حتى الان ، بحيث يكون بمثابه العمود الفقرى للتنظيم السياسى كله ــ فكريا وبناء وحركة .

ــ **عدم** قيام تخطيط مركزى موحد لعمليات التعبئة والتوعية الجماهيرية وكشفت مسئولياتها بين عدة اجهزة لكل منها خط او اتجاه او اسلوب مختلف عن الاخرى فضلا عن انها تميل فى كثير من الاحيان الى التجريد النظرى البحت دون النزول الى الواقع الحى للمجتمع ومشاكل الجماهير والاجابه المقنعة على اسئلة الشارع . وربط عمليات التوعية بعمليات الانتاج وبالتصدى بشجاعة لتحطيم القيم الفردية الضيقة والاستغلالية والرجعية الموروثة عن المجتمع القديم .

ــ **عدم** الاهتمام جديا حتى الان بعملية بناء الجهاز التنظيمى للطاقات النسائية للاتحاد الاشتراكى

آفاق ١٩٦٦

وفى هذا الضوء الذى تشعه على التنظيم السياسى حصيلة حسابات ١٩٦٥ الايجابية والسلبية وبحكم حركة التطور المستمرة والايمان بقدرات شعبنا اللامتناهية وثورية القيادة **فاننا نتطلع خلال عام ١٩٦٦ الى آفاق جديدة** اكثر عمقا وتقدما، تعالج من خلالها النواحى السلبية التى كشفت عنها التجربة حتى الان .

فنحن نتطلع خلال عام ١٩٦٦ الى قيام المناضل جمال عبد الناصر ، بوزنه التاريخى وخبرته القيادية الى ممارسة مسئولياته من خلال التنظيم السياسى اساسا ومباشرة . ان هذه الممارسة سوف تسهم ايجابيا وبمعدل قوى فى منح التنظيم السياسى وزنه القيادى تجاه الوزن التقليدى الموروث للجهاز التنفيذى كما انه سوف ينظم يتناســق علاقات التفاعل البناء بين التنظيم والحكومة .

وليس من شك فى ان الخطوط النظرية التنظيمية التى طرحها الامين العام للاتحاد الاشتراكى من حيث التفرغ للعمل السياسى على اساس المتطلبات الموضوعية واحترام الولاء التنظيمى وتنشيط الاتحاد للعمل على حل مشاكل الجماهير داتيا فضلا عن تكوين المكاتب التنفيذية وتسليح الاتحاد بالخبــره الفنية .. ان من شان هذا كله اذا مانفذ بعمق وحيوية والتزام ان يحقق للتنظيم وحدته وكيانه العضوى الموحد ويقضى على الحلقات والتجمعات الفئوية ويغلب النظرة السياسية الشامله على النظرات الضيقة ويحقق عملية الاتصال الفعال والتنظيمى بين القواعد والقيادات . وهذا كلــه مرتبط بمنح اهتمام اعظم لعمليه تكوين العمود الفقرى للاتحاد الاشتراكى وهو الجهاز السياسى بكوادره الطليعية .

وعلى هذا الاساس فنحن نتطلع خلال عام ١٩٦٦ ان يتم تكوين اللجنه المركزية للاتحـــاد الاشتراكى وان تنشط كل اجهزته للتحضير لعقد المؤتمر القومى العام فى نهاية هذه السنه حيث تلتحم من خلاله كل الاجهزة التنظيمية بعضها الى بعض ديمقراطيا فى كيان عضوى واع موحد الفكر موحد الحركة موحد الاهداف بالنسبة للمرحلة الراهنة مرحلة بناء الصناعة الثقيلة وكهربة البلاد وتحقيق مضاعفة الدخل القومى عام ١٩٧٠ عما كان عليه عام ١٩٦٠ .. مرحلة تطهير الوطن العربى من الاستعمار والقواعد الاستعمارية وارساء القواعد الجوهرية لوحدته الديمقراطية المحققة لمصالح جماهيره الشعبية .

حسابات ١٩٦٥ وآفاق ١٩٦٦

٣

الجهاز الحكومى

د. وليم سليمان

مع مطلع عام ١٩٦٥ ارسل المناضل جمال عبدالناصر كتابا الى مجلس الامة ليقوم ممثلو الشعب بممارسة حقهم الدستورى فى اختيار المرشح لرياسة الجمهورية ليبدى الشعب رايه فى انتخابه عن طريق الاستفتاء العام .

وحين صدر قرار المجلس الاجماعى بترشيحه لرياسة الجمهورية عن الفترة الجديدة من مارس ١٩٦٥ — مارس ١٩٧١ — قدم عبد الناصر للشعب برنامجه فى العمل الثورى خلال الفترة القادمة ، مكونا من خمس نقط :

● تمهيد الطريق لجيل جديد يقود الثورة ضمانا لاستمرار النضال والتقدم على الطريق الاشتراكى .

● تنفيذ الخطة الخمسية الثانية التى تتم فيها الكهربة الكاملة للجمهورية والصناعات الثقيلة ، الامر الذى يتطلب بالضرورة ربط الاستهلاك حتى يبقى دائما تحت الانتاج بحد كبير .

● التمكين لقيم المجتمع الاشتراكى من ان تصل الى اعماق حياة الشعب . بتـدعيم الممارسـة الديمقراطية كوسيلة لاستـكشاف كل طريق . خصوصا وان ميثاق العمل الوطنى سيكون موضع دراسة جديدة فى مؤتمر وطنى يعقـد عام ١٩٧٠ طبقا لنص الميثاق نفسه .

● تحقيق سيادة الحرية والوحدة على الارض العربية فى فترة بدات الثورة الاجتماعية فيها تدق ابواب كل وطن عربى وترتبط ارتباطا لاينفصم بدعوة الحرية السياسية والوحدة القومية .

● استمرار العمل والنضال على المستوى العالمى من اجل التعجيل بنهاية الاستعمار وتحقيق السلام العالمى .

ولقد جرى الاستفتاء الشعبى على رياسـة الجمهورية فى ١٥ مارس من العام الماضى وكانت النتيجة اجماعا شبه كامل من الجماهير على استمرار مناضلها جمال عبدالناصر رئيسا للجمهورية خلال فترة الرياسة المقبلة . وفى اليوم التالى وجه الرئيس كلمة لمواطنيه قال فيها : **«ان الشعب منح واعطى لهدف ولعمل ومسئولية . فلقد كانت تحديات المرحلة المقبلة فى النضال الوطنى هى فى واقع الامر موضوع الاستفتاء ومضمونه »** .

وفى كلمات واضحة حدد المناضل عبد الناصر الملامح الحقيقية للمرحلة القادمة ، فاتحا طريق التقدم امام الشعب بلا حدود . قال : **«ان المرحلة الجديدة .. ليست استمرارا لمراحل سبقت ، وانما هى ثورة بعدها فى تعزيز الديمقراطية ، وتحقيق اكبر قدر ممكن من كفاءة الانتاج والخدمات تحت الادارة والرقابة الشعبية »** .

واذن فالمبدأ الذى سيحكم النضال الوطنى خلال المرحلة القادمة هو «الثورة بعد الثورة» . وهنا يبرز سؤال هام ، كيف يمكن ان تتلاحق الثورات ؟

فى الزيارات التى قام بها الرئيس خلال الفترة السابقة على انتخابه صارح جماهير الشعـب قائلا : **«الحركة والتطور هى قانون الحياة منذ الازل والى الابد»** اى ان التحدى الذى يواجه الانسان لايمكن ان يزول . وحين ينتصر الشعب على عقبة، تظهر اخرى تدفعه الى الثورة من جديد . «احنا لن تنتهى المشاكل من امامنا لان كل ما نحل مشكلة نقابل مشكلة اخرى . المشاكل اللى انا باحلها النهارده غير المشاكل اللى كنت باحلها من ست سنين . من ست سنين كان عندى عمال عاطلين ، كان عندى نقص فى القوى الشرائية . المشاكل النهارده هى مشاكل زيادة الاستهلاك ، مشاكل زيادة الاجور ..» هكذا تحدث الرئيس الى اعضاء مجلس الامة بعد ان حلف اليمين الدستورية فى ٣١ مارس ١٩٦٥ .

والحقيقة ان هذا هو المنهج العلمى الذى عن طريقه يمكن تشخيص المشاكل التى تواجه الشعب ، وايجاد الحلول المناسبة لها . فالحياة حركة متواصلة. تظهر فيها التناقضات بين مختلف العناصر التى تدخل اطرافا فى العلاقات الاجتماعية ولكن حل التناقض بانتصار الثورة ، لايعنى انتفاء الصراع . فمثلا التناقض بين الوجود الاستعمارى والشعب ، تحله ثورة التحرير الوطنى ، فيستخلص الشعب استقلاله ويصبح سيدا على ارضه . وعلى الفور يبدأ التناقض بين طبقات الشعب فى الظهور . هنا لابد من ثورة جديدة اجتماعية ، بعد الثورة الوطنية التى انتصرت وحققت اهدافها . والواقع انه مع ميلاد العلاقة الاجتماعية الجديدة التى تختفى فيها التناقضات القديمة يبدا كل من عناصر العلاقة الجديدة ياخذ شكله المحدد لينشا داخلها صراع جديد يبشر بان شيئا جديدا اكمل وانضج فى طريقه الى الظهور . وبهذا تستمر الثورة بعد الثورة ، لتحقق التقدم من المستوى الادنى الى مستوى اعلى . من العلاقة البسيطة الى علاقات اكثر تعقدا وعمقا . كل مرحلة تحتفظ بانجازات المرحلة السابقة ولكن تدفع بها ثوريا الى الامام محدثة فيها تغييرا كميا ونوعيا . فالحرية التى حققها الشعب المصرى بانتصاره على العدوان سنة ١٩٥٦ ، اظهرت التناقض الداخلى بين طبقاته — ذلك التناقض الذى مهد للثورة التى استخلص بها الشعب حقوقه فى يوليو ١٩٦١ .

والقاعدة نفسها تنطبق على العلاقات التى تنشأ فى داخل قوى الشعب العاملة وهى تمارس حقوقها على الاموال التى آلت اليها بقوانين التحـول الاشتراكى . لقد ظهرت تناقضات داخلية جديدة ومشاكل وصعوبات. وكان لا بد من دراستها بوعى ودقة ليمكن تحديد الحلول المناسبة التى تضمن استمرار الثورة ومواصلة التقدم .

ولقد حدد الرئيس فى اجتماعه بالوزراء فى الاسبوع الاخير من شهر مارس فى اعقاب الاستفتاء مباشرة فتـرة سـتة شهور لدراسـة شاملة



لجميع الاوضاع قبل البدء فى عملية التغييرات الثورية التى ذكر الرئيس فى كلمته بعد الانتخاب أن اجراءها هو بعض مهام المرحلة الجديدة . وهى تغييرات داخل البشر تتلاءم مع التغييرات الضخمة التى حدثت فى مواقع القوى فى المجتمع .

الوزارة الجديدة .. والمرحلة الجديدة

وفى اول اكتوبر ١٩٦٥ — وبعد انقضاء فترة الدراسة — عين رئيس الجمهورية اعضاء الوزارة الجديدة برياسة السيد زكريا محيى الدين . ولقد ذكر المتابعون عن قرب الاتصالات التى تمت مع رئيس الوزراء الجديد انه لايريد احاطة مهمته الجديدة بهالات من التفاؤل المبالغ فيه وانه فى حرصه على الاطار الجديد يحرص ايضا على معنى الاستمرار . كما انه يعلق اهمية كبيرة على التوجيه المركزى بالنسبة للخطوط العريضة ويضغط بشدة على اهمية المتابعة والتقييم . وذكر المتابعون ان رئيس الوزراء يولى موضوع احترام التعهدات عناية بالغة وفى رايه ان جزءا كبيرا من المشاكل نتج عن الاخلال بالتعهدات سواء فيما يعلن من الاهداف او مايجرى توقيعه من العقود حتى بين مختلف مؤسسات القطاع العام . وان اعادة الاحترام الى التعهدات والعقود يجب الان ولصالح تنفيذ الخطة ان تصل الى مرحلة القدسية .

وفى بيانه الذى اذاعه رئيس الوزراء اثر تكليفه بتشكيل الوزارة حدد المهمة التى تستهدف وزارته تحقيقها . انها **«ارساء دعائم القاعدة الاقتصادية السليمة التى ستنطلق منها لتدعيم قوتنا السياسية والعسكرية وبالتالى حريتنا القومية »** .

والحقيقة ان ميثاقنا جعل من الحقائق البديهية التى لاتقبل الجدل ان النظام السياسى فى بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية السائدة فيه . واذا كان هذا المبدأ يؤدى بالضرورة الى تجريد الرجعية من جميع اسلحتها كى لاتتحكم فى المصالح الاقتصادية للبلاد وبالتالى تملى الشكل السياسى للدولة ، فان هذا المبدأ يظل قائما اثناء اجراء التحول الاشتراكى . فالاوضاع الاقتصادية فى المجتمع الاشتراكى هى التى تحدد القوة الذاتية لهذا المجتمع ، وتضع له اطار الحياة السياسية والاجتماعية . ولكن تطبيق المبدأ يختلف من مرحلة الى أخرى وهذه احدى خصائص التقدم الاشتراكى . فالالتفات الى الاوضاع الاقتصادية وارساء دعائم القاعدة الاقتصادية السليمة فى مجتمع يتحول الى الاشتراكية يعنى فى المحل الاول مراجعة التطبيق الاشتراكى والتقدم به خطوات الى الامام . ولقد حدد رئيس الوزراء الاولويات التى يجب اعطاؤها لمتطلبات خطتنا فى معركة التنمية الاقتصادية ، وقال ان محور سياسة الحكومة سيكون اكثر تركيزا حول خمس مسائل :

- سلامة تقديرات الخطة الخمسية القادمة وواقعيتها .
- الارتفاع بمستوى كفاءة وحدات الانتاج لتحقيق افضل النتائج الاقتصادية من الموارد المتاحة
- رفع مستوى كفاءة اجهزة الدولة الادارية وتسخيرها لخدمة التنمية الاقتصادية والاستجابة السريعة لمشاكل الجماهير اليومية .
- توفير الاستقرار والمناخ السياسى والاجتماعى الدافع لقوى الانتاج .
- اعتبار مشكلة تضخم السكان مسالة حيوية تستوجب علاجا سريعا .

وفى واقع الامر انه اذا أريد لعلاقات الانتاج فى مجتمعنا أن تتطور وتتقدم فان هذا مرهون بمتانة قوى الانتاج وقدرتها على بناء القاعدة الاقتصادية السليمة . ومن ناحية اخرى فان علاقات الانتاج تؤثر فى قوى الانتاج فتدفعها فى طريق التقدم او تضع امامها العقبات . والمسالة تتوقف على مدى ملاءمة العلاقات للقوى . واذا كانت القوانين واللوائح التى وضعت لتنظيم علاقات الانتاج قد وضعت فى أعقاب قوانين التأميم فان تطور قوى الانتاج فى ظل التطبيق الاشتراكى ، والخبرة المستخلصة من الواقع اثناء ادارة وسائل الانتاج والرقابة عليها ، ذلك كله لا بد ان يؤدى الى مراجعة شاملة لاستخلاص النظام الجديد المناسب .

وهكذا كان فى طليعة نشاط الحكومة الجديدة عقد مؤتمر للانتاج وآخر للادارة وثالث للعمال .

مؤتمر الانتاج

وفى مؤتمر الانتاج تحدث رئيس الوزراء يوم ١٧ اكتوبر ١٩٦٥ ، عرض رئيس الوزراء للمشاكل التى نشات اثناء تنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، وبالذات اثناء التطبيق الاشتراكى . ان زيادة الدخل

القومى ، وزيادة العمالة وبالتالى ازدياد الاجور ، هذه الظواهر التى كانت تعتبر عند بدء الخطة ومع صدور قوانين التحول الاشتراكى اهدافا تحقق العدالة وحقوقا مشروعة لجماهير شعبنا التى طال حرمانها ،هي بالذات اصبحت طرفا فى تناقض لابد من ايجاد مخرج منه . اذ ترتب على الارتفاع الكبير فى الدخول المتاحة ان ازداد الاستهلاك . واصبح يشكل خطرا كبيرا يهدد امكانية الوصول للاهداف المرجوة من خطة مضاعفة الدخل القومى. ومن هنا ضرورة الثورة لتحقيق الكفاية بزيادة الانتاج بعد الثورة الاولى التى استهدفت العدالة برفع الاجور ، وازدياد الخدمات وتخفيض تكاليفها .

وثمة مشكلة اخرى أوضحها رئيس الوزراء نشأت بمناسبة ادارة المشروعات التى آلت الى الشعب بالتاميم . ذلك انه لكى ينتفى التناقض الذى نشأ فى ظل النظام الرأسمالى بين تملك الاقلية لوسائل الانتاج وحرمان الاغلبية من هذه الملكية ومن المشاركة فى ادارة تلك الوسائل ، صدرت قوانين التأميم ونصت على مشاركة العاملين المنتجين فى تلك الادارة .

ولكن ممارسة الديمقراطية فى الوحدات الانتاجية ومع مرور الوقت ولدت تناقضا جديدا ،اطرافه هم بالذات جموع العاملين فى مستوياتهم المختلفة. وكان المثل البارز لهذه الصعوبات تداخل الاختصاصات بين مستويات الادارة فى مشروعات القطاع العام الوحدة الانتاجية والمؤسسة والوزير. ثم صعوبات العمل داخل مجالس ادارة الوحدات الانتاجية . وهنا كان لابد من ثورة تنظيمية داخل القطاع العام بعد الثورة الاولى التى آلت بها هذه المشروعات الى ملكية الشعب .

وثمة مسالة اخرى عرض لها رئيس الوزراء . ان المبادىء الاشتراكية تنفى الربح كهدف من اهداف الانتاج فى المجتمع ، فهذا الانتاج هدفه الاول اشباع حاجة جماهير الشعب وفقا للخطة. ولكن نفى الربح من نطاق المشروعات المؤممة ترتبت عليه اثار اصبحت تهدد صالح جماهير الشعب الحاضرة والمستقبلة وهى التى من اجلها استبعد اعتبار الربح . فقد اصبحت بعض المشروعات تنتج بصرف النظر عن التكلفة الحقيقية سواء فى ذلك التكلفة داخل الوحدة الانتاجية نفسها او التكلفة بالنسبة للاقتصاد القومى فى مجموعه . وقد ترتب على ذلك ان الاموال المطلوبة لاعادة الاستثمار لم تكن تتراكم بالكمية اللازمة والمتوقعة. ومن هنا كانت ضرورة الثورة الجديدة لامداد المشروعات المملوكة للشعب بالاموال الضرورية لزيادة الانتاج بعد الثورة التى جعلت من هذه المشروعات مصادر لامداد الشعب باحتياجاته . فيصبح معدل الربح معيار كفاءة المشروع،ولكن فى ظروف موضوعية تخالف ظروف النظام الرأسمالى اذ فى ظل التخطيط وسيطرة الشعب على وسائل الانتاج يكون من الممكن السيطرة على جهاز السعر وفى الوقت نفسه لايتحقق الربح على حساب السوق الداخلى فقط . وهكذا يتبدى المخرج الموفق لهذا التناقض الجديد الذى يعتبر بحق ثورة جديدة فى حياتنا الاقتصادية انه الانتاج بهدف التصدير. وكما قال رئيس الوزراء ان هدفنا ليس فقط ان نصدر فائض مواردنا وخاماتنا الزراعية والمعدنية فى شكل سلعة مصنوعة ولكن ايضا تصدير سلع مصنوعة من خامات مستوردة وبمعنى آخر تصدير ناتج عمل ، بكل ما يترتب على ذلك من ضرورة رفع مستوى الكفاية الانتاجية للعامل حتى تتحسن اقتصاديات السلعة المصدرة لتكون على مستوى الجودة والاسعار العالمية . بحيث يكون حساب الصادر هو المقياس الحقيقى الذى يؤكد سلامة اقتصاديات المشروع .

ولقد تابع مؤتمر الانتاج دراسة هذه المسائل واصدر توصياته بشأنها. واعلن رؤساء وحدات القطاع العام التزامهم بهذه الاهداف واكدوا انهم سيواصلون العمل كقيادات مسئولة سياسيا واداريا عن نتائج التنمية .

وغنى عن البيان ان كل اجتهاد او ثورة فى نظم العمل داخل مشروعات القطاع العام انما تتخذ من مبدأ سيطرة الشعب على وسائل الانتاج نقطة البداية الوحيدة والمشروعة . وفى ضوء هذا المبدأ يتعين تفسير كل ماجاء فى هذه التوصيات من تشجيع للقطاع الخاص واتاحة التسهيلات اللازمة له ليقوم بدوره فى تنمية الصادرات ، ودراسة امكانية الافادة من عروض بعض الشركات الاجنبية فى المساهمة فى استخدام بعض الطاقات المعطلة وتوفير المواد الاولية والخبرة الفنية فى نظير التعاقد على شراء كمية معينة من الانتاج للتصدير. والاهتمام بمشروع انشاء **مناطق** حرة بالجمهورية العربية المتحدة تستغل فى ممارسة عمليات التجارة الدولية العابرة وفى انشاء مشروعات تصنيع بغرض التصدير مع تمتعها بالنظم والتيسيرات المتبعة فى المناطق الحرة الاخرى فى العالم . هذه التوصيات جميعا انما تنفذ فى اطار نظامنا الاشتراكى الذى حدده الميثاق . « **ذلك ان مشاكل التحول الاشتراكى والتطبيق الاشتراكى لايمكن ان تحل — كما قال**



رئيس الوزراء بحق فى خطابه بمجلس الامة — بالرجوع الى الوراء . وانما تحل باتباع الاساليب والنظم التى تتفق مع المجتمع الجديد الذى اهمنا اسسه والتى تدعم القيم الانسانية والاخلاقية اللازمة لاستكمال بنائه » .

وهكذا يواصل شعبنا الثورة بعد الثورة ويحقق انجازا يبدو بمرور الوقت انه اقل من تطلعاته ، فيسير طريق التقدم بلا حدود . وفى هذا المجال يكون ظهور الصعوبات والمشاكل امرا طبيعيا وصحيا بل ضرورة لتخطى التحديات ومواصلة التقدم .

مؤتمر الادارة

ثم عقد مؤتمر الادارة فى ٢٦ اكتوبر واشترك فيه ٤١٦ عضوا من وكلاء الوزارات ومديرى المصالح يمثلون جميع القطاعات فى اجهزه الدولة وتحدث رئيس الوزراء فاكد من جديد أن الاقتصاد يجب ان تكون له الاولوية بين اهدافنا القومية ؛ فكلما ازدادت سلامة اقتصادياتنا زادت امكانياتنا فى تحقيق اهدافنا الاجتماعية والسياسية . وعلى ذلك فان الامر يقتضى ان نعبىء طاقاتنا وقدراتنا بما فيها من اجهزه الاداره العامة لخدمة اقتصادنا القومى . وقال ان كل مجهود تبذله الادارة الحكومية لتبسيط الاجراءات وكفايتها يؤثر بالتالى على حجم الانتاج وكفايته .

وتساءل رئيس الوزراء : هل سيظل جهـــاز الاداره الحكومية ينظر اليه اجتماعيا على انه الجهاز المعوق لتطور المجتمع والمنفصل عنه ذاتيا ، وانه يشكل طبقة تتحكم فى مقدرات الناس ومصالحها .. أم انه قد آن الاوان ان ينتقل جهاز الادارة العامة الى مرحلة اكثر تطورا واسرع تقدما فى طريق الثورة الاشتراكية واكثر انفتاحا مع آمال الجماهير وتطلعاتهـــا . وعاد السيـــد زكريا محيى الدين الى التاكيد على الناحية الاقتصادية فقال ان تخلف خطط الاصلاح الادارى عن خطة الاصلاح الاقتصادى يترتب عليه حالة من عدم التوازن وافتعال الكثير من الاختناقات والتعقيدات التى لابد ان تؤثر على المساعى الجدية المبذولة فى قطاع التنمية الاقتصادية

وقد اصدر المؤتمر توصياته فى مجال التنظيم الادارى وفى مجال اعداد القوى العاملة وفى مجال تحديد المسئوليات والاتصالات والتنسيق وفى مجال الرقابة والتقييم والمتابعة وفى مجال التوعية .

وكان السيد زكريا محيى الدين قد اجتمع مع كبار ضباط الشرطة وقال لهم ان طبيعة المرحلة القادمة قد اقتضت وجود قيادات جديدة على قمة جهاز الشرطة . واكد ضرورة وجود ارتباط الشرطة بالمجتمع الذى تعيش فيه وتحس بآماله ومتاعبه . وقال ان حماية التطور الاشتراكى وتامينه ليس مجرد واجب وظيفى يقع على جهاز الشرطة ولكنه مسئولية ثورية تتطلب جهودا لاتنقطع ويقظة لاتخمد ونظرة بعيدة لمنع الحوادث قبل وقوعها . والقيام بهذه المسئولية يستلزم وعيا سياسيا كاملا مبنيا على الدراسة والاقتناع حتى يحس كل فرد فى جهاز الشرطة انه مرتبط فكريا بالثورة كعمل تقدمى وبالخط الاشتراكى كما رسمه الميثاق .

مؤتمر العمال

وفى ٢ نوفمبر عقد مؤتمر اعضاء المجلس التنفيذى للاتحاد العام لنقابات العمال ورؤساء وسكرتيرى وامناء صندوق النقابات العامة . وشرح لهم ارتباط الثورات التى قام بها شعبنا ليحصل على مكاسبه وذكر ان تعزيز القاعدة الاقتصادية فى بلادنا ضرورة ليس فقط كى يرتفع مستوى معيشة الناس ولكن لندافع عن استقلالنا ونقف وحدنا ونعتمد على انفسنا . وتحدث عن تلاحق الانجازات التى حققها الشعب . فالعدل وعداله التوزيع تحقق جانب كبير منه عن طريق سيطرة الشعب على وسائل الانتاج . فالاجور ارتفعت فى ١٣ سنة الى حوالى ٧٧٠ مليون جنيه . ومن هنا ظهرت التحديات الجديدة اذ صار من المتعين ان نوازن اقتصادياتنا حتى يمكن ان نواجه التزامات الثورة التنمية ونبنى قاعدة اقتصادية وسيطة تحافظ على حريتنا وحرية الشعوب العربية .

واضح من كل ماتقدم ان المرحلة الجديدة فى حياة شعبنا هى صنع الثورة الجديدة لمواجهة التناقضات الجديدة التى تولدت فى داخل الانجازات التى حققتها المرحلة السابقة من الثورة .

وفى واقع الامر فان الثـــورة الجديدة لن تتحقق فى لحظة او فى يوم حاسم تتم فيه هزيمة العدو مرة ونهائيا كما هو الحال عند مواجهة الاستعمار اوتحالف الاقطـــاع والرجعيـــة ، بل هى ثورة هادئة تتم تدريجا عن طريق الزيادة اليومية المتواصلة فى الانتاج . وليس معنى هذا ان المسألة ســـتكون محصـــورة فى زيادات كمية تضاف للانتاج ، بل انه مع تراكم

هذه الزيادات لابد ان يحدث تغيير نوعى فى العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية داخل المجتمع .

ولكن هذا لن يتم الا بزيادة الوعى بين قوى الشعب العاملة . بحيث ان اهتمام جماهير العاملين لايجوز ان يكون محوره علاقات التوزيع وحسب بل يجب ان يتركز اهتمامها حول الانتـــاج . ومن اجل هذا وجه رئيس الوزراء حديثا يوم ٧ ديسمبر الى الشعب وصفه بانه حديث هادىء واضح وصريح فقال انه بدراسة الموقف الاقتصادى تبين ان المشـكلات سواء بالنسبة للاســعار او لعـــدم توافر بعض السلع وكذلك مشكلات الخدمات سببها زيادة السكان وزيادة الاجور التى ادت الى زيادة الاستهلاك تفوق نسبة الزيادة فى معدلات الانتاج . وكان امام الحكومة احد حلين : اما خفض الاجور او دخل الافراد ، او رفع اسعار بعض السلع . وقد استبعدت الحكومة فكرة المساس بالاجور الحالية وفضلت زيادة بعض الاسعار . ووقع الاختيار على بعض السلع الاستهلاكية بجانب الكماليات حتى تحقق الزيادة فيها وفرا واضحا وملموسا . كما راعت الحكومة التقليل من الاعباء التى سيتحملها الشعب بسبب هذه الاجراءات وعلى ذلك فان ماسيتحمله الشعب نتيجة لرفع اسعار بعض السلع يشكل ٣٠٪ فقط من المبلغ المطلوب توفيره بينما الباقى سيتحمله الاستهلاك الحكومى والانفاق العام والضرائب على الدخول الكبيرة .

وهكذا يمضى شعبنا فى طريق التنمية ، مصمما على ان يتحمل عبئه كاملا من اجل تحقيق برنامج النقط الخمس الذى على اساســـه اعاد انتخاب المناضل جمال عبد الناصر لرياسة الجمهورية . والشعب حين يقدم تضحياته فى هذا الصدد انما يضع الاساس لثورة جديدة تعتبر فى حياته قفزة الى الامام فى طريق التقدم . ان جماهير الشعب التى وقفت فى ١٩٥٦ تقدم تضحياتها لدفع العدوان الاستعمارى كانت تكتب المقدمة الضرورية التى جاءت قوانين ١٩٦١ نتيجة حتمية لها . وان جهود الشعب فى السنوات التى بدات بعام ١٩٦٥ انما تحدد بطريقة حاسمة الظروف الموضوعية التى على اساسها ستزداد مكاسب الشعب السياسيـــة والاقتصادية والعسكرية والعالمية ، بعـــد ان يتم تنفيذ الخطة الخمسية الثانية التى تتم فيها الكهربة الكاملة للجمهورية وبناء الصناعات الثقيلة واقامة الاساس الاقتصادى الراسخ فى بلادنا .

وبهذا نتاكد حتمية الحل الاشتراكى لانه هو وحده الذى يقدم النظام الذى يتفق وضرورات الانتاج الكبير ويفتح امامه مدى التقدم دون عوائق وهو الذى يسد حاجات الطبقات الصاعدة من جماهير الشعب ويضم حوله جميع القوى التقدمية فى العالم العربى وافريقيا بل فى العالم كله . ولكن الحتمية لاتعنى ان النجاح سياتى تلقائيا وبطريقة تحكمية بل ان انتصاره لابد ان يكون ثمرة اعداد ونتيجة الكفاح الواعى لجماهير الشعب .

واذا كان المبدا الذى تحدد منهجا للنضال الوطنى فى المرحلة القادمة هو « الثـــورة بعد الثـــورة » فان الميثاق قد وضع معيار الثورة وقال انها «عمل شعبى وتقدمى» .

فقيمة الثورة فى الميثاق تقاس بمدى شعبيتها ، بمدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة ، وبمدى ماتعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل كما ان الثورة هى تقدم بالطبيعـــة ، فالجماهير تطلب التغيير وتسعى اليه وتفرضه تحقيقا لحياة افضل تحاول بها ان ترتفع بواقعها الى مستوى امانيها .

ولقد اصر شعبنا على ان يواصل ثوراته ،وبهذا يحقق يوما بعد يوم النقطة الثالثة من البرنامج الذى اختار رئيسه على اساسه : التمكين لقيم المجتمع الاشتراكى من ان تصل الى اعماق حياة الشعب بتدعيم الممارسة الديمقراطية كوسيلة لاستكشاف الطريق . والشعب بجهوده خلال السنوات القادمة يصنع الظروف الموضوعية التى من خلالها ستعاد دراسة ميثاق العمل الوطنى فى عام ١٩٧٠ طبقا لنص الميثاق نفسه .



عبد التواب سليمان

شهدت الجمهورية العربية المتحدة خلال عام ١٩٦٥ فى مجال التطور الصناعى عدة أحداث هامة ، بحيث يمكن القول ان المرحلة الجديدة لايمكن أن تكون استمرارا تلقائيا للمرحلة السابقة .

ومن المهم خلال ممارسة اى تجربة ان يستفاد من دروسها ، وان تقوم بايجابياتها وسلبياتها ، حتى يمكن الحفاظ على ثمارها ، وملافاة ما فيها من ثغرات واخطاء .

ومن الواضح اننا حين نتحدث عن عام ١٩٦٥ فى مجال النمو الصناعى ، نعنى اننا انتقلنا من مرحلة انتهت بنهاية خطة السنوات الخمس الاولى الى مرحلة أخرى ثورية توشك ان تبدأ ببداية خطة السنوات الخمس الثانية .

ومن مقتضيات الاستفادة بالتجربة الماضية ان نوضح ما انجزناه خلالها لتكون هذه المنجزات تمهيدا مرحليا للتجربة القادمة .

وعلينا أن نأخذ فى الاعتبار أن قطاع الصناعة ـ باعتباره احد قطاعات الاقتصاد القومى ، يؤثر فيها، ويتأثر بها ـ ليس قطاعا مستقلا بذاته ، منعزلا عن الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل ان هذا القطاع وما يحققه من تقدم ، أو يعانيه من تخلف لن يكون محصلة لمجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية التى تعيشها فترة انتقال من مجتمع اقطاعى رأسمالى الى مجتمع اشتراكى، ان علاقات المجتمع المتشابكة ، والتغيرات الجذرية التى حدثت فيها ، والظروف السياسية التى شهدها العام الماضى ، كان لها أثرها الواضح على

حسابات ١٩٦٥ وآفــاق ١٩٦٦ فى التصنيـــع

اقتصاديات الجمهورية العربية المتحدة بصــورة عامة والصناعة العربية بصورة خاصة .

علينا اولا ان نقوم بعملية تقويم سريعة للخطة الخمسية الاولى ، ونصيب الصناعة منهــا ، ثم الخطوط العامة للخطة الخمسية الثانية .

لقد وجه الى الاستثمار خلال السنوات الخمس للخطة مبلغ ١٥١٣ مليون جنيــه اى بمتوســط سنوى قدره ٣٠٢ر٦ مليون جنيه وهو ما يعادل ١٩ ٪ من الدخل القومى فى المتوســط خــلال سنوات الخطة ، وقد خص الصنــاعة من هــذا الرقم مبلغ ٤٠٣ر٩ مليون جنيه بنسبة ٢٦ر٧ ٪ من جملة الاستثمارات .

وكما ذكرنا من قبل ، لا يمكن الفصل بين قطاع الصناعة ومختلف قطاعات الاقتصــاد القــومى لتشابكها واعتمادها بعضها على بعض فى علاقات متبادلة ، ولعل البيان التالى يعطى صــورة عن نصيب مختلف القطاعات فى استثمارات خطـــة التنمية الاولى :

مجال الاستثمار	المبلغ (بالمليون)	النسبة٪
الصــــناعة	٤٠٣ر٩	٢٦ر٧
الزراعة	١١٨ر٤	٧ر٨
الرى والصرف	١٣٨ر٠	٩ر١
الســد العالى	٩٨ر٦	٦ر٥
الـكهرباء	١١٢ر٦	٧ر٤
النقل والمواصلات والتخزين	٢٧٠ر٨	١٧ر٩
قناة الســـويس	٢٣ر٤	١ر٦
المبانى الســــكنية	١٦١ر٥	١٠ر٧
المرافق العــامة	٥٠ر٥	٣ر٢
الخدمات الاخرى	١٣٥ر٣	٩ر٠

واذا استعرضــنا ثلاثة مؤثرات هــامة هى التغير فى قيمة الانتاج ، والتغير فى الدخل القومى ، والتغير فى مستوى العمالة ، اتضح لنا بايجــاز ثمار خطة التنمية الاولى على المجتمع ، ويوضــح البيان الموجز التالى مدى التغير فى هذه المؤثرات الثلاثة :

من ذلك يتضح أن قيمة الانتاج تزايدت بنسبة ٣٦ر٤ ٪ كما ارتفع الدخــل القــومى بنسبــة ٣٧ر١ ٪ وارتفع معدل العمالة بنسبة ٢١ر٧ ٪ ، وهى نتائج لا يمكن الحكم عليها بصــورة مجردة مطلقة بعيدا عن كل الظروف والاعتبــارات التى صاحبت هذه الفترة ، والتى لم تعط للاقتصاد القومى بصفة عامة والصناعة بصفة خاصة كامل الحرية فى الانطلاق بالعمل فى هذا المجال .

اولا : ان تجربة الخطة بمعناها الشــامل كانت بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة تجربة جديدة . ولم يكن ما سبقها من اجراءات سوى محاولات لوضع البرامج او التخطيط الجزئى ، فلم يــكن **مجلس تنمية الانتاج القومى ، او مجلس الخدمات العامة ، او لجنة التخطيط القومى ،** سوى هيئات تتولى دراسة بعض القطاعات او بعض المشروعات واحتمالات نجاحها ، وامكانيات تنفيذها ، ولذلك فان خطة للتنمية الاقتصادية تشمل كافة المجالات كانت حدثا جديدا بالنسبة لنا ، وتجربة لم نمارسها من قبل ، وهذا معناه أن مجال الخطأ فيها اكبر من مجال الخطأ فى مجالات عشناها ومارسناها ، واكتسبنا فيها من طول المراس والتجربة ماجعلنا نتجنب مــواطن الــزلل بقدر الامــكان ، وعندما نتحدث عن التخطيط الشــامل فى مجتمع ما زال فى بداية مرحلة تحول ، لم تستقر فيه بعد علاقاته الاقتصادية الاجتماعية ، بل لم تكن معالمهــا قــد اتضحت ، نتصــور مدى العبء والجهــد اللازم القيام به للوصول الى الاهداف المرجوة .

ثانيا : ان هناك من العوامل والاحــداث التى مرت على مسرح السياسة والاقتصاد ما اثر على التجربة فى حد ذاتها ، كوقوع الانفصال فى ١٩٦١ ، وكارثة محصول القطن فى العام نفسه وصــدور القوانين الاشتراكية وما تبعها من اجراءات ، كل هذا اوجد عبئا جديدا على الدولة وخلق متناقضات لا يستهان بها فى المجتمع ، ووجود هــذا العبء ، وتلك المتناقضات ، مع الوصول الى هذا المستوى من الانجاز يعتبر فى مجال العمل الاشتراكى عملا رائدا يضع الجمهورية العربية المتحدة على راس قائمة تجارب الدول النامية .

ثالثا : انه صحب صدور القوانين الاشتراكية وما تبعها من اجراءات حاجة ملحة الى قيادات اشتراكية تتولى القيام بعبء ادارة القطاع العام الجديد ، وهى قيــادات تتطــلب بعض الوقت لاكتشافها ، الامر الذى لم يكن ميسورا فى هــذه الفترة ، ولا شك ان المرحــلة فى بدايتهــا كانت تتطلب عناصر واعية اشتراكيا ، مؤمنة بالنظام عاملة من اجل تقويته ودعمه ومساندته .

البيــــان	١٩٦٠/٥٩	١٩٦٥/٦٤	الزيادة او النقص	النسبه٪
قيمة الانتاج (بالمليون جنيه)	٢٥٤٧ر٩	٣٤٧٤ر١	+ ٩٢٦ر٢	٣٦ر٤
الدخل القومى (بالمليون جنيه)	١٢٨٥ر٢	١٧٧٢ر٢	+ ٤٧٧ر٠	٣٧ر١
العمالة (الف عامل)	٦ر٠٠٦	٧ر٣٣٣	+ ١ر٣٢٧	٢١ر٧



عقبات فى طريق الانطلاق

على انه من الواجب علينا هنا أن نخص عام ١٩٦٥ بالحديث ، وأن نتناول بايجاز بعض المظاهر التى كان لها اثرها فى تعويق الانطلاق الصناعى :

اولا : عانت بعض الوحدات الانتاجية من عدم امكانها الحصول على قطع الغيار اللازمة لها مما ادى إلى توقف بعض الالات ، ويعتبر هذا ضياعا اقتصاديا واجتماعيا له مغزاه وخطورته ، بل انه يدل على ان التخطيط على مستوى المشروع لم يكن بالدرجة الكافية من النضج .

ثانيا : سوء توزيع المواد الخام : ونخص بالذكر هنا القطاع الخاص . ان توزيع المواد الخام خلال ١٩٦٥ كان يكتنفه الكثير من التصرفات المشبوهة ، لقد كان البعض ممن لا يقومون بالانتاج الفعلى يحصلون على كميات من المواد الخام تجد طريقها سهلا الى السوق السوداء ، بينما الوحدات الانتاجية العاملة فعلا لا تحصل على حاجتها الحقيقية من امثال هذه المواد ، وقد يرجع ذلك الى تساهل الجماهير ذاتها فى قبول شراء بعض السلع بأسعار تفوق سعرها المحدد ، وقد يرجع الى انحراف بين العاملين بالجهاز التنفيذى الذين يتولون توزيع هذه المواد . ان كل مرحلة انتقال لا تخلو من وجود بعض التعقيدات الروتينية التى تعرقل الانطلاق ، كما لا تخلو من عناصر ليست على درجة من الوعى والايمان بالنظام ، وطبيعة المرحلة ومقتضياتها تحتم اعادة النظر فى طريقة توزيع المواد الخام ، بحيث يحصل كل منتج على حاجته الحقيقية ويحرم المضاربون ، وبذلك يقضى على الاسواق غير الشرعية التى تخلقها الفئة الاخيرة .

ثالثا : كنتيجة لمخلفات العقلية الفردية فى القطاع العام الصناعى ، لم يكن هناك تلك الدراسات العلمية عن الطاقات الانتاجية الموجودة والعاطل منها قبل الاقدام على بناء طاقات جديدة حتى لا يكون ذلك مدعاة للاسراف فى انفاق يمكن توجيهه توجيها افضل ، كذلك بالنسبة للمواد الخام فسيطرة النزعات الفردية ، وعدم الفهم الحقيقى لدور المشروع فى النظام الاشتراكى وعلاقته بقطاع الصناعة بصفة عامة ، وامتلاك المجتمع لكافة وسائل الانتاج ، كل ذلك يؤدى الى أن يخفى بعض المسئولين فى القطاع العام حقيقة المخزون لديهم من المواد الخام او المبالغة فى احتياجات العام الحاضر ، بحجة ان الوحدة الانتاجية قد تحتاج اليها لفترة مقبلة ، بينما هناك بعض الوحدات الانتاجية الاخرى تعانى نقصا فعليا ملحا فى مثل هذه المواد فى الوقت الحاضر ومن الواجب اعطاؤها اولوية الحصول على هذه المواد الخام .

رابعا : التنازع على الاختصاص : وقد يرجع ذلك الى عدم الوعى الكافى لدى بعض المشرفين على القطاع العام ، اذ أن سيطرة العقلية الفردية يؤدى الى اهمال الاهتمام بالجوهر واضاعة الوقت فى متاهات روتينية لا يفيد منها القطاع العام بأى حال .

ان عدم الفهم الكامل لمعركة التصنيع واهدافها ومراميها فى المرحلة التى تعيشها الجمهورية العربية المتحدة الان ، قد يؤدى الى الانحراف بدرجة قد تؤثر على كيان القطاع العام .

خامسا : لقد عانت الصناعة من مشكلة النقل وعلى الاخص النقل البرى كعنصر هام فى توزيع منتجاتها وتوسيع اسواقها على النطاق المحلى ولعل من اهم اسباب هذه المشكلة عدم توافر اطارات سيارات النقل وقطع الغيار الكافية .

سادسا : دور النظام المصرفى بالنسبة لقطاع الصناعة : لم يكن الجهاز المصرفى من النضج الكافى بحيث يولى الصناعة حاجتها وبالقدر الواجب بالشروط المناسبة ، ولعل ذلك يرجع الى ما انتاب الجهاز المصرفى من تغيرات خلال العام ، استهدفت تقليل عدد الوحدات العاملة فى اطار هذا الجهاز ، ولم يكن لدى الجهاز المصرفى ذلك المفهوم الاشتراكى القائم على تخصص وحدات هذا الجهاز كل فى مجال عمل معين .

ان الجهاز المصرفى الاشتراكى لابد ان يقوم على التخصص ، ولابد ان يؤدى دوره فى الرقابة على تنفيذ الخطة من النواحى المالية والفنية ، أما ترك المسالة على ما هى عليه على اعتبار ان البنوك التجارية يختص كل منها بمجموعة من المؤسسات النوعية فهو أمر لابد من اعادة النظر فيه . ليس من عمل البنك التجارى أن يزاول مهام الائتمان الصناعى ، وليس من عمل مؤسسة الائتمان الصناعى أن تقوم بتقديم ائتمان تجارى قصير الاجل ، وهكذا . والقول بغير ذلك ينم عن عدم فهم لطبيعة الجهاز المصرفى فى المجتمع الاشتراكى ودوره .

وفضلا عن ذلك ، فأن الكثير من المؤسسات لا تقوم بتسديد ما عليها من التزامات ، اعتمادا على أن جهاز الائتمان لن يتخذ معها اجراءات من شأنها ان تحرج مركزها ، لقد ادى ذلك الى وجود

ميل من بعض هيئات الائتمان الى التردد فى منح هذه المؤسسات ائتمانا لمرحلة مقبلة .

والمسألة تستدعي اشراك وحدات الجهاز المصرفى فى وضع خطة الائتمان ، وهى التى تقوم بالطبيعة بتنفيذها ، وعليها بعد ذلك دور الرقابة عن طريق حسابات الهيئات والمؤسسات لديها.

اقتحام الصعاب والانتصارات المحققة

غير اننا يجب علينا هنا انلا نغفلما حققتهخطة التنمية الاولى فى مجال الصناعة :

● سدت الصناعة حاجة الاستهلاك المحلى من السلع الاستهلاكية العادية كالمنسوجات والملابس ومواد التنظيف والمنتجات الغذائية المحفوظة ، كذلك أيضا بالنسبة للسلعالاستهلاكية المسعرة والسلع الانتاجية (كالثلاجات — الغسالات — السيارات — الجرارات — عربات السكك الحديدية — اجهزة الراديو — اجهزة التليفزيون — حديد التسليح — عربات الاوتوبيس — منتجات الصناعات الكيماوية) .

● تمكنت الصناعة من اقتحام الكثير من الاسواق الخارجية ، بعد أن كان المجتمع عبئا على الاسواق الخارجية يستورد منها كل شىء ، بل أصبح لبعضالمنتجات العربية أسواقها كالثلاجات اذ صدرت الجمهورية العربية المتحدة ثلاجاتها « ايديال » الى يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، كما صدرت السيارات العربية المجمعة الى كثير من الاسواق العربية .

● تمكنت الصناعة العربية من القضاء على جانب من البطالة ، بأن وفرت مجالات عمل جديدة لحوالى نصف مليون عامل جديد .

● أدى انشاء أكثر من سبعمائة مصنع فى عهد الثورة الى تغيير العقلية الزراعية البدائية الى عقلية صناعية متفتحة متطورة واشاعةالوعى بين الجماهير وخلق فئات مستهلكة جديدة تغذى الصناعة بالسوق المستمر لمنتجاتها .

على ان مرحلة التصنيع التى تضمنتها خطة التنمية الاولى كان لابد أن تتبعها مرحلة اخرى قائمة على لون من العمل الجاد الدءوب لخلق صناعة ثقيلة تعتبر ركيزة الصناعات كلها ،ومعيار التقدم فى مجتمع نام متطلع الى رفع مستواه فى كافة المجالات .

ان مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات كهدف لابد ان يتحقق يحتم علينا ان نتغلب على عقبات الموازنة بين الانتاج والاستهلاك ، فاذا كان استهلاكنا اعلى من انتاجنا كان معنى ذلك اننا ناكل ما لدينا من اصول وثروات، واذا اردنا المزيد من هذه الاصول والثروات كان علينا ان نحد من استهلاكنا بالقدر الذى يحقق فائضا بين الانتاج والاستهلاك يتركز فى شكل معدات راسمالية واصول ثابتة، تشيع الرخاء فى قطاعات الاقتصاد القومى جميعا . وليس من المعقول ان نتجه الى العالم الخارجى للحصول على مزيد من السلع الاستهلاكية فحسب ، مما يؤثر على قدرتنا على شراء أدوات الانتاج ، لان ذلك يفرض علينا التزاما مزمنا يعوق تقدمنا ، بل يحول هذا التقدم الى تخلف .

وازاء السباق السكاني المذهل كان علينا ان نستثمر بالقدر الذى يحقق الحفاظ علىمستوى المعيشة الحاضر بل يحقق زيادته .

واذا كنا قد صادفنا كثيرا من الصعوبات والعقبات اثناء تنفيذ خطة التنمية الاولى ، فانه من المحتم ان نستفيد مما وقعنا فيه من اخطاء ، وان نقوم ما حدث فى التجربة من انحرافات قد تكون هيكلية ولها أثرها الخطير على خطة التنمية المقبلة .

ولعل ذلك هوما دفع المناضلجمال عبدالناصر فى خطابه الى مجلس الامة فى افتتاح دور انعقاده الثالث الى استعراض جوانب العبء الذىتلقيه علينا الخطة الخمسية الثانية،وهو عبء ذو زوايا متعددة ، منها :

● استمرار هدف الخطة القادمة فى الوصول الى مضاعفة الدخل القومى فى عام ١٩٧٠ عما كان عليه فى٥٩/١٩٦٠ .

● علينا ان نحمل معنا ما تخلفنا فيه عند تنفيذ الخطة الخمسية الاولى ونعوضه على الاقل اذا لم نزد فوقه .

● علينا ان نواجه وان نحسن مواجهة ما ظهر لنا من المشكلات فى فترة تنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، والا تفاقم الى حد تطغى فيه العقباتعلى الامال وتخنق احتمالاتها .

ان المرحلة القادمة تفرض علينا أن نقوم بالمزيد من العمل والتركيز على الصناعة الثقيلة ،وايجاد فائض فى ميزان انتاجنا واستهلاكنا حتى يتحقق الامل المستهدف للتقدم الاقتصادى فى مصر الثورة ، ببناء الاشتراكية على اسس ثابتة الدعائم راسخة الاركان .



القطاع العام

د . محمد عجلان

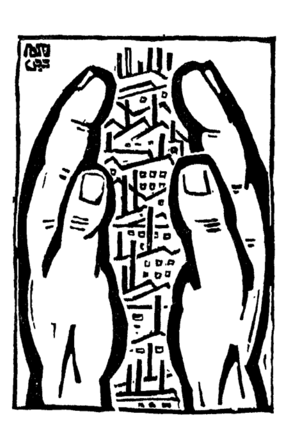
لم يعد احد بحاجة الى تأكيد دور القطاع العام باعتباره الدعامة الرئيسية فى تحقيق الجانب الاول من اشتراكيتنا ، وهو **الكفاية** ، والتى بدونها لا يتحقق الجانب الثانى وهو **العدل** .

واصبح الايمان كاملا بأنه بقدر نجاح القطاع العام فى تحمل مسئولياته ، وبقدر تقدمه فى دفع عجلة التنمية ، وايضا بقدر ما نقترب من تحقيق الهدف الذى لا مفر منه ، هدف مضاعفة الدخل فى عشر سنوات .

وبحكم وضعه هذا ، وصفاته تلك ، علينا أن نتوقع تعرضه للتحليل والبحث والنقد على الدوام .

الهجوم الرجعى

بدا القطاع العام عامه المنصرم بحملة واسعة مركزة عليه ، استهدفت تدعيم الشك فى قدراته ، واشاعة عدم الثقة به وفيه . ونظمت اجهزة الاشاعات حملتها ، فيوما تصور المصانع بأنها اما معطلة او متوقفة ، حتى اذا هدأت الضجة قليلا ، اتبعتها بأن السرقات كادت تأتى على ما بالقطاع العام من خير ، ثم تأتى موجة الاشاعات التالية بأن الانتاج سىء وغير صالح حتى ليكاد يكون الاصلح له أن يعدم .



وتستمر الحملة هادفة خلخلة الثقة فى مظهر الاشتراكية الاول ، الملكية العامة لوسائل الانتاج، وتحقق فى نفس الوقت هدفا آخر للاتجاهات الرجعية الا وهو صرف الانظار عن مؤامراتها السياسية من ناحية ، ومؤامرات التحكم فى اقوات الشعب باخفاء السلع واشاعة السوق السوداء ، وبالتالى تهيئة الجو النفسى الصالح للانقلابات . انه ليس مجرد مصادفة أن ترتبط حملة الشائعات فى الداخل ، بحمى مسعورة من اجهزة اعلام الدوائر الاستعمارية فى الخارج ضد القطاع العام، ثم لا يمضى طويل وقت حتى يتكشف عدد من المؤامرات التى يحركها الاستعمار والقوى الرجعية للقضاء على الاشتراكية كلها كنظام ، والعودة بنا اما عبيدا للاستعمار أو دراويش للجهالة والعصور المظلمة .

وكان أخطر الاثار لتلك الحملة انوجدت قيادات القطاع العام نفسها عرضة لهذه الحملة الواسعة التى استغلت اخطاء البعض لتدين الكل ، وتربصت بكل اندفاع ثورى تكيل لهالاتهام باليمين والشمال. فآثر بعضها الوقوف حيث هى ، وبلغ الضيق ببعضها ان ظنت ذلك هو الاتجاه العام منها ، وخشيت — شأن الافراد جميعا — على مصالحها ومعاشها فآثرت عدم الحركة حتى تتبين لنفسها الى أين تتجه الامور .

وكان لابد من ايقاف الهجوم ، ولكن ما كان لموجته أن تنحسر بعد أن اشتدت ، الا بادراك ووعى القيادة الاشتراكية فى أعلى مستوياتها . وما كان للخفافيش ان تأوى الى جحورها الا بعد أن تصدى المناضل جمال عبد الناصر بنفسه للدفاع عن القطاع العام ، فى خطاباته فى مايو ، يعطيه صورته الحقيقية، ويبرز الجهد الكبير الذى قام به منذ نشأ ، والاحمال الضخمة التى القيت على عاتق الفنيين فيه ، ويدين كل اتجاه للتشكيك والتشهير كاتجاه معاد للبناء الاشتراكى ، وللمجتمع فى مرحلة تطوره الحالية .

ولعل أهم الاثار التى ترتبت على ذلك شعور المسئولين عن هذا القطاع بالاطمئنان وبالثقة فيهم، وبالتالى اندفاعا للامام بعد شلل نتيجة ذلك الهجوم أو ما يشبه الشلل .

القطاع العام يؤدى دوره

والواقع أن القطاع العام قد حمل عبء التنمية خلال الخطة الخمسية السابقة بكل نجاح ، وآية ذلك أن ارتفع الانتاج بمعدل نادر على المقياس العالمى — ٣٧٪ — طريقا الى الكفاية ، وأتاح فرص العمل لمئات الالوف ، طريقا للعدل، وارتفعت الاجور المدفوعة ، وسيلة لرفع مستوى المعيشة ، وليس لاحد فضل فى هذا كله وفى غيره الا للقطاع العام ، فهو الذى حمل العبء الاكبر فى التصنيع وفى الاسكان واستصلاح الاراضى والكهرباء ، وانكمش دور القطاع الخاص وتضاءل الى مستوى الطفيلية فى المجتمع ، بل وانحرف الكثيرون فيه الى الاثراء على حساب اقوات الشعب ، والى حجز السلع عن الاستهلاك ، والى افتعال الازمات . وحتى فى المجال الزراعى حيث ينتشر القطاع الخاص ، ما كان تقدم غلة الاراضى وسلامة المحاصيل الا بالخطط العامة التى ترسم سياسة البذر والحرث والخدمة ... الخ .

ولم يشذ العام الاخير عن سوابقه ، اضافات جديدة فى مجال التقدم تمثلت فى الكثير مما ليس مجالا لحصره . برز ذلك فى الاتجاه الى توسيع الرقعة حيث تمارس خطط التنظيم الزراعى وفى استصلاح مناطق جديدة واسعة، وقفزت المساحة المستصلحة الى حوالى ١٨٠٫٠٠٠ فدان فى ٦٥/٦٤، بعد أن كانت ١٥٩٫٠٠٠ فدان فى ٦٤/٦٣ وبعد أن كانت ١٢٢٫٠٠٠ فدان فى ٦٣/٦٢ .

وبرز ذلك أيضا فى السد العالى،حيث اختصرت مدة التنفيذ عاما كاملا ، وفى قناة السويس حيث تعميق جديد وخطوات اخرى فى سبيل ازدواج المرور ، وفى بواخر جديدة عديدة . برزت فى مجال الصناعة حيث التوسع فى الصناعات القائمة بانشاء مصانع جديدة للغزل والسكر ولب الورق وحيث صناعات جديدة تماما كالموتورات الكهربائية والسجاد الميكانيكى وغيرها .

ان نجاح القطاع العام المطرد ، واضطلاعه بمسئوليته التاريخية قضية مسلم بها ، ولكن ذلك لا يمكن أن يجعلنا نغفل نقاط الضعف .ولسنا حين نبرزها نمسك بمعول الهدم ، ولكنا نريد أن نخرج بها الى النور حتى نستبين فى الدراسة التفصيلية وفى المناقشة الايجابية وسائل التقدم ، حتى يكون الانطلاق بمعدلات تفوق ما حققنا حتى الان .

ارتفاع الانتاج حجر الزاوية فى بناء الاشتراكية

لقد طالعتنا صورة الانتاج فى أوائل هذا العام بالنسبة لسابقه وبها بالطبع الجانب المشرق حيث تزايد الانتاج فى عام ١٩٦٤ عن سابقه فى عدد



من الصناعات التى أوردنا قدرا منها فى **الجدول رقم (١)** وحيث تزايد .. واحيانا تضاعف الانتاج فى عدد منها له صفته الهامة فى المجتمع سواء كسلعة استهلاكية او انتاجية ، بلغت الزيادة فى الغالبية العظمى منها ما يزيد على ١٠٪ .

جدول رقم (١)

الزيادة فى انتاج بعض المواد خلال ١٩٦٤

البيان	الوحده	سنة ١٩٦٣	سنة ١٩٦٤	النسبه المئويه للزياده
بترول خام	م ٣	٦١٥٣	٦٩٧٩	١٣ر٤ %
اسبستوس	بالطن	١٧٤	١٥٧٨	٨٠٦ر٨ %
بازلت	ألف م٣	١٨٧	٤١١	١١٩ر٧ %
قطاعات من الصلب	ألف طن	٤٨	٦٦	٣٧ر٥ %
ألواح صاج	ألف طن	٢٩	٣٥	٢٠ر٦ %
دراجات	بالعدد	٤١٩١١	٤٥٠٨١	٧ر٥ %
محركات ديزل	"	١٢٣٠	١٤٢٨	١٦ر١ %
سخانات بوتاجاز	"	٤٤٨٠	١٨٤١٢	٣١٠ر٩ %
بابات ورقية	بالطن	١٧٢١	٢٥٨٥	٥٠ر٢ %
اثاثات معدنية	ألف طن	٦	٨	٣٣ر٣ %
مسبوكات صلب	بالطن	٢٦٢٨	٥٨٦٠	١٢٢ر٩ %
منتجات ألمنيوم	ألف طن	٧	١٢	٧١ر٤ %
صابون	ألف طن	٩٨	١٢١	٢٣ر٤ %
جلسرين ومنظفات صناعية	بالطن	٦٦٠٤	٧٤٢٣	١٢ر٤ %
مسلى صناعى	ألف طن	٢٨	٤١	٣١ر٧ %
سماد بأنواعه	ألف طن	٨٠٤	١٠٣٨	٢٩ر١ %
مبيدات حشرية	بالطن	١٠٨٨٣	١٢٠٤٩	١٠ر٧ %
حامض نيتريك	ألف طن	٢٨٦	٣٤٢	١٩ر٥ %
أدوية	بالمليون جنيه	١٢	١٦	٣٣ر٣ %
انتاج كهرباء	مليون ك وات	٤١٧٨	٥٤٤٤	٣٠ر٣ %
أجهزة تكييف هواء	بالعدد	٢٧٦٢	٣٥٨٥	٢٩ر٧ %
ثلاجات وغسالات وأجهزة	بالالف	٢١٧	٢٨٤	٣٠ر٨ %
بطاريات بانواعها	بالالف	٢٦٥	٣٤٠	٢٨ر٣ %
سكر خام	ألف طن	٣٥٦	٣٨٢	٧ر٣ %
خضر وبقول محفوظه	بالطن	٤١١٣	٦١٦٨	٤٩ر٩ %
خميره	بالطن	٢٨٩٥	٣٣٨٢	١٦ر٨ %
سردين فى علب	ألف طن	٣٤٩٨	٦٢٥٩	٧٨ر٩ %

جدول رقم (٢)

النقص فى انتاج بعض المواد خلال ٦٤

البيان	الوحده	سنة ١٩٦٣	سنة ١٩٦٤	النسبه المئويه للنقص
خام الحديد	بالطن	٤٨٦	٤٤٧	٥ر٨ %
الاسمدة (ألوان)	"	٤٨٢	٣٢٠	٥ر٣٢ %
حديد زهر	"	٥٤	٤٧	٩ر١٢ %
حديد تسليح	"	١٩٧	١٨٧	٠ر٥ %
أسلاك	"	٨	٦	٠ر٢٥ %
سيارات وجرارات	بالعدد	٨٠٦٦	٦٨٥٣	٠ر١٥ %
عربات سكة حديد	"	٤٦٠	١٩٥	٦ر٥٧ %
مواسير ضغط عالى	بالطن	٥١٤٢	٤٨٢٦	٢ر٦ %
طلمبات مياه دائريه	بالعدد	٣٠٣٠	٢٤٢٥	٩ر١٩ %
زيت بذرة القطن	بالطن	١٣٩	١٠٢	٦ر٢٦ %
صودا كاويه	"	١٨	١٦	١ر١١ %
أسمنت بأنواعه	"	٥٢٥٧	٢٣٨٥	٦ر٥٤ %
كابلات مسلحة	"	٤٩٥٦	٤٠٧٧	٧ر١٧ %
اسلاك وكابلات	"	٤٣٦٣	٤٣٢١	٩٠و— %
بطاريات للترانزستور	ألف	٦٠	٤	٣ر٩٣ %
مواسير عازله بيرجمان	بالطن	١٠٤٣	٩٥٥	٤ر٨ %
مصابيح كهربائية	ألف	٩١٤٩	٩٨١٥	٣ر١ %
دفايات	بالعدد	٣٦٤٧	٣٥٩٥	٤ر١ %
جرامافون كهربائى	"	٦٧٩٠	٥٦٨٤	٢ر١٦ %
أجهزة سينما	"	١٨٢	٣٨	١ر٧٩ %
خبز مجمد	بالطن	١٢٣٠	١١٨٨	٤ر٣ %
فواكه محفوظه	بالطن	٢٩١	٢٣٠	٩ر٢٠ %
مياه غازية	بالمليون زجاجه	٨٦٤	٦٧٦	٧ر٢١ %
جبن بأنواعها	بالطن	٤٣١٩	٤١٩٧	٨ر٢ %

ولكن فى نفس الوقت طالعتنا الصورة بزاوية اخرى حيث هبط الانتاج فى عدد آخر من الصناعات أوردناها فى **الجدول رقم (٢)**

وحيث كانت نسبة الانخفاض فى بعضها خطرة بحيث لا يجوز السكوت عليها ، أما لارتفاع نسبة الانخفاض أو لطبيعة السلعة من حيث هى ذات أهمية بالغة اذ تعتمد عليها صناعات او انشاءات اخرى مثل حديد الزهر والسيارات وعربات السكك الحديدية والمواسير عامة والطلمبات ، وغيرها .

ومن هنا بدأ الاهتمام بالانتاج ومتابعته ، اذ انها معادلة سهلة هذه المرة أن نقول ان تحقيق الاهداف القومية من تعويض سنى التخلف او مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات ، او رفع مستوى المعيشة او الوقوف ضد مؤامرات الاستعمار والقوى الرجعية المضادة .. كل ذلك رهن ببناء الترسانة الانتاجية القوية المتقدمة .



وبدا هذا الاهتمام من اعلى المستويات حين رفع المناضل جمال عبد الناصر شعار جعل الخطة الخمسيه القادمة خطة الصناعات الثقيلة ، حين عالج امر الانتاج وزيادته فيخطاباته في مايو الماضي، وتلاه رئيس الوزراء عند ذاك (على صبرى) في مؤتمر الاداريين بدمنهور بما اقترحه عندئذ من ضروره جذب الجماهير المنتجه الى المسئولية الفعلية عن الانتاج . وصاحب ذلك في نفس الوقت الحمله الصحفية الناجحه عن شهر الانتاج ، واندفاع العديد من القيادات الى رفع شعار ثماني ساعات عمل ، وشعار مجالس الانتاج . ثم جعلته الوزاره الجديده نقطة البدايه في عملها بان جمعت من اجله مؤتمر الانتاج واتبعته باجهزه المتابعة له، وبمراجعه وتقييم الخطة التى على وشك التنفيذ .

كل ذلك ما يتيح لنا ان نقول ان عام ١٩٦٥ كان عام الانتاج ، وليس ذلك بالضروره لانه قد تحققت فيه طفرات غير منتظره ، ولكن لانه كان بالفعل عام المخاض ، اذ كان الانتاج ورفعه الشغل الشاغل للجميع ، حيث ليس لنا ان نتوقع الا ان هذه العمليه الفكرية من تقابل الاراء وعرض وجهات النظر وتمحيص الاقتراحات سوف تؤتى ثمارها العاجلة والاجلة في انتصارات جديدة في هذه المعركة الملحة فيما يقدم من سنوات .

ومن المهم حين ننظر للانتاج ان نحدد مقياسا او اكثر تقييمه . لقد ارتضينا هدفا لنا مضاعفه الدخل في عشر سنوات لا لمجرد الطموح ولكن لان ذلك هو الحد الادنى الذى يجب ان يصل اليه الانسان المصرى في القرن العشرين . وليس لان ذلك يصل بمستوى المعيشة الى ما نسمع به في امريكا او نيوزيلندا او السويد ، ولكن لانه — بعد العشر السنوات — سيحقق مع عدالة التوزيع مجرد المستوى المعقول للمعيشة لاذلك الذى كان ينخفض بمتوسط الدخل الى ٣٧ جنيها للفرد في العام .

اننا لا نستطيع ولا نملك ان نساوم او نتراخى في هدف مضاعفة الدخل مرة على الاقل كل عشر سنوات ، والا سبقتنا كل التحديات التى نحاول ان نسبقها . وان هذا الهدف على تواضعه بالنسبة لما نرجوه ليفترض معدلا للتنمية كل عام قدره ٨٪ وهو معدل من النادر ان تصل اليه في مختلف البلدان ، ولكنه جهاد الانسان المصرى وبحسن القيادة والتوجيه نجده قد صار في حدود الامكان في مجتمعنا الحالي ، فالانتاج في نهاية السنة الخامسة للخطة قد زاد بمقدار ٣٦٫٤٪ ، كما ان القيمة المضافة — وهى تعبير آخر عن الدخل القومى — قد زادت بمقدار ٣٧٫١٪ .

ومن المهم ان نتوقف قليلا لنؤكد ان ذلك لم يكن ممكنا ، بل ومستحيلا لولا الخطوة الثورية التى اتخذت في عام ١٩٦١ ونعنى بها التاميم وتكوين القطاع العام . تلك الخطوة التى اتاحت فرصة توجيه معظم ناتج العمل المصرى للاستثمار ، بدلا من اتجاهه الى عدد من الافراد ، والتى هيات بهذا ان يصل متوسط المستثمر السنوى الى ١٩٪ من الدخل القومى .. انه بدون هذا الاستثمار لما تحقق ذلك المعدل للنمو ، وبدون الخطوة الاشتراكية الكبرى وتكوين القطاع العام ما كان ممكنا هذا الاستثمار .

وقد وفى المناضل عبد الناصر هذا الجهد حق قدره حين وصفه في خطابه لمجلس الامة في دورته الحالية بانه « جهد عظيم » .. ولكنه اضاف «ولقد كان يمكن ان يكون اوفر ، وان تكون نتائجه اوفر . ومع ذلك فانه باى مقياس عالمى جهد مشرف ، اكاد اقول انه يشكل نموذجا فريدا في العالم النامى كله» .

.. ولكن هناك قصور

نعم جهد مشرف ، ولكنه يمكن ان يكون اكبر .. ان هذا الجهد المشرف ليس يعنى مطلقا ان العمل في داخل القطاع العام قد سار خلال العام لا تشوبه نقائص . فلقد تعددت المظاهر على قصور في بعض النواحي وتكررت بشكل اثار الكثير من التساؤلات .

لقد اختفى الكبريت من الاسواق فترة ، وقيل ان المتلاعبين هم السبب ، وان اختزانه هو اصل الازمة ، ولكن ظهر كذلك ان كان هناك نقص في مخزون الخشب اللازم للتصنيع . وهو مثال يدل على سوء التخطيط حين لا تستوفى احتياجات معينة تضمن استمرار وانتظام الانتاج .

وتكرر هذا المثال كذلك في **الصابون** ، وفي **الكوبات** وفي **اطارات السيارات** ، وفي **ورق الصحف** وغيرها من السلع .

وجاء اول العام الدراسي ، وكانت **ازمة الكراريس** مع ان الورق موجود والمطابع موجودة ، ولكنه سوء تخطيط الاداء الذى وصل الى الا تطبع الكراريس الا بعد افتتاح المدارس .

واثير امر مصانع توقفت او ماكينات تعطلت .. واشار الكثيرون الى مشاكل عدم توفر النقد اللازم لشرائها . وحقيقة ان ضغط الاستهلاك قد اودى بقدر كبير من حصيلة العملة الاجنبية المتاحة .

ولكن اتضحت كذلك امثلة ايجابية بناءة حين تغلب الكثيرون على المشكلة بتصنيع الكثير من القطع محليا ، كما اتضحت امثلة سلبية اختفت وراء تسجيل هذا النقص فى عدد من المكاتبات تأمن بهذا شر السؤال والحساب ، وضرب البعض أمثلة على العفونة التى تصل الى مستوى التخريب باستمرار اثارة زوبعة نقص النقد ، وحين يتاح استوردوا من ضمن ما استوردوا ما لا لزوم له ولا ضرورة .

أثارت هذه المظاهر وغيرها نقاشا واسعا خلال العام برزت من خلاله نقاط عامة سلطت عليها الاضواء أثيرت :

قضية دور الفنيين فى الانتـــــاج

ومع ان رئيس الجمهورية قد دافع عن ايمان عما تحمله الفنيون من عبء فى السنوات الماضية يفوق طاقة البشر ، الا أن تلك من أهم القضـــايا التى يجب أن تعالج وان يتعمق مفهومها على الدوام .

فعلى اثر دفاع الرئيس عن الفنيين حاول البعض — وفى القيادات العليا بالذات — احتكار هـــذه الصفة لانفسهم ، وذهب الامر بمسئولين الى ان يقولوا أن هؤلاء بالذات ، وهؤلاء وحدهم هم ثروة البلد التى لا يجوز بها المساس . وبالرغم من رأينا فى الكثيرين من هذه الشريحة بالذات ، بالرغم من الواقع الذى لا ينكر ان الكثير قد صار هناك فى موقع القيادة لا لشىء الا لان عامل السن ونظام الترقى والدرجات قد وصل بهم الى هناك ، وان البعض لا يعيشون الثورة بوجدانهم وعقولهم لان كيـــانهم الذهنى قد تكون فى غير وقت الثورة ، وان الخبرة المزعومة لدى البعض الاخر هى خبرة تحـــويل الاوراق ، وخبرة متاهات الروتين ، وخبرة « من خاف سلم » الا انه يجدر بنا ان نناقش ما المطلوب من الفنى فى عصر الثورة حتى يستطيع كائن من كان ان يلصق بنفسه هذا الشرف .

من هم الفنيون؟ هل هم المهندسون او الكيميائيون الذين يقفون الى جوار الماكينات والالات فحسب ؟ أم هل هم الجامعيون بما وراءهم من ثقافة علمية حصلوها على مدى السنوات ؟ وهل يقتصر ذلك الوصف على من يعملون من هؤلاء وغيرهم بصورة مباشرة فى الانتاج أم ينصرف الى جميع العاملين سواء بين ضجيج الالات او فى اعمال تهيىء للانتاج سيره السليم سواء وصولا بمستلزماته اليه ، أو ايصالا له الى حيث يستخدم ؟ .

ان الفنيين فى اعتقادنا ليسوا طائفة ، ولا فئـــة ولا مجموعة وليسوا تخصصا بذاته ، ولا مهنـــة بذاتها . انهم فى اعتقادنا كل من وصل فى العمـــل الى مستوى رئاسى ايا كان وضعه ســـواء على مجموعة من العاملين قد لا تزيد على أصابع اليدين او على قطاع بأكمله .

ولسنا نوسع حلقة التعريف لمجرد ان نكسبهم شرف اللقب او الصفة ، ولكن لاعتقادنا برسالة واحدة مشتركة لهم جميعا على اى مستوى كانوا .

لقد حرص الاستعمار يوم كان يلى امورنا — وورثنا منه وما زالت آثار الوراثة بارزة حتى اليوم — على ان تحدد مهمة رئيس العمل فى أى مستوى كان ، أن يكون اداة تنفذ لا عقلا يفكر . وكان ذلك ولا شك من مصلحته حتى يضمن ان تسير الامور حسب ما يريد المستشار الانجليزى فى الوزارة أو مثيله فى الصناعة ، وان تظل مقاليد الامور بيده . ولكننا اليوم نعيش ثورة ، والثورة تعنى التغيير ، والثورى من لديه ارادة التغيير ، ليس التغيير ايا كان ، وانما هو التغيير المدروس الهادف الى وضع افضل جديد . وكل من هو فى مستوى رئاسى ليس مطالبا اليوم بأن يسير عمله فحسب ، ولكن مطالبا بأن يكون مجرد «سائق» للعاملين من تحته ، او ان ينفذ ما توارث وضع العمل عليه ، بل ان يجدد فيه وان يبتكر ، وان يضيف فيه شيئا جديدا يحسن من ادائه ، او يخفض من تكلفته ، او يزين من نوعه ، ان معنى الوجود فى مستوى رئاسى قدر من الخبرة اتاحت الوصول الى ذلك المستوى . والخبرة تصبح راسبا متجمدا اذا لم تأت بجديد .

ومن هنا يصبح هؤلاء فى اعتقادنا فنيين ، وان فعلوا هذا صاروا كذلك ثوريين . ان الدور الرئيسى اليوم هو الابتكار ، هو التجديد ، هو التطوير ، وليس دون هذا ما يمكن ان نقبل من الفنيين ، وليس بغير هذا لاحد الحق ان يطلب شرف هذا اللقب .

والتعريف بهذه الصورة ينصرف الى عشرات الالوف فى عملياتنا الانتاجيـــة ، ولا ينحصر على مجموعة ما او مستوى ما .

وتصبح قضية الانتاج ودفعه الى الامام ، وقضية التطوير بما تعنى من استغلال كل الامكانيات ، ورفع الكفاية هى فى جوهرها قضية جذب هؤلاء جميعا الى الاسهام فيها . وهنا يكاد يجف القلم ان عددنا المصاعب امام هؤلاء حتى يندفعوا ، وحتى يقدموا كل ما يمكن ان يقدموه . وهنا تبرز حاجتنا



الماسة والملحة الى القيادة الثورية الواعيـة التى تدفع بهذه القوى الى جانب الابتكار والتطوير لاتلك التى تمارس أحيانا الكبت عليها أو اساءة الفهم ، الى القيادة التى تدفع بهؤلاء الى مكان الصدارة جزاء وفاقا على ما تقدم ، لا تلك التى تستبيح أن تنسب لنفسها جهد الاخرين ، الى آخر تلك المشاكل التى يعانى منها جيل الثوار . وان كانوا صغار السن نوعا ما ».

قضية الاسراف

وارتفع بها الرئيس فى حديثه للهيئة البرلمانية بهذه القضية ، كما ارتفع بها الميثاق من قبل الى ما فوق المستوى الدارج من ان ننظر للاسراف فى صورة عدد السيارات فى وحدة الانتاج او عدد السجاجيد فى المكاتب وما الى ذلك من ظواهر . قد تعنى مظهرا للاسراف ولكنها لا تعنى جوهره . ارتفعت النظرة فى الحديث عن الاسراف الى ما يتمثل فى استثمار معين يعطل ، او فى انخفاض للانتاجية عما يمكن ان يكون ، أو فى عدم استغلال طاقات بشرية متاحة .

انه اسراف أن تختزن احدى الوحدات من المواد ما يكفيها عاما او عامين ، واحيانا ثلاثة ، انه حبس لرأسمال كان يمكن ان يؤدى دوره الانتاجى حتى يحين الموعد الفعلى للاحتياج له ».

وانه اسراف كذلك أن نتقاعس عن تطوير وسائل الانتاج بحجة أن ذلك قد يعني توفير قدر من العمالة، ونلبس هذا ثوب الاشتراكية بأن يدعى البعض أنهم يشاركون فى تحقيق هدف العمالة الكاملة . انه اسراف لاننا نحبس هنا طاقة بشرية كان يمكن أن تستغل منتجة فى مجال آخر ، او فى جديد آخر فى نفس المجال .

وانه اسراف ان نقيم منشأة انتاجية ونديرها للانتاج وردية واحدة وليس ثلاث . وانه لاسراف الا نخطط لها متكافئة فى جميع اجزائها فيتعطل بعضها ليسير بجهد أضعف الاجزاء ».

ولقد اتيح لنا يوما أن نجرى مقارنة بين انتاجية المنشآت وانتاجية الافراد فى المجتمع الصناعى على اطلاقه ، وهالنا ما وجدنا من مفارقات . ونورد هنا صورة تلك المقارنة فى **الجدول رقم (٣)**

لقد اخترنا ان نقارن بين المنشآت المتماثلة من زاوية حجم العماله بها ، وحصرنا الانتاج حسب عدد الورديات التى تعملها تلك المنشآت ، ثم بالقسمة على المتوسط التقديرى للعدد فى كل حجم حصلنا على انتاجية العمل ، ولعله ملفت للنظر انه فى داخل الحجم الواحد يتزايد كل من انتاجية المنشـأة وانتاجية العامل يتزايد عـدد الورديات العاملة . ولعلنا نرى عندئذ كم من طاقتنا يعطل ومن قدرتنا تضيع حين تعمل المنشآت عددا قليلا من الورديات ».

هذا ويمكن بعملية حسابية بسيطة أن نصل الى ان التشغيل الكامل لكل هذه الوحدات — وهو ما قد يعنى حاجة لبعض الاستثمار البسيط — سيزيد الانتاج منها بما لا يقل عن ١٦٪ وهو ما يكافىء عامين من جهد التنمية .

وقد تبدو صـورة اخـرى للاسراف فى قوانا البشرية ورؤوس اموالنا المستقلة من المقارنة

جدول رقم (٣)
متوسط الانتاجية للمنشأة وللعامل مع الحجم وعدد الورديات

عدد الورديات	الحجم حسب عدد العمال: ١٠ — ٤٩		٥٠ — ٩٩		١٠٠ — ٤٩٩		فوق ٥٠٠	
	أ	ب	أ	ب	أ	ب	أ	ب
وردية واحدة	٢٥	٨٤٧	٨٥	١١٤١	٢٣٣	٧٧٨	٨٢٦	٥٥١
ورديتان	٤٤	١٤٩١	١١٨	١٥٨٤	٣١٠	١٠٣٥	٨٤٩٤	٥٦٦٣
ثلاث ورديات	٧٨	٢٦٤٤	٣٢٨	٤٤٠٣	٣٥١	١١٧٢	٢٦٦١	١٧٧٤

الموضحـة فى الجـدول رقم (٤) التى اتيح لنا اداؤها منذ عدد من السنوات حيث تنخفض انتاجية الفرد وعائد راس المال المستغل كلما ارتفع حجم المنشآت على غير ما يتوقع المرء وعلى غير المعروف فى الصناعة عاليا . ان من المفروض ان المنشئات الكبرى تتميز بالميكنة العالية ، وبالتالى ارتفاع انتاجية الفرد ، ولكنا نشاهد عكس هذا حين ترتفع احجام المنشئات . وقد يعود سبب هذا الى تضخم الاجهـزة الادارية فوق التصـور او الى عـدم الاستغلال الكامل للطاقات او الى استمرار الايمان بنظرية الاحتياطيات المالية الضخمة فى وقت تمثل الصناطة الاشتراكية المترابطة اقوى احتياطى لكل شركة من الشركات .

ان مظاهر كهـذه هى الاسراف الفعلى ويجب ان يوجه للحد منها الكثير من الجهد الـكافى من البحث حتى تزول تماما فى هذا الوقت الذي نحن احوج ما نكون فيه الى عائد كل قرش مستثمر والى جهد كل انسان منتج .

قضية التخطيط

وتكررت اثارة هذه القضية كلما حدثت ازمة فى سلعة من السلع . وحاول بعض المسئولين تبريرها وتعداد اسبابها ، كان رد الرجل العادى على الدوام نقدا لما يقال على انه سـوء تخطيط وربما بلغ الترديد على المستوى الشعبى لمشكلة التخطيط مداه وقت ازمة الكراريس حين تكشف للناس وجود كل ما يلزم حتى لا تكون تلك الازمة ، ومع ذلك بلغت ما بلغته من حدة واثرت على كل منزل لدرجة ان يجعلها رئيس الوزراء وقتها احد اهتماماته الاساسية ان لم يكن اهمها .

واثارها مؤتمر الانتاج وركز عليها الاضواء حين لمسها فى العديد من توصياته ورأى ضرورة اجراء مناقشة مستمرة للخطة راسيا على مختلف المستويات بغرض كفالة التوازن بين الاهـداف المطلوبة والامكانات المتاحة وتذليـل الصعوبات والعقبات التى تعترض التنفيذ ، وضرورة تحديد اولويات معينة للاستهلاك ، وتنسيق معدلات الانتاج المحلى لكل سلعة ومسـتلزمات الانتاج اللازمة له ، وضرورة دراسة احتياجات قطاعات الانتاج من قطع الغيار ووضع سياسة واضحة لاستيرادها وتخزينها وتوزيعهـا . وانعكسـت النظرة الى ضرورة التخطيط الشامل المتكامل فى عديد اخر من مناقشاته وتوصياته بالنسبة لسياسة التعليم والتنسيق بين القطاعات وتنمية الصادرات .

وتعدى ذلك الى مبدا هام من مبادىء التخطيط حين دعا مؤتمر الانتاج الى الاخذ بمبدا التخطيط الحركى بحيث يعاد النظر فى الخطة بعد اقرارها فى نهاية كل سنة لاحقة لاقرارها لتراجع الافتراحات التى بنيت عليها فى السنوات المتبقية وتضاف اليها سنة اضافية .

والواقع ان اثارة قضية التخطيط على هـذا المجال الواسع هى احـد الظواهر الصحيحة فى خططنا الحالية ، ويرجع ذلك الى ما عبر عنه الرئيس فى خطابه لمجلس الامة (خطاب ديسمبر ١٩٦٥) من انه قد « كانت هناك ظـروف تدعـونا الى وضعها فى الاعتبار ونحن نحسب حساب القصور فى منجزاتنا الفعلية عما كانت تتطلبه خططنا » ،

جدول رقم (٤)

بعض المعدلات للصناعة بوجه عام
مقارنة بين الاحجام

البيـــان	الحجم حسب عـدد العمـال — عامـل ١٠–٤٩	٢٠–٩٩	١٠٠–٤٩٩	فوق ٥٠٠
انتاجيـة الفرد بالجنيـه	١٤١٠	١٧٧٠	١٢٩٠	١٤٥٠
عائد راس المال (للجنيه)	٢٢ر٧	٨٥ر٧	١ر٣	٧٧ر١
القيمة المضافة / راس المال	٠٦ر١	٩٥ر١	٠٧ر١	٥١ر٠
القيمة المضافة / الانتـاج	١٥ر٠	٠٤ر٠٠	٣٥ر٠	٢٩ر٠
راس المال / عامل بالجنيه	٢٠٠	٣٧٠	٤٢٠	٨٢٠



وكان اول هذه الظروف ان تلك « كانت اول تجربة لنا فى التخطيط الشامل المنظم » .

ولانها كانت اول تجربة لنا فى التخطيط فان مفهومها ومستلزماتها لم تتعمق بعد فى اذهان مستويات العمل القومى المختلفة ، وانعكس ذلك فى نظرتنا للتخطيط على انه « عملية » ، مجرد عملية ، اى بالتالى موقوتة ، تحل علينا فترة من الزمن ، وليس اسلوب عمل وطريقة اداء بمعنى صفة مستمرة وملازمة للعمل . فى كثير من الاحيان كان المفهوم ان التخطيط هو وضع خطة ، وان وضع الخطة هو تجميع لعدد من المشروعات ، وان — المشروعات انطلاقات من كل وحدة احيانا يكون الهدف منه تكبير لمجرد التكبير ، واحيانا تقليد لشىء شاهده البعض فى الخارج .. وتكون النتيجة اعداد ضخمة من المشروعات وكبيرة ولكن تنقصها كثير من الدراسات التى تنسق فيما بينها وتربطها فى مجموعة واحدة ، والتى تضمن للمشروع مستلزماته منذ ساعة ينشأ ، وقواه الفنية التى تديره ، ومسالكه الى مناحى الاستهلاك .

وحقيقة تم ادراك هذا النقص ، وكانت محاولات لنشر الفكر التخطيطى ، ولكن الهدف يجب الا يكون نشر الفكر فحسب — ومهما بذلنا من الوقت ومن جهد — بل ان يمارس التخطيط على جميع المستويات ابتداء من العنبر الوحيد فى وحدة انتاجية او للخدمات الى المستوى القومى كله .

ان التخطيط والاشتراكية صنوان لا يفترقان ، ولن تتحقق الثانية بنجاح الا اذا صار اسلوب العمل لجميع مستويات الاعمال ، مخططا ، بمعنى مدروسة امكانياته ومعروفة اهدافه ومحددة وسائل تنفيذه ، ومحاطا بكل ضمانات نجاحه ، ومتابع تطوره يوما وراء الاخر .

مشكلة العلاقات بين أجهزة الادارة وتشكيلات العاملين

ولقد أثيرت هذه المشكلة على عدد من الصور . تابعتها الصحافة عموما بالبحث اول العام عن مدى التعاون او التناقض بين وجود ممثلى العاملين فى مجالس الادارة واللجان النقابية ولجان الوحدات الاساسية . وعادت خطابات الرئيس لتلقى توجيها الى العاملين وهيئاتهم بأننا ندخل مرحلة لدفع جميع القوى للانتاج وليست مرحلة مطالب اقتصادية ، بعد ان تحقق للعاملين فوق ما كان يتوقع المتفائلون . واثيرت مرة اخرى فى مؤتمر الانتاج حيث نادى البعض بضرورة تمثيل الاتحاد الاشتراكى فى مجالس الادارة ، واصدر المؤتمر توصية بأن تداوم اللجان النقابية حملات التوعية بين العاملين ، وعولج الامر بصراحة فى خطاب لرئيس الوزراء حيث نعى الاتجاهات الى التمارض والغياب دون سبب ، وغيرها من ظواهر التكاسل الخطيرة ان توجد فى المجتمع العمالى .

وفى اعتقادنا ان تلك المشكلة من اخطر المشاكل على عملية التنمية وفى نفس الوقت من الزمها للحل ، اننا لا نستطيع مطلقا ان نقول ان رواسب الادارة الراسمالية قد زالت من نفوس العاملين او من نفوس المديرين ، وان تقاليد الادارة بأسلوب ما قبل الثورة الاجتماعية قد انتهت وحلت محلها ادارة ثورية تعالج مشاكل الانتاج ومشاكل العلاقات الانسانية بين العاملين باسلوب ثورى . ولا نستطيع مطلقا ان نقول ان الدفعات الاشتراكية الضخمة والمكاسب الاقتصادية الكبيرة قد لاقت او تواجد معها وعى كامل بمضمون اشتراكى فى الواجبات . ولا نستطيع انقول ان جميع القيادات بين جماهير العاملين سياسية كانت او غير سياسية بلغت درجة النضج الكافية لتقود قواها فى نسيج يلتحم مع الادارة فى معركة الانتاج .

ذلك جميعا حق وواقع ، ولكنه حق وواقع كذلك ان نؤكد أنه لا نجاح لمعركة الانتاج القادمة الا اذا ضمت لها جميع القوى واستجابت لهذا الضم ، الا اذا جعلنا موضوع الانتاج وتقدمه وحمايته وتحقيق كل الجو الملائم له شغل المجاميع الشاغل . وانها لحقيقة وواقع كذلك ان جماهيرنا العاملة حين تتوفر لها القيادة السليمة وحين يتوفر لديها الوعى الكامل ، وحين نضع الحقائق امامها ونطالبها بالحل تستجيب دائما باكثر مما نتوقع .

ان الامثلة تتكرر بالعشرات كل يوم من اندفاع العاملين فى العديد من الجهات الى الابتكار والى التطوع فى الانشاء ، والى الاستجابة الثورية .

ولكن ذلك كله رهن بأمرين لا ثالث لهما ، قيادة ثورية ووعى ينتشر ، قيادة ثورية فى جميع المجالات سواء شعبية او فى مستوى قيادة الاعمال ، وليست مشتتة بل مترابطة تنهل من مركز واحد للتوجيه السياسى ، وتباشر التوعية بالنشر المستمر فى المصانع والجامعات والحقول والمنتديات وحيثما تتجمع الجماهير . والقيادة بهذه الصفة لن تكون

الا تنظيما سياسيا قادرا ملتحما مع الجماهير فى معيشتها اليومية ومشاكلها .

ان تنظيما كهذا هو الوحيد القادر على الدفع فى اتجاه تخطى بقايا الهوة ، التى اوجدتها رواسب اجيال من طريقة للحكم سابقة ، بين العاملين وقياداتهم العملية ، ويوقف أى انحراف من أى ناحية جاء عن ان يستمر ويتضخم ، ويحقق لنا النسيج الملتحم من جميع مستويات عملية الانتاج .

انه من الممكن ان تقدم فى هذا الشأن عديد من الاقتراحات ، بعضها يغرق فى يمينيته بأن يطلب اطلاق يد الادارات ، وهو ما ينافى الديمقراطيسة التى يجب ان نعيشها ، وبعضها قد يشتط يسارا بأن يظل يطلب المزيد قبل ان ندعم هذا بالوعى الجديد ، ولكن وسط عديد الاقتراحات يجب ان نجد دائما الطريق الذى يمسك بالامور من جذورها ويتلاءم فى الوقت نفسه مع ظروفنا .

ان حل هذا التناقض لن يتم الا باسلوب سياسى من طريق تكوين وتدعيم تنظيم سياسى قادر .

ويرتبط بما بسطناه من توعية الجماهير العاملة وتدعيم التنظيم السياسى فيما بينها معالجة الطرف الاخر للمشكلة ، طرف قيادات القطاع العام . ولم تكن تلك مما يمكن ان يغيب عن الاذهان . وقد عبر عنها رئيس الوزراء فى حديثه لمؤتمر الانتاج حين قال ان القطاع العام « ... يحتاج الى قيادات قوية وجريئة تتحمل مسئولية العمل الوطنى ، وتتميز بالخلق المتين والاخلاص العميق، والغيرة ، والايمان بمستقبل هذا الوطن ... » .

والواقع انها مشكلة لها اهميتها الكبيرة ، فانه يكاد يكون من المستحيل الانتصار مهما جهزت جيشا كامل العدة والعتاد ، وأسلحته حتى الانياب — كما يقال — دون ان تكون له القيادة الواعية بهدفه وعيا كاملا والقادرة على تحريك قواته ، والاستفادة بامكانيات كل منها .

هذا ولا بد ان تختلف قيادة الانتاج فى مجتمع رأسمالى عنها فى مجتمع يتجه نحو الاشتراكية تختلف القيادة حيث الدافع الوحيد هو الربح الاستغلالى ، وحيث مقياس النجاح الوحيد هو نصيب المولين ، حتى وان كان التقدم على حساب وحدات انتاجية اخرى ، وحيث لا يرتبط التقدم بخطة عامة واقتصاد موجه واهداف سياسية واجتماعية محددة .

انه ليس يكفى ان تعرف كيف تطلق النار ، ولكن يلزم تماما ان تعرف فى أى اتجاه يجب ان تطلق . ان قيادة القطاع العام يجب أن تتميز الان بالقدرة فى الناحيتين ، وليس يكفى مطلقا احدهما فحسب .

والامر هنا ليس عسيرا ولكنه صعب . فان معركة تخليص الشعب من القيادات — السياسية القديمة ، وعدم وضوح الرؤية كاملة فى مراحل تطورنا الاخير ، وحداثة عهدنا بالاشتراكية ، كل ذلك لم يساعد على ان تتبلور لدينا وفى جميع المجالات القيادات المتخصصة من ناحية ، والواعية سياسيا من ناحية اخرى حتى تستطيع بالفعل ان تقود وفى الاتجاه السليم .

وفى اعتقادنا ان ارساء السير بالثورة الانتاجية، وتأكيد ذلك فى هذه الزاوية بالذات لا يمكن ان يتم الا بذات الاسلوب الثورى الذى جربته الثورة وادى الى نجاح كبير . ذلك يوم ان طرحت — حيثما استلزم الامر — القيادات المتعفنة جانبا ، واناطت بالمسئولية جيلا من الثوار اثبت بالوقت — حتى مع بعض ضعف الخبرة اول الامر — القدرة على ان يدفع بالامور فى كثير من النواحى والاتجاهات . ولن ينال من هذا ان ظهر من بين هؤلاء بعض الانتهازيين او المنحرفين ، فالعبرة بالنتيجة على مدى الجبهة واتساعها ، ولن يقلل من واقع نجاح هؤلاء بعض اشواك فى الطريق . انه قد تكون حتى الان محصول واسع من الفكر الثورى . وتسمع فى الكثير من الاحيان ، ومن العديد من هذه القيادات ما تكاد تظن بعده ان ليس بيننا وبين النجاح الكامل الا القليل .

ولكن اكثر ما نحتاجه اليوم ليس من يقول او يستطيع ان يقول ، بل من يمكنه بالفعل ان يحول الاقوال الى حقائق ، وان يحيل البذور الى ثمار .

الى انطلاق جديد

والخلاصة مما سبق أن عام ١٩٦٥ وما دار فيه من نقاش واسع حول الانتاج قد أوضح الكثير من معالم الطريق الى انطلاق جديد يتيح عند التمسك به ان نحقق للانتاج الارتفاع الى المستوى الذى يحقق بصدق القاعدة الصناعية القوية . ولكن دوننا وهذا عدد من الاعتبارات التى بدونها لن يكون ذلك ممكنا ولن يصبح متاحا .



● علينا ان ندعم بادىء ذى بدء فى عملنا **اسلوب التخطيط الشامل ،** الذى ينسق بين المطلوب تحقيقه والامكانيات المتاحة له ، يحقق السير المطرد السليم ويتفادى ويمنع الاختناقات ، يوضح فى مشروعاتنا أين الاهم ثم المهم . تخطيط شامل ليس للمشروعات فحسب بل لخطط التنفيذ والانشاء ، وعمليات الاداء ذاتها ، حتى يصبح فى النهاية ليس « عملية » فحسب بل اسلوب عمل يملأ على الاشخاص فكرهم ، ويرسب فى نفوسهم حتى ينعكس فى ابسط أعمالهم . ان تكوين ونشر اجهزة التخطيط والمتابعة ودعمها باسلوب العمل السليم ثم بالاشخاص القادرة يجب ان يكون موضوع الساعة اذا ما اردنا اشرافا دقيقا على العمل يتيح مقابلة الازمات بوضوح حين تنشأ ، ويتيح ان نتجه فى حلها سبيل أقل الاضرار ، وحسم الداء قبل ان يستفحل .

● ويلى ذلك ان نقضي قضاء تاما على الكثير من **مظاهر الرجعية الفكرية فى عملية الانتاج .** تلك التى تنعكس فى التلقائية والارتجال كبديل للتخطيط المدروس ، وتنعكس فى الاغراق فى العمل المكتبى والروتينى بدلا من المارسة الحية لمشاكل العمل، وتبدو فى الاعتماد كل الاعتماد على الاستيراد سواء كان للمعدات او الخامات او الافكار ، بدلا من بذل الجهد الذاتى والدفع فى اتجاه التطوير والابتكار . الرجعية الفكرية التى تقف جهودها عند النقل والمحاكاة لما رأت او ماسمعت عند الاخرين بدلا من أن يكون لها الوجود الذاتى المستقل الذى يبدأ من خبرات الاخرين ثم ينطلق الى الافاق . تلك الرجعية الفكرية التى لا ترى فى ابناء شعبنا من بنوا الهرم منذ الاف السنين ، وحفروا القناة منذ عشراتها ، ويقيمون السد العالى فى حاضرها ، بل هى من الافكار او على الاقل السهو عن قدراتنا، حتى تكاد من هذا لا تفيق .

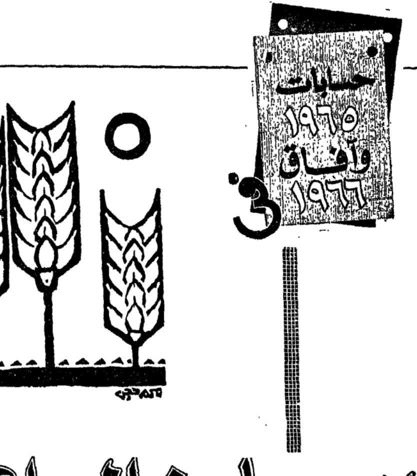
● ويتبع ذلك **استغلال كامل لكل القدرات المتاحة ،** ومتابعة هذا الاستغلال فى كل وقت وآن ، حتى نرفع الكفاية الانتاجية لما هو قائم الى اقصى ما يستطيع ، وحتى ينمحى من حقلنا الانتاجي تلك الظواهر التى تتعارض مع كل المعرفة العلمية عن تركيز الانتاج ومركزه رأس المال وآثارها الاقتصادية . حتى تنتهى تماما مظاهر الاسراف الشديد فى استخدام القوى البشرية ، والمعدات والالات ورأس المال المستغل . ان كل « شيء » قائم اليوم فى بلادنا يمثل ثروة قومية . والثروة القومية لابد ان تأتى بعائد . وليس يفيدنا اليوم ان نقيم مشروعا جديدا على انقاض القديم لمجرد ان الجديد يمثل ربحية (بالمفهوم الراسمالى) اكبر ، اذا كان معنى ذلك ان ندفن القديم ونلغيه كثروة قومية قائمة . ان الموازنة بين هذا وذاك من وجهة النظر القومية هى الفيصل ، وليس مجرد الربحية او الجدة فحسب .

● وهذا كله لن يتأتى الا اذا امكننا ان نحقق **جذب جميع القوى العاملة** الى المشاركة الواعية فى الانتاج ، من أعلى العملية الانتاجية بخلق القيادات المتخصصة فنيا والواعية سياسيا ، ومن اسفل بتأكيد التنظيم السياسى الذى يقود الجماهير هذه الوجهة ، وينسق بين مطالبها ومطالب الانتاج، ويساعد على تخطى الهوة التى اوجدتها الرواسب الرأسمالية بين قيادة الانتاج وقاعدته ، ويعمق مفهوم الاشتراكية بين الفئات العاملة كهدف لحمته وسداه ان ننال الحق بعد ان نؤدى الواجب ، وان ليس لامرىء الا ما قدمت يداه .

نقول قيادة واعية وجمهور منظم يتيح ان يرتبط العمل السياسى بالعمل الانتاجى ولا يستمر الانفصال بينهما ، ويهيء ان تناقش خططنا العامة والخاصة على جميع المستويات الراسية لتكون فى النهاية اهدافا محددة فى كل مجال يراها العاملون ممكنة التحقيق وجزءا من العجلة الكبرى ويتنافسون فى تحقيقها .

● واخيرا **اسس جديدة لتقييم الاعمال** تتضمن قياس الانتاج كما وكم زاد ، وهل تحققت الاهداف ام قصر الجهد عنها) وقياس النوعية وكم اقتربنا من او تقدمنا عن المستوى العالمى سعيا الى الخروج بانتاجنا عبر الحدود ، وقياسا آخر هاما كم من القوى المتاحة جذبنا الى حقل الانتاج سواء كانت قوى قائمة معطلة — بشرية او مادية — او قوى ابتكرناها ، او موارد احسنا من استخدامها ، ويأتى بعد ذلك كله فى اعتبارنا الربح فهو لم يعد الهدف الاول بل تراجع الى مابعد ذلك بكثير . ان استبدال مادة مستوردة ببديل محلى يفوق فى اعتقادنا عامل الربح مرات ومرات . فخلق البديل يوجد طلبا عليه ، والطلب يستلزم انتاجا مقابلا ، والانتاج المقابل يعنى استخداما لمورد ، ويعنى عمالة جديدة ، ويعنى خدمات لتلك العمالة ... اى فى المجموع دخل قومي يتجمع من تلك المراحل قد يفوق أضعاف اضعاف اى ربح تنازلنا عنه فى الخطوة الاولى .

نقول اسسا جديدة لتقييم الاعمال ، ولابد ان تكون هذه اشتراكية فى طبيعتها وثورية فى مضمونها،



التعاون الزراعى

سعيد خيال

قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت القرى المصرية كلها تقريبا خالية من الجمعيات التعاونية . فلما دعت الضرورة لتنظيم الاستهلاك فى المواد التموينية الاساسية نتيجة لانقطاع الواردات وتزايد الطلب رئى الاخذ بنظام البطاقات تمكينا لذوى الدخول المحدودة أن يحصلوا على المواد الضرورية بأثمان حددتها الدولة تقل عن الاثمان الحقيقية ، وتحملت هى الفرق . وكانت ترصد له فى الميزانية العامة عدة ملايين تحت بند مقاومة الغلاء .

وتوفيرا لربح التجار ودفعا لجشعهم شجعت الدولة تكوين الجمعيات التعاونية . كانت الظروف ناضجة اذن لقيام الجمعيات . فانتشرت فى صورة جمعيات استهلاكية زراعية وغطت الريف المصرى كله فى مدة قصيرة أثناء الحرب .

ولقد نجح اعيان البلاد واصحاب النفوذ فى السيطرة على الجمعيات وحيازتها حيازة فعلية ، واستعملوها للاثراء غير المشروع .



بداية التطـــوير

لم يتغير هذا الحال كثيرا الا بعد سنوات من العهد الجديد ، عهد الثورة . وجاءت بداية التغيير مرتبطة بقانون الاصلاح الزراعي في مناطق الاصلاح وحدها ، وهى بداية مبكرة .

فقد حرصت الدولة الجديدة على أن تتفادى مضار الانتاج الزراعي الصغير الذى ينتج عن توزيع أراضي الاقطاعيين على المعدمين بحد اقصى خمسة أفدنة للاسرة . ولذلك حتم قانون الاصلاح الزراعى على المنتفعين فى كل قرية أن يكونوا جمعية تعاونية زراعية هم وصغار ملاك القرية الاصليون الذين لا تزيد ملكية الواحد منهم على خمسة أفدنة .

والجديد فى هذا أن هذه الجمعيات اقتصرت على صغار الملاك وبالتالى فان الجمعية العمومية مكونة منهم وكذلك مجلس الادارة المنتخب .

اما الجديد فى وظائف الجمعية وأغراضها فهو الاتساع وتعدد الخدمات التى لم تكن معروفة من قبل . حيث اكد قانون الاصلاح الزراعى ان الاغراض الاساسية للجمعية هى تنظيم زراعة الارض وتسويق المحاصيل وامـــداد الاعضــــاء بالماشية والالات الميكانيكية ومقاومة الافات الزراعية بجانب توفير البذور والتقاوي والاســـمـدة والسلف النقـــدية لاغراض الزراعة» ؛

الجديد اذن حدث فى أمرين : الاول تنظيم الجمعية وادارتها . والثانى الوظيفة والنشاط . وسنتناول كل مسالة منهما على حدة .

فى التنظيـــــم

صدر قانون جديد للتعاون هو القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ الذي الغى القانون القديم الصادر فى سنة ١٩٤٤ وحل محله . وقد ابقى القانون الجديد الجمعيات مفتوحة لكافة المزارعين بصرف النظر عن مقدار الملكية . هو اذن اغفل ما اخذ به قانون الاصلاح الزراعى من قصر العضوية على صغار المزارعين وحسنا فعل . لان هذا القصر يؤدى الى الاضرار بالانتاج الزراعي لكثرة الذين تزيد ملكية الواحد منهم على خمســـة افدنة ولضرورة مد الخدمات التعاونية اليهم .

بعد ذلك صدر قرار جمهورى فى سنة ١٩٦٤ ببيان الشروط الواجب توافرها فى عضو مجلس الادارة ومنها أن يـــكون عضوا عاملا بالاتحـــاد الاشتراكى العربى . كذلك حظر العضــــوية على العمد ومشايخ البلاد ومشايخ الخفراء ووكلائهم .

ونلاحظ أنه قبل صدور القرار الجمهورى سالف الذكر كان القرار الوزارى رقم ٤ لسنة ١٩٦١ ساريا وهو خاص بشروط العضوية لمجلس الادارة .

وقد نص على وجوب الا يقوم به ــ اى بالعضــوية ـــ سبب من أسباب الاعتراض التى يبديها الوزيـــر المختص أو الجهة التى يعينها . ومعنى هذا هو احتفاظ الجهة الادارية المختصة بحق الاعتراض » .

وطبقا لما تقدم فان مجلس ادارة الجمعية حاليا مكون من عشرة اعضاء ثمانية منهم على الاقل من صغار المزارعين المستأجرين او الذين لا تزيد ملكية الواحد منهم عن خمسة افدنة . والاثنان الباقيان اى بنسبة الخمس يجوز أن يكونا ممن تزيد ملكيتهم على ذلك الحد . وقد استخدم حق الاعتراض فى أبعاد الكثيرين من الاستغلاليين والانتهازيين من الترشيح للعضوية .

ونص القرار الوزارى أيضا على تعيين مدير مشرف للجمعية . وهو مهندس زراعى . ويختص بتنفيذ قرارات مجلس ادارة الجمعية واتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة الانتاج الزراعى وضمان حسن سير العمل فى الجمعية وتوزيع العمـــل على الموظفين والعمال والاشتراك فى أعداد الميزانية والحساب الختامى وأعتماد كشوف الحيازة والاشراف على توزيع السلف العينية والنقدية وفائض الربح على الاعضاء وحضور جلسات مجلس الادارة والاشتراك فى المداولات . وغير ذلك مما يعهد به اليه مجلس الادارة أو الجهة الادارية ذات الشأن . وللمدير المشرف وقف تنفيذ اى قرار يصدره مجلس الادارة يكون مخالفا للقانون ، او المبادىء الاساسية للتعاون أو النظام الداخلي للجمعية او القرارات التنظيمية التى تصدر من الجهات التى يفوضها فى ذلك الوزير المختص . أو أى قرار آخر من شأنه عرقلة الانتاج الزراعى أو تعطيل أغراض الجمعية أو تهديد سلامة أموالها .

وعلى المدير المشرف ان يرفع الامر الى المدير المشرف على الجمعية التعاونية الاعلى درجة للفصل فيه على وجه الاستعجال بالتأييد او التعديل أو الالغاء . وترفع قرارات الاعتراض التي يبديها المدير المشرف على أتحاد تعاونى نوعى أو ما فى

حكمه من الجمعيات الى المؤسسة التعاونية الزراعية بحسب الاحوال .

مما سبق بيانه يتضح أن مجالس ادارة الجمعيات لاتزال تكون بالانتخاب العام من قبل الجمعيات العمومية التى تشمل جميع أعضاء الجمعية وهم الفلاحون سكان القرية . كما يتضح ان مجالس الادارات مكونة من صغار المزارعين . وان رجال الادارة قد حرمت عليهم العضوية دفعا للفساد وحماية الفلاحين . وأن المجالس تخضع للادارة واشراف واسع من قبل الجهات المختصة وهى حاليا وزارة الزراعة والمؤسسة التعاونية الزراعية العامة .

وننبه الى أن تعيين المديرين المشرفين لم يشمل كل الجمعيات حتى اليوم . أن تطبيقه ارتبط بتنفيذ الخطة الجديدة ، خطة التنظيم الزراعى والزراعة الموجهة . وسيأتى الحديث عنها .

وننبه أيضا الى أنه لامجال للحديث عن الديموقراطية ونحن فى مرحلة انتقال ولاسيما ان الجمعيات منظمات اقتصادية وليست سياسية . ونظامنا الاقتصادى هو النظام الموجه على الاسس الاشتراكية . ولا تناقض او تعارض بين مجلس الادارة والمدير المعين الذى نعتبره بحق ضمانا لزيادة الانتاج فى ظل التخطيط الشامل وحاميا لجمهور الفلاحين وصغار المزارعين ضد كل انحراف . خاصة ان الطلائع السياسية او الكوادر المنظمة القادرة على النهوض بالمسئولية غير متوفرة فى الريف .

بقى بعد ذلك من مسألة التنظيم أن نبين فى أيجاز الهيكل التعاونى الزراعى العام .

أن الجمعية التعاونية الزراعية فى كل قرية هى الوحدة الاساسية فى الهيكل العام تعلوها الجمعية التعاونية الزراعية المشتركة على نطاق المركز . ثم الجمعية المركزية على نطاق المحافظة . ثم المؤسسة المصرية التعاونية الزراعية العامة . ثم وزارة الزراعة . وكانت الجمعيات قبل ذلك تابعة لوزارة الشئون الاجتماعية حتى صدر القانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦١ الذى رفع اسم وزارة الشئون الاجتماعية واحل محله فى جميع القوانين المنظمة للتعاون عبارة الجهة الادارية المختصة والوزير المختص . وفى سنة ١٩٦٢ صدر القرار الجمهورى رقم ٢٢٩٩ بتحديد الجهة الادارية المختصة والوزير المختص بأنهما المؤسسة المصرية التعاونية الزراعية العامة ، ووزير الزراعة .

والمؤسسة انشئت بالقرار الجمهورى رقم ٢١٣٧ لسنة ١٩٦٠ وتحدد اختصاصها بالتوجيه والاشراف على صندوق موازنة اسعار الاسمدة والهيئة الزراعية المصرية والجمعية التعاونية العامة للاصلاح الزراعى والجمعيات التعاونية الزراعية والاتحادات النوعية الزراعية . وبنك التسليف الزراعى (وهو الان تابع للمؤسسة المصرية العامة للائتمان الزراعى والتعاونى) .

وتتولى المؤسسة الزراعية رسم السياسة العامة للقطاع التعاونى الزراعى وتنميته بتوفير المعونة الفنية والمالية للجمعيات والمؤسسات وتوجيه نشاطها والاشراف عليها بما يكفل لها الاستقرار ولها أن تستعين فى ذلك بالاجهزة الحكومية والتعاونية المختصة وذلك كله وفقا للقانون .

تطور نشاط الجمعيات وأغراضها

ليس من قصدنا فى هذا المقال ان نقدم بحثا قانونيا عن التعاون . ان التتبع الميدانى لبيان الوضع الحالى على الطبيعة هو المقصود . وفى هذا الصدد يستحيل اغفال التشريع كعلامة طريق فى ميدان البحث .

قلنا أن القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ لايزال حتى اليوم هو القانون الاساسى للتعاون . وقد نص هذا القانون فى عبارات عامة وليست على سبيل الحصر على الاغراض الواسعة المنوطة بالجمعية التعاونية الزراعية . ومنها القيام بانتاج السلع الزراعية وتخزينها وتحويلها بالتصنيع بداهة وكذلك بيعها . وامداد الاعضاء عن طريق البيع او الايجار بما يحتاجون اليه من ادوات ميكانيكية وغير ميكانيكية ، واموال نقدية ولوازم عينية كالسماد والبذور والتقاوى والمبيدات . وللجمعية بصفة عامة القيام بجميع الاعمال الداخلة فى نطاق النشاط الزراعى . كما ان لها ان تستأجر الاراضى والمبانى وسائر وسائل الانتاج من الاعضاء وغير الاعضاء .

رعاية الماشية

ونتابع التطور فى الاغراض فنجد انه فى سنة ١٩٥٩ تم أنشاء صندوق التأمين على الماشية لخدمة الجمعيات التعاونية لتربية الماشية .



ثم اتسعت دائرة خدمة الصندوق بحيث صار لأصحاب المواشى من الفلاحين الحق فى التامين والانتفاع بخدماته بشرط الا يقل عدد مواشى الواحد منهم عن خمسة .

واخيرا فى هذه الايام رئى مد خدمات التأمين الى جميع الفلاحين ولو كان الواحد منهم لايملك الا رأسا واحدا من الماشية . بشرط ان يكون عضوا فى الجمعية التعاونية الزراعية ومقيما فى منطقة الجمعية

والماشية التى يجوز التامين عليها عموما طبقا لنصوص أنشاء الصندوق هى فقط البقر والجاموس ويترتب على التأمين رعاية طبية بيطرية كاملة كما يترتب عليه زيادة مقررات العلف والكسب بالنسبة لكل رأس. فضلا عن استحقاق كامل الثمن أو بعضه على حسب الاحوال فى حالة نفوق الماشية المؤمن عليها .

الخدمات الاجتماعية

اصبح للجمعيات بحكم التشريع، رسالة اجتماعية بجانب رسالتها فى خدمة الانتاج . فقد حدد القرار الوزارى رقم ١٠٦ لسنة ١٩٦٢ النسبة التى تستقطع من أرباح الجمعية للخدمات الاجتماعية بعشرين فى المئة من الفائض سنويا . على أن يصرف منه ما يساوى ٥٪ على المكتبة الريفية . وما يساوى ٤٠٪ على المشروعات الاجتماعية بالقرية وما يساوى ١٠٪ منه للجمعية المشتركة التى تنتمى اليها الجمعية . والباقى من هذه الحصيلة للمساعدات والاعانات . فاذا تركنا التشريع الى الواقع الحادث فى الريف ، نجد ان الاغلبية العظمى من الجمعيات لاتؤدى هذه الرسالة الاجتماعية . وأملنا فى المستقبل القريب كبير وخاصة بعد تعيين المديرين المشرفين .

الاشراف على العلاقة التأجيرية

صدر القرار الجمهورى بالقانون رقم ١٧ لسنة ١٩٦٣ باضافة اختصاص جديد للجمعية . وقد صدر هذا القرار تعديلا لبعض أحكام المرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالاصلاح الزراعى .

عدلت المادة ٣٦ منه فأوجبت أن يكون عقد الايجار نقدا او مزارعة ثابتا بالكتابة مهما كانت قيمته .

ثم اضيفت المادة ٣٦ مكررا بانه اذا امتنع احد الطرفين عن توقيع العقد وجب على الطرف الاخر أن يبلغ ذلك الى رئيس مجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية المختصة . وعلى الجمعية ان تتحقق بكل الطرق من قيام العلاقة التأجيرية ، فان ثبت للجمعية قيام هذه العلاقة كلفت الطرف الممتنع بكتاب موصى عليه بعلم الوصول لتحرير العقد . فان لم يذعن قامت الجمعية بكتابة العقد من ثلاث نسخ وسلمت كلا من الطرفين احداها واحتفظت بالثالثة ، ويكون العقد ملزما للطرفين .

واضيفت المادة ٣٦ مكررا (ب) وطبقا لها يجوز لمن يرغب فى تأجير اراضيه نقدا او مزارعة ان يخطر الجمعية التعاونية الزراعية الواقعة فى دائرتها الارض . وتتولى الجمعية تأجيرها لصغار الزراع فى القرية التى تقع فى دائرتها هذه الارض . وفى هذه الحالة يبرم العقد بين المؤجر والمستاجر باشراف الجمعية .

وفى جميع الاحوال يجوز للمؤجرين أن يعهدوا الى الجمعيات بتحصيل الايجار مقابل مصاريف ادارية مقدارها ٦٪ من المبالغ التى تحصلها .

يتبين مما تقدم أمور ثلاثة :

● أن للجمعية ان تحرر عقد الايجار رغما عن الطرف الممتنع . ويكون العقد ملزما له .

ولما كان الملاك هم عادة الممتنعين حتى يبقى المستأجر مهددا بالطرد وبالتالى يبقى خاضعا لاستغلالهم ولا سيما بدفع اجرة تزيد على الحد القانونى وهو سبعة أمثال الضريبة . لما كان ذلك فان قصد الدولة ظاهر فى حماية المستاجر ودفع الجمعية للوقوف بجانبه . لكن الواقع ان الجمعية عادة لاتتحرك فى هذا الاتجاه بسبب نفوذ الملاك وقدرتهم على التأثير فى مجلس الادارة .

● أن للجمعية أن تؤجر — بناء على طلب المؤجرين — أراضيهم لصغار الزراع . **وتحرر فى هذه الحالة عقود الايجار بين المؤجرين والمستاجرين مباشرة تحت اشراف الجمعية .**

● أن للجمعية أن تحصل الايجار لمن يرغب من المؤجرين نظير ٦٪ من المبالغ المحصلة .

نظام الزراعة الموجهة ودور الجمعيات

منذ سنتين قامت الدولة بتخصيص محافظتين لتجربة زراعية جديدة . محافظة فى شمال الدلتا هى كفر الشيخ ومحافظة فى الصعيد هى بنى سويف ونجحت التجربة نجاحا كاملا فاصبحت الخطة الجديدة مقررة التطبيق تدريجا فى جميع المحافظات ولفهم الخطة الجديدة يلزم بيان ما كان سائدا قبلها

كانت الزراعة فى مصر متروكة لاختيار المزارعين فى حدود السياسة الزراعية العامة . وكانت السياسة العامة تقضى بنظام الدورة الثلاثية بحيث لاتتجاوز المساحة المنزرعة قطنا ثلث المساحة التى يحوزها المزارع، فان شاء المزارع الا يزرع القطن فهو حر. اما المساحة المحددة للقمح فهى الثلث ايضا، والثلث الباقى يزرع بالبرسيم او غيره كيفما يرغب المزارع .

قوام السياسة الزراعية اذن كان القدر من الارض الذى يحوزه المزارع ، ووحدة التخطيط كانت حيازة الفرد ، وكانت الزراعات المختلفة تتداخل فى الحوض الواحد .

وزمام القرية مقسم الى احواض من زمن بعيد . ومساحة الحوض تزيد او تقل عن ١٠٠ فدان . ويضم الحوض الواحد عادة العديد من الملكيات الصغيرة، فكنت ترى القطن هنا وبجواره القمح او البرسيم أو غيره . الامر الذى ترتب عليه تبادل الضرر لان الزروعات المختلفة تختلف طبعا فى الخدمة من حيث مواعيد الرى وكمية المياه . ومن حيث ابادة الحشرات والمواد الكيماوية المستعملة . ومن حيث تهيئة الارض بالحرث والعزق والتقصيب . ومن حيث مواعيد النضج والحصاد .. الخ .

وتلافيا لهذا الضرر الذى يؤثر فى المحاصيل وبالتالى فى الاقتصاد القومى لجأت الدولة لتنفيذ **سياسة التجميع الزراعى ، تجميع المحاصيل .**

ومؤدى هذا التجميع أن يزرع القطن فى مساحة متصلة ، فى قطاع بالعرض عادة قدره الثلث من مساحة كل حوض . وتجمع الزراعة الشتوية المختلفة – واهمها القمح والبرسيم وبعدهما الارز والذرة – فى الباقى بحيث لا يتخلل المساحة القطنية فى الحوض الواحد زراعات شتوية ، والعكس صحيح .

قوام سياسة التجميع اذن هو الحوض باكمله وليس ما يحوزه الفرد . الوحدة فى خطة التجميع الزراعى كانت الحوض .

نظام الزراعة الموجهة

اما الزراعه الموجهه التى تنفذها الخطة الجديدة ابتداء من السنة الزراعية الحالية – ١٩٦٥ – ١٩٦٦ – فى خمس محافظات علاوة على محافظتى كفر الشيخ وبنى سويف ، فقد اخذت بتنظيم زراعى جديد . جعلت الدورة الزراعية ثنائية بحيث يزرع القطن وجوبا محتما فى نصف المساحة . والنصف الاخر للزراعات الاخرى .

اية مساحة ؟ ليست هى مساحة ما يحوزه الفرد ولا هى مساحة الحوض الواحد وانما **مساحة القرية كلها . نعم أن وحدة التخطيط فى الزراعة الموجهة هى مساحة القرية بالكامل . زمام القرية جميعه حقل واحد . وجميع الفلاحين ملزمون بتنفيذ الخطة .**

وقد حرصت الحكومة على اجراء التحليل العلمى للتربة لمعرفة أنواع الاسمدة التى تناسبها وقررت مضاعفة كمية الاسمدة الكيماوية المخصصة للفدان كما حرصت على تطهير الترع والمصارف لتؤدى وظيفتها على اكمل وجه .

وابقت الخطة الجديدة طبعا على مجلس ادارة الجمعية المنتخب . لكنها عينت لكل جمعية فى كل قرية مديرا مشرفا هو المهندس الزراعى . كما عينت لها كاتب حسابات من حملة التجارة المتوسطة يمسك دفاتر قانونية منتظمة ويتبع الطرق المحاسبية السليمة ويتولى محاسب قانونى مراجعة حسابات الجمعية سنويا . كما عينت لها امينا للمخازن من حملة الشهادات المتوسطة وعددا من المعاونين الزراعيين

وزودت الجمعية بالالات الميكانيكية الحديثة . جرارات الحرث وماكينات الرى وماكينة الدراس لدرس القمح فأصبحت معظم هذه العمليات لاول مرة ميكانيكية . صحيح ان الماكينات غير كافية فى الوقت الحالى لتغطية كل الاحتياجات . لكن السياسة الحكيمة هى التدرج فى حدود امكانيات الدولة ومسئولياتها العامة .

وتمادت الخطة الجديدة الى توحيد خدمة المزروعات . جرت عمليات البذر والزرع فى وقت واحد . وكذلك تجرى عمليات الرى والتسميد ومقاومة الافات ، كلها فى اوقات حددتها الجهات الفنية المشرفة . فنجت المحاصيل مما كانت تتعرض له نتيجة الزراعة المتأخرة والاهمال فى الرى او المقاومة والتقصير فى التسميد . لقد اصبح الفلاح قويا قادرا بفضل توفير كافة الاحتياجات العينية والنقدية ، وبمساعدة



الماكينات الحديثة وارشاد الفنيين المتخصصين الذين اقاموا فى القرى نفسها .

ثم قامت الجمعيات وفقا للخطة الجديدة بتسويق القطن تعاونيا لحساب الزراع ».

التسويق التعاوني

تولته المؤسسة المصرية التعاونية الزراعية العامة بمعاونة الجمعيات فى القرى ، فتتسلم المؤسسة القطن من المزارعين فى مراكز التسويق المنتشرة فى القرى ، وتدفع الثمن المبدئى فى اليوم التالى للاستلام . ثم يتم فرز القطن وتحدد رتبته ، وعلى اساس الرتبة يتحدد الثمن النهائى الذى يتسلمه الزارع المنتج مخصوما منه الثمن المبدئى الذى استلمه ، كما يتسلم ثمن بذره القطن المستخرجة بالحلج من محصوله . **وتسلم الفلاح ثمن البذرة مسالة لم تكن تحدث على الاطلاق قبل التسويق التعاونى** . ولك ان تقدر اثر هذا على الفلاح .

وكان الفلاح قبل التسويق التعاونى يهمل نظافة قطنه . ما الذى كان يدفعه للحرص على نظافته مادامت نتيجة الفرز لاتعود عليه ؟ لكنه الان يحرص على النظافة حرصا فائقا ويتنافس مع اخوانه فى هذا . لقد تولد الحافز الشخصى . ولايقتصر هذا الحافز على خدمة صاحبه وانما هو يخدم الاقتصاد القومى لان القطن المصدر يباع بأثمان أعلى كلما زادت نظافته وعلت رتبته .

ان نجاح تجربة الزراعة الموجهة جعل الفلاحين يتلهفون على تطبيقها فى انحاء الجمهورية .

واستجابت الدولة بالنسبة لجزء من الخطة هو التسويق التعاونى فعممته فى السنة الماضية ولم تقصره على محصول القطن بل مدته الى البصل والثوم والارز والفول .

كذلك نفذه محافظ البحيرة بالنسبة لمحصول البطاطس كما نفذته محافظة اخرى تنتج القصب .

ان تطبيق خطة الزراعة الموجهة على نطاق الجمهورية كلها مسألة مقررة . لكن الذى اوجب التدرج هو تعذر توفير الاحتياجات اللازمة كلها دفعة واحدة .

بطاقة جديدة للحيازة

استلزم تعدد الخدمات التعاونية لاسيما بعد الاخذ بنظام الزراعة الموجهة اقرار نظام جديد للبطاقة وقد بدا العمل بنظام البطاقات فى سنة ١٩٦٣ لكل حائز فى القرية مالكا أو مستأجرا ، وذلك أحكاما للسياسة الزراعية وتنظيما لعمليات صرف البذور والاسمدة والاعلاف للماشية والمبيدات الحشرية وغيرها ، بعيدا عن احتكار الوسطاء وسوء استغلالهم

ثم رات المؤسسة المصرية للائتمان الزراعى والتعاونى — وهى المؤسسة التى تتبعها الان بنوك التسليف الزراعى فى المحافظات وفروعها فى المراكز — رأت اعداد بطاقه لكل حائز لضبط معاملاته معها

وتقول مراقبة تنظيم الاستغلال الزراعى التابعة لوزارة الزراعة فى منشور تفسيرى للقرار رقم ١٨ لسنة ١٩٦٥ بنظام بطاقات الحيازة الزراعية ابتداء من سنة ١٩٦٥ — ١٩٦٦ الزراعية :

«ونظرا الى اتجاه الدولة الى تعميم نظام الزراعة الموجهة فى جميع المحافظات تدريجا ، كما ان التسويق التعاونى خرج من مرحلة التجربه الى مرحلة التطبيق العام .. كل هذه الاعتبارات اوجبت اعداد بطاقة موحدة تصلح لجميع الاغراض الزراعية وتتمشى مع تطور الانتاج الزراعى وتنظيمه » .

وتشمل البطاقة — ومدتها ٣ سنوات — البيانات التالية : حيازة صاحب البطاقة وتوزيعها وتوزيع المحاصيل فى أرض الحيازة ، وحصر الحيوانات وبيانات تحصينها ضد الاوبئة . مقدار الاعلاف المقررة للماشية وتواريخ تسلمها . البيانات الخاصة بمقاومة الافات . بيان المعاملات النقدية خلال السنة بيان السلف الموسمية من نقود للخدمة الزراعية وثمن الاسمدة والمبيدات . بيان السلف المقسطة من المتأخرات . بيانات الخدمات الزراعية المقدمة للحائز فى السنة وقيمتها . وبيانات الخدمات هذه مقصورة على المحافظات التى طبقت فيها الزراعة الموجهة وكذلك الجمعيات التعاونية التى لديها آلات خدمة كالجرارات وغيرها . ثم بيانات التسويق التعاونى وتوزيع عائد المعاملات سنويا .

ان هذه البطاقة تعطى صورة واقعية دقيقة للخدمات المتنوعة التى تقدم للمزارع سواء أكانت من الحكومة أم من مؤسسات التعاون المختلفة ، وكلها قطاع عام . وتستخرج البطاقة من الجمعية التعاونية فى القرية . وعن طريق الجمعية ومن مخازنها وخزينتها يحصل الفلاح على كافة الخدمات الفنية

حسابات ١٩٦٥ وآفـاق ١٩٦٦ في التعاون الزراعي

والاحتياجات العينية والنقدية . ويمتنع الان قانونا ان يحصل المزارع على شيء من ذلك من طريق آخر غير جمعية قريته .

حقا ان وسائل تحقيق الاشتراكية تختلف من بلد لبلد . ولكل شعب أن يشق طريقه الى النظام الاشتراكي من واقع ظروفه .

ان الاشتراكية علما هي دليل عمل لا أكثر ، اما التطبيق الناجح فيتوقف على حكمة القيادة الثورية . ان خطة الزراعة الموجهة هي أصدق دليل على هذه النظرة فهي تجربة أصيلة ولست أعلم أن دولة سبقتنا اليها لا في الشرق ولا في الغرب . وهذه التجربة تستحق من المثقفين مزيدا من الاهتمام . كما تستحق ان تقدم باسم شعبنا في اعتزاز وتواضع .

ان الزراعة الموجهة انتصار رائع في المجـال الاقتصادي . لقد استطاعت ان تتغلب على مساوىء الملكيات الفردية وأن تقهر التخلف وتدفع بالانتاج الزراعي المصري صعودا الى مصاف الانتاج الكبير ولم يقتصر نجاحها على المجال الاقتصادي ، فلقد حققت **رغم انها لم تكتمل** انتصارات لاتقل عنه في المجال الاجتماعي والسياسي . وعام ١٩٦٦ سيكون عاما حاسما في مجال الزراعة الموجهة : اذ يطبق خلال السنة الزراعية الحالية في سبع محافظات تمهيدا للاخذ به على نطاق الجمهورية بأسرها .

لقد قابلت الرجعية هذه التجربة بأكوام مـن الشائعات : منها ان الملكية الزراعية زالت ، وان الحكومة اقتلعت علامات الحدود الفاصلة بـين الملكيات . وقالوا عن التسويق التعاوني أنه نهب وضياع .

ولم تتردد القيادة الثورية الواثقة بل مضت في التجربة بغير ضجة . فكان نجاحها فصل الخطاب وأدى النجاح الى اشتعال حماس الفلاحين للثورة وقائدها جمال عبد الناصر .

ان الزراعة الموجهة هي ادخال الماكينات الحديثة في الحقل وهي ادخال العلم والتخطيط في القرية . انها ثورة زاحفة تزيح من طريقها والى الابد الافكار والمفاهيم الانانية المتخلفة وتفرش الطريق أمام الفكر الثوري الجديد . واتمنى الا يطول انتظار الفلاحين — في هذا الوقت المناسب — للمثقفين الثوريين !

وبعد فان الاشتراكية كما يقول الميثاق هي كفاية وعدل . كفاية الانتاج وعدالة التوزيع . وعـن العدالة نتكلم بعد أن تحقق نجاح الزراعة الموجهة في زيادة الانتاج ونلفت النظر الى ان العدالة شيء وتصفية الاستغلال شيء آخر ... لقد رأينا مدى ضخامة الخدمات والمساعدات التى تقدم للقطاع الزراعي . **فالارشاد الزراعي والاشراف الفني بلا مقابل . والقروض بغير فوائد** . وقد بلغت في سنة ١٩٦٣ ستين مليونا من الجنيهات . فضلا عما وفره للمزارعين التسويق التعاوني الذى الغى التجارة في المحاصيل الاساسية التى شملها . ونتيجة لهذا كله ارتفعت دخول المزارعين وكثر المال لديهم بشكل لم يسبق له مثيل . وانا اتكلم عن واقع اعرفه وفي ذهني المزارعون العاديون فما بالك بكبارهم .

لهذا أرى — خاصة ونحن نبني الصناعة الثقيلة — أن العدالة توجب أن يتحمل القطاع الزراعي نصيبه ، في شكل فوائد على السلف ورسوم على الخدمات . **على أن تتدرج حسب حجم الحيازة فتكون تصاعدية . وعلى أن يكون الربط علـى اسـاس حيـازة الاسرة** ، واقـول الحيـازة وليس الملكية . لان الملاك ان كانوا يزرعون فهم حائزون . وان كانوا يؤجرون لغيرهم فانهم في هذه الحالة من اصحاب الدخول الثابتة لان الايجار محدد قانونا بسبعة أمثال الضريبة على الاكثر والمستفيد من الخدمات التعاونية هو الزارع المستأجر لاصاحب الارض .

واقول حيازة الاسرة لا حيازة الفرد ، سدا لابواب التحايل بتفريق الحيازة نزولا بها لحـد الاعفـاء والاسرة مكونة من الوالدين والابناء القصر .

واقول بالتدرج والتصاعد في تحديد الرسوم والاثمان والفوائد على السلف لان العدالة المثلى هي العدالة الواقعية . والواقع أن أصحـاب الحيازات الصغيرة أولى بالرعاية كما أن دخل اصحاب الحيازات المتوسطة لايتساوى مع دخل اصحاب الحيازات الكبيرة .

واننا حين نطالب بتحميل القطاع الزراعي نصيبه في الاعباء العامة نظير الخدمات المقدمة له ، أنما نصل في الوقت نفسه الى تطبيق سياسـة ضبط الاستهلاك على المزارعين .

ولنتذكر بهذه المناسبة ان الجمعيات التعاونية معفاة من كافة الضرائب على الارباح التجاريـة والصناعية . معفاة من الرسوم الجمركية المفروضة على ماتستورده من جرارات وآلات زراعية لازمة لنشاطها . معفاة من رسوم الشهر العقاري ورسوم الدمغة على عقودها . كما تتمتع بتخفيض في أجور نقل الالات المستوردة على السكك الحديدية بنسبة ٢٥٪ وتخفيض بنسبة ٥٪ على الاقل من اثمان البذور والاسمدة وغير ذلك من السلع التى تشتريها من مصالح الحكومة او بنـك التسليف لمنفعـة اعضائها شخصيا .



الثقافة والفنون

وحيد النقاش



ليس امرا يسيرا على اى كاتب ، مهما كانت قدرته على الاحاطة ، ان يمسك ميزانا دقيقا ليزن به كل ما قدمه عام ١٩٦٥ الى الناس فى ميادين الثقافة والفنون بكل صورها ، واكاد اقول أنه من الصعب القيام بهذه المهمة دون المغامرة بالوقوع فى مزالق التعميم غير المامونة . ولذلك فانه لابد من ان نقدم تحفظا هاما قبل الشروع فى رصد منجزات العام الماضى الثقافية والفنية ومحاولة تقويمها ، وهذا التحفظ يتعلق باسلوب نظرتنا الى الحركة الثقافية والفنية . اننا نريد ان نرى هذه الحركة فى اطار حياتنا كلها وبالقياس الى حركة المجتمع العامة ، ولا نحب أن ندركها فى ذاتها او لذاتها منفصلة من دفعة الحياة الشاملة لبلادنا . واذا وقفنا هذا الموقع فربما

اضطررنا الى ان نغفل التفاصيل فى مقابل تحديد التيارات التى تخلقها هذه التفاصيل نفسها .وتلك التيارات العامة ليست فى الواقع الا دليلا على مايمكن ان يكون كامنا تحت سطح الحياة الثقافية من افكار تحركها دائما . وسيبقى من قبيل الادعاء ان نحصرها كلها ونضعها واضحة بين ايدينالنعرف بالضبط الى اين تقود فكرنا وثقافتنا فى المستقبل او على الاقل الى اى مدى يمكن ان تلون وتوجه فكرناوثقافتنا خلال العام الحالى .

والواقع ان ثمة ميادين متجاورة او بمعنى اصح تفضى حدودها بعضها الىبعض بشكلتلقائى وبحكم طبيعتها نفسها،ومن الضرورى فى مثل هذا الموقف ان ننظر اليها معا نظرة واحدة .ذلك لانها من حيث تذوق الناس لثمارها و «استهلاكهم» لهـــا تكاد تكون فى مجموعها ميدانا واحدا كبيرا ذا مظاهر متعددة . والمثل الواضح على ذلك هو فنون المسرح والسينما والموسيقى . وهى حتى بحكم وضعها فى المجتمع قد شغلت من جانب الدولة نوعا من الادارة الواحدة .فهى رسميا فنون تتبع جهازا واحدا ، او كانت تتبع جهازا واحدا خلال القسم الاعظم من العام الماضىوقبل ان تتشكل الحكومة الجديدة ويعاد تنظيم وزارة الثقافة حيث بقيت كذلك على حالها من حيثتبعيتها لهذه الوزارة الا انه حتى هذا التنظيم الجديد لم تتح لهالفرصة بعد ــ مننا حيةالزمن على الاقل ــ ان يؤثر تاثيرا ملحوظا على الانتاج الذى يصدر عن هذه الميادين . وعلى هذا الاساس تكون منجزات عام ١٩٦٥ فى قطاع هذه الفنون قد تمت كلها فى ظل تنظيم ادارى معين . والحقيقة التى لايمكن اغفـــالها اليوم هى أن الدولة قد حولت معظم انواع النشاط الفنى الى قطاع عام . وحتى الفنون التى يمكن ان نطلق عليها «فنونا فردية» على نحوما ، وهى الفنون التى تكون عملية الابداع فيها متصلة فى مرحلتها الاولى بذاتية الفنان كالفنون التشكيلية والادب بوجه عام ،قد وجدت هىالاخرى طريقها الى ساحة الرعاية الرسمية من قبل الدولة تحت بند «**نظام التفرغ**» الذى انشأتهوزارة الثقافة منذ سنوات والذى يستطيع الكاتب او الفنان بمقتضاه ان يستظل بحماية الدولة ماديا ومعنويا ليفرغ نهائيا لما يمكن ان يقدمه من انتاج للناس ، دون أن يفرض عليه فى مقابل ذلك اى شروط على نوع هذا الانتاج الا الشروط التى يلزم بها نفسه من البداية . وهو نظام قد استفاد منه الكثيرون من الادباء والفنانين وان كان قد حان الوقت هذا العام بالذات لمعاودة النظر ــ علىضوء التجربة العملية ــ فى طبيعته على اسس جديدة وبنظرة جديدة . وما يفرض هذه النظرة الجديدة الى نظام التفرغ ليس انه نظام اثبت عام ١٩٦٥ انه استنفد اغراضه ، ولكن على العكس تماما ، ان هذا العام قد بلور بشكل واضح عيوبهومزاياه فى جميع الميادين .

وحتى لا تسير الامور معنا بغير نظام علينا منذ الان ان نحدد الميادين التى سنطوف بها . ولعله من المفيد على نحو ما ان نقسم هذه الميادينبحسب طبيعة علاقة الجمهور بها ، فالادب وفنونه عموما تصل الى الناس عن طريق **القراءة** ، والمسرح والسينما والموسيقى يعرفها الناس عن طريـــق **العرض والسماع** ، اما الفنون التشكيلية بمختلف صورها فإن الناس يذهبون لرؤيتها بداهـــة فى **المعارض والمتاحف** . ولابد هنا من الاشارة الى ملاحظة هامة عن علاقة الدولة بتلك الفنون جميعها وطبيعة هذه العلاقة اليوم ، فاجهزتها الرسمية قد تدخلت بدرجات متفاوتة لتنظيم الانتاج فى ميدان الثقافة والفن ، ولكن تدخلها اقتصر الى حد بعيد على العمليات الاقتصادية اى التمويل والتجارة ، ولكن هذا التدخل لم يذهب بعيدا الى صميم حرية الفنان الخالق وتوجيه نوع الابداعالذى يقوم به . صحيح ان هناك ايحاءات غير مباشرة موجهة الى كل فنان او اديب او مفكر بان يراعى فى انتاجه الالتزام بقضايا المجتمع الذى ينتمى اليه والذى يمر بمرحلة التحـــول الى الاشتراكية بما يستتبعه ذلك من تغيير ارادى لعلاقات القوى القديمة الى علاقات جديدة بناءة تدخل فى حسابها القوة التاريخية لجماهير الشعب العاملة ، وهو تغيير حضارى تقوم به الثورة باجهزتها الادارية النابعة منها وبمساندة وتاييد الجماهير التى نبعت من مصالحها تلك الثورة والتحمت هى بها من خلال تجارب كثيرة اجتماعية وسياسية واقتصادية منذ عام ١٩٥٢ حتى اليوم . غير ان ذلك الايحاء غير المبـــاشر لم يصـــل الى حد التدخل فى اســـلوب الفن او الثقافة نفسه . ويمكن دون مغـــالاة ان نطبق شعار «دع مائة زهرة تتفتح» على علاقة الدولة بالثقافة والفنون فى بلادنا . وقد ادينت الظواهر الضارة والمعوقة فى تلك الميادين اكثر من مرة خلال عام ١٩٦٥ ، وانفتحت معارك فكرية وفنية كثيرة تدخلت فيها اطراف عديدة ، وربما بقيت بعض هذه المعـــارك حتى اليـــوم دون ان تحسم بصورة نهائية ، الا ان خط التطور الصاعد ايضا مازال يواصل فتح الطريق امام نفسه بمنطق فكر اشتراكى غير متجمد يؤثر فى الحياة الجديدة التى تصنعها جماهير شـــعبنا العامل وتتأثر بها فى الوقت نفسه . ولكى نسجل الحقيقة كاملة لابد



من القول بان هذا الخط ينبع من اهداف الثورة الاشتراكية ويتبلور فى قيادتها وتدعمه كل العناصر التقدمية فى المجتمع ولكنه يلقى نوعا من الصعوبات حين يتوغل فى الاجهزة الادارية فى بعض الاحيان . ومن هنا نشبت المناقشات والمعارك الفكرية والثقافية ، والمراجعة لتجارب التطبيق ، وهذا امر لاشك انه طبيعى ومطلوب .

صناعة النشر

وقد كانت اهم معركة فكرية تلك التى اثارها **الدكتور لويس عوض** قبل انتصاف عام ١٩٦٥ حول ما يجرى فعلا فى صناعة النشر وبالنسبة لما تصدره الدولة من مجلات ثقافية وفنية . وقد ناقش الدكتور لويس عوض على صفحات «ملحق الاهرام» طوال ثلاثة اسابيع متصلة هذه التجربه فى التطبيق مناقشة مدعمة بالاحصائيات والارقام . وبنى تلك المناقشة لا على أنكار منه لتدخل الدولة بل على دراسة اخطاء التطبيق بهدف معالجه اضرارها لانه يعتقد ان من اللازم «لكل نظام اشتراكى لكى يحصن نفسه عقائديا ولكى يضطلع فى الوقت نفسه بمسئولية تثقيف الخاصة والملايين معا ان يمتلك من اجهزة النشر مايضمن لهذلك كله ، وهذا معنى امتلاك وزارة الثقافة فى دوله اشتراكية لوسائل النشر والتثقيف والتوجيه والاعلام . ووزارة الثقافة والارشاد القومى تمارس واجباتها ناشرة من خلال جهاز ضخم اسمه مؤسسة التاليف والانباء والنشر له ولاية على مجموعة من اجهزة النشر والتوزيع ثلاثة منها للنشر هى الدار القومية للطباعة والنشر والدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر ودار القلم وواحد للتوزيع هى الدار القومية للتوزيع» . وبناء على هذا الالتزام من جانب الدكتور لويس عوض قدم للراى العام ولاجهزة الدولة نفسها نوعا من التقرير المفصل عن دور النشر التى تملكها الدولة واثرها ونقط الضعف فى انتاجها .

وكذلك على مثل ذلك بالنسبة لمجلات وزارة الثقافة . ونحن نتجاوز قليلا فى وصفنا لهذه الدراسات التى كتبها الدكتور لويس عوض بانها معركة ، لان واقع الامر فيها انها كانت نوعا من النقد الموجه الى التنفيذ ، وقد دافع المسئولون فى هذه الاجهزة عن انفسهم وردوا على الملاحظات التى وجهت الى خطة العمل فيها . الا ان هذا النقد قد اكد حقيقة هامة وهى ان اجهزة التنفيذ لاترقى فوق مستوى المحاسبة امام الراى العام ما دامت تعمل اساسا باسم الاهداف الكبيرة للمجتمع النابعة من مصالح الجماهير ومن تطلعاتها المشروعة لبناء المستقبل .

على هامش الغفران

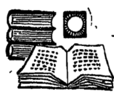
ولكن «المعركة» الحقيقية التى ثارت فى الميدان الادبى خلال هذا العام بداها ايضا الدكتور لويس عوض فى العام الماضى بسلسلة من الدراسات سماها « **على هامش الغفران** » وكانت نوعا من اعاده النظر فى التراث العربى القديم تحت اضواء جديدة ، او بالاصح نوعا من الدراسة المقارنة فى التاثيرات المتبادلة بين الاداب . وقد تركزت تلك الدراسات فى محاولة اعادة تقويم تراث ابى العلاء المعرى على ضوء الثقافة اليونانية مع دراسة لاثره فى الشاعر الايطالى دانتى اليجيرى واعلن الدكتور لويس عوض عن بعض الشواهد الدالة على مصادر ابى العلاء المعرى التى بنى عليها فكرته عن الجنة وهذه المصادر امكنه حصرها فى التراث اليونانى ولاسيما اوديسا هوميروس واعمال لوسيان وهو كاتب فكاهى من اصل سورى عاش فى القرن الاول بعد الميلاد وله كتاب اسمه «محاورات الالهة» به اوصاف لجنة والجحيم ، ووصف لرحلة الى عالم الموتى وحوار الموتى انفسهم . وهذه المحاولة الدراسية لاعادة النظر فى اصول بعض مدارس الادب العربى وربطها بالتراث الانسانى الشامل هى امتداد لمحاولة الدكتور طه حسين فى كتابه عن الادب الجاهلى وفى بعض فصوله فى « حديث الاربعاء » . وقد اثارت جدلا عنيفا فى اوساط الدراسات العربية انعكس فى هجوم صاخب شنه الاستاذ محمود محمد شاكر على صفحات مجلة الرسالة ضد الدكتور لويس عوض ، وقد خرج هذا الجدل عن حدود الصراع الفكرى الخالص وتطور الى نوع من التجريح . غيران هذه المحاولة التى بذل فيها الدكتور لويس عوض جهدا علميا كبيرا تظل حتى الان قابلة للمناقشة على المستوى العلمى وتحتفظ بدلالتها الجديدة الهامة على امكان النظر فى التراث القديم نظرة جديدة ، وعلى افتقار الدراسات الادبية عندنا الى هذا النوع الخصب وهو الدراسة المقارنة ، حتى لانرى ماضينا أو حاضرنا منعزلا عن حركة الفكر الانسانى الكبيرة .

مشكلة النقــــد

ومادمنا فى مجال الدراسات الادبية فيجب ان نســجل عدة ظواهر قدمهـــا عام ١٩٦٥ الينا فى مجال النقد الادبى عموما اهمها ان الكثيرين من نقاد الادب قد كفوا عن المتابعة الدءوب المثابرة للانتاج الادبى . بعضهم اختفى فى محــــراب «التفرغ» والبعض الاخر ذاب فى زحمة العمل الصحفى . والذين تفرغوا انتقلوا بالطبع من منابرهم المنتظمة الى الدراسات الكبيرة التــى لن تخلو من الفائدة بالطبع على المدى البعيد ، الا ان الانتاج الادبى بمختلف صوره يحتاج الى الناقد الذى يعمل بمثل ايقاع سرعته فى الظهور وسرعة الجماهير فى الاقبال عليه حتى يؤدى النقد وظيفته الحقيقية . والذين ذابوا فى زحمة الصحافة من المؤكد انهم يتخاطبون مع جماهير عريضة ومتسعة ولكن الخطر فى هذا الوضع يكمن فى انهم يتحولون فى العادة — ودون ان يدركوا ذلك بسرعة — من التخصص الى القيام باعمال اخرى كثيرة على حساب طاقتهم وتركيزهم . ومثلما تفعل عوامل التعرية فى تغيير التضاريس مع الزمن يصبح الناقد الادبى فى الصحافة شيئا آخر فى النهاية . وهذه مشكلة علينا ان ندركها اليوم ادراكا صحيحا لان الصحافة اذا كانت تلعب دورها الخطير فى التوعية فانها ايضا يجب ان تؤمن بمبدأ التخصص وهذا هو الحل الذى يحمل فائدة مزدوجة للناقد الذى يمكن ان يعمل بها : قاعدة عريضة من القراء ومحافظة على طاقة الناقد وتركيزه وتخصصه وقدرته على التطور . وقد لاحظنا ان العديد من الدراسات النقدية التى صدرت خلال عام ١٩٦٥ فى شكل كتب ان هى فى الواقع الا مجموعة من المقالات المتفرقة هنا وهناك كان مؤلفوها قد نشروها فى اماكن مختلفة — وربما فى مكان واحد حول موضوعات متعددة — وانهم فى النهاية اثروا المحافظة عليها بين دفتى كتاب واحد . هكذا فعل الدكتور لويس عوض والاستاذ محمود العالم والدكتور محمد غنيمى هلال والاستاذ فؤاد دوارة والاستاذ صــلاح عبد الصبور والاســتاذ غالى شكرى والاستاذ رجاء النقاش فى انتاجهم الذى صدر فى صورة كتب عام ١٩٦٥ . والحق انه اذا كان بعض كتاب اوروبا يفعلون مثــل هــذا الشىء من حين لاخر الا انه علينا ان ندرك ان ثمة فارقا جوهريا بين هذه العملية حين تتم فى الخارج وحين تقع هنا . فالكاتب الاوروبى عادة تشغله مشكلة ما فيكتب فيها الفصول تلو الفصول التى تعالج بعض جوانبها ثم حين يرجع لنشر هذه الفصول تكون قد اكتملت له صورة من صور الدراسة الواحدة الشــاملة لموضــوع بعينه ، وحتى لو افترضنا ان الموضوع لم يكن واحدا فان هناك نوعا من الصلة التى تربط بين الفصول المتفرقة فى وحدة واحدة . اما هنا فعلى العكس تقريبا . ولسنا نجزم بان الكتب النقدية كانت كلها على هذا النحــو ولكن الطابع الغالب عليهـــا هو طابع الرغبة فى الا يضيع اى شىء مما خطه قلم الكاتب مع اوراق الصحف التى نشر فيها . ونحن اذ نقيس هذه المسالة قياسا عكسيا نلاحظ انه لم يصدر كتاب نقدى واحد ذو موضوع واحد كتبه مؤلفه مرة واحدة فى مقابل عشرات الـكتب التى صدرت محتوية على مقالات متفرقة . لو انه حدث توازن بين الاتجاهين لغفرنا للنقاد دراساتهم او مقالاتهم المتنوعة ، ولكن ان يكون الغذاء النقدى للراغبين فى الثقافة والمعرفة من نوع الطعام المحفوظ او باللغة الشعبية الطعام «البايت» فتلك مسالة تستحق الوقوف والتامل .

وقد شهد عام ١٩٦٥ توقف عدد من مجلات وزارة الثقافة عن الصدور وهى مجلات الرسالة والثقافة والشعر والقصة . ورغم ان اغلاق مجلة فكرية فى اى ظروف طبيعية يعتبر نوعا من الكوارث التى تحيق بالمجتمع .الا ان القرار الحكومى الذى منع هذه المجلات من الظهور قد قوبل بالكثير من الارتياح فى أوساط الفكر التقدمى والاوساط الثقافية الحريصة على مستوى ونوع الثقافة التى تقدم للجماهير ، ذلك لان مجلتى الرسالة والثقافة على وجه الخصوص قد خلقتا نوعا من البلبلة الفكرية باسم الدين والتراث وكادتا ان تفرضا ارهابا رجعيا على كل مايكتب او يقال فى المجالات الفكرية المختلفة ، بالاضافة الى انهما اعطتـــا الفرص لكثير من الموظفين ليصبحوا كتابا ونقادا دون وجه حق فخلقتا طبقة من المنتفعين بميزانياتهمـــا حالت بين الكتاب الحقيقيين وبين هذين المنبرين . هذا بالاضافة الى ان المجلتين قد اعطيتا لرائدين كبيرين من رواد الثقافة والادب فى بلادنا همـــا **احمــد حسن الزيات ومحمــد فريد ابو حــديد** وهما فى مرحلة من حياتهما لاتسمح لهما بالتفرغ لمثل هذا العمل القيادى وقد كان على الدولة ان تكرمهما بطريقة اكثر تناسبا مع تاريخهما وطبيعة كل منهما . اما مجلتا الشعر والقصة فقد اثبتتا فشلهما فى القيام بمهمتهما فى هذين الميدانين .

وفى هذا العام اصيب الادب بخسارة كبيرة



بفقد الدكتور محمد مندور فى ١٩ مايو، وقد كان مندور لايزال يعد بالكثير من العطاء للادب والنقد، وفى نهاية العام مات ناقد اخر شاب هو انور المعداوى كان يعمل بهيئة تحرير مجلة « المجلة » وكان متوقفاعن الانتاج منذ فترة طويلة لظروف صحية ولكنه فى الاونة الاخيرة بدأيعاود النشاط تمهيدا للرجوع الى مهمته النقدية من جديد فنشر دراسة مطولة كان قد اعدها منذ فترة عن الشاعر على محمود طه وبدأ يستعد لاصدار كتبودراسات اخرى قبل ان يوافيه الاجل بقليل وهو فى سن الثالثة والاربعين ».

الرواية والقصة القصيرة

واذا القينا نظرة سريعة على حقلى الرواية والقصة القصيرة خلال هذا العام الماضى لادركنا بسرعة انه ليس هناك فى مجال القصة الطويلة سوى **نجيب محفوظ** الذى يوالى الانتاج بدأب ويحمل على عاتقه مهمة فنية جليلة وهى تطوير الاشكال التقليدية للرواية ، فقد أصدر روايتين خلال ١٩٦٥، احداهما نشرها فى كتاب وهى رواية «الشحاذ» والاخرى نشرها مسلسلة فى ملحق الاهرام الادبى وهى «ثرثرة فوق النيل» . على حين لم تقدم القصة القصيرة اى جديد فى هذا العام سوى مجموعة يوسف ادريس «لغة الاى آى» . ويبدو ان القصة القصيرة التى كانت مزدهرة قبل الثورة بقليل وخلال اعوامها الاولى تمر اليوم بازمة ، والكتاب الجدد قليلو الانتاج بينما ابتلعت الاشكال الجديدة للفن اهتمام الجمهور ولم تعد الصحف اليومية تهتم اهتماما خاصا ومنظما بها ، ولذلك قد يمر وقت طويل حتى تصدر مجموعة قصصية قصيرة وقد كاد جيل الكتاب الجدد ان ينصرف عن القصة القصيرة نهائيا.وهذا بالطبع أمر مؤسف ويحتاج علاجه الى اهتمام من دور النشر والصحف لكى لا يفقد الجمهور متعة تذوق فن أدبى يستطيع أن يعبر عن الكثير من جوانب حياتنا .

اما فن الشعر فهو لايزال حتى اليوم منقسما الى فريقين من الشعراء الاول هوفريق الشعراء التقليديين وهؤلاء لم يقدموا اى جديد خلال العام الماضى ، واما الشعراء الحديثون فان انتاجهم قليل ومتباعد وبلا منبر ، وقد صدرت عدة دووابن أهمها « لم يبق الا الاعتراف » للشاعر أحمد عبده المعطى حجازى ، و «ايقاع الاجراس الصدئة» للشاعربدر توفيق . وشعراء العامية لم يقدموا هم ايضا اى انتاج جديد سوى بعض القصائد ، مما يدلّ على ان ثمة نوعا من الركود يحيط بالشعر ربما كانت له اسباب كثيرة ليس هنا الان مجال للتعمق فيها ».

المســـرح

فاذا حاولنا الدخول الى ميدان الفنون المعروضة كان المسرح اول شىء يتحتم علينا ان نمر به . وعام ١٩٦٥ بالنسبة للمسرح يحتوى على جزء من موسم العام الماضى وجزء من موسم العام الحالى وبينهمافترة صيف لايخمد فيها نشاط المسرح نهائيا . ونحن حين نتحدث عن المسرح فاننا لابد ان نتعرض لانتاج ست فرق كاملة خلال هذه الفترة بالاضافة الى فرقة سابعة هى فرقة مسرح العرائس . والمسرح القومى مثلا قدم ست مسرحيات احداها تقع فى الموسم الحالى الذى يمتد الى اوائل ١٩٦٦ . وقد مثلت هذه المسرحيات عدة اجيال من الكتاب تبدأ بتوفيق الحكيم وتنتهى عند عبد الله الطوخى ومحمد سالم وبينهما جيل الوسط الذى يمثله سعد الدين وهبة والفريد فرج . ونلاحظ أن المسرح القومى قد فتح صدره لكتاب جدد لاول مرة ، ورغم ان هذه الظاهرة كانت مثار جدل كبير حول طبيعة هذه الفرقة العريقة الا انها فى النهاية وسعت مهمتها ومسئوليتها الى حد احتضان الجيل الجديد من الكتاب وهذه دون ريب نقطة ايجابية لابد ان تسجل لصالح هذا المسرح فى عام ١٩٦٥ . ومسرحية توفيق الحكيم «شمس النهار» اكدت اتجاه استخدام التراث لمعالجة موضوعات معاصرة ، ومسرحية سكة السلامة لسعد الدين وهبة اكدت حظ الكوميديا الاجتماعية النابعة من مشكلات الواقع الراهن للمجتمع . وحين اراد المسرح القومى ان يقدم شيئا من التراث العالمى قدم عرضا ناجحا لمسرحية مشهورة جدا لجان بول سارتر هى « الذباب » وبذلك جمع بين اطراف مهمته بنجاح وهو عرض المسرح المحلى بكل كتاب من الجيل القديم الى الجيل الجديد وعرض التراث العالمى الحديث فى نموذج من انضج واهم نماذجه . ولكن بداية الموسم الجديد فى نهاية ١٩٦٥ قد قدمت تجربة هامة لالفريد فرج وهى مسرحية «سليمان الحلبى» التى يعيد فيها اكتشاف تاريخنا الوطنى باسلوب ملحمى ».

اما مسرح الحكيم فقد قدم خلال عام ١٩٦٥ خمس مسرحيات محلية كلها ، ولم يقدم نصا واحدا مترجما حتى الان . ولو اقتصر دوره على الاعمال

المحلية لكان أكثر اخلاصا فى أداء هذا الدور ، على أن يترك الاعمال المترجمة للمسرح العالمى ولمسرح الجيب ، وقد بدأ موسمه الجديد برواية لواحد من رواد المسرح الواقعى هو نعمان عاشور وهى رواية «وابور الطحين» التى قام باخراجها نجيب سرور وأثار عرضها جدلا حادا حول الشكل المسرحى الذى قدمت به من حيث الباس العمل ثوبا فضفاضا غير مناسب له . هذا على حين قدم مسرح الجيب خمسة عروض مسرحية منها ثلاثة عروض عن الادب العالمى كان أهمها كوميديا الضفادع للشاعر اليونانى ارستوفان التى ترجمها الدكتور لويس عوض . الا ان اهم ماقدمه مسرح الجيب خلال هذا العام كان مشروع الفرقة الجديدة الثابتة له التى يمكن ان يحقق عن طريقها فوائد فنية ومادية كثيرة . وقد تكونت هذه الفرقة بالفعل بعد مسابقة اجريت لاختيار اعضائها من خريجى معاهد التمثيل والجامعات وقدمت عرضها الاول فى نهاية ١٩٦٥ وهو رواية «راشومون» المعدة امريكيا عن نص يابانى روائى من اوائل القرن العشرين وهذا المشروع الهام سيمنح مسرح الجيب بالفعل القدرة على اداء وظيفته اذا قوبل بالرعاية والاهتمام . وكانت فرقة «المسرح الحديث» هى اغزر الفرق انتاجا حيث قدمت حوالى عشر مسرحيات منها ثلاث لكتاب جدد ، ولكنها كانت اقل الفرق من حيث المستوى الفنى لانها لاتقوم على اساس من الادارة المنظمة او الرقابة الواعية ولذلك كان من اهم الاخبار التى نشرت اخيرا التوصية التى قدمتها لجنة المسرح بالمجلس الاعلى لرعاية الاداب والفنون بضم هذه الفرقة الى فرقة مسرح الحكيم ، وهى توصية معقولة ومنطقية . وبقيت بعد ذلك فرقة المسرح العالمى التى قدمت عددا من المسرحيات العالمية الناجحة ولكن ميزتها أنها اتاحت الفرصة لثلاثة مخرجين جدد ان يجربوا قدراتهم هم محمد مرجان وسمير العصفورى وأنور رستم ، وكانت ميزتها الثانية انها استطاعت خلال فترة الصيف ان تقدم عروضا عالمية كوميدية ذات مستوى استطاعت ان تجذب الجمهور فى الصيف دون ان تنحط بمستواه منها كوميديا الكلمة الثالثة للكاتب الاسبانى اليخاندرو كاسونا وكوميديا بنيلوبى للكاتب الانجليزى سومرست موم . وطبعا لن نستطيع هنا ان نتعرض لفرقة المسرح الكوميدى لانها قد سارت خلال هذا العام ايضا فى طريقها المشهور وبذلك تصبح دون مستوى الدراسة والنقد ، **ولكن الشىء الذى يمكن ان نقوله عنها هو وجوب تخلى الدولة عن احتضانها نهائيا ، لان المسرح الكوميدى عموما موجود بشكله الراقى فى جميع الفرق الاخرى ، وهذا النوع الذى تقدمه تلك الفرقة لا يندرج تحت اى فن وهو موجود فى الخارج فى المسارح التجاريه التى تقدم النمر والاستعراضات ولم يحدث اطلاقا ان احتضنته الدولة فى اى نظام من النظم .**

وبقى ان نقول ان عام ١٩٦٥ قد شهد ميلاد فرقه الاسكندرية المحلية الجديدة التى بدات بداية موفقة برواية «الفلاح الفسيح» من تاليف على احمد باكثير واخراج نبيل الالفى . ولكنها انحرفت بعد شهور عن هذه البداية الطيبة وسلكت طريقا مختلفا تماما بتقديمها رواية « عريس فى علبه » ليوسف وهبى واعتزامها تقديم نماذج مما يقدمه المسرح الكوميدى فى القاهرة . ولابد ان نشير كذلك الى التجربة الخطيرة التى قدمها مسرح القاهرة للعرائس فى العرض الذى اعده للفلاحين وهو برنامج «قيراط حورية» ، ولكن هذا العرض لم يصل فعلا الى الفلاحين الا فى قرية واحدة وعاد بعدها ليستقر فى مبنى المسرح بالقاهرة . لابد ان نبحث عن الاسباب التى عاقته عن الوصول الى هدفه وان نذللها حتى تاخذ التجربة مداها الحقيقى وتتبعها تجارب اخرى جديدة واكثر نضجا فى هذا المجال .

على اننا نستطيع ان نسجل حقيقتين رئيسيتين قدمهما عام ١٩٦٥ فى الحقل المسرحى واولاهما ان التخطيط مايزال قاصرا بالنسبه للمسرح .فمثلا بالنسبة للموسم الجديد الذى بدأ بنهاية العام لانكاد فرقة تعرف بالضبط كل المسرحيات التى ستعرضها مقدما . والحقيقة الثانية ان الفنيين من عمال المسرح ما زال يعوزهم التدريب والثقافه الكفيلة بتربية حاستهم الجمالية بحيث يتمكنون بسهولة من القيام بمهمتهم على الوجه الاكمل وبالسرعة المنشوده فالكثيرون من المخرجين يلاقون عناء بالغا فى احدى مراحل اعداد العرض المسرحى وهى عملية «ضبط الاضاءة» وربما استغرقت منهم من الجهد والوقت اضعاف ما تستغرقه تدريبات الممثلين على الاداء والحركة . وقد نادى النقاد ورجال المسرح دائما بانشاء مراكز تدريب للفنيين من عمال المسرح يتلقون فيها شيئا من الثقافة المسرحية الى جانب التمرس بالصنعة التى يقومون بها ، والمفروض ان هذه المراكز تكون ملحقة بكل دار من دور العرض المسرحى . ولكن هذه الفكرة لم تخرج الى حيز التنفيذ بعد الا على نطاق ضيق جدا فى مسرح الحكيم .

وهاتان الحقيقتان ما زالتا مع نهاية عام ١٩٦٥ تتحكمان فى الحركة المسرحية الى حد بعيد .



والعاملون فى الحقل المسرحى يتطلعون منذ اعادة تنظيم وزارة الثقافة وفصلها عن الاعلام والسياحة الى تخطيط جديد يكون اكثر ارتباطا باحتياجات الحركة المسرحية ومتطلباتها بحيث يمكن ان نتطلع لكسب المستوى الفنى العالى الى جانب جماهيرية العروض بشكل عام .

السينما

وحين ندخل الى الحقل السينمائى يجب ان نضع فى اعتبارنا ان القطاع العام لهذا الفن الجماهيرى الواسع الانتشار لم يتكون فى بلادنا الا منذ يناير عام ١٩٦٣ . وبدأ تحت اشراف احد المخرجين الكبار فى السينما المصرية وهو صلاح ابو سيف ، وقد ثارت خلال فترة اشرافه على القطاع العام معارك كثيرة وهجوم حاد عليه كمدير ، ولكن صلاح ابو سيف الذى ترك العمل الادارى قد استعادته السينما من جديد كمخرج حيث بدأ العمل فعلا فى فيلم القاهرة ٣٠ الماخوذ عن رواية نجيب محفوظ «القاهرة الجديدة» . وقد اعد تخطيط كامل من اواخر عام ١٩٦٤ تجسد فى مشروع قدمته ادارة التخطيط فى مؤسسة السينما الى مجلس ادارة المؤسسة فوافقت عليه . وكان هذا المشروع يقوم على اساسين احدهما هو الاساس الفكرى ويبحث عن احتياجاتنا الفكرية فى المرحلة التى يمر بها تطور مجتمعنا اى بمعنى آخر ما هو الفيلم الذى يجب ان تقدمه السينما الى الجمهور حين تكون صناعة السينما تحت اشراف الدولة؟ فمن ناحية الافلام التاريخية لابد ان تعنى السينما بالتعبير عن نضال الشعوب والجماهير . ومن ناحية الافلام المعاصرة لابد من عرض المشكلات بصدق كامل دون اى محاولة لتزييف الواقع . وبذلك يمكن العمل على تنقية الفكر السينمائى من العناصر المعوقة للفكر الاشتراكى وقد اكتشف هذا المشروع نوعا من الافلام اعتبره انسب شكل سينمائى يمكن أن يروج فى المجتمعات النامية وهو «الفيلم شبه التسجيلى Semi-docamentaire» اى الذى يمتزج فيه الفيلم التسجيلى بالفيلم الدرامى بصورة موفقة . وعند التنفيذ قدم القطاع العام خلال هذه السنة ثلاثة نماذج لهذا الشكل السينمائى الجديد وهى افلام : جفت الامطار والجسر وغدا تبدأ الحياة . اما الاساس المادى فقد عنى المشروع بدراسة امكانيات الطاقة البشرية من الممثلين والمخرجين والمصورين وكتاب السيناريو والطاقة المادية من الاموال والميزانيات وطاقة الاستوديوهات ودور العرض .

وقد توزعت مسئولية تنفيذ المشروع على شركتى القطاع العام وهما شركة الانتاج العربى للسينما التى يراسها سعد الدين وهبه وشركة القاهرة للسينما التى يراسها جمال الليثى . وقد كانت حصيلة الانتاج اربعين فيلما عام ١٩٦٥ منها خمسة وعشرون للشركة الاولى وخمسة عشر للشركة الثانية . وقد تخصصت الشركة الثانية تلك فى نوع الفيلم التجارى الخفيف بينما انتهجت الاولى سياسة التجديد والخوض فى غمار التجارب التى يمكن ان ترتفع بمستوى الفيلم فى بلادنا . واذا نظرنا الى هذه المسالة تطبيقا من الداخل وجدنا ان شركة الانتاج العربى قد قدمت طاقات جديدة فى جميع مجالات الاخراج والتمثيل والتصوير والمونتاج والديكور وكتابة السيناريو وكتابة القصة السينمائية وحاولت خوض اشكال جديدة للفيلم منها فيلم الاطفال والافلام التعليمية .

ومع ذلك فان الانتاج الذى عرضه القطاع العام السينمائى على الجمهور خلال عام ١٩٦٥ لايزال يحتاج الى المزيد من النضج ، ومستوى الافلام التجارية لم يرق كثيرا فى شكله ومضمونه عن مستوى الافلام التى كانت تقدم فى ظل القطاع الخاص ، وافلام الانتاج المشترك التى عرضت حتى الان بها اخطاء فادحة لا نعلم حتى الان كيف سمح بوقوعها وخاصة تلك الافلام التى تعالج جانبا من تاريخنا ، ويبدو ان السبب فى ذلك ان جانبا كبيرا من القطاع العام لايزال يفكر بعقلية القطاع الخاص . وهذا لن يمنعنا من القول بان بعض الافلام التى قدمها لنا عام ١٩٦٥ كانت على مستوى كبير من الجودة يجعلنا نتطلع فى العام المقبل الى المزيد منها على كافة المستويات .

الموسيقى

واذا كانت الموسيقى فنا لايزال يعتمد فى جمهوره على الخاصة فان عام ١٩٦٥ قد سجل عدة انجازات هامة ، وشاهد عدة مظاهر سلبية ايضا . اما الانجازات فقد كان اهمها عودة اربعة من موسيقيينا الشبان الذين كانوا يدرسون قيادة الاوركسترا فى الخارج واقامة حفلات لاوركسترا القاهرة السيمفونى تحت قيادتهم ، وهؤلاء الشبان هم يوسف السيسى وطه ناجى وشعبان ابو السعد وسيد عوض . وكان من هذه الانجازات ايضا انتعاش حركة التاليف الموسيقى المصرى للمسرح والسينما . فراينا رفعت جرانة وعزيزا الشوان وعبد الحميد عبد الرحمن وسليمان جميل وعبدالحليم نويرة وابراهيم حجاج يؤلفون الموسيقى

التصويرية لعدد كبير من الافلام والمسرحيات ،هذا الى جانب البعثات التى ارسلت للدراسات العليا من الاصوات المتفوقة فى مسرحنا الغنائى ، حيث سافر الى اكاديمية سانتا تشيشيليا بروما كل من اميرة كامل وفيوليت مقار ونبيلة عريان. ولاول مرة تنشأ فرقة موسيقية خاصة بالسيرك القومى تعزف مؤلفات مصرية اعدت خصيصا ليتقدم عليها اللاعبون حركاتهم . ولاول مرة فى تاريخ بلادنا تتعاقد الفرق الايطالية التى جاءت لاحياء الموسم الغنائى الايطالى مع ابطال من الاصوات المصرية . غير انه الى جانب هذه المظاهر الايجابية نرى المسرح الغنائى قد ظل مغلقا ابوابه طوال عام ١٩٦٥ وان كانت فرقته الغنائية قد استخدمت فى بعض الاعمال على المسرح . ومما لاشك فيه ان تعطل المسرح الغنائى عن العمل هو خسارة كبرى للفن فى بلادنا ، وقد نشرت الاخبار اخيرا مؤكدة انه بدأ يستعد للموسم الجديد ، ولا يعلم احد لماذا انشىء المسرح الغنائى اصلا حتى يبقى عاما كاملا بلا عمل .

الفنون التشكيلية

ولعل ابرز ما اعطته الفنون التشكيلية فى الموسم الماضى خلال عام ١٩٦٥ هو وضوح وجود اجيال ثلاثة من الفنانين .

- **الجيل المتقدم** : ويمكن ان نراه فى سيد عبد الرسول وصلاح طاهر وراغب عياد وسند بسطا وغيرهم .
- **الجيل الشاب** : مثل حامد ندا والجزار وعمر النجدى وجورج البهجورى وحسن سليمان وغيرهم .
- **الجيل الطليعى** : ويمثله عبد الحميد الدواخلى ونبيل الحسينى وسعيد العدوى ومصطفى عبد المعطى ومحمود عبد الله .

ويمكن ان يحس المشاهد عموما خلال عام ١٩٦٥ ان الجيل المتقدم قد مثل فى انتاجه ومعارضه النزعة التمثيلية فى الفن التشكيلى ، على حين ان الجيل الشاب الكثير العدد بصورة ملحوظة قد اخذ يبذل محاولات يمكن حصرها فى البحث عن الروح العالمية من خلال التراث القومى ، والمثل على ذلك هو الفنان جورج البهجورى الذى حاول استلهام الفن البدائى والروح القبطية ، كذلك نرى ميل الجزار الى السريالية مع وجود اثر واضح للاعمال المصرية فى انتاجه ،وسنرى مثل هذا الشىء فى اعمال حامد ندا وان كان يحاول الخروج من هذا الاطار الى شىء اكثر شمولا . ومن الفنانين الشبان ايضا نلتقى هذا العام بحسن سليمان وهو من اكثر الفنانين اصالة وتقدما . انه لايرتبط بتراث معين. وقد نلمح فى بعض اعماله اثر الشمس المصرية كما فى لوحة «الصيد عند الغروب» التى عرضها فى معرضه عام ١٩٦٥ . ولكن الانفعال الهادىء والمعالجة التشكيلية هى اهم مايتميز به انتاج حسن سليمان . وسنرى كذلك عمر النجدى من جيل الشباب وسنحس محاولاته فى اللون حيث نجد ان الكثير من الوانه مصرى الطابع نشعر فى دكنته بدفء بلادنا .

وآخر ما حدث فى حقل الفنون التشكيلية خلال عام ١٩٦٥ هو «حركة التجمع» التى قام بها التجريبيون ، الا ان هذا التجمع لم يكن على اساس من التجانس بل ان كلا من الفنانين الذين اندرجوا تحت لوائه كانت له شخصيته المستقلة المتطورة التى تمضى فى طريقها بوضوح . ولن نستطيع ان نغفل سفر فنانينا الى بينالى المصورين الشبان فى باريس وان نسجل انه قد كان من الضرورى ان تشترك اعمالهم فى تقديم فكرة عامة عن الحركة التشكيلية فى مصر وما قد تتضمنه من تميز ، لان هذه الاعمال انما كانت تقوم اساسا بتعريف الفنانين الاوروبيين والجمهور الاوروبى بفننا التشكيلى ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .

غير ان الفنون التشكيلية عموما فى بلادنا لا تزال تعانى من قلة جمهورها ، الذى يمكن حصره فى نسبة ضئيلة من المثقفين وهواة الفنون بشكل عام. ولا زالت قضية الفن التشكيلى والجمهور تحتاج الى دراسات ودراسات تشرح اسباب انعزال هذه الفنون عن الناس او انعزال الناس عنها .

كلمة فى النهاية ...

واخيرا ، بعد هذه الجولة السريعة الخاطفة فى ميادين الثقافة والفنون خلال عام ١٩٦٥ لا نستطيع الان الا ان نقدم الاعتذار من جديد لعدم احاطتها بكل شىء ، واذا كانت هذه الجولة قد تمكنت من ان تجعلنا نحمل معنا ونحن على أبواب العام الجديد شيئا من الامل فى المستقبل والتطلع الى ما هو احسن واكثر تقدما على أساس موضوعى فانهما بذلك تكون دون ريب قد حققت شيئا من وظيفتها. ولن يفوتنا بالطبع أن نشير فى النهاية الى تلك الفكرة التى خرجت فى صورة ميثاق أعدته لجنة متخصصة تحت اسم نحو «وحدة فكرية للمثقفين» وقسمته الى قسمين احدهما فى صورة مبادىء عامة استغرقت أحد عشر نقطة والثانى فى صورة اثارة لبعض مشاكل التطبيق استغرقت تسع نقط. وقد طرحت مجلة الاشتراكى مشروع الميثاق هذا على كافة المثقفين لمناقشته وابداء الرأى فيه وتطويره .



تقرير أمانة شئون الأفراد بالاتحاد الاشتراكى عن اتجاهات الرأى العام خلال عام ١٩٦٥

تنشر « الطليعة » ، بتصريح خاص ، النص الكامل للتقرير الذى وضعته أمانة شئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكى العربى بحصيلة استقصائها ودراستها الميدانية للاتجاهات الرئيسية التى سادت الرأى العام خلال عام ١٩٦٥ .

وينقسم التقرير الى خمسة اقسام :

القسم الاول : عن اتجاهات الرأى العام بالنسبة لكل من الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامـة .

القسم الثانى : عن اتجاهات الرأى العام بالنسبة للوزارة ، التى تألفت فى اكتوبر الماضى برئاسة السيد/زكريا محيى الدين عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ونائب رئيس الجمهورية .

القسم الثالث : عن اتجاهات الرأى العام بالنسبة لقطاعات مختلفة من قـوى الشعب العاملة (الفلاحون ، العمال ، المثقفون ، الرأسمالية الوطنية ، القطاع العام).

القسم الرابع : اتجاهات الرأى العام بالنسبة لبعض المشاكل الحيوية (الاسكان، الصحة ، التعليم ، المواصلات) .

القسم الخامس : اتجاهات الرأى العام بالنسبة للحكم المحلى .

أولا بالنسبة للاتحاد الاشتراكى العربى

١ ــ ابدى الراى العام ارتياحه للزيارات التى قام بها بعض اعضاء الامانة العامة لعدد من المحافظات والمؤتمرات التى عقدت بمناسبة هذه الزيارات .

٢ ــ كان الراى العام ينتظر ماتسفر عنه مناقشات الهيئة البرلمانية مع السيد الرئيس بشأن التنظيم السياسى .

٣ ــ ابدى الراى العام الملاحظات التالية :

ا ــ ضعف حصيلة الاشتراكات

ب ــ عدم استكمال مقرات الوحدات الاساسية

جـ ــ الصراع بين لجان الاتحاد الاشتراكى وكل من اللجان النقابية ومجالس الادارة داخل المؤسسات الجماهيرية .

د ــ د بعض القيادات من مشاكل القاعدة
هـ ــ نقل اعضاء اللجان وتاثيره على نشاط هذه اللجان وفاعليتها

و ــ الخوف من تسرب البيروقراطية الى التنظيم الادارى للاتحاد

ز ــ ارتياح اعضاء اللجان بمد عضويتهم حتى ابريل سنة ١٩٦٦

٤ ــ تركزت المقترحات فى التالى :

ا ــ عرض التعديلات المقترحة فى قانون الاتحاد الاشتراكى على القاعده الشعبية

ب ــ تنسيق العلاقه بين لجان الاتحاد وغيرها من التشكيلات فى المؤسسات الجماهيرية وكذلك تنسيق العلاقه بين هده اللجان وبين كل من المجالس المحليه والاجهزه التنفيدية .

جـ ــ توزيع نشرة الاشتراكى على نطاق واسع والعمل على انتظام وصولها فى توقيت مناسب لجميع الوحدات وزيادة عدد النسخ المرسلة الى كل وحدة .

د ــ استكمال جميع مقرات لجان الاتحاد الاشتراكى وخاصة فى البنادر والمراكز وتدعيمها بالتمويل والموظفين اللازمين لتمكينها من مباشرة نشاطها .

هـ ــ المطالبة (خلال شهر يوليو) بسرعة اصدار قرارات التنظيمات الجديدة ، والاسراع بتكوين الجهاز السياسى .

٥ ــ وعقب الاعلان عن مؤامره الاخوان تردد التالى :

ا ــ قصور تنظيمات الاتحاد الاشتراكى وعدم نجاحها فى امتصاص عناصر الشباب .

ب ــ تسلل الرجعيين والانتهازيين والسلبيين الى هذه التنظيمات .

جـ ــ استهتار كثير من الاعضاء بحضور الجلسات .

هـ ــ تعطل اعمال لجان المحافظات نتيجة عدم انتظام حضور اعضاء مجلس الامة

و ــ المطالبه بالنظر بصوره جاده الى هذه التنظيمات بعد ان تاكد عدم فاعليتها وبضروره الاهتمام بتبنى القيادات الجديده داخل تشكيلات الاتحاد وبعمل تقييم للمرشحين قبل انتخابات اللجان

٦ ــ وبعد تشكيل الامانة العامة الجديده ابدى الراى العام تفاؤله بالنسبة للنشاط الذى ظهر فى اجهزه الاتحاد الاشتراكى وخاصة بعد تصريحات السيد على صبرى عن مبدا التفرغ .. وعن دور الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة الجديدة ..كما ابدى ترحيبه للتقييم الموضوعى الذى قدمه السيد على صبرى للمرحله الماضيه ورفضه محاولات تجريح هده المرحله وقد وضح سيادته ان اسباب قصور العمل فى هذه المرحله يرجع الى افتقار للعناصر المتفرغه .. ولكن ثارت البلبلة بين الراى العام بسبب مانشر عن الجهاز السياسى وستار الغموض الذى احاطته به بعض لجان الاتحاد الاشتراكى التى اطلقت على هذا الجهاز اسم (التنظيم السرى) كما ثار التساؤل فى قطاع الصحافة حول الغاء امانة الصحافة والجهة التى ستتولى اختصاصاتها داخل الامانة العامة ..

٧ ــ ومع تجدد الدعوة الى ضرورة اعادة النظر فى تشكيلات الاتحاد الاشتراكى وتطهيرها

من العناصر السلبية والغير اشتراكية واعطاء مزيد من الاختصاصات والفاعلية للجانها على قدر مستوياتها ، كان اهتمام الراى العام موزعا بين مسالة التفرغ السياسى وبين ترقب تشكيل المكاتب التنفيذية ، ولوحظ بالنسبة لهذه التشكيلات قبل اعلانها التالى :

ا ــ محاولة بعض العناصر الرجعية والانتهازية التشكيك فى جدواها .

ب ــ خشية البعض من وجود حساسية بين المكتب التنفيذى وبين لجنة المحافظة وخاصة اعضاء مجلس الامة .

جـ ــ أبدى بعض أعضاء مجلس الامة احتجاجهم لتخطيهم عند بحث هذه التشكيلات

٨ ــ قابل الراى العام بالارتياح تشكيل المكاتب التنفيذية وساده شعور بالاقتناع بجدية النوايا لكى يتولى الاتحاد الاشتراكى مسئولياته وصلاحياته التى اشار اليها الميثاق ،وتعلق الدوائر الواعية اهتماما كبيرا على تحديد العلاقة بين امناء هذه المكاتب وبين المحافظين ، اما على مستوى القاعدة فنلاحظ المطالبة باحترام هذه التشكيلات وبضرورة تطبيق مبدا التفرغ لضمان ولاء العاملين فى هذا المجال للتنظيم الشعبى .

بالنسبة لمجلس الامة

٩ ــ يشعر المواطنون بوجود فراغ بينهم وبين ممثليهم فى مجلس الامة .

١٠ ــ يلاحظ التالى :

ا ــ عدم فاعلية اعضاء مجلس الامة الذين يشبههم بعض المواطنين بالخضوع لمخطط معين ترسمه أجهزة الدولة العليا .

ب ــ عدم انتظام حضور أعضاء مجلس الامة فى الجلسات التى لايحضرها السيد انور السادات .

جـ ــ بعد اعضاء المجلس عن مشاكل المواطنين وعدم اهتمامهم بالمشاريع الخاصة بالريف .

د ــ محاولة بعض الاعضاء اكتساب الشعبية من خلال التقدم بمطالب الجماهير الى الاتحاد الاشتراكى بدلا من المساهمة فى تحقيق هذه المطالب

١١ ــ يطالب الراى العام بمنع أعضاء مجلس الامةمن عضويةمجالس ادارة الشركات والمؤسسات

١٢ ــ هناك بعض التساؤلات حول أهداف الزيارات التى يقوم بها بعض أعضاء مجلس الامة للخارج .

١٣ ــ يتوقع الرأى العام أن تعطى الدولة هذا المجلس كامل صلاحياته

ثانيا بالنسبة للوزارة الجديدة

١٤ ــ استبشر الراى العام بتشكيل الوزارة الجديدة واعتبرها بداية لمرحلة الانطلاق بعد أن واجهت الحكومة السابقة الصدامات المحتومة مع قوى الاستعمار والرجعية العربية وقد ترددت الاتجاهات التالية بالنسبة للوزارة الجديدة :

ا ــ انها بداية مرحلة تطبيق القانون والتطهير الشامل

ب ــ أن الكفاءات المخلصة لا بد أن تشغل مكانها فى هذه المرحلة

جـ ــ أن اهتمام الوزارة سيكون مركزا على المجال الداخلى

د ــ أن هذه الوزارة سيغلب عليها الطابع البوليسى .

١٥ ــ ابدت بعض العناصر الواعية تساؤلها عن السياسة الصناعية بعد أن انتقص التغيير الوزارى من وزارات الصناعة والبحث العلمى فى نفس الوقت الذى أنشئت فيه ثلاث وزارات للاعلام والثقافة والسياحة ، ويربطون ذلك باهتمام الوزارة الجديدة بالسلع الاستهلاكية وخاصة بعد مؤتمر الانتاج .

١٦ ــ أثارت العبارة التى وردت فى بيان السيد زكريا محيى الدين عن العرض والطلب اكثر من علامة استفهام حول مغزاها ودلالتها، وحاول البعض تفسير هذه العبارة بأنها (اتجاه يمينى) يمكن ربطه بما يشاع عن التقارب مع الغرب ولكن تصريحات السيد رئيس الحكومة حول العرض والطلب واعلانه الاهتمام بالصناعات الثقيلة قضت على كل البلبلة السابقة .

١٧ — ولقد قابل الرأى العام بارتياح ماتردد عن اعتزام التصفية العاجلة للمعتقلين فى مؤامرة الاخوان المسلمين واطلاق سراح الذين ليس لهم علاقة بالمؤامرة ،وهذا الارتياح قابلهفىنفس الوقت موجة من التشاؤم لكثرة التصريحات عن الحد من الاستهلاك .

١٨ — تتساءل العناصر المنتفعة عن تأثير تحويل مدينة بور سعيد الى مدينة حرة على الوعـــى الاشتراكى العام .

١٩ — ابدت قطاعات الشعب تفهمها لطبيعة المشاكل التى تواجه الحكومة وظهر استعداد هذه القطاعات للتحمل فى سبيل التغلب عليها طالما ان ذلك يتم بدون اى استفزاز

٢٠ — اعتبرت العناصر الواعية خطاب السيد الرئيس فىمجلس الامة تاييداكاملا لسياسةالحكومة وللخطوات التى اتخذتها .

ثالثا بالنسبة لقطاعات قوى الشعب العاملة

ا — قطاع الفلاحين

٢١ — هناكعدة مطالبلقطاع الفلاحين تتلخص فى التالى :

ا — بالنسبة للجمعيات التعاونية الزراعية :

١) تنظيم هذه الجمعيات واخضاعها للرقابة وتحطيم تبعيتها للاسر الكبيرة

٢) القضاء على الشكوى من سوء توزيـــــع الاسمدة وعدم فهم المشرفين على هذه الجمعيات لطبيعة العلاقة بينهم وبين الفلاحين .

٣) الاهتمام باختيار العاملين فى هذه الجمعيات وسرعة اجراء انتخابات مجالس ادارتها .

٤) تسهيلعملية الاقراضلهذه الجمعياتلشراء ماكينات الزراعة .

ب — بالنسبة للتسويق التعاونى :

١) التوعية الكافية بخصوص هذا المشروع .

٢) توفير الجهاز القائم عليه بحيث يكسب ثقة الفلاح بهذا النظام

٣) تعميم التسويق التعاونى بالنسبةللمحاصيل الزراعية (مع ملاحظة أن بعض الفلاحين قد ابدوا تخوفهم من التسويق التعاونى للقطن والارز)

جـ — مطالب عامة :

١) بعث النشاط فى نقابات العمال الزراعيين وايجاد رابط بينهاوبين الجمعياتالتعاونية ،وكذلك الربط بينها وبين لجنة الاتحاد الاشتراكى

٢) معالجة مشاكل الرى والصرف فى القرى (انشاء مصارف بالجهات التىتخلو منها — تطهير المصارف الحالية — تحويل المصارف الخصوصية الى مصارف عمومية) .

٣) رصف الطرق الزراعية ، والقضاء على الشكوى من عدم وصول المياه النقية وقـــلة الانارة .

٤) الاهتمامبمشكلةنقص الاذرةالصفراءواقتراح بيعها بالجمعيات التعاونية للحيلولة دون ارتفاع أسعارها .

٥) زيادة كمية الاسمدة الازوتية والفوسفاتية ، وكمية العلف التى تصرف لكل رأس من الماشية .

٦) توفير التقاوى بشون بنك التسليف

٧) صرف السلف النقدية قبل السلف العينية حتى لا يضطر الفلاح لبيع الاسمدة لتجهيز الارض .

٨) الاهتمام بتسلم المحاصيل فى شون بنـــك التسليف الزراعى وبنك مصر .

٩) انشاء صناعات ريفية تتمشى مع بيئة اهـــل القرية (غزل الصوف صناعة الحرير والخـــوص والادوات الاولية للزراعة)

١٠) تقسيط السلفيات على الفلاحين

١١) زيادة اجور عمال الزراعة

١٢) تسهيل اجراءات صرف باقى اثمان القطن

١٣) الاعتراض على اسلوب التحصيل المتبع فى البنك (التسليف)

١٤) التوسع فى فتح الجمعيات التعاونيـــــة الاستهلاكية فى القرى

١٥) تدخل الحكومة لتخفيض اسعار تبن القمح .

١٦) زيادة انتاج الكسب وتحميل بنك التسليف تكاليف نقله الى مخازن الجمعية .

١٧) انشاء محطات لتربية الماشية وتزويدها بالعلائق الممتازة وتزويد الفلاحين بانتاجها ..

١٨) انشاء محطات لتربية الدواجن والتفريخ على الطرق الحديثة لتعميم السلالات الممتازة من الدواجن مع توفير الاهتمام بتوفير العلاج البيطرى لها .

١٩) تنفيذ التأمينات الاجتماعية فى قطاع الفلاحين

د — ابدى الفلاحون قلقهم بالنسبة لمحصول القطن .. وساد الشك صفوفهم بالنسبة لفاعلية المبيدات وخاصة مع ملاحظه البعض من عدم توفر موتورات الرش فى بعض المحافظات، ويشكو البعض من انخفاض أسعار القطن رغم زيادة مصروفات الزراعة هذا العام كما يطالبون بالتالى :

١) سرعة صرف أثمان القطن للفلاحين عند تسليمها للجمعيات التعاونية

٢) مساهمة الحكومة فى نفقات مقاومة دودة القطن .

هـ — يطالب الفلاحون باقامة عيد لهم اسوة بعيد العمال (يقترح أن يكون هذا العيد فى يوم صدور قانون الاصلاح الزراعى) .

ب — قطاع العمال

٢٢ — تركزت مطالب الطبقة العاملة فى التالى :
ا — احتساب الاجور على اساس شهر كامل

ب — تثبيت العمال الموسميين

جـ — تطبيق الحد الادنى للاجور لعمال القطاع الخاص وللعمال الموسميين فى المصالح الحكومية

د — الاسراع فى اصدار قانون العمل الجديد .

هـ — تطوير النقابات العمالية وتدريب القادة النقابيين

و — سرعة انجاز صرف المستحقات من هيئة التأمينات الاجتماعية

ز — انشاء مساكن جاهزة من الخشب بجوار المصانع للقضاء على أزمتى الاسكان والمواصلات .

٢٣ — يتردد بين افراد هذه الطبقة أنهم لم يستفيدوا شيئا من قانون الشركات ، وهناك شكوى عامة بينهم من مشاكل التقييم والتسكين .

٢٤ — ساد العمال القلق نتيجة مايتردد عن أزدياد العمالة عن حاجة الانتاج ووقف المطالب الاقتصادية .. واطلاق يد المديرين .. ويعتبرون هذا الاتجاه بداية للتشديد على العمال والحد من مكاسبهم ، وتبدى الجماهير العمالية استعدادهـا للتجاوب مع متطلبات المرحلة الجديدة على ان تقترن مطالبتهم بالعمل والتضحية باثارة حماسهم لابالهجوم على العمال ومعايرتهم بما نالوه من مكاسب .

جـ — قطاع المثقفين

٢٥ — يتردد فى هذا القطاع التالى :

أ — الشكوى من تسوية حالة الموظفين وفق القانون ٤٦ لسنة ٦٤ ووفق لائحة الشركات والمطالبة بالانتهاء من مشاكل التقييم والتسكين .

ب — مناقشة موضوع التقارير السرية والمطالبة بعدم تركها لتقدير شخص واحد

جـ — ضرورة مراعاة الخبرة فى تقييم وظائف حملة المؤهلات المتوسطة

د — ابداء التحفظ من بعض العناصر الواعية والقيادية بالنسبة لقرار التعيين الجماعى لخريجى الكليات النظرية خوفا من تضخم الجهاز الحكومى .

هـ — المطالبة بوفاء الدولة بالتزاماتها قبل المتعاقدين معها للحصول على السيارات .. أو الثلاجات .. الخ .

و — المطالبة باطلاق حرية السفر للخارج الا لدواعى الامن العام ..

ز — انتقاد اجهزة الاعلام لقصورها بالنسبة لمناقشة مشاكل الجماهير بصورة جدية وخلوها من النقد البناء

ح — الارتياح للتطورات التى حدثت فى الصحافة بعد تشكيل الوزارة الجديدة وخاصة موضوع ادماج مؤسستى أخبار اليوم والاهرام .

ط — توقع تغييرات شاملة فى أجهزة الاعلام .

٢٦ — ينتقد المهنيون تطوير النقابات بحيث تضم جميع العاملين فى المهنة ويعتبرون ذلك تقليلا من شأنهم .

د — الراسمالية الوطنية

٢٧ — تتركز الشكوى فى هذا القطاع مما يلى :
أ — عدم توزيع السلع المستوردة على تجار القطاع الخاص وقصر توزيعها على الجمعيات التعاونية الاستهلاكية .

ب — احتكار عدد محدود من تجار الجملة للاقمشة الشعبية

جـ — نقص بعض المواد والخامات وقطع الغيار وكثير من سلع البقالة ..

د — استغلال طبقة تجار الجملة للخضر والفاكهة

هـ — خدمة الغرفة التجارية لكبار التجار فقط

و — تفشى السوق السوداء وعدم احترام التسعيرة

ز — تحايل مصانع القطاع العام على رفع سعر الحلاوة الطحينية

ح ـ عدم تسليم القطاع الخاص خامات الحدايد المستوردة (الواح الصاج المجلفنة الصاج الاسود)

٢٨ ـ وبالاضافة الى المطالبة بتلافى اسباب هذه الشكايات فان هناك عدة مطالب أخرى هى :

ا ـ ايجاد حل لمشكلة سماسرة القطن السابقين وتشغيلهم .

ب ـ القضاء على نظام الوسطاء بين تجار الجملة والتجزئة ، وتنظيم عملية التجارة الداخلية ووضع سياسة ثابتة نحو تحديد الاسعار ..

هـ ـ القطاع العام

٢٩ ـ يردد المواطنون مايلى :

ا ـ عدم الدقة فى اختيار المسئولين عن ادارة هذا القطاع وتسلل كثير من العناصر الى مراكز القيادة فى المؤسسات والشركات والهيئات عن طريق الانتهازية أو طول مدة الخدمة ، رغم عدم فهم هذه العناصر للاشتراكية كمبدا وتطبيق وسلوك ..

ب ـ استمرار بعض المنشآت التى تم تاميمها تحت ادارة اصحابها الاصليين .

جـ ـ عدم وجود ضمانات ضد انحراف رؤساء مجالس الادارات بعد ان اعطيت لهم كل السلطة عقب مؤتمر الانتاج .

رابعا بالنسبة لمشكلة الاسكان

٣٠ ـ هناك عدة مطالب بالنسبة لهذه المشكلة :

ا ـ حصر جميع المساكن التى كانت خاضعة للحراسة والنظر فى التلاعب الذى حدث فى تاجيرها واستغلالها .

ب ـ مراقبة الجمعيات التعاونية للاسكان ومراجعة ميزانياتها

جـ ـ تشجيع راس المال الخاص للاتجاه للاسكان غير الشعبى على أن تركز الدولة جهودها للاسكان الشعبى .

د ـ سرعة تاجير مساكن مدينة نصر ، والعمارات المملوكة للقطاع العام ..

هـ ـ توفير المعروض من مواد البناء .

و ـ اهتمام مجالس المدن بالمساكن الشعبية والمناطق المحيطة بها .

ز ـ استغلال حصيلة الـ ٥٪ المخصصة لقطاع الاسكان .

ح ـ معاقبة الملاك الذين يرفضون تنفيذ القوانين ..

٣١ ـ ترجع بعض العناصر المثقفة تفاقم هذه المشكلة الى عدة أسباب فى مقدمتها :

ا ـ ترك الملاك مساكنهم خالية تامينا لسكناهم وعلائلاتهم بعد ايقاف قضايا الاخلاء لصالح الملاك .

ب ـ حبس بعض المستأجرين لمساكنهم ذات الايجار الزهيد

جـ ـ انتشار نظام الشقق المفروشة

د ـ قلق الملاك من قرارات التخفيض ومن تعسف بعض لجان التقدير .

هـ ـ اهمال الملاك فى عملية البناء والصيانة .

٣٢ ـ يطالب الملاك بحقهم فى الانتفاع بعقاراتهم وذلك بالاحتفاظ لهم بحقهم فى طلب الاخلاء عند الضرورة مع تقييد هذا الحق بالجدية وثبوت عدم التحايل او استخدامه بصورة كيدية ..

٣٣ ـ استبشر الراى العام فى القاهرة بما اذيع عن تخصيص الجانب الاكبر من ميزانية الاسكان لحل الازمة فى القاهرة .. ولكن المواطنين افتقدوا الجدية المنشورة فيما نشر عن هذا الموضوع عن حل الازمة فى مائة يوم ، وهذا الاستبشار قابله فى نفس الوقت قلق المواطنين فى المدن الاخرى لتركيز الاهتمام على حل هذه الازمة فى القاهرة ..

و ـ مشكلة الصحة

٣٤ ـ يلفت الراى العام النظر الى :

ا ـ سوء ادارة المستشفيات ومدى الاهمال فى الخدمة فيها

ب ـ نقص الادوية وسوء التغذية للمرضى واهمال المرضات

جـ ـ سوء معاملة الاطباء فى الوحدات المجمعة .

د ـ عدم العناية باقسام الاستقبال فى المستشفيات

هـ ـ سوء معاملة المشرفين على التامين الصحى فى الاسكندرية .

٣٥ ـ يطالب المواطنون بما يلى :

ا ـ تعميم تنفيذ مشروع التامين الصحى ، مع السماح للجهات التى لديها نظام علاج افضل بالاستمرار فى تطبيقه .

ب ـ اتخاذ خطوات جدية لتحسين الخدمات فى المستشفيات والوحدات الصحية مع ضرورة

تطوير النظام الادارى فى المستشفيات ، والعناية بأمر التمريض وبمشاكل التغذية .

جـ ـ توفير الادوية المستوردة التى ليس لها بديل من الادوية المحلية مع مراعاة وصولها الى ايدى المستهلكين قبل نفاد مفعولها بمدة كافية .

د ـ زيادة عدد سيارات الاسعاف

هـ ـ حل مشكلة العلاج فى الريف، وتوفير الادوية فى الوحدات الريفية وامدادها بالاطباء المتخصصين .

ز ـ تنظيم عملية دخول المستشفيات وعمل قوائم انتظار خاصة بالمرضى .

ح ـ اقامة دورات تدريبية لاطباء كل محافظة لتنمية معلوماتهم .

ط ـ العناية الجدية بالتوعية الصحية فى الريف بالنسبة لمسألة تنظيم النسل

ى ـ توفير الادوية فى الوحدات الريفية وتوفير الاطباء المتخصصين .

ز ـ مشكلة التعليم

٣٦ ـ عاصر بدء العام الدراسى مشكلة عدم توفر الادوات المدرسية ، والمشكلة المتجددة فى بداية كل عام وهى مشكلة سن القبول فى مدارس المرحلة الاولى والمراحل الاعدادية والثانوية والثانوية الفنية .

٣٧ ـ هناك عدة اقتراحات بالنسبة لهذه المشكلة وهى :

ا ـ وضع حد لتدهور التعليم الابتدائى، وتخفيض سنوات المرحلة الاولى الى ٥ سنوات والغاء نظام النقل الالى فى هذه المرحلة .

ب ـ التوسع فى التعليم الزراعى والصناعى والتوسع فى انشاء مراكز التدريب .

جـ ـ الاهتمام بمشروع محو الامية فى الريف .

د ـ تعميم نظام بناء مدن طلابية لكل محافظة .

هـ ـ مدخدمة رجال التعليم الى ٦٥ سنة بالنسبة لمن تسمح حالته الصحية بذلك للمساهمة فى حل ازمة المعلمين .

و ـ تحويل فصول الاتحاد الاشتراكى الى فصول مجانية لعجز المواطنين عن دفع المصروفات

ز ـ سد العجز فى الاطباء والاخصائيين الاجتماعيين فى المدارس .

٣٨ ـ الشكوى عامة من سوء الوجبات الغذائية التى تقدم للطلبة ويطالب الراى العام بتوزيع البسكويت الجاف على التلاميذ بدلا من الفطائر .

٣٩ ـ بعد حادث « الترولى » طالب الراى العام باعادة توزيع الطلبة على المدارس على اساس السكن .

٤٠ ـ هناك مطالبة ايضا باشتراك لجان الاتحاد الاشتراكى مع مجالس الاباء لزيادة فاعليتها .

هـ ـ مشكلة المواصلات

٤١ ـ يستخف الراى العام بالحلول غير المجدية لهذه المشكلة قبل تعديل خطوط الاوتوبيسات وتغيير ارقامها .

٤٢ يقترح المواطنون :

ا ـ اجبار الشركات والمؤسسات على تخصيص عربات خاصة لموظفيها وعمالها

ب ـ النظر فى تغيير مواعيد العمل فى القاهرة

جـ ـ توجيه الانتاج نحو سيارات الاتوبيس بدلا من السيارات الخاصة

د ـ وضع حد لاستهتار بعض السائقين وعدم اهتمامهم بالتاكد من سلامة العربات قبل استعمالها اليومى .

٤٣ ـ زاد الاهتمام بهذه المشكلة بعد حادث الترولى .. وقد زادت المطالبة بضرورة اهتمام المسئولين بحل هذه المشكلة بعد هذا الحادث .

٤٤ ـ تشكو كثير من المحافظات من التالى :

ا ـ عدم توفر أوتوبيسات صالحة وكافية وتقصير اتوبيسات الفروع فى اداء الخدمات

ب ـ عدم توفر قطع الغيار والكاوتشوك ..

جـ ـ عدم وجود تخطيط شامل لمواجهة تعطل المواصلات فى المحافظات التى تهددها الامطار والسيول .

خامسا بالنسبة للحكم المحلى

٤٥ ـ وصفت حركة رؤساء مجالس القرى بالارتجال بعكس حركة رؤساء مجالس المدن التى كانت مدروسة

٤٦ ـ يطالب الراى العام فى المحافظات بالتالى:

أ ـ الاسراع فى تشكيل بقية مجالس القرى ، ووضع برنامج توعية لاعضاء هذه المجالس وتعريفهم بواجباتهم .

ب ـ تعيين رؤساء مجالس القرى من حملة المؤهلات العالية .

جـ ـ تفرغ هؤلاء الرؤساء لامكانية تنشيط هذه المجالس .

٤٧ ـ قوبلت التعيينات الجديدة للسادة المحافظين بالاستحسان وخاصة وأنهم قد بدأوا بداية طيبة وموفقة فى لقائهم مع الاهالى .

عبد الفتاح أبو الفضل

عضو الامانة العامة لشئون الاعضاء

حول قضية الرغيف ومستقبل التنمية

تتابع « الطليعة » فتح باب المناقشة حول قضية الرغيف ومستقبل التنمية كجزء لا يتجزأ من القضية الكبرى « زيادة الانتاج وخفض الاستهلاك » .

وكان الدكتور اسماعيل صبرى قد عالج هذه القضية بمقال « الرغيف ومستقبل التنمية » (العدد الحادى عشر من السنة الاولى ١٩٦٥) وعقب عليه الدكتور فوزى يوسف رفاعى بمقال « الرغيف ومدى مايمكن أن نوفره من استيراد الحبوب » (العدد الثانى عشر من السنة الاولى ١٩٦٥) . وفى هذا العدد يقوم كل من الدكتور عباس كسيبه رئيس قسم البحوث بشركة « كيما » للاسمدة والمهندس الزراعى حسن عبد اللطيف خضر بالمؤسسة العامة للمطاحن والمضارب والمخابز ، بمساهمة جديدة .

رفع إنتاجية الذرة .. سبيلنا إلى حل جذرى

د. عباس كسيبة

ان قضية الرغيف فى مصر هى احدى القضايا الاساسية التى تنعكس عليها كافة مشاكل المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فالرغيف هو المطلب الاساسى اليومى لكل فرد ولذلك فاهميته مشتركة بالنسبة لنا جميعا وتنعكس مشاكلنا مع الاستعمار مثلا بصورة واضحة على الرغيف فى الضغوط السياسية المختلفة التى تواجهنا كفرض حصار اقتصادى والتهديد بمنع برامج المساعدات عنا لتعجيز امكانياتنا الاقتصادية عن شراء الحبوب اللازمة للتغذية . ومشاكلنا الاقتصادية تبدو أيضا واضحة على الرغيف فى محاولتنا زيادة الانتاج الزراعى والتخطيط للتصنيع الشامل من اجل زيادة الدخل القومى والحد من الاستهلاك وتوفير المدخرات لمواجهة احتياجات الاستهلاك والتنمية . ولعل الاجراءات الضرورية التى اتخذتها الحكومة اخيرا ترجع فى أحد جوانبها الاساسية للعمل نحو توفير

المبالغ الضخمة اللازمة لشراء احتياجات الاستهلاك من القمح والذرة من الخارج. ومن الناحية الاجتماعية فان تضخم السكان المستمر يضاعف من خطورة مشكلة الرغيف ويهدد نجاح خطة التنمية. كما ان اختلاف النمو الاستهلاكي للرغيف فى القرية عن المدينة يجسم الفوارق الاجتماعية بينهم .

ولاشك ان ((الطليعة)) بطرحها هذه القضية للمناقشة تسهم فى تحديد الابعاد الاساسية لاهم قضايا مجتمعنا المعاصر والتى تمس الواقع اليومى للجماهير .

ويمكن استمرارا للمناقشة ان نوجز ابعاد المشكلة كما جاء فى مقال الدكتور اسماعيل صبرى (عدد ١١ من الطليعة) والدكتور فوزى رفاعى (عدد ١٢ من الطليعة) فيما يلى :

● أن ميزان المدفوعات يعانى من ضمان المبالغ المخصصة لشراء الحبوب والتى بلغت ٨٧ مليون جنيه فى العام الماضى وهذا المبلغ يفوق جملة ايرادات قنال السويس فى نفس العام .

● أن الزيادة الضخمة فى استهلاك الحبوب هى نتيجة لزيادة عدد المستهلكين . وبما انه ليس من المحتمل ان تتوقف الزيادة السكانية فى السنوات المقبلة فانه من المؤكد ان الاستهلاك من الحبوب سيستمر فى الزيادة ايضا .

● بالرغم من الزيادة الظاهرية فى معدل استهلاك الفرد من الحبوب (١٣٪ من القمح) فانها تعود فى الاساس الى التغير الذى حدث فى النمط الاستهلاكى حيث اصبح القمح يمثل حوالى نصف الكمية المستهلكة بدلا من الثلث ولما هو معروف من أن القمح تقل قدرته الاشباعية عن الذرة .

● انه ولو ان الزيادة فى المساحات المزروعة من الحبوب طفيفة جدا الا اننا نجحنا فى تحقيق زيادة تبلغ حوالى ٢٧٪ من الانتاج الحالى مما يترك لنا عجزا دائما قدره ٥٣٪ من حجم الاستهلاك يتعين تغطيته عن طريق الاستيراد . الا أن عددا محدودا من الدول الراسمالية سيطر تماما على السوق الدولية للقمح وعلى هذا فان امكانية المضاربة على تناقضات مصدرى القمح للحصول على أسعار ارخص تعتبر غير ممكنة .

وهنا يجب أن نتسائل عن الطريق نحو حل المشكلة ؟ فبالاضافة الى كل ما جاء فى مقالات الدكتور اسماعيل صبرى والدكتور فوزى رفاعى من حلول مقترحة لحل هذه المشكلة فانى أطرح للمناقشة القضايا الاتية :

● ان مستقبل انتاج القمح بالجمهورية العربية لن يزيد كثيرا عن الانتاج الحالى من نفس المساحة نظرا لارتباط قدرة الاصناف الحالية على الانتاج بالظروف المناخية التى نعيش فيها . ولم نتمكن من تحقيق اى زيادة فعالة الا اذا حصلنا على اصناف جديدة من القمح تستجيب لظروف البيئة المصرية وتحقق غلة اكبر. لذلك فان زيادة المساحات المزروعة قمحا على حساب مساحات القطن تعتبر خطأ من الاساس ولن يجدى فيه زيادة اسعار شراء محصول القمح . كما أن تحقيق اى زيادة محسوسة فى انتاج القمح عن طريق زيادة معدلات التسميد للاصناف الحالية امر مشكوك فيه. الا ان بعض التحسينات على زراعة القمح قد تحقق زيادة فى المحصول مثل زراعة القمح على خطوط القطن بعد تقليع الحطب فى جور على الريشتين التى تتيح للفلاح الزراعة المبكرة وتوفير نصف كمية التقاوى وزيادة حوالى اردب فى المحصول .

● يجب اعادة النظر فى مفهوم الحد الاقتصادى للانتاج اذ ان تحديد هذا المفهوم تحت ظروف وفرة الانتاج يختلف عنه تحت ظروف عجز الانتاج عن توفير حاجات الاستهلاك . بمعنى ان السياسة الحالية للانتاج الزراعى والتى تعتمد على وقف الزيادة فى الاستثمارات عند الحد الذى لاتحقق فيه زيادة فى القيمة المضافة ، يجب أن نطورها على اساس قيمة العملة الصعبة المستثمرة فنقف عن الانتاج عن الحد الذى تتساوى فيه قيمة الناتج من هذه الزيادة فى الاستثمارات بالعملة الصعبة مع ثمن الانتاج بالعملة الصعبة أيضا . اذ انه دون تحقيق هذا المفهوم فان معنى ذلك اننا لانستغل امكانياتنا المتاحة الى اقصى طاقة ممكنة فى الوقت الذى ندفع عملة صعبة لاستكمال حاجات الاستهلاك وبمثل هذه المرونة يمكن أن نحقق زيادة فى الانتاج الزراعى ولو بزيادة تكاليف الانتاج من العملة المحلية الا انها ستحقق وفرا فى العملة الصعبة خصوصا تحت ظروف اسعار بيع المحاصيل المصرية الثابتة .

وعلى ضوء الاعتبارات السابقة أعتقد أن الذرة تصبح هى المنقذ الوحيد لحل هذه المشكلة ، ولكن الذرة محصول صيفى يزرع فى الوقت نفسه مع القطن والارز وكلاهما من أهم مصادر الدخل القومى من العملات الصعبة اللازمة لتنفيذ خطة التنمية . وعلى هذا فان أى زيادة فى مساحة الذرة فى حدود المساحة المتاحة حاليا من الارض الزراعية سوف يكون بالضرورة على حساب المساحات التى لابد من توافرها لزراعة محاصيل القطن والارز وقصب السكر .

ومن هنا نجد ان الحل يتحصر فى اتجاهين متلازمين

اولا : زيادة غلة الفدان من الذرة فى اطار المساحة المخصصة حاليا طبقا للتركيب المحصولى بالجمهورية وذلك عن طريق :

● تعميم زراعة الذرة فى الموعد الصيفى المبكر وزراعة أصناف الهجن ذات الكثافة العالية ولقد أمكن فى كثير من البلاد تحقيق أرقام خيالية للانتاج من نفس وحدة المساحة باستعمال هجن محسنة . ويظهر هذا مدى فائدة التعاون بين المنظمات العلمية وشركات انتاج الهجن وبين المزارعين نحو حل هذه المشكلة . فلقد أمكن مثلا فى يوغوسلافيا مضاعفة الانتاج من نفس المساحة تقريبا باستعمال الهجن المحسنة وكذلك المجر وفى بلغاريا زادت حوالى ٥ر٢ مرة بأقل من المساحة وفى ايطاليا والولايات المتحدة كذلك زاد المحصول زيادة كبيرة .

● العمل على توفير الاسمدة الكيماوية اللازمة لزيادة المحصول سواء من الاسمدة المحلية أو المستوردة حيث يتضح هنا مدى خطأ التخطيط للانتاج الزراعى فى عدم توفير الاسمدة الضرورية للوصول الى اقصى انتاج من الفدان بدعوى ان الاسمدة تستورد من الخارج بالعملات الصعبة . الا ان استيراد الاسمدة بالعملة الصعبة لانتاج الذرة سيكون طبعا أقل كثيرا من استيراد القمح والذرة من الخارج بالعملات الصعبة ايضا لسد العجز فى الانتاج عن حاجات الاستهلاك . ولقد أمكننا فى تجارب مختلفة أن نحصل على زيادة فى المحصول تقرب من خمسة اضعاف المعدل الحالى للانتاج باستعمال معدلات عالية من الاسمدة الازوتية لا تزيد عن ثلاثة أمثال المعدل الحالى . ويكفى للدلالة على اهمية الاسمدة لانتاج الذرة أن أمريكا تستهلك على سبيل المثال ٥٠٪ من السماد المستخدم عامة فى تسميد محصول الذرة وحده وقد بلغ جملة الاستهلاك من الذرة فى العام الماضى حوالى ٤ر١٦ مليون اردب فى حين لم يزد الكمية المنتجة عن ١٤ مليون فقط مما اضطرنا الى استيراد كميات متزايدة منه سنويا على انه لو نفذت سياسة سمادية سليمة مع مستوى المحافظات المختلفة فسوف يؤدى ذلك تحت أسوأ الظروف الى رفع انتاجنا من الذرة الى حوالى ٢١ مليون اردب سنويا دون زيادة المساحة المزروعة . وبهذا نحقق زيادة مقدارها ٥ ملايين اردب يمكن أن تساهم فى سد العجز فى انتاج القمح .

● ضرورة العناية بمقاومة الافات والامراض وتحسين عمليات الخدمة الزراعية والعناية بعمليات التخزين والتصنيع وهذه يمكن توفيرها بزيادة الوعى الارشادى لدى المزارعين ويمكن لوحدات الاتحاد الاشتراكى فى القرى ان ترفع شعار زيادة الانتاج من الذرة نحو توفير غذاء الفلاح كهدف للمرحلة الحالية مثلا وكحل ذاتى لمشكلة الرغيف فى القرية .

● ضرورة رفع سعر شراء المحصول بحيث توجد الحافز لدى المزارعين للاهتمام به اذ أنه من المعروف أن الذرة يزرعها الفلاح لاستهلاكه الخاص ولتغذية المواشى على اوراقها فى فترة الصيف . ويحتمل فى حالة صغر حجم الحيازة لدى الفلاحين أن يرى بعضهم افضلية استغلال المساحة كلها أو بعضها لزراعة محاصيل نقدية وان يعتمد على شراء احتياجاته الغذائية منها من السوق مما يحمل الدولة عبء توفير هذه الاحتياجات أما من الخارج أو من مناطق أخرى . ومن دراسة اقتصاديات الانتاج للمحاصيل الرئيسية نجد ان القيمة المضافة من فدان القطن على أساس اسعار ١٩٦٠ تبلغ حوالى ٦ر٨٦ جنيها بينما لاتزيد عن ٢ر٢٧ جنيها من فدان الذرة وهذا يبين بوضوح أسباب عدم توسع الفلاح فى زراعتها . وهنا تبرز اهمية التجميع الزراعى لتوحيد قوى الانتاج نحو خطة شاملة لزيادة الانتاج الزراعى والدخل القومى .

ثانيا : زيادة المساحة المزروعة من الذرة فطبقا لبرنامج التركيب المحصولى للخطة الخمسية الثانية فانه من المتوقع ان تصل المساحة المزروعة من الذرة فى عام ١٩٧٠ حوالى ٤٥٠ر١ الف فدان أى أقل بحوالى ٢١٠ فدان عن المساحة الحالية من الذرة . واذا افترضنا زيادة انتاجية الفدان بمعدل ٥٠٪ عما هى عليه الان فانه من المتوقع أن يصل جملة الانتاج الى حوالى ٤ر١٧ مليون اردب معنى هذا اننا لن نستطيع ايضا أن نغطى حاجات الاستهلاك المحلى حتى فى عام ١٩٧٠ نظرا لاستمرار زيادة السكان المتوقعة . وعلى هذا فليس لنا من بديل الى العمل بكل جهد واخلاص نحو تطوير زراعة الذرة علميا للوصول بها الى اقصى انتاج اقتصادى ممكن ويمكن للتعبئة السياسية ايضا ان تؤدى دورا هاما فى هذا المجال . ومن جهة اخرى فان امكانياتنا المائية والارضية المحددة تدفعنا للتفكير من الان فى البحث عن اراض خارج الجمهورية العربية (كالصومال وغانا مثلا) لزراعة الذرة بها لحسابنا .

ومن كل ما سبق يتبين الوضع الخطير الذى يجب أن نتنبه اليه من الان بالنسبة لمشكلة الرغيف واثر ذلك على الاوضاع الاقتصادية الحاليــة والمستقبلة مما قد لايسمح اطلاقا لاى استثمارات للتنمية . كما ترتبط هذه المشكلة اساسا بالتزايد الخطير فى عدد السكان وتبرز مدى اهمية الخطوات التى تتخذ الان نحو التخطيط العلمى للحد مــن الانفجار السكانى المقبل. كما ننبه ايضا الى الاهمية السياسية لمشكلة الرغيف والذى يدفعنــا الى التساؤل عن دور الاتحاد الاشتراكى نحو هذه القضايا .

• • •

بين الدورة الزراعية الثلاثية والدورة الثنائية

حسن عبد اللطيف خضر

تحدث الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله فى العدد الحادى عشر من مجــلة الطليعة عن « الرغيف ومستقبل التنمية » فى دراسة علمية لجوانب المشكلة وفى نهاية مقاله ذكر أن هدفه هو الرغبة فى طرح المشكلة بجوانبها المتعددة لمناقشة واسعة يشارك فيها بالرأى والفــكر كل من له عــلاقة بالموضوع .

والحقيقة ان المشكلة المطروحة على جانب كبير من الاهمية وهى هل تترك مشكلة استيراد الحبوب تتفاقم الى الصورة الحالية ــ ٨٧ مليون جنيه ــ واكثر منها بحيث تهدد خطة التنمية وتبتلع موارد العملة الصعبة أم نبحث عن الحلول الجادة للمشكلة تغلبا عليها وحرصا على مواردنا وتوجيهها للتنمية .

وفى رأيى أننا اذا تصدينا لمشكلة انتاج واستيراد الحبوب فى مصر فلابد أن نتعرض فى مجال بحثنا الى العوامل الاتية :

- المساحة القابلة للزراعة فى مصر .
- التركيب المحصولى لهذه المساحة .
- اقتصاديات هذا التركيب المحصولى بالنسبة للدولة والفرد .

أما عن المساحة القابلة للزراعة فى مصر أو بمعنى ادق المساحة المزروعة فهى ثابتة تقريبا ومعدل الزيادة فيها طفيف جدا ــ رغم الجهود التى تبذل الان لزيادته ــ ويتباعد باستمرار عن معدل الزيادة السكانية فهذه المساحة فى حدود الستة ملايين فدان

والامل معقود الان على المساحة الكبيرة ل ١,٢ مليون فدان التى سيتم استصلاحها على مياه السد العالى كمتنفس للتوسع الافقى للزراعة فى مصر ويجب الا نعول كثيرا على هذه المساحة فى المستقبل القريب لان المساحة التى يمكن زراعتها قمحا وفقا للنظام السائد فى الدورة الزراعية هو حوالى ٤٠٠ الف فدان بعد تمام استصلاحها علاوة على أنها تكون ضعيفة المحصول فى بداية مرحلة الاستزراع.

اما عن التركيب المحصولى للمساحة المزروعة فلقد كان المتبع فى مصر حتى بداية العام الزراعى ٦٤ ــ ٦٥ هو نظام الدورة الزراعية الثلاثية حيث كان ينص القانون على الا تقل مساحة القمح عن ثلث المساحة المزروعة قمحا وكانت مساحة القمح المزروعة وفقا لذلك تتذبذب حول المليون ونصف المليون من الافدنة تنتج مايساوى هذا الرقم من الاطنان قمحا بمعدل طن للفدان الا انه فى العام الماضى وتحت ضغط الحاجة الملحة الى العملة الصعبة للمضى فى خطة التنمية وتلبية لسد حاجات الاستهلاك المحلية من السلع الاجنبية تقرر رفع نسبة القطن الى ٥٠ ٪ من المساحة المزروعة بالقطر فيما عدا محافظات أسوان والقاهرة والاسكندرية وبعض مناطق محافظات القناة وهى التى كانت بطبيعتها لاتزرع القطن فى مساحات تذكر .

ومع ما هو معروف عن مضار نظام الدورة الزراعية الثنائية الذى تقرر من انهاك للتربة بسرعة وتركيز الامراض والافات خاصة ما يتعلق بالتربة كذلك نقص بعض العناصر الغذائية نظرا لتوالى زراعة محصول بذاته فى نفس المكان . الا انه ينبغى اجراء عملية تقييم جادة لهذا القرار وتأثيره على الاقتصاد القومى وهو ما نقصده باقتصاديات التركيب المحصولى بالنسبة للدولة والفرد وبما أننى لست بصدد تقديم ميزانيات مقارنة لناتج فدان القمح وفدان القطن الا اننى سأتعرض لبعض الجوانب الواقعية والملموسة والمترتبة على ذلك :

فمن المسلم به ان مثل هذا الامر (الدورة الثنائية) أدى الى زيادة الناتج من القطن على المستوى القومى وبالتالى زيادة حصيلة البلاد من العملة الصعبة اللازمة للتنمية ولاستيراد الحبوب الا انه على الجانب الاخر قد أنحصرت زراعة باقى الحاصلات فى الـ ٥٠٪ الاخرى المتبقية وترتب على ذلك آثار هامة على مستوى الدولة وعلى مستوى الفرد بالقرية أخصها :

● انخفاض نسبة القمح المزروعة من ثلث المساحة الى ربعها (من حوالى مليون ونصف الى حوالى ١,١ مليون فدان) تنتج ما يماثل هذا الرقم من القمح بالاطنان أى اننا سنواجه فى هذا العام استيراد كمية اكبر من الحبوب عن الاعوام السابقة .

● حدوث المنافسة بين زراعة المحصولين النيليين الهامين وهما الارز والذرة داخل الدلتا بما يحتم أن حدث توسع فى زراعة احدهما حدث انخفاض فى مساحة المحصول الاخر والمفاضلة بينهما صعبة فالارز من حاصلات التصدير مورد العملة الصعبة والذرة بديل للقمح ومصدر للتغذية فى الريف ويساعد الفلاح على تربية ماشيته هذا بالاضافة الى ان القطن بعد الارز أقل شأنا من القطن بعد الذرة.

كل هذا الى جانب بعض التأثيرات الثانوية فى انخفاض مساحات البرسيم وارتفاع الايجارات واضعاف الرغبة فى الانتاج الحيوانى .

وبعد هذا الاستعراض السريع لجوانب المشكلة الزراعية فى مصر وظروف انتاج الحبوب فى مصر نتعرض للحلول اللازمة للتغلب على بعض جوانبها وهذه الحلول قد تعرض الى بعض منها السيد كاتب المقال نؤيده فيها وندعم رأيه فى شأنها والبعض نعرضه من وجهة النظر الخاصة لطرحها على بساط المناقشة أيضا وهى تنقسم الى :

● حلول خاصة بظروف الزراعة والانتاج

● حلول خاصة بتركيب الاستهلاك وأنماطه

● حلول خاصة بتنظيم سياسة تجارة الحبوب

● حلول خاصة بصناعة الطحن وتكنولوجيا الحبوب

سنتعرض لها بالتفصيل فيما يلى :

اولا : العوامل الزراعية وأولها زيادة المساحة المزروعة من الحبوب (القمح والذرة) وسنتعرض لها تحت ظرفية ظروف الانتاج الحالية وظروف الانتاج المستقبلة بعد استصلاح أرض السد العالى فتحت الظروف الحالية وبعد الاستعراض السابق لن يمكن التوسع فى زيادة المساحة المزروعة من الحبوب الا اذا تم الرجوع عن نظام الدورة الثنائية ووضع بعض الحوافز التى تشجع على زراعتها والتى سنتعرض لها فيما بعد وكل ذلك من شأنه أن يضمن زراعة نسبة الثلث من جملة المساحة (المليون ونصف مليون فدان) وأما تحت ظروف الانتاج المستقبلة فاننى اريد قطاعا عاما زراعيا يستغل أرض السد العالى الجديدة التى

تقرب مساحة القمح التى ستزرع بها تلك المساحة المستصلحة (٤٠٠ ألف فدان تنتج ٤٠٠ الف طن قمح) بعد الوصول بالارض الجديدة الى كامل قدرتها الانتاجية .

ثانيها : الزيادة الراسية فى ناتج الفدان وبالتالى اجمالى كمية الحبوب الناتجة على المستوى القومى والطرق الى ذلك كثيرة وتبذل فى سبيلها جهود جبارة منها استنباط اصناف جديدة واستعمال معدلات معينة من التسميد ..الخ، ولو أمكن وضع خطة لزيادة الغلة الكلية بما يعادل ٢٠٪ حقيقة من كمية المحصول فسيعد هذا كسبا كبيرا بالنسبة لمحصول القمح أما الذرة فمن المعروف انه من الحاصلات التى تستجيب لمعدلات التسميد العالية وأن متوسط المحصول الحالى يمكن زيادته بما يوازى ٥٠٪ من المعدلات الحالية

ثانيا : الحلول الخاصة بتركيب الاستهلاك وانماطه وهذه الحلول تعتمد على خلط دقيق القمح بأنواع أخرى من الدقيق متوفرة ويمكن عرض الاقتراحات التالية

● الخلط بالذرة وهذا كان متبعا فى بعض الفترات فى مصر وأنه يجرى هذا الخلط حاليا فى الريف

● الخلط بدقيق البطاطا والسيد نائب رئيس الوزراء للتموين والتجارة الداخلية من اول من نادوا بالتوسع فى زراعة البطاطا وتجفيفها وتحويلها الى دقيق يخلط بدقيق القمح لانتاج الخبز فى حدود ٥٪ من كمية الدقيق المستخدمة

● الخلط بدقيق الارز وبالطبع يمكن استخدام كسر الارز فى تحويله الى دقيق يخلط بنسبة ٥٪ من الدقيق أيضا وقد أجرت المؤسسة العامة للمطاحن والمضارب والمخابز تجارب فى هذا الشأن كانت ناجحة ولم يتأثر طعم الرغيف ولا لونه تحت هذه النسبة — كما أجريت تجارب للتدعيم بالبروتينات تحت ظروف الخلط كانت ناجحة أيضا .

ثالثا : الحلول الخاصة بتنظيم سياسة تجارة الحبوب ونقترح فى هذا الشأن أمرين هامين :

● ضرورة دخول الحكومة مشترية للقمح بسعر لايقل عن ستة جنيهات للاردب

● الزام الفلاحين بتوريد كمية لاتقل عن اردبين عن كل فدان منزرع قمحا وسيترتب عن تنفيذ هذين الاقتراحين أمران بالغا الاهمية .

الاول : هو زيادة الحافز نحو زراعة القمح حيث سيرتفع دخل الفلاح من فدان القمح

الثانى : تقليل استهلاك الفلاحين من القمح وزيادة استخدامهم للذرة حيث انه كانت فى الظروف السائدة خلال الاعوام السابقة كثيرا ما يرتفع سعر اردب الذرة عن اردب القمح مما شجع على زيادة استهلاك القمح بالريف ولكن الامر سينعكس تماما

واما فيما يتعلق بسياسة استيراد الحبوب فهى تخضع لظروف السياسة الدولية وخضوع الدول المصدرة للقمح لضغوط الدول الاستعمارية

رابعا : حلول خاصة بصناعة الطحن وتكنولوجيا الحبوب ونقترح فى هذا الشأن ضرورة رفع نسبة استخراج الدقيق من القمح من ٨٢٪ (وهى النسبة الحالية) الى ٩٣ر٣ ٪ وقد تثور اعتراضات حول لون الرغيف او زيادة نسبة النيتين بالدقيق الا أن مثل هذا القرار الجرىء قد اتخذه مجلس الوزراء فى جلسته بتاريخ ٢ — ٣ — ١٩٥٥ واستمر العمل به لفترة تزيد عن العام وسيترتب عن تنفيذ مثل هذا القرار توفير ١١ر٣٪ من كمية الاقماح المستوردة وصحيح أن لون الرغيف سيصبح اكثر استمرارا الا ان ذلك يجب ان يكون احدى تضحيات التنمية خاصة وأن اغلب شعوب اوروبا تأكل نوعا من الخبز المصنوع من دقيق القمح الكامل بدون نزع اية شوائب

ويمكن أن يخفف من لون الرغيف :

● تنظيم عملية الخلط بالقمح المحلى على مدار العام وهذا ممكن جدا اذا تم تنظيم عملية التسويق وفقا للنظام المقترح سابقا حيث يمكن اعطاء كل مطحن نسبة اسبوعية أو شهرية من هذا القمح لخلطه بالاقماح المستوردة وفقا لطاقته الطاحنة

● استخدام بعض مبيضات الدقيق وقد يثور اعتراض حول اظهار مبيضات الدقيق لجزئيات الردة الناعمة المختلطة بالدقيق وفى رايى أن هذا ليس بالاعتراض الذى يمنع استخدام هذه المبيضات .









د. لطيفة الزيات

جاءت قيادة ثورة ١٩٥٢ بمفهوم تقدمى لـدور المراة فى المجتمـع . ولم يلبث التحول ان شمل فيما شمل هذا المفهوم فحوله من مفهوم تقدمى الى مفهوم ثورى . وجاء هذا التحول كجزء لايتجزأ من تحول اعم واشمل فى نظرة القيادة الى طبيعة المرحلة التاريخية التى يجتازها شعبنا ، وفى وعيها بحتمية الحل الاشتراكى فى هذه المرحلة .

ومنذ البداية اتضح هذا المفهوم التقدمى لدور المراة فى مختلف اوجه النشاط الحيوية. ففى المجال الاقتصادى دعمت الثورة من حق المراة فى العمل بلا تمييز بينها وبين الرجل سواء فى تكافؤ الفرص ، او فى الاجر المساوى على العمل المساوى. وفى ظل الثورة اقتحمت المراة المصرية عشرات الميادين التى كانت مغلقة دونها قبل الثورة فى مجـالات الانتاج والخدمات .وفى المجال السياسى منحـت

الثورة المرأة حق الانتخاب والتمثيل فى مجلس الامة وفى مختلف المجالس الشعبية.

واذا نظرنا الى اجراءات منح المراة حق العمل وحق التمثيل السياسى كظواهر منعزلة لا تندرج فى مفهوم موحد لدور المرأة فى المجتمع. لاستحال علينا ان نصف هذه الاجراءات بصفة الثورية . فهذه الحقوق نفسها حقوق تتمتع بها المراة فى البلاد الراسمالية منذ عشرات السنين. ومع ذلك لم تغير ممارسة هذه الحقوق من نظرة هذه المجتمعات الى المرأة كتابع للرجل واداة لتكاثر الجنس والتسلية والترفيه. وكسلعة تباع وتشترى بالمال. ولم تغير هذه الحقوق فى شىء من معاناة المرأة تحت وطأة هذه النظرة ، تلك المعاناة التى اجملتها « سيمون دى بوفوار» فى كتابها «الجنس الثانى» .

فمثل هذه الحقوق لا تكتسب صفة الثورية الا اذا نبعت من نظرة ديالكتيكية شاملة الى المجتمع كبناء حى متطور تتحكم حتمية التاريخ فى تطوره الى الاشتراكية والى المرأة كجزء لا يتجزأ من هذا البناء الحى، جزء يرتبط بالكل ارتباطا جذريا بحيث يستحيل على الكل التغير الا فى تناسق وتوافق مع الجزء .

وباقرار المؤتمر الوطنى لقوى الشعب العاملة للميثاق اكتملت لهذه الاجراءات التقدمية وامثالها صفة الثورية بعد ان اندرجت فى الميثاق فى كل يقوم على الاساس نفسه ويؤدى الى الاتجاه نفسه، كل يقوم على اساس من حتمية الحل الاشتراكى ويؤدى الى طريق الاشتراكية. وتتمثل اهمية الميثاق فى انه لا يمثل بحال نظرية تسبق التطبيق، وانما يمثل نظرية تبلورت من خلال التطبيق. فالميثاق هو خلاصة خبرة شعبنا فى سنوات الثورة، وهو تجسيم للوعى الذى توصل اليه من خلال معاركه المريرة ضد الاستعمار والاقطاع ورأس المال المستغل، ذلك الوعى الذى ادرك بمقتضاه حتمية الحل الاشتراكى. وفى ظل هذا الاطار الجديد كان لا بد لوضع المرأة ان يتغير، وكان لا بد للمفهوم التقدمى عن دور المرأة فى المجتمع ان يتحول بمقتضى الميثاق الى مفهوم ثورى .

وفى الميثاق وردت الفقرة التالية: «ان المرأة لابد وان تتساوى بالرجل ولا بد وان تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشارك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » .

واذا تأملنا هذه العبارة وجدنا انها تستمد أهميتها اولا من مضمونها. ومضمون هذه العبارة اكبر بكثير مما يعبر عنه مجموع كلماتها ، فهو مضمون لا يمكن أن تفهم دلالته الثورية الا فى ضوء الماضى والحاضر، ضوء الوضع الذى كانت عليه المرأة، والوضع الذى انتهت اليه والوضع الذى لا بد أن تتطور اليه .

تساقط الاغلال

والوضع الذى كانت عليه المرأة فى مصر والشرق العربى كله وضع معروف لا داعى للتوسع فى شرحه ،وهو فى طريقه الى الاندثار، وان كان قد ترك فى نفسية المرأة آثارا مدمرة تتطلب الكثير من الجهود لازالتها. فنظام الحريم الذى ساد فترة طويلة من الزمن سلب المرأة انسانيتها واحالها الى متاع، وتمثلت خطورته فى انه استمر بحيث جعل المرأة تتقبل السجن المادى والمعنوى المفروض عليها، وتكتسب نتيجة هذا التقبل عقلية العبد المملوك الذى لا يتطلع ولا يأمل فى الخلاص من ربقة العبودية. ولمدة قرون ظلت المرأة تدور فى دائرة مفرغة وكل قدراتها الانسانية تنصرف فى محاولة دائمة ومريرة لنيل الحظوة عند الرجل ،لتوكيد وجودها كمجرد اداة للتسلية.

وبدأ نظام الحريم ينهار فى مصر فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين نتيجة لتغير البناء الاقتصادى للمجتمع بانتشار الصناعة والتجارة وبتقدم وسائل الادارة وظهور الطبقة المتوسطة، وتبلور القومية المصرية من خلال الانتفاضات الثورية المتتالية ضد قوى الاستغلال والاستعمار. وفى اعقاب ثورة ۱۹۱۹ بدات الفتاة تخرج بتشجيع من الرجل الى دور العلم.

وفى الفترة من سنة ۱۹۱۹ الى اليوم، استطاعت المراة فى فئاتها المتقدمة من الطبقة العاملة والوسطى ان تحرز انتصارات هائلة كفلت لها حق التعليم وحق العمل. ونستطيع ان نقول ان المرأة قد تحررت اليوم تماما او كادت من السجن المادى فى بلادنا، وان حقها فى التعليم والعمل حق لا تكفله الدولة فحسب، ولكن يؤيده او على الاقل يتقبله الجانب الاكبر من الرأى العام .

واذا كانت المرأة فى مصر متمثلة فى فئاتها الرائدة قد توصلت الى التحرر من السجن المادى، فهى لم تحقق بعد — على الصورة المرجوة — التحرر الكامل من السجن المعنوى، ذلك السجن الذى يفرضه عليها الرأى العام من جهة، والذى تفرضه هى على نفسها من جهة اخرى، حين تسلك وتتصرف عن ايمان مترسب فى الاعماق بتبعيتها للرجل. فالمظهر المادى قد تغير، والمنبع الايديولوجى لم يتغير، والمرأة التى استقلت اقتصاديا ما زالت الى حد كبير تدور عاطفيا ونفسيا فى الدائرة المفرغة التى كانت تدور فيها جدتها فى عصر الحريم .

وهذا التخلف من جانب المرأة يرتبط اشد الارتباط بنظرة المجتمع الى ذاته اولا، وبنظرته الى المرأة من خلال هذه الذات. ولا امل للمرأة فى الخلاص اذا كان المجتمع يقوم على اساس فكرة سيادة طبقة

على طبقة، وجنس على الاخر، اذ ان اسس التربية نفسها تضع المرأة في وقت الطفولة في موضعها في مثل هذا المجتمع، وتطبع عقليتها وسلوكها بطابع لا يجدى فى تغييره اى محاولة فردية. وهذا تماما ما حدث عندنا ومازال يحدث نتيجة لتحكم القيم الاخلاقية القديمة، وصعوبة ازدهار قيم خلقية جديدة تتلاءم مع المجتمع الذى نحاول ان نبنيه . فالتربية التى يتلقاها الطفل فى الاسرة المصرية تختلف تماما عن التربية التى تتلقاها الطفلة ،ونظرة المجتمع فى مجموعه الى الطفل تختلف تماما عن نظرته الى الطفلة، ويترتب على اسلوب التربية، وعلى نظرة المجتمع نتائج غاية فى الخطورة. فبينما ينمو الطفل وهو يؤمن بأنه قيمة مطلقة، تنمو الطفلة وهى تؤمن بأنها قيمة نسبية تستمد اهميتها من مدى حاجة الرجل اليها .

وبينما ينصرف جهد الرجل — عن وعى — الى توكيد وجوده كقيمة مطلقة عن طريق تنمية قدراته الانسانية على العمل، على الخلق والابداع والانتصار على الطبيعة وصنع الحياة، ينصرف جهد المرأة — بلا وعى — الى توكيد وجودها كقيمة نسبية، كتابعة للرجل، تدور فى فلكه لا فى فلك المجتمع الذى تعيش فيه. فالمرأة تهدر جانبا كبيرا من قدراتها الانسانية فى محاولة دائبة ومريرة للحصول على اهتمام الرجل والاحتفاظ به. وهذا الاهتمام هو الذى يبقى عليها ثقتها بنفسها، وما من تفوق فى مجال العلم أو العمل يعزيها عن فقدانه. وبينما يصبح العمل القيمة الاولى فى حياة الرجل كتعبير عن ارادته الحرة فى صنع الحياة يستحيل عند المرأة الى شىء ثانوى لا تجد فيه التكامل. وفى ظل هذا السجن المعنوى تدور المرأة بلا أمل فى الخلاص الا بتغير نظرتها الى ذاتها ،ذلك التغير الذى لايتأتى الا بتغير نظرة المجتمع فى مجموعه الى المرأة.

ومن هنا تستمد الفقرة التى تشير الى المرأة فى الميثاق اهميتها القصوى. ولا تتمثل هذه الاهمية فى ان الميثاق يقرر ضرورة تساوى المرأة بالرجل،وانما تتمثل فى أنه قد مس جوهر المشكلة. فمن المستحيل ان تتساوى المرأة بالرجل ما دام المجتمع ينظر اليها كقيمة نسبية، كتابعة للرجل، ومادامت المرأة تنظر الى نفسها هذه النظرة،وتهدر جهدها الانسانى فى توكيد عبوديتها. ومن المستحيل أن تتساوى المرأة بالرجل ما لم تصبح مثل الرجل قيمة مطلقة، انسان حر مستقل يوكد وجوده كقيمة مطلقة عن طريق عمله وابداعه، وعن طريق مساهمته فى صنع الحياة. ومن ثم فالميثاق ينبه المرأة والمجتمع معا الى ضرورة لا محيص عنها اذا ما أردنا أن تتساوى المرأة بالرجل، اذ «لا بد ان تسقط بقايا الاغلال التى تعوق حركتها الحرة حتى تستطيع ان تشترك بعمق وايجابية فى صنع الحياة » . اما الاشارة الى عنصر الايجابية هنا فهى اشارة تكمل الصورة. فالسجن المعنوى الذى تدور فيه المرأة ينبنى عليه بالضرورة انعزال للمرأة عن دائرة الحياة العامة وانطواء فى دائرة العلاقات الشخصية، وهو الوضع الذى ما زلنا نعانى منه اشد المعاناة.

قضيـــة تحــــرر المرأة
والقيم الاخلاقية الجديدة

والاشارة الى المرأة فى الميثاق تستمد اهميتها، كما قلنا، فى ضوء التطور التاريخى للمرأة المصرية. غير ان اهميتها لا تقف عند هذا الحد، فالفقرة التى تشير الى المرأة فى الميثاق ليست فقرة مستقلة قائمة بذاتها يقتصر معناها على ما تشير اليه، بل هى جزء ينمو مما يسبقه ويؤدى الى ما يلحق به ويكتسب المعنى من الكل الذى يندرج فيه .

ويتبين لنا ان الميثاق يرى ان استكمال البنــاء الاشتراكى اقتصاديا ومعنويا رهين بتحرر المرأة اذا ما تأملنا الاطار الذى وضعت الاشارة الى المرأة فى نطاقه. فهذه الاشارة تندرج اولا فى باب الانتاج والمجتمع. ذلك الباب الذى يجعل من المرأة ركنا من اركان الانتاج لايتأتى بدونه للمجتمع ان يوسع قاعدة الثروة الوطنية التى تــكفل للاشتراكية دعامتيها الرئيسيتين، وهما : الكفاية ،والعدل. وبذلك يجعل الميثاق بناء مجتمع الرفاهية رهينا بادراك المرأة لنفسها كقيمة مطلقة ، وكانسان حر يجد تكامله فى العمل ويسهم فى ايجابية وعمق فى مضاعفة الانتاج وصنع المستقبل .

ولا يرتب الميثاق على تحرر المرأة امكانية بناء المجتمع الاشتراكى من الناحية الاقتصادية فحسب، بل يرتب على هذا التحرر امكانية صياغة قيم اخلاقية جديدة وثقافة وطنية حرة تنبع من التفكير الاشتراكى وتدعم المجتمع الاشـــتراكى . فالميثاق يربط ربطا واضحا بين تحرر المرأة من ناحية وبين الطفولة «صانعة المستقبل» ، والاسرة التى تعتبر «حافظة للتقليد الوطنى مجددة لنسيجه» من ناحية اخرى. وهذا هو ولا شك الوضع الطبيـــعى ، فالمسئولية هى قرينة الحرية ،والمرأة الحرة المسئولة الواعية لمكانها من المجتمع ولواجباتها تجاه هــذا المجتمع هى وحدها القادرة على أن تخلق جيلا ينعم بارادة التغيير وبالقدرة على صنع المستقبل، وهى وحدها القادرة على ان تجعل من الاسرة اداة لا للحفاظ على التقليد الوطنى فحسب، بل على تطويره وتجديد نسيجه بحيث يتمشى مع غايات النضـــال الوطنى. وبدون هذا التجديد تستحيل صياغة القيم الاخلاقية الجديدة، قيم مجتمع الرفاهية التى «لاتؤثر

عليها القوى الضاغطة المتخلفة من العلل التى عانى منها مجتمعنا زمانا طويلا» . وبدون هذه القيم يستحيل ان تخرج الى حيز الوجود «ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال فى حياة الانسان الفرد الحر » .

فمقومات المجتمع الاشتراكى المادية والمعنوية معا، تتوقف طبقا للميثاق على تحرر المراة تحررا كاملا يتيح لها حركتها الحرة الايجابية كانسان مساو للرجل صانع للحياة . وفى ظل هذه النظرة الشاملة تكتسب قضية المراة كل ابعادها وتصبح قضية المجتمع ككل، ذلك المجتمع الذى لا يتاح له بحال تحقيق اهدافه دون ان يغير من نظرته الى ذاته والى المراة من خلال هذه الذات الجديدة.

وهذا التغير يشكل هدفا من اهدافنا البعيدة ، ونحن ندرك ان تحقيق مثل هذا الهدف ليس بالسهل ولا باليسير وان الطريق نحو تحقيقه ما زال طويلا، ولكننا ندرك ايضا اننا قد وضعنا اقدامنا على اول الطريق .

ونحن ندرك ان بناء المصانع اسهل واسرع بكثير من بناء قيم جديدة، ولكننا ندرك ايضا ان الاسراع بالتصنيع يمهد الطريق لقيام هذه القيم، وان التغير الاقتصادى كفيل بمضى الزمن بخلق هذه القيم الجديدة التى تنبع منه وتخدمه .

ونحن نؤمن بأن الزمن عامل اساسى فى ازدهار هذه القيم الجديدة ، ولكننا نؤمن أيضا أن بيدنا ان ندفع دورة الزمن عن طريق التوعية وان هذه التوعية ينبغى ان يقوم بها كادر اشتراكى قيادى من الجنسين وان تتجه الى الجنسين على السواء. وبينما تستهدف التوعية فى هذا المجال المجتمع بأجمعه ينبغى ان تتركز على الجيل الجديد الذى لم تترسب فى اعماقه بعد القيم القديمة، ولم يتجمد نتيجة لهذا الترسب. وينبغى ان تتركز التوعية فى مجالات تجمع الشباب فى المدارس والمصانع والمزارع والنوادى بأنواعها ومنظمات الاتحاد الاشتراكى.

والتوعية فى هذا المجال ينبغى ان تبدأ مع المراحل الاولى للدراسة وتستمر خلال مراحلها المختلفة، وهى توعية تستهدف غرس القيم الجديدة فى نفوس الصغار بحيث يشبون بنظرة واعية الى المجتمع الاشتراكى الذى يعيشون فيه والى وضع الرجل والمراة معا فى نطاق هذا المجتمع .

ولو اننا استطعنا ان نحقق وجود مسئول سياسى او مسئولة سياسية فى كل مدرسة يتولى او تتولى بطريقة حية وفى انفصال تام عن مناهج الدراسة تجنيد العناصر الصالحة بين الطلبة والطالبات وتزويدها بالمنهج الاشتراكى وبالتدريب القيادى اللازم لمواصلة دورها، لحققنا جانبا كبيرا من خطتنا.

وتنحصر الصعوبة فى نقطة البداية، اذ ان بناء كادر اشتراكى قيادى ليس بالامر السهل ولا باليسير فعلينا ان نسير فى حرص وبالتدريج، وقد بدات منظمة الشباب التابعة للاتحاد الاشتراكى، وبدأ معهد الدراسات الاشتراكية السير فعلا فى هذا الطريق، ولكن هدف كل منهما القريب والبعيد لا بد ان يزداد تحديدا، واذا تحدد الهدف تحددت معالم الطريق.

ونحن ندرك ان التوعية بين الفتيات ستتطلب مجهودا اكبر من ذلك الذى تتطلبه بين الفتيان اذ ان الفتاة مازالت الى حد كبير معزولة فى نطاق علاقاتها الخاصة، ولكننا ندرك ايضا اننا نستطيع ان نصل الى عقل الفتاة وقلبها عن طريق ربط الخاص بالعام، وربط اهتماماتها الخاصة بالاهتمامات العامة. ولا شك ان الاشتراكية ستكسب فى المراة نصيرا هاما حين تدرك المراة ان خلاصها وسعادتها ترتبط جذريا بسيادة المجتمع الاشتراكى .

واذا كان هذا الهدف يتطلب لتحقيقه زمنا وصبرا ومجهودا فهناك اجراءات تتطلب السرعة وينبغى ان نعجل بها لتمكين المراة من المضى فى طريقها المرسوم لها . ومن تلك الاجراءات توفير كل امكانيات الراحة للمراة العاملة كانشاء دور الحضانة وما الى ذلك مما يمكن لها من الجمع بين مسئولياتها فى البيت والعمل . وتوفير هذه الامكانيات ضرورى لا بالنسبة للمراة التى تعمل فحسب ، بل مهمة من حيث هى وسيلة لجذب المزيد من النساء الى مجال العمل .

ومن الاهداف العاجلة ايضا تعديل كل التشريعات التى تمس المراة وخاصة تلك التى تتصل بقوانين الاحوال الشخصية ، فقد اصبحت هذه التشريعات بالذات متخلفة تخلفا بينا حتى عن مجتمعنا فى حالته الراهنة ، وبينما ينبغى أن يسبق التشريع التطبيق فى البلاد الاشتراكية نجد ان هذه التشريعات تتخلف عن الواقع وتشده بقسوة الى الوراء ، وتشريعات الاحوال الشخصية مازالت تنزل بالمراة اجحافا كبيرا وتحول بينها وبين الشعور بالاطمئنان فى حياتها الخاصة وبالتالى بين الانطلاق بكامل قوتها فى مجال الانتاج . وهذه التشريعات فى طريقها فعلا الى التعديل . وحيث انها تمس صميم حياتنا وتتصل اتصالا وثيقا بالقيم التى تتحكم فى مجتمعنا فلابد ان ندقق فى اختيار اللجنة التى تجرى التعديل بحيث تمثل مدى الوعى الذى توصل اليه شعبنا.

البنوك
بين الدول الاستعمارية والمستعمرات



د. فؤاد مرسى

فى يناير ١٩٥٧ قام لاول مرة فى مصر جهاز مصرفى . ففى هذا التاريخ صدرت قوانين تمصير البنوك الاجنبية ، بمعنى أن تكون مملوكة بالكامل للمصريين. كمابدأ التمصير فورا بالنسبة للبنوك المملوكة لابناءبريطانيا وفرنسا اللتين قادتنا مغامرة العدوان الثلاثى . هنالك استحوذ الاقتصاد الوطنى على بنوك متعددة ، اصطنع منها جهازا وضع فى خدمة اغراض التنمية الاقتصادية الملحة . وهنالك اكتملت مرحلة طويلة من الصراع استغرقت قرنا كاملا ، منذ أول محاولة لتأسيس أول بنك برأس مال مصرى .

ويسلم الجميع بتأخر ظهور النظام المصرفى عندنا . لكنهم يرجعون الظاهرة عادة « الى عدم انتشار عادة التعامل مع البنوك ، نظرا للتأخر الفكرى والاقتصادى للأفراد ونظرا لتحريم الشريعة الاسلامية للربا » . وهم بذلك يعزون تأخرظهور النظام المصرفى لندرة التعامل معالنظام المصرفى — أى لتأخر ظهور النظام المصرفى ! ومن ثم فلا يزال السؤال قائما لمعرفة لماذا لم تنتشر عادة التعامل مع البنوك . ولا يجدى نفعا التدرع حتى بالتأخر الفكرىاو الاقتصادى للافراد، ولابتحريم الاسلام للربا . ومن الضرورى عندئذ تحديد المقصود « بتأخر الافراد » . فلقد بدأ تكوين البنوك الحديثة فىأوربامنذ نهاية القرونالوسطى، وأبناؤها عندئذ متخلفون قطعا عن عصرنا . ولقد بدئوا تكوين البنوك ، والمسيحية تحرم الربا والكنيسة تجرمه . فكيف قامت البنوك هناك ، وغدت نظما مصرفية حقة ، بينما لم ينشأ اول بنك برأس مال مصرى سوى فى عام ١٩٢٠ — ولم يعد لدينا جهاز مصرفى حقا الا ابتداء من عام ١٩٥٧ .

صحيح أنه كانت فى مصر بنوك كثيرة تعمل منذ أواخر القرن الماضى، لكنها كانت بنوكا أجنبية. وهنا تكمن المشكلة كل المشكلة . لقد كانت بنوكا استعمارية ، انبثقت من احتياجات الاقتصاد الاستعمارى ، ومن ثم كانت تتكامل معه . لم تنبثق من حاجة الاقتصاد المصرى فى القرنالماضى من أجل تنميته بكيفية مستقلة ، ولو فى اطار الاقتصاد الراسمالى العالمى . فماذا يعنى مثلا وجود بنك باركليز المنبثة فروعه فى بداية القرن الحالى فى الصين أو فى الهند أو فى مصر — ماذا يعنى بالنسبة لهذه البلدان ؟ **مجرد قناة طولها**

العالم كله وعرضها ثروات الشعوب وعملها المسحر ، قناة لتامين ومضاعفة نهب هذه الثروات وسلب هذا العمل ونقله الى بريطانيا ، وبالدقة الى حفنة من الاحتكاريين ارباب المال والصناعة، وعباقرة فن التلاعب المالى ، قادة نظام الاستغلال والنهب الاستعمارى .

هكذا اختلفت ظاهرة البنوك فى المستعمرات عن ظاهرة البنوك فى البلدان التى غدت استعمارية. اختلفت من حيث **النشاة** ، ومن حيث **المهام** ،ومن حيث **التطور** الذى اتخذته كل منهما . وكان الاختلاف بينهما بينا حقا ، حتى لقد غدا من الضرورى أن ترسم صورة واضحة المعالم للبنوك فى المستعمرات ، مثلما وضعت تلك الصورة للبنوك فى البلدان الاستعمارية . ونود فى الدراسة الحالية ان نسهم فى ابراز معالم الصورة المطلوبة، فى محاولة للصياغة النظرية لنموذج البنوك فى المستعمرات . ولعل افضل سبيل الى ذلك ان نبدا بعرض نموذج البنوك فى البلدان الاستعمارية .

نموذج البلدان الاستعمارية

● **النشأة :**

كيف نشأت البنوك فى البلدان الراسمالية التى غدت استعمارية ـ فى ايطاليا وهولندا وفرنسا وانجلترا والمانيا مثلا ؟.

ترتبط نشاة البنوك تاريخيا بنشاة الراسمالية. فقد كان تراكم رأس المال هو الشرط الضرورى لولادة الراسمالية . ولقد اشتد الاتجاه للتراكم منذ القرن السادس عشر ، لكنه لم يكن كافيا

الرأسمالية المصرفية

هى الراسمالية التى تملك البنوك وتتعامل فى تجارة النقود ، سواء كانت نقودها او نقود غيرها او نقودا يخلقها هى خلقا . ولقد انتعشت هذه الراسمالية فى نهاية الاقطاع من خلال تمويل التجارة وتحويل العملات وقبول الودائع واقراض الملوك والامراء . ومع انتصار الراسمالية الصناعية ازدهر راس المال المصرفى كمصدر لاغنى عنه لقيام وتوسع الصناعة الالية الكبيرة . وكان القرن الحالى نقطة تحول كبرى من الرسمالية القديمة الى راسمالية جديدة ، حيث انتقلت السيطرة من راس المال عامة الى راس المال المالى الذى كونته الراسمالية المصرفية بالاشتراك مع الراسمالية الصناعية .

لانجاز تكوين المجتمع الراسمالى . فى ذلك الوقت، كانت التجارة الخارجية والاعمال المصرفية هى التى نمت اولا . لقد كان تدفق المعادن النفيسة من المستعمرات الامريكية على البلدان الاوربية عاملا جوهريا فى تطويرها راسماليا . كانت هذه البلدان فى نهاية الاقطاع تشهد نموا هائلا فى ثروتها النقدية من المعادن النفيسة ، سواء اتخذت صورة راس مال تجارى او صورة راس مال ربوى . وانما كان راس المال التجارى هو الذى يلعب الدور الاول ، تبعا لنشاط التجارة الخارجية واتساع الملاحة البحرية وتحقيق الارباح الطائلة منهما .

كان راس المال التجارى يسيطر على الصناعة الحرفية ويجرى فيها تغييرات ثورية بعيدة المدى:

● بشراء التاجر لمنتجات المنتج السلعى الصغير، متمنعا ازاءه بشبه احتكار للشراء .

● ثم بتداخل راس المال التجارى مع الربا واقراض هذا المنتج السلعى الصغير الذى يسقط فى وضع من التبعية للتاجر .

● او ببيع المنتج السلعى الصغير لمنتجاته فى مقابل سلع من التاجر .

● او بدفع التاجر ثمن منتجات المُنتج السلعى الصغير بالمواد الاولية اللازمة لانتاجها .

ومن ثم لم تكن بقيت سوى خطوة واحدة للانتقال من اقتصاد الاقطاع الى اقتصاد الراسمالية، وتلك هى ان يتولى التاجر الراسمالى تقديم المواد الاولية للمنتج لكى يتولى تصنيعها بمقابل معين. وعندئذ يصبح المنتج اشبه بالعامل اذ يعمل بأجر معلوم . **كانت اوربا عندئذ على عتبة الراسمالية . كانت فى عصر الراسمالية التجاريه ، وهى المرحلة البدائية للراسمالية . وفيها كانت التجاره الخارجية ذات الارباح المذهلة هى المصدر الرئيسى للنمو الراسمالى . وانما كانت هذه التجارة بحاجه الى فيض لاينقطع من الاموال. ومن هنا ارتباطها الوثيق براس المال الربوى .**

فى نهاية الاقطاع كانت الراسمالية الربوية تبدو تابعا للرأسمالية التجارية ، فى خدمة التجارة الخارجية . ولا شك أن التجارة فى النقود قديمة، نشأت من التجارة فى المنتجات ، ثم غدت مستقلة عنها . ولقد كان هناك دائما تاجر النقود بالربا للمحتاجين وهو المرابى ، وتاجر العملة الاجنبية وهو الصراف ، وتاجر المعادن النفيسة وهو الصائغ . وعندما نشطت التجارة الخارجية على يدى راس المال التجارى ، أصاب هذا النشاط تجارة النقود بالتغيير الثورى . ان تجميع النقود صار تجارة رائجة بأيدى تجار النقود وبعضهم تجار منتجات ، فصارت تجارة غرضها الاول تمويل التجارة الخارجية . ومن ثم دب التغيير فى الرأسمالية الربوية القديمة التى لم تعد مهمتها

الاولى اقراض المحتاجين للاستهلاك . بل تنوعت العمليات التي تسعى اليها والتي تمثلت بصفة خاصة فيما يلي مما جعلها راسمالية مصرفية :

١ ــ في القروض الممنوحة للامراء والملوك والبلديات والدول نتيجة لتدهور الموارد الاقطاعية وتمويل الملكيات المطلقة المتحالفة مع التجار ، وذلك بفوائد باهظة ومضمونة معا . حتى لقد قامت بلدية امستردام بانشاء أول بنك هولندي للودائع في عام ١٦٠٨ .

٢ ــ في الصرف الخارجي فيما بين العملات المختلفة للدول ، تلبية لاحتياجات التجارة الخارجية . ومن ثم كان الايطاليون أول بناة للراسماليه المصرفية ، حيث كان صراف العملة يتحول الى مصرفي وكان الوسيط بالعمولة يتحول ايضا الى مصرفي .

٣ ــ في الملاحة البحرية وتوفير وسائل الدفع الضخمة في التجارة الخارجية المطردة النمو والمذهلة الارباح . ومن ثم نشأت الاسواق الكبرى ذات النشاط الدولي . هنالك ظهرت بشائر البورصات ، واستخدمت الكمبيالة ، بل وعرفت الشيكات ؛ ونظمت المحاسبة ، وجرى البيع بالعينة ، والبيع لاجل ، وتنوعت العمولة ، وبدأ تنظيم عقد العمل ، وعقد النقل ، وعقد القرض ، وعقد التأمين . بل وظهرت شركات المساهمة الاولى في محاولات لتنظيم التأمين البحري على البضائع او لتجميع رأس مال تجاري وفير . ومن هنا التقدم الذي احرزته الراسمالية المصرفية وبخاصة على ايدي الصيارفة الايطاليين الذين انحدروا ــ تجنبا لتحريم المسيحية للربا ــ من أصلاب اليهود والارمن القادمين من المشرق العربي الى ايطاليا وبخاصة في اقليم لومبارديا . وهناك انجبوا أجيالا من الصرافين والصيارفة والمصرفيين الذين عرفوا لصرامتهم باسم « الكلاب اللومبارديين » وشهر بهم شيكسبير في « تاجر البندقية » .

وكانت هولندا ندا لايطاليا . وكان ازدهارها الاسطوري في القرن السابع عشر يرجع في الواقع لا لندرة ازهارها ولا لروعة أصوافها وانما لازدهار اشتغالها بالوكالة بالعمولة في التجارة الدولية ، اى بالسمسرة التجارية . ومن ثم تفتحت قريحة أبنائها عن كل التنظيمات التي تنمي تجارة العمولة مع الخارج ، وهنا اتخذت راسماليتها الربوية سمات الرأسمالية المصرفية منذ وقت مبكر .

● المهام :

ما هي دلالة هذا العرض التاريخي لنشاة الرأسمالية المصرفية ، أعني لقيام مؤسسات لتجارة النقود في عصر الرأسمالية التجارية تسمى البنوك أو المصارف ؟

الرأسمالية الربوية

هي اقدم صورة لراس المال عرفتها البشرية، حيث يملك الشخص مبلغا نقديا يقرضه لاخر على ان يرده مضافا اليه مبلغ آخر هو الربا. هنا تلد النقود نقودا كما قال ارسطو . هذه الراسمالية الربوية قد صاحبت البشرية منذ عرفت المبادلة والنقود .

ان دلالته الواضحة هي ارتباط نشاة البنوك بنشاة الراسمالية ، وعلى سبيل التحديد بالراسمالية التجارية التي استمدت منها تاريخيا اهم سماتها. لقد نشأت البنوك كقطاع راسمالي طليعي يمهد لقيام الراسمالية عن طريق تنمية التجارة الخارجية والملاحة البحرية على حساب اقطاع الارض وشعوب المستعمرات . لقد نشأت تدعيما للتجار المتحالفين مع الامارات والملكيات المطلقة والجمهوريات التجارية من اجل بناء دول موحدة ، وتنمية القوميات . ومن ثم كانت البنوك الاولى ، تلك التي ظلت قاعدة النظام المصرفي حتى الان ، بنوكا تجارية لتمويل تداول السلع وتسويق المنتجات ، بنوكا للودائع تعتمد على تجميع المدخرات ومنح القروض القصيرة الاجل ، فالتجارة سريعة الدورة . حتى البنوك التي اسستها او شاركت في تأسيسها البلديات او الحكومات ، كانت هي الاخرى بنوك ودائع لتمويل التجارة لاجل قصير .

هكذا تحددت نشاة البنوك تاريخيا ، **ومن ثم تحددت مهامها التاريخية في تنمية الراسمالية المحلية .** فتمويل التجارة الخارجية يساعد على تحقيق تراكم بدائي هائل مصدره النهب الخارجي ، بالاضافة الى تغيير الصناعة الحرفية ثوريا على حساب الاقطاع المتدهور ، وعلى حساب الفلاحين مما يضاعف من حجم التراكم البدائي بتراكم داخلي . وهكذا كانت مهمة البنوك الناشئة تنمية الراسمالية المحلية في صراع مع الاقطاع من اجل بناء دولة موحدة ، اى سوق واحد . **لقد كانت مهمة البنوك الناشئة هي تشجيع عملية تكوين السوق القومي تحت قيادة الرأسمالية الناشئة: التجارية فالصناعية .** كانت مهمة البنوك هي تجميع الاموال من المدخرين ووضعها تحت تصرف الرأسماليين أصحاب المشروعات. وعندما انتصرت البورجوازية الصاعدة وتسلمت مراكز السلطة ، كانت الثورة الصناعية قد غيرت من حجم المشروعات الراسمالية . فالصناعة الآلية الكبيرة تتطلب الاموال الضخمة . ومن هنا غدت البنوك جهازا هائلا في خدمة الرأسمالية الصناعية ، يتولى تجميع المدخرات بالجنيهات ليقرضها

بالملايين لارباب الصناعة . غدت البنوك وسيطا بين المدخرين والراسماليين ، يتولى بالنيابة عن الراسماليين مهمة تحقيق التراكم الرأسمالي في أبسط صوره : صورة رأس المال النقدي .

● التطور :

ولقد تطورت البنوك فيما بعد تطورا جوهريا. **فعندما انتصرت الثورة الصناعية واصبحت التجاره خاضعة للصناعه ، صارت الراسمالية المصرفية في خدمة الصناعة أيضا . عندئذ تكون السوق القومي ، وتم توحيده تحت قيادة الراسمالية المحلية . هنالك تأكد تكامل النظام المصرفي مع الاقتصاد القومي ، غدا جزءا لا يتجزأ من السوق المحلي .**

في هذه المرحلة من تطور الراسمالية ، حيث كانت راسمالية حرة أساسها المنافسة بين الدرات الانتاجية التي لا حصر لها والتي تقوم بالصناعة الآلية ، اشتدت الحاجة كما ذكرنا لرأس المال الكبير . وكان انشاء السكك الحديدية ، وبناء السفن البخارية مدعاة لنشاط أكبر في سوق المال . لقد خلقت ثورة المواصلات أسواقا لرأس المال في الداخل وفي الخارج . واستغلها رجال البنوك مثلما استغلوا حاجة الدولة الى القروض لمواجهة نفقات الدولة المتزايدة والعجز الدوري في الميزانية . ومن ثم تضخم الدين العام . واصبحت سندات الدولة استثمارا ماليا راسخا في سوق المال . كان العجز المالي موضوعا للمضاربة لا ينفد ومصدرا رئيسيا للاثراء . حتى تندر الكتاب عندئذ قائلين : في نهاية كل عام عجز جديد ، أما في نهاية كل أربعة او خمسة اعوام فقرض جديد. ومن ثم نشطت البورصات ، واصبحت عمليات الاسواق يومية وكانت من قبل دورية . واتاحت ثورة المواصلات لسوق المال أن يكون سوقا دوليا بجهازه البنوك .

لقد أتاحت حرية المنافسة أكبر حرية لتراكم رأس المال . ولعبت البنوك بامكانياتها الضخمة الدور التنظيمي في هذه العملية المعقدة حقا . لقد غدت عندئذ جهازا كاملا . وظهرت بداخله الى جانب قاعدته القوية من البنوك التجارية مؤسسات متخصصة لتمويل القطاعات المختلفة من الراسمالية : الصناعية والزراعية والعقارية. لقد تأسس اول بنك للاعمال في بلجيكا سنة ١٨٢٢ باسم ((الشركة العامة)). وفي ظل المنافسة الحرة، برزت بعض بنوك الودائع واستأثرت بمكانة خاصة بفضل ودائعها وثقة الراسمالية بها، ومن ثم راحت تشق لنفسها طريقا مختارا على رأس النظام المصرفي كله ، وتفرض للاوراق التي تمهرها بامضائها تداولا غير محدود في السوق . هنالك ظهرت بنوك الاصدار متميزة عن بنوك الودائع .

هكذا أصبح النظام المصرفي بفضل بنوك الودائع والبنوك المتخصصة وبنوك الاصدار جهازا هائلا للائتمان ، يتولى ببراعة تنظيم حركة تداول السلع ورأس المال ، ليس فقط في السوق المحلي بل عبر العالم كله . وبرزت لندن عندئذ بوصفها مركز التجارة الدولية ، اعترافا بمكانة نظامها المصرفي العالي الكفاءة ، حتى لقد كانت الكمبيالة المسحوبة على أحد البنوك في لندن عملة عالمية .

وعبرت ثورة يوليو ١٨٣٠ تعبيرا فذا عن المكانة الجديدة لرجال البنوك في فرنسا ، عندما صحب لافيت كبير المصرفيين الفرنسيين لويس فيليب الى حيث يتوج ملكا على الفرنسيين . يومها قال لافيت كلمته المشهورة : من الان فصاعدا سيكون الحكم بايدي رجال البنوك .

وفي الحق لقد تطورت الامور تطورا فريدا . فالبنوك بطبيعتها مؤسسات على درجة كبيرة من التركز ، سواء من حيث راسمالها ، او من حيث عملياتها — والا افلست اوكفت عن أن تكون بنوكا. ولذلك **عندما تحولت الراسماليه في نهاية القرن الماضي من المنافسة الى الاحتكار ، كانت البنوك بفضل ودائعها وقروضها في مقدمة المؤسسات الاحتكارية التي قادت هذا التحول . بل تكونت عندئذ اتحادات للبنوك ، في الداخل وفي الخارج. وتغيرت مهمتها التاريخية . تحولت من وسيط بين المدخرين والراسماليين ، الى قوة مالية غاشمة ذات جبروت رهيب .** فتحت ايديها رأس المال النقدي لجميع الراسماليين وصغار الملاك والجزء الاكبر من وسائل الانتاج ومصادر المواد الاولية . اصبحت تملك المصانع وتؤسس المشروعات ، بل راحت تستولي على كل مصادر الربح في المجتمع . وفي الوقت ذاته تداخل رأس المال الصناعي مع رأس المال المصرفي ليحظى بهذه السلطة الجبارة على المجتمع . وتكون من هذا كله رأس مال جديد ، ليس هو

الرأسمالية التجارية

هي أول مرحلة مرت بها الرأسمالية في أحشاء المجتمع الاقطاعي المحتضر ، ابتداء من القرن السادس عشر تقريبا . هنالك أصبحت الاهمية الاولى للتجارة الخارجية بارباحها المذهلة ، ومن ثم نما رأس المال التجاري وازدهر . واتجه التجار ليس فقط للتجارة الخارجية وانما كذلك للسيطرة على الانتاج ذاته وبخاصة الصناعة الحرفية التي بدات تخوض تطورا عميقا ادى لتحول الصناعة الى انتاج رأسمالي . ان الرأسمالية تبدأ منذ اللحظة التي ينفصل فيها المنتج المباشر عن ادوات عمله ويخضع لمالك النقود الرأسمالي .

التراكم البدائى

فى نهاية الاقطاع بدات عمليات متعددة كانت نتيجتها نزع ملكية المنتجين المباشرين ، اى المنتجين الحقيقيين ، من الصانع الحرفى والفلاح فى ارضه . وانفصل بذلك المنتج المباشر عن ادوات عمله ، بينما اثرت فئة اجتماعيةصاعدة هى فئة تملك النقود .ولقد سميت تلك العمليات التاريخية القهرية باسم التراكم البدائى او الاصلى . هكذا اخذت تندثر الملكية الخاصة المكتسبة بعمل المنتج وتحل محلها الملكية الخاصة الراسمالية . وبدا بذلك نوع آخر من التراكم هو التراكم الراسمالى .

راس مال جديد ، ليس هو راس المال المصرفى العادى صاحب الوساطة المتواضعة ، وليس هو راس المال الصناعى صاحب الانتاج الحقيقى . **لكنه راس مال يعمل فى المال وحسب** . همه البحث عن اقصى ربح من اى طريق . لا وطن له . وهو فى الواقع تجسيد صارخ لهذه المرحلة العليا من الراسمالية ، مرحلة الراسمالية الاحتكارية ، مرحلة الاستعمارية . فهو راسمال احتكارى ، طفيلى ، محتضر اى مشرف على نهاية الراسمالية كلها وعلى نهايته معها .

ان راس المال الجديد ــ وبفضل شركات المساهمة التى تجمع الاموال من صغار المدخرين ــ يضع هذه الاموال مجتمعة تحت امرة عدد محدود من كبار الراسماليين ، لا ينتظرون حتى يدخروا وانما يجدون الاموال جاهزة فى البنوك اوبمعرفة البنوك . ومع ذلك فليس راس المال الجديد معنيا بتنمية صناعة او تجارة ، او بالكشف عن مجاهل الصناعات الجديدة ، بقدر ما يعنيه الربح الذى يحققه . ومن ثم يعتمد على تداول السندات والمضاربة فى البورصات ، ويبرع فى فن التلاعب المالى . يعيش من ريع السندات طفيليا على الانتاج ، ويرحل سعيا وراء مزيد من الارباح ليحصل على فائض قيمة اضافى باستغلال الشعب العامل فى المستعمرات حيث يتولى توظيف فائض راس المال . لكنه هناك فى المستعمرات يساعد من حيث لا يريد على جذب المستعمرات الى نطاق الراسمالية العالمية وتوفير المقومات لنشأة الراسمالية فيها ــ استنادا قبل كل شىء الى قوة العمل الرخيصة . ومن ثم يقود راس المال المالى مرحلة احتضار الراسمالية ، سواء فى عقر دارها او فى المستعمرات ذاتها .

فى هذه المرحلة يبلغ التركز والاحتكار حدا يصبح معه الاقتصاد الراسمالى وكأنه يقوده مركز واحد تشكله مجموعة الاحتكاريين من عباقرة فن التلاعب المالى . هنا يتجه المجتمع الراسمالى نحو المزيد من التمركز ، وتختلط الدولة بالاحتكارات لتكوين راسمالية الدولة الاحتكارية. **وعلى راس هذا البنيان كله ينشأ البنك المركزى، بنك جديد بمهمة جديدة هى التوجيه المركزى لراسمالية الدولة الاحتكارية** ، وليس مجرد تجميع راس المال النقدى للمجتمع ، ولا مجرد القبض على ناصية الاقتصاد الراسمالى كله . وعندئذ تتحول بنوك الاصدار ــ بما تملكه من ذهب وسندات ، وما تحتفظ به من ودائع ، وما تمثله من مصالح ــ تتحول لتصبح بنوكا مركزية.

فى مرحلة الاستعمارية تضيف البنوك الى مهامها مهمة تمويل عمليات غزو المستعمرات سواء كان الغزو عسكريا او اقتصاديا . وعندئذ قد تبعث الى المستعمرات بفروع منها ، او تقيم فيها بنوكا مستقلة . لكنها جميعا فى خدمة الراسمالية الاحتكارية الاستعمارية . وعلى اية حال ، فمن هذه المرحلة الاخيرة من حياة البنوك فى البلدان الاستعمارية تبدأ المرحلة الاولى من حياة البنوك فى المستعمرات . او هكذا كانت البداية فى أغلب الحالات .

فى القرن الماضى كتبت احدى اللجان البريطانية المكلفة بالتحقيق فى النشاط الاقتصادى لبريطانيا فى الخارج ، كتبت تقول : « حيثما تشترى الواردات البريطانية ، وحيثما تباع الصادرات البريطانية، فانه يوجد هناك اما بنك محلى مرتبط أوثق الارتباط بلندن ، واما بنك بريطانى يتولى تيسير التجارة البريطانية » . ولقد نشأت البنوك فى المستعمرات فى أعقاب المصالح الاستعمارية فعلا.

وعلينا الان ان ننتقل لدراسة هذا النموذج الاخر من البنوك ، من واقع تجربتنا فى مصر وهى تجربة غنية بالتعاليم .

نموذج بلاد المستعمرات

● النشأة :

كيف نشأت البنوك فى مصر ؟

لسنا هنا بصدد التاريخ لهذه البنوك . وانما نريد فحسب ان نحدد الدلالة التاريخية لنشأتها. وعلى الفور نلاحظ أن مصر لم تعرف البنوك الا منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ،وعلى ايدى راس المال الذى تصدره الدول الراسمالية التى بلغت مرحلة الاستعمارية . كانت مصر تشهد اكبر عملية تحلل فى نظامها الاقطاعى . كان القطن قد غزا الريف كانتاج سلعى راسمالى . واخذت تتوسع زراعته من اجل التصدير الى

لغزالي اوربا . وفي الوقت ذاته كان الجهاز الحكومي يتفسخ من وطأة الاعباء المالية التي تورط فيها من اجل التجديد . فتوسع في الانفاق على المرافق واسرف . ومن ثم تدفق الاجانب من المقاولين والراسماليين والافاقين ، كما تدفق راس المال الاجنبي على مصر . والتقى فيها بفئة من المولين اليهود والروم المتمصرين امثال قطاوي ومنشه وسوارس وسرسق . كما التقى بفئة نشطة من اليونانيين أمثال راللى وزربيني وسافاجو وبناكي وزرفوداكي . وبعد محاولات عديدة للبنوك الخاصة، ظهرت البنوك الكبرى ذات السطوة المالية .

في البداية تأسس البنك المصري في ١٨٥٦ ، والانجلو اجبشان في ١٨٦٤ ، والعثماني في ١٨٦٧، والكونتوارفي ١٨٦٩، والكريدي ليونيه في ١٨٧٤ . **تاسست للوساطة بين الراسماليين الفرنسيين والانجليز والخديو المدين ، فكانت اشبه بصندوق للدين . فلما انشىء صندوق رسمي للدين ، بدات مرحلة أخطر من حياة البنوك . لم تعد البنوك مجرد وسيط بين راس المال الاستعماري والخديو الاقطاعي ، وانما بدات تفرض قبضتها على مصر الاقطاعية بأكملها . بدأت تمول عمليات الرأسماليين الاوربيين لنهب وسلب الثروة المصرية وتسخير الفلاحين والعمال المصريين بالجملة على نحو ما تم قبل ذلك بسنوات قليلة عند شق قناة السويس .**

بدأت محاولات السيطرة على الانتاج كما يتمثل في القطن ، وعلى الملكية الزراعية في حمى نظام قانوني يعترف بالملكية ونظام قضائي لتمييز الاجانب . فانشأ الفرنسيون الكريدي فونسييه في ١٨٨٠ ، والايطاليون كاساتا ديسكونتو في ١٨٨٧ ، واليونانيون بنك اثينا في ١٨٩٥ ، والانجليز البنك الاهلي في ١٨٩٨ والبنك الزراعي في ١٩٠٢ وبنك الاراضي في ١٩٠٥ . وانضم البلجيكيون اخيرا فأسسوا البنك البلجيكي في ١٩١١ . بنوك من مختلف الجنسيات ، أقرب الى تشكيل رأس مال دولي . ومع ذلك فهي جميعا ذات اتجاهين واضحين : فهي اما بنوك عقارية او بنوك تجارية . وظلت الصدارة المطلقة للبنوك العقارية حتى الحرب العالمية الاولى . ففي عام ١٨٨٣ كانت تمثل ٣ر٨ مليونا مقابل ٨ر١ مليونا للبنوك التجارية . وارتفعت النسبة في ١٩١٤ فكانت ٥ر٤٥ مليونا مقابل ٥ر٤ مليونا من الجنيهات ومن هنا يبدا دورها في النهب الاستعماري .

اما البنوك العقارية فلم تكن مهمتها تمويل عمليات امتلاك المصريين للارض بالشراء واستصلاح الاراضي البور وادخال التحسينات الجوهرية على الارض ووسائل الانتاج الزراعي الحديثة . **لم تكن مهمتها – كما هي في كل بلاد العالم – تنمية الملكية الراسمالية للارض . وانما على العكس نزع ملكية المصريين للارض .** والمصريون عندئذ هم أساسا كبار الملاك الاقطاعيون المفلسون بسبب طريقة الانتاج الاقطاعية في الارض ، وبفضل عملية تفكك الريف التي صار يغذيها راس المال الاستعماري الوافد . وعلى سبيل المثال : فان الثلاثي الذي اسس البنك الاهلي (ارنست كاسل واخوان سوارس) هو الذي اشترى اراضي الدائرة السنية . كانت البنوك العقارية تقرض كبار الملاك واحيانا الفلاحين بفوائد بلغت ٣٠ ٪ من اصل القروض وانتهت بنزع ملكية جزء كبير من اراضي المقترضين . في هذه المرحلة رفضت البنوك العقارية تمويل الزراعة ، وهذا من حقها . غير انه طوال هذه المدة لم يتكون بنك زراعي واحد حتى عام ١٩٠٢ – لكنه لم يلبث ان اغلق ابوابه بعد قليل .

واما البنوك التجارية فكانت بمثابة مكاتب ايداع لصالح راسماليتها ، مهمتها تمويل تجارتها الخارجية مع مصر والاستيلاء كلما سنحت الفرصة على مصادر الثروة فيها . فمن جانب كانت تتولى تزويد الراسماليين في جاليتها بالقروض لتمويل محصول القطن سنويا ، يعني للاستيلاء على المحصول بأبخس الاثمان والاحتفاظ باكبر ربح عند تقديمه لغزالي ونساجي لانكشير . كانت مهمتها تمويل نهب القطن من الحقل الى الاسكندرية ميناء التصدير الى ليفربول ميناء الاستيراد . كل البنوك على اختلاف جنسياتها شركاء في نهب المحصول سنويا . ولا تكلفهم العملية سوى العمل موسما واحدا كل سنة . حول هذا الموسم يتجمع كل النشاط ، وتنشأ اعمال طفيلية وعمليات مصطنعة تنتهب جزءا من ثمن القطن الذي يجب أن يدخل جيوب المصريين من اقطاعيين وفلاحين . في هذا الموسم تتركز العمليات المصرفية، في خمسة شهور من سبتمبر الى يناير . ثم ينفض الموسم ، فتنفض ايديها من مصر ، تعيد اموالها الى مراكزها في الخارج وقد اتخمت بالارباح

التراكم الرأسمالي

في التراكم الراسمالي يبدا الراسمالي بمبلغ نقدي هو راسماله فيستاجر عمالا عديدين لايملكون ادوات عملهم وانما يقومون في مقابل اجر بانتاج سلع يبيعها الراسمالي في السوق . وعندئذ يخرج الراسمالي من عملية الانتاج بمبلغ نقدي اكبر مما دخل به العملية . ويسمى المبلغ الفائض بفائض القيمة ، يضيفه الراسمالي الى راسماله . وهكذا يتم التراكم الراسمالي الذي تكون مهمته هي ان يعيد باستمرار وفي كل لحظة انتاج راس المال الاصلي بل زيادته ومضاعفته .

جهاز الائتمان

هو مجموعة المؤسسات الاقتصادية التى تشتغل داخل السوق القومى بعملية منح الائتمان ، اى التعامل فى النقود لاجل بالاقراض والاقتراض . وتدخل فى هذه المؤسسات كافة البنوك والبورصات وشركات التامين التىتقبض فىايديها على كافة مصادر التمويل فى المجتمع.

والارباح الاضافية . ويتحول النهب الاستعمارى الى تراكم استعمارى لراس المال لا يتـاح مثله فى البلد الاستعمارى نفسه . **كانت هـذه البنوك تعمل اذن فىمصر بمثابةبنوك للمضاربة على القطن.** ومع ذلك فهى تغرى المصريين او تحملهم حمـلا على ايداع اموالهم فيها ،لتستغلها فى نهب الفلاحين وانعاش مراكزها الرئيسية فى الخارج .

ومن جانب آخر ، تولت هذه البنوك انشـاء بعض المرافق العامة والصناعات التابعة والمعاونة لانتاج وتسويق القطن. قام بنك الانجلو اجبشيان بمساعدة التجار اليونانيين فى انشاء المحـالج والمكابس . واشترك مع زربينى فى تاسيس شركة اقطان كفرالزيات . وساهم مع الايطاليين فى انشاء عدة شركات للنقل . واشترك مع سـوارس فى تمويل بعض شركات الزيوت . وسـلفاجو الذى اشترك فى تاسيس البنك الاهلى قد ساهم ايضا فى تاسيس مياه الاسكندرية وسـكة حديد الرمل والغزل والنسيج المصرية . وساهم بناكى فى انشاء حلاجى الاقطان والملح والصودا والتأمين الاهلية. واقرضت البنوك الفرنسية احدى شركات البترول. واشتركت فى شركات كوم امبو والشيخ فضل للسكر. كما سيطرت الشركة العامة البلجيكية عن طريق البنك البلجيكي والدولى على شركة مصر الجـديدة وشركة ترام القاهرة وشركة رولان للمقاولات . **وهكذا امتدت سـيطرة البنـوك من القطن الى كل ما يضمن قبضتها عليه من انتاجه ومبادلتـه ونقله والتامين عليه .** وامتدت بالتـالى الى حلج وكبس القطن ، والنقل البرى والنهرى وسـكك حديد الدلتا ، وتصنيع بذرة القطن ، والسـكر والملح والسجاير ، والملاحة البحـرية . وتولى البنك الاهلى ضمان ثبات العملة التى يتم بهـا التمويل والبيع والشراء والنقـل والشـحن والتامين . لم تكن هذه العملة هى الجنيه المصرى، وانما الجنيه الاسترليني . وكانت تلك هى المهمة التاريخية التى تصدى لها البنك الاهلى .

هكذا نشأت البنوك ونشطت ، ولكن كنظـام للائتمان مكمل للاقتصاد الاستعمارى ، يستجيب فى المقام الاول لاعمال الاستثمار التى يرتادها راس المال الاستعمارى فى العالم بحثا عن اقصى ربح. وهنا تعمق معالم الاقتصاد المصرى كاقتصـاد اقطاعى مسـتعمر يعتمد على محصـول واحد هو القطن الذى يربط بين الاستعماريين وكبـار الملاك . ويخضع الاقتصاد كله عن طريق تصدير القطن للسوق الراسمالية العالمية ، وبذلك تكتمل تبعيته للاقتصاد الاستعمارى. ويكون من الصعب عندئذ اعتبار البنوك فى مصر جزءا من اقتصـاد مصر وانما هى **جـزء لا يتجـزأ من الاقتصـاد الاستعمارى .** هى ظاهرة مستوردة ، مغتربة ، ثم يعاد تصديرها كل عام . وعندما اقتحمت ميدان البنوك فى نهاية القرن الماضى وبداية القرن الحالى بعض الاسماء المصرية امثال بشرى وسينوت حنا وعائلة ويصا باسيوط ومنصـور يوسف والديب باسكندرية ، فشلت ولم يلبث النسيان ان طواها سريعا .

وهكذا تختلف نشأة البنوك هنا عن نشأتها فى نموذج البلدان الاستعمارية :

١ ــ فى النموذج الاستعمارى نشـأت البنوك تطورا طبيعيا للراسمالية المحلية، فى المرحلة البدائية من الراسمالية وهى مرحلة الراسمالية التجارية. ومن ثم كانت نموذجا ناميا . أما فى **نموذج مصر ،** فقد نشأت البنوك كما قلنا ظاهرة مستوردة ، مغتربة فى مجتمـع اقطـاعى استعمـر حديثا ، فاستوردتها الراسمالية الاجنبية فى المرحلة الاخيرة للراسمالية وهى مرحلة الراسمالية الاستعمارية. ومن ثم كانت نموذجا ذاويا .

٢ ــ فى النموذج الاستعمارى نشأت البنـوك بفضل راس المال الربوى وفى خدمة راس المـال التجارى ، كنظام طبيعى يعمل على تنمية الراسمالية وتمكينها فى مواجهة الاقطاع من تكوين وتوحيـد السوق المحلى تحت قيادتها . أما فى **نموذج مصر** فقد نشأت البنوك بفضل راس المال المالى ، نتيجة تشابك راس المال المصرفى وراس المال الصناعى فى المرحلة الاحتكارية . ومن ثم فهـو راس مال احتكارى ، طفيلى ، يسعى الى حتفه فى المستعمرات وهناك يتحالف بالضرورة مع بقايا الاقطاع ليكبتا معا الراسمالية المحلية النامية ، ويحولا بينها وبين توحيد وتكوين السوق المحلى ، سوقها القومى ، كما سنرى حالا .

● المهام :

هذه البنوك لم تشكل ابدا جهـازا مصرفيـا مصريا . بل انها لم توجد على الاطلاق داخـل اقتصادنا . وانما كانت جزءا من اجهزتها المصرفية فى الخارج ، كل بنك حسب جنسيته . كانت اغلبية هذه البنوك حتى البنوك التجارية توجه عملياتها للاراضى ، فى الريف أو فى المدن ــ بينما لم ينشأ بينها بنك متخصص لتمويل الصنـاعة ولا حتى

للزراعة . وكانت تعنى بالسيطرة التامة على التجارة الداخلية للقطن حتى تضمن لنفسها أكبر نصيب من دخله السنوى . كما تعنى باحتكار التجارة الخارجية، بحيث تساعد على تكوين فائض خارجى تتراكم بفضله أرصدة أجنبية تغطى المبالغ التى تعود للرأسماليين الاجانب فى صورة ارباح وفوائد واقساط سنوية ، مع ضمان دفعها بغير ان تصاب باى انتقاص من قيمتها من جراء نقلها او دفعها أو تحويلها . وهنا كان الجنيه الاسترلينى بفضل البنك الاهلى يوفر هذا الضمان تماما . كان فائض التصدير يحجز فى لندن فى صورة ودائع لدى البنوك وأذون خزانة بريطانية وكمبيالات بالاسترلينى وأسهم وسندات فى الشركات البريطانية واجبة الدفع جميعا بالاسترلينى .

كانت مهمة البنوك فى المقام الاول هى ضمان نقل ودفع وتحويل الارباح والفوائد والاقساط وفائض التجارة الخارجية الموسمى بالاسترلينى الى خارج مصر . وهكذا لم تلعب هذه البنوك دور الوسيط لتجميع المدخرات . بل كانت من البداية عميلا أصيلا لحساب راس المال المالى . كانت من البداية احتكارا أجنبيا دخيلا على اقتصاد مصر، يمول او يسهل عملية تحويل ثروتها الى الخارج. وبالتعاون مع البورصات التى قامت بجانبها وبسندها المالى الضخم ، ومع شركات التأمين العديدة التى اخذت تسيطر على جزء هام من مدخرات المصريين ، سيطرت البنوك على رأس المال النقدى للمجتمع وعلى تداوله ليس فى مصر وانما فى الاسواق النقدية والمالية فى العالم الراسمالى . ومن ثم خلعت هذه البنوك على البلاد من سماتها ، حتى تميز دورها على النحو التالى :

أولا ـ لم تعن هذه البنوك على الاطلاق وبخاصة فى بدايتها بالاعتماد على وجود بنك مركزى محلى يكون بمثابة قيادة مركزية لعملية النهب الاستعمارى . فقد كانت جميعا متفقة على طبيعة مهمتها فى مصر . وفى ذلك كان اعتمادها أولا على مواردها الخاصة المتوفره محليا ، ثم على جهازها المصرفى فى الخارج وعلى رأسه بنكها المركزى . ومن هنا لم تسع هذه البنوك أصلا للتكامل مع الاقتصاد المصرى ، ولا حتى للتكامل فيما بينها . لقد كانت المنافسة هى التى تحكمها بلا محاولة حتى لتنظيم هذه المنافسة .

ثانيا ـ لم تعن هذه البنوك اطلاقا بتنمية تعامل المصريين مع البنوك ، بمعنى الاعتماد على القروض المصرفية لتمويل عملياتهم الاقتصادية . وبينما كانت التجارة الخارجية تمولها البنوك لوجودها بأيدى تجار القطن ومصدريه والمستوردين الأجانب ، كانت التجارة الداخلية تمول نقدا أو بما يشبه النقد او اعتمادا على الربا . وفيما عدا أغراء كبار الملاك والموظفين المصريين على الاحتفاظ بودائعهم لدى هذه البنوك ، فقد كان من الطبيعى عندئذ أن يتخلف تكوين المدخرات ، وتخلفت بالضرورة تلك الاشكال التى تتخذها فاقتصرت تقريبا على اكتناز الذهب والبنكنوت مثلما اقتصر الاستثمار على شراء الارض فى الريف والمدينة .

ثالثا ـ عمدت هذه البنوك الى تعميق علاقات الانتاج الاقطاعية فى الريف ، بمساندة كبار الملاك وهم منتجو القطن ضد صغار الملاك والفلاحين ، وبتأكيد تبعية الدخل القومى كله لمحصول القطن الذى تتحكم فيه ليفربول ، وبحرمان صغار الملاك والفلاحين من التمويل المصرفى ومن ثم توسيع نطاق المبادلات الربوية ، وبالوقوف فى وجه تطوير الزراعة رأسماليا حرصا على بقاء اقتصاد المستعمرات ذى المحصول الواحد .

لقد ظل كبار الملاك أهم العملاء لهذه البنوك . وفى الفترة من ١٨٨٠ الى ١٩٣٢ لم تزد القروض التى عقدها الكريدى فونسييه لصغار الملاك عن ٢٠ الف جنيه أى ما يقرب من ٠.٢ ٪ من مجموع قروضه ! وكان من ثم على زراع القصب الصغار أن يحصلوا على السلف من شركة السكر نفسها تمهيدا لعبودية غاشمة تبتلع الارض والمحصول. وكان على زراع القطن الصغار أن يعتمدوا على تجار الداخل أو على فروع بيوت تصدير القطن. ومن ثم كانت الفائدة تتضخم حتى لتصل الى ٣٠٪ و ٤٠ ٪ وعندما تدخلت الحكومة فأنشأت البنك الزراعى ، كانت قروضه تقدم للملاك ، وظل البنك يرفع الحد الاقصى للملكية تباعا من ٤٠ الى ٩٠ الى ٢٠٠ فدان .

رابعا ـ عمدت هذه البنوك الى عرقلة تكوين السوق المحلى الواحد وكبت القوى المنتجة النامية وبخاصة الصناعة . كانت الزراعة بالانتاج الصغير تستوعب فى الاستهلاك المباشر . وكانت الصناعة الحرفية متدهورة . ومع ذلك امتنعت البنوك عن تمويل الزراعة الراسمالية واقامة الصناعة الحديثة . واوغلت فى محاربة بنك مصر حينما فعل . ومن ثم وقفت بوعى فى سبيل تكوين راسمالية وطنية متعلقة بأهداف تنمية اقتصاد وطنى قوامه التصنيع . وعلى العكس عمدت الى تعميق النمو المتفاوت للاقتصاد المصرى، وتعميق الهوة بين الريف والمدينة وبين الصناعة الحرفية والصناعة الآلية التى أقامتها ، بل وتمزيق الوحدة الظاهرية للاقتصاد الاقطاعى بين موسم وموسم حتى كان هناك موسم النشاط وموسم الموات . وتميزت الحياة الاقتصادية كلها بالموسمية: موسمية الانتاج وموسمية التجارة وموسمية عمليات البنوك .

ومن هنا واجهنا هذه الحلقة المفرغة : لقد تأخر ظهور النظام المصرفى نتيجة تأخر تكوين الرأسمالية الوطنية ، ولقد تأخر تكوين هذه الرأسمالية الوطنية نتيجة تأخر ظهور ذلك النظام المصرفى . بل أدت سيطرة البنوك الاستعمارية الى قيام المزيد من العراقيل فى وجه الراسمالية الوطنية .

فى هذه الظروف لم تكن مهام البنوك فى مصر هى تنمية الرأسمالية المحلية وتكوين وتوحيد السوق المحلى ، بل على العكس تنمية الراسمالية المالية الاجنبية وكبت الرأسمالية الوطنية المحلية، والحيلولة دون تكوين السوق المحلى ، بل توحيد السوق المصرى مع السوق البريطانى والسوق الرأسمالى العالمى اى تحقيق التكامل الاستعمارى.
لقد كانت مهمة الراسمالية المالية وفى مقدمتها بنوكها هى ضمان تصدير القطن الى انجلترا سنويا باقصى حد من الارباح. وفى هذا الصدد كان انتاج القطن ومبادلته يشكل سوقا خارجيا لبريطانيا ولكن من غير ان يكون سوقا محليا لمصر .

● التطور

وعلى الرغم من ذلك نمت الرأسمالية المحلية . وخرجت من الحرب العالمية الاولى بمدخرات متراكمة ، ساهمت فى رفع ثمن الاراضى ، ووظفت فى الاوراق المالية الاسترلينية وفى سندات الدين العام المصرى . وتمكنت الراسمالية الوطنية من تأسيس اول بنك براس مال مصرى وهو بنك مصر فى عام ١٩٢٠ . **وابتداء من هذا التاريخ اصبح التطور المصرفى محكوما بالصراع الحاد بين القوى الطبقية المختلفة : الاستعمار والاقطاع والرأسمالية المحلية والشعب .**

كان التقاء المصالح الاستعمارية والاقطاعية معقودا حول القطن : فمزرعة القطن الاقطاعية تزود مصانع لانكشير بحاجتها من المواد الخام بأبخس الاثمان ، وتأتى بدخل قومى منتظم يضمن سيطرة لانهائية للاقطاعيين . وكان البنك الاهلى وبنك باركليز يكفلان هذه المصالح جميعا فى يسر وأمان . فلماذا تفكر الدوائر الاقطاعية فى تكوين بنوك منافسة للبنوك الاستعمارارية لن تصل الى كفاءتها ابدا ؟ بل لم تتحرك الحكومات المتعاقبة جميعا لتكوين بنك تجارى ، ولكنها على العكس أنفقت الملايين فى عمليات الائتمان العقارى ضمانا للملكيات الاقطاعية المهددة بالضياع وباسم حماية الثروة العقارية للبلاد . بل انشأت البنك العقارى الزراعى لتمويل التسويات العقارية اى لاعفاء الملاك الاقطاعيين من ديونهم قبل البنوك العقارية وتحميل الدولة بها . بل ان بنك التسليف الزراعى وقد استقل عنه البنك العقارى انما كان يمنح قروضه للملاك وحدهم تمكينا لهم من شراء المحصولات ومضاعفة الارباح .

من هنا نشأت البنوك المتخصصة ، العقارية والزراعية ، بفضل معونة الحكومات الاقطاعية .
فقد كانت تخدم الاقطاعيين اساسا . غير انه باستقرار حق الملكية العقارية ، وصدور قانون الخمسة أفدنة،وكثرة تدخل الحكومات بالتسويات العقارية،انكمشت أعمال البنوك العقارية جميعا. ان الرقم القياسى لراس مال الشركات والبنوك العقارية المستغل فى الرهن العقارى قد انخفض باطراد من ١٠٠ فى ١٩١٣ الى ٧٠ فى ١٩٢٢ الى ٤١ فى ١٩٤١ ثم الى ٣٧ فى ١٩٤٥ .ومن ثم اتجهت اغلب البنوك العقارية عقب الحرب العالمية الثانية نحو تمويل عمليات البناء فى المدن . وبلغت نسبة قروض الكريدى فونسييه المخصصة فى ١٩٥٦ لهذا الغرض نحو ٩١٪ من مجموع قروضه ، وكانت لا تزيد عن ٨٪ قبل الحرب العالمية الثانية بعام واحد .

وجرى الصراع رهيبا مع بنك مصر الذى لقى عداء الاستعمار والاقطاع وتلك القشرة الرفيعة من الراسماليين المرتبطين بالاستعمار وعلى راسهم حافظ عفيفى واسماعيل صدقى واحمد عبود .
وانتهزت هذه الدوائر ازمته عند اندلاع الحرب العالمية الثانية لتوجه الضربة القاضية اليه. وتولت حكومة حسين سرى وعبد الحميد بدوى عقد اتفاقية لدعمه ، وفرضت عليه حافظ عفيفى واسماعيل صدقى لتصفى نهائيا نفوذ الراسمالية الوطنية فيه . بينما استطاع احمد عبود أن يستقر فى مجلس ادارته بفضل آخر حكومة للوفد .

وعندما اضطرت الحكومات بعد الحرب العالمية الثانية لانشاء البنك الصناعى فى ١٩٤٧ ، لم يتمكن البنك من مباشرة أعماله المتواضعة الا بعد سنوات طويلة من تأسيسه . فقد كانت الراسمالية الكبيرة ساهمت فى تكوين رأسماله، واستطاعت أن تفرض عليه فى النهاية أن يقرض المشروعات الكبيرة . ومن ثم تجمد دوره فى تنمية الرأسمالية الوطنية . وعلى العكس تجمعت بعض الدوائر الراسمالية الكبيرة والاقطاعية وقد ازدادت ثراء بعد الحرب العالمية الثانية فاسست بنك القاهرة ، بنكا تجاريا للودائع . لكنه بقى فى اطار ضيق لا يتعدى حدود تلك القشرة العليا من الراسمالية المحلية المرتبطة بالمصالح الاستعمارية والاقطاعية .

وفى الوقت ذاته كان البنك الاهلى على رأس النظام النقدى قد فرض تبعية الجنيه المصرى للاسترلينى ، بالتلاقى مع مصالح الاقطاع وصداما مع الراسمالية النامية . كان يدفع الامور ليضمن أولا احتكار اصدار البنكنوت الى ما لا نهاية وليضمن ثانيا التحول عند اللزوم الى بنك مركزى يقبض من اعلى على ناصية الاقتصاد المصرى عندما

بنوك الاصدار

هى البنوك التى تتمتع بامتياز وغالبا باحتكار اصدار النقود الورقية فى المجتمع . ولهذا تعرف تلك النقود باسم البنكنوت .

يتحرر من السيطرة الاستعمارية . كانت مصر عندئذ تتقدم بخطى واسعة نحو معركتها الفاصلة مع الاستعمار البريطاني . ولقد استطاع البنك بالتهديد والابتزاز وبالمصالح المشتركة ان يحصل في ١٩٤٠ على تجديد احتكاره للاصدار وفي ١٩٥١ على وثيقة تحويله الى بنك مركزي .

وهنالك ، بعد تأسيس بنك مصر ونشأة البنوك المصرية المتخصصة والتغيرات العميقة التي طرأت على العالم في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، اخذت البنوك التجارية الاجنبية تبحث عن مستقبلها في مصر . واتجهت مرغمة لتحقيق نوع من الارتباط بالسوق المحلي ، وبخاصة بعد اتفاقية تحويل البنك الاهلي وهو بنك استعماري فج الى بنك مركزي وتخليه جزئيا عن صفته كبنك تجاري منافس . كان عليها أن ترتبط بالسوق المحلي ارتباطا ما ، او ان ترحل . وتمثل ارتباطها عندئذ في الاتجاه المتواضع لتمويل التجارة الداخلية . لكنها لم تصل في تطورها الى حد تمويل الصناعة . وظلت اغلبيتها الساحقة قابعة داخل المدن ، فيما عدا باركليز .

في هذه الاثناء نمت البنوك وتركزت . لكن تركزها كان بانشاء وحدات مصرفية كبيرة وبالنمو الطبيعي للوحدات القائمة . واعتمدت جميعا على اسلوب التمويل الذاتي للتوسع باستخدام الاحتياطيات الضخمة المتراكمة . والواقع أن عملية التركز قد سارت بسرعة ، وبخاصة حيث امتزج رأس المال المحلي بالاحتكارات الاجنبية . وتمكنت من مواصلة سيطرتها على تمويل القطن سنويا ، ومن تجميع المدخرات من المصريين حتى لقد بلغت ودائع البنوك الاجنبية لدى التمصير خمسين ضعفا من راسمالها . وفي الظروف ذاتها تحول بنك مصر الى احتكار قابض يسيطر على جزء هام من الودائع ، ويقود قطاعا صناعيا رئيسيا . لكنه احتكار تقبض عليه بدوره جماعة صغيرة من الماليين . وفي مارس ١٩٤٢ ، عندما جرى حصر اسهمه ، كان عدد من يملكون ٢٠ سهما فاكثر ٢٥٠٢ شخصا يملكون حوالي ٨٦٪ من راس مال البنك .

تلك كانت على وجه التقريب صورة النشاط المصرفي عند قيام الثورة . والواقع أن الصراع داخل السوق المصرفي قد تأجج بعدها . فقد أحجمت البنوك بصفة عامة عن تمويل التنمية الاقتصادية . وحاولت حكومة الثورة معها أسلوبا متعدد الاتجاهات : بانشاء بنك الجمهورية في ١٩٥٦ برأس مال مصري مستمد من أموال النقابات ، وبضمان ولاء بنك مصر وبنك القاهرة ، وباستئناس البنك الاهلي طبقا لاتفاقية ١٩٥١ . وانما تبينت الحكومة بعد ذلك قصور هذا الاسلوب بأكمله . وكان لا بد من صدام لا عودة بعده . ومع العدوان الثلاثي امتنعت البنوك الاجنبية عن تمويل محصول القطن . هنالك صدرت قرارات يناير ١٩٥٧ بتمصير رأس مال جميع البنوك الأجنبية على ان يتم التمصير فورا بالنسبة للبنوك البريطانية والفرنسية عقابا للمعتدين . ومن ثم سيطر القطاع العام على اربعة بنوك تجارية وعلى نصيب البريطانيين في البنك الاهلي ، وهي تمثل في مجموعها أكثر من نصف النشاط المصرفي كله . وعندئذ تكون في بلادنا ولاول مرة نظام مصرفي ، مرتبط أوثق الارتباط بالاقتصاد القومي ، موضوع في خدمة اغراض التنمية المستقلة لاقتصادنا في ظروف تاريخية جديدة . ولم يمض غير قليل حتى اعلنت الثورة في فبراير ١٩٦٠ وديسمبر ١٩٦٠ ويوليو ١٩٦١ تأميم جميع البنوك في مصر ضمانا لمصادر التمويل وتأمينا لعملية التخطيط .

الى هنا ونتساءل : ما هي الحقائق التي يكشف عنها تطور هذا النموذج من البنوك في المستعمرات؟

الحقيقة الاولى هي سيطرة البنوك الاستعمارية على الاقتصاد المصري حيث تقوم بالتعاون مع الدوائر الاقطاعية بتعميق معالم التخلف في علاقات الانتاج والقوى المنتجة وكبت نشاط الرأسمالية الوطنية النامية وتسخير ملايين الفلاحين والعمال . ومن ثم تأكيد التبعية الاستعمارية من خلال التبعية النقدية والمصرفية المطلقة .

والحقيقة الثانية هي سيطرة الاحتكار على التنظيمات المصرفية . فأغلبيتها الساحقة قد نشأت احتكارات او فروعا لاحتكارات : مثل باركليز والكريدي ليونيه والكونتوار والعثماني . بل نشأ البنك البلجيكي والدولي تابعا للشركة العامة البلجيكية ، وكان الكريدي فونسييه تابعا للشركة العامة الفرنسية والكريدي ليونيه الفرنسي . وهكذا ارتبط مصير هذه البنوك جميعا بمصير الاستعمار في مصر : طغت بطغيانه وانتهت بنهايته . وخلال وجودها الطويل كانت نيرا استعماريا على تقدم البلاد .

والحقيقة الثالثة هي ضعف الرأسمالية الوطنية ضعفا شديدا ، حتى أن بنكها الذي أنشأته تدعيما لوجودها لم يلبث أن صفيت منه وتحول بدوره الى احتكار بين الاحتكارات تسيطر عليه القشرة العليا من الرأسماليين الموثوق بهم في دنيا الاحتكارات . بل انه ظل أكثر من ربع قرن وحيدا في دنيا المال ، حتى قام الى جانبه بنك القاهرة برأسمال كبير مدعوما هو الاخر من قبل كبار الملاك والرأسماليين

والحقيقة الرابعة والاخيرة هي حتمية تصفية النفوذ الاستعماري من جذوره من أجل اقامة جهاز مصرفي يقبل على تمويل عملية التنمية الاقتصادية المستقلة . ومن ثم حتمية تأميم هذا الجهاز المالي بما يحتويه من بنوك وشركات تأمين تجمع بين أيديها الجزء الاكبر من الموارد المالية في مصر .

هذه الحقائق تجسدها جميعا تجربة أخطر بنكين وجدا في مصر وهما البنك الاهلي وبنك مصر .



استهلاك وإنتاج السلع التموينية الأساسية

في خطاب السيد رئيس الوزراء امام مجلس الامة فى ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٥ اشار الى التحديات التى تواجه مجتمعنا فىمرحلة التحول الاشتراكى وحاجتنا الى مواجهتها بكل ماأوتينا من صلابة وحزم ، عن طريق التوازن بين الانتاج والاستهلاك ، وبين الاستهلاك فى الحاضر وحاجات التنمية والبناء للمستقبل .

ويقدر متوسط الدخل بالاسعار الثابتة فى السنوات الخمس الاخيرة بحوالى ١٥٢٧ مليون جنيه اما الاستهلاك فقد قدر فىالمتوسط بحوالى١٣٣٣مليون جنيه فكان معدل الادخار بلغ ١٢ر٧٪ وهويقل من معدل الاستثمار الذى تم فعلا خلال المدة بما يتراوح بين ٦٪ ، ١/٢ ٦١٪ . وقد توبل هذا العجز عن طريق الاقتراض من الخارج،وبلغت قيمة هذه القروض اكثر من ٤٠٠ مليون جنيه .

واذا كان هناك مبرر للعجز واختلال التوازن فى الماضى وهو الحرمان الذى كنا فيه ، فقد آن الاوان للقضاء على العجز ، وفرض التوازن عن طريقزيادة الانتاج ، او خفض معدلات الاستهلاك ، او القيام بهما معا ، واذا كان تحقيق الزيادة فى الانتاج يحتاج الى استثمار ، او بذل جهد اضافى ، لايظهر اثره الا بعد حين ، فلا مفر اذا من ضغط المصروفات، وخفض معدلات الاستهلاك .

ونظرة بسيطة الى معدلات الاستهلاك فى المواد الضرورية توضح لنا الارتفاع الكبير فى هذه المعدلات . فقد ارتفعمعدل الاستهلاك للفرد منذ الثورة (جدول رقم١) بنسب بلغت ٢٤ر٤ ٪ لزيتبذرةالقطن، ٧٠ر٩٪ للمسلى الصناعى ، ٣٩ر٣٪ للقمح والدقيق ، اما الزيادة فى استهلاك السكر فلم تزد على ١٠ر١٪ ، اماالشاى فكانت نسبة الزيادة فيه ١٦ر٢٪ .وكانت الزيادة فى الاقمشة القطنية ١٧ر٧٪ .

وزيادة نسبة المستهلك من المواد الغذائية يبين انخفاض مستوى التغذية

جدول رقم (١)

متوسط استهلاك الفرد السنوى من أهم السلع التموينية

بالكيلوجرام

السلعة	٥٢/ ٥٣	٦٣/ ٦٤	الزيادة ٪
قمح ودقيق قمح	٧٥ر٢٥	١٠٤ر٨١	٣٩ر٣
ذرة شامى	٤٩ر٤١	٧١ر٧٤	ر٤٥
ذرة رفيعة	١٧ر٢٤	٢٢ر٩٤	٣٧ر٢
زيت بذرة قطن	٣ر٥٦	٤ر٤٣	٢٤ر٤
مسلى صناعى	٠ر٥٥	ر٩٤	٧٠ر٩
سكر	١٣ر١٠	١٤ر٤٢	١٠ر١
شاى	٠٠ر٧٤	٠٠ر٨٦	١٦ر٢
أقمشة قطنية (بالمتر)	١٤ر٨٤	١٢ر٤٦	١٧ر٧

مستخرج من بيان مشروع ميزانية الدولة لسنة ٦٥/ ١٩٦٦

منذ قيام الثورة ، لأنه لو كان الغذاء كافيا ، لاتجهت الزيادة فى الاستهلاك الى التوسع بدرجة كبيرة فى استهلاك الشاى والسكر والاقمشة القطنية .

وقد امكن مواجهة الزيادة فى استهلاك بعض السلع عن طريق زيادة الانتاج ، غير ان الزيادة فى الانتاج لم تغط جميع احتياجات الاستهلاك فى كثير من المواد ومن الجدول رقم (٢) يمكن ان نتبين هذه الحقيقة فالزيادة فى انتاج القمح مثلا لم تزد على ٤ر٦٪ مقابل ٦ر٨٢٪ زيادة فى الاستهلاك ، وتراوحت الزيادة فى انتاج الذرة الشامية ٤ر٢٨٪ والرفيعة ٨ر٤١٪ فى حين ان الاستهلاك ارتفع بنسبة ٢ر٩٠٪ و ٨ر٧٩٪ على التوالى ، ونفس الامر نلمسه بدرجة اكبر فى زيت بذرة القطن التى لم يزد المنتج فيها عن ٢٪ ولو ان الاستهلاك ارتفع بنسبة ٨ر٧٩٪ . وهذا العجز فى التوازن بين الزيادة فى الانتاج والاستهلاك فى المواد الزراعية ترجع اساسا الى عدم مرونة الزراعة، وصعوبة مواجهة المطالب المتزايدة منها ، لان التوسع فى الرقعة الزراعية امر محدود، وزيادة انتاجية الارض تتم بشكل محدود، فلم تزد المساحة المحصولية بين سنتى ١٩٥٢ ، ١٩٦٤ عن مليون فدان ، بنسبة ٧ر١٠٪ اما الانتاجية فقد كانت فى حدود ٥ر٨٪ فى القصب ، ٧ر٤٨٪ فى القمح . (جدول رقم ٣) ويمكن ان يؤدى السد العالى الى تعديل الموقف بعض الشئ، عن طريق زيادة المساحة المحصولية ، ويرفع من الكفاية الانتاجية للارض .

ولتحقيق زيادة الانتاج الزراعى تم التوسع فى انتاج الاسمدة ، والمبيدات الحشرية ، فقد زاد المنتج من سماد السوبر فوسفات ، وسماد نترات النوشادر (ازوت ٥ر١٥ ٪) بنسبة ٩٧ ٪ ، ١٣٠ ٪ فى سنة ١٩٦٤ من سنة ١٩٥٢ على التوالى . وانتج لنترات النوشادر (ازوت ٥ر٢٠) وسلفات النوشادر ، والتوماس فوسفات ، ولم يكن ينتج قبل الثورة .

ولمواجهة نقص الانتاج عن الاستهلاك تقوم الحكومة بالاستيراد ، الذى ادت زيادته عن التصدير الى وجود عجز متزايد فى ميزان المدفوعات ، فباستثناء القمح نجد ان الاستيراد يتزايد بنسب كبيرة كما يتضح من الجدول رقم (٤) .

فمواجهة التوازن تتطلب كما ذكرنا اذن الحد من الاستهلاك ، اما السلع التى يمكن الحد من استهلاكها ، فامر يتعلق بظروف الناس وظروف علاقتنا الخارجية .

الدكتور عبد الرازق حسن

جدول رقم (٢)

انتاج أهم السلع التموينية ونسبة الزيادة فيها .

ألف طن

السلعة	الانتاج ١٠٠٠ طن		الزيادة ٪	
	١٩٥٢	١٩٦٤	فى الانتاج	فى الاستهلاك
نسج	١٤	٢٣	٤ر٦	٨٢ر٦
ذرة شامى	١٥٠٦	١٩٣٤	٢٨ر٤	٩٠ر٢
ذرة رفيعة	٥٢٢	٧٤٠	٤١ر٨	٧٩ر٨
زيت بذرة قطن	١٠٠	١٠٢	٢ر٠	٧٩ر٨
سلى صاى	١٢	٤١	٢٤١ر٥	١٢٤ر٢
سكر مكرر	٢١٠	٣٥٩	٧١ر٠	٤٤ر٣
أقمشة قطنية	٤٠	٨٨	١٢٩ر٠	٥٤ر٢

المصدر ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء

جدول رقم (٣)

انتاجية الفدان فى المحاصيل الزراعية الأساسية

الانتاجية بالطن	١٩٥٢	١٩٦٤	الزيادة ٪
القمح	٠ر٧٨	١ر١٦	٤٨ر٧
أرز	١ر٣٨	٢ر١٢	٥٣ر٦
ذرة شامية	٠ر٨٨	١ر١٧	٣٣ر٠
ذرة رفيعة	١ر٢١	١ر٥٠	٢٤ر٠
قصب	٣٥ر٤٣	٣٨ر٤٣	٨ر٥
بذرة قطن	٠ر٤٢	٠ر٥٨	٣٨ر١

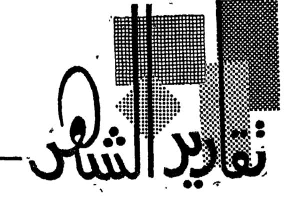
المصدر ـ وزارة الزراعة والجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .

جدول رقم (٤)

المستورد من أهم السلع التموينية

المستورد بمليون جنيه	١٩٥٢	١٩٦٤	الزيادة ٪ أو النقص
قمح	٣٢ر٦	٣٠ر٥	ـ ٦ر٤
دقيق قمح	٧ر٢	٣١ر٦	+ ٣٣٨ر٩
ذرة	١ر٩	١٢ر٣	+ ٥٤٧ر٤
شاى	٦ر٥	١٢ر١	+ ٨٦ر١

المصدر ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء





- مواجهة صريحة .. وحلول ايجابية .. وخط واضح
- المؤتمر الثالث لاتحاد العمال العرب
- مؤتمر حرض بين النجاح والفشل
- الموقف الصعب فى روديسيا
- فوز متوقع ..... وهزيمة مشرفة

■ **بور سعيد**

ثورة المائة وخمسون يوما وعصر مابعد السويس

لابد للثوريين من تأمل تجربتهم ، واستيعاب دروس التطبيق . فذلك يزودهم بطاقات جديدة لمواصلة الطريق . ويحافظ على استمرار ثوريتهم وفعاليتهم.واعياد النصر ليست مناسبات تدور فيها الرؤوس زهوا وخيلاء بما تحقق ، بل هى فرصة لمراجعة انفسنا وحسابها على الماضى تمهيدا لمواصلة الاندفاع الثورى وضمانا للقدرة على تغيير الواقع بما يحقق اهدافنا فى الحرية والاشتراكية.

وفى بورسعيد « الدرع الذى تلقى الضربة » ، وبالصراحة والبساطة المعهودة قدم الرئيس عبد الناصر تجربة النضال وحساب المستقبل . فتحدث عن ان «ثورة الحرية فى مصركانت هى بالذات الـ ١٥٠ يوما مابين ٢٦ يوليو ١٩٥٦ الى ٢٣ ديسمبر بين تأميم القنال وبين انسحاب الدول التى قامت بالعدوان علينا ، الـ ١٥٠ يوم دول عملوا تحول عميقسياسى واجتماعى وعسكرى فى العالم العربى » . والثورة لاتتم بين يوم وليلة وبمجرد الاستيلاء على السلطة ، ففى ٢٣ يوليو ٥٢ حدث التغيير الثورى « ولكنه لم يكن التغيير الثورى الحاسم» لحتى يوليو ٥٦ كانت فترة « استعداد وتحفز وتأهبللاصطدام المخطط مع الاستعمار ومع كل القوى المتعاونة معهفىالداخل». والاستعمار والرجعية لايسلمان طوعا ، « وكنا نتوقع أن لابد أن يحصل الصدام ، كان يجب أن نتوقع ان يكون الصدام ايضا عنيف وكان يجب .. قع ان يكون الاصطدام دموى».

وكان للنصر آثار بعيدة المدى فى العالمالعربى وفىافريقية ، وعلى حركة التحرر . فقد انتفض العالم العربى وتصدى للاستعمار واعوانه ، وثار على الرجعية والاستغلال . كذلك قدمنا المثل لافريقيا « بأن اى شعب له ارادة الحياة ويصمم على ان ينتصر يستطيع ان ينتصر ولو كان فى مواجهة الدول الكبرى » وحشدت الجهود لمقاومة الاستعمار والقضاء على القواعد العسكرية ومناطق النفوذ .

بين الرئيس ان القضاء على الاستعمار ، بوصفه ابشع انواع الاستغلال الراسمالى « نستطيع ان نقضى على الاستغلال وان نقضى على الرجعية وان نقضى على حكم الطبقة » . وانه لم تكن هناك حرية فيما قبل الثورة « رغم المظاهر الخداعة اللىكانوا عاملينها ورغمالبرلمان والمناقشات البرلمانية ورغم الدستور » وذلك لان « مفاتيح الاقتصادالمصرى كلها بما فيها تجارة القطن والبنوك وشركات الاراضى والتأمين والتجارةالخارجية ملكللمصالح الاجنبية ، ولان مقدراتالبلاد كانت فى يد القلة « نصف فى المائة من السكان يحصلون على ٥٠ ٪ من الدخل القومى » وهؤلاء يمثلون « تحالف الاقطاع مع الراسمالية » وكان الفلاحون فى خدمة الاقطاع والعمال فى خدمة الراسمالية ، واستطاعت الطبقة المتوسطة ان تشق طريقها بصعوبة .

وكان العمل السياسى حكرا على « النصف فى المائة » المتعاونة مع الاستعمار . وكان كل ماتتفضل به هو «حسنة» عن طريق الضمانات الوهمية لوزارة الشئون . ومع قيام الثورة ، حاول الاستعمار فرض سيطرته السياسية فقدم فى ٢٥ يوليو ، بعد يومين ، انذارا ومطالب رفضت فى نفس اليوم: لاننا صممنا على نيل حريتنا والتخلص « من نظام الاستغلال الاستعمارى ومن نظام الاستغلال الاقطاعى والراسمالى ». وحاولت القوى المعادية للثورة بكل طريق حتى بالمساومات والهواية ان تستنزف المقاومة وقدرة الاحتمال « لكن اصالة النضال المصرى تمادت فى تمسكها بهدفها حتى اضطر

الاستعمار ان يفرض دموية الصراع » ومع ذلك لم يستطع ان يجبرنا على التراجع « وابلع البحر جيوش المعتدين بالهزيمة كما قذف بهم قبلها على شواطئنا بالحقد المجنون » .

ومن جانب آخر حاولت القوى الرجعية الداخلية عرقلة سير الثورة فى طريق اهداف شعبنا وكان الاخوان «يريدوا ان يؤثروا على احمال الثورة ويعملوا من انفسهم اوصياء على الثورة». وكرر الاخوان لعبة الغدر والخيانة القديمة ، ومحاولة الطعن من الظهر « فى سنة ٥٤ كنا بنتفاوض مع الانجليز عشان الجلاء وفى نفس الوقت كان الاخوان المسلمين يعقدوا اجتماعات سرية مع اعضاء السفارة البريطانية وقالوا لهم ان احنا سنستطيع ان نستولى على السلطة « لقد كانوا يعرضون انفسهم وخدماتهم بريدون ان يبيعوا الوطن بثمن قليل. واشار الرئيس الى موقفهم من الحرب فى القنال « سئل المرشد ايه موقفكم من الحرب فى القنال قال احنا والله دعوة واسعة انتم هنا فى مصر قد تكون مصلحتكم تحاربوا فى القنال واحنا نرى ان المصلحة ان نحارب فى بلد آخر » وهكذا فحتى الشيطان يستطيع ان يجد من الشعارات مايبرر بها افعاله . وبين الرئيس سخف وعقم طلبات الاخوان كفرض الحجاب على ١٠ ملايين سيدة فى الوقت الذى تخرج فيه ابنة المرشد سافرة الى كلية الطب . وطلبهم عدم تشغيل المراة بينما ان العمل حماية للمراة يمنعها من أن تضل ومن ان « تفرط فى نفسها » . ومع كرم الثورة وعفوها عن الاخوان وارجاع «كل واحد فيهم الى عمله بماهيته وياخد دوره فى الترقى وكل شىء » .ولكن فى العام التالى اكتشفت مؤامرتهم الجديدة . وافتضحت نظرياتهم فى ان «المرشد اكبر واحد فيهم هو خليفة الله وهو رسول الله واحنا كلنا كفرة» وكان لابد من اعتقالهم لان « العملية مش بسيطة العملية مش عملية اغتيال جمال عبد الناصر واغتيال الشعب لايمكن ان احنا نقبله بحال من الاحوال والتدمير ثم الفاشستية » لاننا لانقامر بمكاسبنا ولانستطيع ابدا ان نتهاون وان نسلم انفسنا لاعوان الاستعمار والرجعية مهما كان اسمهم ولو يكون الاخوان المسلمين » واننا لن نسمح « لاعوان الاستعمار ولا اعوان الرجعية أن يكون لهم أى مجال ولا اى نشاط بيننا » .

وانتقل الرئيس الى مجتمع ماقبل الثورة وكشف خرافة المساواة والمجتمع الحر وان المجتمع كان منقسما الى اصحاب الاموال « اللى هيقدر يعمل مصنع هو اللى عنده فلوس يعنى ١/٢ / برضه » والى اجراء يعيشون من بيع قوة عملهم وباى ثمن « اللى هيروح يجرى يشتغل فى المصنع الناس اللى مش لاقيين شغل » . وباخلاص اوضح الرئيس رفض الثورة الانحياز الى الطبقات ذات الامتيازات « كانت العملية تبقى سهلة قوى ان احنا نعيش فى مجتمع النص فى المائة ولا نعذب نفسنا ولا نحتاج جهد ولا نقول خطة ولا استثمار ولا ادخار ، نريح انفسنا ونقول لكم احنا ملناش دعوة حنحكمكم وبنضم للطبقة وهم كانوا يرحبوا بنا قوى » ولكن هذا لايتفق مع الروح الثورية التى لم تكن تحركها اعتبارات شخصية ولكن بالمبادىء وحدها تسير .

واوضح الرئيس ان اختيار الشعب بناء «مجتمع الـ ١٠٠ ٪ » اختيار صعب ولكنه مجيد . وقد اقتضى هذا صراعا على كافة الجبهات فى الداخل والخارج . فالحكم الطبقى السابق لم يكن يهتم بالتنمية او التخطيط « لمن التخطيط ؟ اقرب السبل الى تحقيق اكبر قدر من الاستغلال لايحتاج الى تخطيط لايفكر فى الصناعة الثقيلة ، لايفكر فى السدود ولا فى الكهربا » كما انه لايواجه مشاكل الاستهلاك ، لان « اذا كانت الناس مابتشتغلش حتستهلك ايه » اما مجتمعنا الجديد فقد ارتفع الدخل الى ١٧٦٢ مليون جنيه بدلا من ٨٠٠ مليون . ولكن لمن ؟ للشعب كله

وكما قال الرئيس فان الشعب ، فى عصر مابعد السويس ، وضع خطين حكما مسيرته ، هما الكفاية والعدل . وان طريق تحقيق الكفاية هو زيادة الانتاج واننا « لسه مابقناش فى عهد الاشتراكية » بل اننا نمر بمرحلة انتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .واننا فى خطة الخمس السنوات الماضية استثمرنا ١٥١٢ مليون دولار مما ادى الى زيادة العمالة من ٤ر٥ مليون عامل فى ٥٢ الى ٥ر٧ مليون فى ٦٥/٦٤ وزاد مجموع الاجور من ٣٥٠ الى ٨٨٠ مليون جنيه

كما تم توزيع مليون فدان على الفلاحين . ومن جانب آخر زاد السكان من ٢١ مليونا الى ٣٠ مليون . وكل هذا أوجد مشاكل ولكن هل نتوقف ؟ لابد لنا من مضاعفة الدخل وهذا يحتاج الى ٣٠٠٠ مليون جنيه وان القروض الخارجية لاتتجاوز ٤٠٠ مليون جنيه والباقى لابد من تمويله داخليا. « واذا كنا عايزين نبنى بلدنا نزيد صادراتنا ونقلل استهلاكنا ، وده الاختبار الصعب »

وتناول الرئيس موضوع ارتفاع الاسعار واوضح انها مسألة عرض وطلب تجعل من المستحيل الرجوع الى اسعار ٦١. وان الارتفاع الاخير كان لتجنب خلل اقتصادى وقد وفر ١٠٠ مليون جنيه بينما المطلوب ١٥٠ . وتحدث عن ان ارتفاع الاسعار ظاهرة عالمية واننا مازلنا بلدا رخيصا . واوضح ان ارتفاع اسعار بعض السلع لن يترتب عليه ارتفاع باقى اسعار السلع « واى محل يرفع الاسعار فى اى صنف غير الاصناف اللى صدرت بها هذه الاجراءات يستولى عليه » .

وتحدث الرئيس عن مشروع الميناء الحر فى بورسعيد .وقال ان ذلك لايعنى خروجها من المجتمع الاشتراكى كما قالت بعض المنشورات . وان باب الاجتهاد مفتوح فى الاشتراكية وان المحظور الوحيد « هو استغلال الانسان للانسان » .

وفى ختام كلمته قال الرئيس اننا لانضحى بالجيل الحالى « بالعكس احنا بنحاول اسرع مايمكن نخلق مجتمع الـ ١٠٠ ٪ » ودعا الى قيام كل فرد بواجبه . واوضح انه رغم ضآلة مواردنا فاننا نتمسك بالمبادىء وندافع عنها . واننا مازلنا متمسكين باتفاقية جدة . واذا اشعل الملكيون الحرب فى اليمن فاننا سنتصدى لهم . واختتم الرئيس كلامه بالدعوة الى حل المشاكل بطريقة سلمية . وبتعبئة جهود الشعب فى معركة المصير التى تنتظرنا .

●

■ الاتحاد الاشتراكى

تكوين قادة الشباب

السمة البارزة فى نشاط الاتحاد الاشتراكى فى الشهر المنصرم هى النشاط الكبير لتكوين اكبر عدد من قادة الشباب يكونون نواة لمنظمة الشباب المزمع اعلان انشائها بعد شهور قليلة .

لقد استمرت أمانة الشباب بقيادة الدكتور **حسين كامل بهاء الدين** فى عملية تدريب افواج الشباب من طلبة المدارس الثانوية والجامعات الذين أختيروا لقضاء اثنى عشر يوما فى معسكرات حلوان وعين شمس يتلقون فيها محاضرات حول ضرورة الثورة

السياسية والاجتماعية ، وحتمية الحل الاشتراكي ، والتنظيم السياسي ، وأساليب العمل بين جماهير الشباب ثم قضية فلسطين .

ويبلغ عدد كل فوج من هذه الافواج ستمائة شاب يختارون من بين الوف ترشحهم اتحادات الطلبة ولجان الاتحاد الاشتراكي .

ثم بعد تدريبهم نظريا ينتقلون الى مرحلة عملية في التدريب وهي العمل في أحد معسكرات العمل في وادي النطرون ومديرية التحرير ، تمهيدا لانتقاء العناصر الذين أثبتوا كفاءة قيادية أكثر من غيرهم لينتقلوا الى المرحلة الثالثة والاخيرة في تكوين قادة الشباب وهي تدريب سبعة أسابيع في معسكر بحلوان حيث يتلقون دراسات نظرية أوسع تبلور فكرهم السياسي : الواقع المصري قبل وبعد الثورة . لماذا كان الحل الاشتراكي حتميا ؟ . الاسلوب العلمي للتحليل الاجتماعي وصراع الطبقات ودور الفرد في التاريخ الاستغلال الراسمالي . الديمقراطية الاشتراكية والديمقراطية الراسمالية . علاقتنا بالوضع العالمي . الدين وكيف لايتعارض مع الحل الاشتراكي ودور الرجعية في تشويهه .

وأمانة الشباب خططت لاعداد حوالي عشرة آلاف قائد من الشباب الطلبة والعمال قبل ٢٣ يوليو القادم بعد ان برزت الى السطح مشكلة الشباب باعتبارها اهم مشكلة تواجه التنظيم السياسي الآن .

وسيكون على كل واحد من العشرة الآلاف الذين سيتم تدريبهم ان يكسب حوالي عشرة من الشبان ليكون بمثابة «عاطفيين» على منظمة الشباب .

ويرجع النشاط في اعداد القادة من الشباب الى عام ١٩٦٣ عندما شكل زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية والمسئول عن الادارة المركزية للشباب بالاتحاد الاشتراكي في ذلك الوقت ، لجنة كلفها ببحث الوسائل الملائمة لتنظيم الشباب تمهيدا لتشكيل منظمة تابعة للاتحاد الاشتراكي (*)

وطوال أربعة شهور تمكنت هذه اللجنة التي كانت تضم الدكاترة محمد الخفيف وابراهيم سعد الدين وحسين كامل بهاء الدين واحمد القشيري وكمال ابو المجد من دراسة المشكلة من جميع نواحيها حتى وضعت التنظيم والبرامج والمحاضرات الملائمة بحيث يمكن توعية الشباب بفكر اشتراكي سليم نابع من الميثاق .

وافتتح أول معسكر لتدريب قادة الشباب في يوليو ١٩٦٤ ومنذ ذلك الحين والعملية مستمرة حتى تشكيل أمانة الشباب الجديدة التي وضعت برنامجا واسعا شاملا ، للعملية .

ويواظب علي صبري الامين العام للاتحاد الاشتراكي على حضور ندوات الشباب في المعسكرات بعد الظهر حيث يوجه الشباب أسئلة صريحة يجيب عنها الامين العام أجابات صريحة بعد التقليد العظيم الذي وضعه الرئيس عبد الناصر عندما زار المعسكر في شهر نوفمبر .

وفي برنامج الامانة التي تركز الآن على التثقيف السياسي (*) للشباب تخطيطا حتى للرياضة على أساس خط محدد : هو اعتبار التفوق الرياضي مظهرا من مظاهر التفوق السياسي والاجتماعي للدولة ، وليس مظهرا من مظاهر هوس وجنون كرة القدم المبني على التعصب وملء فراغ الرءوس . والرواد الاول لمعسكرات الشباب دخلوا الحياة العامة ، وبداوا المعركة وعند أمانة الشباب مئات التقارير عن معارك دخلها القادة الجدد الذين عين الاتحاد الاشتراكي عددا منهم كمتفرغين في المكاتب التنفيذية للمحافظات .

ورغم أن هناك وجهتي نظر حول أسلوب تربية قيادات الشباب تنحو احداها الى الاهتمام بالكم دون الكيف ، وتدعو الاخرى الى التركيز على عدد قليل نسبيا يستغرق اعداده فترة طويلة ومتابعة ، الا أن هذا الخلاف لايعرقل سير العمل ومواصلة النشاط .

أما مظاهر النشاط الاخرى للاتحاد الاشتراكي ، فان المكاتب التنفيذية للمحافظات لم تبدأ نشاطها بعد باستثناء مكتب القاهرة الذي يقوم الآن ببعض الدراسات لمشكلات الجماهير اليومية .

كما أن أمانة الدعوة والفكر نظمت ندوتين هامتين عن الفكر والتطور الاجتماعي في قاعة الاتحاد الاشتراكي التي غصت بالحاضرين . كما عقد في مقر الاتحاد أيضا أربع ندوات عن ارتفاع الاسعار الاخير .

وان كان الملاحظ ان الاتحاد الاشتراكي لم ينزل في معركة ارتفاع الاسعار بثقله تماما .

●

الجمهورية العربية المتحدة

مواجهة صريحه .. وحلول ايجابية .. وخط واضح

أكد زكريا محيي الدين في خطابه بمجلس الامة — في الرابع من ديسمبر — ان الحكومة قد وضعت لنفسها مبدأ لا تحيد عنه وهو أن تصارح الشعب بالحقائق حلوها ومرها، ثقة منها بوعيه وحسن ادراكه وتقديره للامور، اذ ان « **الحكومة لايسعها وليس من حقها ان تخدع الشعب بالاماني وانما يحتم عليها واجبها ان تنير للشعب طريق السلامة مهما كانت الصعاب ومهما كانت التضحية** » .

وهذا النهج اختطته الوزارة الجديدة منذ ان تسلمت مقاليد الحكم ، فقد أكده رئيس الوزراء في خطابه الاول عند تكليفه بتشكيل الوزارة ، ثم في خطابه في مؤتمرى الانتاج والادارة ، باعتبار أننا قد انتهينا من تنفيذ الخطة الخمسية الاولى للتنمية وبدأنا ندخل الى الخطة الثانية ، ومن ثم يجب أن نتعرف بكل صراحة على المعوقات التي صادفتنا في تنفيذ الخطة الاولى ، ونبحث الاسباب التي ترتبت عليها سواء كانت مادية او بشرية حتى يمكن مواجهتها بالحلول الكفيلة بتلافيها عند تنفيذ الخطة الخمسية الثانية لتحقق الاهداف المرجوة منها حتى يمكن «**أن تكون السنوات الخمس القادمه هي سنوات تثبيت المكاسب الثورية والنمو المطلق في معركة الانتاج لانجاح عملية التحول الاشتراكي**» كما قال رئيس الوزراء في خطابه لاعضاء مجلس الامة .

وقد أكد رئيس الوزراء في ذلك الخطاب ثلاث حقائق بارزة :

أولا : ان المشكلات التى تخلفت عن المرحلة الماضية انما هى ناشئة عن طبيعة المرحلة الدقيقة التى يمر بها مجتمعنا ، وهى فى الحقيقة مشكلات هينة اذا قورنت بالانجـازات الضخمة التى تحققت فى تلك المرحلة .

ثانيا : أن مشاكل التحول الاشتراكى والتطبيق الاشتراكى فى مصر لاتحل بالرجوع الى الخلف ، وانما تواجه باتباع الاساليب والنظم التى تتفق مع المجتمع الجديد الذى انتهينا من وضع أسسه .

ثالثا : أن التحديات التى واجهناها فى الماضى هى فى الواقع تحديات سهلة نسبيا اذا ما نظرنا الى التحديات التى تنتظرنا فى المستقبل كتحديات الصراع مع النفس من اجل توفير مقومات وأسباب نجاح عملية البناء الاقتصادى .

وقد كرس رئيس الوزراء معظم خطابه للمشكلات الداخلية وأبرزها **مشكلة ارتفاع الاسعار** وهو الاجراء الذى اتخذته لجنة الخطة قبل انعقاد مجلس الرياسة واوضح الاسباب فى لجوء الحكومة الى ذلك الاجراء : كالعجز فى ميدان المدفوعات الذى بلغ فى السنة الخامسة للخطة ١٣٥ مليون جنيه الامر الذى أدى الى نقص فى العملة الاجنبية مما سبب قدرا من الضيق فى الوفاء باحتياجات المشروعات الاقتصادية وكذلك استهدفت الحكومة القضاء على الثغرات التضخمية الموجودة بالفعل فى السوق بعد الاتجاه المستمر للاسعار نحو الارتفاع تعبيرا عن اختلال التوازن بين الدخول المتاحة للاستهلاك وبين السلع التى تطرح فى الاسواق اذ كان التقدير أن يزيد الاستهلاك خلال سنوات الخطة الخمسية الاولى بنسبة ٢٥٪ ولكن هذه النسبة ارتفعت فى الواقع الى ٤٦٪ .

ثم تناول رئيس الوزراء بعد ذلك **المشكلات التى واجهت الانتاج** وكيف انه عند وضع الخطة الاولى للتنمية لم يكن القطاع العام مسيطرا على الاقتصاد القومى كما هو الان ولم يشترك فى وضعها بطبيعة الحال فحدث انفصال واضح بين التخطيط والتنفيذ ولم **يحصل الاقتصاد القومى فى بعض الاحوال على احسن النتائج الممكنة من الاستثمارات التى نفذت .**

وأوضح رئيس الوزراء أن اتجاها للاسراف مازال واضحا داخل وحدات القطاع العام رغم تحقيق الادارات الجديدة نجاحا كبيرا فى عديد من النواحى ، وانه ما يزال هناك ميل داخل القطاع العام للاعتماد على الاستيراد من الخارج للحصول على مستلزمات الانتاج .

وقال أن على الزراعة توفير الاحتياجات الغذائية وتمويل المصانع بالمواد الاولية وتحمل نصيب من التصدير .

واختتم رئيس الوزراء حديثه عن المشكلات الداخلية بقوله ان «الحكومة واثقة كل الثقة من ان الشعب الذى يملك مصيره بين يديه ويعرف كيف يواجه مسئولياته سيتغلب على كـل الصعوبات »

وفى حديثه عن السياسة الخارجية اكد رئيس الوزراء على النقاط الثالثة :

- محاربة الجمهورية العربية المتحدة للاستعمار اينما كان وبشكليه القديم منه والحديث .
- العمل من اجل السلام القائم على العدل .
- توطيد الصداقة مع كافة الشعوب والدول على اختلاف مذاهبها فى مجالات التعاون الاقتصادى والتجارى والثقافى .
- ان الجمهورية العربية المتحدة تدين اقتطاع «قطعة من قلب الوطن الافريقى لتكون وطنا لجماعة من المستعمرين

● زكريا محيى الدين

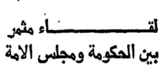
كما سبق أن اقتطع الاستعمار قطعة من قلب الوطن العربى لتكون وطنا لجماعة من الصهاينة المشردين» . وتدعو الى «التضامن العربى الافريقى لرد الاوطان المسلوبة الى اصحابها الشرعيين » .

وبالنسبة لسياستنا فى العالم العربى ابرز رئيس الوزراء المسائل التالية :

- أننا سنعمل على ارساء أسس الوحدة العربية على قاعدة متينة من الوحدة الفكرية ووحدة الهدف ووحدة النضال والعمل على طريق الحرية والاشتراكية .
- لانزعم أن الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لامناص من تطبيقها .
- ستبقى الجمهورية العربية المتحدة سندا لكفاح الشعب العربى فى كل مكان
- أن التضامن العربى لايمكن تحقيقه على الوجه الاكمل الا بتـوفير جو من الثقـة والسـلام وحسن النيـة بين كافة الدول العربية .

وفى ختام خطابه بعث زكريا محيى الدين رئيس الوزراء بتحية حارة الى قواتنا المسلحة التى حملت مشعل الثورة امام الشعب فى ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ثم قامت بتأمين الثورة من محاولات الرجعية والاستعمار . وستظل هذه القوات سائرة فى طريقها نحو التقدم والتطور ..

●



اتسمت المنـاقشات التى دارت فى مجلس الامة واستمرت يومان حول سياسة الحـكومة ـ كما جاء فى بيان السيد رئيس الوزراء ـ بالجـدية والصراحة وخاصـة فيمـا يتعلق بالاجراءات الاقتصادية ، والتى كانت قـد اتخذت قبل انعقاد المجلس وترتب عليها رفع الضريبة التصاعدية

على الدخل العام بالنسبة للشرائح التى تزيد على خمسة آلاف جنيه ، ورفع ضريبة الدفاع بالنسبة لما دون ذلك من الدخول ورفع أسعار بعض السلع ، منها ما تدخل فى الاستهلاك الشعبى العام ، ومنها الكمالية والشبه الكمالية ، بنسب تصاعدية .

وقد سبق مناقشات مجلس الامة عدة ندوات حول هذه القضية منها الندوة التى نظمتها جريدة الاهرام واشترك فيها عدد من اساتذة الاقتصاد وطرحت فيها الظروف التى دفعت الحكومة لاتخاذ هذه الاجراءات ، اذ ان حجم الدخول التى ينفق على الاستهلاك اكبر بكثير من حجم السلع الاستهلاكية التى يمكن لاقتصادنا القومى ان يزودنا بها كما قدمت فى الندوة عدة اقتراحات مثل ضرورة اتخاذ موقف حاسم من محاولة بعض الافراد رفع اسعار السلع والخدمات بعد القرارات الاخيرة وضرورة تنظيم طريقة استهلاك السلع التى تحدد سعرها واقترح نظام البطاقات كوسيلة لذلك ، كما طالب الدكتور عبد الرازق حسن بأن تفرض ضريبة اضافية على الارباح الاستثنائية وبالنسبة للضرائب اقترح ان يعتبر ٥ آلاف جنيه حد اعلى للدخل ومايزيد يصبح ضريبة ١٠٠٪ .

كما ناقشت الندوة ايضا الخطة الخمسية الاولى ، انجازاتها ومشاكلها والصعوبات التى واجهتها وخاصة زيادة الاستهلاك بمعدلات تكاد تقترب من معدلات الدخل القومى الحقيقى ، وعدم كفاية اجهزة التخطيط والمتابعة وضرورة الاهتمام بالقضاء على البيروقراطية لازالة المفهوم الذى ادى الى الاسراف وزيادة تكاليف المشروع .

كذلك نظمت مجلة «الاشتراكى» ندوة حول هذا الموضوع اشترك فيها وزراء التخطيط والاقتصاد والخزانة والاسكان للاجابة على اسئلة الشعب واستفساراته ، كما اشترك فيها بعض اساتذة المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ، وفى هذه الندوة طرحت الكثير من الحقائق التى دفعت الحكومة الى اتخاذ هذا الاجراء وذلك بقصد تخفيض الاستهلاك الى الحد الذى يمكن معه موازنة ميزان المدفوعات ، اذ ان الاجراءات الاخيرة ستزيد المدخرات بنسبة ٢٥٪ كما ستعمل على خفض الاستهلاك بحوالى ١٠٠ مليون جنيه ، كما طرحت فى الندوة عدة قضايا اخرى تتعلق بالاسراف الحكومى وامكانية الحد منه ، وتخطيط ارتفاع الاسعار بدلا من الارتفاع التلقائى الذى يقع عبؤه اساسا على عاتق الطبقات الشعبية ، وكيفية ضمان بيع السلع باسعارها المحددة وعدم اعطاء الفرصة لبعض الافراد المستغلين من التلاعب فى الاسعار .

وكان مجلس الامة قد شكل لجنة للرد على بيان الحكومة واذاعت تلك اللجنة بيانها الذى اشتمل على النقاط الاساسية التالية :

● الاعراب عن التقدير العميق للاسلوب المنهجى العلمى الذى التزمت به الحكومة فى بيانها والذى ارتفعت به الى مستوى المرحلة ، وكذلك الاعجاب بقدرة الحكومة على ممارسة النقد الذاتى .

● المطالبة باتخاذ الاجراءات الكفيلة بوقف ارتفاع الاسعار وتوفير السلع الاستهلاكية الضرورية والضرب بشدة على كل من يحاول التلاعب فيها .

● قدم البيان سبع اقتراحات هامة لحل مشكلة الاسعار اهمها : ضبط الاستهلاك عن طريق رفع الاسعار يجب ان يتبعه تنظيم تداول السلع ، ضرورة وجود الدراسة الفنية والاحصائيات المستمرة لمتابعة حركة العرض والطلب والاسعار ، اعادة النظر فى انماط الاستهلاك الحالى واحكام الاشراف على تجار الجملة تنظيم الانفاق الحكومى والغاء الكماليات والمجاملات والدعاية فى المصالح والشركات ، تحمل اصحاب الدخول الكبيرة اكثر مما يحمله اصحاب الدخول المحدودة .

● تقييم الخطة الخمسية الاولى وملاحظة ان الانتاج والادخار جاءا اقل مما كان مستهدفا . وزيادة الاستهلاك السلعى مما اثر على حجم التصدير ، وضعف الميل الادخارى .

● جاء فى البيان ان اهداف المرحلة القادمة تتمثل اساسا فى ربط الاستهلاك وزيادة السكان بالتخطيط وتطوير الانتاج الزراعى بالتوسع الراسى ، والتركيز على الصناعة الثقيلة ووضع حدود جادة وحازمة لاولويات الانفاق ، وتوعية الجماهير توعية قومية داعية تضع أمام العاملين مسئولياتهم القيادية .

● توصى اللجنة فى بيانها بان تتسع اهداف الخطة الخمسية الثانية لتشمل ماكشفت عنه متابعة الخطة الاولى من قصور فى مجالات الانتاج والاستهلاك والادخار .

ثم دارت فى المجلس بعد ذلك مناقشات حول بيان الحكومة على ضوء تقرير لجنة الرد على البيان ، وقدمت اقتراحات على جانب كبير من الاهمية .

وبالرغم من ان المناقشات فى اغلبها كانت فى اتجاه تاييد الخطوات الاقتصادية التى اتخذت ، الا انه يمكن تلمس اتجاهين واضحين من خلال الاقتراحات التى قدمها بعض النواب .

● الاتجاه العام الذى قدم اقتراحات خاصة بدراسة علمية للتحكم فى الاسراف الحكومى وفى القطاع العام ، وتحميل اصحاب الدخول الكبيرة اعباء اكبر ، والمطالبة بفرض ضريبة على الربح الزراعى ، والضرب بشدة على ايدى الانتهازيين والمستغلين

● واتجاه اخر محدود ركز فى الاقتراحات التى قدمها على التقليل من الخدمات ومطالبة اعادة دراسة قوانين العاملين بالدولة والشركات بمايفيد تخفيض الاجور ، ومراجعة سياسة التعليم المجانى فى الجامعة وتعيين الخريجين الجدد .

كما ابدى بعض الاعضاء رايهم فى انهم كانوا يفضلون ان تعرض الحكومة قرار رفع الاسعار على المجلس قبل اعلانه حتى تتوافر الظروف الملائمة لاعلانه .

وقد رد الدكتور عبد المنعم القيسونى على ذلك بان الاجراءات اتخذت وفقا للقانون الذى ينص على عرضها مباشرة على المجلس بعد اتخاذها ، وخشية ان تستغل لدى مناقشتها فى المجلس من بعض المتلاعبين بالاسعار وان الراى فى اقرارها يعود للمجلس ..

وفى ختام المناقشات تحدث السيد زكريا محيى الدين رئيس الوزراء فرد على ملاحظات اعضاء المجلس وتقرير اللجنة وتناول فى حديثه مسالتين :

● الاولى ظروف اعداد بيان الحكومة وقال انه خاطب العقول قبل ان يخاطب القلوب وذلك حتى نوضح للشعب حقائق الامور بصراحة ووضوح حتى يستطيع مواجهتها .

● والثانية رد فيها على كثير من التساؤلات التى اثيرت داخل المجلس وخارجه ، وشرح اسباب عدم التوازن الاقتصادى واكد ان الحكومة استبعدت المساس باجور العاملين بما فيها من علاوات ومكافات وترقيات ونصيب العمال من الارباح .

واعلن السيد رئيس الوزراء :

● ان اعداد الخطة الخمسية الثانية سيتم خلال شهرين وستطرح للمناقشة امام الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة ووحدات الانتاج المختلفة .

● ترحيبه بتشكيل لجنة برلمانية تتعاون مع الحكومة لبحث وسائل ضغط الانفاق الحكومى .

● حق المجلس ان يستوضح الحكومة فيما يرى ان له تاثيرا على ظروف معيشة الشعب .

● منح سلطات واسعة لرئيس مجلس الادارة ومحاسبة المسئولين فى الشركات .

● التفاوت فى الاجور يجب أن يرتبط باختلاف مقاييس المسئولية فى العمل والانتاج .

● اعادة النظر فى توزيع السلع الاستهلاكية وتنظيم التجارة الداخلية لمنع الاستغلال .

وبعد خطاب السيد رئيس الوزراء اتخذ المجلس قرارا بالاجماع اعلن فيه موافقته على تقرير اللجنة الخاصة وعلى برنامج الحكومة .

ويؤكد المعلقون ان المناقشات الواضحة والصريحة التى دارت فى مجلس الامة وكذلك المواجهة الواقعية من جانب الحكومة لمشكلات البناء والتنمية قدما نموذجا جديدا فى اسلوب العمل قائم على اساس تعميق الديمقراطية وعدم التهرب من طرح كافة الجوانب والاراء حتى بالنسبة لاكثر القضايا حساسية وهى التى تتعلق بالاسعار .

كذلك فان ماجاء فى بيان رئيس الوزراء حول طرح الخطة الخمسية الثانية للمناقشات الواسعة فى لجان الاتحاد الاشتراكى ووحدات الانتاج يعتبر خطوة هامة نحو تحقيق ديمقراطية الانتاج وتحميل الشعب المسئولية الكاملة فى بناء مستقبله .

●

العيد الحادى عشر للعلم

طرح

الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى عيد العلم الحادى عشر ، خمس قضايا هامة تتصل بدور العلم ومسئولية العلماء من ناحية ومسئولية الدولة تجاههم من ناحية اخرى . ووجه دعوة صريحة لوضع تنظيم حازم يستفيد من كل كفاءة فى مجال التخصص الذى اعدت له ، ودعا كذلك لعقد مؤتمر فى الصيف القادم للمبعوثين المصريين

تعليق

مجلس الامة ومشكلة الاسعار

فى الدورة السابقة لمجلس الامة ، ثارت مناقشات عنيفة ضد اقتراح بزيادة اسعار السلع الكمالية مثل السيارات والثلاجات واجهزة البوتاجاز وتكييف الهواء ، ادت الى العدول عن الرسوم المقترحة والاستعاضة عنها برسم اضافى على البنزين .

والقطاع العام هو المستهلك الرئيسى للبنزين ومشتقاته ، لذلك فان الرسم الاضافى لم يحقق الهدف الذى توخاه الاقتراح الاول .

ومن جانب اخر ، كان موقف المجلس تعبير عن استمرار للانفصام التقليدى الموروث بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، واتجاه لارضاء القاعدة الشعبية لحساب الافراد ، بجانب المفهوم الفئوى لما هو كمالى وما هو ضرورى فى ظروف مجتمع يعبر مرحلة التحول بصعوباتها ويعمل جاهدا على القضاء على التخلف الذى غرسه الاستعمار فى ارضنا .

وفى الشهر الماضى ، واجهت الحكومة الشعب وممثليه فى مجلس الامة مواجهة صريحة وحددت موقفا حاسما من مشكلتى تزايد الاسعار التلقائى والعجز فى ميزان المدفوعات واوضحت ضرورة القضاء على الثغرات التضخمية الموجودة بالفعل ، عن طريق التحكم فى تيار الدخول والسماح لاسعار السلع بالارتفاع الى القدر الذى يحقق التوازن ، على اساس اعتبار السلع الكمالية مصدرا رئيسيا لدخل اضافى يستخدم فى اغراض التنمية .

وهنا ، كان الاتجاه الغالب على اعضاء مجلس الامة هو ، الا خلاف حول رفع بعض الاسعار وزيادة الضرائب والحد من الانفاق الحكومى غير المنتج والزيادة المتخمة فى الاستهلاك . وساد الاقتناع بضرورة التضحية لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل ، على اساس تحميل العبء الاكبر فى زيادة الاسعار على الفئات القادرة واصحاب الدخول الكبيرة .

ودارت مناقشات صريحة مفتوحة ، جادة هادفة ، تتسم بروح المسئولية ، جرت فى اطار البحث عن حلول للمشكلة ، لا مجرد الاعتراض كموقف مسبق ، وعكست مشاركة واعيه فى تحمل مسئولية العمل الوطنى ، وتغليب للمصلحة العامة على النظرة الذاتية وادراك لتجانس المهام الاساسية الملقاة على الدولة والاجهزة الشعبية فى تعبيرها عن مصالح قوى الشعب العاملة ، فى ضوء المسئوليات التى تفرضها خطة التنمية .

هذا التغيير فى موقف المجلس يعود بالدرجة الاولى ، الى ممارسة النواب لمسئوليتهم طوال هذه الفترة ونزولهم الى الواقع ومشاركتهم فى معركة الانتاج ، فقد طلب المناضل عبد الناصر الى مجلس الامة ان يخرج اعضاؤه ليحققوا على الطبيعة كل ما يسمعونه وليشاركوا فى توجيه العمل فعليا فى لجان لتقصى الحقائق ، مما اطلعهم على صورة واقعية للمشاكل واكسبهم النظرة الشاملة الموضوعية للقضايا التى طرحت على بساط البحث ، استكشافا للحلول فى اطار هذه النظرة .

واستكمالا لهذه النتائج الايجابية ، تبرز مهام جديدة ، تتمثل فى ضرورة النزول الى الجماهير الشعبية لتوعيتها وتعبئتها . . التوعية عن طريق الاقناع من خلال العمل ، والتعبئة اثناء النضال اليومى فى معترك الصراع ضد التحديات الاستعمارية ومؤامرات التحالف الرجعى للاقطاع ورأس المال المستغل والفئات الجديدة الجشعة من التجار الذين يعملون على تحويل الاجراءات الاخيرة الى ارباح حرام يستخلصونها لمصلحتهم الخاصة، للاثراء على حساب الشعب ، وان المعارك والصراع هما الوقود الطبيعى الذى يمد حركة التطور بطاقات متجددة دافعة فى اتجاه تقدمها ، ويقيها الجمود .

ميشيل كامل

فى الخارج ، لاطلاعهم على التطورات الاخيرة التى تمت فى البلاد وكانوا بمعزل عنها .

وقد اهتم الرئيس بالتاكيد على أنه «اذا كنا نرى أمامنا مخاطر انفجار زيادة السكان وآمال مضاعفة الانتاج ومحاولات السيطرة على جموح الاستهلاك والحاجة الملحة الى تحسين الخدمة والادارة .. فلنتذكر دائما ان العلم وحده هو الذى يستطيع ان يسد الفجوة » واوضح «اننا لم نوفر حتى الان اهتماما كافيا ، او حوافز كافية لاجيال الشباب ، ومن واجبنا «أن نتطلع الى احتمالات الابداع التى مازالت تناضل لتحقيق نفسها وان نشجعها» ومطالب الاجيال الجديدة المتأهبة للخلق العلمى والفكرى والفنى «بان تعانى بجد اكثر متطلبات مانذرت نفسها له»

وقد قام الرئيس **جمال عبد الناصر** بتوزيع ٣٠٠ جائزة على الفائزين ، منح فيها الدكتور **طه حسين** قلادة النيل وهى أرفع وسام فى الدولة تقديرا لخدماته للجامعة والادب العربى ، وسلمت قلادة الجمهورية الى كل من **السيدة ام كلثوم** والموسيقار **محمد عبد الوهاب** «تقديرا لخدماتهما ولجهودهما المخلصة للفن» ، ونال الدكتور **عزيز اباظة** جائزة الاداب ، والاستاذ **راغب عياد** جائزة الفنون والدكتور **محمد مرسى احمد** جائزة العلوم والدكتور **عبد الوهاب مورو** جائزة الطب . وتسلم الشيخ **مصطفى اسماعيل** وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة ومنح الاطباء والحكيمات من العسكريين الذين ساهموا فى اجراء أول عملية جراحية باستخدام القلب الصناعى فى مستشفى الطيران العسكرى ، منحوا جميعا نوط الواجب العسكرى .

كما سلم وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة الى الفنانين **يحيى شاهين ، وكمال الشناوى ، وماجدة كامل ، ونجاة محمد حسنى ولبنى عبد العزيز ، وسعد الدين وهبة ، وصلاح جاهين ، ومرسى جميل عزيز ، وبليغ حمدى ، ومحمد الموجى ، ومحمد يوسف** هذا عدا جوائز الدولة التشجيعية فى العلوم والفنون والاداب .

هذا وقد أثار ماجاء بخطاب الدكتور عزيز أباظة بصدد اللغة الفصحى ، كثيرا من المناقشات فى الاوساط الادبية . وتجدد النقاش بين الرايين المتضادين حول ذلك الموضوع . فبينما اشار فى خطابه الى «الجماعات التى تقذف فى خفاء ووضوح العامية على الفصحى بحجة التطوير» الذى اعتبره تدميرا وهدما واوضح انه لاادب يستطيع ان يسمو مالم «تحده حدود وترده قيود» تمثلت وجهة النظر الاخرى فى ان هناك ازمة لغوية لابد من حلها تتجلى فى الانفصام بين لغة التخاطب ولغة الكتابة ، وان هناك طريقتين لحلها : اما محاولة تطوير وتطويع اللغة الفصحى لتصل الى لغة التخاطب واتباع متطلبات الحياة ، او محاولة الكتابة بلغة التخاطب ورفع مستواها لتتحول الى لغة متقنة ومنظمة تلتقى مع الفصحى المبسطة التى يطالب بها الفريق الاول .

وتكاد الاراء تجمع على أن عزيز أباظة لم يكن موفقا فى اختيار الوقت الذى كان فيه ثلاثة من الادباء الذين يستخدمون العامية الوقت المناسب لاثارة هذه القضية ، اذ انه هاجم العامية فى فى انتظار الاوسمة التى سلمها لهم الرئيس عبد الناصر .

والامر الجديد الملحوظ فى الاحتفال بعيد العلم لهذا العام ، ان التقديرات توسعت لتشمل العناصر المتفوقة من البلاد الصديقة والشقيقة ، فمن بين خمسين متفوقا يمثلون جامعة القاهرة ، نال اثنان من العراق ، وثلاثة من سوريا وواحد من كل من السودان وفلسطين جوائز تقديرية خاصة بهم . ومن جامعة عين شمس تسلمت الدكتورة **زكية درجات حسين** من اندونيسيا جائزة عن رسالتها فى فلسفة التربية والصحة النفسية ، ومن جامعة الازهر تسلم ٢٢ خريجا جوائزهم ومن بينهم ٣ من السودان ، ٢ من كل من اندونيسيا وتايلاند ، وليبيا ، و٣ من الملايو وواحد من كل من تركيا وسوريا ولبنان والهند .

القمح الامريكى ...

اصدر الرئيس الامريكى **ليندون جونسون** تصريحا ببيع كميات من القمح قيمتها ٥٥ مليون دولار الى الجمهورية العربية المتحدة ، وفقا لاتفاقية تعقد بين البلدين على اساس من القانون رقم ٤٨٠ المعروف باسم « برنامج الطعام من أجل السلام » والذى تقوم الولايات المتحدة عن طريقه ببيع فائض المواد الغذائية الى ما وراء البحار . وتنص هذه الاتفاقية على استمرارها مدة ستة أشهر يقدم خلالها القمح الذى ستدفع الجمهورية العربية ربع ثمنه بالدولار والباقى بالنقد المصرى على ان يبدا الدفع بعد ٣ سنوات بالتقسيط لمدة عشرين عاما .

وقد جاءت هذه الاتفاقية ثمرة للمباحثات التى أجراها الوفد المصرى فى اكتوبر الماضى برياسة الدكتور **عبد المنعم القيسونى** نائب رئيس الوزراء للشئون المالية والاقتصادية ، والدكتور **نزيه ضيف** وزير الخزانة والدكتور **حامد السايح** وكيل وزارة الاقتصاد مع كل من المستر **دين راسك** وزير الخارجية الامريكى **وهنرى فاولر** وزير المالية والتجارة **ووالت وايتمان روستو** احد كبار المسئولين عن التخطيط ، **وريموند ندهير** وكيل وزارة الخارجية المختص بشئون الشرق الاوسط ، والتى استهدفت تعزيز التعاون الاقتصادى بين الجمهورية العربيه المتحدة والولايات المتحدة . وقد جاء هذا التعاون بناء على الرغبة التى ابدتها الولايات المتحدة فى أوائل اكتوبر الماضى بتحسين علاقاتها مع القاهرة . ومن المعروف أن المستر لوشيوس باتل السفير الامريكى فى القاهرة ، كان قد ادلى بشهادة سرية أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى التى يرأسها السيناتور **فولبرايت** وذلك فى أواخر سبتمبر وتردد أنه قام بمشاورات مع حكومته وأمكن اثناء هذه الزيارة اقناع بعض اعضاء الكونجرس بالعدول عن موقفهم العدائى تجاه الجمهورية العربيه المتحدة .

وبينما لاحظ المراقبون أنه تقرر فى الاتفاقية التى انتهت فى يونيو الماضى دفع قيمة كميات القمح بالجنيه المصرى (وفقا للبند الاول من القانون ٤٨٠) وتم فعلا وصول كميات من فائض الاغذية قيمتها ٦٦ مليون دولار يدفع ثمنها بالجنيه المصرى (سعر الفائدة منذ سنة ١٩٦٢ هو ٢/٤ من الواحد فى المائة ، تسدد خلال ٣٠ سنة بعد مهلة قدرها ٣ سنوات) ، اوضحت **النيويورك تايمز** الامريكية ان الولايات المتحدة طلبت موافقة القاهرة على شراء جزء من فائض الاغذية الامريكية بالعملة الصعبة (وفقا للبند الرابع من القانون ٤٨٠) . وكتبت تقول:

« ان المصادر المطلعة صرحت بأن الحكومة الامريكية تريد فى اى اتفاق تعقده فى المستقبل أن يتم دفع جزء من قيمة المبيعات بالعملة الصعبة للمساهمة فى تخفيف مشكلة ميزان المدفوعات الامريكى واوضحت ان المسئولين الامريكيين يعتقدون ان الجمهورية العربية المتحدة استطاعت ان تظهر مقدرة متزايدة على دفع قيمة وارداتها من الاغذية بالعملة الصعبة أو عن طريق صفقات المقايضة وذلك فى الاشهر القلائل الاخيرة التى اوقف فيها برنامج التعاون الاقتصادى الامريكى موقتا أو استهلك تماما ».

وقد أثار عقد اتفاقية القمح الاخيرة ، سخط عدد من اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى والكونجرس وبعض المعلقين فى الصحف والراديو والتليفزيون وكذلك العناصر الصهيونية الاخرى التى شددت هجومها على الجمهورية العربية المتحدة . وممن اشتركوا فى هذه الحملة السناتور الامريكى الجمهورى « **هيوسكوت** » (بنسلفانيا) ، والنائب الصهيونى **بنيامين روزنتال** ، والسناتور



• جونســـون

الديموقراطى ((ابراهام ريبيكوف)) : الذى اعلن ان الوقت قد حان لفرض الشروط على الجمهورية العربية المتحدة «بعد ان فشلنا من قبل فى الاعوام من ٥٦ الى ٥٩ » وقد اصدر ليونارد فاريشتاين عضو مجلس النواب بيانا طالب فيه بعدم استئناف تقديم شحنات القمح لمصر الا بستة شروط : الدخول فى محادثات للصلح مع اسرائيل ، وقف شراء الاسلحة من الاتحاد السوفييتى ، البدء فى عملية نزع السلاح على مستوى اقليمى ، ووقف منع السفن الاسرائيلية من عبور القناة ووضع برنامج لتوطين اللاجئين الفلســطينيين فى الاراضى العربية والحد من التجارة مع الصين الشعبية .واعلن السناتور الجمهورى هليفورد كيس (نيوجرسى) أنه يجب وقف اى شحنات قمح لمصر لانها لاتزال مركز الجهود العربية لتحطيم اسرائيل وقال أن على الجمهورية العربية المتحدة أن تعطى تأكيدات ((مكبلة بالحديد)) بوقف اطلاق النــار فى سياســتها الخارجية .وقد رد د. و. كومر المستشار الخاص للبيت الابيض على رسالة عضوى مجلس الشيوخ هيلفورد كيس ،وهيوسكوت موضحا أن الرئيس جونسون اتخذ قراره بالموافقــة على بيع المواد الغذائية للجمهورية العربية المتحدة بناء على توجيه من وزارة الخارجية التى قالت ان هذا الاجراء فى مصلحة الولايات المتحدة ، واضاف كومر أن الرئيس الامريكى اتخذ هذا القرار وهو يعرف أنه لم يحدث اى تغيير فى سياسة الجمهورية العربية المتحدة . على أن الهجوم لم يقتصر على داخل الولايات المتحدة فقط اذ قام ليفى أشكول رئيس وزراء اسرائيل بالهجوم على اتجاه الولايات المتحدة للتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة .»

●

■ الوطن العـــــربى

المؤتمر الثالث لاتحاد العمال العرب

فى المـــدة من ١٤ الى ١٩ ديسمبر ١٩٦٥ انعقد فى القــاهرة المؤتمر الثالث للاتحــاد الدولى لنقابات العمال العرب — وكان من المقرر عقد هذا المؤتمر فى دمشق فى مارس ١٩٦١ ولكن حالت ظروف الانفصـــال دون انعقاده .. ولقد اشترك فى المؤتمر الثالث مائون مندوبا يمثلون حوالى ٢٥٠٠٠٠٠ر٣ مليون عامل عربى منظم فى اتحادات عمالية فى الاردن والجزائر والسودان وعـدن والعراق والجمهورية العربية المتحدة وفلسطين والكويت ولبنان وليبيا والمغرب .. كما حضره مراقبون من اليمن واريتريا والاتحاد العالمى للنقابات

ولقد تكون الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى مارس ١٩٥٦ فى ظروف النضال من اجل تحقيق وحدة الصف العربى للتصدى لتحديات الاستعمار والصهيونية والرجعية .. وكانت نشاته نتيجة من النتائج الثورية التى اتت بها ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لاستخلاص حقوق العمال بتخليص الاوطان العربية من الاستعمار والراسمالية ولتطوير الحركة العمالية العربية وتدعيم منظماتها . ومازال لثورة ٢٣ يوليو بكل ابعادها واعماقها وافاقها التاثير الرئيسى على حركة العمال العرب ، كما اشار الى ذلك هاشم على محسن رئيس اتحاد عمال العراق عندما قال فى كلمته : «اذا استطعنا ان نرسم فى مؤتمرنا هذا طريقا واضحا للاستفادة من كل ماحققته قيادة البطل جمال عبد الناصر — واذا استطعنا ان نجعل من انجازات ثورتنا القائمة فى مصر اهدافا لنضال من اجل نقلها واتخاذها قدوة لرفع مستويات التطور فى مجتمعاتنا ، اذا استطعنا أن ننجح فى ذلك فاننا سنحقق الحريات النقابية وسنكون اقدر على الوقوف فى وجه الحركة الصهيونية المتمثلة فى الهستدروت الاسرائيلى ، اعتمادا على قوانا الذاتية ومتانة علاقاتنا مع الاتحادات العمالية العالمية وخاصة فى افريقيا واسيا وسيكون لصوتنا دوى مسموع وفعل حاسم لصالح حركات التحرر التى تقودها شعوب آسيـــا وافريقيا وبلدان امريكا اللاتينية ، ذلك ان الانتصارات التى يحققها شعبنا والكفاح الثورى الذى نخوضه فى جنوب اليمن المحتل والمحميات ونضالنا ضد النفوذ والقوى والانظمة الرجعية يتضمن دروسا وعبرا تصلح لان يتوجه المناضلون على هديها».

ولقد خاض الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب معارك عديدة لمواجهة العدوان عام ١٩٥٦ وتمكن من تنظيم حركة واسعة للتضامن مع شعب مصر فى المجال العربى والافرو آسيوى والعالمى .. ومنذ تاسيسه تمكن من كسب حركات عمالية عديدة الى جانب قضية شعب فلسطين .. وفى ١٩٥٧ و١٩٥٨ ومع مؤتمرات الشعوب الافرو آسيوية وضـع أسس وشـعارات النضال من اجل وحدة عمال آسيا وافريقيا ، وضد مؤامرات الاتحاد الدولى للنقابات الحرة — الاتحاد الخاضع للدوائر الاستعمارية الغربية — والهستدروت الاسرائيلى ورفع شعار النضال من اجل وحدة عمال افريقيا .. وفى ١٩٥٨ تمكن من عقد مؤتمر دولى للنضال مع عمال وشعب الجزائر فى القاهرة بالمشاركة مع الاتحاد العالمى للنقابات وعدد من الاتحادات العمالية فى آسيا واوروبا .

ولقد جاء المؤتمر الثالث للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب فى مرحلة ثورية جديدة تمر بها الثورة العربية .. مرحلة تحول ثورات التحرر الوطنى الى ثورات اجتماعية ، المرحلة التى اصبح فيها التحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة امل كل الكادحين العرب — مرحلة مواجهة التحديات الاستعمارية والرجعية والصهيونية والتصدى لها بقوة القواعد الشعبية ووحدتها . ويؤكد المراقبون العماليون ان المرحلة القادمة تفرض على الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب مهام عديدة وصعبة فى مجال النضال ضد الاستعمار القديم والجديد — ضد قواعده العسكرية وضد شركاته واحتكاراته وضد عملائه واذنابه — خاصة ضد النشاط التخريبى الذى يمارسه الاتحاد الدولى للنقابات الحرة هذا النشاط الذى جعل اتحاد عمال تونس يظل بعيدا عن اتحاد العمال العرب حتى اليوم. هذا النشاط الذى مايزال يفرض الانقسام على الحركة العمالية الليبية واللبنانية .. والذى يبلغ ذروته فى افريقيا بواسطة اسرائيل

ولقد انهى المؤتمر الثالث للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب اعماله فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٥ بانتخاب **هاشم على محسن** رئيس اتحاد عمال العراق رئيسا للاتحاد والدكتور فوزى السيد من الجمهورية العربية المتحدة امينا عاما للاتحاد وشكل مكتبا تنفيذيا من الاتحادات المشاركة فى المؤتمر — واصدر المؤتمر عددا من التوصيات الهامة التى دعت الى مزيد من العمل الايجابى لمساعدة عمال وشعب عدن وللدفاع عن الحريات النقابية المهدرة فى بعض البلاد العربية وبضرورة ان تتبنى الحركات العمالية العربية هدف النضال من اجل الاشتراكية فى بلادها .

●

١٧ بحثا علميا عربيا فى مؤتمر التنمية الصناعية

يعقد فى القاهرة فى مقر جامعة الدول العربية فى الفترة بين ٢٧ يناير و ١٠ فبراير « المؤتمر الافريقى للتنمية الصناعية » تحت اشراف هيئة الامم المتحدة . وقد قررت الامم المتحدة تحت ضغط الدول النامية تجميع خبرات التنمية الصناعية ، عن طريق اربعة مؤتمرات اقليمية للتنمية الصناعية فى القارات الثلاث . مؤتمر فى آسيا يجتمع الان ، ومؤتمر افريقيا الذى سينعقد فى ٢٧ يناير فى القاهرة ، ومؤتمر فى امريكا الجنوبية ، ثم يتلوها — بناء على توصيات الدول العربية — مؤتمر خاص لمناقشة التنمية الصناعية على نطاق الدول العربية فحسب ويعقد فى الكويت .

وبعد ان يتم انعقاد هذه المؤتمرات الاربعة تتوج فى عام ١٩٦٧ بمؤتمر عالمى للتنمية الصناعية تحضره كل دول العالم الاعضاء فى الامم المتحدة ، كمؤتمر التجارة الدولى .

ولقد تم الاتفاق على القاهرة على اساس ان الجمهورية العربية المتحدة . هى اكثر الدول تقدما فى افريقيا من الناحية الصناعية وهى تقوم بدور الدولة المضيفة للمؤتمر تحت اشراف الامم المتحدة ايضا . ولذا شكلت لجنة تحضيرية للمؤتمر برئاسة المهندس **يحيى الملا** العضو المنتدب للهيئة العامة للتصنيع والمهندس **امين عوض الله** وكيل وزارة الصناعة، والاستاذ الكيميائى **محمود سلامة** مدير الهيئة العامة للتوحيد القياسى . وبدأت اللجنة اجتماعاتها منذ مارس الماضى . واوفدت الامم المتحدة سكرتير اللجنة الاقتصادية لافريقيا بأديس ابابا وكذلك مساعد السكرتير العام بمركز التنمية الصناعية بنيويورك للاجتماع باللجنة ومقررها الكيميائى محمود سلامة . ووقعت اتفاقية بين الجمهورية العربية المتحدة وهيئة الامم المتحدة بالتزامات كل منهما بشأن المؤتمر ، واتفق كذلك على خطة العمل .

وانعقاد هذه المؤتمرات يتم بناء على رغبة الدول النامية التى تعتبر ان تقسيم العمل الدولى القائم الان على اساس بلاد تعمل فى انتاج الصناعات المتطورة (وهى الدول المتقدمة صناعيا) وبلاد تعمل فى انتاج المواد الخام ، وسيطرة الدول المتقدمة صناعيا على السوق العالمى وفرض اسعارها ومحاولة فرض طرق التطور على عدد كبير من البلدان التى استقلت سياسيا ، كل هذا تقسيم خاطىء ترفضه الدول النامية ، وهى تجاهد من اجل قلب ميزان القوى فى صالحها والتفذ الى احدث تكنيك فى الصناعة . ولذا فهناك اربعة موضوعات اساسية سيناقشها المؤتمر .

الموضوع الاول : اتجاهات ومستقبل الدول الصناعية فى الدول الافريقية .

الموضوع الثانى : دور المساعدات الخارجية فى التنمية الصناعية .

ولاهمية هذين الموضوعين ، فسيتم مناقشتهما فى اجتماعات عامة ، وستدلى كل دولة برايها .

الموضوع الثالث : تطور بعض الصناعات الهامة فى القارة الافريقية .

الموضوع الرابع : مناقشة بعض القضايا المتعلقة بالتنمية الصناعية

وسيقدم للمؤتمر عشرون موضوعا ، تغطى الجمهورية العربية المتحدة منها ١٧ موضوعا ، اذ يعد خبراؤها بحوثا عن خطة التصنيع فى ج . ع . م . تقدمه الهيئة العامة للتصنيع وصناعات المنسوجات القطنية المهندس عيسى شاهين . والصناعات الغذائية للدكتور حسن عشماوى . وصناعة اللب والورق للدكتور حسين كامل . وصناعة مواد البناء للدكتور احمد توفيق والدكتور يحيى العجماوى. والصناعات الهندسية يقدمه الدكتور منير البربرى . وصناعة الحديد والصلب للدكتور ابو بكر مراد والمهندس كامل عيادة . وصناعة الكيماويات الاساسية ويعرضه الدكتور فؤاد عبد السيد . وصناعة الاسمدة للدكتور مصطفى شعبان . والصناعات الصغيرة : للمهندس محمد حسب النبى ودراسة المشروعات والاولويات للدكتور البربرى . وتنفيذ المشروعات للدكتور احمد شكرى سالم . واعداد الافراد للمهندس مختار الزينى . ودور التصميمات فى الصناعة : للمهندس محمد فؤاد حسين . والمواصفات الصناعية والمقاييس : للكيميائى محمود سلامة

وقبل المؤتمر طلبت الامم المتحدة اختيار اربعة من الخبراء المصريين لاعداد التقارير التى تعبر عن وجهة نظر هيئة الامم المتحدة ، وبطبيعة الحال ستقدم هيئة الامم وجهة نظرها فى كل الموضوعات المطروحة للبحث

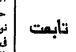
وتبدا الوفود الافريقية فى الوصول الى القاهرة من يوم ٢٣ يناير ، ولاهمية هذا المؤتمر بالنسبة للدول النامية فقد اتفق على ان تكون الوفود برئاسة وزراء الصناعة . وفى الوقت نفسه اعتمد الجانب المصرى ٤٠ الف جنيه للصرف على المؤتمر .

وبطبيعة الحال ستبعث الامم المتحدة بمجموعة من رجالها تصل يوم ١٥ يناير للاشتراك فى الاعداد للمؤتمر . وقد تحدث يوثانت السكرتير العام فى حفل الافتتاح بنفسه .

●

■ اليمن

مؤتمر حرض بين النجاح والفشل



الشعوب العربية باهتمام كبير مؤتمر حرض الذى بدأ اجتماعاته منذ ٢٤ نوفمبر الماضى وكلها امل فى ان ينجح المؤتمر فى الوصول الى قرارات تحقق لليمن وشعبها الاستقرار والرخاء فى ظل نظام ثورى يزيح عنها كابوس التخلف الذى امتد مئات السنين ■

وهذا المؤتمر نتاج لاتفاقية جدة التى عقدت بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية لوضع اسس للاستقرار والسلام فى اليمن ، بعد أن كانت الحرب قد وصلت الى حد الاصطدام الفعلى بين الدولتين العربيتين .

ويتركز جدول أعمال المؤتمر وفقا لاتفاقية جدة فى :

● تقرير شكل الحكومة المؤقتة التى ستدير الامور فى اليمن خلال فترة الانتقال وحتى اجراء الاستفتاء على نظام الحكم فى نوفمبر سنة ١٩٦٦ .

● بحث نظام الاستفتاء نفسه .

ويلاحظ المراقبون أنه بالرغم من النوايا الطيبة للوفد الجمهورى فى المؤتمر والذى يرأسه القاضى عبد الرحمن الايريانى، وبالرغم من الكثير من التنازلات الجزئية التى اقدم عليها الوفد الجمهورى لانجاح المؤتمر ، الا أن المؤتمر كاد أن يدور فى حلقة مفرغة وخاصة بعد اليوم التاسع من انعقاده .

وكان للجانب الجمهورى مثلا تحفظات بالنسبة لتمثيل الجانب الاخر ، فالجمهورية تسيطر على تسعة أعشار البلاد وبالتالى كان يجب أن يوضع هذا الواقع فى الاعتبار عند تحديد عدد مندوبى كل جانب ، كذلك فان كثيرين من أعضاء الجانب الاخر الذى يرأسه أحمد الشامى لايمثلون سوى أنفسهم ، مثال ذلك أن هناك ستة من الجانب الاخر يمثلون الشافعية فى حين أنه المعروف لدى الجميع أن الشافعية كلها تؤيد النظام الجمهورى.

ومن المشاكل التى واجهت المؤتمر فى جلسته الاولى ماسمى بتمثيل الجمهوريين المنشقين وكذلك طريقة التصويت .. هل يتم بالاغلبية المطلقة أم بأغلبية الثلثين ؟

ويجمع الذين تابعوا جلسات مؤتمر حرض أن التقدم الذى تحقق فى الجلسات الاولى يعود الفضل فيه الى سعة أفق ومرونة الوفد الجمهورى .



● عبد الرحمن الايريانى

وقد أمكن الاتفاق على جدول أعمال المؤتمر وتشكيل لجنة مؤلفة من ٢٢ عضوا لبحث النقاط التى تضمنها جدول الاعمال وذلك بهدف حصر المناقشة . كذلك تم تشكيل لجنة فرعية أخرى مؤلفة من ١٦ عضوا من شيوخ القبائل تكون مهمتها مناقشة المسائل التى يبحثها المؤتمر على مستوى قبلى على أن تتقدم بنتائج مناقشاتها الى اللجنة السياسية لبحثها من الزاوية السياسية .

ولكن المشكلة التى تأزم حولها الموقف ولم يستطع المؤتمر أن يصل الى نتيجة فيها حتى الآن هى شكل الحكم خلال فترة الانتقال .

فالجانب الاخر يصر على أن يكون شكل الحكم فى تلك الفترة شيئا وسطا لاجمهورى ولا ملكى ، بينما يرى الجانب الجمهورى أن اتفاقية جده لم تحدد شيئا بالنسبة لنظام الحكم فى فترة الانتقال وانما دعت اليمنيين الى أن يبحثوا ويقرروا ما يرد فيه لمصلحة بلادهم ويضيفون أنه بالرغم من أن النظام الجمهورى هو النظام القائم والمؤيد من كافة طبقات الشعب اليمنى الا أنهم — أى الجمهوريون — على استعداد لان يعرض هذا النظام على المؤتمر للتصويت .

ومنذ اليوم التاسع لانعقاد المؤتمر والمناقشات تدور حول هذه النقطة وخاصة فى اللقاءات الجانبية .

وكمحاولة للخروج من حالة الشلل اقترح الجانب الجمهورى اجراء استفتاء ثورى ولكن الجانب الاخر ، رفض هذا الاقتراح

ونتيجة لهذا الوضع دارت عدة اتصالات بين الجمهورية العربية المتحدة ، والمملكة السعودية وهما الدولتان الموقعتان على اتفاقية جده ، كما عقدت اجتماعات بين السيد حسن صبرى الخولى الممثل الشخصى للرئيس عبد الناصر ، ومحمد على رضا سفير المملكة السعودية .

وارسل المؤتمرون برقيات الى الرئيس عبد الناصر والملك فيصل وبعث رئيس الجمهورية العربية المتحدة برسالة الى المؤتمر جاء فيها «اننى مطمئن كل الاطمئنان الى أنكم تقدرون المسئولية الملقاة على عاتقكم ، وواثق أنكم بتوفيق من الله ستصلون فيما بينكم الى الاتفاق على طريقة الحكم التى يرتضيها الشعب اليمنى الشقيق متمسكين باتفاقية جده التى نصت على تمكين الشعب اليمنى من تقرير مصيره» .

وكان آخر ما عرض على المؤتمر هو تأجيله الى ما بعد عيد الفطر لتجنب فشله .

ويؤكد المعلقون أنه سواء نجح المؤتمر أم فشل أم تأجل فان مجرد انعقاده له مغزى ثورى فى حد ذاته ، فالتقاء اليمنيين فى مؤتمر خاص بهم لمناقشة مشاكلهم ومصيرهم أمر له دلالته وابعاده فى ارساء تقاليد وقيم جديدة لم يكن يعرفها هذا البلد الذى اخضعه الائمة قرون طويلة لاوامرهم التى لاتناقش .

كذلك يرى بعض المعلقين أن المؤتمر قد فرض توحيد الصفوف بين كل أنصار التقدم والتطور وذلك لمواجهة تكتل القوى الرجعية والملكية . ولقد اوضح المؤتمر لهذه القوى أن أمامهم رحلة شاقة تتطلب منهم وعيا وارتفاعا على مستوى المسئولية ، فحتى بعد مؤتمر حرض أمامهم تعبئة الشعب اليمنى تعبئة ثورية حتى تأتى نتيجة الاستفتاء مدعمة للنظام الجمهورى وانتصارا للقيم الثورية والحضارية .

■ الســـــودان

كل شيء يغلي من حول سؤال صعب

شهد السـودان ، خـلال الشـهر الماضي احداثا سياسية داخلية هامة ، جذبت معها انتباه الرأى العام العربي واثارت الكثير من تعليقات وتوقعات المراقبين السياسيين .

فبعد قرار الحكومة وموافقة الجمعية التأسيسية (البرلمان) على حل الحزب الشيوعي السوداني، نظم **«المؤتمر الوطني للدفاع عن الديمقراطية** (يمثل ٣٦ هيئة طلابية وعمالية وفلاحين واساتذة الجامعات والمحامين والاطباء.. الخ، لها ثقلها ووزنها السياسي) ، مظاهرة ضمت عددا كبيرا من المتظاهرين قدرتهم وكالات الانباء بسبعين الف مواطن جمعتهم قضية واحدة هي «مقاومة اى اتجاه لتقييد الحريات والديمقراطية» كما اضرب موظفو السكة الحديد وموظفو شركة موبيل اويل لمدة اسبوع عن العمل . ولم يستطع أحد من المراقبين السياسيين التكهن بالمدى الذي يمكن أن تصل اليه الحركات المعارضة لاتجاه «تقييد الحريات» او مدى تأثير حركات الاحزاب فى الحياة الاقتصادية للبلاد. ويجمع المراقبون السياسيون على ان هذه الحركات «تنطوى على نوع من الضغط على الحكومة» ويضيفون «وهو ضغط قد يؤدى الى التعجيل بتغيير كثير من الاوضاع الحالية.»

وتقول برقيات وكالات الانباء «ان كلّ شيء فى السودان يغلى الان» ويتساءل المراقبون « عما يمكن ان يجيء به الغد » وهو سؤال صعب يتعذر الاجابة عليه فى الوقت الحالى. وقد تمت حركة اعتقالات للاعضاء البارزين فى الحزب الشيوعى السودانى كما صدر قرار باعتقال احمد السيد حمد سكرتير حزب الشعب الديمقراطى وامين الشبلى نقيب المحامين وفاروق ابوعيسى سكرتير نقابة المحامين.

وقامت حكومة السودان باغلاق دار المركز العام للحزب الشيوعى السودانى وصحيفة الميدان (٢٠ الف نسخة) ودور الحزب الفرعية. كما صرح احمد المهدى وزير الداخلية «ان بقية النقابات مثل اتحاد الشباب والاتحاد النسائى، ستحل بقرار من مجلس الوزراء . » وذلك بعد ان اقرت الجمعية التأسيسية نهائيا مشروع القانون الذى تقدمت به حكومة محمد محجوب «بحل الحزب الشيوعى السودانى ومصادرة ممتلكاته واسقاط عضوية النواب الشيوعيين من الجمعية» وذلك بعد الموافقة على اجراء تعديل فقرتين من الدستور الموقت للبلاد . وقد أقر المشروع بأغلبية ١٢٦ صوتا اى بزيادة صوت واحد فقط على اغلبية الثلثين اللازمة.

وقد صرح عبدالخالق محجوب السكرتير العام للحزب الشيوعى السودانى، على اثر هذا القرار «ان ما حدث حتى الان، انما هو فشل تام وفضيحة للاحزاب التى تدافع عن الديمقراطية الغربية فى وجه الاشتراكية » واضاف «ان قرار حل الحزب ، قرار غير دستورى» . وقال بأنه سيعرض الامر «على القضاء» كما صرح عمر مكى احد النواب الشيوعيين فى البرلمان (١١ نائبا) «ان الحزب سيمارس نشاطه سرا ليناضل ضد الحكم الرجعى القائم . ولدى الحزب خبرة ١٥ عاما فى العمل السرى اكتسبها خلال الحكم البريطانى الاستعمارى وماجاء بعده» . وصرح احمد السيد حمد سكرتير حزب الشعب الديمقراطى «ان التجمع الاشتراكى (يضم حزب الشعب والحزب الشيوعى وعدة هيئات عمالية وفلاحية الخ) سيظل باقيا بالرغم من قرار حل الحزب الشيوعى» .

ويعتقد رئيس الوزراء السودانى بصعوبة تمكن الحزب الشيوعى السودانى من العمل السرى فيقول «اننا نعرف جميع اعضاء هذا الحزب من خلال فترة عملهم العلنى . وبالتالى فلن تتاح لهم فرصة الهرب او التخفى» . ويقول بعض المعلقين السياسيين الذى عاصروا فترة الاحداث الاخيرة «ان وجهة نظر رئيس الوزراء هذه، ليست وجهة نظر اشخاص كثيرين غيره ممن يتوقعون الايمر الموقف بسلام» . وهو يدللون على ذلك بقولهم «ان عدد انصار الشيوعيين يزداد باضطراد كما ظهر بجلاء فى الانتخابات الاخيرة حيث لم يزد الفارق فى الاصوات بين المرشح الشيوعى ومرشح الحزب الإتحادى الوطنى لاحدى دوائر ام درمان على ٨٨ صوتا فقط «. ومن المعروف انه ليس كل المعارضين لخطوة الحكومة الاخيرة من الشيوعيين. اذ ترى دوائر المعارضة السودانية الممثلة فى حزب الشعب والنقابات ونواب الجنوب «إن الحزب الشيوعى قد تم الاعتراف به رسميا بعد ثورة ٢١ اكتوبر. وان اجراء الحل وطرد النواب الشيوعيين بالاضافة الى عدم تمثيل حزب الشعب فى البرلمان سيتيح الفرصة لحزبى الامة والوطنى الاتحادى، الإنفراد بالحكم رغم ما بينهما من خلافات وصلت الى درجة تهديد أسماعيل الازهرى رئيس مجلس السيادة بالإستقالة» . وقد زاد الموقف تعقيدا اتجاه بعض نواب الحزب الوطنى الاتحادى إلى معارضة اجراء الحل «خشية ان يؤدى ذلك الى النيل من الاتحاديين انفسهم فيما بعد» .

وتدور المعركة حاليا بين الحزب الوطنى الاتحادى وحزب الامة وحزب الاخوان المسلمين من جهة وبين الحزب الشيوعى السودانى وحزب الشعب الديمقراطى واتحادات العمال والطلبة ونقابات المهندسين والاطباء والمحامين من رجال القضاء واساتذة الجامعة والاتحاد النسائى من جهة اخرى. ويعتبر المراقبون السياسيون هذا الخلاف، «انعكاسا للواقع الاجتماعى القائم فى السودان» فالهياكل الاقتصادية الاساسية فى السودان مازالت — كما هى منذ الاستقلال تقريبا. حيث يسيطر رأس المال الاجنبى على قطاعات كبيرة منها وخاصة فى تجارة الاستيراد والتصدير

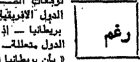
ولا تخفى المعارضة فى السودان قلقها بشأن «تزايد محاولات التدخل الخارجي فى السودان عن طريق المعونات المختلفة.»
وتطالب المعارضة «باجراءات ضرورية للنهوض باقتصاديات السودان وفق خطة مدروسة على نطاق اكثر اتساعا من النطاق الذى تجرى فيه الان . » كما تطالب «بضرورة سودنة الادارات فى كل الميادين . » فمن الغريب — مثلا — انه فى ميدان القضاء تتم المرافعات باللغة الانجليزية وينطق بها الحكم وتكتب بها المذكرات

ويقول المراقبون ان معركة حل الحزب الشيوعى السودانى «ليست الا مشهدا واحدا من المعركة بين القوتين : التى تملك وتحكم وتلك التى تعارض.» ولا يتوقع المراقبون احداثا كيفية جديدة قبل «ان تتجمع القوى الشعبية وتصل الى صيغة موحدة للعمل.»

●

■ روديســـيا

الموقف الصعب



رغم توقعات الصحافة الإنجليزية ، بالا تقطع الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا — إذ كانت تتوقع ان تتراجع هذه الدول متعللة — فى رأى الصحافة الانجليزية — « بأن بريطانيا تظهر ، يوما بعد يوم ، دلائل اقدامها على خطوة إكثر جدية ضد حكومة سميث ») ، الا ان

دول افريقية كالجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغانا ومالي وغينيا وتنزانيا والكونجو برازافيل وموريتانيا والسودان) قامت بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا ، تلبية لقرار مجلس وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية (لم تحضره جامبيا) الذى طالب باتخاذ هذه الخطوة « ان لم تقدم بريطانيا حتى ١٥ ديسمبر باتخاذ خطوة حاسمة لسحق حكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا ».
وجدير بالذكر ان بورقيبة قد هاجم هذا القرار فى تصريح له وأعلن ــ مقدما ــ عدم التزامه به رغم ان وزير خارجيته قد صوت مع القرار ».

وقد تركزت اقتراحات الدول الافريقية ــ حتى كتابة هذا التقرير ــ بشأن تطورات الموقف فى روديسيا ، حول عدة اقتراحات هى ــ ١ ــ اقتراح الجمهورية العربية المتحدة بعقد « اجتماع طارىء » لوزراء خارجية دول افريقيا . ويبدو ان القاهرة بدأت ــ فى اواخر الشهر الماضى ــ تفكر فى تأجيل هذا الاقتراح حتى تستمر الاتصالات بين العواصم الافريقية ــ ٢ ــ اقتراح حكومة نيجيريا بعقد اجتماع للدول الافريقية الاعضاء فى الكومنولث على مستوى الرؤساء فى يناير الحالى .
٣ ــ اقتراح حكومة المغرب بعقد اجتماع لوزراء الخارجية فى دور اجتماعهم العادى فى فبراير القادم . اذ ترى حكومة المغرب انه « أصبح من الصعب التوفيق بين الاقتراحات المختلفة ».
٤ ــ اقتراح حكومة السنغال بعقد اجتماع للقمة وايدتها فى ذلك دول اخرى من بينها سيراليون وساحل العاج . ــ ٥ ــ اقتراح مماثل لاقتراح حكومة السنغال اتخذه ٤ رؤساء افريقيين فى اجتماعهم فى نيروبى وهم جومو كينياتا (كينيا) وهيلاسلاسى (أثيوبيا) واوبوتى (اوغندا) ونيريرى (تنزانيا) ــ ٦ ــ طلب عاجل من حكومة السودان بعقد اجتماع فرعى للمجلس الوزارى لمنظمة الوحدة الافريقية « لممارسة الضغط من اجل تنفيذ قرار المنظمة بقطع العلاقات مع بريطانيا » . وهكذا تهدف كل الاقتراحات الافريقية الى اتخاذ موقف ايجابى موحد لحل ازمة روديسيا .

ومن المعروف أن عددا من القوات البريطانية قد نزلت ــ كما طلبت حكومة كواندا ــ فى أراضى زامبيا ولديها توجيهات من لندن بألا تتحرك « الا فى اغراض دفاعية » اذا فرض أن قام سميث بالهجوم على زامبيا أو شرع فى تدمير سد كاريبا (يمد زامبيا بالطاقة اللازمة لاستخراج النحاس ومصلحة سميث أن يستمر انتاج النحاس فى زامبيا لانها تصدره عن طريق اراضى روديسيا الجنوبية وتدفع عليه ضرائب لسميث). وتجمع الصحافة العالمية والمراقبون السياسيون على ان حكومة زامبيا تواجه مشكلة روديسيا «وهى فى مأزق لاتحسد عليه» . الا أن كابويبى وزير خارجية زامبيا ، هاجم فى تصريح له نزول القوات البريطانية «عديمة الجدوى» فى زامبيا . ويتمتع كابويبى بجماهيرية كبيرة بين السكان الناطقين بلغة البامبا فى أراضى زامبيا الشمالية (يعيش فيها ٤٠ ٪ من سكان زامبيا وتقع فيها ٨٠ ٪ من اراضى حزام النحاس). ولسكان هذه المنطقة دورهم المعروف فى تاريخ الحركة الوطنية من أجل الاستقلال .

واتضح ــ طوال الشهر الماضى ــ أن بريطانيا عملت ــ رغم تظاهرها بالعداء لحكومة سميث ــ على تدعيم حكم الاقلية العنصرية فى روديسيا . ففى الوقت الذى تعد فيه بريطانيا ملزمة ــ امام الامم المتحدة والرأى العام العالمى ــ بقرار مجلس الامن بمقاطعة روديسيا اقتصاديا ، قامت بشحن ١٢ الف طن بترول (من آبار عمان) الى موزمبيق فى طريقها الى أراضى روديسيا . ثم عادت ــ بعد ان غطت حكومة سميث احتياجاتها من البترول لفترة طويلة ــ واتخذت بريطانيا قرارا بوقف شحنات البترول «كقرار صورى» ــ على حد وصف المراقبين . وقد كشفت المناقشات التى دارت فى مجلس العموم البريطانى ــ خلال الشهر الماضى ــ ان حكومة ويلسون « تؤكد انها لا تنوى اتخاذ اى اجراء عسكرى ضد حكومة سميث » . بل رفضت بريطانيا ــ فى مجلس الامن ــ اى محاولة للتدخل عن طريق الامم المتحدة . متذرعة انها « المسئولة عن حماية الامن والنظام هناك » . وفى الوقت الذى تطالب فيه بريطانيا الدول الافريقية بأن تترك لها « تسوية المشكلة » ، يذكر المراقبون « الطريقة الخاصة » التى عالجت بها بريطانيا مشكلة فلسطين المماثلة من قبل . وطلبت حكومة ويلسون من مندوبها فى مجلس الامن ــ الذى لم ينته من الوصول الى قرار نهائى بشأن تطورات المشكلة ، حتى كتابة هذا التقرير ــ بالا يلتزم بأى اجراء جديد تجاه حكومة سميث عند مناقشة تطبيق العقوبات على روديسيا ومما يذكر ان مندوبى الدول الافريقية قد انسحبوا من اجتماع مجلس الامن عندما كان ويلسون يلقى خطابه امام المجلس وخلال زيارته الاخيرة للولايات المتحدة . ولم يشر ويلسون فى خطابه الى أن حكومته ستمتنع عن تصدير البترول او استيراد بعض المواد من روديسيا . ويرى المراقبون أن قرارات مجلس الامن السابقة بشأن مقاطعة روديسيا كانت « أقرب الى أن تكون توصيات غير ملزمة ».

وتقول الايكونوميست البريطانية انه « اذا لم يكن البيض فى روديسيا مطمئنين الى ان قرار المقاطعة لن ينفذ ، لما استمروا فى حياتهم بمثل الهدوء الذى يمارسونها به الان » . وتضيف « لقد كان البيض على ثقة من ان المسئولين فى بريطانيا وامريكا واستراليا ونيوزلنده والقارة الاوربية متعاطفين معهم » .ولهذا تدعو الايكونوميست حكومة ويلسون الى أن « تودع تلك الامال التى لن تتحقق والتى تقول بفعالية المقاطعة » كما يريد بها ويلسون خداع الرأى العام العالمى . وقد ذكرت الايكونوميست « ان عملاء أجانب مجهولين ، يشاهدون فى فنادق سالسبورى ويتفاوضون على شراء محصول الدخان للعام القادم . ويبيعون روديسيا ما تحتاج اليه . ومن بين هؤلاء الاجانب ، أعضاء من البعثات الدبلوماسية من المانيا الغربية وايطاليا واليابان » .
وتقول وكالات الانباء أن حكومة سميث قد باعت ــ خلال الشهر الماضى ــ لهؤلاء الاجانب « نسبة كبيرة من انتاج السكر الذى كان من المقرر أن تبيعه لدول الكومنولث » .

●

■ **الكونجو**

درس فى الادب ومحاولة لصرف الانظار عن روديسيا

بينما

كان كازافوبو وتشومبى ، يتصارعان فى برلمان الكونجو حول اقتراح سحب الثقة من حكومة ايفارستى كيمبا التى فازت بثقة ١٣٤ صوتا ضد ١٢١ صوتا ، وبينما انفق كازافوبو ١٥ ألف دولار لكسب انتخابات الرئاسة التى كان من المقرر اجراؤها فى الاسابيع القادمة ، قام موبوتو بانقلاب عسكرى ضد الجميع ونصب من نفسه رئيسا للكونجو .

وكان كازافوبو قد عزل تشومبى فى ١٨ أكتوبر وعين كيمبا بدلا منه ، ثم دخل فى نزاع مع الجيش ، ترتب على سياسته الرامية الى « محاولة حفظ ماء الوجه » ــ على حد تعبير

الملفين ـ امام مؤتمرا اكرا . اذ صرح كازافوبو أمام المؤتمر انه ينوى تسريح المرتزقة البيض فى جيش الكونجو . ومن المعروف ان الجنرال موبوتو (الذى كان شاويشا قبل الاستقلال ١٩٦٠) يعارض حتى مجرد المناورة بهذه الورقة . وقد اعلن بنداكا وزير الداخلية السابق (ورجل كازافوبو) أنه اكتشف « مؤامرة لتنفيذ خطة تشومبى السابقة فى تقييد حركة الضباط البلجيكيين » . واعتبر موبوتو هذه الخطة ، محاولة « لتخريب خطته التى تهدف الى اعادة تنظيم جيش الكونجو بتمكين الضباط البلجيكيين من احتلال مناصب هامة وذات فعالية» . وفى ٢٥ نوفمبر قام بانقلابه وعزل كازافوبو وعين نفسه رئيسا وعين **الكولونيل مولامبا** رئيسا للوزراء .

وقد حرص مولامبا ـ وهو يختار وزراءه ـ على أن يقيم توازنا دقيقا بين حزب كوناكو (حزب تشومبى) وحزب الجبهة الديمقراطية الكونجولية (حزب كازافوبو) . مما دفع كلا من تشومبى وكازافوبو الى اعلان تأييدهما للانقلاب . ويحرص موبوتو على المحافظة على استمرار هذا التوازن لتكون له « الكلمة الاخيرة » .

وجدير بالذكر أن موبوتو هو الذى قام بانقلاب ضد حكومة لومومبا الوطنية وشكل وقتها ما سمى « بحكومة الطلبة » . كما انه هو الذى قام بالقبض على لومومبا اثناء محاولته الهرب من مقر تحديد اقامته . ثم قام بتسليمه الى تشومبى حيث اغتيل لومومبا . وكان موبوتو أحد المسئولين المباشرين عن اغتيال لومومبا . وقد تلقى موبوتو تدريبه العسكرى فى اسرائيل وهو على علاقة وثيقة بكل من الدوائر الامريكية والبلجيكية .

ويقول المراقبون السياسيون أن الانقلاب العسكرى فى الكونجو ليس الا « درسا تأديبيا لتشومبى وكازافوبو »بسبب صراعهما على السلطة ، ذلك الصراع الذى وصل ـ فى تقدير الدوائر الامريكية والبلجيكية المسئولة ـ الى حد يهدد معه استمرار احتفاظهما بالسيطرة على الكونجو ويخشى بسببه ان يفلت زمام الموقف من أيديهم . ويرى المراقبون كذلك أن الانقلاب « قد أنهى ـ كل الوعود التى التزم بها كازافوبو امام مؤتمر اكرا، كتسريح جنود المرتزقة أو الافراج عن المعتقلين السياسيين » . ومن المعروف أن كازافوبو كان قد صرح بأنه سيعمل على « تحسين العلاقات مع الكونجو برازفيل ».

ويثير توقيت الانقلاب، ملاحظة الدوائر الافريقية الوطنية.



قضايا الحزب والتسيير الذاتى فى الجزائر

بعد اجتماعات طويلة عقدها مجلس الثورة الجزائرية ، أصدر بيانا يتضمن عدة قرارات تنظيمية تتعلق بقضيتين من أهم القضايا المرتبطة بحاضر ومستقبل الثورة الجزائرية فى البناء الداخلى وهما التسيير الذاتى ودور حزب جبهة التحرير

والتسيير الذاتى يعتبر من الملامح المميزة للطريق الجزائرى الى الاشتراكية فقد تم نتيجة مبادرات من العاملين فى الاملاك الشاغرة التى تركها المستوطنون الفرنسيون عقب استقلال الجزائر . ولذلك كان النقد الذى وجه الى نشاط التسيير الذاتى فى الفترة السابقة ، مثار تساؤل بشأن استمراره من عدمه ، فكثرت التكهنات فيما يتعلق بمستقبله .

وجاء بيان مجلس قيادة الثورة ليؤكد ان « نظام التسيير الذاتى ملك للشعب ونتيجة لكفاحه ، ولو ان نظام الحكم لم يتجه اتجاها اشتراكيا لكانت تلك اكبر خيانة للشعب »

ولاشك ان بعض النواقص والاخطاء التى صاحبت تطبيق نظام التسيير الذاتى ترجع الى الخبرة الفنية وتقصير بعض الافراد فى وهذا لا يعنى الخضوع لتلك الظروف اوتغيير الاسس التى قام عليها التسيير الذاتى ، فانخفاض انتاجية المزارع كان نتيجة الافتقار الى الظروف الصعبة والمعقدة للثورة الجزائرية ادارة التسيير او فى انعدام المبادرة الفردية لدى العمال وتخلف المنظمات الحزبية عن القيام بدورها الفعال فى تنشيط ومراقبة عمليات الانتاج

والحلول التى وصفها البيان سواء فى تشكيل لجان تقوم بدور المراقبة الفعالة او بتحديد برنامج عمل يومى للوحدات الانتاجية هى من قبيل المحاولات المثمرة لتأكيد الجوانب الايجابية ومعالجة الظواهر السلبية التى اوضحها التطبيق فى اطار الخط الثورى الذى ارادته الجماهير

اما فيما يتعلق بقضية الحزب ، فقد اشار البيان الى ان « الحزب قبل ١٩ يوليو لم يكن حزبا طلائعيا » وقد عدد الاسباب فى تراخى الادارة المركزية والسلطات العليا

وليس خافيا ان حزب جبهة التحرير كان ائتلافا بين عدة احزاب واتجاهات التقت على الاستقلال ولكنه كان من الصعوبة بمكان ان تلتقى وجهات النظر فيما بعد الاستقلال

وليس خافيا ايضا ان الحزب مر خلال الثلاث السنوات الاولى بعد كسب الاستقلال بسلسلة من المعارك المتصلة داخله والصراع مع الحكومة الموقتة ومع قادة الولايات ثم مع خيضر ثم حول تحديد العلاقة بينه وبين قادة الجيش ، كل تلك المعارك التى فرضتها ظروف الثورة الجزائرية ادت ولاشك الى عرقلة فرصة تنظيم الحزب بشكل فعال وقيامه بدوره القيادى فى المجال السياسى والاجتماعى

والذى لاشك فيه ان بيان مجلس قيادة الثورة اشاع جوا من الاطمئنان بين كل المهتمين بمستقبل البناء الاشتراكى فى الجزائر

ومهما اختلفت الاراء حول طرق واساليب حل مشاكل البناء الداخلى ، فالقضية التى يلتقى عندها الاشتراكيون العرب هى ـ فى الاساس ـ ضرورة استكمال وتدعيم البناء الاشتراكى فى الجزائر وممارسة الحزب هناك لدوره الثورى القيادى

فتحى عبد الفتاح



● تشــومبى

حيث انها تربط بين وقوعه وبين الوقت الذى كانت قضية روديسيا تثار فيه على مستوى اللجنة الخماسية تمهيدا لعقد مؤتمر وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية . وتعتقد هذه الدوائر أن احد اهداف انقلاب موبوتو ، هو « محاولة جذب انتباه الرأى العام العالمى والافريقى ، وصرفه عن قضية روديسيا » .

●

■ الهند

جبهة الطعام .. بعد جبهة القتال

بدأ فى ٩ ديسمبر الماضى نظام توزيع المواد الغذائية بالبطاقات فى العاصمة الهندية لاول مرة منذ ١١ عاما وذلك لمواجهة أزمة نقص المواد الغذائية . ويسمح هذا النظام للشخص البالغ بالحصول على كيلو جرامين من القمح او الارز كل أسبوع وللطفل كيلو جرام . ومن المتوقع أن يشمل نظام البطاقات جميع المدن الهندية الهامة ابتداء من هذا العام . هذا وقد أبلغت الهند الولايات المتحدة أن النقص فى الحبوب فى محصول هذا العام سيبلغ ١١ مليون طن اى ضعف نقص العام الماضى .

وقد اعلن نهرو سفير الهند فى واشنطون ان نظام توزيع المواد الغذائية بالبطاقات يطبق الان فى جميع المدن الهندية الكبرى بين أكثر من ١٠٠ مليون من السكان واذا كان هذا النظام يطبق الان فى المدن التى يزيد عدد سكانها على المليون ، فانه سيعمم مستقبلا فى المدن الصغيرة أيضا بسبب تفاقم الموقف .

وقد أعلنت وزارة التموين الهندية ان الكوارث الطبيعية ستؤدى الى نقص كبير فى كميات الحبوب فى الهند يصل الى حوالى ٧ ملايين طن خلال الشتاء الحالى . وصرح المسئولون فى الوزارة بان المحط الذى اجتاح البلاد والذى وصفه « سوبرا مانيام » وزير الاغذية بأنه « اسوأ قحط فى الهند فى القرن الحالى كله » ، وقد أثر على محصول الشتاء فى أكثر من نصف الولايات الهندية وخاصة فى الجنوب . ويزيد الموقف سوءا اضطرار الفلاحين الى بيع ماشيتهم بسبب عدم وجود غذاء لها وما قد يؤدى اليه ذلك من نقص الماشية اللازمة لحرث الحقول . وقد طالب لال بهادور شاسترى رئيس الوزراء بزيادة المساحات المزروعة حبوبا وقد زرع حديقة منزله قمحا كمبادرة رمزية لتلك الدعوة ، كما حث الاهالى على التنازل عن وجبة طعام فى الاسبوع .

وقد حذر « سوبرا مانيام » وزير الاغذية من ان الهند لن تواجه فحسب نقصا خطيرا فى المواد الغذائية بسبب القحط، وانما سيواجه الشعب مشكلة العطش ايضا ، لان كمية الامطار التى سقطت خلال هذا العام تعادل ٤٠ ٪ فقط من الكمية العادية التى تسقط كل عام . وقد ادى تأخير موسم الامطار الى جفاف المياه فى الخزانات المخصصة لتوليد الكهرباء وبالتالى انقطاع التيار الكهربائى مما تسبب فى توقف ٣ الاف مصنع فى ولاية كيرالا وحدها فى الشهور الماضية .

وتعمل الحكومة الهندية على اتخاذ عديد من الاجراءات لمواجهة الموقف ، فقد ناشد لال بهادور شاسترى جميع فئات الشعب ، اقراض الحكومة ما لديهم من ذهب لاستخدام قيمته فى المجهودات الدفاعية وأعلنت وزارة المالية انها ستصدر « سندات الذهب » مقابل اية عملات او قطع او حلى ذهبية، على أن تسدد قيمتها ذهبا وبفوائد بعد ١٥ عاما ويقدم شاسترى نفسه ١٦ الف جرام من الذهب كدفعة أولى .غير انه لما كانت الحكومة قد حرمت تخزين الذهب مما ادى الى اختفاء تجارة الذهب الذى يتجاوز عيار ١٤ ، فقد ادى ذلك الى ازدياد عمليات تهريبه من الخارج ، واستنزافه دخل البلاد من النقد الاجنبى حتى أصبح الاحتياطى اقل من مستوى الامان، وقد اوضح شاسترى أن الظروف قد تتطلب خلال الشهور القادمة أن يتنازل الشعب عن وجبة طعام ثانية كل أسبوع وقال انه سيحدد يوما واحدا فيما بعد تصوم



● شــاسترى

فيه الامة الهندية كلها . كما اوضح اخيرا اهمية تحقيق الاكتفاء الذاتى فى الاغذية وطالب الفلاحين « ان يبذلوا كدهم وعرقهم » « وان جبهة الطعام على نفس الدرجة من الحيوية كجبهة القتال » . وقد قررت لجنة التخطيط فى الحكومة خفض اعتمادات خطة التنمية الخمسية الرابعة التى ستبدا فى ابريل القادم بأكثر من مليارى دولار لمواجهة العجزالضخم فى النقد الاجنبى . واوضحت المصادر الحكومية أن هذا الخفض سيحددنفقات الخطة بمبلغ ١٥ر٤٥مليار دولار بعد ان كان مقررا لها ٢٥ر٤٧ مليار دولار . ودعا شاسترى كذلك الى تنفيذ برامج تحديد النسل على أوسع نطاق ممكن للحد من مشكلة تزايد عدد السكان التى توشك على الانفجار بعد ان ارتفعت نسبة الزيادة الى ١٢ مليون مولود جديد سنويا.

ومما يزيد الاوضاع الحالية تأزما أن الاقتصاد الهندى يواجه الان اخطر أزمة فى العملات الصعبة واجهته منذ استقلال الهند سنة ١٩٤٧ اذ وصل الرصيد حاليا الىأدنى حد منذ ذلك الحين . لذا عملت الحكومة على قصر عمليات الاستيراد على الاشياء الضرورية الملحة وعلى استخدامالذهب والعملات التى صادرتها الجمارك منالمهربين فى تعزيز احتياطى الذهب ووضعها فى خزائن بنك الاحتياطى الهندى . وقدطالب **بهوتا لينجام** وزير الاقتصاد فى خطاب القاه امام المؤتمر الاقتصادى لدول الشرق الاقصى بمزيد من استثمار رؤوس الاموال الاجنبية فى الهند لمساعدتها على تحسين مركزميزان المدفوعات ، موضحا أن حكومته تحاول توفير « البيئة الملائمة» للاستثمار الخاص وأن الاستثمارات الاجنبية حققت أرباحا اجمالية فى عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣ بلغت نسبتها ٧ر١٥ ٪ من مجموع رؤوس الاموال المستثمرة .

وقد استغلت قوى المعارضة يمينية كانت أو يسارية الصعوبات التى تواجهها حكومة شاسترى للهجوم على سياستها . وأعلن « **ماسانى** » سكرتير حزب سواتانترا الرجعى ، ان التخطيط الحكومى هو المسئول عن هذا الموقف الذى تردت فيه البلاد والذى أدى الى انخفاض سعر الروبية فى الاسواق الحرة الى ١٠ سنتات رغم أن سعرها الرسمى ٢١ سنتا . هذا فى حين أعلنت المعارضة اليسارية ان ذلك الفشل دليل على المضار التى تنجم عن فوضى الانتاج وترك الحرية للقطاع الخاص والافتقار الى التخطيط الحكومى الشامل الذى لن يتأتى الا باشراف الدولة الكامل على وسائل الانتاج .

●

■ فيتنام

مناورة للخروج من الورطة وتهديدات بتوسيع نطاق الحرب

نفى

راديو هانوى الانباء التى أعلنتها وزارة الخارجية الامريكية ، بأن فيتنام الشمالية قامت فى اواخر الشهر الماضى بمحاولة لجس النبض بشأن اجراءمفاوضات حول مشكلة فيتنام . ووصف الراديو هذه الانباء بأنها « مجرد تلفيقات » .

وكانت الخارجية الامريكية قد اذاعت فى بيان لها ان وسطاء ايطاليين قد نقلوا لها «رغبة حكومة هانوى فىاجراء مفاوضات» وجدير بالذكر ان تصريحات الخارجية الامريكية قد جاءت فى الوقت الذى كانت تشير فيه كل الانباء الى ان حرب فيتنام «على ابواب مرحلة جديدة وصعبة» حيث لايستطيع احد ان يتنبأ بنتائجها . كما كانت بعض الدوائر الامريكية تدعو الى «ضرورة ان تنحى جانبا فكرة ان حرب فيتنام نوع من الحروب المحلية « . ويرى المراقبون أن بيان الخارجية الامريكية كان مجرد مناورة من جانب امريكا «للخروج من ورطتها» حيث تكابد قواتها العسكرية فى فيتنام الجنوبية خسائر فادحة وهزائم متلاحقة .

ومما يثير قلق واهتمام الراى العام العالمى ، الا تبدى الولايات المتحدة خطوات ايجابية وجادة لايقاف حرب فيتنام التى تصفها **النيوزويك الامريكية** بانها «قد اصبحت نوعا من الحروب التى يجب على الولايات المتحدة الا تدخل مثلها مرة اخرى» بعد ان اصبحت امريكا فى موقف «لاتحسد عليه» كما يقول المعلقون السياسيون .

وكانت جميع الدلائل تشير ، حتى منتصف الشهر الماضى ، الى ان الولايات المتحدة تسعى الى توسيع الحرب بدلا من التوصل الى حل سلمى . فمن الناحية العسكرية بداتقاذفات القنابل الامريكية تشن هجوما على المنشآت الصناعية فى فيتنام الشمالية . مما كان يهدد بان تشترك الصين فى القتال لتخفيف الضغط على هانوى . ومما كان يضطر **الاتحاد السوفيتى** الى اعادة النظر فى «**سياسة التعايش السلمى**» مع امريكا وهو ماصرح به **اليكسى كوسيجين** رئيس الوزراء فى حديث له مع مراسل امريكى . وكان **روبرت مكنمارا** وزير الدفاع الامريكى قد صرح بان بلاده «تامل فى الحصول من حليفاتها فى حلف الاطلنطى على معونة فى حرب فيتنام » .

وتقول مجلة **التايم الامريكية** ان حرب فيتنام تكلف امريكا «اعلى وابهظ ماتكلفته من نفقات عسكرية فى تاريخ السلم .» وتقدر التايم الامدادات التى ارسلتها امريكا بما يساوى « تلك التى تحملتها امريكا فى الخمسة شهور الاولى لغزو شمالافريقيا اثناء الحرب العالمية الثانية » . وكانت القوات الامريكيه فى فيتنام الجنوبية قد بلغت فى عام ١٩٦١ : ١٣٠٠ جندى وصلت فى ١٩٦٢ الى ١٠ آلاف وفى ١٩٦٣ الى ١٦ الفا وفى ١٩٦٤ الى ٢٤ الفا وفى ١٩٦٥ الى ٢٢٥ الفا . وتقدر النيوزويك الامريكية انها ستصل فى عام ١٩٦٦ الى ٤٠٠ الف جندى . واذ يتذكر الراى العام الامريكى ـ الذى عبر باكثر من وسيلة عن استنكاره لحرب فيتنام ـ أن عدد قتلاه فى حرب **كوريا** بلغوا ٣٣٦٢٩ جنديا وضابطا (كما تقول النيوزويك) ، فان الاباء والامهات والزوجات فى امريكا يتساءلون فى قلق «الى متى ستستمر هذه الحرب ؟ وكم ستكلفنا من الابناء والاموال ؟ » وكانت الميزانية الاخيرة قد رصدت ١٠ **بلايين دولار** لحرب فيتنام فى العام .

وفى الوقت الذى تتزايد فيه احتجاجات الراى العام الامريكى والعالمى ضد العدوان الامريكى على شعب فيتنامبتابع بقلق ، أنباء المنشآت العسكرية التى تقيمها امريكا فى تايلاند (مقر جنوب آسيا) والانباء التى تقول بأن حاملات طائرات «مزودة بسلاح ذرى» قد انضمت للاسطول السابع الامريكى القريب من شواطىء فيتنام . كما قالت صحيفة **كريستيان ساينس مونيتورز** الامريكية «ان مصدرا رسميا كبيرا صرح ان امريكابحث مسالة اعلانالحرب رسميا علىفيتنام الشمالية .» بل تشير الانباء الى اتجاه الدوائر العسكرية الامريكية الى توسيع الحرب لتمتد الى كمبوديا ولاوس .

وجدير بالذكر أن أنباء تزايد الامدادات العسكرية والقوات الامريكية فى فيتنام الجنوبية فوجىء بها الراى العام العالمى بعد ان كان يتابع ـ باهتمام وقلق ـ تطورات الصدام الباكستانى الهندى ، والصينى الهندى ، واحداث اندونيسيا وانقلاب الكونجو الاخير ، وتطورات الموقف فى روديسيا . مما

طرح — فى اذهان المراقبين السياسيين — عديدا من الاسئلة الهامة .

ومن المعروف ان **يوسف السباعى** سكرتير عام **منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية** ، قد اذاع فى منتصف الشهر الماضى بيانا فى القاهرة ، باسم السكرتيرية الدائمة للمنظمة جاء فيه «ان الحكومة الامريكية تحاول خديعة الراى العام العالمى بادعاء المفاوضات السلمية — ولكن الحكومة الامريكية من جانب اخر تواصل ارسال القوات الى فيتنام الجنوبية لكى تشترك اشتراكا مباشرا فى الحرب الدائرة ضد الشعب الفيتنامى » . ثم جاء فى البيان «.. ولكن الهجمات الاخيرة المستمرة التى شنتها قوات الشعب المسلحة فى فيتنام الجنوبية ، وانتصاراتها المدوية فى فان — تولج ، وشو — لاى ، وذا نانج ، وبلى — مى ، وين — كات ، وبو — بانج ، وبا — درانج .. الخ ، قد اعطت لهم (اى للقوات الامريكية) ردا بليغا» . وقد رحبت السكرتيرية الدائمة — فى بيانها — «بالانتصارات الباهرة التى احرزها شعب فيتنام الجنوبية » وادانت «بكل شدة» ، «سياسة الولايات المتحدة فى زيادة حدة حربها العدوانية ضد فيتنام الجنوبية وفى مواصلتها توسيع نطاق الحرب ضد فيتنام الشمالية» . كما ناشدت «شعوب آسيا وافريقيا وشعوب العالم المحبة للسلام والحرية ، وخاصة الشعب الامريكى ، أن ترفع جميعها صوتها لادانة واستنكار حرب العدوان الامريكية ضد فيتنام .»

والاسئلة الهامة التى تواجه المسئولين الامريكيين اليوم ، كما يعتقد المراقبون ، هى : هل تبدى الولايات المتحدة جدية وموقفا ايجابيا للتفاوض من اجل حل سلمى فى فيتنام ؟ ام ترى انها تقدم على خطوة عسكرية كبيرة قد لايستطيع احد — مقدما — ان يعرف نتائجها على السلم العالمى وامن الشعوب جميعها ؟

●

■ فرنســا

فوز متوقع .. وهزيمة مشرفة

انتهت اعادة انتخابات رياسة الجمهورية بفوز **الجنرال ديجول** بالرياسة وحصوله على نسبة ٥٥٪ من الاصوات ، مقابل ٤٥٪ حصل عليها **فرانسوا ميتران** منافسه ومرشح اليسار .

وقد كانت النسبة الكبيرة التى حصل عليها تجمع اليسار الملتف حول ميتران ، مثار دهشة اغلب المراقبين ، فبرغم اتفاق هؤلاء من قبل ، على فوز الجنرال ديجول ، إلا ان اغلبهم لم يتوقع ان يحصل ميتران على تلك النسبة المرتفعة من الاصوات . الاصوات .

ويتساءل عدد من المراقبين هل تلك النسبة ستكون اساسا لخلق الظروف المواتية لتحقيق الاتفاق حول برنامج مشترك للشيوعيين والاشتراكيين وسائر الجمهوريين اليساريين ام ان القوى اليسارية ، ستنفض بانتهاء المعركة الانتخابية ، ولن تستطيع فى ظروف نجاح واستمرار الديجولية ، ان تجمع «القوى العمالية والديموقراطية والتقدمية فى فرنسا من أجل النضال ضد الاحتكارات وفى سبيل ديموقراطية جديدة» طبقا لما ينادى به كروشيه سكرتير الحزب الشيوعى فى حديثه مع مجلة نوفيل اوبزرفاتير

غير ان عددا آخر من المراقبين يوجهون الانظار الى الاخطار التى يمكن ان تترتب على الاختفاء المفاجىء لشخصية ديجول ، ويعتبرون إن المشكلة الرئيسية بالنسبة لمستقبل فرنسا لم تكن فحسب نجاح ديجول فى الانتخابات الاخيرة وانما هى تكمن بشكل احد فى مشكلة ضمان خليفة له يمكن ان يرعى الديجولية بعد ديجول .

هذا ويمكن ايجاز ماأسفرت عنه معركة الانتخابات فى :

● فشل واضح للاتجاه اليمينى الداعى الى اوربا مؤيدة للاطلنطى ، الذى التف بشكل قوى حول المرشح ليكانويه . وقد اوضحت المعركة ان رؤوس الاموال الامريكية والالمانية لم تستطع ان تنتزع لصالحه سوى نسبة ١٧٪ من الاصوات فى الانتخابات الاولى .

● ان اغلبية الشعب الفرنسى معارضة للتبعية للولايات المتحدة فقد حصل ديجول وميتران وهما الممثلان لخط فرنسا المستقلة عن الولايات المتحدة على حوالى ٧٥٪ من الاصوات فى الانتخابات الاولى ويعد ذلك انتصارا للوحدة فى النظرة بين ديجول واليسار الفرنسى حول هذا الموضوع .

● ان نجاح ديجول بنسبة ٥٥٪ فقط من الاصوات ، يعتبر ثمرة ايجابية لجهود القوى اليسارية التى استهدفت من



● ديجـــول

وراء التجمع حول فرانسوا ميتران : «زيادة امكانيات تبسام معارضة ديموقراطية تقدمية ضد النظام الديجولى » ومقاومة ما أسمته «بنزوعه الفردى » .

● ان اليسار الفرنسى وان كان قد حقق درجة غير متوقعة من النجاح فى توحيد الصفوف حول ميتران وفى التعاون بين كافة اتجاهاته بحيث عادت الى الاذهان روح الجبهة الشعبية سنة ١٩٣٦ ، الا انه لم يتمكن من اقامة حكم للجبهة الشعبية . ويرى بعض المراقبين انه ربما تكون هذه آخر فرصة مواتية لتشكيل حكومة فرنسية على الاسس التقليدية فى كفاح اليسار الاوربى .

● ان نجاح ديجول يطرح قضية هامة، قضية مستقبل اليسار الفرنسى ، ذلك ان تصميم ديجول على تطبيق برنامج اقتصادى واجتماعى جرىء يمكن ان يضمن له تأييد جانب من اليسار الفرنسى . كما ان اليسار سيجد صعوبة فى المستقبل فى معارضة خط ديجول الخارجى بالذات القائم على التعاون مع دول العالم الثالث والاقتراب من الاتحاد السوفيتى والصداقة مع الصين الشعبية ، والذى ضيق دائرة النقاط التى يمكن ان يحقق اليسار من وراء معارضتها ، جماهيرية متزايدة له . ذلك الموقف سيترتب عليه سحب جزء من الارضية التى يقف عليها اليسار، وسيؤثر على الوضعية الجماهيرية للمنابر التقدمية «التقليدية» .

ويتطلع عديد من المراقبين عقب ذلك النجاح الى الخطر الذى سوف تسلكه قوى اليسار من زاوية التركيز على جانب المعارضة المؤيدة بالنسبة لحكم ديجول أو جانب التأييد المعارض له ، ذلك لانه اذا كانت المعارضة السياسية لحكومات الجمهورية الرابعة بسياساتها المضطربة والخاطئة ، وسيلة من وسائل النجاح السياسى وتدعيم جماهيرية المنابر التقدمية التقليدية لليسار ، فانها ستصبح عاملا من عوامل الخسارة فى ظروف سياسة ديجولية مستقرة ، ناجحة ومتقدمة .

وعلى مدى يقظة وحيوية اليسار الفرنسى فى ادراك المحتويات الجديدة التى تأتى بها الديجولية كظاهرة اوربية فريدة يتوقف الكثير لا بالنسبة لمستقبل اليسار فحسب وانما بالنسبة لخطر التطور الاجتماعى لفرنسا مستقبلا .

على ان نجاح ديجول فى انتخابات الاعادة لايكتسب اهميته فى نظر عديد من المراقبين ، من زاوية تأثيره على الاوضاع الاوربية وانما لانه يتيح الفرصة لاستمرار واختبار ذلك النوع من العلاقات الجديدة الذى بدأت فرنسا تنشئه مع دول العالم الثالث ، ومن هذه الزاوية يرى عدد من المراقبين العرب ان نجاح ديجول فى الانتخابات سيترتب عليه مزيد من التقارب الموضوعى فى العلاقات المصرية الفرنسية ، تلك التى عملت على تدعيمها بشكل واضح رحلة المشير عبد الحكيم عامر الاخيرة الى باريس .

■ **موسكو**

التغييرات الجديدة فى الحزب ورياسة الاتحاد

لم يكف خبراء الشئون السوفييتية فى العالم ، عن محاولة اكتشاف ما يعتقدونه كامناوراء استقالة انستاس ميكويان الرئيس السابق لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية من منصبه ، وتعيين نيكولاى **بودجورنى** عضو البريزيديوم والمسئول عن التنظيم والافراد فى الحزب بدلا منه .

فعلى الرغم من اعلان **ميكويان** البالغ من العمر (٧٠ عاما) استقالته بسبب « سوء صحته وكبر سنه » وتعيين **بودجورنى** (٦٢ عاما) الموضوع تحت الرعاية الطبية منذ يونيو الماضى فى رياسة الاتحاد السوفيتى من بعده ، الا ان عددا من المعلقين الغربيين لم يتركوا الفرصة تمر دون ان يقدم كل منهم تفسيره السياسى الخاص للتغيير . ففى حين اشار الصحفى الامريكى **وليام رايان** الى أن هذا التعديل الذى ترتب عليه كذلك تعيين **الكسندر شيليبين** مديرا لقسم التنظيم والافراد فى الحزب بدلا من بودجورنى ، وباخل كوفانوف رئيسا للجنة الرقابة الشعبية بدلا من شيليبين ، انما هو استمرار للاجراءات التى بدأت باعفاء خروشوف من مناصبه . واشار كذلك هنرى شابيرو وهو احد المتخصصين الامريكيين فى الشئون السوفيتية الى ان القيادة الجماعية السوفيتية قد خرجت بعد هذه التعديلات أقوى مما كانت واكثر استقرارا .

ويبدو تعيين بودجورنى وهو من ابناء جمهورية أوكرانيا السوفيتية فى منصب رئيس الاتحاد السوفيتى بعد استقالة ميكويان الارمينى الاصل ،يبدو فى نظر كثير من المراقبين باعتباره مظهرا من مظاهر مبدأ المساواة القومية بين شعوب الاتحاد السوفيتى والذى يناقض ما عمد كثير من المراقبين الغربيين الى الاشارة اليه من ناحية استئثار القومية الروسية فقط بمناصب الدولة والحزب الحساسة . وقد ولد بودجورنى سنة ١٩٠٣ فى أوكرانيا لوالد كان عاملا فى مسبك واضطر للعمل فى اعمال متعددة منذ الخامسة عشرة الى العشرين . ثم انضم الى منظمة الشبيبة الشيوعية والتحق بمعهد الصناعات الغذائية فى كيف وعمل بمصانع السكر وانضم الى الحزب الشيوعى سنة ١٩٣٠ واخذ يرتقى فى صفوفه حتى أصبح نائب قوميسير الشعب للصناعات الغذائية فى أوكرانيا ثم عين رئيسا لمعهد هذه الصناعات فى موسكو بعد أن اصبح مهندسا مؤهلا . ومن سنة ١٩٤٦ الى ١٩٥٠ كان يمثل مجلس وزراء اوكرانيا فى حكومة الاتحاد السوفيتى ثم انتقل للعمل فى الحزب . وفى عام ١٩٥٦ اصبح عضوا فى اللجنة المركزية وفى ١٩٥٧ اصبح سكرتيرا للحزب فى أوكرانيا وحصل على وسام لينين . ورقى سنة ١٩٥٨ الى عضو فى هيئة رياسة السوفييت الاعلى واصبح عضوا عاملا

فيها سنة ١٩٦٠ . وفى سنة ١٩٦٣ عين أحد تسعة سكرتيرين للجنة المركزية للحزب السوفيتى ومنح لقب بطل العمل الاشتراكى تقديرا لخدماته للحزب والدولة .

اما شيليبين الذى تولى ادارة التنظيم والافراد فى الحزب ويبلغ من العمر ٤٧ عاما ، فهو اصغر اعضاء هيئة رياسة السوفييت الاعلى سنا ، ويعتبر أحد العناصر البارزة فى الجيل السوفيتى الذى ولد بعد الثورة البلشفية . وقد قضى فترة خدمة عسكرية فى الجبهة الفنلندية ابان الحرب وبدأ يعمل فى قيادة هيئة الشباب الشيوعى فى سنة ١٩٤٠ ، وفى سنة ١٩٥٢ عين سكرتيرا أول لهذه الهيئة (الكومسومول) واستمر فى ذلك المنصب حتى سنة ١٩٥٨ ثم عين بعد ذلك رئيسا للجنة أمن الدولة ثم انتخب بعد ذلك كرئيس للجنة الرقابة على الدولة والحزب . ويعتبر كثير من المراقبين ان هذا التعديل سيقوى من مركز الكسندر شيليبين ، خاصة وكانت الاضواء قد تركزت عليه منذ مارس الماضى عندما قام بمهام **اليكسى كوسيجين** رئيس الوزراء اثناء تغيبه وبرغم وجود **((ديميترى بوليانسكى))** النائب الاول لرئيس الوزراء .

وهناك عدة ملاحظات على هذه التعديلات :

● ان اعتزال ميكويان يعتبر اقلها اهمية ، رغم أنه أوضحها وأكثرها ظهورا ، ذلك انه من المعروف من مدة أنه يرغب فى الاعتزال ، وطلبه التخلى عن منصبه بسبب عامل السن وسوء الصحة يقبل من أغلب المراقبين على أنه المبرر الحقيقى . وتعتبر استقالته «نهاية عهد» بالنسبة للاتحاد السوفيتى ، اذ كان آخر رجال «الحرس البولشفيكى القديم» الذين حاربوا مع لينين ، كما يعتبر . بروز شيليبين ـ بشكل ما ـ بداية للنفوذ الحقيقى لجيل ما بعد الثورة .

● ان **بافيل كوفانوف** تولى رياسة لجنة الرقابة بعد أن تم تنظيمها من جديد تحت اسم «لجنة رقابة الشعب» التى تختلف عن الرقابة القديمة المشتركة بين الدولة والحزب ، واللجنة الجديدة تتولى الاشراف على تنفيذ مايقوم به الاثنان .

●

■ **يوغوسلافيا**

عام ١٩٦٦ .. ونتائج
اعادة تنظيم الاقتصاد

وصف الرئيس تيتو اهمية الاصلاحات الاقتصادية التى اقرها البرلمان اليوغوسلافى فى ٢٦ يوليو الماضى ، بأنها « ثورة فى طريق المزيد من التطور والتقدم فى يوغوسلافيا » .

وتوضح النتائج الاولى ، التى تحققت على اثر اصدار التنظيمات الاقتصادية منذ اربعة اشهر ونصف ، ان هذه التنظيمات تبشر بالنجاح ، وانها تحتاج الى فترة اطول من الوقت الذى لن يمر دون مواجهة بعض الصعوبات .

وتهدف الاجراءات التى اتخذت فى الجمعية الوطنية الى الحد من التضخم والقضاء على العجز فى ميزان المدفوعات. هذا من جهة. وتهدف من جهة اخرى الى تغيير التركيب الاقتصادى ليوغوسلافيا.

ومن هذه التغييرات فى الكيان الاقتصادى ،يبرز تغييران هامان. لقد اعطى هذا الاصلاح الاقتصادى حافزا فعالا متجددا للتنمية الزراعية وانتاج الطاقة والمواد الخام، التى كانت تتعثر فى السوق المحلى نتيجة لانخفاض الاسعار من معدل نمو الصناعات الانتاجية التى كان لها «الافضلية» فى التنظيم القديم .

وفى الوقت نفسه ، اعيد توزيع الدخل القومى بين اجهزة الدولة والمشروعات الاشتراكية لمصلحة الاخيرة. وبمعنى آخر فقد تم تدعيم نظام الادارة الذاتية فى المشروعات الاقتصادية عن طريق تخفيض معدل الضريبة والفوائد التى كانت تدفعها المؤسسات لخزانات الدولة الاتحادية والجمهوريات والمجالس الشعبية .

لقد تقرر منذ ٢٦ يوليو الماضى ،الغاء الضريبة التى كانت تدفعها المشروعات الاقتصادية لخزانة الدولة. وبذلك وفرت لهذه المشروعات اكثر من ٥ بلايين دينار (الدولار الامريكى يعادل ١٢٫٥٠ دينار) ، وضعت تحت تصرفها لتستغلها حسبما تشاء. فانخفضت بالتالى نسبة مساهمة الدولة من توزيع الدخل المتبقى على المشروعات الاقتصادية، بعد ان تم خصم تكاليف التشغيل من ٤٩٪ الى ٢٩٪ فقط.

وزادت الاسعار فى السوق المحلى بنسبة ٣٠٪ تقريبا . وكانت اكبر نسبة فى الزيادة ،فى اسعار المواد الخام والطاقة الكهربائية والمنتجات الزراعية ، التى كانت منخفضة من قبل بشكل «غير واقعى» .

كما تقرر الغاء الاعانات التى كانت تقدم الى المشروعات الصناعية فى شكل مواد خام وطاقة ونقل بثمن زهيد. وذلك حتى يمكن لهذه المشروعات ان تتنافس لايجاد السوق المربح عن طريق زيادة انتاجية العمل والبحث عن موارد كافية.

ومن اهم اهداف الاصلاح الاقتصادى، تحقيق الاستقرار فى السوق المحلى ووقف الاتجاهات التضخمية. وتؤكد الدوائر المسئولة فى يوغوسلافيا انه ـ وبعد اربعة اشهر ونصف من العمل بهذا التنظيم ـ امكن تحقيق هذه الاهداف الى درجة كبيرة. فقد فرضت البنوك قيودا على القروض التى تقدمها الى المشروعات الاقتصادية بهدف ان تزيد هذه المشروعات من مساهمتها المباشرة فى تمويل استثماراتها من مصادرها الخاصة.

ومنذ ان قلت نسبة العملات المتداولة عن نسبة معدل الانتاج، فقد تراكمت كميات كبيرة من السلع ،مما ادى الى توفر عامل هام من عوامل استقرار السوق .

وكان الانفاق فى يوغوسلافيا قد زاد قبل الاصلاح الاقتصادى بمعدل يفوق امكانيات البلاد. وتتضح هذه الحقيقة اذا عرفنا ان نسبة الزيادة فى الانفاق فى عام ١٩٦٤، قد سجلت ارتفاعا قدره ٢٩٪ بالنسبة للارقام التى سجلها العام الاسبق .

اما الان ،فقد توقف معدل الزيادة هذا. وانخفض حجم الانفاق فى الشهور العشرة الاولى من العام الحالى بنسبة ١٥٪ تقريبا اذا قارناه بمثل الفترة من عام ١٩٦٤ . ولكن تعد زيادة نسبية

مساهمة المشروعات الاقتصادية فى الانفاق ، بمثابة الخطوة الاولى نحو انتقال السيطرة على سياسة الاستثمار، من يد الدولة، الى يد ادارات المشروعات .

وعقب اصدار قوانين التنظيم الاقتصادى الاخير، انخفضت قيمة اشكال اخرى من الانفاق فى يوغوسلافيا. فقد امكن ادخار ما يربو على ٥٠٠ بليون دينار، خلال الاربعة شهور ونصف الماضية، من نفقات الخزانة الاتحادية وخزانات الجمهوريات والمجالس الشعبية. كما امكن تحقيق بعض الادخار فى بنود المصروفات الادارية وبنود المشروعات غير الاقتصادية.

ونتيجة لقوانين الاصلاح الاقتصادى، تغير سعر تبادل الدينار



أمل حياتى

أم كلثوم صاحبة الصوت المثقف استلهمت ثقافتها الموسيقية من روح الشعب العربى ، من تراثه اللحنى والشعرى ، ومعايشة بيئتها الريفية اصلا بكل قيم الجمال المادية والمعنوية الموجودة فى الطبيعة والناس . ولقاء صوت أم كلثوم بألحان عبد الوهاب يجعلنا نتساءل ماذا حقق عبد الوهاب فى أغانيه الاخيرة لام كلثوم ؟

عبد الوهاب حقق بعضا من روحه وبعضا من روح ام كلثوم فى هذه الاغانى . اننا مثلا نجد المقدمة الموسيقية لهذه الاغانى متأثرة بثقافات موسيقية من كل بلد ومن كل نوع ، بينما نجد كثيرا . من المقاطع التى تغنيها ام كلثوم عربية النغم والايقاعات. هكذا نجد بعض روح عبد الوهاب وبعض روح ام كلثوم فى اغنية « أمل حياتى » ان المقدمة الموسيقيه فى هذه الاغنية تبدأ بالجيتار تعزف تقاسيم اسبانية وخلفها نستمع الى نغمة مستمرة ممدودة زمنيا مأخوذة من أسلوب الاداء على الارغول لتعزفها آلة الاكورديون فى مقدمه عبد الوهاب الموسيقية . وبعد الجيتار والاكورديون تبدأ الايقاعات الراقصة للمقدمة الموسيقية فجأة مع آلات الاوركستر ، ويظل صوت الرق وشخاليله وايقاعاته بارزة طافية فى معظم أجزاء المقطوعة على صوت الالات الموسيقية الاخرى . وتتلاشى ايقاعات الرق عندما نستمع الى الفنان احمد الحفناوى يعزف منفردا على الكمان لفترة قصيرة بأسلوب التقاسيم من لون نغم مقام البيالى العربى الشعبى ، وهنا يبدأ تصفيق جماهير المستمعين دون أن تطيق الانتظار لفرط حساسيتها حتى نهاية المقدمة الموسيقية . ان المقدمة طويلة وهى فعلا مقطوعة موسيقية مستقلة تسبق الاغنية وتستخدمها الفرق الموسيقية بعد حفلة ام كلثوم فى حفلات اخرى كمقطوعة موسيقية مستقلة عن الاغنية . « وامل حياتى » فيها مقطوعتين وليس مقطوعة واحدة ونجد المقطوعة الثانية قبل مقطع « ياللى حبك خلا كل الدنيا حب » والحان هذه المقطوعة من روح الموسيقى الشعبية المعروفة فى منطقة البلقان وهى من اساليب موسيقى جماعات الغجر المعروفة والمتنقلة فى كثير من البلاد الاوروبية ان هذه المقطوعة الثانية فى اغنية امل حياتى من اجمل المقطوعات القصيرة التى استمعت اليها لكنها متنافرة مع المقاطع الغنائية المسموعة قبلها وبعدها ، ولكن بما اننى قد تعودت الاستماع الى معظم اعمال عبد الوهاب على انها اجزاء منفصلة من بعضها فانا لا انكر اننى تمتعت فعلا بالاستماع الى جميع اجزاء اغنية « أمل حيــاتى » وأما الامل الذى ما ازال انتظره من لقاء الملحن الكبير عبد الوهاب بصوت سيدة الاداء الغنائى العربى ام كلثوم ليس هو تقديم الاوبريت العربية او الاوبرا كما ينتظر كثير من المستمعين ، وانما انتظر اسلوبا جديدا فى تكوين الصورة الغنائية تؤديه ام كلثوم ، ليس هو تتابع لحن بعد لحن آخر فى خط افقى كما هو الحاصل فى التكوين الحالى للاغنية . اننى اتمنى ان استمع الى لحن تؤديه ام كلثوم بصوتها وخلف هذا اللحن استمع فى الوقت نفسه الى الحان اخرى تعمق شعورى وتؤديها مختلف الات الاوركسترا العربى ان انغاما اخرى راسية يستطيع الملحن ان يبدعها لتعمق معنى لحنه الغنائى الاساسى وايضا يستطيع أن يصهر روحه ليبدع الالحان التى تعزفها آلات الاوركسترا ومجاميع الكورس مع لحن المغنية الرئيسية . ان التركيب الجديد الذى تنتظره الاغنية المصرية ينتظره الجمهور ايضا ، وهذا التركيب نوع من التصور الموسيقى الملائم بطبيعة الاشياء فى الطبيعة داخل الانسان وخارجه .

والفنان يعبر بصدق عن طبيعة الحياة فى تناقضها وحركتها وتطورها والحقيقة ان الروح الموسيقية الجديدة التى ننتظرها هى تصور وتامل وفكر لطبيعة الحياة نفسها وهذا ما لانجده فى الاغنية المصرية القصيرة او الطويلة فى كل مراحلها القديمة والحديثة . ان املى فعلا ان استمع الى صوت ام كلثوم المبدع فى تكوين موسيقى جديد متطور يعكس تركيبه احساسنا وافكارنا نحو الحياة سواء كان هذا التكوين فى شكل الاغنية القصيرة او الطويلة او فى الاشكال الاخرى الاكثر اتساعا لابعاد الحياة فى روح المستمع ، وهى الاعمال الغنائية التمثيلية . اعمال المسرح الغنائى العربى ، وأعتقد ان عبد الوهاب قادر على تحقيق روح موسيقية جديدة فى اى شكل يختاره من هذه الاشكال الغنائية التى ذكرتها تلائم مواهبه ، كما اعتقد ان السيدة ام كلثوم تنتظر اليوم الذى تحقق فيه هذه الرسالة الموسيقية الجديدة بروحها الفنية الاصيلة وقدراتها الموسيقية العالية فى الاداء ، وهنيئا لعبد الوهاب وام كلثوم على تقدير الدولة لفنهما فى خدمة الشعب العربى فى عيد العلم

سليمان جميل

اليوغوسلافى .فبعد ان كان الدولار الامريكى يعادل ٧٥٠ دينارا اصبح الدولار يعادل ١٢٫٥٠ دينار . مما دفع بحركة تصدير السلع اليوغوسلافية دفعة جديدة وملحوظة . كما ادى ايضا الى خفض نسبة الاستثمارات وغيرها من اشكال الانفاق الداخلى فى البلاد .

وقد صرح اخيرا ،كيرو جليجوروف وزير المالية الاتحادى،بأنه يتوقع ان ينتهى العجز فى ميزان مدفوعات يوغوسلافيا مع نهاية العام القادم (١٩٦٦) . ومما يؤكد ان توقعات وزير المالية لا تجافى الواقع، ان يوغوسلافيا تمكنت خلال شهر نوفمبر الماضى

ولاول مرة منذ الحرب العالمية الاخيرة ــ من ان تحقق فائضا نتيجة لان صادراتها كانت اكثر من وارداتها .

●

■ الامم المتحدة

مصير ٢٦ جزيرة وخطوات جديدة فى سبيل تصفية الاستعمار

نشطت الوفود الافريقية فى الجمعية العامة للامم المتحدة ، خلال الشهر الماضى ، بشكل ملحوظ فى اتجاه تحقيق خطوات اكثر تقدما بشأن قضية تصفية الاستعمار . وقد استرعى نشاط هذه الوفود ، انتباه المراقبين الدوليين الذين اجمعوا على « ظاهرة تنسيق نشاط الدول الافريقية بشكل واضح بشأن هذه القضية » . ويعتقد المراقبون الدوليون أن بروز نشاط الدول الافريقية فى الجمعية العامة فى الشهر الماضى « يعطى ملمحا وبعدا جديدا » للقضية التى تثار بين حين وآخر حول ضرورة اعادة النظر فى تمثيل هذه الدول ــ بالاضافة الى الدول الاسيوية ودول امريكا اللاتينية ــ فى مختلف المنظمات والهيئات والاجهزة التابعة لهيئة الامم المتحدة تبعا لتزايد هذه الدول المستقلة وثقلها فى المجال السياسى الدولى » .

فقد وافقت لجنة الوصاية التابعة للجمعية العامة فى أوائل الشهر ، بأغلبية ٧٦ صوتا ضد ٨ أصوات وامتناع ١٨ عن التصويت ، على مشروع قرار تقدمت به الدول الافريقية «بمنح حق تقرير المصير لـ ٢٦ جزيرة لا تتمتع بالحكم الذاتى » . ويدعو مشروع القرار الى «تصفية القواعد العسكرية الموجودة فى هذه الجزر » .

وكانت الولايات المتحدة الامريكية على رأس الدول التى عارضت هذا المشروع حيث قال رئيس وفدها « انه لا يوجد نص فى ميثاق الامم المتحدة يمنع الدول التى تشرف على الحكم فى هذه الجزر من ابقاء قواعد عسكرية لها فيها تحت اشرافها » ومن المعروف أن احدى هذه الجزر التى ينطبق عليها مشروع القرار ، هى جزيرة « جوام » التى تشن منها طائرات السلاح الجوى الامريكى غاراتها على فيتنام . والغريب أن احد أعضاء الوفد الامريكى قد صرح فى سياق المناقشة بأنه يتم اعداد جزيرة جوام والجزر العذراء لتصبح ضمن أراضى الولايات المتحدة .

وقد أدارت الدول الافريقية ، بنجاح ملحوظ ، المناقشات حول فقرة من المشروع تنص على أن «تعتبر الجمعية العامة وجود القواعد العسكرية فى هذه الجزر عقبة فى سبيل حصولها على الاستقلال » وقد ووفق على هذه الفقرة ، بأغلبية ٥٠ صوتا ضد ٢٦ صوتا وامتناع ٢٣ عن التصويت .

وفى الوقت نفسه ، طالبت الدول الافريقية لجنة الوصاية ، بضرورة « أن تنهى أسبانيا حكمها الاستعمارى فى صحراء افريقيا ومنطقة ايفنى» ، ودعت فى مشروع قرارها الى ضرورة أن تقدم الجمعية العامة كل مساندة ممكنة لشعوب هذه المناطق والجزر ، فى الجهود التى تبذلها فى سبيل تقرير مصيرها » . كما ضمنت مشروع قرارها « دعوة الدول التى تحكم هذه الجزر والمناطق الى السماح لبعثات الامم المتحدة بزيارة هذه الجزر لتفقد الموقف فيها عن قرب » .

ولم يقتصر نشاط الدول الافريقية ، فى الشهر الماضى ، على لجنة الوصاية ففى اللجنة السياسية ، حاولت عدة دول غربية وخاصة وفدى أمريكا وبريطانيا ، تجميد مشروع القرار الخاص « بادانة التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى » . وفى الوقت الذى أصر فيه الاتحاد السوفييتى على ضرورة اتخاذ قرار فى هذا الصدد قبل أن تنتهى الدورة الحالية للجمعية العامة ، اقترح الوفدان ، الامريكى والبريطانى ، ادخال تعديل على المشروع وتحويله الى ادانة لما أسماه «بالتدخل الشيوعى» كما اقترحت ١٨ دولة من أمريكا اللاتينية أن يعدل مشروع القرار الى « أن يدين جميع اشكال التدخل » . ولكن وفد الاتحاد السوفييتى عارض هذا القرار قائلا : « انه يعنى فى رأى هذه الدول ادانة الدول التى تدرب جماعات على اعمال عسكرية . وهو اشارة واضحة الى كوبا فى أمريكا اللاتينية » والى غيرها فى قارات اخرى . كما رفضت الدول الافريقية محاولة الوفد البريطانى والامريكى اقتراح « اعتبار اى تدخل ضد حكومة روديسيا الجنوبية او حكومة جنوب افريقيا ، تدخلا فى شئون هذه الدول الداخلية » .

وجدير بالذكر أن وفد الجمهورية العربية المتحدة ، فى الجمعية العامة ، قد طالب « بتوجيه اهتمام خاص باستنكار التفرقة العنصرية والسيطرة الاستعمارية ومعارضة تدخل اى دولة فى شئون دولة اخرى » ، فى أى مشروع قرار تصدره الامم المتحدة

●

■ أدب

كامل الشناوى الصحفى والشاعر

فى صباح اول ديسمبر عام ١٩٦٥ فقدت الصحافة العربية كامل الشناوى الذى مات عن سبعة وخمسين عاما بعد ازمة صحية عنيفة كانت تعاوده من حين لاخر طوال السنوات الخمس الاخيرة من حياته . وقد اهتزت الصحافة العربية لوفاة كامل الشناوى ، لا لانه كان



● كامل الشناوى

علما من اعلامها فحسب ، ولكن لانه كان أحد الشعراء القلائل الذين غنوا بصوت دافىء مشحون بالعاطفة ، وكان لغنائه صدي بعيدا فى نفوس القراء ، وكان النقاد يعتبرونه امتدادا للمدرسة الرومانسية فى الشعر العربى الحديث ، وآخر الاحياء من افرادها ، واذا كان صحيحا ان كامل الشناوى كان مقلا جدا كشاعر الا أن القليل الذى أنتجه من القصائد قد قدر له من سعة الانتشار على جميع المستويات ما حقق لصاحبه شهرة عريضة كشاعر توازى شهرته كصحفى وكشخصية عامة ذات اشعاع انسانى كبير .

وقد ولد كامل الشناوى فى ديسمبر عام ١٩٠٨ وتربى فى بيئة دينية استمد بذور ثقافته الاولى منها وعاش عدة سنوات دراسية فى الازهر ولكنه لم يقدر له ان يستمر فى دراسة منتظمة من اى نوع حيث حاول ان يستكمل دراسته فى فرنسا الا ان عقبة اللغة حالت بينه وبين تحقيق هذا المشروع فآثر فى النهاية ان يثقف نفسه بنفسه عن طريق القراءة والاندماج فى الاوساط الادبية . وكانت اول شخصية ادبية كبيرة ارتبط بها ارتباطا شخصيا وثيقا هى شخصية الشاعر الكبير احمد شوقى امير شعراء العربية فى ذلك الوقت . وقد استطاع كامل الشناوى عن طريق موهبته فى الالقاء ان يجعل احمد شوقى يعهد اليه دائما بالقاء قصائده على الناس فى الندوات والمناسبات العامة . ومن خلال هذه العملية نجح فى ان يحقق لنفسه شهرة خاصة كشاعر اذ انه كان ينتهز تلك الفرصة لالقاء بعض اشعاره هو .

اما العمل الصحفى فقد دخل اليه كامل الشناوى عن طريق العمل كمصحح فى جريدة «كوكب الشرق» التى انتقل منها الى الكتابة فى مجلة الشبيبة عام ١٩٣٣ ، ومنذ عرفت مقالاته طريقها الى النشر فى ذلك العام لم يكف عن التنقل ككاتب بين الصحف والمجلات المختلفة التى نذكر منها روز اليوسف والاهرام وآخر ساعة التى راس تحريرها مرتين اخرهما عام ١٩٤٦ حيث تركها لينشىء «الجريدة المسائية» ثم يعود الى الاهرام فالاخبار فالجمهورية فالاخبار مرة اخرى على مدى اعوام طويلة تجاوزت الثلاثين عاما .

وعندما كان عمره احد عشر عاما شهد ثورة ١٩١٩ فى بلادنا وفى فترة شبابه ونضجه راى الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها على الشعب المصرى وعاش كذلك ثورة ١٩٥٢ بكل عنفوانها واندفاعها الشعبى وبكل ما انجزته خلال ثلاثة عشر عاما . وتجاوب كامل الشناوى مع كل تلك الاحداث وتركت اثارها فى تكوينه ، الا انه بقى دائما ولاخر لحظة من لحظات حياته الشاعر العاطفى المثالى حتى فى تفكيره . وقد سجل فى شعره عدة أحداث وطنية مثل قصيدة «كنت فى صمتك مرغم» التى غناها محمد عبد الوهاب ، او قصيدة «انا الشعب لا اعرف المستحيلا ، ولا ارتضى بالخلود بديلا » التى غنتها السيدة ام كلثوم . ومما لاشك فيه ان هذين الصوتين العظيمين قد ضمنا لكامل الشناوى شعبية هائلة كشاعر غنائى . وبالاضافة الى هاتين القصيدتين كتب جزءا من اوبريت لم يكملها عن ماساة «جميلة» الجزائرية . ولكن بقية انتاجه الشعرى القليل الذى جمعه منذ عامين فى ديوان متوسط الحجم ينحصر فى موضوعات عاطفية رومانسية ، وهو ينتمى فى هذا الاتجاه صياغة ومضمونا الى مدرسة الشاعرين الكبيرين على محمود طه وابراهيم ناجى . والمثل الواضح على شعره العاطفى تلك القصيدة الشهيرة التى تغنيها السيدة نجاة الصغيرة وعنوانها « لاتكذبى » .

ولم يصدر لكامل الشناوى اى انتاج نثرى مطبوع فى كتاب سوى مرة واحدة حيث جمع عدة فصول ادبية هى اقرب الى التحقيقات الصحفية تحت عنوان «لقاء معهم» . وفى هذه الفصول يتحدث عن عدة شخصيات فى تاريخنا الحديث بعضها قدر له ان يلتقى بها لقاء ماديا حقيقيا وبعضها الاخر التقى بها خلال صفحات التاريخ المكتوبة . وفى هذا اللقاء يسجل صورا لعشرة من الشخصيات التى ساهمت بحياتها وفكرها فى تحديد ابعاد تاريخنا الحديث وهم : جمال الدين الافغانى «هذا القدر الطيب الذى اضاء بناره وبنوره كل ارض سار فيها وسامى البارودى شاعر الثورة العرابية وعبد الرحمن الكواكبى وقاسم امين واسماعيل صبرى وسيد درويش واحمد شوقى ومصطفى عبد الرازق وعلى مصطفى مشرفة واحمد لطفى السيد .

غير ان اهم ما افتقدته الاوساط الصحفية والثقافية فى كامل الشناوى هو شخصيته الانسانية ذات الاشعاع الكبير ، فقد اجمع على ذلك كل الذين رثوه او كتبوا كلمات العزاء فيه . ولعل تلك الفقرة القصيرة التى نشرها الدكتور لويس عوض بعد يومين من وفاته فى ملحق الاهرام الادبى ان تعبر عن تلك الحقيقة خير تعبير حيث يقول : «كان كامل الشناوى كبير القلب يحتوى كل ماحوله فى قلبه الكبير ، لانه كان حيا كالحياة ، طيبا كالحياة ، محبا كالحياة ، ساخرا كالحياة فى غير مرارة ، سخرية الذكاء واللماحية لاسخرية الحسك والاشواك وكان محدثا من طراز نادر وراوية لاشعار القدامى والمحدثين

ونوادرهم لايشق له غبار ، حتى لتكاد تقول انه اخر مدرسة الظرفاء الذين حدثتنا كتب العرب انهم ملاوا بلاط العباسيين بهجة ولباقة وحكمة من حكم الشعراء . ولكنه فوق هذا وهذا ظفر من قدره بما لم يظفر به محدث او راوية فقد كان اغنية عذبة شجية فى فم جبلنا أو قيثارة معلقة بديعة الصنع قليلة الاوتار ، ما ان تمسها نسمة من النسيم حتى تجيش بالانغام فتتجاوب من حولها الاصداء ، ولانه كان قليل الاوتار كان ضنين الغناء ضنين الاناشيد ولكن هذا القليل الضنين كان وحده كافيا لان يكتب له صفحة فى تاريخ الادب العربى . اما نحن الذين عاصرناه فقد سمعنا منه شيئا غير ماروت أوتاره القليلة الضنينة . سمعنا هذا الصندوق الرنان لايكف عن الهمهمة والجيشان بانغام لم تكتمل وباصداء متلاحقة مالها من نهاية وكانها صدر عاشق اسطورى لكل زفرة من زفراته رجع فى الوديان عميق » .

●

أنور المعداوى الناقد ..
الذى مات قبل الأوان

وبعد

عشرة أيام من رحيل كامل الشناوى فجعت الاوساط الادبية بخبر مفاجىء ينبىء من وفاة الناقد **انور المعداوى** الذى لم يبلغ بعد الخامسة والاربعين من عمره . مات بشكل مباغت وصامت ولم يعرف بذلك اصدقاؤه الا بعد يوم كامل وبعد أن كان جثمانه قد انتقل الى مسقط راسه بقرية معدية مهدى بالمنوفية . ورغم ان المرض كان يلازم هذا الناقد الشاب منذ فترة طويلة الا أن احدا لم يصدق أن تلك الطاقة الهائلة من الحيوية يمكن ان تنطفىء فى غمضة عين . وكان أنور المعداوي فى الفترة الاخيرة من عمره الخاطف موزعا بين المرض والعزلة ، ويمارس بالكاد مسئوليته فى هيئة تحرير مجلة « المجلة » الشهرية التى يرأس تحريرها الاديب الكبير يحيى حقى .

وازمة العزلة التى كان يمر بها انور المعداوى قد سبق أن عاش محنتها بصورة حادة فى شهر نوفمبر من عام ١٩٦٣ حين قرر الاعتكاف نهائيا فى قريته وقطع كافة الوشائج التى تربطه بعالم الثقافة والادب والحضارة ايضا . وقد اثار اعتزاله ذلك احاديث ومناقشات طويلة بين الادباء وصلت الى وزارة الثقافة حيث قرر الدكتور عبد القادر حاتم ان تستمر الوزارة فى صرف مرتبه مع صرف مستحقاته منذ أن قطع ذلك المرتب بسبب تجاوزه اجازاته المرضية كما قرر ان يكون علاجه على نفقة الدولة فى احدى مستشفيات القاهرة او فى الخارج اذا استدعى الامر ذلك ، وان تتولى الدولة أيضا طبع ابحاثه ومقالاته .

غير ان انور المعداوى رغم ذلك لم يستطع ان يتجاوز محنته بوجهيها المادى والمعنوى . وقد اتفق جميع الذين تناولوا شخصيته وادبه بالدراسة قبل وفاته أوبعد موته انه كان يعد بعطاء وفير كناقد ادبى من الطراز الاول، وانه شغل فترة من التطور الادبى فى حياتنا هى فترة انجاز التحول الكامل من النظرة التقليدية فى رؤية العمل الادبى الى النظرة الحديثة المطعمة بالتراث الانسانى ، وكان علما من اعلام هذه الفترة ورائدا من روادها ذوى الشخصية الواضحة المتميزة . وفى دراسة كتبها الدكتور شكرى عياد عنه بعد وفاته بايام قال : «كان انور المعداوى الشاب الذى لم يبلغ الثلاثين مصمما على ان يقدم نظرته الخاصة وذوقه المتميز ، واستطاع منذ مقالاته الاولى فى «الرسالة» منذ اواخر الاربعينات ان يثير حوارا مستمرا بينه وبين عدد غير قليل من الادباء فى شتى اقطار العربية .. فقد كان انور المعداوى واضحا جهيرا فى عرض ارائه ، ولم يكن يبالى أن يخالف أراء سابقيه أو معاصريه ، ولايشعر بالحاجة الى ان يستند الى قول امام من الشرق او استاذ من الغرب ، وكان ذلك جديرا أن يعرض نقده لخطر الضعف والتهافت لولا انه اعتمد على خصلتين اغنتاه من معالجة المصادر ونظم الاسانيد : كان يقرأ بنهم واستيعاب ، وكان صاحب ذوق ممتاز يهتدى الى مواطن الضعف ومواطن القوة باللمحة النافذة قبل الشرح المسهب » .

وقد كانت اول مساهمات انور المعداوى فى النقد الحديث كتابه الذى صدر عام ١٩٥١ تحت عنوان : «نماذج فنية من الادب والنقد» ، اما كتابه الثانى فقد نشر قبل وفاته بفترة وجيزة رغم ان اصوله الاولى قد اعدت منذ سنوات تجاوزت العشر وهو دراسة مستفيضة عنوانها : «على محمود طه ، الشاعر والانسان» يشرح فيها باسهاب نظرته النقدية الى الخلق الفنى التى اطلق عليها «الاداء النفسى» . واما كتابه الثالث «كلمات فى الادب» فقد طبع فى بيروت منذ اسبوع ولم يتح لصاحبه ان يمتد به الاجل ليراه فى ايدى القراء ■







- ■ القرية المتغيرة
- ● تاليف د. محمد عـــاطف غيث

- ■ ثلاث تجارب أفريقية في التنميـــــــة
- ● تاليف د. سمير أمين

القرية المتغيـــرة

● تاليف د. محمد عاطف غيث

التغير مأدة هو الهدف الذى تقصد الى تحقيقه الثورة . ولكن ، هل من الممكن ان يحدث التغير دون ارادة تعمل لتحقيقه وتوجـــه اهدافه ؟

الاجابة على هذا السؤال نجدها فى الدراسة التى وضعها الدكتور محمد عاطف غيث عن احدى قرى مديرية الدقهلية — القيطون مركز ميت غمر — يقرر الكاتب منذ بدء دراسته ان قريته لم يحدث فيها عامل خارجى يمكن القول عنه انه كان سـببا فى تغيير أحد مظاهر الحياة فيها . فالقيطون تتكون قديما والآن من صغار الملاك ، ولم تقع ضمن دائرة او عزبة قبل تنفيـذ قانون الاصلاح الزراعى عام ١٩٥٢ . ولم تكن الفروق بين العائلات قديما أو الاسر الآن كبيرة من حيث مساحة الارض الزراعية المملوكة لكل منها . والارض الزراعية كانت ولا تزال على درجة عالية من الخصوبة . وهى من حيث الموقع الجغرافى ليسـت قريبة مباشرة من طرق المواصلات أو المدينة حتى يمكن أن يقال انها كانت فى شبه عزلة قبل التغير الحديث .

فالقرية بهذا الوصف تمثل عينة فريدة ، حرص الكاتب على ان يؤكد عزلتها من مختلف العوامل الخارجية . ثم اخضعهـا للدراسة فى حالتى الاستقرار والتغير ، ذلك التغير الذى وصفه بأنه «غير موجه» اى لم يكن سببه عاملا خارجيا عن الحياة فى القرية . وفى هذا الاطار تكون بواعث التغير أساسا «داخلية» نتيجة لازدياد السكان واستمرار ضغطهم على المصادر الطبيعية الثابتة ، أما العوامل الخارجية فتكون عوامل معجلة .

ولكن هذا العزل «الكيميائى» للقرية — هل من الممكن أن يتحقق فى الواقع ؟ وهل من الممكن أن يستمر ضغط العوامل الداخلية متواصلا دون أن تظهر ارادة واعية للتغيير ، تحاول أن توجهه وأن تتحكم فيه ؟ ثم ، هل من الممكن ان تدرس قرية فى احـــدى مديريات مصر — متعزلة عن كل ما يحدث فى المجتمع الكبيـر المحيط بها ؟

لقد اعتبر الكاتب عام ١٩١٤ هو «نقطة الصفر» التى تفصل بين فترتى الاستقرار والتغير . ذلك لان الحرب العالمية الاولى التى حدثت فى هذا العام ، والاحداث التى مر عليها المجتمـع المصرى بعد ذلك كانت ذات اثر بالغ فى التغير الاجتماعى . هذا الى أن زيادة السكان على طاقة الارض الزراعية أخذت منـذ هذا التاريخ ايضا تحدث اختلالا فى توازن العائلة والقرية ككل .

ويعتبر عام ١٨٨٣ الذى صدر فيه القانون المدنى الاهلى الذى اقر نظام الملكية الفردية للارض الزراعية بصفة عامة ، وعام ١٩٠٠ بصفة خاصة ، هو المدى الزمنى الذى تنطبق عليـه خصائص القرية كما جاءت فى هذه الدراسة .

ولقد اختار الكاتب ثلاث نواح ليدرس التغير الذى حدث فيها :

● العائلة ● والحياة الاقتصادية ● والثقافة المادية .

وخصص لكل ناحية فصلا فى الكتاب . وهو يهيىء القارىء لتتبع ماسيورده عن قريته بفصل خصصه — فى الطبعة الثانية من الكتاب التى صدرت عام ١٩٦٤ (١) — لقواعد المنهج فى دراسة القرية . وبفصلين آخرين عن التغير الاجتماعى فى المجتمع القروى ، وعن الملامح العامة للقرية . والحق ذلك كله بخاتمة اضافها فى الطبعة الثانية ، اجمل فيها النتائج العامة للدراسة .

ماهى الملامح العامة للقرية فى كل من فترتى الاستقرار والتغير ؟

ان نظرة القروى الى الحياة والتعليم كانت فيما مضى تتأثر بعاملين :

اولهما — مجموعة القيم التى توجه حياته ويسعى الى تحقيقها

وثانيهما — حاجاته الرئيسية على أساس ان الزراعة هى مهنته الاولى والاخيرة .

أما القيم الاساسية فى حياة القرويين فكانت تتلخص فى قيمتين رئيسيتين : المهارة فى العمل الزراعى ، والقدرة على الانجاب . وهما قيمتان مرتبطتان ارتباطا وثيقا بالمظهر العائلى للحيـــاة

الاجتماعية والاقتصادية . فاذا ارتبط التعليم بحاجة دينية فانه في هذه الحالة يكون مرغوبا ولكن في أضيق الحدود . ويقاس المركز الاجتماعي للمتعلم في القرية بمدى خضوعه لعائلته واستمرار التصاقه بها في كل شئونه الاقتصادية والاجتماعية . الا أن هناك ظاهرة جديدة بالتسجيل والدراسة هي الفرق بين المتعلم الذي يعمل في المدينة وبين العامل الذي هاجر من القرية واستقر أيضا في احدى المدن . فبينما نجد اتجاها الى اللامبالاة عند المتعلمين بالقرية وما يجرى فيها وبعدا من الاندماج في حياتها الاجتماعية ، نجد ان العمال يكونون اشد التصاقا بعائلاتهم وتتبعا ومشاركة في احوال القرية العامة، ولهذا كان تأثير العمال المهاجرين على القرية اكثر وابعد التاها من تأثير المتعلمين . ففي العائلة الواحدة التي يكون احد ابنائها متعلما ويعمل بالمدينة والاخر غير متعلم ويعمل في زراعة الارض ، نجد ان هذا الاخير يقلد اقرانه من العمال ولا يلجأ الى تقليد اخيه المتعلم .

ويعود الكاتب فيؤكد حرصه على عزل التغير الذي يدرسه من اى عامل خارجي ، فيقرر ان التعليم ليس من العوامل التي أدت الى احداث تغيرات اجتماعية ملموسة في القرية ، بل ان التعليم يعتبر نتيجة لاسببا للتغير الاجتماعي .

ماهو العامل الذي حفظ التوازن بين الفرد والأرض والعائلة اثناء فترة الاستقرار ؟

ان فلاحة الارض كانت تقتضى التعاون بين اكبر عدد ممكن من الأيدى العاملة ، ومن هنا كان التعاون في العمل الزراعي هو العامل الذي ساعد على ضرورة تجميع عدد من الافراد بصفة دائمة في شكل العائلة القديمة . ولقد جعل الاستقرار المكاني من حيث المسكن والارض الزراعية ـ الحياه الاجتماعية والحياة الاقتصاديه مرتبطتين ارتباطا وثيقا . فاذا كانت الارض الزراعية ثابتة من حيث المساحة ، أما المتغير فهو القوى البشرية ؛ فان الزيادة في حجم السكان ستؤثر في المستوى الاقتصادي الذي يميل الى الانخفاض تدريجيا . وفي سيره الى نقطة حرجة يختل التوازن صورة واضحة وتحدث نتيجة لذلك تغيرات هامة تعتبر الهجرة أولى علاماتها .

فمنذ عام ١٨٩٧ حتى عام ١٩٤٧ زاد سكان القرية زيادة كبيرة بينما ظلت مساحة الارض الزراعية كما هي لم تتغير ، وابتداء من عام ١٩٣٧ أصبح عدد من العائلات لا يملك شيئا . ترتب على ذلك ان العائلة بدأت تتفكك . لهذا يعتبر العامل الاقتصادي الذي يمثل علاقة السكان بالارض عاملا داخليا وعاملا اول في التغير الاجتماعي الذي أخذ في الظهور ابتداء من عام ١٩١٤ حتى الان .

وهنا نجد الكاتب يورد ملاحظة هامة ، اذ يقرر ان زيادة السكان في القريه تمشى مع زياده السكان بصفة عامة في المجتمع الكبير ، وتتمشى ايضا مع ازدياد التنظيمات الادارية والقانونية التي أخذت تنمو خصوصا منذ عام ١٩٣٠ والتي صحبها ازدياد نفوذ المدينة وتأثيرها على القرية .

تدخل المدينة في شئون القرية

ولقد كان من نتائج هذه التغيرات ان اخذ النشاط الاقتصادي يتجه اتجاها آخر غير الاتجاه القديم ، اذ بدا يتخذ طابع انتاج السوق بعد أن كان انتاجا محليا . وزادت صلة القرية بالقرى المجاورة وبالمدينة وبالحكومة . وزاد تدخل المدينة في شئون القرية . وهذا هو العامل الخارجي في التغير . ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية يسير العاملان الداخلي والخارجي جنبا الى جنب . ونشأ من هذا كله تغير في القيم داخل القرية ، فالارض

وان كانت لا تزال تعتبر المثل الاعلى للملكية ، الا ان هذا لم يمنع من النزول عنها في سبيل قيمة أكبر . فبعض القرويين مثلا يلجأون الى بيع اراضيهم للنهوض بتعليم ابنائهم . وهم بهذا يعتبرون أن قيمة التعليم أكبر من قيمة الارض . ولم يعد العمل الزراعي هو أجل الاعمال ، بل صار نوعا من العمل بجانب انواع أخرى ممكنة . وظهر اتجاه للمعاملات التجارية مع السوق ومع المدينة . وهذا كله جعل راس المال النقدي ينمو كمظهر آخر من مظاهر الملكية غير الارض .

وفي الفصل الذي خصصه الكاتب للعائلة يقرر انها الوحدة الاساسية في الحياة الاجتماعية في القرية . وهي تمثل علاقات قرابة متعددة الدرجات تنتهى الى اصل واحد هو الجد الاكبر . وفي هذه الحالة يكونون ما يسمى بالبدنة . ولقد كانت العائلة القديمة تضمن لافرادها كل اسباب الطمأنينة والسلطة في العائلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بوظائفها الاجتماعية والاقتصادية . والسلطة الاقتصادية تدور حول الانتاج الزراعي والتعاون هو القاعدة التي تقوم عليها الحياة العائلية .

ثم واجه الكاتب العائلة المتغيرة . والسبب الرئيسي الذي ادى الى حدوث التغير هنا ايضا هو أن السكان يزدادون ولكن مساحة الارض ثابتة ، ويؤدى هذا الى انخفاض مستوى المعيشة وتقل طاقات المساحات التي تؤجر عن استيعاب الاعداد المتزايدة من الاسر فتظهر بوادر الهجرة الموقتة فالدائمة وتزداد . يترتب على هذا كله اختلال الاكتفاء الذاتي للعائلة ، وتبدا في التفكك ويقل خضوع الفرد لمستويات السلطة العائلية المتدرجة ويصبح عمل الفرد متصلا به مباشرة ولصالحه الخاص . وتنتقل الحياة من الجمعية الى الفردية .

الارض والانتاج والحياة الاجتماعية

ويبدأ الكاتب الفصل الذي خصصه للحياة الاقتصادية بعرض للخطوات التي تمت منذ عام ١٧٩٨ في ملكية الارض، ذلك لان علاقة القرويين بالارض تعتبر عاملا هاما في وصف حياتهم الاقتصادية . فاشار الكاتب الى القانون الذي أصدرته سلطات الحملة الفرنسية في ١٦ سبتمبر ١٧٩٨ بتنظيم تمكين الفلاحين من الاراضي وعرض لاجراءات محمد على وخلفائه بخصوص الغاء الالتزام ومسح الاراضي واصدار اللائحة الاولى للاطيان عام ١٨٤٦ ، ثم اللائحة السعيدية وقانون المقابلة والقانون المدني الاهلي وقانون ١٨٩١ بالغاء شرط دفع المقابلة . ومن خلال هذا التطور عرض الكاتب للحياة الاقتصادية القديمة فقال ان اساس هذه الحياة هو ملكية الارض ، ملكية عائلية لافردية . بل ان انقسام العائلة الى اسر أصغر بمرور الزمن لم يغير من هذه الطبيعة . وليس ثمة تفاوت كبير بين العائلات في الملكية فهي تتراوح بين ٧٠ فدانا وخمسة افدنة . والقدر الاول نادر جدا . اما الاغلبية العظمى من العائلات فكانت ملكياتهم متقاربة . ويلاحظ ان تحول القروي الى مهنة اخرى غير الزراعة كان امرا تأباه العائلة ولهذا كانت الوراثة في العائلة وراثة للارض وللعمل الزراعي .

ولهذا العمل خصائص عدة ، فهو جمعي وغير متخصص ومكتف بذاته اى ان العائلة نادرا ما كانت تحتاج الى يد عاملة من الخارج .

وهكذا ينتقل الدارس الى الحياة الاقتصادية المتغيرة . وهو يقرر ان التغير في هذه الناحية هو اكثر التغيرات وضوحا في القرية ، كما ان اثر العوامل الخارجية في التغير الاقتصادي كان بارزا ولا يمكن التقليل من شأن هذه العوامل . هذه العوامل الخارجية كانت الرواج الاقتصادي الذي أعقب الحرب العالمية الاولى ثم الانكماش الذي حدث بعد ذلك ، والازمة الاقتصادية العالمية في عام ١٩٣٠ والقوانين المنظمة للتعاون وانشاء البنك

العقارى وبنك التسليف الزراعى والقوانين التى بدأت بقيام الحرب العالمية الثانية وزيادة تأثير المدينة والسوق .

وفى اوائل مراحل التغير كانت الاسر الفقيرة تستأجر الارض الفائضة من الاسر التى تملك ارضا تزيد على حاجتها أو على قدرة اليد العاملة فيها. ولكن كلما مر الزمن قلت مساحة الارض المزروعة والمعروضة للايجار ولهذا تقل الفرص امام القرويين للبقاء فى القرية أو العمل فى الزراعة . وعلى هذا الاساس بدأ القروى يبحث عن عمل غير الزراعة داخل القرية أو خارجها وهاجر لذلك هجرة مؤقتة للعمل فى بعض شهور السنة ثم هاجر بعد ذلك هجرة دائمة الى المدن القريبة أو البعيدة . وهكذا نجد أن ارتباط القروى القديم بالارض قد تفكك الان فالذين لا يجدون فى الارض مصلحة مباشرة لا يترددون فى تركها . ويقول الكاتب انه سأل عددا من الذين هاجروا من القرية فوجد انهم مازالوا يفضلون العمل الزراعى ولذلك يظلون على صلات وثيقة بالقرية ويرسلون مدخراتهم الى اقاربهم لشراء أرض خاصة بهم أو بناء مساكن لهم . وظهر نوع من الملاك لايقيمون فى القرية .كما ظهر نوع آخر من الملكية هو راس المال النقدى المستخدم فى التجارة وهكذا أصبحت الملكية فردية وتعددت أنواعها . وترتب على اتساع نطاق وتوزيع الملكية على الاسر الى جانب تزايد عدد الذين لايملكون ارضا أن طبيعة العمل الجماعية لم تعد موجودة وأصبح العمل يتخذ طابعا فرديا ، كما أن أعدادا متزايدة من القرويين تعمل الان فى المهن المختلفة كالصناعات التحويلية والبناء والنقل وفى العمليات التجارية . وأصبح مقياس العمل هو ما يحقق من فوائد اقتصادية . ولقد تغير اساس التعاون فلم يعد القرابة بل أن عوقة الجوار والمصلحة الخاصة أصبحتا مميزتين للتعاون على اختلاف أنواعه .

أما الانتاج فانه أصبح يتجه الان الى السوق اكثر من اتجاهه الى الاكتفاء الذاتى من حيث الحاجات الاساسية . ولم يعد مقصورا على المحصولات الزراعية بل اصبح الانتاج الحيوانى يكون جزءا هاما من دخل الاسرة .

كما أن التبادل لم يعد يحقق قيما اجتماعية اكثر من تحقيقه للقيم الاقتصادية وأصبح الدفع نقدا هو اساس علاقة القرويين بعدد كبير من اصحاب الحرف والمهن .

وعلى العموم فان اتجاه الحياة الاقتصادية هو الى التعقد واللاتجانس والفردية وازدياد اثر السوق ، والقناعة المتغيرة اذ أن القلق الاقتصادى اصبح ظاهرة متزايدة ولذلك تنافس القرويون فى ميادين العمل المختلفة . مع الاتجاه للتخصص والتعليم . كما أن هناك ظواهر جديرة بالاعتبار هى ارتفاع مركز المراة وتناقص الاهتمام بالشعائر الدينية الجمعية وتناقص تعدد الزوجات .

وينتقل الكاتب الى الثقافة المادية ، ليوضح اهمية دراسة علاقة القرويين بالاشياء المادية فيقول ان هذه الاشياء تعتبر فى المجتمعات الصغيرة ، البدائية أو القروية خصوصا فى فترات ماقبل التغير ، هى المظهر الاول للتفاعل بين البيئة والانسان، وتكشف الى اى حد يتوافق الانسان مع الظروف المحلية التى يعيش فيها .

فى هذه المرحلة القديمة كانت الارض الزراعية الخصبة والمناخ المعتدل وانتظام مياه الرى وطبيعة الارض المستوية والحياة الجمعية فى العائلة ، كل ذلك جعل الثقافة المادية من حيث المسكن والملابس والطعام والادوات والصناعات المحلية وطريقة الانتقال والفنون المختلفة تتخذ طابعا معينا . وتمثل أدوات الزراعة عنصرا هاما فى الحياة القروية لارتباطها بالعمل الاساسى للقرويين . ويلاحظ أن هذه الادوات لم تكن خاصة بفرد معين وانما كانت ملكا للعائلة . كما أن هذه الادوات من حيث التصميم وطرق الاستعمال لم تتغير منذ مئات السنين .

وقد يقتضى استعمال واحدة منها تعاون الانسان والحيوان معا ولهذا كان الارتباط بين الاداة والانسان والحيوان فى العمل الزراعى وثيقا .

والتغير فى الثقافة المادية من حيث انه تغير فى نواح يمكن ملاحظتها بسهولة يعتبر اكثر التغيرات فى القرية وضوحا . وهو فى الوقت نفسه يصور زيادة صلات القرية بالعالم الخارجى ويعكس تأثيرات المدينة المتزايدة . ولذلك كان دور العوامل الخارجية فيه اكثر اهمية من أى عوامل اخرى . فكل تغير هنا لا ينبعث داخليا وانما يأتى منقولا أو منتشرا من الخارج ويتوقف قبول القرية لهذا النظام الجديد على حقيقة الوضع الاقتصادى لان التغير فى الثقافة المادية وقبوله يعنى زيادة فى التكاليف الاقتصادية . فالتغير هنا يحمل بين طياته مقارنة بين القديم والجديد من حيث اداؤه للاغراض المطلوبة وهى رخص التكاليف وكمال الاداء وسهولة العمل وتوفر الامكانيات . وفى مجال الالات الزراعية يقول الكاتب ان الالات الحديثة قليلة فى القرية وهى مملوكة لاسر معدودة تسمح ملكيتها باستخدامها . ويلاحظ ان من الاسباب المهمة لعدم اقبال الفلاحين على استعمال هذه الالات بجانب نفقاتها الباهظة أن مساحات الاراضى المخصصة لاغلب الاسر لاتسمح بسهولة استخدام هذه الالات لكثرة القنوات والجسور والحدود التى تفصل ملكيات الاسر بعضها عن الاخر كما أن الطرق الزراعية بين القرية والحقول ضيقة جدا لا تسمح بمرورها. ولذلك فان ادوات الزراعة لاتزال نسبة كبيرة منها على ماكانت عليه فى فترة ما قبل التغير لان استخدام الالات الحديثة يقتضى نوعا من التعاون بين الاسر يفتقد الان كما يقتضى تنظيما خاصا للارض غير التنظيم الموجود الان الذى تنقسم فيه الى عدد كبير من القطع المحدودة التى تقوم بينها فواصل من قنوات وحدود وطرق زراعية . ويقتضى أيضا أن يقتنع القروى بقلة تكاليف الالات الحديثة فى المدى الطويل وامكان استغلال الماشية للانتاج الحيوانى وزيادة الدخل. الا ان هناك اعتبارا هاما لايمكن اغفاله ، ذلك انه حتى اذا اقتنع القروى بذلك ، فان الاغلبية العظمى من القرويين ليس لديهم فائض نقدى يمكنهم من شراء هذه الالات او الاسهام فى شرائها عن طريق التعاون .

ويتساءل الكاتب فى نهاية دراسته : هل يمكن بناء على هذه الدراسة ان نتنبأ وان نخطط للمستقبل ؟ ويجيب بأن القدرة على التنبؤ فى علم الاجتماع فى الحياة الاقتصادية لمدى طويل، خصوصا انه من الممكن فى اى لحظة ولاسباب غير متوقعة ان تدخل الصناعات الريفية كنوع من انواع النشاط الاقتصادى ، أو أن تتحول الزراعة التى تقوم على العمل اليدوى والمجهود الحيوانى الى زراعة تقوم على استخدام الالات ، الى آخر ماهنالك من مثل هذه الامور التى يمكن ان تحدث نتيجة لمشروعات او قوانين تصدرها الدولة واذن فالحديث فى دراسات التغير الاجتماعى فى مستقبلنا أمر فيه مخاطرة كبيرة .

ونحن نعتقد أن المسالة ليست بهذه الصعوبة ، او ان التصنيع والتنظيم الزراعى فى الظروف الحالية لبلادنا يمكن أن تعتبر «اسبابا غير متوقعة»

ان الصعوبة التى انتهى اليها الدارس بحيث اعتبر رؤية المستقبل مخاطرة كبيرة تعود الى منهجه الذى عزل بناء عليه قريته عزلا تاما عن العالم الخارجى ، عن مصر كلها ومايموج به من تغيرات متلاحقة منذ نقطة الصفر التى اختارها لدراسته . فالكاتب يعتبر أن الاحداث الهامة التى اثرت عن طريقها المدينة فى القرية هى عموما الاحداث الهامة التى مرت بها الدولة وكانت لها علاقة مباشرة ملحوظة بالتغير الاجتماعى.ويورد امثلة لذلك منها الحركات الوطنية الاستقلالية وازدياد الوعى السياسى والمظاهر التى ارتبطت بها كالثورات والانتخابات وانهيار النظام الملكى وقوانين الاصلاح الزراعى . ولكن على الرغم من هذا كله ، فان الكاتب عزل قريته عن هذه الاحداث .

والحقيقة ان « القيطون » نموذج مصغر لمصر كلها. فازدياد السكان وضيق الارض الزراعية وهو العامل الحاسم فى احداث التغير داخل القرية ، لم يكن عاملا خاصا بهذه القرية وحدها، بل انه مشكلة مصر منذ مطلع القرن ، والى الان . ولا يمكن فصل «القيطون الصغرى» وهى تكافح فى هذه الظروف القاسية من «القيطون الكبرى» التى فرض عليها الاقطاع والاستعمار ان تبقى مزرعة تنتج لحساب المصانع فى الخارج، وان تبقى جماهير شعبها مجموعة من المزارعين . ان السلطة السياسية فى البلاد كانت تمثل حكم طبقة معينة تكدس كل ثروة البلاد وامكانياتها ، وتترك «القيطون» فى مديرية الدقلهية ، وكل «قيطون» أخرى فى انحاء مصر ، تصارع وينخفض مستوى سكانها .

الحل المتوقع والحتمى اذن هو أن يتغير التغير ، فلا يعود تلقائيا وغير موجه ، بل يصبح وليد ارادة ثورية توجهه وتحدد اهدافه . وعن هذا الطريق تتغير البيئة تغيرا جذريا وسريعا عن طريق التصنيع أو التنظيم الزراعى

هذه هى النبوءة المتوقعة التى يمكن ان تصل الى الحتمية التى ستحدث فى كل قرية تضمها حدود بلادنا . ولقد تضمنت هذه الدراسة الهامة والعميقة الادلة الحاسمة على ضرورة وصول «ارادة التغيير» الى القرية . لقد تحولت «القيطون» فى هذه الصفحات وثيقة حية ، تؤكد ضرورة الثورة التى تعوض ما قاسته القرية المصرية فى سنوات التخلف الطويلة المضنية .

●

ثلاث تجارب أفريقية فى التنمية

● تأليف د. سمير أمين

قـــام بكتابة هذا البحث الجاد عن تجارب التنمية فى **مالى وغينيا وغانا** ، باحث مصرى هو **الدكتور سمير أمين** الذى يعمل الان أستاذا بالمعهد الافريقى للتنمية الاقتصادية التابع لهيئة الامم المتحدة. وقد اصدرته فى باريس أخيرا دار النشر للجامعات الفرنسية فى سلسلة دراسات « العالم الثالث » .

والكتاب كما يتضح من عنوانه يتضمن دراسة للاوضاع الاقتصادية فى مالى وغينيا وغانا والجهود التى تبذلها البلدان الثلاثة فى سبيل التخلص من آثار الحكم الاستعمارى وتنمية اقتصادياتها .

يبدأ المؤلف بحثه بتمهيد يتناول فيه الاطار الجغرافى للبلدان الثلاثة وثرواتها وامكانيات استغلالها، كما يتحدث عن وضعها السياسى والاجتماعى .

اما عن الاطار الجغرافى للبلدان الثلاثة وثرواتها ، فقد بدأ المؤلف حديثه بمالى .

تبلغ مساحة جمهورية مالى ١٫٢٠٤٫٠٠٠ كيلو متر مربع . وعلى الرغم من ضخامة مساحتها الا انها تفتقد منفذا الى البحر ، اذ ان اقرب نقطة منها اليه تبعد حوالى ٤٠٠ كيلو متر . ونلاحظ أن لهذا العامل أثرا كبيرا فى وضع مالى : فيظهر مرة كمعرقل لعملية التطور الاقتصادى فيها واخرى كحافز لها على النضال الحاسم للتغلب على التخلف الاقتصادى الذى تعانيه وتحقيق الوحدة بينها وبين غانا وغينيا . ويخترق مالى نهران هما اكبر انهر افريقيا الغربية : **النيجر والسنغال** . وتتمتع مالى بمراع طبيعية واسعة جعلتها فى مقدمة الدول التى تقوم بتربية الماشية وتصدير منتجاتها الى بلدان الساحل الجنوبى . وبجانب صادراتها من الماشية تصدر أيضا الفول السودانى والسمك المجفف والمدخن الذى يصطاد من نهر النيجر .

أما جمهورية غينيا فمساحتها ٢٤٦٫٠٠٠ كيلومتر مربع وبها بحيرة تعتبر مخزنا لمياه افريقيا الغربية ، وينبع منها النهران اللذان يخترقان مالى . ومنتجاتها الزراعية الاساسية هى الارز والدريفات ، ومقدار مايسوق منها قليل جدا كماهو الحال فى مالى . واخيرا اصبح انتاجها المنجمى من اكسيد الالمنيوم يمثل الصادرات الاساسية للبلاد .

وتبلغ مساحة جمهورية غانا ٢٣٨٠٠٠ كيلومتر مربع. وتغطى الغابات الاستوائية خمسها. وثرواتها الاساسية هى الكاكاو والبن ويأتى فى المرتبة الثانية الخشب والمنتجات الزراعية الاستوائية مثل الموز والاناناس وزيت النخيل .

وابحاث الكشف عما فى جوف الارض من ثروات ليست على درجة واحدة فى البلدان الثلاثة . فالبحث الجغرافى المنظم لم يبدأ فى مالى الا بعد استقلالها ، لان الاستعمار لم يهتم الا باستغلال مناجم المناطق الساحلية . وهكذا فبينما مازالت ثروات مالى بكرا ولم تتعرض للاستنزاف الاستعمارى الا ان هذا يعنى ايضا ان على مالى لكى تستغل مافى جوف ارضها من المعادن والبترول ان تستكمل استكشاف ثرواتها التعدينية وان تقيم الطرق وتهذب مجرى النيجر والسنغال حتى تتمكن من استخدامهما فى النقل ، وحتى تستطيع ان تستغل ما بهما من مساقط مائية فى توليد الكهرباء .

ولكن ليس هذا حال المناطق الساحلية مثل غينيا وغانا التى سهل لها وضعها الجغرافى تطورا سريعا الا انه قليل العمق . فصحيح ان صادرات غينيا من اكسيد الالمنيوم ارتفعت الى ٤٨٠٫٠٠٠ طن ، ولكن كان الاصلح لها ان توجه العائد من صادراتها الى استغلال مصادرها المائية غير المحدودة فى توليد الكهرباء لتصنيع هذه الكميات الضخمة من اكسيد الالمنيوم ، ولتصنيع الاحتياطى الضخم الذى لديها من الحديد الخام .

اما غانا فهى لا تنتج فقط الذهب الذى استمدت منه اسمها ايام ان كانت مستعمرة للانجليز تدعى (ساحل الذهب) ، وانما تنتج ايضا كميات كبيرة من الماس ، وكان انتاجها فى ١٩٣٩ من المانجنيز يمثل ١١٪ من الانتاج العالمى ، كما تنتج الان مايقرب من ٢٠٠٫٠٠٠ طن من البوكسيت سنويا .

وهكذا نجد ان الاستعمار قد ترك مالى متخلفة جدا وثرواتها غير مستغلة نظرا لبعدها عن البحر ، وعلى الرغم من ثراء غينيا الا انها لم تكن احسن حالا من مالى اذ لم تكن قد وضعت بعد موضع الاستغلال المنظم من قبل الاستعمار . بينما على العكس نجد غانا قد بدأ الاستعمار يستغل مافى باطن ارضها من ثروات منذ مايقرب من نصف قرن ويصل متوسط نصيب الفرد بها من الدخل القومى الى ٢٠٠ دولار سنويا فى مقابل ٦٠ دولارا فى كل من غينيا ومالى .

اذن فليس الدافع للمؤلف الى وضع دراسة مقارنة عن البلدان الثلاثة هو ان درجة تطورها الاقتصادى واحدة ، بل ان الذى دفعه الى ذلك هو «التشابه فى الوسط السياسى العام الذى تبسط فيه مشكلات تطورها ، على الرغم من ان تطورها وثرواتها المحتملة هى فى البداية مختلفة جدا » .

اما عن الاطار السياسى والاجتماعى للبلدان الثلاثة ،

فالمؤلف يلاحظ ان المجتمعات الثلاثة لم تعد ذات تركيب «بسيط» وعلى الرغم من عدم وجود «مجاعة أرض» بها نتيجة لضعف كثافة السكان ، الا ان قيمة هذا العامل تضعف ازاء قلة تسويق المنتجات الزراعية والانخفاض الشديد فى انتاجية العمل الزراعى.

اما ملكية الارض السائدة فهى الملكية الجماعية ؛ ويعاد توزيع الارض دوريا على الاسر فتعطى كل اسرة قطعة من الارض قدر ماتستطيع ان تزرع سواء كان ذلك بمجهود أفرادها أو بمجهود ماتستطيع ان تحشد من خدم واتباع وفلاحين مشاركين الا ان هناك حقا فى زراعة الاراضى الجيدة لمن لزرعها اولا سواء اكان ذلك الحق واقعيا او مزيفا ، وهذا الحق يورث . وفى بعض مناطق غانا اصبح هذا الحق جليفا لنوع من الملكية الفردية للارض . وفى بعض مناطق غينيا تكون مايشبه الاقطاع من غزاة اتوا فيما مضى من مراكش مثلا وكونوا طبقة حاكمة . واحتفظ هؤلاء السادة بحقوق «سادة الارض» الرمزية ان لم يكن بحقوق اهم منها ؛ وهم يتقاضون اتاوات تمثل ريعا ماليا حقيقيا . وبجانب الملكية الجماعية السائدة للارض نجد الملكية الفردية للماشية موزعة توزيعا غير عادل بالمرة .

وهكذا فعلى الرغم من بقاء ظاهرة الملكية الجماعية للارض ؛ الا ان ثلث فلاحى غينيا على الاقل ، ومايقرب من ربع فلاحى مالى يعيشون فى ظروف شبيهة بالاسترقاق وثلث فلاحى غانا يعرفون نظام الاجور او مايشبه الاجور .

وعندما نزل المستعمرون على ساحل افريقيا الغربية فيما مضى ، نشأت ارستقراطية بورجوازية «افريقية» كانت اداة فى ايدى الاستعمار للتسرب الى المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل .وحيثما نشأت هذه البورجوازية ساد السكان جميعهم طابع الحياة الاوربية ، واختفت شكل مطلق مظاهر الحياة الافريقية بما فيها الاسماء الافريقية . وهكذا نشأت المدن وفيها تكونت فئة المثقفين .

ومن سخرية التاريخ ان خلفاء الذين كانوا ادوات التسرب الاوربى الى قلب افريقياهم الذين يقودون اليوم حركة التحرر ، واحيانا يتخذ نضالهم اتجاها معاديا للرؤساء التقليديين .

ونجد فى غانا مناطق ضخمة تغطيها مزارع الكاكاو الافريقية الصغيرة . وفى هذه المناطق تتكون شيئا فشيئا بورجوازية ريفية حقيقية .

وتبرز الفوارق الطبقية فى مدن غانا الكبرى مثل اكرا ، ويكفى ان زائر هذه المدن يلاحظ بوضوح نشوء الاحياء التى تزينها الفيلات الفخمة بجانب الاحياء التى تتزاحم فيها عشش الصفيح ولكن حيث ان نمو المدن لايصاحبه تصنيع فلا توجد جماهير عمالية مثل تلك التى توجد فى افريقيا الجنوبية او الكونغو ليوبولدفيل مثلا . ونجد فى غانا بورجوازية محلية تجارية اساسا ومالية من النوع المرتبط بالاستعمار ، حيث ان الاقتصاد الاستعمارى القائم على استنزاف ثروات البلاد شجع وقوى على وجه الخصوص دور ووضع مراتب التجار الافريقيين . وعلى العكس من ذلك فلا توجد مثل هذه البورجوازية فى مالى او غينيا .

ولقد اوجد الاستعمار فئة جديدة من الموظفين القوميين . واذا وضعنا فى الاعتبار حالة التاخر الثقافى لجماهير الفلاحين والغياب التام تقريبا للبروليتاريا ، نجد ان هذه الفئة من صغار الموظفين وحدها وانها منذ فترة طويلة على درجة كبيرة من الوعى السياسى القومى . وكان هذا الوعى احيانا بل غالبا اكثر تقدما من وعى كل من الرؤساء الريفيين التقليديين والبورجوازية القومية التى تتكون من التجار والمزارعين .

ولاشك ان هذا العرض للاطار الاجتماعى فى البلدان الثلاثة يلقى ضوءا على الوضع السياسى القائم .

ففى غانا يوجد «حزب ميثاق الشعب» . وكان هذا الحزب فيما مضى يسمى «حزب مؤتمر ساحل الذهب المتحد» الذى جمع جنبا الى جنب البورجوازية الصغيرة فى المدن والبورجوازية القومية من التجار والمزارعين . وبفضل وحدة القوى التقدمية وشخصية الرئيس نكروما اتجه الحزب نحو اليسار . اما الجناح اليمينى القديم الذى كان يبنى قوته فى الخفاء على الرئاسات التقليدية ومصالح البورجوازية التجارية والريفية فقد اصبح الان فى المعارضة ودافع عن هذه المصالح جهرا . بينما الفئة المثقفة اليسارية التى تقود صغار سكان المدن قد اخذت على عاتقها التوجيه السياسى للمهام التى تثار على نطاق الحزب .

اما فى غينيا ومالى فالحركات القومية ، التى قامت بها هذه البورجوازية الصغيرة فى المدن بقيادة «الحزب الديمقراطى الغينى» و «الاتحاد السودانى المالى» ، لم تواجه فى داخل البلدين الا بمقاومة ضعيفة ، اذ ان الوزن الخاص للطبقات الميسورة من النوع الحديث لم يكن له وجود يذكر فى هذين البلدين لانهما على درجة من التطور اقل من تلك التى وصلت اليها غانا . هذا فضلا عن ان الحركة الوطنية فيهما قد حققت انتصارا حقيقيا وتمكنت من جذب الفلاحين .

وبعد هذا التمهيد الضرورى الذى يكشف عن وضع البلدان الثلاثة من جوانبه المختلفة ، يستطرد المؤلف الى الموضوع فيتحدث فى الفصول الثلاثة الاولى من الكتاب عن مالى ، يتحدث فى الفصل الاول عن الهيكل الاقتصادى لمالى المستعمرة وتطوره منذ عام ١٩٢٨ الى عام ١٩٥٩ ؛ وخصص الفصل الثانى لعرض جهود مالى خلال السنوات الثلاث التى اعقبت الاستقلال (١٩٥٩ — ١٩٦٢) من اجل تنمية مواردها الاقتصادية وخلق توازن جديد بين مواردها واوجه الانفاق المختلفة ، اما الفصل الثالث فقد تناول فيه بالتحليل خطة مالى الاولى للسنوات الخمس وعرض عرضا نقديا تاريخ التخطيط فى مالى والاتجاهات السائدة الان .

اما غينيا فقد خصص لها المؤلف الفصل الرابع وعالج فيه هيكل الاقتصاد الغنى غداة الاستقلال والخطة الاولى للسنوات الثلاث (١٩٦٠ — ١٩٦٣) والتطور الذى احرزه الاقتصاد الغينى فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٩ و ١٩٦٢ .

كما خصص المؤلف الفصل الخامس للتطور الاقتصادى فى غانا ، واستعرض فيه المرحلة السابقة على الاستقلال والخطة الاولى للسنوات السبع (١٩٦٣—١٩٦٩) والاهداف الاستراتيجية التى وضعتها الخطة وما توقعته من قسمات هامة للتطور .

ويقول المؤلف انه قد استطاع ان يجمع مادة الفصول الثلاثة الاولى اثناء عمله لمدة ثلاث سنوات بمالى حيث كان يشترك فى وضع خطتها الخمسية الاولى ، وهذا ماجعله يدرس عن قرب اهداف التطور التى حددتها هذه الخطة . ومع أن دراسته

لغينيا وغانا أكثر ايجازا الا انه عمل على الا تكون مجرد وصف لاهداف التنمية بهما فحاول ان يربط هذه الاهداف بوضعهما الاقتصادى وتطوره ».

وغنى عن القول ان المجال لايسمح بعرض او تلخيص شامل لتلك المادة الخصبة المدققة التى احتوتها الفصول الخمسة عن الاوجه المختلفة لاقتصاديات البلدان الثلاثة حيث تزخر الصفحات بالجداول والارقام . وان كنا نلاحظ ان المؤلف قد اعطى مالى من الجهد اكثر مما اعطى غينيا وغانا مجتمعتين فضلا عن ارتفاع درجة حماسه عندما يتكلم عنها . وربما كان السبب هو ان المؤلف اكثر التصاقا بتجربة مالى حيث انه اشترك فى وضـع خطـة التنميـة بهـا فضـلا عن انه الان يعمل فى عاصمة السنغال وهى الدولة التى كانت ترتبط مع مالى فى «اتحاد مالى» ،او لعل السبب هو ان المؤلف يرى أن تجربة مالى اغنى التجارب الثلاث واكثرها قيمة،او ربما بسبب ان مالى افقر البلدان الثلاثة ومشكلاتها اكثر تعقدا ، وبالتالى فهى تستحق العناية الاكبر .. ربما كان احد هذه الاسباب او بعضها او جميعها هو الذى جعل المؤلف يعطى كل هذه العناية لمالى ، ولكنه نجح على كل حال فى جذب اعجاب القارىء وعطفه وتقديره للجهود التى تبذلها هذه الدولة الفتية بعد ان تركها الاستعمار افقر جاراتها وخلق لها وضعها الجغرافى مشكلات اكثر تعقدا . وعلى الرغم من أن المؤلف قد قدم جهود مالى كافضل واصدق جهود للبلدان الثلاثة الا انه ابرز ايضا ما يشوبها من نواقص واخطاء تجعلها غير كافية لتحقيق « الانطلاق » .»

ولكن ماهى هذه الجهود التى تبذلها البلدان الثلاثة فى سبيل انطلاقها ؟ وماهى الاخطاء والنواقص التى شابتها ؟وكيف نصل بهذه الجهود الى المستوى الذى يبشر بالانطلاق ؟ تلك هى الاسئلة التى يعمل المؤلف على الاجابة عليها .»

ويبدأ المؤلف بسؤال هو : من اية زاوية يجب ان نحكم على تجربة التنمية الاقتصادية والتخلص من اثار الحكم الاستعمارى فى البلدان الثلاثة ؟ ويجيب : ان عرض الاتجاهات الحالية للتنمية الاقتصادية والزيادة فى عدد السكان فى المناطق المختلفة من العالم سوف يساعدنا فى تحديد هذا الاطار الضرورى

وبعد ان يستعرض المؤلف معدلات النمو الاقتصادى فى مختلف مناطق العالم ويقارنها بمعدلات الزيادة فى عدد السكان، يتساءل: كيف يكون عالم عام ٢٠٠٠ اذا استمرت المعدلات الحالية للنمو ؟ ويجيب : انه سيكون على الوجه الاتى : اوربا الغربية والشرقية قد لحقت بالكاد بأمريكا ، الصين واليابان وصلتا الى مستوى اوربا الحالى ، اما متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى فى امريكا اللاتينية فحوالى نصف نصيب الفرد فى اوربا الان .بينما ستبدو افريقيا وآسيا ، باستثناء الصين ، اكثر تخلفا عما هى الان ، اذ لن تكون قد كسبت شيئا ذا بال خلال هذه الفترة .

هذه هى المأساة التى تواجه ملايين البشر من سكان افريقيا واسيا . انها جريمة يرتكبها الافريقى لو اتخذ موقف اللامبالاة من هذه الكارثة ! ولكن ما الحل ؟ يرى المؤلف فيما يتعلق بالبلدان الثلاثة ان عليها لكى تتجنب هذه الكارثة ان تبذل الجهود الشاقة للوصول بمعدل التنمية الى ٨٪ سنويا لمدة عشرين عاما متواصلة .»

ولكن هل من الممكن ان يتحقق مثل هذا المعدل ؟ يرد المؤلف ان هذا ممكن بالقطع ! ويلجأ فى اثبات ذلك الى المناقشة التفصيلية لمصادر التمويل فى البلدان الثلاثة ، واوجه الانفاق المختلفة . واخيرا فاذا كان من الممكن تحقيق مثل هذه التنمية السريعة فما هى الشروط التى يجب توفرها لضمان ذلك ؟ هنا يقدم ثلاثة شروط هى : اولا انطلاق الزراعة التقليدية ، وثانيا : تصنيع عميق يتطلب تجميع الدول الثلاث فى اتحـاد اقتصادى وثيق ، وثالثا : التدخل الحازم المتزايد للدولة فى تمويل يتطلب اشكالا غير راسمالية فى التنمية .

اما عن الشرط الاول ، فالمؤلف يرى ان انطلاق الزراعة التقليدية هو اساس النمو الاقتصادى فى مجموعه ، فالقاعدة الزراعية القوية هى وحدها التى توفر سوقا محلية للصناعة الناشئة ، كما تساعد فى موازنة ميزان المدفوعات الخارجية . وحيث ان الزراعة الان تقوم بها اسر رحل غير مستقرة ولا تستخدم غير الفاس فى اعداد الارض للزراعة ، فيجب ان يتحقق الاستقرار للزراعة وان يحل المحراث محل الفاس ويتم تعميم استخدام حيوانات الحقل فى العمليات الزراعية ، وتشكل هذه المهام اهداف المرحلة الاولى من الثورة الزراعية التى يجب ان تنجز فى مدى عشرين عاما . وهكذا نعد الطريق الى الثورة الزراعية الثانية ، وهى فى جوهرها مـكننة الزراعة وتعميم الاستخدام الكثيف للمخصبات الكيماوية . وهذه المرحلة الاخيرة لا يمكن مواجهتها الا عندما تستطيع الصناعة المحلية انتـاج الجرارات والمخصبات ، اذ انه من الخطأ الاعتماد فى توفير الادوات والمواد التى تحتاج اليها هذه المرحلة على استيرادها من البلدان الصناعية فى مقابل المواد الخام التى تصـدرها افريقيا فهذه العملية غير مجزية .

اما عن الشرط الثانى ، فيرى المؤلف البدء باقامة صناعة خفيفة لتحل محل الواردات الحالية ، بشرط ان تتحول البلدان الثلاثة سريعا الى مصدر المنتجات صناعية ان كانت تبحث حقا عن نمو سريع . ولكن هذا يتطلب اقامة صناعات متكاملة بين البلدان الثلاثة ، وهذه الصناعات هى وحدها التى ستضع بذور الصناعات الثقيلة . وهكذا يعالج المؤلف قضية الوحدة الاقتصادية بين البلدان الثلاثة كاساس لاقامة قاعدة صناعية مستقلة بها . ومع ان المؤلف يسلم بان من الممكن ان تحقق كل من غانا وغينيا منفردة تنمية سريعة الا انه يرى أن افاق مثل هذه التنمية محدودة جدا اذا لم تتحد البلدان الثلاثة .

اما عن الشرط الثالث وهو يتعلق بالتمويل ، فالمؤلف يرى ان التحليل الاجتماعى يثبت ان الادخار الخاص لايستطيع انيمول تنمية بمثل هذه السرعة المطلوبة . ولذلك «فالطريق الحر للتطور وفقا للنمط الراسمالى المشابه للطريق الذى سلكته اوربا او الولايات المتحدة ، ليس له مكان فى افريقيا الغربية».كما يرى ان المساعدة الخارجية لاتستطيع ان تلعب الا دورا ثانويا ، وحتى لو توفرت هذه المساعدة بشروط حسنة وبمعدلات طيبة ، فهى

لايمكن ان تحل محل الجهود المحلية . اما كيف يتم توجيه الامكانيات المحليـة للحصول على فائض يخصص للتراكم ، فهذا ممكن فقط عن طريق الدولة مادامت التنمية سريعـة بدرجة كافية والدولة كفء ومتقشفة .

ويلاحظ المؤلف ان الخطة الثلاثية الاولى لجمهورية غينيا (١٩٦٠ — ١٩٦٣) كانت تستهدف تحقيق معدل للنمو بواقع ٥٪ سنويا ، والخطة الخمسية الاولى لمالى (١٩٦١ — ١٩٦٦) كانت تهدف الى تحقيق معدل للنمو يصل الى ٨٪ . لكن الوصول الى هذين المعدلين يتطلب تخلصا كاملا من اتجاهات الماضى ، وكان من الواجب تحقيقهما فى الجوهر بانطلاقة سريعة للزراعة التقليدية . وفى سبيل ذلك حددت غينيا ثلاث سنوات لتعميم استخدام الدواب فى كل زراعاتها ، وعملت مالى على ان تعمم استخدام الدواب فى ثلث او نصف زراعتها فى خمس سنوات. الا ان كلا الهدفين لم يتحقق ، وان كان فشل مالى اقل حدة من فشل غينيا .

وعلى الرغم من ادراك الدولتين ان النمو السريع شرط لاقامة القاعدة الاقتصادية الضرورية ، الا انهما لم تحققا اهدافهما فى هذا المجال. والسبب فى ذلك ليس هوارتفاع معدل التنمية وانما عدم النجاح فى تعبئة جماهير الفلاحين . ومع ذلك فما حققته مالى من تطور للزراعة والصناعة الخفيفة يفوق ماتحقق فى غينيا . بالاضافة الى ان خطة مالى حاولت ان تتطلع الى مدى ابعد ، وان تحضر للمرحلة المقبلة من التصنيع الحقيقى بابحاث تعدينية مخططة . كذلك فحكومة مالى اكثر ادراكا من حكومة غينيا بضرورة تحقيق تعاون أوثق بين الدول الافريقية وذلك على الرغم من التجربة السلبية لاتحاد مالى (١٩٥٨ — ١٩٦٠) الذى كان يضم مالى والسنغال .

ويأخذ المؤلف على غينيا وغانا اهتمامهما الشديد بالمظاهر على حساب التنمية السريعة لاقتصادهما ، وانتهاج سياسة للافرقة لاتفرق بين ضرورة افرقة المراكز السياسية والاقتصادية القيادية وبين الاستجابة الى حاجة البلاد من التكنولوجيين الاجانب ، بينما الاستفادة منهم تحقق مكسبا لقضية الاستقلال، فالاستقلال الحقيقى يقوم على قواعد اقتصادية صلبة .

ان العقبة الكئود فى سبيـل تحقيق التنمية السريعة هى الإسراف وافتقاد الحاسة الاقتصادية فى أعطاء الاسبقية للمشروعات الاكثر فاعلية ، والمثل على ذلك الانفاق على انشاء شركات طيران عالمية واقامة المطارات على المستوى العالمى والطرق من الطراز الاول ، كذلك على حساب اقامة مدارس ومستشفيات ومساكن رخيصة وشبكة من الطرق من الدرجة الثانية تتغلغل فى المناطق الزراعية وتساعد على تسويق الانتاج الزراعى . ان التقشف هو الجهد الثورى للكشف عن اساليب جديدة فى البناء والتجهيز اقل تكلفة ولا تستجيب لشهوات بيروقراطية الدولة الجديدة التى تستنزف مصادر التمويل . ويزيد من خطورة هذه البيروقراطية انه لايوجد غير الطريق الحكومى لتمويل تراكم سريع فى افريقيا الغربية .

اما عن غانا فيرى المؤلف انها بدات تنمية اقتصادها بعـد الاستقلال من وضع هو فى الوقت نفسه افضل واكثر صعوبة من الوضع الذى يواجه مالى وغينيا ، فهى تتمتع بتقدم نسبى اذ ان دخل الفرد فيها اربعة امثال دخل الفرد فى مالى وغينيا . ولكن التنمية التى تقوم على الكاكاو واستثمارات البناء التحتى هى تنمية محدودة الافق . فهل تسير غانا حقيقة منذ ان استقلت فى طريق جديد لتنمية اقتصادها ؟ يرد المؤلف قائلا : «اذا كان الرد ايجابا فيصاحب ذلك على اى حال كثير من الحياء » .

ومع كل ذلك فالمؤلف يحرص على التفريق بين طبيعة التنمية فى البلدان الثلاثة وطبيعتها فى غيرها من بلدان افريقيا الغربية التى اختارت طريقا اخر مثل السنغال ونيجيريا . ويرى ان تجارب البلدان موضوع الدراسة اكثر تقدما من تجارب البلدان الاخرى على الرغم من كل ماشابها من قصور وفشل واخطاء .

ويرى المؤلف ان بذل مجهود كبير فى احداث تراكم سريع خلال عشرات السنين ، هو الشرط الذى لابد ان يسبق بناء مجتمع اشتراكى فى افريقيا الغربية . والى ان يتوفر هذا الشرط فستظل الاشتراكية مجرد رغبة وامل .

ويجب ان نحكم على الاصلاحات الهيكلية المختلفة مثل الافرقة والتاميمات ومراقبة النقد والتنظيم التعاونى فى مجال الزراعة .. الخ ، من زاوية اثرها فى الاسراع بالتراكم لا من زاوية مطابقتها لاشكال من التنظيم الاجتماعى سبق ان طبقت فى بلدان اكثر تقدما بكثير .

ويلاحظ المؤلف ان الملكية الجماعية المنتشرة الى الان فى غرب افريقيا تمثل اشكالا من علاقات الانتاج السابقة على الراسمالية ، ولا يمكن تحقيق الاستقرار الزراعى وتعميم استخدام حيوانات الحقل فى الزراعة واحلال المحراث محل الفاس الا باتخاذ موقف معلن من الاتجاه التلقائى الحالى لتحلل الملكية الجماعية ، وهذا الموقف يجب ان يكون تشجيع الانتاج الزراعى الصغير لتطوير الانتاج فى اتجاه متقدم ولربط الفلاح بالارض مما سيؤثر على انتاجيتها . فالتطور الحاسم يتطلب القضاء على العلاقات القبلية ، وهذا غير مستطاع الا بتقوية الانتاج السلعى الصغير على حساب الاشكال الجماعية السابقة للراسمالية . ذلك ان مطلب احلال المحراث محل الفاس هو الحل الممكن اذا كان سيترتب عليه تقدم فى العائد الاقتصادى لهذه البلدان ، الا انه ينبغى الا يغيب عن البال ان المحراث كاداة فردية لايشكل قاعدة مادية لاشكال الانتاج الجماعية المتقدمة التى تعتبر بالنسبة لهذه البلاد ، سابقة لاوانها .

وفى هذه الظروف تبدو الرغبة فى الابقاء على العلاقات الانتاجية السابقة على الراسمالية وهما : اما اعادة الباس هذه العلاقات ثوبا « تعاونيا » حديثا فهى لن تصل بالتنمية الزراعية الا الى الركود . واما — وهو الافضل — ان تؤيد تنمية انتاج سلعى صغير متحرر من قيود المجتمع التقليدية ، على ان يكون دوره بالتحديد هو التحضير لغد اشتراكى الا انه يجب التسلح باليقظة التامة حتى لا تتشكل فوارق طبقية خطيرة نتيجـة الانفجار الحتمى للتركيبات الاجتماعية التقليدية .

وتستطيع الحركة التعاونية فى هذا الاطار ان تكون وسيلة لتوجيه التطور . ولكن هذا يتطلب ايضا حركة تعاونية قائمة على الانضمام الحر للمنتجين الصغار القادرين على الحركة المتحررة من القيود الاسرية والاجتماعية التقليدية ، اى حركة تعاونية من نوع «ادنى» ينحصر دورها الاساسى فى التسويق والاقراض وتوفير امكانية المساعدة المتبادلة فى الاعمال الكبيرة .

لقد حدد المؤلف الهدف من هذا البحث قائلا انه : «تقديم عناصر المعرفة التى تسمح بالوصول الى تقويم نقدى موضوعى لتجارب التنمية الاقتصادية فى هذه البلدان الثلاثة من افريقيا الغربية» . وقد نجح فى تحقيق هدفه واستطاع ان يقدم عرضا قيما للاوضاع الاقتصادية فى البلدان الثلاثة على ضوء منهج علمى جاد عميق وشجاع .



سؤال الطليعة

مؤتمرات الإنتاج فى المصانع ؟ كيف تكون .. كيف تعمل .. وماهو دورها ؟

كان مؤتمر الانتاج من اهم المنجزات التى حققناها فى المرحلة الاخيرة ، الا أنه لايكفى عقد مؤتمرات علوية ، تصاغ فيها الاتجاهات الثورية العامة بل يجب أن تعقد على نطاق أوسع ومستويات أكثر ، حتى تكون معبرة حق تعبير عن المشاكل العملية اثناء الممارسة العقلية لعملية الإنتاج وحتى تسهم القاعدة العريضة من قوانا العاملة فى التخطيط والتنظيم الانتاجى .

لابد لنا اذن من عقد مؤتمرات انتاج على مستوى القواعد وفى جميع الوحدات الانتاجية بل واقسامها وشعبها . وهو اتجاه لايعترض عليه أحد، بل وتدعو اليه وتشجعه كل من الحكومة والاتحاد الاشتراكي الا أن ما نرغب التعرف عليه هو السبيل الى عقد هذه المؤتمرات ، وحقيقة دورها ومسئولياتها وعلاقاتها بالتنظيم الادارى والفنى والنقابى . وأرجو أن تقوم مجلة الطليعة بتوضيح هذه النقاط .

سعد عبد الرحمن زكى
عامل ـ القاهرة

الطليعة

« مؤتمرات الانتاج » هى وسيلة من الوسائل التى بها ينظم العاملون دورهم فى العملية الانتاجية ، والتى بها ومن خلالها يتمكن العاملون ان يعطوا كل جهدهم الفنى والوطنى من اجل تطوير العمل ومن اجل زيادة الانتاج وحل مشاكله .

فالمقصود بمؤتمرات الانتاج أساسا انها اشكال تنظيمية جماهيرية تحقق مساهمة العاملين فى ادارة الانتاج بهدف المساهمة فى انجاز خطط الانتاج والتزام العاملين داخل هذه المؤتمرات بانجازها

يقول ميثاق العمل الوطنى : « أن العمل الوطنى على اساس الخطة لا بد ان يكون محددا امام اجهزة الانتاج على جميع مستوياتها ، بل ان مسئولية كل فرد فى هذا العمل يجب ان تكون واضحة امامه حتى يستطيع ان يعرف فى اى وقت من الاوقات مكانه فى العمل الوطنى » ، و « ان ذلك يقتضى ربط الانتاج كما ونوعا

بحدود زمنية تلتزم بها القوى المنتجة ، على ان تتم العملية كلها فى اطار الاستثمارات المخصصة » .

فمؤتمر الانتاج فى اى وحدة انتاجية هو وسيلة من وسائل تنظيم العمل الاشتراكى لتمكين العاملين من ممارسة حقوقهم الديمقراطية فى مراكز الانتاج ولتمكينهم من القيام بواجبهم حتى يقدموا للعمل كل جهدهم وكل قدراتهم .

ومؤتمرات الانتاج ، والتى يجب ان تصبح مؤتمرات دائمة فى الوحدات الانتاجية — من المفروض ان تكون هى الامتداد الطبيعى لمؤتمر الانتاج الكبير الذى عقد بعد التغيير الوزارى الاخير ، مع اختلاف فى الابعاد . فمؤتمرات الانتاج على نطاق الوحدة الانتاجية سيكون هدفها هو تحقيق وانجاز ما حددته الخطة لهذه الوحدة او تلك .

ولذلك فان التركيز على عقد مؤتمرات لبعض النقابات عامة باسم مؤتمرات الانتاج هو بعد عن الهدف الحقيقى ، بعد عن الغرض المقصود من تشكيل مؤتمرات الانتاج والتى تختلف فى تشكيلها ومهامها وحركتها عن التنظيم النقابى ، ولا يعنى ذلك انكار الدور الطليعى للتنظيم النقابى فى المعركة من اجل زيادة الانتاج . ان ذلك يعنى ان الجدية فى احداث زيادة وتطوير للمنتج تعنى تعبئة وتنظيم وتوعية جماهير العاملين بدورهم ومسئوليهم فى خطة الانتاج .

تكوين مؤتمرات الانتاج

كيف تتكون مؤتمرات الانتاج تلك فى كل وحدة انتاجية ... ؟ ومن المسئول عن تكوينها وحركتها ؟

ان كل وحدة انتاجية لها تنظيمها الصناعى الخاص بها .. الادارة . الجهاز الفنى — الاقسام المختلفة — الورش .. النقل ... الخ

وكل قسم له العمل المخصص له . تبدأ العملية بان يجتمع العاملون فى كل قسم ويناقشون العملية الانتاجية التى يقومون بها ، تفاصيل هذه العملية ويعدون مشروعهم بدورهم فى انجاز الخطة وزيادة الانتاج او تحسين نوعيته — ويخرج من اجتماع كل قسم عدد من المندوبين لمؤتمر الانتاج .

وينعقد مؤتمر الانتاج من مندوبى الاقسام هؤلاء ومن المسئولين الفنيين ومن الادارة واللجنة النقابية والاتحاد الاشتراكى .

اى شىء يناقش مؤتمر الانتاج

يسعى مؤتمر الانتاج الى مناقشة الخطة الانتاجية فى التطبيق ووضع الخطة العملية لتحقيق افضل النتائج ، فهو يناقش :

● المادة الخام والاستفادة منها الى اقصى حد ، واساليب مكافحة الضائع من المادة الخام ومن الوقت ومن القوى المحركة الخ .

● يناقش وسائل زيادة انتاجية العمل عن طريق احداث تغيرات فى الماكينات . او استحداث وسائل جديدة .

● يناقش تحسين مهارات العمال ورفع مستواهم الفنى .

● يلتزم مؤتمر الانتاج بنظم المعايير (القياس) التى تضمن جودة السلعة ويحدد جميع اوصافها واشتراطاتها الفنية واوصاف العيوب .

● يقوم مؤتمر الانتاج بدراسة طلب المستهلك ونقده وارائه فى المنتج .

وقرارات مؤتمر الانتاج تكون ملزمة للعاملين بالوحدة الانتاجية ومن محاسبتهم عليها محاسبة جماهيرية وادارية بواسطه مندوبى « المؤتمر » الموجودين فى جميع الاقسام . وهذه القرارات لا تصدر بعيدا عن الادارة ، بل انها تصدر بالتعاون والمشاركة وبعد اقرارها من المدير المسئول امام الاجهزة الاقتصادية العليا . واذا كانت قرارات مؤتمر الانتاج توصى بتعديل فى الخطة الانتاجية التى يضعها مجلس الادارة ، فانه على مجلس الادارة ان يستمع الى ارادة العاملين فان اقتنع بوجهة نظرهم وقراراتهم قام بتعديل خطته والا عرض الامر على المؤسسة .

والخطة العامة يصدق عليها مجلس الامة فى صيغتها النهائية ، فبعد اقرارها من مجلس الامة تعرض على مؤتمرات الانتاج ، والتى تكون مهمتها فى هذه المرحلة اعادة مناقشتها بهدف ان يعرف جميع العاملين دورهم فى عملية الانتاج ، ويقوم المؤتمر بتخصيص الخطة وتقسيمها الى اجزاء بحيث يكون كل قسم على علم ومعرفة بدوره فى الخطة ، ومؤتمر الانتاج عندما يقوم بتعريف كل قسم دوره فى الخطة فانه فى نفس الوقت يقوم بتحديد فترات زمنية لانجاز الخطة ، وتتراوح هذه الفترات الزمنية بين ثلاثة شهور واربعة وستة وفق طبيعة كل صناعة ، وعند انتهاء كل فترة زمنية يتبادل مؤتمر الانتاج ومجلس الادارة التقارير عن التنفيذ . ولما كان مجلس الادارة هو المسئول عن ادارة الشركة فانه يكون مسئولا عن التنفيذ بينما تكون مهمة مؤتمرات الانتاج هى فى الاساس مهمة اشراف ورقابة وتعبئة — وتوعية وتنظيم لجماهير العاملين فى العملية الانتاجية .

مؤتمرات الانتاج والتدريب والتعليم

ان الهدف الرئيسى لاى تنظيم للانتاج هو تحقيق تكتيك (انتاجى) كفؤ ، واستخدام الثروة المادية والانسانية الى اقصى حد ، وتتم العملية الانتاجية بقيام العمال والمهندسين والفنيين بعملهم ، وهم الناس الذين يملكون المعرفة بالعملية الصناعية .

والانتاج الحديث ليس فى الامكان تنظيمه بدون المعرفه ، وعلى العمال ان يحصلوا على معرفة فنية خاصة ، وعلى معرفة عامة ، ولا شك ان القيام بعملية التدريب المهنى والتعليم الفنى فى الوحدة الانتاجية سيكون له فوائد كثيرة اذ انه سيرتبط بالعملية الانتاجية المباشرة وبمشاكلها ، وكما سيساعد على حل الكثير من المشاكل الخاصة بالاماكن والالات وبالمدرسين الفنيين الذين يمكن توفيرهم محليا من بين المهندسين ومساعديهم ومن بين المحاسبين وغيرهم .

ومن هنا تصبح مهمة رئيسية لمؤتمرات الانتاج ان تقوم بتدريب وتعليم العاملين حيث ما زلنا نعانى من ميراث التخلف بين الجماهير العاملة . ان قيام مؤتمرات الانتاج بهذه المهمة يعنى انه يمكننا التغلب على مشكلة التخلف الفنى والعلمى بين الجماهير العاملة العريضة فى اقصر وقت ممكن .

ان مؤتمرات الانتاج يجب ان توجه الفنيين والمهندسين والمحاسبين وهم يشاركون فى اعمالهم مشاركة رئيسية ويجب ان توجههم الى العمل من اجل مساعدة العمال للتحكم فى العمليات الجديدة وليطوروا اساليبهم فى العمل وفق الاسس والقواعد العلمية . وعلى المحاسبين بصفة خاصة ان يمكنوا العمال من تفهم الارقام وحقائقها وماذا يعنى كل رقم بالنسبة للعملية الانتاجية .. ومن هنا يعرف العاملون المزيد مما يجب عليهم ان يقدموه لاعطاء المجتمع مزيدا من المنتج الجيد والرخيص .. ومزيدا من التقدم الآلى .

تبادل الخبرة

ان مؤتمر الانتاج فى وحدة انتاجية معينة — فى مصنع للنسيج او للورق او للاحذية — يجب الا يعزل نفسه عن مؤتمرات الانتاج الاخرى المثيلة ، اما فى نفس صناعته او فى صناعة مكملة له او فى صناعة تقدم له المادة الخام او الوسيطة — وكذلك يحقق اتصالا بمؤتمرات الانتاج فى شركات التجارة التى تسوق السلع التى ينتجها مصنعه .

والهدف من هذه الاتصالات هو :

● تبادل الخبرة

● حل المشاكل بين الصناعات المختلفة ، مثل شكوى العمال مثلا من الطريقة التى تقدم بها الخامات اليهم ولا شك ان التفاهم المباشر بين العاملين يساعد اكثر على حل هذه المشاكل وتلافى العيوب .

● تنظيم المنافسة الاشتراكية

● اتصال المنتج بالمستهلك والتعرف على رأيه واخذ رغباته فى الاعتبار . ومناقشة كل انتاج جديد مع المستهلك ،

ويتحقق ذلك بطريقين طريق اتصال مؤتمر الانتاج بالمصنع بمؤتمر الانتاج فى وحدة

البيع – أو بانتقال العامل المنتج نفسه الى مكان البيع ليستمع مباشرة الى راى المستهلك .

مؤتمرات الانتاج والخدمات

ان غاية الانتاج وهى لا شك تحقيق رفاهية العاملين وتقديم اكبر قدر من الخدمات لهم ، فالخدمات قوة دافعه للانتاج ، ولكن عملية تقديم الخدمات العاملين ليست من اختصاص مؤتمر الانتاج – ان المنشأة ملزمة بالاشتراك مع اللجنة النقابية فى تقديم الخدمات المطلوبة والتخطيط لها . ويجب ان يشعر العاملون بان كل زيادة فى الانتاج يحدثونها يقابلها زيادة فى الخدمات – ولذلك فان مؤتمر الانتاج رغم انه ليس من اختصاصه توفير الخدمات ومناقشتها ، فانه من المهم ان يضع فى اعتباره دائما قدر الخدمات المقدمة للعاملين وان يلاحظ لمبالغة فيها او التقليل منها ليوازن دائما بين قضية زياده الانتاج وقضية الخدمات .

المنح التشجيعية

ولمؤتمرات الانتاج مهمة رئيسية فى تحديد الحوافز المادية للعمل وتقريرها – فالعمل اجماعى او الفردى فى حاجة دائمة الى التشجيع ، ليندفع الى الامام باستمرار ، فيقوم مؤتمر الانتاج فى المنشأة باقتراح المنح التشجيعية والمكافآت كلما انجزت خطة الانتاج بزيادة او بتحسين النوعية او بالمحافظة على الجودة . وكذلك يقترح المكافآت والترقيات للمبتكرين والمخترعين . ويقدم المؤتمر مقترحاته تلك الى الادارة التى يجب ان تضعها فى اعتبارها ولا شك ان ذلك افضل طريق لتوزيع المنح والمكافآت سواء لمجموعات او للافراد لتلافى الشكوى من العاملين فى هذا الخصوص ، اذ ان افضل هيئة لتحديد المنح والمكافآت هى تلك المتصلة مباشرة وديمقراطيا بالعملية الانتاجية .

حل التناقض بين الادارة والعاملين

وقيام مؤتمرات الانتاج فى الوحدات الصناعية المختلفة سيؤدى الى مجرد اشراك العاملين اشراكا ديمقراطيا فى عملية الانتاج وفى التعهد الاشتراكى من قبلهم بتحقيق الاهداف المحددة للانتاج او تجاوزها ولكنه كذلك سيؤدى الى نتائج هامة فى مجال حل التناقضات التى يعانى منها التنظيم الصناعى اليوم . فالتناقض بين الادارة والعاملين يمكن حله الا عندما يلتقى الطرفان كطرف واحد بعملية واحده – وهى عملية الانتاج – على ارض العمل المشترك يمكن حل التناقض ، فالادارة نفسها ستجد العاملين وتنظيماتهم – النقابة والتنظيم السياسى – فى موقف ايجابى ، فى موقف يجعل كل هذه الاطراف فى وضع المسئولية حيال الانتاج ويقضى شيئا فشيئا على طابع المساومة التقليدى بين هذه المنظمات والادارة هذا الطابع الذى ورثناه من النظام الراسمالى القديم المندثر .

تشكر الطليعة . كل الاصدقاء الذين بعثوا لها بالتحية والتهنئة لدخولها العام الثانى من حياتها، وتؤكد حرصها واهتمامها بمتابعة الحوار الجاد المفتوح بين المناضلين . كما تود أن تسجل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل ، لكل الذين اسهموا فى قراءتها ومراسلتها ونقدها فالعلاقة – التى يحكمها الاطار العام للفكر الاشتراكى الملتزم بالميثاق الوطنى – بين الطليعة واصدقائها ، هى علاقة نضال مشترك فى خدمة قضايا الفكر والتطبيق الاشتراكى فى بلادنا ، والوطن العربى والمجتمع الانسانى ككل . وذلك على أساس من جماعية العمل والنقد والنقد الذاتى .

صوت من القاعدة

يكتبه هذا العدد
صلاح الدين اسماعيل
الجهاز المركزى للتنظيم والادارة

الاتحاد الاشتراكى وقرار رفع الأسعار

ينبغى على لجان الاتحاد الاشتراكى ان تولى القرار الذى اتخذته الحكومة برفع اسعار بعض السلع بنسب متفاوتة مع ضغط المصروفات الحكومية ، اهمية خاصة . وبالتالى يجب ان ينزل اعضاء الاتحاد الاشتراكى وسط جماهير الشعب ليوضحوا الاسباب التى املت على الحكومة اتخاذ هذه الخطوة الواقعية فى رأيى .

فانا اعتقد ان هذا القرار كان لابد منه . فالمرحلة التى ندخلها ، هى مرحلة تصنيع البلاد تصنيعا ثقيلا . وتلك قضية ضرورية وحتمية لايمكن العدول عنها او الانحناء امام تحدياتها سواء فى الداخل او فى الخارج .

ولقد سبق هذه الخطوة ، اعادة النظر فى حجم الخطة وما تحتاج اليه من اموال . ولا شك ان التقديرات السابقة قد طرأ عليها بعض التعديلات ، بفعل عوامل خارجية فيما يتعلق بالاسعار العالمية مقرونة بالعراقيل التى يضعها الاستعمار العالمى فى طريقنا لتعويق جهودنا حتى نيأس او نتراجع او حتى نؤجل – على الاقل – تنفيذ الخطة الخمسية الثانية . وهدف الاستعمار هذا لن يحدث باى شكل .

ان التصنيع الثقيل هو املنا فى المستقبل . وبدونه سوف نقف عند الحد الذى وصلنا اليه فقط . وهذا خطير . ولذلك فان الحكومة قد وضعت نصب اعينها – بامانة – ما يجب ان تكون عليه مسئولياتها التاريخية التى تلقيها عليها آمال الجماهير وتطلعاتها نحو مستقبل مشرق . والذى تعلته الحكومة اجراء طبيعى ، تفعله كل حكومة ثورية تواجه مثل هذه الظروف .

واذا كانت بعض العناصر «الساقطة» ستجد فى خطوة كهذه مادة تتسلق بها وتجد فيها متنفسا لاحقادها التى لاتنتهى الا بانتهائها ، فان واجب لجان الاتحاد الأشتراكى ان تخرس هذه العناصر

بالحجة وبغير الحجة اذا لم يجد معها. النقاش الموضوعي الذي يستهدف الحقيقة وحدها .

وتلك نقطة بدء تستطيع منها لجان المشرين في الاتحاد الاشتراكي ، أن تنطلق ، ولا تجد - بعد ذلك - عذرا تتذرع به لتبرير الكسل الذي صاحبها - في رأيي - خلال الفترة السابقة .

ولا يقف الامر عند هذا الحد . بل يتعداه الى ان يقف اعضاء الاتحاد الاشتراكي بكل داب على العناصرالتي ستستغل الموقف ليواجهوها ويكشفوا عنها النقاب ، سواء كانوا تجارا او من بقايا فلول الرجعية .

حول التربية العقائدية للشباب

كتب المواطن محمد حسني عبد المنعم عضو مؤتمر الاتحاد الاشتراكي بالدقهلية رسالة للطليعة يقول فيها :

عندما صدر قانون الاتحاد الاشتراكي ، حرص على ان يؤكد انه لن يلغي منظمات الشباب ولن يحل محلها . بل على العكس سيسمح لها بالوجود الذاتي ويمدها بكل اسباب العون . وكان ذلك اشارة ذات معنى ادرك منها الشباب ان منظماته لن تنعزل من الاتحاد الاشتراكي . وان الاتحاد الاشتراكي يرقب ابناءه ويرعاهم ويوجههم ويساعد بكل امكانياته على تربيتهم سياسيا واجتماعيا بعد ان تاهوا - من قبل - في فراغ ، حتى بدوا وكأنهم في واد والسياسة في واد آخر .

ولكن عاش الاتحاد الاشتراكي مع الشباب في مشروعات على الورق ، اكثر منها على الطبيعة . لذلك لم ينجح - في تقديري - الاتحاد الاشتراكي في تحقيق اخطر ما يجب تحقيقه بالنسبة للشباب ، وهو « التربية العقائدية » . فانفصلت القيادة في كل وحدة من وحداته عن جماهير الشباب الذي يمثل - بلا ادنى شك - شرايين كل تنظيم سياسي.

ويرجع هذا الانفصال - في رأيي - الى عوامل عدة ، قد يكون من ضمنها نظرة بعض القادة الى الشباب وخاصة في القرى ، وقد يكون منها طبيعة التكوين الفكرى لبعض هذه القيادات . وقد يكون من ضمنها تلبد الجو بالغيوم امام الشباب لفترة طويلة حيث لم يعرف كيف يسير . ونتج من هذا كله ان ابتعد الاتحاد الاشتراكي عن الشباب وابتعد الشباب عن الاتحاد الاشتراكي . وانا لا اتجنى على هذه القيادات . فقد عملت معها ، ومع ذلك فلست اعفي الشباب من المسئولية حيث انعزلت اغلبيته في قواقع اللامبالاة .

ان كثيرا من شبابنا يظن ان العمل السياسي الوطني لاشأن له به . بل هو احتكار يستغله البعض . ولذلك فانه ينقصنا - حتى الآن - الشباب العقائدي الذي لايقوم تنظيم سياسي الا على اكتافه .

وكيف نخلق الشباب العقائدي ؟ ان التربية العقائدية لا توضع على موائد الشيوخ . بل تقدم مع لبن الاطفال . ولا سبيل لخلق الشباب العقائدي الا اذا تعهدناه منذ ان يشب عن الطوق بالتربية العقائدية والحاقه بركب العمل العقائدي . ولنا في مؤامرات الرجعية دروس بليغ ، فقد استغلت الرجعية المتآمرة خلو الميدان السياسي من تربية عقائدية تحمي الشباب من الانحراف . ولهذا يجب ان تصحح هذه الاوضاع بسرعة . وتباشير التنظيمات الجديدة تؤذن بذلك .

ولابد من بناء مدارس « العقيدة » . فمناهج التعليم القائمة ان نجحت في اخراج متعلمين ، فهي عاجزة عن اخراج عقائديين ، لندرة العلم العقائدي، وامتلاء اليوم الدراسي بمناهج دراسية يلزم الطالب بتفريغها على اوراق الاجابة في نهاية كل عام .

وينبغي ان يتسع ميدان هذه المدارس العقائدية . فتمتد الى نجوع الصعيد وبرارى الدلتا وحرم الجامعة وتجمعات الطلبة وعنابر العمال . ولنستكمل ذلك كله بأن نطرد مهرجي كل تنظيم ممن يلبسون مسوح الاخلاص وهم اقرب مايكونون الى الذئاب الضارية . ان هؤلاء الرجعيين المستترين هم اخطر مايخشى منهم على الاتحاد الاشتراكي والثورة الاشتراكية كلها ، لانهم يشلون حركة الاتحاد الاشتراكي ويضعفون فعاليته ويشوهون صورته ويبرزونه للجماهير ميدانا للصراع الشخصي وبسط النفوذ والمكاسب غير المشروعة .

وانني لاقترح : اولا : الاسراع بأقصى ما يمكن باستكمال بناء الجهاز السياسي للاتحاد الاشتراكي حتى لا يظل الاتحاد الاشتراكي على ماهو عليه في بعض مظاهر حركته كواجهة للعمل الاجتماعي والصلح بين المتخاصمين الخ . فالاتحاد الاشتراكي تنظيم شعبي سياسي في الاساس . ثانيا : البدء فورا في تكوين منظمة الشباب الاشتراكي وبث خلاياها في تجمعات الشباب وفق تخطيط جاد للعمل الثوري باختيار العناصر القيادية النظيفة . وتعويد الشباب منذ نشأته العمل الشعبي والكفاح الثوري في سبيل المبدأ والعقيدة والايمان بالجماعة والولاء للتنظيم . ثالثا : اعادة النظر في التشكيلات الجماهيرية الخاصة بالشباب . كاتحادات الطلاب والنوادي بحيث تربط هذه التشكيلات بالاتحاد الاشتراكي ، كذلك لابد من وضع سياسة متكاملة لربط شباب المصانع بشباب الجامعات بشباب الفلاحين . رابعا : اعادة تنظيم مديريات الشباب بالمحافظات بحيث يوضع نظام دقيق للاشراف عليها ومتابعة نشاطها الفعلي وربطها بالاتحاد الاشتراكي .

طاقة للعمل ... وجهد ضائع

ارسل المواطن عبد التواب عوض الله احمد بالشركة العامة للبترول ، خطابا للطليعة ، يقول فيه :

... لقد لاحظت - وانا من اهالي محافظة الجيزة قسم اول - ان هناك كثيرا من الشباب يتجمعون في المقاهي في شبه جماعات وشلل يقضون معظم وقتهم في لعب الطاولة وشرب الجوزة .. الخ ، والاغلبية منهم لايعرفون مقر الاتحاد الاشتراكي وما هو العضو العامل فيه وما ينبغي عليه ان

يساهم به من جهود لخدمة وطنه ، والتمست لهم العذر في نفسى لان المسئولين فى الجيزة لايهتمون — فى رأيى — بأى نشاط يجمع الشباب .

وذهبت الى مقر الاتحاد الاشتراكى بالجيزة وعرضت عليهم بعض المشروعات لعمل نواد ادبيـة وثقـافية وفنية وتوعية اشتراكية لشباب الجيزة ، وطلبت منهم ان يتيحوا لى فرصة الخدمة فى الاتحاد الاشتراكى لكى اساهم بنصيبى فى الخدمات واؤدى واجبى كعضو عامل .

ودهشت جدا عندما علمت من احد المسئولين فى مقـر الاتحاد الاشتراكى فى الجيزة ، اننى « اول واحد يزورهم فى المقر » . وان احدا لايدرى بلجنة العشرين ولا باعضائها . وقالوا لى « اننا نشكرك على شعورك هذا ، وعنـدما نقوم ببعض النشاط سنتصل بك » . واعطيتهم عنوان عملى ورقم التليفون . فصرفونى بسلام . والى الآن — وقد مضى مايقرب من العام — لم اسمع بنشاط تكون لضم شـباب الجيزة فى عمل جدى يمتص طاقاتهم المعطلة .

ومما يثير المرارة فى نفسى ، التى لاحظت من خلال احتكاكى بزملائى فى الشركة ، أنهم متذمرون من سلبية لجنة العشرين بالشركة . ولا يعرفون من هم اعضاؤها . فاتصلت بلجنـة العشرين — وانا عضو عامل ولست من اللجنـة — وطالبتهم بالاحتكاك بالعاملين وعمل ندوات للتوعية ، وعرضت عليهـم بعض الاقتراحات ، ودهشت عندما اتضح لى ان اللجنة لاتضم سوى ستة افراد تقريبا واغلبهم — فى رأيى — لايعرف مسئولياته نحو الاتحاد الاشتراكى ، ولم يقبل منى امين اللجنة ذلك . وهو رجل فى الستين تقريبا واعتبرنى صغيرا فى نظـره لاننى شاب وبالتالى لايحق لى ان انتقده . وفى آخر مـؤتمر عقد بمناسبة اكتشاف مؤامرة الاخوان المسلمين ، اعددت كلمة عن دور عضو الاتحاد الاشتراكى فى مواجهة تحديات المرحلة التى تمر بها بلادنا . وقد وافق أمين اللجنة على الكلمة ووعدنى — حتى آخـر دقيقة قبـل عقد النـدوة — ان القيها بعده مباشرة . ولكننى فوجئت انه القى كلمته ثم قدم امين السر كلمة اخرى واستبعد كلمتى نهائيا متناسيا وعده . فوقفت اطالب بالـكلمة . فلم يوافق ، ومنعنى من الـكلام ، وقابل الزملاء ذلك بالدهشة .

وانا حائر . لدى طاقة وعندى رغبة اكيدة ان اخدم بلدى . فكيف اقوم بذلك .

●

مناهج الجامعة .. وتراثنا الفكرى

كتب المواطن محمد على دياب ، من كلية التجارة بجامعة الاسكندرية ، معلقا على مقال « دراسات المقريزى الاقتصادية » الذى نشر فى عدد ديسمبر من الطليعة .

« .. ان اثارة مثل هذه الموضوعات من تراثنا الفكرى ، يضع ايدينا على امر بالغ الاهمية فى مجال تراثنا الفكـرى القديم وخاصة التراث العربى الذى ساهم فى تطور الانسانية فى وقت نعمل فيه وندعو ونرفع شعار الوحدة والقومية العربية . فانا كطالب يدرس الاقتصاد لم اكن اعرف أن هناك عالمـا عربيا اسمه المقريزى عاش منذ ستة قرون ؟ وله أبحاث ونظريات فى عالم الاقتصاد سبق بها الكثير من علماء اوروبا فى هذا المجال

واعتقد اننى معذور فى جهلى هذا وكذلك سائر الطلبة امثالى ، لانه لم يرد لنا اسم المقريزى أو غيره من العلماء العرب ممن ساهموا بنصيب فى هذا العلم . فالكتب والمراجع التى تدرس لنـا ليس فيها ذكر او اثر لهؤلاء العلماء بل هى مقصـورة على ما وضعه العلماء والمفكرون الاوربيون والامريكيون بالرغم من ان علماءنا العرب سبقوهم فى ذلك بمدة قرون . اليس من العجيب ان يتخرج الطالب العربى منا وهو يعرف قانـون « جريشام » من النقود الجيدة والرديئة وهناك عالم عربى سبقه بمئات السنين له ابحاث عن وظائفها وانـواعها . بل ذكر قانون النقود الجيـدة والـرديئة الذى تحـدث عنـه جريشام !

اليس من العجيب ان يدرس الطالب منا فى جامعاتنا آدم سميث وريكاردو ومالتس وكينز ، ولايكاد يعرف شيئا عمـا اتى به المقريزى وابن خلدون وغيرهم ، من قبلهم فى هذا الميدان ! وحتى فى دراساتنا الاكاديمية لتاريخ الفكر الاقتصادى وتطوره على مر العصور لم نصادف شيئا عن سـيرة هؤلاء العلمـاء العرب او عن ابحاثهم ونظـرياتهم . وذلك بالرغـم من ان الكتب والمراجع التى ندرسها فى كليـاتنا اوردت كـل كبيرة

خطاب مفتوح

فى شـجاعة وبسـاطة . كتب المواطن توفيق بازرعة المحامى رسالة ينقد فيها نفسه عن خطاب سابق بعث به للطليعة فى الشهور الاولى من ظهورهـا ، وكان يعبر فيـه عن « ريبته » و « تشككه » فى الطليعة . والطليعة تحيى — بصدق وباخلاص — شـجاعة توفيق بازرعة . يقول الخطاب :

« ...

تحية صادقة . وبعد .

عندما صدرت الطليعة فى اول اعدادها كنت على ريبة منها . وكتبت لكم يومذاك خطابا فى هذا الخصوص . ومضت شـهور العـام وتلاحقت اعداد الطليعة . واذا هى — فعلا وصدقا وحقا — طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر . واصبحت أترقب ظهورها فى بداية كل شهر لاعيش فى ابحاثها الرفيعة .

ولذلك آسف لخطابى الاول ولخطئى فيه . وارجو اعتباره كان لم يكن .

وتحية مخلصـة للطليعة العـاملة من اجل مجتمع اشتراكى حقيقى » .

توفيق بازرعة
المحامى

وصغيرة في هذا الشأن منذ أقدم العصور حتى عصرنا الراهن .

والسبب – في رايى – واضح . وهو ان هذه العلوم الحديثة نقلت الينا عن اوربا . ومازلنا حتى الآن نعتمدعلى الكتب والمراجع الاجنبية فى نقل هذه العلوم الى معاهدنا . اننا اشد مانكون حاجة – فى هذه الاونة خاصة – الى ان نسرع فى سد هذا النقص فى الكتب والمراجع التى تدرس لطلبتنا فى الكليات والمعاهد العالية . ليس فقط لكى يلم شبابنا المثقف بما يجب أن يعرفه عن مساهمة امتنا العربية منذ القدم فى تطور الحياة وتقدم الانسانية . بل لانني اعتقد كذلك ان امانة العلم وقدسيته انما تحتم على كل من يساهم فيه بنصيب ان يفعل ذلك .

●

هل التزمت الطليعة بما قطعته على نفسها ؟

كتب المواطن عبد العال الباقوري ، من القاهرة ، رسالة للطليعة يعبر فيها عن رايه فى « الطليعة فى عامها الاول » . يقول فيه :

جاء ظهور الطليعة فى فترة كنا فيها احوج ما نكون الى « لواء » فكرى يجمع المفكرين الاشتراكيين ويقود خطاهم ويحمل كلماتهم الى جماهير شعبنا العربى المتشوقة الى فكر عربى خالص وليس صدى لاراء غريبة عنا ولا تعبر عن آلام وآمال الملايين الكادحة من شعبنا العامل ممثلة فى قواعد الإتحادالاشتراكى قائد وطليعةقواتنا الشعبية المتحالفة.

اضف الى ذلك ان الطليعة ، برزت الى حيز الوجود فى فترة سعت فيها التيارات اليمينية – فى رايى – بكل ماتملك الى أن تميع مواقفنا الثورية عن طريق اصدار تفسيرات دخيلة على الميثاق الوطنى ، وثيقة الثورة العربية ومنهجها النظرى فى اقامة التطبيق العربى للاشتراكية . كما حاولت هذه التيارات ، جذب المناقشات واثارة المعارك حول قضايا جانبية تعدیناها منذ وقت طويل ، وذلك بغرض الهائنا – ولو موقتا – عن طريق الاهداف الثورية وجرنا الى امور هامشية وقضايا فرعية تعوق المسيرة الاشتراكية وتؤخر الزحف الاشتراكى وتجمده ، ان استطاعت ، الى حين ان تتقوى بما فيه الكفاية لتنقض على كل المكاسب الشعبية. ومن هنا كان ظهور « معالم فى الطريق » الذى هدف الى القضاء على الاشتراكية وحقوق الشعب ، ومن هنا كذلك كان اضفاء صفة « الجاهلية » على القرن العشرين بكل مافيه من تقدم حضارى وثقافى ، وفى وسط كل هذا العجيج كادت الاشتراكية ان تصبح وصمة فى جبين المدافعين عنها . كما كادت « الثورية » أن تصبح عارا للمتصفين بها . ولهذا كنا فى أمس الحاجة الى وجود منبر فكرى يرتفع من فوقه صوت الاشتراكيين الثوريين . ليوقف المد الرجعى ويزيل آثاره . ومن كل ذلك ، كان صدور الطليعة ، كما قال لطفى الخولى فى العدد الاول ، « استجابة لحاجة المثقفين الثوريين وفى وطننا العربى الى تنظيم لقاء عميق وخصب وصراع حر ومثمر بين آرائهم ودراساتهم وتجاربهم » . وبهدف دراسة وبحث ومناقشة أساليب ووسائل واشكال « صياغة المجتمع والانسان العربيين صياغة متكيفة معالواقع والظروف » . وذلك بدعوة وتجنيدجميع المفكرين والمثقفين الثوريين « الى مواجهة مشاكل الواقع وقضاياه مواجهة صريحة واعية لاستنباط الحلول الجذريةالثورية والملائمة »

واعلنت الطليعة منذ البداية « الالتزام الايجابى الواعى بالميثاق الوطنى » على أنه « ليس نصا جامدا » وانما « دليل ثورى للعمل . حدد استراتيجية عامة لبناء المجتمع الجديد والوحدة العربية على اسس اشتراكية ومن مناخ ديمقراطى شعبى » .

وبعد ان حددت الطليعة ، فى عددها الاول على لسان رئيس تحريرها ، منهاج عملها دعت « اصدقاءها بالحاح ان يغذوها بآرائهم واقتراحاتهم والقاء الاضواء على مايصطدمون به فى واقعهم من مشكلات وقضايا تتطلب المواجهه والحل ». فقد حدد ان الطليعة « أداة نضالية للفكر الثورى والنشاط الاشتراكى الذى يواكب ويدفع خطوات كل المناضلات والمناضلين من شعبنا فى عملهم اليومى الخلاق للحياة الجديدة » .

ولست فى حاجة الى ان اذكر ان هذه المبادىء والاسس وهذا المنهج الواضح الصريح هو الذى دفع وحفز العديد من المواطنين الى متابعة الطليعة والسير معها ومواكبتها . وهنا أضع سؤالا هاما وصريحا . هل التزمت الطليعة بما قطعته على نفسها ؟ او بعبارة اوضح ، هل كانت الطليعة – فى عامها الاول – وفية للمبادىء التى اعلنتها وامينة معها ؟. وانى لاتمنى الاجابة على مثل هذا السؤال فى « النقد

العيد الاول والعدد الاول

تحية طيبة . وبعد .

احييكم بمناسبة « العيدالاول » للطليعة. وبلا شك انه كانت تنقص مكتبتنا العربية مثل هذه الثقافة الرفيعة للفكر الاشتراكى. وبحق يجب ان اقول : اننى استفدت كثيرا ، كثيرا ، كثيرا ، من الطليعة .

ولى رجاء . الان لدى احد عشر عددا من فبراير ١٩٦٥ وحتى ديسمبر . ولم استطع الحصول على العدد الاول . فكيف احصل عليه لاعمل المجلد الاول الخاص بالطليعة .

وتقبلوا فائق التحية والشكر .

خليل سعيد رمضان
الشركة العامة لصناعة الورق
« راكتا » الطابية . رشيد

الطليعه

إننا نشكر كل المواطنين الذى يحيون الطليعة بعيدها الاول فى رسائلهم المتعددة التى وصلتنا ، على تحيتهم الرقيقة . ونأسف لكل الذين يطلبون استكمال مجموعتهم بالاعداد الثلاثة الاولى لنفادها منذ صدورها الا انه توجدكمية من الاعداد التالية ويمكن الحصول على اى منها عن طريققسم التوزيع بمؤسسة الاهرام.

الى الطليعة .. فى عامها الثانى

كما كتب المواطن السيد خميس محمود من الاسكندرية ، رسالة للطليعة يقول فيها :

انى أذكر بعض الفقرات التى جاءت فى افتتاحية العدد الاول تحت عنوان « خطوات الطليعة » . وذلك بعد أن افتتح المقال ، بأن الطليعة « تصدر فى مجتمعنا استجابة لحاجة المثقفين الثوريين فى مصر والوطن العربى » . وان الطليعة « ستعمل على تنظيم لقاء عميق وخصب . وصراع حر ومثمر بين آرائهم وأفكارهم ودراساتهم وتجاربهم » . و « على اتاحة ارحب الفرص واوفر الامكانيات أمام جميع المثقفين الثوريين ـ دون ما استثناء ـ كى يوظفوا طاقاتهم الفكرية بأسلوب علمى وروح خلاقة فى خدمة العمل الثورى بجميع تجسداته المادية والمعنوية فى جميع المجالات ، بحيث يلتحم دائما العمل المادى بالعمل الروحى والفكرى ، فى وحدة حية متكاملة قادرة على الحركة الواعية المنظمة نحو الاشتراكية » .

لقد اعطت هذه الافتتاحية ، منذ صدور الطليعة ، الامل وانعشت الثقة لابناء الامة العربية المتحرقين شوقا لرؤية البناء الاشتراكى وتدازدهر . وأما « حركة العمل الثورى » فتتحدد من مفهومنا بهذه الحركة الشعبية التقدمية المسلحة بالشجاعة والعلم والتنظيم . والتى افرزت من اعماقها باصالة القيادة الثورية التاريخية للمناضل جمال عبدالناصر ، مستهدفة تغيير الواقع وتطويعه لصالح الجماهير الشعبية : ديمقراطيا واشتراكيا . وذلك بنقل مجتمعنا من الحالة القديمة الى الحالة الجديدة . من حالة الجمود والشلل والتخلف الى حالة الحركة والنشاط والتخطيط والتقدم الاقتصادى ـ وخاصة الصناعى ـ بكل أبعاده المادية والمعنوية والبشرية والفنية . من حالة الاقطاع والراسمالية الى حالة الاشتراكية . من حالة ديمقراطية الفئة القليلة صاحبة الامتيازات ، الى حالة ديمقراطية قوى الشعب العاملة . من حالة التفكك والتشتت الى حالة الاتحاد والوحدة فى العمل الوطنى التحررى على المستوى العربى والمستوى الافريقى .

من هذه الحقيقة ، كانت « التوافقيات » مع صدى « الطليعة » فيما نادت به . وانى لاقترح على الطليعة فى عامها الثانى : **أولا :** ان تخرج الى المصنع والحقل ، الى القرية والمدينة . لترى بنفسها وتلمس باحساسها مدى ادراك المواطنين للفكر والتطبيق الاشتراكى . ثم تعطى القارىء صورة صادقة وموضوعية عما رأت وسمعت . **ثانيا :** تنظيم لقاءات مستمرة مع نواب الشعب فى مجلس الامة ونقل صورة أفكارهم هم أولا ثم التعرف على مايجرى داخل دوائرهم . وكذلك لجان ومؤتمرات الاتحاد الاشتراكى . **ثالثا :** عقد جلسات تعارفية بين أصدقاء الطليعة والمسئولين فى جميع القطاعات فى الدولة ثم نشر هذه الجلسات فى صفحات الطليعة . من هنا فالطليعة تمثل منبرا وأسلوبا وهدفا . ففى يقينى ان الطليعة ستصل فعلا وقبل انتهاء مدة الخطة الخمسية الثانية الى « طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر » يوم اتمام فترة الانطلاق الذاتى » للطليعة . **وان كنت ارى أن الطليعة قد التزمت الى حد غير قليل بما وعدت به وقامت بما انتظرناه منها وان كان ليس بالصورة والقدر الذى تمنيناه .** اذ ليس كل مايتمنى يدرك . واذا كانت الظروف ـ وضيق المجال ـ ترغمنى الان على اصدار مثل هذا الرأى المقتضب الوجيز ، الا اننى اجد نفسى مدفوعا ـ بالرغم مما ذكرت ـ الى ان اطيل الوقوف نوعا ما عند قضيتين أرى لهما ـ من وجهة نظرى الخاصة ـ اهمية كبيرة فى هذا المجال . **أولا : الطليعة والميثاق** . اذا كانت الطليعة ـ كما سبق القول ـ قد حددت منذ عددها الاول « الالتزام الايجابى والواعى بالميثاق » على انه « ليس نصا مذهبيا جامدا أو تميمة مقدسة للزينة والتبرك .. » ، فلقد كان واجبا عليها أن تتصدى بالشرح والتفسير لهذه الوثيقة الثورية لتبيان مفاهيمها وتعميقها وابرازها . فهل قامت الطليعة بذلك ؟ يؤسفنى ان اقول انها لم تقم بذلك تماما . فبمراجعة أعداد السنة الاولى ، نجد المقالات والأبحاث التى تعرضت للميثاق بطريق مباشر ، مقالات قليلة وهى بالتحديد ثلاث : « مفهوم وطريق الاشتراكية فى الميثاق » ، و « مفهوم وطريق تحالف قوى الشعب فى الميثاق » و « مفهوم وطريق الديمقراطية فى الميثاق » . وهذا لاينفى مطلقا وبأى حال ان هناك عديدا من المقالات التى تعرضت للميثاق وان كان ذلك بطريق غير مباشر . وهذا ـ فى رأيى ـ غير كاف ولا يفى بما نحتاج اليه من دراسات وأبحاث عميقة حول الميثاق ، على أن تكون هذه الدراسات والابحاث بأسلوب بسيط وقريب الى الفهم لكى يمكن استيعابه ونقله بسهولة الى الجماهير .

والقضية الثانية : لقد فتحت الطليعة الباب امام أصدقائها منذ العدد الثانى ليدلوا بآرائهم حول تجاربهم ويكتبوا تعليقاتهم حول ماينشر على صفحات الطليعة حتى يمكن تعميق التجاوب بينها وبين اصدقائها . واذا كانت الطليعة تستحق الشكر على ذلك ، الا انها يجب ان تتوسع فى باب « **مناقشات مفتوحة** » . واقترح لذلك مايلى : (١) زيادة عدد الصفحات التى تخصص للقراء الى الضعف على الاقل . (٢) اذا كانت الضرورة فى بعض الاحيان تستلزم اقتطاف بعض خواطر القراء ، فيجب أن يكون ذلك فى اضيق الحدود . على ان تتاح الفرصة لكل راى لكى يصل بعباراته والفاظه ومعانيه كاملة الى القراء . (٣) اقترح على الطليعة اصدار عدد خاص يحرره قراؤها من الالف الى الياء . (٤) أرى وجوب تخصيص اعداد كاملة عن احدى التجارب الاشتراكية فى الخارج .

●

الطليعة

تشكر الطليعة المواطن السيد خميس محمود والاخ عبد العال الباقورى على اهتمامهما بتقويم ونقد الطليعة بمناسبة مرور عام على صدورها . وسوف نطرح الاقتراحات التى تقدما بها على هيئة التحرير لدراستها والاستفادة منها .

لجنة لمتابعة تنفيذ الميثاق

بعث المواطن عبدالحميد ابو العينين عضو ٢٠ بالتخطيط والمتابعه بمديريه التربيه والتعليم بالمنصورة ، برسالة الى الطليعه ، يقول فيها :

« .. يعد الميثاق -بحق- مجموعة المستخلصات الاساسية والقواعد الرئيسية التى ترتكز عليها ايديولوجيتنا العربية الجديدة التى تسير اليوم فى عملنا - الداخلى والخارجى - على هديها . ولقد تعرض الميثاق فيما تعرض له الى : نظرة خلفيه شاملة الى الاصول والجذور الرئيسية التى منها استمدت ثورتنا قدرتها على الرؤية الكاملة . وبعد ذلك حدد الميثاق المبادىء العامة التى اختطتها نظريتنا الفكرية فى العمل بمعناه الشامل : **الداخلى** بعناصره السياسية والاقتصادية والاجتماعية . **والعربى** بمجالاته التحررية والاشتراكية والوحدوية . **والخارجى** بميادينه الكفاحية ضد الاستعمار ومن اجل السلام العالمى وعدم الانحياز ورخاء الشعوب .

ولقد مضت أكثر من ثلاث سنوات على صدور هذا الدليل الفكرى الوطنى . **واعتقد انه آن الاوان لضرورة تشكيل لجنة خاصة - على أعلى مستوى من الفكر والمسئولية - لمتابعة مالم لتنفيذه من مبادىء واهداف الميثاق الوطنى . وكذلك مالم ينفذ** . وتحديد الاساليب المناسبة للتنفيذ وتقدير الزمن المناسب للتنفيذ الكامل لجميع المبادىء . حتى تتحقق أهداف الميثاق كدليل للعمل الوطنى . وارى أن تجتمع هذه اللجنة - بعد تشكيلها - بصفة دورية وتقدم توصياتها الملزمة للاجهزة القيادية العليا فى الاتحاد الاشتراكى العربى - باعتباره التنظيم الشعبى والعمود الفقرى الداخلى للبلاد - لاتخاذ اللازم نحو تطبيق الميثاق نصا وروحا بأسلوب مناسب وفى زمن يتفق مع ضرورة وحتمية تطوير مجتمعنا العربى فى العصر الحديث . وبهذا الاسلوب ، نحقق - فى رأيى - ضمان السير على نهج الميثاق الوطنى فى العمل الثورى فى جميع مجالاته ومواقعه » .

الطليعة : فى رأينا أن قضية متابعة تنفيذ الميثاق الوطنى ، هى احدى المهام الاساسية للاتحاد الاشتراكى العربى وتنظيمه السياسى القائد .

●

■ **رسالة من تونس**

بيان من هيئة العمل الاشتراكى التونسى

تنشر الطليعة فيما يلى نص البيان الذى وصلها من هيئة العمل الاشتراكى التونسى :

فى ليلة الثالث عشر من اكتوبر ، كانت برج سيدى على الريس ، من ضواحى العاصمة ، مسرحا لصدامات دامية بين سكان هذا الحى الشعبى والحرس القومى .

فلماذا ، وكيف تدخلت قوات « الامن » بهذه الصورة الوحشية ؟ .

بعد ظهر يوم ١٢ أكتوبر دخل رجال البلدية هذا الحى، بالاتهم لتنفيذ عمليات الهدم حسب تعليمات حملة التطهير، فاعترضهم رجال الحى جميعا وعنفوهم بحسم وتصميم .. واستمر رفضهم لتنفيذ حملة البلدية والبوليس حتى الغروب ، الامر الذى دعا البوليس للاستنجاد برجال الحرس الوطنى. وكانت نتيجة التدخل مروعة : قتل خمسة ، واصابة اثنى عشر باصابات بالغة ، ثم القبض على مئات من أهل الحى والزج بهم فى معسكر « الجورجانى » .

وفى اليوم الثانى صدر بيان مقتضب من سكرتارية الدولة للاعلام بشان هذه الحوادث الدامية يشير بصورة لا تمت الى الحقيقة بصلة الى ان حى بورج سيدى على الريس كان دائما مأوى للهاربين من العدالة والعناصر المشبوهة . ثم عززت قوات البوليس والحرس القومى ، وتم حصاره لمدة أسبوع ، نفذت خلاله عمليات الهدم .

فما هو راينا فى مثل هذه العملية ، والاحداث الخطيرة التى نجمت عنها ؟.

١ - ادانت هيئة العمل الاشتراكى التونسية ، بحزم وصلابة عمليات الكبت والارهاب التى وقعت على آلاف المتظاهرين . وأدانت تدخل الحرس القومى الوحشى والذى النيران لم يكن مقصودا « اعادة النظام » ، ولكن اصابة المتظاهرين . وادانت تدخل الحرس القومى الوحش والذى روع السكان . وطالبت بعقاب رادع للمسئولين من عملية المكتب وأكدت ان اللجوء الى القوة المسلحة ، لا يمكن ان يكون باى حال ردا على السخط المشروع للطبقات المعدمة فى بلادنا .

٢ - وفيما يتعلق « بحملة التطهير » والتى كانت سببا فى هذه الحوادث ، لا يمكن الموافقة على ان هذه الحملة ، أملتها دوافع اجتماعية وصحية اكثر حدة من ظروف المعيشة فى بعض الاحياء الشعبية ، وفى أطراف المراكز الحضرية الكبيرة ، والتى تزداد بؤسا يوما بعد يوم .

واذ كنا ندين السياسة الحكومية الحاضرة فى هذا الصدد ، فذلك لاننا نعتقد انها وضعت دون اى اهتمام بالاعتبارات الانسانية وبطريقة بيروقراطية تماما . والواقع . فالمشكلة ليست مجرد تخليص المدن من هذه الاحياء المزعجة، انها أعمق من ذلك: انها تعنى ايجاد حل للمشاكل الاقتصادية التى تثقل كاهل الاف المعدمين ، بهدف اتاحة الفرصة لهم لتحسين مستوى معيشتهم ومسكنهم ، وتحسين وضعهم الاقتصادى ، يعنى أولا ضمان العمل لهم وايضا وقف ذلك السيل من العمارات الفاخرة لتوفير الاموال اللازمة لانشاء المساكن الشعبية بأعداد كبيرة .

٣ - وبالنسبة للذين عادوا الى قراهم الاصلية ، ما هى الاجراءات المحددة التى يمكن ان تتخذها الحكومة حتى تتجنب هجرتهم مرة أخرى الى المدينة ؟ وهل هناك معنى لعودة هؤلاء الرجال الى موطنهم الاصلى ما لم يوفر لهم العمل والمسكن؟. وهذا يعنى انه من الوهم ان نرغب فى بحث مشكلة تطهير المدن دون ان نبحث بالمثل مشكلة اصلاح النظم الزراعية فى الريف .

٤ - تؤكد لنا حوادث بورج سيدى على الريس ، اذا كنا ما زلنا فى حاجة الى تأكيد ، الاستياء العميق لدى الطبقات الاجتماعية ، المهدرة حقوقها من سكان مدننا الكبرى .

ولهذا الاستياء اسبابه ، والتى يمكن علاجها ، بشرط الا نطمس المشاكل الحقيقية . وفى الوقت الحالى وفى مواجهة السلطة التى تدعم أجهزتها البيروقراطية والبوليسية ، وتشدد استبدادها باسم النظام ، فان مظاهرات برج سيدى الريس ، دليل جديد أمام الذين يقبلون بوعى أو عن غير وعى اثارة سخط جماهيرنا الشعبية ■

وثائق

وثائق تاريخية عن:

تطور التعليم في مصر

منذ عام ١٨٨٠ حتى ١٩٦٤

٦

المجموعة الثالثة من وثائق التعليم في مصر
من قانون تنظيم التعليم الثانوى (١٩٥٣)
الى الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة (١٩٦٤)

تنشر « الطليعة » فى هذا العدد المجموعة الثالثة من الوثائق عن التعليم فى مصر . وهى تغطى الفترة الممتدة من عام ١٩٥٢ حتى ظهور الدستور الموقت للجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٤ الذى اقر المجانية الكاملة للتعليم فى جميع مراحله الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية . وتشتمل هذه المجموعة أيضا على القوانين الاساسية التى اعادت تنظيم التعليم فى الشكل الحالى الذى استقر عليه عبر التطورات المختلفة التى تمت منذ ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

— ١٥ —
قانون رقم ٢١١ لسنة ١٩٥٣ بشأن تنظيم التعليم الثانوى

باسم الامة

وصى العرش المؤقت ،

بعد الاطلاع على الاعلان الدستورى الصادر فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ من القائد العام للقوات المسلحة وقائد ثورة الجيش ،

وعلى القانون رقم ١٤٢ لسنة ١٩٥١ بتنظيم التعليم الثانوى ، وعلى ما ارتآه مجلس الدولة ،

وبناء على ماعرضه وزير المعارف وموافقة رأى مجلس الوزراء ،
أصدر القانون الآتى

مادة ١

ينقسم التعليم الثانوى الى مرحلتين : مرحلة اعدادية ومرحلة ثانوية .

المواد من ٢ الى ١٨

« الغيت بمقتضى القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٧ بشأن تنظيم التعليم الاعدادى العام »

مادة ١٩

تنقسم الدراسة فى المرحلة الثانوية الى الانواع الآتية : —

١ — الدراسة الثانوية العامة
٢ — الدراسة الثانوية النسوية .
٣ — الدراسة الثانوية الصناعية .
٤ — الدراسة الثانوية الزراعية .
٥ — الدراسة الثانوية التجارية .

١ — الدراسة الثانوية العامة

مادة ٢٠ : مدة الدراسة بالمرحلة الثانوية العامة ٣ سنوات .

مادة ٢١ : يشترط فيمن يقبل بالسنة الاولى من هذه المرحلة مايأتى :

أولا : الا تزيد سنه فى أول السنة المدرسية على سبع عشرة سنة ويستثنى من هذا الشرط المكفوفون الذين اتموا المرحلة الاعدادية وذلك فى حدود سنتين زيادة عن الحد الاعلى .

ثانيا : ان يكون ناجحا فى امتحان شهادة الدراسة الاعدادية . وتكون الاولوية فى القبول على أساس سن التلميذ ومجموع درجاته فى الامتحان وفقا للنظام الذى يعين بمرسوم .

مادة ٢٢ : يجوز قبول تلاميذ بالسنتين الثانية والثالثة من هذه المرحلة اذا وجدت اماكن خالية .

ويشترط لقبول التلميذ مايأتى :

أولا : الا تزيد سنه فى أول السنة المدرسية على ثمانى عشرة سنة للسنة الثانية ولا على تسع عشرة سنة للسنة الثالثة .

ثانيا : ان يكون حاصلا على شهادة الدراسة الاعدادية وناجحا فى امتحان يعادل امتحان النقل الى الفرقة التى يريد الالتحاق بها وفقا للنظام الذى يقرره وزير المعارف العمومية .

مادة ٢٣ لا يجوز ان يزيد عدد تلاميذ الفصل فى هذه المرحلة على ٣٢ تلميذا .

مادة ٢٤ : تدرس بالسنة الاولى من المرحلة الثانوية العامة المواد الآتية : —

١ — القرآن الكريم والدين .
٢ — اللغة العربية .
٣ — اللغة الاجنبية الاولى (وتشمل الترجمة) .
٤ — اللغة الاجنبية الثانية .
٥ — الرياضة .
٦ — التاريخ .
٧ — الجغرافية .
٨ — دراسة المجتمع المصرى .
٩ — الطبيعة .
١٠ — الكيمياء .
١١ — الرسم .
١٢ — الهوايات العملية .
١٣ — التربية البدنية والالعاب .

مادة ٢٥ : تنقسم الدراسة فى السنتين الثانية والثالثة من هذه المرحلة الى قسمين : قسم ادبى وقسم علمى .

مادة ٢٦ : تدرس بالقسم الادبى المواد الآتية :

١ — القرآن الكريم والدين .
٢ — اللغة العربية
٣ — اللغة الاجنبية الاولى (وتشمل الترجمة)
٤ — اللغة الاجنبية الثانية .
٥ — التاريخ
٦ — الجغرافية .
٧ — مبادىء الفلسفة
٨ — مبادىء علم الاجتماع .
٩ — الهوايات العملية .
١٠ — التربية البدنية والالعاب .

وتضاف الى ماتقدم دراسة خاصة بحسب اختيار التلميذ فى اللغة العربية او اللغة الاجنبية الاولى او التاريخ او الجغرافية .

مادة ٢٧ : تدرس بالقسم العلمى المواد الآتية

١ — القرآن الكريم والدين .
٢ — اللغة العربية .
٣ — اللغة الاجنبية الاولى (وتشمل الترجمة) .
٤ — اللغة الاجنبية الثانية .
٥ — الرياضة (وتشمل الميكانيكا) .
٦ — الطبيعة .
٧ — الكيمياء .
٨ — علم الاحياء .
٩ — الهوايات العملية .
١٠ — التربية البدنية والالعاب .

وتضاف الى ماتقدم دراسة خاصة بحسب اختيار التلميذ فى الرياضة او الطبيعة او الكيمياء او علم الاحياء .

مادة ٢٨ : يعين وزير المعارف العمومية بقرارات يصدرها توزيع مواد الدراسة وعدد الدروس التى تخصص لكل مادة والمناهج الدراسية ويراعى الا يقل عدد الدروس عن ٣٦ درسا فى الاسبوع .

مادة ٢٩ : يعقد لتلاميذ كل من الفرقتين الاولى والثانية من هذه المرحلة امتحانا تحريريا للاشغال ولا ينقل التلميذ من فرقته الى الفرقة التى تليها الا اذا حصل فى مجموع درجات هذا الامتحان ودرجات أعمال السنة على مجموع النهايات الصغرى لجميع المواد مع توافر أحد الشروط الآتية :
١ — ان يكون ناجحا فى جميع المواد
٢ — ان يكون ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادة واحدة .
٣ — ان يكون ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادتين وحاصلا فى مجموع درجتيهما على ٢٥٪ على الاقل من مجموع نهايتهما العظمتين .

مادة ٣٠ — تخصص لدرجة الامتحان ٧٥٪ من النهاية العظمى فى كل مادة ولاعمال السنة ٢٥ ٪ منها .

مادة ٣١ : تعقد وزارة المعارف العمومية فى نهاية السنة الثالثة من التعليم الثانوى العام امتحانا عاما ويمنح الناجحون فيه شهادة تسمى « شهادة الدراسة الثانوية العامة » .

ويباح الدخول فى الامتحان لكل من اتم دراسة المناهج المقررة بهذه المرحلة من الحاصلين على شهادة الدراسة الاعدادية أو على شهادة تعتبرها وزارة المعارف العمومية معادلة لها سواء تلقى دروسه بمدرسة من مدارس الحكومة او بمدرسة حرة او بمنزله . وذلك بشرط ان يكون قد مضى على حصوله على شهادة الدراسة الاعدادية او الشهادة المعادلة لها ٣ سنوات على الاقل .

مادة ٣٢ : على كل تلميذ يتقدم لامتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة ان يؤدى رسما قدره جنيهان .

ويجوز لوزير المعارف العمومية الاعفاء من الرسم ويكون ذلك وفقا للقواعد التى يصدر بها قرار منه .

مادة ٣٣ : يختبر التلاميذ فى امتحان

شهادة الدراسة الثانوية العامة تحريريا في جميع المواد . ويكون الامتحان في مقرر السنة الثالثة بالنسبة للتلاميذ المتقدمين من مدارس الحكومة او المدارس الحرة التي تسير الدراسة فيها وفق منهج مدارس الحكومة وتعترف وزارة التربية والتعليم بامتحاناتها طبقا للنظام الذي يقرره وزير التربية والتعليم . وفي مقرر السنوات الثلاث لغير هؤلاء

مادة ٣٤ . لايعتبر التلميذ ناجحا في امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة الا اذا حصل على مجموع النهايات الصغرى لجميع المواد مع إحد الشروط الاتية :

١ - أن يكون ناجحا في جميع المواد

٢ - أن يكون ناجحا في اللغة العربية وفي باقي المواد عدا مادة واحدة .

٣ - أن يكون ناجحا في اللغة العربية وفي باقي المواد عدا مادتين وحاصلا في مجموع درجتيهما على ٢٥ ٪ على الاقل من مجموع نهايتهما العظمتين .

مادة ٣٥ : تكون مواد الامتحان والنهايات العظمى والصغرى لكل مادة في امتحان الانتقال من السنة الاولى الى السنة الثانية كما هي مبينة في الجدول رقم (١)

مادة ٣٦ : تكون مواد الامتحان والنهايات العظمى والصغرى لكل مادة في امتحان الانتقال من السنة الثانية الى السنة الثالثة وامتحان الدراسة الثانوية العامة كما هو مبين بالجدول رقم (٢) و (٣)

مادة ٣٧ : الغيت بمقتضى القانون رقم ٣٦٩ لسنة ١٩٥٦ . (كان النص الملغى يبين كيفية احتساب مجموع درجات التلميذ الذي ينجح في الدور الثاني في امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة .)

مادة ٣٨ : اذا حصل التلميذ الناجح في امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة على ٧٥٪ على الاقل من النهاية العظمى لدرجات اية مادة اعتبر ناجحا فيها بتفوق ونوه بذلك في الشهادة التي يمنحها بشرط ان يكون ناجحا في جميع المواد .

مادة ٣٩ : الغيت بمقتضى القانون رقم ٣٦٦ لسنة ١٩٥٦ .

مادة ٤٠ . لايسمح للتلميذ في مرحلة الدراسة الثانوية العامة ان يعيد الدروس اكثر من مرة واحدة في اية فرقة .

على أنه لايسمح بالاعادة لمن زادت سنه في أول السنة المدرسية على ١٩ سنة .

٢- الدراسات الثانوية النسوية والصناعية والزراعية والتجارية

مادة ٤١ - تعين بمرسوم على سبيل التجريب لمدة الخمس السنوات الاولى من العمل بهذا القانون مدة الدراسة وشروط القبول والنظم والخطط والمناهج وامتحانات النقل والامتحانات النهائية لانواع الدراسة الثانوية النسوية والدراسة الثانوية الصناعية والدراسة الزراعية والدراسة الثانوية التجارية .

ويجوز بقرار من وزير التربية والتعليم فرض رسم على الامتحانات النهائية لكل من هذه الدراسات لايتجاوز جنيهين ويكون الاعفاء من هذا الرسم وفقا للقواعد التي يتضمنها هذا القرار .

احكام عامة

مادة ٤٢ : التعليم الثانوي في مرحلتيه بالمجان . وتعين بقرار من وزير المعارف العمومية الرسوم الاضافية التي يجوز مطالبة التلاميذ بها بحيث لاتزيد على ٣ جنيهات في السنة الواحدة وشروط الاعفاء من هذه الرسوم .

مادة ٤٣ لايقبل التلميذ في مدارس التعليم الثانوي الا اذا كان لائقا من الناحية الصحية طبقا للنظام الذي يصدر به قرار من وزير المعارف العمومية .

مادة ٤٤ : تبدا الدراسة في جميع مدارس التعليم الثانوي في يوم السبت الثالث من شهر سبتمبر وتنتهي في يوم الخميس الاخير من شهر مايو .

ولوزير المعارف العمومية عند الاقتضاء تعديل هذه المواعيد بقرار يصدر منه .

ويعتبر اول اكتوبر في كل حالة هو اول السنة الدراسية عند حساب سن التلميذ

مادة ٤٥ : يعفى غير المسلمين من التلاميذ من دراسة القرآن الكريم ، وترتب لهم دروس في الدين على حسب دياناتهم

جدول رقم (١)

المـواد	النهاية العظمى للدرجات	النهاية الصغرى للدرجات
الدين	٢٠	٨
اللغة العربية	٤٠	٢٠
اللغة الاجنبية الاولى مع الترجمة	٤٠	١٦
اللغة الاجنبية الثانية	٣٠	١٢
الرياضة	٤٠	١٦
التاريخ ودراسة المجتمع المصري	٤٠	١٦
الجغرافيا	٣٠	١٢
الطبيعة	٣٠	١٢
الكيمياء	٣٠	١٢
الرسم	٢٠	٨

جدول رقم (٢)
أولا : امتحانات القسم الادبي

المـواد	امتحان الانتقال		امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة	
	النهاية العظمى	النهاية الصغرى	النهاية العظمى	النهاية الصغرى
الدين	٢٠	٨	—	—
اللغة العربية	٤٠	٢٠	٥٠	٢٥
اللغة الاجنبية الاولى مع الترجمة	٤٠	١٦	٥٠	٢٠
اللغة الإجنبية الثانية	٣٠	١٢	٤٠	١٦
التاريخ	٣٠	١٢	٣٠	١٢
الجغرافيا	٣٠	١٢	٣٠	١٢
مبادىء الفلسفة	٢٠	٨	٢٠	٨
مبادىء علم الاجتماع	٢٠	٨	٢٠	٨
الدراسة الخاصة	٤٠	١٦	٤٠	١٦

جدول رقم (٣)

ثانيا : امتحانات القسم العلمى

المـــــواد	امتحـــــان الانتقـــال النهاية العظمى	النهاية الصغرى	امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة النهاية العظمى	النهاية الصغرى
الـــــدين	٢٠	٨	—	—
اللغـة العـربية	٤٠	٢٠	٤٠	٢٠
اللغة الاجنبية الاولى مــع الترجمـة	٣٠	١٢	٣٠	١٢
اللغـة الأجنبية الثانية	٢٠	٨	٢٠	٨
الرياضــــــة	٦٠	٢٤	٦٠	٢٤
الطبيعـــــــة	٣٠	١٢	٣٠	١٢
الكيميــــــاء	٣٠	١٢	٣٠	١٢
علــم الاحيــاء	٣٠	١٢	٣٠	١٢
الدراســة الخاصـة	٤٠	١٦	٤٠	١٦

اذا وجد عدد كاف منهم فى الفرقة وفقا لما يقرره وزير المعارف العمومية .

مادة ٤٦ : كل تلميذ لايؤدى رسم الامتحان العام ولم يكن معفى منه لايسمح له بدخوله ولايرد رسم الامتحان .

مادة ٤٧ : مع عدم الاخلال بالعقوبات المقررة قانونا يلغى امتحان التلميذ فى الاحوال الاتية : —

١ — اذا غش او حاول الغش فى الامتحان .

٢ — اذا اخل بنظام الامتحان او اعتدى على حرمته او اقلق هدوءه .

٣ — اذا ضمن ورقة الاجابة امرا يعد تلفا او سبا او مخالفة للنظام العام او الاداب .

٤ — اذا خالف اللوائح الصادرة فى شأن الامتحان .

ويكون الغاء الامتحان بقرار مسبب ونهائى من الرئيس العام للامتحان ويترتب على هذا الالغاء حرمان التلميذ من دخول الامتحان التالى ويجوزلوكيل الوزارة ان يزيد عدد مرات حرمان التلميذ من دخول الامتحانات ويكون قراره فى ذلك مسببا ونهائيا .

مادة ٤٨ : العقوبات البدنية ممنوعة. ويحدد وزير المعارف العمومية بقرار منه نوع العقوبات التى يجوز توقيعها على التلاميذ ومن له حق توقيعها .

مادة ٤٩ : يفصل من المدرسة كل تلميذ تغيب عن المدرسة بغير عذر مقبول خلال السنة الدراسية مدة ١٥ يوما اواكثرسواء كانت هذه المدة متصلة أم متقطعة .ويعتبر لتغيب فى احدى فترتى اليوم الدراسى (قبل الظهر أو بعده) تغيب عن اليوم أكمله .

ويجوز لوزير التربية والتعليم اعادة قيد التلاميذ المفصولين طبقا لحكم الفقرة السابقة وذلك وفقا للقواعد التى يصدربها قرار منه .

مادة ٥٠ : ويجوزلوزيرالتربية والتعليم ان ينشىء مدارس تجريبية او نموذجية للمرحلة الاعدادية او الثانوية تصـــل بالتلميذ الى مستوى شهادة الدراســة الثانوية العامة ، وتعين بقرار منه نظم وخطط الدراسة بها والرسوم الاضافية التى تفرض على تلاميذها .

مادة ٥١ : يلغى القانون رقم ١٤٢ لسنة ١٩٥١ بشأن تنظيم التعليم الثانوى كما يلغى كل نص يخالف أحكام هذاالقانون

مادة ٥٢ : على وزير التربية والتعليم تنفيذ أحكام هذا القانون ، وله أن يصدر القرارات اللازمة لذلك ، كما له أن يصدر ما يراه لازما من الاحـكام الموقتة التى يقتضيها تغيير نظام الدراسة والامتحانات ويجوز أن تتضمن هذه الاحكام تنظيـم الاستثناء من الاحكام الواردة فى المادتين ٨ أو ٤٠

صدر بقصر عابدين فى ١٩ شعبان سنة ١٤٧٢ (٣ مايو سنة ١٩٥٣)

محمد عبد المنعم

بامر وصى العرش الموقت

رئيس مجلس الوزراء

محمد نجيب

لواء ا . ح

وزير المعارف العمومية

اسماعيل محمود القبانى

— ١٦ —

قـــانون رقــم ٢١٣ لســنة ١٩٥٦ بشــأن التعليــم الابتــدائى والقرارات المنفــذة له

باسم الامة

مجلس الوزراء

بعد الاطلاع على الاعلان الدستورى الصادر فى ١٠ من فبراير سنة ١٩٥٣.

وعلى القرار الصادر فى ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٥٤ بتخويل مجلس الوزراءسلطات رئيس الجمهورية .

وعلى القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن موظفى الدولة والقوانين المعدلة له ،وعلى ما ارتآه مجلس الدولة .

وبناء على ما عرضه وزير التربيــة والتعليم

اصدر القانون الاتى :

الباب الاول : الالزام

مادة ١

التعليم الابتدائى الزامى لجميع الاطفال وتبدأ سن الالزام من السادسة ويعتبر اول اكتوبر هو اول السنة الدراسيةعند حساب سن التلميذ .

مادة ٢

التعليم الابتــدائى فى مــدارس الدولة بالمجان وتقدم للتلاميذ وجبة غذاء وفقا للنظام الذى يصدر به قرار من وزيرالتربية والتعليم .

مادة ٣

يقع واجب الالزام على والد الطفل او المتولى امره على حسب الاحوال .

مادة ٤

يعفى الطفل من الالزام اذا كان مصابا بمرض او بعاهة بدنية او عقلية تمنعه من تلقى الدراسة ويثبت المرض او العاهة طبقا للاوضاع التى يصدر بها قرار من وزير التربية والتعليم .

ويبقى الاعفاء ما بقى المرض او العاهة على انه اذا انشئت بجهة ما مدارس ابتدائية خاصة لتعليم ذوى العاهات تتسع لقبول جميع الموجودين بهذه الجهة من هؤلاء الاطفال عاد حكم الالزام بالنسبة للمقيمين بهذه الجهة منهم بقرار من وزير التربية والتعليم .

مادة ٥

ينفذ الالزام فى المدارس الابتدائية الحكومية ويجوز تعليم الاطفال فى مدارس غير حكومية ويشترط فى هذه الحالة ان تكون الدراسة فيها معادلة للدراسة بالمدارس الابتدائية الحكومية وان يخطر ولى الامر منطقة التعليم المختصة بذلك قبل افتتاح العام الدراسى .

ويعين وزير التربية والتعليم بقرار منه شكل الاخطار وطريقة التحقق من معادلة الدراسة .

مادة ٦

يسرى حكم الالزام فى الجهات التى تنشأ بها مدارس ابتدائية كافية والتى تعين بقرار من وزير التربية والتعليم كما يسرى فى الجهات التى ليست بها مدارس ابتدائية كافية بالنسبة للاطفال الذين بدأوا الدراسة فعلا، ولا يتناول الالزام الاطفال الذين يقيمون فى اماكن تبعد اكثر من كيلو مترين عن اقرب مدرسة ابتدائية .

مادة ٧

على المكلفين بامساك دفاتر قيد المواليد والوفيات وحفظها ان يعدوا بالاشتراك مع شيخ الناحية اوشيخ الحارة فى موعد لا يجاوز شهر يونيو من كل عام قوائم بأسماء الاطفال المقيدين بالدفاتر التى فى عهدتهم ممن بلغوا سن السادسة اويبلغونها لغاية اول اكتوبر، وبعد اعتمادها من العمدة او من المسئولين عن هذه الدفاتر بالمدن ترسل الى المنطقة التعليمية او الجهة التى يعينها وزير التربية والتعليم بقرار منه .

ويقوم هؤلاء باعداد وارسال قوائم تكميلية باسماء الاطفال الذين تشملهم القوائم السابقة .

وتبين فى القوائم اسماء آباء الاطفال والمتولين امرهم ومحال اقامتهم، وعلى آباء الاطفال او المتولين امرهم انيتقدموا البيانات اللازمة لاعداد القوائم خلال اسبوع من تاريخ طلب ذلك منهم وان يخطروا منطقة التعليم او الجهة المختصة بمحال اقامتهم الجديدة خلال اسبوع من تاريخ تغيير محل الاقامة .

مادة ٨

تتولى المناطق التعليمية توزيع الاطفال الذين وردت اسماؤهم بالقوائم على المدارس القريبة من مساكنهم بقدر الامكان .

وعلى كل مدرسة ان تقوم بتسليم العمدة او شيخ الحارة اخطارا خاصا بكل طفل متضمنا ميعاد بدء الدراسة وعليه الحصول على توقيع والد الطفل او المتولى امره بعلمه ذلك .

مادة ٩

اذا لم يتقدم الطفل الى المدرسة فى الموعد المذكور اولم يواظب على الحضور لغير سبب مقبول وجب على ناظر المدرسة انذار والده او المتولى امره بحسب الاحوال بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم وصول يرسل اليه فى محل اقامته . وعند غيابه او امتناعه عن تسلم الكتاب يسلم الى العمدة او شيخ الحارة وعليهما تسليمه الى والد الطفل او المتولى امره

الباب الثانى : نظام الدراسة

مادة ١٠ —

مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية ست سنوات .

مادة ١١

لايقبل فى السنة الاولى من نقصت سنه فى اول اكتوبر من السنة الدراسية عن ست سنوات او زادت على ثمان وفقا للقواعد التى يضعها وزير التربية والتعليم ويمكن التجاوز عن ثلاثة اشهر زيادة او نقص عن هذا الحد اذا وجدت اماكن .

ويزاد الحد الادنى والاعلى سنة لكل فرقة دراسية تالية . وتنشأ فصول للتلاميذ الذين يكون مستواهم الدراسى غير لائق بفرقة من الفرق اعلى منه لاعمارهم اذا وجد عدد كاف منهم .

مادة ١٢

الدراسة فى المرحلة الابتدائية تدور حول موضوعات اجتماعية واقتصادية وصحية وترويحية ذات صلة مباشرة بحياة التلميذ وتكوين شخصيته . وينبغى ان يترتب على دراسة هذه الموضوعات تغطية الاساسيات فى المواد المختلفة مثل القرآن الكريم والدين واللغة والمواد الاجتماعية والعلوم والصحة والحساب والاناشيد والموسيقى والتربية الرياضية والرسم والاشغال العملية .

ويجوز لوزير التربية والتعليم بقرار يصدر منه اضافة مواد جديدة تدعو اليها حاجة البيئة وظروفها لجميع المدارس اوبعضها .

ويعفى غير المسلمين من دراسة القرآن الكريم وترتب لهم دروس خاصة فى الدين على حسب دياناتهم وفقا لما يقرره وزير التربية والتعليم .

كما تقوم المدارس بوجوه النشاط المدرسى الحر بما يلائم بيئتها وتلاميذها ويجوز ان تنشأ فى بعض المدارس فرق لتحفيظ القرآن الكريم يلحق بها التلاميذ الذين يرغبون فى حفظه وتنظم خطة الدراسة ومناهجها فى هذه الفرق بقرار من وزير التربية والتعليم .

مادة ١٣

يعين وزير التربية والتعليم بقرار منه كيفية توزيع المواد على سنى الدراسة وعدد الدروس المخصصة لكل منها والمناهج الدراسية على ان لايقل عدد الدروس عن ٣٠ درسا فى الاسبوع .

مادة ١٤

تبدأ الدراسة فى يوم السبت الثانى من شهر سبتمبر ، وتنتهى فى يوم الخميس الثانى من شهر يونية من كل عام .

ويجوز لوزير التربية والتعليم بقرار منه ان يعدل هذه المواعيد .

كما يجوز له عند الاقتضاء ان يقرر اجازات غير العطلات الرسمية تقتضيها ظروف عامة او ظروف خاصة .

مادة ١٥

ينقل التلميذ من فرقة الى التى تليها فى جميع الفرق الدراسية اذا ماتابع الدراسة بانتظام مدة لاتقل عن ٧٥٪ من ايام العام الدراسى . ويجوز للمدرسة ان تقرر نقله اذا لم يحصل على هذه النسبة لاعذار مقبولة .

مادة ١٦

كل من امضى ٦ سنوات دراسية او اتم الدراسة بالمرحلة الابتدائية تعطيه المدرسة تقريرا يعتمده مفتش القسم يوضح المستوى الذى وصل اليه فى دراسته وتقوم وزارة التربية والتعليم باعداد نموذج لهذا التقرير .

مادة ١٧

لايبقى التلميذ فى المدرسة الابتدائية اذا كانت سنه فى اول اكتوبر تزيد على ١٤ سنة ويستثنى من هذا الشرط فرق تحفيظ القرآن فى حدود سنتين .

مادة ١٨

العقوبات البدنية ممنوعة .

مادة ١٩

يكون نظار المدارس الابتدائية ومدرسوها من اهل المنطقة الحاصلين على مؤهلات دراسية يعينها وزير التربية والتعليم بقرار منه فاذا لم يتوافر العدد اللازم من اهل المنطقة جاز التعيين من اقرب المناطق الاخرى .

وتكون القاعدة فى هذه المدارس ان تقوم مدرسة واحدة او مدرس واحد بتدريس جميع المواد لتلاميذ الفصل حتى السنة الرابعة ويجوز ان يعين مدرسون للمواد فى السنتين الخامسة والسادسة .

مادة ٢٠

يجوز انشاء مدارس تجريبية اونموذجية تنظم بقرار من وزير التربية والتعليم .

مادة ٢١

تكون لكل من البنين والبنات مدارس ابتدائية مشتركة او منفصلة وفقا للظروف

الباب الثالث : الادارة

مادة ٢٢

تتولى المناطق التعليمية ادارة المدارس الابتدائية الداخلة فى اختصاصها وتدبير جميع شئون التعليم بهذه المدارس فى حدود الميزانية المخصصة لها وطبقا للقوانين واللوائح والتعليمات التى تصدرها وزارة التربية والتعليم .

مادة ٢٣

يكون للرئيس المشرف على المنطقة بالنسبة الى شئون هذه المدارس فى دائرة المنطقة الاختصاصات والسلطات المقررة فى القوانين واللوائح لرؤساء المصالح .

واستثناء من احكام القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ المشار اليه تكون له ايضا سلطة تعيين موظفى هذه المدارس الداخلين فى الهيئة والخارجين عنها والمؤقتين ونقلهم وترقيتهم وندبهم ومنحهم الاجازات والعلاوات

مادة ٢٤

تنشأ بكل منطقة لجنة لشئون موظفى التعليم الابتدائى ويصدر بتشكيلها واختصاصاتها قرار من وزير التربية والتعليم .

مادة ٢٥

على كل مجلس مديرية أن يدرج فى ميزانيته سنويا للتعليم الابتدائى مبلغا يعادل ٦٦٪ من مجموع الرسوم الاضافية المقررة على ضرائب الاطيان بمقتضى المادتين ١٩ ، ٢٠ من القانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٣٤ الخاص بمجالس المديريات . وعلى كل مجلس بلدى ان يدرج لهذا الغرض فى ميزانيته سنويا مبلغ يعادل واحد فى المائة من مجموع ايراداته .

وتؤدى هذه المبالغ للمناطق التعليمية وتوضع فى حساب خاص لتتولى انفاقها على الانشاءات الجديدة فى كل منطقة طبقا لقرارات لجنة يصدر بتشكيلها وتحديد اختصاصاتها قرار من وزير التربية والتعليم

وتعفى الاعمال المتعلقة بهذه الانشاءات من القيود المالية .

الباب الرابع : احكام عامة

مادة ٢٦

يكون لنظار المدارس الابتدائية او وكلائها ولمن يندبهم وزير التربية والتعليم لتنفيذ حكم الالزام من المفتشين ومساعديهم صفة رجال الضبط القضائى فيما يختص بتطبيق احكام هذا القانون والقرارات المنفذة له .

مادة ٢٧

يعاقب بالحبس مدة لاتزيد على اسبوع او بغرامة لاتقل عن عشرين قرشا ولا تجاوز مائة قرش والد الطفل او المتولى امره اذا تخلف الطفل دون عذر مقبول رغم انذار والده او المتولى امره .

ويعاقب بالعقوبة ذاتها والد الطفل او المتولى امره اذا خالف احكام الالزام الاخرى المنصوص عليها فى هذا القانون.

الباب الخامس

احكام وقتية وختامية

مادة ٢٨

يلغى اعتبارا من اول اكتوبر سنة ١٩٥٦ القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ فيما عدا احكام الباب الثانى التى يستمر العمل بها الى نهاية السنة الدراسية ١٩٥٦ ١٩٥٧ — ١٩٥٨

مادة ٢٩

يعمل بهذا القانون اعتبارا من اول اكتوبر ١٩٥٦ فيما عدا احكام الباب الثانى يعمل بها اعتبارا من السنة الدراسية ١٩٥٧ — ١٩٥٨

مادة ٣٠

على وزراء التربية والتعليم والصحة العمومية والعدل والشئون البلدية والقروية والداخلية والمالية والاقتصاد كل فيما يخصه تنفيذ هذا القانون . ولوزير التربية والتعليم اصدار القرارات اللازمة لتنفيذه

صدر بديوان الرياسة فى ٦ شوال سنة ١٣٧٥ (١٦ مايو سنة ١٩٥٦)

رئيس مجلس الوزراء
جمال عبد الناصر حسين

وزير الصحة العمومية بالنيابة
احمد عبده الشرباصى

وزير الشئون القروية والبلدية
قائد جناح
عبد اللطيف محمود البغدادى

وزير العدل
احمد حسنى

وزير التربية والتعليم
كمال الدين حسين صاغ (ا.ح)

وزير المالية والاقتصاد
عبد المنعم القيسونى

وزير الداخلية
زكريا محيى الدين بكباشى (ا.خ)

مذكرة ايضاحية لمشروع القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ فى شأن التعليم الابتدائى

اوصى مؤتمر التعليم الالزامى المجانى للبلاد العربية الذى عقدته منظمة اليونسكو بالتعاون مع جامعة الدول العربية بدعوة من جمهورية مصر بمدينة القاهرة (من ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٥٤ الى ١١ يناير سنة ١٩٥٥) بتقرير حد ادنى لفترة التعليم الالزامى لاتقل عن ٦ سنوات للجميع حتى تضمن اتاحة فرصة كافية لتكوين المواطن المستنير .

وانه وان كان نظام التعليم الابتدائى الراهن يتناول الصغار من السادسة الى الثانية عشرة الا انه لايكفل فى الواقع تقرير حد ادنى لفترة التعليم ذلك لان كثيرا من الاطفال خصوصا المقيمين

منهم بالمناطق الريفية النائية بالوجه القبلى تنتهى دراستهم بنهاية السنة الرابعة الابتدائية لعدم توفر المدارس الاعدادية القريبة . وليس من شك فى ان ترك الدراسة بعد فترة قصيرة يعود بهؤلاء مرة اخرى الى الامية اذ لاتتوافر للكتابة والقراءة فى هذه السن فى المجتمع الريفى اسباب الثبوت والنمو .

يضاف الى هذا ان الغرض من المدرسة الابتدائية لايتحقق تماما اذا ترك التلميذ المدرسة بعد السنة الرابعة فهذه الفترة لاتكفى لتمكينها من اداء وظيفتها فى توجيه شخصيات تلاميذها نحو النضج الفردى والاجتماعى .

لهذا وجب اعادة النظر فى قوانين التعليم بحيث يصبح التعليم الابتدائى الزاميا مجانيا لجميع الاطفال وبحيث تكون مرحلة التعليم مرحلة لاتتخلخل فيها حتى تمنح الطفل من التعليم ما يكون له ذخيرة باق فى مستقبل حياته وبحيث لايزول هذا الاثر لمجرد خروجه من المدرسة .

هذا ماتقتضيه السياسة الحكيمة للبلاد حتى لاتنفق اموال الدولة على تعليم يزول اثره الا فى الحالات التى ينظر لها متابعة التعليم [illegible] .

ومشروع القانون المرافق يستهدف الى جانب وضع حد ادنى لفترة التعليم تدعيم المدرسة الابتدائية وتقوية كيانها فهى التى تقوم على تعليم جمهرة ابنائنا ممن يمثلون الجزء الاكبر من ابناء هذه الامة .

وقد روعى فى وضع نصوصه تغيير اسم وزارة المعارف العمومية الى اسم وزارة التربية والتعليم وتغيير اسم التربية البدنية الى التربية الرياضية .

ويمكن اجمال ما استحدثه هذا المشرع فيما يلى :

تنص المادة الاولى على ان التعليم الابتدائى الزامى لجميع الاطفال وتنص المادة العاشرة على ان مدته ست [illegible] دراسية وبذلك تحددت مدة التعليم الابتدائى بست سنوات تحديدا الزاميا .

واوردت المادة السادسة حكما جديدا مؤداه ان التلميذ الذى يدخل المدرسة ممن لايتناولهم الالزام بسبب عدم وجود مدارس ابتدائية حاليه يصبح ملزما باكمال التعليم .

اما المواد ٧ ، ٨ ، ٩ فترسم طريقة دقيقة لحصر الملزمين على نحو اكثر دقة واحكاما من التشريع الحالى .

وقد لوحظ ان عقوبة الـ [illegible] على اطلاقها تقصر عن ردع المخالفين خصوصا وان الامر كثيرا ماينتهى الى [illegible] بعقوبة واحدة عن مخالفات عدة فرئى النص فى المادة ٢٧ على حد ادنى [illegible] مع التنويه بتكرر المخالفة وبتعدد العقوبات كلما عاود الطفل الغياب رغم انذار والده او متولى امره .

وعنيت المادة ١٢ بالدراسة فى المرحلة الابتدائية بجعلها متجهة نحو الشخصية ومتصلة بحياة التلاميذ وروعى فى نفس الوقت ان تشجع الدراسات التى تدور حول موضوعات فتصبح الدراسة اكثر تشويقا واعظم فائدة واتجهت المادة كذلك الى ان يعنى بتغطية الاساسيات فى المواد المالوفة ماضى قانون التعليم الابتدائى متجها مع فلسفة الوزارة من حيث كونها وزارة تربية وتعليم بدلا من ان تكون وزارة للمعارف فحسب ، وقد صيغت المادة بحيث تسمح بانتقال تدريجى من النظام الحالى الى النظام المقترح ففيها من المرونة مايكفي للسير بالطرق المالوفة وما يشجع السير فى احدث الطرق واسلمها من وجهة نظر التربية .

وروعى فى المادة ١٧ [illegible] بين الاقصى لسن البقاء فى الدراسة فجعلت سنوية واعطيت للمدارس [illegible] النظر فى حالة كل تلميذ على حدة وروعى فيها كذلك مرونة عند انشاء فصول خاصة للضعاف من التلاميذ .

وحددت المادة ١٦ طريقة الرحلة الابتدائية فنصت على اعطاء التلميذ تقريرا يوضح المستوى الذى وصل اليه فى دراسته .

وروعى فى المادة ١٧ المواءمة بين الحد الاقصى لسن البقاء بالمدرسة وسن القبول فنص على انهاء دراسة التلميذ اذا جاوزت سنه فى اول اكتوبر اربعة عشر عاما .

اما المادة ٢١ فقد جعلت الاصل فى المدارس الابتدائية ان تكون مشتركة بين البنين والبنات تمشيا مع سابقتها فى القانون الحالى ومع اسلم نظم التربية اما الفصل فانه يكون امرا تقتضيه الضرورة .

ونص فى المادة ٢٥ على ان ماتجمعه المجالس البلدية ومجالس المديريات من اموال خاصة بالتعليم لايوضع فى حصيلة عامة للدولة وانما يخصص لمنشآتها . وقد راى القانون تيسيرا لهذه المناطق ان يعفى هذه المبالغ من القيود المالية .

ولما كان الانتقال من النظام الراهن الى النظام الجديد يقتضى ان يرجىء العمل باحكام الباب الثانى من هذا القانون [illegible] وهو الخاص بنظام الدراسة [illegible] الى نهاية العام الدراسى ١٩٥٦ — ١٩٥٧ حتى تتهيأ الفرصة امام القائمين على تنفيذه للتمهيد لارساء قواعد النظام الجديد وحتى لاتضطرب امور التلاميذ ، من اجل ذلك نص فى المادتين ٢٨ ، ٢٩ على ان يكون العمل بهذا القانون اعتبارا من اول اكتوبر سنة ١٩٥٦ فيما عدا احكام الباب الثانى التى يعمل بها اعتبارا من السنة الدراسية ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ وعلى ان يستمر العمل باحكام الباب الثانى من القانون رقم ٢١٠ سنة ١٩٥٣ حتى هذا التاريخ .

وجملة القول ان القانون المقترح قام على اسس القانون ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ وافاد من نتائج تطبيقه غير انه يخطو خطوة كبيرة الى الامام فى ضمان تحقيق الحد الادنى من التعليم لكافة ابناء الامة . وفى جعل عمل المدرسة الابتدائية ليس قاصرا على مجرد حفظ معلومات صماء وانما متجها نحو انماء الشخصية وربط الفرد بظروف حياته وبيئته وفى جعل ادارة التعليم الابتدائى ميدانا لتدعيم اللامركزية فهى اجدى لنشاط المناطق فى عملها ونتاجها واجدى للمدارس الابتدائية واجدى لاعادة بناء هذه الامة .

وتتشرف وزارة التربية والتعليم بعرض هذا المشروع على مجلس الوزراء مفرغا فى الصيغة القانونية التى اقرها مجلس الدولة رجاء التفضل بالموافقة عليه واصداره .

وزير التربية والتعليم

— ١٧ —

قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٧ فى شأن تنظيم التعليم الاعدادى العام

باسم الامة

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة

والقوانين المعدلة له وعلى القانون رقم ٢١١ لسنة ١٩٥٣ بشأن تنظيم التعليم الثانوى والقوانين المعدلة له .

وعلى القانون رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ بشأن التعليم الابتدائى وعلى القانون رقم ٣٩٩ لسنة ٥٦ بشأن امتحانات النقل والامتحانات العامة فى المرحلتين الاعدادية والثانوية بالتعليم العام وعلى ما ارتآه مجلس الدولة قرر القانون الآتى

مادة ١ — مدة الدراسة بالتعليم الاعدادى ثلاث سنوات

مادة ٢ — يشترط فيمن يقبل بالفرقة الاولى من هذه المرحلة .

أولا : أن يكون قد اتم الدراسة بالمرحلة الابتدائية أو ما فى مستواها ويحدد هذا المستوى بقرار من وزير التربية والتعليم

ثانيا : الا تقل سنه فى أول اكتوبر عن احدى عشرة سنة ولاتزيد على أربع عشرة سنة ثالثا : أن يؤدى امتحان المسابقة الذى يعقد فى نفس العام فى اللغة العربية والحساب والمعلومات العامة . ويعين بقرار من وزير التربية والتعليم مستوى هذا الامتحان ونظام الاعتبارات الاخرى للقبول (٢) ويؤدى كل من يتقدم لهذا الامتحان رسما قدره خمسون قرشا

مادة ٣ — يجوز قبول تلاميذ مستجدين بالفرقتين الثانية والثالثة اذا وجدت اماكن خالية ويشترط لقبولهم :

اولا — أن يكون التلميذ قد اتم الدراسة بالمرحلة الابتدائية أو ما فى مستواها .

ثانيا — الا تقل سنه فى أول أكتوبر من سنة القبول عن اثنى عشرة سنة ولا تزيد على خمس عشرة سنة للفرقة الثانية ويزاد الحد الادنى والاعلى سنة للفرقة الثالثة .

ثالثا — أن يكون قد مضى عليه سنة على الاقل بعد اتمام الدراسة بالمرحلة الابتدائية اذا كان متقدما للفرقة الثانية وسنتان اذا كان متقدما للفرقة الثالثة .

رابعا — أن يجتاز امتحانا تحريريا يعادل امتحان الانتقال للفرقة التى يريد اللحاق بها طبقا لنظام يصدر به قرار من وزير التربية والتعليم ويؤدى كل من يتقدم لهذا الامتحان رسما قدره خمسون قرشا .

مادة ٤ — يقبل التلميذ فى التعليم الاعدادى اذا كان لائقا من الناحية الصحية طبقا للنظام الذى يصدر به قرار من وزير التربية والتعليم

مادة ٥ — لايزيد عدد تلاميذ الفصل بالمدارس الاعدادية عن ستة وثلاثين تلميذا الا فى الحالات الاستثنائية التى يقرها مدير التربية والتعليم بالمنطقة .

مادة ٦ — المواد التى تدرس فى التعليم الاعدادى هى :

١ — الدين
٢ — اللغة العربية (وتشمل الخط)
٣ — اللغة الاجنبية (وتشمل الخط)
٤ — المواد الاجتماعية (وتشمل التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية)
٥ — الرياضة (وتشمل الحساب والجبر والهندسة)
٦ — العلوم والصحة
٧ — الرسم
٨ — الاشغال العملية والتربية الزراعية (بمدارس البنين) اشغال الابرة والتدبير المنزلى (بمدارس البنات) .
٩ — التربية الرياضية والاجتماعية
١٠ — الاناشيد والموسيقى

وللمدارس ان تقوم ايضا بأوجه اخرى من النشاط بما يلائم تلاميذها ويتفق مع ظروفها .

مادة ٧ — يعين وزير التربية والتعليم بقرارات يصدرها خطة الدراسة وكيفية توزيع المواد على سنة الدراسة وعدد الدروس المخصصة لكل منها والمناهج الدراسية على الا يقل عدد الدروس عن ٣٢ درسا فى الاسبوع

مادة ٨ — يعقد فى نهاية كل من الفرقتين الاولى والثانية امتحان تحريرى وتكون النهاية الصغرى المقررة للنجاح فى كل مادة هى ٤٠٪ من نهايتها العظمى المقررة عدا اللغة العربية فتكون نهايتها الصغرى ٥٠٪ وينقل التلميذ اذا حصل فى مجموع درجات هذا الامتحان ودرجات اعمال السنة على مجموع النهايات الصغرى فى جميع المواد مع توفر أحد الشروط الآتية :

ا — ان يكون ناجحا فى جميع المواد

ب — أن يكون ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادة واحدة .

ج — أن يكون ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادتين بشرط حصوله فى مجموع درجتيهما على ٢٥٪ على الاقل من مجموع نهايتهما العظمتين .

مادة ٩ — تخصص لدرجة الامتحان التحريرى ٧٥٪ من النهاية الكبرى لكل مادة ولدرجة أعمال السنة ٢٥٪ منها أما فى مادة الدين فيخصص ٥٠٪ من النهاية الكبرى لكل من أعمال السنة والامتحان التحريرى وتخصص الدرجة كلها لاعمال السنة فى الاشغال العملية والتربية الزراعية (بمدارس البنين) وفى أشغال الابرة والتدبير المنزلى (بمدارس البنات) والموسيقى والاناشيد والتربية الرياضية والاجتماعية .

وينظم تقدير أعمال السنة بقرار يصدره وزير التربية والتعليم .

مادة ١٠ — يجوز لغير تلاميذ المدارس التى تعترف الوزارة بامتحاناتها أن يتقدموا لامتحان الانتقال المنصوص عليه فى المادة ٨ ويصدر بنظام امتحاناتهم قرار من وزير التربية والتعليم وفى هذه الحالة تخصص النهاية الكبرى لكل مادة لدرجة الامتحان التحريرى وحده ويؤدى التلميذ رسما للامتحان قدره خمسون قرشا

مادة ١١ — تعقد مناطق التعليم فى نهاية السنة الثالثة امتحانا عاما ويمنح الناجحون فيه شهادة تسمى (الشهادة الاعدادية العامة)

ويباح الدخول فى الامتحان لكل من أتم دراسة المناهج المقررة للمرحلة الاعدادية سواء تلقى دروسه بمدرسة حكومية أو بمدرسة حرة أو بمنزله بشرط الا تقل سنه عن أربع عشرة سنة فى أول أكتوبر التالى للامتحان وأن يكون قد مضى على اتمامه الدراسة بالمرحلة الابتدائية ثلاث سنوات على الاقل .

مادة ١٢ — يختبر التلاميذ فى امتحان الشهادة الاعدادية تحريريا ويكون الامتحان فى مقرر السنة الثالثة وحدها بالنسبة للتلاميذ المتقدمين من مدارس حكومية أو مدارس حرة تسير الدراسة فيها وفق منهج المدارس الحكومية وتشرف الوزارة على امتحانات النقل فيها أيضا وبالنسبة لمن اجتازوا امتحان النقل الى الفرقتين من الثانية والثالثة — طبقا للمادة العاشرة من هذا القانون أما غير هؤلاء فيمتحنون فى مقرر الفرق الثلاث ويعين نظام هذا الامتحان بقرار يصدر من وزير التربية والتعليم .

مادة ١٣ : فى امتحان الشهادة الاعدادية العامة تكون النهاية الصغرى المقررة للنجاح فى كل مادة هى ٤٠٪ من نهايتها العظمى المقررة عدا اللغة العربية فتكون نهايتها الصغرى ٥٠ ٪ .

ويعتبر التلميذ ناجحا فى هذا الامتحان اذا حصل على مجموع النهايات الصغرى فى جميع المواد مع توفر أحد الشروط الآتية :

ا — أن يكون ناجحا فى جميع المواد

ب — أن يكون ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادة واحدة (*)

جـ — ان يكون ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادتين بشرط حصوله فى مجموع درجتيهما على ٢٥ ٪ على الاقل من مجموع نهايتهما العظميين

مادة ١٤ — على كل تلميذ يتقدم لامتحان الشهادة الاعدادية العامة أن يؤدى رسما قدره جنيها واحدا .

مادة ١٥ — تكون مادة الامتحان والنهايات الكبرى والصغرى فى امتحانات الانتقال وامتحان الشهادة الاعدادية العامة كما هو مبين بالجدولين (١) و (٢) :

مادة ١٦ — لايسمح للتلميذ فى المرحلة الاعدادية باعادة الدروس اكثر من مرة فى الفرقة الواحدة مع انه لايسمح له بالاعادة اذا زادت سنه فى أول أكتوبر على سبع عشرة سنة

مادة ١٧ — تنشأ على سبيل التجريب لمدة خمس سنوات من تاريخ العمل بهذا القانون مدارس اعداديه عملية غايتها اعداد المنتهين من دراسة المرحلة الابتدائية اعدادا ثقافيا واجتماعيا وعلميا ملائما للبيئة ويجوز أن تخصص بعض هذه المدارس لدراسة القرآن

ويصدر وزير التربية والتعليم قرارات تعين نظام القبول وخطة الدراسة والمناهج ونظم الامتحانات والشهادات التى تمنح لمن اتموا الدراسة بهذه المدارس ونظام متابعتهم بعد التخرج (١) ، (٢) .

جدول رقم (١)

امتحان الانتقال الى كل من الفرقتين الثانية والثالثة

المـواد	النهاية الكبرى: أعمال السنة	النهاية الكبرى: درجة الامتحان	المجموع	النهاية الصغرى
الدين	١٠	١٠	٢٠	٨
اللغة العربية (تشمل الخط)	١٥	٤٥	٦٠	٣٠
اللغة الاجنبية وتشمل الخط	١٠	٣٠	٤٠	١٦
المواد الاجتماعية وتشمل				
أ — التاريخ	١٥	٤٥	٦٠	٢٤
ب — الجغرافيا				
ج — التربية الوطنية				
الرياضة وتشمل :				
أ — الحساب	١٥	٤٥	٦٠	٢٤
ب — الجبر				
ج — الهندسة				
العلوم والصحة	١٠	٣٠	٤٠	١٦
الرسم	٥	١٥	٢٠	٨
الاشغال العملية والتربية الزراعية				
بمدارس البنين اشغال الابرة	٢٠	—		
التربية الرياضية	٢٠	—		
الاناشيد والموسيقى	٢٠	—	المجموع الكلى	
			٣٦٠	١٥٠

جدو رقم (٢)

المـواد	النهايه الكبرى	النهاية الصغرى
اللغة العربية (وتشمل الخط)	٦٠	٣٠
اللغه الاجنبية (وتشمل الخط)	٤٠	١٦
المواد الاجتماعية	-	
أ — التاريخ	٢٠	٨
ب — الجغرافيا	٢٠	٨
جـ — التربية الوطنيه	٢٠	٨
الرياضة :		
أ — الحساب	٢٠	٨
ب — الجبر	٢٠	٨
جـ — الهندسة	٢٠	٨
العلوم والصحة	٤٠	١٦
الرسم	٢٠	٨

مادة ١٨ — تقدم للتلاميذ فى المدارس الاعداديه العملية وجبة غذاء وفقا للنظام الذى تضعه الوزارة ويجوز أن تصرف للتلاميذ منحا ماليه تعاونهم على الانتاج والنشاط طبقا للقواعد التى يقررها وزير التربية والتعليم .

أحكام عامة

مادة ١٩ — تتولى المناطق التعليمية ادارة المدارس الاعداديه الداخله فى اختصاصها وتدبير جميع شئون التعليم بها فى حدود الميزانية المخصصه لها طبقا للقوانين واللوائح والتعليمات التى تصدرها وزارة التربيه والتعليم (١) .

مادة ٢٠ — يكون لمدير التربية والتعليم بالمنطقة بالنسبة الى شئون هذه المدارس فى دائرة المنطقة . الاختصاصات . السلطات المقررة فى القوانين واللوائح لرؤساء المصالح .

واستثناء من أحكام القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ تكون له أيضا سلطة تعيين موظفى هذه المدارس الداخلية فى الهيئة والخارجية عنها والموظفين ونقلهم وترقيتهم وندبهم ومنحهم الاجازات والعلاوات

مادة ٢١ — تنشأ بكل منطقة لجنة لشئون الموظفين بالتعليم الاعدادى ويصدر بتشكيلها وتحديد أختصاصاتها قرار من وزير التربية والتعليم .

مادة ٢٢ — التعليم الاعدادى بالمجان وتعين بقرار من وزير التربية والتعليم الرسوم الاضافية التى يجوز مطالبة التلاميذ بها وشروط الاعفاء من هذه الرسوم .

مادة ٢٣ — تبدأ الدراسة فى جميع مدارس التعليم الاعدادى يوم السبت الثالث من شهر سبتمبر وتنتهى فى يوم الخميس الاخير من شهر مايو . ولوزير التربية والتعليم عند الاقتضاء تعديل هذه المواعيد بقرار يصدره .

مادة ٢٤ — العقوبات البدنية ممنوعة ويحدد وزير التربية والتعليم بقرار يصدره نوع العقوبات التى يجوز توقيعها على التلاميذ ومن له حق توقيعها

مادة ٢٥ — يفصل من المدرسة كل تلميذ يتغيب بغير عذر مقبول خلال السنة الدراسية مدة خمسة عشرة يوما سواء اكانت هذه المدة متصلة او منفصلة ويعتبر التغيب عن أحدى فترتى اليوم الدراسى (قبل الظهر أو بعده) تغيبا عن اليوم كله .

ويجوز أعادة قيد التلميذ بعد فصله اذا كانت هناك مبررات تقبلها المدرسة وذلك بعد دفع رسم أعادة القيد الذى تقرره الوزارة .

مادة ٢٦ — يجوز لوزير التربية والتعليم بقرار يصدره أن ينشىء مدارس اعدادية تجريبية او نموذجية ويكلف أولياء الامور بدفع النفقات التى تزيد على نفقات التعليم بالمدارس العادية .

مادة ٢٧ — فى جميع الاحكام الخاصة بتحديد السن يتجاوز عن الحدين الاعلى والادنى زيادة ونقصا فى حدود ثلاثة شهور

مادة ٢٨ — تلغى المواد من ٢ — ١٨ فى القانون رقم ٢١١ لسنة ١٩٥٣ بشأن تنظيم التعليم الثانوى والمواد المعدلة لها — كما يلغى كل نص يخالف احكام هذا القانون .

مادة ٢٩ — على وزير التربية والتعليم تنفيذ احكام هذا القانون وله ان يصدر القرارات اللازمة لذلك كما ان له اصدار ما يراه لازما من الاحكام الموقتة التى تنظم مرحلة الانتقال والتى يقتضيها تغير نظام الدراسة والامتحانات

١ — وتحويل المدارس الابتدائية الراقية الى المدارس الاعدادية العملية المنصوص عليها فى المادة ١٧

مادة ٣٠ — ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية ويكون له قوة القانون ويعمل به اعتبارا من بدء العام الدراسى ١٩٥٧ — ١٩٥٨ يبصم هذا القرار بخاتم الدولة وينفذ كقانون من قوانينها

صدر برياسة الجمهورية فى ١٩ رجب سنة ١٣٦٧ (١٩ فبراير ١٩٥٧) .

جمال عبد الناصر

نشر بالوقائع المصرية ، بالعدد رقم ١٦ مكرر بتاريخ ١٩٥٧/٢/٢٣

مذكرة ايضاحية لمشروع القرار بقانون فى شأن تنظيم التعليم الاعدادى العام

استهدف تعديل قانون التعليم الابتدائى تدعيم التعليم فى هذه المرحلة بحيث تصبح مرحلة متكاملة مكتفية بذاتها يحصل فيها التلميذ على الحد الادنى من المهارات والاتجاهات والمعلومات وهى تصلح بدورها بالنسبة للبعض اساسا لمواصلة الدراسة بعد ذلك

وقد عدلت نظم التعليم الفنى فى ضوء هذا الاتجاه الجديد فصدرت قوانين لانواع التعليم التالية لهذه المرحلة وهى التعليم التجارى والزراعى والصناعى واصبحت الحاجة تدعو الى تعديل نظام التعليم الاعدادى العام بما يتفق مع السياسة الجديدة

والمشروع المقترح يقوم على فصل التعليم الاعدادى العام عن التعليم الثانوى العام لان واقع الامر ان لكل منهما خصائصه واهدافه ومشكلاته وتنظيماته الادارية .

ومشروع التعليم الاعدادى يعالج الازدواج بين التعليمين الابتدائى والاعدادى فى الفرقتين الخامسة والسادسة الابتدائية والاولى والثانية الاعدادية الذى هو فى الواقع مضيعة للمال وفى الوقت نفسه مضيعة للزمن . اذ ان الكثيرين من تلاميذ الفرقتين الخامسة والسادسة الابتدائية كانوا يتقدمون من جديد للالتحاق بالسنة الاولى الاعدادية مثلهم فى ذلك مثل تلاميذ السنة الرابعة الابتدائية . فيضيع بذلك ما تنفقه الدولة من مال على هؤلاء التلاميذ فى هاتين السنتين ، كما يضيع من عمر كل منهم سنتان دون أية فائدة تذكر.

وقد كانت مرحلة الالزام ست سنوات منها أربع فى المرحلة الابتدائية واثنتان فى المرحلة الاعدادية او ما فى مستواها ولكن القانون الجديد رقم ٢١٣ لسنة ١٩٥٦ فى شأن التعليم الابتدائى جعل الدراسات الابتدائية وحدة مدتها ست سنوات ومشروع القانون المرافق قد جعل مدة المرحلة الاعدادية ثلاث سنوات تنتهى بامتحان عام والغرض الاساسى من المرحلة الاعدادية هو تهيئة فرص النمو للتلاميذ فى مختلف نواحى النشاط الدراسى والعمل الاجتماعى وتوفير وسائل الكشف عن ميولهم واستعداداتهم التى تعين على توجيههم الى نوع التعليم الذى يصلحون له .

وقد وسعت دائرة امتحان المسابقة للقبول بالمرحلة الاعدادية فشملت المعلومات العامة بالاضافة الى اللغة العربية والحساب حتى يمكن الاطمئنان الى اختيار التلاميذ الذين يستطيعون مواصلة الدراسة بنجاح فى هذه المرحلة وما يليها على ان يقوم امتحان المعلومات العامة باختبار مقدرة التلميذ على متابعة الدراسة بعد ذلك بدلا من ان يقوم على ما حصله من معلومات سابقة وقد اشترط سن الحادية عشرة حدا ادنى لدخول امتحان المسابقة للقبول فالتلميذ فى هذه السن يكون اقدر على تأدية الامتحان منه فى سن العاشرة كما ان طبيعة الاختبار ستجعل منه اساسا للتعرف على المهارات المختلفة وهذه يمكن الكشف عنها فى هذه السن اكثر منها قبلها .

والمشروع المقدم لم يحدد خطة الدراسة تحديدا نهائيا وانما أخذ فى الاعتبار أن الخطة تخضع للتجريب والتقويم فى ضوء ماتسفر عنه التجربة وفى ضوء الاتجاهات القومية والاهداف التربوية .

وقد بسطت اجراءات امتحان النقل ونظمه فجمعت المواد الاجتماعية والرياضية والعلوم فى مجموعات وعدل فى وضع حد ادنى لكل مادة من مواد المجموعات

أما فى امتحان شهادة الدراسة الاعدادية فقد روعى توحيد نواحى الدراسة التى يقوم عليها الاختبار وعدل من الامتحان فى المواد العملية ونواحى النشاط الرياضى والاجتماعى التى يصعب اجراء اختبار فيها على أن تراعى تقديرات اعمال السنة عند اختبار التلاميذ فى المدارس الثانوية التى يتقدمون اليها . وقد اشترط لنجاح التلميذ فى امتحانات النقل وامتحان الشهادة الاعدادية أن يكون حاصلا فى اللغة العربية على ٥٠٪ من نهايتها العظمى وعلى ٤٠ ٪ من النهايات العظمى لباقى المواد كما أباح القانون نقل التلميذ أو منحه الشهادة الاعدادية العامة اذا كان ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادة واحدة او اذا كان ناجحا فى اللغة العربية وفى باقى المواد عدا مادتين بشرط أن يكون حاصلا فى مجموع درجتيهما على ٢٥٪ على الاقل من مجموع نهايتهما العظمتين .

وقد لوحظ أن الاهتمام بالمواد العملية فى القانون السابق قليل بالقياس الى المواد النظرية التى تقدر لها درجات ويؤدى فيها امتحان ولهذا فان المشروع المقدم يرمى الى زيادة الاهتمام بهذه النواحى التى تساعد على تكوين الشخصية وتكشف عن الميول والاستعدادات فخصصت لميادين النشاط العملى والاجتماعى درجات يقوم المدرس بتقديرها خلال السنة الدراسية ويكون لها وزن فى تقويم اعمال التلميذ .

وتمشيا مع السياسة العاشرة فى التوسع فى نظام اللامركزية يخطو المشروع المقترح خطوة ايجابية فى تحقيق ذلك بالنسبة للتعليم الاعدادى وذلك للعلاقة الوثيقة بين المرحلتين الابتدائية والاعدادية فى الادارة وطبيعة الدراسة والتفتيش من ناحية ، وتمكينا لكل اقليم من رسم السياسة التعليمية التى تقابل حاجاته وتتفق مع ظروفه من ناحية اخرى .

ولهذا ينص المشروع على أن تضطلع المناطق التعليمية بالمسئولية التامة فى ادارة المدارس الاعدادية التى تقع فى

دائرتها فى حدود الميزانية المخصصة لها وطبقا للقوانين واللوائح والتعليمات التى تصدرها الوزارة ولما كان هناك بين التلاميذ الذين يتمون المرحلة الابتدائية من لاتمكنهم ظروفهم واستعداداتهم من اللحاق بالمدارس الاعدادية العامة ويريدون الاستزادة والمتابعة فقد رؤى ان تنشأ مدارس اعدادية عملية تكون بمثابة مرحلة نهائية وتعد تلاميذها للحياة اعدادا عمليا يتناسب مع قبولهم واستعداداتهم وظروف مجتمعهم وهذا الاعداد يتصف بالعموم حتى يفيد التلاميذ من برامجه خبرات منوعة تعينهم فى مختلف الميادين

وقد روعى أن يكون انشاء هذه المدارس على سبيل التجريب لمدة خمس سنوات وذلك حتى يمكن الاطمئنان الى نتيجة التجربة والى ما يمكن ان تفيده البلاد منهـــا

وقد ترك للوزارة امر الاشراف على هذه المدارس خـــلال السنوات الخمس التالية لصدور هذا القانون توحيد السياسة التى تسير عليها هذه المدارس فى الاشراف والتوجيه حتى اذا ما انتهت فترة التجريب بنجاح تركت مسئولية ادارتها والاشراف عليها للمناطق . وتتشرف وزارة التربية والتعليم برفع مشروع هذا القرار بقانون الى السيد رئيس الجمهورية بعد افراغه فى الصيغة التى ارتآها مجلس الدولة رجاء الموافقة عليه واصداره

وزير التربية والتعليم

— ١٨ —
دستور الجمهورية العربية المتحدة المؤقت لسنة ١٩٦٤

مقدمة

استنادا الى الارادة الشعبية التى صنعت يوم ٢٣ يوليو المجيد، وحققت به بدء الثورة الشاملة السياسية والاجتماعية والقومية ورفعت فوق العمل الوطنى والبطولى لشعب مصر ، منذ ذلك التاريخ ، اعلام الحرية والاشتراكية والوحدة .

وتأكيدا للميثاق الذى اقره مؤتمر القوى الشعبية والذى تم استخلاصه من قلب معارك النضال ومن صميم ممارسة التغيير الواسع والعميق لاوضاع المجتمع المصرى ليكون دليلا فكريا يقود خطى المستقبل، فاستطاع بذلك ان يغنى الفكر الثورى بتجربة العمل ليعيد وضع هذا الفكر فى خدمة الاندفاع المستمر والمتواصل نحو تحقيق الاهداف العظمى للنضال الشعبى .

وتتويجا لمرحلة التحول العظيم التى تم فيها التطور السلمى والثورى فى نفس الوقت ، لتحقيق سيطرة الشعب على ملكية وسائل الانتاج وادارتها تمكينا للديموقراطية الاجتماعية . باب الديموقراطية السياسية، ومدخلها الحقيقى والسليم .

وتمكينا من التقدم الى مرحلة الانطلاق العظيم التى بدأ الشعب العربى فى مصر زحفه عليها ، بعد ان تمكن من تحقيق سيطرته على ثروته الوطنية، واجتاز مرحلة التحول متقدما الى تدعيم انتصاراته السياسية والاجتماعية متجها الى مزيد من الكفاية والعدل، تحقيقا لمجتمع الرفاهية الذى تتكافأ فيه الفرص بين الافراد ، وتذوب فيه الفوارق بين الطبقات .

وتعزيزا لفاعلية وقدرة تحالف قوى الشعب العاملة الذى وضعته مرحلة التحول العظيم على رأس العمل الوطنى وفى قيادته بواسطة الاتحاد الاشتراكى وعن طريق تنظيماته الديموقراطية .

لذلك كله وبعون الله تصبح المواد التى يتضمنها هذا الدستور قواعد للكيان الدستورى للجمهورية العربية المتحدة، حتى يتم مجلس الامة المنتخب انتخابا شعبيا مباشرا والذى يبدأ عمله فى صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٦٤ مهمته بوضع مشروع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة وطرح مشروع هذا الدستور على الشعب للاستفتاء لكى يمنحه من ارادته الحرة القوة التى تجعله مصدرا لكل السلطات .

يتكون هذا الدستور من ١٦٩ مادة وقد اقتصرت الطليعة هنا على نشر المواد الخاصة بمجانية التعليم فحسب .

مادة ٣٧ : التعليم حق للمصريين جميعا تكفله الدولة بانشاء مختلف انواع المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها وتهتم الدولة خاصة بنمو الشباب البدنى والعقلى والخلقى .

مادة ٣٨ : تشرف الدولة على التعليم العام وينظم القانون شئونه وهو فى مراحله المختلفة فى مدارس الدولة وجامعاتها بالمجان .


طليعة مشروعات الثورة لتدعيم الاشتراكية وتعميم الرخاء
شركة الترانزستور والكهرباء المصرية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية
تقدم هديتها الاشتراكية بمناسبة أعياد النصر
الترانزستور
الشعبى ٦٤٢
بعين سحرية
لضبط
الموجات
٦ ترانزستور
٤ بطاريات طورش
مزود بمنظم حرارى
للبيت والمصيف
والرحلات والمكتب
والمصنع والحقل
ترانزستور مصر



سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

مطابع مؤسسة الاهرام



طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

٢

فبراير ١٩٦٦
السنة الثانية

حديث جمال عبد الناصر التنظيمى فى المؤتمر الاول للمكاتب التنفيذية عن: أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى

الشباب
الحياة .. والمشاكل .. والمسئولية

ملف الطليعة عن روديسيا

وثائق تاريخية: النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع أحمد عرابى



طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد الثانى ــ السنة الثانية ــ فبراير ١٩٦٦

● الانحراف نحو ((المغامرة)) .. والانحراف نحو ((الجمود)) (الافتتاحية) — لطفى الخولى — ص ٥

● حديث جمال عبد الناصر التنظيمى فى المؤتمر الاول لاعضاء المكاتب التنفيذية عن ((أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى)) — ص ١١

■ الشباب .. (الحياة .. والمشاكل .. والمسئولية) — ص ١٩

● تنظيم الشباب سياسيا ضمان استمرار الثورة — د. محمد الخفيف — ص ٢٠
● التحليل الاجتماعى لمشكلات الشباب فى مجتمعنا المعاصر — د. محمد عماد الدين اسماعيل — ص ٣٠
● السلبية وكرة التقدم والصراع الفكرى بين الشباب — د. فؤاد زكريا — ص ٤٠
● نحو سياسة تعليمية جديدة للشباب — محمد جمال راشد نوير — ص ٤٥

● موقع ٢١ فبراير ١٩٤٦ من التاريخ — عبد المنعم الغزالى — ص ٥١
● الوحدة والاشتراكية فى الوطن العربى — د. عصمت سيف الدولة — ص ٦١
● (حول مؤتمر هافانا) تطور حركة التضامن بين الشعوب — سعد زهران — ص ٦٨
● (تجربة من بولندا) الملكية الخاصة للارض والزراعة الاشتراكية — فؤاد الدهان — ص ٧٧
● حركة التاريخ المصرى من اعلان وثيقة حقوق الانسان حتى ثورة عرابى — حسنى عبد السيد رمضان — ص ٨٣
● الديمقراطية .. والحركة التعاونية — عادل غنيم — ص ٩٦

■ معنى الارقام

التنظيم النقابى والقاعدة العمالية — ص ١٠٠

■ تقارير الشهر .. والتعليقات — ص ١٠٢

■ مكتبة الطليعة — ص ١٢٦

■ مناقشات مفتوحة — ص ١٣٣

■ ملف الطليعة عن روديسيا — ص ١٣٩

■ وثائق تاريخية : النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع أحمد عرابى (القسم الاول ــ الجلسة الاولى) — ص ١٥٥

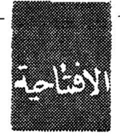
عنوان المراسلات :

((الطليعة))
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٢٦٤ ــ ٤٤١٤٠

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .



الانحراف نحو «المغامرة» والانحراف نحو «الجمود»

أن مواجهة « **الواقع** » على حقيقته ، هى المهمة الدائمة للثوريين ، الذين يستهدفون تغيير هذا الواقع تغييرا ثوريا لصالح الحرية والاشتراكية والوحدة والسلام .. والانسان .

وبدون هذه المواجهة المستمرة « للواقع » يتحول الثوريون ، الى مجرد متمردين ، يحلمون بصوت عال ، ولكنهم منعزلون داخل عالم وهمى من صنع تصوراتهم الخياليه . وبالتالى يفقدون الرؤية الموضوعية للابيض والاسود .. للايجابى والسلبى ، فى حركة الحياة وصراعاتها المتشعبة . وغالبا ما ينتهى بهم الحال الى احد موقفين :

اما المغالاة فى تقدير مدى قوتهم وقدرتهم على الحركة بالنسبة لباقى القوى المعادية للثورة ، فيتورطون فى مغامرات يسارية ، غير ناضجة موضوعيا بالضرورة ، مآلها الفشل .

واما المغالاة فى تقدير مدى قوة العدو وقدراته على الحركة ، بالنسبة لقوى الثورة ، مما يؤدى بهم الى التقوقع فى جمود ، لا يحركون ساكنا أمام حركة العدو التى تنتهز الفرصة فتنشط لالتهام جانب من ارض ومواقع الثوريين .

وهكذا يؤدى الهروب من عملية رصد وتقييم وتحليل « الواقع الحى » الى الانحراف نحو « **المغامرة** » او الانحراف نحو « **الجمود** » . وهذان الانحرافان هما اخطر مرضين يمكن ان تصاب بهما قوى الثورة فى كل مجتمع وفى كل عصر . وليس من سبيل الى درء خطر الاصابة بهذين المرضين ، واكتساب مناعة ضدهما من المواجهة الشجاعة المستمرة ، النقدية والعلمية ، « للواقع فى حركته » لا كما « نتصوره فى أذهاننا » . فالواقع الحقيقى هو ذلك الذى يقوم ويتحرك خارج ذواتنا ، لا داخلها . ثم يأتى تفاعلنا مع هذا الواقع بمنهاج علمى ومفهوم اشتراكى ، ليفجر طاقاتنا الثورية ، فكرا وعملا على السواء ، نحو اهداف محددة ومحسوبة .

ومواجهة « الواقع » المحلى ، والقومى ، والعالمى .. الذى ينحسر عنه رداء عام ١٩٦٥ ، تضعنا أمام الابيض والاسود .. الايجابى والسلبى معا . مما تتيح لنا أن نزن بميزان دقيق علاقات القوى بين الجديد والقديم .. بين قوى الحريه والوحدة والاشتراكية والسلام ،وبين قوىالاستعمار والانفصال والاستغلال والحرب والعدوان، وبالتالي يكشف لنا عن مدى ما نملكه من قوة فعلية من ناحية ومدى ما يملكه العدو من قوة فعلية مضادة من ناحية اخرى .

ففى « **الواقع المحلى** » نواجه « **الابيض والايجابى** » فى كل من اتمام تنفيذ الخطة الخمسية الاولى للتنمية بنسبة بلغت ٩٧٪ من اهدافها المرصودة رغم ما اصطدمنا به من عقبات وصعاب . وفى البدء بتغذية الاتحاد الاشتراكى بعناصر متفرغة للعمل السياسى ، وبذر بذور الولاء والالتزام فى الكيان التنظيمى . وفى العمل على تربية كادر اشتراكى ، فكريا وسياسيا وتنظيميا . وفى اعادة تنظيم عمليات الانتاج والادارة للقطاع العام ــ أداة التحول الاشتراكى الرئيسية ــ على ضوء ما أسفرت عنه تجارب العمل والمنتجين . وفى التوسع ــ المقبول اختياريا من الفلاحين ــ فى مجالات التعاون للتجميع والتسويق الزراعيين . وفى تخطى ما تعرضنا له من ضغوط اقتصادية وسياسية استعمارية . وفى كسب المعركة الاولى ــ وعيا واجراء ــ ضد تضخم الاستهلاك والاسراف .

اما « **الاسود والسلبى** » فيتمثل فى عدم الوصول بعد بالتنظيم السياسي الى مستوى القدرة المطلوبة على ممارسة التوجيه وقيادة العمل الثورى فى المجتمع قيادة فعالة ومنظمة . وفى عدم تصفية الجيوب الاجتماعية والفكرية المعادية للاشتراكية والتى تتيح الظروف للقوى المعادية للثورة أن تعيد تنظيم قواها بل وتضليل وكسب عناصر من الشباب الجديد وعزلها عن قوى الثورة ، والتحرك بمؤامرات ارهابية مسلحة ، متسترة بالدين حينا وبالوحدة حينا آخر ، وبالشعارات الثورية الزائفة حينا ثالثا . واخيرا فى تفكك وبعثرة القوى الثورية ــ تنظيميا وفكريا ــ وسيادة أسلوب الشلل والعلافات والتكتلات الشخصية .

وفى « **الواقع القومى العربى** » نواجه « **الابيض والايجابى** » فى استمرار واتساع وتعمق المد الثورى التحررى فى الوطن العربى وفتح جبهات جديدة ضد الاستعمار فى الجنوب العربى . وفى بناء وحدة عمل عربية دولية محددة الهدف ازاء العدوان الاسرائيلى على مياه نهر الاردن . وفى صمود الثورة اليمنية الجمهورية امام موجات العدوان الاستعمارى والرجعى وفتح الباب لاحتمالات السلام . وفى البداية المتواضعة للسير نحو السوق العربية المشتركة فى نطاق الجامعة العربية . وفى استمرار كشف وتصفية بعض العناصر الانفصالية الرجعية فى أكثر من قطر عربى . وفى مبدأ الاعتراف بكيان فلسطينى موحد والشروع فى تجسيده ثوريا .

اما « **الاسود والسلبى** » فنلحظه فى محاولة القوى المعادية للثورة العربية ، لاعادة تنظيم نفسها وتوحيد حركتها بهدف الاستفادة مما تفرضه ضرورات « وحدة العمل العربى ازاء العدوان الصهيونى » من « تهدئة نسبية للصراعات » ، وذلك من اجل ضرب حصار حول القوى الثورية العربية وتصفيتها ، والتوصل الى صياغات جديدة لتحالفها مع القوى الاستعمارية بدلا من الصياغات القديمة التى اهترأت وبليت . ويمكن هنا ان نرصد عدة وقائع ومظاهر : الاعمال والتصرفات المعادية للثورة العربية فى كل من المغرب والسودان والعراق ، استخدام الارهاب الفردى الدموى ضد المناضلين مثل حادث اختطاف المهدى بن بركه ، التجمع الرجعى الاستعمارى الجديد تحت اسم « الحلف الاسلامى » .

وآخيرا ترى « الاسود والسلبى » بوضوح قومى حاد فى ظاهرة البعثرة والتفكك

السياسي والتنظيمي والفكري للقوى الثورية ، سواء بالنسبة لكل بلد عربي على حدة ـ ابتدا من اليمن حتى المغرب ـ أو بالنسبة لمجموع الوطن العربي ككل واحد لا يتجزا .

وفي ((**الواقع العالمي**)) نلمح ((**الابيض والايجابي**)) في ازدياد قوة ونفوذ الدول التي اصطلح على تسميتها بالعالم الثالث ، سياسيا في الميدان الدولي . وفي حماية الامم المتحدة من السقوط والانهيار تحت وطاة ازماتها المتلاحقة ، وتهيئة الظروف لتطويرها نحو وضع يتفق وتطورات العصر . وفي ازدياد فاعلية الراى العام العالمي ضد الحرب النووية . وفي استمرار صمود معظم الشعوب المناضلة من اجل حريتها ضد قوى الاستعمار والعدوان . وفي تخطى العقبات والحواجز العديدة التي وقفت ضد عقد مؤتمرات الوحدة الافريقية وعدم الانحياز وتضامن القارات الثلاث . وفي استمرار التقدم العلمي الباهر واكتشافاته الجديدة التي تمكن الانسان من احكام سيطرته على الطبيعة بصورة لم يسبق لها مثيل .

اما ((**الاسود والسلبي**)) فنصطدم به في نجاح القوى الاستعمارية القديمة والجديدة والفاشية العنصرية لاستعادة قدراتها على المبادره بالهجوم والعدوان ، بعد ان ظلت سنوات ـ منذ حرب السويس ـ في موقف الدفاع امام هجوم قوى الثورة على نطاق العالم كله . ويتجسد ذلك واضحا في فيتنام والدومينيكان وروديسيا والكونجو ، وفي تفريخ المؤامرات والانقلابات العسكرية في اندونيسيا وعدد من البلدان الافريقية الحديثة وذلك بتكتيك ((**الاسيويين ضد الاسيويين ، والافريقيين ضد الافريقيين**)) . وكذلك في نجاح الاحتكارات العالمية وتكتلاتها الضخمة في زيادة استنزاف موارد البلاد النامية بمعدل لم يسبق له مثيل وذلك عن طريق الخفض المستمر في أسعار المواد الخام ، وزيادة أسعار المواد المصنوعة ، والسيطرة على حركة التجارة الدولية .

كما نصطدم ((**بالاسود والسلبي**)) عالميا في النزاع الصيني السوفييتي وآثاره الضارة والمعرقلة لوحدة العمل الثوري دوليا . وكذلك في بعثرة وتفكك الجبهة الثورية العالمية المعادية للاستعمار والعنصرية والاستغلال والتخلف وعدم قدرتها على استعادة زمام المبادرة في الهجوم واتخاذها موقف الدفاع واحيانا موقف المساومة والتراجع بسبب انعزال بعضها عن بعض في وحدات صغيرة .

والقوى الثورية مطالبة دوما في حركتها .. في كل خطوة تخطوها .. وفي كل معركة تدخلها ، أن تحسب بدقة الوزن الحقيقي لكل من طاقتها وطاقة العدو . وذلك من خلال مواجهة صريحة وشاملة للواقع : ابيضه واسوده معا .

فاذا حدث ولم تر من الواقع غير ((**الابيض**)) فحسب ، وقعت أسيرة الافتتان المريض ((بأحلام العظمة)) ، حيث تعمد ذاتيا الى تضخيم قدراتها صناعيا ، تضخيما تتضاءل امامه بالضرورة ـ وصناعيا ايضا ـ قدرات العدو الحقيقية المتمثلة في الوجه الاسود من الواقع . الامر الذى يغريها بالانزلاق في هوة المغامرات حيث يفاجئها العدو بقوى لم تحسب لها حسابا من قبل .

فمثلا في ((**الواقع المحلى**)) نلاحظ أن ثمة اتجاهات ، تغمض عيونها تماما عن ((الاسود والسلبي)) في مجتمعنا ، بحيث لا ترى الا القوى الثورية وقد انفردت بالواقع وذلك بحكم السيطرة على قمة جهاز الدولة ، واسقاط تحالف كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة ، وقيام تحالف قوى الشعب العاملة وميثاقها ، وانتهاج الاشتراكية طريقا للتطور . واذا بها تعمد الى محاولة القفز على مراحل التطور بكل ما تستلزمه من اعداد ووقت للنضوج ، فاذا بها تصطدم بقوى وقيم مضادة مازال لها جذور عميقة في المجتمع لم تعالج بعد ، فضلا عن عدم توافر الظروف الملائمة لنجاح عملية القفز هذه . فمثلا هناك من يرفع الان شعار ضرورة تأميم المساكن على أساس ان هذا هو المنطق الاشتراكي

العام فضلا عن انه اجراء ضروري لمواجهة الاستغلال الذى يمارسه بعض الملاك .. وهذا الشعار هو نوع من المغامرات اليسارية . لماذا ؟ لا ان تاميم المساكن يستلزم بالضرورة اعداد اجهزة مالية وادارية وفنية عامة قادرة على القيام بمسئوليتها وهذا غير متوفر، والعمل على توفيره يستلزم فضلا عن الوقت ، تحميل الدولة او القطاع العام باعباء ثقيلة جديدة تعيق نشاطهما الرئيسي والحيوى الان فى ممارسة عملية التنمية الاقتصادية الشاملة وادارة وسائل الانتاج المالية والصناعية والتجارية والزراعية المؤممة . وعلاوة على ذلك فان غالبية ملاك المساكن فى بلادنا اليوم ـ بعد تصفية ممتلكات الراسمالية الكبيرة ـ ينتمون الى الطبقة البرجوازية المتوسطة وهى جزء من تحالف قوى الشعب العاملة وميثاقها . وتأميم ممتلكاتها يعنى اخراجها من التحالف ومعاداتها دون ما مبرر سياسى أو اقتصادى وفتح معركة جانبية داخل تحالف قوى الشعب، تستفيد منها القوى المعادية لتستقطب لجانبها الراسمالية الوطنية وتنتزعها من التحالف . ومن هنا يصبح من الضرورة على القوى الثورية قبل رفع شعار تأميم المساكن اليوم ان تواجه حقائق هذا الواقع ، وان تعمل بدلا من ذلك على تنظيم استغلال المساكن ووضعه تحت الرقابة الفعالة من ناحية وعلى خلق المناخ الصحى ـ الفكرى والسياسى والاجتماعى ـ لتطوير وتدعيم قوى التحالف لمصلحة الاهداف الاشتراكية من ناحية اخرى .

وفى المجال « **القومى** » ، يمكن ان نلحظ اتجاه المغامرة المعاصر لدى بعض القوى الثورية التى ترى فى قوة وتطور وثورية الجمهورية العربية المتحدة اساسا من جانب، وقوة وتطور وثورية الحركة العربية عامة من جانب ثان ، وقيام الكيان الفلسطينى الموحد من جانب ثالث الى رفع شعار خوض المعركة المسلحة لتحرير فلسطين من العدوان الصهيونى . وذلك دون ما اعتبار الى ان الاحتلال الصهيونى المتمثل فى اسرائيل لا يجسد فحسب القوى الصهيونية بل كل قوى الاستعمار العالمى ، والى ان المعركة التحريرية لا تستلزم فحسب مجرد وجود القوة الثورية العربية، وانما وجودها فى حالة منظمة ومجهزة ماديا ومعنويا وموحدة فى حركتها فضلا عن ضرورة خلق المناخ الدولى الملائم سياسيا لاحتضان حركة التحرير عالميا . وبالتالى يصبح جوهر العمل الثورى اليوم هو بالدقة الاعداد الموضوعى والذاتى للمعركة ضد العدوان الصهيونى .

وفى المجال « **العالمى** » نلمس « المغامرة » فى اتجاه بعض القوى الثورية المفتتنة بذاتها الى تصدير الثورة الى مجتمعات لم تنضج داخليا وموضوعيا للثورة كما يحدث فى بعض البلاد الافريقية وامريكا اللاتينية. ان تصدير الثورة فوق انه مغامرة غير ثورية أصلا ، لان العمل الثورى فى النهاية هو نتاج أصيل لواقعه الاجتماعى وما العوامل الخارجية الا مجرد عوامل مساعدة ، فان من شأنه ان يتيح الفرصة للقوى الاستعمارية والرجعية بحكم سيطرتها وقدراتها المتفوقة من ان تسحق وتصفى نواة القوى الثورية قبل أن تنمو وتتدعم وتستكمل استعداداتها وتكتسب ثقة شعبها .

هذا عن الانحراف نحو المغامرة ، اما الانحراف نحو **الجمود** فيحدث عندما تقع القوى الثورية سجينة « **عقدة النقص** » بكل آثارها من تقوقع وتردد .. وذلك اذا ما راحت تغالى فى قدرات الوجه الاسود للواقع ، وتحط او تستخف بقدرات الوجه الابيض . الامر الذى يشلها عن الحركة فى الوقت المناسب او المبادرة الى قطف ثمار انضجتها بالفعل ظروف الواقع . الامر الذى يفقدها مواقع أو مكاسب تتحول بالميزان الاجتماعى الى رصيد قوة للعدو .

ففى الواقع « **المحلى** » نلحظ الجمود فى حركة القوى الثورية مثلا ازاء متاجرة الرجعية المعادية للاشتراكية بالدين وتسترها وراءه للارهاب وتصوير ان ما يمسها بسوء هو عدوان على قداسة الدين . ولقد جمد الاتحاد الاشتراكى فعلا امام هذا الارهاب الرجعى عن الحركة ضده وكشف زيفه وخديعته الامر الذى استطاعت معه

الرجعية وتنظيمها من الاخوان المسلمين الى تضليل نفر من الشباب الجديد ، الـذى هو بحكم الطبيعة والتاريخ والمصلحة جزء لا يتجزأ من قوى الثورة ، وعزله عن مسار ووحدة العمل الاشتراكى وكسبه كرصيد لصالح الرجعية .

وفى المجـال « **القـومى** » نرى جمود حركة القوى الثـورية العربية ازاء المتـاجرة الاستعمارية الرجعية ايضا بالدين . واستغلاله كغطاء لبنـاء تحـالف منظـم سياسيا وعسكريا ضد الثورة العربية باهدافها التحررية والاشتراكية والوحدوية . فما برحت القوى الثورية العربية تقف موقف المتفرج من هذا الحلف الذى يرفع زيفا راية الاسلام .

وفى المجال « **العالمى** » نلمس جمود حركة القوى الثورية وعدم تحركها بالقدر الكافى لمواجهة موجات العدوان الاستعمارى والعنصرى بقوة ديناميكية سريعة . وقد نتج عن ذلك مثلا ان استطاعت القوى الاستعمارية والعنصرية ان تصفى تقريبا خلال العام الماضى الثورة الوطنية فى الكونجو ، وأن تقيم فى روديسيا اسرائيل جديدة تحت حـكم العنصرية البيضاء .

وهكذا يشكل الانحراف نحو المغامرة ، والانحراف نحو الجمود ــ فى آن واحـد ــ خطرا على حركة وفاعلية القوى الثورية فى واقعنا المعاصر .. محليا وقوميا وعربيا . واصبح بالتالى من المهام الملحة والضرورية على جميع المناضلين ان يتصدوا لهذا الخطر وعلاجه علاجا موضوعيا .

ويبدو ــ فى رأينا ــ من خلال استعراض « الوجهين الابيض والاسـود » لواقعنـا بدوائره الثلاث ، أن أسباب هذه الانحرافات تتبلور فى ثلاث رئيسية :

اولها : ان القوى الثورية على اختلاف دوائرها الثلاث بعـد ان حققت انتصـاراتها التاريخية العظيمة ــ سواء فى المجال التحررى الوطنى أو فى المجال الاشتراكى ــ أثر الحرب العالمية الثانية وحرب السويس حتى نهاية النصف الاول من هذا القرن ، قد داخلها من جانب روح الافتنان بقوتها وقدراتها الذاتية ، فاستخفت من ناحية بماتبقى للقوى الاستعمارية والرجعية من طاقة وقدرة بعد الطعنات المتواليـة ، وتراخت من ناحية اخرى عن مداومة تنظيم وتدعيم مواقعها وتجـديد قواها المـادية والفـكرية باستمرار . واذا بها تقحم نفسها فى مغامرات غير مدروسة ، ترتد بعدها منكسرة جزئيا ، نتيجة الاصطدام بقوى لم تحسب لها حسابا دقيقا .

وثانيها : انه مع انكماش وضيق مناطق الاستغلال الاستعمارى والرجعى فى العالم بعد الانتصارات المتلاحقة للثورات التحررية الجديدة والاشتراكية ، عمـدت القـوى الاستعمارية والرجعية ، بسرعة اكبر وفهم أعمق للظروف من القوى الثورية ، الى اعادة تنظيم صفوفها وصياغة حركتها صياغات جديدة هى مزيج من الاستعمارية القديمة والاستعمارية الجديدة ، وتنتزع زمام المبادرة من ايدى القوى الثورية فى غالبية الاحيان منذ الستينيات تقريبا وتحولت بذلك الى موقف الهجوم وفرضت على القوات الثورية الموقف الصعب .. موقف الدفاع .

وثالثها : ان القوى الثورية فى دوائرها الثلاث كانت موحـدة القـوى والاهـداف الرئيسية على المستويات الوطنية التحررية والاشتراكية حتى نهاية النصف الاول من القرن العشرين وبذلك استطاعت ان تحقق انتصارات هذه المرحلة التاريخية . ولكنها بعد هذه المرحلة وبعد اتساع وتنوع منابعها الاجتماعية والقومية والدولية أصابها نوع من التميع التنظيمى ومن اختلافات وجهات النظر والاتجاهات وبالتالى فقـدان وحـدة الفكر والعمل وعدم التحـديد الواضـح لاستراتيجية وتـكتيكات المرحـلة التى بدأت بالستينيات . وزاد من تعقيد الموقف ظروف التعايش السلمى ــ البـديل التاريخى للحرب ــ وما يفرضه من حلول وسطى فى بعض الاحيان ، والتقدم العلمى العظيم وزيادة الهوة البشعة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، والخلاف الصينى السـوفييتى ، وحروب الحدود التى استعرت فى آسيا وافريقيا .

وقد نتج عن ذلك كله نوع من التفكك والبعثرة فى الحركة وفى الاتفاق على اهداف المرحلة للقوى الثورية على المستوى المحلى والقومى والعالمى على السواء .

ومن هنا يبرز السؤال : **ما العمل ؟.**

ان نقطة البدء الجوهرية هى العمل الموضوعي على اعادة تنظيم وحدة القوى الثورية فى فكرها وحركتها واهدافها من جديد بما يتفق وظروف الواقع المعاصر ، وحصيلة الابيض والاسود فيها .

ان القوى الثورية **المحلية** فى مصر بعد أن نمت واستطاعت أن تستولى على السلطة وان تحقق التحرر السياسى والاقتصادي والتحول نحو الاشتراكية ، عليها فى سبيل تدعيم تنظيمها ووحدته الفكرية والعملية أن تكشف وتصفى الجيوب الاجتماعية الرجعية من ناحية وكل مظاهر التكتلات والانقسامات والشلل فى صفوفها الثورية من ناحية اخرى ، وان تجند كل طاقاتها المادية والمعنوية لتحقيق اهداف ميثاقها فى عام ١٩٧٠ ، دون اشغال نفسها وتبديد قواها فى معارك جانبية وفرعية .

والقوى الثورية **القومية** فى وطننا العربى مطالبة بأن تتخطى كل عوامل الصراعات والاختلافات العرضية والثانوية فى صفوفها وان تحدد ــ من خلال لقاءات تنظيمية تنتهى بمؤتمر قومى ــ برنامجا واضحا ومحددا لاستراتيجيتها وتكتيكاتها خلال المرحلة المعاصرة ومواجهة المد الرجعي الاستعمارى الجديد . ولن يمكن تنفيذ هذا الا اذا أمكن داخل كل قطر توحيد القوى الثورية توحيدا حقيقيا فتلتئم على جبهة عريضة عناصر الجمهوريين فى اليمن وكل الثوريين والتقدميين فى سوريا والعراق والسودان والمغرب وغيرها .

واذا كان لابد من أن تستمر « وحدة العمل العربى » ضد العدوان الصهيونى ، فان هذه الوحدة يجب أن لا تعوق بأى حال وحدة العمل الثورى العربى العام ، وأن تتحول من وحدة بين مجرد حكومات الى وحدة بين القوى العربية التى تعادى الصهيونية قوميا والقوى الثورية العربية ككل .

كذلك فان القوى الثورية **العالمية** مطالبة بأن تدعم وحدتها التاريخية من جديد على اساس الواقع العالمى المعاصر وعودة القوى الاستعمارية الى اتخاذ مواقف الهجوم والعدوان وبالتالى اتخاذ هدفى تصفية الاستعمار العالمى ــ القديم والجديد ــ ومنع الحرب محورا لا بديل عنه للوحدة الجديدة . وطرح كل الصراعات الداخلية بينها وتنظيم حلها سلميا فى محيطها دون تدخل أجنبى . وعزل كل من يحاول صرف الجهود الجماعية الى معارك فرعية .

وبعد .. ان شعار وحدة الثوريين ، فكرا وحركة ، على النطاق المحلى والقومى والعالمى ، هو جوهر قضية الثورة المعاصرة بمختلف مستوياتها ، لانه الضمان الوحيد ضد الانحراف نحو المغامرة او الانحراف نحو الجمود .

ومن هنا يصبح واجبا ملحا على جميع الثوريين تحديد ومناقشة عناصر هذه الوحدة التى نقتحم بها مرحلة النصف الثانى من القرن العشرين .

لطفى الخولى

حديث جمال عبد الناصر التنظيمى فى المؤتمر الأول لأعضاء المكاتب التنفيذية فى المحافظات عن :

أسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى

تنشر « الطليعة » ، بتصريح خاص ، النص الكامل للحديث التنظيمى الذى وجهه المناضل «جمال عبد الناصر» رئيس الاتحاد الاشتراكى الى المؤتمر الاول لاعضاء المكاتب التنفيذية للمحافظات الذى انعقد برياسة «على صبرى» الامين العام ، وذلك بمقر الاتحاد بالقاهرة فى المدة من ١١ يناير الى ١٣ يناير ١٩٦٦

وقد وجه رئيس الاتحاد الاشتراكى هذا الحديث بجلسة المؤتمر الخاصة والذى انعقدت مساء ١٢ يناير ١٩٦٦.

انا اعتبر ان هذه الجلسة ، جلسة تعارف . وفى الحقيقة نحن فى حاجة لعقد جلسات كثيرة اخرى ، لكى تزيد من التعارف بيننا وبينكم من جهة ، وبين بعضكم البعض من جهة اخرى .

وفى اعتقادى ان التعارف له فائدة كبرى ، لانه يساعد على الوحدة الفكرية بين القيادات فى المناطق المختلفة وبين جميع القيادات الاخرى .

وعلى هذا ، ارى ان نجتمع مرة كل شهر مثلا ، بحيث يمكن ان نتحدث فى الموضوعات المختلفة ، ومعرفة افكار بعضنا البعض ، وبذلك تتمكنوا فى الوقت نفسه من نقل مشاكلكم ومشاكل الجماهير ، ونتعاون معا على بناء الاتحاد الاشتراكى .

والى جانب الاجتماعات التى تضم كل اعضاء المكاتب فى المحافظات ، فستكون هناك اجتماعات صغيرة مع المحافظات ، محافظة محافظة او كل محافظتين معا .. فهذه الاجتماعات تساعدنا ان نتمكن من لقاء مجموعة محدودة ، على ان تكون منتظمة ودورية .. ولتكن هذه الاجتماعات بعد العيد .

ويمكن ان نعقد هذه الاجتماعات اسبوعيا مع كل محافظتين ، ثم يعقد هذا الاجتماع الكبير للمحافظات كلها .

ليس عندى موضـــوع اســـاسى للــكلام ، الا ((اسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى)) .. ان كل الناس تنتقد الاتحاد الاشتراكى ... فمن هو المسئول عن بناء الاتحاد الاشتراكى ؟ . . . هل انا المطلوب منى بمفـــردى ان ابنى الاتحــــاد الاشتراكى ؟ . . لا . . انا لن استطيع وحدى ان ابنى شيئا .. لا فى البلد .. ولا فى الحكم .. ولا فى الاتحاد الاشتراكى .

وبالتالى فانتم وحدكم تستطيعون ان تعملوا شيئا .. اذن لابد من الاعتماد على الجماهير ، وعلى القيادات الاخرى المختلفة ، لكى تتمكن من بناء الاتحاد الاشتراكى .

واول شىء يلزم ان نحققه اليوم ، هو اكتساب الثقة بالاتحـــاد الاشتراكى .. ان الفترة الطويلة الماضية ،قد اثرت على الثقة فى الاتحاد الاشتراكى من ناحية انه الجهاز السياسى الموجود فى البلد .

لذلك اتجهت خطتنا اليوم بالنسبة للاتحـــاد الاشتراكى ، الى ان نقيم القيادات فى المحافظات ثم المراكز والاقسام ثم الوحدات . .

وبعد ذلك يمكننا ان نقوم بتشكيل اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، ثم بعد فترة نبدأ فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، الذى ستنتخب منه اللجنة المركزية ، ثم اللجنة التنفيذية العليا .

اذن مبدأ اساسى هو ان العمل ينبع منكم ... وهذه الخطوات قد تعثرت فى الماضى وكان السبب فى تعثرها واضحا ، لاننا عملنا الانتخابات ، وكان من الضرورى اجراء هذه الانتخابات فاذا كنا قد اخترنا عددا من العناصر وتركنا باقى الناس ، فكاننا بذلك نكون المعارضة قبل ان يتكون التنظيم السياسى .

وسرنا فى عملية الانتخابات ، وحدث نشاط فى اوقات الانتخابات .. الا ان هذا النشاط تدهور بعد ذلك .

كذلك تأثرت الاتصالات التى تربط بين القيادات وبين الوحدات..ولذلك لم يقم الاتحاد الاشتراكى برسالته .

ان المطلوب منا اليوم هو ان نبدأ بداية سليمة . واقول ان هذا الذى حدث لا يجب ان يفت فى عضدنا ، بمعنى اننا لو قمنا بتجربة واثنين او ثلاثة او اربعة ، فلا يجب ان نكل او نتعب ... فجميع التنظيمات الموجودة فى العالم ، كانت تستمر فى عمل حملات من أجل تقويةنفسها ومن اجلتصحيح اسلوب عملها .

لذلك اردت ان اتكلم اليوم فى هذا الموضوع الهام وهو ((اسلوب عملنا فى الاتحاد الاشتراكى)).

ان اسلوب العمل المظهرى ، الذى اتبع فى الاتحاد الاشتراكى ، لم يكن بأى حال من الاحوال الاسلوب الناجح ... فلقد سرت المظهرية فى كل شىء ، حتى وصلت الى صفحة الوفيات وصفحة الاعلانات ... وكم كنت اتألم ، عندما اجد شخصا يكتب فى صفحة الوفيات او فى الاجتماعيات ((فلان عضو الاتحاد الاشتراكى)) .. وفى الحقيقة ان هذه ليست وظيفة ومن يتخذها عملية ذاتية او مظهرية ، فلا يمكن ان ينجح ولا يستطيع ان يتعمق فى العمل السياسى او يكون قيادة فيه .

نريد اليوم ان نرى ان اسلوب عملنا فى الاتحاد الاشتراكى ، هو الاسلوب الصحيح ... فاذا تعالينا على الناس ،واعطينا لهم اوامر او جمعناهم وطلبنا اليهـــم ان يســـيروا كما نريد .. فالناس اصبحوا على درجة من الوعى ، ولن يلتفتوا الينا بأى حال من الاحوال .

اذن يجب ان يكون اسلوبنا فى معاملة الناس ، هو ربط القيادات المختلفة بالجماهير ، لا بد من ربط القيادات فى كل محافظة ، حتى تستطيع هذه القيادات ان تعمل من خـــلال الجمـــاهير وتقود هذه المحافظة وتحركها .

لابد اذن ان ترتبط القيادات بالجماهير

وكيف ترتبط القيادات بالجماهير ؟

اذا بقيت القيادات فى مكاتبها ، تكتفى بأن تصدر تعليمات هامة للوحدات ، فلن ترتبط القيـــادات بالوحدات ولن ترتبط القيادات بالجماهير .

ولكى تكون قائدا ناجحا فى هذه العملية ، فلابد ان تربط التعليمات العامة بالتوجيهات الخاصة .. بمعنى انك تصدر توجيهات عامة ، وهذه التوجيهات العامة تصل الى الوحدات الادنى ، ثم لابد ان تفسر لهم ما هى هذه التوجيهات العامة من ناحية التطبيق الخاص او من ناحية الارشاد الخاص ، ومن ناحية نشرها وتعميمها بين الجماهير .

اذا كان لديك عشر وحدات ، ولكن لا نتمكن من نشر هذه التعليمات الا على وحدتين او ثلاثة او اربعة ، فليكن ولنبدأ بهذه الوحدات .. وبهذا نستطيع ان نكتشف العناصر النشطة المتحركة فى هذه الوحدات ... ومن الضرورى ان يكون فى داخل كل وحدة ، مجموعة قيادية تتألف من عدد صغير من الناس النشطين .. كما اخترنا نحن فى كل محافظة عددا صغيرا من الناس النشطين ، ليمثلوا وحدة قيادية او مجموعة قيادية .

اما بالنسبة للاقسام والمراكز فلن نستطيع ان

نقوم بهذه المأمورية وانما عليكم انتم ان تقوموا بهذه المأمورية بذمة وتجرد كامل .. بأن تختاروا الناس النشطين ، القادرين على الحركة ، وتكون ميزة هؤلاء الناس النشطين الاساسية ، ان لهم علاقة وثيقة بالجماهير وفى مقدورهم فعلا تنظيم نشاط الناس .

اننا كقيادات لن نستطيع ان نحـرك الناس جميعا ، ذلك ان الناس ينقسمون الى ثلاثة اقسام : ناس نشطين ، وناس سلبيين ، وناس وسط بين النشطين والسلبيين .. وهذه سنة الكون وسنة الطبيعة .

فلو حلولنا ان نجعل الناس على مستوى واحد، فسنجد فى ذلك صعوبة ..

اذن يجب ان نركز اولا على النشطين ونحرك بهؤلاء ، الناس الوسط ثم السلبيين بعد ذلك .

واود ان اشير ان الناس السلبيين يوجدون فى جميع المجتمعات ، وبقدر الجهد نستطيع تحريك الوسط والسلبيين .

اما اذا تركت الافراد النشطين وسرت وراء السلبيين تحاول تحريكم وتنشيطهم فان طريقة عملك تكون خاطئة .

لقد لاحظنا ان السبب الاساسى فى عدم تحريك او عدم فاعلية الاتحـــاد الاشـــتراكى فى المرحلة الماضية ، هو عدم وجود الجماعات القيادية ، ونحن نعتقد اننا قد تغلبنا اليوم على هذا بوجود قيادات جماعية فى المحافظات ، ثم نوجد بعد ذلك جماعات قيادية فى الاقسام والمراكز ثم الوحدات الاساسية .

وطبعا يجب ان تكون الجماعة القيادية قوية ومتحدة بينها وبين بعضها ، بمعنى انه قد تنقسم الاراء فى اى مكتب ، وهذا سيحدث قطعا لاننا نختلف جميعا فى الاراء والمناقشات ولكن فى النهاية نخرج برأى بعد التشاور والاقناع ... اما اذا تحول هذا الخلاف الى ان يخرج عضو من المكتب يشهر بعضو آخر من المكتب — وانا هنا اتكلم على الحاجات الواقعية التى تقابلنا كل يوم — او يشهر بالمكتب كله كمكتب ، او يسىء الى القيادة كقيادة يبقى مفيش فايدة فى نجاح العملية .

لازم نعرف ان العمل تضامنى ، واننا فى كل المكاتب لابد ان نكون متحدين لننجح ... لابد ان تحس الناس ان المكتب يعمل كمجموعة تنظر له باحترام وتنظر لكل واحد منا باحترام . وهذا يستدعى **حاجتين :**

١ — ان كل واحد يكون مثلا طيبا فى كل شىء فى منطقته ، وقدوة حسنة ..

٢ — ان محدش يطلع يتكلم عن الثانى فى منطقته، واللى يشوف ان واحد انحرف ، يقول لنا هنا فى الاجتمــاعات ، او يتقــدم لنا ونناقش هذا الكلام . مش عيب ان نقول هنا ان فلان انحرف ، ولكن العيب ان تنزل من المحافظة وتقول فلان انحرف او عمـــل كذا او استفـــاد ، معنى هــذا انك بتهــدم المــكتب كله .

لابد يكون عندنا الشجاعة الادبية دائما اذا واحد وجد اى انحراف ، يثيره داخــل المكتب واذا لم يستطع ان يقوم الانحراف داخل المكتب ، يتصل بالامين العام ويقول له يوجد انحراف فى منطقة كذا وانا رجل امين على الدعوة وامين على الفكرة وامين على الاتحاد الاشتراكى . لكن خطأ جدا ان ينزل القهوة ويقعد مع اصحابه يقول . مفيش فايدة من الاتحاد الاشتراكى ، اتعمل مرة واثنين وثلاثة واربعة وده منحرف وده ايه بهذا تشلوا الاتحاد الاشتراكى ، وتفقدوا ثقة الناس فيه .. **فأول حاجة** نريدها اليوم لينجح عملكم ،انكم تكسبوا ثقة الناس.
ناحية اخرى هامة فى اسلوب العمل هى انه يشترط فى الجماعة القيادية اولا الاخلاص التام للقضية والاخلاص التام للاشتراكية ، والاخلاص التام للمبادىء الاساسية التى ننادى بهـــا ، وللمبادىء الديموقراطية والاخلاص التام للميثاق.

ويشترط ايضا فى الجماعة القيادية الاتصال الدقيق المستمر بالجماهير اذا انعزل واحد منكم وقعد فى مكتبه ، فلن يكون عضوا صالحا ، فى اى جماعة قيادية .

ويشترط ثالثا ان يكون عنده من الثقافة ما يمكنه من اكتشاف الامور ،بحيث يقدر يميز بنفسه ويكتشف ويصل دون ان يرشده احد الى معرفة ما تريده الجماهير ويقدر يتلمس كل أمر من الامور .

والنقطة الرابعة ان يكون الشخص منتظم يراعى التعليمات بكل دقة وعندما اقول يراعى التعليمات بكل دقة فمعنى ذلك اننا نناقش كل شىء ، وما نصل اليه نلتزم به ... ومعناه ايضا ان القيادة فى المحافظة تناقش كل شىء ، ثم تستطيع ان تصدر اوامرها للمستويات الاخرى ، وعلى كل مستوى ان يطيع وينفذ بكل دقة التعليمات التى تصل اليه، واذا كان واحد له اعتراض يقوله

لكن مفيش حد يقعد ويقول ايه هى التعليمات دى اللى جاية من مصر ، دول قاعدين فى المكاتب مش عارفين حاجة ، اذا حدث هذا فكأننا نهدم المفاهيم اللى نريد أن نوجدها فى الاتحاد الاشتراكى.

لا يمكن للقيادة ان تنمو الا على مبدأ الاتصال بالجماهير ، بمعنى انه من الضرورى ان **نأخذ من** الناس ونعطى للناس .

أى لابد ان ادرس حركات الجماهير دراسة وافية ، ووجهات نظر الجماهير دراسة وافية ثم اعمل عملية تنظيم وتنسيق ، وبالذات لآراء الجماهير .. فالجماهير لها آراء مختلفة ولكن هذه الآراء دائما مبعثرة وغير منظمة .

وواجبى طالما التقى مع الجماهير ان آخذ هذه الآراء المبعثرة غير المنظمة وادرسها دراسة وافية، ثم اخطط لها وانظمها وانسقها واعطيها ثانية للجماهير منظمة ومنسقة..لانه لو تركت الجماهير على هواها نجد انها دائما تبدى آراء مشتتة مبعثرة ، ولكن فيها عنصر اساسى سليم فاذا لم تنظم ، لا يمكن الا انها تشرد منك ، واعتقد ان الذين عملوا فى نقابات عمالية مروا بمثل هذه التجارب .

الناس مش طوب ، الناس عندها آراء وعندها افكار .. انت واجبك ان تنظم هذه الاراء — والافكار . ولن تستطيع ذلك الا اذا اتصلت بالناس والتحمت بالجماهير ، واخذت معاها واعطيت بالكلام وفى الاجتماعات والحياة اليومية .

طبعا بتعقد اجتماعات ، لكن فيها عيوب كثيرة ، ان الواحد يقعد يتكلم او يفرض رأيه ولا يسمح للناس ان تتكلم .. هو طبيعته انه يحب يفرض رايه الذاتى والشخصى .. مثل هذا الشخص مكتوب عليه الفشل ، لانه اذا اراد ان يفرض رأيه الذاتى ، الناس حتفهم انه غير مستعد للالتحام مع الجماهير ، وتظهر العملية انها ليست الا عملية ذاتية ، هذا الشخص لا يمكن ان ينجح كقائد بالنسبة للجماهير لانه سينعزل ويبقى فى مكتبه منعزلا ذاتيا .

اذا اردت معرفة راى الجماهير لابد ان تعيش مع الناس وتقعد معاها ولا اقصد انك تقعد مع الناس يعنى تعمل اجتماعات وتخطب ، فهذه الاجتماعات فوائدها قليلة جدا .. لما تلم مجموعة من الناس تخطب فيها ، قد تستطيع عن طريق الخطبة ان تعطى افكارا ، ولكن تكون هذه الافكار عادة بطريقة عامة ، وبعد الخطبة هؤلاء الناس غير المنظمين ، كل واحد منهم يروح بيته وانتهى الموضوع .

ولكن لما تتصل بالناس وتلتم معاهم ، وتجندهم، تدعوهم فى الوحدات الاساسية بتاعتك فبهذا كانك يد من جيش الاتحاد الاشتراكى .

انتم النهاردة ١٧٠ ... فلو اردت جمع الاتحاد الاشتراكى حتجمعوا الستة مليون طبعا . انا باقول الستة مليون لا يكونوا الاتحاد الاشتراكى ..

النهاردة القيادة السياسية فى الاتحاد الاشتراكى هى الـ ١٧٠ فقط ، وانتم الـ ١٧٠ مسئول . من نقطة البداية هذه بنبنى الاتحاد الاشتراكى .

واحد بييجى يقول فيه اقسام ومبانى ، اقول ابدا بدون تجنيد ، هذه المبانى لا تساوى شىء . لكن لما اسأل ما هو هيكل الاتحاد الاشتراكى النهاردة ؟ فامامنا هيكل الاتحاد الاشتراكى هو الـ ١٧٠ .

وانتم عليكم مسئولية هذا البناء ... طبعا حنمشى فى طريقنا ، واللى يلتزم بصفات القيادة سيبقى ، ومن لا يلتزم بهذا الكلام اللى باقول عليه حيمشى ، وحيطلع ناس من القيادات الاخرى من النشطين ليأخذوا محلهم فى القيادة .

هذا هو السبيل الصحيح الذى يجب ان نسير عليه .. من يلتزم به ويمشى سيستمر ، واللى ينحرف يخرج ... واللى لن يلتزم بصفات القيادة يخرج ، واللى لن يجند ويفشل يمشى .. اللى لن يقيم قيادات اخرى يبقى فشل ويمشى ، ويطلع غيره ، هذا ما يجب ان نلتزم به اذا اردنا بناء الاتحاد الاشتراكى .

أى واحد فيكم لازم يكون قادر على ان يشكل قيادة او جماعات قيادية نشطة ...

ناس كثير من اعضاء الاتحاد الاشتراكى فى كل اللجان ، مايعرفوش ازاى يجمعوا الناس النشطين ، ولا يعرفوا يكونوا الجماعات القيادية .

علشان نعمل جماعات قيادية ، لازم اولا نجمع الناس النشطين . ولا اجمعهم فى صوان على الخطب ، انما اجمعهم فى التنظيمات الاساسية الموجودة فى الاتحاد الاشتراكى وفى الوحدات الفرعية للاتحاد .

ومن الاخطار التى واجهت الاتحاد الاشتراكى ايضا ، ان ناس كثير وقياديين ، لا يعرفوا كيف يربطوا القيادات المختلفة بجماهير الشعب ... يقعدوا فى مكاتبهم ... يقف عسكرى على المكتب . لا يتصلوا بالناس ... يبعتوا تعليمات للوحدات وبس .. وانا اقول اذا ارسلنا تعليمات عامة وبس فلن ننجح .

بنبعث تعليمات عامة ولكن باستمرار بعد كده نتصل بفلان وفلان ، ونتكلم معاهم كيف ننفذ هذه التعليمات العامة من الناحية الارشادية فى التطبيق .. وبهذا ننزل الى التفاصيل ونرسل هذه الارشادات التفصيلية باستمرار .

ايضا فيه ناس كانوا بيتصلوا بالجماهير ...

تقول له اعمل اجتماع ، يعمل لك اجتماع .. لكنه لا يعرف كيف يستثمر خبرته فى الاتصال بالجماهير، والعمل خلال صراع الجماهير من اجلها ... وهؤلاء اللى انا قلت عليهم انهم ناس مضرين الواحد فيهم يقف ويعلن آراؤه الشخصية وبس ، ويبقى غير مستعد ابدا انه يأخذ تجربة مفيدة من أى جلسة مع الناس .. ودول ناس منعزلين عن الواقع .

وفيه ناس كويسين ، يقعدوا فى مكاتبهم ، ويطلعوا توجيهات بالنسبة لاى مشكلة .. لكن ما يعرفوش ازاى ينتقلوا الى خطوات اخرى ولا ازاى يعطوا ارشادات تفصيلية للناس . وهو بهذا يقطع صلته بالناس ، وهو فى وهمه ان هذه الورقة اللى اصدرها من مكتبه استطاعت ان تحرك له الدنيا ..

انا اقول لكم ان الورق اللى بيطلع من المكاتب ، عمره ما يحرك الدنيا .. سواء بالنسبة للقيادة فى مصر او بالنسبة للقيادة فى المحافظات او بالنسبة للقيادة فى أى مكان ، وعلى أى مستوى ..

بنبدأ عملنا اذن بالاتصال بكم كقيادات ، وبنسمع كلامكم كقيادات ، ولا نفرض رأينا عليكم كقيادات

الامين العام بيستمع الى كلامكم والى آرائكم ، وبيعمل لكم لجان لدراسة الكلام والاراء ... وعلى هذا الاساس ، بتصدر خطة عمل تنفذوها ...

هذا الكلام نفسه لابد ان تفعلوه انتم مع الناس.

اذن فنحن فى حاجة لاصلاح اسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى .

أولا : يجب ان نتعلم كيف نخلق العلاقة المتينة بين القيادة وبين الجماهير .. مش بالخطب ولا بالعربيات اللى فيها ميكروفونات ... انما بالالتحام معاهم .. اقعدوا مع الناس .. كل واحد لازم يقعد مع الناس .

علشان نعمل قيادات لازم نستكشف ونتعرف على العناصر النشطة بالاسم .. لازم نعرف مين النشط ومين غير النشط . حتى اذا ما طلب اليكم الترشيح ، اخترتم العناصر الصحيحة ...

فيه ناس بكل اسف يعرفوا الوحشين ، لكن ما يعرفوش الكويسين ، نسأل على مين وحش فى الحتة يقول لك فلان فلان .. سهل قوى علينا اننا نعرف مين الوحشين لكن مش سهل علينا اننا نعرف مين الكويسين ، لان الوحش عمله باستمرار بيعلن عنه .. اما الكويس فلا يكون عنده الاعلان الكافى .

اذا تجاهلنا الجماهير ، وتجاهلنا ربط القيادات بالجماهير ، بيكون عملنا مفيهشى فايدة ..

اذا ما كناش على وضوح ازاى نربط القيادة بالجماهير ، يبقى برضه مفيش فايدة وعلشان نربط القيادة بالجماهير ، لازم ننظم الجماهير .

وبعد ما نعرف مشاكل الجماهير .. اذا ماحليناش هذه المشاكل ، نبقى مش مربوطين بالجماهير .

اذن يجب ان نتعرف على مشاكل الناس ، ثم نجد الحلول السليمة لهذه المشاكل ونحلها .

واقول لكم ، اللى بيكون فى منطقة من المناطق ، ويقعد يسمع عن مشاكل الناس ، ويمشى ولا يحل هذه المشاكل ، الناس بعد كده ، لن تستمع اليه . بالطبع فى عملكم السياسى ضرورى هتدخلوا فى مشاكل وهتدخلوا فى مشاكل ضمن السلطة التنفيذية .

الاسلوب لمواجهة هذه المشاكل المتصلة بالتنفيذ هو ان احنا بنلتقى مع المحافظ ونستطيع ان نحل هذه المشاكل ... وبهذا نكون حلينا هذه المشاكل محليا .

وجميع المحافظين عندهم تعليمات من رئيس الحكومة على اساس انهم بيتصلوا على فترات دورية بالامناء ، وبيكون فيه اتصال وثيق بين امين المكتب التنفيذى وبين المحافظة لحل هذه المشاكل.

اما المشاكل اللى ما يقدرش عليها المحافظ ، فعلى الامين ان يأتى او يحضر واحد تانى من المكتب يقابل الامين العام للاتحاد الاشتراكى ، ويعرض عليه هذه المشكلة وانا يمكن بعد كده ان احل هذه المشاكل ... طبعا احل المشاكل المعقولة .. لانك لو تيجى تقول ابنيلى فى القاهرة النهاردة ٣٠٠ الف مسكن ، اقول لك ماقدرشى .. انا عاوز فعلا ابنى ٣٠٠ الف مسكن لكن انا لا استطيع ان ابنى هذه السنة اكثر من ٥٠ الف مسكن . لان علشان ابنى مساكن طبعا عاوز فلوس .. وقدرتنا فى الفلوس محدودة .

انتم فى محافظاتكم وفى عملكم الملتحم بالجماهير، بتقدروا تعرفوا مشاكل انا لا استطيع ان اقابلها .. وحين اتكلم بقول فى خطبى انى اعتمد اساسا على جوابات الناس ... انا بيصلنى عدد كثير من جوابات المواطنين .. لكن نص هذه الجوابات ، شكاوى كيدية . وطبعا الواحد بيتوه فيها .. لكن نصها الثانى . لما الواحد يعمل له تحليل ، بيلاقى كل عشرين او ثلاثين جواب ، بيتكلموا عن موضوع او مشكلة مثلا فى محافظة البحيرة .. ولما أسأل

الاقى فيه فعلا موضوع ... واكلم رئيس الحكومة، ويبعت يشوف هذا الموضوع ويعمل الحل .

ثانيا : يجب ان نتعلم ازاى نربط التعليمات العامة بطريقة الارشاد الخاصة .

ازاى نحدد اعمالنا للوحدات المختلفة .. يجب ان لا نحدد لاى وحدة اكثر من عمل اساس وانا بقول هذا لكل المستويات من اول الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى الى المحافظات اذا تحدد اكثر من عمل اساس ، سوف تتشتت الجهود كلها ... بعدين العمل الاساسى فى كل مكان ، يعمل له خطة ... بعدين يحدد زمن معين ... وبنمشى فى العمل الاساسى لاى حملة من الحملات ... واذا تسرعنا وادينا عمل اساس ثانى ، فالنتيجة انه يحصل تناقض ، ويحصل لخبطة .

لكن هذا لا يمنع ان احنا ندى عمل اساسى ، وندى ايضا اعمال فرعية .

والقيادات اذا أعطت اعمال مع بعض ، فيجب عليها ان تحدد اسبقيات واولويات واهمية هذه الاعمال بالنسبة لبعضها ، بحيث ان القيادات الفرعية ، تعرف ويتضح لها ايه هو العمل الاساسى اللى تعبىء فيه كل جهدها الرئيسى .

وقد يكون عملنا الاساسى خلال المرحلة الاولى « هو التنظيم » ... ولكن لا نستطيع ان نتجه للتنظيم كلية ، بدون العمل السياسى ...

لازم يكون فيه عمل سياسى بجانب العمل فى التنظيم ، لانك من خلال العمل السياسى تستطيع ان تكون التنظيم ... باستمرار ستطرح قضايا ، وعلى اساسها ومن خلالها ، ستختار الناس وتأخذهم فى التنظيم .

نقطة اخرى وهى انه لابد ان ننظر الى انفسنا على اساس اننا سياسيين .. وكونك سياسى مش لو واحد سألك ، تقول اهوده الكلام اللى جانى من فوق ... دى نغمة موجودة فى البلد .. ده جانى من فوق معناه انك انت مش مقتنع بيه .. واذا كنت مش مقتنع بحاجة ، بتركب القطر وبتيجى الى القاهرة ، وتقابل الامين العام ، وتقول له انا مش مقتنع بهذا الكلام ... عايز اقتنع بيه حتى اقنع بيه الجماهير ... لانك لو انت مش مقتنع بأى كلام ، ازاى ستقنع بيه الجماهير ... ياترى تقعد فى مكتبك وتكتب ورقة ، وتنزلها علشان تنفذ كتعليمات ؟ . .

اذا حدث هذا يبقى عملك فاشل .

لازم يبقى لكم اتصالات دائمة مع امانة الاتصال المختصة .. فيه كمال الحناوى .. وفيه عباس رضوان .

بيجوا باستمرار علشان الحاجات اللى عاوزه حل .. ويمكن طبعا ان الامين يتصل بالتليفون باستمرار من اسوان مثلا ، ويكلم عباس رضوان ويقول له عندى المشكلة الفلانية ... واذا استدعى الامر بيجى للقاهرة .. وعباس رضوان ماعندوش شغلة غير هذا الموضوع ، قاعد علشانكم .

وحينما يصل الامين الى القاهرة ، بتتم جلسات مع عباس او مع الحناوى وجلسات التعارف بتساعد على التفاهم .

وارجو ان المكاتب التنفيذية فى الوجه البحرى يقعدوا مع بعض مع الحناوى والمكاتب التنفيذية للوجه القبلى يقعدوا مع بعض مع عباس ، بحيث يضيع التكليف ويبقى فيه تعارف متزايد .. بل لما الواحد منكم بيجى القاهرة يروح لعضو الامانة البيت ، ويبقى فيه صلة ... وبدون هذه الصلة المتينة مش حيكون فيه التفاهم المطلوب لبناء الاتحاد الاشتراكى ...

.. ..

لم اشأ النهاردة ان اتكلم عن الاشتراكية لان اللى عاوز يعرف اكثر عن الاشتراكية . بيفتح الميثاق وبيقرأ عن الاشتراكية ...

وانا اردت ان احدثكم عن اسلوب العمل ، لاننا لن ننجح الا اذا كان لنا اسلوب عمل واضح ومحدد .

لن ننجح الا اذا فهمنا ايه واجبنا .

لن ننجح الا اذا اتصلنا بالجماهير .

لن ننجح الا اذا فهمنا الجماهير . . نأخذ افكارها وأراءها ، ندرسها وننظمها ، ونعطيها ثانى للجماهير ، ونوجهها فى الطريق الصحيح قبل ما تتشتت ويجى حد غيرك ، سواء كان رجعى او غيره ويوجهها فى اتجاه آخر .

بعدين بقول لن تستطيع انك تمشى كل الكلام على كل الناس .. فيه ناس كثير سلبيين ... واجبى ان انشطهم .. فاذا جندت النشطين ، واخترت النشطين فى كل القيادات ، تستطيع عن طريق هؤلاء النشطين انك تحرك السلبيين ، وتقدر تغير الناس الوسط او النص سلبيين الى ناس نشطين .

نقطة اخرى ، وهى ان كل واحد فيكم سياسى . ما انتوش موظفين ، وسياسى يعنى بيهتم بمشاكل الجماهير ويجد الحل لهذه المشاكل ويلتحم

بالناس ... ونقطة اساسية بعد ذلك ، ان كل واحد لازم يكون قدوة ، بمعنى انك اذا تحايلت على قانون الاصلاح الزراعي تبقى بتهد الاتحاد الاشتراكي ، ولابد تترفد من الاتحاد .

ولازم يكون عندنا الشجاعة والاخلاص ، بحيث يقدر ييجي واحد منكم ويقول هنا مثلا « فيه واحد معانا في هذه القاعة ، تحايل على قانون الاصلاح الزراعي ، او عنده ارض واجرها اكثر من سبع امثال الضريبة وانا اعلن هذا الكلام لحرصي على الاتحاد الاشتراكي » .

اذا كنا احنا الـ ١٧٠ اللي بيمثلوا القيادة في هذه البلد . بنطلع قوانين ، ولا تنفذ هذه القوانين . اذن الناس تنظر الينا على اننا منافقون وبتضحك علينا .

اذا رحت للمهندس الزراعي مثلا ، وخليته اعطاك مية ، وما اعطاش الناس التانيين مية للارض ، تبقى استغليت نفوذك كعضو المكتب التنفيذي ... وهنا يجب على باقي الاعضاء في المكتب ، انهم ييجوا هنا ويقولوا هذا الشخص انحرف ومستغل وبيهدم الاتحاد الاشتراكي ... لان هذا العمل ... هذا الانحراف معناه هدم الاتحاد الاشتراكي .

اذا اردتم ان تنجحوا وتقوموا بعمل تاريخي في بناء هذا البلد — لاننا بنبنى فعلا التنظيم السياسي السليم — يجب ان يعمل كل واحد فيكم ، كرجل سياسي وطني مضحي ، قائد ومتفرغ لعمله السياسي ، الصبح والظهر وبالليل ... فلا عمل لنا الا هذا الموضوع .

وكل واحد يستطيع ان يبني وان يعمل عملا قد لا يقدر قيمته ، فمن يستطيع ان يجند عشرة او عشرين كويس .. وانتم ١٧٠ في عشرين شخصا ، يبقى حتوصلوا الى ٤٠٠٠ شخص .

واذا جند كل واحد من العشرين ، عشرين شخصا آخرين ، فان الـ ٤٠٠٠ بيصلوا الى ٨٠٠٠٠ شخصا ... والعملية قد تبدو بسيطة ولكن لها تاثير كبير في مستقبل التنظيم السياسي .

وقد اردنا ان نتغلب على الكسل اللي قيل عن الاتحاد الاشتراكي ، وقلنا ان الوسيلة الوحيدة هي التفرغ . . بنختار ناس للتفرغ ، واللي عاوز يتفرغ يقعد في محافظته باستمرار صبح وظهر وبالليل ، وهذا الكلام تم الاتفاق عليه ، اذن عملنا الاساسي ان كل واحد يشتغل ويبني .

نقطة ثانية اريد ان اركز عليها وهي ان القائد او الامين العام في كل محافظة يجب ان يكون على صلة بكل نشاط للمكتب ، بيتعلق مثلا فيه « دعوة » و « فكر » في كل محافظة ، توجد زراعة في كل محافظة ، يجب ان يكون القائد في كل محافظة على علم وبينة بكل هذه الانشطة .

كل قائد في كل محافظة مسئول عن الزراعة والفلاحين ، والدعوة والفكر والموظفين والعمال وكل شيء .

وهذا يجعلنا ننجح اكثر ،ولا يكون هناك انفصال لاننا اذا وصلنا الى انفصال في المكاتب وكل واحد من الاعضاء يعقد اجتماعات بمفرده ، فلن نستطيع ان نتغلب على المشاكل ولن نستطيع ان ننجح ، فالقائد والمكتب مسئولين عن الدعوة والفكر وعن كل النواحي ... واريد ان اقول ان كل مكتب يستطيع ان يناقش كل الامور .. فالمكتب التنفيذي في القاهرة مثلا يناقش مسائل العمال ولا يترك هذا فقط لامين امانة العمال ، وكذلك المكتب التنفيذي في الدقهلية مثلا يناقش موضوعات الفلاحين والعمال والمثقفين والرأسمالية الوطنية ، كل واحد في المكتب مسئول عن كل عمل في المحافظة ، ولا نقسمها اقطاعيات ، كل واحد يقول اننا بذلك لن ننجح ، فلا يجوز ان يقول المختص بالعمال ان مسائل العمال هي من اختصاصي ، ويقول مثل ذلك المختص بالفلاحين ، لان هذا العمل لا يوصلنا الى النجاح بأي حال من الاحوال .

كل قائد في منطقة يجب ان يكون ملما بجميع انواع النشاط في كل هذه المنطقة سواء كان هذا النشاط خاصا بالفلاحين او العمال او الدعوة والفكر او التدريس ، وهكذا ... والا فالمكتب ينقسم الى اعضاء وكل عضو متقوقع لوحده ، ولن نستطيع بهذا التغلب على المشاكل ولن ننجح .

كل اعضاء المكتب مسئولين عن نشاط الاتحاد الاشتراكي بجميع فروعه في هذا المكتب ، فاذا وجد المسئول عن الفلاحين ان هناك انحرافا في العمال يجب ان يقول ذلك وهو مسئول ، ويجب ان يقوم هذا الانحراف او يقتنع ان هذا الانحراف غير حقيقي ومبالغ فيه ، وبهذه الاسس وبهذا الاسلوب نستطيع ان نسير ونتقدم .

عملنا الاساسي في هذه المرحلة ينصب على التنظيم ، ولا يمكن ان نقول انه ليس في الاتحاد الاشتراكي اناس اكفاء .

فهناك افراد متجاوبين ومؤمنين ، الا انهم غير منظمين وغير منتظمين ... فواجبنا نحن في اللجان الاساسية في المحافظات ان ننظم الشعب ، فاذا خرجنا باربعين الفا او خمسين الفا او ستين الفا منتظمين في السنة الاولى اعتقد اننا بهذا تكون نجحنا نجاحا كبيرا ... لا نريد اعدادا كبيرة من الناس ... فيمكن ان احشد في ميدان عابدين

بالقاهرة مليون شخص ، ويمكن ان اخطب فيهم ومن بين هؤلاء من يريد ان يسمع ، وكل واحد ممكن يحضر ولكن بدون تنظيم .

لا يمكن جمع اكثر من عشرة علشان اتكلم معهم فى عمل سياسى سواء اكان دعوة وفكر او غير ذلك . اذن هدفنا ان يكون العدد قليل من الناس القياديين ... وفيه شروط للقياديين ، بأن يكونوا ناس مخلصين للقضية وللاشتراكية وللثورة ... وناس يستطيع الواحد فيهم فهم الامور بسرعة ناس ملتـزمين التزاما كاملا بالمبـادىء وناس مرتبطين بالجماهير ارتباطا قويا .

وأى شخص غير مرتبط بالجماهير غير مفيد .. وهذا الشخص لا تشغل نفسك به ، ولا تضيع وقتك معه ، مهما كان علمه عالى ... فعلمه ، يمكن ان يفيدنا به فى مجال علمى ولكن فى مجالنا — مجال الاتصال بالناس — نحتاج الى الشخص المؤمن بالناس ، المؤمن بالجماهير ، القادر على الالتحام بالناس ، هذا الشخص يستطيع ان ينفذ الرسالة اللى بنتكلم عنها وبنعمل من أجلها ...
واسلوب العمل ده بنمشى بيه ايضا فى المجالات المختلفة ، وانتم بتبحثوا عن القياديين بالنسـبة للمحامين والاطباء والزراعيين والعمال والفلاحين والتجار ، بنبحث عن الشخص اللى تتوافر الصفات القيادية فيه ، مهما كانت قيمتـه الاجتمـاعية ، فلا تهمنى قيمته الاجتماعية ، يهمنى ان يكون مخلصا وحـركيا ... وبذلك نكون قد شـاركنا فى بناء التنظيم .

وان شاء الله يكون لنا اسلوب للعمل واضح نسير به ونشوف الطريقة التى سوف نسير عليها بعدين .

لسنا بصدد وضع شخص فى وظيفة ونحن نختار للمكاتب الفرعية او اللجان الفرعية ... كل واحد حينكشف وتظهر اعماله ، واذا اختار واحد منكم عشرة ، حيبانوا ان كانوا كويسين والا لأ ، وهيبان كل واحد فيكم هل هو مشى بالاسلوب الصحيح أم لا .

والخطوة التالية بعد ستة شهور من هذا — اذا نجحنا فيه نستطيع ان نكون اللجنة المركزية على اساس النشاط اللى حصل فى هذه المرحلة ، واللجنة المركزية بتكون اعلى منظمة فى الاتحاد الاشتراكى ، واذا كنا لن نستطيع فى ستة اشهر ، يمكن أن يتم هذا فى ٨ شهور .

وبعد اللجنة المركزية ، نختار اللجنة التنفيذية العليا ، وبعد ذلك نعقد المؤتمر .

وقبل عمل المؤتمر يجب ان نكون على ثقة من ان المؤتمر القادم سوف يضم ناس بيعملوا للرسالة التى نسعى اليها ، يضم ناس مؤمنين بالثورة والاشتراكية ، فاذا جاء لنا مؤتمر من الرجعيين وبيلغى الاشتراكية ، نكون لسه فى حاجة الى ثورة ثانية لكى نعيد الاشتراكية مرة اخرى .

نريد ان يضم المؤتمر ناس مؤمنون بالاشتراكية وبالقضية وبالمسـئولية ، ومنتظمين فى الاتحـاد الاشتراكى ، ناس فعلا كل واحـد منهم بيعرف واجبه .

ولا مانع من ان نثقف بعضنا فى المكاتب التنفيذية وده مش عيب ، ولم يصل احد الى اقصى درجات العلم ، فيمكن ان نثقف انفسنا بأن نجتمع كل مرة فى بيت واحد مننا ، ونتكلم فى موضوع التعاون مثلا او الاصلاح الزراعى او نتكلم فى الميثاق ، كل واحد منكم يمكنه عمل موضوع كل اسبوع .

والمنظمات السياسية كانت بتعمل كده واحنا ازاى تثقفنا فى صغرنا ، واحنا طلبة كان كل واحد يخطب ويعمل ويقود ويتكلم وواخد القضية بتعصب ، وكان ذلك فى الوقت اللى كانت فيه الاحزاب وكان فيه تعصب ، النهاردة لا يوجد احزاب ولكن توجد افكار وثقافات ، ليس عيبا أن نقول لفلان الفلانى انه يجهز لنا موضوع بعد اسبوع ونتكلم فى هذا الموضوع كتثقيف عام ونستفيد . ولما نتكلم مع الناس نتكلم كاشخاص مثقفين ، والثقافة ليست العلم فعندما نتكلم عن الثقافة ، نتكلم فى شئون المجتمع كلها وفى المشاكل كلها ، وبهذا يستطيع كل واحد ان يخرج فعلا ويواجه الجماهير ويخطب فيها ... الكتب اللى بتطلع ، نقراها ... واذا لم يقرأ الفرد يوما ، لا يمكنه ان يواجه الاخرين .. وانا علشان اقابل صحفى اجنبى مثلا ، لازم اكون مستعد ان اناقشه فى كل موضوع ... لازم اكون على علم بكل اللى بيحصل ... لازم كل يوم اتعلم حاجة جديدة ... اذا قعدت جمعة ما اتعلمتش اشياء جديدة ، كأن الواحد مش على ثقة يمكن الصحفى يسأله عن موضـوع مايكونش عارف يجاوب عليه ... وانا راجل واخد ان كل سؤال يوجه الى لازم ارد عليه ... علشان كده لازم اقرأ لازم اثقف نفسى ...

هذا بالاضافة بالطبع الى النشرات اللى بتجيلكم من القيادة ... وممكن ان كل محافظـة تعمل نشرات ، على اساس ان تكون فعلا نشرة تثقيفية ، وبحيث ان هذه النشرات المحلية لا تكون مضادة مع نشرات القيادة او مع الخط العام او الفكر الاشتراكى الخاص بينا .

وان شاء الله ننظم بعد العيد اجتماعات معانا كلنا نجتمع مع محافظتين كل اسبوع . وانا يهمنى قوى أن أزيد المعـرفة بكم ... لازلت اعـرف الاسـماء ولكن يهمنى ايضا ان اعرف الاسـماء والاشخاص واقعد معاكم اكثر .



الشباب

الحياة .. المشاكل .. المسئولية

كانت أولى النقاط الخمس لبرنامج العمل الثورى الذى حدده المناضل عبد الناصر ، على أثر ترشيح مجلس الامة له رئيسا للجمهورية تنص على ضرورة العمل على تمهيد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية ، ضمانا لاستمرار النضال والتقدم

ومنذ ما يزيد على العام بدأ نشاط كبير بين عدد من العناصر المتقدمة من الشباب ، لتثقيفهم سياسيا ، وتدريبهم على العمل القيادى بهدف خلق نواة منهم ، تمهيدا لتكوين منظمة تابعة للاتحاد الاشتراكى .

والواقع أن العمل السياسى بين الشباب ذو شقين ، أولهما توعية وتعبئة جموعهم حول الميثاق وأهدافه وتعريفهم بمشاكل مرحلة التحول الاشتراكى والطريق الى حلها واقناعهم بالحلول المقدمة وجذبهم للاسهام فى العمل ايجابيا لتخطى هذه المرحلة بنجاح . وثانيهما ، اختيار قيادات شابة تغذى الاجهزة القيادية بدماء جديدة .

ولا شك أن خبرتنا فى تنظيم الشباب ما زالت حديثة ، كما أن الشروع فى بناء تنظيم للشباب ، أثار عديدا من النقاط الخلافية حول مهام التنظيم وأسلوب العمل بين الشباب ومشكلة الكم والكيف والعلاقات التنظيمية بالاتحاد الاشتراكى والجهاز السياسى والمكاتب التنفيذية فى الاقاليم .. وهى مشاكل لا بد أن تثار وتناقش على أوسع نطاق وتواجه بصراحة ووضوح للتوصل الى الحلول الايجابية الفعالة .

والدراسة الحالية تفتح الطريق الى متابعة الحوار حول قضية الشباب ، تجنبا لاخطاء التجارب السابقة وتأكيدا لخط العمل الجماعى فى استكشاف الحلول الثورية لمشاكلنا القومية .

■ ■ ■

● تنظيم الشباب سياسيا ضمان استمرار الثورة ص ٢٠
● التحليل الاجتماعى لمشكلات الشباب فى مجتمعنا المعاصر ص ٣٠
● السلبية وكرة القدم والصراع الفكرى بين الشباب ص ٤٠
● نحو سياسة تعليمية جديدة للشباب ص ٤٥



تنظيم الشباب سياسيا

ضمان استمرار الثورة

د. محمد الخفيف

في ٢٠ يناير ١٩٦٥ وبعد ان اجمع الشعب على ترشيح المناضل جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية لست سنوات جديدة ، وقف القائد أمام الشعب ممثلا فى أعضاء مجلس الامة يجدد العهد الذى يرى أن يلتقى هو وشعبه عليه . وبايمان بالمستقبل وبثقة فى الانسان أكد أن :

((المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب عيوننا ، فى المرحلة القادمة ، هى أن نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية . ولسنا نستطيع القول بان هذا الجيل قد ادى واجبه ، الا اذاكنا نستطيع ــ قبل كل المنجزات وبعدها ــ انطمئن الى استمرار التقدم ، والا فان كل ماصنعناه مهدد بان يتحول ــ مهما كانت روعته ــ الى فورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تقدمت ثم توقفت .



ان الامل الحقيقى هو فى استمرار النضال . ويتاكد الاستمرار حين يكون هناك ــ فى كل وقت ــ جيل جديد على اتم استعداد للقيادة ، ولحمل الامانة ، ومواصلة التقدم بها .. »)

بهذه الكلمات القليلة الواضحة يطرح المناضل الذى فجر ثورة ٢٣ يوليو قضية من أهم قضايا الثورة المعاصرة واعنى بها قضية اتصال النضال الانسانى واستمراره من خلال مراحل منفصلة ومتميز بعضها من بعض ، وهى قضية يتفرع منها عدد اخر من القضايا الهامة المتصلة بالعمل الثورى .

ان الانسان ، منذ ان خلق ، لم يعرف يوما مربه دون نضال ! نضال ضد الطبيعة يريد ان يصل الى اعماقها وان يكشف اسرارها وقوانينها لينتقل بها من عالم مغلق يهدد بقاءه الى عالم مفتوح يهيىء له حياة سهلة مستقرة ، ثم نضال ضد العلاقات الاجتماعية التى تسرق منه انتصاره المؤكد علــى الطبيعة ، والذى يتحقق بفضل جهد الملايين ، لتستفيد بثمراته قلة على حساب الكثرة . وهكذا منذ اليوم الاول لظهور العلاقات الاجتمــاعية الاستغلالية اصبح نضال الانسان من اجل تحرره نضالا مزدوجا لم يعد فقط نضالا ضد الطبيعة بل اصبح ايضــا نضالا ضد العلاقات الاستغلالية ، لم يعد فقط نضالا للتحرر من الجهل بقوانين الطبيعة واسرارها بل اصبح ايضا ــ وهو الاشق ــ نضالا للتحرر من استغلال الانسان للانسان . وهو نضال قديم قدم الانسانية نفسها .. كلما اكتشف سرا من اسرار الطبيعة برزت اسرار جديدة لابد وان تكتشف وكلما قضى على لون من الاستغلال ظهر لون جديد فى ثوب جديد لابد وان يقضى عليه حتى يصل فى نضاله الى حياة انسانية حقة . حياة لا استغلال فيها . هو اذن نضال متصل ومستمر ، لولا انه احرز بالامس نصرا لما احرز اليوم تقدما . ان الانسان المعاصر الذى يرسى اسس الحياة الجديدة التى لااستغلال فيها والذى يطلق صاروخه الى الفضاء له فضل عظيم فى الانتقال بالانسانية الى آفاق ضخمة من التقدم ، ولكن فضله ليس سوى نتيجة فضل سبق ، فضل اول من ثار ضد اول لون من الوان الاستغلال الانسانى ايام المجتمع العبودى وفضل الانسان الذى لانعرف له اسما وكان اول من اكتشف النار واول من صهر الحديد ! ولولا ان اتصل عمل هذا الانسان الاول بعمل انســان اليوم عبر عمل الاف الناس خلال عشرات الاف السنين ، لولا ان اتصل النضال رغم توزعه على مراحل منفصلة ومتميزة ، لما كان انسان اليوم ، لولا مجتمعات الامس القريب والامس البعيد لما كان مجتمع اليوم .

وفى عيد العلم (ديسمبر ١٩٦٥) يبرز الرئيس هذه الحقيقة فيقول :

« اننى لارى انقطاعا بين الماضى والحــاضر وارفض ان اتصور وجود فراغ بين مراحل التطور لشعب واحد . ان تاريخ مصر العظيمة لم يبــدأ بثورة ٢٣ يوليو وانما قيمة ٢٣ يوليو الحقيقية فى انها استطراد طبيعى لنضال الشعب المستمــر وطاقاته المتجددة وآماله البعيدة » .

هذا الاتصال فى النضال رغم تعدد مراحله هو اذن سر التقدم الانسانى ، بدون استمرار النضال يتوقف التقدم . ان كل عمل ننجزه هو خطوة على طريق التقدم وطريق التقدم ليس خطوة واحدة بل خطوات لاعدد لها كل خطوة منها وان طالت مدتها وتميزت ظروفها ان لم تمهد للخطوة التالية وان لم تتصل بها ظل طريق التقدم خاويا لاتخطو عليه قدما الانسان . فاذا لم نطمئن الى استمرار التقدم فان «كل ماصنعناه مهدد بان يتحول ــ مهما كانت روعته ــ الى فورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تقدمت ثم توقفت » .

ولكن .. كيف نضمن استمرار النضال ؟

ان قضية استمرار النضال ضمانا لاستمرار التقدم تثير على الفور قضية لا تقل عنها اهمية ومرتبطة بها تمام الارتباط وهى قضية استمرار القيادة الثورية فما العمل الثورى الا التقدم عن طريق النضال ، تقدم جماهير الشعب عن طريق نضالها المنظم ، وليس هناك عمل بدون قيادة ، ليست هناك ثورة بدون قيادة ثورية ومن هنا فان استمرار الثورة رهن باستمرار قيادتها او ــ اذا شئنا الدقة ــ تجدد قيادتها فالقيادة عمل افراد فى مجموعة منظمة والافراد غير خالدين ولكن القيادة لاتفنى والا فنيت الثورة . القيادة اذن عملية متصلة ولكن من خلال افراد يعيشون عبر مراحل متعددة ومتميزة ، ولكن باتصال المراحل على رغم انفصالها كما سبق ان شرحنا يتصل ايضا حبل القيادة ، فالمراحل كما نعلم مراحل متداخلة بمعنى ان كل مرحلة جديدة تنمو بذورها فى المرحلة السابقة التى يكون على قيادتها ان كانت حقا قيادة ثورية واجب ثورى مقدس هو

رعاية البذور الجديدة حتى ينبت عودها ويخضر ويصلب .

هذه القضية ، قضية ضمان الاستمرار عن طريق اعداد جيل جديد يحمل الامانة ويواصل التقدم بها ؛ تعي بها كل الدول فما من دولة فى عصرنا اياكان نظامها الاجتماعي وايا كان مستوى التقدم الذى بلغته الا وتولى الشباب اهتماما خاصا بطريق او بآخر .. بل نستطيع القول بان الوعى بها ليس وليد اليوم بل ظاهرة قديمة ولكنه ازداد فى عصرنا اهمية وتعددت اساليب تطبيقه .. ولكن هناك جانبا هاما ان غفلنا عنه ضللنا الطريق وهو ان الوعى باهمية اعداد الشباب كان ولايزال وعيا طبقيا .. الدول الراسمالية والدول الاشتراكية والدول الفاشية كلها تهتم باعداد الشباب .. كذلك الاحزاب السياسية المختلفة فى الدولة الواحدة تهتم بتجميع الشباب حولها واعداده فهل يتساوى هذا الاعداد وذاك .. هل يتساوى عمل حزب اشتراكى وعمل حزب راسمالى او فاشى فى الدولة الواحدة فيما يختص باعداد الشباب ؟ . هل يتساوى اهتمام الدولة الراسمالية والدولة الاشتراكية ؟ وهل تتساوى الاساليب والاهداف ؟ الجواب بالنفى . فقضية استمرار النضال ليست قضية مجردة .. فالنضال لايدور فى فراغ بل يدور فى مجتمع والمجتمع ليس قوة اجتماعية واحدة بل عدة قوى ، عدة طبقات .. وهى ليست ساكنة بل متصارعة اى بين بعضها البعض نضال .. وطبقات المجتمع الراسمالى تختلف تمام الاختلاف عن الطبقات او القوى الاجتماعية المكونة لمجتمع اشتراكى او مجتمع ينتقل الى الاشتراكية ومايدور بين الاولى من نضال يختلف اختلافا جذريا عما يدور بين الثانية .. القضية اذن هى نضال من ضد من ؟

ان التاريخ يروى ان الاسكندر المقدونى غضب غضبا شديداً عندماعلم ان ارسطو ، وكان استاذه الذى يعده ، نشر عدة كتب فى الفلسفة . كان هذا العمل من وجهة نظر الاسكندر خطا جسيما لان معناه ان تشيع بين الناس المعرفة التى كسبها عن ارسطو وبهذا يزول تميزه منهم . وكان رد ارسطو تعبيرا دقيقا عن المضمون الطبقى لاستخدام المعرفة «لقد نشرناها ولم ننشرها .. فلن يفهمها الا من تتلمذ علينا مثلك » .

ان جميع الاباطرة والملوك كانوا يعدون ابناءهم ويخصصون لهم الاساتذة ليضمنوا استمرار نضالهم .. اى استمرار حكمهم الاستبدادى القائم على استغلال جماهير الشعب ابشع استغلال وما احقره من نضال ! حين بدأ فؤاد يعد ابنه فاروقا اين ارسل به؟ الى انجلترا .. ومن اختار له معلما اولا؟ احمد حسنين .

فاذا انتقلنا من الافراد الى الاحزاب راينا المسالة اوضح واعم .. لقد كانت الدعامة الرئيسية للحركة الفاشية فى كل من المانيا وايطاليا سواء قبل الاستيلاء على السلطة او بعده هى الشباب الفاشى ، اى تجميع الشباب حول الحزب الفاشى واعداده كجيل جديد ضمانا لاستمرار الحركة الفاشية التى كانت تقوم على احط النظريات العنصرية وتهدف الى الرجوع بالانسانية الى الوراء ضمانا لاستمرار نهب قلة احتكارية عنصرية لغالبية شعوب العالم مهما تكلف هذا من اراقة دماء وازهاق ارواح وهدم للحضارة . ايستوى هذا الاعداد واعداد الاحزاب الاشتراكية للشباب ؟ كلا بطبيعة الحال . فالهدف نقيض الهدف فلا بد وان تختلف الاساليب والمضامين وكذلك الحال لايمكن ان يستوى اعداد الشباب فى الدول الراسمالية والاشتراكية . فى دولة تقوم على استغلال الانسان للانسان والعمل على استمرار هذا الاستغلال ، ودولة تقوم على القضاء قضاء نهائيا على كل اشكال استغلال الانسان للانسان .

اذن ، عندما يتحدث عبد الناصر المناضل عن ضرورة استمرار النضال وعندما يبرز ان هذا الاستمرار لايتاكد الا ((**حين يكون هناك — فى كل وقت — جيل جديد على اتم استعداد للقيادة ، ولحمل الامانة ، ومواصلة التقدم بها**)) فيكون واضحا تمام الوضوح اى نضال ، واية قيادة ، واية امانة يعنى .. نضال جيلنا الذى قاده عبد الناصر من اجل تحقيق اهداف نضال آبائنا واجدادنا الذين لم يستطيعوا تحقيقها .. نضالنا نحن قوى الشعب العاملة ضد التخلف ، ضد الاستعمار ، ضد الاستغلال ؛ ضد الرجعية .. نضالنا من اجل تحرر الارض والانسان فى كل مكان ..

ماذا يعنى اعداد جيل جديد ؟

قد يقول البعض نحن موافقون على ضرورة ضمان استمرار النضال الشعبى الثورى ، وموافقون ايضا على انه ليس هناك عمل ثورى بدون قيادة ولكن ماذا تقصدون باعداد جيل جديد . ان كنتم تقصدون القيادة فان القيادة لا تصنع بل تظهر .. وان كنتم تقصدون جمهرة الشباب فهل نسيتم ان هناك مدارس ومعاهد وجامعات ؟

يحسن بنا ان نحدد ابعاد الموضوع حتى لايتشعب بنا الى دروب فرعية . نحن عندما نتكلم عن اعداد جيل جديد نتكلم عنها كالمهمة الاساسية لنا فى هذه

المرحلة من مراحل العمل الثورى ، مرحلة الانتقال من مجتمع متخلف راسمالى اقطاعى الى مجتمع متقدم اشتراكى ، من مجتمع استغلالى ذى قاعدة اقتصادية هزيلة الى مجتمع انسانى لااستغلال فيه ذى قاعدة اقتصادية نامية بقوة واطراد . وهذه المرحلة ، ولو انها احدى مراحل النضال الشعبى المصرى ، تختلف اختلافا جوهريا فى طبيعتها وفيما تطرحه من مهام وما يستلزمه القيام بهذه المهام من وسائل وتنظيمات من المراحل التى سبقتها يستوى فى ذلك ماكان سابقا على يوليو ٥٢ وماكان بين يوليو ٥٢ ويوليو ٦١ . واساس الاختلاف هو اختلاف العلاقات بين القوى الاجتماعية وماصاحب هذا الاختلاف من اختلاف فى الاهداف وفى وسائل تحقيق الاهداف او وسائل عرقلتها .

ان جيلنا نشأ وتربى فى المرحلة السابقة على يوليو ٥٢ وشارك فى قيادتها وكانت مرحلة الثورة الوطنية التحررية من الاستعمار ووصل بالنضال بثورة يوليو الى مرحلة جديدة متصلة بما سبقها ولكنها فى نفس الوقت متميزة منها وهى مرحلة التحام الثورة الوطنية بالثورة الاجتماعية . لم تكن ثورة يوليو ثورة من اجل تحرير الارض فحسب من الاستعمار بل كانت ثورة تحرير الارض لكى يتحرر الانسان وقاد جيلنا النضال وتم طرد الاستعمار وخلال النضال ضد الاستعمار كان يبذر البذور الاولى فى حقل النضال ضد الاستغلال حتى اذا بلغ يوليو ٦١ كان قد تم بفضل نضاله طرد الاستعمار نهائيا وخلع تحالف الاقطاع والراسمالية من مراكز السلطتين السياسية والاقتصادية ممهدا بذلك الارض لمرحلة الانتقال الى الاشتراكية التى بدات تتضح تفاصيلها فى نفس الوقت الذى بدات تتضح فيه خيوط الشيب فى رؤوس افراد هذا الجيل وتجاعيد النضال على وجوههم !

ومرحلة الانتقال الى الاشتراكية مرحلة صعبة وقاسية ولكنها فى نفس الوقت مؤكدة النجاح ، صعبة لان الصراع فيها بين قوى التقدم وقوى التخلف ، بين جماهير الشعب العامل وبين الرجعية لايختفى ولايهدأ بل يشتد ولكن — وهنا الصعوبة — يتبع من جانب الرجعية اساليب ووسائل غير مباشرة ولكن لماذا يشتد ؟ لان الطبقات الاستغلالية لايقضى عليها مجرد خلعها من الحكم فهى اذا خلعت منه لجات الى سلطة المال فان جردت منها لجات الى الاستعمار وهى تعلم علم اليقين انها ازاء اخر فرصة من فرص العودة بالمجتمع الى العلاقات الاجتماعية الاستغلالية القديمة وبقدر ماتنجح عملية الانتقال الى الاشتراكية ، اى بقدر ماتثبت دعائم العلاقات الجديدة ، اى بقدر مايثبت النظام الجديد نجاحه وكفاءته بقدر ماتضيق امامها الفرصة . ولهذا فهى لاتتردد عن اتباع اى اسلوب لتخريب هذا النظام وعرقلته معتمدة على ركائز فكرية تعلم انها لم تفقد قوتها بعد بين جماهير بناة الاشتراكية وهى الى جانب هذا تعلم ان ظروف مرحلة الانتقال الى الاشتراكية فى بلدنا قد تتطلب من البذل والتضحية اكثر مما تقدر على اعطائه من مكاسب لاننا نبنى المجتمع بادئين بقاعدة اقتصادية هزيلة ورثناها عن الماضى لاتستطيع ان تفى باحتياجات الملايين بين يوم وليلة او فى سنوات قليلة . الرجعية تعلم ان الاستيلاء على السلطة ليس امرا سهلا وان الاحتفاظ بها اصعب من الاستيلاء عليها ولكنها فى نفس الوقت تعلم — وهى تستغل هذا العلم ببراعة — ان كسب ملايين الفلاحين والعمال والتجار الصغار والمثقفين الى صف الاشتراكية امر اصعب من الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها . ثم هى بعد هذا كله لها بقاياها فى الاجهزة الادارية والاقتصادية ، كما انها جزء من الرجعية العالمية التى تساندها بشتى الوسائل .

من هنا تصبح مهمة الانتقال الى الاشتراكية هى مهمة اشتراك جماهير قوى الشعب العاملة فى عملية بناء قاعدة اقتصادية سليمة متطورة بحيث تزداد امكانياتها على الوفاء بالاحتياجات المتزايدة والمتنوعة لهذه الجماهير وهى فى حد ذاتها فى بلد يطرح عن نفسه اجيالا عديدة من التخلف عملية شاقة تستلزم اعدادا مستمرا وارتفاعا مطردا فى مستوى العاملين وركضا للحاق الدول التى سبقتنا .. ليس هذا فحسب بل هى تزداد صعوبة لانها تجرى فى ظل الظروف الاجتماعية التى ذكرناها . ومهمة كهذه لايمكن ان تتم تلقائيا ، لايمكن ان تتم دون قيادة على اعلى مستوى ممكن من الوعى والثورية بل لايمكن ان تتم دون ان يرتفع باستمرار وعى الجماهير اشتراكيا . والعبء الاكبر فى اتمام هذه المرحلة والوصول بمجتمعنا الى مجتمع الكفاية والعدل يقع على الجيل الجديد الذى دخل الحياة مع عشية ثورة يوليو ثم مع فجرها ثم بعده . وهو لكى يستطيع ان يقوم بهذه المهمة لابد وان يكون كما يقول الرئيس اكثر وعيا من جيل سبق لان المرحلة الحالية تستوجب وعيا اشتراكيا وهو اعلى اشكال الوعى الانسانى ، اكثر صلابة من جيل سبق لان المعركة الحالية التى تفرضها الرجعية علينا فرضا اكثر تعقيدا واشد من المعارك التى خضناها نحن معها فى الماضى لانها معركة ملتوية اساليبها غير مباشرة تعتمد اساسا على نواحى

الضعف فينا ولان معركة البناء اصعب من معركة الهدم ، اكثر طموحا من جيل سبق لان المهمة اليوم اكثر طموحا . وماذا اكثر طموحا من اقامة مجتمع انسانى بحق ، مجتمع الوفرة ، مجتمع العدالة ، مجتمعيسود فيهالعملويزول منهالاستغلال.وهى مهمة نجاحها مؤكد اذا اعددنا هذا الجيل القيامبها وقيادة كهذه لاتظهر تلقائيا ، او شيطانيا ، بل لابد من اعدادها .

كيف يكون الاعداد ومن يقوم به ؟

اناعدادهذا الجيلالجديد مرتبط بعمليةاستمرار النضال الشعبى من اجل استمرار تقدم الجماهير وبالتالى فان حجر الاساس فيه هو توحد هذا الجيل مع الجماهير . نعنى بالتوحد الايمانبقدرات الجماهير وبحتميةالحل الاشتراكىوبحتمية انتصاره نعنى بالتوحد ان يكون كل فرد فى تصرفاته ليس فقط غير معرقل لمصالح الجماهير بل ايضا مساعدا على تحقيقها ، نعنى بالتوحد ان تكون قدرات كل فرد ومواهبه وخبراته تحت تصرف الجماهير وفى خدمتها باستمرار .

ان عملية الانتقال الى الاشتراكية تستلزم اكثر من اى وقت مضىاعدادا علميا رفيعالمستوى،هذه حقيقة لاجدال حولها فبدون مستوى علمى مرتفع فى كافة مجالات النشاط الانسانى لايمكننا بناء قاعده اقتصادية سليمة ومتطورة فى اقصر وقت وباقل تضحية ممكنتين ، وبناء مثل هذه القاعدة يعنى بناء مجتمع الكفاية الذى تصبح العدالة بدونه عدالة فقر لاعدالة رخاء ، كل هذا لاجدال حوله ولكن ايضا لايستطيع احدان يجادلان جميع الدول الراسمالية المتقدمة بلغت من العلم مستوى نحاول نحن اللحاق به ، وان عددا غير قليل منها بلغ مستوى الكفاية ولكنها كفاية دون عدل . وشباب هذه الدوليعدون لتستمر الكفاية وتزداد ولكن ايضا ليستمر غياب العدل . ماالسبب؟ السببهو الموقف من الجماهير فالدول الراسمالية تقوم على علاقات اساسها استغلال الجماهير وبالتالى لابد وان تعد شبابها على اساس احتقار الجماهير ، على اساس ان انقسام المجتمع الى قلة متميزة ذات قدرات خارقة وكثرة خاملة لاوزن لها ، قلة تقود وكثرة تقاد من اجل صالح هذه القلة المتفوقة . امر طبيعى وانه هكذا كان الناس منذ خلق الله الارض ومن عليها .

نحن نريد العلم اذن بل ارقى مستوى من العلم ونريد ارفع مستوى من التكنيك ولكن نريدهما فى خدمة الجماهيرولن يتحققهذا الااذا توحدصاحبهما مع الجماهير ، بل ان التوحد مع الجماهير هو حجر الاساس ايضا فى اكساب الجيل الجديد مانريد له من وعى وصلابة وطموح . اننا لانسعى وراء وعى فردى او صلابة فردية او طموح فردى . صحيح اننا نريد ان يكون كل فرد واعيا وصلبا وطموحا ولكن واعيا بقضية الاشتراكية ، قضية الجماهير ، صلبا فى الكفاح من اجل الجماهير لانه يعلم ان معه الجماهير ، وطموحا الى تحقيق المستحيل لانه يعلم ان لامستحيل امام الجماهير . وبقدر عدد الافراد من الجيل الجديد الذين يتحلون بهذه الصفات بقدر عدد مايكون لدينا من مهندسين اشتراكيين وفنيين اشتراكيين واداريين اشتراكيين واطباء اشتراكيين .

والوعى والصلابة والطموح بهذا المفهوم صفات لايكتسبها الفرد تلقائيا ، لايكتسبها لمجرد انه طيب القلب حسن الخلق لايشرب الخمر ، لايكتسبها بالرياضة البدنية او بالمعسكرات والرحلات او بالطوابير العسكرية ، لايكتسبها بالاشتراك فى المهرجانات والاحتفالاتوالهتاف فيها، وانمايكتسبها فقطعن طريقتنظيم قيادىثورىيقود عمليةالاعداد كجزء لا يتجزأ منعمليةالنضال مناجلالاشتراكية يضع لها الخطط والبرامج المحددة ، يستخدم فيها الرياضة والمعسكراتوالرحلات والتربيةالعسكرية والاشتراك فى الاحتفالات كوسائل — لاكهدف — مع غيرها من وسائل الاعداد .

وهنا تثور قضية الكم والكيف ، قضية الشكل والمضمون .. واعداد الجيل الجديد قضية كم وكيف وقضية شكل ومضمون فى نفس الوقت .. قضية كم وكيف لانها قضية قادة وجماهير .. فليسمعنى انالاتحاد الاشتراكىيضم مايقربمن خمسةملايين عضو انه يضم خمسة ملايين قائد،وفى نفسالوقت ليس معنى ان ننشىء جهازا قياديا داخله ان نهمل الخمسةالملايينعضو،بلان من مهمةالجهاز السياسى القيادى ان يرتفع باستمرار بوعى الخمسة ملايين من التلقائية الى الوعى المنظم ، من الوعى بالمطالب الخاصة المباشرة الى الوعى بالاهداف العامة ، من الوعى الاقتصادى الى الوعى الاشتراكى الذى بدونه لن يتحقق مزيد من المكاسب بل يضيع ايضا ماتحقق بالفعل من مكاسب .. ان اغفال الفرق بين القيادة الواعية وبين الجماهير له نفس خطورة انعزال القيادة عن الجماهير فالامران يؤديان الى نتيجة واحدة هى تشتت نضال الجماهير وتضارب فئاتها والبعد عن الهدف .. كذلك الامر فيمايتصل باعداد الجيل الجديد .. فمن السذاجة السياسية ان نتصور الاعداد على انه مجرد تهيئة مكانتقضى فيه المئات او الالوف بضعة ايام تستمع خلالها الى عدة محاضرات ثم نقول عندنا كذا مائة او كذا الف

شباب من الجيل الجديد .. كما ان من التعنت والتزمت ايضا ان نكلف انفسنا جهدا كبيرا وننفق وقتا طويلا فى الاعداد النظرى لعشرات ونهمل امر المئات والالاف. كذلك فيما يختص بالشكل والمضمون .. اننا نتطلع الى شباب يعرف النظام ، نظيف المظهر، صحيح الجسم ، يجيد التشكيلات الرياضية يمشى بنظام ويجلس بنظام ويتكلم بنظام .. ولكننا لانريد مجرد الشكل .. لانسعى الى شكل بلا مضمون .. فشكل بلا مضمون لابد وان يؤدى فى النهاية وبوجه خاص مع الشباب الى مضمون مضاد .. لابد وان يؤدى الى الولاء لفرد ونحن نريد ولاء للجماهير .. لابد وان يؤدى الى الانعزال عن الجماهير والتعالى عليها ونحن نريد توحدا مع الجماهير وخدمة قضاياها .. ولكن فى نفس الوقت لايمكن للشباب ان يتوحد مع الجماهير ويخدم قضاياها وهو مهلهل من حيث الشكل ، بعيد عن النظام .

ان هذا كله يبرز بوضوح انه لايمكن اعداد جيل جديد بدون تنظيم سياسى قيادى له يضم خيرة افراده واصلبها ممن لديهم الحد الادنى من الوعى والصلابة والطموح ويتولى اعدادهم سياسيا نظريا وعمليا ، يزودهم بالوعى بالمرحلة الحالية من مراحل تطورنا ومتطلباتها ، يشرح لهم مراحل النضال السابقة التى لم يشهدوها وتاريخ الجيل الذى سبقهم وماقام به من تضحيات ويعمق فى وجدانهم الاسس النظرية العامة لدليل عملنـــا الثورى ، الميثاق ، وينمى فيهم قيمنا الجديدة ، وينقل اليهم خبرات الشباب فى باقى الدول . ثم يؤهلهم عمليا عن طريق معسكرات العمل والخدمة التطوعية على اساس انها ليست مجرد خدمة اجتماعية بل جزء لايتجزأ من عملية بناء المجتمع التى تقوم بها الجماهير .

ان اعداد قادة الجيل الجديد عملية هامة لايجوز الاستخفاف بها ولا الاسراع فيها كما لاتتحمل ايضا الابطاء ولكنها لابد ان تكون عملية ناضجة ولابد ان تسبق عملية الاهتمام بجمهرة الشباب لان قادة الشباب هم خير من يستطيعون العمل مع الشباب فهم منهم يحسون آمالهم ومشاكلهم واحتياجاتهم ونواحــى الضعف والقوة فيهم . وبعد اعداد عدد مقبول من قادة الشباب يبدأ العمل مع مجموع الشباب بهدف الارتفاع بمستوى وعيهم وربطهم بقضايا مجتمعهم بهدف خلق مناخ فكرى اشتراكى عام بينهم يساعد على اظهار عناصر قيادية جديدة ويشيع فيهم الحماس للعمل التطوعى فى مشروعات الخطة ، ثم بهدف اشراكهم فى حل القضايا المتصلة بنظم التعليم وبرامجه واساليبه . وفى هذا الصدد تلعب مراكز الشباب دورا هاما من حيث انها اماكن تجمع للشباب من مختلف قوى الشعب العامل يمارسون فيها هواياتهم الرياضية والاجتماعية الطبيعية بحكم اعمارهم ، اذ عن طريق العمل السياسى البسيط والمنظم من جانب قادة الشباب من الممكن ان تتحول هذه المراكز الى مراكز اشعاع اشتراكى ، وعمل تطوعى ، والى مدارس لمحو الامية ولغرس القيم الجديدة كالقيادة الجماعية والنقد والنقد الذاتى والولاء للجماعة ثم الى بوتقات تذوب فيها الفوارق بين شباب قوى الشعب العامل فينمو التوحد مع الجماهير ففى هذه المراكز يلتقى الشاب ابن المثقف بالشاب ابن العامل بالشاب ابن الموظف البسيط بالشاب ابن التاجر الصغير .

ان هذا التنظيم السياسى للشباب ، منظمة الشباب على الرغم من كونها تنظيما مستقلا لا بد وان تكون خاضعة خضوعا ديموقراطيا للجهاز السياســى القيادى للاتحاد الاشتراكى بوصفه اعلى جهاز قيادى يقود الجماهير من خلال تنظيماتها المستقلة المختلفة ، فهى منظمة لشباب الجماهير من اجل الجماهير فلا بد وان تخضع لرغبات الجماهير ممثلة فى قيادتها العليا . وهى كى تمارس دورها القيادى كما يجب ان يكون لابد وان يكون لها الاشراف الفعلى على كل نواحى نشاط الشباب وخاصة فيما يتصل بالاعداد العقائدى والتنظيمى والا تعددت القيادات وانقسم الشباب فرقا تتضارب وتلتف حول افراد فنعود الى ماكنا نشكو منه بالماضى .

استمرار العمل الثورى اذن مرتبط تمام الارتباط بعملية اعداد الجيل الجديد ، قادته وجمهوره ، بل ان هذا الاعداد هو الضمان ايضا لشعبية العمل الثورى وتقدميته فالجيل الجديد اليوم هو جماهير الشعب فى الغد وما ننجزه من تقدم اليوم انمــا هو تقدم بالنسبة لما كان عليه مجتمعنا بالامس ولكنه ليس نهاية التقدم بل هو اساس لتقدم جديد لابد وان نحرزه فى الغد ولا بد وان نعد العدة له مــن اليوم والا كان فهمنا لعملية سير التاريخ وحركة المجتمع واتصالها وحتمية تطوره الى الاشتراكية والدور الواعى الحر للجماهير الشعبية فى عملية التطور فهما قاصرا لايصيب بالضرر مستقبلنا فحسب بل يصيب به ايضا وبنفس الدرجة من الخطورة حاضرنا الذى نعيشه ونبنيه . ان ما نبذله اليوم من جهد وما نطالب به انفسنا من تضحيات ليس بهدف توفير مستقبل اكثر اشراقا لجيل الغد فحسب وانما ايضا الحماية الحاضر وتدعيم بنيانه . ان تداخــل الحاضر فى المستقبل واتصالهما اتصالا عضويـــا وثيقا يجعل عملية التطور والبناء عملية واحدة لا يكون الحساب الاول او الوحيد فيها هو عمر الانسان الفرد . ان مواليد عام ١٩٥٢ مثلا سيستفيدون قطعا

من ثورة يوليو اضعاف ما يستفيده الجيل الذى قام بالثورة فعلا فهل يعنى هذا انه كان من الممكن ان لا تقوم ثورة ٥٢ لهذا السبب؟ او ان تتوقف بعد قيامها لان جيلها او قادتها تقدم بهم العمر؟ كلا.. فالتطور ليس تطور افراد والثورة ليست عمل افراد انما التطور تطور المجتمع ككل والثورة عمل شعب ككل وعن طريق تطور المجتمع وعمل الشعب يتحدد مكان الفرد.

تجربة الاتحاد الاشتراكى

بهذا الفهم لارتباط استمرار التقدم باستمرار العمل الثورى والذى لا ضمان لاستمراره الا اذا كان هناك فى كل وقت جيل مستعد للقيادة وتحمل الامانة بدا الاتحاد الاشتراكى ، عن طريق الادارة المركزية للشباب ،فى اوائل عام ١٩٦٤ يولى عملية اعداد الجيل الجديد حقها من العناية كعمل سياسى حيوى وذلك عن طريق انشاء منظمة سياسية تقود الشباب وتتولى اعدادهم فكريا وسياسيا. وكان لا بد اولا من حسم بعض النقاط وكان اهمها :

● **تحديد المراحل العمرية التى تندرج تحت اصطلاح الشباب او الجيل الجديد.**

● **هل يبدا فى اعدادها جميعا ام يختار بعضها وعلى اى اساس يتم الاختيار.**

● **كيف يتم الاعداد وهل يحدد وقت معين للانتهاء منه؟ ومن الذى يقوم بالاعداد؟**

● **هل يبدا بالاعلان عن انشاء المنظمة ثم يعتبر كل الافراد فى المراحل العمرية التى يتفق عليها اعضاءها او لابد وان يبدى الفرد رغبته فى الانضمام او ان الامر على عكس هذا كله بمعنى ان يبدأ اولا باعداد القادة قبل ان يعلن عن قيام المنظمة ؟ بشكل آخر هل هى منظمة كيف او كم او الاثنين معا؟**

وانتهت الدراسة الى انه وان كان من الضرورى ان يبدا اعداد الجيل الجديد بسن القبول للمرحلة الدراسية الاولى ، المرحلة الابتدائية ، الا ان امكانياتنا من ناحية وظروفنا التى تحيط بعملية البناء من ناحية اخرى تحتمان الاهتمام اولا بالمراحل العمرية التى على وشك ان يدخل اصحابها ميدان العمل او الذين دخلوه قريبا وهؤلاء هم الشباب فيما بين الخامسة عشر والخامسة والعشرين، وهذا يعنى ان تشمل عملية الاعداد طلبة المدارس الثانوية والمعاهد العليا والجامعات ثم شباب الوحدات الانتاجية الذين تقع اعمارهم بين الخامسة عشر والخامسة والعشرين.

وكان لا بد لوضع خطة سليمة لعملية الاعداد ان يراعى واقع شبابنا وما به من نواحى ضعف ونواحى قوة حتى يمكن تحديد افضل الوسائل واسرعها اثرا. والشباب (وهو من يقع عمره بين ١٥ و ٢٥) قطاعان ،قطاع يتعلم وقطاع يعمل ، وهما يشتركان فى بعض النواحى ويختلفان فى البعض الاخر.

النواحى العامة

بوجه عام يشترك الشباب فى انهم — بدرجات متفاوتة بتفاوت الاعمار ولكنه تفاوت بسيط مع كل حال — لم يعاصروا مجتمع ما قبل الثورة فاكبرهم عمرا كان لم يبلغ عام ١٩٥٢ سوى اثنى عشر عاما ومعظمهم كانوا اطفالا. .هذه الحقيقة تعنى امرين هامين، الاول انهم لايلمون الماما كافيا بصورة مجتمعنا تحت حكم الاستعمار والملكية وتحالف الاقطاع وراس المال ولم يتعرضوا مثلنا نحن الذين قضينا مثل هذه المرحلة من العمر فى مجتمع قبل الثورة لما تعرضنا له من مختلف الوان الاستغلال وفساد الحكم وبالتالى فهم ينظرون الى ما تم من انجازات ضخمة بعد الثورة نظرة عادية وكانما هى امور طبيعية لم تتحقق ببذل دماء وارواح ،شعورهم الوطنى لم يتعرض لما تعرض له شعور جيلنا من جروح كان يسببها الاستعمار، صدورهم لم تتعرض كما تعرضت صدور جيلنا لرصاص قوات الاحتلال. لم يشهدوا الحكومات تؤلف وتخلع بأمر من مندوب الاستعمار. انهم اليوم حين تحملهم اقدامهم لنزهة بالقرب من النيل يرون الجامعة العربية والهيلتون ومبنى الاتحاد الاشتراكى وكنا نرى نحن ثكنات الجند الانجليز ..فمن الطبيعى ان تختلف نظرتهم الى الاستقلال من نظرتنا اليه .لم يتعرضوا اثناء دراستهم لما تعرض له جيلنا من حرمان ومن تكليف لابائنا ما لا يطيقون من المال . ان العلم اليوم حق للجميع لا تقف القدرة المالية حائلا دونه ودون احد. ولكن.. وانا هنا لا الوم بل اقرر واقعا، هل يعى شبابنا بهذا الحق كما يعيه جيلنا الذى حصل على ما حصل عليه من علم بشق الانفس، كم من اب باع كل ما يملك ليعلم اولاده. كم من طالب كان الشارع مقرا لاستذكاره، فبالشارع نور وبيته لا يدخله النور. كم من آلاف صدت فى وجوههم ابواب التعليم وكان من الممكن ان يكون بينهم مئات من النابغين كذلك الامر بالنسبة لحق العمل ،بالنسبة لحق العلاج والقصة تطول .

من هنا فان دعامة اساسية من دعامات اعداد الشباب هى ان ننقل اليهم صورة تفصيلية لما كان عليه مجتمع الماضى حتى يقدروا مجتمع اليومحق قدره وحتى يبذلوا ما يجب بذله دفاعا عنه وتدعيما له وانتقالا به الى آفاق جديدة من التقدم .

والامر الثانى ان الشباب اذا كان بطبيعة الحال لم يلعب دورا فى الثورة الوطنية من اجل التحرر قبل الثورة فان عمره لم يتح له ايضا فرصة لان يلعب دورا بعدها، وكان نتيجة هذا ان ما يعيش وسطه من خدمات وتسهيلات لم يكن فى اغلبه من صنعه بلمن صنعغيره، لم يبذلفيه جهدا ولميتحمل من اجله مشقة، وبالتالى ينسى، او من الممكن ان ينسى، قيمة العمل والبذل فى مجتمع لا يمكن ان يقوم ويتقدم الا بالعمل والبذل.. من الممكن ان يسرى الضعف فيه وان يستسهل الامور وان يتعود ان يطلب فيجد ما يطلب لا ان يسعى الى تحقيق ما يطلب، خاصة وان الثورة غمرت الشباب بفيضان من الخدمات التعليمية والصحية والترويحيـة والرياضية ،وانتشرت مراكز الشباب ومعسكراته وانديته ورحلاته بشكل لم يسبق له مثيل وما كنا نحن لنحلم به. ولكن هذا الاهتمام برعاية الشباب لم يصاحبه اهتمام مماثل باعداده اعدادا سياسيا، ولم ينجـح القائمـون على رعاية الشبـــاب فى انيربطوا الشباب ــ عنطريق اهتماماته الرياضية والكشفية والترويحية ــ بقضايا مجتمعه وبحركته، وما كان من الممكن ان ينجحوا فى هذا فان مراحل النضال الثورى بعد ٥٢ من طرد للاستعمار وتدعيم لسلطة الشعب وصد للعدوان وخلع لتحـالف الاقطاع ورأس المال المستغل وما استلزمته من اجراءات ثوريةادارية فى الاساس لمتسمح باتضاح معالم الخط الفلسفى لحركة مجتمعنا الا فى عام ١٩٦٢ باقرار الميثاق .

وقد نتج عن هذا كله ان شبابنا اتخذ من العمل السياسى موقفا لا اصفه بالنفور منه بقدر ما اصفه بالجهل بهوعدم ادراكمعناه اواهميته. فليسهناك شباب بطبيعته يكره العمل السياسى او ينفر منه ولكن هناك ظروفا تجعل بعض الشباب لا يعلمون من امره شيئا فاذا دعوا اليه ترددوا او خافــوا شأن كل من يخاف مما يجهله .

ونتج عن هذا ايضا ــ وهو الامر المهم ــ ان واقع الشباب لم يسمح بظهور قيادات له، قيادات صقلتها التجارب وصهرها العمل والتحديــات ، قيادات واعية بحركة مجتمعها الذى تعيشه والذى هى على وشك ان تلعب الدور الاساسى فى اكمال بنائه والتقدم بحركته. كل ما ظهر من قيادات لا يتعدى عددا صغيرا من قيادات العمل النقابـى للشباب الذى يعمل ،وعددا صغيرا آخر من قيادات النشاط الاجتماعى للشباب الذى يتعلم .

نواحى الاختلاف

اذا كان قطاعا الشباب يتفقان فى موقفهما من العمل السياسى ومن قضايا المجتمع وفى افتقارهما الى قيادات واعية فانهما يختلفان فى بعض الامور اختلافا يستلزم وضعه فى الاعتبار عند وضع خطة الاعداد. فهما يختلفان اولا فى الحظ من التعليم والقدرة على التحصيل النظرى فشباب مجالات الانتاج الذى حتمت عليه ظروفه ان يعمل فى سن مبكرة حظه من التعليم بسيط فهو لا يتعدى فى احسن الحالات التعليم المتوسط او الابدائى او معرفة القراءة والكتابة، وتشغله ظروف عمله عن سد هذ النقص فيه ،بينما شباب المدارس والمعاهد والجامعات لا عمل له الا التعليم .

غير ان شباب الانتاج يمتاز عن شباب الطلبة بانه فى بوتقة الحياة ،يعركها وتعركه، ومن ثم فهو اكثر احساسا بمشاكل المجتمع واسرع انفعالا بها واشدحماسا لحلها. هوبحكمظروفه فىغمارالعمل السياسىدون انيدرى. اما الطلبةفلااظننىمتجنيا عليهم اذا قلت انهم يكادون ان يكونوا على هامش الحياة .

هذا الى جانب الاختلاف فى مستوى المعيشة بوجه عام بين القطاعين .

الظروف الخاصة بالجامعة والمعاهد العليا

وكان للجامعة والمعاهد العليا ظروف خاصة تزيد الامر تعقيدا فنتيجةالفراغ السياسىوالاقتصار على نشاط الاتحادات تكونت « شلل احتكارية » عملتعلىاحتكار مناصبالاتحاد التىتهيأ لشاغليها الامر الكثير من الجاه والخدمات... والمال واتبعت ــ فى اغلبها ــ وسائل مختلفة لاستمرار سيطرتها على النشاط الطلابى ممابسبب ابتعاد جمهور الطلبة عن حتى ميدان النشاط الاجتماعى ونفورهم من اى عمل عام حتى بلغ الامر فى كثير من الحالاتان عدد الذين كانوا يشتركون فى الانتخابات لم يكن يزيد على الآحاد .. وصاحب هذا شقاق وخلاف بين الاتحادات ولجان الاتحاد الاشتراكى للطلبة ثم محاولة قوى خارجية ان تلعب دورا بين الطلبة، قوى وطنية مخلصة ولكن اسلوبها ادى الى انقسام

الطلبة الى مجموعات متنافرة لا هى خاضعة لسيطرة الاتحاد الطلابى ولا لسيطرة الاتحاد الاشتراكى ولا لسيطرة الجامعة وكانت النتيجة ان جميع هذه التنظيمات ، الرسمى منها وغير الرسمى ، لم تكن تضم من الطلبة الا الوصوليين ونهازى الفرص ومحترفى الشغب حتى كدنا نصل الى نفس الصورة التى كانت سائدة ايام الاحزاب القديمة ولكن بدون قضية وطنية محتدمة تجمع حولها المخلصون .

النواحى الايجابية

غير ان الواقع لم يخل من نواح ايجابية فالشباب لم تلوثه بشكل خطير قيم الماضى الفاسدة، كما وان الفكر الانسانى فى هذه الايام طرق آفاقا رحبة لم تكن تدور بخلد انسان ، ومجتمعنا قد انفتح بشكل لم يسبق له مثيل على تجارب الانسان فى كل مكان وتحرر من كثير من الضغوط بفضل سيطرة قوى الشعب على الحكم والاقتصاد ، واشترك شبابنا فى بعض معسكرات العمل واثبت روحا طيبة ولو ان هذه المعسكرات لا يزال تسودها روح الخدمة الاجتماعية العامة لا روح العمل السياسى .

حجر الاساس فى بناء المنظمة

ذلك كان واقع الشباب الذى واجه الاتحاد الاشتراكى فى اوائل ١٩٦٤ وكان بكل نواحيه يشير الى ان حجر الاساس فى بناء منظمة سياسية للشباب هو اعداد جهازها القيادى قبل ان تعلن عن نفسها وتفتح ابوابها لكل من يقع عمره بين ١٥ و٢٥ والا كانت النتيجة هى مجرد أن يتجمع كل الشباب بكل ما يعانيه من نواحى الضعف تحت راية براقة اسمها منظمة الشباب ثم يظل الواقع على ما هو عليه وذلك بدلا من ان ننشىء قيادة ، قوة ضاربة ، تقود عملية تغيير هذا الواقع عن طريق قيامها بانشاء المنظمة نفسها وتجميع الشباب تجميعا حرا اراديا فيها. وثار السؤال : ومن يقوم باكتشاف العناصر الصالحة للقيادة بين ١٥ و٢٥ سنة ثم يقوم باعدادها؟ فبرزت **فكرة الرواد** .

والرواد افراد تقع اعمارهم بين ٢٥ و ٣٥ فهم يصلون الى حد ما ماضى الثورة بحاضرها يختارون من مجالات الانتاج والمدارس على ان يكونوا على حد ادنى من الاتصال بالشباب والاهتمام بقضاياهم وبذلك يكونون اقدر الناس على اكتشاف العناصر الصالحة للقيادة فى الشباب. ورسمت الخطة على ان يكون لكل محافظة رائد عام ولكل قسم او مركز رائد ولكل وحدة انتاج او مدرسة رائد . ومهمة هؤلاء الرواد اكتشاف القيادات الشبابية والمشاركة فى اعدادهم واقامة المستويات المختلفة للمنظمة. والرائد ليس عضوا بالمنظمة فهو وان كان يحضر اجتماعات مستواه الا انه لا يحضرها كعضو له حق التصويت بل كموجه اومستشار دوره الاساسى هو تدريب اعضاء المستوى وصقلهم . وكان لابد اولا من اختيارهم، وتمت عملية الاختيار عن طريق ترشيح لجان الاتحاد الاشتراكى والمحافظين ثم تمت عملية اختيار اولوية عن طريق «هيئة السكرتارية الموقتة للمنظمة » التى كونتها الادارة المركزية للشباب بالاتحاد الاشتراكى وتم اختيار عدد اكبر من العدد المطلوب لكل محافظة ثم بدأ اعدادهم على ثلاث مراحل :

مرحلة اولية لمدة اسبوعين فى معسكر بمرسى مطروح يتلقون فيها اعدادا نظريا اوليا من الناحية السياسية والنظرية ومن ناحية اساليب العمل فى ميادين الشباب وكان الهدف من المرحلة هى خلق حد متواضع من وحدة الفكر حول بعض القضايا الاساسية واختبار قدراتهم وملكاتهم واستعدادهم للعمل السياسى. وتنتهى المرحلة بامتحان يلتحق من ينجح فيه بمرحلة ثانية من اسبوعين يقضيها فى معسكر العمل بوادى النطرون حيث يعمل الشباب بين ١٥ و ٢٥ سنة ، ومهمة الرائد فى هذا المعسكر أن يشرف على مجموعة من الشباب اثناء قيامها بالعمل وفى اوقات فراغها وان ينقل الى افرادها بأسلوب يفهمونه ما تلقاه هو من معلومات فى المرحلة الاولى. كل هذا تحت اشراف اعضاء هيئة السكرتارية الموقتة. والهدف من هذه المرحلة هو اختبار مدى قدرة الرائد على معايشة الشباب وعلى نقل الافكار اليهم ومدى قبول الشباب له واقتناعهم به. وتنتهى المرحلة بتقييم اعضاء السكرتارية للرواد ومن يرون صلاحيته ينتقل الى مرحلة ثالثة مدتها ستة اسابيع فى معسكر بحلوان حيث يتلقى دراسة نظرية وسياسية اعمق تتناول قضايا التحول الاشتراكى وحتميته ، والتنمية الاقتصادية وحركة المجتمع وما يحكمها من قوانين ، وقضايا التنظيم السياسى ، والسياسة الخارجية ، ونظرية الثورة ثم بعض التدريبات العسكرية ثم الاشتراك فى مشروع يتصورون فيه انهم مكلفون باعلان قيام المنظمة واعداد قياداتها ثم الانتقال بها الى مرحلة العمل اليومى وما يثيره من مشاكل وكيف يتصرفون لحلها. وهدف المرحلة تعميق وحدة الفكر وتقييم الرائد من شتى النواحى لان معيشة دائمة لستة اسابيع مع ما يتخللها من دراسة ولهو تهيىء فرصة طيبة للتقييم . وفى آخر المرحلة يقسم الرواد ثلاثة اقسام من حيث المستوى الفكرى والالتزام التنظيمى والقدرات وقد انتهت هذه المرحلة فى يوليو ١٩٦٥ ،

اى ان المراحل الثلاث استغرقت عاما امكن خلالها اعداد ما يقرب من ثلاثمائة رائد.

وهنا ثارت قضية جديدة .. فلقد بدات مرحلة اكتشاف العناصر القيادية فى الوحدات ولكن هل نبدا مرة واحدة فى كل المحافظات ام نبدا ببعض المحافظات وعلى ضوء التجربة نتوسع؟ وكان القرار ان نبدا بمحافظات القاهرة والجيزة والاسكندرية فمن ناحية عدد الرواد الذين تم اعدادهم لا يسمح بان نبدا بالمحافظات جميعا ومن ناحية ثانية كان لابد من البدء على نطاق محدود كحقل تجارب قبل ان نعمم التجربة. وتم اختيار ٢٠٠ وحده فى الثلاث محافظات بين مصانع ومدارس ثانوية ومعاهد عليا وكليات، ولعب الرواد دورا اساسيا الى جانب لجان الاتحاد الاشتراكى ورجال التعليم فى ترشيح العناصر القيادية وتم تصفية المرشحين واختيار افضل العناصر من بينهم ثم بدأ اعدادهم فى سبتمبر من نفس العام على افواج كل فوج يقضى مرحلة اولية اثنى عشر يوما وهذه هى المرحلة التى حظى احد افواجها بزيارة الرئيس. وقد ساهم الرواد بدور كبير فى عملية اعداد هذه القيادات. وهدف هذه المرحلة هو اعداد قيادة الوحدة (لا يزيد عدد اللجنة القيادية على عشرة) اعدادا اوليا يمكنها من ان تبدا بتوجيه رائدها بعض الخطوات التمهيدية لاعلان فرع المنظمة فى الوحدة.

دروس التجربة

● صعوبة عملية الاختيار نظرا لما يؤثر عليها من عوامل مختلفة فبعض المسئولين سواء بالجهاز التنفيذى او الاتحاد الاشتراكى كانوا يرشحون العناصر التى يريدون التخلص منها، والبعض الاخر كان يرشح العناصر على اساس «شلل» ولكن عددا غير قليل آمن بالفكرة وكان جادا فى ترشيحاته غير ان الدرس الهام هو ان فى ظروفنا يمكن التغلب على صعوبة عملية الاختيار بتعدد مصادره فكلما تعددت واتسعت كلما كان المرشحون اقرب الى تمثيل واقع شعبنا وهو واقع يزخر بالعناصر الطيبة كما وانه بقدر ما يثبت نجاح العمل وجديته بقدر ما يقتنع الناس به وبقدر ما يتحمسون له فيحسنون الاختيار لان سوء الاختيار يرجع فى احيان غير قليلة الى عدم فهم القضية او الى يأس من تجارب سابقة ولقد حدث فعلا ان عددا من المسئولين عندما لمسوا نتائج العمل ارسلوا الى الادارة المركزية للشباب يرشحون اشخاصا جددا معلنين تحملهم مسئولية الترشيح .

● تعطش شبابنا الى المعرفة بدرجة قوية واستعداده فعلا للعمل الجاد من اجل بناء مجتمعه وتغييره وكل ما ينقصه هو انه لا يعلم .

● غنى شبابنا بالعناصر الصلبة واستعدادهم للالتزام التنظيمى القائم على النقاش الحر والحوار الفكرى المفتوح .

● ارتفاع مستوى شباب الوحدات الانتاجية بالنسبة الى مستوى طلبة الجامعة سواء من الناحية الفكرية (رغم انخفاض مستواهم التعليمى) او من الناحية التنظيمية. وكذلك لوحظ ان مستوى طلبة الثانوى فى اغلبه من حيث استعدادهم للعمل السياسى يفوق مستوى طلبة الجامعة.

● ثبوت ان الخوف من اختلاط الجنسين خرافة فلقد كانت بعض الافواج مشتركة وكانت افضل من افواج الجنس الواحد.

● اختلاط قوى الشعب المختلفة على رغم اختلاف المستويات التعليمية على قدر كبير من الاهمية فى تذويب الفوارق الفكرية والفوارق فى القيم والعادات وفى تبادل الخبرات وتوحيد الفكر والعمل .

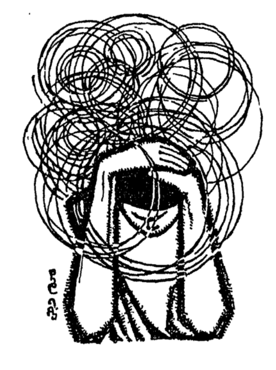
● اهمية القدوة فالواقع ان سلوك القائمين على العملية وتفانيهم فى اداء واجباتهم كان له اثر كبير فى نجاحها.

● ظهور برامج المواد القومية سواء بالمدارس الثانوية او بالجامعة كعقبة كبرى وكذلك بعض برامج التليفزيون وافلام السينما وكتابات بعض الصحف والمجلات .واخيرا اتضاح حقيقة هامة اتضاحا قويا وهى ان الكيف هو الطريق الوحيد الى الكم وان المضمون مهما بلغ من الصعوبة او المراره لا الشكل البراق هو الذى تتجمع حوله الجماهير وتتحمل من اجله التضحيات والمشاق.





التحليل الاجتماعى لمشكلات الشباب فى مجتمعنا المعاصر



د. محمد عماد الدين اسماعيل

قامت محاولات كثيرة لتحديد مشكلات الشباب . وكان معظم هذه المحاولات عبارة عن تأملات مبنية على انطباعات شخصية، وكان أقلها بل القليل النادر منها عبارة عن بحوث علمية تقوم على أساس استفتاءات للشباب أو مقابلات مع بعض أفراده أو كليهما معا .

وسواء أكانت هذه الكتابات عبارة عن انطباعات شخصية أو بحوث علمية فقد كان معظمها ـ فى رأى كاتب هذا المقال ـ يعوزه التحليل العميق للخلفية الثقافية التى تعتبر فى الواقع أساسا لنشأة هذه المشكلات . فقد يحلو للبعض مثلا ان يتهم شباب الجيل الحالى بشتى الاتهامات ، مستندا اليه عوامل انحرافه كما لو كان له طبيعة خاصة تميزه عن نظرائه من شباب الاجيال الماضية . فقد يقال مثلا ان شباب هذا الجيل أكثر نعومة أو أقل احتمالا للمسئولية أو أشد تراخيا من شباب الجيل السابق . وقد تطلق هذه التعميمات الجارفة دون ما تحفظ أو حرص من ناحية ، ودون ما بحث أو تعمق فى أسباب هذه الظواهر ـ ان وجدت ـ من ناحية أخرى .

اما البحوث العلمية التى اجريت فى هذا المجال فقد اهتمت أولا وبالذات بتصنيف المشكلات التى يعانى منها الشباب ، فقامت بمسح شامل لانواع هذه المشكلات تبعا لتقسيمات قام بها الباحثون أنفسهم . وبعبارة أخرى فقد أهتم الباحثون الذين قاموا بدراسة مشكلات الشباب بتجزىء هذه المشكلات تجزيئا مصطنعا يمثل فى الغالب وجهة نظرهم هم اكثر مما يمثل وجهة نظر الشاب نفسه ، ويعنى بوصف المشكلة أكثر مما يعنى ببيان اسبابها وديناميانها ، ويركز على الناحية الفردية أكثر مما يركز على الناحية الاجتماعية . وينحو منحى جزئيا أكثر مماينحو منحى كليا . وتحتذى هذه الدراسات فى الغالب نموذج الدراسات التى اجريت فى الولايات المتحدة الامريكية حيث تسود الفلسفة الفردية .

ولقد كانت نتيجة هذا المدخل فى الكتابة او فى البحث فى مشكلات الشباب أن ظلت عوامل كثيرة وهامة فى هذا المجال خافيـة عن اعيننـا لاننـا أخفيناها عن تفكيرنا وكان نتيجة لذلك ايضـا أن زمام الشباب كاد ان يفلت من ايدينا . وجنـوح الشباب من اخطر ما يمكن ان يصيب المجتمع من شرور .

مقدمات ضرورية

لذلك كان من الضرورى لكى نحقق فهماواضحا لمشكلات الشباب ونقـدر الموقف حق قدره ان نضع أمام اعيننا الحقائق الهامة التالية :

أولا : اننا لا نستطيع ان نفهم مشكلات الشباب او سلوك الفرد بوجه عام الا فى ضـوء الصـورة الكلية التى نكونها عن ذاته . وبمعنى آخـر فان مشكلات الشباب ليست مشكلات جزئية منعزلة بعضها عن بعض بل هى مشـكلات لذات كليـة تتفاعل مع المجتمع ككل . فالتوافق مع المجتمع ليس عملية جزئية ناتجة عن اشباع هذا الدافع الخاص أو ذاك بل هى عملية كلية تتوقف على أن يجد الشخص **نجاحا ما فى مجال ما** . ونحن نلاحظ فى مواقف الحياة اليومية أو من خلال الخبـرات الاكلينيكية كيف أن الطالب مثلا قد يحقق توافقا للموقف بعد أن يكون قد استطاع ان يكون علاقة طيبة مع مدرسيه ، أى بعد أن يكون قد استطاع ان يحقق « لذاته » شـعورا بالتقبل والتقدير ، وذلك بالرغم من أن جميع الدوافع الجزئية التى احبطت لا تزال كما هى .

كذلك فى مواقف العـلاج النفسى نلاحظ آثارا سارة فى سلوك الفرد عندما تتكون فى البـداية العلاقة الضرورية الطيبة بينه وبين المعالج ، تلك العلاقة التى تشبع فيها ذاته ككل وليس الدافع الجزئى للحصول على الطعام مثـلا أو الدافـع الجنسى أو غير ذلك من الدوافع الجزئية .

ولا يخلو مفهوم الفرد عن ذاته من حـكم من أحكام القيمة . فنحن لا نستطيع ان نتصور فردا يصف نفسه دون ان نقيم هـذا الوصف بقيمـة معينة من القيم . ويتضمن حكم القيمـة هـذا شيئين ، شيء يقيم ومعيار للتقييم . فالشـاب عندما يحكم على نفسه فهو فى الواقع يحمل على نفسه صفة من الصفات بدرجة معينـة بالنسبة لمعيار معين . واخيرا فان النتيجة اما ان تـكون مرضية أو غير مرضية .

اما المعيار الذى يقيم به الشباب ذاته فيشتقه بالطبع مما وضعه له المجتمع من معايير ومستويات للسلوك . وأما النتيجة المرضية او غير المرضـية المرتبة على عملية التقييم هذه فانها تتوقف عـلى مدى النجاح او الفشل الذى أحرزه فى الوصول الى هذه المستويات . ولا يستطيـع الفـرد أن يتخلص فى ذلك كله من مقارنة نفسـه بالاخرين . فالصورة الكلية للذات فى علاقتها بالصورة العامة للمجتمع اذن أساس هام لتفهم مشكلات الشباب .

ثانيا : ان مشكلات الشباب او انعدام التوافق بين الشاب ومجتمعه أساسه حالة صراع حاد .. صراع بين ذات مثالية لا يستطيع ان يحققهـا ، وذات واقعية لا يرضى عنها . وينشأ هذا الصراع فى اثناء تفاعل الفرد مع المجتمع الذى يعيش فيه . ويكتسب الفـرد هذا الصراع اولا وعلى وجـه الاخص ــ فى أثناء عملية التنشئة الاجتماعية ــ من والديه أو من يقوم مقامهما . فالوالدان أو من يقوم مقامهما يعرضان الطفل اثناء عمليـة التنشـئة هذه لنظم متناقضة من الثواب والعقاب تعكس فى الغالب ما يعانيه المجتمع من تناقض بين القيـم والمعايير والمستويات التى يحـددها بالنسبـة لسلوك افراده . ثم يخرج الشاب الى المجتمـع بعد ذلك ليجد فى كثير من الاحيان ما يدعم هـذا الصراع من التناقضات المختلفة الموجودة فى المجتمع .

والثقافة التى نعيش فيها ليست نظاما منطقيا مخططا على اساس تجريبى سليم . بل هى على العكس عبارة عن تراث تاريخى ينطوى على الكثير من عوامل التـوتر والصراع ومليء بالتنـاقض والمتناقضات . فنحن نجد مثـلا ان بعض النظم التربوية الحالية ترجع الى الاف خلت من السنين الى جانب زيادات أو اضافات حديثة لم تختص اختصاصا كليا كاملا فى الثقافة عنها .

وسوف نحاول فيما بعد أن نحلل التنـاقض الموجود فى واقعنا الاجتماعى ولكن يكفى ان نضرب مثلا بما يحدث عادة فى معظم البيوت التى نعيش فيها . فنحن نربى أطفالنـا عادة على التـأدب والطاعة والتعاون ثم نطلب منهم فى نفس الوقت أن يكونوا عدوانيين أمام العـدوان الخـارجى ، وأن يكونوا منافسين اقوياء والا يقبلوا الهزيمـة وان تكون لهم الغلبة دائما . ولكن كثيرا ما نجـد أن الطفل الذى ينشأ مطيعا متعاونا قد تكون تربيته على الطاعة والتعاون من القوة بحيث لا يستطيع أن يقف على قدميه أمام العـالم الخارجى المليء بالتنافس والعدوان . وفى أحـوال أخـرى قـد يكتسب الطفل من النظم التربوية سمات عدوانية نحو السلطة لا تظهر فى المنزل ثم تظهر بعـد ذلك عندما يخرج الطفل شابا الى المجتمع الخـارجى بصورة أو بأخرى .

من هنا يتضح مدى اعتماد فهمنا لمشـكلات الشباب على تحليل واع لنظام القيم التى تسود

المجتمع ، وعلى معرفة ما يسود هذا النظـام من تماسك أو من تناقض . والواقع أن هذا المدخل لفهم مشكلات الشباب لم ينل اهتماما من الباحثين بقدر ما نال المدخل الفردى الجـزئى . غـير أن التيار قد تحول الان حتى فى البـلاد التى تؤمن بالفلسفة الفردية فقامت جمـاعة من المصلحـين الاجتماعيين والتربويين وعلماء النفس والاجتماع التقدميين تدعو الى فهم مشـكلات الشبـاب فى ضوء تحليل المجتمع وما ينطوى عليـه من قيم وعادات وتقاليد وتوقعات وآمال وطموح . فبقدر ما يستطيع الشباب أن يواجه مطالب المجتمع دون أن يقع فى تناقض ، يمكنه أن يحقق توافقا معذلك المجتمع ولكن تنشأ المشـكلات المتعـددة عندما يفشل الشباب فى تحقيق ذلك .

ثالثا : ان فترة الشباب ـ بحكم مقتضـيات المدنية الحديثة ـ فترة تتضخم فيها المشكلات . ذلك ان الهـوة البعيـدة بين سـن النضـج البيولوجى والعقلى وسن النضـج الاقتصـادى تجعل الشباب يظل معتمدا على الكبير ـ الابوين او من يقوم مقامهما ـ مدة طويلة ، فى الوقتالذى يشعر فيه بأنه قد اكتمل عقلا وجسما . وتظل معاملة الوالدين او من يقوم مقامهما من السلطة فى هذه الفترة تتسم بنفس الصفات التى كانت تتسم بها معاملتهم للشباب عندما كان طفلا . فهم فى الواقع قلما يساعدوه على الشعور بالاستقلال وبالنضج الاجتماعى وبتحقيق آماله ومطامحه من حيث امكانية الاسهام فى التخطيط لمستقبله أو لتحصيله او لفراغه فى أى مجال آخر من مجالاته الحيـوية . فالفـرد يبلغ سن النضـج العقـلى والبيولوجى فى المجتمع الحديثفىحوالى السادسة عشرة الى الثامنة عشرة هذا فى حين يظلمعتمدا على الكبير اقتصاديا ـ وهذا ينطبق على المجتمع المدنى بالذات ـ حتى حوالى الخامسة والعشرين أو الثلاثين . ولا شك فى أن النضوج العقلىللفرد فى دور المراهقة وما يستتبعه من حيث القـدرة على التفكير فى الامور المجـردة هـذا الى جانب اكتمال النمومن الناحية البيولوجية ومايستتبعه من وجود طاقة حيوية جديدة متدفقـة .. كل هذا من ناحية ، وما يعانيه الشـاب من ضغوط وحرمان وعدم القدرة على الاستقلال او التصرف بما يتناسب مع اكتمال هذه المظاهر .. منناحية أخرى ، كل ذلك قد يوقع الشاب فى تناقضـات تتجسم معها مشكلاته ، فيبدأ فى الشك فى القيم والمعايير والسلطة المحيطة به ، وما يمكن ان تؤديه اليه من خير أو تحققه له من توازن .

رابعا : ان فترة الشباب هى من أعز الفتـرات وأخطرها فى بناء الشعوب . ففيها يتميز الفـرد بطاقة جسمية وعقلية تكون أقوى ما يمـكن فى حياته . ولذا كان حسن استقلال هذه الطـاقات من أهم العوامل البناءة فى حياة الشعب ، وكل ما يحدث فيها من تلف أو من اخطار او من اضرار خسارة كبرى لا يمكن ان تعوض . لذلك كله يجب أن يكون اهتمامنا بمشكلات الشـباب وتوجيـه طاقته عملية اساسية فى تخطيطنا لبنـاء مجتمع جديد .

تناقض القيم

فى ضوء هذه المقدمات نستطيـع ان نحـدد العوامل الثقافية التى قـد تـكون مسئولة عن مشكلات الشباب او انحرافاته السلوكية .

ان اول حقيقـة تواجهنا هى انه فى مراحـل التطور السريعة من حياة الشعوب ، يعانىالمجتمع من تناقضات ضرورية لازمة لحالة التغير التىتمر بها . ونحن فى **المجتمع العربى** نمر بمرحلة تغـير سريعـة لم يسبق لها مثيل ، ونواجـه بالتـالى ما ينجم عن ذلك التغير السريع من تناقضات .

ونحن لا ننكر أن كثيرا من القيم البالية يجـد حربا شعواء من المصلحين الاجتماعيين والمفـكرين والدعاة السياسيين وغيرهم . فهناك حملة قوية على تلك القيم . الا ان هذه المحاولات ابعد من أن تكون نظاما كاملا من الظروف الاجتماعيـة التى تنعدم فيها المتناقضات البدائية والتى تتصـف بالتماسك والانسجام . وبمعنى آخر لم يحـدث بعد ان يرسم منهجا كاملا يشمل جميـع العوامل والظروف المكونة للثقافة بحيث يمكن أن يقولانه قد زالت جميع القيم البالية العتيقة التىورثناها من الاجيال السابقة .

ليس هذا فحسب بل ان الاجيال نفسها التى تعيش جنبا الى جنب تختلف فى نظرتها الىالحياة وفى نظرتها الى المعايير وفى نظرتها الى الوسـائل والغايات . ولا ننسى ان الشباب منالجيل الحالى قد تربى على يد آباء لم يعيشـوا فى مجتمع اشتراكى . هذا فى الوقت الذى يجد فيه هـذا الشباب ذاته أن القيم الصاعدة فى المجتمعالجديد انما هى قيم اشتراكية .

واذا أضفنا الى ذلك التخلف الثقـافى الـذى عشنا فيه اجيالا واجيال ثم حـركة التصنيـع السريعة وما تستلزمه من ادخال وسائل المدنية الحديثة وتطبيق العلم فى كل ناحية من حياتنا ، استطعنا أن ندرك فى ذلك كله صـورة كاملة من المتناقضات تحمل فى طياتها المعالم الاتية :

● **فى مجال المفاضلة بين الافراد وتحقيقالمركز او المكانة الاجتماعية ،** تمجد القيم الصـاعدة ، تحقيق العدالة الاجتماعية على اساس العمـل الايجابى المثمر وتؤكد ان قيمة الفرد تتحددبعمله

وبمجهوده بعد أن كانت تتحدد بمكانته الطبقية الموروثة او ما يمتلك من ارض ومال ، وتنادى بتكافؤ الفرص أمام الجميع للعمل وللاستمتاع بخيرات المجتمع . ولقد اتخذت الثورة فى هذا السبيل من الاجراءات الاشتراكية ما يكفل تدعيم هذه القيم وجعلها حقيقة واقعة .

غير اننا لا نستطيع ان نقول اننا قد قضينا بهذه الاجراءات على جميع القيم المتخلفة فى هذا المجال ، فمن طبيعة المجتمع المتغير ان يتم التغيير الاقتصادى بخطى اسرع مما يمكن ان يتم به التغير الاجتماعى والثقافى . فلا تزال توجد فى مجتمعنا قيم التفضيل على اساس السن والاقدمية دون الكفاءة أو سداد الراى او الانتاج اى تفضيل الاقدم على الاحدث مهما كانت امكانيات الانتاج او الكفاءة ، وكذلك تفضيل الرجل على المرأة . والتفضيل على اساس العصبية او الشلة أو بعض الاعتبارات المادية او الاعتبارات المتصلة بالمظهر او بمهارات السلوك الاجتماعى التى قد لا تقرها الاخلاق العامة ، أو حتى بعض اعتبارات الروتين والبيروقراطية .

ولا شك أن هذا الوضع الاجتماعى تراث فى مجتمع كانت تتحكم فيه الفوارق الطبقية سنوات متتالية . وقد امتدت جذور هذه القيم الى الاسرة . وليست الاسرة الا جزءا من المجتمع تتمثل فيه أخلاقه وعاداته وتعانى ما يعانيه من ألوان السيطرة والعنت . فقد اتضح من البحوث التى أجريت فى هذا الميدان أن اغلبية الاباء يفضل الابن الاكبر على الاصغر ، ويفضل الولد على البنت ، وان كان هذا يتضح بصفة خاصة فى الطبقات الاقل ثقافة أكثر مما يتضح فى الطبقات المثقفة ، وفى الريف اكثر منه فى المدينة .

واذا كان انتشار او سيادة هذه القيم فى الاسرة ينم عن نظام طبقى فى التربية يجعل من الاب حاكما مسيطرا على الزوجة والابناء ومن الام بالتبعية حاكما مسيطرا على الابناء ، ومن مركز الابن الاكبر سلطة وسلاحا يشهره فى وجه الاصغر ومن صفة الذكورة تمييزا وتفضيلا يعطى لصاحبه الاولوية وفرض سيطرته على الاناث .

واذا كان لهذا النظام التربوى ما يتجاوب معه فى بعض الاحيان فى المجتمع الخارجى من حيث تفضيل الاقدم أو الاكثر عصبية أو الاحسن مهارة فى نواحى غير منتجة ، او الذى يتمشى وضعه مع قواعد الروتين والبيروقراطية ، فاننا نتوقع أن ينشأ عن هذا كله آثار بعيدة المدى فى تكوين الشخصية والاخلاق الاجتماعية عند الشباب فقد يشعر الشاب بالاحباط والقلق واليأس فى محاولاته اللحاق بالاخرين ، وبالصراع بين الدافع الى التفوق من جهة والخوف من الفشل من جهة اخرى مما قد يؤدى الى انحرافات سلوكية متعددة .

ويكفى أن نشير هنا الى ما نبه اليه المناضل جمال عبد الناصر من ضرورة وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب حتى لا يظل الكثير من شبابنا المثقف يعانى من عوامل الصراع والاحباط بسبب بعض اجراءات روتينية لا تزال تسيطر على تصرفات بعض المسئولين .

● **فى مجال السلطة ،** مما لا شك فيه ان مفهوم السلطة من المفهومات التى تتدخل بشكل بارز فى تحديد العلاقات الانسانية فى مختلف نواحى الحياة . ولا يقتصر مفهوم السلطة على السلطة السياسية فحسب بل نستطيع أن نقول انه حينما يجتمع عدد من الناس يعملون معا فى نشاط ما فللسلطة آثرها القوى فى علاقاتهم وفى انتاجهم . فالسلطة حرية متاحة للفرد أو للجماعة لاستخدام قواها ولتنمية هذه القوى . فاذا حرم الفرد او حرمت الجماعة من السلطة تتعطل فرصتها فى تنمية ما لديها من قوى . ولذا كان لنظام توزيع السلطة فى المجتمع أثر كبير جدا فى تنمية المجتمع وبنائه . ذلك أن الطاقات لا تنطلق الى أقصى امكانياتها ما لم تتح للافراد وللجماعات السلطات اللازمة لذلك أو بمعنى آخر الحريات اللازمة لذلك .

ولقد ادركت الثورة كل هذه المعانى فحررت الطاقات المكبوتة تحت نير سلطة الاستعمار والاقطاع والراسمالية ، وحررت المجتمع من السلطات المطلقة التى كان يتمتع بها الاقلية ويمارسونها على الاغلبية من باقى أفراد الشعب ، وأتاحت للمجتمع وللافراد فرصا متكافئة من السلطات وبالتالى حريات متكافئة فى تنمية قواهم ، مما يزيد من امكانيات المجتمع عموما فى مجال الانتاج والابتكار والابداع ، ومما يمهد الطريق لاطراد النمو والتقدم . وباختصار اصبحت الديمقراطية هى النظام الاجتماعى المعترف به ، ليس فقط فى مجال السياسة ، بل فى جميع المجالات التى تمارس فيها السلطات . فأصبحت السلطة موزعة بين أفراد الجماعة بدلا من تركيزها فى يد فرد أو فئة قليلة من الافراد أو فى يد مؤسسة اجتماعية واحدة أو قطاع ما من قطاعات المجتمع يعبر عن مصالح الاقلية لا الاغلبية .

ولقد عبر **الميثاق** عن هذا المبدأ عندما قرر ان جماعية القيادة ليست ((**عاصيا من جموح الفرد فحسب ، وانما هى تاكيد للديمقراطية على اعلى المستويات ، كما انها فى الوقت نفسه ضمان للاستمرار المتجدد**))

تلك هى القيم الصاعدة فى مجال السلطة ، والواقع أن الثورة قد بذلت جهودا ضخمة فى

سبيل تحطيم قيود الذل والبطش والاستغلال والضلال والشعارات الزائفة .. وفى سبيل بناء مجتمع جديد يستمتع فيه جميع ابنائه بعدالة اجتماعية اشتراكية وديمقراطية ، أى عن طريق الاشتراك فى السلطة وفى تحمل المسئولية وفى العمل وفى الانتاج .

ولكن بالرغم من التوعية التى يقوم بها القادة السياسيون فى هذا الاتجاه ، وبالرغم من الجهود التى يبذلها المصلحون الاجتماعيون والكتاب وغيرهم الا اننا لا نزال نرى فشل الكثير من الرؤساء وكذلك فشل النظم التربوية والمؤسسات الاجتماعية فى التحقيق الفعلى لهذه القيم وفى ممارستها . ذلك ان جذور النظام الاقطاعى التسلطى القديم لاتزال ضاربة فى مختلف القطاعات ولا يزال يوجد هناك الرئيس المتسلط والاب المتسلط والمعلم المتسلط .

والواقع ان هناك أمثلة عديدة وصورا مختلفة لمدى وجود التسلط كقيمة متخلفة فى المجتمع ولقد دلت البحوث فى ميدان **الاسرة** على ان الجو فيها لا يزال بعيدا كل البعد عن الروح الديمقراطية ذلك أن السلطة — كما أسفرت عنه هذه البحوث تغلب أن تتركز فى فرد الاب (أو بديله) ممايخلق جوا اتوقراطيا يعطل تنمية القدرات المختلفة للفرد ويدعم الانصياع ، والسلبية كما تدعم التوحد مع السلطة والقيام بدورها التسلطى عند مواجهة الفرد لمن هم دونه . فالسلطة بصفة عامة تمارس فى الاسرة على اساس فردى اى اما ان تكون فى يد الرجل ، وهو الغالب ، أو فى يد المراة . ولكن يندر على اى حال ان تقوم على أساس المشاركة والتعاون . وبمعنى آخر فان قيم المساواة والديمقراطية فى الاسرة ما زالت دون المستوى الذى نرجوه ونتطلع اليه فى مجتمعنا بل لا نكون مبالغين اذا قلنا ان هناك تناقضا واضحا بين الصورتين .

وما يقال عن الاسرة يقال ايضا عن المدرسة فلا تزال المدرسة — التى قد تقوم بتلقين المعانى والقيم التى ينشرها المجتمع بشكل نظرى — لا تزال بعيدة كل البعد عن ممارسة الديمقراطية ومعانى الحرية والمسئولية بطريقة فعلية . ولا شك فى ان التحصيل النظرى لا يكفى وحده لتعديل السلوك والنظرة الى الامور بل ان الاقتصار على الجانب النظرى يؤدى الى الازدواج بين القول والعمل ، بين مانقوله لفظا وما نمارسه فعلا وربما كان فى ذلك مضاعفة للشعور بالتناقض وخلقا للصراع .

وفى **المجتمع الخارجى** ايضا نصطدم بصور التسلط ومجافاة الروح الديمقراطية بما يتناقض مع القيم الصاعدة . « فلازالت صورة الرأسمالى القديم موجودة وصاحب العمل القديم موجودة » . هناك الرئيس المتسلط المنعجرف الذى لا يطيق أن يناقشه أحد وينزعج اشد الانزعاج اذا سمع رايا مخالفا لرايه . فهو لا يستريح ولا يهدا الا اذا راى الجميع يوافقونه على رأيه والا اذا امن الجميع مقدما على ما يقول . وهناك الرئيس الذى يتستر وراء اتجاه ابوى زائف لكى يخفى رغبات لاشعورية فى السيطرة والتسلط . فهو يتخذ من مرءوسيه موقف الذى يعمل لمصلحتهم ولكن عن طريق فرض رايه هو . وليس عن طريق استشارتهم او الحصول على رايهم فى المسائل التى تعرض عليهم . فهم فى رايه لايزالون قصر لايعرفون مصلحتهم ولا يدركون كيف يتصرفون اما هو فهو المحنك المدرب الذى ينفذ بصره الى ما وراء الحجب التى تعمى ابصارهم .

وهناك الرئيس ذو الشخصية الروتينية التى لا تهتم الا بالشكليات والرسميات واللوائح والقوانين بشكل جامد لا حراك فيه ولا حياة ، وتترك الجوهر او الموضوع دون حل ايجابى . ودافعه الخفى فى ذلك هو خوفه وحماية نفسه من اخطار وهمية يتصور انها قد تحيق به اذا اتخذ موقفا ايجابيا من الامور . وتكون النتيجة النهائية بالطبع هى السلبية المطلقة والاحباط لباقى أعضاء الجماعة التى تعمل مع مثل هذا الرئيس .

وهكذا يجد الشاب نفسه فى تناقض شديد بين ما يقال وما يمارس ، بين قيم صاعدة تؤكد وجوده ، وقيم بالية تنفى وجوده ، بين ما يتوقع منه الاخرون وما يصطدم هو به من واقع ، بين قيود تكبله بها المؤسسات التربوية سواء فى المنزل أو فى المدرسة وبين آفاق واسعة تدعوه اليها المستقبل ، وآمال كبيرة يتوقعها منه المجتمع ، بين الدعوة الى ممارسته لحقوقه وواجباته ،وبين عقبات مصطنعة تحول دون هذه الممارسة . ولا شك أن فى مثل هذه الظروف ما يؤدى الى القلق على المستقبل وزعزعته للاطمئنان وتوهم الفرد ان تفلت من يديه السيطرة على الظروف التى يعيش فيها .

● **فى مجال الجنس** ، ولعل من اهم المجالات التى تؤثر فى شخصية الشاب ونموه — بالرغم من اغفال البعض لها تخوفا أو استخفافا — هو مجال الجنس . ونقصد بالجنس كل ما يتصل بالاختلاط بين الجنسين والادوار التى يحددها المجتمع بالنسبة لكل جنس ومقدار اختلاف هذه الادوار وتميزها ومكانة المراة بالنسبة للرجل وما الى ذلك من الامور .

ان التطور الاقتصادى الاجتماعى الذى تم فى هذه الفترة من التحول الاشتراكى قد اثر دون شك فى نظرة المجتمع الى كل هذه النواحى ذلك أن المرأة قد حصلت فى هذه الفترة على حقها فى الانتخاب وعلى مركزها بين السلطات . هذا الى جانب زيادة فرص التعليم وفرص العمل بشكل يفوق كثيرا ما كان عليه قبل هذه الفترة. كل هذا الى جانب الوعى الاجتماعى الذى يتزايد عن مركز المرأة وعن حقوقها باعتبارها الرئة الثانية للمجتمع وعن الرغبة فى استغلال جميع الطاقات والقوى البشرية لزيادة الانتاج . ولا شك فى اثر الدور الذى تقوم به وسائل الاعلام ودعوة الكتاب والمفكرين وكل من يقوم بالتوجيه والارشاد فى هذا السبيل ... فعن طريق كل هذه المؤثرات اصبحت القيم الصاعدة المتعلقة بالمرأة والجنس والاختلاط قيما متحررة ، تؤكد للمرأة دورها وتكفل لها حرياتها وتشجع على المساواة بين المرأة والرجل والا تمييز بينهما الا على اساس الكفاءة والعمل .

ولكن لننظر فى آثار الماضى والقيم المتخلفة فى هذا المجال . فى بحث اجرى على ٤٠٠ اسرة اتضح أن من القيم السائدة فى الاسرة المصرية وخاصة فى الطبقة الاقل ثقافة وفى الريف تلك القيم التى تفضل الولد على البنت والتى تميز بين الدور الذى يوكل الى الاب فى الاسرة والدور الذى يوكل الى الام وبين الدور الذى يوكل الى الابن والدور الذى يوكل الى البنت . فيترك للام مثلا الاعمال المنزلية وتربية الاطفال ويترك للاب القيام بمسئولية الصرف والتحكم فى بنوده ، وتقوم البنت مقام الام فى غيابها ، أما الولد فيقوم مقام الاب وتجعل حقوق البنت فى اختيار الزوج اقل بكثير جدا من حقوق الولد ، وتجعل البنت مآلها الى الزواج والبقاء فى البيت فى حين أن الولد هو الذى يخرج ليعمل . كذلك اثبتت البحوث أن معظم الاباء يفضلون للبنت تعليما خاصا غير تعليم الولد ومهنة خاصة بها غير مهنة الولد .. هذا اذا تعلمت او اشتغلت . كما أن معظم الاباء كذلك يهتمون بمستقبل الولد اكثر مما يهتمون بمستقبل البنت . ولا يؤيدون الاختلاط وخاصة فى مرحلة الدراسة .

ولا شك ان فى هذا دليلا على أن مجتمعنا — بالرغم مما حدث فيه من تطور فى هذه الناحية — الا أنه لا يزال مجتمعا أبويا تسيطر عليه صفة التسلط الابوى الى حد كبير . وتتبع هذه الصفة بالضرورة الرغبة الملحة عند الاب فى استمرار اسم العائلة الذى يحمله هو . ونحن نلاحظ بشكل عام مدى اهتمام الوالدين ، وغيرهما من المحيطين ، بأن يكون المولود الجديد ذكرا . حتى لقد يطلق الزوج زوجته اذا لم تنجب له ذكرا . وقد يصل بهذا الموقف من ناحية اخرى بعض المخاوف التى لا زالت شائعة فى مجتمعنا فيما يتعلق بالموقف الخلقى والجنسى للبنت . فالبنت عند بعض الاسر معرة يخشى أن تجلب لها العار او المشكلات الخلقية . وهى كذلك فى رأى بعض الاسر عبء . اذ لا يتوقع منها ان تسهم فى دخل الاسرة بنصيب يوازى ما يمكن أن يسهم به الولد .

هذه القيم وان كانت تسود — كما سبق ان قلنا — فى الطبقات الاقل ثقافة وفى الريف اكثر مما تسود فى الطبقات الاكثر ثقافة وفى المدينة ، الا انها حتى فى هذه الاخيرة لازالت موجودة ومؤثرة فى تشكيل شخصيات أبنائها ، سواء بما تحدثه من تناقض بين ما تقول به التربية وبين ما يقول به المجتمع النقدمى وبين قيود التخلف والرجعية فالحقيقة التى لا مراء فيها أن عملية التنشئة الاجتماعية للبنت تختلف تماما عنها بالنسبة للولد وأن القيم التى تعكسها هذه التنشئة تخلق نمطين مختلفين للجنسين من حيث الشخصية والسلوك .

ويمكننا أن نتصور استنادا الى هذه الملاحظات ان أى فشل فى تحديد الدور الجنسى للطفل قد ينتج عنه انحرافات فى شخصيته مستقبلا وان هذه الانحرافات قد تزداد كلما زاد هذا الفشل او الخلط . ففى هذا الاطار من التناقضات ، اذا فرض وكان الابوان ينتظران طفلا ذكرا مثلا ، ثم جاء طفلة انثى ، فأن ذلك قد يؤثر فى تحديد الدور الجنسى للطفلة ، ويظل الابوان يعاملانها كطفل ذكر فيشجعانها على أن تهتم باهتمامات الذكور وتلبس ملابس الذكور وما الى ذلك ... والام التى ترغب فى أن يظل ابنها الذكر بنتا فى مظهره واهتماماته ولا تترك له الحرية التى تتوقع أن تترك للذكور ولا تؤهله للنمو فى نمط الرجولة التى يتوقع المجتمع أن يجدها فى شخصيته ... كل هذا القلب للاوضاع قد يوقع الشاب فى بلبلة من التناقضات والصراعات مستقبلا فيما يتعلق بالادوار الاجتماعية المنتظر منه أن يؤديها مما قد ينتج عنه بالتالى مشكلات جسيمة .

كذلك نتوقع أن نجد فى بعض الاسر — نظرا لعدم التكافؤ بين حقوق البنت وحرياتها وحقوق الولد وحرياته تنافسا واضحا بين الذكور والاناث ونظرة مشوهة عند كل من الجنسين بالنسبة للاخر . فقد تحاول البنت أن تتقمص شخصية الذكر وتصبح فى عواطفها وانفعالاتها أقرب الى الولد منها الى البنت اى قد تصبح امرأة مسترجلة او قد تصبح فريسة للاضطراب النفسى نتيجة للتناقض الذى تواجهه بين ما هو مفروض من مساواة ، وبين ما تسمعه وتقرأه من آراء تؤيد المساواة بين الجنسين ، وبين ما تفرضها عليه الاسرة والمجتمع من حدود ضيقة للحرية والتفاعل والاختلاط بالاخرين .

ومن ناحية الشاب فانه قد يقع ايضا فريسة للتناقض بين ما يسمع وما يقرأ وما يشاهد كل يوم عن طريق وسائل الاعلام المختلفة من دعوة للتحرر بل ومن تشويق للاختلاط والتعبير العاطفى ، وبين ما قد يتلقاه من تعاليم فى التربية وفى بعض المؤسسات الاجتماعية الاخرى قد تصف سلوكه هذا بانه سلوك مشين ، وتصف البنت التى يتجاوب معها بأوصاف مهينة شائنة ، فينظر الى الجنس الاخر على انه متعة او مجال للاشباع الذاتى الانانى أو قد يتخوف منه ويشك فيه ، ويصعب عليه أن يعتبره شريكا على قدم المساواة . وهكذا قد يقع كل من الجنسين فى مشكلات لا حصر لها نتيجة لهذا الخلط والاضطراب فى القيم الجنسية .

● **فى مجال الثقافة :** لقد كان للتحول السياسي العظيم بعد الثورة أثره الواضح فى بلورة القيم المتصلة بكيان الامة العربية ورسالتها فى الداخل ومكانتها فى الخارج . وقد أثر هذا الوضع السياسى دون شك فى المفاهيم المتعلقة بالثقافة واتجاهاتها . وأصبح من الواجب والضرورى الان أن نحيى التراث الثقافى القومى ، وان نحدد خطا واضحا لثقافتنا يسرع بعجلة التطور ويساعد على بلورة وتنمية الاتجاهات الصاعدة . ولقد قامت محاولات كثيرة فى هذا الاتجاه ولكن الواقع الذى لا شك فيه هو اننا لا نزال نعيش فى خلط من الثقافات المختلفة وان كتابنا وادباؤنا لم يتفقوا بعد على هذه الوحدة الفكرية . حقا لقد ناقش المثقفون موضوع الوحدة الفكرية هذا ، وعقدت ندوات بين رجال الفكر والادب والصحافة والمسرح والسينما والفنانين ، وكتبت الصحف والمجلات فى هذا الموضوع ، وخصصت مساحات كبيرة من صفحاتها للحديث فيه ، وابدى الكثير من المشتغلين بقضايا الفكر اراءهم وملاحظاتهم وساهم الاتحاد الاشتراكى بمجهود كبير وارتفعت الاصوات تطالب الاتحاد الاشتراكى بعقد مؤتمر للمثقفين ، مؤتمر يحدد ويرسم الهدف . ولكن ذلك كله ان دل على شىء فانه يدل على الخلط والتناقض والغموض الذى لا نزال نعيش فيه من الناحية الثقافية .

والواقع ان الاستعمار قد حاول جاهدا فى الماضى ان يحول دون قيام ثقافة قومية . ذلك انه كان يعلم ان فى ذلك تقويضا لاركانه ، ولذا فقد كان يسعى الى نشر ثقافته هو فى صورة افلام وكتابات وافكار وآراء فى مختلف المجالات . ولقد جاءت هذه الثقافات فى الواقع كاضافات الى ثقافات موجودة فعلا من مصادر أخرى مختلفة هذا بالاضافة الى الثقافات الشرقية الاشتراكية التى تسربت ايضا فى العصر الحديث الى البيئة المصرية .

وعلى ذلك وجد الشباب نفسه امام تناقضات ثقافية لا حد لها فمن ثقافة اباحية الى ثقافة محافظة ومن دعوة الى التحرر الى دعوة للجمود ومن تفكير علمى الى تفكير خرافى ومن افكار اشتراكية الى افكار راسمالية بورجوازية . ومن ادب رخيص مبتذل الى ادب كلاسيكى رصين ، ومن تأكيد للتواكل والغيبيات الى تأكيد للاستقلال وبذل الجهد المستمر ، ومن عربية الى عامية .. ومن التصاق بالقديم الى دعوة للتجديد ... وهكذا . اطار فكرى غير موحد ، يساعد على الالتجاء الى اقرب نظام متماسك ،حتى ولو تعارض مع القومية او البناء . وكانت بعض النظم التى تعرض على الشباب فى كثير من الاحيان نظما هدامة تساعد على الانحرافات وخلق المشكلات بدلا من ان تساعده على التوافق او النمو السليم .

● **فى مجال التعليم والمهنة :** كان التعليم فى عهود الاستعمار موجها نحو الاعداد لوظائف محددة غالبيتها اعمال تنفيذية مكتبية على مستوى غير مسئول وبذلك اقتصرت غالبية المناهج الدراسية على برامج جامدة غير مرتبطة بحاجات المجتمع ، برامج تعمل على حشد عقول الشباب بمعلومات نظرية متعددة ومتنافرة كذلك تعودنا فى ظل النظام الراسمالى الا نحترم العمل الكبير ، والواقع ان وضع النظرى فوق العملى انما هو انعكاس لفلسفة قديمة كانت تجعل طبقة الفلاسفة او المفكرين فوق طبقة الجنود والعمال اليدويين وكانت تضع الفكر فوق العمل هذه الفلسفة هى ذاتها وليدة عصر اقطاعى استغلالى وقد بقيت آثار هذه الفلسفة على مر العصور لانها تساعد على استمرار الاستغلال وقد كان اثر هذا واضحا — كما رأينا — فى نظامنا التعليمى .

ولم نستطع حتى اليوم ان نتخلص من هذه الاثار . ذلك اننا لا زلنا ننظر الى التعليم الفنى باعتباره فى مرتبة دنيا بالنسبة للتعليم النظرى سواء اكان ذلك على مستوى التعليم الثانوى او على مستوى التعليم العالى . وتتضح عملية التقييم هذه فى الحقوق التى تعطى لخريجي كل من النظامين التعليميين . فخريج المدرسة الثانوية النظرية مقدم على خريج المدرسه الثانوية الفنية حتى فى دخول المعاهد الفنية التى تعتبر فى الواقع استمرارا للثانية وليس للاولى . وخريج الكلية النظرية مفضل على خريج المعهد الفنى من نواح عدة : فهو يستطيع استكمال تعليمه ، وهو عضو فى الثقافة ، وهو الذى يمنح وظيفة فى درجة اعلى وهكذا ...

ولا شك فى ان هذا التقييم الذى يضع النظرى فوق العملى هو من اهم العوامل التى تساعد على خلق تناقضات امام الشباب يصعب عليه حلها بعد ذلك فهناك نوع من التعليم يقفل الطريق امام الداخلين فيه . وهناك نوع آخر من التعليم لا يتفق

ومطالب المجتمع . وهكذا يجد الشباب نفسه فى كثير من الاحيان وقــد تناقضت اســاليب تعليمه واعداده مع القيم الصاعدة فى المجتمع مثل تكافؤ الفرص او احترام العمل اليدوى او غير ذلك .. مما قد يترتب عليه كثير من المشــكلات المتعلقة بالطموح وبالدافع الى التقدير وما الى ذلك .وتكون النتيجة النهائية نمو مشاعر مسلبة كالياس او الاحباط او الاستخفاف او اللامبالاة .

تناقض القيم وعوامل الصراع

فى وسط هذا الخضم من التناقضات .تناقضات من اساليب ونظم تربوية عتيقة وقيم بالية متخلفة من ناحية وبين قيم صاعدة وتوقعات اجتماعيـــة خفية للدور الذى ينتظر من الشاب ان يقوم به من ناحية اخرى ، قد يجد الشاب نفسه ممزقا بين صورتين متناقضتين للذات .صورة للذات الواقعية التى قد يغلب عليهـــا الشــعور بعدم الرضـــا ، وبالقصور والعجز نظرا لتعرض الشاب ، منــذ طفولته ، لالوان من الصد والاحباط والعقاب والالم، وصورة للذات المثالية التى كان ولا يزال فى نفس المجتمع مدفوعا الى تحقيقها . ذات يرضى عنهـــا ويقدرها ، ذات تحمل معـــانى التفـــوق والتقدير والتمييز والتقبل . وبتاكد هذا الصراع بين صورتى الذات كلما كانت ظروف المجتمع الخارجى مؤكده للتناقض . وقد يحل هذا الصراع اخيرا بطريقة او اخرى بين اساليب الســـلوك الانحرافى . فقد يدفع هذا الصراع بالشـــاب الى اتخاذ اسلوب عدوانى هجومى على المجتمع الذى يعيش فيه او اتخاذ اسلوب انسحابى سلبى او اتخاذ اسلوب استعطافى اتكالى .

فالشاب فى مثل هذه الظروف — اذا ما ترك وشانه دون توجيه — قد تنتابه البلبلة وتضطرب عنده القدرة على الحكم، او قد يتمسك باهداب الماضى ويبكى ما فات من الايام ، او قد يندفع فى ثورته على القديم بروح هدامة تساعد على زيادة التنـــاقض بدلا من أن تزيله ، أو قد يقف من كل هذا موقفا سلبيا وكان شيئا لا يعنيه الا ما يتصل بحياته المباشرة وحاجاته السريعة العاجلة .

على ان ايا من هذه الاساليب الانحرافية للسلوك انما تتميز بأنها سلوك هدام وليست سلوكا بنائيا كما انها تتسم بأنها سلوك وان كان يساعد صاحبه على التخفف من التوتر فى المدى القريب ، وبشكل موقت ، الا انه يجلب عليه التعاسة فى المدى البعيد وهكذا يجد صاحب هذا السلوك المنحرف نفسه يدور فى حلقة مفرغة من الصراع الذى يدفع الى سلوك منحرف قد يريحه موقتا ، ولكنه يزيد من تعاسته فيما بعد فيزداد الصراع وهكذا ..

القدوة

والى جانب التناقضات هناك عامل آخــر له تأثير بالغ فى تكوين شخصية الشاب وفى تــكوين قيمه وصورته عن ذاته الواقعية وعن ذاته المثالية. ذلك هو عامل القـــدوة . فمفهـــوم الذات يتكون اساسا كنتيجة لخبرات الفرد مــع من حــوله كما سبق أن أشرنا . والواقع أن ذلك يتحــدد تدريجيا بمحاولة الطفل الحصـــول على رضـــا السلطة الضابطة له عن طريق الحصــول على ثوابها والتخلص من عقابهـــا . ويتضـــمن هذا ويتمشى مع ذلك جنبا الى جنب محاولة الطفــل أن يكون مثل هذا الشخص أو ذاك والا يكون مثل هذا الشخص الاخر أو ذاك من الاشخاص الذين يتعامل معهم فى بيئته . مثل هذا المثال الــذى يتخذه الطفل بنفسه يتوقف على نوع المعاملة التى يتلقاها منه . والقدوة كثيرا ما تكون اقوى اثرا من اساليب الثواب والعقاب أو التوجيه والارشاد اللفظى . فقد تتعارض اساليب التربية والمطالب التى يفرضها الكبار على الطفل مع تصرفاتهم هم أنفسهم فيعانى الطفل من جراء هـــذا صراعات مختلفة وتتعرض شخصيته للضرر والانحــراف مســـتقبلا ، وقد يزداد ذلك الضرر والانحــراف اذا ما كانت القدوة فى المجتمع بعــد ذلك تكرار للقدوة السيئة فى أثناء التنشئـــة . ولهذا كان التناسق بين أساليب التربية والتهذيب المختلفة مع القدوة فى بيئة الشاب أمر بالغ الاهميـــة فى نشأته وتكامل شخصيته .

الانتماء

هناك عامل آخــر شديد الاهمـيـــة فى تــكوين شخصية الشــاب ، ذلك هو الشعور بالانتمـــاء . ان أطول مدة يقضيها كائن حى فى مرحلة الطفولة هى المدة التى يقضيها الانســـان فى طفولتــه ، فالانسان يبقى مدة طويلة جدا معتمدا على غيره. وتحمل هذه الحقيقة فى طياتها معان كثيرة جدا ، أهمها أن تصبح من أهم حاجات الانسان حاجته الى الانتماء الى جماعة يشعر بانه يعيش معهـــا وليس فقط بينهـــا . ذلك انه بارتبــاط الــكبار المحيطين القائمين على أمر الطفل ، ارتباطهم عند الطفل بالامن وبالطمأنينة وبالاشبـــاع ، تصــبح الجماعة بعد ذلك شيئا لا غنى عنه .

ثم تأتى فترة يتعلم فيها الطفل أيضا أن الرضى من ناحية الوالدين معناه اشباع الحاجات فالاب والام ، أو بمعنى آخر الكبار المحيطون به هم الذين بيدهم المنع أو العطاء ، هم الــذين يســتطيعون أن يجعلوا الحياة نعيما مقيما، أو جحيما لايطاق.

ومن هنا يتعلم الطفل ان يحب الجماعة ويحس

التواجد مع الاخرين وان يشعر بالانتماء اليهم .

ليس هذا فقط هو ما ينمى هذا الشعور ، بل ان الطفل يتعلم انه لا يستطيع أن يعيش وحده . فهو الى جانب شعوره بأن بقائه واشباعه لحاجاته وراحته لا يمكن أن يتحقق الا عن طريق اعتماده على غيره ، يتعلم ايضا ان الانتقال الى مرحلة الرشد والتمتع بحقوق الكبار واتخاذ مكانتهم ترتبط باستمرار بواجب عليه هو ان يؤديه للاخرين .

ومن هنا ينشأ الشعور بالتعاطف والحب المتبادل وهى جميعا من مقومات الجماعة التى يشعر الفرد بالانتماء اليها . واذا ما تزعزع الشعور بالانتماء فأن معنى ذلك أن الفرد يحس بانه يعيش وحده ، والوحدة قرينة القلق والاضطراب وانعدام الامن بالنسبة للفرد الانساني . بل وحتى بالنسبة لجماعة انسانية يحس بأنها معزولة . وقد يحدث هذا بالنسبة لجماعة لا تستطيع أن تتمثل القيم الصاعدة . فأن عدم قدرتها على تمثيل القيم الصاعدة من ناحية ، ثم عدم قدرتها الاعتماد على القيم القديمة البالية لكي توصلها الى مكانة مرموقة فى الجماعة الاجتماعية الكبرى من ناحية أخرى ، قد يشعر افرادها بالعزلة وبالتالي يشعرهم بعدم الرضا وعدم الامن وعدم الاطمئنان .

وحتى اذا حظى الفرد فى اطار جماعته . هذه بمكانة تجعله يشعر بالامن والاطمئنان أو بالمركز والجاه ، بينما لا تحظى هذه الجماعة بالمكانة التى يمكن أن تصل اليها جماعات أخرى ، بسبب جمود هذه الجماعة ومقاومتها للقيم الصاعدة ، فى هذه الحالة قد يندفع الفرد لازالة التوترات الناشئة عنده عن طريق الانحراف . وتكون النتيجة النهائية أن تنشأ جماعات منحرفة بلا سبب سوى انها وقفت جامدة من كل تطور ومن كل نمو ، ولم يساعدها أحد على القيام بهذه العملية .

وقد تشغل هذه الجماعات الافراد السذج والشباب الغر فتعمل على جذب انتمائه وولائه لها بدلا من ولائه للمجتمع الكبير . وهى فى ذلك تلعب على أوتار حساسة عنده . فهى تلعب أولا على جهله وعدم وجود اطار مرجعى له سواء من ناحية الثقافة أو من ناحية القيم . وهى تلعب كذلك على شعوره بعدم الانتماء وعدم الولاء . ولقد دلت البحوث الحديثة على أن العدوان الذى يتسم به سلوك الشبان المنحرفين قد يرجع الى افتقار الشاب الى الانتماء والولاء لجماعة المجتمع الكبير ، مما قد يؤدى الى مشاعر حادة من عدم الطمأنينة وعدم الشعور بالتقبل أو بالامل فى المستقبل . وبدون أن يدرك الشاب مصدر تلك المشاعر ، قد يقوم بالعدوان هنا وهناك بلا هدف .

وكل ما يقصده هو تحطيم عالم لم يوفر له أرضا يقف عليها فى سلام واطمئنان .

واذا ما دفعنا بالتحليل الى ابعد من ذلك فقد نجد ان وراء ذلك كله اختلافات طبقية اجتماعية قديمة كانت تدفع بجذورها الى أعماق بعيدة ، ولا تزال آثارها موجودة وفعالة بين أفراد هؤلاء المتمردين وجماعاتهم . فلقد اظهرت البحوث ان الفوارق الاجتماعية تؤدى الى اكساب الفئات الاقل ، نظرة الى ذواتهم او مفهوما عن ذواتهم انهم سيئون أو يحتقرون أو ما يمكن بشكل او بآخر ان ينم عن « الدونية » . فالمستوى الاقتصادى والاجتماعى الذى يولد فيه الفرد يحدد مكانته بين أقرانه . وهذا التمايز الطبقى وما ينطوى عليه من مشاعر قد يؤدى الى انحراف جماعات من الافراد الذين يحسون بأنهم «اقل» او بأنهم متخلفون، اوبأن الجماعة التى ينتمون اليها تحتقر من المجتمع او بأى مشاعر اخرى تقال من شأنهم فى نظر المجتمع . ذلك أن مثل هذا الشعور يسقط من اعتبارهم لانفسهم وتكون النتيجة رد فعل قوى شديد لكسب ذلك الاعتبار مرة اخرى ولكن فى الاتجاه الخاطىء . اتجاه الانحراف .

والحل ...

الحل بالطبع نجده فى القضاء على التناقضات وتحقيق الشعور بالانتماء وتوفير القدوة الحسنة . ولكن ليس الامر بالبساطة التى تكتب بها هذه الكلمات . بل يحتاج ذلك الى تضافر الجهود فى جميع المجالات والى تخطيط شامل يتناول جميع اجهزة الدولة . كما يحتاج ايضا الى اشتراك المفكرين، والباحثين فى الميدان الاجتماعى، والمثقفين والادباء وغيرهم وغيرهم ممن يعنيهم الامر .

ولكن ذلك كله يعتبر سياسة طويلة المدى ، أولا ، ونسرع فى مواجهة المشكلات العاجلة والوقاية البعيد المدى . بل يجب أن نقوم باجراءات عاجلة تساعد على احداث التغيير فى الاتجاه المطلوب اولا ، ونسرع فى مواجهة المشكلات العاجلة والوقاية منها فى الوقت نفسه .

وأول هذه الاجراءات اعداد القيادات الواعية للشباب . قيادات تعتبر قدوة بالنسبة لما يجب أن يكون عليه سلوك الشاب . قيادات تعرف كيف تتوحد مع الجماعات وتعيدها الى حظيرة المجتمع الاكبر . قيادات تعرف كيف تعبر عن مشاعر الافراد وتعيد اليها ثقتها فى نفسها وتدفع فيها التلقائية والمبادأة والمشاركة فى العمل الجماعى . قيادات لها هى ذاتها مبادىء واهداف اجتماعية وليس نزعات او نزوات انتهازية . قيادات تتميز بوضوح الرؤية والعمل للمدى البعيد والمعرفة التى تقترب من الايمان بالطبيعة

الانسانية . قيادات يمكنها ان تتقبل كما يمكنها أن تتفاعل على أساس احترام الفـرد وحاجاته الاساسية ، قيادات تضع مبدأ المشاركة وغيرها من الاسس الديمقراطية دستورا للعمل مع الجماعة والتأثير فيها . قيادات تؤمن بالانسانية والسلام وبالتحرر من نزعات الشر والتسلط والاستغلال.

وبدون هذه القيادات يطول الوقت الذى يتم فيه التحول فى الخط الذى نسير فيه ، ويبعد الهدف الذى نريد ان نصل اليه من أقرب طريق. والواقع ان هذه القيادات نفسها فى حاجة الى اعداد . ولقد اصبح لاعداد القادة أسس ومبادىء علمية تمت خلال دراسات وتجارب متعددة . ولابد ان نستفيد من هذه الدراسات وهذه التجارب فى سبيل اعداد قادة افضل ، سواء كان هؤلاء القادة عبارة عن موجهين للشباب ام رؤساء فى المصنع أم عاملين مع الجماعات فى أى صورة من الصور .

ولقد اهتم الاتحاد الاشتراكي بتنظيم الشباب وجعل لشئون الشباب أمانة خاصة للعناية بامرهم . والواقع ان وجود تنظيم للشباب فى كل مجال لهو عمل ضرورى . ذلك أن عملية التنظيم هذه من أهم الاجراءات التى تساعد الشباب على الشعور بالانتماء . غير أن هذا التنظيم لابد أن يقوم على اساس الخدمة لجميع الشبان أو الشابات دون تفرقة والا فأننا سنخلق مرة أخرى الشعور بالرفض او الانكار او التفرقة بالنسبة لاولئك الذين لا تضمهم المنظمة .

ومن أهم الاجراءات التى تساعد على الشعور بالانتماء ايضا أن يشترك الشباب مع قادته من معلمين اوموجهين أو غيرهم فى عمل بنائى يتساوى فى شرف أدائه الجميع . عندئذ سوف يمر الجميع فى خبرات بناءة سارة مما يساعد على تعديل اتجاهات الافراد نحو بعضهم البعض واتجاهات القادة نحو الشباب والشباب نحو القادة ويشعر الجميع انهم ينتمون الى وطن واحد فى حاجة اليهم ويسعد بجهودهم .

ومن الأعمال البنائية التى يمكن ان يشترك فيها الشباب لهذا الفرض مشروعات الخدمة العامة فى أى مجال من المجالات كردم البرك أو شق الطرق أو القضاء على الذباب أو حملة النظافة أو قطع الاخشاب أو ما الى ذلك . وتقوم معسكرات العمل بالشىء الكثير فى هذا الاتجاه .

ويهدف الاشتراك فى هذه المشروعات أو المعسكرات الى اثارة اهتمام الشباب بمشكلات مجتمعة والى تشجيعهم على القيام بدورهم نحوها وبذلك نقاوم السلبية وندعو الى الشعور بالمسئولية نحو المجتمع والشعور فعلا بالانتماء اليه . ويساعد على ذلك أن تخطط هذه المشروعات على أساس التنافس الجماعى أى ان تخرج كل جماعة من الشباب مع جميع قادتها فى وقت معين كل عام على شكل حملة جماعية شاملة ويقوم بعمل ما من هذه الاعمال . ولا مانع من عمل جوائز سواء على المستوى الفردى أو على المستوى الجماعى واختيار الشاب المثالى وما الى ذلك من اساليب التشجيع وخلق الحوافز الايجابية .

ومن اخطر المنظمات التى تؤثر فى الشباب المدرسة والمدرسة تتأثر فى بعض نواحى نشاطها واتجاهاتها بالقيم السائدة فى المجتمع كما هى دون نقد او محاولة للتغيير ، من ذلك مثلا الفصل فى مدارس التعليم العام بين البنين والبنات أو الاقتصار على التعليم النظرى دون الاهتمام بالاداء العقلى . والواقع ان التحول الذى نمر به يلقى على المدرسة مسئوليات خطيرة هى اعداد الاجيال الصاعدة على اساس القيم الجديدة للمجتمع . وغنى عن البيان ان هذه المهمة لا يمكن ان تتحقق على الوجه الاكمل الا اذا قامت المدرسة بدراسة جو الاسرة وجو المجتمع من حيث القيم التى تسودها ومن حيث رواسب الماضى ، ومحاولة العمل على تدعيم الصالح والقضاء على الرواسب الفاسدة من الماضى .

ان رسالة المدرسة فى عهدنا الجديد تتطلب مراجعة شئونها مراجعة شاملة تمس فلسفتها التربوية وبرامجها ومناهجها وطرق تدريسها والوان النشاط المختلفة فيها بحيث يتجاوب القول مع العمل ويقوم التغيير على اساس من الممارسة ، ممارسة الافراد فى الجو المدرسى لحقوقهم وواجباتهم وللقيم التى نريد ان ندفع بالمجتمع الى تمثيلها . والقطب الذى تدور حوله كل هذه الواجبات بالطبع هو المعلم وبهذا يقف اعداد المعلم فى مقدمة الامور التى يجب أن تهتم بها الدولة .

ومسئولية اجهزة الاعلام والمفكرين والادباء والمثقفين والفنانين لا تقل اهمية عن مسئولية المدرسة فلابد ان تراجع كل هذه المصادر مفهوماتها وترسم سياستها على اساس من الدراسة الواعية للقيم الاجتماعية والتناقضات الموجودة فى المجتمع وان يكون هناك دستور يلتزم به جميع هؤلاء فى سبيل بناء مجتمع جديد . ولا شك فى ان الندوات والاجتماعات والمؤتمرات التى تعقد من حين لاخر يمكن ان تحقق الكثير فى هذا الاتجاه وتؤدى الى التماسك والانسجام .

هذه هى بعض الاقتراحات للحلول العاجلة لمشكلات الشباب ولكننا فوق كل هذا وذاك لايمكن ان نطمئن او نرتاح الى اثر هذه الحلول ما لم ندعمها باستمرار بالبحوث العلمية . فالبحث العلمى هو الاساس المتين الذى يمكن ان يقوم عليه اى اجراء .

السلبية وكرة القدم والصراع الفكرى بين الشباب

د. فؤاد زكريا



يتخذ الصراع الفكرى فى كل جيل طابعا يلائم الظروف الخاصة التى يمر بها هذا الجيل ، والتى يتميز بها عن الاجيال السابقة عليه. وعند الشباب خاصة يكون لهذا الصراع طابع فريد : اذ أن الشباب بطبيعته متطلع الى الامام ، ومن هنا كان التحمس للاصلاح ولتغيير الاوضاع صفة مميزة لمعظم حركات الشباب الفكرية فى شتى المجتمعات والعصور . وتترتب على ذلك نتيجة تبدو غريبة فى بداية الامر ، ولكنها فى واقع الامر مفهومة تماما اذا ما نظر اليها فى ضوء الصفة السابقة : تلك هى أن الصراع الفكرى بين الشباب يبلغ اقصى درجات النضج والخصوبة فى المجتمعات التى تفتقر الى العدالة وتضطرم النفوس فيها بروح الثورة والتمرد ، على حين ان هذا الصراع ينتابه شىء من الفتور والخمود عندما يتبنى المجتمع نفسه المثل العليا للثورة وتتجه سياسته الى تحقيقها . ذلك لان وجود فارق واضح بين مايدور فى اذهان الشباب وبين ما يلمسونه بالفعل فى واقعهم يوقد فى اذهانهم جذوة الفكر ويحفز عقولهم الى النشاط المستمر ، حتى اذا ما اصبح المجتمع نفسه سائرا فى خطى ثورية ، انتقل زمام المبادرة الى القيادات السياسية ، وتحول الشباب الى موقف يمكن ان يوصف بأن فيه عناصر سلبية الى حد ما .

مشكلة السلبيـــــة

وفى اعتقادى ان الصراع الفكرى الحالى بين الشباب انما ينحصر أساسا فى **مشكلة القضاء على السلبية** : اعني انه صراع بين الاتجـــاه الى التفكير ايجابيا فى مشكلات المجتمع والعالم والمشاركة الفعلية فى السعى الى حلها ، وبين الوقوف منها موقف المشـاهد المتفرج ، والانتظار حتى تحدث التطورات بالفعل ، والاكتفاء بتأملها فى سكون . ويبدو لى ان اية خطة ترمى الى الاستفادة من طاقات الشباب وقدراتهم ينبغى أن تركز جهودها قبل كل شىء فى تحويل أذهـان الشباب من حالة السلبية الفكرية الى حالة الايجابية ، وتعويدهم ممارسة ملكاتهم العقلية فى تحليل مشكلاتهم الخاصة ومشكلات المجتمع المحيط بهم .

ولكن ما هى الاسباب التى تدعو الشباب الى اتخاذ مثل هذا الموقف السلبى من المسائل الفكرية ؟.

فى رايى ان السبب الرئيسى هو أن لديهم نوعا من التواكل والاعتماد ، يقويه فى أذهانهم الاعتقاد بأن هناك أشخاصا آخرين يفكرون بدلا منهـم . على ان من الزم الامور أن يعتاد الشباب تحمل المسئوليات منذ اللحظة الاولى، ولا يهم ان تكون هذه المسئوليات ضيقة النطاق فى البداية ، اذ انهـا ستتسع حتما بالتدريج ، كلما تقدم بهـم السن وازدادت خبرتهم، حتى يجىء الوقت الذى يمكنهم فيه تحمل الاعباء كاملة . اذن فالموقف السليم الذى ينبغى ان تقفه الدولة من الشباب فى هذا الصدد هو أن تشجعهم بكل الوسائل الممكنة على التفكير الايجابى ، وتشعرهم بأن كل المشكلات قابلة للمناقشة والتحليل ، وبأنهم هم انفسهم قادرون على القيام بدور ايجابى فى هذا الصدد . فتحقيق استقلال شخصية الشباب ، وتنمية ملكة التفكير والتحليل لديهم، هدف من أسمى الاهداف التى ينبغى أن تتجه الى تحقيقها برامج الشباب ، سواء منها السياسية أم الاجتماعية أم التعليمية.

وقد يبدو لاول وهلة ان زيادة القدرة على التفكير النقدى المستقل لدى الشباب تتعارض مع سعى المجتمع الى توحيد خططه وانعقاد الآراء فيه على أهداف محددة يتفق عليها الجميع . ولكنى لا ارى بين الامرين تعارضا على الاطـلاق . فوحـدة أهداف المجتمع لا تحول على الاطلاق دون رعاية ملكات الشباب الفكرية واشعارهم بأن لهم دورهم الايجابى فى فهم الاتجاهات العامة للمجتمع وتحليلها ، بل أن هذا الفهم والتحليل وسيلة فعالة لضمان افضل تحقيق ممكن لهذه الاهداف الموحدة . ومن المؤكد ان تجاوب الشباب مع الاهداف الاجتماعية سيكون أعظم ، وتحمسهم فى سبيل تحقيقها سيكون أشد ، اذا اتخذوا من هذه الاهداف موضوعا للتحليل والمناقشة الواعية ، منهم اذا اكتفوا بقبولها دون تفكير ايجابى . فمن الواجب اذن أن نبذل كل الجهود الممكنة لكى نقنع الشباب بأن ثقتهم فى أهداف المجتمع وفى سياسته العامة لا ينبغى أن تحول بينهم وبين ممارسة قدراتهم الفكرية ، أو تجعلهم يقفون موقف المتفرج من مجتمعهم وهو يشق طريقه فى سبيل تحقيق أهدافه .

ولعل أحدا قد يتساءل : **ولكن هل هناك بالفعل مظاهر لهذه السلبية الفكرية التى نتحدث عنها ؟** وردى على هذا السؤال هو أن هذه المظاهر موجودة بالفعل ، وما علينا الا ان نتأمل الشباب من حولنا بأعين فاحصة لنجد شواهد قاطعة على وجود هذا النزوع الى السلبيـــة لدى عدد لا يمكن تجاهله منهم .

ظاهـــرة الارهاب

ولنتأمل مثلا ظاهرة مثل عودة ظهور جماعة الاخوان المسلمين . ان من الامور التى لفتت أنظار كثير من المفكرين فى صدد ظهور هـذه الجمـاعة وممارستها لنشاطها من جديد ، ان عـددا كبيرا من اخطر اعضائها كانوا من الشباب ، بل هم فتية صغار السن لم يكن لديهم ادراك أو وعى متميز فى الفترة السابقة التى كانت هذه الجمـاعة تمارس فيها نشاطها ، اى فى أربعينـات هـذا القـرن وخمسيناته الاولى. فهؤلاء اذن شبان نمت عقولهم ونضجت خلال تلك الفترة الاخيرة ، الممتدة من عام ١٩٥٤ حتى اليوم . فكيف أمكن اذن ان تتهيأ اذهانهم خلال هذه الفترة التى مر فيها شعبنا بشتى أنواع الكفاح من أجل تأكيد ذاته وتحقيق كافة مظاهر استقلاله ـ أقول كيف أمكن ان تتهيأ اذهانهم لقبول تعاليم كتلك التى تذيعها جماعة الاخوان المسلمين ؟ فى اعتقادى أن من أهم أسباب هذا التهيؤ الفكرى ، ظاهرة السلبية فى التفكير .

فليس الصراع بين الاخوان المسلمين وبين خصومهم الفكريين صراعا حول مبادىء او افكارا معينة ، بقدر ما هو صراع بين السلبية والايجابية فى التفكير . اجل ، فانضمام شـاب الى جماعة الاخوان لا يعنى أنه قد اتخذ موقفا فكريا معينا ، بقدر ما يعنى أنه قد عطل ملكاته الفكرية وأبطل استخدام قدرته على فهم الظواهر وتحليلها ، أى

انه قرر ان يقف من المسائل العقلية موقفا سلبيا. ذلك ، فى رأيى ، هو « التشخيص » الصحيح لحالة الشاب الذى ينضم الى جماعة تأخذ بمبدأ السلطة المطلقة، وتعلى مكانة الطاعة العمياء، ويؤمن افرادها بأن السلاح والارهاب افضل سبيل الى نشر تعاليمهم .

وعلى ذلك ، فالوسيلة المثلى لمحاربة مثل هذه الجماعات ، بل لكى نجعل ظهورها مستحيلا ،هى أن نحصن الشباب ضد أمثال هذه الآفات الفكرية. ولا يكون ذلك الابأن نشجعهم دواما على الايجابية فى التفكير ، وعلى تنمية قدراتهم على التحليل والنقد . وفى اعتقادى أن كل شاب يتمتع بمثل هذه الصفات الاخيرة يكون محصنا ضد أية مؤثرات من هذا النوع . فلا التحذير ولا التخويف ولا الجو التمثيلى الارهابى بقادر على أن يحدث اى تأثير فى الشاب الذى تعلم كيف يستخدم عقله وكيف يفكر ايجابيا فيما يواجهه من المشكلات .

ولا شك ان عبئا كبيرا فى الجهد الذى يستهدف تحرير عقول الشباب من حالة السلبية الفكرية التى توقعهم فريسة سهلة فى ايدى الجماعات اللاعقلية المتسلطة ، انما يقع على عاتق الهيئات الدينية . فمن الواجب ان يقدم الدين الى الشباب بوصفه قوة تساعد على ممارسة الفكر لا على تعطيله . ومن الواجب ان تفسر التعاليم الدينية على نحو يطهرها من تلك الشوائب التى اقحمت عليها فى عهود سادتها الجهالة وغشاها الضباب الفكرى . وتلك فى رأيى مسألة على أعظم قدر من الاهمية ، ولابد أن تتفرغ لها الجهود لانها مرتبطة بأساس التكوين العقلى لجيل المستقبل . وفى أعتقادى أن شبابنا ان لم يجدوا فى الدين قوة تساعدهم على استخدام قدراتهم الفكرية والنقدية ، أو على الاقل لا تلغيها ، فسوف يظلون معرضين لمؤثرات سلبية خطيرة ، ان لم تكن من نفس نوع جماعة الاخوان المسلمين فستكون مشابهة لها فى الغائها للفكر وتخديرها للاعصاب وتعطيلها للملكات العقلية وتبديدها لطاقات نحن أحوج ما نكون الى الافادة منها فى كفاحنا ضد عوامل التخلف .

ظاهرة التحزب الرياضى

وربما قيل ان هذا المظهر السابق من مظاهر سلبية التفكير يقتصر على فئة محدودة قد تكون لها مشكلاتها الخاصة ، وبالفعل تثبت الدراسات أن قدرا غير قليل من الشبان الذين ينضمون الى أمثال هذه الجماعات يعانون من مشكلات نفسية عميقة الغور ، كالكبت او العجز عن التكيف الاجتماعى، وبالتالى فهم يدخلون فى عداد الحالات الانحرافية أو المرضية من الشباب . ولكن هناك مظهرا آخر للسلبية الفكرية اوسع انتشارا من المظهر السابق بكثير ، وربما لم يكن يقل عنه خطورة فى المدى الطويل ، لاسيما وانه يبدو بريئا، بل يبدو فى ظاهره مفيدا للشباب ــ واعنى به **التحزب والتعصب فى ميادين الرياضة ،ولاسيما الكرة .**

ولاجدال فى أن كثيرا من القراء سوف يستنكرون الكلام عن موضوع كهذا فى مقال له مثل هذا العنوان الجاد ، وفى سياق يفترض ان مشكلات الشباب تناقش فيه مناقشة عميقة تعلو على التفصيلات الجزئية وتترفع على الموضوعات ذات الاهمية الثانوية . ولكنى أسارع فاقول ان للموضوع خطورة لا تقل فى نظرى عن خطورة ظاهرة التعصب الاعمى والسلبية المطلقة كما تتبدى فى انضمام بعض الشباب الى الجماعات التى تنشر الارهاب باسم الدين . ومن الخطأ فى نظرى أن ندفن رءوسنا فى الرمال ونتغافل عن خطر حقيقى بحجة ان الموضوع اتفه من ان يناقش فى مثل هذا السياق الجاد ، ولا مكان له فى حديث عن « الصراع الفكرى » . وانى لاعتقد اعتقادا جازما بأن الظاهرة أخطر من أن تستبعد بمثل هذه السهولة ، بل انها تدخل فى صميم الموضوع الذى نعالجه ، لانها من اوضح مظاهر السلبية الفكرية بين الشباب .

اننى أستطيع ان اقول من تجربتى الشخصية ان اكثر من تسعين فى المائة من احاديث الشباب ومناقشاتهم فى أروقة الجامعة ، انما تدور حول نتائج مباريات الكرة أو احوال اللاعبين واساليبهم، أو مواقف الاندية .. الخ . ومثل هذا الحكم سمعته يصدر من اشخاص آخرين عن شباب المدارس الثانوية والاعدادية، البنين منهم والبنات. وتلك ظاهرة خطيرة حقا ، ينبغى ان نبدى فيها من الاهتمام ما نبديه بأى انحراف يمس الجوانب السياسية من حياة مجتمعنا . ان عقول الشباب الذين نعتمد عليهم فى بناء مستقبلنا ــ الشباب الذى ستكون فى يده مقاليد الامور فى بلادنا بعد جيل واحد ، مسلوبة بفعل مخدر فتاك اسمه كرة القدم . وليت هذا الاهتمام كان رياضة بالمعنى الصحيح ، اذ أن الرياضة بتنميتها للجسم وتعويدها الشباب على التضامن ، تسهم بدور لا بأس به فى التكوين المعنوى ، فضلا عن المادى، لجيل المستقبل . ولكنك تجد الشاب المقوس الظهر ، المدمن التدخين ، يتحدث عن هذا اللاعب أوذاك وكأنه شخصية كبرى فى عالمه العقلى الخاص، ويتحدث عن انتصار هذا النادى أو ذاك وكأنه الامل

الاكبر له ، وعن اهداف الكرة وكأنها أهم أهداف الحياة ! فى مثـل هـذه التفاهات تضيع طاقات الشباب العقلية ـ حتى من كان منهم لا يمارس الرياضة أصلا ـ على نطاق خطير فى اتســاعه ، وتبدد قدرتهم على المناقشة والجدال ،ويمارسون نزوعهم الى التنافس والتسابق .

انني لا أود أن أقترح حلولا محددة ، ولكن الامر الذى أستطيع أن أؤكده تأكيدا قاطعا هو أن شيئا حاسما ينبغى ان يعمل فى هذا الصدد، لان الظاهرة اخطر مما نتصور . ومبعث خطورتها انها اوشكت على أن تكون شاملة، ولاسيما بين صغار الاحداث فى هذا الجيل ، وأنها تمس الشباب فى أهم وأخطر مراحل تكوينهم ، وأنها لا تبدو بمظهر الانحراف الذى تسهل محاربته، بل هى على العكس من ذلك تلقى اهتمام كثير من أجهزة الاعلام ، وتجد تشجيعا من كثير من الاوساط . والامر الذى أود أن أقوله هو أن هذا التشجيع ربما كان له ما يبرره فى البداية ، حين كانت الظاهرة تنتمى الى مجـال الرياضة وحده ، أما وقد أدى هذا الاهتمام المفرط الى اطلاق مارد مشوه من القمقم ، والى تحويل طاقات الشباب فى اتجاهات سلبية يـكاد يـكون من المستحيل الافادة منها فى أى هدف بنـاء ، فقد أصبح الامر فى حاجة الى حل جذرى ،يتيح لشبابنا أن يهتموا بالسد العالى وبقضيـة بنـاء الاشتراكية ـ مثلا ـ أكثر مما يهتمـوا بترتيب الدورى ونتائج الكاس !

التراث والتيارات العالميـة

على أن من دواعى التفاؤل ان الصراع الفكرى عند الشباب لا يدور كله حول هـذه المشـكلات السلبية . صحيح أن لهذه المشكلات ابعادا خطيرة ينبغى التنبه اليها ومعالجتها بروح واقعية صريحة، ولكن للصراع أيضا جانبه الايجابى الذى يمـكن أن يسفر عن أعظم النتائج لو أتيحت له الظروف الملائمة .

وفى رأيى ان أهم المظاهر الايجابية فى الصراع الفكرى بين الشباب هو اهتمام الناضجين منهـم بمشكلة البحث عن الشخصية القومية . وهناك اتجاهان رئيسيان يتجاذبان اهتمام الشـبـاب فى صدد هذه المشكلة ، احدهمـا هو الاتجـاه الذى يلتمس هذه الشخصية فى التراث المحلى ،والاخر يبحث عنها وسط التيارات العالمية المتعددة التى يضطرب بها عالم اليوم .

والامر المشاهد بالفعل هو ان **انصـار التراث** لم ينجحوا بالقدر الكافى فى اجتـذاب الشبـاب الناضج فكريا الى صفوفهم . والسـبب المبـاشر فى ذلك هو أن فترة الشباب متطلعة بطبيعتها الى كل ما هو عصرى تجديدى ، ومن هنـا كان لابد لانصار التراث من بذل جهود مضاعفة من أجـل تقديم التراث القومى الى الشباب فى صورة حية متطورة يرتبط فيها الماضى بالحاضر اوثق الارتباط. ولكن هذا هدف ما زال بعيدا عن التحقق : اذ ان الماضى يقدم الى الشباب على نحو يكاد يكون منقطع الصلة تماما بالحاضر ، بل ان بعض انصار التراث الغابر يذهبون فى تطرفهم الى حد الحملة الشديدة على كل ما هو عصرى، ويؤكدون ان العصر الذهبى انما ينحصر فى الماضى وحده ، وأن أفضل سـبيل الى النهوض هو الرجوع الى عهد مضى يظنون أن أمجاد البشرية كلها قد تركزت فيه . مثـل هذه الطريقة فى التفكير ، كما قلت من قبل ، لا يمـكن ان تجتذب الشبـاب، الذين هم متطلعون بطبيعتهم الى المستقبل . فأهداف الشباب وغاياتهم تتركز دائما فى زمن سيأتى، لا فى زمن انقضى وفات أوانه. وقد يكون الشباب حالما فى تطلعه الى المستقبل ، وقد يسرف فى الخيال الى حد يبدو مستحيـل التحقيق، ولكن هذه كلها ظواهر تنتمى الى صميم المرحلة العقلية التى يمر بها الانسان فى سن الشباب، ومهمتنا بوصفنا موجهين للشباب ـ هى أن نساعده على التطلع الى مستقبل أكثر ازدهارا ، لا أن نكبت فيه هذا النزوع ونشده الى عهود ماضية لاسبيل الى عودة ظهور مثلها العليا فى عصرنا الحـالى . وبالاختصار ، فعلى عاتق انصار التراث مهمـة شاقة ، هى أن يعيدوا النظر ـ على نحو جذرى ـ فى الطريقة التى يقدمون بها هـذا التـراث الى الشباب ، أعنى فى طريقة كتابتهم للتاريخ والفلسفة والاداب القديمة، بحيث يجد فيها الشباب تعاليم حية لا نصوصا جامدة منقطعة الصلة بواقعهم . وعلى هذا النحو وحده يستطيع دعاة التراث أن يكسبوا الى صفوفهم أنصارا ، ويمكن أن يـكون لهم دورهم الايجابى فى الصراع الفـكرى الـذى يدور فى عقول الشباب .

أما الاتجـاه الاخـر فى هذا الصراع الفـكرى الايجابى فيبحث عن مقومات للشخصية القومية وسط التيارات العالمية السائدة فى عالم اليوم . ومن الملاحظ أن طبيعة هذه التيارات العالمية قد تغيرت فى عصرنا الحالى الى حد بعيد . ففى جيل الامس القريب كان الصراع بين المعسكرات الدولية يسير فى اتجاهين رئيسيين لـكل منهمـا معـالمه الواضحة : اتجاه المعسكر الشرقى بأيديولوجيته الشيوعية المعروفة ، واتجاه المعسـكر الغـربى بأفكاره الراسمالية والاستعمارية الصريحة .وكان الشباب فى دول العالم الثـالث فى ذلك الحـين

يحددون موقفهم بوضوح من هذين التيـــارين ، وذلك على الرغم من أن حقيقة العـــالم الثالث ، بوصفه كيانا مستقلا له مقوماته الخاصـــة ، لم تكن قد تحددت بعد . فالازدواج الفكرى العالمى كان ينعكس على أذهان هؤلاء الشباب فى صـــورة ازدواج بين يمين ويسار لكل منهما معالمه الواضحة، ويتميز كل منهما فى داخله بالتجانس والتوحـــد الفكرى . أما اليوم فقد تغيـرت طبيعة الصراع الايديولوجى العالمى الى حد بعيـــد ، وتداخلت خيوطه وتشابكت وتعقدت على نحو يكاد يكون من العسير معه الاهتداء الى التيارات الاصلية وسط هذه الدوامات الفـكرية التى تزداد على الـــدوام اتساعا .

فالانقسام فى اتجاهات أيديولوجية المعسكر الشرقى أصبح اليوم حقيقة مؤكدة ، ويبـــدو أن الشقاق يزداد فى كل يوم اتساعا . وبعبارة أخرى فقد انقسم الشرق الى معسكرين داخليين أحدهما يزداد تصلبا وتطرفا فى تمسكه « بالسـلفية » الفكرية ، والاخر يزداد مرونة وتساهلا على نحو يرى فيه الاول تقاربا ملحوظا من الغـــرب . وقد لا يكون هذا التقارب واضحا فى المبادىء الاقتصادية والسياسية الرئيسية، ولكنه فى النواحى الثقافية والفكرية والفنية أصبح حقيقة لا شك فيها . ففى دول المعسكر الشرقى الاوروبية اتجاه مؤكد الى الابتعاد عن المذهبية الجامدة فى المجال الثقافى ، والاعتراف بالاخطاء التى أوقعها فيهـــا الجمـــود الايديولوجى وتوجيه كل مظاهر الحيـــاة فى اتجاه واحد . ومن جهة أخرى فالغرب ذاته منقســم على نفسه انقساما شديدا ، بحيث تتجه أوروبا الغربية تدريجا الى الاستقلال فكريا وسياسيا عن الولايات المتحدة ، ويظهر فى هذه الاخيرة ذاتهـــا يسار جديد يجتذب اليه الشباب بأعداد كبيرة .

وقد يبدو أن هذا الخلط والتداخل فى خطوط التقسيم الفكرى القديمة يؤدى الى خلط مناظر فى أذهان شباب دول العالم الثالث ، ولكن الواقع أن نتيجته الحقيقية عكس ذلك : اذ هو يؤدى الى مزيد من وضوح الرؤية أمام أذهانهم . فمرحـــلة الحيرة التى تنشأ عن ادراك مدى تعقد صـــورة العالم المعاصر هى مرحلة موقتة ، سرعان مايعقبها ادراك أسلم للامور ، يتضح فيه لكل شاب مفكر ان هذا التعقد الايديولوجى انما هو انعكاس لتعقد مناظر يتصف به الواقع الذى لا يمكن اخضاعه للتقسيمات الحادة أو الفواصل القاطعة الجامدة .

فهناك اذن فائدة كبرى يجنيها الجيل الحالى من شبابنا ــ أعنى المفكرين الايجابيين منهم ــ من تداخل التيارات الفكرية العالمية فى المرحـــلة التى يعيشها العالم اليوم ، وهو التداخل الذى يبدو انه يزداد قوة بمضى الايام . تلك الفائدة هى قبل كل شىء تجنب التعصب والجمـــود الفـــكرى ، والايمان بأن الواقع أرحب من أن يتسع لصيغـــة واحدة تنطبق حتما على كل مجالات الحيـــاة . ذلك لان الحقيقة متعددة الجوانب ، ومهمة الفكر النظرى هى أن يعبر عن هذه الجوانب المتعـــددة تعبيرا كافيا ، بدلا من أن يعمل على اقحامها قسرا فى تفسير تعسفى موحد الاتجاه . وقد بدأت تظهر بالفعل دلائل تدل على ان كثيرا من شبابنا المفكرين أخذوا يراجعون موقفهم مراجعة أساسية أصبحت أذهانهم بفضلها أكثر تفتحا واستعدادا لتقبل كل عنصر فكرى ايجابى أيا كان مصدره . وبعبـــارة اخرى فقد أصبح معنى « الالتزام » اليوم مختلفا تماما عن معنى التمسك بمبادىء موحدة يخضـــع لها تفسير كل الظواهر : فالالتزام الفـــكرى يعنى عند الجيل الحالى من الشباب ، الاستعداد لتقبل كل اتجاه سليم وادماجه ضمن مجموعة المبادىء الاساسية التى يحرصون عليها ويعمـــلون عـــلى تطبيقها فى مجتمعهم .

وتلك فى رأيى هى الخطوة الاولى ، والاساسية، نحو تحقيق الاستقلال الفكرى : أن تشعر بأن ما يأتيك من هذا التيار العالمى أو ذاك ليس ملزما لك على نحو آلى ، وبأن الحقيقـــة ليست احتـــكارا لاحد . فعندما يقوى لديك هذا الشعور ، تكون نتيجته الحتمية هى ادراكك انك أنت أيضا تستطيع أن تسهم بدورك فى بلوغ هـــذه الحقيقـــة ، وأن امكانياتك الفكرية لا تقـــل فى هـــذا الصـــدد عن امكانيات الاخرين .

وعلى ذلك فأن تلك الظاهرة التى قد تبـــدو لاول وهلة أمرا يبعث على الخلط والاضـــطراب الفكرى ، وأعنى بها عـــدم تحدد معـــالم الصراع الايديولوجى العالمى وتشتت خطـــوطه وتداخـــل تقسيماته، هى فى واقع الامر ظاهرة صحية تساعد على تحرر شبابنا واستقلالهم وبلوغهم سن الرشد فكريا . فهم فى بحثهم عن شـــخصيتهم القوميـــة وسط التيارات العالمية ، سيدركون بوضـــوح أن الايديولوجيات السائدة انمـــا هى « تجـــارب » يتلمس بها الانسان طريقه نحو مستقبل افضل ، وأن المجال مفتوح أمام الجميع لكى يشـــاركوا فى هذه التجارب ويقوموا فيها بدور بناء . وحـــين يصل شبابنا الى هذه الدرجة من التفتح الذهنى، وتتغلب عقولهم على فكرة « الخضوع للسلطة »، يختفى لديهم الشعور بالتبعية الفكرية ، ويتخـــذ الصراع الفكرى عندهم مظهرا ايجابيا يمهد الطريق لظهـــور شـــخصيتهم القومية المستقلة وســـط التيارات المتباينة التى تتصارع فى عالم اليوم .



نحو سياسة تعليمية جديدة للشـــبـاب

محمد جمال راشد نوير

التربية

والتعليم وظيفة اجتماعية تستمد ضرورتهـا وتـكتسب مدلولهـا ومفهومها الحقيقى من الاهـداف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تعمل الامة على تحقيقها ، ومن الغايات التى يسعى المجتمع الى الوصول اليها ، ومن ثم ينبغى أن تـكون التربية — فى مجتمع تقـدمى — تعبيرا وترجمة وانعكاسا للاتجاهات التى يطمح اليهـا المجتمع ، والمثل الحقيقية التى يتخذها اهدافا له .

ومن ثم ترتبط التربية بهذا المفهوم بعملية التكوين والتنشئة الاجتماعية للاجيال الصاعدة المسئولة عن تحقيق أهداف الامة وحمل أمانيها صوب الواقع الملموس .

ورغم أن التربية اتخذت فى تاريخها الطويـــل مسئولية حفظ التراث البشرى واكسابه الأجيال الصاعدة (أجيال الشباب) الا أن القوى المسيطرة اجتماعيا فى المجتمعات الرجعية اتخذت منـها فى بعض الاوقات وسيلة معوقة تقف دون تحقيق حركة تطور المجتمع .

ارتباط فلسفة التعليم بالاوضاع الاجتماعية

ومن استقراء تاريخ التربية — بصفة عامة — يمكننا ان نخرج بحقائق تنتمى الى هذا الموضوع :

● كان لكل مجتمع انسانى نظامه التربوى أو مجموعة الانظمة والقواعد التربوية الخاصة به ، يقصد بها اكساب الاجيال الصاعدة ، أخلاقيات

المجتمع ونظم وأساليب عمله ، ضمانا لاستمرار التكوين الاجتماعى .

● ارتبطت التربية ــ كوسيلة لنقل المعرفة والاخلاقيات ــ بالصورة التى كان عليها المجتمع وتكوينه ، وبالتالى ارتبطت بالقوى ذات الثقل الاقتصادى والسياسى فى المجتمع ، وفى مجتمع تقليدى ، تهدف التربية ــ كوسيلة بيد القوى ذات الثقل ــ الى استمرار الوضع القائم وتأكيده ، وتثبيته ، أو بمعنى آخر الحفاظ عليه .. ونتاج ذلك كان نظام التعليم واسلوبه ومناهجه ، التى كانت تهدف جميعا الى نشر افكار معينه وقيم معينة تحمل فى مضمونها أهداف أو قيم بعض قطاعات المجتمع وتكون انعكاساتها سلبية بعض القطاعات وأيجابية قطاعات اخرى ، أو تثبيت الفوارق الطبقية ، أو تمييع الحركات الوطنية ، وما يصاحب ذلك من اساليب العمل التى تطبع شكل ومضمون التعليم فى مجتمع تقليدى ، وفى مجتمع يتحول اشتراكيا ، ويسوده تحالف قوى الشعب العاملة ، تصبح التربية ــ أو ينبغى أن تصبح ــ وسيلة ونمطا جديدا يهدف الى تنشئة الاجيال الصاعدة ــ أجيال الشباب ــ فى اطار اجتماعى ايجابى ، متوحدين فى سلوكهم الاجتماعى ، وأن يكون هدف حركة التعليم من الجماهير والى الجماهير .

● ينبع من الحقيقة السابقة ، أن التعليم كان فى تاريخه الطويل ، ولالاف السنين ، وسيلة تسيطر بها القوى السياسية التقليدية على الاوضاع القائمة ، ومن ثم كان التعليم لالاف السنين ــ فى عهد الطبقات ــ تحكمه قوانين واخلاقيات تخالف تمام الاختلاف الاخلاقيات والقوانين التى تحكم التعليم الاشتراكى . فخلال تلك السنوات كان التعليم بيد ملاك العبيد ، وطبقة أصحاب الاراضى ، والرأسماليين ، والبورجوازية التقليدية وكانت تلك القوانين تعطى كل الفرص لابناء الطبقة المالكة ، وتستثنى أبناء الشعب من عمال وفلاحين من تلقى فرص التعلم . ولكنه فى عهد التحول الاشتراكى ينبغى أن يكون التعليم للشعب ، لتحالف قوى الشعب العاملة ، وتحول التعليم من كونه أداة بيد الطبقات المالكة المستغلة الى أداة بيد تحالف قوى الشعب العاملة ــ يمثل قفزة نوعية فى التعليم ، وثورة عظيمة للتعليم نفسه . ويقتضى هذا أن يكون توجيه التعليم بيد القيادة السياسية التى تمثل تحالف قوى الشعب العاملة .

التعليم والتحول الاشتراكى

والمجتمع المتطور نحو الاشتراكية ، حين يعدل من نظام التعليم ، ويبنى له فلسفته الخاصة به ، لا بد أن يكون هدفه أعداد المواطن العامل المنتج ، الذى يتأثر بما يطرأ على مجتمعه من تغيرات والذى يتجاوب ايجابيا مع تلك التغيرات ، مسهما فى العمل البناء من أجل تدعيم البناء الجديد للمجتمع والحفاظ عليه وربط حياته وتفكيره بالنظام الذى سيكون اطارا لحياته ومعيشته الواقعية .

وفى هذا الصدد ، لا بد أن تصطحب التغيرات الجوهرية التى طرأت وتطرأ على التركيب الاقتصادى والاجتماعى والسياسى للمجتمع ، تغييرات جوهرية فى طرق ووسائل اعداد الشباب عن طريق التربية والتعليم ، وعن طريق ثقافة تلائم النظام الاشتراكى وتدعمه .. أذ تستند المجتمعات الاشتراكية الى مفاهيم معينة للحياة ترتكز على فكرية تستهدف تطهير الاخلاقيات والعقول والعلوم والفنون من رواسب التحكم والطبقية والسيطرة والاستغلال والفردية بكل مظاهرها وفى كافة ميادينها ، وبناء فكرية جديدة تستند الى اخلاقيات المجتمع الاشتراكى وتفاعلها مع واقعه ، ومن ثم تتحدد وظيفة التربية فى مجتمع يتحول اشتراكيا ــ من ناحية الاعداد السياسى للشباب ــ بالاهداف التالية :

● الاعداد الاجتماعى للشباب بطريقة تمكنه من الاسهام الايجابى الفعال فى أطار الحياة ، وأسلوب العمل الاشتراكى ــ ويرتبط ذلك بتزويد الفرد بالمهارات والاتجاهات والمعلومات اللازمة لتحقيق هذا الهدف سواء كان ذلك عن طريق المناهج ومضمونها ، أو طرق التدريس أو الانشطة الاجتماعية فى المدرسة .

● تنمية الوعى الاجتماعى لدى الشباب وشعورهم بالمسئولية الكاملة نحو الغير ونحو المجتمع .

● تزويد الشباب بالاتجاهات الكفيلة بادراكه انه جزء من وطنه يلتزم به وبأهدافه ، وأن تقدم هذا الوطن من تقدمه وأن رفاهيته من رفاهية وطنه ، وما يصطحب بذلك من تزويده بأمكانيات واتجاهات المبادرة لحل مشكلاته ومشكلات مجتمعه المحلى بأسلوب تعاونى .

● تزويد الشباب بالمهارات التى تمكنه من أدراك مشكلات وطنه واهدافه القومية ، وان العمل الذى يقوم به ينبغى أن يتم فى أطار متكامل مع الاهداف الاجتماعية العامة ، بحيث أن أى انحراف عن هذه الاهداف انحراف عن الاهداف القومية ، وان العمل فى أطار هذه الاهداف عمل قومى .

● ان توضح التربية للشباب الغرض الاجتماعى الذى ينبغى أن يسعى اليه ، ويكافح من أجله ، والعدو الذى يكافح ضده ، ووسائل الكفاح وطرقه التى يتبعها من أجل تحقيق الغرض ومكافحة العدو .

● ان ترتبط القيم السياسية التى تبغى التربية والتعليم اكسابها الى الطلاب بالعمل المنتج الذى يعتبر وظيفة جوهرية فى المجتمع الاشتراكى ، وبالتالى ترتبط تلك الاهداف بأخلاقيات العمل كوظيفة وأسلوب .

● أن تقدم المنظمات التعليمية المقصودة الى الشباب ، نظرية العمل السياسى فى وضوح كامل. اذ انه بدون المعرفة الكاملة نسبيا من المستحيل القيام بعمل ثورى بصورة فعالة .

وبالتالى ، تصبح التربية — كوسيلة لتأكيد القيم — فى مجتمع ما — اشتراكية بالقدر الذى تعبر فيه — فى شكلها ومضمونها — عن حاجات وآمال واهداف ومثل المجتمع ، بأعتباره كل لا يتجزأ ووحدة لا تنفصم ، وبمدى التوجيه الفعال الذى توجه به القيادة السياسية التعليم ، فلا يمكن أن نتصور تعليما اشتراكيا بدون توجيه فعال قوى من القيادة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى ، وفى ظل هذا التوجيه السياسى يصبح التوجيه التكنيكى (الفنى) للعملية التعليمية ، خاضعا للتوجيه السياسى .وبالتالى تتحدد نوعية خريجى المرحلة التعليمية بالاهداف السياسية التى تضعها القيادة السياسية ممثلة فى تحالف قوى الشعب العاملة من فلاحين وعمال وجنود ومثقفين ثوريين .

وفى هذا الصدد ، ينظر المجتمع الاشتراكى الى المدرسة على انها وحدة انتاجية تسهم فى اعداد الشباب القادر اجتماعيا على تولى أعباء المسئوليات الاجتماعية والقومية، وتنمية كفاياتهم واستعداداتهم ومواهبهم الكفيلة بأن يكون الشباب منتجا اجتماعيا فى عمله وتفكيره ، وأن جازلنا الاشتقاق من التعبيرات الصناعية ، فأن المدرسة تعتبر مصنعا ثقيلا ، يعد الافراد الذين بدورهم سوف يتحركون للانتاج فى قطاعات المجتمع المختلفة .

الاعداد السياسى والاعداد المهنى

يبدأن مجرد الاعداد الفنى أو المهنى قد يكون مرغوبا فى مجتمع ما من المجتمعات ، ولكن فى مجتمع اشتراكى ، لا بد بالضرورة ان يصحب هذا الاعداد تزويد الفرد بالحساسية الاجتماعية والسياسية ، واعداده فى أطار سياسى واجتماعى يستطيع من خلاله ان يدرك ابعاد النظرية السياسية وان يتمثل اهداف مجتمعه القومية ويتحرك فى اطارها ويعمل على تطويرها ،فالتكوين السياسى لشاب ما، يمثل بالنسبة له الضمير الاجتماعى الاعلى الذى يحركه فى اتجاه حركة وطنه وسياسته .

وبالتالى ، ينبغى أن تسهم المدرسة والجامعة فى المجتمع الاشتراكى — بوصفها مؤسسة مقصودة للتربية والتعليم والاعداد — فى مسئولية الاعداد السياسى للشباب الدارس فيها ، متضامنة مع سائر أنواع التربية غير المقصودة مثل الاسرة وأجهزة الثقافة والاعلام بأنواعها المختلفة ، وتنظيمات الشباب . ومن ثم ، ينبغى أن تتغير اهداف المدرسة من مجرد التعليم الى التنشئة الاجتماعية والمواطنة الصالحة ، وان تتعدل مناهج المدرسة والجامعة وبرامجها والانشطة المصاحبة منمجرد اكساب المعلومات الى اتاحة الفرصة لكل شاب يحصل على التعليم أن يتطور خلقيا وذهنيا وجثمانيا ، وأن يصبح عاملا ذا ثقافة وفكر اشتراكى ، بحيث يكتسب القدرة العملية والثقافة والوعى السياسى التى تؤهل الشباب للعمل الايجابى والاسهام فى مقدرات وطنه .

طاقات القوى الشبابية

هذا ويمثل الشباب بقوته وطاقاته المحور الاساسى للمجتمع والعمود الفقرى له ، باعتبار ان الشباب مرحلة من مراحل النمو الفتى والانطلاق الشاب نحو تحقيق اهداف المجتمع بقوته وعزيمته خاصة وان شباب هذا الجيل يمثل قيادة المستقبل .

وقد حددت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى الشباب بأنه مجموعة الافراد الذين يتروح عمرهم الزمنى بين ١٦ و ٢٥ سنة ، سواء كانوا يعملون فى الحقل أو المصنع أو يشغلون وظيفة ايا كان نوعها او يتلقون العلم فى احد معاهد التعليم ويبلغ عدد افراد هذه الفئة — فى آخر احصاء رسمى (١٩٦٠) — ٣٫٣٣٣٫٧٨٣ فتى وفتاة يمثلون ١٥٫٢٪ من مجموع سكان الجمهورية العربية المتحدة .

هذا وقد اكدت القيادة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى أهمية الدور الذى يلعبه الشباب فى مقدرات وطنه ، فبين المناضل جمال عبد الناصر فى كلمته الى الشباب فى معسكر حلوان فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٥ أهمية الدور الذى يلعبه الشباب العربى فى المجتمع العربى وفى التنظيم السياسى ، فيقول لهم «العملية الثانية ، اللى النهاردة بنشتغل فيها فى الاتحاد الاشتراكى هى عملية الشباب . . . والشباب هو العمود الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى » .

وبين على صبرى امين عام الاتحاد الاشتراكى العربى فى تصريح له عن أمانة الشباب نشره «الاهرام» فى ٣٠ — ١٠ — ١٩٦٥ مجال الشباب واهمية دوره فى حركة تطور المجتمع قائلا «ان مجال العمل مفتوح على أوسع نطاقه أمام الشباب ... وأن امكانيات الشباب العربى فى مصر وقدرتــه وفاعليته لا حدود لها ... وتلك حقيقة يشهد بها التاريخ ، وتشهد بها الاحداث الوطنية والعامة ، وما علينا الا تنظيم هذه القوى الفعالة وتوجيهها لكى تساهم فى بناء حاضرها ، ولكى تتأهب وتتأهل بممارسة العمل المستمر لقيادة مجتمعنا وضمـــان استمرار ثوريته » .

هذا الدور الفعال للشباب يصبح مسلوب الاتجاه اذا لم يتضح امامه اسلوب العمل السياسى ونظريته واخلاقياته واهداف أمتهم وقيمها التى يعملون فى اطارها ومن أجلها .. ويلقى هذا عبئا رئيســيا على منظمات التعليم التى ينبغى ان نسهم اسهاما ايجابيا فى الاعـــداد السيـــاسى للشبـــاب منـــذ طفولته المبكرة — اسهاما يعده ويهيؤه للعمـــل الفعال ولتولى مسئوليات قيادته، خاصة ان المناضل جمال عبد الناصر ، قد اشار فى كلمته التى القاها الى الشباب بمعسكر حلوان فى نوفمبر ١٩٦٥ أن الاعتماد على معسكرات للتوعية يعتبر جـــزءا من خطة متكاملة تهدف الى الاعداد الســـياسى المتكامل للشباب ... وهى مسئولية متضامنـــة بين الاسرة وأجهزة التعليم واجهزة الثقافة والاعلام وأجهزة الشباب

وفى مجال التربية والتعليم المقصود (منظمات التعليم) تمتد مسئولية الاعداد السياسى المقصود الى فترة الطفولة المبكرة ، وتستمر مصاحبة لها حتى انتهاء الدراسة ، وفى هذا المجال تمتد فترة التعليم بالنسبة للشباب فترات مختلفة حســـب مواصلة الفرد لتعليمه .

وفى هذا الصدد تبلغ نسبة التعليم الالزامى (الابتدائى) بالنسبة لمجموعة السن ٦ — ١٢ سنة (حسب أحصاء ١٩٦٥) ٧٨٪ تقريبا . يتعلمون لمدة ست سنوات ، ومن هذه النسبة يدخل التعليم الاعدادى بأنواعـــه ٢٨٪ تقـــريبا لـــكى يستمر تعليمهم لمدة تسع سنوات.ومن هذه النسبة يدخل حوالى ٧٩٪ تقريبا التعليم الثانوى بأنواعه لكى يتلقون تعليما لمدة ١٢ سنة ، ومن هذه النسبة يدخل حوالى ١٥٪ تقريبا مرحلة التعليم الجامعـــى والعالى لكى يتلقون تعليما يتراوح بين ١٤ — ١٧ سنة .

بمعنى أنه من بين كل ١٠٠ ناشىء ، يتلقى ٧٨ منهم تعليما لمدة ست سنوات فى المرحلة الابتدائية ثم يدخل ٢٢ منهم المرحلة الاعدادية لكى يتلقون تعليما لمدة تسع سنوات ويدخل ١٧ منهم المرحلة الثانوية لكى يتلقون تعليما لمدة ١٢ سنة . ويدخل ٣ منهم مرحلة التعليم العالى لكى يتلقون تعليما يتراوح بين ١٤ و ١٧ سنة .

ومن ثم ينبغى أن تسهم منظمات التعليم المقصودة فى مسئولية الاعداد السياسى فى كل هذه المراحل، بحيث تتولى كل مرحلة الاعداد السياسى للدارس فيها ، بالاضافة الى سائر المسئوليات التعليمية والتربوية . ولا يستثنى هذا قطعا وبالتاكيد أن هناك قوى شبابية ينبغى ان يوجه اليها اعداد سياسى عن طريق المنظمات الاجتماعية المسئولة — متكاتفة — حيث تمثل هذه القوى الجموع التى تقف فى تعليمها عند مستوى دراسى معين ، سواء كانت لم تدخل اصلا المرحلة الابتدائية ، أو توقفت بعد المرحلة الاعدادية أو الثانوية ، وتمثل هذه القوى جموع كبيرة ينبغى وبالتأكيد أن توجه اليها الجهود من أجل الاعداد السياسى لممارسة العمل الوطنى ، بوعى وحكمة ، سواء كان هذا فى مجال تعليم الكبار بمعناه الواسع الذى لا يقف عند حدود محو الامية ، أو فى مجال المنظمات الشعبية وأخص منها بالذكر المنظمات الشبابية وامانة الشباب بالاتحاد الاشتراكى العربى ، وأجهزة الثقافة بأنواعهـــا المختلفة .. وهذا مجال أرجو أن أستثنيه من مجال الدراسة الراهنة.حيث تتناوله دراسات أخرى .

المدرسة والاعداد السياسى

وفى مجال الاعداد السياسى المقصود عن طريقه اجهزة التربية والتعليم ، هناك حقائق أساسية ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار ، حيث تعتبر مدخلا لهذه العملية .

أولا : ينبغى ادراك أن الطالب أو التلميذ يعتبر طاقة انسانية هائلة ، له قدراته وميوله ورغباته التى يمكن توجيهها وجهة أجتماعية عن طريق المدرسة ومناهجها وانشطتها، وان تفاعله الايجابى فى العملية التعليمية يعتبر عنصرا جوهريا لضمان مشاركته الايجابية فى مجريات الامور فى وطنه .

ثانيا : ان العملية التعليمية ليست مجرد تفاعل بين مثير واستجابة تتم قسرا وارغاما، وانما هى عملية دينامية تتم فى اطار مجموعة من المثيرات الاجتماعية والاستجابة الاجتماعية تحدث خلال تفاعل اجتماعى ايجابى من الطلاب وعناصر العملية التعليمية .

ثالثا : ان وسيلة التعليم المقصـــود (المدرسة والجامعة) بما لديهـــا من امكانيات بشرية ومادية يجب ان تتسع رسالتها الاجتماعية لمقابلة المسئوليات التعليمية والتربوية والاجتماعية والسياسية التى يطمح اليها المجتمع، والتى أوكل المجتمع مسئولياتها الى هذه المنظمات التعليمية . ومن ثم ينبغى أن تستخدم المنظمة التعليمية كطاقة اجتماعية، لا لمجرد تعليم الشباب فحسب ، وانما لتوجيهه التربوى والاجتماعى والقومى .

رابعا : ان المنظمة التعليمية ينبغى الا تكون مجرد تجمع للشباب، وانما يتحتم أن تصبح وحدة اجتماعية لها من الاسس والمقومات مايجعلها مسئولة وقادرة على التأثير فى أفراد مجتمعها والمجتمع المحيط بها ، وبالتالى تتحتم ممارســـة العلاقات الاجتمـــاعية بأخلاقيات سياسيـــة اشتراكية داخل المنظمـــة التعليمية .

خامسا : ان عملية التعليم عملية اجتماعية مستمرة لا تنفصل عن المجتمع وانما ترتبط به ، وان نقطة البداية فى التعليم ، فى أية مرحلة من المراحل هى المستوى الذى تتلقى فيه المنظمة التعليمية الفرد من المجتمع، مسئولة عن المشاركة فى اعداده العلمى والاخلاقى والسياسى ، وان هدف كل مرحلة فيما يتعلق بالاعداد السياسى ، هو الاسهام فى تزويد الفرد بأمكانيات العمل الجمعى وأخلاقيات العمل الاشتراكى وأسلوب العمل فى حدود الفترة الزمنية لهذه المرحلة . فالمنظمات التعليمية، وان كانت مستقلة عن بعضها فيما يتعلق بنظام السلم التعليمى، الا أنها غير منفصلة عن بعضها فيما يتعلق بعملية تزويد الافراد أجتماعيا ، بأخلاقيات وأسلوب العمـــــل الاشتراكى .

سادسا : أن دور عملية التعليم فيما يتعلق بزاوية الاعداد السياسى ، لايقتصر على مجرد ما يعلم للاطفال والشبان من معلومات فى صورة درس أو محاضرة، وانما هى عملية متكاملة تهدف الى تزويدهم بالمهارات والاتجاهات وأمكانيات العمل عن طريق ما يتلقاه من معلومات ومايمارسه من نشاط مقصود سواء كان فى تنظيمات سياسية أو اجتماعية أو رياضية داخل المنظمة التعليمية ، وتستمد هذه الحقيقة وجودها من أن تنشئة الشباب واكسابه الشعور بالمسئولية الاجتماعية والوعى والبصيرة السياسية لايمكن أن يتأتى عن طريق التلقين والالزام ، وانما عن طريق توفير المناخ الاجتماعى الصالح للتنشئة وتهيئة الامكانيات التى تتيح لهم الاحساس بالمسئولية الاجتماعية، مع ممارسة دائمة، وعمل دائب مستمر فى تنظيمات وأنشطة اجتماعية لتدعيم ثقة الافراد فى أنفسهم كأعضاء اجتماعيين قادرين على العمل فى جماعة والانتاج الاجتماعى والمساهمة الفعالة فى تحقيق أهداف الجماعة .

التربية السياسيـــة للشبـــاب

كما تحددها القيادة السياسية

ولقد اشار الرئيس جمال عبد الناصر بعبارات تحمل فى طياتها أعمق معانى القوة والعمل الايجابى الى مسئوليات كاملة يتحملها الشباب وتتحملها اجهزة اعداد الشباب وذلك فى عيد العلم الحادى عشر (١٨ ديسمبر ١٩٦٥) . ولعل التوافق بين مناسبة الاحتفال ومضمون تلك الكلمة ، يلقى فى حد ذاته مسئولية متكاملة على الاجهزة التعليمية فى أعداد الشباب .

ففى مجال تحديد مسئولية الشباب والتزامه السياسى ، يحدد جمال عبد الناصر وأجب التعليم فى الاعداد السياسى لهم بحيث يلتزمون بمواجهة التحديات التى تقابل امتهم «نحن لا نتصور ولا نريد للجيل الجديد ان يهرب من الصعب الى السهل ، وان يستعيض عن بلوغ القمم الشامخة بالتسكع فى الوديان »

هذه المسئولية ، مسئولية احساس وعمل وحركة ينبغى ان تتحملها اجيال الشباب سياسيا وبرغبة صادقة ، استكمالا للحركة الاجتماعية التى تشهدها الجمهورية العربية المتحدة ، وأن تسهم منظمات التعليم أيجابيا فى أعطاء مسئوليات للشباب يمارس بها انماط العمل السياسى الاشتراكى اعدادا له لمسئولية المستقبل . وفى هذا الصدد يقول جمال عبد الناصر فى نفس الكلمة سابقة الذكر «ان تفكير ما قبل الثورة ، كان ضميره فى ضمير الثوار . وحركة جيل سبق فى أصعب ظروف اليأس والتردى .. كانت الحافز الى حركة جيل لحق وتقدم للامانة بالعزم والشباب ، وذلك هو خط التطور السليم ومسلكه » ويصاحب ذلك توفير الضمانات التى تهيىء الفرص للقيـــادات الشبـــابية ان تظهـــر وتمارس عملها مع تشجيعها على ممارسة ذلك العمل « أقدم بذلك لكى أعبر عن شعورى صادقا ، باننا لم نوفر حتى الان أهتماما كافيا أو حوافز كافية لاجيال الشباب ، واذا كان من حقنا أن نلتفت الى أحتمالات الابداع التى حققت نفسها بالفعل ونكرمها ، فأنه من واجبنا أن نتطلع الى أحتمالات الابداع التى

ما زالت تتأصل لتحقيق نفسها وأن نشجعها»ورغم ذلك فان عملية توفير الفرص لظهور تلك القيادات، لاتعنى سلب ارادة الشباب ومبادرته على العمل ، بل على النقيض اتاحة الفرص امامها للممارسة الواقعية وتشجيعها على المبادرة على ذلك ، بل وتحميلها مسئولية ذلك»«فى نفس اللحظة فانى أريد أن الفت النظر أمامكم الى ان أجيالنا الجديـــــدة المتأهبة للخلق العلمى والفكرى والفنى ، مطالبة بأن تعانى بجد أكثر متطلبات مانذرت نفسها له ، واذا قمنا بأحترام القديم ووضعه فى مكانه الكريم فى حركة التطور العام ، واذا قمنا فى ذات الوقت بتشجيع الجديد . فان هذا الجديد مطالب أمام مجتمعه بأن يبدا بشق طريقه بنفسه ، وان يدرك أن بناء أساسه العلمى هو اثبات الشخصية الذى يستطيع التقدم به الى المجتمع طالبا فتح الابواب» .

وهذا الاعداد السياسى للشباب لتولى المسئوليات القيادية لايتم فى اطار مفرغ ، وانما تلتزم القيادة السياسية بحماية حركة الشباب من الانتكاس أو الجمود اننا نؤمن انفسنا من الذلل بقدر ما اثبت ذاته وفرض قيمته بغير جدال ، ولكنى اقول ايضا ، بانه من الضرورى ، فى نفس الوقت ، ان نقبل بمخاطره محسوبا ، وأن نعطى من التقدير مقدما ، ماهو لازم لجيل جديد لم يتمكن بعد من أجتياز حدود المحاولة والتجريب ، نساعده بطاقاتنا ، ولا نتركه لضغوط الظروف تجرفه الى حيث تشاء،ونشد يده ليصعد، ولا نتجاهله ، حتى يمكن ضد العزلة والوحشة من ان يثبت ذاته ، ويفرض قيمته بغير جدال .

من هذه الادلة للعمل التى قدمتها القيادة نستطيع أن نحدد مؤشرات العمل الذى يمكن أن تقدمه المنظمات التعليمية كمسئولية من مسئولياتها فى الاعداد السياسى للشباب :

أولا : أن توفر المنظمات التعليمية الامكانيات والوسائل التى تهيىء أكساب الشباب الاتجاهات والقدرات والمعلومات التى تمكنه من ممارسة العمل الوطنى والتزامه بمجتمعه ومثله وأهدافه .

ثانيا : ان كل جيل من الشباب مسئول مسئولية كاملة عن استكمال حركة التطور الاجتماعى وأنه يحمل عبئها بقوة وشجاعة مهتديا بأدلة العمـــــل السياسى التى تضعهـــا له قيادته واعيا بدوره الحقيقى فى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية مستعينا بعلمه وطاقته ووعيه .

ثالثا : أن كل جيل من الشباب مطالب بأن يأخذ بناصية العمل الحقيقى ، وانه لا مجال لسلبية او حيدية ،ازاء مواجهة مطالب المجتمع،فجيل الشباب الذى يتوقف عن حمل الامانة لايقصر فى حق نفسه فقط ، وانما يهدر الامانة التى ينبغى ان يحملها الى المستقبل وأن يحملها الى الجيل التالى له ، وتوقف حركة عمل الشباب عن السير تعنى توقف حركة التطور فى المجتمع .

رابعا : أن الاجيال الصاعدة مسئولة عن مواجهة التحديات وأن مستويات طموح الشباب ينبغى الا تقف عند حدود ماهو سهل وأنما ينبغى أن تتجاوز ذلك لتحقيق الاهداف القومية الطامحة التى تحددها له قيادته السياسية ، حتى اذا بدا له ذلك فى لحظة من لحظات الوهن أنه صعب المنال .

خامسا : ان كل جيل من الشباب،يحمل فى تكوينه السياسى نتائج ماوصلت اليه الاجيال السابقـــة ومسئولية تحقيق آمال الاجيال التالية ، وأن هذه المسئولية امانة توكلها حركة تطور المجتمع الى كل جيل صاعد .

سادسا : أن عملية الاعداد السياسى للشباب ليست عملية تدليل لاجيال صاعدة ، تخشى حمـــل المسئولية ، تجد الطريق أمامها ممهدا ، ولكنها عملية أختبار لصلابته وارادته فى التغيير ، عملية كفاح من أجل المجتمع وتضحية فى سبيل غاية أكبر ، هى استمرار الحركة الاجتماعية .

سابعا : ان اختبار صلابة الشباب فى العمـــل السياسى ، ينبغى أن توفر له ضمانات تمكن الشباب من أن يشق طريقه بذاته، وفى صورة جمعية تعاونية مع حماية الشباب خلال ممارسته لعمله من أخطار التعرض للسلبية او الجمود أو الانتكاس .

ثامنا : أن الاعداد السياسى للشباب ، ينبغى أن يرتبط بحـــوافز وضمانات توفر لها لاحتمالات القيادة الممارسة الفعلية لها .



موقع ٢١ فبراير ١٩٤٦ من التاريخ

عبدالمنعم الغزالى

في صيف ١٩٤٥ شهدت ملاعب كلية الطب بالقاهرة اجتماعات جمعت كل ممثلى وقادة حركة الطلبة المصريين على اختلاف اتجاهاتهم ووجهات نظرهم السياسية والعقائدية — وكان هدف هذه الاجتماعات تكوين جبهة وطنية واسعة للكفاح ضد الاستعمار والقوى الموالية له محليا وانتهت هذه الاجتماعات الى تكوين « **لجنة تحضيرية لتكوين اللجنة الوطنية للطلبة** »

وبعد مناقشات طويلة وعميقة توصل الشباب الممثل لقوى الطلبة المنظمة فى الاحزاب الوطنية والجمعيات السياسية والثقافية والروابط الطلابية فى الجامعة والمدارس الثانوية والصناعية والازهر الى الاتفاق على اهداف محددة .

أولا : الكفاح من اجل الاستقلال الوطنى ليس كفاحا موجها ضد الاحتلال العسكرى فحسب ولكنه موجه كذلك ضد السيطرة الاستعمارية الاقتصادية والسياسية والثقافية .

ثانيا : ضرورة القضاء على عملاء الاستعمار المحليين والاقطاعيين وكبار الماليين المرتبطين بالاحتكارات الاجنبية .

ثالثا : الطريق لمقاومة الاستعمار يكون بتكوين جبهة وطنية واسعة تكافح من اجل الحاق الهزيمة بالنظام الاستعمارى .

رابعا : ان الاستعمار بعد الحرب العالمية وبعد الهزيمة الساحقة التى لحقت بالنازيه وبعد تدعيم الاتجاهات الاشتراكية واتساع حركة التحرر الوطنى سيحاول جاهدا ان يثبت مراكزه فى المستعمرات والتابعات باساليب جديدة وطرق مختلفة وسيسعى الى ضرب حركات التحرر الوطنى بالقوة وسيعمل على كبتها بعنف .

الشرارة الاولى

فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ اعلنت الهيئة السياسية - التى كونتها الحكومة الائتلافية التى تكونت من حزبى السعديين والدستوريين - بدء المفاوضات مع « الحليفة » بريطانيا وفى نفس اليوم سلم سفير مصر بلندن مذكرة من الحكومة المصرية مطالبا فيها « بالدخول فى مفاوضات بين الدولتين واعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ » .

وفى ٢٠ يناير ١٩٤٦ ردت الحكومة البريطانية على المذكرة المصرية - وتضمن رد الحكومة البريطانية ان هدف المفاوضات هو استمرار الارتباط بين مصر وبريطانيا وادخال مصر فى سياسة التكتلات والابقاء على قاعدة عسكرية فى مصر والسودان واعطاء هذه القاعدة طبيعة شرعية .

واذ استشعرت القوى الشابة الجديدة خطر هذه المفاوضات فانها اخذت تعبىء وتنظم صفوف الطلبة لخوض المعركة مع المستعمر والقوى الموالية له محليا واتجهت القيادة الجديدة الى الشعب تكشف خيانة الاحزاب الرجعية والاتجاه التهادنى فى الحركة الوطنية - وكان شعارها فى هذه الفترة **((لامفاوضة الا بعد الجلاء)) ، ((الجلاء بالدماء)) ((تدويل قضية الجلاء))**

ومن اللجنة التحضيرية تكونت **لجنة تنفيذية عليا للطلبة** ودعت هذه اللجنة بالاشتراك مع الجماعات الطلابية الديمقراطية **واتحاد طلاب المدارس الثانوية والصناعية والمتوسطة** الى اجتماع عام يعقد فى جامعة القاهرة فى التاسع من فبراير ١٩٤٦ .

وعقد المؤتمر فى صباح ٩ فبراير وحضره مايقرب من ١٠ الاف طالب ، وانتهى المؤتمر الى القرارات التالية :

- وقف المفاوضات الدائرة .
- الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ الخاصتين بالسودان .
- جلاء القوات البريطانية فورا عن ارض الوطن.

واتخذ المؤتمر قرارا بالسير فى مظاهرة سلمية لرفع قرارات المؤتمر الى المسئولين ، وسارت المظاهرة الكبيرة وكانت هناك مؤامرة مدبرة لاغراق المظاهرة فى النيل، فما ان توسطت المظاهرة كوبرى عباس فى طريقها الى قلب المدينة حتى فتح الكوبرى وبدأ هجوم قوات البوليس على الطلبة من الخلف وكان يقود هذه العملية **اللواء سليم زكى** (١). والقى مئات من الطلبة بانفسهم فى النيل وجرح اكثر من ٢٠٠ طالب منهم ٨٤ اصيبوا اصابات خطيرة ..

ولقد كانت **حادثة كوبرى عباس** هى الشرارة التى فجرت بركان المقاومة الشعبية فى كل مكان وفى اليوم التالى ١٠ فبراير استشهد ثلاثة فى الاسكندرية وثلاثة فى الزقازيق وواحد فى المنصورة وفى القاهرة استشهد الطالب السودانى **محمد على محمد** وكان استشهاده رمزا للكفاح المشترك بين الشعبين المصرى والسودانى ضد الاستعمار والرجعية .

وفى القاهرة تحولت مظاهرات العاشر من فبراير الى مظاهرات عنيفة ضد السراى وحكومة النقراشى باشا رئيس الحزب السعدى ، ففى الجامعة حطم الطلبة الزينات الملكية التى كانت معدة للاحتفال بعيد الميلاد الملكى فى ١١ فبراير ولاستقبال الملك عند حضوره لافتتاح المدينة الجامعية - وانتزعت صور الملك واحرقها الطلبة ، وانتزعت جميع فروع الاشجار الخضراء من ميدان الجيزة حتى المدينة الجامعية (طريق الموكب الملكى الى المدينة الجامعية) واتخذ الطلبة قرارا بالمقاطعة الاجماعية لاحتفالات

---

(١) كان سليم زكى من قادة البوليس فى العهود البائدة ، وكان المعروف انه عميل بريطانى وتلميذ لفيتز باتريك، وقد قام بتنظيم فرقة بوليسية فى بلولاد النظام عرفت بفرقة « الباشا » وكانت مهمتها تفريق المظاهرات واستخدام اساليب وحشية فى كبت المظاهرات الوطنية ... وكان يقودها بنفسه ،وهى نفس الفرقة التى قامت بمذبحة كوبرى عباس .

افتتاح المدينة الجامعية . وقد اضطرت الحكومة الى الاستعانة برجال البوليس والبستهم زيا خاصا ليكونوا فى استقبال الملك .

لقد كان لحوادث العاشر من فبراير دلالة هامة فقد ابرزت المحتوى الثورى الجديد لحركة التحرر الوطنى وفقدان الشعب ثقته فى القيادات التقليدية البورجوازية والتى سبق لها انتهادنت فى ١٩٣٦ والقت راية ثورة ١٩١٩ وهبة ١٩٣٠ . وكما ابرزت اتجاه المثقفين الوطنيين والطلبة والعمال الى الاستقلال فى نشاطهم السياسى عن الاحزاب التقليدية وخاصة الاستقلال عن قيادة حزب الوفد

وفى هذا الوقت بدأ يتبلور اتجاه ثورى داخل حزب الوفد مكونا كتلة قوية من الطلبة والشباب عرفت « بالطليعة الوفدية » ضد قياداته التقليدية المتهادنة .

وفى مساء العاشر من فبراير اصدرت الحكومة اوامرها باغلاق الجامعة لاجل غير مسمى . وفى الحادى عشر من فبراير ابدى الشباب والشعب سخطه على الحكومة والسراى فقامت المظاهرات فى جميع الاحياء واستقبلت الشعلة الملكية بمظاهرات صاخبة والقى عليها اكوام التراب . وهتفت المظاهرات فى المساء «لا ملك الا الله» .. وهكذا اكدت احداث الحادى عشر من فبراير اتجاه الكفاح مباشرة ضد السراى بجراة ووضوح باعتبارها راس رمح لمشروعات وسيطرة المستعمرين .لقد رفضت القيادة الجديدة اتجاهات التردد حيال العرش هذه الاتجاهات التى كانت مضعفة للكفاح الوطنى بتهادنها مع السراى وتغطيتها للنظام الملكى كالوجه الاخر للاستعمار وكقمة للاقطاع فى مصر .

وفى الثانى عشر من فبراير دعت اللجنة التنفيذية بالاسكندرية الى مظاهرة شعبية للاحتجاج على مذبحة كوبرى عباس وعقد الطلبة مؤتمرهم فى كلية العلوم بمحرم بك واشترك فى المؤتمر فئات واسعة من الشعب ومن طلاب المدارس وفى الطريق الى كرموز وهى منطقة عمالية هامة للالتقاء مع عمال الاسكندرية ولعقد مؤتمر شعبى كبير فى احضان الشعب هاجم البوليس المظاهرة واستشهد طالب صغير واضطرت المظاهرة الى الارتداد والاعتصام بكلية العلوم وحراسة جثمان الشهيد الصغير .

وانتشرت المظاهرات فى كل المدن الكبيرة احتجاجا على المذبحة وامام الضغط الشعبى المتزايد استقالت **الوزارة النقراشية** فى الخامس عشر من فبراير ، مخلية السبيل للقطب الاستعمارى الكبير **اسماعيل صدقى** رئيس اتحاد الصناعات و **((جلاد)) ١٩٣٠** والذى اعده الاستعمار والسراى . واخذت الصحافة العميلة وابواق الدعاية الرجعية تروج لصدقى معلنة ان صدقى ١٩٤٦ غير صدقى ١٩٣٠ وانه قد تاب واناب وانه قادم للحصول على الجلاء الذى لن يرضى به بديلا .

ولكن الحركة الشعبية ماكانت لتخدع او تضلل — وكان الشعب والشباب قد تعلم من ايام التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر من فبراير درسا هاما ، هو ضرورة وجود تنظيم وطنى ديمقراطى يعبر عن ارادة الحركة الثورية ومحققا لوحدة الصف الوطنى بعيدا عن الحزبية التقليدية الرجعية والمتهادنة والمترددة . وارتفع شعار **((تكوين اللجان الوطنية))** واعلنت اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة عن تكوين اللجان الوطنية للطلبة — وانتخبت جامعة القاهرة مندوبيها

الوضع الاجتماعى فى ١٩٤٦

● كان فى الريف ١٣ الف اقطاعى يملكون ٣٦٪ من الاراضى وحوالى ٢٣ الفا من اغنياء الفلاحين يديرون املاكهم ويستغلون العمل الماجور . ويملكون ١٢٪ من الاراضى .ومليونان من صغار الفلاحين وفقرائهم وهم الذين لا يستغلون عمل الاخرين الا فى مواسم محدودة. و ١٢ مليونا من العمال الزراعيين .

● كان يملك معظم الارصدة فى البنوك ومعظم الاسهم والسندات واهم العقارات حوالى ١٠ آلاف هم من كبار التجار وكبار اصحاب الاسهم والسندات واعضاء مجالس ادارة الشركات الاجانب .

● حوالى ١٠٠ الف يملكون المصانع والمتاجر الكبيرة والمتوسطة والصغيرة .

● ٢٦٥ الف مستخدم وموظف بالحكومة والمؤسسات غير الحكومية .

● اكثر من مليون عامل يعملون بالصناعة والتجارة والخدمات .

وكان كبار الملاك وكبار الراسماليين يحصلون على ٦١٪ من الدخل القومى فمن ٥٠٢ مليون قيمة الدخل القومى عام ١٩٤٥ ذهب منها اكثر من ٣٠٨ ملايين من الجنيهات فى شكل ايجارات وارباح وفوائد .

● كان الاجر الحقيقى للعامل الزراعى اقل من ثلاثة جنيهات فى العام .. ولم يزد متوسط الاجر السنوى لعمال الصناعة والتجارة والخدمات عن ٣٥ جنيها فى السنة وهى تساوى ثمانية جنيهات كاجر حقيقى فى العام .

● وارتفعت الارباح الموزعة فى الشركات المساهمة من ٧ر٥ مليون جنيه فى ١٩٤٢ الى ٢٠ مليون جنيه عام ١٩٤٦ .. وارتفعت ايجارات الاراضى الزراعية من ٣٥ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى ٩٠ مليون جنيه عام ١٩٤٥ .

للجنة الوطنية وجاءت غالبية الاعضاء المنتخبين من الشباب الجديد التقدمي والديمقراطي . وارسل طلبة المعاهد العليا والمدارس المتوسطة والصناعية والثانوية مندوبيهم الى اللجنة ، وفى السابع عشر من فبراير اعلن عن تكوين اللجنة الوطنية للطلبة فى احدى مدرجات كلية الطب وانتخبت لها لجنة تنفيذية . وقد فشلت محاولة من جانب شباب الاحزاب الرجعية لتخريب الاجتماع، واصدرت اللجنة ميثاقا وطنيا عرف **بميثاق ١٧ فبراير** ، جاء فيه :

- **الجلاء التام برا وبحرا وجوا عن كل شبر من اراضي وادى النيل .**
- **دولية القضية المصرية .**
- **التحرر من العبودية الاقتصادية .**

وختم الميثاق بقول ابى القاسم الشابى :

اذا الشعب يوما اراد الحياة
فلابد ان يستجيب القدر
ولابد لليل ان ينجلى
ولابد للقيد ان ينكسر

العمال فى المعركة

وفى نفس الوقت دخل العمال المعركة كقوة مستقلة عن القيادات الحزبية القديمة واخذوا يكونون اللجان الوطنية فى المصانع والنقابات . وتكونت لجنة وطنية عامة للعمال فى شبرا الخيمة .

وعقدت القوى الجديدة الشابة ، اجتماعات طيلة ليلة ١٧ فبراير ، وانتهت هذه الاجتماعات وقد تمثلت الخبرة الماضية كلها معلنة ان قوة الحركة الوطنية وصلابتها انما تستمد من الابتعاد عن الاحزاب وانانيتها وتهادنها مع المستعمر والسراى ، وبتحقيق وحدة كل فئات الشعب تحت قيادة جديدة . وتكونت هيئة اتصال بين لجنة الطلبة وبين التجمعات العمالية . وفى نفس الليلة اتصلت الهيئة بنقابات عمال الترام والمطابع وبعمال شبرا الخيمة وبمؤتمر نقابات العمال والشركات الاهلية وباللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال القطر المصرى وبرابطة العاملات المصريات .

وفى ١٨ و١٩ فبراير اعلن تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة .. وبذلك ولدت القيادة الجديدة للحركة الوطنية الصاعدة . وفى اول اجتماع لها اصدرت القرار التاريخى التالى :

« قررت نقابات عمال القطر المصرى وطلبة الجامعات المصرية والازهر والمعاهد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية ان يكون يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم الجلاء ، يوم اضراب عام لجميع هيئات الشعب وطوائفه .

يوم استئناف للحركة الوطنية المقدسة التى تشترك فيها عناصر الشعب المصرى متكتلة حول حقها فى الاستقلال التام والحرية الشاملة . يوم اشعار المستعمر البريطانى والعالم الخارجي اجمع ان الشعب المصرى قد اعد عدته للكفاح الايجابى حتى ينجلى كابوس الاستعمار الذى ظل جاثما على صدورنا منذ ٦٤ عاما .

يوم هو وثيقة فى ايدى المفاوضين المصريين يقدمونها دليلا للمستعمر على ان الشعب المصرى مصمم على الا يتخلى لحظة واحدة عن الجلاء عن مصر والسودان .

يوم يقظة عامة للشعب المصرى ، يؤكد فيها انه لن يقبل اى انحراف او تهاون فى حقه فى الاستقلال والحرية .

يوم تتعطل فيه المرافق العامة ووسائل النقل والمحلات التجارية والعامة ومعاهد العلم والمصانع فى جميع انحاء القطر .

ان جلال هذا اليوم ليهيب بنا جميعا الا ننحرف بقضيتنا المقدسة الى شغب او تخريب او اخلال بالامن العام .

فلنرفع جميعا لواء الوطن عاليا ولنثبت وحدتنا التى لا تنفصم ، عمالا وصناعا ، طلبة وتجارا وموظفين ، شعبا متكتلا يرفع عن نفسه وصمة الذل والاستعباد » .

لقد كان الميلاد الثورى **للجنة الوطنية للعمال والطلبة** هو ميلاد الجبهة الوطنية فى اول مراحل نشاتها بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد اختلفت طبيعة هذه الجبهة عن طبيعة الجبهة القومية التى تكونت فى ١٩٣٦ . والتى كان نتاجها تكوين وفد المفاوضات الذى وقع صك الاستسلام فى معاهدة ١٩٣٦ ، لقد كانت هذه الجبهة التعبير السياسي عن تهادن البورجوازية والاقطاعية . اما جبهة ١٩٤٦ فقد كانت تمثل تحالف قوى الشعب على اساس الهجوم على الاقطاعية والسراى والراسمالية، وتمثل الوقوف ضد اى اتجاه للمساومة والتهادن مع المستعمر .

أحداث اليوم الخالد

ومع فجر يوم **الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦** — كانت القاهرة كلها تتجمع — وانتشر مندوبو اللجنة

الوطنية للعمال والطلبة فى كل مكان لتنظيم الاضراب والمظاهرات . وانطلقت المظاهرات فى مسيرتها الكبرى حيث حدد ميدان ابراهيم باشا (الاوبرا) لتجمع كل المظاهرات ولعقد المؤتمر الكبير لتعلن فيه القيادة الجديدة قراراتها . وتحركت المظاهرات من الجيزة وكلية الطب والجامع الازهر والسيدة زينب والعباسية ومن شبرا الخيمة — وقد اشترك فى هذه المظاهرات أكثر من ١٥٠ الفا .

وتحركت مظاهرة الجامعة والمدارس من كلية الطب فى نظام وكانت تردد نشيد اليوم والذى الفه احد اعضاء سكرتارية اللجنة ووضع الحانه بعض اعضاء اللجنة :

يا شعب قم خض بحار الدماء
لا تبـك فالان وقت الفــداء
هيـا نحطم قيـود الخضـوع
هيـا سـويا لنيـل الجـلاء
شعب الشمال وشعب الجنوب
وحـد ايادى ووحـد قلوب
ترمى بهـا قلب مستعمـر
فالاتحـاد سـلاح الشعوب
من خاف فى الصف يرمى بعار
من خاننـا سوف يلقى الدمار
لن نستجيب لصـوت الهـدوء
ان الـكفاح هو الانتصـار

ومن اضخم مظاهرات اليوم كانت مظاهرات عمال شبرا الخيمة وقد بدأت تحركها من شبرا فى الساعة السادسة صباحا واشترك فيها اكثر من ١٥ الف عامل وما ان وصلت ميدان المحطة حتى اصبحت تقدر بـ ٤٠ الفا،وفى ميدان المحطة التقت بالمظاهرات القادمة من العباسية ومصر الجديدة والزيتون والمطرية .

وفى ميدان الاوبرا عقد المؤتمر التاريخى — وكان اجتماعا مشهودا يسوده النظام — والقى ممثلو الهيئات والقوى المختلفة فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة كلماتهم . واتخذ المؤتمر قراراته بضرورة قطع المفاوضات باعتبارها طريق المساومة والمهادنة والتمسك بالجلاء التام عن وادى النيل والغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتى ١٨٩٩ وعرض قضية المطالبة بجلاء قوات الاحتلال البريطانية عن مصر والسودان على مجلس الامن .

وفى ميدان قصر النيل تجمعت المظاهرات فى مواجهة تكنات قوات الاحتلال ، وكان الحماس عاليا والنظام رائعا .

وفجاة التحمت المظاهرات من ناحية شارع القصر العينى اربعة سيارات بريطانية مصفحة فسقط عدد من الشهداء والجرحى ، فهاجمها المتظاهرون وقلبوها واشعلوا النيران فيها . وانطلق الرصاص من داخل الثكنات وتساقط الشهداء والجرحى ، فخلع المتظاهرون ملابسـهم وغمسوها فى بنزين السيارات المصفحة وقذفوا بها الثكنات واشعلوا النار فى الاكشاك الخشبية المحيطة بالثكنات وحاولت الجماهير اقتحامها للاستيلاء على السلاح .

ومن الذين استشهدوا فى هذه اللحظات **محمد فؤاد احمد** الطالب بالدواوين الثانوية وهو ابن بائع الصحف الذى كان اول بائع قاطع الصحافة

الحزب السعدى

كان توقيع معاهدة ١٩٣٦ والغاء الامتيازات الاجنبية ، عاملا مشجعا لكبار الماليين واصحاب الاراضى على توظيف اموالهم فى الصناعة ، واصاب بعض الصناعات المصرية شىء من الانتعاش . ولقد رأى كبار رجال المال المصريين هؤلاء ان مهادنة المستعمر والسراى فى صالحهم وخاصة وان تحركات الطبقات العاملة كانت قد اخذت تزداد قوة وعنفا — وعلى هذا الاساس حدث انقسام فى حزب الوفد ممثلا لهـذا القطاع الصناعى والمالى برياسة احمد ماهر باشا والذى اصبح فيما بعـد رئيسا لمصانع نسيج القاهرة . ولقـد استخدمت السراى والاستعمار هـذا الحزب متحالفا مع حزب الاحرار الدستوريين واحزاب الاقلية لتكوين وزارات انقلابية . وقد استفادت السراى من وجود شخصيتان كان لهما ماض وطنى وهما احمـد ماهر ومحمود فهمى النقراشى لتجىء بالحزب الى الحكم اول مرة فى ١٩٣٧ فى وزارة محمد محمود باشا بعد انتخابات مزورة .

وتولى احمد ماهر الوزارة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ودخل المفاوضات مع بريطانيا العظمى على اساس مذكرة ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ الهزيلة والتى اقرت مبدا التحالف مع بريطانيا والذى عرف وقتها بمبدأ « المشاركة الحرة » ووزارة السعديين برئاسة النقراشى هى المسئولة عن مذبحة كوبرى عباس

الرجعية ، ومحمد فهمى ابو النصر خريج معهد التربية ومحمد حسن سيد العاصى من المنوفيةومن ابناء الطبقة العاملة وامام محمد سليمان وكمال محمد سرور واحمد سيد ابو العزم وانس ابو ضيف عبدالرحمن وحسين حسن عبدالباقى ويوسف زكى ومصطفى عبد الدايم وحسب الله رمضان .

وبلغ عدد الشهداء ٢٣ شهيدا وعدد الجرحى ١٢٣ . ولقد استشهدوا ابطالا تحت راية الوحدة الوطنية الشعبية .

ومن ميدان قصر النيل تحركت مظاهرات الى كل انحاء القاهرة تحمل قمصان الشهداء المعطرة بدمائهم واخذت الجماهير تهاجم المؤسسات العسكرية البريطانية المنتشرة فى المدينة ببطولة فائقة ، فاحرقت اجزاء من عمارة الطيران القريبة من شارع الساحة وجراجا عسكريا انجليزيا خلف «كلوب محمد على»

محاولات التخريب

ومنذ الساعات المبكرة لليوم تاكد للجميع اصرار الشعب على انجاح اليوم وانتصار القيادة الثورية الجديدة .. فقرار الاضراب العام ينفذ بدقة ونظام والجماهير تتحرك بنظام تحت قيادة اللجان الوطنية والنقابات . ولذا بذلت القوى الرجعية المعادية العديد من المحاولات لافساد روعة اليوم .

فبين الساعة التاسعة والعاشرة نزل صدقى فى سيارة والى جواره المرشد العام لجماعة الاخوان محاولين اثناء الجماهير عن الاستمرار فى مظاهراتهم وداعين الى الهدوء وقد خابت هذه المحاولة وصدتهم الجماهير باصرار .

والمحاولة الرئيسية الثانية كانت فى ميدان قصر النيل — عندما بذلت محاولات من جانب جوالة جماعة الاخوان بالاشتراك مع بعض شباب احزاب السعديين والدستوريين وجبهة مصر لتحويل المظاهرات الى ميدان عابدين للتقدم بالمطالب للملك، ورفضت اغلب المظاهرات الاتجاه الى ميدان عابدين لان الاتجاه الى ميدان عابدين كان يعنى بالنسبة للجماهير وللقيادة الجديدة العودة الى التهادن مع السراى قمة الخيانة .. واذ اتجهت بعض المظاهرات الى ميدان عابدين فقد اسرع منظمو اللجنة الوطنية الى الميدان وحولوها الى مظاهرة معادية للملكية وكان شعارها « يسقط الاستعمار . يسقط عملاء الاستعمار . يسقط حكم الباشوات . لا ملك الا الله » .

واذ فشلت محاولات التهدئة وبث الفرقة وصرف المظاهرات — فقد ظهرت بعض المجموعات من العناصر المدسوسة محاولة العدوان على المؤسسات التجارية والصناعية — ولكن قوة التنظيم فى هذا اليوم حالت دون هذه العناصر ومنعتها من القيام بدورها فى التخريب المرسوم لها وطاردتها الجماهير حيث لاذت بالفرار . وكان خطباء اليوم يردون فى كل مكان على اى محاولة للتخريب بشعار هذه المؤسسات ملك للشعب ، وان لم تكن ملكنا اليوم فهى غدا ملكنا وهكذا لم تسجل حوادث اليوم حادثا تخريبيا واحدا .

المظاهرات تستمر

واستمرت المظاهرات وعلت الهتافات بسقوط الطاغية صدقى وسقوط الخونة عملاء الاستعمار و «الكفاح بالسلاح» و «المفاوضة طريق الخيانة» وبعد الظهر خرجت مظاهرات جديدة من قلب الاحياء الشعبية وقد اتخذت راية لها قميص احد الشهداء واستمرت هذه المظاهرة حتى اصدر صدقى اوامره لرجال البوليس بتفريق المظاهرات بالقوة .

وفى هذا اليوم رفض الجيش المصرى الاصطدام بالمتظاهرين ، وعندما نزلت عرباته فى الصباح المبكر وتجمعت عند اطراف ميدان الاوبرا وجدها المتظاهرون وقد كتب على جوانبها بالطباشير شعارات اللجنة الوطنية . وارتفع الهتاف لاول مرة منذ ثورة عرابى «الجيش مع الشعب» ضد الاستعمار . ابناء الجيش ابناء العمال — ابناء الجيش ابناء الفلاحين — واعتلى بعض خطباء اليوم عربات الجيش وخطبوا فى الجنود . لقد كانت هذه بداية لمرحلة جديدة — وتطور جديد بالنسبة للجيش وقد ظهرت نتائجها فيما بعد .

واذ احس الطاغية صدقى بالسلطة تهتز من تحته بقوة الحركة الثورية وان اسلوب الخداع والتضليل لم يعد مجديا ، اصدر اوامره بتفريق المظاهرات بالقوة ، فنزلت قوات بلوك الخفر وفى مقدمتها فرقة الباشا فى الساعة الرابعة والنصف لتفرق المظاهرات وفى الساعة الخامسة اذيع بيان صدقى :

«ان المظاهرات السلمية التى قامت صباح اليوم قد تحولت بفعل الايدى التى لم تعد خافية ،واندس عناصر من الدهماء فى صفوف الطلبة الابرياء ، كل هذا حولها الى مظاهرات عليها طابع الشر . ان المظاهرات السلمية البريئة التى كان عمادها

الطلبة الابرياء — انقلبت مع الاسف الشديد الى مظاهرات اختفى منها عنصر الطلبة والمتعلمين».

ان صدقى باشـــا كان كاذبا ، فلقد استمرت المظاهرات من الفجر حتى بعد العصر دون حادث واحد ينم عن شغب او تخريب . ولقد كان بيان صدقى يهدف الى تحطيم الوحدة الوطنية الفتية بين العمال والطلبة عندما قال فى بيانه «انقلبت مع الاسف الشديد الى مظاهرات اختفى منها عنصر الطلبة والمتعلمين » .

وبعد البيان صدرت الاوامر بمنع الاجتماعات العامة ومنعت فعلا اجتماعات لهيئات ونقابات عديدة ومنع اجتماع الحزب الوطنى لاحياء ذكرى الزعيم مصطفى كامل والذى كان مقررا عقده فى مساء ٢١ فبراير بمسرح «الازبكية» — المسرح القومى حاليا .

ولم تقتصر المظاهرات والإضراب العام على القاهرة فى هذا اليوم فقد انتشرت وعمت الاقاليم فى الاسماعيلية وسمنود والمحلة الكبرى وطنطا ودكرنس والزقازيق وبورسعيد ومنيا القمح وزفتى وميت غمر وقويسنا والسنبلاوين .

وفى **الاسكندرية** حاصر البوليس مؤتمر الجامعة ومنع المظاهرة من الخروج وحاصر حى كرموز ومنع المظاهرات العمالية من الانطلاق .

اللجنة الوطنية تستمر وتقاوم

ولقد كان الرد من جانب القوى الجديدة قويا ففى مساء اليوم اجتمعت اللجنة التنفيذية للطلبة واعلنت القرارات التالية : **١ — اعلان الحداد العام ٢ — الموافقة على قرار اللجنة الوطنية للعمال والطلبة باصدار ميثاق وطنى يوقع عليه جميع الزعماء يلزمهم بعدم قبول الحكم الا على أساس تصريح بريطانى يعترف بالجلاء التام عن وادى النيل كأساس للمفاوضة ٣ — سحب الموظفين الانجليز من البوليس المصرى ٤ — استنكار بيان رئيس الحكومة للتفرقة بين طبقات الشعب ووصف المواطنين الاحرار بالدهماء .**

وفى نفس الوقت اجتمعت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بكامل هيئتها واعلنت القرارات التالية :

- **اقامة صلاة الغائب يوم الحداد العام .**
- **مطالبة الحكومة بالعمل على تنفيذ الجلاء فورا عن المدن الكبرى .**
- **اصدار تصريح واضح ، بان يكون أساس المفاوضة هو تحديد يوم للجلاء التام عن وادى النيل .**
- **تستنكر اللجنة الحظر الذى اقامته الحكومة على الصحافة بعدم نشر انباء الحركة الوطنية .**

وفى نفس الوقت اعلنت اللجنة ميثاقها الوطنى والذى جاء فيه : « .. لما كان الجلاء مطلبا اساسيا ، اذ بدونه لاتتحقق سيادة الامم ، ولانتصور ان توجد امة حرة ، وهى ترزح باحتلال الجنود الاجانب «ولما كان الجلاء مطلبا لايحتمل المساومة ولا التجزئة» بل ان يكون جلاء تاما . لهذا فاللجنة الوطنية تطلب من المسئولين المصريين ان يعلنوا انهم لن يقبلوا الحكم او المفاوضة ، فاذا رفضت هذا المطلب

اسماعيل صدقى باشا

ابن لعائلة من العائلات الاقطاعية . درس الاقتصاد والقانون. اشترك فى معظم الوزارات الانقلابية منذ انقسام كبار الملاك عن الوفد .

كان عضـــوا فى مجلس ادارة الشركة الانجليـزية البلجيكية وشركة الغزل الاهليـة « كانت شركة انجليزية صرفة » وشركة الملح والصودا التى كان مقرها الرئيسى فى لنـدن ، وشركة وادى كوم امبو ، والشركة العقـارية المصرية ، وشركة الاسفـال والمبانى التى كان على راسهـا سبنكس باشـا المفتش العـام الانجليزى للجيش المصرى سابقـا — والشركة الانجليزية المصرية، وشركة سكك حديد الفيوم، وهو بعد ذلك كله اصبح رئيسا لاتحاد الصناعات وعضو مجلس ادارة شركة القنال .

تولى الوزارة الانقلابيـة فى ١٩٣٠ والغى دستور ١٩٢٣ والمجلس النيابى ووضع دستورا جديدا والف حزبا باسم حزب الشعب لم يعش طويلا . وهو المسئول منذ توليـه الوزارة فى ١٩٣٠ عن المذابح التى وقعت فى جميع انحاء البلاد والتى بدات بمذبحة عمال العنابر فلقب على اثرها بجلاد الشعب فلقد جاء به الاستعمار والسراى ليحكم البلاد بالحديد والنار .

وفى ١٩٤٦ تولى الوزارة بعـد النقراشى . وراس وفد المفاوضات وتوصل معهم الى الاتفاق على مشروع معاهدة عرفت بمعاهدة صدقى — بيفن رفضها الشعب فكتب لها الفشل . وفى ١٩٤٦ ادى خدمات جليلة لشركة القنـال على حساب الثروة القومية فاعفاها من شرط الدفع بالذهب ، كما خفض ضريبة الارباح الاستثنائية من ٧٥٪ الى ٥٠٪ .

العادل ، فيجب عرض القضية المصرية على مجلس الامن الدولى فورا، كما تطلب من الحكومة اعلان هذا المطلب رسميا لدى الانجليز من الان » .

٤ مارس يوم الحداد العام

وحدد قرار اللجنة يوم الاثنين ٤ مارس ١٩٤٦، يوم حداد وطني عام على شهداء ٢١ فبراير وذهب وفد من اللجنة الوطنية لمقابلة رئيس الوزراء مطالبا الحكومة بالموافقة على اشتراك الجيش والبوليس والموظفين فى يوم ٤ مارس . وقابل صدقى الوفد ، وطالبه بالتخلى عن تنفيذ القرار الخاص بيوم الحداد لان السفارة البريطانية قد انذرته بان القوات البريطانية ستضطر الى النزول وضرب المظاهرات وطلب منهم ان يتركوه ليعمل فى هدوء .

وكان رد مندوبى العمال والطلبة بان الشعب سيقيم يوم الحداد سواء اشتركت الحكومة فى اليوم ام لم تشترك — واى محاولة من قبل قوات الاحتلال لاستخدام القوة سيرد عليها الشعب بحسم ، واذا كانت الحكومة جادة حقيقة فى فتح صفحة وطنية جديدة فواجبها أن تصرح للشعب بحمل السلاح .

وجاء ٤ مارس وكان امتحانا جديدا لقوة اللجنة الوطنية ، فنفذ قرارها ، واعلن الاضراب العام واحتجبت الصحف واغلقت المتاجر والمقاهى والمحال العامة واضربت المدارس وتعطلت المصانع — فى القاهرة ، وكانت المظاهرات فى القاهرة محدودة . ولكنها فى الاسكندرية كانت زحفا كزحف ٢١فبراير فى القاهرة .

ففي صباح اليوم شهدت الاسكندرية مظاهرة ضخمة تتحرك من العمال والطلبة من محرم بك وكرموز الى قلب المدينة — واصطدم البوليس بالمظاهرة وفرقها ولكنها عادت وتجمعت فى شارع سعيد وانضمت اليها مظاهرات عديدة من اطراف المدينة .

ومرت المظاهرة على فندق «اطلانطيك» حيث كان يقيم رجال البحرية البريطانية ، وكان العلم البريطانى يرتفع على الفندق فقرر المتظاهرون انزاله .. فمنعهم البوليس .. ولكن عاملا صغيرا تسلق شرفات الفندق بسرعة وانزل العلم البريطانى فمزقته الجماهير الثائرة وداسته بالاقدام — وتدخل البوليس مرة اخرى واطلق الرصاص على المتظاهرين وتفرقت المظاهرة ولكن لتجتمع مرة اخرى — لقد كان قرار لجنة الاسكندرية هو عقد مؤتمر شعبى كبير بميدان سعد زغلول .

وسارت المظاهرة باصرار نحو الهدف ، وهى فى طريقها انطلق الرصاص من المنزل رقم ١٤ بشارع سعيد حيث كان يقيم فيه بعض جنود الاحتلال . ولما تقدمت المظاهرة لاقتحام هذا المنزل اعتدى عليها البوليس مرة اخرى .

ولكن المظاهرة كانت قد كبرت ولم يعد فى الامكان تفريقها . وسارت بخطى ثابتة حتى دخلت ميدان سعد زغلول . وعلى مدخل الميدان كان احد اكشاك البوليس الحربى البريطانى يتحدى الشعب بلافتاته المكتوبة بالانجليزية ، فتقدم المتظاهرون لانتزاع اللافتات ، فانطلق الرصاص من داخل الكشك ولكن المظاهرة لم تتراجع . واظهر الطلبة والعمال بطولة فائقة ، وانطلقت الكرات المغموسة فى البنزين لتحرق كشك البوليس الحربى البريطانى .

واستشهد **ثمانية وعشرون** وجرح ٣٤٢ ومن جنود الاحتلال قتل اثنان وجرح اربعة .

واتخذت اللجنة الوطنية قرارا باعتبار يوم ٤ مارس يوم الشهداء بالاسكندرية وتسمية شارع أفيروف والذى سقط فيه معظم الشهداء باسم «شارع الشهداء»

يوم عالمى لشعوب المستعمرات

انه فى نفس الوقت الذى كان فيه البركان الشعبى يتفجر فى مصر فى ٢١ فبراير — كانت الهند تفجر نفس البركان . وفى نفس الوقت الذى كانت فيه عربات الاحتلال تدوس المظاهرات فى القاهرة ويشعل فيها الشباب المصرى النيران .. كان شباب الهند يعلن العصيان ويبدأ المعركة مع الاستعمار . ففى ٢١ فبراير تظاهر البحارة الهنود فى بومباى واشترك سلاح الطيران الهندى فى المظاهرة وتضامن الطلبة مع البحارة واضرب عمال السكك الحديدية والترام — واشعلوا النيران فى عربات قوات الاحتلال وهاجموا ثكنات القوات البريطانية واستشهد فى نفس اليوم ٢٥شهيدا وجرح اكثر من خمسمائة .

ولقد اثرت هذه الاحداث فى المنطقة العربية كلها فشهد السودان فى ١٣ مارس ١٩٤٦ مظاهرات ضخمة قام بها الطلبة والعمال السودانيون فى الخرطوم وام درمان لمشاركة الشعب المصرى فى كفاحه .

وفى العراق كان لاحداث فبراير ومارس صدى عميقا فتظاهر الطلاب والعمال واشتد عنف الرجعية والسلطات الاستعمارية مع المظاهرات فكانت مذبحة كركوك التى استشهد فيها عدد كبير من ابناء الشعب العراقى .

ان احداث ٢١ فبراير ١٩٤٦ فى مصر والهند قد حققت مكاسب للثورة فى البلدين . ففى الهند انتجت حركة شعبية واسعة ارغمت بريطانيا على الاعتراف باستقلال الهند فى ١٩٤٧ . صرح اللورد ايسماى فى ١٩٤٧ «لقد كانت الهند فى مارس ١٩٤٧ سفينة تحترق فى وسط المحيط والذخيرة فى جوفها وكانت المسالة حينئذ هى اطفاء النار قبل ان تصل الى الذخيرة ولم يكن امامنا فى الواقع خيار الا ان نفعل ما فعلناه » .

وفى مصر اجبرت قوات الاحتلال على الجلاء عن المدن الرئيسية ، ولقد بدأ جلاؤها فى يوليو ١٩٤٦ وانتهى فى شهرى فبراير ومارس ١٩٤٧ عن الاسكندرية والقاهرة .

وفى الاجتماع التاسيسى لاتحاد الطلبة العالمى فى اغسطس ١٩٤٦ والذى شارك فيه الطلبة المصريون اتخذ قرار باعتبار يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوما عالميا يرمز للنضال ضد الاستعمار ، واتخذ اتحاد الشباب العالمى نفس القرار فى نفس العام، وبذا اصبح ٢١ فبراير يوما عالميا فى حياة شباب العالم . يرمز الى التضامن بين شباب العالم فى كفاحهم من اجل القضاء نهائيا على الاستعمار .

سياسة فرق تسد والانقسام فى اللجنة الوطنية

واخذت السفارة البريطانية وصدقى والسراى ينفذون خطة لتقسيم الصفوف التى تراصت فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة . ولقد نجحوا بالاعتماد على شباب الاخوان باللجنة فى احداث الانقسام ، والذين كونوا مع شباب احزاب الاقلية لجنة موازية باسم **((اللجنة القومية))** وانفقوا عليها المال وقاموا بالدعاية لها فى الصحافة الرجعية ، وكانوا يهدفون من وراء ذلك الى استبدال القيادة التى فرضتها المعركة الوطنية ، بقيادة يتحكمون فيها ويتآمرون بها على الحركة الشعبية والمقاومة الواسعة لمعاهدة الدفاع المشترك التى كان يريد صدقى ان يعقدها مع بريطانيا .

ولقد اصدر مؤتمر نقابات العمال والشركات الاهلية بيانا يفضح فيه هذه اللجنة الرجعية جاء فيه

« دأبت جماعة الاخوان المسلمين منذ فجر البعث الوطنى الحالى على بث الدسائس وتدبير المؤامرات التى ترمى فى مجموعها الى القضاء على الحركة الوطنية او تحويلها عن اهدافها مما لا يخدم غير الاستعمار — ولما كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة هى اللجنة الشرعية الممثلة للطلبة والعمال والموظفين والمنتخبة انتخابا حرا ديمقراطيا والمنظمة لكفاح طوائف الشعب حتى يقضى على الاستعمار، فقد دبر الاخوان المسلمون مؤامرتهم خاصة ضد اللجنة. وقد الفوا لجنة وهمية للعمال والطلبة تنشر بيانات ضد اللجنة الوطنية الشرعية . كما الفوا اللجنة القومية التى لم ترتكز على اساس شعبى فماتت يوم ان ولدت ».

واليوم وقد ظهرت للشعب نيات هذه الجماعة سافرة من دعوة للطائفية تستهدف احداث الانقسام فى صفوف الشعب لصالح الاستعمار الى محاربة اللجنة التنفيذية العامة للطلبة بوسائل فاشية ارهابية مستخدمين عصيهم واستخدموا نفس الوسائل الارهابية ضد عمال شبرا الخيمة .

ازاء هذا يعلن مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الاهلية استنكاره لهذه الاعتداءات المنكرة على لجنة الطلبة التنفيذية كما يطالب الحكومة باتخاذ اجراءات حاسمة لوقف هذه الاعتداءات على الوطنيين المخلصين من الطلبة والعمال . كما يعلن المؤتمر انه والهيئات العمالية الاخرى وهم يضمون العمال فى انحاء القطر لايؤيدون غير اللجنة الوطنية للعمال والطلبة. ويحذرون الزملاء العمال من الانضمام الى اية لجنة تؤلفها هيئة الاخوان المسلمين وكل عامل ينضم الى لجنة من لجانها لايمثل الا نفسه ولتحيا اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ولتسقط الفاشية وليسقط الاستعمار » .

واستمرت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال تعمل رغم الاضطهاد لاعضائها وقادتها شعارها الوحدة الوطنية والكفاح المسلح .

وفى ٨ يوليو ١٩٤٦ وجهت اللجنة نداءها ضد المفاوضات مع بريطانيا وجاء فيه :«المطالبة بقطع المفاوضات ـ اعتبار قضية وادى النيل قضية دولية واجبة العرض على مجلس الامن — اعتبار يوم ١١ يوليو يوم ضرب الانجليز للاسكندرية يوم تجديد الجهاد الوطنى » .

وفى ١٠ يوليو ١٩٤٦ وقع ممثلو خمسة عشر

هيئة شعبية وديمقراطية نداء اعلنوا فيه : «غدا يحل موعد الذكرى المؤلمة (لضرب الاستعمار للاسكندرية) فالى جميع طبقات الامة وهيئاتها نهيب باظهار الشعور الوطنى على حقيقته ، فى هذا اليوم الذى يحمل مزيجا من الالم والكفاح المرير فى سبيل الحرية » .

واذ استشعر الاستعمار والرجعية خطر تجدد الكفاح ، واذ تأكد لديهم الاصرار من جانب القيادة الجديدة على الاستمرار فى المعركة وان محاولاتهم لتفريق الصف لم تجد فى تفتيت الوحدة الوطنية وجهوا ضربتهم فى ليلة ١١ يوليو الى القوى الشعبية فقام صدقى بحملته المشهورة تحت ستار مكافحة الشيوعية فالقى القبض على اكثر من ٢٠٠ من قادة الطلبة والعمال والمثقفين والصحفيين والكتاب واغلق دور اثقافية وديمقراطية والغى ١١ صحيفة ومجلة كانت تقاوم مشروعات الاستعمار والرجعية والدفاع المشترك .

ولقد ظن صدقى انه بحملة ١١ يوليو سيكون فى امكانه ان يفرض بالقوة معاهدة الدفاع المشترك ولكن المقاومة ازدادت وخسر صدقى المعركة واضطر الى الاستقالة وترك الحكم والمظاهرات تجوب انحاء البلاد احتجاجا على الدفاع المشترك . وفى ديسمبر ١٩٤٦ عاد النقراشى الى الحكم حيث بدأت مناورات جديدة للاتفاق مع المستعمرين .

حقا لقد أنهت حملة صدقى الارهابية اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ولكنها لم تنه مقاومة الشعب الجبارة .

واذا اردنا ان نقيم الفكر الثورى الجديد الذى عبرت عنه القوى التى انبثقت عن « ٢١ فبراير ١٩٤٦ » فيمكننا أن نعتمد على خطاب اسماعيل صدقى باشا فى مجلس الشيوخ فى ١٥ يوليو ١٩٤٦ لتبرير حملته . فقد قدم لاعضاء مجلس الشيوخ عينة من الافكار السياسية لهذه القوى التى ضربها فى ١١ يوليو . وهذه هى الفقرات التى اختارها من أقوال قادة الشباب والكتاب والشعراء .

● « الحكومة تزيد الاغنياء غنى والفقراء فقرا ، ان جانبا ضخما من ثروة مصر تحتكرها اقلية من الناس لاتبغى لغالبية الشعب غير المرض والفقر والجهل . ان الباشوات الراسماليين يشتركون فى مجالس ادارة عدة شركات بلغ استغلالها للشعب حدا كبيرا ، ولاهدف لها غير توفير الارباح الفاحشة لحفنة من كبار الراسماليين » .

● « ان جموع الامة عاقدة العزم على تغيير الاوضاع الاجتماعية » .

● «ان القوانين فى معظمها لمصلحة الراسمالية» .

● « الناس سواسية كأسنان المشط ، وان فى هجره الرسول الى المدينة معنى الثورة على الجوع والفقر » .

● « يجب على الطبقات الشعبية أن تقوم اليوم بالدور الرئيسى فى الحركات الوطنية لان الطبقات الحاكمة الحالية تتعاون مع الاستعمار »

● « ان سوء توزيع الثروة القومية يتطلب اعادة توزيع الارض ، ومنحها للفلاحين فى شكل ملكيات صغيرة وانشاء نظام تعاونى » .

● « ان الشرق يتحرر لا بالمهادنة والاستجداء ، ولكن بالعنف والثورة ، وفى مصر ثورة تاخذ نيرانها فى ازدياد كل يوم ، بل كل ساعة » .

هل يجدى مع الاحرار قضبان وسجان ؟
اذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان
يا اخى تنعم الكلاب لدى القوم
وتشقى فيالها من مضحكات
اطلق الثورة التى تسكن الصدر
وجفف دموعك الماضيات
هى حرب الحياة ، اما حياة
واما ممات يكن معنى الحياة

لئن كانت هذه هى فكرية القوى الجديدة التى ضربها صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٦ فان احداث فبراير ومارس كانت التعبير النضالى عن هذه الافكار الثورية التقدمية ، كانت تمثل مرحلة فى الكفاح من اجل مصر الحرة المستقلة الديمقراطية مصر التى تعتبر قلعة نضال العرب .

ان ٢١ فبراير و ٤ مارس ١٩٤٦ كانا بالنسبة لمصر فجرا جديدا فجر كل أحقاد الماضى الكامنة فى صدر الشعب ضد السراى والاقطاعيين وكبار الماليين كعملاء للاستعمار . ان دماء الشهداء التى لونت رايات ٢١ فبراير و ٤ مارس ١٩٤٦ كانت الصرخة التى انطلقت من صدر الشعب من اجل جبهة وطنية واسعة من اجل وحدة كل القوى الشريفة .

ان انتفاضة الشعب فى ١٩٤٦ لم تتمكن كل قوى الاستعمار والرجعية من اخمادها . ولقد ازداد الشعب اصرارا فى نضاله الباسل المظفر حتى تحقق النصر ليحيا فوق ارض مستقلة ، فوق أرض اشتراكية ، عندما انتصرت ثورة هذا الشعب فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ .

تفتح « الطليعة » ابتداء من هذا العدد باب النقاش الحر امام جميع المناضلين العرب فى جميع انحاء الوطن العربى حول قضايا المصير للوحدة والاشتراكية .. فكرا وعملا .

ولما كانت ظروف الثورة العربية التقدمية المعاصرة قد تعمل على تجميع كل العناصر العربية الثورية المؤمنة بالاشتراكية — رغم اختلاف وتنوع منابعهم الفكرية والاجتماعية — فقد اصبح ضروريا وحتميا ان تثور بينهم فى اطار التجميع المناقشات والصراعات الفكرية والتطبيقية على اساس علمى جاد بهدف الوصول الى خطة ثورية موحدة للعمل .

وبهذا المفهوم تفسح « الطليعة » صفحاتها امام جميع الكتاب والمفكرين والمناضلين العرب لابداء آرائهم حول هذه القضايا المصيرية بكل حرية . وتنشر اليوم مقالا يعد من وجهة نظر كاتب مصرى هو الدكتور عصمت سيف الدولة .

الوحدة والاشتراكية فى الوطن العربى

د. عصمت سيف الدولة

يفوت بعض الذين يقراون ما يكتب عن الوحدة والاشتراكية ان وضع الكلمات بعضها فوق بعض يطمس معالمها فلا تقرا ولا تفهم ، وان الكتابة الواضحة تقتضى ان تتبع كلمة اخرى ، وان يترك بينهما فاصل فلا تختلطان .

ولا حيلة للكاتب اذا كتب فى أن يختار كلمة تأتى أولا ثم تليها الكلمة الاخرى ، متكلا على ان اللغة تسعفه بأدوات من الالفاظ تربط بين الكلمتين وتلغى الترتيب الزمنى بينهما ، فيصل بذلك الى ما يريده من أن يقدم الى القارىء معنى واحدا عن طريق كلمتين أو اكثر .

ويفوت بعض أولئك الذين يقرأون ما يكتب عن الاشتراكية والوحدة أن « الواو » فى اللغة العربية تفيد المعية ولا تفيد الترتيب الزمنى وان للترتيب حرفا آخر او اكثر . ومثال هذا اننا اذا قلنا : الوحدة والاشتراكية ، أو قلنا : الاشتراكية والوحدة ، لما اختلف المعنى الذى نريد أن نؤديه ، وهو الجمع بين الوحدة والاشتراكية على وجه يشير الى علاقتهما المتبادلة ، والى انهما عنصران متفاعلان ، لاينفى احدهما الاخر فى المضمون ولا يسبقه حتما فى الزمان .

هذا الذى يفوت البعض — أو يجهلونه — دفع بعضهم الى العسف فى تفسير ما يكتب عن الوحدة والاشتراكية ، مع أن تلك بعض قضايانا المصيرية التى يجب أن يستعد من يخوض فيها — بالاضافة الى حسن النية — بقدر أدنى من ادراك البديهيات ومعرفة اللغة . وفى دراسة منشورة من «أسس الاشتراكية العربية(1)» استعملنا تعبير « الحرية

(1) كتاب أسس الاشتراكية العربية الذى صدر لكاتب المقال عام ١٩٦٥ عن الدار القومية بالقاهرة .

والوحدة والاشتراكية» ، وخففنا من ذلك الخلط فأضفنا — فى أكثر من موضع — كلمة « معا » بعد الكلمات الثلاثة ليكمل بهذا المعنى الذى اردنا ان نؤديه ، ومع ذلك لم يغن هذا عند الذين راوا فى ذلك الترتيب تسلسلا ميكانيكيا ، او ترتيبا زمنيا ، واخذوا عليه أنه « اصرار » على أن لانبدأ فى انجاز الوحدة العربية الا بعد أن نكون قد انتهينا من مشكلة الحرية ، ولا نبدأ فى البناء الاشتراكى الا اذا كنا قد انتهينا من انجاز الوحدة ، وأنه ترتيب زمنى لازم ، كما لو كانت الحرية او الوحدة او الاشتراكية معطيات جامدة منفصلة بعضها عن بعض كالحجارة يرص الواحد منها اثر الاخر .

وليست الحرية او الوحدة او الاشتراكية كالحجارة ولكنها أبعاد لحياة موضوعية واحدة نحاول من خلال تحديدها معرفة مضمون تلك الحياة .

كل هذا لا يمنع أن الكاتب مسئول عن أنيوضح ما يريد أن يقول الى القدر الذى يقطع الطريق على المتعسفين فىتفسير مايقرأون ، ويقطع الشك عند الذين لا يتوافر لديهم الحد الادنى من ادراك البديهيات والمعرفة اللغوية .

لهذا نختار الحديث عنعلاقةالوحدة بالاشتراكية، وهو اختيار مرده ان الحوار حول تلك العلاقة لايزال متصلا بين الوحدويين والاشتراكيين ، وكل اسهام فيه قد يؤدى الى أن نصل معا الى ذلك الامل الذى يتطلع اليه هذا الجيل العربى : وحدة الاشتراكيين فى سبيل انجاز الوحدة العربية ، او وحدة الوحدويين فى سبيل انجاز الاشتراكية فلنبدأ بالوحدة .

هذا أيضا ليس ترتيبا زمنيا ، ولكن لان الوحدة أكثر وضوحا واسهل فهما . والبدء باليسير يشجع على التصدى لما هو أصعب . فالوحدة الغاء للتجزئة التى فرضها الاستعمار على الوطن العربى منذ نصف قرن تقريبا ، لتعود الى الامة الواحدة دولتها الواحدة . والذين يعرفون المعنىالدستورى والدولى للدولة يعلمون تماما أنها لاتختلط بالنظم الادارية التى قد تأخذ اشكالا متنوعة داخل الدولة الواحدة. كما يعلمون تماما أنقيام الدولة الواحدة لايعنى اطلاقا اخضاع كافة الاقاليم او الولايات او الاقطار ... ايا كانت تسمية الوحدات الادارية الداخلية ، لنمط موحد من القوانين او النظم فى الادارة او الاقتصاد او الاجتماع او المال او حتى القضاء . واكثر من هذا ، يعرفون تماما أن وحدة الدولة لا تتأثر بما اذا كانت دولة بسيطة تديرها حكومة مركزية واحدة ، أم دولة اتحادية (فيدرالية) تقوم بجوار الحكومة المركزية فيها اجهزة ادارية تختص ببعض السلطات تمارسها فى الولايات او الاقاليم .. الخ التى تقوم

الدولة البسيطة والدولة الاتحادية ((فيدرالية))

تتفق الدولة البسيطة Etat Unitaire والدولة الاتحادية Etat Fédérul فى ان لكل منهما شخصية دولية واحدة تمثل الشعب كله وحكومة مركزية ذات سلطة مباشرة على كل رعايا الدولة وكل ارضها . وتفترقان فى التركيب القانونى الداخلى . فبينما تظهر الدولة البسيطة كتلة دستورية واحدة تديرها حكومة مركزية واحدة تباشر كل السلطات الداخلية بنفسها او بادارات مفوضة منها مركزية كانت ام لا مركزية ،نجد ان الدولة الاتحادية تنقسم بحكم الدستور ذاته الى ولايات لها قدر محدد فى الدستور من الاستقلال ببعض الشئون المحلية ، وان كانت ايا منها لا تعتبر دولة . فالفارق الاساسى بينها وبين الادارات المحلية فى الدولة البسيطة، ان هذه تستمد سلطتها من الحكومة المركزية بما يتضمنه هذا من حق الحكومة فى الغائها او تعديل اختصاصاتها ، بينما تستمد الولايات فى الدولة الاتحادية سلطاتها المحلية من الدستور فهى وان كانت تباشر تلك السلطات تحت اشراف الحكومة المركزية ورقابتها وتلتزم بقراراتها الا ان الحكومة المركزية لا تملك أن تلغيها او تحد من اختصاصاتها المحلية .

فيها . **فالاردن** مثلا دولة بسيطة ، **وليبيا** دولة فيدرالية ، **وفرنسا** دولة بسيطة ، **والبرازيل** دولة فيدرالية ، ومع ذلك فكل من هذه دولة واحدة . اذ تكون الدولة واحدة فى مواجهة الدول الاخرى ، تمارس وحدها تمثيل الشعب كله والحديث باسمه والدفاع عنه . أما كيف تصاغ الحياة داخل الدولة الواحدة ، فتلك مهمتها تلتمس اليها الاسلوب الادارى والاقتصادى والقانونى الذى تراه كفيلا بحل المشكلات التى تطرحها اجزاؤها ، بشرط وحيد هو أن تكون الدولة الواحدة دولة الجميع لتضع بهذا امكانيات الكل فى خدمة الكل والاجزاء معا .

بهذا المعنى الدستورى والدولى للوحدة يسهل على الذين يعرفون تاريخ امتهم ادراك ما نعنيه بأن الوحدة العربية الغاء للتجزئة . اذ لم يحدث قط منذ ان تم تكوين الامة العربية فى ظل الاسلام ودولته ، الى أن تمزق الوطن العربى دولا بعد الحرب العالمية الاولى ، أن قامت فى أى مكان من الوطن العربى « دولة » مستقلة . بل كانت مجموعة من الولايات تكبر حجما حتى تبلغ قدر مصر ، وتصغر حجما حتى تكون مثل عكا ، ولكن أيا منها لم تكن دولة .. كانت اقاليم ادارية لها

بعض الاستقلال الادارى المحلى ، ولكنها أجزاء من دولة واحدة . وقد انتقلت عاصمة الدولة الواحدة من المدينة الى دمشق الى بغداد الى القاهرة .. غير أن كل عاصمة من تلك كانت تعصم العرب جميعا او تدعى هذا وتحاول الوصول اليه ، ولكنها لاترضى بأى حال أن تكون دولة اقليمية . وكل ما نقرأه فى تاريخنا العربى عن دولة الامويين او العباسيين أو الفاطميين .. الخ ، لم يكن دولا داخل الدولة ، بل كانت أحزابا من العرب تتمرد على السلطة المركزية كخطوة فى سبيل الاستيلاء على السلطة فى الدولة الواحدة ، وعندما تحولت الدولة الواحدة على ايدى الاتراك الى دولة تركيا ، بقيت الاقاليم العربية اقاليم محتلة ولكن لم تكن لها دولة — ولم تقم أية دولة فى الوطن العربى الا بعد أن خطط لها الاستعمار الغربى حدودها واختار لها حكامها وكان ذلك بعد الحرب العالمية الاولى .

اذن ، فالوحدة العربية عودة الى الدولة الواحدة ، وليست انشاء جديدا لدولة واحدة ، كما أنها — على سبيل القطع — ليست مانعا من أن تعالج القضايا الاجتماعية أو الاقتصادية فى كل جزء بالاسلوب الادارى الذى يناسبه ، وبالاسلوب العلمى الذى يتفق مع درجة نموه وطبيعة مشكلاته الخاصة .

ولاشك فى أن من أعمق المشكلات التى تواجهها دولة الوحدة العربية هى آثار التجزئة . اذ لا يمكن ان ينكر أحد أو يتجاهل أن التجزئة التى طال امدها قد تركت فى الاقاليم العربية رواسب اجتماعية واقتصادية يهمنا منها فى هذا الحديث ذلك التفاوت فى درجة النمو الاقتصادى بين الاجزاء مع اتفاقها جميعا فى سمة التخلف . هذا التفاوت ذاته هو الذى يثير الجدل حول علاقة الوحدة بالاشتراكية . فما الاشتراكية ؟ .

لعل كلمة لم تستعمل للدلالة على مضامين متباينة بقدر ما استعملت كلمة « الاشتراكية » . وقد أصبحت من فرط استعمالها فى مجالات مختلفة تكاد تكون غير ذات دلالة محددة . العلة وراء هذا ان تحديد المضمون الاشتراكى قد يكون تجسيدا لرغبات اشخاص وأهوائهم على وجه لايمكن فهمه بمقاييس موضوعية علمية . وقد عرفت تلك الاشتراكيات باسم الخيالية او غير العلمية ، ولسنا قادرين على تتبعها فى ضمائر أصحابها فلا محيص من أن نسقطها قاصرين الحديث على الاشتراكية التى كان مضمونها محصلة منهج علمى فى البحث قابل للمعرفة والتحديد . ومن ناحية أخرى فان الاشتراكية نظام حديث نسبيا وقد ظلت الاشتراكية مضمونا فكريا أكثر من نصف قرن ، ولم تصبح حياة مطبقة الا منذ اقل من نصف قرن . وخلال فترة التطبيق لم يكف مضمون الاشتراكية عن النمو ، طارحا عنه ما جففته الممارسة وجردته من قيمته ، مكتسبا عناصر بديلة يستمدها من خصب التجارب الحية .

ولاشك فى ان من المفيد — والحالة هذه — ان نتناول العلاقة بين الوحدة والاشتراكية — مبتدئين بالمفهوم التقليدى للاشتراكية العلمية ، متتبعين نمو تلك العلاقة تبعا لنمو المفهوم الاشتراكى ذاته .

وأول اشتراكية علمية فى التاريخ هى الاشتراكية الماركسية .

لقد كان منهج ماركس الذى استخدمه فى تحديد المضمون الاشتراكى ، مجموعة من القوانين العلمية هى ما يعرف باسم « **المادية الجدلية** » والسمة الاساسية لهذا المنهج أنه : أولا : مادى بمعنى أنه يمنح المادة اولوية الوجود على الفكر، ليصل من هذا الى انها المؤثر الاساسى فى حركة التطور . هى تتطور اولا ، والفكر يتبعها الى حيث هى متطورة . ثانيا : جدلى ، بمعنى أن حركة التطور لاتتم بالانتقال الميكانيكى من العلة الى المعلول ، ولكن خلال صراع الاضداد ، اذ يجتمع نقيضان فى محتوى واحد فيتصارعان لينتهى الصراع بمولد جديد أكثر من النقيضين تقدما . والجمع بين السمتين : المادية والجدلية ، يحتم البحث عن محرك التطور وقائده فى العناصر المادية للحياة . ويقصر دور الفكر على أن يكشف هذا ويتبعه . ولما طبق ماركس هذا المنهج على تاريخ البشرية انتهى الى انه يسير متفقا مع تطور أدوات الانتاج . ولما طبقه على النظام الراسمالى الذى عاصره أنتهى الى أن التناقض قائم بين الملكية الخاصة لادوات الانتاج من ناحية وبين العمل من ناحية اخرى وابدع نظريته فى فائض القيمة ليحدد بها الطبيعة الاستغلالية الكامنة فى النظام الراسمالى ذاته . فبعيدا عن اى تقييم خلقى ، وبدون توقف على ارادة أى انسان ، لايتقاضى العامل على ادوات الانتاج مقابل عمله كله ، بل يبقى فائض يحصل عليه الراسمالى بدون جهد لانه مالك لادوات الانتاج ملكية خاصة . واذا كان ذلك هو التناقض فى النظام الراسمالى فان حله يكون بالغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج ، عندئذ يدخل المجتمع مرحلة الاشتراكية . وعلى هذا تحدد مضمون الاشتراكية الماركسية او التقليدية بانه الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج . وقد كان ذلك المضمون السلبى متفقا الى حد كبير مع حاجة الجماهير العاملة فى العصر الذى عاشه ماركس . ففى البلاد الراسمالية النامية لايحتاج المقهورون اقتصاديا الى أكثر من الغاء الملكية الخاصة لادوات

الانتاج ، ليبقى الرخاء المتاح للعاملين انفسهم بعد ان كان المالكون يستأثرون به لانفسهم .

هذا المضمون الاشتراكي كان يضع ــ طبقا لاسسه العلمية ــ شرطا أوليا للاشتراكية . كان لابد من أن يبلغ المجتمع درجة من النمو الاقتصادى فى ظل الرأسمالية تكفى لكشف المتناقضات فيها. وكان على المقهورين وطليعتهم (الحزب الشيوعى) أن يترصدوا هذا النمو الراسمالى ولايسبقوه ، بل يدفعونه من الخلف الى غايته ليقطع أجله فى اقل وقت من الزمان . اما تخطى الراسمالية والانطلاق من مجتمع متخلف عن الطور الراسمالى الى الاشتراكية رأسا ، فكان معتبرا محاولة مثالية مضللة لا تتفق مع الاصول العلمية للاشتراكية وبهذا المعنى قال لينين ــ قبل ان يخرج هو نفسه على تلك الاصول : « ان الماركسية تعلمنا أن أية محاولة لتحرير الطبقة العاملة عن غير طريق تطوير الرأسمالية محاولة رجعية » .

وبهذا المفهوم السلبى للاشتراكية تكون علاقة الاشتراكية بالوحدة ذات وجهين أولهما : ان الوحدة غير لازمة للاشتراكية . فلاشك فى أن اى مجتمع موحد او مجزأ او حتى فى قرية يستطيع انيكون مجتمعا اشتراكيا بدون حاجة الى أن يتحد مع غيره أو يتوحد . فما على الاشتراكيين القادرين فيه الا أن يبطشوا بمالكى أدوات الانتاج ويلغوا ملكيتها الخاصة فتكون لهم الاشتراكية . وثانى الوجهين : ان الوحدة تقتضى أن تبلغ الشعوب التى تسعى اليها درجة متساوية من النمو الاقتصادى بحيث لا تعرقل اجزاؤها المتخلفة انطلاق الاجزاء الاكثر تقدما نحو الاشتراكية . فان تمت الوحدة بين جزئين غير متساويين فى النمو الاقتصادى فمعنى هذا أن الجزء الاكثر نموا يضم اليه ــ بحجة الوحدة القومية ــ الجزء المتخلف ليكون له فيه مرتع جديد للاستغلال يضاف الى الاستغلال المحلى . ولن تصبح الوحدة مطهرة من شبهة الاستغلال الا اذا كانت بين مجتمعات اشتراكية فعلا . أما قبل هذا فهى محاولة « بورجوازية » تسعى تحت شعار الوحدة الى الاستيلاء على السوق فى الاجزاء المتخلفة .

واظن اننا سمعنا كلاما مثل هذا ردده بعضهم فى سورية وفى العراق ورردده الانفصاليون من بعدهم . كما أظن ان ذلك المفهوم الاشتراكى كامن فى أذهان الذين يشترطون لاتمام الوحدة العربية أن ينجز كل جزء على حدة مشكلاته الخاصة ومنها مشكلة التحول الاشتراكى .

وبينما وقف هؤلاء عند المفهوم السلبى للاشتراكية تقدمت التجربة خلال نصف قرن فأسقطت اغلب تلك الاصول التقليدية الماركسية، وقد بدأ سقوطها على يد لينين نفسه فى الاتحاد السوفييتى . فهناك قامت أول ثورة اشتراكية فى دولة لم تكن مرشحة علميا للاشتراكية . وقد حاول لينين ومن جاء بعده أن يسدوا تلك الثغرة النظرية فقدموا التجربة السوفييتية على انها استثناء مرده أن روسيا كانت أضعف حلقة فى سلسلة الامبريالية فكانت بذلك مرشحة لكي تتحطم فتحطمت . وعرف مجموع التبريرات النظرية فى هذا المجال باسم « اللينينية » التى هى ــ كما يقولون ــ الماركسية فى عصر الامبريالية . غير ان الاستثناء لم يلبث أن اصبح قاعدة بدون استثناء تقريبا بعد الحرب العالمية الثانية . فبينما تعثرت او فشلت الاحزاب الاشتراكية فى الدول الرأسمالية النامية ــ المرشحة ماركسيا للاشتراكية ــ فى تحقيق الثورة الاشتراكية او التحول الاشتراكى سلميا ، انطلق كثير من الدول المتحررة حديثا ، المتخلفة اقتصاديا ، الى تحقيق الثورة الاشتراكية بعد التحرر مباشرة ، متخطية الطريق الرأسمالى، متجهة رأسا الى الاشتراكية. وبذلك اسقطت تجربة العالم الثالث نهائيا شرط النمو الراسمالى لتحقيق الاشتراكية . ولم يلبث قدر كبير من الاشتراكيين ، وبوجه خاص فى الاتحاد السوفييتى المتفتح على تجربة العالم الثالث ، ان تبنوا حصيلة التجربة . واصبح من المتفق عليه امكان بناء الاشتراكية فى اى مجتمع مهما كانت درجة تطوره الاقتصادى بدون حاجة الى المرور بالطريق الرأسمالى .

دولة الامويين

تطلق « دولة الامويين » على تلك الفترة من تاريخ الوطن العربى التى بدات بعام ٦٦١ ميلادى واستمرت حتى سنة ٧٥٠ ميلادية. وتستمد اسمها من الاسرة الحاكمة فى تلك الفترة . فاول الحاكمين منها كان معاوية بن ابى سفيان من امية ، قائد الثورة ضد الخليفة الرابع على بن ابى طالب . وقد كان للخلاف بين بنى امية وبنى هاشم اسباب تمتد الى ماقبل مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، تتصل السلطة وشرعيتها وصاحب الحق فيها. فلما ان قتل عثمان ، اتخذ الامويون من مصرعه سببا مباشرا للثورة ضد الخليفة على بن ابى طالب . وانقسم المسلمون حزبين كبيرين داخل الدولة الاسلامية يتنازعان السلطة المركزية (الخلافة) واتخذ الصراع بينهما اشكالا دامية انتهت بتنازل الحسن بن على عن الحق فى الخلافة فتولاها معاوية بن ابى سفيان ، وقد اتسعت رقعة الدولة فى عهد الامويين ،وانتقلت عاصمتها الى دمشق غير ان اهم ما طرأ على نظام الحكم فى الدولة الاسلامية بعد استيلاء حزب الامويين على السلطة ، ان اصبحت الدولة ملكية وراثية بعد ان كانت جمهورية .

عندئذ سقط – او يجب ان يسقط – احتجاج بعض الاشتراكيين ضد الوحدة باختلاف درجة النمو الاقتصادى فى الاقاليم ، اذ اصبح مسلما انه من واقع اى اقليم ، ومهما تكن درجة نموه الاقتصادى يمكن الاتجاه راسا الى الاشتراكية . بل ان هـذا يتضمن امكان البناء الاشتراكى فى الاقاليم المتخلفة عن الطور الراسمالى ذاته . فاذا اخذنا فى الاعتبار ما ذكرناه من أن الوحدة لاتعنى اخضـاع كافة الاقاليم لنمط واحد من النظم الاقتصادية ، وانها تسمح بتنوع المعالجات الاقتصادية والاجتماعية فى داخلها طبقا لتنوع المشكلات ، نكون قد انتهينا الى ان اختلاف درجة النمو الاقتصادى فى اجزاء الوطن العربى ليست مانعا من الوحدة ذات المضـمون الاشتراكى .

ثم جاءت اضافة جديدة :

اذ لما كانت كل دول العالم الثالث دولا متخلفة اقتصاديا أونامية، فان المفهوم التقليدى للاشتراكية لم يكن كافيا كاجابة عن الاسـئلة التى يطرحها البناء الاشتراكى فى المجتمعات المتخلفة . فكثير من تلك المجتمعات جردها الاستعمار من أية ادوات انتاج صناعى وابقاها مجرد مصادر للمواد الخام التى تشحن على رؤوس ابنائها الى مصانع اوربا وادوات انتاجها وكثير منها لم تكن تملك من ادوات الانتاج مايكون مشكلة بالنسبة اليها. فاتسع مفهوم الاشتراكية ليتجاوز الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج فيصبح الغاء الاستغلال أيا كانت صورته . وبهذا المفهوم الجديد اصبحت الزراعة والثروات الطبيعية والتجارة ميادين للبناء الاشتراكى . بل اننا نلاحظ أن اول اجراء اشتراكى اتجهت اليـه الدول النـامية كان موضـوعه ملـكية الارض واستغلالها او ما عرف بالاصلاح الزراعى . كما اتخذ الغاء الاستغلال فى بعض الاحوال صـورة تفتيت واضعاف السيطرة الاجتماعية الموروثة من العهد القبلى والتى لاتستند بصفة اساسية الى مقدرة اقتصـادية . وضربت الرجعية القبليـة والعشائر والتكتلات العائلية والطائفية التى كانت تستغل الناس مستندة الى تبريرات عنصرية او دينية .. واعتبرت كل تلك الاجراءات من صميم عملية الغـاء الاستغلال فى الدول المتخلفة . ثم كشفت تجربة العالم الثالث عن موضوع آخـر للاستغلال لم يكن محل انتباه خاص فى الاشتراكية التقليدية ، ذلك هو استغلال الراسمالية العالمية للمجتمعـات المتخلفة الذى يأخذ صـورا عديدة ومنوعة ليس منها فى كثير من الاحيـان الصورة التقليدية : صورة رب العمل والعامل . فالقواعد العسكرية ، واحتكارات المواد الخام ، والقروض المشروطة ، والاحلاف ، بل وتخطيط الدول وتعيين حكوماتها واسقاطها .. الخ كل هذا الذى عرفه العالم الثالث باسم الاستعمار الجديد كان أوجها من الاستغلال وان كان خاليا من علاقة الانتـاج بالمعنى القـديم . وترتب على هـذا ان مفهوم الاشتراكية بمعنى الغاء الإستغلال اصبح يشمل التحرر من الاستعمار الجديد واسترداد الثروات الطبيعية من ايدى الاحتكارات العالمية . واتسع ميدان المعارك الاشتراكية امام الاشتراكيين ولم يعد أكثرها ضراوة تلك المعركة القائمة بينهم وبين الاستغلال الراسمالى المحلى حول ملكية أدوات الانتاج وعلاقاته .

واضيفت الى المفهوم القديم للاشتراكية اى الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج اضافة جديدة: التحرر من الاستعمار .

عندئذ بدات علاقة الوحدة بالاشتراكية تأخذ طابعا ايجابيا . فبعد أن وصلنا الى أن الوحدة حتى بين الاجزاء المختلفة فى درجة النمو الاقتصادى « ليست مانعا » من بناء الاشتراكية ، اصبحت وحدة تلك الاجزاء عنصرا يساعد ايجابيا على الغاء الاستغلال . وتقدم الدول العربية من واقعها القائم ادلة حية على ان جماهير الشعب المعزولة فى دول مستقلة ، يمنعها ذلك الاستقلال من ان تكون قوة واحدة ، وبذلك يضعف مقدرتها على ان تواجه الرجعية والاستعمار معا . واصبح مجرد ادراك أن الاستعمار ذاته « وحدة » ضاربة فى

دولة العباسيين

بعد ان نجح الامويون فى الاستيلاء عـلى السلطة المركزية فى الدولة العربية الاسلامية اتسعت رقعة الدولة فسلبت قوميات اخرى غير عربية كان اهمها فارس . وقد عرفت تلك القوميات بالموالى . وبدات بذور الصراع القومى داخل الدولة الواحدة . واستفادت الاحزاب المقهورة من انصار بنى هاشم من سخط الموالى ، فتكونت فى فارس نواة حزب يعمل على الاستيلاء على السـلطة المركزية وردها الى بنى هاشم . واستمد اسـمه من ابو العباس السفاح فسمى بالعباسيين . واستطاع العباسيون ان يسقطوا الحـاكم الاموى بمساعدة الموالى من الفرس سنة ٧٥٠ ميلادية . وتولى ابو العباس السـفاح الخلافة ، ونقل العاصمة الى « الانبار » على الفرات غربى بغـداد .. واسـتمر العباسيون فى الحكم حتى سنة ١٢٥٨ ميلادية . ويميز حكم العباسيين بشدة الصراع القومى داخل دولة الاسلام . فقد حاول الفرس ان يستولوا على السلطة تحت ظل الخـلافة ونجحوا الى حد كبير على حساب العرب . وفى عهد الخليفة المعتصم تمكن الاتراك من السلطة وزادت حدة الصراع القومى الذى انتهى الى تفكك دولة العباسيين .

مواجهة الامم المتخلفة ، وان الرجعية المحلية اداته الى الاستغلال يقتضى « وحدة » الجماهير المناضلة ضد هذا التكتل المستغل المعادى لصالحها. ولامكان تحقيق هذا ، اى لامكان الغاء الاستغلال الممثل فى الاستعمار الجديد ، يجب اسقاط الحاجز المصطنع الذى يحول دون التحام الجماهير لتكون لها قوة الوحدة وامكانياتها . وفى الوطن العربى دول لو استطاعت الجماهير فيها ان تسقط الرجعية وان تتولى السلطة ، لوجدت الجماهير المنتصرة نفسها غير قادرة على الحياة — خارج الوحدة — الا اذا مدت ايديها الى الاستعمار تطلب معونته او تصالحت معه لتأمن بطشه ، اى لدفعتها العزلة مرة اخرى الى ذات المواقع التى كان فيها اعداؤها .

وبهذا اصبح النضال الاشتراكى ضد الاستغلال المحلى والاستعمار يحتم أن يكون مستندا الى قوة جماهيرية موحدة فى الوطن العربى كله ، وأن تكون الوحدة السياسية ثمرة الانتصار الاشتراكى ، اذ اصبحت الوحدة ضمانا وتأمينا للنصر ضد الاستغلال . وتاريخ السنوات القليلة الماضية يؤكد كيف كان التسويف فى الوحدة مساعدا للثورات المضادة ، وكيف سقطت بعض الاقطار فى قبضة الرجعية مرة اخرى بعد أن كان النصر قد تحقق للجماهير أو كاد .

غير ان اقوى اضافة قدمتها تجربة العالم الثالث الى مفهوم الاشتراكية كانت اضافة ايجابية . وهى اضافة اسقطت الاساس الفكرى للاشتراكية التقليدية . فقد راينا ان الاشتراكية التقليدية كانت قائمة على أن المادة تلعب الدور الاساسى فى التطور يتبعها الفكر ولا يسبقها . وكان تطبيق تلك القاعدة على تطور المجتمعات يقتضى الا تتطلع الجماهير فى نضالها الى اكثر مما يحدده تطور ادوات الانتاج فيها . عندئذ كان تطلع الانسان الى تحقيق ما يتجاوز درجة التطور المتحققة فعلا فى ادوات الانتاج المتاحة يعتبر خيالا مثاليا ، يحاول فيه الانسان أن يسبق المادة وأن يقودها فلما أن أصبح مقبولا أن يقود الانسان واقعه الذى لا يرشحه تطور ادوات الانتاج الا للمرحلة الرأسمالية ، يقوده متجها مباشرة الى الاشتراكية تغيرت القاعدة . وأصبح مقبولا ان يتطلع الناس فى أى مجتمع متخلف الى اقصى ما وصلت اليه المجتمعات المتقدمة ، وان تسبق معرفتهم الفكرية تطور ادوات الانتاج ، وتقود تطورها الى حيث الغاية التى يتطلعون اليها . اصبحت القيادة فى عملية التطور للانسان ، ويأتى التطور المادى تابعا لها . واذ ظل التطور جدليا أصبح مؤدى هذا ان الانسان هو الجدلى ، وان المادة موضوع جدله والتطور من خلقه — عندئذ اصبح من المحتم ان نلجأ الى معرفة ووعى الناس فى أى مجتمع لنعرف الى أين يسير تطورهم . وان كان ما يحققونه فعلا ومعدل سرعة تحقيقه متوقف على امكانياتهم المادية المتاحة . وقد اسهم التطور الحضارى وسهولة الاتصال ونقل المعرفة بين البشر فى ان يعى الناس ما حققه غيرهم من رخاء . وأصبح الرخاء هو الغاية التى يسعى اليها الناس جميعا. ولم تعد الاشتراكية تعنى مجرد الغاء الاستغلال مع بقاء الفقر قسمة عادلة بين الناس فى الدول المتخلفة بل اصبحت تعنى حياة الرخاء المتحررة من الاستغلال. واصبح الامر سباقا بين الاشتراكية والراسمالية ايهما يقدم للناس قدرا اكبر من الرخاء. ولم يلبث كثير من الاشتراكيين وبوجه خاص فى الاتحاد السوفييتى المتفتح على تجربة العالم الثالث ان اقروا هذا السباق وجعلوا من الرخاء بدون استغلال مضمونا اشتراكيا . وقد كان خروشوف داعية هذا المفهوم الاشتراكى الجديد ، الاكثر غنى وخصوبة .

بكل هذا ، ومن واقع تجربة العالم الثالث الذى لا يشده جمود نظرى ، اغتنى المفهوم الاشتراكى ، واصبحت الاشتراكية تعنى التحرر والرخاء بدون استغلال . لم تعد الاشتراكية تعنى مجرد الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج ، ولا مجرد الغاء الاستغلال بين الفقراء ، ولا مجرد الغاء استغلال الراسمالية للدول النامية ، بل اضيف الى كل هذا الرخاء الاقتصادى . لم تعد الاشتراكية الغاء ، بل الغاء وبناء . الغاء الاستغلال وبناء الرخاء .

وطبيعى بعد هذا أن حصيلة كل أمة من الاستغلال المحلى أو الاستغلال العالمى (الاستعمار الجديد) او درجة النمو الاقتصادى ، جعلت مضمون الاشتراكية فى كل أمة مختلفا عن غيره بقدر ما يتضمن واقعها من أوجه الاستغلال وامكانيات البناء . اصبحت لكل أمة اشتراكيتها التى تنبع من واقعها وأصبحت لنا « الاشتراكية العربية » . غير أنه ايا كان مضمون الاشتراكية فى أية أمة فان تحقيق الاشتراكية فيها اصبح مشروطا بحشد كل امكانياتها الطبيعية والبشرية لتتجاوز الجانب السلبى (الغاء الاستغلال) الى الجانب الايجابى (تحقيق الرخاء) من مضمون الاشتراكية . وادى هذا الى أن ينتبه الاشتراكيون الى دراسة مجتمعاتهم وظروفها وامكانياتها ليلغوا كافة السلبيات التى تحول دون حشد كافة الامكانيات الايجابية القادرة على تحقيق الاشتراكية .

عندئذ أصبحت الوحدة شرطا للاشتراكية :

فمع أن المضمون التقليدى السلبى للاشتراكية (الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج) ظل ممكنا فى ظل التجزئة كما كان أولا ، الا أن ذلك لم يعد يعنى الا أن البدء فى البناء الاشتراكى لايزال ممكنا وواجبا فى ظل التجزئة دون انتظار للوحدة . غير أن الغاء الاستغلال ليس الا بداية يهيأ بها المجتمع لتحقيق الاشتراكية رخاء بدون استغلال . لهذا يبقى مفهوما تماما خلال مرحلة الالغاء فى ظل التجزئة ان الوحدة شرط لازم لاتمام البناء

دولة الفاطميين

بينما كان الشيعة فى المشرق العربى يعدون للثورة ضد حكم الامويين استنادا الى احقية بنى هاشم بالخلافه ويستولون عليها تحت اسم العباسيين ، كان فريق اخر يعد للثورة فى المغرب العربى ولنفس السبب. ففى اواخر القرن الثالث للهجرة ، قام عبيد الله المهدى فى المغرب بحركه ستهدف الاستيلاء على الخلافة لحساب الفاطميين ، الذين ينتسبون الى السيدة فاطمه الزهراء بنت رسول الله . وقد استطاع الفاطميون ان يستولوا على المغرب نفسه ثم اتجهوا شرقا الى حيث مركز الخلافة وعاصمة الدولة . ولما ان وصلوا مصر اسسوا القاهرة واتخذوها عاصمة للخلافة . وامتدت سلطة الفاطميين فشملت الشام والحجاز واليمن . بينما انحصر خلفاء العباسيين فى عاصمتهم بغداد ، وكل من الطرفين ، العباسيين والفاطميين ، يدعى الحق الشرعى فى السلطه المركزيه فى الدولة كلها . وقد بدات دولة الفاطميين سنة ٩٠٩ ميلادية وانتهت بموت اخر خلفائها وهو « العاضد » سنة ١١٧١ ميلادية .

الاشتراكى لتحقيق الاشتراكية . ومعنى هذا ان النضال فى سبيل الوحدة اصبح نضالا فى سبيل الاشتراكية ذاتها ، والتحمت الوحدة بالاشتراكية كاطار ومحتوى للحياة التى يناضل من اجلها الاشتراكيون .

وقد قدمت التجارب الاشتراكية فى الوطن العربى ادلة محسوسة على ذلك الالتحام . ففى الاقطار العربية التى بدات التحول الاشتراكى كان الجانب السهل هو الغاء الاستغلال المحلى وفرض سيطرة الشعب على أدوات الانتاج . غير أن عملية البناء لاتزال بالغة الصعوبة . صحيح أن للتحول الاشتراكى فى أى مجتمع ثمنه الغالى من التضحيات التى يجب أن يدفعه الشعب مقابلا لحريته ، ولكنا لا نستطيع أن نتجاهل أن التجارب الاشتراكية فى الوطن العربى تدفع ثمنا باهظا وليس غاليا فقط . وفى اقطار من تلك التى بدات كادت أن تحدث ردة اشتراكية . وفى اقطار غيرها اضطر الاشتراكيون الى قبول التعاون الاقتصادى مع الاحتكارات الراسمالية بقصد تخطى حاجز الفقر . وكل هذا لانه بينما تدفع تلك الاقطار حصتها كاملة فى الاعباء القومية ، وتحمى بوجودها ومن دمها ، حتى أولئك الذين يستأثرون بمنابع الثروات ، تحاول أن تبنى الاشتراكية رخاء وهى معزولة عن امكانيات الكل الذى هى جزء منه . وسيظل ثمن البناء الاشتراكى باهظا الى أن تتحقق الوحدة فيصبح ثمنه غاليا فقط ، ثم يصبح رخاء وحرية بدون متاعب .

ان الاشتراكيين هم اكثر الناس التزاما للمنهج العلمى فى بناء الحياة ، أو المفروض أن يكونوا كذلك . واذا كان المنهج العلمى لا يحتمل الخجل أو الحياء او الوهم ، فان بناء الحياة الاشتراكية لا يحتمل ايا من هذه . وبناء الحياة الاشتراكية فى الوطن العربى يقتضى ، طبقا للمنجزات العلمية انتخضع كافة الامكانيات الطبيعية والبشرية لخطة اقتصادية واحدة تستهدف الحصول على اقصى قدر من الانتاج ، وتقسيم العمل بين القوة البشرية على وجه يحقق للتنمية اقصى طاقة فى اقل وقت ممكن باقل قدر من تكلفة الانتاج . ولم يعد من الممكن مجرد تصور امكان هذا فى وطن تحكمه عشرات الحكومات ومئات الوزراء وما لا حصر له من الخطط الاقتصادية المتناقضة المتعارضة المعادية بعضها لبعض فى كثير من الاوقات ، او تبدد فيه الثروات التى لا تضبطها خطة على الاطلاق بل متروكة —وهى ملك الشعب العربى— لاهواء الحاكمين . ان التنسيق الاقتصادى خطوة ولكنه مصطدم فى النهاية بتلك الاهواء . انه طريق مسدود . والوحدة هى الطريق المفتوح الى الاشتراكية ، وان كانت بداية النضال من اجل الوحدة والاشتراكية ، لابد أن تكون — بحكم الواقع الممكن — فى ظل التجزئة والتخلف .

تلك علاقة الوحدة بالاشتراكية . وهى علاقة ذات تاثير متبادل . ولعل اظهر اثر للاشتراكية فى الوحدة انها حددت نهائيا اسلوب تحقيق الوحدة والغاء التجزئة . اذ أصبح مفهوما أن الوحدة العربية التى تتم ستكون اطارا سياسيا للتحول الاشتراكى او لمزيد من بناء الاشتراكية . وبهذا اصبحت مجرد الوحدة السياسية فى ظل الاستعمار كما يحاولون فى الجنوب العربى ، أو فى ظل الرجعية كما يتمنى بعضهم ، مرفوضة . كما اصبحت الوحدة التى تتم بين حكومات رجعية بقصد صنع حاجز رجعى ضد المد الاشتراكى مرفوضة أيضا، لان الوحدة والاشتراكية ملتحمان. ولما كانت الاشتراكية قضية الجماهير فقد اصبحت الوحدة ايضا قضية الجماهير. واصبحت الجماهير العاملة فى الشعب العربى هى صاحبة المستقبل الوحدوى الاشتراكى وأداة تحقيقه . وكما انه لم يعد مقبولا — نتيجة لهذا الالتحام بين الوحدة والاشتراكية — ان يتستر بعض الناس بالاشتراكية لتدعيم التجزئة ، لم يعد مقبولا ايضا ان يتستر البعض الاخر بالوحدة لمحاربة الاشتراكية .

أما كيف تحقق الجماهير الاشتراكية وحدتها القومية فتلك مشكلة اخرى ، لا فائدة فى التصدى لها ، الا بعد أن نتفق أولا على علاقة الوحدة بالاشتراكية .

فهل نحن متفقون ؟

حول مؤتمر هافانا

تطور حركة التضامن بين الشعوب

سعد زهران

مؤتمر هافانا

لقاء شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .
الامل الذى تطلعت الى تحقيقه القيادات الثورية فى القارات الثلاث سنوات عديدة ، وخاضت من أجله معارك ، وتخطت صعابا تجل عن الوصف .

ومع ذلك فلم يكن للمؤتمر ــ أثناء انعقاده ــ البريق الذى كان متوقعا ، ولا صاحبته الضجة التى كانت منتظرة . وبتعبير أكثر تهذيبا ، فان المؤتمر لم تؤخذ منه المادة الفكرية والروحية الكافية لاطفاء ظمأ الرأى العام العالمى المتعطش لجرعة كبيرة تنعش الآمال ، وتجدد الثقة ، وتلهب الحماس ، بعد ركام احداث ١٩٦٥ ، التى كانت فى مجموعها منذرة بشرور ومخاطر متعاظمة تتهدد سلام العالم وحريات الشعوب .

ولا شك أن مؤامرة الصمت التى دبرتها وكالات الانباء وأجهزة الاعلام الغربية حول المؤتمر تعد من أسباب تلك الظاهرة . غير أن هذا ليس الا جزءا من الحقيقة . فقد سبق انعقاد المؤتمر ، وصاحبه ، نشاط واسع للدبلوماسية الدولية لم يسبق له مثيل : فثمة النشاط الدبلوماسى الأمريكى لحمل الاطراف المعنية على قبول مايسمى (بالمفاوضات غير المشروطة) حول الحرب الفيتنامية . وهناك نشاط الدبلوماسية السوفييتية الجديدة فى تعقب النشاط الامريكى من جانب ، والمبادرة بالتوسط بين الهند والباكستان الذى توج بنجاح مؤتمر طشقند من جانب آخر . وهناك أيضا النشاط الدبلوماسى الذى تقوم به مجموعة من عواصم عدم الانحياز ، وفى مقدمتها القاهرة ، للتوسط فى المشكلة الفيتنامية . ثم هناك النشاط الباهت المعتاد للدبلوماسية البريطانية الماكرة ، والذى انتهى الى عقد مؤتمر عقيم فى لاجوس لبحث مشكلة روديسيا ــ او ان شئت لاعطاء مهلة جديدة لتمكين الاقلية البيضاء من احكام قبضتها على البلد الافريقى المنكوب .

وان كانت مؤامرة الصمت قد اختص بها خصوم هافانا ، فان النشاط الدبلوماسي شغلت به عواصم الخصوم والاصحاب على السواء . وبعد ذلك يأتى عامل ثالث اختص به جانب كبير من اصحاب المؤتمر دون سواهم ، الا وهو حرص هؤلاء على ان يوفروا على الشعوب عبء الانشغال بالخلافات والتناقضات الداخلية بين المؤتمرين انفسهم ، والذى يحتل فيها الخلاف الصينى السوفييتى مركز الصدارة كالمعتاد .

تلك هى العوامل التى سرقت الاضواء من هافانا على المسرح الدولى .

ومع ذلك ، فلعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا **ان المؤتمر ، على الرغم من بعده عن مركز الاضواء ، الا أنه المركز الحقيقى للسياسة العالمية فى مستهل العام الجديد . هذا ، طبعا ، فضلا عن مغزاه التاريخى كحدث من الاحداث التى ينعطف التاريخ عندها ، كما قال – بحق – الرئيس جمال عبد الناصر .**

وانما تعود الاهمية السياسية للمؤتمر الى ان جميع المشكلات « الساخنة » على خريطة العالم المضطرب مدرجة فى جدول أعماله . كما ان هؤلاء الذين يتناولون المشكلات بالبحث والنقاش فى هافانا ليسوا دبلوماسيين مدربين ، او مندوبى حكومات رسميين ، ولكنهم ممثلو احزاب وحركات وهيئات شعبية ، متحررون – فى كثير مما يصدر عنهم من آراء وتصريحات – من حرج المركز الحكومى والالتزام الرسمى المباشر . كذلك فان قصور الصين (أو لعله عزوفها ؟) عن اعمال كل اسلحة الدبلوماسية التى تلجأ اليها غيرها من القوى الكبرى فى هذه اللحظات التى يتضاعف فيها نشاط الدبلوماسية ، ومناداة الصين باكثر المواقف تشددا ، واحتضانها لاشد الحركات تطرفا ، والقائها بثقلها السياسى الدولى فى المؤتمر دون سواه – يضاف الى هذا حرارة جو هافانا بحكم وقوفها فى خط النار الاول فى مواجهة الولايات المتحدة وعلى بعد ٩٠ ميلا من شواطئها – كل ذلك من شأنه أن يبرز كل ما فى جبهة القوى المناهضة للاستعمار والامبريالية من احتياطيات هائلة كامنة ، وأن يكشف – فى ذات الوقت – عن الخبىء من مواطن الضعف والخلاف فى صفوفها .

المبادىء العامة

وفى مثل هذه المؤتمرات تنقسم المناقشات والقرارات عادة الى بابين كبيرين : المبادىء العامة ، والمشكلات الخاصة .

والمبادىء العامة مقررة منذ عقد المؤتمر الاول لتضامن الشعوب الافرواسيوية فى القاهرة . غير أن ملابسات الموقف الدولى هى التى تكسب كل مؤتمر طابعه الخاص ، وتجعل المشتركين فيه يبرزون هذا الجانب او ذاك من تلك المبادىء ، او يضيفون الى الصورة العامة خطوطا وظلالا جديدة .

فمثلا : انعقد المؤتمر الاول فى القاهرة بعد اقل من ثلاثة اعوام على مؤتمر باندونج التاريخى ، وبعد عام واحد من هزيمة العدوان الثلاثى على مصر ، وفى جو هزيمة مشروع ايزنهاور الذى تقدمت به امريكا لتحل محل بريطانيا فى الشرق العربى بدعوى (ملء الفراغ) . **اى أن المؤتمر انعقد فى أوج انتصارات البلاد المستقلة الناهضة فى آسيا وأفريقيا فى العقد الماضى ، وفى مطلع عهد جديد من العلاقات الدولية بدأت فيه هذه البلاد تحتل مكانا متزايد الاهمية فى الحلبة الدولية .** كانت الجماعة الاسيوية الافريقية تكتشف نفسها ، وتحقق من الانتصارات الساحقة ما فاجأ الاصدقاء والاعداء على السواء . وقد انعكس هذا الجو العالمى المواتى فى الروح التى سادت مؤتمر القاهرة ، اذ كان أشبه بمهرجان ضخم للاحتفال بالتضامن الوليد المزدهر وانتصاراته المتلاحقة ، وبخاصة بانتصارات مصر الثورة ، والقومية العربية التى شهدت ازهى فترات انطلاقها حينذاك . وانعكست تلك الروح فى كل ما صدر عن الوفود ، والمؤتمر فى مجموعه ، من بيانات وقرارات . استمع الى هذه الفقرات من البيان الختامى :

« نحن الشعوب الاسيوية الافريقية الذين اجتمعنا فى القاهرة من ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ الى أول يناير ١٩٥٨ ... لقد استعرضنا المشكلات السياسية والاقتصادية والثقافية التى تواجه شعوبنا ، دون ان يحدونا غير شعور واحد ، وهو التعاون والوحدة بين شعوبنا ، والصداقة الكاملة نحو كافة شعوب العالم .

« وبعد سبعة أيام من المناقشات الودية ، وافق المؤتمر بالاجماع على عدة مقترحات لحل المشاكل المختلفة ، الامر الذى يدل على ان شعوب آسيا وافريقيا ، وهى تعمل على تدعيم السلام ، قد بلغت مستوى عاليا من الوحدة ، كما توصلت الى برنامج مشترك تعمل بمقتضاه .

« وانا لنعلن ان المبادىء التى اقرها مؤتمر باندونج فى ابريل ١٩٥٥ ، يجب أن تظل اساسا للعلاقات الدولية ، وانا لنؤكد من جديد تأييدنا المطلق لتلك المبادىء العشرة التى لاقت على الدوام تأييد شعوبنا خلال السنوات الماضية » .

نعم ، كان ذلك هو العصر الذهبى لمبادىء باندونج . ولم يكن صدفة أن يخصص البيان الختامى لمؤتمر القاهرة الجزء الاهم فيه لتأكيد أهمية هذه المبادىء ولتكرارها بنصها مرة أخرى . وذلك تقليد درجت عليه جميع هيئات واجتماعات التضامن الافرواسيوية تقريبا . وبعد البيان

الختامى أذاع مؤتمر القاهرة قراراته السياسية والاقتصادية والثقافية والتنظيمية . وهى تتضمن المبادىء الأساسية العامة التى تحكم نضال هذه الشعوب من أجل التحرر والسلام والرخاء ، وتتضمن المناداة بتحريم الاسلحة الذرية ، وتصفية القواعد العسكرية الاجنبية ، وتصفية الخلافات الدولية عن طريق المفاوضات لا الحرب، واقرار العلاقات الاقتصادية الدولية على أسس من العدالة، والدعوة الى نبذ التفضيل فى المعاملات التجارية الدولية وفرض الشروط المجحفة بالبلاد المتخلفة ... الخ .. الخ ..

مؤتمر كوناكرى وانطلاقة أفريقيا

وفى اعقاب مؤتمر القاهرة، وفى الفترة من اواخر عام ١٩٥٨ واثناء عام ١٩٥٩ ، **كانت مجموعة البلاد الاسيوية الافريقية قد تخطت مرحلة الوحدة الوليدة لتدخل مرحلة بدات تبرز فيها أنواع من الصراعات والخلافات** فيما بينها : كثير منها من مخلفات التركة الاستعمارية ، مثل الخلافات حول الحدود والنزاعات الاقليمية (بين الهند والصين ،والهند والباكستان .. الخ) ـ وبعضها بحكم التطورات الاجتماعية التى يستوجبها الانتقال من مرحلة النضال من أجل تحقيق الاستقلال السياسى الى النضال من أجل البناء والاستقلال الاقتصادى ، وما يصحب هذا من صراعات سياسية وعقائدية فى صفوف القوى المناهضة للاستعمار (وأهمها الخلافات بين القوى القومية والقوى الشيوعية على النطاق الدولى والمحلى) ـ وبعضها الاخر بحكم دخول الجماعة الدولية تجارب جديدة تطبق فيها ، لاول مرة ، الافكار التى نادى بها الاشتراكيون الاوائل ، ومبادىء الحياد الايجابى، مع ما يصحب التطبيق البكر من اخطاء ، وما يجد من حقائق تصدم الحالمين بعالم تتحقق فيه العدالة كاملة بين الكبير والصغير ، والغنى والفقير (الخلافات بين كثير من بلاد الحياد وعدد من بلاد الكتلة الشرقية ـ والخلافات فى صفوف الكتلة الشرقية ذاتها وأهمها بداية الخلاف الصينى السوفييتى) . وفى تلك الاثناء أيضا **كان الاستعمار قد بدأ يدرك ما للتضامن الاسيوى الافريقى من خطر ، فيحيك الدسائس للنيل منه** ، ويستغل الصعوبات التى تعقب الاستقلال الوليد ، والخلافات الثانوية فى صفوف القوى المناهضة له . كما بدأ الاستعماريون يعملون أشكالا وأساليب جديدة لأحكام قبضتهم من جديد على المناطق والبلاد التى حققت استقلالها السياسى ، واتقنت أساليب النضال ضد الاشكال القديمة للاستعمار .

غير ان التيار الاساسى لحركة التاريخ يتدفق جارفا فى سبيله كل العقبات الثانوية التى تعترض سبيله ، والشعوب تواصل نضالها الذى لا يهدأ لتصفية الاستعمار . وفى ١٩٦٠ وصلت الانتصارات التى تحققها قوى التحرر قمة جديدة . فذلك كان عام أفريقيا بحق . فى بداية العام كانت ثورة الكونغو تنطلق من نصر الى نصر تحت قيادة أبى ثورتها : **باتريس لومومبا** ، والحرب التحريرية فى الجزائر تدخل مرحلتها الاخيرة الحاسمة . وعلى الرغم من وقوف أمريكا وحلف الاطلنطى يساند المستعمرين الفرنسيين فى شمال القارة ، والبلجيكيين فى وسطها ، والانجليز فى شرقها وجنوبها ، والبرتغاليين فى اوكارهم المتناثرة هنا وهناك ـ الا أن أكبر عدد من البلاد الافريقية اعلن استقلاله فى تلك الاثناء . ومن الطبيعى ان تكون لانتصارات افريقيا أثرها فى دعم الوحدة بين البلاد الاسيوية الافريقية ، والارتفاع بها الى مستوى اعلى حتى مما كانت عليه فى سنواتها الاولى .

ولم يكن صدفة أن اختيرت كوناكرى عاصمة غينيا ، وهى احدى البلاد الرائدة لحركة التحرر والاشتراكية فى افريقيا السوداء ، لتكون مقرا لانعقاد المؤتمر الثانى لتضامن الشعوب الاسيوية الافريقية فى الفترة من ١١ الى ١٥ أبريل ١٩٦٠ .

يقول **يوسف السباعى** ، سكرتير عام حركة التضامن ، فى تقريره للمؤتمر الثانى :

« هكذا نلتقى الان ثانية ونحن اسرة أقوى مما كنا وأكثر اتحادا . اننا نلتقى ثانيا وقد أصبحت كتلة الدول الافريقية الاسيوية عاملا حاسما هاما فى مجال الشئون الدولية ، وبعد ان حدثت فى الموقف الدولى عدة تغييرات تجعل الموقف ملائما الى أبعد حد لشعوبنا ولحركة تضامننا العظيمة.

« والان ، ما هى السمات الاساسية للموقف العالمى اليوم ؟.

« ان أبرز السمات وضوحا اليوم هى هذه الموجة التحريرية التى تكتسح القارة الافريقية الان . فمن القاهرة الى مدينة الكاب ، ومن داكار الى مقديشيو نشاهد موكبا من التغييرات الديناميكية ، موكبا من ملايين من أبناء الشعوب الافريقية يقفون الان ضد الاستعماريين والامبرياليين ، ونشاهد أولئك الاستعماريين الذين عفا الزمن على جبروتهم ، أو لتلك ـ والحاملين لشعلة الحضارة فى أفريقيا ؟ ـ يلوذون بالفرار» .

ولكن السكرتير العام لا يرفع رايات النصر فحسب ، ولكنه ينبه للخطر المحدق ، فيقول فى الجزء الاخير من تقريره :

« علينا أن نوجه اهتماما خاصا للاستعمار الجديد ، وهو خطة الاستعماريين البارعة المدروسة ، والفرض منها الحاق الهزيمة بالأهداف الرئيسية لنضال التحرر فى أفريقيا. لقد افتضح

جوهر الاستعمار الجديد اخيرا فى افريقيا من خلال مناورات خلق اتحاد فرنسي ، وسياسة الولايات المتحدة الامريكية فى اخضاع البلاد الافريقية تحت قناع المعونة الاقتصادية .

« وقد وصف الاستعمار الجديد بحق بانه حيلة من الاستعماريين يظهرون بها انهم يمنحون الحرية ، ويخرجون من الباب الامامى ليدخلوا من الباب الخلفى » .

ثم ياتى البيان الختامى لمؤتمر كوناكرى ليعلن :

« ان المؤتمر يندد على ملأ من العالم بالجرائم واساليب القمع المخزية ، وابادة السكان ابادة شاملة التى ترتكبها الدول الاستعمارية : فرنسا وانجلترا وامريكا ، وهى الدول التى تعترض بجميع الوسائل طريق التحرر الوطنى الذى سلكته شعوب افريقيا وآسيا » .

ويسهم المؤتمر فى توعية الشعوب بمفهوم الاستقلال الحقيقى ، لكى لا تقع فى الاوهام التى يزينها الاستعمار والامبريالية وعملاؤهما فى الداخل . ففى القرار السياسى الصادر عن مؤتمر كوناكرى يرد ما نصه : « والمؤتمر على يقين من ان اى شعب لا يمكن ان يعتبر مستقلا حقا وصدقا :

- اذا كانت هناك اعمال يمكن ان تجرى باسمه دون موافقته التامة .

- عندما تقيم قوات اجنبية رغما عن معارضته فى وطنه المستقل وتحتل قواعد عسكرية .

- عندما يكون عضوا فى هيئة تديرها دولة استعمارية او يشترك فى محالفات عسكرية مع الدولة الاستعمارية .

- اذا لم تتوفر له فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية جميع صفات السياسة الوطنية .

- اذا كانت حريات الانسان الاساسية ، التى نص عليها الاعلان العام لحقوق الانسان غير محترمة » .

مواجهة الاستعمار الجديد فى موشى

وبين كوناكرى وموشى (فى تنجانيقا) حيث عقد المؤتمر الثالث لتضامن الشعوب الاسيوية الافريقية فى الفترة من ٤ الى ١١ فبراير ١٩٦٣ :

- **واصل مد الثورة فى افريقيا صعوده .**

- **وفى افريقيا ايضا اخذ الاستعمار الجديد يجرب اساليبه ويتقنها** ، وحقق اكبر ضربة لحركة التحرر الافريقية بتحطيم انتصارات ثورة الكونغو وتمزيق الدولة الوليدة واغتيال عدد من اعظم قادتها وعلى راسهم شهيد افريقيا ـ باتريس لومومبا .

- **ووصل التوتر الدولى اقصى درجاته فى ازمة الكاريبى الشهيرة**، حيث وضعت سياسة التعايش السلمى موضع الاختبار ، وتركزت الاضواء على امريكا اللاتينية ، وكوبا على قمتها ، كمركز جديد للنشاط الثورى المعادى للاستعمار والامبريالية .

- **وتجددت الصراعات فى صفوف القوى المعادية للاستعمار بشكل اكثر حدة مما كانت فى الجولة السابقة** : ففى آسيا : تحولت نزاعات الحدود بين الهند والصين الى حرب عامة بين الدولتين فى ١٩٦٢ . وفى المعسكر الشرقى : بعد مؤتمر التهدئة الذى حضره مندوبو ٨١ من الاحزاب الشيوعية والعمالية فى موسكو فى ١٩٦٠ عاد الخلاف بين الصين والاتحاد السوفييتى ليصل الى ذروته فى ١٩٦٣ . وفى الشرق العربى : نشطت العناصر الانفصالية (ذات الصلات المشبوهة بالاستعمار) فى المشرق العربى ، وتولى البعثيون اليمينيون مركز الصدارة فى عملية تمزيق الصف الوطنى والقوى المناضلة من اجل الاشتراكية .

هكذا ركزت حركة التضامن الاسيوى الافريقى على فضح الاستعمار الجديد ، وقدمت نظرية متكاملة عن مخاطره واساليبه ، كما عنيت فى ذات الوقت بالدعوة الى علاج المشكلات والخلافات فيما بين الاسرة الاسيوية بالوسائل غير العدائية ، مثل المفاوضة والوساطة .. الخ .

ففى معرض الاعداد لمؤتمر موشى ، أصدر مجلس التضامن (١) المنعقد فى باندونج (أبريل ١٩٦٠) بيانا عاما ، يعد وثيقة تاريخية بالغة الاهمية لتوعية الشعوب بحقيقة الاستعمار الجديد واساليبه وعملائه ووسائل النضال ضده . يقول البيان :

« يحاول الاستعمار المحتضر ، تحت ستار الاستعمار الجديد ، اوخلال التدخل الموجه من جانب الامم المتحدة ، أن يمزق الدول المستقلة حديثا ، أو أن يفتت القوى السياسية أو النقابية تفتيتا منظما . وفى الحالات الميئوس منها ، كما حدث فى الكونغو ، يذهب الاستعمار الى حد تدبير المؤامرات ، واتخاذ الاجراءات الارهابية بواسطة

---

(١) هيئة التضامن الاسيوى الافريقى تتكون من :
١ ـ مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية الافريقية ـ وهو السلطة العليا التى تضع برنامج الهيئة وسياستها .
٢ ـ مجلس الهيئة ـ ويتكون من رؤساء الوفود ـ ووظيفته الاساسية تكوين اللجان واعداد جدول اعمال المؤتمر واختيار الرئيس ونائبى الرئيس
٣ ـ اللجنة التنفيذية ، وهى المسئولة والتى تقوم باسم الهيئة بالتصرف فى الشئون الخاصة بقرارات المؤتمر .
٤ ـ السكرتارية الدائمة ـ وهى المكلفة بتنفيذ قرارات اللجنة التنفيذية ومسئولة امامها

الجيش والشرطة ، بل لا يتورع عن الاغتيال وسفك الدماء .

« ويدرك المجلس أن الاستعمار الجديد يظهر باستعمال الوسائل العسكرية والاقطاعية والثقافية والدينية ، والارهاب والتشهير ، فى سبيل منع الدول من توجيه سياستها نحو استغلال ثرواتها الطبيعية لمصلحة شعوبها .

« ويعتبر المجلس أن بلادا مثل الولايات المتحدة والمانيا الاتحادية واسرائيل وبريطانيا وبلجيكا وهولندا وجنوب افريقيا وفرنسا هى دعامة بقاء الاستعمار الجديد ...

« والامبرياليون اذ يتحققون من أنهم سيكونون عاجزين عن استبقاء مراكزهم اذا استعملوا الوسائل القديمة يلجأون الى كل انواع الحيلة والخداع .. ومن الطرق التى يستخدمها الاستعماريون اعلان الاستقلال الصورى ، و « منح » الحريات « المستوردة » و «السيادة المحدودة » محتفظين فى ذات الوقت بالاقتصاد فى قبضتهم . فاذا لم تؤد هذه الوسيلة الى النتائج المطلوبة يلجأ الامبرياليون الى رشوة بعض الزعماء الافريقيين والاسيويين المرتشين ، والى اصطناع عملاء لهم من امثال تشومبى وفومى نوسا لاقامة حكومة من الاذناب . ان سياسة السادة والعبيد ، سياسة « فرق تسد » فى ثوب جديد ، قد اتبعت بعنف فى الكونغو . ان من الخصائص المميزة للموقف فى الكونغو أن الامبرياليين حاولوا أن يعطوا شبه مظهر قانونى لاعمالهم الاجرامية ، مستخدمين علم الامم المتحدة كغطاء لهذه الاعمال . ان الاغتيال الغادر لرئيس وزراء جمهورية الكونغو ، باتريس لومومبا ، وغيره من الزعماء البارزين لجمهورية الكونغو الناشئة يتضح منه ان الامبرياليين واذنابهم على استعداد لان يرتكبوا اية جريمة لتحقيق غاياتهم الحقيرة ».

وتفرد القرارات الاقتصادية لنفس المجلس بنودا هامة لتعريف الشعوب بالمدلول الحقيقى للاستقلال الاقتصادى وأهميته . وبنص هذه القرارات يدعو المجلس الى اتخاذ الاجراءات الاتية :

« ● بذل ما فى الوسع قبل كل شىء للقضاء على السيطرة الاجنبية على اقتصاديات بلادنا الافريقية الاسيوية لان هذا هو الشرط الاول والاساسى للاستقلال والتقدم . وان المؤتمر ليبرز المعنى الواضح الايجابى لتأميم البنوك وشركات التامين والمنشآت الهامة الاجنبية الاخرى ويؤكد الحق المقدس للشعوب جميعا فى التصرف فى مواردها القومية .

● بذل ما فى الوسع لتنويع الاقتصاد وذلك بتغييره من اقتصاد زراعى منتج للمواد الخام مما يجعل اقتصادنا تابعا للبلاد الامبريالية . ولتحقيق هذا لابد من التصنيع وما يتبعه .

● اتخاذ كل الاجراءات لتطوير الزراعة ، من رفع قدرة الفلاحين الشرائية ، ولتحسين ظروف حياة العمال . وأهم الاجراءات التى تتخذ لذلك هى الاصلاح الزراعى وتنمية الجمعيات التعاونية، وادخال الفنون الصناعية الحديثة فى كل النواحى.

● بذل الجهد وتدبير كل الوسائل لتنمية الصناعات الاساسية ، وذلك بالبدء من هذه القاعدة : التصنيع مفتاح تنمية الاقتصاد جميعه والشرط الاساسى لكل استقلال اقتصادى .

● تنمية التعاون بين البلدان الافريقية الاسيوية الى اقصى حد حتى يمكن لنا ان نتبوا مكانا فى السوق العالمى على قدم المساواة مع الاخرين .

● العمل من اجل الغاء القيود ذات الصفة التمييزية فى الميدان التجارى ، ذلك لانها بقية من بقايا العصر الاستعمارى وعقبة كأداء فى سبيل تقدم البلاد الافريقية الاسيويه ، والكفاح ايضا لتحقيق اثمان عادلة للمواد الاولية تتناسب مع اسعار المنتجات المصنوعة. واخيرا تطوير التبادل التجارى والفنى بين البلاد الافريقية والاسيوية وتحقيق التعاون فى تكوين الفنيين اللازمين » .

وفى الخطاب الذى القاه **المهدى بن بركة** امام مؤتمر موشى : « لاحظنا بسرور .. لغة صريحة صادقة وردت فى التقرير السياسى للسكرتير العام ، أبرزت أن الاستقلال الذى حصلت عليه بعض البلاد لم يكن غير استقلال اسمى .

« هذا هو الطابع الاساسى للاستعمار الجديد الذى يتعين علينا أن نستخلص مضمونه واساليبه العميقة حتى يمكننا ان نحبط مؤامراته بطريقة افضل .

« ان فهم حقيقة الاستعمار الجديد والدراسة الدقيقة للوسائل التى يستخدمها وعزل العناصر التى تؤيده داخل بلادنا تتطلب عملا مستمرا من الاستقصاء والتوضيح ...

« ان المسألة الاساسية فى حركتنا التحريرية الوطنية هى مسألة السلطة السياسية حتى يمكننا التحقق من أن الاستقلال وجد له تعبيرا مباشرا فى نقل حقيقى للسلطة الى الممثلين الحقيقيين للثورة الوطنية فى البلد الذى يعنيه الامر ، حتى لو اقتضى ذلك استئناف الكفاح المسلح ...

« ان الشرط الذى يجب مراعاته حتى لايؤدى الاستقلال الى قيام دولة تابعة للاستعمار الجديد هو وجود منظمة شعبية تؤمن قيادتها كل الايمان بأن كل شىء مجرد أوهام عدا السلطة السياسية

والاقتصادية . ويجب أن تتحصن هـذه المنظمة ضد اخطار الانحلال بعد الاستيلاء على السلطة ، وأن تظل يقظة ازاء مؤامرات الاستعمار وحلفائه فى الداخل ، وأن تكون على استعداد لرد ايعدوان فى اى لحظة مهما كان هذا العدوان ...

« ان واجبنا ان نتحدث بصراحة الىجماهيرنا الشعبية حتى نجنبها الاوهام المترتبة على راحة البال الزائفة ، ويتعين علينا ان ندفع وننمى لديها شعور اليقظة الذى يجعلها على اهبه الاستعـداد لمجابهة مؤامرات الاستعمار دون أن تغلق اعينهـا على ضعفنا واخطائنا » .

ويتناول مؤتمر موشى الخلافات بين أعضـاء الاسرة الافريقية الاسيوية بجدية وتفصيل اكبر، ويعلن مؤتمره الختامى : « نحن على ثقـة من أن جميع المشكلات والخلافات التى تقع فى داخـل أسرة الشعوب الافريقية الاسيوية يمكن حلها عن طريق المناقشات الإخوية وعلى أسـاس مبـادىء وروح باندونج » .

وسجل مؤتمر موشى الانتصار الذى حققتـه حركة التضامن وامتداد مبادئها لتشـمل امريكا اللاتينية ، وقرر ان يكون المؤتمر التالى مؤتمـرا لتضامن شعوب القارات الثلاث .

والى هنا يمكن تلخيص مؤتمرات التضـامن الثلاثة كما هو مبين بالجدول :

العنف الثورى فى مواجهة العنف الاستعمارى

والان ، ما هى السمة المميزة للموقف الدولى بين انعقاد مؤتمر موشى فى ١٩٦٣ ، ومؤتمر هافانا فى ١٩٦٦ ؟.

ان امعان الاستعمار الجديد فى محاولة اخضاع شعوب القارات الثلاث ، واستنزاف ثرواتهـا ، وعرقلة محاولاتها لبناء اقتصادياتها يهدف حملها على الركوع والخضوع كان كفيلا بأن يفجر مقاومة عنيفة ضد المستعمرين الجدد . وعندئذ لا يتورع هؤلاء عن اعمال وسائل القمع والبطش السافرة بشكل أشد عنفا ووحشية ممـا عرف عن اعتى المستعمرين القدامى . هكذا فرضت الحرب على شعب فيتنام الجنوبية. ومنذ أواخر ١٩٦٤ بدأت الولايات المتحدة ما يسمى بسياسة التـدرج فى الحرب الفييتنامية ــ اى توسيع رقعة العدوان ليشمل دولة مستقلة ذات سيادة هى فيتنـام الشـمالية . وفى اكتوبر ١٩٦٤ حـدث الغـزو الامريكى البلجيكى للكونغو على أيدى مرتزقةبيض مجندين من كل دول الاستعمار الجديد مجتمعة. وفى ابريل ١٩٦٥ حدث التدخل الامريكى المسلح على جمهورية الدومينيكان . وبعد ذلك بقليـل اتخذ الكونجرس الامريكى قراره العجيب الذى يخول فيه لحكومة الولايات المتحـدة الحـق فى التدخل ، باى وسيلة تراها ، لمنـع ما يسـمى بالانقلابات الشيوعية المزعومة التى قد تقع فى اى واحدة من جمهوريات امريـكا اللاتينيـة !! وفى غضون اقل من شهر حدثت خمسة انقـلابات فى بلاد افريقيةحديثة الاستقلال، كانت تذاعاخبارها فى امريكا قبل ان يعلم أهل البلاد شيئا عنهـا . وفى كنف العملاق الامريكى ، تتمـادى الـدول الاستعمارية الاخرى (مثل بريطانيا والبرتغال..) فى عملياتها العسكرية الوحشية ضـد الشـعوب المناضلة من اجل التحرر . فثمة الحربالعدوانية التى تشن ضدثوار جنوب اليمن المحتل. ثم هناك مؤامرة « اهداء » روديسيا للاقليـة العنصرية البيضاء لتشكل مع جمهورية جنـوب افريقيـا والمستعمرات البرتغالية فى جنوب القارة منطقة كاملة تقتطع من جسم افريقيا ، وتصبح قاعـدة لاعادة السيطرة الاستعمارية السـافرة على بقيـة اجزاء القارة . ويتدفق السلاح من أمريكا والمانيا الغربية الى اسرائيل ، وعدد آخر من بلادالشرق الاوسط الذى يعد للغدر بشعوب المنطقة فى ثوب

المؤتمر الاول	القاهرة (مصر)	اول يناير ١٩٥٨	اللقاء الاول والانتصارات الكبرى ــ انطلاقة القومية العربية ــ ارساء المبادىء العامة لتضامن الشعوب الافروآسيوية من اجل التحرر الوطنى والتعايش السلمى ــ تكوين الهيئة وهيكلها التنظيمى .
المؤتمر الثانى	كوناكرى (غينيا)	١٥ ابريل ١٩٦٠	(بعد جولة اولى من الخلافات) ــ انطلاقة افريقيا ــ بداية التنبيه لخطر الاستعمار الجديد .
المؤتمر الثالث	موشى (تنجانيقا)	١١ فبراير ١٩٦٣	نظرية متكاملة عن الاستعمار الجديد وكيفية مواجهته ــ امتداد حركة التضامن الى امريكا اللاتينية والدعوة لانشاء حركة تضامن القارات الثلاث ــ الخلافات تظهر على مستوى اعلى والدعوة لحلها على هدى مبادىء باندونج .

حلف جديد يحل محل حلف بغداد ـ وهو **الحلف الاسلامى** المزمع تكوينه تحت الرعاية الامريكية .

فكيف تواجه شعوب القارات الثلاث تلك الحال ؟ .

يقول نداء اللجنة التحضيرية لمؤتمر تضامن شعوب القارات الثلاث الصادر فى القاهرة فى ٢ سبتمبر ١٩٦٥ :

« ان الاستراتيجية العامة للاستعماريين الذين يدعون أن لهم الحق فى حكم العالم تشكل تحديا لبلاد القارات الثلاث . وتعتبر الهجمات العنيفة التى تشن ضد الاستقلال الوطنى ، والسيادة ، والتقدم ، والسلام ـ كما يتضح مما يجرى فى جمهورية الدومينيكان ، وفييتنام ، والكونغو ، وفلسطين ، وفى غير ذلك من البلاد ، دليلا واضحا على هذه الاستراتيجية .

« ولذلك فان هذا المؤتمر سيكون عملا جديرا بمواجهة هذا التحدى .

« ان شعوب القارات الثلاث تتبين بعمق انها فى حاجة ملحة الى ضرورة التضامن الذى يجب أن يربط بينها ، والى تنسيق النضال ضد العدو المشترك ـ الا وهو الاستعمار الامريكى » .

هكذا يضع النداء المشكلة (على بلاطة) كما يقول المثل .

ويعبر دورتيكوس ، رئيس جمهورية كوبا عن روح هافانا عندما يدعو فى افتتاح المؤتمر الى « العنف الثورى فى مواجهة العنف الاستعمارى .

كذلك لا يخفى الامريكيون نواياهم . وهم يتمادون فى تنفيذ استراتيجيتهم مستغلين الخلاف الذى وصل الى حد الانشقاق بين الصين والاتحاد السوفييتى ، وتراخى الرادع الشيوعى فى الحلبة الدولية . تقول « النيويورك تايمز » (١٤ فبراير ١٩٦٥) : « منذ أيام مشروع مارشال توسع الولايات المتحدة باستمرار نطاق التزاماتها ازاء الحكومات الاجنبية . لقد تحركنا من اوروبا الغربية الى أفريقيا ، ثم الى الشرق الاوسط والشرق الاقصى الى ان أحاطت التزاماتنا بكل ارجاء العالم . ان قواتنا المحاربة تعسكر الآن فى أكثر من ثلاثين بلدا ، ونحن مرتبطون بالدفاع عن ٤٢ بلدا ، كما أن معوناتنا تصل ـ بطريق أو آخر الى ما يقرب من ١٠٠ دولة » .

ويقول **هرمان كاهن**، وهو أحد كبار المسئولين عن توجيه السياسة الخارجية للولايات المتحدة : **« اننا نخوض الحروب الصغيرة دون قلق كبير ، لاننا تعرف اننا لن نخوض بسببها حربا كبيرة . والارجح أن الرئيس جونسون يعتقد أنه لا يحطم السفينة عندما يقذف فييتنام الشمالية بالقنابل، ولو أنه كان يعتقد غير ذلك فربما كان قد تردد» .**

ويعقب الكاتب السوفييتى كونوفالوف على هذا الكلام فى مجلة الشئون الدولية السوفييتية بقوله: « ان صانعى السياسة الامريكية يعتقدون أن عدوانهم على الشعوب الصغيرة سيمر دون عقاب، حيث لا ترغب البلاد الاشتراكية فى توسيع الحروب الصغيرة لتصبح حربا كبيرة . وذلك وهم خطير » .

ولا نجد أبلغ من « **برتراند راسل** » فى التعبير عن حقيقة التحدى الذى تواجهه القارات الثلاث . وأن كلمات هذا المناضل الكبير ، والمفكر الانسانى الفذ تحتوى من الحقائق المضيئة ، ومن البسالة والايمان ، ما يجعلنا نقتبس منها الكثير . **يقول راسل فى رسالته الى مؤتمر هافانا :**

« اصبحت الامبريالية الامريكية فى المرحلة الراهنة من التاريخ ، هى المصدر الاساسى للاستغلال والقهر فى العالم . ان الولايات المتحدة تمتلك وتسيطر على ما يقرب من ٦٠ ٪ من مصادر الثروة الطبيعية للعالم باسره ، ولا يقطنها سوى ٦ ٪ من مجموع سكانه . وذلك هو السبب الاساسى فى أن حوالى ثلثى سكان العالم يعيشون فى مستوى المجاعة . وقد خلقت الولايات المتحدة اداة حرب ليس لها نظير لحماية هذا النظام للنهب الذى لا يعرف الرحمة .

« لقد شهد التاريخ كثيرا من الامبراطوريات والانظمة الامبريالية الضارية ، ولكن لم يحدث ان امتلكت أى واحدة منها القوة التى يمتلكها امبرياليو الولايات المتحدة . ان ٣٣٠٠ قاعدة عسكرية أمريكية منتشرة فى كل أرجاء الارض لمنع ضحايا الاستغلال من مقاومة سيطرة الراسمالية الامريكية على ثروات بلادهم ومصائر شعوبهم . وخلال السنوات الثلاث الاخيرة ، كان التدخل المسلح بقوات المظليين او مشاة الاسطول ، وتدبير الاغتيالات والانقلابات، ورشوة الشخصيات العامة وافسادها ـ كانت هذه هى الخطوط العامة لسياسة الولايات المتحدة فى العالم ... ويجب ملاحظة ان الراسمالية الامريكية قد توسعت فى الانتاج الحربى الى الحد الذى اصبح يشكل ٥٠ ٪ من مجموع النشاط الاقتصادى فى الولايات المتحدة . ومن كل ١٠٠ سنت تنفقها حكومة الولايات المتحدة ، هناك ٧٧ سنت مخصصة للاغراض العسكرية . ويعقد كبار رجال الصناعة مع العسكريين عقودا كل عام تقدر بالآف الملايين من الدولارات . وكبار العسكريين يحتلون مراكز فى مجالس ادارات الشركات التى تبرم هذه العقود . هذا النظام البشع للاستغلال هو العدو الاساسى اليوم الذى يعترض طريق الرفاهية

لشعوب العالم ... وان أى انسان مطلع على الحقائق يجب أن يسلم بأن الحرب الباردة وسباق التسلح تتحمل الولايات المتحدة المسئولية عنهما .

« ان الحرب والقهر لهما تاريخ طويل فى شئون البشر ، ولا يمكن التغلب عليهما الا بالنضال . وان كنا ننشد عالما متحررا من الاستغلال والسيطرة الاجنبية ، عالما يتمتع فيه شعوب القارات جميعا بالحياة الكريمة ، عالما يسوده السلام والاخاء - فيجب أن نقاتل من أجله . هذا هو الدرس الذى تعلمنا اياه الامبريالية الامريكية ...

« ان النضال الشعبى للشعوب المتهورة سينتزع الموارد من سيطرة الامبريالية الامريكية ، ومن ثم سيقوى شعب الولايات المتحدة نفسه الذى يسعى أولا للفهم ، ثم للتغلب على حكامه القساة الذين اغتصبوا ثورة الشعب الامريكى وحكومته » .

ويضيف الفيلسوف البريطانى أن الشعب الامريكى « سيلعب يوما ما الدور الاساسى فى القضاء على الامبريالية الامريكية ، وخلق الظروف التى تكفل سلاما دائما » . وينتقد « الخنوع الضعيف اللاأخلاقى للسيطرة الامريكية الذى لا يجدى ولا يمكن أن يحتمله انسان يحترم آدميته » .

ويقول (ايضا) : « ولو كان الاتحاد السوفييتى بدافع من رغبته فى اقرار السلام ، وهو أمر يخمد عليه ، يحاول ان يكسب ود الولايات المتحدة بالحد من أو حتى بمعارضة النضال من أجل التحرر الوطنى والاشتراكية ، فانه لن يمكن تحقيق السلام أو العدالة » .

وايا كان التقييم الموضوعى للراى الوارد فى الفقرة الاخيرة ، الا انه راى يتبناه فريق له وزنه فى صفوف القوى المناضلة ضد الاستعمار ، وهو أمر لابد وأن يجد تعبيره فى هافانا . وان كانت الصين تجاهر بهذا الرأى صراحة وتجعل منه المادة الاولى فى دعايتها ضد الاتحاد السوفييتى ، فان الانتقادات الموجهة للسياسة السوفييتية كثرت فى الفترة الاخيرة حتى خارج الصين . ان الكثيرين يتطلعون الى مواقف أكثر ايجابية وحسما . ولعل الوحدة بين كافة القوى المناضلة ضد الاستعمار هى الضمان الوحيد لذلك . وفى هذا تتحمل جميع الأطراف نصيبها من المسئولية .

المشكلة الاولى اليوم

واذا انتقلنا من المبادىء العامة الى المشكلات الخاصة فان الحديث يطول . ولكن لابد من التعرض للمشكلة الاولى فيما بينها ، بل المشكلة الاولى فى جدول أعمال كل عواصم العالم . ونعنى بها **مشكلة فيتنام** .

ان حصاد حوالى عشرة أعوام من التدخل الدموى فى فيتنام الجنوبية ، وأكثر من عام من التدرج اى توسيع الحرب بالغارات الجوية على فيتنام الشمالية - لم يجلب للمتدخلين الامريكيين حتى الان سوى مزيد من الهزائم . وفى اعتقادنا أن التعبئة التى يقوم بها العسكريون الامريكيون لاكثر من ٢٠٠ الف مقاتل ، وأكثر من عشرة الاف مليون دولار لمعارك العام الجديد - كل هذا لن يجلب الا مزيدا من الهزائم . وهذا تقدير الامريكيين انفسهم . وهو ما يدفع جونسون لاعلان أن الولايات المتحدة امامها فى فيتنام حرب قد تمتد سنوات عديدة اخرى .

هذا من الناحية العسكرية .

أما من الناحية السياسية ، فالثابت ان امريكا قد اندفعت الى ربط ما يسمى بهيبتها فى آسيا ، بل وفى العالم كله ، بمصير الحرب الفيتنامية .

وهذا صحيح الى حد كبير . فان شعوب شرقى آسيا وجنوب شرقها التى تعانى من كابوس الضغط والتدخل الامريكى وما يصحبه من صراعات اجتماعية ومجاعات وأزمات اقتصادية خانقة ، قد بلغت بها المحنة حدود الاستماتة . ولن تكون اتمام الهزيمة لامريكا فى فيتنام الا اشارة البدء لسلسلة من الانهيارات تصيب صرح النفوذ الامريكى فى المنطقة ، وسيمتد أثر ذلك الى بقية أجزاء العالم .

وعلى ذلك ، ومن وجهة النظر الامريكية ، فلابد من المضى فى الحرب حتى هزيمة قوى الثورة فى فيتنام واخضاع الشعب الفيتنامى بأى ثمن وبأى وسيلة . ومن ثم التفكير فى **توسيع رقعة الحرب** لتشمل شبه جزيرة الهند الصينية كلها مع **التوسع فى اعمال أسلحة الدمار الشامل** . وان كانت الولايات المتحدة قد لجأت الى الاف الغارات الجوية مع استخدام النابالم والغازات السامة ، فان العسكريين وغلاة المتطرفين فى أمريكا يدعون صراحة الى استخدام السلاح الذرى ، ويرتبط بكل هذا بالتفكير فى توجيه ضربات انتقامية خاطفة للمراكز العسكرية والصناعية فى الصين . هذا هو احتمال المغامرة واليأس فى الاستراتيجية الامريكية . وهو احتمال قد يجر العالم بأسره الى أتون الحرب الذرية . فالارجح - ان لم يكن من المؤكد - أن السوفييت فى هذه الحالة لن يقفوا مكتوفى الايدى . **وفى تعليق نشر اخيرا لوالتر ليبمان ، عميد المعلقين السياسيين الامريكيين ، يحذر الكاتب الامريكى الكبير من الاغراء الذى يداعب الرئيس الامريكى والعسكريين الامريكيين بالاشتباك فى حرب مع الصين ، ويذكرهم بالمصير الذى أنتهى اليه هتلر وعسكريوه حين استجابوا لاغراء الهجوم على الاتحاد السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية .**

والاحتمال الاخر هو أن تكون الولايات المتحدة راغبة فى وضع نهاية لحربها فى فيتنام ، ولكن بشكل « لا يهدر الكرامة الامريكية الى النهاية » . وهذا يعنى أنهاء الحرب بشكل يضمن للامريكان ابقاء موطىء لقدم (على طريقة مسمار جحا) يسمح لهم بمعاودة الهجوم المضاد فى مستقبل قريب . وفى اعتقادنا أن ما يسمى (بحملة السلام الامريكية) الاخيرة ، المحاطة بكل وسائل الدعاية والاعلان انما تهدف الى ذلك — فأن فشلت فانها تكون قد ادت دورها فى تخدير الرأى العام العالمى والامريكى والتمهيد لمزيد من التدرج فى الحرب ، أى توسيعها — وهى الخطة التى ما تزال لها الارجحية .

ومن الطرف الاخر يقف الشعب الفيتنامى ، فى الشمال والجنوب ، بصلابة وشجاعة نادرتين ، رافضا اية حلول وسط لا تضمن اجلاء الجنود الامريكيين جميعا عن فيتنام الجنوبية ، وترك الفيتناميين يقررون مصيرهم ، ويوحدون بلادهم بأنفسهم . وما يزال الموقف الرسمى لكل من السوفييت والصينيين يؤيد هذا الموقف الفيتنامى الواضح . والى جانب الموقف البطولى الرائع للمقاتلين الفيتناميين ، هنالك الموقف السياسى والدبلوماسى البارع لقيادتهم السياسية التى تضمن تأييد الصينيين والسوفييت معا ، وتحظى منهما — على الرغم من خلافهما — على كثير من المعونات المادية والادبية البالغة الاهمية .

وفى مواجهة مايسمى «بحملة السلام الامريكية» يصر الصينيون على تجاهلها ورفضها ، والاكتفاء بفضح نفاقها وطابعها العدوانى من بعيد . غير أن السوفييت يتعقبون الحملة الامريكية بحملة مضادة ، ولا يستبعدون — فى ذات الوقت — امكان حمل المتدخلين الامريكيين على الانسحاب من فيتنام ، وهم تحت وطأة الهزيمة العسكرية والضغط العالمى وسخط الرأى العام الامريكى نفسه . ويأخذ الساسة الفيتناميون من كل من الموقفين بالقدر الذى يحتفظ بالتوازن المعلق بشعرة دقيقة ، وذلك باعمال فيض من الحكمة والبسالة .

وعلى اية حال ، فان التقليل من شأن ما يسمى بحملة السلام الامريكية ليس من الحكمة فى شىء . وحتى لو كانت أهدافها تضليلية خالصة فان من الصعب انكار اثرها على الراى العام فى الغرب على الاقل . وانا لنشهد كيف ان القادة الفيتناميين يدركون هذه الحقيقة ويعملون على ضوئها . وهاهم — عند كتابة هذه السطور — يلتقطون الكرة ، ويقبلون الاتصال المباشر بمندوبين عن الولايات المتحدة فى احدى العواصم التى لها علاقة بالطرفين .

ولعل النجاح الذى احرزه السوفييت فى طشقند يساعدهم فى مساعيهم السلمية لحل المشكلة الفيتنامية . واذ يقابل كوسيجين نائب الرئيس الامريكى هيوبرت همفرى فى نيودلهى — ويذهب شيليبين يصحبه قائد سلاح الصواريخ السوفييتى الى هانوى ثم الى بكين ، فان القادة السوفييت يحاولون الاخذ بقدر من الحركة الدبلوماسية وقدر من الضغط العسكرى لكى يحلوا المعادلة الصعبة التى يتطلع العالم الى حلها ، ولعلها تساعدهم فى لم شمل المعسكر الذى طالما دان لهم بالزعامة واسلم لهم القياد ، وان يعودوا — كما كانوا منذ عشر سنوات — القوة الرادعة التى ترتكن اليها القوى المناهضة للاستعمار ، وليعلموا الامريكيين الخوف من تحول الحروب الصغيرة الى حرب كبيرة تكون فيها نهاية المعتدين .

وتدل الاخبار التى وصلت حتى كتابة هذه السطور على ان مؤتمر هافانا يتخذ موقفا اجماعيا فى تأييد شعب فيتنام ، وكشف اية مناورات تقوم بها الولايات المتحدة لاجهاض نضاله البطولى .

ولا شك ان قرارات المؤتمر واعمال لجانه ستكون وثائق سياسيه وفكرية بالغة الاهمية . انها قمة الفكر الثورى المعاصر دون جدال وان الامل كبير فى ان يكون انعقاد مؤتمر هافانا ، ونجاحه المحقق ، نقطه انطلاق لموجه ثورية جديدة ، تغسل آثار الموجة المحافظة التى تشكلت من مواكبه ضغط الاستعمار الجديد وحركة اليمين فى العالم الثالث ، والتى سادت عام ١٩٦٠ (٢) .

وان كنا قد ركزنا هنا الجانب السياسى ، فليس ذلك الا لانه الجانب المتفجر الملح . وان كانت المخاطر السياسية والضغوط العسكرية الاستعماريه تهدد الوجود الفعلى لغالبية الدول الناشئة فى القارات الثلاث اليوم ، فان الضغوط الاقتصاديه مع صعوبات البناء والانفجار السكانى قد لا تجلب المجاعة الشاملة الى غالبية دول العالم الثالث الا فى عام ١٩٨٠ ، وان كنا قد بدانا بالفعل نجابه سلسلة من المجاعات المتفرقة هنا وهناك ، وبخاصة فى آسيا كما ان وضع اليد على المشكلات السياسية ، وتعبئة شعوب القارات الثلاث لمواجهة مخاطر الاستعمار الجديد هى فى ذات الوقت تعبئة لطاقاتها الكامنة من اجل التغلب على مشكلاتها الاقتصادية المتفاقمة . ان ماتعانيه هذه الشعوب من ضائقة تبلغ حد الاختناق ليس الا احدى نتائج سيطرة الاحتكارات الراسمالية الغربية على النسبة الغالبة من مصادر الثروة ، والخبرة الفنية ، والتجارة العالمية

(٢) انظر مقالنا عن المجتمع الدولى عام ١٩٦٥ — الطليعة عدد يناير ١٩٦٦ .

تجربة من بولندا

يختلف التطبيق الاشتراكى بين بلد وآخر طبقا للظروف الخاصة المميزة لكل منها، الا ان تبادل الخبرات يكسب الفكر الثورى ثراء وغزارة ، ويمده باتساع الافق والقدرة على مواجهة المشاكل المثارة باعظم مستوى من الفاعلية واقل قدر من التضحيات .

ومن هنا تبدو اهمية استعراض التجارب الاشتراكية المعاصرة فى مجالات نشاطها المختلفة وهو ماتحرص الطليعة على متابعته بصورة اكثر انتظاما .

الملكية الخاصة للأرض والزراعة الاشتراكية



فؤاد الدهان

من اعقد وأهم المشاكل التى تجابه الاشتراكية فى مختلف مراحل بنائها مشاكل التطور الفنى والاجتماعى للزراعة ، وتتميز كل تجربة من تجارب البناء الاشتراكى بأساليب متميزة من هذه الناحية . واساس الاختلاف ان المجابهة الاشتراكية للمشاكل الزراعية لابد وأن تأخذ فى الاعتبار ظروف الواقع الوطنى وتطوره التاريخى فى نواحيه الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية .

ولبولندا فى مجابهة مشاكلها الزراعية تجربة خاصة جديرة بالدراسة ، وهى تجربة لا يمكن فهمها فى وضعها الصحيح الا على ضوء الواقع البولندى الذى نبعت عنه ، وهى تهدف مثل اى تجربة أخرى الى توفير الظروف التى تسمح فى نفس الوقت بتطوير العلاقات الاجتماعية مع تطوير الانتاج الزراعى مما يكفل الغاء الاستغلال ورفع المستوى المعيشى ، وتركز النظرة البولندية على أن مراعاة الظروف الوطنية الواقعية هى التى تكفل أن يسير الهدفان فى خطين متوازيين غير متعارضين .

وتبلغ مساحة الاراضى المزروعة فى بولندا – بخلاف الغابات والمراعى – حوالى ١٦ مليون هكتار (١) وهى موزعة وفقا لاحصاء ١٩٦٥ على الوجه الاتى :

---

(١) الهكتار = ٢٫٤ فدان .

● ملكية خاصة مساحتها ١٣ر٥ مليون هكتار وتمثل ٨٥ر٤ ٪ من مجموع الاراضى المزروعة ، ويبلغ انتاجها ٨٨ر٤ ٪ من مجموع الانتاج الزراعى .

● ملكية تعاونية تشمل ١٦٨ الف هكتار تمثل ١ ٪ من الاراضى المزروعة ، ويبلغ انتاجها ١ ٪ من الانتاج الزراعى الكلى .

● ملكية دولة تشمل حوالى ٢ر١ مليون هكتار تمثل ١٣ر٦ ٪ من الاراضى المزروعة وتنتج ١٠ر٦ ٪ من الانتاج الزراعى الكلى .

من خلال هذه الارقام يتضح أن الملكية الخاصة هى الشكل السائد فى ملكية الاراضى الزراعية فى بولندا ، الا انه ترتبط بهذا التقسيم لانواع الملكية مجموعة من الاجراءات والاساليب التنظيمية التى تهدف الى ضمان واستمرار تطور كل من الانتاج والعلاقات الانتاجية الاشتراكية وهذه الاساليب ترتبط بالظروف المميزة للواقع الزراعى البولندى كما ترتبط بتطور النظرة البولندية فى مجابهة المسالة الزراعية .

قضيــة الارض والاصلاح الزراعى

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ومع تأميم الصناعة ووسائل النقل والبنوك وتجارة الجملة والتجارة الخارجية طبقت الحكومة البولندية نظاما للاصلاح الزراعى يهدف الى تصفية بقايا العلاقات الاقطاعية التى كانت سائدة قبل الحرب والى اعادة البناء والفنية الاقتصادية فى ظل ظروف جديدة . وقبل تطبيق الاصلاح الزراعى كان القطاع الزراعى يتميز بالخصائص الاتية :

● كانت بولندا قبل الحرب من أشد دول أوربا تخلفا سواء من حيث مستوى التصنيع ومن حيث نوع العلاقات التى كانت سائدة فى الزراعة . كان الانتاج الزراعى يمثل ٦٨ ٪ من مجموع الانتاج ، ومن حيث توزيع الملكية الزراعية كان ٠ر٦ ٪ من كبار الملاك يمتلكون ٤٤ ٪ من الاراضى الزراعية مقابل ٦٥ ٪ من صغار الملاك (أقل من ٥ هكتار) مجموع ملكياتهم ١٥ ٪ من الارض . وكانت الزراعة فى مجموعها بدائية وانتاجيتها ضعيفة .

● وجود نسبة كبيرة من السكان العاطلين او شبه العاطلين فى الريف . (٦٥ ٪ من السكان يعيشون على الزراعة قبل الحرب) ووفقا لدراسات معهد الادارة العامة فى بولندا كان يمكن لنصف سكان كثير من المناطق الزراعية ان يهجروها دون ان يتأثر الانتاج الزراعى . الا انه كان من المستحيل على اكثرهم ان يجدوا عملا خارج الزراعة مما كان يضطرهم الى العمل اليومى والموسمى بأجور بائسة لدى كبار الملاك . وفى ظل انخفاض قيمة العمل الانسانى وسيادة الاشكال الاقطاعية فى علاقات العمل لم يهتم كبار الملاك باستخدام الاساليب الحديثة فى الزراعة .

● تفتت الملكيات الزراعية الصغيرة ، فكانت ٥٥ ٪ من الملكيات تقل مساحتها عن ٥ هكتار ، مما منع أيضا استخدام الاساليب الفنية الحديثة ، وفى الوقت الذى كان فيه ثمن الارض الزراعية كبيرا بسبب استحواذ الاقطاع على اغلبها كان ريعها ضعيفا بسبب عدم توافر الامكانيات الفنية .

● مستوى انتاجية التربة البولندية ضعيف وفى ظل الظروف المناخية والجغرافية السائدة فان فترة الانبات قصيرة ولا يمكن للارض أن تغل أكثر من محصول واحد فى السنة .

● تاثرت الزراعة بالتدمير الواسع الذى تعرضت له بولندا خلال الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت اشد البلاد تاثرا بها وبلغت خسائرها وحدها ثلث الخسائر التى تعرضت لها جميع الدول المتحالفة كما فقدت أكثر من ٦ ملايين شخص ، واتلفت الحرب جانبا كبيرا من منشئاتها الثابتة وأراضيها الصالحة للزراعة .

فى ظل هذه الظروف طبقت بولندا نظاما للاصلاح الزراعى عام ١٩٤٤ بموجبه تمت تصفية الملكيات الزراعية الكبيرة وبقايا العلاقات الاقطاعية فى الريف . فصودرت الملكيات التى تزيد مساحتها على ٥٠ هكتارا فى المحافظات الواقعة فى المناطق الوسطى والشرقية من بولندا و ١٠٠ هكتار فى محافظات المنطقة الغربية ، وتم هذا التحديد حتى يكفل عدم المساس بأراضى الفلاحين التى يستغلونها حتى ولو كان استغلالهم لها بالطرق الرأسمالية . أما الملاك المنزوعة ملكياتهم فقد سمح لهم بتملك مزارع صغيرة فى مناطق أخرى وبشرط الالتزام بزراعتها بانفسهم . وباضافة الاراضى المستردة من المانيا فى غرب بولندا الى الاراضى المنزوعة ملكيتها بموجب قانون الاصلاح الزراعى أمكن توزيع حوالى ٦ ملايين هكتار استفاد منها اكثر من مليون فلاح ، منهم حوالى ثلاثة ارباع مليون مالك جديد والباقون من صغار الملاك الذين تمكنوا من توسيع ملكياتهم . وترتب على تطبيق الاصلاح الزراعى وتهجير السكان من المناطق المزدحمة الى الاراضى المستردة تغير كبير فى البناء الزراعى من حيث توزيع الملكية ومن حيث توزيع السكان والعمل . ومع تطبيق الاصلاح الزراعى الشأت

الدولة « هيئة مساعدة الفلاحين» مهمتها مساعدة صغار الملاك فى الحصول على ما تحتاجه اراضيهم من مواد وقروض ، واشرفت الهيئة على توزيع الحبوب والمخصبات ثم ساهمت فى انشاء شبكة من الجمعيات التعاونية ، المخصصة لبيع المنتجات الزراعية وشراء ما يلزم الفلاحين . وقد استمرت هذه الهيئة فى عملها مدة ١٢ عاما حتى حل محلها عام ١٩٥٩ « صندوق التنمية الزراعية » وان استمرت تعاونيات التسويق التى أنشأتها الهيئة فى عملها .

وقد خصص جانب من الاراضى المنزوعة ملكيتها لاستغلالها بمعرفة الدولة أو بواسطة المدارس الزراعية والمعاهد العلمية والاجتماعية . الا أن هذا الجانب المخصص للملكية العامة لم يكن كبيرا ولم يزد عن ١٣ر٦ ٪ من مجموع الاراضى المزروعة حتى عام ١٩٦٤ .

تطور التعاون الزراعى

فى خلال العشر السنوات التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية كان التركيز اساسا على سياسة التصنيع الكثيف ، واستخدمت الامكانيات المحدودة التى كانت متوفرة من أجل اعادة البناء وتوسيع القاعدة الصناعية كأساس للتوسع التالى فى جميع المجالات الاخرى . وتميزت هذه المرحلة ايضا باتجاه واسع النطاق نحو الهجرة من الريف الى المدينة حيث تفتحت مجالات العمل بسبب التوسع الصناعى واتساع حركة البناء . وقد عجزت امكانيات هذه المرحلة عن توفير الاستثمارات اللازمة للزراعة مما أدى الى اهمال الاحتياجات الاساسية للقطاع الزراعى من أدوات انتاج ومواد بناء وكيماويات . وقد ترتب على هذا بطبيعة الحال انخفاض كبير فى معدل التنمية فى هذا القطاع ، بل وانخفض الانتاج الزراعى انخفاضا ملحوظا خلال السنوات ١٩٥١/٥٣ مما هدد التوازن العام فى عملية التنمية الاقتصادية وظهور اتجاه نحو التضخم وانخفاض عائد العمل ، مع ارتفاع مطرد فى الطلب على المنتجات الزراعية فى المدن .

فى ظل هذه الظروف الأقتصادية كانت السياسة الزراعية فى بولندا تقوم خلال العشر السنوات الاولى بعد الحرب على محاولة تعديل البناء الزراعى عن طريق تحويل الزراعات الخاصة المفتتة الى الزراعة الجماعية والتعاونية . وكانت هذه النظرة تستند الى أن العائق الاساسى الذى يقف فى وجه التطور الزراعى هو عائق اجتماعى ناشىء عن تفتت الملكيات الزراعية . فقد كان ٩٠ ٪ من مجموع الانتاج الزراعى ناتجا عن المزارع الخاصة الصغيرة ، وكان يوجد حوالى ثلاثة ملايين ونصف مزرعة من هذا النوع ، والمتوسط العام لمساحة المزرعة حوالى ٨ر٤ هكتار . فهذا التفتت يجعل من الصعب استخدام الوسائل الفنية الحديثة فى الزراعة وتحقيق اى توسع راسى فيها وهو التوسع الممكن الوحيد فى بولندا نظرا لان جميع الاراضى القابلة للزراعة مستخدمة بالفعل . وقد ركزت الجهود بالفعل طوال هذه الفترة على انشاء التعاونيات وعلى حمل الفلاحين على الانضمام بأراضيهم اليها ، حتى بلغ عددها فى عام ١٩٥٦ حوالى عشرة الاف مزرعة تعاونية .

وقد اصطدمت الزراعة التعاونية بعوائق ضخمة نابعة عن الواقع الاقتصادى والزراعى والاجتماعى فى بولندا .

ففى ظل التأخر التقليدى للزراعة البولندية المتوارث عن ظروف ما قبل الحرب الذى جعلها تفتقر الى جميع الوسائل اللازمة لتطوير الزراعة (أكثر من نصف المزارع كانت لا تمتلك احصنة اطلاقا وجميعها بغير جرارات أو آلات حديثة) كانت الاستثمارات مركزة على بناء القاعدة الصناعية الجديدة ، وكانت عاجزة عن سد احتياجات الزراعة الجماعية الواسعة . فكانت التعاونيات تنشأ ثم لا تجد أمامها الا نفس الامكانيات المتخلفة التى كان يستخدمها الفلاح بمجهوده الفردى . وقيام الزراعة الجماعية على نفس الاساليب الفنية المميزة لمرحلة الاقطاع كان يحمل تناقضا كبيرا ويجعل منها نظاما كريها فى نفوس الفلاحين الذين يفضلون بطبيعة الحال استغلال مجهوداتهم ووسائلهم المحدودة فى زراعاتهم الصغيرة التى لا يشاركهم فيها أحد . ونتيجة لسلبية الفلاحين وما نتج عنها من صعاب ومعوقات فى اساليب الادارة وفى اقتصاديات التعاونيات كانت الدولة تقدم لها معونات مالية لتمكنها من الاستمرار ، وكانت هذه المعونات تمثل عبئا غير انتاجى على عاتق الاستثمارات . وزاد من هذه الصعاب وضاعف من سلبية الفلاحين ان الاجهزة الادارية المحلية كانت تعمد بكافة الوسائل الى انشاء التعاونيات دون اعتبار للرغبات الحقيقية للفلاحين وبأسرع مما كانت تسمح به الظروف . ولقد ترتب على هذا انخفاض هائل فى الاستثمارات التى كان يمكن للفلاحين أن يقدموها من امكانياتهم الخاصة دون أن يتيسر تعويضها عن طريق الاستثمارات العامة .

والزراعة البولندية تتميز بطابع خاص ناشىء عن ظروفها المناخية ونوع تربتها وهو انها تقوم أساسا على تحويل المنتجات النباتية الى منتجات حيوانية مما يجعل اللبن والبيض واللحوم تمثل حوالى ٧٠ ٪ من دخل المزرعة ، ويعطى للمنتجات الحيوانية الاهمية الاولى فى التجارة وبالتالى فى علاقة الفلاحين بالاقتصاد الاشتراكى المخطط ،

ومما يؤثر تأثيرا كبيرا أيضا فى تنظيم العلاقات داخل التعاونيات . ولقد كان النظام السائد فى التعاونيات هو أن تتم الزراعة بطريقة جماعية فى حين تظل تربية الحيوانات فردية . ولو أن الاحصاءات كانت تبين ان ٧٩ ٪ من التعاونيات كان يوجد فيها تربية جماعية للحيوانات الا ان الواقع يبين أن حوالى نصف الحيوانات فى كل من هذه المزارع كان يمتلكه ويحتفظ به بصفة فردية أعضاء المزرعة فى حظائرهم الصغيرة الخاصة . والسبب أن وسائل التربية الحديثة تستلزم استثمارات واسعة كان من الصعب توفيرها على نطاق واسع ، ومن ناحية أخرى فان التربية الفردية تعتمد على ساعات عمل غير محسوبة يقوم بها العضو مع عائلته كما تعتمد على فائض الطعام لدى كل عضو وهى عناصر يتعذر حسابها عند تنظيم العلاقة بين المزرعة وأعضائها . ولقد ترتب على هذا الوضع أن أصبح العنصر الثانوى فى انتاج التعاونيات وهو الحاصلات يتم جماعيا بينما استمر العنصر الاساسى الذى تعتمد عليه وهو تربية الحيوانات يسوده الطابع الفردى ، وبهذا انفصلت الزراعة عن التربية انفصالا مصطنعا وأصبح من اللازم ايجاد روابط مفتعلة للربط بينهما من جديد ، وهى روابط معقدة كانت تعرقل الانتاج بدلا من ان تساعده . فالعلف الذى تقدمه المزرعة الى الفلاح الصغير والاسمدة العضوية التى يقدمها الاعضاء الى المزرعة كانت تمر خلال نظام حسابى معقد بين المزرعة وكل من اعضائها ومثار نزاعات لا تنتهى داخل الجمعية . وهكذا لم تنجح بولندا خلال هذه المرحلة فى خلق وحدات اقتصادية اجتماعية جديدة نتيجة لمجرد ضم المزارع الصغيرة الى بعضها ، واتضحت من خلال هذه التجربة حقيقة أساسية وهى أنه لنجاح الزراعة الاشتراكية لابد أولا من تحويل الاقتصاد الوطنى بما فى ذلك الزراعة الى مستوى يسمح باستخدام الاسس الفنية للانتاج الحديث الواسع النطاق وبقطع الصلة نهائيا بأساليب الزراعة الاقطاعية .

ولقد كانت هذه الظروف من ضمن العوامل الاساسية التى أدت الى الازمة السياسية والاقتصادية التى تعرضت لها بولندا عامى ١٩٥٦/٥٧ . وقد اعترفت اللجنة المركزية لحزب العمال البولندى المتحد فى قرارات دور انعقادها الثانى عشر بأنه « قد ترتب على الاخطاء التى ارتكبت فى مجال السياسة الزراعية توقف التطور الزراعى وخاصة خلال سنوات ٥١/٥٣ بسبب الاعباء الثقيلة التى حمل بها الريف ، وعدم تزويد المزارع تزويدا كافيا بوسائل الانتاج وانتهاك مبدأ الانضمام الاختيارى عند انشاء التعاونيات الانتاجية وسيادة الاساليب الادارية البيروقراطية فى ادارتها وعدم الثقة فى الادارة الذاتية للفلاحين» واعتبارا من ١٩٥٦ رسمت خطوط جديدة للتطوير الزراعى تقوم على زيادة الاستثمارات فى مجال الزراعة وفى الصناعات المخصصة لتوفير وسائل الانتاج الزراعية ، وتخفيض بعض الاعباء الملقاة على الزراعة لصالح الدولة ، واحترام مبدأ حرية الفلاحين فى اختيار الاساليب الادارية والعمل على توفير الظروف التى تطور حوافزهم الذاتية ، وعلى ان تطوير العلاقات الاشتراكية فى الزراعة يجب أن يسير فى الاتجاه الذى يضمن زيادة الانتاج الزراعى لا عرقلته ، مما جعل الخط الجديد يعارض أى محاولة لفرض تحول اشتراكى فى الزراعة لا يكون معتمدا اعتمادا كليا على مجهودات وحوافز الفلاحين انفسهم ، على اعتبار أن مثل هذه المحاولات لن تؤدى الا الى فرملة التطور الزراعى والاساءة الى المجالات الاقتصادية الاخرى ، ولا يمكن للفلاحين أن يقبلوا ذاتيا عن حرية واقتناع الاستغلال الزراعى التعاونى والجماعى الا اذا كان فى وسع المجتمع أن يوفر لهذا الاستغلال أرقى الاساليب الفنية فى الزراعة ، وأن يوفر للقوى العاملة الفائضة فى الريف مجالات عمل مناسبة خارج الزراعة . عندئذ لن يصبح الاستغلال الجماعى محققا لمصلحة عامة فحسب بل وبصفة أساسية محققا لمصلحة أكبر لكل فلاح على حدة.

ولقد ترتب على أزمة ١٩٥٧ وعلى الخط الجديد المتبع فى السياسة الزراعية اختفاء الجانب الاكبر من المزارع التعاونية واسترداد الفلاحين لاراضيهم . وأصبح القطاع التعاونى يمثل ١ ٪ فقط من مجموع المساحات ويشمل ٠٫٤ ٪ من عدد الملاك . وأصبح القطاع الاشتراكى فى الزراعة قاصرا تقريبا على مزارع الدولة .

أساليب جديدة للتنمية الزراعية

أصبحت المزارع الفردية الصغيرة تمثل القوة الاساسية فى الاقتصاد الزراعى البولندى وتقدم حوالى ٩٠ ٪ من مجموع الانتاج الزراعى ، لذلك تبذل بولندا عناية كبيرة نحو اتباع الاساليب التى تكفل عدم ظهور الاتجاهات الرأسمالية الفردية فى الزراعة من ناحية وتقضى على النتائج الاقتصادية الضارة المترتبة على تفتيت الاستغلال الزراعى من ناحية أخرى . وتتبع الدولة فى هذا الشأن أساليب التعاقد بينها وبين الفلاحين الذى تلتزم بموجبه الدولة أن تقدم القروض للفلاحين من أجل شراء الحبوب والاسمدة والعلف وغيرها مقابل أن يقوم الفلاح ببيع كمية محددة من ناتجه الى الهيئات الحكومية . وهو نوع من أنواع المشاركة (المزارعة) بين الفلاح الفردى وبين الدولة ويؤدى

الى ربط الفلاح بالاقتصاد الاشتراكي المخطط ، وهو يقوم على الموافقة الاختيارية للفلاح بالنظر الى ما يحققه له من خدمات فى الانتاج وفى نقل الحاصلات . وهذا النظام التعاقدى هو خلاف نظام التسليم الاجبارى الذى لا زال قائما بالنسبة لبعض الحاصلات وبنسب محددة مثل الحبوب بنسبة ١٠ ٪ والبطاطس بنسبة ٦ ٪ وحيوانات الذبح بنسبة ١٧ ٪ ، وتقل أسعار التسليم الاجبارى عن سعر السوق . أما المنتجات الاخرى مثل اللبن والبيض والخضر والفواكه فانها تباع اما فى السوق الحرة او بواسطة التعاقدات الاختيارية مع الحكومة بالسعر المتعاقد عليه . وهكذا تشرف الدولة على الانتاج الزراعى وتعمل على تطويره عن طريق الاجراءات الاقتصادية وبصفة خاصة عن طريق سياسة التسعير . وقد أبقت بولندا على السوق الحرة من اجل ايجاد الدافع لدى الفلاحين من أجل زيادة انتاجهم ، **فكل فائض يحققونه زيادة عما هو متعاقد عليه يمكنهم بيعه فى السوق الحرة التى تزيد اسعاره على اسعار الحكومة عادة** . ووفقا لاخر احصاء فأن حوالى ٨٥ ٪ من مجموع المنتجات التى يبيعها الفلاحون تصل الى السوق عن طريق الشبكة التجارية التابعة للقطاع العام ، وثلثا هذه الكمية يتم تسويقها عن طريق الجمعيات التعاونية التجارية التى تغطى جميع القرى . وكذلك تزود هذه الجمعيات الفلاح بحوالى ٦٠ ٪ من وسائل انتاجه وحاجيات استهلاكه . وبالرغم مما يحدث كثيرا داخل هذا النظام من اوجه الخلاف والشكوى حول تحديد سعر ومرتبة الحاصلات الا انه يهدف اساسا الى مساعدة المنتج الصغير وسد الطريق امام اى توسع لمصالح رأسمالية استغلالية .

وفى سبيل القضاء على النتائج الضارة المترتبة على تفتت الاستغلال الزراعى الذى يحول بطبيعته دون امكان استخدام الوسائل الفنية الحديثة فى الزراعة ، طبقت بولندا فى السنوات الخمس الاخيرة طرقا جديدة تعتمد على تنظيمين جديدين مكملان لبعضهما هما « صندوق التنمية الزراعية » من ناحية و « دوائر الفلاحين » من ناحية أخرى .

وصندوق التنمية الزراعية عبارة عن حساب تدفع فيه الحكومة الفرق بين اثمان الحاصلات المسلمة اليها اجباريا وبين ثمن السوق الحر . وقد انشىء هذا الصندوق عام ١٩٥٩ وقبل انشائه كان الفرق بين السعرين يدخل ضمن الاستثمارات العامة فى ميزانية الدولة . اما بعد انشائه فقد اصبح هذا الفرق يعود الى الفلاحين عن طريق الصندوق لا على الاساس الفردى ولكن كملكية جماعية لهم . وتتم توزيع حصيلة الصندوق على مختلف المناطق الزراعية وفقا للنسبة التى حصلت من كل منها عن طريق الفرق فى أسعار كمية الحاصلات التى سلمتها اجباريا الى الدولة . ففى كل عام يقوم البنك فى ميعاد سداد قيمة الحاصلات الى الفلاحين باضافة مبلغ معين الى حساب خاص مفتوح لكل قرية على حدة وهذا المبلغ يساوى الفرق بين قيمة الحاصلات التى سلمتها اجباريا محسوبا على أساس سعر السوق الحر وسعر التسليم . ويوضع المبلغ تحت تصرف القرية بالشروط الاتية :

- ان يستخدم فى شراء ادوات الانتاج وبصفة خاصة الجرارات والالات الزراعية .

- أن يدفع الفلاحون نسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٥ ٪ من قيمة الالات المشتراه .

- أن تقوم فى القرية المستفيدة « دائرة للفلاحين » تكون هى المسئولة عن ادارة هذه الالات المملوكة ملكية اشتراكية .

ولقد ادى هذا التنظيم الجديد الى وقف الاتجاه الذى كان قد بدأ منذ عام ١٩٥٦ نحو الغاء نظام التسليم الاجبارى للحاصلات . اذ أنه اصبح يسمح بتخصيص الاستثمارات اللازمة لتوفير الوسائل الفنية الحديثة فى الزراعة مع توفير الاحساس لدى الفلاحين بأن هذه المخصصات هى ناتج عملهم الذى يعود اليهم مما يدفعهم الى تقبل الاسعار المخفضة للتسليم الاجبارى والى زيادة انتاجهم .

وتقوم دوائر الفلاحين بالاشراف على هذه الوسائل الانتاجية الحديثة . ودوائر الفلاحين هى تنظيمات فلاحية كانت موجودة فى بولندا منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وقد كان عددها قبل الحرب العالمية الاخيرة عشرة الاف دائرة تشمل ٢٥٠ الف عضو ، ولقد أصبحت قائمة حاليا فى ٣٣ الف قرية من مجموع قرى بولندا التى يبلغ عددها ٤٠ الف قرية . ولقد كان عملها الاساسى قبل الحرب هو تقديم الارشادات الزراعية وكانت مجالا للصراع الحزبى بين مختلف الاحزاب . وقد اعيد انشاؤها فى بولندا فى عام ١٩٥٧ وحلت بعد اعادة انشائها محل اتحاد المساعدة المتبادلة للفلاحين وهو التنظيم الذى كان قد أنشىء اثر صدور قانون الاصلاح الزراعى .

وقد ادى انشاء « دوائر الفلاحين » الى تشجيع حركة كانت قد بدأت فى القرى من قبل وتهدف الى تجميع الفلاحين فى مجموعات من اجل شراء الالات لمنافسة الافراد الذين كانوا يمتلكون الالات فى بعض القرى ويستغلون الفلاحين عن طريق تأجيرها لهم . وقد بلغ عدد الجماعات التى انشئت من هذا القبيل ٦ الاف جماعة حتى ١٩٥٩ ، ولكن لم ينجح منها فى شراء الالات الا ٧٠٠ جماعة ،

اما بعد انشاء صندوق التنمية الزراعية فلقد توفر لدى الدوائر الزراعية حتى نهاية عام ١٩٦٣ حوالى ٢٨ الف جرار فى مقابل ٤٣ ألف جرار تمتلكها مزارع الدولة .

ويقوم تنظيم الدوائر الزراعية على أساس الاختيار الحر للفلاحين الذين لهم ان ينضموا لها أو يرفضوا الانضمام اليها . وينتخب الاعضاء مجلس ادارتها ، الذى يشرف على جميع أعمالها ، دون أن يحصل على أجر مقابل عمله ، وتسعى الدولة الى تنظيم جميع الملاك فى هذه الدوائر الا ان عدد اعضائها حتى الان حوالى ٤٠٪ فقط من مجموع المزارعين . وفى الدائرة الزراعية التى زرتها فى قرية بجوار كراكوف اسمها كجيشكوفيتزى كان عدد الاعضاء ٦٠٪ من ملاك القرية ، وبسؤال الفلاحين غير الاعضاء اجابوا صراحة انهم يخشون من أن تتحول هذه الدوائر الى مزارع جماعية فى المستقبل ، فيفضلون بالتالى الاستغناء عن خدماتها تعبيرا عن معارضتهم لاى شكل من أشكال الزراعة التعاونية . وكان يوجد فى المركز خمس تراكتورات لخدمة ٣٣٨ الف هكتار . وتؤجر الدائرة الالات مقابل ايجار محدد عن الساعة والقيمة الايجارية للاعضاء أقل منها لغير الاعضاء ويكون للاعضاء الاولوية فى استخدامها . وتستلم الدائرة كل عام الحصيلة التى تعود اليها من صندوق التنمية وهذه الحصيلة تشمل الناتج عن جميع القرية بما فى ذلك ناتج أراضى الفلاحين غير الاعضاء . وفى المنطقة الداخلة فى مجال عمل الدائرة كان يوجد مزرعة حكومية لا تمتلك آلات وتقوم باستئجارها من الدائرة . وتقوم الدائرة أيضا بنقل حاصلات الفلاحين وتحقق من وراء ذلك ربحا الا أنه لا يوزع ويستخدم فى شراء الالات الجديدة . وقد اقام فلاحو القرية ناديا اشتركوا فى بنائه وفى التبرع لانشائه ويضم مكتبة وتليفزيون وقاعة للاجتماعات .

وفى كل مركز يوجد اتحاد للدوائر الزراعية التابعة له ويتبعه مشرف زراعى يقوم بتقديم الارشادات ويشرف على عمل الدوائر . وتوزع حصيلة صندوق التنمية الزراعية بنسبة ٧٠٪ للدوائر الزراعية فى القرى و ٢٠٪ للاتحاد فى المركز و ١٠٪ تخصص للاستثمار فى الصناعات المنتجة للالات الزراعية .

ومن الاهداف التى يسعى اليها هذا التنظيم عن طريق تطوير الاستخدام الالى فى الزراعة هو أن تؤدى الى تحديد استخدام الاحصنة اللازمة فى ظل الاستغلالات الزراعية الصغيرة . ويبلغ عدد الاحصنة فى بولندا رقما كبيرا وهى تستهلك مقدارا هائلا من العلف يمكن توفيره لصالح تربية المواشى والدواجن خاصة وأن بولندا من البلدان المستوردة للعلف . ولكن التوقعات فى هذا الشأن كانت أكثر من الحقيقة نظرا لان الفلاح يحس باستقلاله أكثر باستخدام الاحصنة ، بالاضافة الى أن الالات وقطع الغيار لم يمكن توفيرها بعد بالكميات اللازمة وبالاضافة الى نقص الخبرات الفنية التى يمكنها تغطية جميع الاحتياجات وهذا بالرغم من المجهودات الضخمة التى تبذل فى هذا السبيل .

ولقد أصبح من حق الدوائر الزراعية ان تحصل من الحكومة على اراض تستخدمها فى انبات الحبوب وفى زراعة المحاصيل الصناعية وفى تربية الماشية . والنسبة المملوكة لها حتى الان لا زالت ضئيلة وتبلغ ٦ر. ٪ من مجموع الاراضى الزراعية .

وهكذا يبدو واضحا أن الهدف من تنظيم الدوائر الزراعية وتمليكها الالات الحديثة المستخدمة فى الزراعة الخاصة هو رفع انتاجية المزارع الصغيرة وخلق مراكز فيها للتراكم الاشتراكي ونشر الوعي لدى الفلاحين فى صالح الزراعة الاشتراكية وتفوقها على أساليبهم التقليدية فى الزراعة . وهى تقوم بهذا الهدف جنبا الى جنب مع مزارع الدولة التى تقوم على اساس استخدام أحدث الاساليب ، وتنتج حوالى ١٠٪ من مجموع الانتاج الزراعى باستخدام ٥٪ فقط من مجموع قوة العمل المستخدمة فى الزراعة . وبالرغم من انه يتضح من الاحصاءات ان متوسط انتاجية الهكتار فى أراضى الدولة يقل عن المتوسط فى المزارع الخاصة ، الا ان هذا يرجع فى الحقيقة الى ان اراضى الدولة كانت تشمل أكثر من مليون هكتار من الاراضى التى دمرت تماما بسبب الحرب والتى كانت تستلزم لاصلاحها استثمارات واسعة . ومن ناحية أخرى فبينما كان متوسط الزيادة فى المنتج النهائى ٢٤٪ بالنسبة للمزارع الخاصة خلال العشر السنوات السابقة فلقد بلغ هذا المتوسط فى مزارع الدولة ٥٨٪ سنويا . ومزارع الدولة فى بولندا تقوم بدور حقل التجارب فى الزراعة الاشتراكية فى النواحى الفنية والتنظيمية . وقد سار تنظيمها على أسس اللامركزية التى تعطى للمدير المسئوليات الكاملة ، وهى تدار على نفس الاسس التى تقوم عليها المصانع من حيث اشتراك مجالس العمال فى تحمل أعباء الادارة ومن حيث أنظمة الاجور والمكافآت التى ترمى الى كفالة الحوافز الذاتية لدى العاملين . فيوجد فى كل مزرعة صندوق للعمال يوزع جانب منه نقدا ويخصص الباقى للخدمات الاجتماعية ، ويتكون الصندوق من ٣٠٪ من صافى ربح المزرعة بالاضافة الى ١٠٪ من مقدار الزيادة فى الميزانية عن السنة السابقة و ٥٪ من مقدار الزيادة فى كمية السلع المنتجة عن السنة السابقة .

حركة التاريخ المصرى

من إعلان وثيقة حقوق الإنسان ١٧٩٥



حتى ثورة عرابى ١٨٨١

حسنى عبد السيد رمضان

فى عام ١٨٨١ شهدت مصر اياما من اروع ايام كفاحها الثورى ضد التدخل الاجنبى الاستعمارى والحكم المطلق الذى زاوله افراد اسرة « محمد على » بعد أن نجح هذا المغامر فى تكوين ملك وراثى له ولاسرته فى البلاد . ونعنى بايام الكفاح مرحلة الثورة العرابية التى كانت مظاهرة سبتمبر مقدمة لها . وهنا يتبادر الى الذهن سؤال لابد من الاجابة عليه ، ولو اقتضى ذلك الرجوع الى « الوراء » زمنيا من تتبعنا لحوادث التاريخ وهو هل كانت الثورة العرابية اول ثورة فى تاريخ الشعب المصرى على الحكم المطلق والتدخل الاجنبى ؟ »

أو بعبارة أخرى هل صحيح ما يذكره بعض الكتاب والمؤرخين الغربيين من أمثال **بلنت** في كتابه «التاريخ السرى للاحتلال البريطاني لمصر» حين يقول: «وعلى الرغم من الاضطهاد الفظيع الذى هم (أى المصريون) ضحيته لم نسمع كلمة واحدة ثورية وليس ذلك ناشئا عن أنهم يقدسون حكامهم تقديسا خرافيا بل لان الثورة ليست فى طبائعهم اكثر مما هى فى طبائع قطيع من الغنم» (١) ؟ .

وتفريعا على ذلك ترتبط نظرة الكثرة الغالبة من المؤرخين الغربيين بموضوع آخر وهو ان الشعب المصرى عاش طيلة تاريخه خانعا مستسلما لم يقو يوما على رد الظلم او مقاومة العدوان وان أول بوادر يقظته كانت من صنع اوربا ايام أن جاءت الحملة الفرنسية تحمل معها بذور مدنية قوية خلاقة طورتها الثورة الفرنسية الى مبادىء تهدف الى تحرير الانسان . وان هذه الحملة هى التى ايقظت المصريين من ثباتهم وخلقت فيهم الشعور بالعزة والكرامة ومع فضل الاوربيين على الشعب المصرى من هذه الناحية كانت الثورة العرابية فى نظرهم حركة تعصب اعمى ضد كل ماهو اوربى اتسمت بضيق الافق اكثر مما اتسمت بتبلور ارادة التغيير لدى هذا الشعب .

وساعد على انتشار هذه الافكار وغيرها ان تاريخ الشعب المصرى لم يكتب فى كثير من مراحله الا من خلال ما توحى به مصالح الحكام والملوك أصحاب السلطة السياسية والاقتصادية فى البلاد تلك السلطة التي تستطيع ان تغرى حينا وان ترهب احيانا اخرى ومن أجل ذلك مر كثير من الكتاب والمؤرخين مرورا عابرا على صفحات مشرفة من تاريخ هذا الشعب المعلم ارضاء للطغاة الذين كانوا يعتبرون الشعب كما مهملا وأفراده عبيد احساناتهم . وفى ذلك يقول الميثاق الوطنى : «ان أجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطنى على غير حقيقته وصور لها الابطال فى تاريخها تائهين وراء سحب من الشك والغموض بينما وضعت هالات من التمجيد والاكبار حول الذين خانوا كفاحها» .

وفى موضع آخر يقول **الميثاق** «كانت ثورة أحمد عرابى قمة رد الفعل ضد النكسة» .

ويصبح لزاما على الباحث اذن ان يتتبع مراحل اليقظة المصرية حتى انتكاستها حتى يكون البحث واضح المقدمة متكامل الحلقات مما يستدعي الوقوف أمام الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨

وهنا نجد الميثاق يرد على أمثال بلنت ويفتح آفاقا جديدة للبحث حين يقول «ولم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية فى ذلك الوقت ـــ كما يقول بعض المؤرخين ـــ فان الحملة الفرنسية حين جاءت الى مصر وجدت الازهر يموج بتيارات جديدة تتعدى جدرانه الى الحياة فى مصر كلها . كما وجدت أن الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة والذى كان يفرض عليه دون ما مبرر حقيقى تصادما بين الايمان الدينى الاصيل فى هذا الشعب وبين ارادة الحياة التى ترفض الاستبداد ، ولقد وجدت هذه الحملة مقاومة عنيفة لسيطرة المماليك وتمردا مستمرا على محاولاتهم لفرض الظلم على الشعب المصرى ، وبرغم ان هذه المقاومة العنيفة والتمرد المستمر قد كلفا شعب مصر غاليا فى ثروته الوطنية وفى حيويته فان الشعب المصرى كان صامدا ثابت الايمان» .

والواقع ان الشعب العربى فى مصر رغم ثقل وطأة الاحتلال العثمانى الذى اتخذ من الدين ستارا له ـــ استطاع ان يحتفظ بمقومات شخصيته ولم يخدع ببريق الدعاية العثمانية بل كافح سيطرة الاتراك كفاحا متواصلا تنهض دليلا على ما كان عليه الشعب من يقظة قومية ترفض الاستبداد وتأباه .

وسنحاول فيما يلى بيان مدى ما كانت عليه يقظة الشعب العربى فى مصر ايام الاحتلال العثمانى مدعمة بالادلة التاريخية المستقاة من تاريخ **الجبرتى** على سبيل المثال لا الحصر :

● حدث فى سنة ١٦٧٥ م أن اختارت الدولة العثمانية لحكم مصر واليا عثمانيا هو **احمد باشا الدفتردار** ، واحس الناس فى القاهرة انه يريد فرض ضرائب جديدة بمساعدة صديق له يدعى **عبدالفتاح افندى الشعراوى** فما كان من الشعب الا أن هاجم الشعراوي على اعتبار انه المحرض الاول للوالى وكان مصيره النقل وزحفت جموع الشعب الى القلعة وطالبت بعزل الوالى دون الرجوع الى السلطان العثمانى فلم يسع احمد باشا ازاء ما فرض عليه الشعب من حصار الا ان يؤمن السلامة ويسلم نفسه للشعب واعتزل الحكم (٢) .

وان دلت هذه الثورة على شيء ، فانما تدل على يقظة الشعب الذى ثار على الاستبداد العثمانى عندما قرر الوالى فرض ضريبة لم يقرها ممثلون

---

(١) الجزء الاول من العدد ٦٩ من طبعة لجنة اخترنالك ص ٤٦

(٢) دراسات فى تاريخ الجبرتى تاليف محمود الشرقاوى ص ٣ ص ١٢ .

من الشعب ولا يختلف هذا عند المنصف عن المبدأ الذى نادى به الامريكيون بعد ذلك بنحو مائة عام تحت شعار لا ضرائب بدون تمثيل .

● وعندما شعر الشعب العربى فى مصر ان شبح المجاعة يخيم على البلاد ومخازن الحكومة مكدسة بالغلال ، ثار ثورة عارمة اسقط فيها ممثل الدولة العثمانية **على باشا خازندار سنة ١٦٩٥** وتمكن الشعب من الحصول على ارزاقه من مخازن الحكومة فكانت ثورة ذات ملامح اجتماعية موجهة ضد الاحتكار الذى كانت تزاوله السلطات العثمانية (٣) .

● وفى يناير سنة ١٧٨٦ اى قبل الثورة الفرنسية بثلاث سنوات — قاد **الشيخ الدردير** حركة المقاومة ضد المماليك ونادى لاول مرة فى تاريخ مصر الحديثة بما يشبه نداء احمد لطفى السيد الذى اطلقه فى اوائل القرن العشرين ((**مصر للمصريين**)) .

وتفصيل ذلك ان احد أمراء المماليك **حسن بك شفت** هاجم دار مواطن مصرى يدعى **احمد سالم الجزار** ونهب الامير المملوكى دار هذا الشيخ فتجمع أهل الحسينية وخرجوا الى الازهر مقر المقاومة الشعبية ضد استبداد الاتراك والمماليك وبسط الاهالى شكواهم على الشيخ **احمد الدردير** الذى شجع الثوار وانضم اليهم وقرر ان يقوم الشعب بمهاجمة بيوت امراء المماليك ونهبها ، فلما راى **ابراهيم بك** مدى ما وصل اليه الشعور الشعبى من غليان بعث وهو من كبار المماليك الى الشيخ الدردير يتوسل اليه للعدول عن موقفه متعهدا برد كل ما نهب من دار المواطن المصرى وبذلك اتقى المماليك شر غضب الشعب(٤)

● **وثيقة حقوق الانسان سنة ١٧٩٥** : فى هذا العام شكا بعض فلاحى **بلبيس** من زيادة الضرائب التى فرضها **محمد بك الالفى** عليهم فغضب شيوخ الازهر وعلى راسهم **الشرقاوى وعمر مكرم والشيخ السادات** واجتمع الجميع فى منزل الشيخ السادات واقفلت المتاجر وعقد الشعب العزم على الثورة فلما وجد كل من مراد وابراهيم ان الامور قد تحرجت نزلا الى العلماء ووقعا وثيقة تعتبر اول وثيقة لحقوق الانسان فى الشرق الاوسط فى العصور الحديثة وتنص على ما يلى :

● **عدم زيادة الضرائب على السكان .**

● **احترام ممتلكاتهم .**

● **ان ترفع المظالم ويكون الحكم للقانون فى البلاد**

● **أن يتوخى الحاكم العدالة فى سيرته وان يكون منفذا امينا للقانون (٥) .**

مما سبق يتضح لنا صحة ما جاء بالميثاق مدعما بالادلة التاريخية من أن الحملة الفرنسية لم تكن هى التى خلقت اليقظة القومية فى الشعب العربى فى مصر .

وثمة ادلة اخرى من حوادث الحملة الفرنسية ذاتها . اذ كيف نفسر مقاومة الشعب للفرنسيين فور نزولهم الى الاسكندرية حتى جلائهم عن البلاد اذا كان الشعب خلوا من اليقظة القومية ؟.

الجواب عن ذلك انه كان من المنتظر فى هذه الحالة ، ان يترك الشعب امر الدفاع عن البلاد الى حكامها من الاتراك والمماليك وان يلزم هو جانب الاستسلام خصوصا وان الفرنسيين اذاعوا فور وصولهم انهم يريدون تخليص البلاد من ظلم المماليك ولكن الحقيقة باعتراف الفرنسيين انهم وجدوا مقاومة عنيفة بالاسكندرية ، قادها احد أبنائها وحاكمها فى ذلك الوقت وهو **السيد محمد كريم** الذى كبد المحتلين الفرنسيين خسائر فادحة والمماليك بالقاهرة لم يتحركوا بعد ، ورغم ثناء نابليون على السيد محمد كريم وابقائه حاكما على الاسكندرية الا أن بطل الاسكندرية اتخذ من هذه الثقة وسيلة لتنظيم المقاومة الشعبية خلف خطوط الغزاة حتى فطن اليه الفرنسيون واعدموه رميا بالرصاص فى ميدان القلعة فى اليوم السادس من سبتمبر سنة ١٧٩٨ .

والمتتبع لحركة المقاومة المصرية للفرنسيين فى القاهرة والاقاليم يستطيع أن يكون صورة واضحة عن الوعى القومى فى البلاد ذلك الوعى الذى احال حياة الفرنسيين فى مصر الى جحيم لا يطاق حتى اضطروا فى النهاية الى الجلاء سنة ١٨٠١ .

فبعد اقل من اربعة شهور من الاحتلال اشتعلت الثورة فى القاهرة وكان ذلك فى ٢١ اكتوبر سنة ١٧٩٨ واظهر الفرنسيون من عنف المقاومة ماجعل **نابليون** يسلط مدافعه على الازهر مركز قيادة الثورة والاحياء المجاورة له فى وحشية اسفرت عن تدمير المنازل واحراقها ودفن آلاف الشهداء تحت

---

(٣) نفس المصدر ص ٣ ص ١٣ .
(٤) دراسات من تاريخ الجبرتى تاليف محمود الشرقاوى ص ٣ ص ١٨ .
(٥) نفس المصدر ص ٣ ص ١٤ — ١٥ .

الانقاض .. ومع ذلك لم يكن اخماد الثورة فى القاهرة فاتحة عهد جديد للاحتلال الفرنسى ينعم فيه بالاستقرار اذ اشتعلت الثورة فى جميع انحاء البلاد مما كبد الفرنسيين خسائر فادحة فى الرجال والعتاد منها ما كان سابقا لقيام ثورة القاهرة ومنها ما حدث اثناءها أو كان لاحقا لها .

واندلع لهيب الثورة فى القليوبية والجيزة والبحيرة واعدم الفرنسيون **الشيخ سليمان الشواربى** شيخ بلدة قليوب ، واحرق الفرنسيون قرية **القطا** التابعة لمركز امبابة وقرية **علقام** التابعة لمركز كوم حمادة ولما حاول الفرنسيون ترتيب دوريات لحماية مواصلات الجيش الفرنسى رفض البحارة المصريون تقديم اية مساعدة لجنود الاحتلال أما فى **المنوفية والغربية** فقد اشتركت النساء الى جانب الرجال فى المقاومة ولمع نجم ابناء الشعب المعلم من الفلاحين والعمال فى قيادة حركة المقاومة فظهر البطل **أبوشعير** فى قريةعشما مركز شبين الكوم ذلك الزعيم الذى أراد **الجنرال لانوس** الفرنسى مفاوضته على الاستسلام فأجاب ابوشعير باطلاق النار على المعتدين واستشهد فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٧٩٨ وعد الفرنسيون اختفاء أبى شعير من مسرح المقاومة الشعبية نصرا كبيرا لهم اذ اعترف الجنرال لانوس فى رسائله لبونابرت ان هذا البطل الشعبى ما كان يمكن قهره لولا ان هاجمه الفرنسيون على غرة وكان منزله ترسانة حربية بالنسبة لاحوال البلاد فى ذلك الوقت اذ كان به ثلاثة مدافع وعدد كبير من البنادق .

وفى **المنصورة ودمياط** وجد الفرنسيون عنفا كبيرا فى اخماد الثورة ، حتى قال ريبو احد مؤرخى الحملة الفرنسية فى هذا الصدد (كان الجنود يعملون فى اخماد الثورة باطلاق النار على الفلاحين وفرض الغرامات على البلاد من الثورة كانت كحية ذات مائة رأس كلما أخمدها السيف والنار من ناحية ظهرت من ناحية اخرى اقوى واشد مما كانت فكأنها كانت تعظم ويتسع مداها كلما ارتحلنا من بلد لاخر).

ويذكر التاريخ كذلك صفحات رائعة منالبطولة والفداءبطلها **حسنطوبار** شيخ بلدة المنزلة من كل من المنزلة ودمياط حتى اضطر نابليون الى تجريد حملتين عسكريتين للقضاء على مقاومة حسنطوبار ذلك المجاهد الذى اقضى مضجع الفرنسيين واستحق من مواطنيه لقب « حسن طوبار الكبير الذى حارب الفرنسيس » .

هذا عن المقاومة فى الوجه البحرى أما عن المقاومة فى الوجه القبلى فقد يبدو للذهن انها كانت مقاومة المماليك ولكن الواقع أن نابليون استطاع القضاء على قوة أمراء المماليك ولكنه لم يستطع اخماد نار المقاومة الشعبية التى زاد من قوتها صعوبة المواصلات وبعد الجيش الفرنسى عن مراكز قيادته فى القاهرة وجلد اهل الصعيد وصبرهم علىطول مدة النضال. ومن المعارك التى دارت رحاها فى الصعيد معركة **سيدمنت الجبل** غرب بحر يوسف بمحافظة بنى سويف فى السابع من اكتوبر سنة ١٧٩٨ كبد فيها الاهالى الذين كانوا يظاهرون قوات مراد بك الفرنسيين اكثر من ثلاثمائة قتيل .

وفى قرية **القفاعى** بمركز ببا محافظة بنى سويف اشاد **الجنرال ديزيه** بشجاعة بكل فدائى من أهل القرية هاجم معسكر الفرنسيين فى ١٧ ديسمبر سنة ١٧٩٨ ليستولى على بعض البنادق وتوزيعها على زملائه من الفدائيين القرويين لمقاومة قوات الغزو .

ولعل اكبر خسارة منى بها الجيش الفرنسى فى الحملة على الصعيد تلك الهزيمة التى اوقعها به الاهالى فى قرية نجع البارود على الشاطىء الشرقى للنيل جنوبى قنا حيث تمكن الاهالى من الاستيلاء على ١٢ سفينة حربية فرنسية وفى مقدمتها السفينة ايطاليا والحق الشعب بالفرنسيين فى هذه المعركة خسارة جنيمة تقدر بنحو خمسمائة قتيل وكان ذلك فى ٣ مارس سنة ١٧٩٩ .

وتوجت القاهرة كفاح الشعب حينما شبت ثورة القاهرة الثانية فى ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠. بقيادة عمر مكرم والسادات والشيخ الجوهرى من العلماء واحمد المحروقى ومصطفى البشتيل من التجار ، وترجع اهمية ثورة القاهرة الثانية الى التوقيت الذى بداها فيه الشعب اثناء انشغال كليبر بحرب الاتراك العثمانيين فى معركة عين شمس واستمرت الثورة رغم هزيمة الاتراك وبذل المصريون جهدا كبيرا فى الدفاع عن انفسهم فاقاموا فى ظرف اربع وعشرين ساعة معملا للبارود فى الخرنفش وآخر لاصلاح الاسلحة والمدافع كما اقاموا مصنعا لصنع القنابل وصب المدافع جمع له الشعب الحديد من المساجد والحوانيت وتفانى العمال فى العمل فى هذه المصانع التى اقامتها الثورة وشهد بذلك المسيو مارتان احد مهندسى الحملة الفرنسية حين قال (لقد قام سكان القاهرة بما لم يستطع احد أن يقوم به من قبل فقد صنعوا البارود وصنعوا القنابل من حديد المساجد وأدوات الصناعوفعلوا ما يصعبتصديقه ،ذلك أنهم صنعوا المدافع)

وظلت القاهرة تقاوم حتى ٢١ ابريل سنة ١٨٠٠! أى بعد قتال مرير استمر نحو ثلاثة وثلاثين يوما لم يجد كليبر فى نهايتها بدا من أحراق المدينة ولم يكتف بذلك بل فرض على اهلها غرامة حربية فادحة وبالغ فى فرض الضرائب على زعماء الثورة مثل السادات والمحروقى والجوهرى أما الحاج مصطفى البشتيلى فقد اعدمه الفرنسيون .

ويخطىء من يظن ان المماليك دافعوا عن البلاد بالروح التى دافع بها اهل البلاد عن وطنهم وليس ادل على ذلك من ان مراد الذى شد الشعب ازره ضد الفرنسيين فى الصعيد كان يفاوض كليبر . والثورة فى القاهرة مشبوبة الاوار — على حكم الصعيد تحت حماية فرنسا ولما تم الصلح بينهما على هذا الاساس فى ٥ ابريل سنة ١٧٩٩ اشار مراد على الفرنسيين بحرق القاهرة حتى يتسنى للفرنسيين اخماد الثورة بها .

من هذا العرض السريع يتجلى لنا صدق ما جاء بالميثاق مدعما بالادلة فى ان اليقظة القومية فى مصر لم تخلق من فراغ وانما كانت موجودة فقط قبل مجىء الفرنسيين الغزاة الى ارض الوطن وكان الشعب المعلم قاعدتها والازهر مركز الاشعاع الذى يغذى هذه الحركة وينميها .

على ان الحملة الفرنسية جاءت معها بزاد جديد لطاقة الشعب الثورية فى مصر فى ذلك الوقت . جاءت ومعها لمحات من العلوم الحديثة التى طورتها الحضارة الاوربية بعد ان اخذتها من غيرها من الحضارات وفى مقدمتها الحضارة الفرعونية والعربية .

ومما هو جدير بالذكر ان اليقظة الشعبية بعد طول تمرسها فى الكفاح ضد الفرنسيين استطاعت ان تفرض نفسها على تطور الحوادث .

الزعامة الشعبية وتولية محمد على

مر بنا كيف كانت المقاومة الشعبية من أهم عوامل فشل الحملة الفرنسية وجلاء قوات الغزو الفرنسية سنة ١٨٠١ واصبح الموقف السياسى بعد الجلاء صراعا بين الاتراك من جهة والمماليك — يناصرهم الانجليز — من جهة أخرى ، على الاستئثار بحكم مصر لاستغلال شعبها ولم يدر بخلد أية قوة من هذه القوى المتصارعة ان الشعب الذى كافح فى سبيل جلاء الفرنسيين سيفرض نفسه على الحوادث التى طورها وفق ما كان يريد .

ذلك ان قوى الشعب لم يعد فى الامكان تجاهلها وبعد ان عرفت قدر نفسها وادركت قدراتها واهمية الدور الذى قامت به من أجل تخليص البلاد من الفرنسيين فى الوقت الذى توالت فيه هزائم الاتراك والمماليك .

واضطرت انجلترا الى الجلاء عن البلاد سنة ١٨٠٣ بعد أن تركت فى مصر عملاءها يمثلهم فريق من المماليك بزعامة شخصية قوية شخصية محمد بك الالفى وظلت انجلترا تتحين الفرص للتدخل فى شئون البلاد اما بتوطيد نفوذ عملائها من المماليك فى حكم البلاد واما بالتدخل المباشر فى شئونها .

أما الاتراك فقد ظنوا انهم اصحاب البلاد الحقيقيين بحكم تبعية مصر للخلافة العثمانية وان الوقت قد حان فى نظرهم لحكم مصر حكما تركيا خالصا لصالح قواد الجيش التركى فى الوقت الذى رأى فيه المماليك انهم اصحاب المصالح الحقيقية فى حكم مصر وانهم تحملوا فى سبيل جلاء الفرنسيين من التضحيات اكثر مما تحمله الاتراك وان الاتراك لم يكن لهم صوت مسموع فى حكم مصر قبل مجىء الفرنسيين ومادام الجلاء قد تحقق فيجب ان يعود الحكم الى المماليك كما كان قبل مجىء الفرنسيين

ولم يضع كلا الطرفين فى حسابهما تضحيات الشعب صاحب البلاد ، فى سبيل التخلص من الاستعمار الفرنسى او ان الشعب المصرى سيطالب بحقه فى تصريف أمور بلاده ، ولم يشذ عن ذلك الفهم الا شخصية محمد على احد قادة الاتراك الذى جاء من قوله جنديا مغامرا ثم ما لبث ان اصبح قائدا من قواد الدولة . رأى محمد على ان يتفق مع المماليك ضد الاتراك وفى الوقت نفسه صار يتودد لزعماء الشعب تنفيذا لمخطط سياسى مكيافيللى خلاصته ضرب العناصر الطامعة فى مصر بعضها ببعض ، وتكوين جبهة شعبية تشد ازره فى هذا الكفاح حتى تحين الفرصة ويصفو له أمر مصر دون منازع .

وفى هذه المرحلة يرى الباحث نفسه امام افكار جديدة دلت على مدى تطور الفكر السياسى فى مصر تطورا قوميا مبكرا حينما نادى المعلم (**يعقوب حنا**) بضرورة استقلال مصر وذلك بعد رحيله مع الفرنسيين .

ومهما كان من اختلاف المؤرخين فى أمر المعلم يعقوب ودوافعه وتعاونه مع الفرنسيين أثناء اقامتهم فى مصر فان مشروعه الذى عزم على عرضه فى اوربا يمثل تطورا كبيرا فى نضج الفكر السياسى القومى لدى المصريين ، وقد عرض المعلم يعقوب حنا على قائد البارجة الانجليزية القبطان « **جوزيف ادموندس** » تفاصيل مشروعه لاستقلال مصر وكان « ادموندس » ينقلها الى وكيل البحرية الانجليزية مما يدل على اهمية شخصية المعلم يعقوب .

وكانت آراء المعلم يعقوب تتلخص فى ان حكم الاتراك والمماليك لم يكن يوما يهدف لصالح الشعب المصرى وان تعاونه مع الفرنسيين كان من أجل تخفيف آلام بنى وطنه من جراء الاحتلال الفرنسى ، وكان يعقوب يرى ان تستقل مصر بضمانة الدول الاوربية على ان تلتزم مصر المستقلة فى سياستها بسياسة الحياد فتصبح بوضعها الحيادى المستقل عاملا من عوامل تخفيف حدة التوتر الدولى هذا فضلا عن ان مصر المحايدة المستقلة بما لها من

موقع فريد ستكون موانيها وتجارتها وانتاجها من اكبر عوامل الرخاء لدول اوربا.وكان المعلم يعقوب يرى ان يحكم مصر احد ابنائها ليرعى مصالحها ويوفر لها امنها ورخاءها واختتم حديثه لقبطان الباخرة الانجليزية بأنه يتكلم باسم المصريين جميعا مسلمين واقباط . على ان مشروع المعلم يعقوب لم يقدر له ان يرى النور لوفاة صاحبه فى عرض البحر قبل وصول سفينته الى الشواطىء الفرنسية

أما عن الوضع الداخلى فى البلاد فقد رأينا كيف حاول محمد على التودد لزعماء الشعب ومناصرة المماليك ضد الاتراك وفق مخطط خاص يرمى الى تصفية هؤلاء وهؤلاء والاستئثار بحكم مصر .

وبدأ محمد على فى تنفيذ سياسته فحرض جنده على المطالبة برواتبهم المتأخرة واحالهم على البرديسى لاحراجه فما كان من البرديسى الا أن بدأ بفرض الضرائب الثقيلة على الشعب . فضج الناس بالشكوى،وبايعاز من محمد على نزل جنده الى الشوارع يتوددون الى العامة ويقولون لهم ان رواتب الجند ليست على الشعب وانما على الحكومة . ومن هنا بدأ الشعب يلتف حول محمد على ويتحول سخطه على حكومة المماليك بزعامة البرديسى واتجهت الانظار الى البرديسى على أنه جلاء الشعب وهتف الشعب هتافات تدل على مبلغ ما وصل اليه من ضيق عقب التضحيات التى بذلها فى صراعه ضد الفرنسيين والتى لم يعد فى طوقه بعدها الاستجابة لجشع أمراء المماليك الذين كانوا يريدون مع مطلع كل يوم مزيدا من الاموال فكانت هتافات الشعب **((ايش تاخد من تفليسى يابرديسى))** خير معبر عن حالة البلاد فى ذلك الوقت وحاصرت جموع الشعب الثائرة قصر البرديسى فاضطر الى الفرار ، وهكذا بضربة سياسية ميكيافيلية كسب محمد على حب الشعب وكشف أمامه حكم المماليك

وبعد هذه الحوادث آل أمر البلاد الى الوالى التركى **احمد خورشيد** ولكنه عاود طريقة المماليك فى فرض الضرائب فلجأ الشعب الى الازهر وكان من أبرز زعمائه فى ذلك الوقت السيد عمر مكرم نقيب الاشراف وفى ١٢ مايو سنة ١٨٠٥ اجتمع مكرم بحشود الشعب الغاضبة التى صارت تهتف هتافات مدوية كلها سخط على العثمانيين ((**يارب يا متجلى اهلك طائفة العثمانلى**)) وعقد الشعب وزعماؤه مؤتمرا تاريخيا أسفر عن مطالبة الوالى العثمانى بما يأتى :

- عدم فرض ضريبة الابموافقة العلماءوالاعيان
- جلاء الحاميات العسكرية الى الجيزة على الا يدخل منها جندى بسلاحه الى القاهرة .
- عودة المواصلات بين القاهرة والصعيد .

ومما يدعو الى العجب ان الوالى حينما رفعت اليه مطالب الشعب هالته هذه الجراة من الفلاحين الذين كانوا فى نظره مجموعة من « الاكداس والاكوام » لا حقوق لهم ولا كرامة .

ولما وصل الى الشعب وزعمائه رفض الوالى التركى مطالبهم قرروا خلعه وتولية محمد على الذى كان يتظاهر بولائه للقوى الشعبية وكان ذلك القرار التاريخى فى ١٣ مايوم سنة ١٨٠٥ الا ان الوالى التركى حينما بلغه النبأ قال ((**اننى معين بخط شريف فلا انزل بأمر الفلاحين**)) .

ولم يكن احمد خورشيد موفقا فيما ذهب اليه ، ذلك انه جرح كرامة الشعب الذى صمم على تنفيذ قراره بالقوة فبدأت مرحلة الكفاح المسلح بين الشعب والوالى الذى اعتصم بالقلعة .

ومما هو جدير بالذكر ان عمليات الحصار والقتال التى استمرت من ١٣ مايو حتى ٥ اغسطس سنة ١٨٠٥ كانت عمليات شعبية لم يشترك فيها جند محمد على الا اشتراكا رمزيا اذ وقع عبء المقاومة كله على الشعب المصرى الذى حاصر القلعة حصارا شديدا وتبادل اطلاق النار مع الجند النظاميين وظهر فى خضم تلك المعارك التى خاضتها قوى الشعب العاملة زعماء من العمال قادوا الكفاح بوطنية صادقة وروح عالية امثال **المعلم حجاج الخضرى** شيخ طائفة الخضرية بالقاهرة وساعد عمر مكرم الايمن فى العمليات الحربية ضد الوالى العثمانى اذ تمكن حجاج الخضرى من الاستيلاء على قافلة مكونة من خمسين جملا كانت تحاول دخول القلعة محملة بالذخائر والمؤن لتخفيف الضغط على الوالى العثمانى كما ظهر كذلك **المعلم شحته** كبير طائفة الجزارين الذى استطاع تجنيد اعداد كبيرة من ابناء الاحياء الشعبية المجاورة لمهاجمة الوالى المعزول من قبل الشعب وتشديد الحصار عليه .

وظل الحصار مضروبا حول الوالى حتى اضطر الى النزول عن كرسيه بالقلعة بأمر الفلاحين من افراد الشعب المعلم .

ومع ذلك فالشعب الكريم استضاف احمد خورشيد فى منزل عمر مكرم بعد ان اصبح لاحول ولا قوة له وظل مقيما فى منزل عمر مكرم نحو خمسة ايام حتى خرج الى ساحل بولاق ومنها بالسفينة الى الاسكندرية .

وهكذا تمكن الشعب من فرض رأيه وارادته وولى محمد على بارادته وبشروط دستورية تضع اسس السيادة الشعبية على الحكومة من أجل التغيير الى حياة افضل .

وذلك حينما قال العلماء لمحمد على ــ لقد

اخترناك واليا علينا بشروطنا — وهى الا تبرم امرا الا بموافقتنا فجاءت هذه الشروط مؤكدة حق الشعب فى اختيار حكامه وفق ارادته ،ولم يكن تفكير الشعب فى ذلك متأخـرا عن احـدث النظريات السياسية بشأن قيام الدولة فى اوربا كما جاء فى افكار جون لوك الانجليزى وجان جاك روسو الفرنسى . هذا فضلا عن ان تولية محمد على بهذه الصورة دون الرجوع الى اوامر السلطان كان سابقة خطيرة تحمل فى طياتها مظهرا قويا من مظاهر الاستقلال ضمن اطار الدولة العثمانية وهو قصارى ما وصل اليه محمد على بعد حـروب طاحنة بذل فيها الشعب دماء غزيرة واموالا طائلة ولو ان محمد على حافظ على ما قطعه على نفسه للشعب لتطورت الحياة الدستورية فى البلاد تطورا ادى بها الى الاستقلال وابعدها عن الوقوع فريسة للاحتلال البريطانى ، ذلك ان مشاركته الشعب المبكرة فى شئون الحكم كانت كفيلة بمنع الاستبداد وحكم الفرد المطلق الذى جر البـلاد وراءه الى مغامرات فردية كلفتها كثيرا واوقعتهـا فريسـة للتدخل الاجنبى .

وعز على السلطان العثمانى الذى كان يحكم وفق نظرية الحق الالهى المقدس ان يعين فى مصر — محمد على — بارادة شعبية فحاول القضاء على هذه السابقة الخطيرة فى مهدها بنقل محمد على الى ولاية سالونيك سنة ١٨٠٦ ، ولكن الشعب احتج على ذلك وارغم السلطان مرة اخرى على الغاء مارسم به ، وفى هذه المرحلة كان محمد على يشعر بحاجته الماسة الى الشعب فحرص على ارضائه واستغل اتصاله به وطلب من زعمائه الاموال اللازمة لدفع رواتب الجند حتى يأمن ثورتهم فأجابوه اكثر من مرة الى طلبه .

وحدث ان تعرض محمد على لاكبر خطر يهدده فى حكم مصر سنة ١٨٠٧ حينما ارسلت انجلترا حملة فريزر لاحتلال البلاد والتمكين لانصارها من المماليك فيهـا وكان محمـد على يقاتل المماليك بالصعيد حينما رست الحملة الانجليزية فى ميناء الاسكندرية ، وبالثغر الذى شهد مواقف رائعة ومشرفة تحت قيادة محمد كريم المصرى لم تحدث مقاومة اذ سلمه دون قتال الحاكم التركى أمين أغا نظير مبالغ من الاموال دفعتها له قيادة الاسطول البريطانى . ولما علم الشعب فى القاهرة بقدوم الحملة الانجليزية استعد للتضحية وأقام المتاريس بالقاهرة وزحفت جموع منه الى رشيد للدفاع عنها ضد قوات الغزو . وجاءت الانباء تفيد بأن الشعب فى رشـيد قد أنزل هزيمة سـاحقـة بالانجليز حتى ان محمد على عند حضوره من الصعيد لم يعد امامه من عبء الكفاح سوى مفاوضة الانجليز على الجلاء عن الاسكندرية .

يتضح مما سبق كيف استطاع الشعب تخليص محمد على من الأخطار التى تعرض لها فى ولاية مصر . فهل حفظ محمد على هذا الجميل ؟

ان محمد على لم يكن يعترف بفضـل الشعب الا حيث الحـاجة اليه فى التمكين له ولاسرته فى البلاد ، لذلك سرعان ما نراه ينقلب على الزعامة الشعبية ويعض اليد التى احسنت اليه

محمد على يتنكر للزعامة الشعبية

الواقع ان طبيعة محمد على الاستبدادية كانت تقف حائلا دون تفاهمه مع القاعدة الشعبية التى رفعته الى منصب الحاكم العام فى البلاد ومن ذلك يقول الميثاق :

« واذا كان هناك شبه اجماع على ان محمد على هو مؤسس الدولة الحديثة فى مصر فان المأساة فى هذا العهد هى ان محمد على لم يؤمن بالحركة الشعبية الا بوصفها نقطة وثوب الى مطامعه »

ذلك ان محمد على بعد أن تغلب على الاخطار التى تحيق به والتى كان يسعى اثناءها على الاقدام كسبا للزعامة الشعبية بدا ينقلب عليها ويظهر على حقيقته ويكشف النقاب عن اهدافه التى تتلخص فى استغلال الشعب المصرى لصالحه وصالح اسرته وبدات سحب الجفوة تتجمع فى الافق سنة ١٨٠٩ حينما فرض محمد على الضرائب على المنسوجات والمصنوعات فاذا بمكرم يحتج ويجتمع بالعلماء لوضع حد لنشاط محمد على وخرقه قواعد اتفاقية سنة ١٨٠٥ التى تنص على عدم فرض الضرائب الا اذا اقرها ممثلون عن الشعب . ووجد محمد على فى عمر مكرم الشخصية القوية الوحيدة التى يمكن اذا استطاع ابعادها عن مسرح الحوادث أن تكون له مصر دون منازع وحدث ان اراد محمد على الا يدفع المقرر على مصر من الجزية السنوية بحجة انه أستنفد الاموال فى مشروعات اصلاحية داخلية وطلب من عمر مكرم التوقيع على كشف الحساب الذى يثبت ذلك لدى السلطان . ولكن عمر مكرم رفض بشدة التهاون فى حقوق الشعب وافصح عن رايه فى ان محمد على يغالط فيما اعده من حساب وان البلاد على العكس كانت تئن تحت وطأة الضرائب التى لم تعد عليها بخدمات اجتماعية من اى نوع من جانب الحكومة

وحاول محمد على ان يسبر غور خصمه العنيد فبعث اليه يسترضيه نظير معاش يؤدى اليه وقدره كيس يحتوى على خمسة جنيهات كل يوم على ان يكون ما يدفع مقـدما ثمنـا لشراء صمت الزعيم الشعبى ثلاثمائة كيس وكان طبيعيا ان يرفض مكرم

فى كبرياء هذه العروض فاتجه الوالى الى التهديد ولما لم تجد هذه الوسيلة نفعا قرر نفى زعيم مصر الاول الى دمياط سنة ١٨٠٩ حيث بقى بها اربع سنوات انتقل بعدها الى طنطا حتى سنة ١٨١٩ السنة التى عاد فيها الى القاهرة حيث اعتكف اعتكافا ... بادميا لكثرة جواسيس محمد على وحدث سنة ١٨٢٢ ان حاول اهل القاهرة الثورة على تعسف محمد على فظن هذا ان لمكرم يدا فيها فأبعده عن القاهرة للمرة الثانية سنة ١٨٢٢.

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال وهو اين كان الشعب اثناء تلك الحوادث وكيف سمح لمحمدعلى بالانقضاض على زعامته دون ان يثور محطما كل شىء فى وجه الطاغية الذى كان بالامس يسعى لارضائه ويتزلف اليه ؟

والمتتبع لتطور الحوادث يرى ان هناك اسبابا عدة حالت دون ثورة الشعب على محمد على ومن هذه الاسباب :

● ان محمد على استطاع ان يحدث تصدعا فى الجبهة الشعبية بخلق الحزبية بين زعمائها ، ذلك انه استمال اليه كلا من **الشيخين المهدى والدواخلى** ضد عمر مكرم واستطاع بوسائله المختلفة ان يبقى بعض العلماء على الحياد فى هذا الصراع ولما اطمأن ان عمر مكرم يقف وحيدا فى الميدان ضرب ضربته وهو آمن من غضبة الشعب اذ صور كل من المهدى والدواخلى محمد على بأنه الوالى المصلح الذى يسعى للتفاهم مع مكرم وان الاخير هو الذى يرفض مقابلته وانهما حاولا اقناعه بالتفاهم مع الباشا ولكنه كان فى كل مرة يرفض ويصر على الرفض وعلى هذا الوضع هانت الزعامة الشعبية على نفسها فهانت بالتالى على محمد على الذى استطاع ان يصفيها جميعا لمصلحته وفقدت المقاومة الشعبية ركنا من اهم اركانها وهو القيادة السياسية الموحدة التى تتحمل مسئولية العمل الثورى وتقود الجماهير الى اهدافها .

● ان محمد على فرض جوا من الجاسوسية والارهاب على الشعب كان يصعب معه التحرك الثورى اذ كان يستعمل باعة الحلوى جواسيسا له فى البيوت ينقلون له كل كبيرة وصغيرة وترسل تقاريرهم فى سرية تامة الى الوالى الذى كان يطلع عليها يوميا وكل من يشم منه رائحة التذمر كان مصيره الاعدام

● فوجىء الشعب سنة ١٨١١ بمذبحة القلعة التى ذهب ضحيتها عدد كبير من امراء المماليك وهى الطبقة العسكرية الوحيدة ذات المصالح والتى كان يمكن ان تشغل محمد على ريثما تستجمع المقاومة الشعبية قواها بعد فداحة النكسة التى اصابتها ومن اجل ذلك تعين على القوى الشعبية الانتظار حتى يحين الوقت المناسب للعمل الثورى

● ان محمد على بحروبه الخارجية وما استتبع ذلك من تكتيل موارد البلاد لخدمة الجيوش فى ميادين القتال تمكن من شغل الراى العام عن القضايا الداخلية بمتابعة الاحداث الخارجية فى كل من الحجاز والمورة والسودان والشام .

وظل الحال على هذا النحو فى عهد خلفاء محمد على واصبحت البلاد تعانى فضلا عن الاستبداد الداخلى مرارة التدخل الاجنبى السياسى والاقتصادى حتى جاء عهد اسماعيل يحمل فى طياته بذور الثورة على الاوضاع التى زاد فسادها فجاءت الثورة العرابية قمة رد الفعل ضد النكسة.

ضرورة الثورة

لقد كانت النكسة التى اصابت اليقظة القومية فى بدء حكم محمد على نذيرا بابعاد الشعب عن السلطة مما اتاح الفرصة لاستبداد خلفاء محمد على فاغرقوا البلاد فى الديون اذ توفى **سعيد** بعد ان حمل البلاد بأحد عشر مليونا من الجنيهات وخلفه **اسماعيل** وكان مصابا بجنون العظمة والاسراف وفتحت له الدول الاوربية باب الاستدانة على مصراعيه فبلغت قيمة المبالغ التى استدانها وصرفها على قصوره وملذاته ما قيمته ١٢٦ر٣٥٤ر٣٦٠ جنيه انجليزى موضحة على النحو التالى :

تاريخ القرض	قيمته جنيه انجليزى
سنة ١٨٦٤	٥ر٧٠٤ر٢٠٠
سنة ١٨٦٥	٣ر٣٨٧ر٣٠٠
سنة ١٨٦٦	٣ر٠٠٠ر٠٠٠
سنة ١٨٦٧	٢ر٠٨٠ر٠٠٠
سنة ١٨٦٨	١١ر٨٩٠ر٠٠٠
سنة ١٨٧٠	٧ر١٤٢ر٨٦٠
الديون السائرة	٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠
سنة ١٨٧٣	٣٢ر٠٠٠ر٠٠٠
سنة ١٨٧٨	٨ر٥٠٠ر٠٠٠
مضافا الى ذلك كله ما ياتى	
المتحصل من المقابلة	١٣ر٥٠٠ر٠٠٠
دين الرزنامة	٣ر٣٣٧ر٠٠٠
ثمن اسهم مصر فى قناة السويس	٤ر٠٠٠ر٠٠٠
ما استحوذ عليه من الاوقاف الخيرية	٥٣٧ر٠٠٠
مطلوبات من الحكومة لم تدخل فى تسوية الدين العام سنة ١٨٧٦	٦ر٢٧٦ر٠٠٠
المجموع	١٢٦ر٣٥٤ر٣٦٠ جنيه انجليزى (٦)

(٦) مصر المجاهدة فى العصر الحديث ـ الحلقة الثالثة تاليف عبد الرحمن الرافعى ص ٥٠ .

وفى الوقت الذى كان يزاول فيه اسماعيل حكم الفرد المطلق داخل البلاد كان يطاطىء الراس امام النفوذ الاجنبى الذى بدا يتخذ من مشكلة الديون ستارا له للتدخل فى شئون مصر الداخلية وخاصة انجلترا التى كانت تتحين الفرص للتدخل فى الشئون المصرية منذ الحملة الفرنسية وبدا الشعور بضرورة هذا التدخل يلح على بريطانيا بعد ان ضحى اسماعيل بأسهم مصر فى قناة السويس لبريطانيا نظير اربعة ملايين من الجنيهات سنة ١٨٧٥ على حين ان قيمة هذه الاسهم بلغت سنة ١٩٢٩ ٧٢ مليون جنيه بأرباح قدرها ٣٨ مليون جنيه فتصبح خسارة مصر فى هذه الصفقة الجنونية التى اقدم عليها اسماعيل قرابة ١٠٦ ملايين من الجنيهات.

وبدات حلقات التدخل الاجنبى فى شئون البلاد **ببعثة كيف البريطانية** سنة ١٨٧٢ التى اوفدتها بريطانيا بناء على طلب اسماعيل لدراسة احوال مصر المالية ثم فى **لجنة صندوق الدين** التى انشئت فى ٢ مايو سنة ١٨٧٦ فكان وجودها ايذانا ببدء الوصاية الاجنبية على شئون مصر المالية والداخلية اذ اعتبر صندوق الدين هذا خزانة فرعية للخزانة العامة يتولى اعضاؤه من الاجانب تسلم المبالغ المخصصة للديون من المصالح المحلية وخصص له ايراد مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة واسيوط وعوائد الدخولية فى القاهرة والاسكندرية وايراد جمارك الاسكندرية والسويس وبورسعيد ورشيد ودمياط والسويس وايراد السكك الحديدية ورسوم الدخان وايراد ضريبة الملح ورسوم الكبارى والملاحة فى النيل وايراد اطيان الدائرة السنية اى انه خصص لسداد الديون معظم موارد الخزانة المصرية واعطى لاعضاء لجنة صندوق الدين الحق فى تسلم هذه المبالغ وارسالها راسا الى بنكى انجلترا وفرنسا

ومبالغة من اسماعيل فى كسب ود الدول الاجنبية اصدر امرا فى ١١ مايو سنة ١٨٧٦ بانشاء **مجلس اعلى للمالية برئاسة السنيور شالويا** احد اعضاء مجلس الشيوخ الايطالى وعلى الرغم من كل هذا لم تقتنع انجلترا واصرت على انشاء ما عرف باسم **المراقبة الثنائية** فى ١٨ مايو سنة ١٨٧٦ للهيمنة الفعلية على ادارة الحكومة المصرية بتعيين مراقب انجليزى للايرادات وآخر فرنسى للمصروفات واصرت المراقبة الثنائية على ضرورة تكوين لجنة اوربية للتحقيق فى شئون مصر المالية واذعن الخديوى لاوامرها وتكونت اللجنة فى ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ وطلبت من الخديوى لسد العجز فى الميزانية التنازل عن اطيانه واطيان عائلته وفعلا تنازل بعض الامراء والاميرات عن جزء من املاكهم رهنت لسداد بعض الديون

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل حدث ما هو اخطر من ذلك مما لم يسبق له مثيل فى تاريخ اية دولة مستقلة وهو ان يفرض على البلاد قبول وزيرين اجنبيين فى وزارة نوبار سنة ١٨٧٨ احدهما انجليزى والاخر فرنسى

وكان اول اعمال هذه الوزارة التى اطلق عليها الشعب اسم الوزارة الاوروبية ان عقدت قرضا جديدا من بنك روتشيلد الانجليزى بمبلغ ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات وصل منه الى مصر فعلا ٥٫٩٩٢٫٠٠٠ جنيه فى الوقت الذى رات فيه الوزارة انقاص عدد الجيش واحالة ٢٥٠٠ ضابط الى الاستيداع بحجة الاقتصاد فى النفقات

هذا عن نفوذ الاجانب السياسى وهو بطبيعته انعكاس للنفوذ الاقتصادى الذى تمتع به هؤلاء فى البلاد فقد تعرضت البلاد لعملية استنزاف خطيرة لمواردها عن طريق استثمار الاجانب لرءوس اموالهم فى البلاد فى انشاء المتاجر والبنوك والشركات مثل البنك العقارى وشركة تكرير السكر والشركة العمومية لاجراء الاشغال بالديار المصرية وشركة المقاولات وغيرها من الشركات التى لم يراع فى عقود تأسيسها سوى مصلحة الاوربيين وضمان اكبر قسط من الفائدة لهم . وساعد على استفحال النفوذ الاقتصادى الاجنبى فى البلاد ما كان يتمتع به الاجانب من امتيازات جعلت لهم كيانا مستقلا فى جسم الدولة وكفلت لهم حق عدم دفع الضرائب كما سخرت المحاكم المختلطة القانون لخدمة مصالحهم وتسخير المواطنين لهم . وفى ذلك يقول الميثاق الوطنى : « ومن سوء الحظ ان النكسة وقعت فى مرحلة هامة من مراحل تطور الاستعمار فان الاستعمار كان قد تطور فى ذلك الوقت من مجرد احتلال المستعمرات واستنزاف مواردها الى مرحلة الاحتكارات المالية لاستثمار رءوس الاموال المنهوبة من المستعمرات ... وقد عاشت مصر فى هذه الفترة تجربة مروعة استنزفت فيها كل امكانيات الثروة الوطنية لصالح القوى الاجنبية ولمصلحة عدد من المغامرين الاجانب الذين تمكنوا من السيطرة على امراء اسرة محمد على وساعدهم على ذلك فداحة النكسة التى اصيبت بها حركة اليقظة المصرية »

كل هذا كان يجرى على ارض مصر والشعب الكادح مثقل بالضرائب التى لم يكن لها سياسة ثابتة بل كانت رهنا بحاجة حكام مصر من اجانب ومتمصرين للاموال ، وما اكثر ما كانوا فى حاجة اليها ارضاء لنزواتهم واسرافهم . ويكفى ان نعلم ان الحكومة الغت فى ١٧ يناير سنة ١٨٨٠ اكثر من ثلاثين صنفا من الضرائب بقصد التخفيف عن الاهالى وكانت الضرائب تجبى بوسائل القهر والارهاق **مما اضطر الاهالى الى الاقتراض من المرابين الاجانب بفوائد باهظة بلغت ١٤٤٪ سنويا**

مما ادى الى رهن اراضيهم وبالتالى الى استيلاء الدائنين الاجانب على مســاحات كبيرة منهـــا واضطر الفلاحون تحت ضغط هذه الكوارث الى هجر اراضيهم وتركها بورا ونشأت فى البلاد من جراء ذلك طبقة اطلق عليها اسم « المتسحبين »

كان هذا كله يجرى **واسماعيل صديق المفتش** ساعد الخديوى اسمـاعيل فى الاستغـلال يوهم مجلس شورى النواب ـ الذى انشىء سنة ١٨٦٦ ليكون هيئة استشـارية للحكومة تزيد من ابهة الحكم ورونقه وتضفى طابع الشرعية عليه ـ ان هناك فائضا فى الميزانية على النحو التالى :

الايرادات	٧ر٣٤٧ر٠٠٠ جنيه
المصروفات	٣ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه
اقساط الديون	٣ر٤٨٥ر٠٠٠ جنيه
مجموع المصروفات واقساط الديون	٥ر٨٨٥ر٠٠٠ جنيه
زيادة فى الايرادات على المصروفات	١ر٤٦٢ر٠٠٠ جنيه

من هذا نتبين ان هذا الواقع الاليم كان بحاجة الى ثورة لتغييره بل ان الثورة كانت هى طريق الشعب الوحيد .

مقـدمات الثـورة

على ان هذا كله لم ينشأ عنه استسلام قوى الشعب العاملة . ذلك ان اليقظة الفكرية قد بدأت تتغلغل فى نفوس الوطنيين نتيجة ما قدم الى مصر من سنة ١٨٧١ وبدأ ينشر فيها آراءه الداعية الى الحرية والاستقلال واستنكار الظلم والحث على الثورة على الاستبداد والاستغلال كذلك الثقافة الذى حصل عليه الاف من شباب مصر الذين بعثوا الى اوربا لتلقى العلم **وفى ذلك يقول الميثاق :**

« على ان روح هذا الشعب لم تستسلم وانما استطاعت تحت المحن العصيبة فى هذه الفترة ان تختزن طاقاتتحفزت لاطلاقها فىاللحظة المناسبة» .

وكانت هذه الطاقة هى العلم الذى حصل عليه الاف من شباب مصر الرواد ممن ارسلوا ايام الصحوة التى سبقت النكسة فى حكم محمد على الى اوربا . ليتمكنوا من العلم الحديث فان هؤلاء استطاعوا بعد عودتهم الى الوطن ان يجلبوا معهم بذورا صالحة مالبثت التربة الثورية الخصبة لمصر ان احتضنتها لتخرج منها بشائر نبت ثقافى جديد راح ينشر الوانا من الازهار على ضفاف النيل الخالد .

ويتلمس الباحث اثار هذه اليقظة فى مناقشات مجلس شورى النواب التى بدأت تتطور الى النقد لسياسة الحكومة فى الفترة ما بين سنة ١٨٧٦ ـ ١٨٧٩ . وكذلك ظهرت فى البلاد صحافة اخذت تهاجم اسماعيل فى شدة كما حدث فى جريدة **ابى نظارة** لصاحبهـا **يعقـوب صنـوع** . كل هذا الظلم وهذه اليقظة جعلت الشعب على موعد حتمى مع الثورة ولم يطل الانتظار فقد تتابعت الحوادث ، اثناء حكم توفيق تتابعا عجل بقيام الثورة .

ذلكانه بعد نجاح الدول الاوربية بزعامة انجلترا فى خلع اسماعيل جاء توفيق الى الحكم وفى اعماقه عقيدة راسخة لازمته ومنجاء بعده من افراد اسرة محمد علىوهى انه لابقاء لهم فىالحكم الا بالخضوع للاجانب ولكى يعوض توفيق هذا النقص لجأ الى اهمال الشعب وقرر حكم البلاد حكما مطلقا مما كان يتنافى مع اليقظة الوطنية فى ذلك الوقت فزاد من حفيظة الوطنيين على الحكم الجديد . واصبح الشعور القومى معبأ للثورة ضد التدخل الاجنبى والحكم المطلق ولم ينقص البلاد فى تحركها الثورى سوى القيادة التى ظهرت من بين صفوف القوات المسلحة فى شخصية **احمد عرابى** الفلاح المصرى .

وكان **عثمان رفقى** وزير الحربية فى **وزارة رياض** قد اشتط فى معاملة الضباط المصريين وفضل عليهم ـ بدون مبرر ـ العنصر الشركسى فى الجيش مما كان له اكبر الاثر فى تكوين تنظيم سياسى داخل صفوف القوات المسلحة بزعامة احمـد عرابى وزميليه **على فهمى وعبد العال حلمى** . وعندما طالب الضباط رياض باشا رئيس الوزارة بعزل عثمان رفقى دبر لهم الاخير بايعاز من توفيق مؤامرة وهمية لاعتقالهم ومحاكمتهم ولكن الضابط **محمد عبيد** بهجومه على ثكنات قصر النيل احبط المؤامرة واطلق سراح الضباط الثلاثة وكان ذلك فى اول فبراير سنة ١٨٨١ وعند ذلك اذعن الخديوى لمشيئة الضباط وعزل عثمان رفقى وولى بدلا منه **محمود سامى البارودى** ، كان لهذا الحادث اثره الكبير على النضال الوطنى اذ ما ان رأى الشعب قواته المسلحةتقف فىوجهالطغيانوتنتصر عليهحتى آمن بها ووجد فيها الاداة الثورية القادرة على التغيير من اجل صالح الجماهير الكادحة ولقى عرابى تأييدا من جميع الطبقات وذاع اسمه كمنقذ للبلاد والمحقق لامالها .

الثـــورة

تبين من تطور الحوادث ان الخديوى كان يدبر المؤامرات للقضاء على الزعامة الشعبية ممثلة فى ضباط الجيش عندما عزل البارودى وولى مكانه **داود يكن باشا** صهر الخديوى،فاخذت قيادة الثورة

على عاتقها ان تتقلد زمام المبادأة فى مظاهرة عابدين المسلحة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لعرض طلبات الامة على الخديوى .

ولسنا بمعرض الحديث عن تفاصيل مظاهرة سبتمبر ولكننا سنورد نص الحوار الذى دار بين تحالف قوى الشعب العاملة يمثله عرابى وبين تحالف القصر والاستعمار يمثله المستر **كوكسن** القنصل البريطانى والخديوى توفيق .

الخديوى : ما هى اسباب حضورك بالجيش الى هنا ؟

عرابى : جئنا لنعرض عليك طلبات الجيش والامة وكلها طلبات عادلة .

الخديوى : وما هى هذه الطلبات ؟

عرابى : عزل رياض باشا وتشكيل مجلس النواب وابلاغ عدد الجيش الى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية .

الخديوى : كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها وانا خديوى البلد واعمل زى ما انا عاوز .

عرابى : « ونحن لسنا عبيدا ولا نورث بعد اليوم » .

المستر كوكسن : ان عزل الوزارة من خصائص الخديوى وطلب تشكيل مجلس النواب ليس من حقوق الجهادية وزيادة الجيش لالزوم لها لان مالية الحكومة لا تساعد على ذلك .

عرابى : اعلم ياحضرة القنصل انطلباتى المتعلقة بالاهالى لم اعمد اليها الا لانهم اقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم عبارة عن اخوانهم واولادهم فهم القوة التى ننفذ بها كل ما يعود على الوطن بالخير والمنفعة وانظر الى هؤلاء المحتشدين خلف العساكر ، فهم الاهالى الذين انابونا عنهم فى طلب حقوقهم ، واعلم علم اليقين اننا لا نتنازل عن طلباتنا ولا نبرح هذا المكان مالم تنفذ .

ويتضح من هذا الحوار مدى ايمان عرابى بحق الامة فى خوض ارادتها وانه استطاع فعلا — وهذا اروع ما فى مظاهرة سبتمبر — ان يضع القوات المسلحةفىمكانها الطبيعىتحت قيادةالشعب وفى خدمة امانيه .

واستطاعت قوى الشعب العاملة ، ارغام الخديوى والاجانب على اجابة مطالب الامة بعزل وزارة رياض وتكاليف شريف بتاليف وزارة مسئولة امام مجلس نيابى واجتمعمجلس النواب فى ديسمبر سنة ١٨٨١ وعرضتعليه الوزارةمشروع الدستور وكان يمكن ان تسير الامور فى مجراها الطبيعى على قاعدة ان الخديوى يملك ولا يحكم ولكن توفيق ومن ورائه الانجليز كانوا يرون فى انتصار القوى الشعبيةنذيرا بزوال سلطانهم فى البلاد ،ومن اغرب ما حدث ان بريطانيا وفرنسا تقدمتا بمذكرة الى الخديوى تعبران فيها عن استيائهما لقيام نظام برلمانى فى مصر وطلبت الدولتان صراحة من شريف باشا عدم تخويل مجلس النواب حق النظر فى الميزانية وذلك فىمذكرة ٢٦ يناير سنة ١٨٨٢ ،وكان من راى شريف تأجيل المادة المتعلقة بالميزانية فى الدستور ولكن القيادة السياسية الثورية اعتبرت هذا ماسا بكرامة الامة وصممت على حفظ حق النواب فى تقرير الميزانية مما ادى الى استقالة شريف واسناد الوزارة الى الضابط الشاعر محمود سامى البارودى وكان عرابى وزيرا للحربية فيها وتقرر حق النواب فى تقرير الميزانية .

وكان الخديوى يشعر بقلق لتوالى انتصارات الوطنيين على هذا النحو فلجأ الى التآمر مع الانجليز لضرب الثورة وجاءت الفرصة فى حادث مؤامرة الضباط الشراكسة بالجيش — ومن بينهم عثمان رفقى — لاغتيال احمد عرابى وبعض الضباط الوطنيين فامتنع الخديوى عن التصديق على الحكم الذى اصدره المجلس العسكرى على الضباط الشراكسة والقاضى بنفيهم الى السودان وانتهزت انجلترا — تؤيدها فرنسا — فرصة هذا الخلاف وارسلت الدولتان اسطوليهما الى الاسكندرية وقدمتا مذكرة فى ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ الى الخديوى تطلبان فيها اسقاط وزارة البارودى ونفى عرابى الى خارج القطر المصرى وابعاد على فهمى الديب وعبدالعال حلمىالى الارياف او بمعنى آخر تصفية الثورة وقبل الخديوى المذكرة واستقال البارودى وبقيت البلاد دون وزارةفاضطر الخديوى الى تكليف احمد عرابى بتولى منصب وزير الحربية خوفا من انتقاض الجيش عليه .

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال : لماذا لم يخلع الشعب الخديوى توفيق ويخلص البلاد من عناصر التآمر على سلامته ؟ ؟

الواقع ان احمد عرابى والضباط الوطنيين فى الجيش عقدوا اجتماعا مع النواب فى ٢٧ مايو سنة ١٨٨٢ ، وطالب احمد عرابى بضرورة خلع الخديوى الا ان النواب وهم يمثلون حسب طبيعة المرحلة فى ذلك الوقت الراسمالية الناشئة وبعض كبار ملاك الارض بدأوا يقيسون الامور بمنطق المصلحة الخاصة اذ بدا لهم ان مركز الثقل بدأ يتجه الى الخديوى المؤيد بالاساطيل الاوربية فى مياه الاسكندرية فاصروا على عدم اجابة ، احمد عرابى الى طلبه .

وهنا يبدو للباحث ان قيادة الثورة لم تفطن منذ البداية الى ضرورة عزل القوى المضادة للثورة

عن ميدان العمل الوطنى داخل الجيش وخارجه ظنا منها ان فى ذلك محافظة على الوحدة الوطنية . والواقع ان سلامة العمل الوطنى فى تلك المرحلة كانت تقتضى اليقظة التامة من جانب القيادة لتحركات هذه العناصر ولم تتنبه القيادة الى هذا الخطأ الا بعد فوات الاوان عندما تعين عليها ان تحارب الغزو البريطانى وتواجه فى الوقت نفسه طعنات خائنة فى الظلام من القوى المضادة للثورة .

وكان لابد من الاصطدام بين القوى الرجعية والقوى الوطنية الشعبية ولما كان عرابى قد اخذ على عاتقه حفظ الامن والسلام فى البلاد فقد استعان الخديوى بالانجليز ودبر معهم مذبحة الاسكندرية فى ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ لاظهار عرابى بمظهر العاجز عن حفظ الامن فى البلاد وافتعال المبرر لضرب الثورة ، كما فعل فاروق فى حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ لضرب حركة المقاومة الشعبية ضد الانجليز فى القناة وتشكلت وزارة جديدة برياسة **اسماعيل راغب** عقب حوادث الاسكندرية فى الوقت الذى كانت تستعد فيه بريطانيا للتدخل عسكريا فى البلاد رغم تعهدها فى **مؤتمر الاستانة** الدولى الذى انعقد فى ٢٣ يونيه سنة ١٨٨٢ بعدم التدخل فى شئون مصر الا فى حالة الضرورة القصوى ، وقد جاءت هذه الضرورة من وجهة نظر الغدر البريطانى فى قيام المصريين بتحصين شواطىء الاسكندرية اذ صدرت الاوامر من قيادة الاسطول البريطانى بوقف هذه التحصينات والا تعرضت الاسكندرية للضرب ونفذ الانجليز تهديدهم فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ وانحاز توفيق اليهم وبدأت مؤامرة الاحتلال البريطانى .

ولا يكاد يرى التاريخ مثيلا لما حدث فى الثورة العرابية من اجماع قوى الشعب العاملة على تأييد الثورة بالرجال والاموال ذلك ان المراقب المالى الانجليزى كلفن كان قد نقل جميع الاموال الى الاسكندرية لتكون تحت تصرف الانجليز الغزاة والخديوى الخائن ، فلم يفت ذلك من عضد الشعب فبذل امواله ومواشيه وغلاله وقدم ابناءه لتدعيم مركز الثورة امل البلاد فى التخلص من ظلال السيطرة .

وتقدم الانجليز من الاسكندرية بعد ان دافعت دفاع الابطال وخطتهم اختراق صفوف الجيش المصرى المرابط عند تحصينات كفر الدوار وظلوا خمسة اسابيع كاملة يحاولون دون جدوى اختراق خط الدفاع المصرى فى هذه الجهات مما يفند مزاعم المستشرقين وغلاة المستعمرين الذين يريدون تصوير القوات المسلحة المصرية فى حوادث الثورة العرابية بصورة العاجز عن الدفاع .

ولما لم تستطع قوات الغزو النيل من ابناء مصر فى الميدان الغربى تحولت الى الميدان الشرقى وهنا يحلو للبعض كذلك أن يلصق بعرابى وهيئة اركان حربه التقصير فى رسم الخطط العسكرية بدعوى انهم لم يلجأوا الى ردم القناة ، والرد على ذلك واضح من محاكمات عرابى التى نسب اليه فيها محاولة ردم القناة وردم جزء منها بالفعل واجاب عرابى ان هذا عمل مشروع تحتمه مصلحة الدفاع عن البلاد . من ذلك يتبين لنا ان احمد عرابى لم يكن بالصورة التى يريد البعض بثها فى اذهاننا .

ولو فرضنا جدلا أن عدم ردم القناة كان خطأ فى استراتيجية الدفاع فانه لم يكن العامل الوحيد الذى ادى الى هزيمة التل الكبير فهناك عوامل اخرى كان لها الاعتبار الاول فيما حدث فلولا تضافر قوى الخيانة ضد الثورة لاستطاع المصريون ابادة قوات الغزو فى صحراء الشرقية فهم اخبر بها وبمسالكها . اذ ان هزيمة التل الكبير لم تكن هزيمة الجيش المصرى فى ميدان القتال المشرف وانما كانت نتيجة لطعنات خائنة وجهت له فى الظلام . من هذه الطعنات ماذكره اللورد كرومر من ان السلطان العثمانى ركع امام السفير البريطانى واقر كل ما املته السياسة البريطانية فيما يختص باعلان السلطان منشورا يصف فيه احمد عرابى بالعصيان ذلك المنشور الذى جاء فيه ((**ان عرابى واعوانه عصاة ويتعين على سكان الاقطار المصرية حالة كونهم رعية مولانا وسيدنا الخليفة الاعظم ان يطيعوا أوامر الخديوى المعظم الذى هو فى مصر وكيل الخليفة**)) .

هذه الطعنة وجهها السلطان الخليفة الى جيش مصر وشعبها فى أشد الظروف حرجا وفى الوقت الذى كان الجيش يعتبر نفسه مدافعا عن حقوق السلطان ضد الخديوى الخائن وحليفته انجلترا .

اما الطعنة الاخرى فجاءت من جانب بعض كبار الضباط أمثال على يوسف خنفس وكان شركسيا اغراه بريق الذهب فسلم خطط الجيش المصرى للعدو ليلة **معركة التل الكبير** ولم يكتف بذلك بل وضع للجيش الانجليزى المصابيح على المسالك لكى لا يضل طريقه الى قلب الجيش المصرى أما عن أبناء مصر فالتاريخ لا ينسى مواقف الضباط الوطنيين امثال **محمد عبيد واحمد فرج وعبد القادر عبد الصمد وحسن رضوان** الذين وقفوا وقفتهم

الجيدة والموت يحيط بهم من كل جانب ومنهم من استشهد ومنهم من سقط جريحا فى ميدان القتال دفاعا عن أرض مصر ضد قوى البطش والعدوان .

دخلت قوات الغزو العاصمة ومن ورائها توفيق وكبار الاقطاعيين والراسماليين يمثلهم **محمد سلطان باشا** الذى التقت مصالحه ومصالح القوى المستغلة مع مصالح الخديوى والاستعمار وكون الجميع حلفا ضد شعب مصر وتحمل الشعب فى مستهل عهد الاحتلال أنواعا من الارهاب والكبت .

فقد عمل الاحتلال على تسريح جيش عرابى وخلق بدعة البدل العسكرى فى الجيش الجديد الذى كون من نحو ستة آلاف جندى وضابط ووضع تحت قيادة انجليزية . كما ملأ الاستعمار السجون بالمعتقلين حتى بلغ عددهم نحو ٢٩ الف مواطن ونفى زعماء الثورة الى خارج البلاد وملأ الادارات الحكومية بموظفين انجليز ممن يتقاضون اجورا باهظة .

كما حول الاستعمار مصر الى حقل كبير لزراعة القطن يمون مصانع القطن البريطانية بالمادة الخام بأرخص الاسعار وفى ذلك يقول الميثاق الوطنى: «واذا كانت بريطانيا قد توصلت الى مرحلة الانطلاق اعتمادا على صناعة النسيج فى لانكشير فان تحويل مصر الى حقل كبير لزراعة القطن كان شريانا متصلا ينقل الدم الى قلب الاقتصاد البريطانى على حساب جوع الفلاح المصرى » .

وادخل فى روع المصريين ان بلادهم بلادا زراعية فقط وفقا لسياسة مرسومة تجعل من مصر سوقا لتصريف البضائع الانجليزية ،كما شجع الاستعمار الاقطاع وحد من فرص التعليم امام الشعب بجعله للقادرين على دفع مصروفاته ، كما كان التعليم يهدف فى الدرجة الأولى الى تخريج موظفين يمشون فى ركاب الاستعمار ، هذا فضلا عن انه المسئول الاول عن الامراض الاجتماعية التى اصابت البلاد .

لقد كانت الثورة العرابية — ثورة وطنية ديمقراطية ، فهى وطنية لانها جمعت كل طبقات الشعب المصرى فى الكفاح ضد السيطرة الاجنبية وضد الاسرة الخديوية ، وديمقراطية لانها كانت تكافح من اجل حياة دستورية ومن اجل رفع المظالم الاجتماعية وتخفيف الضرائب .. وعقد لواء هذه الثورة للمثقفين المصريين بشكل قطاعاتهم قطاع المثقفين العسكريين وعلى راسهم عرابى وعبد العال والبارودى .. وقطاع المثقفين المدنيين من ابناء الفلاحين ومن رجال الأزهر والذين كان على راسهم تلامذة جمال الدين الافغانى وعبد الله النديم ويعقوب بن صنوع .. لقد شاركت فى الثورة العرابية الطبقات المتوسطة الزراعية والتجارية والتى سحقها القهر الاقتصادى الاجنبى .. ومن هنا يمكن اجمال القول بأنها كانت تمثل ارادة الشعب والبورجوازية الوطنية الناشئة فى صدامها مع المصالح الاستعمارية والاقطاعية .

وعلى الجانب الاخر كان تحالف قوى الشعب. ذلك التحالف الذى لم يستسلم لهذا الضغط .ففى الوقت الذى كان يتقرب فيه الاقطاع ، وكبار الملاك من الانجليز وعميلهم الخديوى ، وقف **الشيخ حسن العدوى** من التجار ، **والشيخ حسن موسى العقاد** من العلماء يدافعون عن الثورة العرابية امام المحاكم الانجليزية التى شكلت لمحاكمة الوطنيين فاقرا بأنهما ساعدا عرابى لانه كان فى جانب الحق وقرر الشيخ حسن العدوى امام المحكمة ان الخديوى توفيق يستحق العزل لانه خرج على الدين والوطن.

ومن أبناء مصر الذين حملوا راية الكفاح الزعيم الثائر **مصطفى كامل** الذى اتخذ من جريمة دنشواى حجة دامغة تدين الاستعمار بالوحشية وايقظ مصطفى كامل الهمم وزادها ايمانا بحقها فى الحياة، وبدأت القوى الشعبية تعد العدة لانطلاقة جديدة وسجل التاريخ راى الشعب المصرى الاصيل فى الاسرة المالكة من حيثيات الحكم على الاستاذ احمد حلمى أحد كتاب الحزب الوطنى بالسجن لمدة سنة فى ابريل سنة ١٩٠٩ لمكان أول حكم بالعيب فى الذات الملكية ومهاجمة العائلة المالكة فى مصر مهاجمة صريحة اذ اعتبرها الاستاذ احمد حلمى اصل بلاء البلاد ، **وفى هذه المرحلة يقول الميثاق :**

لقد سكت احمد عرابى ولكن صوت مصطفى كامل بدا يجلجل فى آفاق مصر .

ومن عجب أن هذه الفترة التى ظن فيها الاستعمار والمتعاونون معه أنها فترة الخمود كانت من أخصب الفترات فى تاريخ مصر بحثا فى اعماق النفس وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد .

لقد ارتفع صوت **محمد عبده** فى هذه الفترة ينادى بالاصلاح الدينى .وارتفع صوت **لطفى السيد** ينادى بأن تكون مصر للمصريين وارتفع صوت **قاسم أمين** ينادى بتحرير المرأة .

وكانت تلك كلها مقدمة موجة ثورية جديدة ما لبثت ان تفجرت سنة ١٩١٩ ..

راجع ص ١٥٥

الوثائق التاريخية التى تبدأ الطليعة فى نشرها من النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع احمد عرابى .

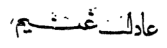
تنشر الطليعة فى هذا العدد الجلسة الاولى وتوالى نشر بقية الجلسات فى الاعداد القادمة.

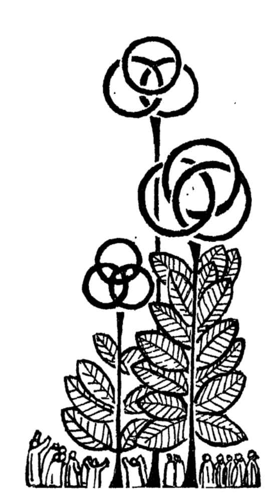


يتناول تعليق عادل غنيم ردا على وجهة نظر تضمنها مقال « حسابات ١٩٦٥ وآفاق ١٩٦٦ فى التعاون الزراعى » لسعيد خيال ، حول مفهومهما عن مدى مشاركة الجماهير ديمقراطيا فى نشاط الجمعيات التعاونية .

والطليعة ترحب بالحوار الجاد الذى يدور بين المناضلين من كتاب الطليعة واصدقائها ، للتوصل الى مفاهيم موحدة من خلال المناقشة والجدل والاقناع .

الديمقراطية .. والحركة التعاونية





قدم زميلنا الاستاذ **سعيد خيال** فى مقال «التعاون الزراعى» (الطليعة عدد يناير ١٩٦٦) عرضا حيا لاحدث التطورات فى مجال التعاون الزراعى ونظام الزراعة عندنا ، مبرزا عناصر التجديد التى ادخلتها الثورة على البنـاء التشريعى والادارى والطبقى للجمعيات التعاونية الزراعية على اختلاف مستوياتها ذلك التجديد الذى شمل ايضا تنظيمها الداخلى ووظائفها وجوانب نشاطها المختلفة .

وتضمن المقال شرحا قيما للتجارب الثورية فى التجميع الزراعى والزراعة الموجهة والتسويق التعاونى ونظام بطاقات الحيازة .

وفى نهاية المقال قدم عددا من المقترحات الهامة لاعادة توزيع اعباء التنمية الاقتصادية على الطبقات الاجتماعية المختلة بحيث يتحمل كل منها نصيبه العادل،فالعدالة توجب ونحن نبنى الصناعة الثقيلة «ان يتحمل القطاع الزراعى نصيبه فى شكل فوائد

على السلف ورسوم على الخدمات على ان تتدرج على حسب حجم الحيازات فتكون تصاعدية وعلى ان يكون الربط على اساس حيازة الاسرة .. الخ »

غير أن ثمة فقرة في المقال استرعت انتباهي وثقت عندها طويلا لخطورة دلالتها السياسية والايديولوجية ، ففي معرض الحديث عن ادارة وتنظيم الجمعيات التعاونية وتحت عنوان « في التنظيم » نجد الفقرة التالية : :

« وننبه ايضا الى انه لا مجال للحديث عن الديموقراطية ونحن في مرحلة انتقال ولا سيما ان الجمعيات منظمات اقتصادية وليست سياسية . ونظامنا الاقتصادى هو النظام الموجه على الاسس الاشتراكية . ولا تناقض او تعارض بين مجلس الادارة والمدير المعين الذى نعتبره بحق ضمانا لزيادة الانتاج في ظل التخطيط الشامل وحاميا لجمهور الفلاحين وصغار المزارعين ضد كل انحراف ، خاصة وأن الطلائع السياسية او الكوادر المنظمة القادرة على النهوض بالمسئولية غير متوفرة في الريف » .

وتلك الفقرة تتضمن عددا من الافكار والمفاهيم الاساسية التى لابد من التعرض لها ..

● فالقول بانه **« لا مجال للحديث عن الديموقراطية »** طالما اننا ما زلنا في مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .. انما يعنى بالضرورة ان يظل جهاز الدولة الادارى — لا تحالف قوى الشعب العاملة — اداة التغيير الاجتماعي وان يبقى الاسلوب الادارى لا العمل السياسي والنضال الطبقي لقوى الشعب العاملة سبيل التحول الاشتراكى لبلادنا .

ونقطة البداية في هذا المنطق هى الايمان المطلق بجهاز الدولة وبقدرته السحرية على التغيير الثورى وهو منطق خاطىء اثبتت الحياة وتثبت كل يوم خطأه وخطره ، وهو ينبع من عدم الثقة بالجماهير وبقدرتها على صنع الثورة اذا ما تسلحت بالوعى والتنظيم الثورى ، كما انه يفضى حتما الى الاستسلام للبيروقراطية وتبريرها . وهو ايضا منطق تخطاه وعى الثورة المصرية ذاتها ، وقد سبق أن أشار المناضل عبد الناصر بوصفه قائد الثورة الى الدور الذى لعبه جهاز الدولة في التغيير الجذرى للعلاقات الاقتصادية والطبقية خلال الفترة ٦١-٦٤ واوضح كيف انه لم يكن هناك مفر من الالتجاء الى جهاز الدولة نظرا لغياب التنظيم السياسى الشعبى القادر على قيادة وتعبئة قوى الثورة الاشتراكية . وهذا ما عبر عنه بقوله :

« هناك شىء نحن مضطرون اليه فقد اضطرت جميع الشئون الاقتصادية والاجتماعية ان تدار في مرحلة التحويل الاشتراكى بواسطة جهاز الدولة وهذا يؤدى الى مركزية في الادارة ويؤدى في بعض الاحيان الى الانفصال عن المجتمع (١) » . هذا عن التجربة الثورية خلال أعوام ٦١ — ٦٤ فماذا عن دور الدولة في المرحلة المقبلة مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .. ؟

في هذه النقطة بالذات يطرح عبد الناصر السؤال الخطير « **هل تغير جهاز الدولة .. ؟** » (اى هل تغير تركيبه الطبقى والايديولوجى حتى يتصدى لممارسة عملية التحويل الاشتراكى لمجتمعنا ؟) وهو يجيب على ذلك بوضوح قاطع « **ان جهاز الدولة لم يتغير وبقى في معظم الاحوال كما كان** » وهذا يعنى بجلاء ان جهاز الدولة لم يعد الاداة الصالحة للتغيير الثورى ، ومن هنا كان تأكيد قائد الثورة على اهمية العمل السياسى وضرورته الحيوية الملحة ... فهو يقول :

« **اننا لن نستطيع ان ننتقل آليا من المجتمع الراسمالى او من الراسمالية المستغلة والاقطاع والرجعية الى الاشتراكية** . ان الاشتراكية هى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج، والاشتراكية تعنى وضع وسائل الانتاج في خدمة الشعب العامل كله وفى خدمة الفرد . **ولا يمكن ان يتم الانتقال من الراسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل ونضال الطبقة العاملة والفلاحين لاستخلاص السلطة من الرجعية ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية الرجعية تغييرا كاملا (٢)** » .

● **ومن ناحية اخرى فلا مجال للقول بان هناك**

---

(١) و (٢) خطاب عبد الناصر في الجلسة الافتتاحية لمجلس الامة في ١٩٦٤/١١/١٢ .

تعارضا بين الديموقراطية « ونظامنا الاقتصادى وهو النظام الموجه على الاسس الاشتراكية » . ذلك اننا نرفض الديموقراطية البرجوازية ديموقراطية الطبقات المستغلة ونناضل من اجل ديموقراطية الشعب العامل . الديموقراطية الاشتراكية بكل ابعادها السياسية والاجتماعية . ان التأميم بغير ديموقراطية يتحول الى نوع من تسلط الدولة Statism وتخلق الارضية الاقتصادية والاجتماعية لنمو البيروقراطية فتشوه العلاقات الاجتماعية الاشتراكية وتعطل سير التحول الاشتراكي والتفتح الديموقراطى .

فما هو اذن المضمون السياسى الاقتصادى للديموقراطية الاشتراكية التى نناضل من اجلها ؟ لقد اجاب عبد الناصر على هذا السؤال الحيوى فى بساطة ووضوح عندما قال :

«يجب ان تكون الديموقراطية الاشتراكية الاطار السياسي ويجب ان تنشأ العلاقات الاجتماعية وتتطور على اساس سيطرة الشعب على وسائل الانتاج، ان الديموقراطية الاشتراكية معناها مشاركة الجماهير فى القضايا السياسية ، والديموقراطية الاشتراكية تعتمد اساسا على اللامركزية والادارة الذاتية . وطبعا كلما دخلنا فى المركزية دخلنا فى البيروقراطية، وكلما جعلناها لامركزية وادارة ذاتية كلما تحولنا الى الديموقراطية، الديموقراطية الاشتراكية هى ان يصبح كل فرد من الشعب العامل سيد مصيره ، الديموقراطية الاشتراكية هى تأكيد سيادة الشعب العامل ووضع السلطة كلها فى يده (٣) » .

ان من اولى المهام التى يطرحها واقعنا الثورى الراهن : تطهير حياتنا الاقتصادية والسياسية والثقافية من جميع المظاهر والعلاقات البيروقراطية وبناء علاقات جديدة ديموقراطية ، ان اقامة صرح الديموقراطية الاشتراكية امر حيوى حتى لبناء القاعدة المادية والتكنيكية للاشتراكية ، ومخطىء من يظن ان الديموقراطية سوف تفتح الثغرات لتعطيل الانتاج أو عرقلة نمو معدلاته وان المركزية الصارمة كفيلة بحل تناقضات الانتاج، ذلك ان الديموقراطية التى ننشدها «هى الديموقراطية القائمة على اللامركزية فى اطار التخطيط الاقتصادى الشامل» من شأنها ان تفجر ملكات الخلق والابداع لدى الجماهير المنتجة .

لقد نبه المناضل عبد الناصر الى خطر البيروقراطية وضرورة النضال من اجل اقتلاع جذورها بقوله :

« ان البيروقراطية فى مرحلة الانتقال من الاقطاع والراسمالية الى الاشتراكية تمثل قوى اجتماعية خطيرة، وهذه البيروقراطية موجودة وستحاول بكل الوسائل ان تكون لها مكاسب . ان البروقراطية فى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ستعمل على ان تحصل بكل الوسائل على اكبر قدر من السلطة حتى تستطيع ان تقوم بدور حاسم فى الانتاج وفى العلاقات الاجتماعية وان تحتكر هذا الدور، وتستطيع البيروقراطية بفضل هذا الاحتكار ان تاخذ مكان الراسمالية فى المجتمع الراسمالى . والبيروقراطية كما قلت ورثناها وهذا طبعا من شانه ان يؤثر على التحويل الاشتراكى (٤) »

ولا سبيل الى القضاء على البيروقراطية الا بالعمل والنضال السياسى من اجل تطوير الديموقراطية الاشتراكية ومن هنا قول عبد الناصر :

« يجب على الثورة ان تعمل بكل ما فى وسعها لانتزاع جذور هذه الظواهر البروقراطية **والسلاح الرئيسى الذى نستطيع ان نستأصل به البيروقراطية والانحراف هو تطوير الديموقراطية الاشتراكية** ولا بد لنا ايضا ان نبنى علاقات اجتماعية جديدة لان بقاء الراسمالية والاقطاع وتأثيرها وبقايا نفوذها فى العلاقات الاجتماعية لم يتلاش . ان الاقطاع والراسمالية يعملان بكل ما فى وسعهما لاستخدام المتناقضات الموجودة ، ولا بد للقوى الاشتراكية ان تناضل بقوة ضد محاولات الاقطاع والراسمالية المستغلة وكل محاولة لتثبيت مخلفات الرجعية السياسية والاجتماعية . **والحل لهذا طبعا هو التنظيم السياسى** لكى نحل المتناقضات الخاصة بمرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية (٥) » .

ان بناء التنظيم السياسى شرط لاغنى عنه لحل

---

(٣) و (٤) و (٥) خطاب عبد الناصر فى افتتاح مجلس الامة فى ١٩٦٤/١١/١٢.

تناقضات ومشاكل مرحلة الانتقال وقوى النمو والتطور من خلال المعارك السياسية والفكرية التي يخوضها بين الجماهير وعلى راسها من اجل حل تلك التناقضات واحلال العلاقات الاشتراكية والديموقراطية محل العلاقات الاقطاعية والراسمالية والبيروقراطية ».

● ويقول الزميل كاتب المقال بمناسبة عرضه للاسس التي يقوم عليها تنظيم وادارة قطاع التعاون الزراعي : **انه لا مجال للحديث عن الديموقراطية ولاسيما ان الجمعيات التعاونية منظمات اقتصادية وليست سياسية**. ومؤدى هذا الراى : القول بانه لا مجال للعمل السياسي داخل التعاونيات الزراعية بحجة انها منظمات اقتصادية وليست سياسية كما ان هذا القول يفضى بنا الى رفض الديموقراطية كأساس لبناء وادارة القطاع التعاوني في الزراعة.

وبالنسبة للنقطة الاولى نرى ان العمل السياسي انما يكون بداهة حيثما وجدت الجماهير في مراكز تجمعها السياسية والاقتصادية والثقافية في لجان الاتحاد الاشتراكي والمصانع والنقابات التعاونيات بل ان مراكز الانتاج اليوم يجب ان تصبح بؤرة العمل السياسي ».

ان الجمعيات التعاونية والنقابات وسائر المنظمات الجماهيرية هي احدى الضمانات الرئيسية للديموقراطية هكذا وضعها الميثاق الوطني اذ يقول : «ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات التعاونية والنقابية تستطيع ان تقوم بدور مؤثر وفعال في التمكين للديموقراطية السليمة . ان هذه المنظمات لا بد وأن تكون قوى متقدمة في ميادين العمل الوطني الديموقراطي ، وان نمو الحركة التعاونية والنقابية معين لا ينضب للقيادات الواعية التي تمس بأصابعها اعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها » .

اما عن النقطة الثانية فقد سبق ان تعرضنا لها على صفحات «الطليعة» تحت عنوان «تحرير قوى الانتاج في الريف» (عدد سبتمبر ١٩٦٥) ففي سياق الدعوة الى التخلي عن الاسلوب الادارى في تنظيم وادارة قطاع التعاون الزراعي اوضحنا ان غلبة التكوين الادارى للبنيان التعاوني ـ حيث تحتكر الادارة سلطة اتخاذ القرارات الاقتصادية ـ انما «تشكل التناقض الرئيسى في تجربة التعاون (داخل قطاع الاصلاح الزراعي وخارجه) ويعرقل هذا التناقض نمو قوى الانتاج وتحقيق الحركة التعاونية الجماهيرية ويعوق نموها وازدهارها على النحو الذي يستهدفه الميثاق .

و «ان الاسلوب الادارى في العمل التعاوني يتنافى مع روح الحركة التعاونية باعتبارها حركة ديموقراطية تقدمية ويهدر طاقات الجماهير الخلاقة ويبدد ثوريتها ويقتل مبادرتها وهو لهذا يعد اكبر خذلان لشعار التعاونيات كشعار تقدمى .

«ولا سبيل الى حل هذا التناقض الجوهرى الا باعادة صياغة الحركة التعاونية ومؤسساتها صياغة ديموقراطية ليصبح الفلاحون وهم المنتجون المباشرون مركز الثقل الحقيقي في اتخاذ القرارات الاقتصادية في اطار الخطة القومية الاقتصادية والاجتماعية .

« وهذا لا يتنافى بطبيعة الحال الا بالعمل السياسي والتنظيمي وسط الفلاحين من اجل ربط كفاحهم الديموقراطى ضد فلول الاقطاع والراسمالية بالنضال الشعبي العام من اجل اشاعة الديموقراطية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

«وبالديموقراطية المنبثقة عن التطبيق الثورى للميثاق ومبادئه تستطيع جموع الفلاحين تحويل المؤسسات التعاونية من مؤسسات ادارية الى مؤسسات ديموقراطية ثورية تسير قدما الى الاشتراكية » (ص ٦٨) » .

● واخيرا نود ان ننبه الى انه لا داعى للقلق والخوف من ان تستغل الرأسمالية الحرية والديموقراطية لتضرب المكاسب الثورية لان الحرية والديموقراطية التي ندعو لها هى حرية وديموقراطية الشعب العامل فلا حرية ولا ديموقراطية لاعداء الشعب ، ان تاريخنا الثورى حافل بالشواهد على ان الديموقراطية كانت دائما امضى سلاح في يد الشعب ضد اعدائه ، ومن ناحية اخرى لا ينبغى ان يغيب عن نظرنا الواقع الثورى في الريف الذى يختزن طاقات ثورية هائلة عمادها العمال الزراعيون وفقراء الفلاحين ، والمسالة المطروحة اليوم هى كيف يحرك التنظيم السياسي تلك الطاقات ويوجهها من أجل اعادة صياغة الحياة في الريف وفي بلادنا كلها وفقا لمثلنا الاشتراكية والديموقراطية .



التنظيم النقابى والقاعدة العمالية

اذا ما تتبعنا الحركة النقابية فى مصر منذ صدور اول اعتراف قانونى بالنقابات فى سنة ١٩٤٢ ، فسنجد انه فى السنين من سنة ١٩٤٢ حتى سنة ١٩٥١ تراوح عدد النقابات بين ٢١٠ نقابة و ٤٤٨ نقابة وذلك بعضوية بلغ مجموعها ١٠٢،٨٧٦ عضوا فى ١٩٤٤ وهبطت العضوية فى ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ لتصبح على التوالى ٨٩٥٦٠ عضوا ٩٥،٥٣٨ عضوا ، ٩١،٦٠٤ عضوا ويرجع سبب الانخفاض فى العضوية هذا الى ازدياد هجوم الحكومات الرجعية واتحاد الصناعات على الحركة النقابية، ولكنه بازدياد كفاح العمال انتعشت الحركة النقابية فعادت عضويتها الى الارتفاع مرة اخرى بين ١٩٤٨ ، ١٩٥١ فاصبحت ١٤٩،٤٣٤ الفا .

وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢ حدث تطور كبير فى النشاط النقابى وفى نمو العضوية نتيجة لحصول العمال على قدر متزايد من الحرية النقابية ــ فبين ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ نشطت حركة تكوين النقابات فاصبح عددها ٥٦٨ نقابة فى ١٩٥٢ ووصل الى ١٢٤٩ نقابة فى ١٩٥٦ كانت تمارس النشاط الفعلى منها ٩٠٠ نقابة بمتوسط عضوية لكل نقابة ٤٤٤ عضوا . ورغم ازدياد العمل من اجل التنظيم النقابى فان تكوين النقابات كان يتم دون الالتزام بشكل او نمط تنظيمى واحد فكانت النقابات تتكون على اساس الحرفة او المهنة أو المؤسسة مما ادى الى تفتيت الحركة النقابية ، الامر الذى اضعف عضويتها وفاعليتها وقدرتها النضالية لتقوم بواجباتها .

وبصدور القانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ اختار المشرع نمط التنظيم الصناعى للنقابات مما ادى الى تجميع النقابات فى ٥٩ نقابة عامة واستثنى هذا القانون عمال وموظفى الحكومة وبعض المؤسسات العامة من التنظيم وقد تراوحت عضوية التنظيم فى الفترة بين ١٩٥٩ و ١٩٦٤ بين ٦٠٠ الفا و٧٠٠ الف .

وبعد الاجراءات الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ والتى انعكست على وضعية النقابات وتنظيمها تدعم الاتجاه للاخذ بمبدا التنظيم الصناعى ــ حيث يؤدى ذلك الى وجود نقابات قوية وذات قدرة نضالية عالية لتتمكن من الاضطلاع بمسئوليتها القيادية التى حددها ميثاق العمل الوطنى . ومن هنا جاء القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ الخاص بالتنظيم النقابى ، والذى تكونت تنفيذا له فى يونيو ١٩٦٤ سبعة وعشرون نقابة عامة تنظم العمال الموظفين على الاساس الصناعى ولتضم عمال وموظفى الحكومة والعمال الزراعيين فى القرى .

والجدول رقم (١) يوضح لنا عدد النقابات العامة وعدد لجانها النقابية وعدد الاعضاء المنظمين موزعين حسب النشاط الاقتصادي وذلك حتى ١٩٦٥/٦/٣٠ .

جدول رقم (١)

النشاط	عدد النقابات العامة	عدد اللجان النقابية	العضوية بالنقابات العامة
الزراعة	١	٤٠٨٩	٣٦٧ر٦٥٥
التجارة	٢٠	١٨٥	٨٣ر٨٩٢
الصناعة	٩	٨٧١	٤٩٢ر١٢٩
الخدمات	١٥	٦٣٣	٣٤٧ر١٣٥
المجموع	٣٧	٥٧٧٨	١ر٢٩٠ر٨١١

وترجع أسباب الزيادة ، من حوالى ثلاثة ارباع المليون الى مليون وربع المليون ، بسبب دخول العمال الزراعيين بالقرى فى التنظيم النقابى وكذلك عمال وموظفى الحكومة .

والملاحظ ان رقم العضوية الوارد بالاحصائية السابقة هو نفس الرقم الذى ذكر فى المؤتمر الثالث لاتحاد العمال فى يوليو ١٩٦٤ ، كما وان تميز هذا الرقم بالثبات يتضح من مراجعة العضوية فى يناير ١٩٦٦ ــ فهى لم ترتفع ارتفاعا يذكر .

وهكذا نجد انه رغم التطور الثورى الهائل فى المجتمع فان التنظيم النقابى ما زال متخلفا عن انجاز مهمته الاولى فى تنظيم جماهير العاملين الذى يبلغ عددهم وفق اخر الاحصائيات حوالى ٧ر٥ مليون عامل ومستخدم يعملون فى الزراعة والتجارة والصناعة والخدمات .

ان الزيادة التى حدثت فى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ لم تكن نتيجة عمل من قبل اجهزة التنظيم النقابى القيادية ولكنها حدثت بسبب نص قانونى ــ وهكذا بينما حقق القانون خطوة الى الامام فان التنظيم نفسه مازال متجمدا وثابتا . وعلى سبيل المثال فان عمال الزراعة الذين يزيد عددهم على ٣ر٥ مليون لم يزد عدد العمال المنظمين منهم من العدد المذكور فى ١٩٦٤ عند التأسيس الجديد ، اى ان نسبة العمال الزراعيين فى القرى المنظمين اقل من ١٠ ٪ من مجموع العاملين ، وكذلك تبلغ نسبة العمال المنظمين من عمال التجارة والخدمات ٣٠ ٪ تقريبا . وترتفع بين العمال الصناعيين الى نحو ٥٠ ٪ .

ان معركة عضوية التنظيم النقابى ــ هى معركة تنظيم جماهير العمال والارتباط بالقاعدة العريضة وايجاد الحلول للمشاكل اليومية المتجددة فى القاعدة ــ ولكن القيادات النقابية فى مجموعها ورغم الاسلحة العديدة التى سلحتها بها ثورة ٢٣ يوليو فانها تعمل كقيادات ادارية ولا تعيش مع الجماهير حياتها ومشاكلها . وهذا هو السبب الرئيسى لتخلف العضوية ــ هذا التخلف الذى يمثل ظاهرة غير صحية تؤثر على قيام النقابات بدورها كقواعد طليعية فى العمل اليومى لبناء المجتمع وتطويره وللارتفاع بمستوى الجماهير الفكرى والعملى .

وفى هذه المرحلة . مرحلة الانتقال وبناء الاشتراكية . يجب ان يتزايد الاهتمام بالتنظيم النقابى واساليب عمل قيادته ونوعيتها ، وخاصة وان هذا التنظيم يكون شبكة واسعة تغطى كل البلاد اليوم ــ كما يتضح من الجدول رقم (٢) .

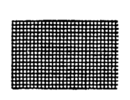
ان معركة العضوية النقابية ــ هى اهم معركة جماهيرية سياسية تفرضها مرحلة الاتجاه الى الجماهير لتعبئتها فى معركة التنمية والانتاج . فيجب ان تكون النقابة احد الاسلحة الهامة لعمل التنظيم السياسى .

جدول رقم (٢)

المديرية	عدد اللجان النقابية	المديرية	عدد اللجان النقابية
القاهرة	٥١١	الفيوم	١٨٨
الاسكندرية	٢٢٦	بنى سويف	٢٥٠
بور سعيد	٥٤	المنيا	٣٧٢
الاسماعيلية	٥٣	اسيوط	٢٩٤
السويس	٣٩	سوهاج	٣١٩
دمياط	٩٤	اسوان	٦٩
الدقهلية	٥٦١	قنا	٢٠٦
الشرقية	٥٠٨	البحر الاحمر	١١
القليوبية	٣٠٨	سيناء	٢٠
كفر الشيخ	٢٢٨	الوادى الجديد	٢٦
الغربية	٣٨٩	مطروح	٢٥
المنوفية	٣٥٣	الجيزة	٢٤١
البحيرة	٤٣٣		
المجموع	٢٧٥٧		٢٠٢١
المجموع الكلى ٥٧٧٨			

مصادر الاحصائيات : ● احصاء الادارة العامة للنقابات والثقافة العمالية فى ١٩٦٥/٦/٣١ و ١٩٦٥/١٢/١٢ .

● تقويم النقابات والاتحادات العمالية فى جمهورية مصر (ديسمبر ١٩٥٦) .



تقارير الشهر

- عقد مؤتمرات الانتاج وتشكيل الاتحادات المحلية
- جبهة وطنية ضد الشاه والحلف الرجعى
- الوسط الديجولى .. يفوز على اليمين الديجولى
- الحياة فى المريخ وعمر الانسان فى الفضاء

■ **الاتحاد الاشتراكى العربى**

القيادة والتنظيم السياسى والجماهير

بدأ الاتحاد الاشتراكى فى التحرك نحو آفاق جديدة .. آفاق القيادة السياسية المتجددة القوى التى « **اذا لم تاخذ من الجماهير فانها تجد نفسها معزولة تعبر عن رايها الخاص ، واذا لم تصل اليهم فى مواقعهم تتحول الى مجرد رئاسة بيروقراطية** » .. على حد تعبير **المناضل جمال عبد الناصر رئيس الاتحاد الاشتراكى** وهو يوجه الحديث الى ١٧٠ عضوا يمثلون مؤتمر امناء واعضاء المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى العربى .

وكان ذلك المؤتمر قد انعقد فى ١١ يناير الماضى **برئاسة على صبرى الامين العام للاتحاد** بعد أن مارست المكاتب التنفيذية فى المحافظات تجربة محدودة للعمل خلال المدة منذ تشكيلها حتى انعقاد المؤتمر تجعل من الضرورى اجتماع اعضائها معا لتبادل الخبرة ودراسة الاقتراحات المختلفة وخاصة تلك المتعلقة بكيفية ربط القيادة بالقاعدة الشعبية .

وقد حدد **على صبرى** فى جلسة الافتتاح أن ذلك اللقاء هو لقاء « **للتعارف السياسى** » تمهيدا للانطلاق للعمل فى المرحلة القادمة .

وقال الامين العام ان **خطة العمل ستكون ذات شقين** : الاول هو توضيح ما يمكن أن تقوم به المنظمات السياسية من حلول ذاتية لمواجهة مشاكل الجماهير . والثانى دراسة المشاكل العامة الكبرى وترتيبها حسب الاهمية ووضع خطة لمواجهتها وحلها بواسطة الاتحاد الاشتراكى سواء على مستوى المحافظة او القيادة العليا للتنظيم بما فيها مجلس الامة .

وعند انعقاد المؤتمر بدا امناء المحافظات يعرضون التجارب العملية التى قاموا بها فى محافظاتهم والصعوبات التى واجهوها وقد عرضت فى المؤتمر تجارب رائدة عن كيفية اثارة الحوافز لدى الجماهير لحل كثير من المشاكل التى تواجهها فى مجالات الخدمات بالذات دون الاعتماد على السلطة التنفيذية او ارهاقها .

ومن المسائل التى أثارها مثلا **عبد المجيد فريد امين محافظة القاهرة مشاكل** العاصمة المعقدة ومن بينها الخدمات والاسكان والمواصلات وسوء الخدمة فى المستشفيات واستغلال تجار الخضر والفاكهة بروض الفرج ، ومشاكل النقابات المهنية التى رفض أمين المحافظة فكرة اقامة اتحاد لها « لانه يضم متناقضات لا يمكن السيطرة عليها سياسيا » .

وقال عبد المجيد فريد بصراحة ان الاتحاد الاشتراكى « لم يصل بعد الى العناصر الشعبية العريضة » ، وطلب ادراج هذه المسالة فى جدول الاعمال .

وفى اليوم التالى لانعقاد المؤتمر حضر الرئيس جمال عبد الناصر الاجتماع وكان يصحبه عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وانور السادات ، وعقدت على الفور جلسة عمل مغلقة باعتبارها اجتماعا تنظيميا .

وركز عبد الناصر فى ذلك الاجتماع بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى حديثه عن موضوع واحد هو : **القيادة والتنظيم السياسى والجماهير** . وأبرز النقاط التالية :

- لايمكن أن تقوم قيادة على أى مستوى الا اذا كانت مع الجماهير ومنها .
- ان اية قيادة لا تأخذ من الجماهير وتتعلم منها تجد نفسها فى النهاية معزولة لا تستطيع ان تعبر الا عن رأيها الخاص وتفقد حقها فى التعبير عن الرأى العام لانها منقطعة الصلة به .
- ان اية قيادة لا تعطى ما لديها للجماهير مباشرة وفى

مواقعها تتحول الى رئاسة بيروقراطية تصدر منها توجيهات تتجمد على نفس الورق الذى تكتب عليه .

● ان نجاح اى عمل تنظيمى يعتمد فى الدرجة الاولى على مجموعة طلائعية نشيطة قادرة على الحركة والاستجابة ، ونجاح اية قيادة فى اية وحدة تنظيمية رهن بقدرتها على اكتشاف العناصر الطلائعية وتوجيهها ودفعها الى العمل لكى تشد غيرها معها .

● ان القيادات لاينبغى ان تقع فى خطأ اغراق التنظيمات السياسية بعدد من المهام المختلفة فى نفس الوقت وفى نفس المكان

وبعد انتهاء الرئيس من حديثه .. اجاب على اسئلة اعضاء المؤتمر .

وفى الجلسة الاخيرة للمؤتمر اتخذت عدة توصيات تشمل : الخطة العامة لعمل الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة القادمة فى المجالين التنظيمى والسياسى ، والخطوط الرئيسية الخاصة بالعمل فى قطاع الفلاحين والعمال والشباب .

ووزع على الاعضاء حديث الرئيس عبد الناصر الذى وجهه لاعضاء المؤتمر حتى يكون اساسا ومنهجا لاسلوب العمل فى الاتحاد الاشتراكى خلال المرحلة القادمة سواء فى المرحلة التنظيمية او الناحية السياسية .

واذيع ان الرئيس عبد الناصر سيجتمع مع اعضاء المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى مرة كل شهر ، وكذلك اجتماعا مع قيادات الاتحاد الاشتراكى فى محافظتين من محافظات الجمهورية كل اسبوع . وسوف يحضر جميع اعضاء اللجنة الدائمة للاتحاد هذه الاجتماعات .

ويقول المراقبون ان الهدف من تلك الاجتماعات هو تعميق الوحدة الفكرية على أوسع جبهة ممكنة بين قيادات الاتحاد الاشتراكى فى انحاء الجمهورية العربية المتحدة ومجالات العمل المختلفة ، والاتفاق على اساليب للعمل بالالتصاق بالكتل الجماهيرية لتلمس مطالبها واتجاهاتها الفكرية وتحليلها وصولا الى حلول تنفذ ذاتيا فى حدود الامكانيات الواقعية للمجتمع مع توجيه وتوعية وتعبئة الجماهير لضمان اشتراكها بصورة ايجابية فى عملية البناء الاشتراكى .

وببداية النشاط الواسع للمكاتب التنفيذية للاتحادالاشتراكى العربى يتاكد من جديد مغزى كلمات الرئيس عبد الناصر من أن الطريق الوحيد لمواجهة تحديات الرجعية والاستعمار وتحقيق هدفنا فى التحول من الراسمالية الى الاشتراكية هو العمل السياسى لا العمل الادارى .

هذه العبارة قد اصبحت شعارا للمرحلة القادمة ومن ثم يمكن ان نقول ان موجة التفاؤل التى تسود الدوائر السياسية اليوم لها ما يبررها .

السياسة والدين والفن فى «قاعة الشعب»

قامت امانة الدعوة والفكر بنشاط واسع خلال شهر رمضان . فقد التقت آلاف الجماهير على طول شهر رمضان « بقاعة الشعب » بمبنى الاتحاد الاشتراكى .. تناقش وتفكر بصوت عال وتقول كل ما يدور فى خلدها من تساؤلات واستفسارات وآراء .

وقد اصبح من المالوف خلال الشهر ان يتوافد الناس من القاهرة والاقاليم ليحيلوا « قاعة الشعب » الى سامر من نوع جديد .. حددت امانة الدعوة اطاره : بالسياسة والدين، والفن ، والفكر .

وقدمت خلال الشهر ٢٤ ندوة ومحاضرة ، اشترك فيها امناء الدعوة والفكر وشئون الاعضاء والمعاهد الاشتراكية والفلاحون وبعض اعضاء مجلس الامة واساتذةالجامعات وكبار المسئولين فى حقل الثقافة والشئون الدينية .

وقد تناولت المناقشات أهم القضايا المطروحة .. ابتداء من العمل السياسى فى الريف ، والاسلام وتطور المجتمع الى الفنون الشعبية ، ومشاكل السينما .

وقد ساهمت المؤسسة العامة للمسرح والموسيقى بتقديم البرنامج الترفيهى كل ليلة واشتركت فيه الفرقة القومية للفنون الشعبية والسيرك والاوركسترا السيمفونى ـــ الذى استقبل استقبالا حماسيا غير متوقع ـــ كما اشترك ايضا الفنانون توفيق الدقن وامينة رزق وعبد المنعم ابراهيم وسناء جميل بقراءات من الشعر والزجل . ومن الاقاليم اشتركت فرقة بورسعيد للفنون الشعبية .

وتنتهى الليالى السياسية فى اليوم الاخير وقد اختلطت باصوات الجماهير وهى تنشد نشيد سيد درويش « بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى » .

وقد اجرت امانة الدعوة والفكر استفتاء مكتوبا فى الثلاثة ايام الاخيرة ، كان الاجماع فيه تقريبا على استمرار هذه الندوات ونقلها الى الاقاليم

ونتيجة لذلك تدرس امانة الدعوة مشروعا لنقل هذه التجربة الى المحافظات والاستمرار فى الندوات « بقاعة الشعب » مرة كل اسبوع .

●

■ الجمهورية العربية المتحدة

السد العالى .. وانحسار فترة «الجفاف» مع البنك الدولى

اعتاد بناة السد العالى ، أن يجعلوا من اعياد السد ، اعيادا للعمل والانتاج والتخطيط . فور وصول الوفد السوفيتى برياسة نيباروجنى ، وزير القوى الكهربائية ، بدأت اجتماعات العمل بينه وبين الجانب المصرى برياسة المهندس محمد صدقى سليمان وزير السد ، لدراسة ما تم تنفيذه وما بقى من مهام . ومع التصميم والارادةالعربية والاستعداد الطيب وصدق النية السوفيتية ، تم توفير عام من فترة البناء اذ تقرر الانتهاء من بناء السد فى اول ١٩٦٨ بدلا من نهايته .

وقد فاقت الانجازات الفعلية المعدلات التى كانت مقررة لها سواء فى جسم السد الرئيسى ، او فى التركيبات الميكانيكية . وبلغ ما تم صبه من الخرسانة ٢٦٥ الفا ، ٥٠٠ متر مكعب بنسبة ١٠٥٪ من المعدل المقرر ، وبلغت الزيادة فى الاعمال الميكانيكية ١٢٪ عن الحد المطلوب . وتم حفر ٢٥ مليون ، ٥٠٠ متر مكعب من الصخور . وبذلك يكون قد تم بناء ٦٥٪ من جملة المكعبات اللازمة لجسم السد ، ووضع ١ر٤ مليون متر مكعب من الطين الاسوانلى فى النواة الصماء التى تحمى جسم السد من رشح المياه .

ويبذل المسئولون عن العمل جهدا خارقا للعادة ، ويبدون حرصا لامثيل له على سلامة وانتظام التنفيذ . ففى هذا العام مثلا ، تقرر اقامة الحفل الساهر فى مدرسة بدلا من اقامته فى

موقع السد حتى لا يتعطل العمل . ولولا تلك الروح لما تم تحقيق تلك المعدلات القياسية . فمثلا الانفاق تم حفر ٦٠ الف متر مكعب بالانفاق المائلة ١ ، ٤ . ووصل الحفر فى مختلف الانفاق الى ٩٠٠ الف متر مكعب . مما دفع الوفد السوفيتى للاعراب عن تقديره للقدرة العربية واعجابه بها ، واعلن ان الاتحاد السوفيتى سيقوم بتوريد المعدات فى مواعيدها الجديدة .

وتتم ستارة تمتد الى ٢٨٠ مترا تحت قاع النهر لمنع تسرب المياه من تحت جسم السد ، ويصل ارتفاعها الى ١٢٧ مترا

تعليق

الفرع والاصل فى العمل السياسى

الخطأ الاساسى الذى وقعت فيه القوى السياسية ، الوطنية والاشتراكية قبيل ثورة يوليو ، هو الانعزال عن الجماهير الشعبية وفقدان القدرة على التغلغل بين الناس والعجز عن تنظيمهم وتعبئتهم ، فالحركة السياسية كانت تتركز فى المدن والتنظيمات الثورية تنتشر بين المثقفين وابناء الراسمالية الصغيرة اساسا . وحتى فى الحالات النادرة التى امتدت فيها الى المجالات العمالية ، كان اسلوبها يقتصر على اختيار بعض القادة النقابيين وعزلهم عن واقعهم وبتر علاقتهم بقاعدتهم ، بتنظيمهم فى حلقات مغلقة على اساس مفهوم ميكانيكى جامد للدور القيادى للقوى العاملة ، مع اهمال تربيتهم وتثقيفهم سياسيا مما ادى الى ذبولهم بعد ان اجتثت جذورهم بين العاملين . كما اغفل النشاط فى الريف الا فى حالات نادرة كان طابعها ارسال فرق استكشاف سرعان ماتعود الى زحمة الحياة بالمدينة وتنقطع صلاتها العشوائية المفتعلة مع الفلاحين .

ويرجع الى هذا الانغلاق والحلقية والانعزال ، السبب فيما حدث من اختناق هذه الحركات وفقدها لفاعليتها ، رغم المناخ المناسب اجتماعيا وسياسيا والارضية المستجيبة لتغذيتها وحمايتها ومدها بعصارات الحياة ، وكنا فى ذلك الحين نفعل وكانما نكرر ماعملناه فى صبانا من استنبات بعض البذور والثمار — كالبطاطس والبصل — فى اوان زجاجية ، تورق وتطول وتشمخ دون ان تثمر ، ولذلك كانت هذه الحركات تنتفخ وتتضخم ثم سرعان ما يدركها الذبول فتذوى فى مهدها .

وبعد الثورة ، استمر تخلف القدرة السياسية على تعبئة قوى الشعب العاملة تنظيميا ، برغم كسب قطاع كبير منها ، نتيجة الاجراءات الثورية التى اتخذت من مواقع الحكم وعكست صدق تعبير القيادة عن مصالح الجماهير الشعبية ، وصلابتها وثوريتها المتجددة فى الانطلاق قدما دون تردد لبناء مجتمعنا الاشتراكى .

وقد عودنا القائد عبد الناصر ان يبادر الى الكشف عن مواطن الخطر ونقاط الضعف فى جبهتنا الثورية ، ويطرح الشعار المناسب للمرحلة والذى يمثل الحلقة الرئيسية التى يؤدى الامساك بها الى التحكم فى الموقف كله ، ولذلك طرح شعار « العمل السياسى لا العمل الادارى » كما كشف فى مؤتمر اعضاء المكاتب التنفيذية عن الحلقة الرئيسية فى نجاح العمل السياسى ، والتى تتمثل فى اخذ القيادات الجديدة بمبدأ الالتحام بالجماهير .. الاخذ من قوى الشعب العاملة والتعلم منها ، واعطائها ما لديها مباشرة وفى مواقعها .. معايشتها فى حياتها اليومية ، منبها الى انه لايمكن ان تقوم قيادة على اى مستوى ، الا اذا كانت مع الجماهير ومنها ، منذرا بانها اذا لم تتوخ ذلك فسوف تجد نفسها معزولة لاتستطيع ان تعبر الا عن رأيها الخاص ، وتفقد حقها فى التعبير عن الراى العام لانها منقطعة الصلة به وتتحول الى « رئاسة بيروقراطية تصدر عنها توجيهات تتجمد على نفس الورق الذى كتبت عليه » .

ان ضمان تامين الثورة واستمرارها وتقدمها رهن بادراك القيادات الجديدة لدور الجماهير الشعبية الخلاق باعتبارها القوة الدافعة الرئيسية للثورة وانفصال الفرع عن الاصل ، يلغى وجوده . وهناك فكرة تجد رواجا بين عدد من المتعلمين . تنحو الى اعتبار الجماهير عنصر سلبى وانها على احسن الفروض ادوات غير مفكرة ، تحركها ارادة الفرد . وهو فكر معاد للديمقراطية ، معوق لتطورنا الثورى ، متاصل فى نفوس الكثيرين بما فيهم البعض ممن ينقدون هذه النظرة عن وعى الا انهم يعكسونها فى تصرفاتهم ومواقفهم .

واهمية تاكيد دور الجماهير الحاسم فى حركة التاريخ يجب أن يمتد الى ادراك قوى الشعب العاملة ذاتها — لا ان يظل محصورا فى القيادات وحدها — اذ ان هذا المفهوم يلهم الناس الثقة والايمان بالنصر ويحملهم الاحساس بالمسئولية تجاه المجتمع ويؤجج روح النضال ويشدهم الى حلبة الصراع ضد القوى المعادية ومن اجل بناء المجتمع الجديد ، الذى لايعتمد فى ارساء قواعده على نشاط فئة محددة العدد ، بل على النضال الايجابى الواعى لقوى الشعب العاملة كلها .

لقد كان الوعى الاجتماعى متقدم عن الواقع الاجتماعى ، الا ان هذا الواقع قد تحرك وتطور وانطلق مع الثورة حتى ليكاد يتعدى مستوى الوعى الاجتماعى حاليا . ومن هنا تبدو اهمية الاندماج مع الجماهير والعمل بينها ومعايشتها والتعلم منها والتاثير فيها ، فهو الضمان الوحيد لتامين الثورة وحفظ بقائها واستمرار تصديها لكافة التحديات وتخطيها كل العقبات بفضل الجماهير واستنادا الى قوى الشعب العاملة ، صاحبة المصلحة فى البناء الاشتراكى

ميشيل كامل

وعرضها من أعلى ٤٠ مترا . وتعد اضخم وأعمق ستارة من نوعها فى العالم .

كما تم تشغيل بوابات مداخل الانفاق والصيانة تمهيدا لتركيب التوربينات فى بداية العام القادم . وفرغت الانفاق لانهاء تركيب المعدات اللازمة للتوربينات واقامة قواعدها داخل الانفاق ومن جانب آخر بدأت عمليات مد الاسلاك الكهربائية فوق الابراج لاول مرة

ومع استمرار تقدم العمل فى السد العالى ، وتحقيقه لمعدلات قياسية واطراد تقدمه راجع عدد كبير من المتشككين مواقفهم . وآخر هؤلاء ، واهمهم بالطبع ، جورج وودز مدير البنك الدولى للانشاء والتعمير ، الذى كان قد شكك فى قدرة الاقتصاد المصرى على انجاز هذا العمل . ففى نفس الفترة التى تجرى فيها الاستعدادات للاحتفال بالعيد السادس للسد . وصل وودز الى القاهرة ، بناء على دعوة كان قد وجهها اليه الدكتور القيسونى نائب رئيس الوزراء اثناء انعقاد المؤتمر السنوى لمحافظى البنك فى واشنطن فى اكتوبر الماضى . وتناولت محادثات وودز فى القاهرة الخطوط العامة لمساهمة البنك الدولى للانشاء والتعمير ومؤسسة التنمية الدولية التابعة له فى تمويل بعض مشروعات الخطة الخمسية الثانية وبعض المشروعات طويلة الاجل كالطرق واصلاح الاراضى . وتم بحث موضوعين اساسيين :

■ المشروعات التى سيمولها البنك بنفسه — وهى التى تدر ربحا مناسبا — ويقدمها البنك بقروض لفترة تتراوح بين ١٥ ، ٢٠ سنة وبفائدة ٥ر٥٪ . وكذلك المشروعات الاساسية للتنمية والتى ستقوم مؤسسات التنمية الدولية التابعة للبنك بتمويلها — وهى لاتدر ربحا مباشرا وسريعا — كانشاء الطرق والكبارى وهذه تتم بقروض لمدة ٤٠ عاما وبفائدة ٣/٤٪ .

■ تكوين صندوق مشترك من البنك ومؤسساته وبعض المؤسسات المالية الكبيرة فى الدول الاعضاء فى البنك «كونسورتيوم» للمساهمة فى تمويل بعض المشروعات .

وقد اجتمع وودز بالمسئولين عن مختلف مجالات النشاط الاقتصادى . كما قابل الرئيس عبد الناصر والسيد زكريا محيى الدين رئيس الوزراء والقيسونى ومحمود يونس نائبى رئيس الوزراء وعبر عن رغبة البنك ونيته الصادقة فى التعاون مع الجمهورية العربية المتحدة واعلن أن فترة الجفاف فى علاقة البنك بالقاهرة والتى امتدت من ١٩٥٩ قد انتهت . وأن البنك يمكنه المساهمة فى تمويل المشروعات الجديدة . وقال مستر وودز أنه «يتفق مع حكومة القاهرة على ضرورة الاجراءات الاقتصادية الاخيرة لمستقبل الاقتصاد المصرى »

وقد زار وودز السد العالى ومصانع كيما . وقال أن السد « عمل أقل ما يوصف به أنه رائع وعظيم . وان من الواضح ، أن الاشخاص الذين يعملون فى هذه المشروعات العظيمة يدركون أن العمل لابد أن ينتهى فى مواعيده المحددة ، لتاتى ثماره طبقا لخطة موضوعة » وكلام وودز خير رد على حملات التشكيك التى ظهرت فى الصحف الغربية فى الاونة الاخيرة عن تخلف العمل فى السد العالى عن مواعيده المقررة . كما أنه شهادة لقدرة ومتانة الاقتصاد المصرى ، ممن سبق ان انكروها

ومن المعروف ان الجمهورية العربية المتحدة لم تتلق قروضا من البنك الدولى ، منذ ١٩٥٩ ، حين قدم قرضا قيمته ٥ر٥٦ مليون دولار على ثلاث مراحل لتحسين الملاحة فى القناة وتم تسديده بالكامل . وللبنك الدولى تاريخ طويل مع القاهرة بدأ بسحب العرض الذى كان قد قدمه لتمويل السد العالى بضغط من الولايات المتحدة والدول الغربية . وفى ١٩٦٤ حدث فى طوكيو صدام بين وفد الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر محافظى البنك وبين مديره مستر وودز ، عندما قال بأن البنك لن يقدم قروضا للجمهورية العربية المتحدة واندونيسيا وسيلان لتأميمها الممتلكات الاجنبية ، وأعلن أن على البلاد النامية أن تعتمد على نفسها ، والا تطالب الدول الكبرى ببناء اقتصادها . وقد أعتبر وفد الجمهورية العربية تلك التصريحات تدخلا فى الشئون الداخلية للدول الاعضاء . واعلن ان الدول النامية لا تقترض الا ٢ ٪ من جملة المبالغ اللازمة لاستثماراتها وأنها تقدم بنفسها ٩٨٪ من جملة استثماراتها

وقروض البنك عادة تتم لآجال قصيرة ، وبفوائد مرتفعة ، تصل مع العمولة الى ٦٪ ، مع اشتراط السداد بالعملة الصعبة الامر الذى لايتوفر للبلدان النامية . كما تبلغ نسبة القروض الصناعية ٢ر١٦٪ من مجموع قروضه . ونظام التصويت فى البنك يعطى للدول الكبرى فرصا للضغط على غيرها . اذ أن نسبة الاصوات تتحدد بنسبة المساهمة فى رأس المال . ولما كانت الولايات المتحدة تملك ٣٠٪ من رأس المال فانها تمارس نفوذا كبيرا فى تحديد سياسة البنك .

●

بور سعيد منطقة حرة

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بتعيين اللواء أنور بهاء الدين الذى كان أمينا للشباب بالاتحاد الاشتراكى العربى مديرا عاما لهيئة المنطقة الحرة ببورسعيد . وذلك بعد أن وافق مجلس الوزراء على قرار تحويل المدينة الى ميناء تجارة حرة ، بمعنى الا تخضع المدينة للقيود النقدية والجمركية التى تخضع لها موانى ومدن الجمهورية ، كما يسمح باستغلال رءوس الأموال الاجنبية داخل حدود المدينة بحرية .

ولقد وقع الاختيار على بور سعيد من بين كل الموانى لتكون ارض المنطقة الحرة بسبب توسطها منطقة التجارة العالمية ومشروع التحويل الذى اقره مجلس الوزراء يشتمل على ٦ مواد تحدد أسس العمل فى هذه العملية الكبيرة التى تطبق لاول مرة فى الجمهورية وتتضمن هذه الاسس :

● تحويل بورسعيد الى منطقة حرة معفاة من القيود الجمركية .

● يبدء تنفيذ المشروع من المنطقة الحرة الموجودة الان على ان يتسع تدريجيا ليشمل المدينة .

● تشكيل هيئة عامة تتولى الاشراف على المنطقة الحرة وتتبع رئيس الوزراء ويتولى نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية عرض قرارات مجلس ادارتها على رئيس الوزراء لاعتمادها .

● يتولى مجلس ادارة الهيئة تصريف أمور المنطقة دون التقيد بالنظم الادارية والمالية المتبعة فى المصالح الحكومية ويعين للهيئة مدير له نائبان . ويختص مجلس ادارة الهيئة باصدار قرارات شغل المنطقة ودراسة المشروعات التجارية المقترح انشاؤها واقتراح مايراه من تعديلات على القوانين واللوائح المعمول بها حاليا وربط تخطيط الاسكان بالمدينة بما يحقق اهداف التوسع فى المشروع .

● للهيئة ميزانية خاصة وتعتمد فى ايراداتها على ثلاثة موارد

اساسية تشمل ايراداتها الخاصة من المنطقة وما تعقده من قروض ، وما تخصصه لها الدولة من اعتمادات .

وكان مجلس الوزراء قد اقر فى اجتماعه الاول اثناء مناقشة المشروع عدة توصيات خاصة بترتيبات تنفيذه ومن اهمها :

● ان يتم تنفيذ المشروع على مراحل نظرا لما يحتاجه التنفيذ من عمليات واسعة فى التخطيط والاسكان والمواصلات والبناء

● ان تكون منطقة الميناء الحرة الموجودة الان فى بور سعيد وتقدر مساحتها بحوالى ٨٠٠ الف متر مربع نقطة بداية لتطبيق المشروع ويمكن فى ضوء مايتم تنفيذه فيها التوسع فى المشروع بحيث اذا توفرت الامكانيات امتدت مساحة المنطقة الى مليون و ١٠٠ الف متر مربع فى مدى عامين .

● بالنسبة للعمليات التجارية التى ستنفذ فى هذه المنطقة الحرة تعطى الاولوية لعمليات اعادة التعبئة والفرز والتنظيف والخلط وتوجيه الاهتمام لعمليات التجارة العابرة (الترانسيت) وتموين السفن مع التوسع مستقبلا فى الصناعات الاخرى .

● بالنسبة الى ماتحتاجه المنطقة من استثمارات لتحسين الميناء او توفير المرافق والخدمات تكون لها اولوية التحويل من البنك الدولى للانشاء والتعمير .

● بالنسبة للنشاط التجارى او التخزينى او الصناعى فى المنطقة فيمكن تدبير التمويل اللازم له بالعملة الاجنبية عن طريق التعاون والاشتراك مع اصحاب رءوس الاموال العربية .

وقد اثار القرار بعض الجدل بين الاقتصاديين حول مزاياه واضراره ، فالبعض يرى تعارض قيام المنطقة الحرة من ناحية المبدأ ، مع النظام الاشتراكى والبعض الاخر يؤيد قيامها مع الالتزام بتحفظات ويطالب بضرورة الحذر من المخاطر والصعوبات التى يمكن ان تترتب عليها ، اذا لم تتوخ الرقابة واليقظة تجاه احتمالات استغلال القوى المعادية والانتهازية والتبعية للمنطقة الحرة لمصلحتها الخاصة .

وكان الراى الغالب هو انمركز الجمهورية العربية المتحدة بحكم موقعها وسياستها يكسبها قدرة واسعة على الحركة ويجعلها تستطيع التعامل مع مختلف الدول والانظمة . وان الظروف الطبيعية والجغرافية للجمهورية تمثل ثروة قومية هامة ، ينبغى انتكون دائما فى التقدير ونحن نحسب موارد التنمية ، تماما كما يحدث بالنسبة لقناة السويس والسياحة . وهم فى الوقت نفسه ويحكم القيادة الاشتراكية واليقظة الثورية متنبهين الى أن الاستعمار لن يترك هذه الفرصة دون أن يستغلها وانه لن يدخر وسعا لاقامة مراكز للتجسس على اقتصادنا ، كما ان بعض دوائر الغرب سوف تعتبر المشروع فرصة لاقامة نموذج للاقتصاد الرأسمالى تبذل كل جهدها لجعله باهرا جذابا .

●

عقد مؤتمرات الانتاج وتشكيل الاتحادات المحلية

سجل

الشهر الماضى نشاطا جماهيريا وتنظيميا للحركة النقابية ، ففى مجال النشاط الجماهيرى نشطت اللجان النقابية والنقابات العامة لترجمة قرارات الاتحاد العام للعمال بخصوص مؤتمرات الانتاج الى حقيقة واقعة . فعقدت عشر نقابات عامة اكثر من اجتماع للاعداد لمؤتمراتها العامة .

وقد ركزت النقابات كلها على ان مؤتمرات الانتاج ليست مؤتمرات علوية بل يجب ان تكون قاعدية على مستوى العمال فى وحدات الانتاج لانهم هم الذين يلمسون لمسا مباشرا معوقات الانتاج ومشاكله . ولهذا ركزت النقابات ، فى اجتماعاتها على ضرورة عقد مؤتمرات عامة واجتماعات وندوات على مستوى اللجان النقابية ، ثم من حصيلة هذه المؤتمرات تنظم النقابة مؤتمرها العام .

وكان النمط السائد فى اجتماعات النقابات العامة هوتكوين كل نقابة عامة للجنة تحضيرية ، تمثل فيها قطاعات النشاط المختلفة بمندوب على الاقل ، ثم يقوم مندوب كل قطاع بتكوين لجنة فنية داخل قطاعه ، مهمتها معرفة رأى القاعدة العمالية بهذا القطاع عن الانتاج ومعوقاته ووسائل مواجهة هذه المعوقات وتحقيق اهداف الخطة ، وذلك عن طريق مؤتمرات قاعدية او اجتماعات أو ندوات . ثم تعد كل لجنة فنية لكل قطاع تقرير مفصل ترفعه الى اللجنة التحضيرية ، وهذه التقارير ستكون اساس البحث فى اللجان المختلفة فى مؤتمر النقابة العامة .

وقد عقد خلال هذا الشهر العديد من المؤتمرات والاجتماعات على مستوى اللجان النقابية فى معظم هذه النقابات العشر . كما عقدت النقابة العامة لعمال السكك الحديدية مؤتمرها العام ، وسجلت بذلك اول مؤتمر تعقده النقابات العامة ، ثم تبعتها النقابات العامة للعاملين فى الصحافة والنشر ، وللعمال المدنيين بالمصانع الحربية ، والعاملين بالخدمات والادارة . وسيشهد شهر فبراير مؤتمر الاتحاد العام للعمال وبعض المؤتمرات لعدد من النقابات العامة التى لم تعقد مؤتمرها قبل مؤتمر الاتحاد العام .

وفى الناحية التنظيمية بدأ الاتحاد العام للعمال فى تشكيل الاتحادات المحلية ، وهذه الاتحادات نص عليها القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٦٤ اذ جاء فى المادة ١٨٣ انه على الاتحاد العام للعمال ان يشكل فى المحافظات اتحادات محلية للعمال يكون اختصاصها رعاية المصالح المشتركة للجان النقابية فى المحافظة وتوجيهها توجيها موحدا والعمل على رفع الكفاية الفكرية والثقافية والمهنية والانتاجية للعمال . واعطت المادة لوزير العمل حق اصدار قرار منه يتضمن طريقة تشكيل وتنظيم هذه الاتحادات المحلية .

وتنفيذا لهذا صدر القرار الوزارى رقم ١٤١ لسنة ١٩٦٤ ، لكن اعتراض الاتحاد العام للعمال عليه تسبب فى الغائه ، وصدور القرار رقم ٩٠ لسنة ١٩٦٥ فى ٤ اكتوبر سنة ١٩٦٥ ، فى شأن الشروط والاوضاع التى تتبع فى تشكيل وتنظيم الاتحادات المحلية للعمال .

وعلى ضوء هذا القرار بدأ الاتحاد العام للعمال يستعد لتشكيل الاتحادات المحلية ، وكان قد سبق له ان شكل لجنة خاصة من اعضائه لهذا الغرض ووضع مخططا يقضى فى تشكيل هذه الاتحادات المحلية فى ست محافظات كخطوة اولى وهى محافظات الاسكندرية والقليوبية والجيزة والسويس والغربية .

وكان الاتحاد العام للعمال قد فتح باب الترشيح فى اوائل ديسمبر وفى ١٧ ديسمبر تمت الانتخابات فى محافظة الاسكندرية على ان تتبعها بقية المحافظات .

ويتكون الاتحاد المحلى فى كل محافظة من اللجان النقابية الموجودة بالمحافظة والتى انضمت نقاباتها العامة الى الاتحاد العام ، وتتكون الجمعية العمومية للاتحاد المحلى من مندوبى اللجان النقابية فى الجمعيات العمومية للنقابات العامة ، وتجتمع مرة كل سنتين وتختص بانتخاب اعضاء مجلس الادارة

وبحث تقرير المجلس عن نشاط خلال الدورة ، والبت في التقارير والتوصيات والمسائل التي يرفعها اليه مجلس الادارة

ويتكون مجلس ادارة الاتحاد المحلي من خمسة الى خمسة عشر عضوا تنتخبهم الجمعية العمومية لمدة سنتين بالاقتراع السري من بين من ترشحهم مجالس ادارة اللجان النقابية ، ولا يجوز ان يزيد عدد الاعضاء التابعين للنقابة العامة الواحدة في مجلس الادارة عن عضوين ، وتسقط عضوية الممثل الذي يفقد صفة تمثيله للنقابة المنتخب منها ، ويجتمع مجلس الادارة

مرة كل شهر ، والمجلس هو " سلطة التنفيذية ، وينتخبمن بين اعضائه هيئة المكتب وتتألف من الرئيس والوكيل وامين السر وامين الصندوق

●

اتصالات من اجل السلام

تابع المراقبون السياسيون باهتمام ، النشاط الدبلوماسي والاتصالات الهامة التي شهدتها القاهرة — خلال الشهر الماضي — والتي دارت حول امكانيات ايجاد حل سلمي لمشكلة فيتنام التي باتت تهدد السلام العالمي بشكل متزايد . ولم تكن المقابلات التي اجراها في نيودلهي **حسين الشافعي** نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ومبعوث الرئيس الخاص للتعزية في وفاة شاستري ، مع كل من **اليكسي كوسيجين** رئيس الوزراء السوفيتي ، **ودين راسك** وزير الخارجية الامريكية — لم تكن هذه الاتصالات ، بالاولى من نوعها بين المساعي التي تبذلها الجمهورية المتحدة لايجاد حل لمشكلة فيتنام .

ففي أوائل يناير الماضي قابل **الرئيس جمال عبد الناصر** ، **افريل هاريمان المبعوث الخاص للرئيس الامريكي** — الذي وصل الى القاهرة في ذلك الوقت ، ضمن جولة قام بها الى عدد من عواصم العالم لاجراء محادثات بشأن فيتنام وعرض وجهة نظر الولايات المتحدة والتعرف على وجهات النظر الاخرى . وقد صرح هاريمان — بعد مقابلة الرئيس عبدالناصر له — بأن المحادثات التي دارت بينهما « كانت بناءة » . وجدير بالذكر أن هاريمان كان قد مد من برنامج اقامته في القاهرة يوما آخر زيادة على البرنامج المحدد له .

وقد صرحت مصادر وزارة الخارجية العربية ، أن القاهرة أجرت عددا من المشاورات والاتصالات مع عدة عواصم أخرى « وهذا أمر طبيعي بعد زيارة هاريمان للقاهرة ومحادثاته بشأن فيتنام » . وأضافت هذه المصادر العربية « ولكن هذه الاتصالات لاتسمح ، حتى الان بتقديم أي مشروع محدد للسلام في فيتنام » . ومن المعروف أن القاهرة كانتقد حددت — من قبل — خطا لمساعيها في هذا الشأن على الوجه التالي « (١) يجب أن تتأكد أن هناك فرصة حقيقية لصون السلام على أساس العدل . (٢) ضرورة وضع الحقائق والمبادىء موضع الاحترام » .

وقد بعث الرئيس جمال عبد الناصر بعدة رسائل الى رؤساء الدول الافريقية حول مشكلة فيتنام ونتائج محادثات هاريمان . ومعروف أن القاهرة كانت قد تسلمت نسخة من بيان المتحدث الرسمي لوزارة خارجية فيتنام الشمالية متضمنا رأى حكومة هانوي في محاولات التفاهم التي تقوم بها أمريكا . وجدير بالذكر أن الولايات المتحدة طلبت من القاهرة « رعاية شئون أسرى الحرب الامريكيين في فيتنام الشمالية » وعندما أبلغت القاهرة هانوي بطلب وشنطن ، كانت وجهة نظر هانوي أن من لديها من الامريكيين « وخاصة الطيارين » تعتبرهم « مجرمي حرب . لانهم وقعوا في الاسر اثناء الغارات الجوية على أراضي فيتنام . وهذه الغارات غير مشروعة لان أمريكا وفيتنام ليستا في حالة حرب رسمية » . وكانت القاهرة تعلق ردها بالقبول على طلب أمريكا بشرط موافقة حكومة هانوي على قيامها بهذه المهمة .

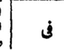
ويعتقد المراقبون السياسيون ان القاهرة « من أكثر العواصم قدرة على القيام بدور فعال بشأن قضية فيتنام » . ويرجعون ذلك الى أن القاهرة تحتفظ بعلاقات طيبة مع جميع أطراف المشكلة . ولهذا كان من الطبيعي أن يدعو عدد من رؤساء دول عدم الانحياز ، القاهرة الى القيام باتصالات بكل من بكين وهانوي لمعرفة رأى كل منها في المشكلة . كما شاركت القاهرة في النداء الذي وجهته دول عدم الانحياز في ابريل الماضي « من اجل ايجاد حل سلمي لمشكلة فيتنام » .

ولا يعني هذا كله ، أن القاهرة لم تحدد موقفا بشأن بعض جوانب مشكلة فيتنام . فقد أعلن الرئيس جمال عبدالناصر ، في أكثر من بيان مشترك وفي اكثرمن خطاب سياسي ، استنكار الجمهورية العربية المتحدة لسياسة العنف التي تنتهجها الولايات المتحدة في جنوب فيتنام . كما استنكر الغارات الجوية التي كانت تشنها الطائرات الامريكية ضد شعب فيتنام الشمالية ، وطالب بوقفها فورا . كما استقبلت القاهرة منذ عدة شهور وفد جبهة التحرير في فيتنام الجنوبية الذي أجرى بعض المحادثات والمقابلات التي كان من بينها اقامة حوار مع الاتحاد الاشتراكي العربي ومع رؤساء تحرير الصحافة العربية .

●

■ **فلسطين**

أربعون فرعا ..وتياران يهددان بالانشقاق



ذكرى التقسيم عام ١٩٥٩ تأسس **الاتحاد العام لطلبة فلسطين** بمؤتمر تنظيمي عقد في القاهرة ، تكونت وفق قراراته هيئة تنفيذية ومجلس اداري وقد بدأ الاتحاد نضاله السياسي بافتتاح أربعة فروع بالقاهرة والاسكندرية وبيروت ودمشق .

وفي ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٦٢ عقد الاتحاد مؤتمره الثاني بغزة ، وفي ٥ مارس ١٩٦٤ عقد مؤتمره الثالث ، وفي ابريل سنة ١٩٦٥ عقد ندوة فلسطين العالمية بالقاهرة ثم عقد مؤتمره الرابع في ٢٢ ديسمبر ١٩٦٥

واستطاع الاتحاد خلال الست السنوات الماضية أن يفتتح فروعا له في جميع أنحاء العالم العربي ، في دمشق وحلب وبيروت وبغداد والجزائر وليبيا والرباط والاردن والكويت . ثم افتتح فرعان بأنقرة واسطنبول في تركيا ، وأربعة فروع في يوغوسلافيا وفرعان في النمسا واثنى عشر فرعا بالمانيا الغربية ، وعدة مكاتب للمراقبة في باريس ولندن واسبانيا وايطاليا . وأصبح له بذلك اربعون فرعا في شتى أنحاء العالم . كذلك تمكن من أن يفقد أواصر الصداقة والثقة بينه وبين اتحادات الطلبة ذات الاتجاه التقدمي سواء في الوطن العربي أو في العالم . ومن

ثم اصبح يتمتع بعضوية اتحاد الطلاب العالمي ببراغ ، وقد تمكن من أن يحتل مكانا في الهيئة التنفيذية لهذا الاتحاد . أتاح له هذا المكان في نوفمبر سنة ١٩٦٤ أن يطرد الوفد الاسرائيلي من المؤتمر الطلابي الكبير الذي عقد في صوفيا .

وعند تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية أعلن الاتحاد انه يعتبر نفسه احدى قواعدها الاساسية في حدود اطاره الذاتي المستقل . وذلك وفقا للمبادىء الديمقراطية للتنظيمات الثورية .

الا أن بعض المراقبين لاحظو قيام خلاف حول تطبيق هذه المبادىء بين المنظمة والاتحاد . وانعكس ذلك فيما حدث بالاتحاد العام من استقطاب فكري يدور حول محورين : أحدهما يتبنى الفكرة القائلة بأن معركة فلسطين معركة عربية تتعلق بميزان القوى التقدمية العربية والعالمية في مواجهة القوى الرجعية المحلية والامبريالية . والاخر يتبنى الفكرة المقابلـة وهي أن المعركة معركة فلسطينية تخص الفلسطينيين وحدهم فلا ينبغي أن يتخذ أي موقف عملي معاد لاحدى الحكومات العربية «مهما كان اتجاهها السياسي ونظامها الاجتماعي ».

وقد دخل هذا التيار الاخير الى صفوف الاتحاد العام لطلبة فلسطين مع اشتراكه الرسمي والفعلي في المؤتمر الاول لمنظمة التحرير بالقدس في مايو ١٩٦٤ . واستطاع الاتحاد أن يشارك في ميلاد الاتحادات الثورية الاخرى كاتحاد العمال الفلسطينيين واتحاد المرأة الفلسطينية . وبالرغم من شعارات التجميع التي رفعها مثل « وحدة أداة الثورة » و « وحدة القوى الثـورية الفلسطينية » الا أن بعض العناصر تمكنت من احداث الانشقاق الاول أو بداية الانشقاق في صفوف الاتحاد مع افتتاح مكتب التنظيم الشعبي لمنظمة التحرير الفلسطينية في أواخر ١٩٦٤ واستطاعت العناصر من أن تقسم الاتحاد بوضوح الى شطرين . فبينما يؤكد الباب الرابع من دستور الاتحاد العام (المادة ١٥ سب) انه «يحق للمؤتمر بأغلبية ثلثي الاصوات منح الهيئة التنفيذية ككل أو كأفراد العضوية العاملة في المؤتمر بعد اقرار التقرير الادبي والمالي » وكذلك المادة ٢٢ « يتم النصاب في المؤتمر بأي اجتماع له بحضور ثلثي الاعضاء العاملين واذا لم يكتمل النصاب يعتبر الاجتماع قانونيا بحضور نصف الاعضاء العاملين بعد ثلاثة أيام من الموعد السابق واذا لم يكتمل النصاب يؤجل المؤتمر » .. بالرغم من هذه النصوص الواضحة فقد تمكن ٥٣ عضوا من تعطيل المؤتمر وشقه الى نصفين ، وذلك بمقاطعته والخروج على قراراته تحت ستار الانضمام الى مكتب التنظيم الشعبي لمنظمة التحرير الفلسطينية أو الى تكوينات مستقلة . مما يدفع بعض المعلقين الى التعقيب على الاحداث الاخيرة بأنها قد تؤدي الى افقاد الاتحاد العام لفاعليته الثورية وقدرته على المساهمة في اقامة الكيان الفلسطيني ومنظمته على أساس الوحدة الثورية لا الشكلية ▫

●

■ ســـوريا

« البيطار » من جديد

تشكلت في ســوريا خلال الشهر المـاضي وزارة جديدة برئاسة صلاح الدين البيطار ، وذلك بعد أن اتخـذت القيـادة القومية لحزب البعث قرارا بحل القيادة القطرية للحزب والخاصة بسوريا . وأدى هذا القرار ايضا الى استقالة وزارة يوسف زعين التي كانت قد تألفت عقب المؤتمر الثامن لحزب البعث الذي انعقد في دمشق ▫

وكان هذا المؤتمر قد انتهى الى انتخاب الدكتور الرزاز أمينا عاما للحزب بدلا من ميشيل عفلق الذي منح لقب مؤسس الحزب . كما لوحظ أيضا أن صلاح الدين البيطار — وهو مؤسس الحزب — لم تسند اليه اية مسئولية .

وقد عبر المراقبون — وقتذاك — من أن هـذا المؤتمر ، قد حل مؤقتا قضية الصراعات الايديولوجية والسياسية بين اجنحة حزب البعث المختلفة بالنسبة لطبيعة واتجاهات الحكم في سوريا وذلك لصالح بعض العناصر الجامدة والتي تتميز تصرفاتها بالمغامرة . وهي العناصر التي تألفت منها القيادة القطرية لسوريا ، وأصـبح محورها مكونا من صـلاح جديد وحاطوم وعبيد . واستطاعت هذه العناصر فيما بعد أن تبعد عن السلطة محمد عمران وتعينه سفيرا في الخارج . وفتحت بعد ذلك صراعا مكشوفا ضد غالبية أعضاء القيادة القومية بما فيهم أمين الحافظ رئيس مجلس السيادة وميشيل عفلق ، وكذلك صلاح الدين البيطار .

وقد بادر كل من ميشيل عفلق وصلاح البيطار بكتابة عدة مقالات وبيانات علنية ينتقـدان فيها بشدة القيـادة القطرية للحزب ويتهمانها بالتطرف واتباعها « سياسة من الممكن أن تؤدي الى كارثة لحزب البعث في سوريا مثلما حدث في العراق »

ويؤكد المراقبون أن تشكيل لجنة حزبية عليا لادارة شئون القطر وكذلك تشكيل وزارة جـديدة برئاسة صـلاح الدين البيطار تعني على الاقل في المدى القريب انتصار اتجاه ميشيل عفلق والحافظ والبيطار ومحمد عمران الذي عاد من الخارج وعين وزيرا للدفاع بدلا من صلاح جديد ..

وتتكون الوزارة السورية الجديدة من ٢٦ عضـوا وهو أكبر عدد شكلت به وزارة سورية حتى الان ، ويخرج المعلقون بعدد من الملاحظات اهمها ..

● انها وزارة اخصـائيين وفنيين ، وفيها أكثر من ١٤ عضوا يتولون المناصب الوزارية لاول مرة ، الامر الذي ادى ببعض الصحف الى القول بأن تشكيل الوزارة جاء مناسـبا للبيطار أكثر منها مناسبة للظروف التي تمر بها سوريا .

● أن الوزارة ضمت عددا من غير حزب البعث ويفسر المراقبون ذلك بأنه تعبير عن محاولة الحزب الخروج من القومية الحزبية الضيقة الى مجالات اوسع ، ومن المحاولة الجديدة من جانب البعثيين للتعاون مع العناصر الوحدوية في سوريا . ومسـايرة اتجـاه تطوير وتحسـين العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة .

● أنه يبدو سواء من المقالات الاربع التي كتبها البيطار قبل توليه الوزارة أو من بيانات حكومته اتباع سياسة وصفتها الصحف اللبنانية انها سياسة معتدلة » وخاصة وهناك احساس سوء الاوضاع الاقتصادية في سوريا .

ولقد حرص البيطار في بيانه الاول ان يؤكد « أن الاشتراكية أصبحت ضرورة لشعوب البلدان النامية ، وأن سوريا تنوي الاستفادة من خبرة بناء الاشتراكية في الدول الاخرى .. »

ويذهب المعلقون الى أن حكومة البيطار تحاول أن تسير في اتجاهين :

اولا : في المجـال الداخلي ، وقف ما سمي بالاجراءات المشددة واطلاق سراح المعتقلين السياسيين وفي مقدمتهم أنصار **الحوراني** ، ومن المعروف أن الحوراني ادلى بتصريح أخير في باريس أعلن فيه أن كثيرا من الاجراءات التي اتخذت في سوريا جاءت قبل أوانها كذلك يعتقد المراقبون أن البيطار سيعمل على عدم تدخل العناصر العسـكرية في الحكم وهو

الشرط الذى قيل انه أصر عليه عندما عرضت عليه الوزارة الجديدة .

ثانيا : فى المجال العربى ، محاولة بدء حوار مع الجمهورية العربية المتحدة بهدف الوصول الى تفاهم معها ، ويؤكد المراقبون ان البيطار لايخفى ذلك وانه يخطط للقاء جديد مع الجمهورية العربية المتحدة والجزائر ..

والسؤال الذى أجمع عليه المراقبون السياسيون هو .. هل ستكون وزارة البيطار نهاية للصراعات القومية والخفية بين التكتلات والشلل بعد حركة آذار . فجريدة المحرر اللبنانية تقول « ان الوزارة الجديدة ليست بيطارية تماما وليست معتدلة تماما وليست مدنية تماما ، وليست انقلابا تماما .. انها وزارة انتقالية جاءت نتيجة تسوية ذكية غير دائمة وانها تضمنت تسويات طائفية واقليمية ، ولكن طابعها العام أن فيها وزراء اختصاص » .

●

■ لبنـــان

الحركة من خلال «جبهة جديدة» ..

برزت القضايا اللبنانية على مسرح الاحداث فى الفترة الاخيرة ، خاصة بعد الازمة الدبلوماسية بين لبنان وايران، وحادثة وفاة المواطن الفلسطينى **جلال كعوش** الذى تواترت الانباء عن تعذيبه اثناء اعتقاله ، وكذلك بسبب عودة جبهة الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية الى ممارسة نشاطها الشعبى .

فقد قامت الحكومة اللبنانية بطرد **على فتوحى** سفير ايران من لبنان بسبب التصريحات المعادية للجمهورية العربية المتحدة التى ادلى بها . وقد أثار بيانه استنكار الاوساط الشعبية والصحف الوطنية والتقدمية التى كتبت تفضح سياسة ايران وتتهمها بالتآمر على القومية العربية . وطالبت هذه الصحف وكذلك الحزب التقدمى الاشتراكى بطرد السفير الايرانى ،مما حدا بالسيد **رشيد كرامى** رئيس الوزراء لان يستنكر هذا البيان فى المجلس النيابى اللبنانى ويقوم بطرد السفير بعد. وقد طالب مجلس وزراء ايران من لبنان ، ردا على ذلك ، استدعاء **كريم عزقول** السفير اللبنانى من طهران . ولا يزال البلدين مصرين على موقفهما .

ومن ناحية ثانية عقدت الهيئة الممثلة لبعض الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية فى لبنان اجتماعا لمناقشة قضية وفاة المواطن الفلسطينى **جلال كعوش** الذى توفى فى ظروف غامضة فى السجن ودفن قبل ان تتشكل لجنة الاطباء الشرعيين التى ستقوم بفحص جثته والتى طالب بها مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت . وقد جاء فى بيان هيئة الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية عن الحادث انها « اذ تعلن ان قضية وفاة المناضل الفلسطينى جلال كعوش وان عمليات الاعتقال والتفتيش الكيفية التى يتعرض لها الفلسطينيون دون مذكرات توقيف ودون اتباع الاصول القانونية ، اذ تعلن ان ذلك كله يشكل مسالة وطنية لبنانية، فانها تأخذ على عاتقها اثارة هذه المسالة رسميا وبرلمانيا وصحفيا وشعبيا للوصول الى نهاية تضع حدا لكل التصرفات التى تتنافى وأحكام الدستور والقانون وتمس الضمير اللبنانى الوطنى وضمير النضال الفلسطينى » .



● **كمال جنبلاط**

وقد طالبت الهيئة بفتح تحقيق واسع وسريع حول كل جوانب وفاة جلال كعوش ومحاكمة المسئولين عن الحادث والعمل على الغاء الاجراءات القمعية التى يتعرض لها الفلسطينيون والغاء الاعتقالات الموجهة ضدهم . وتشكيل لجنة للتحقيق فى الاسباب التى أدت الى اعتقال جلال كعوش ورفيقيه **محمد سلوم واسماعيل الشريدى** .

ومما يجدر ذكره ان **كمال جنبلاط** زعيم الحزب التقدمى الاشتراكى قد أدلى بحديث الى مجلة « الحرية » اللبنانية عن عودة جبهة الاحزاب الوطنية الى ممارسة نشاطها الشعبى جاء فيه « ان جبهة الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية، الجبهة المؤهلة باشتراك الحزب التقدمى الاشتراكى لقيادة الجماهير اللبنانية نحو الاصلاح الحقيقى والوطنية السليمة والاشتراكية ستعود الى نشاطها من جديد .. الذى يتضمن زيارات المناطق المختلفة واذاعة البيانات والقيام بعمليات التوجيه الشعبى .

وقد جاء فى البيان ان عدم قيام الحكومة بتنفيذ معظم الوعود التى وعدت بها بشأن تطوير الانتاج وتأمين الاسواق لتصريفه وكذلك تأمين الادوية وتخفيض الإيجارات ومعالجة ارتفاع أجور المدارس وغلاء المعيشة عامة ، جعل «من الضرورى العودة الى ميدان تحريك هذه القضايا على نطاق شعبى »،

وفيما يتعلق بالمحالفات النيابية الجديدة التى عقدها الحزب التقدمى الاشتراكى فى منطقة البقاع أوضح انه بسبب موقف بعض نواب الاغلبية المضاد للحزب فى المنطقة فاننا « من الان فصاعدا لن نوالى رئيسا للحكومة ولا اى رئيس الا بقدر ما يوالى قيادتنا جزئيا او كليا فموالاتنا مشروطة دائما وابدا بما نطلبه فى الحقل الوطنى والاصلاحى والاجتماعى والاشتراكى » كما اعلن ان « هذا الوضع المتحرر من القيود النظامية بالنسبة للاكثرية أو بالنسبة لبعض نوابها يمكننا من أن نلعب دورا اكثر ايجابية فى الحقل النيابى وخارجه فى خدمة المبادىء التى نعتنقها والتى أعلن استهدافها ازالة التخلف والقضاء على التفاوت الطبقى » الذى يفصل طبقات الشعب عن بعضها البعض ويجعلها فى صدامات مستمرة وصراع ليس له نهاية » .

■ **الجنوب اليمنى المحتل**

وحدة الصف .. والكفاح المسلح

باعلان تشكيل منظمة تحرير الجنوب اليمنى المحتل ، وباتساع المنظمة لتضم بين صفوفها العناصر الوطنية التى كانت على خلاف مع الجبهة حول اسلوب العمل ، انتقلت حركة تحرير الجنوب اليمنى الى مرحلة جديدة .

وقد جاء انضمام حزب الشعب الاشتراكى والسلطان الفضلى وبقية العناصر الوطنية الى الجبهة القومية التى تقود الكفاح المسلح فى عدن وامارات الجنوب تأكيدا لوحدة صف المناضلين حول افضل الاساليب لطرد الاستعمار البريطانى وانتصار شعار الكفاح المسلح . باعتباره الحل الوحيد للتخلص من براثن الاستعمار البريطانى .

كذلك فان وحدة الصفوف هذه قد وجهت ضربة قاصمة الى المخططات الاستعمارية التى كانت تهدف — وخاصة فى الاونة الاخيرة — الى استمالة بعض العناصر « المعتدلة » والتى كانت تعارض حتى وقت قريب اسلوب الكفاح المسلح ،وذلك بهدف تفتيت الجبهة الوطنية وضربها بعضها بالبعض ، اذ ان سياسة بريطانيا فى العام الماضى كانت تسير فى اتجاهين :

اولا : التلويح بتحقيق مطالب الوطنيين فى منح عدن والجنوب اليمنى الاستقلال .

ثانيا : اغراق القضية بعد ذلك فى سلسلة من المؤتمرات واللجان التحضيرية العقيمة بهدف تضليل بعض العناصر الوطنية وعزل جبهة التحرير .

ويلاحظ ان بريطانيا وان كانت قد نجحت فترة فى استخدام من اسمتهم بالوطنيين المعتدلين بدلا من العناصر التقليدية التى كانت تعتمد عليها ، الا أن ظروف المعركة المسلحة المحتدمة كشف المخطط البريطانى بسرعة . ولقد ساعد على ذلك فشل اجتماعات اللجنة التحضيرية التى عقدت فى لندن تمهيدا لعقد مؤتمر دستورى ، والذى حضره ممثلون عن بعض الاحزاب الشعبية مثل عبد الله الاصنج رئيس حزب الشعب الاشتراكى ، ومن ناحية اخرى الاجراءات التعسفية التى لجأ اليها الاستعمار البريطانى فى شهر اكتوبر والتى اوقف بمقتضاها العمل بدستور عدن واقالة الوزارة التى كان يرأسها عبد القوى مكاوى .

وقد فرضت وحدة الصف نفسها على القادة الوطنيين من خلال الاحداث التى تلت ذلك وخاصة فى استقبال ما سمى باللجنة التحضيرية التى ارسلتها الحكومة البريطانية لاستطلاع الآراء والاجتماع بالقادة السياسيين ، وتعرضت اللجنة لمقاطعة شبه تامة سواء على الصعيد الشعبى أو الرسمى ورفضت كل الطوائف والهيئات الوطنية استقبالها ..

واثبت واقع الاحداث وتطورها اهمية وحدة الصف بعد ان ادى تنسيق الجهود والعمل الى انتصرات كبيرة للقضية فى الداخل وعلى النطاقين العربى والعالمى ..

وتؤكد المصادر المطلعة ان بريطانيا تحاول رسم مخطط آخر لمواجهة العوامل الجديدة يرتكز على منح عدن والجنوب استقلالا فى وقت مبكر فى ظل دستور وحكومة موالية لبريطانيا وأن يسبق ذلك اعتراف من بريطانيا والدول المؤيدة لها بالدولة الجديدة ؛ وذلك فى محاولة اخيرة لانقاذ مايمكن انقاذه . كما ان هناك اقتراحا تدرسه الحكومة البريطانية حاليا ويهدف كما قالت صحيفة « ايفنج ستاندارد » الى تقسيم الجنوب اليمنى المحتل الى ثلاث وحدات صغيرة . احداهما تضم المحميات الغربية والثانية تضم المحميات الشرقية والثالثة تضم عدن .

ويجمع المراقبون السياسيون على أن الانتصارات الاخيرة التى حققتها الجبهة الوطنية لتحرير الجنوب اليمنى سواء فى الميدان العسكرى او الميدان الدولى ، تسد الطريق امام المخططات الاستعمارية .

●

■ **المغرب**

مأساة بن بركة :
من الذى قتل فيجون ؟

أسفرت التطورات الاخيرة فى مأساة اغتيال الزعيم المغربى الوطنى **المهدى بن بركة** عن كشف كامل للدور الذى لعبه الجنرال **محمد اوفقير** ومساعده الكولونيل **احمد الدليمى** فى الجريمة .

اذ سجل **جورج فيجون** — رجل العصابات الفرنسى الذى وجد مقتولا فى منزله اعترافاته كاملة على شريط تسجيل . اعترف فيه بجريمة الاغتيال . وقد كان فيجون يتوقع اغتياله بعد ان رفض اوفقير دفع الثمن المتفق عليه .

ومن هذه الاعترافات يتضح الدور الشخصى لمحمد اوفقير فى تعذيب بن بركة حتى وفاته . ولم تقابل عملية اشتراك محمد اوفقير فى تعذيب بن بركة بأى استغراب من قبل الدوائر التابعة لشئون المغرب .



● بن بركة

فقد كان يلقب « بالقاتل » عندما كان يخدم ضابطا فى قوات الكوماندوز الفرنسية فى حرب الهند الصينية ، كما وضع الوطنيون فى الهند الصينية ثمنا لراسه . وقد شدد فى الفترة الاخيرة قبضته الارهابية — كوزير للداخلية — على النقابات العمالية وتجمعات الطلبة والقوى التقدمية والاشتراكية فى المغرب واشترك بنفسه فى اطلاق رصاص مدفعه الرشاش من طائرة هليوكوبتر على المتظاهرين الوطنيين فى مارس الماضى.

وبنتيجة رفض الحكومة المغربية تسليم الجنرال اوفقير الى فرنسا لمحاكمته ، قررت فرنسا سحب سفيرها روبير الى فرنسا لمحاكمته ، قررت فرنسا سحب سفيرها روبير جبيه من المغرب وردت المغرب بسحب السفير المغربى الامير على ، وبرغم وصول احمد رضا جديرة الوزير المغربى السابق واقرب المستشارين الى الملك الحسن الى باريس تهدئة الموقف بين المغرب وفرنسا الا ان عددا كبيرا من المراقبين فى اغلب العواصم الاوروبية يتوقعون قطع العلاقات بين فرنسا والمغرب .

وفى حين رأى عديد من المراقبين الوطنيين والتقدميين العرب اتفاق موقف الجنرال ديجول ومقتضيات العدالة فى قضية اغتيال المهدى بن بركة، حاولت الحكومة المغربية تبرير موقفها على اساس ان موقف فرنسا فى المشكلة املاه استيائها من تزايد النفوذ الامريكى فى المغرب . هذا وقد بلغ الضيق من الدور الذى لعبه المغرب فى قضية بن بركة حدا اثار غضب الجنرال ديجول الذى اعلن « بأننا سنسوى حسابنا ونعرف كيف نسويه » .

●

■ **ايران**

جبهة وطنية ضد الشاه والحلف الرجعى

لم تشهد ايران منذ ١٩٥٢ حركة شاملة مثل الحركة التى قامت فى يوليو ١٩٥٢ واشتركت فيها كل الطبقات الوطنية والقوى السياسية، والتى تمكنت من اعادة (مصدق) الى الحكم لفترة وجيزة .

ولكن منذ ١٩٦٤ تزايد العمل من اجل اعادة الوحدة الى الصف الوطنى — وحدثت تطورات سياسية وفكرية داخل القوى السياسية المختلفة فى اتجاه تحقيق هذه الوحدة.

فحزب الشعب «تودة» وقد كان من اكثر الاحزاب الايرانية تنظيما وجماهيرية اكد فى ١٩٦٥ ضرورة العمل من اجل وحدة كل القوى الاشتراكية والوطنية وكان قد انتقد من قبل فى ١٩٥٧ اتجاه قيادته القديم الانعزالى الخاطىء واعلن «ان سياسة الحزب الخاطئة تجاه البورجوازية الوطنية وحكومة مصدق كان مصدرها وجهات النظر اليسارية والانعزالية والتى استمرت لفترة طويلة.» ولقد اضرت هذه السياسة قضية الوحدة الوطنية والنضال ضد حكم الشاه وسادته الامبرياليين.

وكثير من قادة البورجوازية الوطنية يتحدثون اليوم علنا وصراحة ضد الاستعمار الاميركى والبريطانى اكثر من ذى قبل، ويعتبر ذلك تطور هام داخل صفوف البورجوازية الوطنية الايرانية والتى كانت تحاول دائما الاعتماد على قوة استعمارية ضد قوة استعمارية اخرى، فهى بين الحربين لعبت على التناقض بين الاستعمار الالمانى والاستعمار البريطانى وبعد الحرب اتجهت الى الاستعمارية الامريكية، ومازالت بعض اجنحة البورجوازية الوطنية تستمد فكريتها من ممثلى فكرية الاستعمار الجديد والليبرالية الحديثة مثل الاقتصادى الامريكى و. روستو. ولكن التطور داخل صفوف البرجوازية الوطنية يبشر بتطور ثورى، ففى ١٩٦٤ طالبت «ايران ازاد» لسان حال منظمات حزب الجبهة الوطنية فى اوروبا بضرورة العمل على التطويح بالنظام القائم بالقوة المسلحة — وكما ادان اتحاد الطلبة الايرانيين فى بريطانيا نظام الشاه الرجعى المعادى للديمقراطية وطالب بالانسحاب من حلف السنتو. وكما ان عددا من قادة البرجوازية الوطنية يرفعون اليوم راية الدعوة الى الاشتراكية، ولقد عمق هؤلاء القادة افكارهم فى المؤتمرين الثالث والرابع لجمعية الاشتراكيين الايرانيين اذ اعلنوا الارتباط بالاشتراكية وضرورة احداث تغييرات اشتراكية جذرية فى المجتمع الايرانى واعلنوا ادانتهم للاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الاوروبية وقالوا عنها انها فقدت روحها الثورية والاشتراكية— ودعوا الى ضرورة الوصول الى وحدة وطنية لكل القوى السياسية فى العمل المشترك .

ومنذ عام ١٩٦٥ اشترك عدد كبير من رجال الدين التقدميين فى النضال ضد الحكومة، ورجال الدين فى ايران يمثلون البرجوازية الصغيرة والمتوسطة، ويعتبر ذلك تطورا هاما بالنسبة للكفاح الشعبى الايرانى، فعندما اصدر البرلمان قانونا يمنح المستشارين الامريكان امتيازات استثنائية داخل البلاد وقف عدد كبير من رجال الدين ضد هذا القانون، واعلن عدد من ممثلى رجال الدين ان معركتهم ليست موجهة ضد اصلاحات الشاه ولكنها موجهة ضد نظامه الذى يخون المصالح الوطنية للبلاد. وناشد هؤلاء الزعماء الدينيون القوى الوطنية ان تتحد وتتناسى خلافاتها الايديولوجية واعلن الزعيم الدينى شاريا تماداري «ان الزعماء الدينيين التقدميين لا يعارضون الاصلاح الزراعى ولكنهم يعارضون مثله ومظالم وشرور الحكم المطلق.» واعلن الزعيم الدينى هوميينى: «اننا نريد من العالم كله ان يعرف اننا نشقى بسبب الولايات المتحدة . وعلى كل طبقات المجتمع ان تدفن خلافاتها الحزبية وتكافح سويا من أجل الهدف المقدس : الاستقلال » (•)

ولقد ازداد نضال الجماهير الشعبية فى خلال الاعوام الاربعة الماضية حدة فى مواجهة القهر والظلم الرجعى والامبريالى، فقد شهدت هذه الاعوام الاربعة اضرابات المعلمين ،وعمال البريد والتلغراف وسائقى التاكسى (ديسمبر ١٩٦٤) — واضراب صيادى السمك (يناير ١٩٦٥) ومظاهرات الطلبة الضخمة فى طهران وتبريز وشيراز ومظاهرة العاطلين فى ميناء شاهبور وسلسلة الاضرابات فى اصفهان وزادجان ومشهد ومدن عديدة اخرى .

ويرى المراقبون ان الظروف الموضوعية اليوم فى ايران فى صالح قيام جبهة وطنية عريضة ضد نظام الشاه وضد الاستعماريين الامريكان والبريطانيين. ولقد اثرت التطورات والاجراءات الثورية التى انتصرت فى عدد من البلدان العربية وفى مقدمتها ج. ع. م على كثير من الاوساط الوطنية الايرانية، الامر الذى يدفع الشاه بنظامه الرجعى الاستعمارى ان يتجه الى التحالف مع بعض النظم الرجعية العربية فى العمل ضد الثورة العربية المنتصرة وخاصة فى ج.ع.م. ان اتجاه الشاه وممثلو الاستعمار الجديد فى ايران الى اقامة حلف رجعى مواجهة بازدياد قوى المقاومة والنضال الايرانى وبازدياد الاتجاه لتوحيد كل قوى اليسار الايرانى وكل قواه الوطنية كشرط للانتصار على نظام الشاه وسادته الاستعماريين.

■ **غرب افريقيا**

انقلاب مع من ؟ ضد من ؟

يتابع الوطنيون الافريقيون ، باهتمام وقلق ، تطور الاحداث التى وقعت فى غرب افريقيا منذ قيام سلسلة الانقلابات العسكرية التى شهدتها هذه المنطقة فى الاسابيع الاخيرة . وقد استرعى انتباه كل المراقبين السياسيين بدء احداث هذه الانقلابات بعد أسابيع قليلة من الانقلاب العسكرى الذى قام **جوزيف موبوتو** فى **الكونجو** (ليوبولدفيل) فى ٢٥ نوفمبر الماضى ، مما جعلهم يثيرون أكثر من علامة استفهام حول اتجاه هذه الانقلابات والقوى التىتقفوراءها .

وجدير بالذكر ان مجلة التايم الامريكية قد اشارت الى ان المخابرات الفرنسية والمخابرات الامريكية تتبادلان الاتهام حول تدبير قيام هذه الانقلابات. ويزداد الموقف وضوحا، اذا وضعنا فى الاعتبار ، أن الدوائر الفرنسية الرسمية قد أعربت عن قلقها ازاء هذه الانقلابات التى تمت فى مستعمراتها السابقة . كما هدد الرئيس الفرنسى **ديجول** بوقف المعونة الاقتصادية الفرنسية الى هذه البلاد ان لم يحافظ على النظام والامن فيها . ويساعد فى القاء الضوء على اتجاهات هذه الانقلابات مسارعتها الى قطع علاقات الدول التى وقعت فيها مع الصين الشعبية .

وفى الوقت الذى كانت المظاهرات التى تزعمتها نقابات العمال ، تعم **اداجادوجو** عاصمة **فولتا العليا** لمدة ثلاثة ايام احتجاجا على تدهور الاوضاع الاقتصادية فى البلاد ، فوجىء الرأى العام هناك ـ وفى افريقيا والعالم ـ بقيام انقلاب فى ٤ يناير الماضى تزعمه الكولونيل **سانجول لاميزانا** ضد **موريس ياميوجو** رئيس الجمهورية السابق. وقدأصدر سانجول ـ الذى تولى سلطات رئيس الجمهورية ـ قرارا «بوقف الدستور وحل الجمعية الوطنية (البرلمان) فى البلاد . » ومن الغريب أن ياميوجو قد أعلن عقب الانقلاب عن اغتباطه «لان الكولونيل ياميوجو ـ الذى يتفق معى تماما ـ قد اتخذ الاجراءات التى تكفل استمرار البلاد فى التقدم . » وراحت بعض الدوائر السياسية تقول ان الحكومة المدنيةالتى ستتشكل قريبا «قد تضمياميوجو أومساعديه على الاقل . » ويعتقد بعض المعلقين ان باريس «ترتاح اكثر لانقلاب لاميزانا» ويستشهدون فى ذلك بتعليق راديو باريس الذى قال فيه «يبدو أن الجيش قد استولى على السلطة فى فولتا العليا للحيلولة دون وقوعها تحت سلطة العناصر الموالية للصين الشعبية . »

وقد حصلت فولتا العليا على استقلالها من فرنسا فى أغسطس ١٩٦٠، ضمن «المجموعة الفرنسية» وانفصلت عنها فى يناير ١٩٦١ لتكون مع ساحل العاج والنيجروداهومى مايعرف «**بمجلس دول الوفاق**» التى قاطعت ـ فيما عدا داهومى ـ اجتماع مؤتمر اكرا للقمة الافريقى فى اكتوبر ١٩٦٥ . وتنتج فولتا العليا القطن والذهب والمنجنيز والماس بكميات قليلة .

وفى جمهورية افريقيا الوسطى ، أطاح الكولونيل **جان بيديل** بوكاسا ، ابن عمه ديفيد داكو رئيس الجمهورية السابق ، فى ٣١ ديسمبر الماضى . وبرر بوكاسا انقلابه بسبب أن داكو « كان يزمع انشاء ميليشيا شعبية . كما كان مواليا للصين الشعبية» وقد قررالمجلس العسكرى للانقلاب، «الغاء الدستور وحل الجمعية الوطنية (البرلمان) والغاء البوليس السرى فى البلاد . » كما قرر قطع العلاقات بالصين الشعبيةوشكلبوكاسا حكومة جديدة من بينها ٣ وزراء من الحكومة السابقة . وقد أثار تصريح بوكاسا بأنه «عثر على سلاح اسرائيلى فى خزانة قصر الرياسة للقيام بمؤامرة شيوعية لقلب نظام الحكم » ، اثار دهشةواستغراب المراقبين السياسيين. ومن المعروفأن بوكاسا قد تلقى تعليمه وتدريبه العسكرى فى فرنسا .

وقد حصلت جمهورية افريقيا الوسطى (اسمها الافريقى القديم اوبانجى شارى) ، على استقلالها فى اغسطس ١٩٦٠ من فرنسا . ويبلغ عدد سكانها (تعداد ١٩٦٠) مليون و ٢٠٠ ألف نسمة منهم ٢٠ ألف أوروبى . وعاصمتها **بانجوى** . وتنتج القطن والبن وكميات قليلة من النحاس والماس .

وفى ٢٩ نوفمبر قام الجنرال **كريستوف سوجلو فى جمهورية داهومى** بانقلاب **اجبر سورو ميجان ابيتى** رئيس الجمهورية **واهوما دوبى** رئيس الوزراء ، على الاستقالة .ودعا سوجلو، **تاهيرو كونجاكو** رئيس الجمعية الوطنية (البرلمان) الى أن يتقلد منصب رئاسة الجمهورية مؤقتا . وكان النزاع قد نشب بينرئيس الجمهورية السابق وبين رئيس الوزراء السابق، حول من يعين رئيسا للمحكمة العليا فى البلاد . (وهى المحكمة التى لها حق مراجعة التشريعات التى تصدر وتوافق عليها) . وكانت الجمعية الوطنية ـ التى عرض عليها الخلاف ـ قد فشلت فى الوصول الى حل لهذه الازمة . وقد طلب الجيش من ابيتى ـ فى ذلك الوقت ـ الاستقالة من منصبه ولكنه رفض . وكانت الصحف الاجنبية تصف ابيتى بأنه «يتبع سياسة راديكالية فى الداخل والخارج» أما أهومادوبى فكانت تصفه على انه «موال لفرنسا » .

وقد قرر سوجلو قائد الانقلاب حل البرلمان والدستور والاحزاب (حزب الاتحاد الديمقراطى الذى تشكل فى ١٩٥٩ . وحزب الوحدة الذى تشكل فى ١٩٦٠ بزعامة ابيتى) . كما قرر قطع علاقات داهومى بالصين الشعبية . وجدير بالذكر أن هذه هى المرة الثالثة ـ خلال عامين ـ التى يتدخل فيها الجيش فى السياسة . كما أنه ثانى انقلاب يقوم به الجيش فى شهر واحد ومن المعروف أن سوجلو نفسه قاد انقلاب ضد هربرت ماجا رئيس الجمهورية .الاسبق احد قادة حزب الاتحاد الديمقراطى وقد عرف عهد ماجا فى داهومى بالفساد .

وقد حصلت داهومى على استقلالها من فرنسا فى اغسطس ١٩٦٠ . ويبلغ تعداد سكانها ٢ مليون نسمة.وعاصمتها كوتونو وتعتمد اقتصادياتها على الزراعة وتربية الماشية .

وتعتقد الدوائر الافريقية انه اذا كان من الممكن تحديد اتجاه هذه الانقلابات فى خطوطها العريضة ، الا انه «يصعب فى نفس الوقت اصدار رأى أو تحليل نهائى فى الموقف وحتى تتضح مزيدا من تفصيلات الاحداث هناك . »

●

■ **نيجيريا**

علامة استفهام ؟

اختلف المراقبون السياسيون حول تفسير دوافع واتجاه الانقلاب الاخير فى نيجيريا .ولكنهم اجمعوا ـ رغم محاولتهم لتحليل الاحداث ـ على أن الموقف « لم يتضح بعد » بشكل يسمح بتكوين رأى متكامل .

فبعد أيام قليلة منوقوع سلسلة الانقلابات فى غرب افريقيا،

أذاعت وكالات الانباء حادث محاولة انقلاب قام بها الميجور تشوكاما ماكدونا نزيجوو ضد الحكومة الاتحادية في منتصف الشهر الماضي . وقد صاحب قيام نزيجوو بمحاولة الانقلاب ، قيام بعض قواد الحاميات العسكرية في انحاء متفرقة من نيجيريا (كابادان وكالابار وكادونا) ، التي تبعد الواحدة مسافة طويلة عن الاخرى ، وبعد فشل هذه المحاولات جميعا ، وبعد ان قتل احمدو بيللو زعيم حزب مؤتمر الشمال وصمويل اكنتولا رئيس وزراء الاقليم الغربي ثم مقتل ابو بكر باليوا رئيس الحكومة الاتحادية الذي احيط مصيره « بالغموض » لعدة ايام ، بعد ذلك كله ، سلم قادة الانقلاب انفسهم جميعا بشكل استرعى انتباه وتساؤل المراقبين السياسيين .

وقد عقد نزيجوو ، بعد ان استسلم ، مؤتمرا صحفيا في لاجوس (العاصمة) اعلن فيه انه قدم خمسة شروط الى الجنرال « ايرونسي » يقبل بمقتضاها ان يخضع هو ورجاله (اى نزيجوو ورجاله) للسلطة الجديدة . واوضح نزيجوو ان ايرونسي قبل هذه الشروط وهي : ١ — ضمان الامان لنزيجوو ولجميع ضباطه ورجاله . ٢ — ضمان اعفائهم من الاجراءات القانونية « الان ومستقبلا » . ٣ — ضمان « عدم اعادة الساسة » الذين « قاتلوا » لابعادهم . ٤ — تعويض عائلات الضباط والجنود الذين قتلوا . ٥ — اطلاق سراح جميع الضباط الذين اعتقلوا منهم . وقد فسر بعض المراقبين قبول ايرونسي لهذه الشروط ، على انها « ثمن محاولة الانقلاب التي قام بها نزيجوو ورجاله » . اذ يتشكك غالبية المراقبين في ان هذه المحاولة « يمكن ان تتم دون علم قيادة الجيش في نيجيريا » . ومما يرجح لدى هؤلاء المراقبون « سابق علم » ايرونسي بالانقلاب ما اذاعته وكالة رويتر من ان « اتصالا تليفونيا بين ايرونسي ونزيجوو قد تم قبل ان يستسلم نزيجوو » وقالت وكالات الانباء انه « علم في لاجوس أن نزيجوو قد تلقى امرا بعد استسلامه بأن يقدم تفسيرا لعملية الاغتيالات التي وقعت »

ومن المعروف ان نزيجوو (٢٩ سنة) خريج الكلية العسكرية البريطانية التي تلقى فيها تدريبه العسكري .

ويلاحظ المراقبون السياسيون ان احدا من اعضاء الحكومة السابقة او الحكومة العسكرية او نمادى ازيكيوى رئيس الجمهورية ، « لم يستنكر عمليات الاغتيال التي وقعت في نيجيريا » . وكان الجنرال اجوى ايرونسي قائد الجيش في نيجيريا ، قد اعلن عن تأليف مجلس عسكري عال للقيام بمهام الحكومة الفيدرالية وعن تأليف حكومة عسكرية في كل اقليم (٤ اقاليم) يرأسها حاكم عسكري يعاونه « كمستشارين بعض المدنيين » . وقد اوضح ايرونسي رئيس المجلس العسكري ان مهمته هي « اعادة النظام والقانون بأسرع وقت ممكن » . وتقول وكالة رويتر « ان حكومة ايرونسي اثبتت منذ اللحظة الاولى انها تنوى أخذ الموقف بمنتهى الشدة » . وفي لندن صرح نمادى ازيكيوى — الذي يزور بريطانيا في ذلك الوقت ولم يعد الى نيجيريا حتى كتابة هذا التقرير — « ان وقف العمل بالدستور وتسلم الجنرال ايرونسي مقاليد السلطة بصورة دكتاتورية ليس سوى مسألة موقتة » . وقد يتطور الموقف الى حالة يرى الجنرال عندها انه من الافضل الاستمرار في وقف العمل بالدستور . ومن المعروف ان ايرونسي قد تدرج في صفوف الجيش من رتبة جندي منذ التحاقه به اثناء الحرب العالمية الثانية الى ان رقى الى رتبة ميجور بعد انتهائها . وبعدها بعامين سافر الى بريطانيا لتلقي بعض التدريبات العسكرية . ثم عاد الى بريطانيا مرة أخرى عام ١٩٥٢ لمواصلة تدريباته . وكان ايرونسي يشغل منصب مستشار البعثة العسكرية العليا في لندن . كما رافق ملكة بريطانيا في عام ١٩٥٦ في زيارتها لنيجيريا (قبل الاستقلال) كما كان يتولى



● جنرال اجوى ايرونسي

قيادة قوات الامم المتحدة في الكونجو ١٩٦١ . وتوحي الصحف الانجليزية لكل من يقرأها ان ايرونسي ذو ميول انجليزية .

لقد اتسم الوضع في نيجيريا ، منذ الاستقلال (اكتوبر ١٩٦٠) ، بعدم الاستقرار السياسي نتيجة للخلافات الحادة بين القوى السياسية في البلاد . (الطليعة : تقارير الشهر . العدد ٢ ص ١١١ . والعدد ١١ ص ١١٧) . وقد شهدت بريطانيا — طوال هذه الفترة — عددا من الاضطرابات السياسية الكبيرة في انحاء متفرقة منها . وكان آخر هذه الاضطرابات قيام عدد من المظاهرات الضخمة في نفس الفترة التي صاحبت انعقاد مؤتمر الكومنولث لبحث مشكلة روديسيا .

ورغم اجماع المراقبين السياسيين على أن حكومة باليوا السابقة كانت « محافظة الاتجاه » حيث انها لم تتخذ « اى موقف محدد واضح من القضايا الافريقية » ، كما انها لم تكن ملتزمة بموقف بعض الدول الافريقية من ثوار الكونجو ومساعدتهم متوهمة انه « يفاقم من الازمة » ، رغم هذا كله ، الا ان المراقبين يتحفظون كثيرا في اعطاء رأى نهائي حول اتجاه الاحداث الاخيرة او القوى التي تقف وراءها . اذ يعتقد هؤلاء المراقبون انه « ليس من السهل معرفة اتجاه هذه الاحداث من مجرد ان يردد زعماء محاولة الانقلاب كلمات (القضاء على الفساد والفوضى) التي استشرت في البلاد » .

وتنقسم نيجيريا الى اربعة اقاليم تتبع حكومة فيدرالية واحدة . وتحكم كل اقليم حكومة تتمتع باستقلال شبه ذاتي : الاقليم الشمالي (٣٠ مليون) وكان يحكمه حزب مؤتمر الشعب الشمالي (ضمن جبهة التحالف الوطني) . والاقليم الشرقي (١٢ مليون) واقليم وسط الغرب (٣ ملايين) وكان يحكمها حزب المؤتمر الوطني لمواطني نيجيريا (ضمن جبهة التحالف التقدمي) . والاقليم الغربي (١٠ ملايين) وكان يحكمه الحزب الديمقراطي (ضمن جبهة التحالف الوطني) . وقد اذاعت وكالات الانباء ان حكومة ايرونسي العسكرية قد « قامت بتصفية الاحزاب السياسية في البلاد » مما زاد من تعقيد الموقف في نظر المعلقين السياسيين .

وتنتج نيجيريا (٥٥ مليون نسمة) الكاكاو بكميات كبيرة ، كما انها تنتج الارز والقطن . ويوجد بها بعض المعادن كالحديد والالومنيوم والليجنيت والفحم . وتعد نيجيريا اكبر دولة افريقية من حيث المساحة وعدد السكان .

وجدير بالذكر ان تدريب ضباط الجيش فى نيجيريا يتم فى بريطانيا . كما تقوم المانيا الغربية بتدريب قوات الطيران . اما السلاح والمعدات الحربية فتحصل عليه نيجيريا من كل من بريطانيا — بشكل رئيسى — ومن امريكا كذلك .

●

■ **لاجوس**

من يذهب الى القبر : الكومنولث ام ويلســـون ؟ ام ســميث

بات مؤكدا ان ازمة الكومنولث البريطانى تتفاقم باضطراد الى الحد الذى دفع المراقبين السياسيين الى القول بانه «قد اهتز تماما . واصبح منظمة مشلولة الحركة » . وذلك بسبب الموقف المناور الذى تحرص حكومة بريطانيا على اتخاذه ازاء مشكلة روديسيا .

ففى اوائل شهر يناير الماضى ، عقد فى لاجوس (**نيجيريا**) مؤتمر دول الكومنولث ، حضره ١٩ رئيس وزارة ، بناء على الدعوة التى وجهها **ابو بكر تيفاوا باليوا** رئيس وزراء نيجيريا السابق « لبحث مشكلة روديسيا » واتخاذ قرار بشأن الحكومة غير الشرعية فيها . وجدير بالذكر ان مشكلة روديسيا هى النقطة الوحيدة التى ضمها جدول اجتماع المؤتمر .

وقد جاء اجتماع هذا المؤتمر بعد قطع عدد من دول افريقيا لعلاقاتها الدبلوماسية ببريطانيا . بل وهددت كل من **غانا وتنزانيا** (قاطعتا مؤتمر لاجوس ولم تحضراه) بالخروج من الكومنولث .

وقد وجهت **سيراليون** نقدا عنيفا فى المؤتمر ضد بريطانيا « لموقفها المتميع من المشكلة » . وطالبت باستخدام القوة لايجاد حل لمشكلة روديسيا . وعلى الرغم من ان المؤتمر قد اتفق على قرار جاء فيه ان احتمال استخدام القوة «لا يمكن استبعاده ، اذا ثبتت ضرورته لاعادة النظام فى روديسيا » ، الا ان هارولد **ويلسون** رئيس وزراء بريطانيا ، عاد فصرح — وهو لايزال فى لاجوس قبل مغادرتها الى لندن — « ان القوة ستستخدم فقط اذا اقتضى الامر ذلك » . ثم اضاف « ولكنها على اية حال لن تستخدم فى الازمة الدستورية القائمة الان هناك » . وانتهى المؤتمر بأن حدد موعدا لاجتماعه القادم فى يوليو لمتابعة المشكلة . ويقول المراقبون ان المؤتمر قد أكد بهذا ان بريطانيا هى « آخر من يطلب منه الاشتراك فى ايجاد حل للمشكلة » . ويتساءل هؤلاء المراقبون « كيف نطلب من المسئول عن ايجاد المشكلة — بشكل رئيسى — ان يجد حلا لها يخالف تماما الهدف الذى سعى الى تحقيقه من ورائها ؟ » وقد اتهمت وكالة انباء الصين الجديدة رئيس وزراء بريطانيا « باللجوء الى الاساليب المسوقة فى مؤتمر لاجوس لمنع اتخاذ اى اجراء ضد حكومة روديسيا» . واضافت « ان ويلسون يحاول حماية هذه الحكومة » .

وفى شرق افريقيا قررت حكومات تنزانيا وكينيا واوغندا منع تحليق اى طائرات متجهة الى روديسيا او قادمة منها فوق اراضيها . وتقول وكالات الانباء ان هذا القرار سوف يسرى « على طائرات بريطانيا وايطاليا ومالاوى وزامبيا وجنوب افريقيا » . وفى لندن اعلن **ارثربونوملى** وزير الكومنولث البريطانى — بعد الغاء زيارته لروديسيا — أنه « لم يستبعد احتمال زيارة روديسيا فى فرصة قريبة » . وقد اصدرت « **حركة تحرير المستعمرات** » البريطانية بيانا دعت فيه حكومة ويلسون الى « وقف دستور ١٩٦١ فى روديسيا وتطبيق قانون الطوارىء فى هذا البلد » .

وتؤكد النتائج التى اسفر عنها مؤتمر لاجوس للكومنولث ، مايراه المراقبون الافريقيون ، من ان حل مشكلة روديسيا لن يتحقق الا « عن طريق منظمة الوحدة الافريقية والحركة الوطنية فى روديسيا نفسها » . وكانت اللجنة الخماسية المنبثقة من مؤتمر اكرا (اكتوبر ١٩٦٥) قد اتفقت فى اجتماعها الاخير فى اوائل يناير على « تقديم كل المساعدات الممكنة الى شعب زيمبابوى (الاسم الافريقى لروديسيا) » .

وجدير بالذكر ان **كينيث كواندا** رئيس جمهورية **زامبيا** قد حاول فى اوائل الشهر الماضى ، قبل انعقاد مؤتمر لاجوس ، الوصول الى اتفاق مع حكومة بريطانيا لتحديد موعد تعمل بريطانيا خلاله على اسقاط حكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا ، فاذا لم تنجح فى ذلك استخدمت القوة لاسقاطها . ولكن الحكومة البريطانية رفضت تحديد مثل هذا الموعد . كما راحت ، من ناحية اخرى ، تؤكد — فى اكثر من مناسبة — انها لن تستخدم القوة ضد حكومة سميث ، مما دفع **كابويبى** وزير خارجية زامبيا الى ان يعلن انه « لم يعد هناك مفر من استخدام القوة ضد حكومة ، روديسيا غير الشرعية » . ومن المعروف ان كابويبى من زعماء زامبيا المؤيدين لاستخدام القوة ضد حكومة سميث بينما يبدى كواندا كثيرا من التحفظات حول ان تستخدم منظمة الوحدة القوة لهذا الغرض وان كان لايعارض — حيث لم يدل بأى تصريح على عكس هذا المعنى — ان تستخدم بريطانيا بنفسها القوة

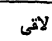
وكانت حكومة سميث قد رفعت من نسبة الضرائب والرسوم على الفحم الذى يصدر الى زامبيا . فى نفس الوقت الذى قامت فيه بايقاف مد زامبيا بالبترول الذى تحتاجه والذى يصلها من طريق انابيب من روديسيا . واعلنت بريطانيا عن استعدادها لمد زامبيا بالبترول عن طريق الطائرات التى قامت بذلك بالفعل . وقد كشف المراقبون السياسيون عن سر موقف بريطانيا هذا بقولهم « لم يكن ممكنا ان تقدم بريطانيا على مثل هذا الموقف لو لم تكن تعرف ان منع البترول عن زامبيا وارتفاع ثمن الفحم الذى تستورده ، سيصيب مصانع النحاس وعمليات انتاجه فى حزام النحاس بالشلل » . ومن المعروف ان بريطانيا تملك نسبة ضخمة من مناجم النحاس ومصانعه فى زامبيا .

ومما يذكر ان حكومة زامبيا قامت فى اوائل الشهر الماضى ، بطرد نائب المندوب السامى البريطانى فى (**لوزاكا**) العاصمة بسبب « تصرف خاص » قام به ، واوضحت زامبيا انه «شخص غير مرغوب فيه » .

أما فى روديسيا ، فقد اعلن **ايان سميث** رئيس حكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا ، « ان دولا اخرى قد تبدأ قريبا فى ارسال شحنات البترول » . ومعروف ان امريكا ارسلت — رغم قرار مجلس الامن بايقاف شحنات البترول — كميات كبيرة من البترول الى حكومة سميث . كما قال سميث « ان بريطانيا تخسر الان معركة المقاطعة » . ثم اضاف «اذا كان ويلسون ينتظر ان تركع روديسيا على اقدامها قبل ان يدخل فى مفاوضات فانه سيكون فى قبره قبل ان يأتى هذا اليوم » . وكان سميث قد صرح من قبل بأنه «على استعداد للدخول فى مفاوضات مع بريطانيا فى اى وقت اذا كانت هذه المفاوضات بناءة » .

■ **طشقند**

مؤتمر طشقند ٠٠ خطوة فى اتجاه السلام



مؤتمر طشقند الذى انعقد بين لال بهادور شاسترى رئيس وزراء الهند ، ومحمد ايوب خان رئيس جمهورية باكستان بدعوة من اليكسى كوسيجين رئيس حكومة الاتحاد السوفييتى اهتماما واسعا من قبل شعوب العالم . وقد انتهى المؤتمر باعلان هندى ــ باكستانى مشترك حقق تقدما لقضية السلام فى شبه القارة الهندية والقارة الاسيوية عامة . اذ اتفق فيه على :

● سحب قوات كلٌ من الدولتين الى المواقع التى كانتا بها قبل نشوب القتال فى الصيف الماضى ، والتزام الدولتين بميثاق الامم المتحدة من حيث تعهدهما بعدم الالتجاء الى القوة فى تسوية نزاعاتهما واتخاذ الطرق السلمية وسيلة لفض اى منازعات . وفى ضوء هذا الالتزام تبادل الجانبان الاراء حول مشكلة كشمير . واتفقا على أن تقوم العلاقات مستقبلا بينهما على اساس عدم تدخل احداهما فى الشئون الداخلية للدولة الاخرى .

● اعادة العلاقات بين الدولتين الى اوضاعها الطبيعية وتعزيز السلام والتفاهم والصداقة بين الشعبين واقامة اجهزة مشتركة تعمل على تحسين العلاقات بين الدولتين ، يتضمن ذلك اعادة السفيرين بين الدولتين بعد ان كان قد تم سحبهما خلال القتال .

تعليق

دعوة للحذر بعد ان انهارت الاسطورة ٠٠

لم تكن الانقلابات التى وقعت فى غرب افريقيا ، لتجذب كل الاهتمام الذى لاقته ، لو انها وقعت منعزلة عن بعضها وعلى فترات متباعدة . اما ان تقع خلال ٤٠ يوما فقط وباسلوب يكاد ان يكون واحدا ، فهى ظاهرة جديرة بالدراسة والتامل واستكشاف ما يكمن وراءها من تحركات .

فهى اولا شديدة الارتباط بانقلاب موبوتو فى ٢٥ نوفمبر الماضى فى الكونجو ليوبولدفيل الذى يجاور ــ او يقارب ــ جمهوريه وسط افريقيا او داهومى او فولتا العليا . هذا الانقلاب الذى جاء فى اعقاب المؤامرة فى روديسيا (١١ نوفمبر) . وتبدو الانقلابات فى هذه الدول الثلاث كما لو كانت صدى لتطور احداث روديسيا والكونجو .

وقد جاءت هذه الانقلابات الثلاثة ثانيا ، بعد الزيارة التى قام بها مينين ويليامز مساعد الخارجية الامريكية لهذه الدول فى اكتوبر ١٩٦٥ . ولم يخف ويليامز بعد زيارته استياءه الشديد من « اتجاه قادة تلك البلدان لتعزيز علاقاتها بالصين الشعبية » (الانقلابات بدات فى ٢٩ نوفمبر) ولم يكن من الصدفة ان تقطع العلاقات مع الصين الشعبية فور حدوث هذه الانقلابات .

لم تكن هذه الاحداث ثالثا ، انقلابا ضد نظم وطنية معادية للاستعمار . كما انها سعت جميعها الى تشكيل حكومات عسكرية تلغى الدستور والبرلمان والاحزاب وتنذر بالضرب بيد من حديد ضد كل محاولة للتمرد عليها .

ان ظروف وقوع الانقلاب فى ظل مخطط الهجوم الاستعمارى ضد حركة التحرر الافريقية ، والاتهامات المتبادلة فيما بين المخابرات الفرنسية والامريكية بتدبيرها ، كافية لتوضيح دلالات هذه الانقلابات . ولما لم يكن من المنطقى ان تخطط فرنسا لهذه الانقلابات ، ثم ينذر ديجول دول المنطقة بقطع المساعدات الاقتصادية عنها ، ان لم توقف هذه الانقلابات ، فان دلالة تهديدات ديجول ترجح هذه الاتهامات . اما تهديدات ديجول فقد قصد بها تحذير قادة جيوش الدول المستقلة حديثا عن فرنسا من التفكير فى الاستجابة للقيام بتحركات مماثلة .

ان اهداف الاستعمار من مؤامراتى روديسيا والكونجو بالنسبة للدول المستقلة المتحررة المجاورة لهما فى جنوب القارة ووسطها ، هى نفس اهداف احكام السيطرة ــ بشكل عسكرى ــ على الدول الثلاث فى غرب القارة ، فى اطار مخطط استعمارى جديد وواسع للالتفاف من حول الدول المتحررة ومحاصرتها .

اما بالنسبة لنيجيريا ــ وبغض النظر عن التفاصيل المتضاربة لاحداثها ــ فانها تعنى فى التحليل الاخير ، انهيار الاسطورة التى سعى الغرب لمدها بكافة الامكانيات ــ المادية والفنية ــ ليخلق منها نموذجا للديمقراطية الغربية والاقتصاد الحر بامكانياتها البشرية والاقتصادية الضخمة ــ لتواجه النماذج الثورية فى شمال القارة وغربها وشرقها ، وخاصة فى التجارب الرائدة للجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى .

ان تشديد الدول الافريقية الثورية ليقظتها السياسية، وتدعيمها لعناصر تضامنها ووحدتها، وعملها ــ بكل طاقاتها الشعبية الابداعية ــ لاستكمال وتدعيم بنائها الاشتراكى ، هو سبيل القضاء على المخطط الاستعمارى الواسع . كما ان مواجهة محاولات الالتفاف من حولها ومحاصرتها بضرب هذا الحصار معتمدة على الجماهير الافريقية نفسها ، هو سبيل تامين كيانها وبنائها . ولعل فى محاولات الاستعمار لمحاصرة التجارب الثورية الافريقية والالتفاف من حولها ــ بهدف ضربها فى نهاية الامر ــ حقائق كافية لاخراس السنة وهمس كل من يدعو الى العزلة او يشككنا من اهمية تدعيم العلاقات مع الشعوب الشقيقة .

حسين شعلان

● اصدار التعليمات الى القادة العسكريين بتبادل اسرى الحرب .

● عقد اجتماع قمة آخر بعد ستة شهور .

ويرى معظم المراقبين ان الاعلان المشترك وان لم يكن قد تضمن خطة عملية مباشرة لحل مشكلة كشمير ولم يتضمن اتفاقا بعدم الاعتداء بين الدولتين وهو ما طالب به شاسترى منذ البداية ، الا انه وضع على الاقل الاطار العام الذى يمكن ان تجرى داخله محادثات مقبلة مثمرة لتسوية تلك المشكلة وذلك بعد ان حقق تصفية كاملة للاثار التى خلفتها معارك الدولتين التى استمرت ٢٢ يوما فى الصيف الماضى . كما ان الاعلان يعد فى حد ذاته انتصارا لمبدأ الاتجاه الى تسوية المنازعات بالوسائل السلمية والسعى لايجاد الحلول الاسيوية للمشاكل الاسيوية عن طريق المواجهة المباشرة بين زعماء الدول .

وقد بدىء فى اتخاذ اولى الخطوات نحو تنفيذ الاتفاق واعلنت الامم المتحدة ان الممثلين العسكريين للهند وباكستان سيجتمعون فى لاهور بباكستان لبحث تحديد موعد لانسحاب قوات الدولتين معا من خط وقف اطلاق النار الحالى . ولذا فبضمان تحقق هذا الإعلان عمليا فى المستقبل تكون مشكلة كشمير قد انتقلت من مرحلة النزاع المسلح وهي المرحلة التى استمرت منذ عام ١٩٤٧ حتى الان الى مرحلة المحادثات السلمية المباشرة بين الدولتين .

هذا وقد قوبلت وفاة السيد **لال بهادور شاسترى** رئيس وزراء الهند عقب صدور الاعلان المشترك بأسف شديد من قبل شعوب العالم . ورغم ان معظم المراقبين قد اعربوا عن اعتقادهم بان وفاة شاسترى لن تؤثر على اتفاقات طشقند ،

على انه اذا كان السوفييت قد حققوا نصرا لسياستهم بوساطة اليكسى كوسيجين والذى نجح فى اعادة الحوار بين الهند وباكستان عقب ٤ شهور من القتال المسلح العنيف ، فان عددا من المراقبين قد اشاروا الى ان المصير الحقيقى لما اتفق عليه فى طشقند سيتوقف بدرجة كبيرة على الخطوات التى سوف تتخذها الصين الشعبية التى اقدمت منذ عدة سنوات وتقدم على عدد من المواقف السياسية والعسكرية لتثبت انها صاحبة القول الفصل فى قضايا آسيا ولذا فسيكون ذلك من زاوية ما ، اختبارا للدبلوماسية السوفيتية فى آسيا ولمدى قدرتها على اقرار سلام حقيقى هناك .

●

■ <u>الهند</u>

انديرا غاندى .. الوسط واليسار ضد اليمين

اسفرت انتخابات الهيئة البرلمانية لحزب المؤتمر الحاكم من فوز السيدة **انديرا غاندى** ابنة نهرو ووزيرة الاعلام فى حكومة شاسترى على منافسها **مورارجى ديساى** وزير المالية السابق باغلبية ٣٥٥ صوتا مقابل ١٦٩ صوتا . وبذا تصبح انديرا غاندى أول رئيسة لوزراء الهند وحزب المؤتمر الحاكم ، وثانى سيدة فى العالم تتولى منصب رئاسة الوزارة بعد السيدة باندرانايكه فى سيلان .

وقد انحصر الصراع على رياسة الوزارة بعد وفاة شاسترى بين مورارجى ديساى ذو الاتجاه اليمينى وجولزاريلال ناندا رئيس الوزراء المؤقت وهو يميل الى يسار حزب المؤتمر والسيدة **انديرا غاندى** باعتبارها ممثلة للوسط أيضا — وقد عمل السيد **كاماراج** رئيس حزب المؤتمر على خلق نوع من «الوفاق» فى الحزب كما سبق له ان فعل منذ ثمانية عشر شهرا بتأييده لشاسترى الذى خلف نهرو فى الرياسة .

ويرجع عدد من المراقبين اسباب الفوز الكبير لانديرا غاندى الى اتفاق عناصر الوسط الهندى على العمل ضد اليمين . اذ تم الاتفاق بين **ناندا وانديرا غاندى** على عدم خوض المعركة ضد بعضهما ونفذ الاتفاق بتنازل ناندا لتدعيم مركز انديرا ضد ديساى . **وجولزا ريلال ناندا** اشتراكى ديموقراطى من اقطاب حزب المؤتمر وزعيم عمالى سابق عمل من قبل وزيرا للداخلية وعين وزيرا للعمل سنة ١٩٣٢ ويعتبر واضع تشريعات نقابات العمل فى الهند كما انه تراس لجنة العمل والعمال فى حزب المؤتمر منذ مارس ١٩٥٠ . واسس مؤتمر اتحاد نقابات العمال ليناهض اتحاد نقابات عمال الهند الذى يسيطر عليه الشيوعيون وهو الذى عين رئيس وزراء مؤقت للهند بعد وفاة نهرو فى مايو سنة ١٩٦٤ . وقد علقت الاوبزرفر البريطانية على ترشيحه بقولها «اذا تولى ناندا فستصبح الهند بالتأكيد اكثر اشتراكية ، الا انه من غير المحتمل فى ظل نظامه ان تزدهر الروح الليبرالية » .

اما **مورارجى ديساى** فيعرف بتطرفه الشديد الى اليمين وبعدائه الشديد للاشتراكية وهو من انصار الاقتصاد الحر والقطاع الخاص والسير مع الغرب وهو رجل أعمال ورجل مال فى الاساس تولى رئاسة وزارة بومباى سنة ١٩٥٢ . وتولى وزارة التجارة والصناعة الهندية سنة ١٩٥٦ وتقلد منصب وزير التجارة والايرادات والمالية والصناعة فى وزارات الهند المتعاقبة . ويرفض ديساى أى تسوية سلمية مع باكستان أو الصين ويطالب بتغيير أهداف سياسة حزب المؤتمر الحالية ونبذ سياسة عدم الانحياز .



● انديرا غاندى

وعلى خلاف كل من **ناندا** أو **ديساى** تتمتع السيدة **انديرا غاندى** بالمرونة السياسية والقدرة على التوفيق بين الصراعات القلقة التى يحفل بها حزب المؤتمر . وان انتخابها بهذه الاغلبية الكبيرة انما يرجع فى نظر كثير من المراقبين الى قدرتها على ان تكون ممثلة نموذجية للوسط فى الحزب . وقد اكتسبت كثيرا من صفات المرونة بعملها الدائم مع نهرو اذ كانت سكرتيرته الخاصة وقد شاركت منذ الصغر فى الكفاح الوطنى للامة الهندية . فشكلت وهى طالبة فى الثانية عشرة جمعية من الطلبة لمساعدة حركة العصيان المدنى . ومنذ عام ١٩٣٨ اصبحت عضوا فى حزب المؤتمر واسهمت بدور وافر فى نشاطات القطاع النسائى مما ادى الى اعتقالها . وفى عام ١٩٥٥ انتخبت عضوة فى اللجنة المركزية لحزب المؤتمر وتولت أيضا رئاسة لجنة السيدات فى الحزب ، وفى عام ١٩٥٩ انتخبت بما يشبه الاجماع رئيسة للحزب وأصبحت بذلك أول رئيسة فى تاريخ العالم لحزب سياسى كبير وهى أقرب المرشحين الى شخصية **شاسترى** من حيث ايثارها للحلول الوسط وان كان المعلقون السياسيون يرون انها على يسار والدها **نهرو** واقرب الى **كريشنا مينون** .

هذا وتعتبر تصريحات انديرا غاندى فى أول مؤتمر صحفى تعقده بعد توليها الرياسة عن احترامها «لاتفاق طشقند » ، واستعدادها للدخول فى محادثات مع الصين الشعبية لتسوية نزاعهما ، وهى أول مواجهة منها للمشكلات الضخمة التى تواجه الهند والتى سيضاف اليها فى القريب العاجل مشكلة المجاعة الكبرى التى تهدد الشعب هناك . وعلى مدى النجاح فى مواجهة هذه المشكلات الثلاث يتوقف تدعيم زعامة انديرا غاندى فى مواجهة خصومها سواء داخل حزب المؤتمر أو من القوى الاشد رجعية خارجة .

●

■ فيتنام

بين توسيع نطاق الحرب واجراء محادثات للسلام

قدم الرئيس الامريكى **جونسون** مشروع ميزانية الدولة الاتحادية لعام ١٩٦٦ الى الكونجرس الامريكى لمناقشتها . وتبلغ الميزانية الجديدة ١١٢ مليار و ٨٠٠ مليون دولار ، منها ٦٠ مليار دولار للدفاع خصص منها ١٠٫٥ مليار دولار لحرب **فيتنام** وحدها . ولم يوضح جونسون فى تصريحه الخاص بما أسماه « حملة السلام » الامريكية ، ما اذا كان سيصدر أوامره باستئناف الغارات الجوية ضد شعب **فيتنام الشمالية** . وقد صرح بعض المسئولين الامريكيين ان اصدار جونسون لاوامر استئناف الغارات متوقف على المناقشات التى ستتم بين جونسون ومستشاريه . ويرجح المراقبون استئناف هذه الغارات .

وكان القتال قد استؤنف بين قوات جيش التحرير فى **فيتنام الجنوبية** من جهة وبين قوات حكومة **سايجون** والقوات الامريكية من جهة أخرى ، بعد انتهاء احتفالات رأس السنة القمرية . وكان **برتراند راسل** الفيلسوف والكاتب الانجليزى قد بعث برسالة الى مؤتمر **هافانا** طالب فيها بمحاكمة المسئولين الامريكيين باعتبارهم « مجرمى حرب » .

وكانت التفسيرات قد تضاربت حول العروض الامريكية الاخيرة لاجراء محادثات لايجاد حل لمشكلة فيتنام ، بين وجهتى نظر تقول احداها بأن هناك مسعى امريكيا على جانب من الجدية لاجراء المحادثات . وتقول وجهة النظر الاخرى بأنها مجرد مناورة ودعاية ، تسبق مخططا للتوسع فى الحرب .

ويستشهد المراقبون السياسيون المؤيدون لوجهة النظر الاولى بالنشاط الواسع النطاق الذى دار حول هذه القضية والذى تمثل فى علامات معينة هى :

١ — الرسائل المتعددة التى بعث بها بعض زعماء دول عدم الانحياز — وخاصة **الرئيس عبد الناصر** — الى كثير من عواصم العالم ، تناولوا فيها مشكلة فيتنام . وتلك التى بعث بها **رئيس وزراء الدانمرك** الى الحكومة البريطانية والدول الاسكندنافية . —٢— الاجتماعات المختلفة التى تمت بين كثير من المسئولين فى دول العالم والتى كان آخرها — حتى كتابة هذا التقرير — الاجتماعات التى تمت فى نيودلهى بين **دين راسك** وزير الخارجية الامريكية و**اليكسى كوسيجين** رئيس الوزراء السوفيتى . وبين **حسين الشافعى** نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة مع كل من كوسيجين وراسك . —٣— الاتصالات والمشاورات التى اجرتها بعض الدول ومنها **الجمهورية العربية المتحدة** ويوغوسلافيا وبريطانيا واليابان .. الخ . — ٤ — المباحثات التى قام بها الكسندر **شيليبين** — من أكبر قادة الحزب الشيوعى السوفيتى — فى كل من **هانوى** و**بكين** . — ٥ — تزايد الحركة المعادية لحرب فيتنام داخل الولايات المتحدة الامريكية نفسها .

ورغم أنه لم يسفر من هذا النشاط الواسع ، اية نتائج ايجابية ، حتى كتابة هذا التقرير ، الا ان هناك بعض العوامل التى تبدو — على حد تعبير المراقبين — « مشجعة » حتى الان : **أولها** : ان الغارات التى كانت تشنها الطائرات الامريكية ضد شعب فيتنام الشمالية ، لاتزال متوقفة . كما تشير الانباء الواردة من سايجون الى عنف القتال الذى يدور بين القوات الامريكية وبين قوات جبهة التحرير « قد خفت حدته الى حد ما » . **ثانيا** : ما اذاعته وكالات الانباء من ان جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية قد أفرجت عن عدد من الاسرى الامريكيين . **ثالثا** : التصريح الذى اعلن فيه الرئيس الامريكى **جونسون** انه اذا اجريت المفاوضات فان امريكا « على استعداد لسماع وجهة نظر كل جماعة » . وقد فسر المراقبون هذا التصريح على ان امريكا « تبدى الان — تحت ضغط الرأى العام الامريكى والعالمى — استجابتها لان تكون جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية طرفا فى بحث المشكلة » . وجدير بالذكر ان الصحافة الامريكية بدأت — منذ منتصف الشهر الماضى — تشير الى أن الجبهة تضم عناصر وطنية الى جانب العناصر الشيوعية ، كما أنها تسيطر على منطقة كبيرة من اراضى فيتنام الجنوبية . واذا كان من السابق لاوانه القول بأن هناك املا كبيرا فى ايجاد حل لمشكلة فيتنام ، الا ان هناك خاطرا يراود بعض المراقبين فى آسيا يقول بأنه من الممكن « ان توجد فترة انتقال يمكن اثناءها تهيئة الجو بشكل افضل لهذه المفاوضات » .

وكان المراقبون السياسيون ، قد ابدوا اهتماما كبيرا بالزيارة التى قام بها الكسندر شيليبين — فى اوائل الشهر الماضى — الى **هانوى** ثم الى **بكين** فى طريق عودته الى موسكو .

وقد اختلفت الدوائر السياسية في تفسير هذه الزيارة ، رغم اجماعها على انها دارت حول تطور مشكلة فيتنام . فقد فسرها البعض على انها تمت بهدف « عرض المساعدات على فيتنام الشمالية لتدعيم وسائل دفاعها » . وفسرتها دوائر لندن — مثلا — على انها « تلبية للنداء الذى وجهه ويلسون الى الحكومة السوفيتية ودعا فيه الى قبول عروض الولايات المتحدة باجراء المفاوضات » . اما في بكين ، فقد فسرتها على انها « محاولة من جانب السوفيت لتدعيم مركزهم لدى هانوى » . ولم تكن موسكو قد افصحت — في اى بيان لها — عن أهداف شيليبين ، ولكنها اعلنت ان وفدا عسكريا سيرافقه الى هانوى ويضم اكبر خبير للصواريخ في الاتحاد السوفييتى . على ان الدوائر الدبلوماسية الغربية في موسكو قد اكدت ان المباحثات التى اجراها شيليبين في كل من هانوى وبكين تناولت العروض الامريكية الاخيرة . وقد صرحت المصادر الرسمية السوفيتية ردا على اسئلة الصحفيين حول « شروط السوفيت لبدء المفاوضات » ، قائلة « ان مسالة هذه الشروط ، متروكة لهانوى » كما اعلنت ان الاتحاد السوفيتى يؤيد هانوى في موقفها . ورغم كل التكهنات التى قالت بها الدوائر الغربية ، الا ان الصحف السوفيتية والمسئولين السوفيت ، كانوا دائمى التصريح بأن عروض الولايات المتحدة ، « دعاية ومناورة » في الاساس . وفي اواخر الشهر الماضى ، صرح **ليونيد بريزنيف** السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى ان العروض الامريكية « مجرد مناورة لتغطية توسيع نطاق العدوان ضد فيتنام » . ثم اضاف انه « لما كان الاستعماريون الامريكيون يدركون ان مغامرتهم يائسة فانهم يحاولون القيام بمناورة، وفي الوقت الذى يوسعون فيه نطاق عدوانهم ، يتحدثون عن رغبتهم في اجراء محادثات للسلام » . وتعتقد بكين ان المحاولات الامريكية « عمل دعائى اجوف وغير جاد » . كما ترى ان الامريكيين لن يغادروا فيتنام الا « بهزيمتهم في القتال » .

أما المراقبون الذين يعتقدون في وجهة النظر القائلة «بالمناورة والدعاية الامريكية » ، فيشيرون بشكل عام الى «ان الاستعمار يبذل جهوده لتحويل قارة آسيا الى ميدان لمحاربة الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى » . ويدللون على صحة هذا التفسير بالاستشهاد بالانباء التى وردت من سايجون في اواخر الشهر الماضى وتقول بأن **حكام كوريا الجنوبية وفورموزا** ، يستعدون — بناء على توجيه من امريكا — لارسال قوات جديدة للاشتراك في حرب فيتنام تقدر بعشرين الف جندى . كما اعلنت وزارة خارجية فيتنام الشمالية « ان الولايات المتحدة قامت عدة مرات بضرب مناطق معينة في لاوس بالقنابل من الجو وذلك لمحاولة توسيع نطاق الحرب من فيتنام الجنوبية الى مناطق اخرى» .

وتقول مجلة تايم الامريكية ان الحكومة الامريكية بدأت تنفذ بشكل جاد ماعرف « بقانون ١٩٦٥ » الذى يقضى بسجن من يمزق بطاقته العسكرية « لمدة لاتزيد عن خمس سنوات وغرامة لاتزيد عن ١٠ آلاف دولار » وقد تقدم بالفعل الملازم هنرى هوى (٢٣ سنة) للمحاكمة بتهمة خرق هذا القانون . ويساند الجنود الامريكيون الذين يحرقون بطاقاتهم العسكرية « اتحاد **نيويورك للحريات المدنية** » الذى اعلن انه يتحدى الحكومة في ان تطبق هذا القانون « دستوريا » . كما تقول التايم « ان القوات الامريكية في تايلاند زادت من ٤٨٠٠ جندى من عام ١٩٦٢ الى ١٢ الف جندى اليوم » . وقد صرح وزير الدفاع الامريكى ان الولايات المتحدة « تعمل على تعزيز حيويتها في فيتنام » .

وجدير بالذكر ان مجلة **نيوزويك الامريكية** تقول انه من اهم المسائل التى تختلف عليها بشكل واضح وجهة نظر كل من امريكا وفيتنام الشمالية « .. من الذى يحكم فيتنام الجنوبية بعد وقف الحرب ؟ وما هو مستقبل جبهة التحرير ؟ وما مصير القوات الامريكية في فيتنام الجنوبية ؟ » .

●

■ سان دومنجو

السلام « الهش »

في الثالث من يناير وأمام عشرات الميكروفونات وعدسات التلفزيون ، وقف **هكتور جارسيا جودوى** ، الرئيس المؤقت لجمهورية سان دومنجو ، يعلن قراره بابعاد ثلاثين من صغار الضباط الى الخارج . وكانت يداه ترتعشان في عصبية ظاهرة وهو يقرأ بيانه الموجه الى الأمة .

وفور اذاعة البيان ، ثارت الجماهير ، وتدفقت في مظاهرات صاخبة . وهددت اتحادات العمال بالاضراب ، لان قرار الرئيس لم يتعرض للرؤوس الكبيرة المكروهة من الشعب من العسكريين اليمينيين والمسئولين عن حوادث العنف والقتل التى تكررت في الآونة الاخيرة . ونتيجة لهذا الضغط أصدر الرئيس ملحقا ضم بعض الاسماء الجديدة . ووصل عدد المبعدين الى ٣٤ شخصا ، ١٢ منهم كملحقين عسكريين ، ٢٢ في بعثة دراسية «غير محدودة الاجل» في **اسرائيل** . الا ان هذه القائمة الجديدة شملت أسماء من العسكريين المتنازعين تضمنت عددا من العسكريين على راسهم **ريفيرا كامنيرو** ، وزير الدفاع ، وعددا من الثوار على رأسهم **فرانسسكو كامانو** الرئيس السابق لحكومة الثوار **الدستورية** .

● جونسون

واعلن كلا الجانبين عدم رضائه عن هذا القرار فنزل العسكريون بدباباتهم واستولوا على محطة اذاعة العاصمة ، ومحطة اذاعة سان ايزدرو ، (وكان الرئيس جودوى قد نجح عقب تشكيل حكومة فى انتزاعها من أيديهم ، لدأبها على اذاعة البيانات الملتهبة والتهديدات المستمرة لليسار) واستنجد الرئيس بقوات المنظمة الامريكية ولكنها تباطأت ، ولم تتدخل الا بعد ان طلب الرئيس عقد اجتماع طارىء لمنظمة الدول الامريكية .وبقيت المحطة الاخرى فى يد القواد اليمينيين يعلنون بها معارضتهم لاى تغيير فى القيادة العليا ورفضهم لقرار الرئيس . وبقى لهم حرية الحركة فى شوارع العاصمة والمدن الهامة .

وفى نفس الوقت تدفقت الجماهير الى الشوارع ، ورابطت خلف المتاريس التى لم تكن قد ازيلت منذ المعركة الماضية ، ودعت اتحادات العمال الى «اضراب قومى» لمقاومة العسكريين ونادى الحزب الثورى ، وحركة ١٤ يونيو والحزب الشيوعى بالكفاح المسلح لمقاومة «الغزاة الامريكيين» وصنائعهم ولسد الطريق أمام أقامة فاشية عسكرية

والسبب المباشر لقرار الابعاد هو تلك الاحداث التى وقعت عندما سافر الكولونيل فرانسسكو كامانو ومعه ١٢٥ من انصاره الى سانتيجو لاحياء ذكرى أحد ضباط الثورة . وبعد احتفالات الكنيسة ذهبوا الى مقبرته لوضع الزهور عليها . وفجأة دوت طلقة كانت موجهة لكامانو ولكنها اخطأت . وانسحب هو وانصاره الى فندق بالمدينة واحتموا به . وأتت داورية طوقت الفندق واطلقت النيران على من فيه . وحوصر الفندق بالدبابات والطائرات ، واستمر القتال لمدة ٦ ساعات وقتل ١٢ شخصا ولوجود عدد من الامريكيين فى الفندق تدخلت قوات المنظمة الامريكية وعاد الهدوء مؤقتا . ولكن ما أن وصلت أنباء القتال الى العاصمة حتى تدفقت مظاهرات الطلبة تأييدا لكامانو . وهددت اتحادات العمال بالاضراب مالم تتم محاسبة العسكريين الذين دبروا هذه المذبحة . ووعد الرئيس بالتحقيق ومحاسبة المسئولين . وهدد كامانو «بأنه مالم تحقق العدالة ، فسيتولى الشعب مسئولية تحقيقها» . وبالطبع تعثرت التحقيقات ،فأعلنت الهيئات الشعبية والديمقراطية سحب الثقة من الرئيس جودوى ودعت الى الاضراب العام وحددت له موعدا . فسارع جودوى بالاجتماع بلجنة مندوبى المنظمة الامريكية (يراسها السفير الامريكى وتضم عضوا من البرازيل وآخر من السلفادور) واتخذ هذا القرار بابعاد زعماء الفريقين الى الخارج ، لقطع الطريق على الاضراب العام أو قيام انقلاب عسكرى

وبذلك لم يستمر ذلك السلام «الهش» سوى ثمانية شهور . لقد تشكلت الحكومة المؤقتة فى أبريل ٦٥ ، بعد حرب اهلية استمرت لمدة ٤ شهور ضد الحكومة العسكرية التى شكلتها الولايات المتحدة الامريكية فى مواجهة حكومة كامانو الدستورية وضد التدخل العسكرى الامريكى وقد راح ضحية هذه المعارك ٦ آلاف شخص ما بين قتيل وجريح . وقد تعهدت الحكومة المؤقتة وقتئذ بأن تحكم طبقا لدستور مؤقت ، وأن تنهى مهمتها فى مايو القادم باجراء انتخابات عامة . وقد واجهت هذه الحكومة منذ اليوم الاول ، مهاما شاقة ، مثل :

■ **اجلاء القوات الامريكية** ، وهذه مهمة صعبة اذيتفق معظم المراقبون السياسيون على أن الولايات المتحدة تأبى الانسحاب الا بعد الاطمئنان على اقامة حكم ترضى عنه ، كما حدث عام ١٩٢٤ عندما تدخلت . وعملت على تنصيب **تروجيللو** ،وساندت دكتاتوريته لمدة ٣٠ عاما . وعند الاطاحة به ارسلت اسطولها ونصبت **بلاجوير** رئيس وزراء تروجيللو ، وعندما تولى الحكم **جوان بوش** عقب أول انتخابات حرة فى البلاد وبدأ برامجه الاصلاحية «المتواضعة» ، دبرت انقلابا ضده . وأخيرا وبعد ان قام **كامانو** بثورته واختاره البرلمان رئيسا تدخلت ونصبت **باريرا**

■ **مواجهة الخراب الاقتصادى** . لقد انخفض الانتاج خلال شهور الحرب الاهلية الاربعة بنسبة ١٥٪ وبلغ عدد المتعطلين ٣٠٪ من العاملين وتقول «الموند» ان أسباب الاضطراب الاقتصادى يجب البحث عنها فى ٣٠ عاما من دكتاتورية تروجيللو و ٥٠ عاما من السيطرة الامريكية . لقد سيطرت أسرة تروجيللو على ٨٠ ٪ من ثروات البلاد ، وحاز هو واصدقاؤه ٤٠ ٪ من الاراضى ، وامتلكت الشركات الامريكية ٦٠٪ الباقية ، وسيطرت شركتان اجنبيتان على اربعة اخماس انتاج السكر . وعند انهيار حكم تروجللو هربت اسرته ومعها ٢٨٦ مليون دولار ولم تشهد البلاد اى محاولة للاصلاح الاقتصادى ، اذ أن جوان بوش لم يمهل لتطبيق الاصلاح الزراعى الذى كان ينتويه .

■ **اجراء الانتخابات فى فترة قصيرة نسبيا** ، مما يستدعى نوعا من الاستقرار السياسى . الامر الذى لم يتحقق مطلقا . فعقب تكوين الحكومة المؤقتة بدأت الجماهير تطالب بمحاسبة المسئولين عن ضرب المدن بالقنابل أيام الثورة وطالب العسكريون بفصل كبار الموظفين الذين يعطفون على الثوار ورفضوا اعادة ضباط الثوار بالقوات المسلحة ودأبوا على توجيه التهديدات لهم وتدبير حوادث الاعتداء والعنف . وعاد **بلاجوير** من الخارج وبدأ فى الدعاية لنفسه . كما عاد **بوش** والتفت الجماهير حوله وانطلق كبار الملاك يشككون فى امكان عقد الانتخابات فى موعدها وطالبوا بتأجيلها .

وحتى الان لم يترك البلاد اى واحد من «المبعدين» . سوى الكولونيل كامانو الذى تسلم عمله كملحق عسكرى لبلاده فى لندن ، اما الطرف الاخر فقد اعلن استعداده لمغادرة البلاد ، ومع ذلك يزداد تجمع واستعداد العسكريين ، مستغلين تباطؤ قوات «السلام» الامريكية وعدم خروجها من معسكراتها . وان كان العسكريون حتى الان يعلنون انهم لن يقوموا بعمل عنيف ضد جودوى . ومن الناحية الرسمية تعلن الولايات المتحدة تأييدها لرئيس الجمهورية . الذى يؤكد أن قدرته على مواجهة الامور تتوقف على موقف الولايات المتحدة . ويعلن اليسار أن تدخل الولايات المتحدة هو الذى يحول بينه وبين القضاء على الطغمة العسكرية ، ويتضاءل الامل فى استقرار سياسى قريب . وقد عبر عن ذلك جوان بوش ، الذى تكررت حوادث الاعتداء عليه اخيرا ، بقوله أن العسكريين سيقومون بانقلاب ضده اذا ما فاز فى الانتخابات

والامر المؤكد لدى كل المراقبين هو اصرار الولايات المتحدة على التدخل ويرون أن ذلك قد يكون فى صورة من اثنين : —

■ انقلاب عسكرى يمينى ، يقمع الحركة الشعبية ويتولاه رجل مثل **الجنرال ويسين** ، الذى يشرك صديقه السفير الامريكى حتى فى «افكاره» ويدرب جنوده على «طريقة التعرف على الشيوعيين» . وهو حاليا موجود فى ميامى حيث يعمل قنصلا لبلاده .

■ التستر وراء واجهة دستورية ، ترسم حدودها سلفا فى واشنطن حتى تكون نتائجها مضمونة ، مع السماح لها بستار اصلاحى زائف وذلك لسد الطريق أمام اليسار والنموذج الكوبى

■ الولايات المتحدة الامريكية

نجاح اضراب عمال النقل
نقض لسياسة الاجور الحكومية

انتهى

عمال النقل فى نيويورك اضرابهم الذى استمر ١٣ يوما ، بنجاح العمال فى كسب ٧٠ مليون دولار علاوات فى عقودهم الجديدة لمدة سنتين . وقررت المحكمة العليا الافراج عن مايكل كويل زعيم نقابة عمال النقل وزملائه الثمانية الذين اتهمتهم السلطات بالتحريض على الاضراب ، وأعلن « دوجلاس ماكماهون » نائب رئيس النقابة : « ان العمال حققوا عدالة مطالبهم وانهم سعداء ليواصلوا خدماتهم للشعب من جديد » كما أوقفت اجراءات تغريم النقابة ٣٢٢ ألف دولار يوميا . ونتيجة للعقد الجماعى الجديد سيصبح أجر سائق المترو ٤ دولارات فى الساعة بعد أن كان ٣٫٤٦ دولار .

وترجع أسباب هذا الاضراب الذى اشترك فيه ٣٦٫٠٠٠ عامل والذى يعد أول اضراب عمالى اجماعى فى تاريخ مدينة نيويورك الى الخلاف بين هيئة النقل واتحاد عمال النقل بسبب مطالبة العمال بزيادة فى الاجور تصل الى ١٨٠ دولار سنويا لمواجهة الزيادة فى الاسعار المترتبة عن حرب فيتنام . فى حين عرضت الهيئة مبلغ ٢٥ مليون دولار فقط ويرجع الى مطالبتهم أيضا بخفض ساعات العمل الى ٣٦ ساعة أسبوعيا .

وقد كشف هذا الاضراب بنوع خاص عن حدة السلاح الذى يمكن أن يستخدمه العمال الامريكيون فى تحقيق مطالبهم :

● اذ شل الاضراب الحياة تماما فى مدينة نيويورك مقر المئات من الشركات الكبرى والسوق المالية الرئيسية للولايات المتحدة وأحد أكبر مراكز الصناعة والتجارة الاجنبية الكبرى فى العالم .

● أوضح رئيس منظمة رجال الاعمال فى مذكرته للرئيس جونسون « أن خسائر اقتصاد المدينة وصلت الى مائة مليون دولار يوميا . وان هناك خطر افلاس مئات من المؤسسات الصناعية والتجارية الصغيرة .

● ان عددا من أهل نيويورك فقد جزءا من أجوره والآخر هدد بفقد وظيفته كلية خاصة بين الزنوج الذين أظهروا عجزا أكبر من البيض فى الوصول الى أعمالهم لعدم قدرتهم على استخدام الوسائل « الخاصة » للانتقال .

● زادت الطلبات المقدمة بتطلب اعانات تعطل بنسبة ٥٠٪ عن معدلها العادى .

● تحول العمال من الاضراب على العمل الى مظاهرات بالآلاف من أجل مطالبهم .

● اضطراب الاوضاع بالنسبة لعدد كبير من رجال الاعمال فى كثير من مناطق الولايات المتحدة بعد توقف المكاتبات مع نيويورك وكذلك الصفقات المالية والتجارية والاضطرار لتأجيل القرارات .

● بسبب الاضطراب لسكان المناطق الفقيرة الذين لم يستطيعوا الحصول على أجورهم طواله « أكبر مشقة منذ الركود الاقتصادى الكبير فى الثلاثينات » كما أوضحت غرفة التجارة والصناعة .

● اضطرار الجيش الامريكى فى نيويورك الى فتح بعض معسكراته لايواء الآلاف من العاملين الذين يرغبون فى المبيت قرب مقار أعمالهم .

● بلغت خطورة الوضع أن فكر بعض المسئولين فى المدينة فى استدعاء الحرس الوطنى لقيادة السيارات العامة ولكن خشى من آثار استدعائه للتدخل فى اضراب عمالى وما تحدثه ذلك من أزمة سياسية

ويعد هذا الاضراب الحلقة الجديدة فى سلسلة الاضرابات التى توالت فى الولايات المتحدة طوال العام الماضى . واتضحت فى اضراب عمال المطاط ومهندسو الموانى ، والعاملون فى البحرية التجارية ، ودعوة اتحاد نقابات عمال الصلب الى بدء اضراب شامل ، واضراب العاملين فى صحيفة نيويورك تايمز الذى ادى الى احتجاب جميع صحف نيويورك تقريبا ، واضراب عمال مصنع شركة مايتزون الكيماوية وهى الشركة الوحيدة المنتجة لبارود الاسلحة الصغيرة المستخدمة فى فيتنام .

وكانت المطالبة بزيادة الاجور هى القسمة الرئيسية التى جمعت بين هذه الاضرابات ، خاصة اضراب عمال الصلب الذين كانوا يطالبون بزيادة ٥٣ سنتا بينما قدمت لهم الشركات عرضا بزيادة قدرها ٤٠ سنتا فقط . ولا ترجع تلك الاضرابات فحسب الى الصعوبات الاقتصادية التى واجهتها حكومة الولايات المتحدة بسبب حرب فيتنام والتى اضطرتها لخفض نسبة الانفاق العام بالتوقف عن زيادة الاجور ورفع الميزانية المخصصة للدفاع ، وانما ترجع أيضا الى اختلال ميزان المدفوعات الامريكى واحتياطى الولايات المتحدة من الذهب والعملات الصعبة منذ الازمة الاقتصادية العنيفة التى شهدتها مبتدئة عام ١٩٦٤ . وقد أعلن الرئيس جونسون عقب ذلك الاتفاق الذى كسب منه العمال ٧٠ مليون دولار ، انه يعتبر نقضا لارشادات الحكومة الفيدرالية فيما يتصل بسياسة الاجور والاسعار .

ويرى بعض المراقبين ان هذه الاضرابات تسهم فى ازدياد نشاط المثقفين والقوى المتقدمة للاحتجاج على حرب فيتنام والتدخل فى القضايا العامة وبروز امكانيات ظهور يسار أمريكى فى تغيير الصورة التقليدية عن الولايات المتحدة التى لم يتأثر اقتصادها من قبل بمثل هذا الشكل الملحوظ بسبب اشتراكها فى أى حرب محلية . ويسير هذا التحول من أوضاع الولايات المتحدة التقليدية فى اتجاه الاقتراب من النماذج الرأسمالية الغربية أوربية التى كانت تعتبرها الولايات المتحدة من قبل أقل غنى ، وأحفل بعوامل الاضطراب .

٢ فرنسا

الوســـط الديجولى يفوز على اليمـــين الديجـــولى

تسببت عملية اعادة تشكيل الوزارة الفرنسية عقب تولى الجنرال ديجول مهام فترة رئاســته الثانية ، فى أزمة سياسية عرضت الاغلبية الديجولية البرلمانية للخطر .
فقد اصر فاليرى جيسكار ديستان وزير المـالية السابق ومن اليمين الديجولى على البقاء فى وزارة المالية . بينما اتجه ديجول وجورج بومبيدو الى اختيار ميشيل ديبريه وزيرا للمالية . وهو من الوسط الديجـــولى . وكان ميشيل ديبريه قد قام بتاليف وزارة ديجولية بعد عودة ديجول الى السلطة فى ١٩٥٨ .

وترجع خطورة اصرار ديستان على موقفــه الى مجموعـــة النواب التى تناصره فى البرلمان وتبلغ ٣٥ نائبا والتى يعتبر استمرار تأييدها لديجول امرا حيويا لبقاء الاغلبية الديجولية . كما ان احتمال انتقال هذه المجموعة الى مقاعد المعارضـــة يمكن أن يضع ديجول فى مواجهة « برلمان معاد » .

ولقد اعتبر الصراع حول اختيار ميشيل ديبريه او ديستان انعكاسا للصراع بين خطين فى السياسة الاقتصادية الفرنسية . فبينما يميل ديبريه الى تحقيق مكاسب اقتصادية لمختلف طبقات الشعب وفئاته وتوفير انصبة أفضل لها فى الاجور والاسكان والمستشفيات وكذلك الاهتمام برعاية الشـــباب . ينتحى ديستان جانب اليمين ويلتزم بتدابير التقشف الشديدة والحملة على الاجور والاسعار التى بدأها منذ عامـين ونصف تحت شعار « انقاذ الفرنك » .

وقد اجتاز ديجـــول وجـــورج بومبيدو الازمة باختيارهـــم ميشيل ديبريه وزيرا للمالية وخروج ديستان من الوزارة . اذ بينما يعتبر ديجول ، انصـــار ديستان عناصر ديجولية فى الاساس ، فانه يرى أن اختيار ميشيل ديبريه يمكن ان يسهم فى اعطاء الديجولية شكلها الديناميكى الجديد الـــذى انطوت عليه سياساتها المعلنة فى الحملة الانتخابية ، ويرجع حرصه على اعطائها هـــذا الشكل الجـــديد الى تـــدوم الانتخابات البرلمانية الجـــديدة فى العام القادم حيث لن تكـــون فرصـــة الديجـــوليين كبيرة الا اذا حصـــل الناخبـــون على مكاسب اقتصادية مباشرة .

ويرى ميشـــيل ديبريه ويشاركـــه فى ذلك جـــورج بومبيدو وشابان ديلما رئيس الجمعية الوطنية ، ضرورة التوسع فى تعديل نظام الحكم حتى يساير متطلبات العصر ، ويدعون الى تجميع القطاعات واوجه النشاط المتشابهة فى وزارة واحدة بدل تركها تابعة لوزارات مختلفة كما هو الوضع الآن . كما يطالبون بعناية اكبر بالمشكلات الاقتصادية المتعلقة بالنقابات والغرف النقـــابية واعضـــاء المجالس البلدية ولجان التوسيع الاقليمى بحيث يكون من حق كل هذه الهيئات المشاركـــة فى اتخاذ القرارات الحاسمة . ويشاركهم الجنرال ديجول فى اتباع ذلك السبيل .

هذا وقد قام الحزب الاشتراكى الراديكالى المعارض بنشر بيان عقب تولى ادجار فور مهام منصبه الجديد كوزير للزراعة ، اعلن فيه طرده من الحزب لتأييده ديجول ضـــد فرانســوا متيران الذى ايده معظم اعضاء الحزب .

ويتوقع عدد من المراقبين ان تحاول حكومة ديجول الجديدة بشكل تدريجى استعادة علاقات فـــرنسا مع دول الســـوق الاوروبية .

ويرون أن اجتماع ديجول ـــ ايرهارد المتوقع عقده اوائل الشهر الحالى سيسفر عن ايضاح بعض نقط الخلاف بشأن العلاقات مع السوق المشتركة وحلف الاطلنطى وموتنباريس من الاراضى البولندية التى تطالب بها المانيا ، كما يعتبرون اقرار مجلس الوزراء الفرنسى للاجراءات الخاصـــة بخفض التعريفة الجمركية مع دول السوق المشتركة بنســـبة ١٠٪ ابتداء من اول يناير الماضى امرا له دلالته الخاصة .

■ ايطاليا

« يسار الوسط » فى مفترق الطرق

تتابعت التطورات السياسية فى ايطاليا على نحو مفاجىء ادى الى سقوط حكومة الدو مورو الائتلافيـــة ، عند نظر مشروع قرار يقضى بانشاء مدارس حضانة تديرها الدولة . اذ خذل مجلس النواب الحكومة بأغلبية ٢٥٠ صوتا مقابل ٢٢١ بعـــد أن كانت قد فازت بالثقـــة فى اليوم السابق .

وهذه ثانى مرة تسقط فيها حكومة الدو مورو بسبب قضية خاصة بالمدارس اذ سبق ان استقالت وزارته الاولى فى عـــام ١٩٦٤ بســـبب الازمة الخاصـــة بمعـــونة الدولة للمـــدارس الكاثوليكية .

وترجع أسباب هزيمة الدو مورو فى البرلمان الى أن عددا من النواب الديمقراطيين المسيحيين قد اقترعوا ضد المشروع الذى قدم . خاصة وقد كان موضـــع خلاف بين الاشتراكيين الذين ارادوا ان تنشىء الـــدولة مدارس عادية للحضـــانة ، والديمقراطيين المسيحيين الذين أرادوا الا تغلو المنافســـة بين هذه المدارس وبين المدارس الخاصة التى يديرها الرهبـــان والراهبات .

ويرى اغلب المراقبين أن حكومة يسار الوسط التى يرأسها الدو مورو قد واجهت تصدعا واضحا فى وضعها عقب استقالة امينتورى فانفانى وزير الخارجية ، وبعـــد أن هـــدد الحزب الاشتراكى الايطالى الذى يشترك فى الحكومة بانسحابه منها .

وقد استقال فانفانى احتجاجا على ما اشيع ضده من بعض عناصر اليمين ، على اســـاس تعاطفه مع الشيوعيين ضـــد الولايات المتحدة عقب المحادثات التى اجراها جيورجيو لابيرا عمدة فلورنسا مع هوشى منه فى فيتنام . وقد سببت استقالته تصدعا للحكومة وتحديا لزعامة مورو لنفســـه ، خاصة وأن

الهدف من ضم فانفانى فى الاصل ، كان وقف هجوم وتأكيد وحدة الحزب الديمقراطى المسيحى وطمأنة الاشتراكيين باثبات أن فانفانى لن يتغلب عليهم بالاتفاق مع الشيوعيين .

ويعتقد بعض المراقبين ان استقالة فانفانى الطموح الذى تولى رياسه الوزارة ٤ مرات تعنى انه أصبح حرا فى ان يستأنف حملة من أجل الظفر بتأييد اليسار واليمين والوسط رغبة فى ان يحل محل مورو فى زعامة الحزب الديمقراطى المسيحى وفى رياسة الحكومة .

واذا كان ذلك قد شكل صدعا فى وضع حكومة الدو مورو، من ناحية ، فقد جاء تهديد الحزب الاشتراكى الايطالى فى المقال الافتتاحى الذى نشرته جريدة « أفانتى » بانسحابه من الحكومة اذا لم توافق على برنامج واسع النطاق للاصلاح الاقتصادى والاجتماعى وهو البرنامج الذى تعارضه العناصر اليمينية فى الحزب الديمقراطى المسيحى جاء ليزيد من الازمة التى واجهتها حكومة الدو مورو عقب استقالة فانفانى .

كما اسفرت عملية الوحدة التى تمت اخيرا بين الحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الاشتراكى الايطالى من مخاطر تهدد بانهاء الفترة الطويلة التى استمر الحكم فيها بين الديمقراطيين المسيحيين ، اذ صوت ممثلو الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المؤتمر القومى للحزب الذى انعقد فى نابلى ، بحماس الى جانب اعادة الوحدة مع الحزب الاشتراكى الايطالى التى انقسمت منذ ١٩ عاما منذ أن انشأ جوسيبى ساراجات فى سنة ١٩٤٧ الحزب الاشتراكى الديمقراطى عقب انسحابه من الحزب الاشتراكى الايطالى بسبب التقارب بين بيترو نينى زعيم الحزب والشيوعيين ، وهو الحلف الذى سبق وانسحب منه نينى فى سنة ١٩٥٦ .

وفى سنة ١٩٦٣ اشترك الاشتراكيون من أنصار نينى ، وكذلك الاشتراكيون الديمقراطيون فى حكومة يسار الوسط التى رأسها الدو مورو ، الا أن الاشتراكيين الموحدين لا يملكون سوى ٩٤ مقعدا فى البرلمان مقابل ٢٦٠ مقعدا للمسيحيين الديمقراطيين من جملة المقاعد وقدرها ٦٣٠ مقعدا ، ولذا يرى الاشتراكيون أنهم بوحدتهم يمكن أن يكسبوا اصواتا جديدة من « الـ ٧ ملايين ناخب من الاشتراكيين (غير الواعين) الذين يصوتون للشيوعيين ، وذلك فى انتخابات ١٩٦٨ . وهكذا يأملون فى انهاء حكم الديمقراطيين المسيحيين الذى استمر برئاسة الدو مورو طوال العشرين عاما الاخيرة.

●

■ أدب

عربى اللسان ... شرقى الروح .. ثورى المبدأ

احتفل لبنان خلال الشهر الماضى بذكرى مضى ربع قرن على وفاة أمين الريحانى . ويعد الريحانى مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة من اهم المعالم الرئيسية للثقافة العربية الحديثة فى لبنان، وقدتعاهدت بيروت للاحتفال بهم على فترات متقاربة ، مع اعادة تقييمهم .

والريحانى هو الكاتب الذى دارت مؤلفاته — حسب عناوينها — حول « ملوك العرب » « تاريخ نجد الحديث » « قلب لبنان » ، « المغرب الاقصى » ، « الريحانيات » ، « انتم الشعراء » ، « المكارى والكاهن » ، «كتاب خالد» بالانجليزية. كذلك فهو مترجم « لزوميات المعرى » الى الانجليزية .

وقد أقام المجلس الثقافى للمتن الشمالى مهرجانا ضخما احتفالا بذكراه دام اسبوعا كاملا ، وقد دعا اليه مندوبون من جميع الاقطار العربية ، وبعض بلدان العالم الشرقى والغربى

وقد تناولت تعليقات الصحف والدوريات الادبية هذا المهرجان بالنقد حول فكرة التمثيل الجغرافى للمنطقة العربية فى المهرجان ، اذ كان من الاوجب فى رايهم ان يتم التمثيل حسب الصورة الواقعية للحركة الثقافية فى الوطن العربى . كذلك أشارت هذه التعليقات ، الى أن الخطب الحماسية ليست هى الهدف من اقامة المهرجان ، وانما التقييم الموضوعى فى دراسات نقدية علمية هو المطلوب اولا .

وقد تخللت المؤتمر بعض المفارقات ، كان يمثل الولايات المتحدة الامريكية أحد المثقفين العرب (لمجرد انه يقوم بالتدريس فى الجامعة الامريكية بالقاهرة) أو أن يقوم احد المستشرقين الايطاليين — ريزيتانو — ليتحدث عن « فقيد العروبة » امين الريحانى قائلا « يالها من ساعة سعيدة لحضورى فى موطنك ولمشاركتى فى الاحتفال بذكراك اليوم ، ذكرى رجل نعتبره نحن المستشرقين — كما يعتبره المهتمون بالتاريخ المعاصر للشرق الادنى — برهانا من براهين القومية العربية وداعيا من دعاة الوحدة العربية وممثلا من ألمع ممثلى العروبة ، فيقف احد كبار المشتركين العرب ليدفع عن الريحانى هذا الاتهام بالعروبة ». وقد علق أحد المراقبين على هذه المفارقة بكلمات دامغة للريحانى قال فيها بالحرف « أنا عربى شرقى ثورى . عربى اللسان ، شرقى الروح ، ثورى المبدأ . أنا عربى بجنسيتى على لسانى وفى وجهى وطنى اضلعى . أنا عربى رمل البادية عزيز عندى كدم ابنائها » .

« المتوسطية » والقومية العربية

احتفلت ايضا « الندوة اللبنانية » بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيسها . والندوة اللبنانية تجمع فكرى فى بيروت من المثقفين المؤمنين بالحضارة « المتوسطية » اى حضارة هذا الجزء من العالم المحيط بحوض البحر الابيض المتوسط . ومن ثم تشترك لبنان فى رأيهم مع مصر وايطاليا وفرنسا واليونان فى كيان حضارى واحد له خصائصه المميزة عن اية تكوينات حضارية اخرى تستقى اصولها من منابع افريقية او آسيوية او عربية خالصة .

اى أن « الندوة اللبنانية » كفكر تؤمن بالوحدة الحضارية بين لبنان واوروبا ، بالرغم من قول بعض المنتمين اليها بأنهم يؤمنون بلبنان « على حدة » . وقد تأسست الندوة عام ١٩٤٥ برئاسة ميشال اسمر ، وقيادة مجموعة من المثقفين « اللبنانيين » الذين تلقوا العلم فى فرنسا ، أو فى المعاهد الفرنسية بلبنان .

ومن أهم المفكرين القياديين فى الندوة رينيه حبشى رئيس دائرة الفلسفة بالجامعة الامريكية ، وتضم مطبوعات الندوة

ومحاضراتها : اسماء غسان تويتى صاحب جريدة « النهار» البيروتية ، وكمال جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكى التقدمى، وناافيطوس ادلبى نائب بطريرك الروم الكاثوليك

يقولّ منوالّ يونس تحت عنوان « حياد لبنان ، اى حياد»؟ وهو احدى محاضرات الندوة (السنة ١٧ ــ النشرة ٨ ــ ١٩٦٣) أن الحياد الذى نريده للبنان « هــو حياد اقليمى قانونى يقتصر على سلوكه الرسمىالمتكافىء ازاء جميع البلدان العربية الشقيقة دون سواها من البلدان . واما بالنسبة الى سائر البلدان غير العربية ، فلبنان لن يكون حياديا..»

ويقول الدكتور زكى شخاشيرى الاستاذ بالجامعةالامريكية فى محاضرة القيت فى عام ١٩٥٦ ونشرت بمحاضرات الندوة (السنة ١١ ــ النشرة الاولى ــ ١ كانون الثانى ١٩٥٧) ان « من دواعى انعدام الوضوح الفكرى فى لبنان ، ان اللبنانى يفكر عندما يعيش ويتصرف بلغة عربية عامية او بلغةفرنسية او انجليزية . ولكنه عندمايتعلم ليتثقف ويكتب ، يفكر باللغة العربية الفصحى التى تكلفه مجهودسنين ليتعلممبادئهافقط.»

وقد وصف معظم المعلقين هذا التجمع الفكرى بأنه انشط تيارات اليمين الثقافى فى المنطقة العربية ، واكثرهــا ذكاء ووعيا . فهو التيار « المتمدن » فى تفكيره بحيث انه لايرتكز على المقولات السلفية فى « تسفيه » الفكر التقدمى ، وانما هو يستخدم احدث منجزات الفكر الغربى فى حصار الجبهة التقدمية العربية .. من هنا جاءت مواقف غالبيتهم المناهضة للقومية العربية .

●

■ **فنون تشكيلية**

اصباغ محلية فى المعرض السابع

فى اوائل شهر يناير الماضى قدم الفنان احمد فؤاد سليم معرضه السابع بقاعةاخناتون. واحمد فؤاد سليم (٣٠ سنة ــ خريجكلية الحقوق) بدأ فى اقامة معارضه الخاصة منذ عام ١٩٦٢ ، وقــدم معرضين من معارضه السبعة بلندن ، وبرايتون عام ١٩٦٥ .

وقد اقيم المعرض تحت رعاية مكتب الاداب والفنونبأمانة الدعوة والفكر وافتتحه السيد كمال الدين رفعت . والمعرض يضم ٣٢ لوحة ، استخدم الفنانفيها انواعا مختلفة منالالوان منها .. زيوت ، احماض ــ شينى ــ اصباغ متعددة محلية ــ (وذلك كما جاء فى بيان اللوحات) .

ويقول الفنان ــ فى بيان اللوحات ايضا ــ « ان لدى من الاصرار مايكفى لكى اجعل مما اقدمه ــ ومما سوف اقدمه ــ حقيقة دامغة ضد الانحطاط »

والملاحظ ان المعرض فى جمــه تتمثل فيه محاولة الفنان لخلق اسلوب متميز ، والاهتمام بالشكل وعلاقاته فى الفراغ المسطح للوحة ، واسقاط الموضوع فى بعض الاحيان مما جنح بالفنان الى التجريد فى بعض لوحاته . ويعلق الفنان علىهذا بقوله « ان التجريد مجرد فانتازيا عقلية .. وانه يجنحاحيانا الى لغــة التشكيل فى بعض لوحاته .. ولــكننى اعود الى الالتزام بالتشخيص ثانية » .

كما استغرق الفنان فى محاولة للتنغيم بألوان البيئةالشعبية الصارخة .. ولم يكن موفقا فى كثير منها لاستخدامها فىمساحات



« تامل شعبى » او « الطفل والعربة »
من اعمال : احمد فؤاد سليم

عريضة وصريحة بافراط ودون حساب دقيق . واستخدم ايضا بعض العناصر الشعبية مثل « لمبة الجاز » فى بعض اللوحات وهنا يقول الفنان انه يستخدم هذه العنــاصر كمعابر تنقل الجمهور الى الفن الحديث عن طريق الرمز من واقعنا ... ولكن كانت هذه العناصر تبدو غريبة ولا تقترب من واقعنابل كانت اشبه بالسائح الذى يلبس طربوشا

وليسهناك منينكر انالفنان قد قدمبعض الاعمال المدروسة التى استوفت بحثها الجاد مثل لوحة « الطفل والعربية » والطائر وبعض اللوحات فى مجموعه « تاملات شعبية » هذا بجانب كثير من التسجيل السريع لانطباعات الفنان

★★★

قفزة فى المعرض الثانى

قدم الفنان عبد السميع عبد الله معرضه الثانى بقاعــة اخناتون . والمعرض يضم ٣٢ لوحة هى خلاصة اعمال الفنان فى ثلاث سنوات ، بعد رحلة التجارب خلال المدارس المختلفة فى معرضه الاول الذى اقامه فى عام ٦٣ .

واعمال الفنان تمتاز بالانسجام اللونى والوحدة المتكاملة والشخصية المحددة فى مجموع اللوحات .

لقد استلهم الفنان عبد السميع من الالوان الرماديةالمرهفة تنغيما وايقاعا ليسجل بشاعرية انطباعاته للموضوعاتالمختلفة كما يبدو فى اللوحتين « خشوع والنقاهة » .

وقد طوع الفنان الاسلوب لخدمة الموضوع الذى يتناوله دون الالتزام بمدرسة فنية معينة ودون ان ينقلك الى جــو مختلف او متنافر من لوحة للوحة . وتبدو معاناة الفنانوصدقه واضحين فى نقلك الى عالمه الرمادى ، الغنى بتكويناته والتى تنساب لتشغل فراغ السطح من خلال درجات اللون الرقيقــة وعلاقات الخط التى لا ترتكز على محور معين فى التكوين،ولكنها تنســاب فى البناء والتركيب لتنسج اللوحة بشــكل محسوب ومدروس . مع الرؤيا التى تخفى التفاصيل احيانا .

كما تمتاز لوحات الفنان بالبناء الدرامى الذى ابرزه منخلال صراع الخطوط والمساحات المتداخلة ، كما يلعب اللون الدور الرئيسى فى هذا البناء ، ووصل بالصراع الى قمته فى لوحــة « عين جالوت » و « ستار الكون » ، ولمس المأساة فى لوحة « مريم والطفل » .. والمستنقع .

غير ان الفنان جنح فى احدى لوحاته الى السريالية ، وهى لوحة الخوف .. وقد يكون مصدر هذا هو القلق الذى يعيش فيه الفنان .. مؤمنا بأن الانسان يعيش مأساة لادخلله فيها..

ولكن مما لاشك فيه ان الفنان عبد السميع عبد الله قد قفز قفزة عالية وجادة بين معرضه الاول ومعرضه الثانى .

★★★

بينالى الاسكندرية السادس

وفى الاسكندرية اقيم بينالى الاسكندرية السادس لدول البحر الابيض المتوسط .

ولقد اشترك فى بينالى الاسكندرية كل من الجمهورية العربية المتحدة والبانيا واسبانيا وفرنسا واليونان وايطاليا ولبنان ويوجوسلافيا . ويستطيع المشاهد لاعمال هذه الدول ان يعقد عديدا من المقارنات بين اعمال دولها وبعضها البعض وبين فئات من فنانين يمثلون دولة واحدة . فمن ناحية هناك اسبانيا وايطاليا وفى مواجهتهما فرنسا . ومن خلال اعمال الاولى والثانية يمكن ان ندرك ان نوعية قواعد التشكيل (استبعاد التشخيص والاعتماد على القيمة الذاتية للخط واللون)

لم تعد الآن مشكلة رئيسية اذ قدمت ايطاليا ثلاثة عشر مصورا ومثالا ينتمون الى مدارس مختلفة وان اعتمدت كلها على التشخيص او نصف التشخيص فى مقابل فنان تجريدى واحد هو موزيك زوريان . لقد كانت ابرز الاعمال هى تلك التى لا تعتمد على التجريد الصرف كما شاهدناها فى اعمال فيبيسكى جانيتو (٤٥ سنة) الذى فازت لوحته «بازيفائية والثور » بالجائزة الثانية . واذا بدت اعماله سريالية الملامح فان المشاهد لا يرى فيها هذا الاستغراق التام فى عالم اللاشعور الفردى بقدر مايرى ويحس بالروح الاسطورية التى تنتمى الى اللاشعور الجماعى . اما اسبانيا فقد قدمت من بين ما قدمت ثلاثة فنانين عبر كل منهم عن وجه من وجوه بلده وهؤلاء الفنانين هم جارسيا اوكوا ويمثل

تعليق

الفنان التشكيلى .. واجبه وجمهوره

لاشك ان الحديث يتردد منذ فترة طويلة حول ازمة الفنون التشكيلية .. وليس مصدر هذه الازمة نقص فى الانتاج الفنى ، فالانتاج الفنى متوفر وصالات العرض تزدحم كل اسبوع بلوحات الفنانين .. ولكن القضية — على ما اعتقد — والمطروحة الان للمناقشة فى مختلف المجالات الفنية هى : لمن ننتج فنا؟.. وما هو واجب الفنانين فى ظل واقع معين ومرحلة معينة مع الاحتفاظ بكافة القيم الجمالية والفنية؟

ولا شك ايضا أنه بنظرة سريعة لتاريخ حركة الفنون التشكيلية الحديثة فى مصر التى تجاوزت النصف قرن ، لم تستطع ان تكسب جمهورا جديدا الى صفها من غير المشتغلين والمهتمين بالفنون التشكيلية . وكذلك ايضا — شأنها شأن بقية الفنون الاخرى — تمركزها فى العاصمة وعدم انطلاقها بين الجماهير العريضة التى حرمت من تذوق الفن او تفهم معناه سنين طويلة ، بل كان الا — ومازال — موقوفا على طبقة معينة لها حق الاستمتاع به.

ومن هذا الارتباط ، وعدم تفهم طبيعة المرحلة، والادراك الواعى للقاعدة الاساسية التى يجب ان نقدم لها الفن .. جاءت عزلة الفنان التشكيلى عن الجمهور الحقيقى .. والتي ادت بالتالى الى عدم التحامه بالتغييرات السريعة التى تحدث فى مجتمعنا وانعكاسها والطباعها فى نفسه . وليس معنى هذا ان فننا قد خلا من صورة عن السد أو الاصلاح الزراعى الخ.. ولكن اغلبها انتاج تسجيلى ليس فيه الا انفعال اللحظة وليس فيه الملحمة التى يعيشها مجتمعنا وهذا ناتج عن عدم تعايش الفنانين للواقع ، فهم كالزائرين او السياح يزورون مناطق العمل ليقولوا كلمة سريعة خافتة لاتخرج عن حدود جدران صالة العرض .

والفن التشكيلى قادر على ان يقول كلمة مسموعة ، وليس ادل على ذلك من المعركة التى خاضتها بجانب السلاح ايام العدوان على بورسعيد .. فقد جابت المعارض الميادين والشوارع ومحطات السكة الحديد .. ولكن خفت الصوت تدريجيا ، بالرغم من الحركة المستمرة فى بيننا .. وبرغم عديد المؤتمرات التى تعقد على ارضنا او نشارك فيها بالخارج واقربها مؤتمر القارات الثلاث .

اين كلمة الفنان وواجبه فى هذا كله ؟ .. سواء كان فى ((كارت بوستال))كهدية للوفود.. او فى عمل دعائى للمؤتمرات سواء فى الخارج او الداخل ، ليشرح ويوضح باللون والخط هذه المعانى .. ويعلن ان الفنان التشكيلى يعيش احداث بلاده .

انني اعتقد ان مصدر هذا القصور هو عدم تنظيم الفنانين .. فالفنانون مبعثرون فى جمعيات واتحادات كثيرة ، وليس هناك مايبرر تعددها الان الا الاعانات التى تتلقاها هذه الجمعيات والاتحادات من الدولة .

وقد يكون من الافضل ان تتجمع كل هذه الجمعيات والاتحادات فى اتحاد عام او تنظيم للفنانين يجمع الفنانين فى شكل واحد .. وقيادة واعية .. ليسير .. فى اتجاه واضح ومحدد يؤدى الى وحدة فى العمل .. ووحدة فى الفكر.

وايضا .. لايمكن ان نعفى بعض المؤسسات الفنية من مسئولية هذه الازمة وعلى راسها ((ادارة الفنون الجميلة)) التى لاتتفهم بوضوح حركتها ومسئوليتها المزدوجة .

اولا : تجاه الفنانين بمختلف اتجاهاتهم من حيث تنشيطهم وتشجيعهم ، واتاحة الفرص والامكانيات للاستمرار فى الانتاج الجاد .

وثانيا : مسئوليتها ايضا تجاه الجمهور من حيث نشر الفن على اوسع نطاق داخل الجمهورية .. وخارجها

ولا شك انه بالمناقشة الصريحة المخلصة لمسئولية تنظيم الفنانين فى شكل واحد ، ومسئوليات المؤسسات الفنية .. يمكننا اعادة صياغة الحركة الفنية بما يلائم المرحلة .. والاجابة على سؤال لمن ننتج فنا .. وما هو واجب الفنانين ؟!

عبد المنعم القصاص

بلوحاته « المهرج » و « الشيمة » الكاثوليكية الاسبانية ، المنشدده والروح النشاؤمية التى عرف بها كثير من فنانى هذا البلد على مر العصور . والثانى هو **الكسندرو جوميز** وقد اعطى باسلوبه شبه التاثيرى صورة لاسبانيا القرن الثامن عشر بفرسانها وسيدات بلاطها . اما **كارمن دى توليدو** فهى تقدم اسبانيا العصر الحديث بكل ما فيها من صراخ وسرعة وعنف . ان مشهد مصارعة الثيران يتحول عندها الى حادثة .. سيارة صدمت شخصا كان يعبر الطريق .

فاذا ما نظرنا الى اعمال القسم الفرنسى وجدنا انهم قدموا لنا فئتين او جيلين من الفنانين محاولين بهذا اعطاء صورة واضحة المعالم لما يدور فى حقل التشكيل الفرنسى ، ففى مواجهة **سولاج ولال كوات وموريس استيف** وهم من الفنانين المعمرين الذين كونوا الصف الثانى للتجريد وورلته بعد انتهاء الحرب الثانية يقدمون **عديدا من شباب** الفنانين الفرنسيين الذين عرفوا فى نهاية الخمسينات . والنتيجة التى يخرج بها المشاهد هى ان الفارق دقيق بالغ الدقة بين شباب الفنانين وكبارهم ؟ فكلهم يميلون الى المدرسة التجريدية قد يختلف اسلوب كل منهم عن الاخر ولكنهم فى نهاية الامر محصورون داخل مشكلة الشكل .

ذلك اهم ما يثير الانتباه فى اقسام دول غرب اوربا المشتركة . فاذا ما انتقلنا الى دول الشرق وجدنا ظاهرة غريبة بعض الشىء . فعلى حين يساير فنان يوجوسلافيا مثل **ميروسلاف** آخر بدع التشكيل او ما يعرف بالفن البصرى (اوبتيك . آرت) نجد ان كل فنانى البانيا يتمسكون بالالتزام المدرسى الصارم ليصوروا مشاهد من حياة الشعب الالبانى وكفاحه وذلك باسلوب شديد الاكاديمية .

اما فى قسم الجمهورية العربية المتحدة فقد فاز رستم عشرى بالجائزة الاولى فى التصوير **وعبد الهادى الجزار** بالجائزة الثانية **وعزيز يوسف** بالثالثة . ولقد كان الاسراف فى تقديم فنانين من شتى المدارس سببا فى عدم وضع الجوائز فى اماكنها الصحيحة . ويبدو بوضوح من طريقة توزيع الجوائز ان التحكيم قد اهتم بالفنانين الذين يعملون على تطوير طابعنا المحلى ولكن نظرة هذا التحكيم كانت مشوبة بشىء من الافكار السياحية شديدة البساطة . اما النحت فلا خلاف على جوائزه فقد فاز **عمر النجدى** بالجائزة الاولى **واحمد عبد الوهاب** بالثانية **وعبد الحميد الدواخلى** بالثالثة . وينتمى ثلاثتهم الى هذا الجيل الشاب الذى شرب من كل المنابع ويحاول أن يجد اسلوبه دون التقيد بشىء سوى الجمال .

●

■ <u>علوم</u>

الحيـــــاة فى المــريخ وعمر الانسان فى الفضاء

نثير

كل رحلة من رحلات الفضاء ضجة عالمية فى الصحف والمجلات وكل وسائل الاعلام الاخرى . وبعد ان تهدا الضجة ، يعكف العلماء فى معاملهم على دراسة نتائج هذه الرحلات . وقام العلماء أخيرا بدراسة نتائج رحلة **جيمنى ٧ وماريينر ٤**

فلقد فتحت الصور التى التقطتها سفينة الفضاء «مارينر٤» باب الامل امام الكثير من العلماء للاعتقاد بوجود شكل من اشكال الحياة على سطح **المريخ** . وفى الاجتماع السنوى « للجمعيه الامريكيه لتقدم العلو » قال **كارل ساجان** العالم الفلكى بجامعة هارفارد انه « لو التقطت مارينر٤ صورا للارض من على نفس المسافة التى التقطت بها صور المريخ (ستة الاف ميل) فلن تبدو فى هذه الصور اية بادرة من بوادر الحياة على ارضنا » . ولقد افترض ساجان هذا الافتراض بعد دراسته على الصور التى نقلها القمران الصناعيان **نمبوس وتيروس** (وقد اطلقا للتنبؤ بالجو) . لقد اخذ هذان القمران العديد من الصور للارض من على بعد عدة اميال ، وكانت اقرب الى حد ما من الصور التى التقطتها سفينة الفضاء « مارينر ٤ » ، ومع ذلك فقد اخذ ساجان يفحصها ليبحث فيها عن اى دلائل للحياة على الارض ، فلم يجد ولا حتى علامات تدل على شبكة الطرق الضخمة ولا الكبارى ولا السدود ولا حتى المدن الضخمة . لذا فقد قال ان الصور التى التقطتها « مارينر ٤ » لا تثبت وفى نفس الوقت لا تنفى امكانية وجود الحياة على سطح المريخ .

واعلن العالم الفلكى الامريكى **كلايد تومباى** (جامعة نيومكسيكو) الذى اكتشف الكوكب بلوتو عام ١٩٣٠ ، ان صور « مارينر٤ » تبين امكانية وجود حياة « مريخية » . ذلك ان علامات خفيفة تبدو فى ٧ صور من صور مارينر الـ ٢٢ ، وهى تتطابق مع « القنوات » و « الواحات » التى صورها هو وآخرون اثناء الارصاد التلسكوبية للمريخ . ويعتقد تومباى ان القنوات ليست الا كسورا فى سطح المريخ ، تهرب منها الغازات الساخنة، لتذيب طبقة رقيقة من الصقيع ، وبذلك تزود المريخ بالماء اللازم لحياة النبات على سطحه . .

اما « الواحات » فقد تكون فوهات براكين تتجمع فيها المياه ، وبذلك تسمح الفرصة لنمو بعض انواع النباتات التى تقاوم مناخ المريخ القاسى .

وفى هذا الشهر ايضا اعلن البروفيسور **روبرت س. هايمس** استاذ علوم الفضاء بجامعة رايس بالولايات المتحدة ، بعض نتائج دراساته عن رحلة جيمنى ٧ الاخيرة فى الشهر الماضى . فقال انه اثناء دوران سفينة الفضاء حول الارض ٣٣٠ساعة، نقص عمر رائدى الفضاء ، فرانك بورمان وجيمس لويل جزءا من الف من الثانية عن اهل الارض .

وقد قام هايمس بحساب هذا الزمن بعد ان استخدم معادلة اينشتاين الشهيرة فى « النظرية النسبية الخاصة » عن «تأثير اتساع الزمن » ، تلك النظرية التى ثبت صحتها بالنسبة للجسيمات النووية ذات السرعات الفائقة ، والتى يتباطأ الزمن بالنسبة لها كلما زادت سرعتها . ولقد كانت سرعة « جيمنى ٧ » ١٧٥٠٠ ميل فى **الساعة** ولذا كان تأثير هذه السرعة على رائدى الفضاء « غير محسوس من الناحية البيولوجية » . ولكن عند السرعات الفائقة والتى تصل الى سرعة الضوء ١٨٦,٠٠٠ ميل فى **الثانية** ، يصبح التباطؤ فى الزمن محسوس بشكل اكبر . ولتوضيح ذلك يقول هايمس أنه اذا وصلت سرعة سفينة الفضاء الى ١٧٠ الف ميل فى الثانية سيحتاج رائد الفضاء ، الى اكثر من تسع سنوات ، ليصل الى اقرب « نجم » من الشمس، وهو بروكسيما سانتا ورى ، وذلك فى رحلة فضائية لاتتوقف . عندئذ سيتباطأ الزمن خارج سفينة الفضاء ، ولن يمر بذلك غير سنتين . وعندما يرجع رائد الفضاء الى « الارض » من رحلته هذه سيكون فى حقيقة الامر اصغر بسبع سنوات من اخيه «التوام» الذى تركه على « الارض » قبل رحلته الفضائية .




معارك فكرية
● تاليف : محمود امين العالم

مشاكل السياسة الاشتراكية فى الريف
● تاليف ادوارد كارديل

من المجلات الفكرية العالمية :
● الازمنة الحديثة — اليسار الجديد — دراسات عربية

معارك فكرية

● تاليف : محمود امين العالم



رغم ان هذا الكتاب كما يسجل مؤلفه فى مقدمته الموجزة ليس الا مجموعة من المقالات التى تدور حول موضوعات مختلفة تنبثق من مجالات متنوعة ، ورغم ان حياةهذهالمقالات تمتد من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٦٥اىعلى مدى خمسة عشر عاما متواصلة ، ورغم ان اسلوب كتابتها يتراوح بين المقالة التحليلية وعرض الكتب والتعليق عليها والتأمل العابر فى احدى القضايا الفكرية المطروحة ، رغم هذه الإعتبارات جميعها الا اننا ونحن نتناوله بالعرض الان لابدوان نسجل منذ البداية حقيقتين أساسيتين تفرضان نفسيهما على القارىء المتتبع للحركة الفكرية والنقدية الحديثة فى بلادنا.

فاولا ثمة أساس فكرى وفلسفى واضح المعالم وواثق من نفسه الى درجة كبيرة يقف وراء كل دراسة يضمها الكتاب حتى ولو كانت مجرد تعليق صغير عابر على كلمة شائعة وكثيرة التداول فى مجتمعنا مثل كلمة «بلاش فلسفة» . واذا استعرنا الفاظ المؤلف نفسه لوجدناان هذا الاساس هو الذى يقضى « بالدفاع عن العلم والدفاع عن الحرية الانسانية كذلك » ويحاول ان يؤكد «الا تناقض بين العلم والحرية ، بل لاعلم بغير حرية ولاحرية بغير علم» ، وان يؤكد ايضا «موضوعية النظرية العلمية فى مواجهة محاولات التشكيك فى هذه الموضوعية مع توكيد الدلالة الاجتماعية والانسانية لهذه النظرية العلمية» وثانيا فان **محمود امين العالم** المفكر والناقد الموجود بصورة فعالة فى حركتنا الثقافية المعاصرة منذ عام ١٩٥٠ سواء على النطاق الاكاديمى داخل محيط الدراسة الجامعة او علىالنطاق العام فى المجلات والصحف الاسبوعية والشهرية ، لم تتح له الظروف لكى يصدر كتابا واحدا خاصا به الا اليوم ، ورغم انه اشترك مع الدكتور عبد العظيم انيس عام ١٩٥٥ فى نشر كتاب مشهور فى النقد الادبى التطبيقى فى ضوء النظرة الواقعية الاشتراكية عنوانه «ازمة الثقافة المصرية» ،الا ان هذه هى المرة الأولى التى يجمع فيها بعض دراساته ومقالاته فى مجلد واحد صغير يزيد قليلا على المائتى صفحة ، ويعطى للقارىء المتانى فرصة عظيمة لنتبع ابعاد منهجه الفكرى ونظرتهالفلسفية والاستفادة العميقة منهما .

والكتاب مقسم الى اربعة اجزاء بحسب الموضوعات التى يتعرض لها . فالجزء الاول عن الفلسفة ويضم أربعمقالات، والجزء الثانى فى العلم ويضم سبع مقالات ، والجزء الثالث فى الحرية ويحتوى على ثلاث مقالات ثم الجزء الرابع والاخير فى التطبيق الاشتراكى وقوامه ثلاث مقالات ايضا .

مع بداية الجزء الاول يبدأ الكاتب بمقال طريف يحلل فيه فكرةشائعة عن الفلسفة تبلورت لدى الناس فى مجتمعنا فى صورة مثل متداول عن الفلسفة . هذا المثل يتردد كثيرا فى حديثنا اليومى مع بعضنا البعض كلما دارتمناقشةبينشخصين او اكثر حيث غالبا مانسمع احدهما يقول للآخر «بلاش فلسفة!» كيف وصل الامر بكلمة «فلسفة» العميقة الجذور فىالتفكير البشرى والحكمة البشرية ، والتى تعبر عن اروع واعمقوامجد ماق الانسان ، الى ان تحمل فى وجداننا الشعبى هذا المضمون المنفر . انها تقول بصراحة انهلالزوم لضياع الوقت فىسفسطة لاطائل وراءها ، وانه لاموجب على الاطلاق للخروج عنالموضوع الاساسى والهرب منه للاحتماء فى الشكليات والمظاهر الخارجية وهى ترادف احيانا كلمات مثل «حذلقة» و «ادعاء» . وتفسير محمود العالم لهذهالظاهرة تفسير منطقى ومقبول الى ابعد حد فهو يقول «ماذا وراء بلاش فلسفة ؟ كيف شاع هذا التعبير ؟ الحق ان هناك مايغذيه دائما فى وجداننا .فما اكثرالفلسفات التى ينبغى ان نقول ازاءها : بلاش فلسفة ! ولكن هناك فارقا كبيرا بين ان تقول : بلاش هذه الفلسفة وبين ان تقول : بلاش فلسفة اصلا ! نعم ، بلاش فلسفة اذا كانت الفلسفة ترفا عقليا خالصا ابعد مايكون من الصدق الموضوعى وحياة الناس ، بلاش فلسفة اذا كانت الفلسفة تعقيدا لغويا وخلافات شكلية وتهميشا على تهميش التهميش الى غير حد والى غير حل . بلاش فلسفة اذا كانت الفلسفة هى التنكر للانسان ، هى العزلة عن الحياة ، هى التناقض مع التقدم البشرى ، هى التعالى على المصير وهى التهرب عن مسئوليات العصروحقائقه من فلسفات كهذه نشات كلمة بلاش فلسفة فى حياتنا .

ان تراثنا العربى الاسلامى يزخر بارقى ماوصل اليه الفكر

البشرى من اضافات فكرية وفلسفية . لقد استطاع وهج الفكر الاسلامى ان يضىء اوروبا فى عصور الظلام ، وان يفجر عصرا جديدا للنهضة الادبية والفلسفية والعلمية والفنية فى اوروبا » .

ومعنى هذا ان الوجدان الجماعى قد رفض تلقائيا كلّ ماهو هروب وسلبية ومجافاة للواقع ، ولذلك استطاع فى لحظة ما ان يبتكر هذا التعبير ، ولكن العقل العلمى عندما يتناوله اليوم سيدرك حتما جوانبه المضيئة الايجابية ثم سيحدد جانبه الخطير والضار ايضا . فليس علينا ان نقول ابدا بلاشى فلسفة بصورة مطلقة ، على حين ان كل واحد منا اراد او لم يرد له فلسفة مايؤمن بها فى اعماقه ويترجمها فى حياته اليومية سلوكا وعلاقات وفى فهمه وادراكه للوجود والمجتمع ، وقد نكون منتمين — حتى اكثرنا بعدا عن الفلسفة — الى هذه الفلسفة او تلك من الفلسفات التى لها ائمة ومذاهب وتابعون وانصار . والعالم الحديث ملىء بالكثير من الاتجاهات الفكرية والفلسفية ، وهذه الاتجاهات — ايضا — تنعكس فى مجتمعنا فى صور واشكال مختلفة ، ولها اصداء «فى ضمائرنا وفى مسلكنا الشخصى» . فاين يجب ان نقف نحن اليوم مجتمعا وثورة وافرادا من كل مايجرى حولنا فى العالم باعتبارنا جزءا من الانسانية وباعتبارنا نجهد للبحث عن طريق للمستقبل تسوده قيم العدالة والحرية ؟ فحين قامت ثورة ٢٣ يوليو كانت هناك «بوصلة فكرية» لها فى مرحلتها الاولى تمثلت فى أهدافها الستة ثم « سرعان ماتطورت هذه البوصلة الفكرية بالممارسة والتطبيق والخبرة الحية ومعالجة مشكلات الواقع الى بوصلة فكرية اخرى اكثر وعيا واعمق تاصيلا للامور وارحب استشرافا لافاق التقدم . ان ميثاق العمل الوطنى يستند اساسا الى بوصلة فلسفية فى فهم التاريخ والانتاج والديموقراطية والسياسة الدولية والوحدة العربية ، وبدون هذه البوصلة الفلسفية تتشتت اهداف العمل الوطنى .. »

ومن خلال هذا العرض الممتع القائم على مثل سائر كنقطة للانطلاق يحدد الكاتب بعض الاحتياجات التى تنبع من مرحلة تطورنا اليوم . واهم هذه الاحتياجات ان الميثاق **دعوة جادة الى الفلسفة** علينا أن نعممها فى جوانب حياتنا المختلفة . ومن اهمها ايضا التاصل والتعمق واعمال الفكر وسيادة روح الانتقاد فى الاقتصاد والادب والعلم والفن والفلسفة ذاتها . اى باختصار اننا نحتاج الى «الفلسفة» لا الى كراهيتها والنفور منها . الفلسفة التى لاتكون غربة عن الحياة والانسان والارض ، او الفلسفة التى تكون مجرد شطحات او تعقيدات وانما الفلسفة التى تكون من اجل مزيد من الوعى والمشاركة والثقة فى الارض والانسان والحقيقة .

هل كتب على الفيلسوف الصمت ؟

غير ان اهم ماقدمه محمود امين العالم فى الجزء الفلسفى هو نقده الذكى الممتع للفلسفة الوضعية المنطقية من خلال مناقشته لعلم من اعلامها فى وطننا العربى هو **الدكتور زكى نجيب محمود** . فالفلسفة الوضعية المنطقية التى تسمى نفسها — منهجا — بالفلسفة التحليلية ، وتعتقد انها تقوم بوظيفة ثورية فى الفكر الفلسفى الحديث ، وتدعى انها تحاول ان تبلغ بمعارف الناس الى مرحلة التحديد والدقة — هذه الفلسفة يتردد لها صدى كبير فى بلادنا وفى الشرق العربى عموما . وكما يشرحها الدكتور زكى نجيب محمود نفسه يؤكد انها — اى الوضعية المنطقية — تترك العلوم لاصحابها فلا تتدخل فيها شان الفلسفة التقليدية ، وانها من ناحية اخرى لاشان لها بالمبادىء العامة اى انها تنفض يدها من الميتافيزيقا . (والجدير بالذكر هنا ان الدكتور زكى نجيب محمود قد اصدر كتابا منفصلا يعبر فيه باستفاضة عن هذه النظرة عنوانه خرافة الميتافيزيقا) . والميتافيزيقا عنده هى المبادىء العامة التى تنطبق على الوجود كله باعتباره كلا واحدا . على حين ان العلم فى نظره لاينظر الى الكون كله باعتباره حقيقة واحدة بل باعتباره «كثرة» وباعتباره متحركا متطورا . وعلى هذا الاساس فان الفيلسوف المعاصر لاينبغى ان يتناقض مع علم العصر ويحصر نفسه فى البحث عن حقيقة واحدة . ثم اخيرا ان هذه الفلسفة يقتصر دورها على التحليل اللغوى وبكلمات زكى نجيب محمود نفسه «انه حيث يكون المجال مجال الحديث عن العالم وحقائقه فليس للفيلسوف ان ينبس ببنت شفة ، اما عمل الفيلسوف المعاصر فهو توضيح العبارات العلمية» .

فكيف استطاع محمود امين العالم ان يفند هذه الاراء ويرد الى الفلسفة الحقيقية اعتبارها ؟ انه لم يذهب بعيدا ، بل اورد حججا فى متناول العقل والتفكير العاديين ، وذلك بان قدم مثالين من الامثلة التى ضربها د. زكى نجيب محمود ، وبالمناقشة استطاع ان يبين موطن الخطأ والمغالطة فيهما . المثال الاول ماخوذ من الرياضة وهو معادلة جمع بسيطة هى ٢ + ٣ = ٥ وتعقيب الدكتور زكى نجيب محمود على هذه المعادلة هو ان نتيجتها يقينية لان المعادلة لاتقول شيئا جديدا . فالطرف الاول فيها هو الطرف الاخر . فاليقين فى الرياضة مصدره «تحصيل الحاصل» . ويرى محمود العالم ان هذا ان هو الا فهم شكلى جامد لليقين الرياضى وان القول بان هذه المعادلة الرياضية لم تقل شيئا «فيه اغفال للمعنى الحقيقى التاليفى للعملية الرياضية . حقا ان ٢ + ٣ لاتختلف عن ٥ الا ان عملية الجمع هذه تتضمن جهدا عقليا كما تتضمن تاريخا انسانيا من العمل والممارسة والتجريب . والمعادلة الرياضية هى ثمرة هذا التاريخ الانسانى الذى يتعانق فيه العقل البشرى والتمرس على العمل لبلوغ هذه المعارف الرياضية المنضبطة والحكم على قيمة العمليات الرياضية وطبيعتها لاينبغى ابدا ان يغفل هذا التاريخ العملى الطويل لانه بهذا الاغفال ينكر فاعلية العقل البشرى وقدراته الابداعية ، كما يغفل ارتباط النتائج الفكرية بالتجريب والتمرس الانسانى العملى . وهذا ماتفعله الوضعية المنطقية تماما عندما تقول ان العملية الرياضية تحصيل حاصل ولاتقول شيئا »

اما المثال الثانى فهو ماخوذ من الاحكام الاخلاقية والجمالية وهو ينحصر فى هاتين الجملتين : **«الشجاعة خير»** و **«غروب الشمس جميل»** . ويرى فيهما الدكتور زكى نجيب محمود انهما تعبيران ذاتيان لايحتملان الصدق والخطأ — شانهما فى ذلك شان جميع الاحكام الاخلاقية والجمالية — لانه ليس لهما مقابل موضوعى فى العالم الخارجى . ويرد محمود العالم على ذلك بأن الوضعية المنطقية تنكر على هذه الاحكام موضوعيتها . فقد فتشت داخل هذه التعابير فلم تجد مايقابلها فى الواقع الحسى «من وقائع محسوسة جزئية محدودة فحكمت عليها بانها تعابير ذاتية . وسبب ذلك هو النظرة التحليلية المغرقة التى تفصل الاحكام الاخلاقية والجمالية عن تاريخها ونسيجها الحى فلو انها نظرت الى هذه الاحكام نظرة تاليفية ، وتعرفت عليها كوظيفة حية فى مجال حى لتكشفت قانونا موضوعيا للاخلاق ولادركت اساسا موضوعيا للتذوق الجمالى ، ولكن منهج التحليل الخالص يعزل الظواهر عن سياقها الحى ، انه يحيلها اولا الى عبارات لغوية ثم يسعى للكشف عن الصدق فيها بالتحليل بدلا من ربط العبارة اللغوية لسياقها الاجتماعى والموضوعى بدلا من إتخاذ النظرة التاريخية التاليفية» وقد استطرد محمود العالم وراء احتمالات التطبيق الحى للتفكير الوضعى المنطقى فوصل — عن حق — الى حد اكتشاف انه على اساسها لاتوجد حقيقة موضوعية ولامبادىء عامة ولا قوانين عامة ولاقيم عامة وانه لايوجد اساس موضوعى للخير والشر والحب والامان والشرف والجمال والخيانة الوطنية . ونحن نستطيع ان نضيف ايضا الى حجج المؤلف حجة تكاد تكون بديهية مستمدة من التطبيق فى مجالات الادب والفنون ، وهى ان الوضعية المنطقية يمكن ان تلغى ببساطة فائقة كل التراث النقدى فى الادب والفن لانها تعتبر ان الاحكام النقدية خالية من الصواب والخطأ وان تلغى ايضا كل النظريات الجمالية المبنية على استخلاص

القانون العام من الوحدات الجزئية في حركتها ونموها ، وان تلغى الفلسفة ايضا !

عن العلم

وفى الجزء العلمى يقدم المؤلف كما سبق أن أشرنا سبع مقالات يبدؤها بدراسة نشرها عام ١٩٥٣ فى مجلة علم النفس عنوانها « السيبرناطيقا » ، وهو العلم الجديد الذى تقوم على اكتافه الثورة الصناعية الجديدة ، علم «السيطرة والترابط والاتصال به عرفت الانسانية الرادار والالات الحاسبة الالكترونية والجهاز الذى يلعب الشطرنج فيهزمك والالة القارئة التى تغنى مكفوفى البصر عن ابصارهم ، والمصانع الضخمة التى تنتج بدون عمال ، والنموذج الذى يكشف لنا اسرار ادمغتنا المفكرة واجهزتنا العصبية ، والسبيل الى ازالة الثنائية الزائفة بين الفكر والمادة وضمهما فى عملية وظيفية ذات مدلول متطور» وبذلك يكون هذا العلم هو سبيل الانسان لكى يعلو على نفسه ولكى يسيطر على الواقع المادى وينظم الواقع الاجتماعى بما يتفق واهدافه ومثله العليا .

وفى المقال الثانى «دفاع عن العلم» يعرض بالنقد والتقييم لكتابين مختلفى الاتجاه احدهما هو «صناع الحياة» للاستاذ احمد شكرى سالم ، والثانى هو «مواقف حاسمة فى تاريخ العلم» الذى اصدرته مؤسسة فرانكلين الامريكية من تاليف جيمس بريانت كونانت مندوب امريكا السامى فى المانيا الغربية . والكتابان ، وان كانا يعالجان قضية واحدة ، هى دلالة العلم ودور العلماء فى دفع التقدم البشرى ، الا انهما يختلفان اختلافا كبيرا فى هذه الدلالة وفى طبيعة الدور الذى يقوم به العلم والعلماء . الكتاب العربى يعترف ويعتنق القيمة الحقيقية للنظرية العلمية التى تقوم على الممارسة التطبيقية وعلى القدرة على التنبؤ بقوانين الواقع والسيطرة عليها ، بينما يختم المؤلف الامريكى كتابه بدعوة سافرة الى التسلح والحرب والدمار ، اذ يدعو الى الاستفادة من الخبرة التكنيكية العلمية لخدمة اغراض ومصالح حفنة من المحتكرين تجار السلاح فى امريكا .

وفى مقال «العلم والحرية» يؤكد المؤلف ، انه لاتناقض بين العلم والحرية ، بل ان مفهوم العلم يرتبط بمفهوم الحرية ارتباطا متبادلا ويصبحان عملية مشتركة . وفى دراسة اخرى مركزة يحدد القيم الايجابية والتقدمية الكامنة فى جوهر التفكير الفلسفى عند العرب . وفى «اليسار العربى والنظرية العلمية» يؤكد ان اول مانحتاج اليه حقيقة هو الوضوح الفكرى . فنحن نبنى ، وتلك هى قضيتنا الاساسية «والبناء يحتاج الى وضوح فكرى ، وضوح صادر عن وعى وعن حماسة ، وعن ادراك شامل ، عن رؤية سليمة لاعن حفظ لنصوص وترديد لمقتبسات » .

الوضوح الفكرى من جديد

وفى الجزء الخاص بالحرية يقدم ثلاث دراسات عن معنى الحرية ومعناها فى مجتمعنا الجديد ثم عن الديموقراطية والماركسية وفى التطبيق الاشتراكى يوضح فكرة اكثر من طريق الى الاشتراكية ، ويطرح ويناقش العديد من قضايا الفكر فى طريق البناء الاشتراكى ويعود ليكرر فى النهاية تاكيده على قضية الوضوح الفكرى . «ولن ينتظر التخطيط والتنمية والصناعة الثقيلة حتى يتحقق الوضوح الفكرى ويشيع ، بل ستكون عاملا من عوامل الوضوح نفسه ، كما ان الوضوح سيكون عاملا من عوامل انضاجها وانجاحها وانطلاقها الى غير حد . وما اكثر مايقع على عاتق الاتحاد الاشتراكى من اعباء ومسئوليات ، من اجل تحقيق هذا الهدف العظيم »

وفى النهاية ماذا يمكن ان يكون قد استطاع محمود العالم ان يقدمه الى القارىء من خلال تلك الوقفات الفكرية المتانية فى مختلف مجالات الفلسفة والتاريخ والعلم والحرية ؟ . لاشك ان هذا الكتاب على صغر حجمه وتنوع مقالاته ودراساته انما يؤكد على نحو بسيط ومؤثر اهمية النظرة العلمية فى مواجهة الراقع . ولا بد ان نضيف ايضا ان مؤلفه هو فى الواقع الى جانب ذلك صاحب اسلوب ادبى بالغ الوضوح والدقة والرهافة يقترب به احيانا فى حماسه وانفعاله من منزلة الشعراء ، وعندما تمتزج الموهبة الشاعرة بالفكر العلمى الواضح المنظم لابد وان تثمر فى وجدان القارىء ، ثمرة طعمها هو الاقتناع عن حب وعاطفة وعقل ايضا .

●

مشـــاكل السياســـة الاشتراكية فى الريف

● تاليف ادوارد كارديل

ادوارد كارديل الذى يزور القاهـــرة ابتداء من ٢ فبراير الحالى هو رئيس المجلس الفدرالى لجمهورية يوغسلافيا .

ولد فى ٢٧ ينـــاير ١٩١٠ وتلقى تعليمـــه فى كلية المعلمين . اعتقل عام ١٩٢٩ وحكم عليـــه بالســـجن سنتين. ولكنه واصل نشاطه ضد دكتاتورية « السادس من يناير » . درس لفترة قصيرة فى معهـــد لينين فى موسكو ٤٣ ــ ١٩٤٧ . وعنـــد عودته وحتى بداية الحرب عمل ناشرا ، واصدر كتابه « تطور المسالة الوطنية السلافية » ١٩٣٩ (صـــادرته السلطات) وهو أحد مؤسسى جبهة التحرير فى سلوفنيـــا ونائب رئيس لجنتها التنفيذية ١٩٤١ ، واصـــبح عضوا فى القيادة العليا لفصائل الانصار وانتخب نائبا لرئيس اللجنة الوطنية لتحرير يوغسلافيـــا وفى مارس ١٩٤٥ عين نائبا لرئيس الحكومة الفـــدرالية ، وفى ١٩٤٨ وزيرا للخارجية . وبعد الاصلاح الدستورى فى ١٩٥٣ اصبح نائبا لرئيس المجلس التنفيذى الفدرالى . رأس وفد يوغوسلافيا الى مؤتمر السلام فى باريس عام ١٩٤٦ وراس وفود بلاده الى الامم المتحدة . وهو سكرتير رابطة الشيوعيين اليوغسلاف وعضو اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين فى سلوفنيا . زار كثيرا من البلدان بدعوى احزابها العمالية أو حكوماتها ، ومن ضمنها الجمهورية العربية المتحدة ولعب دورا هاما فى وضع مشروع الدستور الجديد .

ساهم كارديل فى تطوير الفكر الثورى واليوغوسلافى فنشر عديدا من الكتب منها : الطريق الى يوغوسلافيا الجـــديدة . اسس النظم الاجتماعية والسياســـية . مشـــاكل تطورنا الاجتماعى ، الاشتراكية والحرب ، مشاكل التطور الاشتراكى (٦ اجزاء) ، الدســـتور الجديد ليوغوسلافيا الاشتراكية ، مشاكل السياسة الاشتراكية فى الريف .

يشرح

كارديل فى مقـــمة كتـــابه الاسس النظرية العامة لحل المسألة الزراعية فى يوغوسلافيا ، فيحلل العـــلاقات الاقتصـــادية الاجتماعية فى الريف اليوغوسلافى والتناقضـــات التى تحكمها وفى مقـــدمتها التنـــاقض بين قوى الانتاج المعاصرة التى تتمثل فى التكنولوجيا والعلوم الزراعية الحديثة من ناحية والعلاقات الانتاجية السائدة فى الريف من

ناحية أخرى ، وهى أساساً علاقات الانتاج الفردى السلعى الصغير . والمظهر البارز لهذا التناقض هو عجز الفلاح اليوغوسلافى باقتصاده الفردى الضيق عن استخدام وتطبيق أساليب الزراعة العصرية . ومن هنا كانت حتمية الحل الاشتراكى فى الزراعة وذلك باحلال الانتاج الاشتراكى الكبير الذى يتركز فى زراعات اشتراكية واسعة متقدمة ذات انتاجية عالية محل الحيازات الفردية الصغيرة المتخلفة ، وبهذا تحل مشكلة زيادة انتاجية العمل الزراعى وكذلك مشكلة زيادة ونمو الانتاج الزراعى .

ويرى كارديل ان المفتاح الحقيقى لحل المسألة الزراعية هو أولا وقبل كل شىء فى المدينة وليس فى القرية ذلك ان انجاز الثورة الصناعية الشاملة أى تصنيع البلاد هو الضمان الاكيد لاعادة صياغة الريف سواء فى ذلك قاعدته المادية والتكنيكية أو علاقاته الاجتماعية . فالصناعة العصرية المتقدمة هى الدعامة الاولى لحل المسألة الزراعية ، ومن خلال التصنيع الاشتراكى يتحول هيكل العمالة فى البلاد وينتقل الجانب الاكبر من قوة العمل فى الريف الى المدينة حيث الصناعة الآخذة فى التوسع والنمو السريع وتنقص اليد العاملة تدريجيا فى القرية مما يدفع موضوعيا الى التوسع فى الزراعة الآلية التى تفرض بطبيعتها أسلوبا اجتماعيا فى العمل وفى الانتاج وهى لذلك تفضى بالضرورة الى اختفاء المشروع الفردى الصغير .

ويقول المؤلف ان النضال من أجل التحويل الاشتراكى للزراعة يستهدف تحقيق هدفين رئيسيين : الاول : تسجيل ارقام قياسية فى ميدان الانتاج الزراعى وفى انتاجية العمل ، والثانى : المحافظة على تأييد الفلاحين السياسى للطبقة العاملة والقوى الاشتراكية وتعزيز هذا التأييد وتدعيمه بتحسين أحوال الفلاحين المادية والثقافية وهذا لايتأتى الا بالعمل على زيادة الانتاج الزراعى ورفع الانتاجية وهذا يتطلب بدوره تعبئة الفلاحين وكسب تأييدهم الى تلك الاشكال من العلاقات الانتاجية التى تتيح وتضمن تحقيق تلك النتائج .

ويرفض كارديل الاسلوب الستالينى لتحقيق التحول الاشتراكى فى الزراعة ويلقى الضوء على مظاهر تطبيق هذا الاسلوب فى بناء المزارع الجماعية فى بعض بلاد الديموقراطيات الشعبية .

ويرى المؤلف ان القوة الاقتصادية الحقيقية للاشتراكية فى الزراعة لاتقاس بمساحة الاراضى الزراعية المجمعة وانما تقاس بمقدار نصيب القطاع الاشتراكى من الانتاج الزراعى وتقاس أيضا بمقارنة انتاجية العمل داخل هذا القطاع بانتاجيته فى القطاع الفردى وهذا كله لايتوقف أساسا على المساحة الاجمالية المجمعة تجميعا اشتراكيا بل هو رهن بمستوى وطابع التكنيك الزراعى المستخدم فى الزراعة . وعلى ذلك فشكل الملكية فى اطار الظروف اليوغوسلافية الراهنة ليس هو العامل الوحيد والحاسم فى تحديد طابع الانتاج الزراعى أى ما اذا كان فرديا أو اشتراكيا . فتأميم الارض مثلا فى الاتحاد السوفيتى بعد الثورة مباشرة لم يلغ الطابع الفردى للعمل والانتاج حتى بعد تعميم المزارع الجماعية وذلك لسبب بسيط هو أن عملية التجميع السوفيتية سارت بسرعة تفوق كثيرا السرعة التى تم بها بناء القاعدة التكنيكية الحديثة للزراعة السوفيتية ، أى بسرعة اكبر من مكننة الزراعة ، تلك العملية التى تشكل الاساس المادى للطابع الاجتماعى للانتاج والعمل . وهو الطابع الذى لايتصور قيام علاقات اقتصادية اجتماعية اشتراكية بدونه ، ولذلك بقى التجميع الزراعى فى روسيا لسنوات طويلة وفى معظم الكولخوزات مجرد تعاون بسيط فى فلاحة الارض . لقد كانت الارض ملكا للدولة أى مملوكة ملكية اجتماعية ولكن عملية الانتاج بقيت فى أغلب الاحوال عملية فردية فى حقيقة الامر . وقد أدى هذا التناقض الى خلق المشاكل والمصاعب أمام تطور الزراعة السوفيتية .

أن نقطة البداية عند المؤلف هى أن وسائل الانتاج الاساسية أى أدوات العمل هى التى تحدد طابع الانتاج ومدى اتسامه بالسمة الاجتماعية ، وملكية الارض فى رأيه ليست الا واحدة من بين أدوات الانتاج الزراعى العديدة . وفضلا عن ذلك فأهميتها فى ظل الاشتراكية تتناقص باستمرار مع اتساع نطاق تطبيق التكنولوجيا الزراعية الحديثة ذات الطابع الاجتماعى . ولذلك فحيث تكون الزراعة متخلفة أى قائمة على تكنيك زراعى فردى وبدائى لايمكن القطع بأن انتاجية الزراعة القائمة على التعاون البسيط المفروض من الدولة بالقوة سوف تكون أعلى من انتاجية الزراعة الفردية .

ويخلص كارديل من ذلك الى القول بأن العامل الرئيسى فى تحول الحيازات الفردية الصغيرة فى طريق الاشتراكية هو ادخالها تدريجيا وربطها شيئا فشيئا بعملية انتاج اجتماعية الطابع من خلال تطبيق التكنيك الآلى بالدرجة الأولى ومنطق هذه العملية يقضى بالضرورة الى تغيير فى شكل ملكية الارض ذاتها ..

وفى ضوء هذه المقدمة النظرية يعالج عددا من قضايا التطبيق الاشتراكى فى الزراعة اليوغوسلافية وهى :

أولا : العلاقة بين الجوانب الاقتصادية والجوانب الاجتماعية فى السياسة الزراعية فى يوغوسلافيا وذلك من خلال تحليل التغيرات التى أصابت البناء الاقتصادى الاجتماعى وهيكل الانتاج وعلاقة هذه التغيرات بالزيادة المطردة فى الاستهلاك ، فيشرح كيف أن التصنيع وما يحدثه من تغيير فى هيكل العمالة يتمثل فى زيادة سكان المدن ونقص سكان الريف يؤدى الى زيادة الاستهلاك . ثم يتعرض لدور ومركز الزراعة فى ميزان المدفوعات اليوغوسلافى ، كما يتناول الآفاق العامة لتطور الانتاج الزراعى فى يوغوسلافيا .

٢ — ينتقل المؤلف من هذا التحليل النظرى الى عرض تطورات الانتاج الزراعى فى يوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الثانية ويشرح العوامل الرئيسية لتقدم الزراعة اليوغوسلافية .

ثم يتكلم عن الجانب السياسى الاجتماعى للخطة الزراعية ويتابع التطورات التى مر بها القطاع الاشتراكى فى الزراعة منذ نشأته حتى تدعم ، وتأكدت سيطرته ، ويحلل فى هذا الفصل أيضا الاتجاهات الحديثة فى الزراعة المعاصرة ويعقد المقارنات بين معدلات نمو انتاجية العمل الزراعى فى أكثر البلدان الرأسمالية تقدما (الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا) وكذلك حركة تركز الارض فى أيدى المشروعات الرأسمالية الكبيرة على حساب الفلاح المتوسط والفقير وانعكاس ظاهرة التركز الرأسمالى فى هذه البلاد على توزيع الدخل الزراعى على الطبقات الاجتماعية المختلفة فى الريف وتدهور وانخفاض دخل الغالبية الساحقة من الفلاحين ويخلص من ذلك الى أن علاقات الانتاج فى البلاد الرأسمالية المتقدمة هى عامل معوق للنمو السريع لقوى الانتاج الزراعية ولارتفاع مستوى معيشة الفلاحين فى تلك البلاد . ولذلك يرفض المؤلف الطريق الرأسمالى لتطوير الزراعة اليوغوسلافية ، وهو أيضا يرفض الطريق الستالينى لتعميم المزارع الجماعية ، ويبين فى نفس الوقت استحالة تحقيق أى تقدم فى اطار الحيازة الصغيرة والانتاج الفردى الصغير ، وأن الطريق الوحيد المفتوح أمام التقدم الزراعى هو الزراعة الاشتراكية الكبيرة .

ويتتبع كارديل ظاهرة التوسع المستمر في مساحة الاراضى التى تديرها المنظمات الزراعية الاشتراكية . وينتقل الى شرح دور الريع فى تدعيم القطاع الاشتراكى فى الزراعة وهو فى هذا يقول انه اذا كان صحيحا ان الريع ليس ظاهرة اشتراكية الا أنه تنازل ضرورى ومفيد من المجتمع الاشتراكى للفلاح المالك لانه جزء من الشعب العامل ولان الريع هو الطريقة الوحيدة التى تسهل للفلاح الانتقال تدريجيا الى مواقع اشتراكية ».

ومهما يكن من شىء فان التعاون فى الزراعة سوف يجعل الفلاح وارضه جزء لايتجزأ من عملية انتاج اجتماعية ، وتصبح طريقة استغلال الارض المملوكة ملكية خاصة خاضعة للاحتياجات التكنيكية للانتاج الحديث الاجتماعى بطبيعته وبهذا يتم « تشريك الارض تكنولوجيا » وتنفصل حقوق الملكية باعتبارها امتيازا اقتصاديا محددا عن عملية الانتاج وتكتسب فى النهاية طابع الريع النقدى وهو ريع لايخلق فى رأى المؤلف طبقة من الملاك الذين يعيشون على ريع مايملكون ، وانما هو مصدر محدود للدخل يتحكم فيه المجتمع وتتزايد سيطرته عليه ، ويفقد مع الزمن اهميته ، ومع التطور الثورى لقوى الانتاج الاشتراكية فى الصناعة والزراعة وتغيير علاقات القوى الاقتصادية بين القطاع العام والقطاع الفردى فى الزراعة لصالح الاشتراكية ، وارتفاع دخول الفلاحين العاملين فى المؤسسات الاشتراكية فى الزراعة بالنسبة للفلاحين الملاك الفرديين مع هذه التطورات سوف تحل مشكلة الريع تدريجيا ولذلك يرى المؤلف ان زوال الملكية الخاصة فى الارض ليست مشكلة الساعة وليست المهمة المطروحة الان او حتى فى المستقبل القريب ».

ولقد تناول الكتاب عرضا مفصلا للمؤسسات التعاونية ولنظام مزارع الدولة ويلخص المؤلف بعض النتائج الاقتصادية الهامة التى حققها التنظيم التعاونى فى فروع الانتاج الزراعى المختلفة ».

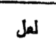
ويختم كارديل هذه الدراسة بالحديث عن الادوات التى تستخدمها الدولة لانجاز جهاز التحول الاشتراكى فى الريف فيتكلم من التحويل وسياسة الائتمان الزراعى كوسيلة لجذب الفلاح الصغير الى عملية انتاج اجتماعية حديثة فى ظل زراعة تعاونية منظمة وذلك خلال تحريك الحوافز الاقتصادية لدى الفلاح الصغير بحيث يقتنع من واقع تجربته الذاتية ان التعاون والانتاج الاشتراكى الكبير فى مصلحته . وكذلك تعتبر السياسة الضريبية وسياسة الاسعار والسياسة الاقتصادية عموما ادوات فعالة ووسائل حاسمة فى يد الدولة الاشتراكية لتحقيق التحول الاشتراكى فى الزراعة ».

ويؤكد كارديل على أهمية العمل السياسى والتنظيمى وعلى دور المؤسسات السياسية فى معركة التحول الاشتراكى فى الريف ويبرز أهمية الدور الطليعى « لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف » فضلا عن نشاط المنظمات السياسية العديد على كافة المستويات ابتداء من القرية حتى الاتحاد الفيدرالى.



الدولة وفكرة الهيمنة

■ مجلة الازمنة الحديثة



اهم بحث فى العددين الاخيرين لمجلة سارتر « الازمنة الحديثة » ، هو البحث الذى يقدمه الكاتب والمفكر اليونانى « نيكوس ولانتزاس » تحت عنوان «**مقدمات لدراسة فكرة (الهيمنة) فى الدولة**» — ويتعرض البحث للتطويرات التى ينبغى ادخالها على مفهوم ووظيفة الدولة ، فى ضوء حقائق العالم المعاصر ، وبدون نفى المحصول النظرى العام فى الفكر الاشتراكى العلمى حول مفهوم الدولة، يسعى البحث الى تخليص هذا المحصول من بعض نواحى الجمود التى أدت الى تسرب بعض التصورات المثالية غير العلمية الى مفهوم الدولة ، والى اثراء هذا المحصول العام بنظرة الى الدولة تفسر وظيفتها التقليدية ، وايضا الوظائف الجديدة التى اصبحت تضطلع بها فى عالم اليوم ، وبالذات فى ظل الاحتكارية المعاصرة ، ورأسمالية الدولة الاحتكارية . وينطوى البحث على عدد من الافكار الهامة للغاية ، لا تقتصر اهميتها على وظيفة الدولة فى ظل الاحتكارية الغربية الحديثة ، بل تنسحب كذلك على اشكال أخرى من الدولة ، وتصلح كمرشد وأساس لابحاث مماثلة حول طبيعة الدولة ودورها فى البلدان النامية مثلا ».

ويدور البحث حول فكرة أساسية مستمدة من نقد مفهوم **الدولة باعتبارها « ارادة الطبقة السائدة »** — اذ أن هذا المفهوم يفصل الدولة عن الظروف النوعية التاريخية المحددة ، المميزة بالحركة الاجتماعية فى كل بلد على حدة ، ويفترض وجود « ارادة مجردة » مزعومة للطبقة السائدة ، ومستقلة عن الصراع الاجتماعى داخل هذه الطبقة ، وعلى نطاق المجتمع كله ». ويستعيض البحث من هذا المفهوم للدولة بفكرة «**الهيمنة اى تمثيل الدولة لمجموعة « مهيمنة » داخل الطبقة السائدة** ، تفرض مفهوماتها وايديولوجيتها على المجتمع ككل من زاوية مصالحها هى ، مستبعدا بذلك المفهوم الغامض الذى تنطوى عليه فكرة « ارادة الطبقة » . ويعود الفضل فى بلورة هذه الفكرة الى المفكر الاشتراكى الايطالى الشهير « جرامشى » مؤسس الحزب الشيوعى الايطالى ، والذى مات فى سجون موسولينى عام ١٩٢٨ — الا أن البحث يطور هذه الفكرة ، ويقربها فى ضوء التجربة المستمدة من التطورات المعاصرة لوظيفة الدولة فى البلدان الرأسمالية الاحتكارية ».

ويعرض البحث بتفصيل بالغ، وبعمق رائع لوظيفة الدولة كعنصر « منظم » للمجتمع، بما يتناسب مع أكبر انطلاق ممكن لمصالح هذه الفئة « المهيمنة »، وبما لا يتعارض مع فكرة صراع الطبقات، بل على العكس. فهذه الوظيفة « التنظيمية » للدولة هى الوعاء الذى من خلاله يمارس صراع الطبقات بالصورة التى تحقق المصلحة القصوى للفئة « المهيمنة ».

وفى ضوء هذه الفكرة الاساسية، يدرس البحث وضع الدولة فى علاقة الطبقات السائدة بالطبقات المسودة، وامكانية « استيعاب » فئات اجتماعية عريضة داخل اطار مشترك من المصالح، رغم التعارض الاساسى فى المصالح المحركة للصراع الطبقى، تحت « هيمنة » الفئة المسيطرة على الدولة. كما يدرس امكانية الدولة فى بعض الاحوال فى ان تضحى ببعض المصالح الاقتصاديه المحضه للفئة المهيمنه من اجل مصالحها السياسية العامة فى التوفيق بين اعتبارات مختلفة تراعى فيها تحقيق هذا الاطار الواسع من المصالح المشتركة، وتكفل استمرار «هيمنتها». وتدعى الفئة المهيمنه لتبرير هيمنتها انها بتحقيق هذا الاطار الواسع انما « تمثل » المجتمع ككل، ولكن ليس هذا الاطار الواسع فى حقيقة الامر سوى اصلح وعاء يمكن تحقيقه لتغليب مصالحها هى. ومن الامور الملحة لهذا الجهد فى اتجاه تصوير الدولة كممثلة للمجتمع ككل «تعاظم» وعى الطبقات المسودة، وحركها فى اتجاه تخليص المجتمع من سيطرة أقلية مستغلة.

ويتناول البحث كذلك علاقة الفئة المهيمنة داخل الطبقات السائدة ببقية هذه الطبقات السائدة، ويحاول تحديد طبيعة هذه الفئة المهيمنة فى ظل راسمالية الدولة الاحتكارية المعاصرة. ويبرز البحث أن الفئة الطليعية المهيمنة تنتقل اكثر فاكثر الى الفئة التكنوقراطية « فئة المديرين » الذين يمارسون السلطة الحقيقية فى الاحتكارات العظمى ويسيطرون عليها سيطرة كاملة رغم ان ملكيتهم لاسهمها يقتصر عادة على نسبة ضئيلة منها .. وهذا يدخل تطويرات جديدة على مفهوم الملكية ووظيفتها فى ظل الاحتكارية الحديثة، مرتبطة بالثورة التكنولوجيه المعاصرة والتطورات الحديثة فى التنظيم الصناعى.

كما يتعرض البحث لامكانيات انفصال الدولة عن الارتباط بفئة اجتماعيه محددة فى ظروف محددة، واحتفاظها بنوع من الاستقلالية حيال قوى متعارضة مختلفة داخل الطبقات السائدة وهذه كلها من القضايا الهامة الجديرة بالمزيد من التعمق والتعميم.

● ويضم عدد نوفمبر عدد من الابحاث الاجتماعية التاريخية. بحث حول القائد الاشتراكى الفرنسى فى مستهل هذا القرن « جوريس »، وبعض الملاحظات حول تاريخ الاشتراكية الديمقراطية الفرنسية، وبحث حول عام من تاريخ حكومة العمال فى الحكم فى انجلترا.

ومن الملفت للانظار فى هذه الابحاث التاريخية، اعادة تقييم بعض المواقف التاريخية التى سبق الحكم عليها، وضعها فى الاعتبار الجديد فى عالم اليوم، والابعاد المعاصرة لحركة الاشتراكية فى العالم. لقد صدرت احكام على بعض المواقف التاريخية املتها الضرورة التاريخية فى حينها، وظهرت افكار ثبت عدم ملاءمتها فى وقتها، واصطباغها بصبغة « المثالية » و « الطوبائية » فى عصرها، ولكنها تكتسب دلالات اخرى فى اطار نظرة أعرض لحركة التاريخ. واذا سلمنا باهمية التنويع فى حركة الاشتراكية المعاصرة، فليس هناك من مناص لاستكمال ادراك متابعة ومصادرة من استكشاف هذا التنويع فى الماضى، حتى اذا سلمنا ان ظروف عالم الامس وسيطرة الاستعمار اساسا على مقدرات البشرية لم تكن تحتمل وتتقبل بعض مظاهر التنويع التى انطوت فى حينها على عدم الارتقاء الى الموقف الكفيل بالصمود والانتصار فى وجه طغيان الاستعمار وسيطرته الشاملة.

● ويضم عدد ديسمبر مجموعة «شهادات» عن الحياة فى المصانع العصريه على لسان عاملين فى هذه المصانع: شهادة عن ظروف العمل فى وكالة انباء.. وشهادة عن اساليب استخدام الحوافز فى مصنع لزيادة انتاجية العمل الى أقصى الحدود الممكنه بدون أن يقابل ذلك عائد للعاملين فى ظل الراسمالية يمثل تحسينا حقيقيا فى مستوى معيشتهم، و « شهادة » عن بعض الطرق المستخدمه لاستغلال « الوقت » داخل المصنع الى اقصى الحدود الممكنة.

● وينشر عدد ديسمبر وثيقة هامة عن حركة المثقفين فى امريكا ضد حرب فيتنام وكذلك يتناول العددان موضوعات مختلفة تتعلق بحركة الثقافة: تقديم لشاعر فرنسى ناشىء « جورج ايمانويل كلانسى » ولبعض النماذج من شعره تتميز باسلوب جديد ورقيق .. أقرب الى موسيقى باخ .. وتحقيق حول وظيفة الكمان فى الموسيقى المعاصرة واحتمالات تطوير الاستفادة من هذه الاله ... وبعض الدراسيات فى المسرح والسينما، والرواية الحديثة.

★★★

ديناميكية حرب العصابات فى العالم المعاصر

■ مجلة اليسار الجديد

تقدم **مجلة اليسار الجديدة** — التى يصدرها الجناح التقدمى لحزب العمال البريطانى — فى عددها الثالث والثلاثين دراسة مطولة للحركات التحررية فى امريكا اللاتينية فى السنوات الخمس الاخيرة كتبها **ريجى ديبراى** الذى عايش التجربة عن قرب فى فنزويلا واكوادور والارجنتين والبرازيل وكوبا وغيرها من دول أمريكا الجنوبية تحت عنوان: **امريكا اللاتينية «المسيرة الكبرى»**.

وتكمل هذه الدراسة المطولة دراسة اخرى قصيرة تحت عنوان: **ديناميكية حرب العصابات فى فيتنام** كتبها اريك هوبسبون معتمدا على معرفة واسعة بتاريخ وتطور اساليب حرب العصابات

وتستمد هذه الدراسة فى مجموعها اهميتها من الزاوية التى تتناول بها الموضوع اى فى تركيزها على ظاهرة « حرب العصابات » المؤيدة بقوى شعبية عريضة كاسلوب مميز وفعال من اساليب الحركات التحررية للشعوب التى تئن تحت وطأة الاستعمار والاستغلال فى كل من القارات الثلاث بشكل جدى مع بداية القرن العشرين. واثبت فاعليته فى الفترة الاخيرة فى تجربتين اساسيتين يرسمان معالم الطريق للشعوب الساعية الى التحرر من الاستعمار والاستغلال وهما تجربة الجزائر وتجربة كوبا.

وفى المقالة الثانية يرد الكاتب فكرة « حرب العصابات » الى اصولها التاريخية كتمرد فردى يعبر عن كراهية المستغلين للمستغلين او الفقراء للاغنياء، كما فى اسطورة **(روبين هود)**

الذى يسرى الاغنياء ليعطى الفقراء والذى يفلت من عقاب السلطة لانه يعيش فى حمى الفقراء . ثم يتتبع الكاتب تطور الفكرة الى القرن العشرين حيث تبلورت واصبحت اداة كفاح فى يد الشعوب نتيجة لحدوث تطور خطير خرجت بمقتضاه طبقة الفلاحين من نطاق القوى المحافظة منضمة الى القوى الثورية المتحررة . وبحدوث هذا التطور تهيأت « لحرب العصابات » امكانيات النجاح لان المجال الطبيعى لحرب العصابات هو الريف او الاراضى الجبلية لا المدن ، ولان حرب العصابات لا يمكن ان تحقق نتائج فعالة ، مهما تهيأت لها القيادة والمرونة والسلاح والتدريب ، ما لم تهيأ لها الحماية التى تنبع من تأييد شعبى واسع . وبعد ان يستوفى الكاتب الناحية التاريخية ينتقل الى اجراء مقارنة بين « حرب العصابات » فى **الجزائر** « وحرب العصابات » فى **فيتنام** ، وبعد ان يحلل الظروف التى تميز كليهما يتنبأ للاخيرة بنفس النهاية المنتصرة التى انتهت اليها الجزائر ، ويتنبأ لامريكا بنفس الهزيمة التى نزلت بفرنسا مهما استخدمت من وسائل البطش والعدوان .

اما المقال الاول **امريكا اللاتينية . المسيرة الكبرى** ،فينقسم الى قسمين ، القسم الاول يحلل فيه الكاتب الحركات التحررية فى مختلف بلدان امريكا الجنوبية فى الخمس السنوات الاخيرة بما فى ذلك حركة **كوبا** . ويرد الكاتب الانهزامات التى واجهتها هذه الحركات والانتصارات التى حققتها الى اسبابها فى البيئة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ،والى الاساليب المستخدمة فى كل معركة من المعارك ، والتكنيك المتبع فى كل منها .

ويخلص الكاتب من كل ذلك الى أن أسلوب «حرب العصابات» الذى يعتمد على تأييد شعبى واسع هو الاسلوب الذى يوائم مقتضيات الظروف فى امريكا الجنوبية ، وهو الاسلوب الذى أكد فاعليته ، بينما أثبتت التجربة فشل اسلوب الانقلابات العسكرية التى تقابلها عادة انقلابات رجعية ما لم تؤيدها قاعدة شعبية واسعة ، كما أثبتت أيضا فشل الانتفاضات الشعبية الواسعة ما لم يساندها جيش ثورى واع

أما القسم الثانى من المقال فيحاول فيه الكاتب أن يخلص من التخصيص الى التعميم . وأن يخرج من التجربة بأجمعها بدروس التجربة كمعالم ترسم الطريق لحرب العصابات كأداة من أدوات الكفاح المسلح ضد الاستعمار والاستغلال .ويتناول الكاتب فيما يتناول فى هذا الجزء الاخطاء التى ينبغى أن تتجنبها «حرب العصابات» والمرونة التى يتحتم أن تتسم بها لتتوائم مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلد الذى تدور فى نطاقه .

وبينما تغلب الناحية السياسية على العدد الثالث والثلاثين من **«مجلة اليسار الجديد»** ، نجد أن الناحية الفلسفية والفنية تطغى على عددها التالى والاخير . فالى جانب نماذج متعددة من الادب الروائى والنثر الفنى ، ومقال عن **الموجة الجديدة فى موسيقى الجاز** تكمل المجلة سلسلة المقالات التى تنشرها عن موجة «الرواية الحديثة » فى فرنسا ، فتتبع مقال روب جرييه بمقال لمايكل بتور .

ولا شك أن المقال الاخير يهم فى كثير المشتغلين بالادب عندنا وخاصة كتاب الرواية اذ يمثل محاولة تكنيكية للربط بين عالم الكاتب وعالم القارىء عن طريق استخدام ضمير المخاطب بدلا من ضمير المتكلم او ضمير الغائب الذى يعكس عادة زاوية النظر فى الرواية التقليدية . وهذا المخاطب هو الى حد كبير الكاتب والقارىء .

اما الدراسة الرئيسية فى العدد فهى محاولة لتقييم اعمال **كلود ليفى ستراوس عالم الاجناس والفيلسوف** يقدمها عالم الاجناس ادموند ليش . وقد لا يكون القارىء العربى ملما بهذه الاعمال . ولكن مما لا شك فيه انه سيفتنى بهذا الالمام فستراوس يحتل الان فى عالم الاجتماع . الفلسفه فى اوروبا نفس المكانة التى يتشغلها سارتر ،ومذهبه الفلسفى «البنائية» يثير نفس الاهتمام التى تثيره الوجودية .

★★★

الثورة ومشكلة الانتهازية

دراسات عربية

وهى مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية تصدر ببيروت وبالعدد مجموعة من الدراسات المفيدة . وتولت هيئة التحرير فى المقال الافتتاحى دراسة « **الثورة ومشكلة الانتهازية** » وهى تبرز ينابيع الانتهازية وانواعها وكيف انها تقوم بدوربارز بوجه خاص فى مرحلة الانتقال الثورى ، بسبب اختفاء القيم القديمة وعدم استقرار القيم الجديدة بعد . وتترعرع الانتهازية بسبب طبيعتها المتلونة فى المراحل التى لم تستقر بها قيم اجتماعية محدودة نتيجة للتغير الثورى، وهى تشكل خطرا رئيسيا فى هذه المرحلة ويضيف المقال اشكال الانتهازية فى مرحلة التحول الثورى — تحدد موقف القوى الثورية من كل لون منها .

وبالمجلة دراسة عن **الاتفاقات الاقتصادية والتكامل الاقتصادى العربى** للدكتور خليل حسن خليل يعرض فيها الخطوط العريضة لفكرة التكامل الاقتصادى وما تم من اتفاقات اقتصادية بين الدول العربية، ثنائية كانت أم جماعية، ويستخلص من الدراسة أن التكامل الاقتصادى العربى سوف يوفر من موارد كل بلد عربى على حدة . وهو يختلف اساسا عن تقسيم العمل بين الدول العربية بغية خدمة اقتصاديات البلدان الصناعية المتقدمة فى أوربا ، وسوف يتم على اساس واع وديناميكى، وهو لا يتعارض مع فكرة المنافسة بين المشروعات المماثلة —وهى عملية يمكن انجازها بيسر اكثر من عمليات الاندماج بين الدول الاوربية — وتجشمها اليوم تحديات الاستعمار والصهيونية ، كما تتطلب تبادل الخبرة بين الدول العربية ، وتحويل كثير من النصوص التى تم الاتفاق عليها الى واقع حى ينفذ عملا .

وبالمجلة كذلك دراستان بدأنا فى العدد الاول ، أولاهما عن **اثر التكوين الطبقى لابناء فلسطين فى العمل السياسى الفلسطينى** للطفى غنطوس ، والدراسة الثانية عن أزمة اليسار فى الوطن العربى ، متناولة بالذات الحركة العربية بعد الحرب العالمية الاولى ، لناجى علوش . ويحتم لطفى غنطوس دراسته بقوله «حاولنا عند وضع هذه الدراسة أن نبتعد قدر الامكان عن تحليل الوضع الحالى للزعامة الفلسطينية التى تحاول قيادة الشعب ، ضمن منظماتها العلنية ، واعتبرنا أن المساهمة التى قدمها المخلصون فى نشاطهم السرى، التى تمثل بحقيقتها التجربة التى نستحق الدراسة عند وضع المخطط العلمى للقضية الفلسطينية . ولكن تبرز هنا ظاهرة مؤلمة . الرغم من مرور ١٧ عاما على النكبة ، فما زال اغلب شعب فلسطين بعيدا عن الاشتراك فى المخططات التقدمية لعلاج قضية فلسطين ، ولازالت البرجوازية تفرض سيطرتها على القضية الفلسطينية ، وتدعى تمثيل عرب فلسطين ، محتكرة المنظمات التمثيلية ، ومشجعة من قبل الحكومات العربية » .



حول "عضوية الملايين فى الاتحاد الاشتراكى"

صوت من القاعدة

يكتبه هذا العدد
لطفى عبد اللطيف
كلية الحقوق
جامعة عين شمس

اننى اتابع – كمواطن آمن بالثورة وضرورتها – مايجرى هذه الايام فى سبيل تنظيم الاتحاد الاشتراكى وتنشيطه . وقد لاحظت ان الجهد كله ينصب على الكوادر وكيفية اختيارها . وفى رايى ان قوام اى تنظيم سياسى ، دعائم ثلاثة ترتبط بعضها بالبعض وتتداخل فيما بينها وتقود الواحدة منها الى الاخرى هذه الدعائم هى : **المضمون والقاعدة والكوادر** .

واذا كان المضمون يتوفر بالفعل – فى رايى – للاتحاد الاشتراكى ، فان امر القاعدة ليس كذلك . وقد نتوهم ان القاعدة موجودة لاينقصها شىء . وهاهى الكوادر آتية للقاعدة لتقودها نحو تحقيق اهدافها ، والقاعدة تبدو مريضة حيث تضم سبعة ملايين عضو . ولكن قدرا من التأمل وامعان النظر ، يبين لنا ان هذه الملايين السبعة عندما انضمت للاتحاد الاشتراكى عند بدء تكوينه عام ١٩٦٣ كانت تحركها عوامل ودوافع مختلفة ومتباينة . وقليل من هذا العدد – فى رايى – هو الذى انضم من ايمان وفهم بالقضية ، واذا وصلنا الى هذه النتيجة – واعتقد انه من الطبيعى ان نصل اليها – يمكن ان نتساءل : هل تصلح سياسة عضوية الكم التى تضم الملايين لان تكون قاعدة تنظيم شعبى يرجى منه الكثير ؟

ولعلنا نذكر ان الفكرة كانت فى بداية تكوين الاتحاد الاشتراكى تحتم ضرورة اجراء اختبار بمعرفة القادة انفسهم للراغبين فى الانضمام للاتحاد الاشتراكى لضمان حسن اختيار الاعضاء العاملين وتوفير مقومات نجاحهم . كما اذكر ان عدد الاعضاء العاملين كان محددا له نصف مليون عضو عامل .

لذلك ارى ان المنطق يستلزم ان تكون البداية من القاعدة ، وان يكون المعيار فى اختيارها هو تلك الافكار التى تحددت فى البداية . فالقاعدة هى الاساس الذى يرتكز عليه الاتحاد الاشتراكى . وهى التى ستحمله اما الى النجاح الذى نرجوه ، واما الى النتيجة التى لانريدها ولا نرغب فيها . لابد اذن من وضع معايير محددة وواضحة يجبه

مراعاتها فى كل عضو عامل . لابد من ذلك لضمان حسن الاختيار . واعتقد انه من الضرورى فى هذا الصدد الا نلجأ الى جهات الادارة لننتظر معاونتها . فالامر يجب — فى رايى — ان يكون بعيدا عنهما .

ولااعتقد بصواب امكانية تنظيم الاتحاد الاشتراكى وتنشيطه دون ان تشارك الجماهير برأيها فى ذلك من خلال تنظيم اجتماعات معها والاستماع الى وجهه نظرها .

وفى رايى ان حسن اختيار القاعدة فى نهاية الامر هو شرط اساسى لضمان نجاح الاتحاد الاشتراكى وتنشيطه .

اقتراح .. بدراسة تخفيض الاجور

وكتب المواطن **منير باسيلى** من المنيل بالقاهرة ، يقول:

« تردد كثيرا على لسان رئيس الوزراء ونائبه للشئون المالية والاقتصادية وهما يوضحان مبررات اصدار القرارات الاقتصادية الاخيرة كحل للحد من زيادة الاستهلاك وامكان المضى فى تنفيذ برنامج الخطة الخمسية لمضاعفة الدخل القومى ، وضحا انه كان يوجد احد حلين لمعالجة زيادة الاستهلاك وتدبير مبلغ مائة مليون جنيه اللازمة لتنفيذ برامج الخطة بالمعدلات المطلوبة .

اما **تخفيض الاجور والعلاوات** لجميع العاملين او **زيادة اسعار** بعض السلع لامكان عدل التوازن المطلوب .

وانا اقترح اعادة النظر لتطبيق الحل الاخر والخاص بتخفيض الاجور بطريقة عادلة وعلى اسس علمية مدروسة ، ومتمشية مع الاهداف الاشتراكية والقوانين الخاصة بالعاملين.

وقد جاء فى صفحة الرأى بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٦٦/١/٢ بقلم الدكتور جمال العطيفى ، الفقرة التالية :

« ان الثورة الاجتماعية والاقتصادية تتطلب حتما ثورة تشريعية . فلم يعد من المستساغ — بعد ان زالت ظروف التناقض بين حقوق العاملين وبين سلطة رب العمل — ان نستغل بعض النصوص التى شرعت لحماية حقوق العمال للاضرار بمصلحة الانتاج . ان المواجهة الصريحة التى عرضت بها الحكومة مشكلات الانتاج ، تقتضى ايضا مواجهة صريحة فى التشريع . فلم يعد من المتصور مثلا ان تظل نظرية الحقوق المكتسبة اساسا للتشريع فى قانون العمل . فيحتفظ مثلا بصفة شخصية لموظف فى شركة ما بمرتباته ومخصصاته التى كانت مقررة له دون نظر الى متطلبات الخطة ومعدلات الاجور التى اقتضت ان يوضع نظام لاجور العاملين فى مثل هذه الشركات » .

ولهذا كله اقترح الآتى : **اولا** : دراسة قوانين ولوائح العاملين بالمؤسسات والشركات وجميع افراد الدولة والملاحظات التى ظهرت اثناء تطبيق هذه القوانين بمعرفة الجهاز المركزى للتنظيم والادارة . ووضع قواعد ثابتة على اسس اشتراكية ومكملة للوائح السابقة والتى صدرت ابتداء من ١٩٦٢ . وافتراض تطبيق هذه القواعد على جميع العاملين ابتداء من تاريخ تعيينهم او التحاقهم بالهيئات والمؤسسات . ثم تدرج مرتباتهم حسب المؤهلات والخبرات طبقا للجداول السابق وضعها بعد اعادة دراستها والاتفاق على مبادىء ثابتة .

ثانيا : يعمل نموذج استمارة احصاء لجمع البيانات اللازمة لتطبيق القواعد السابق ذكرها ثم توزيعها على جميع قطاعات الدولة التى يتم صرف مرتباتها عن طريق الخزانة العامة — وتتم بمعرفة الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء — وعلى ان تخص العاملين الذين تزيد اجورهم عن حد معين حاليا وتجمع هذه البيانات وتبوب بواسطة الاجهزة الالكترونية ، مع مقارنة الاجور التى تصرف حاليا للعاملين — وما يجب ان يكون لو طبق القانون والقواعد المقترحة عليهم منذ التحاقهم بالعمل .

وسنكتشف ضخامة المبالغ التى تصرف بالزيادة حاليا لكثير من العاملين الذين التحقوا بالشركات قبل اصدار اى قوانين لتنظيم قواعد التعيين والترقيات والعلاوات نتيجة لقرابتهم للمسئولين فى ذلك الوقت سواء قبل التأميم او بعده ، وبين المبالغ الواجب صرفها فعلا لو طبقت هذه القوانين قبل التحاق هؤلاء بها .

وذلك ، مع عدم اغفال وضع حد ادنى عادل للترقيات وبداية المربوط للفئات العليا — حيث انه كان يتم اقتراح رفع درجات كبار الموظفين المسئولين والتى بيدهم سلطة توزيع الترقيات على انفسهم — . وبالطبع كان يتم اعتماد الميزانية حسب مقترحاتهم دون تعديل اى عملية ترقية مستمرة وبصورة غير عادلة نظرا لعدم وجود مجالس مشتركة ممثلة لجميع العاملين للنظر فى مقترحات الميزانية والترقيات الخاصة بهاف ذلك الوقت .

●

تدعيم الاندية الريفية للشباب

وفى رسالة ، بعث بها المواطن **عاطف عبد العزيز احمد** امين مكتبة المعهد العالى الصناعى بالمنصورة ، كتب يقول :

« اليوم ونحن بصدد اعداد وتدريب وتربية جيل من الشباب كقوة طليعية تقود وتحمى عملية التطور على اساس من الوضوح الفكرى والايمان العميق بحتمية الحل الاشتراكى وحتمية تحول المجتمع الى الاشتراكية ، ارى أن هناك ثغرات يجب الالتفات اليها من الان والعمل على اصلاحها ونحن فى بداية العمل فى مجال الشباب .

فمن الملاحظ أن الرياضة تبتلع كل نشاط الاندية الريفية التى يمارس فيها شباب القرية نشاطهم . ومغفلة تماما الثقافة السياسية والعقائدية . ونحن لاننكر دور الرياضة فى تكوين الشباب . أما الذى ننكره فهو عدم التوازن والتناسب بين ميول الشباب وبين مايجب أن يكون عليه دوره .

واعتقد أن المسئول الاول عن هذه المشكلة ، يرجع الى الهوس المحموم بالكرة . والامر الذى لاشك فيه أن الشباب معذور كل العذر فيما وصل اليه . أما الذى يستحق اللوم بشدة فهى — فى رايى — اجهزة الاعلام التى توسع من نطاق هذا الاهتمام ، متناسية ان دورها الحقيقى — كما أتصوره — هو اعداد وتهيئة المناخ الفكرى الملائم لمرحلة التحول التى نجتازها .

ومن الواجب أن نرتفع الى مستوى الاحداث — عربيا وعالميا — وأن نسأل أنفسنا : كم من الرأى العام تابع — باهتمام حقيقى وجاد — المأساة التى حلت بشعب روديسيا بعد أن مكن الاستعمار لحكم الاقلية البيضاء ؟ وكذلك أحداث فيتنام . وكم تابعوا مؤتمرات الانتاج والادارة واحاطوا بأهدافها والغرض منها . ان المسئول عن هذا ، هو برامج أندية الشباب او ان شئنا الدقة فى التعبير المسئولين عن وضع هذه البرامج .

ان مهمة منظمة الشباب أن تعيد النظر في برامج هذه الاندية حتى تتناسب ودقة المرحلة التى نمر بها لانه ليس أخطر — في مرحلة التحول — من ترك ثغرات مثل هذه في نفوس الشباب يتسرب منها المخربون بافكارهم المظلمة . فالاهتمام بالجانب العقائدى والسياسى داخل هذه الاندية سيضيء الطريق أمام شباب الريف الى المجالات الحقيقية التى يجب أن يعمل فيها بكل جهده وطاقاته لتحقيق آمال مجتمعه الجديد .

وحين توضع البرامج الجادة ، سنجد الشباب يشارك بنفسه في بناء مانهدف الى بنائه . سيشارك بنصيبه في القضاء على الجهل في قريته . سنجده يبادر بنعرية وفضح العناصر الرجعية والانتهازية التى تبث الشك والبلبلة في عقول الناس . وبذلك تكون منظمة الشباب قد نجحت في اعداد الجيل الذى وصفه المناضل عبد الناصر بأنه « اكثر وعيا واكثر صلابة واكثر شموخا » .

●

حول وحدة المثقفين

وكتب المواطن احمد فؤاد درويش بمعهد السينما بالقاهرة يقول :

لسنا في حاجة الى سرد مشروع الدستور الذى نشر بالعدد الحادى والعشرين من نشرة امانة الدعوة والفكر «الاشتراكى» . ولقد تناول مشروع هذا الدستور شئون الفكر والادب والفن من الزاويتين النظرية والتطبيقية تحت عنوان « نحو وحدة فكرية للمثقفين » .

ولا يفوتنى منذ البداية أن اذكر ان القوى الاشتراكية تقدر الجهود المخلصة التى نتج عنها مشروع الدستور للمثقفين ، وانها تقدر تلك المبادرة الثورية من التنظيم السياسى ، وان كانت هذه المبادرة قد جاءت متأخرة بعض الشىء .

ومنذ قراءتى لمشروع الدستور فلقد كان يلح على تعليقا ذو شقين ويفرض نفسه :

الشق الاول : ينبغى ان يكون واضحا ان المثقفين ينقسمون قسمين ، فالقسم الاول هو المثقفون الرجعيون ، والقسم الاخر هو **المثقفون التقدميون الاشتراكيون** . فهل من الممكن بأى حال من الاحوال أن نسعى نحو وحدة فكرية لكل المثقفين ، ان في ذلك ولا شك اعتراف بالفكر الرجعى وتقدير له .. هذا التقدير الخاطىء هو الذى دفعنا لخلق تآلف ووحدة مع الفكر الرجعى المتعفن . أن القول بأنه ينبغى أن تكون هناك وحدة فكرية للمثقفين الرجعيين والمثقفين الثوريين ، هو قول يتجاهل التكوين الاجتماعى والتاريخى الذى بلور الفكر الرجعى . وجعل بعض الفنانين يناصرون الفن الرجعى ، وهل من الممكن أن يتجانس الابيض مع الاسود فان في الامكان أن الفنانين الاشتراكيين وجعلهم ينزعون لمناصرة الانسان ومناصرة الفن الثورى .

وهل من الممكن أن يمتزج الاسود بالابيض .. اذا كان من الممكن أن يتجانس الابيض مع الاسود فان في الامكان أن ننحو نحو وحدة فكرية لكل المثقفين .. التقدميين منهم والرجعيين ..

أن المثقفين الاشتراكيين يجب أن يتجمعوا وفي انفصال كامل عن قوى التخلف والرجعية ولا يسعون فى محاولات عقيمة وتضييع الوقت لوحدة فكرية مع المتخلفين .. والا فان سعى القوى التقدمية الى الوحدة الفكرية — مع المثقفين الرجعيين هو مهادنة للقوى الرجعية بل ومصالحة معها ، وشد من ازرها في الوقت الذى نسعى فيه جاهدين لارساء القيم الاشتراكية محل القيم الاقطاعية والراسمالية . ثم ان اتجاهنا لهم وفي ذهننا أن تقوم الوحدة الفكرية ، هو قبل كل شىء ، اعتراف واحترام لوجود الفكر الرجعى المتخلف .

أن الدعوة التى جاءت « بالاشتراكى » اذا كانت موجهة لكافة المثقفين ليتحدوا « فكريا » ، فهى دعوة تتيح للفكرية

كتابات جديدة

تنشر الطليعة — ابتداء من العدد القادم — ما وصلها ، ويصلها من « كتابات جديدة » ، التزاما من الطليعة بالنداء الذى وجهته في افتتاحية عددها الاول من هذا العام . وبهدف الطليعة ، بذلك ، اتاحة الفرصة المنظمة امام جميع الطاقات العربية الشابة والثورية التى تجد — بحكم مقاومة القديم موضوعيا لكل جديد — عنتا وصعوبة في التعبير عن آرائها وفي نشر افكارها وابحاثها .

ولا يعترف الباب الجديد « كتابات جديدة » بخرافة لمعان الاسماء ، وانما يعمل من اجل تسهيل حركة التحام اجيال الخلق والابداع في مجتمعنا بعضها ببعض وتجديد قواها وحيويتها باستمرار .

وتؤكد الطليعة — مرة اخرى — انها ترحب في « كتابات جديدة » بكل بحث علمى المنهج موضوعى النظرة اشتراكى المفهوم ، يرد اليها في حدود لا تتجاوز ١٥٠٠ كلمة يناقش أحد الموضوعات الاربعة التى حددتها في ندائها في افتتاحية العدد الاول من عامها الثانى . وهى :

- ● الوجود الايجابى والوجود السلبى لاجهزة الاتحاد الاشتراكى في القرية وعلاقاتها مع الاجهزة الحكومية .. عرض وتشخيص للظواهر والاسباب ومقترحات للعلاج .
- ● قضايا ومشكلات احدى وحدات الانتاج على وجه التخصيص في مجتمعنا من حيث الادارة والعمل وطبيعة العلاقات بينهما ومظاهر واسباب البيروقراطية ومدى ممارسة ديمقراطية الانتاج والحوافز والاسراف .. الخ . كيف يكون العلاج واساليبه وما وقع من تجارب وحصيلتها . وذلك كله بهدف زيادة معدلات الانتاج وتحسين نوعه .
- ● كيف يمكن ان نوحد — فكرا وعملا وتنظيما — القوى الثورية الشعبية في الوطن العربى من اجل تحقيق التحرر الحقيقى لجميع البلاد العربية وتقدمها السياسى والاقتصادى والاجتماعى على طريق الاشتراكية والوحدة ؟
- ● واقع الحياة الثقافية والفنية في مجتمعنا ومدى تخلفه عن واقع الحياة المادى المتطور نحو الاشتراكية . وكيف يمكن ان نطور ثقافتنا وفنوننا — شكلا ومضمونا ، جماليا وقيميا — لنربى الوجدان الانسانى الاشتراكى في جماهير شعبنا ، دون ما حجر على حرية الكاتب او وصاية تخنق الابداع الذاتى للفنان .

الرجعية ان تكسب المعركة ، اذ ان لها ماضيها ولها مراكزها فى مختلف فروع الثقافه وسوف تكسب المعركة باسم « دستور المثقفين » التى ستطبقه شكلا اما الجو فستجمده .

ان الوحدة الفكرية متوفرة — الى حدما — لدى الاشتراكيين ، واهم مافعله مشروع هذا الدستور — فى رايى — هو بلورة المفاهيم التقدمية فى شئون الفكر والادب والفن . اما الدستور فلن يخلق الوحدة الفكرية بين الثوريين والرجعيين . بل ولن يحلق الوحده الفكرية — الموجودة الى حد كبير — بين الثوريين انفسهم وانما سيخلق او بمعنى اصح يخرج بالوحدة الفكريه الاشتراكية الى الوجود الخارجي . وينشىء هيئة تتبع الاتحاد الاشتراكى . ومن خلالها يحدث تجمع فكرى منظم يضم كل الادباء والفنانين الاشتراكيين فقط .

واننى على ثقة من ان القوى الاشتراكية تستطيع ان تصفى افكار وفهم الرجعية اذا تجمعت واتحدت فى شكل تنظيمى .

ان المنفذ الوحيد الذى يطيل من عمر الفكر الرجعى هو ان القوى الفكرية الاشتراكية فى بلادنا مازالت مشتتة . وعلى هذا فان الوحدة الفكرية ينبغى ان تكون تجمع للاشتراكيين وحدهم الذين تجمعهم هيئة — تابعة للاتحاد الاشتراكى — تستند اولوياتها الى مشروع هذا الدستور .

الشق الثانى : ملاحظات على مشروع الدستور المطروح للمناقشة :

١ — **« فى خدمة الادب والفن »** : اقترح ان تضاف العبارة الاتية ، فعلى اساس منها تتضح الضرورة الموضوعية لفروع الثقافة فى مجتمع يبنى الاشتراكية : « ان الفكر والادب والفن ينبغى ان يشير الى القيم التى تتناسب والتحول الموضوعى المنتظر ، قبل أن نعلق على اطراد النمو الموضوعى فى المجتمع » .

٢ — **« الثقافة خدمة أم سلعة »** : ولذلك فلقد وجب ان ندخل فى الاعتبار مدى اقبال الجمهور على اعمالنا .

وان نستهدى لهذا الاقبال فى التخطيط والتقويم .. الخ .

اقترح للاسباب التالية الغاء كل حرف فى الفقرة السابقة :

● ان اقبال الجماهير ليس مقياسا للمستوى الفنى التى تتوفر فى العمل .

● كيف يمكن ان نستهدى باقبال الجماهير فى حين ان الهدف الاساسى هو قيادة الجماهير نحو قيم جديدة هى التمكين لقيم المجتمع الاشتراكى من ان تستقر فى حياتنا الجديدة وان تنمو .

ان الهدف من الثقافة هو جذب الجماهير بطريقة فنية الى القيم الاشتراكية لا ان نردد اقوال الجمهور الذى مايزال يعيش فى ظل العلاقات الاجتماعية القديمة .. ومثال ذلك هل من الممكن ان يستهدى السينمائى مثلا بأن الجماهير تقبل على الجنس الآن ، فاقدم لها .. وهل من الممكن أن تقوم افلامنا الكوميدية على السخرية من الفلاح .. وهل من الممكن ان تستمر افلامنا فى عرض حياة الراسماليين .. وهل من الممكن أن تستمر افلامنا فى خلق التطلعات الطبقية لدى العامل والفلاح وان تؤكدها فى نفسه ..

ان ذلك خطأ من أساسه . وانما متى استهدى باقبال الجماهير وآخذه فى التخطيط والتقويم ؟.

يتم ذلك — وبعد مدة طويلة لا فى المرحلة الانتقالية هذه — بعد أن تترسب فى اذهان واحاسيس قوى الشعب العاملة قيم المجتمع الذى يبنى الاشتراكيه باخلاقياته ، فالاقبال هنا سيكون فى حدود القيم الاشتراكيه الاساسية .

وكذلك احب ان أوضح ان الفنانين لايتعلمون من الجماهير حالة كون الجماهير تقبل على اعمالها وانما التعلم الحقيقى للفنان والتفاعل يكون بمدى وعى هذا الفنان بواقع الجماهير الحالى والمستقبل .. ان التعليم للفنان — من ناحية الجماهير — مرحلة اشد عمقا من اقبالها على اعماله .. وان التفاعل الحق بين الفنان وجماهير شعبه هو فى مدى نجاحه فى عكس واقع هذه الجماهير والتعليق على هذا الواقع بنزعه تقدميه.

٣ — **مشكلة الكم والكيف** : اعجبنى اشد الاعجاب ان نحا مشروع الدستور نحو الكيف فى الاعمال الفنية ، لاننا اذا اتبعنا الكم — كما هو قائم حاليا — فان ذلك لا يشكل الا عبئا على الميزانيه من ناحية ومن ناحية اخرى تدعيم للفكر الرجعى فى المجتمع التقدمى .. واحب ان اضيف لما جاء بالمشروع ان اتباعنا لسياسة الكم فى اعمالنا الفنية الاشتراكية ، ستكون هناك حتمية ولا شك فى الوصول للعمل الدعائى المباشر لا الفنى .

ان اصرارنا على الكيف فى اعمالنا الفنية سيجعلنا بعد مرور فترة وجيزة من الزمن نجد — ان الكيف قد تحول الى كم .. ولكن الكم فى وضعه الاخير لم ينبثق الا عن ارضية من الكيف .

٤ — **« الدولة ليست وصية على الفنان » .. ولكن :** ذكر المشروع فى هذه الفقرة الوسائل التطبيقية فقط التى تتيح للفنان أن يتحول الى طريق الاشتراكية ومنها معايشة الفنان للعامل وللقوة المنتجة بالمجتمع .. ولكن !.

قد يعايش الفنان العامل فى مصنعه وفكره لايزال حبيس المفاهيم الرجعية (التى كونته) . والنتيجه الطبيعية لعدم اقتناعه النظرى او العقائدى ، هو تقديمه عمل دعائى لايمت الى الفن بصلة . بل هو تجن على القيم الاشتراكية لاخدمة لها . وهذا اشد مانخشاه . بمعنى ان الدولة مطالبه بجانب توفير الجانب التطبيقى للفنان ، فينبغى أن يسبق ذلك تمهيد فكرى والتزام نظرى قائم على الاقتناع بالمفاهيم الاشتراكية.

٥ — **كيف يتجه الكتاب ورجال الاعلام للشعب ؟!.** يقول المشروع « ان الهدف الرئيسى لاجهزة الاعلام والثقافة هو مساندة عملية التحول الاشتراكى على الصعيد المادى ».

وانا اخالف العبارة السابقة فى انها لاتنطبق الا على أجهزة الاعلام فقط . اما الثقافة فالمفروض انها لاتساند التحول الموضوعى وحسب وانما هى تشير الى القيم الواجبة الاستقرار فى حياتنا . وانها تمهد الطريق للفكر الذى ينبغى أن يتحول الى واقع ملموس . فهى هنا تشير الى التحول الموضوعى قبل ان تعلق عليه بمساندته . ومن هنا تتضح ضرورة الادب والفن وكافة فروع الثقافة .

●

مناقشة التجارب الثورية فى الوطن العربى وأفريقيا

كتب المواطن حسين عبد الاله على احصائى اجتماعى من الاسكندرية رسالة للطليعة ، يقول فيها :

« .. لى اقتراحان اود ان اوضحهما : **الاول** خاص

بالطليعة . فنحن نريد معالجة موضوعات من الوطن العربى وافريقيا والمشاكل العالمية عن طريق تجنيد كافة العاملين وكافة المعلومات لدراسة وبحث تلك المواضيع وتخصيص اعداد من الطليعة لها . وذلك حتى يكون هناك تفاعل ايجابى بيننا هنا فى مصر وبين ثورات التحرير فى الوطن العربى وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، وان تقوم هذه الدراسات على اساس علمى وبحث مستنير .

اما الاقتراح الثانى فأعرضه كالاتى : نحاول وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وسينما وتليفزيون ، ان تقوم بدورها فى خدمة قضايا الاشتراكية والفكر الاشتراكى. وفى رايى ان اكثر الاجتماعات اهمية ، هى الاجتماعات التى تتم يوميا فى الاماكن التى يمارس فيها الناس اديانهم . واقول — آسفا — اننى اجد بعض رجال الدين يتحدثون بعقلية الماضى . كما اعتقد ان بعضا منهم لم يتفهم بعدحقائق الحاضر .وفى نفس الوقت وجدت البعض منهم يمارس دوره الايجابى فى توعية الناس عن اخطار الاسراف ، وفى قضايا الادخار واهميته ، واخطار الاستعمار ومؤامراته .. الخ، مما سبب لى ارتياحا كبيرا حيث تشارك مثل هذه الاجتماعات فى توضيح رأى الدين فى المشاكل التى يواجهها مجتمعنا ليساهم فى حلها وفى تدعيم بناء مجتمعنا المعاصر . ولذا فانني ارى ان يقوم اختيار رجال الدين وتدريبهم ، على اسس سليمة . كما اقترح عقد ندوات ودراسات اشتراكية لرجال الدين فى موضوعات مختلفة لمعالجة قضايا العصر الحديث. ليسهموا بدورهم الهام فى توعية الجماهير التى تؤم الاماكن الدينيـة .

الطليعة : ان اقتراحك الاول للطليعة . ننفذه فعلا فى كل عدد . حيث يتناول كل عدد دراسة رئيسية عن قضية محددة نعتقد باهميتها ، بعضها — الغالب — يمس واقعنا المحلى ، وبعضها — الاخر — يعالج قضايا عالمية .

●

« المناضل » .. فى السويس

الصحيفة ، او المجلة ، او النشرة ، التى يصدرها الاتحاد الاشتراكى او اى هيئة من هيئاته ، ليست مجرد عملية « اعلام » الجماهير بالمواقف التى عليها ان تتبناها وأن تلتزم بها. وليست مجرد « اعلام » الجماهيربنشاط الاتحاد الاشتراكى .بل تعتقد الطليعة ان هذه الصحيفة او المجلة اوالنشرة تقوم ـبالاضافة الى مهام التوعية والتعريف — بمهمة نضالية فى المستوى الاول. مهمة تنظيمية — فى الاساس — . اى ان تكون اساسا لحوار حقيقى يدور بين اعضاء الاتحاد الاشتراكى وبين الجماهيرحول مختلف القضايا المثارة بقصد معرفة العناصر « المناضلة » خلال العمل السياسى والجماهيرى — والعمل على ضمها — بالاقتناع — الى عضوية الاتحاد الاشتراكى والالتزام به

فى ضوء هذا الفهم العام ، ترحب الطليعة بكل نشرةتصدرها لجان الاتحاد الاشتراكى او احدى هيئاته فى كل مجالجماهيرى. وتأمل — فى الوقت نفسه — ان تلعب دورها فى مجال المهام التنظيمية .

وترحب الطليعة بنشرة « المناضل » التى بعثت بها لجنة محافظة الاتحاد الاشتراكى فى السويس وهى التى تقوم باصدارها فى ١٧ صفحة فولسكاب .

وترى الطليعة انه من المناسب ان تعرض — بلا تعليق — ماجاء بهذه النشرة .

تتخذ « المناضل .. نشرة المناضلين بالسويس من اجل مجتمع الكفاية والعدل » شعارا لها هو كلمة المناضل عبد الناصر حيث يقول « ان الشعب المعلم والقائد امامى وامام الجميع ، يفتح الطريق ويصنع المعجزات » .

وفى صفحتها الاولى تناقش « المناضل » القضية التى طرحتها نشرة « الاشتراكى » التى تصدرها امانة الدعوة والفكر الاشتراكى ، تحت عنوان « نحو وحدةفكرية للمثقفين .» وتدعو « المناضل » فى عرضها القضية ، « المثقفين الثوريين بالمحافظة » .. « الى مناقشة مشروع دستور المثقفين مناقشة واعية ملتزمة تهدف الى ارتباط هذه المجالات بواقع النضال اليومى لجماهير شعبنا » .

وتعرض « المناضل » فى صفحتها الثانية والثالثة « قصة معهد السويس الاشتراكى » وما انجزه من برامج وما يزمع ادخاله على برامجه الدراسية . وتنهى صفحتها الثالثة بنداء وجهته الى المواطنين بأن يمارسوا حقوقهم وواجباتهم الانتخابية بأن يقيدوا اسماءهم فى جداول الانتخابات .

وفى الصفحة الرابعة ، تطرح « المناضل » سؤالا يقول « لماذا ارتفعت الاسعار ؟ » وتحاول فى الصفحة الرابعة والخامسة ان تجيب على هذا السؤال محاولة ان تلقى « قدرا من الوضوح حول هذا القرار الهام » . وانتهت مناقشتها مطالبة « الكادر المثقف » بأن « يزيد الموضوع وضوحا لدى الجماهير عن طريق المزيد من البساطة المقنعة » .

ثم تعرض « المناضل » فى صفحتها السادسة لتجربة« نقابات عمال الزراعة بين الفشل والنجاح » فى السويس .وطالبت فى نهاية هذا العرض . بعدة مطالب (٧ مطالب) بهدف — كما تقول — « ان تقف هذه النقابات على اقدامها » .

وفى الصفحة الثامنةتعرض « المناضل » للمشاكل التى يواجهها الشعب فى السويس ، تحت عنوان « الرغيف الاسود» و « لماذا ينقطع التيار الكهربائى عن السويس ؟ » و« المجارى» وطالبت بالنسبة للرغيف « ان ينال هذا الموضوع اهتمام المسئولين للعمل على تحسين رغيف العيش وخاصة ونحن فى شهر رمضان المبارك » وعن مشكلة قطع التيارالكهربائى لفترة من السويس ، اوضحت « المناضل » بالارقام ماتحتاجه السويس من كيلوات وطاقة التوربينات الحالية والاصلاحات التى تتم بهذا الشأن لادخال توربينات جديدة . تقول المناضل الى مواطنى السويس « .. ومن ثم لايكون هناك مفر من قطع التيار الكهربائى عن السويس لأن طاقة محطة المعمل القديمة لاتكفى حاجة القديمة بينما يكون قد تم الاتصال فى هذه الاثناء محطة السويس القديمة لتشغيلها لتغطية حاجة المدينة نسبيا لحين اصلاح الخلل بالمحطةالجديدةوعودةالتوربينةللعمل»

وتوضح المناضل فى صفحتها التاسعة اهمية « معاهد

الدراسات الاشتراكية » ثم — فى الصفحة العاشرة — تعمل « المناضل » على « القاء الضوء » على الكلمة التى القاها الدكتور ابراهيم سعد الدين فى افتتاح المعهد الاشتراكى بالسويس ، بشأن الدور الطليعى للمعهد الاشتراكى بالسويس

وتحت عنوان « اقطاع فى السويس » تناقش « المناضل » وضعية « المدارس الخاصة » فى السويس والطريقة التى تدار بها ، ثم تقول — فى نهاية العرض — انها تقصد بهذا الحديث « ان تشير الى مدى حاجة هذه المدارس من الرقابة الثورية الحاسمة والاشراف الواعى السليم والتخطيط الاشتراكى الملتزم حتى لاتضيع مصلحة الجماهير ومستقبل الابناء » . وفى آخر نفس الصفحة ، تطلب المناضل من المواطنين ان يبعثوا لها بآرائهم واقتراحاتهم حول مايلمسونه من مشكلات تعوق تحقيق أهداف مجتمعنا .

وتحت عنوان « من الفكر المعاصر » راحت « المناضل » تناقش مفهومى الاشتراكية العربية والتطبيق العربى الاشتراكى . تقول المناضل فى نهاية المناقشة « اننا اذا اطلقنا اصطلاح التطبيق العربى للاشتراكية وقصدنا من ورائه ان الاشتراكية لها جوهر معين وهذا الجوهر واحد ومحل اتفاق بين الجميع مهما اختلفت الاماكن والوسائل . وان هذا الواحد يأخذ صورا متعددة فى التطبيق تبعا لتغاير الظروف الموضوعية ، فان اصطلاح التطبيق العربى للاشتراكية يكون عندئذ اصطلاحا عمليا مفهوما ومقبولا . ولكن . هل معنى هذا اننا نرفض اصطلاح الاشتراكية العربية ؟ بالطبع لا ؟ ان الاشتراكية العربية حتى تكون اشتراكية اصلا يجب ان تؤمن وان تقوم على الاساسين اللذين اشرنا اليهما من قبل . وهما ١ — كون العمل معيار اساسى للتقييم . — ٢ — السيطرة العامة على وسائل الانتاج تمكينا للاساس الاول من أن يتحقق »

ثم تطالب « المناضل » المسئولين فى المحافظة بأن « امنعوا هذه المسرحية » — « شقة للايجار » التى تقدمها فرقة السويس المسرحية . لانها « مسرحية رجعية المضمون » . وتحت عنوان « قراءة اشتراكية » تقدم « المناضل » توضيحها الى « ما المقصود بعلاقات الانتاج ؟ » . وفى آخر صفحات « المناضل » تقدم اخبارا عن وحدات الاتحاد الاشتراكى بالسويس وعن نشاطها واعمالها .

●

وصلتنا الرسالة التالية من الدكتور « جون باساليدس » رئيس حزب اتحاد اليسار الديمقراطى — ايدا — باليونان الى الطليعة بمناسبة بدء العام الجديد .

رسالة رئيس «ايدا» فى بدء العام الجديد للاصدقاء فى الخارج

فى بداية العام الجديد ، وباحساس من الصداقة النابعة من اعماق القلب ، يطيب لى ان اقدم باسم اتحاد اليسار الديمقراطى « ايدا » ، وباسم شعب اليونان الديمقراطى ، التهانى القلبية لجميع الاصدقاء فى الخارج متمنيا لهم السعادة والنجاح ، ولشعوبهم السلام والتقدم فى ١٩٦٦ .

ومع حلول العام الجديد ، تتجه قلوبنا الى شعب فيتنام الباسل ، الذى يشن امبرياليو الولايات المتحدة حربا شاملة ضده ، ونعهد بتشديد النضال لكف يد الغزاة الامريكيين وفرض السلام فى فيتنام

ولقد كان عام ١٩٦٥ عام نضال ومقاومة من جانب الشعب اليونانى لانقلاب القصر ، الذى ساندته الولايات المتحدة ، لمحاولة اقامة الدكتاتورية والفاشية فى بلادنا — مهد الديمقراطية

وخلال المراحل الحاسمة فى هذا النضال ، تأثر حزبنا وكل القوى الديمقراطية فى شعبنا ، بأشكال التأييد والمساندة فقد تعالت احتجاجات ممثلى المبادىء والمثل الديمقراطية ، فى اوربا واجزاء اخرى من العالم ، ضد تطبيق « مبدأ جونسون » فى بلادنا

ومع بداية ١٩٦٦ ، تسرع الامبريالية ، والرجعية اليونانية فى تنفيذ مخططها للحيلولة دون العودة الى الديمقراطية ويفزع القصر ، والعصابة العسكرية ، وكل القوى الفاشية ، وكذلك الامبرياليون ، يفزعون من الانتخابات ومن التعبير الحر والحقيقى عن ارادة الشعب ، ويتزايد خطر الدكتاتورية . ومن نافلة القول التكهن بأن تهديد الديمقراطية فى اليونان يشكل تهديدا للديمقراطية فى اوربا كلها .

ويعمل حزبنا وشعبنا على تدعيم وحدتهما فى النضال ضد خطر الدكتاتورية الفاشية ، والالتفاف حول مطالبه التى اصبحت اكثر الحاحا نتيجة للازمة وتتضمن :

— شجب اى تدخل امبريالى فى بلادنا

— اشاعة الديمقراطية فى كل مجالات الحياة

— التقدم الاقتصادى وزيادة الاجور

— اطلاق سراح المسجونين السياسيين

— اقرار شرعية وجود الحزب الشيوعى اليونانى

— توفير الديمقراطية فى النقابات

— الغاء القواعد العسكرية فى جزيرة كريت

— الاستقلال وحق تقرير المصير لقبرص

— الصداقة وتحسين العلاقات مع البلدان الاشتراكية ، وبلدان الشرق الاوسط ، وافريقيا الخ

ورسالتنا فى بداية العام الجديد ، هى رسالة شعب صمم على استئناف النضال ليسد الطريق على الفاشية والدكتاتورية وليفرض انتخابات حرة واشاعة الديمقراطية . وهى تحمل تهنئتنا وامنياتنا لكم ولشعوبكم فى نضالكم فى سبيل السلم والتقدم ، وتعبر عن امتناننا الاخوى لمساندتكم لشعبنا فى ١٩٦٥ . ونحن متأكدون بأن تضامنكم فى ١٩٦٦ ايضا ، سوف يستمر لنصرة قضيتنا ، قضية محبى السلام والديمقراطية .

وليحمل عام ١٩٦٦ ، انتصارات جديدة للشعوب المناضلة فى سبيل السلام والتحرر الوطنى والتقدم

المخلص
جون باساليدس
الرئيس



كان الوطن العربى والقارة الافريقية مرتع الاستعمار فى تجريب صور متنوعة من الحكم الاستعمارى وأبشعها جميعا الاستعمار الاستيطانى ، الذى عمل على فرضه فى أجزاء متناثرة منهما .. فى فلسطين بواسطة العصابات الصهيونية وفى الجزائر ومراكش وتونس بشمال أفريقيا وفى جنوب أفريقيا وروديسيا والمستعمرات البرتغالية فى أنجولا وموزنبيق بجنوب القارة . وقد نجح مؤقتا فى اقامة حكم الارهاب العنصرى فى بعض هذه المواقع ، وكان آخرها روديسيا .

والجمهورية العربية المتحدة فى تصديها للاستعمار وربيبته الصهيونية، وبحكم المسئولية التى فرضتها ظروفنا تجاه الاخطار التى تهدد الوطن العربى وفى مقدمتها اسرائيل ، هى أقدر البلاد على ادراك أبعاد المؤامرة الروديسية الجديدة وآثارها والسبيل الى حصر خطرها والقضاء عليها فى مهدها .

والطليعة تهدف من تقديم ملف روديسيا القاء الاضواء على واقع وتاريخ المشكلة والقوى المتصارعة عليها وموقف التيارات الدولية المختلفة منها ، ودور الاستعمار فى التمكين للمستوطنين من الوثوب الى السلطة ، وأوجه الشبه بين مؤامرتى روديسيا وفلسطين .

النهب الاستعمارى من رودس حتى سميث

تقع روديسيا الجنوبيـة بين نهر الزمبيزى فى شمالها ونهر الليمبوبو فى جنوبها ، وتحدها من الشمال زامبيا (روديسيا الشمالية قبل استقلالها فى ٢٤ اكتوبر ١٩٦٤) ومن الشرق موزمبيق (مستعمرة برتغالية) ومن الجنوب جمهورية جنوب افريقيا (تحت حكم الاقلية البيضاء بزعامة فيرفورد) ، ومن الغرب محمية بتشوانالاند (تحت الوصاية البريطانية وتحصل على استقلالها خلال العام الحالى)

المساحة والسكان والعاصمة

تبلغ مساحة روديسيا الجنوبية ١٥٠ الف ميل مربع ، ويبلغ عدد سكانها (حسب تعداد ١٩٦٢ حيث لاتتوفر احصائية رسمية بعد ذلك) ٣٫٦٩٠٫٠٠٠ من الافريقيين و٢٢٣٫٠٠٠ من **المستوطنين الاوربيين** ويبلغ عدد الاشخاص من جنسيات اخرى ١٨٫٧٠٠ نسمة (يقدر عدد الافريقيين اليوم بـ ٤ ملايين والمستوطنين بـ ٢٧٠ الفا) ، والعاصمة **سالزبورى** يسكنها (تعداد ١٩٦٢) ٣٠٠ الف نسمة ، **بالاوايو** اكبر مدينة تالية لسالزبورى ، ويسكنها ٢١٠ الف نسمة ، من اهم المدن الاخرى **اوتالا وجويلو** .

التركيب القبلى

ينتمى معظم السكان الى قبيلة **البانتو** التى لاتختلف كثيرا فى لغتها وعاداتها عن قبيلتى الماشونا والمطابيلى . وفى شمال روديسيا الجنوبية تعيش قبيلة الماكوريكور . وفى وسطها تعيش قبيلة الفازيزورو . وفى جنوبها تعيش قبيلة الفاكارانجا وتنتشر قبيلة الباروزوى فى طول البلاد وعرضها ، وتقيم قبيلة الباتونجا على ضفاف نهر الزمبيزى كما توجد قبائل الباكاكا والباسوتو .

اللغات

يتكلم معظم السكان بلغة البانتو ، أما اللغة الرسمية التى فرضها الاستعمار البريطانى وحكومة المستوطنين فهى الانجليزية

التسرب الاستعمارى

لايعرف كثيرا عن تاريخ البلاد قبل القرن الخامس عشر . ويقال انه فيما بين عامى ١٥١٤ و١٥٦٦ نزل ثلاثة من البرتغاليين لاستكشاف المنطقة ولكن لم يعرف مصيرهم . ولمدة ثلاثة قرون بعد ذلك لم يعرف شىء عما يحدث فى البلاد . وبدأ الاوربيون ينزلون الى روديسيا منذ منتصف القرن التاسع عشر وهى الفترة المصاحبة لانكماش تجارة العبيد فى افريقيا نتيجة لاهتمام الدول الاوربية باستغلال المعادن وتصدير الاستثمارات وتسويق مصنوعاتها . وكان **دافيد ليفنجستون** المستكشف الانجليزى اول من توغل فى أواسط افريقيا . فوصل الى نهر الزمبيزى فى ١٨٥١ ثم الى مساقط فيكتوريا فى ١٨٥٥ والى بحيرة نياسا فى ١٨٥٩ . وبدأ الصراع الانجليزى ـ البرتغالى حول عمليات الاستكشاف واحتلال المناطق التى يتم كشفها . وفى هذه الفترة نشط سيسيل رودس (١) فى استكشافه لوسط القارة وبدات تتحقق أهداف رحلاته باكتشاف الذهب فى أرض « الماشونا » . وفى ١٨٨٨ وافق لوبنجولا رئيس قبيلة المطابيلى على توقيع معاهدة مع شركة جنوب افريقيا البريطانية تقوم بمقتضاها بالتنقيب عن الذهب والمعادن الاخرى . وهدفت بريطانيا من توقيع المعاهدة احتفاظها بوثيقة تسمح لها بالوقوف «رسميا» ضد محاولات البرتغاليين للتوغل على حدود المنطقة . وباكتشاف الذهب بكميات كبيرة سعى سيسيل رودس الى اصدار مرسوم ملكى من الملكة فيكتوريا بتاسيس شركة جنوب افريقيا البريطانية فى ١٨٨٩ .

وبسرعة كبيرة ، نظم رودس مجموعة من المستوطنين ارسلتها شركة جنوب افريقيا فى ١٨٩٠ فى حماية ٢٠٠ من رجال البوليس البريطانيين فوق اراضى الماشونا حيث اسس المستوطنون مدينة سالزبورى فى سبتمبر ١٨٩٠ .

وفى ١٨٩١ نجح الالمانى ادوارد ليبارت فى الحصول على موافقة لوبنجولا للتنقيب فى المنطقة عن المعادن . وسارع رودس بشراء الوثيقة التى حصل عليها ليبارت من لوبنجولا . ومن ثم زعم بحق بريطانيا ـ التى اشترت الوثيقة ـ فى بدء توزيع الاراضى وتمليكها للمستوطنين .

وفى ١٨٩٣ تمردت قبيلة المطابيلى ضد عملية توزيع الاراضى وانتزاعها منها . وعرف هذا التمرد «بحرب المطابيلى» . ولم يكن للعصى والسهام التى يحملها رجال المطابيلى القدرة على الصمود امام مدافع «المكسيم» التى يحملها البريطانيون وقابل البريطانيون هذا التمرد بمذبحة عرفت «بمذبحة المطابيلى» قتل فيها ٣ الاف افريقى ، وذبح نصف مليون من الماشية . وتمكن البريطانيون من قتل لوبنجولا بينما كان يحاول الهرب .

وفى ١٨٩٦ ـ ١٨٩٧ قامت قبيلة الماشونا بتمرد مشابه واجه نفس المصير .

وفى ١٨٩٨ اقامت شركة جنوب افريقيا ، حكومة من المستوطنين فى روديسيا الجنوبية . وحصل المستوطنون البيض من ملكة انجلترا على حق انتخاب مجلس تشريعى للمنطقة . وسعى المستوطنون من اجل الحصول على حكم ذاتى لروديسيا تحت سيطرتهم . وفى ١٩٢٣ حصل المستوطنون على الحكم الذاتى لروديسيا واعلن الدستور فى نفس العام .

---

(١) سيسيل رودس واحد من اكبر رجال الاعمال البريطانيين فى ذلك الوقت واحد كبار المساهمين فى شركة جنوب افريقيا للماس . جاء فى خطاب له الى احد أصدقائه فى لندن من اهمية استكشافاته : « ان تطور بلادنا ، يتطلب ضرورة وجود أراض جديدة لاستيعاب واستقرار فائض السكان كما يتطلب ضرورة ايجاد اسواق جديدة للبضائع التى تنتجها المصانع . ان الامبراطورية ، كما كنت اقول لكم دائما ، قضية خبز وزبد . واذا اردتم تجنب حرب اهلية فيجب ان تحتل بلادا اخرى » .

وفى ١٩٣٠ وسع المستوطنون من مساحة الاراضى التى انتزعوها من الافريقيين حتى امتدت سيطرتهم على الاراضى التى تقع فيها كل مناجم المعدين ، اى على نصف مساحة روديسيا تقريبا . واقاموا فى هذه المناطق السكك الحديدية ومهدوا الطرق .

نظام الحكم

منذ ١٩٢٣ اصبحت حكومة المستوطنين تتمتع بحق ممارسة الحكم الذاتى للمستعمرة . وقد احتفظت هذه الحكومة — اثناء فترة اتحاد وسط افريقيا — بالاشراف المحلى داخل روديسيا الجنوبية على شئون الامن الداخلى وتنظيم علاقات الانتاج والادارة والزراعة المحلية والتعليم المحلى وفق نظم انجليزية .

ومارس السلطة التنفيذية فيها — اثناء قيام الاتحاد — حاكم عام (يمثل السيادة البريطانية) يساعده مجلس تنفيذى من ٦ اعضاء .

وتتكون الجمعية التشريعية (البرلمان) من ٦٥ عضوا ينتخبون لمدة خمس سنوات . وبينما يتمتع ٩٠ الف مستوطن (من حوالى ٢٢٥ الف بنسبة ٢٦٪) بحق الانتخاب ، لم يسمح لاكثر من ١٣ الف افريقى (من حوالى ٤ ملايين بنسبة ٣ر٠) بحق الانتخاب ومعظم هؤلاء من شيوخ القبائل والعناصر الموالية لحكومة المستوطنين .

كمايوجد فى روديسيا الجنوبية ٣٦ سلطة محلية ، تتضمن البلديات ، فى المدن والقرى . وتشرف ادارة شئون المواطنين على الشئون الخاصه بالافريقيين فى روديسيا ، وذلك عن طريق سكرتير عن ادارة شئون المواطنين . وتنقسم روديسيا الى ٦ اقاليم تديرها عدة لجان محلية يقع تحت مسئولية كل لجنة منها الاشراف على ٥٢ حى . ومديرو وموظفو هذه اللجان جميعهم من المستوطنين . وهذه اللجان هى همزة الوصل فى العلاقة بين الحكومة والافريقيين .

الجيش

كان الدفاع تابع — فى عهد اتحاد وسط افريقيا — الى المجلس الاتحادى ولم يكن لروديسيا فى هذه الفترة ، قوات عسكرية منفردة .

ويبلغ عدد قوات الجيش اليوم فى روديسيا ١٥ الف جندى وضابط . وتعتمد فى تسليحها على الاسلحة البريطانية والالمانية الغربية . ولديها قوات من الطيران تفوق مثيلاتها فى زامبيا ومالاوى . ويتكون الجيش من ٧ فرق ٤ منها افريقية تحت قيادة المستوطنين و٣ فرق — لها نظمها وحياتها المختلفة — من الاوروبيين .

الاقتصاد

شهد اقتصاد المستعمرة تطورا ملحوظا بعد الحرب العالمية الثانية . بعد ان كان يعتمد بشكل اساسى على انتاج المعادن والمحاصيل الزراعية . وتطور الانتاج الصناعى بعد ذلك بشكل كبير عن اى قطاع اخر . وتنتج روديسيا كميات كبيرة من الذهب والفحم والاسبستوس والكروم والحديد . وقد تطورت وسائل المواصلات فى المستعمرة بنفس الدرجة من التطور الذى بلغته الصناعة . وتنتج المستعمرة طاقة كهربائية — من سد كاريبا — تبلغ ٦٠٠ مليون ميجاوات . وتكلف بناء هذا السد — بقروض من البنك الدولى على حساب بريطانيا — ماقيمته ١١٣ مليون جنيه استرلينى .

الصناعة

بلغت قيمة الانتاج الصناعى فى اعوام ١٩٥٧ — ٥٨ ، ٢ر٤٣ مليون جنيه استرلينى . وكانت قيمته فى ١٩٣٨ ، ٣ر٢ مليون جنيه استرلينى وفى ١٩٤٦ — ٤٧ ، ٦ر٧ مليون جنيه استرلينى وبلغ اجمالى الانتاج ٥ر١٠١ مليون جنيه استرلينى فى عام ١٩٥٦ بمقارنته بعام ١٩٣٨ الذى بلغ فى ٥ر١ مليون جنيه استرلينى .

ومنذ الحرب الثانية ادخلت صناعة المنسوجات القطنية والصناعات الهندسية والمعدنية . ثم اقيمت الصناعات الغذائية القائمة على انتاج اللحوم . وكذلك صناعة الدخان والملابس والمنتجات الكيماوية وصناعة الخشب والاثاث .

الزراعة

تنتج الاراضى الخصبة التى يسيطر عليها المستوطنون ، اهم حاصلات روديسيا الجنوبية . وتنتج هذه الاراضى بشكل رئيسى الدخان (قدر فى ١٩٦٢ بحوالى ٨ر٢٨٠ مليون رطل . بلغت قيمته ٦ر٣٣ مليون جنيه استرلينى) كما تنتج القمح والشاى والقطن والبطاطس وقصب السكر .

اما الاراضى التى يزرعها الافريقيون : القمح والقطن والارز وبعض الحبوب الاخرى كحب العزيز .

ومن المعروف ان نسبة الارض التى يملكها الاوربى (فى المتوسط العام بعد انتزاع الارض من الافريقيين) تبلغ ١٥٠٠ فدان . بينما يبلغ نصيب الافريقى (فى المتوسط العام) ٩ افدنة .

الماشية والاسماك

تنتشر تربية الماشية فى روديسيا . حيث يبلغ عددها حوالى ٤ ملايين رأس من الاغنام والخنازير والماعز وعليها تقوم صناعة اللحوم والجبن . ويقدر انتاج اللحوم (١٩٦٢) بحوالى ٣ ملايين رطل . ويبلغ انتاج صناعة الجبن (فى نفس العام) حوالى ٢ مليون رطل .

اما الاسماك ، فيبلغ صيدها حوالى ٢٧ الف طن فى العام . تنتج منها صناعة لحوم الاسماك حوالى ٨ الاف طن سنويا لتصديرها .

الاخشاب

تقوم عمليات انتاج الاخشاب حول مساقط فيكتوريا على نهر الزمبيزى وتبلغ كمية انتاجها السنوى ٢ مليون قدم . وتبلغ كمية الانتاج الكلى للاخشاب فى روديسيا حوالى ٥ ملايين قدم سنويا من الخشب الصلب . وقد بلغ انتاج روديسيا بعد الحرب العالمية الثانية ، من الاخشاب ٨ ملايين طن من خشب صلب واخشاب خفيفة تنتجها غاباتها ايضا .

التعدين

كانت مناجم روديسيا تنتج الذهب بشكل رئيسى للتصدير حتى قبل الحرب العالمية الثانية . ومنذ الحرب الثانية زاد

انتاج الاسبستوس والكروم بشكل مطرد . وتعتبر روديسيا ثالث دولة فى العالم من حيث انتاج الكروم ، اذ يستخرج منها ١/٥ الانتاج العالمى . وروديسيا هى المنتج الاول للاسبستوس فى العالم .

وتنتج روديسيا من الفحم والزنك والكوبالت بكميات ضخمة كما تنتج النحاس وان كانت بكميات اقل كثيرا من انتاج حزام النحاس فى روديسيا الشمالية (زامبيا) .

وقد بلغت قيمة انتاج المعادن فى ١٩٦١ ، حوالى ٢٧٫٥ مليون جنيه استرلينى . قيمة انتاج النحاس منه ٢٫٥ مليون جنيه والذهب ٧ ملايين من الجنيهات فى عام ١٩٦١ .

وفى ١٩٦٢ بلغت كمية انتاج الذهب ٥٥٥ الف اوقية ومن الاسبستوس ١٤٢ الف طن ومن الكروم ٥٠٧ الف طن ومن الفحم ٣ ملايين طن .

التجارة الخارجية

وتتجه معظم صادرات وواردات روديسيا الجنوبية ، مع بريطانيا وجنوب افريقيا والمانيا الغربية والولايات المتحدة وايطاليا والهند واليابان وفرنسا وزامبيا ومالاوى والبرتغال .

ويوضح الجدول التالى مجموع صادرات وواردات روديسيا بملايين الدولارات :

الصـــادرات		الواردات	
الى دول الكومنولث	٢٠٨٫٤	من دول الكومنولث	١٢٩٫٦
لبريطانيا	٦٤٫٤	منها من بريطانيا	٨٠٫٦
لزامبيـــا	٩٢	من باقى دول العالم	٢٤٠٫٦
لمـــلاوى	٢٧٫٦	من الولايات المتحدة	١١
الى باقى دول العالم	١٩٦٫٢		
المجموع	٥٨٨٫٦	المجموع	٣٨١٫٢

البنوك وشركات التامين

يقوم «بنك روديسيا» مع وزير الثروة بالرقابة على الاعمال النقدية والتبادلية . وفى روديسيا عدة بنوك للارض وللزراعة ويوجد خمس بنوك للتجارة وهى : بنك باركليز والبنك العثمانى وبنك ستاندرد لجنوب افريقيا ولكل منها عدة فروع فى انحاء روديسيا . والمكاتب الرئيسية لهذه البنوك ، فى لندن . وهناك بنكان للتجارة الداخلية .

ويوجد فى روديسيا ٩٠ شركة تامين ومعظمها بريطانية وامريكية ومن جنوب افريقيا .

الدخل القومى

لم تتوفر — للاسف — اية احصائيــة حديثــة عن الدخل القومى الحالى فى روديسيا الجنوبية . وبالرجوع الى الاحصاء السنوى لعام ١٩٦٤ الطبعة ١٦ التى صدرت عن الامم المتحدة عام ١٩٦٥ ، تبين ان الدخل القومى فى عام ١٩٦٣ قــد بلغ ٢٩١٫٢ مليون جنيه استرلينى .

اما عن الاســتثمارات الاجنبيــة فى روديسيا فلم يذكر اى مصدر توفر لدينا — بما فيه مصادر الامم المتحــدة — نسبة الاستثمارات الاجنبية فى روديسيا ، وان قيل ان لبريطانيــا وأمريكا والمانيا الغربية وفرنسا وغيرها من الدول الغربية عددا من الاستثمارات فى روديسيا . ولم تذكر احصـــائيات الامم المتحدة سوى نسبة استثمارات كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا فى افريقيا كلها .

وقد بلغت فى ١٩٦٢ : امريكا (٩٢٩ مليون دولار) وبريطانيا (٢٢٧ مليون دولار) وفرنسا (١١٤٥ مليون دولار) .

التعليم

يقوم التعليم على أساس نظم التعليم الانجليزى واللغــة الانجليزية هى اللغة الرسمية . وهناك التعلم الابتدائــى والثانوى ثم المعاهد او الجامعة . وفى ١٩٦٢ بلغ عدد الاطفال الاوروبيين فى المدارس الحكومية ٤٥٫٥٩٦ طفل بالاضافة الى ٥٫٦٨٧ طفل فى المدارس الخاصة . اما الاطفال الافريقيين والاسيويين فقد بلغ عددهم فى ١٩٦٢ ايضا فى المدارس الحكومية ٥٦٨٤ طفلا وفى المدارس الخاصة ١٣٤١ طفلا .

وفى جامعة روديسيا التى انشئت عام ١٩٥٧ وكانت تسمى بجامعة روديسيا ونياسالاند ، يتلقى العلم فيها ٢٤١ اوروبيا و٧٤ أفريقيا و١٥ أسيويا .

ارهاصات الحركة الوطنية

بدات الحركة الوطنية فى صورتها الجنينية فى صورة تمرد ومقاومة للاجانب ونضال ضد سيطرة الاستعماريين وكفاح وعصيان ضد قوانين الضرائب الجائرة وأعمال السخرة .

واية دراســة لهذه المرحلة لابد وأن تشير الى مايسميه هودجكين فى كتابه (الاحزاب السياسية فى افريقيا) بحركة « الانبياء والقسس » . فقد قام ماعرف بحركة « موانااليزا » فى العشرينات من القرن العشرين فى روديسيا الشمالية ، وامتد نشاطها الى روديسيا الجنوبية . ونتج عن هذه الحركات الدينية، تزايد الاحساس باهمية اقامة كنائس افريقية مستقلة . وقد تعرض الوعاظ الافريقيين فى روديسيا الذين شاركوا فى هذه الحركات والذين كانوا يقومون بالقاء المواعظ على ابناء بلادهم تعرضوا للاضطهاد والتنكيل بهم بسبب ماكانت تحويه مواعظهم من تعاليم تدعو الى المساواة بين الناس وعدم الرضا بالظلم والظالمين .

وكان وراء الدعوة لاقامة كنائس خاصة بالافريقيين ، ماهو أكثر من مجرد الرغبة فى اقامة مكان للعبادة خال من سيطرة البيض . يقول هودجكين «وفى الواقع ان الكنائس الافريقية المستقلة كانت غالبا ماتتيح المجال للنشاط السياسى بشكل مباشر» . ووضعت بذلك «اجنة» المنظمات السياسية الوطنية فى روديسيا . وقد سعى الاستعماريون الى محاولة السيطرة على هذه الهيئات الدينية وتوجيهها . ونجح فعلا فى التسرب الى بعض هذه الهيئات . ولكنها على اية حال ساهمت بكل تاكيد فى توحيد شعب روديسيا فى صورة تنظيمية مهما كانت بدائية وبسيطة .

وبعد الحرب العالمية الاولى وبتاثيرها كاحد العوامل ، تاسس فى روديسيا «الهيئة الوطنية لروديسيا الجنوبية» ومنها ولد مؤتمر البانتو فيما بعد الى ان انتهت هذه المنظمات بعد فترة غير

طويلة . وبتاثير من نجاح اتحاد العمال فى جنوب افريقيا ، اقيم فى روديسيا الجنوبية « الاتحاد الصناعى والتجارى » وانتهى مع المنظمات الاخرى بعد ذلك الى ان عادت الى الظهور من جديد بعد الحرب العالمية الثانية .

اتحاد وسط أفريقيا وتطور الحركة الوطنية

تشكل اتحاد روديسيا ونياسالاند عام ١٩٥٣ (وعرف باتحاد وسط افريقيا) ،وذلك بتوحيد ثلاث مستعمرات بريطانية هى : روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ونياسالاند . وذلك كجزء من مخطط الاستعمار البريطانى لتوحيد مستعمراته فى افريقيا الوسطى . (٢) والغرض الاساسى من ذلك المخطط هو تدعيم مركز المستوطنين البيض فى روديسيا الجنوبية ليمتد الىنياسالاند وروديسيا الشماليةوتوفير ظروفاكثر ملائمةللشركاتوالاحتكارات الغربية فى وسط افريقيا ، لاستغلال الثروات الضخمة فى هذه المناطق التى تساوى مساحتها الكلية مساحة بريطانيا وفرنسا وايطاليا والمانيا الغربية مجتمعة .

وقد نتج عن تكوين هذا الاتحاد ، خطر قيام حكومة عنصريه جديدة فى افريقيا الوسطى على نمط حكومة الاقلية العنصريه فى جنوب افريقيا . وقد عرقل تشكيل هذا الاتحاد ، تطور الحركة الوطنية وكفاح الافريقيين من اجل الاستقلال خاصه فى روديسيا الشمالية ونياسالاند حيث برز خطر جديد بامتداد نفوذ المستوطنين بارهابهم العنصرى اليها بينما لم تكن هـذه المشكلة قائمة فيهما . وقد تم تكوين الاتحاد دون اخذ راى الافريقيين ورغما عنهم حيث وجدوا انفسهم امام الامرالواقع

ففى ٢٧ يونيو ١٩٥٣ صدر مرسوم ملكى من ملكة بريطانيا بتوحيد المناطق الثلاث . وفى بداية سبتمبر من نفس العام اصبح دستور اتحاد وسط افريقيا نافذ المفعول . واصبح «المجلس الاتحادى» اعلى هيئة تشريعية . وضم هذا المجلس ٥٩ عضوا منهم ٢٩ من روديسيا الجنوبية ، ١٩ من روديسيا الشمالية ، ١١ من نياسالاند ، معادمهم من وضع المستوطنين البيض فى روديسيا الجنوبية .

ومن خلال صراع الوطنيين ضد الاتحاد الفيدرالى ، نشا ونما **حزب المؤتمر الوطنى الافريقى** الذى تاسس فى سبتمبر ١٩٥٧من الاعضاء السابقين **«للهيئةالوطنية لروديسيا الجنوبية»** التى تكونت بعد الحرب العالمية الاولى . وكان **جوشوانكومو** رئيسا للحزب **وجورج نياندورو** سكرتيرا عاما . وقد حرم الحزب وحل وقبض على زعمائه فى ١٩٥٩ .

وقد شدد المؤتمر الوطنى من نضاله ضد الاتحاد والنتائج السيئة التى ترتبت عليه . واضطرت بريطانيا امام كفاح الحزب الى ادخال عدد من الافريقيين الى المجلس الاتحادى .

وبعد الانتخابات التى اجريت فى دول الاتحاد ، فى نوفمبر ١٩٥٨ ، والتى شكلت بمقتضى نتائجها حكومة جديدة برئاسة **روى ويلنسكى** ، اعلنت حكومة ويلنسكى انها تنوى ان تطرح امام الحكومة الانجليزية عدم رغبتها فى توسيع الحقوق السياسية للافريقيين .

وفى ١٩٥٩ تزايدت الحركة الوطنية قوة نتيجة لأعمالحكومة الاتحاد قوانين الارهاب والاعتقال وحل هيئاتها واحزابها الوطنية .وقامت مظاهرات جماهيرية شجعت الوطنية على القيام بمحاولة للاستيلاء على احد المطارات وقامت المظاهرات بسد الطرق المؤدية الى المطار بقطع الاشجار لاعاقة وصول القوات البريطانية اليه . وطالب المؤتمر الوطنى «بحل الاتحاد فورا» والافراج عن المعتقلين «وتطالب [illegible] الدولة تحت سيطرة الافريقيين [illegible] .

وبعد حل المؤتمر الوطنى فى١٩٥٩، تشكل **الحزب الديمقراطى الوطنى** عام ١٩٦٠ . وسرعان ماحل الحزب الديمقراطى ايضا واعتقل زعماؤه وقدموا الى المحاكمه بتهمة «مزاولة نشاط المنظمات الممنوعه» . واحتجاجا على اعتقال ومحاكمة زعماء الحزب الديمقراطى الوطنى (نكومو رئيس الحزب وايترس تكالا سكرتيره العام) قامت فى سالزبورى وبولاوايو اجتماعات سياسية ومظاهرات كبيرة استخدم البوليس الرصاص فى تفريقها وقتل كثير من الافريقيين فى هذه الاضطرابات حتى اضطرت السلطات بقصد تهدئة الجماهير — الى الافراج بكفالة عن بعض زعماء الحزب مثل موريون مالبانجا ومايكل مفيما .

واضطرت بريطانيا — تحت ضغط الحركة الوطنية فى دول الاتحاد الثلاثة — ان تعقد فى لندن فى ديسمبر ١٩٦٠ مؤتمرا لاعادة النظر فىدستور الاتحاد . وتشكلت لجنه لدراسةالاوضاع داخل دول الاتحاد . ورفعت اللجنه تقريرها الذى ذكرت فيه « ان الافريقيين فى المناطق الثلاثة يطالبون بحل الاتحاد » .

وفى ١٢ ديسمبر أدلى زعمـاء الحركة الوطنيه فى الدول الثلاثة ، **هاستنجزباندا** (نياسالاند) **وجوشوانكومو** (روديسيا الجنوبيه)، **وكينيثكواندا** (روديسياالشمالية)، ببيانمشترك شرحوا فيه اسباب امتناعهم عن مواصلة الاشتراك فى مؤتمر لندن وكانوا قد مثلوا فيه بلادهم : «اننا نعتبر انه من غير المجدى الاستمرار فى اشتراكنا فى مؤتمر حول قضية الاتحاد الذى ينوى المستوطنون الابقاء عليه باصرار برغم معارضة الافريقيين المعروفة جيدا . واننا متاكدون من ضرورة حل اتحاد روديسيا ونياسالاند . وعازمون بحزم على تحقيق ذلك» . وعقدتلندن مؤتمرا آخر حولمستقبل الاتحاد بعد فشل المؤتمر الاول . ونوقش فيه قضية اجراء تعديلات دستورية .واذاعت الحركات الوطنية فى الدول الثلاثة بيانات تطالب فيها بحق الافريقيين فى الانتخاب العام وفق مبدأ **«الصوت واحد للشخص واحد»** . وانتهى المؤتمر الى بعض التعديلات الدستورية التى رفضتها الحركات الوطنية الثلاثة ، فانتهى المؤتمر فى فبراير ١٩٦١ بالفشل .

وفى انتخابات ١٩٦١ التى اجريت فى نياسالاند فاز حزب مؤتمر مالاوى باغلبية ٩٠٪ من الاصوات وهو الحزب الذى قاد معركة الانفصال عن الاتحاد . مما اضطر بريطانيا فى ١٩٦٢ الى اعلان انها ستمنح نياسالاند الاستقلال . وفى ١٩٦٣ حل الاتحاد .

وتحت ضغط الحركة الوطنية فى روديسيا الشماليةاضطرت بريطانيا الى تغيير دستورها . كما اضطرت امام كفاحالوطنيين الافريقيين فى روديسيا الجنوبية الى وضعدستور جديد فى ١٩٦١ الذى نص على ادخال ١٥ أفريقيا الى البرلمان . وقد منح هذا الدستور الجديد لحكومة روديسيا الجنوبية حقا اوسع من ذى قبل فى ادخال تغييرات على الدستور المحلى لروديسيا مما فتح الباب واسعا امام تفاقم سياسة التمييز العنصرى فى البلاد . ولهذا عارض الوطنيون هذا الدستور معارضة شديدة . وفى اكتوبر ١٩٦١ اتخذ الحزب الديمقراطى الوطنى قرارا بمقاطعة الانتخابات المزمع اجراؤها فى اكتوبر ١٩٦٢ . واعلن نكومو زعيم الحزب ان دستور ١٩٦١ «لن يطبق الا على جثثنا» ولهذا اصدرت الحكومة قرارها بمنع وتحريم الحزب .

ولميبق منالاحزاب فىروديسيا سوىحزبين يمثلان المستوطنين البيض . وهما : حزب «جبهة روديسيا» بزعامة ايان سميث ، وهو حزب متطرف فى رجعيته يغلب على تنظيمه الملامحالفاشستية ثم حزب « روديسيا المـــتحدة » الذى كان يرأســـه روى ويلنسكى قبل استقالته فى ١٩٦٣ .

(٢) قدمت مشروعات خطط مشابهة قبل الحرب العالمية الثانية الا ان الحكومة الانجليزية آنذاك اعتبرت ان هذه الخطوة سابقة لاوانها .

وفى ظل اجراءات الارهاب والاعتقال ، جرت فى ديسمبر ١٩٦٢ الانتخابات فى روديسيا . ففاز فيها حزب «جبهة روديسيا » الذى حصل على ٣٥ مقعدا ويضم هذا الحزب المستوطنين من كبار الملاك والراسماليين .

وانتهجت الحكومة الجديدة التى راسها ونستون فيلد سياسة البطش بالحركة الوطنية والزج بكل من يعارضه الى السجن . ولكن ذلك لم يحل دون تنامى الحركة الوطنية فى عام ١٩٦٣ من أجل الغاء اتحاد روديسيا ونياسالاند .

وفى صيف ١٩٦٣ عقد فى روديسيا الجنوبية مؤتمرا برئاسة الوزير البريطانى بتلر ، الذى اعترف فى المؤتمر بتعذر الابقاء على الوجود المصطنع لاتحاد وسط افريقيا . وحدد المؤتمر يوم ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ موعدا لالغاء الاتحاد . وكان هذا القرار بمثابة نصر للحركات الوطنية فى روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند .

وبينما نجحت كل من زامبيا (روديسيا الشمالية) وملاوى (نياسالاند) من تحقيق الاستقلال فى يوليو واكتوبر من عام ١٩٦٤ ، قامت فى ابريل ١٩٦٤ حكومة جديدة فى روديسيا بعد ان اجبر الجناح الرجعى المتطرف فى حزب جبهة روديسيا ، اجبر فيلد على الاستقالة لانه لم يخطو الخطوات التى تسير بالبلاد فى طريق اعلان استقلالها تحت حكم الاقلية البيضاء حتى وان عارضت بريطانيا . وجاء هذا الجناح المتطرف ، بوزير المالية السابق ، ايان دوجلاس سميث الذى اعلن فور توليه الحكم انه لن يسمح للافريقيين بأى نصيب فى ادارة البلاد . ومنذ تولى سميث الحكم وهو لايخفى انه جاء بهدف اعلان استقلال روديسيا من جانب واحد . وفعلا ، اعلن ايان سميث فى ١١ نوفمبر من عام ١٩٦٥ «استقلال روديسيا» تحت سيطرة الاقلية العنصرية البيضاء .

زمبابوى .. " أن تكون أولا تكون "

اذا استمر الوضع الحالى فى روديسيا والقائم على اساس حكم الاقلية العنصرية البيضاء ، فسوف يؤدى الى انفجار حاد بين حركة التحرر الافريقى وبين الاستعمار الجديد — لافى حدود روديسيا وحدها ، وانما فى بقية الجيوب العنصريةفى جنوب القارة باسره وبمؤازرة الدول التى تحررت من الاستعمار .. فقضية التحرر فى افريقيا واحدة وترتبط حلقاتها بعضها البعض ، فمجرد استمرار السلطة فى ايدى الاقلية البيضاء ، يشكل تهديدا خطيرا كما ان لجميع القوى الوطنية والمتحررة فى القارة الافريقية فالاستعمار يدعم قواعده فى جنوب القارة بصفة خاصة معتمدا على المستوطنين البيض فى جنوب افريقيا وجنوب غربها وممتددا قبضته على الكونجو وناشبا مخالبه فى انجولا وموزامبيق وهو فى تحركه المعادى فى روديسيا الجنوبية يوسع منقاعدة ارتكازه فى جنوب القارة عاملا على الانتشار شمالا

لقد بات مؤكدا ان ايان سميث — رئيس حكومة الاقلية البيضاء — لم يكن يغامر بلا سند عندما هدد باعلان استقلال روديسيا تحت حكم البيض ونفذه بالفعل . كذلك عندما لم يضع اعتبارا لانذارات الامم المتحدة وبريطانيا — التى تدعم حكمه عمليا — ومنظمة الوحدة الافريقية ، لانها (اى الانذارات) كانت ، فى تصوره ، لايمكن تنفيذها . ومن ثم وضع الرأى العام العالمى امام الامر الواقع مستفيدين فى ذلك الى تجربة فيرفورد فى جنوب افريقيا ، مستندين اليها .

واستطاع سميث — مستندا الى التأييد العملى من جانب بريطانيا وحلفائها — ان يثير مشاكل جانبية استحوذت انتباه الرأى العام العالمى والافريقى وشغلته ، بهدف تمييع الموقف ومحاولة تثبيته عند الحدود التى انتهى اليها . ومن امثلة هذه المشاكل الجانبية ، الايهام بأن الخطر الاساسى الذى يمثله حكم العنصريين فى روديسيا ، يكمن فى تهديد سيادة واستقلال الدول المجاورة (كزامبيا مثلا) ، مما يستلزم ضرورة حمايتها .

وصحيح ان هذا الخطر قائم ، ولكن الاستعماريون والعنصريون نجحوا فى ان يتحول حكم الاقلية البيضاء فى روديسيا من متهم الى طرف فى نزاع . وبدى الموقف كما لو ان القضية قد تحولت من « حق شعب روديسيا فى الاستقلال الحقيقى » ، الى قضية « حماية زامبيا » . ففرض على حركة التحرر الافريقى ان تواجه من موقع الدفاع لا الهجوم .

وتحدى المستوطنين البيض فى روديسيا باعلان الاستقلال من جانبهم ، موجه بشكل اساسى لمنظمة الوحدة الافريقية باعتبارها رمزا ومبيرا لوحدة حركة التحرر الوطنىفى افريقيا. فهو لايهدد الحركة الوطنية فى روديسيا وحدها وانما يهدد — ايضا — الحركات الوطنية فى انجولا وموزمبيق وجنوب غرب وجنوب افريقيا ويهدد استقلال زامبيا (روديسيا الشمالية) وملاوى (نيا سالاند) .

الاستعمار يجس النبض

وتحاول الصحافة الغربية — والبريطانية بشكل خاص — ان تعلق جريمة استقلال روديسيا تحت حكم الاقلية العنصرية ، فوق اكتاف حكومة ايان سميث وحدها . ولكن نظرة متأنية وفاحصة للظروف التى اعلن فيها دستور ١٩٦١ — بذور اعلان الاستقلال من جانب واحد — توضح بشكل كاف ابعاد المخطط الاستعمارى الذى رسمت تفاصيله فى اماكن متعددة غير سالزبورى (عاصمة روديسيا) ولم تكن لندن هى الشريكة الوحيدة فيه .

ففى عام ١٩٦٠ — الذى يطلق عليه عام الاستقلال فى افريقيا — حصلت ١٧ دولة افريقية على استقلالها السياسى . وتهيأت الاوضاع فى عدد آخر من دول القارة التى لم تكن قد استقلت بعد ، لان تنال حريتها السياسية . وبدى اواخر عام ١٩٦٠ واوائل عام ١٩٦١ وكأن القارة تصفى الحكم السياسى للاستعمار وتأخذ بيدها زمام الحكم فيها . ولقد كان استقلال

الكونجو (ليوبولد فيل) في عام ١٩٦٠ ، تحت قيادة المناضل الشهيد باتريس لومومبا ، انذار خطر داهم على الوجـود الاستعماري في القارة . واكد ذلك الخطر - بشكل خاص - السياسة التحررية التى انتهجها لومومبا على راس حكومته . فادرك الاستعماريون ان رحيلهم النهائي على وشك ان يتم . ومن ثم فان مصالحهم الاقتصادية باتت مهددة بالانهيار . ولما كان الاستعمار قد منى بهزائم متتالية في مواجهة الثورة الوطنية المنتصرة في شمال القارة وفي مصر بشكل خاص على اثر فشل العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ وبداية اتجاه الثورة في مصر الى العمل على توثيق العلاقات بغانا وغينيا وما نتج عن ذلك من تأثير على حركة التحرر الافريقي ، عندئذ سارع باعادة صياغة تاكتيكاته بعد ان بدى على وشك ان يفقد وسط القارة ايضا وراح يستميت من اجل المحافظة والسيطرة على جنوب القارة كموقع استراتيجي اخير . وبدأ - في تاكتيكه الجديد - ضرب الثورة الوطنية في الكونجو بتشجيع عوامل الانفصال وتدبير انقلاب ضد لومومبا . وفي نفس الوقت راح يدعم من سيطرته على جنوب القارة .

في ضوء هذه الظروف ، يجب ان نقيم دستور ١٩٦١ الذى اعلنه سميث في روديسيا . هذا الدستور الذى مكن - بنظمه ونصوصه - من ان ينفذ العنصريون - بمساندة الاستعمار - المؤامرة من جانبهم ، باعلان الاستقلال .

ولقد كان الاستعماريون والعنصريون البيض في روديسيا اذكى من ان يواجهوا الشعور الوطني الملتهب في انحاء القارة ضد تطورات الاحداث في الكونجو ، بضربة مباشرة وحادة اخرى في جنوب القارة . ومن هنا كان دستور ١٩٦١ كمحاولة « لجس النبض » ومعرفة رد الفعل . وقد استمرت عملية « جس النبض » - في اطار عدد من المناورات المختلفة - حتى عام ١٩٦٥ .

لقد سعت بريطانيا ، منذ بدأت الاقلية البيضاء تهدد باعلان استقلال روديسيا تحت حكمها عن بريطانيا الدولة المسئولة دوليا عن مستعمرة روديسيا ، الى افتعال سلسلة من المباحثات والمناقشات وحملات الهجوم المتبادلة مع حكومة سميث ، بهدف ان يبدو الصراع حول مشكلة روديسيا كما لو كان « مسالة داخلية » بين الدولة المستعمرة وحكومة الدولة المستعمرة . وطوال مايزيد على العامين ، دارت المفاوضات بين حكومة بريطانيا ، عن طريق وزيرها للكومنولث ، وبين حكومة سميث . وقد شبهت الصحافة البريطانية - وقتها - هذه المفاوضات « بضابط البوليس الذى يحاول التفاهم مع لص يهدده بالقائه من اعلى المبنى » .

وقد مرت « لعبة » حكومة بريطانيا ، بمرحلتين . الاولى وتتميز بتصريحات المسئولين البريطانيين - في الظاهر - بانها ضد اعلان الاستقلال تحت حكم الاقلية البيضاء . ثم انتقلت الى مرحلة اخرى باتت تتجاهل فيها تهديدات سميث باعلان الاستقلال من جانب واحد ، وتكتفي باعلان حرصها (!) على ان يعمل سميث (بعد الاستقلال) على تمكين الافريقيين من تولى زمام حكم روديسيا على مراحل . وكان في ذلك اشارة - غير مباشرة - الى تسليمها باعلان استقلال الاقلية العنصرية . ومما يثير الدهشة ان تدخل الحكومة البريطانية في (مفاوضات) مع سميث لمدة عامين ، تصرح خلالها برفضها اهداف سميث ، بينما كان في مقدورها - باعتبارها الدولة المسئولة عن المستعمرة - ان توقف العمل بدستور ١٩٦١ وان تقيم مؤتمرا دستوريا يشترك فيه وطنيو روديسيا الافريقيين بشكل رئيسي لتمكين شعب روديسيا من ممارسة حقوقه الشرعية في استقلال بلاده وحكمها بنفسه .

ولم تكتف الحكومة البريطانية بذلك فقط ، بل حرصت طوال مفاوضاتها مع سميث على التأكيد بانها لن تستخدم القوة ضده اذا نفذ تهديده باعلان الاستقلال من جانب واحد . وراحت تهدد بانها لن تقبل من اية دولة ان تتدخل باستخدام القوة ضد حكومة الاقلية البيضاء والا اعتبرت ذلك « اعتداء وتدخلا في شئونها الداخلية ومسئولياتها الخاصة . » وراحت بريطانيا تطالب الدول الافريقية بان تترك لها الامر لتحله « بطريقتها الخاصة » التى لم تكن في النهاية ، سوى العمل على التمكين لحكم الاقلية البيضاء وتدعيم سيطرتها على شعب روديسيا .

ان الظروف المحيطة باعلان استقلال حكومة سميث بالفعل ، توضح كيف ان هذه الخطوة ، لم تكن سوى جزء من مخطط استعماري مضاد وكامل ضد حركة التحرر الافريقي : -

● جاء اعلان استقلال الاقلية البيضاء في اواخر عام ١٩٦٥ الذى شهد عددا من الهجمات الاستعمارية المضادة للثورة الافريقية على طول القارة وعرضها . ففي كينيا شن الجناح المحافظ في حزب الكانو (الحزب الحاكم) هجوما عنيفا ضد الجناح التقدمي في الحزب ، اقل ما يمكن ان يوصف به أنه كان تجميدا - موقتا - لحركة تطور ثورة كينيا الوطنية نحو آفاق اكثر عمقا واتساعا . وفي تنزانيا تكالبت العناصر الاستعمارية والرجعية على العمل التخريبي في محاولة لاسقاط حكومة جوليوس نيريري الوطنية . كما سعت القوى الاستعمارية الى اشاعة بذور التفرقة والخلاف بين دول شرق افريقيا (تنزانيا ، كينيا ، اوغندا) مما اثر على تطور اتجاهاتها نحو الوحدة ، بل بات اشكال الاتحاد والتنسيق الاقتصادي الذى كان قائما بينها ، مهددا بالانهيار . وفي غرب افريقيا فرض الاستعمار حصارا اقتصاديا ضد الدول التحررية في غانا وغينيا ، سبب لها متاعب اقتصادية حادة . وفي السودان نجحت عملية تفتيت الوحدة الوطنية التى قادت ثورة ٢١ اكتوبر .

● جاء الاستقلال من جانب الاقلية البيضاء ، بعد ان تم توجيه ضربة حادة انتكست - بسببها - الثورة الوطنية في الكونجو .

● تم الاستقلال في وقت تعاني فيه البرتغال تزايد واتساع الحركة الوطنية في انجولا وموزمبيق ليؤمن للاستعمار البرتغالي حدود المستعمرين مما يعرقل امكانيات الثورة الوطنية المسلحة في المستعمرات - بشكل موقت .

● فضحت الدول الافريقية في المحافل الدولية وفي عدة اجتماعات تابعة لمنظمة الوحدة الافريقية في ١٩٦٥ ، المساعدات والتسهيلات التى تلقاها حكومة جنوب افريقيا العنصرية من دول الغرب الاستعمارية رغم قرارات الامم المتحدة بمقاطعتها . ووجدت حكومة فيرفورد في قيام حكم عنصري مماثل لها في روديسيا سندا جديدا لاستمرار بقائها .

● جاء تهديد سميث باعلان الاستقلال من جانب واحد بشكل نهائي ، عشية اجتماع مؤتمر القمة الافريقي الثالث في اكرا في اواخر اكتوبر الماضي ، كتحد لمنظمة الوحدة ومحاولة لاظهارها في وضع العاجز الذى لا يقوى على مواجهة الاعمال الرامية الى تحطيمها .

حكم البيض والمستقبل الاسود

في ١١ نوفمبر ١٩٦٥ اعلن ايان سميث رئيس حكومة الاقلية العنصرية في روديسيا ، الاستقلال عن بريطانيا من جانب حكومته فقط . ولا يدل اقدام سميث على تنفيذ هذه الخطوة ، على مغامرة العنصريين بقدر مايدل على مدى ثقتهم في أن حلفائهم - في الغرب وفي أفريقيا - لن يتخذوا اى موقف حقيقي معاد ضدهم .

ومن الضرورى ان نشير الى ان فردريك اوبنهايمر «ملك الماس» الذى يملك ٩٧ شركة احتكارية لاستخراج الماس والنحاس والفحم فى افريقيا ، قد لعب دورا هاما فى « المؤامرة » ضد شعب روديسيا الافريقى . وتشارك فى استثمارات اوبنهايمر ، رءوس اموال بريطانية وامريكية وبلجيكية والمانية غربية . ومن ثم كان استقلال العنصريين يعنى استمرار نهب هذه الاحتكارات لثروات روديسيا وتثبيتها .

ففى الوقت الذى يعيش فيه الافريقيون اصحاب البلاد الوطنيين فوق ٣٣ ٪ من اراضى روديسيا (اراضى ضعيفة الانتاج الزراعى) ، يحتكر الاوربيون ٥١ ٪ من اخصب الاراضى واكثرها انتاجا .وبينما يسيطر الاوربيون ويملكون مناجم الفحم والذهب وصناعات الحديد والصناعات الغذائية ويجنون منها ارباحا خيالية ، يعمل الافريقيون - اصحاب البلاد - فى المناجم كاجراء وبارخص الاجور . وفى نفس الوقت الذى يقيم فيه الاوربيون فى المدن حيث نجد مستوى حضاريا متقدما ، يعيش الافريقيون - اصحاب البلاد - فى اكواخ الطين المظلمة ليسقطوا صرعى الامراض المنتشرة ، محرومين من العلاج او حتى حق دخول المدن التى يعيش فيها المستوطنون ، وبينما يحصل الاوروبى فى السنة على متوسط للدخل يبلغ ٣٠٠٠ دولار ، لا يزيد دخل الافريقى على ٢٠٠ دولار فقط .

وعلى المستوى السياسى ، فان للبيض وحدهم حق العمل السياسى وتكوين الهيئات التى تدافع عن مصالحهم كما يكفل لهم دستور ١٩٦١ حق الانتخاب والتمثيل فى البرلمان ، بينما يحرم هذا الدستور شعب روديسيا من حق العمل السياسى وتكوين احزابه الوطنية . ويقضى هذا الدستور بأن يمثل ٩٠ الف ناخب أبيض (عدد المستوطنين ٢٢٥ الف) ٥٠ عضوا فى البرلمان ، بينما يقضى ايضا بأن ١٣ الف افريقى (عدد الافريقيين ٤ ملايين) لهم حق الانتخاب ويمثلهم ١٥ عضوا فى البرلمان . ويعنى هذا أن ٣٦٪ من المستوطنين لهم ان ينتخبوا ، وأن ٣ر٠ ٪ من الافريقيين فقط يتمتعون بحق الانتخاب . هذا وبغض النظر عن النتائج العملية لوجود ١٥ افريقيا فى البرلمان وعن الشروط التى يحددها الدستور ليدلى الافريقى بصوته والتى تعنى فى نهاية الامر منح بعض رؤساء القبائل وكبار شيوخها هذا الحق بعد كسب ولائهم لحكومة البيض وسيطرتها عليهم .

واذا أمكننا حصر اخطار حكم البيض فى روديسيا ، بالنسبة لشعبها الافريقى ، فيما سبق بشكل عام ، فان الاخطار التى تهدد حركة التحرر الوطنى الافريقية - نتيجة لسيادة حكم عنصرى استعمارى فى روديسيا - يمكن حصرها بشكل تقريبى فى :

● توجيه ضربة مضادة حادة الى موقع من مواقع التحرر الوطنى الافريقى .

● أن يتمكن الاستعماريون - القدامى والجدد - من توجيه ضربات ضد الدول الافريقية المستقلة المجاورة (كزامبيا ومالاوى مثلا) ، باتخاذ روديسيا مركزا لهذه الهجمات .

● تدعيم الحلف القائم بين العنصرية فى روديسيا وبين حكومة سالازار البرتغالية لوضع عقبات جديدة أمام حركات الكفاح المسلح فى كل من مستعمرتى انجولا وموزمبيق .

● اتساع مساحة المناطق التى يسيطر عليها العنصريون البيض بحيث تمتد من جنوب افريقيا وجنوب غربها الى روديسيا فى وسطها الجنوبى لوقف زحف الثورة الافريقية من شمال القارة بعد اصطدامه فى معارك متعددة بالاستعمار فى وسط القارة . وتمثل هذه المناطق ، حصنا عنصريا للاستعمار الحديد .

● اصبحت روديسيا - تحت حكم البيض - مركزا احتياطيا للدفاع عن الكونجو ازاء خطر الثورة الوطنية فيه والتى تهدد الاستعمار - بشكل دائم - بامكانيات تجدد قيامها . ويجب أن نذكر هنا أن عددا كبيرا من المرتزقة البيض الذين استعان بهم تشومبى ضد الثورة الوطنية الكونجولية ، قد جاء من روديسيا . ذلك بالاضافة الى أن بعض الامدادات العسكرية التى وصلت الى ليوبولدفيل لمساعدة حكم عملاء الاستعمار فى الكونجو ، كانت اراضى روديسيا ممرا وقاعدة لها .

● وقد ساعد اعلان استقلال البيض فى روديسيا ، على احكام سيطرة المستعمرين لمنطقة دفاع عن معاقل وجيوب اخيرة لم تستقل بعد فى جنوب القارة حيث تواجه حركة التحرر الافريقية مهمة تصفية الاستعمار منها .

رد الفعل

كانت تلك هى حدود المخطط البريطانى - الاستعمارى والعنصرى - فى روديسيا . فماذا كان رد الفعل لدى الدول الافريقية وداخل روديسيا وبريطانيا وفى الامم المتحدة وفى العالم كله ؟.

لقد تفاوتت بدرجة كبيرة اتجاهات الدول الافريقية ورؤسائها، بشأن الموقف الناجم على تنفيذ تهديد الاقلية البيضاء باعلان الاستقلال فى ١١ نوفمبر من جانب واحد . كما أن ظروف الضغط الخارجى الواقع على عدد كبير منها حدد كثيرا من سلوك الدول الافريقية ازاء المشاكل التى تواجهها . وبدا هناك طرفان متناقضان تمثل احدهما الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا من جانب ، وتمثل الطرف الاخر تونس وملاوى من جانب آخر . وبين النقيضين تفاوتت مواقف دول افريقية أخرى فى اطار هامش كبير من سياسة الاعتدال .

وفى روديسيا نفسها وقفت الاغلبية الساحقة من المستوطنين الى جانب حكومة سميث ، بين مؤيدة بشكل كامل لخطوته وبين بعض منها أخذ موقفا سلبيا ، دافعه الخوف من المستقبل . ومع ذلك وجد بعض المستوطنين - قليلى العدد - ذوى الاتجاهات الليبرالية ، يعارضون حكومة سميث .

وفى بريطانيا ، ساند « الاخوة وابناء العم » - بتعبير المستوطنين البيض - موقف حكومة سميث عمليا ، واصبحت مشكلة روديسيا حلقة هامة من حلقات المناورات السياسية فيما بين حزبى العمال والمحافظين فى بريطانيا . وكانت المعارضة « الصورية » لويلسون زعيم حزب العمال ورئيس الوزراء لما حدث فى روديسيا ، مجرد جزء من التاكتيك العام الذى اتبعته حكومة العمال لتمكين المستوطنين البيض من تدعيم حكمهم العنصرى .

منظمة الوحدة والدول الافريقية

رغم تباين اتجاهات الدول الافريقية بشأن تطورات مشكلة روديسيا وتقديراته ، الا أن تسع دول منها قامت ، فى النصف الثانى من ديسمبر الماضى ، بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا . وكان هذا القرار الايجابى تتويجا لجهود لم تبذل فقط اثر اعلان استقلال روديسيا من جانب واحد فى ١١ نوفمبر، وانما سبقتها جهود أخرى شهدها مؤتمر اكرا للقمة الافريقى

فى ٢١ اكتوبر . بل قامت بعض الدول الافريقية ، كالجمهورية العربية وتنزانيا مثلا بتنبيه الدول الافريقية ومنظمة الوحدة بالمؤامرة التى يعد لها الاستعمار والعنصريون فى روديسيا .

لم يكن أمام مؤتمر اكرا مجالا للاختيار بين اتخاذ قرار فعال ضد تهديد الاقليه البيضاء وبين تجاهل المشكلة مما يؤثر بشكل سيء على تطور الحركة الوطنية لا فى روديسيا وحدها وانما فى سائر المناطق التى لم تستقل بعد .

كان من الطبيعى أن يسارع رؤساء الدول الافريقية فى مؤتمر أكرا ، ومنذ بدء الاجتماعات فى يومها الاول ، بمناقشة قضية روديسيا . واعلن المؤتمر ان الدول الافريقية ستتخذ كل الطرق — بما فيها القوة — لمنع اعلان استقلال العنصريين فى روديسيا . وتبنى المؤتمر مطالب الوطنيين فى روديسيا بدعوة بريطانيا لان تجرى محادثات دستورية يشارك الوطنيين فيها أساسا لتحديد الخطوات اللازمة لاعلان استقلال «زيمباوى» (الاسم الافريقى لروديسيا) تحت حكم أبنائها الافريقيين ، وفى نفس الوقت تلغى بريطانيا دستور ١٩٦١ الذى لم يشارك أصحاب البلاد الحقيقيين فى وضعه . كما دعا مؤتمر اكرا ، دول العالم ، الى رفض الاعتراف باستقلال روديسيا اذا اعلنه سميث . وأعلن المؤتمر أن الدول الافريقية ستسارع — اذا نفذ سميث تهديده — بالاعتراف بحكومة وطنية لروديسيا فى المنفى وسوف تمدها بكل أشكال المساندة والمساعدة حتى تتحرر بلادها .

ولا شك أن تقييم اى قرار او اجراء بشأن قضية هامة ، يتحدد بمدى فعاليته والنتائج التى حققتها . ونستطيع ان نقول اليوم ان قيمة قرار مؤتمر اكرا بصدد مشكلة روديسيا ، يتحدد — تاريخيا — بطابعين :

● طابع توحيدى باجماع رؤساء الحكومات فى المؤتمر عليه . فى وقت كان من الصعب فيه — لاسباب متعددة — الوصول الى قرار موحد . حيث سبق اعداد المؤتمر كثير من المناورات الرجعية بهدف تفتيت منظمة الوحدة .

● كان القرار ، كما قال مراسلو وكالات الانباء فى ذلك الوقت ، « أسرع قرار اتخذه مؤتمر بشأن قضية خطيرة » . مما يبرز امكانيات منظمة الوحدة — بتأثير الدول التى تلعب دورا طليعيا فيها — فى العمل السريع واخذ موقف مبادر حتى فى اطار « طابع سياسى » هام .

لكن الموقف « الموحد » الذى اتخذته الدول الافريقية فى مؤتمر اكرا ، لم يلبث أن تتباين حوله الاتجاهات غداة اعلان الاستقلال من جانب واحد فى ١١ نوفمبر . ويمكن حصر هذه الاتجاهات — بشكل تقريبى — فى مواقف ثلاث :

● ضرورة اتخاذ خطوة ايجابية وحاسمة ضد حكومة العنصريين . وعبر عن هذا الاتجاه بشكل واضح ، رؤساء كل من غانا وغينيا وموريتانيا وتنزانيا . ودعا معظم هؤلاء الرؤساء الى تشكيل قوات عسكرية من مختلف الدول الافريقية تتبع منظمة الوحدة لتحرر روديسيا . بل أعلن نكروما أكثر من مرة أن غانا على استعداد لارسال قوات عسكرية — فى اى وقت — كما أعلن المسئولون فى غانا انه يجرى بالفعل تشكيل هذه القوات .

وطبيعى أن نقول ان الجمهورية العربية المتحدة ، لم تكن ستتخلف عن اتخاذ مثل هذه الخطوة اذا تمت ، ولكن الثقل السياسى والمركز الطليعى الذى تحتله الجمهورية المتحدة فى حركة التحرر الافريقية والذى يحملها مسئوليات تاريخية معينة ، يجعل لاى موقف او كلمة تعلنها التزام متميزا محدد واكيد مما يحيط بدورها هذا حساسية خاصة فى اطار مسئولياتها . ولا مبالغة فى هذا الفهم ، فان الاسراع بارسال قوات عسكرية الى اليمن — بناء على طلب حكومة الثورة اليمنية — والى الجمهورية الجزائرية عندما اقتضت الحاجة ذلك والمساعدات التى قدمتها الى الكونجو فى نضاله ضد المستعمر ، هذه المواقف تؤكد مدى التزام الجمهورية المتحدة مسئولياتها تجاه حركة التحرر الوطنى العربية والافريقية . ولا شك أن القاهرة على استعداد لتلبية وممارسة مسئولياتها التاريخية تجاه حركة التحرر الافريقية أيضا .

لقد فرضت مسئوليات الجمهورية العربية المتحدة عليها ، ان تسعى وتبذل كل جهدها لتوحيد الدول الافريقية — أو غالبيتها على الاقل — حول موقف أو اجراء ما . وفى نفس الوقت أن تساند وتدعم اى اجراء تتخذه اى دولة افريقية تجاه مشكلة روديسيا طالما يهدف الى تحريرها وتخليصها من حكم الاقلية العنصرية . ولهذا حرصت القاهرة على اقامة اتصالات مستمرة حكومات الدول الافريقية بشأن مشكلة روديسيا . وفى نفس الوقت اعلن **جمال عبد الناصر** رئيس الجمهورية والقائد الاعلى للقوات المسلحة ، أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر نفسها فى حالة حرب مع حكومة روديسيا .

● اتجاه التراجع عن قرارات مؤتمر اكرا والاجتماعات اللاحقه عليه بشأن روديسيا ، والتقاعس عن تنفيذها بل والتهكم على هذه القرارات ووصفها بالسذاجة والحمق . لارغبة فى اتخاذ خطوات (غير ساذجة !) او (غير حمقاء !) ، وانما تخاذلا عن قضية هامة من قضايا التحرر الوطنى . وقد عبر عن هذا الاتجاه رئيسا دولتين هما : بورقيبة (تونس) وباندا (مالاوى) . فرغم موافقة حكومتى تونس ومالاوى على قرار مؤتمر اكرا ، الا أن باندا اعلن فور عودته الى مالاوى بعد انتهاء المؤتمر — انه لن ينفذ شيئا من هذه القرارات . كما أعلن بورقيبة نفس الشيء . ولقد كانت موافقة الحكومتين على القرارات تعنى ضرورة الالتزام بها . ولكن التراجع عنها — بل والتصريحات المضادة لها — يضع الحكومتين فى موقف لاتحسدان عليه . اذ انه يعنى الالتقاء — موضوعيا — مع المخطط الاستعمارى واهدافه . كما يعنى فى نفس الوقت ، الوقوف — موضوعيا — ضد حركة التحرر الافريقية ومرحلة تطورها .

● أما الاتجاه الثالث ، فيتسم بما يطلق عليه «الاعتدال» تبريرا للتراجع . وقد عبرت عنه — بشكل اساسى — حكومات كل من زامبيا ونيجيريا وأثيوبيا والسنغال وكينيا .

لقد دارت اقتراحاتها ومواقفها — مع بعض التباين — حول الدعوة لعقد « اجتماعات » وتشكيل « هيئات » و « اجراء مباحثات مع بريطانيا » أو الدعوة لاجتماع الدول الافريقية الاعضاء فى الكومنولث .

رد الفعل داخل الكومنولث

منذ ربيع ١٩٦٤ وعدد من الدول داخل الكومنولث تعرب عن مخاوفها من أن تؤدى مناقشة مشكلة روديسيا الى احداث انقسام فيه . فبينما تميل استراليا ونيوزيلنده وكندا الى تأييد بريطانيا فى موقفها من المشكلة فان الاعضاء الافريقيين والاسيويين والمنتمين الى جزر الهند الغربية يعارضون هذا الموقف .

وقد عملت الدول الافريقية والاسيوية الاعضاء فى الكومنولث فى يونيو سنة ٦٤ على منع روديسيا من الاشتراك فى مؤتمر الكومنولث فى يوليو من نفس العام .

وقد نجح ضغط الدول الافريقية فى هذا المؤتمر فى وضع مشكلة روديسيا فى مقدمة جدول اعماله . وأعلنت معظم الوفود الافريقية بأن ماصرحت به حكومة بريطانيا من انها لن تعترف بحكومة روديسيا الجنوبية اذا اصدرت الاخرة اعلانا من جانب واحد بالاستقلال ، هو اجراء غير كاف . وفى حين رأى **ايوب خان** انه « ينبغى أن يكون هناك أخذ ورد بين الطائفتين الافريقية والاوروبية » ، اعلن **جومو كينياتا** انه « يجب على بريطانيا أن توافق على فرض العقوبات الاقتصادية على روديسيا الجنوبية وعلى تنفيذ نداء الامم المتحدة بحظر بيع الاسلحة اليها فورا » ودعا الى اطلاق سراح **جوشوا نكومو** الزعيم الافريقى الوطنى .

وقد كانت أبرز ظاهرة كشف عنها مؤتمر الكومنولث فى يوليو سنة ١٩٦٤ هو الانشقاق بين الاعضاء الافريقيين ومعظم الاعضاء الاسيويين فى المنظمة من جهة وبين بريطانيا من جهة أخرى . فقد تقدم **جوليوس نيريرى** رئيس جمهورية تنزانيا بمذكرة الى المؤتمر يقترح فيها أن تتدخل قوة عسكرية مشتركة للكومنولث فى روديسيا اذا مارفضت الحكومة القائمة هناك أوامر الحكومة البريطانية بعدم الاخذ بمبدأ الاستقلال من جانب واحد ، ولكن بريطانيا أوضحت انها لن تفرض تسوية — مستخدمة القوة — فى روديسيا .

لذا وجه الزعماء الافريقيون انذارا الى بريطانيا فى ١٢ يوليو بأن مؤتمر الكومنولث سيشهد انقساما خطيرا اذا لم تدع جميع الاحزاب السياسية فى روديسيا الى مؤتمر دستورى يتقرر فيه ان تتولى حكم البلاد الغالبية الافريقية . واعلنوا عن تصميمهم على الحصول على وعد كتابى من بريطانيا بتنظيم مثل هذا المؤتمر فى روديسيا وذلك لتقديمه الى مؤتمر القمة الافريقى فى القاهرة بعد ذلك بأسبوع . وفى ١٤ يوليو وجريا على الاسلوب البريطانى فى تقديم التعهدات ، قدمت بريطانيا تعهدا أمام رؤساء دول الكومنولث بمنع استقلال روديسيا تحت حكم الاقلية البيضاء ولقد كان لمؤتمر القمة الافريقى الذى عقد فى القاهرة فى يوليو سنة ١٩٦٤ أثره فى دفع حكومة لندن الى محاولة ترضية الاعضاء الافريقيين قبل ان يغادروا العاصمة البريطانية الى القاهرة .

وفى ٢٧ يناير سنة ١٩٦٥ أعلن ايان سميث ان بلاده تبحث احتمال انسحابها من الكومنولث « اذا اصرت بريطانيا على موقفها ورفضت الاعتراف بحقوقنا داخل الكومنولث » . وقد تبدل موقفه فى سنة ١٩٦٥ بالنسبة للكومنولث عما كان عليه فى سنة ١٩٦٤ فبينما احتج لعدم اشراكه فى مؤتمر يوليو سنة ١٩٦٤ ، فانه رفض الدعوة التى وجهها اليه هارولد ويلسون لحضور مؤتمر يونيو سنة ١٩٦٥ .

وفى هذا المؤتمر اكتفت بريطانيا بأن تعترف فى البيان المشترك بضرورة مضى روديسيا فى مساعيها نحو تحقيق الحكم للاغلبية على أن تترك لبريطانيا مسئولية تسوية المشكلة وتحديد موعد عقد مؤتمر لبحثها . وقد رفض نيريرى الموافقة على الجزء الخاص بروديسيا على أساس انه لايضمن تحقيق حكم الاغلبية للافريقيين .

وقد اقترح ويلسون بعد ذلك تشكيل بعثة من رؤساء وزارات الكومنولث لبحث مشكلة استقلال روديسيا من بريطانيا وقد رفض سميث الاقتراح ووصفه بأنه غير عملى .

وفى ١١ يناير سنة ١٩٦٦ انعقد مؤتمر رؤساء وزارات الكومنولث فى لاجوس بناء على اقتراح من نيجيريا لبحث الازمة . وقد امتنعت عن الحضور فيه استراليا مع غانا وتنزانيا . وقد اعلن نيريرى ان تانزانيا لاتعتقد ان المؤتمر سيكون مجديا الا ببعض الشروط وأهمها أن تلتزم جميع دول الكومنولث الافريقية بقرار منظمة الوحدة وتقطع علاقاتها ببريطانيا .

لقد ثبت حتى الان انه من الصعب على الكومنولث الاتفاق على قرار فعال بالنسبة لقضية روديسيا او الوصول الى حل عملى حقيقى للمشكلة .

قطع العلاقات مع بريطانيا

وكان مؤتمر أكرا قد اتخذ قرارا بتشكيل لجنة خماسية من الجمهورية العربية المتحدة وتنزانيا وزامبيا وكينيا ونيجيريا ، « تبحث فى طريقة اعطاء شعب روديسيا حقه الطبيعى فى الاستقلال » كما تتابع تطورات الموقف والتأكد من تنفيذ القرارات الصادرة بشأن مشكلة روديسيا . وبعد عدد من الاجتماعات والمناقشات السرية والعلنية ، استقر الرأى فى اللجنة على أن يشترك فى اجتماعاتها مستشارون عسكريون وان تنضم اليها كل من غانا واوغندا . وكانت اللجنة قد اتخذت بعض القرارات السرية التى لم يعلن عنها .

واعقب ذلك ، أن اجتمع فى أوائل ديسمبر وزراء خارجية دول منظمة الوحدة الافريقية ! لم تحضره جامبيا واتخذوا قرارا طالبوا فيه بأن تقطع الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا ، ان لم تقدم بريطانيا حتى ١٥ ديسمبر على اتخاذ خطوة حاسمة لسحق حكومة الاقلية العنصرية . وقامت تسعة دول افريقية ، بتنفيذ هذا القرار فعلا ، وقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا . وهذه الدول هى الجمهورية العربية المتحدة ومالى وغانا وغينيا والجزائر وتنزانيا والكونجو برازافيل وموريتانيا والسودان .

وأيا كان اختلاف وجهات نظر المعلقين السياسيين حول مدى فعالية هذا الموقف ، فانه قد احدث — بالفعل — ضغطا على الحكومة البريطانية بدا فى تنفيذها لوقف شحنات البترول الى روديسيا بعد اعلان الدول التسعة قطع العلاقات الدبلوماسية (بادرت أمريكا الى تعويضه ببترولها) كما سبب متاعب وحرجا سياسيا خارج بريطانيا وداخلها لحكومة ويلسون . وقيمة هذا الاجراء يكمن — بشكل اساسى — فى أن موقف **ملتزم** تجاه قضية التحرر الافريقى وقرارات منظمة الوحدة الافريقية . ويتوقف اتساع فعالية هذا الاجراء — كما اكدت الجمهورية المتحدة فى كل اجراء يتخذ — على تزايد عدد الدول الافريقية لتنفيذه والالتزام به .

ويجب ان نقول ، انه لم يكن من الصدفة ، ان يأتى قرار الدول التسعة بقطع علاقاتها مع بريطانيا ، بعد ايام من نزول القوات البريطانية فى زامبيا ، فقد طالب كينيث كواندا (رئيس جمهورية زامبيا) ارسال هذه القوات بعد ان اعلن سميث تهديده بقطع الطاقة الكهربائية التى تحتاجها زامبيا لانتاج وتصنيع النحاس والتى يمدها بها سد كاريبا القائم على الحدود بين البلدين . (يوفر سد كاريبا لزامبيا حوالى ٦٠٪ من الطاقة التى تحتاجها) . وراحت وكالات الانباء تقول بأن مفرقعات قد وجدت بجوار جسم السد عند حدود روديسيا ، مما ضاعف من مخاوف حكومة زامبيا ، الا انه من الواضح ان الهدف من وراء التهديد بتدمير السد لا مبرر لها لانه يمد المصانع فى روديسيا ايضا بالطاقة اللازمة لتشغيلها ، ومن ثم فهم اصحاب مصلحة فى الاحتفاظ بسلامة السد . كما ان بناء سد كاريبا قد تم (١٩٦٠) بقروض من البنك الدولى لحساب بريطانيا التى اصبحت ملزمة بتسديد اقساطه ، ومن

هنا ايضاً فان وجود السد لايهم زامبياً وحدها او روديسيا وحدها وانما بريطانيا كذلك .

ان انزال قوات عسكرية بريطانية فى زامبيا بناء على طلب حكومتها ، مسألة تثير الكثير من النقاش والتساؤل فقد استعانت حكومة زامبيا — كما فسرت — بهذه القوات ، تخوفا من الاستعانة بقوات افريقية تابعة لمنظمة الوحدة قد تثير — ما تسميه « حربا عنصرية على الحدود بينها وبين روديسيا » .

وقد حاولت بريطانيا — التى سعت الى انزال قواتها فى زامبيا بسرعة — الى تجميد امكانية قيام الدول الافريقية بأى اجراء عسكرى ضد سميث . كما ان المواقع التى احتلتهاهذه القوات ، حول سد كاريبا ومناجم حزام النحاس ، توضح ان هدف بريطانيا من انزالها هو حماية المواقع التى تستغلها شركاتها وتدرلها الارباح . ويعنى انزال هذه القوات ايضا ، ان بريطانيا تحمى كيان حكومة الاقلية العنصرية ووجودها ، من فوق ارض افريقية مجاورة ضد اى محاولة لاستخدام القوة ضدها . وهاكذا ، تحمى بريطانيا — عمليا — حكومة سميث بهذه الخطوة ، وليس العكس اى ان تحمى زامبيا من العنصرية . ولعل فى قول سميث ، تعليقا على انزال القوات البريطانية ، دليلا يؤكد هذا الاستنتاج . فهو يقول ردا على سؤال مندوب صحيفة السنداى تايمز البريطانية « هل انتم قلقون لنزول القوات البريطانية فى زامبيا ؟ » فيقول « لا . اننى ارحب بهذه الخطوة . بل اعتقد ان هذه القواتستعمل على حفظ الامن . وربما لمنع تدفق قواتعسكرية منالشمال » (يقصد من الدول الافريقية) .

روديسيا من الداخل

كما سبق قلنا ان الاغلبية من المستوطنين البيض وقفوا خلف سميث عندما اعلن الاستقلال يؤيدونه بشكل تام ، واذا فرضت « المنافسة السياسية » — اذا صح التعبير — على بعض الحكام السابقين فى روديسيا ان يقفوا موقفالصمت او اظهار بعض « الضجر » فقد حكم موقف هؤلاء فى النهاية ، المناورة من اجل تولى الحكم وقد عبر عن هذا الموقف معظم قادة الاتحاد الفيدرالى القديم . ومن ابرز هؤلاء ، **روىوبنسكى وكليفورد ديبونتوادجار هوايتهيد**.وقد اعلن هؤلاء معارضتهم — قبل ان يعلن الاستقلال — للاستقلال من جانب واحد ، لا حبا فى ان يتولى الافريقيون اصحاب البلاد الحكم ، وانما خوفا من النتائج التى يمكن ان تترتب على اعلان الاستقلال . وقد سارع معظم مؤيدىهؤلاء السياسيين القدامى ،بالانضمام الى جبهة ايان سميث بعد اعلان الاستقلال . ويضم مؤيدى سميث حزبا يسمى « جبهة روديسيا » يرأسه سميث نفسه .

وفى روديسيا ، مجموعة من المستوطنين الراديكاليين تضم بعض اساتذة من الجامعة وبعض رجال الدين ، يعارضون استقلال سميث ويطالبون بالافراج عن الوطنيين المعتقلين . وقد تعرض بعض هؤلاء للاعتقال بعد ان اعلن سميث الاحكام العرفية فى روديسيا قبل ايام من اعلان الاستقلال .ومن ابرز هؤلاء **ليوبارون** محامى نكومو الزعيم الوطنى ومنهم الدكتور اهرن بالى وايلين هارون المحررة بصحيفة « سنترال افريكان اكسامينر » .

اما رؤساء القبائل فى روديسيا ، فيتعاون معظمهم مع سميث الذى ادخلهم البرلمان ، ولكن استمرار سيطرتهممتوقف على بقاء سميث فى الحكم .

والحركة الوطنية فى روديسيا ، منقسمة على نفسها.فيما بين حزبى زابو (اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى) وزانو (اتحاد شعب زيمبابوى الوطنى) . ويمثل الاول اغلبية الوطنيين ويتزعمه **جوشوانكومو** . ويتكون الحزب الثانى من مجموعة من المثقفين ويتزعمه **ندابانتجى سيثول** . ويعيش عدد كبير من قادة واعضاء الحزبين فى السجن ومعهم نكومو وسيثول . وقد بذلت كثير من الجهود لتوحيد الحزبين فى مواجهة الخطر العنصرىوالاستعمارى .ويبدو أن هذه الجهود لم تؤت — بعد — النتائج المرجوة .

ويعيش كثير من الوطنيين من شعب زيمبابوى فى المنفى . يتلقى بعضهم التدريب العسكرى فى بعض الدول الافريقية وبعض الدول الاخرى . ويدرس بعضهم فىالمعاهد والجامعات خارج بلادهم حيث يعيشون . ويعمل البعض منهم كالدكتور شيدزيرو فى اجهزة الامم المتحدة او فى اجهزة بعض الحكومات الافريقية كهربرت شيتبو الذى يعمل مديرا للمتابعة العامةفى حكومة تنزانيا .

ولكن وجود نسبة كبيرة من الوطنيين فى السجون واعلان الاحكام العرفية واشهار اسلحة الارهاب والقهر ، لم يحل دون قيام المظاهرات فى روديسيا ضد اعلان الاستقلال . كما ترددت اخبار من وكالات الانباء تقولبأن « نواة صغيرة لحرب العصابات » قد تكونت هناك . وقد قام سميث ، ردا على تكرار حوادث الانفجار والتخريب ضد حكومته ، بفصل عدد كبير من العمال وتسريح بعض الموظفين .

المقاطعة الاقتصادية

ففى اواخر نوفمبر الماضى ، قرر مجلس الامن دعوة الدول الاعضاء فى الامم المتحدة الى مقاطعة حكومة الاقلية فى روديسيا اقتصاديا وعدم التعامل معها . كما يقضى القرار بضرورة ايقاف شحنات البترول الى روديسيا .

وكانت بريطانيا وحلفاءها قد تعاقدوا قبل الاستقلال على شراء محصول العام الماضى من انتاج الدخان والسكر ، وبذلك اصبح قرار المقاطعة غير ذى مفعول . وقد يقال : بل سيؤثر عندما يتم انتاج محصول عام ١٩٦٦ . وهذا الكلام مردود عليه . فقد ذكرت الايكونوميست البريطانية فى ديسمبر الماضى « ان عملاء اجانب مجهولين ، يشاهدون فى فنادق سالزبورى . ويتفاوضون على شراء محصول الدخان للعام القادم . ويتعاقدون مع حكومة روديسيا على ما تحتاج اليه، ومن بين هؤلاء الاجانب ، اعضاء من البعثات الدبلوماسية من المانيا الغربية وايطاليا واليابان » . ولهذا ، فسوف تجد حكومة سميث — ان لم تكن قد وجدت بالفعل — من اصدقائها فى الغرب او فى جنوب القارة ، من يشترى صادراتها وربما بالاسعار التى ترغب فيها حكومة سميث .

ويكفى ان نذكر هنا حديث بيتر راسل عضو مجلسالعموم البريطانى ، الذى زار روديسيا اخيرا ، لنعرف ان قرار المقاطعة « الصورى » لا قيمة ايجابية له . يقول بيتر راسل « اننى لم اجد دليلا واحدا على ان العقوبات الاقتصادية ستساعد على اسقاط حكومة سميث ، بل ان هناك احتمالا حقيقيا — اذا استمر الموقف الراهن واذا لم يتم التدخل المسلح — فى ان تزداد مقاومة حكومة سميث ويزداد التأييد لها » .

ولا تستطيع الدول الافريقية ان تؤثر بسلاح المقاطعة الافريقية ، حيث ان علاقاتها الاقتصادية مع روديسيا تكاد لاتكون قائمة بالفعل .وليس فىاستطاعتها — فىهذا الشأن — ان تفعلاكثر من الخطوة المماثلة لتلك التىاتخذتها الجمهورية العربية المتحدة بمنع مرور اية سفن تحمل بضائع الى روديسيا عبر قناة السويس . اما زامبيا ومالاوى ، حيث تستوردان معا ١/٤ صادرات روديسيا ومعظم انتاج الصناعات الروديسية ، فان انقطاعهما عن هذا التعامل ، سيجر عليهما كثيرا من الاضرار . وسيستمر الوضع كذلك لهما ، وحتى تجد منظمة الوحدة حلا وبديلا لاحتياجاتهما من روديسيا وتؤمن لزامبيا — بشكل خاص — كيانهما المستقل .

اما بالنسبة لشحنات البترول ، فقد تدفقت على روديسيا طوالنوفمبر وديسمبر من شركاتالبترول البريطانية والامريكية والفرنسية والايطالية . حيث كانت تصل الى ميناء « بيرا » فى موزمبيق ثم عن طريق خط الانابيب الى « اوتالى » فى روديسيا . وتظاهرت بريطانيا — بعد ان قطعت تسع دول

افريقية علاقاتها ببريطانيا — بالعداء لحكومة سميث بأن اتخذت قرارا فى اواخر ديسمبر الماضى ، بوقف ارسال شحنات البترول . ويكشف هذا القرار عن طبيعة المناورة التى تلعبها حكومة ويلسون .

● فقد اتخذ هذا القرار ، كمحاولة لايقاف اتساع عدد الدول الافريقية التى تقطع علاقاتها ببريطانيا . وذلك عن طريق الايهام بأنها تنفذ قرارات الامم المتحدة .

● صرح ويلسون ان وصول البترول الى زامبيا (الذى كان يصلها من روديسيا) عن طريق بريطانيا وحلفائها ، يتوقف على الدول الافريقية .كمحاولة لايهام حكومة زامبيا ان الدول الافريقية — بموقفها — تعرقل عمليات امداد زامبيا بالبترول الذى تحتاج منه فى الشهر الى ١٤ الف طن .

● جاء هذا القرار بعد ان تم بالفعل امداد روديسيا بالبترول بكميات تكفيها لعدة شهور مقبلة . وقد صرح سميث لمندوب الصنداى تايمز ردا على سؤاله « اين وقفت بريطانيا — بعد الاستقلال — منكم ؟ » فقال « لقد وجدناها اقرب كثيرا مما كنا نتوقع » .

● تقوم حكومتى البرتغال وجنوب افريقيا بدور الوسيط فى شراء البترول بأسمها لحساب حكومة سميث . ومن المعروف ان ٩٠٪ من مصادر البترول وصناعة تكريره فى جنوب افريقيا خاضع لسيطرة الشركات الامريكية والانجليزية .

ان طبيعة الشركات والاحتكارات التى تسيطر على انتاج وتجارة البترول فى العالم ، تكشف عن المدى الذى يمكن ان تكون عليه فعالية قرار مجلس الامن بايقاف شحنات البترول الى روديسيا التى تحتاج منه الى ٤٠٠ الف طن سنويا ويمون ٢٧٪ من القوى المحركة فيها (سيارات مصانع طائرات .. الخ) .

ولم تلبث امريكا ، ان قامت بشحن كميات من البترول الى روديسيا بعد ان قل نسبة احتياطى البترول المخزون لدى حكومة سميث وبدأت تضيق من استهلاكه . ويوضح موقف امريكا هذا ، ان الغرب لن يتأخر عن تقديم المساعدات لحكومة سميث فى اى وقت تحتاج اليها فيه .

وما يؤكد موقف الغرب من مساعدة سميث والعنصريين فى روديسيا — على المستوى الاقتصادى والعسكرى — ما نشرته صحيفة « بيلت آم سونتاج » الالمانية فى بون .تقول الصحيفة « ان المرتزقة البيض الذين يقودهم ضابط المانى ، بدأوا ينتقلون من الكونجو الى روديسيا لمساعدة حكومة سميث ». وقد صرح الميجور سيجفريد ميولر قائد المرتزقة « اننا سنحصل على مرتبات شهرية لكل منا تتراوح فيما بين ٢٣٠٠ — ٣٦٠٠ مارك » . وقال ميولر ان جنود المرتزقة ينتمون الى كل من « بريطانيا وبلجيكا وفرنسا وايطاليا واسبانيا وسويسرا والمانيا الغربية » .

اما تظاهر بريطانيا وامريكا ، بالحرص على مد زامبيا بالبترول — بعد ان اوقفته عنها حكومة سميث — فمعرفة ان مصانع النحاس وعمليات انتاجه — التى تسيطر عليها الشركات الامريكية والبريطانية — تحتاج الى البترول لاستمرار تشغيلها ، كاف لتوضيح البواعث الحقيقية لحرص بريطانيا وامريكا على ارسال البترول الى زامبيا . خاصة فى الوقت الذى رفع فيه سميث الضرائب على تصدير الفحم من روديسيا الى زامبيا بنسبة ٥٠٠٪ تقريبا . وتقول النيوزويك الامريكية ان المليونير اوبنهايمر صاحب عدد كبير من مناجم النحاس فى زامبيا ، هو الذى لعب دورا كبيرا فى تسارع بريطانيا وامريكا بارسال البترول الى زامبيا .

المعركة المتشابكة

توضح الصورة التى حاولنا عرض تفاصيل تطوراتها فى خطوطها العامة ، الى اى حد تبدو مشكلة روديسيا معقدة ومتشابكة وصعبة . ان تطوراتها المستقبلة ستدور فى نفس هذا الاطار من التعقيد ،وحتى تستطيع الحركة الوطنية — بعد توحيد نفسها — ان تكون طرفا مباشرا واساسيا فى المعركة.

وتوضح الانباء الاخيرة عن قبول حكومة سميث الدخول فى مفاوضات جديدة مع الحكومة البريطانية حول ازمة روديسيا، ان الحكومتين حريصتين — كما كانتا من قبل — على ان تنفردا « بتبادل قذف الكرة » — ان صح هذا التعبير — فيما بينها. وذلك فى محاولة لان يقولا للرأى العام العالمى انهما — كلما تأزمت تطورات المشكلة — فهما صاحبا الشأن فى معالجة هذه الازمة .

ان قرار منظمة الوحدة الافريقية فى اجتماع مؤتمر اكرا الماضى ، والخاص بالاعتراف بحكومة وطنية لزيمبابوى فى المنفى اذا نفذ سميث تهديده باعلان الاستقلال — وقد تم — يلقى اهتماما كبيرا من القوى التحررية الافريقية .

ان خطوة تكوين حكومة فى المنفى — اذا تمت — لاتعنى بالمرة ان المشكلة على وشك ان تجد حلا عاجلا او نهائيا ، ولكنها تتم فى اطار ادراك حقيقة موضوعية دللت عليها تجارب التاريخ فى افريقيا بشكل خاص . وهى ان الكفاح المسلح المنظم هو الطريق الوحيد لتحرير الجيوب الاخيرة التى يسيطر عليها الاستعمار فى القارة ولم تحرر بعد .

قضية روديسيا فى المجال الدولى

الولايات المتحدة الامريكية

كان خط سياسة الولايات المتحدة فى المشكلة هو التأييد الكامل للسياسة التى تنتهجها بريطانيا حيال روديسيا . وقد بعث الرئيس جونسون فى اول نوفمبر ١٩٦٥ برسالة الى هارولد ويلسون ضمنها هذا التأييد .

وصرح بيل مويرز مدير المكتب الصحفى بالبيت الابيض « بأن موقفنا سواء العلنى أو السرى هو تأييد الحكومة البريطانية ».

والحقيقة أن الولايات المتحدة الامريكية لو كانت غير راضية حقيقة عن اعلان حكومة الاقلية البيضاء للاستقلال من جانب واحد ، لكان احرى بها أن تتحمس لارسال قوات الامم المتحدة الى هناك كما حدث فى قضية الكونجو . ولكنها فى الحقيقة تبدى عطفها على سميث . وقد ذهبت بعض الدوائر الاقتصادية فى بلجيكا الى القول بأن استقلال روديسيا من جانب واحد كان أمرا مدبرا ومعدا بعناية بالغة بمساعدة بعض الدول ومن بينها الولايات المتحدة . ويستدلون على ذلك بجراة ايان سميث الواثق من نفسه والتى لا يمكن ان تكون فى نظرهم بسبب ضعف وتواطؤ حكومة العمال البريطانية او بسبب وعد بالمساعدة من

البرتغال أو جنوب أفريقيا ، ذلك ان واشنطون فى نظرهم تؤيد سميث .

والحقيقة أن الرأسمال الامريكى يستهدف فعلا الحصول على الارباح من روديسيا والعمل على تزويد شركاته الصناعيه بالمواد الاولية الحربية النادرة ورخيصة الثمن فى نفس الوقت ، مثل معادن الكوبالت والكروم والليثيوم المتوافرة فى روديسيا . فالاحتكارات الامريكية التى وضعت اقدامها هناك انما نسعى اليوم لتدعيمها . ان الامريكيين يرون ان استقلال الاقليه البيضاء فى روديسيا سيفقد بريطانيا سمعتها ومكانتها فى أفريقيا ويدعم مركز امريكا . ولذا ينظر البعض الى تمرد ايان سميث باعتباره — من زاوية ما — احد حلقات الصراع الانجلو الامريكى فى القارة ، او على اقل تقدير فيمكن للاستعمار الامريكى ان يستغلها لمصلحته .

ويؤكد الدور الامريكى فى المشكلة ، رد الفعل الواضح فى سوق نيويورك عقب اعلان ايان سميث الاستقلال من جانب واحد . ففى اليوم التالى ارتفعت اسعار اسهم شركات معدين النحاس فى « وول ستريت » . كما انها لو كانت ترغب حقا فى الضغط على ايان سميث لامكنها القيام بذلك ، بغلق معمل تكرير البترول فى « أومتالى » فى روديسيا ، وقد استمرت السفن الامريكية فى نقل البترول الى روديسيا وزادت حركة النقل بعد اعلان بريطانيا امتناعها عن امدادها بالنفط . وقد ذكرت مجلة « نيو أفريكا » الصادرة فى المانيا الغربية أن معاهدة عسكرية وقعت بين البرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا فى اكتوبر سنة ٦٥ تستطيع روديسيا بمقتضاها الاعتماد عسكريا على اصدقائها اذا هاجمتها الدول الافريقية وتقف واشنطون وراء الاتفاق بقواعدها العسكرية الموجودة فى بعض بلاد أفريقيا ، الامر الذى لم يستبعده عدد من المراقبين السياسيين .

المانيا الغربية

والمانيا الغربية التى أمريت عن أسفها لاعلان سميث الاستقلال من جانب واحد ، تقوم بتموين حكومة الاقلية بالطيارين والجنود المرتزقة لزيادة احكام قبضتها على الاغلبية الافريقية . وقد زادت حكومتها المعونة العسكرية لسميث ، وهناك عدد من خبرائها العسكريين يقومون بالتدريب على استخدام التكتيكات المضادة لحرب العصابات واحد المستشارين العسكريين لحكومة سميث نازى من مجرمى الحرب السابقين تحتضنه المانيا الغربية . ووظيفته التخطيط العام والاستراتيجى . وهو المسئول عن برنامج تدريب الطيارين على مكافحة حرب العصابات والانتفاضات . هذا ويقوم بعض العملاء النازيين السابقين فى المانيا الغربية مع بعض الروديسيين بتجنيد عملاء جدد من المانيا الغربية لخدمة حكم ايان سميث الفاشى ، ولذا فان المانيا الغربية باستمرارها على هذه السياسة ستتحمل ان عاجلا أو آجلا تبعات موقفها هذا فى تدعيم حكومة سميث .

البرتغال

واعلن الدكتور كينيث كاوندا رئيس جمهورية زامبيا فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٦٤ أن لديه وثائق سرية تثبت قيام حكومة الاقلية البيضاء فى روديسيا بعقد صفقة سياسية مع البرتغاليين تقوم على اعتراف البرتغال ومستعمراتها فى افريقيا باستقلال روديسيا الجنوبية فور اعلانه ، وقطع الخط الحديدى بين أنجولا وزامبيا ووقف عمليات التصدير والاستيراد التى تتم من طريقها وان تقوم البرتغال بتقديم معونات مالية واقتصادية وعسكرية الى روديسيا اذا دعت الضرورة لذلك . ولقد اتخذت البرتغال بالفعل فى جميع المواقف خط التعاطف مع الاقلية العنصرية فى روديسيا . وقد بلغ من تأييد البرتغال لايان سميث حد أن الوحدات العسكرية البرتغالية قد انتشرت فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٥ فى منطقة قريبة من محطة كاريبا للطاقة الكهربائية دعما لسياسة سميث العنصرية . ومن المعروف ان البرتغال اول دولة تعترف [illegible] . [illegible] . كما تقوم البرتغال بامداد حكومة سميث بالبترول الذى تنتجه آبار أنجولا ، بل وتشترى — كوسيط — عديدا من احتياجات حكومة الاقلية العنصرية . واهمية استمرار الحكم العنصرى فى روديسيا بالنسبة للبرتغال ، تكمن فى وجودها كحليف — على الحدود — يضرب الحركات الوطنية المسلحة فى انجولا وموزمبيق ويمنع وصول أيه مساعدات اليها من دول افريقيا .

الاتحاد السوفييتى

أما الاتحاد السوفيتى فقد اتخذ منذ البداية موقف المعارضة والادانة للسياسة العنصريه فى روديسيا . وأعلن رفضه الاعتراف بحكومة الاقليه البيضاء هناك . كما أعلن فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٥ أنه « سوف يتعاون مع الدول الافريقية فى تقديم كل تأييد لشعب زيمبابوى فى نضاله القانونى العادل من أجل الحرية والاستقلال الوطنى الحقيقى » واعتبر اعلان الاستقلال من جانب واحد « جريمة شنعة تمت بفضل التواطؤ الواضح مع بريطانيا وان سياسة سميث هى « تحد سافر ووقح للرأى العام العالمى » .

ولقد صرح وزير العدل الهندى الذى رأس وفد بلاده فى مؤتمر لاجوس الخاص بالكومنولث ، أن الهند « ستؤيد اى اجراء بما فى ذلك استخدام القوة لسحق حكومة الاقلية فى روديسيا » .

وطالبت باكستان من بريطانيا « الوفاء بالتزاماتها القانونية والدستورية والمعنوية ازاء شعب روديسيا » ، واعلنت تأييدها المطلق لمنظمة الوحدة الافريقية وعزمها على بذل جهودها لاحباط « الاطماع المريبة » للزمرة الحاكمة فى روديسيا .

وأكد متحدث بلسان وزارة خارجية ماليزيا عقب اعلان سميث للاستقلال أن حكومة ماليزيا لا تزال عند موقفها من معارضة اعلان الاستقلال من جانب سميث ..

وصرح دكتور باتريك سولومون رئيس وزراء ترينداد وتوباجو ، بان حكومته تؤيد استخدام القوة من بين اشكال الاجراءات الجماعية التى يمكن للامم المتحدة أو دول الكومنولث اتخاذه لاستعادة العدالة لشعب روديسيا .

وأبلغت الكويت لجنة الوصاية الدولية التابعة للامم المتحدة انها نفذت قرار المقاطعة الاقتصادية لحكومة الاقلية بما فى ذلك منع تصدير البترول .

وقرر مجلس الوزراء العراقى فى سنة ١٩٦٥ مقاطعة حكومة الاقلية وعدم الاعتراف بها أو التعامل معها بأية صورة من الصور .

واعلنت الحكومة اللبنانية قطع جميع علاقاتها الاقتصادية بحكومة سميث .

وبينما اوضحت مجلة الاوبزرفاتورى فى الفاتيكان « بأن الامم المتحدة لا يمكن أن تقف مكتوفة الايدى ازاء اعلان روديسيا لاستقلالها » فقد اشار راديو بلجراد الى أن هذا الحدث سيضع الامم المتحدة أمام قضية خطيرة جديدة . فى حين أعلنت الحكومة السويدية انها لن تعترف بحكومة روديسيا . وأعلن الاسقف مكاريوس فى قبرص تأييد بلاده لكفاح الاغلبية الافريقية . وصرح رئيس وزراء سنغافورة لى كوان يو بأنه اذا تمكن سميث من « الافلات » فان هذا من شأنه أن يؤدى الى حرب عنصرية .

وقامت اليونان منذ ديسمبر سنة ١٩٦٥ بمنع تصدير الاسلحة الى روديسيا وأعلنت أنها لن تعترف بجوازات السفر التى تصدرها حكومة روديسيا ، وصرح متحدث باسم وزارة الخارجية اليونانية بأن بلاده لم ولن تعترف بتلك الحكومة . كما أعلنت فرنسا انها لا توافق على اعلان الاستقلال من جانب واحد وانها لن تقيم أية علاقات من أى نوع مع حكومة ايان سميث .

الموقف داخل الامم المتحدة

لقد اتخذت الدول الاسيوية والافريقية المتحررة وكذلك دول المعسكر الاشتراكى منبر الامم المتحدة لمحاولة الوقوف ضد جهود العنصريين فى روديسيا من أجل الاستقلال من جانب واحد . تم لفرض عقوبات عليها . وقد انحصر عملها فى تلك المنظمة فى الحصول على القرارات المؤيدة لحقوق شعب روديسيا .

وقد اتخذت لجنة تصفية الاستعمار التابعة للامم المتحدة قرارا فى ٢٤ مارس ١٩٦٤ باتخاذ الاجراءات الكفيله بمنع حكومة الاقلية فى روديسيا من اعلان الاستقلال من جانب واحد وناشدت اسجده فى قرارها جميع الدول ان تفرض حظرا على توريد حكومه روديسيا بالاسلحه والدخيرة . كما طالبت فى ٢٦ مارس باطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين وعلى رأسهم الزعيم الوطنى جوشوا نكومو . وطلبت دول المجموعة ... افريقيه الـ ٥٨ من بوناتت ان يحث بريطانيا على اتخاذ اجراء ما يحقق اطلاق سراح هذا الزعيم و ١٠٠ من المواطنين الافريقيين المعتقلين معه . وقد تقدمت اثيوبيا فى ٢٦ / ٤ / ١٩٦٤ أول اقتراح الى لجنة تصفية الاستعمار بمطالبة بريطانيا بتحديد موعد مبكر لاستقلال روديسيا تحت زعامة حكومة افريقية وقدمته باسم ١٢ دولة افريقيه وآسيوية ومعهم يوجوسلافيا . وقد وافقت لجنة تصفية الاستعمار على هذا الاقتراح بأغلبية ١٩ صوتا ضد لا شيء وامتناع ٣ دول عن التصويت . وقد رفض سينيس ... مندوب بريطانيا الاقتراح بدعوى أنه تدخل فى شئون بريطانيا الداخلية .

وقد انفض فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٤ اجتماع اللجنة الاقتصادية الافريقية التابعة للامم المتحدة ، بعد أن انسحبت وفود كل الدول المشتركة فى الاجتماع وهى ١٦ دولة احتجاجا على حضور مندوب روديسيا للاجتماع .

ولما كانت الانتخابات التى يعتزم ايان سميث اجراءها فى ٧ مايو سنة ١٩٦٥ قد اقترب موعدها لذا طالبت الدول الافروآسيوية لجنة شئون الاستعمار المتفرعة عن الجمعية العامة باتخاذ قرار بمناقشة مشكلة روديسيا فى مجلس الامن قبل ٧ مايو . وبينما عارضت بريطانيا والولايات المتحدة هذا الرأى ، أيده المندوب السوفيتى فى مجلس الامن . وطالب هذا المندوب بريطانيا بارغام حكومه روديسيا على الغاء الانتخابات التى ستجريها وأن تعقد فورا مؤتمرا دستوريا . وأعلن أن الدعوة التى ينادى بها المندوب البريطانى للتذرع بالصبر انتظارا لنتيجة المفاوضات بين بريطانيا وحكومة الاقلية فى روديسيا ان هى الا « اشاعة للدخان فى الافق لتغطية اتفاقيات بريطانيا مع سياسة التفرقة العنصرية » . وقد طلب مجلس الامن فعلا فى ٧ مايو سنة ٦٥ من بريطانيا اتخاذ الاجراءات الضرورية للحيلولة دون اعلان حكومة روديسيا العنصرية الاستقلال من جانب واحد .

وقد تقدم الوفد السوفيتى فى الامم المتحدة فى ١٠ يونيو سنة ١٩٦٥ رسالة الى يوثانت طالب فيها بأن تمنح بريطانيا الاستقلال فورا لروديسيا على اساس المساواة فى الحقوق بين افراد الشعب ، كما وافقت الجمعية العامة بأغلبية ١٠٧ صوتا على مشروع قرار بمطالبه بريطانيا بمنع روديسيا من اعلان الاستقلال من جانبها ولو اضطرت الى استخدام القوة العسكريه لتنفيذ ذلك وقد عارضت المشروع **البرتغال وجنوب افريقيا .**

وقد استنكرت لجنة الوصاية التابعة للجمعية العامة فى ١٢ نوفمبر اعلان سميث الاستقلال بطريقة غير مشروعة . كذلك ندد به مجلس الامن ودعا جميع الاعضاء بالامم المتحدة الى عدم الاعتراف بحكومة روديسيا وعدم تقديم أية مساعدات لها . وفى ٢١ نوفمبر سنه ١٩٦٥ قرر مجلس الامن الاخذ باقتراح اوروجواى وبوليفيا بفرض العقوبات على روديسيا وحظر ارسال البترول اليها وطالب جميع الدول الاعضاء بذلك وبقطع علاقاتها الاقتصادية مع روديسيا ، ودعا بريطانيا الى «اخماد تمرد» الاقلية البيضاء وتمكين الشعب من تقرير مصيره وفقا لمبادىء الامم المتحدة . وان لم يحدد القرار وسيلة ذلك .

وفى كلمة ، فالامم المتحدة وان كانت قد أصدرت عددا من القرارات ضد حكومة سميث العنصرية الا ان الواقع اثبت عجزها عن تقديم شيء حاسم فى المعركه . ولم يستطع مجلس الامن ان يصل الى نتيجة محددة كما لم تنجح الجمعية العامة والاغلبية الافريقية الاسيوية بداخلها فى الحصول على قرار بالتدخل العسكرى فى روديسيا برغم أن الجمعية العامة هى نفسها التى كانت قد قررت التدخل فى الكونجو من قبل . وبدلا من ان تطلب الدول الافريقيه والاسيويه داخل الامم المتحدة بما لها من اغلبية عقد الجمعية العامة للامم المتحدة ، وقعت فى الشرك الذى نصبته بريطانيا عند ما وافقت على طلبها بعقد مجلس الامن الذى يملك الغرب فيه ٤ اصوات لها حق الفيتو . وهو الشرك الذى دبرته بريطانيا ذكاء لسد الباب على محاولة دعوة الجمعية العامة التى لا يمكن دعوتها الا بعد انتهاء مجلس الامن من مناقشاته والتى استهدفت منه اطالة المناقشات فى مجلس الامن لتمييع القضية عامة . كما وقعت فى خطأ آخر بانتظارها لان تنفذ لندن أو غيرها من الدول الغربية الكبرى عقوبات اقتصادية على روديسيا ، وفى تصورها امكان قبول بريطانيا للتدخل العسكرى فى روديسيا .

لقد اثبتت الوقائع أنه وان كان قد استفيد من الامم المتحدة كمنبر هام لعرض قضية روديسيا على الرأى العام العالمى ، الا أن تلك الهيئة ليست المجال الوحيد ولا أهم مجالات الحركة من أجل نجاح قضية شعب زيمبابوى الافريقى . وانما تقع مسئولية حسم الموقف المتفاقم فى روديسيا فى الاساس على عاتق الحركة الوطنية لشعب زيمبابوى الذى تسانده الشعوب الافريقية وسائر الشعوب المحبة للحرية والتقدم فى العالم .

روديسيا بعد فلسطين .. نموذج للاستيطان الاستعمارى

اتخذ النهب الاستعمارى اشكالا متنوعة، وتعددت اساليبه باختلاف البلدان التى تتعرض له، وبتغير الفترة التاريخية التى يتم فيها . فلم تقتصر المستعمرون فى نهب ثروات وموارد المستعمرات على اشكال محددة ، بل تعددت اساليبهم ، من منح استقلال شكلي ومتابعة عملية الاستغلال عن طريق رؤوس الاموال والشركات والتجارة غير المتكافئة ، الى الحكم المباشر والذى يبلغ ذروته بتهجير اجناس اجنبية وزرعها فى مجتمعات اخرى غريبة عنها ، ومدها بكل مقومات الوجود والحياة ، فى نفس الوقت الذى يقوم فيه الاستعمار بحملة شاملة للقضاء على الشخصية الاصلية للمستعمرة وخلق شخصية اخرى مغايرة تماما

تتفق وحاجات المستوطنين الجدد وتخدم اهداف الاستعمار فى محاولة لتخليد سيطرته والقضاء على اى تهديد بانبعاث الشخصية القومية .

والنموذج الحى لهذه الخطة الاستعمارية ، ماتم فى فلسطين وفى بعض البلاد الافريقيه . فان ماحدث فى فلسطين كما اشار الرئيس عبد الناصر فى خطابه امام مؤتمر رؤساء الدول الافريقية « شبيه بما حدث لشعوب افريقية . جاءها المستوطنون الغرباء تحت دعوى السيادة العنصرية ، وسرقوا الارض ، وطردوا اصحابها الاصليين ، ولم يجدوا سندا من غير الاستعمار يساعدهم ليكونوا اداة له فى صوره المختلفة » واليوم تتكرر المأساة بأبشع صورها فى روديسيا الجنوبية ، وتطل الجريمة التى ارتكبها الاستعمار والعنصرية فى فلسطين بوجهها مرة اخرى . والغريب ان البوادر الاولى لمأساة روديسيا وفلسطين ، بدأت فى فترة تاريخية واحدة ، فترة تكالب الاستعمار وتسابقه على امتلاك المستعمرات فى الحلقة الثامنة من القرن الماضى . ففى فلسطين شهدت الفترة مابين ١٨٨٢ — ١٨٩٧ التحركات الاولى لبناء مجتمع صهيونى عنصرى ، وان لم يقدر لهذه المحاولات النجاح بشكل جدى الا فى مرحلة متأخرة . وفى روديسيا اقامت شركة جنوب افريقيا حكما للمستوطنين فى ١٨٩٨ بعد تثبيت اقدامهم عن طريق الغدر والخديعة .

وليس من قبيل المصادفة ان يتآمر الاستعمار من اجل تمكين الصهيونية من اقامة حكم لها فى ارض فلسطين فى وقت نمت فيه الحركة الوطنية العربية — بعد الحرب العالمية الثانية وبتأثير نتائجها كعامل خارجى — واصبحت تمثل خطرا حقيقيا يهدد استمرار بقاء الاستعمار فى المنطقة العربية. وباقامة اسرائيل استهدف الاستعمار :

اولا : العمل على ضرب الحركة الوطنية المتزايدة فى الدول العربية وتجنب اخطارها .

ثانيا : خلق مركز ثابت وقاعدة دائمة للعدوان به ، تجذب انتباه الدول العربية وتستهلك طاقاتها وامكانياتها .

ثالثا : يحاول الاستعمار — كما دلل التاريخ فى عام ١٩٥٦ — ان يضرب — من فوق هذه القاعدة — كل بادرة انتفاضة ثورية تسعى الى ازالة سيطرته .

رابعا : تصدير رؤوس الاموال الغربية الى بلدان افريقيا وآسيا عن طريق آخر غير الطريق التقليدى المكشوف للقوى الاستعمارية القديمة ، اى عن طريق اسرائيل .

كما انه ليس من قبيل المصادفة ، ايضا ، ان يتآمر الاستعمار من اجل تمكين الاقلية العنصرية من اقامة حكم مستقل لها فى روديسيا ، فى وقت يسعى فيه الى تنفيذ مخططه الهجومى ضد حركة التحرر الوطنى الافريقية فى زحفها من شمال القارة لجنوبها . وخاصة بعد ان استقلت كل من زامبيا ومالاى (المجاورتين لروديسيا) . فى نفس الوقت الذى يتأهب فيه شعب بتشوانا لاند للاستقلال فى الشهور القليلة القادمة . وتواصل الحركة الوطنية فى كل من مستعمرتى انجولا وموزمبيق ، كفاحها المسلح من اجل حرية بلادها ، وباعلان استقلال روديسيا تحت سيطرة الاقلية العنصرية ، من جانب واحد ، نجح الاستعمار فى :

اولا : خلق مركز امامى للدفاع عن معاقله الاخيرة فى جنوب القارة واستعادته لنفوذه فى الكونجو .

ثانيا : خلق قاعدة دائمة للهجوم ضد الحركات الوطنية المجاورة وضد اى محاولة للدول المستقلة المجاورة الانطلاق بثوراتها الوطنية نحو آفاق يقلق لها الاستعماريون ويفزعون هلعا امام مجرد تصورها ، باقامة نظم اشتراكيه .

ثالثا : اقامة « افريقيا بيضاء » فى جنوب القارة تمتد من روديسيا وحتى جمهوريتى جنوب افريقيا وجنوب غرب افريقيا بجناحيها فى انجولا وموزمبيق .

رابعا : استهلاك طاقات وامكانيات الدول الافريقية المناضلة باختلاق معارك جديدة وشائكة امامها لتستنزف جهودها وتتعرقل عمليات تحولها الاجتماعى والاقتصادى .

اساليب الاستعمار والعنصرية فى روديسيا واسرائيل

وقد تشابهت الاساليب التى انتهجها الاستعمار والعنصريون بهدف القضاء على الكيان القومى للسكان الاصليين فى روديسيا وفلسطين ، وخلق كيان جديد تماما وغريب ايضا . ونستطيع ان نرسم خطا عاما لهذه الاساليب فى :

● **الهجرة بهدف الاستيطان :** فتح الاستعمار البريطانى باب الهجرة على مصراعيه امام المغامرين فى روديسيا الجنوبيه ، بغض النظر عن صفاتهم واهدافهم . وكان معظمهم من المرتزقة والباحثين عن الثروة بأى طريق وبأى ثمن . وفى فلسطين اباحت سلطات الانتداب البريطانى الهجرة وسهلتها لليهود حتى تضاعف عددهم عدة مرات (١٢ مرة) خلال الاعوام الثلاثين للحكم البريطانى . وزادت نسبتهم من ٨٪ الى ٣٣٪ من مجموع السكان فى ذلك الوقت .

● تمكين المهاجرين من السيطرة على ثروات البلاد والاستيلاء على اهم مراكزها الاقتصادية ، لاستغلالها لصالح المستعمرين فى النهاية ولتحقيق ذلك استغلت السلطات الاستعمارية ، سيطرتها على التشريع ومصادر التمويل ، وسلطاتها الادارية فى محاباة المستوطنين والتمكين لهم ، بل ولجأت الى السلاح لتحقيق ذلك ففى روديسيا نزعت الارض الخصبة من الافريقيين . وشكلت اللجان وصدرت المراسيم لتشريع نقل ملكيتها الى المستوطنين ، الذين وصلت ملكيتهم الى ٥١٪ من الارض الجيدة رغم ان عددهم لايتجاوز ٢٢٥ الفا بينما لايملك ٤ ملايين افريقى سوى ٣٣٪ من الارض ضعيفة الانتاج والتى لاتتوافر المياه اللازمة لريها وتنتشر بها ذبابة « تسى تسى » القاتلة . وفى ١٩٥١ صدر قانون « فلاحة الارض » الذى نزع مزيدا من الارض من ملاكها الافريقيين واجبر بعضهم على النزوح للمدن للعمل كاجراء .

وفى فلسطين ، عند بداية الانتداب البريطانى ، كان العرب يملكون ٩٧٫٥٪ من الاراضى ، ويملك اليهود ٢٫٥٪ منها ورغم محاولات الضغط والارهاب ، رفض العرب بيع اراضيهم ولكن سلطات الانتداب عملت بالتعاون مع المنظمات الصهيونية ، على ارهابهم واجبارهم على ترك اراضيهم . كما نقلت السلطات البريطانية ملكية الاراضى التى كانت فى حوزتها الى الجمعيات الصهيونية مباشرة — وسمحت لها بالسيطرة على المشاريع العامة ، كمشروعات الرى والكهرباء واستخراج المعادن من البحر الميت .

● **العنف والارهاب :** وقد برزت سياسة العنف ، كأداة فى يد المستوطنين العنصريين لتثبيت اقدامهم . ففى روديسيا استأجر رودس ٢٠٠ من المرتزقة والمأجورين وزودهم بأحدث الاسلحة لحماية عمليات التنقيب عن الذهب ، ونزع الاراضى اللازمة لذلك والقضاء على مقاومة رجال القبائل ، وبازدياد أطماع البيض وتوسع اعمالهم ، زادت اعداد المرتزقة المستعدين فى اى وقت لقتل الافريقيين . وفى فلسطين مازالت المذابح التى قامت بها عصابات الهاجاناة وشتيرن فى دير ياسين ، وعين الزيتون ، وصلاح الدين ، والطيرة ، ابو غوش ، كفر قاسم ، وعكا ، ماثلة فى الاذهان

وكان من الطبيعى ان يلجأ السكان الاصليون الى الكفاح المسلح . ولكن مقاومة الشعب الاعزل لم تكن لتنجح امام الفرق المدربة والجيدة التسليح ، التى يملكها القادمون . ففى روديسيا جلب المستعمرون فرقا من المقاتلين والجنود المحترفين مزودين باحدث اسلحة عصرهم ، فى مواجهة سهام وعصى وفئوس الافريقيين (بعد انهيار اتحاد وسط افريقيا ، اعطت بريطانيا كل الاسلحة التى كانت مخصصة لدول الاتحاد الثلاثة للاقلية البيضاء فى روديسيا الجنوبية) .

وفى فلسطين سمح البريطانيون للعصابات الصهيونية ، التى تم تشكيلها من جنود وضباط عملوا فى جيوش الحلفاء فى الحرب الاخيرة ، باستيراد الاسلحة من الخارج ، بل وسرقتها من المعسكرات البريطانية ، واعاروهم بعض الضباط البريطانيين للتدريب . هذا الى جانب المساعدات العسكرية من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واخيرا المانيا الغربية

● **الاستيلاء على السلطة السياسية :** بعد التمكين للمستوطنين من السيطرة الاقتصادية ، كان من الطبيعى ان ينقل المستعمرون السلطة السياسية للمستوطنين . ففى روديسيا ، لم يكن عدد البيض يتجاوز ١١ الفا فى ١٩٠١ ، ومع ذلك اقامت بريطانيا لهم مجلسا تشريعيا . وفى ١٩٢٣ منحتهم الحكم الذاتى ، مع انكار الحقوق السياسية على الافريقيين . وفى فلسطين سمح الانتداب البريطانى للجمعيات الصهيونية بان تطور مؤسساتها « شبه الحكومية » وان تبنى قوتها العسكرية المنظمة وعينت كبار موظفى حكومة الانتداب من الصهيونيين . وعاون الاستعمار البريطانى هذه المؤسسات الصهيونية على احكام سيطرتها على البلاد . وبعد ان اطمأن الاستعمار البريطانى على قدرة الصهيونيين واستعدادهم للانفراد بالبلاد ، انهى الانتداب وسلم لهم السلطة كاملة .

● **اقامة مجتمع عنصرى :** فالثروة والسلطة فيه للمستوطنين العنصريين ، والفقر والحرمان لاصحاب البلاد الاصليين ، وبناء نظام كامل اقتصادى وسياسى وتشريعى وفكرى على اساس من امتياز جنس على آخر . ففى كل من روديسيا وفلسطين ، يخضع السكان الاصليون لسلسلة لاتنتهى من القواعد واللوائح والاجراءات منها :

١ — عزلهم داخل مناطق مقفولة . ففى روديسيا خصصت اماكن للافريقيين بمقتضى مرسوم صدر فى ١٩٣١ يحرم على السود سكنى مدن البيض حتى ولو كانوا يعملون بها . كما يحرم عليهم دخول نوادى وملاهى ومحال البيض ، ويحرم الانتقال من مكان الى آخر الا بتصريح من السلطات الاستعمارية وفى اسرائيل يقيم ٩٠٪ من العرب الموجودين بها داخل « مناطق امن » فى ظل احكام عرفية ويحرم عليهم الانتقال من مكان الى آخر .

٢ — تضييق النشاط السياسى . ففى دستور ١٩٢٣ لم يكن للافريقيين حق الانتخاب فى روديسيا . وفى دستور ١٩٦١ شاركوا بشكل رمزى ، اذ خصص لهم ١٥ مقعدا من مجموع مقاعد البرلمان البالغة ٦٥ مقعدا . اما فى اسرائيل فيحرم النشاط السياسى ، باساليب مختلفة ، على العرب ولايسمح لهم بتكوين احزاب سياسية او اصدار جرائد .

٣ — التفرقة فى الاجور ، واهدار قاعدة « الاجر المتساوى للعمل المتساوى » ومن جانب آخر حرمانهم من الوظائف الهامة وقصر الفرص امامهم على الاعمال الدنيا . ففى روديسيا يبلغ متوسط دخل الافريقى ١٢١ جنيها سنويا بينما يصل دخل الابيض الى ١٤٢١ جنيها . وتتقدم امامهم فرص التعليم ، ويمنع الزواج المختلط وتقل العناية الصحية والاجتماعية .

ورغم وجود نص فى دستور ١٩٢٣ يعطى المملكة المتحدة الحق فى منع التشريعات العنصرية ضد الافريقيين ، الا انها لم تستخدم هذا الحق مطلقا . وفى اسرائيل لاتقتصر التفرقة العنصرية على العرب المسلمين بل تمتد الى المسيحيين . بل نجد تفرقة بين اليهود الغربيين القادمين من اوروبا وامريكا (٣٥٪ من اليهود) وبين اليهود الشرقيين المهاجرين من آسيا (١٦ ٪) ومن افريقيا (١٢ ٪) فينفرد الغربيون بالمناصب الهامة ، ويعمل الاخرون فى المهن الحقيرة ويتعرضون احيانا لاضطهاد مذهبى مما جعل البعض يفكر فى العودة الى بلاده .

● **الاقتصاد المنقول :** يمكن تسمية البنيان الاقتصادى فى كل من روديسيا واسرائيل « بالاقتصاد المنقول » اى انه ليس نتيجة نمو طبيعى داخلى ، بل يعتمد فى وجوده على الخارج ويستمد منه كل مقوماته ويعتبر جزءا لاينفصل من الاستعمار العالمى . وفرص الاستقلال عنه ضئيلة ان لم تكن معدومة . فاسرائيل تعيش على الاعانات والقروض التى بلغت ٧ بلايين دولار فى ١٠ سنوات . كما تعتمد روديسيا فى صادراتها ووارداتها على الغرب الاستعمارى ، ويعمل كل من البلدين لخدمة الاهداف الاقتصادية للمستعمرين .

اسرائيل وحكومات الاقلية

يفسر التشابه بين قضية فلسطين وقضية روديسيا والوضع فى جنوب افريقيا ، ذلك التعاطف الذى تبديه اسرائيل مع حكومة ايان سميث فى روديسيا وفيرفورد فى جنوب افريقيا . فقد كانت جنوب افريقيا من اوائل الدول التى اعترفت باسرائيل . وتجارتها معها تمثل الجزء الاساسى فى تجارة اسرائيل مع افريقيا وفى مقابل ذلك امتنعت اسرائيل عن ادانة الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا حتى فى الوقت الذى اضطرت فيه كثير من دول الغرب لمعارضة جنوب افريقيا

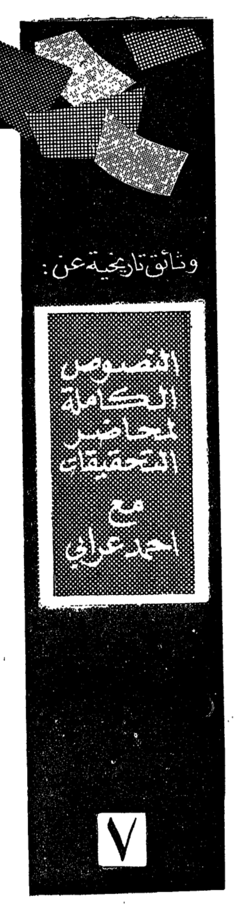
ومن الطبيعى ان تتكتل الحكومات العنصرية ، فعلاوة على اسرائيل سارعت حكومة جنوب افريقيه وحكومة البرتغال العنصرية الى تأييد الاقلية البيضاء لتكوين حزام عنصرى استعمارى يمتد بطول المستعمرات البرتغالية وجنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية لمواجهته المد الثورى وضمان استمرار سيطرة البيض على الموارد الاقتصادية والبشرية فى افريقيا

وليس من قبيل الصدفة ان تكون روديسيا واسرائيل من المراكز الاساسية لتغذية جيوش المرتزقة فى الكونجو وانجولا لضرب الحركات الوطنية .

ومسئولية بريطانيا فى مؤامرة روديسيا تعيد الى الاذهان دور بريطانيا فى فلسطين ، اذ تسترت على كافة الاستعدادات التى كانت تقوم بها الهيئات لانشاء دولة اسرائيل ، وكل ما كانت تفعله هو اصدار « كتيبات بيضاء » لطمأنة العرب بل لخداعهم . وفى الوقت الذى اكتملت فيه مقومات الوجود الاسرائيلى اعلنت انهاء الانتداب وسلمت السلطة لاسرائيل التى اعلنت فورا . ولم تتخذ اى اجراء يحد من اطماع اسرائيل ، رغم قدرتها على ذلك ، وعلى العكس تعاونت معها فى العدوان الثلاثى ضد الثورة الوطنية والاجتماعية فى مصر وفى الدول العربية . ويلقى هذا الضوء على مستقبل التعاون بين بريطانيا وحكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا .

ولاشك ان قضية روديسيا ستساعد القادة الافريقيين — الذين لم يتبينوا تماما بعد دور اسرائيل — على فهم الابعاد الحقيقية لقضية فلسطين والعدوان الصهيونى على شعبها . فلم تكتف العصابات الصهيونية ، كما فعل المستوطنون البيض فى روديسيا ، بالاستيلاء على السلطة السياسية والاقتصادية بل زادوا على ذلك ان طردوا مليونا عربيا خارج بلادهم ، الامر الذى لم تجرؤ عليه اشد الحكومات عنصرية ورجعية .

وثائق



النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع أحمد عرابى

تنشر الطليعة ابتداء من هذا العدد النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات التى أجرتهـا اللجنة المخصوصة (القومسيون)التى شكلت لاستجواب الزعيم الوطنى أحمد عرابى وزملاؤه بنـاء على أمر الخديوى توفيق الصادر فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

وقد بدأت هذه التحقيقات بعد فشل الثورة وبعد ان اعتقلت الحكومة الخديوية جميع زعمائها ما عدا **عبد الله النديم** الذى اختفى عن الانظار ، **وحسن موسى العقاد** والقائمقام **سليمان سامى** اللذين فرا الى كريت . وبعد أن بلغ عدد المعتقلين مايزيد على ٢٩٫٠٠٠ مواطن ، الامر الذى دل على الشعبية الواسعة والعميقة للثورة . وكان فى مقدمة المعتقلين « الزعماء السبعة » **احمد عرابى باشا ، ومحمود باشا سامى البارودى ، ومحمود باشا فهمى ، ويعقوب سامى باشا ، وعبد العال حلمى باشا ، وعلى باشا فهمى ، وطلبة باشا عصمت** . ومن اهم من اعتقل معهم : **حسن باشا الشريعى ، وعبد الله باشا فكرى ، وخورشيد باشا طاهر ، وعلى باشا الروبى واحمد بك نشأت** مدير الشرقية ، **ويعقوب بك صبرى** مدير الفيوم ، **واحمد بك رفعت** مدير المطبوعات **وعثمان باشا فوزى** وكيل دائرة « الاميرة زينب هانم حليم » والسيد **حسن الشمسى** صاحب جريدة « المفيد » ، **واحمد بك أباظة** نائب الشرقية ، **واحمد افندى محمود** نائب البحيرة **ومحمد افندى الشاذلى ، ومحمد بك جلال ، ومهنى يوسف** من نواب المنيا ، **وابراهيم بك الشريعى** وكثيرون غيرهم ، ومن العلماء الشيخ **محمد عبده** ، والشيخ **حسن العدوى** ، والشيخ **محمد عليش** ونجله الشيخ **عبد الرحمن عليش** ، والشيخ **محمد أبو العلا الخلفاوى** العضو الاول بالمحكمة الشرعية ، والشيوخ

احمد المنصورى ، واحمد عبد الغنى المدرسين بالازهر ،والشيوخ احمد البصرى ،ومحمد جبر ، ومحمد السملوطى وغيرهم .

وقد كان المرسوم الذى أصدره الخديوى توفيق بالاسكندرية فى ١٩ سبتمبر بالغاء الجيش المصرى (١) بحجة انه شـايع العصاة فى عصيانهم ، مقدمة لمحاكمة قواد الجيش وضباطه الذين تصدروا الثورة . فلما عاد الخديوى الى القاهرة ، بادر بتشكيل لجنة التحقيق المخصوصة من **اسماعيل باشا ايوب** رئيسا ، وعضوية **على غالب باشا ، ويوسف شهدى باشا ومحمد زكى باشا ، ومحمد سعد الدين بك ، ومحمد حمدىبك ، ومصطفى راغب بك ، وسليمان يسرى بك ، ومصطفى خلوصى بك ، ومحمد مختار افندى** (٢) ، كما انتدبت لجنة لتحقيق تهم الاقاليم والمدن برئاسة **محمد زكى باشا** وعضوية **مصطفى راغب بك ، وسليمان يسرى بك ، ومصطفى خلوصى بك** . وأصدر الخديوى فى ٢٨ سبتمبر أمرا آخر بتأليف المحكمة العسكرية بالقاهرة التى عهد اليها محاكمة العرابيين ، برئاسة **محمد رؤوف باشا** وعضـوية **ابراهيم باشا الفريق ، واسماعيل كامل باشا ، وحسين عاصم باشا وخورشيد باشا** لواء الطوبجية سابقا **وسليمان نيازى باشا وعثمان لطيف باشا ، واحمد حسنين باشا وسليمان نجاتى بك** وهم جميعا من خصوم العرابيين ومن المخلصين شخصيا وبحكم مصالحهم للخديوى توفيق والاستعمار البريطانى . وكان الخديوى قد أصدر قبل ذلك وهو بالاسكندرية فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أمرا آخر بتأليف لجنتان للتحقيق بالاسكندرية وطنطا الاولى ترأسها **عبدالرحمن رشدى باشا** والثانية **محمود باشا الفلكى** . وهى اللجان التى تعدل تشكيلها فى٦ يناير سنة ١٨٨٣ عندما صدر امر عال بتأليف ٣ قومسيونات للتحقيق فى كل ما وقع بالقطر المصرى خلا الاسكندرية وبذا الغى الامر الصادر بتشكيل قومسيون طنطا . واصدر الخديوى كذلك فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أمرا بتأليف محكمة عسكرية اخرى بالاسكندرية تختص بالحكم فى قضايا اسكندرية وطنطا وكانت برئاسة **عثمان نجيب باشا** . وعينت الحكومة بناء علىطلبالسير **ادواردماليت** القنصل البريطانى العامفى مصر مندوبا بريطانيا لحضورجلسات التحقيقهو **السيرتشارلسويلسون**(٥)كما اتفقتالسلطاتالانجليزية على اختيار المحامين الانجليزيين المستر **برودلى** والمستر **نابييه** للدفاع عن احمد عرابى أمام المحكمة العسكرية . وقد الف الاول كتابا عنالمحاكمات بعنوان « كيفدافعنا عن عرابى ؟ ».

ويرجع اهتمام الطليعة بنشر هذه النصوص الرسمية الكاملة لمحاضر استجواب احمد عرابى والتى تحدث لاول مرة فى تاريخنا الحديث الى ما تعرضت له الثورة ومواقف هذا الزعيم الوطنى اثناء المحاكمات من التشويه على يد سلطات الاحتلال والخديوية والملكية المتعاونتين معها . وقد نجحت تلك السلطات فى أن تخدع عددا من المصريين فيما يتعلق بحقيقة المواقف التى اتخذها هذا الزعيم وساعدها على ذلك عدم التمكن من الاطلاع على الوثائق الخاصة بالاحداث والتى اختفت عقب سنة ١٨٨٢ وعثر عليها بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ فى قصر عابدين . كما ساعدها ايضا عدم تمكن احد من نشر شىء عن القصة الحقيقية للثورة ـ التى كانت اول تفجير حقيقى للقوى الوطنية فىالوطن العربى ـ من مواقع الدفاع عنهم وعنها على وجه أخص .

لم يكن المقصود بهذا الموقف من جانب سلطات الاحتلال ، النيل من مجرد الشجاعة الشخصية لزعيم فرد ، وانمـا اضعاف الروح المعنوية للشعب المصرىبافقاده الثقة فىالمستوى الايجابى العالى من الشجاعة والقدرة النضالية التى اسفر منها واحد من اشجع ثواره فى العصور الحديثة ، من الذين غذتهم بزادها ، طاقة الشعب المصرى النضالية . لقداستهدفوا افقاد الشعب الثقة فى نفسه وفى قدرته على الثورة والنصر، وولد روح المقاومة لديه بكسر وتحطيم رمز هـذه المقـاومة وعلمهـا .

غير ان ما كشفت عنه المحاضر المنشورة هنا يدحض كل الاكاذيب والتشويهات عنضعف احمد عرابى وتخاذله المزعومين برغم ان هذه التحقيقات قد تمت فى ظروف فشل الثورة ، فى ظروف كان عرابى فيها سجينا بين القصر الخديوى والانجليز وتكالبتضده جميعالقوى الرجعية المحلية التىناوءت الثورة . كما انه يوضح من ناحية اخرى حقيقة انه اذا كان بعض كتاب الخديوية ومؤرخيها قد شوهوا مواقفه عامدين بدافع منعدائهم السافر للثورة اصلا ،فان بعضا آخر ممنكتبوا عن مواقف احمد عرابى قد كشفوا عن تصور ساذج لمعنى الشجاعة الادبية فى ظروف الهزيمة . لقد دافع احمد عرابى عن جميع مواقفه بنفس المنطق والوضوح الذى واجه به تلك المواقف فىحينها ، لميتنصل من اجراء ثورى واحد كان هو متخذه ، بالاضافة الى حضور ذهنه وقوة بديهة ومتانة حجته وشجاعته الادبية الواضحة .

فعندما سئل عن ذهابه بالجند الى قصر الخديوى يوم عابدين اجاب بحسم : « ان الاسباب التى دعت لذلك هى عدم الاخـذ بالعدل والمساواة فى المعاملات فى شأن البلاد التى لم يـكن فيها قوانين او فيها ولم يراع فيها الاجراء على مقتضاها » .

وعندما اتهمته اللجنة (القومسيون) بانه نادى مع المنادين بخلع الخديوى فى اليوم التالى لسقوط وزارة البارودى اجاب بوضوح : « لشدة تأثير اللائحة المذكورة التى قبلها الجناب الخديوى ، ما كان يمكن قبولها ولو ادى ذلك الى خلع الخديوى، **وكنت انا وكل الناس على هذا الرأى** » .

وعندما سئل : لماذا لم يغادر مصر مع علمه بقبول الخديوى للائحة اجاب فى شجاعة : « ان افكار الناس وقتها وحالة البلاد وشرف الامة منعتنى من ذلك » وغير ذلك من التفصيلات التى تحويها المحاضر كثير .

ان ثمة حقيقة اساسية تبرز من هذه المحاضر وهى اناحمد عرابى لم يحاول ان يبحث لنفسه عن مخرج فى دفاع قانونى يعتمد على المراوغة والتنصل ويحميه فى اطار اوضاع النظام المستبد القائم ، وانما قدم دفاعا سياسيا مخلصا عن قضية وعن الديموقراطية فى هذا الوقت المبكر ، ودافع بروح ومنطق الشرعية الثورية . واذا كان الاتهام قد اعتبر مواقفه عصيانا غير شرعى لسلطة الخديوى ، فقد اعتبرها هو التعبير الحق عن ارادة الامة المصرية ورغبتها .

وفى مناقشته مع محاميه « برودلى » (٣) يقول « اذا كان الخديوى قد انحاز الى الانجليز ، **فهل اسمى انا عاصيا لانى اطعت ارادة الامة المصرية ؟** » ، وفى محاضر الاستجوابيوضح أن : « أى رئيس من أى ديانة كانت وفى أى بلاد كانت متراسا على جيش مدافع عن بلاده لا يمكنه ان يجرى خلاف ما اجريته فى حالة وجود حاكم البلاد بطرف الجيش المحارب لها » .

على ان شجاعة احمد عرابى لا يمكن ربطها فحسب بقضية محاكمته ، اذ ظل وهو سجين ينبرى للدفاع عن مواقفه وعدالتها وعندما شنت جريدة « الجوائب » هجوما عليه فى العدد ١١٠٥ تحت عنوان : « القبض على العاصى فى مصر » ارسل الى « التيمس » (٤) اللندنية ،ردا طالب بنشره علىالعالم ، جاء فيه : « والان يا حماة الحرية اذا كان الجند هم العصاة ، فلماذا القى فى السجن من ذكر من العلماء والاعيان والقضاة حيث اذيقوا الهوان ؟ واذا كانت الامة كلها بكافة طبقاتها تتجه اتجاها واحدا وتفكر تفكيرا واحدا فلماذا تميزون الجند

---

(١) نشر فى المونيتور اجبسيان (الجريدة الفرنسية للحكومةالخديوية) عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

(٢) الوقائع المصرية عدد ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

(٣) احمد عرابى الزعيم المفترى عليه .تاليف محمودالخفيف.

(٤) من كتاب احمد عرابى الزعيم المفترى عليه . للاستاذمحمود الخفيف ص ٥٠٥ .

(٥) الوزير الانجليزى فى الوزارة التى تشكلت أواخر عهداسماعيل وكان بها وزيرين اجنبيين احدهما فرنسى والاخـر انجليزى

باسم العصاة ؟ . انى اعلن باسم الحق انه لظلم مبين ان يعاملوا هذه المعاملة . لقد كانت الحرب وفق قانون الله وقانون الانسان ، وقد اعلنت بناء على قرار مؤتمر لمجلس عقد برياسة الخديوى ودرويش باشا مندوب السلطان ، وبعد ان غادر الجيش والاهالى الاسكندرية ، ذهب الخديوى الى هؤلاء الذين كانوا يحاربون أمنه ، الامر الذى ينهى عنه كل قانون . لقد اجمعت الامة كلها على ضرورة وقف توفيق باشا لخروجه على الشرع الحنيف والقانون المنيف، وطلبت الاستمرار فى اعمال الدفاع عن الوطن بقرار رفع الى جلالة السلطان ، أبعد هذا نكون عصاة ؟ . اننا كنا ندافع عن وطننا بطريقة يقرها شريعة الله والانسان ، وكل من يقول غير هذا كائنا من كان فهو عبد للهوى والمال .

يا دعاة الحق أمن العدل ان يحرم ابناء الوطن من كل وظيفة ويأخذ الاجانب اماكنهم ومن حضر الى مصر من الشراكسة والالمان والبلغار بحيث ان جميع الرتب حتى احطها مثل رتبة اليوزباشى فى الجيش قد احتلها الاجانب دون ابناء مصر ؟. ولكننا سنجد بين حماة الانسانية من يدافعون عن الحق فى وجه طغيان هذا العهد الذى يسود منه وجه الانسان » وحرص على توقيع رده باسم « احمد عرابى المصرى » .

ولقد كان للموقف الشجاع الواضح الذى اتخذه احمد عرابى اثره على معظم المتهمين الاخرين والشهود الذين اتخذوا موقفا قويا مماثلا : فعندما سئل الشيخ حسن العدوى الذى شارف الثمانين من العمر من جانب رئيس المحكمة ، عما اذا كان قد وقع على قرار يقضى بأن الخديوى توفيق يستحق العزل، اجابه الشيخ : « ايها الباشا لم ار الورقة التى تحدث عنها ، ولا يمكننى أن اقول شيئا عما اذا كنت وقعت عليها او ختمتها بخاتمى ولكنى اقول لك ما يأتى ، انك اذا احضرت الى ورقة تحتوى على مثل المعنى الذى ذكرته فانى ابادر بالتوقيع عليها وختمها بخاتمى فى حضورك الان . أاذا كنتم مسلمين أتستطيعون ان تنكروا ان توفيقا باشا وقد خان بلاده وذهب الى الانجليز ، لم يعد يصلح لان يحكمنا ؟ » .

تلك كانت المواقف الحقيقية للعرابيين وفى طليعتهم احمد عرابى والتى سيكشف عن المزيد منها الاطلاع على نصوص هذه المحاضر . والطليعة عندما تضع نصوص هذه التحقيقات تحت ايدى المناضلين فى كل المجالات فانها تطالب وترى ان الوقت قد حان لاعادة النظر موضوعيا فى تقييم ثورة سنة ١٨٨٢ الوطنية وتقييم الدور الشخصى لاحمد عرابى فيها تقييما يتفق والحقيقة التاريخية الموضوعية .

لقد كانت آخر ومضة قدمتها روح احمد عرابى المناضلة ، تلك النصيحة التى تخص مستقبل مصر والتى قدمها فى مذكراته سنة ١٩١٠ قبل وفاته بعام والتى تكشف ايضا عن مدى اصراره الثورى : « على الناشئة المصرية ان تجد وتجتهد وتعمل ليلا ونهارا على استرداد مجدها واستقلالها وحريتها المسلوبة منها وتطالب الانجليز بالجلاء » (٦) .

اعتمدنا فى نشر النص الرسمى الكامل لهذه التحقيقات على الوثائق التى عثر عليها فى قصر عابدين بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعلى نسخة نادرة من كتاب سليم خليل النقاش « مصر للمصريين » الذى طبع فى مطبعة جريدة المحروسة السكندرية سنة ١٨٨٤ بعد الثورة بعامين وصودر نشره .

غير انه لما كانت الطليعة قد قررت نشر الوثائق الخاصة بالتحقيق مع احمد عرابى فقط ، فانها تود ان تستفتى قرائها من المناضلين فى كل المجالات ، عما اذا كانوا يرون ان تقوم الطليعة بنشر النصوص الاخرى التى توافرت لديها عن التحقيقات مع باقى زعماء الثورة ام تكتفى بالجزء الخاص باحمد عرابى فقط ؟. ذلك لانه على اساس ردودهم ستتوقف مسألة الاستمرار فى نشر هذه التحقيقات او افساح السبيل لنشر ما لدى الطليعة من وثائق تخص قضايا اخرى .

فى يوم الاربعاء ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٩٩

بناء على ماتقرر بجلسة هذا اليوم طلب احمد عرابى من السجن ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه واجاب عنها بما يأتى :

س — لما تولى خديوينا الاعظم مسند الحكومة المصرية اين كنت مستخدما ؟

ج — كنت معينا فى تسليم ٧٠٠٠٠ اردب غلال .

س — لمن ؟

ج — من مديرية وجه قبلى لبعض التجار .

س — كنت تبع اى مصلحة ؟

ج — تبع نظارة الجهادية .

س — هل كنت من المستودعين ؟

ج — لم اكن من المستودعين بل كنت فى آلاى وتعينت للمأمورية .

س — ما كانت رتبتك ؟

ج — قائمقام .

س — متى ترقيت لرتبة الامبرالاى ؟

ج — فى ابتداء تولية الجناب الخديوى الحالى .

س — وفى اى آلاى تعينت ؟

ج — تعينت فى ٤ جى الآى بيادة .

س — فى ١٥ صفر سنة ٩٨ تقدم منكم عرضحال لدولتلو رياض باشا رئيس مجلس النظار فى ذلك الوقت فهل تتذكره ؟

ج — نعم .

س — هذا العرضحال لم يكن عليه اختام بل مقال فقط انه من ضباطان الجهادية وقدمته انت وعلى فهمى وعبد

(٦) من كتاب احمد عرابى الزعيم المفترى عليه — تاليف محمود الخفيف .

العـال ، فهل عنـدك توكيل من ضباط الجهادية تقديمه ؟

ج — هذه مسالة صدر عنها عفو من الحضرة الخديوية .

س — هل تعرف ان هذا ذنب حتى وان الحضرة الخديوية عفت عنه ؟

ج — لم يكن هذا ذنبا .

س — نحن نسألك هل عندك توكيل ام لا ؟

ج — توكيلهم لى ولعبد العال باشـا وعلى باشا فهمى معلوم بداهة ولم ناخذ منهم سندات .

س — قل اسماء بعض الضباط الذين وكلوكم كى نسالهم ؟

ج — لا لزوم للسؤال منهم ، فانى لما كنت اميرالاى كانت لى كلمة نافذة على ضباط سائر الميرالايات وهـذا دليل على انهم وكلونى ومؤتمنون طرفى .

س — فى ذلك الوقت صـدر امر من الجناب الخديوى بتوقيفـكم وتلى عليكم الامر المذكور وامتثلتم وعلمتم منه بتشكيل مجلس عسكرى مركب من الجنرال استون وابراهيم باشا فريق السـوارى ولازمى باشا وبلوم باشا وخورشد عاكف باشـا ورضا باشا ونجم الدين باشا للحكم فيما يختص بكم على القانون فهل حصل ذلك ام لا ؟

ج — تلى علينا هذا الامر ، ولكن يؤخذ منه انه ليس الغرض الحـكم علينـا بمقتضى القانون فقط بل يستدل منه على موتنا أيضا .

س — الامر الذى صدر بشأن تشـكيل المجلس المذكور موجود هنا فسنتلوه عليك وقل لنا من أين يؤخذ أن الغرض موتكم .

وتلى عليه وها هى صورته : صورة الامر العالى الصـادر لنظارة الجهادية بتاريخ ٢٩ صفر سـنة ١٢٩٨ نمرة ١ فى حق كل من :

احمد عرابى

وعلى فهمى

وعبد العال حشيش .

بناء على الافـكار الفاسـدة والحركات المضرة المتوقعة من كل من احمـد بك عرابى ميرالاى ٤ بيادة وعبد العال بك حشـيش ميرالاى ٦ بيادة وعلى بك فهمى ميرالاى ١ جى بيـــادة ، خلافا للقانون والنظام العسـكرى قد تقرر بمجلس النظار المنعقد يوم تاريخـه بسراى عـابدين تحت رياستنا بتوقيف الثلاثة ضـباط المذكورين واحالة محاكمتهم على مجلس عسـكرى تحت رئاسـة الجنرال استون واعضائه ابراهيم باشا فريق السوارى ولازمى باشا وبلوم باشا ولوا خورشيد باشا عاكف ولوا سوارى محمد رضـا باشا ومن الضباط المتقاعدين لوا نجم الدين باشا ، ولهذا اصدرنا امرنا هذا لكم لكى تجروا حـالا توقيف الثلاثة ضباط المذكورين مع اخذ الاحتياطات الكافية لعـدم وقوع ادنى ما يخـل بالنظـام العمومى تحت كفالتكم . وبمعرفتكم يصير انتخاب وتعيين بدل الثلاثة الضباط المذكورين فى محلاتهم ومن هيئة تشكيل المجلس العسكرى فوق العـادة ومحـاكمة الثلاثة الضباط المـذكورين قـد تحرر فى تاريخه لجناب الجنرال اسـتون بما لزم عن ذلك يكون معلوم .

ج — حيث ان الخديوى قال فى ذلك الامر انه بناء على الافكار الفاسدة والحركات المضرة الحاصـلة من **احمـد عرابى وعبد العـال** فلابد أن كل مجـلس مصرى يحـكم علينا بالموت ومقال به ايضا مع اخذ الاحتياطات الكافية لعدم وقوع ما يخل بالنظام العمومى تحت كفالتكم فهذا لم يسبق له مثيل ويستدل منه على أن الغرض اعدامنا . هذا فضـلا عما شاهدناه فان الامر قاصر عـلى التوقيف ولم يذكر به السـجن والذى حصل خلاف ذلك فانه أخـذت منا السيوف ووضعنا بالسجن ووقف علينا أناس بالطبنـجـ ، فى ايديهـم السـيوف مرفوعة فرئى لنا من جميع ما ذكر ان هذه الحالة الغرض منهـا اعدامنا .

س — منذ كنتم فى السجن حضر ١ جى الاى واخرجكم من الحبس وفى الغروب حضر ٦ جى الاى حكمدارية **عبدالعال**، والالاى حـكمداريتكم كان عازما على الحضـور أيضا ، فهل حضورهم كان بنـاء على أوامر منـكم وباتفاق قبل حصول الحبس أم حضروا من تلقـاء انفسهم ؟

ج — الالاى حكمداريتى لم يقم من محـله ولم يكن عنده تنبيه بالحضور ، أمـا الالايان الاخران فلم اعلم بناء على اى شىء حضرا ولكن حيث ان الضابطان موكلونا للعـرض بطلب المسـاواة والانصاف بين أصناف العسكرية فهم طبعا ملاحظون أحوالنا اولا بأول ، فلما راوا هيئة ما حصل لنا فى السجن أخبروا بعضـهم بعضـا وحضروا لخلاصنا .

س — علم من التحقيق ان « الاى » على فهمى لم يحضر الا بناء على تنبيه منه قبل الواقعة بيوم والاى عبد العـال حضر فى يومها بناء على أمره بواسطة ارسال واحد من طرفه ، وان عـدم حضور « الايكم » هو بالنظر لعـدم امتثال الفى افندى يوسف ، وخلاف ذلك لم تتحرك باقى الالايات فمـاذا تقول ؟

ج — هذه المسألة عرضت على قناصل الدول فى ذلك اليوم وصدر عنها عفو عمومى .

س — بعـد اخراجكم من السجن بقصر النيل بواسطة العسـاكر وحضوركم لعـابدين كنتم تعلمون جيـدا انـكم معزولون من الالايات فلماذا بقيتم هناك مع العساكر واصررتم على طلب عزل **عثمان باشا رفقى** من نظارة الجهادية ، مع ان مرارا يعدكم الجناب الخديوى بالاجابة وينبه عليـكم بالانصراف ولم تنصرفوا حتى تحصلتم على مرغوبكم ؟

ج — هذه مسـالة صـدر عنها عفو من الحضرة الخديوية .

س — حيث انه قيل منكم انه صدر من ذلك عفـو من الحضره الخـديوية وتحصـلتم على رفع ناظر الجهـادية الذى كنتم مشتكين منه فكان المـأمول اذن مقـابلة هـذه النعمـه بالطـاعه والانقياد التام لاوامر الحضرة الخديوية والسلوك الحسن ، فوقع منكم ضـد المأمول وقبل انقضاء سبعة اشهر بعد هـذا العفو احضرتم آلايكم والايات الاثنين ميراليات الذين اشتركوا معكم فى واقعة ٤ فبراير سنة ١٨٨١ وبعض الالايات التى امكنكم اغراها على ذلك وبطـاريات الطوبجيـة بطبنجاتها ، واحطتم بهؤلاء العساكر سراى الجناب الخديوى بعـابدين فى يوم الجمعة ٩ سبتمبر سنه ١٨٨١ . وقبل حضوركم لتلك الجهة ببضـع سـاعات حررتم للقناصل ولنظارة الجهادية على هـذا التصميم الذى تجاسرتم على اجرائه بالفعل ، فما أسـباب ذلك ولـماذا تجاسرتم على هذا الفعل المضاد للنظام العسـكرى وبدلا من قيامـكم باداء وظيفتكم التى هى حفظ الذات العلية هددتموها بالاسلحه التى اعطيت لكم لاجل حفظ تلك الذات السنيه وحفظ الحكومة المصرية ؟ وفيما بعد طلبتم من الحضرة الخديوية طلبات لم تكن من وظائفكم ولا من خصائصكم واصررتم على عدم اعادة العساكر لمحلاتهم حتى تحصلتم على مطلوبكم بهذه الكيفية ؟

ج — ان الاسباب التى دعت لذلك هى عدم الاخـذ بالعـدل والمسـاواة فى المعاملات بشأن البلاد التى لم يكن بها قوانين ، أو لم يراع فيهـا الاجراء على مقتضـاها فلذلك اعتمـد اعيان البلاد على أبنائهم رؤساء العسكرية وتألفت أنفسهم لتشكيل مجلس نواب بالبلاد يحفظ لها حقوقها ويدفع عنها ما الم بها من المظالم ، حيث أن من كان له مظلمة منهم وتلقى فى مجلس من المجالس الاهلية فلا تنتهى ولا ينظر لها بعين الاعتبار ، وربما تترك بالمجالس فوق العشرين سنة حتى يموت صاحب الدعوى كمدا بظلمه ، وكضياع حقوقهم المدفوعة فى المقابلة التى هى عبارة من ١٧،٠٠٠،٠٠٠ ولم يصر معـاملتهم

فيهـا اسوة بالديانة الذين لهم حقوق على الحكومه المصرية . وغير ذلك مما لا يمـكن اسـتيفاء شرحه فى هـذا الجواب ، فاجتمعت اذن أفكار الناس على أنه لا محيص لهم من تلك المظالم الا وجود مجلس نيابى يكون من شأنه حفظ الارواح والحقـوق والامـوال

فاجمعوا امرهم على ذلك مع سن قوانين تكفل لهم حقوقهم وتحرر بهـا اعراضات وختم عليها من نحو الالفين من عمـد وأعيـان وتجار البلاد . ولخوفهم من البطش بهسم أنابونى مع اخوانى الضابطان لكوننا ابناءهم وهم اهلونا ، يضرنا ما يضرهم وينفعنـا ما ينفعهم فقاموا العسـاكر البيـادة والطوبجية والسوارى الموجودين بمصر بدون أن يتخلف منهم احد ، وتوجهوا الى عابدين بعد اعلام قناصل الدول بتلك الطلبات الشرعية الحقة التى لا ينكرها منصف ابدا وكان توجههم بغاية الادب والسـكون بصفة عرض جيش على الحضرة الخـديوية نلتمس من حضرته العلية منح الامة المصرية التى نحن أبنـائها ووكلائها فى طلب تلك الطلبات الحقه بمنحها ذلك وانصرف الكل شـاكرا لجنابه العالى على ما ذكر . والاعراضات المقدمة من اعيان الامة المصرية تقدمت جميعها لدولتلو شريف باشا الذى صار تسميته بطلب الامة رئيسا للنظار . ومع ذلك صدر عفو الخديوى ايضـا عما حصل من القصور فى هذه المـادة على أن تلك الطلبات جميعها هى من اقصى آمـال الحضرة الخديوية وسابقة التصريح بها فى الدكريتو الصادر من جنابه الرفيع فى أول ولايته .

س — لو فرض أن الحضرة الخديوية لم تسلم فى هـذه الطلبات فمـاذا كان يحصل ؟

ج — نحن واثقون بكرم الخديوى ووفائه بوعده السابق فى أول دكريتو صـدر من جنابه الكريم كما ذكرنا فى جوابنا المتقدم حيث أن ذلك من أقصى آماله

س — لم يوجـد اذن وجه لتوجيهـكم بالعساكر والجبخـانة معهم والاحاطة بالسراى بتلك الكيفية المهولة ؟

ج — البلاد التى لم يكن بها مجلس نيابى يحفظ للامة حقوقها من كافة اقطـار الارض يحصل فيها اكثر من ذلك بحيث يسـفك فيها كثير من الدماء وهـذا لا يخفى على كل متذكر . ونحن بحمده تعـالى لم يحصـل ادنى شىء يخل بالراحة بخصوص هذا الطلب ، وتقدم أنه ما كان حضور العساكر الا بالنسبة للالتماس فى هيئة عرض انفسهم على الحضرة الخـديوية ومع ذلك فعفـو الخديوى شمل ما حصل فى تلك المادة من القصور .

س — تدعى أن الامـــة أنابتـك انت والضـابطان فى طلب الطلبـات التى ذكرتها فالامة المصرية عبارة عن خمسة ملايين ولا يتصور أنه صار توكيلكم انت والضـابطان من طرف هـذا القدر ، وحيث أنك تدعى أيضـا أنه تقدم اعراضات من نحو الالفين شخص من اهالى البلاد الى دولتلو شريف باشا مباشرة فيعلم عـدم توكيلكم من طرف أحد من الامة المصرية كما تدعون فان كان بيدكم والحالة هذه توكيل أبرزوه وخصوصا أن الامة المصرية واعيانها عموما موجودون ، فبين أسماء ولو نحو عشرين من الاعيان الذين أنابوكم حتى باستجوابهم تتضح الحقيقة ؟

ج — مهما كان تعداد اى امة من الامم فانها تكون مرءوسة برؤساء يسمونهم المشايخ والعمد ويطلق على هؤلاء الرؤسـاء الذين هم بعض الامة لفظ الكل ، اعنى الامة . وعلى ذلك فرؤسـاء البلاد النائبون عن الاهالى هم الطالبون لتلك الطلبات وهم المعرضون اعراضاتهم التى كان اغلبها بطرفى فى ذاك اليوم . ومن هؤلاء العمـد والاعيـان تركب مجلس النواب . والدليـل على أنهم أنابونى فى طلب طلبـاتهم وجود نحو الالفين عمدة فى ذاك اليوم والحاحهم على دولتلو شريف باشا بقبول الرئاسة عند حضوره من الاسكندرية الى مصر ، ولوثوقهم بى على أنى ومن معى من الضباط والعسـاكر جميعا من أبناء البلاد الذين تشـملهم تلك الحقوق الوطنية .

س — وظيفتك كانت ميرالاى جهـادى ، وقوانين العسـكرية لا تسـمح لك بالتداخل فى الامور الادارية الاهليـة فكيف تداخـلت فى ذلك وأغريت باقى الضباط الذين اتبعوك ، هل الخديوى ونظاره وباقى حكامه كانوا محجوبين عن الاهالى وما كان أحـد يمـكنه الوصول اليهم حتى تداخلتم فى أمورهم بهذه الكيفية ؟

ج — قدمنا بأجوبتنا المتقدمة أن من كان له حق أو حاجة وتحال على اى مجلس او اى ديوان فيموت بغصته ولم يتحصل على شىء منهـا ، فمن أجـل ذلك ولشمولنا مع أهلينا بحقوق واحـدة حصل ما تقدم ذكره بدون أن تسـقط شعرة واحدة من رأس أى انسـان وما كنت لاقوى الناس بل كنت حافظا نظـامهم وموقفـا لحركات افكارهم الشديدة التضـارب بعضها لبعض ، فهم الذين أناطونى لاسير لهم فى منهج الاستقامة حفظا للنظام العام ، ولولا ذلك بل لولا وجودى لما أمكن توقيف ذلك التيار المنبعث من قلوب مختلفة وأفكار متضاربة . وهذا شىء لا يخفى على كل ذى بصيرة اذ لو ترك ذلك التيار وشأنه من غير حافظ له لحصـل من المضرات الكثيرة ما لا يخفى على أحد . ومع ذلك فما وقع من القصور فيما تقدم ذكره ، عمه العفو الخديوى .

س — فى أول دفعـة فى واقعـة يوم ٤ فبراير سـنة ١٨٨١ طلبتم عزل ناظر الجهادية واصررتم على ذلك بطريقـة خـارجة عن القانون وتحصـلتم على مقصودكم وعفى عنكم الجناب الخديوى كما قبل منـكم . وفى واقعـة يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ أشهرتم السلاح واحطتم بسراى الحضرة الخـديوية بالمـدافع وهددتموها وتحصـلتم على طلبـات خارجة عن وظائفـكم وهى احداث مجلس النواب وسقوط وزارة دولتلو رياض باشا وما أشبه وقلتم أن الحضرة الخديوية عفت عنكم فى ذلك ايضا فبدلا من مقابلة هذه النعمة التى تحصلتم عليها بالشكر ، لم يمر زيادة عن بضعة أشهر حتى توجهتم ذات ليلة لمنزل سـعادة سـلطان باشا رئيس مجلس النواب فى ذلك الوقت وبرفقتكم الضابطان العسكريان المتعصبين معكم وهنـاك أمام من وجـد من النواب والعلماء تلوتم خطبة بالقدح والذم فى الحضرة الخـديوية وعائلته الشريفة وختمتم خطبتـكم باعلان خلع جنـابه العالى وقلتم أن من يكون معكم فى هذا الرأى يقوم واقفا ، ولما لم يرد أحد من الحاضرين القيام خلاف الضـباط هددتهم أنت ومحمـد عبيد حالة كونه شـاهرا سيفه حتى حصـل من ذلك اضطراب وغاغة بمنزل الباشا المشار اليه ، واندهشت اهل البلد خصوصا وأنك أمرت وقتها احـد الضـابطان الحاضرين وهو خليل كامل الميرالاى باستعداد الآليه للهجوم به على سراى الاسـماعيلية محـل اقامة الحضرة الخديوية ، فهل يجوز وقوع ذلك منكم بعد توصلكم الى كافة طلبـاتكم من الحضرة الخـديوية والغمـاركم باحساناتها ؟

ج — أى ليلة هذه وفى أى تاريخ حصـل ذلك . أرجو تذكيرى .

س : فى ثانى ليلة سقوط وزارة محمود سامى التى كنتم من ضمنها بصـفة ناظر جهادية .

ج : انى لم اطلب لنفسى شيئا قط بل تلك الطلبات كانت على حسب ماسبق ايضاحه ، وانى دائما محترم وحافظ للحضرة الخديوية ولم يقع منى ادنى تهديد اصـلا بل كنت كسـور عظيم البنيان مانع لتيار تلك الافكار السريعة الانحدار . وكنت أظن أن ذلك خدمة لا تغيب اهميتهـا عن افكـار أولى العدل والانصاف . اما تلك الليلة المعروفة بليلة أبو سـلطان فالحق اقول انه لما تحقق للحضرة الخديوية استقامتى وحسن خـدماتى وتأديتها بغاية الحرص والامانة منحتنى رتبة اللواء ووجهت الى عهدتى سنة ٩٨ نظارة الجهادية كل ذلك دليل على حسن رضائها عنى الى أن انحلت

نظارة محمود سامى باشا التى كنت
من ضمنها لاسباب معلومة كانت
نتيجتها ماحصل من المحاربة الشنيعة
وهى الاختلاف الذى وقع بين النظارة
المذكورة وبين الحضرة الخديوية فى
قبول اللائحة المقدمة من جناب
قنصلى انكلترا وفرنسا وعدم قبولها
بطرفنا وكان طلب مجلس النواب
للنظر فى هذه الاختلافات واناطته
بتسويتها . ولما لم يجد ذلك نفعا
حصل الاستعفاء وكنت بمنزلى فصار
طلبى فى تلك الليلة الى بيت رئيس
مجلس النواب حيث كان جميع اعضاء
المجلس موجودين فيه ومنتظرين
حضورى فلم ار بدا من التوجه
اليهم فتوجهت هناك بمفردى ولم يكن
معى احد . وبحضورى لحضرتهم
كلفونى بأن اداوم على ملاحظة
العسكرية وحفظ الراحة العمومية
داخل البلد فاجبتهم بانى استعفيت
من مسند نظارة الجهادية مع اخوانى
وقبل ذلك الاستعفاء لدى الحضرة
الخديوية فلا يمكننى ان الزم نفسى
بما لا يخصنى اجراءه ، فاجابنى رئيس
النواب ومن معه باننا نحن نواب
الامة وقد كلفناك بهذه الخدمة واننا
متوجهون الى الحضرة الخديوية
لنلتمس منها بقاءكم فى نظارة الجهادية
كما كنت . ثم دار الكلام فى الاسباب
التى اوجبت الاستعفاء وما كان من
امر اللائحة المقدمة من قنصلى انكلترا
وفرنسا وما يؤول اليه امر البلاد
اذا حصل قبولها ، وما كانت
عليه البلاد قبل ذلك ؛
فهذه هى المحاورات التى جرت
المعبر عنها بالخطبة . وكان جميع
اعضاء مجلس النواب كارهين لامر
هذه اللائحة وكارهين للاسباب التى
انبنى عليها تقديمها واجمع رأيهم على
عدم قبول تلك اللائحة ، وجميعهم
اعطى قوله على ذلك وكان من رأيهم
عموما التسليم فى عزل الخديوى
ولا يسلمون فى قبول اللائحة المذكورة
ابدا . واشتدت حركة الافكار وكث
هذا التضارب الناشىء من تلك
الحركة مدة تزيد عن اسبوعين الى
ان قبل سعادة راغب باشا رئاسة
مجلس النظارة وصدر من الحضرة
الخديوية عفو عام عن جميع مايتعلق
بهذه المسألة وما قبلها لكثرة شغب
الافكار والاشغال بجميع بلاد المديريات ،
وبناء على هذا العفو تشكلت النظارة
المذكورة وصدر امره الكريم بتعيينى
من ضمنها . ثم لما كنت بدون نيشان
من نياشين الافتخار احسن على بطلب
النيشان المجيدى من الدرجة الاولى
من الحضرة السلطانية خصوصى وما ذلك
الا اعلانا لرضاه عنى . هذا هو
الحق الذى حصل ولم يسبق صدور
امر لخليل كامل ولا لغيره كما ذكر ،
اذ انى كنت اعد نفسى انى حافظ
امين واما ماقيل غير ذلك فلا اصل
له البتة .

س ـ هذا الجواب لم يكن ردا
للسؤال فاذكر صراحة هل ناديت بمنزل
سلطان باشا بخلع الحضرة الخديوية
وقلت ان من لم يكن معك يقم واقفا
ام لا ؟؟

ج ـ على حسب فكرى ان هذا
الجواب هو رد لما سئلت فيه وانى
اوضحت به انه حصل الاجماع على
التسليم فى خلع الخديوى ولا يمكن
التسليم فى قبول اللائحة ولما استقر
الراى على ذلك كنت جالسا فقمت
وقلت من وافق على ذلك فليقم معنا
فقام الكل ولم يتأخر احد . والغرض
من ذلك هو عدم التسليم فى قبول
اللائحة المذكورة حتى وبالفعل قام
رئيس مجلس النواب ومن لزم معه
من الاعضاء وتوجهوا الى سراى
الاسماعيلية فى تلك الليلة نفسها
وامرضوا ببقائى والزامى بالامن
والراحة وفى غد تلك الليلة حضر
لى رئيس المجلس المذكور وسعادة
سليمان باشا اباظه وغيرهم وسلمونى
ارادة خديوية ببقائى فى نظارة
الجهادية فتوجهت مسرعا لتأدية
التشكرات الواجبة لحضرته العلية

س ـ كان رايك اذن مع راى من استقر
رايهم من الحاضرين على عزل الجناب
الخديوى ؟

ج ـ مما توضح يعلم انه لشدة تأثير
اللائحة المذكورة التى قبلها الجناب
الخديوى ماكان يمكن قبولها ولو ادى
ذلك لخلع الخديوى وكنت انا وكل
الناس على هذا الرأى

س ـ منذ كان محمود سامى رئيسا
لمجلس النظار ومنذ كنت انت ناظر
الجهادية قر رايكم على طلب النواب
واحضرتموهم بالفعل بدون امر
الحضرة الخديوية فلماذا اجريتم ذلك
مع علمكم انه مخالف للائحة النواب؟

ج ـ من مقتضى لائحة مجلس النواب
انه اذا تراءى امر مهم فى مدة غياب
مجلس النواب فعلى مجلس النظار
تدارك هذا الامر تحت مسئوليتهم عنه
عند انعقاد المجلس فى السنة التالية
ولم يكن امر مهم اكبر من خلاف يقع
فى مسألة بين الحضرة الخديوية وبين
النظار ، فلتدارك هذا الامر وعدم
خروجه عن يد اهل البلاد استقر
رأى مجلس النظار على طلب مجلس
النواب لينظر فيما حصل الخلاف فيه
املا فى اصلاح الامر قبل تعاظمه وعلى
ذلك جرى طلب النواب

س ـ اعترفت اذن بطلب النواب بدون
امر الحضرة الخديوية لان منطوق
اللائحة لا يطابق تاويلكم ؟

ج ـ اوضحنا بان طلبه بغير امر الحضرة
الخديوية ما كان الا اعتمادا على
قانون مجلس النواب ، وعلى ان ذلك
جائز فى الحكومات المتمدنة اذا دهم
البلاد امر يخل بشانها ولم يكن امر
اكبر من خلاف يقع بين الحاكم
وحكومته .

س ـ ما هو الخلاف الذى وقع بين
الحضرة الخديوية وبين النظار
وترتب عليه طلب النواب بمعرفتكم ؟

ج ـ هو قبول الحضرة الخديوية للائحة
المقدمة من جناب قنصلى انكلترا
وفرنسا وعدم قبولها بطرف نظار
حكومته .

س ـ ماذا كان مضمون تلك اللائحة
المقدمة من طرف الدولتين ؟

ج ـ كان مضمونها سقوط النظارة
واخراجى من بلادى الى اوربا واخراج
وتبعيد على فهمى وعبد العال الى
داخل القطر .

س ـ هل فى معلومكم ان الجناب الخديوى
قبل هذه اللائحة من قنصلى الدولتين
المتقدم ذكرهما ام لا ؟

ج ـ تقدم باجوبتى ما يدل على ذلك .

س ـ كان الجواب اذن عليكم قبولها
مثل ما قبلها الجناب الخديوى
لكونكم تحت اوامره وهو المناط من
طرف الدولة العلية بامتيازات
مخصوصة باجراء الاحكام على حسب
ما يتراءى له بدون ان يعارضه احد
فى داخل حكومته ، فلماذا تجاسرتم
على رد اوامره حيث انه قبلها ولا
سيما ان خروجك من البلد حائزا
شرفك ومرتباتك ما كان يترتب عليه
ضرر ؟

ج ـ صحيح كان اولى خروجى الى
اوربا وكنت اتمنى ذلك ولكن افكار
الناس وقتها وحالة البلاد كانا مانعين
من ذلك بل من اى شىء اريد فعله،
واما ما ذكر من لزوم موافقة النظارة
للحضرة الخديوية لما لها من الامتيازات
الخصوصية فذلك لايكون امرا لازما
فى الحكومات الشوروية خصوصا
وان جنابه الكريم اوجب على نفسه
جعل الحكومة شوروية وان يشترك
مع نظاره فى الرأى . ولحرص النظارة
على تلك الامتيازات وما رأوا فى قبول
تلك اللائحة من التداخل فى الامور
الادارية ومس الامتيازات الخديوية
لم يصر قبولها ، كما ان اعضاء مجلس
النواب بتمامه ابوا قبولها كما تقدم
الايضاح بالاجوبة السابقة .

ثم استصوب اعادته للسجن حيث ان حان وقت الغروب فى ٢٨ ذى القعدة سنة ١٢٩٩

اعضاء

محمد مختار ، مصطفى خلوصى ، سليمان يسرى ، مصطفى راغب ، محمد حمدى ، سعد الدين محمد زكى ، يوسف شهدى ، على غالب .

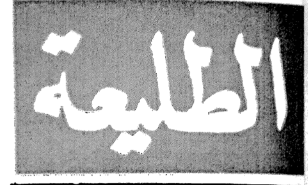
رئيس القومسيون (اسماعيل ايوب)


دار المعارف بمصر
تعتز بأن تقدم لرجال السياسة والاقتصاد والتخطيط
في الوطن العربي أحدث مؤلفات الأستاذ
شارل بتلهيم
وهو كتاب
التخطيط والتنمية
الذي تولى نقله إلى العربية
الدكتور إسماعيل صبري عبد الله
وهو يشمل :
• التعريف بالتخطيط وتحديد مضمونه
وبيان مقتضياته السياسية والاجتماعية
والاقتصادية (التغيرات الاجتماعية ، دور الجماهير
الكادر السياسي ، التنظيم الطليعي).
• صورة دقيقة للتخطيط في إطار
تنمية الاقتصاد القومي .
• نقد مفهوم "التخلف" الشائع في الاقتصاد
الغربي وبيان حقيقة وضع البلاد النامية.
• عرضا عمليا ومفصلا لطرق إعداد
وإعمال الخطة .
٢٥٤ صفحة . قطع كبير - الثمن ١٠٠ قرش
وبهذا الكتاب القيم تستهل « دار المعارف » مجموعة جديدة
تخصصها لمعالجة قضايا التنمية في النظرية والتطبيق وهي :
مكتبة التنمية والتخطيط
خذ المعارف من دار المعارف
القاهرة : ١١١٩ كورنيش النيل - و ٩ شارع كامل صدقي بالفجالة - و ١٠٥ شارع شبرا - وميدان السيدة زينب
الاسكندرية : ٤٢ شارع سعد زغلول - و ٢ ميدان التحرير بالمنشية - اسيوط : شارع جمال الدين السيوطي
توكيلات في جميع المحافظات والمدن الكبرى وفي انحاء العالم العربي


منارات الثقة
... والأمان
أكبر شبكة محطات
على جميع الطرق الزراعية والصحراوية
في جميع انحاء الجمهورية ـ وبالوادى
الجديد وسيناء والصحراء الشرقية
خدمة ممتازة
تشحيم فنى
بأحدث الطرق العلمية
الجمعية التعاونية للبترول ش م ع



سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
كيما
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية
بأسوان



طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

مارس ١٩٦٦

٣

التوعية

الأسلوب والمضمون

ملف الطليعة : الثقافة فكراً وسياسة



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيفى

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

العدد الثالث ــ السنة الثانية ــ مارس ١٩٦٦

● حرب الرايات .. من الصليبيين والسلطان سليم .. الى الصهيونيين والشاه بهلوى ((الافتتاحية)) — لطفى الخولى — ص ٥
● اتجاهات الوحدة النقابية .. والعمل السياسى للطبقة العاملة العربية — د. عبد الرؤف ابو علم — ص ٩

■ التوعية .. الاسلوب .. والمضمون — ص ٢١

● الوعى الخام .. ومشاكل التوعية الاشتراكية فى مجتمعنا — لطفى الخولى — ص ٢٢
● الرحلة الانسانية .. من ((المعرفة بالحياة)) الى ((الوعى الاشتراكى)) — مصطفى طيبة — ص ٣٢
● لمن توجه التوعية ؟ — د. لطيفة الزيات — ص ٤٥
● مسئولية اجهزة التعليم والثقافة والاعلام فى عمليات التوعية الجماهيرية — مجدى فهمى — ص ٤٩
● اسلوب ومضمون التوعية الاشتراكية من واقع ((تجربة السويس)) — عبد الهادى ناصف — ص ٥٥
● التنظيم السياسى .. والعمل الجماهيرى — محمد عبد الفتاح ابو الفضل — ص ٦٥
● ((تجربة من رومانيا)) .. من الدولة الشعبية .. الى الدولة الاشتراكية — د. جمال العطيفى — ص ٧٠
● حول ((أمراض السلبية)) وجذورها السياسية والاجتماعية — ميشيل كامل — ص ٧٨
● الاشتراكية والوحدة فى الوطن العربى — فتحى عبد الفتاح — ص ٨٩

■ كتابات جديدة — ص ٩٢

● الوجود الايجابى والوجود السلبى للاتحاد الاشتراكى فى القرية — محمد كمال بيومى غنيم — ص ٩٢
● نحو وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى — عنتر عبد السلام مخيمر — ص ٩٤

■ مكتبة الطليعة — ص ٩٦

■ تقارير الشهر ..والتعليقات — ص ١٠٢

■ مناقشات مفتوحة — ص ١٢٤

■ ملف الطليعة :

بصمات العقاد الفكرية والادبية والسياسية على الواقع العربى — ص ١٢٩

■ وثائق تاريخية عن الثورة العرابية

((الجلستان الثانية والثالثة)) — ص ١٥٠

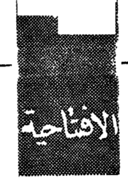
عنوان المراسلات :

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ ــ ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .



حرب الرايات
من الصليبين والسلطان سليم إلى الصهيونيين والشاه بهلوى

تتحرك اليوم فى وطننا العربى وكل منطقة الشرقين الاوسط والادنى ، اياد عربية واجنبية ، معروفة التاريخ والطالع والمواقف ، رافعة راية منسوبة للاسلام ، تدعو لحلف جديد .

وظاهرة التستر وراء رايه الاسلام ، لمقاومة المد الثورى للمسلمين فى مجتمعاتهم ـ على مدى التاريخ ـ من اجل الحرية او العدالة او المساواة او التقدم الاجتماعى ، ليست بالظاهرة الجديدة التي نواجهها لاول مرة . بل هى فى الحقيقة وجه من وجوه ظاهرة كلية عالمية ، قديمة ومستحدثة معا ، شهدتها ـ وما تزال ـ مجتمعات الارض قاطبة . فعندما تحاول فئة اجتماعية ممتازة اجتماعيا وذات مصالح معادية لمصالح عامة الجماهير الشعبية ، التسلط والسيادة والاستغلال او توسيع نطاق نفوذها او الدفاع عن امتيازاتها الموروثة امام تحركات اليقظة الشعبية ، تعمد ـ كتكتيك ـ الى اخفاء انيابها الحادة واهدافها الحقيقية تحت اردية دينية ورعة النسيج ، بريئة المظهر .. مسيحيه كانت او مسلمة او يهودية .

لقد دوى فى اواخر القرن الحادى عشر ، نفير البرجوازية التجارية وحلفائها من أمراء الاقطاع بتمجيد السيد المسيح ، وشملتها فجاة حمى نشر ظله على كل ارض باسم « محبة الله » . وعزف على نفس النغمة كل الملوك والباباوات الطغاة الذين أعادوا صلب كل ما يمت الى ابن مريم من بشر وقيم ، آلاف المرات خلال محاكم التفتيش الدامية ومجازر الارهاب وسياط الظلم والاستغلال والرق الاقطاعى وبيع صكوك الغفران .

ولم يكن حب الله او تمجيد المسيح هنا غير مجرد « راية » رفعها التجار والمرابين من اجل تضليل جماهير المسيحيين وتعبئتهم للقضاء على منافسيهم من التجار والمرابين اليهود فى اوروبا .. « اولئك الذين صلبوا المسيح المخلص على جبل صهيون »! ولغزو الشرق وفتح اسواق جديدة للتجارة ونهب كنوزه وخيراته التى تحدث الرحالة الاوربيين عن توافرها فى ايدى المسلمين .. « اولئك البرابرة الذين يدنسون بيت المقدس مهد المسيح » !.

وهكذا تحت راية « فى سبيل حب الله » تزاملت مذابح اليهود البشعة فى اوربا مع الحروب الصليبية ضد الشرق ، وسالت انهار غزيرة من دماء المسيحيين والمسلمين واليهود تحقيقا لمصالح ومطامع حفنة من المرابين والتجار والملوك وادعياء الدين .

وتكشف وثيقة الحملة الصليبية الرابعة (عام ١٢٠١) التى قامت فيها برجوازية فينيسيا التجارية وحاكمها مع سفير البابا الفرنسى المعروف باسم « ولهاردم » بالدور الاكبر ، حقيقة أهداف المتاجرة بالدين ، كسياسة وتكتيك الطغاة والمستغلين . فقد حفظ لنا التاريخ نصوص المحادثات بين المتاجرين بالدين تحت اسم « **اتفاقية مارت عام ١٢٠١** » .

تقول الوثيقة بالحرف :

« سيدى (الحديث موجه من سفير البابا الى حاكم فينيسيا التجارية) نحن ممثلى نبلاء وبارونات فرنسا الذين حملوا لواء الصليب والذين صلوا لله من اجلكم .. جئناكم لنتفق واياكم على ان تزودنا بوسائل النقل والسفن الحربية .

سال الحاكم :

ـ وباية شروط ؟.

ـ باية شروط تراها او تقترحها ، اذا كانوا يستطيعون تنفيذ ما تقترح من شروط.

ـ نستطيع ان نزودكم بسفن كبيرة تحمل ٤٥٠٠ راس من الخيل و ٩٠٠٠ فارس ، وسفن اخرى تحمل ٤٥٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ جندى من المشاه . هذا بالاضافة الى ما استطيع ان ازودكم به من الذخيره مما يكفى لمدة تسعة شهور .

هذا اقل ما يمكن ان نقدمه لكم بشرط ان تدفعوا الينا ٤ ماركات عن الحصان الواحد وماركين عن الرجل (لاحظ قيمة كل من الانسان والحيوان !) وسنضيف الى ذلك ٥٠ سفينة مسلحة وذلك فى سبيل حب الله . وثمة شرط آخر هو ان يكون لنا بعد الانتصار على الارض والحصول على الكنوز فى البر والبحر نصف الغنائم ويكون لكم النصف الاخر .

ـ سيدى نحن على استعداد لعقد هذه الاتفاقية » .

وهكذا تمت الصفقة « فى سبيل حب الله » ! .

واذا مضينا مع خطوات التاريخ وصراعاته ووقفنا عند عام ١٥١٧ ، لشاهدنا كيف رفع الطاغية سليم العثمانى سلطان تركيا راية الاسلام ، واندفع يغزو مصر المسلمة المسالمة ، وينزل بشعبها القتل والارهاب وهتك أعراض النساء المحجبات والسلب والنهب الذى شمل كل شىء .. من فضة النسوة وذهبهن حتى اخشاب الابواب وشبابيك الحديد وبلاط البيوت . وعاث بجنده فى الوادى فسادا بعد ان انهارت مقاومة المصريين بقيادة طومان باى الذى غدر به شيخ العرب حسن بن مرعى وسلمه الى السلطان سليم ، حانثا بقسم غليظ على مصحف شريف ، من اجل صرة من ذهب.

ويروى لنا استاذنا الدكتور حسين فوزى فى « سندباده المصرى » ، نقلا عن « فون هامر » فى تاريخه الكبير للدولة العثمانية ، التبريرات التى ساقها السلطان سليم لغزو مصر المسلمة وضمها الى املاكه ودائرة استغلاله فيقول ان سليم برر مسلكه الوحشى ازاء المصريين المسلمين بفتاوى علمائه الدينيين ، الذين راحوا يحللون الحرب وسفك الدماء وسبى النساء وسلب الحقوق باسم الاسلام المفترى عليه .

فلقد أرسل السلطان سليم يستفتى « على جمالى افندى » ، الاقطاعى الذى كان يشغل منصب الافتاء فى المملكة العثمانية فى ثلاث مسائل :

« الاولى : اذا نادى احد السلاطين بالجهاد لابادة المارقين فصادفته عوائق بسبب المساعدة التى يبذلها لهم سلطان آخر من سلاطين المسلمين فهل تبيح الشريعة الغراء لاولهما أن يقتل الثانى ويستولى على ملكه ؟ .

اجاب جمالى افندى : من نصر كافرا فهو كافر .

الثانية . اذا كانت امة من الامم التى تدين بالاسلام (يقصد المصريين) تؤثر تزويج بناتها من الكفار (يعنى المماليك الجراكسة) ، بدلا من تزويجهم بالمسلمين ، فهل يجوز مقاتلة هذه الامة ؟ .

اجاب جمالى افندى : بلا مبالاة ولا مقاضاة .

الثالثة : اذا كانت امه تنافق فى احتجاجها برفع كلمة الاسلام ، فتنقش آيات كريمة على الدراهم والدنانير ، مع علمها بان النصارى واليهود يتداولونها هم وبقية الملاحدة ، فيدنسوها ويرتكبون اقطع الخطايا بحملها معهم اذا ذهبوا الى محل الخلاء لقضاء حاجتهم فكيف ينبغى معاملة هذه الامة ؟ .

اجاب جمالى افندى . ان هذه الامة ، اذا رفضت الاقلاع عن ارتكاب هذا العار جاز ابادتها)) .

ومن خيوط هذه الاستفسارات الافتراضية والمشوبة بالدجل والتدليس ، واجابات المفتى الاقطاعى فى مملكة آل عثمان الطغاة ، نسج سليم راية نسبها الى الاسلام ، واندفع فى حمايتها يغزو ويقتل وينهب ويهتك اعراض المسلمات فى وطننا خلال القرن السادس عشر .

واذا ما قفزنا من القرن السادس عشر الى بدايات القرن العشرين ، حيث كانت القوى الاستعمارية واحتكاراتها العالمية تسيطر – على الرغم من الصراعات الداخلية بينها – على الشعوب بنظامها الاستغلالى الاستبدادى ومن بينها شعوب وطننا العربى ، وكان الراسماليون والاحتكاريون اليهود فى سبيل زيادة ثرواتهم وتدعيم سلطان استغلالهم يرفعون راية شريعة موسى ، ليضللوا الجماهير العاملة من اليهود واختلاس قوة عملهم بابخس الاثمان ويسجنوهم ، تحت تاثير السحر الدينى فى « الغيتوات » ، ليحولوا بينهم وبين الانصهار فى مجتمعاتهم ومساواتهم مع مواطنيهم حتى لا يفقد الراسماليون اليهود ميزة الاستغلال البشع لجماهيرهم اليهودية العاملة فى معركة المنافسة الراسمالية الضارية . وجند الراسماليون اليهود فى ركابهم رجال دين ومثقفين من امثال هرتزل راحوا يدقون باستمرار على طبول التجارة بالدين ، نغمات شعب الله المختار ، « شعب التضحيات والمآسى الذى لابد من ان ينجو ويعود الى ارض الميعاد فى فلسطين . ليسود بعد ذلك للارض الممتده من النيل الى الفرات ، من خلال الحركة الصهيونية » .

ومع تفجر الثورات التحررية فى الوطن العربى وآسيا وافريقيا ضد الاستعمار واحتكاراته ، وتهديد انتصاراتها المتواليه للمصير الاستعمارى استخدم الاستعمار الحركة الصهيونية ، من خلال المصالح المشتركة ، لمساعدة ومساندة الصهاينة فى عدوانهم العنصرى على العرب واغتصاب اراضيهم لاقامة اسرائيل قاعدة عسكرية عدوانية فى شكل دولة عنصرية يهودية ، ترفع راية اليهود وهى تذبح وتشرد العرب المسلمين والمسيحيين من وطنهم ، وتستورد المغامرين والمضللين من الجماهير اليهودية .

وحين تتم الصفقة وتقع الجريمة يقف « مناحيم بيجن » زعيم عصابة « الارجون زفاى ليومى » يقول :

« لقد قامت دولة اسرائيل بالدم والنار .. حيث يعيش اليهود ويحكمون فى جزء فقط من ارض كلها لهم .. انها بلادنا المعطاة لنا من الله » ! .

ونصل بالتاريخ الى مرحلتنا المعاصرة بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر .. واذا بثورة الشعب المصرى العربى ، تخوض معارك ضارية ومعقدة ضد الاستعمار القديم والجديد واحتكاراته وقواعده العسكرية وأحلافه العدوانية وضد الاقطاع والاستغلال الراسمالى ، حتى تتمكن فى النهاية من ان تقيم فى واديها ، لاول مرة فى التاريخ الحديث ، دولة عربية مستقلة سياسيا واقتصاديا تنهج طريق الاشتراكية فى بنائها لمجتمعها الجديد ، وتصبح قاعدة ومحور الثورة العربية التحررية التقدمية المعاصرة .

ومن هنا تخفت القوى الاستعمارية والاحتكارات والاقطاع والرجعية العربية وراء

رايات متتابعة ومتنوعة، منسوبة كلها للاسلام ، لتحارب الثورة ومبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة دفاعا عن مصالحها واوضاعها الممتازة الموروثة .

ولان المستعمر او الاقطاعي أو الراسمالي المستغل لا يستطيع في مناخ النصف الثاني من القرن العشرين ـ عصر الانسان والعلم والحرية والاشتراكية ـ أن يواجه بالعنف المباشر الجماهير الشعبية التي حطمت قيودها وبددت ظلماتها وراحت بوعي وصلابة وأصرار تقبض على مصيرها وتشق طريقها نحو حياة افضل بقيادة ثورية نابعة من احضانها وآلامها وآمالها . ومن هنا يروح يلف ويراوغ ويضلل بأساليب الصليبيين ، وسليم وجمالي أفندي العثمانيين ، وهرتزل ومناحم بيجن الصهيونيين ، ولكن في صياغات جديدة ، يتاجر بالدين في محاولة لاغراق الجماهير الشعبية في الضباب المانع من وضوح الرؤية .

وفي ظل هذه الرايات تغدو القومية العربية كفر ، والتحرر من الاستعمار كفر ، وتصفية الاقطاع والرأسمالية كفر ، وتحرير المراة كفر ، والتصنيع كفر ، وثورة اليمن ضد حكم القرون الوسطى كفر ، وصداقة الدول الاشتراكية كفر ، والاستفادة من العلم وكشوفه كفر ، والتجديد في الادب والفن كفر ، حتى الشعر الحديث واستخدام العامية في حوار المسرح والقصص كفر ..

واصبح الايمان هو في دوام الحال على ما عليه ، وفي معاداة التطور ، وفي استمرار الخضوع ، والامتثال لاولى الامر من الاقطاعيين والرأسماليين المستغلين ، وفي التحالف مع القوى الاستعمارية ضد القوى الاشتراكية ، وفي ترك السياسة وشئون الحكم « للصفوة المختارة » ، وفي تدبير المؤامرات لاغتيال قادة الثورة ومناضليها الاشتراكيين .

ولكن الشعب العربي استطاع ان يكشف بوعيه وايمانه زيف هذه الرايات واحدة بعد اخرى .. رايات سعود والامام البدر ونوري السعيد وفرحات عباس وبورقيبه وغيرهم في المشرق والمغرب على السواء .

بيد ان ثمة بقايا من خلفاء ما يزالون يأملون ان يبتلعوا بحر الجماهير ، ويطفئوا نور الثورة ، ويحاصروا قوى التقدم التاريخية ، فيعمدون اليوم الى صياغات جديدة لنفس المخططات والى نسج جديد لذات الرايات .. صياغة حلف عدواني جديد ونسج تحالف استعماري رجعي جديد . ولكن الصياغة هذه المرة مفككة تنقصها دقة ومهارة الحرفيين القدامى الذين وارهم التاريخ ، والنسيج غير محكم حتى ليشف في مواقع منه خيوط رايات الاستعمار الصريحة الفاقعة .

واذا كان عصر الشعوب لم يعد يقبل للخطة « اسلام » السلطان سليم العثماني ومفتيه جمالي أفندي ، فهو أيضا يكشف بوضوح زيف « اسلام » محمد رضا بهلوي شاه ايران ومفتيه الوقور من أبطال الحلف الجديد .

إنما «راية الاسلام» .. راية محمد وابوبكر وعمر وعلي وابو ذر الغفاري .. هي راية الثورة على الاستبداد والاستعمار والاحتكار والاستغلال والتخلف .. ومن هنا فانها ـ واقعيا ـ في ايدي الجماهير الشعبية التي تحطم بالعمل الثوري قيودها وتبني بجهودها وعرقها حريتها ووحدتها وحلفها وانسانيتها الاشتراكية ، حيث « ارادة الشعب من ارادة الله » كما نادى المناضل جمال عبد الناصر ، وحيث لا سيد ولا مسود ، بل الكل سواء كأسنان المشط .

فلنقف بقوة الاسلام والثورة التحررية الاشتراكية والعروبة الحضارية التقدمية في وجه حلف المتاجرة الاستعمارية الرجعية بالاسلام .

لطفي الخولي

اتجاهات الحركة النقابية والعمل السياسى.. للطبقة العاملة العربية

يوافق هذا الشهر مرور عشرة اعوام على تكوين الاتحاد الدولى للعمال العر. ، ففى ٢٤ مارس ١٩٥٦ اجتمع ممثلو العمال العرب فى دمشق واعلنوا تكوين الاتحاد ، وخلال هذه الاعوام العشر مرت المنطقة العربية بتطورات عديدة واساسية ، لعب العمال العرب دورا فعالا فيها وتاثروا بها . والبحث التالى يهدف الى دراسة نشاط الاتحاد من خلال التطورات السياسة والاجتماعية فى الوطن العربى . وتقييم لدوره وتحديد لمسئولياته وآفاق تطوره

د. عبدالرءوف أبوعلم

تاخر ظهور الحركة النقابية فى الوطن العربى بمعناها المعروف بسبب الظروف التى احاطت به . فمنذ القرن السادس عشر وقعت المنطقة العربية تحت الحكم العثمانى واصبحت جزءا من الامبراطورية العثمانية ، حتى الحرب العالمية الاولى . وفى هذه الفترة ، ظهرت الثورة الصناعية وبدأت الدول الاوربية الاخذ باساليب الصناعة الالية والميكانيكية ، ونمت الطبقة العاملة فى دول أوربا وظهر بها التنظيم النقابى .

اما المنطقة العربية فكانت تعانى التأخر والانحلال الذى اصاب الامبراطورية العثمانية، والتى وقفت حاجزا بينها وبين التقدم الصناعى، وكانت الزراعة هي العمالة الرئيسية فى المنطقة فى هذه الفترة ، وتسهم بالجزء الاكبر من الدخل القومى لمعظم دولها، وكانت توجد بجانب الزراعة بعض الحرف اليدوية فى بعض المناطق مثل المغرب ومصر والعراق وسوريا ولهذا تركزت الطبقة العاملة أساسا فى الزراعة وفى العاملين بهذه الحرف اليدوية. وكان النظام السائد فى ذلك الوقت هو نظام الطوائف ،الذى يجمع بين العامل وصاحب العمل فى تنظيم واحد ، يرعى امور الحرفة، وفى هذا النظام يتدرج الفرد الواحد ـ على الاقل نظريا ـ من صبى الى معلم الى رئيس طائفة .

وفى اواخر عهد الامبراطورية العثمانية شهدت بعض المناطق العربية مثل مصر بعض التقدم الصناعى على يد بعض الحكام المغامرين مثل محمد على وكذلك بعد التغلغل الاستعمارى، وتسبب هذا التقدم فى نمو بعض الصناعات، وبالتالى ظهور الطبقة العاملة بشكلها الحديث. وقد مهد ذلك لظهور النقابات، وتكونت اول نقابة فى الوطن العربى فى نهاية القرن التاسع عشر فى مصر مسجلة اول تنظيم نقابى حديث فى الدول العربية. وهذا التنظيم الحديث يختلف اختلافا جوهريا عن نظام الطوائف الذى ساد

الوطن العربى فترة طويلة ومازالت له آثار فى بعض مناطقها حتى الان .

وبعد الحرب العالمية الاولى قسمت المنطقة بين كل من الاستعمار البريطانى والاستعمار الفرنسى، فزاد التركيز على الزراعة لامداد الدول الصناعية بالمواد الخام الزراعية اللازمة، ونشأت بعض الصناعات الصغيرة والتحويلية ،وزادت المرافق العامة والجهاز الحكومى فارتفع عدد العمال المشتغلين فى الصناعة والتجارة والخدمات .ثم بظهور البترول فى المنطقة تغير اقتصاد بعض دولها فاصبح يمثل اكثر من ٥٠٪ من مجموع الدخل القومى فى بعض دول المنطقة مثل العراق والسعودية والبحرين ، واستوعبت صناعة البترول عددا أكبر من العمال العرب فى هذه الدول .

وهكذا اصبح اقتصاد المنطقة العربية يقوم اساسا على انتاج المواد الاولية، الزراعة والبترول وتصديرها للبلاد المتقدمة صناعيا .

كافح العمال طويلا من اجل زيادة الاجور وتقليل ساعات العمل وتحسين ظروفه ،كافحوا ايضا من اجل الاعتراف بحقهم فى التنظيم النقابى، على ان هذا الاعتراف تأخر فى المنطقة العربية بسبب الضغط الاستعمارى، ولم يبدأ الا خلال الحرب العالمية الثانية ، فتم فى مصر عام ١٩٤٢ وتبعتها بقية الدول العربية . وقد سبق المشرق العربى المغرب العربى فى ذلك وكانت آخر دولة تم فيها الاعتراف القانونى بالنقابات هى الكويت اذ صدر القانون الخاص بذلك فى عام ١٩٦٤ . وما زالت حتى اليوم بعض الدول العربية لا يتمتع عمالها بهذا الحق الذى يفرضه التطور الانسانى ، والحقوق الاساسية للانسان والاتفاقيات والتوصيات الدولية العديدة .

وبعد معارك طويلة آمنت الطبقة العاملة انه لا يمكن احراز مكاسب حقيقية قبل تحرير البلاد من الاستعمار الذى يستغل قواها البشرية . ولهذا ربطت الطبقة العاملة فى المنطقة العربية كفاحها النقابى لتحسين احوالها، بالكفاح الوطنى وتحرير البلاد من الاستعمار والاستغلال ،وهذا يفسر قيام العمال بدور رئيسى فى جميع الحركات التحررية فى البلاد العربية، وارتباطهم بالتنظيمات السياسية الوطنية التى كانت قائمة فى ذلك الوقت.

وفى الاعوام الاخيرة بعد نجاح بعض دول المنطقة فى ثورتها الوطنية وتخلصها النهائى من الاستعمار واعوانه بدات ثورتها الاجتماعية الاقتصادية، التى تهدف الى توسيع قاعدة البلاد الاقتصادية، وتحطيم الاعتماد على محصول واحد ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة من اولى الدول الى ذلك ، فتبنت ثورتها الاجتماعية برنامجا صناعيا طموحا ، وخطة تنمية تهدف الى اقامة الصناعة ، بما فيها الصناعة الثقيلة ، ومضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات (١٩٦٠ــ ١٩٧٠) ثم تبعتها بعض الدول الاخرى بالمنطقة مثل الجزائر ،وان كانت بظروف مختلفة واسلوب عمل مختلف طبقا لاختلاف الواقع الاجتماعى. وسجل الاقتصاد المصرى اول تحول تاريخى فى المنطقة بأن اصبح نصيب الصناعة فى الدخل القومى اكثر من نصيب الزراعة ، وبذلك تحول مجتمعنا الى مجتمع صناعى، بعد ان ظل آلاف طويلة من السنين مجتمعا زراعيا يعتمد اساسا على الزراعة، ويمثل انتاجها الجزء الاكبر من مجموع دخلها القومى.

العضوية النقابية العربية

يقدر مجموع القوى العاملة فى الوطن العربى بحوالى ٣٢ مليونا من مجموع عدد سكانها البالغ نحو مائة مليون ، او لمجموع المنتظمين منهم فى نقابات فيقدر بحوالى ٧و٤ مليون ، اى ان نسبة التنظيم النقابى تبلغ حوالى ١٥٪ وهى من اقل النسب فى العالم،ولا يقل عنها سوى القارة الافريقية التى تبلغ نسبة التنظيم النقابى فيها حوالى ١٠٪ من مجموع القوى العاملة بها .

والجدول رقم(١)يبين مجموع العضوية النقابية فى كل دولة من الدول العربية ونسبة المنتظمين فى نقابات الى مجموع القوى العاملة:

تكوين اتحاد العمال العرب

كانت فكرة الوحدة العمالية العربية موجودة فى معظم انحاء الوطن العربى منذ الحرب العالمية الثانية ، ونوقشت فى كثير من الاجتماعات والمؤتمرات خصوصا بواسطة عمال فلسطين منذ عام ٤٥، على ان خطواتها التنفيذية بدات عام ١٩٥٥. ففى سبتمبر من هذا العام قرر اتحاد عمال الاردن، الذى كان يضم عددا كبيرا من عمال فلسطين، توجيه الدعوة للاتحادات العمالية فى البلاد العربية لعقد مؤتمر عام ينبثق عنه اتحاد عام لعمال البلاد العربية .وفى نفس الوقت قرر المؤتمر الدائم لنقابات العمال فى جمهورية مصر نفس الامر وارسل وفدا نقابيا لزيارة لبنان وسوريا . وقام اتحاد عمال سوريا بعدة اتصالات مع عمال لبنان والاردن. ونتيجة لهذا كله شكلت لجنة تحضيرية تمثل الحركة النقابية فى مصر، والاردن ولبنان وسوريا لوضع الخطوات التمهيدية لاتحاد

جدول رقم (١)

الدولة	مجموع السكان	مجموع القوى العاملة	المنتظمون فى نقابات واتحادات	نسبة العضوية النقابية
الاردن	١ر٨٢٤ر٠٠٠	٦٠٨ر٠٠٠	٦٠ر٠٠٠	١٠ ٪
العراق	٦ر٧٣٢ر٠٠٠	٢ر٣٦٦ر٠٠٠	٤٠٠ر٠٠٠	١٧ ٪
لبنان	١ر٨٨٢ر٠٠٠	٦٢٧ر٠٠٠	١٠٠ر٠٠٠	١٦ ٪
سورية	٥ر٠٧٦ر٠٠٠	١ر٦٩٢ر٠٠٠	١٥٠ر٠٠٠	١١ ٪
فلسطين	١ر٧٥٠ر٠٠٠	٥٨٧ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	١٠ ٪
الكويت	٣٢٢ر٠٠٠	١٠٧ر٠٠٠	٥ر٠٠٠	٥ ٪
اليمن	٥ر٥٠٠ر٠٠٠	١ر٨٠٠ر٠٠٠	١ر٠٠٠	ر٢ ٪
ج٠ع٠م٠	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠	١ر٥٠٠ر٠٠٠	١٥ ٪
ليبيا	١ر٤٧٠ر٠٠٠	٤٩٠ر٠٠٠	١٠٠ر٠٠٠	٢٠ ٪
السودان	١٢ر٨٣١ر٠٠٠	٤ر٢٨٠ر٠٠٠	٥٠٠ر٠٠٠	١٢ ٪
الجزائر	١٠ر٧٨٤ر٠٠٠	٣ر٥٩٥ر٠٠٠	٣٥٠ر٠٠٠	١٠ ٪
المغرب	١٢ر٣٦٠ر٠٠٠	٤ر١٢٠ر٠٠٠	١ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٥ ٪
تونس	٤ر٢٩٠ر٠٠٠	١ر٤٣٠ر٠٠٠	٢٠٠ر٠٠٠	١٥ ٪
عدن	١ر٤٥٠ر٠٠٠	٤٨٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	١١ ٪
المجموع	٩٦ر٢٧١ر٠٠٠	٣٢ر١٨٢ر٠٠٠	٤ر٧١٦ر٠٠٠	١٥ ٪

عمالى عربى والدعوة له ، وتقرر عقد اجتماع للجنة التحضيرية فى ١٥ — ١٢ — ١٩٥٥ فى عمان ، الا ان الوضع فى الاردن فى ذلك الوقت لم يسمح بذلك. فتم عقد اجتماع فى دمشق فى ٢٢ — ٣ — ١٩٥٦وفى هذا الاجتماع أعلن تكوين اتحاد العمال العرب.

وقد حضر الاجتماع التأسيسى سبعة اتحادات عمالية عربية من خمس دول عربية ، والجدول رقم (٢) يوضح هذه الاتحادات ومجموع عضويتها .

ورغبة من المؤتمر العام فى تدعيم عضوية الاتحاد نصت المادة ٧ من قانونه على انه يعتبر عضوا فى الاتحاد جميع الاتحادات القومية والمنظمات النقابية فى الوطن العربى الراغبة فى الانضمام الى الاتحاد بعد تأسيسه سواء كانت موجودة حاليا (وقت التأسيس) او ستنشأ مستقبلا وذلك بعد موافقة المجلس التنفيذى للاتحاد. والوطن العربى طبقا لهذه المادة يشمل : مصر — السودان — سوريا — فلسطين — لبنان — ليبيا — العراق — العربية السعودية — الاردن — الكويت — البحرين — اليمن — تونس — مراكش — الجزائر — عدن — وغيرها من البلاد العربية .

وقد وضح تأثر العمال العرب بالثورة الوطنية التى تجتاح المنطقة العربية.وبروح باندونج جاءت مقدمة دستور الاتحاد تعبيرا عن ذلك، اذ نصت على ان «**العمال فى الوطن العربى — ايمانا منهم بوحدة الامة العربية وبرسالتها فى التحرر والوحدة والعدالة الاجتماعية ،وبان القضية العمالية فى الوطن العربى جزء لا يتجزء من تلك الرسالة، وبان نيل العمال حقوقهم الكاملة والمحافظة على هذه الحقوق هو رهن بتحرر الامة العربية من الاستعمار والرجعية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية — وبان تحقيق هذه الاهداف القومية الكبرى والعمالية المتقدمة لا تحقق الا بتنظيم الحركة العمالية على اساس الوحدة القومية للعرب ..**

ان العمال فى الوطن العربى يؤمنون بحق الشعوب فى ان تقرر مصيرها. وان تحكم نفسها بنفسها ، كما يعلنون مؤازرتهم لكل حركة وطنية هدفها القضاء على الاستعمار ويؤيدون كل مجهود يبذل لنشر وتدعيم السلام ..

ان العمال فى الوطن العربى ايمانا منهم بكل هذا يعلنون انتظامهم فى اتحاد عمالى عربى ديمقراطى

جدول رقم (٢)

الاتحاد	الدولة	مجموع العضوية
اتحاد نقابات العمال فى الاردن	الاردن	١١ر٠٠٠
المؤتمر الدائم للنقابات العمال فى مصر	مصر	٥٠٠ر٠٠٠
الاتحاد العام للنقابات العمال فى سوريا	سوريا	١٦٥ر٠٠٠
الاتحاد التقدمى للنقابات العمال فى دمشق	سوريا	١٥ر٠٠٠
رابطة نقابات العمال والمستخدمين فى لبنان الشمالى	لبنان	٥ر٠٠٠
اتحاد نقابات العمال المستقلة فى لبنان	لبنان	٥ر٠٠٠
الاتحاد العام الليبى للعمال	ليبيا	١٢ر٠٠٠
	المجموع	٧١٣ر٠٠٠

يبنون به صرح مجدهم وعزتهم وحريتهم وتعاونهم وقوتهم»

كما جاء فى اهداف الاتحاد ضرورة اشتراك العمال بالحركات الوطنية والقومية والسياسية ومساهمتهم فيها مساهمة فعالة، وتأييد كل الجهود التى تبذل لنشر وتدعيم السلام العالمى والقضاء على كل محاولاته لاثارة الحروب ومنع استخدام الطاقة الذرية فى الاغراض الحربية، والاشتراك فى المؤتمرات العمالية الدولية والعمل على تكوين اتحاد دولى لعمال الاقطار الاسيوية والافريقية، والسعى لازالة الحواجز التى اوجدها الاستعمار بين بلدان الوطن العربى، والعمل على تصنيع بلدان الوطن العربى واستثمار خيراته وجعل الثروة الطبيعية وحدة فى خدمة المجموعة العربية وانماء مزايا الاختراع .

الوحدة طريق القوة

كانت الوحدة العمالية العربية هى طريق قوة العمال ، فقام اتحاد العمال العرب منذ نشاته بتعبئة العمال العرب ، وخاض بهم المعركة الوطنية العربية بكل صلابة وحزم، وزاد هذا من التفاف العمال العرب حوله، واخذت عضويته تزداد بصفة مستمرة فانضمت اليه الاتحادات العمالية فى السودان والعراق وعدن وفلسطين والكويت والجزائر والمغرب، وارتفعت عضويته من حوالى ٧١٣٫٠٠٠ عند تأسيسه عام ١٩٥٦ الى حوالى ٤ر٢ مليون عام ١٩٦٥ ، اى زادت عضويته حوالى ستة اضعاف فى عشر سنوات .

وكان اكبر ضعف تنظيمى صادفه خلال هذه الاعوام العشر، هو عدم انضمام الاتحادات العمالية فى المغرب العربى، إى المغرب والجزائر وتونس. وهذه الاتحادات تعد من اقوى الاتحادات العمالية فى المنطقة العربية بل وفى القارة الافريقية ، على ان الاتحادات العمالية فى المغرب والجزائر انضمت اخيرا فى عام ١٩٦٥ وبذلك اصبح الاتحاد ممثلا للحركات العمالية فى جميع الدول العربية فيما عدا تونس ، الذى ما زال الاتحاد العام بها غير منضم لاتحاد العمال العرب وذلك بتأثير الاتحاد الدولى الحر .

وتقدر عضوية اتحاد العمال العرب فى الوقت الحاضر بحوالى ٤ر٢ مليون عضو منها حوالى ٧٨٦٫٠٠٠ فى آسيا اى حوالى ١٩٪ من مجموع عضويته ، وحوالى ٤ر٣ فى افريقيا اى حوالى ٨١٪ من مجموع الاعضاء .

العمال العرب فى معركة التحرر الوطنى

كانت من اولى القضايا التى واجهها اتحاد العمال العرب ، ولم يمض على تكوينه سوى اشهر قليلة، العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر — نوفمبر عام ١٩٥٦ . وبدات الاحداث تتتابع بسرعة منذ تأميم قناة السويس، اذ اصاب الاستعمار فزع شديد من تحرك شعب مصر لاسترداد قناته، وخشى على ثروات المنطقة التى ينهبها منذ عشرات السنين، وعلى هيبته ونفوذه ، واخذ يهدد ويتوعد، وادركت الامانة العامة للاتحاد خطورة التحركات الاستعمارية التى اعقبت التأميم فدعت الى عقد دورة استثنائية للمجلس التنفيذى فى اغسطس عام ١٩٥٦ واتخذت قرارات عديدة منها ، منع البترول عن دول الغرب ، ومقاطعة شحن وتفريغ وتموين جميع السفن وطائرات الدول التى تعتدى على مصر او تؤيد العدوان، وتدمير قواعد المطارات والمنشآت الحربية الاجنبية فى الوطن العربى ثم اعلان الاضراب العام فى جميع البلدان العربية يوم ٢٦ اغسطس استنكارا لمؤتمر لندن الذى نظمته الدول الاستعمارية الغربية لتعبئة قوى الاستعمار ضد مصر وضد الحركة الثورية الوطنية العربية، وقد كانت الاستجابة الاجماعية من العمال العرب للاضراب العام، تعبيرا عن وحدتهم ووعيهم وطاقتهم الكفاحية الكامنة التى انطلقت من عقالها على اثر العدوان فى اول نوفمبر ، وتسببت فى نسف انابيب البترول فى سوريا والكويت وتدمير بعض منشآت القواعد العسكرية فى ليبيا والاردن ومقاطعة سفن وطائرات الاعداء فى السودان ولبنان والتأييد القوى للاتحادات العمالية فى المغرب العربى لكفاح مصر ضد الاستعمار .

وتنبه اتحاد العمال العرب منذ ميلاده الى خطورة الاحلاف العسكرية ، والمشاريع الاقتصادية الاستعمارية ، وكان مشروع ايزنهاور عقب حرب السويس من اول المشاريع الذى صادفته، وقد جاء فى هذا المشروع انه يوجد فراغ فى منطقة الشرق الاوسط، وان المصالح الامريكية مهددة فى المنطقة، ولابد من سلطات امريكية استثنائية لتأييد هذه المصالح وسد هذا الفراغ. وقد وقف اتحاد العمال العرب وقفة تاريخية مشهورة ضد هذا التهديد معلنا استنكاره

لكل مشروع استعماري يهدف الى التغلغل فى الوطن العربى باسم مساعدة بلدانه اقتصاديا وعسكريا.

وشارك اتحاد العمال العرب مشاركة فعالة فى الحركة التحررية للجزائر فقام بدعاية واسعة النطاق بشانها وسط الاتحادات العمالية الدولية والاتحادات العمالية فى مختلف دول العالم . وفى عام ١٩٥٨ تمكن من عقد مؤتمر دولى نقابى لمناصرة الثورة الجزائرية وكان من اهم قراراته تكوين اللجنة الدولية لمناصرة عمال وشعب الجزائر التى قامت بدور رئيسى «ادبى ومادى» لتأييد ثورة الجزائر التحررية حتى تم لها الاستقلال .

وبجانب هذا، شارك العمال العرب ايضا فى جميع القضايا العربية الاخرى فى عدن والجنوب العربى، النضال ضد القواعد العسكرية فى ليبيا والسعودية وغيرها. وكانوا دائما فى طليعة قوى الكفاح الوطنى .

العمال العرب والمعارك النقابية

اوضحنا ان عدد المنتظمين فى نقابات فى الوطن العربى يقدر بحوالى ٤ر٧ مليون اى حوالى ١٥٪ من مجموع القوى العاملة فى البلاد، وان هذه النسبة من اقل نسب التنظيم النقابى فى العالم. واى دراسة موضوعية لنشاط اتحاد العمال العرب توضح انه لم يهتم بموضوع العضوية النقابية الاهتمام الواجب ولم يكون اى جهاز بداخله لذلك ، ولم يحاول مساعدة الاتحادات الاعضاء فيه للقيام بخطوات ايجابية عملية فى هذا الشأن .وهذا النقص فى العضوية يمثل اكبر تحد للحركة النقابية العربية . ففى هذه الفترة والعمال العرب يخوضون معارك وطنية واخرى اجتماعية واقتصادية ،وفى بعض اجزاء الوطن العربي يتحملون مسئولية تحول المجتمع الى الاشتراكية، فى هذه الفترة لا يجوز ان يكون قرابة ٨٥٪ من عمال الوطن العربى وفلاحيه خارج التنظيم النقابى .

ومن اسباب ضعف العضوية النقابية فى الوطن العربى، ضعف تنظيم عمال الزراعة فى الوقت الذى يكون عمال الزراعة نسبة كبيرة من مجموع العمال. وضعف التنظيم النقابى لعمال الزراعة ظاهرة واضحة فى معظم دول العالم، وذلك بسبب الصعوبات التى تعترض تنظيمهم، مثل وجودهم على مساحات واسعة من الارض ،وصعوبة الاتصال باعداد كبيرة منهم، وصعوبة تحصيل الاشتراكات النقابية والتخلف الثقافى والفكرى الذى عاناه الفلاحون طويلا منذ عهد الاقطاع ،على ان الوطن العربى قد شاهد ثورة فى هذا الشأن فى الاعوام الاخيرة، ترتب عليها تنظيم عمال الزراعة فى بعض دوله مثل الجمهورية العربية المتحدة والسودان والعراق. وتقوم نقابات عمال الزراعة فى هذه الدول بدور رئيسى فى التنظيم النقابى بها. وفى اواخر العام الماضى خطت هذه النقابات خطوة اكبر ،وقامت بتكوين الاتحاد العربى لعمال الزراعة، والملاحظ ان هذا التنظيم تعرض منذ قيامه لهجوم شديد من جانب الرجعية. والعناصر التى سلبها نفوذها القديم فى الريف على ان وعى الفلاحين كفيل بالقضاء على هذه المؤامرات ،والسير بالتنظيم الى الامام ليكون من دعامة العمل الريفى والتنظيم النقابى فى الريف والتنظيم النقابى العربى .

معركة التوعية .. والثقافة العمالية

لكى يتمكن العمال والفلاحون من تادية دورهم فى تطوير المجتمع العربى لابد لهم من توعية جماهيرية واسعة . فهذه الطاقة حرمت طويلا من الثقافة والمعرفة ، ولئن كان عمال الصناعة قد حصلوا بحكم عمالتهم ، واقامتهم الحضرية ، على قدر من الثقافة ، فان الفلاحين كانوا بمعزل عنها ، وقد حرص الاقطاع دائما على ان يحرمهم من اى نوع من الثقافة ، حتى ان نسبة الامية تصل فى بعض مناطق الريف فى الوطن العربى الى مائة فى المائة .

ان التوسع فى التنظيمات النقابية العمالية والفلاحية، وفى نشاطها، يوضح الحاجة الى قيادات نقابية على قدر معقول من الثقافة العمالية، تمكنها من القيادة السليمة والوقوف جنبا الى جنب مع قيادة التنظيمات الشعبية الاخرى. لهذا كانت اهمية التوعية والثقافة العمالية فى المجالين الجماهيرى والقيادى وهذه فى الاساس مسئولية التنظيمات النقابية — وفى هذه المعركة يلاحظ تخلف اتحاد العمال العرب والاتحادات الاعضاء به .فالاتحاد ما زال حتى الان، بعد مضى عشر سنوات ،يناقش امر معهد الدراسات النقابية وللان لم يخرج المعهد الى حيز الوجود. ومازالت صحافة الاتحاد، وهو سلاح فعال فى مجال التوعية والثقافة، ضعيفة غير قادرة على القيام بدورها الكامل .

ومن الواضح ان هذا النقص فى اتحاد العمال العرب يقابله نقص على مستوى الاتحادات العامة الاعضاء، اذ ان جهدها فى هذا المجال ضعيف لا يتناسب مع متطلبات المجتمع والنمو المتزايد للحركة النقابية ولدورها الوطنى والدولى . ويبدو ذلك اكثر فى الدول العربية التى تتحول الى الاشتراكية مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر . والملاحظ ضعف دور التنظيم النقابى فى مجال الثقافة العمالية ، وحاجتها بصفة عامة الى تطوير كبير فى فلسفتها ومنهجها وتنظيمها ، حتى تكون قوة دافعة فى عملية تطور البلاد الاشتراكى

وحتى ترتبط برامجها بهذا التطور وبالاحتياجات الفعلية للحركة النقابية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا والمشاكل والتحديات القبلية التى تواجهها ، كما ان الصحافة العمالية بها تكاد من ضعفها لا تقوم باى دور يذكر ، فى الوقت الذى تتحمل فيه مسئولية كبيرة فى التوعية السياسية وخلق المواطن الواعى لمجتمعه ، ودوره فيه .

تشريع العمل فى الدول العربية

ان التنظيمات النقابية تعمل فى حدود اطار تشريعي يحدده تشريع العمل فى البلاد ، ومن هنا كانت اهمية التشريع وضرورة وضعه على اسس ديمقراطية نابعة من واقع المجتمع ، تخدم تطوره وتعطى التنظيم النقابى ذلك الاطار الدافع للحركة والنشاط والانتاج .

والوحدة العمالية العربية لا يمكنها ان تكون حقيقة ، ما لم يكن الاطار الذى يعمل فى حدوده العمال العرب فى جميع انحاء الوطن العربى ، مرتكزا على اسس وحدة ومبادىء عامة متشابهة . وهذا يعنى توحيد اسس تشريع العمل فى البلاد العربية ومفاهيم التشريع الاساسية ، والفلسفة التى يقوم عليها ، دون الدخول فى التفاصيل التى لا بد لها ان تختلف بعض الشىء نظرا لاختلاف الظروف فى الدول العربية ، واختلاف مستويات النمو الاقتصادى والاجتماعى بها .

ولقد تنبه اتحاد العمال العرب الى اهمية هذا الموضوع منذ نشأته ، وبحثه المجلس التنفيذى فى جلسته بتاريخ ٢٥—٥—١٩٥٧ واتخذ قرارا يقضى بتوحيد تشريع العمل فى الدول العربية الا ان الاتحاد لم يتخذ اى خطوات ايجابية فى هذا الشأن ، ومازالت صوره المتناقضة فى مختلف دول المنطقة باقية حتى الان ، ويزداد هذا التناقض خصوصا فى الدول العربية التى بدأت تتحول الى الاشتراكية ، فالثورة الاجتماعية تعنى تغيير علاقات الانتاج ولا يمكن ان تسيطر الثورة على المجتمع ما لم يعزز تغيير علاقات الانتاج ثورة كاملة فى التشريع الذى يعكس حقوق وواجبات القوى الجديدة فى المجتمع ومن هنا كانت ضرورة تعديل تشريع العمل فى هذه الدول ، ووضع اسس عامة موحدة له ، تخدم حركة العمال والفلاحين ، ودورهم فى بناء المجتمع العربى الجديد .

معركة الاتحادات العربية المهنية

من المعروف ان لكل اتحاد دولى عام مثل «الاتحاد العالمى» او «الاتحاد الدولى الحر» مجموعة من الاتحادات العمالية الدولية المهنية ، التى تنظم عمال مهنة او صناعة واحدة ، مرتبطة به وتحرص الاتحادات الدولية العامة على تدعيم هذه المجموعات لانها بمثابة قاعدتها النقابية واحد وسائلها الفعالة للاتصال بالقاعدة العماليه ، ومناقشه المشاكل النقابية على مستوى الصناعة ويبلغ عدد المجموعة المرتبطة بالاتحاد العالمى احدى عشر اتحادا مهنيا ، والمرتبطة بالاتحاد الدولى الحر سبعه عشر ، والمرتبطة بالاتحاد المسيحى اثنا عشره ، والملاحظ ان اتحاد العمال العرب لم يبذل اى جهد فى تكوين مثل هذه المجموعة المهنية ، والمعروف ان اول اتحاد مهنى عربى ، وهو الاتحاد العربى لعمال البترول ، كون فى عام ١٩٦٠ دون مساهمة فعلية من جانب اتحاد العمال العرب ، وهذا يمثل نقصا كبيرا فى الحركة النقابية العربية . ولقد تنبه اتحاد العمال العرب الى ذلك اخيرا ، وبدا يولى الاتحادات المهنية العربية عنايته ، ونأمل ان يستمر هذا الاهتمام ، وان يرتبط عمال كل صناعة فى الوطن العربى فى اتحاد مهنى خاص يهم ، وان تعمل هذه الاتحادات العربية المهنية فى اطار السياسة العمالية العربية ، وهذا يتطلب من اتحاد العمال العرب منذ الان ، تحديد هذه العلاقة فى مؤتمر عام يحضره ممثلون عن جميع الاتحادات الاعضاء ، والاتحادات العربية المهنية القائمة ، حتى يضمن المناقشة الصريحة لهذا الامر ووضع دستور سليم للتعاون بينهما .

حق التنظيم النقابى والحريات النقابية فى البلاد العربية

مازالت اجزاء كثيرة من الوطن العربى لا يتمتع عمالها بحق التنظيم النقابى ، ومازالت القوانين فى بعض البلاد تحرم العمال من حقهم فى تنظيم انفسهم فى نقابات واتحادات لرعاية مصالحهم والدفاع عن قضاياهم ، وفى بعض البلاد التى منح عمالها حق التنظيم النقابى ، توجد عقبات كثيرة قانونية وادارية تقف حائلا امام الحريات النقابية ، وامام تمتع التنظيم النقابى بحق ادارة شئونه ، وممارسة اعضائه للديمقراطية النقابية .

ولاشك ان الهدف الاول لاى تنظيم هو حماية الحريات النقابية وتدعيمها ، وقد نصت الفقرة ١٢ من المادة (٧) من دستور الاتحاد على كفالة حرية الراى والتعبير والدفاع عن الحريات الديمقراطية والنقابية فى الوطن العربى . وقد ترجم هذا النص فى الدستور الى سياسة محددة بواسطة المجلس التنفيذى للاتحاد فى جلسته المنعقدة فى القاهره فى ١٨ مايو سنة ١٩٥٧ اذ قرر العمل على تكوين منظمات نقابية فى البلاد العربية لبذل الجهود الايجابية فى سبيل نصرة الحرية النقابية

فى البلاد التى لاتكفل هذه الحريات معلنا ان قيد الحريات النقابية عمل لايليق بحكومة اية دولة عضو فى الامم المتحدة ، وبالتالى تقر الاعلان الدولى لحقوق الانسان .

ورغم ان الاتحاد قام بمجهود فى هذا المجال فى عدن والجزائر والسودان والعراق وسوريا وغيرها الا ان حق التنظيم النقابى مازال ممنوعا والحريات النقابية مازالت غير مكفولة فى اجزاء من الوطن العربى ، الامر الذى يضعف الاتحاد ونشاطه فى المجال العربى والدولى .

واصبح الامر يتطلب خطة عمل ايجابى لمواجهة القوى الرجعية التى تحاول سلب العمال حقوقهم والمطالبة بتعديل القوانين واللوائح القديمة التى تعبر عن سيطرة الاقطاع ورأس المال على بعض اجزاء من الوطن العربى .

معركة الديمقراطية النقابية

من المعروف ان تدعيم الديمقراطية النقابية من اهم وسائل تكوين كيان نقابى سليم ، اذ ان الديمقراطية النقابية هى التى تحقق دوام اتصال المنظمة بالعضو والتعبير الصادق الصحيح عن رغباته ومطالبه ، كما انها خير ضمان لاستمرار رقابة الاعضاء على منظماتهم .

والديمقراطية النقابية تتمثل فى مشاركة الاعضاء فى جميع نشاط منظماتهم عن طريق الاشتراك فى الجمعيات العمومية والاجتماعات الاخرى التى تنص عليها اللوائح ومناقشة الميزانيات والمساهمة فى اوجه النشاط المختلفة . وتتمثل كذلك فى تدعيم اجهزة النشر والاعلام التى تصل بين اجهزة الاتحادات وسكرتاريتها ولجانها من جهة وبين الاعضاء من جهة اخرى وتنقل اليهم اخبارها باستمرار .

والدارس لاتحاد العمال العرب يرى تخلف الديمقراطية النقابية الامر الذى تسبب فى انعزال امانة الاتحاد من القاعدة العمالية العريضة فى مختلف انحاء الوطن العربى .

ويلاحظ على نشاط الاتحاد خلال هذه الاعوام العشر انه نشاط علوى ، لم ينزل كثيرا الى مستوى القاعدة النقابية العريضة فى الوطن العربى . فمعظم نشاط الاتحاد تركز فى اجتماعات المجلس التنفيذى للاتحاد واصداره لبعض القرارات . وفى هذه الفترة لم يعقد الاتحاد سوى ثلاث مؤتمرات عامة فى أعوام ١٩٥٦ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٥ ومؤتمرات اخرى لمناقشة بعض الموضوعات الفنية .

ومن الصعب اعتبار ان المؤتمرات العامة تغنى عن المؤتمرات القاعدية لان المؤتمر العام الاخير على سبيل المثال لم يضم سوى ثمانين مندوبا يمثلون كل عضوية الاتحاد البالغة ٤,٢ مليون ، وليس هناك مايشير بان ممثلى الاتحادات فى المؤتمر العام قد عادوا الى قواعدهم النقابية ليشرحوا مقررات المؤتمر ويعملوا على التوعية بها . وقد آن الاوان لكى يدرس الاتحاد الخطوات الايجابية للنزول الى قاعدته النقابية ، ومناقشة مشاكلها الحية اليومية معها .

وتعتبر الصحافة العمالية وسائل تدعيم الديمقراطية والاتصال بالقاعدة وتنشيط الاتحاد بصفة عامة وربط القاعدة بالقيادة ، وتبادل الاراء والخبرات بصفة مستمرة . ويصدر الاتحاد فى هذا الشأن نشرة شهرية لاتتناسب شكلا او موضوعا مع الحركة النقابية العربية ودورها فى بناء مجتمعها فى المجال الدولى . وقد آن الاوان لثورة كاملة فى هذا الشأن ، والتفكير فى اصدار جريدة يومية للعمال العرب توزع فى جميع انحاء الوطن العربى تربط العمال العرب وتمهد للوحدة النقابية والوحدة الفكرية والوحدة النضالية التى نص عليها دستوره الجديد الى جانب اصدار عدد من المجلات المتخصصة الاسبوعية ونصف الشهرية والسنوية باللغة العربية وبعض اللغات الاجنبية .

ومحنة الديمقراطية النقابية التى يعيشها العمال العرب هى فى حقيقة الامر انعكاس لهذه المحنة على مستوى الاتحادات العمالية الاعضاء به ، فان الدارس لهذه الاتحادات يرى انها تعيش فترة قيادات علوية ، بعيدة ، بدرجات متفاوتة عن قواعدها العمالية ، وان مؤتمراتها العامة لاتعقد فى مواعيدها المحددة ، وبالتالى فان مشاركة العضوية فى ادارة شئون التنظيم النقابى مشاركة محدودة ، كما ان هذه المؤتمرات لاتتعرض لما يجب ان تتعرض له من وضع السياسة العامة للحركة النقابية ومناقشة الميزانية . ولهذا فهى تغطى الشكل الديمقراطى اكثر من تحقيقها للممارسة الديمقراطية النقابية فعلا وعملا .

العمال العرب فى البلاد التى تتحول الى الاشتراكية

التحمت الثورة الاجتماعية فى المنطقة العربية ، بالثورة الوطنية التى مازالت معاركها تدور فى

بعض انحاء الوطن العربى . وبدات التجارب الاشتراكية فى الظهور بصورة محددة وعميقة منذ عام ١٩٦١ ، واصبح التحول الى الاشتراكية حقيقة واقعة فى بعض الدول العربية مثل الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وان كان بدرجات متفاوتة واسلوب عمل مختلف .

ودراسة التحول الى الاشتراكية فى الدول التى سبقت فى هذا الشان ، ودور الحركة العمالية فيها ، أمر لازم وضرورى للعمال العرب ، لتدعيم دورهم فى هذه الدول ، وللاستفادة منها فى الدول الاخرى التى سوف تلحق بالركب الاشتراكى . واتحاد العمال العرب ، عليه مسئولية تبنى قضية الاشتراكية ، والنزول بها الى القواعد العمالية فى جميع انحاء الوطن العربى ، وتحديد دور العمال العرب بوعى ووضوح .

ان اى دراسة موضوعية للحركة النقابية فى الدول العربية التى تتحول الى الاشتراكية تظهر تخلفها الفكرى والتنظيمى ، وضعف دورها فى هذه المرحلة الثورية الجديدة . وفى ذلك خطورة كبيرة ، لان التحول الاشتراكى فى المنطقة العربية له سمات خاصة من بينها انه لايتم بواسطة كادر اشتراكى قائم ومدرب من قبل ، ومن هنا كان اعتماده الرئيسى على قوى العمال والفلاحين ، اصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ، وعلى التنظيمات الجماهيرية التى تضم بجانبهم المثقفين والجنود والراسمالية الوطنية . وعلى هذا الاساس كونت التنظيمات الجماهيرية وسائر الاجهزة الشعبية الاخرى على مختلف المستويات ، الجمهورية العربية المتحدة والجزائر على السواء ، وداخل هذه التنظيمات يظهر بوضوح ان كل طائفة مازالت تعمل بدافع من مصالحها الخاصة ، وارتباطاتها التاريخية ، وقيمها المستمدة من تاريخ طويل . ومن ناتج تحركهم جميعا سيتم التحول الاشتراكى . وهذا أمر يفرض على العمال والفلاحين مضاعفة الجهد والعمل والثورية داخل هذا الاطار حتى يكون لهم فى مرحلة التحول دور مؤثر وموجه ، ويكونوا القوة المحركة للجماهير المطورة للمجتمع .

وهنا تبرز اهمية التنظيم النقابى ، والاطار التشريعى الذى يعمل فى حدوده ، لان الطوائف الاخرى منظمة ، وان اختلفت درجة التنظيم النقابى ونوعه ، اذ ان التنظيم النقابى هو الذى يضم الملايين من العمال والفلاحين ، ويعبىء قواهم ويسير بهم مراحل التطور عن وعى وتخطيط وتكامل .

وضعف هذا التنظيم وتخلف الاطار التشريعى ، من شانه ان يميع دور العمال والفلاحين وربما ينتهى بتجميد التنظيم وجعله عازلا بينهم وبين الفكر الاشتراكى ، وهذا بدوره يجعلهم ارقاما خصبة للرجعية ، وأعداء الثورة الاشتراكية .

وقد حذر **المناضل عبد الناصر** العمال العرب فى المقابله التى تمت معهم فى ديسمبر ١٩٦٥ عقب مؤتمرهم العام الثالث من انفصال القيادة النقابية عن القاعدة العمالية لان ذلك يوقع القواعد العمالية فى براثن الرجعية واعوان الاستعمار . وفى حالة نجاح القوى الرجعية فى تشكيك العمال والفلاحين فى الاشتراكية وفى ضعف تنظيمهم النقابى ، وانعدام ثقتهم فى هذا التنظيم وفى قيادتهم النقابية يلجاون الى اتخاذ موقف سلبى والى عدم الاكتراث واللامبالاة تصل الى حد ظهور حاله اضراب بطىء وتتمثل فى الغياب بدون مبرر عن العمل ، والتمارض ، وعدم الاهتمام بالعدد والالات ، واهمال المواد الخام ، ويصل الامر فى بعض الاحيان الى اباحة السرقة والرشوة على حساب العمل . وهذه الحالة من الصعب تحديدها ، لانها تتم تلقائيا دون قيادة ، ودون تنظيم وفى كثير من الاحيان تتسبب مضاعفاتها ، بسبب الاخطاء المتعمدة او غير الواعية فى علاجها فى استفحال امرهـا وتنتهى بتسديد أشـد ضربة للاشتراكية وللثورة الاجتماعية ، وهذا يمثل اكبر خطر يهدد مرحلة التحول الاشتراكى .

ومن الاخطار الرئيسية ايضا قضية الانتاج ، فالتحول الاشتراكى لايمكن ان يتم الا بوفرة الانتاج وزيادته بصفة مستمرة ، ليعوض التخلف الذى ورثه المجتمع والزيادة المستمرة فى السكان ، والامال الجماهيرية فى رفع مستوى المعيشة . والانتاج يعتمد اساسا على العمل ومن هنا كانت اهمية مشاركة العمال الفعلية فى النشاط الاقتصادى وخطة التنمية ، وجميع الاجهزة الخاصة بذلك ، وتحملهم المسئولية الرئيسية فى الانتاج . والفشل فى معركة الانتاج خطر يهدد مرحلة التحول الاشتراكى ، وهنا تبرز مرة اخرى مضاعفات سلبية العمال ، وتشكيكهم فى الاشتراكية ، والانجازات التى يمكن ان تحققها لهم كما تبرز اهمية التنظيمات النقابية والقيادة النقابية .

ان القيادة مسئولة بحكم مواقعها النقابية ، ومواقع العمال والفلاحين فى المجتمع الاشتراكى الجديد ان تعيش مع جماهير العمال والفلاحين حياتهم ومشاكلهم وان تنمى فيهم الوعى الاشتراكى ومعنى ملكية الشعب لوسائل الانتاج ، وازالة الرواسب الراسمالية القديمة واقناع كل عامل ان الانتاج بصفة عامة اصبح مسئوليته وطريقه الوحيد لتحسين حاله ، وانه مسئول عن الانتاج على مستوى الدولة كلها وليس فقط على مستوى وحدته الانتاجية .

ان قضية الاشتراكية وقضية المجتمع هى الانتاج فى مجموعه فى الناتج العام كله ، وليس فى انتـاج

وحدة او وحدات ، او صناعة واحدة او عدد من الصناعات ؛ ان الانتاج فى مجموعه هو وسيلة تحقيق الاشتراكيه . ورفع مستوى معيشة الشعب العامل ، ومن هنا وجب اهتمام كل عامل بالانتاج على مستوى وحدته ، وعلى مستوى الدولة ، وضرورة ربط تحسين مستوى معيشته بزيادة الانتاج العام فى مجموعه ، وليس مجرد زيادته فى وحدته الانتاجية او الصناعة التى يعمل بها .

وهذا يتطلب ايجابية كاملة وواعية من القيادة النقابيه ، فالقياده يجب ان تكون تعبيرا صادقا ديمقراطيا عن قاعدتها العماليه . واعيه بالاشتراكيه وقوانينها العلمية وتمارس مسئولياتها فى التوعيه الاشتراكيه والتوعيه الانتاجية بين جماهير العمال وتعيش معهم مشاكلهم اليومية ، وتجعل التنظيم النقابى الذى تقوده ، حركه جماهيريه ، يمر خلاله النشاط المنظم الواعى ، والنقد الذاتى الدائم ، والحلول الواقعيه لمشاكل ملايين العمال والفلاحين الخاصة والعامة .

وايجابية القاعدة العمالية تتطلب منها الواقعية فى النظر الى المجتمع ومشاكله ، وربط مشاكل كل عامل بمشاكل المجتمع . وايمانه بأن حل مشاكله هو رهن بحل مشاكل المجتمع نفسه فالمجتمع الاشتراكى هو الشعب باكمله ، ومشكلة اى فرد تتاثر به وتؤثر فيه ، ولايمكن ان تبقى مشكلة محدودة فى اطار طبقى او طائفى او مهنى ، بعد ان حطمت الاشتراكية هذه الاطارات ، وخلقت مجتمع العاملين على اساس من العمل وتكافؤ الفرص وعداله التوزيع

وعلى القاعدة مسئولية رقابة القيادة بصفة دائمة ، فهى المسئولة اولا واخيرا عنها ، وفى الانتخابات المتجددة مجال لابعاد اى عناصر انتهازية او رجعية تكون قد تسللت الى مواقع القيادة تحت شعارات براقة لاتؤمن بها .

ومعركة القيادة معركة رئيسية فى فترة التحول الاشتراكى ، على القاعدة الاهتمام بها واليقظة بشانها ، فالقيادات التقليدية التى تربت فى المدرسة الراسمالية ، وعجزت عن فهم التطور الاشتراكى وحتميته ، تحاول التمسك بمواقعها للاستفادة منها وتحقيق مكاسب شخصية وتقوم بذلك عادة بالتحالف مع قوى الرجعية ، خصوصـا التى مازالت تحتل بعض المواقع فى المجتمع واجهزته والتى تخشى حركة جماهير العمال والفلاحين وظهورها كقوة جماهيرية محركة للتطور الاجتماعى وامكانية نجاح هذه العناصر بعض الوقت .

يحتم المزيد من الحركة الواعية من القيادات التقدمية وجماهير العمال لكشف القيادات الانتهازية المتعاونة مع الرجعية والاستعداد للانتخابات النقابية المتجددة التى تعطى فرصة المحاسبة والتغيير فى طريق التطور الاشتراكى .

وعلى الحركة العمالية قاعدة وقيادة الا تعزل نفسها عن طوائف المجتمع الاخرى ، فتصرفاتهم واسلوب عملهم له تاثير قوى ومباشر على التحول الاشتراكى ومن هنا كانت اهمية ممارسة النقد الذاتى البناء داخل اطار الوحدة الاشتراكية ، ومعالجة المنحرف او المقصر مهما كان عمله او وضعه او مركزه ، وعدم الاستسلام والاتجاه نحو السلبية مهما كانت تصرفات البعض او مراكزهم

ان من اعظم مهام الطبقة العاملة وقيادتها فى مرحله التحول الاشتراكى ان تكسب احترام فئات المجتمع الاخرى التى تتحالف معها، وتدفعها للايمان بان قياده الطبقة العاملة للاتجاه الثورى هو خير ضمان لتحقيق مصالحها ، نتيجة لعمق فهم هذه الطبقه للمرحله التى نمر بها ، والحلول الصحيحة لمشاكل المجتمع .

ان المجتمع العربى يمر بمرحلة التحول الاشتراكى ـــ ومازال يعانى الرواسب الراسمالية القديمة ، والتطلعات الطبقية ، ان الصراع فى مراحل التطور اشد مايكون ، للوصول بالتطور الى اهدافه الاشتراكية ، وهذا لايمكن ان يتم بسلبية العمال والفلاحين ، مهما كانت محاولات دفعهم الى السلبية بل بايجابية كاملة مشحونة بالعمل المستمر والكفاح الواعى فى جميع مجالات العمل الوطنى .

ان طبيعة الظروف التى وجدت فيها الحركة العمالية فى الدول النامية قد القت عليها مهام جديدة تختلف عن تلك التى مارستها التنظيمات النقابية فى الدول المتقدمة ، وأهم هذه المهام هو أن تربى من بين صفوفها الكوادر المدربة الواعية التى تستطيع أن تمارس العمل القيادى على المستوى الوطنى كله من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وهذه هى بعض الملاحظات المستوحاة من دراسة دور العمال والفلاحين فى البلاد العربية التى تتحول الى الاشتراكية ، وهى تمثل المسئوليات الملقاة على عاتق التنظيم النقابى فى هذه البلاد وعلى اتحاد العمال العرب ، وهذا يتطلب ولاشك تطويرا اساسيا للحركات العمالية فى هذه الدول ، فهى فى حاجة الى تنظيم جديد واطار تشريعى جديد ، واسلوب عمل جديد . كما يتطلب تطوير اتحاد العمال العرب تنظيما وفلسفة ، حتى يقوم بمهمته الرئيسية فى التوعية الاشتراكية ويكون قادرا على ممارسة الدعوة الاشتراكية بجانب كفاحه الوطنى .

الارتباطات الدولية للحركة العمالية العربية

حرصت الحركة النقابية العربية دائما على ان

تكون على صلة بالحركة العمالية الدولية . ولهذا اوفدت مندوبين عنها لتمثيل العمال العرب فى عدد من المؤتمرات والاجتماعات العمالية الدوليه التى عقدت حتى الحرب العالمية الثانية ، وكان هذا الاتصال على اشده فى الفترة من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٢٥ وذلك بسبب قوة الحركة النقابيةالدوليه فى ذلك الوقت واهتمامها بالحركات العمالية فى البلادو المناطقغير المستقلةفىآسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وبعد الحرب العالمية الثانية استمر هذا الاتصال فاوفدت الحركة العمالية العربية مندوبين عنها لحضور الاجتماعى التاسيسى للاتحاد العالمى عام ١٩٤٥ ، وللاتحاد الدولى الحر عام ١٩٤٩ . على ان الملاحظ على العلاقة حتى هذا الوقت ، انهاكانت قائمةعلى اساسسياسة التتبعلاالانضمام اذ لم تنضم الاتحادات العمالية العربية لاىاتحادات عمالية دوليةقبل عام١٩٤٩ انضماما رسميا ويرجع السبب فى ذلك الى ان الاتحادات العمالية العربية كانت لمتستكمل قوتها بعد، وكانالاستعمار مازال مسيطرا على معظم اجزاء الوطن العربى .

وقامت حكومات الدول الغربية بدور رئيسى فى تكوين الاتحاد الدولى الحر عام ١٩٤٩ ، اذ كانت تخشى فشله ، وبالتالى سيطرة الاتحاد العالمى على الحركة النقابية الدولية ، ولذلك شجعت الحركات العمالية فى بعض الدول التى كانت ترزح تحت الاستعمار فى ذلك الوقت فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، على الانضمام اليه . وتسبب هذا فى انضمام الاتحادات العمالية فى بعض الدول العربية اليه مثل لبنان وليبيا والمغرب وتونس والجزائر ، كما شهدت هذه الفترة ايضا انضمام بعض الاتحادات العربية الى الاتحاد العالمى مثل الاتحاد العام للعمال فى السودان ، وبقيت بعض الاتحادات العربيةبعيدةعنهذين الاتحادينالدوليين وفضلت اتباع سياسة الحياد مثل الاتحاد العام بمصر وسوريا .

وعند تكوين الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب عام ١٩٥٦ كانت الاتحادات العمالية فى الدول العربية تسير فى اتجاهات متعارضة كما اوضحنا ، ويتنازعها تيارات غير منسجمة وغير قائمة على اسس من الدراسة ، الامر الذى ادى الى اضعاف دور الحركة النقابية العربية فىالمجال النقابى الدولى ، وفتح الباب على مصراعيهلنشاط الهستدروت ، الذى مكنه الاتحاد الدولى الحر من وجوده فى مجلسه التنفيذى ممثلا لمنطقة الشرق الاوسط .

ولهذا احتل موضوع الارتباطات الدولية للحركة النقابية العربية اهمية خاصة عند تكوين اتحاد العمال العرب، وظهر فىهذا الشان رايان. **الراى الاول** ينادىبالابقاءعلى الارتباطات الدوليةللاتحادات العماليةالعربية، اذ لايرىفيها تعارضامعءضوية اتحاد العمال العرب ، فضلا عن انها تزيد من مساهمة الاتحادات العربية فى المجال الدولى وتعطيها فرصة الدعاية للقضايا العربية ، بينما ينادى **الراى الثانى** بضرورة قطع هذه الارتباطات وانسحاب الاتحادات العمالية العربية من الاتحاد العالمى والدولى الحر كشرط لانضمامها لاتحاد العمال العرب ، «لان كل اتحاد من هذين الاتحادين يسير وفقا لاتجاهاتالكتلة السياسيةالتى تسيطر اتحاداتها عليه ، فالاتحاد العالمى يسير مع الكتلة الشرقية ، بينما الاتحاد الحر يسير مع الكتلة الغربية ، وهناك من الدلائل ما يشير بأن كل كتلة تستخدم اتحادها فى الحرب الباردة » .

وبعد مناقشات طويلة تم تكوين اتحاد العمال العرب على اساس ابقاء الارتباطات الدولية للاتحادات العربية ، بجانب عضويتها فى اتحاد العمال العرب كفترة مرحلية يتم فيها دراسة الامر على ضوء الواقع العملى ، والنشاط الفعلى لاتحاد العمال العرب ، وعلىأساس مصادقة من يصادقنا ومعاداة من يعادينا .

كان المفروض بعد ذلك ان يتابع اتحاد العمال العربهذا الموضوع ويدرسمدىتاثيرهذا الارتباط على الاتحاد والقضايا العمالية والعربية التى يكافح من اجلها ، لان الارتباطات الدولية لاعضائه لايمكن عزلها عن دور الاتحاد نفسه فى المجال النقابى الدولى ، اذ هو فى حقيقة الامر انعكاس لهذه الارتباطات ، ويتاثر بها اكبر الاثر . لهذا توقع الجميع مناقشة اتحاد العمال لهذا الامر مناقشة موضوعية تنتهى بوضع مخطط نقابى عربى تلتزم به جميع الاتحادات الاعضاء ويخدم اهداف الاتحاد فى المجال الدولى . لكن هذا المخطط لم يظهر حتى يومنا هذا .

ومنذ قيام اتحاد العمال العرب خاض معارك كثيرة احتل فيها كل من الاتحاد العالمى والاتحاد الدولى الحر ، ولمس عن قرب موقف كل منهما من القضايا العربية ، وتاكد من استخدام الاستعمار للاتحاد الحر لتنفيذ مخططه الاستعمارى ، الامر الذى يفسر تمييعه لمعظم القضايا العربية بما فيها قضية تحرير فلسطين ، ووقوفه ضد الحركة النقابية العربية فى المحافل الدولية ، وهجومه المستمر على اتحاد العمال العرب واتهامه له بأنه ليس اتحادا عماليا ، بل اداة سياسية لخدمة السياسة العربية ومحاربة اسرائيل ، وكان الدفاع عن القضايا السياسية وتحرير فلسطين لا يصح أن يكون من أهداف العمال العرب ، ورغم هذا ما زالت بعض الاتحادات العمالية العربية ، الاعضاء فى اتحاد العمال العرب ، اعضاء ايضا فى الاتحاد الدولى الحر .

وهذا التناقض فى السياسة الدولية لاتحاد العمال العرب ، وعدم الوضوح الذى يحيط بسياسته الدولية، يجد له انعكاسا فى بعض الحركات العمالية فى الدول العربية . ففى لبنان نرى الحركة العمالية منقسمة على نفسها، جزء فيها منضم للاتحاد العالمى واخر منضم للاتحاد الدولى الحر ، وفى الجمهورية العربية المتحدة يتبع اتحادها العام منذ نشاته سياسة الحياد ، ولهذا فهو لم ينضم للاتحاد العالمى أو الحر ، ومع ذلك نرى نقابتين من النقابات التابعة له ، اعضاء فى الاتحادات العمالية الدولية المهنية المرتبطة بالاتحاد الدولى الحر ، وهى نقابة البترول ونقابة عمال النقل البحرى ، والاولى عضو فى الاتحاد الدولى لعمال البترول ، والثانية عضو فى الاتحاد الدولى لعمال النقل . وهذا الانضمام يفسر من الكثيرين على انه انضمام للاتحاد الدولى الحر من الباب الخلفى ، ويفقد موقف الحركة النقابية المصرية بشأن الحياد الايجابى قوته ومنطقه .

يضاف الى هذا ان الاتحادات الدولية المهنية تمكنت فى الاعوام الاخيرة من جذب عضوية نقابات كثيرة من دول تتبع اتحاداتها العامة سياسة الحياد الايجابى ، ولهذا يلاحظ تشجيع الاتحاد الدولى الحر لها ، ومحاولته اظهارها بمظهر المستقل عنه ، وفى حقيقة الامر تدور هذه الاتحادات الدولية المهنية ، كما يدور الاتحاد الدولى الحر ، فى فلك الاستعمار وطبقا لمخطط استعمارى واضح محدد ، يهدف الى السيطرة على الحركات العمالية وتسخيرها لخدمة اهدافه الاستعمارية .

واعتقد انه اذا كان هناك فى الماضى مايبرر هذا الموقف من جانب بعض النقابات المصرية ، فان الظروف والاوضاع الجديدة تفرض عليها الانسحاب وتدعيم سياسة الحياد السليم الصريح فى المجال النقابى الدولى ، ومساعدة اتحاد العمال العرب على وضع مخطط يخدم اهداف الاتحاد ، والوطن العربى فى ثورته القومية والاجتماعية .

ويلاحظ ان المجموعة الحيادية داخل الحركة النقابية العربية تمثل الجزء الاكبر من العمال العرب اذ يبلغ عددهم حوالى ٤ ملايين عضو اى حوالى ٨٢٪ من مجموع العضوية النقابية بالمنطقة العربية بينما تمثل المجموعة المرتبطة بالاتحاد العالمى حوالى نصف مليون اى حوالى ١٢٪ من مجموع العضوية النقابية بالمنطقة والمجموعة المرتبطة بالاتحاد الدولى الحر حوالى ٢٨٠ الفا اى حوالى ٦٪ من مجموع العضوية النقابية بالمنطقة .

وهذه الارقام والنسب تشير الى ان الاغلبية فى جانب السياسة الحيادية وهذه كلها امور يجب ان تكون فى اعتبار العمال العرب عند مناقشة هذا الموضوع .

ولقد ركز اتحاد العمال العرب فى اعوامه الخمس الاولى على محاولة تكوين اتحاد عمالى اسيوى افريقى واتصل بسبب ذلك ببعض الحركات العمالية فى القارتين . ولما تبين له استحالة تكوين مثل هذا الاتحاد مرة واحدة ، بدأ يركز نشاطه على الحركة العمالية الافريقية ، التى كانت تضم اتجاها قويا يهدف الى وحدتها فى اتحاد عام واحد ، وشارك فى هذا النشاط وقام بدور رئيسى فى تكوين اتحاد جميع نقابات عمال افريقيا عام ١٩٦١ . على ان صلة الاتحادين فى الوقت الحاضر غير واضحة ، رغم وجود ميثاق تضامن بينهما منذ عام ١٩٦٤ ، وذلك بسبب ارتكاز اتحاد جميع نقابات عمال افريقيا على مبدأ عدم ارتباط اى اتحاد افريقى عضو فيه باى اتحاد دولى اخر ، والتفسير الذى يردده البعض بسريان هذا المبدأ على اتحاد العمال العرب ، الامر الذى يجعل الاتحادات العمالية فى المغرب والجزائر وليبيا والجمهورية العربية المتحدة والسودان ، وكلها اعضاء فى الاتحاد الافريقى ، فى موقف غير واضح .

لهذا فمن الضرورى تحديد العلاقة العمالية العربية الافريقية بصورة واضحة فى اطار الوحدة الافريقية والوحدة العربية، ووضع مخطط عمالى عربى دولى ملزم للاتحادات الاعضاء فى اتحاد العمال العرب حتى تنطلق منه سياسة دولية واضحة للاتحاد تخدم اهدافه الوطنية والدولية .

اتحاد العمال العرب

فى مرحلته الجديدة

اذا كان اتحاد العمال العرب قد تاخر بعض الوقت عن مسايرة الروح الثورية للطبقة العاملة العربية والثورة العربية الاشتراكية التى ظهرت فى بعض دول المنطقة ، الا ان الظواهر تشير الى محاولاته الجدية للحاق بها والقيام بدوره الطبيعى فيها ، واولى هذه الظواهر تعديل دستور الاتحاد الذى اقره مؤتمره العام الثالث الذى عقد بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٦٥ ، وقد تضمن التعديل تغيير فلسفة الاتحاد واهدافه فعدلت مقدمته ، وبعض مواده وبنوده . ووضعت المقدمة لاول مرة على اسس اشتراكية واضحة حيث جاء بها: **((ان الطبقة العاملة ايمانا منها بوحدة الامة العربية ووسائلها الهادفة الى تحقيق المجتمع العربى الاشتراكى تؤكد بان وحدتهم الطبقية جزء لايتجزء من وحدة الامة العربية**

وبان امانى العمال العرب فى الحصول على كامل حقوقهم والحفاظ عليها ، هو رهن بتحرر ارضهم العربية من الاستعمار والصهيونية والرجعية بكافة مظاهرها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .. ان العمال العرب يعلنون انتظامهم فى اتحاد عربى واحد يجمع كلمتهم وينسق جهودهم لتسهم متكافئة فى اقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى » .

وكانت ابرز التعديلات تلك التى مست اهداف الاتحاد ، فعدلت بعض المواد القديمة واضيفت اخرى جديدة ، ومن تلك التى اضيفت تحت اهداف الاتحاد :

«انماء الوعى النقابى عبر بلورة وحدة المصلحة الطبقية للشغيلة واتخاذ الصراع الطبقى اساسا للوقوف فى وجه قوى الاستغلال والرجعية ، تمكين الاتحادات الاقليمية الاعضاء من وضع برامج ثورية لعملها النقابى تتناسب وامكانياتها ، والظروف التى تحيطها ومدها بكل المساعدات المستطاعة لتحقيق هذا الهدف ، السعى الجدى لتحقيق وحدة الحركة النقابية وحمايتها على صعيد الاقطار العربية لتتمكن من الوقوف فى وجه مناورات اعداء الطبقة العاملة الرامية الى خلق التفرقة والانقسام بين عمال القطر الواحد » .

وكان هدف التعديلات التى ادخلت على اجهزة الاتحاد تدعيم القيادة الجماعية ، لاعطاء الفرصة للاتحادات الاعضاء للمساهمة مع الامين فى ادارة شئون الاتحاد وربط القيادة فى القاهرة بقواعدها العمالية فى الدول العربية المختلفة . وهذه التعديلات تمثل مرحلة جديدة فى حياة الاتحاد ، بعد قرابة عشرة اعوام من قيامه عليه ان يترجمها الى خطة عمل جديدة واسلوب عمل جديد .

مسئوليات المرحلة القادمة

ان الظروف الموضوعية التى احاطت باتحاد العمال العرب تحكمت الى حد كبير فى حركته وفى وضعه بالصورة التى كان بها حتى مؤتمره العام الثالث . وهذه الظروف لم تمكنه من ضرب الاستعمار بصلابة اكثر ، والتعرض بشدة لموضوع القواعد العسكرية فى بعض دول المنطقة ، والوقوف فى وجه الرجعية العربية المرتبطة بالاستعمار والمتحالفة معه والتى تضرب الحركات العمالية فى بعض الدول . على ان هذه الظروف قد تغيرت منذ عام ١٩٦١ تغيرا كبيرا ، واصبحت تسمح له بحرية حركة اوسع وتعطيه طاقة اكبر . ومن هذه الظروف المساعدة ، ظهور التطبيق الاشتراكى فى بعض الدول العربية الامر الذى دعم الحركات العمالية بها ، وبالتالى اتحاد العمال العرب . كما ان بين هذه الظروف ايضا الدور الايجابى الذى تقوم به القيادات الاشتراكية فى المجتمع العربى وفى جامعة الدول العربية كقوة ضاغطة فى الطريق الثورى ومؤيدة للقوى والسياسات التقدمية .

وهذا يلقى على اتحاد العمال العرب مسئوليات عديدة .

مسئوليات وطنية : للقضاء على بقايا الاستعمار فى المنطقة وتصفية جيوبه ، وتحرير اجزائها التى ما زالت تعانى من الاستعمار ، فى اطار سياسة قوية لا تسمح بانصاف الحلول ، او باستقلال مشروط ، او يخفى وراءه وجودا او نفوذا استعماريا ، وتحطيم الارتباطات الاستعمارية العسكرية والاقتصادية ومواجهة الرجعية المتحالفة مع الاستعمار وتحطيم مواقعها ونفوذها .

مسئوليات نقابية : لتدعيم العضوية النقابية العربية فى الوطن العربى ، وضمان مساهمة جميع الاتحادات الاعضاء فى ادارة الاتحاد وتكوين مجموعة من الاتحادات المهنية العربية على مستوى الصناعات المختلفة واقامة معاهد تدريب نقابية وصحافة عمالية عربية تربط العمال العرب فى جميع اجزاء الوطن العربى وتدعم الحرية والديمقراطية النقابية .

مسئوليات اشتراكية : فعلى الاتحاد تبنى قضية اشتراكية وجعلها قضية كل عامل عربى ووضع سياسة خاصة فى الدول العربية التى تتحول الى الاشتراكية لتحقق قيام العمال فيها بدورهم فى عملية التحول الاشتراكى وتجعل التنظيم النقابى خلايا جماهيرية حية متفاعلة مع متطلبات هذه المرحلة وعملية التوعية بحتمية الحل الاشتراكى كطريق للقضاء على التخلف والاستغلال وسط العمال العرب فى الدول العربية الاخرى وتعبئتهم من الان لمعركة التحرر الاجتماعى التى لابد وان تعقب التحرر الوطنى .

مسئوليات دولية : فعليه كاتحاد عمالى دولى المساهمة الفعالة فى تحقيق الوحدة العمالية دوليا ودعمها للقيام بدور فعال فى قضايا الامن والسلام العالمى وتنسيق سياسة الاتحادات العمالية العربية فى المجال النقابى الدولى حتى يقوم بدور فعال ومؤثر ، يخدم قضاياه ويكشف المؤامرات الصهيونية ، فالدور الاستعمارى الذى يقوم به الهستدروت وعلى وجه الخصوص فى القارة الافريقية .



التوعية

الأسلوب .. والمضمون

يعبىء تحالف الاقطاع وراس المال طاقات القوى العاملة فى خدمة مصالحه . فالعامل له « حرية » الاختيار بين تقديم قوة عمله للاستنزاف الرأسمالى أو الموت جوعا . الا ان الجماهير تكتسب وعيا، تنبذ به الطريقين اللذان يصوران لها وكان لا سبيل غيرهما ، وتشق طريق الخلاص ، طريق الثورة واقامة مجتمع جديد .. المجتمع الاشتراكى .

والقضاء على سلطة رأس المال تجعل عائد العمل الاجتماعى يرجع الى القوى العاملة . وهكذا فان المنطق يقتضى اقبال قوى الشعب العاملة على العمل فى بناء المجتمع الجديد بحماس واندفاع وتفانى .

لكن التوقعات شىء والواقع شىء آخر .

فالتطور الاقتصادى والتغير فى هيكل الانتاج وشكل السلطة يسبق عادة الوعى الاجتماعى بين الجماهير العاملة فى مجموعها،وتقف عقبات ومعوقات عديدة تشد الفكر الى الوراء .

ومن هنا تبدو أهمية توعية الناس اشتراكيا .. والتوعية فى أبسط صورها تستلزم التعريف بطبيعة النظام الاشتراكى ومن ثم اقناع قوى الشعب العاملة بان مصالحها تتفق تماما مع أهداف المجتمع الجديد ، وان ارتفاع مستوى معيشتها واستمرار تقدمها يتناسب طرديا مع الجهد المبذول منهم لبناء قاعدة الاقتصاد القومى ، وبذلك وحده يمكن تنظيمهم وتعبئتهم ليسهموا ايجابيا فى بناء مجتمعنا الاشتراكى .

وفى هذه الدراسة تتعرض « الطليعة » لقضايا ومشاكل التوعية الاشتراكية فى مجتمعنا سواء من ناحية الاسلوب او ناحية المضمون .

- الوعى الخام ومشاكل التوعية الاشتراكية فى مجتمعنا ص ٢٢
- المرحلة الانسانية .. من « المعرفة بالحياة » الى « الوعى الاشتراكى » ص ٣٢
- لمن توجه التوعية ص ٤٥
- مسئولية اجهزة التعليم والثقافة والاعلام فى عمليات التوعية الجماهيرية ص ٤٩
- اسلوب ومضمون التوعية الاشتراكية من واقع « تجربة السويس » ص ٥٥



الوعى الخام ومشاكل التوعية الاشتراكية فى مجتمعنا

لطفى الخولى

التوعية بشىء ما ، تعنى **اولا** معرفة ماهية وظروف هذا الشىء ، وتعنى **ثانيا** فهم طبيعة حركته : هل هى مفيدة او ضارة .. ايجابية او سلبية ؟ ، وتعنى **ثالثا** التوصل الى اسلم الطرق الممكنة واقعيا للتعامل مع هذا الشىء والسيطرة عليه وعلى حركته ، من هذا كله ينبثق الوعى بالشىء وحركته من جانب ، وبالموقف الذى يجب ان يتخذ منه من جانب آخر . ان التوعية **(بالقطاع العام)** مثلا ، تستلزم ان نعرف **اولا** ما هو هذا القطاع العام .. مم يتكون .. كيف انشىء .. من الذى يملكه .. من معه ومن ضده .. الخ .. وان نعرف **ثانيا** كيف يعمل .. ماالذى ينتجه .. ما الذى يحققه من فوائد او مضار .. هل ينمو او يضمر .. هل يسير الى احسن ام يرتد الى اسوأ ؟ .. وان نعرف **ثالثا** كيف نعامله ، بمعنى كيف نقويه ونطوره وندعمه ونعالج عيوبه ، او على العكس كيف نضعفه او نلغيه ونستبدله بنظام آخر الخ ...

والوعى ليس شيئا مجردا فى حد ذاته ، يتواجد كنبت شيطانى ، وانما هو يرتبط وجودا وعدما بعقل وادراك ورؤية وارادة ومشاعر واحساسات الانسان . والانسان لا يوجد وحده منفردا ومجردا ومنعزلا ، وانما كجزء لا يتجزأ من جماعة بشرية تعيش من خلال علاقات متبادلة ومتشابكة فى مجتمع معين وعصر معين ، ومن هنا كان الوعى انسانيا واجتماعيا . وكانت عملية التوعية بالتالى **ذات طبيعة انسانية واجتماعية** . فالوعى بالقطاع العام لا يأتى من تصوره كشىء مجرد ، **فهو كشىء مجرد لا قيمة له** . وانما كل قيمته تنبع من أنه يصبح **جزءا من حياة الناس فى مجتمعهم** .. قوة من قوى الانتاج الحية التى تتخلق بهما ومن حولها علاقات الناس بعضهم ببعض فى المجتمع ، وهل هى علاقات

اكراه وتسيد من نفر من الناس ضد نفر آخر اوهى علاقات تعاون ومشاركة بينهم جميعا ؟

بيد ان الانســـان بعد ذلك فى المجتمع قد يكون مالكا وقد يكـــون غير مالك .. وقد يكون فلاحــا او عاملا .. وقديكون رجلا او امراة .. وقديكون اميا او متعلمــا .. وقد يكون عـــالى الثقــافة او متوسطها او فاقدها الخ ... وبالتـــالى فهو ينتمى – بالميـــلاد اوبالاكتســـاب – الى طبقـــة **اجتماعية معينة ومستوى فكرى معين** ، وبالتالى الى مصالح وافكار وثقافات وظروف معينة . ومن هنا فان التوعية فى النهاية ومن ثم الوعى طبقيان فى مضـــمونهما **من جـــانب ، وعلى درجـــات مختلفة واشكال متنوعة من جانب آخر** . بمعنى ان نوعيةوعى **الراسمالى** الذى امست ملكيته الاستغلالية لبعض وسائل الانتاج واصبحت جزءا من القطاع العام ، تكون متناقضـــة حتميا مع نوعيـــة وعى **العامل الاجير** بالنسبةللقطاع العام الذى ضمن له **٢٥** قرشا كحد أدنى لاجره اليومى ، ونسبة ٢٥٪ من الارباح السنويه الناتجة عن قيمة عمله . كذلك فان وعى **الفلاح** الذى لا يتصل اتصـــالا مباشرا بالقطاع العام ، يكون اقل عمقا فى الدرجة من وعى **العامل الصناعى** الذى يتصـــل اتصالا مبـــاشرا بالقطاع العام ، وهذا كله يختلف عن درجـــة وعى **ربة البيت به** وهكـــذا . ومن ثم فـــلا مفر من ان تختلف وتتنوع اســـاليب التوعية بالقطاع العـــام بالنسبة لجميع هذه الفئات .

وحاجة الانســـان الى الوعى بشىء ما ، تنبع كضروره ملحة عند اصطدام الانسان بهذا الشىء الموجود موضوعيا خارج ذاته ، او عند اكتشـــافه له ، او فقده اياه . **لانه مالم يتصل هذا الشىءبحياة الانسان فلا حاجة له به وبالتالى الى الوعى به** . والانسان لا يصطدم او يفقد او يكتشف شيئا وهو قعيد بلا حراك ، وانما من خلال **الحركة والعمل** ، سواء اكانت هذه الحركة اوالعمل يدويا أم ذهنيا . ولو لم نكن خلال عملنا لتطوير المجتمع قداكتشفنا «القطاع العام» كنظام للانتاج واقمناه وسيرناه لما كنا فى حاجةالىالتعرف عليهوالوعى بهوبمشاكله .

ولكن عمل الانسان ، ليس مجرد جهد يبذل دون ما غاية . وانما هو جهـــد مبذول من أجل تحقيق هدف معين يتفق ويتفاعل مع موقف هذا الانسان الطبقى ومصالحهوافكاره . **وبالتالى فالتوعيةذاتها تمتلك هدفا تسعى اليه وتقصده** . فالعمل من أجل تدعيم القطاع العام مثلا يعنى بالضرورة التوعيـــة بأهميته وحيويته بهدف تطويره وكسب معركته . أما العمل من أجل اضعاف القطاع العـــام فيعنى بالضرورة التوعية ضدقيامه ووجوده بهدف تخريبه وتصـــفيته .

وهـــكذا فانه يمـــكن القول بصورة عامة أن «التوعية» هى عملية انســـانية اجتمـــاعية ذات مضمون طبقى محدد واساليب ومستويات متعددة، تلتحم التحـــاما عضويا بواقع العمل الانســـانى وهـــدفه .

الوعى الفـــردى والوعى الاجتماعى

ومن هنا فان «الوعى» ينبت مع حركة الانسان فى المجتمع ، وموقعه وموقفه منه ، ومصالحه فيه . وهو فى تفاعله مع حركة الانسان يســـهم فى تدعيم ما انجز فعلا من خطوات واستقرارها من ناحية ، ويكشف الطريق امام خطـــوات جديدة من ناحية اخرى .

ولما كان الانســـان داخل المجتمع يلتحـــم مع مجموعة معينة من الناس يشترك معهم فى مصـــالح جوهرية اساســـيه ويكون معهم اقتصـاديا وبالتالى سياسيا واجتماعيا وفكريا طبقه متميزه فى مواجهه طبقات اخرى . فانه يصـــبح لهذه الطبقة **«وعيا اجتماعيا مشتركا»** بجانب **«الوعى الفردى المتميز لكل انســـان»** داخل هذه الطبقة ومن ثم داخـــل المجتمع ككل .

فالذين يملكون وســـائل الانتاج من أرض ومصـــانع الخ .. فى مجتمع معين تتخلق لهم مصالح جوهرية مشتركة فى حمايه ممتلكاتهم وزيادتها وفى استغلال قوة عمل الاخـــرين الى اقصى حـــد يمـــكن معه ضمان اوفر الارباح لملاك وسائل الانتـــاج مقابل اقل اجور ممكنة للعـــاملين . وعلى اساس هـــذه المصالح الجوهرية المشتركة يكون ملاك وســـائل الانتاج فيما بينهم ، طبقة متميزة داخل المجتمع هى الطبقة الراســـمالية او البرجوازية ، لهـــا وعيها الطبقى المتميز والمعبر عن مصـــالحها . وذلك فى مواجهة طبقة اخرى مثلا هى طبقة العمال الاجراء الذين يتكون من خـــلال احساسهم بمصـــالحهم المشتركةالجوهرية ، ابتداء من رفع مستوىالاجور التى يتقاضـــونها حتى الغـــاء استغلال طبقـــة الراســـماليين لهم الغاء تاما ، «وعيـــا اجتماعيا مشتركا مضادا» .

ولكن هذا الوعى الاجتماعى المشترك «للطبقة» لا يمنع من قيام الوعى الفردى ، داخلحدود الوعى الاجتماعى المشـــترك بالنسبة لكل ابن من هـــذه الطبقة او بالنسبة لمجموعات خاصـــة اوتيارات

معينة لبعض الابناء . فان مصالح راسمالى فرد ، او مجموعة من الرأسماليين مثلا داخل الطبقة الراسمالية فى السيطرة الكاملة على صناعة معينة واحتكارها يدفعهم الى منافسة آخرين من ابناء طبقتهم والقضاء عليهم وابتلاع ممتلكاتهم ، ولكن هذا يتم دائما داخل حدود الوعى الاجتماعى المشترك لمصلحة الطبقة البرجوازية ، وحماية وضعها وامتيازاتها ككل داخل المجتمع .

كذلك فانه يمكن انتتولد داخل الوعى الاجتماعى المشترك للطبقة البرجوازيةتيارات مختلفةومتعددة من الوعىحول أسلمالطرق الممكنة واقعياوالمتكيفة مع الظروف المتجددة لحماية الاستغلال الطبقى فمنهامايرىضرورةالالتجاء الى «أسلوبالمساومة» مع الطبقة العاملة عن طريق الاعتراف لها قانونا ببعض الحقوق كالتنظيم النقابىوالتأمين الاجتماعى الخ واحيانا المشاركة الصورية فى ملكية بعضأسهم الصناعات ومنها ما يرى بالعكس ضرورة مواصلة استخدام اقصى درجات القمع والارهاب وعدم الاعتراف بالنقابات الخ ..

وبالمثل نجد تيارات فردية او جماعية من الوعى المتميز داخل الطبقة العاملة . منها ما يقصر النضال على الحصول على الامتيازات النقابية والاقتصادية كرفع الاجور بالنسبة لكل مصنع على حدة ، ومنها مايرى توسيع هذا النضال بحيث يشمل كل المصانع وكل العمال فى المجتمع ومنها مايرمى الى الاطاحة الشاملة بالنظام الاستغلالى والطبقة الراسمالية .

وهكذا فانالمجتمعات تفرز ، بحكم حركةالانسان والطبقات ، انماطامتعددة منالوعى الطبقى ، على اشكال وصور ودرجات متفاوتة . ومن هنا فهناك «وعى» يعبر من مصالح القوى البرجوازية أوالراسمالية و «وعىآخر مضاد» يعبر عن مصالح القوى العامله . وفى اطار كل من هذين الوعيين تتواجد تيارات ومستويات مختلفة . وما دام كل «وعى» فى حالة حركة فان الصراعاتداخل المجتمع الراسمالى مثلا تصبح على درجات .. **صراعات رئيسية** يحركها التناقض الرئيسى بين مصالح ووعى كل من القوى الراسمالية والقوى العاملة . **وصراعات أخرى** داخل كل قوة تقودها الاختلافات بين تيارات الوعى المختلفة فى قلبهذه القوى .

الوعى الخام .. والتوعية

ولهذا فان «قضية الوعى» قضية معقدة . وهى تبدو أكثر تعقيدا اذا مضينا خطوة أخرى فى أعماق القضية ، لاننا عندئذ سنكتشف ان هذا «الوعى» الذى يمتلكه الانسان الفرد او الطبقة الاجتماعية من مجرد الحركة التلقائية داخلالمجتمع والاحتكاك اليومى بالمصالح المباشرة والآنية ، ليس فى حقيقته الا **«وعيا خاما»** . لا تتحقق الاستفاده الفعلية والكاملة منه الا اذا صقل وصب فى شكل اسلحة وادوات لهسا فاعلية وقدرة على التغييروالعمل المنتظم فى واقع المجتمع بمجالاته المتعددة . تماما كقطعة **«الحديد الخام»** ، فهى تظل مجرد كتلةمادية لها وجود فى حد ذاتها ولكنها خرساء او محدودة القيمة واقعيا ، طالما لم تصقل وتصب فى شكل أسلحة وادوات فعالة لها وظيفة محدده فى واقع المجتمع بمجالاتهالمختلفة . ودلك أما فى شكل قطار وسيارة وطائرة فى مجال المواصلات ، أو كمرات حديد واساسات فى مجال بناء المساكن ، او دبابة ومدفع وقنبلة فى مجال الحرب الخ ...

وكما ان عملية صقل **«الحديد الخام»** وصبه فى اشكال وادوات متحركهفعالة يحتاج الىعلموخبرة وقوى بشرية مدربة ومؤسسات صناعيه ، اى الى **«عملية تصنيع»** .. كذلك فان عمليةصقل **«الوعى الخام»** وصبه فى اشكال وادوات متحركة وفعالة اجتماعيا يحتاج ايضا الى علم وخبرة ، وقوى بشرية مدربة ، ومؤسسات اجتماعية سياسيه ، اى الى **«عملية توعية»** مسئوله ومنظمة .

فى المجتمع الراسمالى نرى القوى البرجوازية المسيطرة اقتصاديا وسياسيا على المجتمع نمارس «عملية التوعية» لمصالحها الاستغلالية الخاصة على أساس انها مصالح الوطن كله . وذلك عن طريق احزابها السياسية وبرلماناتها وصحفها مستعينة فىذلكبمفكريها وفلاسفتها وكتابهاودعاتها المدربين على التعامل مع مختلف المجالات والفئات الاجتماعية . فيقومون فى المجتمع كنظام واجهزة وعلاقات وتقاليد وعادات ، بزراعة قيم الفلسفات البرجوازية التى تصور انقسام المجتمع الىطبقات كنظام أبدى لا فكاك منه ، والملكية الفردية الاستغلالية كوضع مقدس لا يمكن المساس به ، وقيام الرأسمالى باستغلال العامل عن طريق فرضه التعسفى للاجر كممارسة لحرية العمل والتعاقد الخ .. بحيث يصبح الانسان فى هذا المجتمع واقعا تحت السيطرة الموجهة لهذه القيم فى دواوين الحكومة ، وبين رحاب الجامعات والمدارس ، وأمام الآلات فى المصانع ، وتحت وهج الشمس فى الحقول ، وعلى صفحات الكتب والصحف ، وعند سماعه للراديو أو استمتاعه بالسينما والتليفزيون فى وقت فراغه ..

وعندما يشرع المجتمع بثورته فى التحول الى

الاشتراكية يغدو من الضروري ان تقوم القوى الاشتراكية بممارسة «عملية توعية» مسئولة ومنظمة بقيمها المادية والفكرية وقوانينها العلمية عن طريق عناصر مدربة وخبيرة تنتمى بالتزام الى تنظيم سياسي ثورى طليعي .

مشاكل التوعية فى مجتمعنا

وهذه بالدقة هي حالتنا اليوم في مصر حيث نتحول ثوريا الى الاشتراكية وبالتالي تصبح عملية التوعية المنظمة المسئولة بالقيم الاشتراكية ، هي مهمتنا الرئيسية والعاجلة فكريا وسياسيا وتنظيميا على السواء . ذلك انه لا يكفى الوقوف عند حدود «الوعي الخام» بأن الاشتراكية افضل من الراسمالية بصفة عامة وانما بالتوعية المسئولة والمنظمة عن كيف نبنى الاشتراكية فى ظروف مجتمعنا . . كيف نحميها . . كيف نواجه مشاكل البناء وكيف نعالجها .

ويجب ان نعترف منذ البداية أن « عملية التوعية » المسئولة والمنظمة اشتراكيا فى مجتمعنا ليست بالعملية السهلة . لماذا ؟ .

● ان مرحلة التحول تعنى موضوعيا ان المجتمع المعاصر تتواجد فيه بنفس الوقت وبامتزاج علاقات اشتراكية مع علاقات راسمالية ، ونظما اشتراكية مع نظم أخرى راسمالية وقيما اشتراكية مع قيم رأسمالية . وان كانت القوى الاشتراكية لا الراسمالية — وهذا هو اهم ما يميز مرحلة التحول — تسيطر على قمة السلطة فى المجتمع .

ومن هنا فان « عملية التوعية الاشتراكية » لا تستهدف فحسب تعميق القيم الاشتراكية وغرسها وبناء نظمها فى المجتمع ، وانما فى نفس الوقت الكشف عن بقايا النظم الراسمالية ورواسب العلاقات الراسمالية وقيمها وجيوبها الاجتماعية ومحاربتها وتصفيتها ، فهى اذن عملية توعية مزدوجة .

● ان التحول الاشتراكي فى مجتمعنا يواجه رواسب عميقة الجذور من التقاليد والعادات والقيم الرجعية . وهي تقاليد وعادات وقيم لا تعود فقط للنظام الراسمالي وايدلوجيته وانما ايضا الى الرواسب الموروثة عن النظام الاقطاعي وقيمه وتقاليده الاكثر رجعية وتخلفا وخاصة فى الريف ، حيث انه رغم تصفية الاقطاع كنظام اقتصادى فما زالت قيمه وعاداته متغلغلة هناك حتى الان .

فاذا ما ربطنا ذلك بحقيقة موضوعية تاريخية وهى ان الايدلوجيات البرجوازية من حيث نشأتها وتمكنها من النفاذ الى عقول ومشاعر وسلوك الجماهير ، اقدم بكثير من الايدلوجية الاشتراكية واساليبها وقدراتها فى التعامل مع الجماهير ، اتضح لنا مدى ما تستلزمه « عملية التوعية الاشتراكية » فى مجتمعنا من جهد مضاعف وابعاد عميقة .

● ان التحول الاشتراكي فى بلادنا وقد وقع خلال مجتمع متخلف اقتصاديا يغلب عليه الطابع الزراعي . ولم تكن الصناعة قد تجاوزت نسبتها ١١ ٪ من الدخل القومي عند بداية تنفيذ الخطة الخمسية الاولى عام ٥٩/١٩٦٠ وهو العام السابق لعام التحول الحاسم نحو الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ . وهكذا لم تكن الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى الى ما قبل ثورة ١٩٥٢ قد مكنت الطبقة العاملة من النمو اللازم كما ونوعا الى الدرجة التى تتيح لها التجمع فى تنظيم سياسي ثورى قادر على الحركة الفعالة ، بل ان الطبقة العاملة حتى عام ١٩٥٢ لم تكن قد استطاعت أن تعبر بعد مرحلة التنظيم النقابي الموحد ، حتى انها لم تتمكن من انشاء اتحادها النقابي العام الا فى عام ١٩٥٦ بعد الثورة . وفى الوقت نفسه كانت الطبقة العاملة الريفية مشتتة مبعثرة سجينة قبضة الراسمالية الزراعية القوية والمفاهيم والقيم الاقطاعية . ولم يستطع المثقفون الثوريون بسبب عدة عوامل مختلفة ، منها نقص العدد والخبرة والنضج السياسي والانقسامات ، من الالتحام بالقوى العاملة وتلقيحها بدور الافكار والقيم الاشتراكية . ومن هنا لم يختمر فى المجتمع المصرى قبل التحول الاشتراكي عناصر وكوادر اشتراكية كافية منظمة وقادرة على تحمل المسئوليات . حتى ليمكن القول — وهذه ظاهرة جديدة فى التجارب الاشتراكية — ان الثورة الاشتراكية قد وقعت دون اشتراكيين منذ البداية . وانما جاءت وليدة تطور الحركة الوطنية التحريرية بقيادتها الثورية خلال مواجهتها الشجاعة لمشاكل تخلف المجتمع وضرورة بناء اقتصاد قومي مستقل صناعي ومتطور على احدث الاساليب الفنية وباسرع وقت ممكن . . فكانت حتمية الطريق الاشتراكي . .

ولهذا كله فان « عملية التوعية » الاشتراكية تواجه فراغا خطيرا يجب عليها أن تملأه بكادر اشتراكى ، تربيه تربية نضالية فى نفس الوقت الذى تشيع فيه المناخ الاشتراكي بالنسبة للجماهير عامة ، وذلك بأساليب وطرق ذات معدل للسرعة غير عادى .

فاذا ربطنا ذلك بواقع أن التنظيم السياسى

الثورى الاشتراكى القادر على الحركة لم يكن قائما قبل التحول الاشتراكى ، وانما هو يجرى بناءه الان بعد استيلاء القيادة الثورية على السلطة، فان « عملية التوعية » تواجه صعوبة غير عادية وهى افتقادها النسبى للمؤسسة السياسية الضرورية كمركز لتخطيط وتنفيذ ومتابعة التوعية .

ويزداد الوضع صعوبة اذا أخذنا بالاعتبار ما تكشف عنه التجربة التاريخية الانسانية وتجربتنا الخاصة من أن التحول الاشتراكى يصاحبه بالضرورة انتشار واسع للافكار الاشتراكية بصور مشوهة . وذلك حتى بالنسبة لصميم القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية . ومع النجاحات العملية والمادية التى تحققها عملية التحول الاشتراكى ، يتسع حجم القوى الاشتراكية بشكل غير عادى بمجموعات بشرية هائلة ضعيفة المستوى من ناحية النظرية والفهم الاشتراكى بل وفاقدة اياهما فى كثير من الاحيان . الامر الذى يجعل القاعدة الاجتماعية للاشتراكية مسرحا لعديد من الاتجاهات المتضاربة والجانحة احيانا نحو حلول الوسط البرجوازية واحيانا نحو المغامرات اليسارية . ويحدث ذلك فى الوقت الذى مايزال فيه تنظيمنا فى مرحلة التأسيس ولم يمتلك بعد القدرة على تصفية الافكار الاصلاحية والمغامرة وتسييد الافكار الاشتراكية الثورية المتفاعلة مع الواقع الموضوعى الحى .

● ان التحول الاشتراكى فى بلادنا قد عمد الى تكوين قطاع عام مملوك ملكية عامة ويسيطر على حوالى ٨٥ ٪ من وسائل الانتاج فى المجتمع (باستثناء الارض) وذلك خلال فترة زمنية وجيزة لم تتجاوز ست سنوات . ونتيجة لذلك لم يتوفر أمامه الوقت بعد لتكوين كادر فنى ذى تربية اشتراكية قادر على تولى مسئولية ادارة القطاع العام . ومن هنا كان لا مفر أمام ضرورة سير عجلة الانتاج من اسناد عملية ادارة القطاع العام الى الكادر الفنى القائم ايا كانت درجة ونوع وعيه السياسى واتجاهاته الاجتماعية والفكرية . ولهذا فان « عملية التوعية الاشتراكية » تواجه وضعا متميزا وخاصا فى أكثر المجالات حيوية وخطورة وهى مجالات وحدات الانتاج . اذ تواجه على قمة ادارة عدد غير قليل من هذه الوحدات مسئولين غير اشتراكيين ، ولكن عملية الانتاج فى نفس الوقت فى حاجة ماسة اليهم وبالتالى فأن عليها أن تبتكر وتستنبط طرقا وأساليب خاصة ومجدية معا فى اعادة تربيتهم سياسيا وفى كسبهم لقضية الاشتراكية عمليا على الاقل .

● ان التحول الاشتراكى يجرى فى مجتمع تخيم الامية فيه ، نتيجة الاوضاع الموروثة ، على ٧٠٫٦ ٪ من مجموع الشعب (حسب احصاءات ١٩٦٠) . ولهذا الوضع تأثيره على « عملية التوعية » وأساليبها . بمعنى أن اعتماد التوعية على « الكلمة المكتوبة » سيكون محدودا فى نطاق ٢٩٫٤ ٪ فقط من الشعب . ومن هنا تبدو اهمية التركيز على وسائل اخرى غير الكلمة المكتوبة بالنسبة للغالبية الساحقة من الجماهير مثل الالتحام المباشر بالجماهير فى مراكز عملها واوقات فراغها واستخدام الكلمة المنطوقة والكلمة المرئية. ولهذا تتعاظم فاعلية السينما والتلفزيون والمسرح والاذاعة كوسائل خاصة للتوعية. بل ان«التوعية» مطالبة بأن تستغل « عامل الامية » ذاته ،وتحوله من عامل سلبى الى عامل ايجابى . وذلك بأن تخوض معركة محو الامية باعتبار أن ميدانها هو فى الواقع ميدان توعية اشتراكية وتطهير للامية فى نفس الوقت .

علامات الخبرة الانسانية

هذه هى الخطوط الرئيسية التى ترسم أبعاد الواقع ومشاكله الخاصة التى تواجهها « عملية التوعية الاشتراكية » فى مجتمعنا المعاصر . والسؤال الذى يبرز عندئذ : **هو كيف تمارس عملية التوعية مسئولياتها اذن ؟ .**

ان حصيلة الانسانية من الفكر والتجارب الاشتراكية بالنسبة لقضية التوعية تسلط الاضواء المساعدة على بعض علامات الطريق الرئيسية فى هذا المجال . وليس من شك فى أن وقوفنا عليها يسهم فى محاولتنا الوصول الى اجابة علمية وواقعية للسؤال .

● ولعل **أول هذه العلامات** ان الاشتراكية منذ أصبحت علما صارت تستلزم أن تعامل كما يعامل العلم . بمعنى انها يجب أن تدرس منهاجيا بهدف الوقوف على قوانينها ، فالدراسة على هذا النحو تكسب الانسان «وعيا» ناضجا قادرا على الرؤية الواضحة وعلى ربط النظرية بالتطبيق ، وهذا الوعى هو الواجب نقله الى الواقع ونشره بين الجماهير العاملة باستمرار وبأكثر الاساليب بساطة .

● اما **ثانى هذه العلامات** فان « التوعية » ذات مستويين رئيسيين .

مستوى طليعى وهو الذى يتميز بانه تسليح عدد قليل من الاشخاص ، هم الكادر الطليعى ،

من خلال برامج دراسية منتظمة ومنهجية فى اطول وقت ممكن ، باكبر عدد من الافكار الاشتراكية المعمقة .

ومستوى جماهيرى مباشر . وهو الذى يتميز بتسليح عدد كبير من الجماهير العاملة نسبيا وذلك من خلال تحركها فى مجالاتها او فى معارك ومناسبات سياسية معينة . وذلك فى اقصر وقت ممكن وبأفكار قليلة مبسطة ومركزة ، لخدمة هدف محدد وواضح .

● **وثالث هذه العلامات** انه ما دام ليس هناك وسط بين الراسمالية والاشتراكية ، فليس هناك تبعا لذلك « ايدلوجية وسط » بين الايدلوجية البرجوازية أو الرأسمالية وبين الايدلوجية الاشتراكية . وبالتالى فان الضمان الموضوعى لسلامة وفاعلية عملية التوعية الاشتراكية هو تبنيها بحسم ووضوح للايدلوجية الاشتراكية وقوانينها العلمية ونظريتها الثورية فى واقعها .

● اما **رابع هذه العلامات** فيتلخص فى ان الوعى الجماهيرى العفوى ، رغم انه يحمل دائما بذور الصدق فى طياته ويلتصق بالواقع اليومى ، الا انه يكون على نحو جنينى ورد فعل مباشر لما يمكن تسميته بالغريزة السياسية . وبالتالى فهو بحالته هذه يكون غير قادر على الرؤية البعيدة المدى ، وعلى ربط الاجزاء المتناثرة فى كل واحد ، وعلى التحرر من سجن التفاصيل والنظرات الجزئية الى رحابة النظرة الشاملة الكلية ، وعلى تطويع العواطف السياسية المتمردة فى حركة سياسية منظمة ثوريا . ومن هنا يصبح خطرا على سلامة وفاعلية « التوعية » أن تصاب بمرض تقديس هذه العفوية تحت حجة « ان هذه هى ارادة الجماهير » وبالتالى السير فى ذيلها . كما يصبح خطر أيضا وبنفس القدر اهمال هذا الوعى الجنينى وعدم الاستجابة له واستيعابه وهضمه واتخاذه محورا ونقط انطلاق للحركة الواعية المنظمة .

وهذه بالدقة هى المهمة الحيوية « للتوعية الاشتراكية » . استقبال وهضم الوعى الجماهيرى الجنينى واعادة صياغته صياغة علمية سياسية ، كلية النظرة تخدم الاهداف الاستراتيجية للعمل الثورى . وفى استمرار هذه الحركة الديناميكية المتبادلة بين الوعى الجنينى الخام وبين « عملية التوعية » المنظمة والمسئولة تكمن روح وحدة الفكر والعمل للتنظيم السياسى القيادى .

ولقد حرص **المناضل جمال عبد الناصر** على التركيز حول هذه النقطة بوضوح فى حديثه التنظيمى الى المؤتمر الاول للمكاتب التنفيذية بالاتحاد الاشتراكى (يناير ١٩٦٦) (١) . فقال : **لا يمكن للقيادة أن تنمو الا على مبدأ الاتصال بالجماهير ، بمعنى انه من الضرورى ان ناخذ من الناس ونعطى للناس . اى لابد أن ادرس حركات الجماهير دراسة وافية ووجهات نظر الجماهير دراسة وافية ثم اعمل عملية تنظيم وتنسيق ، وبالذات لآراء الجماهير .. فالجماهير لها آراء مختلفة . ولكن هذه الآراء دائما مبعثرة وغير منظمة . وواجبى طالما التقى مع الجماهير أن آخذ هذه الآراء المبعثرة غير المنظمة وأدرسها دراسة وافية . ثم اخطط لها وانظمها وانسقها واعطيها ثانية للجماهير منظمة ومنسقة .. لانه لو تركت الجماهير على هواها نجد انها دائما تبدى آراء مشتتة مبعثرة ، ولكن فيها عنصر اساسى سليم فاذا لم تنظم ، لا يمكن الا انها تشرد منك . واعتقد ان الذين عملوا فى نقابات عمالية مروا بمثل هذه التجارب »** .

طريق « التوعية »

فى مجتمعنا المعاصر

فى ضوء هذا التشخيص العام لمشاكل التوعية الخاصة فى مجتمعنا المعاصر ولحصيلة الخبرة الانسانية ، يمكننا ان نواجه قضية الحلول فى محاولة مطروحة للنقاش .

● ولعل **نقطة البدء** هنا تكمن فى ضرورة التحديد الواضح الابعاد للايدلوجية التى نستند اليها فى بناء مجتمعنا وبالتالى فى ممارسة عملية التوعية . والوضوح هنا يتيح لنا أن نسلط ضوءا مركزا على معالم الطريق الذى نسير فيه نحو أهدافنا ، فيبدد الضباب ويجنبنا مخاطر الانزلاق فى انحرافات جانبية .

وما دمنا قد اخترنا الاشتراكية وسيلة وهدفا اجتماعيا لعملنا الثورى ، فان الايدلوجية المرشدة لذلك هى الايدلوجية الاشتراكية بقوانينها العلمية ، التى تستهدف الغاء كل اسباب ومظاهر استغلال الانسان للانسان فى المجتمع .

بيد ان هذه الايدلوجية الاشتراكية تظل مجرد

---

(١) راجع نص الحديث التنظيمى بالعدد الثانى للسنة الثانية (فبراير ١٩٦٦) من « الطليعة » .

مرشد عام ومنهج للرؤية والبحث والتحليل . وبالتالي فاذا كانت هي تشكل خطوة الوضوح الفكري الاولي الا انها وحدها ليست كافية نظريا وعمليا . وانما يستلزم الامر استخلاص « نظرية خاصة للعمل الثوري في مجتمعنا » نتيجة تفاعل قوانين الاشتراكية العلمية بالظروف الخاصة المكونة والمميزة لواقعنا .

ومن هنا تأتي اهمية الدليل الثوري النظري للعمل . . اي الميثاق الوطني الذي قدم المناضل جمال عبد الناصر مشروعه في مايو ١٩٦٢ ، واقره المؤتمر الوطني للقوى الشعبية بعد مناقشته في يونيو ١٩٦٢ .

وعملية التوعية الاشتراكية في مجتمعنا اذن تستند الي القوانين الاشتراكية العلمية عامة والي الميثاق الوطني خاصة . ولقد حرص الميثاق نفسه علي أن يعمق هذه الحقيقة الموضوعية بقوله ان « الاشتراكية العلمية هي الصيغة الوحيدة للتقدم » . ولهذا قدم الميثاق بوعي نوعين أوعلى الاصح مستويين من المفاهيم وبالتالي من الاستراتيجية .

مفاهيم واستراتيجية عامة بعيدة المدى تستهدف الوصول في النهاية الي تذويب الفوارق بين الطبقات والى الغاء كل صور الاستغلال الانساني الخ . .

ومفاهيم واستراتيجية قصيرة المدى موقوتة بمرحلة زمنية محددة تنتهي بنهاية عام ١٩٧٠ وتستهدف الوصول الي انجاز عدة اهداف معينة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا من حيث قيام القطاع العام وحده بتملك جميع الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج والصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية (أو علي الاقل ضمان سيطرته عليها) ورأس المال المالي وجميع عمليات تجارة الاستيراد علي أن يتحمل مسئولية ثلاثة أرباع تجارة الصادرات علي الاقل بالاضافة الي ربع التجارة الداخلية ، وحماية الصناعات الخفيفة المفتوحة لاستثمارات القطاع الخاص والقطاع التعاوني من ان تقع في هوة الاحتكار الضار بمصالح الشعب . وتخفيض الحد الاعلي للملكية الزراعية الي ١٠٠ فدان للاسرة والتوسع في الاسكان العام والتعاوني ، وبناء التنظيم السياسي الشوري (الاتحاد الاشتراكي وجهازه السياسي) والمجالس الشعبية بضمان نصف المقاعد علي الاقل للفلاحين والعمال وذلك لضمان سيطرة قوى الشعب العاملة على السلطة وممارسة الديمقراطية .

وعملية التوعية في مجتمعنا مطالبة بان تميز خلال ممارستها لمسئولياتها بين المستويين من المفاهيم والاستراتيجية . ولكن **دون فصل** بينهما وفي نفس الوقت **دون خلط** .

بمعني ان الاقتصار على مجرد التوعية بالمفاهيم والاستراتيجية البعيدة المدى وحدها يوقع العملية في براثن التجريد ومجرد ترديد الشعارات الثورية دون ما ربط بواقع الحركة وحياة الجماهير في المجتمع . كذلك فان الاقتصار علي مجرد التوعية بالمفاهيم والاستراتيجية القصيرة المدى من شانه ان يجمد حركة العمل الاشتراكي عند نهاية تحقيق اهداف هذه الاستراتيجية في نهاية ١٩٧٠ ويقف بوعي الجماهير وحركتها وآمالها عند هذه الحدود النوعية والزمنية من التطور علي اساس انها نهاية المطاف بعدها ينعم الانسان المصرى « بجنة الاشتراكية » . ولا يخفي ما في ذلك من اخطار التعلق بأوهام غير حقيقية بحكم ان تنفيذ اهداف ١٩٧٠ ليس هو التحقيق النهائي للاشتراكية ، وانما هو قطع لشوط هام من الطريق نحو الاشتراكية ، يستلزم مواصلة قطع اشواط اخرى تتطلب جهداً وعرقا وتضحية ووعيا بهذا كله .

● اما **النقطة الثانية** فان ممارسة عملية التوعية على هذا النحو لا يمكن ان تتم في المجتمع بشكل فردى او تترك للصدفة وللنوايا الحسنة ، وانما تتطلب « اداة سياسية منظمة ومركزية » . تخطط للعملية ولمضمون التوعية واشكالها واساليبها بالنسبة لكل مرحلة ، ولكل قطاع ، ولكل فئة من الناس وفقا لمركزها من عملية الانتاج وعلاقاته وتبعا لمسئولياتها ، ودرجة ثقافتها الخ . .

وهذه « الاداة السياسية المنظمة المركزية » لا يمكن ان تنشأ في فراغ وانما من خلال التنظيم السياسي الثورى الذى يناط به عملية القيادة والتوجيه في المجتمع . أي بالاتحاد الاشتراكي وجهازه السياسي .

ويوجد بالفعل في الاتحاد الاشتراكي امانة خاصة بالفكر والدعوة . والمفروض انها امانة مركزية لشئون التوعية . ولكنها في واقع الامر لا تمارس مسئولياتها بطريقة مخططة مركزية ، وانما تاخذ وضعا غريبا . فهي تقبع في قمة التنظيم منعزلة دون ان يكون لها شرايين توصلها ببقية اجزاء التنظيم وصلا منظما ودائما ومتبادلا . وفي نفس الوقت تتعدد بجانبها مراكز منفصلة للدعوة والفكر بالنسبة لكل امانة وبالتالي بالنسبة لكل قطاع . ونتج عن ذلك ان للعمال وأماناتهم مركز خاص منفصل للقيام بعملية التوعية وكذلك

الحال بالنسبة للفلاحين والمثقفين والرأسمالية الوطنية الخ .. وترتب على ذلك تناقض مضمون عملية التوعية بالنسبة للتنظيم السياسى ومن ثم بالنسبة للجماهير الشعبية ، الامر الذى يعكس البلبلة والتشتت فى الفكر والعمل السياسى على السواء . ويصبح ضروريا وملحا بالتالى أن تركز عمليات التوعية فى « جهاز مركزى » يمارس مسئولياته من خلال قنوات تنظيمية مع جميع القطاعات والقواعد بلا استثناء بالتعاون مع مختلف الامانات .

● والواقع ان نقطة مركزية عملية التوعية تقودنا الى **نقطة ثالثة هامة** وهى ان تعدد مراكز التوعية ، يساهم مع عوامل اخرى ، الى اصابة حركتنا الثورية بمرض النظرة والعمل الفئوى لكل قطاع . وهو مرض ملازم باستمرار لنمو الحركة الجماهيرية وتيقظها بفعل وعيها الخام او الجنينى نتيجة التغييرات والانجازات الثورية . ان هذه النظرة والعمل الفئويين من شأنهما ان يفتحا هوة تظل تزداد باستمرار بين قوى الشعب العاملة بعضها وبعض بحيث تصبح كل قوة وكأنها مجتمع خاص مستقل له مصالح محددة وضيقة تتناقض أو على الاقل تختلف عن مصالح المجتمع ككل فى تطوره نحو الاشتراكية . وتسود بالتالى فى الفكر والعمل حركات منفصلة داخل ذواتها المغلقة ، فيصبح العمال للعمال فقط لا المجتمع ، وكذلك الفلاحون للفلاحين ، والمثقفون للمثقفين وهكذا .. ويتغلب بالتالى مثلا فكر ووعى المطالب الاقتصادية والنقابية الضيقة فى محيط الطبقة العاملة التى تستهدف فحسب الحصول على مزيد من الاجر أو تحسين ظروف العمل لا فكر ووعى الحركة الاجتماعية السياسية الشاملة التى تستهدف حل التناقض الجذرى بين العمل وراس المال المستغل فى المجتمع من اجل التحول النهائى نحو الاشتراكية .

وخطورة هذا الوعى والفكر الاقتصادى الضيق ، تأتى فى عزل القوى العاملة عن أن تكون محورا وطليعة ثورية سياسية فى الحركة الثورية . وفى تسرب فكر ومطامح البرجوازية الصغيرة الى الطبقة العاملة بحيث تصبح معمية الهدف الا عن الحصول على مكاسب اقتصادية بغض النظر عن قدرة المجتمع على تحملها فى هذه المرحلة . وينحرف بالتالى نضالها من تغيير المجتمع تغييرا جذريا اشتراكيا يصفى الاستغلال الى محاولة الارتفاع الى مستوى البرجوازية ، الامر الذى يفقدها ثوريتها . وقد تجسد هذا الاتجاه فى عدة مظاهر منها قيام بعض العمال القدامى فى بعض الصناعات بالاعتراض على تشغيل عمال جدد وبالتالى على تقوية وتوسيع نطاق القوى العاملة ونفوذها وذلك حتى لا يقاسم الجدد القدامى فى نصيبهم من الارباح السنوية . ومنها ضرب التنظيم السياسى بالتنظيم النقابى وتسييد الحركة والمفاهيم النقابية الضيقة على الحركة والمفاهيم السياسية الشاملة . ومنها فهم الملكية العامة فهما سطحيا ضيقا كما لو كانت بديلا موازيا للملكية الخاصة بالنسبة لبعض العمال وليست شكلا ارقى من الملكية العامة للمجتمع ككل تحت رقابة المنتجين .

وكذلك الحال بالنسبة للراسمالية الوطنية التى ما تزال بفكر ووعى البرجوازية دون ما تطوير ، تنظر وتتعامل مع القطاع العام كما لو كان مكملا لها ومسخرا لخدمة مصالحها الضيقة وليس أساسا لعملية الانتاج كلها وموجها وقائدا لها .

ولعل ذلك كله راجع الى أن مركز التوعية ما يزال منوطا حتى الان أساسا بالنقابات ومنظماتها بالنسبة للعمال والغرف التجارية والصناعية واجهزتها بالنسبة للراسمالية الوطنية ، ولم ينتقل بعد بصورة حاسمة الى التنظيم السياسى وجهازه المركزى للتوعية السياسية .

● وهناك **نقطة رابعة** يجب ان نعترف بها وهى أنه نتيجة حداثة التجربة وقلة الخبرة ونقص الكادر فما تزال اساليبنا فى التوعية يغلب عليها الطابع البدائى فتكتفى غالبا بالاساليب العابرة والمفرطحة كالنشرات العامة وسرادقات الخطب المنبرية والندوات المفتوحة لكل كلام دون تحديد . فى حين أن عملية التوعية الاشتراكية تتطلب ، بحكم أن الاشتراكية أصبحت علما ، ممارستها بأسلوب علمى منهجى يستهدف التربية والتكوين . تماما كما يربى ويكون الطبيب فى كلية الطب والمهندس فى كلية الهندسة والعامل الفنى فى مراكز التدريب والعامل العادى فى المصنع خلال تعامله المباشر مع الآلة .

والواقع أننا نتيجة نقص الكادر الاشتراكى فى حاجة ملحة لتخطيط وتدريب وتكوين وتثقيف ذو شقين اساسيين :

شق خاص بتكوين وتدريب طليعة مكونة من العناصر الثورية التى تؤهلها درجة ثقافتها القائمة حاليا لامكانية الانخراط فى مدارس أو معاهد منتظمة للتثقيف منهاجيا وبعمق بالنظرية الاشتراكية وقوانينها العلمية والميثاق ومشاكل البناء الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لمجتمعنا وخبرات التجارب الاشتراكية الاخرى . وهذا ما بدأناه فعلا عن طريق المعهد العالى للدراسات

الاشتراكية التابع مركزيا للاتحاد الاشتراكى . ولكن لما كان هذا النوع من التكوين الضرورى والاساسى يستغرق وقتا طويلا بالنسبة لعدد قليل وهو فى حالتنا لا يتجاوز ٦٠ دارسا لكل دورة مدتها حوالى ٦ اشهر ينتظر أن تزداد الى سنتين . فقد اصبح واجبا ان تنشأ فروع اخرى لهذا المعهد اما على مستواه او على مستوى تحضيرى له وان يعبأ خريجو المعهد الحاليين اساسا للقيام بمسئوليات الدراسة والتكوين فى هذه الفروع وذلك حتى نعوض النقص الواضح فى الكادر الاشتراكى المطلوب لتغطية احتياجات العمل الثورى فى جميع مجالاته السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية .

اما **الشق الثانى** فخاص بالتكوين والتدريب الجماهيرى الواسع نسبيا وذلك بطريقين :

طريق الاهتمام باسلوب تدريبى سريع بعناصر القوى ذات التأثير المباشر والمستمر فى القطاعات الجماهيرية، بحكم مركزها ومسئولياتها كائمة المساجد وخطبائها والمدرسين والصحفيين والاخصائيين الاجتماعيين الخ ..

وطريق التوعية المبسطة والمباشرة من خلال مفاتيح العمل والحركة الجماهيرية فى مجالات الانتاج . وذلك كاتخاذ قضية التجميع الزراعى الانتاجى مثلا مفتاحا وركيزة لعملية توعية للفلاحين اشتراكيا يربط بين الواقع الخاص للفلاح بالواقع العام للمجتمع ، وبين نجاح عملية التجميع الزراعى ونجاح خطة التنمية العامة للمجتمع ، وبين مشاكل التجميع المميزة وبين مشاكل التطور الاجتماعى ككل سياسيا وديمقراطيا واجتماعيا واقتصاديا .

ولما كان هذا كله يستلزم كادرا مدربا على ممارسة مسئوليات التوعية بالنسبة لمجالات المجتمع المتنوعة ، وهو ما نفتقد القدر الكافى منه حاليا فقد وجب أن ينشط التنظيم السياسى من خلال ممارسته للعمل السياسى على تكوين ما يسمى « بالكادر المتوسط الخبرة » عن طريق الاهتمام المنظم بعملية التثقيف والتكوين النظريين لأوعى عناصر قواعده على مختلف المستويات لهذا الغرض . وذلك بأن تصبح عملية التثقيف والتكوين النظريين باستمرار « بندا اساسيا » من نشاط وحداته وخلاياه المختلفة على اساس برامج دراسية (كورسات) مطبوعة او متداولة فى نشراته الداخلية وصادرة عن الجهاز المركزى للفكر والدعوة للتنظيم السياسى .

ومن الواجب أن تهتم «التوعية» بصفة خاصة بالنسبة لاعضاء التنظيم باسلوب العمل التنظيمى الملتزم وتزويدهم بالخبرات النظرية والعملية للعمل التنظيمى . فالمهارات التنظيمية كغيرها من المهارات الفنية فى مجالات الصناعة والزراعة والادارة الخ .. ليست نتيجة مواهب او عبقرية خاصة او غريزية وانما هى تكتسب اكتسابا بالتدريب والتربية المنظمة . واكتساب الكادر لهذه المهارات التنظيمية هى التى تعينه خلال عمله النظرى والتطبيقى مع الجماهير على وضع يده على نقطة البدء ، وعلى الاسلوب الافضل لصياغة افكاره ولحمها بواقع الحركة الجماهيرية، وعلى ادارة المناقشة والحوار بطريقة منتجة نحو الاهداف المجردة ، وعلى اكتشاف الجسور الطبيعية والمقنعة بين الواقع الخاص لجماهيره والواقع العام للمجتمع ككل .

ونحن بالنسبة لظروفنا ومشاكلنا ، السابق التعرض لها ، نحتاج بالحاح الى عمليات توعية مركزية وجماعية تشمل المجتمع بكل قواه وقطاعاته بهدف تعبئته تعبئة عامة ومستمرة فى اتجاه موحد .

ولعل اهم اسلوب للتوعية المركزية ، هو **النشرة الداخلية للتنظيم** . ولدينا الان «مجلة الاشتراكى» التى تصدرها امانة الفكر والدعوة باسم الامانة العامة . وهى وان كانت قد قامت ــ وما تزال ــ بدور هام فى عملية التنوير العام بالقضايا السياسية والاجتماعية المثارة ، الا انها ما تزال بعيدة عن ان تكون نشرة تنظيمية نضالية داخلية للتنظيم تعكس مشاكل واساليب واتجاهات البناء العضوى له وبناء الكادر العالى والمتوسط ، وتقرب من ان تكون مجلة جماهيرية ، ومن هنا يصبح واجبا أن تطور الاشتراكى نفسها لتقوم بدورها كنشرة تنظيمية حقيقية تكسب اعضاء التنظيم المهارات التنظيمية الثورية نظريا وعمليا ومنبرا لتبادل الخبرات فى هذا المجال اساسا .

ويكمل النشرة الداخلية ، ضرورة وضع « **كورسات** » دراسية منظمة وموحدة متعددة المستويات ، لتكون محورا للتدريب والتثقيف النظرى داخل التنظيم ابتداء من مستوى الوحدة

القاعدية حتى المستويات القيادية . وبذلك نبلور وحدة الفكر التنظيمي ، التي نشكو من افتقادها .

● **والنقطة الخامسة** في قضية قيامنا بعملية التوعية الاشتراكية في مجتمعنا ، هي ان لا نفصل بين خط وعمل وأهداف التوعية التي يمارسها التنظيم السياسي وبين خط وعمل واهداف التوعية التي يمارسها الجهاز التنفيذي ووسائل الاعلام والثقافة المختلفة في المدارس والجامعات ومراكز التدريب والصحافة والنشر والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح الخ .. ان هذا الانفصال هو سبب ما نعانيه من بلبلة حتي بالنسبة لبديهيات الفكر الاشتراكي عامة والميثاق خاصة . ويصبح من الضروري اذن توحيد الخط السياسي العام لكل عمليات التوعية ولكل الاجهزة . وهذا التوحيد يعني الالتزام بفكر واهداف التنظيم السياسي ، ولكنه لا يعني بأية حال أن تلغي اجهزة التنظيم السياسي الاجهزة الاخرى ولا أن تحل محلها أو تفرض عليها وصاية ضيقة الافق تقتل مبادراتها الخاصة وحرية ابداعاتها الفنية . والا جمدنا العمل الفكري والثقافي والفني في قوالب متعسفة تخنق الابداع وتقطع الطريق على قدرات الذاتية الفنية للانطلاق والتنويع الفني . ان مهمة التنظيم السياسي هنا هو أن يقيم فحسب فاعلية نتاج كل هذه الاجهزة وهل هو يتناقض مع الخط السياسي العام فيقوم بعلاجه عن طريق المؤتمرات المشتركة المنظمة أو يتفاعل معه فيؤيده ويسانده .

والاهتمام بأجهزة الاعلام والثقافة وخاصة الصوتية والمرئية منها كوسائل اساسية للتوعية في مجتمعنا ينبع اساسا من حقيقة أن الامية ما تزال تسيطر على ٧٠٫٦ ٪ من شعبنا . وبالتالي ضيق نطاق تأثير الكلمة المكتوبة واتساع نطاق الكلمة المسموعة والمرئية . ومن هنا وجب أن يوضع باتفاق وتنسيق بين جهاز الدعوة المركزي للتنظيم والمسئولين عن اجهزة الاعلام والثقافة برنامج واضح محدد لخدمة اهداف التوعية الاشتراكية للقطاعات الشعبية المحرومة من نعمة القراءة والكتابة مباشرة ، تمارسه هذه الاجهزة الاعلامية والثقافية بجانب دورها الاساسي في تربية الوجدان الشعبي فنيا وثقافيا .

اما اسلوب التوعية الجماعي ، فالقصد منه هو تعبئة الجهود القيادية والقاعدية معا في حركة محددة شاملة نحو هدف محدد مركز وذلك بغرض تحقيقه وانجاز مهامه من ناحية واتاحة الفرصة للالتحام العضوي بين القيادات والجماهير الشعبية في عمل نظري وتطبيقي معا تنكشف خلاله قيادات جديدة واساليب جديدة للعمل وفهم اعمق لمشاكل الواقع ، وتبادل أرحب للخبرات المختلفة ، وممارسة وارساء تقاليد العمل الجماعي والنظرة السياسية الشاملة ومناخها الثوري الموحد من ناحية أخرى .

فاذا كانت محو الامية هدفا محددا لجهودنا من اجل تحرير جماهير شعبنا من قيود الجهل والظلام والخرافات ، وزيادة فاعليتهم الانتاجية، ووعيهم بواقع الحياة وتطورها نحو الاشتراكية ، فانه يمكن ان ننظم «حملة شعبية جماعية منظمة» يقودها التنظيم السياسي في فترة معينة لتحقيق هذا الغرض متخذا من محو الامية اسلوبا مباشرا للتوعية الاشتراكية عن طريق ربط تعليم القراءة والكتابة بمفاهيم الاشتراكية واهداف القطاع العام ومعاداة الاستغلال ومظاهره وتاريخه في مصر الخ ...

واذا كان من الاهداف الاساسية للتطوير الزراعي الاشتراكي في بلادنا هو تحقيق نظام التجميع الزراعي الانتاجي في ريفنا فمن الممكن أن ينظم الاتحاد الاشتراكي حملة شعبية جماعية منظمة يقوم خلالها باقناع الفلاحين بأهمية وفائدة هذا النظام اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا بالنسبة لهم وبالنسبة للمجتمع ككل .

ولعل اهمية هذه الحملات الجماعية للتوعية تكمن في انها تخلق المناخ والبيئة السياسيين الملائمتين لتفاعل المثقفين الثوريين مع قطاعات العمال والفلاحين وغيرها . وهو تفاعل ضروري وحيوي ليقضي على سلبية المثقفين ، وانعزالهم في اطار العمل النظري والثقافي وعدم تطعيمه بمشاكل الواقع والعرق الانساني من ناحية وليبذر بذور الوعي السياسي والاجتماعي بالمفاهيم الاشتراكية في الواقع العمالي والفلاحي . ذلك أن هذا الوعي لا ينبت تاريخيا الا بشكل خام وجنيني — كما رأينا — طالما بقي العمال والفلاحون في قوقعاتهم الطبقية المغلقة وفي اطار النظرة التي لا تنفتح الا على المطالب الاقتصادية الضيقة لتحسين الظروف لا لتغييرها .

ولا يتحول هذا الوعي الخام الى وعي عميق وشامل بالفلسفة الاشتراكية وقيمها الا من خارج طبقة العمال والفلاحين ونتيجة التحامهم بالمثقفين الثوريين الذين يكونون أسبق تاريخيا على الوعي بالاشتراكية وقيمها .. هذا الالتحام الذى من شأنه أن يحول القوى العاملة نفسها ، الى قوى عاملة مثقفة ثورية قادرة على الرؤية السياسية الشاملة وممارسة العمل القيادي في البناء الاشتراكي العام للمجتمع ككل لا فئوية فيه ولا انفصام .



الرحلة الإنسانية

من "المعرفة بالحياة" الى "الوعى الاشتراكى"

مصطفى طيبة

يؤكد عالمنا المعاصر الذى ينتقل من الراسمالية الى الاشتراكية حقيقة ان الانتاج هو العامل الحاسم فى التاريخ . وتبرز المرحلة المعاصرة لثورتنا هذه الحقيقة بشكل واضح . فالانتاج هو الوسيلة الوحيدة للثورة كى تتخطى مرحلتها الانتقالية الى الاشتراكية . غير ان هذه الحقيقة تحتاج الى وعى مستمر بها . وعى يجد تعبيرا له فى كل اعمالنا .

ان بلادنا جزء حى من عالم يجرى عملية تحويله من الراسمالية الى الاشتراكية . والاشتراكية هى تخطيط لحياة الانسان ومستقبله ، فهى بداية عصر الحرية . والتضحيات والجهد والعرق التى تبذلها كل القوى التقدمية فى العالم ، هى ، ولاول مرة فى حياة البشرية ، من اجل الانسان .

ونحن جزء من هذه القوى التقدمية العالمية ، نصنع ولاول مرة فى التاريخ نظاما يخطط لحياتنا ومستقبلنا . نحن والانسانية التقدمية نجتاز عصر

الضرورة الى عصر الحرية حيث نملك ولاول مرة في التاريخ تخطيط حياتنا ورسم مستقبلنا . ان تضحياتنا وتضحيات القوى التقدمية كلها ، موقتة وعارضة لا تفرضها اطماع طبقات مالكة مستغلة وانما تفرضها آمال هذه القوى في تحقيق مجتمع لا يستغل فيه الانسان اخاه الانسان .

لقد كانت مهمة الانسان وما زالت هي انتاج الوسائل الضرورية لاشباع حاجاته . ومن اجل ذلك فقد كان الانسان وما يزال ، وسوف يظل ابدا في صراع مع الطبيعة . ولم تكن المرحلة الطبقية في حياه الانسان ، الا مرحله عارضه ، فصراعه ضد الطبيعة هو الاصيل . وحين يكون اساس المجتمع الطبقي هي الملكيه الخاصه لوسائل الانتاج ، تكون الاشتراكية هي اساس نهايته .

وحين لم يقف الانسان من الطبيعة موقفا سلبيا ، خلق لنفسه منها ظروفا لحياته لم يجدها جاهزة في الطبيعة . وفرض ذلك بالضروره ظهور المجتمع الانساني . مجتمع كان في بدايته تعاونيا ، وتطور ليقوم على اساس استغلال الانسان للانسان ، ويتطور اليوم ليعود تعاونيا . لقد قضى التاريخ ان يمر الانسان بمرحلة يستغل فيها الانسان اخاه الانسان ، كمرحلة ضروريه ، كي ينهي هذا الاستغلال الذي صنعه . غير ان الانسان يعود الى مجتمعه التعاوني الاصيل ، وقد ملك خبرة هائلة تمكنه من السيطرة على الطبيعة . هذه الخبرة لم يكن الانسان في استطاعته الحصول عليها بغير صراعه الطبقي . فموقف الانسان الايجابي من الطبيعة هو الذى ميزه عن الحيوان . وعمل الانسان هو الذى لعب ويلعب الدور الحاسم في وجوده . وحاجة الانسان المستمرة الى تشكيل وجوده تجعل العمل صانعه . ووجود الانسان وعمله الدائم هو الذى يشكل وعيه . ثم يعود وعيه بوجوده ليكون دافعا لوجود افضل . وحاجة الانسان المستمرة لوجود افضل تطور معرفته الى ما لا حدود . ومن هنا سار التاريخ ويسير على اساس ان الانسان يصوغ نظريته في المعرفة مع كل تطور تاريخي . وتعود نظريته الجديدة في المعرفة وافعاله . وقد نبعت الضرورة التاريخية للمجتمع الطبقي من سعى الانسان الى وجوده الاجتماعي الذى تطور بدوره عبر التاريخ ليصل الى الاشتراكية باعتبارها ارقى مستويات وجوده الاجتماعي . لقد ظلت وستظل علاقات الانسان الاجتماعية تحددها حالة القوى المنتجة . وقد ظلت وستظل المؤسسات الاجتماعية التي يعيش في ظلها الانسان ، تحددها العلاقات الاجتماعية وحالة القوى المنتجة .

من هنا كان المجتمع الطبقي امتداد ارقى لصراع الانسان مع الطبيعة ، حيث اكتسب وجوده الاجتماعي ، وكانت حتمية الاشتراكية ارقى امتداد لوجوده الاجتماعي . لقد فرض عصر الضرورة ، المجتمع الطبقي في حياة الانسان . ويفرض عصر الحرية المجتمع الاشتراكي .

لقد خلق الانسان بعمله مجتمعه الاستغلالي وعبر ذلك عن حتمية تاريخية . والانسان بنفسه وبعمله ، يقيم الاشتراكية معبرا عن الحتمية التاريخية . وخلال رحلة الانسان الطويلة عبر العصور ، ظل يكتسب وعيا بحياته ، يرتقي مع كل تطور فيها . وتشكل الوعى الاشتراكي ارادة التاريخ لاجتيازه عصر الضرورة الى عصر الحرية .

وابعاد هذا كله يلخصها المناضل جمال عبد الناصر حين يقول « **ان الطاقة الضخمة على ارضنا هي البشر وعمل البشر** » (١) .

ان العلوم تعلمنا ، انه اذا انقطع فرد عن الحياة الاجتماعيه كلها ، فان فكره يتحول تحولا عميقا ويصيبه الضمور ، وتزول ذاكرته ، وتضعف ارادته تدريجيا حتى يفقدها تماما . واذا لم يكن قد عرف الحياه الاجتماعية ابدا فانه يفقد شخصية الانسان . لقد كان العمل وسيظل وحده بين الانسان والطبيعة ، وفي نفس الوقت صراع بين الانسان ضد الطبيعة . ولهذا كانت حياة الانسان وستظل مصدر وعيه وفكره . . وعى بحياته ومشكلاتها والطريق الى حلها ، وفكر يرشده في نضاله من اجل حياه افضل . وكان الانتاج وسيظل وسيلة الانسان لتوفير حياة افضل .

الانتاج مصدر الوجود

والوجود مصدر الوعى

في الفترة الاولى للحياة البشرية لم يكن الانسان يملك غير المنتجات الطبيعية الجاهزة . والاشياء التى كان الانسان ينتجها كانت في الاساس الادوات التي تساعده على هذا التملك . وعبر الانسان تلك المرحلة ، الى مرحلة تربية المواشي والزراعة على نطاق واسع . وفي تلك الفترة الجديدة تعلم اساليب زيادة انتاج المنتوجات الطبيعيسة . ثم انتقل الانسان الى فترة ارقى تعلم فيها تحويل المنتوجات الطبيعية الى منتوجات صناعية . في الفترة الاولى كان الناس لا ينتجون غير ما يسد حاجتهم الخاصة المباشرة ، وبالتالى كان تقسيم

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في عيد العلم يناير سنة ١٩٦٦

العمل بين الانسان واخيه ثمرة خالصة من ثمار الطبيعة . وادى ازدياد الانتاج ، الى تمكين العمل البشرى من انتاج محصولات تفيض عما كان ضروريا لبقائها .

وفى الوقت ذاته زادت كمية العمل اليومى التى ينبغى ان ينجزها كل فرد . وادى توسيع ميدان الانتاج ، الى تقسيم اجتماعى للعمل . ومع اول تقسيم اجتماعى للعمل ، انبثق اول انقسام كبير للمجتمع الى طبقتين ، سادة وعبيدا .

ومنذ ذلك التاريخ دخل الانسان فى **صراع مزدوج** ، صراع ضد الطبيعة ، وصراع ضد الانسان . وسار الوجود الاجتماعى للانسان يحدده فى الاساس تبادل الانتاج . فقد ادى تسرب تقسيم العمل الى عملية الانتاج الى تقويض « **الطبيعة الجماعية** » للانتاج والتملك ، فجعل التملك من قبل الافراد القاعده ، وفرض ذلك بالضرورة شكل التبادل . وادى شكل التبادل الى افتراق المنتج عن انتاجه ، فلم يعد يعرف ما يحل به . وحين فقد المنتجون سيطرتهم على مجموع الانتاج ، فقد المالكون سيطرتهم على عملية الانتاج . وغدت المنتوجات والانتاج الاعيب بيد الصدفة . وازدوجت عبودية الانسان ، فقد صار عبدا لقوانين الطبيعة ، ولقوانين المجتمع الذى صنعه .

غير ان الانسان الذى قاوم عبودية الطبيعة ، قاوم ايضا عبودية المجتمع الذى صنعه . وسار تطور البشرية نتاجا للصراع بين الذين لا يملكون ، وبين من يملكون . وكان اول انتصار للانسان فى تحقيق مجتمعه الاشتراكى يعنى بداية سيطرته على عملية الانتاج والمنتوجات . ويعنى ان قدرته فى تخطيط حياته ، ومستقبله ، تخطيه مرحلة عبوديته لقوانين الطبيعة . وكان انتصار الاشتراكية بداية يبدأ منها التاريخ الانسانى اجتيازه عصر الضرورة الى عصر الحرية .

الاشتراكية أساس عصر الحرية

ان ما يفصل عصر الحرية عن عصر الضرورة ، هو سيطرة الانسان على قوانين الطبيعة . والاشتراكية هى حرية الانسان فى تخطيط حياته ورسم مستقبله . ولقد دل تطور البشرية على ان الانسان لا يملك تغيير قوانين العالم او الغائها ، او ان يخلق قوانين جديدة له . وانما كان عليه وما يزال عليه ان يكتشف هذه القوانين وان يعرفها وان يدرسها ، وان يعمل حسابها فى اعماله ، وان يستغلها لصالح المجتمع . لقد اكد تطور البشرية ان الانسان قادر على ان يغير مصيره بمعرفته العلمية للواقع ، ويستطيع ان يصل الى حياة متجددة دائما .

ان الوجود الانسانى هو الذى خلق عند الانسان فكرة الانتاج كى يعيش . ومن خلال تطبيقه لهذه الفكرة اكتشف افكارا جديدة عاد ليطبقها . وحين اصبح للانسان مجتمعه المنقسم الى مالكين وغير مالكين ، راح مجتمعه يتطور بتأثير الصراع بينهما . وخلال هذا التطور اكتسب غير المالكين وعيا ظل يتطور بتأثير الصراع بينهما . وظل وعى الانسان يتطور مع كل تقدم للمجتمع . تطور يحكمه فى الاساس الانتاج من اجل حياته . وكلما وصلت قوى الانتاج الى حالة لا تستطيع معها الحياة فى ظل علاقات الانتاج ، غيرت منها لتخلق علاقات انتاج جديدة . وجاءت الاشتراكية لتعبر عن حتمية التطور التاريخى . وهى اذ تأتى بعد عصور خاض الانسان خلالها معارك ليوحد نفسه مع الطبيعة ، فهى تشكل اساس مجتمع عصر الحرية فالاشتراكية هى الانتاج لصالح المجتمع كله وليس لصالح طبقة واحدة .. هى ملكية المجتمع لوسائل الانتاج والانتاج معا .. هى انتهاء استغلال الانسان للانسان ليتفرغ فى صراعه الاصيل مع الطبيعة .

غير ان الاشتراكية وان كان هدفها هو الانتاج لصالح المجتمع كله ، فهى ليست مجرد عملية اقتصادية . فحين انقسم المجتمع الى طبقتين ، وحين تحول المجتمع الانسانى من مجتمع تعاونى الى مجتمع طبقى ، تغيرت بالضرورة قيم المجتمع . ومن اجل ان تستمر الطبقة المالكة فى استغلال من لا يملكون ، استخدمت السياسة والفلسفة . وكان من الطبيعى ان تشهد البشرية خلال تطورها ، اشكالا عديدة من المذاهب والنظريات الفلسفية والسياسية والاقتصادية . اشكال مختلفة تبحث عن حلول للكادحين واخرى تشرع لحق المالكين وجاءت الاشتراكية نتاجا لصراع كل هذه المدارس المختلفة على ارض الواقع المتطور . فهى اذن اقتصاد وسياسة وفلسفة الكادحين ، قامت فى مواجهة اقتصاد وسياسة وفلسفة المالكين . لقد ارتبط تطور العلوم باحتياجات الانتاج . واحتياجات الانتاج فى الاشتراكية يدفعها الى استخدام احدث ما وصلت اليه العلوم من اكتشافات . ان الاشتراكية حين تضع وسائل الانتاج فى ايدى الشعب ولخدمته ، لا تجد ما يدعوها الى التوقف عن استيعاب المعرفة ، او وضع العراقيل امام التوصل اليها . وان كانت احتياجات الانسان لا تقف عند حد ، فان احتياجها الى العلوم المرتبطة بها ، يجعل فى قدرة الاشتراكية الاستمرار فى اكتساب المعرفة .

فالنظرة العلمية ترى ان العالم بطبيعته واقعي وملموس ، وان شعور الانسان بهذا الواقع ينبع منه . ونستخلص من دراستنا لتطور البشريه حقيقة ان في قدره الانسان معرفة قوانين العالم. فهي بذلك تسمح للانسان أن يقبل التغيرات الجديدة في معرفته مع كل تطور تاريخي .

واذا كان من المسلم به انه ليس هناك انسان ابدى ، ولا طبيعة بشريه لا تتغير ، فان معنى ذلك ان عواطف الناس واخلاقهم وعاداتهم ووعيهم لا تحددها اعتبارات ذاتية ، وانما يحددها في الاساس الظروف الخارجيه . ففي نظام الملكيه الخاصه الاستغلاليه حيث يشتد صراع الانسان من اجل البقاء ،يكون من الامور الطبيعيه ان يسلك الانسان مع الانسان سلوكا سيئا . وفي النظام الاشتراكي القائم على اساس الملكية الاشتراكية . والمنافسه الاشتراكيه ، يكون من الطبيعي ان تنتصر بين الناس افكار المحبه والاخوه . فليس الانسان شريرا ولا خيرا وانما هو نتاج الظروف التي تحيط به .

ان الانسان خلال تطوره ظل يصنع نفسه بوعي جديد يغير به واقعه ،لكن عليه ان يميز بين الواقع وافكاره التي يصوغها لنفسه عن هذا الواقع ، وبالتالي عليه ان يعرف كيف يميز بين رغباته وبين ما يكون ممكنا في الواقع .

ان النظره العلمية ترى ان الشكل لا يمكن ان يوجد بدون المحتوى ، وبالذات دون محتوى محدد، كما ان المحتوى بدوره لا يمكن ان يوجد بدون الشكل ، وبالذات دون شكل محدد . الا ان قولها ان المحتوى لا يمكن ان يوجد بدون الشكل ، لا يعني فقط انه يتحدد به ، بل انه بالاحرى هو الذي يحدده . فالشكل ليس له وجود سابق ثابت ، بل ان يتغير ويكون نتيجه التغيرات التي تلحق بالمحتوى. والمحتوى هو الذي يتغير اولا من واقع تغير ظروف الوسط المحيط ، ثم يتغير الشكل بعد ذلك وفقا لتغير المحتوى ،اي وفقا لتطور التناقضات الباطنة في المحتوى . ومعنى ذلك ان الشكل لا يمكن ان يوجد سابقا على التطور لانه يعكس التطور ويتاخر عنه ، فالشكل ياتي بعد المحتوى .

وترى النظرة العلمية ان الطبيعة والوجود الاجتماعي . هي واقع موضوعي موجود خارج شعورنا ومستقلا عنه . وانها الاساس باعتبارها مصدر الاحساسات والتصورات والشعور . وان الشعور والاحساسات والتصورات تابعة لهذا الاساس لانه انعكاس له . وعلى ذلك فالفكر نتاج الواقع عندما يصل في تطوره الى درجة عالية من الكمال . فالفكر هو نتاج المخ ، والمخ هو عضو الفكر ، ومن ثم لا يمكن فصل الفكر عن الواقع دون الوقوع في خطأ جسيم .

وتبنى نظرية المعرفة على اساس التمييز بين الوجود الواقعي للانسان ، الموجود في العالم في ظروف معينة ،في الزمان والمكان ،وبين استحضار الفكر او الشعور المرتبط ذهنيا بتصور هذا العالم الموجود واقعيا قبل الانسان او بدون الانسان .

دور التطبيق

فمسالة معرفة ما اذا كان الفكر البشري يستطيع ان يصل الى حقيقة موضوعيه ام لا ليست مسالة نظرية ، بل هي مسالة عملية . فالتطبيق وحده هو الذي يعطينا معيار الحقيقه . لقد خرج الوعي من الطبيعه والمجتمع ، فهو ليس بالغريب عنهما. ومن هنا يستطيع ان يعكس قوانين المجتمع والطبيعه بطريقة صحيحة. والتطبيق هو الوسيله الوحيدة لتحديد الخطأ ، وهو يكشف للفكر ما غاب عنه من حقيقة ، فهو معيار الحقيقة . انه يتيح لنا ان نتحقق من دقه الفكره التي نكونها عن ظاهره ما . وبقدر معرفتنا لها كواقع بقدر ما تصبح في متناول ايدينا . وعلى ذلك فلا توجد حقيقة مطلقة. غير انه يجب ان ننتظر في بعض الاحيان ان تبلغ الظاهره درجة معينة من التطور والنضج لكي تظهر لنا حقيقتها . ان قروح الراسمالية وتناقضاتها المزمنة تزداد وضوحا كلما اشرفت الراسمالية على الموت . ليس هناك اشياء لا تقبل المعرفة ، وانما هناك فقط اشياء غير معروفة ، سوف يتم كشفها ومعرفتها عن طريق العلم والتطبيق .

ان التطبيق يدعم النظريات العلمية ويطورها ، بما يكشفه من جوانب النقص او القصور فيها .

وحدة النظرية والتطبيق

واذا صح ان التطبيق هو نقطة البدء اللازمة للنظرية ، وان التطبيق هو مصدر المعرفة ، وانه محك صدقها ، فمعنى ذلك ان اى نظرية تنعزل عن التطبيق تتحول الى عقيدة ميتة . فالنظرية توضع بالذات من اجل التطبيق ، اى من اجل التغيير . ان التطبيق هو الغذاء الاساسي لعملية المعرفة ، وهو وحده القادر على تزويدها بمزيد من الدقة في انعكاس الواقع ، وتصحيح نقائصها .

ان النظرية والتطبيق وحدة ، بانفصالهما تفقد

النظرية موضوعها ويصبح التطبيق اعمى اذا لم ترشده نظرية . ان ((**المناضل**)) الذى يريد تغيير الواقع لا يمكن ان يكتسب المعرفة التى تساعده فى ذلك الا من خلال التطبيق . ومن يريد المشاركة فى الثورة ، عليه ان يفهم نظرية الثورة واساليبها .

لقد عرف الانسان خلال رحلته فى كل العصور حقائق ظلت تكشف عن نفسها وتتطور من خلال التطبيق . وظلت احساسات الانسان ومشاعره ومداركه تنتقل الى معرفته العقلية ، ثم من معرفته العقلية الى التوجيه الفعال للتطبيق الثورى .

فالانسان لم يصل الى الوعى الاشتراكى ، والى النظرية الاشتراكية ، الا من خلال التطبيق ، من خلال الحركة المستمرة لانتقال المعرفة الى التطبيق ، ثم انتقال التطبيق الى المعرفة . انها لم تتوقف فى الماضى سواء قبل المرحلة الطبقية فى حياة البشرية ، او خلالها . وهى ايضا لن تتوقف بعد زوال استغلال الانسان للانسان ، حيث يعود الانسان مره اخرى الى صراعه الاصيل ضد الطبيعة وقد زوده التطبيق بخبرة تغتنى دائما . ان الاشتراكية حقيقة تاريخية ، وعلى الاشتراكيين ان يقدموا بعملهم ونضالهم الادلة العملية على امكانية التأثير فى العالم بالمعرفة . وليس لهم من اداة سوى التطبيق . انهم بذلك يجعلون من وحدة النظريه والتطبيق حركة بين الجماهير توجه كفاحهم وتعطيهم الثقة فى الانسان وقدراته التى لا تحدها حدود . ان الدراسة العلمية هي وحدها القادره على تقديم اجابة علمية عن قضية الوعى . فهى تمكننا من فهم مصدر وفعل الافكار والنظريات الاجتماعية والاراء السياسية باعتبارها جزءا من تركيب المجتمع .

والوعى كما بينا سابقا قضية لها وجهين تميزا باستمرار طوال التطور البشرى . النظرة العلمية تعنى عناية خاصة بالتمييز بينهما . **الوجه الاول** لمسألة الوعى هو ظهور الاشكال المتنوعة للشعور فى الحياة الاجتماعية . **والوجه الثانى** هو اهمية هذه الاشكال والدور الذى تلعبه فى الحياة الاجتماعية .

أفكار المجتمع ... انعكاس لواقعه

والحياة الفكرية فى المجتمع متنوعة وعديدة . فالافكار الاجتماعية هى الافكار التى يقدمها لنفسه فرد من مجتمع معين عن وضعه . فالفكرة الراسمالية التى تقول بقانون الملكية تترجم فى الواقع الى عدم المساس بملكية وسائل الانتاج .

وعلى ذلك تكون فكرة الملكية الخاصة عند الراسمالية مسألة مبدأ .

وتقوم النظريات الاجتماعية على اساس تنسيق الافكار الاجتماعية فى مذهب مجرد مثل نظرية المدينة المثالية عند **افلاطون** ، والنظريات الاجتماعية التى نادى بها **بابيف وسان سيمون** .

والاراء السياسية وهى الاراء الملكية او الجمهوريه او المحافظة . والنظم السياسية وهى الدولة ، ومن اهم الافكار الاشتراكية هى نظرتها الى الدوله ، باعتبارها احد عناصر الحياه الفكرية للمجتمع ، باعتبار انها تعكس حياته الواقعية . وترى النظره العلميه ان الحياه الفكريه ، هى انعكاس لواقع المجتمع فى فتره محدده وفى ظروف محدده . والعامل الحاسم فى ذلك هو الانتاج وصراع الطبقات كمحركين للتاريخ . فلو اننا اردنا ان ندرس نظريه اجتماعيه ، او رايا سياسيا ، فلابد ان ندرس بدقة الناس الذين عاصروا تلك الفتره اى العلاقات بين الناس ، وتحديد هذه العلاقات يكون بدراسة حالة قواهم المنتجة واسلوبهم فى الانتاج . لقد كانت المجتمعات دائما خلال تطور البشرية ، واقع موضوعى مستقل عن شعور الانسان العام وارادته . فحين بدات الراسماليه فى اوربا تبنى ((الورش)) . كانت تجهل النتائج الاجتماعية المترتبة على ذلك . كانت تجهل انها ستتصل بالضروره الى الثورة ضد الملكية وعندما وضع الراسماليون فى بعض البلدان نواة الصناعة الكبيره الحديثه ، لم يكونوا يشعرون انهم يهيئون الظروف لانتصار الاشتراكيه . وحين بلغت الراسمالية اعلى مراحلها وصدرت رؤوس اموالها الى البلدان المستعمرة ، لم يكن فى حسبانها انها بذلك قد هيأت الظروف لاندلاع الحركة الوطنية فى المستعمرات . بل وعندما قامت الثورات الوطنية فى بعض البلدان المستعمره ، لم يكن عدد من قادتها على وعى بأن ثوراتهم الوطنية ضد الاستعمار ولصالح الراسماليه الوطنية فى الاساس سوف تنتهى بثورات اشتراكية .

ان تطور القوى المنتجة فى قلب المجتمع الاقطاعى كان لابد ان يؤدى الى علاقات انتاج راسمالية . وحالة القوى المنتجة فى قلب النظام الراسمالى هو الذى خلق الحاجة الى ثورة اشتراكية لتغير علاقات الانتاج الراسمالية الى علاقات انتاج اشتراكية . وحاجة الثورات الوطنية المعاصرة الى تحقيق التقدم الاجتماعى قد افضى بها بالضرورة الى طرق أبواب الاشتراكية ، باعتمادها على القطاع العام فى التخطيط والبناء . هكذا فالدراسة العلمية للعلاقات الموضوعية فى الانتاج تسمح

بفهم طبيعتها والتنبؤ بتطورها والتعجيل بها. ولكن اذا كان التاريخ قد أكد حقيقة حدوث تغيرات عظيمة دون ان يشعر بنتائجها او يريد بها الذين شاركوا فيها وساعدوا على احداثها ، فهل يعنى ذلك ان الثورة لا تتم الا بعد ان تعيها كل قوات الثورة ؟ هنا يجب ان نفرق بين **الطليعة والجماهير** بل بين **الفرد والطليعة** . فمن بين احضان الظروف الموضوعية يظهر من لديه القدرة على استيعابها واكتشاف قوانين حركتها ، ويصوغ مستقبلها فى شكل نظرية . والتاريخ يؤرخ ، بأعلامه المفكرين فى كل فترة تاريخية . ان الشعب الذى صنع « **ثورة يوليو** » فى مسيرتها لم يكن يرسل بأنظاره الى نفس المدى الذى وصلت اليه انظار **جمال عبد الناصر** وقادة الثورة بوصفهم طليعة الثوره . لكن الشعب الذى صنع كل منجزاتنا الثورية اكتسب وعيا جديدا ، وتفاعل قادته مع المهام التاريخية للثورة زاد من عمق وعيهم بها .

حياة المجتمع الفكرية

تعكس واقعه الموضوعى

لقد راينا من قبل ، كيف ان الناس فى العصور المختلفه يكافحون بطرق مختلفة ضد الطبيعه من اجل تدبير حاجاتهم .ورأينا بالتالى كيف ان علاقاتهم الاقتصادية تتخذ طابعا مختلفا .ففى وقت كافح فيه الناس كفاحا مشتركا ضد الطبيعه ، كانت الملكية مشاعه . وراينا كيف جاء على الانتاج زمن ظهرت فيه الملكيه الاستغلاليه الخاصه ؛ وكان ذلك سببا فى ان يغزو الشعور بالملكية الخاصه وعى الناس. وها نحن نعيش فى بلادنا زمنا يستعيد فيه الانتاج طابعه الاجتماعى . نعيش فترة فى الثورة تهدف الى ان يكون الانتاج جماعيا لصالح الشعب كله. ونكافح فى نفس الوقت ضد القيم الفرديـة التى غرستها الانظمه القديمة فى نفوسنا ، ان الانسان فى حقيقته هو تعبير عن مجموع العلاقات الاجتماعية وبقدر تقدم هذه العلاقات بقدر ما يلفظ الناس الخرافات التى غرستها النظم القديمة فيهم . ان الافكار الاخلاقية انعكاس للعلاقات الاجتماعية، والبون كبير بين افكارنا قبل الثورة وبعدها . وحين يثبت ان التطور البشرى جاء من خلال الصراع الطبقى ، يثبت ايضا حقيقة صراع الافكار والقيم الجديدة ضد افكار وقيم المجتمع القديمة

فان كانت الراسمالية فى تصفيتها للاقطاع قد استبدلت استغلالها باستغلال الاقطاع. فالجماهير الكادحة فى تحطيمها للراسمالية تلغى كل استغلال للانسان . وبالضرورة نعتبر قيم الجماهير العاملة واخلاقها اللبنات الاولى لما ينشده الانسان فى مجتمعه اللاطبقى المنشود .

ان النظرة العلمية لا تفصل بين الافكار واساسها الموضوعى . من هنا فهى ترى ان الافكار الجديده تظهر لمحاوله حل تناقض فى المجتمع . فى **المجتمع الاقطاعى** تطورت التناقضات الموضوعيه واساسها التعارض بين علاقات الانتاج وحالة القوى المنتجه فاثار ذلك فى الطبقة الصاعدة افكارا ثوريه . وظهرت نظريات عديدة للاصلاح الاجتماعى والسياسى . وكذلك فى **المجتمع الراسمالى** ظهرت الافكار الاشتراكية بهدف حل التناقضات بين الناس

ان المجتمع الاقطاعى لم يبرز كمشكله الا عندما بدات تنشط فى قلبه القوى المضاده التى كان عليها ان تهدمه . والمجتمع الراسمالى لم يبرز كمشكلة الا عندما ظهرت فى قلبه القوى التى عليها ان تهدمه، وانفجار ثوره يوليو ١٩٥٢ وضع المجتمع المصرى اولا امام قضيه استكمال الاستقلال السياسى والاقتصادى، ثم امام قضيه التطور نحو الاشتراكية، **وانتقال** ثوره ٢٣ يوليو من مرحلتها الوطنيه الى مرحلتها الاشتراكيه ، لم تبرز كقضيه الا عندما وجدت القوى التى كان عليها ان تنقلها ، واتخذت من **الميثاق الوطنى** دليلا جديدا للعمل الثورى .

وتطرح قضيه تاريخ الافكار مسالة الرواسب كحقيقة موضوعيه تظل بعد زوال الوضع الموضوعى الذى افرزها . ان الرواسب هى افكار وقيم لا تتفق مع الظروف الموضوعية الجديدة ، وعادة وهذا امر طبيعى لا يصل الناس الى الاحساس بالتغير الجديد الا بعد وقت معين . فالرواسب هى افكار وقيم قديمة يحتفظ بها الناس من ماضيهم . ولذلك فهى تعوق الافكار الجديدة التى تطابق التغيرات الجديده . ان العمال مثلا فى بداية الراسمالية كانوا يحلمون بعودة النظام الحرفى . ومن بين عمالنا وفلاحينا من يحلم بعودة الراسمالية . غير انه مع التطور تتراجع هذه الرواسب بالضرورة ، ويثبت ان الرجوع الى الماضى امر مستحيل .

ويفرض ذلك كله على القادة بوصفهم طليعة النضال الثورى ، ان لا يحددوا موقفهم من الجماهير على اساس ما عندهم من افكار . فمن الممكن ان تعتنق الجماهير ، بتأثير الماضى وفى ظل وجود سلطة تقدمية ، افكارا خاطئة . والامر طبيعى فى ظل سلطة رجعية تفرض افكارا رجعية على الجماهير .

وفى كل الظروف ، حين تحلل القيادة الظروف

الموضوعية تحليلا علميا ، فانها تستطيع ان تأخذ بيد الجماهير المضللة . ان اقتناع الجماهير بالافكار الثورية لا يأتي الا من خلال النضال المرتبط بالمهام الملموسة فى الحياة ، اينما وجدت الجماهير .

دور الافـــــكار

فى الحياة الاجتماعية

وحين تكون الحياة الفكرية للمجتمع انعكاس لظروف حياته الواقعيـــة ، تكون لهـــا بالضروره خطورتها ودورها فى التاريخ . والنظرة العلمية للاشتراكية تقدر خطورة الافكار ودورها الحقيقى فى الحياة الاجتماعية وفى تاريخ المجتمع .

ان الافكار احد وجوه الواقع ــ وان اتى متأخرا عنه ــ فهى مثل الواقع فى حالة حركة . ومختلف وجوه الواقع مترابطة ، يباشر كل منها فعله على الواقع . فاذا صح ان الحياة الفكرية فى المجتمع نابعة من الواقع ، فانها لا يمكن ان تنفصل عنه . وعلى ذلك فهى بدورها تباشر تاثيرها على الحياة المادية للمجتمعات . على انه اذا كان تطور البشرية قد اثبت ان الوضع الاقتصادى هو الاساس ، وانه يحدد بالتالى الافكار والنظريات ، التى تبـــاشر تأثيرها على الوضع الاقتصادى ، فان **قانون الفعل ورد الفعل** يعطى امكانية ان تلعب الافكار دورا اساسيا وحاسما فى تغيير الوضع الاقتصادى . ويزداد هـــذا الدور حسمــــا وبقدر ما تحـــرزه الاشتراكية من انتصار . اى بقـــدر ما يستطيع الانســـان ان يكون قادرا على تخطيـــط حيـــاته ومستقبله . بقدر ما يستطيع الانسان التحكم فى انتاج حياته ، بسيطرته على وسائل الانتاج .

ان البشرية تقف اليـــوم على مشــــارف عصر الحرية ، غير ان هذا لا يلغى حقيقة ان الحركه الاقتصادية هى القوة الاشد فعلا والاكثر حسما . وســــوف تظل كذلك حتى تنهى البشرية المرحلـــة الطبقية فى حياتها . ان علينا ان لا ننكر ما اثبته تطور التاريخ البشرى ، غير ان هذا لا يجعلنا نجلس فى انتظار نتائج الحركة الاقتصـــادية . وايضـــا علينا ان لا نغفل عن حقيقة ان تطور البشرية نفسها وان قامت على هذا الاســـاس فى الجوهر ، فان انتصار الاشتراكية فى جزء كبير من العالم ، قد اعطى للافكار دورها الكبير والحاسم فى عدد من البلدان التى تبحث عن طريقها للتقدم ، فوجدت فى الاشتراكية طريقا يحقق لها هذا التقدم . فى هذه البلدان ، ومنها بلادنا على وجه الخصوص يلعب القطاع العـــام فيها الدور الحـــاسم فى تطورها الاقتصادى . لقد اعطى الواقع الموضوعى **لثورتنا** فكرة الاعتماد على القطاع العام ، فأعطاها هذا الواقع الموضوعى قوتها . ان النظرة العلمية فى تأكيدها لموضوعيه قوانين المجتمع ، تؤكد فى نفس الوقت الدور الموضوعى الذى تلعبـــه الافكار . وقانون الفعل ورد الفعل فى عالم متطور يعطى للافكار دورا يشتد تعاظما ، مع كل تطور نحـــو الاشتراكية . واذا كانت الطبيعة واحده لا تتجزأ فالحياة الاجتماعية ايضا واحـــدة . . يعبر عنهما الواقع والفكر . وعلى ذلك فهما يتطوران معا . ان احدهما لا ينفى الاخر لكن يلعب احدهما الدور الحاسم وفقا لتطور الظروف الموضوعية . فالنظره العلمية حين ترد الافكار الاجتماعية الى اصلها الواقعى ، تقدر فاعليتها فى الواقع الذى خرجت منه . فهى بذلك لا تعترف فقط بما للافكار الاجتماعية من قوة فحسب وانما تفسر هذه القوة تفســـيرا عقليا . فالخرافات تظل فى عقـــول الناس بعد اختفاء ظروفها المادية . والافكار الجديدة تظهر فى عقول بعض الناس رغم عدم توفر الظروف المادية . والعالم ، موضوعى ، يسير وفق قوانين مستقلة عن ارادة البشر ، وعندما تشتد حدة التناقض بين الفكرة والعالم الموضوعى ، ينحل هذا التناقض لصالح العالم الموضوعى . ان عالمنـــا المعاصر يشهـــد فى اكثر مناطقه تخلفا افكار الاشتراكية ، ويشهد فى نفس الوقت افـــكارا متخلفـــة فى بلاد حققت الاشتراكية .

الافـــكار القديمة

والافكار الجديدة

واذا صح ان الافكار هى نتاج الواقع الموضوعى ، واذا صح ان للواقع الموضوعى تناقضاته ، فان الافكار والنظريات تعكس هذا التناقض الموضوعى فى المجتمع . فعلى حين يرى الاشتـــــراكيون ان القضاء على أزمات النظام الراسمالى ، هو بحل التناقض بين الطابع الخاص لملكية وسائل الانتاج والطـــابع الاجتماعى لعمليـــة الانتـــاج ، يلجـــأ الراسماليون الى كبت القوى المنتجـــة ، وتدمير فائض الانتاج .

وحين تهدف الاشتراكية الى الانتاج لصـــالح المجتمع كله تتحول افكارها الى قوى تقدميـــة . وحين تستميت الراسمالية فى الدفاع عن نظامها

الرجعى تتحول افكارها الى « قوى » رجعية . ومعنى ذلك ان الافكار دائما تكون فى خدمة هذه الطبقة او تلك فى المجتمع فى مرحلة تاريخية محددة . غير ان الافكار ليست متساوية القيمة . وان لم تقل فعالية الخاطىء منها عن السليم . لكن النصر المحتم للافكار الجديدة باعتبار انها تعكس احتياجات التطور الاجتماعى . وهنا يصبح على الطليعة الواعية مهمة نشر افكارها الجديدة بين الناس لتعجيل بهذا التطور . ان الفكر باعتباره « قوى » يلعب اليوم بالنسبة للمرحلة الانتقالية التى تعيشها ثورتنا الدور الحاسم .لقد قفز الصراع الفكرى فى مرحلة انتقال مجتمعنا الى الاشتراكية ليحتل المرتبة الاولى فى الصراع الاجتماعى، فالقوى الرجعية بعد ان سلبت اسلحتها الاقتصادية والاجتماعية لجأت الى السلاح الفكرى كالقلعة الاخيرة التى تقاتل منها لتسترد فردوسها المفقود.

ومقياس تقدمية الافكار والنظريات هى ملاءمتها للمهام الجديدة لمجتمع خلال تطوره . وحين تكون كذلك فانها تصبح من اخطر القوى التى يعرزها تطور الحياة فى المجتمع . انها تكون علامات الطريق التى تاخذ بيد القوى التقدمية فى انطلاقها نحو الجديد. غير انها اذا لم ترتبط بالحركة الجماهيرية، اذا لم تتفاعل مع الجماهير ، تفقد مقومات حياتها، ويحكم عليها بالذبول والضمور . من هنا تبدو اهمية التنظيم باعتباره الاداة الثورية للافكار والنظريات الثورية . فهى هنا واداتها ، التنظيم السياسى ، تدفع طاقات الجماهير ،وتثير حماسها وتوجه حركتها نحو وحدتها .وهى ايضا والتنظيم السياسى — اداتها — تؤثر فى وعى الناس ،وتعمل على تطويره باستمرار ، وتكون قادرة على حل المشكلات التى تبرز خلال تطور المجتمع . ان الوزن الحقيقى للافكار الجديدة يكون بالتحامها مع حركة الجماهير .. هو بتغلغلها فى الجماهير التى تصنع التاريخ .

وكم شهد التاريخ من محاولات تعددت فى اساليبها ، لمنع انتشار الافكار الجديدة. كم شهد التاريخ من اعمال العنف والتعذيب والارهاب ضد الذين حملوا افكار التقدم الاجتماعى . لكن الشعب ظل ابدا اذا ما اكتسب الوعى ، يعرف اين يسير، وماذا عليه ان يفعل .

وفى حياتنا ، اذا جاز حقا ان السلاح الفكرى هو ما تملكه اليوم القوى الرجعية التى تتآمر على منجزات ثورتنا المجيدة ، فكم نحن بحاجة الى سلاح الوعى الاشتراكى ، لنجعل من الجماهير الصخرة التى تتحطم عليها الرجعية بكل اطماعها المسعورة .

ويحتم علينا ذلك ان تكون نظريتنا الثورية ملائمة بدقة مع حاجات مجتمعنا ، وحياة الشعب الكادح صانع المجتمع . ان الاشتراكية تقدر دور الافكار بتقديرها الصحيح ،ولهذا فهى تضع النظرية فى مرتبة الدليل والمرشد للنضال الثورى . ولم تكن مجرد الصدفة ، هى التى اوجدت الميثاق الوطنى ، دليلا للعمل الثورى ،وعلى وجه التحديد مع صدور قرارات يوليو الاشتراكية . وحين حدد الميثاق الاشتراكية العلمية منهجا للعمل الثورى، فقد وعى حركة التاريخ . فالاشتراكية العلمية هى المبادىء الاساسية العامة ، والقوانين العامة لتطور المجتمع وبصفة خاصة لحركة المجتمع من الراسمالية الى الاشتراكية . وترك للشعب المعلم ، وتجربتنا الوطنية الخاصة ، ان يؤكدا فى التطبيق ملامح طريقنا الخاص نحو الاشتراكية .

طريق خاص ••• ووعى خاص

ان النظرة العلمية عند الاشتراكية هى فى جوهرها منهج للتحليل العلمى . ومهمتنا الدائمة، وفقا لهذه النظرة العلمية ، هو العمل على معرفة القوانين التى تحكم مسار ثورتنا من اجل التفاعل الايجابى معها .

وبقدر وعينا بحقيقة « ان ارادة التغيير الثورى فى بداية ممارستها لمسئوليتها ، تجتاز فترة اشبه بالمراهقة الفكرية تحتاج خلالها الى كل زاد فكرى » (١) و « الميثاق فى يدنا طريق الى التقدم الاجتماعى ، وليس ينبغى تحويله الى حاجز امامه » (٢) بقدر ما نكون قادرين على صياغة افكار جديدة قادرة على حل المشكلات التى تبرز خلال تطورنا الثورى.فالخبرة التاريخية المستمدة من دراسة جميع الثورات السابقة ، تلك الخبرة المعممة فى شكل قوانين للثورة الاجتماعية ؛ لا يمكن تجميدها عند حدود معينة ، تحت اى دعوى من الدعاوى وانما يجب تطويرها واثراؤها على الدوام.

فجميع الثورات السابقة على انبثاق الحركة الثورية المعاصرة للبلدان الوطنية ، سارت وفق

(١) الميثاق الوطنى باب حتمية الحل الاشتراكى
(٢) من خطاب الرئيس جمال عبدالناصر فى افتتاح اول اجتماع لمجلس الامة سنة ١٩٦٤.

قوانين محدده وانتهت الى وجود مفهومات مستقره حول قضية الثوره وشروطها وحدودها. لكن فى ظروفنا المعاصرة ، ظروف دخول العالم فى مرحله انتقاله الى الاشتراكية ، ينبغى علينا ان نفهم سير كل عملية ثورية على حدة وان نستخلص قوانينها الخاصة بها . وعلى ذلك فالحديث عن اكتشاف القوانين الجديده التى تحكم ثورتنا ليس معناه محاوله البحث عن نظرية ، وليس معناه تجاهل الميثاق ، وانما معناه على وجه التحديد . صياغه نظريه متطورة لطريقنا الخاص نحو الاشتراكيه . معناه انه علينا فى دراستنا ان نستفيد من الخبره التاريخية العامة للثورات السابقة، وان نكون على اعلى درجة من فهم العملية الثورية فى بلادنا باعتبارها جزء من العملية الثورية العالمية.

معناه ان محاولتنا الدائمة لاستخلاص القوانين والسمات الخاصة بثورتنا ، انما تهدف فى التحليل الاخير ، الى تحديد خط نضالنا لتأمين الثوره وانتصارها الكامل . مستفيدين من خبره الثورات السابقه ومستندين الى المبادىء العامة للاشتراكية العلمية ومسترشدين بمنهجها العلمى . فالفارق الجوهرى بين ظروف الثورات القديمه ، والثورات المعاصره ، يكمن بصوره اساسية فى واقع ان النوع الاول كان يجرى فى عالم تسوده الراسماليه الامبرياليه ، فى حين تنطلق الثورات الجديده فى عالم بدات فيه الاشتراكيه تتحول شيئا فشيئا الى قوة تحاصر الراسمالية ، وتشدد طوقها هذا الحصار على اعناقها . وطبيعه الفتره الانتقالية التى يعيشها العالم تفرض اضطرابا فى التكوين الفكرى يعبر عن نفسه فى اعمال متناقضة فى كافه الميادين وتفرض هذه الحقيقة نفسها على الثورات المعاصره. فحيث لم تتوصل الاشتراكيه المعاصره الى اكتشاف ابرز ملامح قوانين عالم اليوم، وبالتالى لم تتوصل الى نظريه متكاملة تهدى طريقها ، فى نفس الوقت الذى يواجه فيه قادتها مهمات القضاء على التخلف وتحقيق التقدم ، فان هذا الاضطراب الفكرى الذى يشمل العالم كله ، يعبر عن نفسه فى شكل مواقف متناقضة ، على الصعيدين العالمى والمحلى . ومع ان حتمية التطور التاريخى ، واخلاص قادة الثورات المعاصرة يفرضان خطا عاما تقدميا لمواقفهم ، الا ان ذلك يترك بصماته فى كل الميادين ، ويسبب مشاكل غاية فى التعقيد . لقد انبثقت الثورات المعاصرة كامتداد متصل للثورة الوطنية ، وباعتبارها المرحلة العليا لهذه الثورة المتصلة . وكان ذلك معناه ان على الثورات ان تحقق مهامها وبرامجها خلال مسيرها ذاته . خلافا للثورات السابقة التى كانت تحقق مهامها ، بعد نهاية مرحلتها الثورية كلها . وينتج عن ذلك بالضرورة ان الراسمالية الوطنية التى تقف فى بداية الثورة وهى قطب ثورى فيها محكومة بتناقضها مع الامبريالية العالمية ، تقف ضد الثوره التى انطلقت معها ، محكومة بتناقضها مع الحل الاشتراكى الذى تفرضه الحتمية التاريخية.

ويفرض ذلك كله اجراءات علويه ، لا تعيها الجماهير بشكل كامل . فتقع فريسة القوى التى اضيرت مصالحها . والتى هيئت لها ظروف الثوره الوطنية ان تكون منتشره فى كل نواحى الحياة الاجتماعيه .

لقد كانت ثورة ٢٣ يوليو هى الوريثة الشرعية لكل امجاد ثورتنا الوطنيه الديموقراطيه وانطلقت بها نحو الاشتراكية ، لكنها لم ترث الاسلوب وتمردت عليه . فلم تكن الظروف العالمية والمحلية تسمح بسير الثورة بالاسلوب التقليدى الذى عرفته ثورات الاسس . وحين لم تجد الثورة بديلا للاسلوب التقليدى . حكمها تناقض بين اسلوبها ومضمونها . وترك التناقض آثاره فوق كل خطوة من خطواتها . وجسد هذا التناقض صراعا بالضرورة . جسد صراعا بين اولئك الذين حاولوا خنق مضمونها الثورى فى شكلها ، ومحاوله فرملة حركتها لتقف عند حدود الانقلاب الاصلاحى فحسب ، وبين الذين ناضلوا من اجل تجاوز حدود الشكل الانقلابى والانطلاق بها كثوره حقيقية . كان الصراع الذى صاحب الثورة منذ انطلاقها يعبر فى كلمة واحده عن الصراع بين المعبرين عن مضمونها كثورة والمتمسكين بشكلها كانقلاب . ولقد كان انتصار القيادة المعبرة عن مضمون هذه العملية العظمى متجسدة فى المناضل جمال عبد الناصر بداية لتفجير طاقاتها الحقيقية ، بداية لتحطيم تلك القيود التى حاولت الارتداد بها الى الوراء .

وحين كان من المستحيل ان تكون « حرية التعبير » شعارا لحل التناقض بين شكل الثورة ومضمونها ، فقد افضى ذلك بالضرورة الى سلبية عند الجماهير العريضة ، ومع ان تطور الثورة وانتقالها الى الاشتراكيه احدث استقطابا فى القوى الاجتماعية ، فان منطق الثورة ظل يترك اثره السلبى عند الجماهير . وساعد على ذلك انتشار القوى التى اضيرت بالاجراءات الاشتراكية فى كل مناحى الحياة الاجتماعية ، فعملت على تشويه وجه الاشتراكية ، بما تنشره من تضليل ، وبما تقوم به من تخريب .

ان الوعى بطبيعة المرحلة الانتقالية التى تعيشها ثورتنا الان ، هى نقطة البدء الضرورية لتجاوزها ، وطبيعة هذه المرحلة تأتى من حقيقة ان الطريق الاشتراكى لثورتنا انبثق من اعماق الثورة الوطنية الديموقراطية فى اعلى مراحلها . وحين جاء علويا ووليد منطق التجربة . فقد جاء سابقا على تأهيل الجماهير للسلطة . ونتيجة لذلك تتميز مرحلة الانتقال الحالية الى الاشتراكية بوجود قيادة ثورية

اشتراكية فى اعلى السلطة ، واجهزة تنتشر فى انحائها القوى الرجعية وتشكل مكونات السلطة ، وقطاعات هامة من الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية فريسة للقوى الرجعية . وادى ذلك بالضرورة الى وجود طبيعة فريدة بين السلطة والدولة . وحل هذا التناقض رهن بتحقيق (سلطة المجالس الشعبية المنتخبة) التى يجب ان تتاكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية . (ان الحكم المحلى يجب ان ينقل باستمرار وبالحاح سلطة الدولة تدريجيا الى ايدى السلطات الشعبية) وذلك بأن « يضمن للفلاحين والعمال نصف مقاعد التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها ، بما فيها المجلس النيابى ، باعتبارهم اغلبية الشعب » .

ان ذلك يعنى ، تحقيق التفاعل الكامل بين الشعب صاحب المصلحه الحقيقية فى الاشتراكية، وبين السلطة الاشتراكية . فهذا التفاعل هو وحده الكفيل بتامين الطريق الاشتراكى ، وتحقيق الانتصار الكامل للاشتراكية . ويصبح التنظيم السياسى الواعى بطبيعه المرحلة الانتقالية الحالية وما تتركه من بصمات فى كل نواحى الحياة ، هو الاداة الثوريه لتحقيق هذا التفاعل الضرورى . تنظيم للكادر يجهد نفسه بمعرفة طبيعة المشكلات اليومية المعقدة التى تعكسها المرحلة الانتقالية فلا يقف امامها حائرا ، ولا يطلب من القيادة حلا سريعا لها . تنظيم للكادر الذى لا يرى فى التضحيات التى يبذلها امر يتناقض مع وجود قيادة اشتراكية فى اعلى السلطة .

ان الواقع الموضوعى لمرحلة الثورة الاشتراكية الحالية ، وعلى عكس منطق الثورات الاشتراكية يقول بأن الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية غير واعية . ومعنى ذلك ان قضية وعى هذه الجماهير هى القضية الاساسية . والتنظيم القادر على توعية الجماهير بطبيعة المرحلة بكل تعقيداتها ، عليه ان يكون هو نفسه اعلى درجة من القدرة على فهمها ، وفهم ما تفرضه من سياسات موقتة يفرضها الوضع الاجتماعى محليا وعربيا وعالميا . ان الوعى الذى نطلبه اليوم ، هو على وجه التحديد ، الوعى بطبيعة المرحلة الحالية . والوعى بها لا يتاتى الا من خلال النظرة العلمية ، والنظرة العلمية تكتسب من خلال معرفة تطور الواقع الموضوعى . وابعاد هذا كله يلخصها **جمال عبدالناصر** حين يقول « اننى لا ارى انقطاعا بين الماضى والحاضر ، وارفض ان اتصور وجود فراغ بين مراحل التطور لشعب واحد » (٣) .

ولكن لماذا الاشتراكية العلمية ؟

لان « الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم » (٤) ولان « اى منهاج آخر لا يستطيع بالقطع ان يحقق التقدم المنشود » (٥) .

ان الاشتراكية العلمية ، هى فى جوهرها منهج للتحليل العلمى . الاشتراكية العلميه منهج وهدف يرتفى الى مستوى العقيده ومنهج الاشتراكية هو اداتها لتحقيق هدفها . فان كان هدفها هو الانتاج لصالح المجتمع كله ، فمنهجها فى ذلك تخطيط الانتاج .

والذين ينادون بترك الحريه لراس المال ويتصورون ذلك (٦) طريقا الى التقدم يقعون فى خطأ فاحش

فالاشتراكية **كفاية** تحقق هدف الانسان منذ وجد . والاشتراكية **كمنهج** هى تجربة الانسان خلال كل عصوره . هى الفكرة المتطورة عبر العصور للانسان الاول . هى الفكرة التى اغناها عمل الانسان خلال تطوره عبر العصور . وهى الفكرة المتطورة دائما والتى تغتنى ابدا . الفكرة التى شقت وتشق طريقها بشكل دائم وتكتسب الجديد الذى يعكسه الواقع المتطور ، ثم تعود وتغيره . فالواقع ليس ساكنا وانما فى حالة حركة دائمة ، ولا شىء منفصلا عما حوله . وكل شىء يحمل نقيضه . والتطور هو صراع الشىء ونقيضه الذى يولد معه .

ولهذا « **كان الحل الاشتراكى لمشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى مصر — وصولا ثوريا الى التقدم ، لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى . وانما كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الآمال العريضة للجماهير . كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين** » (٧) .

لكن هذا الحل الاشتراكى ، مثل كل الحلول التى عرفتها البشرية ، يعبر عن **مصالح قوى اجتماعية** . تنشد التقدم على انقاض المجتمع القديم . وصاحب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية هى الجماهير الكادحة . ولكى تتحقق الاشتراكية يجب ان تتفاعل مع اهدافها ومهامها .

(٣ و٤ و٥) الميثاق الوطنى — باب عن الديمقراطية السلمية
(٦ و٧) الميثاق الوطنى — باب حتمية الحل الاشتراكى »

الوعى الاشتراكى .. والتعبئة الجماهيرية

والاشتراكية خلافا لكل النظم السابقةلا تتحقق بغير التفاعل الكامل بين الجماهير وقيادتها الاشتراكية . والجماهير العريضة هى صانعة الثورة الاشتراكية ، خلافا لما سبقها من ثورات فالجماهير فيهاوقودها .وطليعة الثورةالاشتراكية لا يحكم حركتها مصالح طبقية . خلافا للثورات الاخرى التى حكم حركة طليعتها مصالح طبقية. ان حركة طليعة الثورة الاشتراكية يحكمها الانتاج للمجموع ، بينما حركة طليعة الثورات الاخرى يحكمها الانتاج لطبقة محددة .

ويفرض ذلك بالضرورة ان تكون طليعة الثورة الاشتراكيه من نوع خاص. نوعلا تحركه مصالحه المباشرة ، وانما تحركه مصلحة المجموع . نوع يؤمن ايمان الانبياء برسالاتهم . معنى ذلك انعلى الطليعة الاشتراكية ان تعد نفسها لتضحيات تبذلها .برضى ينبع من ايمانها بالمجموع. ويسوى الامر سواء فى مجتمع السلطة فيه معادية للاشتراكية ، او فى مجتمع ينتقل الى الاشتراكية ، وقيادة السلطة فيها اشتراكية ، مثل مجتمعنا بل لست اغالى اذا قلت ان احتياجنا الى مثل هذه الطليعة اكثر الحاحا بالنسبة لنا . **لماذا ؟**

ان تبذل تضحيات خلال الصراع ضد سلطة معادية ، فهذا امر مفهوم . ولكن ان تبذلتضحيات مع وجود قيادة اشتراكية على راس السلطة ، فهذا أمر يفترض درجة عالية من الوعى .

فالحاجز الرجعى المنتشر فى كافة مناحى حياة مجتمعنا ، ليس وجوده سلبيا ، وانما هو وجود ايجابى . انه يصارع صراع الحياة او الموت . كى يستعيد فردوسه المفقود . ويتخذ صراعه اشكالا متعددة ، تبدأ من التقنع بقناع اشتراكى زائف ، وتنتهى عند التخريب المتعمد .والنتائج الطبيعية لصراعه ، ليس فقط سلبية الجماهير ، وليس فقط افقادها الثقة فىالنظام وفىالاشتراكية، وانما ايضا وضعها فى تناقض مع النظام ومع الاشتراكية . واخطر نتائج هذا الصراع الرجعى، هو تأثيره المباشر على الاشتراكيين انفسهم . ويزداد هذا الخطر فى ظل غيبة التنظيم السياسى الاشتراكى الملتحم بقيادته الاشتراكية . فعلى المستوى العام ضعف مستمر للعمل السياسى وتمكين للرجعية يتزايد وعلى المستوى الخاص قد يصل الامر الى مطاردة فى الرزق ، والامرحينئذ يتطلب درجة عالية من انكار الذات ، لا يسندها غير الوعى المجرد بحقيقة الوضع .

فالتضحيات التى تصل الى حد التطوع بها ، هى القضية المطروحة اليوم امام من يريد ان يكون ايمانه بالاشتراكية نضاليا وليس هواية. ولاسعيا وراء مركز او منصب . وتصبح قضية وعى الطليعة الاشتراكية ، قضية مطروحة فى اضيق الحدود . يحددها النوع وليس الكم . يحددها الايمان المطلق بالثورة وقيادتها اكثر مما يحددها كمية الثقافة الاشتراكيه ، او مجموع الشهادات او عدد الالقاب العلمية . وحين تطرح قضية الطليعة الاشتراكية بهذه الابعاد . يتطلب الامر ادق اختيار للكادر ومن واقع ملىء بالمغريات والسلبيات التى تركت فى النفوس اثارها . ولقد جاء لقاء قائد الثورة المباشر بالمكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكي خطوة فى هذه الاتجاه . خطوة سوف تتلوها خطوات يحددها ادراك جمال عبد الناصر البعيد ، ووعيه العميق بابعاد هذه القضية الخطيرة .

ان السمة الاساسية لطبيعة المرحلة الانتقالية لاى ثورة،هى انها بالضرورة تعكس القيم الفردية. وكانت الثورات السابقة تتغلب على ما تفرضه هذه القيم الفردية من مشكلات ، سواء على مستوى كادر التنظيم واعضائه ، او على مستوى الجماهير ، وبقدر ما كان التنظيم السياسى متفاعلا مع الجماهير ، بقدر ما كان باستطاعته التغلب على هذه المشكلات . لكن المشكلات التى تفرضها طبيعة المرحلة الانتقالية الحالية لثورتنا ، اكثر تعقيدا حيث ما زلنا نفتقد بشكل اساسى التنظيم السياسى ، اداة الثورة لتفاعلها مع الجماهير . من هنا تأخذ قضية الوعى والتعبئة الاشتراكية عندنا ابعادا مختلفة حيث هى فى الجوهر قضية التنظيم السياسى . غير ان هذا لا يعنى انتظار

جراكوس بابييف

زعيم اول حركة اشتراكية حاولت وضع افكارها فى التطبيق العملى . وقد عبر عن اتجاه ظهر خلال الثورة الفرنسية كتعبير عن طموح عمال المدن المعدمين لربط شعارات الحرية للثورة بالحرية الاجتماعية .

حوكم بابييف عام ١٧٨٩ مع عدد من زملائه. وصدر الحكم عليه بالاعدام هو ورفيقه دارتيه ونفذ الحكم . وفى نفس الوقت حكمعلىعشرات غيرهما بالسجن والنفى . يطلق على حركة بابيف لتطبيق الاشتراكية اسم « مؤامرة الاكفاء » او « مؤامرة المساواة » .

هذا « الحل السحرى » ، خاصة بعد ان صارت قضية موضوعه فى التطبيق . وانما يلقى ذلك على الاشتراكيين مسئولية مضاعفة . فعليهم من ناحيه ان يضاعفوا من كفاحهم بين الجماهير ، ومن ناحية اخرى ليس فقط الالتزام بخط الثوره ، وانما السعى اليه . فالشرط الاول للتعبئة الجماهيرية الناجحه هو ضرورة وحدة الجماهير . فان توحد الجماهير فى اتجاه خاطىء امر يمكن تداركه بخسائر قليلة . ولكن ان تمزق وحده الجماهير فى اتجاهات متعددة ، او حتى فى اتجاهين احدهما خاطىء والاخر سليم ، فالخسائر هنا تكون فادحة .

فالتعبئة الجماهيرية فى جوهرها هى وضع جماهير الثورة فى حالة استعداد دائم . والثوره بوصفها حرب ضد اعدائها ، تفترض الهجوم والتراجع . فان كان شرط الهجوم الناجح هو وحدة الجيش تحت قيادته المركزيه . فعلى التراجع ان يضع فى اعتباره الاول الحفاظ على معنويات الجيش ، حتى يمكن تعبئته لهجوم آخر . وفى ظروفنا الخاصة ، يصبح الوعى الاشتراكى الملتزم بخط الثوره فى كل الظروف قضية اساسية . فهذه نقطة بداية اساسيه ، نحو وعى اشتراكى متطور وتعبئة جماهيرية ناجحة . وقضية التنظيم السياسى تحل من خلالهما معا حيث تضعا معا مقاييس اختيار اعضاء التنظيم السياسى وكادره .

ان نجاح التعبئة الاشتراكية الجماهيرية يتوقف على مدى تخلص الجماهير من القيم الفردية التى تعكسها طبيعة المرحلة . ويفترض ذلك بالضرورة ان يكون الكادر الاشتراكى ذو قيم اشتراكية .

والالتزام بخط الثورة هو قمة القيم الاشتراكية فهو الاساس الوحيد الذى تنبنى عليه كل القيم الاشتراكية الاخرى ، وبالتالى فهو شرط ضرورى لتطور الوعى الاشتراكى والتعبئة الجماهيرية . انه من المستحيل ان تكون هناك تعبئة اشتراكية ناجحه للجماهير دون وعى حقيقى . ونسوق مثال قضية ارتفاع الاسعار . ان الجماهير تشكو من ارتفاع الاسعار ، هذه حقيقة . غير أن هناك حقيقة أخرى هى ان قيادة الثورة هدفها الاشتراكية . والاشتراكية لا تتحقق بين يوم وليلة . بل انها لا تتحقق بغير تضحيات ضرورية . لان القاعدة الاقتصادية للاشتراكية هى الصناعة الثقيلة ... الخ .

اذن فلا مناص من ارتفاع فى الاسعار للحد من الاستهلاك . فالانتاج هو الحلقة الاساسية . اذن فلا استهلاك بلا انتاج ، فان تكون من الكادر الاشتراكى ، فذلك يفترض ان تعرف ذلك كله ،

غير أن الامر لا يقف عند حدود المعرفة العامة ، ولا هو بالضرورة يتطلب كى تقوم بالتعبئة الجماهيرية ان تكون مدركا لكل تفصيلات الموقف ويصبح الموقف النضالى هو التوعية السياسية الفورية للجماهير حتى وان كان لك راى مخالف فى عمومه او تفصيلاته . والتطبيق ، والنقاش داخل التنظيم هو ضمان تصحيح الخطأ . واسلوب التعبئة يتخذ اشكالا تختلف وفقا للظروف . فلا يكفى ان تردد صيغة محفوظة . وانما يجب ان نبدأ التوعية من النقطة التى تقف عندها الجماهير ، وترتفع بها من واقعها . واذا كان من الواجب ان نحذر من الذيلية ، فيجب أيضا أن لا ننزلق الى الهجوم . فمثلا حين تكون الشكوى الاساسية للجماهير هى انها ترى حالات الترف عند بعض المسئولين ، فيجب ان لا ننكر هذه الحقيقة ، وانما علينا ان نبين اسبابه من واقع ظروفنا الخاصة ، وبالتالى نخلص الى حقيقة ان هذه الظاهرة امر عارض . وحين نصل بالجماهير الى موقف نضالى قوامه ان رخاء البعض ، مثله مثل حرمان بعض الجماهير كلاهما عارض وموقت ، نابع من طبيعة المرحلة ، نكون قد حققنا شروط التعبئة الجماهيرية الناجحة .

وحين نصل بالجماهير الى حقيقة ان مشكلاتها عارضة وموقتة ، وان المميزات التى ما زال بعض المسئولين يحصل عليها ، مسألة عارضة تفرضها طبيعة المرحلة الانتقالية ، فالاشتراكية هدف نسعى اليه ولم يعد بعد واقع محقق ، فان الجماهير بعد ذلك تصبح فى حالة تسمح بالارتقاء بها من المستوى الخاص الى المستوى العام . ان التعبئة الجماهيرية هدفها هو ان ترتقى بوعى الجماهير كى تربط بين مطالبها الخاصة والهدف العام . كى تربط بين مطالبها العاجلة والاهداف الآجلة . كى تربط بين مشكلاتها المباشرة وقضايا الوطن كله . كى تربط بين سياستنا الداخلية وسياستنا العربية والعالمية . فمسئوليتنا ازاء الوطن العربى تفرض علينا التزامات لابد منها لصالح الثورة العربية كلها . ولصالح ثورتنا . فهى جزء منها ، ومسئوليتنا ازاء السلام العالمى تفرض علينا النضال من أجله . فنحن لا نستطيع تحقيق اى تقدم فى ظل التوتر الدولى ، والسلام هو المناخ الملائم لتقدمنا وبالتالى لحل مشكلاتنا التى يعززها العالم المتوتر .

وحين نصل بالجماهير الى هذا المستوى يكون أمر تضحياتها المطلوبة منها أمرا مفهوما . ان ولادة الطفل تصاحبها آلام المخاض . وكل جديد يولد لابد وان يصاحبه آلام وتضحيات . والجماهير صاحبة الاشتراكية عليها أن تبذل التضحيات من أجلها . ان تضحيات الجماهير من أجل الاشتراكية ، هى آخر تضحيات نقدمها

ولصالحها . حيث تمتلك بعد ذلك القدرة على تخطيط حياتها ومستقبلها .

ان الموقف «الذيلى» لعدد كبير من اعضاء الاتحاد الاشتراكى فى القيادة والقاعدة ، بدلا من الموقف الطليعى ، وتفكيرهم الاقليمى او المكانى بدلا من الارتقاء فوق هذه الظروف والتسلح بالنظرة الشاملة ، يترك عند الجماهير آثارا غايه فى الخطورة . انه يترك الجماهير فريسة للقوى الرجعية ويضعها موضع الاحتياطى المباشر لتحركات الرجعية ضد النظام .

الوعى والتعبئة والتنظيم

ان الوعى الاشتراكى المنعزل عن الجماهير لامعنى له ، بل هو يتحول بعزلته الى مجرد هواية تمارس فى الصالونات . ان الوعى الاشتراكى نبع من الجماهير فى حركتها الدائمة ، فهو يستمد حيويته منها . ان الجماهير هى مصدر حيوية الفكر الاشتراكى خلال حركتها التى لا تتوقف . والقضية الجماهيرية بأعتبارها عملا سياسيا فى الاساس هى توجيه حركة الجماهير . وأداة الصلة بين الوعى الاشتراكى ، والتعبئة الجماهيرية هى التنظيم السياسى . فالتنظيم السياسى هو أداة التفاعل بين قيادة الثورة وبين الجماهير الثورية .

ان الوعى ليس مجرد القدرة على حفظ النظريات او الالفاظ الاشتراكية ، انما هو أكثر تعقيدا من ذلك . انه القدرة على فهم طريقنا الاشتراكى بكل ما فيه من سمات ومشكلات . وهو القدرة على الربط بين تجربتنا والاستفاده من التجارب الاخرى . وهو القدرة على فهم المستويات والمراحل المختلفة فى طريقنا الاشتراكى . انه فى كلمة فهم خط الثورة الذى لايعنى مجرد حفظ الميثاق وانما القدرة على التفاعل مع سياسة قادة الثورة والالتزام بها . والقدرة على فهم التكتيكات المختلفة للمراحل المختلفة ، سواء فى الهجوم أو التراجع ، وأسباب هذا كله .

وحين نملك الطليعة التى تحمل هذا الوعى ، نكون قد ملكنا توجيه الجماهير وتعبئتها اشتراكيا . غير اننا لا نستطيع امتلاك الوعى والتعبئة بغير تنظيم سياسى . فالوعى يستحيل تطويره بغير تنظيم يلتزم به ، والتعبئة الجماهيرية يستحيل تحقيقها بغير تنظيم يعيش معها ويحيا حياتها .

المدينة الفاضلة

رسم افلاطون فى الجمهوريه صورة للمدينة الفاضلة كما تخيلها وتمناها . فقد قسم المجتمع الى ثلاث طبقات . الحكام ، المحاربين ، والفلاحين والصناع . ونظام التربية هو الذى يكشف عن استعدادات الافراد الطبيعية ويحدد طبقة كل واحد منهم . أما الفلاحون والصناع فلا يشتركون الا فى مراحل التعليم الاولى ، ويتلقى المحاربون تربية رياضيه وموسيقية حتى الثامنة عشرة من العمر ، ثم يدربون على الجندية ويختص الحكام بالثقافة الفلسفية العالية فيدرسون جميع العلوم وما بعد الطبيعة . فالفلاسفة هم الحكام فى جمهورية افلاطون .

لقد قسم افلاطون جماعة مجتمعه الخيالية الى طبقات منفصلة كل عن الاخرى بشكل قاطع . ولكل منها صفة «معدنية خالصة» خيالية . فطبقة الحكام لديها قالب فكرى «ذهبى» للحكم . وطبقة الجنود او الاعوان ، ولديها خليط من «الفضة» ، للحرب واعمال البوليس فى الدولة . وطبقة العمال وهى تشارك فى المعادن الدارجة » للقيام بالعمل فى المجتمع وللرضوخ .

● حوالى (٤٢٧ — ٣٤٧ ق . م) تتلمذ على سقراط . فى ٣٣٨ ذهب ليعيش فى بلاط طاغيه « سرقطة » . ولما عاد الى اثينا اسس الاكاديمية حيث علم الرياضة والفلسفة حتى آخر حياته ، باستثناء رحلتين الى سرقطة حيث حاول تطبيق « جمهوريته » .

● مؤلفات افلاطون عباره عن محاورات تقييم فى مجموعات ثلاث حسب زمان تأليفها اولها المجموعة المعروفة باسم المحاورات السقراطية وهى « الدفاع » ، دفاع سقراط عن نفسه امام المحكمة . و« هيبياس الكبرى » و« هيبياس الصغرى » و « خرميتس » وموضوعها الفضيلة باعتبارها معرفة الانسان لنفسه ، و «لاخى» وموضوعها الفضيلة باعتبارها بسالة النفس . و « ليسيس » فى الصداقة ، و « اوطيفرون » فى التقوى . و « اقريطون » او رغبة سقراط فى الموت ، و« بروتا جوراس » فى الفضيلة باعتبارها المعرفة ، و« ايون » فى ملكة الشعر ، و« منكسينوس » وهى سخرية الخطابة .

وتتالف المجموعة الثانية من « فيدروس » فى البلاغة و« جورجياس » فى الصواب والخطأ بمعناهما المطلق . و« مينون » فى صعوبة تحصيل المعرفة . و«اوثيديموس» فى المنطق المغلوط ، و«ثيتاتوس» فى معنى المعرفة و السونسطائى» و« السياسى » فى المفاضلة بين حكم الكثرة وحكم القلة ، و بارمنيوس» فى الواحد والكثير ، ولا « اقراطيلوس » فى طبيعة الاسماء . وتتالف المجموعة الثالثة من « المادبة »وموضوعها حب الجمال . و«فيذون» فى خلود الروح ، و« فيلابوس » فى الاخلاق و« الجمهورية » فى الدولة المثلى و« طماوس » و«افريثرياس» و « القوانين » .



يندرج بندان على جانب كبير من الاهمية فيما يندرج فى نطاق التوعية .
ويتصل **البند الاول** باعداد الكادر الاشتراكى الذى يتكون من مجموعة التنظيم السياسى القادر على قيادة حركة التحول الاشتراكى على اسس علمية مدروسة ، كما يتصل ايضا باعداد المرشحين للتنظيم السياسى من الدعاة الذين يقومون بالدعوة فى المجال الجماهيرى، ويمثلون همزة الوسط بين القيادة والقاعدة أى بين التنظيم السياسى وقوى الشعب العاملة .

اما **البند الثانى** من بنود التوعية فيتصل بتوفير المناخ الملائم لاحداث التغير الاشتراكى بين القاعدة العريضة من قوى الشعب العاملة التى يستحيل بدونها الاسراع باحداث التغير المنشود . ويتطلب توفير هذا المناخ الملائم للتغير توعية الجماهير بطبيعة الاشتراكية وتعبئتها حول الشعارات الملائمة لكل مرحلة من مراحل التحول ، او بعبارة اخرى العمل الى تحويلها الى قوة ايجابية مساندة للتغير الاشتراكى ودافعة له الى الامام .

ويعتمد البند الاول ، وهو بند اعداد الكادر الاشتراكى والدعاة اساسا على مدارس ومعاهد ومنظمات الشباب والعمال للاتحاد الاشتراكى التى تقدم دراسة علمية أوتدريبية ،وتزود الدارس الذى يتمتع بالمواهب القيادية بالوعى السياسى والمنهج العلمى ، وأسلوب العمل الجماهيرى وما الى ذلك من امكانيات تؤهله لمركز القيادة فى الحاضر أو فى المستقبل .

ويعتمد البند الثانى وهو توفير المناخ الملائم للتحول الاشتراكى بين القاعدة العريضة من قوى الشعب العاملة فى الوقت الحالى على أجهزة الاعلام كالصحافة والاذاعة ودور النشر والتليفزيون والمسرح والسينما والجامعات والمدارس والنقابات ومراكز الخدمة الاجتماعية والنوادى الريفية وما الى ذلك من مراكز اشعاع اجتماعى وسياسى وثقافى .

وعلينا اذا ما أثرنا السؤال : **الى من توجه التوعية ؟** أن نأخذ فى الاعتبار اولا أن التوعية بنوعيها ينبغى أن تنحصر دائما فى دائرة قوى الشعب العاملة التى ترتبط مصالحها بالاشتراكية وبالثقل الذى يتفق مع عمق ارتباط مصالح كل قوة من هذه القوى بالاشتراكية ، فتوجيه التوعية الى قوى الشعب العاملة يثمر بقدرما ترتبط مصالح هذه القوى بالاشتراكية ، اذ أن التوعية هنا تلقى أرضا ممهدة ، أرضا تتقبلها وتستوعبها . فالثقل قد يختلف من العمال الى الفلاحين الى الفنيين وفقا لارتباط مصالح كل من هذه القوى بالاشتراكية،

ووفقا ايضـا لاحتياجات كل مرحلة من مراحل التطور . ومن الطبيعي ان تتوجه التوعية أول ما تتوجه الى مراكز تجمعات هذه القوى ، وبالثقل الذى يلائم ضخامة هذه التجمعات ومدى ارتباط مصالحها بالاشتراكية .

واذا ما اخذنا هذا الاعتبار كمبدأ اساسى بديهى، لان الاشتراكية تمثل فى المقام الاول مصالح القوى العاملة ، واذا ما خلصنا الى ضرورة حصر التوعية بنوعيها فى نطاق القوى العاملة ، تبقى أن نفصل بين هذين النوعين من التوعية اللذين أشرت اليهما فى البداية .

وسأبدأ بالتوعية فى المجال الثانى لانها لا تتحمل الكثير من النقاش ، فالتوعية بمعنى توفير المناخ الملائم لاحداث التحول الاشتراكي تمتد بالضرورة الى قوى الشعب العاملة مجتمعة . ونظرا لنقص التنظيم السياسى ، ولعدم توفر الدعاة فان هـذا النوع من التوعية يعتمد اساسا الان على اجهزة الاعـلام ومراكز الاشعـاع الثقافى والسياسى والاجتماعى التى لا بد بالضرورة وأن توجه نفسها الى أوسع دائرة ممكنة .

ومن المفهوم ان تحقيق نتائج ملموسة من طريق هذا النوع من التوعية الذى يعتمد على أجهـزة الاعـلام والاشـعـاع يتطلب مدى طويلا ، وينبنى بخاصة على حدوث تغيرات وتطورات جذرية فى النظام الاقتصادى والاجتماعى ، وعلى ارتفاع المد الثورى الذى يغذيه التنظيم السياسى والدعاة . ذلك المد الذى يدفع بالمزيد من الجمـاهير الى الانضمام الى صفوف الاشتراكية ، كما يزيد من تصور هذا اللون من التوعيـة فى الوقت الحالى الاطار الواسع الذى تدور فيه وانعـدام عنصر الاختيار وعنصر الاستمرار والمنهج والاحتـكاك الانسانى المباشر بالجماهير .وسيظل طابع التلقائية بالضرورة ، هو الطابع الغالب على هذا النوع من التوعية الى أن يخرج التنظيم السياسى الى حيز الوجود الفعال ، والى أن يشغل الدعاة أماكنهم فى مراكز تجمعات قوى الشعب العاملة بالثقل الذى تمثله كل قوة من هذه القوى وبالثقل الذى تتطلبه كل مرحلة من المراحل . واذ ذاك سنصل فى مجال الدعوة الى نتائج اكثر ايجابية ، وسيتأتى فعلا أن نهيء المناخ الملائم للتغير الاشتراكى بين القاعدة العريضة ، اذ ستجتمع الوسيلتان معا فى مجال الدعوة ، الاطار الواسع الذى يعتمد على أجهـزة الاعلام والاشعاع،والاطار الضيق المنظم المنهجى الذى يعتمد على طريق العمل الميدانى المباشر فى مراكز التجمعات الجماهيرية .

ويصل بنا كل هذا الى نتيجة حتمية ؛ وهى أن كل شيء يتوقف فى الواقع على اعـداد الكادر الاشتراكى الذى يتـكون من مجمـوعه التنظيم السياسى ، وعلى اعـداد الدعاة الذين هم ركيزه التنظيم السياسى ، وهمزة الوصل المباشرة بينه وبين الجماهير ؛ ويدعونا بالتالى الى تحديد أدق للسؤال بحيث يصبـح : **الى من توجه التوعيـة بمعنى اعداد الكادر السياسى والدعاة . . وذلك فى ظل الاطار العام المتفق عليه ؟**

والاجابة على هذا السؤال تبـدو لاول وهلة بديهية ولا تحتاج الى نقاش ، فنحن هنا بازاء مجال يتوفر فيه عنصر الاختيار . ويمـكن أن يقـال أن الاختيار فى ظل الاطار الذى سبق تحـديده هو اختيار العناصر الصالحة التى تتمتع بصفات ذاتية معينة ، وبقدرة على اكتساب صفـات فـكرية وسلوكية معينة . ومن المتفق عليه ان لا بد وأن تتمتع هـذه العناصر بمواهب قيادية ، وبقـدرة نضالية ممتازة وبرغبة أكيدة فى تكريس الذات من اجل تحقيق هدف محدد ؛ وهو الحفاظ على ما تم فعلا من خطوات فى اتجاه الاشتراكية ودفع عجلة التطور نحو استكمال البناء الاشتراكى.وهى الى جانب ذلك العناصر الصالحة لتلقى دراسة علمية منهجية والقادرة على معاناة التغير الجـذرى فى الفكر والسلوك ، ذلك التغير الذى يؤهلها للدعوة للتحول الاشتراكى وللمساهمة فى قيادته .وعنصر الاختيار هنا ، كما هو واضح،هو العنصر الحاسم الذى ينبنى عليه ضمان نجاح التجربة ومدى هذا النجاح والوقت الذى يستغرقه هذا النجاح .

ولكن عنصر الاختيار شأنه كشأن أى عامل آخر، لا بد وأن يتأثر بمقتضيات المرحلة التى نمر بهـا وبالهدف القريب الذى تستهدفه . وأعتقـد أن المرحلة الحالية تستهدف فى المقام الاول الحفاظ على ما تم فعلا من خطوات فى اتجاه أحداث التغير الاشتراكى ، وتستهدف أيضا خلق الظروف الملائمة لدفع عجلة التطور تجاه الاشتراكية ، وخاصة فى مجال الانتاج ، اذ أن مضاعفة الانتاج فى حد ذاتها عنصر فعال من عناصر الحفاظ على مـكاسبنا . وربما اكون قد عكست الوضـع فى ترتيبى لهدف المرحلة الحالية لان هدف دفع عجلة التطور هدف أهم وأشمل من الحفاظ على ما تم فعلا تحقيقه فى هذا الاتجاه . ولكنى عكست الوضع عامدة لان المرحلة بكل تطوراتها هى التى تملى طبيعة الهدف وهى التى تقـدم هدفا على هدف . والتطورات الاخيرة تكشف بوضوح ان الرجعية فى بلادنا تتجمع فى صحوة الموت ، وتهدد ، مستنـدة الى القوى الرجعية من الخارج ، بتعويق حركتنا الى الامام ، وبسلبنا ما حققناه من مكاسب وبالرجوع بنا مئات

السنين الى الوراء . وتغير علاقات القوى فى العالم ، والانقسام فى المعسكر الشيوعى أتاح للاستعمار أن يمر بمرحلة ازدهار ، لا شك فى وقتيتها ، ولكن لا شك أيضا فى خطورتها . ونحن نتعرض الان ، كما تتعرض كل القوى التحررية فى العالم ، لضغوط بلغت اقصاها من جانب الرجعية فى الخارج ، ومن جانب عملائها فى الداخل .

وكل هذا يتطلب منا أن نستميت فى الحفاظ على ما حققناه، وأن نبنى بأسرع وقت ممكن أقوى معقل ممكن للحفاظ على مكاسبنا ولضمان استمرار سير شعبنا فى طريق الاشتراكية . ولا ضمان أكيد لشعبنا فى المستقبل بغير خروج التنظيم السياسى الى الوجود ، وبغير خروج الكادر السياسى والدعاة الذين يرتكز عليهم التنظيم السياسى الى الوجود . وهنا يتدخل عنصر الوقت كعنصر ملح وحاسم وفعال ، وهنا يتحتم علينا ان ننجز فى سنوات ما انجزته دول اخرى فى اجيال ، وهنا تصبح المسالة ليست مسالة اختيار العناصر الصالحة ولكن اختيار اصلح العناصر التى تضمن لنا احسن النتائج فى اسرع وقت ممكن .

واذهب هنا الى ان التركيز على الشباب فى مجال اعداد الكادر الاشتراكى ، وفى مجال الدعاة على وجه التخصيص ، هو الكفيل بتحقيق احسن نتائج ممكنة فى اسرع وقت ممكن ، وان اصلح العناصر هى من بين الشباب فيما بين ١٤ و ٢٨ سنة وذلك فى ظل الاطار الذى حددته وبالثقل الذى اشرت اليه ووفقا لمقتضيات المرحلة .

وقد يبدو هنا بعض التعارض فانا ابدو وكانى أتكلم عن ضروريات المرحلة الحالية وعينى على المستقبل . ولكنى لا ارى أى تعارض فى هذا الوضع، بل العكس هو الصحيح فقدرة الشباب على حماية الغد لا تنفى بحال قدرتهم على حماية اليوم وترجح كفتهم بالنسبة للغد على من فات مرحلة الشباب . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد استطعنا أن نحبط مؤامرات الرجعية ومعنا قيادة ٢٣ يوليو ومعنا اجيال تحملت عبء الكفاح ضد الاستعمار والاستغلال قبل الثورة ، وقد لا تكون معنا هذه الاجيال فى الغد .

وعلى كل فهذه ليست وحدها الاعتبارات التى تجعلنى أرجح كفة الشباب وأدعو الى التركيز ما أمكن على الشباب فى عملية اعداد الكادر الاشتراكى وعلى وجه التخصيص الدعاة فهناك اعتبارات أخرى .

فالشباب ، بحكم سنه ، يقلقه ما يجد فى مجتمعه من قصور ونقص ، ويسعى بحكم سنه الى صورة مثالية تمسح على ما يلمسه فى مجتمعه من نقص وقصور ، وهو يسعى فى قلق الى مثل أعلى، وحين يجده يحتضنه ويتحول معه الى عقيدة يكرس لها ذاته وحياته . وبدون أن تستحيل الاشتراكية الى عقيدة لن نجد أبدا الكادر الاشتراكى الذى يبذل من ذاته ما ينبغى أن يبذل القائد ولن نجد أبدا الداعى الاشتراكى الذى يكرس حياته للدعوة كما ينبغى ان يكرسها .

ولا يعنى هذا بحال أن الانسان لا يستطيع اذا ما فات سن الشباب ان يعتنق عقيدة من العقائد ، ولكن الاحتمال هنا أقل وهو احتمال يمثل الاستثناء لا القاعدة . فالانسان حين يترك خلفه مرحلة الشباب يتصالح بالتدريج مع كل النقص والقصور فى مجتمعه ، وتفارقه الرغبة فى التغيير ويتحول على أحسن التقدير الى انسان يقوم بالعمل الموكل اليه فى مجال عمله وفى حدود عمله ، وعلى أسوأ تقدير الى باحث عن مصلحة ذاتية بدلا من باحث عن عقيدة .

والشباب مادة خام لم تتحجر بعد ، ولم يدخل سلوكها فى قوالب جامدة لان القيم الاجتماعية والاخلاقية لم تترسب بعد فى أعماقها . والانسان ، الا فى النادر ، نتاج مجموعة القيم الاخلاقية النابعة من النظام الاقتصادى الذى يعيش فى ظله . وهذه القيم هى التى تشكل سلوكه والتى تدرج هذا السلوك فى قوالب جامدة من الصعب تغييرها . والجيل الذى بلغ سن النضوج فى مرحلة ما قبل الثورة تربى فى ظل مجتمع رأسمالى اقطاعى يرزح تحت وطأة الاستعمار وورث سلوكا معينا مستمدا من قيم أخلاقية معينة ومنها الرغبة فى التملك وفى التحكم واستغلال الاخرين ، وتقييم الانسان وفقا لما يملك لا وفقا لعمله ، والطرق الملتوية للوصول والانتهازية وما الى ذلك من الانحرافات التى نعانى منها اليوم والتى هى من مخلفات هذا السلوك .

ولا يعنى هذا بحال أن الانسان الذى بلغ سن النضوج فى مرحلة ما قبل الثورة والذى تحولت منده هذه القيم الاخلاقية الى سلوك لا يستطيع أن يغير من هذا السلوك ، فالتغير طبيعة الوجود ، والمد الثورى يجذب باستمرار المزيد من الناس الى صفوف الاشتراكية ويدعوهم باستمرار الى ضرورة التغير . ولكن معاناة التغير هنا تتطلب وقتا وجهدا أكثر مما تتطلب من الشباب الذى بلغ

سن النضوج فى ظل الثورة . والاشتراكية قبل كل شيء ليست مجرد نظريات بل سلوك أيضا، ولا أمل فى كادر اشتراكى لا يتمتع بسلوك اشتراكى ، على الاقل فى نطاق العمل، ونفس الشيء ينطبق على الدعاة .

وترجح كفة الشباب ايضا مسألة نفعية بحتة ، وهى المدى الذى يمكن أن يستفيد به الوطن من الكادر الاشتراكى أو الداعى الاشتراكى اذا ما أعد وهو فى مرحلة الشباب ، فالجهد الذى سيبذل هنا سيثمر ، لا مدة أطول فحسب ، بل بشكل أفيد وأعمق ، اذ سيتأتى للشاب على مر الزمن أن يجمع من الخبرات وأن يكتسب من المهارات ما من شأنه أن يعمق الفكر الاشتراكى .

واذا كنت اذهب الى أن من الافضل أن نركز على الشباب فى اعداد الكادر السياسى ، فمن المحتم ان نركز على الشباب فى مجال اختيار الدعاة اذ تتطلب ضرورة العمل هنا حركة سريعة ومستمرة ونشاطا دائبا وخلاقا ونوعا من التحرر من المسئوليات العائلية ، وهذا ما يتوفر للشباب أكثر مما يتوفر لمن فاتوا مرحلة الشباب .

ومن الاهمية بمكان ان ندرك أن نسبة الشباب تقارب الثلثين أو أكثر من مجموع سكان بلدنا وأن نسبة كبرى من القاعدة الصناعية سواء من العمال أو الفنيين أو المهندسين من الشباب ، وأن الزراعة تعتمد بدورها الى حد كبير على الشباب ، وأن سن العمل عندنا وخاصة فى محيط الزراعة والصناعة تبدأ فى مرحلة متقدمة للغاية ، وأن كل هذا يتطلب أن يكون العدد الاكبر من الكادر الاشتراكى من الشباب ويحتم أن يكون الدعاة من بين الشباب . فالشباب أكثر قدرة على فهم بعضه البعض وعلى اكتساب بعضه البعض وعلى التأثير فى بعضه البعض .

وعلى كل فأرجو ألا يتبادر الى الذهن انى أرمى الى استبعاد كل من هو فوق الثامنة والعشرين فنحن لا نستطيع بحال أن نتجاهل أصحاب الماضى الطويل فى الكفاح ضد الاستعمار وضد الاستغلال وأن نحرمهم من الاعداد الاشتراكى اذا ما كان ينقصهم ، ونحن لا نستطيع أن نتجاهل من يجرفهم التيار الثورى ويحولهم من عناصر سلبية الى عناصر ايجابية تحتضن المبادىء الاشتراكية . والمسألة مسألة تفضيل ومسألة تقديم الاهم على المهم لا أكثر ولا أقل ، ولا ينبغى أن تتسم بحال بالجمود .

واذا خرجنا الى مجال التطبيق وجدنا اعتراضات على جانب كبير من الاهمية تواجهنا .. وأول هذه الاعتراضات هى أن من يشغلون حاليا مراكز الرئاسة فى مختلف المجالات قد تعدوا مرحلة الشباب ، وهم بحكم مراكزهم يملكون سلطة التوجيه ، ومن ثم فأضمن وسيلة لاحداث التغير المنشود وهو تحويل هذه الرئاسات الفعلية الى قيادات اشتراكية . هذا من جهة ومن جهة أخرى فهناك اعتراض آخر يرتبط بنفس النقطة وهو أن تجاهل رئاسة من هذه الرئاسات من شأنه أن يعرقل محاولة الوصول لاصلح العناصر العاملة تحت سلطة هذه الرئاسة . وأن كسب هذه الرئاسة ربما يكون وسيلة لا غاية ، وسيلة الى اقامة روح من التفاهم يتأتى معها الوصول الى أصلح العناصر فعلا .

ولا يسعنى الا الاعتراف بوجاهة هذه الاعتراضات فى مجال التطبيق ، ولكنى أعتقد أنها عقبات يمكن التغلب عليها اذا اتفقنا على المبدأ ذاته .

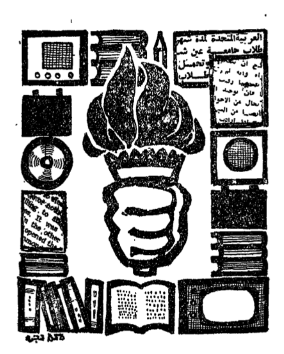
فلا مانع هناك فى أن تقوم دراسات ومناهج تدريبية للرئاسات الحالية فى محاولة لتحويلها الى قيادات اشتراكية ، على أن تدور فى مجال آخر غير مجال اعداد الكادر الاشتراكى . ومحاولة تحويل القيادات الحالية فى المجالات المختلفة الى قيادات اشتراكية محاولة تستحق الاهتمام ولو توجت بالنجاح لكان هذا أقصى ما نتمنى ، ولكنها فى رأيى ، وللاسباب التى سبقت وبينتها محاولات تنطوى على أكثر من احتمال ، ونحن لا نستطيع بحال ان نجازف فى مجال تركيز الجهود فى اعداد الكادر الاشتراكى ، ولا نملك الوقت الذى يتيح لنا فرصة التجربة والخطأ .

أما مسألة ضرورة كسب رئيس العمل كوسيلة حتمية للوصول الى أصلح العناصر فهى مسألة قد تصور ما هو واقع ، ولكنها فى ذات الوقت تصور ما لا يجوز أن يقع . ولا أريد أن أكون مثالية ولكن لا بد وأن يكون هناك وسيلة ما للتغلب على هذه العقبة وللحيلولة بين فرد ما ، مهما كان هذا الفرد وبين ما تقتضيه المصلحة العامة، ولا شك أن لجان الاتحاد الاشتراكى تستطيع المساهمة فى هذا الاتجاه .

ويتبقى السؤال الذى أختم به هذا المقال : لم لا نبدأ بالاساس ويوم نرى الاساس فى القاعدة ستتحول الرئاسة راضية او صاغرة تحت تأثير المد الثورى ؟ لم لا نبدأ بالشباب من العمال والفنيين فى مصنع من المصانع مثلا بدلا من البدء بمدير المصنع ؟ أليست امكانيات الانتشار والعمل السياسى أوسع فى القاعدة العريضة من الشباب ؟

مسئولية أجهزة التعليم والثقافة والإعلام في عمليات التوعية الجماهيريـة

مجـــدى فهـــمى



بلادنا اليوم تموج بحركة عميقة ورحبة فى جميع الميادين ، ففى الاتحـاد الاشتراكى والجامعات ، واجهزة الثقافة والاعـلام ، تسرى روح جديدة ، وتنبعث اكثر من اى وقت مضى اصوات التقدم تطالب بالتطوير الثورى .

والواقع ان هـذه القضية اصبحت مســالة جوهرية لا تحتمل التأجيل . فبـلادنا تعيش فى ثورة كاملة فى الميادين السـياسية والاجتماعية والاقتصـادية لا يواكبها ثورة فى حياتها الفكرية والثقـافية .

وحين تنفصل حياة المجتمع المادية عن حياته الثقافية ، تتعرض اركانه لاشـد الاخطار . واذا كان الفكر الرجعى قـد استطاع ان يجذب اليـه

عددا من شـبابنا ؛ بل ويقنعهم بحمل الخناجر والقنابل للقتل والتخريب الدموى ، فان هذا يعلمنا اكثر من درس اساسى .

فالثورة المنتصرة تواجه دائما مشكلات تدعيم هذا الانتصار . ان الاطاحة بالقوى الرجعية لا ينهى قتال المصير ، انما يتيح فقط للقوى الجديدة مواصلة صراعها من مواقع افضل ، تتيح لسيرها الظافر المقومات الاساسية للوصول الى اهدافها الكاملة .

والسلطة السياسية هى دائما محور الصراع بين الثوره واعدائها . تلك حقيقه اكدتها المؤامرات التى كشفت اخيرا . فخلف جميع الرايات ، والشعارات بل والافراد ذاتهم ، تختفى مصالح طبقية تسعى لاسترداد انتصارات الشعب فالقوى المعادية لا تكف عن القتال وهى فى فترات التراجع تكتفى بسلاح البلبلة لعزل الجماهير عن الثوره . وفى فترات اخرى تسن الخنجر ، وتحمل الديناميت لتحاول الوصول الى هدفها .

واذا كانت الثورة قد ضربت بحسم هذه القوى سياسيا واقتصاديا ، فهناك مواقع الثقافة والفكر والقيم الاجتماعية ، بكل ما يتميز به هذا المجال من سمات يصعب تبيان كل حركتها فى ثناياه . وفى هذا الموقع تتحصن القوى المعادية ، ومنه تخوض معركه الحياه والموت ضد الثورة .

وهنا يصبح الصراع اكثر تعقيدا ، فميدانه هو الانسان نفسه ، فكره ، ووجدانه ، وقيمه الاجتماعية ، ميدانه هو الشعب ، والهدف عزله فكريا عن الثورة .

ويجب ان نعترف بأن ظروف هذا الميدان لا تميل الى جانب الثورة فى اول الامر لان اعادة بناء الحياه الفكرية للمجتمع اكثر صعوبة من بناء الحياة الاقتصادية ولان رصيد القوى القديمة من القيم والتقاليد والافكار فى اعماق المجتمع يفوق رصيد قوى الثورة فى المراحل الاولى . وتلك حقيقة يجب الا تزعجنا . ففى جميع فترات التحول التاريخية ، تتواجد وتتصارع دائما قوى وقوانين وقيم متناقضة . فكما تتعايش فى صراع لا يهدأ ، قوانين السوق الراسمالى ، وشعارها تحقيق اعلى درجة من الربح جنبا الى جنب مع القوانين الاقتصادية الجديدة ، وهدفها تحقيق أقصى درجة لسعادة المجتمع، نعيش ايضا فى حياتنا الفكرية قيما متناقضة . فالثقافة الاشتراكية لا تتحقق بنفس سرعة اقامة الاساس الاقتصادى لها . والانسان الاشتراكى لا يتكون فى مناخ تسوده افكار ومفاهيم مجتمع آخر .

من هنا تنبع مسئولية اجهزة التعليم والثقافة والاعلام . مسئوليتها فى اعادة تشكيل فكر وقيم ووجدان الجماهير فى اتجاه المجتمع الجديد . ان تعبئة الجماهير فى اتجاه خط الثورة ، واطلاق طاقاتها الخلاقة نحو المزيد من الابداع ، انما يحتاج الى ثورة جذرية فى كافة الاجهزة المسئولة عن تشكيل فكر وسياسة ووجدان الشعب .

والاتحاد الاشتراكى لا يستطيع وحده ان يحقق هذا العمل . فمن المستحيل ان تتجاوب الجماهير مع افكار وندوات ونشاط تنظيمها السياسى ، مالم تكن كل القوى المؤثرة فى عقلها واعماقها متحدة معه فى نفس الخط . فوحدة الفكر دعامة اساسية لوحدة الهدف والعمل .

فماذا نريد من اجهزة التعليم والثقافة والاعلام فى هذه المرحلة ؟ .

الجامعة والمجتمع

كل تطوير للمجتمع لابد وان يصاحبه تطوير لجامعاته . فليست هناك فلسفة ثابتة للتعليم الجامعى ، ولامناهج ابدية لاتقبل التبديل . ونحن الان فى مرحلة تحتاج من جامعاتنا اعلى درجة من التفاعل الثورى مع اهداف المجتمع . وبديهى ان هدف التعليم لم يعد مجرد تخريج موظفين لاجهزة الدولة فتلك فلسفة تخطاها مجتمعنا منذ سنوات نريد من التعليم العالى ان يرتبط هدفه وتنسجم فلسفته مع غايات مجتمعنا الثورى .

لقد تغيرت معالم حياتنا الاقتصادية والاجتماعية تغييرا جذريا . فهل سايرت مناهج التعليم عندنا هذه التغييرات ؟ . الوقائع والتقارير الرسمية تقول لا .. فخطة التنمية تسير فى واد ، والتعليم يسير فى واد آخر . يؤكد هذا ما نلمسه من تضخم مزعج فى خريجى الكليات النظرية ، والنقص الخطير فى خريجى الكليات العملية . واخطر من هذا المناخ الفكرى الذى يسود جامعاتنا .

فالاتجاهات الوجودية فى اعتى صورها الفردية ، بجانب خليط غريب من الفلسفات الرجعية الاخرى تسيطر على الفكر الفلسفى فى جامعاتنا .

فاذا انتقلنا الى مناهج تدريس المواد الاجتماعية والقومية ، وخاصة التاريخ والاشتراكية فان الصورة تزداد غرابة . فحرية البحث ، والرأى وحق « الاجتهاد » و « الابداع » تحققت على انقاض وحدة المنهج فى دراسة تاريخنا القومى ، ووحدة النظرة العامة لمعالم اشتراكيتنا . ان «حرية

الراى» اعطت لبعض الاساتذة حق تاليفوتدريس كتب تهاجم كل القيم الانسانيةفى حضارتناالمعاصرة وحق «الاجتهاد» انتجمئاتمن التفسيراتالمتناقضة لاشتراكيتنا ، كل منهايحمل صورة تخالفالاخرى، وكلها تدرس لشبابنا الحائر فى الجامعاتوالمعاهد

ومن غمار هذه البلبلة الفكرية الشاملة يخرج الطالب ليواجه الحياة ، فى عقله صورة باهتة للاشتراكية ، وفى وجدانه غربة تكاد تصل الى حد الضياع . فهل ندهش بعد هذا ، اذا تقدم منه ضالا او مضللا ، يحمل لفكره الزائغ بديلا رجعيا ساما ، فيه مايفتقده من الاتساقووضوح الهدف؟

ان التكوين الفكرى الاشتراكى لشبابنا ، يجب ان يواكب تكوينه العلمى والفنى . فذلك وحده السبيل لسد الطريق امام قوى التخلف والظلام الساعية الى تحويله الى احتياطى لتآمرها الدموى ولن يتسنى هذا الامن خلال المراجعة الجذرية لمناهج وطرق هذا التكوين ، بحيث تنسجم خطوطها مع الصورة الحقيقية لاهدافنا الان .

ولا شك ان القرارات الهامة التى اصدرها المجلس الاعلى للجامعات ، والخاصة بمراجعة المقررات القومية ، وانشاء اقسام للدراسات والبحوث الاشتراكية فى كل جامعة ، ذات اهمية كبرى فى هذه الظروف . فتلك بداية لتحقيق الوحدة بين حركة المجتمع ومناهج جامعاته .

بيد ان هناك حقيقة يتعين وضعها فى الاعتبار ، لقد اصبح للاتحاد الاشتراكى اليوم معهدا اشتراكيا يتولى اعداد كوادره الاشتراكية وفى هذا المعهد تجرى دراسات للتاريخ والاشتراكية غايتها تخريج قادة تنظيمنا السياسى ، مسلحين بفكر اشتراكى واضح المعالم ، وبنظرة علمية لتاريخهم القومى . ومنالضرورى تحقيقالاتساق بين ما يدرس فى هذا المعهد ومناهج هذه المواد فى جامعاتنا . فمن المستحيل تحقيق الوضوح والاتساق فى تكوين شبابنا ما لم تتوحد نظرة اجهزته السياسية والفكرية والتعليمية فى خط واحد . **فوحدة النظرة العامة لجوهر اشتراكيتنا ووحدة المنهج فى تدريس تاريخنا القومى ، هما عماد وحدة التكوين والهدف والاندفاع لشبابنا .**
واللجان الجامعية المشكلة لاعادةالنظر فىالمقررات القومية والاشتراكية ، يجب ان تعى هذه الحقيقة فليس هناك اخطر من ان يتحدث اساتذة الجامعة بلغة ، ويتحدث تنظيمنا السياسى ومعاهده الاشتراكية بلغة اخرى .

مسئولية أجهزة الاعلام

والحديث عن وحدة الفكر والهدف لابد وان يقود الى مسئوليه اجهزتنا الاعلامية فى هذه الظروف . وينبغى ان نعترف اولا بعمق الثورة الفنية الى حدثت فى اجهزتنا الاعلامية . فخلال سنوات الثورة تحققت قفزات رائعة فى اذاعتنا سواء من حيث عدد ساعات الارسال ، او من ناحية قوته ومداه . ونفس الامر ينطبق على التليفزيون . فى سنوات قلائل نجحنا فنيا فىتحقيق الكثير من المنجزات الهامة وهذا شىء يجب ان نذكره بتقدير واعجاب . بيد ان السؤال الذى ينبغى ان نطرحه هو : هل سايرت هذه القفزة الفنيه ، قفزة مماثلة فى برامج هذه الاجهزة ؟ ، سواء فى الشكل او المضمون ؟ من الصعب ان نرد على هذا السؤال بالايجاب .. فالتخطيط الفكرى الثورى لا زال بعيدا عن هذه الاجهزة . والهدف لا زال ، كما كان من قبل ، تلبية وترضية اذواق اشد فئات شعبنا سلبية وتخلفا .

لقد هاجم الكثيرون تمثيلية « شىء من العذاب» التى قدمتها اذاعة الشرق الاوسط خلال شهر رمضان . وهاجم الكثيرون بعض الافلامالامريكية التى يقدمها التليفزيونباعتبارها تمجيدا صريحا لقيم تتناقض مع اهدافنا . وبلغ هذا الهجوم مداه حين قدم التليفزيون فيلما مصريا يدعو صراحة الى زيادة النسل « المال والبنون » ، فى نفس الوقت الذى كانت أجهزة الدولة فى حركة مستمرة للعمل من اجل تنظيم الاسرة . والواقع أن ما تناوله النقاد لا يعدو القليل مما تقدمه برامجنا الاذاعية والتليفزيونية . والقضية فى اعتقادى يصعب حصرها فى الهجوم على هذا البرنامج أو ذاك ، انما ينبغى التركيز علىالفلسفة نفسها المستترة وراء مختلف الظواهر الشاذة المشكلة الحقيقية يجب أن تبدأ من **تحديد الهدف** من برامج هذه الاجهزه ، وتحديد طبيعة **القوى التى تخاطبها ، والفرض الذى ترمى اليه** من وراء نشاطها . فاذا كان الهدف هو **ملء فراغ** هذا البرنامج أو ذاك ، او كان مجرد التسلية بغض النظر عن محتواها، أو كيفية ارضاءالاذواق المختلفة بلا سعى لرفع مستواها ، حينئذ تكون هذه الاجهزة قد حققت أغراضها كاملة .

والمسألة تختلف طبعااذا كانهناك هدفا آخر. بل ان الامر يتحول الى معضلة صعبة اذا كانت هذه الاجهزة تستهدف مسايرة حركة المجتمع واطلاق خطاه .

وينبغى التسليم بأن وسائل اعلامنا ، وبصفة

خاصة الاذاعة والتليفزيون ، بكل ما تنطوى عليه من تأثير هائل فى حيـاة جماهيرنا ، لم تستطع بعد تحقيق التفاعل العميق مع ظروفنا الجديدة.

وحتى يكون هناك تخطيطا ثوريا حقيقيا ،يجب البدء من هذه البديهيات .

اولا : نحن نعيش فترة تحول عظيمة فى شتى مجالات حياتنا الاقتصادية والاجتماعية ، وهدفنا تحقيق الاشتراكية كنظام لحياتنا .

ثانيا: ان مجتمعنا الان يواجه مشكلات وتحديات صعبة يناضل من أجل تجاوزها والانتصار عليها، سواء من حيث خططه الاقتصادية ، او من حيث سعيه لتوازن انتاجه مع استهلاكه ، وتوازن دخله القومى مع نموه السكانى .

ثالثا : وبلادنا سواء فى المجـال الخـارجى أو الداخلى ، لا زالت تواجه قوى معادية تناضل بشراسة ضدها . فصراعنا ضد الاستعمـار ، واسرائيل ، وكافة القوى الرجعية فى الخارج ، لا ينفصل عن صراعنا الداخلى ضد بقايا الطبقات القديمة وكافة اشكال تآمرها الدموى .

رابعا : وفى حياتنا الفكرية والاجتماعية تتواجد وتتصـارع انمـاط عديدة من القيم والافكار والثقافات . بعضها يمثل القديم الرجعى ويحاول شدنا الى الوراء ، بجانب الجديد الثورى الساعى الى شق طريق عبر الصعوبات التى لا تنتهى .

وفى ضوء هذه الحقائق الاساسية يجب ان يبدا تخطيطنا الاعلامى بحيث يتحد هدفه مع حيـاة وأهداف المجتمع وقضاياه المباشرة . فلا يكون سؤاله الاول : كيف نرضى الاذواق المختلفـة ، او نملأ فراغ البرامج المتنوعة ، انما يكون سـؤاله الاول : **كيف نعيد تشكيل وتثقيف أفكار ووجدان وأذواق الجماهير فى اتجاه مشـكلات مجتمعهـا وتحقيق امتزاجها معه .**

وليس معنى هـذا تحـويل برامـج الاذاعـة والتليفزيون الى أناشيد وخطب ، أو افقـادها عنصر التسلية والترفيه . فتلك دعوة يستحيل ان تخطر على بال . انما نريد برامج يمتزج فيها الاداء ،نعنى البارع مع المضمون الانسانى الجديد. نريد فنا يمجد القيم الاجتماعية الجديدة ، من خلال أرقى أشكال الأداء .

لقد حرص القرار الجمهـورى على تحـديد اختصاصات ثورية واضحة لوزارة الارشـاد ، أهمها تعبئة قـوى الشعب ، وتوحيـد فـكره وقدراته ، وتبصيره بمكاسبه الاشتراكية والدفاع عنها ، واستنهاض يقظته ضد التسلل الرجعى وطرقه الملتوية . وعلينا ان نذكر هذه الاهداف .

وترتبط بهذه القضية مسئولية اجهزة الثقافة فى بلدنا . الاجهزة المسئولة عن التعجيل باطلاق ثورتنا الثقافية . فالكتاب ، والرواية ، والفيلم ، والمسرحية ، والصورة ، أسلحتنا الرئيسـية فى اعادة تشكيل فكر ووجدان الجماهير بروح مصر الجديدة . واذا كان القادة والكتاب والمفـكرون هم أعمـدة الثـورة فى تربيـة الجماهير فكريا وسياسيا ، فأن الفنانين ، فى شتى المجالات ، هم اعمدة تشكيل وجدان وقيم وأذواق الجماهير . فهل كان انتاجنا الثقافى خلال الفترة الماضـية ، يسير فى اتجاه تحقيق هذا الهدف ؟.. ان نظرة سريعة ــ عادلة ــ تبين ان ثمة تناقضـا غريبا يفصل حياتنا الثقافية عن حـركة الثـورة فى المجتمع .

ان تجربتنا الثورية فى المجالات الاقتصـادية والاجتماعية تلقى اهتماما بالغا من جانب البـلاد النامية : وتمثل لشعوب كثيرة نموذجا لكفاحها. ومن الضرورى أن يواكبها فى الميـادين الثقافيـة نفس الاثر .

ولست أريد هنا أن أعدد عشرات من الكتب ، والافلام ، والمقالات ، التى تدعونا سواء بطريقـة صريحة او ضمنية ، الى أهداف معادية لخطنـا الثورى . فلقد سبقنى كثيرون الى هـذا . انما اريد فقط أن أؤكد حقيقة بسيطة لا تقبل الجدل، وهى أن ثقافة كل مجتمع لا تنفصل عن حيـاته الاجتماعية . وهدف أجهزة الثقافة يجب أن يكون مساعدة الشعب على أعادة بناء الحياة الجديدة بكل تطلعاتها الكبرى .

والواقع أن اجهزة الثقافة والاعلام فى ظروفنا الحالية تحمل فوق كاهلها مسئوليـة كبـرى . فوحدة الفكر والهدف الصادرة منها ، هى سـبيل انجاح النعبئة الجماهيرية فى اتجاه خط الثورة. وقبل أن نشكو من سلبية هذه الفئات أو تلك ، يجب ان نتأمل ما نقدمه من وسائل تأثيرنا الفكرى والمعنوى من مواد لهذه الفئات . والسـؤال عن اسباب تخلف ثورتنا الثقافية ، او عن بطء تحول جماهيرنا الفكرى مع واقع المجتمع الثورى، ينبغى أن يسبقه البحث عن طبيعة القوى المحققة لهـذا الغرض . فالثورة الثقافية تفترض وجود اجهزة ثورية فى مجالات الثقافة والاعلام ، وعناصر ثورية تقود خطاها . وما دمنا لم نحقق هذا الهـدف ، ستظل حياتنا المعاصرة تعانى هـذا الانفصـال والازدواج . **فالمجتمع بسائر قواه الاقتصـادية وعلاقاته الاجتماعية يندفع ثوريا فى اتجاه آفاقه العظمى ، وبنائه العلوى ، بسائر مكوناته الفكرية ومختلف وسائله الاعلامية يعيش عالما آخـر .**

مسئولية الاتحاد الاشتراكي

وهنا نصل الى قمة المشكلة ، وبداية حلها في نفس الوقت .

نحن نسعى الى توحيد فكر وهدف وعمل قوى الشعب فى اتجاه الثورة . وهى عملية تتشابك فيها أجهزة عديدة اشرنا الى بعضها . ويبقى بعد هذا الجهاز الاكبر الذى بدونه يصعب تحقيق هذا الفرض ، وهو الاتحاد الاشتراكي . ووظيفة الاتحاد الاشتراكي فى بلدنا لا تحتاج الى اعادة تعريف . فهو القيادة الفكرية والسياسية والتنظيمية لتحالف قوى الشعب . والمشكلة لا تنبع من اعادة تعريف او تحديد لوظيفة ، ولكن فى الممارسة الحقيقية لها .

ان وحدة النظرة العامة لفكرنا الاشتراكي ، وقيمنا الجديدة ، وتاريخنا القومى ، ومشكلات وتحديات المرحلة الحالية ، الخ ... هذه الوحدة يستحيل انجازها بدون قيادة الاتحادالاشتراكي الحقيقية لمختلف المؤسسات المرتبطةبهذا الهدف. ومثل هذه القيادة تفترض من تنظيمنا السياسى توحيد نظرته هو :

● فيقدم فى مختلف ندواته ومطبوعاته ومؤتمراته مفهوما واحدا لفكر الجماهير ، وهدفا واحدا لحركتها . وهو أمر لم يتحقق بعد للاسف الشديد .

ففى مؤتمرات التوعية التى عقدت فى الفترة الاخيرة ، بدعوة من أمانة الفكر والدعوة وحضرها آلاف من الجماهير الشعبية لم تقم أغلبها بتحقيق الغرض من انعقادها . واذكر فى مؤتمر واحد تحدث أربعة خطباء . أكد أولهم الطابع الاسلامى البحت لاشتراكيتنا ،وانقطاع صلتها بكل فكر اشتراكى آخر . وتحدث الثانى عن اشتراكيتنا باعتبارها عربية أصيلة ، بدأت مع الفتح العربى لمصر،وازدهرت فى القرون الوسطى على ايدى الخلفاء العرب ، واختفت فترة نتيجة للغزو الاجنبى ، ثم عادت اخيرا بعد الثورة . وتحدث الثالث عن خصائص اشتراكيتنا ، واكد انها تؤيد الملكية الفردية ، ولا تعترف بالصراع الطبقى ، ونادى فى آخر كلمته بضرورة الحفاظ على نصيب القطاع الخاص فى التجارة كما جاء فى الميثاق . وتحدث الرابع عن الطابع العلمى لاشتراكيتنا ، وارتباطها بالتراث الاشتراكى العالمى رغم انفرادها بسماتها القومية .

وانتهت الندوة . وخرج الاف الحاضرين أكثر حيرة وبلبلة مما كانوا. **فهل حقا تنفرد اشتراكيتنا، بخلاف سائر كل المدارس والاتجاهات فى التاريخ، بخاصية الغموض والتعقيد، بحيث يصعب توحيد فكر تنظيمها ودعاتها ، حول أسس واحدة تلتف حولها الجماهير؟. أم تختفى وراء هذه التفسيرات المتباينة عقليات تعبر عن طبقات مختلفة ،ومصالح مختلفة ، تسعى كل منها الى صياغة فكرنا الاشتراكى بما يحقق أهدافها ؟.**

ان ميثاق عملنا الوطنى ، وخطابات قائد الثورة فى عشرات المناسبات ، حددت بشكل واضح معالم طريقنا الاشتراكى .. فمن أين تأتى هذه البلبلة؟.

من هنا تأتى أولى مسئوليات الاتحاد الاشتراكى ، فوحدة فكرة يجب ان تكون مصدر ما نستهدفه من وضوح فى الفكر والهدف فى سائر الميادين ، فمع التسليم الكامل بحق الخلاف، وحرية الراى ، الا أن ممارسة هذا الحق يجب الا تتم على أنقاض حق الجماهير فى الوضوح ، وحق الثورة فى تعبئة هذه الجماهير وراء خطها الثورى الموحد .

ان مجال الخلاف يجب الا يكون مؤتمرات الشعب ، بعماله وفلاحيه ، أولئك الذين يحضرون بفرض الوضوح والفهم ، فهنا يجب أن يكون الالتزام . هنا يجب أن تكون رقابة صارمة تحول دون بلبلة الجماهير ، وتمنع اضطراب فكرها بما يسهل على القوى المعادية فرصة عزلها عن خطوات الثورة . فوحدة الفهم ، ووحدة اللغة التى تصل الجماهير من تنظيمها السياسى ، هى وحدها الاساس لوحدة حركة هذه الجماهير فى معركتها من اجل النصر .

ومن هذه البداية تنطلق قيادة الاتحاد الاشتراكى لسائر المجالات الاخرى. فتوحيد فكره ، وتفسيراته ، وخططه ، مقدمة ضرورية لانسجام سائر أجهزة المجتمع فى خط واحد .

ان التطور الثورى الذى نريده لمناهج تعليمنا ، والتطور الثورى الذى نريده لاجهزتنا الثقافية والاعلامية ، انما يحتاج الى قيادة الاتحاد الاشتراكى . فالمشكلة فى هذه الميادين كلها ليست مشكلة أكاديمية أو فنية ، انما هى بالدرجة الاولى

قضية فكرية وسياسية ، ومن ثم تحتاج الى القيادة الحاسمة لتنظيمنا السياسى لمواجهتها . والحركة التى تجرى الان فى مختلف هذه المجالات، واللجان العديدة المشكلة لاعادة التقييم والتحديد، تحتاج قوة دفع الثورة فى حياتها . فلا زلنا نذكر قضية اللجنة التى تشكلت منذ سنوات لاعادة تقييم تاريخنا القومى ، من كبار أساتذة التاريخ فى بلدنا ، ووقعت منذ البداية فى خلاف لم تستطع بسببه انجاز هدفها .

والاتحاد الاشتراكى اكثر من اى وقت مضى ، يحتاج الى تحقيق قيادته الفكرية والسياسية فوق كافة الاجهزة والمؤسسات المؤثرة فى حياة الجماهير الفكرية والمعنوية .

فمن المدرسة ، الى الجامعة ، الى المصنع والحقل والبيت ، الى سائر مجالات جماهيرنا بكافة فئاتها الثورية ، يجب ان يتحد الفهم ، والفكر ، والهدف، فلا تعبئة حقيقية فى ظل اجواء تسودها البلبلة . واذا اراد البعض تفسير هذه الوحدة الفكرية باعتبارها حجرا على حرية الراى او قيدا على حق الابداع ، فاننا نقول ان الوحدة لا تنفى الصراع، ولا تمنع حرية الخلاف والابداع. انما هى تحدد فقط طرق ممارسة هذه الحرية. بحيث لا تتم على حساب حق المجتمع فى تعبئة قواه من أجل الهدف .

فحرية الراى فى الجامعة يمكن ممارستها بطرق مختلفة . بشرط الا تتعارض مع حق المجتمع فى تكوين فكر أبنائه بروح الثورة ، وبحيث لا تتعارض مع تخريج الانسان الاشتراكى الثورى الموحد الفكر والشخصية . فلا حرية بلا مسئولية والتزام .

وحرية الابداع الفنى يستطيع أن يمارسها من يشاء فى حدود الفهم الواضح لقضايا المجتمع المعاصرة . وما دامت الدولة هى التى تنفق من مال الشعب على قطاعات الثقافة المختلفة ، فمن حقها أن تكون هذه الثقافة اداة لتطور المجتمع لا قيدا يشده الى الوراء .

وحرية المؤلف والمخرج السينمائى فى انتاج ما يريد من أفلام ، لابد وان تمارس فى حدود وعيه بأثر خلقه على جماهير الشعب . ونفس الامر ينطبق على كافة الاجهزة الاخرى ذات التأثير الحاسم فى مكونات الشعب الفكرية وقيمه الاجتماعية .

وعند ما نتحدث عن تكوين الانسان الاشتراكى، بكل ما يتصف به من مثل جديدة ، فيجب أن نعى تماما صعوبة هذه العملية . بيد ان نقطة البداية هى توفير المناخ الملائم لهذا التكوين . وحين تتوحد قوى المجتمع السياسية والفكرية والتعليمية والاعلامية فى خط واضح لتحقيق هذا الهدف ، فسوف نعجل بتحقيقها والتغلب على كل ما يعترضها من صعاب .

وقيادة الاتحاد الاشتراكى لكافة مجالات التأثير الفكرى والسياسى والثقافى ، بفكر واضح المعالم واجهزة ثورية جادة ، ستكون بداية طريق النصر الحقيقى فى هذا الميدان .

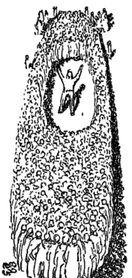
ان ضبابا كثيفا من بقايا الماضى لا يزال يخيم على حياتنا الفكرية والثقافية ، يحول دون الرؤية الصادقة لمعالم نضالنا الثورى .

ولان تجربتنا الاشتراكية انفردت بخاصة فريدة نادرة ، وهى انطلاق الثورة الاجتماعية قبل تكامل بنائها النظرى والثقافى ، وانضاج معالمها الفكرية فى بوتقة التجربة الثورية نفسها ، فان آثار هذه الحقيقة ستظل باقية الى أمد طويل .

وليس صدفة ما تعانيه تجربتنا الثورية من تطور غير متوازن فى مجالات حياتها ، فنبهر الانسانية بانتصاراتنا فى شتى الميادين الاقتصادية والسياسية ، ونثرى الفكر الاشتراكى العالمى بزاد جديد يسهم فى اعادة صياغة الكثير من قوانينه ، فى نفس الوقت الذى لا زال التنظيم السياسى للثورة يعيش مرحلة البناء .

وليس صدفة كذلك تلك المواقع الاساسية التى لا زال الفكر الرجعى يمثلها فى حياتنا الثقافية ، ويشيع من خلالها ابلغ الاضرار فى حركة الجماهير وانطلاقها . فهنا لا زالت الارض تحتاج الى الكثير من الجهد ، والصراع ، من اجل تناسق خطوطها مع أرض المجتمع الجديد وقيمه الصاعدة. هنا لا زال كل ما هو جديد ، وثورى فى حياتنا يشق طريقه عبر صخور عاتية ، ويعانى غربة فى أعماق وطنه الاصيل .

والاتحاد الاشتراكى هو القوة القادرة على تحقيق التطور المنشود. فالتاريخ معه ، والضرورة الاجتماعية والثورية لتكامل حياتنا الجديدة تعضد خطاه .



عبد الهادى ناصف كاتب هذا المقال هو واحد من المناضلين الذين يمارسون ايجابيا دورا قياديا فى محافظة السويس . فهو عضو المكتب التنفيذى للاتحاد الاشتراكى بالسويس . وخريج الدورة الاولى لمعهد الدراسات الاشتراكية المركزى بالقاهرة .

وفى هذا المقال يعالج عبد الهادى ناصف من خلال مفاهيمه ودراسته وممارسته العملية لتجربة السويس قضايا التوعية الاشتراكية أسلوبها ومضمونها ومشاكلها . ومن هنا فهو نوع من الشهادة الواقعية الدراسية « لواقع معين » ، يلتحم فيه « الخاص بالعام » « والجزء بالكل ».

أسلوب ومضمون التوعية الاشتراكية

من واقع « تجربة السويس »

عبد الهادى ناصف

فى هذه الفترة التى يجتاز فيها مجتمعنا مرحلة التحول من مجتمع راسمالى اقطاعى متخلف الى مجتمع اشتراكى متقدم ، ويقف على أعتاب مرحلة الانطلاق الى تدعيم البناء الاشتراكى والممارسة الديمقراطية بتزايد الاهتمام يوما بعد يوم ويتردد الحديث وتدور المناقشات حول الوعى الاشتراكى ، وتوعية وتعبئة الجماهير ، وبناء التنظيم السياسى وتحقيق الوحدة الفكرية ، وارساء القيم الاشتراكية والسلوك الاشتراكى ، ومواجهة القوى المضادة للثورة والتقدم ، والقضاء على التناقضات والرواسب المتخلفة من المجتمع القديم باعتبار هذه كلها مسائل اساسية وضرورية لبناء المجتمع الاشتراكي ومرتبطة فى نفس الوقت اشد الارتباط بقضايا التنمية الاقتصادية لهذا المجتمع مؤثرة فيها اشد التأثير .

وهذه المسائل قد تبدو للبعض ولاول وهلة ايسر تناولا واقرب منالا من مشاكل التنمية الاقتصادية، باعتبار ان الاخيرة تحتاج الى موارد وطاقات وخبرات يصعب توفرها ، بينما الاولى — فى وجهة نظر هذا البعض — لا تحتاج الا الى كلام وافكار . وما اكثر الكلام الذى يمكن ان يقال ، وما اكثر الافكار التى يمكن ان تطرح وتثار .

ولو اخذنا بمثل هذه النظرة الخاطئة الى قضايا التنمية الفكرية والتعبئة السياسية لجماهير الشعب لادى ذلك بالضرورة الى اتسام المحاولات التى نبذلها فى هذا المجال بالعفوية والسطحية والارتجال . وبالتالى الى التناقض الصارخ بين اسلوب التطبيق الاشتراكى ومنهج الدعوة التى نريد ان ندعم بها هذا التطبيق . فبينما نسلك فى التطبيق الاشتراكى اسلوبا علميا واضحا نجد ان الدعوة فى ظل هذا المفهوم تسلك طريقا ابعد ما يكون عن الاسلوب العلمى .

ولكى نوضح انفسنا اكثر نقول : انه كما يخضع النشاط الاقتصادى لتخطيط مركزى يحدد اهدافه فى ضوء الاحتياجات الفعلية للمجتمع والامكانيات المتاحة لتحقيق هذه الاهداف ، ويضع البرامج التفصيلية لبلوغ هذه الاهداف ، ويشترك مع المستويات المختلفة فى تحديد وتوفير الموارد والطاقات اللازمة للعمل ثم يترك لهذه المستويات مسئولية التنفيذ طبقا لظروفها وفى مرونة تسمح بالحركة السريعة الطليقة فى مواجهة احتمالات شتى لا يمكن ان تقع كلها فى اعتبار المستوى المركزى . وفى نفس الوقت تضمن الخطة وجود خطوط تواصل جيدة بين الاجهزة المركزية من جهة وبينها وبين قطاعات العمل المختلفة من جهة اخرى تكفل لنشاطاتها توافقية الحركة ولمجالاتها تكامل العمل .

كذلك ايضا لابد من ان تطبق على النشاط السياسى نفس القاعدة . اى ان يكون هناك تنظيم مركزى ذو كفاءة عالية يخطط لهذا النشاط ويحدد اهدافه الكبيرة فى ضوء الاحتياجات اللازمة لتعبئة قوى الجماهير وحشدها فى معركة النضال من اجل بناء الاشتراكية . ويعمل على اعداد « الكوادر » اللازمة لتنفيذ هذه الخطة ، ثم يترك لكل مستوى ان يحدد مجالات نشاطه والاساليب التى تناسب الظروف والبيئة ونوعية التحديات التى تقابله ، وهى تختلف من بلد لاخر ومن قطاع لقطاع آخر فى نفس البلد . وان تكون هناك دائما خطوط اتصال جيدة ومستمرة من التنظيمات المركزية وكافة التنظيمات على جميع المستويات تتحقق من خلالها وحدة الفكر حول القضايا الاساسية ، وتوافقية حركة بين الانشطة المختلفة وتكاملية العمل فى جميع قطاعاته وصولا الى الهدف الكبير .

العناصر الاساسية للتوعية الاشتراكية

لست انوى ، ولا ادعى لنفسى القدرة على ان ارصد فى هذا المقال جميع اهداف التطبيق الاشتراكى فى مجتمعنا وسبل الوصول اليها . والعقبات التى تعترض هذه السبل . ثم اضع مخططا شاملا لمنهج دعوة يطابق الاهداف ويوائم هذه السبل ويتغلب على ما يعترضها من عقبات . وانما سأقصر محاولتى على ابراز بعض العناصر الاساسية لمنهج علمى فى الدعوة مسترشدا بما فهمته من توجيهات القائد المناضل جمال عبدالناصر عن مفهوم العمل السياسى واسلوبه واهمية الوعى الاشتراكى لبناء المجتمع الاشتراكى ودور التنظيم السياسى فى هذا المجال — ومستعينا فى نفس الوقت بحصيلة بعض التجارب العملية . متناولا فى المراحل التالية من المقال بعض هذه العناصر بشىء من التفصيل .

العنصر الاول : ان عملية الدعوة لا يمكن ان تحقق الوعى للشعب العامل الا اذا تمت باسلوب عملى وبواسطة تنظيم سياسى ملتزم .

ورب سائل يتساءل : اى جدوى وراء هذا الحديث عن ضرورة بذل الجهود وتنظيمها من اجل التوعية وتعبئة الجماهير ؟ وماذا يستطيع التنظيم السياسى ان يفعل ؟ اليس يكفى ان صوت القائد جمال عبد الناصر وآراؤه وكلماته تصل الى كل فرد من هذا الشعب عن طريق الاذاعة والصحف والنشرات فتحدث فى نفسه من الاثر وتوقظ فيه من الوعى ما لا تستطيع ان تحدث بعضه كل هذه الجهود التى تريدون ان تحشدون ، والدعاة الذين تريدوا ان تجندون ؟ اليست منجزات الثورة فى جميع المجالات ماثلة حية فى واقع الناس وتحت اعينهم متصلة اشد الاتصال مؤثرة ابلغ الاثر فى حياتهم ؟ اى توعية اذن ابلغ من ذلك ، واى تعبئة بعد هذا الاجماع الرائع ؟

ونحن نوافق مثل هذا المتسائل ولا نختلف معه الا فى امر واحد ، هو مفهومه عن التوعية ومفهومنا لها . التوعية فى مفهومه هى ترديد لكلمات قائد الثورة لن يبلغ فى قوته واثره بعض ما تبلغه هذه الكلمات وهى تفيض من نبعها الاصيل مباشرة . اما التوعية فى مفهومنا فشىء مختلف تماما . انها ترجمة عملية لكلمات القائد ، وتعميق لما تعنيه بنقل مضمونها الى واقع حياتنا اليومية والمطابقة بينه وبين هذا الواقع ، ثم انها بعد ذلك تجميع لارادة العمل المنبعثة من وحى الايمان بهذه الكلمات وقيادتها فى حركة منسجمة واضحة الاتجاه بدلا من تركها تتبدد فى اتجاهات شتى ، اوتنغلق على نفسها فلا تتخطى مرحلة الانفعال الى مرحلة الاستجابة والعمل ، ثم هى بعد ذلك حفز للمبادرة الى الانطلاق على طريق الثورة اللامتناهى دفعا لعجلة التقدم بدلا من التعلق بها واللهث ورائها .

ومن هنا فانه لكى تتحقق للتوعيـة او الدعوة بمفهومها هذا الفعالية الكافيـة لابد وان نتم من خلال العمل اليومى لجماهير الشعب . ولكن من الذى يمكنه ان يقوم بها على هذا النحو ؟ من الذى يستطيع ان يقدر احتياجـاتها ؟ ومن الذى يخطط لها ويباشر تنفيذ ما خطط ويتابع نتائجه ويتعهد هذه النتائج بما ينميها ويثريها ويوسع نطاقها ؟ ومن الذى يستطيع ان يرصد التيارات المضادة ويقاومها ؟ من يستطيع ذلك كله او بعضه او اكثر منه غير تنظيم سياسى ملتزم ممتد الخلايا والجذور فى كيان المجتمع كله ملتحمة كوادره بجماهيره ، منتشرة فى قلب المواقع ذات التأثير الحيوى فى بنائه وحركته .

العنصر الثانى : انه لابد ان تتوافر فى القائمين بهذه الدعوه شروط خاصة لضـمان قدرتهم على القيام باعبائها .

لو كانت الدعوة هنا قاصرة على مجرد التحميس والاثارة الوقتية وكان ميدانها الجموع المحتشـده فى سرادق لكان اختيار الدعاة الصالحين لمثل هذا الموقف سهلا يسـيرا . واذن لاخترنا من الدعاة امكنهم لناصية الكلام وافخمهم عبـارة واجهرهم صوتا فى مواجهة مثل هذه الحشود . ولكن الامر هنا يختلف . والدعوة هنا دعوة وقيادة فى نفس الوقت . واسلوبها ليس الخطب الرنانة . ومجالها بعيد عن الجموع الحاشدة والسرادقات المكتظة . انه **المعايشة الدائمة للجماهير العاملة والتفاعل التام معها ، وحفزها الى المبادرة الثورية ، ورصد** حركتها وتجميعها ثم قيادتها فى الاتجاه الصحيح . ومن ثم فلابد ان تتوفر هذه المقومات فى الداعية .

العنصر الثالث : ان لكل اقليم بل لكل قطاع من القطاعات الجمـاهيرية فى البلد الواحد سـماته المتميزة وظروفه الموضوعية الخاصة التى لابد ان توضع فى الاعتبار عند وضع البرامج التفصـيلية للعمل واختيار اسلوبه ومجالاته .

بالرغم من اتفاقنا على وحدة الاهداف البعيدة للعمل ، واصرارنا على توحيد مفاهيمـه ووحدة الخطوط العريضة لاسلوبه ومجالاته ، الا انه من الضرورى عند وضع البرامج التفصيلية للعمل ان نراعى الظروف الخاصة بكل موقع والعـوامل المؤثرة فيه والتى تختلف من قطاع لقطاع وبين موقع وآخر فى نفس القطاع .

سنجد اختلافا اساسيا فى ظروف العمل ومجالاته بين القطاع الصـناعى والقطـاع الزراعى ثم اختلافات متنوعة داخل كل قطاع من القطاعين .

سنجد اختلافا فى القطاع الريفى بين اقليم يطبق فعلا نظام التجميع الزراعى واقليم آخر لا يطبقه .

وسنجد اختلافا بين قرية حقق النظام التعاونى فيها كفاءة وتقدما ممتازا وبين قرية اخرى يتعثر فيها هذا النظام وتسيطر عليه عناصر مسـتغلة ومنحرفة .

وسنجد اختلافا بين قرية كانت قبضة الاقطاع تعتصرها بعنف بالغ القسـوة وبين قرية لم تكن قبضة الاقطاع عليها بنفس القوة .

سنجد اختلافا بين قرية او منطقة لا زالت قيم العصبية والقبلية تسيطر على علاقاتها بدرجة او باخرى وبين قرية او منطقة لا تشكل مثل هذه القيم فى علاقاتها وجودا محسوسا .

سنجد اختلافا بين قرية او منطقة اقترب فيها الجهاز التنفيذى من مستوى المسـئولية الثورية وقرية او منطقة لا زال الجهاز التنفيذى فيها متخلف وابعد ما يكون عن مستوى هذه المسئولية .

وسنجد اختـلافا بين كل قرية واخرى تبعـا لاختلاف مستوى انتشار التعليم فيها ، وتنوع مراكز الثقل فيها ، ومدى قربها او بعدها عن المدينـة ، ونوعية المشاكل التى تواجهها ، ومستوى الدخل ، ونسبة الاستفادة المباشرة من التحول الاشتراكى ، والفكرية السائدة فيها ، الى غير ذلك من نواحى الاختلاف .

وسنجد فى قطاع الصناعة اختلافا اشد تنوعا وتشابكا وتعقيدا .

سنجد اختلافا بين صناعة مسـتقرة واخرى نامية وثالثة مستحدثة . واختلافا بين كل صناعة تبعا لظروفها وطبيعة العمل فيها .

وسنجد اختلافات بين كل مصنع فى الصناعة الواحدة تبعـا لموقعه وهل هو فى وسـط الريف او على مشارف الصحراء او فى وسطها ، او فى قلب المدينة او ضواحيها ؟ وهل تتبعه مسـاكن خاصة بالعاملين فيه او انهم يعيشون وسط القرية او المدينة ؟ وهل هذه المدينة ساحلية ام داخلية ؟ هل هى صغيرة ام كبيرة ؟ وما هى طبيعة التركيب الاجتماعى لسكانها ؟ وهل تنمو ذاتيا ام انها منطقة جذب تشكل الهجرة العامل الاساسى فى نموها ؟

وسنجد اختلافات فى المنطقة الواحدة بين مصنع وآخر من نواح كثيرة ، منها طبيعة العمل ، ونوعية العلاقات ، والتركيب المهنى للعاملين ، ومستوى الادارة والقيادات المنتخبة والعلاقات بينهمـا ، ومستوى الاجور والخدمات ، والقوى ذات التأثير ، والمناخ النفسى العام ، والفكرية السـائدة بين العاملين ، وتاريخ المصنع ، ونوعية الصراعات

التى تعرض لها فى الماضى ، والصراعات التى لازالت قائمة فيه ، ومدى التطور الذى طرأ على هـذه العوامل فى ظل التحول الاشتراكى ، والمشاكل التى لا يزال يواجهها سواء فيما يتعلق بالانتاج او بالعلاقات او بالخـدمات ، وسـواء كانت هـذه المشاكل مترسبة من الماضى ام مستحدثة . وغير ذلك من الاختلافات الفرعية التى يصعب حصرها فى نطاق هذا المقال .

من هنا تبرز ضرورة تنوع اساليب العمل تبعا لاختلاف السمات الاساسيه والظروف الموضوعية لكل موقع ، وان تكون نقطة البدء فيه هى التقدير السليم للموقف بالنسبة لكل موقع صغيرا كان ام كبيرا ، وان تدخل فى هذا التقدير جميع الاعتبارات التى اشرنا اليها . ثم يتحدد اسلوب للعمل يتلائم مع هذه الظروف ويوصل فى نفس الوقت الى الهدف المنشود .

العنصر الرابع : ان تلتحم معركة الدعوة بمعركة البناء بحيث تطابقها فى كلياتها وجزئياتها .

ومعنى ذلك ان العمل فى المصـنع والحقـل والمدرسه والمستشفى والمكتب وغيرها من المناشط والمرافق يجب ان يكتسب مضمونا سياسيا هدفه ان يتحقق توحد العاملين فيه مع البعد الاجتماعى لعملهم . ويتم هذا فى رايى بثلاثة اشياء رئيسية يكمل بعضها بعضا :

● ان يلم كل مشترك فى هذا العمل بالمعلومات الاساسيه عن المشروع او المرفق الذى يعمل به ، وان يشعر بأهمية دوره هو فى هذا العمل ، والاثر المباشر للمشروع بالنسبة لهولبيئته المحلية واهميته بالنسبة للمجتمع .

● أن يحقق نظام العمل واسلوبه اشراك كل عامل بالراى والمسئولية كل فى المستوى الذى يعمل فيه ، وان تطرح المشاكل الخاصة بالعمل للمناقشة بين العاملين بغية خلق راى عام بينهم حول هذه المشاكل وايجاد الحلول الملائمة لها ، وبشكل يشعر الجميع بأنهم مشاركون فى تقرير هذه الحلول ومن ثم فانهم ملتزمون بتنفيذها .

● ان تكون هناك عملية تثقيف سياسى مستمرة للعاملين بالاسـلوب الذى يلائم كل موقع وكل جماعة

وعى الشعب العـامل

حماية للنظام الاشتراكى

لكى يكمل البناء الثورى لمجتمعنا الاشـتراكى لابد ان تستمر الثورة . ولا يكفى لاستمرار الثورة ان تكون السلطة فى يد القيادة الثورية . وانمـا لابد من ان تحمل عبء البناء ومسئوليته كل القوى الاجتماعية المستفيدة من الثورة الاشتراكية . ولكى تستطيع هذه القـوى ان تؤدى دورها وتتحمـل مسئولياتها كاملة ينبغى ان تتوفر لها ثلاثة امور :

● ايمان لا يداخله شك بالاشتراكية كحل لا بديل له للقضاء على مشاكل التخلف السـياسى والاقتصادى والاجتماعى .. حل يحتمه تطورنا التاريخى وتفرضه الظروف الموضوعية لواقعنا الثورى ، وتباركه عقائدنا الروحية التى ترفض استغلال الانسان .

● وضوح فى رؤية اهداف البناء الاشـتراكى للمجتمع ، واستبصار واع بالطريق الموصل اليه بكل معالمه وابعاده ومراحله وما يعترضـه من عقبات وما يحف به من مكاره وما يتربص بنا فى منحنياته من قوى معادية تبذل كل جهدها لتصدنا عن هذا الطريق او تحولنا عنه او على الاقل توقف تقدمنا عند مرحلة من مراحلـه . ووعى كل فرد بموقعه من معركة بناء الاشتراكية ودوره فيها ، ثم تصميمه بالعمل على اداء هذا الدور كاملا .

● تنظيم يضم العناصر القيـادية ، المؤمنة ، الملتزمة ، الواعية ويربطها بالجماهير العريضـة لتستطيع من خلال التحامها بها وتفاعلها معا ، ان تقود حركتها فى الاتجاه الواضح السليم سـعيا منصلا وتقدما دائبا على طريق البناء الاشتراكى الديمقراطى للمجتمع ، ونسـفا لما يعترض هذا السعى من عقبات ، وسحقا لما يحف بطريقه من اوكار الرجعية ، والخيانة والانتهازية .

من اجل ذلك برزت اهمية العمل السـياسى كقوه حافزة ومنظمة ودافعة لعملية البناء الاشتراكى الديموقراطى فى كافة مجالاتها . وقد عبر المناضل جمال عبد الناصر عن هذه الاهمية فى حديثه للهيئة البرلمانيه للاتحاد الاشتراكى فى ١٦ مايو سـنة ١٩٦٥ فى عبارات واضحة قوية نذكر منهـا على سبيل المثال :

((لابد ان نحل المتناقضات اللى بتقابلنا بالعمل السياسى مش بالحكومة))

((قوة النظام الاشتراكى بتقرر بعدة عوامل : بضرورته الاقتصادية وبروابطه الوثيقة مع المصالح الاجتماعية والاقتصاديه للشعب العامل ، وبوعى الشعب العامل لهذه الحقائق الاساسية .. بدون وعى الشعب العامل لهذه الحقائق الاساسية لا يمكن ان يكون النظام الاشتراكى نظام قوى ..

وعى الشـــعب العامل هو الذى يحمى النظـــام الاشتراكى »

« قد نســـتطيع ان نتغلب على هـــذا النقص بالوسائل الادارية ونقول ان دى وســـائل ادارية ثورية ولكن اعتقد ان مرحلة الوســـائل الادارية الثورية انتهت ، ولابد ان نعتمد على الوعى الكامل للشعب العـــامل ولابد ان نعتمـــد على العمـــل السياسى لا العمل الادارى ، ولا يمكن ان يتحقق هذا الا بالتنظيم السياسى بواســـطة الاتحـــاد الاشتراكى »

« يجب ان ننظم القوى الاشتراكية الثورية فى كادر سياسى او تنظيم ســـياسى داخل الاتحـــاد الاشتراكى »

« هناك اهمية كبرى للوعى الاشتراكى للشعب العامل او لقوى الشعب العاملة . ان تستطيع ان تحقق هـــذا الوعى الا بالاتحاد الاشتـــراكى وبتنظيم الاتحاد الاشتراكى »

« عدم تنظيم القوى الاشتراكية معناه ان القوى الرجعية تستطيع ان تستقطب جزءا من الشعب العـــامل ... جزء من العمـــال ... جزء من الفلاحين ... جزء من الناس اللى مصـــالحهم الحقيقية مع الاشتراكية »

وقد اجملت هذه العبارات قضـــية العمـــل السياسى واهميته التى يتزايد الاحساس بها يوما بعد يوم وكانت فى الفترة الاخيرة محورا لنشـــاط متعدد الجوانب . وقد برزت من خلال هذا النشـــاط عدة قضايا دار حولها نقاش كثير :

كيف يتحقق الوعى الكامل للشعب العامل ؟

وما هو مضمون هذا الوعى ؟

وما دور التنظيم السياسى فى كل هذا ؟

وما هى القوى الاشتراكية الثورية التى لابد ان ننتظم فيـــه ؟

وكيف نعبىء الجماهير للعمل الاشتراكى ؟

وما هى القوى الرجعيـــة وكيف تســـتفيد من التناقضات والرواسب ؟

وما هى هذه التناقضـــات والرواسب ؟ وكيف تلعب دورها المعوق للتقدم ؟

وغير ذلك من التساؤلات المتفرعة عن قضـــية العمل السياسى ، والتى قد توهمنا اننا امام عدة قضايا قائمة بذاتها ، مع ان الواقع هو اننا امام قضية واحده متعددة العناصر . وهذه العناصر على تعددها منصلة مشابكة متكاملة بحيث يمكن ان نجمل كل ما يدور حولها من تساؤلات فى سؤال واحد هو :

كيف يمكن ان يتوحد الشعب وجدانياً وفكريا مع اهداف البناء الاشتراكى الديموقراطى ليكون له من هذا التوحد قوة دافعة للعمل على اتمام هذا البناء وتحقيق اهدافه ؟

وسأحاول على قدر الاستطاعة ان اسهم ولو بنصيب متواضع فى مناقشة هذه القضية بعرض مختصر لما اتصوره من اجابات على ما تطرحه من تساؤلات ، حريصا فى نفس الوقت على المطابقة بين القياس العملى والمفهوم النظرى .

مفهوم الوعى الاشتراكى
ودوره فى بناء الاشتراكية

اعتقد ان ما قلناه حتى الان فى تعريف الوعى سليم من الناحية النظرية .. ولكن ما هو القياس العملى الذى نستطيع ان نقيم به هذا الوعى ؟

لقد راينا فى احدى العبارات التى اوردناها من حديث المناضل جمال عبـــد الناصر الى الهيئـــة البرلمانيـــة تاكيـــدا على ضروره **تحقيق الوعى الاشتراكى الكامل للشعب العامل** . وهذه العبارة تعطينا تصويرا دقيقا لحقيقة الموقف الذى نواجهه فلا جدال فى انه قد تحققت بالفعل لقوى الشعب العامل درجة من الوعى مكنته من استرداد ارادته والعمل على تغيير واقعه بما يتفق مع مصالحه . ولكن ما هى نواحى القصور فى هذا الوعى التى لابد من ان يستكمل ليتمكن الشـــعب العامل من الاستمرار فى الثورة واتمام البناء الثورى للمجتمع ؟

فى رايى ان نواحى القصور الرئيســـية تتمثل فيما يلى :

● هناك عناصر قيادية مؤمنة واعية متحركة لا زالت تعانى من قصور فى ادراك المفهوم الحقيقى للقياده . كما انها تفتقر الى حد ما الى وحدة فكر فيما بينها .

● هناك عناصر مؤمنة واعية نشطة ومتحركة ولكن حركتهـا تفتقر الى الربط والتجميع الذى يكسبها الفعالية الكاملة .

● هناك عناصر مؤمنة واعية تريد ان تتحرك ولكنها لا تجد المجال الكافى لحركتها .

● هناك عناصر مؤمنة واعية ولكن ينقصـها التصور الكامل لعملية التحول الاشتراكى بأبعادها المختلفة ولدورها فى هذه العملية .

● هناك عناصر مؤمنة بالاشتراكية ولكن يشوب هذا الايمان كثير من المفاهيم الخاطئة .

● هناك عناصر مستفيدة من الاشتراكية ولكن ايمانهـا مهتز نتيجة قصـور فى ادراك الروابط الحقيقية بين النظام الاشتراكى ومصـالحها . وبالتالى قصور عن ادراك دورها وواجبها ، ومن ثم فانها تقف موقفا سلبيا من عمليـة التحـول الاشـتراكى .

● هناك عناصر مسـتفيدة من الاشـتراكية اساسا . ولكنها تقف منها موقف المتشكك تأثرا بما تشيعه القوى المضادة للاشتراكية من اتهـام لاشتراكيتنا بالشيوعية والالحاد .

● هناك عناصر من قوى الشـعب العامل لا زالت متأثرة بحدة الاحساسات الطبقيـة لدرجة تعوق تفاعلها مع باقى الفئات فى اطار تحـالف قوى الشعب العاملة .

● لا زالت رواسب العلاقات والقيم المتخلفة من المجتمع الطبقى ــ خصوصا فى مجـال العلاقات الانتاجية . تفرض وجودها بدرجات متفاوتة على جميع الفئات التى اشرنا اليها .

هذه هى نواحى القصور الرئيسية التى لابد من تلافيها حتى يتحقق ما اسماه المناضـل جمـال عبد الناصر بالوعى الاشتراكى الكامل للشـعب العامل ، والسؤال الان هو من الذى يقوم بهـذا العمل الضخم ؟ والاجابة على السؤال من واقع **الميثاق** هى ان الذى يقوم بهذا العمـل « جهـاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ، ويبلور الحوافز الثورية للجمـاهير ويتحسـس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات . ولكن **كيف ؟**

أساليب ومجالات الدعوة الجماهيرية

ان هنـاك اسـاليب عديدة فى نشر الدعوة الجماهيرية . وغنى عن الذكر ان هذه الاساليب من صميم عمل التنظيم . اى ان التنظيم السياسى هو الذى يجب ان يخطط لها ويشرف على تنفيذها ، اما بواسطة اعضائه مباشرة او عن طريق الاستعانة بالاشخاص والاجهزة والوسـائل القـادرة على القيام بها وسأعتمد فى هذه الناحية اساسا على تقديم بعض النماذج لتجارب طبقناها فى **محافظة السويس** .

اولا ــ التوعية المنهجية

ونعنى بها التوعية بواسـطة برامج التثقيف السياسى . وهذه البرامج تبثت فعاليتها فى التكوين الفكرى والنضـالى لكثير من الافراد وبرزت من خلالها عناصر قياديه واعيه . ويجب ان تعمم هذه البرامج على كافة المستويات فينشأ فى كل محافظة معهد للدراسات الاشتراكيه وتطور برامج الثقافة العمالية بحيث تصبح برامج للتثقيف السياسى فى المقـام الاول ، وان تكون هنـاك برامج للاداره الاشتراكية تتولى تدريب القادة الاداريين فى المصالح والمؤسسات سياسيا . وبديهى ان الشـباب فى المدارس والمصانع والحقول يجب ان توجه عناية خاصة لتربيته سياسيا ونضاليا حتى تنشـا منه اجيال لها من الصلابة والوعى والثورية ما يؤهلها لحمل مسئولية قيادة الثـوره فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية .

واهم ما يجب مراعاته فى برامج التثقيف المختلفة هو ضمان **وحدة المفاهيم الاساسية** فى هذه البرامج كلها ، مهما اختلفت من حيث الحجم والفترة الزمنية المحددة لها وغير **ذلك** من الاختلافات فى التفاصيل . ففى **السويس** مثلا معهد عام للدراسات الاشتراكية ومعهد اشتراكى للقيادات العمالية ، ومعهد ثالث للقيادات الطلابية ودورات تنفذ فى المنطقة الريفية ، وبرامج تنفذ فى كثير من مدارس المرحلة الثانوية . وكل هذه البرامج على اختلافها فى التفاصيل تبعا لاختلاف ظروفها تلتقى جميعها فى وحدة فكرية حول المفاهيم الاساسية وهى الان تستمد مناهجها من منهج المعهد العالى للدراسات الاشتراكية .

ثانيا ــ التوعية بواسطة الحلقات النقاشية

بدانا بتطبيق هذه التجربة فى السويس . وقد حققت من النجاح ما شجعنا على التوسع فيها . ووضعنا فعلا خطة لنشرها حتى تغطى القاعدة الجماهيرية فى المحافظة وجندنا لها خريجى معهـد الدراسات الاشتراكية بالسويس ولجان الدعوة والفكر بوحدات الاتحاد الاشتراكى .

وهذه الحلقات تضم عددا محدودا من الافراد الذين يعملون فى مكان واحد ، او يسكنون فى نفس الحى ، او يشتركون فى نشاط جماهيرى واحد . وتطرح فى هذه الحلقات موضوعات سياسية عامة او مشكلة من المشاكل التى تهم المجتمعين بوجه خاص ويدور حولها حوار مفتوح يتناولها من جميع الجوانب وتنتهى فى اغلب الاحوال بفكر موحد حول القضية المطروحة . ولا تقتصر فائدة مثل هذه الحلقات على تحقيق وحدة الفكر ، بل انها ايضا تربط القاعدة الجماهيرية بالاتحاد الاشتراكى وتعتبر فى نفس الوقت تدريبا عمليا للجماهير والقيادات على ديموقراطية المناقشة والاسلوب العلمى فى التفكير .

ثالثا ــ التوعية بواسطة الندوات العامة

هذا اللون من الاجتماعات اكبر حجما ويختلف فى اسلوبه عن الحلقات النقاشية . ونستخدم هنا فى **السويس** نوعين رئيسيين من هذه الندوات :

● لقاءات مفتوحة ينظمها الاتحاد الاشتراكى فى الاحياء الشعبية والقرى ، يحضرها المحافظ ورؤساء المصالح التنفيذية ليسمعوا من الجماهير ويناقشوا مشاكلهم . ويشترك الجميع فى تقرير الحلول الملائمة لهذه المشاكل . كما لا تخلو هذه الندوات من تعبئة سياسية حول قضايا الساعة الى جانب نوعية دينية مستنيرة خصوصا فى شهر رمضان الذى تكثر فيه هذه الندوات بنوع خاص .

وقد نجحت هذه الندوات الى جانب حل المشاكل والتعبئة السياسية فى تحطيم الحواجز التقليدية التى كانت تحجب اجهزة السلطة التنفيذية عن الشعب . واعطت الجماهير مضمونا حقيقيا لشعار من شعارات المجتمع الاشتراكى هو ان السلطة فى خدمة الشعب .

● ندوات مفتوحة ايضا تتناول القضايا الهامة التى تشغل اذهان الجماهير . وقد اثبتت هذه الندوات ان **المنافسة الحرة والفكر المفتوح كفيلان** بقتل الافكار الخاطئة التى لا تستطيع ان تصمد **للفكرة السليمة فى معركة مفتوحة** . بل اكثر من هذا فكثيرا ما يحدث من خلال المناقشة ان يدرك صاحب الفكرة الخاطئة انه بنى قضيته على تصور لا سند له من حقيقة او واقع فيتنازل عن فكرته ويعلن فى شجاعة اقتناعه بالفكرة السليمة وتقبله لها . واحب ان اقدم هنا نموذجا لما حدث فى احدى هذه الندوات حول مشكلة من اخطر المشاكل التى نواجهها الان وهى مشكلة تنظيم الاسرة .

حدث خلال شهر رمضان المبارك من هذا العام ان وفد على المدينة شيخ كبير ، والقى خطبة الجمعة بمسجد من اكبر مساجدها واتمها بدرس بعد الصلاة وقال ــ سامحه الله ــ كلاما فهم منه الناس ان تنظيم النسل « حرام » لا يقره الدين. وكان لحديث الشيخ صدى تجاوزت معه ارجاء المدينة لدرجة ان بعض المصلين خرج من المسجد الى بيته لياخذ حبوب منع الحمل فيقذف بها من النافذة او يلقيها فى صندوق القمامة .

وتحرك الاتحاد الاشتراكى على الفور لاستطلاع آراء ائمة المدينة ووعاظها فيما قاله الشيخ فوجدنا بعضهم مؤيدا لما قال ، والبعض الاخر معارضا له . فقررنا ان نجمع المؤيدين والمعارضين فى ندوة عامة مفتوحة حضرها عدد كبير من ابناء المدينة .

وبدا الحوار بين الراى القائل بمشروعية تنظيم النسل بل بوجوبه عندما تدعو مصلحة الاسرة والمجتمع الى مثل هذا التنظيم . وقدم اصحاب هذا الراى من نصوص القرآن الكريم والاحاديث الشريفة والوقائع الثابتة وشروح الائمة الكبار من الامام الاعظم ابى حنيفة الى الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت ، ومن المنطق السليم والحجة القوية ما يدعم صواب رايهم . بينما قدم اصحاب الراى القائل بان التنظيم حرام ادلة ونصوصا ظهر بوضوح انها لا صلة لها بموضوع التنظيم ، وانما منصبة على قتل النفس و (تحديد) النسل بمعنى قطعه نهائيا . وبعد اخذ ورد ومناقشة استمرت ساعتين ونصف الساعة ظهر ان السادة القائلين بالتحريم بنوا رايهم على تصور خاطىء هو ان الحكومة قد اعتنقت (عقيدة تحديد النسل) وانها بصدد اصدار قانون تفرض به على الناس فرضا انقطاع نسلهم عند حد معين سينص عليه فى القانون المزعوم . فلما ادركوا ان ما توهموه ما هو الا حديث خرافة ، وان القضية اولا قضية تنظيم لا تحديد ، وانها ثانية متروكة لارادة كل فرد واقتناعه ، سلموا جميعا بان هذا حلال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وخرجوا من الندوة وقد عقدوا فيما بينهم ميثاقا على ان يحملوا للناس هذا المفهوم الصحيح لتنظيم الاسرة .

رابعا ــ التوعية عن طريق الكلمة المطبوعة

يدور هذا اللون من الوان التوعية حول نشرة «الاشتراكى» التى تصدرها الامانة العامة ونشرة «المناضل» التى يصدرها الاتحاد الاشتراكى بالسويس . والاسلوب الذى اتبعناه فى دراسة هاتين النشرتين اسلوب يغلب عليه الطابع التنظيمى ويتلخص فيما يلى :

● فى يوم الاثنين التالى لصدور نشرة «الاشتراكى» يعقد اجتماع لمقررى الدعوة والفكر

فى لجان الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة وعددها ٥٨ لجنـــة .

● يناقش فى الاجتماعات أهم ماورد فى تقارير اللجان عن اتجاهات الرأى العام فى القـــاعدة من واقع اتصالها بها .

● يناقش ما جاء بتقارير اللجان عن تقييمها للعدد السابق من النشرة وماخرجت به من دراسة بعض موضوعاته ومناقشتها على مستوى لجنة العشرين وعلى مستوى القـــاعده .

● تتم عملية تثقيف ذاتى عن طريق طرح احد الموضوعات السياسية للمناقشة .

● توزع نســـخ العـــدد الجـــديد من نشرة « الاشتراكى» والعدد الجديد مننشره «المناضل»

ويتم مثل هذا الاجتماع على مستوى الاقسام مرة كل شهر ويضم جميع اعضـــاء لجان الدعوة والفكر فى اللجان التابعه للقســم ، وعلى نفس النمط تقريبا .

قوى التناقضات والرواسب

احس انى قـــد اطلت الحديث عن الجـــوانب الايجابية فى معركة تحقيق «الوعى الاشـــتراكى الكامل للشعب العـــامل» حتى خشيت ان يظن القـــارىء ان الطريق الى هذا الهـــدف مفروش بالورود . الا ان واجبى نحو الحقيقة يفرض على عرض بعض الجـــوانب السلبية والمعوقات التى تعترض هذا الطريق .

وقد كنت اود ان يتسع المجال لعرض القوى المضادة للثوره وتحليلها وكشف مخططاتها ، ولكن هذا موضوع يطول شرحه ، ولذا سأكتفى بعرض لبعض التناقضات والرواسب التى تفيد منها هذه القـــوى لتحقيق اتجاهاتها وضرب قوى الثـــورة وتعويق تقدمها .

وقد يبـــدو غريبـــا بعض الشىء ان تســـمى التناقضات والرواسب بانها «قـــوى» فالمألوف عند التحدث عن اى «قوى» انها قوى ذات وجود مادى متميز بمعنى انهـــا قوى ايجابيـــة وراءها « عقل » يدبر و « اراده» تعمل وقدرات معينـــة تستخدم وسائل معينة فى تحقيق اهدافها . ولكن قوى التناقضات والرواسب التى نتحدث عنهاهى فى الواقع قوى سالبة لا يبرز لها وجـــود الا من خلال عمل ايجابى ـــ فان كان هذا العمل الايجابى موافقا فى «طبيعته» لطبيعتها استطاع ان يستقطبها فتتحول الى قوى ايجابية تعمل فى اتجاهه ، وان كان متنافرا معها حولها ايضا الى قوى ايجابيـــة تعمل فى اتجاه مضاد له .

وعلى هـــذا فاننا نســـتطيع ان نقـــول عن التناقضات والرواسب انها «قوى حليفه» للقوى المضادة للثورة بقدر ما هى «قوى معوقة» للعمل الثـــورى .

ونستطيع ان نقرب بعض الامثلة على هـــذه التناقضات والرواسب منحيث انهاعامل مساعد للقوى المضاده للثورة وعامل تعويق للعمل الثورى وحوافز تشكل عقبات فى طـــريق تحقيق «الوعى الاشتراكى الكامل للشعب العامل» .

اولا ـــ هنـــاك مثلا شعور العداء التقليـــدى للسلطه . الذى ترسب فى ضمير الشعب خـــلال قرون واجيال حكم فيها بواسطه اعدائه . وكانت اجهزه الحكومه هى سياط القهر التى تنهبطهره والعول الذى يجتـــم على انفاســـه . والقـــوى المتسلطه الباغيه التى تسىء معـــاملته وتتعالى عليه وتنهب نتاج عمله . هذا الشعور لم يتبـــدد تماما ـــ صحيح ان الشعب مقتنع بان الســـلطة التنفيذية العليا ممثلة فى القياده الثورية لا تكن له عداء وهو بدوره لا يكن لها هذا العداء ، ولكنـــه لا يزال يحس بان بينه وبين هذه السلطة العليـــا حجبا وحواجز ممتله فى جميع مستويات السلطة التنفيذية التى تقع على طول المسافه بينه وبينها خصوصا وانه لا يحس احساسا حقيقيا بمشاركته الفعلية فيما يتخذ من قرارات حتى ولو كانت متخذة بواسطة أجهزة ديموقراطية منتخبة . ولذا فانه يقابل كل اجراء جديد بريبة وحذر ما لم تكن فائدته العاجلة منه واضحة ومباشرة .

ويساعد على تثبيت هذه الرواسب ان الاجهزة التنفيذية فى المستوى الذى يحتك به مباشرة لازالت على درجة كبيرة من التخلف الفـــكرى وما زالت اساليبها قريبة جدا من الاساليب القديمة . ولعل أبلغ دليل على فقدان الجماهير لثقتها بهذه الاجهزة هو آلاف الشكاوى والطلبات التى يرسلهاأصحابها يوميا الى الرئيس مباشرة .

ومثل هذا الشعور يجعل الجماهير مهيأة نفسيا لسماع كل ما يشاع عن أجهزة السلطة والافراد الذين يشغلونها وينعكس على النظام كله والميل الى تصديقه والتأثر به .

ثانيا ـــ اضطراب مفهوم الملكية العامة فى أذهان نسبة كبيرة من المواطنين . ويبرز هذا الاضطراب فى صورتين متناقضتين : فتبدو الصورة الاولى فى

النظرة الانانية الضيقة للمالك الشحيح المتطلع دائما الى دخل متزايد ، الضنين دائما بالتكاليف ، حتى ولو كان انفاقها فى مشروعات ستكفل فى المدى البعيد الحماية والنمو والازدهار للملكيته . اما الصورة الثانية فتبدو فى نظره انانية ضيقة ايضا ولكنها فى هذه المرة نظرة الوريث القاصر الذى ينظر الى الاجهزة القائمة على ادارة ثروته وحمايتها وتنميتها نظرته الى « وصى » مقتر متسلط يفرض عليه من القيود ما يحول بينه وبين « حقه » فى « الاستمتاع الغير محدود » بهذه الثروة .

ومن اجتماع هاتين الصورتين فى اطار النظرة الى مفهوم الملكية العامة تبرز عدة ظواهر سلوكية تلتقى دون وعى مع اهداف ومخططات القوى المعادية للثورة يمكن أن نورد منها على سبيل المثال الظواهر الاتية :

● النظر الى تكاليف « الحماية الثورية » الماثلة فى محاربة الاستعمار ومساعدة حركات التحرر فى الوطن العربى وفى القارة الافريقية على انها « فاقد » بدون « عائد » .

● الضيق بقيود الاستهلاك التى حتمتها خطة التنمية الاقتصادية فى مرحلة التحول وما تقتضيه من توجيه استثمارات كبيرة الى المشروعات البعيدة المدى .

● سعى الافراد والجماعات فى المطالبة بمزيد من المكاسب والامتيازات،دون نظر الى ما يقدمونه فعلا من عمل مقابل هذه المطالب او الى امكانيات تحقيقها من وجهة نظر الصالح العام .

فاذا ما ركزت القوى المعادية للثورة دعاياتها على معركة اليمن وتكاليفها ومساعدتنا من قبل لثورة الجزائر وثورة العراق ومن بعد ثورة الكونغو وثورة الجنوب العربى الى جانب التركيز على نقص بعض السلع الاستهلاكية وحملات الادخار — وجدت من هذه الاضطراب فى مفهوم الملكية العامة وما ينتج عنه من ظواهر سلوكية ، بؤرة صالحة لاستقبال نغماتها وترديد صداها .

ثالثا — هناك راسبة فكرية من اخطر الرواسب التى تهدد العمل الثورى وتعوق انطلاقه بما يتولد عنها من انحرافات فى التفكير والسلوك يمكن أن نضعها تحت عنوان «الهروب من الواقع». فخلال قرون طويلة من السيطرة والقهر وجد الشعب فى الاعتقاد بأن كل ما يقع عليه انما هو من قبيل القدر المحتوم الذى لا سبيل لرده ، مرفأ يلوذ به من آلام واقعه . وبدلا من مواجهة هذا الواقع بايجابية تستهدف تغييره اخذ يتلمس المنافذ للهروب من هذا الواقع بانماط من التفكير والسلوك اصبحت بالنسبة اليه معارج يرتفع عليها بخياله الى عوالم من الوهم يحس فى رحابها بألوان من « السعادة » تعوضه عما يلاقيه فى عالم الواقع من متاعب ربما يستشعره من احساسات بالتعاسة والضياع والهوان . ويمكن ان نضرب بعض الامثلة على هذه الانماط من التفكير والسلوك بالنماذج الاتية :

● انصراف عن الجوهر الاصيل للاديان السماوية التى تجعل من « سعى » الانسان و «عمله» و «جهاده» المصداق الوحيد «لايمانه» و « الميزان » الوحيد العادل « لجزائه » فى الدنيا والآخرة ، واعمال الفكر فى آيات الله الماثلة فى خلقه واكتشاف «القوانين» التى تحكمها وتسيرها فى نظام دقيق يدل على حكمة الخالق وقدرته هو طريق تحقيق « الصلة » به سبحانه وتعالى — الانصراف عن هذا الجوهر الى فرق الشعوذة حيث يصبح السعى « فناء » فى الشيخ والجزاء متوقف على « بركاته » والتشنجات الهستيرية المؤدية الى الغيبوبة والبحران فى حلقات الذكر هى علامة « الوصول » .

● انتشار المخدرات كوسيلة يلجأ اليها البعض هروبا من عالم الشعور الى عالم اللاشعور . اما لاحساس الفرد منهم « بالفشل » وضياع الذات وعدم الرضى عن الواقع والشعور بالعجز عن تغييره ، واما لعدم الاحساس « بالامن » وسط صراعات الحياة المختلفة ، واما نتيجة شعور الفرد بنوع من العزلة عن المجتمع فيحاول تعويض عجزه عن اشباع طبيعته الاجتماعية بالمبالغة فى اشباع غرائزه الحسية . ولكن حدود «الاشباع الطبيعى» لغرائزه لا تكفيه ، وحدود « قدراته الطبيعية » لا تهيىء له الوصول الى «ما فوق الاشباع». وبالتالى لا تحقق له ما يصبو اليه من « تعويض » فيلجأ الى محاولة الانتقال بعقله واعصابه عبر ضباب المخدرات الى عالم من التصورات الشبقية وخيالات الحس المريضة جريا وراء هذا السراب الخادع من الشعور بالسعادة و « الانبساط » .

● انصراف عن التفكير العلمى فى كل ما يمس الحياة من أمور اما ارتكانا على اعتقاد خاطىء « بالحظ » وبأن « كل شيء مقدر ومكتوب » أو تأثرا بالسحر والخرافة وقدرة بعض المخلوقات الخفية كالجن والارواح على التأثير فى حياة الناس ومصائرهم بواسطة احجبة وتعاويذ ووصفات يجيد صناعتها بعض المشعوذين والدجالين الذين لا يزالون يجدون لبضاعتهم سوقا رائجة خصوصا فى الريف .

ووجود مثل هذا النمط من التفكير والسلوك

يمثل قوة من اكثر القوى المعوقة قدرة على احباط حوافز العمل وتجميد الطاقات ، كما أنه يكمن وراء عفوية التصرفات وسطحية التفكير والبعد عن الاسلوب العلمى فى مواجهة مشاكل الحياة ودراستها والتخطيط للعمل على معالجتها .

ولا شك ان القوى المضادة للثورة يهمها جدا ان ترسخ هذه الانماط من التفكير والسلوك . ويستمر تأثيرها المدمر فى مجتمعنا لتعطل نمو النظام القائم . وتخلق فيه من التناقضات ما يهدد بقاءه . ولذا فهى تستخدم كل الوسائل لخلقها ان لم توجد ولتثبتها فى حالة وجودها . فلا ننسى أن القوى التى تسلطت على هذا الشعب فى جميع العهود من مماليك وأتراك وانجليز هى التى بسطت حمايتها على فرقة المشعوذين وعملت على انتشارها . وان سلطات الاحتلال البريطانى هى التى عملت على انتشار المخدرات وان اسرائيل هى التى تتولى الآن تصديرها الينا . وان الدجالين والمشعوذين كانوا دائما يلوذون بالاقطاعيين وينزلون فى رحابهم حيث يجدون من التكريم ما يحمل البسطاء من أهل الريف على احترامهم والاعتقاد فيهم .

رابعا — التناقض الصارخ بين شعارات الاشتراكية التى يرددها الجميع وبين القيم الاقطاعية والراسمالية التى لا زالت تغذى تطلعات الافراد والفئات . وتطبع اسلوب حياتهم وعلاقاتهم بمزيج متنافر الالوان متصادم الاتجاهات حاد الانقسامات فى انماطه السلوكية وانتماءاته الفكرية وتطلعاته الاجتماعية . وفيما يلى بعض مظاهر هذا التناقض :

● استنادا الى ما بدا من قصور فى الممارسة الحقيقية للديموقراطية على بعض المستويات الجماهيرية والقيادية ظهر اتجاه له وزنه فى الفكرية السائدة بين الجماهير على اختلاف مستوياتهم يميل الى عدم الايمان بالوسائل الديموقراطية . كما كثر معه حديث غريب عن الشعب ككائن قاصر محتاج دائما الى وصاية تفرض عليه فى كل اموره صغيرها وكبيرها . ووجه الخطورة فى هذه الظاهرة انها تعبر — فوق ما يبدو فى ظاهرها من عدم الايمان بالشعب — عن شعور كامن لدى أصحاب هذا الرأى بعدم الرغبة فى تحمل المسئولية والاصرار على التهرب منها .

● لا زالت حدة الاحساسات الطبقية تعمل عملها المعوق داخل تحالف قوى الشعب العاملة وتحول دون تبلور حقيقى لوحدة فكر أو وحدة اتجاه أو حتى وحدة عمل .

● لم تتغير بالقدر اللازم نظرة الريبة والعداء الموروثة من علاقات الانتاج الراسمالية القديمة بين العمال والادارة ، ويمكن أن يقال نفس الشىء عن علاقة الفلاح بالاجهزة الادارية بالريف .

● لا زالت مظاهر البذخ والترف تحتل من تفكير الافراد واهتماماتهم حيزا كبيرا باعتبارها معيارا « للاهمية » وعلامة « للنجاح » و « التميز » . وقد انعكس هذا المعيار على العمل فاصبحت « قيمته » فيما يتيحه لشاغله من « دخل » لا فيما يؤديه للمجتمع من « خدمة » .

● لا زال الطابع الغالب على ما يقدم للجماهير من انتاج فنى — محليا كان او مستوردا على حد سواء — هو الامتاع المبتذل والتسرية الرخيصة . وحتى الافلام والتمثيليات والمسرحيات والاغانى « الهادفة » — فيما عدا القليل النادر — يغلب عليها اعتساف فى طرح الفكرة وافتعال فى المواقف ومبالغة فى التصدير لا تنم عن تفاعل حقيقى مع القضايا التى تتعرض لها أو ادراك واع لابعادها ، كما تدل على استخفاف عجيب بعقول الجماهير واذواقها . أما طوفان الافلام الامريكية الرخيصة الذى اغرق اسواقنا خلال الاعوام الاخيرة فقد تتبعته لمدة طويلة ولفترات متباعدة على مدار العام فى دور العرض الاولى ودور الدرجة الثانية والثالثة فوجدت أكثر من تسعين فى المائة من هذه الافلام يدور حول محاور رئيسية تتركز فى : الاثارة الجنسية والجريمة والرعب والخرافات والاساطير وتمجيد قيم المجتمع الراسمالى وتصوير اسلوب الحياة فيه بشكل جذاب يلهب خيال الجماهير ويذكى تطلعاتها .

وهذا اللون من التناقضات وما يغذيها من رواسب يلعب دورا هاما فى تهيئة البيئة الملائمة لتوالد جراثيم الدعايات التى تبثها القوى المضادة للثورة بقصد احداث انقسام بين فئات الشعب وتشكيك كل فئة فى الفئات الاخرى وتحطيم معنوياته ، وتمييع ولائه للنظام الاشتراكى .

والهدف من تشخيص هذه التناقضات والرواسب هو أن توضع فى الاعتبار عن التخطيط للدعوة فى أى موقع من المواقع وان يعمل تقدير دقيق لمدى قوتها وأن يكون القضاء على آثارها وتصفيتها هدفا أساسيا من أهداف خطة الدعوة فبدون تصفية هذه الرواسب لا يمكن أن نكون قد حققنا « الوعى الاشتراكى الكامل للشعب العامل » .

يبدأ محمد عبد الفتاح ابو الفضل عضو الامانة العامة لشئون الاعضاء بهذا المقال دراسة عن العمل الجماهيرى من واقع ممارسته لمسئولياته بالاتحاد الاشتراكى

التنظيم السياسى والعمل الجماهيرى



محمد عبد الفتاح أبو الفضل

لماذا

نطرح قضية العمل الجماهيرى للنقاش ؟ .

لان بالجماهير وحدها يمكن أن نغير واقعنا ، وأن نشكل مستقبلنا ونحيل الاهداف والامانى الى واقع حى .

ولقد لخص القائد والمعلم هذه القضية فى كلماته الاولى مع اعضاء المكاتب التنفيذية عندما قال : « أنا لن أستطيع وحدى أن ابنى شيئا .. لا فى البلد ولا فى الحكم .. ولا فى الاتحاد الاشتراكى العربى » .

من هنا كانت قضية العمل الجماهيرى هى القضية الاولى التى تواجه الثوار وهم يبنون المجتمع الجديد .

ويمكن تعريف العمل الجماهيرى بانه الايجابية فى مواجهة مختلف المواقف التى تثيرها حياة الجماهير اليومية وحركة تطورها نحو الهدف المصيرى .

وهذه الايجابية سواء أكانت ملكة تلقائية أو خبرة مكتسبة فانها بالتأكيد تحمل الرواسب التاريخية والتطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعب .

ولا شك أن نجاح العمل الجماهيرى يتحدد بمدى مطابقة هذه الايجابية لاستعدادات الجماهير المحكومة بميراثها التاريخى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى .. والعقائدى .

هذه المطابقة التى لن تتحقق الا بدراسة واعية ناجحة لامكانيات الجماهير الحالية والمستقبلة وتجربة العديد من أشكال العمل للوصول الى لحظة المطابقة .

ويمكن أن نقسم مراحل العمل الجماهيرى ـ بغير افتراض لعزلة هذه المراحل أو انفصالها ـ الى :

● **توعية الجماهير .**

- **تنظيمها .**
- **تعبئتها (مرحلة الاثارة) .**
- **تحريكها .. من اجل تحقيق الهدف .**

وهذه المراحل .. او بعبارة ادق هذه العناصر فى العمل الجماهيرى متداخلة ، فلابد من شكل تنظيمي لممارسة التوعية ، ولابد من حد ادنى من التعبئة لنجاح عملية التوعية ، او لقيام التنظيم .

ولكن هذا الترتيب يقصد به تبيان الاهمية النظرية لعناصر العمل الجماهيرى . وقد حرصت على أن أربط تحريك الجماهير بتحقيق الهدف لان العمل الجماهيرى يرتبط تمام الارتباط بالهدف . فالهدف هو الذى سيحدد شكل التنظيم واسلوب العمل، كما يحدد نوعية العناصر المطلوبة ، والصفات التى يركز عليها فى عملية الاختيار والترشيح . كما يحدد الهدف مدى النوعية المطلوبة واتجاهها .

الهدف الاستراتيجي

فالعمل الجماهيرى الذى يقوم به حزب سرى، أو حتى علنى معارض للحكومة ، يستهدف قلب نظام الحكم ، يختلف تماما عن طبيعة العمل الذى يقوم به حزب أو تنظيم شعبى فى السلطة فعلا .

الهدف البعيد او الاستراتيجي للعنصر القيادى فى الحالة الاولى هو قلب النظام الراسمالى .. اى انه يبدأ بادانة هذا النظام وحتمية الثورة عليه ، لان الثورة هى سبيل الخلاص الوحيد ولا امل فى تحقيق اهداف الجماهير فى ظل النظام الراسمالى . اى ان هدف العمل الجماهيرى ، هو تعبئة سخط الجماهير ، وتوجيه هذا السخط فى طريق الثورة .. اى الوصول بالجماهير من خلال تجربتها الذاتية ، ومعاركها اليومية الى فقدان كل ثقة او امل فى النظام الراسمالى القائم والايمان بحتمية الثورة.

بينما نجد ان الهدف الاستراتيجي فى ظل الاشتراكية، هوتدعيم النظام الاشتراكى وحمايته، واتمام سيطرة الشعب على قوى الانتاج وممارسته للسلطة ، وايجابيته فى بناء الاشتراكية .

العمل الجماهيرى فى ظل النظام الراسمالى المستغل هدفه ابراز التناقض بين الطبقات وتأكيد التناقض والعداء بين الجماهير وجهاز الدولة .

وهو فى المجتمع الاشتراكى يهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقات وحل التناقضات بين قوى الشعب سلميا وتأكيد وحدة الدولة والشعب وتعميق قناعة الجماهير بأن جهاز الدولة فى خدمتها .

الثورى فى ظل النظام الرجعى يرفض الحل الذاتى لمشاكل الجماهير ، ويتهم هذا الاسلوب بالاصلاحية وتحديد الجماهير لانه يريد فضح جهاز الدولة ، ودفع الجماهير الى الثورة عليه لتتولى هى السلطة وتتملك قوى الانتاج ومصادر الثورة ، بينما الثورى فى المجتمع الاشتراكى ، يؤمن بالحل الذاتى لمشاكل الجماهير ، ويدعو لهذا الاسلوب ، لان الجماهير قد تمت سيطرتها على وسائل الانتاج واصبحت السلطة نابعة منها وتعمل لحسابها .

والثورى على اية حال يصل بالجماهير الى الهدف الذى يريده من خلال تجربة الجماهير الذاتية وهو ما أريد أن اتوقف عنده قليلا .

التجربة الذاتية للجماهير

ماذا نعنى بقيادة الجماهير من خلال تجربتها الذاتية حتى نصل بها الى ادراك الحقيقة التى وصلت اليها القيادة ؟.

القيادة تدرك مثلا حتمية زوال النظام الراسمالى وقيام الاشتراكية ، وان الاشتراكية هى الحل الوحيد لمشاكل المجتمع ولكنها لا تستطيع ان تكتفى باعلان ذلك على الجماهير وتدعوها للثورة لان القيادة وصلت الى هذه الحقيقة من خلال العلم من دراسة النظريات التى هى فى الحقيقة مجموع تجارب الجماهير فى البلدان الاخرى وعبر التاريخ . وهذه المعرفة ليست متاحة للجماهير العادية .

فواجب القيادة هو الوصول بالجماهير الى هذه النتيجة من خلال تجربة الجماهير الذاتية ، وذلك بقيادة كفاحها اليومى ، بالربط بين النظرية وواقع حياة الجماهير .

لنأخذ مثالا من تاريخ الثورة .

معركة انتخابات نادى الضباط .

كانت القيادة الثورية على يقين ومعرفة واضحة بحتمية سقوط النظام الملكى الفاسد ، ولا شك أنها كانت تعرف أن سقوط النظام ، واصلاح الوضع ، لن يتحقق من خلال كسب الانتخابات فى نادى الضباط . ولكنها لو اكتفت باعلان شعار الثورة ورفضت خوض معركة نادى الضباط ، لانعزلت عن جماهير الضباط ، وتوقفت فى تشكيلها السرى .

ولكن القيادة الثورية خاضت معركةالانتخابات وحققت خلال ذلك عدة اهداف تاكتيكيـة على الطريق نحو الهدف الاستراتيجى .

● فضحت طبيعة النظام السـياسى القـائم وكشفت تدخل السراى .

● جمعت ووجهت السخط ضدهذا التدخل.

● كشفت نوعية العناصر التى تعتمد عليهـا السراى ، والتى تساندها ، وعزلت هذه العنـاصر تماما ، مما قضى على مخاطرها فى لحظة الثورة .

● واهم من ذلك كله ان القيادة الثـورية ، امتحنت خلال هذه المعركة قدراتها التنظيميـة ومدى شعبيتها ، وفاعليتها فى تعبئة وتحـريك قوى الثورة . كما امتحنت ضعف النظام الرجعى واكتشفت مدى تفسخه وانهياره .

اذن فقيادة الجماهير هى الوصول بهم من خلال تجاربهم الى النتيجة التى وصلت اليها القيـادة من العلم الثورى او النظرية الثورية لا التعـالى على الجماهير بهذا العلم ، وتحويله الى قـرارات اتهام للجماهير لانها لا تدرك الحقائق التى وصلت اليها هذه القيادة بدراساتها ووعيها .

ان نقطة البدء فى العمل الجماهيرى ، هى ادراك حتمية تعلم الجماهير من تجاربها الذاتيـة ، من خبرتها هى ولا يعنى ذلك ان نترك الجماهير تعلم نفسها بنفسها ، او ان نتقبل كل ما يصـدر عنهـا ان ذلك هو ما يعـرف بالتلقائيـة ، والذيليـة للجماهير . وهو انكار لدور العلم والنظرية .

ان توعية الجماهير والتعلم منها هى سلسـلة لا نهاية لها من الفعل ورد الفعل .

يقول القائد المعلم فى الميثاق « ان الوضـوح الفكرى هو اكبر ما يسـاعد على نجاح التجـربة والتجربة بدورها تزيد فى وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة تؤثر فى الواقع وتتأثر به ،ويكتسب العمل الوطنى من هذا التبادل الخلاق امكانيات اكبر لتحقيق النجاح » .

ويقول القائد المعلم فى لقائه مع اعضاء المكاتب التنفيذية « الجماهير لها آراء مختلفة ولكن هذه الاراء دائما مبعثرة وغير منظمة وواجبى طالمـا التقى مع الجماهير ان آخذ هذه الاراء المبعثـرة غير المنظمة وادرسها دراسة وافية ، ثم اخططـلها وانظمها وانسقها واعطيها ثانية للجماهير منظمـة منسقة . لانه لو تركت الجماهير على هـواها نجد انها دائما تبدى آراء مشتتة مبعثرة ، ولكن فيها عنصر اساسى سليم فاذا لم تنظم ، لا يمكن الا انها تشرد منك » .

ونفس الفكرة يعبر عنها ليوتشاوشى فيلسوف الحزب الشيوعى الصينى ورئيس الجمهورية بانها « امتحان النظرية بالتجربة ، واضـافة الخبـرة المكتسبة من التجربة الى النظريه ، بهذا تتزايد حصيلة القيادة من التجارب وتتطور معرفتها » .

فخبرة الجماهير وتجاربها بلا حد . انها بعدد ملايين افراد الشعب وبعمر الشعوب الذى يمتد آلاف السنين ، فتجاهل هذه الخبرات واغفـال هذا الميراث يعنى الانعزال عن الشـعب ، يعنى فقدان الجذور الجماهيرية ، وقد كان الثـوار يسمون الجماهير « امنا الارض » اشـارة الى الاسطورة اليونانية حيث كان البطـل لا يقهـر ما دام ملتصقا بالارض ، فلما عرف سره واحتال عليه عدوه ورفعه بعيدا عن الارض تمـكن منـه وهزمه ، فطالما ظلت القيادة مرتبطة بالجمـاهير فلن يمكن القضاء عليها ابدا . وهو ما عبر عنـه الرئيس المعلم فى الشرط الاول للجماعة القيادية قائلا « ويشـترط ايضـا فى الجماعة القيـادية الاتصال الدقيق المستمر بالجماهير . اذا انعـزل واحد منكم وقعد فى مكتبه ، فلن يكون عضـوا صالحا فى أى جماعة قيادية » .

الا ان خبرة الجماهير وتجاربها تشبه المـادة الخام التى تحتاج للعلم لتتحول الى قوة تحـرك التاريخ .

وخبرة الجماهير هى البوتقة الصادقة لامتحان صلاحية الشعار أو التنظيم ، وعندما يفشـل الشـعار او يتعثر التنظيم فالقائد الثورى لا يبدأ باتهام الجماهير والتنديد بتخلفها ، لانها لم تفهم عبقريته ، لان القائد العبقرى هو الذى ينجح فى الوصول الى عقلية الجماهير ، ويجعلها تدرك ان اهدافه وشعاراته ، نابعة من ذاتهـا معبـرة عن افكارها وبنفس الفاظها .

النظرية الثورية

وعندما نتحدث عن التوعية كثيرا ما يتـردد تعبير « النظرية الثورية » .

ما هى النظرية الثورية ؟

البعض يتصور انها طقوس وتعاويذ محفوظة او منزلة . وهو فهم خاطىء لان النظرية العلمية هى مجمـوعة القـوانين المستنبطـة من آلاف التجارب ، تماما كما فى الكيمياء وفى الصناعة كذلك فى الاقتصاد والاجتماع ، فالنظرية العلمية تقوم على حصيلة تجارب وخبرات المجتمعات .

والواقع يتجدد بغير حد وبلا نهاية . وفى كل

يوم يأتي الواقع بحقيقة جديدة ومن ثم فانعزل النظرية عن خبرات الواقع المتجدد ، يفضى بهـا الى التخلف والجمود ، تماما كمـا لو اصر عالم فى الطبيعة على حفظ نظرية نيوتن فى الجـاذبية ورفض متابعةالحقائق الجديدة والتجارب العديدة التى وقعت وتقع كل يوم . ان مثل هذا العـالم لا يصلح لمواجهة مشاكل عصر الفضاء .

كذلك الاشتراكي الذى يصر على تفسير المجتمع الاشتراكي وتطبيق الاشتراكية وفق نظرية وضعت فى القرن التاسع عشر ، وقبل قيام الامبريالية .. رغم قيام الامبريالية ودخولها مرحـلة الزوال ، وظهور العالم الثالث ، وقيام المعسكر الاشتراكى ثم تعدد مراكزه .

بل اهـم من ذلك أن النظريات الاقتصـادية والاجتماعية تختلف عن النظريات الطبيعيـة أو الكيماوية ، فقوانين الجاذبية صالحة للتطبيق فى اسيا وافريقيا وأمريكا الشمالية دون تغيـير أو تعديل ولكن النظريات الاجتماعية والاقتصـادية يدخـل فيهـا عنصر الارادة البـشرية ، والبشر يختلفون باختلاف الميراث التاريخى والاجتمـاعى والدينى .. لهذا فشلت كل محاولات تحـويل الانسان الى انماط او اعداد تخضع لقوانين واحدة ولمكر واحد ، . وتفضى فيها المقومات الواحـدة الى نفس النتائج الواحدة .

لذا فأن تجاهل الخصائص القومية لكل شعب ، يفضى الى فشل النظرية والانعزال عن الجماهير .

ولا يعنى ذلك انكار دور العلم والنظرية ، كما قلنا ، فهناك خبرات ، ارتفعت الى مرتبة القانون العام ، وهناك حقائق امتحنت فى تجارب الشعوب ، مما يجعل تجاهلها والاصرار على اعادة تجربتهـا تبديد لوقت الجمـاهير وطاقاتها ، واصرار على التخلف .

اننا يجب أن نستفيد بآخر كلمة فى التطور .

والتوعية التى نعنيها هى التى تستنـد الى الخصائص الست التالية :

● وعى بكل النظريات وخبرات الشـعوب وتجاربها بغير تحيز ، اى بغير انتمـاء او رفض لا يستند الى الاقتناع العقلى .. بل الى مجـرد قرار سابق بالانتماء او العداء !

ان الذى يبدأ دراسة النظرية الذرية بكراهية مسبقة أو ايمان مطلق بانشتين ، لن يحرز تقدما كبيرا فى دراسته ، لن يضيف شيئا الى العـلم ، ولقد عبر عن هذا القائد المعلم فى الميثاق عنـدما قال « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية يأخـذ منها ويعطيها ، ولا يصدرها عنـه بالتعصب ولا يصد نفسها عنها بالعقد » .

● وعى بتاريخ شعبنا وخصـائص مجتمعنـا وخبرات جماهيرنا لقد كان ماوتسى تونج ينتقـد المثقفين الصينيين لانهم يعرفون عن تاريخ فرنسا وثوراتها اكثر مما يعـرفون عن تاريخ الشـعب الصينى . ونفس الملاحظة يمكن ان تقال للمثقفين المنعزلين عن الشعب ، الـذين يجهلون تاريخـه ويتصيدون الاراء والمبـادىء من هنا وهنـاك ، ويحاولون فرضها على الشعب ، فاذا ردها اليهم الشعب خائبة ، انهالوا عليه باللوم والتقـريع ، فلا يجازيهم الشعب الا بالابعاد والعزلة . ان نقطة البدء لكل قائد جماهيرى هى معرفة تاريخ الشعب والوعى بخبراته ونفسيته ، ومكوناته الفكرية .

يقول المعلم « ان التسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعية ليس معناه قبول النظـريات الجاهزة والاستغناء بها عن التجربة الوطنيـة . ان الحلول الحقيقية لمشاكل اى شعب لا يمـكن استجدادها من تجارب شعوب أخرى » .

● الاستعداد الدائم لامتحان النظرية خـلال التطبيق ، والايمان بأن الجماهير اصـدق دائما من كل نص أو شعار وأن الثورى هو الذى يراجع اسلوبه ، ولا يتراجع فى هدفه .

● الايمان بأن الجماهير هى المعلم ، وان العمل بينها هو مفتاح الفهم والدراسة الحقيقية .

● أن نبدأ فى التوعية من بديهيـة او حقيقـة معروفة لدى الجماهير لنصـل بها الى حقيقـة جديدة عبر تجربتها الذاتية .

● ان التوعية تختلف عن الاثارة، فالاثارة تهدف الى تحريك الجماهير لعمل مباشر وتحت تاثـير انفعال وقتى، أما التوعية فتستهدف المدى البعيد نقل الجماهير من مرحلة فى الفهم الى مرحلة اكثر تقدما ، بحيث نضمن استمرار هذا الفهم وتطوره وبحيث نضمن قدرة الجماهير على مواجهة الازمات وتحمل الهزائم وما قد يواجه الثورة من حتمية التنازلات احيانا ولا يمكن مواجهة هـذه المواقف الا بالاعتماد على وعى الجماهير .

لذلك فأن الوعى يقوم على الفهـم العميق ، وعلى الحقيقة وحدها لان بالحقيقة وحدها يمكن كسب ثقة الجماهير ، أما اذا اعتمد القائد عـلى خداع الجماهير ، فلنذكر الحكمة التى تقول قد تخدع كل الجماهير بعض الوقت ، وقد تخـدع بعض الجماهير كل الوقت ، ولكن يسـتحيل أن

تخدع كل الجماهير كل الوقت والمثل العامي يقول « الكذب مالوش رجلين » ، والقول العربي المأثور « كذبة المنبر بلقاء » أى سرعان ما ينفضح أمرها، لانها تصدر من القائد ، وأمام الجميع .

القائد يجب أن يواجه الجماهير بالحقيقة مهما تكن الصدمة ومهما تكن عواطف الجماهير ، او غلبة الاتجاهات المضللة .. لان اعلان الحقيقة والاصرار عليها وتوضيحها، يضمن توعية الجماهير بأخطائها وتدعيم ثقتها فى القائد ، عندما تكتشف خطاها ، وانها كانت فريسة المضللين ، وانها قد خسرت المعركة لانها لم تستمع الى نصح قائدها.

الا أن بتبصير الجماهير بأخطائها ، لا يعنى الانعزال عن الجماهير ، لان مواجهة الجماهير بالحقيقة لا تعنى الابتعاد عنها ، وتركها تتحمل مسئولية اخطائها فأن هذا الموقف يثير غضب الجماهير وحقدها .

بل يجب أن يشاركها العمل مع توضيح رايه ومعارضته لانحرافاتها وخلال العمل يبصر الجماهير بأخطائها، ويدعوهم الى تصحيح موقفها.

وفى سطور .. يجب ان يتسلح القائد الجماهيرى بكل المعرفة الممكنة وان تكون هذه المعرفة هى وسيلته فى فهم الجماهير والتعلم منها ، وان يضع معرفته فى خدمة الجماهير من أجل رفع مستواها وبغير التعالى عليها ، أو تملقها .

ذلك هو ما يعلمنا ويدعونا اليه القائد المعلم فى الشرط الثالث من شروط الجماعة القيادية وهو « أن يكون عنده من الثقافة ما يمكنه من اكتشاف الامور ، بحيث يقدر يميز بنفسه ويكتشف ويصل دون ان يرشده أحد الى معرفة ما تريده الجماهير ويقدر تلمس كل أمر من الامور » .

التنظيم

وكما قلنا فى بداية هذا الحديث أن العمل الجماهيرى لا معنى له ولا وجود بغير التنظيم والجماهير لا قوة لها بغير التنظيم فمن خلال التنظيم تتضاعف طاقة الجماهير الى ما لا نهاية ، وهو وسيلة القيادة لتجسيد افكارها وتحويل طاقات الجماهير الى قوة ايجابية بناءة ، فالتنظيم هو هدف العمل الجماهيرى ووسيلته وشكل استمراره ولكنى تعمدت أن أضع الوعى قبل التنظيم ، لان التنظيم بلا وعى هو مجرد تشكيل لايقوى على انجاز هدف حقيقى ومهما بدا متماسكه فانه ينهار عند اول صدمة لان الوعى هو خيوط الصلب التى تربط أجزاءه ، هو الروح التى تحول افراده من مجرد خلايا مبعثرة الى جسم حى قادر على التحرك والمواجهة والنمو .

وكما ان الوعى بلا تنظيم هو مجرد أمانى واحلام وكذلك فان التنظيم بلا وعى مهما بلغت درجة احكامه ، لا يزيد عن الانسان الميكانيكى ، اذا ما واجه مشكلة لم توضع فى عقله الالكترونى انفجر الى شظايا ، انه يفتقر الى المبادرة والقدرة على المواجهة والتصرف ، يفتقر الى القدرة على الخلق .

ولكى نقيم تنظيما جماهيريا ثوريا فاننا نحتاج الى :

- هدف واضح يحدد شكل التنظيم ويحدد الصفات المطلوبة فى الكادرات .

- قيادة واعية بالهدف والاهداف المرحلية المؤدية الى الهدف العام والقادرة على تنفيذ برامج عمل محددة .

- مستوى الوعى فى التشكيلات من القيادة الى القاعدة يتفق واحتياجات المرحلة ويمهد للانتقال الى المرحلة التالية ويتناسب مع المسئولية التى يتولاها العضو أو اللجنة .

- علاقة ثورية داخل التنظيم تقوم على الديمقراطية الاشتراكية والنقد الذاتى .

- مرونة تنظيمية تسمح بالتطور المستمر لمواجهة التغييرات .



تجربة من رومانيا

من الدولة الشعبية..
إلى الدولة الاشتراكية

د. جمال العطيفي

في يوم ٢٣ اغسطس ١٩٦٥ وافق المجلس الوطني لرومانيا على مشروع دستور جديد، كان قدطرح للمناقشة العامة في ٢٩ يونيو ١٩٦٥ واعدته لجنة يرأسها « نيقولاي تشياوشيسكو » الذى انتخب سكرتيرا عامة للجنة المركزية للحزب بعدوفاة جيورجي- جيورجيو- ديج في ١٩ مارس الماضي . وقد احتفلت رومانيا بالعيد الواحد والعشرين لتحريرها من الفاشية في ٢٣ اغسطس مع احتفالها بهذا الدستور الذى غير اسم الدولة من رومانيا الديمقراطية الشعبية الى رومانيا الاشتراكية . وهو ليس مجرد تغيير شكلى ولكنه تغيير يعبر عن اتمام عملية البناء الاشتراكى .

وكان قد سبق اعلان هذا الدستور اجتماع هام للمؤتمر التاسع للحزب الذى اختتم اعماله في ٢٤ يوليو . وفي هذا الاجتماع قرر المؤتمر تغيير اسم الحزب من حزب العمال الروماني الى الحزب الشيوعي الروماني ، واعتبار ان هذا المؤتمر هو التاسع ، ملحوظا في ذلك ان اول مؤتمر للحزب الشيوعي قد انعقد في مايو ١٩٢١ .

وقد اتاحت لي زيارة رومانيا بعد ايام من اعلان الدستور الجديد ومن اذاعة قرارات مؤتمر الحزب ان اقف على التغييرات العميقة في التحول الاشتراكي التي سجلها الدستور الجديد الذى عكس التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التي تمت في رومانيا منذ دستورها الاخير الصادر عام ١٩٥٢ . فالدستور لا يرسم برنامجا للمستقبل ولكنه يعبر عن الانجازات التي تمت وعن طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة .

وسنلمس من مقارنة هذين الدستورين ما تميزت به التجربة الرومانية من خصائص تولدت عن ظروفها الخاصة . فبينما بدات هذه التجربة

متعثرة فى التطبيق اذ بها تسير بمعدل سريع نحو النمو الاشتراكى . وبينما بدت رومانيا فى دستور ١٩٥٢ ورباطا وثيقايشدها الى الاتحادالسوفييتى اذ بهذا الرباط يتحول الى تعاون مع جميع الدول الاشتراكية على اساس المساواة بينها واحترام استقلالها وعدم التدخل فى شئونها الداخلية ، والى قاعدة واسعة للتعايش السلمى والتعاون المتبادل مع جميع دول العالم بصرف النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية .

ويحسن حتى يمكننا ان نتفهم مراحل البناء الاشتراكى فى رومانيا ، ان نرجع الى الوراء الى الحرب العالمية الثانية حينما كانت رومانيا ملكية راسمالية .

رومانيا فى الحرب العالمية الاخيرة

كان لرومانيا وضع خاص فى الحرب العالمية الاخيرة يختلف عن وضع كثير من الدول الاشتراكية الاخرى . فبينما راحت تشيكوسلوفاكيا وبعدها بولندا لقمة سائغة لالمانيا النازية ، اذ برومانيا تنتهج سياسة تتردد بين الحياد وبين الخضوع للنازية وبين ممالاة الحلفاء ، حتى انتهى بها الامر الى دخول الحرب ضد الاتحاد السوفييتى عام ١٩٤١ بعد ان تولى فيها الحكم الجنرال انتونسكو الموالى للنازية والمؤيد بالحرس الحديدى الفاشى الذى يتزعمه هورياسيما . وكنتيجة لذلك دخل رومانيا قرابة نصف مليون جندى المانى لمهاجمة الاتحاد السوفييتى . وقد عاشت رومانيا فترة عصيبة ، حتى نجحت العناصر الوطنية المعارضة للحكومة الفاشية بمعاونة القوات السوفييتية فى طرد الالمان وتحرير رومانيا فى ٢٣ اغسطس ١٩٤٤ . بل ان القوات الرومانية اشتركت مع قوات الحلفاء بعد ذلك فى تحرير تشيكوسلوفاكيا والمجر .

وبعد فترة اضطراب تشكلت فى ٦ مارس ١٩٤٥ اول حكومة رجحت فيها كفة الطبقة العاملة برياسة الدكتور « بتروغروزا » واصدرت اول قانون للاصلاح الزراعى فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ .

وحتى ذلك الحين كان يحكم رومانيا « الملك ميشيل الاول » . وفى ظل الملكية بذل الحزبان التقليديان وهما **حزب الفلاحين الوطنى** الذى يمثل كبار الملاك **والحزب الليبرالى الذى** يمثل اصحاب الاعمال الراسماليين ، كل ما فى وسعهما لاستعادة نفوذهما على الحكم واحباط البرنامج التقدمى الذى انتهجته حكومة بتروغروزا . وايد الملك موقف الحزبين حينما رفض توقيع القوانين التى اعدتها الحكومة . ولكن هذا « الاضراب الملكى » لم يحل بين الحكومة وبين المضى فى تنفيذ برامجها . ووقعت ازمة شديدة بين الملك والحكومة حتى تدخل الحلفاء الغربيون اثناء انعقاد مؤتمر بوتسدام لتنظيم آثار انتهاء الحرب فى اغسطس ١٩٤٥ وطلبوا اجراء انتخابات عامة فى رومانيا على ان يمثل كل من الحزبين التقليديين بوزير فى الوزارة . ولكن الانتخابات التى جرت فى نوفمبر ١٩٤٦ اسفرت عن انتصار كتلة الاحزاب الديمقراطية التى كان ابرزها الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الديمقراطى ، اذ نالت هذه الجبهة حوالى ٧١٪ من مجموع اصوات الناخبين

وفى يونيو ١٩٤٧ وافقت الحكومة على البرنامج الذى قدمه الحزب الشيوعى للنهوض بالبلاد ورفع مستوى الانتاج . وقد كان كل الامل وقتئذ بعد التخريب الذى لحق البلاد ، ان يعود الانتاج الصناعى الى ٧٠٪ من انتاج عام ١٩٣٨ . كما ان مهمة الحكومة فى الميدان الزراعى لم تكن ميسرة ازاء مقاومة الكولاك (اغنياء الفلاحين) لاجراءات الاصلاح الزراعى ، فقامت الحكومة بحل حزب الفلاحين الوطنى . ثم طولب الملك بالتنازل عن العرش وتم ذلك فى ٣٠ ديسمبر ١٩٤٧ حيث اعلنت الجمهورية .

مواجهة مشكلات التحول الاشتراكى

ومن ذلك يتبين ان التحول الاشتراكى قد تعثر طوال هذه السنوات حتى بداية عام ١٩٤٨ . فمن الانصاف اذن فى الحكم على التجربة الرومانية ان نحتسب سنوات البناء الاشتراكى ابتداء من ذلك الحين .

صدر اول دستور لجمهورية رومانيا الديمقراطية عام ١٩٤٨ . وكان من العسير على تجربة التحول الاشتراكى ان تمضى فى طريقها والطبقة العاملة موزعة بين الحزب الشيوعى والحزب الاشتراكى الديمقراطى ، ولذلك فان اول خطوة هامة اتخذت فى سبيل تحقيق وحدة الطبقة العاملة كانت توحيد الحزبين فى حزب جديد هو حزب العمال الرومانى .

وقد واجه التحول الاشتراكى فى رومانيا صعوبات شديدة فى بادىء الامر . فقد كان الاقتصاد القومى متدهورا وكانت هناك مهام

زيادة الانتاج ووضع سياسة للتصنيع بعد تاميم وسائل الانتاج الرئيسية فى يونيو ١٩٤٨ . وكانت هناك مهام التحول الاشتراكى للزراعة بعد ان صدر قانون الاصلاح الزراعى الثانى فى ٢ مارس ١٩٤٩ وبعد ان صفيت نهائيا طبقة كبار الملاك. وكان التفكير يتجه منذ ذلك الحين الى خلق نظام للتعاونيات يحل محل الملكيات الفردية الصغيرة، ولكن تنفيذ ذلك كان يحتاج الى وقت يقتنع فيه الفلاحون بجدوى النظام التعاونى .

مشكلة القوميات

كذلك كانت تواجه رومانيا الديمقراطية مشكلة القوميات المختلفة . فقد كانت هناك جالية مجرية يقدر تعدادها بحوالى مليون ونصف مليون ،وكانت هناك قوميات اخرى من الالمان والاوكرانيين والروس والتشيك والبلغار والترك والغجر . وكانت هذه الاقليات تعانى اضطهادا وحرمانا من الحقوق ، فكانت تسوية مشكلة هذه القوميات وضمان تجانسها مع غالبية الشعب الرومانى من اهم مهام الدولة الجديده التى نجحت فيها ، بفضل مجابهة واقعية احتفظت فيها لهذه القوميات بلغاتها وعاداتها ضمن الاطار العام للدولة الجديدة حتى انها أقرت للقومية المجرية الكبيرة باقليم خاص بها ضمن نطاق الدولة مع اعتبار الجميع من رعايا دولة رومانيا على قدم المساواة . حتى اصبح لهذه القوميات ٦٧ نائبا فى المجلس الوطنى.

السياسة الاستقلالية لرومانيا

وكانت هناك ايضا مشكلة علاقة رومانيا بجيرانها وعلى الاخص بالاتحاد السوفييتى .

لقد اسلفت الظروف التى مرت بها علاقة رومانيا بالاتحاد السوفييتى خلال الحرب الاخيرة والتى بدأت بدخولها الحرب ضد الاتحاد السوفييتى متعاونة مع النازية والتى انتهت بتحريرها بفضل قوات الاتحاد السوفييتى متعاونة مع عناصر المقاومة الشعبية . وفى السنوات التى اعقبت نهاية الحرب ، كانت رومانيا تعانى تدهورا اقتصاديا كما اسلفنا ، فقدم لها الاتحاد السوفييتى المعاونة .

ان هذا كله يفسر الرباط الوثيق الذى ربط بين رومانيا والاتحاد السوفييتى والذى سجله دستور عام ١٩٥٢ حينما نص على ان« الجمهورية الشعبية الرومانية قد نشأت على اثر تحرير البلاد من العصابة الفاشية والسيطرة الامبريالية بواسطة قوات الاتحاد السوفييتى وبفضل قلب حكومة الملاك والراسماليين بواسطة الجماهير الشعبية فى المدن والاقاليم بقيادة الطبقة العاملة » .

وبين عام ١٩٥٢ وعام ١٩٦٥ تاريخ صدور الدستور الجديد ، ثلاث عشرة سنة تغيرت فيها مفاهيم العلاقة بين الدول الاشتراكية واتخذت فيها طابعا جديدا يقوم على اساس التعاون المتكافىء بين الانداد . اننا لا نجد فى دستور رومانيا الجديد اى اشارة خاصة الى الاتحاد السوفييتى . بل انه ينص بصفة عامة على ان « جمهورية رومانيا الاشتراكية تحافظ وتعمل على تنمية العلاقات الاقتصادية والتعاون مع البلاد الاشتراكية ،كما انها تنمى علاقاتها مع الدول الاخرى ذات الانظمة الاجتماعيه والسياسية المختلفة » .

ان هذا النص الجديد يمثل مرحلة هامة قطعتها الدول الاشتراكيه لوضع اسس علاقاتها فيما بينها على اساس المساواة فيما بينها وعدم تدخل اى منها فى شئون الاخرى . وهو الاتجاه الذى بدا بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى من ان يكون لكل بلد شيوعى ولكل حزب شيوعى أن يكيف اساليب تطبيقه للاشتراكية واساليب عمله وفق ظروفه الخاصة دون ان يتلقى توجيها من غيره .

وقد ساعدت الظروف التى مرت بها العلاقات السوفييتية ـ الصينية على تأكيد السياسة الوطنية لرومانيا . فرومانيا تقف من هذا الخلاف موقفا مستقلا ، بل انها قامت باجراء محادثات مع قادة الحزبين الشيوعى الصينى والسوفييتى بشأن المسائل المتعلقه بوحدة الحركة الشيوعية الدولية وذلك فى اوائل عام ١٩٦٤ .وبعدها اصدر حزب العمال الرومانى ـ وقتئذ ـ بيانا على اثر اجتماع موسع للجنة المركزية فى ابريل ١٩٦٤ سجل ان « التشاور المتبادل بين الدول الاشتراكية يجب ان يكون طريق تحقيق وحدتها فى العمل . ولكن هذه الوحدة لا يمكن ان تنبع من حل واحد تفرضه هيئة تكون لها سلطات تعلو سلطة الدولة ، وانه نظرا لتنوع الظروف التى تبنى فيها الاشتراكية فانه لا توجد ولا يمكن ان توجد قوالب تصلح فى كل مكان ولايمكن لدولة او حزب شيوعى لاى دولة ان يقرر ما يصلح وما لايصلح لدولة اوحزب شيوعى آخر. ذلك ان تحديد وسائل بناء الاشتراكية هو من اختصاصات كل حزب وهو حق من حزب السيادة بالنسبة لكل دولة اشتراكية .

رومانيا و « الكوميكون »

وهذا الاتجاه نحو سياسة استقلالية يتضح

ايضا في مجال تنفيذ اتفاقيـــة مجلس المعـــونة المتبـــادلة بين الدول الشيوعيـــة المعــــروف ((**بالكوميكون**)) او السوق الشيوعية المشتركة. فقد اوضح تقرير اللجنة المركزية لحزب العمال الرومانى فى اجتماعه المنعقد فى ابريل ١٩٦٤ ان تنسيق البرامج الاقتصادية بين الدول الاشتراكية على اساس الاتفاقات الثنائية او المتعددة الاطراف هو الشكل الذى يجب ان يميز هذا التعـــاون . واعلن هذا التقرير ان رومانيا لاتقر انشاء هيئـــة موحدة للتخطيـــط بين دول الكوميكون او انشــــاء اتحادات انتاجية لمختلف فروع الصـــــناعة التى تشترك فيها عدة دول ، او انشاء مؤسســـــات مملوكة ملكية مشتركة لعدة دول او مجمعـــــات اقتصادية تشترك فيها الدول الاشتراكيه. وعللت ذلك بان هذه الاشكال المقتـــرحة تؤدى الى ان بعض الوظائف الاقتصاديه التى هى من خصائص الدوله المعنيه تصـــبح من اختصاص هيئـــات ومنظمات تعلو سلطه الدولة. وان هذه الاجراءات المقترحة لاتتفق والمبادىء التى تقـــوم عليهـــا العلاقات بين الدول الاشـــتراكيه وهى تمس سيادتها .

وقد اتيح لى ان اطلع خلال زيارتى لرومانيـــا على مقال عنوانه ((**نظريات متعارضه مع المبادىء الأساسيه للعلاقات الاقتصـــادية بين البـــلاد الاشتراكية**)) وقد نشرته مجلة الحياه الاقتصادية Viata Economica التى تصدر باللغتين الانجليزية والفرنسية فى بوخارست، فى عددها الصادر فى ١٢ يونيو ١٩٦٤ ، اى بعـــد شهرين على اذاعة قرارات اللجنة المركزية للحـــزب عن موقف رومانيـــا من الكوميكون .

وقد انتقد هذا المقال بوجه خاص ما تردد فى الاتحاد السوفييتى من مقترحات بشأن الاشـــكال الجديدة للتقسيم الدولى للعمـــــل بين الـــدول الاشتراكية وهى التى قدمها الاقتصادى السوفييتى ((**سوروكهين**)) فى مقال نشره عام ١٩٦٢ ، وتبعه من بعده الاقتصادى ((**كاركهين**)) فى مقال آخر عام ١٩٦٣ ثم تضمنته التقارير التى قدمت فى مؤتمـــر الجغرافيا التى دعت اليه جمعية الجغرافيا بالاتحاد السوفييتى فى مايو ١٩٦٤ . واعيد بعـــد ذلك ترديدها فى مقال نشرته جامعة موسكو للبروفسير ((**فاليف**)) دعا فيه الى انتاج مشترك يقوم عـــلى اجزاء من اقاليم رومانيا والاتحاد الســـوفييتى وبلغاريا لاستغـــلال مواردها الطبيعية المشتركة فى الاجزاء المنخفضة عند نهر الدانوب .ويستوعب هذا المشروع ١٥٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع من اقاليم رومانيا اى حوالى ٤٢ ٪ منه ، بينما لا يستوعب من بلغاريا الا مناطقها الشـــمالية ومســـاحتها حوالى ٣٨٫٠٠٠ كيلو متر مربع ،كما انه لا يستوعب من الاتحاد الســـوفييتى الا اجزاء قليلة عند الدانوب تبلغ مساحتها حوالى ١٢٫٠٠٠ كيلو متر مربع .

وقد انهت مجلة الحياة الاقتصــــــادية انتقادها لاقتراح الاستاذ ((**فاليف**)) بانه يعنى اهدار سيادة رومانيا ، واهدار المبادىء الماركسية اللينينيـــة الاساسية فى علاقات الدول الاشتراكية فيما بينها.

والواقع ان موقف رومانيا من الكوميكون انما تفسره الانجازات الهائلة التى حققتها فى ميـــدان الصناعة ، حتى انها وهى التى كان محكوما عليها قبل التحول الاشتراكى ان تظل مزرعة لاوربا ، والتى ظلت فترة تستورد الجرارات من بولنـــدا والمعدات الصناعية الاخرى من الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا — اصبحت تصدر منتجاتهـــا الصناعية الى خمسين دولة فى العالم من بينهـــا دول اشتراكيه مثل الاتحاد السوفييتى وبولنـــدا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والصين ويوغوسلافيا ، ودول غربيه مثل بلجيكا وفرنسا وايطاليا . وهى اليوم تنمى علاقاتها الاقتصادية بجميع دول العالم على اختلاف انظمتها السياسيه والاجتماعية .وقد اصبحت تجارتها مع الجمهوريه العربيه المتحـــدة تمثل حوالى ٢٠ ٪ من مجموع جميع مبادلاتهـــا التجاريه مع سائر الدول النامية . فهى تصدر الى الجمهورية العربيه المتحده الالات والمعـــدات الصناعيه والمنتجات الكيماوية والبترولية ومنتجات الاخشاب ، وتستورد منها القطن والمنتجـــات القطنية . كما انها عملت على تنمية علاقاتهـــا التجارية مع بقية الدول العربية ، مثل العـــراق ولبنان وسوريا والاردن .

بل انها لم يفتها ان توجه الى مؤتمر رؤســـاء الدول غير المنحازة الذى انعقد فى القاهرة منـــذ عامين ، رســـالة تؤكد فيها احترامها لمبـــادىء السياده الوطنية والمساواة فى الحقوق وتبـــادل المنافع وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، كاساس للعلاقات الدولية .

وقد سبق لرومانيا ان اقترحت منذ عام ١٩٥٧ انشاء منطقة مجردة من السلاح النووى فى منطقة البلقان والبحر الادرياتيكى . ولكنها لم تلق موافقة تركيا واليـــونان اللذين تربط مصالحهمـــا بالدول الغربية عن طريق حلف الاطلنطى .

من الملـــكية الخـــاصة الى الملكيه الاشتراكية

ان التحول الاشتراكى يقتضى تغييرا فى العلاقات الناشئة عن الملكية ، كما يقتضى خلق القاعـــدة المادية لتطوير الاقتصاد القومى .

ولذلك فان ابسط طريق يوضح مغزى تحول رومانيا من دولة شعبية الى دولة اشتراكية ، ان تقارن بين اشكال الملكية في بداية التحول الاشتراكي التى سجلها دستور ١٩٥٢ وبين اشكال الملكية التى انتهى اليها هذا التحول الذى عبر عنه الدستور الجديد ، وان نقارن بين مستوى الاقتصاد القومى فى بداية هذا التحول وبين مستواه اليوم.

لقد خلق التحول الاشتراكى فى رومانيا عقب تاميمات عام ١٩٤٨ قطاعا عاما قويا . فقد اممت البنوك وشركات التامين والتجارة الخارجية والمصانع والمناجم ووسائل النقل. ومع ذلك بقيت المصانع الصغيرة وبعض المشروعات التجارية على ملكية اصحابها .

ومن ثم فقد اشار دستور ١٩٥٢ الى اشكال ثلاثة للملكية ، الملكية الاشتراكية وهى ملكية المشروعات المؤممة ، والملكيات الخاصة التى يعمل فيها اصحابها بانفسهم مثل المشروعات الحرفية ، والملكيات الراسمالية التى كانت لاتزال تقوم على استخدام الغير وان كان الدستور قد نص على ان من اهدافه تحديد هذه الملكيات الاخيرة وتصفيتها.

اما دستور ١٩٦٥ الجديد فانه لايعرف الاالملكية الاشتراكية ، سواء اكانت ملكية الدولة ام الملكية التعاونية ، ومع الابقاء فقط على الملكية الحرفية التى لا تستغل عمل الغير .

كذلك يلاحظ هذا التطور العميق الذى طرا على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فى قطاع الزراعة. فبعد صدور قوانين الاصلاح الزراعى وزعت الارض على الفلاحين . فالى جانب مزارع الدولة كانت تقوم المزارع الخاصة . ولذلك اقر دستور ١٩٥٢ قيام القطاع الخاص فى الزراعة ، على انه فى نفس الوقت نص على ان سياسة الدولة ترمى الى الغاء كافة اشكال استغلال الانسان للانسان، كما نص على مبدا ان الارض لمن يفلحها .

وقد كان من اهم المسائل التى واجهت التحول الاشتراكى فى رومانيا هو محاولة الوصول الى صيغة ملائمة للتطبيق الاشتراكى فى قطاع الزراعة ، حتى لا النمو الاشتراكى فى الريف عن المدينة . وكانت هذه الصيغة الملائمة هى تشجيع تجمع الفلاحين فى تعاونيات زراعية.

لقد انشات اول خمس مزارع تعاونية عام ١٩٤٩ على اثر اجتماع للحزب نوقشت فيه مشكلة الزراعة وتقرر انشاء هذه المزارع لتكون مثالا للفلاحين . وقد شجع نجاحها الفلاحين على الانضمام الى مزارع تعاونية . ففي العام التالى مباشرة اصبح عدد هذه المزارع ١٠٢٧ مزرعة . ولكن تعميم نظام التعاونيات لم يتم الا فى عام ١٩٦٢ . وهذه التعاونيات هى المالكة للارض التى يقدمها كل فلاح . ويتم توزيع دخلها الجماعى وفق العمل المقدم ولاتدخل مساحة الارض التى يقدمها كل عضو فيها عنصرا فى التقدير . ولكن يسمح للفلاح باستخدام قطعة ارض صغيرة واقامة منزل وتملك الماشية والدواجن الخاصة به . وقد زرت احدى هذه المزارع التعاونية فى بلدة «بود» التى تبعد خمسة عشر كيلو مترا عن براشوف وهى مزرعة تشغل مساحة تبلغ ٢١٥٠ هكتارا وهى مزودة بالالات الحديثة وتضم ٥٨٠ عضوا . وهذه الصورة تعطى فكرة عن اهمية هذه المزارع التعاونية التى اصبحت تمثل ٧٥ ٪ من مجموع الاراضى الزراعية ، اما معظم الباقى فانه يمثل مزارع الدولة . ولا تزال نسبة ضئيلة مملوكة ملكية خاصة . والى جانب المزارع التعاونية تقوم محطات هامة لتقديم الآلات الزراعية الحديثة لهذه المزارع الى جانب ما قد تتملكه من معدات خاصة بها .

وبذلك نجحت رومانيا فى حل المشكلة الزراعية، التى لا تزال من اهم مشاكل التطبيق فى بعض البلاد الاشتراكيه الاخرى . وبينما كان دستور ١٩٥٢ ينص على الملكية الخاصة للارض ، اذ بدستور ١٩٦٥ ينص على الملكية التعاونية ، ولا يقر الا الملكية الخاصة الصغيرة للفلاحين الذين لا يستطيعون الانضمام الى مزارع تعاونية بسبب ظروفهم وهى ملكيات تقع فى مناطق جبلية وعرة ، مشترطا فى ذلك ان يعمل الفلاح بنفسه فى مزرعته مع عائلته دون استغلال عمل الغير ، فشان هذه الملكية الخاصة شان ملكية الحرفيين للمحلات التى يعملون فيها بأنفسهم .

الصناعة والصناعة الثقيلة أولا

تتميز رومانيا بطبيعتها المتنوعة ، فاقليمها يجمع بين الجبال والتلال والسهول والبحيرات كما أنها تتميز بخصوبة اراضيها . وفى نفس الوقت فانها غنية بالمواد الاولية كالبترول والمعادن والاخشاب . وقد كان من الممكن ان يخلق ذلك منها بلدا صناعيا متقدما . ولكن رومانيا قبل الحرب كانت تعانى من التخلف الشديد . وكانت الصناعة فيها تقوم بدور ضئيل فى اقتصادها القومى ، بينما كانت موادها الاولية نهبا للراسمالية الغربية . ويكفى ان نعلم ان ٩٥٪ من بترول رومانيا كان فى يد الاحتكارات الاجنبية. لذلك فقد كان من اهم مهام التحول الاشتراكى خلق صناعة وطنية قوية وتطوير وسائل الزراعة لزيادة انتاجية الارض .

لقد ذكرت أن رومانيا تتمتع بموارد طبيعية متنوعة نسمح لهابتطوير اقتصادها . ولكن وجهة النظر التى كانت متسلطة على رومانيا قبل الحرب كانت ترمي الى الابقاء علي رومانيا كمزرعة تابعة للدول الراسمالية تمون هذه الدول بالمواد الخام الرخيصة وتصرف هذه الدول منتجاتها فيها . وقد بدا ذلك واضحا فى المعاهدة التى ابرمتها مع المانيا النازية عام ١٩٣٩ والتى وضع بمقتضاها اقتصاد رومانيا تحت تصرف الالمان . وحينما بدأ الاتجاه عام ١٩٤٧ الى انشاء صناعة ثقيلة وكان التحول الاشتراكى فى بدايته ولم تكن قد تمت تصفية العناصر الراسمالية نهائياً ، انتقدت هذه العناصر هذا الاتجاه ووصفته بأنه يؤدى الى افقار رومانيا والرجوع بها الى الوراء فى سبيل ما سمته «المصالح العربية» عن طبيعة وامكانيات الشعب الرومانى . ولكن التجربة اثبتت عكس ذلك . فقد زاد اليوم حجم الانتاج الصناعى اكثر من ثمانى مرات عن حجمه عام ١٩٣٨ . وزادت حصة الدخل القومى التى حققتها الصناعة من ٣٠٪ عام ١٩٣٨ الى ٥١٪ . وطبقا لاحصائيات الامم المتحدة ، فان نسبة رومانيا فى الانتاج الصناعى العالمى تبلغ الان ١ ٪ ، وهى نسبة تعادل نسبة الانتاج الصناعى فى بلاد متقدمة صناعيا منذ مدة طويله مثل بلجيكا والنمسا وهولندا . كما ان انتاج رومانيا الصناعى — وفقا لهذه الاحصاءات — يزيد اليوم عن انتاج تركيا واليونان والبرتغال مجتمعين .

وقد كان اهتمام رومانيا موجها منذ بادىء الامر نحو الصناعه التقيله باعتبار أنها هى التى تحلق الاساس المادى لتنميه الصناعات الاخرى ، فأهتمت بوجه خاص بصناعة انتاج الآلات الصناعيه . فاصبحت الصناعة الثقيلة تزود الصناعات الاخرى بما يعادل ثلثى ما تحتاجه كما راعت سياسة التصنيع توزيع المصانع على مخلتف مناطق البلاد حتى ترفع مستوى المناطق التى كانت لا تزال متخلفة عن غيرها .

ومن اهم الصناعات القوية فى رومانيا الى جانب صناعة وسائل الانتاج ، صناعات التعدين وصناعة معدات استخراج البترول وصناعة مواد البناء والصناعات الكيماوية . وقد نجحت رومانيا فى اقامة ٥٠٢ مشروعا جديدا طبقا لخطة السنوات الست السابقة . وأصبحت تصدر منتجاتها الصناعية الى حوالى خمسين دولة .

وقد رسم برنامج السنوات الخمس القادمة الذى يبدأ تنفيذه هذا العام والذى ناقشه المؤتمر التاسع للحزب المنعقد فى يونيو ١٩٦٥ زيادة حجم الانتاج الصناعى بنسبة ٦٥٪ وزيادة مساهمة الصناعة فى الاقتصاد القومى من ٥١٪ الى ٦٠٪ ، كما رسم سياسة زيادة ما تصدره من ماكينات بنسبة ٩٥٪ فى عام ١٩٧٠ عما تصدره فى عام ١٩٦٥ .

كذلك اعد المؤتمر التاسع للحزب فى يونيو ١٩٦٥ برنامجا لسنوات عشر لتطوير توليد الطاقة الكهربائيه اللازمة لزيادة الانتاج الصناعى . ومع ان الطاقة الكهربائية قد زادت منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٦٥ حوالى خمس مرات ، فان رومانيا تأمل ان تصل الزياده فى برنامج السنوات العشر الذى ينتهى عام ١٩٧٥ الى تطوير عام لتوليد الطاقه الكهربائية وكهربة البلاد بأسرها ، بحيث تصل هذه الطاقة الى ما يقدر بحوالى ٢٤ مليون كيلووات . وفى عام ١٩٧٠ سيبدأ تشغيل المركز الهام لتوليد الطاقة وتحسين نظام الملاحة على نهر الدانوب عند الابواب الحديدية وهو البرنامج الذى تتولى تنفيذه بالتعاون مع يوغوسلافيا . كذلك تدرس رومانيا اقامة محطة كهربائية على نهر الدانوب فى منطقة ايزلازا بالتعاون مع بلغاريا .

نموذج لعلاقات العمل الجديدة

لقد زرت احد المصانع فى رومانيا بمدينة بولويشتى واسمه مصنع أول مايو . وهو يقع على مساحة تبلغ ثلاثين هكتارا (حوالى سبعة افدنة) ،ويتخصص فى انتاج معدات الحفر والتكرير البترولى .

وتاريخ هذا المصنع يبين التقدم الصناعى الذى حققته رومانيا . فقد تأسس هذا المصنع عام ١٩٠٨ وكان اسمه كونكورديا برأسمال بلجيكى وكان عدد عماله ٤٠ عاملا . وقد وصل عدد عماله فى عام ١٩٣٨ الى سبعمائة عامل . اما عدد عماله اليوم فيبلغ عشرة آلاف عامل . فقد دمر هذا المصنع فى اثناء الحرب واعيد بناؤه من جديد حيث اصبح ملكا للدولة . ويصدر هذا المصنع ٣٠٪ من انتاجه الى حوالى ثلاثين دولة . وهو يعمل ورديتين . وبعض اقسامه تعمل ثلاث ورديات ، وساعات العمل ثمانى ساعات يوميا . ويضم هذا المصنع مدرسة فنية يتدرب فيها حوالى الف عامل . وبه مستشفى خاص يحوى ستين سريرا ويلحق به منزل للعمال غير المتزوجين ، ومطعم يمكن ان يستقبل الف وخمسمائة شخص فى نفس الوقت . وجزء من ارباح المصنع يخصص للاسكان الذى تتولاه الدولة . وهى تؤجر هذه المساكن للعمال بأجور رمزية تقدر بحوالى جنيه فى الشهر وقد حسبت فى بادىء الامر ان انخفاض ايجار المساكن قاصر على المساكن التى تقيمها المصانع ،

ثم تبين لي ان من اهم اهداف السياسة الاشتراكية في رومانيا تزويد المواطنين بمساكن رخيصة . وقد ساعدها على ذلك نجاحها في انتاج مواد البناء .

وفي طوافي بهذا المصنع شاهدت لوحات الشرف في كل قسم من اقسامه تحمل اسماء وصور العمال المتفوقين في انتاجهم . وفي كل ناحية يرتفع شعار ضخم يذكر العمال بأهداف الخطة الاقتصادية في ان يزيد الانتاج في نهايتها بنسبة ٦٥٪ .

وادارة هذا المصنع — ومثلها ادارة المشروعات العامة جميعا — تخضع لاشراف مدير تعينه الدولة وتزوده بسلطات واسعة ويتبع الوزير المختص . وفي نفس الوقت فان لمثل هذه المصانع الكبيرة محاكمها الاجتماعيه الخاصة بها التي تشكل من ممثلي النقابة وتنظر في المخالفات التي تقع من العمال ماسة بسير العمل او مستوى انتاجه . ولا تعرف هذه المصانع نظام توزيع الارباح ، ولكنها تستعين بالمكافآت التشجيعية لازكاء الحافز على العمل . لقد عن لي ان اسأل مدير المصنع وانا اتأمل لوحات الشرف التي تسجل اسماء العمال المجدين ، عما يفعلون بشأن العمال المقصرين واى جزاءات توقع عليهم . فرد قائلا انه لم يعد لديهم عامل مقصر . لعلها مبالغة من يفخر بعمله وبمواطنيه ، ولكنها تفصح عن المناخ الاجتماعي الذى اصبح يسود علاقات العمل . لقد اعدت القاء هذا السؤال عند زيارتي للدار الصحفية سكنتيا وكان الرد هو الطواف بي على اقسام هذه الدار التي تصدر سبعا وثلاثين جريدة ومجلة مختلفة احداها تلك التي سميت الدار على اسمها وهي سكنتيا والتي يبلغ توزيعها اليومي مليون وثمانمائة الف نسخة . وتقع هذه الدار على ارض تبلغ مساحتها اربعة هكتار وقد بدا بناؤها عام ١٩٤٩ وانتهى في اول مايو ١٩٥٠ اى ان بناءها لم يستغرق سوى سنة وثلاثة شهور فقط . وقد علمت ان طلاب المدارس والشباب قد تطوع بالاشتراك في عمليات البناء ليكون لهم اكبر دار صحفية في شرق اوربا . فهذه الدار تضم ٤٣ ماكينة اوفسيت للطباعة تطبع الوانا مختلفة ، ومنها ماكينات تطبع ثمانية الوان . وتضم هذه الدار عشرة آلاف عامل نصفهم من النساء . لقد شاهدت السيدات يجلسن الى ماكينات الطباعة الضخمة . وفي قاعات جمع الحروف كانت الموسيقى تنساب في هدوء لتشجيع العمال على مواصلة العمل . وقد صممت القاعات بحيث تستقبل اكبر كمية من الضوء تسهيلا للعمل . وكل عامل يطمع في ان يجد اسمه يوما محفورا على لوحة الشرف .

تطوير أساليب الزراعة وادارتها

ان التحول الاشتراكي في الزراعة لايتم بمجرد الاستيلاء على الملكيات الزراعيه الكبيره وتوزيعها على الفلاحين . بل انه يقتضي زياده انتاجية الارض ، وقد كانت المشكلة الزراعيه دواما اصعب مشاكل التحول الاشتراكي لانها تقتضي التوفيق بين ما تقتضيه زيادة انتاجية الارض واستخدام الوسائل الحديثه في الزراعه من تجميع للاستغلال الزراعي ، وبين مايقتضيه حنين الفلاح التقليدي نحو ملكيه الارض التي يزرعها من الحفاظ على ملكيته . وقد اسلفنا انه قد تم لرومانيا في عام ١٩٦٢ التغلب على هذه المشكله بتعميم نظام المزارع التعاونيه في الريف . وبذلك اصبح الاقتصاد الروماني ذا طابع متجانس .

وحتى قبل ان يتم تعميم النظام التعاوني عملت رومانيا على انشاء محطات للالات والجرارات وتزويد الفلاحين بها وبالمخصبات لزيادة انتاج الارض . ورغم ان مستوى الانتاج الزراعي قد زاد ما بين سنتي ١٩٦٠ و ١٩٦٢ بنسبه ١٢٪ مقارنا بمتوسط الانتاج الزراعي في السنوات الخمس السابقه واصبحت رومانيا تكفل من انتاجها الذاتي قوت سكانها وما يلزم لتموين الصناعه بمواد اوليه زراعيه ، بل يبقى لديها بعد ذلك فائض لتصديره — الا ان هذا الانتاج كان دون المستوى المطلوب . لذلك فمن المقرر في برنامج السنوات الخمس الجديده زياده تزويد المزارع بالالات الحديثه بنسبه ٥٥٪ حتى تصل الى زيادة الانتاج الزراعي عام ١٩٧٠ بنسبة عشرين في المائه .

وقد خصصت اللجنة المركزية للحزب اجتماعها الاخير في شهر نوفمبر ١٦٦٥ لمناقشة التقرير الذي قدمه نيكولاي تشاوتشيسكو عن تحسين اسلوب اداره شئون الزراعه وتخطيطها وقد ردد هذا التقرير سياسه السنوات القادمة بصدد التوسع الهائل في استخدام الوسائل الفنية والآلات الميكانيكية في الزراعة وتحسين وسائل رى المناطق المعرضة للجفاف وتجفيف المستنقعات للاستفادة منها في الزراعة .

وتحقيقا لهذه الاغراض تقرر اعادة تنظيم المجلس الاعلى للزراعه لكفالة تخطيط الانتاج الزراعي وتوجيه الزراعة توجيها علميا وفق مختلف مجالات التخصص . كما تقرر انشاء اتحادات تعاونية تضم التعاونيات الزراعية وتتبع جميعها الاتحاد الوطني للتعاونيات الزراعية ، وذلك لتوجيه نشاط التعاونيات واشراك الفلاحين في حل مشكلات الزراعة . كما تقرر تعديل نظام

التعاونيات بحيث يكفل اشتراك جميع الاعضاء في تحديد المهام العامة وانجازها وبما يضمن زيادة الحافز على الانتاج . فلا يكتفي بتوزيع دخل المزرعة على اساس عدد ايام عمل كل عضو فيها بل تقرر مكافآت اضافية تحدد وفق مدى انتاجية عمل كل عضو . كذلك تقرر ان ينشأ صندوق للمعاشات يتبع الاتحاد الوطني للتعاونيات ، ليصبح للفلاح التعاوني معاش عند تقاعده اسوة بالعامل الزراعي ، على ان يمنح بعض هذا المعاش عينا اى منتجات زراعية .

الشرعية الاشتراكية ودستورية القوانين

يبدى دستور ١٩٦٥ اهتماما خاصا بالمحافظة على الشرعيه الاشتراكية ، فينص صراحة ضمن مهام الدولة على ضمان الشرعية الاشتراكية وحماية سياده القانون .

بل ان هذا الدستور يذهب في صيانة حقوق الفرد الى حد النص على انه لا يجوز القبض على اى شخص او احتجازه الا بناء على ادلة تثبت ارتكابه فعلا محددا يعاقب عليه القانون . وهو لا يجيز لسلطات التحقيق احتجاز اى شخص لمدة تزيد على اربع وعشرين ساعة او القبض على اى شخص الا بناء على امر صادر من القضاء او النيابة . كما انه يحمي حق الدفاع حتى في مرحلة التحقيق لا في مرحلة المحاكمة وحدها .

ويرسم الدستور ضمانات صيانة هذه الحقوق فالى جانب حق الشكوى والتزام سلطات الدولة بحل شكاوى المواطنين المتعلقة بحقوق اومصالح شخصية او عامة ، فانه يجعل من مهمة القضاء صيانة حقوق الافراد الى جانب الدفاع عن النظام الاشتراكي . وينوط بالمحاكم حق رقابة قرارات الجهات الادارية وتقرير مدى مشروعيتها . ويجعل من حق اى فرد لحقه ضرر من جراء تصرف ادارى مخالف للقانون ان يطلب ابطاله وتعويض الضرر .

على ان ما يستوقف النظر حقا في الدستور الجديد هو ما انفرد به من حكم جديد يتميز بالاصالة بالنسبة لموضوع رقابة دستورية القوانين . فقد وقف من هذه الرقابة موقفا واضحا وعمليا .

فطبقا للنظرية الماركسية للقانون فان الشعب كمصدر وحيد للسلطة هو الذي يملك وحده مراقبة دستورية القوانين . فهذه النظرية ترفض ان يكون للقضاء حق ابطال قانون بحجة انه يخالف الدستور . وقد سلم دستور رومانيا الجديد باهمية رقابة دستورية القوانين ولكنه جعل هذه الرقابة للمجلس الوطني ذاته عن طريق تشكيله لجنة دستوريه تضم الى جانب ممثلى النواب بعض اساتذه القانون في الجامعات وقضاة المحكمة العليا ، على الا يتجاوز عددهم ثلث اعضاء اللجنة .

ومن هذا يتبين ان ممثلى الشعب يكونون اغلبية هذه اللجنه وفي نفس الوقت فانهم يستفيدون من الخبره القانونيه للاعضاء الآخرين من غير النواب وتقدم هذه اللجنه الى المجلس الوطني تقرير ابناء على طلبه او بناء على طلب الهيئات التى ينص عليها نظام المجلس . وهى وسيلة تجمع بين الرقابة القضائيه والرقابة الشعبية دون اخلال بمبدأ سيادة الشعب .

والواقع انني لمست اثناء زيارتي لاتحاد القانونيين في بوخارست ولمعهد العلوم السياسية والقانونيه باكاديميه العلوم الرومانيه ، اتجاها جديدا بالتسجيل . وقد برز هذا الاتجاه في مقال سبق ان نشرته المجله الرومانيه للعلوم الاجتماعية عام ١٩٥٦ للاستاذ ايون موربر — الذى اصبح اليوم رئيسا للوزراء . ثم بدا هذا الاتجاه بعد ذلك في مقال آخر نشرته هذه المجلة عام ١٩٦٤ للاستاذين تريان ايونسكو واوجين براتش . وهذا الاتجاه يدور حول التفرقة بين مضمون النظام القانوني الذى يختلف من بلد الى آخر حسب ظروف العلاقات الاجتماعيه والاقتصادية فيه ، وبين الفن القانوني الذى يوصل الى ابراز الغايه الموضوعية للقانون . وهذا الفن تحكمه قواعد عامة مشتركة بين جميع الانظمة . ونتيجة لهذا الاتجاه لم يكن غريبا ان يلجأ شراح القانون في رومانيا الى الاعتراف من الفن القانوني المقارن في جميع البلاد ، وهو امر بدا واضحا في صياغة الدستور الجديد . ويبدو واضحا في مشروعات القوانين الجديدة التى تعدها رومانيا للعقوبات والاجراءات القضائية .



حول «أمراض السلبية» وجذورها السياسية والاجتماعية

ميشيل كامل

السلبية داء خطير ، من واجب كل مجتمع حى أن يتحصن ضده ، وهو فى ظروفنا الخاصة يعد من المشاكل الرئيسية التى تواجه انطلاقتنا الثورى ، ويعتبر من التحديات الاساسية التى يجب علينا التصدى لها والتغلب عليها ، اذا اردنا اجتياز مرحلة التحول الاشتراكى بنجاح ، فى أقصر وقت ممكن ، وبأعلى مستوى من الكفاية واقل قدر من التضحيات .

ولا تقتصر أخطار السلبية على تعويق نمو المجتمع الجديد والابطاء من معدل سرعة عملية البناء الاشتراكى ، بقتلها روح الابتكار والمبادرة وخنقها قيم نكران الذات والحماس للعمل من أجل الجماعة ، واشاعتها لطابع التحلل من المسئولية والتهرب من العمل ، بل أن خطورتها الاساسية تتمثل فى كونها احتياطى رئيسى للرجعية والحركات المعادية للثورة . فهذه الحركات بايجابيتها ونشاطها فى جو تسوده السلبية واللامبالاة تكتسب اضعاف أضعاف قوتها الحقيقية وتتزود بطاقة وفاعلية تفوق كثيرا حقيقة وزنها الاجتماعى أو السياسى . كما أن السلبية هى بداية الطريق لتقبل الافكار المعادية ، وهى الارض الخصبة لاستقطاب قطاع من القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى عملية البناء الاشتراكى ، الى الجبهة المعادية لاتحاد قوى الشعب العاملة .

ومن هنا يمكن ادراك السبب فى اعتماد الاستعمار

والقوى المعادية للثورة على حلقات انقلابية محددة العدد والعدة فى التآمر للاطاحة بالنظام الثورى . ليس الامر اذن مجرد سذاجة من جانب القوى المعادية ، بل أن هنالك حسابات دقيقة تجرى على اسس مدروسة وتعتمد بالدرجة الاولى على تفشى السلبية ، مما يصور لها امكان عزل ملايين الناس عن أى معركة تنشب فى صورة انقلاب مفاجىء ، وتحسب لامكانية استقطاب جزء من القوى المحايدة لتساندها فى تحركها المعادى .

وهكذا فان أهمية تشخيص مظاهر داء السلبية وردها الى اصولها ومحاولة تتبع جذورها العميقة للتوصل الى علاج حاسم لها، مسألة اساسية ترقى الى مستوى المهام الفكرية والسياسية الملحة لتأمين الثورة وتدعيمها .

والسلبية بمغزاها السياسى تعنى اللامبالاة بالشئون العامة ، والتباعد عن كل ما يخرج عن اطار المصالح الخاصة المباشرة والانعزال عن النشاط السياسى والاجتماعى ، وانفصام العلاقة بالمجتمع فى حركته .فى مرحلة معينة من تطوره، والتحفظ بالنسبة لكل مايتعدى دائرة المنفعة الذاتية .

السلبية ظاهرة نسبية

والسلبية والايجابية ظاهرتان نسبيتان تتوقفان على عوامل عديدة . كما ان طبيعتهما وأثرهما يتغيران باختلاف الظروف وتتابع المراحل التاريخية وتتباين مواقف الطبقات والفئات المختلفة طبقا لمواقعها من الحركة الاجتماعية القائمة وتختلف تبعا لدرجة الوعى السياسى الطبقى الذى تملكه . فأكثر الطبقات ايجابية فى مرحلة ما ، قد تتحول الى السلبية فى مرحلة أخرى . وهناك من الطبقات تلك التى تنتقل من موقف ايجابى من أجل انجاز الثورة، فتاخذ دورا ايجابيا مضادا للثورة .كذلك فان اتجاه نظام ما الى العمل على تحقيق مصالح طبقات بعينها، لا يعنى بالضرورة أن تكون هذه الطبقات متجاوبة معه اذ يلزم فى هذه الحالة ان تكتسب هذه القوى الاجتماعيه وعيا بمصالحها وبالطريق الى تحقيق هذه المصالح فى المدى القريب والبعيد ، حتى تتحول من طاقة كامنة الى قوى محركة ايجابية . ولا يتاتى هذا الابادراكها للاتجاه السياسى المعبر عن مصالحها واكتسابها للنظرة الشاملة للامور التى تخرج عن حيز ادراك المكاسب الاقتصادية المباشرة السريعة الى تفهم طبيعة الاتجاه العام للحركة السياسية وأثره على مصالحها فى المدى البعيد . فقد يقتضى تحقيق هذه المصالح تضحيات موقتة من أجل حماية وتأمين الثورة أو بناء القاعدة الاقتصادية للانطلاق الى آفاق الانتاج الاشتراكى . وغالبا ما يقع عبء اساسى من هذه التضحيات على الطبقات التى ترتبط مصالحها بالنظام الجديد .

وليست جميع الطبقات ذات المصلحة فى تحقيق اهداف استراتيجية معينة،على نفس المستوى من الثورية،ومن ثم من الايجابية والفاعلية الاجتماعية ، فمنها طبقات اساسية واخرى غير اساسية أوثانوية طبقا للمكان الذى تشغله من الانتاج . والطبقات الرئيسية هى تلك التى لا يمكن لاسلوب الانتاج السائد اجتماعيا أن يوجد بدونها ، سواء تلك التى تملك وسائل الانتاج الرئيسية او التى تستغل عن طريق الاستخدام فى تشغيلها والتى يقع عليها العبء الرئيسى من الاستغلال .

والعلاقة بين هذه الطبقات هى دائما علاقة صراع مباشر للسيطرة على السلطة — **ومن هنا الايجابية** — وفى مصر كانت الراسمالية الصناعية والزراعية بحكم ملكيتها لادوات الانتاج ووسائله الرئيسية وسيطرتها على السوق وسلطة الحكم ، طبقة رئيسية فى مواجهة العمال الصناعيين والزراعيين .

من سياسة الاحتواء
الى تآمر الاسقاط

أما الرأسمالية المتوسطة فتساند الثورة الوطنية من البداية ، بل وتقودها فى احيان كثيرة متزعمة النضال الايجابى ضد القوى التى تمثل خطرا مباشرا على مصالحها وكيانها وتهدد بافقارها وانحدارها الى صفوف «اللاملاك» بفعل قانون التمركز المضطرد لراس المال ، فى ظل التحكم الاستعمارى لراس المال الاحتكارى . الا أن هذه الفئة من الراسمالية رغم معاناتها من القهر الاستعمارى وعملها على تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى معا ، فهى فى الاساس طبقة مالكة يفزعها التأميم وتخاف حديث الاشتراكية . وهى تعمل على تسخير الثورة الوطنية فى خدمة مصالحها بوقف انطلاقها الى آفاق تتعدى الاطار الراسمالى او تقترن باجراءات عملية تضيق من حرية راس المال الفردى ، وتتآمر لفرملة» اى اتجاه شعبى حقيقى يتوخى استئصال الاستقلال من جذوره ، وبذلك تتخذ موقفا معاديا اذا افلت الزمام من يدها واتجه الشعب الى تجاوز مرحلة التحرر الوطنى .

والصراع من أجل كسب ثم تدعيم الاستقلال الوطنى يتطلب بالضرورة الحد من الحرية الاقتصادية لرأس المال . وخلال هذا الصراع تتغير مواقع الطبقات . ولذلك فسرعان ماتعدل الرأسمالية المتوسطة من موقفها . وقد يطول ترددها أمدا ما وتلتزم جانب السلبية ، قبل أن تتضح لها معالم الطريق الذى تعتزم القيادة الثورية أن تخطو فيه، والمدى الذى ترمى الى بلوغه ، الا أنها ان عاجلا أو آجلا تتخذ موقفا ايجابيا محددا .

وقد كان للظروف الخاصة المميزة لثورتنا أثر كبير على موقف الرأسمالية المتوسطة ، الذى اتسم بقدر كبير من التخبط والتفكك، واضفى عليها طابع السلبية ، رغم أنه طابع عابر غريب عليها ، الا أن الفترة مابين ١٩٥٦ و ١٩٦١ الزمتها موقف الترقب والتردد خاصة فى المرحلة الاولى منها . ولا يعنى هذا تجاهل بعض المواقف الايجابية التى كانت تهدف بالدرجة الاولى الى محاولة احتواء الثورة والسيطرة عليها من الداخل ، لكن الطابع الغالب على هذه المرحلة كان عدم اتخاذ موقف ايجابى حاسم معاد للثورة ، بهدف اسقاطها .

والخروج على الطابع المألوف لموقف الرأسمالية الوسطى ليس خروجا على طبيعتها ، بل نتج عن الخروج عن الطابع المألوف تاريخيا فى الثورات الاشتراكية السابقة . فالقيادة الثورية التى جاءت الى السلطة لم تكن تنتمى الى أى تنظيم حزبى ، ببرنامج مسبق، محدد، مما يلجىء هذه الفئة بدورها الى تحديد موقف واضح صريح ، بل كان قيام حركة يوليو موجها اساسا ضد الاستعمار واعوانه ممثلين فى «الاقطاع ورأس المال المستغل» قبل ان تتكشف معالمها الفكرية وتنمو الاهتمامات والاتجاهات الاجتماعية وتكتسب الصبغة الاشتراكية تدريجيا فى مواجهتها لمشاكل التخلف بعقلية ومنطق ثورى ومشاعر شعبية أصيلة ، جعلت مسيرة الثورة لا تتعثر بعد انجازها لمهامها الوطنية بل تتعداها الى بناء المجتمع الاشتراكى .

وكانت قوانين يوليو ١٩٦١ نقطة تحول ، وخلفت الرأسمالية الوسطى وراءها موقف التردد والسلبية الى التحرك الايجابى ونبذت سياسته الاحتواء لتستقر بصفة نهائية على موقف التآمر للقضاء على نظام الحكم والاستيلاء على السلطة ، ذلك الموقف الذى سرعان ما أفصح عن نفسه فى الانفصال الرجعى بسوريا فى سبتمبر ١٩٦١ .

والسؤال المثار اذن ، هو : هل يمكن للرأسمالية المتوسطة أن تسهم فى عملية التحول الاشتراكى **بصورة ايجابية أم لا ؟**

لا شك أن هناك أفرادا منهم يمكن كسبهم للبناء الاشتراكى . الا ان هذه الفئة الاجتماعية فى مجموعها معادية للتحول الاشتراكى فهى بطبيعتها استغلالية وفرص الاستغلال تضيق شيئا فشيئا فتتلاشى تدريجيا فالطريق أمامها مسدود مغلق .

والسؤال الثانى الذى يترتب على السؤال الاول هو ، هل يمكن تحييدها . أى كسب سلبيتها سياسيا — لو أمكن اعتباره كسبا — فى نفس الوقت الذى نشركها فيه فى البناء الاقتصادى المخطط تحت الاشراف السياسى للتنظيم القيادى الاشتراكى والهيئات المركزية للتخطيط ؟

وأهمية اثارة هذه القضية تتمثل فى أن الموقف من هذه الفئة — كرد فعل لموقفها هى من الثورة — مازال مسألة خلافية، رغم أن المرحلة من ١٩٦١ حتى اليوم كفيلة بالتعرف على اتجاهاتها . فقد تتابعت التأميمات والاجراءات التى تحد بصورة متزايدة من فرص رأس المال وحريته فى الاستغلال ، وآخر هذه الاجراءات تلك التى اتخذت لمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات والقضاء على الثغرات التضخمية فقد قادت الى حتمية اتخاذ مزيد من الخطوات للتحكم فى تيار الدخول — الكبيرة والمتوسطة اساسا — والسماح لاسعار بعض السلع بالارتفاع على أساس اعتبار الكمالية منها مصدرا رئيسيا لدخل اضافى يستخدم فى اغراض التنمية عن طريق القطاع العام . وذلك مع مراعاة واقع أن ما هو كمالى بالنسبة للمرحلة التى نجتازها شعبيا ، لا يعتبر كمالى فى مفهوم وتقدير هذه الفئة وكل خطوة جديدة واجراء ثورى فى مصلحة قوى الشعب العاملة يؤكد تناقض المصالح وتصادمها . والثورة لا يمكن أن تقف أو تتجمد . وطالما هى فى حركة فسوف توجه ضربات الى الرأسمالية المستغلة . ولا يعقل أن نتصور امكانية **مصالحة سياسية فى نفس الوقت الذى تصاب فيه هذه الفئة بضربات اقتصادية متلاحقة ، لمصلحة جموع الشعب العامل .**

وعندما نتحدث عن الرأسمالية المتوسطة علينا أن نضع حدا فاصلا بينها وبين الرأسمالية الصغيرة اذ كثيرا ما يحدث الخلط بينهما مما يكون له آثار خطيرة وضارة بوحدة قوى الشعب العاملة، ويؤدى أحيانا الى الوقوع فى قبضة الاتجاه اليمينى أو اليسارى طبقا لطبيعة المفهوم الذى يدرج الواحدة منها تحت الاخرى .

ونعنى بالرأسمالية المتوسطة تلك الفئة التى تمثل علاقات الانتاج الرأسمالية فى المدينة والريف وهى ذات طبيعة متناقضة فى موقفها من الثورة . وتهدف وتعمل سياسيا من أجل اقامة دولة تحت سيطرة طبقة واحدة .. هى الطبقة الرأسمالية

المحلية . الا أن هذه الطبقة تتفكك وتتحلل تدريجيا اثناء عملية تذويب الفوارق بين الطبقات ، فيتجه قطاع منها يسارا لينضم الى صفوف الثورة، وينضوى ما بقى منها ، تحت لواء القوى المعادية للثورة ، اذ لا حياة لها فى استقلال عن طرفى الصراع اللذان يستقطبان أفرادها .

أما عندما نتحدث عن الراسمالية الصغيرة ، فنحن نعنى بها تلك الفئة العريضة التى تبدأ من المشتغلين فى عمليات الانتاج الصغير من صغار الملاك الزراعيين والحرفيين ، وتمتد لتشمل صغار التجار وقرنائهم من مثقفين والطلبة ومدرسى المدارس الابتدائية والاعدادية والالزامية والثانوية وصغار موظفى الحكومة والمحال العامة والكتبة والاداريين وصغار المحامين والمحاسبين . . الخ الذين يندرجون تحت هذه الطبقة لتقارب وتماثل مستواهم الاقتصادى وظروفهم المعيشية وانتماء معظمهم الى الراسمالية الصغيرة بحكم أصولهم وطبيعة فكرهم وتقاليدهم ومواقفهم .

ولا يمكن تحديد موقف جامد من هذه الفئة الاجتماعية فى مجموعها كوحدة، اذ انها بحكم تشعبها وعلاقاتها المتباينة بالانتاج والسوق والدولة واصولها المختلفة ، لا يمكن ان تندرج فى «فورمة» واحدة ، بل تحت اقسام مختلفة متباينة الثورية والاتجاهات الفكرية . الا ان وضعها البيني بين القوى الرئيسية المتصارعة ، وقربها من العمال والفلاحين بحكم تاريخها وآفاق وامكانيات التطور المحتمل فى مرحلة تذويب الفوارق الطبقية، مع تمسكها بتطلعاتها الراسمالية ، يضفى عليها طابع التذبذب وعدم الاستقرار . لذلك فهى اكثر الفئات الاجتماعية استعدادا للتقوقع ولاتخاذ موقف سلبى . بل ان السلبية هي ركن اصيل لفكرها ، كما انها تمثل مركز اشعاع لمنطق السلبية بين قوى الشعب جميعها اذ ينتشر أفرادها فى كافة مجالات الحياة فى الريف والمدينة . وهم على اوثق اتصال بالجماهير ويحظون بقدر كبير من الاحترام خاصة فى الريف حيث يعتبرون مصدر الحكمة ومنهل العلم والمعرفة . وهكذا فرغم أن البورجوازية الصغيرة لا تمثل وزنا كبيرا من الناحية الاقتصادية أو العددية الا ان اثرها الفكري يصل الى اعماق الجماهير ويمتد ويتشعب بين القوى الاجتماعية الاخرى فيجد ترديدا بين العمال والفلاحين وفقراء الريف .

وتنتشر عدوى السلبية بصورة وبائية بين الناس . ويرجع ذلك اساسا الى انكشاف الفكر الرجعى التقليدى وافتضاح الاساليب السياسية القديمة الى حد كبير ، بفضل الخبرة المكتسبة من النضال ضد الاستعمار وأعوانه ، مع تخلف التنظيم السياسى الاشتراكى عن القيام بدوره فى توعية وتعبئة الجماهير فكريا للتصدى للآراء والتركات الرجعية ، كما أن القيم والافكار الجديدة لم ترسخ بعد، مما يجعل الارض الفكرية مكشوفة لانبات بذور السلبية التى تنثرها البورجوازية الصغيرة ، فهذه الطبقة رغم ثوريتها فى معاداتها للاستعمار وجراتها فى التحرك لهدم النظم المعادية ، **تعوزها روح الجلد والمثابرة والاستقرار . . تسعى الى مكاسب عاجلة فان عجزت عن تحقيقها سرعان مايصيبها اليأس وتلجأ الى التذمر وتنحو الى الوقوف بمنأى عن العملية الثورية بكل ما تستلزمها من تضحيات ومثابرة وجهد .**

وتتمثل التأثيرات السلبية للبورجوازية الصغيرة فى مظاهر تسود بين الناس من أبرزها :

● لا مبالاة بالمشاكل الكبرى للتطور الاجتماعى فهى قد تقبل وتقر سلبيا بالتغييرات التى تحدث فى مرحلة التحول . ولكنها تتابع التمسك بتحفظاتها تجاه الاجراءات الضرورية والحتمية للحركة الثورية مثل التأميم الواسع وتخطيط الانتاج والتحكم فيه وتوجيه الملكية الخاصة فى اطار النظرة اليها باعتبارها وظيفة اجتماعية ، وهى تشكك فى عمليات التجميع الزراعى وتنظيم الزراعة والرقابة على التجارة وتحديد حد ادنى للاجور والالتزام بقوانين العمل وزيادة الضرائب وبعض الاسعار بهدف كفالة الاستثمارات لبناء الصناعة الثقيلة . . . الخ .

● انتشار روح التذمر وعدم الرضا والاتجاه الى النقد الهدام وتضخيم الاخطاء والمبالغة فى النواقص وهدم القيم الايجابية الجادة والسلوك الاشتراكى ، عن طريق استخدام النكتة والقفشات والسخرية اللاذعة التى تنتشر بصورة وبائية ، وهى اثر من آثار السلبية ، الا انها تعود فتغذى تيار السلبية وتدعمه باشاعتها روح اليأس وفقدان الثقة فى المستقبل وامكانياته وآفاقه ، تعبيرا عن نظرة البورجوازية الصغيرة التى لم تتحقق أطماعها وتطلعاتها الطبقية الضيقة ، ولم تجد التوعية الكفيلة باقناعها بأن مصالحها مرتبطة فى المدى البعيد مع قوى الشعب العاملة بعملية البناء الاشتراكى ونجاحها .

● الابقاء على النظرة الفردية والانطواء على الذات وقصر النشاط الايجابى على التحركات فى سبيل تحقيق مطالب فئوية ضيقة ، دون مراعاة أو اعتبار للامكانيات المادية الموضوعية المتاحة والممكنة فى ظروفنا الخاصة .

● التحايل على توفير الجهد والتهرب من المسئولية والتنصل منها ، وانتشار وترديد أفكار مسمومة مثل القول بأن «من يعمل يخطىء» ، ومن

يخطىء يجازى ويعاقب ، ومن ثم فالبراعة تقتضى أن نتجنب الشر ونغنى له » ، والشر هنـا هو العمل . وهذا المثال ليس من قبيل المبالغة بل هو واقع يـكثر ترديده بين موظفى الدولة والقطاع العام .

● الانفصال بين جهاز الدولة والجماهير العاملة استمرارا للنظرة التقليدية المتسمة بفقدان الثقة بالجهاز الحكومى والشك فى كل ما يقدم عليه من اجراءات ويجريه من تغييرات .

● سيادة النظرة الليبرالية بمفاهيمها المشوهة عن الديمقراطية والحريات بما يقود الى نوع مـن الترفع عن العمل السياسي أو اتخاذ مبررات تسمح بالتباعد والانطواء والتقوقع .

العنصر النشط يحـرك

الوسـط ثم السـلبى

وانتشار السلبية يعود الى عوامل عديـدة بعضها تاريخى موروث أبا عن جد ، على امتداد قرون طويلة حفلت بمظالم الحكم الاجنبى وتقلبت خلالها شتى القوى الاستعمارية على السـلطة ابتداء من الهكسوس عام ١٧٣٠ ق.م والآشوريين والفرس والاغريق ثم الرومان قبل الميلاد ، حتى الفتح الاسلامى (٦٤٠ م) والحكم العثمانـى والمملوكى،ثم الحملة الفرنسية والاحتلال البريطانى.

فالسلبية بدأت كسلاح ثورى فى يد الجماهـير يعكس الوعى بالطبيعة الاستغلالية للانظمـة الاستبدادية وينحو الى ادخار الجهد تعبيرا عن الاحتجاج على الاستغلال والظلم الاجتماعى ، ادراكا منها بأن الشطر الرئيسى من عائد العمـل المصرى يذهب الى فئة متميزة طفيلية ، وينبع مـن الاحساس بأنه كلما كان الجهد المبذول فى خدمة الاقطاعى والراسمالى أقل، كان فى ذلك مصلحة الانسان العامل وخفض لفائض القيمة المستقطع منه .

وقد زال هـذا التناقض بالتغيير الذى اصاب علاقات الانتاج ، والحد من فرص الاستغلال عن طريق تملك الشعب لمعظم أدوات ووسائل الانتاج وبذلك اصبح الجهد المبذول اجتماعيا،يرجع عائده الى المجتمع ككل،ويصيب خيره مجموع الشـعب ، فمضاعفة الجهد تعود بالنفع على كل قوى الشعب العاملة والتوفير فيه يصيب مصالحها بضرر بالغ.

لكن ، لايكفى أن تقع التغييرات الثورية فى الهيكل الاقتصادى وفى السلطة الحـاكمة ، لتؤدى الى تغييرات نوعية فى الفكر والقيم السائدة اجتماعيا. فرغم أن النظام الجديد هو النظام البديل لتحالف الإقطاع ورأس المال،ممثلا مصالح تحالف قوى الشعب العامله ، فليس الامر على هذا القدر من البساطة ، اذ لا بد لهذه القوى أن تدرك أن مصلحتها تلتقى تماما مع تدعيم وتطوير النظام القائم والاسهام ايجابيا فى بذل كل طاقتهم وجهدهم وقدراتهم على الابتكار والمبادرة الخلاقة بل والتضحية ان اقتضى الامر لبناء القاعدة الاقتصادية لمجتمعنا،فلا بد اذن من **عنصرى الوعى والتعبئة عن طريق الاقناع والتنظيم .**

ان التحول الاشتراكى للوعى الاجتماعى هو جزء عضوى لا غنى عنه فى عملية البناء الاشتراكى. وتحسين ظروف العمل والحياة وحده ، لا يقود الى تعزيز الوعى الاشتراكى تلقائيا. فالتوعية السياسية عنصر اساسى للقضـاء على المفـاهيم الرجعية والمحافظة، السائدة اجتماعيا وعلى موقف اللامبالاة من النشاط الانتاجى والسياسى . والافتقار الى العامل الايديولوجى لتوعية وتعبئة جماهير العاملين لاستثارة حماسهم ونشاطهم وكسب ايجابيتهم ، يؤدى الى نزعات فردية وطفيلية وسلبية بمحتواها السياسى البالغ الخطورة ، فهو يعرقل عمليـة البناء الاشتراكى ، بل ويهدد كيان الثورة اذ يتيح للقوى الاستعمارية والحركات المعادية للثورة فرص مواتية ومناخ نموذجى لاستقطاب جزء من القوى صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى وتحييـد قطاع كبير منها استنادا الى موقفها السلبى .

والوعى الاشتراكى لايمكن كسبه من خلال العمل النقابى أو النشاط الفئوى المهنى بحدوده الضيقة وآفاقه المحدودة ولا ينبع تلقائيا بين العمال والفلاحين ، بل ان الافكار الاشتراكية التى تولدت من نظريات فلسفية وتاريخية واقتصادية علـى أيدى المثقفين الثوريين تصل الى صفوف القوى العاملة عن طريق التنظيم السياسى الطليعى أو الحزب الاشتراكى القائد .

وهنا نعود مرة أخرى الى مركز التجمع الذى تلتقى فيه كافة خيوط البحث ، كلما تعمقنا فى دراسة مشكلة اجتماعية ، سياسية ، اقتصادية أم ثقافية الا وهو ضرورة الاسراع بتكوين الجهاز السياسى الاشتراكى ، باعتباره حجر الزاوية فى انجاز هذه المهمة .. مهمة توعية الناس اشتراكيا وتعبئـة الجماهير للاسهام ايجابيا فى النشاط السـياسى والاقتصادى والاجتماعى . فالاشتراكية ليست كغيرها من الانظمة تعتمد على ايجابية طبقة محددة أو فئة صغيرة منها، بل يتوقف نجاحها على المشاركة

الواعية الارادية لقوى الشعب العاملة كلها فى عملية البناء الاشتراكى .

ورغم أن خلق التنظيم الاشتراكى القائد هو الحلقة الرئيسية فى التغلب على السلبية، الا اننا لن نستطرد فى الحديث عنه فقد وفته «الطليعة» حقه من البحث فى مقالات ودراسات سابقة ، ونكتفى فى هذا المجال بالاشارة الى ما جاء على لسان **المناضل عبد الناصر** فى حديثه التنظيمى فى المؤتمر الاول لاعضاء المكاتب التنفيذية فى ١٢ يناير الماضى، بمايخدم قضيةبناء التنظيمالسياسى ويرتبط بموضوع السلبية ، اذ يقول :

«اننا كقيادات لانستطيع أن نحرك الناس جميعا ذلك أن الناس ينقسمون الى ثلاثة أقسام : ناس نشطين وناس سلبيين وناس وسط بين النشطين والسلبيين .. وهذه سنة الكون وسنة الطبيعة.»

فلو حاولنا أن نجعل الناس على مستوى واحد فسنجد فى ذلك صعوبة .

اذن يجب أن نركز أولا على النشطين ونحرك بهؤلاء الناس الوسط ثم السلبيين بعد ذلك

وأود أن أشير أن الناس السلبيين يوجودون فى جميع المجتمعات ، وبقدر الجهد نستطيع تحرك الوسط والسلبيين .

أما اذا تركت الافراد النشطين وسرت وراء السلبيين تحاول تحريكهم وتنشيطهم فان طريقة عملك تكون خاطئة » (١)

ولا يمكن اكتشاف العناصر الايجابية الا من خلال النشاط السياسى والتحرك الديمقراطى الجماهيرى الواسع ، حيث تطفو أنشط العناصر الى السطح، وتبرز فى المقدمة، وبذلكيمكن التقاطها وتوعيتها اشتراكيا وتدريبها على العمل السياسى الجماهيرى وتزويدهما بالخبرة التنظيميةاثناء عملها من قوى الشعب العاملة واندماجهـا والتحامها بالجماهير .

الا أن هناك واقع لمسناه من تجاربنا السابقة فىمجال العمل السياسى ، وهو أن النشاط وحده ليس مقياسا كافيا على ثورية الانسان أو معيار دقيق لاخلاصه ، اذ ينشط جنبا الى جنب مع العناصر الثورية بعضأفراد انتهازيين ووصوليين يبغون تحقيق مصالحهم الذاتية أو يهدفون الى أخطر من مجرد الفائدة الشخصية ، بخدمة مصالح طبقية معادية عن طريق احتلال مواقع حيوية فى الاجهزة التنفيذية أو التشريعية والسياسية . ووجود القيادة الثورية فى قمة السلطة يجعلمن الصعوبة بمكان التفرقة بين نوعيه العناصر النشطة ومدىاخلاصهاوالكشفعن دوافعالنشاط ،ومايكمن ورائه من أهداف . لكن من خلال العمل الجماهيرى نفسه يتضح معدن كل عنصر نشط ، وهو ما أشار اليه المناضل القيادى جمال عبد الناصر عندما خطط لاسلوب العمل الثورى ووضح قسماته وأضاف أن «من يلتزم به ويمشى سيستمر ، واللى ينحرف يخرج .. واللى لن يجند ويفشل يمشى .. اللى لن يقيم قيادات أخرى يبقى فشل ويمشى ، ويطلع غيره ، هذا ما يجب أن نلتزم به اذا اردنا بناء الاتحاد الاشتراكى» ثم يعود الى تأكيد امكانية «انك تحرك السلبيين ، وتقدر تغير الناس الوسط او النص سلبيينالى ناسنشطين»وهذا«اذا جندت النشطين واخترت النشطين فى كل القيادات»(٢).

والدور الاساسى للتنظيم السياسى هو التوعية والتعبئة ، والواقع أنه لايمكن تعبئة الناس لهدف معين الا عن طريقتوعيتهم.ولا شكأنأولى مراحل الوعى وأهم عناصره تكمن فى ادراك قوى الشعب العاملة لحقيقة النظام القائم ، باعتباره البديل الوحيد لتحالف الاقطاع ورأس المال ، وأنه الكفيل بتحقيقمصالحها. وقديكون منأهم أسباب السلبية هو عدم اقتناع الغالبية من الجماهير العاملة بدور النظام الجديد فى خدمة هذه المصالح،والافتقار الى الاحساس بحقيقة التغيير الذى أصاب العلاقات الاجتماعية .

وقد يعجب البعض .. كيف نفتقر الى هذا الادراك البدهى بالفارق الجسيم بين النظامين والاختلاف النوعى بينهما ، رغم كل المكاسب والانجازات التى تحققت على أيدى الثورة ؟ وربما يثير هذا الوضع دهشة جيلنا ، الذى عاصر النظامين ، فشهد بعينيه جنود الاحتلال وسطوتهم داخل القاهرة والاسكندرية ومدن القنالومختلف أنحاء البلاد ، ولمس مظاهر حكم السراى والاقطاع وعانى من مجتمع النصف فى المائة الذى يلتهم أكثر من نصف الدخل القومى و .. و كافة آلام ومآسى حكم الاستعمار والاقطاع ورأس المال

---

(١) (٢) حديث جمال عبد الناصرالتنظيمى — الطليعة عدد فبراير ١٩٦٦

وفى هذا المجال نشير الى مثال واقعى ، فقد ثبت أن انتاجيه العامل القديم الذى يعمل حاليا فى المصانع التى اقيمت قبل الثورة أكثر من انتاجية العامل الجديد فى المصانع الجديدة ، رغم أن أدوات الانتاج فى الجديدة منها أكثر تقدما . والسبب فى ذلك لايعود الى الخبرة وحدها ، بل الى الجانب الايجابى الذى اكتسبه العامل القديم نتيجة مالمسه بنفسه من التغييرات الجذرية التى المت بالبلاد ومن ثم به شخصيا ، فكانت دافعا له على اتخاذ موقف أكثر ايجابية من العامل الجديد الذى لميعاصر فى رشده هذا العهد .

هنالك اذن جيل جديد لم يستوعب هـــذه الحقائق .. جيل نما وترعرع فى احضان الثورة ولن يستطيع مهمـــا صورنا له الاوضاع ان يدرك حقيقة ومدى الطفرة التى حققناها فى الاربعة عشر عاما الماضية ، بل وهو يعتبر كل ما حققته من انجازات حق مكتسب وأمر واقع .. وهو فى ظروف تخلف الوعى وسيـــادة النظرة الفئوية الضيقـــة والاتجاهات الاقتصادية المحدودة الافق ، لايعنيه فى شيء ، الممكن من المستحيل ، فيبالغ فى مطالبـــه وتطلعاته ، وهى أن لم تجاب — ولايمكن ان تجاب دفعة واحدة — بادر الى التذمر وعبر عن عدم رضائه بموقف سلبى متباعد متنـــافر مع العمـــل السياسى والنشاط الاجتماعى والانتاجى .

الا اننا لايمكن أن نحمل كل الاخطاء ونلقى بالعبء بكامله على حقيقة تخلف الوعى الاشتراكى والافتقار الى التنظيم السياسى الطليعى ، فهناك من العوامل ما يدفع قطاعا من الجماهير الى فقدان الثقة فى امكانيات وآفاق التطور الاشتراكى ومن أهمها :

● سياسة المبالغة فى الوعود وتبسيط الامور ، بما يرسمصورة ورديةمشرقة لمرحلةالتحول ويدعو الى التفاؤل أكثر مما يجب ويشكل توقعات تفوق الامكانيات المتاحة ، ويقلل من شأن الصعـــاب والعقبات والتحديات التى تواجهنا . وهذا بدوره يؤدى الى تعجل النتائج وتضخيم الاثار السريعة والمكاسب التىتترتب علىتغير العلاقاتالاجتماعية وتنحو الى تصوير امكان انهيال الامتيازات بمجرد الاطاحة بالنظام القديم،وكأنما هى عملية سحرية، فالسماء تمطر الخيرات دون مقابل من جهد وعرق وعمل . وهو تصور مثالى ، وخطأ وقعت فيهبعض الصحف واجهزة الاعلام وعدد من الدعاة ، وبلغ ذروته فى رفض الاقرار بوجود مرحلة انتقال من الاوضاع الرأسمالية الاقطاعية الى المجتمـــع الرأسمالى ، مما كان له اثر بالغ على الجماهير ، اذ كان ما حققته من مكاسب اقل مما صورتهالنغمة البراقة الزاهية خاصة وأن الاساس الاقتصادى للمجتمع الذى ورثناهوأساس متخلف، والامكانيات المتوفرة لدينا من حصيلته ضعيفة .

والقول باننا بلغنا وحققنا المجتمع الاشتراكى ليس من قبيل الصواب ايضا ، اذ يوحى باننا بلغنا فعلا مجتمع الكفاية والعدل . فان كان هذا هو المجتمع الاشتراكى ، فلا شك انه صورة غـــير مشجعةاذا نظر الانسانإليه بطريقةجامدة باعتبار ما هو قائم وليس اعتمادا على اننا نقطع مرحلة تحول ونسعى الى تحقيق المجتمع الاشتراكى . وان كل الفرص والظروف مواتية لهذا التحول ، مادامت السلطة فى أيدى قوى الشعب العاملةوفى طليعتها القيادة الاشتراكية .

وقد بادر الرئيس عبد الناصر الى أخذ المبادرة لتوضيح هذه المعانى جماهيريا وافاض فى الحديث عنها فى كل مناسبة . ومثال ذلك ما جاء فى خطابه على اثر ترشيحـــه لرئاســـة الجمهورية ((**اننى اجيء اليكم وليست معي وعود براقة وانما اجيء لكم ومعى خطط عمل مضيئة..ان ماأعرضه عليكم هو مسئولية ضخمة وشاقة .. أن الاحلام والمنى حق لكل البشر .. ولكن الحق لايتأكد تلقائيا وانما الحق جهاد فىسبيل المبادىء وعملوتضحية وفداء**))

وفى اليوم التالى فى حديث له بمدينة المنيا يقول ((**الاشتراكية مش عمل سحرى .. الاشتراكية هى عمل مستمر ودائب فى ميدان الانتاج ، وبالتالى بعد كده نستطيع ان نزيد الخدمات**)) .

وفى مجال آخر يؤكد أن ((**الاشتراكية ليست مطالب فقط كما قد يفهمها بعض الناس،انها مجرد توزيع للاراضي ومنح علاوات وما الى ذلك .. بل أن الاشتراكية اداء أكثر منها مطالب**))

ويؤكد زكريا محيي الدين رئيس الوزراء فى خطابه بمجلس الامة فى الرابع من ديسمبر ١٩٦٥, ان ((**الحكومة لا يسعها وليس من حقها ان تخدع الشعب بالاماني وانما يحتم عليها واجبها ان تنير للشعب طريق السلامة ، مهما كانت الصعاب ومهما كانت التضحية**)) وهو المنهج الذى اختطته الوزارة الحالية ، منذ أن تسلمت مقاليد الحكم .

وسياسة المبالغة فى الامكانيات والتضخيم من النتائج العاجلة والمكاسب المباشرة تخلق مناخـــا خاصا من التوقعات لدى الناس ، ينعكس منجانب المسئولين فى اجراءات تؤدى الى تعجل المكاسب على حساب التنمية وزيادة الاستهلاك على حساب الاستثمارات ، ويقود الى تصرفات خاطئة عملا على اخفاء الحقائق والاثار المترتبة على هـــذا التناقض ، كالمبالغة فى أرقام الانتاج على أساس سعر المنتجات بدلا من الكمية أو الوحدات المنتجة،

او اللجوء الى الاقتراض لادعاء ارباح وهمية يمكن توزيعها على العاملين ، ورفع الاجـور بصورة تهدد بآثار تضخمية وتؤثر على اتجاهات التخطيط وتمنع التحكم فى المعادلة الصعبة لمصلحة التنمية .

الا أن أهم الاثار التى ترتبت على هذه السياسة، هى احساس ساد بين الناس عن تناقض بـين الصورة التى زينت لهم عن امكانيات النظام الجديد فى أولى مراحله والذى قدم لهم على أنه مجتمع اشتراكى وليس مرحلة تحول نحو الاشتراكية — وبين الواقع الملموس ، مما يسبب البلبلة ويؤدى الى فقدان الثقة بين الصورة والواقع ، وهذا رغم كل الانجازات الجبارة للثورة فى جميع مجـالات الحياة والتى هى ليست فى حاجة الى تبيان .

وهنالك فارق اساسى بين **التفاؤل الثورى وبين المبالغة والمغالاة فى الوعود** ، دونما احسـاس بالمسئولية ، فالتفاؤل الثورى قائم على اسس علمية تؤكده الانجازات التى تمت والآفاق التى يتيحهـا التخطيط الاشتراكى للنمو ولمستقبل الانسان العامل فى مجتمعنا . اما المغالاة فهى موقف غير مسئول ينبع من فقدان الثقة بالجماهير وعدم القدرة على قيادتها أو تعبئتها سياسيا ويتصف بقصر النظر .

الاسراف والحوافز

● تفاوت الدخـول والاجـور بصورة توحى باستمرار الامتيـازات الفئوية ، وتوزيع العائد الاجتماعى بطريقة لاتتمشى مع استخدام العمـل كمعيار اساسى له،واستمرار بعض المزايا العينية والمالية والاسراف فى أوجه لاتعود بالنفع على الانتاج بل فى اضفاء نوع من الرفاهية على القيادات فى مجالات الانتاج واجهزة الدولة، كالسيارات والتكاليف الباهظة لتأسيس المكاتب وغيرها من المظاهر البـادية للعيـان فى صـورة قد تزيد كثيرا عن حقيقـة مغزاها من ناحية الاعباء المادية ، الا ان لها اثر بالغ الاهمية والتأثير على حوافز العمل ، بل هى من أهم عوامل تفشى السلبية . والانسان بطبيعته مستعد لان يفنى فى العمل والجهاد اذا احس بالمسـاواة .ولكنه يرتمى فى احضان اللامبالاة اذا استشـعر بأن هناك فئة تبدو مميزة او منتفعة على حسـابه .

والتزام جانب السلبية من العملية الثوريـة الجارية ، هو فى الواقع موقف ايجابى من الاوضاع القائمة ، تعبيرا عن التذمر واظهارا للاحتجاج على بعض المظاهر الاجتماعية ، ولا يعنى هذا بالضرورة أنها مظاهر خاطئة فى جميع الاحوال ، بل قد تمليها ظروف معقدة تواجه الواقع الثورى .

واوجه الاسراف هذه التى تتم على حساب الانتاج ومظاهر البذخ والتبذير التى اشرنا الى بعضها ، لايمكن احتسابها كمجرد «فاقد» فى الانتاج على اسس ميكانيكية .. اى على اساس أن ٤ — ١ = ٣ مثلا ، فان اثر التبذير يفوق تكاليفها المباشرة اضعافا مضاعفة ، بما يترتب عليها بين العاملين من تثبيط الهمم ووأد الحماس والقضاء على الحافز وبذلك فان المعادلة تتحول الى وضع يصح فيه القول بان ٤ — ١ = ٢ ، واضعين فى اعتبارنا عنصر قوة العمل والجهد البشرى الذى يهبط بصورة محسوسـة وهو ما نعنيـه بالفرق بين النظرة الميكانيكية ، والنظرة الجدلية .

ولنتناول مشكلة السيارات من قبيل المثال ، وذلك رغم الخطوات الجادة العملية التى اتخذتها الوزارة من اجل حلها بصفة نهائية ، فهى لم تعد موضوعا مثارا اليوم على نفس المستوى السابق.

وقد كثر الحديث عن السيارات الحكوميـة وسيارات القطاع العام .. السيارة الجديـدة المستوردة من آخر الموديلات .. الفاخرة «المجنحة» التى تستعمل فى خدمة العائلات ولتأدية المهـام الخاصة وتوضع اكثر من واحدة منها بسائقيهـا تحت تصرف المديرين والرؤساء .

والواقع أن ما يمكن توفيره من جراء تنظيم مسألة الاسراف فى استخدام وشراء السيارات لن يحقق وفرا يذكر ، اذا قورن بالميزانية العامة أو جملة الاستثمارات ، الا ان اثرها السياسى بالغ الخطورة يتعدى الوفر المالى كثيرا . فبالقضاء على هذه النماذج الصارخة من الاسراف والامتيازات ، نحقق نوعا من الاحساس بالمشاركة والتضامن والعدالة يؤدى الى تشجيع الحافز الذاتى ووضع العاملين فى المناخ المناسب للمبادرة والخلق والاقبال على العمل بحماس يؤتى ثماره زيادة فى الانتاج فيحقق عائدا يبلغ اضعاف ما يمكن تحقيقه مباشرة من مجرد الوفر فى أسعار وتكاليف السيارات .

وقد ظهر هذا الاتجاه بوضوح عندما أثـيرت مسألة الادخار فى المؤتمرات الشعبية ، فقد أبدت الجماهير استعدادها للاقبال عليه وتقديم نصيبها منه كموقف ايجابى ، الا انه من الملاحظ ماساد هذه المؤتمرات من شبه اجماع على اثارة مشكلة التبذير والامتيازات الخاصة ببعض الافراد بحكم مناصبهم وقدمت عشرات بل مئات الامثلة على اوجه الاسراف المختلفة ، مع المطالبة بالحد منها والتحكم فيها ، مما يوحى بأن عدم الالتزام باتخاذ مواقف محددة حازمة

من مشكلة الاسراف يقود بالضرورة الى الاستكانة لطريق التحلل من المسئولية والتقوقع فى رداء السلبية .

والتجاء بعض البلاد الاشتراكية — وخاصة تلك التى فرضت عليها الاوضاع الاستعمارية التخلف الى الاهتمام بطمس بعض مظاهر التفرقة بــل والمبالغة فى ذلك، مثل اتخاذ «بدلة الشعب» لباسا عاما للجميع دون تفرقة (وقد قامت الدولة عندنا بنصيب فى محاولة الترويج لها) ليس مجرد شكل مظهرى فحسب ، بل ان له دلالة سياسية بالغة الاهمية اذ يشحذ العزائم ويدفع الى تأجيج روح المشاركة والحماس للعمل . ومن ثم فهو احـد الاساليب الناجحة للتغلب على السلبية وجـذب الناس الى الاسهام فى عملية البناء الاشتراكى بروح الجماعة .

ويحضرنى فى هذا المجال حديث صديق عامل، جاءنا على أثر عقد اجتماع بمصنعهم من اجل الدعوة للادخار يشكو من عدم استجابة العمال واتخاذهم لموقف سلبى من القضية المثارة وهو يدرك السبب ويتوخى الحل . فمدير المصنع هو امين وحدة الاتحاد الاشتراكى واوجه الاسراف فى المصنع عديده ومثار حديث العمال . وكانوا متجمعين فى فناء المصنع واذا بالمدير قادم بسيارته الفارهة الطول فى لباس فاخر يبرق الذهب على ساعده وترصع لؤلؤة رباط عنقه .. راح يصف لى مظهره وموكب قدومــه وتناقض هذا المظهر مع ما تلاه من حديثه عن بناء الاشتراكية وما تقتضيه من تضحية وبذل ، وهذه المظاهر جميعا تنفث جرثومة السلبية وتكفل لها أسباب الانتشار لانها تخفى حقيقة ومضمون التغييرات الثورية الاساسية فى ظروف تخلف الوعى والقدرة على ادراك الواقع الاجتماعى على حقيقته .

● ومن العوامل التى تترك اثرا مشابها، واعنى به الافتقار الى الاحساس بعمق التحولات التى اعترت علاقات الانتاج فى المجتمع الجديد - ذلك الطابع المميز لجهاز الدولة والذى لم يتغير كثيرا عما كان عليه عندما ورثناه عن السلطات التى عمل على خدمة مصالحها قبل الثورة . وفى هذا المضمار نذكر قول المناضل جمال عبد الناصر فى بيانه يوم افتتاح مجلس الامة فى ٢٦ مارس ١٩٦٤ «ينبغى أن نعترف بأن كل ماوجهناه من جهود لم يطور حالها (الحكومة) بحيث تستطيع أن تخدم المجتمع الجديد . مازالت تظن نفسها فوق الجماهير تحكم ، ولا تريد أن تدرك أن مكانها فى المجتمع الجديد أن تكون تحت الجماهير تخدم »

ونحن نلمس هذا الواقع فى حياتنا اليومية ،

وهو مثار الشكوى والتذمر الدائم من المواطنين ، ويتمثل فى ابسط صوره واعمقها فى تعالى الموظفين على الناس والاستهتار بمصالح الجماهير والتحيز الى جانب الفئات المميزة اجتماعيا ، ووضوح هذا التحيز خاصة فى الاجهزة المنتشرة بالاقاليم .. الخ من تصرفات ، تساندها وتغذيهـا لوائح وقوانين معمول بها منـذ العهد القديم ، شرعت وصيغت لحماية سلطة الاقلية الحاكمة حينذاك .

ان علاقة السلطة السياسية بالجماهير الشعبية العريضة تمر عبر اجهزة الدولة . والقوى العاملة اذا لم تحس بأن هذه الاجهزة تعبر عن مصالحها وتخدمها فسوف تعزو هذا الموقف الى السـلطة السياسية ذاتها، فهناك ارتباط لامهرب منه فى اذهان الجماهير بين القيادة السياسية — مهما بلغت ثوريتها وتقدمها الفكرى — وبين جهاز الدولة بعقليته المحافظة المعادية للتغير وتفكيره المتخلف .

وخطورة هذا الوضع تكمن فى انه يؤدى الى تشكيك فى موقف «الاجهزه التنفيدية» وخوف منها، وتباعد عنها ، بل ويؤدى الى الربط — من واقع العقلية السائدة وبحكم التجربة التاريخية — بين الاجهزة والقيادة السياسية .. ولامهرب من هذه الحقيقة .

ان مهندس الرى الذى يتحيز الى جانب المالك الكبير ويعرق ارضه بالمياه . بينما نعطش ارض المستاجر او المالك الصغير . هو الحكومة والسلطة فى نظره ، لامجرد موظف يتصرف فى تناقض وتعارض مع سياسة الدولة .. وكذلك المفتش الزراعى ورجل الشرطة وطبيب الوحدة المجمعة وساعى البريد .. موظف بنك التسليف والجمعية التعاونية والوزان الذى يتحكم فى وزن القطن والفراز الذى يقرر رتبته عند تسليمه .. بعض موظفى الاصلاح الزراعى — خاصة من رجال الدائرة او الاقطاع القدامى — الذين يحتلون القصور المهجورة ويتعاملون مع الفلاح بنفس العقلية والمنطق الذى خدموا به كبار الملاك فى الماضى .

والرجل العادى يتلمس موقف الدولة من تصرفات موظفيها ، وعلى اساسها يحدد موقفا منها . وهو اذ يشهد أجهزة «فوق الجماهير تحكم» لا تحت الجماهير تخدم» يلتزم جانب السلبية وموقف التحفظ .

هذا الانفصام الذى نشهده حتى يومنا هذا بين جهاز الدولة والحركة الثورية ، ناتج عن استمرار الطبيعة الطبقية و «عقلية الحاكم» التى ورثناها دون أن ننجح فى القضاء عليها داخل دواليب الحكومة المختلفة رغم اسقاط سلطة الاقطاع ورأس المال سياسيا واقتصاديا . فهذا الجهاز يستمر

بالقصور الذاتى ما دمنا نفتقر الى قوة لها وزن سياسى واجتماعى قادرة على فرملة اندفاعه الى مدى يلحق اضرارا جسيمة بعملية البناء الاشتراكى.

هناك اذن الموقف السلبى للجماهير الشعبية والناشىء عن عدم احساسها بالتغييرات الجذرية التى اصابت علاقات الانتاج، وذلك بسبب الاتجاهات التى تسود بين موظفى الدولة وتصرفات الاجهزة التنفيذية فى علاقتها اليومية والمباشرة بالجماهير.

الا أن موقف «الاجهزة التنفيذية» نفسها يتصف بقدر كبير من السلبية، فمن اساليب الديماجوجية التى اخذها تحالف الاقطاع وراس المال عن الغرب محاولة تصوير الجهاز التنفيذى وكأنه مستقل عن القوى المتصارعة «يطبق **مبادىء عامة** طبقا لمفاهيم وقيم مجردة وكفوة مستقلة قائمة بذاتها»، فهى لاتتدخل الا لحماية «المجتمع»، وعليها ان تقف بمنأى عن مشاكل التنمية الاقتصادية والانتاج وتتركها للتنافس الحر — وبذلك تضعها عمليا فى ايدى طبقة طفيلية مستغلة — وان تلتزم موقف الحياد من الاتجاهات الفكرية — فيما عدا «الهدامة» منها. وما دامت الصحافة ووسائل الاعلام والنشر تحت رحمة وسيطرة راس المال.

وهذه الصورة رغم زيفها الا انها لعبت دورا فى الترويج لفكرة ضرورة وقوف جهاز الدولة التنفيذى بمنأى عن الصراعات او التدخل فى حق الملكية والانتاج والتجارة .. الخ وهو مما يؤكد النزعات السلبية لدى العاملين به، خاصة بين صغار الموظفين الذين يكونون اغلبيته الساحقة.

ومن أولى المهام التى تواجهنا فى مرحلة التحول الثورى فى طريق الاشتراكية ضرورة تغيير طبيعة جهاز الدولة ليصبح اداة التحول وسلاحا فى خدمة تحالف قوى الشعب العاملة

وهى مهمة شاقة، صعبة. الا ان **الاساس المادى** لها قائم، ويتمثل فى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج والتوزيع الاساسية وفى العملية الثورية التى تجرى لتذويب الفوارق بين الطبقات بهدف الغائها اجتماعيا عن طريق الغاء الاستغلال أصلا لكن **الاساس السياسى** لتحقيق مثل هذا التحول فى اجهزة الدولة متخلف الى حد كبير، اذ يعتمد على قيام الاشكال المتطورة الجديدة من الحكم الشعبى .. قيام المجالس الشعبية المنبثقة عن القوى العاملة وتأكيد سلطة هذه المجالس المنتخبة باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية وبدئها فى مباشرة بعض سلطات الدولة، فهو الطريق الطبيعى الذى ينظم سيادة الشعب ثم هو الكفيل بان تظل الجماهير دائما قائدة للعمل الوطنى «كما أنه الضمان الذى يحمى قوة الاندفاع من ان تتجمد فى تعقيدات الاجهزة الادارية او التنفيذية» (٣) ويقتنع الناس بانها المتحكمة حقا فى مصيرها وان الاجهزة التنفيذية تعمل فى خدمة مصالحها. وبذلك تدب الحياة فى شرايين اجهزة الدولة وتتغير تدريجيا العقلية السائدة فيها، مما ينعكس اثره على الجماهير نفسها باتخاذ موقف اكثر ايجابية.

وهاتان العمليتان مترابطتان متفاعلتان يجب ان يسيرا جنبا الى جنب.

ومنذ يونيو ١٩٦٢ والميثاق الوطنى يؤكد ان «الحكم المحلى يجب ان ينقل باستمرار وبالحاح سلطة الدولة تدريجيا الى ايدى السلطات الشعبية» الا اننا فى عام ١٩٦٦ — لم نبدا بعد تجربة الحكم المحلى الا فى حدود ضيقة، بالرغم من أن اجهزة الحكم المحلى هى اقرب الاجهزة الى الجماهير واكثرها علاقة بنشاطها اليومى. وهى اذا تمكنت تحت رقابة المجالس الشعبية من اداء دورها فى حماية مصالح الناس من تاثير ونفوذ كبار الملاك الراسماليين فى المدينة والقرية، وضمان تطبيق القوانين الاشتراكية، وتفسيرها فى مصلحة الشعب والوقوف فى وجه الانحراف لاصبحت حافزا لايجارى للجماهير على التخلى عن سلبيتها ودافعا لان تسهم ايجابيا فى النشاط الانتاجى والاجتماعى والسياسى.

أما فيما يتعلق بالمجالس الشعبية فلم يتكون منها الا مجلس الامة بينما تأخر تكوين المجالس المحلية فى المحافظات والمدن والقرى. وهناك مشروع قانون تم وضعه وتعديله، وكان متفقا على مناقشته فى المنظمات الشعبية قبل اقراره فى صيغته النهائية، الا ان هذا لم يتم بعد بصورة شاملة ويجب التعجيل من طرحه للمناقشة خاصة بعد تكوين المكاتب التنفيذية، فهى فرصة ثمينة للعمل الجماهيرى والاطلاع على اتجاهات الراى العام والتفاعل مع قوى الشعب العاملة.

ومن أهم عوامل اشاعة روح السلبية بين موظفى الدولة والقطاع العام، التفاوت الكبير فى الاجور والمرتبات. ولا نقصد مجرد الفوارق الصارخة بين الحد الاقصى والحد الادنى للاجور، فالاول يزيد عن خمسين ضعف الحد الادنى طبقا للقانون واكثر من ذلك فى بعض الحالات التى تتحايل عليه، بل ان ما نعنيه هنا هو التفاوت الكبير فى المقابل المدفوع للعمل الواحد والجهد الواحد والكفاية المتكافئة. وهى مشكلة موروثة عن الماضى، وحلها من أشق الامور واصعبها، اذ أن القفز بالاجر الاقل

(٣) الميثاق الوطنى

الى المستوى الاكثر ارتفاعا ، لتحقيق المساواة عن نفس العمل والجهد ، يحمل الميزانية عبئا لاطاقة لها بتحمله ، كما أن الهبوط بالاجور المرتفعة الى المستوى الاقل ، امر غير عملي ، الا ان هناك **معدل وسط** — متطور فى اتجاه الارتفاع — يجب ان يقترب منه كلا الطرفين ، وان تكون هناك خطة واضحة ، لبلوغ هذا الهدف ، مع مراعاة ان نقاط البدء فى ارساء قواعد خطة من هذا القبيل تتوقف على :

● ان نبدا من الواقع ، بكل ما يتضمنه من تناقضات ونواقص ، لا ان نشرع فى اقتراح حلول بعيدة او منعزلة عن هذا الواقع .. اى حلول مجردة وهو اتجاه ظهر فعلا بين بعض الدارسين لقضايا التسكين .

● أن تنبع الخطة من جماهير الموظفين ، على أثر مناقشات واسعة وتجميع لكافة الشكاوى والمآخذ ودراسة الاتجاهات المختلفة والاقتراحات المقدمة للعلاج .

● اقناع جموع العاملين بسلامة الخطة المتبعة وتوعيتهم بفاعليتها وعدالتها باعتبارها الطريق الوحيد الممكن فى مواجهة ميراث مثقل خلفه على أرضنا تحالف الاقطاع ورأس المال .

واذا كان فى حكم الاستحالة التغلب على هذه الاوضاع بين يوم وليلة ، فيجدر بنا ان نعمل على اقناع العاملين جميعا — من واقع تلك الخطة المحددة — بأن العدالة الاشتراكية حق مقرر لقوى الشعب العاملة ، وأن لكل فرد حسب عمله وجهده ، وان تحقيق هذا المبدأ رهن بالوقت وحده ومتوقف على تشييد القاعدة الاقتصادية للبناء الاشتراكي وبذلك نعيد اليهم الثقة بالمستقبل والايمان بالاشتراكية ، ونكسب ايجابيتهم .

وفى نفس الوقت يجب التوسع فى استخدام الحافز المادى والادبى ، تعويضا للفروق غير الطبيعية فى مستويات الاجور من العمل الواحد المتكافىء ، مما يشكل دافعا ايجابيا لمنافسة بناءة ، واقبال على العمل .

الديمقراطية الاجتماعية والسياسية

وكان للتعريف الذى اخذت به « لجنة المائة » للعامل والفلاح اثر فى تأكيد وتدعيم روح السلبية

كيف كان ذلك ؟

لان تطبيق هذا التعريف سمح لعدد كبير من المثقفين بشغل مراكز اساسية فى الاجهزة السياسية والانتاجية تفوق نسبتهم العددية بل واحتلوا قطاعا من النسبة المخصصة للعمال والفلاحين — بمفهومها العلمى — فاصبحت اغلبية المراكز القيادية فى ايدى «المتعلمين» وأكثرهم من أبناء الرأسمالية الصغيرة مصدر الاشعاع الرئيسى للسلبية ، مما مكن لهذا التيار من اغراق معظم القوى العاملة بدورها فى براثن السلبية ، هذا بينما قصد الميثاق الوطنى من ضمان نسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين ان يبث فى الاجهزة الشعبية النشاط ويضفى عليها الحيوية ويعبئها بالروح الايجابية ، لان العمال والفلاحين هما «بالطبيعة الوعاء الذى يختزن **طاقات ثورية دافعة وعميقة** بفعل معاناتها للحرمان» كما جاء فى الميثاق .

وتواجد هذه القوى جنبا الى جنب مع المثقفين، كفيل بحدوث تفاعل بين طبيعتهم السلبية المترددة وبين العمال والفلاحين ممثلى الجانب الايجابى ، جانب الفعل المباشر ابناء الواقع المادى الحى والممارسة العملية، وباعتبارهم من القوى الرئيسية والنسبة المخصصة للعمال والفلاحين تمثل احدى القسمات الرئيسية التى لاغنى عنها لديمقراطية الحكم .

وقد جاء بالميثاق الوطنى أن «الديمقراطية السياسية لا يمكن ان تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية » ، فالديمقراطية الاجتماعية تعمق مضمون الحرية وترسى اساسه المادى والحريات السياسية وفى مقدمتها حرية التعبير عن الراى .. حرية النقد والحوار تشجع على الايجابية فى الفكر ومن ثم فى العمل وتولد الاحساس بالمسئوليه تجاه المجتمع .. وديمقراطية الخطة تؤكد الالتزام ازائها بالنضال من أجل تحقيقها .

والديمقراطية تغرس فى نفس كل مواطن عقيدة راسخة بأنه صانع مستقبله وسيد مصيره، والديمقراطية الاجتماعية تمنع استغلال الانسان لاخيه الانسان ، وهكذا تصبح الايجابية من مصلحة الفرد والمجموع معا، ويتحول الجهد البشرى المبذول الى خير يعم ويشمل كل العاملين ولا يرجع عائده الى منتفع طفيلى أو دخيل اجنبى . وقد أوضح القائد عبد الناصر فى خطابه بمناسبة افتتاح مجلس الامة فى ٢٦ مارس ١٩٦٤ «أن الديمقراطية لا تتحقق فى كمالها الا بقيام التنظيم السياسى شامخا وفعالا ، والا بقيام المجالس الشعبية المنتخبة توقع بارادة الجماهير الحرة كل قرار وتؤكد بالفعل لا بمجرد القول أن صوت الشعب من صوت الله » .

يناقش فتحى عبد الفتاح فى هذا التعليق مقال « الاشتراكية والوحدة فى الوطن العربى » الذى نشرناه فى العدد السابق للدكتور عصمت سيف الدولة . وذلك فى اطار المناقشة المفتوحة حول القضايا المصيرية للوطن العربى التى تثيرها الطليعة .

الاشتراكية والوحدة فى الوطن العربى



فتحى عبد الفتاح

الاشتراكية والوحدة قضيتا مصير مطروحتان على الشعب العربى بأكمله . فالاشتراكية يفرضها واقع ومصلحة الشعب العامل فى الوطن العربى والوحدة تفرضها أسس القومية الواحدة والنضال والمصير المشترك لجماهير الشعب العربى .

ولسنا هنا بصدد التعرض لاسس طريقنا العربى للاشتراكية وتحليله ، ولا للمقدمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية للوحدة العربية ولكنى سأركز بالتحديد حول ما يثيره بعض الكتاب عن علاقة الوحدة بالاشتراكية ، وخاصة وهناك بعض الاراء التى أعتقد أنها وهى تتعرض لهذا الموضوع تترك القارىء فى حيرة ، لا يعرف بالضبط ماذا يريدون ، فيثير المزيد من التخبط والبلبلة بسبب ما يزخر به من تناقضات .

حقيقة ان موضوع الاشتراكية والوحدة موضوع هام وحيوى يستحق الكثير من الجدل والنقاش ، ولكن الثابت ايضا اننا خلال العشر السنوات الماضية مررنا بعديد من التجارب العملية الخصبة والتى كانت لها نتائجها الواضحة الملموسة ، ولذا فبقدر ما يتسع الموضوع للكلام والكتابة والتجديد ، بقدر ما يصبح عبثا ان تنطلق الاحاديث والكلمات من ارضية بعيدة تماما عن واقعنا ، متجاهلة حصيلة التجربة العملية ، متمسكة ببعض الشعارات التى تعدتها مرحلة التطور العربى منذ زمن بعيد .

ومن الطبيعى ان يكون هناك تناقضا فى المنطق المقدم فهو اذ ينبع من أسس عاطفية او مثالية بحتة لا يستطيع أن يهرب من الواقع الملموس فيقع فى تناقضات تصل الى حد الغاء الفكرة المقدمة او ابهامها .

وهذا فى رايى هو ما وقع فيه **الدكتور عصمت سيف الدولة** فى مقاله فى العدد السابق من الطليعة عن الوحدة الاشتراكية .

تناقض وغموض

واذا حاولنا تلخيص كلام الدكتور سيف الدولة، ولا اقول فكرته ، لانه وان كان لا يصعب على الانسان ادراك فكرته من البداية ، الا انه وكما سبق ان قلت وقع — فى رأيى — فى العديد من التناقضات التى لا تجعل هذه الفكرة واضحة .

اقول اذا حاولنا تركيزكلامه فسنجده يتلخص فى:

● بينما يؤكد فى البداية ان الواو التى تربط بين كلمتى الوحدة والاشتراكية لا تجعل واحدة قبل الاخرى بل تربطهما ، يعود فيقول :

« ان الوحدة اكثر وضوحا واسهل فهما والبدء باليسر يشجع على التصدى لما هو اصعب » .

● **ان قيام الدولة الواحدة لا يعنى اطلاقا اخضاع كافة الاقاليم او الولايات او الاقطار لنمط موحد من القوانين والنظم فى الادارة او الاقتصاد او الاجتماع او المال وحتى القضاء » .**

● بعد استعراض « للاشتراكية التقليدية » واخطائها من وجهة نظره يصل الى ان هذه الاشتراكية لها مفهوم سلبى يحدد علاقتها بالوحدة على اساسين ، **اولهما** ان الوحدة غير لازمة للاشتراكية **ثانيهما** : ان الوحدة تقتضى ان تبلغ الشعوب التى تسعى اليها درجة متساوية من النمو الاقتصادى .

● تاريخ السنوات الماضية — فى راى الكاتب — يؤكد كيف كان التسويف فى الوحدة مساعدا للثورات المضادة . وكيف سقطت بعض الاقطار فى قبضة الرجعية مرة اخرى بعد ان كان النصر قد تحقق للجماهير او كاد .

● ان الاساس الفكرى للاشتراكية التقليدية قد اسقط .

لماذا ؟ لانه اصبح مقبولا ان يتطلع الناس فى اى مجتمع متخلف الى اقصى ما وصلت اليه المجتمعات المتقدمة وان تسبق معرفتهم الفكرية تطور ادوات الانتاج .

● الوحدة شرط لازم لاتمام البناء الاشتراكى وان كان هذا لا يعنى ان البدء فى البناء الاشتراكى لا يزال ممكنا وواجبا فى ظل التجزئة دون انتظار للوحدة .

وبالرغم من هذا التناقض الواضح فى حديثه عن علاقة الوحدة بالاشتراكية ، وبالرغم ايضا من الاخطاء الواضحة فى تفسير الاشتراكية وتطورها — على اساس مفهوم ذاتى وتصور ، بنيت عليه استنتاجات وتفريعات — والتى كان يغنى عنها — فى رأيى — دراسة أعمق للاحداث ، فاننا سنحاول ان نحدد هنا بعض الحقائق الموضوعية التى اسفرت عنها تجربتنا فى هذا الموضوع .

على طرف نقيض

الواقع ان تجربة الوحدة المصرية السورية ثم نكسة الانفصال ، ومحادثات الوحدة — الثلاثية فى مارس وابريل سنة ١٩٦٣ والظروف التى مر بها العالم العربى فى السنوات الماضية قد اغنت الفكر الثورى العربى وساعدته الى الوصول الى تحديد يكاد يكون كاملا فى بلورة مفهوم الوحدة والاشتراكية .

فاذا كان الكاتب يقول بصراحة فى كتاب له — كما فى مقاله : « ان الانطلاق الى الاشتراكية قفزا فوق التجزئة مثالية عقيمة فان المتفق عليه بين القوى التقدمية العربية — وهو ما أثبتته التجربة العملية — هو ان النجاح فى هدف التنمية وفى هدف الديمقراطية داخل الجمهورية العربية المتحدة يعد قاعدة للامة العربية وطليعة لها مما يقرب يوم الوحدة ويحدد شكلها النهائى ويصوغه وفق ارادة الشعب العربى .

مفهومان ، متناقضان تماما . أولهما — وهو منطق الكاتب بالطبع — مفهوم غامض عاطفى يتجاهل الواقع والتجربة ، مفهوم لم يطرح على نفسه اسئلة لا بد وان تطرح اى نوع من الوحدة يريدها ؟ ما هى القوى صاحبة المصلحة فى هذه الوحدة ؟ ما هو اسلوب تحقيق هذه الوحدة ؟ والمفهوم الاخر الذى هو حصيلة تجربة وخبرة ودراسة يضع الاساس السليم والمتين لبناء وحدة لمصلحة الشعب العربى العامل وبالشعب العربى العامل .

مفهوم يدرك اى نوع من الوحدة نريد ؟ ما هى القوى صاحبة المصلحة فى هذه الوحدة .. ما هو اسلوب تحقيقها ؟ . .

لقد نجحت الرجعية فى نكسة الانفصال رغم ان الشعب السورى يقف مع الوحدة ، وكانت النتيجة الا تعاون ولا وحدة بعد ذلك مع الرجعية

وكانت تربطنا بامام اليمن السابق ورقة مكتوبة، اتحاد فيدرالى أوكونفدرالي ، ولم ينتج عنها شيء فى صالح الجماهير العربية .

وفى مقابل ذلك لم يكن بيننا وبين الجزائر ورقة ومع ذلك فبيننا وبينهم وحدة ، وحدة هدف .

وليس بيننا وبين اليمن ورقة ، ومع ذلك فهناك التحام والتقاء بين الشعب العربى فى مصر واليمن فى مواجهةالاستعمار والرجعية. الوحدة اذنليست شكليات يتفق عليها او حتى التقاءات سياسية ، فكما يقول الميثاق « ان مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحى للوحدة العربية ودفعت به خطوة الى مرحلة اصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة » .

وكيف تتم وحدة الهدف ؟

ان نعطى المثل الرائد ببنائنا الاشتراكى .

ومن الذى يخاطبهم ويحركهم هذا المثل ؟

جماهير الشعب العربى العامل ، الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون الثوريون .

ان بناء مجتمعا اشتراكيا مزدهرا فى الجمهورية العربية المتحدة هو بمثابة وضع اساسى قوى متين للبناء الوحدوى العربى . وكل مصنع نبنيه وكل نجاح نحققه هو نجاح حقيقى للامل الوحدوى . فذلك هو قوة الجذب الحقيقية للشعوب العربية والتى لن تستطيع اى قوة ان توقفها استعمارية كانت أم رجعية . وبقدر ما تزيد وتتسع هذه القوة الجاذبة لجماهير الشعب العربى بقدر ما تفرض الوحدة نفسها اراد بعض الحكام العرب ام لم يريدوا . ومثلما عبر المناضل عبد الناصر بحق :

« ان الثورة الاجتماعية والسياسية التى تجرى هنا فى القاعدة وبين الطليعة لا تحدث فى عزلة عن الامة العربية ، وانما هى تجرى على مرأى منها وعلى صلة وثيقة بوحداتها ، ولربما كانت هنا كل المشاكل التى تعانيها هذه القاعدة مع القوى المعادية للوحدة العربية والثورة العربية ، طريق الوحدة وبابها » .

مضمون مختلف

العلاقة اذن بين الاشتراكية والوحدة العربية هى ان الاشتراكية اصبحت شرطا ضروريا لتحقيق الوحدة . ومن البديهى اننا لسنا بصدد تحقيق وحدة على النسق الالمانى او الايطالى مثلما تم فى القرن التاسع عشر ، واذا كانت هذه الوحدات قد تمت فى اطار بورجوازى ، وكانت رغم هذا ـ نتيجة الظروف الخاصة بها ـ تقدمية ودافعة الى الامام . فان الوحدة العربية وايضا نتيجة الظروف الخاصة والمرحلة التى نمر بها لا يمكن أن تتم الا على اساس اشتراكى.

ولا يعنى هذا ـ كما يخشى الدكتور عصمت سيف الدولة ـ انه علينا ان ننتظر حتى تبلغ كل الدول العربية نفس درجة النمو الاقتصادى لاقامة الوحدة . لقد وضع الكاتب من نفسه تفسيرا خاطئا لمفهوم الاشتراكية عن الوحدة وبنى عليها نتائج خاطئة .فالمفهوم الذى تحدث عنهوالخاص بموقف الاشتراكية التقليدية عن الوحدة بين بلاد متباينة فى درجة النمو الاقتصادى متعلق بالوحدات الراسمالية والتى تقوم على اسس الاستغلال والضم والقهر ، واعتقد ان اسهل واصدق رد على ذلك هى تلك الوحدة التى نجحت فيها عديد من البلاد الاشتراكية بين اقاليم ليست متباينة اقتصاديا وثقافيا فقط ، بل وحتى قوميا،بل وضعت نظما اشتراكية الى جانب توصيات كانت ماتزال فى المرحلة البدائية . ومع الفارق طبعا بين هذا المثل وبين وحدتنا العربية الا ان ذلك ينفى تماما ما رآه الكاتب من موقف الاشتراكية من الوحدة .

ومن هنا يتضح موقف القيادة الثورية فى الجمهورية العربية المتحدة من الوحدة . اننا وكما اعلن عبد الناصر على استعداد لاى وحدة ثنائية او ثلاثية فى طريق الوحدة الشاملة ولكن بشرط ان تلتقى على وحدة الهدف . فاستعجال مراحل الوحدة كما قال **الميثاق** : « يترك من خلفه ـ كما اثبتت التجارب ـ فجوات اقتصادية واجتماعية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كى تطعنها من الخلف » .

وفى التطبيق العملى قدمت وتقدم الجمهورية العربية كل تأييد مادى ومعنوى للشعوب العربية فى معاركها ضد الاستعمار والرجعية .

وفى التطبيق العملى تعتبر الجمهورية العربية المتحدة ، اى حكومة وطنية فى العالم العربى وتمثل ارادة شعبها ونضاله خطوة نحو الوحدة .

وفى التطبيق العملى ، ترسى الجمهورية العربية المتحدة فى مضيها ونجاحها فى البناء الاشتراكى اساسا متينا لوحدة اشتراكية عربية ، تفرضها ثورة الشعب العربى العامل ومصالحه .

وبودى اولا ان يلتقى معنا الدكتور صاحب المقال على هذه الاسس ، حتى نستطيع ان ننطلق معه فى الاجابة على السؤال الذى طرحه فى نهاية المقال عن كيف تحقق الجماهير الاشتراكية وحدتها القومية .

كتابات جديدة

يتعرض محمد كمال بيومى غنيم فى هذا المقال لقضية الوجود الايجابى والوجود السلبى للاتحاد الاشتراكى فى القرية . والكاتب مهندس زراعى بمؤسسة المطاحن

الوجود الإيجابى والوجود السلبى للاتحاد الاشتراكى فى القـــرية



محمد كمال بيومى غنيم

يدعونا الحديث عن الوحود الايجابى والوجود السلبى لاجهزة الاتحادالاشتراكى فىالقرية وعلاقاتها مع لاجهزه السعدمه الى ان نتناول فى البداية ــ العناصرالمكونة للجان الاتحاد الاشتراكى العربى فى ـاحل "ودمة، اذ عـــادة ما يفاجأ أهالى القرية بين الفينة والاخرى بكلمـــة انتخـــاب : وقد يكـــون الأنتخـــاب للعمودية ، او لتشـــكيل مجلس ادارة الجمعيـــة التعـــاونية الزراعية ، او لتشـــكيل لجنـــة الاتحـــاد الاشتراكى العربى . الخ

ومفهوم الفلاح العادى ابن البيئة حيال هذه الانتخابات ، لايعدو ان يكون مجرد الصورة الظاهرية دون ما تعمق فى الغرض منه أوالتشكيل الذى سينتجه واهدافه ومتطلباته واى العناصر اجدر على تأدية الغرض من نواجد التشكيل الجديد .

ومن ثم اجريت الانتخابات للاتحاد الاشتراكى العربى وراعى اغلب الناخبين فى قراهم التزام مبدأ المجاملة والمجاملة فقط دون ما تفكير واع لماضى المرشح او المنتظر منه تأديته خـــلال الفترة القادمة للانتخابات .. الخ

واجريت الانتخابات ودخلت عناصر لها اثرها سامية الى هدم كل جدبد اذ لم يكن للجديد سلاحا يشهره فى وجهها ويهددها بما فيه ضياعها .

وضمت لجنة العشرين فى الغـــالب عمدة البلدة ، واثنـــان او اكثر من مشايخ البلد ، وعدد من العناصر الموالية للفكر الرجعى فىداخل القرية ،وعدد بسيطلايعدو اثنين اوثلاثة ممنيمكن الاعتماد عليهم فى انجاز متطلبات المرحلة الجديدة .

كمايدعونا الحديث عن وجودالاتحاد الاشتراكى ـــصوريته ــ الى متابعة لجنة العشرين وهىتعمل. اذتبدأ لجنة العشرين فى الاجتماعات وتتضارب فيها التيارات فيسعى البعض ـــ من اعضائها الى ان ــ يتدخل فيما يجرى فى داخل بعض الجمعية التعاونية الزراعية ، وما يحدث داخلها من اساليب استغلالية مثل ــ بيع الكسب بأزيد من التسعيرة وبيع مقلنات اشهر كاملة فى السوق السوداء ،وكذلك الحصول على قروش من المزارعين مقابل توزيع اجولة السماد او البذرة او الذرة الخ يتقاسمها

ـ عندما تجمع مبلغا كبيرا ـ بعض الاعضاء وكاتب الجمعية . ومنها ايضا سوء معاملة موظفو الجمعية (بناء على توجيهات بعض اعضاء مجلس الاداره ، للمزارعين عموما او لاناس معنين من بينهم وبين موظفى واعضاء الجمعية سوء تفاهم او علاقات غير طيبة مصدرها ما هو خارج نطاق العمل اليومى فى الجمعيه. ومن امثلة هذه الاساليب ايضا تصحيح بعض الاخطاء المتعمدة او العفوية فى داخل تسويق القطن او الارز تعاونيا .. الخ

وعلى مقربة من هذا الصراع الاستغلالى يثور ابناء القرية المخلصين داخل اللجنة وخارجها وسرعان ماتتبدد ثورتهم فى الغالب عن احتجاج لدى الجهات التنفيذية وغالبا ماتنتهى الى لاشىء امالعدم وجود الادلة او للاحالة الى الجهة الادارية لتوقيع الجزاء الادارى . وينتج من هذه النهاية ان تتفشى ظاهرة السلبية مستقبلا اذا لم يكن المخلصون من ابناء القرية شديدو الايمان بمبادئهم معتبرين المعركة معركة مصير لا هوادة فيها .

وقد تشهد القرية بعض الاجتماعات الجانبية مع القيادات التى لديها الاستعداد للعمل فى داخل لجنة الوحدة كوسيلة من وسائل دفع اللجنة نحو تدارك موقفها وبحث الموضوعات الهامة وقيامها بدور ايجابى نحو بيئتها وتنظيمها السياسى بخطة عمل . وقد يقابل ذلك المسلك مسلك آخر مضاد من قبل العناصر الرجعية فى داخل الوحدة مقاطعة اللجنة شكلا ومضمونا ومحاربتها لدى الجماهير وبث السموم ووضع العراقيل امامها .

وقد يلجأ بعض الاعضاء الى القاعدة الجماهيرية وفضح مخطط اللجنة وعرض المسائل بوضوح ودعوتهم للمشاركة فى حل مشاكلهم والضرب على من ينالون منهم دون وجه حق وفضح اساليبهم فى مجابهة رغبات الجماهير وعدم التعرض لمشاكلهم بالصورة التى تخالف حسن النية الذى توفر لدى الناخبين عند انتخاب التشكيل . ويحتاج هذا الاتجاه لانجاحه الى مجهود فكرى وتثقيفى شاق لايثابر عليه الا من آمن بالعقيدة والعدالة الاجتماعية هدفا ومضمونا .

ماهى اذن الحلول العاجلة لكى ندفع العمل ونوسع من قاعدة النشاط الايجابى فى داخل القرية . ان ذلك يقتضى فى رايى :

اولا : عمل دراسة تثقيفية لكل من يرتبط بالفلاح فى عمله اليومى وهم رجل الدين فى المسجد ـ رجل الشرطة ـ الزراعى فى الجمعية ـ كاتب الجمعية وموظفوها ـ المدرسون فى القرية حتى يتسنى لهذه العناصر المساهمة فى حل التناقضات داخل القرية والاستجابة الفورية (بعد الدراسة الجادة والسريعة) لرغبات جماهير القرية بحيث يتم الارتباط بين حولهم كأسرة هدفها مشترك يرتبط فكرهم الاشتراكى بسلوك مطابق والا افتقد عنصر قوى من عناصر الاقناع .

ثانيا : تنبثق من وسط القرية عناصر مثقفة واعية ، بحكم عملها لا تتواجد بالقرية الا فى فترات متفاوتة ، وهم ابناء القرية المثقفين ممن يعملون خارجها . وهؤلاء جميعا اقترح دعوتهم جميعا فى اسبوع يطلق عليه «اسبوع المغتربين» الى العودة الى قراهم يثيرون مع ذويهم مختلف النقاط والمشاكل واهداف المرحلة القادمة وواجبات اصحاب المصلحة الحقيقية فى هذه المرحلة

ثالثا : الإستجابة الفورية (بعد الدراسة) لمطالب الجماهير من قبل السلطة التنفيذية فى داخل القرية وممارسة النقد والنقد الذاتى . وهذا عامل جوهرى فى خلق الروح الايجابية داخل قاعدة الاتحاد الاشتراكى العربى فى القرية .

رابعا : نزول القيادة الاشتراكية فى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى الى القرية والعمل مع العناصر الثورية فيها بدراسة مشاكل الجماهير . وبث الثقة فيهم للانفساح عما فى نفوسهم من اجل رسم مخطط تثقيفى منظم ودعوتهم للاعتماد على امكانياتهم فى حل مشاكلهم حلا ذاتيا تسانده الاجهزة التنفيذية والشعبية ممثلة فى اتحادهم الاشتراكى العربى بالقدر الذى تتيحه الامكانيات المتاحة لها .

خامسا : ان تتولى المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى فى المحافظات عمل حصر تصنيفى لاعضاء لجان العشرين وقدراتهم على العمل الجماهيرى بغرض حظر الترشيح على العناصر السلبية والرجعية حتى لا تقف كعقبة فى سبيل انطلاقة التشكيلات الجديدة .

كتابات جديدة

التزاما من الطليعة بدعوتها فى افتتاحية عددها الاول لعام ١٩٦٦ ، تنشر ـ ابتداء من هذا العدد ـ « كتابات جديدة » ، وتؤكد الطليعة من جديد ترحيبها بكل ما يصلها من « كتابات جديدة » وتدعو كل المناضلين لان يساهموا بفكرهم وحوارهم معها .

ولسوف تستمر الطليعة فى نشر « كتابات جديدة » ، فى اطار النقاط الاربعة التى سبق وحددتها فى افتتاحية عام ١٩٦٦ ، وهى :

● الوجود الايجابى والوجود السلبى لاجهزة الاتحاد الاشتراكى فى القرية وعلاقاتها مع الاجهزة الحكومية .. عرض وتشخيص للظواهر والاسباب ومقترحات للعلاج .

● قضايا ومشكلات احدى وحدات الانتاج على وجه التخصيص فى مجتمعنا من حيث الادارة والعمل وطبيعة العلاقات بينهما ومظاهر واسباب البيروقراطية ، ومدى ممارسة ديمقراطية الانتاج والحوافز والاسراف الخ . كيف يكون العلاج واساليبه وما وقع من تجارب وحصيلتها وذلك كله بهدف زيادة الانتاج وتحسين نوعه .

● كيف يمكن ان نوحد ـ فكرا وعملا وتنظيما ـ القوى الثورية الشعبية فى الوطن العربى من اجل تحقيق التحرر الحقيقى لجميع البلاد العربية وتقدمها السياسى والاقتصادى والاجتماعى على طريق الاشتراكيه والوحدة ؟

● واقع الحياة الثقافية والفنية فى مجتمعنا ومدى تخلفه عن واقع الحياة المادى المتطور نحو الاشتراكية . وكيف يمكن ان نطور ثقافتنا وفنوننا ـ شكلا ومضمونا ، جماليا وقيميا ـ لنربى الوجدان الانسانى الاشتراكى فى جماهير شعبنا دون ما حجر على حرية الكاتب او وصاية تخنق الابداع الذاتى للفنان ؟

كاتب هذا المقال ، عنتر عبد السلام مخيمر . وهو اخصـائى اجتماعى ومن رواد الشباب وموجه بمعهد الدراسات الاشتراكية للشباب بمحافظة الشرقية .



نحو وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى



عنتر عبد السلام مخيمر

ليس ثمة شك فى ان تحرر البلاد العربية وتقدمها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا هو الدعامة الصلبة والوحيدة لكى تتحقق اهداف النضال العربى . ولكن هل يمكن ان تتحقق هذه الاهداف فى ظل تفتت وتناثر القـوى الثورية والشعبية فى الوطن العربى ؟ .

الجواب : بالطبع لا .. فان ارادة التغيير لدى الشعوب هى التى تمكنت على مر التاريخ من أن تحطم كل القيود وان تحقق الحرية والتطور لمجتمعاتها (١)

ومن الطبيعى أن تفتت القوى الثورية فى الوطن العربى وتناثرها وانعزالها بعضهـا عن بعض يحول دون ممارستها لدورها كقوى محركة ودافعة لهذه الارادة .. ارادة التغيير .

ينبغى اذن ان نوحد ـ فكرا وعملا وتنظيما ـ كل القوى الثورية فى الوطن العربى . وبدون هـذه الوحدة تصبح اهداف النضال العربى ـ الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة ـ آمالا تحلق عاليا فى سماء المجال ، فالوحدة العربيـة ـ على سبيل المثال ـ كهدف من اهداف نضالنا ترتبط فى مفاهيمنـا الثورية بضرورة التعاون بين جميع الحركات الوطنية والتقدمية فى العالم العربى (٢)

---

(١) الرئيس جمال عبد الناصر ـ فى المؤتمر الافريقى الاول
(٢) د. احمـد القشيرى (محاضرة الاستراتيجيـة والسياسة الدولية للجمهورية العربية ـ معهد الدراسات الاشتراكية بحلوان

اهميــة وحــدة الفكر

تنبثق اهمية وحدة الفكر من اهمية الفكر نفسه . ما الفكر اذن ؟! ان الفكر وان كان تعبيرا عن الواقع الاجتماعى والثقافى والاقتصادى ، فهو فى نفس الوقت اداة لهذا الواقع، اداة لحركته وتغييره من مرحلة الى اخرى (٣)

فهو اذن – اى الفكر – سلاح اجتماعى نريد منه التطور الى الافضل (٤) اى ان وحدة الفكر – الفكر التقدمى – تعنى ان اداة التغيير قد توفرت فيها قدرة احداث التغيير.

اهميــة وحــدة التنظيم

المقصود بوحدة التنظيم هو ان توجد رابطة تجمع القوى الثورية فى الوطن العربى وتنظمها بحيث تعمل جميعها فى اطار خطة عمل واحدة ، وفى ظل تنظيمات متماثلة . ومن الطبيعى ان وحدة التنظيم تثمر دائما وحدة العمل ، ومن ثم فان كل الطاقات والقوى الثورية تصبح قوة واحدة قادرة على احداث التغيير . وخير مثل يوضح اهمية هذه الوحدة – هو ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ – لقد كان نجاح الثورة نتاج وحدة الطليعة الثورية – الضباط الاحرار – التى قادت الثورة ورسمت خطتها .

ووحدة التنظيم ايضا ضمان لقدرة تصدى القوى الثورية لضربات ومؤامرات القوى الرجعية .

انتهينا اذن الى ان وحدة القوى الثورية – فكرا وعقلا وتنظيما – سبيل تحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة . ولكن كيف نوحد هذه القوى ؟ الواقع ان السبيل الوحيد فى تقديرى هو وحدة التنظيم ، فى الاتحاد الاشتراكى العربى او تنظيمات مماثلة تتمشى مع واقع وظروف كل بلد عربى .

وقد يتساءل البعض قائلين : الاتحاد الاشتراكى ؟ لماذا ؟ وكيف ؟ .

جواب هذه التساؤلات سهل ميسور ، فالاتحاد الاشتراكى العربى تنظيم شعبى تقدمى يضم قوى الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة ، وهذه القوى هى : (٥)

● الفلاحون والعمـــال والمثقفون باعتبـــارهم المنتجين الرئيسيين ماديا وثقافيا .

● الجنود باعتبارهم الدرع المسلح ضد الاستعمار من ناحية وقوة انتاجية فى بعض المجـالات كالتجارة الداخلية وبعض الصناعات الخفيفة .

كذلك فان واجبات الاتحاد الاشتراكى هى :

● ان يكون قوة ايجابية تدفع العمل الثورى .
● حماية مبادىء الثورة واهدافها .
● تصفية آثار تحكم الراسمالية والاقطاع .
● النضال ضد تسلل النفوذ الاجنبى .
● النضال ضد تسلل الرجعية التى تم اسقاطها .
● النضال ضد تسلل الانتهازية .
● مقاومة السلبية والانحراف .
● منع الارتجال فى العمل الوطنى .

اى ان الاتحـاد الاشتراكى العربى – وخاصـة بعد ان تستكمل تنظيماته وتشكيلاته الجديدة ، وايضا بعد ان اخذت الفاعلية تسرى فى كيانه – هو الطليعـة الثورية الاشتراكية التى يمكنها ان تقود الشعب العـربى فى طريق الحرية والاشتراكية والوحدة .

ولكن كيف يكون الاتحاد الاشتراكى سبيل وحدة القوى الثورية ؟ !

الجواب – فى بساطة وبلا تعقيد ينبغى ان يدعو الاتحـــاد الاشتراكى العربى فى مصر **كافـة القوى الثورية فى الوطن العربى الى التجمع فى تنظيمات شعبية – تنظيم واحـد فى كل بلد عربى تلتزم بالاشتراكية طريقا ومنهاجا للعمـل العربى** وهذا العمل – وبمعنى آخر هذه الدعوة – لايعتبر كما قـد يتصور البعض تدخلا فى شئون الغير لان الجمهورية العربية المتحدة مطالبة – كما جـاء فى الميثاق – بان تفتح مجـال التعاون بين جميع الحركات التقدمية فى العـالم العربى . انها مطالبة بان تتفاعل معها فكريا من اجل التجربة المشتركة ففى الميثاق ان : الجمهورية العربية المتحدة وهى تؤمن بانها جزء من الامة العربية لا بد لها ان تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ، ولا ينبغى الوقوف لحظة امام الجملة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا فى شئون غيرها .

ليس ثمـة شك اذن فى ان مثل هـذه الدعوة هى سبيل تعاون القوى الثورية الشعبية فى الوطن العربى كله وتفاعلها وانصهارها معا .

هـذا من سبيل وحدة التنظيم فماذا من سبل وحـدة الفكر ؟ وتتاتى هذه الوحدة :

● بتنظيم لقـاءات فكرية (مؤتمرات – اجتمـاعات – ندوات) بين كل القوى الثورية وتتزايد فاعلية واهميـة هذه اللقاءات بعد ان تتجمع القوى الثورية الشعبية فى الوطن العربى فى تنظيمات شعبية .

● بدعوة اكبر عدد ممكن من العناصر والقوى الثورية فى البلاد العربية لزيارة الجمـهورية العربية المتحـدة لرؤية ما انجزته الثورة .

● يجب ان تزيد اجهزة الثقافة والاعلام من اهتمامها بالبرامج والكتابات الموجهة الى القوى الثورية على اساس موضوعى وعلمى متفهم لطبيعـة الظروف المحيطة بالوطن العربى ومتطلباتها ،وليس من شك فى اننا لو وحدنا القوى الثورية – فكرا وتنظيما – نكون – بالتـالى – قد وحدنا عملها .

(٣) محمـود امين العالم (ندوة : الفكر والتطـور الاجتماعى – مجلة الكاتب يناير ١٩٦٦)
(٤) لطفى الخولى (ندوة : الفكر والتطور الاجتماعى – مجلة الكاتب يناير ١٩٦٦)
(٥) د. محمد الخليفه (محاضرة قوى الثورة والقوى المضادة – معهد الدراسات الاشتراكية للشباب بحلوان)





- التخطيط والتنمية
- تاليف شارل بتلهيم
- ترجمة د. اسماعيل صبرى عبد الله

- الجوانية .. أصول عقيدة وفلسفة ثورة
- تاليف د. عثمان أمين

- من المجلات الفكرية العالمية
- الازمنة الحديثة
- الحياة الحزبية

التخطيط والتنمية

- تاليف شارل بتلهيم
- ترجمة د. اسماعيل صبرى عبد الله

تبدأ دار المعارف بنشر هذا الكتاب فى سلسلة جديدة تحتضن اهم المشكلات الاقتصادية التى تواجهنا فى مجالات التخطيط والتنمية. وتبرز اهمية السلسلة الجديدة فى انهـا تمتد الى اختيار الكتب ذات المنهج العلمى والفكر الاشتراكى فى مناقشة قضايا الاقتصاد فى بلادنا . ولعل كتاب شارل بتلهيم دليل عملى على هذا المنهج الذى اختطته السلسلة الجديدة ، خاصة وانها اسندت ترجمة الكتاب الى مفكر اشتراكى متخصص فى الاقتصاد هو الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ـ فجاءت الترجمة لتعكس بأمانة الجانب العلمى فى الكتاب ، وتحتفظ بدقة المصطلحات العربية فى اسلوب سهل ميسور للقارىء .

اما مؤلف « التخطيط والتنمية » فهو شارل بتلهيم ،استاذ الاقتصاد والتخطيط بجامعة السوربون بباريس ، وقد سبق له ان عمل مستشارا لهيئة الامم فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كما عمل مستشارا لشئون التخطيط فى كل من الهند ومالى وغينيا وكوبا وكمبوديا . ومن مؤلفاته الرئيسية « التخطيط السوفيتى » ، و « الاقتصاد الالمانى فى ظل النازية » ، و « المشكلات العملية والنظرية للتخطيط » ، و « الاقتصاد السوفيتى » و« دراسات فى نظرية التخطيط » و « بعض المشكلات الاساسية فى التخطيط » و « الهند المستقلة » و « بناء الاشتراكية فى الصين » ثم هذا الكتاب الذى نقدمه « التخطيط والتنمية » . وكان شارل بتلهيم قد بدا اهتمامه بمشكلات التنمية فى مصر منذ عام ١٩٥٤ حين دعى من قبل لجنة الخطة ومعهد التخطيط .

ولعل المكتبة العربية تفتقر الى هذا اللون من الكتب التى تعالج اخطر قضايانا المعاصرة بمنهج يحاول التوفيق بين الروح العلمية الاكاديمية للبحث ، والاسلوب المرن فى مخاطبة الجماهير . ويعد كتاب العالم الاقتصادى الفرنسى « شارل بتلهيم » « التخطيط والتنمية » نموذجا هاما لما نحتاج اليه فى مرحلة التحول الاجتماعى التى تجتازها بلادنا فى طريقها نحو الاشتراكية .

فالكتاب يكاد يكون متفردا فى معالجته لاكثر الهموم الاقتصادية شيوعا فى البلدان المستقلة حديثا ، والمتجهة نحو البناء الاشتراكى ، على اسس علمية واضحة يحددها الباحث فى مقدمة مركزة بالفصل الاول تحت عنوان « ما هو التخطيط الاشتراكى » ؟ وقبل ان يجيب « بتلهيم » يوجه نظر قارئه الى انه يخاطب فى هذا الكتاب ثلاثة انماط من القراء هم الاقتصاديون والباحثون والدارسون ،فالمسئولون والفنيون فى البلدان التى حصلت حديثا على استقلالها ، ثم المناضلون فى صفوف المنظمات التى تكافح من اجل الاشتراكية . ولعله قد اراد تحديد قرائه مقدما حتى يفسر بذلك تركيزه بشكل واضح على الجانب السياسى من قضية التخطيط والتنمية . فهو يبدأ حديثه بالتفرقة الحاسمة بين التخطيط الاشتراكى و « البرمجة » الراسمالية (التى يريد البعض ان يسميها التخطيط التأشيرى) .. ذلك ان هذه البرمجة لا تستطيع ان تعدل جوهريا ظروف تكرار الانتاج والتوزيع لانها لا تمس علاقات الانتاج نفسها ، وبالتالى لا تمس علاقات التملك . ان «بتلهيم» يصر منذ البداية على ان الفروق الاساسية بين المجتمع الرأسمالى والمجتمع الاشتراكى او المتجه اليها لابد ان تنعكس على شكل «التخطيط» ومضمونه ، اذا استخدم المجتمعان اللفظة نفسها . فالواقع ان اقتصاديات البلدان الراسمالية لا سبيل الى اعتبارها اقتصادا مخططا مادامت القرارات النهائية فى هذا الصدد تتخذ فى السوق ، بواسطة الافراد المالكين لوسائل الانتاج ، الذين يبغون من « تخطيطهم » اكبر ربح ممكن .. على النقيض من اقتصاديات البلدان الاشتراكية التى يخضع التخطيط فيها من زاوية اساسية لاشباع الاحتياجات الاجتماعية للجماهير العاملة . لهذا السبب لا يمكن للبرمجة الراسمالية ان تقوم بدور حاسم فى مجرى الحياة الاجتماعية «حتى ولو اثرت قليلا فى مجرى بعض التطورات » .

ان النظم الاقتصادية فى نظر المؤلف تتمايز بالهيكل الاجتماعى وتختلف بعلاقات الانتاج وعلاقات الملكية . ومن هنا « يجب ان نؤكد ان بلدا ما لا يكون اشتراكيا او راسماليا حسب افكار حكامه ونواياهم ، وانما تبعا لبنيانه الاجتماعى الذى يميزه ولطبيعة الطبقات التى تلعب فيـه بالفعل الدور القيادى » . وهكذا يصبح الفرق بين البرمجة الراسمالية فى مجتمع يتولى قيادته حفنة من الملاك ،والتخطيط الاشتراكى فى مجتمع يتولى قيادته مجموع العاملين هو ان البرمجة اقرب ما تكون الى «الفن والمهارة فى تدارك الكوارث» بينما التخطيط هو « اسلوب سير نوع معين من المجتمعات».

والتخطيط الاشتراكي اذن في تعريف علمي دقيق هو «نشاط اجتماعي يحدد بواسطته العاملون في بلد اشتراكي ، من ناحيه ، الاهداف التي يستهدفونها في مجال الانتاج والاستهلاك، وذلك بطريقة منسقة ومع عمل حساب القوانين الاقتصادية الموضوعية وكذلك خواص التنمية الاجتماعية ،ويؤمنون،من ناحية اخرى ، تحقيق تلك الاهداف فيما يرون انه افضل الظروف » . فالتخطيط الاشتراكي يقتضي اذن ان ترتكز القرارات الاساسية في النهاية على العاملين انفسهم . ويدل ذلك اولا على ان التخطيط الاشتراكي لا يتم الا في بنيان اجتماعي لا يضم غير عاملين ولا مستغلين ولا طفيليين اجتماعيا « يتمتعون بما تضفيه النقود من قوة » . ويدل ذلك ثانيا على ان التخطيط الاشتراكي غير ممكن الا حين تصبح وسائل الانتاج والمبادلة الاساسية بيد المجتمع لا بيد الافراد، وهذا يستتبع تأميم وسائل الانتاج والمبادلة الاساسية . «والمهم هنا هو امتلاك الجماعة لما يسمى (القمم المسيطرة) في الاقتصاد ، الصناعات الكبرى ، المناجم ، وسائل النقل الهامة ، المشروعات التجارية الكبيرة ، التجارة الخارجية ، البنوك وشركات التأمين » .

شروط التخطيط الاشتراكى

ثم يستهل «بتلهيم» حديثه عن شروط التخطيط الاشتراكي قائلا انه طالما لم تتم اقامة العناصر الاساسية لبنيان اشتراكي للمجتمع ، لا يمكن الحديث عن تخطيط اشتراكي . اى ان الطبيعة الطبقية للمجتمع والدولة ، وكذلك الفئات التي تستفيد اكثر من غيرها من التقدم الاقتصادي والاجتماعي هي التي تحدد الطبيعة الحقيقية للتنمية الاقتصادية .لهذا يقتضي التخطيط الاشتراكي وجود هيكل تنظيمي يسمح للعاملين بالمشاركة الايجابية في اعداد الخطط الاقتصادية وتنفيذها « والمقصود هنا هو اقامة ديموقراطية حقيقية وتوفير حرية تداول الافكار والاقتراحات والانتقادات » . ويشير المؤلف بهذه الفكرة الى ان المشاركة الفعلية للعاملين في تحضير واعداد الخطط لم تتحقق حتى الان « بطريقة تلقائية » ..فلابد من تكوين طليعة ثورية نابعة من الجماهير تجند نفسها لعملية التسليح الفكري للجماهير «ولهذا السبب كان نشر الاشتراكية العلمية يلعب دورا اساسيا في بناء الاشتراكية » .

بعد ذلك ينعطف بنا الكاتب الى « **السمات العامة للتخطيط الاشتراكى** » فيقسمه الى قسمين : **اولهما** « الاهداف والاولويات » **والاخر** هو « التنسيق بين الاهداف» . اما من ناحية الاهداف فان بتلهيم يقرر ان الهدف الاسمى للتخطيط الاشتراكي هو الارتفاع المنتظم في مستوى معيشة العاملين والاشباع المتزايد للحاجات الاجتماعية . غير ان ثمة اهدافا اخرى « وسيطة » قد تحتل الاولوية في الترتيب العام وفقا للظروف الخاصة لكل مجتمع على حدة ، وبكل مرحلة على انفراد ، ووفقا للحركة الاجتماعية الشاملة لمختلف المراحل في اطار من الظروف العامة والقوانين الاقتصادية الموضوعية. فتدعيم الاستقلال الاقتصادي مثلا يمكن ان يكون لفترة معينة هدفا ذا اولوية (وان كان هذا لا يعني ان يكون الهدف الوحيد) يدفع بتحسين مستوى المعيشة — مؤقتا ونسبيا — الى المرتبة الثانية من الاهمية .

« ولهذا فان كل خطة اقتصادية محددة يجب ان يجري اعدادها على ضوء الامكانيات الموضوعية ، والحاجات ، والقيود الاقتصادية والاجتماعية للاولويات الخاصة بكل مرحلة من مراحل التنمية » . اما التنسيق بين الاهداف فهو من المهام الجوهرية التي يتعين التصدي لها في مرحلة اعداد الخطة « فبدون ذلك لا تكون هناك خطة وانما مجرد تجميع لبرامج جزئية لا يوجد ما يضمن اتساقها فيما بينها ، وبالتالي امكانية تحقيقها في آن واحد » .على ان هذا الاتساق بين اهداف الخطة يقوم اولا على احترام القوانين الاقتصادية الموضوعية، والنسب الاقتصادية السليمة ، والمواجهة الدقيقة لامثال هذه المشكلات التي تعترض كل تخطيط ، ويتعين على التخطيط الاشتراكي ان يحلها مثل : اختيار افضل تكنيك للانتاج ، درجة تكامل النشاطات الاقتصادية المختلفة ، شكل ودرجة مساهمة الاقتصاد القومي في التقسيم الدولي للعمل ، شكل تطوير البحث العلمي التكنيكي ، اشكال تشجيع التقدم التكنيكي ، الاشكال التنظيمية اللازمة لتحقيق الخطة ، دور نظام الاسعار والنقود « ولكل منها حل يتفق مع مرحلة معينة من مراحل التنمية المخططة » . ويؤكد بتلهيم على تحفظ هام يختتم به هذه النقطة هو انه لا يمكن اقامة تخطيط اشتراكي شامل الا اذا توافرت الشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتنظيمية اللازمة لمثل هذا التخطيط . ولكن هذا لا يعني ان البدء في التخطيط يفترض تحقيق تلك الشروط جميعا وفي آن واحد . وكقاعدة عامة لا سبيل الى توفير هذه الشروط مرة واحدة ، بل تدريجيا وبمعدل يتحدد واقعيا بعد ان نأخذ في الاعتبار عددا كبيرا من العناصر « وهذا احد جوانب قضية الطرق الخاصة لتحقيق الاشتراكية » .

مشكلة ((التخلف))

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى مناقشة مشكلة ((**التخلف**)) كعنصر رئيسي في مواجهة قضية التخطيط والتنمية ، ليؤكد ان ذيوع مصطلح ((**البلدان المتخلفة**)) يدل من ناحية على ان احتياج جزء هام وحيوي من عالمنا الحديث قد اصبح وجها لوجه امام اخطر مشكلات النصف الثاني من القرن العشرين . ذلك ان شعوب هذا الجزء المحروم من العالم بدت اكثر حرصا من اي وقت مضى على ان تستفيد هي الاخرى من الحضارة الحديثة « امكانيات الراحة والصحة التي يوفرها العلم والتكنيك المعاصر » . ويذهب ((**بتلهيم**)) الى انه اذا كانت مشكلات الشعوب المحرومة تسمى مشكلات « البلاد المتخلفة » ولا تحمل اسما ادق علميا ، فانما يرجع ذلك الى الشعوذة التي تمارسها عن وعي او بدون وعي، الايديولوجية البرجوازية . فتلك النظرة التي تجعل لكل بلد « مكانا » متقدما او متخلفا في سلم التقدم الاجتماعي والاقتصادي « نظرة سطحية تماما » . وتحويل هذه النظرة الى مفاهيم نظرية يعني احلال الملاحظة الاحصائية لارتفاع او انخفاض مستوى المعيشة ، مكان التفسير التاريخي والتحليل العلمي « ذلك التفسير وهذا التحليل اللذان لا يمكن ان يغضا النظر عن علاقات السيطرة والاستغلال القائمة بين مختلف البلدان » . وبالتالي فانه من الناحية العلمية البحته يقترح الباحث ان يحل محل تعبير « البلاد المتخلفة » تعبيرا آخر اكثر دقة هو « البلاد المستغلة ، أو التابعة ، او ذات الاقتصاد المشوه » .

ويحرص المؤلف على اقامة الفروق النوعية بين التخلف القديم في البلدان الصناعية المتقدمة حاليا ، وبين التخلف المعاصر ، حتى لا يتيح الفرصة امام المفهوم البرجوازي للتخلف ان يطمس التشخيص الحقيقي لجوهر مشكلات البلدان المتخلفة . فالبلدان المتقدمة حاليا لم تكن في مراحل تخلفها القديم ، بلادا تابعة ، ولم يكن في اقتصادياتها قطاعات متضخمة مرتبطة اوثق الارتباط ببعض الاسواق الاجنبية وتسود فيها رؤوس اموال اجنبية كذلك . ولم تكن تلك الاقتصاديات لتنمو او تركد وفقا لتقلبات السوق الدولية لمادة اولية او منتج زراعي اولي . ولم يكن عليها ان تتحمل عبء التزامات مالية باهظة ازاء الخارج (فوائد وارباح وعائدات تدفع للراسماليين الاجانب) ولم يكن يسيطر عليها نفس راس المال الكبير الذي يسيطر على موارد البلاد الطبيعية . ولم يكن على هذه الأقتصاديات ان تعتمد في تكرار الانتاج الموسع على استيراد المعدات من الخارج « فهي وان كانت آنذاك قليلة التصنيع الا انها لم تكن اقتصاديات مشوهة ومختلة التوازن ، بل كانت متكاملة ومركزة حول ذاتها » . والواقع — يقول بتلهيم — ان البلاد المسماة بالمتخلفة قد تطورت في الوقت نفسه الذي تطورت فيه البلاد المتقدمة، ولكن تطورها لم يكن في نفس الاتجاه ولا بنفس الطريقة .اى

ان اختلاف منهج التطور اختلافا كيفيا بين التخلف التصديم والتخلف الحديث ، هو الذى يحيط مشكلة التخلف المعاصر باطار منهجي مغاير لما يشيعه الاقتصاديون البرجوازيون من ان «انخفاض مستوى الفرد» يؤدي الى هبوط مستوى الاستثمار الجارى ، وبالتالى يصبح معدل الاستثمار — اى نسبة الاستثمار الى الدخل القومى — ضعيفا « ولما كان معدل الاستثمار هو احد العوامل الحاسمة فى تحديد معدل زيادة الدخل القومى ، فانه يمكن ان نجد فى هذا تفسيرا للنمو البالغ البطء للدخل القومى فى (البلاد المتخلفة) ... » وغالبا ما يلاحظ هؤلاء الاقتصاديون ان معدل زيادة السكان فى البلاد التى يسمونها بالمتخلفة ، قريبا للغاية من معدل زيادة الدخل القومى لتلك البلدان « ومن هنا يكون ركود متوسط دخل الفرد او حتى تناقصه . وهذا ما اسماه بعض الاقتصاديين البرجوازيين الدائرة المفرغة للتخلف » . ويؤدى هذا المفهوم البرجوازى للتخلف الى مجموعة من النتائج او « النصائح » التى تتلخص فى انه لابد لهذه البلدان المسماة بالمتخلفة من الاستعانة برؤوس الاموال الاجنبية « لانه بدون تلك الاستثمارات لن يتجه الفارق بين متوسطات الدخل القومى الى الانخفاض بل سيتجه نحو التزايد » وكذلك ينصحون بانه لابد من تشجيع زيادة الفوارق بين الدخول ، «لان الدخول المرتفعة وحدها هى التى تقدم ادخارا يمكن ان يساهم فى رفع معدل الاستثمار وبالتالى فى زيادة الدخل القومى » .

وهكذا ينتهى المفهوم البورجوازى لمشكلة التخلف الى الدعوة الصريحة الى الاستعمار وترسيخ المجتمع الطبقى . وتتجه هذه النصائح فى تطبيقها العملى على تشجيع الصناعات الخفيفة الاستهلاكية ، حتى تقطع هذه البلدان الطريق « الطبيعى » الذى سبق ان قطعته الدول الصناعية المتقدمة. هذا هو التحليل المضلل لمعنى « التخلف » كما يسوقه علماء الاقتصاد البورجوازى ، بقصد الصياغة النظرية التى تستهدف الابقاء على الظاهرة دون تحليلها موضوعيا . والتحليل الموضوعى لا يعزل وضع تلك البلاد ليجعل منه « شيئا فى ذاته » بل على العكس يضعها فى شبكة علاقات التبعية والاستغلال التى تحيط بها والتى يتعين عليها الخروج منها « حتى يغدو من الممكن الارتفاع الفعلى بمستوى معيشة سكانها » .

تجميد النمو الاقتصادى الذاتى

يحدد « بتلهيم » المنهج العلمى الموضوعى فى تحليل ظاهرة التخلف فيوجه نظرنا الى غلاف التبعية الذى يحوط البلاد المتخلفة من زاويتين : التبعية السياسية ، والتبعية الاقتصادية . اما من الزاوية الاولى فقد كان من الممكن استعمار تلك البلدان لانها كانت اقل نموا من الناحية الاقتصادية من البلاد التى استعمرتها « ولكن هذا ليس صحيحا دائما . فمثلا لم يكن مستوى نمو قوى الانتاج فى الهند فى نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر منخفضا بشكل جدى بالمقارنة بمستوى نمو قوى الانتاج فى انجلترا فى ذلك الوقت » . ومعنى ذلك ان تلك البلاد اخضعت لمصالح الطبقات المسيطرة فى البلاد الاستعمارية . ويرتكز هذا الشكل من التبعية السياسية على بعض روابط التبعية الاقتصادية الوثيقة او على فساد فريق من رجال السياسة القياديين فى البلاد التابعة . ويطلق حاليا على هذا الشكل من التبعية فى البلاد التى غادرت حديثا وضع المستعمرات اسم « **الاستعمار الجديد** » . يقودنا هذا الفهم لطبيعة السيطرة السياسية ان يؤدى هذا اللون من الوان التبعية الى لون آخر هو اللون الاقتصادى . ولا يتم ذلك بايقاف النمو الاقتصادى ، وانما بتوجيه النشاطات الاقتصادية الى القطاعات التى تهم الشركات المصدرة لراس المال ، والمصانع التابعة لها فى البلدان الامبريالية . وينتهى الامر تلقائيا بهزيمة الكثير من القطاعات التى لا تهم المصالح الاجنبية الوافدة .

ومن المعروف ان التبعية الاقتصادية قد تظهر فى بلاد ليست مستعمرة للجهة التابعة لها . وانما يحدث ان تكون هذه البلدان من الضعف عند حصولها على الاستقلال بحيث يسهل وقوعها بين براثن الاستعمار الجديد . واول اشكال التبعية الاقتصادية هو الشكل التجارى كما هو الحال التى تعتمد فى تجارتها الخارجية على اصناف محدودة من المواد الاولية او شبه الاولية . وفى العديد من الحالات نجد ان منتجا واحدا او اثنين يمثلان ٧٠ او ٨٠٪ من صادرات البلد . وهكذا تمس الحركة الاقتصادية فى هذا البلد وثيقة الارتباط ببعض العوامل الخارجية التى تحدد هيكل الانتاج وحجمه ، وكذلك حجم الاستثمارات وهيكلها .

ترتبط البلدان الخاضعة للتبعية التجارية بالمصلحة الاجنبية عن طريق قطاعها المرتبط بالسوق الخارجية ، وهو مملوك لراس المال الاجنبى . ثم القطاع الذى يغطى الحاجات الداخلية ، وهو القطاع الاكثر ضعفا ، وهو مملوك لحفنة من الراسماليين . والتبعية التجارية اما ان تكون ميراثا مباشرا لفترة التبعية الاستعمارية السابقة ، واما ان تكون نتيجة لتبعية مالية ، اى لدخول رؤوس الاموال الامبريالية فى البلد التابع . ولا شك ان راس المال الاجنبى « يعارض كل تنمية من شأنها ان تحرم مصانعه من المواد الاولية التى تحصل عليها بثمن بخس » .

ومن النتائج العملية التى يمكن ملاحظتها فى حالة التبعية التجارية هو نشاط قلة من مدن الموانى فى البلدان المتخلفة، ونشاط كافة الطرق المؤدية الى هذه الموانى ، وهو نشاط يقابله انحسار تام بل موات فى بقية انحاء البلد التابع الذى يحلو للبعض — بالرغم من كل هذه الحقائق — تسميته بالمتخلف .

غير ان التبعية التجارية والتبعية المالية كلاهما وجه واحد لصورة البلد التابع فى اطار الحركة الامبريالية العالمية . اما الوجه الآخر المكمل للصورة ، فهو الاستغلال بمعناه المالى الذى يتضح لنا بجلاء فى حجم ما يقتطعه راس المال الاجنبى من الناتج القومى للبلد المستثمر فيه « وتلك الاقتطاعات عبارة عن ارباح محققة ،وفوائد مدفوعة وعائدات محصلة » . وقد بلغ اجمالى ما حصلته كبرى البلاد الامبرياليه من البلدان « المتخلفة » ابان الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ ثلاثة مليارات من الدولارات سنويا .وهناك ايضا الاستغلال التجارى ، وهو نتيجة للتبادل غير المتكافىء ، فالمنتجات التى تبيعها البلاد الصناعية الى البلاد المستغله ، تباع عادة بسعر اعلى من قيمتها « وتجد عمليات الاساس المتزايدة التى تجرى على البلاد التابعة الى اقصى حد من امكانيات التنمية الاقتصادية فيها . وعندما نرى كل هذه الوقائع نعرف كم هو مضلل اصطلاح (البلاد المتخلفة) والحقيقة انه ينبغى ان نتحدث عن تلك البلاد التابعة الى اقصى حد من امكانيات التنمية الاقتصادية فيها » كما يقول شارل بتلهيم مستطردا ، ان الوقائع تبين انه يكون من الاسلم الحديث عن بلاد ذات اقتصاد مخنوق او مختنق « وهى وقائع ضرورية لفهم الاتجاه نحو تجميد النمو الاقتصادى الذاتى فى عدد كبير من البلاد التابعة » .

ان العوامل الخارجية وحدها ، التى تغذى تجميد النمو الاقتصادى الذاتى تعتمد تلقائيا على الاقتطاعات المالية المصحوبة بتحويلات ، والناتجة من التبادل غير المتكافىء ،كما تعتمد على مجهود آخر منظم هو استيلاء الجهات ذات المصلحة والسيطرة على اجود الاراضى والمناجم وامكانيات التأثير التى تمنحها القدرة على توجيه الاجهزة السياسية والمصرفية . وهناك العوامل الداخلية كضعف التراكم والبطالة وانخفاض الاجور .. الخ .

ويختتم المؤلف هذه النقطة بتحديد واضح لشروط التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، واولها الاستقلال السياسى ، والتخلص من الفئات الاجتماعية المتعاونة معه . ثم الاستقلال الاقتصادى بنزع الملكيات الكبيرة وتأميم المزارع والمناجم والفبارك والبنوك الممثلة لرؤوس اموال اجنبية . والشرط الثالث للتقدم « هو التحول الاجتماعى العميق الذى يفضى

الى اختفاء الطبقات الطفيلية او المرتبطة بالاستعمار . وهذا الشرط يعنى نجاح الثورة الوطنية الديموقراطية . فبدون تلك الثورة لا يمكن الوصول بالنضال من اجل الاستقلال الى غايته » . وتثبت الثورة الكوبية فى راى الكاتب ان الثورة الوطنية الديموقراطية اذا وصلت الى النهاية فانها تؤدى حتما الى « ثورة اشتراكية » والثورة الاشتراكية وحدها هى القادرة على التعجيل بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية « بشكل يجعل من الممكن خلال جيل واحد تصفية الجوهرى من تخلف مستوى المعيشة الذى تعانى منه حاليا الشعوب المحرومة » .

النضال ضد التخلف

ثمة اهداف رئيسيه ، واخرى وسيطة ، فى الطريق الى مقاومة التخلف بالتخطيط الاشتراكى والتنمية الاقتصادية . فالهدف الرئيسى الاول هو بناء اقتصاد يشبع الحاجات الاساسية المتزايدة للجماهير . ومن الاهداف الوسيطة الارتفاع المنتظم بمعدلات الانتاج ووسائله . فالتصنيع وتطوير الزراعة وتنويع الانتاج تشكل الجوانب الاساسية لكل جهد يرمى الى تنمية سريعة لقوى الانتاج . لذلك يتعين على الدولة القيام بالمهام الرئيسية فى السيطرة على عصب الانتاج الموجه للتخطيط والتنمية . فالرأسماليون الوطنيون انفسهم لا يستطيعون القيام بهذه المهمة الشاقة التى تتطلب التضحية الى اقصى حد . فلا بد من التخلص من الهياكل الاقتصادية القديمة ، ولابد من استخدام القوى الانتاجية المعطلة ، ولابد من استبعاد اشكال الاستهلاك الطفيلى ، وهو من العادات المتبقية منزمن التبعية عند البورجوازيين الصغار والراسمالية الوطنيــــة . على ان تعطى الاولوية فى كل من التخطيط والتنمية لاشباع الاحتياجات العامة الملحة قبل الانتبــاه الى الحالات الفردية المعوقة للخطة والنمو . لذلك تبرز هنــا ضرورة تربية طلائع ثورية قادرة على قيادة المجتمع والالتحام بالجماهير فى سبيل تحقيق اكبر قدر من انجازات التخطيط ومكتسبات التنمية . ذلك ان ترك العمل بين ايدى البيرقراطية او الجهاز التكنوقراطى من شأنه ان يجمد مسار التنميــة عند حدود قاصرة تتسم بالبطء الشديد والابقاء على بؤس الاغلبية الساحقة من السكان « واخيرا يمكننى ان اقول ان مقتضيات النضال ضد التخلف تختلط بمقتضيات التخطيط الاشتراكى . وفى عالم اليوم يزداد الوعى بهذه الوحدة . وهذا يجعلنى شخصيا على ثقة بان مستقبلا من الرخاء ينتظر تلك البلاد التى يسميها البعض البلاد المتخلفة » ●

وهكذا ينتهى بنا المطاف عند خاتمة الجانب السياسى من هذا الكتاب القيم الجاد ، ويبقى بعد ذلك التطبيقــات التكتيكية التى تحتل الجزء الاكبر من صفحاته . وهى تؤكد فى كل كلمة صواب النظرة النافذة لصاحب هــذا البحث العميق الذى يجىء فى وقت اشد ما نكون ــ فى ظروفنــا الخاصة ــ فى حاجة اليه ●

●

الجوانية .. اصول عقيدة وفلســـــفة ثـورة

● تاليف د. عثمـــــان امين

فى الصبا لحظات جادة ●
والصبى الذى يلتفت اليها يصاب بالهم ●
وفى صبا الدكتور عثمان امين هذه اللحظات .
وهو لهذا قد اصيب بهم . هذا الهم او الاهتمام كان يخص وجوده .

فهو يتسـاءل منذ الصبا : ما الوجود ؟ وما الحياة ؟ وما الفكر ؟ ثم هو يبحث عن الجواب ، يبحث عنه فى تلامسه مع الواقع الاجتماعى ، ويبحث عنه فى تلامسه مع اهل الفكر ، ويبحث عنه فى تلامسه ، قبل هذا وبعد هذا ، مع نفسه .

فماذا يرى ؟
يرى الوجود على نحوين : جوانى وبرانى
وانت قد تسال : ما الجواني ؟ وما البرانى
فيجيب المؤلف بان الجوانى هو الباطن
وماذا نجد فى الباطن ؟
ليس الا الحرية
والحرية ماذا تعنى ؟

تعنى القدرة على مجاوزة المحسوس الى المعقول ، والنسبى الى المطلق .

ولكن ليس من شان هذه المجاوزة ان تطرح المحسوس او تتجاهل النسبى . ذلك ان كلا من المعقول والمطلق كامن فيما هو محسوس وفيما هو نسبى .

ومجاوزة المحسوس يقال عنها فى الفلسفة انها نزعة مثالية والتلاحم مع المحسوس يقال عنه انه نزعة واقعية .

والنتيجة انك اذا قلت عن الجوانية انها مثالية فانت صادق واذا قلت انها واقعية فانت صادق كذلك بمعنى ان المثالية تقوم على الواقع وبالرغم منه فى وقت واحد . وهذا معنى الديالكتيك فى الجوانية .

ومن اجل ذلك فان الجوانية ليست فلسفة انعزالية تاملية وانما هى فلسفة فعل . وهى فلسفة فعل لانها فلسفة عقل . ذلك ان الذى يدفع الانسان الى الفعل هو الفكر . فبدون الفكر لا توجد افعال . وليس ادل على ذلك من ثورات الشعوب والامم .

ما الذى حرك الامة الالمانية فى اوائل القرن التاسع عشر على سبيل المثال ؟
انها الفكرة التى كانت تجول فى ذهن الفيلسوف الالمانى فشته
وما الذى اشعل ثورة ٢٣ يوليو المصرية ؟
انها الفكرة كما كانت تدور فى ذهن صاحب « فلسفة الثورة »

يقول الدكتور عثمان امين فى هذا الكتاب « كلتا الفكرتين ــ الفشتية والناصرية ــ استطاعت فى مدى قصير ان تحقق مالم تستطع دول كبيرة بجيوشها المعباة وفرقها الضاربة . استطاعت الفكرة بذاتها وبمحض طاقتها الروحية الجوانية ان تغير أمام اعيننا مجرى التاريخ » ص ١٤٥ .

ولكن ما الذى يصنع الافكار ؟

انها الفلسفة . ومن هذه الزاوية يقول المؤلف ان الفلسفة هى صانعة التاريخ ، والتاريخ الانسانى ليس الا تاريخ فلسفات . وصــدق افلاطون عندما قال ان الفلســـفة ينبغى ان تكون « حارسة للمدينة » . واصاب ديكارت عندما اعلن « ان الفلسفة وحدها هى التى تميزنا عن الاقوام المتوحشين والهمجيين ، وان حضارة الامة وثقافتها انما تقاس بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها » .

ونسال : وكيف يعلن الفكر عن نفسه ؟
الجواب : اللغة هى وسيلة الفكر فى الاعلان

اذن يلزم ان تكون اللغة مطيعة للفكر . وتحقيق هذه الطاعة يستلزم ان تكون طبيعة اللغة من طبيعة الفكر .

ولهذا نسال : ما الفكر ؟
انه ميتافزيقى
وما معنى الفكر الميتافزيقى ؟

انه يعنى فى صميمه مجــاوزة لـ « المظاهر والمرئيات والعوارض وارتفاعا الى الماهيات والمكونات والدخائل » .

وكذلك اللغة على الاطلاق ، واللغة العربية على التخصيص. فاللغة العربية هي اقرب اللغات الى الفكر الميتافزيقي . وقد اوضح ذلك الدكتور عثمان امين في فصل ممتع وشائق بعنوان « اللغة والامة »

فمن سمات اللغة العربية ما يسميه المؤلف « بالحضور الجواني » بمعنى ان الانا المفكرة حاضرة في كل قضية . الفعل في هذه اللغة لا يستقل بدون هذه الانا . بينما اللغات الاوربية الحديثة على الضد من ذلك . فانت تقول — عربيا — كتب او تكتب ، في حين انك — اوربيا — مضطر الى اثبات هذه الانا عن طريق ضمير المتكلم او المخاطب او الغائب .

ويلزم من ذلك نتيجتان :

النتيجة الاولى ان الصدارة ، في اللغة العربية ، للفكر

والنتيجة الثانية ان اللغة العربية توجز ولا تطنب . وفي الايجاز وضوح وتميز .

وهذه الاصالة التي تتميز بها هذه اللغة انما هي مرتودة في نهاية المطاف الى القرآن .

ولهذا فان اللغة العربية لغة دين ولغة عقيدة .

والانسان العربي بعد ذلك من يكون ؟

حيوان ميتافزيقي وكفى

ابدا بل حيوان ديني

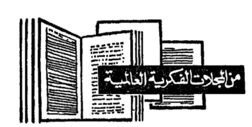
هذه هي فلسفة الدكتور عثمان امين سطرها في ثلثمائة صفحة من القطع الكبير باسلوب ممتع ورشيق .

وانت بعد ذلك وما تريد . .

رغبة في هذه الفلسفة او رغبة عنها

فان كنت راغبا فيها فانت جواني

وان لم تكن فانت — في نظر الدكتور عثمان امين — براني وسطحي وعاجز عن فهم ما بين السطور .



ألجاسوس الايديولوجي

■ مجلة « الازمنة الحديثــة »

يتناول العـدد الاخير بحثا مستفيضا من مشـكلة فيتنام — وماذا تعنى حرب فيتنام لامريكـا وينقسم البحث الى عدة اجزاء — الجـزء الاول عن تاريـخ فيتنـام وعن الاسـس التاريخية لتقاليد فيتنـام الثورية ولوحدتها الوطنية . ثم يتعرض لمرحلة الاستعمار وانعكاساتها على تطور الاوضاع داخل مناطق فيتنام المحتلة — ثم يتناول مرحلة حرب الهند الصينية (١٩٤٦ — ١٩٥٤) التي انتهت بهزيمة فرنسـا وانتصـار الفيتنمة في الشـمال ونظام « نجو» في الجنوب — والجزء الثاني من البحث عن الوضع الراهن : احتمالات الحرب والسلام ، مشكلة الفقر والوضع الاقتصادي — الصراع عند الطفيليين ونظرة امريكا الى القطيعة — الخرافات التي تبثها وادعاءاتها الكاذبة — وينتهي البحث بابراز جوانب اللامعقول في الوضـع الراهن ومظاهر الحرب النفسـية المرتبطة بحرب القنابل والابادة المادية . ويدعو جميع الشعوب الى الوقوف بجانب شعبي فيتنام لوضع حـد نهائي لمشروع القمع الرهيب الذي تجريه امريكا في فيتنـام (*)

وبالعدد مجموعة من القصائد لشعراء فرنسيين معـاصرين ذات الوان مبتكرة ، ومن القصص القصيرة والتاملات الفلسفية — ثم يتناول العـدد «شهادتين» أحدهما عن حيـاة «منافسل» ومختلف أطوار حياته منذ طفولته في اوائل الثورة ، وتجـاربه خلال الحرب العالمية الاولى ثم في فترة ما بين الحربين وبالذات في مرحلة الجبهة الشعبية ونضاله داخل مصانع رينوللسيارات في مرحلة الاضرابات الكبيره حتى توقيع معاهدة ميونيخ وتراكم غيوم الحرب العالمية الثانيه . والشهادة الثانية عن قصة حياة صاحب مصنع صغير (*) وتتسم هذه الشهادات وكذلك القصص المتضمنة في العدد بطابع فلسفي تعكس نظرة سارتر الفلسفية الى الحياة ، ومعاناة التناقض فيمختلف صوره ، حتى اذاكانت «المادة» تنصب على حيـاة «ماركسيين» او حيـاة اشـخاص لاينتمون — عموما — الى فلسفتهالوجودية — فلسفة سارتر — ويحتمل انه ابرز ما في العدد في هذا الصدد هو التعليق الوارد من آخر كتابكتبمن حياة«ريشاردسورج» — وسورج لمطجديد للجاسوس . انه ليس الجاسوس المتعارف عليه عادة والذي يقوم بمهمته لاغراض شخصية فردية ، وانما ينتمي الى مايطلق عليه اسـم «الجاسوس الايديولوجي» الذي يتقـدم بمعلومات وهو معزول تماما عن المجتمع المحيط به في قيمه ويتعرض لكل الاخطار المترتبة على ذلك — انطلاقا من ايمانه الفكري بقضية الاشتراكية ، وكان ريشارد سورج قد قدم خدمات جليلةلقضية الحلفاء اثناء الحرب العالمية الثانية . ولعل ابرز هذه الخدمات ابلاغه ستالين عن الموعد المحدد لغزو هتلر للاتحادالسوفييتي قبل بدء عمليات الغزو بثـلاثة أسابيع — ومع ذلك لم يصدقه ستالين ولم يتخذ الاحتياطات اللازمة ! .. وقد استمر سورج طوال عام ٣٩ و ٤٠ و٤١ يقدم معلومات تفصيلية وغاية في الدقة لكل تحركات المحور من موقعه كصحفي الماني في اليـابان حتى قبض عليهواعدمقبيلنهايةالحرب . والىاليومبقيتمشكلة«قضية سورج»لغزا بالنسـبة للكثيرين . فلا يزال اناس ممن عرفوه ينكرون الى اليوم انه كان جاسوسا ، وكان له قدرات فذة على كسب ثقة جميع من عرفوه . وشك البعض انه يعمل لحساب عدة اطراف في نفس الوقت . وقد كتب في سجنه تاريخا لحياته وكشف عن أساليب عمله ، وعن كل مأساة المهمة التي تولاها بادراك كامل لما تنطوي عليه من عواقب له . ومات شهيدا في لحظة كانت اعماله قد اثمرت على النطاق العالمي كله (*)

وبعد تحقيق شامل لعمله ودوره ، أنعم عليه بأعلى الاوسمة السوفييتية وهو يعتبر اليوم من ابرز أبطال الحرب العـالمية الثانية . ويقـدم نموذجا «للجاسـوس» على نقيض النموذج الامريكي الذي يجد ابرز صورة له في الشخصيـة السينمائية الامريكية «جيمس بوند» (*)

قيادة جماعية ومسئولية فردية

مجلة « الحيـــاة الحزبيـــة »

في عدد فبراير من مجلة « الحياة الحزبيـــة » التى تصدرها شهريا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى مقالة هامة عن مبادىء التنظيم الحزبى تحت عنوان « على أسس من المبادىء اللينينية » . وفى هذه المقالة يناقش الكاتب (أ . كرافتشنكو) المبادىء الاساسية للتنظيم الحزبى مستندا فى ذلك الى افكار لينين التى بسطها فى مؤلفاته المختلفة ، والى خبرة الحزب السوفييتى فى المسائل التنظيمية ، وما تخللتها من أخطاء وتجارب . والجديد فى هذا المقال أنه يعالج المسائل التنظيمية من خلال المشاكل الواقعية الحالية للتجربة السوفييتية .

ويقرر الكاتب فى بداية المقال أن الافكار الخاصة بالتنظيم الحزبى ليست تعاليم مجردة ، وانما هى وثيقة الارتباط بنشاط اعضاء الحزب والمشاكل التى تواجههم وتأثير ذلك على حياة الحزب الداخلية ، وأن المبادىء المتضمنة فى لائحة الحزب كانت بذلك انعكاسا لذلك الواقع الكفاحى ومرتبطة به .

ويناقش الكاتب ثلاث مميزات اساسية للتنظيم الحزبى وهى :

اولا : نوع الاعضاء : ان التنظيم الحزبى يقوى ويتدعم بنشاط اعضائه وحركتهم . وهنا يتعرض الكاتب للفكرة التى سبق أن شرحها لينين وهى انه لا يهم عدد أعضاء التنظيم وانما المهم هو نوع هؤلاء الاعضاء ودورهم وتأثيرهم ، ووقوفه بشدة ضد دخول العناصر غير العاملة أو الخاملة أو اعضاء الشرف فى التنظيم الحزبى . ويقول الكاتب ان هذا المعيار ما زال ساريا . وأن دور المنظمة الحزبية هو توزيع العمل والمسئوليات على جميع أعضائها بحيث يكون لكل عضو منها عمل محدد يقوم به ويتحرك من خلاله . فعمل المنظمة الحزبية سواء « الخلية » أو المنظمات الاخرى لا يجب أن يقوم به شخص واحد أو اكثر ويبقى الاخرون بلا عمل ، بل ان معيار نجاح الوحدة الحزبية هو فى توزيع العمل على جميع اعضائها وتحريكهم فى ذلك العمل والرقابة على تنفيذ التكليفات والقرارات . فيكون أحد الاعضاء مثلا مسئولا عن الدعاية والاخر عن الاثارة والثالث عن الرقابة والرابع عن اعمال محددة فى النقابات الخ . وبدون توزيع العمل يتحمل عدد قليل من الاعضاء أعباء فوق طاقتهم ، ولا يستطيعون انجاز مايعهد اليهم من عمل ، اما الباقون فيتحولون الى سلبيين .

لذا كان على الوحدة الحزبية كي تكون فعالة وذات تأثير على الجماهير ، أن تضع خطة عملها وتقرها بعد دراسة ومناقشة من الجميع ، ثم توزع الاعمال والمسئوليات على كل عضو من اعضائها ، وتقوم بالرقابة على تنفيذ الاعمال والتكليفات ، مع تقديم المساعدة الرفاقية والاخوية . وهنا يصبح للتنظيم معنى وقوة ، وهنا يتحقق ما قاله لينين من أن قوة الاعضاء المنظمين تفوق عشرات بل مئات المرات قوتهم منفردين ، وبهذا المعنى أيضا يمكن أن تفوق قوة المائة قوة الالف اذا كان يجمعهم التنظيم .

ثانيا ، المركزية الديمقراطية : يقول الكاتب أنه لكى يتحقق نشاط التنظيم وحركته ككل يجب أن يتمثل ذلك فى وعى أعضائه ووحدة ارادتهم . ووحدة الارادة لا تقوم الا على أساس من المركزية الديمقراطية .

والمركزية تتحقق على اساس من الوعى وحرية الارادة والديمقراطية . فالتنظيم يتكون من وحدة اختيارية بين اعضائه الذين قبلوا بمحض ارادتهم أهدافه ومبادئه ونظامه . وهم ينتخبون جميع تنظيماتهم من اسفل الى أعلى حتى اللجنة المركزية . ولا تعنى الديمقراطية الانتخابات فحسب وانما حق كل عضو فى محاسبة القيادة ومناقشة تقاريرها والنقد والنقد الذاتى وضرورة أن تقدم الهيئات المختلفة تقارير دورية الى الاعضاء . وقد يناقش تلك التقارير غير الاعضاء أيضا فى اجتماعات عامة . وقد يدعى غير الاعضاء الى الاجتماعات الحزبية عند مناقشة بعض المسائل .

وتعنى المركزية وجود مركز واحد للحزب يخضع الجميع لقراراته . وتؤخذ القرارات بالاغلبية ، وللاقلية حق الدفاع عن آرائها الى أن يصدر القرار بالاغلبية وهنا تخضع الاقلية للاغلبية وتدافع عن القرار الذى يصبح فى هذه الحالة قرار الحزب فى مجموعه . وتخضع الهيئات القاعدية للهيئات الاعلى منها .

ويرتبط التنظيم الحزبى بالجماهير عن طريق وحداته الاساسية ، فهى التى تعمل مع الجماهير مباشرة وتعيش مشاكلها وتعمل على حلها . وعلى كل وحدة حزبية فى مجال عملها أن تتخذ على مسئوليتها الحلول والقرارات التى تتلاءم مع ظروف المجال الذى تعمل فيه . ولها مطلق الحرية فى ذلك ولا يقيدها الا خط الحزب العام .

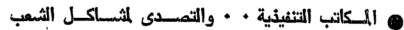
ثالثا ، قيادة جماعية ومسئولية فردية : يقرر الكاتب ان الحزب هو قائد الشعب ، ولذا يجب أن تهدف مبادىء قيادته وجميع اشكال عمله واساليبها الى التعبير عن قراراته وعمله اليومى عن ذكاء ومعارف وخبرة وطاقة الملايين من أعضاء الحزب ومن ابناء الشعب الذين خرجوا من بينهم . ولذا كانت الجماعية تميز عمل كل هيئاته . ويعتبر هذا المبدأ من مبادىء القيادة ، الاساس الثابت للعمل السليم والضمان لتربية الكوادر القيادية ولتنمية نشاط وايجابية الاعضاء .

ولا تعنى جماعية القيادة أنه يجب مناقشة جميع مشاكل الحياة وتفاصيلها بشكل جماعى . ويقول الكاتب أنه اذا كررت الحقائق المعروفة فى كل اجتماع تتحول الاجتماعات الى اشياء مملة روتينية ومضيعة للوقت ولا تصبح لها الجدية والحيوية اللازمة ، ولا يصبح للجماعة الوقت لمناقشة المسائل الهامة والاساسية التى تترك فى هذه الحالة لعدد قليل من الاشخاص ولحسن تنظيم الاجتماعات أثر كبير فى نجاح مبدأ الجماعية . ويتم الاجتماع بشكل جيد اذا عبر بالفعل عن المشاكل الحيوية ، وأعطى كل فرد الحق فى التعبير عن آرائه وافكاره واحترام رأيه . وتكون المناقشة ناجحة اذا أدت الى تقارب وجهات النظر واتخاذ قرار سليم . والمناقشة مفيدة فى « الخلية » الاساسية بالذات لاقرار خطة العمل ، وتحديد الزمن اللازم لانجاز الاهداف . ثم يوزع العمل على الافراد ويسألون عنه فرديا . ويستشهد الكاتب هنا بكلمات لينين « المناقشة جماعية أما المسئولية ففردية » .

وفى تنظيم العمل الجماعى تمثل الاجهزة التنفيذية وهى اللجان والمكاتب والسكرتيرون أهمية كبيرة . ويتوقف عليها نشاط الجماعة كلها وحركتها ، فهى القوة المحركة للنشاط والعمل . ولكى يقوم القادة بدورهم يجب أن يتحلوا بصفات معينة لم يطنب الكاتب فى شرحها ولكنه اشار الى اتسام القائد بالموقف المبدئى تجاه العمل والطابع التنفيذى والموقف الناقد تجاه النواقص والاخطاء والعمل على تلافيها .

والى هنا ينتهى المقال . والعدد ملىء بمقالات أخرى تكتب كلها فى ضوء التحضير للمؤتمر الثالث والعشرين للحزب الذى سيعقد فى شهر مارس . ومجلة « الحياة الحزبية » لا تصدر الا باللغة الروسية . وأهميتها فى أنها تعكس مشاكل الحياة التنظيمية الداخلية لحزب عريق له تقاليد وتجاريب طويلة .

تقارير الشهر



● المكاتب التنفيذية .. والتصدى لمشاكل الشعب
● التدبير فى لندن .. والتنفيذ فى أكرا
● القيادة القطرية .. فى مواجهة القيادة القومية
● بديع خيرى فى المسرح والشعر والصحافة

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

الجماهير المناضلة .. درع الثورة العربية

يجمع المراقبون السياسيون على أن الخطاب الذى ألقاه **جمال عبد الناصر** رئيس الجمهورية **العربية المتحدة** ورئيس **الاتحاد الاشتراكى**، بمناسبة عيد الوحدة فى ٢٢ فبراير الماضى ، قد وضع القوى الاستعمارية والرجعية ومناوراتها فى المنطقة فى موقف صعب يتعذر عليها فيه أن تدافع عن نشاطها وتحركاتها بل وحتى استمرار بقائها فى حكم بعض الشعوب التى لم تتخلص منها بعد .

وتؤكد الدوائر العربية والعالمية ، الوطنية والتقدمية ، ان فعالية النتائج المتوقعة للخطاب لاتكتسب اهميتها وخطورتها ومدلولاتها من حقيقة انه موجه من مناضل يرمز الى كفاح وطنية وتقدمية شعبه المعادى للاستعمار فحسب ، وانما يكتسبها الخطاب ايضا من طابعه الجماهيرى الواضح لاق الوطن العربى وحده وانما بين شعوب التحرر الوطنى والاشتراكية كذلك . فلقد تحدث عبد الناصر ، حديثا صريحا الى «الجماهير التى صنعت الاستقلال ، الجماهير التى تخلصت من الاستعمار ، الجماهير المناضلة المكافحة» . وترى الدوائر التنظيمية فى الاتحاد الاشتراكى ، ان للخطاب ابعاده التنظيمية الهامة التعليمية والتدريبية ، التى يجب الاهتداء بها فى العمل الجماهيرى .

وقد تعرض الرئيس فى خطابه الى «الجماهير المناضلة المكافحة» اهم قضايا الوطن العربى هذه الايام : اليمن والحلف الاسلامى . واوضح الرئيس انه ليس معقولا ان تنسحب القاهرة من اليمن «لاننى لم اذهب الى السعودية للاتفاق على سحب القوات المصرية . وانما لايجاد حل للمشكلة اليمنية واعطاء الفرصة للشعب اليمنى ليقرر مصيره» . واكد الرئيس انه لن يضير الجمهورية العربية المتحدة أن تبقى هذه القوات — اذا تطلب الامر — هناك حتى ٥ سنوات . واوضح ان احدى نتائج الثورة اليمنية ان بريطانيا اضطرت الى اعلان انها ستعطى الاستقلال لعدن ومحميات الجنوب عام ١٩٦٨. واضاف «واذا كان الامر كذلك فان القوات المصرية تستطيع ان تبقى بعد ١٩٦٨ » .

وتناول عبد الناصر — النشاط الرجعى الاستعمارى الاخير والذى اتخذ لنفسه اسم **«الحلف الاسلامى»** . واكد الرئيس للجماهير ان هذا الحلف حلقة جديدة من سلسلة الاحلاف الاستعمارية والعدوانية التى يسعى الاستعمار العالمى — وخاصة الامريكى والبريطانى — الى ربط دول المنطقة بها فى حربه العدوانية ضد الشعوب العربية منذ ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ . وتناول الرئيس بالتفصيل سلسلة هذه المؤامرات ابتداء من **«مشروع الشرق الاوسط البريطانى»** ثم **«الميثاق العراقى التركى»** ثم **«حلف بغداد»** ثم **«مشروع ايزنهاور»** ثم **«الحلف المركزى»** ، واخيرا **«الحلف الاسلامى»** الذى رسمته السياسة الامريكية الانجليزية وايده **حكام ايران والسعودية وتونس** . وقد حيا الرئيس — فى طول خطابه — كفاح الجماهير العربية التى استطاعت ان تسقط هذه الاحلاف من قبل وستسقط الحلف الاسلامى من جديد اذا حاول مخططوه تنفيذ مؤامرتهم الجديدة فى ان يبدأوا بشعار «ويبتدوا من الداخل وبطريقة سهلة لغاية مايكتفوا البلاد العربية كلها ويسلموها لانجلترا وامريكا» . وذلك لان «الاستعمار بيشعر ان المد الثورى العربى يمثل خطرا متزايدا على احتكارات البترول ، والرجعية تشعر ان مايحمله تيار الاشتراكية يهدد كيانهم ويهدد وجودهم . أذن سوف تتحالف الرجعية مع الاستعمار ويدعو لفكرة جديدة ، استغلال الدين كسلاح حتى تتحقق اهداف الرجعية والاستعمار» . واكد الرئيس ان غاية الحلف الجديد هو «تفتيت العرب لحساب الاستعمار اى يكون تزييف الدين من اجل خدمة المبادىء والاهداف الاستعمارية » .

وقد الهب حماس الجماهير العربية قول عبد الناصر فى خطابه «نحن نعارض كل التحركات الاستعمارية الرجعية المشبوهة . ونحن نعارض استخدام الدين واسم الدين من اجل تحقيق اهداف الاستعمار والرجعية . نحن نعارض الحلف الاسلامى او المؤتمر الاسلامى . » ثم اضاف مؤكدا حقيقة ان «التضامن الاسلامى الحقيقى هو تضامن الشعوب الاسلامية المناضلة ضد الاستعمار لاتضامن الحكومات الرجعية العميلة للاستعمار والمستغلة للاسلام والمزيفة للاسلام » ■

ويرى المعلقون العرب ان الرئيس قد حدد امام الجماهير العربية واجباتها ومسئولياتها عندما خاطبها قائلا : « ان الجماهير العربية المناضلة التى ناضلت فى ٥٥ و٥٦ و٥٨ والتى ناضلت بعيد كده فى سنة ٦٢ لازالت هى الجماهير العربية الموجودة اليوم تستطيع ان تناضل ولكن عليها ان توحد نضالها وتستطيع ان تكافح . تستطيع ان تتصدى لهذا التحالف الاستعمارى الجديد كما تصدت لحلف بغداد . تستطيع ان تسقط هذا التحالف الاستعمارى الجديد كما اسقطت حلف بغداد » .

وتعتقد الدوائر العربية الوطنية والتقدمية ان كل القوى المناضلة ضد الاستعمار والرجعية فى الوطن العربى مطالبة اليوم بشكل ملح وضرورى أن توحد نضالها وعملها الوطنى بشكل تستطيع معه ان تواجه كل المؤامرات الاستعمارية والرجعية التى يشهدها الوطن العربى فى هذه الفترة .

●

الوحدة الوطنية
تسبق الوحدة العربية

فى فترة تتعدد فيها اثارة القضايا الهامة فى الوطن العربى ، حول الحرية والاشتراكية والوحدة ومواجهة المناورات الرجعية والاستعمارية ، تناول الرئيس **جمال عبد الناصر** جميع احداث الساعة فى العالم العربى فى التصريحات الهامة التى ادلى بها لوفد الصحفيين العراقيين المرافق للرئيس العراقى **عبد السلام عارف** .

ومن القضايا التى اثارها الصحفيون العراقيون التساؤل حول موقف الجمهورية العربية المتحدة من تزويد اسرائيل بالاسلحة من امريكا ومن المانيا الغربية ، فأجاب الرئيس « نحن ايضا نحصل على اسلحة ، وحينما نفكر فى اسرائيل يجب ان نفكر فى اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل من الذين اقاموا اسرائيل ومن الذين حافظوا على اسرائيل . وفى عملنا يجب ان نلاحظ ان اسرائيل تحصل سرا على الاسلحة . ويجب ان نقابل هذا العمل بمثله بحيث لاتمكن اسرائيل من التفوق علينا » . اما اذا سارت اسرائيل فى انتاج القنبلة الذرية فأنا اعتقد ان الرد الوحيد على هذا هو الحرب الوقائية ، يجب ان تقوم الدول العربية فى الحال بالقضاء على كل مايمكن اسرائيل من ان تنتج قنبلة ذرية » .

وقد استقبل الراى العام العربى بارتياح الرؤية الواضحة التى حددها عبد الناصر فى حديثه . فقد اجاب الرئيس — ردا على سؤال حول انطباعاته عن النتائج التى توصلت اليها القيادة السياسية الموحدة — « وقضية الوحدة تحتاج الى تمهيد كبير وتعزيز حتى لاتصاب بأية نكسات .. كما ان الوحدة الوطنية يجب ان تكون سابقة للوحدة العربية .. ثم بعد هذا بحثنا قضايا التعاون بين القطرين الشقيقين ونحن نسير فى هذا بخطوات سليمة ... ثم بحثنا ايضا فى القضايا العربية وما نشر عن الحلف الاسلامى .. وبحثنا ايضا النشاط الاستعمارى الرجعى الذى نلاحظه فى البلاد العربية » .
ثم سئل الرئيس عن رأيه « فى » التمرد الانفصالى الذى يقوم به بعض العصاة فى شمال العراق .. فأجاب المناضل عبد الناصر فى رأيى ان هذا التمرد يغذى من فئات مختلفة . وكلنا نرى ان الدول الاستعمارية واعوانها كما حصل من ايران اخيرا تمدهم بالاسلحة وتحاول ان تجعل من هذا التمرد ما يكون نقطة ضعف فى العراق » . واضاف « فى رأيى ان القوة ليست السبيل الوحيد الى انهاء هذا التمرد . ولكن مع القوة والعمل العسكرى يجب ان تقوم السياسة بدورها حتى ينتهى هذا التمرد فى اقرب وقت ممكن » . « .. ولكننا نرى ان يكون للاكراد حقوقهم القومية مثل اللغة وغيرها من الحقوق القومية المعروفة وانتم قد اعترفتم بهذا فى دستور العراق » . واضاف « نرى ايضا ان الحكم المحلى لايمثل انفصالا ولكنه ينظم السلطات على اساس لا مركزى » .

وسأل الصحفيون العراقيون ، الرئيس عبد الناصر عن « مدى استجابة مختلف القطاعات الشعبية فى التنظيمات الجديدة للاتحاد الاشتراكى وسبل التعاون بين التنظيمين فى الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية » . وبعد ان عرض الرئيس لتجربة الاتحاد الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة ، اضاف قوله « اما بالنسبة للتنسيق مع الاتحاد الاشتراكى العراقى استطيع ان اقول انه لايوجد اى تنسيق حتى الان . ونحن ننتظر اعادة التنظيم فى العراق حتى يمكن ان يكون فيه اتصال وتنسيق » . واكد الرئيس عبد الناصر فى حديثه « ان الوحدة الوطنية ضرورية جدا فى العراق » . كما اكد انه « حتى تقوم الوحدة بين العراق ومصر يجب ان نكون فى اشد الحرص على التضامن ووحدة الهدف ووحدة العمل بين العراق ومصر » .

ثم سأل الصحفيون العراقيون عن « وضع ميثاق واحد مشترك يكون اساسا للحركة العربية الواحدة » . قال الرئيس « اعتقد اننا فى مرحلة انتقال الى الهدف الذى نتكلم عليه ، وعندنا فى الميثاق نص على تكوين مجلس اعلى للحركات القومية واعتقد ان الظروف مازالت مختلفة .. ظروف تختلف عن ظروف مصر ، وظروف مصر مازالت تختلف عن ظروف العراق . فأنا لا ارى اى ضرر فى ايجاد هذه المواثيق المختلفة » ثم اضاف الرئيس « وقد يجىء اليوم الذى نستطيع فيه هذه الثورات بعد حل الكثير من المتناقضات ان تضع ميثاقا واحدا . وعاد الصحفيون العراقيون الى سؤال الرئيس عبد الناصر حول مشكلة الاكراد . واجاب الرئيس مرة اخرى « انا اعتقد انه واجب وطنى ان نحل هذه المشكلة » .

وفى حديث الرئيس للصحفيين العراقيين ، سألوه بقولهم انه « فى الوقت الذى نجح فيه التأميم فى شقيقتنا الكبرى الى اقصى الحدود لم تنجح عندنا التجربة للاسف . فهل ترون ان عدم التزامنا بهذا النهج سيكون فيه عقبة تحول دون وحدتنا السياسية ؟ ام ان لنا ظروفنا الخاصة نكيفها حسب بيئتنا وموقفنا ؟ » فأجاب جمال عبد الناصر — بعد ان اوضح انه لم يعلم بالتأميم فى العراق الا من الراديو — « الاخ الرئيس عبد السلام لم يبحث معى بعض خطوات التأميم فى العراق . ولكنه من الواضح اننا اذا اممنا لابد ان يكون عندنا الكادرات التى تستطيع ان تمارس هذا العمل » .
ثم اضاف « ولكن التأميم فى العراق حصل ولابد ان ينجح ، يجب ان يكون هذا شعار الحكم . ونسبة ماتم تأميمه بالعراق الى ماتم تأميمه فى مصر نسبة قليلة جدا » . وقال « فاذا كان كل ما أمم فى العراق قيمته ٢٥ مليون جنيه فلا بد من النجاح فى التطبيق بحيث نعطى المثل الطيب للعمل الاشتراكى » .
واوضح الرئيس رأيه فى كيفية التطبيق الاشتراكى فى العراق فقال « بأن يقوم القطاع العام بعمل خطة . وانا اعلم بأنكم تجهزون خطة خمسية . ومن طريق هذه الخطة الخمسية القطاع العام او الدولة تقوم بانشاء المصانع ودا نعبر عنه احنا بالكفاية اى زيادة الانتاج القومى وزيادة الدخل القومى وزيادة العمالة . وبهذا يتسع القطاع العام ويصبح القطاع العام مشرف وموجه للقطاع الخاص » .

وردا على سؤال الصحفيين العراقيين حول خطوات الوحدة وموعد السنتين الذى جاء فى المواثيق المعقودة بين

الجمهورية العربية المتحدة والعراق لتحقيقها ، اجاب الرئيس « .. واذا اردنا ان نقيم وحدة سليمة واذا اردنا ان نتخطى الاخطاء التى حصلت فى الاندفاع فى التجربة بين سوريا ومصر ، يجب ان نكون على ثقة من انفسنا وعلى ثقة من شعورنا . وانا متفق معك اى مع (من وجه السؤال) ان الوحدة لن تقوم فى خلال السنتين ولا فى خلال خمس سنوات . واعتقد ان ده يجب الا يزعجنا ابدا بأى حال من الاحوال . بل يجب ان يكون هذا حافزا لنا حتى نسعى الى القضاء على المتناقضات الموجودة التى قد تعيق الوحدة اذا قامت » . واكد الرئيس قوله « وفى رأيى ان الوحدة الوطنية يجب ان تسبق الوحدة العربية . وفى رأيى ان الوحدة السياسية يجب ان تسبق الوحدة الدستورية » . ثم اضاف « وامامنا طريق طويل حتى تتحقق الوحدة السياسية بين العراق ومصر » . وختم اجابته قائلا « ومن المعقول ان احنا اذا فى مدة السنتين وجدنا نفسنا غير مستعدين لانجبر على ان نطبق وحدة غير سليمة وغير مستعدين لها » . واعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى اجابته على سؤال حول مؤتمرات القمة العربية « انا باقولها صريحة ان اى تحرك للرجعية فى العالم العربى لن نسكت عليه بأى حال من الاحوال . نحن مع استقلال العالم العربى وابعاده عن مناطق النفوذ كلية » . وفى اجابة الرئيس على سؤال حول مؤتمر حرض . قال « نرجو الا يخفق مؤتمر حرض . ونحن نسعى الى حل المشاكل الموجودة بالطرق السلمية ، على ان يتولى الشعب اليمنى تقرير مصيره بنفسه . حصلت خلافات فى التفسير بيننا وبين السعودية . ونحن نحاول الان ان نحل هذه الخلافات ، وليس عندنا الان مايمكننى ان اقول عن خطتنا فى حالة فشل مؤتمر حرض » .

●

خطوات جديدة ..

فى ٨ فبراير الماضى القى الرئيس عبد السلام عارف رئيس جمهورية العراق خطابا جاء فيه « ان من اهم اهداف العراق تطبيق الخطوات اللازمة للوحدة مع الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة » .

وفى ١٢ فبراير جاء الرئيس عارف الى مصر على رأس وفد ضخم ، وكان قد سبق حضوره رئيس الوزراء وعدد من معاونيه لعقد اجتماعات تحضيرية مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة تمهيدا لاجتماع القيادة السياسية الموحدة

وقد جاءت هذه الزيارة فى ظل ظروف حدد بعضها الرئيس جمال عبد الناصر فى حديثه السابق على الزيارة مع الازفستيا السوفيتية :

● ظروف ازدياد الهجوم الاستعمارى والرجعى داخل المنطقة العربية وخارجها . مما يحتم على القوى التقدمية فى العالم العربى ان تدعم وحدتها لمواجهة ذلك الهجوم .

● تصاعد النشاط المحموم لانشاء ما يسمى بالحلف الاسلامى رغم ان الشعب العربى رفض مثل تلك الاحلاف

وكان طبيعيا ان تسبق زيارة المشير عارف عدة تصريحات تمهد الجو لمباحثات القيادة السياسية الموحدة فى القاهرة . فصرح عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء « بان العراق دولة من دول الحياد الايجابى » . وصرح عارف نفسه بان « محاولة اقامة احلاف اجنبية فى المنطقة لن تنجح وسيسقط كل حلف كما سقط حلف بغداد » . واكد بصراحة موقف العراق من الحلف الاسلامى : بان « ما تسمى بالحلف الاسلامى فنحن لا نعرف محتواه اذا خيل للبعض الادعاء به او امكان وجوده . وعلى كل فقد حددنا موقفنا قبل هذا . ونقول ان الاسلام بعيد وبرىء من اى حلف يمت بصورة مباشرة او غير مباشرة الى الاستعمار واذنابه . وان الجماهير الاسلامية تعرف ان الشعارات لا تغرها ولا تخدعها .

ومن المعروف ان اجتماعات القيادة السياسية الموحدة قد بحثت :

● الموقف الدولى والسياسة الموحدة التى ينتهجها البلدان تجاه ذلك الموقف وخاصة فيما يتصل بالمشاكل المتعددة ذات الصبغة الدولية والصراع السياسى .

● الموقف فى المنطقة العربية والمشاكل القائمة على الحدود العراقية والتحركات التى تجرى فى المنطقة وتهدف الى قيام تكتلات سياسية او احلاف خاصة ما يجرى بشأن منطقة الخليج العربى . ورسم سياسة موحدة بين البلدين لمواجهة احتمالات المستقبل .

● الشئون الداخلية فى البلدين فيما يختص بتجربة التنظيم الشعبى والتطبيق الاشتراكى وطريقة ممارسة العمل فى هذين القطاعين . ومجابهة القوى التى تعمل ضد المنجزات التحررية

أما مسألة الوحدة بين البلدين فقد صرح عبد السلام عارف ان المهام الاساسية للقيادة السياسية هى بناء طريق الوحدة . والتجربة فى جوهرها جديدة ويلزمنا ان نتكشف كل العقبات التى مرت بها فى عملية التنظيم الشعبى فى العراق وما مرت به هذه التجربة فى الجمهورية العربية المتحدة . ثم تجربة التطبيق الاشتراكى العربى وما وقع فيها من اخطار لتدارك كل شىء فى المستقبل .

هذا وقد قررت القيادة السياسية تعيين الوزير العراقى عبد الرازق محيى الدين امينا عاما للقيادة .

وصدر بيان مشترك فى ١٩ فبراير اهم ما اتفق عليه فيه هو :

● ضرورة تضافر جهود البلدين وتعبئة طاقاتهما المادية للتصدى للتحركات الاستعمارية الاخيرة

● تأكيد وحدة التراب العراقى ومساندة القيادة السياسية الموحدة للعراق من اجل انهاء التمرد القائم فى جزء منه .

● الدعم الكامل للجهود المبذولة لاحلال السلام والاستقرار فى اليمن والوقوف بكل امكانياتهما الى جانب الكيان الفلسطينى ودعم الكفاح التحررى فى الجنوب المحتل وعمان .

● التمسك بسياسة عدم الانحياز ورفض الاحلاف

● توسيع قاعدة العمل التقدمى وزيادة فاعليته لنشر وتعميق الفكر الاشتراكى العربى بين الجماهير وتأكيد الوحدة الوطنية كالدعامة الاساسية لحماية مكاسب الشعب

●

المكاتب التنفيذية والتصدى للمشاكل الشعبية

من الملاحظ ان المكاتب التنفيذية تمارس عملها بنشاط متزايد ، باعتبارها محور النشاط السياسى للاتحاد الاشتراكى . برز هذا الاتجاه فى المؤتمر الاول لاعضاء المكاتب التنفيذية (١٧٠ عضوا) ، وتأكد فى اجتماع القائد عبد الناصر مع عدد محدود من اعضاء المكاتب التنفيذية

فى بعض المحافظات لتبادل الراى ودراسة المشاكل على الطبيعة وتنمية وحدة الفكر والعمل داخل الاتحاد الاشـتراكى على مستوى القيادات المحلية .

وقد تم عقد اجتماع مع اعضاء المكاتب التنفيذية فى ثلاث محافظات هى **اسوان وقنا وسوهاج** واستمر الاجتماع اربع ساعات وحضره **على صبرى** الامين العام للاتحاد الاشتراكى **وزكريا محيى الدين** رئيس الوزراء **وانور السادات** رئيس مجلس الامة واعضاء الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى .

وقد استهل الرئيس عبدالناصر الاجتماع ببعض التوجيهات التنظيمية لامناء واعضاءالمكاتب التنفيذية عن اسلوب العمل لبناء التنظيم السياسى بهدف انجاح القيادات الجديدة فى مهمتها من طريق الالتحام بالجماهير وخلق الثقة المتبادلة بين القيادة على مختلف مستوياتها وجماهير الشعب . وان تكون القيادات دائمامثلا اعلى فى سلوكها الشخصى وتدعيم الثقة بين القيادات والقواعد الشعبية بواسطة الاتصال المستمر بين القيادات والقاعدة . وتعميق المعرفة الشخصية ودراسة مشكـلات الجماهير وايجاد الحلول لها سواء كان ذلك فى النطاق الاقليمى او بالتعاون مع الاجهزة المحلية فى المحافظة او الاجهزة المركزية .

وفى ذلك الاجتماع اعلن عبد الناصر انه سوف تتم عملية تقييم لعمل القيادات فى هذه التجربة بعد عام من الان .

وبعد ذلك بدأ امين كل محافظة من المحافظات الثلاث فى استعراض ماقام به المكتب التنفيذى فى كل محافظة من نشاط فى المجالات المختلفة ونماذج من الدراسات الميدانية للمشاكل العامة والعاجلة التى تمس الشعب .

وفى هذا الاجتماع اتخذت فعلا عدة قرارات لحل تلك المشاكل عن طريق السلطة التنفيذية فكلف **رمزى استينو** مثلا نائب رئيس الوزراء **ومحمود عبد السلام** بالسفر الى الوجه القبلى لبحث مشاكل التموين والمواصلات على الطبيعة هناك . كما ان مجلس الوزراء بحث فى احدى جلساته هذه المشاكل وقرر اتخاذ بعض الاجراءات بشأنها .

ويمكن للمراقب ان يركز فائدة مثل تلك الاجتماعات بين المكاتب التنفيذية وقائد التنظيم فى النقاط التالية التى تعرضت لها الصحف بالمناقشة والتعليق .

● تفهم القيادات الجديدة ماينبغى ان يكون عليه العمل السياسى من خلال الفكر الثورى للمناضل جمال عبد الناصر علما بانه تقرر طبع كل احاديث الرئيس مع المكاتب اولا باول وتوزيعها على اعضاء المكاتب التنفيذية .

● ربط المستوى الاعلى للاتحاد الاشتراكى بما فيه الامانة العامة بالقيادات المحلية للمحافظات وتبادل الراى والمواجهة السريعة والحاسمة لمشاكل الجماهير .

● وضع الاجهزة التنفيذية فى الصورة بحضور رئيس الوزراء تلك الاجتماعات وهو الرجل التنفيذى الاول مما يتيح له الوقوف على الموضوعات التى تستلزم تدخل السلطة التنفيذية .

● اشتراك السيد انور السادات رئيس مجلس الامة فى تلك الاجتماعات يمهد للسلطة التشريعية مباشرة عملها ومعها صورة كاملة متجددة لابعاد الموقف فى كل انحاء الجمهورية .

والمتتبع لنشاط المكاتب التنفيذية فى خلال الشهرين الاخيرين يلاحظ وجود دفعة قوية من النشاط الواسع القائم على اثارة حوافز الجماهير وايجابيتها لحل بعض مشاكلها بطريقة ذاتية والصحف مليئة كل يوم بمثل ذلك النشاط للاتحاد الاشتراكى فى انحاء كثيرة بالجمهورية .

ولوحظ ان امانة الشباب بالاتحاد الاشتراكى تواصل النشاط على مستوى اوسع لتدريب الشباب فى معسكرات القادة ولازال **السيد على صبرى** الامين العام للاتحاد الاشتراكى يحرص بصفة منتظمة على عقد الاجتماعات والندوات مع الشباب فى تلك المعسكرات . **ويبدو ان الامين العام يفكر فى خطة تنظيمية لاستغلال الطاقة والتاثير الضخم لمائة وعشرين الف مدرس فى البلاد** . اذ اقترح على صبرى فى خطابه فى اخر جلسة لمؤتمر قادة التوجيه القومى للمعلمين ان يشكل المعلمون لجان مستديمة فى كل محافظة وكل منطقة وكل قرية وترتبط تلك اللجان بالاتحاد الاشتراكى «حتى يكون لها دور رئيسى فى التوجيه والدراسة والمشاركة فى العمل الوطنى » حتى مستوى الامانة العامة للاتحاد

وفى القاهرة اعلن **عبد المجيد فريد** امين المكتب التنفيذى للعاصمة عن اسماء اعضاء ١٥ مكتبا تنفيذيا لاقسام محافظة القاهرة قال عنها انها تمثل ٥٠٪ فقط من الاقسام والغرض منها اعطاء فرصة لاكتشاف عناصر قيادية داخل الاقسام .

ومن اهم اخبار الاتحاد الاشتراكى فى الشهر الماضى ، اشتراك على صبرى بصفته امينا عاما للاتحاد فى المحادثات مع رئيس وزراء المجر جيوركالاى عضو اللجنة المركزية لحزب العمال المجرى واجتماعات القيادة المشتركة العراقية المصرية .

وقد جاء فى البيان المشترك للمحادثات المجرية ان كالاى وجه الدعوة للاتحاد الاشتراكى لارسال وفد منه ضيفا على المجر لدراسة التطبيق الاشتراكى هناك .

●

الهجرة .. والتموين والارباح

فى دورة انعقاد مجلس الامة هذا الشهر ، لم ينظر المجلس فى مشروعات قوانين جديدة بقدر ما وجه اعضاؤه اسئلة الى الوزراء تناولت بعض القضايا الحيوية ووضعت امام النواب والشعب حقائق جديدة اذيعت لاول مرة مثل **تلك الاجراءات التى اتخذتهـا الحكومة لتشجيع الهجرة** الى خارج البلاد . فقد تبين ردا على سؤال وجهه د . **رشدى سعيد** ان الجمهورية العربية المتحدة فتحت باب الهجرة عام ١٩٦١ الى دول امـريكا اللاتينيـة وكندا واستراليا ووضعت الدولة قواعد للتيسير على المهـاجرين كاعفائها المهاجرين من الضمان المالى الذى يطلب عادة من المسافر الى بعض الدول ومنحه حق تحويل خمسمائة جنيه .

وقال نائب وزير الداخلية ان عدد المهاجرين منذ عام ١٩٦٢ حتى ١٩٦٥ بلغ ٦١٤١ مهاجرا . ومما يذكر ان المهاجر يظل محتفظا بجنسيته المصرية رغم هجرته . وطالب بعض النواب فى المجلس بزيادة تشجيع الهجرة باعتبارها « عاملا اساسيا للحد من تزايد السكان المستمر » . بل طالبوا باقامة وزارة او مصلحة خاصة للهجرة .

واثير فى المجلس قضيتان تتعلقان بمشاكل التموين .

الاولى عن مسالة رغيف العيش وسياسة الحكومة ازاء استيراد القمح والذرة فى الاعوام المقبلة وتخفيض سعر الرغيف بعد الزيادة المتوقعة فى عدد السكان وعدم كفـاية المساحة المخصصة لزراعة المحصولين المذكورين .

وقد اعلن الدكتور القيسونى نائب رئيس الوزراء لشئون الاقتصاد بصراحة ان الحل الحقيقى لمشكلة القمح والدقيق

والذرة ليس في تحديد استهلاك الشعب من هذه السلع الرئيسية ولا في زيادة المساحة المزروعة منها على حساب المحاصيل الاكثر ربحا وادرارا للعملات الصعبة الضرورية لعمليات التنمية . وانما هو اولا في تنظيم الاسرة بحيث لايزداد عدد السكان هذه الزيادة الضخمة . وثانيا في زيادة دخلنا الزراعي والصناعي وتنظيم استهلاكنا .

وكشف القيسوني بالارقام عن كيف انعكست الزيادة في الاستهلاك على الاستيراد فارتفعت الكميات المستوردة من ١٢٠ الف طن سنويا من سنة ١٩٤٠ — ١٩٤٩ ، الى ٧٤٧ الف طن خلال الفترة من سنة ١٩٥٠ الى ١٩٥٩ ، ومما له مغزى ان الرقم ارتفع الى مليون و ٤٨٨ الف طن في عام ١٩٦٥ .

والمسالة التموينية الثانية التي اثارها النواب ، تتعلق بزيادة انتاج الاقمشة الشعبية وضرورة انتاج انواع متعددة منها.

وفي دورة مجلس الامة للشهر الماضي .. اثار بعض النواب مسالة تأخر صرف ارباح الشركات والمؤسسات للعمال . ومن المعروف انه كان قد تقرر صرف ٢٥٪ من تلك الارباح قبل عيد الفطر . ريثما تعد الميزانيات ، ثم انتهى العيد ولم يتقرر صرف الباقي من الارباح مما اثار قلق العاملين في كثير من المؤسسات.

وقد اكد الدكتور القيسوني ان الارباح ستوزع في خلال فترة قليلة وان سبب تأخير صرفها حتى الان يرجع الى « رغبة الحكومة في التأكد من سلامة التقديرات في الميزانيات المختلفة من طريق مراجعة الجهاز المركزي للمحاسبات لهذه الميزانيات». واذاعت الصحف فعلا انه ستصرف ٢٥٪ من الارباح قبل عيد الاضحى القادم الى ان يتم مراجعة الميزانيات .

وربما كان اهم قانون اقره المجلس في خلال دورة الشهر الماضي هو القانون الخاص بعدم جواز زيادة ما يتقاضاه رئيس او عضو مجلس الادارة عن خمسة آلاف جنيه في العام .

وينتظر ان تكون دورة شهر مارس الحالي دورة خصبة وغنية بالمناقشات اذ من المتوقع ان تعرض الحكومة الخطة الخمسية الثانية على الاعضاء وسيفتح ذلك الباب لمناقشة جماهيرية واسعة حول اخطر قضايانا في السنوات الخمسة القادمة وهي قضية عبور عنق الزجاجة في مرحلة الانتقال نحو الاشتراكية.

هذا ويقوم السيد انور السادات الان بصحبة السيد حسن الفقي وكيل وزارة الخارجية وبرفقة ٥ من اعضاء مجلس الامة بزيارة للولايات المتحدة يجتمعون خلالها بعدد من كبار المسئولين في الفرع التنفيذي للحكومة الامريكية وكذلك بعدد من زعماء الكونجرس ، كما يزورون خلالها عدة مناطق ريفية وزراعية نموذجية بقصد زيادة التعرف المباشر على قطاع افقي للحياة في الولايات المتحدة الامريكية .

●

ضيوف الجمهورية من الشرق والغرب

شهدت القاهرة في الشهر الماضي عددا من الزيارات الهامة في الشرق العربي ، واوربا الشرقية والشرق الاقصى ، والغرب .

● الرئيس الغاني كوامي نكروما :

اجرى الرئيس كوامي نكروما بالقاهرة محادثات سياسية مع الرئيس جمال عبد الناصر ، تناولا فيهما ثلاث موضوعات رئيسية : تطورات الموقف في فيتنام بعد ان بلغ مرحلة خطيرة نتيجة لاستئناف الغارات الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية والخطوات التي يمكن ان تتخذها الدول غير المنحازة بشأن الموقف، وقاما كذلك باستعراض عام للمشاكل العالمية عامة والموقف في القارة الافريقية بصفة خاصة .

وقد صحب الرئيس نكروما وفد كبير يضم كواسوف سساكي وزير الخارجية وكويري ايرما وزير التجارة ورئيس وفد غانا في الامم المتحدة ، وزيارتهم للقاهرة هي جزء من رحلة سياسية بين عدد من العواصم المتصلة مباشرة بمشكلة فيتنام ورانجون وهانوي وموسكو .

● المباحثات الاقتصادية لكواشيما مبعوث اليابان .

كشفت مباحثات ناصر — كواشيما مبعوث رئيس وزراء اليابان ونائب رئيس الحزب الديمقراطي الحاكم عن استعداد اليابان لزيادة مساهمتها في مشروعات الخطة الخمسية الثانية وذلك بعد ان تستخدم الجمهورية العربية المتحدة التسهيلات الائتمانية التي تم الاتفاق عليها وقدرها ٥٠ مليون دولار .

وقد التقت وجهات النظر بين الجمهورية المتحدة واليابان حول ضرورة الوصول الى حل لمشكلة فيتنام في اسرع وقت ممكن ، وحول أهمية التعاون في نطاق مجموعة الدول الافريقية والاسيوية .

واعلن شوجيرو كواشيما ان اتصالات ستتم بين الجمهورية العربية المتحدة واليابان لدراسة مشروعات مصانع السماد وبناء السفن وغيرها تمهيدا لتنفيذها . وكذلك عن ارسال بعض الخبراء اليابانيين الى القاهرة لدراسة مشروع القاهرة الكبرى .. كما تم التعاقد بين شركة السويس لتصنيع البترول والحكومة اليابانية على تصدير ٥٠ الف طن من المشتقات البترولية الى اليابان ..

ويجمع اغلب المراقبين على ان هذه المباحثات قد ادت الى تدعيم العلاقات الاقتصادية المصرية — اليابانية كما انها فتحت آفاقا لمزيد من تدعيمها مستقبلا .

● رئيس وزراء السويد :

جاءت زيارة السيد تاج ايرلندر رئيس وزراء السويد التي استغرقت اسبوعا مقدمة لايفاد بعثة سويدية من رجال الاعمال لدعم جهود السويد في زيادة التعاون التجاري بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .

وقد صحب ايرلندر في هذه الزيارة وفد من وزارة الخارجية السويدية يضم ٣ اعضاء من بينهم وكيل خارجية السويد ومدير الادارة السياسية بوزارة الخارجية .

ولما كانت الجمهورية العربية المتحدة تستورد من السويد بما قيمته ٤ ملايين جنيه استرليني وتصدر لها بما قيمته ٧٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ويغطي الفرق من طريق السياحة ورسوم السفن السويدية في قناة السويس ، فمن المنتظر ان تسفر جهود وفد السويد الاقتصادي عن تدعيم وتوسيع التعاون بين البلدين.

وتاج ايرلندر ، رئيس الوزراء ، متخرج من جامعة لندن سنة ١٩٢٨ عمل استاذا بالجامعة السويدية من ١٩٢٩ الى ١٩٣٨ ، وعين وزيرا للشئون الاجتماعية من اغسطس سنة ١٩٤٤ الى يوليو سنة ١٩٤٥ ، ثم عمل وزير التعليم في ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، وعين رئيسا لوزراء السويد لاول مرة سنة ١٩٤٦ .

● جيولا كالاي رئيس وزراء المجر :

اسفرت المباحثات التي اجراها الوفد المجري برياسة السيد

هيولا كالاى رئيس وزراء المجر ، عن تدعيم التعاون بين البلدين وعن توقيع عدة اتفاقيات منها اتفاقية تجارة طويلة الاجل، واتفاقية للتعاون الاقتصادى ، واتفاقية للتعاون الفنى والعلمى وللتعاون فى مجالات الصحة والاذاعة والتليفزيون والانشاء واتفاقية للتعاون فى مجال السياحة وبرنامج تنفيذى للتعاون الثقافى والعلمى والفنى والصحى لعامى ١٩٦٦ — ١٩٦٧ كما تم الاتفاق من ناحية المبدأ على توسيع نطاق اتفاقية الطيران المدنى »

وقد اكد الجانبان المصرى والمجرى فى البيان المشترك الذى اصدراه بعد المباحثات ، تأييدهما استعادة شعب فلسطين لحقوقه الشرعية وتأييدهما لنضال شعب عدن والجنوب العربى من اجل التحرير ، وطالبا بضرورة ايقاف الغارات الجوية الامريكية على فيتنام الشمالية فورا وبغير شروط .

كما تبادل السيدين هيولا كالاى ، وعلى صبرى فى محادثاتهما وجهات النظر حول نشاط كل من حزب العمال الاشتراكى المجرى والجبهة الوطنية الشعبية المجرية والاتحاد الاشتراكى العربى .

وجيولا كالاى ، يعتبر احد كبار المكافحين فى سبيل الوحدة القومية المجرية والجبهة الشعبية ، قام بدور شجاع فى مقاومة النازى ، وبعد التحرير أصبح عضوا فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، وفى سنة ١٩٥٧ عين وزيرا للثقافة فى الحكومة الثورية للعمال والفلاحين وأصبح بعد سنة ١٩٦٠ النائب الاول لرئيس الوزراء . وقد اختير فى يونيو ١٩٦٥ رئيسا لحكومة العمال والفلاحين كما انه يشغل منذ ١٩٥٨ منصب رئيس المجلس القومى للجبهة الوطنية الشعبية .

● **ادوارد كارديلى :**

وقام وفد برلمانى يوجوسلافى برياسة السيد **ادوارد كارديلى** رئيس الجمعية الفيدرالية اليوجوسلافية ، باجراء مباحثات مع ممثلى مجلس الامة حول التجربتين البرلمانيتين المصرية واليوغوسلافية وحول المسائل الدولية الراهنة .

والى جانب المباحثات التى تمت بين الوفد اليوجوسلافى والرئيس **عبد الناصر** تمت مباحثات اخرى بين **كارديلى** والسيدين **على صبرى وانور السادات** فى اسوان حول تجربة الجمهورية العربية المتحدة التى خصصت نصف مقاعد مجلس الامة للعمال والفلاحين وعن مشاركة المجلس للحكومة فى مواجهة اعباء المرحلة القادمة كما تناولت التجربة البرلمانية الجديدة ليوجوسلافيا حيث توجد خمسة مجالس ترسم ملامح العمل البرلمانى فى يوجوسلافيا .

واكد **كارديلى** فى ختام زيارته ان السياسة التى اتبعتها الجمهورية العربية المتحدة فى تطورها الداخلى تنسجم مع المتطلبات والرغبات التقدمية لشعبها ، وان مباحثات الوفد مع الرئيس **جمال عبد الناصر** بصفة خاصة اعطتهم الفرصة لتبادل الاراء حول المسائل الدولية التى تهم الجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا .

وادوارد **كارديلى** سكرتير عام للجنة المركزية لعصبة الشيوعيين اليوغسلاف وعضو دائم فى الاكاديمية العربية للفنون والعلوم واحد المنظرين المهتمين بسياسة عدم الانحياز ومن ابرز الشخصيات التى تلى الرئيس تيتو فى الزعامة اليوغوسلافية .

تعليق

معروضات ناطقة وشارحون صامتون

فى اجنحة المعرض الصناعى لعام ١٩٦٦ تحس بعظمة الصناعة المصرية الحديثة ، وبأن الاقتصاد المصرى يتقدم الى الامام بخطى واسعة وثابتة . ولقد سجل الاقبال الجماهيرى على المعرض الصناعى هذا العام ارقاما ضخمة توضح مدى اهتمام ابناء شعبنا بالتعرف على هذا التطور العظيم . ففى الفترة من اول فبراير حتى ١٩ فبراير زار المعرض تقريبا حوالى ٦٥٠ الف زائر ، ويبلغ عدد الزوار فى ايام الجمع حوالى ٧٠ الفا، وتزور المعرض يوميا وفود جماعية من المصانع والمدارس والقرى ، ومن المنتظر ان يصل عدد الزوار حتى اخر فبراير الى اكثر من مليون زائر وفق الاحصائيات الرسمية التى يسجلها شباك التذاكر .

ولكن عشرات الالوف من ابناء شعبنا الذين يتكبدون مشقة السفر والانتقال الى المعرض ليتعرفوا على بلادهم الجديدة لا يجدون القوة البشرية الواعية التى تشرح لهم جهد عمالنا ومهندسينا وفنيينا ، والتى تناقشهم بصدر رحب وعقل مؤمن بهذه الصناعة ، وهذه القوة البشرية لا تتحرك ولا تنشط الا عندما يحضر وفد رسمى او اجنبى ، الفلاحون القادمون من القرى ،طلاب المدارس ، شباب الجامعات ، عمال المصانع يدخلون الاجنحة ويخرجون ولم يشرح لهم شىء عن العمل الضخم ، ولم توضع بين أيديهم الحقائق والارقام والصعاب التى تواجهنا

ونحن نخلق هذا العمل العظيم ، مصر الصناعية — فمعركة الانتاج التى تخوضها بلادنا اليوم كان من الممكن تزويدها بطاقة دعائية كبيرة لو تركت القوة البشرية مقاعدها خلف المعروضات واخذت تشرح للناس قيمة هذا العمل الصناعى ، وتستمع اليهم وتجيب على اسئلتهم وما اكثرها .

ملاحظة اخرى — هى ان هذا المعرض تكلف كثيرا جدا ، والذى سيحدث كما يحدث كل عام انه سيتحول الى انقاض وتباع اكثر الاشياء فى مزادات رخيصة — بل أن بلاط الاجنحة مثلا سينزع ليعاد ويركب من جديد فى المعارض القادمة — الامر الذى يحمل خطتنا الاقتصادية الكثير ، فلماذا لا يكون هناك تفكير جدى حتى تكون هياكل المعارض ثابتة وخاصة منها ما اقيم ليتحمل سنين من العمر ويكتفى فى كل معرض باحداث تغييرات فى الديكور تتفق وتطورات الصناعة وما استجد فيها .

وملاحظة ثالثة — عن الدعاية لصناعاتنا — فالدعاية اليوم المقصود بها تعليم الشعب وتعريفه بانجازاتنا فى مرحلة البناء الاشتراكى وما تتيحه من افاق لا نهائية من التقدم وليس المقصود منها ترويج سلعة — المطبوعات قليلة وغير موجهة ومعدة اعدادا سطحيا كاعلانات النيون . ولو فكر المسئولون عن هذا العمل العظيم ، فى أن تكون هناك هيئة واحدة تركز فى يدها كل العمل الدعائى — ولتسكن اتحاد الصناعات — لتمكنت من تقديم دعاية موحدة ومركزة ، ولتمكنا كذلك من توفير الكثير من المال الضائع على المطبوعات العديدة وغير المفيدة والتى تهتم بالالوان اكثر من المضمون والمحتوى .

على كل، فمعرض ١٩٦٦ سجل حقيقى لتطورنا الصناعى — يمكنك أن تحس فيه بالجهود الجبارة التى بذلتها قوى الشعب العاملة من اجل رفع دخلنا القومى ليصل فى ١٩٦٤ / ١٩٦٥ الى ١٧٩٥ مليون جنيه بزيادة ٤٠ ٪ عن ١٩٥٩ / ١٩٦٠ ، وزيادة العمالة فى ١٩٦٤ / ١٩٦٥ اكثر من ٧ ملايين مقابل ٦ ملايين فى ١٩٥٩ / ١٩٦٠ والاجور من ٥٧٠ مليونا الى ٧٥٩ مليونا .

عبد المنعم الغزالى

شـــارل بتلهيـم

اما البروفسيور شارل بتلهيم استاذ الاقتصـــاد السـياسى بجامعة السوربون بباريس ومدير معهد التخطيطبالجامعة فيقوم بزيارة القاهرة ضيفا على الجمهورية العربية المتحدة .

وشارل بتلهيم يعد من اكبر خبراء التخطيط الاشـتراكى فى العالم ، سبق له العمل بالامم المتحدة مستشارا لها ثم نقل بين الهند ومالى وغينيا وكوبا وكمبوديا مستشارا لشئون التخطيط بها ، كما سبق للجنة الخطـة بجمهوريتنا أن استشارته قبل انشاء وزارة التخطيط وله دراسات عن مشاكل التخطيط فى كل من الاتحاد السوفيتى والصين ويوغسلافيا صدرت فى عـدة مؤلفات

ويقوم بتلهيم بأعداد دراسة عن التطور الاشتراكى فى مصر وان زيارته تستهدف تحديد معالم هذا البحث ، بجانب الدراسة الميدانية للمشاكل على الواقع . ويساعده فى اعداد هــذه الدراسة مساعدين د . فيكتور بوجراد ود . شاريير .

واشترك فى ندوة عقدت بمقر الاتحادالاشتراكىالعربىبدعوة من السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى مع اعضاء الامانة العامة واسرة الطليعة ، حيث جرى الحوار حولمشاكل التخطيط فى البلاد النامية وخاصة الجمهورية العربية المتحـدة وعلاقة التنظيم السياسى بالخطة سواء أثناء وضعها ، مناقشتها أو تنفيذها .

●

المعرض الصناعى تجسيد للانجـــازات الشعبيـــة

فى آخر يناير الماضى وعلى الضفة الغربية لنهر النيل افتتح — فى القاهرة المعـرض الصناعى لعام ١٩٦٦ عشية انعقاد مؤتمر التنمية الصناعية الـذى نظمتـه اللجنـة الاقتصادية لافريقيا المتفرعة من المجـلس الاقتصادى والاجتماعى للامم المتحدة .

ويقدم المعرض كل ثمار الصناعة التى ازدهرت بعد ثورة ٢٣ يوليو وبصفة خاصـية بعد قيـام القطاع الاشـتراكى فى البناء الاقتصادى للبلاد .

ويؤكد المعرض الصناعى لعام ١٩٦٦ انتصـــار الثورة الصناعية فى بلادنا وضخامة العمـل الذى قـدمته وتقدمـه صناعاتنا كصناعة الغزل والنسيج والصـناعات الـكيماوية والدوائية والصـناعات الغـذائية والصـناعات المعدنيـة والهندسـية وصناعات مواد البناء والحراريات ، والصناعات الاستخراجية ، البترولية والتعدينية .

والمعرض الصناعى يجسـم بالاحصائية زيادة الانتـــاج الصــناعى فقد بلغت قيمتـه فى عـام ١٩٦٤ — بمـا فى ذلك الصــناعات التمويليـة والتعـدينية والبترولية والكهربائيـة — ١١١٣ر٣ مليون جنيـه مقـابل ٩٥٢ر٦ مليـون جنيـه فى عـام ١٩٦٣ و ٣١٣ر٨ مليـون جنيـه فى عـام ١٩٥٢ ، فنسـبة الـزيادة ١٦ر٩٪ عـن ١٩٦٣ و ٢٥٤ر٨٪ عـن عام ١٩٥٢ . وكانت نسبة الزيادة فى الصناعات الـكيماوية ٢٤٧ر٧٪ وفى الغذائية ٢٧ر٥٪ وفى الغزل والنسـيج ٥٪ وفى الهندسية ١٠٪ وفى البترولية ٢٨ر٣٪ وفى التعدينية ٣٧ر٥٪ وفى الطاقة الكهربائية المولدة ٢٨ر٦٪ . كما ان قيمة الانتاج فى عام ١٩٦٥/١٩٦٤ ارتفعت الى حوالى ٣٦٠١ مليون جنيـه عن سنة الاساس بالنسبة لخطة التنمية « ٥٩/١٩٦٠ » اى بنسبة ٤٣٪ .

وظاهرة هامة من الظواهر الجديدة فى صناعاتنا هى الانتاج المدنى الذى تقدمه المصانع الحربية ومصانع الطائرات ،هذا الانتاج الذى يغطى مجالات فى القطاعات الكيماوية والمعدنية والهندسية والالكترونية والرياضية والمكتبية .

والشىء الجديد والهام هو الاتجاه بخطى ثابتة فى العمل الصناعى لانتاج الالات والماكينات والادوات وتصنيعهامحليا، والاتجاه لتصنيع قطع الغيـار اللازمـة لصناعتنا داخـل مصانعنا وبورشها . ويؤكد الفنيون المصريون انه من الممكن تصنيع كثير من قطع الغيار والالاتوالماكينات محليا اذ يتوفر فى عدد كبير من الورش ذات الكفـاءات العاليـة ولـديها استعدادات فنية لائقة وهى علىاتم الاستعداد لتقديم الكثير اذا مالقت التشجيع والحافز .

ولقد قامت شركات عديدة بأعمال هامة فى هذا المجـال ، فشركة مثل شركة ابو زعبل للاسمدة والمواد الكيماوية تمكنت فى عام ١٩٦٥ من تصنيع آلات وقطع غيار بما يعادل ٣٠٠الف جنيه ، وما صنعته كان يستورد بالعملة الصعبة .

وفى شركة سيمو للورق امكن تصنيع ماكينة بأكملها لانتاج الكرتون ، وفى شركة الكبريت صنعت تصنيعا كاملا ماكينـة صنع الكبريت بمصانع الشركة بامبابة.وفى شركات الصناعات المعدنية والهندسية انتجنا الكثير من الادوات وقطع الغيار. كما انتجت شركة الغازات الصناعية اسياخاللحام بالكهرباء وقد حصلت هذه الاسياخعلى شهادة « اللويدز » البريطانية التى تضع انتاجها فى مقدمة الانتاج العالمى ،.ونفس الشركة تمكنت ولاول مرة ان تزود مستشفياتنا بشـبكات لتوزيـع الغازات الامر الذى يؤمن حياة الالوف وهى تجرى عملياتها الجراحية .

●

الذكرى العشرين لـ ٢١ فبراير ١٩٤٦

قرر اتحاد طلابالجمهورية الاحتفال بذكرى ٢١ فبراير ١٩٤٦ ، يوم كفاح الشـباب المصرى ضد الاستعمار ، فقامت اتحادات الطلاب فى الكليات بنشر كتيباتومطبوعات وبيانات عن اليوم وكان فى مقدمتها بيان اتحاد طلاب الجمهوريـة . واصدرت مجلـة « المهندس الاشـتراكى » عددا خاصا باليـوم . واقام طلاب كليـة الهندسة وكلية الطب بالاسكندرية اجتماعين كبيرين احتفالا باليوم شارك فيها الاساتذة والعمـداء واعضاء منظمـة الشباب ولجان الميثاق كما اشترك فى الاحتفالين عـدد من الذين شاركوا فى معارك ١٩٤٦ .. احمد حمروش ، ود. لطيفة الزيات ، وعبد المنعم الغزالى وقدم سيد مكاوى عـددا من الاناشيد الوطنية والالحان الشعبية .

وناقش الشباب فى هذه الاجتماعـات مشاكل وسـائل

عديدة ، وفى مقدمتها دور الشباب فى مرحلة البناء الجديدة والعلاقة بين العلم والسياسة ، وطالبوا بضرورة تخطيط الدراسة الاشــتراكية والمواد القومية التى تقــدم اليهم وان تكون معبرة عن وحدة فكرية والا يقدم كل استاذ هذه المواد من وجهــة نظره الخــاصة والا يكون هدف المحــاضرين هو الغاء المحــاضرات والانصراف . فالتربية السيــاسية تتطلب ان يختلط الاساتذة بالطلبة والشبــاب ويعيشــون معهــم ويستمعون اليهم .

ولقد طالب الشباب فى احتفالاته بضرورة الاهتمام بهذا اليوم الذى استشهد فيه العشرات من شــباب الطــلاب والعمال والذى سجل بداية جــديدة فى الــكفاح الوطنى والثورى ، وان يعاد تقييمه وان يحتفل به كعيد للشــباب والطلاب .

●

المؤتمــر الافريقى للتنمية الصــناعية

عقــد فى القاهرة فى الفــترة من ٢٧ يناير الى ٩ فبراير المؤتمر الافريقى للتنمية الصــناعية الذى وجهت الامم المتحدة الدعوة الى عقده فى القاهرة. وهذا المؤتمر هو أحد المؤتمرات الاقليمية للتنمية الصناعية التى تنظمها الامم المتحدة لكل من دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وكان الهدف من المؤتمر بحث التطور الصناعى وبرامج ومشــاكل التنمية الصــناعية فى الدول النامية

وقد وجهت الامم المتحدة الدعوة الى ٤٣ دولة افريقية وثلاث دول أوروبية و١٥ منظمة دولية منها بنك التنمية الافريقى والمنظمة الافروأسيوية للتعاون الاقتصادى ومنظمة الوحدة الافريقيــة وجامعة الدول العربية

واختتم المؤتمر جلساته وضمن نتائج ابحاثه التى توصل اليها فى ثلاثة تقارير سلمت الى **روبرت جاردنر** السكرتير التنفيذى للجنة الاقتصادية الافريقية التابعة للامم المتحدة وذلك لاعــادة صياغتها على هيئة توصيات تعرض على مؤتمر التنميــة الصناعية الدولى الاول الذى سيعقد السنة القادمة .

وقد أوصت اللجنة العامة للمؤتمر بضرورة تضمين جدول اعمال المؤتمر العالمى (١٩٦٧) تبنى ميثاقا للتخلص من آثــار الاستعمار ــ كما أكد المؤتمر على ضرورة اهتمام الدول الافريقية بتمويل مشروعاتها الصناعية من مدخراتها القومية لارتباط القروض الخارجية عادة بشروط وقيود ولارتفاع سعر فائدتها ، كما أوصى المؤتمر بضرورة أن يبحث المؤتمر الطرق التى يمكن بها مساعدة الدول النامية لمواجهة تدهور دخلها من النقد الاجنبى مما يضطرها الى الاعتماد على التمويل الخارجى ، كما أوصى المؤتمر بضرورة تحسين شروط التمويل الخارجى وأن تتضمن حجم القروض وأمكان تطبيقها للقطاعات الصناعية وانخفاض سعر الفائدة وامتداد أجل السداد. وزيادة نسبة التمويل الخارجى للمشروع من نسبة التمويل القومى . ويرى المؤتمر أن تشمل المساعدة الفنية التى تقدمها الدول الاجنبية على خبرات معينة ذات تخصصات عالية حتى تصبح أكثر فاعلية فى مواجهة احتياجات القطاعات الصناعية ورحب المؤتمر بانشاء منظمة عالمية جديدة للتنمية الصناعية .

وبالنسبة للتمويل الخارجى فقد أوصى المؤتمر بضرورة تقديم المساعدة الفنية والخبراء الى جانب التمويل ، وأن يوجه الاهتمام الى ضرورة استقرار الاسعار لتشجيع التبادل التجارى بين الدول الافريقية وأن تقوم الدول الافريقية بتوجيه الانظار الى الشروط التى تضعها لقبول المساعدات الاجنبية وموازنتهــا بالالتزامات المطلوبة منها ، وأن تؤخذ فى الاعتبار المشاكل الناجمة من العملات الاجنبية ومراقبة نشاط البنوك

هذا وقد أوصت اللجنة العامة للمؤتمر ١٤ توصية . أما اللجنة الاولى فوصلت توصياتها وقراراتها الى ٥٣ توصية وقرار فى البرامج الصناعية وتقييم المشروعات ، والقوى العاملة والتخطيط ، وتمويل التنمية الصناعية (الداخلى والخارجى) ، والبحوث الصناعية ، ونقل المنتجات المصنعة وتصديرها ، والتوحيد القياسى فى الصناعة ، والصحة الصناعية والاحصائيات

●

■ <u>سوريا</u>

القيادة القطرية فى مواجهة القيادة القومية

لاتزال الانباء تتوالى من دمشق ــ حتى كتابة هذا التقرير ــ عن الاوضاع الاستثنائية التى تعيشها المدينة عقب انقــلاب ٢٣ فبراير الاخير ، اذ ترابط دبابات ومصفحات الجيش السورى فى الاماكن الاستراتيجية بالعاصمة كما اقيمت الحواجز على الطرق خارجها وانتشرت قوات الامن فى كل مكان . وتردد وكالات انباء عديدة ان قتلى المعارك التى دارت عقب الانقلاب يتراوح مابين ٣٠٠ والف شخص تقريبا .

وقد قام اللواء **صلاح جديد** ــ الذى دبرت جماعته داخل حزب البعث ــ هذا الانقلاب ، باعتقال اللواء **امين الحافظ** مع **ميشيل عفلق وصلاح البيطار ومنيف الرزاز ومحمد عمران وشبل العيثمى ومنصور الاطرش** واعلنت قيادة الانقلاب تقديمهم الى « محكمة حزبية خاصة » هذا فى حين اطلقت قيادة الانقلاب على نفسها اسم « القيادة القطرية المؤقتة للحزب »

ويجمع اغلب المراقبين على ان الانقلاب الاخير كان الانفجار المكشوف للصراع المستتر والعلنى الذى دار فى الفترة الاخيرة بين اللواء **صلاح جديد** واللواء **محمد عمران** ، بين القيادة القطرية لحــزب البعث التى تعتبر نفسها مسئولة عن حكــم سوريا والتى مثلها الاول ، وبين القيادة القومية للحزب التى تعتبر نفسها مسئولة عن التخطيط لحكم الوطن العربى والذى شكل محمد عمران ابرز ممثليها فى الصراع اخيرا .

وبعد ان صفيت كل التيارات والقوى المتحدة والتى اشتركت فى انقلاب مارس ١٩٦٣ وحاولت العودة الى الاوضاع الطبيعية بدا اول صراع علنى بين الجماعات المتنازعة **داخل حزب البعث** باستقالة وزارة **صلاح الدين البيطار** عقب ترقية **صلاح جديد** فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٣ الى رتبة اللواء وتعيينه رئيســا للاركان بالجيش السورى . وقد تولى اللواء **امين الحافظ** رياسة الوزارة بعد البيطار وعينه مساعدا له فى « مجلس الثورة » وبدا صراع آخر مستتر بين الحافظ وجديد اتخذ له سمة علنية فى الصراع بين **محمد عمران** نائب الحافظ فى مجلس **الرياسة** وصلاح جديد . وعندما قام **صلاح جديد** بترقية العقيد **حافظ اسد**

قائد السلاح الجوى الى رتبة اللواء لاستمالة السلاح الى جانبه استقال عمران من صفوف الجيش احتجاجا على ذلك . وكان من بين من رقاهم جديد الى لواءات ايضا ، **فهد الشاعر** قائد الجبهة الجنوبية **وعبد الكريم الجندى ومحمد رباح الطويل** من ضباط المدفعية . وقد ابعد عمران بعد ذلك من جميع مناصبه وارسل سفيرا لسوريا فى مدريد فى اواخر سنة ١٩٦٤

وبخروج عمران تحول الصراع ليصبح اقرب الى العلنية بين صلاح جديد وامين الحافظ مباشرة . واشتد بسبب محاولة الحافظ تنفيذ مشروعه المسمى « بانقاذ الحكم » الذى يستهدف من وجهة نظره اشراك العناصر الوطنية فى وزارة جديدة برياسة شخص ترضى عنه القوى القومية . وتمكن الحافظ فعلا من توجيه ضربة لصلاح جديد باقصائه عن رياسة الاركان فى سبتمبر سنة ١٩٦٥ حيث اقتصر عمله بعدها على منصبه الحزبى باعتباره « نائبا » لامين الحافظ فى سكرتارية القيادة القطرية للحزب .

وقد تفاقمت الازمة عقب استقالة وزارة الدكتور **يوسف زعين** المدنية بعد ان بقيت فى الحكم ٣ اشهر فقط والتى صحبها استقالة ٣ من اعضاء مجلس الرياسة هم : الدكتور **نور الدين الاتاسى وجميل شيا وفايز الجاسم** . واوضحت البيانات التى اصدرها الحزب بعدها « ان القيادة القومية قررت ان تتولى حكم سوريا بنفسها الى حين اشعار آخر كما قررت حل القيادة القطرية » وبذا تفاقم الصراع ، عقب تصفية نفوذ صلاح جديد الحزبى بحل القيادة القطرية .

وزاد الموقف احتداما استدعاء **صلاح البيطار** الذى كون الوزارة الجديدة فى يناير ، لعدد من انصاره وهم **سامى الدروبى وشاكر الفحام ومحمد عمران خصم صلاح جديد** اللدود ، كما اصدر البيطار مرسوما بحل المجلس الوطنى الذى كان يضم ٩٥ عضوا وتشكيل مجلس جديد من ١٣٤ عضوا تم فيه تعيين اعضاء جدد محل ٣٠ عضوا ابعدوا نهائيا وهم اعضاء القيادة القطرية المنحلة للحزب واللجنة العسكرية التابعة له .

ومنذ ذلك الوقت عمل اعضاء القيادة القطرية من الضباط فى الخفاء للاعداد للانقلاب الذى تم اخيرا وعلى راسهم **حافظ اسد ، واحمد سويدان ، ومحمد رباح الطويل وصلاح الضللى**

●

■ **الوطن العربى**

فكرة الحلف الاسلامى وردود الفعل فى البلاد العربية

نتجه

تحليلات المراقبين الى أن المحاولات لانشاء الحلف الاسلامى وثيقة الصلة بانهيار الحلف المركزى (حلف بغداد سابقا) . وذهبت المصادر الغربية الى ان البلاد المقترح ضمها هى **العربية السعودية والاردن والعراق وليبيا والمغرب ، والكويت ، وقطر ، والبحرين وامارات الخليج ، والسودان ، ونيجيريا — ثم اندونيسيا وماليزيا فيما بعد .**

وقد بدد **مظفر مالك** ، سفير ايران فى بون ، الشك باليقين ، حين أدلى بحديث لمندوب جريدة **دير ماهى أشعون** ، وهى جريدة صهيونية تصدر فى المانيا الغربية ، حين اكد ان الاتفاق قد تم على تكوين كتلة اسلامية فى الشرق الادنى تضم ايران والسعودية وباكستان وتركيا والكويت وتونس والمغرب . وفيما يتعلق بالاردن قال السفير : «أن مركز ملك الاردن فى الداخل والخارج يجعله مضطرا الى عدم الانضمام الى هذا الحلف »

ولاحظ المراقبون السياسيون أن الدعوة النشيطة لقيام الحلف بدأت بعد اتفاق بريطانيا وأمريكا لما يسمى باستراتيجيتهما شرق السويس . كما أسطحبت بقرار من شركات النفط الامريكية والبريطانية المسيطرة على بترول الخليج بزيادة تصريف بترول ايران والسعودية بنسبة ١٧٪ ، بينما جعلت هذه الزيادة للكويت لاتتعدى ٢٪ ، كوسيلة للضغط عليها ودفعها الى معسكر الداعين للفكرة صراحة .

وتصف جريدة **الصنداى تايمز** البريطانية محاولة انشاء الحلف الجديد بأنها «محاولة يائسة لاعادة الحياة لما كان يسمى بحلف بغداد » . وهو يتفق مع سلفه فى العمل على «تقسيم العرب من جديد الى موالين للغرب ومحايدين » . وتضيف الصحيفة ذاتها أن التحالف المقترح «موجه ضد الاشتراكية العربية والقومية العربية فى المنطقة . وأن الهدف الاول لهذا الحلف هو العراق »

ويرى المراقبون فى لندن أن «احساس بريطانيا بأن فكرة التحالف قد تنجح فى مواجهة حركة القومية العربية البازغة فى مشيخات الخليج العربى الصغيرة يجعل بريطانيا تبارك فكرة التحالف »

ولاتقتصر أهداف الحلف الجديد على محاولة الزج بالبلاد العربية فى الصراع العالمى التقليدى بين الشرق والغرب ، ولكن بعض المراقبين لايستبعدون أن تكون العملية وثيقة الصلة بالتناقضات المتفاقمة فى الغرب ذاته . ويربط هؤلاء المراقبون بين المحاولة وبين الزيارة المتوقع أن يقوم بها الرئيس الفرنسى شارل ديجول لعدد من عواصم الشرق العربى (القاهرة ، وعمان ، ودمشق ، وبيروت) بعد زيارته لموسكو فى الربيع . اى أن المحاولة الجديدة تتم أساسا لصالح الولايات المتحدة ، تؤيدها بريطانيا وألمانيا الاتحادية طبعا ، وضد الاتجاه الاوروبى الاستقلالى الذى يمثله الجنرال شارل ديجول ، والذى يرى ضرورة التعامل مع دول العالم الثالث على أسس أكثر واقعية .

وقد تنبهت القوى التحريرية فى المنطقة الى خطورة الدعوة منذ بدايتها ، وعنيت الصحافة العربية باستجلاء رأى المسئولين فى الدول العربية من حقيقة موقف بلادهم .

ففى ١٠ يناير نشرت الاهرام رد **الشيخ جابر العلى** ، وزير الارشاد الكويتى على سؤال بهذا الخصوص ، جاء فيه :

«هناك من يردد نغمة قديمة لاقامة حلف اسلامى عسكرى ، وقد شهدت منطقتنا العربية من قبل الكثير من هذه المحاولات ولكنها فشلت ، واى حلف لن يقدر له النجاح سيسقط كما سقط حلف بغداد .

وفى ١١ يناير نشرت الاهرام ايضا تصريحات **شاكر مصطفى** ، وزير الاستعلامات السورى التى جاء فيها : «أن سوريا تقف بوضوح ضد كل تجمع فى الشرق الاوسط يهدف الى اضعاف الروابط بين الدول العربية » .

وعندما انتهت زيارة الملك فيصل الى عمان باعلان تكوين « لجنة اسلامية» تدعو لعقد مؤتمر قمة اسلامى . وقدرت الدوائر المطلعة ان يكون الموعد فى شهر مارس على اثر أنتهاء موسم الحج .

ودخلت الدعوة دور التنفيذ . ترتب عليهما رد فعل عنيف .

ففى حديث **الرئيس جمال عبد الناصر لمراسل جريدة ازفستيا** السوفييتية يقول الرئيس : «ثمة شعارات يجرى الترويج لها ، منها مثلا اقامة حلف اسلامى . وليست هذه بالفكرة الجديدة .

فقد سبق أن شهدنا محاولات مشابهة . ولعلك تذكر حلف بغداد ولا اعتقد ان مصير هذا الحلف اذا خرج الى الوجود بمكن ان يختلف عن سابقيه . لقد رفض الشعب العربى مثل هذه الاحلاف فى الماضى ، وسيرفضها الان ايضا . لقد بدأت قوى الاستعمار والرجعية داخل العالم العربى وخارجه هجوما جديدا . لذلك فانه يتحتم على جميع القوى التقدمية داخل العالم العربى وخارجه أن تشد صفوفها وتدعم وحدتها ونضاعف يقظتها حتى تصبح لها فاعليتها» .

وقال **الرئيس عارف** فى ١٤ فبراير : «.. أننا نسير على النهج الذى رسمه ميثاق التضامن العربى . وبصفتى مسئولا من تحطيم الاحلاف فى العراق اقول اننا لايمكن أن نقبل ، ولا ان نسمح بقيام حلف تشوبه شائبة الاستعمار او ما يلوح بذلك ، لاننا عرب مسلمون موحدون ، ولانخرج بتاتا من الاية الكريمة : انما المؤمنون أخوة » .

وفى ١٣ فبراير صرح **حسن العمرى** رئيس وزراء اليمن بأن مجلس الوزراء قد قرر بالاجماع رفض الاشتراك فى المؤتمر الاسلامى المقترح ، وقال ان بلاده تستنكر المحاولات التى يساندها الاستعمار والرجعية لتكوين ما يسمى بالحلف الاسلامى ، وقال أن الترويج للحلف دليل على أفلاس الاستعمار والرجعية

وفى ١١ فبراير قال **عبد العزيز بوتفليقة** ، وزير خارجية الجزائر : «لقد انعقدت بالماضى مؤتمرات اسلامية ضمت نخبة من رجال الدين الاجلاء ، وأصحاب المكانة الاجتماعية والثقافية للتباحث فى شئون العالم الاسلامى وتأثره وتفاعله مع الحضارة الانسانية .. أما اذا كان الهدف الحقيقى من وراء الدعوة الجديدة هو هدف سياسى يراد منه انشاء منظمة تشمل اقطارا ذات نظم واتجاهات سياسية مختلفة ، وأحيانا متضاربة ـــ فان الجزائر تعتبر مثل هذه التنظيمات لايجوز وضعها على أسس دينية تتناقض والظروف الموضوعية للعلاقات الدولية فى عصرنا الحديث» .

وفى نفس الاتجاه أصدرت لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب اللبنانى . كما تحدث **السيد داود الحسينى** عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، والشيخ **احمد هريدى** ، مفتى الديار المصرية ، **وشفيق أرشيدات** الامين العام لاتحاد المحامين العرب .. وقامت مظاهرات صاخبة فى السودان تهتف ضد الحلف . وأصدرت جبهة الاحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية فى لبنان بيانا جامعا كشف فيه جميع الاهداف المنظورة وغير المنظورة للحلف المقترح .

وأخيرا ، صرح المسئولون فى السعودية أن المؤتمر سيقتصر على بحث المشكلات الاجتماعية والاقتصادية . وفى بيروت صرح السفير السعودى بأنه ليس عند السعودية فكرة عقد حلف اسلامى سياسى . وقد وصف المراقبون هذه التصريحات بأنها نوع من التراجع الواضح بعد المقاومة الرسمية والشعبية التى لقيتها فكرة الحلف فى معظم الاقطار العربية .

هـــذا وقـــد كتبت مجلة **الحرية** اللبنانية ان الارجح أنه «سيكون حلفا سريا ينسق اعماله وأجراءاته عن طريق المؤتمرات والاتصالات ذات المستويات العليا والدنيا ، دون أن يهتم باعطاء هذا التنسيق ـــ تجنبا لاستنفار عداء الشعوب العربية ـــ شكلا مكتوبا رسميا ، أو بأن تنبثق عنه مؤسسات رسمية . أنه سيمارس نشاطه بالاحرى بنفس الطريقة التى مارست فيها ايران ـــ مثلا ـــ تصدير السلاح الى الملكيين فى اليمن » ■

■ المغرب

ماذا عن المتآمرين الكبار ؟

اتهم الرئيس الفرنسى ديجول فى مؤتمره الصحفى بشأن اختطاف الزعيم الوطنى المهدى بن بركة الجنرال اوفقير وزير الداخلية المغربى بتدبير اختطافه .

وقد تم ذلك عقب ان شارف التحقيق مع رجال ادارة مكافحة التجسس الفرنسية على النهاية .

وكان آخر ما وصل اليه التحقيق مع رجال هذه الادارة هو الامر الذى أصدره القاضى الفرنسى لوى زولينجر بالقبض على الضابط مارسيل لوروا المعروف باسم فانفيل ، رئيس قسم المغرب فى ادارة مكافحة التجسس الفرنسية ، والذى عزل من منصبه بعد أن تبين علمه المسبق بالجريمة وعدم تدخله للحيلولة دون وقوعها .

ومن آخر الاجراءات حول تطورات القضية ، القرار بوقف **«سيرج فوستير»** القاضى بمحكمة النقض ، بسبب مقال كتبه باسم مستعار فى جريدة **«لوموند»** أوضح فيه أن الحكم الذى أصدره القاضى **«أوريك»** وقرر فيه أن **جورج فيجون** ـــ الشاهد الرئيسى فى القضية ـــ مات منتحرا ، قد أتخذ بناء على أوامر من وزير العدل **«جان فواييه»** . وقد أعتبر موقف فوستير بناء على هذا المقال تشكيكا فى موقف القضاء الفرنسى من القضية وقد هاجمت عديد من الصحف الفرنسية وقف هذا القاضى .

هذا وكان **عبد القادر بن بركة** ، شقيق الزعيم المغربى المهدى بن بركة قد طلب من القاضى **لوى زولينجر** استجواب ثلاثة من كبار المسئولين الفرنسيين هم : **روجيه فرى** وزير الداخلية . **وموريس بابون** مدير البوليس فباريس **وجان فوكار** مدير مكتب ديجول للشئون الافريقية ، اذ سبق أن تردد خلال مراحل مختلفة من التحقيق أنهم أحيطوا علما بالمؤامرة قبل وقوعها . وقد سمح الرئيس ديجول باستجواب وزير الداخلية أمام سلطات التحقيق وقد تم بالفعل استجواب وزير الداخلية الذى نفى أى



● ديجول

هلم سابق له بالحادث قبل ٤ نوفمبر ١٩٦٥ أى بعد وقوعه بستة ايام . ولم يتم بعد استجواب الباقين .

وتميل معظم الدوائر المتابعة للقضية الى استبعاد الاحتمال القائم على ما نشرته صحيفة «تريبيون دى جنيف» السويسرية التى ذكرت أن بن بركة نقل حيا بطائرة من قاعدة «فيلا كوبلاى» العسكرية الفرنسية الى جزيرة « كورسيكا » ثم الى مدينة «كولومب بيث» الجزائرية ومنها الى مدينة «أفنى» فى جنوب المغرب ، ومما استندوا اليه فى استبعادهم لهذه الواقعة هو أن مطار فيلا كوبلاى تحوطه رقابة عسكرية شديدة تحول دون حدوث ذلك. كما انه ليس من المبرر ان ينتقل بن بركة الى ارض جزائرية تمهيدا لتسليمه للسلطات المغربية ، كذلك لم يصدر من زعماء الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية فى المغرب ، (حزب بن بركة) ما يفيد صحة ذلك الاحتمال .

وفى باريس يسود الاعتقاد بان الاطراف الصغرى فى المؤامرة هى التى اعتقلت بينما لم توضع الايدى على المديرين الكبار للقضية والذين أصدروا الاوامر بعملية الاختطاف . كما لم يتكشف المزيد من المعلومات حول دور المخابرات المركزية الامريكية بعد ان اثيرت الشكوك عن اعتزاف الساسة الامريكيون اللذين لم يكونوا يرغبون فى حدوث أى تغير ديموقراطى فى مراكش ، ويسمون لدق اسفين فى العلاقات الفرنسية — المراكشية .

●

■ اليمن

لن يعود بيت حميد الدين

استقبلت الدوائر العربية ، باهتمام ، نبأ وصول المشير عبد الحكيم عامر نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة العربية وانور السادات رئيس مجلس الامة ، الى اليمن . ويعتقد المراقبون السياسيون العرب باهمية هذه الزيادة التى « جاءت فى فترة تسعى بعض القوى الرجعية الى اعاقة الجهود التى تبذل لتوفير امكانيات الاستقرار لشعب اليمن ».

وقد حيا المشير عامر جنود وضباط الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن وقال لهم « لقد اثبتم صلابة الشعب المصرى خارج الحدود » . وحدد المشير طبيعة الدور الذى قام به جيش الجمهورية العربية المتحدة بانه « واجب عربى من جهة ومن جهة أخرى واجب ضد الاستعمار وأعوان الاستعمار » . وأوضح نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة العربية « ان القوات العربية مستعدة للعمل فى اى وقت وفى اى مكان وفى اى ظرف ضد أعداء الجمهورية العربية المتحدة وضد أعداء الوطن العربى » . وفى الوقت الذى أوضح فيه المشير ان الجمهورية العربية المتحدة تمد يدها « بالاخوة وبالنية الصادقة الصافية ... ولذلك نحن ننادى بالحل السلمى للمشكلة » الا انه أكد كذلك — من مواجهة بعض المناورات الرجعية كما يقول المراقبون — أنه « لدينا المقدرة ان ننهى الحرب عسكريا فى اليمن وأنا أقولها وأعرف ما أقول تمام المعرفة » . كما أوضح المشير أن القوات العربية فى اليمن ضخمة ومستعدة على الدوام لمقابلة اى نوع من العمليات سواء « كان المعتدون من داخل اليمن أو من خارج اليمن » . وأضاف المشير « يجب أن يكون حق الشعب اليمنى محفوظا ولا يمكن باى حال من الاحوال التفريط فى حق الشعب اليمنى ». وقد كشف المشير فى خطابه الذى ألقاه فى مقر قيادة المنطقة الشمالية فى صعدا ، حقيقة هامة ، حين قال « وانتم جميعا تعلمون أنه منذ اليوم الاول الذى وصلت فيه قواتنا المسلحة لم يسقط لنا موقع واحد ».

وقد استقبل المشير عامر كبار زعماء القبائل اليمنية والزعماء السياسيين وأعضاء الحكومة اليمنية . وألقى كثير من زعماء القبائل مدة خطب حيوا فيها القوات العربية والدور الهام الذى قامت به فى اليمن . وقال الشيخ محمود مجلى باسم القبائل « اننا والله سنحافظ على ثورتنا وجمهوريتنا ولن يعود بيت حميد الدين . ولن نسمح لاى واحد منهم أن يدخل البلاد الى الابد . وسنقاتل من أجل ثورتنا وجمهوريتنا ونضحى بكل شىء من أرواح وأموال فى سبيل ذلك ».

وقد صحب المشير عامر وانور السادات فى زيارتهم لليمن كل من حسن صبرى الخولى والفريق أول عبدالمحسن كامل مرتجى قائد القوات البرية واللواء على عبدالخبير قائد القوات العربية فى اليمن .

وتكتسب زيارة المشير ، فى نظر المراقبين العرب ، اهمية قومية خاصة اذ أنها تمت فى نفس الوقت الذى تتدفق فيه الاسلحة والمساعدات العسكرية الامريكية الى اسرائيل . وتعتقد الدوائر العربية بأن الجمهورية العربية المتحدة تسعى الى ايجاد حل سريع للقضايا المتعلقة باليمن دون التفريط فى حقوق الشعب اليمنى ومكتسباته الوطنية ، وذلك كله لتأكيد ضرورة توجيه وتعبئة كل القوات المسلحة العربية ضد أى عدوان استعمارى صهيونى متوقع .

●

■ اسرائيل

صفقة جديدة

أثارت صفقة الاسلحة الامريكية الجديدة لاسرائيل ، اهتمام وقلق الراى العام العربى والعالمى ، خاصة وأن المسئولين فى الولايات المتحدة كانوا قد سبقوا وأعلنوا تكذيبا للانباء التى تواترت عن الصفقة من قبل .

وجاء الاعتراف الامريكى فى شكل بيان أذاعته وزارة الخارجية وقدمت لذلك سببين :

● موازنة صفقة الدبابات الامريكية التى عقدت مع كل من المملكة العربية السعودية والمملكة الاردنية .

● استكمال صفقة الدبابات التى كان مفروضا أن تقدمها المانيا الغربية لاسرائيل بناء على طلب الولايات المتحدة الامريكية ، ثم توقفت المانيا عن تسلمها تحت الضغط العربى ، « بينما الموضوع بالنسبة للولايات المتحدة هو التزام فعلى تجاه اسرائيل والتزام ادبى تجاه المانيا »

والمعروف أن اسرائيل كانت تتلقى شحنات من الاسلحة من المانيا الغربية بتأييد من الولايات المتحدة ، وبناء على اتفـاق سرى .

ومن الملاحظ أن هذه أول مرة تعلن فيها أمريكا صراحة تزويد اسرائيل بالاسلحة ،وذلك منذ الصفقة التى تمت فى سنة ١٩٦٢ وحصلت فيها اسرائيل على شحنة من صواريخ « هوك » .

وقد سبق وصاحب الصفقة الاخيرة التى تتمثل فى ٢٠٠ دبابة باتون ، مظاهرة واسعة قام بها عدد من السياسيين والمسئولين فى الولايات المتحدة والمعروفين بمناصرتهم لقضايا الصهيونية العالمية . فقد دعا ٧٥ عضوا فى مجلس النـواب الامريكى (٥٧ ديمقراطيا ، ١٨ جمهوريا) وزير خارجيتهم لدعم قوة اسرائيل العسكرية لحفظ ما اسموه بتوازن القوى العسكرية فى الشرق الاوسط .

كما لوحظ فى الفترة الاخيرة تركيز الصحف وأجهزة الدعاية الامريكية فى اجراء مقارنات بين أسلحة الدول العربية وخاصة الجمهورية العربية المتحدة والعناد الحربى لاسرائيل .

وقالت وكالة **اليونيتد برس** « ان الجمهورية العربية المتحدة تملك عدة أنواع من الصواريخ القصيـرة المدى والمتوسطة تمكنها من اصابة أى هدف فى أى مكان فى اسرائيـل » وقالت **الوكالة الامريكية** « ان اسرائيل لا تملـك ما يمكن مقـارنته بقاذفات القنابل متوسطة المدى فى الجمهورية العربية المتحدة باستثناء عدد من طائرات (ميراج ٣) . وفى مجال الدبابات تملك الجمهورية العربية المتحدة ٨٠٠ دبابة فى مقابل ٤٠٠ دبابة تملكها اسرائيل » .

وأكد المعلقون أن هذه الحملات بجانب ظاهرة الاعلان من الاسلحة المقدمة للمملكة الاردنية والسعودية خلافا لما جرت به التقاليد والعرف كان المقصود بها تبرير صفقة الاسلحة الامريكية الاخيرة لاسرائيل

وقد صرح « **روبرت كيندى** » فى خطاب اخير له بأن الولايات المتحدة تتبع سياسة من ثلاث نقاط للمحافظة على السـلام فى الشرق الاوسط هى :

- الالتزام بضمان سلام واستقرار الشرق الاوسط
- مواصلة ضمان توازن معقول بين الاسلحة التى تملكها اسرائيل والاسلحة التى تملكها الدول التى تهدد أمن اسرائيل
- مضاعفة الجهود المبذولة لتحقيق نزع السلاح فى المنطقة

وقد رحبت الصحف والاوساط المسئولة فى اسرائيل بالصفقة الامريكية الجديدة واعتبرتها صحيفة **ها آرتس** « مسألة طبيعية أن تقوم الولايات المتحدة بمسئولية الحفاظ على ميزان القوى فى الشرق الاوسط » وربطت بينها وبين العمل العربى من اجل انجاز مشروع استثمار روافد نهر الاردن .

ويؤكد المراقبون أن الصفقة التى اعلنت ليست هى كل شىء . ويرون ـــ استنتاجا من بعض الدلائل ـــ أن هناك مباحثات على مستوى أكبر بين اسرائيل وأمريكا حول مزيد من الاسلحة وخاصة الصواريخ

ويستدلون على ذلك بالزيارة التى قام بهما « ابا ايبان » للولايات المتحدة فى اعقاب اعلان صـفقة الدبابات واجتماعه **بجونسون ودين راسك** ، والتصريحات التى ادلى بها فى امريكا

وقد صرح **ايبان** قبل مغادرة نيويورك « أن محادثاته مع الرئيس جونسون قد أكدت اقتناعه بعمق واخلاص الصـداقة التى تربط بين أمريكا واسرائيل »

■ روديســـــيا

٣ر٤ مليـــون جنيـــه نفقات اسقاط سميث

استقبلت الدوائر الوطنية والتقدمية فى افريقيـا ، باستنكار شديد ، موافقة حكومة الولايات المتحدة الامريكية على افتتـاح مكتب الاستعلامات لحكومة روديسيا غير الشرعية فى وشنطن . ونظرت هذه الدوائر لهـذه الخطوة ، على انها اعتراف ـــ غير مباشر ـــ بحكومة الاقلية العنصرية فى روديسيا من جانب امريكا .

وينتظر الرأى العام الافريقى النتائج التى سوف تسفر عنها اجتماعات مؤتمر وزراء خارجية الدول الافريقية الذى عقـد منـذ أيـام (آخر فبراير) فى اديس أبـابا . وقد بدأت هـذه الاجتمـاعات باجتمـاع لجنـة الخبـراء العسـكريين لبحث « الاجراءات العسكرية بشأن مشكلة روديسيا »

أما فى سالزبورى ، فلم يندهش المراقبون السياسيون كثيرا لتصريحات ايان سميث رئيس الحكومة غير الشرعية التى اعلن فيها ان حكومته «على استعداد لتقديم المساعدة الملموسة للولايات المتحدة فى فيتنام بارسال قوات تابعة لروديسيا الى هناك» . **لقد سبق لسميث ان ارسل عددا كبيرا من قوات المرتزقة الى تشومبى فى ليوبولدفيل لمحاربة الوطنيين** . وجدير بالذكر ان شركات **دنلوب وب.م.س . وفورد الامريكية** قد قدمت ـــ فى الفترة الاخيرة ـــ عددا من القروض والمساعـدات الاقتصادية لحكومة سميث .

لقد قامت حكومة سميث بمد العمل بقانون الطوارىء لمدة ثلاثة اشهر اخرى . وكان **كينيث كواندا** رئيس جمهورية **زامبيا** قد صرح فى منتصف الشهر الماضى بانه «اذا استمرت حكومة سميث حتى يوليو القادم ، فسوف نطلب من بعض الدول غير بريطانيا التدخل العسكرى لانهاء الموقف المحزن فى روديسيا . »

ولهذا يعتقد بعض المراقبين الافريقيين ان حملة الهجـوم «المفتعلة» ـــ على حد تعبيرهم ـــ والتى شنتها حكومـة **هيستنجزباندا فى مالاوى** تقصد بها فى هذا الوقت بالذات محاولة تشويه موقف الدول التى تلعب دورا طليعيا فى حركة التحرر الافريقى لقطع الطريق على حكومة زامبيا اذا حاولت الاستعانة بقوات افريقية لحماية حدودها فى مواجهة اخطار العدوان العنصرى فى روديسيا .

وفى خلال الشهر الماضى روجت الصحافة الغربية ـــ والبريطانية على وجه الخصوص ـــ لنبأ يزعم ان هناك وزارة قد تشكلت من العناصر البيضاء المعارضة لسميث فى روديسيا واقاموا **«حكومة ظل»** تمهيدا لاحداث تغير فى روديسيا . ولكن صحيفة **الصانداى تايمز** البريطانية ـــ وكذلك **الايكونوميست** ـــ بددت هذه المزاعم بقولها «بالفعل ، ان هناك بعض من البيض يعارضون حكومة سميث واعلانها الاستقلال من جانب واحد . ولكن أى ظن بان هناك حكومة ظل فى انتظار ان تتولى الحكم ، يعد ضربا من ضروب الخيال . »

وفى نفس الوقت الذى قالت فيه حكومة **ويلسون فى بريطانيا** انها ستتشدد من العقوبات الاقتصادية التى اتخذتها ضد حكومة **سميث ، وطالبها فى مجلس قانونية لمجلس العموم ، بتخصيص**

مبلغ ٤٫٣ مليون جنيه استرلينى «لمواجهة نفقات العقوبات التى تشنها ضد روديسيا» ، فى نفس هذا الوقت تقول صحيفة **الديلى تلجراف البريطانية** «ان احدا لن يفترض ان وقف نسبة الصادرات الباقية من روديسيا الى بريطانيا ــ ٥٪ ــ سيؤدى الى اسقاط حكومة سميث .»

وتقول الانباء ان **هيوبيدل** رئيس قضاة روديسيا سافر الى لندن لاجراء محادثات مع ويلسون . وتقول **النيوزويك الامريكية** انه يبدو ان هدف هذه الزيارة «**اولا** : اعادة فتح باب المفاوضات بين بريطانيا وحكومة سميث . **ثانيا** : ان يثبت حزب العمال امام الناخبين فى بريطانيا انه مازال قادرا على معالجة القضايا المختلف عليها بطريقة ناجحة .» وكانت **التايم الامريكية** قد نقلت انباء عن **ادوارد هيث** زعيم المحافظين تقول انه «اصبح يبدى اعجابه بسياسة ويلسون تجاه روديسيا بعد ان كان يوجه انتقادات حادة لها» . وقد سافر بالفعل سلوين لويد مبعوث حزب المحافظين الى سالزبورى ليتابع الموقف هناك على الطبيعة ولكن لم تظهر بعد نتائج هذه الزيارة حتى كتابة هذا التقرير .

وترى الدوائر الافريقية ان قضية روديسيا مازالت اليوم تدور فيما بين حكومة ويلسون وحكومة سميث غير الشرعية فى اطار لعبة «القط والفار اللذان اسنانسا الحياة معا دون نزاع .» وتقول الايكونوميست «ان سميث ورجاله يعيشون بين شعورين :

● الرغبة فى ان يؤكدوا لمن يسندهم انهم قادرون على كسب معركة العقوبات الاقتصادية .

● والخوف من المغالاة فى اظهار ذلك فتنكشف وتنفضح الوسائل الخاصة والسرية التى يحتفظ بها سميث مع مسانديه مما يعرض نجاحه من استمرار مواجهة العقوبات للخطر .»

●

■ **غانا**

التدبير فى لنــدن . . والتنفيذ فى أكــرا

نقلت وكالات الانباء ــ **والطليعة تحت الطبع** ــ نبأ وقوع انقلاب فى **اكرا** ضد الرئيس **كوامى نكروما** وحكومته . لقى مقاومة ، تتضح من بيانات « التهديد » التى اذاعها قادة الانقلاب ووجهها « لقوات الامن » وفرق «الميليشيا» وقوات « الحرس الجمهورى »

وتقول وكالة **اليونايتدبرس** ان احد هواة اللاسلكى قد التقط اشارة من راديو غانا ــ بعد لحظات من قيام الانقلاب ــ تقول «ان قوات الجيش والبوليس قد استولت على السلطة ارجو ممن يستقبل هذه الرسالة ابلاغ لندن بأنباء الانقلاب» . وجدير بالذكر ان نكروما قام بقطع العلاقات الدبلوماسية مع لندن فى ديسمبر الماضى تنفيذا لقرار منظمة الوحدة الافريقية التى تعد نكروما واحدا من الزعماء الافريقيين الاساسيين الذين بذلوا جهودا كبيرة لقيام المنظمة ونجاحها . ومعروف أن نكروما يدعو منذ سنوات لقيام حكومة افريقية موحدة . كما صرح نكروما اكثر من مرة «ان غانا على استعداد لارسال قوات من جيشها ــ اذا طلبت منظمة الوحدة الافريقية ــ للاشتراك فى تحرير روديسيا من حكم الاقلية العنصرية غير الشرعية» .

ومن المعروف ان غانا قد واجهت فى العام الماضى حصارا اقتصاديا حادا من قبل الشركات الغربية ــ وخاصة الامريكية ــ التى تشترى محصول الكاكاو من غانا . وجدير بالذكر ان الانقلاب وقع فى الوقت الذى كان فيه نكروما فى طريقه الى **الصين** ــ بعد زيارته **لبورما والجمهورية العربية المتحدة** ــ ضمن جولته لاجراء محادثات من اجل حل مشكلة **فيتنام** التى عبر ــ من قبل ــ عن استنكاره الشديد لاستئناف الغارات الامريكية ضد **فيتنام الشمالية** ومطالبته بوقف الغارات الامريكية فورا . وقد اعتقل قادة الانقلاب ــ كما يقول راديو اكرا ــ اعضاء



● **نكروما**

حكومة نكروما وكبار زعماء **حزب المؤتمر الشعبى** كما اعفوا نكروما من رئاسة الجمهورية . وعزل حكومته وحل البرلمان وحزب المؤتمر الشعبى (الحزب الوحيد فى غانا) كما لم يصرح قادة الانقلاب بشىء عن اهدافهم .

وقاد الانقلاب الكولونيل كوتوكا قائد اللواء المشاه الثانى الذى زحفت قواته على العاصمة واحتلت محطة الاذاعة والمطار والمبانى الحكومية . وكشف خوامبيا الرئيس السابق لمخابرات غانا عن ان خطة الانقلاب قد دبرت فى لندن بمنتهى الحرص منذ بضعة اشهر وانه كان يراس مجلسا الثورة يتالف من ١٥ عضوا .

ومما يسترعى الانتباه ان الانقلاب الاخير يعد سابع انقلاب ــ خلال خمسة شهور تقريبا ــ فى افريقيا ، مما يثير عديدا من الاسئلة الهامة فى اذهان الرأى العام الافريقى (راجع الطليعة عدد فبراير ص ١١٥ تقارير الشهر) .

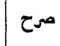
وكان نكروما عضوا فى حزب ساحل الذهب المتحد ، الا انه اختلف مع زعمائه وانفصل عنه ليكون حزب الشعب وطالب بالاستقلال والحكم الذاتى، فاعتقلته السلطات البريطانية .

وتحت الضغط الشعبى اضطرت بريطانيا اعطاء ساحل الذهب استقلاله واصبح نيكروما رئيسا للوزراء بعد الاستقلال عام ١٩٥٧ وفى عام ١٩٦٠ انتخب اول رئيس للجمهورية . وهو احد قادة الفكر والتطبيق الاشتراكى فى افريقيا .

●

■ **فيتنام**

٤ آلاف رصاصة لكل فيتنامى



صرح **ماكسويل تيلور** رئيس اركان حرب القوات الامريكية السابق فى فيتنام ، « أن الولايات المتحدة تستطيع أن تصل الى أهدافها فى فيتنام باستراتيجيتها الحالية » . بينما أعلنت احدى لجان مجلس النواب الامريكى ــ بعد دراسة اجرتها على الطبيعة فى فيتنام : « أن الحرب ستطول وستتكبد فيها امريكا نفقات ضخمة دون ان تصل الى نهاية محددة مالم يحدث تغيير اساسى فى الاستراتيجية الامريكية» .

وقد قابل الرأى العالمى «باستياء شديد» كما صرح المراقبون من دول عدم الانحياز ــ قرار جونسون باستئناف شن الغارات على فيتنام الشمالية ثم أوامره « بتشديد الغارات الجوية

لتصل الى ضعف الغارات الجوية فى حرب كوريا » أى بزيادة ٥٠ ٪ عن معدل ما كان يلقى عليها فى أى شهر قبل الهدنة الاخيرة التى استمرت حوالى شهر من النصف الاخير لشهر ديسمبر وحتى الايام الاخيرة من شهر يناير الماضى. وقد اعتمدت الحكومة الامريكية مبلغا اضافيا قدره ٨ر٤ مليار دولار لمواصلة ما وصفه احد الطيارين الامريكيين « بالحرب الملعونة » فى فيتنام . وقد صرح المسئولون فى وزارة الدفاع الامريكية «ان حرب فيتنام تستهلك سنويا ما يزيد على مليار طلقة رصاص ». وذلك يعنى أن الحكومة الامريكية ترصد ٤ آلاف طلقة تقريبا لقتل كل مواطن فى فيتنام الجنوبية . ورغم هذا كله صرحت مصادر وزارة الدفاع الامريكية نفسها « ان القوات الامريكية خسرت — فى الفترة الاخيرة — ٢٠٠٥ قتيل و ١٠ آلاف جريح».

ومن المعروف أن همفرى مبعوث جونسون ،قد قام فى الشهر الماضى برحلة الى عدد من الدول كاستراليا واليابان وماليزيا ، وصفتها وكالة تاس السوفييتية بأنها « تستهدف الحصول على أسلحة ورجال لمساعدة الولايات المتحدة فى حرب فيتنام » .

لقد اثار دهشة المراقبين السياسيين فى دول العالم ان تصدر حكومة الولايات المتحدة اوامرها باستئناف الغارات ضد فيتنام الشمالية وتشدد من تعزيزاتها العسكرية فى فيتنام وعملياتها العسكرية ، ثم تصدر أوامرها — فى نفس اليوم — الى مندوبها الدائم فى الامم المتحدة بدعوة مجلس الامن الى الاجتماع وبحث المشكلة . وتقول النيوزويك ان جونسون شرح لمندوبه فى الامم المتحدة هذه الخطوة قائلا « .. أما دعوة مجلس الامن فانها خطوة ضرورية لأسكات الاصوات التى تعارض سياستنا فى فيتنام » . مما اكد ما اذاعه راديو جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية من ان أمريكا « تريد الافادة من حملة دعاية فى الامم المتحدة وتحاول تشويه الحقيقة عن الحركة التحررية فى فيتنام».

ويؤكد المراقبون السياسيون « ان القاهرة أصبحت الان مركزا بالغ الاهمية لاقامة اتصالات بين هانوى وواشنطن بشأن الحرب » . اذ تم تبادل بعض الرسائل بين الطرفين عن طريقها . كما سيجتمع الرئيس جمال عبد الناصر بالرئيس كوامى نكروما رئيس جمهورية غانا لبحث مشكلة فيتنام «والدور الذى تستطيع أن تؤديه دول عدم الانحياز تمهيدا لقيام اتصال مباشر بين وشنطن وهانوى بعد أن بلغ الوضع فى فيتنام مرحلة خطيرة تقتضى تدخلا من الدول غير المنحازة » . الا أن نقطة البدء التى يتفق عليها الجميع هى ضرورة وقف العدوان وخاصة الغارات على فيتنام الشمالية ولسوف يزور نكروما عددا من العواصم الهامة ، يبدأها بزيارة رانجون (بورما) لنفس الغرض وترى حكومة اثيوبيا ضرورة عقد اجتماع لرؤساء عدم الانحياز — بعد انتهاء رحلة نكروما — غير انه رئى — فيما يبدو — ان اتخاذ قرار فى هذه المرحلة سابق لاوانه . وجدير بالذكر أن الشهر الماضى شهد كثيرا من المباحثات الثنائية والجماعية بين عدد غير قليل من الدول ورؤساء الحكومات فى العالم . وفى الوقت الذى ينوى فيه هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا زيارة موسكو « ليوجه نداء للزعماء السوفييت للمساهمة فى ايجاد حل » ، صرحت المصادر الامريكية المسئولة ان جونسون وديجول « تبادلا عددا من الرسائل خلال الاسابيع الاخيرة حول الحرب الفيتنامية » . ولكنها نفت ان لهجة خطابات ديجول « كانت عنيفة وجافة » . وقال متحدث باسم يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة أنه « اذا تحققت الاهداف الثلاثة التى أعلنها الرئيس ديجول لحل مشكلة فيتنام وهى الحياد والاستقلال وعدم تدخل الدول الكبرى — وهو ما يؤيده يوثانت — فانه يمكن أن تتطور فيتنام الى دولة شيوعية متحدة غير منحازة ذات نظرة دولية مماثلة لنظرة يوغوسلافيا ».

ومن المعروف أن معظم رؤساء عدم الانحياز بالاضافة الى كثير من الهيئات والمنظمات الشعبية — كالاتحاد العام لعمال فلسطين — والسكرتير العام للامم المتحدة ، قد استنكروا القرار الامريكى باستئناف الغارات ضد فيتنام الشمالية ، واعتبروا هذا القرار « عقبة هامة فى سبيل الوصول الى حل للمشكلة » . وقد صرح الرئيس عبد الناصر للمراسلين اليابانيين بأن الجمهورية العربية المتحدة « ستستمر فى اتصالاتها مع الدول المعنية من أجل التوصل الى تسوية سلمية لقضية فيتنام » . وطالبت القاهرة بوقف الغارات فورا . كما أعربت انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند عن قلقها بشأن ما يحدث فى فيتنام .

لقد أعلن جونسون — فى منتصف الشهر الماضى — رفضه لمطالب هوشى منه رئيس حكومة فيتنام الشمالية حول ضرورة انسحاب القوات الامريكية من فيتنام ، قبل بدء أية مفاوضات مع الاعتراف بجبهة التحرير الوطنية كممثلة لشعب فيتنام الجنوبية . واعتبر جونسون مطالب هوشى منه « غير مقبولة على الاطلاق » . وتتردد الانباء عن أن يوثانت يبحث « انشاء لجنة وساطة تتألف من كل من الجمهورية العربية المتحدة والسويد وأفغانستان ومالى والمكسيك ». وتبحث الدول الافريقية الاعضاء فى مجلس الامن تقديم مشروع قرار يدعو الى « تجميد العمليات العسكرية فى فيتنام والى عقد مؤتمر جنيف » وقد رددت الصحف الاجنبية أن بكين تطلب من موسكو « فتح جبهة ثانية ضد الولايات المتحدة لتخفيف الضغط الامريكى على فيتنام ، كاثارة مشكلة المانيا مرة اخرى ».



■ كوبا

الارز ... والصين

هاجم الدكتور فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا، الصين الشعبية هجوما عنيفا ، واتهمها بالتدخل فى الشئون الداخلية للجمهورية الكوبية ، وقيامها بتوزيع نشرات تدعو للمفاهيم الصينية بين رجال القوات المسلحة الكوبية .

ويعتبر عدد من المراقبين ذلك ، تفجرا ظاهرا لازمة العلاقات الصينية الكوبية التى استمرت شبه مستترة فى الفترة الماضية. وقد بدأت بوادر هذه الازمة عقب حضور كوبا لمؤتمر الاحزاب الشيوعية الذى انعقد فى موسكو فى شهر مارس الماضى ، وتطورت أكثر عقب انحياز الكوبيين الى جانب السوفييت فى معظم المسائل التى عرضت على مؤتمر هافانا للاحزاب الشيوعية فى أمريكا اللاتينية . وفى يناير الماضى أعلن كاسترو فى خطاب القاه بمناسبة العيد السابع للثورة الكوبية ، « ان اتفاقية تجارية بين كوبا والصين الشعبية قد توقفت بصورة غير متوقعة » ، وانه كان قد شارك بنفسه فى عقد هذه الاتفاقية وكان يعتقد فى اخلاص انها اتفاقية طويلة الاجل » وتدخفضت الصين مقدار شحناتها من الارز وكانت تعاقدت عليها وفق هذه الاتفاقية الى النصف (من ٢٨٠ الف طن الى ١٣٠ الف طن فقط) ، وعلل كاسترو ذلك بأنه يرجع الى «حدوث سوء فهم » فى الاتفاقية التجارية بين البلدين و « حاجة الصين الشعبية الى تزويد فيتنام بالامدادات » . الا أن الصينيين شنوا أول هجوم مباشر عليه عن طريق حديث أدلى به أحد المسئولين الصينيين الى جريدة « الشعب » الصينية طالب فيه ، « بأنه اذا كانت لدى حكومة كوبا آراء ومطالب مغايرة لما حدث فى المفاوضات التجارية، فلتتقدم بها لمناقشتها مع حكومة الصين بدل الخوض علنا فى مضمون هذه المفاوضات التمهيدية » .

على ان هناك اسبابا اخرى للجفاء الذى بدأ منذ عدة أشهر بين بكين وهافانا ، ترجع الى تنديد بكين بمحاولات الوساطة بينها وبين موسكو أو على حد التعبير الصينى بين الثوريين

المخلصين وبين المراجعين الجدد الذين يتواطئون مع الامبريالية الامريكية وهى المحاولات التى بدأها « حزب الثورة الاشتراكية الموحد الكوبى » مع سبعة وفود من الاحزاب والحركات الشيوعية فى أمريكا اللاتينية بهدف الوصول الى وحدة عمل بين السوفييت والصينيين فى المشكلة الفيتنامية .

على ان عددا من المراقبين يقرزون ، ان اقدام الصين على أمثال هذه الخطوات ، أفقدها ويفقدها جانبا كبيرا من العطف على اتجاهاتها ، والذى كان ملموسا فى أوساط الثوريين الكوبيين بفعل عوامل موضوعية وذاتية لتطور الثورة الكوبية ، قبل بدء الخلافات الاخيرة .

وتسجل الدوائر المتابعة لقضايا الصراع العقائدى فى العالم الشيوعى ، هذا الهجوم من جانب كاسترو على الصين باعتباره أول تغير واضح فى موقفه الودى المحايد ازاء الطرفين المتنازعين فى هذا الصراع .

●

■ قبرص

هل يثور البركان قريبا ؟

بدأ « البركان » القبرصى يطلق الشرر من جديد فى الشرق الاقصى . وبعد فترة خمود طويلة نسبيا نشطت كل الاتجاهات : التركية واليونانية والقبرصية مرة أخرى فيما يبدو تنذر بصدام قريب .

والجديد هذه المرة ، هو بعض التعديلات فى موقف الرئيس القبرصى **الاسقف مكاريوس** .

وقد بدأ الاتراك ببيان على لسان الدكتور **فاروق سوكان** وزير الداخلية بانه لم يبق من اليونانيين فى تركيا سوى ٧٦ شخصا ، عليهم أن يغادروا تركيا نهائيا فى موعد اقصاه ٣٠ ابريل القادم ، وهناك ثمانية واربعون منهم تنتهى مدة اقامتهم فى مارس ، ولن يبقى حتى الموعد النهائى سوى ثمانية وعشرون يونانيا وبذلك يصل عدد اليونانيين الذين طردوا او سيطردوا من تركيا الى ١٢ الف شخص منذ بداية الازمة الحقيقية فى ديسمبر سنة ١٩٦٣ .

وقد صاحب عملية الطرد والاعلان عنها عمليات عسكرية تركية وحشود فى ميناء الاسكندرونة استعدادا لمساندة الاتراك القبارصة . وتبعهما تصريح ملتهب من **تسيراماكوس** رئيس الوزراء اليونانى بان اليونان لا تخشى الحرب ولن تتراجع .

وتمت زيارتان تلقيان ضوءا على الموقف الجديد . فقبرص او — بتعبير ادق — الاغلبية اليونانية فيها تصر على تنفيذ القرار الخاص بالغاء الاتفاقية البريطانية اليونانية التركية التى تشل الاغلبية عن اى فعالية حقيقية فى المؤسسات الدستورية والتنفيذية .

وكان الاتجاه الغالب يوم نشب الصراع الدموى بين الطرفين من القبارصة هو استقلال الجزيرة ككيان خاص او اتحادها مع اليونان ، بشرط عدم خضوعها لالتزامات الاخيرة فى حلف الاطلنطى .

وكان هذا الاتجاه الشعبى مؤيدا من الرئيس مكاريوس بشكل خاص ، وقيل يومئذ ان الجنرال جريفاس قائد الجيش القبرصى المعروف بولائه التام للملكية وللجناح اليمينى يعمل على اسقاط مكاريوس وتولى السلطة بدلا منه وتحقيق وحدة كاملة مع اليونان دون شروط .

وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى الزيارة الاخيرة (منذ أسابيع) للاسقف مكاريوس الى اليونان . وفى اثينا صرح مكاريوس بانه لا بديل للوحدة بين اليونان وقبرص ، وتبع ذلك زيارة اخرى للجنرال جريفاس حيث اجتمع بالمسئولين فى اثينا وعلى رأسهم ملك اليونان .

والمعتقد ان الزيارتين وجهان لعملية واحدة سياسية وعسكرية ، وبداية لدراسة كل الاحتمالات فى حالة تنفيذ تركيا لتهديداتها بغزو الجزيرة او عرقلة تنفيذ الخطة القبرصية اليونانية .

والمشكلة الان كما كانت من قبل هى موقف حلفاء اليونان وتركيا (امريكا وبريطانيا) بازاء البلدين وهم اعضاء فى نفس الحلف ؟

وكذلك موقف الاتحاد السوفيتى الذى اعرب عن بعض التحفظات ازاء الجانب القبرصى فى بيان مشترك بين جروميكو ووزير الخارجية التركية منذ شهور .

●

■ البانيا

هل تتحول ألبانيا عن موقفها ؟

يتابع المراقبون لاوضاع العالم الشيوعى باهتمام التحولات الاخيرة التى طرأت على سياسة ألبانيا الداخلية والخارجية . فقد تم أخيرا فى الداخل عدد من التنقلات بين الشخصيات المسئولة فى الحزب والحكومة . وعين أربعة أعضاء من المكتب السياسى لحزب العمل الحاكم فى وظائف أخرى حزبية وحكومية . فنقل **جوجو نوشى** من تيرانا الى قيادة الحزب فى منطقة بيرات ، وعين **مانوش ميفتيو** فى منطقة تيرانا **وريتا ماركو** الى منطقة داريس الساحلية ، بينما عين **هاكى توسكا** مساعدا للرئيس **محمد شيخو** .

وصحب هذه التنقلات الداخلية ، بعض التحول فى السياسة الخارجية تجاه الانعطاف أكثر من ذى قبل نحو دول شرق أوربا ، ورصد الدبلوماسيون فى دول شرق أوربا واليوجوسلاف خاصة ، « هبوط روح العداء » من جانب البانيا تجاه بلادهم ، لاول مرة منذ سنة ١٩٦١ ، عندما وصلت العلاقات بين البانيا والجمهوريات الاشتراكية الاخرى فى شرق أوربا الى مستوى خطير ، أدى بهذه الجمهوريات — ماعدا رومانيا — الى سحب سفرائها من تيرانا ، وقد قام بالعلاقات منذ ذلك الوقت مجرد قائمين بالاعمال لهذه الدول ، فى حين سحب الاتحاد السوفيتى كل اعضاء بعثته الدبلوماسية هناك دون أن يقطع رسميا علاقاته بالبانيا .



● مكاريوس

وقد ارسلت بولندا اخيرا ، سفيرا لها فى تيرانا للمرة الاولى منذ ٥ سنوات ، كما أجرى القائم بالاعمال الالبانى فى بودابست محادثات مع عدد من كبار رسميى وزارة الخارجية المجرية ، وأصبح من المتوقع استئناف العلاقات مع المجر ، ووصل اخيرا لتيرانا وفد تجارى يوغوسلافى لعقد اتفاقية ثنائية ، وتتردد أنباء حول احتمال تقديم قروض يوجوسلافية لالبانيا .

ولوحظ من ناحية ثانية بعض مظاهر الفتور فى العلاقات بين تيرانا وبكين . يرجعها اغلب المراقبين الى موقف الصينيين من المساعدات الاقتصادية لالبانيا . اذ اكتفى الصينيون بتقبل حسن لطلبات المساعدة التى تقدم بها سبيرو كوليكا نائب رئيس مجلس الوزرا الالبانى ، هو وعدد من اعضاء المكتب السياسى الالبانى بعد مباحثاتهم فى بكين من ٢٧ ابريل الى ٩ يونيو الماضى ، ولم تقدم بكين وعودا بتحقيق هذه الطلبات الجديدة ، وقد بلغت المساعدات الصينية خلال الخطة الخمسية الالبانية الثالثة ١٢٥ مليون دولار ، ويؤكد الالبانيون استعداد الصينيين لتقديم مساعدة « ذات اهمية كبيرة » لهم خلال الخطة الرابعة بغض النظر عن الموقف من الطلبات الجديدة .

ومما زاد من حساسية موقف الصين من الطلبات الجديدة بالمساعدة انه جاء فى وقت اتضح فيه عدم استطاعة البانيا انجاز عدد من أهداف الخطة الثالثة ومنها مشروعات صناعية هامة ، فلم يتم انشاء مصنع السوبرفوسفات فى لجاتش ، ومصنع الخامات المعدنية فى الباسان ولا المجمع الهيدروليكى على نهر دريم ، بالاضافة الى عدم ايفاء الزراعة باحتياجات السكان . ويرجع عدد من المراقبين موقف الصين الى التزامها بمنهجها الصارم فى خدمة اولويات بنائها الداخلى ، ذلك ان بكين لاتريد التضحية بملايين الدولارات ، من وجهة نظرها لرفع مستوى معيشة شعب ، صحيح أنه اقل من المتوسط الاوربى الا انه مازال اعلى من مستوى معيشة الصينيين على كل حال ، الامر الذى يناقض فى مفهومها المبدأ الاممى فى المشاركة فى التضحيات .

تعليق

ثغرة فى جدار العزلة حول كوبا

فتح مؤتمر هافانا ثغرة واسعة فى جدار العزلة ، الذى جندت الولايات المتحدة كل طاقاتها وامكانياتها المادية والعسكرية ، لفرضه على كوبا ، ونجحت فى ذلك الى حد كبير ، ففى داخل القارة استطاعت اثارة مخاوف القادة الاصلاحيين من تطور الثورة ، وتخطى المثل الكوبى لبرامجهم ، واقنعتهم بالتعاون معها فى نطاق مشاريع كمشروع « التحالف من اجل التقدم » وغيرها لمحاولة تقديم بديل لنظام كاسترو

ومن جانب اخر فان محاولات الولايات المتحدة التدخل العسكرى والحصار الاقتصادى والاصرار على تدبير المؤامرات ضد كوبا ، افزع هؤلاء القادة الاصلاحيين وجعلهم يؤثرون السلامة ويبتعدون عن اية ارتباطات بكوبا ، فقد بدأ عدد من هؤلاء القادة متعاطفين مع ثورة كوبا ، ولكن مع تطورها اعلنوا حيادهم ، واخيرا صرحوا بعدائهم لها . كما استغلت الولايات المتحدة الفزع الطبيعى من الثورة الكوبية ، لدى الانظمة الرجعية والدكتاتورية وشددوا من قبضتها عليهم وعلى بلادهم ، واستخدمتهم كمخلب قط فى تقديم مقترحاتها او القيام بالمغامرات العسكرية لحسابها (كما تفعل البرازيل)

وحتى الحركات الثورية التى تواجه هذه الانظمة الرجعية ، تمكنت الولايات المتحدة من اثارة الفرقة بين صفوفها ، بتشكيكها المستمر فى ذلك الجزء الذى يتعاطف مع ثورة كوبا . ومما سهل لامريكا مهمتها فى عزل كوبا ، تلك الاوضاع التاريخية التى ادت الى ان تكون علاقة دول امريكا اللاتينية باوربا وامريكا الشمالية اقوى مع علاقاتها فيما بينها

وفى الخارج استخدمت الولايات المتحدة كل امكانيات الحصار والمقاطعة والضغط ، لمنع التعامل مع كوبا . وتعرضت دول عديدة من بينها انجلترا وفرنسا واسبانيا لضغوط امريكية هائلة لقطع صلاتها الاقتصادية مع كوبا . وعملت على تقوية العزلة والتباعد ، او عدم الحماس فى احسن الاحوال الذى ادت اليها ظروف موضوعية وذاتية ، بين قادة كثير من التجارب الرائدة فى العالم الثالث وبين كوبا

ولذلك عملت كوبا بكل قوتها لعقد مؤتمر القارات الثلاثة فى بلادها وبذلت اقصى جهد للالتقاء بغالبية الوفود الخمسمائة التى حضرته وناقشت معهم التجربة الكوبية من جوانبها المختلفة ، وعرضت عليهم مراحل تطورها المختلفة ، وخاصة مسالة تحولها الى الماركسية اللينينية ، المسالة التى كانت موضع تساؤل واستفسار من الجميع . كما اهتمت كوبا بتوثيق علاقاتها بالحركة الثورية فى الخارج لشعورها بحاجتها الى المساندة والتاييد فى نضالها العنيد ضد محاولات التطويق الامريكية

وكان المؤتمر فرصة لا تعوض لوفود دول امريكا اللاتينية ، تعرفت فيه على خبرات وتجارب جديدة من كل انحاء العالم ، وبذلك وضح لها ان ثورة كوبا ما هى الا جزء من الثورة العالمية ، للتحرر الوطنى والاجتماعى ، اتخذت طابعا خاصا نتيجة لظروف ذاتية وموضوعية احاطت بها . وان ماحدث فى كوبا ليس مصادفة تاريخية ، بل من الممكن تكراره فى كل بلاد القارة اذا ما نضجت الظروف لذلك ، واختير الطريق المناسب لذلك . ومن جانب آخر ، استغلت وفود امريكا اللاتينية فرصة لقائها فى المؤتمر ، ولعبت كوبا دورا كبيرا فى ذلك لتدخل فى حوار عميق ومناقشات مستفيضة فيما بينها ، تدارست فيه الظروف المحيطة بالنضال الثورى فى القارة ، وتاكدت خلاله من حتمية تجاوز الخلافات والمنافسات وصدام الاتجاهات ، وادركت ضرورة تنسيق التعاون فيما بينها الحركات التحررية الثورية وان الطريق لحل مشاكل القارة لن يكون الا بالاتصال فيما بين دولها

وانتهت المناقشات باشتراك السبعة عشر وفدا الممثلة لامريكا اللاتينية فى المؤتمر فى تكوين « منظمة التضامن بين دول امريكا اللاتينية » التى تستهدف مساعدة الحركات الثورية للتحرر الوطنى فى القارة ، والاتصال والتعاون مع الحركات المماثلة فى الخارج . ولا شك انه سيكون لانشاء مثل هذه المنظمة اثر كبير فى زيادة حدة وفعالية النضال الثورى فى القارة ، بل وتجاوز حدودها الى الحركة العالمية للتحرر الوطنى والاجتماعى ، فلا شك فى ان دخول دول امريكا اللاتينية كقوة موحدة فى هذا الميدان يثير فيه نشاطا وحماسا يخرج به عن الدائرة التقليدية التى وضعته فيه ظروف ذاتية وموضوعية

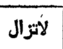
كمال السيد

على أن ذلك التقارب الالبانى من دول أوربا الشرقية الاخرى ، وعلى رأسها يوغوسلافيا ، لم يغير من تلك الحقيقة الموضوعية : وهى ان البانيا لاتزال المركز الرئيسى للدعاية « للاتجاه » الصينى فى اوربا سواء عن طريق المركز الاذاعى القوى فى شياكو أو من طريق النشرات الصينية المطبوعة فى تيرانا ».

●

■ **بلجيكا**

الطب « الليبرالى » + اللغات + عمال المناجم : يسقطون حكومة الائتلاف



الازمة الوزارية البلجيكية مستمرة حتى كتابة هذا التقرير . **فاشيل فان اكر** رئيس مجلس النواب الذى قبل اخيرا طلب الملك **بودوان** اجراء مشاورات لحل الازمة لم يتمكن بعد من الوصول الى طريقة لتشكيل حكومة جديدة يصبح هو رئيسا لها . بعد ان رفض **اومير فان اودينهوف** زعيم حزب الاحرار المعارض فى تشكيل هذه الحكومة ».

فلقد تسببت المشكلات العديدة التى واجهها الائتلاف الحكومى المشكل من الاشتراكيين والمسيحيين الاجتماعيين مثل مشكلة الاطباء ومشكلة عمال المناجم والمشكلة اللغوية ومشكلة الصراع بين **الفلامنكيين والوالون** ، فى تصدع هذا الائتلاف واستقالة الحكومة ».

وقد هدد الاطباء فى جميع انحاء بلجيكا بالقيام باضراب شامل مماثل لاضرابهم فى عام ١٩٦٤ ، بسبب خلافهم مع الحكومة . فبينما طلب الاطباء زيادة فى دخولهم بنسبة ٢٥٪ ، لم توافق الحكومة سوى على زيادة بنسبة ١٠٪ فقط ، كما طالبوا ايضا بانهاء العلاج المجانى فى المستشفيات . ولقد استقطبت معركة الاطباء فى بلجيكا اخيرا فى اتجاهين متصارعين ، انصار طب « ليبرالى » يقوم على التعاقد و « المقاولة » وهو الشكل الحالى السائد هناك ، وانصار طب « اشتراكى » يقوم على ارساء قضايا العلاج على اسس اشتراكية ترعى مصالح واحتياجات المواطنين كأساس . ويؤيد المسيحيون الاجتماعيون السياسة الاولى فى حين يرى الاشتراكيون اتباع الاتجاه الثانى . ولا تزال الاجتماعات بين ممثلى الاطباء والحكومة مستمرة لبحث الاقتراح الوسط الذى تقدمت به الحكومة ويقضى بان يدفع المريض ٣٠ فرنكا عند دخوله المستشفى . كذلك واجهت الحكومة عددا من الاضطرابات التى سببها عمال المناجم وبخاصة فى المنطقة الشمالية الشرقية ، احتجاجا على اتجاه الحكومة لاغلاق عدد من المناجم مما سيؤدى الى تعطيل ٢٠,٠٠٠ عامل . وبلغت الاضطرابات حدا اضطر الحكومة لارسال وحدة من قوات المظلات لمساعدة رجال الجيش والبوليس فى قمع الاضطرابات، وبدأ الصدام فعلا بين القوات الحكومية والعمال فى « زفارتبرج » . ولا تزال مشكلة مناجم الفحم تواجه الحكومة . فبينما اتجهت من قبل الى تحديد المنتج منه فى حوض شارلروا ، ولييج ، تمتد الازمة الان لتشمل البلد كلها. فمن بين ٣٢ منطقة استخراج ، لا تفى ٢٥ منها بالتزاماتها . كما ان حالة البيع سيئة لدرجة انه لا توجد رغبة فى اى مكان فى زيادة المخزون ».

وزاد المشكلات التى تجمعت ضد حكومة الائتلاف ، تجدد الصراع بين الفلامنكيين والوالون . فقد استعدت مجموعة ضخمة مكونة من ٤٠٠ شخص من انصار تنظيم « **الشعب المتحد** » وهو تنظيم فلامنكى يمينى متطرف ، للتحرك مستهدفة القيام « بنزهة لغوية » على مدينتى موسكرون وكومين وهما مدينتين والونيتين ، قريبتين من الحدود الفرنسية فى حين اعدت القوات البوليسية « لجنة استقبال » مضادة لهذه المجموعة مكونة من الشرطة والخيالة وعشرات من انصار « **حركة الوالون الشعبية** » فى المدينتين المذكورتين. ويستهدف الفلمنكيون وأد انتشار اللغة الفرنسية ، والمحافظة على ما يسمونه بـ «وحدة الاراضى الفلمنكية » .

كذلك تواجه الحكومة البلجيكية مشكلة التضخم وارتفاع الاسعار ، ولذا فقد اتجهت الى فرض ضرائب غير مباشرة مما زاد من السخط الشعبى عليها فى الفترة الاخيرة .

والحقيقة ان من اعقد المشكلات السياسية التى تواجه بلجيكا الان ، فى نظر كثير من المراقبين ، انه بينما يستدعى تشكيل حكومة بلجيكية واحدة ، تكوين ائتلاف من الاشتراكيين والمسيحيين الاجتماعيين فان اجتماع هذين القطبين المتعارضين داخل حكومة واحدة يؤدى الى العجز عن الحركة . والشخصية التى تحاول ان تستفيد من كل هذه الاوضاع لتدعيم مركزها هى الملك بودوان .

●

■ **اسبانيا**

نموذج حى ... لاحتمالات الخطأ الـذرى

منعت

الرقابة فى بريطانيا عرض فيلم «**اللعبة الحرب**» الذى يصور سقوط قنبلة ذرية على جزء من انجلترا ، وحجة الرقابة فى ذلك انه يعرض بشاعة الاثار المترتبة على تسرب الاشعاعات الذرية وهذا القرار ليس من قبيل الشفقة على أعصاب الجمهور ، ولكنه لاخفاء النتائج المدمرة للسياسة النووية وتغطية احتمالات الخطأ التى يمكن أن تحدث فى أى وقت وفى أى مكان .

وخير مصداق لوجود مثل هذه الاحتمالات ماحدث فى اسبانيا، فى ١٧ يناير الماضى ، عندما اصطدمت طائرة من طراز ب٥٢ تحمل ٤ قنابل نووية ، بطائرة نقل بترول من طراز ك س ١٣٥ ، اثناء تزويد الطائرة الاولى بالوقود ، فوق الجزء الجنوبى الشرقى من اسبانيا فوق قريتى **بالوماريس وكويفاس دى المانزورا** وقتل فى الحادث ٧ من ملاحى الطائرتين ونجا اربعة . وقد سقطت ثلاثة من القنابل الاربع فى مزارع بالوماريس ، وتم العثور عليها وان كان تسرب من احداها كما تقول جريدتى **ديلى ميل ، وديلى اكسبريس** ، بعض اشعة الفا ، وظهرت آثارها على بعض رجال البوليس الذين شاركوا فى البحث .

اما القنبلة الرابعة فقد سقطت فى اعماق البحر ، وحشدت الولايات المتحدة قوات كبيرة حاصرت بها المنطقة واقامت معسكرا علميا كبيرا للبحث عن القنبلة التى تقدر قوتها بحوالى ٢٠ **مليون طن ديناميت** ، ويشترك فى البحث ٥٠٠٠ شخص ، وطرادتان ، وكاسحتا الغام ، وعدد كبير من سفن الاسطول السادس واخيرا انضمت اليهم غواصتان للابحاث . والاولى

غواصة «جيب» صغيرة وزنها ١٣ طن فقط وطاقمها من رجلين ولها اذرع حديدية يمكن ان تقبض على اى جسم وتخرجه . ويقول بعض المصادر ان سبب الاهتمام لايرجع فقط الى القنبلة المفقودة والتى يقال انها من طراز جديد طولها ٣ امتار ، بل الى ان محرك الطائرة التى تحطمت ، هو محرك ذرى ويعتبر من الاسرار العسكرية ، كما توجد مفاتيح شفرة القيادة الجوية الاستراتيجية ومفجر ذرى ، ضمن حطام الطائرتين . ويتكلف البحث حوالى نصف مليون دولار يوميا .

والطائرتان تابعتان للقيادة الجوية الاستراتيجية الامريكية التى ترسل طائراتها فى رحلة يومية تبدأ من الولايات المتحدة عبر الاطلنطى الى اسبانيا للتموين فوق اراضيها . وهذه ليست الحادثة الاولى لتصادم الطائرات الامريكية فوق اسبانيا اثناء التدريب ففى اكتوبر ١٩٦٤ قتل ٩ بحارة وجرح ١٣ اخرين عندما اصطدمت طائرتين فوق اسبانيا . والغريب ان غواصة الابحاث اصطدمت فى اول رحلة غوص لها للبحث عن القنبلة ، باحدى سفن الاسطول السادس واصطدمت احدى طائرات النقل «جلوب ماستر» التى كانت تشترك فى البحث باحدى قمم سيرا نيفادا وقتل ٨ من طاقمها . ولايخفى المسئولون الامريكيون ثقتهم فى سيطرتهم على الحكومة الاسبانية ، واطمئنانهم الى ان رد الفعل

لن يهدد مصالحهم ، وعبر عن ذلك احد القواد الامريكيين بقوله «انه لامر فظيع ان يحدث ، ولكن اذا كان لابد من حدوثه فمن الخير ان يقع فى بلد يمكن ان نطمئن اليها ، تصور ما يحدث لو كان ماتم قد وقع فى ايطاليا او فرنسا » . وكان المسئولون الاسبان عند حسن ظن حلفائهم فقد منعوا الصحفيين الاجانب من دخول البلاد ، واكتفت صحفهم بالبيانات الرسمية التى تقول «مازالت الابحاث الامريكية مستمرة للعثور على بعض الاسلحة السرية» . ولكن كل هذا لم ينجح فى اخفاء الامر عن الشعب . فقد رفع ٥٥٦٢ شخصا طلبا الى كل الوزراء «بالاستئصال السريع للقواعد الامريكية فى اسبانيا» . وقامت مظاهرات امام السفارة الامريكية ضد «اليانكى القتلة» ونادت بسقوط امريكا وقواعدها ولم ينجح البوليس فى فضها الا بعد استخدام العنف ، وفى المانزورا ، احدى القرى المنكوبة ، تظاهر السكان لاعنين الامريكيين وقنابلهم . ووزعت منشورات تدعو للتظاهر ضد امريكا ، وطالب الحزب الشيوعى بالخروج من «دائرة اليانكى وقنابلهم» كما طالب اتحاد الشباب المسيحى الديمقراطى ، وهو تنظيم سرى ، بالغاء اتفاقيات ١٩٥٣ مع امريكا وازاء هذا الضغط الشعبى قررت الحكومة الاسبانية منع مرور الطائرات التى تحمل اسلحة ذرية فوق اراضيها ، ولكن كيف تتاكد هذه الحكومة مما اذا كانت الطائرات المحلقة تحمل اسلحة ام لا ؟ لا احد يعرف . ومن جانب اخر قررت امريكا تموين طائراتها خارج النطاق الجوى الاسبانى ، وتخشى الولايات المتحدة رد الفعل لدى حلفائها الذين تملك قواعد ذرية فى اراضيهم .

ويرجع تاريخ انشاء القواعد الحربية الامريكية فى اسبانيا الى ١٩٥٣ ، عندما انشات قاعدة «روتا» البحرية فى قادش ، وبها ٥ مطارات كبيرة تتصل فيما بينها بممرات تحت الارض وتحولت حاليا الى قاعدة ذرية بها غواصات بولاريس ، أسست عدة قواعد جوية اهمها فى «توريجون» قرب مدريد ، تحوى اطول ممر للهبوط فى اوربا (٣٥٠٠ ياردة) وبها مقر قيادة الاسطول الجوى السادس عشر الذى يتبعه ربع ماتملكه امريكا من قاذفات ذرية . وثمنا لهذه القواعد انهالت المساعدات والقروض على اسبانيا حتى وصلت الى مايقرب من ١٤٠٠ مليون دولار ، ولكن لم يكن لها اى اثر سوى رفع الاسعار والتضخم النقدى .

■ بريطانيا

انتخابات الربيع « والاقلية الكبيرة »

أصبحت دائرة « هال » التى لم تثر انتباه احد من بين مئات الدوائر الانتخابية البريطانية نقطة التحول فى مستقبل حكومة العمال الحالية . فبعد ان احرز مرشح العمال نجاحا ملحوظا فى الفوز بمقعدها فى مجلس العموم ، تغيرت كل التكهنات السابقة التى كانت تشير الى انصراف الرأى العام تدريجيا عن حكومة العمال وحزب ويلسون .

ويرى المتتبعون لسياسة الحكومة العمالية فى بريطانيا ان نجاح المرشح العمالى فى هذه الدائرة والاتجاه الواضح لدى الرأى العام نحو حكومة ويلسون يغريان الزعيم البريطانى بان يجرب حظه مرة اخرى فى الربيع القادم باجراء انتخابات جديدة شاملة تحسن الوضع القلق لحكومته (اغلبيتها ثلاثة اصوات الان فى مجلس العموم) .

ولكن يبدو — من وجهة نظر المعلقين الحزبيين — انه بالرغم من اخطاء ويلسون الكثيرة وعدم التزامه ببرنامج الانتخابات ، الا ان اصراره على الاستمرار بهذه الاغلبية الضئيلة او « الاقلية الكبيرة » على وجه اصح اثارت حماس قطاعات كثيرة من الرأى العام لمنحه فرصة اكبر .

ان صحف المحافظين تؤكد ان ويلسون سيتجه الى الشعب البريطانى فى الربيع قبل ان يفتر حماسه ويضيع الاثر الدعائى من النجاح فى دائرة هال . اما « نيو ستيتسمان » ذات الميول اليسارية العمالية فتحذر بشكل غير مباشر من خطر المجازفة .

فرغم مضى اثنا عشر شهرا من النشاط الحكومى الا ان جانبا ضئيلا بدأ تنفيذه من برنامج الحكومة .

والامثلة كثيرة فى السياسة الداخلية :

- قانون الايجار لم يبدأ تنفيذه قبل اكثر من شهر .
- مشروع قانون الاراضى مر بالقراءة الثانية منذ اكثر من اسبوعين .
- مشروع تحديد معاشات المرضى على اساس قاعدة الاجور لم يناقش الا منذ ايام .
- مشروع تجديد وبعث الاقتصاد القومى وحوافز الاستثمار لم يعلن عنه الا من وقت قريب .

ولن تبدو نتائج هذه المشروعات قبل حلول الخريف بالنسبة للرأى العام البريطانى . وعلى ذلك يرى البعض ان انتخابات الربيع مجازفة غير مأمونة . فاذا اضفنا الى ذلك مواقف حكومة ويلسون الخارجية وتبعيتها لاشد السياسات الامريكية اثارة للناخبين البريطانيين كالموقف من فيتنام وغيره ، تزداد حجة هذا الجانب وجاهة .

ولكن الجانب الاخر المؤيد لانتخابات الربيع يرى ان الخير فى طرق الحديد ساخنا .

ومثل هذه السخونة قد بلغت اعلى درجاتها الان ، ولاينتظر ان تتجاوزها فى المستقبل القريب . واعتمادا على ان حزب المحافظين يعانى اليوم من تفكك داخلى وافتقار الى التنظيم يرى مؤيدو الانتخابات ان الفرصة سانحة وان المغامرة مع احتمال الكسب افضل من وضع مضطرب تضطر فيه زعامة حزب العمال الى معاملة نوابها « كالمجندين » احيانا ، وكالمدللين احيانا اخرى ، دون ان تجرؤ على تنفيذ سياسة واضحة بعيدة المدى بسبب الاغلبية العرجاء .

■ **باريس**

فرنسا ـ ألمانيا .. فرنسا ـ أمريكا وفرنسا ـ الاتحـــاد الســـوفيتى

على الرغم من ان لقاء **ايرهـارد ـ ديجـول** فى باريس لايعدو ان يكون احد اجتماعات القمة التى نصت المعاهدة الفرنسية الالمانية على عقـدها مرتين سنويا ، الا ان عـديدا من المراقبين اشاروا اليه باعتباره أخطر من ان يكون مجرد اجتماع « روتينى » هذه المرة .

لقد تم هذا اللقاء فى ظروف أعرب فيها الدبلوماسيون الاوربيون من قلقهم ازاء ماوصفوه بالتدهور المستمر فى العلاقات بـين فرنسا والمانيا الغربية .

كما ان الاجتماع يتم فى ظروف أعلن الاتحاد الســوفيتى فيها من ناحيته ان تصميم المانيا الغربية على الاشتراك فى نظام الدفاع النووى الغربى سيقضى تماما على امكانية تحقيـق أى تقدم بشأن اعادة توحيد المانيا ، وينعقد بعد أن اتفق على رحلة الرئيس ديجول الى موسكو .

وقد اسفر اللقاء عن اتفاق **ديجول وايرهارد** على استئناف محادثات الوحدة السياسية الاوربية بعد التوقف الذى استمر ٤ أعوام ـ وصرح **«كارل فون هازى»** كبير المتحدثين باسم حكومة بون بأن «دفعة جديدة» ستعطى للتعاون الســياسى الاوربى نتيجة لمحادثات باريس . ويرى عدد من المراقبين ان الفرصة المتاحة لايرهارد للاتفاق مع ديجول كان يمكن ان تكون أكبر من الفرصة مع سلفه اديناور . ذلك لان المعروف عن ايرهارد انه اقل حماسا من سلفه لاقامة «اتحاد فيدرالى وثيق» فى أوربا، وبالتالى فهو أكثر اقترابا عنه من فكرة ديجول حول اقامة اتحاد فيدرالى بين دول ذات سيادة تجرى مشـاورات دورية بينها بدلا من حكومة عليا للقارة وبرلمانا موحدا كما تطالب باقى دول السوق المشتركة . وان كان هناك اختلاف جذرى بينهما حول مدى نوعية العلاقة مع امريكـا .

وقد اكد **كارل فون هازى** ايضا انه تقرر فى باريس استئناف المفاوضات بين دول السوق المشتركة الست حول تمويـل السوق الزراعية والتعريفة الجمركية الخارجية المشتركة الخاصة بالمنتجات الصناعية والمعروفة «بجولة كنيدى» .

الا انه لم يتحدد بوضوح موقف كل من البلدين من مشـكلة ضم بريطانيا للسوق المشتركة واعادة توحيد المانيا ـ ومشكلة الحدود ، والنظام العسكرى فى المانيا الموحدة . وهى المشكلات التى تعتبر «ذات حساسية خاصة» فى نظر باريس .

بيد أنه اذا كان **«كوف دى مورفيل»** وزير الخارجية الفرنسى أوضح **لجيرهارد شرويدر** وزير خارجية المانيا الغربية ـ كما يؤكد معظم المراقبين ـ بأن الجنرال ديجول سيتصرف مـع الاتحاد السوفيتى فى خلال زيارته حسب الثمن الذى تقدمه بون فى السوق الاوربية المشتركة للاستجابة الى المطالب الفرنسية فانه يمكن ـ التكهن بامكانيات التقارب المقبل داخل السـوق المشتركة ، اذا ماوضع فى الاعتبار تصريح ديجول عن توقعـه «بان الرحلة ستمنحه الفرصة لعرض وجهة النظر الاوربية حول اعادة توحيد المانيا» وقد اعتبرت صحيفة «لورور» ان رحلة ديجول فى الاتحاد السوفيتى لن تظهر وفق هذا المعنى «باعتبارها مناورة لتطويق المانيا وانما عملا دبلوماسيا نافعا لكلا البلدين »

ويرى العدد الاكبر من المراقبين ان نتائج اللقاء افضـل بالنسبة للعلاقات الفرنسية الالمانية وتضيف «الموند» الفرنسية ان ايرهارد سيستغل الجو المناسب الذى نجح فى خلقه فى تدعيم وضعه داخل الحزب المسيحى الديمقراطى من أجل الوصـول لرئاسته فى انتخابات مارس المقبل .

غير انه لما كانت هناك خلافات حقيقية هامة بين فرنسـا والمانيا ، حول فكرة ديجول الخاصة «باوربا فى الاطلنطى الى الاورال» وحول تصميم المانيا على المشاركة فى نظام الدفـاع الفردى الغربى وحول العلاقات مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وحول موقف أمريكا فى فيتنام الذى تستنكره باريس بينما تخجل بون من عدم مساندتها الكافية لامريكا هناك ، وحول اتفاق ديجول مع زعماء اوربا الشرقية على عدم الاعتداء على حدود اودر ـ نيس التى لا تعترف بها بون ، بسبب ذلك كله فان عددا ملحوظا من المراقبين يميلون الى عدم اصدار حكم مبالغ فى تفاؤله بالنسبة لنتائج لقاء ايرهارد ـ ديجول .

●

■ **القمر**

الانســان يبدأ رحلته الى الكون

فى يوم الخميس ٣ فبراير وفى السـاعة ٢١ والدقيقة ٤٥ بتوقيت موسكو ، هبطت محطة الفضاء الاوتوماتيكية « لونا ـ ٩ » برفق على سطح القمر ، بعد أن قطعت ٢٢٠ الف ميل فى الفضاء الكونى ، وكان وزن الجهاز الذى ارسل الى القمر من مداره حول الارض ٥ر١ طنا اماوزن المحطة نفسها فكان ١٠٠ كيلوجرام .

وما ان وصلت المحطة الى القمر حتى ارسلت اشارة لاسلكية تعلن نجاح الانسان لاول مرة فى تاريخ البشرية، فى ارسال محطة فضاء على جرم سماوى آخر فى **المجموعة الشمسية** . وبدأت كاميرا تليفزيونية بمرآة مزدوجة فى تصوير المنطقة التى هبطت فيها المحطة. وسجلت الكاميرا ادق التفاصيل من سطح القمر، مثل تكوينات صخوره وتركيب تربته وشكل فوهات البراكين على سطحه. وفى صباح الجمعة التقطت التلسكوبات اللاسلكية على الارض، الصور التليفزيونية التى التقطتها « لونا ـ ٩ .

ولم تكن هذه اول مهمة «قمرية» يقوم بها قمر صناعى ، ففى عام ١٩٥٦ قامت **«لونا ١»** ، لاول مرة بارسال معلومات غاية فى الاهمية عن سطح القمر لاول مرة. وكانت محطة الفضاء **«لونا٢»** اول من وصل الى سطح القمر ، حيث القت هناك بعلم الاتحاد السوفيتى . اما **«لونا ٣»** فقد صورت الجانب غير المرئى من القمر.

اما **«لونا ٩»** فقد هبطت بنفسها على سطح القمر، لوضع آلات القياس والاجهزة العلمية على سطح القمر لدراسة ظواهره الطبيعية .

ولقد كانت نتيجة التصوير مدهشة، فقد بينت الصور تفاصيل كل شىء على سطح القمر، يصل حجمه الى ملليمتر واحد، فلـو كان هناك كتاب مفتوح على سطح القمر، لاستطاعت الكاميرا ان تبين حروف الكلمات فى صفحاته .

وقد كان من الضرورى قبل ارسال «لونا ٩» ان تحل العديد من المشاكل العلمية، اهمها تخفيض سرعة السفينة حتى تصل الى الصفر عندما تحتك بسطح القمر وتستخدم فى ذلـك المحركات الصاروخية وذلك لعدم وجود جو يحيط بالقمر ولذا فقد زودت السفينة بمحركات ذات قوة كافية تحمل الكميـات

اللازمة من الوقود. وكان من الاهمية بمكان توجيه المحطة بدقة عند لحظة ادارة المحرك، للقيام بالفرملة المقررة والهبوط فى المكان المحدد.

ولقد اجابت «لونا ــ ٩» على العديد من الاسئلة التى ظلت تحير العلماء منذ بدأوا دراستهم على القمر . وكان اول شىء اعلنه علماء انجلترا وامريكا هو امكانية هبوط سفن فضاء تحمل رواد فضاء على سطحه دون خوف من الغوص فى طبقة كثيفة من التراب . وقال البروفيسور **الكسندر ميخائيلوف** عالم الفلك السوفيتى انه من الممكن اقامة معمل على القمر يعمل لمدة طويلة. وقال البروفيسور **بوريس فورنتسوف** فى حديث له فى التليفزيون السوفيتى معلقا على الصور التى التقطتها «لونا ٩» :

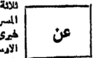
«أن سطح القمر يمكن الهبوط عليه بأمان، وتوجد على سطحه مناطق مستوية كافية او ستساعد دراسة الصور على معرفة تكوين سطح القمر بدقة شديدة . ومن الواضح الان بالفعل ان قاع «محيط العواصف» ليس مغطى بالبازلت كما اظهرت الصور التى التقطت من الارض والصور التى التقطتها الاقمار الصناعية الامريكية من مسافة قريبة» .

وفى مساء السبت ٥ فبراير اختتم برنامج الارسال بين الارض والقمر، وكانت لونا ٩ قد اتمت حتى ذلك الوقت اذاعة سبع اذاعات تليفزيونية .

أن النتائج النهائية لهذه الصور لم تلته بعد، ولم يقدم لها اى تحليل علمى دقيق، غير تلك الحقيقة العلمية عن سطح القمر ، ولكن ما أن تنتهى هذه الدراسات حتى بدأ « غزو » الانسان لاول جرم سماوى فى المجموعة الشمسية، الى «القمر»

■ فن

بديع خيرى فى المسرح والشعر والصحافة



ثلاثة وسبعين عاما توفى فى القاهرة الكاتب المسرحى والشاعر الشعبى الشهير بديع خيرى (١٨٩٣ ــ ١٩٦٦) ، وبموته فقدت الاوساط الفنية كاتب الكوميديا الخفيفة ذى الخبرة الواسعة فى العالم العربى الذى ظل يمارس الكتابة للمسرح اكثر من نصف قرن دون توقف . واذا كان مؤرخو الادب المسرحى لن يفردوا لبديع خيرى صفحات كبيرة وهامة عندما يحاولون دراسة المسرح المصرى والعربى بما هو أدب ، الا انهم متفقون منذ الان على أن اسم بديع خيرى مرتبط ارتباطا وثيقا للغاية بفن المسرح الكوميدى الذى تستهلكه الجماهير بسرعة فى دور العرض ، وان هذا الاسم قد استطاع ــ وحده ــ أن يقيم دعائم فن جماهيرى واسع الانتشار ، وأنه قد زامل فى هذه المهمة الكبيرة علما من أعلام الفن المسرحى فى نهاية النصف الاول من القرن العشرين هو **نجيب الريحانى** (١٨٨٧ ــ ١٩٤٩) اى منذ ثورة ١٩١٩ حتى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . وبعد وفاة الريحانى ظل بديع خيرى يزود الفرقة بالانتاج المسرحى حتى وفاته فى اوائل الشهر الماضى. وقد استطاع بديع خيرى طوال تلك الفترة أن يقيم دعائم

تعليق

اسلوب العمل الجماعى فى الميدان المسرحى

منذ اكثر من شهرين نبتت فكرة مؤتمر العاملين بالمسرح ، وتحت شعار : « المسرح والفكر الاشتراكى » توالت عدة اجتماعات فى مسرح الجيب وفى مقر امانة الدعوة والفكر بالإتحاد الاشتراكى وفى دار المسرح القومى تضم كافة العاملين بالحقل المسرحى من مؤلفين ومخرجين وممثلين وفنيين ونقاد لمناقشة موضوع « المسرح فى فترة التحول الاشتراكى التى يمر بها مجتمعنا اليوم » . ولو اننا اخذنا « المسرح » كظاهرة متكاملة لاستطعنا ان ندرك مدى الصعوبة التى يمكن ان تواجه اى جهد فكرى يبذل لمناقشة هذا الموضوع الشائك والمسير . لابد اولا من الاستقرار على الطريقة التى ينبغى علينا ان نتناوله بها : هل سنبحث قضية التاليف الدرامى نفسه ، مدى ارتباطه او انعزاله من حركة المجتمع ؟ . هل سنطرح من جديد قضية « الالتزام » فى الفن ، تلك القضية التى عولجت من كافة جوانبها على مختلف المستويات وقيل فيها كلام كثير نظرى وتطبيقى ؟ ام اننا سنناقش المسالة من زاوية اهم وهى مدى علاقة الفن المسرحى والجهود البشرية التى تقف وراءه وتصنعه بالجماهير التى تتلقاه وتستهلكه ؟

لقد قسمت المذكرة التى أعدتها اللجنة التحضيرية لمؤتمر المسرحيين هذا الموضوع الى ثلاث نقط رئيسية اولها يتعلق بالابداع المسرحى لدى المؤلف وتحتها تندرج قضية الالتزام والحرية ، وثانيها خاص بالعلاقة بين المسرح والجمهور وتحتها تندرج مشكلة توسيع القاعدة الجماهيرية للعروض المسرحية وكيف يمكن حلها بالطريقة المثلى ، وثالثها يتعلق بالفنان والاجهزة المسرحية وكيف ينبغى ان تكون علاقات العمل بينهما على ارقى الصور التى تخدم الانتاج ولا تعرقله .

وهذا تقسيم منطقى وواضح . على اننا ينبغى ان ندرك ايضا انه عام وفضفاض ويمكن أن نطرحه للمناقشة اليوم وغدا وبعد غد . وطالما ان هذه الاجتماعات تنعقد تحت راية التنظيم السياسى فى مجتمعنا الا هو الاتحاد الاشتراكى فينبغى اذن الانطلاق من هذه النقطة لنعرف ماذا نريد ان نصل اليه على وجه الدقة .

وبما ان جميع العاملين فى المسرح على اختلاف الفروع التى ينتمون اليها من تاليف الى اخراج الى تمثيل الى ديكور او اضاءة مدعوون الى الاسهام فى هذه المؤتمرات ، فانه يتحتم العمل من اجل الوصول الى ارض مشتركة بينهم جميعا تكون اساسا للمناقشات وللقرارات التى ننتظر ان تتبلور من خلالها . وذلك لكى نتجنب الاجتماعات المتكررة التى تقام وتنفض دون اى نتيجة واضحة ملموسة

ومن الواضح ان المسرح هو اكثر الفنون « جماعية » . والاشتراكية فى احد جوانبها الاساسية هى « اسلوب العمل الجماعى السليم » فى اطار الاهداف العامة للمجتمع الاشتراكى . ولذلك فان اول ماينبغى ان يطرح اليوم للمناقشة فى اجتماعات المسرحيين هو كيفية غرس هذا الاسلوب فى خلايا البناء المسرحى ، كيف يستطيع كل عامل فى المسرح ان يحتفظ « بكل » حقوقه وان يؤدى « كل » واجباته ، كيف يمكن ان تنشأ القيادات الجماعية التى تحد من طغيان الافراد مهما علا مركزهم ، كيف يمكن ان يحاسب المخطىء وينقد وان يجازى المصيب ويشجع، باختصار: كيف يتحول هذا العمل الجماعى الى تعاون وخصوبة وابتكار .

تلك هى قضية مجتمعنا الاساسية اليوم، واولى بها ان تكون قضية العاملين فى ميدان الفن الجماعى الاول : المسرح .

وحيد النقاش

مدرسة للكوميديا الخفيفة تأثر بها دون شك كل من عملوا في هذا الميدان حتى الان ، ونحن نستطيع دون شك أن نجد تقليدا سيئا لهاتيما نقدمه فرقة المسرح الكوميدى اليوم . وقد كان من مميزات بديع خيرى انه اعتمد في كثير من الاحيان على موضوعات اجتماعية ووطنية جادة نسج حولها اعماله التى قدمتها فرقة الريحانى .

الا أن الجانب الذى لم يكن واضحا فى انتاج الفنان الراحل او بالاحرى لم يكن معروفا لكثير من الناس انه ارتبط بميدانين آخرين من الميادين الفنية المتصلة بالجماهير اولها الشعر الشعبى وثانيها الصحافة الفكاهية . فالذى لا يعرفه الكثيرون اليوم ان بديع خيرى — شاعرا — كان مؤلف معظم الاغنيات الوطنية والاجتماعية المدوية التى لحنها سيد درويش (١٨٩٢ — ١٩٢٣) مثل نشيد «قوم يامصرى مصر دايما بتناديك ، خد بناصرى نصرى دين واجب عليك ، عد لى مجدى قبل مايروح من ايديك ، واوع سعدى يروح هو قدام عنيك» ، او الاغنية التى تدعو للتآخى بين الاسلام والمسيحية تحت راية الوطن والتى تقول : «اوع يمينك اوع شمالك — ان كنت صحيح بدك تخدم — مصر ام الدنيا وتتقدم — لا تقول نصرانى ولا مسلم — الدين لله ياشيخ اتعلم اللى أوطانهم تجمعهم — عمر الاديان ماتفرقهم» . هذا بالاضافة الى كلمات الحان اوبريتات عديدة منها «العشرة الطيبة» . وقد سار بديع خيرى الشاعر فى الاتجاه العظيم الذى بلوره وانضجه شاعرنا الشعبى العظيم بيرم التونسى ، وهو الاستماع الى نبض الجماهير والاصغاء الى احزانها ومشاكلها وتحويل ذلك كله الى شعر تردده الملايين .

وفى الميدان الصحفى أصدر بديع خيرى — صحيفة فكاهية اسبوعية هى «ألف صنف» فى الاعوام التى تلت ثورة ١٩١٩ ، كان يكتبها باللغة العامية ، ويملؤها بالفكاهة والازجال الفكاهية ، ويضمنها موضوعات اجتماعية وسياسية وفنية وهو ذلك النوع من الصحافة الذى بدأ مع يعقوب صنوع (ابو نضارة) فى نهاية القرن التاسع عشر .

لقد كان بديع خيرى قطعة من تاريخ مصر الحى فى ثلاثة ميادين هامة هى المسرح الفكاهى والشعر الشعبى والصحافة وقد سجل بعبقريته المتنوعة فى كل من هذه الميادين آثارا لن تنسى .

●

■ فنون تشكيلية

٥ معارض .. فى القاهرة

شهدت صالات العرض بالقاهرة فى الشهر الماضى نشاطا ملموسا للفنون التشكيلية . فقد اقيم خمسة معارض ، اثنان منها بقاعة اخناتون للفنانة ليلى عزت ، واساتذة وطلبة ليوناردو دافنشى ، وبقاعة الفنون الجميلة قدم معرض الفنانين المتفرغين ، وبالمركز الثقافى التشيكوسلوفاكى قدم معرض الفناسلافيتشك ، وفى اتليه القاهرة معرض الفنان احمد الرشيدى .

والظاهرة المشتركة فى انتاج الفنانين المصريين بمعارضهم، هى المحاولات التجريبية للوصول الى اسلوب وطابع مميزين، مع معالجة الموضوعات العامة من خلال واقعنيا . وكان الاهتمام بالتشكيل والاسلوب هما الصفتان المميزتان لهذه المحاولات مع الجنوح الى التجريد فى اغلب الاحيان .

● معرض ليلى عزت

قدمت ليلى عزت معرضها الثالث بقاعة اخناتون ، وكان معرضها الاول عام ١٩٥٨ والثانى فى ١٩٦٥ . وفى معرضها الاخير قدمت ٤٣ لوحة تنحو فيه نحو التجريد مع التزامها بالتشخيص دون التفاصيل ، والتنغيم اللونى فى صفاء شاعرى . وقدمت الفنانة بعض الموضوعات العامة عن الريف وشكلت بعض العلاقات بالخيول فى بعض من لوحاتها ، والقطط فى لوحات اخرى ، وامتازت برقة اللون الازرق العام فى لوحة منها وهى القط الازرق . ومن اجمل لوحات الفنانه الزهور والجرات الفارغة وبدوية .

● معرض الفنانين المتفرغين

وفى قاعة الفنون الجميلة قدم اربعة من الفنانين المتفرغين اعمالهم هم : انجى افلاطون ورمسيس يونان ، ومصطفى احمد ، والمثال محمود مرسى .

وفى هذا المعرض قدمت الفنانة انجى افلاطون ٣٠ لوحة فى مختلف الموضوعات البيئية . وهى تعبر عن موضوعاتها بألوان صارخة مبهجة مع الاسراف احيانا فى استخدام الالوان الفاقعة . وقد اتخذت الفنانة النخيل فى بعض لوحاتها كعناصر للتنغيم والتكوين المتماسك .

وقدم الفنان رمسيس يونان ٩ لوحات ، بالاسلوب الذى ينفرد به من خلال المدرسة التجريدية . ولوحات رمسيس يونان تقدم لنا عالمه الخاص الملىء بالتجاويف والمنحنيات الحادة والكهوف الوعرة مع التعمق فى اللون واكتشاف اسراره .

وقدم الفنان مصطفى احمد ١٨ لوحة وهى من الاعمال الواضحة فى المعرض . ويهتم الفنان بالكتلة اهتماما بالغا بالوان قاتمة وخشنة والوان الصخر والارض هى اللون العام فى لوحاته ، وتكويناته راسخة ثقيلة . ويتم كل هذا فى اطار التجريد بالرغم من التزامه احيانا بالتشخيص الذى يخدم تكوينه مثل لوحة الرحيل من النوبة وعاصفة على النوبة .

وقدم الفنان محمود مرسى ١٣ قطعة من النحت كلها من الجرانيت والرخام . وقد استخدم هاتين المادتين بتصرف ومنطق فى التكوين ، وتطويع المادة المستخدمة لتعطى درجات لونية ملائمة للتمثال وموضوعه ، وتمتاز اعمال الفنان بالرقة والانسياب .

● معرض أساتذة وطلبة معهد ليوناردو دافنشى

وقدم اساتذة وطلبة معهد ليوناردو دافنشى ٤٩ لوحة بقاعة اخناتون . وقد اشترك فى هذا المعرض خمسة اساتذة من الفنانين المعروفين وبلغت مجموع اعمالهم ٢٨ لوحة .. واشترك سبعة من طلاب وطلبة المعهد بواحد وعشرين لوحة.

والمعرض لا تجمعه وحدة فى الموضوع ولكنها انطباعات كل فنان على حدة ، وهو حصيلة من الاتجاهات والمدارس المختلفة مما يؤكد حرية الطالب فى اختيار الطريق الذى يسلكه بعيدا من فرض اسلوب معين من الاساتذة . واعمال الطلبة فى مجموعها محاولات متعددة فى الاتجاه التجريدى والتكعيبى مع التزام بعض الطلبة بالدراسة الاكاديمية ، ومعظم اللوحات التى قدمها الطلبة لوحات زخرفية .

ومن الاساتذة قدمت الفنانة ايما كالى عياد بعض اعمالها

الحديثة منها المسرح ، ونشوق البخت ؛ وقدم توليو كرالى بعض الاسكتشات التجريدية ، واشترك ايضا كل من الفنانين عبد العزيز درويش بالوانه الساطعة فى لوحه منظر وتكوينه المريض . وسيد عبد الرسول بوحداته الشعبية مع اضافات عناصر فارسية . وانطونيو بافونى قدم بعض اعماله تختلف فيه المستويات بشكل واضح كما يبدو من لوحة مبنى الكوليزيوم تقابله لوحة فلاحة عربية وهى دون المستوى .

معرض أحمد الرشيدى

وقدم الفنان احمد الرشيدى معرضه الرابع باتيليه القاهرة . والمعرض يضم ١٣ لوحة ومجموعة اسكتشات . ويهتم الفنان بتوزيع الكتلة على مساحة السطح مع اسقاط ابعاد المنظور من حساب التكوين .. واستكماله بشاعرية فى اللون ، مع خلفية واضحة اللون تحدد شكل الكتله . ومن اهم اعماله لوحة مراكب ، وغروب ،بورزيه.

معرض يان سلافيتشك

واقام الضيف التشيكوسلوفاكى الفنان يان سلافيتشك معرضه بالمركز الثقافى التشيكوسلوفاكى . وقدم لنا ٣٩ لوحة من اعمال . والفنان « ٦٦ سنة » حائز على لقب الفنان القدير وجائزة الدولة وميداليات من المعرض العالمى فى بروكسل ، وباريس عام ١٩٣٧ والجائزة القومية فى معرض عام ١٩٥٨ بمتحف جوجنهايم ، كما اشترك فى كثير من المعارض فى اوربا .

وقد بدأ الفنان حياته الفنية الاولى - من ١٩٢٩ الى ١٩٣٥ - فى محاولات تجريدية متاثرا بالفنان « براك » ولكنه التزم فى النهاية بالاسلوب الواقعى ولم يستغرق نفسه وراء الشكل او الأسلوب .. ولكن اعماله تعبر دائما عن مضمون مرئى بشاعرية فنان مرهفة تحس فيه بحب واخلاص صادقين لعناصر الحياة واحترامها . وخاصة عندما يقدم لوحته براج فى الصيف ، وقصر هردتشانى فى الشتاء .

كما قدم الفنان باقة من اعماله بالالوان المائية وسيبيا والطباشير وكلها انطباعات سريعة عن فينسيا والبارتينون وكابرى والريفييرا وبراج ومعابد يونانية فى بيستوم .. وكلها تشهد بمهارة وحساسية نادرة لاستخدام هذه المواد .

تعليق

« التفرغ » ... والقطاع العام

قدمت الادارة العامة للفنون الجميلة فى الشهر الماضى ، معرضا لاعمال اربعة من الفنانين التشكيليين المتفرغين . واختارت « لجنة المقتنيات » بعض اللوحات من اعمال الفنانين العارضين لشرائها .

ويجدر بنا بهذه المناسبة ان تستوضح بعض النقط التى من اجلها قام «التفرغ» ..واخص هنا الفنانين التشكيليين .

لقد صدر قانون تشكيل « ادارة التفرغ » فى عام ١٩٥٩ .. اى منذ ست سنوات مضت. وبالرغم من هذه السنوات الست لم تشعر ببصمات المتفرغين على حركتنا الفنية .. وما زالت اصوات النقاد والمهتمين بالفنون التشكيلية تنطلق من حين لاخر عن شىء اسمه « ازمة الفنون التشكيلية » .

ولست هنا أحمل « ادارة التفرغ » والمتفرغين اوزار تخلف حركتنا الفنية ... ولكننى احملها واجب القيادة ووضع ملامح الطريق من خلال انتاج المتفرغين ، كمثل ينتهجه الفنانون عامة .

وذلك لان « التفرغ » ليس اتاحة الفرصة للفنان ، للخلق والابداع فقط ، ولكن يجب ان يضاف الى ذلك ضرورة التزام الفنان ووعيه السياسى بظروف المجتمع ومقتضيات المرحلة التى نجتازها . وهذا مايجب ان تحرص الدولة عليه ويحرص عليه الذين يمثلون الدولة فى ادارة التفرغ عند اختيار الفنان الذى يجب ان يتمتع « بالتفرغ » .

بمعنى انه اذا كانت الثقافة والفنون فى المجتمعات التى تتحول الى الاشتراكية تاخذ شكلا من اشكال الخدمات العامة . . اذن يكون الواجب الاساسى للمسئولين فى « ادارة التفرغ » هو تعميق هذا الهدف .. والعمل على اشهار اعمال الفنانين المتفرغين وانتشارها فى المحافظات والاقاليم والقرى والحدائق والمصانع والمؤسسات .. اى توصيل الفن الى الجماهير ليس هذا فقط ، ولكن ليقول كلمته ايضا فى مجتمعنا الجديد ويعكس بصدق مايتحقق فى بلادنا على الطريق الاشتراكى .. بلغة يفهمها شعبنا ويتذوقها ، وليس برطانة او لكنة يقف امامها حائرا ؛

ولست هنا ادعو الى رفض التيارات الحديثة فى الفن .. او التنازل عن القيم الجمالية للعمل الفنى .. ولكننى اقول ببساطة انه مع الاحتفاظ بالقيم الجمالية واحترام التشكيل مع الابداع والخلق ، يجب ان يكون فى اطار المفهوم الاشتراكى والدعوة للمجتمع الاشتراكى .. ولا يجب ان يتحول التفرغ الى مجرد اكاديمية او «اتيليه» خاص يمارس فيه الفنان التعبير عن ذاته بمعزل عن مجتمعه

واذا كان الشعب هو الذى يمول التفرغ فلا بد ان يتمتع ويستفيد بعائد التفرغ ... وبالتالى لابد للدولة ان تقف نفس الموقف الذى تتخذه مع القطاع العام . فالدولة تترك القطاع الخاص ينتج ويساهم فى عملية البناء..ولكنها تحتضن القطاع العام وتخصه برعايتها وتقويه وتدعمه ، كذلك لابد ان يمتد نفس الموقف بالنسبة للثقافة والفنون .. يجب ان تحتضن وتنحاز للانتاج الفنى الذى يأخذ جانب الشعب، وتدعمه وخاصة فى مؤسساتها ، وادارة التفرغ واحدة منها . وان تترك المدارس والمذاهب التى تعتبر غريبة على مفهوم الجماهير تنمو وتمارس نشاطها بعيدة عن اموال الشعب.

لقد ساقنى الى هذا الحديث افشاءى ان الفنانين التشكيليين هم اكثر الفئات المدللة فى « التفرغ » .. فالدولة تصرف لهم مكافآت شهرية تبلغ ١٠٦٠ جنيها ، مقابل ٩٤٥ جنيها فى مجال الادب و٢٠٠ جنيها فى مجال الموسيقى « وذلك حسب مانشر عن مكافآت اواخر العام الماضى »

اى ان الفنانين التشكيليين تخصهم الدولة بأكثر من ١٢ الف جنيه سنويا .. بخلاف الالاف فى المؤسسات الفنية الاخرى ..وبالاضافة الى ان « لجنة المقتنيات » تشترى دائما من انتاج المتفرغين .. هذا بالرغم من تعديل قانون التفرغ الصادر فى مارس ١٩٦٠ والذى يقضى بالنص :

« كما يلتزم المتفرغ بان يقدم لوزارة الثقافة والارشاد القومى انتاجه الذى قام به فى مدة التفرغ ولا يتصرف فيه بالبيع .. او النشر .. او اية وسيلة اخرى .. الا بعد انقضاء شهرين على مدة المنحة »

وبالرغم من مخالفة « ادارة التفرغ » ولجنة «المقتنيات» لهذا النص. .وبالرغم من الالاف الجنيهات التى تنفق على تفرغ الفنانين التشكيليين فما زال مفهوم ادارة التفرغ ان يعيش الفنانون فى برج بمعزل عن الجمهور محصور بين قصر المانسترلى .. واخيرا قاعة الفنون الجميلة بميدان الازهار .. وما زالت اصوات النقاد والمهتمين بالفنون تنطلق بالحديث عن « ازمة الفنون التشكيلية » .

عبد المنعم القصاص



صوت من القاعدة

الصراع الفكرى بين الشباب

يكتبه هذا العدد
السيد بحيرى
صيدلة القاهرة

فى مقال الدكتور فؤاد زكريا عن «السلبية وكرة القدم والصراع الفكرى بين الشباب» (عدد فبراير سنة ١٩٦٦) يتحدث الدكتور عن مشكلة السلبية . وأنا أتفق معه فى تحديده لهذه المشكلة ، اذ انها — فى رأيى — مشكلة المشاكل التى يعانيها شبابنا اليوم . ولكن تحديد المشكلة ليس — فى النهاية — كل شىء فليس التواكل ، هو الذى دفع الشباب الى ترك المشكلات السياسية لبلادهم بل خلو البلاد من تنظيمات للشباب مؤمنة بالغد الذى تصنعه ، بالاضافة الى الانتهازية التى استطاعت التنز الى مجالات الشباب المختلفة ، كل هذا شارك الى حد كبير فى سلبية الشباب وعزوفه من العمل السياسى ، وليس بعد ذلك صحيحا مايمكن ان يردد من ان شبابنا ليست لديه القابلية للعمل السياسى بما يمكن ان يخدم — بشكل او بآخر — العمل الثورى فى شتى مراحله .

وهذا فى الواقع ماكان يجب تداركه — ولقد كانت احدى النقاط الخمس التى اثارها المناضل جمال عبد الناصر اثر

قبوله الترشيح لرئاسة الجمهورية فى المرحلة الحالية ان«المهمة الاساسية التى يجب ان نضعها نصب اعيننا فى المرحلة القادمة ، هى ان نمهد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع مجالاتها السياسية والاقتصادية والفكرية» *

واذا كنا قد حددنا سبب السلبية ، فلناتى بعد ذلك لظواهرها . وكما يقول الدكتور كاتب المقال «وما علينا الا ان نتأمل الشباب من حولنا باعين فاحصة لنجد شواهد قاطعة على وجود هذا النزوع الى السلبية» *

ظاهرة الارهاب . ويدرك كاتب المقال انه اذا ما كان هناك فراغ فكرى ، فمن الممكن ان يسد هذا الفراغ بأى شىء . ولو ادركنا أن الرجعية ما زالت متمكنة فى بلادنا تسعى دائما الى خلق المناخ الملائم لبث سمومها ، فلا شك ان الشباب سيقع فريسة سهلة لكل هذه الافاعيل .

والجامعة هنا — فى رأيى — لابد وان توضع فى قفص الاتهام ، فهى الى حد كبير مشاركة فى هذه الظاهرة . واذا كان طلبة الجامعة وخريجوها فى بلادنا ، يمثلون قطاعا لابأس به من شبابنا ، فان السلبية متفشية فيهم أكثر من غيرهم *

والقياديون فى الجامعة ما زالوا يفهمون دور الجامعة على انه ذلك الدور الاكاديمى وحسب . ليس اكثر من مناهج تعدل حسبما يتطلبه الوضع المتطور . وامام هذا وقع بعض طلبة الجامعة وخريجيها فى شباك الرجعية كصيد سهل . وليس صحيحا بعد ذلك ان هناك «مشكلات نفسية عميقة الغور» بل اعتقد ان الشباب اصحاء النفس اكثر مما يتصور البعض . بيد ان الافكار المظلمة قد استطاعت التسرب بطريق اوبآخر لتخرب من فكر هذا الشباب *

ثم نأتى لظاهرة كرة القدم * واوافق كاتب المقال على ان الظاهرة اخطر من ان تستبعد بسهولة . بل انها تدخل فى صميم الموضوع الذى نعالجه ، لانها من اوضح مظاهر السلبية الفكرية فى بلادنا خاصة بين الشباب . وكما قلت اذا ما كان هناك فراغ فمن الممكن ان يسد باى شىء . وكان هذا «الشىء» هو كرة القدم، ولا احد يفكر ان وسائل الأعلام لعبت الدور الكبير فى بزوغ هذه الظاهرة . واستطاعت الرجعية ايضا — فى رأيى — ان تنفذ الى مثل هذه الظاهرة . ولا اعتقد اننى سأكون مغاليا لو قلت انها كانت من مخطط الرجعية ، ولقد تحول كثير من كتابنا — بقدرة قادر — الى نقاد كرة القدم تفرد لهم الصفحات الطوال فيما يخدم اولا يخدم واصبحت الصحف تصدر ما يقرب من نصف صفحاتها عن الكرة ولاعبيها . بينما كان العلم والادب والفكر بوجه عام ، شيوئا ثلث الثلث على الصحف * واذا كنا نتصور أن هناك من سيقرأ ثلاث صفحات كاملة عن الكرة ، فكيف نتصور انه سيقرأ بعد ذلك كلمة واحدة عن اى شىء آخر *

ثم انتقل الى الجوانب الايجابية للصراع الفكرى «الذى يمكن ان يسفر عن اعظم النتائج لو اتيحت له الظروف الملائمة» *. فمشكلة البحث عن الشخصية القومية قد حلت اصلا ، ولم تعد تثير نوعا من الصراع . ولكن الصراع اليوم عن كيفية ابراز هذه الشخصية فى انقى ثوب يمكن ان تبدو فيه *

ولا أدرى لماذا حاول الدكتور كاتب المقال اقحام الشباب فى مشكلة اكاديمية بحته ، بدأ بمناقشتها فى مقال سابق له بمجلة « الفكر المعاصر » تحت عنوان «نحن وثقافة الغرب» . وهى مشكلة — فى رأيى — لا وجود لها اصلا . واقول اولا : ليس ثمة شباب من هؤلاء الذين وصفهم الكاتب بالناضجين يقول « ان العصر الذهبى انما ينحصر فى الماضى وحده وان افضل سبيل الى النهوض هو الرجوع الى عهد مضى . فهذا الموضوع قد رفضناه اصلا . بل لسنا نحن الشباب الذين رفضوه بل ان جيل العشرينات قد حمل على عاتقه هذه الرسالة وادى دوره فيها بأمانة وصدق . وليس معنى هذا اننا قد رفضنا التراث من اساسه . بل ان كل جيل لا يمكن ان يكون فكره الا امتدادا لافكار اجيال سبقته . ومن هنا تبدو اهمية التراث كعامل فعال فى معركتنا من اجل ابراز الشخصية القومية . ولكننا نؤمن — ايضا — ان من حق كل جيل ، ان يراجع الاجيال التى قبله *

أما بالنسبة «للاتجاه الآخر فى هذا الصراع الايجابى عن مقومات الشخصية القومية وسط القيادات العالمية السائدة فى عالم اليوم» ، فهو اتجاه لا وجود له بيننا . لسبب بسيط هو اننا حددنا ماهيتنا وسط هذه التيارات . وكان الميثاق نظرية متكاملة . واذا كنا نلتزم بهذه النظرية ، فهو التزام قائم على الاقتناع اساسا بأنها انبثقت من واقعنا الحى وليس على أساس فكرة «الخضوع للسلطة» واذا كنا نتتبع التيارات العالمية المتضاربة والانشقاق فى الايديولوجيات المختلفة ، فليس ذلك لاننا تائهون نبحث عن شخصيتنا القومية وسط هذا التضارب والانشقاق . ولكن ايمانا منا بأن العزلة فى عالم خلا من الحدود اصبحت اليوم مستحيلة ، وان التأثير المتبادل محتم *

وخلاصة القول ان مثل هذين الاتجاهين لم يعد لهما وجود بين جيل الشباب وان كانا سائدين فى مخلفات الاجيال السابقة وورثتهم من جيلنا اليوم *

وبقى اخيرا ، سؤال : ماهو الجانب الايجابى فى الصراع الفكرى الدائر اليوم فى قطاع الشباب ، وبعد ١٩٥٢ ، حيث اصبحت الكلمة والحرية ولقمة العيش فى متناول اليد ، كان المفكرون فى مصر — او هكذا يجب ان نسميهم — اما واحدا من جيل العشرينات يخاطب الناس من عليائه بعد ان حطمه الثبات — اى عدم القدرة على التطور — او ان الطريق الطويل قد انهك قواه . فراح يحارب الجديد فى كل صوره حتى فى امتداد آرائه هو . وبدأ يحطم نفسه فى ظل الحفاظ عليها . ومن هؤلاء ، من اكتفى ببسمة وايماءة ثم حيا الجموع وصمت . ومنهم ، الدين ذبل فكرهم فيجيئ تعبيرهم عن الثورة خافتا لا اثر له ، ومنهم من اتجه الى الفترة التى كبتت مشاعره — اى الى فترة ما قبل الثورة — ليصفيها ، وما زال حتى اليوم يبدو وكأنه سيظل يصفيها الى الابد . ومنهم ، من كان بورجوازيا فى نزعاته ، ففى نفس الوقت الذى كنا نبنى فيه السد العالى بدم شهداء السويس ، كان يكتب فى الجنس ، ما شاء له لا تدرى لمن يكتب؟ ولماذا يكتب ؟ وما قيمة ما يكتب ؟ *

وانصافا للواقع والتاريخ ، لم يكن هؤلاء هم كل شىء . فقد كان هناك فكرا جديدا يأخذ طريقه فى هدوء ولكن فى ثقة ايضا *

وباختصار ، فان الثورة الفكرية لم تواكب الثورة السياسية او الاجتماعية بالرغم مما كتب — وما اكثره — وماصدر من كتب ومطبوعات . حتى صار شعارا يحفظه البعض «كتاب كل ست ساعات» وامتلأت المكتبات بكتب لا اول لها ولا آخر ولقد اساءت معظم هذه الكتب — فى رأيى — اكثر مما افادت *

وهكذا ، برزت الصورة أمام الشباب داكنة اكثر مما يتصور البعض . وادرك ساعتها ان المعركة امامه ضارية ، وان الرجعية المتشبثة بالقديم عادت لتردد مفاهيم وشعارات سبق لجيل العشرينات ان دفعها وقضى عليها *

ان الصراع الفكرى ، قضية يشهدها التاريخ فى كل مراحله ، فهو صراع بين القديم البالى والجديد المتطور . والشباب اليوم ، بتفكيره المنطلق ، سيرجع الى تراثه ، يقيمه على ضوء من تجربته الخاصة . وسيتابع دوما ما انتجته الحضارات الانسانية وما تنتجه ليتقبل منها ما يتقبله ويرفض ما لا يتلاءم معه من اجل ابراز شخصيته القومية . واذا كان ذلك قاصرا على مجموعة ما يسميهم المقال بالناضجين ، فلاحرى من أن ينطلق الشباب — كل الشباب — اليوم ليشهد هذه المعركة ويشارك فيها . فهى معركة تلفظ فيها الرجعية انفاسها الاخيرة لتخلى الطريق لفكر انسانى جديد *

اقتراح للمكاتب التنفيذية

كتب المواطن عبد الستار ابو الوفا عبد اللطيف من وحدة المريس ارمنت «قنا» ، يقول فى رسالة بعث بها للطليعة

«لاشك أن قرار انشاء المكاتب التنفيذية من اهم القرارات الثورية التى اتخذها القائد عبد الناصر ، وطبيعى ان هذا القرار كان اجراء حتميا فرضته ظروف المرحلة الثورية التى نمر بها وحتى يقوم الاتحاد الاشتراكى بتبعاته الضخمة من أجل حماية المكاسب الشعبية .

وطبيعى ان يكون من اولى مهام هذه المكاتب تحريك الحوافز لدى الجماهير حتى يسهل عليها أمر ايجاد الحلول الذاتية لمشاكلها . والى جانب هذه المهام ، الالتحام بالجماهير لمعرفة مدى حاجتها من العمل السياسى والاجتماعى وبلورة هذه المطالب

واقترح ان تضاف الى اختصاصات هذه المكاتب مهمة التفتيش على اشتراكات اعضاء الاتحاد الاشتراكى فى القرى والمدن وعمل اللازم نحو استبعاد الاشخاص الذين لم يسددوا قيمة اشتراكاتهم طبقا لقانون الاتحاد الاشتراكى . وكذلك ان تطلع على محاضر جلسات اللجان وعمل تقييم لهذه المحاضر وتقييم اعمال اللجان التى تتخذ الحلول الذاتية كوسيلة بناءة لحل مشاكلها . كذلك أن تتأكد من اجتماع اللجان فى المواعيد التى نص عليها قانون الاتحاد الاشتراكى وعمل احصائية عن الاعضاء الذين لا يحضرون اجتماعات اللجان . كل هذه الامور من شأنها أن تمد التنظيم بطاقات خلاقة من العمل والنشاط وتجعل اعضاءه يشعرون بمسئولياتهم من أجل الجماهير التى اولتهم ثقتهـا .

كما أقترح أن تتعرف هذه المكاتب على كل ما يعوق تقدم الانتاج المحلى وتوعية الجماهير بالمشاركة الجدية فى تنفيذ المشروعات التى فى مقدور أهل القرية او المدينة القيام بها .»

●

محاكمات العرابيين .. ورسالة من حفيد عبد العال حلمى

كتب المواطن فاروق عشماوى حشيش الطالب بكلية العلوم جامعة عين شمس وحفيد الزعيم عبد العال حلمى حشيش ، فى رسالته للطليعة يقول :

«قرأت بالتفصيل نص المحاكمة الخاصة بالزعيم احمد عرابى وسعدت كثيرا لهذه الخطوة الجريئة بنشر هذه الوثائق الحقيقية .. وياليتنى أقرأ تفاصيل المحاكمة الخاصة بزملاء الزعيم أحمد عرابى . لقد بح صوتى مع كثير من الكتاب حول المواضيع الخاصة بالثورة العرابية .. وللأسف الشديد كانوا يتمسكون برأيهم رغم أنهم خاطئين .

وباسم أسرة عبد العال حلمى ، تقدمت لاكثر من جهة لاكتب ما نشر كثيرا من قبل حول الزعماء العرابيين .. ولكن هذا كله ذهب هباء لدرجة ان كاتبا كبيرا بمجلة مشهورة كذبنى وقال لى «ان عبد العال حلمى ولد بالمنصورة ولم يولد بأبى مشهور» . مع ان أسرة عبد العال حلمى موجودة حتى اليوم بأبى مشهور ولم تغادرها رغم ان جميع ممتلكاتها اغتصبت فى العهد البائد ولم ترد اليهم . لذلك كنت قد قررت — انا وبقية افراد الاسرة — الا نفتح فمنا فى هذا الموضوع . وبعد ان اتصلت بالدكتور محمد انيس قال لى «حقا ان التاريخ الحديث لبلادنا فى حاجة الى مثالية وتطوير» وفى حاجة الى منع الايدى العابثة من التحكم فيه ليصبح التاريخ الحديث معبرا عن معناه الحقيقى» .

وربما اكون قد تحدثت عن هذا الموضوع باختصار ، ولا داعى للسرد . ومرة أخرى نرجو نشر باقى محاكمات الزعماء العرابيين ليتسنى للجميع فهم حقيقة موقف هؤلاء الابطال ودورهم التاريخى .

الطليعة : اننا نعتقد باهمية اعادة كتابة تاريخنا الحديث وتصحيحه ، علميا ، لانه تعرض للتحريف والتشويه . اما بقية محاكمات الزعماء العرابيين فان الطليعة ستنشرها كاملة مساهمة منها فى اعطاء الصورة الكاملة والحقيقية عن دور زعماء الثورة العرابية واستجابة الى الرسائل العديدة التى وافتنا .

نقد للطليعة

وجاء فى رسالة للمواطن عبد المعبود على موسى كلية التجارة جامعة الازهر ، كتبها للطليعة يقول فيها :

«... وما اريد ان أوجهه من نقد يتحدد فى موضوع الوثائق واخص بذلك ما نشر من وثائق التعليم فى مصر من ١٨٨٠ الى ١٩٦٤ . فلقد تناول ما نشر ، التعليم العام ، ونسى ان يذكر التعليم الدينى الازهرى .

.. والتاريخ يحفظ للازهر وابنائه وعلمائه الدور البطولى فى قضية بلادنا سواء ما قبل الثورة او مابعدها .. فهل ننسى كيف وقف الزعيم عبد الناصر فوق منبر الازهر يعلن للعالم اجمع كلمة الحق والتضحية .

.. افبعد كل ذلك نضن عليه ، ان ننشر وثائق تطور التعليم فيه حتى يعلم الجميع ماضى وحاضر ومستقبل هذا التعليم الذى صنع وما زال يصنع الابطال والرجال .

.. هذا وقد تناولت الثورة معاهد الازهر وجامعته بالاصلاح والتطوير . ولهذا آمل من الطليعة ان تتناول مثل هذا بعناية تامة حتى لا نهضم حقوقا مكفولة يعيش اصحابها بيننا .

وانا كطالب من طلبة الجامعة الازهرية لا ادرى ما هو السبب فى اهمال الحديث فى الوثائق عن الازهر ودوره فى التعليم وتطوره . أهو عن نسيان أم عن قصد ؟ اما اذا كان قصد فلا ارى ما يبرره الا اذا كان هناك شيئا ما . ارجو ايضاح هذا .

الطليعة : ليس كل ما لم تستطع الطليعة نشره ، يعنى انه لا يحظى باهتمامنا ، والا اصبح ذلك مقياسا خطيرا وغير موضوعى ضد كل الصحف والمجلات . اما عن وثائق التعليم فالطليعة لم تقدم جميع الوثائق الخاصة بتطور اشكال التعليم فى بلادنا — عاما كان او دينيا — اذ ان تغطية كل ما يختص بالتعليم يقتضى ملء مجلدات

طابع جديد لمجلة المحاماة

تلقت الطليعة من نقابة المحامين ، **العدد الثانى** من مجلة « **المحاماة** » التى تصدرها النقابة . وقد تضمن العدد جانبا من المحاضرات التى القيت فى الحلقة الدراسية الاولى للمحامين وكانت نقابة المحامين قد نظمت هذه الحلقة بهدف تنظيم مناقشات دراسية حول أهم القضايا القومية والفكرية المعاصرة

وتناول محاضرة « **نشوء وتطور النظام الراسمالى** » التى القاها الدكتور **ابراهيم سعد الدين** ، « بعض الملاحظات الاساسية على فهم طبيعة هذا النظام . والدور الذى لعبه فى تاريخ المجتمع البشرى والتناقضات الاساسية الذى تسود فيه وطبيعة النظام الراسمالى العالمى فى الفترة الحالية من فترات التطور » . وختم الدكتور ابراهيم سعدالدين محاضرته مؤكدا « أن ما طرأ من تغيرات على الرأسمالية المعاصرة ، وإن غير من بعض أساليبها ، ومن بعض سياساتها وأجبرها على تصرفات تتناقض فى بعض الاحيان مع طبيعة النظام الرأسمالى ذاته ، فانه لم يقلل من حدة التناقضات التى يعانى منها النظام الرأسمالى المعاصر » .

و « **فى حتمية الحل الاشتراكى** » تناول الدكتور ابراهيم سعد الدين فى محاضرته الثانية ، « دراسة التطبيق العربى للاشتراكية وتفهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة فى الجمهورية العربية المتحدة » . وعالج عددا من الاسئلة المطروحة وهى « ماذا نعنى بالحل الاشتراكى ؟ وما هى طبيعته وأسسه ؟ — ما هى الحلول البديلة للحل الاشتراكى ؟ وبمعنى آخر ما هو الحل الراسمالى وما هو طبيعته ؟ — ماذا نعنى بالحتمية التاريخية وان الحل الاشتراكى لم يكن افتراضا قائما على الانتقاء الاختيارى ؟ — ما هى الاشتراكية العلمية وما هى مفهوماتها الاساسية ؟ — ما هى أهم مميزات التطبيق الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة ؟ » .

وتدور محاضرته الثالثة حول « **فترة التحول الاشتراكى مفهومها واهميتها لبناء الاشتراكية** » وتناول فيها ضرورة مرحلة الانتقال والمهام الاقتصادية الاساسية فى مرحلة التحول ثم المهام السياسية فيها والمهام الاساسية فى الميدان الفكرى .

ثم تعرض « **المحاماة** » لمحاضرة **الدكتور محمد الخفيف** عن « **مفهوم الديمقراطية فى مجتمعنا** » التى تناولت ظهور الديمقراطية « بشكلها الجنينى الاول » فى مصر وارتباطها بالملكية وكفاح الشعب ضد الطبقات الاستغلالية . ثم يتناول الدكتور الخفيف فى محاضرته «الحل الذى تقدمه ثورة يوليو لقضية الديمقراطية» ونظرتها الى الديمقراطية «كجزء من كل » . ثم يعرض لممارسة الديمقراطية فى الجمهورية العربية المتحدة ويتحدث عن الاتحاد الاشتراكى والصراع الطبقى ووسائل العمل الديمقراطى وديمقراطية الانتاج . ثم يركز عن « ماذا نعنى بديمقراطية الانتاج ؟ »

وعن « **التنظيمات السياسية** » تحدث الدكتور الخفيف فى محاضرته الثانية عارضا لمفهوم الحزب ومفهوم الجبهة ثم عرض «للتنظيم السياسى بين الرجعية والثورية» . وانتقل فى محاضرته الثالثة « **تحالف قوى الشعب** » الى مناقشة الظروف العالمية فى النصف الثانى من القرن العشرين ثم الظروف المحلية العامة للبلاد الافريقية ليصل الى مناقشة تحالف الشعب فى الجمهورية العربية عارضا لهيئة التحرير والاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى .

ونشرت « **المحاماة** » المحاضرة التى القاها الدكتور **نجيب اسكندر ابراهيم** فى الحلقة الدراسية للمحامين ، عن «**السلوك الاجتماعى وتغيره** » مناقشا فيها معنى السلوك الاجتماعى واكتسابه وعلاقته بالعمل من خلال الحديث عن طبقة العبيد وطبقة رقيق الارض وطبقة العمال الصناعيين وطبقة ملاك العبيد وملاك الارض والطبقة الراسمالية . وختم محاضرته بمناقشة الصورة الدينية للسلوك الاجتماعى .

وعن « **المجتمع وعناصر تكوينه** » تعرض « **المحاماة** » للمحاضرة الثانية للدكتور نجيب اسكندر والتى ناقش فيها التخصص وتقسيم العمل ثم المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والقانون ومؤسسة الاسرة . ثم ناقش مفهوم « **القيم** » . وانتهت محاضرته بمناقشته لتداخل العلاقات الاجتماعية وعناصر بناء المجتمع .

وتليها محاضرة **الدكتور عبد الرازق حسن** عن « **اقتصادنا القومى** » الذى قدم لها بمدخل عن عناصر الاقتصاد القومى . ثم عرض — فى تحليل سريع — لتركيب الدخل القومى ومصادره . وبعد ذلك تحدث عن دور العمال فى اقتصادنا القومى وختم محاضرته بالحديث عن ميزان المدفوعات والميزانية العامة للدولة .

وعن « **الميثاق الوطنى** » تحدث **لطفى الخولى** فى محاضرته طارحا عددا من الاسئلة حول « ماهية الميثاق » كظاهرة فكرية جديدة فى مجتمعنا . ثم حدد السمات الرئيسية التى تتميز بها الثورة المزدوجة عن الثورات الاخرى . وبعد ذلك تعرض للمفهوم الاستراتيجية والتاكتيك مناقشا « الاشتراكية البعيدة المدى فى الميثاق » و « الاستراتيجية القريبة المدى فى الميثاق » خاتما محاضرته بالحديث عن « ماذا بعد ١٩٧٠ » لينهيها بقوله «ان الاصرار وحده على الخط السليم ، على الالتزام بالميثاق وعلى التمسك بالحقوق ، وعلى الالتزام بالعمل السياسى الثورى داخل الاتحاد الاشتراكى ، هو الذى سيجعل الميثاق حقيقة واقعة مجسمة » .

وفى آخر عددها الثانى ، نشرت « **المحاماة** » محاضرة **الدكتور ابراهيم صقر** عن « **التحديات التى واجهتها الثورة وكيف امكن التغلب عليها** » . فبدأ محاضرته بالحديث عن الوضع الدولى بعد الحرب العالمية الثانية وسياسة الاحلاف العسكرية والاحلاف وبلاد « المجموعة الثالثة » . ثم تعرض للحديث عن الحياد الايجابى وعدم الانحياز ومعركة الفداء للاحلاف العدوانية التى خاضتها الثورة فى مصر . ثم تطرق الى مؤتمر باندونج ومواجهة الضغط الاستعمارى وكسر احتكار السلاح وما أعقب هذه المعارك من مد قومى عربى . وفى القسم الثانى من محاضرته تعرض الدكتور ابراهيم صقر الى تأميم القناة وحرب السويس ووحدة مصر وسوريا . وفى القسم الثالث والاخير من محاضرته ناقش تجربة الوحدة والصراع ضد الاستعمار القديم والجديد وسعى الجمهورية العربية المتحدة الدائم لاقرار وتدعيم السلام فى العالم . وختم محاضرته بالحديث عن معركة فلسطين ووحدة العمل العربى .

وفى نهاية عددها الثانى ، نشرت «**المحاماة**» لوسائل الاتصال بالجماهير » واهمية الالتحام بها .

●

بيان الهيئة العامة للاتحاد الوطنى لطلبة المغرب

تلقت الطليعة البيان التالى من الهيئة العامة للاتحاد الوطنى لطلبة المغرب فرع القاهرة :

« نحن اعضاء الهيئة العامة للاتحاد الوطنى لطلبة المغرب فرع القاهرة المجتمعون بمقر الاتحاد بتاريخ ١٩٦٦/١/٣١ ، بعد دراسة موضوعية وصريحة للظروف والملابسات التى ادت الى احتطاف المناضل الكبير المهدى بن بركة صباح يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ . وبناء على مرور أربعة أشهر على هذا الحادث المفجع ، وبناء على التطورات الاخيرة التى كشفتها العدالة الفرنسية والتى ادت الى اصدار أوامر دولية بالقاء القبض على أوفقير والدليمى والشتوكى لاشتراكهم تخطيطا وتنفيذا فى هذه العملية . وبناء على هذه المواقف المتخاذلة التى وقفتها الحكومه المغربية من هذه الاوامر رغم تطلع الراى العام المغربى والدولى وانتظارهما جواب الحكومة المغربية . وبناء على أن قضية اختطاف الزعيم المغربى نعتبر امتحانا دقيقا لمستقبل العدالة فى المغرب وفى فرنسا والعالم أجمع . وبناء على أن حياة المناضل المهدى تعتبر بالنسبة لنا مثالا وقدوة من حيث اخلاصه وتفانيه فى سبيل خدمة مصلحة بلده ودفاعه عن قضايا التحرر فى كل من الوطن العربى والعالم الافريقى والامريكى اللاتينى والاسيوى : فاننا نقرر ما يلى :

اولا : نعتبر السكوت عن اظهار حقيقة خطف المناضل بن بركة والمواقف السلبية بعدم سلبية تسليم الاشخاص الذين تشير أصابع الاتهام اليهم يعتبر مشاركة فعالة فى هذه الجريمة .

ثانيا : نعلن تخوفنا على مستقبل العدالة فى المغرب الامن الذى أصبح معه اختطاف المواطنين وانتهاك حقوقهم الاساسية فى الحياة خطرا يهدد كل مغربى فى الوقت الذى تتمتع فيه عصابة من الافاقين بالحماية الكافية فى المغرب بل وتوضع تحت أيديهم كل الوسائل التى تمكنهم من تسليط ارهابهم على الشعب المغربى واسكات كل صوت يرتفع بالمطالبة بالعدالة والحرية .

ثالثا : ان مصادرة الصحف الوطنية التى تحاول أن تنير الراى العام المغربى فى حادث اختطاف المناضل الثورى المهدى بن بركة تعتبر سلب الشعب المغربى حقه المشروع فى الاطلاع على خفايا هذه الجريمه وانتهاكا صريحا للحرية العامة فى المغرب فى الوقت الذى سخرت فيه الاجهزة الدعائية فى الدولة لخدمة عصابة المتآمرين الخطافين لتضليل الشعب المغربى وحجب الحقائق منه .

رابعا : ان الاستمرار فى هذه السياسة الخرقاء التى جعلت من المغرب وكرا لرجال العصابات وحمايتهم قضاء على كل المبادىء الاساسية لمقومات الدولة والرجوع بالمغرب الى عهود التخلف المظلمة .

خامسا : نطالب بالحاح بتسليم اوفقير والدليمى والشتوكى للعدالة لتقول فيهم كلمتها ، وفتح المجال للشعب لمعرفة الحقيقة .

سادسا : نتساءل عن هدف ارسال المبعوثين للخارج ونبدى تخوفنا من أن هذه المهمة ما هى الا مناورة سافرة للتضليل ومحاولة ستر الجريمة وتمييعها فى الوقت الذى تغمض فيه الحكومة المغربية عينها من العمل الايجابى الذى يمكن أن يقنع العالم بحسن نيتها الا وهو تسليم أوفقير وأعوانه للعدالة .

الهيئة العامة للاتحاد الوطنى
لطلبة المغرب ــ فرع القاهرة

رأى فى «عضوية الملايين»

كتبت المواطنة **حميدة على راقم من اسوان** ، تعليقا على ماانشر فى عدد فبراير من **الطليعة** فى « صوت من القاعدة » **حول عضوية الملايين فى الاتحاد الاشتراكى** للمواطن **لطفى عبد اللطيف** ، عبرت فيه عن اتفاقها معه حول « الدعائم الثلاث التى حدد توافرها لاى تنظيم سياسى » . ولكنها تختلف معه فى رايه الخاص بقاعدة التنظيم الشعبى ، فتقول :

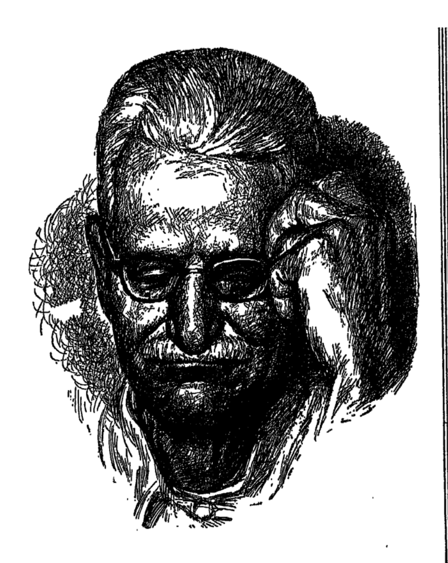
« .. ان القاعدة الواسعة نفسها هى التى استفادت من التطبيق الاشتراكى . ولذلك فهى ملزمة ــ فى رايى ــ بعضوية التنظيم الشعبى . وبالتالى يجيب ان يتسع صدر التنظيم لها ، بغض النظر من كل الاعتبارات » . وتضيف « اما من ناحية ان يجرى قادة الاتحاد الاشتراكى اختبارا للراغبين فى العضوية ، فان هذا ــ فى رايى ــ عزل لجماهير الشعب التى تعجزها ظروفها الثقافية من بلبورة افكارها » . ثم تسأل :

« ومنذ متى قام المثقفون فى بلادنا بتحقيق وحدة فكرية بينهم حتى نطالب باقى الناس بمفهوم متقارب ومصادر الثقافة مختلفة ؟ ومنذ متى قام المثقفون بقيادة القاعدة الشعبية وخدمتها دون تعال ؟ فالى الان لم يقم بين المثقفين وجماهير الشعب فى بلادنا التحام كامل » .

وترى المواطنة حميدة ان ما ينقص القاعدة « بعد ان نظمت شكليا فى الاتحاد الاشتراكى ، ان تنظم عمليا بالتوزيع السليم على مختلف لجان النشاطات بالتنظيم حتى تلتزم فعلا بالعمل التنظيمى » . ثم تقول :

« .. يجب ان نبدأ بالكادر القيادى لانه هو القلب النابض المحرك للسبعة ملايين ، وكل ما اشترطه كاتب المقال بالنسبة لاختيار القاعدة يكون سليما جدا لو طبق بالنسبة لاختيار القادة . ورغم ان ظروف الثورة فى بلادنا لم تمكن من تحضير عدد كاف من الكادر القيادى . الا ان لدينا بعضا منه وان لم يتناسب عدده مع احتياجاتنا . ولذلك فان نقطة البداية الاساسية هى تجميع كافة القيادات الاشتراكية ثم اعادة توزيعها من جديد على المجالات المختلفة . ويمكن ان تنتقل هذه القيادات الى مواقع العمل المختلفة لتكتشف قيادات جديدة وتدربها » .

وتضيف المواطنة حميدة على راقم « ورغم نظام التفرغ الحالى ورغم انه سيحقق مبدأ الالتزام للمتفرغين ، الا ان اعضاءه لم تنصهر افكارهم فى بوتقة فكرية واحدة .. ولهذا اقترح ان يوزع **اعضاء الامانة العامة للدعوة والفكر** على الاقاليم والريف بهدف تنشيط العمل واختيار العناصر النشيطه الجماهيرية وتدريبها على القيادة » .



بصمات العقاد
الفكرية والأدبية والسياسية على الواقع العربي

في الثاني عشر من شهر مارس عام ١٩٦٤ توقف قلب وعقل وقلم العقاد .

والجهود التي بذلها ((العقاد)) في حقل الفكر العربي بشتى مجالاته وفروعه، تستحق تقييما علميا وموضوعيا يوضح الجوانب الايجابية والسلبية في هذا التراث الذي اثر في مجرى الحياة العربية . وفي هذا الملف نحاول تقديم هذه الصورة المنهجية لموقف العقاد الفكري والادبي والسياسي ابان النصف القرن الاخير . فلا جدال ان هذا الموقف وانعكاساته المختلفة جزء لا ينفصل من تاريخ الفكر العربي الحديث والواقع المصري المعاصر . ولا سبيل للتعرف على هذا التاريخ وذاك الواقع الا بالدراسة الشاملة لمختلف مراحله ، المتقدمة منها والمتخلفة ، حتى نحصل في النهاية على ركيزة موضوعية راسخة نعتمد عليها في توجيه انساننا الجديد .

القسم الأول

العقاد .. مفكرا

هل العقاد مفكر ؟ قد يبدو غريبا على القارىء ان يطرح مثل هذا السؤال ، ولكنه سؤال يطرحه البعض على كل حال . واصحاب هذا السؤال يقولون ان العقاد السياسى انسان لاريب فيه ، وان العقاد الاديب فوق كل نكران ، ولكن اين هو الجديد فى ميدان الفكر الذى اضافه العقاد الى الفكر المصرى — او العربى — المعاصر ؟ ان قيلت العبقريات كان الرد ان ماورد فيها من فكر ليس جديدا على تاريخ الفكر الاسلامى ، وان ذكرت بحوثه فى الالهيات كان الرد بأن ماقاله العقاد فى هذا المجال ليس الا صورة مصغرة لما يقوله فى هذا المجال عديد من كتاب الغرب .

والحق ان العقاد السياسى هو وجه بارز فى هذه الشخصية الفريدة التى قلما يجود الزمان بنمطها ، وفى هذا الوجه صفة المناضل العنيد فى كل مراحل حياته ... عندما كان نصيرا للثورة المصرية الحديثة ، وعندما اصبح نصيرا للثورة المضادة، عندما واكب ركب التقدم ، وعندما انضم الى موكب الرجعية السياسية . فى كلا الحالين كان العقاد مناضلا عنيدا ، لم يقنع ابدا ان يكون على هامش الحياة السياسية فى مصر .

والحق ايضا ان العقاد الاديب وجه بارز ايضا فى حياته وشخصيته ، ظهر فى مصر عندما كان الادب فى الغالب الاعم سلعة هم صاحبها ان يكسوها ثوبا قشيبا لتقدم للحكام والامراء وذوى السلطان فى مناسبات المدح والعزاء والنفاق . واستطاع العقاد ان يرى للاديب والشاعر دورا اعظم من هذا واسمى ، يعود به الى نفسه ويستكشف ماهيته ويكرس فنه لاحاسيسه ونوازعه ووجدانه .

ومع ذلك فمن المغالاة ان يسأل سائل : وهل العقاد مفكر ؟ فالعقاد على الاقل صاحب نظرية فى الادب ، قد لايوافقه عليها الكثيرون او القليلون ، ولكنا لا نستطيع ان نتجاهلها . وايا كان الجديد الذى اضافه العقاد الى الفكر المصرى الحديث، فلا شك انه صاحب فكر اثر به فى الكثير من تلاميذه على القرب ومريديه على البعد . وبهذه الصفة يكون من الضرورى ان يعرض كل من يتناول العقاد لهذا الجانب فيه .

وصحيح انه لايضيف الكثير فى مجال الفكر الاسلامى والالهيات، الا انه يؤكد موقفا قديما فى صورة جديدة ، وربما طغت على هذه الصورة صفة الشاعر اكثر منها صفة العالم او الفيلسوف، ولكنها صورة جديرة بالتناول على اية حال . وللعقاد — اذا استبعدنا نظريته فى الادب — منهج فى بحوثه ودراسته للشخصيات التاريخية جدير بالتناول والنقد بعد التعريف .

وفى كثير من كتب العقاد يلخص موقفه الفكرى ازاء الكون بتاكيد موقف الايمان بقوة خالقة له ، وهو — كما يقول — ايمان بالوراثة والشعور وبالتفكير الطويل . اما الوراثة فمصدرها انه نشأ بين ابوين شديدين فى الدين ، اما الايمان بالشعور فمصدره مزاج الادب والفن عنده ، اذ انه يعتقد ان مزاج التدين ومزاج الادب والفن يلتقيان فى الحس والشعور بالغيب . وهو يعتقد وفقا لهذا فيما يسميه « **الوعى الكونى** الذى يتعلق به كل شعور بعظمة العالم وخالق هذا العالم » . اما الايمان بالتفكير فخلاصته ان تفسير الخليقة بمشيئة الخالق العالم المريد اوضح من كل تفسير تقدمه المدرسة المادية فى الفلسفة والتفكير ، وهو يرى ان نظرية التطور خرافة غير جديرة بالتصديق ، وان القول بأن المادة سابقة على الفكر **« كالقول بأن الحجر يخلق البيت وان البيت يخلق الساكن فيه ، وايسر من ذلك عقلا ان يقال ان العقل والمادة موجودان ، وان احراهما ان يسبق الاخر هو العقل .. لان المادة لا توجد ماهو افضل منها وفاقد الشىء لايعطيه »** .

تلك هى بايجاز النظرة الكونية التى انتهى اليها العقاد فى آخر مراحل حياته . ومع ذلك فالعقاد ليس بالمؤمن العادى فى عديد من المواقف . ففى ميدان الاخلاق مثلا لايؤمن العقاد ان الانسان يصنع الخير اذا كان يبتغى المثوبة **« لانه لاموجب عندى لعمل الخير غير طلب الكمال وفهم الكمال ، ولا باعث لعمل الخير اقوى من باعث الشوق الى الكمال والارتفاع بالنفس الى ما ترضاه »** .

عند هذا الحد يكون من حق القارىء ان يتساءل : اكان العقاد على هذه النظرة الواحدة الى الكون فى كل مراحل حياته ؟ لا بالطبع . ففى كتابه « **خلاصة اليومية** » (وهو من اوائل كتبه) كتب العقاد فى المقدمة يلخص افكاره على هذا النحو :

اولا : ان كل ظواهر هذا الكون علويها وسفليها ، ظاهرها وباطنها نتيجة تفاعل قوى مختلفة ، وكذلك الامر فى المجتمع البشرى .

ثانيا : ان اللذة والالم ، او بعبارة اعم المنفعة والضرر ، هما الدعامتان اللتان تقوم عليهما الاخلاق البشرية كافة .

ثالثا : ان الانسان حيوان راق ، ولكنه لايزال حيوانا .

وواضح من هذا التلخيص السريع ان العقاد كان صاحب فكر آخر فى تلك المرحلة من حياته . فهو يؤمن بنوع من التطور، لانه لايكون الانسان حيوانا راقيا الا اذا كان هو ثمرة تطور الحيوان الادنى . وهو يضع اساسا للاخلاق غير طلب الكمال والشوق اليه ، اذ كان يرى آنذاك اساسا — للاخلاق — اكثر مادية واجتماعية من هذا الاساس الاخير . وهو يعتقد آنذاك انه يمكن مواجهة هذا الكون مواجهة عقلانية ، مادامت كل ظواهره « ظاهرها وباطنها » نتيجة تفاعل قوى مختلفة .

ولا نكون متعسفين اذن ، اذا قلنا ان العقاد فى مراحل

حياته الاولى وشبابه الفكرى كان من انصار المدرسة المادية الميكانيكية فى الفلسفة ، او يحمل على الاقل عددا من سماتها . ولا نغالى اذا قلنا ان هذا الموقف جزء متمم لموقفه السياسى آنذاك ، يركن اليه عديد من المثقفين الذين يلتون بأنفسهم فى خضم الثورة السياسية ضد الطغيان الاجنبى او الداخلى . ولقد عرف القرن الثامن عشر ثم التاسع عشر ثورات بورجوازية عديدة ، صاحبتها ثورات فكرية موازية فى مجال الفلسفة والاخلاق والفكر . ولا ريب ان العقاد لم يسلم من تاثير الفكر الاوربى الثورى ، كما هو واضح من التلخيص .

يقول العقاد فى احدى مقالاته بعنوان « بعد الاربعين » : **بدات فى التفكير فى شبابى « واقعيا » ، وانتهيت الى الشك فى قدرة الانسان على ادراك الواقع كله ... فالذين يحسبون انهم قادرون على فهم الواقع فى المسائل الكبرى والاصول الخالدة هم الواهمون »** .

ولكن اذا كان العقاد قد انتهى فى المرحلة الثانية من حياته الى اتخاذ موقف المفكر الاسلامى ، فأين يقع موقفه من تاريخ وتراث الفكر الاسلامى كله ؟ ولكى نزيد الامر وضوحا نقول انه لايكفى ان يقول الانسان انه واحد من المفكرين الاسلاميين حتى تبرز حقيقة موقفه الفكرى ، وحتى نستدل على وضعه ازاء تراث هذا الفكر . فلقد حفل التاريخ الاسلامى بصراع مدارس فكرية مختلفة ، دار كله بين مؤمنين بالله وبالاسلام كما يعترفون . ولكن **المعتزلة** كانت مدرسة فكرية فى الاسلام تناقض **مدارس اهل السنة** ، **والغزالى** مدرسة تناقض مدرسة **ابن رشد** ، وفى العصر الحديث كان **الشيخ عليش** مدرسة فى الفكر الاسلامى غير مدرسة **جمال الدين الافغانى ومحمد عبده** واذا كانت هذه الصراعات الفكرية قد دارت تحت علم الاسلام منذ عثمان وعلى ، ثم على نطاق اوسع فى الدولة العباسية حتى تاريخ الازهر الحديث فعلام اذن كانت هذه الصراعات ؟ واين هو موقع العقاد — المفكر الاسلامى — من كل هذا ؟

لقد دار الصراع فى تاريخ الفكر الاسلامى بين مدرستين اساسيتين : مدرسة النقل ، ومدرسة العقل ، مدرسة القدر ومدرسة الارادة الانسانية والاختيار ، مدرسة الثبات التى تريد ان تعطى الدين تفسيرا يجمد به وتتوقف معه عقارب الساعة ، والمدرسة العقلية التى تسعى لان تمنح الدين تفسيرا مسايرا للزمن ومطالبه . ولقد بلغ الصراع الى حد العنف فى كثير من اللحظات التاريخية الحاسمة ، وكانت الدولة والسلطان طرفا فيها . وتبادل اساتذة اجلاء كالغزالى وابن رشد الهجوم فى كتب كاملة على نحو ماهو معروف فى كتابى **« تهافت الفلاسفة » و « تهافت التهافت »** ... الخ .

وفى العصر الحديث دار هذا الصراع بين ائمة التجديد فى الازهر وائمة المحافظة فيه ، بين من يريدون ان يكون الدين والفكر الاسلامى عونا على التغيير الاجتماعى المنشود ، ومن يتخذون الدين سلاحا فى صف قوى الرجعية يتهمون بالكفر والزندقة كل من يحاول ان يمضى مع ركب التقدم . وكما ساد العنف فى المراحل القديمة احيانا ، لم يخل تاريخنا الحديث منه كذلك . ويروى لنا تاريخنا الحديث ان زعيم المحافظين فى الازهر — **الشيخ عليش** — خرج يسعى بخنجره الى مجلس **الشيخ السنوسى** ليقتله ، لمجرد انه كتب فى مؤلف له انه يجتهد بعلمه فى فهم الشريعة من كتاب الله ، غير متقيد بما كتبه الفقهاء من المتقدمين او المتأخرين ! ويروى هذا التاريخ الحديث ايضا ان مجلس **جمال الدين الافغانى** كان محور صراع شديد ، لان الافغانى كان يلقى بعض الدروس فى الرياضيات والفلسفة وعلم الكلام ، وان اعداءه بالازهر كانوا يتهمونه ويرمونه بالكفر « اذ ان تلقى تلك العلوم يفضى الى زعزعة العقائد الصحيحة » .

هذا الصراع الفكرى الحافل بين مدرستين واتجاهين : اين يقع المفكر الاسلامى عباس العقاد منها ؟ والى اى جانب اضاف ان كان قد اضاف شيئا على الاطلاق ؟

اننا لانستطيع ان نعتمد على كتابته عن محمد عبده والافغانى واعجابه بهما ، دليلا على موقفه . فالحقيقة ان توقير العقاد للشيخين الجليلين قوامه فى المحل الاول الدور السياسى البارز الذى لعباه فى العصر الحديث ، وما ادياه من خدمات لقضية الحرية . ومن الجائز ايضا ان نقول ان توقير العقاد لهذين الشيخين انما هو بقايا صلات العقاد القديمة بقضية الحرية واحترامه لدور العقل فى الفكر الحديث .

ومع ذلك فالقارىء لكتابه عن « **محمد عبده** » سيشعر ان الجذوة التى اضاءت كتبا اخرى — مثل كتاب «**سعد زغلول**» — قد خبت وخمدت فى ذلك الكتاب ، فهو اقرب الى السرد حاملا طابع الاعتذار فى المعالجة ، ولم يكن هذا ديدن العقاد فى كتاباته الاولى .

ومع ذلك يحس الانسان طابع المنهج التوفيقى او « التلفيقى » فى كتاباته عن كل هؤلاء ، اعجاب بالغزالى واعجاب بابن رشد ، وايمان بالحاسة السادسة عنده شخصيا ، والاخبار على البعد (التليباثى) وبغيبيات عديدة لايتحرج ان يدافع عنها حتى ولو بلباس العلم ، وتقدير لمفكرين اسلاميين كانوا اعداء الداء لهذه النزعات . والحقيقة ان هذا المنهج « التوفيقى » لايخفى فى الواقع الا وقوف العقاد فى المرحلة الثانية من حياته اقرب الف مرة الى جانب مدرسة النقل من وقوفه الى جانب مدرسة العقل .

ومع ذلك فلا ينبغى ان يؤخذ هذا الحكم العام بشكل جامد ، لاننا لن نعدم معنى هنا او هناك للعقاد يزكى فيه شكليا المدرسة العقلانية فى الفكر الاسلامى ، تلك بقايا موقف قديم كان العقاد يناصر فيه قضية الحرية والشعب ، ولايعرفه باسم الدهماء والرعاع ، ولكنها تزكية افرغت من مضمونها الحقيقى لما يعقبها من تزكيات غيبية عديدة .

والحقيقة ان العقاد اخطأ فكريا فى عديد من مواقف حياته الفكرية ، عندما افرغ عديدا من القضايا من مضمونها الحقيقى وعزلها عن جذورها . فليس بخاف مثلا ان العقاد قد كرس جزءا هاما من حياته للدفاع عن قضية الحرية والديمقراطية ، ولكنه لم يتعد فى فهمه للحرية حدود معناها الفردى ، دون ان يرى جانبها الاجتماعى الجوهرى . ومثل هذا الموقف المحدود كان العائق الاول له عن ان ينطلق بفكره فى آفاق اوسع لقضية الحرية وان يساير اتجاهات التقدم . ولعل من نافلة القول ان نقول ان مصدر عداء العقاد العنيف للاشتراكية والصراع الاجتماعى هو هذا الفهم المحدود .

لقد مات العقاد منذ عامين فحسب ، ولكن الذى يعود الى قراءة كتبه التى تتعرض لقضايا الفكر الاجتماعى ثم يقرأ الميثاق مثلا بعدها مباشرة ، سوف يشعر دون شك ان صوت العقاد صادر من بعيد ، من عصور سحيقة ، وكأنه لم يكن صوتا يجلجل فى العصر الحديث . انه صوت غريب على ما نحن فيه من واقع وما نطمح اليه من آمال . **فالمراة موجودة فى البرلمان** ، متمتعة بحقوقها السياسية يعترف لها المجتمع الاشتراكى بحق العمل والمساواة فى عديد من الحقوق . ومع ذلك فالعقاد ينكر هذا كله ، ينكر عليها حقها فى الحياة النيابية والعمل . والميثاق يقر صراحة بوجود **الصراع الاجتماعى بين الطبقات ويسعى الى تذويب هذه الفوارق** ، والعقاد ينكر هذا الصراع بين الطبقات ويعتبره خرافة من خرافات الماركسية . وفى نقد العقاد للفكر الماركسى لا يلجأ الى تفسير وجود هذا الفكر او نقده على اسس اقتصادية او اجتماعية ، وانما على اسس نفسية تتعلق بصاحب هذا الفكر ودينه وتاريخ حياته .

واذا افرغت قضية الحرية من مضمونها وجذورها الاجتماعية، اصبح من المستحيل عليه ان يفهم عديدا من احداث التاريخ الحاسمة . فعند العقاد ان « **نابليون مهرج الى جانب باستير، وان الاسكندر المقدونى بهلوان الى جانب ارشميدس** » . ومن حقنا ان نتساءل : اذا كان دور نابليون هو دور المهرج حقا فكيف اتاحت له اوربا كلها ان يؤدى هذا الدور بهذه السماحة؟ وكيف يتفق هذا مع اعجاب عديد من كبار الفلاسفة والمفكرين والفنانين — امثال كانت وبتهوفن — بهذا « المهرج » الكبير ؟ من الواضح ان العقاد لايعترف — ولا يريد ان يعترف — بدور نابليون الكبير فى تقويض النظم الاقطاعية الفاسدة فى اوربا ، وتقديم نظام اجتماعى واقتصادى جديد بدلا منها ، كان خطوة اكثر تقدما وتقذاك فى وطنه ، واصبح متخلفا ورجعيا فى عصرنا.

وكما افرغ العقاد قضية الحرية من مضمونها الاجتماعى فابتعد شيئا فشيئا عن قضية الحرية ذاتها ، افرغ كذلك الصراع التاريخى — فى معظم الاحيان — للفكر الاسلامى من مغزاه الاجتماعى وعزله عن جذوره الاجتماعية ايضا . ومن هنا كان موقف العقاد الشكلى فى عديد من القضايا .

فقارىء كتب عبقريات الخلفاء مثلا لا يلمس بيديه حقيقة الصراع الاجتماعى الذى اعقب وفاة الرسول ، هذا الصراع الذى استعر بين القبائل الثرية التى ملكت الارض والتجارة ، وبين بطونها الفقيرة ومن انضم اليها من ابناء الشعوب الجديدة الاخرى ، وهو لايستطيع ان يفهم حقيقة الابعاد الحقيقية للاحداث الكبرى التى وقعت فى التاريخ الاسلامى الاول بعد وفاة الرسول .

وبدلا من ان يرسم الارضية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تجعلنا نفهم حقيقة كل شخصية من شخصياته التاريخية ودوافع عمله ، دون اهمال العوامل الشخصية واثرها، يركز العقاد على مايسميه « **مفتاح الشخصية** » ، فهى « آداب الفروسية » عند الامام على ، وهى شىء آخر عند ابى بكر ... وهكذا . ولعل هذا يضع اصبعنا على منهج خطير فى تناول العقاد للتاريخ وشخصياته ، ونعنى به منهج الدراسة النفسية .

ن آفة هذا المنهج انه يعزل الانسان عن قوى الصراع الاجتماعى التى اثرت بوعى او بغير وعى على مجرى حياته ، ولذلك يصبح الانسان غير قابل للفهم التاريخى ، ويتحول امام القارىء الى مجموعة من المفاتيح والمعطيات التى لايعلم احد مدى صدقها او اثرها .

ولقد ورط هذا المنهج العقاد فى دراسة الادب كثيرا ، ولا سيما فى دراسته **لابى نواس والمتنبى** . فاذا كان المتنبى يستخدم التصغير فى بعض قصائده فلا بد ان هذا دليل الاحساس بالعظمة ! مع ان هناك شعراء عديدون يستخدمون التصغير فى الشعر دون سند تاريخى واحد يجعلنا نتهمهم بشعور العظمة . وعلى اية حال فالشعور بالنفس واضح فى شعر المتنبى صراحة دون حاجة الى هذا البحث عن استخدام التصغير .

ومع ذلك فالانصاف يقتضينا ان نذكر ان كتاب « **عبقرية الامام على** » يعتبر من بعض الوجوه استثناء من قاعدة المنهج النفسى فى الدراسة ، اذ ان الصراع الاجتماعى كان قد بلغ من الحدة والوضوح مالا يمكن تجاهله . وبالرغم من ذلك يسمد العقاد الى عوازل وهمية عند دراسته عصر على .

فالعقاد يصر على ان الظاهرة الكبرى فى عصر على « **هى ظاهرة اجتماعية خاصة به دون عصور الخلفاء من قبله ، ولم تكن فى حقيقتها ظواهر سياسية او حربية على شدة القتال وغزارة الدماء التى اريقت فى حروبها** » .

ولسنا نفهم كيف تعزل الظاهرة الاجتماعية عن الظاهرة السياسية او العسكرية « **رغم غزارة الدماء التى اريقت فى الحروب** » كما يقول العقاد ، ولسنا نفهم كيف تكون الظاهرة الاجتماعية خاصة بعصر على دون ان تكون بذورها كامنة فى عصر من سبقه من الخلفاء مع ان عمر هو القائل «ان قريشا اختارت لنفسها ، فأبت ان تجمع لبنى هاشم بين النبوة والخلافة » . ولسنا نفهم ايضا كيف يزعم العقاد ان الاغنياء فى مجتمع على قد خالفوا المعهود فأصبحوا قادة السخط واعوان الثورة والتغيير .

وبعد ... فليس العقاد وحده — من بين كتابنا — هو الذى تعرض بالشرح والتعليق على بعض تراث الفكر الاسلامى واحداثه الكبرى . لقد شارك فى هذا المجال اساتذة اجلاء امثال احمد امين وطه حسين . واذا كان المجال لايتسع لعقد المقارنات والبحث فى اختلاف المناهج ، الا انه من الضرورى ان نذكر فى خاتمة هذا المقال ان احمد امين وطه حسين كانا اكثر رحابة فى التناول واعمق فى التفكير والتحليل ، واكثر احتراما لكلمة العقل .

القسم الثانى

العقاد .. أديبا وناقدا

كان الجزء الخاص بالعقاد من كتاب « الديوان: فى النقد والادب » — وقد صدر فى يناير وفبراير على التوالى من عام ١٩٢١ — بمثابة المقدمة التمهيدية التى تحمل فى ثناياها معظم سمات المنهج الذى اختطه لنفسه فى تلك المرحلة المبكرة من حياته النقدية . ولم يكن هذا الجزء هو أول ما كتب العقاد فى النقد الادبى ، ولكنه كان أولى محاولاته فى بلورة مجموعة من القيم الادبية تخلق فيما بينها منهجا قريبا من التماسك وعلى درجة ما من الاتساق . ولعل المحاولات « المنهجية » التى تميز بها جيل الرواد فى أوائل العشرينات من هذا القرن تعد من بواكير النظرة الثورية الى كل من الادب والحياة . ذلك ان ايجاد اطار منظم من العلاقات الادبية أو الانسانية — وهو ماندعوه منهجا فى الفكر أو الحياة — هو خطوة متقدمة فى تاريخنا الحديث تقسم بها بدايات عصر النهضة . وربما كانت هذه الرابطة المنهجية بين ابناء جيل الطليعة هى التى تؤكد طبيعة العلاقة الفكرية بين طه حسين والعقاد وسلامة موسى وغيرهم . وهى علاقة الثوار فى عصر النهضة الوطنية الديموقراطية . ومن هنا ليس غريبا أن نعثر

على همزات الوصل الفكرية بين أعمال الرواد جميعا ، كما أنه ليس غريبا أن نلحظ التفاوت الكمى والنوعى فى امكانياتهم ومحصلات تكوينهم . كذلك نلاحظ ان ثمة عناصر سياسية واجتماعية كانت تلون نظرتهم للادب والحياة ، انعكست بصورة أو بأخرى ، على أعمالهم فى النقد الادبى .

ثورة العقاد الاولى

ونحن نستطيع ان نرصد للعقاد قبيل صدور الديوان مجموعة من الاراء الهامة المناثرة فى مقدمات دواوينه الشعرية او فى الكتيبات التى اصدرها حوالى ذلك التاريخ . فاذا نحن تصفحنا مقدمة ديوانه « يقظة الصباح » — ١٩١٦ — سوف نضع أيدينا على بواكير لقائه الحميم بالادب . ومن هذه البواكير ما قال به من أن الادب مرآة النفس الانسانية ، فى مستواها الفردى ، ومستواها الاجتماعى على السواء . وهى احدى الافكار الرئيسية التى لازمته فيما بعد ، كما سترى ، طول العمر . غير أن اكتشافه لهذه الفكرة فى ذلك الوقت المبكر — مهما كان مصدر الاكتشاف ومهما كانت وسائله — انما يعبر عن جذور الاتجاه النقدى عند العقاد ، ويومىء بالظروف التاريخية التى مهدت له ورافقته وتاثرت به . فهو يقول ان الشعر « مرآة يتصفح فيها الناس صور نفوسهم فى كل عصر وطور ، فهو التاريخ الصحيح الذى لا تكذب أسانيده ولا تختلف ارقامه ». وهو يستخدم لفظة الشعر حينا والادب فى أكثر الاحيان عندما يتحدث عن هذه العموميات . لهذا نستشف « اصول » وجهة النظر التى تبناها ، تاريخيا ، من قراءاته فى النقد والادب الاوروبيين ، ومن تكوينه الذاتى كمحصلة ثقافية دائبة التفاعل مع المحيط المعاصر له ، ومن المستوى الحضارى الذى انتهت به مرحلة النهضة فى مجال النقد والادب المصرى حينذاك . هكذا كان الادب عند العقاد صورة عاكسة للذات الفردية والجماعية. ولما كانت الذات فى جميع مستوياتها هى الخلاصة الانسانية التى يتجسد خلالها تاريخ الفرد والمجتمع ، كان الفن هو خلاصة أشكال التعبير الانسانى عن خصائص العصر وتاريخ الشعوب. هذه النقطة الجوهرية — والاولى — تقود العقاد بالضرورة الى احدى القضايا المعلقة فى نظرية الادب . اى انه لا يجد مفرا من مواجهة التساؤل الخطير : اذا كان الادب تعبيرا ذاتيا عن موضوعية المجتمع والتاريخ ، فهل هو تعبير ديناميكى يتفاعل مع الاصل والجذور ، يأخذ منها ويعطيها ، وبالتالى يصبح له دور فى الحياة وموقف من المجتمع ؟ .. أم انه مجرد صدى للصوت ، وصورة للاصل ، ينتهى كل ما بينهما من تأثرات فور انتهاء علاقتهما المباشرة المحسوسة ؟ يجيب العقاد أن **«الاداب مطلوبة لمنافعها بأوسع معانى المنفعة»** ، وهى اجابة هامة بالرغم من سرعتها أو التعجل فى تسجيلها . لان المنفعة هنا كما يقصدها العقاد ليست شبيهة لما تقصده البراجماتية فى مجال الفلسفة . ولكنها قريبة الشبه من الاتجاهات الواقعية فى الادب والفن حين تؤكد أن لهما دورا فى الحياة ، وموقفا من المجتمع .

على انه ينبغى أن نكون شديدى الحرص ، ونحن نلتقط هذه الايماءات الحية المنبثة هنا وهناك فيما كتبه هذا الرائد من مقدمات أو كتيبات أقرب الى المذكرات كما نلاحظ فى « خلاصة اليومية » ١٩١٢ — و « الشذور » ١٩١٥ — و « الفصول » ١٩٢٢ . وأعنى بالحرص الا نبالغ فى التقليل او التضخيم من قيمة هذه العبارات المتفرقة . **فالتقليل** من شأنه يؤدى بنا الى تيه مظلم لا نكاد نضع يدا على احد معالم الطريق حتى نصطدم بجدار صلب من أدوات النفى التى تصل بنا الى زيف هذا المعلم او ذاك . كذلك فان **التضخيم** من شأن هذه العبارات يتسلل بنا الى مجالات مفتعلة لم يفكر العقاد يوما أن يطرقها . وربما كانت وسيلتنا الموضوعية الوحيدة أن نعتمد على ركيزة واقعية هى الصورة الشاملة لانتاج العقاد فى النقد الادبى ، فهى بمثابة الفرض النظرى الذى نبحث له عما يؤيده فى أرض الواقع التطبيقى . لذلك سوف نجمع بين راى العقاد فى طبيعة الفن كمرآة نفسية لاعماق الضمير الانسانى ، الى ان هذه المرآة تمتلك قدرا من الفعالية والتأثير والنفع ، الى ان نقف أمام ما يقرره العقاد من أن من يرتاب فى هذا القول **« فليراجع التاريخ ، وليذكر امة واحدة نهضت نهضة اجتماعية فلم تكن نهضتها هذه مسبوقة او مقرونة بنهضة عالية فى آدابها »** .

هنا ، لا نرى بدا من التأكيد على أن العقاد كان يهدف فيما سبق من فقرات خاصة بدور الادب ، الى أن هذا الدور فى صميمه دور اجتماعى . أن ثمة فرقا بين الذين يقولون بدور الادب فى صورة ضبابية تدعو الى الشك كأن يقيموا الصلة بين الفن والارتفاع بمستوى الذوق البشرى او الحضارة الانسانية ، وبين كلمات العقاد التى يبلغ بها العنف والصراحة ان يبداها بطريقة مباشرة حين يقول **« لست من القائلين بأن الاداب مطلوبة لذاتها »** . وهذا لا يعنى على وجه اليقين أن قضية الفن للفن والفن للمجتمع كانت مطروحة على الصعيد المحلى — أدبا ونقدا — فلعل أولئك الذين يشير اليهم العقاد هم نقاد الغرب، ولكن اهتمامه بالقضية فى ذاتها يوضح لنا أكثر فأكثر طبيعة الدور الذى لعبه فى ذلك الوقت ، وقواعد المنهج الذى اختاره بعناء وجهد عظيمين . بل ان اهتمام العقاد بمعنى الشعر كمرآة نفسية ، وبدور الادب كرسالة اجتماعية انما يهيىء لنا التفسير السليم لموقفه من المعارك « الادبية » التى كان طرفا خطيرا فيها ، فقد كانت معارك اجتماعية وايدولوجيه بنفس القدر الذى كانت عليه فى اطار النقد الادبى . هذا لا ينفى ان العقاد ألح على نوعية الفن وخصائصه المستقلة . اى انه حين يشير الى أن النهضة الاجتماعية للشعوب لابد أن تسبقها او ترافقها نهضة ادبية لا تفوته — على سبيل المثال — ظاهرة الرواج المفتعل لبعض الاداب فى عصور الانحطاط . ومن ثم يدعو الناقد لان يفرق بين آداب **«الذكاء»** وآداب **«الطبائع»**. فالاولى تصوغ قرائح الزخارف التى تتصيد الخواطر وتلفق الاوهام ، اما الثانية فهى ايمان وشعور وعمل يتحول الى كلمات نابضة من اللحم الحى والدم الجارى . وبغض النظر عن هذا التصنيف فاننا نصل الى أن العقاد انطلق فى بناء منهجه النقدى من الركيزة الاجتماعية العامة ، ولكنه ما ان يصل الى تخوم العمل الفنى حتى يتخصص فى اكتشاف عالمه الخاص ، وبين العام والخاص فى خلق العمل الفنى وتذوقه صلة وثيقة بين الفنان والحياة هى التى تبرر فى نظر العقاد كيف أن الشعر يعمق الاحساس بالحياة **« فيجعل الساعة من العمر ساعات »** . ولهذا السبب يخاطب القارىء « ... **فاذا قلنا لك احب الشعر فكأننا نقول لك عش ، واذا قلنا لك ان الامة اخذت تطرب للشعر فكأننا نقول انها اخذت تطرب للحياة»**

ما هو الشعر ؟

علينا اذن أن نتوغل داخل « العالم الخاص » للشعر برفقة العقاد حتى نرى بعينيه عناصر هذا العالم الساحر . انه يراه **« صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام »** كما جاء فى خلاصة اليومية (ص ٩ ، ١٥) . ذلك أن مهمة الشاعر هى تكوين الصورة الذهنية المتخيلة ، والتى يقوم هو بتجسيدها بأدوات الصناعة الشعرية من الفاظ وقوالب واستعارات . ومجموعة الالفاظ الدالة على الصورة المتخيلة ، هى فى نفس اللحظة مجموعة من الرموز التى تومىء بمعنى ما يختلف من حيث الجوهر مع اى معنى آخر ينوب عنه نفس اللفظ **« فالمترادفات لا تتشابه فى المدلول تماما »** . ولا يحتاج الامر فى الشعر — يقول العقاد — الى الجلاء والابانة كما هو فى النثر . ذلك أن أدوات التوصيل الشعرى تتبلور فى التأثير لا فى الاقناع . لذلك لا يعتمد الشعر العظيم على البناء المنطقى المسلسل ، وانما نلاحظ ذلك فى شعر المقلدين من صغار الشعراء . لقد كان العقاد بهذه الافكار يلج عالم الشعر الحديث دون أن تكون التربة المصرية قد مهدت بعد لإستنبات هذا الشعر ، كما لم يكن المناخ الحضارى

فى مصر ليتسمح بازدهار مفهوم الحداثة فى الشعر . غير أن العقاد كان رائدا بصيرا بمستقبل الحركة الشعرية فى بلادنا حين اثار كل هذه الموجة الزاخرة بالتساؤلات والقضايا . فى مقدمة ديوانه « **وهج الظهيرة** » – ١٩١٧ – كتب يعارض زعم القائلين بأن نهاية الشعر اقتربت مع ميلاد « العصر المادى » مؤكدا أن المدنية لا تقتل النفس الانسانية ، ولكنه لم يلبث أن هاجم دعاة « العصرية فى الشعر » الذين يتصورون أن «وصف» الطائرة من سمات الشعر « العصرى » . وقال « **ليس المعول فى معرفة عصرية الشاعر على وصفه الاختراعات العصرية ، ولكن على كيفية الوصف ووجهة النظر** » كما جاء فى «الفصول» عام ١٩٢٢ . وهى نتمة طبيعية لما قال به فى « **خلاصة اليومية** » (ص ١٠٥) من أن الشاعر ليس هو « **من يزن التفاعيل ،ذلك ناظم او غير ناثر . وليس الشاعر بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، ذلك ليس بشاعر اكثر مما هو كاتب او خطيب ،وليس الشاعر من يأتى بروائع المجازات وبعيد التصورات ، ذلك رجل ثاقب الذهن حديد الخيال . انما الشاعر من يشعر ويشعر** » .

هذا هو الجانب النظرى من رؤية العقاد الباكرة للشعر ، وقد مارسه من قبل ومن بعد شاعرا وناقدا . فاذا اضفنا انه لا يطلب الى الشاعر أن يكون عالما أو مؤرخا ولكنه لا يعادى العلم أو التاريخ فى نفس الوقت (الفصول ص ٢٨١ ، ٢٩٠) فاننا نستطيع أن نتصور مجموعة الفروض الفنية التى استخدمها كمدخل منهجى الى دراسة شعر شوقى كنموذج للمدرسة الكلاسيكية فى الشعر ابان عصر النهضة . بل اننا نستطيع أن نلمح آثار الرؤية النقدية للشعر عند العقاد ، وانعكاسها على تقييمه لشعر شوقى فيما كتبه عام ١٩١٢ بخلاصة اليومية حول قصيدة شوقى فى رثاء بطرس غالى حيث يتهكم على الراثى والمرثى (ص ٩١) . وفى المقابل (ص ٨٦) يسجل اعجابه – المتحفظ – بشعر حافظ ابراهيم . والتقابل بين التهكم والاعجاب يقصد به الناقد ان ينبه الاسماع والاذهان والبصائر الى « الزائر الجديد » فى حياتنا النقدية ، وهو المنهج الجامع بين النظرة الاجتماعية بكل ما تحمله من دلالات والنظرة الجمالية التى تتخصص فى تحليل البناء الفنى للعمل الشعرى .

وهكذا نحن نستطيع ان نحصل على الجذور المنهجية فى تاريخ النقد عند العقاد من خلال آثاره السريعة المتفرقة بين عامى ١٩١٢ و ١٩٢٢ فقد كانت هذه السنوات العشر ، بين خلاصة اليومية والفصول ، بمثابة الارهاصات التى اشار اليها العقاد حين كتب الجزء الخاص به من « الديوان » حول شعر شوقى فقال انه قد بشر بما أسماه «مذهبه الجديد » فى الشعر والنقد والكتابة فى بضع السنوات الاخيرة ، اى السابقة على عام ١٩٢١ « **فنحن بهذا الكتاب نتمم عملا بدوءا** » على حد تعبيره .

وقد كتب العقاد فى مقدمة الديوان أنه ما دامت « دواعى السكوت » قد زالت ، فقد آن الاوان لان يحطم اتجاه الشبان الجدد فى الحقل الادبى ، حدا بين عهدين . ولو أننا بحثنا عن عوامل السكوت هذه لما عثرنا على تلك العوامل المباشرة المحسوسة التى تحول بين الكاتب وقرائه . وانما نحس أننا بصدد ذلك السبب العام الذى كان له أكبر الاثر فى تفتح الافاق والنوافذ أمام رجال الفكر فى مصر عند نشوب ثورة ١٩١٩ وعلى اثرها . فقد بلغت البلاد قبيل الثورة حدا من الاختناق الفكرى كان تعبيرا أصيلا عما تأثرت به خيوط فجر النهضة من غياب نور الحرية ، اذ تعقدت هذه الخيوط وتشابكت فى غياهب الظلام المحيط ، بحيث أن كل داعية للنور والتجديد سرعان ما يسجل اسمه فى القائمة السوداء . سواء كانت هذه القائمة تصل بالاحرار الى زنزانات السجن وأسواره الحديدية ، أو انها كانت تكمم الافواه بقيود ثقيلة على الفكر والتعبير . ومنذ هبت رياح الحرية مع نيران الثورة الشعبية الوطنية ،حتى ثارت بين ضلوع المفكرين الوطنيين شهوة البحث الحر فى كافة مجالات الفكر والفن والادب . من هنا فيما نعتقد ، يسجل العقاد انه قد زالت دواعى الشكوك . فالمعروف انه لم يسكت قط فيما سبق من ايام . ولكن ما اشبه « كلام » تلك الايام بالصمت . ولربما كانت السطور العاجلة التى خطها فى الخلاصة والشذور أبلغ دليل على ان الكلام حينذاك يرادف الصمت .

اما الديوان فقد كانت مقدمته بمثابة النذير العاصف بأن شباب الاتجاهات الجديدة سوف يتكلم بعد طول صمت ، سوف يتحرر بعد طول كبت . ومن هنا كانت الصفحات تتتالى كالانفجارات الصاعقة لا يضبط حركتها فى الاقناع والاقتناع وتبادل التأثير والاستجابة سوى ذلك الفيضان المخزون منذ بعيد . لهذا تصور العقاد أن الديوان سيصدر فى عشرة أجزاء متوالية . ولا سبيل امامنا الا ان نتحمل هذا السيل الجارف من الاتهامات والاحكام حتى نصل الى الجوهر العميق الهادىء لهذه الافتتاحية الرائدة فى حياة العقاد الادبية وتاريخنا النقدى على السواء علينا ان نستكشف معالم الخطة التى انتهجها العقاد فى عريضة الاتهام التى حكم فيها على « أمير الشعراء » – كما سمى شوقى حينذاك – بالزيف . ان هذه المعالم وحدها كفيلة بأن تضع كلتا يدينا على مواضع القوة والضعف فى الاتجاه الجديد القائد ، ومصادر القوة والضعف معا . فنحن منذ البداية مع دليل يقول انه :

- صاحب مذهب جديد .
- يقيم حدا بين عهدين .

ولن نناقش الان المعنى التاريخى لكلمة المذهب ، ولا معناها الحديث وسنكتفى مؤقتا باستخدام لفظة المنهج دلالة على مجموعة القواعد التى يرتكز عليها الناقد فى رؤياه النقدية لتقييم الشعر . كما اننا لن نتصور الحد المقام بين عهدين وكأنه سور حديدى وانما سنحاول أن نفترض هذا الحد على انه صفحة جديدة فى تراثنا النقدى يخطو ادبنا وفننا على نسقها .

حينئذ فلنستمع الى العقاد وهو يقدم حديثه عن مذهبه الانسانى الذى يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، كما أنه ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان بين النفوس قاطبة . وهو مذهب مصرى ، دعاته مصريون ، تؤثر فيهم الحياة المصرية . كما انه مذهب عربى ، لغته عربية . فقد كان ادبنا الموروث – عند أصحاب هذا المذهب كما يقول العقاد – عربيا بحتا يدير بصره الى عصر الجاهلية . غير أن أصحاب المذهب يرون من سرعة حركة التاريخ ،انه بات أمرا محتما ،أن تدفعهم ريح الحرية الى تحطيم الاصنام .

من الضرورى اذن ، أن نهجر كلمة « **المذهب** » ونستخدم عوضا منها لفظة « **المنهج** » حتى يستقيم أمامنا الضوء الذى يؤدى بنا الى رؤية العقاد النقدية للشعر . فالمذهب حصيلة تاريخية لمجموعة من التيارات المتبلورة فى اتجاه واحد قد تتعدد مناهجه ويختلف تلامذته ، ولكنهم فى غمرة النضال من اجل ارساء المذهب وأصوله تتكون تحت أقدامهم أرض صلبة وقاعدة ضخمة من الفكر والقدرات البشرية جميعا . وليس هذا بالضبط ما حدث مع « الديوان » وكاتبيه فنحن لم نكن قد تجاوزنا بعد فجر النهضة حيث كنا ما نزال أسرى التأثر والاقتباس المباشر من الاخرين ، وحيث لم نكون بعد حصيلة كبرى من تصارع الاراء والتيارات المتعارضة ، وحيث لم نرث مفهوما حديثا فى النقد الادبى يتمشى مع انجازات الحضارة المادية فى عالمنا . أى أن المرحلة المتخلفة حضاريا ، التى كنا نجتاز أولى عتباتها فى ذلك الحين ما كانت لتسمح بنشأة المذاهب الفكرية والفنية والادبية . . وانما كانت تسمح بالمحاولات المنهجية ، وهى خطوة تقدمية باهرة فى ذلك الوقت ، لان التصور الذهنى الشامل لمجموعة من الفروض الاولية كان غائبا الى حد كبير عن وعينا الفكرى والنقدى .

شوقى فى الميزان

يذكر العقاد تلك الكتابات التى أحاطت شعر شوقى منذ البداية بهالات الثناء والتمجيد على صفحات المؤيد واللواء والظاهر ، على أنها من العوامل التى ضاعفت من «غروره ». ويركز ناقدنا على هذا الجانب الاخلاقى ويقارن بينه وبين ما يحدث فى أوروبا حيث ان أحدا لا يجرؤ على ماجرؤ عليه شوقى، والا ما استطاع « أن يمكث اسبوعا واحدا فى بيئة محترمة ». لذلك كان « شوقى » فى عرف « العقاد » أشبه بملحق ادبى بلاط أمير مصر السابق . ولا يستثنى العقاد من صحف أوائل العشرينات سوى « مصباح الشرق » التى كتب فيها المويلحى بضع مقالات لا تسبح مع التيار، ولكن سرعان ماانقطع نشر هذه السلسلة « وهذا أدعى الى الريبة » كما يقول العقاد .

اى أن المناخ النفسى الذى عاش فيه شوقى كان عاملا خطيرا فى تهيئة ذهنه ووجدانه لقبول المديح المتطرف ان لميكن المزيف الذى تبلور آنذاك فى تلك التسميات التى خلعوها عليه فى سخاء عجيب ، فهو شاعر الشرق والغرب ،والعرب والعجم، وامير الشعراء وسيد الادباء . ولا سبيل فيما يبدو الى انكار الدور الفعال للانتهازيين والوصوليين من بطانة شاعر الامير، كما لا سبيل الى انكار ما تتلبس به نظرة العقاد الى شعر شوقى من مصادر اجتماعية معادية للطبقة الرجعية الحاكمة — وقتذاك — والتى يتحصن شوقى بين احضانها . ولكن ما لا سبيل اليه ايضا — قبل أننصاحب العقاد فىرحلته الطويلة — هو أن شوقى كان استجابة واعيية أو غير واعيية لدواعى مقتضيات الشعر الكلاسيكى الجديد فى عصر النهضة ، فمرحلة البعث التى قادها « البارودى » فى الشعر المصرى الحديث ، كانت مرحلة البداية فى اعادة الحياةالى الصورةالتراثية للشعر العربى القديم . واذا كان « الشيخ حسين المرصفى » هو الناقد الكلاسيكى الاول منذ أواخر القرن التاسع عشر ، فان شعر البارودى ونثر « عبد الله فكرى » قد تطابقا مع مقاييسه الكلاسيكية فى تقييم الادب . لهذا السبب لم تحدث الجفوة بين الفنان والناقد . أما العلاقة بين شوقى والعقاد ، فانها علاقة الشاعر الكلاسيكى الجديد بالناقد المصرى « الحديث » . فلقد كانت مفاهيم العقاد الادبية تتناقض كيفيا مع مفاهيم الاتجاه الكلاسيكى فى الادب ، مهما بالغ فى استخدام موازين النقد العروضى واللغوى فى تحليل شعر شوقى . فقد كان هذا الاستخدام بمثابة التعريض بكل ما يفخر به شوقى وعشاقه ويزهون ، كان بمثابة التحدى السافر لاية « تحفظات » يمكن لقارىء الشعر الكلاسيكى أن يصون بها شاعره التقليدى من سهام الناقد الحديث . اى أن العقاد اراد أن يستخدم «نفس السلاح » الذى قد يتعرض بواسطته لتحديات الخصم . فاذا كان البارودى يمثلمرحلة البداية فىالبعث الشعرى الكلاسيكى، فان شوقى هو أحد الامتدادات الرئيسية له . أما « العقاد » فليس امتدادا « للمرصفى » ،ولا لغيره من المعاصرين له ،وانما هو مزيج فريد من بعض ألوانالثقافة الغربية ،والتراثالعربى القديم ، والفكر المصرى الحديث . ومعنى ذلكان الهوةالعميقة التى نستشعرها فى المسافة التى تفصل شوقى عن العقاد لها اسبابها الموضوعية الكامنة فى التكوين الكلاسيكى لشعر شوقى والتكوين الحديث لنقد العقاد . أما ما يمكن أن يقال عنالوسط الادبى المليىء بالزيف الذى نشأ فيه الشاعر المترف ، وما يمكن أن يقال عن نفسية شوقى التواقة الى المديح — مهما بلغت به المغالاة حدها الاقصى الذى ينقلب الىالضد فىأغلب الاحيان — فانها وغيرها ليست الا عوامل ثانوية فىتلك المعركة الهامةالتى اشتعل أوارها بين الشاعر الكلاسيكى والناقد الحديث ،تعبيرا أصيلا عن أزمة التناقض الحاد بين القديم والجديد فى بدايات عصر النهضة . هذه الازمة التى اتخذت عند كتاب المرحلة الجديدة تعبيرات مختلفة ، فكانت ثورة « طه حسين » على ما ينسب الى الجاهلية من الشعر المنتحل ،وثورة «سلامة موسى» على المناهج السلفية فى تفهم علاقة الادب بالحياة ، وثورة « العقاد » على الاتجاه التقليدى فى خلق الشعر وتذوقه .

وقبل أن يتصدى العقاد لتقييم رثاء شوقى لمحمد فريد ،فانه يحدد أولا المستوى الادبىللجيل الماضى منالشعراء ،والمستوى الذوقى لنفس الجيل من القراء . يصف ذلك الجيل وعهده بأنه كان « عهد ركاكة فى الاسلوب وتعثر فى الصياغة تنبو بهالاذن ، وكان آية الايات على نبوغ الكاتب أو الشاعر ان يوفق الى جملة مستوية التسوية ، أو بيت سائغ الجرس ، فيسير مسير الامثال ، وتستعذ به الافواه لسهولة مجراه على اللسان «ومن ثم كان القارىء يتلو هذه القصيدة أو تلك « كالماء الجارى » ويصبح مقياس الاجادة الشعرية عند مثل هذا القارىء هو مقدرة الشاعر على الاتيان « بالكلام النحوى الحلو » .

هذا هو المدخل الذى يخطط به العقاد هجومه العنيف على شوقى وشعره . نقول « شوقى » لان الناقد لم يخف مطلقا أن شخصية شوقى كشاعر للقصور قد أسهمت فى افساد شعره وذوقه . ذلك ان العقاد ، اولا ، يؤمن بتأثير الشخصية الانسانية فى الشخصية الفنية ايمانا عميقا . كما أن العقاد، ثانيا ، يحمل عداء اجتماعيا واضحا ومباشرا لشخصيه الشاعر الاجتماعية ، فى المستوى الطبقى والقومى والوطنى . فالعقاد — وقتذاك — ينتمى الى تلك الفئات المناضلة من الجماهير الشعبية ، بينما شوقى ينتمى الى الطبقة الحاكمة . والعقاد ينتمى الى القومية المصرية بأصالة حقيقية ، بينما شوقى يفتقر الى الاحساس المصرى الاصيل لعراقة نسبهالتركى والشركسى، كما أن العقاد ينتمى الى الثورة الوطنية الديمقراطية فىقتالها الذى لا يكل معالاستعمار ،بينما شوقى يحتمى بأسوارالقصور العميلة للاستعمار .

ولهذه الاسباب مجتمعة يتحرز العقادكثيرا اذاما كتبشوقى قصيدة رثاء فى زعيم وطنى يدين له الشعب المصرى بالكثير من آيات النضال الثورى . يتحرز العقاد لاقتناعه شبه المطلق بأن هذا الشاعر الملكى غير المصرى لا يمكن أن تطابق مشاعره أحاسيس المصريين ازاء فقد أحد زعمائهم الوطنيين . هذا الشك يقود العقاد الى تلمس مدى الصدق الذى تنطوى عليه القصيدة فى الترحم على محمد فريد وبكائه . والصدق هوهمزة الوصل بين الشخصية الانسانية للشاعر وشخصيته الفنية ، فاذا كان الجانب الانسانى مشكوكا فيه ، وجب الالتفات اليقظ الى الجانب الفنى . والمعايير الفنية الدقيقة تكشف لنا مدى الصدق الذى يعتمل فى وجدان الشاعر ، أو الزيف الذى يغلف كلماته .

ويبدو أن بعض المريدين لشعر شوقى ، بدأ الاستغراب أو التململ يتسرب الى قلوبهم وعقولهم حين أخذت تتوالى قصائده الاخيرة ، السابقة على هجوم العقاد . ومن ثم راح ناقدنا فى البداية يحلل هذه الظاهرة بمصادرة تقول أن شوقى الامس هو شوقى اليوم « ولكنهم هم الذين تغيروا » فالقارىء المعاصر يأخذ سبيله الى الارتقاء فىالذوق والشعور بحيث يسبقشاعره المفضل اذا مضى فى خط سيره الطبيعى « وقلما يرتقى الشاعر بعد الاربعين فان أخصب أيام الشعر أيام الشباب » . هو يستلهم اذن بصيرة قارىء الشعر الواعية التى أعلنت ما طرأ على الشعور المصرى من تغير ، حتى يستند على هذه البصيرة فيما اذا كان ثمة اطرىء عابر قد الم بشعر شوقى ، أم أنهذا الشعر يحمل فى طياته ما يحول دونه والبقاء الطويل . من هذه النقطة يركز العقاد على الثقافة والتجربة كعماد لتطور الشاعر فى ملاحقته لتطور القارىء . فهو يثير أول ما يثير من قضايا فى قصيدة شوقى عن محمد فريد ، قضية الشعر ولغة الشارع . هل يمكن على سبيل المثال أن يستعير الشاعر تعبيرات الشحاذين الاستجدائية فى صياغة معانى الموت التى يمكن استلهامها من هذه التعبيرات ببساطة ويسر . اى اننا نستمع الى الشحاذ يتوكأ على عكازه متمتما فى نغم حزين «دنيا غرور ، كله فان ، من قدم شىء التقاه ، يا ما داست جبابرة تحت التراب ، اللى عنده باق » الى آخر هذه القائمة من الدعاءات فى استرحامها لقلوب الناس عن طريق تذكيرهم

بالاخوة .. فاذا جاء شاعر وصاغ نفس هذه العبارات شعرا، ماذا يمكن ان نلاحظ ؟

الطريق المسدود امام الكلاسيكية

ان العقاد لايناقش فكرة المأثورات الشعبية كنداءات الباعة والشحاذين والندب والردح ، وما اذا كان فى الامكان أن تقيم بناء أعمال فنية ناجحة .. ذلك ان شوقى فى قصيدته لم يستلهم المعنى الفنى العميق للفولكلور المصرى حتى تصبح قصيدته تمثلا واعيا بشحنات فنوننا الشعبية وما تتضمنه من دفقات الروح والتراث المصريين ، شحنات اللفظ والدلالة والتاريخ والشعور . ان شوقى يكتفى بتحويل الحكمة الشعبية المتداولة برنينها العذب المألوف الى بناء فصيح مؤسس على الهندسة الكلاسيكية للشعر العربى ، فلا هو يعطى الكلمات المألوفة معنى غير مألوف ، ولا هو يجزل فى العطاء فيسخو على الحكمة القديمة ببناء حديث . وانما نراه قد استدرج اللفظ من مخبئه الشعبى الدافىء الى قصر من الرخام البارد يزهو برصف الكلمات على نحو عروضى موزون غير مختل ، وقافية وقورة غير لعوب . هكذا يتم تكفين المأثورات الشعبية على يدى شوقى فى أردية من حرير فضفاض لهذا يثور العقاد على « ابتذال » شوقى فى استخدام لغة الشارع ، ولا ينبغى — من ثم — أن نفهم ثورته على أنها احتقار للغة الشارع فى ذاتها . فاذا نحن قرأنا لشوقى فى رثاء فريد :

كل حى على المنية غاد ... توالى الركاب والموت حاد
ذهب الاولون قرنا فقرنا ... لم يدم حاضر ولم يبق باد
هل ترى منهم وتسمع عنهم ... غير باقى مآثر وايادى

احسسنا على الفور أن العقاد لم يكن يهزل فى تفضيل أدعية الشحاذين على هذا «النظم» الخالى من حرارة الخلق العفوى والابداع الذاتى . ثم نكاد نوقن بأن احدى ادوات « الصدق » الفنى الاساسية قد غابت عن صياغة شوقى لهذه الابيات تلك هى توظيف الصورة الشعبية المألوفة فى احتواء مضمون جديد، ينتقل بالحكمة العامة التى يمكن ان تقال فى رثاء اى انسان الى المعبرة الخاصة بانسان محدد . لهذا ايضا ، يتوقف العقاد كثيرا عند الابيات التى تصف موقع القبر او استخدام الامثال الدارجة فى مقام الوعظ والارشاد لكى يقرر بعدئذ ان شوقى يهتم اشد الاهتمام بالعرض دون الماهية ، بالمظهر دون الجوهر .. ومن هنا تفتت القصيدة الى منثورات متفرقة لايجمع بينها سوى البحر الواحد والقافية الموحدة . والتجربة النقدية التى اقدم عليها العقاد بتحويل احد الابيات الى نثر خال من الوزن هى تجربة ذات حدين . فالعقاد يؤمن فيما يبدو ، بأن الشعر يمكن ترجمته الى اية لغة انسانية دون ان يفقد شيئا من جوهره ، اذا كان شعرا عظيما بحق . وهذا هو الجانب السلبى فى المنهج التجريبى عند العقاد بشكل عام ، وفى رأيه بصدد ترجمة الشعر على وجه خاص . فأن يصل بنا التجريب الى ان نفترض صورة للعمل الفنى تختلف عما هى عليه بالفعل، يفقد الدراسة الموضوعية عنصرا خطيرا هو ماندعوه بالموضعية فى النقد . وهو ان ندرس النص الادبى الذى امامنا كما هو ، فلا نحاول ان نتحقق من فساده بأن نراه من منظور يستهوينا ، وييسر لى سبل الحكم العاجل . ويشتد الخطأ فداحة اذا عممنا ... الحكم ، او — على اقل تقدير — اذا اغرانا هذا الحكم بالتعميم . فاذا جاء العقاد ولاحظ ان هذه القصيدة او تلك تشوبها النثرية او التفكك لايتعين عليه ان يلجأ الى سرد القصيدة نثرا او تغيير ابياتها من مكان الى مكان ، حتى يثبت لنا — بأسلوب تجريبى — ما آلت اليه القصيدة على يد الشاعر من نثرية وتهافت . ومن ثم نرث حكما عاما الى جانب هذا الحكم الخاص ، وهو ان الشعر يمكن ترجمته محتفظا بقيمته من ناحية ، وان اسقاط عناصر الشعر الوزنية لاتفقد الشعر شاعريته ولا عظمته « وهى مقولات لايوافق عليها العقاد نفسه كما سنرى فى اعماله القادمة ، وان كانت نتيجة حتمية للمقدمات الجزئية التى تبناها على طول هذا البحث .

ومع هذا يتبقى للعقاد من هذه الزاوية احدى القيم الايجابية الهامة التى ارساها فى مشقة واصرار حتى اصبحت من تقاليد النقد المصرى . وهى ان ادوات النظم ليست من جوهر الشعر . ذلك ان شاعرا كلاسيكيا كأحمد شوقى يستطيع ان ينظم بمهارة وتظل قصائده — فى نظر العقاد على الاقل — نثرا . ويستتبع هذه النقطة ان جوهر الشعر لايتطلب من الشاعر اية عناية بالاعراض والمظاهر ، وان هذا الجوهر هو روح حية مندفعة لا سبيل الى الالمام بأطرافها الشكلية ، فهى دائبة التطور والتفاعل ، دائبة الخلق والابداع الى ما لا نهاية .

وهكذا ينتهى العقاد من مناقشة مضمون قصيدة شوقى فى رثاء محمد فريد مقررا ان هذا المضمون خال من الصدق فى المستوى الانفعالى المحض للقصيدة لان الشاعر لم يعكس لنا فى ادوات تعبيره ماتمثل بواسطته هول الكارثة التى وقعت بوفاة محمد فريد . انه يواجهنا لاول وهلة فى تصويره لبشاعة الموت بالمعانى العامة ، والعظات المنبرية التى نلتقى بها فى تحليله لموقف الانسان من النهاية والمصير ، والتهالك على مجموعة من الكليشيهات التى ابتذلت لطول الاستعمال، والانصياع الى تجسيد الجزئيات غير الدالة فى مشاهد الموت من الوفاة الى تشييع الجنازة الى الدفن .. كل ذلك يؤدى بنا الى حقيقة جلية واضحة ، هى ان محمد فريد كزعيم وطنى لم يتوسد قط مكانا فى ضمير شوقى . اما الجانب الانسانى فى حياة الراحل العظيم فلم ينل اشارة واحدة من الشاعر ، مما يؤكد غياب الصدق وحرارة الانفعال من ابيات هذه القصيدة .

ولكن العقاد لم يناقش المضمون الا كمقدمة الى مناقشة الشكل . ومعنى ذلك — منذ البداية — ان العقاد يأخذ بذلك التصنيف الموضوعى للادب الى شكل ومضمون . كما انه يأخذ بالفكرة النقدية القائلة بأن المضمون هو الذى يحدد الشكل وينسجه ويتجسد خلاله . فهاهو ذا يفتتح حديثه عن الشكل فى قصيدة شوقى هذه ، قائلا : **«الا ان شعرا يرصف على هذا المحال لجريرة لم يجنها على لغة العرب الا زغل الصياغة لاجزى الله صانعيها خيرا»** . وهو يستشهد بأبيات من ابن المعتز وابى العتاهية ليدلل على مدى الاذى الفنى الذى يلحق باحدى القصائد حين يركز الشاعر جل انتباهه على الجانب السطحى من الشكل كالاعتماد على التشبيه البعيد المنال . هكذا يبحث من المعنى الذى يمكن ان يدل عليه اللفظ فى قصيدة شوقى . ومن ثم يضحك العقاد كثيرا حين يحدد الفاظ شوقى بهذه المعانى ، ان نعش فريد لو لم يمنعه ناقلوه الى لسعى اليها وحده (لو تركتم لها الزمام لجاءت / وحدها بالشهيد دار الرشاد) .. حينئذ ينجح العقاد فى تعرية القصيدة من وراء اللفظ الخادع ببريق القديم ، فليس ذلك البيت من القصيدة الشوقية الا محاكاة لبيت البحترى (ولو ان مشتاقا تكلف فوق ما / فى وسعه لسعى اليك المنبر) . فالفرق بين البيتين هو الفرق بين الاصل المبدع والصورة المصنوعة ، بعبارة اخرى هو الفرق بين الشعر العظيم والنظم الكلاسيكى على منواله . وهذا هو دور الجانب السلبى فى الموروث الادبى من ناحية ، وتلك هى الاستجابة الكلاسيكية فى مرحلة حضارية متخلفة تنادى بالبعث من ناحية اخرى . فتلك هى الحلقة المفرغة من التشبيهات التى ذكر العقاد ان القدماء اسرفوا فى تضخيمها بحيث ان العلاقة بين التشبيه والمشبه به اضحت مع الزمن علاقة طلسمية ، لانهم جعلوا من التشبيه غاية فانصرفوا اليه « **ولم يتوسلوا به الى جلاء معنى او تقريب صورة ثم تمادوا فاوجبوا على الناظم ان نلصق بالمشبه كل صفات المشبه به ، كأن الاشياء فقدت علاقاتها الطبيعية، وكأن الناس فقدوا قدرة الاحساس بها على ظواهرها** » .

هذا هو الشق الاول من الجانب السلبى — على سبيل المثال — اما الشق الثانى فهو استجابة المرحلة الكلاسيكية لمسالب

التراث فى صياغته الشكلية دون استلهام روحه الخلاقة فى صياغة عصره .

كان العقاد يتقدم باتجاهه الجديد فى النقد الادبى ، وهو يعلم انه يشق ارضا بكرا فى امس الحاجة الى الحصيلة النظرية ، بنفس القدر من حاجتها الى الواقع التطبيقى . لذلك يضطر كثيرا الى ان يتوقف بين الحين والحين — فى غمرة تحليل شوقى ونقده — ليتصدى لتحليل فكرة نظرية عن الشعر ونقده . فاذا تصدى لاداة التشبيه فى الشعر العربى ، فانما ليركز على مسألة تبدو بديهية وان كانت بحاجة دائمة الى التاكيد ، وهى ان اداة التشبيه اداة توصيل وجدانية من عقل الشاعر وضميره الى عقل القارىء وضميره . واذا كان الشاعر الحقيقى هو من يشعر بجوهر الاشياء ، لا من يعددها ويحصى اشكالها والوانها ، واذا كانت مزية الشاعر ليست هى ان يقول لك عن الشىء ماذا يشبه وانما مزيته ان يقول ما هو ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به ، فان التشبيه « **انما ابتدع لنقل الشعور بهذه الاشكال والالوان من نفس الى نفس . وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه الى صميم الاشياء يمتاز الشاعر عن سواه .. لانه يزيد الحياة حياة كما تزيد المرآة النور نورا** » . هذه اذن احدى الافكار النظرية حول الشعر عند العقاد . ومن بوادر الاتساق فى تفكير العقاد انه يوائم — او يحاول ذلك — بين نظرية الشعر ونظرية النقد . فالفكرة السابقة عن جوهر الشعر تقوده الى القول : « **ان المحك الذى لايخطىء فى نقد الشعر هو ارجاعه الى مصدره ، فان كان لايرجع الى مصدر اعمق من الحواس فذلك شعر القشور والطلاء ، وان كنت تلمح وراء الحواس شعورا حيا ووجدانا تعود اليه المحسوسات كما تعود الاغذية الى الدم ونفحات الزهر الى عنصر العطر .. فذلك شعر الطبع القوى والحقيقة الجوهرية** » . هذا التصور النظرى للنقد هو الذى يقوده بالضرورة الى المقارنة بين قصيدة شوقى التى تعارض المعرى فى احد اجزائها وبين قصيدة المعرى .. وهو بهذه المقارنة فى ذاتها يدلل على اهمية الملاحظة التى الحت اليها ، وهى ان العقاد كان يلج عالم الادب الحديث قبل ان تكون التربة المصرية ممهدة لذلك . فالتحليل والمقارنة هما عماد النقد الحديث . وقد استخدمها العقاد — فيما راينا — استخداما حاذقا هو جزء خصب من تراثنا المحلى فى مفهوم الحداثة فى كل من الادب والنقد .

ونعود الى القول بأن العقاد كاتب الشعب الوطنى آنذاك ، ماكان يستطيع — مخلصا — ان يلتقى بشاعر السراى ، حتى اذا مد الشاعر الملكى احد الجسور المغرية للصور واللقاء ، كما راينا فى رثائه لمحمد فريد . ان الوضعية الاجتماعية للعقاد ، وتقدم الفكرة السياسية عنده فى ذلك الوقت ، كلاهما دفعه لان يمجد محمد فريد ويفضله على مصطفى كامل (راجع التذييل بالديوان) بل ويضعه فى مصاف شهداء الانسانية فى العالم كله ، كما جاء فى مقاله بمجلة « المصور » قبل ذلك التاريخ بعامين . هذا الكاتب المناضل — فى المستوى السياسى والاجتماعى — كان لابد ان يتبنى اكثر الاتجاهات الثورية نضجا فى النقد الاوروبى الحديث ، كمدخل لدراسة اكثر الاتجاهات الكلاسيكية نضجا فى الشعر المصرى الحديث وهو بهذا الاختيار الناضج كان يشارك فى وضع الاساس فى بناء عصر النهضة الادبية بتاريخ الفكر المصرى الحديث .

بين الخلق والنقد

وفى خط مواز لاعمال العقاد النقدية التى واكبت تطور الادب فى مصر مواكبة حية متطورة الى بداية الاربعينات ، كانت هناك اعماله الشعرية « يقظة الصباح ١٩١٦ ووهج الظهيرة ١٩١٧ واشباح الاصيل ١٩٢١ واشجان الليل ١٩٢٨ وقد ظهرت هذه الدواوين الاربعة تحت عنوان موحد عام ١٩٢٨ هو « ديوان العقاد » . وهو مزيج مركب من العاطفة الرومانتيكية والاتجاه العقلى الصارم ، وهو ايضا مزيج مركب من الاحساس بالطبيعة كطرف مقابل بالاحساس بالناس ، وهو اخيرا مزيج مركب من الشعور الفردى الخالص والشعور الاجتماعى الذى يصارعه .

قال فى « يقظة الصباح » :

ظلموا الوحش ، وهو والله احرى
منك بالامن ايها الانسان

وتحت عنوان « الم اللذة ولذة الالم » يقول :

اذا صاحت الاطماع فاصبر فانها
تنام اذا اطال الصياح على النهم

ويتبلور رايه فى الحياة :

قالوا « الحياة قشور »   قلنا : « فاين الصميم ؟ »
قالوا : « شقاء » فقلنا :   « نعم ! فاين النعيم ؟
ان الحياة حياة   ففارقوا او اقيموا »

ومنذ ١٩٣٣ الى ١٩٥٠ اصدر على التوالى « هدية الكروان » و « عابر سبيل » و « اعاصير مغرب » و « بعد الاعاصير » وقد تابع فيها منهجه الشعرى الذى يجمع بين الحس الرومانتيكى الحالم والرؤية العقلية الصارمة فى مزيج واحد . وهو نفس المنهج الذى نلتقى به فى روايته الوحيدة « سارة » فهى اقرب ماتكون الى الدراسات التحليلية فى الشك والغيرة بالرغم من انها « قصة حب » عادية تدور بين انثى « وثنية الاخلاق » كما وصفها احد النقاد ، هى « سارة » الزوجة الفاشلة فى زواجها ، والحبيبة التعسة فى حبها ، والام التى خوت حياتها من رائحة الامومة ، وبين « همام » الرجل المعتد بذاته الى درجة الغرور ، الرجل الذى يرى فى سارة جسدا يخاطب العقل ، وعقلا يخاطب الجسد ، فما كان منه ومنها الا ان اقاما حجابا كثيفا من (الشك) بين العقل والجسد ، فانتهت قصتهما يعلق بها رائحة المأساة ، وهى ليست بمأساة لانها انتهت كما بدات لا دلالة لها سوى عذاب الرجل اذا وقع اسيرا لعقله ، وعذاب الانثى اذا وقعت اسيرة لجسدها

ويكاد يجمع النقاد على ان سارة بطلة هذه القصة هى التى انقذتها من البوار ، لان الاضواء التى سلطها العقاد على هذه المراة الجميلة المحبة هى التى جعلت منها شخصية انسانية ماثلة فى الاذهان منذ صدرت عام ١٩٣٨ . اذ ان الرواية بعد هذه الشخصية تخلو تماما من النبض الحى الذى يخلق حرارة العمل الفنى ويكتب له البقاء ، ان « سارة » بغير سارة البطلة ، مجموعة من التقارير النفسية الجافة التى يحفل بها تفكير العقاد آنذاك . لقد كان عام ١٩٣٨ — قبله بقليل وبعده بقليل على وجه ادق — بداية مرحلة جديدة فى حياة العقاد الادبية والنقدية اذ نراه يميل بشكل واضح الى التفسير النفسى للادب فى كتابيه « ابن الرومى » الذى كتبه حقا عام ١٩٣١ ، ولكن امتداداته فى « شاعر الغزل » و « برنارد شو » و « بين الكتب والناس » و « الحسن بن هانىء » تؤكد ان العقاد الذى ينطلق تفكيره من الايمان المثالى بالفرد المتميز ، العبقرى ، المتفوق ، قد املى عليه ان يبحث عن هذا التفوق والامتياز فى ذاته الفردية ، فى « نفسه » . وربما كانت النشأة الاولى للعقاد قد شاركت فى تكوين هذا المنهج الفردى لان شخصيته الانسانية وما تتسم به من كبرياء و « بطولة » وتفوق لابد وانها قد امتصت الكثير من حياته التى خلت من اى تعليم منظم او رخاء فى العيش . الا ان نقطة الانطلاق الذاتية هذه قد ادت به فى المدى الطويل الى انحرافات لانهاية لها ، انتكست بدوره النقدى الحافل بالانتصارات ابان العشرينات والثلاثينات الاولى من هذا القرن ، وتحولت به الى قطب للرجعية الادبية منذ اواسط الاربعينات الى وفاته عام ١٩٦٤ . وربما كانت المرحلة الواقعة مابين ١٩٥٤ و ١٩٥٦ من اهم المراحل الحاسمة التى شكلت نقطة التحول النظرية فى موقفه الجديد . فقد توقف بمنهجه النفسى عند حدود الاشكال التقليدية فى الشعر

والنقد ، ومن ثم فقد دق طبول الحرب على الاتجاه الواقعي في ادبنا الحديث » ونشر سلسلة من المقالات التي تهاجم نقاد الدعوة الواقعية — من امثال الدكتور عبد العظيم انيس ومحمود امين العالم — هجوما يبطن النظرة الذاتية للامور ، والاتجاه الشخصي في البحث ، بل لجأ مباشرة الى استعداء سلطات الدولة على جميع الاخذين بهذا الاتجاه حين الصق بهم تهما سياسية وخرج نهائيا من نطاق البحث الادبي «ولا شك ان الدعوة الواقعية بما كانت تتضمنه من موقف تقدمي، موقف يتخذ من الفكر الاشتراكي مضمونا له ، ومن حياة الجماهير الشعبية ونضالها خامة فنية ، ومن ادوات التعبير الخادمة لهذه الاهداف كاستخدام العامية المصرية في القصة، والاقتصار على وحدة التفعيلة في الشعر الجديد ، لاشك ان هذه الدعوة في جوهرها كانت تتناقض تماما مع ماذهب اليه العقاد في المرحلة الجديدة من حياته الفكرية والسياسية من عداء سافر للفكر الاشتراكي ، والجماهير الشعبية المناضلة، واشكال التعبير الفنية الخادمة لهذه الاهداف »

وهكذا اصبح العقاد في منصبه الرسمي بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، ومن فوق منبره الاسبوعي بجريدة اخبار اليوم ، ومن طريق مؤسسات النشر الكبرى كفرانكلين ، صوتا جهيرا يدافع عن القيم المتخلفةالتي جاوزها التطور ، فيحيل الشعر الجديد الى لجنة النثر « للاختصاص » ويهدد بالاستقالة اذا اختير الشعراء «الجدد» في مهرجانات الشعر ومؤتمرات الادب ، ويمنع جوائز القصة عن نماذج الادباء الشبان الذين يستخدمون العامية في الحوار باصدار التشريعات التي تمنع ذلك .

عندئذ تخلى العقاد نهائيا عن دوره الثوري ، وتوقف تماما عن الاضافات الحية الخلاقة والعطاء الجديد ، وتحدد موقفه في الطرف النقيض من كل ما هو متطور في حياتنا الجديدة

القسم الثالث

العقاد.. سياسيا

لقد مرت حياة العقاد السياسي بمرحلتين بالغتي التمايز من ناحية اثرهماالسياسي وطبيعة دوره فيهما . **المرحلة الاولى** من بدايةحياته حتى سنة ١٩٣٦ ، **والمرحلة الثانية** منسنة ١٩٣٦ حتى وفاته .

وتتسم المرحلة الاولى ببروز الجانب السياسي في حياة العقاد بشكل أوضح من المرحلة الثانية حيث بدأ يتراجع هذا الدور أمام نشاطه الفكري ومساهماته الفكرية العامة . ففي حين ألف في المرحلة الاولى ٢١ كتابا ، فانه كتب في الثانية ما يزيد من ٧٥ كتابا ، برغم ان الفترة الزمنية لحياتهالادبيةفي كليهما تكاد تكون متساوية . وقد كتب في المرحلة الاولى أربعة كتب سياسية صرفة وقدم مساهمات بارزة ومباشرة في الشئون السياسية العامة في حين كتب في المرحلة الثانية حوالي ١٥ كتابا سياسيا بحتا وقدم مساهمات اقل بروزا وابعد عن التأثير الثوري المباشر في القضايا السياسية العامة . على ان المسألة لا تتعلق هنا برغبة الرجل الذاتية ، أو باختياره الشخصي البحت فحسب ، وانما تتعلق ايضا بطبيعة الظروف الاجتماعية والسياسية العامة ومدى ماكان باستطاعة من يسمون «بالكتاب الكبار» ان يسهموا اسهاما فعالا له‌خطره فيتشكيل تلك الظروف وتحويلها. وتنطبق هذه الحقيقة بشكل خاص على طبيعة الاوضاع الجديدة التي تشكلت في بلادنا عقب ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

وثمة حقيقة هامة اخرى وهي أنه ربما كان أعمال الفكر في الشئون السياسية واتخاذ مواقف سياسية مباشرة محددة ، اكثر بروزا ووضوحا في حياة العقاد الاديب والكاتب الكبير عن غيره من كبار الادباء والكتاب الذين عاصروه ، بحيث اننا يمكن ان نعده من اكثر الادباء المصريين في جيله ، التصاقا بمعارك النضال السياسي والاجتماعي المباشرة ، تقدما أو رجعة على خط سواء .

المرحلة الاولى من بداية حياته حتى سنة ١٩٣٦

وتعتبر هذه المرحلة هي الاكثر اهمية في حياة العقاد السياسي لانها تحوي اغلب واخطر مساهماته المباشرة في الحياة السياسية المصرية والصراع الحزبي ، وبها ترتبط في الحقيقة معظم الايجابيات التي حواها تراثه السياسي موقفا وفكرا — والتي كونت مع سائر مواقفه وافكاره التالية القيمة الموضوعية التي شكلها جماع تراثه في تطور الفكر الاجتماعي والسياسي في بلادنا .

لقد غلب على هذه المرحلة طابع مساهمة العقاد عن طريق «الموقف» و «الفكرة» ، بينما غلب في المرحلة الثانية من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٦٤ طابع مساهمته عن طريق « الفكرة » اساسا والتي تشتمل على «موقف فكري» دون ادنى شك بينما اتسمت هذه المرحلة الاولى بطابع المشاركة الحارة في النضال الوطني والديموقراطي المصطرع، اتسمتالثانية باتجاه الانعزال اكثر لصالح الصومعة الفكرية . ولم يكن بالصدفة قط ان الوضعين كانا متغيران كيفا على صعيد مساهمة العقاد العامة .

حزب المفتي لا الحزب الوطني ولا حزب الامة

كانت تتوزع الحياة السياسيه المصرية ثلاثة أحزاب عندما بدأ العقاد الشاب يدخل ميدان الحياة العامة عن طريق الكتابة الحزب الوطني حزب **مصطفى كامل** الذي كان يناضل لمقاومة المحتلين البريطانيين ولكن في اطار يغلب عليه — ولو تكتيكيا — الانضواءفيالكيان العثماني.وحزب الامة ،حزب الاعيان وكبار الملاك والذي كان **احمد لطفي السيد** ابرز شخصية منتقفة فيه ، وينادي بتحقيق التقدم والاتساع في الحياة النيابية والدستورية دون صدامءمع البريطانيين . وحزب الاصلاح على المبادىءالدستورية ،

حزب الشيخ **على يوسف** ، وكان يمثلّ اتحاه القصر والخديوى، وكانت جرائد «اللواء» ، و «الجريدة» ، و «المؤيد» لسان حال هذه الاحزاب على الترتيب .

وبينما وقف معظم الشبان المصريين فى الفترة التى سبقت الحرب العالميه الاولى الى جانب الحزب الوطنى وخاصة من بين طلاب مدرسه الحقوق الذين كانوا اكثر الطلبة اشتغالا بالسياسة ، ووقفت طائفة اخرى منهم من ابناء «العائلات» الى جانب حزب الامة ، ومزقت اغلبية الشباب عن حزب الاصلاح . بدأ العقاد حياته مستقلا عن الاحزاب .

« كنت من فريق الشباب القلائل الذين نفروا من الاحزاب منذ اللحظة الاولى ، فلم يكن لى حزب اتعصب له وانتمى اليه ، ولم تكن لى صحيفة اتشيع لسياستها ومنهجها فى كتابتها ، ولكنى كنت افضل «الجريدة» فى جانب الثقافة ، وافضل «اللواء» فى شدته على الاحتلال والوزارة ، واقرأ «المؤيد» لمقالاته الشرقية والاسلامية واعتقد ان الخطة المثلى هى خطة «مصر للمصريين» تمييزا لها من خطة المحافظة على السيادة العثمانية، وكان بعضهم يرخص فى تسمية هذه الخطة واصحابها باسم «حزب المفتى» لان الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله ، كان اشهر المعروفين بذلك الرأى فى تلك الفترة ومعه فى ذلك سعد زغلول واحمد لطفى السيد» (١)

على انه ينبغى الا يحظى بالاستغراب ضم اسم احمد لطفى السيد رجل حزب الامة البارز الى هذا الاتجاه الاكثر تقدما ، لانه ينبغى الا يغيب من البال حقيقة ان احمد لطفى السيد لم يكن نسخة فكرية وسياسيه مكررة من باشوات حزب الامة الرجعى امثال **محمود سليمان** ، **وحسن عبد الرازق** ، **وعلى شعراوى** الخ وانما كان تيارا فكريا خاصا داخل هذا الحزب تيارا محددا فى الحياة المصرية عموما ، يدعو الى نفكر ليبرالى (حر) متفتح على الثقافة الغربية ويستهدف اتجاه مصر وجهة غربية عصرية فى ثقافتها الجديدة فى العلم والسياسة والمجتمع تلك الحقيقة التى جذبت اليه الثلاثة الكبار فى شبابهم : **سلامة موسى** ، **العقاد** ، **طه حسين** .

وقد تعرف العقاد الصبى على آراء **جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده** وهو لما يزل بعد فى الرابعة عشرة من عمره بعد ان اتم دراسته الابتدائية سنة ١٩٠٣ من مدرسة اسوان الاميرية . تعرف عليها من مجالس الاستاذ الاديب القاضى الشيخ **احمد الجدواى** وهو خريج الازهر لازم الافغانى اثناء اقامته بمصر . وكان يدعوه الى هذه المجالس ، ويدعو هذا الشيخ لزيارتهم بمنزل الاسرة . ونعرف فى هذه المجالس ايضا على كثير من اراء **عبدالله النديم** كاتب الثورة العرابية وخطيبها ، وكان قد تسنى له الاطلاع على طائفة من اعداد مجلة «السمير» ، وصحيفة «الاستاذ» التى كان يصدرهما النديم . وراعه فيها براعته الفائقة فى الكتابة واختيار العناوين حتى انه اخرج صحيفة على غرار الاستاذ سماها « التلميذ » كان يجعل المقالة الافتتاحية بها معارضة لاحدى مقالات النديم المشهورة الا انه بدافع من نزعته المنفردة لم يعتبر نفسه تلميذا فى مدرسة **النديم** «ولم يشعر بأن الرجل قدوته المختارة بين أمثلة النبوغ الذى يتمناها ، أو بين الشخصيات المثالية التى يجلها ويحب ان ينتمى اليها» (٢)

وقد صدمته حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ صدمة كبيرة ، وبالرغم من انه كان يأخذ على الشيخ جمال الدين الافغانى قبل هذه الحادثة ، انه اوعز بقتل شاه ايران ولا يرى رأى من يبررون القتل السياسى ، بأنه أصبح بعدها «يبرر أى شىء فى حدة الانفعال الوطنى » . (٣)

وبرغم ان الدكتور **شوقى ضيف** فى كتابه «مع العقاد» قد اشار الى تأثر المدرس الشاب **عباس العقاد** من تجهم **مصطفى كامل** من ردوده اثناء زيارته هو والكاتبة الفرنسية **«جوليت آدم»** والكاتبة الليبرالية الانجليزية **مسزيونج** بالمدرسة الخيرية الاسلامية بأسوان، مما أدى الى عزوف العقاد عن مصطفى كامل ، وبرغم ان هذا الرأى يمكن ان تكون له بعض الوجاهة ، خاصة اذا كان متعلقا بشخصية بالغة الترفع والاعتداد كشخصية عباس العقاد الا ان ماسنتطرد اليه الدكتور شوقى ضيف من ان «هذا العزوف (عن مصطفى كامل) أخذ يتسع على ضوء من دعوة الشيخ محمد عبده وتلاميذه القائلين بفصل مصر عن السيادة العثمانية» يمكن أن يكون هو العنصر الاساسى فى الموقف بشكل عام . يقول العقاد فى واحد من آخر كتبه (٤) : **«لم اشترك فى الحزب (يقصد الحزب الوطنى) بعد اعلان تاليفه كما اشترك فيه زملاؤنا الصحفيون ، ولا يخطر لى الان ، ولم يخطر لى قبل الان ، ان تلك الصورة التى ارتسمت فى ذهنى من لقاء مصطفى كامل للمرة الاولى هى التى اخرتنى عن طلب الاشتراك فى حزبه فلم يزل مصطفى كامل احب المجاهدين الينا فى حومة القضية الوطنية واعلامها يومذاك ، وكنت أتشيع له اذا نشبت المعركة بينه وبين خصومه .... وفى المعارك القلمية كنت اجد نفسى الى جانب مصطفى كامل ، كلما نشبت الخصومة الحامية بينه وبين على يوسف .... وبعد ان عرفت من حقائق الدعوة الوطنية وحقيقة نفسى مالم اكن اعرف ، استطيع ان اقول ان اختلاف الطبيعة البعيد قد رسم امامى مثالا للامامة المذهبية غير هذا المثال ، فان مصطفى كامل كان من اصحاب الطبيعة الخطابية الشعورية وكانت الطبيعة الادبية والفكرية اقرب الى واحرى بالاتباع فضلا عن نفور اصيل عندى من التقيد بالحزبية فى الرأى . واختلاف الطبيعة هو الذى جعل لى سبيلا فى المسائل القومية غير السبيل التى كان يختارها مصطفى كامل فى كثير من مواقفه العامة . فلم يعجبنى موقف المصرى المتوسل امام تمثال فرنسا يناجيها ويناديها :**

يا فرنسا يامن رفعت البلايا
عن شعوب تهزها ذكراك
انقذى مصر ان مصر بسوء
وارفع النيل من مهاوى الهلاك

«ولم يكن ادب فرنسا ، ولا مااطلعنا عليه من تاريخ ثورتها داعيا عندنا للثقة بنجدتها واستعدادها لانقاذ مصر او سواها ، ولم نكن طبيعتى التى تابى طلب المعونة من القادرين عليها ، كما تابى طلبها من العاجزين عنها، مما يقنعنى بامكان التعويل فى قضية الاستقلال على معونة دولة قط ، من الدول الكبار او الصغار »

«ولهذا ايضا لم يعجبنى تعليق الاستقلال المصرى بالسيادة العثمانية، لاننا على عطفنا الدائم على الدولة العثمانية فى مكافحتها للتعصب الاوربى ، لم نكن نفهم ان هذا العطف ينتهى بجهادنا الى الرضا باستقلال تشرف عليه سيادة دولة اخرى ، وقد كان مصطفى كامل يمزج كثيرا بين المصرية والعثمانية «للدرجة انه فى سؤال من الجنرال «بارنج» شقيق اللورد كرومر عن جنسيته اجاب بانه «مصرى عثمانى» .

---

(١) عباس محمود العقاد ــ كتاب « رجال عرفتهم » الصادر ١٩٦٢.
(٢) الدكتورة نعمات احمد فؤاد « لمحات من حياة العقاد »
(٣) نفس المرجع السابق
(٤) رجال عرفتهم ــ الصادر سنة ١٩٦٢ ص ٤٦

كذلك كان العقاد يحس فى مصطفى كامل نزوعا الــــى الارستقراطية على الرغم من دعوته الديمقراطية «ولم يختلف فى كثير ولا قليل عن أبناء عصره فى تعظيم الالقاب الرسمية واعتبارها «انعامات» مشرفة لمن يتلقاها (٥) كذلك رأى ان ثورته اوشكت ان تنحصر فى مقاومة الاحتلال دون ان تضيف الى ذلك دعوة واضحة الى التغيير فى النظم التى كانت قائمة فى حياة بلادنا الاجتماعية والسياسية .

ومع ان كثيرا مما انتقده العقاد فى الحزب الوطنى ، وجده فى التيار المتحرر الذى مثله احمد لطفى السيد فى حزب الامة . ذلك التيار الذى جمع الى جوار لطفى السيد عددا من اعضاء الحزب من تلاميذ الشيخ محمد عبده الذى كان اعظم المعاصرين خطرا فى نفس العقاد . الا ان وجود طائفة كبيرة من الاقطاعيين المصريين وابناء البيوتات ذوى النزعة الارستقراطية فى هذا الحزب حال بين العقاد وبين الانضمـــاج . فى اسرة «الجريدة» لسان حال حزب الامة .

واخيرا وجد العقاد ، انسب مكان له وهو العمل فى جريدة «الدستور» مع صاحبها محمد فريد وجدى عضو الحزب الوطنى والعالم المؤرخ المشهور بثقافته الاسلامية الفلسفية والشخصية الاجتماعية «المتفردة» فى عاداتها وسلوكها . وكانت الدستور تعد «اللسان الثانى» للحزب الوطنى بعد «اللواء» لسانه الاول . ولكن صاحبها امتاز بحرية عقلية واسعة جعلته يصطدم احيانا بمصطفى كامل كما جعلته يسمح للشاب الناشىء عباس العقاد ان يخالفه فى بعض ارائه ، وبعض مبادئه السياسية خاصـــة مبدأ السيادة العثمانية على مصر . وكان من رأى فريد وجدى عنـد تأليف الحزب الوطنى ان يكون تبليغ تأليفه والاحتجـــاج على الاحتلال عاما غير مقصور على الدولة البريطانية ، فلم يقبل مصطفى كامل اقتراحه فاستمر فريد وجدى يؤكد رأيـــــه فى «الدستور» حتى أصابها الضعف بسبب معارضتها لمصـــطفى كامل »

ومن اشهر المواقف التى خالف فيها العقاد الحزب الوطنى هو موقف الحزب من سعد زغلول . وقد سمح محمد فريـد وجدى للعقاد بنشر حديثه مع سعد زغلول ، وهو أول حديث صحفى مع وزير مصرى ، نفى فيه العقاد مانسبه الحزب الوطنى ومحررو اللواء الى سعد من تخليه عن اتمام مشروع الجامعة المصرية بوحى من الانجليز وقصر الدوبارة . وهو النفى الـذى تأكد فى الايام التالية عند مانفذ المشروع . وكان العقاد فى تلك الفترة يجل سعد زغلول تلميذ الشيخ محمد عبده لمواقفه الوطنية وعلى رأسها تعريب التعليم فى المدارس وجعل اللغة العربية لا الانجليزية لغة المواد المختلفة .

ولم يتجه العقاد بشعره السياسى فى تلك الفترة الى مدح اصحاب السلطان ، كما كان يفعل عديد من الشعراء الاخرين ، اذ كان يضمر كراهية شديدة للخديو عباس وللخليفة العثمانى والعناصر الظالمة الملتفة حولهما . ولم ينصرف عن هذا الاتجاه الا مرة واحدة مدح فيها السلطان عبد الحميد «وكان لها تبريرها الشعبى اذ رآه يعلن الدستور فى سنة ١٩٠٨ نزولا على ارادة شـــعبه التركى» (٦)

وحين يحاول الخديو عباس بخبث استئصال نهضة الاصلاح فى الازهر بعد وفاة الشيخ محمد عبده ، شن العقاد هجومـــه عليه فى مقال طويل آثر الا ينشره فى صحيفة «الدستور» حـــتى لا يحرج صاحبها المعروف بارائه الدينية المستقلة ، ونشره فى صحيفة الاخبار التى كان يحررها الصحفى توفيق حبيب . وكاد العقاد يقدم للنيابه بحجة عيبه فى الذات الخديوية لكن الحاشية الخديوية خشيت من ان يكون ذلك مجالا لاثارة القضية الازهرية على السنة الصحف والرأى العام .

أيام صعبة

وتغلق صحيفة «الدستور» بسبب العجز المالى ، ويعـــم جو من الكآبة والكساد فى ميدان الصحافة على اثر صدور قانون المطبوعات الجائر سنة ١٩٠٩ . «وعاش العقاد بدون عمل . ومرت به أيام سوداء لم يجد فيها من يسنده . فقد توفى ابوه واضطر الى بيع كثير من كتبه العربية والغربية ليشترى ما يسد به رمقه، مما اضطره الى اعطاء دروس خصوصية نظير كسوة تقيه غائلة الحر والبرد . ولم يعد يستطيع ان يدفع ايجار مسكنه . فرجع الى بلدته وهناك ازداد به الاعياء حتى خال انه فريسة لمرض الصدر وانه ميت لا محالة ، وظل يتجرع غصص الاعياء الجسدى نحو عامين عاشهما فى يأس متصل . وعندما يعود اليه شىء من قواه ، يعود ثانية الى القاهرة محاولا بأرادته الحازمة الصارمة ان يصرع يأسه واوهامه التى سيطرت عليه ويعيش مما يرسله اليه اهله ومن المقالات والفصول المترجمة لمجلة البيان التى كان تصدر منذ سنة ١٩١١» (٧)

الموقف حتى قيام الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤

وجرب العقاد بعد ذلك الوظائف الحكومية فاشتغل موظفا بالقسم المالى بمديرية الشرقية ، ثم اشتغل من سنة ١٩١٢ الى ١٩١٤ بقلم السكرتارية بوزارة الاوقـــاف حيث كان يعمل نفر كبير من أدباء مصر المعروفين فى ذلك الوقت من امثال محمد المويلحى، وعبد العزيز البشرى، واحمد الازهرى واحمد الكاشف وكامل كيلانى .

وكان العقاد فى الفترة من سنة ١٩١٢ الى سنة ١٩١٤ يكتب فى جريدة «الجريدة» التى أسسها لطفى السيد ويشارك فى تحريرها مع محمود عماد ، وعلى شوقى والمازنى ، وعبدالرحمن شكرى وطه حسين ، ومحمد صبرى ، وأيضا كامل كيلانى من المثقفين الشبان فى ذلك الجيل والذين كانت تتراوح أعمارهم حينذاك بين الثالثة والعشرين والخامسة والعشرين .

وأثناء عمله بوزارة الاوقاف شن العقاد حملة عنيفة على الخديوى الذى كان يصطنع كل وسيلة لاختلاس اموال الصدقات وأنبرى يكتب فى الصحف بدون توقيع ، بعض ما يراه من مقترحات لدرء الفســاد . ولم يخف على العنــاصر الخديوية وعلى الانجليز فى قصر الدوبارة أنه صاحب هذه المقترحات . وفى مقابلة للسكرتير الشرقى مع العقاد، حاول أن يعزى فضائح ديوان الاوقاف الى حرمانه من الرقابة الاجنبية ، الا أن العقاد الذى ثار على وجهة النظر هذه أوضح له أن المجلس البلدى فى الاسكندرية الذى يتمتع بتلك الرقابة ، يستشرى فيه الفساد ايضا ، وختم الحديث معه ختاما صارما . ولما انشئت الجمعية التشريعية فى سنة ١٩١٣ وحولت الديوان الى وزارة حتى تستطيع الاشراف على ميزانيته وتغل يد الخديوى ، لم تنس الحاشية الخديوية للعقاد موقفه . وبتأثير احمـد حافظ عوض الذى أصبح المحرر الاول لصحيفة المؤيد والذى زين له الاستقالة من وظيفته ليعمل مشرفا على صفحة الادب استقال العقاد فعلا وعمل بها . الا أنه ترك المؤيد الى غير رجعة ، غضبا لكرامته

(٥) رجال عرفتهم ـــ مصـــطفى كامل ص ٤٨ ـــ تاليف عباس محمود العقاد
(٦) د. شوقى ضيف : مع العقاد
(٧) نفس المرجع السابق

عندما قدمت له رشوة كى يشترك فى حملة الثناء على الخديوى عباس أثناء رحلته سنة ١٩١٤ فى الوجه البحرى . وبعد أن أقام فى القاهرة عدة أيام ، توجه الى اسوان حيث كتب كتابه «ساعات بين الكتب» الذى أودعه تأملاته فى أهم مذاهب الفكر الحديث وخاصة مذهب داروين فى النشوء والارتقاء ومذهب نيتشه فى السوبرمان .

اثناء الحرب العالمية من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨

وبنشوب الحرب العالمية الاولى ، وأعلان الاحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف ، وجد العقاد الا مناص من بقائه فى بلدته ، اذ عطلت اكثر صحف القاهرة ، وما بقى منها أصبح تحت رحمة قيود الرقابة المديدة . واستمرت السلطة العرفية تسجن وتنفى الوطنيين المخلصين الى أوروبا او الى مالطة . وكان ممن نفتهم الى مالطة ناظر مدرسة المواساة الاسلامية بأسوان ، فخلفه عباس فى عمله تحديا للسلطات ، ولما استبد مدير اسوان وبطانته بالشعب هناك استبدادا عنيفا وكانوا يؤمون ناديا ويؤمه معهم بعض اعيان البلدة، كتب عباس مقالة اسماها «نادى العجول» هجاهم فيها هجاء لاذعا فكها شاع على كل لسان حتى استشاط المدير غضبا واستعدى عليه مفتش الداخليه الانجليزيه فحددت اقامته ووضع تحت مراقبة شديدة واخذ يكتب شكاوى كثيرة — تصور ظلمهما وبغيهما وفسادهما — الى جعفر والى وكيل وزارة الداخلية وتحين فرصة هرب فيها الى القاهرة سنة ١٩١٥ . وأتصل به هناك وأطلعه على حقيقة الوضع فأمر باحالة المدير الى المعاش ونقل الثانى من أسوان .

ولما كان العقاد يبحث عن عمل له فى تلك الفترة ، عرض عليه **جعفر والى** ان يعمل فى رقابة الصحف فقبل ، غير انه لم يمض فيها سوى ٦ أيام اذ توالت عليه التنبيهات بأن أخبارا تنشر وكان ينبغى الا تنشر واصطدم به الرقيب الانجليزى العام مستر **هور تيلور** فقدم استقالته وقبلت فى الحال . وعمل هو وصديقه **((المازنى))** بعد ذلك مدرسين بالمدرسة الاعدادية الثانوية الاهلية ، فلما استقالا من التدريس ، عرض عليه **((يعقوب صروف))** صاحب **((المقتطف))** وكان معجبا به ، ان يعمل مراسلا حربيا تحت القيادة العسكرية الانجليزية لمنطقة الحدود المصرية الشرقية ، ولكن العقاد بادره بأن واجب الدفاع عن الحدود ينبغى أن يكون لمصر وحدها وأبى له شرفه الوطنى تلك الوظيفة . فهيأ له **((صروف))** الفرصة كى يشتغل مع صاحبه المازنى مدرسين بمدرسة وادى النيل الثانوية غير أنهما استقالا بعد ذلك من هذه المدرسة بسبب انقطاع الراتب وسوء أحوال المدرسين المالية . وبعدها يئسا من العمل فى التدريس والصحافة معا وسكنا فى حى الامام الشافعى للاقتصاد فى نفقاتهما المعيشية اقتصادا قد يغنيهما عن العمل لبضعة أشهر حتى تتبدل الحال .

وبينما كانا يعانيان من تلك الاوضاع الصعبة ، يرسل **((عبد القادر حمزة))** الى العقاد قبيل انتهاء الحرب الاولى عارضا عليه العمل معه فى تحرير صحيفة «الاهالى» بالاسكندرية والتى كان **محمد سعيد باشا** قد عمل على انشائها حين تولى رياسة الوزارة من سنة ١٩١٠ الى ١٩١٤ وظلت تعبر عن أتجاهه ، ولم يكد يبلغ عباس العقاد استدعاء عبد القادر حمزة له حتى أسرع اليه واخذ يشترك معه فى تحرير الاهالى ، غير أنه لم يلبث أن كف عن الكتابة لها حين اخذت تنحرف عن التيار الوطنى العام .

ظهور الوفد وتعاطف العقاد معه

وبمجرد ما وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، حتى بدأت الدعوة الوطنية تشتد وتقوى على يد الوفد المصرى الذى تكون فى ٢٣ نوفمبر من نفس العام ، وبدأ نضالا عنيفا اسهمت فيه صحيفة **((الاهالى))** وغيرها من الصحف واندلعت الثورة فى مارس ١٩١٩ وازدادت عنفا وحدة ، ورد الانجليز بمحاولة قمعها بالنفى والسجون . واضطرت وزارة **رشدى باشا** الى الاستقالة وخلفتها وزارة **محمد سعيد** فى ٢١ مايو ، وكان عثمانى النزعة فى تفكيره وشعوره . وثار الرأى العام على سعيد وثار معه العقاد . واستقال من صحيفة «الاهالى» وفتحت له «الاهرام» ابوابها فمضى يكتب حينا مقالات سياسية ، وحينا مقالات أدبية . وينضم العقاد فى اثناء المد الثورى الى جماعة «اليد السوداء» ويشترك فى وضع منشوراتها الثورية الملتهبة .

ومما يؤثر عن العقاد فى تلك الفترة ، أنه وحده الذى انفرد فى **((الاهرام))** بكشف التدليس الملتوى الماكر فى ترجمته عبارة

« Under Seff Governing Institution »

التى وردت فى بلاغ ملنر الى **((تحت أنظمة دستورية))** ، بينما معناها الحقيقى **((تحت أنظمة حكم ذاتى))** وكشف عن ربط المحتلين بين مبدأ الاستقلال ومبدأ الحكم الذاتى بحيث يلغى المبدأ الاول بالمبدأ الثانى .

وفى شتاء سنة ١٩٢١ ، ١٩٢٢ يلجأ العقاد الى أسوان طلبا للاستشفاء من مرض قديم عاوده ، وفى سنة ١٩٢٢ أخذ يشترك مع عبد القادر حمزة فى تحرير صحيفة الافكار التى كانت تقف مع الوفد ضد خصوم السياسيين وينشر حينئذ كتاب **((الفصول))** .

لا بد للامم من معتقد جديد : الاشتراكية !

ويضمن عباس العقاد فى كتابه «الفصول» ، الذى نشره سنة ١٩٢٢ بحثا مستفيضا من «سر تطور الامم» يعتبر افضل البحوث السياسية التى قدمها العقاد وأكثرها تقدما طيلة حياته الفكرية دافع فيه عن الاشتراكية وبرأها من جميع العيوب التى الصقها بها الفيلسوف الفرنسى **جوستاف لوبون** فى كتابه المشهور الذى يحمل نفس العنوان . دافع العقاد فى بحثه هذا دفاعا قويا عن حق الاشتراكيين فى التعبير عن المبادىء الاشتراكية ونعى على السلطات وعلى المجتمع عامة مصادرة افكارهم . وحجته الاولى فى ذلك أن الاشتراكية ليست فلسفة اجتماعية تهبط من السماء او بتوليد من عقول بعض المفكرين الحالمين ولكنها نتيجة لاوضاع أجتماعية قائمة بالفعل ولعلل دفينة فى جسم المجتمع . **«واذا كانت الاشتراكية على هذا التقدير .. فان كان ثم دواء فليكن للعلة الاصلية والا فلا معنى للقدح فى الاشتراكية ولا فائدة من اضطهاد دعاتها (٨)** كذلك اوضح العقاد انها تنشأ للحاجة الاجتماعية الضرورية اليها مما يذكرنا بقانون الحتمية التاريخية للحل الاشتراكى ، وفى ذلك يقول : **«وهذه المبادىء والقواعد لا تدحض بالسفسطة ولا تنقض بالتعوذ والحوقلة ، لانها نشأت من حاجة ضرورية شعربها الناس وتكلموا فيها قبل ان يعلنها الفلاسفة وأهل النظر» (٩)** على أنه ليس معنى ذلك أن العقاد كان اشتراكيا بالمعنى العلمى الكامل ، وانما كان يقظا بحسب لاثار التطور المادى فى ولادة الايديولوجيات . فهو يرد ظهور الافكار الاشتراكية الى الوضع الاقتصادى الناجم عن الثورة الصناعية أولا والى الانفتاح الضخم ثانيا فيقول :

«ومنذ اخرج العلم للناس تلك الالات الضخمة ، اصبح كل صاحب معمل يتمتع بتعب الالوف من الصناع الذين يستخدمهم فى معمله ، فكان التعب والحرمان من نصيب فريق ، والراحة

---

(٨) الفصول — تاليف عباس محمود العقاد
(٩) نفس المرجع

والربح من نصيب الفريق الاقل ، فتجددت الشكوى القديمة ، وعادت الاشتراكية» (١٠) .

والاشتراكية الخيالية التى يقدم فيها رجال الحكومة «لكل قادم أطباقا من لحم الخنزير والكرنب الملح ودنانا من الجعة» هذه «الجنة على الارض» ليست عند العقاد الاشتراكيـــــة الحقيقية «العلمية» . فالاشتراكية الحقيقية عنده بريئة من الاوهام ، وكما أوضح فى بحثه : «فمن الظلم أن تعد هذه الاحلام أكثر من ظل للاشتراكية يقترن بها ويحاكيها ولكنه شىء آخر منفصل عنها ، وقد تكون هذه الاحلام لازمة لها كما تلزم الاحلام كل نحلة ورأى ولكنه يجب الا يخلط فى الحكم بينهما وبين مبادىء الاشتراكية وقواعدها العلمية» (١١)

على أن العقاد الذى أعتبر أن هذا العصر قد تطور فى فهم الاشتراكية «وتوسع فى تطبيقها تبعا للتطور الشامل لكل مرافق الحياة ومن بينها علاقات الافراد والامم» لم يقف عند ذلك الحد بل أعلن أن الاعتقاد الجديد فى الاشتراكية يمكن أن يقيم الامم المتداعية من سقطاتها وعندما يقول جوستاف لوبون «اليوم تميل الامم القديمة الى السقوط فهى تهتز من الوهن ونظاماتها تتداعى واحدا اثر واحد ، وعلة ذلك فقدانها كل يوم شيئا من أيمانها الذى قامت عليه حتى الان فاذا فقدته كله ، قامت حتما مقامه حضارة جديدة مؤسسة على معتقد جديد» يرد العقاد بأن « نعم فلابد للامم من معتقد جديد. افتدرى ما هو هذا المعتقد ؟ نحسبه هو وحدة الاخاء او هو التضامن الانسانى او هو — فى بعض مظاهره التى يفهمها سواد الناس .. الاشتراكية »

الاشتراكية : أكبر مبادىء العصر

ويستمر العقاد فى بحثه ، فى أنتقاد الاسانيد التى لجأ اليها جوستاف لوبون والتى «لايصح أن تكون اساسا للاحكام العريضة التى سجلها على اكبر مبادىء العصر ونعنى به الاشتراكية » ويقول «أن الكتاب بجملته حملة منكرة على المساواة والاشتراكية يخيل اليك ان الدكتور لوبون يكتب عن المساواة بقلم شارل الاول او لويس السادس عشر . وأنه يكتب عن الاشتراكية بايعاز من روتشيلد اوروكفلر فتراه ينعى على مبدأ المساواه ولكنك لاتعلم منه كيف يكون عدم المساواة وتراه يتشاءم من الاشتراكية ، كما يتشاءم الناس من نعيب اليوم . لايعلمون لذلك التشاؤم سببا» (١٢)

ويحمل العقاد على النظام الاقتصادى الراسمالى الذى «صير العامل قوة آلية وسلبه كل وسيلة لاستخدام ذكائه وحذقه هذا النظام المودى بالمواهب ، المعطل للعقول والذى تثور عليه الاشتراكية » وهو يؤيد رأى العالم الانجليزى السير اوليفرلودج فى رأيه حول ضرورة أهتمام الحكومة بشخصية الحائزين للمال مثل أهتمامها بشخصية الحائزين للسلاح «لان المال ربما كان أخطر فى يد الشرير من السلاح فى يد القاتل» كما يرى أن «اعادة السماح للافراد بحق الملك المطلق على الارض بدلا من المجاميع هى أساس كثير من هذه المصاعب» . ويؤيد رأى اوليفر لودج بوجوب تحديد الثروة بوجه عام ذلك لان «فى رأيه أن الثروات العظيمة خطر على المجتمع وأن هذه الثروات تكثر من جراء أنظمة مصطنعة يمكن تبديلها وليست هى مما تقضى به طبيعة سير الامور» وقد أيد الوسيلة التى يزكيها اوليفرلودج لتحديد الثروة وهى تحديد التركات أذ يجب «أن يعاد النظر فى قانون التوريث او ينقح» وندد بالاحتكار الذى كان يسمى أيام الحرب العالمية الاولى «بالاستئثار»

على أن جذور الفكرة الاشتراكية عند العقاد ترجع الى ماقبل كتابه الفصول الذى الف سنة ١٩٢٢ ، فتلك الفكرة كانت قد أخذت تشيع على السنة المصريين فى اوائل القرن العشرين منذ ظهر كتاب لمؤلف يدعى محمد مسعود اشترك معه هو وعدد من زملائه وموضوعه عن الاقتصاد السياسى . وقد سجل العقاد ما يمكن أن يعد بجذور الفكرة الاشتراكية عنده فى أول كتاب نشره سنة ١٩١٢ بعنوان «خلاصة اليومية» وفيه يقول عن تقسيم التركات : —

«اذا مات رجل عن مائة الف جنيه وخلف وراءه أبنا ، فكيف يحق لهذا الابن الاستيلاء على جميع هذا المبلغ ؟ وباى مسوغ يستحل ذلك الولد هذا المقدار من ثروة الامة . نعم أن على الوالد أن يربى ولده ، وله أيضا أن يعينه على أنشاء مستقبل له فى الحياة فليكن الامر كذلك فليس فى هذا نزاع . فاذا مات ذلك الاب فلتقم الحكومة مقامه فتتولى تربية ولده وتمده متى حان له أن يعمل لنفسه بما يبدأ به عملا من الاعمال ، ولتتركه بعد ذلك يلاقى ما يستحقه بجدارته من نجاح أو فشل ، وتنفق الباقى فى تحسين حال المجموع بمالا يمكن أن يأتى على يد فرد من الافراد »

وعندما يترجم فتحى زغلول كتاب « سر تطور الامم » للوبون ويرى فيه العقاد هجوما شديدا على الاشتراكية ، يتصدى له بمقاله الطويل الذى سبق الاشارة اليه .

الكاتب شبه الرسمى للوفد

وما أن وافت سنة ١٩٢١ حتى اخذت تتجمع الدلائل على أن تصدعا خطيرا يوشك ان يحدث فى جبهة النضال الشعبى ، غير أن الشعب يستمر فى مقاومته . ويعلن الانجليز فى ٢٨ فبراير تصريحهم المشهور بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة مع تحفظات تهدم هذا الاستقلال هدما ، فيمضى الشعب فى تحديه للسياسة الانجليزية .

وبعد أن ظهر دفاع العقاد القوى عن القضية الوطنية وعن الدستور فى جـــريدة «الاهالى» أيام ان كان يرأس تحريرهـــا عبد القادر حمزة ثم فى جريدة البلاغ ، أصبح «العقاد» الكاتب شبه الرسمى للوفد منذ سنة ١٩٢٢ وقربه سعد زغلول اليه وكرمه . وكان يصفه بأنه «الكاتب جبار المنطق»

ويحدثنا الدكتور لويس عوض فى كتابه «دراسات عربية وغربية» عن العلاقة بين سعد والعقاد فيقول : «أما ولاء العقاد لسعد زغلول شخصا ومبدأ ، فقد كان اشبه شىء بعبادة الابطال ، ومع ذلك فان هذا الولاء لم يجعل من العقاد مجرد تابع مجرد من الارادة يتخذ من زعيمه صنما ، بل كان لايتردد فى مجاهرة سعد زغلول بمعارضته كلما وجد موطنا للاختلاف معه مثلما حدث عندما رفض العقاد ان يعلق على خطبة العرش سنة ١٩٥٤ على أساس عدم أقتناعه بأن عبارة «الامانة القومية فى السودان» الواردة بها تعبر بوضوح عن حقوق مصر . ولما يشتبك سعد مع العقاد فى نقاش طويل حول هذه النقطة يقول الاول : «لو حاسبتنى كل فرد فى الامة حسابك لعجزت من أعباء وكالتى عن الامة » ، فأجابه العقاد بقوله : «ولكن ليس كل فرد فى الامة عباس العقاد» فابتسم سعد وقال : «صدقت . ليس كل فرد فى الامة عباس العقاد »

لقد تميز العقاد السياسى بصلابة فريدة وبالاستقلال فى الرأى

---

(١٠) الفصول — تاليف عباس محمود العقاد
(١١) نفس المرجع
(١٢) الفصول — تاليف عباس العقاد ص ١٥٨

وبالازدراء لروح التبعية ، وبحدة غير عادية فى مواجهة الخصوم كما تفرد بالشموخ والتعاظم . وقد كان لهذه العوامل اثرها فى خصومانه السياسية العديدة . ويتضح عنفه البالغ تجاه الخصوم فيما ذكره احدهم وهو «ابراهيم هلال بك» الذى قال فى أحد المرات «لما يئس الوفد من مناقشتنا بالبرهان والحجة ، لجأ الى ذلك الوحش الرابض فى جريدة البلاغ ففك عنه السلاسل والاغلال واطلقه علينا يفتك كيف شاء» (١٣)

ومن المواقف المشهودة للعقاد فى هذه الفترة موقفه الباسل من محاولة الملك فؤاد اجهاض دستور سنة ١٩٢٣ ، فبعد أن شكلت وزارة عبد الخالق ثروت فى ٣ ابريل سنة ١٩٢٢ لجنة الدستور المعروفة بلجنة الثلاثين لوضع دستور للبلاد ، وفرغت اللجنة من مهمتها فى ٢١ اكتوبر عام ١٩٢٢ ، ورفع ثروت باشا مشروع الدستور الى الملك فؤاد ليقوم بأعلانه ، فأخذ الملك يماطل ويسوف لانه رأى ان الدستور يحد من سلطته المطلقة، وكان يرى اسقاط عبارتين من مشروع دستور سنة ١٩٢٣ ، الاولى «أن الامة مصدر السلطات» والثانية أن «الوزارة مسئولة امام البرلمان» ، وحاول توسيط عدلى يكن للحد من هذا الاتجاه الديموقراطى ولكن عدلى ابى أن يتدخل ، ولما راى الملك فؤاد اصرار ثروت على المضى فى اصدار الدستور اخذ يكيد لوزارته ليجد التكأة للاطاحة بها ونجح فعلا فى حمل ثروت على الاستقالة فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ . وأحل محله توفيق نسيم الذى اعد العدة لمسخ مشروع الدستور ولكنه استقال بعد شهرين وولى الوزارة بعده يحيى ابراهيم الذى اراد ان ينهج منهجه فى مسخ الدستور لولا اشتعال السخط فى كل مكان وتجدد حوادث الاحتجاج .

وقد كشف العقاد فى هذه المعركة الكبرى من أجل الدستور ، القناع عن دسائس الملك التى كان يحيكها خفية للدستور وكتب فى جريدة البلاغ قائلا «أن الدستور كما كتب يعلن ، واذا كانت به أخطاء فان البرلمان يناقشها» وحين افتضح امر الملك لم يجد مناصا من التراجع فأصدر الدستور كما وضعته اللجنة فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ فيما خلا النصوص المتعلقة بالسودان .

وفى هذه الاثناء كان عبد القادر حمزة ،قد اصدر صحيفة «البلاغ» فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ واشرك معه فى تحريرها عباسا العقاد واستمرت الحرب لا بين الشعب والانجليز هذه المرة وانما بين الوفد كقوة شعبية وخصومه من الاحرار الدستوريين وغيرهم . وكان قلم عباس العقاد اقوى سلاح استعان به سعد زغلول فى تلك الحرب فكانت مقالاته السياسية تنشر دون ان يطلع عليها رئيس التحرير او صاحب الصحيفة وكانت الصحف التى يحرر فيها العقاد تنفد بعد صدورها بدقائق ولا أقول بساعات (١٤) وحدث اننى اشتريت نسخة من احدى هذه الصحف من ميدان محطة الرمل بالاسكندرية فى يوم صدورها نفسه بعشرة أمثال ثمنها ، نعم اشتريتها بخمسة قروش وكان ثمنها فى ذلك الحين خمسة مليمات» مما يوضح الاثر الضخم الذى كانت عليه فعالية العقاد الكاتب السياسى والاديب فى ذلك الوقت .

وقد اتخذ سعد من العقاد فى تلك الفترة موقفا ديموقراطيا وافسح له المجال كى يتخذ الموقف الذى يراه . مثلما حدث عندما ثار النواب الوفديون وشايعهم سعد ضد طه حسين بسبب كتابه «فى الشعر الجاهلى» وطلبوا ابعاده من الجامعة اذ انبرى العقاد النائب الوفدى يدافع عنه انتصارا للحرية الفكرية غير مبال بسخط الساخطين من أعضاء حزبه .

وعندما تخوض البلاد معركة حرياتها السياسية ضد وزارة «اليد الحديدية» لمحمد محمود ، يكتب العقاد كتابه «الحكم المطلق فى القرن العشرين» سنة ١٩٢٩ الذى أهداه الى «مصطفى النحاس خليفة سعد وعنوان ثقة الامة المصرية» وهاجم فيه الافكار النظرية التى تبرر الحكم الديكتاتورى المطلق وعرض لظروف قيام الفاشية فى ايطاليا واسبانيا واعتمادها على عناصر الرجعية المدنية والدينية ، ومما يلاحظ هنا انه اثنى فى كتابه على «ديكتاتورية» مصطفى كمال فى تركيا والتى اعتبرها «ديموقراطية جديدة »

وعندما أعلن رئيس الحكومة محمد محمود بأنه «سيحكم البلاد بيد من حديد» واخذ انصاره يتشدقون بهذه الكلمة حتى رددتها الصحف الانجليزية ، نجد العقاد يتخذها مجالا للفكاهة التى كانت فى كتاباته السياسية اشد اثرا فى قهر خصومه من العبارات المباشرة القارصة . ونشر العقاد مقالا ساخرا ضد محمد محمود تحت عنوان «يد من حديد ولكن فى ذراع من جريد» وتداولته الالسن فى كل مكان فكف محمد محمود عن ترديد هذه العبارة .

وقد أصبح لمقالات العقاد السياسية فى تلك الفترة قوة يحسب حسابها فى انتصار الوفد وهزيمة خصومه واسقاط وزاراتهم ، فلجأوا الى اغلاق الصحف التى يكتب فيها ، وتداغلقت لصاحب البلاغ ٥ صحف فى أيام متتالية . وقد تحولت عملية الصراع التى قادها العقاد المناصر للوفد ، ضد كتاب الاحزاب الاخرى تحولت فى جوانب كثيرة منها الى لون من الهجاء السياسى الحاد الذى يقوم على السخرية المرة وقد مكنت العقاد حدة مزاجه وقوة بيانه من مهارته فى استخدامه السخرية اللاذعة ضد كل اعدائه طوال اشتغاله بالسياسة . ويرى الدكتور شوقى ضيف فى كتابه «مع العقاد» أنه «ليس هذا وحده ما يرفع من مقالة العقاد السياسية ويجعلها لونا من الوان ادبنا العربى الحديث ، فانه ايضا ملأ أوعيتها اللفظية بزاد غزير من اراء المفكرين الغربيين فى مجال الحرية السياسية وحقوق الشعب فى الحكم على اسس ديموقراطية وهو زاد تمثله حتى أصبح جزءا من جوهر نفسه وعقله ، وهو لذلك يذود عنه فى حدة غير آبه بما قد يتعرض له فى سبيله من اذى واضطهاد »

الدفاع عن الدستور ضد الملك فؤاد

وفى عنفوان الصراع ضد ديكتاتورية محمد محمود ، تجلى العقاد للجيل الناشىء حينذاك كبطل اسطورى «يسحق بهراوته الشهيرة الافاعى والثعالبين والمردة» (١٥) وعندما يترك العقاد البلاغ الى «كوكب الشرق» تغلقها الحكومة بعد ٣ مقالات من قلمه . الا أن المقاومة الشعبية نجحت أخيرا فى الاطاحة بحكم محمد محمود . وجاءت وزارة مصطفى النحاس الثانية التى لم تدم الا شهورا لانها رفضت أن تصل الى تفاهم فى مفاوضاتها مع الانجليز ، فطردها الملك فؤاد واقام اسماعيل صدقى مكانها ديكتاتورية «اصحاب المصالح الحقيقية» والغى دستور سنة ١٩٢٣ وأعلن مكانه دستور سنة ١٩٣٠ فتجددت المقاومة الشعبية وسالت الدماء . وهنا برز العقاد من جديد «حاملا هراوته الرهيبة التى كانت ترتجف أمامها الوزارات والاحزاب ورجالات الدولة بل العرش أيضا . وكان يومئذ نائبا فى البرلمان . وحين تكشفت نوايا الملك فؤاد لحل البرلمان ، وقف العقاد فى مجلس النواب وقال كلمته الخالدة بأن الامة على استعداد لان تسحق اكبر راس فى البلاد من أجل صيانة الدستور . وادرك الجميع ان العقاد قد رفع هراوته هذه المرة على ملك البلاد لا على رئيس حكومتها (١٦) ▪

---

(١٣) محمد طاهر الجبلاوى « العقاد السياسى » مقالة من كتاب « العقاد دراسة وتحية »
(١٤) من مقالة « العقاد ثائرا » بقلم الاستاذ العوضى الوكيل
(١٥) الدكتور لويس عوض — دراسات عربية وغربية
(١٦) نفس المرجع السابق

السجن

ولكنه كان يتمتع بالحصانة البرلمانية ، فلم تتخذ ضده الاجراءات الجنائية وظل اسماعيل صدقى يتربص به شهورا بعد تعطيل الحياة النيابية حتى تصيده فى مقال كتبه يندد فيه بالرجعية ، فاعتقل العقاد فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٠ وقدم للمحاكمة بتهمة العيب فى الذات الملكية وحكم عليه بالسجن ٩ أشهر مع النفاد . قضاها وخرج يستأنف جهاده ضد صدقى والحكم الملكى المطلق .

والحقيقة ان فيما كتبه الدكتور **لويس عوض** فى كتابه «دراسات عربية وغربية» من تلك الاحداث التى عاصرها صبيا فى السادسة عشرة مايلقى ضوءا واضحا عن مدى الثقل الحقيقى الذى مثله العقاد وسط «الثلاثة الكبار» فى معركة التصدى الوطنى الديموقراطى . يقول الدكتور لويس عوض «لقد تكاملت صورته فى نفوسنا نحن شباب ذلك الجيل الابى المسحوق ، بطلا فردا حمل وحده تبعات النضال الوطنى والدستورى فى قيادة المثقفين ولولا ان **طه حسين** انسلخ يومئذ عن معسكر الاحرار الدستوريين وتقدم الطليعة الثورية الشعبية ، لبقى العقاد وحده يحمل اللواء .. هذا هو العقاد الذى عرفته عام ١٩٣١ ، وهو ايضا العام الذى عرفت فيه **طه حسين وسلامة موسى** . واخذ ثلاثتهم بيدى عاما بعد عام لاسير نحو النضوج . بدا ثلاثتهم فى خيالى الملتهب كثالوث من الالهة متوجين على دولة الفكر ولكن **العقاد وحده** فى فتنة الصبا الباكر ، بدا لى وكانه كبير الالهة غير منازع بسببضراوته التى لا تعرف الحدود فى قتال اعداء الشعب والحرية »

العقاد وأزمة مثقفى العشرينات

ولقد كانت مشكلة جيل المثقفين المصريين الذين بلغوا سن الشباب فى اواخر العشرينات ان قيادة المثقفين فى تلك الفترة والتى تتمثل فى (**لطفى السيد ،وطه حسين ، وحسين هيكل ، والمازنى ،ومنصور فهمى، ومحمود عزمى ،وعبدالعزيز فهمى ، بل احمد شوقى وخليل مطران وعلى ومصطفى عبد الرازق**) ربطت مصيرها منذ البداية باحزاب الاقلية التى كانت تتسع اكثر من غيرها «للتجديدات» المثقفين ونزعاتهم الفكرية التحررية التى يسبقون بها الغالبية الجماهيرية الاقل ثقافة . ولما كان رجال هذه الاحزاب كحزب الامة ثم الاحرار الدستوريين ممن ارتبطوا بالملكية المستبدة وبمهادنة الانجليز واقترنت اسماؤهم فى تاريخ كفاحنا الوطنى والديموقراطى بتعطيل الدستورواقرار حكم الصفوة بالحديد والنار ، لذا كان هذا اشكالا خطراعزل العناصر المستنيرة فى الامة بشكل من الاشكال عن الكفاح الجماهيرى الشعبى سواء فى وجهه الوطنى اوفى وجهه الديموقراطى . لكن العقاد وحده هو الذى استطاع ان يكون المثل الاكثر اشراقا الذى جمع فى الوقت نفسه (**بين امامة المثقفين وبين الامامة الثورية** ، وعلمنا انه لاتعارض هناك بين الثقافة والثورية، بل وكيف يكون المثقفون طليعة الثوار . ومن هنا فقد تجسم العقاد وحده فى وجداننا كمعقل بطولى جسور وكمعقل شامخ يلوذ به الاحرار . فلما انشق طه حسين من الاحرار الدستوريين وانضم الى اتجاه حزب الاغلبية فى اوائل الثلاثينات وشارك العقاد فى تقويض ديكتاتورية اسماعيل صدقى اصبح للكفاح الثورى قطبان شامخان وخرج المثقفون نهائيا من ذلك المازق وتبلور فى مصر لاول مرة فى تاريخها ذلك المعنى الرائع وهو ان مكان المثقفين ينبغى ان يكون دائما فى طليعة الكفاح الثورى (١٧))

لسنا مع الوفد بعد اليوم

وقد سقط اسماعيل صدقى بعد ذلك وسقط معه دستوره وجاءت وزارة توفيق نسيم الانتقالية عام ١٩٣٤ . وكان منتظرا ان تعيد الى الامة دستور سنة ١٩٢٣ ولكنها تباطأت وتلكأت . وظل الوفد يؤيدها أملا فى ان تعيد الدستور وتجرى الانتخابات . ولكن العقاد الذى قاتل بكل هذه الضراوة فى سبيل دستور ١٩٢٣ احس بان وراء هذا التسويف نية المخاتلة فشن على وزارة توفيق نسيم عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ حملة ضارية فى (**روزاليوسف**) أقضت مضجعها ، كما اقضت مضجع الوفد الذى كان يؤيدها . وطلب مصطفى النحاس من العقاد ان يكف عن هجومه على الوزارة . واستدعاه لمقابلته بالاسكندرية ودار بينهما حديث يعتبر فصل الختام لجانب هام من حياة العقاد ، وانهاء لفترة تضامنه مع حزب الوفد ونرى من الاهمية بمكان ذكر هذا الحديث .

قال **النحاس** : لماذا تحمل على الوزارة يااستاذ ياعقاد ؟

العقاد : لانها انحرفت عن الطريق السوى ، وهى تماطل فى اعادة الدستور وتعمل لصالح السراى والانجليز . ووزيرمعارفها نجيب الهلالى يضطهد الوطنيين .

النحاس : ولكن الوفد يؤيد هذه الوزارة وعند توليته الحكم يصلح كل شىء .

العقاد : انا لااستطيع ان اغض الطرف عن اعمال الوزارة ولن اقف موقف الاغضاء عن مساوئها وهى تنكشف يومابعد يوم .

النحاس : انا زعيم الامة اؤيد الوزارة فماعساك تصنع ياعباس ياعقاد ؟

العقاد : انت زعيم الامة لان هؤلاء انتخبوك (مشيرا الى بضعة اشخاص من اعضاء الوفد) ولكنى كاتب الشرق بالحق الالهى .

النحاس : ان وزارة توفيق نسيم باقية مادام الوفد يؤيدها ويضع ثقته فيها .

العقاد : لن تنتهى برية هذا القلم الا وقد انتهى اجل هذه الوزارة . (واخرج قلما صغيرا من جيبه)

«وكانت أول كلمة سمعتها من العقاد بعد هذه المقابلة «لسنا مع الوفد بعد اليوم » (١٨) . وواصل حملاته ضد الوزارة فى نفس الوقت الذى تبرات منه جريدة «روز اليوسف» . كما شن حملة ضارية على الزعماء الوفديين ولاسيما **مكرم عبيد** ، فكتب مقالاته «مكر العبيد» و «لسنا عبيدا ياعبيد» . وكانت هذه اول محنة حقيقية يتعرض لها الوفد عندما بدات تنسلخ منه عناصر اشد من قياداته اصرارا على الديموقراطية وجنوحا الى اليسار فى ذلك الوقت . وفى حالة العقاد كان المثقفون من الشباب يرون رايه ويشدون ازره ويتظاهرون من اجله ويرون ان الوفد قد اخذ يفرط فى الدستور مكتفيا بمكاسب جزئية قانعا بالوعود المعسولة بسبب تعبه من النضال ومن فداحة التضحيات .»

وحارب الوفد العقاد محاربة عنيفة ومنع نشر مقالاته فى الصحف واضطهد كل صحيفة تنشر مقالاته ولو كانت فى الاداب والمعارف ، وهدد اصحاب المكاتب ومنعها من شراء مؤلفاته ومنها كتابه العظيم عن «سعد زغلول» ، ولكن العقاد لم يتراجع

---

(١٧) نفس المرجع السابق
(١٨) العقاد السياسى فى مقالة للاستاذ [illegible]

من طريقه لهاجم معاعدة ١٩٣٦ التى ابرمها الوفد يومئذ فى مقالات نشرتها صحيفة «مصر الفتاة»

وينشر العقاد فى تلك الفترة كتابه «عالم السدود والقيود» مفكرا فى جهاده الوطنى ومالبلى فيه وماذاق من مرارة السجن . وصور فيه رحلته فى السجن لمدة ٩ اشهر وعرض لبعض وجوه الاصلاح التى ينبغى ان تجرى فى السجون . وفى سنة ١٩٣٦ ايضا اتم العقاد كتابه الضخم عن «سعد زغلول» الذى كان دعوة وبشرى وعهدا منه بتجديد الكفاح الديموقراطى الذى كان سعد زغلول عنوانه الاول .

المرحلة الثانيــــة فى ١٩٣٦ الى سنة ١٩٦٤

وتعتبر هذه المرحلة الثانية ، اقل خطورة واهمية واحفل بالسلبيات فى حياة العقاد السياسى من المرحلة الاولى وتختفى المشاركة الموقفية الدائمة فى النضال الوطنى والديموقراطى هنا ليحل محلها اتجاه الى الانعزال اكثر لصالح الكتابة والتاليف يختفى « الموقف » النضالى ، لتحل محله «الفكرة» السياسية التى لم تكن حقيقة متقدمة بالنسبة لاحتياجات التطور فى بلادنا ولاحتى بالنسبة للافكار المنتشرة حولنا فى العصر انها كانت محافظة ورجعية فى جملتها . وينكب العقاد فى هذه الفترة على تاليف عدد ضخم من الكتب يعتبر اغلب ماكتبه العقاد عن التراث العربى بالاضافة الى عدد من الكتب السياسية المتباينة فى موضوعاتها .

على انه اذا كان كتاب العقاد عن سعد زغلول عهدا بتجديد الكفاح الديموقراطى الذى كان سعد عنوانه الاول ، فانه كان ايضا وكما اوضح الدكتور لويس عوض فى كتابه «دراسات عربية وغربية» «بمثابة المذكرات التى يكتبها العظماء فى نهاية حياتهم ليرثوا بها شبابهم الزاهر ويبكوا فيها أمجاد الجهاد ، او على الاصح كان كتاب «سعد زغلول» بمثابة اخر نشيد فى ملحمة الكفاح البطولى من اجل الديموقراطية الليبرالية الذى شارك فيه العقاد بدم القلب وبوهج الفكر وبصلابة الفولاذ . لقد ادرك العقاد ان هذا العهد مضى وانقضى ومامن رجعة اليه ولو فى الاحلام فدون على قبره ذلك الشاهد العظيم الذى سماه («سعد زغلول» سيرة وتحية) »

محاولة الانتحار

ان خطورة انفصال العقاد عن الوفد قد تبدت اساسا فى انعزاله ككاتب وطنى مكافح عن الاغلبية الجماهيرية التى تجمعت بداخل هذا الحزب ، والتى كانت قد غذته بزادها الكفاحى والوطنى فى صراعه الضارى من قبل ضد الملكية والمستبدين . ولم يكن مصادفة انه فكر فى هذه الفترة جديا فى الانتحار ، بعد ان لم يجد لنفسه مكانا فى الصراعات الدائرة والاستقطابات التى كانت بدات تتبلور فى اتجاهى اليمين المتطرف واليسار المتطرف . ولقد كان الامتداد الطبيعى لرفض معاهدة ١٩٣٦ — فيما لو اكتملت للعقاد عقائدية معينة فى تلك الفترة — ان ينتهى الرجل اما فى جانب النازية والفاشية اللتين كانتا قد ازدادتا نفوذا وخطرا فى العالم بتزايد قوة هتلر وموسولينى ، او فى جانب الاشتراكية المضادة لهما الا ان معارضة العقاد لكل الفلسفات الجماعية والشمولية التى لاتتفق ووجهة نظره حال بينه وبين أن ينضم الى أحد هذين الجانبين ، على انه ينبغى الا يتبادر الى الذهن ان العقاد بهذا المعنى لم يكن متكامل النظرة الفلسفية او السياسية على العكس فلقد كان شمولى الموقف والفكر فى تمسكه بالقيم الفردية للحرية البورجوازية التى توفرت فى انظمة «الواجهات الديموقراطية» الخداعة .

على ان العقاد الكاتب الفرد ، سقط فى نهاية الامر فى يد احزاب الاقلية الرجعية وهذا هو جوهر ماساته . ولما انفصل **احمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى** من الوفد واسسا الحزب السعدى انضم العقاد اليهم وبقى معهم حتى انقرضوا وكتب مقالاته السياسية فى «البلاغ» وفى «الدستور» وفى «الاساس» وفى «الاخبار» . على ان المشكلة هنا لاتتعلق « بفردية » العقاد الزائدة بقدر ماتتعلق بالماساة النابعة من عدم وجود قيادة ثورية صارمة يمكن ان تقود الكفاح الوطنى والديموقراطى حتى النهاية جامعة تحت لوائها افضل العناصر الوطنيـــــة الديموقراطية واشجعها واجراها لمواصلة هذا الكفاح .

ولما كانت الظروف الدولية الخاصة باندلاع الحرب العالمية الثانية قد جمدت الكفاح الوطنى نحو ١٠ سنوات بين معاهدة ١٩٣٦ حتى نهاية الحرب سنة ١٩٤٥ لم يبق الا وجه واحد من وجوه الكفاح الشعبى هو الاصلاح الداخلى الذى لم تقدم فيه قيادات الاحزاب الرجعية المحافظة جديدا . هذا فى حين فقدت القاعدة الشعبية ثقتها فى قياداتها وشاعت البلبلة فى الصفوف والانحرافات بسبب الافتقار الى فكرية سياسية جديدة يمكن ان ترد وحدة الكفاح الوطنى والاجماعى ، وتجمع كلمة الامة حول برنامج واحد للعمل السياسى نابع من فلسفة شاملة تعيد تنظيم العلاقات بين المواطنين وتقدم حلا لكل المشاكل . ووسط هذه الفوضى العقائدية والاجتماعية ، ثم الاستقطاب الجديد فى داخل المجتمع المصرى مابين الاخوان المسلمين فى اتجاه اليمين المتطرف وبين الشيوعيين فى اتجاه اليسار ورفض العقاد الاتجاهين الاول لان ثقافته المدنية وتمسكه الشديد بالحرية الفردية حال بينه وبين الانتماء لفلسفة ثيوقراطية والثانى لان ايمانه بالفردية المتطرفة حال بينه وبين فلسفة تتطلب نوعا من الجماعية يعتبره العقاد سحقا للحرية الفردية .

ويلاحظ فى هذه الفترة ان عددا من المثقفين الشباب ممن اعجبوا بالعقاد والتفوا حوله طوال الفترة التى امتدت حتى ١٩٣٦ بداوا ينفضون من حوله فى اتجاه الاقتراب والالتفاف حول مفكر كبير اخر كان على العكس من العقاد يزداد اقترابا من القواعد الشعبية لحزب الاغلبية «الوفد» ونعنى به الدكتور **طه حسين** . يقول لويس عوض فى مقاله بعنوان «العقاد والفكرة الاشتراكية» : « لقد تادبت على العقاد قبل ان اتادب على طه حسين وعلى **سلامة موسى** ثم نشات بين تفكير هذا المفكر العظيم وتفكيرى اليافع القلق الباحث من آفاق جديدة فى الادب والحياة هوة عميقة باعدت بينى وبينه جيلا كاملا منذ عام ١٩٣١ وكانت هذه الهوة هى الجامعة والحياة . وكانت الجامعة عندى هى طه حسين وكانت الحياة عندى هى سلامه موسى» . ولم يكن ذلك غريبا فى الوقت الذى كان فيه هذين الرائدين الكبيرين يتقدمان فكريا وديموقراطيا على خط مضطرد النمو . وعندما تعقد معاهدة ١٩٣٦ يقول نفس المؤلف : «وهنا اختلفنا معه ، لا لانه هاجم معاهدة ١٩٣٦ ، فقد كنا مبلبلين بشانها ولم نجد سبيلا لوصفها الا ان نقول انها شر لابد منها ، ولكن لانه هاجمها فى جريدة مصر الفتاة» وكــانت هذه الجريدة تــرى انه لا يمكن تحقيق الاستقلال الوطنى الا باتخاذ النمط الفاشى للحكم .

ضد النازية

وفى عام ١٩٤٠ يشن العقاد حربا عنيفة ضد هتلر والنازية وينشر كتابيه «هتلر فى الميزان» و «النازية والاديان» ويتنبأ له بالسقوط بينما كان يحقق انتصاراته العسكرية المخيفة فى اوربا . وبعد فتحه لباريس يكتب العقاد «لقد فتح هتلر باريس لكنه سينهزم وينهزم» . وقد احدثت كتابات العقاد واحاديثه فى هذا الصدد اثرا جعل الالمان يهددوه علنا من محطة اذاعتهم ويهدروادمه اذا تمكنوا منه يوما» (١٩) .وقد تعرض العقاد خلال

---

(١٩) من مقالة العقاد ثائر للاستاذ العوضى الوكيل .

ذلك لرصاص شاب متحمس للنازية فتجا ، ولم يكف عن الهجوم الحاد على النازية ، بل زاده ذلك عنتا فى هجومه واصرارا على رايه . وحين اوشكت جنود المحور ان تستولى على مصر امام العلمين نزح العقاد سريعا الى السودان ، فقد كان متأكدا انه اول من يعدم لو انه وقع فى قبضة النازيين ، لكنه يعود بعد زوال الخطر ليستمر فى الهجوم العنيف على النازية حتى تسقط ويسقط هتلر سنة ١٩٤٥ .

ويشن العقاد بعد ذلك حملة ضاربة ضد الاخوان المسلمين الذين كانوا يتاهبون للقيام باعمالهم الارهابية ويلقون القنابل فى المسارح ودور السينما ويكدسون السلاح للاستيلاء على الحكم بقوة الارهاب .وصورهم فى هذه الحملة على أنهم شيمة دخلاء على الاسلام . ولقد كان اتجاهه منذ تلك الفترة لدراسة الاسلام وشخصياته ذخيرة له وسلاح فى هذه المعركة المريرة ضدهم . كانه يريد ان يرشد العالم الاسلامى الى مكامن الاسلام الصحيح القويم فى رايه .

وفى سنة ١٩٤٤ يعين عضوا بمجلس الشيوخ ونراه منذ سنة ١٩٤٥ ينشر مجموعة متباينة من كثير ،ويستمر فى النشر طوال ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٧ وفى سنة ١٩٤٨ يؤلف كتابا عن **المهاتما غاندى** باسم «روح عظيم» وفى سنة ١٩٥٠ يؤلف كتابا عن «**برناردشو**» وكتابا عن «فلاسفة الحكم فى العصر الحديث» ويعتقد الدكتور شوقى ضيف (٢٠) انه أخذ يميل مع الزمن ومع كثرة قراءاته فى الانجليزية الى جانب الاشتراكية الفابية الا انه فى الحقيقة ظل مشغولا عن الكتابة لصالح قضية الاشتراكية وفكرها طوال جهاده السياسى ، حتى اننا لنشعر بوضوح ان مقاله الهام للغاية عن «سر تطور الامم» والذى نشره سنة ١٩٢٢ فى «الفصول» كان استثناء فى خط العقاد الفكرى ، لم يعبر عن اتجاه اصيل عند العقاد او نزعة اشتراكية حقة . بحيث اننا يمكن ان نقول ان العقاد كان بمثابة عابر سبيل إتخذ موقفا عاطفا على الاشتراكية فى باكورة حياته سنة ١٩٢٢ بدافع من احساسه الذاتي بالظلم المادى الواقع عليه وبدافع ايضا من الظروف الموضوعية للمد الثورى والاجتماعى الذى اعقب ثورة ١٩١٩ والذى راجت فيه كثير من الافكار الاشتراكية حينذاك. ومن هذه الزاوية نستطيع أن نقول أن العقاد وان كان من اسبق من كتبوا فى بلادنا عن الفكرة الاشتراكية الا ان من الواضح انه عدل موقفه منها فيما تلا ذلك من الايام ، وبخاصة منذ سنة ١٩٣٦ وبعد الحرب العالمية الثانية بوجه خاص حين رآها تستفحل فى العالم وتتحول الى قوة دولية لها وزنها الخطير وتهدد المبادىء الاخرى التى يؤمن بها العقاد ويخلص لها اكثر من الاشتراكية . مبادىء الحرية الفردية القائمة على الليبرالية البورجوازية والمتوافرة فى ظل الانظمة السائدة فى بلاد الغرب اساسا .

والحقيقة ان الحرية الاجتماعية ومايطوى فيها من عدالة تحمى الناس من الاستغلال والظلم ، لم تكد تشغل العقاد طوال حياته الفكرية الا فيما نثره من نظرات جزئية فى كتابه «الفلسفة القرآنية» مصورا مافى الاسلام من دعوات الى العدل ورفع الظلم الاجتماعى (٢١) .

وفى كتاب العقاد «فلاسفة الحكم فى العصر الحديث» الذى أصدره سنة ١٩٥٠ تناول فيه بالعرض والنقد فلسفة **جورج سوريل** الفرنسى **وجايتا نوموسكا** الايطالى **وروبرت ميشيل** الالمانى **وجيمس برنهام** الامريكى **وفردريك فون هايك** النمسوى الاصل وكذلك **جراهام والاس** الانجليزى . وخلص منه **«الى استحالة الطوبى»** **الموعودة التى تتعلق بها احلام طلاب السعادة ويحسبونها نهاية الشقاء وبداية النعيم المقيم فى هذه الدنيا فمهما نبدل النظم ونغير الحكومات، فلن ننقطع اسباب الشكوى من الحياة الانسانية»** . وفى سنة ١٩٥٢ كتب كتابه « **صن يات صن** فصل فيه الدور الذى قام به هــذا الزعيم من أجل تجديد الصين واستقلالها واعتبره فيه « ابا للصين الحديثة» . وكتب كتابا اخر عن « الديموقراطية فى الاسلام » درس فيها معانى الديمقراطية السياسية والاقتصادية والاجتماعية من وجهه نظر الاسلام . ثم كتاب عن «ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو» واخر من الزعيم الباكستانى «**محمد على جناح**»

العقاد منذ ثورة يوليو سنة ١٩٥٢

وعندما تندلع ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، يرحب العقاد بمقدمها وينظم لذلك قصيدته المســماة « عيد النيروز » وفى عام ١٩٥٤ يكتب كتيبا صغيرا بعنوان «فلسفة الثورة فى الميزان » يعقد فيه دراسة مقارنة بين الثورات الفرنسية والتركية والصينية وبين الثورة المصرية ، مبينا ان مطالب الامم وضروراتها هى التى تفرض الشعارات السياسية لكل ثورة على حدة . واوضح فيه ان «العوامل المصطنعة التى تعترض طريق الاصلاح هى العقبة الكبرى فى طريق التقدم . واشار الى الاسرة المالكة و «وزارات الكثرة المزعومة» باعتبارهما ضمن هذه العوامل المصطنعة وتجنب ذكر دور احزاب الاقليات الرجعية وحكمها الاشد ضراوة وشراسة ضد الشعب كعامل من هذه العوامل المصطنعة ، تلك الاحزاب الرجعية التى وقف العقاد الى جوار قادتها فى الفترة التى تلت سنة ١٩٣٦ . الا ان العقاد هاجم فى كتابه «الدفاع الكاذب عن الاقطاع باسم التاريخ او باسم الدين على اساس ان الاسلام يرحب بتعميم الملكية وينكر كل الانكار ان تنحصر فى ايد معدودات» واوضح فى فصله الختامى انه قرأ **«الصفحات الثمانية التى كتبهــا السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى كتاب «فلسفة الثورة» فخرجت منها وانا اعتقد ان الخلاف عليها اقل خلاف فى مثل هذه الصفحات وفى مثل هذا الموضوع »**.

وابدى رايه فى الثلاث الدوائر التى تكلم الرئيس عبد الناصر عنها وهى الدائرة العربية ، والافريقية والاسلامية موضحا اننا لن نستطيع فعلا ان نقف بمعزل عنها .

ضد الصهيونية

وفى عام ١٩٥٦ يكتب كتابه «**افيون الشعوب**» ضد الاشتراكية والماركسية والوجودية ، ثم «**بنجامين فرانكلين**» ويقدم فى نفس العام كتابه «**الصهيونية العالمية**» درس فيه نشاط الصهيونية العالمية فى كثير من اتجاهاتها ومجالاتها مبرهنا على انها لم تكن فى شتى عصورها الا حركة سياسية البواعث والغايات ، لاسند لها فى المراجع التورانية وان زيفت لها أصول تدينية رغبة فى رواجها وتعزيزها فى نفوس اليهود وغيرهم .

وفى سنة ١٩٥٧ يقدم كتابه «الشيوعية والانسانية» و «الاسلام والاستعمار» «ولاشيوعية ولااستعمار» ويكتب المقدمة السياسية لكتاب (الاستعمار الاقتصادى) الذى اصدرته مكتبة الانجلو من تاليف المفكر الغربى الفريد ترابرومان وترجمة محمد سامى عاشور وتتسم معظم هذه الكتب بمعارضتها الشـديدة لافكار الاشتراكية وتطبيقاتها وفى سنة ١٩٥٩ يكتب العقاد «القرن العشرون ماكان وماسيكون» .

على أن هناك ثمة حقيقة بارزة فى حياة العقاد السياسى

---

(٢٠) فى كتابه : مع العقاد
(٢١) الدكتور شوقى ضيف . المرجع السابق

هى انه بينما كانتطلائع واعية مستنيرة من المثقفين المصريين الثوريين تحاول ان تغرس بذور مفاهيم الاشتراكيه العلميه فى رحم مجتمع مصر الثقافى فى الفترة السابقة على ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، فى ظروف نضال قاس وصعب ضد العناصر الاقطاعيه والراسمالية الرجعية الحاكمة ، وبتضحيات ضخمه مؤملة تجميع الحركة الجماهيرية المفتتة واسفر كفاحها سنة ١٩٤٦ عن تكوين «اللجنة الوطنية للعمال والطلبه» ، اذا بالعقاد ينبرى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بهجوم ضارى على هذه القوى ويوجه اقسى هجماته اليها ، لا للقوى الرجعية الحقيقية التى اصبح هو يشكل قطبها الهجومى منذ ذلك الوقت

ولم يكتف بالقيام بهجوم عنيف على الداعين للافكار الاشتراكية فى بلادنا بعد الحرب الثانية ، وانما ايضا شن حملة ضاربة على التفكير الاشتراكى العلمى نفسه عامة ، وعلى جميع التجارب الاشتراكية المختلفة فى العالم وخاصة الاتحاد السوفييتى

الا انه عندما يعزى العقاد «اخر دائرة معارف فى ادبنا الحديث» (٢٢) كما أوضح أحد الكتاب ، عندما يعزى الانفصام بين الاتجاه الفوضوى والاتجاه الاشتراكى الماركسى فى الحركة الاشتراكية الاوروبية ، الى نجاح ماركس فى التشهير بباكونين الفوضوى على اساس انه دنس سمعة الاشتراكيين لانه اتفق مع ناشر فى روسيا على ترجمة كتاب ولم ينجز ترجمة ذلك الكتاب (٢٣). وعندما يعزى قول ماركس بتأثير العامل الاقتصادى فى تطور التاريخ الى تحول والديه عن عقيدتهما تحت ضغط الحاجة الاقتصادية . وعندما يكتب عن انجلز «انه كان مخلوقا مؤنث المزاج» قادته فتاة ايرلندية الى وكر الثوار الايرلنديين (٢٤) ».

ومن «اليزين تأخر فى المشى حتى ولدت اخته الاصغر منه فتدرب على المشى ... ... يلدذ باطلاق بندقيته على القطط وكسر أجنحه ... » مما يفسر ثوريته الحادة ، عندما يقول العقاد كل ذلك ، فانه لم يعد يقتضى حقيقة مناقشة موضوعية مضنية فكريا بقدر ما استحق عطف ورثاء الجيل الجديد من المثقفين الذى استنار على حقائق العالم المعاصر بعد التفتح السياسى والفكرى الخصب الذى جاءت به ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

ان تاريخ العقاد السياسى ، هذا الزميل الكفاحى القديم لسعد زغلول بطل ثورة ١٩١٩ الوطنية ، هذه الجراة المتقضه فى التصدى الوطنى الديموقراطى للملكية والعناصر المستبدة حينذاك ، انما هو تاريخ مأساة سياسية حقا ، مأساة التحول بتفاعل العناصر الموضوعية والذاتية من مركز الطليعة فى التقدم الثورى ، الى مركز القطب فى الهجوم الرجعى .

على ان الثورة ، الحارسة لكل القيم الايجابية التى اسهم بها مفكرونا القوميون على طول معارك نضال الشعب المصرى الوطنية والاجتماعية ، قدرت للعقاد نضاله القديم ومواهبه الادبية الضخمة ، فمنحته جائزة الدولة التقديرية فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ . وجاء فى الجانب السياسى من قرار لجنة الجائزة انه «اذا كان العصر الذى نعيش فيه عصر الديموقراطية ، فقد دافع الاستاذ عباس محمود العقاد عن الديموقراطية دفاع المؤمن بها فهى لم تضعف فى نظره ، بل ستكون اساسا للحكم فى المستقبل ، تبنى عليه قواعد الحكومات. دافع عن الديموقراطية وحذر الكتاب المسرفين فى نقدها من عواقب هذا النقد ، لانه اذا بطل الايمان بها ، فلن يخلفها نظام اصلح منها »

القسم الرابع

حياة العقاد فى سطور

- ولد العقاد فى ٢٨ يونيو عام ١٨٨٩ بمدينة اسوان حيث تلقى تعليمه الاول .

- اصدر صحيفة حائط باسم «التلميذ» وهو فى الثانية عشر بمدرسة اسوان الابتدائية .

- حصل على الابتدائية وعين موظفا بالقسم المالى بمديرية الشرقية بمرتب شهرى قدره خمسة جنيهات وفى سن السادسة عشر اراد ان يترك الوظيفة الحكومية ويصدر صحيفة اسبوعية باسم « رجع الصدى » ولكنه لم يوفق فعمل بالصحافة لاول مرة بجريدة الدستور .

- وفى عام ١٩٠٧ كتب مقالا فى «الجريدة» عنوانه « الاستخدام رق فى القرن العشرين » تمهيدا لاستقالته من العمل الحكومى وتفرغه التام للصحافة والعمل السياسى .

- ظهرت الطبعة الاولى من ديوانه الشعرى عام ١٩١٦ ، والطبعة الثالثة عام ١٩٢٨ فى اربعة اجزاء وتوالت بعد ذلك مجموعاته الشعرية بعناوين مختلفة .

- اصدر عام ١٩٢١ مع المازنى كتاب « الديوان فى النقد والادب » الذى خاض به معركة ضارية مع شعر شوقى والمدرسة الكلاسيكية المصرية.

وهى المعركة التى ظلت دائرة بصورة او باخرى حتى عام ١٩٣٧ حين صدر كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم » ..

- انخرط فى سلك الحياة السياسية المصرية منذ وقت مبكر ، وكانت حادثة دنشواى قد تركت فى وجدانه الوطنى جرحا عميقا ، ثم تلقى المبادىء الاولى فى العمل السياسى عن طريق الاراء الوطنية التى قراها لكل من جمال الدين الافغانى والامام محمد عبده.

- واشتغل فترة بالتدريس مع زميله المازنى بمدرسة وادى النيل الثانوية ، ولكنهما استقالا معا لعدم استقرار المرتب . ثم انضم ابان المد الثورى

---

(٢٢) اليس منصور (العقاد سفيرنا الثقافى)
(٢٣) الفيون الشعوب ـ عباس محمود العقاد
(٢٤) الشيوعية والانسانية ـ عباس محمود العقاد

عام ١٩١٩ الى جماعة « اليد السوداء » ، وعمل مترجما فى « الاهرام » . وفى عام ١٩٢٢ اشترك مع محمد عبد القادر حمزه فى تحرير جريدة الافكار ، وبدأ ينشر فصول كتابه الذى اسماه « الفصول » وهو يحمل بعض الاراء الاجتماعية العامة .

● ثم اصبح اشهر كتاب الوفد المصرى، متخذا موقفا وطنيا جادا ضد العرش من اجل الدستور ، وما ان صدرت « البلاغ » فى يناير سنة ١٩٢٣ حتى اصبح من اعمدتها الرئيسية خاصة بعد ان تنبه سعد زغلول الى قيمة العقاد وتأثيره فى الرأى العام الوطنى .

● وقد تولى العقاد يومذاك عجلة القيادة فى الهجوم على بقية الصحف والاحزاب المناوئة للدستور والمتشيعة للعرش وكبار الملاك . ثم جاءت واقعة الغاء دستور ١٩٢٣ على يدى اسماعيل صدقى وفى ظل الملك فؤاد فاعلنها العقاد حربا لا هوادة فيها تجلت فى عبارته المشهورة « ان الامة على استعداد لان تسحق اكبر رأس فى البلاد من اجل صيانة الدستور» تحت قبة البرلمان ، ولم تشفع له حصانته النيابية ولا عمله الصحفى فى ان يدخل السجن بتهمة العيب فى الذات الملكية ، عام ١٩٣٠ .

● ثم اختلف العقاد مع الوفد فى مواقفه التكتيكية مع حكومات الاقلية المحافظة . وكان عام ١٩٣٦ هو عام النهاية وقد ارخ لحياة سعد زغلول فى كتاب شامخ عنوانه « سعد زغلول سيرة وتحية » . ثم هجر عالم السياسة الى دنيا الادب والفكر .

● على انه لم ينفصل قط عن العمل السياسى ، فانحرف منذ نهاية الثلاثينات عن التيار الشعبى العام واتجه الى الاحزاب المحافظة يتعاون معها مهاجما الوفد ، ومشاركا فى صحفها الرجعية المؤيدة مثل « الاساس » .

● وفى سنة ١٩٤٤ عين عضوا فى مجلس الشيوخ ضمن صفوف المعارضة البرلمانية للوفد . واصدر خلال هذه الفترة الواقعة ما بين ابرام معاهدة ١٩٣٦ الى الغائها مجموعة من الكتب البعيدة عن المضمون الاجتماعى المتقدم، او الكفاح الوطنى الذى عرف به فى حياته المبكرة .

● ومنذ ثورة يوليو ١٩٥٢ عكف على الاعمال الثقافية البحتة ، باستثناء مقاله الشهير عن كتاب « فلسفة الثورة » . وباستثناء المؤلفات التى هاجم فيها الاشتراكية العلمية تحت عناوين « الشيوعية والانسانية — لا شيوعية ولا استعمار — افيون الشعوب » .

● منذ ١٩٥٤ الى ١٩٥٦ دخل معركة ضارية مع الدعوة الواقعية فى الادب من ناحية ، والشعر الجديد من ناحية اخرى ، لجأ فيهما الى استعداء السلطات ضد الادباء والنقاد الواقعيين والشعراء الجدد على السواء .

● وظل على هذا الموقف مستخدما نفوذه فى المناصب الرسمية الى ان مات فى ١٣ مارس ١٩٦٤ .

أعمال العقاد

الشعر

١ — يقظة الصباح — ديوان شعر ١٩١٦

٢ — وهج الظهيرة — ديوان شعر ١٩١٧

٣ — اشباح الأصيل — ديوان شعر ١٩٢١

٤ — اشجان الليل — ديوان شعر ١٩٢٨

«صدرت هذه الدواوين الثلاثة كل منها على حدة تحت عنوان (ديوان العقاد) مع رقم الجزء حسب الترتيب ، ثم ضم اليها الرابع وطبعت معا سنة ١٩٢٨ مع مقدمة للمازنى»

٥ — وحى الاربعين — ديوان شعر ١٩٣٣

٦ — هدية الكروان — ديوان شعر ١٩٣٣

٧ — عابر سبيل — ديوان شعر ١٩٣٧

٨ — أعاصير مغترب — ديوان شعر ١٩٤٢

٩ — بعد الاعاصير — ديوان شعر ١٩٥٠

١٠ — ديوان من دواوين «هذا الديوان مجموعة قصائد ومقطوعات من الدواوين السابقة مضافا اليها قصائد جديدة» نشر عام ١٩٥٨

مقالات ودراسات

١١ — خلاصة اليومية — نشر عام ١٩١٢ وهو أول كتاب للعقاد ، وهو يسميه «شهادة ميلاد» أى ميلاده كاتبا وشاعرا .

١٢ — الشذور ١٩١٥

١٣ — الفصول ١٩٢٢

١٤ — مطالعات فى الكتب والحياة ١٩٢٤

١٥ — مراجعات فى الآداب والفنون ١٩٢٥

١٦ — ساعات بين الكتب — الف العقاد كتابا من ٥٠٠ صفحة

قبل هذا الكتاب بالعنوان نفسه ثم أحرقه عام ١٩١٦ في ساعة غضب ، وقد صدر الجزء الاول من الكتاب الجديد سنة ١٩٢٧ ثم أعيد طبعه مع الجزء الثاني سنة ١٩٢٧.

١٧ ــ يســــالونك ١٩٤٧
١٨ ــ بين الكتب والناس ١٩٥٢
١٩ ــ على الاثـــــير ١٩٥٣
٢٠ ــ مطـالعات ــ أحاديث اذاعيـة طبعتها دار الاذاعـة المصرية عـام ١٩٥٦
٢١ ــ الانسان الثاني ــ كتاب عن المرأة ١٩١٢
٢٢ ــ مجمع الاحيـــــاء ١٩١٦
٢٣ ــ الديوان في النقد والادب ــ صدر منه جزءان بالاشتراك مع المـازني في عـام ١٩٢١
٢٤ ــ الحكم المطلق في القرن العشرين ١٩٢٨
٢٥ ــ اليد القوية في مصر ١٩٢٨
٢٦ ــ ابن الرومي : حياته من شعره ١٩٣١
٢٧ ــ تذكار جيتي ــ طبع لاول مرة عـام ١٩٣٢ ثم أعيـد نشره بعنـوان «عبقرية جيتي»
٢٨ ــ رواية قمبيز في الميزان ١٩٣٢
٢٩ ــ سعد زغلول : سيرة وتحية ١٩٣٦
٣٠ ــ شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ١٩٣٧
٣١ ــ عالم السدود والقيود ١٩٣٧
٣٢ ــ ســــارة (قصــة) ١٩٣٨
٣٣ ــ رجعة أبي العـلاء ١٩٣٩
٣٤ ــ هتلر في الميزان ١٩٤٠
٣٥ ــ النازية والاديان ١٩٤٠
٣٦ ــ عبقرية محمد ١٩٤٢
٣٧ ــ عبقرية عمر ١٩٤٢
٣٨ ــ شاعر الغزل (عمر بن أبي ربيعة) ١٩٤٣
٣٩ ــ الصديقة بنت الصديق ١٩٤٣
٤٠ ــ عمرو بن العاص ١٩٤٤
٤١ ــ جميل بثينـة ١٩٤٤
٤٢ ــ هذه الشجرة ١٩٤٥
٤٣ ــ أبو الشهداء (الحسين بن علي ١٩٤٥
٤٤ ــ داعي السماء (بلال بن رباح) ١٩٤٥
٤٥ ــ عرائس وشياطين ــ مجموعة من الشعر العـالمي ترجمها وأضاف اليها بعض الشعر العربي ١٩٤٥
٤٦ ــ عبقرية خالد ١٩٤٥
٤٧ ــ في بيتي ١٩٤٥
٤٨ ــ فرنسيس بيكون ١٩٤٥
٤٩ ــ أثر العرب في الحضارة الاوروبية ١٩٤٦
٥٠ ــ الشيخ الرئيس (ابن سينا) ١٩٤٦
٥١ ــ اللــه ١٩٤٧
٥٢ ــ الفلسفة القرآنية ١٩٤٧
٥٣ ــ روح عظيم (المهاتما غاندي) ١٩٤٨
٥٤ ــ عقائد المفكرين في القرن العشرين ١٩٤٨

٥٥ ــ عبقرية الامام ١٩٤٩
٥٦ ــ برناردشـــو ١٩٥٠
٥٧ ــ فلاسفة الحكم في العصر الحديث ١٩٥٠
٥٨ ــ عبقرية الصـديق ١٩٥١
٥٩ ــ الديموقراطية في الاسلام ١٩٥٢
٦٠ ــ ١١ يوليو وضرب الاسكندرية ١٩٥٢
٦١ ــ القائد الاعظم محمد على جناح ١٩٥٢
٦٢ ــ صن يات صن ١٩٥٢
٦٣ ــ عبقرية المسيح نشر عام ١٩٥٣ ثم أعيـد نشره تحت عنوان «حياة المسيح»
٦٤ ــ فاطمة الزهراء والفاطميون ١٩٥٣
٦٥ ــ ابن رشــــد ١٩٥٣
٦٦ ــ أبو الانبياء الخليل ابراهيم ١٩٥٣
٦٧ ــ أبو نواس الحسن بن هانىء ١٩٥٣
٦٨ ــ ذو النورين عثمان بن عفان ١٩٥٤
٦٩ ــ ألوان من القصة في الادب الامريكي ١٩٥٤
٧٠ ــ الاسلام في القرن العشرين ١٩٥٤
٧١ ــ مطلع النور : طوالع البعثة المحمدية ١٩٥٥
٧٢ ــ الشيوعية والانسانية ١٩٥٥
٧٣ ــ الصهيونية العالمية ١٩٥٥
٧٤ ــ ابليس ١٩٥٥
٧٥ ــ معاوية بن أبي سفيان في الميزان ١٩٥٦
٧٦ ــ جحا الضاحك المضحك ١٩٥٦
٧٧ ــ أفيـون الشعوب ١٩٥٦
٧٨ ــ بنجامين فرانكلين ١٩٥٦
٧٩ ــ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ١٩٥٧
٨٠ ــ لا شيوعية ولا استعمار ١٩٥٧
٨١ ــ الاسلام والاستعمار ١٩٥٧
٨٢ ــ التفكير فريضة اسلامية ١٩٥٧
٨٣ ــ التعريف بشكسبير ١٩٥٨
٨٤ ــ القرن العشرون ما كان وماسيكون ١٩٥٩
٨٥ ــ المرأة في القرآن الكريم ١٩٥٩
٨٦ ــ الرحالة (كاف) عبد الرحمن الكواكبي ١٩٥٩
٨٧ ــ فلسفة الغزالي ١٩٦٠
٨٨ ــ الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ١٩٦٠
٨٩ ــ اللغة الشاعرة (مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية ١٩٦٠
٩٠ ــ شـاعر أندلسي وجائزة عالمية ١٩٦٠
٩١ ــ الانسان في القرآن الكريم ١٩٦١
٩٢ ــ الشيخ محمد عبده ١٩٦١
٩٣ ــ اليوميات (الجزء الاول) ١٩٦٣
٩٤ ــ أشتات مجتمعات في اللغة والادب ١٩٦٣
٩٥ ــ رجـال عرفتهم ١٩٦٣
٩٦ ــ جوائز الادب العالمية ١٩٦٤
٩٧ ــ أنــا ١٩٦٤
٩٨ ــ حيـاة قلـم ١٩٦٤

وثائق

وثائق تاريخية عن:

الثورة العرابية

٧

النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع احمد عرابي (الجلستان الثانية والثالثة)

تواصل « الطليعة » فى هذا العدد نشر النصوص الكاملة لمحاضر الجلستين الثانية والثالثة من جلسات التحقيق مع الزعيم الوطنى احمد عرابى، بعد نشر النص الكامل لمحضر جلسة التحقيق الاولى .

تبدأ الجلستان بسؤاله حول قبول اللائحة المقدمة من جانب قنصلى انجلترا وفرنسا، وحول مسألة عدم اقدامه على الخروج من مصر الى الاستانة وفق نصائح المندوب السلطانى **درويش باشا** . وتوضح الجلسة الثانية بشكل خاص مدى يقظة احمد عرابى لحقيقة المؤامرة التى بدأت بحادثة قتل المالطى بالاسكندرية والتى تلتها مباشرة مذبحة الاسكندرية ووعيه ايضا بدور الاطراف المشتركة فيها . ويكشف خطابه الى وكيل الجهادية بالاسكندرية عن مدى احساسه العميق بالمسئولية كزعامة تتصدر قضية قومية — بازاء تحقيق وسيادة الامن والانضباط فى المدن والمناطق ذات الحساسية بالقضية السياسية العامة.

كما توضح الوضع الذى كان عليه هو وبعض العناصر العرابية اثناء ضرب الاسكندرية فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ من قبل الاسطول البريطانى حتى تم التسليم ورفع البيرق الابيض بناء على قرار من مجلس النظار وغيرهم من الذوات وهى المرة الاولى التى بدأ يخص فيها عرابى فئة « الذوات » بالذكر .

كما تكشف ايضا تلك الجلسة عن مدى اصرار « احمد عرابى » وعناده فى الاستمرار فى المقاومة العسكرية برغم الاضطراب والتقهقر فى صفوف القوات المصرية عقب نزول القوات الانجليزية

الى البر . يتضح ذلك من اسراعه لاتخاذ مركز عسكرى ملائم لجمع القوات المنقهقرة عند كوبرى حجر النواتية القائم على المحمودية . كما ينجلى ايضا دفاعه الحازم من القائمقام **سليمان سامى** الذى تصدى بجنوده لمنع جنود البحرية البريطانية من دخول الاسكندرية من طريق الترسانة والذى حاول المحققون ان ينسبوا اليه تهمة حرق الاسكندرية .

والدفاع عن استمرار الاستعدادات العسكرية لمواصلة قتال البريطانيين ، كاجراء شرعى من وجهة النظر الوطنية فى حالة وجود حاكم البلاد بطرف الجيش المحارب لها ، يبدو فى تحقيقات هذه الجلسة وكأنه الصورة الموجزة لدفاع احمد عرابى عن العمل الوطنى الثورى الذى أنجز فى سنة ۱۸۸۲ هـــامة ».

ويلاحظ فى تحقيقات الجلسة الثالثة التركيز من جانب لجنة التحقيق حول دور **عبد الله نديم وحسن موسى العقاد** ، وهما من العناصر التى اختفت عن الانظار عقب فشل الثورة الاول الى مكان غير معلوم حينذاك ؛ والثانى الى كريت . ويأتى هذا التركيز عقب ملاحقة عرابى بالاسئلة حول دور القائمقام **سليمان سامى** الذى فر هو ايضا الى كريت .

ويتضح من مجموعة الاسئلة المتعلقة «بمجلس ادارة البلاد» الذى كونه عرابى عقب الحرب بامر وكلاء الدواوين وبعض الباشوات الذين كانوا بالقاهرة ، ان معظم هؤلاء الباشوات قد اتخذوا موقف الانكار وطعن الثورة اثناء التحقيقات فأغلبهم « لما سئلوا الان اجابوا ان اجراءاتهم وقبولهم الدخول فى ذلك المجلس هى فقط من التهديدات التى كانت تحصل منكم (المقصود احمد عرابى) وممن ارتكب جنحة العصيان معكم من باقى الضابطان » الامر الذى يتعارض مع حقيقة مظاهرتهم للثورة اثناء عملية الغليان الشعبى ضد الخديوى وتظهر الروح المحلية المصرية بسماتها الانسانية المسالمة فى الشكل الذى تمت به مطالبة **احمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى وطلبه عصمت ومحمد عبيد** بالافراج عن « مصطفى العنانى بك » الذى سجن بسبب اقامة وليمة ابتهاجا بافتتاح مجلس النواب ».

■■■

الجلسة الثانية

بناء على ماتقرر بجلسة يوم الخميس ۲۹ ذا سنة ۱۲۹۹ طلب احمد عرابى من السجن لاتمام استجوابه ولما حضر وجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه فأجاب عنها بما يأتى :

س : الم ينصحك دولتلو درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية بقبول اللائحة والخروج من القطر

ج : ان اللائحة المذكورة هى مقدمة من جانب قنصلى انكلترة وفرنسا عن راى ارتآه سلطان باشا كما هو واضح بها ولم تكن صادرة من تعليمات دولهما . وكان تقديمها عقب حضور المراكب الحربية الى ثغر الاسكندرية ولما حضر الوفد العثمانى ، تحت رئاسة دولتلو درويش باشا راى البلاد المصرية فى غاية الهدوء والسكون ولم يكن بها ادنى شىء يدل على ما يوجب تلك الارتباكات ، كما انه رأى الجيش المصرى فى غاية الطاعة والانقياد ، ملازما لخدماته وواجباته العسكرية وعرض من ذلك للباب العالى بالاستانة ، وترتب على ذلك تشريفنا بالنيشان المجيدى السابق الذكر بتلغراف ورد لدولته من المابين الهمايونى قبل حضور النيشان المذكور ، ولما أخبرنى دولته بذلك التزمت بعرض تشكراتى تلغرافيا بواسطة المابين على الحضرة السلطانية وتشرفت بقبولها وأجابنى تلغرافيا بحصول الممنونية للحضرة السلطانية مما أديناه من حسن الخدمة والطاعة والانقياد ، ثم انه قبل حصول الضرب على اسكندرية بأربعة أيام حضر النيشان المذكور واستلمته من يد الحضرة الخديوية ، مع اظهار الخضوع والانقياد والشكر على ذلك كما انه حضرت جملة نياشين برسم ضباط الجيش اعلانا على حسن طاعته وانقياده ، ولكن لم يسع الوقت لاعطاء النياشين لاربابها لمفاجأة الضرب على اسكندرية وكان دولة المشار اليه اخبرنى أنه يرى لزوم توجهى للاستانة تحت كنف الذات الشاهانية فقلت له انى اود ذلك بل هو أعظم شىء اتمناه ولكن لتعلق الناس بى وازدحامهم على فى كل وقت بحيث انهم لا يمكنونى ان اتناول من لوازماتى المعاشية أخشى ان يحولوا بينى وبين ذلك اذا علم لهم انى أريد السفر الى خارج القطر المصرى لما يتوقعونه مما يحيق بهم من الضرر فى المستقبل ويترتب على ذلك حدوث فتنة داخلية التى دائما نحاذر من الوقوع فيها فعند انتهاء الامر وانصراف المراكب الحربية يمكن نحتال فى كيفية التخلص من هذا الامر ونتوجه الى الاستانة كما ترون دولتكم هذا ما صار عند مقابلتى بدولة المشار اليه

س : من حيث انكم احضرتم مجلس النواب بالفعل للمحروسة للخلاف الذى قيل منكم انه حاصل بينكم وبين الحضرة الخديوية ، فلماذا لم يفتح المجلس المذكور ويعرض الخلاف عليه كما صممتم على ذلك من قبل .

ج : بحضور جميع اعضاء مجلس النواب واخبارهم عن لزوم افتتاح المجلس رسميا للنظر فيما حصل من الخلاف واسبابه فتوجهوا للحضرة الخديوية وطلبوا صدور أمره الكريم بافتتاحه فلم يسمح لهم

س : زعمتم ان النواب موافقون لرأيكم ولراى باقى النظار فى ذلك الوقت فلو كان هذا حقيقيا لامكنكم بالاتحاد معكم فتح المجلس والنظر فى احوال البلاد بدون رخصة من الحضرة الخديوية — وحيث انه لم يصر افتتاحه بالفعل على حسب رأيكم فيعلم ان النواب لم يكونوا متحدين معكم جميعهم كما قلتم

ج : لا اظن ان احد المصريين على اختلاف مذاهبهم يسمح بحصول تداخل أجنبى فى بلاده ، ومن ذا يعلم لكل

ذى ذوق تسليم أن الامة المصرية بأجمعها لا تسمح بذلك التداخل ولكن أرتأى رئيس مجلس النظار ان يسلك طريقا سهلة لازالة الخلاف وتسوية الحالة ، وقد حصل فعلا ونجح فى مسعاه بتشكيل نظارة راغب باشا التى صدر فيها عفو عام من الحضرة الخديوية شاملا كل ما ينسب الى تلك المسائل الا مسألة اسكندرية التى حدثت فى يوم ١١ يونيو سنة ٨٢

س : مذ كان محمود باشا سامى رئيس مجلس النظار وكنت انت ناظر جهادية اجتمعتم ليلا معه ومع باقى الضباط من رتبة بكباشى فما فوق فى تشلاق عابدين ، ووضعتم مصحف على ترابيزة ووضعتم أيديكم عليه ولقنكم الشيخ محمد عبده يمينا فما هو هذا اليمين ، وما أسبابه ، وما هو تاريخ حلفه

ج : هذه العبارة لا حقيقة لهـا وانما دائما فى كل مجتمع كان يحصل التذاكر بالاتفاق على تحرير البلاد وتحسين حالتها والسعى فى جلب المنافع اليها ودفع المضار عنها ، بواسطة تنسيق قوانين عادلة تكفل لكل انسان حقه، حتى تعيش اهل البلاد وابنائها فى ارغد عيش مثل الامم المتمدنة فى كافة ارجاء المسكونة من السعى فى منع جميع الاسباب التى تخل بالراحة العمومية أو ينسب للبلاد ما يشين اسمها فى تاريخ العالم بل تعتبر أهل البـلاد جميعها ومن فيها من الاجانب اخوة فى الانسانية لهم مالنا وعليهم ماعلينا ولايتعرض احد لهم بسوء تلك هى المجتمعات التى كانت تحصل وليست فى تاريخ مخصوص

س : انت تنكر حلف هـذا اليمين فماذا حضر الشيخ محمد عبده وغيره ممن كان حاضرا وقال بحصول ذلك أمامك فماذا تقول

ج : لم يحصل انكار شىء ، بل ان ما اوضحته بجوابى هو شامل لما كان يحصل فى مجتمعاتنا مع تأكيد بالايمان الموثوق بها على عدم حصول العذر لاحد من الناس كما ذكر وكل ذلك حرصا على الراحة العامة

س : مذ كان محمود باشا سامى رئيس مجلس النظار قبل واقعة ١١ جونيو سنة ٨٢ بأيام قليلة ، طلبت السيد قنديل مأمور ضبطية اسكندرية وحضر لطرفك فلماذا كان ذلك

ج : لما حضر فرمان الرتبـة التى اعطيت اليه طلبناه ، وسلمنا اليه ذلك الفرمان .

ج : لم انبه عليه بشىء .

س : الم ينبه عليه ايضا بشىء من محمود باشا سامى بحضوركم فى مجلس النظار فى خزنة قاعة الجلسات

ج : لم يحصل ذلك ولم اكن موجودا فى الخزنة .

س : لما حصلت واقعة ١١ جونيو سـنة ٨٢ وتعين قومسيون لتحقيقها باسكندرية وكان من اعضائه وكيـل الجهادية ، فبدلا من التنبيه عليـه بالتمسك بالعدل والانصاف وعدم الميل لاى طرف كان نبهتم وأكدتم عليه بأن يجتهد فى ابعاد التهمة والشبهة بقدر الامكان عن الاهالى والعساكر مع معلوميتكم ومعلومية الجميع ان عساكر المستحفظين باسكندرية كان لهم مدخل كبير فى هذه المقتلة ، فمن تنبيهاتكم بهـذه الكيفية لوكيلكم أعنى وكيل الجهادية يعلم ان وقوع هذه الحادثة اما ان تكون بأمركم أو بتعليماتكم .

ج : هذه العبارة مختلقة لا أصل لها وان وكيل الجهادية ليس محتـاجا لتعليماتى ولايمكنه ان يساعد على غير الحق مهما كانت الحالة وأما ما ذكر من أن يكون ذلك حصل بتعليماتى فمن أنا حتى يكون لى تعليمات بمثل ذلك فى جهة لم أحضرها ولم أشاهدها بل من تدبير كيفية سيرنا فى مدة ثمانية عشر شهرا وكسور وعلم ما حصل منى من التنبيهات والتأكيدات واعلانى لجميع الناس علم علم اليقين انى اجتهد كل الاجتهاد فى حفظ الارواح والاعراض والاموال حتى لا تسـقط شعرة واحدة من رأس أى انسـان كان حرصا على عدم تسويد صحيفة تاريخ المصريين ، والحق انه لم يتنبه منا على وكيل الجهادية بشىء ابدا اذ هو غنى عنى فى مثل ذلك وكان طلبه على حين غفلة واستعجال .

س : قلت انـك لم تعـط تنبيهـات لوكيل الجهادية فى شأن هذه المسألة مع انه موجود جواب منك اليه مشتملا على ذلك ، فستتلوه عليك وقل لنا صدر منك أم لا (تلى عليه وها هى صورته) .

جهادية وكيلى سعادتلو افندم

بعد السلام على سعادتكم تعلمون أهمية مركز سعادتكم الان بالنسبة للجنة التحقيق ، فانه لايخفى أن أعضاء اللجنة ليسوا جميعها ممن يهمهم شرف العسـكرية والامة ، وهذا يقضى بأخذ الاحتياطات الكلية فى سياق التحقيق واظهار منشأ الحركة فان المتداول على الالسنة الخاص والعام هنا أن الفاعل لهذا الامر رجل مالطى من تبعة الانجليز تشاجر مع وطنى وضربه بسكين وان جماعة من الاروام اجتمعوا للدفاع عن الوطنى فتكاثر عليهم المالطية وبعض الاوروباويين ، وضربت عليهم النيران من الشبابيك وعظم الخطب بتعدى الاوروباويين على أنفسهم ، وأن الوطنيين الذين حضروا فى وسط اللغط انما كانوا يدافعون عن أنفسهم بالعصى ولذلك لهجت الالسنة بأن بعض الاوروباويين انتهب بعض الدكاكين ولم يكن للوطنيين يد فى ذلك فليكن اجتهادكم فى الدفاع من جانب الحكومة والامة واظهار الفاعل الاصلى من الاجانب ، فقد قيل أن المالطى المتسبب كان قبل ذلك خادما فى قنصلاتو الانجليز وهذه أمور نقدمها لتلاحظوها ولاتقبلوا كل مايقال فى جانب الوطنيين والحكومة من غير تدقيق وبحث طويل وتحقيق تعرفون صدقه وعدم تصنعه ولاتميلوا بجانبكم لاحد من أعضاء اللجنة خشية أن يخـدع سعادتكم أو يستميلكم لامر ظاهره الاصلاح ، وباطنه الفساد ، ولنا وثوق تام بأفكاركم وانما كتبنا هذا من باب التنبيه والايقاظ لاقوال وأفعال من معكم من رجال اللجنة هذا مايقتضى من جهة اللجنة والتحقيق وأما ما يلزم للمراقبة العمومية فيلزم أن تلاحظوا حركات البلد واخبـارها وتتثبتوا فيمـا تسمعونه وما ترونه وتبادروا باخبارنا أولا فأولا عن جميع الاعمـال والاكتشافات والمنظورات والمحذورات التى ترونها مما يظهـر لكم من الحوادث، واعلموا أن الحزم فى الامور يرشد لحسن العاقبة وصدق العزيمة يوصل الى المقصود، والعاقل من احترس من صديقه قبل عدوه ، ورجل الحرب من لاتخدعه السياسيون ولا اعمال المنافقين ، والله يرشـدنا واياكم لما فيه حفظ العباد والبلاد أفندم فى ٢٨ رجب سنة ٩٩

ناظر الجهادية والبحرية

ج : نعم صدر منى هذا الجواب الذى هو عبارة عن الاخذ بالحزم فى اظهار الحقيقة والعمل بالحق وليس فيـه ما ينكر عليه .

س : لما حصلت الواقعة المذكورة طلب محافظ البلد مرارا عديدة من الالايات الموجودة هناك امداده ولم يجيبوا فى وقت الطلب حالا حتى تمكن الاشقياء من قتل أناس كثيرين خصوصا قتل جم غفير من الاوروباويين أمام الضبطية والمشاع فى ذلك الوقت أن هذا من تداخل عساكر المستحفظين فى القتل وحيث أنك كنت ناظر الجهادية فى ذلك الوقت ولابد أنه بلغكم ما قيل فى حق العساكر فان كان لم يكن لكم مدخل فى هذه الواقعة لماذا لم تتثبتوا فى التحرى والحصول على معرفة ضابطان الالايات اللذين تأخرا فى اجراء مأموريتهم وعساكر المستحفظين

الذين قيل انهم اشتركوا فى هذا الامر بصرف النظر عن اللجنة التى تشكلت فى ذلك الوقت من طرف الحكومة باسكندرية للنظر فيماحصل من الاهالى المتهمين فى تلك الواقعة

ج : ان مـا ذكر من نسبة عساكر الالايات للتأخير عنـد طلبهم بمعرفة محافظ اسكندرية لم يبلغنى ولم اسمع به الا من فم سعادتكم فى هذا الوقت بل المذكور فى الجرائد الاجنبية نفسها أن عساكر الالايات ادت مايجب عليهم من الغيرة والشرف فى تدارك هذا الامر وحفظ حالة البلد ، وبذلك جميع الالسن كانت تثنى عن عساكر الالايات وضباطهم ولو كان لذلك أصلا لكان المحافظ حرر للجهادية بما حصل من التقصيرات حتى على مقتضاها تجرى محاكمة المتأخرين واما مانسب للضبطية وعساكر المستحفظين فلا حق لسؤالنا عنه اذ ان ادارتهم ليست تابعة لنظارة الجهادية .

س : حيث أنه صدر لك أمر من الحضرة الخديوية ومن الحضرة السلطانية بابطال التجهيزات بالطوابى وزيادة وضع المدافع بها فلماذا لم تمتثل لهذه الاوامر واستمر العمل فى التجهيزات حتى أن جناب الاميرال سيمور لما شاهد وضع مدافع زيادة عماكان موجودا طلب تنزيلها ولاصراركم على عدم الاصغاء للاوامر ، نشأ من ذلك الضرب على طوابى اسكندرية

ج : ان على حسب العادة السنوية كان جارى ترميم بعض طوابى اسكندرية ولما ورد تلغراف من الحضرة السلطانية الى الحضرة الخديوية بنـاء على تبليغات سفير انكلترة بالاستانة بابطال انشاء وتجديد استحكامات اسكندرية اذ يعد ذلك تهديدا للمراكب الحربية الانجليزية وصدر أمر الحضرة الخديوية بذلك ، ففى الحال صار ابطال الترميمات ، وتعين من لزم من رجال المعية لمشاهدة ابطال العمل ولما تحقق بطلان العمل بالترميمات كتب للاستانة بذلك من المعية ولم يكن حصل اصرار وعدم سماع كما قيل ، حتى وأن الطوابى الموضحة بافادة جناب الاميرال سيمور بانه جاريا وضع مدافع بها قبل الضرب بيوم واحد ، لم يسبق وضع مدافع على بعضها من منذ انشائها فى مدة المرحوم محمد على باشا ، ومن ضمن ذلك طابية صالح التى لم يكن بها شىء من الاسلحة الجديدة أبدا وطابية باب العرب وطابية قايد بك التى هى على بعد زائد فى وسط البحر

س : لغاية أى ساعة استمر الضرب من المراكب على الطوابى فى يوم ١١ يوليو سنة ٨٢ وأين كنتم فى اليوم المذكور .

ج : ضرب اسكندرية فى يوم ١١ يوليو سنة ٨٢ كان الساعة ١٢ عربى صباحا وعلى مقتضى قرار المجلس المشكل تحت رئاسة الحضرة الخديوية لم تصر مجاوبة المراكب من الطوابى الا بعد اطلاق نحو الخمس عشرة طلقه ، وبعدها حصلت المجاوبة من الطوابى واستمر الضرب من الطرفين الى الساعة ١٠ر٣٠ عربى من النهار وفى أثناء ذلك كنت فى طابية الدماس لارتفاعها ومناظرة الجهات .

س : هل بقيت فى الطابية المذكورة لغاية الساعة ١٠ر٣٠ حتى انتهى الضرب .

ج : نعم

س : من كان قومندان العساكر باسكندرية فى أثناء واقعة ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ .

ج : كان القومندان طلبة باشا عصمت

س : هل تعين لهذه الوظيفة بأمرك او بأمر من كان .

ج : طلبة باشا كان قومندانا على العساكر البرية الذين توجهوا من مصر الى الاسكندرية عقب حادثة ١١ جونيو سنة ٨٢ لاجل حفظ البلد ، وحيث وجد هناك وكانت مأموريته حفظ البلد فصار قومندانا على جميع العساكر البرية ، وأما الطوابى فكانت تحت قومندانية اسماعيل بك صبرى .

س : لما توجه للمكالمة مع جناب الاميرال سيمور بأى صفة توجه هل بصفة قومندان الثغر .

ج : بصفة كونه قومندان العساكر المصرية .

س : هل تعيينه بهذه الوظيفة منكم كان شفاهيا أو كتابة

ج : كان شفاهيا .

س : فى أى يوم رفع العلم الابيض من الطوابى ، هل فى أول يوم الضرب او فى ثانى يوم

ج : فى اليوم الثانى عند ابتداء الضرب

س : فى أى ساعة

ج : فى الساعة واحدة تقريبا

س : هل كان هذا بأمرك .

ج : رفع البيرق الابيض عند اطلاق مدافع من المراكب الانجليزية أكان بناء على قرار من مجلس النظار وغيرهم من الذوات تحت رئاسة الحضرة الخديوية بحضور دولنلو درويش باشا رئيس الوفد العثمانى

س : أين قضيت ليلة الاربعاء .

ج : فى باب شرقى .

س : فى أودة من .

ج : فى أودة حكمدار الالاى ولست متذكرا ان كانت أودة سليمان بك سامى أو عيد بك .

س : مع من .

ج : مع طلبة باشا .

س : الم يكن معكم ايضا فى تلك الليلة سليمان سامى وعمر رحمى ومحمود سامى وخلافهم .

ج : لم أكن متحققا من وجود أحد معنا فى تلك الليلة خلاف طلبة باشا

س : أين توجهتم فى ثانى يوم صباحا

ج : حضر لى طلب من المعية فى الساعة ٢ تقريبا فتوجهت من باب شرقى للرمل

س : لاى شىء طلبت .

ج : طلبت لدى الحضرة الخديوية وسئل منى عما اذا كان صار رفع البيارق البيضاء اولا ومن الضرب الذى حصل من المراكب فجاوبته أنه صار رفع البيارق المذكورة واستمر الضرب من المراكب بعد رفعها من خمسة وعشرين الى ثلاثين كلة .

س : هل حقيقة بعد رفع الاعلام البيضاء اطلقت خمسة وعشرين كلة من المراكب الانجليزية كما قيل منكم .

ج : نعم انما لم يكن اطلاق هذه الكلل من مركب واحدة بالتوالى بل من مراكب متعددة فى آن واحد .

س : ما هو الزمن الذى مكثتموه فى الرمل .

ج : بقينا بالرمل الى الساعة ١٠ تقريبا ، حيث كان عقد مجلس تحت رئاسة الحضرة الخديوية من طلبات جناب الاميرال سيمور بخصوص تسليم ثلاثة قلع الى العساكر الانجليزية لاتخاذها معسكرا للجيش الانجليزى وتلك القلع هى طابية العجمى وطابية المكس وطابية باب العرب .

وكان ارسل لجنابه حسب ما تقرر من لزم صحبة طلبة باشا لابلاغ جنابه

ارسل عدد كبير من الاصدقاء خطابات شكر وتحية لنشر وثائق محاضر التحقيقات مع الزعيم الوطنى احمد عرابى . وطالبوا بضرورة مواصلة نشر كافة التحقيقات التى تخص الثورة العرابية .. واذ تشكر الطليعه تحية الاصدقاء ، فانها تؤكد حرصها على نشر هذه الوثائق الخاصة بالتحقيقات كاملة مع الزعيم احمد عرابى وسائر زعماء الثورة العرابية بهدف تصحيح عديد من التشويهات التى تعرض لها تاريخ الثورة العرابية .

ان الفرمان الهمايونى لايرخص للحضرة الخديوية بذلك وانه سيعرض للحضرة السلطانية عن تلك المقترحات .

س : قلت فى أجوبتكم المتقدمة انكم توجهتم للرمل الساعة ٢ صباحا وبقيتم لغاية الساعة ١٠ ، أفلم تحضر من هناك فى أثناء هذه المسافة لباب شرقى أو لجهة اخرى .

ج : نعم فى منتصف تلك المسافة قبل انعقاد المجلس ، كنت توجهت صحبة سعادة **راغب باشا** رئيس النظـار بعربته الى منزله وبعد مضى نحو ساعة او ساعة ونصف عدنا سويا ثانيا الى الرمل معا .

س : القصد الافادة عما اذا كنتم حضرتم لباب شرقى قبل الساعة ١٠ أم لا .

ج : لم نحضر .

س : علم من التحقيق انه فى يوم الاربعاء حضر لطرفكم لباب شرقى **سـلطان باشا وسليمان باشا اباظة وشريعى باشا** وياور من طرف دولتلو **درويش باشا وحسـين حسنى بك** ياور من طرف الحضرة الخديوية وهؤلاء الذوات حضروا لكم معا بالباب المذكور ليطلبوا منكم رفع كوردون العساكر الذى احطتم به سراى الرمل فحضورهم لكم فى باب شرقى كان فى أى ساعة من ذلك اليوم ، وما أسباب وضعكم الكوردون حول سراى الرمل مادام أصل الخفر المرتب للحضرة الخديوية كان موجودا هناك .

ج : أظن أن حضور حضرات الذوات المذكورين كان الساعة ١١ حالة كونى مشـتغلا بنفسى فى جمع العسـاكر المشتتة بوقت خروجهم من اسكندرية ، وفى الوقت المذكور الذى كنت فيه فى الرمل كان الجناب الخديوى سألنى من عدم لزوم الاربع بلوكات البيادة الذين حضروا فى ذلك اليـوم للرمل لوجود الخفر كفاية هناك وقال ان توجههم لتأدية خـدمات لازمة أولى وحيث كنت لا أعلم حقيقة الامر ولا ما هى الاربع بلوكات المذكورة ، فعنـد خروجى من المعيـة توجهت لجهـة القشلاق المجاور لسراى الرمل وطلبت الضابط الموجـود مع الاربع بلوكات التى حضرت الى هناك فأحضروا الى ضابط رتبته صاغقول اغاسى وأظن أن اسمه **على هشيم** من ٦ جى الاى ، فقلت له ماسبب حضور العسـاكر الذين حضرت بهم مادام موجودا الخفر الكفاية فأجابنى بأنه حضر بأمر حكمدار الالاى **سليمان سامى** ، فقلت له لاى سبب قال لا أعلم جئت لتقوية الخفر فقلت له ان الخفر كفاية فخذ العساكر

وتوجه الى الالاى وكنت راكبا عربة سعادة **راغب باشا** فلما قربت من الجبانة القريبة من باب شرقى ، وجدت العساكر والاهالى مختلط بعضهم ببعض فى ازدحام شديد خارجين جهة وابور المياه فنزلت من العربة وصرت أتخلل الناس حتى وصلت الى باب شرقى ، وصرت أوقف العساكر بنفسى وأمنعهم عن الخروج من الباب وأنهاهم عن ذلك ومازلت كذلك ، حتى اتى حضرات الذوات المـذكورين وأخـبرونى بأن العساكر منتشرة فى هيئة كوردون حول السراى ومن الاقتضاء رفع الكوردون المذكور ، فدهشت حين سمعت بهذه العبارة وبوقتها كان حضر حضرة **طلبة باشا** الذى هو قومندان العسـاكر فنبهت عليه بسرعة التوجه لرفع ذلك والوقوف على أسبابه وقد توجه مع من ذكروا .

س : يفهـم من جـوابك أولا ان الصاغقول اغاسى لم يصـغ لاوامرك حيث أنك قلت له خذ العساكر الذين معك وتوجه الى الالاى ، وبعد ذلك عمل الكوردون حول السراى .

ثانيا ان جناب الخديوى نفسه أمركم باعادة الاربع بلوكات المذكورة وانت بالرمل ، ومن جـوابكم علم انـكم حضرتم من الرمل الى قشلاق باب شرقى ولم تصرفهم ، ثالثا اتضح من التحقيقات ومن أجوبة بعض من حضر لك من الذوات لباب شرقى انك لم ترض برفع الكوردون الا بعد تكرار الرجاء والالحاح ياور دولتلو **درويش باشا** ، فمن هنا يعلم أن أصل وضع الكوردون كان بأمركم ، اذ أن مع وجودكم بصفة ناظر الجهادية ومع ان العساكر فى جهة واحدة ، وأمر لا يتصـور أن مـيرالايات الالايات أو ضباطهم يتجاسرون على فعل أمر مهم مماثل لذلك بدون أمرك .

ج : الامر المهم المماثل لذلك كنت اتولاه بنفسى ولا أرتكن فيه على غيرى وان الانسان مهما كانت قوته لايمكنه حصر وضبط أفكار جميع الناس الذين معه. خصوصا فى هذا الوقت الصعب الذى كثيرا ما تذهل فيـه العقول ، فكيف يقال انه لا يتصور وقوع أمر من أحد حكمدارية الالايات بدون أمر منى ، مع انى لست بضابط لانكاره كما ذكر وانى كما أوضحت لا أعلم لاصل ارسال البلوكات ولا الغرض منه وانه تنبه منى على الصاقول اغاسى كما ذكر لاعادة البلوكات الى محـلاتها ، وتركتـه وتوجهت لرؤية الاشغال الضرورية وأما القول بأن المخبرين لى برفع الكوردون كان مع الترجى والالحاح فهذا لا حقيقة له ، بل بمجرد ما أخبرت وتمالكت نفسى من الدهشة حالا أرسل معهم قومندان

العساكر **طلبة باشا** كما ذكر وحتى بعد عودته بسؤاله عن الكيفية أخبرنى أنه لم يوجد هناك كوردون أصلا وقيل له انهم تفرقوا قبل وصوله .

(أعيد الى السجن بما انه حان وقت الظهر)

بناء على ما تقرر بجلسة هذا اليوم طلب **أحمد عرابى** ثانيا من السجن، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسـئلة المحررة أدناه فأجاب عنها بما سيأتى.

س : حيث انك تدعى ان وضع هـذا الكوردون كان بغير امرك ، بل بأمر **سليمان سامى** افلم تبحث عن اسباب وضعه وماذا اجريت مع **سليمان سامى** بالنظر لوضعه الكوردون المذكور من تلقاء نفسه .

ج : قلت فيما تقدم ان الصاغقول اغاسى اجاب بانه محضر لتقـوية الخفر ، وبحضور **سليمان سامى** بعـد تجمع العساكر فى كفر الدوار افاد بان ارسال العساكر كان لتقوية الخفر، وحيث كثرة اشغال المدافعـة كانت اشغلتنا جدا فلم يحصل تحقيق كيفية ارسال العساكر بغير اذن وبالضرورة عند نهو المحاربات تجرى المحاكمات مع من يقتضى محاكمته .

س : من اجـوبتك السابقة علم انك حضرت من الرمل فى الساعة ١٠ الى باب شرقى وذكرت ان العساكر كانوا وقتها مزدحمين وخارجـين من باب شرقى فهل ترك العساكر محـلاتهم وخروجهم من البلـد كان بأمرك او بأمر من ؟ .

ج : من اجوبتى المتقدمة يعلم انه بحضورى من الرمل ، وجدت العساكر خارجين من اسكندرية الى جهة وابور المياه، وانه بحضورى الى باب شرقى كنت امنع العساكر بنفسى من الخروج ، ومن ذلك يعلم ان العسـاكر تركوا اسكندرية بصورة هزيمة ،وفى الحقيقة ان قشلاق رأس التين هدمت محـال كثيرة منه وجميع الطوابى ايضا ولم يمكن تجمع العساكر الا بعد المحاربة بأربعة ايام ، كما هو معلوم صعوبة تجمع العساكر بعد انهزامهم حتى وان بعضهم توجه الى بلاده رأسا .

س : قلت ان خروج العساكر من اسكندرية كان بصورة هزيمة ، فالهزيمة كانت فى اول يوم من المحاربة لا فى ثانى يوم فلو كان ما قلته حقيقيا ، لحصـل خروجهم فى يوم الثـلاثاء لا فى يوم الاربعاء فى الوقت الذى قبيل فيه عنه .

ج : فى يوم الثلاثاء لم يحصـل هزيمة ابدا ، والعسـاكر كانوا ثابتين فى

محلاتهم ، وأما في ثانى يوم بعد الضرب على اسكندرية وعدم قبول ما ارسل به الى الامير الانكليزى ووجود جملة مراكب ، توجهت الى جهة برج السلسلة بقصد الضرب على جهة باب شرقى ، بعد ضرب عدة طلقات جهة البلد خرجوا العساكر منهزمين وبحضورنا من الرمل كما تقدم ، وجدنا الحالة كما اوضحنا منها هذه هى الحقيقة .

س : العساكر خرجوا اذا من تلقاء انفسهم من غير اوامر منكم .

ج : نعم لان المنهزم لا يحتاج لاستئذان وقلت ان ما امكن جمعهم الا بعد اربعة ايام .

س : فى وقت وجودك فى باب شرقى ومنعك العساكر من الخروج ، الم تر معهم منهوبات ، والم يبلغك انهم كسروا الدكاكين ونهبوا البلد .

ج : ان المدة التى وجدت فيها فى باب شرقى كانت لا تزيد عن نصف ساعة ، وكنت مشغولا بجمع العساكر ومنعهم عن الخروج ، وفى اثناء ذلك شاهدت كثيرا من العربان خارجين من باب شرقى حاملين امتعة تظهر انها مأخوذة من دكاكين ووجدت مع بعض من اسافل ٦ جى الاى بعض اقمشة ، فصار استحضار حكمدار الالاى سليمان سامى وامرته بجمع الاقمشة الموجودة مع بعض العساكر وحفظها بقصد ايصالها الى المحافظة ، وحيث انه لم يمكن منع العساكر من الخروج لم ادر ماذا صار فى تلك الاقمشة .

س : الم يبلغك فى ذلك الوقت انه جارى حرق اسكندرية بمعرفة العساكر

ج : كان بلغنى ان **سليمان سامى** حكمدار ٦ جى الاى بعساكره جهة المنشية عازم على حرق البلد فارسلت اليه بحضوره وسألته عن ذلك

س : من الذى ارسلته اليه
ج : لم اكن متذكرا
س : فى اى ساعة بلغك ان **سليمان سامى** عازم على حرق البلد وفى اى ساعة ارسلت اليه بالحضور

ج : فى وقت وصولى من الرمل لباب شرقى

س : ممن بلغك

ج : لم اكن متذكرا

س : لما حضر بطرفك هل حضر بالالاى ام بمفرده

ج : حضر ومعه بعض العساكر
س : فى اى ساعة حضر

ج : الارسال اليه وحضوره استغرق نصف ساعة ، فتكون طبعا الساعة ١١ فى ذلك الوقت

س : ماذا اجريتم معه لما حضر

ج : سألته عما نسب اليه من عزمه على حرق اسكندرية فانكر ذلك كلية ، وقال انه كان موجودا مع العساكر لمنع خروج عساكر بحرية انجليزية للبر من جهة الترسانة ولكن بعض العساكر الذين كانوا داخل البلد من الالاى المذكور كان معهم بعض اقمشة كما تقدم .

س : من كان حاضرا فى وقت الاستفهام من **سليمان سامى** عن عزمه على حرق البلد وجوابه اليك بالجحد والانكار .
ج : كان حضوره وانا واقف فى وسط العساكر مشتغلا بجمعهم وسألته امامهم .

س : القصد الافادة منكم صراحة عن اسماء الضباط الذين كانوا حاضرين فى وقت الاستفهام من سليمان سامى عن مسألة حرق الاسكندرية .

ج : لم اتذكر ان كان موجودا احد من الضابطان فى ذلك الوقت .

س : بماذا اشتغلت فى الساعة ١١ لغاية الغروب من ذلك اليوم .

ج : فى اثناء تجمع العساكر تجمع منهم نحو الالف نفس تقريبا من ٤ جى آلاى حكمدارية **عيد بك** والالاى حكمدارية **سليمان بك** ، وحضرت المراكب . جهة برج السلسلة التى يمكنها من هذا المكان . الضرب على قشلاق باب شرقى باكمله ، ويمكنها قطع خط الرجعة ايضا ولم يمكن توقيف حركة العساكر فتوجهت خلف العساكر المنهزمين كى اصل الى مقدمتهم واتخذ لهم موقعا مناسبا لتجمعهم واسرعت فى السير حتى وصلت الى كوبرى حجر النواتية الكائن على المحمودية وكان وصولى الى هناك الساعة ١٢ ليلا .

س : هل بقى معك **سليمان سامى** مع عساكره بعد حصول المكالمة منك وبينه فى شأن حرق البلد فى الساعة ١١ ولازمك لحد حجر النواتية ام رجع للبلد .

ج : بعد ان علم عدم امكان توقيف حركة العساكر وكان من الضرورى جمع العساكر فى محل يأمنون فيه خرجت بمفردى مسرعا لاتخذ لهم محلا مناسبا كما ذكرت قبلا والعساكر الذين امكن تجمعهم خرجوا مع ضباطهم وسليمان بك سامى حضر

الى حجر النواتية بمن معه من العساكر فى الساعة ٧ ليلا تقريبا

س : هل **سليمان سامى** هو الذى تأخر بآلايه فقط ولم يحضر الى حجر النواتية بعساكره الا فى الساعة ٧ او كافة عساكر الالايات ايضا تأخر حضورهم لتلك الجهة الى ذلك الوقت

ج : العساكر الذين امكن تجمعهم فى باب شرقى حضروا مع ضابطانهم فى الوقت الذى حضر فيه سليمان سامى ، وما ذلك الا لكثرة ازدحام الطريق بالاهالى والعساكر والعربان وصعوبة المرور .

س : الم يبلغك ان **سليمان سامى** بعساكره حرقوا اسكندرية .

ج : سبق الاجابة عن ذلك .

س : اجابتكم السابقة كانت عن بلاغكم عزم **سليمان سامى** على حرق البلد والان هذا السؤال هو لمعرفة ما اذا كان بلغك ان **سليمان سامى** وعساكره حرقوا البلد بالفعل ام لا

ج : لم يبلغنى ان **سليمان سامى** هو الحارق للاسكندرية حقيقة .

س : حرق اسكندرية لا ينكر لمن حرقها

ج : محافظ البلد وضبطيتها يعلمان حقيقة الحرق ، وانى كنت اظن ان حرقها ناشىء من مقذوفات المراكب كما حصل بسراى راس التين وفى ذلك لم يبلغنى شىء

س : قيل فى جوابك ، انك كنت تظن والان فمن هو الذى حرق البلد على حسب ظنك

ج : كنت اظن ، ولا ازال اظن ذلك ، حيث انى لا اعلم الحقيقة لانى ما كنت بداخل البلد .

س : لما كنت فى باب شرقى هل كان **محمود سامى** هناك ام لا ، وان كان هناك فهل حضوره كان بناء على طلبكم ام من تلقاء نفسه ، وماذا فعل والم يخبركم بشىء من جهة الحريق .

ج : وقت حضورى من الرمل وجدت **محمود باشا سامى** وسألته من اسباب حضوره فقال حضرت حين بلغنى مسألة الضرب على اسكندرية لانظر الحالة فتركته واشتغلت بجمع العساكر ولم اكن متذكرا انه قال لى شيئا من الحريق .

س : الم يقض محمود سامى معكم ليلة الاربعاء فى اودة **سليمان سامى** .

ج : لم انظره فى تلك الليلة

س : ولا محمود فهمى ولا عمر رهمى ولا سليمان سامى

ج : تقدم انى ذكرت انه لم يبت معى فى تلك الليلة الا طلبة باشا

س : قلت فى احد اجوبتك السابقة انك تضيت ليلة الاربعاء فى اودة ميرالاى الالاى ، المقيم بباب شرقى وانك لم تكن متذكرا ان كانت الاودة المذكوره هى اودة سليمان سامى او اودة عيد بك ، لمن حيث انك تضيت الليلة فى اودة احدهما طبعا يكون صاحب الاودة نام معكم فيها فأيهما كان .

ج : انه لا يكون فى باب شرقى على العموم اودة مخصصة لاقامة حكمدارية الالاى الا الاودة المذكورة لان أصل المحل مخصوص لالاى واحد وكان موجود فيه فى هذا الوقت الايان بيادة ولذلك لم اعلم صاحب الاودة من منهما وقلت انه لم يكن معى خلاف طلبة باشا واما الميرالايات وجميع الضابطان والعساكر فكانوا واقفين تحت السلاح على شاطىء البحر فى النقط التى كانت معينة لهم

س : بعد انسحابكم بالعساكر من اسكندرية وتوجهكم لجهة كنج عثمان فى اواخر شعبان صدر لكم ارادة سنية ها هى صورتها منسوخة بهذا

صورة الامر الكريم الصادر الى احمد عرابى رقم (٣٠) شعبان سنة ١٢٩٩ .

اعلموا انما حصل من ضرب المدافع من الدونانمة الانجليزية على طوابى اسكندرية وتخريبها انما كان السبب فيه استمرار الاعمال التى كانت جارية بالطوابى وتركيب المدافع التى كلما يصير الاستفهام عنها كان يصير اخفاؤها وانكارها ، والان قد حصلت المكالمة مع الاميرال فأفاد بان ليس للدولة الانجليزية مع الحكومة الخديوية ادنى خصومة ولا عداوة . وان ما حصل انما هو فى مقابلة ما كان من التهديد والتحقير للدونانمة وانه اذا كان بين الحكومة الخديوية جيش منتظم وممتثل ومؤتمن فهو مستعد لتسليم مدينة اسكندرية اليها ولذلك اذا حضرت عساكر شاهانية ، فالحكومة الانجليزية تحترمهم وتسلم اليهم المدينة فقد تحقق من هذا ان الدولة الانجليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية ، وانه تقرر من كافة الدول المعظمة بالقونفرانس بانه لا يصير مس امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا مس حقوق الدولة العلية بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت لاجل استتباب الراحة بمصر ، فلذلك يلزم ان تصرفوا النظر عن جمع العساكر وعن كافة التجهيزات الحربية التى تجروتها ، بوصول امرنا هذا ، وتحضروا حالا الى سراى رأس التين لاجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشفاهية على حسب امرنا هذا ، وما استقر عليه رأى مجلس النظار .

فأطلعوا عليها وتيدوا من وصولها اليكم او عدمه وعن تاريخ وصولها اليكم .

ج : وصل الينا هذا الامر ، أما تاريخ الوصول فلم اكن متذكره .

س : لماذا لم تنفذ امرا لحضرة الخديوى الصادر لكم بالصورة المتقدمة ، وتوجهتم للاعتاب السنية بناء عليه كباقى النظار .

ج : ان الحرب التى حصلت لم يسبق لها مثيل ، اذ هى خارجة عن حد القياس حيث ان الحرب المذكورة ، ما صار اجراؤها الا بمقتضى قرار من مجلس مؤلف من النظار والذوات الاختيارية تحت رئاسة الحضرة الخديوية بحضور اعضاء الوفد العثمانى ، فكان اجراؤها على مقتضى الحق والقانون ، ثم بعد خروج العساكر من اسكندرية ، توجه الجناب الخديوى من سراى الرمل الى داخل اسكندرية التى تركها اهلها والعساكر فلما بلغنا ذلك الامر ، تحقق ان انتقال جنابه العالى الى اسكندرية مع حصول المناوشات الحربية بين مقدمات العساكر المصرية والعساكر الانجليزية، أما أن يكون لاخذه اسيرا ، واما لانحيازه الى الطرف المحارب . فمن أجل ذلك كتب لوكيل الجهادية بما حصل للمشاورة مع رجال الحكومة فى هذا الامر الذى لم يسبق له مثيل ، وبناء على ذلك صار اجتماع عام من وكلاء الدواوين والمديرين والبرنسات والعلماء وشيخ الاسلام والقاضى والشيخ السادات والشيخ البكرى واعيان التجار والعمد وغير ذلك وتشاوروا فيما بينهم عن هذا الامر الذى دهم البلاد ، واستقر رأيهم جميعا على اعطاء قرار بعدم سماع أوامر الحضرة الخديوية ، وتوقيفها عن الاعمال حيث انه توجه للطرف المحارب واعرضوا عن ذلك تلغرافيا للحضرة السلطانية ببيان اسماء المشاهير من أعضاء ذلك المجمع ومع ذلك لاجل الاحتياط والوقوف على الحقيقة ، اعرضت للحضرة الخديوية تلغرافيا من طلب صورة الشروط المنعقد عليها الصلح حتى نتمكن من الحضور فلم يرد لى جواب بعدها .

س : بعد صدور الارادة السنية المنسوخة صورتها بهذا وتليت عليكم ، حررتم تلغرافيا من طرفكم للمديريات واسا فى غرة ذا سنة ٩٩ بالاستمرار على التجهيزات وجمع العساكر ، والمداومة على المحاربة وعدم سماع اوامر تصدر من خلافكم وحررتم ايضا فى التاريخ المذكور لوكيل الجهادية بهذا المضمون ولم يذكر له شىء فيما كتبتموه عن جميع من اوضحتم عنهم لاخذ قرار منهم كما تدعون ، فيعلم من ذلك عدم التفاتكم لاوامر الخديوى والاصرار على جمع العساكر والمحاربة قبل صدور قرار ممن ذكرتم عنهم .

ج : قد قلت اولا ان هذه الحرب جرت على غير منوال ، وانه بعد خروج العساكر من اسكندرية وخروج اهلها منها توجه الجناب الخديوى الى اسكندرية التى تبوأها الجيش المحارب للبلاد ، خلافا للقاعدة القانونية والشريعة الاسلامية اذ انه كان الذى يلزم حضور جنابه العالى الى مصر عاصمة البلاد وهناك يصير تجييش الجيوش للحرب أو المخابرة فى الصلح ومع صدور الامر فى هذه الحالة ، لا يمكن لاى رئيس جيش العمل به الا بعد تحقيقه فربما ان يكون مرسولا من الطرف المحارب عن لسانه او يكون مقهورا عليه ؟ اذ الحرب خدعة كما هو معلوم ومن أجل ذلك أعرضت لجنابه الرفيع بارسال صورة المصالحة حتى يمكننى التوجه الى اسكندرية ، وقد كتب للمديريات المذكورة بسرعة ارسال الانفار المملية لعمل الاستحكام واستمرار التجهيزات الحربية .

وفى يوم ورود الامر المذكور ، كانت المناوشة حاصلة بين مقدمات الجيش الى الغروب فلو كان هناك صلح حقيقة لما كان يحصل مناوشة من مقدمات الجيش ، وأى رئيس من أى ديانة كانت وفى أى بلاد كانت مترئسا على جيش مدافع عن بلاده لا يمكنه ان يجرى خلاف ما اجريته فى حالة وجود حاكم البلاد بطرف الجيش المحارب لها .

س : ما هى المناوشة ، أوضح لنا معناها هل كان حصل ضرب نار من مقدمات الجيش أم كيف .

ج : نعم كان حصل مناوشة بضرب النار جهة كوبرى حجر النواتية الكائن على المحمودية .

س : كان ضرب النار من طرفكم أم من طرف الانجليز .

ج : من الطرفين

س : لما لم تتمادوا للارادة السنية السابق نسخ صورتها بهذا وتلاوتها عليكم ، وداومتم على المحاربة ، صار عزلكم من طرف الحضرة الخديوية وجرى اعلانكم بذلك ، فلماذا لم تمتثلوا لهذا الامر ايضا ومنعتم اهالى اسكندرية الذين كانوا حضروا منها الى جملة جهات من العودة الى وطنهم .

ج : تقدم قلت بجوابى انى اعرضت للحضرة الخديوية بطلب صورة من المصالحة للوقوف على الحقيقة . وما كنت اجاب وهذا لا يعد عدم امتثال بل هو بحث عن الحقيقة ولما ورد امر العزل ، تذكرت انه من قبيل ذاك الامر الاول حيث ان الخديوى موجود بطرف الجيش المحارب ولم اقف على حقيقته كما تقدم الذكر ، فارسلته الى وكيل الجهادية للنظر فيه بالمجلس وافادتنا بما يستقر عليه الرأى ، وانه لم يحصل ورود احد من اهل الاسكندرية عائد اليها حتى كان يصير منعه بل الكل كان مهاجرا الى بلاد الارياف مع غاية الازدحام .

س : التلغرافات التى حررت الى وكيل الجهادية بمنع سفر المهاجرين ، الم تكن انت الذى اصدرتها . وقطارات السكة الحديد التى كانت قامت من مصر بالمهاجرين الى اسكندرية وانت ارجعتهم على رؤوس الاشهاد ، الم تكن انت الذى اعدتها من كفرالدوار ومن طنطا نأخذ من ذلك .

ج : اريد الاطلاع على صورة المكاتبة الصادرة منى بذلك وفى اى تاريخ للتذكر بالحقيقة .

س : بعد صدور امر الحضرة الخديوية وامر سعادة رئيس مجلس النظار بارجاع اهالى اسكندرية الذين هاجروا قد صار نزولهم بعربيات السكة الحديد وقامت لهم قطارات متعددة ، وقد ارجعتم بعضها من كفر الدوار والبعض من دمنهور ، والبعض من طنطا ، وتوقف قيام وابورات لهم بعد ذلك من محطه مصر ومن التلغرافات التى تليت عليكم الان وصورتها محررة بهذا ، متضح انكم انتم الآمرين بمنع عودة المهاجرين لاوطانهم فافدنا من سبب اجراء ذلك وعدم اتباع ما صدر فيما ذكر من الحضرة الخديوية ومن رئيس مجلس النظار .

صورة تلغراف من يعقوب سامى الى عرابى فى ١٥ يوليو سنة ٩٢

يوم تاريخه صدرت لنا ارادة سنية تلغرافيا مبنية من تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين منها اليها ثانيا ، كما ورد لنا تلغراف من سعادة رئيس مجلس النظار من تحسين الحالة ايضا وعودة المهاجرين الى اسكندرية ولوجبرا وصدر بذلك تلغرافات الى مامور الضبطية ايضا وبناء عليه كتب بالاجراء ، فالان وردت لنا افادة من مامور ادارة السكة الحديد بما يفيد انه ورد له تلغراف من مامور ادارة الجيش بكفرالدوار بان سعادتكم ما امرتم بذلك ومرغوب الافادة ممن هى هذه الاوامر والتنبيه على المحطات بقيام القطارات كما كان جاريا وعدم التعرض لاشغال مماثلة لهذه الحالة وحيث لم يعلم عندنا من هو مامور ادارة الجيش وقد اوضحنا الاوامر الداعية لاعادة المهاجرين ثانيا ، وليس معلوم لنا الان نتيجة اى امر فنؤمل النظر فيما توقع وافادتنا سريعا عما يصير اجراؤه واتباعه فى هذا الخصوص .

صورة تلغراف من مديرية البحيرة الى عرابى بكفر الدوار .

يوم تاريخه حضر لطرفنا باشجاويش مراسلة من طرف سعادتكم واخبرنا بعدم رجوع احد المهاجرين الى اسكندرية . والمديرية ما عندها خبر بهذا الامر ، هل الامر صادر لمحطة السكة الحديد ولهذا قد صار توقيف سير الوابورات المتوجهة بالمهاجرين الى اسكندرية تحت صدور ما تروه سعادتكم .

ج : انى لم امر بارجاعهم اصلا ، وان الجاويش المذكور بتلغراف البحيرة بارجاع المهاجرين لم يرسل من طرفى اصلا ، وما كان هناك اقتضاء لارسال جاويش مخصوص بدون مكاتبة ، اذ كان ممكن مخابرة المديرية بواسطة التلغراف ومن التلغراف الذى ارسل منا الى وكيل الجهادية رد التلغراف المحرر منه الينا لابد تعلم الحقيقة .

انفضت الجلسة واعيد الى السجن فى ٢٩ ذا سنة ١٢٩٩ .

اعضا	اعضا	اعضا
محمد مختار	مصطفى خلوصى	سليمان يسرى
اعضا	اعضا	اعضا
مصطفى راغب	م حمدى	سعد الدين
اعضا	اعضا	اعضا
محمد زكى	يوسف شهدى	على غالب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

■■■

الجلسة الثالثة

بناء على ما تقرر بجلسة يوم الجمعة غاية القعدة سنة ٩٩ ، طلب احمد عرابى من السجن لاتمام استجوابه ، وحضر ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة أدناه واجاب عنها بما سيأتى .

س : قلت بالامس انك لم تنبه باعادة المهاجرين وعدم ارسالهم اسكندرية ، ولم ترسل جاويشا لمدير البحيرة لاخباره بذلك مع انه موجود تلغراف جفر مختوم منكم لوكيل الجهادية وجرى ترجمته ، وهاهى الاصل والترجمة اطلع عليهما وافد عما اذا كان صدر هذا منكم ام لا .

صورة التلغراف لسعادة وكيل الجهادية بمصر .

قد علم تلغراف سعادتكم الذى فيه

انه صدرت ارادة سنية تلغرافية لكم مبنية من تحسين الحالة باسكندرية ، وارسال المهاجرين منها اليها ثانيا ومثله ايضا من سعادة رئيس مجلس النظار ومزيد فيه بأن يصير اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا ، ولو جبرا وحيث الامر كما ذكر فاخبر سعادتكم ان اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا يترتب عليه ضرر عظيم لانها مشغولة .

٦٧ ٤٧ ٩١ ٦٥ ٣٧ ٨٧ ٦٥ ٣٩ ٦٥
٢٥ ٣٧ ٣٩ ٥٥ ٨٩ وجارين ٦٥ ٣٩
٣١ ٦٩ ٣٧ بمن يدخل فيها وهاهو
قد أعلنا سعادتكم بالحقيقة ٢٧ ٣٩
٣٧ ٥٥ ٣٩ ٦٥ ٦٩ ٤٩ ٦٩ ٢١ ٨١
٢٧ ٦٥ الاعلى ٢١ ٦٥ ٥٥ ٩٧ ٨١
٨٧ ٢١ ٢٥ ٦٥ ٣٩ ٣٧ ٢١ ٣٩ ٣٧
٢١ ٣٩ ٤٧ ٨١ ٢١ ٩٩ ٨٧ ٨٧ ٦٥
٣٩ ٤٧ ٦٥ ٣٩ ٢١

ومأمور ادارة الجيش بكفر الدوار الذى تستفهموا منه هو حضرة **خليل بك كامل** (فى غاية شعبان سنة ١٢٩٩) .

محل الختم
ناظر الجهادية
احمد عرابى

نمرة ٤٢ مرور
ساعة ٥ دقيقة ١٠ عربى

صورة حل الجفر المذكور

قد علم تلغراف سعادتكم الذى فيه انه صدرت ارادة سنية تلغرافية لكم مبنية عن تحسين الحالة باسكندرية وارسال المهاجرين منها اليها ثانيا ، ومثله ايضا من سعادة رئيس مجلس النظار وزيد فيه بأن يصير اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا ولو جبرا وحيث الامر كما ذكر فاخبر سعادتكم ان اعادة المهاجرين الى اسكندرية ثانيا يترتب عليها ضرر عظيم اليهم ، لانها مشغولة بعساكر الانكليز وجارين الفتك بمن يدخل فيها ، وها هو قد اعلنا سعادتكم بالحقيقة ولكى لاتعتمدوا الا على مايصدر منا لكم لعدم ضرر العالم ومأمور ادارة الجيش بكفر الدوار الذى تستفهمون منه هو حضرة **خليل بك كامل** (وعليه اشارة بامضاء **احمد منيب** يفيد بأن هذا التلغراف صار حله من مفتاح حضرة **عمر بك رحمى**) .

ج : نعم صدر منى هذا التلغراف بعد الاستعلام من وكيل الجهادية عن عدم ارسال المهاجرين .

س : صدر لكم تلغراف من دولتلو **سعيد باشا** رئيس مجلس النظار وخارجية الاستانة المنسوخة صورته بهذا وتليت عليكم صورته بعرض محرراتكم على الاعتاب السنية الشاهانية ، وصدر الامر الهمايونى بتفهيمكم ماهو آت وهو :

ان سوء فعلكم قد اوجب هيجان الملة المصرية ، واوجب تكدير خواطر كافة دول أوربا ، وخصوصا دولتنا العلية واشغال كافة الوزراء والسياسيين وليته فعلا حسنا تتبادل فيه الافكار لثروة مصر ورفاهيتها ، لكنه من سوء الحظ سبب نتيجة الدمار والخراب لغايتكم الشخصية ، هذا وحيث انكم معزولون من تاريخ ٤ رمضان سنة ٩٩ بأمر الحضرة الخديوية الفخيمة وقد وقع لدينا هذا العزل موقع الاستحسان والقبول ، فمخالفتكم حينئذ لهذا الامر وباقى مايصدر لكم من الاوامر الخديوية ، واقدامكم على سوء الفعل الموجب لدمار البلاد وتلف العباد مما قيد بالافكار السامية عصيانكم وخروجكم عن طاعة الله ورسوله وخليفته فى أرضه ومن كان هذا الامر فعله فسيرى هو ومن تبعه سوء عاقبته وغاية منقلبه .

س : فهل صدر لكم هذا ووصلكم .

ج : لم يصلنى .

س : هل لم يعرض منك شىء لرئيس نظار وناظر خارجية الاستانة المشار اليه وكم دفعة أعرضتم اليه .

ج : أعرضت للمابين الهمايونى ليس للصدر الاعظم .

س : معروضاتكم كانت باسم من فى المابين الهمايونى .

ج : أن معروضاتى كانت الى بسيم بك

س : كم دفعة اعرضتم اليه .

ج : اتذكر انها مرة واحدة .

س : بأى مضمون .

ج : بمضمون ما حصل باسكندرية من الحرب وخروج العساكر وتجمعها بجهة كفر الدوار وتوجه الحضرة الخديوية الى اسكندرية عقب اخلائها من العساكر .

س : الم تطلب فيما اعرضته عزل الجناب الخديوى .

ج : لا ..

س : تذكر جيدا .

ج : لست متذكرا .

س : قلت ان الذى اعرضته للحضرة السلطانية هو دفعة واحدة ، والحال انه وجد الان ثلاثة تلغرافات محررة منكم الى **بسيم بك** من قرناء الحضرة السلطانية خلاف مايوجد من التلغرافات المماثلة لذلك فيما بعد الثلاثة تلغرافات المذكورة متضمنة القدح والذم فى حق الحضرة الخديوية وتهمته بأمور غير حقيقية وتهمة عساكر دولة الانكليز ايضا بما لايقع منهم مثل القتل والفتك بالاهالى وما اشبه من هذه الاقوال كما فى الصور المحررة ادناه التى تليت عليك وصار اطلاعك عليها .

صورة تلغراف تاريخه غرة رمضان سنة ١٢٩٩

فى يوم الثلاثاء ٢٥ شعبان سنة ٩٩ ، ابتدأ الانجليز بالضرب بمدافع الدونانمة على اسكيدرية واستحكاماتها ، والضرب تسبب من طلبات من الاميرال الانجليزى وبلغت الى حضرة الخديوى وهو عرضها على مجلس النظار الذى عقده تحت رئاسته بحضور دولتلو **درويش باشا** مندوب الحضرة السلطانية ، وكثير من ذوات البلاد ، ولما تحقق عند جميعهم ان الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن الدولة العلية ، قر رأيهم على معارضة طلب الاميرال ولو أدى ذلك الى الحرب ، وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور بلزوم المدافعة وأن لاتطلق المدافع من جهاتنا الا بعد اطلاق خمسة مدافع من السفن الانجليزية وحين ابتدات السفن بالضرب على مدينة اسكندرية لم تقابلها الطوابى الا بعد عشرين طلقة حالة كونها على غير استعداد لاستمرار الاوامر بعدم الاستعداد ، فبهذه الاسباب تعتبر هذه المحاربة واجبة بوجه الحق والشرع حيث انها صادرة من الانجليز ظلما وعدوانا وان العساكر المصرية الشاهانية ثبتت غاية الثبات فى مراكزها وبذلت غاية جهدها مدة الحرب التى استمرت نحو عشر ساعات ونصف الى ان تخربت الاستحكامات ومدينة اسكندرية هدما وحرقا من مقذوفات السفن ذات المواد الالتهابية ، ثم تأخر الجيش خارج المدينة فى موقع يصلح للقتال برا ، وفى حال القيام من المدينة داخل اليها الخديوى بحرمه وبرفقته دولتلو **درويش باشا** وانزل حرمه فى البحر وأظهر انحيازه للانجليز وترتب الحرس عليه وعلى القرة قولات من عساكر الانجليز ، واتخذ المصريين والجيش الشاهانى أعداء له وارسل رسله الى المهاجرين ينادونهم بالصلح ويحثونهم على العود الى المدينة

وبعد أن دخل بعضهم حرض عليهم عساكر الانجليز يقتلون ويبطشون بهم وبالعساكر المصرية الشاهانية الذين كانوا خفراعليه ، ثم صدرت اوامره الى المديريات بحصول الصلح وترك جميع العساكر والتجهيزات الحربية فكان امره كأمر باى تونس سواء بسواء وقد تحقق ماكنا عرضناه على الحضرة الفخيمة السلطانية فنرجو عرض ذلك على أعتاب حضرة أمير المؤمنين نصره الله .

صورة تلغراف تاريخه

٢ رمضان سنة ١٢٩٩ .

اشكو بثى وحزنى الى الله وارفع لسدة أمير المؤمنين ماحل ببلادنا من تواطؤ الخديوى مع الانجليز ، وميل دولتلو درويش باشا كان الميل لتعضيد الخديوى حتى بعد تحقيق انحيازه الى الانجليز ومرافقته له ، حين توجه اليهم بعد خلو مدينة اسكندرية من العساكر ، مع انه كان الواجب على دولته ذمة وديانة ان ينصح للخديوى بأن يتوجه معه الى العاصمة مقر الحكومة ليكونا خلف الجيش لا أن يتركا جيش الاسلام الشاهانى وينحازا الى جيش العدو المحارب فمما ذكر يتضح جليا ، أن العدوان الذى حصل من الانجليز ، ما كان الا باتحادهما معهم ولذلك صدر اعلان من الاميرال الانجليزى مقتضاه ان الخديوى فوض له ادارة الاسكندرية موقتا فنؤمل عرض ذلك على اعتاب الحضرة الملوكانية ايدها الله .

صورة تلغراف تاريخه

٨ رمضان سنة ١٢٩٩

اعرض للسدة العلية السلطانية ان الشعب المصرى الشاهانى لما راى اتحاد توفيق باشا مع دولة الانجليز على وقوع الفرق بيننا وبين متبوعنا مولانا أمير المؤمنين لشق عصا الاسلام معاذ الله ، وتحقق له ذلك من الحرب التى اثارتها علينا الانجليز بغتة ، اجتمعت كلمة اهل البلاد على حفظها والدفاع عنها وتسابقوا للانتظام فى سلك الجهادية تطوعا حتى انتظم عندنا جيش عظيم جرار ، وكذلك تجمع من قبائل العربان كل شاكى السلاح ، وقد رتبنا العساكر والعربان فى النقط المهمة وأصبحت قوتنا البرية عظيمة مع اعداد الذخيرة والمؤونة الكافية لهذا الجيش الشاهانى وفى كل وقت تنطلق الالسنة العربية بالدعاء لامير المؤمنين وتأييد شوكته والشعب بأجمعه واثق بأن العظمة الشاهانية تحل مشاكله التى جلبها عليه توفيق باشا اما المدافعة عن البلاد واهلها والحقوق السلطانية فهى من الواجب علينا وفى كل حال الامر لمن له الامر افندم .

فهل يجوز لك الدخول فى الامور السياسية والعرض للحضرة السلطانية بأشياء مماثلة لذلك .

ج : من المعلوم ان الانسان لايمكنه ان يحصى جميع اعماله ، ولذلك قلت انى لست متذكرا ارسال تلغرافات خلاف تلغراف واحد الى المابين الهمايونى ، وبرؤية التلغرافين الاخريين وجدا انهما مرسلان من طرفى بواقعة الحال احدهما بوقت حضور العساكر الى كفر الدوار والاخر بعد تقرير المجلس العام بمصر من لزوم توقيف الخديوى وعدم سماع ما يصدر من جنابه الرفيع من الاوامر لمناسبة بقائه بطرف الجيش المحارب ، وما كان عرض ذلك للمابين الهمايونى الالكون البلاد تابعة للسلطنة العثمانية واصبح حاكمها مع الجيش المحارب لها .
(اعيد الى السجن) .

صار احضار احمد عرابى من السجن لاتمام استجوابه ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه واجاب عنها بما يأتى فى غاية صفر سنة ٩٩ بعد الظهر :

س : من ضمن التلغرافات الجفرية التى حررتموها للسيد قنديل مأمور ضبطية اسكندرية ، حررتم له تلغراف قبل المقتلة التى جرت باسكندرية فى يوم ١١ يوليو سنة ٨٢ ببضعة ايام تقول له فيه أن يتحد مع سليمان سامى ومصطفى بك عبد الرحيم فى اجراء مابنهتم عليه به فهل تتذكر هذا التلغراف وما هى التنبيهات التى كنت اجريت التنبيه بها على مأمور الضبطية المذكور .

ج : لست متذكرا ذلك .

س : ألم يبلغك ان عبد الله نديم كان يتوجه الى اسكندرية قبل الواقعة المذكورة ويجتمع مع الشبان ويلقى عليهم خطبا مهيجة حتى ان محافظ اسكندرية اراد ان يخرجه من البلد ويمنعه من ذلك ولانتساب نديم ومأمور الضبطية اليكم لم يحصل منعه ولا اخراجه .

ج : فضلا عن عدم ابلاغى ذلك فان عبد الله نديم المقول عنه ليس هو منسوب الى ، ولا تحت ادارتى ولا انا مسئول عنه كما ان مأمور الضبطية باسكندرية كذلك

س : معلوم للعموم أن عبد الله نديم كان محرر جرنال الطايف الذى جميع عباراته من منذ نشره وهى مشتملة على تهييج الافكار ومحتوية على الاكاذيب وصدور الجرنال المذكور كان فى معسكر كنج عثمان الذى كان مقيما فيه المحرر المذكور معكم فى مدة العصيان ولابد أن ماحرره فى تلك الجريدة كان يجرى اطلاعك عليه يوميا فان كان الشخص المذكور ليس منسوبا ومنتميا لك فكيف كان يمكنه الاقامة معك بالمعسكر ، والتجاسر على تحرير الجريدة المذكورة التى فضلا عما كانت تحتويه من التهييج والاكاذيب كما ذكر فانها مشحونة ايضا بالطعن فى حق الذات الخديوية ودولة الانكليز الفخيمة وما يماثل ذلك .

ج : ان جرنال الطايف جار طبعه ونشره فى الحكومة من مدة زمانية ولم يصر قفله فى تلك المدد ، أما من اقامة محرره بالجيش اثناء المحاربة فليس لى حق فى منعه ، اذ انه لو اتى اى محرر لاى جرنال من الجرانيل المحلية او الاجنبية فلا حق لى فى منعه أيضا كما جرت بذلك عادة المحاربات ، وأما اطلاعى على ماهو محرر بالجرنال المذكور يومى فان لكثرة أشغالى الدفاعية تمنعنى من الاطلاع على الجرانيل بل كانت تمنعنى عما هو أهم منها .

س : قبولك لهذا الشخص واقامته معك بالمعسكر يستدل منه ان ماوقع من المذكور من تهييج الافكار ضد الاوروباويين باسكندرية كما هو معلوم للجميع ونشأ من ذلك مقتلة ١١ جونيو سنة ٨٢ هو كان بتعليماتك للمذكور واتحادك معه ، ولولا ذلك ماكان ينتمى اليكم وتحميه بالاقامة بطرفك حتى يتجاسر على تحرير جريدة مماثلة لتلك ، والان لما علم بالقبض عليك وسجنك قد اختفى من البصر بالكلية وهذا اعظم دليل على انتمائه اليك .

ج : توضح بجوابى المتقدم بشأن المذكور بما فيه الكفاية ولا مناسبة لسؤالى عن اعمال شخص اخر فر منه بمجرد وجوده بالجيش اثناء الحرب .

س : الم يبلغك أيضا توجه حسن موسى العقاد الى اسكندرية قبل واقعة ١١ جونيو سنة ٨٢ واشتراكه مع نديم فى تهييج الافكار .

ج : لم يبلغنى ذلك .

س : أما كان يتردد عليك حسن موسى المذكور بمنزلك وبالجمعيات التى كنت

تجربها والم تتوجه الى منزله مرارا.

ج : ان حضور المذكور بمنزلي لم يكن أكثر من غيره فان فى اغلب أوقاتى ماكنت اتخلص من ازدحام الناس المحضرين الى منزلى ، ولم يكن حضورهم بدعوى منى اليهم كما انى توجهت فى ضيافته بمنزل المذكور مع وجود كثير من الامراء والاعيان والعلماء وبعد تناول الطعام توجهت لاشغالى كما جرت العادة .

س : اذا كان حسن موسى العقاد المذكور ليس منسوبا لك ايضا مثل نديم فلماذا اختفى هو كذلك بعد ان صار سجنك مادام انه ليس من الجيش ولا كان موجودا فى المحاربات

ج : يؤخذ من هذا السؤال انى اسأل عن كل من غاب ولم يوجد مع انى لست بمأمور عليهم .

س : هل كان بينك وبين عثمان باشا فوزى وكيل دائرة دولتلو زينب هانم الفة وتردد .

ج : ليس بينى وبينه معرفة ولااختلاط، ولكننى اتذكر انه حضر مرة مع من حضر من الذوات مدة اقامة الجيش بكفر الدوار وبسؤالى عنه قيل انه وكيل دائرة زينب هانم .

س : الم يحضر لك من الاستانة صورة حليم باشا خطه فى ظهرها .

ج : حضرت لى صورة مثل ذلك .

س : لك بمفردك أو حضر لخلافك ايضا مثلها .

ج : حضرت لى صورة ولا اعلم ان كان حضر لخلافى مثلها أم لا .

س : كيف كان حضورها ومن الذى أحضرها اليك .

ج : لست متذكرا من أحضرها .

س : الم ترد اليك مكاتبات او مراسلات من حليم باشا ، سواء كان بواسطة حسن موسى العقاد او عثمان باشا او خلافهم .

ج : لم يسبق بينى وبينه مكاتبة ولا معرفة ابدا .

س : ان كان كذلك فكيف يرسل لك صورة من طرفه .

ج : جاءنى صور كثيرة من اناس لا اعرفهم ابدا أوروباويين فى بلادهم من غير سبق مكاتبة ولا معرفة معهم .

س : الم يبلغك انه كان جاريا تختيم عرضحال بواسطة حسن العقاد بطلب عزل الخديوى وتنصيب حليم باشا .

ج : لم يبلغنى ذلك .

س : لما كنت بكفر الدوار هل صدر منك تلغراف الى كل من راشدباشا قومندان خط الشرق ، ومحمود فهمى باشا رئيس أركان حرب ، بردم قنال السويس المالح وسد الترعة الحلوة

ج : التلغرافات التى تداولت بينى وبين موسيو دولسبس تعلن وتؤكد احترام قنال السويس مادام على الحيادة ، ولم تتخذ فيه اعمال حربية ، فلغاية دخول المراكب الحربية الانجليزية فى قنال السويس وحصول الضرب منها فى نفس الاسماعيلية على العساكر التى كانت بجهة نفيشة . كان حصل احترام القنال المذكور ميدانا للحرب، ولنا الحق فى كل ما امكن اجراؤه من الاعمال الحربية اذ ذاك تحرر لرئيس أركان حرب محمود فهمى بطلب الجهة باتخاذ مايمكن اجراؤه من التدابير الحربية وسد الترعة الحلوة كما انه سبق اعلان موسيو دولسبس بان الحالة الحربية جبرتنا على ذلك .

س : لم تجاوب بشيء عما أمرت به فى خصوص ردم القنال .

ج : لم اتذكر ذلك ولكن لو أمكن ردمه فى أى جهة كانت لتوقيف حركة المراكب الحربية لكانت الحالة الحربية تقضى علينا بذلك مادام اتخذ ميدانا للحركات الحربية .

س : هل التلغراف المحررة صورته ادناه الذى تلى عليك وصار اطلاعك عليه عينا صدر منك لسعادة قومندان الخط الشرقى بالتل الكبير (وهذه صورته) قد وصل لدى تلغراف سعادتكم وعلم مابه من جهة الاقرار من طرفكم ومن طرف امراء الالاى على حفظ مواقع نقطكم الامامية وتقويتها بفرض ان قوة العدو جسيمة ، الى آخر ماذكر به وحيث ان ماقلتموه وقع عندى موقع القبول فاتشكر لسعادتكم ولحضرات امراء الالايات على ذلك وهكذا مأمولى فى هممكم العالية للذب عن الدين والعرض والوطن هذا وما فعله الانكليز يبيح لنا سد الترعة الحلوة عن السويس، واذا تهدد القنال زيادة على ذلك باعمال حربية داخله ابيح لنا ردمه وسده لتعدى الانجليز على حياته فباتحاد سعادتكم مع سعادة رئيس عموم أركان حرب يجرى مافيه صالحنا وبالله نستعين ونسأله النصر على اعداء الدين بحرمة النبى الامين فى ٤ شوال سنة ٩٩

بختم عرابى

نمرة ٧٢٧

ج : نعم صدر منى .

س : الم يكن بينك وبين أحد من رجال الدولة العلية بالاستانة تعليمات او مراسلات خلاف التلغرافات التى سئلت عنها قبل هذا .

ج : لم يكن بينى وبين احد من رجال الدولة تعليمات ولا مكاتبات خلاف التلغرافات السابق ايضاحها .

س : الجمعية التى كان صار عقدها بمصر عقب عزلك كان تقرر فيها عن ارسال وفد لاجل كشف صحة الحالة باسكندرية وان كان الجناب الخديوى والنظار محجوزين بطرف الانكليز وليس حرين فى افعالهم كما تدعوا ام لا، فهل رجال هذا الوفد لم يرجعوا عليكم ثانيا ، واخبروك بأن الجناب الخديوى والنظار ليس محجوزا عليهم ولا هم تحت سلطة احد بل هم فى حريتهم واعطوكم نصائح بعدم اجراء ماكنت مجريه من العصيان وعدم استماع أوامر الخديوى أم كيف .

ج : لم يحصل ذلك من احد منهم ،وان الوفد الذى كان ارسل الى اسكندرية كان بقصد طلب النظار والحضرة الخديوية الى مصر اذا كانوا احرارا فى اعمالهم وقبل ذلك كنت لا يمكنى اجراء عمل ما من غير رأى ذلك المجلس المنعقد بمصر .

س : اى مجلس الذى تقول عنه وما اسم هذا المجلس ومن الذى احدثه.

ج : هو مجلس ادارة البلاد الذى صار اجتماعه بمصر للنظر فى احوالها وصار تشكيله عقب الحرب باتفاق وكلاء الدواوين المعبر عنه بأمر المجلس العرفى .

س : بأمر من شكل .

ج : بأمر وكلاء الدواوين وبعض الباشوات الموجودين بمصر .

س : فى اجوبتك السابقة تدعى ان اهالى البلاد توسطوا بك انت وباقى الضابطان ابناء جنسكم فى طلب تشكيل مجلس النواب لينوب عن الامة المصرية ومنحتكم الحضرة الخديوية ذلك ، فان كان العصيان الذى ارتكبته انت وباقى الضابطان بنص الحضرة الخديوية والدولة العلية فيه ادنى موافقة للامة المصرية كما تدعون فلا أقل من انك تستشير رأى مجلس النواب بدل الارتكان على وكلاء الدواوين وكم شخص من الباشوات كما أوضحت الذين اغلبهم لما سئلوا الان اجابوا ان اجراءاتهم وقبولهم الدخول فى ذلك المجلس هى فقط من التهديدات التى كانت تحصل منكم وممن ارتكب ضجة العصيان معكم من باقى الضابطان فمن هنا يرى ان الامة المصرية حاشا ان يكون لها مدخل فى هذا العصيان . والواقع منكم انتم ورؤساء بعض العسكرية وان ماتحصلتم عليه من الذخائر

والاستعدادات فى وقت العصيان ، هو كان بواسطة قوة الاسلحة التى اعطتها لكم الحكومة لحفظ ناموسها وشرفها وأنتم استعملتوها فى هذا الامر الشنيع الذى أدى الى الخراب وقتل النفوس بدون وجه حق فأفد عن ذلك .

ج : ان المجلس الذى تشكل للنظر فى احوال البلاد كان يزيد عن الاربعمائة نفس ، وكما قلت أولا ان منهم البرنسات أعضاء العائلة الخديوية وشيخ الاسلام والقاضى والمفتى ووكلاء الدواوين والمديرين وقضاة الاقاليم واعيان التجار وكثير من اعضاء مجلس النواب وغيرهم من أعيان وعمد البلاد وقرروا بلزوم اناطتى بالمدافعة عن البلاد حيث كنت موجودا صحبة الجيش فى كفر الدوار وجميع العساكر كانت متوزعة فى الثغور وما كنت موجودا معهم فى المجلس فكيف يتأتى مع ذلك أن حضورهم كان بصورة تهديدية وكيف مع ذلك ينسب الينا والى رؤساء الجيش العصيان الذى تكرر لفظه بهذه المذاكرة ، مع انه لايوجد أمة من الامم متصفة بالعدل ان ينسبوا الينا هذا العصيان المقال عنه ، اذ ان الحرب كان افتتاحها بمقتضى قرار من مجلس مشكل تحت رئاسة الحضرة الخديوية واقرارها على ذلك بل الحق ان الحرب كانت شرعية قانونية ثم بعد ذلك كانت استدامة المدافعة بمقتضى ذاك القرار الذى لا يمكن القدح فيه بوجه من الوجوه فالاسلحة ماصار استعمالها الا لما وجدت له وهو الذب عن البلاد وحمايتها مدافعة شرعية على مقتضى ماتقدم ذكره .

س : الم يبلغك البياننامة الصادرة من الحضرة السلطانية فى حقك بأنك من العصاة بسبب مافعلته .

ج : لم يبلغنى .

س : بعد هزيمتك بالتل الكبير ورجوعك الى المحروسة حررت عريضة الى الحضرة الخديوية وأرسلتها مع **رؤوف باشا وبطرس باشا وعلى الروبى** بطلب العفو من لدن الحضرة الخديوية ، وانك مطيع ومنقاد لاوامرها العلية ، وبعد سفرهم ابتدأت ثانيا باتخاذ خطوط نار بالعباسية وطلبت **مرعشلى باشا** وأمرته بذلك هل يصح انه بعد العرض بالطاعة يحصل العصيان .

ج : التنبيه على **مرعشلى باشا** باستكشاف خط تحفظى على مصركان قبل تحرير العريضة وتوجه **رؤوف باشا** ومن معه ، ولما رؤى عدم اللزوم صرف النظر وتحررت تلك العريضة .

س : لما سئلت عن سبب حصر سراى عابدين بالعساكر فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ أوضحت فى اجوبتك السابقة بأن بعض اصحاب القضايا تبقى قضاياهم بالمجالس نحو العشرين سنة حتى يموتوا أصحابها كمدا ولا تنظر قضاياهم ولذلك اردتم تشكيل مجلس النواب لينوب فى رؤية حقوق الامة كما هو جار بالبلاد المتمدنة ، والحال من سياق التحقيقات الحاصلة الان قد علم انه بعد واقعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ المذكورة بكم يوم توجهت انت **وعلى فهمى وعبد العال وطلبه ومحمد عبيد** وجانب من الضباط لمنزل **قدرى باشا** مد كان ناظر الحقانية وطلبتم منه اطلاق **عنانى بك** من السجن الذى كان متوقعا عليه بأمر المجلس المخلط ، ولما لم يوافقكم **قدرى باشا** هددتموه ولم يتخلص منكم الا بتوجهه لطرف رئيس النظار وقتها ، وانتم توجهتم اثره الى **محمود سامى** ناظر الجهادية وقتها واخذتموه معكم وتوجهتم لطرف رئيس مجلس النظار بهذا الغرض ، فهل يقع ذلك من أحد يدعى انه يسعى فى نوال العباد على حقوقها ، ويريد التشبه بالبلاد المتمدنة متعرضا الاحكام مجلس مختلط أعضاؤه أوروباويون من الدول المتمدنة .

ج : الحقيقة غير ذلك بل الحق ان **عنانى بك** عمل وليمة فى الازبكية فرحا وسرورا بصدور الامر بافتتاح مجلس النواب ، فبناء على ذلك جرى سجنه فى الضبطية فى أيام العيد وكنا توجهنا مع من ذكروا للمعايدة على سعادة **قدرى باشا** كما جرت العادة فى أيام الاعياد فذكرنا سعادته بمسألة **العنانى** وترجيناه فى اخلاء سبيله لاجل المعايدة مع أولاده وفيما بعد اذا كان عليه قضية يحاكم عليها ، فجاوبنا سعادته بأنه مسجون بالضبطية بأمر المجلس المختلط وسينظر فى امره ولم يحصل تهديدات ولا يجوز ابدا اجراء تهديدات لمثل هذا الفاضل هذا هو الحق .

س : اطلع على أصل الجواب المحررة صورته ادناه الواردة من سعادة **قدرى باشا** بأنه توقع منكم ماذكر بالسؤال السابق وافد بما تقوله :

صورة الجواب الوارد من سعادة قدرى باشا المؤرخ ٢٩ القعدة سنة ١٢٩٩ .

الى سعادة رئيس القومسيون .

بناء على تذكرة سعادتكم الواردة يوم تاريخه المرغوب بها الاستفهام عما وقع من بعض ضباط العسكرية بشأن اطلاق مصطفى العنانى من السجن الذى كان مودعا فيه باذن المحكمة المختلطة بمصر فى مدة تقليدنا نظارة الحقانية ، أفيد سعادتكم انه فى أول يوم عيد الاضحى الماضى ، حضر بمنزلنا وقت الظهر بعض ضباط الجهادية وفى مقدمتهم **عرابى وطلبه وعلى فهمى ومحمد عبيد** وآخرون معهم لااعرف اسماءهم ، ثم بدأ عرابى وبعده **طلبه ومحمد عبيد** بالكلام قائلين ان العنانى مسجون بأمر المحكمة المختلطة بغير حق ويرغبوا اطلاقه من السجن حتما فى هذا اليوم وانهم لايتوجهوا الى منازلهم هم ومن معهم من الضباط مالم يجر اطلاقه وتلفظوا بألفاظ تهديدية ، فأفهمناهم ان سجن المذكور لابد أن يكون بمقتضى قرار صادر من المحكمة المختلطة ، كما ان الافراج عنه لايكون الا بموجب قرار من المحكمة المذكورة ايضا ، فان المحاكم المختلطة لها قوانين وقواعد يجب مراعاتها ولا يجوز التعرض لها بأى وجه كان فلم يقتنعوا بذلك واصروا على طلبهم ، فاعلمتهم ثانيا ان تعرضهم بهذا الامر مخالف للنظام العمومى فلم يلقوا سمعهم الى ماابديته لهم ، بل خرجوا قائلين انهم ذاهبون الى ناظر الجهادية **محمود سامى** ليتوجهوا معه الى منزل دولتلو رئيس مجلس النظار ويطلبوا منه أمرا بالافراج عن **العنانى** ، وبعد خروجهم بادرت بالتوجه الى منزل دولتلو رئيس مجلس النظار واعلمته بما وقع من المذكورين ، وفى الاثناء حضروا بمنزل دولته مع ناظر الجهادية وخاطبوا دولته فى اخراج **العنانى** المذكور من الحبس . هذا ماتذكرته الان مما وقع من المذكورين فى ذلك وللعلومية لزم الايضاح افندم .

ج : اطلعت على الجواب المذكور وعلمت مافيه من المبالغة التى لم تقع أصلا ، واذا كان هذا الفاضل تكلم بما لم يقع منا ، فأظن لعدم تذكر سعادته لمضى مدة سنة تقريبا ولكبر سنه ايضا ، والا لو كان متذكرا للحقيقة لما بالغ هذه المبالغة .

اعيد الى السجن فى غاية ذا سنة ٩٩ .

اعضاء

محمد مختار — مصطفى خلوصى — سليمان يسرى — مصطفى راغب — محمد حمدى — سعد الدين — محمد زكى — يوسف شهدى — على راغب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصل الطليعة نشر الوثائق فى العدد القادم


سيجارة
بلمونت
بفم فيلتر مخصوص
بلمونت
Belmont
متعة
المستوردون الوحيدون :
• الكويت : عبد العزيز سعود البابطين
• الإمارات المتصالحة وقطر :
يوسف حبيب واخوانه
• العراق : طالب مصطفى خان
• البحرين : المؤسسة التجارية الشرقية
• اليمن : شركة التبغ والكبريت الوطنية
• عدن والجنوب العربي :
وكالة الأهرام التجارية
• غزة : عيسى سيسالم وأولاده
• المملكة العربية السعودية :
عبد الوهاب محمد على بحراوى
• الجزائر : الشركة الوطنية للتبغ والكبريت
• دول غرب افريقيا :
فروع شركة النصر للتصدير والاستيراد
إنتاج الشركة الشرقية "إيسترن كومباني" ش.م.م بالجيزة
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

ثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاه



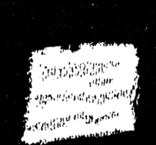
طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

٤

أبريل ١٩٦٦
السنة الثانية

العالم الثالث... انقلاب غانا.. ومواجهة الثورة المضادة

نظرة اشتراكية لعالم الطفل







طريق المناضلين الى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

الفهرس

العدد الرابع — السنة الثانية — ابريل ١٩٦٦

■ ما العمل .. ؟ ((الافتتاحية)) — لطفى الخولى — ٥

● العالم الثالث .. ابعاده واتجاهاته — حسين ذو الفقار صبرى — ١٧
● الانقلابات .. والطريق الى سد الثغرات فى الجبهة الافريقية التحررية — ميشيل كامل — ٢٣
● غانا .. ومواجهة الثورة المضادة فى افريقيا — حسين شعلان — ٣٢

■ نظرة اشتراكية لعالم الطفل : — ٣٩

● نحو رؤية اشتراكية لعالم الطفل — د. نجيب اسكندر — ٤٠
● من اجل جهاز مركزى لثقافة الاطفال — ٥١
● فى الطريق الى ((مدونة)) جديدة — د. على الراعى — ٥٣
● صحافة الابن الجديد .. قضية اشتراكية — نعمان عاشور — ٦٠
● برامج الاطفال .. والمجتمع الجديد — جميلة كامل — ٦٤
● افلام ((الكرتون)) .. هدف ثقافى وترفيهى — عبد القادر التلمسانى — ٦٩
● مسرح الاطفال بين الواقع والاسطورة — راجى عنايت — ٧٣
● الموسيقى وتربية الوجدان الاجتماعى — سليمان جميل — ٧٧
● العلاقات الجمالية والتربية الحديثة — حسين جمعة — ٨٠

● التنظيم السياسى والعمل الجماهيرى — محمد عبد الفتاح ابو الفضل — ٨٤
● التطبيق الاشتراكى فى غينيا .. (تجربة من غينيا) — حسين عبد الرازق — ٩٢
● الاشتراكية والوحدة العربية — امين يسرى — ١٠٣

■ تقارير الشهر : — ١٠٨

■ مكتبة الطليعة : — ١٣٤

■ كتابات جديدة :

● حول قضايا ومشاكل الانتاج — عبد العال حنفى عجم — ١٤٤
● نحو مؤتمر اشتراكى عربى — يحيى نصر الله — ١٤٦

■ مناقشات مفتوحة : — ١٤٨

■ وثائق تاريخية :

النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع احمد عرابى (من الجلسة الرابعة حتى السابعة) — ١٥٢

عنوان المراسلات :

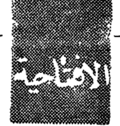
((الطليعة))
مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك)) .

■ الغلاف من رسوم الطفلين :
سارة عبد الغفار « ٦ سنوات » ـ القاهرة
صلاح سليمان « ٦ سنوات » ـ القاهرة



ما العمل..؟

تواكب باستمرار ، آلاف من الاحداث الفرعية التى تتراوح فى قيمة وزنها ومدى تأثيرها ، مسار حركة التاريخ فتسجل كل منها اما نقطة هزيمة او نقطة انتصار — ثانوية — للقوى المتصارعة فى عالمنا ، ولكن يحدث بين حين وآخر ونتيجة تحول التراكم الكمى لهذه النقط فى ظروف معينة الى وضع كيفى جديد ، ان تتفجر **حادثة تاريخية** ذات وزن وتأثير غير عاديين ، يواجه معها مسار التاريخ قضية الاختيار بين ((**مفترق طرق**)) حاسم فى تقرير المصير . وذلك لمرحلة مقبلة من مراحل التطور . وتتوقف نوعية الاختيار واتجاهه ، على طبيعـــة علاقات القـــوى المتصارعة ، ومدى قدره ومرونة وفاعلية احداها بالقياس الى الاخريات .

فمثلا فى **اكتوبر ١٩٥٦** ، واجه مسار التاريخ — **بالعدوان الثلاثى على مصر** — مفترق طرق ، بعد عدد من الاحداث الفرعية المتنوعة كالنضال ضد الاحلاف العسكرية واحتكار السلاح الخ .. واستطاعت وحدة وصلابة القوى الوطنية المصرية بقيادتها الثـــورية — وبمساندة واعية ونشيطة من القوى العربيه والعالمية التقدمية — ان تحسم قضية الاختيار لصالحها بالتصدى للعدوان ومقاومته والانتصار عليه . وبهذا غدت **مرحلة ما بعد حرب السويس** ، هى مرحلة المد التحررى لشعوب عديدة فى افريقيـــا ، انتزعت استقلالها من انياب القوى العدوانية الاستعمارية .

ومنذ **فبراير ١٩٦٦** ، يواجه مسار التاريخ — **بالانقلاب العسكرى فى غانا** — مفترق طرق جديد . ولسوف يتوقف على نوعية الاختيار طبيعة ومصير المرحلة الجديدة التى تطرق باب العصر اليوم .

والواقع ان انقلاب غانا العسكرى ضد حكومة الرئيس كوامى نكروما ، يخرج من نطاق كونه مجرد حادث داخلى صغير ، أو حتى حادث افريقى ، ليصبح ((**حادثا تاريخيا عالميا**)) بكل ما يحمله هذا الاصطلاح من ابعاد واعماق وصراعات بين القوى الجديدة والقوى التقليديه فى الحقل الدولى . ولعل هذا هو منبع ذلك الاهتمام العميق والواسع المدى الذى حظى به — وما يزال — هذا الانقلاب بآثاره المباشرة والمحتملـــة دون غيره من الانقلابات الأخرى التى سبقته فى عدد من البلاد الافريقية . بمعنى ان انقلاب غانا قد استقطب بتركيز شديد اهتمام كل القوى المتصارعة عالميا على الرغم من انه — من حيث الشكل والكم — سادس انقلاب عسكرى فى القارة خلال فترة زمنية قصيرة ومتصلة لم تتجاوز الثلاثة شهور (نوفمبر ١٩٦٥ — فبراير ١٩٦٦) .

وكنقطة بداية فى تحليل هذا « الحادث العالمى التاريخى » يتوجب علينا ان نلاحظ ذلك « **الاجماع** » الذى يسود آراء المناهضين والمؤيدين للانقلاب معا ، على ان الاطاحة بحكم نكروما ، لا يعنى مجرد تغيير ظاهرى فى وجوه اشخاص السلطة ، دون اى مساس بطبيعه واسس نظام الحكم ومواقفه الاجتماعية والسياسية داخليا وعالميا . كما حدث مثلا فى **انقلاب الكونجو** (ليوبولدفيل) — اول الانقلابات الاخيرة (٢٥ نوفمبر ١٩٦٥) — حينما **اطاح** « موبوتو » « بكازافوبو » . وانما هو — اى الانقلاب الغانى — تغيير جذرى فى نظام الحكم والسلطة والسياسة الداخلية والخارجية بما يناقض مواقف نكروما وحكومته .. تلك الحكومة التى كانت تنهج طريق الوحدة الوطنية الثورية فى تفاعل مع الوحده الافريقية ، والتطور نحو الاشتراكية ، والمساهمة مع القوى الافريقية الثورية فى تصفيه الاستعمار القديم والجديد فى القارة . ومن هنا فالانقلاب الغانى فى جوهره ، نوع من الثورة المضادة فى افريقيا ، التى استطاعت ان تسجل نجاحا لاول مرة ، منذ اسقاط حكومة **لومومبا** واغتياله فى الكونجو عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ .

ولا يؤثر فى صحة وواقعية هذه « **الملاحظة الموضوعية** » كون المشايعين للانقلاب يفسرونه — على طريقتهم طبعا — بأنه تصحيح لاتجاه الحكم فى غانا تارة ، او انه تصفية لدكتاتورية نكروما تارة أخرى الخ .. فكل هذه التفسيرات لا تعدو ان تكون محاولات من جانبهم « لتنظير الانقلاب » ولكنها تصل فى النهاية الى نفس النتيجة التى يصل اليها المناهضين للانقلاب ، وتتبلور فى الاعتراف بأنه تغيير جوهرى فى نظام الحكم وسياساته .

واذا انطلقنا من هده « الملاحظه الموضوعية » للانقلاب الغانى فى محاولة لربط الحوادث المنفصلة التى صاحبته وردود الفعل المختلفة ، فى نسيج واحد لامكننا ان نرصد **تسع ظواهر اساسية متشابكة** ، تلقى ضوءا مركزا على الموقف وابعاده ، تسهم فى توضيح الرؤية امام هذا المفترق الجديد للطرق الذى نواجهه .

● ولعلنا نلمس **الظاهره الاولى** دون عناء من تتبع تصريحات وتصرفات قادة الانقلاب وردود الفعل المباشره فى الدوائر الاستعمارية . فهى — على عكس العادة المتبعة فى الثورات المضادة وانقلاباتها العسكرية فيما مضى — لا تخفى لحظة واحدة بأن ما وقع فى غانا ، انقلاب صريح وبلا ادنى حياء او موارية ضد طريق التطور الاشتراكى وضد سياسة مساندة حركات التحرير الافريقية ومعاداة القوى الاستعمارية القديمة والجديدة .

فمنذ الايام الاولى للانقلاب عمد قادته الى الغاء عدد من الاجراءات التى اتسمت بالاشتراكية ، فرفعوا كل القيود عن النشاط الراسمالى الخاص واعتبروه اساس الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وراحوا يصفون معهد تكوين الكادرات الاشتراكية فى « وينبا » وكذلك معسكرات تدريب ثوار الشعوب الافريقية المكافحة ضد الاستعمار . وفى نفس الوقت سارعوا الى اعادة العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا — وكانت قد قطعت خلال حكم نكروما بسبب موقفها من قضية اغتصاب العنصرية البيضاء لروديسيا — وتتوالى بسرعة غير عادية اعتراف الدول الاستعمارية والغربية بالانقلاب ، ويصرح « **انكراه** » زعيم الانقلاب بأن غانا بعد نكروما تجد مصيرها مرتبطا كل الارتباط بالغرب . وتبدا المساعدات الغربية — دون انتظار لاية اجراءات — فى التدفق على الانقلاب ، بعد ان كانت محرمة تماما خلال حكم **نكروما** .

وهكذا تكشف هذه التصرفات — الغريبة على اسلوب الاستعمار التقليدى — ان القوى الاستعمارية والرجعية المحلية فى غانا يعلنان ، بملء الفيه — انهما صانعى هذا الانقلاب . وهنا تكمن بالدقة الظاهرة الجديدة . فلم يحدث قط من قبل ان تجرا الاستعمار والرجعية على الجهر علنا بالقيام بانقلاب . وانما كانا باستمرار يحاولان تغطية ذلك بعديد من الاقنعة المضللة ، ويدفعان عن أنفسهما الاتهام بكل الحيل الميكيافيلية . وليس ببعيد علينا مثلا تصرفهما خلال الانقلاب على حكومة لومومبا فى الكونجو بمحاولتهما التنصل تماما من الاتهام والقائه — ظاهريا — على عاتق حركة تشومبى الانفصالية فى

كانانجا التى راحا — رغم مساندتهما لها — يعارضانها علنا . اما اليوم فى غانا ، فهما يرحبان بجراه غير عادية بالاتهام بل ويتبرعان بتقديم الادلة على ذلك فى وضح النهار !

ما المقصود اذن منهذا الاسلوب الجديد ؟ هليراد به «اثبات» ان القوىالاستعمارية والرجعيه ما تزال على قوتها وقدرتها على الحركة المضادة ؟

اعلب الظن ان هذا هو المقصود فعلا . **لماذا** ؟ لخلق جو من الارهاب الفعلى لكل القوى التحررية الثورية ودولها الجديدة والضغط عليها من اجل تفكيك وحدة نضالها وتحطيم روحها المعنوية من الداخل لاجبارها على السعى — فرادى — للمساومة مع الاستعمار القديم والجديد معا ، وتأمين مصالحهما ، والا اصابها ما اصاب غانا .

ولقد اضطرت القوى الاستعماريه الى سلوك هذا الاسلوب المباشر الصريح ، بعد ان اصبحت افريقيا تكاد تكون مع امريكا اللاتينية (لاحظ ايضا التدخل الامريكى الصريح فى الدومينيكان من قبل) هما مجال الاستغلال والاستثمار الاحتكارى الوحيد فى العالم اليوم . بعد تحرر اسيا تقريبا من ناحيه ، وضيق رقعة المجال نفسه يوما بعد يوم نتيجة ثورات التحرير المتتابعه من ناحية اخرى . وبالتالى اصبحت تتركز فىهذه الرقعةمعركة الحياة او الموت بالنسبه للاستعمار ومصيره النهائى ، ومن هنا جاءت حركته الاخيرة صريحه مباشرة دون استخدام للاقنعة التقليدية . وذلك بهدف « قد أعذر من أنذر ! »

● اما **الظاهره الثانية** فتتجسد فى ان الانقلاب الغانى لم يقع الا بعد سلسلة من الانقلابات العسكريه الداخلية فى عدد من البلاد الافريقية المجاورة ، فى منطقة الغرب والوسط اساسا .وهى انقلابات لم تغير منطبيعة انظمة الحكم فىهذه البلاد —الكونجو وفولتا العليا وجمهوريه افريقيا الوسطى وداهومى ونيجيريا — المعادية او على الاقل المحافظه بالنسبة لحركات التحرير الافريقية واتجاهاتها الاشتراكية والموالية للغرب . وانما عمدت هذه الانقلابات الى تدعيم هذه الانظمة ، فكانت بمثابة حقنة للتقوية عن طريق تشديد قبضة السلطة فى هذه البلاد بأنظمة حكم عسكرية . وبعد ان تمت عملية التطويق التمهيدية بهذه الانقلابات ، نفذ الانقلاب الغانى كهدف رئيسى من اهداف عملية التطويق . ولم تمض ايام حتى كشف سفير نيجيريا فى اكرا عن اواصر الصداقة التى تربط بين « ايرونسى » زعيم الانقلاب فى نيجيريا و « انكراه » زعيم الانقلاب الغانى ، وتبع ذلك اعلان صريح من ايرونسى نفسه يؤكد فيه ان اى تدخل ضد الانقلاب الغانى يعد تدخلا ضد نيجيريا (وهى اكبر البلاد الافريقية) ستقاومه بالسلاح !

ماذا تعنى هذه الظاهرة ؟ انها بوضوح تكشف عن ان الانقلابات الست السابقة على انقلاب غانا قد استهدف اقامة « قواعد » معادية لحركات التحرير الافريقية والدول المتحررة ، يمكن منها تصدير الثورات المضادة وحماية ظهرها ، وانها اذا كانت قد قامت بتصدير الثورة المضادة الى غانا بالفعل فليست هذه الا العملية رقم واحد ،سوف تتبعها محاولات لعمليات اخرى ، والا لما كان هناك معنى لكل هذا الجهد فى اقامة ست قواعد بجانب القواعد الاخرى التقليدية القائمة من قبل وفى مقدمتها اتحاد جنوب افريقيا وروديسيا .

● واما **الظاهرة الثالثة** فتدور حول الانطباع العام الذى ارادت القوى الاستعمارية والرجعية عن عمد ، ان تبذره فى القارة خاصة وحركات التحرير العالمية عامة كوسيلة من وسائل الحرب النفسية . ومؤدى هذا الانطباع انه فى الوقت الذى صالت فيهوجالت وهددت القوى الافريقيه المتحررة ازاء اغتصاب العنصرية البيضاء لروديسيا بمساندة الاستعمار ، فانها لم تستطع ان تضع تهديداتها موضع التنفيذ ، وتم الاغتصاب فعلا فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل انه لم تمض غير ثلاثة اشهرفحسب حتى استطاعت القوى الاستعمارية والرجعية ان تضرب غانا الثورية بوصفها احدى القوى الافريقية التى تزعمت حركة تحرير روديسيا ، واعلنت من اجل ذلك تمردها على

عضوية الكومنولث البريطانى وقطعت علاقاتها مع بريطانيا وراحت تنادي بضرورة التحرير المسلح ».

وخلال ذلك كله عمد الاستعمار الى تحريك ادواته الافريقية للعمل «كطابور خامس» فى المعركة ، وافتعال المعارك الوهمية مع القوى الثورية ودولها ، وعدم تنفيذ قرار منظمة الوحدة الافريقيه بقطع العلاقات مع بريطانيا ، والعزف على نغمة ضرورة وحتمية « التواجد الاوربى » فى افريقيا بحجة ان ذلك شرط جوهرى من شروط التقدم من ناحية وبأنه يملأ فراغا سوف تحتله « الشيوعية » اذا ما خرج !

ولعل فى موقف ((**الدكتور باندا**)) رئيس ((**جمهورية ملاوى**)) ما يعبر أصدق تعبير عن هذه الظاهرة . فهو قبيل انقلاب غانا مباشرة يفتعل أزمة مع الجمهورية العربية المتحدة جاءت كمسرحية هزلية فى التنفيذ ، ثم هو بعد انقلاب غانا ــ مباشرة أيضا ــ يجرى على لسانه تصريح يقول فيه « لا ادرى ما الفرق بين وجود البيض فى شمال أفريقيا (يقصد شعوب مصر والجزائر وليبيا وتونس والمغرب) وبين وجودهم فى روديسيا ! » .

ان هذه الظاهرة تقول بوضوح على لسان الاستعمار والرجعية الافريقية : « لم تستطيعوا شيئا بالنسبة لروديسيا فى حين اننا استطعنا كل شىء بالنسبة لغانا ! » .

● وتتحدد **الظاهرة الرابعة** فى أن الانقلاب فى غانا فاجأ اول ما فاجأ للاسف ــ قيادة وقوى الثورة فى غانا ذاتها بدليل ان نكروما غادر أكرا مطمئنا فى رحلته الى الشرق من اجل السعى وراء حل سلمى لمشكلة فيتنام ، ولم تمض اربعة ايام حتى وقع الانقلاب بالفعل فى ٢٤ فبراير ١٩٦٥ . وكشف رجال الانقلاب بعد ذلك انهم سبق وفكروا فى القيام بحركتهم قبل ذلك ولكنهم عدلوا عن ذلك وارجأوا التنفيذ حتى يسافر نكروما فى رحلته الاخيرة . ومعنى ذلك أن الأعداد للحركة الانقلابية ظل يجرى فى خفية تماما عن القوى الثورية وقيادتها دون ان تستطيع كشفه ، والا لما أقدم نكروما على القيام برحلته . ومؤدى هذا ان قيادة نكروما ظلت منعزلة الى حد كبير فى القمة وكذلك القوى الثورية فى قوقعتها بعيدة عن الواقع وعن عملية متابعته ومراقبته سياسيا . الامر الذى سهل للانقلابيين عمليات الاعداد ثم التحرك المباغت .

● وتنبع **الظاهرة الخامسة** من تلك المواقف التي صدمت بماشابها من لا اخلاقية مشاعر الناس فى كل مكان ــ المتخذة من سفراء حكومة نكروما فى الخارج وكبار موظفيها فى الداخل الذين يسيطرون على مفاتيح الاجهزة التنفيذية « كساكى » وزير الخارجية بالتحول السريع فى ولائهم نحو حكومة الانقلاب تحت شعار انهم « فى النهاية موظفون يطيعون أوامر حكومتهم أيا كانت » .

ان هذه الظاهرة تكشف عن ان اجهزة الدولة ظلت على الرغم من ثورية السلطة السياسية فى غانا ، فى أيدى القوى الرجعية والعميلة المعادية . وبالتالى ظل نفوذ الرجعية والقوى الاستعمارية على هذه الاجهزة ، التى تمثل فى العادة مركز الثقل فى الحركة داخل المجتمع النامي الجديد ، متغلغلا بطريقة سرطانية ، ويلجم أو يشل سيطرة ونفوذ القوى الثورية الجديدة وتنظيمها السياسى على هذه الاجهزة ، اللهم الا فى الظاهر فحسب .

ورغم أن نكروما فى كتابه عن سيرة حياته قد أشار بوضوح الى خطر هذا الوضع الا أنه لم يقدم عمليا على اعادة صياغة جهاز الدولة ــ فنيا وبشريا ــ بما يطهره من نفوذ الرجعية والعقلية الاستعمارية ويحوله الى أداة من أدوات الثورة والدفاع عنها ضد الحركات الانقلابية المضادة .

● أما **الظاهرة السادسة** فتتبلور فى أن الاداة الرئيسية للحركة الانقلابية هو

الجيش . والجيش فى غانا ــ كما هو الحال فى عدد كبير من البلاد الافريقية التى استقلت حديثا ــ مزيج من العناصر العسكرية التقليدية التى كانت تخدم وتدافع عن النظام الاستعمارى من قبل ثم ورثتها الثورة بعد الاستقلال ، ومن عناصر وطنية جديدة دخلت الجيش بعد الثورة . ولكن لما كانت الاقدمية والخبرة الفنية النسبية تتوفر فى العناصر الاولى أكثر من توفرها فى العناصر الثانية، فقد استسهلت حكومة الاستقلال ــ كالعادة وتحت ضغط المطالب العاجلة دون اعتبار جدى لمخاطر ذلك فى المستقبل ــ الاعتماد على العناصر القديمة ذات الارتباط التاريخى بالاستعمار واسلمتها بالتالى قيادة الجيش وتنظيمه . بل حدث فى كثير من الاحيان ــ كما وقع فى غانا نفسها ــ ان ظل الجيش بعناصره الجديدة محكوما وموجها بقواد أجانب مباشرة معادين للثورة واتجاهاتها التحررية والاشتراكية ، ولقد بقى الضباط والخبراء البريطانيين واحيانا الخبراء العسكريين الاسرائيليين يتولون مناصب قيادية ورئيسية فى الجيش الغانى الى ما بعد عام ١٩٦١ .

ومعنى هذا ان الجيش الغانى ظل محكوما بقيادة رجعية واستعمارية معادية تماما للقيادة الثورية السياسية ، ولم يستطع التنظيم السياسى الثورى ان يحتويه سياسيا ويربط حركته ومصيره بحركة ومصير الثورة . ومن هنا كان الانفصال الاجتماعى والسياسى بينهما بحيث اصبح الجيش رصيدا للرجعية والقوى الاستعمارية ، وعدوا متربصا بالقوى الثورية وقيادتها ، وذلك بدلا من ان يتحول اجتماعيا الى رصيد قوة للثورة كما حدث فى مصر مثلا .

● **والظاهرة السابعة** تتعلق بعدم قدرة حزب الشعب الغانى الثورى والحاكم فى ان ينظم بسرعة وفاعلية مقاومة منظمة للانقلاب يجند لها كوادره والجماهير الشعبية فى الريف والمدن . ان القادمين من أكرا اخيرا يؤكدون أن هناك ثمة مقاومة للانقلاب ولكن طابعها العام سلبى ، كالامتناع عن العمل وفتح المحلات التجارية . بيد انه من حق المرء الذى سمع وقرأ كثيرا عن ثورية الحزب وتنظيماته ان يتوقع مقاومة ايجابية تصل الى مستوى المواجهة بالسلاح وحرب العصابات .

ويبدو ان السبب الرئيسى فى ذلك هو ان الحزب ظل مركبا عائما على سطح المجتمع يضم مجموعة من المثقفين الثوريين واهل المدن على الاغلب، ولم يستطع أن يمد جذوره وقنواته الى الاعماق الشعبية فيوعى ويكسب ويجند الجماهير العريضة صاحبة المصلحة فى الثورة واستمرارها والدفاع عنها . وظل أهم نشاط له هو العمل الثقافى المرصع بالشعارات الثورية والمناقشات النظرية المذهبية ، لا العمل السياسى الذى يلتحم بالجماهير عن طريق ترجمة وبلورة مصالحها وآرائها ومشاكلها وقضاياها الحياتية فى خطط سياسية واقعية قابلة للتنفيذ وتعبئة القوى الشعبية من حولها وخلالها ، بقوى تنظيمية قادرة على الحركة الفعلية .

والواقع ان المرء يلمس من خلال زيارته لافريقيا ولعا غريبا من غالبية المثقفين الثوريين الذين يسيطرون على التنظيم السياسى ، لبناء حزبهم على نمط يماثل الاحزاب الثورية فى البلاد الاشتراكية ويركزون كل جهودهم فى الهياكل الشكلية والاجراءات النظامية والتسكع حول بديهيات أساليب التنظيم الثورية مثل المركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية وخضوع المستويات الدنيا للمستويات العليا الخ .. دون ما اعتبار أو تقدير مماثل لظروف واقعهم . بحيث يأتى التنظيم السياسى فى النهاية بناء باهرا ثوريا من الخارج ، وفارغ المضمون والفاعلية من الداخل ، فاقد الصلة بالواقع ومنعزل عن الجماهير الشعبية. حتى اذا ما واجه امتحان عملى خارت قواه وتفككت شذر مذر.

ان قضية بناء تنظيم ثورى هى فى المقام الاول وقبل كل القضايا الاخرى قضية قومية فى الاساس . بمعنى انه لا يكفى وضع القواعد والاجراءات التنظيمية الثورية وانما يكون ذلك كله مصاغا بروح قومية قادرة على الالتحام بالواقع والجماهير دون

ما سدود . ان المركزية الديمقراطية ضرورية فعلا ولكن ما هـو أكثر ضرورة مثـلا في تنظيم حزبي ثوري في مجتمع أفريقي أن يراعي الظروف القبلية المفتتة لوحدةالشعب نفسـه ، وكيف يمكن ان يبتكر اساليب في البناء والتنظيمات الحزبية تكون قادرة على معالجة الانقسامات القبلية والنفاذ فيها من أجل التوحيـد القـومي وعـزل النفـوذ الاستعماري والرجعي عنها . واذا كان الحزب الثوري في البلاد المتقدمة نسـبيا يبنى باجهزة وتكتيكات واستراتيجيات الانتقال بالمجتمع من النظام الراسمالي الى النظـام الاشتراكي ، فان الحزب الثوري في البلاد الافريقية الحديثة الاستقلال كغانا يجب ان يبني باجهزة وتكتيكات واستراتيجيات مختلفة لان هدفه هنا هو الانتقال بقفزةسريعة وخطيرة ـ لم يسبق تجربتها في التاريخ الانساني من قبل ـ من القبلية عابرا مراحل الاقطاعية والرأسمالية الى الاشتراكية رأسا .

● واما **الظاهرة الثامنة** فتبدو في ذلك الانقسام الذي وقع بسبب الانقلاب الغاني داخل التعايش بين الدول الافريقية المستقلة ـ بدرجات الاستقلال المختلفة ـ ووحدة عملها الافريقي العام ، بين الـدول الثـورية التي ناهضت الانقـلاب وشجبتـه وهي الجمهورية العربية المتحدة وغينيا ومالي والجزائر وتانزانيا وزامبيا والكونغو برازافيل، وبين بقية الدول الافريقية الاخرى في منظمة الوحدة الافريقية . الامر الذي يهدد بالخطر مصير هذه المنظمة اليوم بالفعل .

ولقد تراوح الموقف من الانقلاب في كل جانب من الجانبين .

ففي الدول الثورية المناهضة للانقلاب ، تراوح الموقف من الادانة وعدم الاعترافالي تنصيب نكروما رئيسا لجمهورية غينيا وأمينا عاما لحزبها مشاركا في ذلك مسئوليات الرئيس سيكوتوري ، وذلك على اساس وضع اتفاقية الوحدة بين غانا وغينيـا التي وقعت قبل سنوات موضع التنفيذ والاستعداد لتحرير غانا من قبضة الانقلاب .

في حين تفاوت موقف الدول الاخرى بين تأييد الانقلاب والاعتراف بنظام حـكمه ، وبين اتخاذ موقف الحياد حتى الان ولكنه حياد مشوب بالعطف على الانقلاب .

● وتتلخص **الظاهرة التاسعة** في التناقض الذي وقع بين موقف مجمـوعة الـدول الاشتراكية ومجموعة الدول الافريقية الثورية من الانقلاب. فالمجموعة الثانية سارعت بادانة الانقلاب وعدم الاعتراف به . في حين ظلت المجموعة الاولى تأخذ جانب الحـذر المشوب بالعطف على نكروما مع الاحتجاج على المعاملة العدائية التي يلقـاها رعاياها وممثليها الدبلوماسيين في غانا من قبل الانقلاب . ولكن قبل ان يكتمل شهر على قيـام الانقلاب ، سارعت المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا بالاعتراف بالانقـلاب ثم ما لبث ان تبعها الاتحاد السوفيتي ايضا ،في حين ظلت الصين ـ حتىكتابة هذهالسطور ـتوالى الاحتجاج دون اعتراف .

وقيل في تبرير هذا الموقف ـ الذي صدم بعنف القـوى الثـورية في أفريقيا ـ انه اعتراف بالامر الواقع قصد به قطع الطريق على محاولات الاستعمار والرجعية لفصم العلاقات بين الدول الاشتراكية وأفريقيا السوداء مبتدئة بغانا. وقيلايضا أن الخلاف الصيني السوفيتي قد أضعف من بروز المجموعة الاشتراكية ـ كما كانت من قبل .. قوة موحده في الحقل الدولي ، تبادر دائما « بالفعل » لا التحرك على اساس« رد فعل» لحركة القوى الاستعمارية . وان هذا الوضع هو الذي يملي عليها بالتالي دبلوماسية الامر الواقع وانقاذ ما يمكن انقاذه لانه لا يمكنها من الهجـوم طالما كان ظهرها مكشوفا وقواها غير موحدة .

وايا كانت التبريرات ، ومدى امكانية «الاعتراف» فيتحقيق الهدف منها . بل وقيمة هذا الهدف نفسـه عمليا اذا ما تحقق في ظروف هذه الموجة من الانقلابات الاستعمارية الرجعية المتلاحقة ، فان ذلك كله لا يلغي أن الشعوب الافريقية في نظرتهـا المبـاشرة

للموقف الراهن ترى ـ لاول مرة ـ القوى الافريقية الثورية ودولها فى جانب ، وترى مجموعة الدول الاشتراكية فى الجانب الاخر . . ومع الانقلاب للأسف !

ان هذه الظواهر التسع ترسم امامنا خطوط الصورة وظلالها على النحو التالى :

ـ **ان** الاستعمار ـ القديم والجديد ـ يركز قواه اليوم فى معركة حياة او موت فى افريقيا بجانب جولات محددة فى آسيا (الفيتنام واندونيسيا) .

ـ **وانه** يبادر بالهجوم على القوى الثورية ودولها بصراحة مكشوفة وذلك بقصد الارهاب العلنى وتحطيم المعنويات ، منتهزا ظروف تفكك الوحدة الثورية الافريقية على مستوى البلد ومستوى القارة معا من ناحية ، والخلاف الصينى السوفيتى من ناحية أخرى .

ـ **وانه** سدد ضربته اليوم ـ فى عمليةتصدير الثورة المضادة ـ الى اضعف حلقة فى سلسلة القوى الثورية ، نسبيا ، وهىغانا . وذلك بسبب عدم تصفية الجيوب والاجهزة والعناصر الرجعية والعميلة فيها تصفية جذرية من ناحية ، وبعد سلسلة من الانقلابات العسكرية فى الدول المجاورة بقصد تقويتها كقواعد للعمل المضاد سوف ينطلق منها الى اهداف جديدة من ناحية اخرى .

ـ **وان** مسئولية الانقلاب فى غانا لا يمكنالقائها بكاملها على عاتق الاستعمار وحده، وانما تشاركه فيها عدم فاعلية القوى الثورية نفسها بالدرجة المطلوبة .

ـ **وأن** الانقلاب قد استقطب فى جانبالدول الافريقية الثورية وحدها وهى الاقلية عددا ، وفى جانب آخر بقية دول مجموعةالوحدة الافريقية وهى الاغلبية . وان دول المجموعة الاشتراكية تظهر اليوم لاول مرة ـبدبلوماسية الامر الواقع ـ فى غير جانب القوى الافريقية الثورية .

على ان هذه « الصورة » تكتسب **بعداآخرا** ، اذا اضيفت اليها **الخطوط العربية** . بل انه دون اضافة هذه الخطوط تبقىالصورة ناقصة التكوين لا تعكس حقيقة الواقع كله . ذلك ان ما حدث فى غانا خاصة،وما يجرى فى افريقيا عامة ، عميق الصلة ويتبادل التأثير مع مصر والوطن العربى كله . **فمصر** بلد عربى أفريقى آسيوى جغرافيا وتاريخيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا .**والوطن العربى** فى النهاية ينتمى فى غالبيته (٧٢ ٪ منه) الى افريقيا ومصيرها .

ومن قلب المعارك الدائرة اليوم فى محيطالوطن العربى بين القوى الثورية الشعبية والقوى الاستعمارية والرجعية ، نستطيعان نضيف الى الصورة الخطوط المحددة التالية :

ـ **استمرار** العدوان الصهيونى ، الذىيجسد فى المنطقة قاعدة عسكرية وترسانة اسلحة فى شكل دولة اسرائيل ، تمارسالتخريب لحساب الاستعمار الجديد فى الوطن العربى وافريقيا معا .

ـ **التحرك** الجديد للرجعية المتحالفة معالاستعمار ، متخفية تحت راية الاسلام ، لاقامة حلف استعمارى لمقاومة وتطويقالحركة الثورية للشعوب العربية والاسلامية فى افريقيا وآسيا من أجلالتحرر والاشتراكيةوالوحدة بصفة عامة ، مع التركيز ضد القاعدة الديناميكية فى مصر بصفة خاصة .

ـ **تدفق** الاسلحة الغربية بكميات غيرعادية على اسرائيل والدول الداعية للحلف الاسلامى معا .

ـ **مواصلة** الضغط الاقتصادى على البلاد العربية وخاصة الثورية منها بدرجات واشكال متفاوته .

ـ **الاستمرار** فى العدوان على الثورة اليمنية وتخريب كل محاولة لاحلال السلام على ارضها الجمهورية .

ولو نسقنا الخطوط الافريقية مع الخطوط العربية فى الصورة جنبا الى جنب ، لخرجنا **بنتيجة واقعية** تؤكد ان القوى الاستعمارية والرجعية تخطط لهجوم استراتيجى طويل الامد بغرض تصفية كل القوى والنظم والحركات الثورية الجديدة ، واستعادة نفوذها السياسى والاقتصادى الذى خسرته منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عامة ، وبعد حرب السويس على وجه اخص . وان هذا الهجوم يقع على **جبهتين** فى آن واحد ، جبهة الشرق الاوسط من الشمال ، وجبهة افريقيا من الجنوب . وان خطوط السير فى الجبهتين ينتهيان استراتيجيا عند **مصر** .

وهذه نتيجة طبيعية ومنطقية باعتبار ان مصر تمثل نسبيا اقوى حلقة فى سلسلة النظم الثورية الجديدة وأرسخها تاريخيا . وبالتالى لا يمكن البدء بها ـ خاصة وقد فشلت من قبل كل عمليات العدوان والمؤامرات التى سلطت عليها بضراوة ـ وانما تستبقى كهدف اخير للمخطط .

ما العمل اذن ؟

اننا أمام مفترق طرق جديد تبدأ معه مرحلة جديدة ، وعلينا ان نختار الطريق الذى نسلكه خلال هذه المرحلة .

فاما التقوقع والعزلة داخل ذواتنا وحدودنا الاقليمية ، ومعنى ذلك اننا نتخلى فى الواقع لا فقط عن مبادئنا التحررية والثورية التى اكتسبنا بممارستها وزنا وقيمة مرهوبتين ماديا وادبيا على المستوى المحلى والقومى والدولى ، بل ايضا عن خطوط دفاعنا الاساسية ضد الاستعمار والرجعية .

واما ان نسلك طريق المساومة مع الاستعمار والرجعية . ومعنى ذلك ان نشرع فى التفريط باستقلالنا والتنازل عن مكاسبنا التاريخية المادية والمعنوية ضد الاحتكار والاقطاع والرأسمالية والتخلف ، لنعود من جديد شيئا فشيئا الى حظيرة الاستعمار والاستغلال بحركة « الخطوة البطيئة » .

واما ان نؤثر طريق مواصلة الثورة باقصى قدراتنا وبترتيب جديد لقوانا وبأمهر ما تجمع لدينا من خبرات ضد الاستعمار والرجعية .. وهذا وحده هو طريق التاريخ والامل والحياة .. وهو طريق شاق طبعا ولكن لا بديل له الا الانتحار او الموت البطىء .

وهكذا فاننا لا نملك ـ اذا آثرنا الحياة ـ الا اختيار الطريق الاخير . وهنا تتجمع كل القضية فى علامة استفهام مركزة : **كيف ؟**

فى اعتقادى اننا يجب أن ننطلق اساسا من خلال رؤية ثورية للواقع . بمعنى ان نرى ان هذه المرحلة الجديدة التى ينحو فيها الاستعمار الى المبادرة الصريحة بالهجوم وتصدير الثورة المضادة بالعنف بعد اعادة ترتيب قواه وصياغات تحالفه مع الرجعية ، ليست الا استمرارا ـ بشكل جديد ـ للمعركة التاريخية بينه وبين القوى الشعبية الثورية ونظمها وقياداتها .

والمعركة لا تعنى كسبا أو خسارة بصفة مطلقة على طول الخط لهذا الطرف او ذاك وانما هى تعنى ـ بطبيعتها ـ تلازم الكسب والخسارة النسبى لكل طرف طالما كانت مستمرة . وأنه بتوقفها فقط تتحدد بصفة مطلقة انتصار طرف وهزيمة الطرف الاخر .

وبالتالى فانه من المهم دائما تقييم مدى الكسب ومدى الخسارة واقعيا بالنسبة لكل طرف خلال المعركة . ان ذلك من شأنه ان يبصرنا بتقدير سليم للموقف وبامكانياتنا وصعوباتنا ازاء امكانيات وصعوبات العدو من ناحية ، وكذلك يسهم فى تعبئة وصلابة وحدة قوانا الثورية وروحها المعنوية تجاه ما قد يحصل عليه العدو من مكاسب جزئية خلال المعركة .

ونحن اذا ما قمنا اليوم بحسابات واقعية لمكاسبنا وخسائرنا فى المعركة الدائرة لخرجنا بنتيجة تؤكد أن مكاسبنا ما برحت اضعاف خسائرنا .

فعلى **المستوى المحلى** مثلا تتلخص مكاسبنا فى الاطاحة الكاملة بالاستعمار — سياسيا واقتصاديا — وبالاقطاع والراسمالية الكبيرة ، بؤرة الرجعية المتحالفة مع الاحتكارات العالمية . وفى مواجهة التخلف الاقتصادى بخطط شاملة للتنمية نفذت أولها بنسبة نجاح بلغت ٩٧٪ ونشرع فى تنفيذ الخطة الثانية خلال هذا العام ، وفى انتهاج طريق الاشتراكية وبناء تحالف قوى الشعب العاملة بمركز ثقله من الفلاحين والعمال وفى تكوين جيش وطنى قوى شعبى وفى الانتصار على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ والحصار الاقتصادى . وباختصار فى تنمية قوانا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية بدرجة لم يسبق لها مثيل ، قادرة على الصمود ومتابعة الحركة الثورية نحو اهدافها .

فى حين ان خسائرنا التى تعود فى معظمها الى طبيعة عمليات التنمية المعقدة ، لا تعدو أن تكون بعض الخلل النسبى فى كفاياتنا الانتاجية وتنظيمنا السياسى والاضطرار الى التخفيف من معدل سرعة التنمية بما يوازى سنة عن المعدل المقرر بصورة مؤقتة .

وعلى **المستوى القومى العربى** ، فان المكاسب تتحدد فى ذلك المناخ الثورى الذى يسود شعوب الوطن العربى عامة ضد الاستعمار القديم والجديد وقواعده العسكرية والاقتصادية وضد الرجعية والتخلف وعوامل التجزئة والانفصال . وفى انتصار ثورة الجزائر واعادة تفاعل المغرب والمشرق العربيين . وفى تفجر الثورة فى اليمن والجنوب العربى المحتل ، وفى توفير الامكانيات الحقيقية لاول مرة منذ عام ١٩٤٨ فى ردع العدوان الاسرائيلى سياسيا واقتصاديا وعسكريا وفى نمو حركة التقدم والاشتراكية المستمرة .

فى حين أن الخسائر تتركز فى استعادة بعض القوى الرجعية المقدرة النسبية للحركة الملتوية المتسترة بالدين ، وفى ضربها النسبى لبعض القوى التقدمية فى بعض البلاد العربية عن طريق الارهاب واغتيال المناضلين .

وعلى **المستوى الافريقى** تتجسد المكاسب فى المد الثورى الذى يسود القارة بصورة عامة وتوالى استقلال عدد متزايد من البلاد الافريقية بدرجات متفاوتة مع استمرار تفجر الثورات التحريرية فى مناطق عديدة أخرى كانجولا وموزمبيق وغيرها ، وفى بدء سريان الوعى الشعبى بضرورة الوحدة الافريقية والعمل المشترك سياسيا واقتصاديا ومناهضة التفرقة العنصرية فى بناء الكم الاكبر من القواعد والنظم الثورية الجديدة كالجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا ومالى وتانزانيا .

فى حين تتبلور الخسائر فى بعض الانتكاسات الكبيرة نسبيا فى الكونجو باسقاط حكومة لومومبا وفى السيطرة المؤقتة للعنصرية البيضاء على روديسيا وأخيرا فى الانقلاب العسكرى الاخير فى غانا مع ملاحظة أن كل هذه الانتكاسات لم تستطع الاستقرار بعد ، بفعل درجات متفاوتة من المقاومات الثورية الداخلية .

وعلى **المستوى الدولى** فان خريطة العالم قد تغيرت اليوم عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية وحرب السويس لصالح القوى الثورية وشعوبها . ان مناطق النفوذ الاستعمارى وقواه قد اصابها الضمور الشديد وزادت من حدة التناقضات

داخلها مما هدد وحدتها السياسية والاقتصادية والعسكرية بل واحدث الانفصال بالفعل بين قواها على مستويات مختلفة (تكوين السوق الاوربية المشتركة واعلان فرنسا انسحابها من حلف الاطلنطي مثلا) واصبح العالم الغربي اليوم مسرحا لتصارع ثلاث دوائر على مستويات متعددة الدائرة الانجلوامريكية والدائرة الاوربية والدائرة الفرنسية . وغدت الاشتراكية ـ بتطبيقاتها المتنوعة ـ تيارا جارفا متعاظما يضم غالبية شعوب العالم بل وجماهير واسعة في قلب العالم الغربي نفسه . واثبتت النظم الاشتراكية ـ على اختلافها ـ قدرة فائقة على التفوق اقتصاديا واجتماعيا على النظم الرأسمالية والاحتكارية بحيث بلغ متوسط معدل التنمية السنوى في النظم الاولى حوالى ٨٪ من الدخل القومي في حين لم يتجاوز المتوسط ٣٪ في النظم الثانية .

اما الخسائر فتتبلور في التفكك الذي اصاب وحدة المعسكر الشيوعي من ناحية بسبب الخلاف الصيني السوفيتي ومن ناحية اخرى وحدة القوى الثورية الجديدة في العالم الثالث كنتيجة موضوعية لاختلاف درجات التطور والنمو بينها . وفى نجاح الدول الاستعمارية باستمرار تحكمها في السوق العالمي من السيطرة على التجارة الدولية والتخفيض المستمر لاسعار المواد الخام ، التي ما تزال تشكل الجانب الاكبر من مجالات التصدير في البلاد النامية وبالتالي موردها المالي الاساسي للتنمية الداخلية .

وهكذا فان الحساب الواقعي الاجمالي لمكاسب وخسائر المعركة حتى الان يكشف ـ رغم كل الصعاب والتحديات الحالية ـ اننا ما زلنا ـ محليا وقوميا وعالميا ـ في مركز اقوى نسبيا من مركز العدو . وهذا هو بالدقة ما حفز العدو الى ان يعيد ترتيب قواه واعادة صياغة تكتيكاته واستراتيجياته حيث يلجأ فيها الى مزيد من استخدام العنف الصريح والمباشر . وهو ايضا بالدقة وبنفس القدر ما يوجب علينا اليوم ان نعيد ترتيب قوانا واعادة صياغة تكتيكاتنا واستراتيجياتنا على اساس مواجهة الارهاب بالارهاب والعنف بالعنف والا جمدت حركتنا وانتقل زمام المبادرة نهائيا الى القوى الاستعمارية والرجعية ، وهذا اخطر ما يواجهنا به الموقف الراهن .

وليس باستطاعة فرد او حتى قوة ثورية جزئية ان يقوما وحدهما بوضع الخطوط الجديدة لاعادة صياغة القوى الثورية في مجموعها وتكتيكاتها واستراتيجياتها ، وانما ذلك مسئولية مشتركة لجميع القوى الثورية وتجاربها وقياداتها . ومن هنا وجب ان ينظم بأسرع مايمكن لقاء عملي وفعال بين هذه القوى وعلى الاخص مستوياتها القيادية المسئولة لدراسة الوضع الجديد للمرحلة الجديدة من أجل الوصول الى خطط موحدة قريبة المدى وبعيدة المدى على السواء لمواجهة خطط العدو الجديدة .

واقصى ما نستطيعه هنا هو ان نحاول اقتراح بعض خطوط رئيسية وعامة ، في هذا الصدد وطرحها للمناقشة .

ان القانون الذى يسود عالمنا المعاصر هو **قانون التعايش السلمي** بين الانظمة الاجتماعية المختلفة ، والذى يطبع حركة الصراعات الحتمية بينها بالطابع السلمي العام . وذلك كبديل موضوعي ـ تقتضيه ظروف وامكانيات العصر وعلاقات قواه وتطور اسلحة الدمار النووية ـ لقانون الحرب وحل الصراعات بين الدول والانظمة المختلفة بالعنف الذى قد يودى بالانسانية وحضارتها ككل .

ووضع قانون التعايش السلمي في التطبيق العملي يعني انه مرتبط تاريخيا بتواجد الصراعات الاجتماعية الراهنة وتفاعلها على مستوى دولي شامل وهى مسلحة في كل طرف منها بالاسلحة النووية . وهذا بدوره يعنى انه خلال عصر التعايش السلمي ستظل التغييرات في العالم ـ اساسا ـ تتسم بصفة التدريجية والجزئية ، وسيظل هناك باستمرار تلازم بين العوامل والنتائج الايجابية والسلبية بالنسبة لكل طرف دون استثناء من أطراف التعايش السلمي .

ولكن هذا القانون ، مثله مثل كل قانون اجتماعى ، يحمل فى داخله وبالتالى خلال التنفيذ العملى **نقيضه** ، تماما كما يحمل قانون الحياة فى داخله الموت دون انفصال . والنقيض فى قانون التعايش السلمى هو بالدقة **عدم التعايش مع الاستعمار** . بمعنى أنه فى الوقت الذى تتعايش فيه سلميا ــ بهدف منع الحرب العالمية الشاملة ــ النظم الاشتراكية والرأسمالية على اختلاف تطبيقاتها ونظمها ، فان التعايش مفقود وغير ممكن بين الاستعمار وقوى التحرر الوطنى والا كان معنى ذلك هو تجميد حركة التطور الانسانى لصالح القوى الاستعمارية والرجعية عالميا .

ويبدو ، على ضوء الاحداث فى السنوات الاخيرة ، ان القوى التقدمية على اختلاف جبهاتها ، لم تستطع بصورة عملية وفعالة أن تمارس بنجاح تطبيق القانون ونقيضه فى نفس الوقت وفى جميع الحالات . فى حين استطاعت القوى الراسمالية والاحتكارية أن تستفيد أكثر من الناحية العملية ، نتيجة خبراتها وامكانياتها ونفوذها التقليدى ، من ممارسة تطبيق القانون ونقيضه بنجاحات نسبية أوفر لصالحها .

فبعد ان سجلت القوى التقدمية بحرب السويس عام ١٩٥٦ انتصارا تاريخيا على الاستعمار فتح الطريق الى انتصارات أخرى عديدة ، استطاعت مع تعاظم القوى الاشتراكية والتحررية وتحطيم احتكار النظم الراسمالية للاسلحة النووية ، ان تفرض قانون التعايش السلمى عالميا .

وهنا عمد الاستعمار الى محاولة تغيير أساليب عمله بما عرف باسم الاستعمار الجديد الذى يقنع بالهجوم والقواعد الاقتصادية بدلا من الهجوم والقواعد العسكرية . فلما ووجه بمقاومة عنيفة من التيارات الاشتراكية والتنمية ضد التخلف فى البلاد المستقلة الحديثة النمو ، ومنافسة المعسكر الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى له بالمعونات غير المشروطة . راح يعود الى اسلوب الهجوم العسكرى من جديد خلال حروب محدودة مستخدما الاسلحة التقليدية لا النووية ــ نتيجة التعايش السلمى ــ واخيرا تصدير الثورة المضادة بالعنف كلما أمكنه ذلك عن طريق الانقلابات العسكرية الداخلية بالتعاون مع الرجعيات المحلية .

وهكذا وجدت القوى التقدمية نفسها فى هذه المرحلة فى موقف الدفاع اساسا ، ولم تستطع الا فى حالات قليلة كما حدث فى اليمن وفى بعض فترات الحرب الاهلية فى الكونجو أن ترد على العنف الاستعمارى الجديد بعنف مماثل . وغالبا ، وبسبب التباين فى الظروف والمشاكل والقضايا الداخلية والخلافات بين القوى التقدمية ونظمها ، لم تتمكن القوى التقدمية أن تواجه العنف الاستعمارى بنفس القدر من الوحدة والعمل الجماعى المشترك كما هو الطابع العام للتحرك الاستعمارى .

وجاء الانقسام الصينى السوفيتى بآثاره العالمية السلبية فأسهم فى تفريخ مزيد من التفكك فى العمل الموحد للقوى التقدمية نتيجة تباعد الاتحاد السوفيتى عن بعضها وتباعد الصين عن بعضها الاخر وذلك وفقا لدرجة حرارة ترومتر العلاقات الثنائية المنفردة بين كل نظام تقدمى على حدة من ناحية وبين الصين او الاتحاد السوفيتى .

وفى نفس الوقت الذى وجهت فيه القوى الاستعمارية أعمالها العدوانية على مناطق استراتيجية محددة ركزت فيه كل قواها وقصرت خطوطها الى اقصى حد مستطاع ، فتمكنت بذلك من الحصول على نتائج ايجابية وسريعة ، راحت القوى التقدمية توسع نطاق عملها تحت شعار محاصرة القوى الاستعمارية بجبهة عالمية عريضة وعلى اوسع نطاق لا تحتملها امكانياتها الفعلية من ناحية وتجذب الى صفوفها من ناحية أخرى قوى مترددة ومتميعة لمجرد انها تحررت شكليا من التبعية الاستعمارية . الامر الذى أطال خطوطها . وادخل فى صفوف جبهتها «طابورا خامسا» للعدو ، أو على الاقل قيد حركتها فى العمل الثورى

حفاظا على الوحدة الشكلية والكمية مع حلفائها . ويشهد على ذلك التوسع الكمى العام الذى شهدته مؤتمرات القمة العربية والوحدة الافريقية ودول عدم الانحياز فى السنوات الاخيرة .

والواقع أنه لا يمكن التقليل — نظريا وعمليا — من اهمية العمل المشترك على نطاق الجبهة العريضة والوحدات الجماهيرية الكبيرة . ولكن يجب النظر الى هذا النوع من العمل على انه **عمل مساعد** فحسب وليس **العمل الجوهرى والاساسى** للقوى الثورية .. هذا العمل الجوهرى الذى يتبلور فى المقاومة المنظمة اقتصاديا وعسكريا باقصى قدرة ممكنة ومركزة للعنف الاستعمارى بأساليبه الاقتصادية والعسكرية معا . وبالتالى فان صياغة الوحدات الكبيرة للقوى الثورية لا يجب ان يحول دون صياغة الوحدات الثورية المركزة المحددة والقادرة على الحركة الفعالة والسريعة من اقصى القوى ثورية .

فليبق أذن العمل الموحد المشترك لمؤتمرات القمة العربية ولكن بشرط أن يتكون داخله عامود فقرى صلب من أقصى النظم العربية ثورية . وكذلك الشأن فى العمل الموحد الافريقى والعمل الموحد لدول عدم الانحياز .

ولكى تستطيع هذه الاعمدة الفقرية الثورية مواجهة مسئولياتها على نحو فعال فان الامر يستلزم :

- **وضع حد للنزاع الصينى السوفيتى بحيث تمارس القوى الثورية الجديدة بقوة وصراحة ضغطها على الجانبين من أجل تحقيق ذلك عمليا باسرع وقت ممكن .**
- **تقصى الخطوط بحيث تتحملها الامكانيات الفعلية للقوى الثورية ، وبناء وحداتها الضاربة على صورة ونسق موحدين .**
- **ممارسة التعايش السلمى على نحو واقعى وجدلى من شانه ان يحول دون الحرب النووية الشاملة وفى نفس الوقت يرد على العنف الاستعمارى وتصدير الثورات المضادة بعنف مضاعف .**
- **تنظيم البيت الداخلى للقوى الثورية — سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا — بحيث يتطهر جذريا من كل الجيوب والرواسب الرجعية والعميلة التى تشكل رصيدا احتياطيا داخليا للقوى الاستعمارية .**
- **قيام المعسكر الاشتراكى بتركيز معوناته الاقتصادية الغير مشروطة بجموعات أقوى النظم الثورية وحدها دون بعثرتها بغير طائل فى الدروب الواسعة للجبهة العريضة حيث تكمن النظم المترددة والمساومة لان ذلك يقوى من وزنها داخل الجبهة بازاء القوى الثورية الحقيقية .**

وبعد .. ان مفترق الطرق الجديد الذى نواجهه اليوم ، تتحدد فيه وبه المصير النهائى للمعركة التاريخية الطويلة والمريرة بين الاستعمار والشعوب . واذا كانت حركة التاريخ تؤكد انتصار الشعوب الا انها تتطلب أيضا ان تكون القوى الثورية القيادية لهذه الشعوب على مستوى المسئولية والقدرة الفعالة والمرنة على مواجهة العدو الذى اعاد ترتيب قواه وغير من تكتيكاته واستراتيجياته بما يوائم ظروف المرحلة الجديدة .

فلنعمل اذن بحزم وسرعة ووضوح رؤية قبل أن يفوت الاوان ، ونخسر فرصة تحقيق القضاء النهائى على الاستعمار فى عصرنا الراهن .

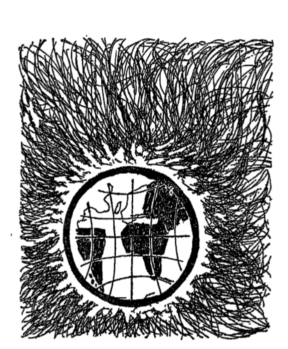
لطفى الخولى

يكتب هذا البحث للطليعة « حسين ذو الفقار صبرى » عضو الامانة العامة للعلاقات الخارجية بالاتحاد الاشتراكى . ويتناول فيه من خلال خبراته النظرية والعملية ومسئولياته بالتنظيم السياسى تحليل ابعادواتجاهات العالم الثالث اليوم



العالم الثالث أبعاده واتجاهاته

حسين ذوالفقار صبرى



ما هو العالم الثالث ؟ وماهي البلاد التى ينتظمها وأين تقع ؟ وهل ثمة رقعة جغرافية تربط بينها ؟ أم ان الذى يربط بينهـا هـو التسلسل التاريخى لكفاحها ؟ واى كفاح هذا ؟ اهو نضـال ضد قوى غاشمة تتهدده أم صراع يبغى التغلب على ظروف قاسـية تحيط بواقعه ؟ فاذا كان نضالا ضد قوى غاشمة ؟ فماهي تلك القوى ؟ اهى عسكرية متربصة به أو جاثمة من فوقه ، أم أنها احتكارية استغلالية تعتصر ثرواته تحت ستار من استقلال زائف ؟ واذا كان الكفاح مغالبة لظروف قاسية فما هى تلك الظروف ؟ أهى طبيعة شحيحة بخيراتها ام أوضاع تخلف فرضت على الشعب ؟ أهى نقص فى الخبرة الانتاجية ام موائق اجتمـاعية قصرت به عن بلوغ كفاية فى الانتاج وأهدرت عدالة التوزيع؟ ام أنهاكلها جميعا نختزلها فى تركيز شديد حين نقول أن العالم الثالث هو ذاك الذى يمتد « من باندونج الى هافانا » ؟ ..

محور جغرافي يكاد يستقطب شعوب العالم الثالث ، ولكنه ايضا وفوق ذلك عنوان حي لقصة تلك الشعوب في صراعها المستمر ونضالها المتصل ثم انه اشارة ايضا الى المنهاج الذي يعينها على ان تستكشف الاواصر التي تجمع بين بعضها البعض ، وعن امكانياتها الدفينة وطاقاتها المعطلة او مصادر ثرواتها المنهوبة ، فيرتسم امامها طريق التعاون فيما بينها مخرجا لها الى مستقبل افضل لها جميعا .

جغرافيا يمر المحور بالقاهرة ، ولكنه تاريخيا ونضاليا لا يكاد يريد ان يجاوزها ، فقد تعددت لقاءات شعوب العالم الثالث ، تطوف بعواصم دولها ولكنها تجد نفسها مشدودة ابدا الى القاهرة لا تكاد تغادرها حتى تتطلع الى العودة اليها ، فهنا قلبها ولسانها ، وهنا عزيمتها وشكيمتها ، تلتقي على ارضها الشعوب مرة بعد اخرى وتعلن منها وباسمها قراراتها ، فهي اقتصادية تهدف الى تنمية ، أو غير منحازة تشجب العدوان وقواعده العسكرية ، أو افريقية تدين التفرقة العنصرية وترفع لواء الحرية والتحرر ، جميعها في روحها ونصها تتصدى للاستعمار قديمه وجديده،وتكشف عن اقنعته واساليبه ، وتدعو للسلام رعاية للتقدم في جميع الاوطان ، وتنادي بالتعاون من أجل الرخاء فلم يعد هناك مجال لافتعال رفاهية لقلة من أقوام على حساب الشعوب ، امتهانا لحقوقها واستنزافا لمواردها .

جميعها في روحها ونصها ، كما لابد وأن شعرنا تلتزم خطوط السياسة الخارجية التي اعلنها الميثاق على الملأ ،فلا غرابة اذن ان تشعر الشعوب في قرارة نفسها ، رضي بذلك بعض من حكامهم أم داوروا ، أن القاهرة هي القلب والعصب منهم جميعا .

ولكن الطريق امام دول العالم الثالث ليس سهلا ميسرا ، بالرغم من انه يشدها الى بعضها البعض روابط قوية خلقتها آمال شعوبها ، فهي تتعثر في تنفيذ القرارات التي تجمع عليها ، يعوقها عن الانطلاق اليها التفاوت الكبير بين ظروفها واحوالها ،فهي درجات بين القدرة عليها او القصور عنها ، بل ومن حيث وضوح الرؤية امامها ، اذ يمضي بعضها قدما بينما يبعثر الاخرون جهودهم الى متاهات من تفاصيل بعيدا عن اللب والجوهر .

ثم ان اسمها هذا الذي اطلق عليها ، أريد به تصويرها — على غير حق — انها تقف موقفا وسطا بين الكتلتين الكبيرتين ، ليس من حيث العقيدة الاجتماعية أو من حيث النظام الاقتصادي وهما اعتباران ايجابيان ، وانما من حيث انها أرض مشاع بين الكتلتين يدور على صفحتها صراع يتمثل من ناحية في سيطرة استعمارية تزعزعت قواعدها بعض الشيء وفي الناحية المقابلة مبادىء شيوعية تبثها الكتلة الاخرى بين صفوف شعوبه علها ان تنتزع السيطرة في النهاية ، فالكسب للكتلة التي تفرض نفوذها آخر الامر على عدد اكبر ومساحات اوسع وموارد أوفر .

وانها لصورة خاطئة ، فان شعوب العالم الثالث هي في حقيقتها تلك التي تسعى الى توكيد شخصيتها ، اعتمادا على صميم واقعها فتجد لشعوبها مكانها تحت الشمس ، فهي اذن شعوب حرية بان تكون قد فهمت عن وعي الروابط الوثيقة التي تجمع بينها ، فتخطط للتعاون بينها ايجابيا وتقدميا تجاه التكتلات الاستعمارية على الاقل ، ولكن هذه اذ تتكتل رعاية لمصالح مشتركة محددة المعالم فان الذي يربط بين دول العالم الثالث هو التشابه في واقع الحال وقليل منها هو الذي تعدى هذا المفهوم فحدد المصالح المشتركة فيما بينها في صورة ايجابية واضحة فاذا ما تجمعت كانت العاطفة اغلب على تصرفاتها من التفكير الهادىء الرزين القادر وحده على ان يقودها الى التخطيط المشترك ولذا فاننا نراها تهب وقد اتقدت مشاعرها اذا ما وقع اعتداء صارخ على بلد شقيق ، ولكن سرعان ما تتراخى عن المضي في تنفيذ ما تكون قد اجمعت عليه ، وقد انجذبت كل منها الى دوامة مشاكلها الخاصة ، التي تختلف اختلافا كبيرا من بلد الى آخر تبعا لاختلاف الظروف والاحوال كما سبق واشرنا .

ما هي اذن تلك الروابط التي تجمع بين شعوب العالم الثالث ؟ وما هي المتناقضات التي تحول بينها وبين التعاون الايجابي ؟ ثم ماهي الاخطار المتربصة بها جميعا ، أو تلك التي خطط لها ان تتصيدها شعبا بعد آخر ، كما يبدو واضحا من اتجاه الاحداث مؤخرا ؟ .

أبرز العوامل المؤثرة هو ان شعوب العالم الثالث خضعت للاستعمار ، بل ما يزال بعضها خاضعا له حتى الان ، فاستنزفت ثرواتها لصالح الدول الرأسمالية الكبرى وفرض عليها التخلف عن ركب الحضارة ، من حيث ثقافتها الفكرية ، وعن ركب التقدم العلمي من حيث مستواها

التكنولوجى ، ولكن درجات تخلفها تلك تتفاوت من بلد لاخر لاسباب عدة .

فمنها دول عريقة ، لم يستطع الاستعمار ان ينال من جذورها الحضارية العميقة ، فهى قادرة باصالة رجالها أن تجمعهم من حولها بعد تحررها فترتفع معهم وبهم الى مستوى تحديات العصر .

ومع ذلك فان بعضا من تلك الدول تشدها الى الماضى نظم اجتماعية بالية مريضة ، اخطرها الفوارق الطبقية الموروثة،وكذلك النزاعات الطائفية أو الدينية ، تقسم الشعب الواحد الى بلاد ، كل عدو لشقيقه لدود ، بل وتقسم الشعب داخل البلد الواحد الى فئات متنافرة أيسر عليها أن تلتقى مع الاجنبى من ان تلتقى مع بعضها البعض ، واشد من ذلك وأنكى ان تبقى فيها حية تلك المعتقدات التى تحول بينها وبين ما يسر لها الله من رزق حلال فيما كان حريا ان يكون ثورة لها حيوانية مثلا فاذا به عبء فادح تنوء به اقتصادياتها .

ثم شعوب اخرى وقع الاستعمار على صميم كيانها ، كما هو الحال فى بعض انحاء افريقيا ، فاصابها بضربات قاصمة ، اذ خطط لها حدودا مصطنعة تفرق الشعب الواحد الى جنسيات عدة وتجمع بين اشتات شعوب مختلفة ، هى فى الاصل متنافرة ، فى اطار واحد ، هؤلاء تفرض عليهم ثقافة اوروبية واحدة واولئك الى ثقافات متباينة ويزيد الاستعمار من ضراوة المتناقضات بأن يبث بارسالياته التبشيرية،لا تدعو الى جوهر التعاليم، بقدر ما تدعو الى معارضة المذهب للمذهب وحقد الدين على الدين .

هنا نقابل ضياع الشخصية ، ثقافيا واجتماعيا اذ يقود الشعوب بعد تحررها قلة من مثقفين نهلوا من مصادر اجنبية، انبتت صلاتهم بجذورهم الاصيلة التى مازال حية فى قلوب جمهرة الشعوب، فعناصر تكوينهم متصارعة داخل نفوسهم دون أن يدروا لذلك سببا ، انهم فى حقيقة امرهم حطام مراحل هدم تعانيها شعوبهم ، يعتقدون أنهم انما خلقوا ليخلفوا المستعمرين فى الحكم ، يتهافتون على مظاهر الابهة التى كان ينعم بها هؤلاء ، وكأنما هى عناصر القيادة الاصيلة ، ولكنهم فى حقيقة امرهم يحيطون انفسهم بسياج عازل فينفصلون انفصالا تاما عن تلك الشعوب ، اللهم الا فى بعض حالات تمكن فيها الزعماء من ان يغوصوا الى اعماق شخصيتهم ، فيحددوا لانفسهم مكانتهم الحقة ولا يصيبهم الغرور ، فيعرفوا انهم مجرد جيل انتقالى ، رسالته الاساسية ، كما يقول **سيكوتورى** ، ان يمهد للاجيال القادمة التى سوف يكون على يدها انطلاق الشعوب الى رحاب المستقبل .

وفى **افريقيا** ايضا ، بعض من بلاد شاء لها سوء الحظ ان تكون معتدلة الاجواء ، فاجتذبت آلاف المهاجرين من البلاد الاستعمارية ، يفدون عليها بغية الاستيطان ، فيضيقون على سكانها الاصليين ويطاردونهم اينما حلوا ، يودون لو استأصلوا شأفتهم ، فلا يجد هؤلاء من سبيل الا رفض كل جديد ، حيث انهم لم يعرفوا الجديد الا مرتبطا بذلك الخطر الداهم الذى يتهدد وجودهم نفسه ، فيكون الارتداد كليا الى الماضى السحيق، حتى وان كان بعض منهم قد اصاب من ثقافة اوربية ، بل ربما كان هؤلاء النفر اقدر حينئذ على تولى زعامتهم فهم ادرى باساليب العدو الذى يمسك بخناقهم ، فاذا تفجرت ثورتهم على الاستعمار كان قوامها المعتقدات ، عميقة الجذور ، كما حدث فى كينيا ابان ثورة الماوماو .

وفى العالم الجديد عالم الهجرات والتهجير المفروض ، خليط من سكان اصليين تزووا الى أعالى من جبال تعصمهم أو دفع بهم الى احقر الاعمال وأدناها ، وجموع من سلالات الرقيق الذين اجتلبوا ، خلال عصور المد الاستعمارى، اذ كانوا اقدر على احتمال ماسخروا له من اعمال مضنية ، يساق بهم تحت لهيب السياط الى مناجم المعادن الثمينة تتخم بها خزائن الدول المستعمرة ، أو الى انشاء الضياع الشاسعة وقفا على الحكام الذين ارسلوا للاشراف عليهم ، والمغامرين الذين هرعوا الى الكسب السريع الرخيص وقد تحولوا بعد الاستقلال الى ارستقراطية حاكمة مترفعة ، يسرت لها التقاليد التى ابتدعوها الاحتفاظ عن طريق نفر من ابنائهم بالسيطرة على مقاليد القوات العسكرية التى انشئت محليا ، حتى اصبحت الانقلابات المتكررة لعبتها وتسليتها ، اللهم الا اذا استثنينا القليل من تلك الدول التى سار بها الكفاح الى وهج من روح قومية فصارت الى تماسك واندماج بين تلك السلالات المتباينة ، ولكن قبالة هذا نرى فى تلك البلاد انضآلة الكثافة السكانية بالقياس الى غناء الموارد والامكانيات، تخلق فيهم روحا من سماحة أو عدم اكتراث تجاه احتكارات الاستعمار الجديد ، تنبث بين ربوعها ، دون تقدير سليم من جانبهم لما تنطوى عليه من اخطار على اقتصادياتهم ، بل ربما قوبلت بالترحيب من بعض الاوساط لما تغمر به الاسواق من انتاج متقن ولما تقدمه لهم من عائد يبدو ضخما بالقياس الى دخلهم القومى وان لم يتعد فى حقيقته الفتات من جمهرة الارباح المستنزفة الى جيوب الراسماليين العتاة .

ويتضح لنا من هذا العرض السريع ان شعوب العالم الثالث وان جمع بينها الشعور برفض الاستعمار ، احساسا عميقا منهم بانه ارتبط بشكل ما باعراض التخلف التى اصابتهم جميعا ، الا ان ظروفهم تختلف اذا اختلف واقعها

حين دهمها الاستعمار ، كما اختلف وقع الاستعمار عليها وتباينت صوره فتباينت بالتالي اوضاعها تجاهه من حيث تأثرها به ومن ثم نظرتها اليه .

انها جميعا ترفض الاستعمار ، أو نقول انها ترفض صورته السافرة على الاقل ، تطلعا الى التغلب على تخلفها المروع ، ولكنها تختلف اذ تبحث عن طريقها الى ذلك الهدف السامي ، فمنها من يرى ان الطريق انما هو الثورة الجذرية ، اعتمادا كليا على امكانياتها البشرية والمادية تعبئها تعبئة شاملة في نمط اجتماعي وسياسي جديد ، لامحل فيه لاستغلال يعوق الانطلاق ، بل تعاون وثيق بين افراد الشعب جميعا فيه التزام بالواجبات لصالح المجموع دون ماتعدى على حقوق الفرد ، لا يتأتى الوصول اليه الا في ظل من حرية المواطن ينتظمها التخطيط الاشتراكي المنبثق من واقع الوطن وامكانياته ، مع الحفاظ على حرية الوطن من كل سيطرة اجنبية أو ارتباط بصراع الكتل والا انحدرت ببلادها مرة اخرى الى مناطق النفوذ ، انها ترفض الاستعمار ونظمه الراسمالية التي لاتقوم الا على الاستغلال وان تسترت خلف واجهات من ديموقراطية ، اريد بها في حقيقتها خدمة طبقات معينة ، انها تعتنق الاشتراكية ، ولكنها ترفض الانخراط في المعسكر الشيوعي ، فاشتراكيتها منبثقة من صميم واقعها بقيمه الروحية والثقافية، واشتراكيتها ترتكز على واقع من امكانياتها دون ان تنخرط بها الى تخطيطات هي في خدمة التكتلات الاقتصادية والعسكرية التي خلقها المعسكر الاشتراكي في مواجهة التكتلات الراسمالية ، ولكنها في الوقت نفسه تفتح ابوابها للتعاون المثمر غير المشروط مع الجانبين ، وصولا الى تقدمها الوطني والى فجر تؤمن به سوف يسطع على البشرية جمعاء .

ولكن هل هذا هو حال شعوب العالم الثالث الاخرى ؟ . انها جميعا تبحث عن الطريق وسط ظروف قاسية بينما يجرى بها الزمن ، فالتقدم العلمي المذهل يقفز بالدول الصناعية الكبرى ، رأسمالية كانت أم شيوعية ، الى مزيد من غناء وقوة بينما تركت هي الى اقتصاديات هزيلة ، قوامها في اغلب الاحيان محصول واحد من مواد اولية، تتحكم الاسواق العالمية والشركات الاحتكارية في تصريفه ، ثم في سعره اذا تيسر التصريف ، دول العالم الثالث اذن في سباق متوتر الاعصاب مع الزمن ، نجاتها تتوقف آخر الامر على ثروتها البشرية وقدرات ابنائها على البناء والانتاج ، ولكنها في كل بلد تختلف عن الاخرى من حيث تركيبها الاجتماعي ومستواها العلمي والثقافي وعليها ان تغوص الى اعماق تلك النفوس فتصهرها الى وحدة فكرية قادرة على ان تجمع بينها حول وحدة من هدف ، أو على الاقل حول وحدة من عمل .

وهنا تكون في موقع افضل بين شعوب العالم الثالث ، تلك التي كانت تستند الى حضارة عريقة ووعي متقدم ، ثم صهرها النضال في سبيل التحرر من ربقة الاستعمار ، تلك التي نالت حريتها بفضل كفاح متصل انتظم الجماهير فانبثق من بين صفوفها ضمير قومي الف بينهم جميعا ، اما تلك التي جاءها الاستقلال عفوا نتيجة لظروف دولية خارجية ، أو تفضلا من الدول الاستعمارية تسارع به اليها في صورة واجهة زائفة من طبقة حاكمة عميلة فتخدع الشعوب عن مواصلة النضال وتركد الى كيانها الاجتماعي المتخلف ، فيتيسر بذلك للاستعمار المضى في استغلال موارد البلاد تحت اقنعة جديدة .

وسيلة الشعوب الى التحرر اذن هي عامل آخر مؤثر ، يؤدى الى اختلاف الاوضاع فيما بينها بل ان الاوضاع تختلف ايضا في تلك الدول التي نالت استقلالها عن طريق الكفاح ، فانها وان تآلفت قلوبها حول ضمير قومي متأجج المشاعر ، الا انه قليلا ماتنجح اذا مااستقلت وآتى وقت البحث عن الطريق ان تتفق طوائفها فكريا عن المنهاج ، وخاصة اذا كان مثقفوها قد نهلوا من مصادر عدة متضاربة العقائد .

فمنها تلك التي اتحدت طوائفها في معركة التحرير ثم اذا بها قد انقسمت حين كان الاستقلال الى يمين ويسار ، فلا يرى الزعيم الا الموازنة بينهما حفاظا على الاستقرار الداخلي ، الى حين قد يطول امده ، فتنقلب الموازنة ، والتي تحمل دوما في طياتها جرثومة الانفجار ، الى موقف مستحكم يعوق تكوين الطليعة التي يمكنها ان تكون النواة الحقيقية للوحدة الفكرية ، أو أن يكون الشعب متخلفا تخلفا مروعا فكريا وثقافيا ، لا تزال تشده الى الماضي انماط اجتماعية قبلية ،فيرى الزعيم الا محل في سباقه مع الزمن ، للانتظار حتى يرتقي بوعيهم فيجدوا طريقهم ، بل يفرض عليهم تلك الاوضاع التي تخيلها صالحة لهم ، ثم يسوقهم الى العمل سوقا ويعنف بهم اشد العنف ، فلا يرون آخر الامر الا ان الاستقلال وقع بهم الى سخرة اشد وأنكى من السخرة التي كان يفرضها عليهم المستعمر اذ يعجز وعيهم المتخلف عن ادراك الهدف منها،اما انصاف المثقفين الذين نعموا بميزات مادية ومعنوية في الاجهزة الادارية أو الفنية أو العسكرية حين كان استعمار ، فاذا بهم مطالبون اليوم بالتضحية في سبيل صالح عام لا يرون له تباشير فجر قريب .

والاحداث امامنا تعطينا الامثلة لما يمكن ان

تتمخض عنه الاحداث في هذا البلد او ذاك ، فان الزعيم هنا أو هناك يجد نفسه مضطرا آخر الامر الى التغطية على مشاكله الداخلية ، فيجذب الانتباهات الى المحيط الخارجي ، يغالي فيها حتى ليكاد يناطح سحب الخيال ، منفصلا بذلك عن الواقع الحي ، ويضيق بكل نصيحة صادقة او مراجعة مخلصة من اقرب اعوانه فيرميهم بالخيانة ويطيح بهم ، تاركا بذلك الفرصة سانحة لتسلل المنافقين والمتزلفين ، يحيطون به حتى لا يرى الا انه رائد القوى الثورية الصاعدة في كل مكان وزمان ، او مسيح قارة باكملها ، اصطفاه القدر ليجمعها الى دولة واحدة ؛ وفي كلتا الحالتين تتحول المتناقضات الداخلية وقد اهملها ، مرتعا لمؤامرات الاستعمار ، فيقع الانفجار او يتيسر للعملاء تأليب الموقف على مصالح الشعوب الى سلسلة متصلة من نكسات .

ثم هناك ، وما اكثر الصور التي تقابلنا ، دول رأت بحق ان الاستعمار هو ذروة الراسمالية ، وانهم لم يعرفوا الراسمالية في بلادهم الا قائمة بسند من الاستعمار ، فيتجهون بكل قوة الى الاشتراكية لا يحاولون البحث عن صورتها وتطبيقاتها التي تلائم اوضاعهم ، وانما يجاوزونها ، دون درس او تريث ، الى المعسكر الشيوعي ، فتجربته حية امامهم ، يقبلون عليها بقضها وقضيضها ، هل اقول عن ايمان ، أم هو عناد يعميهم عن واقعهم ، نكاية بالمعسكر الراسمالي ليس الا ، وهذه حال بالغة الخطورة على مستقبل العالم الثالث ، خاصة اذا كانت الدولة التي تنهج مثل هذا المسلك تقف وحيدة على مشارف مناطق نفوذ استعماري مقيم ، كان حريا ان تصير الى مثل يحتذى لشعوب تلك المناطق المتطلعة الى التحرر من ربقة الاستعمار الجديد ، فتصدم في آمالها ، اذ يعمد خصومها الى تصوير أن رائدتها الى الحرية انما نجت من تبعيته لتقع فريسة تبعية أخرى ، وخاصة اذا كانت قيمها الروحية المتأصلة فيها لا تستسيغ بعضا من مفاهيم الاشتراكية الشيوعية .

أما تلك الشعوب التي نالت استقلالها عفوا او اضيفت عليها واجهاته الزائفة قبل ان ترقى بكفاحها الى مستواه ، فانها في الاغلب والاعم خاضعة لحكومات عميلة أو تسيطر عليها طبقة مثقفة قصيرة النظر ، يبهرها التقدم العلمي والتكنولوجي للدول الاستعمارية فترى انها انما تخلفت لان تلك سبقتها ، وان طريقها الى التقدم هو نفس الطريق وليس مايمنع ، بل انه يتحتم عليها ألا ترفض العون منه ، بل تلح في طلبه بقيوده وشروطه ، يغريهم بريق خادع من ثروة وسلطان ، بينما الاستعمار ماض كما كان في استغلال موارد شعوبهم ، وسرعان ماترتفع الحواجز بين تلك الطبقات الحاكمة وبين الشعوب اذ يتفتح وعيها ، فلا مفر امامهم من بذل مزيد من ولاء وتبعية لاسيادهم المستعمرين ، على ان تكون القواعد العسكرية والاحتكارات الاقتصادية حماية لهم وضمانا لاستمرار بقائهم حيث العروش والقصور والسطوة الكاذبة .

ذاك هو العالم الثالث ، صورة تعددت فيها الخطوط وتشابكت متصادمة في الوانها الصارخة ، ملتحمة في منعطفاتها الى تطلعات بعيدة عن واقعها المرير ، ومن حولها يقف الاستعمار طامعا متربصا متشبثا بمواقعه القديمة أينما تكون .

انه لميبال بها حين تجمعت اول ما تجمعت في باندونج ، وأي تجمع كان هذا ؟ قلة قليلة من حكومات لا تمثل جمهرة تلك الشعوب ، ومن بين تلك الحكومات عدد مرتبط به في تكتلاته العسكرية وفي مواقع احتكاراته ، حرى بأن يدفع عنها وان يدافع في سبيلها . ولكن باندونج كانت الجذوة التي الهبت مشاعر جميع الشعوب المستضعفة ، اذ ترددت اصداء ما القي من كلمات في ذلك الاجتماع الى انحاء العالم جميعا ، وطارت القرارات عبر الفواصل والحدود فنفذت الى القلوب ، وتحركت بعض من دول باندونج الى ميادين العمل الجدي تنادي بالحرية والتحرر ، وبالقضاء على الاستعمار ، وان السبيل هو الاشتراكية في الداخل وعدم الانحياز في الخارج .

وكان الجو الدولي واحتمالاته قد يسر السبيل لالتقاء القوى التحررية في العالم اجمع بفضل التقدم العلمي المذهل الذي اسقط الحواجز التي كانت تفصل ما بين الامم فعليا وفكريا ، كما حقق لها ظهور المعسكر الشيوعي في مواجهة المعسكر الراسمالي ، حرية من حركة ، وقدرة على مجابهة القوى المادية المستغلة ، بقوى معنوية قادرة على التعبير عما يختلج في قلوب تلك الشعوب من منابر اللقاءات الدولية في الامم المتحدة وغيرها ثم من عواصمها هي اثناء لقاءاتها فيما بينها ، غير منحازة كانت أم افريقية ، اقتصادية أم فنية ، الى غير ذلك فأصبح لصوتها ثقل يعتد به في تشكيل وتطوير الضمير العالمي .

ووقف الاستعمار مشدوها امام هذه التطورات المذهلة ، في حيرة من امره الى حين ، ثم استجمع قواه وازمع ، وقد شعر كما شعر غيره ان القاهرة هي ، كماسبق واشرنا ، القلب والعصب من شعوب العالم جميعا ، فكانت مغامرة السويس ، باء منها بالفشل مدحورا ، وبدا ان قبضته تتراخى وان ارادته تسلم وتستسلم ، حين بدأ يحمل عصاه فيرحل عن بلد اثر آخر واقليم بعد اقليم .

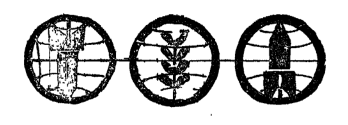
وهذه كانت خديعته الكبرى ، فهو انما يلقى بتلك الواجهاتمن استقلال زائف، تخديرا للشعوب عن مواصلة كفاحها ، ومنعا لفئاتها الاجتماعية التى نفر بينها فى الماضى من ان تلتحم الى مستوى الوحدة القومية الحقة ، ثم تسترا خلف اجهزة ادارية او عسكرية عميلة حفاظا على مصالحه الاحتكارية المتمكنة من اقتصاديات تلك البلاد .

واذا بالفرصة تواتيه مؤخرا اذ يتشقق المعسكر الشيوعى هو الاخر «الى شرق وغرب» بينما يكون الاستعمار قد نجح الى حد ما فى التسوية بين تضارب مصالحه ويعود الى سياسة الضغط العنيف دون مواربة ، بل والى سياسة القوة السافرة والى استغلال المتناقضات داخل شعوب العالم الثالث فى سلسلة متصلة من انقلابات وخاصة فى افريقيا ، أو مخططات لتكتلات رجعية ترمى الى تفتيت الاجنحة وتطويق القلب كما هو حاله بالنسبة لحلف اسلامى مزعوم ، الدين الحنيف منه براء .

هل الصورة التى قدمت يا ترى قاتمة معتمة ؟ ربما تكون فقد اردت الى ابراز المصاعب والاخطار التى تتهدد شعوب العالم الثالث بعد ان كثر الحديث عن حتمية التاريخ ، وكأنما فجر الخلاص سوف يشرق عليها وان اخلدت الى التواكل والانتظار المريض .

انما حتمية التاريخ فى انتظارنا ، اذا سعت شعوب العالم الثالث فى جد الى تحرير المواطن والى تحرير الوطن فى اطار كل منها ، بالقضاء على الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل واذا تعاونت وتآزرت فيما بينها بكل اخلاص ، واذا كان الاستعمار يخطط لاستمرار سيطرته على نطاق عالى ، فان محاربته تقتضى من شعوب العالم الثالث التضافر على اساس من تخطيط شامل، فتمضي بوعى متزايد متعمقة فى فهم امكانياتها المادية والروحية ، تجمعها فى اطار من اشتراكية واعية منبثقة من واقعها،تذيب الفوارق بين طبقاتها الى وحدة من عمل ثورى متصل ، تلتقى به مع شقيقاتها فى تعاون واضح المعالم وثيق الحلقات .

أردت اذن ان أبين أن الطريق امامنا شاق طويل ، وانه لا يكفينا ان تقف الشعوب الى جانب بعضها البعض بآمالها واحلامها ، وانما نحن فى حاجة الى سواعدها ايضا ، ثم أعود وأقول ان حتمية التاريخ ليست شمسا تدور فى فلك مرسوم وان مآلها الى اشراق ، وانما هى فى انتظارنا حتما الى حيث ندور بعالمنا على فلك من صنعنا وان الفجر لقريب لمن يجد ويسعى .



الانقلابات
والطريق إلى سد الثغرات
فى الجبهة الافريقية التحررية

ميشيل كامل

بدأت سلسلة الانقلابات التى اجتاحت القارة الافريقية بالمحاولة الفاشلة فى **بوروندى** فى ١٨ اكتوبر ١٩٦٥ تبعتها « عمليات ناجحة » فى **الكونجو** — ليوبولدفيل — فى ٢٥ نوفمبر بقيادة الجنرال موبوتو ، وفى **داهومى** بقيادة الجنرال سوجلو .

وفى مستهل العام الحالى سقطت ثلاث جمهوريات فى خلال نصف شهر ، وهى **وسط افريقيا وفولتا العليا ونيجيريا** ، وذلك على ايدى العسكريين ايضا . وفى ٢٤ فبراير سقطت الحكومة الشرعية فى **غانا** عندما استولت عناصر من الجيش على السلطة . وتواترت انباء من مؤامرات تدبر فى **اوغندا وكينيا** وغيرها من البلاد الافريقية كشفت عنها السلطات المسئولة فى هذه البلدان .

ولو اننا اعتبرنا اعلان الاستقلال من جانب الاقلية العنصرية البيضاء فى **روديسيا** فى ١١ نوفمبر الماضى من قبيل الحركات الانقلابية ، لاصبح لدينا ٧ انقلابات ناجحة وانقلاب فاشل ، وعديد من المؤامرات الانقلابية تهدد استقرار وأمن شعوبا اخرى فى فترة لاتتجاوز اربعة اشهر وفى منطقة محددة بوسط وغرب القارة .

هذا التوقيت الزمنى والتقارب المكانى ، وتسلسل الانقلابات من بلاد اسلس قيادا لحصار تلك التى تمثل مركز اشعاع للحركة الافريقية الثورية الواحدة ، وطبيعة الحكومات التى اسقطت والقوى التى اطاحت بها واحتلت مواقعها ، تشير جميعها الى اليد الخفية التى تحركها . فمن تحصيل الحاصل اذن ان نقتفى اثر الخيوط التى تلتقى فى لندن وواشنطون او نعدد المصالح الاستعمارية فى

القارة ، ونحسب الارباح الطائلة التى تجنيها الاحتكارات من استثمار ثروات شعوبها (١) . ولايكفى ان نلقى باللوم على الاستعمار دون تحديد لمسئولياتنا نحن الافارقة والبحث عن الثغرات فى جبهتنا الداخلية ، فالاجدى من ذلك كله ان نطرح على بساط البحث التساؤلات العديدة التى تؤرق جميع القوى الثورية :

● السبب فى أن الحكومات الشرعية تتهاوى امام الحركات الانقلابية بمثل هذه السرعة واليسر دون مقاومة تذكر من جانب القوى الشعبية والتنظيمات السياسية وانصار النظام المعتدى عليه ؟

والاهم من ذلك ..

● ما هى العناصر الداخلية والعوامل المحلية السياسية والاجتماعية والفكرية ، التى تعتمد عليها القوى الانقلابية فى حركتها المضادة ، والتى تتيح لها الانتصار دون جهد كبير ؟

الطبيعة المغـامرة للرأسمالية المحليـة

من العلامات البارزة فى الحياة السياسية للبلاد الافريقية حديثة التحرر ، قيام المثقفين ـــ النخبة Elite ـــ بدور رئيسى فى الحركة الوطنية والتنظيمات الحزبية والاجهزة التنفيذية . وترجع هذه الظاهرة الى تطرف السياسة الاستعمارية التى توخت تحريم التعليم او سمحت به فى اضيق الحدود ، وحرصت على احتكار الامساك بجميع مقاليد السلطة بين أيديها ، بتشغيل ابناء جلدتها فى ادارة شئون البلاد . وقد بلغ الافتقار الى الكادرات السياسية والفنية والادارية الحد الذى جعل هذه الدول تستعين بالطلبة لشغل المراكز الرئيسة الشاغرة بعد حصولها على الاستقلال .

وبروز دور المثقفين يعود ايضا الى ضعف الراسمالية الافريقية وعدم تبلورها كطبقة لها وزنها ، أو قدرتها على قيادة الحركة الوطنية فى عدد كبير من بلاد أفريقيا (٢) ، فعقدت قيادة هذه الحركة للمثقفين وبعض العناصر العمالية .

وافراد «النخبة» يحصلون ثقافتهم على ايدى المبشرين فى المدارس والمعاهد الاجنبية او فى البلد الاستعمارى «الام» ،حيث يلقمون التعاليم الراسمالية طبقا للمناهج الغربية والفلسفة الفردية ومن ثم يعقدون صلات فكرية وثيقة مع الغرب .

الا ان هـذا لايعنى بالضرورة رسـوخ تلك الافكار والمفاهيم والنوازع فى تكوينهم النفسى والعقلى ، خاصة اذا خاضوا معارك حقيقية فى مرحلة تأجج الحركة الوطنية وخالطوا جماهير شعوبهم واندمجوا فى الجموع .ولذلك فان المثقفين فى المناطق التى خاضت كفاحا تحرريا عنيفا يرتبطون بالقاعدة الشعبية وتندثر الهياكل الفكرية المستمدة من الثقافة الغربية الرأسمالية ، ويصدق تعبيرهم عن روح الشعب وتأثرهم بالفكر الجماعى .

وعندما ادرك الاستعمار أن من مصلحته الرحيل بصفته الرسمية عن مستعمراته،بعد ان تكشفت له حقيقة ان الجماهير اذا دخلت ميدان النضال الوطنى لا تتوقف عن حد الاستقلال السياسى راح يبحث عن سماسرة يمكن التعامل معهم ، يقبلون الحلول الوسط والعودة من منتصف الطريق ، **ويعمل الاستعمار جاهدا على خلق فئة تصلح كقاعدة لاختيار الطريق الراسمالى،فيسلمها مقاليد الامور.**

وسرعان ماتلتقى حول «الحل الوسط» مصالح الاستعماريين وبعض المثقفين وعناصر من الراسمالية المحلية والمشتغلين بالسياسة ، ومعظمهم افراد هذه الفئة المسماة بالنخبة .

هؤلاء يكتسبون صفات وخصائص الراسمالية النامية فى الظروف الخاصة بمجتمعاتهم ، التى لم تظهر بها الراسمالية بعد ، او هى فى دور التكوين .. ضعيفة مفككة . وبعد الحصول على الاستقلال تتفتح أمامهم فرص الاثراء وجمع الثروات الطائلة واحتلال مواقع الاجنبى والاستحواذ على امتيازاته ، وذلك فى غيبة القوى الطبقية الواعية الرادعة لهذه الاتجاهات الفردية والتطلعات الراسمالية ، مما يضاعف الاغراء على الوقوع فى مزالق النفعية،والانفصال عن الشعب ومراعاة المصلحة الذاتية على حساب الجماهير العاملة .

ولا شك ان جانبا من دوافع النضال الوطنى عند بعض المثقفين فى البلاد النامية ـــ وهو الجانب الذى يبرز الى المقدمة بعد الاستقلال ـــ يتضمن احتلال المراكز التى يشغلها الاستعماريون ورجال السلطة الاستعمارية والحصول على

---

(١) ١٠٪ من الماس ، ٨١٪ من الكوبالت ، ٦٢٪ من البلاتين ، ٧٠٪ من الذهب ، ٥٠٪ من المغنسيوم والكروم ، ٣٦٪ من المنجنيز ، وثلث الانتيمونى والفوسفات ، ٢٧٪ من النحاس وثلثى زيت النخيل والسيسال والكاكاو ، و٤٥٪ من القلين فى العالم أجمع .

(٢) ينصب تحليلنا هنا بالدرجة الاولى على البلاد الاكثر تخلفا فى العالم الثالث .

مرتباتهم الكبيرة ، خاصة وان معظمهم كان مكبوتا بحكم احتكار الاجنبى للمناصب الكبرى الى جانب المعاملة المجحفة للوطنى والفروق البارزة فى الاجور بينه وبين الرجل الابيض مقابل العمل الواحد .

ليس من الغريب اذن ان نشهد التكالب على المناصب والتنازع على السلطة والصراع حول الميراث الذى تركه الحكم الاستعمارى المباشر فى صورة مراكز ومناصب عديدة مرتفعة الاجر شاغرة . ولذلك نجد ان ٦٠٪ من الدخل القومى **لداهومى** يذهب الى طائفة الموظفين ، وان **الجابون** وعدد سكانها لايتجاوز نصف مليون تقيم برلمانا من ٦٥ عضوا يتقاضون مرتبات مرتفعة تستقطع جزءا رئيسيا من ميزانيتها . وتبلغ الامتيازات شبه الطبقية لموظفى ونواب البلاد الحديثة حدا مذهلا ، فيبلغ اجر العامل ٧٠٠ فرنك مقابل ١٦٥٠٠٠ فرنك تدفع كمكافاة لعضو مجلس النواب ، حتى لقد وصف **رينيه ديمون** ، الذى اورد هذه الارقام فى كتابه «بداية سيئة فى افريقيا السوداء» وصف هذا التناقض المذهل — عن حق — بانه « **الطابع التعسفى للاجور** » .

وقد بدانا بالحديث عن المثقفين بسبب الدور الخطير الذى يقومون به فى الحياة السياسية بالبلاد النامية ، وبحكم ارتباطهم الوثيق وانتمائهم المباشر للراسمالية المحلية . ولانهم هم نواة الطبقة الراسمالية الجديده فى ظل الظروف الخاصة بالبلاد النامية الاكثر تخلفا .

لكن .. ماذا عن الراسمالية المحلية .

من المتفق عليه ان الطريق التقليدى للنمو الراسمالى امام البورجوازية الوطنية طريق مظلم ومغلق .

ويترتب على هذا الوضع ان تتبلور اتجاهات **القيادة السياسية فى مسلكين :**

الاول يتجه الى نبذ الطريق الراسمالى والانتقال من المرحلة الوطنية الى الثورة الاجتماعية والعمل على بناء قاعدة الاقتصاد القومى على غير اساس راسمالى تمهيدا لسلوك طريق الاشتراكية .. وهو الطريق الذى سلكه المثقفون الثوريون فى بلاد مثل غانا وغينيا ومالى والكونجو برازافيل وتنزانيا ، من القادة الذين وضعوا نصب اعينهم مصالح بلادهم فى الظروف الدولية النضالية المعاصرة وتخلصوا من فكريات ومصالح الراسمالية وتحالفوا مع العمال والفلاحين .

اما **المسلك الثانى** .. فهو الذى يفرخ اعوان الاستعمار ويؤجج روح المغامرة والتامر .. طريق النمو الراسمالى .

والراسمالية المحلية فى البلاد النامية ، اذ تدرك ان طريق التطور الراسمالى مسدود امامها تخشى استثمار اموالها فى الصناعات المحلية ، فهى غير قادرة على المنافسة . وحتى فى حالة فرضها للقيود الجمركية حماية للانتاج الوطنى ، فان السوق المحلى ، محدود ضيق ، غير قادر على امتصاص الانتاج بسبب سيادة اقتصاد الاكتفاء الذاتى فى معظم بقاع هذه البلاد . وهى اذا حاولت الخروج من اطار السوق المحلى الى الخارج لتصدير منتجاتها فسوف تواجه بمنافسة قاتلة . ولذلك تلجا الراسمالية الى اسهل السبل و «اهون الضررين» النشاط التجارى والزراعى والمضاربة، الى جانب **استثمار اموالها فى الصناعات والمشروعات الاوربية .**

فالراسمالية فى ظل هذه الاوضاع لاتقوم بدور فعال فى تطوير الانتاج الوطنى ، بل انها لاتقوم بنشاط انتاجى الا فى حدود القطاع الزراعى ، فطبيعتها الطفيلية هى الغالبة . والجانب الطفيلى (الاستيلاء على القيمة الفائضة من القوى العاملة) امر يمكن اغتفاره مقابل الجوانب الايجابية التى تتمثل فى الاسهام فى عملية تطوير الانتاج وتقدمه . اما اذا تضخم الجانب الطفيلى — السلبى — وانكمش الجانب الايجابى ، فانه يبلغ حدا لايجوز معه التسامح او الغفران ، لانها تفقد طابعها التقدمى .

وقد اعتمدت الراسمالية فى اوربا على النهب الاستعمارى وسلب ثروات الشعوب المتخلفة، من اجل تحقيق تراكم راسمالى . فعلى اى شىء تعتمد الراسمالية المحلية فى افريقيا . وخاصة فى البلاد الاكثر تخلفا ، لتحقق تراكما راسماليا وارباحا راسمالية ؟ .

السبيل الوحيد هو الطريق الطفيلى .. النهب والسرقه ، الرشوة والابتزاز والاختلاس .

لكن راس المال وحده لايكفى للسير فى هذا الطريق ، بل لابد من الاستحواذ على السلطة .. سلطة الدولة ، حتى يتمكنوا من تقنين النهب وتشريع السرقة .

انهم ينظمون نهب الموارد القومية ، ويحققون الثراء عن طريق الصفقات والسرقات الشرعية بالاشراف على التصدير والاستيراد ، والمضاربة فى التجارة ، وفى السوق السوداء ، ونهب المعونات الاجنبية التى يدفعها الاستعمار كرشوة مقابل تسلم الشطر الاكثر من الثروة القومية (٣) .

---

(٣) بلغت السرقات التى اكتشفت فى الكاميرون ١٠ ٪ من ميزانية الدولة (هذا غير ما لم يكتشف منها) — المصدر : كتاب رينيه ديمون الذى سبقت الاشارة اليه .

السلطة اذن فى نفس مستوى اهمية راس المال، بل انها اكثر اهمية منه ، فهى السبيل اليه .

ان المنافسات الراسمالية بكل بشاعتها، وشراسة الاحتكارات التى لاتتورع عن استخدام احط الاساليب للتخلص من منافساتها ، نجدها فى البلاد النامية تدور حول **الصراع علي السلطة** .. تــدبير الانقلابات لافتراس الانظمة التقدمية والشعبية ، والعمل علي الاطاحة بها بالتامر مع دوائر المخابرات الاستعمارية ، بل واسقاط الانظمة المحافظة نسبيا لاستبدالها بحكومات اكثر رجعية .

العـلاقات القبلية والوحـدة الوطنية

وتخلف الاوضـاع الاجتماعية وسيادة الروح القبلية وانتشار العادات والمفاهيم البدائيـة والخرافات ، مرتع خصب للقوى الاستعماريـة والانقلابية .. البعثرة الفكرية وتشعب التقاليد والعادات وتمزق الشخصية الوطنية بين عناصر متداخلة من كافة الصور المعروفة للمجتمعـات التى مرت بها البشرية .. من بقايا المشاعة البدائية والعبودية والاقطاع والراسمالية .. كلها اشكال ضعيفة لم تتبلور بعد فى صورة يتشكل بها المجتمع ككل .. لم تتحدد المعالم الطبقية بصورتها المعهودة فى المجتمعات التقليدية ، ولم تتبلور فكرياتها فى تيارات واضحة محددة .

وهو وضع يرجع الى عرقلة الاستعمار لعجلة النمو الطبيعى لهذه المجتمعات بالاضافة الـى سياسة **البلقنة** والتقسيم التعسفى لاشلاء القارة بين الدول الامبريالية دون ان تاخذ فى اعتبارها التجمعات السكانية المتجانسة او الترابط الاقتصادى وقد تاخر تكوين الامة الواحدة نتيجة ضعف الراسمالية المحلية وسيادة اقتصاد الاكتفاء الذاتى لا الانتاج من اجل السوق والشكل الاستعمارى لخطوط المواصلات ، فهى لاتربط بين اجزاء البلد الواحد بل تسب كلها نحو المحيط لنقل المواد الاوليـة المنهوبة الى خارج القارة .

وهذا بدوره يجعل الروابط القبلية اقوى من الرباط الوطنى ، والاحساس بالانتماء الى العشيرة اكثر من التعلق بالامة فى مجموعهـا ، والتمسك بالمصالح القبليـة اقرب الى النفس من الوحـدة الوطنية وتقبل الخضوع لرئيس القبيلة او الزعيم القبلى ايسر من الالتزام بالسلطة المركزية للدولة.

ويلعب الاستعمار على هذا الوتر ، ويغذى هذه الاتجاهات التى تتفاقم بسبب لجوء المهيمنين على السلطة الى الاستعانة بعدد كبير من اعوانهم وانصارهم من افراد قبيلتهم والمنتمين الى عشيرتهم مما يؤجج روح العداوة بين القبائل والصراع فيما بينها على السلطة ، ويفرخ عناصر الانقلاب.

وقد لعبت النزاعات القبلية دورا بارزا فى الانقلابات فى **داهومى** فهناك ثلاثة قبائل رئيسية يتصارع قادتها حول السلطة ، ويستغل الاستعمار هذه العداوات لمصلحته . وقد كشف الانقلاب الاخير فى **نيجيريا** عن النجاح فى استخدام الصراع بين **الهوسا** فى الاقليم الشمالى **واليوروبا والايبو** فى الاقليمين الغربى والشرقى .

الدولة والقوات المسلحة

ومن الصعوبات الرئيسية التى تواجه البلاد النامية ، مشكلة تكوين جهاز الدولة الجديد ، مع الافتقار الى الكادر الادارى والفنى والى الخبرة بادارته وتنظيمه ، والعجز عن تشكيله فى صورة تتمشى مع المهام الموكولة اليه . ونتيجة لهذا النقص تضطر القيادات الجديدة الى الاستعانة بكل المتعلمين والمثقفين الذين تشربوا الفكر الغربى والموظفين الذين عملوا تحت امرة السلطات الاجنبية فاكتسبوا اساليبها وعقليتها .

وبسبب ندرة هذه العناصر ، ومن اجل اغرائهم بالعمل وضمان ولائهم تغرقهم القيادة السياسية بالامتيازات وتغدق يدها بالمكاسب، مما يدعم روحها الفردية والنفعية وينمى الاتجاه الى الانعزال عن الجماهير والترفع عن الاختلاط بها ، وتشجع الانحلال والتفسخ الملحوظ بين موظفى الدولة فى عدد من البلاد الافريقية حديثة التحرر .

والتسليم بالاستقـلال الرسمى لعدد كبير من البلاد النامية لايصاحبه انسحاب الموظفين الاجانب فالاستعمار يعمل جاهدا على الابقاء على هؤلاء كضمان مضاعف لحفظ مصالحهم . ومما يساعد على الرضوخ لهذه الخطة ، النقص الشديد الذى تعانيه البلاد حديثة التحرر فى الخبرة الادارية والتنظيمية ، ولذلك نجد الحكومات الجديدة تلجأ الى الاحتفاظ بعدد كبير منهم . ومن الامثلة على ذلك استعانة **سيراليون** بالحاكم العام البريطانى للمستعمرة بعد الاستقلال ، وتعيين رئيس وزراء نيجيريا الســابق ابو بكر باليوا لموظف بريطانى كبير — **بيتر ستالارد** — كسكرتير شخصى له بعد الاستقلال .

وهكذا يحتفظ عدد من الموظفين الاجانب بمراكزهم فى اجهزة الدولة المختلفة ، بل فى المواقع الحساسة منها ، ويعملون على تربية عناصر محلية مؤمنة

بهم وبأساليبهم فى العمل ومنهجهم الفكرى ، ويعرقلون طوال فترة تواجدهم اى سياسة تخدم عملية تدعيم الاستقلال السياسى .

وهناك الخبراء الاجانب الذين يفدون من الولايات المتحدة الامريكية واوربا مع المعونات والمشروعات الغربية ، وهم غير منزهون بطبيعة الحال عن العمل لمصلحة القوى الاستعمارية القديمة التى تستخدمهم .

وهكذا تتحول الاجهزة التنفيذية بحكم طبيعتها الطبقية وقياداتها الرجعية او المحافظة وبقايا النفوذ الغربي ، الفكرى منه او المجسد فى صورة خبراء وموظفين اجانب يتركهم الاستعمار وراءه .. تتحول هذه الاجهزة الى وضع تتناقض فيه مع مصالح الفئات الشعبية العامله او مع التنمية الاقتصادية ، والتقدم بما يتطلبه من تضحيات وتقشف وتفان فى خدمة الشعب .

ان المنهج الفكرى المكتسب من مخالطة الموظفين والخبراء الاجانب ومدارس التعليم الغربية يجعل كبار الوطنيين العاملين فى الجهاز الحكومي ينظرون لكل مشكلة اجتماعية بمنظار ، مجال الرؤية فيه محصور فى اطار المنطق الاستعمارى والعقلية الراسمالية، فمعظمهم ممن كانوا يكونون فئة صغار الموظفين ابان الحكم الاستعمارى . وكانت تطلعاتهم تتلخص فى احتلال مراكز رؤسائهم فى الادارات التى يعملوا بها والاستحواذ على امتيازاتهم . **فلم يكن من اهدافهم تغيير النظام الاجتماعى بل وراثته .**

وهكذا يتم تجمع تلقائى بين فئة من المثقفين الرجعيين والراسمالية المحلية وقطاع من النفعيين الذين نجحوا فى شق طريقهم الى مراكز التاثير الرئيسية فى الجهاز الحكومى وتلتقى مصالحهم واهدافهم فى السيطرة على الحكم والاجهزة لتسخيرها فى خدمة مآربهم وتطلعاتهم الراسمالية .

وحول هذا المعنى يدور حديث **لكوامى نكروما** سجله فى كتاب يستعرض فيه تاريخ حياته (٤) اذ جاء فيه ((**وفيما يتعلق بالخدمات الادارية ، فان الحكومة اذا رسمت سياسة لاتتفق مع راى الموظفين ، يتخذ هؤلاء من التدابير ويستعينوا بالحيلة والخديعة لتحطيم هذه السياسة . وفى أحيان اخرى كنت اجد ان بعض المسائل التى تقتضى السرعة والحزم فى معالجتها تؤجل وتؤخر الى مالا نهاية (لان بعض الموظفين لايقرونها) حتى اضطر الى التدخل وانجاز العمل .. وقد تكرر هذا التصرف بصورة تنفى احتمال ان تكون مجرد صدفة ..))** .

ويضيف : ((**وفى مرحلة معينة كنت واثقا من انه اذا ما حدثت اى حركة ضد الحكومة فسوف تبذل كل المحاولات من جانب اعضاء الخدمة المدنية لتدعيم ومساندة المعارضة ضد الحكومة** .

ثم ينصح بانه : ((**يجب على الحكومة الجديدة — بعد اى ثورة سواء كانت عنيفة ام سلمية — ان تخلص الخدمة المدنية من جميع قادتها القدامى بمجرد حصولها على السلطة . ان خبرتى الذاتية علمتنى ان عدم القيام بهذه المهمة ، يجعل الحكومة تخاطر بكيانها ومصيرها))** .

والاستعماريون يدركون اهمية توثيق علاقاتهم بالقادة الجدد فى جميع المجالات وبصفة خاصة فى جهاز الدولة ..

ولاشك ان اهم موقع فى جهاز الدولة ، هو تنظيمى القوات المسلحه وقوات البوليس . ولذلك يركز الاستعمار بكل ثقله على ان يكون له التاثير والصلات المناسبة بهذه القوى التى تملك الفاعلية المادية ، بحكم امتلاكها للسلاح ، فى ظروف تخلف الاوضاع الاجتماعية والسياسية وضعف عناصر الوحدة الوطنية .

وتستخدم الدوائر الاستعمارية المعونة الحربية والبعثات والخبراء العسكريين لخلق علاقات وثيقة ببعض قادة القوات المسلحة ، خاصة اولئك الذين عملوا تحت امرتهم وخدموا السلطات الاستعمارية حتى ان بعضهم خاض حروبا استعمارية واكتسب صفات العسكرية الغربية وحاز على ثقتهم قبل الاستقلال ، ولذلك يهيئون لهؤلاء فرص احتلال مراكزهم والسيطرة على المواقع القيادية بعد انسحاب قواتهم . وهؤلاء يتسلمون السلاح ويدربون على ايدى الخبراء الاستعماريين ويتلقون مبادىء وافكارا معادية لشعوبهم .

وادراكا لاهمية الدور الذى تلعبه القوات المسلحة عمل الاستعمار على ايجاد اساليب جديدة للاحتفاظ بالقواعد العسكرية حيثما امكن ذلك . وعندما اصبح عليه ان يرحل بقواعده ، ابقى على بعض الخبراء لتدريب الجيوش الوطنية مقابل امدادها بالعتاد الحربى وعقدت اتفاقيات للدفاع المشترك مع الدول الاستعمارية القديمة .

لقد استمر الضباط البريطانيين يتولون مراكزا رئيسية فى جيش غانا حتى مابعد عام ١٩٦١ . وقد

---

(٤) سيرة حياة كوامى نكروما ص ١٢٢ وص ١٢٥ طبعة عام ١٩٥٩ .

تلقى **انكارا وكوتوكا** قائدى الانقــلاب التــدريب على ايدى هؤلاء الضباط كما تخرج عدد كبير من الضباط الافريقيين من الاكاديميات الحربية البريطانية والامريــكية والفرنســية **مثل الجنرال ايرونسى الذى تخرج من كلية سانت هيرست العسكرية** وقام بزيارة الى **الولايات المتحدة الامريكية ، قبل** وقوع الانقلاب فى نيجيريا .

وعندما يتعذر التعاون المباشر مع قوى الاحتلال القديمه تحت ضغط الشعوب حديثة التحــرر بسبب انكشاف هذه القوى ورصيد العداء والكراهية ضدها يقدم الاستعمار البديل . صنيعته اسرائيل ، **فقد عقدت اربعة عشر دولة افريقية اتفاقيات مع اسرائيل لتدريب جيوشها وبناء قواعد عسكرية باراضيها وامدادها بالسلاح** . وارسل الضباط الافارقــة الى اسرائيل ــ مثل ضــباط موبوتو الكونجوليين ــ ليحصلوا على ثقافتهم وتدريبهم العسكرى . ومن هذه الدول **الكونجو ليوبولدفيل وداهومى ونيجيريا وجمهورية افريقيا الوسطى واوغندا ، وكلها اما حدث بها انقلاب عســكرى او محاولة لانقــلاب .**

وهناك جمهورية المانيا الغربية ايضا ــ باعتبارها قوة استعمارية غير مكشوفة فى افريقيا ــ التى تقدم بالاضافة الى الســلاح والخبراء والمدربين المرتزقة من ابنائها . فقد «عقدت جمهورية المانيا الغربية الفيدرالية اتفاقيات مع سبع دول افريقية فى كل المواقع الاستراتيجية الاساسية بالقارة الافريقية لمدها بالخبراء العســكريين والمدربين والمعونات الحــربية الاخرى » (**الدايلى ميل ٥ يونيو ١٩٦٤**) كما جاء فى صحيفة «(**ازانكفرت الجمايني**)» التى تصدر فى بون «كلما زادت المسئولية والسلطة التى تنتقل الى ايدى الضباط الافريقيين ظهرت الحاجة الى زيادة الاهتمام من جانب العالم الغربى لتنشئة هؤلاء الضباط وطبعهم بطابعه» .

الصراعات الخفية

فى الحياة الحزبية

والاحزاب السياسية فى معظم البلاد الافريقية التى حصلت على استقلالها ، لم تكن قد نضجت بعد ، بما يسمح لها بادارة شئونها وتسيير وتوجيه اجهزة الدولة وقيادة الجماهير وتعبئتها وتوحيد صفوفها للتصدى للتآمر الاستعمــارى ومواجهة تحديات عمليات بناء الاقتصاد القومى فى ظل ظروف عصيبة وعقبات وصعاب جسيمة .

وكان نشاط معظم هذه التنظيمات يتسم بطابع اصــلاحى ، فهو يدور فى اطار مفاهيم ليبراليــة غربية عن العمــل السياسى السلمى والاساليب الانتخابية والالتزام بالحدود القانونية .. شعار «رجل واحد .. صوت واحد» «مقاطعة البضائع الاجنبية ووسائل المواصلات ، الاضراب عن العمل والمظاهرات السلمية .

وكانت الحاجة الى تنظيم سياسى ، مرتبطة ، فى اذهان الناس باستمرار معركة النضال ضد السلطة الاجنبية . ولما قرر الاستعمار الرحيل بدى وكانما هذه التنظيمات قد استنفدت مبررات وجودها . كما ان قصر فتره الصراع الوطنى المنظم ، لم يتح فرصة الــكشف عن اتجاهات المنظمات السياسية المتباينة ، ولم يحدد مواقعها بصورة حاسمة ، حتى ان معظم هذه التنظيمات فى كثير من البلاد الافريقية ، اندمجت بعد الاستقلال مباشرة ، فى وحدة سياسية عاجلة ، بهدف مواجهة مطالب الاستقلال . هذا من جانب .. ومن جانب اخر فقد خشيت المعارضة وبعض التنظيمات الاقل نفوذا ان تذوى وتنهار اذا بعدت عن المسرح السياسى .

وقد ادت هذه الوحدات العاجلة ، واندماج التنظيمات دون توحيد او تقارب لاتجاهاتها الفكرية **ان اختفت التناقضات المكشوفة العلنية ، ليحل محلها النزاع والصراع الخفى المستتر ، الذى يتميز بالتامر على السلطة والعمل على الوثوب والانفراد بها ، باستخدام اى اساليب مادامت تخدم الهدف .**

الا ان ظاهرة التفكك والصراعات الخفية هذه ليست قاصرة على التنظيمــات السياســية التى نشات عن اندماج اكثر من منظمة واحدة ، بل ايضا فى الاحزاب التى لم تتوحد مع غيرها ، بعد ان زالت عوامل التماسك والترابط بخروج العدو المشترك . ويبدأ تناقض المصالح وتضاربها مع اتضاح الحدود الطبقية وتبلور مواقفها السياسية واحتلالها للمواقع التى تتخذها للدفاع عن مصالحها .

وتخلف الوعى الشعبى يوسع من شقة الخلافات ويزيد احتدام الصراع بين القيادات السياسية ، فى ظل غيبة الرقابة الشعبية للجماهير العاملة الكادحة .

وبحــكم التناقض بين الواقع المتخلف للبــلاد النامية وبين التقــدم التكنولوجى الجبار فى عالمنا المعاصر يصبح نبذ النهج الراسمالى واختيار الطريق الاشتراكى قضية الساعة ، لحل مشاكل التخلف .

ورغم ذلك **فلم تنضــج الظروف الاجتمــاعية والطبقية لتقبل القيادات الجديدة للفكر الاشتراكى العلمى ، ولذلك نجد ظاهرة تواجــد مــدارس اشتراكية عديدة بفكريات شديدة التنوع واتجاهات**

متناقضة فى مفاهيمها حول القضايا المشتركة، ينحو معظمها الى التفسيرات المثالية والخيالية والاصلاحية. وهذا بدوره يسبب التخبط والارتباك الفكرى وخلط بين الاشتراكية والراسمالية . مما يضعف القدرة على الحسم ، ويسمح بدخول معارك فكرية غير ناضجة ، تستغلها العناصر المغامرة ، فى تبادل الاتهامات وتبرير الانقلابات .

ان سلسلة الانقلابات الاخيرة نذير خطير ، يتطلب من القيادات الواعية المجربة فى الدول النامية ومن المثقفين الثوريين اعادة النظر فى المفاهيم السائدة والخطة الواجب اتباعها بناء على تجربة السنوات الماضية وخاصة شكل وتكوين التنظيم السياسى وعلاقته بالدولة وبالقوات المسلحة . وهو ما نطرحه للمناقشة على اساس دراسة جادة عميقة للعلاقات الطبقية داخل البلاد النامية فى مراحل تطورها المختلفة وفى الظروف الدولية المعاصرة .

السوق الرأسمالى والجهد الانسانى

وبالاضافة الى هذه العوامل الرئيسية ، هناك عناصر اخرى تعتمد عليها القوى الانقلابية .. منها على سبيل المثال ذلك الرصيد من التذمر بين بعض الفئات الشعبية اذ لم تحس بتغيير حاسم وعاجل فى ظروفها المعيشية ، وهو ما يصعب تحقيقه خاصة فى المراحل الاولى من الاستقلال وفى البلاد التى تبذ الطريق الراسمالى ، لانها توجه جزءا اساسيا من الدخل القومى لاستثماره فى المشروعات الانتاجية لتنمية مواردها لمصلحة شعوبها .

وتعمل البلاد حديثة التحرر على رفع انتاجها من المواد الاولية ، فهى محاصيلها النقدية التى تتيح لها الحصول على عملات اجنبية تستخدمها فى استيراد الات انتاج والسلع الاستهلاكية . الا ان الاستعمار نتيجة سيطرته على السوق الراسمالى العالمى يتحكم فى شروط التبادل التجارى مما يؤدى الى خفض مصطنع لاسعار المواد الاولية ، فى نفس الوقت الذى ترفع فيه سعر البضائع المصنعة .

ونقدم مثالا من غانا يوضح مدى خطورة هذا الوضع :

الكاكاو يمثل اكثر من ٥٠٪ من صادرات غانا وقد خفض الاستعمار اسعاره عن طريق تحكمه فى السوق العالمى من ٥٨ سنت للرطل عام ١٩٥٤ الى ٣٧ سنت عام ١٩٥٥ و٢٠ سنت عام ١٩٦٢ و٢ر١٦ سنت عام ١٩٦٤ .

وهذه الارقام تعنى ببساطة ان شعب غانا اذا اراد زيادة حصيلته من العملة الاجنبية اعتمادا على محصول الكاكاو ، لما تمكن من ذلك حتى لو رفع انتاجيته اكثر من ٣٥٠٪ ، ولو استمر انتاجه على ماكان عليه عام ١٩٥٤ ، لحصل عام ١٩٦٤ على ٣٠٪ من الدخل الذى حققه منذ عشر سنوات . وقد جاء فى كتاب « الاستعمار الجديد » لنكروما ان « مكاسب غانا من محصول الكاكاو عام ١٩٥٤ عندما كانت تنتج ٢١٠ آلاف طن خمسة وثمانين مليونا ونصف المليون من الجنيهات وارتفع رقم الانتاج فى عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ الى ٥٩٠ الف طن (٢٨٠٪) بينما هبطت المكاسب فى هذا العام الى سبعة وسبعين مليونا (٩٥٪) ». وقد يعزو بعض الناس هذا التدهور فى الدخل الى عدم كفاية القوى القائمة على الحكم ويستغل لتعبئة السخط ضد النظام الشرعى. ومن هنا تبرز اهمية قيام التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية بنشاط كبير لتوعية الجماهير الشعبية بحقيقة الاوضاع وتعبئة سخطها ضد الاستعمار وتوجيهه كطاقة ايجابية بناءة وفعالة، من اجل تحرير الاقتصاد القومى من استمرار التخبط فى شراك السيطرة الاستعمارية واتخاذ خطوات فعالة لتجنب الاضرار المترتبة على سياسة الاحتكارات العالمية باللجوء الى حلول اقتصادية كتنويع المحاصيل النقدية وتوسيع مجال التعامل مع البلاد النامية والاشتراكية ومختلف الدول الراسمالية ، والتضامن بين الدول المنتجة للسلعة الواحدة لرفع اسعار منتجاتها منها .. الخ

بين عوامل التفسخ وارادة الشعوب

ان الزحف الاستعمارى على البلاد النامية وحركات التحرر الوطنى لتطويقها وخنقها واخضاعها بالالتجاء الى العنف والعدوان وحروب الابادة ضد الشعوب ، مرتبط بظاهرة تفكك الجبهة العريضة المعادية للاستعمار ، ابتداء من الصراع الصينى السوفيتى ، على امتداد حركة التضامن بين شعوب القارات الثلاث ، حتى المنظمات الافريقية والاسيوية والاقليمية المختلفة . ويشمل ايضا التحالفات الوطنية والجبهات القومية المعادية للاستعمار داخل حدود البلاد حديثة الاستقلال .

ولاشك ان السبب الرئيسى لتفاقم هذه الازمة وبروز تلك الظاهرة ، يرجع الى المبالغة فى قوة الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى بالنسبة للقوى المعادية ، المتمثلة فى الراسمالية والاستعمار .

ومن البديهى، اننا نشهد اليوم انهيار النظام الراسمالى ، ونجتاز مرحلة محاصرة الاشتراكية للراسمالية واحتلالها مركز الصدارة والتاثير فى تحديد ملامح عصرنا وتشكيل مستقبله . الا ان **المبالغة فى فاعلية عوامل الانحلال والتفسخ وما**

يترتب عليها من تقليل من شان عنصر النضال المباشر فى احداث التغيير والتعجيل به ، ظاهرة متفشية لا يمكن انكارها ، سادت طوال السنوات الاخيرة . وهى ظاهرة ترجع اساسا الى الانتصارات الباهرة التى حققتها الشعوب بكفاحها البطولى، ومركز القوة الرئيسى الذى احتلته الاشتراكية وانتعاش الحركات الوطنية التى بلغت ذروتها خلال الاعوام ١٩٥٥ — ١٩٦٠ ، وتراجع القوى الاستعمارية على كافة الجبهات واضطرارها الى التخلى عن معظم مستعمراتها (٥) .

وبطبيعة الحال فان الاستعمار لم ينسحب من مستعمراته السابقة بمحض ارادته ، فقد اضطر تحت ضغط حركة التحرر الوطنى الى تغيير اسلوبه بالتخلى عن السياسات الاستعمارية المباشرة الى وسائل جديدة مقنعة تختفى خلف واجهات الاستقلال ، مع مواصلة ربط المستعمرات القديمة والحديثة التحرر بالاستعمار الجديد .

والحركات الوطنية لم تكن على نفس المستوى من القوة والنضج فى جميع بقاع العالم ، الا ان الاستعمار عندما تشكل فى القالب الجديد ، لم يقتصر على منح الاستقلال للبلاد التى بلغت فيها الحركة الوطنية شأوا كبيرا ، بل ايضا طبقت نفس السياسة فيما يتعلق بعدد كبير من البلاد لم تنضج بها الحركة الوطنية بالقدر الكافى ولم تتمرس بخبرات عميقة فى النضال التحررى ، ولم تتشكل فى امة متجانسة موحدة .

والتغيير الذى ادخله الاستعمار على استراتيجيته، بمنح الاستقلال لعشرات المستعمرات السابقة — رغم احاطته بكل القيود التى تلغيه وتجعله صورة بلا محتوى — او حتى بالمبالغة فى القوة الذاتية لحركة التحرر فى العالم اجمع وللحركات الوطنية فى البلاد النامية ، خاصة تلك التى لم تحصل على الاستقلال نتيجة نضج حقيقى وقوة فعلية .

وهذه النظرة تؤدى الى تهاون فى اليقظة الثورية وتراخى الصراع الطبقى — من جانب القوى الشعبية وحدها — والنزوع الى المصالحة الطبقية مع العناصر والاتجاهات المعادية للثورة ،وتغليب التيارات الاصلاحية ، واهمال التنظيم والتعبئة الجماهيرية ، والتغاضى عن حيوية الاتصال والالتحام الدائم العضوى بالقوى الشعبية العاملة

والاهتمام بالشكل دون المضمون ، والكم اكثر من الكيف .. والتنازلات اللامبدأية فى المنهج الثورى ، سواء فى الفكر الاشتراكى للبلاد التى قررت انتهاج طريق التحول الاشتراكى، او الفكر الوطنى الثورى بين حركات التحرر الوطنى .

وتلك العناصر مجتمعة تكفل للقوى الاستعمارية المناخ المناسب سياسيا واجتماعيا وفكريا لتحريك عملائها للاطاحة بالانظمة القائمة ، بل وتشجيع قوى اليمين الاكثر تطرفا للاقدام على اسقاط حكومات محافظة ويمينية نسبيا .

وبالاضافة الى المبالغة فى ضخامة وفاعلية القوى الاشتراكية والوطنية فى المرحلة الاخيرة ، هناك ايضا التهوين من قدرات العدو والتقليل من شانه وامكانياته ، وهو الوجه الاخر لنفس العملة الزائفة التى تروج بين قطاع كبير من القوى الثورية .

وخطورة هذا الاتجاه تكمن فى الاساس الفكرى والنظرى الذى يعتمد عليه ، وتمسك عدد كبير من المفكرين الثوريين بتحاليل اقتصادية وسياسية تعداها العصر ، ورفضهم تغيير نظرتهم التقليدية للامبريالية . وكانما واقع ان احد قطبى الصراع مصيره الى الفناء الحتمى ، ينفى قدرته على اطالة بقائه بتغيير اساليبه وبعض خصائصه .

ولجوء الراسمالية الغربية الى حل ازمتها بالتحول الى الاستعمار ودخولها المرحلة الامبريالية ثم محاولة حل ازمة الامبريالية ، بسلوكها طريق الاستعمار الحديث ، دليل على قدرتها على التشكل للمد من عمرها .

كانت النظرة التقليدية الى الراسمالية الاحتكارية تتضمن انها قد استهلكت طاقاتها الذاتية للنمو والتطور . وترقب المفكرون الثوريون وقوع الازمات الاقتصادية التى تنخر جذور النظام الراسمالى بصفة دورية (مثل ازمة الثلاثينيات) فتهدده بالدمار وتلعب دورا فعالا كالاحتياطى الاساس للقوى الثورية . وكانت النظرية فى اطار الاوضاع التقليدية تؤكد حتمية حدوثها فى فترات متقاربة وبدرجات متفاقمة وصورة دورية .

وطال ترقب الازمة .. دون ان تحدث ..

وتابع معدل النمو الاقتصادى طريقه الى الارتفاع فى العالم الراسمالى حتى بلغ ضعف ماكان عليه قبل الحرب العالمية الثانية .. وهو مايتعارض مع التحليل التقليدى .

وانخفضت نسبة البطالة ، خاصة فى اوربا الغربية التى استهلكت كل القوى العاملة بما فيها

(٥) فى خلال عشر سنوات فقط استقلت ٢٨ بلدا افريقيا ، وفى عام ١٩٦٠ وحده حصلت ١٧ بلدا على استقلالها .

احتياطيها منها .. وهو مايتعارض ايضا مع التحليل التقليدى .

وهذا رغما عن خروج عدد كبير من البلاد المستعمره من مناطق النفوذ الاستعماري وتحرر عدد كبير من الدول النامية وسلوكها طريق الاستقلال الوطنى ، بما يتضمن من تصنيع وتنمية مخططة شاملة لتحرير اقتصادها ، بالاضافة الى زيادة المبادلات التجارية مع العالم الاشتراكى . وكان متوقعا ان يزيد هذا الوضع من تفاقم ازمة النظام الراسمالى .. الا ان هذا لم يحدث .. وخابت الآمال والتوقعات التى كانت صحيحة فى زمنها .

وترتب على البلبلة التى نشأت عن خيبة التوقعات ان لجأ المفكرون الثوريون الى التبرير بان عزوا هذه الظاهرة الى عوامل خارجيةمفتعلة كاثار الحرب العالمية الثانية والانتاج الحربى وسياسة التوسع فى التسليح ورفضوا التحرر من الجمود الفكرى والغوص فى الواقع ودراسة التغييرات التىاعترت الهيكل الاقتصادى الراسمالى والدور الجديد لجهاز الدولة المركزى فى الحياة الاقتصادية للمجتمعات الراسمالية .. الخ .

وكل عوامل التجديد هذه لن تهيىء للنظام الراسمالى القدرة على مغالبة عوامل التفسخ والانحلال ، الا انها امدته بقوى متجددة واكسبته قدرات اعظم على مواصلة الحياة لفترة اطول وجعلت له فاعلية وتاثيرا كبيرا على الوسط المحيط به فى عالمنا .

وقد تبدو المشكلة ذات طابع نظرى .. الا ان الاثر العملى المترتب عليها خطير للغاية ، فهو يؤدى الى اساءة تقدير لتوازن القوى سواء فى المجال الدولى او المحلى ، والمبالغة فى اثر عوامل التفسخ الذاتية للنظام الراسمالى،واعطائها وزنا اكثر مما تحتمل ، **ورد الفعل الطبيعى لهذا الموقف الفكرى والسياسى يتضمن اهمال العنصر الارادى الهادف المخطط فى عملية التغيير وتراخى اليقظة الثورية والتماسك الفكرى والتنظيمى .**

وانعكست هذه المفاهيم على الاوضاع السياسية فى العالم اجمع وعلى امتداد الجبهة المعادية للاستعمار .

الصراع الصينى السوفيتى والازمة الفكرية بينهما بكل ماترتب عليها من اضرار بالغة للقوى الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى (٦) .

وهناك المبالغة فى الاهتمام بالكم لا الكيف ، بالعدد والشكل اكثر من النوع او المضمون وذلك فيما يتعلق بالنشاط التنظيمى والسياسى فى المنظمات الدولية والقارية والاقليمية والنوعية ، مما يعكس اتجاه المصالحة بين القوى المختلفة المتناقضة المصالح والاتجاهات بما لها من مواقف متباينة من الاشتراكية وحركات التحرر والاستعمار والسلام . وهذا الوضع يؤدى الى فقدان القوى الثورية فى هذه التنظيمات لفاعليتها ، وطغيان روح المساومة والتوفيق والحلول الوسط — على احسن الفروض — وهو مايتعارض مع مصلحة الشعوب . وبعض هذه المنظمات تضم دولا تلعب دورا واضحا فى خدمة الاستعمار ومعاداة الشعوب .

لا اعتراض على تكوين منظمات اقليمية اوعلى نطاق القارة والقارات ، تضم جميع الدول الكائنة بها ، انما الاعتراض ينصب على خطورة الاعتماد بالدرجة الاولىوبصورة رئيسية علىهذهالتنظيمات دون — او اكثر من — غيرها من التجمعات الثورية لدول رائدة سواء فى مجال التحررالوطنى او البناء الاشتراكى . فطبيعة منظمة التضامن الافريقىالاسيوى غير طبيعة مؤتمرات عدمالانحياز الاولى تضم كلالبلادالاسيوية الافريقية ،أمامؤتمر عدم الانحياز فلا يعقل مثلا ان يضمدولا منتمية الى معسكر ما، او تقومبها قواعد عسكرية استعمارية كما حدث فعلا فى الماضى . هنا يقع الخلط بين مهام التنظيمين وتكوينهما. ولامانع منوجود منظمة للدول الافريقية جميعها . **لكن الخط الثورى السليم يملى علينا ضرورة تكوين منظمة ثورية من نوع ما ، بين الدول المتحررة حقا فى افريقيا والتىسلكت طريقالاستقلال السياسىوالاقتصادى الحقيقى وآمنت بحتمية الحل الاشتراكى ، مثل الجمهورية العربية المتحدة وغينيا ومالى والكونجو برازافيل وتنزانيا والجزائر ، تخطط لسياستها المشتركة وتعمل كوحدة على نطاق القارة وفى المنظمات الاكثر اتساعا . لتدعيم الخط الثورى .**

وقد اكد **سيكوتورى** هذا الاتجاه اذ صرح يوم ١٠ مارس «اننا نخشى ان تصبح منظمة الوحدة الافريقية مجرد نقابة لرؤساء الدول . ان بعض مجموعات الدول الافريقية لم تنفذ اى قرار ثورى اتخذته المنظمة فى اديس ابابا . لقد قررنا مثلا انشاء سوق مشتركة افريقية ، فبادرت مجموعة من الدول على الفور الى الانضمام للسوق الاوروبية . وقررنا التنديد بمسلك اسرائيل

---

(٦) ليس من قبيل المصادفة انتشار الشعار القائل بان الاستعمار « نمر من ورق » الذى يعكس النظرة المشار اليها ، والنزعة التى تستعين بقوة وقدرات الاستعمار .

الاستعمارى فسارعت احدى هذه المجموعات الى تدعيم علاقاتها باسرائيل» . هذا بالاضافة الى الموقف من روديسيا وقطع العلاقات مع بريطانيا .. الخ .

يجب ان نتجنب الذوبان فى التنظيمات الواسعة المختلطة . .(**تنظيمات التجمع**)والكم لنركز جهودنا على **النواة** اسرية ومنظمات النوع .

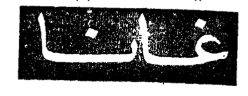
وقد اثبتت التجربة صحة هذه السياسة ،فقد اضطرت الدول التى تمثل هذه النواة الثورية الى الخروج على مجموعدول منظمة الوحدة الافريقية عندما ثارت الخلافات حول عديد من القضايا واخرها مشكلة الموقف من الانقلاب الرجعى فى غانا فى مؤتمر وزراء خارجية المنظمة فقد انسحبت منه الدول التى تمثل بحق الخط التحررى الافريقى .

نفس الاتجاه نشهده فى داخل البلاد الافريقية ينعكس فى صورة مواقف سياسية مشابهةطابعها المصالحة الطبقية ، والمبالغة فى قوة واستقرار الاوضاع الداخلية والتهوين من شان التيارات الرجعية . وتزيد من حده هذا الاتجاه عوامل محلية مرتبطة بواقع التخلف الاجتماعى وسيادة الروح القبلية وطبيعة المشاكل الاقتصادية والسياسية فى الظروف الجديدة . كما اوضحنا .

وسوف تتابع الحركات الانقلابية نشاطها ، وترتع قوى الاستعمار والمخابرات الاجنبيةواليمين الرجعى فى قارتنا ، وتوالى زحفها على الدول النامية لحصارها ، واستعادة السيطرةعليها ، مالم تاخذ القوى الثورية المبادرة منها ، وتشرع فى توحيد وتدعيم صفوفها ضد العدوان والتحرك للخروج من مواقعها الحالية لاسترجاع ما فقدته منها .

ومن المهام العاجلة الملقاة على عاتق القوى الثوريه والمفكرين التقدميين فى العالم اجمع ، العمل على اعادة تقييم الاوضاع الدوليه الجديدة والعلاقات الاجتماعية والمواقف الطبقية فى المجتمعات الحديثة ودراسة ماجد من تطورات على خصائص القوى المتصارعة فى عالمنا ، والجوانب الايجابية والسلبية فى تجربة الحركة الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى .. وطرح هذه القضايا للحوار على اوسع نطاق ، للتوصل الى تطوير الفكر الثورى بما يتلاءم مع التغييرات الاساسية التى المت بواقعنا المعاصر ، وحتى يصبح اداة طيعه فى خدمة البشرية للتعجيل بتصفية الاستعمار وتحرير الانسان من الاستغلال .





ومواجهة الثورة المضادة فى افريقيا

حسين شعلان

حسم الانقلاب الاستعمارى الذى وقع فى غانا ، طبيعة وأبعاد مرحلة صراع جديدة تدخلها حركة التحرر الوطنى ضد الاستعمار. وتكتسب هذه المرحلة الجديدة طبيعتها وأبعادها ، من طابع العنف والشراسة التى تميز بها الهجوم الاستعمارى ، لا لمجرد اسقاط عدة مواقع ، وانما بهدف تصدير الثورة المضادة لتقويض النظم الوطنية والتقدمية والاجهاز على مكاسبها وانجازاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ويمكننا أن نقول ان مخطط الاستعمار لهذه المرحلة الجديدة فى افريقيا ، قد أعد لتحقيق اهدافه على مرحلتين : تستهدف **الاولى** منها احكام السيطرة على بلدان ــ كداهومى وفولتا العليا مثلا ــ لا تمثل فى حد ذاتها أهمية خاصة ، بقدر ما تعد مركزا داخل القارة لهجوم المرحلة **الثانية** التى تستهدف اسقاط أهداف استراتيجية هامة .

لماذا .. غانا ؟

ويعد انقلاب غانا ، البداية الخطيرة لما أسميناه بالمرحلة الثانية من المخطط الاستعمارى . وتكمن خطورته ، فى أنه لم يكن مجرد انقلاب عادى كالذى وقع فى بلدان مجاورة لغانا ، وانما يعد ــ فى الواقع ــ أشد الانقلابات الاستعمارية التى شهدتها القارة الافريقية خطرا منذ تصدير الاستعمار للثورة المضادة للكونجو فى ١٩٦١ . بل انه يحمل دلالات ذات ابعاد « **افريقية** » و « **عالمية** » ، قد تحدث أثرا ــ ان لم تواجهه الثورة الافريقية بحسم ــ قد يفوق خطر ما حدث فى الكونجو . وذلك ما جعل الاستعمار يختار غانا هدفا لهجومه هذه المرة .

وتكمن أبعاد الانقلاب فى حدوده « الافريقية » ، فى أهمية الدور الذى كانت تقوم به غانا ، لا فى غرب أفريقيا فحسب ، وانما على مستوى حركة التحرر الافريقى كلها .

● فقد كانت غانا ــ تحت قيادة نكروما ــ احدى الحلقات الاساسية للقوى الضاربة للثورة الافريقية . حيث كان تحرير القارة نهائيا من الاستعمار القديم والجديد ، أحد الاهداف الجوهرية لثورة غانا بقيادة نكروما . ولعبت غانا ــ منذ استقلالها ــ دورا هاما فى مساندة الثورات الوطنية فى الكونجو وانجولا وموزمبيق .. الخ ،

وشنت معارك ضارية ضد النظم العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا من خلال عضويتها في الكومنولث البريطاني ومن خلال منظمة الوحدة الافريقية كما في المجال الدولي .

● لعبت غانا — بقيادة نكروما — دورا بارزا من أجل تحقيق الوحدة الافريقية ، ابتداء من تجمع الدار البيضاء وحتى منظمة الوحدة . ولم تكن قضية الوحدة بالنسبة للثورة في غانا ، مجرد هدف سياسي ، بل اكسبتها **مضمونا اجتماعيا** تقدميا ازعج مخاوف كل اعداء شعوب القارة . يقول **نكروما** في خطاب أمام مؤتمر أديس أبابا في عام ١٩٦٣ : ((**ما الذى استفاده الفلاح أو العامل أو القروى الافريقى من الاستقلال السياسى ، اذا لم نضمن له عائدا مناسبا لعمله ومستوى معيشته ؟ ان ذلك كله لا يمكن ان يتحقق الاداخل اطار الوحدة وداخل اطار الحكومة الاتحادية التي ستمكننا من تخطيط اقتصاد القارة على نطاق شامل . والذى يمكن بدوره ان يزيد من قوة افريقيا الاقتصادية والصناعية الشاملة**)) .

● الاثر الذى كانت تحدثه غانا — بقيادة نكروما — كنموذج طيب للمحتوى الاجتماعي والاقتصادى للثورة الوطنية . ورفضها انتهاج الطريق الرأسمالى وبناء اقتصادها على اسس غير رأسمالية كخطوة هامة في سبيل بناء المجتمع الاشتراكى . وكان لغانا ثقلا ووزنا خاصا فى قلب ما يسمى ((**بافريقيا السوداء**)) التى روجت اجهزة الدعاية الغربية لخرافة أفريقيا السوداء والبيضاء في محاولة مصطنعة لاقامة حواجز نفسية بين شعوب شمال القارة وبقية شعوبها . ومن ثم كان وجود النموذج الغاني في ما يسمى بأفريقيا السوداء عاملا يبعث على خوف وانزعاج القوى الرجعية والاستعمارية . بالاضافة الى ان غانا — في غرب افريقيا — كانت قلعة هامة من قلاع حماية الوطنيين الثوريين والتقدميين من اضطهاد حكوماتهم الرجعية ، ومركزا اشعاعيا هاما من مراكز الثورة الافريقية .

● الدور الخاص والمتميز الذى لعبه — وما زال — الرئيس كوامي نكروما شخصيا ،كواحد من الزعماء البارزين للتحرر الوطني . ولم يقتصر دور نكروما على العمل والنشاط السياسي وحده، وانما تعداه الى حدود **المساهمة الفكرية** — النشطة والفعالة — لاثراء الفكر الثورى فى افريقيا وصياغته وخاصة في ((**الوجدانية**)) و ((**الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية**)) .

ولهذا، كان انقلاب غانا — في حدوده الافريقية — ضربة استعمارية موجهة ضد قوى التحرر الوطنى — ككل — فى أفريقيا ، وضد قضية الوحدة الافريقية — (الانقلاب سابق لاجتماع مؤتمر وزراء خارجية منظمة الوحدة وقد تفجر المؤتمر ولم يصل الى اية نتائج) — وضد التقدم الاجتماعى وضد الفكر الثورى فى افريقيا .

وعلى **المستوى العالمى** . فقد كان لغانا — بقيادة نكروما — دورها ومساهمتها الايجابية فى مجموعة دول عدم الانحياز وعلى المستوى الدولى بشكل عام . وقد تم الانقلاب فى وقت كان نكروما فيه يبذل محاولات جادة لايجاد حل سلمي لمشكلة **فيتنام** والدعوة لضرورة عقد اجتماع رؤساء دول عدم الانحياز . وكان لغانا موقفها المحدد والواضح من مشكلة فيتنام ، استنكرت فيه الغارات الامريكية على شعب فيتنام الشمالية وطالبت بوقف هذا العدوان فورا كما كان نكروما يعتقد أن وجود القوات الامريكية فى فيتنام عائقا يحول دون التوصل لحل سلمى .

ومن هنا هدف مخططو الانقلاب ان يعنى توقيته — فى واحد من وجوهه — ردا وموقفا تأديبيا ضد كل محاولات جادة لايجاد حل سلمي لمشكلة فيتنام وتجميع رؤساء عدم الانحياز ومعالجة ثغرات الجبهة الثورية للتحرر الوطني والاشتراكية على مستوى عالمى — لا كمجرد رد على دور ونشاط نكروما وغانا فى هذا الصدد ، وانما محاولة لارهاب كل الزعماء الثوريين الذين يقومون بدور ونشاط مماثل .

ثورة مضادة

كانت غانا — فى ظل حكم نكروما — تمر بمرحلة انتقال تاريخية من المجتمع القبلى الاقطاعى ذو الملامح الرأسمالية أيضا ، الى مجتمع يبنى الاشتراكية . (وهذه قضية هامة ينبغى وضعها فى خلفية تفكيرنا دائما ونحن نناقش ما وقع فى غانا) ، ويمر كل مجتمع انتقالى عبر عديد من التطورات والظروف الموضوعية التى قد تسفر عن بعض الظواهر والنتائج ذات الطابع المفاجىء بل والحاد — فى بعض الاحيان — التى قد يصعب على الفئات الشعبية صاحبة المصلحة فى بناء الاشتراكية أن تهضمها ، دون توعية سياسية كافية وذات طابع جماهيرى بالضرورة ، وهنا يسهل على الفئات الاجتماعية المعادية للتحول الى الاشتراكية ، أن تستغل بعض المصاعب والتضحيات — المؤقتة والحتمية — لهذه المرحلة، ما لم تكن قيادة التحول الاشتراكى على درجة كبيرة من اليقظة الثورية الحاسمة .

ومنذ استقلال غانا فى عام ١٩٥٧ ، ثم اختيار شعبها فى ٦١ — ١٩٦٢ الاشتراكية — بقيادة

« **حزب مؤتمر الشعب** » ـ طريقا لبناء مستقبلها، منذ ذلك الوقت تغيرت الخريطة السياسية للمجتمع الغاني اكثر من مرة ، كتعبير عن تطور الثورة الى مراحل جديدة وتزايد الصراع الطبقي في المجتمع. وفي الوقت الذي كانت تحلم فيه بعض الفئات الاجتماعية بأن تحل محل الحكام الاستعماريين بعد تحقيق الاستقلال ، ودون رغبة في احداث أي تغيير حقيقي في علاقات الانتاج القديمة كان حزب مؤتمر الشعب ـ بقيادة نكروما ـ داعيا وعاملا على الاستمرار بالثورة نحو آفاقها الاجتماعية البعيدة .

وفي الجانب الاخر ، كان « **حزب الاتحاد** » الذي مثل المعارضة ضد حكومة نكروما ، هو التعبير السياسي التنظيمي للفئات الاجتماعية المعادية للتحول الاشتراكي . وقد ضم هذا الحزب والتف حوله، قوى الثورة المضادة في غانا. وحزب الاتحاد نتاج وحدة تنظيمية تمت عام ١٩٥٧ ـ اي منذ اللحظة الاولى لانتصار الثورة الوطنية ـ بين ثلاثة احزاب سابقة هي : **حزب الشعب الشمالي وحركة التحرير الوطنية** . وهما حزبان اقليميان ضما العناصر القبلية ورؤساء وشيوخ القبائل اصحاب الامتيازات من ملاك الارض ـ أساسا ـ . وكانت تعارض اهداف نكروما منذ الاستقلال في قيام دولة قومية موحدة وتطالب بقيام حكومة اتحادية على اساس التقسيمات القبلية القائمة . وقد سعى الحزبان لاستقطاب ولاء أفراد **قبيلة الاشانتي** في وسط غانا **وقبائل الشمال** . واثارا الاضطرابات باستمرار ضد الدولة الموحدة حتى نجحا في ارغام حكومة نكروما على قبول بعض التعديلات الدستورية التي تقضي بتشكيل « مجالس اقليمية لرؤساء القبائل » لها بعض السلطات في مناطقها، وثالث هذه الاحزاب هو حزب **مؤتمر ساحل الذهب المتحد** . وقد ضم هذا الحزب فئات التجار والقطاعات المهنية كالمحامين والاطباء .. الخ وكبار الموظفين في بيوت المال والتجارة الداخلية والاجنبية . وقد كانت هذه الفئات جميعها تعتقد أن من حقها وراثة الحكم بعد الاستقلال كما فعلت الفئات المماثلة لها في كثير من دول غرب أفريقيا .

وكان لهذه القوى الاجتماعية المناهضة للتحول الاشتراكي ، رصيدا يلتف حولها من بعض العسكريين المحترفين وكبار موظفي جهاز الدولة الذين تمثلوا الفكر والقيم الراسمالية بحكم وضعهم الاجتماعي من جهة وبحكم تربيتهم من جهة اخرى . وقد كانت هذه العناصر تتخفى تحت ترديد شعارات الاشتراكية والتقدم وتعمل في الحقيقة من اجل تقويضها .

لقد فشلت القوى الرجعية في غانا في عدة محاولات سابقة لقلب نظام الحكم او اغتيال نكروما . وعندما تفشل الرجعية في أن تقوم بنفسها بتغيير الاوضاع ، يتدخل الاستعمار ـ حليفها الطبيعي وسندها العالمي ـ لمساعدتها باشكال مختلفة مباشرة وغير مباشرة . ونجد التعبير عن هذه الحقيقة في عدد من التصريحات التي أدلى بها بعض قادة الانقلاب والتي توضح أن خطته قد أعدت بمشاركة المخابرات البريطانية والمخابرات المركزية الامريكية .

ان الظواهر المحيطة بالانقلاب ـ كما تقول النيويورك تايمز الامريكية ـ توضح أنه لم يكن محاولة للتخلص من نكروما فحسب ، وانما كان الهدف استبدال طريق نكروما تجاه الاشتراكية بطريق يختلف تماما . وما أن تمر أيام قليلة على وقوع الانقلاب حتى يعلن قادته تصفية القطاع العام واعادته للملاك السابقين من غانيين واجانب. كما يدعون راس المال الخاص ـ الغاني والاجنبي ـ لان يسارع باستثماراته في غانا مع تقديم كل التسهيلات . ويوجه قادة الانقلاب نداء الى « الاصدقاء » بمساعدتهم ماليا . وعلى المستوى السياسي يعيدون العلاقات مع بريطانيا ويرسلون « متحدثين رسميين » باسمهم الى حكومات كل من توجو والنيجر وحكومة الانقلاب العسكري في فولتا العليا وحكومة ساحل العاج « لاعادة العلاقات الطيبة بين هذه الحكومات وبين غانا » ، (تصريحات انكراه احد زعماء الانقلاب في ٣ مارس) .

ولم يكن انقلاب غانا انقضاضا على مكاسب شعبها ومنجزات الثورة فيها أو تهديدا مباشرا لثورة غينيا ومالي ـ فحسب ، وانما اخل بتوازن علاقات القوى فيما بين حركة التحرر الوطني الافريقية من جهة وبين القوى الرجعية والاستعمارية من جهة أخرى . كما انعش قوى اليمين في كل دول أفريقيا وجعلها في حالة تربص للقيام بانقضاض مماثل هنا أو هناك .

ثغرات نفذ منها الانقلاب

ان ضراوة الهجوم الاستعماري الذي نشهده هذه الفترة في أكثر من مكان في العالم وهستيرية محاولته استعادة مواقع التحرر الوطني التي فقدها ـ معتمدا على القوى الرجعية المحلية ـ هي الزاوية الاساسية التي يجب أن ننظر منها لانقلاب غانا وفي ظل ظروف طابع التفكك الذي يسود الجبهة المعادية للاستعمار في العالم .

ولسوف يتساءل البعض : لقد كان في غانا حزب سياسي على درجة لا بأس بها من التنظيم ، كما

كانت توجد ميليشيا شعبية مسلحة وبعض الهيئات الديمقراطية كاتحادات العمال والفلاحين، وهذه كلها ضمانات هامة وأساسية لتدعيم وحماية كل نظام تقدمي . **فكيف قام الانقلاب ؟ وكيف نجح ؟** وتلك تساؤلات هامة ومنطقية .

ومع التاكيد مرة اخرى لطابع الهجوم الاستعماري وتحالف قوى الرجعية مباشرة معه ، فان بعض الثغرات — والتي لا يمكن أن تقلل اطلاقا من المكاسب والانجازات الضخمة التي حققتها الثورة في غانا بقيادة نكروما او تقلل من ثورية نظام حكمه — قد ساعدت كعامل ثانوي على قيام الانقلاب ونجاحه . ولا تعني هذه الثغرات تحميل نظام نكروما مسئولية قيام الانقلاب — كما حاول بعض الملفقين للاسف — وانما تهدف هذه الملاحظات في الاساس الى محاولة الاستفادة من بعض اخطاء التجربة .

لقد استفادت قوى الثورة المضادة في غانا من آثار المتاعب الاقتصادية — الطبيعية — المرتبطة بمرحلة الانتقال وخاصة في فترة لاحقة لحصار اقتصادي فرضته الاحتكارية العالمية على اقتصاديات غانا . وعلى هذه الأرضية تكون ذهنية الجماهير العادية — ان فقدت الاتجاه والوضوح السياسي — مهياة لتقبل اى تغيير نتيجة للتناقض القائم بين طموحها في الاستفادة السريعة من مكاسب عمليات التنمية الاقتصادية — التي تحتاج بطبيعتها لبعض الوقت — وبين التطور الواقعي والعائد البطيء نسبيا بالضرورة لعملية التنمية ذاتها . وما لم تشدد القيادة الثورية من يقظتها لهذا الواقع وتعالجه بالتوعية الفكرية والسياسية الجادة والمستمرة وتصارح الجماهير بكل شيء ، فان القوى الرجعية تستطيع من خلال هذا ان تكسب جانبا من الجماهير لتقوم بالانقضاض على السلطة من فوق أكتافها . وذلك رغم أن مصالحها لا تتفق ومجيء هذه القوى الى السلطة اساسا . وعلى هذه الارضية بشكل عام تحركت قوى الثورة المضادة في غانا .

● **أسلوب تصفية القوى المعادية :** لم يعد هناك خلاف حول حقيقة أن لكل سلطة وجهيها : الديمقراطي من جهة والدكتاتوري من جهة أخرى . وممارسة كل منهما متوقف على طبيعة هذه السلطة . فالسلطة التقدمية تمكن الفئات الشعبية من ممارسة الديمقراطية بينما تمارس الدكتاتورية ضد الفئات المعادية لمصالح الشعب والتقدم الاجتماعي . ونحن بلا شك مع كل سلطة ثورية في حرمانها لاعداء الشعب من حرية الحركة . ولقد كان نكروما — كممثل وقائد للسلطة الثورية في غانا — يواجه كثيرا من مؤامرات وتخريب الرجعية ومحاولاتها اغتياله — بالضرب على يد أصحابها بشدة وصلت الى حد اعتقالهم .

وقد كان ضرب العناصر المناهضة لبناء الاشتراكية في غانا ضرورة لابد منها . ولكن المشكلة التي واجهت نظام نكروما ، هي كيفية تصفية العناصر المناهضة للاشتراكية والمعادية للشعب . لقد نجح نكروما في **ضرب** هذه العناصر ولكنه لم ينجح في **تصفيتها** سياسيا واجتماعيا . فضرب الرجعية اقتصاديا — بتأميم وحتى بمصادرة ملكيتها — اجراء ممكن ويبدو أسهل — نسبيا — من تصفية الجذور الاجتماعية والسياسية التي تستند اليها وتوفر لها أسباب الحياة . ان القدسية التي تحيط بها ظاهرة ملكيتها المستغلة وفكرها الذي تروج له في المجتمع بشتى الاساليب والتراث الذي توجده في نظم العمل والادارة والحياة ، هي بالتحديد جذور بقائها التي يجب أن تقتلع .

فضرب الرجعية باستخدام جهاز الدولة ، لا يعني تصفيتها التي لا تتحقق الا بخوض معارك سياسية وفكرية ضدها وعلى مستوى الجماهير . ومن هنا تبدو ضرورة وضع أساس واضح أمام الجماهير لضرب الرجعية وفضح أهدافها والفروق الاساسية بين برامجها وبرامج السلطة الثورية ، حتى لا تبدو معركة مواجهة الرجعية كشكل ما للاضطهاد ، قد تنجح الرجعية في اثارة الجماهير انسانيا لكسبها . وبدون هذا الوضوح الفكري والسياسي تنتقل بعض العناصر التي تعد جزءا من الثورة — وبدون وعي منها — الى مواقع الثورة المضادة ، أو على الاقل تهيىء ذهنيتها لها فتتخذ موقفا سلبيا من الاحداث اذا ما انقضت الرجعية على السلطة .

ذلك بالضبط ما وقع في غانا حيث تبدو خطورة هذه المشكلة في ظل مجتمع قبلي تلعب الانتماءات القبلية والعاطفية دورا كبيرا فيه . ويستغل الاستعمار العالمي مثل هذه القضية بذكاء ومهارة شديدين ويتسلل من خلالها ليجر معه بقية الفئات المعادية للتقدم — بل وبعض العناصر التي لا مصلحة لها مع الاستعمار — الى القيام بعمل موحد حتى تصبح هذه الفئات والعناصر جميعها — عضويا — أطراف كل واحد .

● **الاجهزة الديمقراطية والسلطة :** ونعود هنا للسؤال : كيف نجح الانقلاب في الاستيلاء على السلطة في غانا بينما كان هناك حزبا سياسيا قويا وميليشيا شعبية مسلحة واجهزة ديمقراطية اخرى ؟ الواقع ان السؤال بهذه الكيفية مطروح بطريقة خاطئة . واعتقد أنه يجب أن يطرح كالاتي : مع اعترافنا بوجود هذه الاجهزة الديمقراطية وأهميتها في حماية الثورة ، **فكيف نجح الانقلاب هذه المرة ولم تنجح كل المحاولات السابقة عليه ؟**

وقبل أن نجيب على السؤال ، من المهم أن نشير الى أن تكوين الميليشيا المسلحة في غانا سبق قيام

الانقلاب بشهور ثلاثة فقط . ورغم حداثة تكوينها فقد قاومت — مع غيرها — الانقلاب وان لم تستطع الصمود وهنا تبدو انه كان ضروريا فى ظروف غانا تكوينها من قبل بمدة طويلة .

لقد كان رد فعل محاولات القوى الرجعية فى غانا منذ ١٩٥٨ للقيام بانقلاب بالاضافة الى سلسلة محاولات اغتيال نكروما ، ان استجمع الرجل فى يده كثيرا من السلطات فتولى السكرتارية المركزية للحزب بالاضافة لرئاسة الجمهورية « مدى الحياة » ثم توليه قيادة الجيش العليا مع مسئوليات اخرى عديدة . وكان من المفروض أن يواجه نكروما هذه المؤامرات بمزيد من تدعيم الحزب والاجهزة الديمقراطية واعطائها صلاحيات اكثر لتدعيم ارتباط السلطة بالجماهير — الضمان الحقيقى والاخير — لحماية الثورة . ولكنه اضطر فى مواجهة اشتداد محاولات التآمر عليه ، لا الى جمع كل خيوط السلطة — تقريبا — فى يده فحسب ، بل واستصدار التشريعات التى تخوله اتخاذ اى قرار « من أجل المصالح العليا للبلاد » .

وقد ادى هذا — بالتالى — الى شل فعالية الاجهزة الديمقراطية . فهو لم ينمى صلاحياتها وممارستها لعملها الديمقراطى والجماهيرى فى الفترة الاخيرة ، بل سحبت منها بعض صلاحياتها الهامة ، وكان معنى انتقال السلطة الحقيقية بكاملها وممارستها فى يد نكروما وحده ، يعنى **أولا** انتقالها — بالتدريج — الى جهاز الدولة باداراتها المختلفة . وبالتالى **تتجزأ** السلطة — عمليا — فيصبح الجيش سلطة والبوليس سلطة والجهاز التنفيذى والادارى سلطة .. الخ . وهنا اصبحت قضية حماية الثورة فى خطر . كما ساعد هذا الوضع **ثانيا** الى خلق مناخ عام ساعد على تسويد فكرية عبادة الفرد . خاصة فى ظروف مجتمع قبلى حيث تخلف وسائل الانتاج وبروز الطبيعة كقوة هائلة وبالتالى سيطرة الخرافات . ومن هنا تبرز — بالضرورة — أهمية المثقفين بشكل عام والزعماء السياسيين والحكام بشكل خاص . وغالبا ما يكون الزعماء والحكام فى مثل هذه المجتمعات من المثقفين فتجد ظاهرة عبادة الفرد لنفسها مجالا تكتمل فيه . ومن هنا سادت ما يمكننا تسميته بفكرية أن غانا هى نكروما ونكروما هو غانا .

ومن هذا كله ، نصل الى استكمال الاجابة على السؤال الذى سبق وطرحناه . فعندما خرج نكروما فى رحلة سياسية بعيدا عن غانا دون وجود قادة وزعماء آخرين لهم نفس تأثير وفعالية نكروما على الجماهير ، قام الانقلاب وتمكن من الاستيلاء على السلطة . وهنا يأتى تفسير لماذا أقدم الاستعمار وقوى الثورة المضادة فى غانا على تنفيذ مخططهم اثناء غياب نكروما خارج البلاد حيث تعودت الجماهير انه هو الذى يحل ويواجه كل شىء . اما الحزب والميليشيا فسيأتى دورهما — وقد حاولا المقاومة فعلا — بعد مضى بعض الوقت وحين تزول آثار « الصدمة الاولى » فى محاولة لتحرير غانا مرة أخرى . ولو لم يكن هناك حزب وميليشيا ، لتسلم الانقلابيون الاستعماريون ، غانا بدون اطلاق رصاصة واحدة .

● **ظاهرة السفراء :** ان اجهزة الحكم فى كل دولة هى مجموعة القيادات التى تنتشر فى شتى مجالات البلاد على المستوى الشعبى — الحزب والاجهزة الديمقراطية — وعلى مستوى جهاز الدولة والادارة . وتفترض ضمانات حماية النظام التقدمى وسلطته الثورية ، ان يقوم بتولى هذه الاجهزة العناصر القيادية الثورية . ومقياس الاختيار هنا هو تاريخ هذه العناصر ومواقفها من قضايا الشعب ومتطلباته . وبمعنى آخر بمدى ولائها لمبادىء النظام الثورى . وفى التحليل الاخير مدى ولائها والتزامها بمصالح الشعب وقيادته الثورية .

ولقد ادت مواجهة حدة وتزايد المؤامرات الرجعية المعادية للثورة وللاشتراكية فى غانا — كما اوضحنا — الى تركيز السلطة الفعلية فى ايد قليلة . وهنا انتشر مقياس آخر من اختيار العناصر التى تتولى المناصب القيادية والحساسة ، على اساس فكرة الولاء الشخصى البحت خوفا من تسلل العناصر المعادية .

وكان لتغليب الاخذ بمقياس « الولاء الشخصى » فى غانا ، خطورة الوقوع فى الثغرات التى دعت للاخذ به . فقد أتاح هذا المقياس الفرصة لتسلل العناصر الانتهازية والوصولية التى غالبا ما تكون على استعداد لاعلان الولاء لاى سلطة او حاكم جديد . وذلك بالتحديد ما يفسر لنا الظاهرة التى استرعت انتباه الجميع . وهى مسارعة كل سفراء حكومة نكروما — تقريبا — فى الخارج — لاعلان ولائها لحكومة الانقلاب . بل وتخلى كثير من العناصر التى كانت تحيط به كمسئولين اساسيين فى النظام .

مصير الانقلاب

واذا جاز لنا الحديث عن مستقبل تطور الاحداث فى غانا ، فان الانقلاب كحدث ، ظاهرة يتوقف استمرار وجودها من عدمه ، على طبيعة علاقات القوى داخل غانا ذاتها وفيما بين حركة التحرر الافريقى — وفى العالم — من جهة وبين

القوى الرجعية والاستعمارية فى هجومها الحاد من جهة أخرى .

فان قلنا ان الانقلاب يحمل ـ منذ لحظة التفكير فيه وتنفيذه ـ عناصر فنائه وفشله ، فاننا نقيم هذا القول على الاسس التالية :

اولا : ان التكوين العضوى لقوى الانقلاب ، توضح أنه لا يضم قوى متجانسة فى الاهداف او فى الفكر ، فاشتراك الاستعمار البريطانى والامريكى فيه ، يعنى انه سرعان ما يسعى كل منهما للاستحواذ على نتائجه منفرداً . ومن ثم سيشهد الحكم الجديد فى غانا صراعا بينهما متمثلاً فى عناصر الانقلاب من غانا المستندة الى المخابرات البريطانية وتلك العناصر المستندة للمخابرات الامريكية ، كما يضم الانقلاب عناصر وقوى قبلية تسعى كل منهما للسيطرة منفردة . ومصالح الفئات الاجتماعية التى شاركت فيه ليست واحدة ومتجانسة رغم رجعيتها جميعا . ولسوف تتفكك هذه القوى وتتصارع فيما بينها امام تطور الاحداث واختلاف وجهات نظر ومصالح كل منها حول أساليب وطرق وأهداف الحكم الجديد .

ثانيا : ان سنوات طويلة سابقة من ممارسة حزب مؤتمر الشعب وكادره للعمل السياسى ، لن تضيع بلا نتيجة . واذا كان اعضاء الحزب قد فوجئوا بالانقلاب ولم يتمكنوا من مقاومته طويلا لطابعه المفاجىء ، فلسوف يستطيع كادره أن يعيد تنظيم نفسه بشكل سرى مع مضى الوقت ليقود مقاومة منظمة ضد الانقلاب . وينطبق نفس هذا الوضع على قوات الميليشيا وعناصر اتحادات العمال والفلاحين . ان جذور التمرد على الانقلاب للاطاحة به قائمة ـ تنظيميا ـ بالفعل ولا يتطلب اعادة تنظيمها الا الجهد المركز وبعض الوقت .

ثالثا : ان الغاء اجراءات التاميم واعادة القطاع العام لملاكه السابقين فى غانا ومن الاجانب ، خطوة لن تدعم الاقتصاد الوطنى بل على العكس ستعرضه لهزات ومتاعب تضاف الى المتاعب الاقتصادية القائمة . ومن ثم لن يقدم قادة الانقلاب اى حل اقتصادى لشعب غانا الذى سيواجه من جديد بسيطرة علاقات الاستغلال الرأسمالى التى ستجره الى السخط والغضب وتدفعه الى المقارنة بين النظام الجديد وبين نظام حكم نكروما بكل مكاسبه ومنجزاته الوطنية . هذا فى الوقت الذى لم يقدم فيه الانقلابيون أى برنامج اقتصادى او اجتماعى كدليل على افلاسهم السياسى منذ البداية .

رابعا : الاثر العملى والفعال للخطوة التاريخية والرائدة التى اتخذها **المناضل سيكوتورى** ـ وليس هنا مجال الحديث عنها ـ بتولى نكروما رياسة جمهورية غينيا وسكرتارية الحزب الديمقراطى الغينى بمشاركة سيكوتورى . لقد احدثت هذه الخطوة رد فعل سياسى يوازى فى اهميته ـ من ناحية الشكل على الاقل ـ نبأ الانقلاب نفسه مما يساعد على خلق نوع من **التوازن السياسى** فى غرب أفريقيا . والواقع أن هذه الخطوة ـ نظرا لقيام اتحاد من قبل بين غانا وغينيا ـ تعنى أن الذى حدث فى غانا يعد **تمردا ضد دولة الاتحاد ورئيسها** . وبالتالى تكون له ـ من حيث الشكل ـ صلاحيات العمل لمواجهة هذا التمرد كرئيس للدولة الاتحادية . ولقد افزعت هذه الخطوة التى تتيح لنكروما هامشا واسعا للحركة السياسية ، أفزعت الانقلابيين فى غانا وجعلتهم يترصدون ـ فى فزع ـ حركة نكروما كما لو كانوا يتابعون شبحا يخشوا ان ينقض عليهم فى أى وقت .

وعلى اية حال فان انقلاب غانا ، يطرح عددا من القضايا السياسية التى يجب على كل القوى الثورية فى افريقيا تحديد موقف ـ او على الاصح تكتيك ـ جديد منها . ومن ابرز هذه القضايا اشكال التجمع والمواجهة من جانب القوى الطليعية فى أفريقيا واهمية ـ بل ضرورة ـ هذه المواجهة الملحة ـ كذلك : كيفية التحرك داخل منظمة الوحدة الافريقية ومدى فعالية ومستوى هذه الحركة . وما هى حدود العمل من داخل وحدود العمل خارجها .. الخ .

ان تطور أحداث غانا والنتائج التى ستسفر عنها ـ سلبية كانت او ايجابية ـ هى التى سوف تحدد مسار حركة التحرر الافريقى لا للعام الحالى فحسب وانما لمرحلة سنوات قادمة . ان عملية اعادة تحرير غانا لن تحسم فقط علاقات القوى اما لمصلحة حركة التحرر الافريقى واما لمصلحة القوى الاستعمارية والرجعية فى القارة ، وانما سيحسمها ـ كذلك ـ اما لمصلحة قوى التحرر والتقدم فى العالم كله أو لمصلحة قوى الاستعمار العالمى ككل . وتعد معركة اعادة تحرير غانا اليوم احدى الحلقات الرئيسية التى يجب أن تدخلها حركة التحرر والتقدم لا فى أفريقيا فحسب وانما فى العالم كله ، لاخذ زمام المبادرة من الاستعمار فى هجومه الشرس . وهى معركة ممكنة رغم صعوبتها .



نظرة اشتراكية لعالم الطفل

خصصت الطليعة احدى دراساتها الرئيسية لمناقشة متاكل التربية والتعليم ، ومحاولة اقتراح حلول تكفل قيام المدرسة بدورها فى تنشئة جيل قادر على بناء مجتمعنا الجديد وتكوين الانسان المتحرر الذى يشيد دعائم القاعدة الاقتصادية ويبلور الاسس الفكرية والسياسية للاشتراكية ، كما قدمت فى فبراير الماضى دراستها الرئيسية عن الشباب والقضايا الخاصة بتنظيمه ديمقراطيا وسياسيا وتوعيته باهداف الثورة وتعبئته ليسهم ايجابيا فى عملية البناء الاشتراكى .

والدراسة الحالية ليست الا حلقة من سلسلة الدراسات حول انسان المجتمع الجديد من مرحلة الطفولة حتى يدخل طور الرشد . فالاشتراكية ليست مجرد بناء نظام اقتصادى وتحقيق زيادة فى الانتاج وعدالة فى التوزيع بل هى اولا وقبل كل شىء تعتمد على اعادة تشكيل المجتمع ومفاهيمه وقيمه عن طريق صياغة جديدة للبشر أنفسهم ، يبدأ من سن مبكرة .. فى عهد الطفولة . ومن اجل التاثير فى عالم الطفل ينبغى دراسة ابعاده وسبر أغواره وفهم وادراك أساليب التفاعل مع سكانه وهو العنصر الذى مازلنا نفتقر الى الدراسات والبحوث الخاصة به ، رغم أهميته البالغة فى بناء الجيل الجديد ، اذ ان الطفولة — كما يقول الميثاق — هى صانعة المستقبل ومن واجب الاجيال العاملة ان توفر لها كل ما يمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح .

- نحو رؤية اشتراكية لعالم الطفل ص ٤٠
- من اجل جهاز مركزى لثقافة الطفل ص ٥١
- فى الطريق الى « حدوتة جديدة » ص ٥٣
- الحكايات الشعبية وتنمية طاقة الابداع ص ٥٦
- صحافة الابن الجديد .. قضية اشتراكية ص ٦٠
- برامج الاطفال .. والمجتمع الجديد ص ٦٤
- افلام الكرتون .. هدف ثقافى وترفيهى ص ٦٩
- مسرح الاطفال .. بين الواقع والاسطورة ص ٧٣
- الموسيقى وتربية الوجدان الاجتماعى ص ٧٧
- الملاقات الجمالية والتربية الحديثة ص ٨٠



نحو رؤية اشتراكية لعالم الطفل

د. نجيب اسكندر

عالم الطفل رغم قربه منا وارتباطه بنا او ارتباطنا به فهو مع ذلك بعيد عنا . فهو قريب منا قرب أطفالنا منا ، وهو مرتبط بنا ارتباط ماضينا بحاضرنا . ومع ذلك فان معرفتنا بعالم الطفولة يشوبها فى كثير من الاحيان نقص وقصور . هذا على الرغم من أن مستقبل حياة أطفالنا يتأثر الى حد كبير بما نفعله بحاضرهم ، اى بفهمنا لعالمهم وتصرفنا معهم على أساس هذا الفهم .

قال احد العلماء «الطفل أبو الرجل» . وهو يعنى بذلك أن التكوين النفسى للشخص الراشد ينطوى على المكونات الاولى لشخصيته وهوطفل صغير . وهذا أمر بديهى . فمن المسلم به أننا عموما نواجه ما يستجد من مواقف الحياة التى نجابهها مزودين بما حصلناه من معرفة سابقة وما كسبناه من اتجاه ومهارة وقدرة على تناول هذه المواقف . وعلى ذلك فان كل خبرة نحياها وننفعل بها لايذهب أثرها أو يمحى تماما بانتهائها وانما تعيش معنا فيمايجد لنا من خبرات الحياة . وخبرات الحياة متتابعة لاتنتهى . وكل خبرة منها تتأثر بما قبلها وتؤثر فيما بعدها . فالطفل الذى يمر بخبرة ما ويتعلم منها اسلوبا جديدا ناجحا فى اللعب مثلا سوف يقبل على تكرار هذا الاسلوب ويسعى إليه كلما توافرت له فرص ممارسته .. واذا قال الطفل كلمة فاجأ بها الكبار من حوله واثار ضحكهم لطريقة نطقه ، فهللوا له رغم أن الكلمة نابية ، فان الطفل على الارجح سوف يكررها . والصبى الذى ينهره والداه عندما يلعب مع البنات سوف يتردد اذا صادف موقفا يتيح له اللعب مع البنات . وتتغير نظرة الطفل الى البنات اذا تكرر هذا الموقف . ويبدأ فى التمييز فى المعاملة بين الولد والبنت . وقد يحدد هذا الموقف نظرته الى الجنس الاخر وعلاقته به فيما بعد فى مرحلة الرشد وعند الزواج .

حساسية الطفل

وهكذا فان الطفل لحساسيته البالغة للبيئة

المحيطة به وما فيها من مؤثرات وما تهيؤه له من خبرات تؤثر فيه سواء ادركنا نحن الكبار مغزاها أو لم ندركه . فكثيرا ما يتعرض الطفل لمؤثرات لانتبين نحن أهميتها ولكنها تحدث اثرا شديدا فى حياة الطفل ونفسيته . ويواجه الوالدان الطفل فى مثل هذه الحالات وهما فى حيرة من امرهما .فقد يتساءل الوالدان مثلا عن السر فى أن طفلهما يبدو عنيدا سيء الطبع رغم كل ما يحاط به من رعاية واهتمام ؟ أو لماذا يتغير حال طفل آخر على حين فجاة فاذا به يسبب التعب والعذاب لوالديه بالنسبة لامور كان يقبل عليها فى يسر وهدوء ،مثل تناول الطعام أو الاستحمام ؟ ولماذا يتغير حال طفل ثالث فجأة من سعادة وغبطة الى صورة جديدة مغايرة تماما تتميز بالعنف والعدوان والتحطيم ؟ . هذه امثلة قليلة من الاسئلة العديدة التى كثيرا ما يلقيها الاباء فى حيرة ، وهم عاجزون عن الكشف عن الاسباب بسؤال الاطفال الصغار الذين لا يستطيعون التعبير عن انفسهم بالكلام ..ومع ذلك فعلى الاباء ان يتذكروا دائما أن لسلوك الاطفال اسبابه ، وأن انحرافاتهم السلوكية لها مسبباتها . وان عدم معرفة السبب قد يكون فى ذاته مصدرا لبعض المشاكل التى يتعرض لها الاطفال . وقد يعاني الاباء الضيق والضجر لعجزهم عن فهم مصاعبهم ، وقد يزداد ضيق الاباء وضجرهم بأطفالهم تحت وطأة مشاغلهم الخاصة فيقسون فى معاملتهم فيزيدون من آلامهم ومشاكلهم فى الوقت الذى ينشدون فيه راحتهم وسعادتهم .

ضعف الوليد الانسانى وامكانياته الهائلة

يستطيع الاباء اذا ادركوا الحساسية البالغة التى تميز الاطفال منذ الولادة ان يحسنوا توجيه أبنائهم فيتحاشوا الاثار الضارة بنفسياتهم ، وبذلك يهيئون لهم الظروف المناسبة لسعادتهم ونموهم الصحى السليم ، فيوفرون لهم بذلك فرص نجاحهم فى مستقبلهم .

يولد الطفل الانسانى وهو اضعف المخلوقات جميعا واكثرها عجزا . ولكن يقابل هذا الضعف والعجز درجة من الحساسية للبيئة ومؤثراتها وامكانية وقوة كامنة على التوافق معها تجعله سيد المخلوقات جميعا . وهذا العجز فى المرحلة الاولى لحياة الانسان تمتد فترة طفولته وهى أطول فترة طفولة بين الكائنات جميعا ، ولكن امتدادها مع ذلك يتضمن نحول القوة الكامنة الى قدرات هائلة على العمل والتفكير ، طبعا اذا أحسن استغلالها .

وتتميز فترة الطفولة كما نعلم بالاعتماد على الاخرين فى محيط الاسرة او البيئة المباشرة للطفل، فى كل شئون الحياة وفى كافة جوانب السلوك . ومن الطبيعى ان درجة اعتماد الطفل على غيره من أفراد الاسرة يقل تدريجيا بمرور الزمن مع نمو جسمه واكتسابه للانماط السلوكية والعادات والقدرة على التفكير التى تمكنه من ممارسة الحياة بدرجات متزايدة من الاستقلال والتلقائية . ولكنه على أية حال يبدأ الحياة فى حالة من العجز الكامل عن أن يعمل لنفسه شيئا . فيرتبط بمن حوله ويعتمد عليهم اعتمادا كاملا فى اشباع حاجاته الضرورية من مأكل ومشرب ودفء وهكذا .. اى فى بقائه على قيد الحياة .

هذه الظروف تحدد شخصية الطفل وتطبعه بالطابع الانسانى منذ اللحظة الاولى لمولده . فان الصفة الانسانية والخاصية الاجتماعية تتولد من هذه العلاقة الاعتمادية الحتمية . وهذه العلاقة الاعتمادية هى نقطة البدء فى ارتباط الطفل بالعالم الخارجي وبالمجتمع الانسانى بصفة خاصة .وهذه العلاقة ايضا هى التى ينبثق منها امكانيات تحقيق استقلال الشخصية . أى أن شخصية الطفل فى تكوينها فى سياق الحياة وخبراتها تنطوى على هذا التناقض بين اعتماد على الكبار لامهرب منه ، ونزعة الى التحرر من هذه العلاقة اى الى الاستقلال .

واننا اذا تأملنا الطفل الوليد فى مهده ، فى تغذيته وفى تنظيفه وفى غير ذلك من مطالب حياته تكشف لنا عن عمق هذه العلاقة وظهرت قوتها وآثارها لا فى اشباع حاجاته المادية فحسب وانما ايضا فى تكوينه النفسى ، سواء من الناحية العقلية او الانفعالية بالاضافة الى الناحية الاجتماعية والخلقية .

ان تلبية الكبار لطلبات الطفل تحمل فى ثناياها معنيين يؤثران فى نفسيته . الاول كما أوضحناه هو عجز الطفل عن تلبيه رغباته واشباع حاجاته الاساسية بنفسه ، و الثانى هو خضوع الكبار لارادته . وعن طريق هذه العلاقة يتحدد جانب هام من عواطف الطفل الاجتماعية . فان تلبية الاباء لرغبات الطفل تعنى فوق العجز من جانب الطفل حبا واهتماما من جانب الكبار . ولكن ارادة الكبار هى التى تتحكم فى الموقف ، فيلبوا رغبات الطفل ويشبعوا حاجته ، او لا يلبوها سواء لعدم ادراكهم لما ... ، او لانهم عن قصد يرون من الاصلح الا يلبوا رغبته . وهذه العلاقة هى مصدر عواطف الطفل نحو الكبار ، وهى العواطف التى يمتزج فيها الحب والكراهية أو الرضا والسخط . وهى حالة لايهرب منها طفل وأن تفاوتت فى حدتها من طفل الى طفل .وهذه على الارجح هى العلاقة التى تتولد

منها تلك الظاهرة الانفعالية التى ابرزها فرويد وسماها التناقض الوجدانى .

وتلك الاعتمادية تولد كما قدمنا النزعة الى التحرر والاستقلال والقوة . ويكفى أن نشاهد الاطفال الصغار فى تعبيرهم الدائم عن رغبتهم فى النمو السريع والوصول الى حجم الكبار . وكثيرا ما يسأل الاطفال آباءهم : متى أكبر ؟ » وهم بذلك يسألون عن موعد التحرر والاستقلال والاستمتاع بمزايا الكبار . ويقوم الاطفال المتقاربون فى السن بمقارنة أطوالهم وهم بهذا يعبرون عن نفس الرغبة ويزيد الاباء أحيانا فى الحاح هذه الرغبة لدى الاطفال عن طريق تأجيل قضاء بعض رغبات الاطفال مع وعدهم بقضائها عندما يكبرون . هذا فى حين ان الاطفال قد لا يطلبون بعض الاشياء الا لانها ترمز الى الكبر . ويعبر الاطفال عن رغبتهم فى الكبر بتقليدهم الكبار ، فى مظاهر سلوكهم وفى اللعب وتمثيل الادوار التى يقوم بها الكبار فى الحياة . فالطفل يحاكى الكبار فى لعبه الايهامى بشرب السجاير مثلهم او بتقليدهم فى وظائفهم ، كتقليد الجندى وعسكرى المرور البائع الجائل او غير ذلك . وهذه الالوان من النشاط الذى يقوم الطفل فيها بتقليد الكبار وتمثيل ادوارهم له قيمة وفائدة فى تنشئته الاجتماعية ، اذ انه يساعده فى فهم ادوار الاخرين وهذا بالتالى يساعده فى تكوين اتجاهاته فى التعامل مع المجتمع المحيط به . وعلى اية حال فان الطفل فى هذه الحالات يعبر عن سلوك تحررى ورغبة فى التحرر من الكبار بتقليدهم . وفى هذه الخبرات هو يعيش فى عالم خاص به يندر أن ينتبه الكبار الى كافة مكوناته ومؤثراته فى نفسيته وفى تكوين شخصيته .

ودعنى أحاول أن أعطى القارىء صورة مبسطة توضح الفارق الهائل بين عالم الكبار وعالم الطفولة . وانى اشير هنا الى جانب يراه ويلمسه الكبار ولكنهم قلما يتنبهون الى مغزاه ، ذلك هو العالم الواقعى الذى يعيش فيه الطفل فى سن السنتين مثلا بما يحتويه من أشخاص ومن أشياء . هل ندرك فعلا مدى اختلاف العالم الذى يحيط بالطفل ، والذى ينشط ويتفاعل فيه عن العالم الذى نعيش نحن الكبار فيه ؟ هل يمكن أن نتصور كم تختلف معانى الاشياء بالنسبة للطفل الصغير عنها بالنسبة الينا نتيجة صغر حجمه وضعف أمكانياته . فالكرسى الذى نجلس نحن عليه ضخم جدا بالنسبة له . ولا يكاد بصره يصل الى حافة المنضدة . والصنبور مرتفع جدا ولا بد من ان مساعدة بابا أو ماما أو أخ أكبر أو أخت كبرى ليصل اليه ، هل ندرك ان مثل هذا الطفل يعيش جزءا كبيرا من حياته بين الارجل . أرجل الناس الكبار وأرجل الكراسى والمناضد وسائر الاثاث . هل يخطر ببالنا نحن الكبار كيف نمثل له قوة هائلة لاتقهر . أن بابا ضخم الجثة جدا ، بل هو عملاق وهو يستطيع ان يذلل له العقبات التى يعجز هو تماما عن تخطيها . ولكن بابا وغيره من الكبار قادر على ان ينزعه — اى الطفل — من المكان الذى يجلس فيه أو من بين الاشياء التى يلهو بها سواء رغب الطفل فى ذلك أو لم يرغب . بل أن بابا أو ماما او غيرهما قد يحيقون به الم العقاب البدنى اذا أثارهم بضجيجه أو صراخه .

الخلاصة ان الطفل فى المرحلة الاولى من حياته يكون خاضعا بدرجة كبيرة لتأثير الكبار فى بيئته المحيطة .. ويتوقف على أسلوب معاملته الصورة التى تتشكل بها شخصيته . فى المرحلة الاولى يتعود الطفل العادات الاولى التى ترتبط بحاجاته ووظائفه الجسمية مثل الطعام والاخراج والنظافة والنوم . ويختلف الاباء فى طرق تنشئة أطفالهم فى مراحل النمو المختلفة . وقد يساعد الاباء اطفالهم على النمو السليم فى اتجاه التحرر والاستقلال من تبعيتهم واعتمادهم عليهم ، وقد يتعجلوا الامر او يهملوا فى توجيههم فيتعرض نمو الاطفال للضرر وقد أثبتت الدراسات أن الطبقات الوسطى — فى المجتمعات الطبقية — أشد تزمتا واكثر قلقا فى تربية أطفالها بالنسبة للحاجات العضوية الاولى ومع ذلك فانهم اقل استعدادا لتوجيه أطفالهم نحو التحرر الاجتماعى السليم من تبعيتهم لهم . أما الطبقات الدنيا فهى أكثر تساهلا واقل حرصا فى تربية أطفالها بالنسبة للحاجات العضوية واكثر تهاونا فى اعتماد اطفالها على آبائهم .

وهكذا فبينما قد يتعرض الطفل فى الطبقة الوسطى لتعطيل النمو الاجتماعى نحو الاستقلال والتحرر ويظل عاجزا عن تصريف أموره بثقة فى مستقبله فان الطفل فى الطبقات الدنيا كثيرا ما يحرم من حقوق الطفولة فى مرحلة مبكرة من حياته بل قد تعتمد الاسرة عليه من الناحية الاقتصادية ، فيخرج الى مجال العمل قبل أن يبلغ المرحلة المناسبة لهذا . ويتحمل اعباء أكثر مما يطيق بالنسبة لامكانيات نموه السليم بطبيعة الحال .

أن موقف الطفل الصغير لايظل على حاله من الضعف والقصور الذى يبدأ به حياته . فهو ينمو بالتدريج ويقترب من الكبار فى الحجم وفى الانفعالات وفى العادات وفى التفكير ولسنا هنا فى معرض دراسة تفصيلية دقيقة لمراحل النمو النفسى . ولكننا نقصر كلامنا على الاشارة الى بعض المعالم الهامة فى هذا الصدد واول هذه المعالم ان الطفل ينمو كوحدة أى انه عندما ينمو جسميا وعضليا تنمو قدراته على الحركة ومهارته فى الكلام ، فيستطلع جوانب جديدة من بيئته المادية بالحركة بالانتقال اليها ، كما

يستطلع هذه البيئة بسؤال الكبار عنها ، وبالتمكن من الكلام يطرق آفاقا من عالم الناس لايتيسر له ان يطرقها الا وهو مسلح باللغة اداة التخاطب والمعرفة . ويعرف الاباء كثرة الاسئلة التي يوجهها الاطفال اليهم حالما يصلون الى السن التي يستطيعون فيها ان يصيغوا اسئلتهم . ويتوقف الكثير من امكانيات النمو العقلي للطفل على طريقة الاباء في الاستجابة لاسئلته. فاما ان يستجيب لها استجابة جادة تتناسب مع ادراك الطفل ، او يهون من شأنها فيدرك الطفل ذلك باحساسه المرهف وبالمفارقة بين استجابة الوالد له ولغيره من الكبار ، او قد يضجر الاب واحيانا يحرج من بعض الاسئلة فيعنف في مخاطبة الطفل . ويتأثر الطفل تبعا لذلك وتنمو عنده الرغبة في التعلم والقدرة على ادراك المعرفة ، او قد يفتر استطلاعه وتخبو رغبته في المعرفة . ولاشك أن نذكر هنا أن جو الاسرة وطبقتها ومستواها واهتماماتها الثقافية يؤثر في الطفل في هذه الناحية وتبث فيه الرغبة في التعلم عن طريق محاكاة الكبار أو تفعل عكس ذلك .

وهكذا بالحركة والكلام تنمو قدرات الطفل المعرفية . ويحسن أن نتذكر هنا أننا رغم تحليلنا جوانب النمو الى مكوناتها فاننا نؤكد ان النمو يحدث بصورة كلية حيث تتداخل الجوانب المختلفة معا وتؤثر بعضها في البعض الاخر .

ويمر الطفل في نموه بمراحل من التغير التدريجي تنتهي بتغيرات سريعة يطلق عليها أسم النضج . فاذا أخذنا المشي مثلا نجد أنه موقف من مواقف النمو الجسمي الحركي . وقبل أن ينضج الطفل للمشي تحدث تغييرات كثيرة في نمو هيكله العظمي وفي عضلاته ، وكذلك يحدث تدريب للعضلات خاصة عضلات الظهر والارجل ، وذلك في أثناء تقلب الطفل من جنب الى جنب وهو راقد في فراشه او في الجلوس وما يأتيه من حركات تنتهي أحيانا بالحبو . والحبو بدوره يعد الطفل لمرحلة النضج للمشي . وليس النضج عملية تحدث مفاجأة دون مقدمات كما يتصور البعض بل هي نتيجة لتغيرات متوازنة في الجسم نتيجة التغذية وفي الحركة المناسبة . وقد يحاول الاباء أن يستعجلوا مشي الطفل ، فيوقفونه على أرجله ويستحثون خطواته قبل أن يستعد لذلك فيلحقون به الضرر من الناحيتين الجسمية والنفسية . أما من الناحية الجسمية فانه قد يتعرض لتقوس الرجلين ، وأما من الناحية النفسية فانه يعاني الالم الجسماني والضغط الذي يفرضه الكبار عليه دون أن يدركوا ما يعانيه من الم . وبالمثل يتعرض الطفل للضرر اذا تأخر تعويد الطفل وتدريبه على المشي بعد أن يكون قد بلغ المرحلة التي يكون مستعدا فيها لذلك . بل الواجب تشجيع الطفل على المشي او على الحركة او النشاط ولكن دون اغفال مستوى قدراته ، وبحيث تستمر حياته حلقة مستمرة من التحديات التي تعبىء جهوده لمواجهة الواقع ، مع العمل الجاد المركز الدءوب للتغلب على العقبات والوصول الى اهدافه .

ومن المواقف ذات الدلالة في حياة الطفل وفي نفسيته في مرحلة الطفولة ، موقف تكلم فيه الباحثون في علم النفس كثيرا ذلك هو وقف الفطام . والفطام كما هو معروف تغيير في نوع الطعام وفي طريقة التغذية من رضاعة الى الغذاء العادي الشبيه بغذاء الكبار .

هذا الموقف كثيرا ما يسبب آلاما نفسية شديدة للطفل بغير داع . ومرجع هذا عدم وعي الاباء بحقيقة ظاهرة النمو وعلاقته بالنضج فالتدرج في تعويد الطفل على الاطعمة المختلفة يساعد الطفل على التوافق التدريجي لانواع الطعام التي سيتناولها بعد الفطام . فاذا كان التغير في نوع الطعام الذي يعطى للطفل تدريجيا ، فان الفطام يمر بسهولة ويسر دون ازمات نفسية كتلك التي تعرفها الامهات وتعانين بسببها عند الفطام المفاجىء . والواقع ان مشكلة الفطام المفاجىء الذي يتم دون تمهيد او اعداد يشمل الجانب الجسمي حيث لاتكون امعاء الطفل قد تعودت على استقبال وهضم الطعام الجديد . ثم ان الجانب النفسي ولعله ابعد أثرا في شخصية الطفل يتعرض هو الاخر لهزة عنيفة . ذلك أن عملية الرضاعة لاتقف في تأثيرها في الطفل عند ناحية أشباع الجوع فالرضاعة تتضمن حضانة الام لطفلها فهي تحمله وتقربه من جسمها وتهدهد جسمه بيديها وتحنو عليه بحركاتها وبصوتها الى غير ذلك من انماط السلوك التي تصاحب الرضاعة . وبذلك ترتبط الرضاعة باشباع دافع الجوع كما ترتبط بالدفء والحنان وصدر الام ووجهها ويديها . وعند الفطام المفاجىء يحس الطفل بالتغير الكبير في مذاق الطعام وبحرمانه من علاقته بأمه عند الرضاعة ، وهي أهم علاقاته في عالمه المحدود واكثرها تأثيرا في طمأنينته واستقراره . هي الصلة المطمئنة له في علاقته بالعالم الخارجي . فاذا اهتزت هذه الصلة فجأة ودون أعداد لاشك يهتز كيان الطفل كله تبعا لذلك اهتزازا بالغا سواء من الناحية الجسمية أو الانفعالية او الادراكية . ومن ثم يصبح هذا العالم المطمئن مصدرا للقلق . وتزداد الحالة سوءا اذا اضافت الام الى الثدي بعض المواد المرة او الحريفة حتى يكف الطفل عن المطالبة بالثدي للرضاعة . وينجح هذا الاسلوب في تحقيق هدفه ولكن على حساب معاناة الطفل وعذابه النفسي . ومع هذا فان مواجهة هذا الموقف في غاية البساطة . فهو لايتطلب سوى الاعداد التدريجي للفطام كما قدمنا

وذلك بتعويد الطفل فى مرحله مبكره ، وبارشاد الطبيب على اطعمة منوعة تزداد فى المقدار بالنسبة للرضاعة بالتدريج حتى مرحلة الفطام . واذا اتبع هذا الاسلوب سهلت العملية بل ان الطفل قد يقلع عن الرضاعة من تلقاء نفسه .

الطفل مجرب وباحث صغير

نحن لانعنى بما تقدم ان الطفل سلبى فى العلاقات التى تربطه بالعالم الخارجي او بغيره من الناس . أو، أن شخصية الطفل تتشكل كالعجين بتأثير مؤثرات خارجية تفعل به ما تشاء . فبالرغم من الاهمية الحاسمة لدور البيئة والمجتمع الخارجى فى تنشئة الطفل وصياغة ذاته وتكوين شخصيته الا ان الصورة الحقيقية لعملية النمو من جوانبها المختلفة لاتتم الا اذا اخذنا فى الاعتبار تكوين الطفل ذاته . ولن نمس هذا الجانب الا من حيث مظهر من المظاهر التى يعرفها الاباء وجميع من عاشروا الاطفال فى مراحل حياتهم . ذلك هو النشاط الدائم الذى يميز الطفل فى حالة اليقظة . نحن نعلم جميعا ان الطفل لايفتا يتحرك وتكون حركته فى المراحل الاولى غير منتظمة، بل هى حركات عشوائية ولا تتحدد بعضو واحد مثل اليد او الاصبع أو القدم الا فى مراحل متقدمة من النمو . فيكفى مثلا أن يمس الانسان جزءا من اجزاء جسم الطفل مثل شفتيه أو ذقنه ليتحرك الجسم كله . ولكن برغم ان تلك الحركات عشوائية الا انها هامة فى تهيئة الطفل للمراحل المقبلة للنمو . فعندما «يرفس» الطفل بقدمه ويقابل عائقا كورقة مثلا تحدث صوتا وضجيجا يتعلم الطفل شيئا . ويكرر هذه الحركة فيتدعم عنده نتيجة هذه المواقف اتجاه هام يربط بين ما يفعله هو فى البيئة وبين الاثر المترتب على ذلك انه لون من الادراك مهما كان منخفضا الا أنه ذو دلالة هامة فى تكوين الطفل ونمو شخصيته .ونحن جميعا نعلم من خبراتنا كيف ان الطفل عندما يتعلم الامساك بالاشياء لا يكاد يمسكه حتى يقربه من فمه ويضعه على الفور فى فمه فيتذوقه . والطفل يتعلم الامساك بالاشياء بالتجربة كذلك، ونحن كثيرا ما نرى الطفل يمد يده ليمسك شيئا ما فتقصر عن أن تصل اليه فيجرب مرة تلو المرة حتى يتعلم وينجح فى الوصول الى هدفه . ان فى مثل هذه التجربة يتعلم أن ينسق بين الرؤية والمسافة والشكل والملمس . فالرؤية ذاتها اى الادراك البصرى — مسالة لابد ان يتعلمها الطفل بتجاربه فى عالمه الصغير بالنسبة لنا نحن الكبار والكبير جدا بالنسبة له هو . وهو بذلك يتعلم الكثير من الاشياء المحيطة به فى عالمه سواء من حيث شكلها وملمسها او لونها او مذاقها ورائحتها ، وما ان يصل الى المستوى الذى يستطيع أن يتحرك تلقائيا من موضعه وسواء بالحبو او المشى — يتسع عالمه بشكل جذرى وتتسع لذلك مجالات التجارب لديه وهذا يساعده على كسب المعرفة وتنمية قدراته ومهاراته فى التعامل بالعالم المحيط به . وقد يتعرض فى اثناء ذلك لبعض الضرر الناجم عن تناول اشياء ملوثة تسبب له المرض . أو قد يتعرض للاذى عن طريق الاصابة بالجروح او نتيجة الاصطدام أو السقوط على الارض وقد يتطور اسلوبه التجريبى لما يدركه بخبرته من أمر ما تحدثه الاجسام عند سقوطها فيلقى بالاشياء ليسمع صوتها أو ليستمتع بتناثرها وهى تتحطم وهنا يتدخل الكبار من حوله ويوجهون حركته او يحددونها ويقيدونها . وهو يتعلم من هذا الكثير . بل أن ما يتعلمه باحتكاكه بالناس هو اكثر جوانب خبراته تأثيرا فى سلوكه وفى تكوين شخصيته وتبدا تجاربه فى هذا المجال منذ ان يتعلم الصراخ او يستدعى أمه لارضاعه . وهو يصرخ اولا بتأثير الجوع أو الالم الذى يتسبب عن الجوع أو عن ضغط تتعرض له قدمه أو ذراعه فى فراشه نتيجة حركته مثلا ،وعلى اية حال فان الموقف يتحدد ببساطة فى أنه يحدث تأثيرا فى بيئته بالصراخ فى هذه الحالة ويترتب على هذا التأثير ان تستجيب البيئة فى هذه الحالة له . ويدرك الطفل العلاقة بين ما يحدثه فى بيئته من اثر مايترتب على ذلك من نتائج .ويتعلم من هذا ان يستدعى أمه او غيرها بهذا الاسلوب وكثيرا ما تشكو الامهات ويشكو الاباء من تعود الطفل كثرة الصياح ولايدركون انهم هم السبب فى ذلك .

ومن الواضح ان الطفل فى سنى حياته الاولى وفى سياق تجاربه يكون دعائم بناء شخصيته فتتحدد قدراته الفكرية بمجالات الادراك التى تهيأ له . وينبغى أن نتذكر هنا ان الجانب الفكرى لاينمو منعزلا عن الجانب العملى . فان ادراك الطفل للاشياء ، هذا الادراك الذى يكون المادة الخام للتفكير لايتأتى الا بالممارسة والعمل اى بالتجربة . وأما ما قد يحدث من فصل بين الجانبين فهو لايتأتى الا بطرق تعليمية مصطنعة فى المراحل المتقدمة من السن .

ويتوقف الكثير من نمو قدرات الفرد على البحث والتأمل والتركيز على ما تتاح له من ظروف التجريب بالاشياء فى هذه المرحلة فان الطفل فى استطلاعه الاشياء فى بيئته يدرك اشياء كثيرة ويتعلم مهارات جديدة . ولكن ما يتعلمه يفوق هذا الجانب المباشر اذ انه يتعلم اسلوب التعلم والبحث . يتعلم التركيز والانتباه أو قد يتعلم نقيض هذا اذا اعترض الكبار طريقه . أو اذا كان كل ما يلمسه من اشياء يعتبرونه من المحرمات خوفا على اتلافه أو كسره دون أن

يعدوا له بديلا لايخشون عليه يستطلعه ويجرى عليه تجاربه وفى هذا المجال تقدم لعب الاطفال المعدة خصيصا لتتناسب مستويات النمو والنضج المناسب بدور هام فى تنمية قدرات الطفل وتوجيه شخصيته نحو العمل الهادف فى البناء والتعمير .

ان تدخل الاباء فى مجرى خبرات الطفل بالصورة التى تنقله مفاجأة مما يمارسه من عمل «تلقائى» الى غير ذلك من الوان النشاط التى يفرضونها عليه . مهما بلغت اهميتها فى نظرهم ، تحرم الطفل فرصة النمو الادراكى والفكرى ، هذا فوق ما قد تسببه له من ضيق وينعكس فى تبرمه بهم واثارة انفعالاته فى حين ان الاباء يستطيعون ان يقدموا الشىء الكثير فى مضمار تنمية القدرات الفكرية للطفل عن طريق تهيئة الظروف التى تدعم لديه امكانيات الابداع والابتكار وتضيف الى النمو اللغوى اداة هائلة .

تكوين الذات والشخصية

والطفل فى صلاته بالاخرين من حوله وفى تعامله معهم وبوجيههم له او تدخلهم فى نشاطه يساعدونه عن وعى منهم او عن غير وعى فى تكوين ذاته وشخصيته . اى ان ما يعرفه الطفل عن نفسه وتميز ذاته عن غيره ، وما يرتبط بهذه العملية من صفات يراها فى غيره او فى نفسه وصفات يدركها فى غيره من الافراد المحيطين به فيميز الناس بحسب صفاتهم المتباينة ومراكزهم فى مجتمعه الصغير ، تلك المراكز التى تتحدد فيما يقومون به من افعال واعمال متمايزة، وخاصة تلك التى تكون لها علاقة به . فالطفل يتعلم عن ذاته انه ولد او بنت يتعلم اسمه عن طريق تكرار الافراد المحيطين لذلك الاسم ، ويتعلم انه جميل او ذكى او قبيح او شقى وغير ذلك من الصفات نتيجة لارتباط نطق هذه الصفات بسلوك معين طابعه الابتسام والضحك والاشراق او التجهم والعبوس الذى يلازم النطق بها . ولكن من المهم أن نتذكر ان الطفل يتعلم عن الافراد الاخرين من الصفات المختلفة ويعرف أسماءهم قبل أن يعرف ذلك عن نفسه . وهذا أمر ليس مستغربا لان الطفل يتعامل مع الافراد الاخرين ويحتاج الى التمييز بينهم بتمايز الادوار التى يقومون بها نحوه ، ومنهم يعرف ذاته أو فكرته عن نفسه بمخاطبتهم له وتصرفاتهم معه .

الطفل ليس أنانيا بطبعه

أن العلاقة بين الطفل وغيره من الناس تقوم فى أول مراحل حياته كما قدمنا على الاعتمادية التامة من جانب الطفل . الطفل يأخذ ولايعطى ، على الاقل لايعطى عن وعى شيئا لمن يأخذ منهم . والبيئة بالنسبة له وخاصة الافراد فيها مصدر للاشباع واللذة أو الحرمان والالم . فليس من العجيب أن يفتقر سلوك الطفل فى حياته الاولى الى مظاهر الكرم لانه يتعلم منذ البداية الاعتماد على غيره ولهذا فان من اهم مسئوليات الافراد المحيطين به والذين يقومون بتنشئته أن يطوعوه على الاتجاهات الغيرية والسلوك التعاونى وغير ذلك من انماط السلوك التى تتمشى مع اتجاهاتنا الاجتماعية الاشتراكية وذلك بتشجيعه واثابته على السلوك السليم . ويكتسب الطفل السلوك الذى يثاب عليه او السلوك الذى يحقق له النجاح ويقلع عن السلوك الذى يعاقب عليه او لايحقق له النجاح . وعلى ذلك فان الطفل اذا اتى من السلوك ما يجد قبولا لدى أهله والافراد المحيطين به فأثابوه عليه سواء بأساليب مادية او بالتشجيع والاساليب المعنوية، تدعم هذا السلوك وتكرره، واصبح يشكل جزءا من شخصيته اى اصبح نمطا سلوكيا وعادة أصيلة ، والا اقلع عنه . وحساسية الطفل تجعله قادرا على التمييز بين القول الذى يظهر له اثر فى الواقع والقول الذى لايعنيه قائلوه . ولهذا فان القول وحده لا يكفى ، بل ان القول الذى لا يطابق العمل يعلم الطفل النفاق .

العلاقات الاجتماعية فى الاسرة وأثرها فى تكوين ذات الطفل وشخصيته

تتكون صورة الطفل من نفسه ، وبعبارة اخرى تتكون ذاته من خلال سياق الخبرات التى تجرى فى بيئته المنزلية اولا ، وفى المجتمع الخارجى ثانيا . ومعنى هذا أن العلاقات التى تسود الاسرة وخاصة ما يشكل الطفل حلقة فيها هى العامل الحاسم فى تنشئته الاجتماعية وتكوين ذاته ، ثم هى التى تتبلور حولها شخصيته .

ومن العلاقات ذات الدلالة فى نمو الطفل تلك العلاقة بين الجنسين فى الاسرة اى بين المراة ممثلة فى الام ، والرجل ممثلا فى الاب . هذه العلاقة وامتدادها فى التمييز بين الولد من جانب واخته من جانب آخر تترك أثرها فى ادراك الصبى لذاته وفى ادراك البنت لذاتها . وليس غريبا نتيجة العقاب والثواب أن تقبل البنت دورا منحطا عن الصبى أو خاضعا له كما يحدث فى المجتمعات الطبقية المختلفة او كما يحدث نتيجة لرواسب الماضى كما فى بعض القطاعات عندنا ، ويشمل التمييز فى المعاملة بين البنت والولد التباين فى نوع ومدى المسئوليات المتاحة لكل والحرية فى العمل وفى التصرف وهما

عاملان حاسمان فى تطبيع الشخصية على الثقة بالنفس والجدية التى تؤخذ بها الامور الهامة فى الحياة . وتتأثر شخصية الولد والبنت وتتمايز كذلك بالفرق فى الجدية التى تؤخذ بها بعض جوانب الحياةبالنسبة للجنسين مثل المظهر الخارجي والعمل الدراسي وليس ببعيد الوقت الذى كان التعليم بالنسبة للبنت ينظر اليه كترف لا قيمة له اذا قورن بموقف الولد من التعليم هذا مع تاكيد المظهر الخارجي للبنت اذا قيس بمظهر الولد .

أن المعاملة المتباينة التى يعامل بها الجنسين وما يصاحب هذه المعاملة من أساليب العقاب والثواب فى الاسرة ثم فى خارجها تساعد فى تدعيم قيم الاسرة وطبقتها وقيم المجتمع بصفة عامة . ونحن مازلنا فى بعض الاحيان ندعم التمايز بين الصبي والبنت فى تنشئة الطفل عندما نعير الولد مثلا اذا بكى بقولنا « اخص انت بنت بتعيط ! ؟ » وقد يكون مثل هذا الاسلوب رادعا عند تكراره فيمتنع الصبى عن البكاء ، الا أن هذا الاسلوب لايقف فى تأثيره عند حد منع الطفل من البكاء ، لانه يتضمن معنى تحقير البنت ووضعها فى مكانة منحطة بالنسبة للصبى . وتكرار مثل هذا القول وغيره فى المواقف المختلفة فى مرحلة الطفولة وهى المرحلة الاولى للتكوين النفسي تؤدى الى استمرار التمايز بين الجنسين . وهذا الاثر لايقف عند توجيه عقلية الصبى فقط ولكنه يمس البنت كذلك . ذلك أن البنت تتأثر هى ايضا بما يدور حولها من احداث ، وتتأثر لحساسيتها بالفرق فى معاملتها ومعاملة أخيها الصبى .

ومن ثم فقد تنطوى ذات الصبى على اعتزاز بجنسه مبني على أساس الغرور فى حين تنطوى نفسية البنت على الاستسلام لضعفها وانخفاض مستواها ومكانتها الاجتماعية عن مستوى الصبى وتتأصل هذه القيم فى النفس بدرجة كبيرة لانها تكتسب فى مرحلة مبكرة لاتكون القدرة الناقدة قد نمت فتمتص امتصاصا .

وفى البيت تتكون كذلك الاتجاهات الاجتماعية التى تنطوى عليها الذات وتنبنى عليها الشخصية كتلك التى تعبر عن الفروق الطبقية مثلا . وهى تتمثل فى البيت فى التعبير عن راى الكبار فى الاسرة نحو الفئات والطبقات الاخرى فى المجتمع . ويتدخل الاباء احيانا فى علاقات الطفل بغيره من الصبية ويمنعونه عن الاتصال ببعض الاطفال لعدم ملاءمتهم لطبقته ، أو لان اللعب معهم لايليق اذا كانوا من مستوى اجتماعى اقل ، أو لانه لايصح أن يتجاوز الطفل حدوده بالاختلاط بأبناء السادة الكبار على اعتبار أن هذه مغامرة قد تعرضه لاضرارهم ، ومثل هذه الاتجاهات ولا شك آخذة فى الاختفاء بالتحول الاشتراكى ومع ذلك فان رواسبها ما زالت باقية .

ومثل هذا التأثير يحدث بالنسبة لما عدا ذلك من قيم اجتماعية لها أهميتها فى تنشئة الطفل وتكوين ذاته وشخصيته . فمثلا عندما يعكس الاباء تطلعاتهم الشخصية وخاصة مالم يتحقق لهم منها على ابنائهم فيهيئونهم ذهنيا وبالخيال لانواع معينة من الاعمال بغض النظر عن مناسبتها لهم ، بل قد يلجأون فى سبيل ذلك الى تحقير العمل اليدوى فى نظر أطفالهم ليحثوهم على التطلع الى مناصب ووظائف ذات مستوى عال من ناحية المركز الاجتماعى بالمعايير التقليدية التى تعد فى حكم الرواسب الطبقية فيؤدى هذا الى دعم التناقض الذى نعمل على التخلص منه بين فئات الشعب . ومن ثم تصبح تلك الاتجاهات والافكار من التطلعات التى تتناقض وواقع المرحلة الحاضرة .

ومن أخطر المظاهر فى هذا الجانب ذلك الاتجاه الفردي الذى لايفتأ الاباء يبثونه فى أطفالهم بقصد حثهم على الاجتهاد والعمل . فكثيرا ما يلجأ الاباء الى مقارنة انجازات الطفل وسلوكه بغيره ، مع تعييره بمن يفوقه لحثه على تحسين سلوكه وعمله . ويبلغ تأثير هذا العامل أبلغ مستوياه ويصل الى أسوأ صورة عندما يقارن الاباء بين الاخوة والاخوات ، يعيرون الواحد منهم بمقارنته بالاخر وبذا يخلقون أسباب الخلاف والعداء بينهم مع ما فى هذا من خطورة فى تكوينهم النفسي والاجتماعي باعتبار أنهم يعيشون معا دائما ويعانون من الحقد الذى يتكون نتيجة هذه الاساليب نحو بعضهم .

وتواصل المدرسة نفس الاتجاه فى معاملة التلاميذ عن طريق أساليب التربية التقليدية ونظم الاختبارات والامتحانات والتقويم التقليدية التى وضعت فى الماضى على أساس أن الطفل يعد لحياة قوامها التنافس الهدامة أو على الاقل يقف حائلا دون وقد لا يفيد فى حث الطفل على التعود على بعض انماط السلوك أو التخلص من أنماط أخرى . ولكنه أسلوب يؤدى الى دعم الفردية والاهتمام بالمشاكل الذاتية ، مع عدم الاهتمام بمشكلات غيره من الافراد بل أن هذا الاسلوب الفردي يبث عادات التنافس الهدامة او على الاقل يقف حائلا دون تكوين عادات التعاون ، ويشيع الانانية وحب الذات هذا فى الوقت الذى يمكن بالتوجيه الواعي للاطفال نحو التعاون سواء فى البيت أو المدرسة أن يصل الاطفال الى مستويات من الاستعداد والقدرة على التعاون والانجاز بالتكافل وتوحيد الجهود وتنسيقها مما يسمح لكل فرد ان يقدم اقصى ما يستطيع من عمل وفكر لصالح المجموع ويصبح بذلك عضوا

بناء فى مجتمع اشتراكى تقوم الحياة فيه على تعاون أبنائه .

الاساس الطبقى لتكوين الذات والشخصية

وهكذا يمكن ان نستطرد فى سرد الامثلة العديدة التى تبين القيم التى تنطوى عليها الذات والشخصية فى مرحلة النمو . ولكن يحسن أن نبرز أن عملية التنشئة الاجتماعية فى الاسرة وخارجها تتأثر بنمط الحياة السائد فى الاسرة وبأصلها الطبقى .فابناء الطبقة الاجتماعية يشتركون بصفة عامة فى نظرتهم الى القضايا الاساسية فى المجتمع . ويشتركون فى تحديد المشكلات التى تعانى منها طبقتهم كما يشتركون فى اقتراحاتهم للحلول المناسبة لتلك المشكلات . فاذا كانوا غير مسايرين للتحولات الثورية فى المجتمع ، فقد يتصرفون فى حياتهم كما لو كانت الامور ثابتة على حالها ولاشك أن هذا الوضع ينعكس فى تربيتهم لابنائهم وتنشئتهم لهم سواء أكان هذا بشكل صريح واع يتضح فى آمالهم نحو ابنائهم ومستقبلهم وطريقة تربيتهم لهم مستهدفين تحقيق تلك الامال ، أو بطرق غير مباشرة عن طريق القدوة التى يقدمونها لاطفالهم والنماذج السلوكية التى يفرضونها على أبنائهم بما يأتونه هم من سلوك فى معاملاتهم وعلاقاتهم ومن يختلطون بهم من افراد ، وفى سياق خبراتهم فى الحياة عموما .

التفاوت فى التنشئة الاجتماعية أمر طبيعى فى المجتمع الطبقى الذى تؤيده الدولة بالتمييز فى الخدمات التى تقدمها للفئات المختلفة وخاصة التعليم . وهذا التمييز يعد الاجيال المتتالية على النحو الذى يضمن استقرار الاوضاع الطبقية لمصلحة الفئات المستغلة ويكون ذلك بتثبيت تلك الفوارق الطبقية لترضى الفئات المستغلة مركزها ودورها فى الحياة . ولكن الموقف يختلف جذريا بطبيعة الحال بالنسبة لمجتمعنا فى تحوله الى الاشتراكية. ولا بد من أن نعاود النظر فيما ننشده فى أبنائنا من قيم ومن صفات، وان نعمل على التمكين لتلك القيم والصفات من أن تحل محل تلك الرواسب الطبقية التى عملت العصور الماضية على دعمها والتمكين لها فى النفوس. ان انطلاقتنا الى الامام رهن بقدرتنا على تنشئة جيل جديد متحرر من رواسب الماضى الفكرية والوجدانية والسلوكية عموما . وفى سبيل هذا لابد من تعبئة كافة أمكانياتنا من تعليم مدرسى وتوعية للتربية المنزلية وغير ذلك من أساليب التربية مثل الفن بالوانه المختلفة والنشاط الاجتماعى والرياضى . ونستطيع باختصار ان نحدد مسئوليتنا فى جانبين هما أولا توحيد الاتجاهات الفكرية لتتمشى مع مجتمع تذوب فيه الفوارق الطبقية ، وثانيا إعداد النموذج الاشتراكى السليم للذات والشخصية .

انتهينا من عرض هذه المرحلة السريعة فى عالم الطفل . وقد واجهنا الطفل فى مواقف النمو ومواقف التربية المختلفة ، واشرنا الى الاختلاف فى الظروف السابقة لمجتمعنا والظروف الثورية المعاصرة وبينا مطالب المرحلة الجديدة وما تفرضه من نظرة ثورية جديدة الى الطفولة وحقوقها والى مطالبها . وبقى أن نؤكد أن المنزل ليس وحده المسئول عن اعداد النشء ، فللمدرسة بطبيعة الحال دور هام وكذلك لوسائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون ومسرح وقصص وغير ذلك مما يعرض على أطفالنا ويؤثر حتما فى نفوسهم وفى تكوين شخصياتهم .

فنون الاطفال

وأثرها التربوى

استعرضنا فيما مر بعض ما يصادف الطفولة من مواقف وصعاب ، وما يواجهها من تحديات فى رحلتها نحو الرشد .

وتعتبر الفنون المختلفة من أهم العوامل التى تؤثر فى عملية التطبيع الاجتماعى وفى تكوين شخصية الطفل ، وذلك بطرقه الجوانب الانفعالية والنفسية المناسبة من شخصيته .فللفنون خاصية مخاطبة العاطفة والوجدان بدرجة تفوق وسائل التواصل الاخرى . وهى بهذا قادرة — اذا أحسن توجيهها — على ان تؤثر تأثيرا ايجابيا هائلا فى عملية النمو النفسى لا تجاريها فيه غيرها من الوسائل الاخرى، وتزداد قوة تأثير الفنون المختلفة من قصص وتمثيل واغان وأناشيد وموسيقى ، اذا مست من الطفل وترا حساسا ، أى مست ما تنطوى عليه نفس الطفل من احساسات وعواطف وانفعالات .

ان قصة «سندريللا» مثلا تلقى اقبالا شديدا من غالبية الاطفال . ذلك ان «سندريللا» وهى الطفلة الصغيرة الجميلة ، التى لاحول لها ولا قوة تقف عاجزة أمام جبروت امرأة أبيها وبناتها . ويتجاوب الاطفال عادة مع هذه القصة لما يحسون به من نقص وعجز ويتوحدون مع«سندريللا»وما تتعرض له من ظلم، فيتقمصون شخصيتها ويعيشون خبراتها وهم يسعدون ايما سعادة بانتصارها فى النهاية بذلك الاسلوب الخرافى الذى يؤدى بها الى الزواج من الامير على ماتنتهى به القصة .والاطفال لايملون تكرار سماع القصة ويلحون فى تكرارها لما تشبعه فيهم من حاجات نفسية يعجزون عن الافصاح عنها . ولكن رغم ما فى القصة من جوانب ايجابية ، الا ان الموقف السلبى للبطلة ، والحل الخرافى الذى أنتهت اليه ، رغم ما ينطوى عليه من

تفاؤل ، لا بدعم اتجاهات العمل الايجابى التى ننشــــدها فى النشىء فى المرحلة الحالية بالذات . ولعل قصة الشاطر حسن (من قصصنا الشعبى) من هذه الزاوية خير منها .

ومن القصص والروايات التى يقبـــل عليهـــا الاطفال اقبالا شديدا ، ويتوحدون بمشاعرهم مع أبطالها تلك القصص التى تقوم على البطولات الفردية الخارقة او الخرافية كما فى قصص رعاة البقر ، أو كما فى قصة «السوبرمان» التى تعرض عليهم فى التليفزيون . أن هذه القصص تمتلك مشاعر الاطفـــال بشدة ، وذلك لسبب بســـيط هو أنها تمثل لهم ما يتوقون الى تحقيقه فى حياتهم بل أن تاثير مثل هذه القصص والتمثيليات يتعدى الانفعال المؤقت عند المشاهدة اذ أنه يظهر فى سلوك «المحاكاة» الذى يقوم به الاطفال ، اى محاكاة رعاة البقر فى ملابسهم وفى حمل السلاح مثلهم ، ومحاكاة «السوبرمان» فى حركاته . ومع هذا فان الجانب الاخطر من هذا هو ما تنطوى عليه هذه الانماط السلوكية مما يترسب فى نفوسهم نتيجة لمثل هذه المؤثرات فى اتجاهات فردية أو عدوانية نحو الحياة والمجتمع ، بل أن مثل هذه المؤثرات قد تدعم عند الاطفال اتجاهات نفسية « هـــروبية » نتيجة الحلول الخرافية التى يتصورونها بالنسبة لحياتهم ومشاكلهم الخاصة . هذا بطبيعة الحال احتمال لما قد ينجم عن امثال هذه القصص والتمثيليات وهنا يثير بعض المتخصصين فى الطفولة وفنون الاطفال بعض التحفظات خلاصتها أن الطفل لايتأثر تأثيرا سلبيا من مشاهدة مثل هذه القصص أو الاستماع اليها أو قراءتها الا اذا كان لديه استعداد سابق لذلك . ولكننا نعلم أن الاستعداد تخلقه ظروف الحياة وما فيها من صراعات وتناقضات يتعرض لها الطفل فى نموه ، فهو يرى نماذج مختلفة بل متناقضة ، من الشخصيات ومن العلاقات . ويتعرض لنماذج مختلفة ، بل متناقضة ، من سلوك الاخرين نحوه . ويحدث هذا فى مرحلة يغلب عليه فيها الشعور بالقلة والعجز والرغبة فى النمـــو واكتساب القوة . ولهذا فان حالته النفسية تكون مهيأة للتأثر بمظاهر القوة «القاهرة» التى يتمناها لنفسه فى مواجهة مواقف الحياة العديدة التى يكون فيها مغلوبا على امره .

ان هذا الوضع يحمل المختصين مسئولية اختيار نماذج الشخصية والسلوك التى تدعم الاتجاهات والقيم الايجابية عند الطفل . ولكن كيف وعلى اى أساس يمكن أن يكون الاختيار ؟ والجـــواب على هذا سهل . فالدراسات النفسية تزودنا بالمعرفة الضرورية الخاصة بنفسية الطفل ومراحل نموه واتجاهات تاثره بما يحيط به من مظاهر وما يتفاعل معه من أشياء واشخاص . كما أن الدراســـات النفسية ــ فوق هذا ــ تزودنا بمعرفة العمليات النفسية المسئولة عن اثارة مشاعر الطفل وعما يحدث له من تأثير نفسى مثل :

● الاسقاط : اى ان يخلع الفرد من ذاته أو من افكاره ومشاعره على الصور التى يشاهدها . فيرى فى الاشياء التى يواجهها جوانب من ذاته ويدركها على أساس ما يعتمل فى فكره وفى عاطفته هو .

● الامتصاص : اى أن يتقبل الفرد ما يعرض عليه من صور أو افكار بشكل ايحائى غير ناقد ، وذلك لانها لاتكون موضع تفكير بل تؤخذ بصورة الامر المسلم به .

● التوحد : اى تقمص الفـــرد لفرد آخـــر أو لجماعة ما ، فيحس باحساساتها ويعيش خبراتها ويعمل على تقليدها ومحاكاتها ، أو الذود عنها .

ولكن الدراسات النفسية فى ذاتها لاتقدم لنا ولا تقترح نماذج الشخصيات ولا نماذج السلوك المناسبة للشخصية المنشودة ، لان مصـــدر تلك النماذج هو المجتمع فى حركته فى مرحلة معينة . أى أن المصدر لا بد أن يكون سياسيا . وعلى هذا فأن فهمنا السياسى لما نتطلع اليه فى الجيل الجديد وفى شخصيات أطفالنا من قيم واتجاهات وعادات وأساليب تفكيرية ، هو ذلك المصدر السياسى . فهو المصدر الذى ينبغى أن نستقى منه النماذج التى تنبنى عليها قصصنا وتمثيلياتنا بل وأناشيدنا وغير ذلك من ضروب الفنون التى نستغلها فى تنشئـــة أطفالنا مثل الرسم والتصوير والموسيقى .

ولنتساءل الان عما نريده من أطفالنا ومن شخصيات الجيل الجديد ؟ ان مرحلة التحول التى نعيشها هذه الايام ، هى التى تجيب عن هذا الســـؤال . ومرحلة التحول كما نعلم مرحلة تزخر بالتناقضات فى القيم ، أى التناقضات بين القيم الهابطة التى تنتمى الى المجتمع الطبقى القديم . والقيم الصاعدة التى تنتمى الى المجتمع الاشتراكى الثورى الجديد .

وسوف نوجز فيما يلى بعض تلك الجوانب التى تحتاج منا الى ابراز وتأكيد فى هذه المرحلة :

العمل : ومن اهم هذه الجوانب ــ ان لم تكن اهمها جميعا ــ قيمة العمل فى مقابل الثورة فى تقييـــم سلوك الناس وتصرفاتهم وعلاقاتهم . وتبدو أهمية هذا الجانب فيما كانت تعبر عنه كل قصصنا وافلامنا تقريبا فى العهد الماضى ، بل وبعضهـــا أيضـــا فى المرحلة الحالية من ربط البطولة والشهامة والنبل بالمركز والثروة فحسب . فالصورة التقليدية لكثير من قصصنا تجعل البطل الثرى أو البطلة الثرية الشخصية النبيلة المرموقة ، مثل شخصية الحبيب المخلص أو الحبيب المخدوع ، والشخصية التى تحل المشاكل باحقاق الحق ، والقضاء على الظلم .

مثل هذه الصورة توحى الى المشاهد الذى يتوحد مع القصة بأن الحب والعدل والنبل يلازم الثروة والمركز والجاه . ومن ثم لا يتطلع اليه من الناس العاديين ومن العاملين المكافحين .

أن هذه القصص يقبل الاطفال كثيرا على مشاهدتها ويتأثرون بها بالتوحد مع ما فيها من مواقف تمس خبرات حياتهم ومشاعرهم . واذا اتيحت لهم حرية مشاهدتها فأنهم يتعودون عليها وتؤثر فيهم وفى تطلعاتهم بالامتصاص . ذلك أن قيم الغنى والثروة ومظاهر العظمةالتى تلازم القيم التى تعبر عنها القصة تستقر فى نفوس الاطفال وتشكل تطلعاتهم . ومع ذلك فان قصص الاطفال أيضا مليئة بتقدير جمال ابنة السلطان وبطولة ابن السلطان . بل ان كثيرا من القصص تدور حوادثها حول ابناء السلاطين ، والاثرياء من الاقطاعيين كأنما تلك القيم لا تعرف طريقها الى أبناء الشعب العاملين المكافحين !

ان المشكلة الحقيقية فى مثل هذا اللون من ادب الاطفال (وبالمثل من — ادب الكبار رغم الفارق بين الاثنين) ان يبث فى الطفل اتجاهات طبقية وعلى غير وعى منه . ولذلك يصعب اقتلاعها فى المستقبل بمجرد الالتجاء الى المنطق .

الكفاح فى العمل

وثمة زاويةاخرى لقيمةالعمل فىمقابل الاستهلاك ودور الادب والفن فى بثه فى الجيل الجديد وتعميقه لهذا الجانب أهميته فى ابراز العمل والكفاح كقيمة من القيم التى تستهدف تأكيدها وبث الاتجاهات المتمشية معها ، لا الاقتصار على ابراز مظاهر الثراء أو حتى نتاج العمل.فالعمل والكفاحوالصبر يمثل المحور الاساسى لقصة الانسان ورسالته السامية على الارض.واهمية هذه القيمة فى هذه المرحلة منتاريخنا بالذات لايمكنالمبالغة فىتأكيدها. ويستطيع الفن بالقصة والتمثيلية والرواية وكذلك بالرسم والتصوير والغناء ان يمثل هذا الجانب الايجابى فى حياة مجتمعنا فى الماضى ومشاكله أو فى الحاضر وآماله فىالحقل وفىالمصنع وفى كل مجالات الحياة ، بل ان تاريخ الانسان فى العمل والاختراع ومحاربة المرض مصدر ثرى لهذا الجانب .

ان جانبا من جوانب قيمنا الهابطة ، هو جانب اقبال بعض فئات الشعب بشكل مبالغ فيه على اقتناء أشياءليس لها قيمة غير المظهرية،والاسراف فى سبيل الحصول على هذه المقتنيات يعبر عن تلك القيمة الهابطة وهى الاعتزاز بالملكية على حساب العمل والانتاج . وارتباط هذه القيمة بالمجتمع الطبقى السابق ، أى مجتمع الذين يملكون والذين لا يملكون ، أو مجتمع النصف فى المائة بتعبير السيد الرئيس ، واضح جلى .

التعاون : ومن القيم التى يجدر بفنون الاطفال أن تبثها فى الاطفال وتؤكدها وتدعمها فى نظرتهم للحياة وفىسلوكهم اليومى، قيمة التعاون فىمواجهة الاهداف المشتركة . ذلك أن كثيرا من قيم الحياة التى انحدرت الينا من الماضى تؤكد وتبرز اهمية التنافس الفردى . ونجد الفن والادب أحيانا ، سواء عن وعى أو عن غير وعى من الفنان ، يعمل على ابراز البطولات الفردية دون توضيح دور الجهود الجماعية والتعاونية للافراد المختلفين فى الاعمال البطولية والانسانية المشتركة .

ولا نقصد هنا ان نلغى دور الجهد الفردى أو البطولة الفردية أو أن نقلل من شأنها . ولكن نود أن نؤكد أن التفوق الفردى والبطولة الفردية رهن بالعمل مع الجماعة ومن أجلها وبمؤازرتها . وأن المجتمع الذى يقوم على التنافس يعلم أفراده أن التفوق لا يتم للفرد الا على حساب غيره ، وهو معنى لا يجوز أن يكون له مكان بيننا الان .

ومجالات العمل التعاونى الذى يمكن ان يأخذ الفن منه ، واسعة ليس لها حدود فهى تشمل حياتنا المعاصرة وتاريخنا الماضى كله . من ذلك بطولتنا الشعبية ومقاومة الشعب للاستعمار وللطغيان . وكذلك مجالات العمل اليومى فى البيت وفى المدرسة وفى المصنع وفى الحقل وحيثما يجتمع افراد الشعب للعمل من أجل قضاء حاجات المجتمع وتاريخ الانسانية — كذلك — حافل بالمواقف التى يمكن أن يستمد منها الادب قصصا تحكى حكايات التعاون فى ميادين مكافحة الاوبئة والامراض وفى البحث العلمى والكشوف المختلفة التى خطت بالانسان نحو التقدم خطوات هائلة ، وارتقت بالانسانية فى مراحل تطورها .

مكانة المرأة : ولعل المرأة فى مجتمعنا الثورى الجديد تشكل موضوعا على غاية الاهمية من موضوعات الصراع القيمى فى مرحلة التحول الحاضرة . فقد كانت المرأة تلعب بصفة عامة دورا ثانويا فى المواقف الجادة فى حياتنا . وكان كثير مما يقال فى دورها الايجابى فى الحياة وفى حقوقها ومساواتها بالرجل فى خدمة المجتمع لا يكاد يخرج عن مستوى القول ولا يتعداه الى واقع الحياة . ومع ذلك فقد حققت المرأة بعض التقدم فى ميدان التعليم والعمل ، ثم فى عهد الثورة أصبحت متكافئة مع الرجل فى الحقوق السياسية . ولكن ينبغى أن نذكر ان المرأة فى كل خطوة خطتها للامام نحو مساواتها بالرجل كانتولاتزال تجدمقاومة شديدة من الرجل،بل واحيانا منبعض النساء،وتتجه للتربية المنزلية وتأثير العادات والتقاليد الخاصةبالعلاقات

لاسرية . ويلعب الفن فى هذا المجال دورا كبير لاهمية. وسواء أكان ذلك عن عمد او عن غير عمد قد كان دور المراة دائما ثانويا فى القصص التى حدثنا عن المواقف الهامة فى حياتنا وفى كفاحنا .

فالمراة تصور فى غالب الاحيان على انها انسان سلبى ، وعلى أن دورها فى كثير من المواقف الهامة يعدو المتفرج على موكب الاحداث . هذا اذا ضضنا النظر عن العدد الجم من القصص التى تكاد تتناول موضوع المراة الا مرتبطا بالجنس بالحب فقط . ونحن لانفكر بطبيعة الحال نقيقة الدور المتخلف الذ احتلته المراة عندنا تحتله بالمثل فى اى مجتمع طبقى . ولكن المشكلة كمن فى أن عرض صورة المرأة على هذا النحو لمتخلف يوحى للناشئة بأن المراة متخلفة بطبيعتها. لك انالقصة أو الرواية لاتحتمل توضيح الاسباب تاريخية لهذا الوضع . والقصة او الرواية خاطب العاطفة والوجدان فترسب فى وجدان لناشئة تلك الصورة السلبية فيمتصونها متصاصا ، اى يقبلونها انفعاليا دون تفكير ناقد ، يتعذر لذلكاقتلاعها مناذهانهم فيما بعد بالمنطق. تسير عملية التنشئة الاجتماعية على هذا النحو ، شبه حلقة مفرغة ، من تنشئة منزلية متاثرة الماضى ، الى واقع حياة عامة لم تلعب فيه المراة مد الدور المنوط بها فى مجتمع اشتراكى ، الى صص وادب يرسخ تلك الصورة المتخلفة للمراة اذهان الاجيال الجديدة . ان واجب الفن والادب ، يعطى الصورة الثورية للمراة الجديدة شريكة رجل والمتساوية معه . ولا بد من اعطاء هذه صورة للمراة فى كافة مراحل حياتها : وهى طفلة ، فى صباها وشبابها ، ثم فى رشدها ، اى فى المنزل المدرسة وفى مجال النشاط الرياضى والاجتماعى ، الحياة العامة .

الى هنا عرضنا جانبا من القيم الهامة التى يمكن يلعبالفن والادب دورا هاما فىتطويرها ودعمها مكن أن نضيف الى تلك القيم قيما اخرى مثل تفكير العلمى بدلا من التفكير الخرافى والايجابية لا من السلبية والاتكالية .. الخ

وقبل أن نختم هذه الكلمة يحسن ان نوضح اننا م اقتصار عرضنا تقريبا ، حتى الان على الادب ن كافة الوان فنون الاطفال يمكن أن توجه لتخدم س الاهداف ، من ذلك مثلا التمثيل المسرحى الذى رسه الاطفال انفسهم ، او يشاهدون اقرانهم م يؤدونه ، فان لهفوائد عدة — مثلا — تعويد طفال حسن التعبير وتنمية ثقتهم بأنفسهم مق الفهم والادراك للموضوعات التى يمثلونها يشاهدونها. ومثلهذا القول ينطبقعلى الرسم تصوير وعمل التماثيل بالنحت او بتشكيل لصلصال. أما الموسيقى وتعتبراكثر الفنونتجريدا ، لها أيضا نفس الدور الايجابى فى عملية التنشئة للاطفال . فهى تعود الطفل عادات هامة — فى عملية التطبيع الاجتماعى . وتكوين الشخصية . من ذلك التناسق الحركى والايقاع . والموسيقى لغة تؤكد وتدعم المشاركة الوجدانية بين من يمارسونها . وهى بالنسبة لمن يلعبها تعمل كأداة فعالة فى غرس الثقة بالنفس والقدرة على العمل والانتاج المثمر وهى أداة فعالة تضيف الى خبرات الاطفال فى انفعالهم بالالوان الاخرى من النشاط الفنى مثل التمثيليات الغنائية والاناشيد بعدا جديدا ذا اثر عميق فى توجيه مشاعرهم وربطهم بالمضمون الذى ينطوى عليه نشاطهم التمثيلى ومعانى الاناشيد التى ينشدونها . ومن مثل هذه البداية يتطور احساس الاطفال بالموسيقى وتذوقهم لها . ويصلون تدريجيا الى المستوى التجريدى الذى يستمتعون فيه بالموسيقى الصامتة على انها لغة تحتاج الى الادراك والتعمق. والتركيز فى متابعتها . ولكن لا بد ان نؤكد هنا حاجتنا الى الربط بين الموسيقى عند الاطفال فى مراحل حياتهم الاولى وبين القيم الاشتراكية التقدمية لمجتمعنا . وأن يتم هذا على صعيد المجتمع كله اى أن يشمل كافة ابناء الشعب . وبذلك نتجنب تكوين جيل منقسم من حيث القدرة على الاستمتاع او الانتاج بالنسبة لهذا اللون من الفنون ، فيؤدى هذا الى استمرار التفاوت الطبقى القديم بين فئات الشعب من هذه الناحية .

الخلاصة

حاولنا حتى الان أن نوضح كيف يمكن أن يعمل الفن على تدعيم القيم الاشتراكية فى نفوس الناشئة وذلك بالعمل على القضاء على رواسب الماضى من فوارق طبقية وما يرتبط بها من اتجاهات وقيم متخلفة فنوحد النظرة الى الحياة بين أبناء الشعب الواحد على أساس ثورتنا الاشتراكية

وقد يعترض بعض المفكرين بأن الفن له دور مستقل عن الحياة الواقعية والمجتمع . وان من التعسف أخضاع كافة النشاط الفنى للواقع ومطالبه . ولكننا لا نوافق على هذا الراى أساسا . ونرى أنه ان جاز أن يكون موضع خلاف فكرى بالنسبة للكبار ، فلا محل له اطلاقا بالنسبة للصغار . فان خيال الصغار الذين لم يلتصقوا بالواقع بنفس درجة الكبار ، بل مازالوا على درجة عالية من المرونة والحساسية فى التاثر بكل مايحيط بهم من عوامل ومؤثرات ، يتأثرون ويتأثرسلوكهم وشخصيتهم بالكامل بما يمارسون من نشاط سواء أكان انتاجيا أو تذوقيا . وهم يقرأون فيما يعرض عليهم من ألوان الفن ماتقوله صراحة ، ويقرأون بالخيال مالا تقوله . وبالامتصاص تعمق هذه الاثار فى نفوسهم. ان الفن — على الاقل بالنسبة للاطفال لا يمكن ان يكون محايدا بالنسبة للحياة ومشاكلها.



من أجل جهاز مركزى لثقافة الأطفال

بالرغم من وجود مظاهر متعددة للاهتمام بثقافة الاطفال تتفاوت قيمتها من مجال لاخر، الا اننا فى أشد الاحتياج الى وجود كيان تمثل فيه الاجهزة المختلفة التى تسهم فى ثقافة الطفل . حتى نتفق من خلال هذا الكيان على احتياجات الطفل فى المرحلة الحالية والمراحل القادمة ، ونتفق على أسلوب تلبية هذه الاحتياجات ، ونضع خطة تستوعب مختلف انواع النشاط الثقافى الموجه الى الطفل ، وبهذا لانترك الامر للاجتهاد الشخصى وللظروف المؤقتة ، وللتحمس الخاص لبعض الافراد والمسئولين .

فاذا كانت مؤسسة المسرح تقدم انتاجا خاصا للاطفال ، واذا كانت مؤسسة النشر تقدم حجما معينا لكتب الاطفال ، واذا كانت مؤسسة السينما تلتزم فى انتاجها بنسبة لافلام الاطفال . . اذا كان هذا كله يتم حاليا ، فهو لايخضع لاى تخطيط ملزم ، من حيث نسبة هذا الانتاج الى الانتاج العام للجهاز او من حيث نوعية هذا النشاط ، ومن حيث عدم تناقضه مع نشاطات أخرى موجهة الى الطفل عن طريق الاجهزة الاخرى .

واذا كانت الظروف الحالية لاتسمح بانشاء مؤسسة خاصة لثقافة الاطفال تتولى انتاج كل ما يقدم الى الطفل ويصدر عنها كل نشاط فكرى وثقافى يتصل بالطفل . واذا كانت ضرورات التخصص والعمليات الانتاجية تقضى بان تقدم مؤسسة المسرح مسرحيات الاطفال، وتقدم مؤسسة السينما افلام الاطفال .. وهكذا .. فلااقل من أن ننشىء مجلسا أعلى لثقافة الاطفال .

مجلس أعلى لثقافة الاطفال

والمجلس الاعلى لثقافة الاطفال يجب أن يتبع وزارة الثقافة ، وتمثل فيه كل الجهات التى تعمل فى ميدان ثقافة الطفل ، ويدعم بالعناصر الفنية ذات الوعى السياسى ، وبعض المختصين فى علم النفس والتربية .

وتكون مهمة هذا المجلس دراسة الخدمات الثقافية الحالية التى تقدم الى الطفل ، وتحديد الاحتياجات التى تتطلبها المرحلة الحالية والمستقبل البعيد ، ثم وضع تخطيط متكامل تلتزم به الاجهزة المختصة ، ويكون من مهام هذا المجلس متابعة النشاط الذى يتصل بثقافة الطفل ، لضمان سلامة التوجيه فى كل ما يقدم للطفل .

وتكتمل فعالية هذا المجلس ، اذا ما تشكلت فى كل مؤسسة ثقافية ادارة خاصة أو قسم خاص لانتاج الاطفال ، حتى يتلقف هذا القسم نصيبه من الخطة العامة ويضعه موضع التنفيذ . ففى مؤسسة السينما مثلا يمكن أن تنشأ ادارة لافلام الاطفال والصور المتحركة ، يقوم نشاطها على كل ما يتصل بالطفل من انتاج سينمائى ، سواء فى افلام تثقيفية او افلام قصيرة أو طويلة . ونفس الوضع فى مؤسسة المسرح والموسيقى ، فتتكون ادارة لمسرح وموسيقى الاطفال ؛ تقدم المسرحيات البشرية ومسرحيات العرائس وحفلات موسيقية للاطفال .

بيوت الرواد

ولايكتمل اثر هذا الجهد بغير مساندة من نشاط الهواية للاطفال . وانا لااقصد بالهواية ما يتم داخل اسوار المدارس من نشاط مدرسى ، فرغم اهمية هذا النشاط وضرورة تنسيقه بحيث يخدم انواع النشاط المختلفة التى تخاطب الطفل ثقافيا خارج المدرسة .

ولكنى أعنى بنشاط الهواية ما اصطلحت بعض الدول الاشتراكية على تسميته بنظام «الرواد» ، ومؤسسات «الرواد» عبارة عن جهاز ثقافى يقوم فى نفس الوقت بتنظيم الاطفال فى السنوات السابقة لانضمامهم الى تنظيمات الشباب السياسية .

فهذا النظام وان كان يقوم أساسا على اتاحة فرص واسعة للطفل كى يمارس هوايته الفنية أو الثقافية الا انه وسيلة لتدريب الطفل على العمل من خلال الجماعة .

ونظام الرواد يبدأ من المدن الصغيرة والقرى فى بيوت الرواد ، حتى يصل فى العاصمة الى المركز الرئيسى ، أو قصر الرواد . ويمارس الاطفال نشاطهم الثقافى داخل بيوت الرواد فى غير أوقات الدراسة . وفى بعض الدول التى تأخذ بنظام الدورتين الدراسيتين خلال اليوم ، يمارس الاطفال نشاطهم على مدى اليوم فى بيوت الرواد ، كل فى الفترة الخالية .

ويتم اختيار الاطفال الرواد من بين الممتازين فى دراستهم ، والامتياز هنا ينصب على المستوى الدراسى والفنى والاجتماعى .

وبيوت الرواد ، لها جهازها الكامل من العاصمة حتى أصغر المدن ، ولها تنظيمها المركزى الذى يستعين باكبر الكتاب المسرحيين فى كتابة نماذج مسرحية بسيطة يقوم الاطفال بتنفيذها ، وكذلك فيما يتعلق بالموسيقى ، يقوم كبار المؤلفين الموسيقيين بكتابة القطع الموسيقية التى يمكن لفرق الرواد عزفها .

وأهمية هذا النظام ، بالاضافة الى وظيفته التنظيمية واعداد الطفل للعمل فى المجتمع الكبير ، أنه يتيح للطفل فرصة التعرف على وسائل التعبير الفنية المختلفة وممارستها ، مما يجعل منه متذوقا ممتازا للانتاج الفنى الذى تقدمه الاجهزة المختصة .

ولا أعرف بالتحديد الجهة التى يمكنها ان تشرف على هذا النشاط هل هى وزارة التربية والتعليم ، أم وزارة الثقافة واقترح طرح هذا الموضوع للمناقشة وان كنت افضل أن ينبع هذا النشاط من الاتحاد الاشتراكى العربى ، باعتبار أن تنظيمات الرواد برغم شكلها الثقافى ، الا انها هى التى تعد الطفل للاشتراك فى تنظيمات الشباب السياسية والتابعة للاتحاد الاشتراكى . وفى هذه الحالة يمكن للاتحاد الاشتراكى أن يستعين بامكانيات وخبرة وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم .





فى الطريق إلى "حدوتة" جديدة

د. على الراعى

حين اقتنع **((هانز كريستيان اندرسون))** بأنه فاشل ككاتب ومؤلف للكبار اتجه ، كسير القلب ، الى الاطفال يكتب لهم ، فأصبحت قصصه وحواديته اليوم هى الركيزة الاساسية التىتستند اليها شهرته ككاتب ، الى جانب ما امتع به اجيالا بعد اجيال من الاطفال وغذا أرواحهم وعقولهم ، بالكتب والافلام والمسرحيات التى اشتقت من قصصه .

وقبل « اندرسون » جاء ((**جوناثان سويفت**)) الذى تحطم قلبه هو الاخر لما كان يسود انجلترا على ايامه من فساد ، فكتب هجائيته المشهورة : **رحلات جليفار** ، واودعها كل المرارة والغضب اللذين كانا يعتملان فى نفسه .

ومرت الايام وزالت المرارة ،وبقى سكر الخيال الذى أفرزته روح الكاتب والفنان . واصبحت ((**رحلات جليفار**)) واحدة من اهم قصص الاطفال يشتعل بها خيالهم ، وتهفوا عبيرها نفوسهم الى عالم ملىء بالمغامرات .

وكتب ((**لويس كارول**)) احدى قصتيه المشهورتين عن **اليس** ــ كتبها بخط يده ،ورسمها ايضا ، ثم دفع بها هدية الى ابنة احد اصدقائه ولم تلبث الهدية الخاصة ان اصبحت هدية للانسانية كلها وتحولت ((**اليس فى العالم السفلى**)) الى تراث البشرية كلها ، تماما كأختها الاشهر منها : ((**اليس فى عالم العجائب**))

وتذكر ((**مارك توين**)) ايام طفولته الساحرة ، فخلدها لنا ، ولاطفال العالم كله فى كتابيه : ((**مغامرات توم سوير**)) و ((**هاكيلبيرى فين**)) واصبح العملان جزءا من امتع اجزاء المجلد الضخم الذى لا يزال عباقرة العالم يضيفون اليهم بين الحين والحين: كتاب الطفولة السعيد ــ والسعيدة!

وقد لا يعلم بعضنا كم هى لامعة ومجيدة تلك الاسماء التى كتبت ولا تفتأ تكتب للاطفال ، بكل وسيلة من وسائل الكتابة :

تولستوى ــ جوركى ــ مولك راج اناند ــ

وولت دى لامير ــ تشارلز ديكنز ٠الاخوان جريم ــ دانيل ديفو ٠

كلهم كتبوا للاطفال ، عن وعى او عن غير عمد ٠

مولك راج اناند ،وولت دى لامير ،وكويلركوتش اعادوا كتابة حواديت معروفة فى تراث بلادهم وبلاد العالم ، كتبوها من جديد بأسلوب الفنان الخالق المحب للجمال ، واهدوها للاطفال بعناوين مختلفة وان كان الهدف واحدا ، وهو ربط الاطفال بتراث الانسانية ، وتقريبهم اليه عن طريق تغيير الثوب او العبارة مع الاحتفاظ بالجوهر ٠

وغيرهم ، مثل تشارلز لام ، سعى الى الاطفال عن طريق روائع شكسبير ،لخصها وبسطها ،وقربها الى عقول الصغار ٠٠ والكبار !

ولجأ ((الاخوان جريم)) الى الفولكلور استمدا منه قصصا للاطفال ، بينما استوحى ((ديفو)) خياله وروح العصر ، فخرج علينا بجزيرة عذراء بنى فيها بطله روبنسون كروزو جمهورية فاضلة، اصبحت اليوم احد العوالم السحرية التى يهرع اليها الاطفال والمراهقون بحثا من الجديد الغريب الذى يفتح العقل والقلب ، وينشر فضائل روح الانسان ٠

هانز كريستيان اندرسون

(١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) شاعر وكاتب مسرحى وروائى من اهل الدانمرك

يذكر اليوم اساسا من اجل حكاياته الخرافية ، وقد ظهر اول مجلد منها عام ١٨٣٥ ، ومن ثم اصبحت هذه الحكايات جزءا اساسيا من التراث العالمى فى ادب الاطفال ٠

●

جوناثان سويفت

(١٦٦٧ ـ ١٧٤٥) كاتب ايرلندى ،شاعر، وروائى ومؤلف سياسى ٠ كان يشتعل بروح الغضب على نظام عصره ٠ مات مجنونا ٠ ولم يكسب من وراء كتاباته الا مائتى جنيه ، نالها جزاء روايته ٠ ((رحلات جاليفار))

رحلات جليفر

رواية هجائية ساخرة من اربعة اجزاء كتبها سويفت ، وضمنها نقدا لاذعا لاحوال انجلترا السياسية ، ونقائص العلم والمعرفة والفلسفة فى اوروبا على عصره ٠

ورغم قسوتها الشديدة فانها تصدر عن روح تؤمن بالانسان وتاسى اشد الاسى لمصيره

ومن ميزاتها انها محببة للكبار والصغار معا

اما جوركى ، فقد اسدى لاطفال بلاده خدمة كبرى ، حين استشاره الخبراء الثقافيون فى الاتحاد السوفييتى عام ١٩٣٣ فيما يقدمونه او لا يقدمونه من قصص الاطفال ،فقال لهم : ولماذا لا تستشيرون الاطفال ؟

وكان هؤلاء الخبراء يعملون فى دار نشر للدولة رئى ان تتخصص فى ادب الاطفال ،فشاقتهم الفكرة ووضعوها فى الحال موضع التنفيذ ،فأصابت نجاحا كبيرا ، اذ انهالت الرسائل من الاطفال ، تحمل طلباتهم واقتراحاتهم ، فحل بهذه الطريقة جزءا لا بأس به من مشكلة ادب الاطفال فى الاتحاد السوفييتى ٠

وكتب تولستوى ذات مرة مسرحية لتسلية اهله واولاده ، هى مسرحية : المستنيرون ٠ وهى ان لم تكن جزءا من ادب الاطفال ، فانها تشير مع ذلك الى طريق نستطيع ان نحن مضينا فيه فى بلادنا ان نوفر به قدرا كبيرا من ادب الاطفال

ان جهود كامل الكيلانى وسعيد العريان معروفة ومقدرة ، ولكنها حتى الى جوار الترجمة من ادب الغير ، لا تكفى وحدها كى تنشىء لنا أدبا يعتد به٠ وانما علينا ان نسعى للحصول على مصادر اخرى لهذا الادب ٠

لقد كتب طه حسين ((الايام)) ، وهى فى جزئها الاول على الاخص ٠ قصة طفل مصرى مكافح ، يتخطى عقبة كبرى وضعتها الاقدار فى طريقه ٠ وهى بهذا الوصف جزء من ادب الاطفال ، لو اننا احسنا تقديمها واخراجها

وكتب **توفيق الحكيم** : « السلطان الحائر » و « الصفقة » وكلاهما يمكن بشيء من التعديل اضافته لادب الاطفال فى بلادنا ، فان فيه الفكاهة والمغامرة والفكرة الشائقة والهدف السامى ، وكلها من مقومات ادب الاطفال

وكتب **يوسف السباعى** : « السقامات » وهى نظرة للحياة والاحياء من خلال عينى طفل شعبى ذكى . يمكن مقارنتها هنا وهناك برائعة مارك توين : « توم صوير » . ولو بذل فى « السقامات » شيئا من الجهد لامكن تحويلها الى رواية ممتازة تشوق الاطفال فى بلادنا .

وهناك كذلك : « احاديث جدتى » **لسهير القلماوى** ، ومجموعات من قصص تدور حول الاطفال ،من افضلها قصة صبىالكواء **ليحيىحقى** والساعة لفتحى رضوان وبعض قصص **يوسف ادريس** ، ومجموعة كاملة من قصص تدور حول الاطفال كتبها **عبدالله الطوخى** ،الى جوار مجموعة اخرى **لنعمان عاشور اسمها** : حواديت عم فرج . فلو اننا جمعنا هذه القصص ، كما هى او بعد اعادة كتابتها ، حسب حال كل منها ، لاضفنا شيئا ذا بال الى ذخيرتنا من ادب الاطفال .

ولو اننا ــ الى جوار هذا ــ طلبنا الى كل كاتب ذى مقدرة ان يكتب قصة او اكثر ويهديها لابنه او بنته او ابن او بنت احد اصدقائه ، كما فعل لويس كارول ، لاصبح لدينا مجموعة اخرى كبيرة من قصص الاطفال ، تنبثق منواقعنا ،وتعبر عنه .

ولو طلبنا الى كل كاتب ان يعيد كتابة «حدوتة» سمعها فى صغره بلغة جميلة وبيان عذب ــ كما فعل مولك راج اناند ــ لسجلنا جزءا ذا بال من تراثنا القصصى ، واضفناه فورا الى رصيدنا من ادب الاطفال .

ولو شجعنا كل صاحب بيان منّ بين علمائنا فى الجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية .. وغيرها على كتابة قصص علمى يوازى او يقارب قصص **جول فيرن و هـ ج ويلز** لازدادغنى مكتبتناالروائية العلمية واصبح رصيدنا من ادب الاطفال اكبر واشمل .

ان علينا ان نفتح عيوننا وعقولنا وقلوبنا ونحن نتهيأ لانشاء وجمع ادب للاطفال فى بلادنا . فان الصفوة بين العقول المفكرة والمنتجة قد كان لها طفولة غنية ، عامرة بالتجارب ، وهى قادرة على تسجيل هذه التجارب واهدائها لنا ولاطفالنا .

وكما فعل طه حسين وتولستوى وجوركى ، يستطيع ان يفعل يحيى حقى ونجيب محفوظ ونعمان عاشور وفتحى رضوان وعشرات المئات من ادبائنا فى مصر وباقى بلادنا العربية .

مارك توين

(١٨٣٥ ـ ١٩١٠) كاتب امريكى فكاهى شديد الحب للانسان تقلب فى عدة اعمال ، واشتغل فى طفولته بالطباعة ثم اصبح قبطانا على نهر المسيسيبى ، فصحفيا .

من امتع كتاباته ، «توم صوير» و «هكلبرى فين والاخيرة تعتبر رائعة من روائع الكتابة الفكاهية .

•

دانيل ديفو

(١٦٦٠ ـ ١٧٣١) كاتبسياسى وروائى. ظهرت روايته الشهيرة روبنسون كروسو عام ١٧١٩ ، بعد ان اشرف على الستين .

الرواية ترتكز على تجربة حقيقية حدثت للمدعو الكسندر سيلكيرك ، فوقجزيرة جوان فيرانديز ، بين الاعوام ١٧٠٤ ـ ١٧٠٩



الحكايات الشعبية وتنمية طاقة الإبداع

فوزى العنتيل

من الطبيعى أن يكون القصص الشعبى محببا الى الاطفال ، لانه محبب الى الناس جميعا فى كل مكان ، باعتباره الصورة الادبية والفنية للتراث الانسانى ، ولما يتسم به من البساطة الساذجة ، ولتمثيله الاحاسيس الفطرية فى الانسان .

ومن الملاحظ أنه فى كل مكان فى العالم ، وفى كل حين ، يجد رواة القصص جمهورا مولعا بالاصغاء الى حكاياتهم على اختلاف أنواعها ، يستوى فى ذلك ان تكون مجرد تقرير للاحداث الغريبة ، او تكون احدوثة تتصل بالماضى البعيد ، أو حتى رواية متقنة أجاد الداوى أبداعها .

ففى سائر هذه الاحوال يجد هذا الراوى أن الرجال والنساء ــ على السواء ــ متعلقين



بكلماته مشـدودين اليها ، لانها تهبهم اشـباع دوافع التشوق لحب الاستطلاع .

او تهبهم المتعة فى الحض على الافعال البطولية والتهذيب الدينى، او تبعث فيهم الرغبة فى الانعتاق من الرتابة التى تسود حياتهم .

ان حكايات الماضى المثير ، وحكايات الحاضر ايضا تشد المستمعين دائما بسحرها الغامض فى كل مكان من هذا العالم الرحيب ، فى قرى افريقيا وفى ادغال استراليا ، وفى ظلال براكين هاواى ، وفى اكواخ الاسكيمو الثلجية تحت ضـوء قناديل زيت الحوت ، او فى احراش البرازيل الاستوائية وفى اليابان والصين والهند أيضـا نجد ان رجل الدين والمعلم والفلاح والصانع جميعا يشاركون فى حبهم للقصة الجيدة، ويتفقون جميعا فى اعتزازهم بالراوى الذى يقصها فى براعة .

ان ميزة القصص الشعبى تظهر فى نـواح مختلفة منها أن الفن الشفوى فى حكاية القصة أقدم بكثير من التاريخ ، وان هذا الفن لا يمكن ان يحد بقارة من القارات، او بحضارة من الحضارات.

وقد يختلف هذا القصص من حيث الموضـوع من مكان الى مكان آخر ، وقد يعترى التـغير «حالات القص» ، واغراضه عندما ينتقل من قطر الى قطر ، او من عصر الى عصر آخر ، ولكنا نجده فى كل مكان يقوم بخدمة نفس الاحتياجات الاجتماعية والسياسية، كما يقوم أيضا بخدمة نفس الاحتياجات الفردية .

ان الفضول نحو الماضى يجتذب المستمعين دائما ، ويثير شوقهم لحكايات الماضى البعيد الذى يمد الرجل البسيط بجميع معارفه عن تـاريخ جماعته .

ولقد نمت مع القص حكاية الاحداث ، وانبسط الماضى البطولى العظيم ــ غالبا ــ بغرض ارضاء الزهو والفخر القبلى .

كذلك فان الدين قد لعب ــ فى كل مكان ــ دورا هاما فى تشجيع الفن الروائى ، لان العقليـة الدينية قد حاولت أن تتفهم البدايات ، وراحت لعدة اجيال ــ تحكى قصص الكائنات المقدسة ، وحكايات الايام الغابرة .

وقد اوضحت الدراسات الطويلة للتراث الشعبى كثيرا من الحقائق حول القصص الشعبى . وفى مقدمة هذه الحقائق ان الحكايات الشعبية هى اكثر اشكال المرويات عالمية ، وايضا أن القصص الادبى الذى انتجته الحضارة الراهنة مديـن لهذه الحكايات الشعبية بدرجة كبيرة .

اليس من الطبيعى اذن ان يجد الاطفال سعادة بالغة حين تقدم لهم الوان من هذا الادب الساذج ممثلا فى انواع القصص الشعبى المختلفة المتنوعـة فى خصوبة لا حد لها ، والتى تشمل حكايات العجائب وحكايات الحيوان ، وحكايات البطل والملاحـم الشعبية وغير ذلك .

فهذا العالم الفسيح الشاسع عالم الحكايات الشعبية الذى يتحرك فيه ابطاله فى طلاقة لاتحدها حواجز ، والذى يبعث الحس والشعور فى الحيوان والنبات والادوات الجامدة ، وتلغى فيه أبعـاد الزمان والمكان ، وتفيض فيه مشاعر الوفـاء والتضحية والاخلاص والعدل ، وينتصر فيه الخير دائما ، لا شك فى ان مثل هـذا العـالم الروائى يسعد الاطفال ان يجوسوا خلاله باجنحة مذهبة لفترة من الوقت . وأن يتعرفوا كذلك على مظاهر الطبيعة والكون وعلى البشر ، وعلى اطـفال مثلهم يعيشون فى هذا القصص .

وفى وجدان كثير منا ماتزال تعيش الجـدة بصوتها العميق الهادىء . وحكاياتها المنبعثة من أغوار الماضى ، وهذه الجدة التى تتمثل فى وجدان الكبار رمزا للحنان والحماية ، وصلة عميقـة بشجرة الماضى الوارفة ، ربما لم تعد الان مصدرا لهذه المتعة القصصية فى هذا العصر المتعجل المتغير المهموم .

فاذا نحن قدمنا لاطفالنا الوانا من هذا القصص الشعبى عن طريق الكتاب او الاسطوانة فلاشك اننا نستطيع أن نعيد اليهم جو الحياة الهـادئة القديم فى صورة عصرية ملائمة .

طبيعة الحكايات الشعبية وأنواعها

لقد تبين لنـا أن الحكايات الشعبية بطبيعتها وبطريقة تاليفها تحمل كثيرا من الخصائص التى تجعلها ملائمة لكل عصر بطلاقتها غـير المحدودة وعفويتها وبعدها التى لاتتقيد بالمكن بعكس القصة المنطقة التى يكتبها مؤلف .

وتتمثل هذه الخصوبة الفنية في أنواع القصص الشعبي المختلفة وبصور متعددة .

ان القصص المأثور ينتظم بصورة طبيعية في صنفين: قصص رويت على أنها حقائق وهي الاساطير وقصص الخوارق أو قصص الاحداث غير العادية، وقصص قيلت للتسرية وهي الحكايات الشعبية بمختلف أنواعها .

وبيان طبيعة هذه الانواع قد يكون مفيدا في تحديد اكثرها ملاءمة للاطفال . **فالاسطورة** « Myth » قصة تعليلية تفسر مأثورات الناس حول العالم وماوراء الطبيعة ، وتفسر ايضا آلهتهم وأبطالهم ومعتقداتهم الدينية وغيرها ، وغرضها هو تفسير وجود العالم ، والحياة والموت ، والانسان ، والوحوش ، والطقوس المقدسة ، والعادات وما الى ذلك من الظواهر الغامضة . وبتعبير آخر تمثل الاجوبة التي يقدمها التخيل الانساني للمشكلات التي تتعلق بكيفية حدوث الاشياء ، انها تحاول أن تجيب بالتخيل عن الاسئلة التي ينشد العلم — فيما بعد — أن يجد لها حلا عن طريق التعليل المقنع .

اما قصة **الخوارق** «Degend» فهي شكل تاريخي أصابه الاختلاط وأصبح غامضا نتيجة للاضافات المتأخرة، انها حكاية يفترض أنها تعتمد على الحقيقة مع خليط من المواد المأثورة قيلت حول شخص أو مكان أو حادثة .

فهذا الشكل من الحكايات يقصد لان يكون رواية لبعض الاحداث غير العادية التي يعتقد بأنها قد وقعت فعلا كطوفان أو هجرة أو غزو أو بناء جسر أو مدينة .

ومع أنها في الغالب تدور حول أشخاص تاريخيين أو حول حوادث تاريخية فان قصة الخوارق نفسها قد تكون مغلوطة . أو لا أساس لها ، أو قد تكون مروية عن أشخاص آخرين في أماكن بعيدة أو أقطار بعيدة .

وهذا النوع من القصص الشعبي : الاساطير وقصص الخوارق اذا ما أريد تقديمه للاطفال فينبغي أن يتغير شكله الى الشكل الذي يلائم عقول الاطفال ويخدم احتياجاتهم ، وأقرب مثال لتهذيب هذا النوع من القصة الفيلم الذي عرض أخيرا في القاهرة لوالت ديزني الذي يعتمد على قصة الملك آرثر الشهيرة .

أما الصنف الثاني وهو **الحكايات الشعبية** بأنواعها المختلفة فهي أصلح الانواع القصصية بالنسبة للاطفال سواء منها مايسمى بحكايات **العجائب** «Fairy-tales» وهي حكايات تتميز بنزوعها المؤثر ، وبالروعة المفاجئة التي تعقبها النهاية السعيدة ، وأبطالها أناس بسطاء عصاميون في العادة يبلغون أهدافهم التي يسعون للوصول اليها بعد سلسلة من المخاطر ، ويعيشون سعداء وتجتمع في أبطالها جميع الخصائص التي يتمناها المرء لنفسه . فالبطلة تمتاز بالجمال الخارق والشفقة والاحتشام ، ويمتاز البطل بالشجاعة ، والحذق ، والسخاء . وفي هذه الحكايات تلعب الحيوانات والقوى الخارقة دورا هاما في مساعدة البطل على تحقيق غايته مكافأة له على مشاعره الطيبة وعلى عمل الخير أو حتى مجرد الشعور بالرحمة أو العطف نحوها .

وكذلك ((**الخرافات**)) أو حكايات الحيوان الرمزية « Fables » = وهي خرافات تهذيبية تشتمل على موعظة أخلاقية ، وقد تطورت عن حكايات الحيوان التي كانت تمثل في صورتها البسيطة المحاولة التي كان يقوم بها القصاص البدائي لتفسير خصائص الحيوانات وعاداتها المختلفة ، ولكنها في الخرافات التهذيبية مثل ((**كليلة ودمنة**)) تطورت وأصبحت غاية القص فيها تهدف الى تأكيد الدرس الاخلاقي للناس، أو بقصد النقد اللاذع أو الهجاء لتصرفاتهم.

هنالك أيضا أنواع كثيرة من الحكايات البسيطة مثل **الطرائف الضاحكة ، وحكايات السذج والحمقى مثل نوادر جحا، والحكايات المسجوعة، والمرددات** التي تستخدم في أغراض اللعب ، وتدريب المهارات اللغوية ، أو للاستمتاع بايقاعها المنغم والذي يحقق أغراض اللهو البريء .

هذه الانواع المختلفة من القصص الشعبي يمكن الاستفادة منها في أدب الاطفال في تنمية خيالهم واسعادهم ، وتربية قوة الابداع . والتفكير لديهم وبث مشاعر الخير والنبل في نفوسهم الغضة . كذلك يمكن استخدام هذا القصص في تعليم اللغة واثارة التذوق الادبي عندهم .

ولكن الوصول الى هذه الغايات يقتضي بالطبع أن نحسن اختيار النوع الملائم من هذا القصص لكل مرحلة من مراحل الطفولة ، والتي تتفاوت بصورة واضحة ، وتجري بين طرفين بعيدين ، بين مرحلة الخيال الطليق، ومرحلة الواقع والاعجاب بالبطولة في اطارها المعقول . وتغذية ينابيع هذا الخيال في المرحلة الاولى لاثارة الابتداع يقابلها

في مرحلة المراهقة بث دواعي الرجولة والاحساس بالمسئولية عن طريق اثارة التفكير في دلالة القصص التي تقدم في هذه المرحلة .

وبين هاتين المرحلتين يكون من الاوفق — فيما أرى — اختيار مايناسب الطفل وتطوره من الناحيةالجسمية والعقلية. وتنميةمعارفه وقدراته اللغوية والفنيــة ، وتعريفه بتراث أمته تعريفــا صحيحا ، وتمهيد الطريق امامه لمعرفة التــراث الانساني، ونستطيع أننضيف الى كنوز القصص الشعبي ، نبعا آخر للمعرفة الشيقة تعج بـــها كتب الرحلات العربية التي تمد القارىء بثقافة واسعة عن الاقطار والبلدان المختلفة وعن كثير من حياة الشعوب وعاداتها ، وكذلك أيضـــا نستطيع أن نستخلص ذخيرة غنيــة من المعــارف من المطولات العربية المعروفة بالموسوعات يمكن تقديمها في شكل قصصي مناسب .

ولا نود أن نختم هذا الحديث حتى نســتأنس برأي علمــاء النفس في اهميــة القصص الشعبي بالنسبة للاطفال ، وهم يعتبرونه نوعا من اللعب الايهــامي الذي يحتــاج اليه الاطفال احتيــاجا شديدا نظرا لتشبع الاطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد ، ويفسر بعضهم اعجاب الاطفال بهذا النوع من القصص الذي يدور حول المخلوقات الغريبة أو يتحدث عن الرحلات التي يقوم بهـــا أبطال الحكايات الشعبية بحثا عن الادوات السحرية ويتحركون في عالم خيالي ممعن في الخيال ، أقول يفسر اعجاب الاطفال بذلك أن المردة والمخلوقات الغريبة تمثل جانب السلطة في نظر الاطفـــال ، ويمثل البطل ومايقوم به من مغامرات ، ونجاحـــه أو انتصاره في نهاية الامر ضد هذه المخلوقـــات موقفه هو من هذه السلطة ، وان ذلك هو مبعث سروره . فهذه الحكايات تقوم بدور التنفيس عن رغبات الطفل ، وانها بالنسبة اليه نوع من انواع الحلم ، ويضربون مثلا لذلك قصة (ســـندريلا) الشهيرة التي تمثل البنت المظلومة المضـــطهدة التي لقيت شقاء كبيرا من زوجة أبيها رغم ماتتمتع به سندريلا من جمال رائع . وقصة ســـندريلا تنتهي دائما بانتصارها وزواجها من الامير .

ويقول واحد من هؤلاء العلماء بأن القصة تشبه الحلم . وتشبه اللعب الايهامي . ففي القصـــة مجال لاعادة الاتزان الى حياة الاطفال الذين يجدون في كل قصـــة شخصيات تشبه من قريب أو من بعيد الشخصيات التي يقابلونها في الحياة . والتي يضطرون للتعامل معها .

أما في المرحلة المتأخرة من الطفولة مرحلة المراهقة فنجد أن المراهق يتجه في محاولة للتحرر من اثر السلطة الى دراسة حياة الابطال والزعماء .

وفي هذه الفترة يمكن أن نقدم للطفل القصص التي تغذي هذا النزوع لديه . ومن الممكن أن نهذب له الملاحم الشـعبية التي تربطه بتــاريخ أمته وبطولاتها . وكذلك في استطاعتنا أن نختار له — أو نؤلف له — قصصا حول حياة الموهوبين الذين قاموا بادوار بارزة في خدمة البشرية سواء منهم أولئك الذين قاموا باكتشافات عظيمة كان لها أثرها في اسعاد البشرية أو تيسير وسائل الحياة على هذا الكوكب . أو أولئك الذين اســـهموا في دفع عجلة التقدم الحضاري أو قاموا بادوار بطولية في الدفاع عن أوطانهم وما الى ذلك .

فالطفل في هـــذه المرحلة يميل الى التشـــبه بهؤلاء الابطال . وكما يقول علماء التربية ان هذا النوع من القصص يساعده في أن يرقى بفكرته عن نفسه ، وانه أيضا يستطيع ان يتأمل ذاته في ضوء هذه الصفات بشكل نقدي ويستطيع على هدى هذا النقد أن يعدل فكرته عن نفسه ، وعن سلوكه وبذلك يتبين الامور التي ينبغي له أن يقوم بها ، ويتجنب في نفس الوقت الاعمال التي لا يجــوز اتيانها .



صحافة الإبن الجديد

قضية اشتراكية

نعمان عاشور

القوام الرئيسى لثقافة الاطفال عندنا والذى كان يتمثل فى الانتاج الادبى والصحفى ارتبط بالمدرسة والتعليم المدرسى وحده على مدى السنين التى ظهر طوالها . وكان فى ارتباطه منقطعا غيرمتصل وغيرمنتظم ، وخاضع لاعتبارات متفاوتة . اما لوجود دار صحفية تعيش على اصدار صحف ومجلات بالصور ، واما لوجود ناشر صاحب مطبعة وله اهتمام بهذا اللون من الانتاج الثقافى ، واما لوجود دار نشر تملك طاقة طباعية فائضة وتبحث عن مجال ملائم تصرف او تزاول فيه نشاطها .

وعلى هذه الاسس وحدها ولد ادب الاطفال ونشأت صحافة الاطفال فى بلادنا . ويحسن بداية ان نلم الماما سريعا على قدر ما نستطيع بالخطوط العامة التى سارت عليها صحافة الاطفال عندنا .

مجلة الاولاد

بدات صحافة الاطفال فى حياتنا نابعة من وجود دار صحفية مصوره وكامتداد للموجة العالميه التى ظهرت على ختام الربع الاول من هذا القرن وتخطت الى حدودنا فى صورة «**مجلة الاولاد**» التى كانت تصدرها « **دار اللطائف المصورة** » قبل الثلاثينات من هذا القرن . وهى مجلة كانت تعتمد فى اغلب موادها على الرسوم والموضوعات الماخوذة من المجلات الاجنبيه المتخصصة او تلك التى تقوم بتوزيعها الاستديوهات الكبرى لشركات نشر اقاصيص الاطفال بالصورة وهى المرحلة المسماة **بمرحلة «طرزان ملك الغاب»** اذ كان طرزان بموضوعه يمثل المحور الرئيسى الذى يمثله اليوم فى صحافة الاطفال السائدة «**سوبرمان**» او الرجل الخارق للطبيعة . وهذه المجلة كانت تنقل صورها وابوابها وموادها الكاملة نقلا مباشرا من المجلات العالميه ، ولم تعتمد على جمهور الاطفال قدر اعتمادها على اللحاق بمدارك الكبار من انصاف المتعلمين والصبية وفلول الشباب فى مرحلة مبدئية من مراحل نشر التعليم العام فى مجتمعنا . وقد لاقت النجاح فى البداية ارتكانا على الفراغ الواضح فى وجود مجلات للكبار . فلما تطورت حياتنا الصحفية الى حد تغطية هذا الفراغ بوجود اكثر من مجلة مصورة او مرسومة بدات تتراجع حتى اغلقت ، فى حين لم تكن ترتبط فى قليل او كثير بحياتنا الواقعية وبيئتنا المحلية ، وانما على العكس بقيت حتى نهاية أمرها صورة طبق الاصل من المجلات العالمية الاخرى الشائعة فى تلك الفترة .

مجلة سندباد

وقد صدرت «مجلة سندباد» بعد «مجلة الاولاد» بسنوات عديدة وجاء صدورها عن **دار المعارف** فى ارتباط وا ح بالحياة المدرسية وكرد فعل لتاثير الجهود الناجحة التى بذلها المرحوم **الاستاذ كامل الكيلانى** فيما كان يصدره من كتب واقاصيص هو وغيره من المهتمين بأدب الاطفال ويوجهونها لجمهور طلبة المدارس . ولتغطية حاجة الدار نفسها من النشاط الطباعى الملون المصور . . واكثر من ذلك كله ، لحرص بعض رجال التعليم على تزويد الطفل برصيد ثقافى يخدم ما يتلقاه من معلومات ومعارف داخل الفصول الدراسية . وقد كان لصدورها فى مرحلة متأخرة ما اكسبها الكثير من اسباب النضج والتفتح . من ذلك المحاولة لتطويع القصص المقدمة للتراث الادبى العربى كما تدل على ذلك تسميتها الى جانب موادها الرئيسيه . فقد تركزت على مسلسلات عربية ومحلية من الف ليلة وليلة وغيرها من القصص . كما كانت تقدم الوانا من القصص المبسطة تارة مسلسله مع اعداد متتابعة وتارة قصيرة لعدد واحد وتميز بأنها مطبوعة بالحروف النسخ ومشكله بشارات الاعراب اللغوى ، وكأنها تتمة لكتب القراءة والمطالعة .

وقد اعتمدت «**سندباد**» على توجيه رجالات التربية والتعليم ، وعلى ظهور العديد من الرسامين والشبان الجدد الذين خلقهم تطور المعهد العالى للفنون الجميلة وتزايد رقعة صحافة الرسوم وصحافة الصور الملونة . لكن المجلة كانت لاصقة الارتباط بالاساليب المدرسية والدراسات التربوية واستلهام الحكم والامثال والاخلاقيات الساذجة فى توجيه الطفل . كما كانت بعيدة عن التاثر بصحافة الكبار والتجاوب معها فى تطورها السريع ، وهى صحافة لها الفنية والتاثير والنفاذ الاكيد على المستويات التى تقدم للقارىء الطفل ، خاصة فى مجتمع متلاحق التطور والنضج .

دار الهلال

وفى الاعوام القليلة الماضية سبقت **دار الهلال** بحكم طبيعتها الصحفية كدار مصورة الى الاهتمام بصحافة الاطفال . فاصدرت من قرابة ثمانية اعوام مجلة «**سمير**» ثم احتضنت مجلة «**ميكى**» منذ حوالى خمسة اعوام . ولا محاجاه ان الدافع التجارى البحت كان هو المحرك الاساسى . ولهذا لم تصمد سندباد امام منافستها سواء من ناحية امكانيات الطبع والتوزيع او من ناحية الموضوع ، اذ استندت «**سمير**» من بدء صدورها كما استندت شقيقتها «ميكى» من بعدها على اضخم المصادر وهى رسوم الصحف العالمية ومسلسلاتها وقصص الاستديوهات الاحتكارية الواسعة الانتشار . خاصة تلك القائمة فى امريكا والمزودة باحدث الوسائل فى حفر الصور واكبر الامكانيات فى عرض وتقديم القصص والمسلسلات والتى تمون بموادها تموينا كاملا معظم صحف الاطفال فى العالم ، وتعتبر هى والدور الايطالية الكبرى ، والمتخصصة فى الهزليات خاصة من اكبر الاخطار على صحافة الطفل المحلية فى كل دولة تصل اليها بانتاجها . ذلك أنه انتاج يباع على أساس حقوق اعادة طبع زهيدة ويراعى فيه جانب الدعاية والهبوط لارضاء التافه من اذواق قارئيه ، ولا يصدر منه الى خارج البلد المنتجة الا اضعف المستويات وأضرها واكثر قابلية للتوجيه الفكرى والتأثير العقلى .

القلق الواعي

وهنا تلزمنا وقفة متأنية . ففي غضون السنوات الخمس الماضية ، وبالتحديد من بداية ظهور «ميكي» وبعد انشاء «سمير» بحوالي عامين .. بدا الاهتمام بادب الاطفال وصحافة الاطفال ياخذ طابعا قويا في نفوس الكثيرين ، خاصة جموع الفنانين والمثقفين المهتمين بهذا الجانب . وهو اهتمام ظهر مصحوبا بالقلق الواعي عما يقدم للاطفال من زاد ثقافي متتابع في القالب الصحفي القائم . وقد تجاوب هذا القلق مع ماكان يقابله من سخط تربوي مصدره حرص الاباء على ثقافة وتعليم اولادهم فيما تولد نتيجة للمقررات الدراسية التي تلاحق تبديلها وتعديلها في عقم واضح على مدار السنين السابقة .

واتسع تزايد الدوامة القلقة مع تزايد جمهور القراء من الاطفال بفضل اتساع رقعة التعليم الذي اصبح يزود الالاف المتعاقبة من الاطفال في كل عام بالوسيلة العملية الرئيسية للحصول على الثقافة، وهي وسيلة القراءة . ثم كان لطرائق التعليم الموضوعة وما لازمها من تخبط تمثل في (طريقة شرشر) وغيره .. خاصة في هذه المراحل الاولية من مراحل تربية الطفل ، اثره في نفور الاباء وتلفتهم نحو محاولة الاخذ بناصر ابنائهم الصغار والبحث عن وسائل اخرى لتزويدهم بأسباب الثقافة الواجبة، فولوا وجوههم شطر **الاذاعة** واركانها المخصصة للاطفال ، اذ كانت هي الوسيلة الجماهيرية الوحيدة في متناول تقديرهم .

لكن هذا التلفت جاء متأخرا بعد ان كانت الوسيلة الاذاعية ذاتها قد اخذت تجنو من ساطع اهتمام جموع الاطفال المتزايدة . وجاء **التليفزيون** ليحاول اتمام الشوط اللاهث الذي انتهت اليه الاذاعة ، فتعثرت به حدوده الثقافية كوسيلة فرعية هو الاخر ..

مجلة كروان

وكان من حسن الصدف ان يجاوب هذا الوضع القلق المحاولة التي بذلتها **دار التحرير للطبع والنشر** بإصدار «**مجلة كروان**» على بداية عام ١٩٦٤ . ومن الظواهر الملفتة ان هذه المجلة .. رغم ارتفاع نسبة توزيع مجلات الاطفال الاخرى .. قد شقت طريقها من البداية في بروز ووجدت لها جمهورا واسعا من الاطفال يترقب وجودها وظهورها في تلهف وحاجة ماسة واضحة . لقد قفزت كروان من البداية الى المستوى الموضوعي الذي جعلها تقف على قدم واحد مع المجلات القائمة الاخرى لولا ان حالة الطبع وظروف التوزيع العملية والاهتمام الفعلي كانت كلها سلبية وواهنة ، واضعف من ان تسند مجلة جديدة على المتابعة وجاء توقف **كروان** المباغت بعد عشرة شهور فكان بمثابة صدمة مؤسفة للكثيرين ، ذلك انها استطاعت بما فيها من روح جديدة تستلهم البيئة المحلية وشخوصها واجوائها ان تؤثر على المجلات الاخرى في صلب موضوعاتها التي كانت تصرخ بالغربة عن بيئة اطفالنا وعقلياتهم وحاجاتهم الثقافية من مثل هذا اللون من الوسائل الثقافية .

وقد صاحب فورة كروان ، وبمصادفة غير بريئة ، بل بتنبه مقصود ظهور «**سوبرمان**» وهي مجلة صدرت في بيروت ثم انسابت عبر الحدود في الوقت المناسب تماما بطباعة مبسطة واضحة ، والوان زاهية نقية ، تسندها امكانيات صناعية متقدمة وتجربة وممارسة وقدرة وجاءت تحمل بين صفحاتها الغول الكاسح الذي يجتاح عقليات اطفال البلدان العديدة التي يمتد اليها تاثير «**الرجل الخارق للطبيعة**» وكل من وراءه من رجال وعتاد ورأسمال . وطفر تأثير « السوبرمان » ليجور على اثر مجلات الاطفال الاخرى «سمير» و « ميكي » ذاتهما .

تكوين شخصية الطفل

ولعل فيما أسلفنا ما يوضح حقيقة الوضع القائم بالنسبة لاهمية وجود صحافة اطفال متطورة ناضجة تتجاوب مع تطور حياتنا وتخدم جمهور الاطفال بوصفهم بناة المستقبل ولبنات الحياة الجديدة التي ننشدها . والمرحلة التي نمر بها اليوم من مراحل نظرتنا الى هذا الجانب من جوانب ثقافة اطفالنا ، لم تعد تتطلب حماية الطفل من المؤثرات غير المرغوب فيها ، والتي قد يتعرض لها نتيجة قراءته للمجلات او سماعه للاذاعات او مشاهدته للتليفزيون او السينما ، وكلها وسائل لا ترعى حماية الطفل في كثير . ومن المحال ان نفرض عليها مثل هذه الرعاية بأي اسلوب من اساليب التحريم او المنع ، ناهيك عن العقوبة .. لان الاسفاف والتبذل وهبوط المستوى الفكري والسطحية لايمكن قياسها بمعايير ثابتة اوترجيحها بالامر والنهي .

انها مرحلة تعدو حماية الطفل الى العمل على



تطويره وانضاج عقله وتكوين شخصيته وبالتالي خلق طفل جديد يكون الابن الشرعي الصالح لحياتنا المستقبلة . وما من شك في ان ذلك ان اعتمد اساسا على وجود صحافة اطفال سليمة على مستوى مناسب فانه لا يكفي وحده لدرء خطر هبوط المستوى الثقافي للاذاعة المسموعة والبرامج التليفزيونية والافلام السينمائية واخيرا وليس اخيرا ما تم وجوده من مسرح للاطفال ، انما يلزم الى جانب مراعاة هذه الافاقة التعبيرية التي يعيش طفلنا في ظل تأثيرها ان نباعد بين هذه الوسائل وبين الرغبة الغالبة في ادخال السرور على نفوس الصغار بأى ثمن .. ويقصد الكسب التجاري وحده .. وان ندرا عنهم خطر ارضاء اذواقهم وميولهم ونزعاتهم بالهدايا والمسليات والمشوقات الفاسدة . هذا فضلا عما ينتجه التأثير العام لتذوق الطفل لصحف الكبار واذاعاتهم واقلامهم وبرامجهم التليفزيونية فان هذه العوامل تؤثر بدورها على الطفل تأثيرا يجب العمل على تفاديه وان يكن ذلك كله مرتبط بالتطور العام اصلا .

صحافة الابن الجديد

ويبقى السؤال الهام .. **هل يمكن تطوير صحافة الاطفال القائمة عندنا لخلق ما نستطيع ان نسميه صحافة الابن الجديد ؟**

والجواب قد يحتاج لدراسات وبحوث تتعلق بحياة الطفل العربي خاصة .. ولحقيقة الصحف القائمة وطاقاتها وامكانياتها .. ولكن ليس من العسير ان نجد له جوابا في حدود اولية مبسطة .

فالثابت ان عندنا صحافة للاطفال لا تنقصها القدرة الطباعية من ناحية حفر الصور والوانها ، وعندنا من فناني الاطفال رسامين موهوبين على درجة ناضجة يمكن ان تستوعب طاقاتهم ومقدرتهم المراحل الاولى من الوجود الجديد لمثل هذا اللون من الصحافة المتطورة لاطفالنا .. ومن التجارب البعيدة والقريبة .. فان هناك كلفا واضحا من جانب الكثيرين من الكتاب الجدد والتربويين واساتذة علم النفس والشعراء والزجالين والخالقين من كتاب القصة الى ولوج ابواب هذا العالم الواسع البعيد الاغوار ، عالم الطفل العربي .

خطر الرجل الخارق للطبيعة

وفضلا من ذلك كله ، هناك جمهور الاطفال نفسه وهو جمهور يتضاعف مع ارتفاع نسبة التعليم المطردة وزيادة تغلغل الوسائل التعبيرية المختلفة كالراديو والاذاعة والتليفزيون وهو جمهور اذا لم ندركه من الان بالتطوير النفسي والنضج العقلي فنقوم شخصيات على اسس ثقافية اكيدة ، فقد يصعب ان نحميه بعد اعوام قليلة حين يفوق تعداده ثلث السكان وربع القراء .. من خطر « **السوبرمان** » .. خطر « **الرجل الخارق للطبيعة** » الذي يمكن ان يحتل مكانا راسخا فيما يقدم لاطفالنا اليوم وبعد اليوم .. في صور متعددة .. اقوى من **«طرزان»** .. في صورة « **السوبرمان نفسه** .. او **صورة زورو** » او « **الجولدين آرو** » او « **بفالوبيل** » او « **تيري** » او « **تان تان** » او غيرهم من الابطال الذين يستجيب لهم الطفل .. **اى طفل وكل طفل في مغامراتهم** القائمة على القوة البدنية والعنف والسطحية العقلية والمشاعر البدائية التي تتملق غرائزهم ولو كان عن طريق الاستهواء بالجريمة ، والذين ترسم شخصياتهم وتوضع مسلسلاتهم بمهارة وتوجيه محكم ، وتقدم باسعار زهيدة في حق اعادة الطبع ، لتقول للاطفال اشياء عديدة ، فتدخل في عقولهم . ان العوائق المادية التي تتعرض لها حياة الرجل العادي في كل يوم لا تشكل اى عقبة في تقدير الرجل الخارق للطبيعة . وتؤكد ان في امكانهم ان يفعلوا مثله فيستعملوا السيارات ويركبوا الطائرات دون حائل من اصحابها وهو الحلم الذي يأمل في تحقيقه كل طفل يعيش في ظروف فقيرة فيفتن بحياة مثل هذا البطل الذي يدين لرغبته كل محال وان يكن على الورق وفي داخل الصورة المتحركة .

وابعد من ذلك ما قد يصور عليه «تيري» او «تان تان» او غيرهما .. فكلهم يتعاون مع السلطة ولا يمكن ان يكون بطلا ثوريا ، بل يعادي الثوريين معاداته للمجرمين .. وكلهم لا يعرف المرح ولا يعيش الا على العنف والقسوة التي تمثل الجانب المظلم من الحياة اليومية العادية ، رغم ما فيها من مرح وامل وتطلعات باسمة .

ان من المحال الغاء هذه الشخصية ، ومن الخطر ان نعيد تقديمها بأسماء عربية خالصة لتقول نفس الشيء الموجه المطلوب ، ولكن من الممكن تعديلها وتقويمها عن طريق صحافة ناضجة جديدة تجردها من مثل هذه الصفات التي اصبحت تهدد بتقويض النظرة القومية وقيم الحياة المحلية وتقاليد بيئتنا تقويضا جوهريا في نفوس وعقول واخيلة صغارنا .





برامج الأطفال والمجتمع الجديد

جميلة كامل

كانت طفولتنا نحن جيل ماقبل الثورة تفتقر الى كل رعاية واهتمام حقيقيين من جانب الدولة ولكنها رغم ذلك كانت طفولة عامرة غنية بفضل الثورة الخفية التى تملأ قلوب أبناء الشعب وتحفزه الى الهجوم على الاستعمار ونظام الحكم . كانت الحياة دائما تموج بالمظاهرات والسخط وترتفع الصيحات تنادى بشعارات الحرية وتهتف بحياة الابطال،وكانت هتافات الطلبة تصل الى اذان الاطفال فى كل مكان فى المدرسة والشارع والبيت وتبدأ الاسئلة التلقائية من الاطفال لابائهم وتأتى الاجابات على شكل قصص وطنية موجهة الى قلوب وخيال الاطفال فيشعرون بنشوة كبرى تغذى أرواحهم . ولم تكن فى طفولتنا نحن الجيل الذى ولد مع جمال عبد الناصر واصحابه الذين قادوا الامة الى تحقيق آمالها، هذا العدد الكبير من مجلات الاطفال المعروفة الان ولكن مع ذلك كانت قصص كبار الكتاب أمثال توفيق الحكيم واهازيج الشعراء امثال حافظ ابراهيم فى ثورة ١٩ تصل الى اذاننا فيشتعل خيالنا طلبا للبطولة .

وفى تعطش المجتمع الذى يرنو الى الحرية كانت تقوم بيننا حركة نشيطة لنقل افكار الغرب الى اللغة العربية وقد استطاعت بعض الجهود الفردية امثال محاولات كامل الكيلانى نقل كثير من ادب الاطفال الى اللغة العربية، ولكننا كنا لانستطيع أن نقتنى كتابا الا بشق الانفس فقد كان هذا

يجعلنا نعيش فى احداث القصة شهورا .

ومن جداتنا وامهاتنا استمعنا الى الاساطير الشعبية التى تحكى عن ست الحسن والجمال والشاطر حسن. .كانت قصصا مملوءة بالخرافات والخيال فكنا نطرب لها ونسعد قبل ان يأخذنا النوم الى احلامنا السعيدة .

وعلى الشارع كنا نجد كل انواع الملاهى التى تطورت الان واصبحت فنا حقيقيا . كنا نرى الاراجوز والقرداتى والبيانلا والبلياتشو ولعب التحطيب والبرجاس والموالد .. الخ والى جوار هذه النواحى المشرقة فى حياتنا نجد أن ظلام الجهل كان يطبق على عقول الغالبية العظمى من أطفالنا ولم يفز بحق التعليم الا نسبة صغيرة من الاطفال بفضل كفاح الاباء وايمانهم برسالة العلم .

والى جوار الجهل نجد مثلا مريضة ومبادىء عفنة تنفث فى عقول ونفوس ابن الشعب منذ ان تتفتح عيناه للحياة ليضمن الاستعمار واذياله من الحكام استمرار سلطتهم وبقائهم فى دست الحكم هذه المثل المريضة نجدها فى بعض الامثلة الشعبية التى أصبحت جزءا من معتقدات الشعب « الحياة قسمة ونصيب» .. العين ماتترفعش على الحاجب الناس مقامات .. الخ

من هذه الاراء والمثل التى تحكم الشعب كان الطفل يتعلم عدم جدوى العمل فالحياة حظ وقسمة ونصيب وعلينا ان نرضى بنصيبنا وهو وجود الاستعمار بيننا فلا نثور ونرفض ماقسم لنا ... والعالمأيضا مقسم الى طبقاتسيدومسود، وهؤلاء الذين كتب عليهم الاستعباد عليهم الا يتطلعوا الى حياة افضل فالعين يجب الا تعلوا على الحاجب .

والمجتمع الراسمالى والاقطاعى لا يفوته هو الاخر ان يثبت دعائمه فينثر بعض فتات الخبز على الشعب .. وقد يتزوج واحد من رجاله لواحدة من بنات الشعب ويسمى هذا تنازلا .. ومنذ الصغر يرى الاطفال هذه التفرقة فيشعرون برهبة من هذه الطبقة المترفعة ، العائلات ذات الحسب والنسب وابناؤها يصلون الى أعلى المراتب وهبوا أم لم يوهبوا القدرة والمؤهلات التى تهيؤهم لهذه المراكز .

والتاريخ يفسر حسب نظرات وآراء الطبقة الحاكمة من الاقطاعيين والراسماليين ليس هناك ذكرللشعوب انماملوكوامراء ينتصرونأو يندحرون احتقار للشعوب ، حب لسفك الدماء والقتل ، مغامرات لاتسندها مبادىءبلاندفاع وراءالاهواء. وهكذا نرى انه لم ينقذ اطفال جيل ماقبل الثورة الا الروح الوطنية المتغلغلة فى اعطاف الشعب والحب الغريزى المتدفق من الاباء والامهات .. انقذهم من روح الاستلام ودفعهم الى التغيير الثورى العظيم الذى حدث فى المجتمع .

والان بعد الثورة ، بعد ان عادت الحقوق الى الشعب ولم يعد للاستعمار او لطبقة الاقطاع والراسمالية النفوذ والسلطة السابقة،كيفاصبح مفهوم الاطفال للحياة ؟ ماهى المثل العليا التى يتطلع اليها الطفل ؟ هل استطعنا أن نمحو اثر المعتقدات القديمة ونزرع مبادىء وقيما جديدة فى المجتمع الجديد والى أى حد نجحنا فى انماء هذه المثل والقيم فى ارض المجتمع الجديد .

بدأ مجتمعنا الجديد بالاعتراف بحقوق الطفولة صانعة المستقبل وذلك فى ميثاق العمل الوطنى فحرص على أن يوفر لها الاجيال العاملة كل مايمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح .

ومننقطة البدايةهذه رأينا منالدولة كلتشجيع على ان ينشأ الاطفال فى جو صالح . فتحت لهم المدارس واهتمت الدولة بغذائهم وثقافتهم وتسليتهم ايضا ، فنظرة سريعة على الوسائل العديدة التى تعمل فىسبيل ثقافة الطفل ترينا ان المجتمع يزخر بكتبالاطفال المترجمةوالموضوعة ومجلات الاطفال والاذاعة والتليفزيون ومسرح الاطفال ومسرح العرائس واسطوانات اسمع واقرأ والمكتبات والنوادى الخاصة بهم ، كلها تعمل على نشر ثقافة الطفل على اوسع نطاق شعبى .

قد يكون هناك بعض الملاحظات والنقد على مايقدم بواسطة هذه الوسائل العديدة للنشر .. منها الخاصبالقيم والمبادىءالتىيقومعليها مجتمعنا الاشتراكى ، وأخرى خاصة بالناحية التربوية والنفسية وثالثة خاصة بالناحية الفنية ، ولكن القائمين بهذه المهام يعتبرون روادا فى هذا المجال والنقد ليس معناه التقليل بأى حال من قيمة الجهد والعمل فى سبيل الرسالة العظمى ولكن هدفه مساعدة القائمين بهذا العمل العظيم على الوصول الى تحقيق رسالتهم ومعاونتهم على تجنب الاطفال خطرالتعرض الىمؤثرات خاطئة،خاصةاذا وضعنا فى حسابنا ان وسائل النشر الحديثة تتناول بالتاثر مجموعة كبيرة جدا من الاطفال .

شاهدت بعض برامج التليفزيون واستمعت الى بعض احاديث الاطفال بالاذاعة وسألت بعض الامهات آراءهن فيما يقدم من برامج ، ونخلص من مجموعة هذه الاراء برأى سليم بعيد عن الحكم الشخصى .

برامج الاطفال

بنظرةعامة علىبرامج الاطفالالمذاعة والمصورة

نجد ان كثيرا من البرامج لا تزال متأثرة بايديولوجية وافكار المجتمع القديم . والسبب فى ذلك يعود الى اعتمادنا على كثير من قصص افلام مجتمعات راسمالية غريبة عنا . ومهما حاولنا ان نعرب اسماء الشخصيات او نعطى لها الجو الشرقى ، فبناء القصة دائما نجده يعتمد على المثل التى يقوم عليها النظام الاجتماعى لهذه الدول .

فلو اخذنا مثلا الحلقات الامريكية «دنيس الشقى» التى تذاع بالتليفزيون فسنجد ان هناك اختلافا شديدا بين طريقتنا فى الحياة والطريقة الامريكية التى تعجب بالطفل الشقى كبطل . ونجد ان هذا النقد ينطبق على كثير من الافلام المدبلجة والقصص العربية التى تذاع فى احاديث الاطفال بالاذاعة .

ولما كنا نبنى الان مجتمعنا الجديد والاطفال هم الدعائم الاولى لهذا المجتمع فاننا فى حاجة الى ان نبذر فى نفوسهم منذ الصغر مثل واهداف المجتمع الاشتراكى واهمها الايمان بالعمل ، وتقدير الانسان بغض النظر عن لونه أو جنسيته ، ومبدأ تكافؤ الفرص واحترام الشعوب ، وحب الحياة والمغامرات الشريفة البناءة والسباق من اجل تقدم الانسانية .. كل هذه المبادىء لن يتسنى تجسيدها والدفاع عنها الا بوضع القصص المستوحاة من بيئتنا والممزوجة بأهداف مجتمعنا الاشتراكى . ان خطر بعض القصص المترجمة التى تبدو احيانا فى مظهر انسانى ، يكمن فى انها تعبر دائما عن مثل وقيم هذه المجتمعات . ليس معنى هذا بالطبع ان نحرم اطفالنا من القصص العالمية العظيمة لمجرد انها تأتى من بلاد تختلف معها فى النظام الاجتماعى والسياسى ، ولكن معناه ان نكون على حذر شديد فى نقل القصص حماية لاولادنا .

اقول هذا بعد ان لاحظت تعلق الاطفال بافلام **«السوبرمان»** التى تعرض بالتليفزيون . ورغم ان افلام السوبرمان لاتتبع مراقبة ركن الطفل الا ان من حقنا مع هذا ان نلفت الانظار الى ما تحمله من مؤثرات سيئة على النشء . ان شخصية السوبرمان تجذب الاطفال الى مشاهداتها اكثر من برامج الاطفال نفسها ولعل نجاح هذه الشخصية فى الاستيلاء على اهتمام الاطفال يرجع الى ان برامج الاطفال لم تنجح حتى الان فى خلق الشخصية العربية التى تستولى على قلوب الاطفال . ان برامج الاطفال فى حاجة الى عمل حلقات عن طفل يعمل ويفكر فى سبيل خلق مجتمعه الجديد ، طفل ليس سوبرمانا أى ليس خارقا للعادة ، بل انسان عادى ولكنه بفضل عمله واجتهاده يقوم بأعمال جليلة لمجتمعه وللانسانية . بهذه الشخصية يستطيع الطفل ان يؤمن بالحياة والمجتمع ، لا يتعلق بالشخصيات التى تملك قوى خارقة للطبيعة ويستخف بالانسان العادى الذى هو محور الحياة ومنتج هذه الحياة . ان افلام السوبرمان شأنها فى هذا شأن افلام رعاة البقر والمسلسلات الامريكية والهنود الحمر التى تعتمد على تلقين الاطفال الايمان بوجود آخرين ممتازين وقادرين على عمل كل شىء كما أنها ترسى فيهم احتقار الشعوب وتشجيع شعور الانفصال بين الطفل ومجتمعه وبيئته .

وللاسف يحاول بعض المؤلفين المصريين وضع بعض القصص والمسلسلات على نهج المسلسلات الامريكية التى نطالب بوقفها ومنع عرضها . وهذه المسلسلات رغم أنها مستوحاة من البيئة المصرية الا ان الغرض منها واسلوبها يتلاقى مع اسلوب المسلسلات الامريكية .

فلو اخذنا مثلا احدى هذه المسلسلات مثل «على الزيبق» نجد ان الغرض منها غير واضح فهى تعرض صورا للبطولة لاتتمشى فى مظهرها مع المجتمع الاشتراكى انها تؤكد على اظهار الوان الخبث والخداع والشر واسوأ مافيها الشخصية الشريرة التى تمثلها زوزو نبيل وخاصة عندما سرقت فتاة وحبستها بعيدا عن اهلها وحين تحايلت على بعض الرجال وعذبتهم . وتكفى نظرتها وهى تقول «حى» وما تحمله من معنى الشر والقسوة وقد تكررت فى تلك المسلسلة وغيرها من التمثيليات ذكر كلمة «اقتله» وكان القتل فيه حل للمشاكل .

اننا نريد ان نعرض على اطفالنا القصص الانسانية الهادفة ، لا القصص المثيرة التى تنجح فى الاستيلاء على اهتمام الاطفال بتتبعها ، ولكن الاثر الاخير لها هو تمجيد اعمال العنف والقتل .

البرامج الترفيهية

والهدف الاساسى من برامج الاطفال هو العمل على تسلية الاطفال وادخال البهجة الى قلوبهم وتنمية مواهبهم والعمل على زيادة حصيلة تجاربهم فى الحياة ودفعهم الى التقدم والى ان يكونوا مواطنين صالحين .

ونجاح البرامج تعتمد على طريقة تقديمها فى اسلوب فنى وجذاب يفتح شهية الطفل الى تقبل ما يعرض عليه ، لذلك فان عنصر الفكاهة من أهم العناصر فى برامج الاطفال ، على شرط ان تهتم بأن تكون ضحكة اطفالنا صافية بمعنى ان نرقى ذوق اطفالنا وندفعهم الى الضحك على بعض المتناقضات فى الحياة لا الاستهزاء بالانسان .

واستخدام العاهات لتسلية الاطفال واضحاكهم فيه ضرر كبير من الناحية التربوية والنفسية .. فمثلا من الشخصيات التى عرضت فى برامج التليفزيون

شخصية زعرب وهو يتهته ... احبها الاطفال ومالوا الى تقليدها وقد اثر ذلك بدوره على طريقة الكلام عند بعضهم .

وهناك الكثير من البرامج تعتبر ناجحة وهى الى جانب انها مسلية ويهتم الاطفال بتتبعها تعتبر فى الوقت ذاته هادفة اذ انها تزيد من ثقافة الاطفال وتضيف معلومات كثيرة الى حصيلتهم عن المجتمع والحياة .. مثل الكأس لمين ... فنون الاطفال . عصافير الجنة .. نادى الاطفال .

ولعل سر نجاح هذه البرامج أن الاطفال يشتركون فيها ويرون معظم فقراتها، ولكن ثمة ملاحظة عامة على هذه البرامج الترفيهية المسلية .. ان الاطفال احيانا يقلدون الكبار فى حركاتهم ورقصاتهم واحيانا يوضع فى افواه الاطفال الصغار كلمات ومعلومات اكبر من مستوى سنهم فيبدو الطفل الذى يلقيها كالببغاء يكرر كلمات لايفهمها او يعيها .

ومن الممكن الاستفادة من هذه البرامج باشتراك الاطفال المستمعين والمشاهدين فى اداء كثير من نواحى النشاط الفنى والرياضى والاشغال اليدوية بأن يطلب منهم اعداد المادة مقدما ثم يتم البرنامج امامهم .

وهناك وسائل كثيرة للتسلية محببة للاطفال وممكن ادخالها فى برامج الاطفال ... فبرنامج عالم الحيوان برنامج لا يتبع ركن الطفل ولكنه محبب اليهم .. ومن الممكن الاستفادة منه كوسيلة للتربية والتعليم

المسلسلات الدينية

وهناك ملاحظات اخرى على الناحية الشكلية والفنية لبرامج الاطفال .. فقد تتبعت بعض المسلسلات الدينية مثل «عمرو بن العاص» فوجدت انها تقدم نفس الصورة والكيفية التى تقدم بها مثيلاتها فى البرامج العادية للكبار فهى تستخدم اللغة العربية الفصحى فضلا عما فيها من مواقف رهيبة ومفاهيم يعجز الصغير عن فهم مدلولها .. وقد كان من الممكن تقديم تعاليم دينية فى صورة مبسطة لتدخل الى قلب الطفل وتؤثر فيه .

برنامج حدوتة قبل النوم

يلاحظ ان هذا البرنامج قصد به الاطفال الصغار « الكتاكيت » أى تحت سن السادسة .. ورغم ان المشرفين على البرنامج لم يعلنوا ذلك صراحة الا ان هذا الميعاد الذى يقدم فيه هو موعد نوم الاطفال تحت سن السادسة كما ان ذكر كلمة «حدوتة» ايضا يوحى بتخصصه للاطفال الصغار ..

وهذا يدعونا الى التساؤل لماذا نقدم برامج الاطفال غير محددة بالسن ؟ فلو فرضنا ان هذه البرامج مخصصة للاطفال الصغار نجد ان كثيرا من القصص التى تقدم فيه قد فشلت فى تحقيق هدفها وهو جذب انظار الصغار .

سألت بعض الامهات اذا ماكان اولادهن الصغار يتابعون القصص فى برنامج حدوتة قبل النوم فكانت اجابة معظمهن ان معظم الاطفال ينجذبون الى المقدمة الغنائية للبرنامج ولكن القصص نفسها قلما يتابعونها .

اعتقد ان السبب فى ذلك يعود الى ان معظم التمثيليات تقدم على مستوى كبير ، فالطفل حتى سن الخامسة تقريبا يعتمد فى تفكيره على الصورة الحسية اكثر من اعتماده على المعانى المجردة، ولكن هذه القصص تقدم على مستوى اعلى من مستوى فهم الطفل الصغير ومن ثم يفقد الرغبة فى تتبعها .

بعض الحواديت ظهرت فيها شخصيات مخيفة أو شريرة .. شكت لى أم أن ابنها لدى مشاهدته لاحدى هذه الشخصيات ظل يبكى ويذكر الشخصية وتحاول امه ان تهدىء من روعه ولكنه لا يهدأ الا بعد وقت طويل .

وهنا ايضا يجب ان يهتم المسئولون بأبعاد هذه الشخصيات المخيفة او الشريرة خاصة فى برامج قبل النوم . وقد يكون ظهور بعض الشخصيات الشريرة هام فى برامج الاطفال الذين يزيد اعمارهم عن ٨ سنوات لتعريفهم ببعض الشر فى الحياة .

ولكن فى رحلة الطفولة الاولى حيث يبدأ تكوين الضمير تنشأ لدى الطفل مخاوف شاذة هى فى الواقع مخاوف من عقوبات الضمير تأخذ صورا رمزية كالوحوش والظلام والاشرار اى يخاف من اشياء وهمية بدلا من أن يخاف من أمور واقعية .. وعلى ذلك فظهور مثل هذه الموضوعات مجسمة امامه تثير فيه المخاوف الشديدة التى قد تمتد آثارها الى فترة النوم فتتعقب الطفل فى صورة احلام مزعجة .

ملاحظة اخرى على برنامج «حدوتة قبل النوم» ان تعدد الشخصيات فى الحدوته تجعل الطفل ينصرف الى التفكير بعض الوقت فى الشخصية ولا تجعله يرتبط بها لتغييرها، كما ارتبط الاطفال بمقدمة الحدوته .. ولذلك فمن الافضل خلق شخصية موحدة يرتبط بها الاطفال دون ان ينشغلوا بالتفكير فيها .

وبرامج الاطفال الصغار فى حاجة الى ان تكتب القصص لها لا ان تترجم القصص باسماء عربية ذلك لان القصص الموضوعة للطفل العربى تروى

له تجاربه فى المحيط المألوف له والطفل فى هـذه السن ينجذب الى البيئة التى تعرفها ، كما ان رؤيته جزء من حياته وتجربته على الشاشة يسره جدا ، والى جوار هذا فالقصة كلما كانت بسيطة غير معقدة مملوءة بالحياة والحركة وفيها الاغانى والحيوانات والحركات المضحكة والاسماء الغريبة كلما كان هذا سبب ادخال البهجة الى قلوب الصغار تحت سن ٦ سنوات .

الطفل ناقد ذكى

وبرامج الاطفال اذا لم تكن مكتوبة بعناية والقصة مخدومة من الناحية الفنية بحيث تتوافر فيها جميع العناصر الفنية من الحبكة والصراع ورسم الشخصيات بعناية فان الطفل سرعان مايفطن الى مافيها من خلل وزيف . فالكتابة للاطفال ليست عملية سهلة بل هى من اشق الاعمال الفنية لانها فى حاجة الى معرفة نفسية الطفل .. عالمه الصغير وما تؤثر فيه ثم اعطائه التجربة مع الابتعاد عن الدروس والنصائح .

استمعت يوما الى احدى ملاحظات الاطفال عن قصة روتها الفنانة لبلبة فى «حدوته قبل النوم »

كان موضوع القصة طفلة مريضة نامت وحلمت ان ملاكا جاءها وسألها ان تطلب منه شيئا فطلبت منه معاونتها على مساعدة الناس فأعطاها الملاك سجادة فركبها وزجاجة من الدواء تكفى ان تصب منها نقطتين على الشخص الذى ترغب فى مساعدته وتزول عنه همومه وتنفرج كربته .. وهكذا قامت الطفلة بمساعدة الكثيرين فكانت نتيجة حبها للناس ان اكتشفت عندما استيقظت من النوم انها شفيت من مرضها واستطاعت أن تسير على قدميها بعد ان كانت قعيدة الفراش .

كانت ملاحظات الاطفال بعد سماعهم القصة . كيف شفيت الطفلة وقد كان كل ما رأته حلما ؟ كيف تشفى وهى لم تتناول أى دواء ، والمؤلف يقصد ان يحث الاطفال على عمل الخير ، ولكن القصة كان ينقصها الترابط الفنى الذى يقنع الاطفال بهذا الهدف ، فعمل الخير فى الحلم لا يمكن ان ينتج عنه شفاء الطفلة ، وشفاؤها خاصة بدون دواء .. فهناك حلقة مفقودة بين الخيال والحقيقة استطاع الاطفال الصغار ان يلمسوا فقدانها .

الوعظ والارشاد

نلاحظ احيانا ان بعض مقدمى برامج الاطفال يصرون على تقديم نصائح للطفل بطريقة مباشرة . انهم لايثقون فى ان العمل الفنى ممكن ان يترك اثرا اقوى فى نفوس الاطفال من عملية الوعظ والارشاد او قد يرجع السبب الى عجز فى قدراتهم الفنية .

وقد استمعت الى احدى مقدمات البرنامج تخاطب الاطفال قبل روايتها للقصة ، فتقول كل قصة يا اطفال لها هدف وهدف قصتنا اليوم هو كذا .. كذا .. ثم اخذت تروى القصة . وفى نهاية القصة ايضا اخذت تعيد على مسامعهم الهدف من القصة وما يجب ان يفعلوه .

اعتقد ان اصرارها على لفت نظر الطفل بطريقة مفتوحة لهدف القصة قد اضاع كل اثر ممكن ان يترسب فى نفس الطفل تلقائيا من الاستماع الى التجربة التى بنيت عليها القصة بطريقة فنية وحرمته ايضا من استنباع الدرس الخلقى او الهدف من خلال تجاوبه مع القصة .

القصص معقدة

بعض القصص والمسلسلات التى تعرض بالتليفزيون خاصة معقدة بطريقة تختلط احيانا فهمها على الكبار والصغار معا . وسبب ذلك يرجع الى ان التمثيلية او القصة تكون مشحونة بأكثر من حدث واحد . ومن خلال الاحداث الجانبية يتوه الحدث الاصلى ويختلط الامر على المشاهدين .

اما الشخصيات فى القصة كلما كانت قريبة من مفهوم الطفل ومن حياته اليومية كلما ساعد ذلك على اندماج الطفل فى احداث القصة . وللبطل اهمية خاصة فى قصص الاطفال اذ ان الاطفال عادة مندمجون فى شخصية البطل ويتخيلون انهم يشاركونه تجاربه .

وبعد ...

فهذه ملاحظات عامة على برامج الاطفال فى كل من الاذاعة والتليفزيون ، وهى تصدر عن روح من الاعجاب بالعمل الكبير الذى يقدم فى هذين الجهازين بوسائل قليلة ويواجه صعوبات كثيرة اهمها قلة عدد الكتاب الذين يعتمد عليهم فى هذا اللون الصعب من الكتابة ، وندرة المتخصصين وانشغال هذه الندرة بأعمال كثيرة فى حقول التربية والتعليم .

غير ان الوعى المتزايد بأهمية ثقافة الاطفال ، وماتبذله الدولة والمربون من جهود لاتاحة هذه الثقافة وتوسيع افقها وماتلقاه هذه الجهود من اقبال الشعب .. كل هذا يشير الى ظاهرة صحية جديرة بالاعجاب وهى اننا نسعى الان سعيا اكيدا للعمل الصعب والخلاق فى وقت واحد وهى : بناء البشر وبناء المستقبل

أفلام الكرتون هدف ثقافى وترفيهى

عبد القادر التلمسانى

لا يزال القطاع العام السينمائى بعد مضى ثلاث سنوات على تكوينه فاقد الاتجاه. لم يدرك بعد أن السينما – واعنى فى المحل الاول الانتاج السينمائى – فى المجتمع الذى يتحول الى الاشتراكية لم يعد سلعة رأسمالية يتاجر بها أصحاب المال وأصحاب « الفهلوة » على الناس بقصد الربح .

وانما الفيلم فى الاصل من اعمال الفكر والخيال والوجدان القصد منه مخاطبة القلب والعقل جميعا وخلق مايسمى بالمستويات العليا للحياة الانسانية الروحية .

ولقد عانى ويعانى الفنانون السينمائيون فى

البلاد الراسمالية من هذا الصدام الرهيب بين مايريده الفنان السينمائى وبين مايريده المنتج الراسمالى . والقليل النادر من هؤلاء الفنانين هم الذين استطاعوا — رغم اوضاع المجتمع الراسمالى الذى تحول كل شىء الى سلعة .. استطاعوا ان يخلقوا فنا سينمائيا اصيلا نراه مجسداً فى روائع سينمائية مثل ((الجشعون)) لاريك فون ستروهيم، و ((التسامح)) لدافيد وارك جريفيث و ((جان دارك)) لكارل دراير وطبعا كل افلام شابلن القديمة والحديثة «على جنب» لان شابلن حل المشكلة حينما انتج بنفسه ..وهو الفنان الانسان التقدمى الاصيل .

وجاء النظام الاشتراكى أو المنهج الاشتراكى فى العمل وفى الحياة ليحرر الفن — والسينما فن — من سرطان التجارة والربح — عماد النظام الراسمالى ومنتهى امله — واصبح الانتاج السينمائى فى البلاد الاشتراكية يهدف الى الفكر والثقافة والابداع الانسانى فى اعلى واجمل صوره ..دون النظر الى مدى مايدره ذلك من أموال وارباح .

واذا نحن « صفينا » هذا الوضع المنحرف .. واعدنا تكوين القطاع العام السينمائى مسترشدين بحكمة «وضع الرجل الصحيح فى المكان الصحيح» .. وفى اتجاه التطبيق الاشتراكى السليم لقطاع السينما برزت لنا افلام الاطفال من بين الانواع الهامة والرئيسية والضرورية للانتاج .. وخاصة فى بلد يبنى الاشتراكية ..

واذا اسقطنا شعار «التجارة والربح» بالنسبة للانتاج السينمائى فى القطاع العام الاشتراكى ، ورفعنا بدلا منه شعار « الفن والفكر والواقع » لامكن بالتالى انتاج افلام للاطفال . لان الاطفال — والصغار بعامة — يشكلون جمهورا عريضا وهاما وخطيرا لاسبيل الى انكاره او تجاهله .. ولان هؤلاء الصغار ايضا هم بالنسبة للمجتمع الاشتراكى الذى نبنيه اهم لبنة فيه . انهم الثروة البشرية ، ثروة المستقبل ، وعماده واثمن مافى الوجود «اثمن راسمال» وعلى القطاع العام السينمائى فى وضعه الجديد ان يخصص عشرين فى المائة من ميزانية انتاجه — على الاقل — لافلام الاطفال والاولاد ومن هم دون السادسة عشرة، لان يكتفى بمنع بعض الافلام «القبيحة» عنهم .

ولقد سبق لوزارة الثقافة عام ١٩٦١ ان شرعت فى انتاج افلام للاطفال . وكونت لجنة فنية الحقت بمكتب وزير الثقافة وكانت تضم من السينمائيين الاستاذين **احمد بدرخان واحمد كامل مرسى** .. واستقرت اللجنة بعد دراسة شهور على انتاج خمسة افلام للاطفال للموسم السينمائى ٦١ — ١٩٦٢ غير ان الاوضاع لم تلبث ان تغيرت فى صيف ١٩٦٢ وتغير وضع « مؤسسة دعم السينما » . ولم يكن قد تم من انتاج الافلام الخمسة سوى ثلاثة فقط ، « فدشتوا » جميعا ، واسدل على المشروع كله ستار من الصمت .

واذا كان هدف وزارة الثقافة (عام ١٩٦١) من انتاجها لافلام للاطفال هو هدف ثقافى وليس تجارى ، فقد تحول الامر بعد ذلك واصبح هدف « المؤسسة المصرية العامة للسينما والاذاعة » والتليفزيون» التى تكونت فى يناير ١٩٦٣ .. والتى لم تلبث ان اصبحت «المؤسسة المصرية العامة للسينما والهندسة الاذاعية» ثم حلت اخيرا فى اكتوبر ١٩٦٥ .. ثم اصبح هدفها تجارى وليس ثقافى ، فاستبعدت فكرة انتاج افلام للاطفال نهائيا من خططها بدعوى انها افلام «خاسرة» .

وتتجدد الدعوة هذه الايام الى انتاج افلام للاطفال .

فكيف يمكن تحقيق ذلك — اذا افترضنا جدلا ان التنظيم الجديد للقطاع العام السينمائى يطبق الفكر الاشتراكى ويلفظ المنهج الراسمالى فى الانتاج .

فى مصر ستوديوهات خمسة — غير مشروع مدينة السينما وستوديوهاته — ستوديو مصر والاهرام ونحاس وجلال وناصيبيان . واذا طبقنا فكرة «وحدة الانتاج» لامكن اعتبار الاستوديوهات الخمسة وحدات انتاج سينمائية خمس تستطيع كل وحدة ان تستقل فى انتاجها استقلالا ذاتيا ، ويربطها جميعا وينسق فيما بينها ((هيئة)) واحدة للانتاج السينمائى — لا «شركة» — تتبع ((المجلس الاعلى للسينما)) — لا «مؤسسة سينما» .

ومن الممكن تقسيم الانتاج الى انواع هى :

- افلام فنية عامة .
- افلام للعمال وللفلاحين وللجنود .
- افلام اخبارية وتسجيلية وتعليمية .
- افلام للاطفال ورسوم متحركة وعرائس .

ومن الممكن تخصيص ستوديو من ستوديوهاتنا الخمسة لافلام الاطفال والرسوم المتحركة والعرائس وليكن اصغرها وهو ستوديو ناصيبيان فى قلب القاهرة ، قريبا من محطة مصر .

واذا سرح بنا الخيال الى تطبيق تنظيم اشتراكى للسينما فى مصر وخصصنا ستوديو ناصيبيان لهذا الغرض العظيم — وهو انتاج افلام للاطفال — كان لابد ايضا من تخصيص جزء هام من ميزانية الانتاج العامة للهيئة — وليكن عشرون فى المائة — لانتاج عدد من الافلام الروائية والرسوم المتحركة والعرائس خاصة بالاطفال ومن هم دون السادسة عشرة بوجه عام ، وهم جمهور عريض جدا حسابه بالآلاف وبالملايين !

ويشرف على هذا الاستوديو — مجموعة من السينمائيين والفنانين التشكيليين وكتاب ادب الاطفال .. ويتكون من بينهم مجلس ادارة هو الذى يخطط سياسة الانتاج السنوى للاستوديو ويرفعها للهيئة العامة للانتاج للنظر فى شانها ثم اقرارها . ويكون احد اعضاء مجلس الادارة هو المسئول الفكرى والسياسى — وله حق الفيتو فيما يختص بقرارات المجلس الملزمة لجميع اعضائه **هذا العضو لابد ان يكون من اعضاء التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى والمسئول امامه ،** حتى نضمن تطبيق الخط الفكرى — الايديولوجى — العام فى تربية الصغار وتنشئتهم .

واذا تساءلنا عن الموضوعات التى تصلح لانتاجها افلاما للاطفال لراينا ان كل الموضوعات تصلح وان العبرة فقط بطريقة التناول والعرض . فالاطفال يريدون معرفة كل شىء .. ونفوسهم وعقولهم وقلوبهم وحواسهم متفتحة للتلقى والاستقبال فى شراهة ولذة واستمتاع .

ولكى نضرب الامثلة نقول ..

اهتم **ماكسيم جوركى** منذ عام ١٩١٧ بأدب الاطفال فارسل خطابات لاصدقائه من كبار كتاب العالم فى ذلك الحين يقول لهم انه وضع هدفا امامه «بالاشتراك مع خيرة كتاب عصرنا لنشر سلسلة كاملة من كتب الاطفال تكرس لحياة عباقرة الانسانية» وكتب **لويلز** « ارجوك يا عزيزى ويلز ان تتفضل بكتابة مؤلف للاطفال عن اديسون — حياته واعماله .. فانت تدرك كم نحن فى حاجة فى الوقت الحالى الى كتب قادرة على ان توحى الى الاطفال حب العلم والعمل .. وفى نيتى ان اطلب الى رومان رولان ان يكتب لنا كتابا للاطفال عن بيتهوفن وساكتب بنفسى كتابا عن غاريبالدى » ثم كتب جوركى عام ١٩٣٠ — بعد تحقيق الثورة فى الاتحاد السوفييتى باعوام — يقول فى شان ادب الاطفال ما يصدق علينا فى مصر هذه الايام :

«من المشاكل الهامة لدينا تلك المشكلة التى تختص بالتربية الاشتراكية للاطفال فى دولة تسير بنجاح فى بناء وتنظيم نفسها بطريقة اشتراكية . ولكنها لم تبلغ بعد ذلك الهدف . ان التنظيم الحالى سوف يكتمل ويتم بناؤه على ايدى اطفال اليوم ، الذين تدور حياتهم كلها فى اطار كفاح يومى ومتناقضات من كل الانواع بين الاشتراكية الوليدة وعملاق الفردية الذى سيطر خلال ملايين السنين ..

يجب علينا ان نروى للاطفال بطريقة فكهة مسلية جرائم راسمالى احتكارى مثل «الكروب» لكى نثير نحوه فى نفوس الاطفال عاطفة الاشمئزاز والتقزز والنفور والاحتكار .. ولا نثير عاطفة الرهبة والفزع منه .. لابد ان نوجه « الكره الاجتماعى» فى اتجاه الزراية بالعدو واعتباره مخلوقا من درجة ادنى ، بدلا من ان نثير عاطفة الخوف فى مواجهة بذاءته وحطته وقسوته ، كما كان يفعل ادب الاطفال «العاطفى» قبل الثورة وكان غير قادر بالمرة على استخدام سلاح السخرية والضحك الحاد اللاذع » .

وفى سبتمبر عام ١٩٣٣ تكونت فى الاتحاد السوفيتى دار نشر لادب الاطفال وكان جوركى على راسها ، فكتب فى ذلك العام يقول :

«يجب علينا ، بشكل عام ، ان نتناول كنقطة انطلاق فى ادب الاطفال ذلك الموضوع THESE الجديد كل الجدة والذى يمكن تعريفه فيما يلى : فى المجتمع الانسانى يقوم صراع يشتد اكثر فاكثر ، هدفه تحرير طاقة القوى العاملة من سيطرة الراسمالية ، وتحويل الطاقة العضلية الى طاقة فكرية ، والتحكم فى قوى الطبيعة ، وتحسين الصحة واطالة حياة كل العاملين على الارض ، وتحقيق وحدتهم على المستوى العالمى وفى سبيل الازدهار الحر والمتنوع واللامحدود لاستعداداتهم ومواهبهم . هذه المبادىء على التحديد يجب ان تكون الاساس لكل ادب الاطفال ، لكل كتاب موجه للاطفال ، بما فى ذلك سن ماقبل المدرسة » .

ثم توجه جوركى بخطاب مفتوح يسال فيه الاطفال عما يرغبون قراءته فتلقى الفين من الخطابات الفردية والجماعية قدم بها تقريرا لمؤتمر الكتاب ، وافاد منها فى رسم سياسة دار نشر ادب الاطفال الذى تولاها منذ انشائها عام ١٩٣٣ حتى توفى عام ١٩٣٦ ..

يقول التقرير السالف الذكر :

« ان اكثر المقترحات ترديدا يمكن تعريفه بجملة واحدة هى **(كل شيء)** .. كتب البعض يقول لجوركى «انك تريد ان تعرف اكثر شيء يهمنا .. من الصعب الاجابة على سؤالك لاننا نحن «الرواد» يهمنا فعلا كل شيء » وفى خطاب آخر تجسدت هذه الرغبة فيمايلى : «نريد ان نقرأ كتبا عن الماضى لكى نفهم الحاضر بشكل افضل ، نريد كتبا للمؤلفين الكلاسيكيين وكتبا عن تاريخ الحركة الثورية عندنا وفى الغرب ، وعن الحرب الاهلية والجيش الاحمر وعن بناء الاشتراكية .. نريد كتبا علمية وفنية تكنيكية ، وكتب رحلات» . ثم يضيف الصغار فى نهاية خطابهم **(وكل الباقى)** .

وعديد من الخطابات يستعمل كلمة**(كل)**كصفة.

«نحن نرجوكم ان ترسلوا الينا كتابا مختصرا يضم **كل** الافكار السياسية » .

«أريد كتابا يصف **كل** الرحلات التى تمت للقطب الشمالى » .

«أريد أن اقرأ كتابا عن **كل** الحيوانات مع صور كثيرة »

الاطفال اذن ـــ من خلال هذا التقرير ـــ يريدون باختصار كل شيء .. حتى الانسيكلوبيديا ـــ أى دائرة المعارف العمومية !

ونظرة سريعة الى كتب الاطفال فى مصر ـــ ولنكتفى بمطبوعات دار المعارف ـــ نجد انهاتحوى كل شيء ـــ ٦٥ مجموعة للاطفال والناشئة اصدرتها دار المعارف وحدها تحوى قصصا عالمية ـــ شرقية وغربية وخلقية ووطنية ، وقصصا تربوية ومغامرات ورحلات ، وقصصا عن الحيوان ومعلومات عن الكون وعن مشاهير العرب وعن حضارات الشعوب .. وعن سيرة الرسول وحياة الانبياء ، وعن كل شيء .

والسينما تستطيع ان تشارك الكتاب فى تربية الصغير وتثقيفه وتوسيع مداركه وبناء روحه وعقله ووجدانه جميعا ، بل لعل السينما ان تتفوق على الكتاب من حيث انها حياة متحركة ناطقة ملونة وجذابة ، يسهل هضمها واستيعابها باسرع وايسر من الكتاب بل ومن اى وسيلة فنية اخرى .

واذا كانت السينما المصرية قد احجمت ولاتزال عن ارتياد مجال سينما الطفولة طوال عمرها الذى يربو على الاربعين عاما ، فالامل ـــ كل الامل ـــ معقود على التنظيم الجديد للقطاع العام السينمائى فى ظل التغييرات الجذرية الاخذة طريقها فى حياتنا على اسس اشتراكية سليمة وبالاشتراك مع التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكى لكى «نمكن لقيم المجتمع الاشتراكى من ان تستقر فى الارض وترسخ .. وتصل بجذورها الى اعماق حياتنا .. حتى يستطيع مانزرعه الان ان يصمد للرياح بغير انحراف او اعوجاج» ، كما جاء فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مجلس الامة فى ٢٠ يناير ١٩٦٥ .

المسألة لاتحل الا على المستوى السياسى اولا .

وقضية انتاج افلام للاطفال والناشئة هى جزء من قضية القطاع العام السينمائى بشكل عام ، وهى جزء ايضا من قضية التناول الاشتراكى للفنون والاداب بشكل اعم . ومع تصفية بقايا الفكر البورجوازى والرجعى من دهاليز الجهاز الحكومى ومنعطفاته ـــ ومع بلورة الفكر الاشتراكى والتقدمى فى الجهاز السياسى ، ومع ربط الفكر بالتنفيذ يمكن تنظيم القطاع العام السينمائى بحيث يولى اهمية لافلام الاطفال ، وهم رجال الغد وقادته .. وهم كل الحياة .

كروب ـــ (جوستاف)

رجل صناعة المانى ـــ ولد فى لاية عام ١٨٧٠ ومات فى ايسين ESSEN عام ١٩٥٠ وهو من عائلة بوهلين وهالباخ دخل السلك الدبلوماسى واصبح عام ١٨٨٩ سكرتيرا للبعثة الدبلوماسية فى واشنجتون وفى بكين ثم مستشارا فى سفارة بروسيا لدى الفاتيكان .. وحينما تزوج جوستاف من بيرت كروب اضاف اسم عائلة زوجته الى اسمه وامسك بالادارة العامة لمصانع كروب فى ايسين .. وبعد الحرب العالمية الاولى وقف بعيدا عن كل سياسة فى اول الامر .. ولكن مع مجيء النازية تناول فى يده تنفيذ برامج التسلح الالمانى . وقد قدم للمحاكمة عام ١٩٤٩ امام محكمة نورينبيرج التى اقامها الحلفاء لمجرمى الحرب .. ولم يحكم عليه فى النهاية بسبب حالته الصحية . وابنه ـــ الفريد ـــ ولد عام ١٩٠٧ واصبح عام ١٩٤٠ الرئيس الفعلى لشركة كروب .. وقد حكمت عليه محكمة نورينبيرج بالسجن ١٢ سنة ومصادرة املاكه .



مسرح الأطفال

بين الواقع والأسطورة

راجي عنايت

عندما نتحدث عن مسرح الاطفال كمصدر من مصـادر ثقـافة الطفل ، نعنى جميع الاشكال التى تقدم على مسرح الاطفال .. من تمثيل بشرى ، الى تمثيل بالاقنعة ، إلى تمثيل بالعرائس ، الى الاشكال التى تجمع بين اكثر من عنصر من هذه العناصر .

واحب مبدئيا ان افرق بين نوعين من النشاط المسرحى المتصل بالاطفال . فهناك النشاط المسرحى الذى يقوم به التلاميذ فى مدارسهم ويقدمونه لجمهور من الصغار والكبار فى المناسبات الخاصة، ورغم اهمية هذا النشاط فى زرع بذور الثقافة المسرحية بين الصغار، وتعويدهم على الشكل المسرحى باعتباره مصدر متعة راقية، وبرغم الفائدة التربوية التى تعود على الاطفال نتيجة لاشتراكهم فى العمل المسرحى من تعودهم على العمل الجماعى، وعلى اثبات الذات من خلال المجموع ، والتخلص من انطوائهم، الا ان حديثى لن ينصرف إلى هـذا الجانب من النشاط المسرحى رغم اهميته، تركيزا على الجانب الاخر من النشاط المسرحى المتصل بالاطفال ، واعنى به العمل المسرحى الذى يقدم الى الاطفال بمختلف مراحل نموهم خارج النطاق المدرسى

ومسرح الاطفال بهذا المعنى يشترط اول مـا يشترط نصا مسرحيا يتوجه بالتحديد الى الاطفال، مراعيا كل خصائص النمو المحددة للمجموعة التى يخاطبها، قد يكون الممثلون من الاطفال او من البالغين ولو ان الافضل ان يكونوا خليطا من العنصرين ، البالغون لادوار البالغين، والاطفال لادوار الاطفال ويكون اختيار الاطفال خاضعا على الدوام لقدرتهم الحقيقية على تأدية النص، ولا تنصرف مهمة المخرج هنا إلى البحث فى اثر عملية التمثيل على الطفـل الممثل تربويا او نفسيا، ولكن يجب ان يكون اهتمامه الاول بالاثر الدرامى للعمل على جمهور الاطفـال

المتفرجين . واى جهد مسرحى لا يوفر للطفل المتفرج خبرة مسرحية حقيقية لا يمكن اعتباره مسرحا للاطفال، فقيمة الانتاج المسرحى فى مسرح الاطفال لها الاولوية على اى اعتبار آخر.

لذا يجب التفريق بين العمل الدرامى الخلاق الموجه الى الاطفال، وبين المسرحيات التى يؤديها الاطفال، رغم مابينهما من مهام مشتركة نحو انضاج الوعى الدرامى عند الطفل. هذا بالرغم من ان بعض مسارح الاطفال ترى فى بعض الدول ان يقوم الاطفال فقط بالتمثيل للاطفال، وقد اثيرت هذه النقطة فى الاجتماعات التى عقدتها هيئة اليونسكو لتكوين **اتحاد عالمى لمسارح الاطفال**، اسوة بالاتحاد العالمى للمسرح وقد وضح فى الاجتماعات التمهيدية التى شارك فيها مندوبين من عدد كبير من الدول التى تحتفى بمثل هذا النشاط، وضح شبه الاجماع على ان الاعتماد على الممثلين البالغين ضرورى فى مسرح الاطفال .

ومسرح الاطفال الناجح الذى يستطيع ان يؤدى وظائفه الاساسية، يجب ان يعتمد على الخبرة المسرحية الحقيقية التى يتعاون فى تحقيقها مجموعة من الكفاءات والمواهب المسرحية الحقة، وهذه مسألة يجب الالتفات اليها بوعى، فهناك اتجاه عند بعض العاملين فى هذا الحقل يميل الى اعتبار ان الجهد المطلوب لانجاز مسرحيات الاطفال جهد هين، لا يستحق الالتجاء الى العناصر ذات الكفاءة العالية وان اى شىء يرضى الاطفال، ونتيجة لمثل هذا الاتجاه تقدم الى الاطفال اعمالا ساذجة هزيلة ينصرفون عنها نتيجة لعدم اقتناعهم بها، وتترك فى انفسهم خبرة سيئة لكل ما يقدم اليهم من خشبة المسرح.

مسرحيات لكل عمر

لقد اثبت علماء النفس والتربية ان الطفل ليس مجرد «رجل صغير» ، واصبح فى استطاعتنا ان نتصور ما بين الطفولة والبلوغ على انه مرحلة نمو متصل لشخصية الطفل. وكل طفل يقبل على مسرح الاطفال ليحتل مقعدا، يقبل حاملا خبراته الخاصة فى الحياة، وبوعى او بغير وعى، يعمد الى قياس مدى توافق هذه الخبرات او تنافرها مع ما يظهر امامه على المسرح، ويصل انفعاله بالعمل المعروض عليه الى القمة عندما تردد احداث هذا العمل خبراته المستمدة من حياته الخاصة او ان تكون على صلة بها على الاقل .

ولذا فعلى من يتصدى للتاليف المسرحى فى هذا الميدان، ان يكتشف على قدر الامكان عالم الطفل، معتقداته، مشاعره، احتياجاته ورغباته.. حتى يستطيع النص المسرحى الذى يقدمه ان يجذب اهتمام الطفل، ويحوز ثقته، وبذا تصل استفادة الطفل مما يقدمه هذا النص من افكار الى اعماقها الكافية .

ونفس هذا الفهم يجب ان يكون الاساس الذى يبنى عليه باقى العاملين فى مسرح الاطفال جهدهم.. من مخرجين وممثلين ومصممين للملابس والديكورات يجب ان يدرك الجميع ان استجابة الطفل للانتاج الفنى تتبع فى الاغلب والاعم خطا محددا . فخبرات الطفل الادبية او الموسيقية او المسرحية تتدرج دائما من البسيط الى المركب سواء بالنسبة للشكل او المضمون... وتتدرج من المحسوس الى المجرد او الرمزى .

ولما كان هذا التطور والتدرج يتحقق دائما بالنسبة للطفل العادى، فمن الممكن تحديد اهتمامات خاصة تظهر عند الاطفال لدى بلوغهم اعمارا معينة.. وهذا لا يمنع من وجود حالات خاصة تخرج عن هذا الاطار العام. ويجب ان يكون واضحا ان الطفل لا ينتقل من مرحلة الى اخرى بقفزة مفاجئة.

مرحلة ما قبل الخامسة

يتكون عالم الطفل دون الخامسة من الام والاب والاخوة والاخوات.. بالاضافة الى بعض اصحاب الحرف والباعة من المتصلين بالمنزل.. ثم عالم اللعب والحيوانات الاليفة والطيور.. بالاضافة الى ما يتصل بالجو من برد او حرارة.. امطار ام سحب..، ام شمس مشرقة .

وكل عنصر من هذه العناصر يؤثر على الطفل بشكل او بآخر خلال محاولاته لاكتشاف مكانه من العالم المحيط به. ورغم ان الطفل فى هذه المرحلة يكون اميل الى التركيز على ذاته، الا انه يبذل عادة مجهودا لدعوة الاخرين الى مشاركته فى عالمه الخاص .

وفى هذه المرحلة يعتبر الايقاع والتكرار من منابع الاستمتاع عند الطفل. كما تجذب اهتمامهم الاسماء

المضحكة الغريبة، والحيوانات التى تتقمص شخصيات الادميين وتحاكى تصرفاتهم. واكثر الاشياء بعثا للسرور والضحك عندهم، الاشخاص الذين يسقطون على الارض ويقعون فجأة، والذين يتلطخون بالطلاء او الوحل.. او المطاردات السريعة. ومما يبعث فى اطفال هذه المرحلة خوفا قاسيا، وجود شخصيات ضلت طريقها ..او الشخصيات التى تخلف وحيدة.

والموسيقى والرقص مما يواجه باستجابة مستحبة عندهم وعند اغلب المراحل الاخرى.

والواقع ان جمهور مسارح الاطفال فى هذه المرحلة ينحصر فى اصحاب السنوات الاربع او الخمس، فالاطفال دون هذا العمر يصعب ربطهم بالعرض المسرحى.

مرحلة الخيال المنطلق

فيما **بعد الخامسة وحتى السابعة** يكون الاطفال اكثر انجذابا الى الشخصيات الخيالية غير الواقعية ويكون دخول الاطفال الى هذا العالم متوقف على مدى نضجهم ومدى تحقق أمنهم فى عالم الواقع. حتى لا تؤدى بعض الشخصيات التى تزخر بها الاساطير كالساحر او العفريت او الغولة الى الاضرار بنفسية الاطفال الذين لم يتكيفوا بعد مع واقعهم ولم يتحقق امنهم فى حياتهم الخاصة. وعلى العموم، ففى سن السادسة والسابعة، يصل معظم الاطفال الى المرحلة التى لا يشعرون فيها بالامن فقط وهم يتابعون عن بعد الاحداث التى تشترك فيها الشخصيات القاسية والعنيفة، بل هم يستمتعون ايضا «بالخوف اللذيذ» الذى تثيره الاحداث التى تشترك فيها هذه الشخصيات.

وفيما يتعلق بمدة التركيز وحدته، يستطيع الطفل فى هذه المرحلة ان يركز لمدة اطول على احداث اكثر تركيبا وتعقيدا. كما ان فى استطاعته ان يستنبط مما يعرض امامه القيمة الخلقية للنص. وهناك شخصيات مسرحية ذات طبيعة خاصة تفتح امام الطفل فى هذه المرحلة طاقات من الخيال وآفاق من التأمل، وهى فى معظمها شخصيات ذات طابع رومانتيكى، الملوك والملكات القادمين من تاريخ بعيد، المواطن المسكين الذى يستطيع عن طريق جهاده وكفاحه ان يحصل على الشهرة والنفوذ.

وبعد سن الخامسة، يبدأ الطفل فى التعرف على حقوق الاخرين فى فصله الدراسى مثلا، وتبدأ محاولاته الواعية لانجاز ما يسند اليه من واجبات. ويبدأ عالم المعرفة الواسع فى الانفتاح امام ناظريه. ولذا فليس من الغريب ان ينشأ فى هذا السن اهتمام الطفل بالقصص الخيالية والحواديت، ذلك انه يبدأ فى التطلع الى الافاق اللانهائية التى تمتد خارج عالم معرفته الخاص والجديد. وهذا الاهتمام يصل الى اقصى درجاته ما بين السادسة والثامنة عند اغلب الاطفال. وتتميز احداث هذه المرحلة بوضوح خطوط الصراع وعناصره فى الحواديت والقصص الخيالية.. فالخير يتغلب على الشر، بالرغم من الصراع العنيف الدائر بينهما، وبالرغم من القوى التى تفوق طاقة البشر والتى يواجهها الخير. وفى هذه المرحلة يتعرف الطفل على عدالة العقاب، ويؤيد اثابة المحسن والمجيد.

سن البطولة

يبدأ بعض الاطفال فى سن مبكرة، فى **السابعة اوالثامنة**، فى ابداء ميل قوى الى مسرحيات المغامرات الى الشخصيات الواقعية او الاسطورية التى تحقق اعمالا بطولية فى مزيج من الواقع والاسطورة. ويعتبر الاطفال ما بين التاسعة والحادية عشر ممثلين لاعلى اهتمام بهذا النوع من البطولة.

وجمهور الاطفال فى هذه السن يصبح اكثر صلاحية واستعدادا لمشاهدة المسرح كوسيلة تعبير فنية. فيمكنهم متابعة العقدة المسرحية الاكثر تركيبا والاحداث الاكثر تشابكا، وتتحقق لهم الى حد ما رؤية واضحة لما يحدث على المسرح. لن ينتظر الطفل، كما يحدث فى عمر اصغر، مكافأة مادية للشخصية المكافحة، بل سيصبح فى استطاعتهم ان يتصوروا انجاز هذه الشخصية لمهمتها مكافأة فى حد ذاته.

فى هذه المرحلة يبدأ نوع من الانفصال بين اهتمامات الاولاد والبنات. فتبدأ الفتيات فى ابداء اهتمامهن بالمسرحيات التى تتناول العلاقات العائلية وحياة الاسرة. وبالمسرحيات التى يكون فيها للفتيات ادوار البطولة. ولكن الاولاد يبدون فى هذه السن اهتماما اقل لهذه الموضوعات ويفضلون عليها المسرحيات التى تعتمد على ابطال الحرب، والرواد، والمستكشفين.

وفى هذه المرحلة يبدى الاطفال ايضا اهتماما بالموضوعات التاريخية. فبعد دراسته لبعض

البرامج التاريخية، يتضاعف اهتمامه بالاحداث التاريخية وتطلعه الى ما حدث فى الازمنة المتتابعة، وهذا يفتح بابا واسعا للمؤلفين المسرحيين، تتدفق منه المسرحيات التى تتناول التاريخ القومى والتاريخ العالمى .

سن المثالية

فى الثانية عشرة بالنسبة للاولاد، وما يقابل هذا العمر بقليل بالنسبة للبنات ، يظهر تعطشا للمسرحيات التى تؤكد المعانى المثالية. والمغامرات التى تخوضها شخصيات هذه المسرحيات تتصف بالرومانتيكية فى زمانها ومكانها. وسنوات ما قبل البلوغ ترحب بالشخصيات التى تحارب فى مواجهة الصعاب العظيمة والعوائق الهائلة بحثا عن الحقيقة اوللدفاع عن قضية عادلة .

وهنا نواجه بقدرة اكبر على تفهم العقدة المسرحية الاكثر تركيبا، وهنا ايضا يمكن ان نقدم ما هو مجرد الى حد ما ، وجمهور الاطفال من المتفرجين يصبح فى مقدورهم ان يتابعوا العمل المسرحى دون صعوبة. وتكون استجابتهم قوية للمواقف التهكمية، والحوار الساخر، اعتمادا على الزيادة الطبيعية فى الحصيلة اللغوية التى اكتسبها هذا الشباب الصغير.

والواقع ان اطفال هذه المرحلة يحظون باقل اهتمام من مسارح الاطفال بشكل عام، باعتبارهم قطاع ساقط بين الطفولة والشباب ولقد حلت بعض الدول مشكلتهم باقامة ما يسمى بمسرح الشباب ذلك لان مسرحيات الاطفال تكون غالبا دون مستوى تفهمهم، كما أن مسرحيات البالغين من الكبار تكون فوق مستوى ادراكهم .»

الظروف الواقعية

وتقسيم الاطفال الى مراحل يجب الا ينسينا مراعاة الظروف البيئية ودرجة الانتشار الحضارى. فجمهور الاطفال الذى نتوجه اليه يتأثر فى تركيبه بدرجة انتشار التعليم ومدى انتشار الوسائل الثقافية الاخرى والتى تخاطب الاطفال كالكتب والمجلات والاذاعة والتلفزيون والسينما كما يتأثر بالمستوى الاقتصادى للاطفال وطبيعة حياتهم .

وواقع الامر انه من الصعوبة بمكان تقديم مسرحيات خاصة لمرحلة معينة دون الاخرى وخاصة فى ظروفنا الحالية التى تتسم جهوديا فى مسرح الاطفال بانها جهود مبتدئة محدودة، كما ان الكتاب الذين يمكن لهم أن يؤلفوا لمسرح الاطفال نادرا ما يفكرون فى مرحلة معينة عند اقبالهم على هذا العمل . هذا بالاضافة الى صعوبة الفصل بين جمهور كل مرحلة فى عروض مسرح الاطفال .

والحاصل ان اغلب النصوص الموجهة للاطفال تكون على معدل معين يقبله من هم فوق السن المفترض ولا يرفضه من هم دون هذه السن، بحيث يستجيب كل طفل لعناصر العرض التى تتفق مع قدرته على الاستيعاب ومع مدى تطوره .
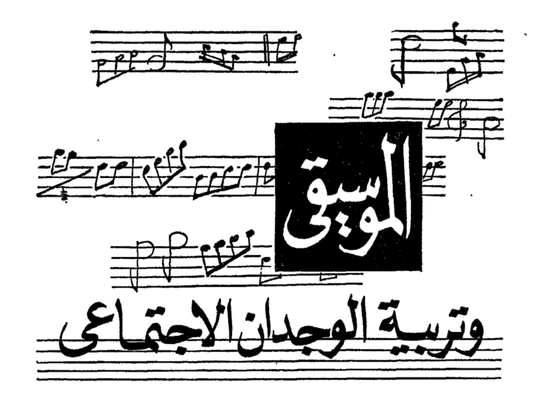
ويحدث فى مثل هذا الوضع ان يقود الاطفال الاكثر نموا، حركة الاستجابة لاحداث المسرحية ومواقفها، ساحبين معهم الاكثر فطرة والاقل سنا وادراكا .

وبينما تختلف الاهتمامات من مرحلة الى اخرى، وبينما تتباين قدرات التطور وسرعته بين الاطفال، نجد ان الايقاع يعتبر من اهم العوامل التى يعتمد عليها فى خلق ارض مشتركة بين اطفال من اعمار متباينة .»

واثر الايقاع على الطفل يختلف عن اثره على البالغ، فالطفل تتناوبه خلال يومه حالات متعاقبة من النشاط والهدوء ،واستعادة الانفاس ثم النشاط مرة ثانية. وتتكرر هذه الحلقة مرات عديدة خلال اليوم الواحد الى ان تأخذ فى الهدوء والتباطؤ عند نهاية اليوم وقبيل الخلود الى النوم .وعلى الكتاب المسرحيين والمخرجين والممثلين والفنيين فى مسرح الاطفال ان يعطوا انتباها كافيا لطبيعة الايقاع الذى يخضع له جمهورهم. والمشاهد فى مسرحية الاطفال يجب ان تتتابع فى دورات من التوتر والإسترخاء ،الاثارة والهدوء، الحركة والسكون، مكررة نفس الايقاع الذى يمر به الطفل فى حياته اليومية .»

واذا كان المسرح بالنسبة للبالغ خبرة ممتعة ، فالامر يتحول عند الاطفال الى اشتياق ملح، الى اللحظة التى يغادرون فيها ارض الواقع فى رحلة سماوية الى عالم الاحلام.. الى اللحظات السحرية، وما ان يرتفع الستار حتى ينسحب عالم الحقيقة بكل ما فيه ، ليفسح المجال لعالم جديد هو عندهم عالم الحقيقة الكلية.. والطفل مشوق دائما الى هذه اللحظة، لا يحتمل تأجيلها بالاحاديث والمقدمات.. انه يتطلع بشغف الى بداية الحركة وتتابع الاحداث.

ومن الملاحظ ان الفاصل بين ما هو حقيقة وما هو خيال عند الاطفال بالغ الرقة والشفافية، بحيث يسهل اجتيازه دون جهد ملموس. وهذه الطاقة الايهامية الكبيرة تضع امام المخرج لمسارح الاطفال فرصا واسعة للعمل اذا قيست بفرصه فى مسارح البالغين .كما انها توضح اهمية هذا المجال فى خلق المواطن الجديد، الذى ينفق فى تركيبه مع مقتضيات التطور الاشتراكى الذى تجتازه بلادنا .



سليمان جميل

ان عوامل نفسية كثيرة تساعدنا على قبول او رفض الاصوات التى نسمعها ، لكننا لانصل الى حد قبول الاصوات أو رفضها الا بعد تجربة سمعية بهذه الاصوات ، وليس كل صوت فى الطبيعة موسيقى وانما الصوت الموسيقى هو الصوت النقى ، وحاسة السمع تحتاج الىتدريب خاص للتمييز بين درجات هذا الصوت .

ان حاسة السمع تبدأ وظيفتها بعد الاسبوع الاول من ولادة الطفل وعندئذ يبدأ يستقبل وينفعل بالاصوات من حوله. وحاسة السمع عند الطفل مركزها الجهاز العصبى، ونمو هذه الحاسة نمو لهذا الجهاز . ان الايقاع عنصر من اهم العناصر الموسيقيةالتى تشكل حركةالطفل وتنظمها وتقوى جهازه العصبى .

وكل طفل يولد ولديه حاسة موسيقية كامنة وتلعب الوراثة دورا فى اختلاف درجة هذه الحاسة من طفل الى طفل آخر، وانما البيئة تلعب الدور الرئيسي فى نمو الحاسة الموسيقية الكامنة،وتحليل الحاسة السمعية يساعدنا على تربية الحاسة الموسيقية .

الحاسةالسمعية وتطورها فىالطفل تمر بمراحل اهمها :

- قابلية الطفل حفظ الاصوات .
- اعادة ترديد الصوت من الذاكرة .
- تقدير الصوت الواحد والاصوات المتداخلة وعلاقتها ببعضها .

والاصوات فى الطبيعة كثيرة ومختلفة فى الدرجة

والنوع ،والطفل يستقبل هذه الاصوات، وعمره نموه هو الذى يكشف عن تجربته فى الاستماع اليها .والطفل عادة يبدأ تقليد الصوت مع بداية عامه الثانى.والحاسة السمعية لدى الطفل تنمو وتختلط بعوامل نفسية كثيرة. ان طفلا فى العاشرة من عمره قد يستمع الى صوت جرس محطة السكة الحديد فتغمره النشوة وتتداعى فى خياله صور جميلة للطبيعة شاهدها اثناء رحلة بالقطار ، والعكس قد يحدث عندما يستمع نفس الطفل الى صوت جرس المدرسة او سيارة المطافىء . ان تربية حاسة السمع لدى الطفل هامة مرتبطة بتكوين شخصيته وبدون هذه التربية يفقد الطفل ذكاءه السمعى. ان مراحل نمو الطفل هى التى تكشف عن قواعد تربية وظائفه السمعية، مثلا الطفل العادى فى سن الرابعة والخامسة يؤدى بحنجرته درجات الصوت الحادة وتدريب صوته موسيقيا يقتضى معرفة هذه القاعدة، ثم ان مساحة صوته قد تستوعب ٨ درجات نغمية او ٩ ، وانما القاعدة ان يبدأ التدريب الصحيح لصوته فى حدود ٣ درجات او خمسة. والحقيقة أنه لا فائدة فى تربية الوظائف السمعية لدى الطفل بدون تربية شعوره واحساسه بالموسيقى نفسها. ان المرحلة الهامة فى نمو الطفل موسيقيا هى مرحلة ادراكه تركيب الاصوات وتركيب الجمل الموسيقية وعلاقتها ببعضها ،ويترتب على ذلك استمتاعه بالموسيقى التى يسمعها، ونمو قدرته الذهنية على اكتشاف الجمال فيها، والحكم على العمل الموسيقى الجيد او الردىء.ولا يستطيع الطفل ان يصل الى هذه المرحلة من نمو شخصيته الموسيقية الا اذا مر بمرحلة تربية وظائفه السمعية بنجاح. وهكذا فان تربية الوظائف السمعية هى القاعدة الاساسية لتربية الحاسة الموسيقية الكامنة فى الطفل .

الطفل العربى

ان مناهج التربية الموسيقية فى مصر لم تتبلور بعد، وليس معنى ذلك ان اطفالنا لا يستمعون الى الموسيقى فى المدارس، لكنهم يستمعون اليها ويتعلمون العزف على الالات الموسيقية على غير اساس تربوى. ولقد حاول الدكتور الباحث الموسيقى **محمود احمد الحفنى** وضع منهج سليم لتربية الطفل موسيقيا منذ اكثر من ٣٠ سنة لكن هذا المنهج تعثر فى التطبيق .

ان تكوين شخصية المدرس الموسيقى هى القاعدة التى نبدأ منها تكوين الشخصية الموسيقية المتكاملة للطفل. وحتى الان فان مناهج معاهدنا الموسيقية لم تنجح فى تخريج هذا المدرس. وواقع الموسيقى فى مدارس الاطفال من الحضانة حتى الثانوية يكشف عن هذه الحقيقة. ان المدرس نفسه لم يمر بمراحل تربية وظائفه السمعية وحاسته الموسيقية على اساس سليم ،والذى اقنعه بانه موسيقى هو انه يعزف على آلة موسيقية، والحقيقة ان العزف على الالات الموسيقية وقراءة النوتة الموسيقية ليس دليلا كافيا على نضج الحاسة الموسيقية لدى هذا المدرس العازف، ان نمو هذه الحاسة هو الهدف الاساسى لمنهج التربية الموسيقية، وليس من الضرورى ان يصبح جميع الاطفال فى مدارسنا عازفين، وانما المهم هو تربية ذوقهم الموسيقى جميعا، وقد يرتبط نمو هذا الذوق بنمو الطفل فى اكتساب مهارات فى الغناء والعزف. كما انه ينمو ايضا فى الطفل الذى لا يتعلم العزف على آلة موسيقية او يتعلم الغناء .

نقطة البداية الهامة اذن فى التربية الموسيقية للطفل هى تربية وظائفه السمعية وحاسته الموسيقية ومن هذه البداية نستطيع تكوين شخصية مدرس الموسيقى والعازف والمغنى الفنان ، والمؤلف الموسيقى المبتكر ، والجمهور الواعى يقيم الجمال فى الموسيقى الجيدة .

الموسيقى ومراحل نمو الطفل

ان تربية الطفل موسيقيا مرتبطة بمراحل نموه وعلى هذا الاساس تختلف الموسيقى التى تلائم مرحلة الطفولة المبكرة من (١ ـ ٦) سنوات عن مرحلة الطفولة الوسطى من (٦ ـ ١٠) سنوات الخ ونحن لو تصورنا ان الطفل يميل الى محاكاة الاصوات بعد السنة الاولى من عمره، فلا نتصور انه قادر على ترديد الدرجة الصوتية سليمة، واذا كانت هناك بعض استثناءات تدل على نضج مبكر للحاسة السمعية والموسيقية عند بعض الاطفال فهذا الاستثناء يرجع الى الوراثة ولا يقاس عليه فى وضع قواعد تربية الحاسة السمعية والموسيقية لدى الاطفال جميعا.

اختبار الطفل موسيقيا

ان اكتشاف الحاسة السمعية عند الاطفال يتم

باختبار استعدادهم محاكاة صوت نغمة صادرة من آلة موسيقية. كما يتم اكتشاف تمييزهم لدرجات الصوت الموسيقى بأن يستمع الطفل الى نغمتين مختلفتين فى الدرجة وعليه ان يحكم ايهما احد من الاخرى. والطفل الذى ينمو بدون تربية موسيقية يصبح رجلا اصيب ادراكه السمعى بالشلل .

الطفل وتذوق الموسيقى والشعر

ان الرجل البدائى صنع موسيقاه بحواسه الفطرية ،وكان الصوت ضمن وسائله لفهم الطبيعة ونمو ادراكه ووسيلة للتفاهم مع الاخرين .والطفل فى اوائل طفولته المبكرة يستمع الى الكلمات والكلمة بالنسبة للطفل مجرد صوت، وموسيقى الكلمة عنصر من عناصر الشعر، وهكذا فان تربية الحاسة السمعية لدى الاطفال هى مفتاح تربية حاستهم الموسيقية فى طريق سليم لتذوق فنون الموسيقى والشعر .

أغنية الطفل

ان كلمات هذه الاغنية لا بد ان ترتبط بعالم الطفل وتتناسب مع مراحل نموه العقلى والنفسى. والحان الاغنية لا بد ان تتناسب صياغتها مع المراحل المختلفة لنمو حاسته السمعية وقدرته على محاكاة اللحن والتمييز بين الصوت الموسيقى الواحد وبين تعدد الاصوات والتمييز بين انواع مختلفة من تآلفات الاصوات ((**الهارمونى**)) وتعدد الالحان ((**البولوفونى**)) . ان درجة الصوت ونوعه ولون الالة الموسيقية التى تصدره ،كل هذه الخصائص الموسيقية هى مواد التربية الموسيقية للطفل وهى التى تمهد له الانتقال الى مراحل نمو انضج هى ادراك البناء الموسيقى للمقطوعات الالية والغنائية. وبواسطة الاغنية ذات الكلمات والصياغة الموسيقية الملائمة لمراحل نمو الطفل نستطيع تزويده بالمعلومات. والاغنية الجماعية التى يشترك الطفل فى ادائها تنظم سلوكه الاجتماعى وتشاركه حياته الاجتماعية فى المدرسة والرحلات والاعياد القومية الخ وهذا يكشف لنا عن اهمية ارتباط كلمات الاغنية ولحنها بالبيئة. ان الحان الاغانى الشعبية تصلح اساسا لتربية الحاسة السمعية والموسيقية لدى الطفل، انها الحان بسيطة التكوين وسهلة الاداء. ونحن نستطيع جمع هذه الالحان الشعبية وتغيير كلماتها اذا كان ذلك ضروريا وتدريب الاطفال على ادائها. ان هذه الاغانى وسيلة لخلق وجدان مشترك للاطفال ، وصلاحيتها فى التربية الموسيقية لا تعنى انها المادة الوحيدة لهذه التربية ،وانما هى نوع من انواع موسيقية كثيرة فى الموسيقى العربية التقليدية والموسيقى الاوربية العالمية يجب دراستها وتقديمها للاطفال .

المسئولون عن موسيقى الطفل

ان الشعراء والمؤلفين الموسيقيين فى مصر لم يلتفتوا بعد لاهمية الشعر والموسيقى فى تكوين طفل الثورة الجديد. اننا نقدم لاطفالنا الان نفس الموسيقى ونفس الكلمات التى يستمع اليها الكبار . ولقد بذلت محاولات مخلصة لتقديم اناشيد واغانى خاصة للاطفال فى المدارس والاذاعة والتلفزيون والمسرح. لكنها محاولات ساذجة ينقصها دراسة عالم الطفل. واوضح مثل على ذلك هو اللحن المميز لبرنامج اطفال «ماما سميحة» الذى تؤدى فيه الالة الموسيقية تصويرا نغميا لصراخ الطفل الرضيع «واك واك» ان تصوير الطفل موسيقيا على هذا النحو ساذج وسطحى ومتخلف عن نمو الطفل الذى يشاهد برنامجه الخاص فى التلفزيون .

ان تربية الطفل تبدأ فى المدرسة والبيت وتحتاج من رجال التربية والتعليم والموسيقيين المثقفين والشعراء الى مزيد من الاهتمام لدراسة مناهج التربية الموسيقية العالمية ودراسة موسيقى البيئة العربية، وبالدراسة الجادة سوف نحقق لاطفالنا وباطفالنا مستقبلا موسيقيا افضل .●





العلاقات الجمالية والتربية الحديثة

حسين جمعه

ان دراسة فنون الطفل اتجاه جديد فى عالم البحث والتقصى لبلورة مراحل التكوين الفنى وخطوطه الرئيسية التى يسير فيها من مولده الى مابعد سن المراهقة .

ولقد تغيرت النظرة القديمة الى الطفل بعد ان كانت تعتبره شيئا لا قيمة له فى عملية التعلم والخلق والتعبير ووضع فى المقام الاول دراسة فن الطفل كمظهر من مظاهر حياتهم كما كثرت أبحاث المهتمين بهذه الدراسات وان كان بعضها لم يطبق التطبيق المثالى الذى يستفيد منه الطفل كل الفائدة ، ومع ذلك فقد خرجنا من هذه الابحاث الكثيرة بحقائق هامة تتصل بفنون الاطفال

واتجاهاتهم ونزوعهم للتعبير ، واصبح الرسم والتشكيل بالنسبة للطفل لغة ، او تعبير اكثر منه وسيلة لخلق شيء جميل ، يعتمد في سنواته الاولى على ما يعرفه لا ما يراه ، ثم شيئا فشيئا يعتمد على بصره ويستعير مما يراه وسائل للتعبير كما يبالغ في هذه المراحل الاولى من عمره في أجزاء رسومه تبعا لانفعالاته المتعددة .

وبنظرتنا الى رسوم الاطفال نجد أن فيها فروقا ظاهرة في التعبير عند الجنسين من الاطفال ، فالصبيان وخصوصا بعد سن العاشرة يميلون الى التعبير الانفعالي المصحوب بالتفاصيل القليلة بينما نجد ان رسوم البنات تميل الى التعبير الزخرفي المتلىء بالتفصيلات في حين أن كلا من الجنسين يميل الى تأكيد جنسه والاعتزاز به ، وفي غالب الاحيان خصوصا قبل سن العاشرة يميل الاطفال الى رسم الاشخاص والحيوانات والطيور والمجسمات أكثر من غيرها .

وفي جولة في عدد من المتاحف المهتمة بالانسانيات والدراسات البشرية والبيئية نجد التشابه الكبير بين رسوم الانسان الاول ورسوم الطفل الصغير ونجد مراحل التعبير كذلك متشابهة ، فالحذف والتسطيح والشفافية والتجسيد والمبالغة حسب الاهتمامات المختلفة ، كما تراها في رسوم الانسان الاول تراها في رسوم الأطفال كما تراها في رسوم الانسان الكبير الغير ناضج ذهنيا .

واذا تتبعنا طفلا بقياس ذكائه نجد أن هناك علاقة كبيرة بين رسوم هذا الطفل ومدلوله وبين قدراته الفنية ودرجات ذكائه ، وبقدر ما يظهر الطفل من قدرة في تعبيره الفني ومحاولة ايصاله مفاهيمه عن طريق الاقلام والالوان غالبا ما يظهر قدرة ملموسة من الذكاء .

اذا أخذنا بالابحاث الجديدة التي تقيم الطفل بأنه شيء مهم في عملية التعلم ، واذا ما اعترفنا به على انه كائن حي له ميوله واستعداداته وأن أسلوبه في التعبير الفني والتشكيل تحمل خصائصها وصفاتها المعينة ، وجب علينا ان نبحث له عن حريته ونكفلها له ووجب على المربين والمشرفين على الطفل احترام هذه الحرية على أن لا يترك الطفل وشأنه ليقع أسير حريته في التعبير والوقوع فيما يضره .. **ولكن علينا وبعد تأكدنا بالدراسة من ميول الطفل ونزعاته أن نختار له الاسلوب والطريقة التي تتفق مع خصائصه ولا تتعارض مع حريته المعقولة وعلينا أن نختار المثيرات الهادفة بالقول والعمل وعلينا أن نكون دائمي اليقظة حتى لا تصبح المبادىء التي يراد تعليمها مبادىء تملى املاء متعصبا .**

تحويل المبادىء الى سلوك

الطفل ينزع دائما الى ان يشارك بفنه التشكيلي في كل المناسبات والمظاهر الاجتماعية والدينية والقومية ، واذا ما اردنا أن يتعود الطفل على مبادىء معينة من صغره علينا ان نحول هذه المبادىء الى سلوك يحتذى وينفذ ويتشربه الطفل ويعبر عنه مختارا بأساليبه المختلفة وعدده التي يجب توفيرها له حتى تعطيه سهولة الاخراج والتعبير ، من هنا يتحتم على المربي المشرف على الطفل أن ينتقي مثيراته ويدرسها دراسة مؤكدة من حيث صلاحيتها للطفل ثم يحولها الى سلوك يراه الطفل ويحسه ويتأثر به فيتشربه ومن ثم ينطلق معبرا عما تأثر به وتشربه ، وفي هذه الحالة لابد وأن يكون هذا التحويل على ايدي المجربين في المراكز والمدارس التجريبية وعلى مجاميع من الاطفال تتوفر فيهم كل صفات الطفل في جميع مراحل نموه ومميزاته وقدراته وميوله الخ .

هذه النقطة تجرنا الى امر مهم جدا وهو المدرس المشرف على تربية الطفل وما يجب ان يكون عليه لاسيما في عهد اشتراكي يجب أن تسعى فيه كل الاجهزة المهتمة الى خلق جيل اشتراكي بمعناه المفهوم .

ان المدرس الآن محتاج الى كثير من التدريب والتوعية الاشتراكية وصب المفاهيم الفنية في قوالب جديدة مستمدة من وعينا الاشتراكي وتطويعها ثم تحويلها الى سلوك كما ذكرنا يحتذيها الطفل ..

وهذا لا يتأتى سريعا ولابد من اقامة معسكرات على مستوى البحث والتخصص يتدرب فيها المدرس الرائد مع توعيته فنيا واشتراكيا وتسهيل كل الامكانيات من كتب ومراجع واقلام ليستفيد من خبرات غيره من المجربين مع اتاحة كل الفرص له ليجرب مع اطفاله ترجمة المبادىء الى سلوك يحتذى ويتمثل به **دون املاء متعصب مفروض .**

ان المربي الواعي سيجد في مجال تجربته ولا شك فئة من الاطفال يزاولون نشاطهم في التشكيل بحماس ظاهر ورغبة كبيرة في التعبير

لاسيما فى السن من ١١ : ١٣ سنة حيث يظهر التلاميذ فى هذه السن قدرات خاصة تؤكد لنا أن الذى عنده استعداد فنى يتمتع باستعدادات رياضية وعلمية وادبية مماثلة ، ان هذه الفترة الحساسة تظهر فيها الفروق المميزة للتلاميذ ويعبرون فيها عن مفاهيم كثيرة محيطة بهم كما يميلون الى تمجيد مواقف كثيرة لابطال سياسيين أو حربيين أو اجتماعيين أو يميلون الى تمجيد أعمال عظيمة انجزت وعادت بخير على وطنهم ، أو يحاولون الحث على الاندفاع لعمل الخير او التطوع فى جماعات الخدمة العامة ، كل هذا فى اسلوب حر تظهر فيه شخصيتهم وتعاطفهم مع الاحداث والمفاهيم المدركة من حولهم ،وتكون النتيجة انتخرج لنا أعمال ذات طابع خاص ملؤها الحرارة والابتكار الذى يدل على شخصية فنان مبكر يريد أن يقول بتعبيره شيئا .

فى هذه المرحلة يجد المربى الذى اخذ فى التجريب مع تلاميذه مشاكل تحتاج الى مجهود ووقت طويل من جانب التلاميذ والمربى الذى يتحتم عليه أن يبدأ تدريجيا فى تبصير تلاميذه دون أن يتعجل النتيجة .

وقد يلاقى فى ذلك صعوبات كثيرة ولكن عن طريق سلوكه هو أمام تلاميذه ، وعن طريق الحديث المنظم السهل وعن طريق نقد الاعمال الفنية لنماذج من أعمال التلاميذ والفنانين الكبار وعن طريق سلوكه هو فى قراءة مقطوعات الشعر وعن طريق دخوله من باب غير مباشر الى نظريات مبسطة جدا فى عالم الاقتصاد كالادخار مثلا وما يعود على المدخر من منافع أقل ما فيها مثلا الرحلات التى نرى فيها كثيرا من المشوقات والغرائب والاشياء الممتعة ، او التمتع بشراء اسطوانة جميلة كالتى يسمعها لهم فى معرض حديثه معهم .

اذا ما وصل المربى الى حل المشكلات التى وجدها يكون قد انتهى من أكبر عائق يقف فى طريق ابنائه خصوصا بعد سن الحادية عشرة بالنسبة للفن ، فيبدأ كل منهم عمله مقتنعا به .

ان الصبيان والبنات يستطيعون فى هذه الحالة أن يعبروا عن انفسهم ومفاهيمهم ، وقد أتيحت لهم الفرصة واخذوا حقهم من التوجيه السليم .

والمربى بعد انترك الحرية لابنائه وبعد ان اثارهم واطلق لهم مجال التعبير سيحدد موقفه من معالجة ما يطرأ فى أعمالهم من نقص فى علاج رسوم الاشخاص ، هل يفرض عليهم نماذج ترسم لغرض التمرين على رسم الانسان فى اوضاع مختلفة ام يترك لهم حرية المعالجة دون تدخل ؟.

فى الواقع أنه لابد من تعويدهم على تذوق العلاقات الجمالية فى أعمالهم ، فالمرئيات التى يراها التلميذ ليست نسبا معينة يخضع بعضها لبعض فحسب ، وليست قواعد يجب مراعاتها ، ولا الالوان ذات الطابع الخاص يتحتم تسجيلها فقط انما هى الى جانب هذا علاقات جمالية فى الشكل واللون والحجم والمساحة والفراغ والايقاع العام ، واذا ما ادرك التلميذ هذه الحقائق بالتدريج وبمساعدة المربى شيئا فشيئا استطاع أن يكون لنفسه شخصية فنية فيها خلق واسلوب وتعبير عن الحقائق المشاهدة لا تسجيل لها ، وفيها خلق وابتكار مبنى على أساس من الواقع الملموس المطور .

ولكن التلاميذ يصادفون كذلك وبعد توجيه المربى لهم صعوبات كثيرة فى تحضير الوان فى خيالهم تعبر عن علاقات يريدون اثباتها فى أعمالهم.

هنا يجب على المربى أن يتدخل بحرفيته ولكن بطريقة مبسطة وبالتدريج ليرشد هؤلاء التلاميذ عن كيفية مزج الالوان واستخلاص الوان جديدة من بعضها وكيفية تجسيد الملونات بالظل والنور، أو يبحث معهم عن مواد جديدة غير مطروقة للتعبير ولاخراج الموضوعات فى ثياب أقرب الى التلعبير به التى يريدها التلميذ ولا يجد فى مواده ما يسهل له هذا الاخراج .

ان سلوك المدرس مع تلاميذه فى البحث عن جديد فى الخامة المعبرة واشراكهم معه فيه من الاسباب التى تدعم شخصية المتعلم وبلورتها فنيا ونفسيا ، واذا استطاع المربى فى الوقت نفسه أن يعود تلاميذه على المهارات الخاصة التى تفيد تنفيذ موضوعاتهم دون أن يشعرهم بفرض طريقة معينة لتوفرت لهم اسباب الحرية فى اختيار وسائل التنفيذ بالخامة والعدة مع الانطلاقة الذاتية المعبرة فى اخراج موضوعاتهم المتكاملة .

اذا ما استطعنا ايجاد مدرس واع تمت توعيته اشتراكيا وفنيا ، واذا ما استطعنا أن نحول كل مبادئنا أمام الطفل الى سلوك يحتذى واذا ما أصبح الطريق سهلا لتخليص الطفل من كثير من الصعاب واذا ما خطونا به فى طريق التربية الحديثة التى لا تفرض عليه مواضيع وشعارات

واتجاهات قد يكون لها أثر عكسي في حياة الطفل . فان الامر لا ينتهي عند هذه المرحلة فقط . فقد أصبح الطفل له قيمة وشخصية ومن هنا يجب ان يستفاد برأيه وان يعود على الاعمال القيادية الفنية شيئا فشيئا ، كأن يصبح التلاميذ أعضاء في الندوات الاسرية التي تتكون من المدرسين والتلاميذ لمناقشة بعض الاراء الفنية ، أو لسماع المحاضرات التي تتصل بمشكلات الفنون في العصر الحالي والعصور السابقة ومدى ارتباط هذه الفنون بالهزات السياسية والثورات الاجتماعية الاصلاحية ومدى قدرتها على التعاطف معها وخدمتها وشرحها للناس وتبسيطها ، أو تصميم واخراج المجلات المدرسية والكتيبات والنشرات الخاصة والملصقات ، أو الاشتراك في رسم المناظر الخاصة بالحفلات المدرسية والتنكر في المهرجانات الوطنية والمناسبات الدينية الخ .

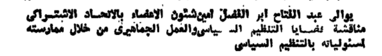
ويمكن أن يقوم بتنسيق المعارض الهادفة فنيا وقوميا . اذا ما تمت توعية المربي فنيا واشتراكيا ، واذا ما وجدت الشخصية السوية المتكاملة للطفل ، لابد مع ذلك من تكاتف الجهات المعنية بوزارة التربية والتعليم وغيرها من الهيئات على نشر المبادىء والاتجاهات القومية بالنسبة لبرامجها التي تدرس لتخريج مدرس التربية الفنية وأن يحدث ما يسمى بالربط بين هذه المبادىء وطرق التدريس الخاصة وان يهتم بهؤلاء المدرسين بما يساير التطور الذي وصلت اليه الثورة في جميع الميادين على مدى اربعة عشر سنة ، اذ الامر في حاجة الى هزات شديدة جدا وغربلة كاملة للبرامج القديمة والكتب القديمة وطرق التدريس الغير مربوطة ربطا تاما بمبادئنا الاشتراكية في هذه المرحلة بالذات .

كما يجب الاهتمام بالامكانيات الخاصة بالمربين المشرفين على النواحي الفنية ، الامكانيات المادية والزمنية بخلق الجو الذي يستطيع فيه المربي أن ينتج مستريحا متفرغا مع الاكثار من الكتب والمراجع الصالحة والمهتمة بأبحاث الاطفال وحياتهم الفنية اذ الموجود منها قليل جدا والمكتبة العربية مفيدة في هذه الناحية سواء بالنسبة للطفل أو للمربي .

وعلى الاشتراكيين انفسهم الان أن يدلوا بآرائهم الفنية في هذه الحالة وعليهم ان يخرجوا الى هذا الموضوع الحساس والذي يعتبر من أهم أعمال الاشتراكيين الذين يهدفون الى خلق أجيال جديدة طاهرة الدماء .

على الاشتراكيين أن يأخذوا بيد المربين والمشرفين على التوجيه الفني للاطفال ويقودونهم الى حيث التربية الاشتراكية السليمة .





يوالي عبد الفتاح ابو الفضل امين شئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكي مناقشة قضايا التنظيم السياسي والعمل الجماهيري من خلال ممارسته لمسئولياته بالتنظيم السياسي

التنظيم السياسى والعمل الجماهيرى

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

يمكن تلخيص الصفات الاساسية للتنظيم الثورى الجماهيرى فى الاتى :

- هدف واضح يحدد شكل التنظيم ويحدد الصفات المطلوبة فى الكادرات .
- قيادة واعية بالهدف والاهداف المرحلية المؤدية الى الهدف العام وقادرة على طرح وتنفيذ برامج عمل محددة .
- مستوى من الوعى فى التشكيلات من القيادة الى القاعدة يتفق واحتياجات المرحلة ، ويمهد للانتقال الى المرحلة التالية . ويتناسب مع المسئولية التى يتولاها العضو او اللجنة .
- علاقة ثورية داخل التنظيم تقوم على الديمقراطية الاشتراكية والنقد الذاتى .
- مرونة تنظيمية تسمح بالتطوير المستمر لمواجهة التغييرات .

ولنناقش هذه العناصر بتفصيل اكثر ..

التنظيم يخدم الهدف

الهدف هو الذى يحدد شكل التنظيم ،بمعنى ان التنظيم يجب أن يكون فى خدمة الهدف ، وإذا كان الهدف ثابتا ، فان التنظيم يقبل التعديل والتغيير على ضوء التجربة. وليس لشكل تنظيمى قدسية تدفعنا الى التضحية بالهدف فى سبيل التمسك بالشكل التنظيمى . وشعارنا فى هذا قول « القائد المعلم » اننا نقبل المراجعة ولا نقبل التراجع » . وفى حالتنا هذه فان التراجع هو تغيير الهدف ، اما تعديل الاشكال التنظيمية وتغييرها فهى المراجعة .

والهدف يمكن بل ويجب ان يقسم بدوره الى اهداف مرحلية ، ويجرى تنظيم الجماهير على اساس تحقيق هذه الاهداف المرحلية بحيث تتطابق امكانيات التنظيم مع الهدف المطلوب تحقيقه .

فالاتحاد الإشتراكى هو التنظيم الام الذى يحقق الهدف العام للمجتمع كله . وعلى الطريق الى الهدف العام نجد عدة اهداف مرحلية والعديد من التشكيلات والتنظيمات الجماهيرية تحقق هذه الاهداف المرحلية، كالنقابات واتحادات الطلبة والروابط الفكرية والثقافية ، بشرط الا تتعارض مع الهدف العام أو تعوق الوصول اليه.

ولكل مستوى تنظيمى قدر مناسب من التوعية يتفق والهدف الذى نحدده للتنظيم ، فمانحتاجه لمستوى مكتب تنفيذى يختلف عن الوعى اللازم للجنة نقابية أو تنظيم نسائى او جمعية تعاونية.

والوعى الذى نحتاجه فى مرحلة التحرر الوطنى يختلف عنه فى مرحلة الاشتراكية .

كذلك الشكل التنظيمى الذى نحتاجه فى منطقة محتلة نريد أن ننظم فيها لونا من حرب العصابات يختلف عن تنظيم العمال لانجاز الخطة الخمسية الثانية .

فاختلاف الهدف يحتم اختلاف شكل التنظيم ويحدد نوعية الوعى الذى يحتاجه العمل . فمثلا عندما بدأ العمل فى منطقة القناة فى ظل الاحتلال البريطانى كانت القيادة تجابه ظرفا خاصا حتم قيام تنظيم من نوع خاص .

كان العمل الجماهيرى تحكمه هذه العوامل :

● كراهية عامةلدى جماهير الشعبللاحتلال. كراهية لا تحتاج الى توعية أو اثارة ، بل تكاد تكون بديهية . وفى نفس الوقت سلبية متوارثة ويأس من النصر لطول عهد الاحتلال وما يبدو من تفوقه الساحق ، وشك مزمن فى جدية الحكومات ، وجدية نشاطها ضد الاحتلال ، وخاصة بعد النكسة التى أصابت حركة ما بعد الغاء المعاهدة .

● خطورة الوضع بالنسبة للسيطرة الفعلية لقوات الاحتلال ،وقدرتها علىانزال ضربات قاصمة بالعاملين ، وصعوبة الاعتماد على التدخل السافر للسلطات المصرية والقوات المسلحة حتى لايصل الوضع الى المرحلة التى لا تريدها السلطةالثورية أى حتى لا — تدخل معركة فى غير المكان والزمان اللذين تحددهما هى :

من هنا كان يتحتم على اى عمل جماهيرى ،أن يضاعف ثقة الجماهير من خلال العمل ، وتنمية الرصيد الذى كسبته الحكومة الثورية بانجازاتها الداخليةومواقفها الوطنيةضد الاستعمار وتجديد ثقة الجماهير فى أهمية العمل الثورى فى شكله الجديد ضد قوات الاحتلال والذى قد يبدو فرديا (اختطاف .. تخريب .. الحصول على وثائق ومعلومات .. استئصال للعملاء والجواسيس والخونة) .

ومن الناحية التنظيمية كان على العمل انيلتزم السرية المطلقةفى تشكيله الداخلى، وفى نفس الوقت أن يمتد لينتظم فى حركته اكبر نطاق ممكن من الجماهير ، أن يحتمى فى وطنية الجماهير وأن يستفيد من امكانياتها وخبراتها وانتشارها حول وداخل قوات الاحتلال .

كانت المعادلة الصعبة هى الاحتفاظ بالسرية المطلقة للعناصر القيادية فى العمل، وفى نفس الوقت ازالة احساس الجماهير بانها تعمل مع جماعة سرية او مجرد نشاط حلقى بل ربط هذا العمل بالسلطة الثورية الحاكمة .

لم تكن القضية بحاجة الى توعية ضد الاستعمار ، بل كانت بحاجة الى توعية باهمية العمل الوطنى المقترح واهمية الشكل التنظيمى الذى نطالب الجماهير بالانضمام فيه ، بتدعيم ثقة الجماهير بهذا العمل . لم تكن الجماهير بحاجة الى توعية بالهدف ، بقدر ما كانت محتاجة الى توعية باسلوب العمل واقناع بانه هو السبيل لتحقيق الهدف .

وقد بدات القيادة باعتقال كبار التجار المتعاونين مع قوات الاحتلال ، فهؤلاء قد ارتبطت مصالحهم بالاستعمار واستندوا لحمايته وكانوا اداته فى نهب أقوات الجماهير ، وامداد معسكراته بما تحتاجه لتواصل احتلالها .

وبعد هؤلاء جاء دور العناصر التى تمرست فى سرقة معسكرات الانجليز . كان هذا العمل من وجهة نظر القيادة هو شكل منحرف من أشكال المقاومة ، وكان عليها ان توجهه لخدمة العمل الوطنى .

وقد لجات القيادة الى تشجيع هذه العناصر، وتطمينها الى ان جهاز الدولة لن يكون فى حماية اللص الكبير الذى يسرق ثروات الوطن واستقلاله. وبقدر بسيط من التوعية امكن أن تتفهم هذه العناصر أنها لا تفعل أكثر من استرداد بعض الفتات مما نهبه اللص الاستعمارى وأنها كانت ترزح تحت استغلال كبار التجار الذين يسخرونهم فى عمليات الاقتحام ، معرضين أنفسهم للقتل والتعذيب ليفوز التجار الاثرياء بالغنائم مقابل بضع جنيهات .

وكانت الخطوة التالية هى اقناع هؤلاء بتوجيه عملياتهم وجهة تخدم الكفاح الوطنى ، بتوجيه سرقاتهم الى ما يخرب المجهود الحربى للعدو ، وتوجيه عملياتهم الى ما يساعد الحرب النفسية ضد العدو . فبدلا من سرقة الويسكى والشاى، كانت سرقات سلاح وسيارات ، وكان وضع المنشورات فى غرف زوجات الضباط ، وتعطيل المحركات .ودس القنابل والمتفجرات .

وتجربة الكفاح المسلح فى القناة ، دروسها عديدة وأسرارها لم تعرف بعد .

المثال الاخر ، مثال عكسى ، هو تجربة اخطأ فيها التنظيم ، الهدف ، فانقلب عليه وبدلا من أن يكون التنظيم هو اداة تحقيق الهدف ، اصبح وسيلة الانقلاب عليه .

ففي مرحلة الثورة الاجتماعية جابهت القيادة ظروف عمل جديدة تختلف عن ظرف مرحلة التحرر الوطني .

فبدلا من الاقتناع البديهي بعداوة الاستعمار وخطورته ، نجد أن الجماهير لم تكن مقتنعة تماما بخطر الرجعية ، بل اغرتها السهولة التي تمت بها اجراءات التأميم ، اغرتها بالاستهانة بالرجعية والتقليل من شأنها . وانعكس ذلك في عدم الاستجابة الثورية والاستعداد لمواجهة الاحتمالات ففقدت عنصر المباغتة .

وبدلا من الشك المزمن في جدية موقف الحكومة من الاستعمار واليأس من جدوى العمل الثوري ، والمبالغة في تقدير قوة العدو ، نجد شعورا مضادا ولكنه لا يقل خطورة وهو المبالغة في الاستهانة بالعدو والافراط في الثقة بالحكومة . لقد أدارت انتصارات الثورة الوطنية رؤوس الجماهير فأسكرتهم خمر النصر ونشرت السلبية بين صفوفهم ، وسادت الرغبة في الانصراف عن العمل السياسي الى تحسين أحوالهم ، فالحكومة قادرة على كل شيء متنبهة لكل شيء ، قادرة على مواجهة أي احتمال ما دامت قد قهرت الاستعمار .

وكانت النتيجة هي انفراد الرجعية بالعمل ، وانتهازها سلبية الجماهير للانقضاض على الثورة ، وتدمير الوحدة لتقيم على حطامها نظامها الاستغلالي .

وعجز التنظيم الجماهيري وهو « الاتحاد القومي » عن التعبير عن احتياجات المرحلة الجديدة .

وبينما في التجربة الاولى ، نجح التنظيم الثوري في مرحلة الكفاح الوطني في توعية الجماهير بطبيعة المرحلة ومخاطرها ، نجد أن الاتحاد القومي قد فشل في توعية الجماهير بطبيعة المرحلة الجديدة والتنبيه لمخاطرها . فشل في عزل العناصر التي انتقلت الى صف الاعداء بفعل التحول الاجتماعي والاجراءات الاشتراكية ، فشل في المواجهة السريعة التي كانت تحتم عليه مع تغير الهدف ، أن يغير عناصره ، ويغير تشكيلاته وأسلوب عمله . ومن ثم عجز عن تعبئة الجماهير وتحريكها للدفاع عن مصالحها ، فتمكنت منه الرجعية وحولته من أداة في يد الشعب لحماية ثورته الى أداة لضرب الثورة وسرقة مكاسب الجماهير . من هنا كان الانقلاب في سوريا ــ ولا غرابة ــ يدبر في الاتحاد القومي في دمشق !.

وهكذا نرى أن التنظيم اذا فقد الهدف ، وافتقر الى الوعي ، يمكن أن ينقلب على الجماهير ، بل وعلى الثورة ذاتها . انه لا يتحول الى مجرد عقبة تسد طريق الحركة الثورية بل ويمكن بمبادرة الرجعية وأعداء الثورة أن يتحول الى قوة نشطة مضادة .

فوضوح الهدف الذي أعنيه غير ما يظنه البعض بأنه طبع برنامج كامل وكتابة شعارات بليغة تعلق في كل اجتماع ، والقاء سلسلة من المحاضرات ، تتكرر فيها كلمة « الاشتراكية » حتى تملها الجماهير ، أو تفقد حيويتها ولا يعني الابراق بتأييد المسئولين عقب كل قرار ثوري تصدره القيادة او حتى تلغيه !.

ان وضوح الهدف يجب أن ينعكس في تحديد شكل التنظيم الملائم ، ثم في تحديد الصفات المطلوبة في أعضائه .. وأسلوب العمل .

مثلا في معركة القناة .. كان الموقف يحتاج ــ كما شرحنا ــ الى من يسرق وثيقة في معسكر بريطاني أو يضع قنبلة زمنية خلف احدى الاستحكامات ، او يغري ضابطا ــ بأي اغراء ــ ليبعده عن المعسكر .

فهل كانت شروط العضوية لمثل هذا العمل ، هي نفس الشروط المطلوبة اليوم للعضو القيادي في مصنع أو السد العالي ؟.

في الحالة الاولى قد لا نتمسك ببعض القيم الاخلاقية ، وربما لا أهتم كثيرا بمدى فهمه النظري لاهمية العمل ، اذ يكفي حماسه ، اما في الحالة الثانية فالاهتمام أساسا بوعيه وادراكه واخلاقياته . بمدى ادراكه لاهمية هذا العمل ، وارتباطه بالاشتراكية والمؤامرات الدولية التي دبرت ضده ، والتيارات العالمية والمذهبية التي تتصارع حوله .

القيادة الواعية

ننتقل الى النقطة الثانية وهي تعريف القيادة الواعية .. واعية بالهدف الاستراتيجي والاهداف المرحلية ، وقادرة على ان تترجم الهدف الى شعارات وبرامج عمل محددة .

والميثاق يعرف القيادة بأنها الاحساس بمطالب الشعب والتعبير عنها وايجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

كيف تحس القيادة بمطالب الشعب ؟.. من خلال العرائض والشكاوى ؟.. أبدا ، بل من خلال العيش مع الجماهير ، من خلال معاناة حياتها اليومية ، أن القيادة التي ستفقد صلتها بالجماهير

اما بالعزلة الطبقية أو العزلة المكتبية أو العـزلة الايديولوجية ،لن تحس باحتياجات الجماهير مهما ادعت انهامتصلة بالجماهيراوعلى وعي بمشاكلها.

يقول **الرئيس عبد الناصر** اذا بقيت القيادات فى مكاتبها تكتفى بأن تصدر تعليمات هامة للوحدات، فلن ترتبط القيادات بالوحدات ولن ترتبط القيادات بالجماهير » .

ويحدثنا « **جيفارا** » من خبرة العمل الثورى، فى كوبا ، فيحكى كيف سلموا المـراكز القيـادية لاعضاء الحزب فاختار هؤلاء سكرتيرات جميلات، واهتموا باجهزة تكييف الهواء ، وحرصـوا على اغلاق الابواب حتى لا يفسد مفعول هذه الاجهزة، وبقى الشعب فى الخارج فى جو كوبا الحار الرطب.

نعمت القيادة بالهواء المكيف ، وأيضا انعزلت عن الجماهير فتحتم اسقاطها .

هذا مثال عن العزلة الطبقية ، لقـد حولت القيادة مكاسب الثورة وانتصارات الجماهير الى مكاسب شخصية وتطلعات طبقية ، عزلتها عن الاحساس بواقع الجماهير واحتياجاتها .

والقائد الجماهيرى الذى يجعل من نجـاحه فى العمل السياسى والنقـابى ، سلمـا للارتقـاء الاجتماعى أو وسيلة لتحقيق تطلعـاته الطبقيـة سيكتشف ـاخيرا ـ انه قد فقد صلته بالجماهير.

وكذلك القائد الجماهيرى الذى سيقيم بينـه وبين الجماهير سـدا من التعقيدات المـكتبية ، والاجراءات البيروقراطية ، سيكتشف فى النهاية انه فقد القدرة على فهم لغة الجماهير ، وانه يشكو صمما يسد اذنيه عن مطالبها .

صحيح أن الغاء الابواب المغلقة ، سـيعرض القيادة لسيل من المقابلات ، ولكن هـذا الاندفاع الجماهيرى يعكس آثار العزلة بين القاعدة وبين القيادة ، فاذا تعودت سهولة اللقاء ، وأيضا حل مشاكلها من خلال الاجهزة والقواعد التنظيمية لابالمقابلة الشخصية فان ذلك سيقضى على الحاحها فى طلب مقابلة المسئول .

لكم أود أن اقول انه كقاعدة فالباب المغـلق يخفى خلفـه انحـرافا ما . لولا أن نشـق على المسئولين .

وأيضا يجب الا يقع القـائد فى عزلة فـكرية عن الشعب ، فيتعصب لآراء ونظريات تبعده عن واقع الجماهير حتى يكتشف يوما أنه يتكلم لغـة أخرى غير لغة الجماهير .

يجب أن يحس القائد باحتياجات الجماهير ، وان يعبر عنها . ويجد الوسائل لتحقيقهـا . ويجمع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها .

والتعبير عن احتياجات الجماهير لا يقتصر على كتابتها فى شكل مطالب فهذه هى أضعف صـور التعبـير ، وهى قد تكون ضرورية فى المـرحلة الانقلابية عندما تقتصر مهمة القيادة على صياغة احتياجات الجماهير فى شـكل مطالب ترفع الى السلطات او بمعنى أصح ترفع فى وجه السلطات، اما فى ظل سيطرة الجماهير على قوى الانتـاج وتوليها مصيرها فان التعبـير عن احتيـاجات الجماهير يجب أن يتجسد فى تجميع قوى الشعب لتحقيقها .

وفى مرحلتنا هذه فان العمل الجماهيرى يطرح شعار الحل الذاتى والحل الذاتى لمشاكل الجماهير يعنى أن تغير الجماهير واقعها بنفسها ولا اريد أن يقتصر فهم هذا الشعار على بنـاء مدرسة او ردم مستنقع ، بل أن يعنى أيضا تغيير الاوضـاع التى تشكو الجماهير منها ، مثل الادارة المنحرفة، أو اللجنة السلبية ، أو النقابة المعطلة للعمل .

على الجماهير أن تكتشف الحل وان تنفذه هى. ويجب أن تتعود الجماهير الا تلقى بمشاكلها على عاتق السلطة وتنتظر منها الحـل ، بل يجب ان تخوض هى معركة التغيير ، فانها لن تغير واقعها السىء فحسب بل ستتغير هى ايضا .

صفات القائد الجماهيرى

القائد الجماهيرى هو التجسيد الحى للاهداف والمبادىء والمثل فما من هدف أو نظرية أو مبـدأ او حتى دين الا وهو بحاجة الى ان يتجسـد فى أشخاص ، يصبح سلوكهم هو المثل الذى تحتذيه الجماهير وتؤمن من خلاله بما يدعون اليه . ويعرف **ليوتشاوتشى** ، القـائد الجماهيرى بأنه اول من يضحى وآخر من يستمتع ونفس التعبـير فى تراثنا عندما وصـف أصحاب الرسـول بأنهم « **يكثرون عند الفزع ويقلون عنـد الطمـع** » اى يتدافعون للتضحية فى المواقف الخطيرة التى تثير الفزع ، ولا يقبلون على المكاسب التى تثير الطمع. وقد وصف رسول الله بانه كان أسبق النـاس الى الفزع ، وأقرب المسلمين الى صفوف العدو . وهو وحده الذى ثبت فى غزوة حنين ، وكان يهتف: « انا النبى لاكذب .. أنا ابن عبد المطلب » وكان لثباته الفضل فى انتصار المسلمين ، بعد الهزيمة الاولى .

وسلوك القيادة .. كما وصفها القرآن «أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

ويقول ليوتشاو تشي في صفات القائد « الولاء لجميع رفاقه وحبه لهم ولجميع الثوريين والشعب العامل ومعاملتهم على قدم المساواة وتقدير متاعبهم ».

يجب أن يدرك القائد أنه خادم الجماهير، يعمل من أجلها، ويملأ قلبه حبها، ويصبر على أخطائها، يعيش آلامها، ويشاركها أحزانها وافراحها. ولكنه لو اقتصر على حضور الافراح والسير في الجنازات فسيكون مجاملا لا قائدا. ان الاحساس بآلام الجماهير، والمشاركة في أحزانها وأفراحها يعنى أن يهب المرؤ حياته وجهده، ويضحى بسعاداته وراحته في سبيل تخفيف آلامها وتحسين ظروف حياتها. ان يواجهها بحقيقة متاعبها وأن يقودها من أجل ازالة هذه المتاعب.

ان الطبيب الذى يمنح العامل أجازة مرضية، لكي يفوز بصوته، لا يحب الجماهير ولا يحس بآلام العمال، بل يستغل هذه الالام لمصلحته. اذ لو كان يحب العمال لعرفهم أن السبيل الى القضاء على متاعبهم هو زيادة الانتاج حتى لا يمرض العمال ولا يموت أطفالهم. ولكنه يعطل الانتاج ويطيل شقاء العمال، ليستغل ضعفهم ويشترى أصواتهم بالاجازات.

يجب ان تنتفى من القائد كل شوائب الانانية، يجب أن يستبعد تماما مصلحته الذاتية في قراراته وعمله. واذا ما اقتفت المصلحة الذاتية فسيكتسب حصانة ضد المنافقين، ولن يلجأ هو الى النفاق لاسترضاء المستويات الاعلى، أو لكسب رضاء الجماهير، اذ لن يصبح همه الاحتفاظ بمنصبه بل المصلحة العامة وحدها.

صحيح أن المصلحة الذاتية يجب أن ترتبط بالمصلحة العامة على مستوى الجماهير، أما في مستوى القيادة فيجب أن نبدأ بتضحية المصلحة الذاتية لان القائد هو المثل والقدوة واذا بحث عن مصلحته الذاتية فسينهار العمل كله، كذلك فان الانحراف في القيادة يتضاعف الاف المرات في القاعدة، والفساد في القيادة اغراءاته وامكانياته اكبر لو وجدت بذرة انانية او جرى وراء المصلحة الشخصية.

يجب أن يتمثل القائد الجماهيرى في مواجهة التطلعات الطبقية بشعار على ابن أبى طالب عندما كان يقول للدنيا « غرى غيرى .. غرى غيرى »

او كما يصفه ليوتشاوتشى « القائد لا تغره الثروة ولا القاب الشرف، ولا يبعده الفقر عن مبدئه ».

ان مرحلة البناء تحتاج الى زاهدين يهبون حياتهم للعمل والبناء.

صفات الكادر

ومن تعاليم القائد المعلم يمكن أن نجمل صفات العناصر القيادية في :

- ايمان بالعقيدة الدينية. (ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان في كل زمان ومكان).
- الاخلاص التام للاشتراكية والمبادىء الاساسية والاخلاص التام للميثاق.
- ايمان بالقيادة الثورية، ايمان واع .. لا يتزعزع ولا يرتاب.
- الاتصال الدقيق المستمر بالجماهير.
- حد ادنى من الثقافة يمكنه من اكتشاف الامور، بحيث يقدر أن يميز بنفسه ويكتشف ويصل دون حاجة لمرشد يعرفه ماتريده الجماهير.
- سلوك اشتراكى يتجلى في استعداده لتغير أسلوب الحياة والتفكير وفقا لمقتضيات التغيير الاجتماعى. واستعداده للتضحية بالجهد والمال.
- شجاعة ثورية تكفل تصديه للانحرافات، وتحمله للمسئولية.
- القدرة على تحويل المواقف السلبية الى مبادىء ايجابية.
- لا يتأثر بالهزائم ولا يغتر بالانتصارات.
- احترام النفس.
- القدرة على ضبط خطوته مع تحرك الجماهير فكريا وعمليا، فلا يلهث خلفها ولا ينعزل عنها بسبقه لها وانقطاعه عن حركتها.

كيف نختار العنصر القيادى

من بين العناصر القيادية ؟

وقد يبدو اننى أفسر الماء بالماء.

أبدا .. ان التنظيمات والتشكيلات ترتكب دائما خطأ يوقع العمل الجماهيرى في سلسلة لا نهاية لها من التعقيدات.

هذا الخطأ هو البدء بمعزل عن العناصر القيادية بين الجماهير.

ولا شك أنه فى كل مجال جماهيرى عناصره القياديه البارزة التى احتلت مكانها تاريخيا . ومن الطبيعى أن يثور نفور طبيعى بين العناصر والتشكيل الجديد ، لان هذا التشكيل يبدأ بمقاييس عمل ومواصفات لكادر لا تنطبق على هذه العناصر ، وهذه العناصر بدورها تستشعر خطرا يهدد مركزها ونفوذها بين الجماهير . تبدأ عملية صراع بين التنظيم الجديد الذى يحاول أن يفرض عناصره وبين هذه العناصر التى تتمتع بالمركز التاريخى والنفوذ والثقة . انها ظاهرة نشاهدها فى هذه الايام بالذات فى تشكيلات الشباب ، وفى المكاتب التنفيذية .

اننا نطرح هذه القضية .. لماذا لا تكسب هذه العناصر ؟ لماذا لا نستفيد من جماهيريتها ؟ لماذا لا نحاول ان نخلقها من عيوب العمل الجماهيرى فى مستوياته السابقة لنسلمها بالوعى والسلوك الاشتراكى السليم ؟ لماذا لا تكون هى بدايةاتصالنا بالجماهير ؟ أليس ذلك ما علمنا القائد والمعلم عندما قال فى حديثه للمكاتب التنفيذية « اى شخص غير مرتبط بالجماهير غير مفيد . وهذا الشخص لا تشغل نفسك به ، ولا تضيع وقتك معه ، مهما كان علمه عالى ، فعلمه يمكن أن يفيدنا به فى مجال علمى ولكن فى مجالنا مجال الاتصال بالناس — نحتاج الى الشخص المؤمن بالناس ، المؤمن بالجماهير — القادر على الالتحام بالناس ، هذا الشخص يستطيع أن ينفذ الرسالة اللى بنتكلم عنها وبنعمل من أجلها . وأسلوب العمل ده بنمشى بيه ايضا فى المجالات المختلفة ، وانتم بتبحثوا عن القياديين بالنسبة للمحامين والاطباء والزراعيين والعمال والفلاحين والتجار بنبحث عن الشخص اللى تتوافر الصفات القيادية فيه مهما كانت قيمته الاجتماعية » .

اذن فيجب أن نبدأ من العناصر القيادية بطبيعتها بين الجماهير وبالطبع فهناك عناصر انتهازية وصلتالى مراكزها وتحتفظ بها باساليب انتهازية .. وخلال تحطيم جماهيرية .. هذه العناصر سيبنى التنظيم الجديد نفسه وينشر اخلاقياته .

ولكن هناك عناصر شريفة تتمتع بجماهيرية حقيقية نتيجة مواهبها وخدمتها للجماهير . وهذه العناصر يجب أن تحرص على كسبها بدلا من مواجهتها بعناصر التنظيم وخوض معركة لا مبرر لها .

نختار العناصر القيادية من الطبقات صاحبة المصلحة الاكيدة والمستمرة فى الثورة الاشتراكية فان جذورها الطبقية تمنعها من الانحراف على أن يكون تسلحها بالوعى واستمرار ارتباطها الطبقى بالثورة هما الضمانة الاولى الاكيدة ، اذ أن شهادة الميلاد الطبقية ليست ضمانة مقدسة ضد الانحراف ، والتاريخ حافل بالامثلة عن عمال خانوا طبقتهم ، وآخرين من غير العمال وهبوا حياتهم للجماهير فاستمرار الارتباط بالجماهير هو الضمانة الكبرى والدائمة .

هذه القيادة الواعية بالهدف العام والقادرة على تحديد الاهداف مرحلية وتحويل هذه الاهداف الى برامج عمل محددة ، كما وضحها الرئيس جمال عبد الناصر « القيادات اذا أعطت اعمال مع بعض فيجب عليها ان تحدد اسبقيات واولويات وأهمية هذه الاعمال بالنسبة لبعضها ، بحيث أن القيادات الفرعية تعرف وتتضح لها ايه هو العمل الاساسى اللى تعبىء فيه كل جهودها » .

فبقدر مايحدد المستوى الاعلى للمستوى الادنى واجبات عمل واضحة تكون امكانية النجاح وايضا أمكانية المحاسبة .

التوعية داخل التنظيم

لابد فى كل عمل جماهيرى من قدر من التوعية، ولابد فى كل تشكيل ، وعلى كافة المستويات من دراسة نظرية ، ولو فى كل اجتماع، يخصص جانب من الوقت للدراسة النظرية ، دراسة تفسر الواقع وتشرح السبيل لتغييره . يقول الرئيس « ولامانع من أن نثقف بعضنا فى المكاتب التنفيذية فيمكن أن نثقف انفسنا بأن نجتمع كل مرة فى بيت واحد منا ونتكلم فى موضوع التعاون أو الاصلاح الزراعى او نتكلم فى الميثاق . كل واحد منكم يمكنه عمل موضوع كل اسبوع » .

« هذا بالاضافة الى النشرات اللى بتجيلكم من القيادة . ويمكن ان كل محافظة تعمل نشرات ، على اساس ان تكون فعلا نشره تثقيفية وبحيث ان هذه النشرات المحلية لا تكون مضادة مع نشرات القيادة او مع الخط العام او الفكر الاشتراكى الخاص بنا » .

وهذه التوعية يجب أن تتناسب مع مستوى اللجنة واحتياجات العمل .

فكما ان تخلف الوعى عن احتياجات العمل يفضى الى التخبط والتلقائية ، فكذلك الاغراق فى الدراسات يغرق العمل فى الثرثرة ويقلبه من كفاح جماهيرى الى ندوة اكاديمية فوق مستوى الجماهير .

علاقة تنظيمية ثورية

وهذه العلاقات يمكن تلخيصها فى :

● انتخاب جميع المستويات ، الا فى ظروف خاصة يحتمها العمل كبداية التكوين أو مراحل التحول حيث يصبح عنصر الاختيار ضروريا .

● خضوع اللجان القاعدية للجان القيادية خضوعا واعيا نتيجة للاقتناع .

● الوصول الى القرارات بعد المناقشة الحرة على جميع المستويات ثم اقرارها بالاغلبية ، وخضوع الاقلية للاغلبية ، وتبنى الاقلية لرأى الاغلبية ودفاعها عنه كأنه رأيها الخاص .

يقول القائد المعلم « يجب أن تكون الجماعة القيادية قوية ومتحدة بينها وبين بعضها بمعنىأنه قد تنقسم الاراء فى اى مكتب ، وهذا سيحدث قطعا لاننا نختلف جميعا فى الاراء والمناقشات ، ولكن فى النهاية نخرج برأى بعد التشاور والاقتناع » .

● حق النقد .. نقد المستويات الاعلى للمستويات الادنى ، والمستويات الادنىللمستويات الاعلى . وهذا الحق ينهار لو لم تكفل الحماية التامة للناقدين ، ويجب بتر القيادة التى تمارس أى ارهاب ضد النقد .

● النقد الذاتى .. وهو تعبير يستخدم كثيرا ،دون أن يوضح التوضيح المطلوب، والبعض يستخدمه على سبيل مدح نفسه ، كما نسمع بعضهم ينتقد نفسه بانه صريح أكثر من اللازم ، أو أن عيبه الوحيد هو تفانيه واخلاصه ، النقد الذاتى هو نقد المسئول أو المستوى التنظيمى لنفسه بالمواجهة الصريحة للاخطاء التى ارتكبها ، وتحديد أسباب هذه الاخطاء ثم اتخاذ الخطوات الكفيلة بازالة اسبابها وأحيانا يتحتم أن تستقيل القيادة اذا ما كان الخطأ جسيما ، لا أن يتصرف المسئول كالاطفال فيكتفى بكلمة أنا آسف وينتهى كل شىء .

● حق التصعيد والترقية الى أعلى المراكز فى التنظيم بالعمل وحده لا أن تتحول القيادة الى مراكز شرفية يحتكرها جماعة بعينها .

وقد تقدمت باقتراح باصدار شهادات بالسلوك الاشتراكى لكل من يساهم فى تجربة للعمل الذاتى، على ان يكون عدد هذه الشهادات ضمن اسس الترشيح والتصعيد فى التنظيم .

مرونة تنظيمية

مرونة التنظيم التي تسمح بتعديل الشكل طبقا لخبرة العمل ولمواجهة احتياجات كل مرحلةوهذه المرونة يجب أن تتفادى انحرافين : تقديس الشكل التنظيمى ، وعبادة اللوائح والقوانين ولو على حساب العمل ، وضد احتياجات الواقع ، وأيضا المبادرة الطائشة لتغيير التنظيم كلما تعثرالعمل. أو لمجرد تجديد الامل يجب أن تحدد أولا أسباب تعثر العمل قبل أن تحمل اللوائح أو الاشكال التنظيمية مسئولية الفشل . ولنذكر دائما أن الانسان هو روح التنظيم والقانون ، وان العنصر الصالح يذلل العقبات ولا تستذله اللوائح ، وان الذى يشكو دائما من الروتين ليس بالضرورى أن يكون عنصرا صالحا .

تعبئة الجماهير وتحريكها

يهدف العمل الجماهيرى الى تحريك الجماهير لتحقيق الهدف الذى تعده القيادة الثورية .

وقد عالجناحتى الانخطوات العمل الجماهيرى الثورى ، وهى تشكيل التنظيم القادر على تحقيق الهدف ، وكذلك دور الوعى فى بناء هذا التنظيم وفعاليته . ولكن الوعى محدود فى اطار العناصر القيادية وقد وضح الرئيس عبد الناصر أنعملية التوعية لا يمكن أن تبعثر فى الهواء بل لابد أن نتحيز لها التربة الصالحة وان نتعهدها بالتنمية .

أما تحرك الجماهير فيحتاج الى تعبئة للعمل المباشر ، اى أن ننتقل بالجماهير من مرحلةالسلبية الى حركة ايجابية من أجل التغيير فالتوعية تخلق الاقتناع بضرورة التغيير وامكانيته ، أما التعبئة والتحريك فهى تحويل الاقتناع الى عمل .

مثلا .. اذا ما عقدت ندوة لشرح أهداف الادخار وفوائده . من الممكن أن تجتمع الندوة ، ويلقى القادة محاضرات قيمة فى أهمية الادخار ، ثم ينفض المؤتمر ويصفق الجمهور ويرفع حنجرته استحسانا ، ثم لا فائدة لان التوعية لم تقترن بالعمل . لم نضع أمام الجماهير فى صيغة محددة واضحة ما الذى نريده منها . ويمكن أن يتحققذلك اذا ما انتهت الندوة بلقاءبين الجماهير وموظفى البنكفى مكان الندوةيفتحون دفاتر توفير فى الحال ، أو باتخاذ قرارات للادخار العام وهو ما نعبر عنه بكسر حدة البداية أو اتخاذ الخطوة الاولى وسنعود لها بالتفصيل .

فالعمل الجماهيري يهدف الى القضاء على السلبية وفى اعتقادى ان تعبئة الجماهير تعنى تخطى مرحلتين :

- مرحلة السلبية المعادية .
- مرحلة السلبية المؤيدة والاتكالية وذلك لنصل الى مرحلة المشاركة .

وحتى نصل الى هذه المرحلة لا بأس من ان نتفهم طبيعة وأسباب سلوك الجماهير الذى يوصف بالسلبية .

السلبية المعادية : هى نتيجة سوء الظن الموروث بكل ما يصدر من أعلى بفعل الحكم الرجعى الذى استمر قرونا ، وبفعل التجربة الاستعمارية . حيث كان العداء هو ما يربط بين الحكومة والشعب وسوء الظن المتبادل هوالعلاقة الوحيدة التى تحكم أى تحرك من الجانبين .

وكان رد الفعل الطبيعي الذى هدد موقف الشعب هو السلبية المعادية (يارب يامتجلى أهلك العثمانلى) أو « يا عزيز كبة تاخد الانجليز » .

وهى كما تعكس كراهية الشعب للحكم تعكس الى حد ما روح اليأس من أساليبالمقاومة المستخدمة ، بل ربما اليأس من قياداته ، ولكنها لا تعكس ابدا يأس الشعب أو فقدانه للثقة فى نفسه ..! ان مجرد اطلاق هذا الشعار هومقاومة واعلان رفض الواقع السيء ، ولو بالدعاء بزواله.

السلبية المؤيدة : محورها فقدان الثقة بالنفس ، والاتكال المطلق على قدرة القيادة فى انجاز كل شيء .. الايمان بأن الحكم والقيادة ليست حرفة الشعب ولا مهمته ، وان أقصى ما يتمناه من الله أن « يولى من يصلح » ، فهو ــ أى الشعب ــ لا يطمع فى ان يشارك فى تولية من يصلح او فى المساهمة معه فى الاصلاح .

الشعب فى هذه المرحلة يؤمن بالقيادة ويثق بها ، ولكنه لا يثق بنفسه ولا يثق فى جديةالدعوة التى تطرحها القيادة حول مساهمته معها فى العمل .

يظن أن هذه الدعوة من باب الرياء وادعاء شعبية الحكم او فخ لاصطياده كل هذا منميراث الشك المزمن فى الحكومات واخطر عيوب هذه السلبية هي عزل القيادة عن الجماهير وحرمان هذه القيادة من توجيهات الجماهير وتنبيهها لاخطائها فيمكن ان تقع القيادة فى أخطاء تتعارض مع مصالح الجماهير بحسن نية ودون أن تشعر ولا تبصرها الجماهير باخطائها .

ولكى نصل الى مرحلة المشاركة .. يجب :

أن تتحول الاهداف من شعارات غامضة غير محددة الى برنامج عمل واضح يقسم الىانجازات بسيطة يقتنع كل مواطن بقدرته على تحقيقها .

اى اسقاط الطابع الاسطورى عن العمل السياسي والاجتماعي والذى كان يقصد به اشاعة اليأس فى نفوس الجماهير واقناعها بأنها أعجز من ان تحاوله .

يجب أننخرج بالاهداف المطروحة مثلالادخار او تنظيم النسل أو رفع الانتاج من دائرة الابحاث العميقة والشعارات العامة الى واجهات محددة يفهمها المواطن العادى ويستطيع انجازها .

احترام رأى الجماهير والاستماع لكل ما تبديه من ملاحظات والرد عليها أو الاستفادة منها ؛ واشعار الجماهير أن رأيها قد لاقى الاهتمام الجدير به وانها قادرة على أن توجه القيادة .

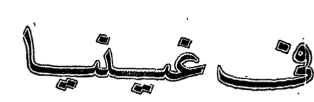
فخلق روح المشاركة يتحقق من خلال :

تجسيد الهدف فى شكل أعمال محددةيستطيع المواطن العادى ان يفهمها وان ينجزها ، واتاحة كل الفرص الممكنة لانجاح هذا الانجاز . بحيث لا تفسد التعقيدات البيروقراطية العمل الثورى فتشيع اليأس فى الجماهير .

اقتناع الجماهير أنها حقا سيدة مصيرها وان كلمتها مسموعة وأنها تدير فعلا دولاب الحياة فى بلادها .







فى غينيا

حسين عبد الرازق

فى عام ١٩٢٠ اعلنت فرنسا ان « غينيا » بسكانها البالغين (٢ر٤٥٢ر٨٠٠) (١) نسمة ، اصبحت مستعمرة فرنسية ، بعد توطد نفوذ فرنسا الاقتصادى والعسكرى واستقر على هذه الارض الافريقية منذ عام ١٨٨٢ .

وفى عام ١٩٥٧ ، حصلت غينيا على الحكم الذاتى الداخلى فى ظل القانون الاساسى الذى فتح الباب أمام كل مستعمرات فرنسا الافريقية للتطور نحو انشاء حكومات افريقية محلية ، وبالتالى الاقتراب من مرحلة الاستقلال .

وفى اغسطس ١٩٥٨ ، بدأ «الجنرال ديجول» جولته الشهيره فى المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا ومدغشقر ، يدعو لدستوره الجديد ، ولانضمام المستعمرات الفرنسية فى ظل هذا الدستور الى ما يسمى «بالجماعة الفرنسية الافريقية» وطوال هذه الجولة استقبل ديجول بالترحاب والتأييد — من حكومات هذه المناطق — لنظامه الجديد ، حتى وصل غينيا ، فهناك واجه للمرة الاولى قيادة تضع شروطا مسبقة للموافقة على الدستور ، والبقاء فى الجماعة الفرنسية . فاعلن سيكوتورى رئيس حكومة غينيا استعداد بلاده للبقاء فى الجماعة الفرنسية ، ولمدة ٦ سنوات ، تحصل بعدها على الاستقلال الكامل ، وبشرط انهاء السيطرة الاستعمارية على حكومة غينيا واقتصادها ، فورا وبصورة كاملة .

ورفض ديجول فى ثورة عصبية عرض غينيا ، وخير سيكوتورى بين الانضمام غير المشروط للجماعة الفرنسية ، وبين الاستقلال الفورى وعداء فرنسا .

ولم تتردد القيادة الغينية الممثلة فى سيكوتورى و «الحزب الديمقراطى الغينى» فى قبول التحدى . وعبأت القيادة الشعب ضد دستور ديجول تحت شعار **«إننا نفضل الفقر مع الحرية عن الثروة مع العبودية »** وفى سبتمبر ١٩٥٨ اختار (٩٧ر١٢٪) من شعب غينيا الاستقلال ، لتعلن غينيا جمهورية مستقلة فى ٢ أكتوبر ١٩٥٨ ، وتبدأ مرحلة جديدة فى حياتها .

---

(١) عدد السكان فى الوقت الحالى ٣ر٨٢٥ر٩٦٨ نسمة

وكانت البداية قاسية شديدة القسوة . ففرنسا أرادت ان تلقن غينيا درسا يجبرها على ان تجثو على قدميها . وبخطة مدبرة ، انسحب الموظفون الفرنسيون من اجهزة الحكومة بصورة فجائية ، ولم يبق من ٤٠٠٠ موظف فرنسى الا ١٥ ، ولمدة اسبوعين فقط . وافرغت الخزانة من النقد ، ونزعت الاسلحة من رجال البوليس ، واخليت مكتبة وزارة العدل من الكتب والملفات والوثائق وانتزع اثاث قصر الحاكم العام، وشحنت كل هذه الاشياء الى فرنسا وقطعت اسلاك التليفـــون وخطوط الكهرباء ، واجتثت اشجار الفاكهـــة ، وحطمت الاسوار ولطخت المنازل بالقاذورات ، واعيدت سفينة تحمل ٥٠٠٠ طن من الارز ، كانت فى طريقها الى كوناكرى ، الى ميناء الشحن فى فرنسا . وكان على غينيا ان تبدأ مرحلة الاستقلال من الصفر .

ومرة أخرى قبل شعب غينيا التحدى . وفى مواجهة التحطيم والشلل الذى أصاب اجهزة الدولة فى غينيا ، والفراغ الذى فرض على خزائنها ، والاضرار التى أصابت مزارعها ومناجمها . .أعلن سيكوتورى أن غينيا لن تجثو على قدميها ، بل ستبدأ رحلة طويلة لبناء مجتمع اشتراكى ثورى على اسس علمية صحيحة ، يقف الى جانب التجارب الاشتراكية الثورية العديدة التى تحققت فى كثير من بقاع العالم .

وكانت البداية ، دراسة طبيعة المجتمع الغينى ، الواقع الذى سيبدأون منه رحلتهم الصعبة . كان عليهم أن يدركوا حقائق مجتمعهم والتناقضات التى تعيش فيه ، والعوامل الايجابية والسلبية ، حتى تكون حركتهم صحيحة وصائبة .

واول هذه الحقائق ، أن المجتمع الغينى فى أصله مجتمع غير طبقى ، خلا من التعقيدات الطبقية الى حد بعيد ، فلم يكن هناك طبقات متفاوتة متصارعة تصطدم مصالحها ، بل كان التناسق والتقارب الطبقى هو الصورة الواضحة الغالبة فى غينيا قبل الفترة الاستعمارية . وفى الواقع ، فليس هناك طبقة اقطاعية ، أو طبقات سائدة فى مجتمعنا القومى . وحتى فترة الاحتلال الاجنبى لم يكن هناك طبقات متعادية فى المجتمع الافريقى ، لان أدوات الانتاج كانت ملكا للمجتمع ككل وبالتالى لم يظهـــر اى استغلال للقوى العاملة . واعتبر الفرد أحد عناصر القوى الاجتماعية المنتجة . . عامل ورجل حريعيش من اجل المجموع، وشريك مسئول فى علاقات الانتاج الموجودة داخل المجتمع وذلك كما قال سيكوتورى .

وهذه الحقيقة لاتنفى قيام الاستعمار الفرنسى بمحاولات لتغيير طبيعة المجتمع وفرض التناقضات الطبقية عليه . فهو بطبيعته الرأسمالية القائمة على الاستغلال ، رسم سياسة اقتصادية لغينيا تستهدف ثلاثة اهداف متكاملة :

● تحويل الحكام الاقطاعيين الى ملاك اراض يعملون كعملاء تنفيذيين للاحتكارات الاستعمارية التى تمارس الاستغلال الاقتصادى .

● خلق طبقة متوسطه صغيرة ، تضم اعدادا قليله من الموظفين الوطنيين ، والمثقفين المؤهلين، الذين خضعوا لسياسة «المشاركة» (وستشرح فيما بعد) .

● الافقـــار الجماعى للجمـــاهير الكادحة عن طريق انقاص قدرتهم الشرائية فى الوقت الذى تزيد فيه انتاجيتهم .

وتكوين جماعة من ملاك الاراضى والبورجوازية من بين الجماهير المقهورة ، لم يكن يستهدف فى ذلك الوقت انشاء نظام بورجوازى ، بقدر ما كان يرمى الى تحويل الحكم الاستعمارى القائم الى نوع من الحكم غير المباشر من خلال عناصر من شعب غينيا تكتسب الى صف الاستعمار .

وتميزت فترة الحكم الاستعمارى أيضا بسوء توزيع الدخل القومى ، وبتطبيق سياسة أجور غير عادله ، لم تطبق حتى فى أقسى النظم الفاشستية والرأسمالية فى العالم ، فبلغت نسبة أجور العمال الافريقيين غير المهرة الى الفئات المدربة مـــن الافريقيين ١ الى ١٥ بينما كانت النسبة بين الفئتين من العمال الفرنسيين لاتتجاوز ١. الى ٢. .

وبمجرد انهيار الحكم الاستعمارى ، وبدء ممارسة شعب غينيا لمسئولياته واجه هذا البناء الاستعمارى هزات عنيفة . وبضربة واحدة قبل الاستقـــلال انهارت القيادات الاقطاعية التى خلقها الاستعمار وانسحبت من الميدان معه ، مؤكدة حقيقة الواقع الطبقى المتناسق للمجتمع الغينى .

وبالرغم من عدم وجود طبقات اجتماعية تفرقها التناقضات العدائية فى غينيا ، فان المستويـــات المختلفة للحياة الاجتماعية فى غينيا يوم الاستقلال والتناقضات بينها كانت تحمل فى طياتها احتمـــال التطور الى طبقات اجتماعية متعادية .

فالنظرة العلمية الى المجتمع ، تكشف عن وجود عدة مستويات مختلفة :

— الفلاحون الذين يعيشون من الزراعـــة الفردية او العائلية او التعاونية ، او من الرعى ، أو الصيد أو الحرف . وهم غالبية المجتمع .

— العاملون بأجر يومى .

— المزارعون الذين يستغلون مواد هامـــة

ويمتلكون مصادر مالية ويستأجرون عددا متزايدا من العمال ».

— ملاك العقارات المؤجرة ».

— التجار ، ويسمون «ديدلس» ويتعيشون من الاعمال التجارية ».

— التجار الكبار ، ملاك المخازن ، تجار الاثاث .

— المقاولون، ملاك الورش، أصحاب الصناعات الصغيرة ».

وتحتوى كل مجموعة من هذه المجموعات على عدة فئات ذات تناقضات داخلية . فالتجار وأصحاب الصناعات ، والموظفون الكبار ، يميلون فى الغالب الى الحياة والقيم البورجوازية (التبرجز) وهم يحبون تمييز أنفسهم عن الجموع العادية من الشعب . ومنهم من يعلن احتقاره لها . والبورجوازية وهى نتاج لمحتوى اجتماعى واقتصادى ، يمكننا التعرف عليها بسهولة من اسلوب معيشتها ، واستجاباتها السلبية ومقاومتها لمبادىء الديمقراطية ولسيادة الارادة الشعبية على كل المصالح والمؤسسات التى تكون النظام ».

وهذه البورجوازية ، كانت المصدر الاساسى لمحاولات تفكيك واضعاف معنويات الشعب ، والنقد الهدام والافتراء على حركة الجماهير الثورية ، وهى ايضا فى كل مجتمع قاعدة للنشاطات المخربة المضادة للثورة . وبينما تغرق البورجوازية المالية فى الارتشاء والتخريب الاقتصادى (تهريب البضائع رفع الاسعار بطريقة غير قانونية) ينشغل البورجوازيون ذوى الياقات البيضاء (المثقفون البورجوازيون) فى تأملات فكرية تبنى على جدل غير موضوعى وذاتى . هذا اذا لم تلوث العقول بنظريات رجعية انتهازية . والمثقفون فى غينيا (وفى المستعمرات الفرنسية عامة) فئة لها طبيعة خاصة متميزة ، وتعد من أهم المشاكل وحقائق المجتمع الذى كان على ثورة غينيا مواجهتها ».

فالاستعمار الفرنسى لافريقيا تخفى فى ثوب ثقافى زائف ، وقام على أساس أن فرنسا تحمل رسالة انسانية للناس كافة ، وأنهم انبياء يحملون رسالة ثقافية وحضارية للبشرية وما عليهم الا المثابرة فى الاداء والتبليغ . . وأن كل تقدم ورقى يصيب أهالى المستعمرات لن يأتى أو يتحقق الا عن طريق الثقافة واللغة الفرنسية والمستويات الحضارية التى أتت بها الثورة الفرنسية خاصة وأن الشعوب الافريقية شعوب بلا حضارة ولا تاريخ ولا شخصية وقامت هذه السياسة فى بدايتها على محاولة فرض الثقافة واللغة الفرنسية على الشعوب الافريقية قاطبة بواسطة التثقيف والتربية والتعليم على مدى طويل ، وهى ما عرف باسم سياسة « الاستيعاب»

ولكن هذه السياسة واجهت الفشل نتيجة اختلاف طبيعة المجتمع الافريقى ورفضه لكثير من قيم المجتمع الفرنسى . ولعب الاسلام وتمسك الغينيين به دورا اساسيا فى فشل هذه السياسة وبدأت العقلية الفرنسية تبحث عن شكل جديد لهذه الرسالة المزعومة . وظهرت ما يسمى بسياسة «المشاركة» وتقوم على انتقاء أفراد وجماعات افريقية تلقن وتستوعب التراث الثقافى والحضارى الفرنسى ، وتشكل نفسيتها وقيامها ومفاهيمها طبقا للتراث والقيم الفرنسية ، وتعد بمثابة جسر يربط الوجود الاستعمارى الفرنسى بالشعب الافريقى ».

ونشأ عن هذه السياسة فئة ثقافية متميزة داخل المجتمع الغينى ، اتجهت بأفكارها وقيمها ومثلها الى الحضارة والثقافة الفرنسية ونسيت أصولها الافريقية وترفعت عن كل ما هو افريقى . فئة لا تجد لها شخصية خاصة ، فهى مجرد امتداد باهت للشخصية الفرنسية ، وقد اطلق سيكوتورى على هذه الفئة اسم « المثقفين الزائفين » .

والى جانب مشاكل المثقفين ، عاشت غينيا فى ظل تمزق وفروق قبلية ودينية حتى بين ابنائها المتعلمين . فالشباب الذى يولد فى مدينة واحدة ولاسرة واحدة ، ولكن آباءهم يأتون من قبائل مختلفة ينضمون الى جمعيات قبلية مختلفة ، وحتى ولو جمعهم العمل فى مكان واحد ، ونالوا نفس التعليم والثقافة . ولقد انتشرت جمعيات تعبر عن قبائل السوسو ، والمالينكى ، والباجا ، والكونياجوى ، والبيول جيوزية ، وجمعيات للمسلمين وأخرى للكاثوليك ، وثالثة لعبادة آلهة القبائل .

وواجهت غينيا ، مشكلة هامة وعويصة ناتجة عن النظام الادارى الاستعمارى . فالسلطة الاستعمارية استخدمت نظام رؤساء (مشايخ القبائل) كوحدات فى الادارة الاستعمارية فى غينيا فعينت فى القرى والاقاليم زعماء للقبائل يتولون الادارة عنها ، وكانوا فى القرى هم الرؤساء التقليديون للقبيلة بينما كانوا فى الاقاليم رؤساء من خلق السلطة الاستعمارية .

وقد استمد هؤلاء الرؤساء سلطاتهم من الوجود الاستعمارى ، فاصبحوا قيادات رجعية تتجه بولائها للسلطة الاستعمارية ويعملون كعملاء لها ، وكانوا السلاح الاول للسلطة فى الحرب ضد كل الاتجاهات التحررية ، انعزلوا عن الجماهير وعملوا بعيدا عنها وضد مصلحتها ، وضاعف من المشكلة أن هؤلاء الرؤساء القبليين ، مثلوا الفئة العرقية السائدة فى المنطقة مما كان يعنى استمرار الصراع القبلى والعرقى وتجسيده بصورة دائمة .

ولم تكن هذه هى كل مشاكل غينيا ومتاعبها ، كان هناك ٨٠٪ من سكان غينيا يعيشون فى

ظلام الامية . وكان الوضع الاقتصادى ضعيفا رغم كثرة امكانيات التقدم فكل شىء كان فى ايدى الفرنسيين خاضعا لاتجاهاتهم ومصالحهم.. العملة والبنوك والتجارة الخارجية ، والمناجم والصناعات القليلة القائمة .. وكان السوريون واللبنانيون يحتكرون السوق الداخلى ويفرضون مصالحهم عليه.

وفى ظل هذه الظروف والحقائق الصعبة ، كان على الثورة الغينية أن تشق طريقها ، وتفرض الواقع الذى وعدت به الجماهير ، وتحقق المجتمع الاشتراكى الثورى على أسس علمية .

وأعتمدت الثورة الغينية فى انطلاقها من هذا الواقع ، نحو المجتمع الجديد على أسس ثلاثة متكاملة هى :

— مفهوم أيديولوجى واضح ومحدد .

— بناء حزبى صلب وديمقراطى يأخذ فى أعتباره حقائق المجتمع الغينى .

— تنظيمات اقتصادية واجتماعية وادارية واسعة تنبع من المفهوم العلمى للاشتراكية والديمقراطية ».

مفهوم أيديولوجى واضح ومحدد

والشخصية الافريقية هى محور الحركة والتفكير فى عقيدة الحزب الديمقراطى الغينى «فلا يمكن بدونها ان نجد طريق الانطلاق ومبادىء وقوانين التطور الصحيح وكل العوامل الواقعة والعناصر المكونة للنهضة الافريقية » .. وهى رد الفعل الطبيعى والمنطلق الصحيح لمحاولات الاستعمار تأكيد غياب الحضارة والتاريخ الافريقى كلية .

والايمان بوجود شخصية أفريقية متميزة يقتضى أن يؤسس التطور والتقدم على أساس من هذه الشخصية بدلا من الارتباط بشخصية اوروبية والخضوع لقيمها الحضارية والثقافية . وكما قال سيكوتورى «فيجب أن نسعى بجهودنا المتواصلة الى أيجاد طريقنا الخاص للتطور والازدهار اذا أردنا أن يتم تطورنا وأزدهارنا دون مساس بشخصيتنا . أن أيسر الطريق لحل مشاكلنا هى أن نضع لها حلولا افريقية حقيقية . وكلما كانت هذه الحلول افريقية منبعثة فى طبيعتها وفى تصورها النظرى وهدفها العلمى ، كان حل المشاكل أسهل وأبسط . لان الذين يشتركون فى وضعه لن يكونوا ضائعين فى متاهات التفكير النظرى المجرد البعيد عن واقعهم وظروفهم الخاصة . ولانهم بارتباطهم بوسطهم لن ينحرفوا عن الاتجاه السليم بل سيكتشفوا بدون صعوبة طريقة التفكير والعمل . وهكذا تعبر صفاتنا المميزة عن ابداعنا الاصيل فى الفكر والعمل. ونستعمل طاقاتنا الى اقصى حدودها وفى النهاية نعجل تطورنا التاريخى » . والايمان بالشخصية الافريقية المتميزة ، يرتبط فى نظر الحزب الديمقراطى الغينى بمبدأ آخر هو أن لاتكون غينيا امتدادا لاى دولة أو فكر أو عقيدة اخرى .. «فأفريقيا لايمكن أن تقبل ، تصميما منها على احترام شخصيتها وحضارتها وبنائها الصحيح ، أن تصبح أمتدادا عضويا لاى نظام أو دولة أو ايديولوجية أيا كانت »

ولكن الاصرار على أبراز تأكيد الشخصية الافريقية المتميزة وضرورة البحث عن طريق خاص للتطور يعكس واقع وظروف غينيا ، لايعنى بالنسبة لغينيا أى أنغلاق أو تحجر ولا يعكس عقدا أو خوفا من أى تيارات صحية تأتى من الخارج . ولا يعنى أيضا غرورا أو تغافلا عن التراث — الانسانى وعن القوانين الموضوعية للتطور. أن الحزب الديمقراطى الغينى الذى تتمثل فيه قيادة الثورة الغينية يسلم بوضوح بوجود قوانين موضوعية للتطور وبالمنهج العلمى والاسلوب العلمى لدراسة حركة التاريخ . وأننا نرغب فى قولها بصراحة . أن الحزب الديمقراطى الغينى وهو يسير فى طريقه الثورى يعطى التفاتا واضحا الى الحقيقة التى تقرر ان هناك تناقضات فى اى مجتمع ، وان تطور المجتمع يعتمد الى حد ما على حقائقه الخاصة . ولكن لايصح أن نستنتج من أختلاف الحقائق بين مجتمع وآخر ، وأختلاف الظروف من شعب الى آخر ، أن هناك أنواعا مختلفة من السعادة الانسانية ، أو أنواع مختلفة من التقدم الديمقراطى .

ولايقف الحزب الديمقراطى الغينى عند حد التسليم بوجود قوانين موضوعية للعمل الاجتماعى وللتطور التاريخى للمجتمع ، بل يعلن قادته بوضوح أيمانهم بالمنهج الماركسى فى التحليل الاجتماعى والتاريخى ، وتسليمهم بأهمية الفلسفة الماركسية فى دفع وتطور حركة المجتمع الغينى ..

فسيكوتورى يقول «أن الماركسية تساعد فى تعبئة الجماهير الافريقية ، خاصة الطبقة العاملة، وتقود هذه الطبقة الى النجاح . وقد قمنا بتنقيتها من الجوانب التى لاتتواءم مع الحقائق الافريقية .. أن مبادىء التنظيم والديمقراطية والادارة فى الماركسية وكل ما يتعلق بالحقائق الموضوعية للحركة تتفق بدقة مع الظروف الراهنة فى أفريقيا .

ويقول ايضا .. « وبدون ان نكون شيوعيين ، فاننا نعتقد ان القدرات التحليلية للماركسية

وتنظيم الجماهير بها ، تعد طرقا ملائمة تماما لظروف بلادنا » ..

وهذا الموقف من سيكوتورى لايتناقض على اى صورة كانت مع ايمانه المطلق بقدرة شعبه على الخلق والابداع الفكرى . فهو يفرق تماما بين الماركسية كمنهج للتفكير والتحليل والعمل . وبين الماركسيه كتطبيق . ان الحزب الديمقراطى الغينى يأخذ من الماركسية القوانين الاجتماعية الهامة التى توصلت اليها واسلوبها فى التحليل والتفكير ويطبقها على الواقع الغينى بكل اختلافاته ومميزاته الخاصة ، ليخرج من كل ذلك بنظرية اشتراكيه تتطابق مع الاشتراكية كعلم ، ومع واقع مجتمعه واحتياجاته .

وغينيا فى هذا الموقف الايديولوجى المنفتح ، تمثل نموذجا متكررا فى كثير من الثورات الافريقية والاسيوية .

فنكروما يعلن من غانا «اننى اليوم مسيحى ، واشتراكى ماركسى ، ولم اجد اى تناقض بين الاثنين .. »

وسوكارنو يعلن من اندونيسيا «فلسفتى تتكون من الوطنيه والدين والتحليل الماركسى للتاريخ .. اننا نقبل تحليل النظرية الماركسيه ، ولو اننا لانقبل دائما الوسائل التى يتبعها الماركسيون لتحقيق أهدافهم ، وذلك لاننا نعتقد ان المجتمع الاندونيسى لا يخضع لنفس الحوافز والدوافع التى تعرضت اليها المجتمعات الغربية كما حللها ماركس .. »

ومن هذا الموقف الايديولوجى المحدد الواضح تنطلق غينيا لتحقيق التطور فى المجتمع مستندة الى بناء سياسى ضخم يتمثل فى الحزب الديمقراطى الغينى ..

بناء حزبى

صلب وديمقراطى

ومنذ اللحظة الاولى لبدء قيادة الثورة الغينية نشاطها وحركتها ، اعلنت ايمانها بالديمقراطية اسلوبا للعمل ووسيلة لتحقيق التقدم والرخاء . ولكنها أكدت ايمانا منها بالشخصية الأفريقية المتميزة وبحق الشعب فى الابداع والخلق ، ان الديمقراطية يجب أن تكون منبثقة من ظروف افريقيا ومتلائمة مع الواقع الغينى ..

والديمقراطية التى تحددها ظروف أفريقيا وظروف غينيا ، حيث مارس الناس حياة التشاور الجماعى واسهام المجتمع ككل فى تسيير شئونه فترة طويلة ، وحيث انتفت الفروق الطبقية والمستويات الاجتماعية والاقتصادية المتفاوتة ، وذلك فى المجتمعات القبلية التى سبقت بنظمها النظم الاجتماعية والسياسية التى فرضها الاستعمار ، هى الديمقراطية الشاملة . « فظروف افريقيا الاجتماعية والثقافية ظروف مثالية لتحقيق وبناء ديمقراطية شاملة . وهذا يعنى بناء ديمقراطية على اساس الارادة الشعبية ، وليس على اساس الطبقات الاجتماعية (الديمقراطية البورجوازية والديمقراطية البروليتارية) ، او العقائد الدينية (الديمقراطية المسيحية والديمقراطية الاسلامية) او النظم السياسية (الديمقراطية البرلمانية والديمقراطية الرياسية) ان ديمقراطيتنا تقوم على الشعب بمجموعه ، وتسمح بقيام بناء اجتماعى غير هرمى أى مكعب بناء متناسق متطور ، نستطيع بفضله ان ندفع تطورنا الاجتماعى ككل فى حركة واحدة .

وتمثل هذا البناء الديمقراطى فى «الحزب الديمقراطى الغينى» الذى يعكس العبقرية الافريقية وقدراتها الخلاقة على التنظيم وممارسة العمل الديمقراطى باوسع صوره وأشكاله والذى يقدم نموذجا رائعا لمشاركة الجماهير بمجموعها فى العمل السياسى الصعب بكل درجاته ومستوياته . وعلى اساس هذا البناء الحزبى ترتكز كل التجربة الاشتراكية فى غينيا ، فهو الاساس المتين للتطبيق الاشتراكى وللسياسة الخارجية المستقلة التى تنتهجها غينيا بنجاح فى الحقل الدولى ، وهو الصورة المثالية للاستفادة من التجارب الثورية فى الخارج مع ملاءمتها مع الواقع المحلى والظروف الخاصة .

وقد وضعت القيادة الغينية الثورية عدة مبادىء تحكم العمل داخل الحزب والدولة :

- أولوية العمل السياسى
- الولاء للحزب
- حق الجماهير فى المعرفة
- سلطة مطلقة للجماهير
- الحزب فى حالة تعبئة دائمة
- النقد والنقد الذاتى
- الحزب ليس ملكا لمؤسسيه

وانعكست هذه المبادىء فى تنظيم الحزب الديمقراطى الغينى ، واسلوب ممارسته للعمل ، والذى يقوم على اساس «المركزية الديمقراطية».

وتتلخص المركزية الديمقراطية ، كما فصلتها

برامج الحزب المختلفة وتقاريره فى أسس ثلاثة :

● يختار قادة الحزب جميعا بواسطة اعضاء الحزب عن طريق الانتخاب الديمقراطى المباشر وللاعضاء الحرية الكاملة فى التفكير والتعبير فى نطاق الحزب .

● شئون غينيا هى شئون مواطنى غينيا . ويناقش برنامج الحزب بالوسائل الديمقراطية . وما دام لم يصدر قرار الحزب فلكل الحق فى التصريح بما يعتقد ويريد . ولكن بمجرد انتهاء المناقشات فى المؤتمر او الجمعية وصدور القرار بالاجماع او الاغلبية ، يلتزم اعضاء وقادة الحزب بتنفيذ هذا القرار بحذافيره .

● مسئولية القادة لا يجوز المشاركة فيها ؛ فالمشاركة لاتوجد الا فى مسئولية اتخاذ القرارات تجنبا لاى خرق للنظام .

ويقوم بناء الحزب الديمقراطى الغينى على مستويات ثلاثة أساسية هى :

● اللجان الاساسية وعددها ٧١٦٤ لجنة .

● الاقسام وتشمل ١٦٩ قسما .

● الاتحادات وعددها ٣٠ اتحادا .

ويتولى توجيهها جميعا «المكتب السياسى الوطنى » .

على مستوى القرية او الحى

تحتوى اللجنة الاساسية على كل أعضاء الحزب الديمقراطى الغينى من الجنسين والذين تزيد أعمارهم (١٧) عاما ويعيشون فى القرية أو الحى وتجتمع اجتماعا عاما كل اسبوعين وفى هذه الإجتماعات تعلن توجيهات الحزب وتعلن ايضا القرارات التى يجب تنفيذها على المستوى المحلى.

ويدير العمل فى اللجنة الاساسية مجلس من عشرة أعضاء «منهم ٣ نساء ، ٢ من الشباب صبية وفتيات» وينتخب المجلس لمدة سنة واحدة بواسطة المؤتمر العام للجنة الاساسية .

● وينظم المناضلون من الشباب فى لجنة «شباب الثورة الديمقراطية الافريقية» ولها مجلس من ١٣ عضوا ينتخبون لمدة عام واحد بواسطة مؤتمرهم العام ، وفى هذا المجلس الذى لابد أن يضم ٥ فتيات .

● وتنظم النساء فى «اللجنة الخاصة للنساء» ويراسها مجلس من ١٣ سيدة ينتخبهن المؤتمر العام لمده عام واحد ، وتتوزع المسئوليات فى هذا المجلس كما يلى :

رئيس ، نائب رئيس ، سكرتير عام ، سكرتيرين للتنظيم ، الفن ، الثقافة ، الاقتصاد ، الشئون الاجتماعية .

وتجتمع لجان النساء والشباب كل اسبوع ، ويصدق المؤتمر العام للجنة الاساسية على قراراتهم التى ترفع اليه .

على مستوى المركز

يضم قسم الحزب الديمقراطى الغينى كل لجان القرى او الاحياء المرتبطة بالمركز ويتابع مجلس توجيهى من ١٢ عضوا «يضم ٣ نساء ، ٢ من الشباب » تنفيذ القرارات التى تتخذها القيادات العليا . وهو يوجه ويقود الحياة فى القسم فى كل الميادين السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ويجتمع المجلس دوريا كل أسبوع ، وفى اجتماعات طارئة يدعو اليها السكرتير العام . ويعين المجلس التوجيهى لجانا عاملة تستطيع أن يدعو كل الكفاءات من غير أعضائها لبحث القضايا الخاصة وتقديم نصائح مدروسة .

وينتخب مؤتمر القسم هذا المجلس التوجيهى . والمؤتمر يجمع مجالس (العشرة) فى اللجان الاساسية فى المركز . ويكون كل اعضاء المؤتمر صالحين للانتخاب ، وكذلك الاعضاء العاديين .

ومؤتمر القسم ، وهو اعلى هيئة مسئولة فى المركز ، يجتمع مرة كل عامين ويدعى للاجتماع قبله باسبوعين على الاقل . اما التقريرات التى تناقش فهى تقدم الى اللجان الاساسية قبل بدء الجلسة بثمانية أيام على الاقل . ويناقش المؤتمر كل القضايا الخاصة بحياة المركز ويحدد الاهداف الخاصة بالفترة التى تلى انعقاده وينتخب المجلس التوجيهى الخاص بالقسم .

وفى الفترة بين لقاء مؤتمر القسم واللقاء الثانى له ، فان القرارات تتخذ بواسطة « لجنة القسم » التى تجتمع مرة عادية كل عام ، ومرات طارئة اذا استدعت الحاجة ذلك، واعضاء المؤتمر ، هم اعضاء المجلس التوجيهى للقسم مع ٤ مندوبين من كل لجنة اساسية فى المركز . ويمكن دعوة آخرين منهم .. المستشارين العامين ، السكرتير العام لاتحاد العمال ، رؤساء الهيئات الاقليمية ، قائد المعسكر الحربى .

وعلى مستوى المركز فان أعلى سلطة مسئولة عن منظمة الشباب هى مؤتمر القسم الذى يجتمع مرة كل عامين . ويضم اعضاء مجلس القسم فى «شباب الثورة الديمقراطية الافريقية» واعضاء المجالس الخاصة فى جميع اللجان الاساسية لمنظمة «شباب الثورة الديمقراطية الافريقية» وهو يحدد الاهداف التى يجب ان يصل اليها اعضاء المنظمة

فى الفترة التى تلى انعقاده ، وينتخب اعضاء مجلس المنظمة فى القسم ، على ان يكون ٢ من اعضاء هذا المجلس اعضاء فى المجلس التوجيهى للقســم .

وفى الفترة بين انعقاد المؤتمر وانعقاده مرة ثانية، تتخذ القرارات «لجنة القسم لشباب الثـــورة الديمقراطية الافريقية» والتى تجتمع كل عـــام ، ويضم أعضاء مجلس القسم للمنظمة ، وممثلين اثنين احدهما على الاقل فتاة من مجالس اللجان الاساسية الموجودة فى القسم (المركز) .

على مستوى الاقليم

تكون أقســـام الحزب اتحـــادا (اوفدرالية) يوجهه مجلس من ٧أعضاء ينتخب ٦منهم عن طريق مؤتمر أقليمى يضم كل اعضاء المجالس التوجيهية فى اقسام الحزب المختلفة فى الاقليم . اما العضو السابع فهو حاكم الاقليم «المحافظ» .

ويجتمع المجلس الاتحادى فى فترات متناسبة وينسق نشاطات اقسام الحزب فى الاقليم ويتابع التعاون الوثيق بين الجهاز السياسى الذى يمثله والجهاز الادارى على المستوى الاقليمى .

أما الهيئة السياسية العليا على المستوى الاقليمى فهى المؤتمر الاقليمى الذى يجتمع فى دورات عادية كل ٣ اشهر ، وقد تعقد اجتماعات طارئة . وهو يضم ٥ مندوبين من كل قسم من اقسام (مراكز) الاقليم «السكرتير العام ، السكرتير السياسى ، مندوبة نسائية ، مندوبان عن الشباب» ومن الجائز دعوة افراد من الخارج لحضور المؤتمر باعتبار خبراتهم أو مهاراتهم الفنية . واعضاء المجلس العام لهم حق العضوية فى المؤتمر .

ويناقش المؤتمر كل المسائل التى تهم الاقليم ويقرر النشاطات الواجب بذلها لتنفيذ قرارات الهيئات العليا .

على مستوى الامة

ان اعلى ســـلطة مســـئولة فى الحـــزب هى «المؤتمر الوطنى» الذى يلتقى مرة كل ثلاث سنوات

وقد يدعى أيضًا لاجتماعات طارئة بناء على طلب المكتب السياسى الوطنى أو بناء على طلب أكثر من نصف الاقسام . وتقدم التقريرات التى تناقش فى المؤتمر الى كل اقسام الحزب قبل انعقاد المؤتمر بعشرة ايام على الاقل .

ويحدد المؤتمر الوطنى الخط السياسى للحزب، ويحدد الاهداف التى يجب ان تتحقق فى الفترة التالية ويقرر اى تغيرات فى دستور الحزب . وسيادة المؤتمر الوطنى غير محدودة بأى شىء .

ويشترك فى عضوية المؤتمر الوطنى :

— اعضاء المكتب السياسى الوطنى .

— اعضاء المجالس التوجيهية فى الاقسام .

— ويدعى أيضا أعضاء الحكومة ، والجمعية الوطنية ، والحكام الاقليميون ، ورؤساء المجالس العامة ، سفراء جمهورية غينيا ، القيادة العليا للجيش الغينى ، مجلس اتحاد العمال الوطنى ، المراقبون الوطنيون لمنظمة «شباب الثـــورة الديمقراطية الافريقية» هيئة الغرفة التجارية ،وأى شخص يرى المكتب السياسى ضرورة دعوته .

وفى الفترة بين مؤتمرات الحزب الوطنية ،يتولى السلطة «مجلس وطنى للثورة» ويتخذ القرارات فى اجتماع مرة كل عام . ويضم المجلس الوطنى للثورة :

— أعضاء المكتب السياسى الوطنى .

— خمسة مندوبين من كل قسم من اقسام الحزب «السكرتير العام — السكرتير السياسى — امراة — اثنان من الشباب» وكذلك نفس الشخصيات التى تدعى للمؤتمر الوطنى ، وقد يعقد اجتماعا طارئا بناء على طلب المكتب السياسى الوطنى ، أو بناء على طلب $\frac{1}{3}$ الاقسام .

ويناقش «المجلس الوطنى للثورة» كل المسائل التى تهم حياة الحزب ، ويحدد الاهداف التى يجب تحقيقها فى الفترة التالية لانعقاده .

أما المكتب السياسى الوطنى الذى يضم ١٧ عضوا من بينهم أمراتان ، فهو ينتخب لمدة ٣ سنوات بواسطة المؤتمر الوطنى للحزب ، وهو السلطة الموجهة للحزب ويجتمع المكتب السياسى ، مرة كل شهر فى جلسة عادية ، وقد يعقد جلسات استثنائية يدعو اليها سكرتيره العام . ويتابع المكتب تنفيذ قرارات المؤتمر الوطنى واللجان ويتخذ كل الخطوات اللازمة لذلك . أما لجانه العاملة والتى يمكن أن تعتمد على كفاءات من غير الاعضاء تدرس المشاكل الخاصة وتعطى نصائح مدروسة .

ـــ ولايجوز انتخاب حكام الاقاليم، والحكمداريين والقضاء اعضاء فى المجالس التوجيهية للحزب .

ـــ ولاينبغى انتخاب شخص فى مجلسين توجيهيين فى نفس الوقت ، وعضو المجلس الاتحادى لايصح أن يكون عضوا فى المجلس التوجيهى .

ـــ واذا ما انتقل عضو من المجلس التوجيهى الى مقر آخر، فان للناخبين فقط حق استبداله ويظل العضو منتخبا ويحضر اجتماعات المجلس الذى انتخب له الا اذا كان النقل لاسباب تأديبية .

ـــ واعضاء المكتب السياسى لهم حق عضوية المجالس الاقل مستوى وله حق حضور جلساتها واعضاء المجلس التوجيهى للقسم بالتالى اعضاء فى اللجان الاساسية فى مناطقهم ويجب ان يشاركوا فى كل اجتماعاتها . وكذلك فى اجتماعات اللجان الخاصة بالمراة والشباب،ويثير هذا التنظيم الضخم الواسع للحزب الديمقراطى الغينى سؤالا هاما عن دور المراة والشباب فى هذا التنظيم ، وهو دور بارز وواضح واساسى بصورة تلفت النظر .

واذا بدانا بالحديث عن قضية المراة الغينية ودورها فى الحزب والدولة ، فنستطيع ان نجد تفسيرات عديدة لهذا الاهتمام بالمراة ، وهى جميعا تؤكد مقدار تشبع قادة الثورة الغينية بالمنهج العلمى فى التحليل والحركة ، وادراكهم لحقائق مجتمعهم الاساسية .

فالمجتمعات النامية (المجتمع الغينى) تمنح المراة بطبيعة بنائها دورا هاما واساسيا . ان نساء أفريقيا ـــ خاصة فى الريف ـــ يؤثرن فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع .. ويشاركن ـــ بنفس قدر الرجال ـــ فى العمل اليومى فى الحقل والسوق والمنزل . بل ويرسمن حدود المستقبل . وليس فى الامكان بناء تنظيم سياسى بدون مساندتهن فالمراة اقل فئات المجتمع تأثرا بثقافات ومثل النظام الاستعمارى ، واكثر فئات المجتمع قناعة واشدها ديناميكية وفعالية فى العمل الثورى لانها اكثر فئاته فوزا بثماره .. ان تعليم المراة وتنظيمها ومساهمتها فى العمل السياسى يعنى نجاح الثورة فى أهم معاركها معارك بناء البشر ، وبناء الجيل الجديد .

والحرية فقط هى القادرة على تفجير الطاقات الخلاقة للبشر . هى الوسيلة لتحريك المراة وبعثها ومنحها قدرات متجددة دائما على العمل وعلى المساهمة فى النشاط الوطنى .

وكان سيكوتورى يرى مساهمة المراة فى العمل السياسى الوطنى ، وتقدمها لاكتشاف مجالات العلم والعمل كلها ، ضرورة ملحة تفرضها ظروف افريقيا وتجعلها تتقدم مجالات النشاط الاخرى كالعمل فى المنزل والمساهمة فى عمليات التبرع ودور الحضانة والمستشفيات . فهذه كلها وغيرها تأتى فى المرحلة الثانية فى جميع الدول النامية ، لتناقضها مع تجميع القوى المنتجة كلها وحشدها للتغلب على المصاعب الاقتصادية .

ولقد تقدمت المراة فى غينيا الرجال فى الصراع ضد الاستعمار ، واستضاف السجن فئات منهن لشجاعتهن فى مواجهة الاستعمار، وتمسكهن بمبادىء الحزب الديمقراطى الغينى وسقطت أخريات صرعى رصاص الاستعمار ، وتعرض غيرهن للطلاق من الازواج الذين خافوا الحزب والثورة ونكصوا عن اهدافها . فاكدن بذلك حقهن فى الحرية وقدرتهن على تحمل المسئولية ، خاصة ومعركة تثبيت الاستقلال ، أشد احتياجا لكل يد منتجة وكل عقل واع .

ولكن تحرير المراة فى غينيا ومساهمتها فى كل مجالات الحياة ، كان يواجه عديدا من العوائق والعقبات .

كان البناء الاستعمارى الاقطاعى الذى فرض على الشعب الغينى صنوفا والوانا من التفرقة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وحصر مزاولة العمل القومى فى أقلية من الناس ميزها طبقا لمصالحه هو، يفرض أيضا تفرقة مماثلة بين الرجال والنساء فيحرم النساء اقل فرص الثقافة والتدريب ،ويحجر على حقهن فى مزاولة العمل القومى ويحرمهن حق التصويت .

وكان هناك أيضا الرجال المتخلفون ، الاباء والازواج الذين استمرأوا منطق الاستغلال والعبودية وارادوا أن يحرموا المراة من حقها كبشر ، وأن ينكروا عليها كفاحها ويخضعونها لنفس المنطق الاستغلالى الذى ثاروا ضده وانتفضوا للقضاء عليه، وكانت هناك التقاليد الاجتماعية المتوارثة ..منطق الزواج بالقوة والقهر .. منطق المغالاة فى المهور تفاخرا بالمال، وهو ماغرسه الاستعمار عندما اشاع المنطق الفردى فى المجتمع ، وجعل القيمة الاولى للمال .

ولم تستسلم الثورة فى غينيا . كانت العزيمة والحاجة الى جهود المراة ، اى الى مساهمة نصف الشعب وتأييده أقوى من كل العقبات .

ووقف سيكوتورى فى أول مؤتمر للحزب بعد الاستقلال يعلن .. «لن يكون للثورة الغينية تأثيرها الكامل ، ولن تطور نفسها بصورة تامة ، اذا ظلت فئة من المواطنين تعيش بعيدا عن حركتنا لاعادة البناء الوطنى .. أن حزبنا وحكومتنا يقفان الى جانب الضعفاء والمتهورين وهذا يشير بشكل واضح الى أن مجال برنامجهما المشترك، وطبيعة تحركاتهما

المختلفة ، تستهدف فى النهاية ، وبصفة خاصة ، القضاء السريع على استغلال الرجل للمرأة »

وربط الحزب نفسه فى هذا المؤتمر ببرنامج من نقطتين ، أحدهما تحرير المرأة ومنحها كل الحقوق والامكانيات للمساهمة فى العمل الوطنى .

وبدأت الحركة تجتاح كل الاجهزة فى غينيا . أصدرت الحكومة قوانين تنظيم الزواج وتقييد الطلاق ، [illegible]هور ، وفتح جميع الابواب أمام تعليم المرأة ومشاركتها فى الحياة السياسية .

وانطلقت لجان الحزب فى القرى تعقد الاجتماعات والمؤتمرات ، وتمارس الاتصالات الشخصية لشرح مغزى تحرير المرأة وضرورتها .. ونظمت حملات لتعليم النساء قيادة السيارات واستخدام الالات والقراءة .. الخ .

ونشطت لجان الحزب النسائية فى تثقيف وتوعية الاخوات اللواتى اقعدتهن سنوات التخلف عن المساهمة فى العمل الوطنى .

وكان ذلك عملا كبيرا وهاما ، ساهم بقوة فى نجاح برنامج الحزب الديمقراطى الغينى لتحرير المرأة واشراكها فى تقرير وتنفيذ كل ما يتعلق بحياة ومستقبل شعبها، وفى ربط التنظيم النسائى بالتنظيم الام ، وهو الحزب .

ولكن التجربة الثورية الهائلة التى حققها الحزب قبل ذلك ، وساهمت أكبر مساهمة فى نجاح البرنامج والتى تعد بحق اضافة جديدة تستحق الدراسة والتأمل تتمثل فى التنظيم الحزبى ذاته ودور المرأة فيه ووصولها الى أعلى مستوياته ، بالاضافة الى اشراكها فى المجالس الاقليمية مما دفع المرأة للمشاركة الفعالة المثمرة فى حياة المجتمع الغينى .

ونفس الاتجاه الذى اتخذه الحزب بالنسبة للمرأة مارسه بالنسبة للشباب ، والذى يحتل أهمية كبرى فى عملية البناء الثورى .. «ففى هذا المنعطف الخطير من تاريخ أفريقيا ، لايعد الشباب مجرد الرابطة الحية بين ماضى القادة ومستقبلها .ولكنهم العنصر الحيوى فى تحقيق أهدافنا العامة كلها فى هذه المرحلة .. عنصر أساسى فى قواتنا الضاربة والناطقين بالامال الحقة لشعبنا السائر فى اتجاه هدف عظيم . انهم يعيدون بناء حضارتنا وقيمنا الثقافية ، ويحققون التطور الاقتصادى والاجتماعى وذلك كما أعلن سيكوتورى »

وكان الشباب فى غينيا يكون مشكلة بالنسبة للعمل الثورى . فالاستعمار أقام نظما تعليمية تضمن بقاءه ، وعمل على ربط الشباب — عن طريق الجهل بوطنهم وتحريك العقد فيهم واثارة التطلعات البورجوازية — بمجتمعاتهم الاقليمية .

فثارت تناقضات حادة بين الشباب تناقضات عرقية قبلية ، وزعت الشباب بين روابط مختلفة متحاربة على أسس قبلية . وتناقضات بين الشباب والفتيات . وأخرى بين الطلبة وغير المتعلمين ، وبين عمال المدن وعمال القرى واستطاع الاستعمار ان يفرق الشباب فى التنافس الرياضى ، والفنى ، وان يبعدهم عن العمل السياسى فترة طويلة ، واستغل هذه التناقضات والانحرافات ليجعل الشباب فى فترة تعبئة الجماهير ضد الاستعمار عنصرا للانقسام وتفتيت وحدة الجماهير .

وكان استعادة الشباب الى الخط السليم وتحقيق الوحدة بينهم وربطهم بالحركة السياسية وبجماهير الشعب قضية أساسية واجهها الحزب الديمقراطى الغينى بحزم وقوة .. وأعلن الحزب طبقا لظروف معينة يكون الشباب فئة اجتماعية لها ميزاتها الخاصة وملامحها ومشاكلها المتميزة . ولكن لابد من التأكيد ، أنه مهما كانت هذه الذاتية ، لايمكن أن ينفصل الشباب عن الجماهير ككل أو تجعلهم عنصرا اجتماعيا معاديا للمصالح العليا للشعب »

وفى مارس ١٩٥٩ عقد المؤتمر الوطنى الاول لشباب غينيا ليعلن ميلاد منظمة «شباب الثورة الديمقراطية الافريقية» لتضم الشباب فى كل غينيا وتوحدهم وتنظمهم فى ٢٠٠ر٧ لجنة محلية ولتبعث بممثليها الى لجان الحزب على جميع المستويات . وليبدأ عمل منظم يربط الشباب بالحركة السياسية ويخلصهم من كل التناقضات والعقد ، ليعودوا قوة ثورية فعالة فى البناء والتشييد .

وهكذا عبأ الحزب جماهير غينيا وقادها الى أقسى المعارك .. معارك البناء والتشييد

التنظيم الاقتصادى والاجتماعى والادارى

وكانت أولى المعارك ، هى معركة الادارة المحلية والقضاء على نظام رؤساء القبائل وبعد صدور القانون الاساسى قبل الاستقلال دعى الحزب الى مؤتمر من الاداريين لمناقشة مشاكل غينيا الادارية ، وكان ذلك عام ١٩٥٧ بعد تشكيل أول حكومة وطنية فى غينيا . وتوصل المؤتمر الى ضرورة منح الجماهير الثقة الكاملة والغاء نظام رؤساء القبائل والتعيين فى المناصب الادارية المحلية ، ليخلفها نظام يقوم على الانتخابات من مستوى القرية الى المستويات الاعلى »

وأعلن سيكوتورى «أن نظام رؤساء القبائل فى غينيا ، والذى كان سلاحا للادارة الاستعمارية لابد أن ينتهى من أساسه . انهم لم يعودوا يمثلون السلطة المعتادة لنظام اجتماعى معين ولكنهم اصبحوا ادوات تنفيذية للادارة الاستعمارية .

وتبنى الحزب سياسة ادارية تقوم على اقامة حكومات محلية فى القرى والمركز وايجاد مجالس منتخبةتمارس العمل الادارى. وانتشر قادةالحزب وكوادره ، بعيدا عن المكاتب والمدن ، فى قلبالريف يعيشون مع الجماهير ويتحدثون معهم ويأكلون الطعام من نفس الاطباق ويشاركوهم رقصة« تام تام» والاغانى الشعبية ويعبئون لجان الحزب ونقابات العمال ومنظمات الشباب والمرأة لشرح وجهة نظرهموتأكيدها فىنفوس الجماهير، مستغلة التناقض بين الجماهير والنظام الادارى القائم .

وفى ديسمبر ١٩٥٧ صدر قانون من ٣ مواد ، يعد من أكثر القوانين ثورية يلغى نظام رؤساء القبائل . وقسمت غينيا الى ٢٥ مركزا يشمل كل مركز بضع فئات من القرى ، وانشئت مجالس منتخبة للقرى والمراكز يشارك كل من بلغ ٢١ عاما فى انتخابها على ان يكون ٢/٣ المجلس من الفلاحين و ١/٣ المجلس من النساء . وينتخب مجلس القرية رئيسا له يكون مسئولا أمامه . ويختار رئيس المنطقة مسئولا عن الامن فى المركز يكون مسئولا ايضا أمام مجلس المركز . ولكل مجلس موظفيه . واستطاع الحزب بهذا النظام ان يحقق اللامركزية فى الحكم ، وأن يعود الجماهير العمل الديمقراطى ويفتح بابا واسعاعريضالممارسة الحزبلمسئولياته وتقويته أى تقوية سلطة الجماهير وتأكيدها فوق كل سلطة فى الدولة .

وكانت المعركة الثانية ، هى معركة تحرير الاقتصاد القومى الغينى ، وتأكيد استقلاله وفتح الباب امام تحويله الى اقتصاد اشتراكى متطور نام .

فبعد الاستقلال مباشرة ، ومنذ اليوم الاول بدأت معظم شركات التجارة والصناعة تخرج رؤوس أموالها منغينيا مماوضع الثورةامام خطر التخلخل الاقتصادى . ورفضت الشركات التى لها احتكار حقيقى فى بعض قطاعات الحياة الاقتصادية ، أن تشارك فى حملات التسويق . فحدت البنوك من اعطاء تسهيلات ائتمانية للمنتجين وهيئاتالتسويق واحتفظت بثرواتها لتجارة التجزئة . وكان على التجار الذين لجأوا الى النقد لانهم نقلوا للخارج مصادرهم المالية المنتظمة ، أن يرفعوا من أسعارهم بنسبة الفائدة والضرائب المفروضة على قروضهم، فى نفس اللحظة التى اتجهت فيها الحكومة الغينية لخفض الاسعار .

وفى أقل من عام انخفضت الدورة النقدية الى اقل من نصف حجمها الطبيعى .

وكان على حكومة غينيا الثورية مواجهة هذه المؤامرة بسرعة . وفى ١ مارس ١٩٦٠ صدر قانون الخروج من منطقة الفرنك وانشاء عملية قومية ، وتمليك القوى المالية للامة والتى كانت حتى ذلك الوقت مملوكة لفرنسا وتستخدم كوسيلة للسيطرة الاقتصادية . وأعلن سيكوتورى أن العملة الغينية الجديدة «مضمونة بمصادرنا الطبيعية ، وبالقوى البشرية لشعبنا .

واعدت خطة للبناء الاقتصادى فى ٣ سنوات يبدأ تنفيذها فى ١ يوليه ١٩٦٠ وتحتاج فى تنفيذها الى ٣٩ الف مليون فرنك غينى . واعلن فى مؤتمر «كان كان» الذى قررت فيه الخطة ان غينيا ستعتمد فى تنفيذها على شيئين :

١ ــ القروض الاجنبية

٢ ــ الاستثمار الشعبى والجهود الذاتية لشعب غينيا .

وتبنى الحزب منذ الاستقلال عام ١٩٥٨ برنامج «الاستثمار الشعبى» ويقوم على أساس تطوع اعضاءالحزب للعملساعاتمعينةلانجاز مشروعات محلية ، مستندين الى قوة عملهم والى خلقهم وابتكارهم . وهى تقريبا نفس فكرة «الحلول الذاتية» فى ج ٠ ع ٠ م

وبعد تقرير هذا البرنامج بدات اللجان تدرس وتقرر . وكانت النتائج مذهلة خاصة فى الريف حيث حولت فكرة الاستثمار الشعبى الى دراسة علمية مفصلة لاحتياجات المناطق المحلية وامكانياتها واولوية هذه الاحتياجات ، ثم بدأت فى عمل منظم عبأت له كل قوى الحزب وكوادره فى الريف . وبينما استطاع الحزب فى كوناكرى مثلا ، أن يقوم بعمليات «تنظيف وكنس» جماعى للطرق ، نفذ الحزب فى الريف اعمالا انشائية كبيرة ، فتم تعبيد ٨٠٦٠ كيلو متر من الطرق ، وبناء ٣٣٥ فصلا مدرسيا ، ٦٧٢ كبرى ، ٢٢٤٠ حديقة عامة ، ٢٨ مصرف رى ، ٨١ مسكنا للموظفين ، ٦٧ مزارع للدولة ، ٢٨ جامعا ، ١٥ مبنى للادارة ، ١٥ سوقا عامة، ٢٫١٠٠ متر من المواسير ، ٨ ادوار حضانة، ٧٦٠٠ متر من السدود ، ٢٢٧ مخزنا تعاونيا ، ٢ معديات ، ٣ ملاعب ، ٣٠٧٠٠ شجرة الى جانب النظافة ..و .. وذلك فى خلال عام واحد .

وتولت لجان الحزب من خلال هذا المشروع تحصيل الضرائب ايضا ، فارتفعت نسبة التحصيل من ٦١٪ أيام الادارة الاستعمارية الى ٩٢٪

ولم يقتصر نجاح هذه التجربة على الانجازات المادية الكبيرة ، بل «تيقن الفلاحون ايضا من خلال الاستثمار الشعبى، أنهم أكثر اهمية من المال، لانهم حققوا جزءا كبيرا من برنامج التطور الاجتماعى والثقافى دون حاجة للمال .

ووضحت هذه الخطة بشقيها الاساسى الحقيقى للتطور الاقتصادى . ولكن السؤال الضخم الذى كان يطرح نفسه ، هو لمن هذا التطور ؟

ولم تتردد القيادة الغينية وجماهير الحزب فى وضع الاجابة صريحة ومحددة . أن هذا التطور لمصلحة الجماهير . «ولابد أن تصبح أدوات الانتاج كلها فى يد القوى المنتجة أى فى يد جماهيرنا العاملة»

وأنعكس هذا الموقف فى تأميم القطاعات الاقتصادية المختلفة ، الماليةو الصناعية والزراعية والتجارية .. ومن أهم الانجازات ما تم فى القطاع التجارى .

فقد اصدرت حكومة غينيا قرارا بتاميم التجارة الخارجية ، وانشاء «المؤسسة الغينية للتجارة الخارجية» لتحل محل التجار الراسماليين الاجانب الذين أحتكروا من قبل استيراد كل احتياجات غينيا، وتصدير كل منتجاتها . وبموجب انشاء هذه المؤسسة ، اصبح للدولة السيطرة الكاملة على الاستيراد. واصبح على كل مستورد الحصول على تصريح استيراد ، وهو لايمنح الاذن الا بعد موافقة مؤسسة التجارة الخارجية على البضائع ، والتى ينظم استيرادها بواسطة المعاهدات التجارية . وتتم عملية الاستيراد بواسطة المؤسسة وبعد وصول البضائع المستوردة ، يتم توزيعها بين المؤسسة والمخازن التقليدية طبقا لقواعد ثابتة . ففى حالة القمح ، والسكر والبيرة ، والاسمنت ، تتولى المحال العامة توزيع ٦٠٪ منها ، بينماتختص المؤسسة بنسبة ٤٠٪ منها وفى حالة البضائع الاخرى توزع المحال العامة (القطاع الخاص) ٧٠٪ والمؤسسة ٣٠٪ وتبيع المؤسسة حصيلتها من خلال الهيئات الادارية والجمعيات التعاونية ، ومحال البيع ذات الاسعار المناسبة . ولاهتمام الحزب بعدم استغلال القطاع التجارى للجماهير فى بيع المواد الغذائية كالارز ، تتولى فروع الحزب والتعاونيات بيعه للجمهور دون تدخل من المصالح التجارية .

وانشأت غينيا ٩ شركات متخصصة لاستيراد الملابس ومواد البناء ، والمواد الزراعية والمواد الغذائية والكتب والادوات الفنية والادوية والمواد البترولية وبيعها فى السوق المحلى ، وشركة خاصة لشراء المنتجات الغينية من السوق المحلى وتصديرها للخارج ، والسهر على تنفيذ برامج التصدير الموضوعة .

وهذه السيطرة الواسعة على التجارة ، تعد أكثر المشروعات التجارية تقدما فى افريقيا (السوداء) كلها ، فى القضاء على احتكار التجارة الذى مارسته الاقليات الاجنبية الموجودة والمكونة من الفرنسيين واليونانيين والسوريين واللبنانيين . فهؤلاء فرضوا سيطرة كاملة على التجارة فى غرب افريقيا (وفى غينيا) واستفادوا من حاجة المزارعين الى القروض لجعلهم فى حالة دين دائمة وفرض الاسعار التى يريدونها للبضائع . وكان دخول الدولة والحزب الى السوق عن طريق التأميم وتوزيع نسبة ٣٠٪ من البضائع على الاقل ، وسيلة ناجحة فى تحكم الدولة فى التجارة الداخلية أيضا وفى فرضها الاسعار المناسبة المعقولة .

وكانت المعركة الثالثة بعد معركة تحرير الاقتصاد وتمليكه لجماهير العاملين ، هى معركة ديمقراطية الانتاج ووضع سياسة جديدة للاجور .

وتاكيدا للديمقراطية داخل المشروعات المؤممة ولاسلوب الادارة الجماعية . قررت الحكومة الغانية انشاء مجالس للعمال فى الشركات المملوكة للدولة تسمى «مجالس الادارة الجماعية» وتنتخب من بين العمال لمدة عام ، وتتساهم فى عملية الادارة الى جانب الادارة الفنية الموجودة . ويشارك هذا المجلس فى تحديد قواعد العمل والتنفيذ الصحيح للوائح العمل وفى دراسة قضايا تطوير العمل واعداد برامج الانتاج ، ويقوم بالرقابة الدائمة على ادارة المشروع ويحدد المجلس أجرا لكل عامل فى المشروع طبقا لمهارته الفنية ، بما يضع حدا نهائيا للشكوى وللاوضاع غير العادلة .

وقد حددت غينيا أساسا جديدا للاجور ياخذ فى اعتباره رزق العامل ، ومقدرته الانتاجية وتحقيق حد أدنى طيب من مستوى المعيشة . ويهدف تخفيض النسبة بين اقل أجر واكبر اجر فى الدولة من ١ : ٢٠ لتصبح من ١ : ١٠ ، وهو هدف كبير مازال فى طور التحقيق .

وهكذا حققت غينيا بانتصارها فى هذه المعارك السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المختلفة التى واجهتها، تجربة ثورية هامة فى أفريقيا كانت أهم نتائجها وأعمقها هو تقديم نموذج رائع للتنظيم السياسى الشعبى وللمعجزات التى تستطيع تحقيقها الجماهير عندما تمنح الثقة وتسلم المسئولية كاملة فى أطار تنظيمى صحيح ، وعندما تدار شئون الثورة على أساس واضح من الاسلوب والمنهج الاشتراكى العلمى ، الذى يأخذ فى أعتباره حقائق المجتمع وواقعه لا ليجمد الحركة ويوقفها ، ولكن لينطلق من هذا الواقع الى آفاق رحبة متقدمة ، تحقق للمجتمع ، ولجماهيره العاملة حياة افضل أساسها العلم والحرية المنظمة ، والتوزيع العادل للثروة ولعائد الانتاج .



تواصل الطليعة نشر مايرد اليها من آراء حول مقال الدكتور عصمت سيف الدولة حول قضية الاشتراكية والوحدة فى الوطن العربى الذى نشر فى عدد فبراير ١٩٦٦ . وننشر فيما يلى مقال لامين يسرى — احد الدارسين بالمعهد العالى للدراسات الاشتراكية — ، معبرا من وجهة نظره فى هذا الموضوع



الاشتراكية والوحدة فى الوطن العربى

آمين يسرى

طالعنا فى عدد شهر فبراير من مجلة الطليعة مقالا حول الوحدة والاشتراكية فى الوطن العربى تميز بأمرين هامين :

الامر الاول: استخدام كلمات الوحدة والاشتراكية وكانها مجرد الفاظ وقوالب خالية من مضمون علمى او كانها شىء بعيد عن الواقع صنع خصيصا ليطبق فى فراغ .

الامر الثانى : استخدام مقدمات تنتهى فى الظاهر الى نتائج تبدو لاول وهلة وللنظرة غير المتعمقة وكانها صحيحة .

وحتى نكون منصفين مع الدكتور عصمت سيف الدولة — صاحب المقال — فلا مناص من تلخيص سريع وموجز للمقال يتضمن ايضاحا لهذا الذى اشرنا اليه فيما سبق .

وضع الاستاذ صاحب المقال المقدمات التالية **(ونحن نتفق فيها مع سيادته تماما)** . .

● الدولة فى معناها الدستورى والدولى لاتختلط بالنظم الادارية التى قد تاخذ اشكالا منوعة داخل الدولة الواحدة . كما ان قيام الدولة الواحدة لايعنى اخضاع كافة الاقاليم او الولايات أو الاقطار .. اياكانت تسميه الوحدات الادارية الداخلية لنمط موحد من القوانين او النظم فى الادارة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو المال أو حتى القضاء .

● وحدة الدولة لا تتأثر بما اذا كانت دولة بسيطة تديرها حكومة مركزية واحدة ام دولة اتحادية فيدرالية تقوم بجوار الحكومة المركزية فيها أجهزة ادارية تختص ببعض السلطات تمارسها فى الولايات أو الاقاليم التى تقوم فيها .

● من المتفق عليه ، امكان بنــاء الاشتراكية فى اى مجتمع مهما كانت درجة تطوره الاقتصادى بدون حاجة الى المرور بالطريق الراسمالى .

هذه هى المقدمات التى وضعها الاستاذ الدكتور وانتهى منها الى ان «اختلاف درجة النمو الاقتصادى فى اجزاء الوطن العربى ليست مانعا من الوحدة ذات المضمون الاشتركى» . واضح ان المقدمات صحيحة . وواضح ايضا ان النتيجة تتفق فى الظاهر مع المقدمات . لكن بقليل من التعمق تتضح النتائج التى جانبها الصواب ويريد الاستاذ سيف الدولة ان يدفعنا اليها دفعا .

فان تتحد دولة عربية مع دولة كالجمهورية العربية المتحدة مثلا رغم اختلاف درجات النمو الاقتصادى وان تكون الوحدة ذات مضمون اشتراكى امر ممكن ولكن .. بشروط :

١ ـــ ان تكون القوى ـــ صاحبة المصلحة فى التحول الى الاشتراكية ـــ فى السلطة وفى الاتجاه الاشتراكى .

٢ ـــ ان يكون النظام الاقتصادى فى اقاليم الدولة او وحداتها الادارية كافة نظاما اشتراكيا .

لو كان الاستاذ الدكتور يقول بذلك لوافقناه فورا .. وبغير تردد . لكنه يقصد شيئا اخر مختلفا تماما : انه يقصد امكان قيام الوحدة رغم اختلاف ـــ لادرجات **النمو** الاقتصـــادى ـــ بل **النظـــم** الاقتصادية المطبقة فى اقاليم الدولة المتحدة . وفرق كبير بين درجات النمو وبين النظم . لان الدرجات تعنى فروقا فى الاتجاه الواحد بينما النظم تعنى انواعا من علاقات الانتاج تختلف عن بعضها اختلافا بينا . كما ان عبارة «النمو الاقتصادى» لاتعنى اكثر من «مستوى المعيشة» . وشىء آخر اساسى ان النمو الاقتصادى فى بلـــدين قد يكون متساويا لكن النظام الاقتصادى المطبق قد يكون مختلفا تماما . فدرجة النمو الاقتصادى فى بلد كلبنان ـــ وهذا فرض جدلى بحت ـــ قد يتساوى مع درجة النمو الاقتصادى فى الجمهورية العربية المتحدة ، لكن لبنان يسير على النظام الراسمالى بينما الجمهورية العربية المتحدة فى سبيل التحول الى نظام اشتراكى .

اى ان الاستاذ صاحب المقال يقول انه فى الامكان قيام وحدة بين دولتين احداهما فى اقليمها تطبق نظاما راسماليا والثانية تطبق نظاما اشتراكيا . وقبل الاستطراد نود اولا ان نثبت على الاستاذ الدكتور انه يقصد ذلك بالنص وبالتحديد خشية ان يتهمنا باننا قد حملنا معانى كلماته اكثر مما تحتمل واننا نتجنى عليه . ولذلك نحيل على الفقرات الواضحة الصريحة فى مقاله وعلى الاخص مايلى:

● تاكيده على انه لا يوجـــد ترتيب زمنى بين الاشتراكية والوحدة . وان «الواو» واو معية !! (انظر الفقرة الاولى من العامود الايمن من صفحة ٦٢ من عدد فبراير ١٩٦٦)

● التركيز على ان ـــ وحدة الدولة لا تتـــأثر باختلاف **النظم الاقتصادية** فى الولايات او الاقطار او الاقاليم اياكانت تسميه الوحدات الادارية الداخلية (انظر الفقرة الرابعة من العمود الايمن ص ٦٢ من عدد فبراير) .

وحتى يرتاح الاستاذ الدكتور فاننا بادىء ذى بدء نقول راينا فى وضوح وباصرار ان ترتيب الحرية والاشتراكية والوحدة هو ترتيب زمنى لازم ليس لان الحرية والاشتراكية والوحدة معطيات جامدة منفصلة بعضها عن بعض كالحجارة يرص الواحـــد منهـــا اثر الاخـــر ـــ فحاشـــا لله ان نستخدم هذا المفهوم الذى استخدمه هو نفسه ـــ رغم استنكاره لهذا الاستعمال وهذا الفهم ـــ وهذا مما يجعلنى فى حيرة من امره ـــ بل لان كل كلمة من هذه الكلمات لها معنى ولها مفهوم بحكم المنطق من غير الممكن تطبيق احداها قبل الاخرى .

وسؤال بسيط نطرحه على انفسنا وعـــلى الاستاذ الدكتور :

هل كان من الممكن فى ظروف مصر فى اى فترة منذ عام ١٨٨٢ الى عام ١٩٥٤ ـــ رغم تسليمنا وموافقتنا الكاملة على امكان بناء الاشتراكيـــة فى اى مجتمع مهما كانت درجة نموه وتطوره الاقتصادى ـــ لكن فى ظروف الاحتلال الاجنبى ووجود ٨٠ الف جندى بريطانى منتشرين ومتمركزين باسلحتهم وعدوانهم فى كل شبر من ارض مصر ان نتجه الى الاشتراكية ؟ ؟ . واضع الف علامة سؤال وعلامة تعجب !!

لااتصور ان الاستاذ الدكتور يختلف معى او مع غيرى او مع نفسه فى القول بان هذا كان غير ممكن على الاطلاق اللهم الا فى حالة واحدة هى .. طرد الانجليز من بلادنا اولا وقبل كل شىء . اى الحصول على الحرية بمعنى الاستقلال الوطنى . اللهم الا اذا كان الدكتور سيف الدولة يمكنه ان يتصور انه كان من السهل اقناع الانجليز بان يسمحوا لنا بالاتجاه الى الاشتراكية ويكونوا كراما الى حد مساعدتنا على ذلك بتقديم المساعدات والقروض غير المشروطة ومدنا بالمصانع وادوات الانتاج والاموال اللازمة لعملية التنمية ويقومون متطوعين باغلاق مصانع القطن فى لانكشير وياذنون لنا بالقضاء على الاقطاع وراسمال المال .

لو اتفق معنا الدكتور سيف الدولة على ذلك ـــ ولااخاله الا موافقا ـــ لكسرنا معا اول حلقة من

حلقات بناء مقاله ولكان معنى هذا انه بالنسبة للحرية فانه ترتيب زمنى . فلا يمكن تطبيق نظام اشتراكى الا بعد مرحلة الثورة الوطنية اى بتحقيق الاستقلال .

وبالمثل لايمكن تحقيق الوحدة قبل التحرر . ولكن يمكن قيام الوحدة والانتقال الى النظام الاشتراكى بعد خروج المستعمر . ولن استطرد .. المهم ان اؤكد انه من وجهة نظرى ان المسالة بالنسبة للحرية مسالة ترتيب زمنى .. اقولها وباصرار .

لكن الاستاذ الدكتور قد يضع لنا عقبة جديدة ويقول .. «بسيطة .. انا أتكلم عن الوحدة والاشتراكية وانه نسى تحقق الاستقلال الوطنى بمعنى خروج المستعمر من البلاد فانه يمكن قيام الوحدة والاشتراكية معا . وتبقى الواو واومعية»

والاستاذ الدكتور قالها فعلا فى مقاله وبرر ضرورة قيام الوحدة ذات المضمون الاشتراكى بما يلى :

اولا : «فى الوطن العربى دول لو استطاعت (ومن عندى اضع تحت كلمة **((لو))** خط عريض) الجماهير فيها (واضع ايضا تحت كلمة **((الجماهير))** خط اخر اعرض) ان تسقط الرجعية وان تتولى السلطة لوجدت الجماهير المنتصرة نفسها غير قادرة على الحياة خارج الوحدة (لماذا) يستطرد الكاتب الا اذا مدت ايديها الى الاستعمار تطلب معونته او تصالحت معه لتأمن بطشه اى لدفعتها العزلة مرة اخرى الى ذات المواقع لتى كان فيها اعداؤها .

ثانيا : ان الوحدة شرط لازم لاتمام البناء الاشتراكى فالنضال فى سبيل الوحدة اصبح نضالا فى سبيل الاشتراكية .

وملاحظاتى على هذه الاسانيد هى كما يلى :

● ان كلامه هذا يؤكد ماذهبنا اليه من ان الحرية اولا . فالحالة التى يذكرها تؤكد هذا فهو يتصور دولة فى الوطن العربى استطاعت الجماهير فيها ان تستولى على السلطة وان تسقط الرجعية . وعندما وضعت تحت كلمة « لو » استطاعت وتحت كلمة «الجماهير» خطوطا لكى ابرز ان معنى الجماهير هنا واستيلائها على السلطة يفيد اهمية تحقق الحرية السياسية والاجتماعية معا (والواو واو معية) . وعندما يحدث ذلك يكون باب التحول الى الاشتراكية قد انفتح على مصراعيه .

● وعندما يحدث ذلك فان قيام الوحدة يكون مهما من اجل الحفاظ على المكاسب ومن اجل البناء الاشتراكى . ولكنه لايكون امرا حتميا بمعنى انه فى حالة كهذه الحالة لو لم تتحقق الوحدة فانه ليس مؤدى ذلك **بالضرورة** انتضطر الجماهير التى استولت على السلطة الى ان تمد يدها الى الاستعمار تطلب معونته . فالطليعة الثورية فى مصر عندما استولت على السلطة كان اول ما فعلته هو طرد الاستعمار لاطلب معونته. وعندما بدات عملية التحول الى الاشتراكية ايضا لم يخطر ببالها قط ان تمد يدها الى الاستعمار تطلب معونته او تصالحت معه لتأمن بطشه . لماذا ؟ لانها ادركت فعلا انطلاقا من فهمها للاستعمار ان الاخير لايمكن الا ان يكون حربا عليها ومن هنا راحت بالتفاعل مع كل القوى التحررية والثورية تكسر بها ومعها احتكار السلاح ثم احتكار القروض والمساعدات والخبرات الفنية من اجل التنمية دون ان يفقدها ذلك اى قدر من حريتها واستقلالها .

● بل وهو الاهم انه كان خطرا كل الخطر على الثورة الاجتماعية أن تتحد مع دولة عربية اخرى تطبق نظاما اقتصاديا يختلف عن النظام الاقتصادى (الاشتراكى) الذى آمنت القيادة المصرية الثورية أنه هو الطريق الوحيد الموصل الى التنمية ومن ثم الى امكانية العدل فى ظل الرفاهية .

وهذه هى بالضبط تجربة الوحدة بين مصر وسوريا . فعندما تحققت الوحدة عام ١٩٥٨ — ولست هنا اقيم هذه التجربة — كان النظام المطبق فى كلا الاقليمين لايزال فى مجموعه هو النظام الراسمالى — او على الاقل لم يكن نظاما اشتراكيا فى اى منهما — وكان هناك اختلاف فى درجات النمو والتطور الاقتصادى . فبينما كانت الراسمالية التجارية هى السائدة فى سوريا وانكانت قد بدات تتحول الى الراسمالية الصناعية نجد ان الراسمالية الصناعية كانت قائمة وقتئذ فى مصر وقطعت شوطا غير بعيد . وكانت راسمالية صناعية محلية — اذ كانت قوانين التمصير قد صدرت عام ١٩٥٧ — ومع كل هذا كان من الصعب تحقيق اندماج اقتصادى كامل بين شطرى دولة الوحدة . واظن ان الاستاذ الدكتور يتذكر ان نظام الجمارك كان قائما بين اقليمى الدولة .

فكان المسافر الى دمشق يتعرض لاجراءات جمارك الاقليم المصرى ثم عندما يصل الى الاقليم السورى يتعرض لنفس الاجراء وعند العودة يتكرر ذلك .

هذا اولا .. وثانيا : عندما صدرت قرارات التاميم عام ١٩٦١ قاومتها الرجعية السورية حتى اسقطت تجربة الوحدة كلها واعادت التجزئة .

● اضافة الى ذلك . لست اتصور قيام وحدة يكون فيها اقليم احد الدولتين المتحدتين يسير فى نظام راسمالى والثانى يطبق النظام الاشتراكى . ولايمكنى ان اتخيل رئيس الدولة فى هذه الحالة يوقع مرسوما اجابة لطلب اقليم يكون مؤداه تسهيل عملية احتكار راسمالى او السماح لرؤوس اموال اجنبية بالعمل فى هذا الاقليم ، ثم يوقع فى اليوم التالى مرسوما جمهوريا بناء على طلب الاقليم الثانى يقضى بتاميم صناعات احتكارية . الاقليم الذى يطبق النظام الراسمالى يكون بالضرورة وحتما يرتبط اصحاب رؤوس الاموال فيه بالاستعمار . والاقليم الذى يسير على نظام اشتراكى يكون بالضرورة وحتما عدوا للاستعمار يسعى للقضاء عليه اينما كان . وفى هذه الحالة — وان قامت وحدة بين الاقليمين فيدرالية اوكونفدرالية اوبسيطة — فان «الانفصال» يكون هو النظام الذى يحكم هذه الوحدة !

والسؤال اذن ، متى يمكن ان تقوم وحدة حقيقية ويكتب لها الحياة ؟

من كل ماسبق لابد من القول بضرورة توافر شروط رئيسية هى :

اولا : خروج الاجنبى من الاقليمين اى الحرية اولا .

ثانيا : استيلاء الجماهير — صاحبة المصلحة فى التحول الى الاشتراكية — على السلطة وسيطرتها سيطرة كاملة من اجل التحول الى الاشتراكية ثم الانفتاح على طريق التنمية الاشتراكية .

واذا اتفق معى الاستاذ الدكتور على ذلك فان مؤدى هذا انه لابد لتحقيق الوحدة من تعدى مراحل . مرحلة الحرية اولا ثم مرحلة الاستيلاء على السلطة بواسطة الطبقة او الطبقات صاحبة المصلحة فى التغيير والسيطرة عليها بعد القضاء على تحالف الاقطاع مع راس المال المستغل ثانيا .

اى ان هناك ترتيبا زمنيا يفرض نفسه بالضرورة

هذا مع اضافة اخرى وهى : انه وحتى فى هذه الحالة المذكورة :

● الوحدة ليست بالضرورة حتمية هنا . وان كانت مهمة .

● ان اختلاف درجات التطور والنمو الاقتصادى فى كل اقليم — مالم يكن هناك تماثل او على الاقل تقارب فى درجة النمو — يجعل الاقليم — الاكثر تطورا بالنسبة للاقليم الثانى — يتحمل مصاعب عملية التحول فى الاقليم الثانى — الاكثر تخلفا — . واقول هذا من باب التزيد . فما كنت ارغب ان اخوض فى مشاكل مثل هذه التجربة انما رغبت فقط ان اشير الى ان الوحدة ليست بالضرورة فى هذه الحالة حتمية وليست شرطا لازما يمثل مايصر الدكتور عصمت سيف الدولة فى مقاله (انظر السطر الاخير من العمود الايسر من ص٦٦ فى عدد فبراير) .

بقيت نقطة واحدة : عندما كتبت ردى هذا تحاشيت قدر الاستطاعة الاستناد الى كلمات زاخرة بالمعانى القيمة للمناضل الرئيس جمال عبد الناصر او كلمات من الميثاق خشية ان يقال انى اتستر وراء عبارات لها قدرها بحكم الذى صدرت عنه وموقعه من نفوسنا . لكنى لم استطع وانا اتعرض لنقاش فى موضوع يدور حول قضية مصيرية ان اغفل كلمات رائدة للمناضل الثورى الاشتراكى جمال عبد الناصر فى حديثه مع الصحفيين العراقيين يقول : « .. فى رايى ان الوحدة الوطنية يجب ان تسبق الوحدة العربية . وفى رايى ان الوحدة السياسية يجب ان تسبق الوحدة الدستورية والا اذا لم تقم الوحدة الوطنية فى كل بلد من البلدين واذا لم تقم الوحدة السياسية بين البلدين تكون الوحدة الدستورية معرضة لخطورة اكبر » وفى موضع اخر تحدث السيد الرئيس عن «المتناقضات» التى قد تعيق الوحدة اذا قامت . وتحدث بالذات عن تجربة الوحدة المصرية — السورية .

وعلينا ان نتعمق فى فهم هذه الكلمات . ولااخال الرئيس وهو يتكلم عن الوحدة الوطنية الا معبرا مما ورد فى الميثاق بشان تحالف قوى الشعب العامل هذا التحالف الذى يجب ان يقوم ليكون

البديل الشرعى عن التحالف غير المقدس بين الاقطاع وراس المال . وعندما يتحقق هذا التحالف تكون الوحدة الوطنية قد تحققت . وكذلك عن الوحدة السياسية التى هى انعكاس للاوضاع الاقتصادية بعد ازالة التناقضات التى قد تعوق الوحدة اذا قامت .

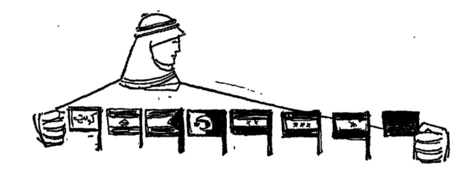
هذا هو التمهيد اللازم لقيام الوحدة . وبهذا وحده نضمن الوحدة السليمة التى تمثل النموذج الطيب للوحدة العربية .

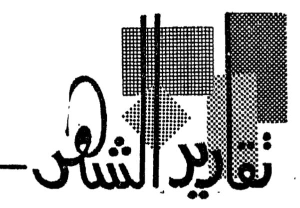
كنت احب ان اقف عند هذا الحد ولكن مقال الدكتور عصمت تضمن اشياء اخرى تحتاج الى بحث اجد نفسى عاجزا عن اغفالها الا وهى معنى الوحدة العربية كما وردت فى مقاله :

يقول الاستاذ الدكتور: «يسهل على الذين يدركون تاريخ امتهم ادراك ما تعنيه بان الوحدة العربية الغاء للتجزئة . اذ لم يحدث فقط منذ ان تم تكوين الامة العربية فى ظل الاسلام ودولته — الى ان تمزق الوطن العربى دولا بعد الحرب العالمية الاولى — ان قامت فى اى مكان من الوطن العربى دولة مستقلة .. وينتهى الاستاذ الدكتور الى هذه الحقيقة الخطيرة : «.. اذن **فالوحدة العربية عودة الى الدولة الواحدة وليست انشاء جديدا لدولة واحدة ..**» هذا كلام الاستاذ الدكتور وليس كلامى ! وانى اخالف الاستاذ الدكتور فيه على طول الخط . ان الدولة الواحدة التى نسعى لانشائها دولة جديدة وليس رجوعا للوراء وعودة للدولة الواحدة التى قامت فى ظل الخلافة .

ان مفهوم الدولة الواحدة الذى ينشده الاستاذ الدكتور مفهوم رومانسى زال اوانه . لم يعد الحماس الزاهى ولا التغنى بأمجاد ماضيه لغة الثوريين العرب فى الدعوة للوحدة العربية . ان مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحى للوحدة العربية ودفعت به خطوة كبيرة الى مرحلة اصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة .

وانى اقتبس من الميثاق قوله : ان التقاء القوى التقدمية الشعبية على الامل الواحد فى كل مكان من الارض العربية وتجمع القوى الرجعية على المصالح المتحدة فى كل مكان من الارض العربية هو دليل على الوحدة اكثر منه دليل على التفرقة» اى هناك على اليسار قوى شعبية طال حرمانها مطلوب منها ان تتجمع على الامل الواحد وهناك على اليمين على الضفة الاخرى قوى مستغلة ظالمة تتجمع على المصالح المتحدة مطلوب مقاومة وتصفية تجمعها وتحالفها . فالوحدة المطلوبة هى وحدة القوى التقدمية الشعبية على الامل — ليس فى استعادة امجاد مضت — بل فى اقامة مجتمع الكفاية والعدل . وعلى هذا فان وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الامة العربية هى المحرك الاساسى لخطواتها وتنسيقها عبر الحدود المصطنعة مستفيدة بكل ما فى تراثنا القومى الاصيل من ايجابيات» .





* بداية الربيع .. فى حياته السياسية
* وحدة عمل مؤتمرات القمة : هل تستمر ؟
* « انديرا » تحارب فى ثلاث جبهات
* اصابة مباشرة فى قلب حلف الاطلنطى
* اندريه مالرو : الثورات الهمنه كل ما كتب

■ **السويس**

استراتيجية النفس الطويل

اعتاد الرئيس جمال عبد الناصر ان يطرح على جماهير الشعب أهم قضايا الساعة بصراحة ووضوح كاملين ، ففى الخطاب الذى ألقاه فى السويس بمناسبة افتتاح ثلاثة مشروعات كبيرة ، وهى مشروع تفحيم المازوت ، ومشروع زيوت الماكينات ومحطة الكهرباء الجديدة (تكلفت حوالى ٤٧ مليونا من الجنيهات) ، فى هذا الخطاب ، ادار الرئيس حديثا صريحا ومستفيضا حول القضايا الرئيسية فى سياسة بلادنا فى الداخل والخارج . فبدأ كلامه بتأكيد اهمية بناء الاساس المادى اللازم لاقامة الاشتراكية ، التى تعنى فى المقام الاول تصنيع البلاد . ولهذا فقد استثمر خلال العشر سنوات الماضية مايزيد من ١٠٠ مليون جنيه فى الصناعة البترولية والكيماوية لوحدها . وبالطبع لم يكن هذا ممكنا الا بعد تأميم شركة شل وشركة آبار الزيوت ، ومصنع عبود للسماد الذى كان « يمثل الرجعية الرأسمالية » ونقل ملكية أدوات الانتاج للشعب . مما جعل الصناعة والعمل متوافرين فى كل مكان ، واوضح الرئيس عبدالناصر انه عندما شعر الشعب بنفسه « استطاع فى سنة واحدة انه يطلع الانجليز مرتين » وكان هذا بداية تاريخنا الجديدة .. ده بداية تاريخ ثورتنا وده اللى مكنا من إن احنا نغير فى وضع بلدنا » وكان هذا هو طريق البدء فى تحويل المجتمع من راسمالى اقطاعى رجعى الى مجتمع اشتراكى تقدمى » . ولتحقيق هذا لابد من نجاح خطة التنمية ونجاح الثورة الصناعية ، فالصناعة هى سبيلنا الوحيد لبناء بلدنا فى المستقبل لان الزراعة عندنا امكا·

محدودة . ونجاح خطة التنمية يستدعى رفع مستوى معيشة الجماهير العاملة ، لانها صاحبة المصلحة الاولى فى نجاحها ، كما انها تتحمل العبء الاساسى فى تنفيذها وهذا عكس المجتمعات الرأسمالية الارباح كلها تروح للرأسماليين اللى أقاموا المصنع وبذلك تتراكم الثروة عندهم فى الوقت اللى العامل فيه مايكونش لاقى ياكل ولا لاقى يسكن .

واوضح الرئيس ان طريق التنمية ليس طريقا سهلا لان احتياجات المواطنين فى نمو مستمر ، فى الوقت الذى لابد فيه من أن نصدر لكى نتمكن من استيراد احتياجاتنا . ولهذا لابد من نوع من التضحية ببعض المطالب العاجلة والثانوية « اذا كنا مش عاوزين بلد يكون شعبها مجموعة من العاطلين او المستعبدين» حتى نضمن بقاء الثورة واستمرارها ونتمكن من القضاء على كافة مخلفات الماضى ، ونضمن الانتقال الى المجتمع الجديد . ونبه الرئيس الى مقاومة الطبقات المخلوعة واستغلالها لاوجه القصور الموجودة وتضخيمها للمشاكل التى تعترض طريقنا بأمل اعادة الاستغلال مرة أخرى . واشار الى وجود طبقات جديدة نشأت واستفادت من الاوضاع الجديدة وأصبح « عندها تطلعات .. **وانا باقول النهارده ان الراسمالية الوطنية وقطاع الراسمالية الوطنية فى بلد كبر من سنة ١٩٦٠ اكبر مما نتصور .. ازاى .. كل التنمية وكل التجارة وكل الخطة .. قطاع الراسمالية الوطنية بيزيد وبتنزل فى ايده فلوس كتير .. بعض الناس من هذا القطاع عنده تطلعات انه عايز يكون فى وضع طبقى متميز زى ماكانت طبقة الراسمالية وطبقة الاقطاع موجودة فى الماضى هو يمكن قبل كده ماكانش عنده حاجة والنهارده شايف ان الظروف ساعدته ومكنته من انه يعمل ثروة .. عايز يعمل راسمالى وبالطبع لاينظر الى المجتمع الاشتراكى نظرة طيبة ولا نظرة**

وأكد الرئيس اننا لايمكن أن نعود الى الوراء واننا لابد أن نبنى الاشتراكية كاملة ولن تنجح محاولات العملاء ، فقد فضح الشعب الاخوان المسلمين ، ولقطع الطريق على هؤلاء وأمثالهم يجب « ان احنا نتسلح بالوعى وكل واحد منا من الشعب العامل من العمال والفلاحين والمثقفين من الجنود والضباط كل واحد من الشعب العامل يكون سياسى » وان اى مجموعة صغيرة مهما بلغ ولاؤها لايمكن أن تنهض بكل العبء ، فجمال عبد الناصر « له عينين اثنين وايدوبك يقدر .. يعنى .. عنده فى اليوم ٢٤ ساعة مايقدرش يشتغل اكثر من كده ولا يشوف أكثر من كده » مما يستدعى مشاركة جادة من أوسع جماهير الشعب .

واكد الرئيس ان الثورة مستمرة « فيه ناس مفتكره ان احنا اما شلنا الاحكام العرفية سنة ٦٤ يعنى انتهت الثورة .. ماانتهتش الثورة فيه ثورة وفيه مجلس ثورة مستمر الى ان تحقق هذه الثورة كل اهداف هذا الشعب » . وفى اليوم الذى تفقد فيه الثورة استمرارها سينقض « الباشوات والبهوات السابقين والامراء والاميرات » الاحتياطى الرجعى سينقضون على مكاسب الشعب ويقولون أموره من جديد وهذا أمر لن نسمح به مطلقا .

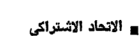
وقال الرئيس اننا لانعمل فى فراغ معزولين عن العالم و « النهارده ابرز مافى العالم ان هناك تربص من الاستعمار وهناك فرصة بيتصورها مواتية لمواجهة حركة الثورة الوطنية خصوصا فى البلاد المتخلفة ، البلاد حديثة الاستقلال » وآخر هذه المحاولات الاستعمارية هى الدعوة للحلف الاسلامى ، الذى تجند اسرائيل كل امكانياتها للدفاع عنه . ولكن هذا الحلف مات قبل مايقوم لان النهارده اللى بيؤيدوا العملية اثنين شاه ايران .. والشيخ بورقيبه » .

والاستعمار واهم اذا اعتقد ان الفرصة مواتيه لذلك « فلن تعود القوى الرجعية الى التحكم فى العالم العربى » مهما استغلت اسم الدين . لان الذين ينهبون أموال المسلمين « ملحدون » فالالحاد هو « سف اموال المسلمين .. الالحاد هو الاستبداد بالمسلمين .. الالحاد هو استغلال المسلمين .. وليست القضية قضية الحاد واسلام » ، الموضوع حقوق الناس حقوق المسلمين بيحولوا القضية ويقولوا القضية الحاد واسلام وقضايا روحية وقضايا مادية .. هجص .. هاتهجصوا على مين الناس عقلت .. الناس بتفهم » فالاسلام هو العدل

وقال الرئيس انه مازال هناك بقية من أمل فى العمل العربى الموحد « ولكن اذا استمرت القوى الرجعية العربية فى عملها يبقى لابد أن يكون هناك قرار لانطلاق لقوى الثورة العربية » .. وانا باقول احنا تقريبا على وشك ان احنا ناخد قرار فى هذا الموضوع اذا استمر التكتل الرجعى وتحالف الرجعية مع الاستعمار ، لاننا لايمكن ندخل معركة موحدة مع هؤلاء . واكد الرئيس مسئولية الجمهورية العربية تجاه العمل الثورى فى البلاد العربية ، فقد أرسلت قواتها الى العراق ، والى الجزائر والى اليمن لحماية الثورة هناك من مؤامرات الرجعية والاستعمار . وفى اليمن عندما وصلت الامور الى حافة الصدام مع السعودية لاصرارها على تمويل البدر وقواته المرتزقة ، آثرنا ان ندعو للسلام لا الاستسلام ، ولكننا لم نتوقع أن يتم تنفيذ اتفاقية جده بالطريقة التى تنفذ بها حاليا ولن نتخلى عن ثورة اليمن وعن شعب اليمن ، ونسلمه لفيصل ، ولو استدعى الامر بقاءنا عشرين عاما ، وسيكون لنا استراتيجية جديدة « هى استراتيجية النفس الطويل » ومن سيتدخل فى اليمن سنضربه « قواعد العدوان مش هانسيبها هنضربها ــ ولو حد عدا حدود اليمن ودخل الى اليمن بأسلحة ــ قواعد الاسلحة وقواعد العدوان هاتنضرب » .

وفى ختام خطابه ، الذى استغرق أكثر من ساعتين ، أكد الرئيس استعدادنا فى سبيل بناء بلدنا وفى سبيل الثورة العربية الشاملة ، للتضحية بكل غال ، فهذه مسئولية الجميع ، وهذا هو طريق ضمان نجاح الثورة العربية وهزيمة الرجعيا والاستعمار وعملائه .

●



■ الاتحاد الاشتراكى

بداية الربيع .. فى حياته السياسية

فى شهر مارس المنصرم .. استمر تنفيذ خطة العمل الجديدة بالاتحاد الاشتراكى التى تهدف الى تكوين الوحدة الفكرية بين القيادة العليا للاتحاد وبين القيادات المحلية فقد عقد **المناضل جمال عبدالناصر** رئيس الاتحاد عدة اجتماعات جديدة مع اعضاء المكاتب التنفيذية فى محافظات اسيوط والمنيا وبنى سويف والفيوم والقاهرة والجيزة

وقد شهد الاجتماع نواب رئيس الجمهورية وعلى صبرى أمين عام الاتحاد واعضاء الامانة العامة التى ضم اليها عضو جديد فى هذا الشهر هو محمد ابو نصير وزير الاسكان السابق .

وقد نوقشت فى تلك الاجتماعات ظروف العمل السياسى ومشكلات الجماهير فى تلك المحافظات وكذلك المنجزات التى حققتها المكاتب التنفيذية منذ انشائها والصعوبات التى واجهتها

واتخذت فعلا بعض القرارات لحل تلك المشاكل مثل مشكلة التحايل على قانون الايجار والاصلاح الزراعى وقانون التعاون والرقابة الشعبية ومشكلة ارض طرح النهر ومشاكل الاسكان والمواصلات والادخار .

وعندما اثير موضوع مناهج التعليم ومدى مطابقتها لنظامنا الثورى تقرر تشكيل لجنة برئاسة كمال الدين رفعت امين الدعوة والفكر وعضوية بعض اساتذة الجامعات لوضع تخطيط للابحاث والمناهج العلمية على مستوى مركزى لكل الجامعات . كما تقرر الاعداد لعقد مؤتمر التعاونيين الزراعيين لبحث تطوير التعاون الزراعى والتشريعات المتعلقة به .

وفى تلك الاجتماعات استعرضت القضايا الداخلية والخارجية التى تهم الرأى العام ، وموقف الجمهورية العربية المتحدة من الاحداث التى تجرى فى افريقيا والمنطقة العربية واليمن والحلف الاسلامى ومناورات الاستعمار والرجعية واسرائيل .

ودار حوار مفتوح حول بعض النشاط المتعلقة بالمفاهيم الاشتراكية والتطبيق الاشتراكى ودور التنظيم السياسى فى دفع الاجهزة العاملة بمختلف المجالات والتفاعل معها . وأكد الرئيس عبد الناصر ان ميثاق العمل الوطنى هو دليل العمل الواضح والمبسط فى التطبيق الاشتراكى والمفاهيم الاشتراكية للمجتمع المصرى .

وفى مجال خلق الوحدة الفكرية بين اعضاء التنظيم الواحد وافق الرئيس جمال عبد الناصر على توزيع المحاضرات والندوات التى تعدها أمانة الدعوة والفكر على

المكاتب التنفيذية ، كما وافق على توزيع بعض محاضرات المعهد العالى للدراسات الاشتراكية عليها ايضا حتى تكون احدى وسائل التثقيف الذاتى للقيادات السياسية . وفى هذا المجال ايضا اجتمع كمال رفعت أمين الدعوة والفكر بأعضاء المكاتب التنفيذية الاربعة لوضع خطة عمل موحدة فى مجال الدعوة والفكر على مستوى القيادة والقاعدة .

ومن المنتظر ان يواصل الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعاته بأعضاء المكاتب التنفيذية فى القليوبية والاسكندرية التى صرح الليثى عبد الناصر امين الاتحاد الاشتراكى فيها بأن المكتب التنفيذى هناك قد أعد قائمة بالمشروعات التى تهم المواطنين فى الاسكندرية لعرضها فى ذلك الاجتماع وكذلك تقريرا عن نشاط المكتب فى مراقبة الاسعار كنوع من مباشرة التنظيم الشعبى لحقه فى الرقابة الشعبية والانتهاء من تشكيل التنظيم السياسى فى جامعة الاسكندرية تحت اشراف الدكتور حسن بغدادى مدير الجامعة والدكتور سعد الوكيل كمسئولين سياسيين عنه وكذلك الانتهاء من دراسة مشروع انشاء المعهد الاشتراكى فى الاسكندرية . وبهذا النشاط تمهد المكاتب التنفيذية للحصول على ثقة الجماهير الشعبية وبناء قوتها كقيادة مباشرة للعمل السياسى الجماهيرى .

ويلاحظ المراقبون ان على صبرى الامين العام للاتحاد اعلن عند توليه الامانة انه يرى عدم الالتزام بنصوص جامدة فى قانون الاتحاد الاشتراكى وقال « ان المرحلة القادمة هى مرحلة تحرك بحرية كاملة فى سبيل تحقيق اهداف الاتحاد دون التزام بشكل او نصوص .

وفى الحقيقة يبدى الامين العام نشاطا واسعا فى اجتماعاته بأعضاء المكاتب التنفيذية فى انحاء الجمهورية بالاضافة الى اجتماعاته مع الشباب واساتذة الجامعات استكمالا للجهد المبذول لتحريك العمل السياسى .

وخلال الشهر الماضى هناك بعض مظاهر نشاط اخرى للاتحاد الاشتراكى :

● فقد بدأت دورة جديدة لمائة وأربعين مهنيا يمثلون ٤٢ نقابة مهنية لتلقى دراسات أشتراكية . واعلن عبد المجيد فريد أمين محافظة القاهرة انه تجرى حاليا ابحاث حول قانون النقابات المهنية توطئة لعملية تطوير لها بحيث تتمشى مع المجتمع الاشتراكى .

ونفى عبد المجيد فريد ما تردد من انه ستشكل مكاتب تنفيذية للنقابات المهنية تقوم مقام مجالس ادارتها وقال ان ذلك يتنافى مع الديمقراطية .

● يجرى التحضير لمؤتمر للفلاحين يسبق مؤتمر التعاونيين الزراعيين .

● اعلن عن تشكيل مكاتب تنفيذية لكليات الجامعات .

● أجريت مباحثات مشتركة بين الاتحاد الاشتراكى العربى ووفد من حزب ديجول أعلن فيه الوفد الاخير ترحيبه بالتجربة المصرية للبناء الاشتراكى .

يمكننا ان نقول ان شهر مارس .. شهر الربيع كان شهرا حافلا فى حياة الاتحاد الاشتراكى الذى يرجو المراقبون ان يكون بداية الربيع للحياة السياسية فيه .

●

حوار صريح ..

أنتهت المحادثات بين الاتحاد الاشتراكى العربى والوفد الفرنسى لحزب الاتحاد الجمهورى الجديد والاتحاد الديموقراطى للعمل ، باصدار بيان مشترك عن المحادثات ، اكد فيه الجانبان الرغبة المشتركة فى تحقيق التعاون بين الشعبين العربى والفرنسى .

واوضح البيان ان اللقاء بين الجانبين قد تميز بالحوار المثمر والبحث الصريح المتسم بالود والرغبة المتبادلة فى التفاهم المشترك للتعرف على مفهوم الديموقراطية فى النظام الغربى وعلى التجربة الاشتراكية بالجمهورية العربية المتحدة .

وبينما استعرض الجانب العربى اسس التجربة الاشتراكية فى المجتمع العربى والعوامل التاريخية والدولية والاجتماعية التى جعلت من الاشتراكية حلا حتميا لمشاكل المجتمع العربى، وكذلك الانجازات التى حققتها الاشتراكية العربية فى مختلف المجالات ،استعرض الجانب الفرنسى التطورات التاريخية التى مرت بها فرنسا ، والظروف الداخلية والخارجية التى ادت الى تكوين حزب الاتحاد الجمهورى الجديد والاتحاد الديموقراطى للعمل ، واوضح قيام السياسة الفرنسية على أساس التعاون مع كافة الدول والعمل على اقرار السلام العالمى والمتابعة المهتمة بالجهود البناءة لدول العالم الثالث .

واشار الجانبان فى بيانهما الى الاثار الايجابية فى العلاقات بين الدولتين التى حققتها زيارة المشير عبدالحكيم عامر لفرنسا واشادا بما أثمرته من تمهيد السبيل للتعاون الوثيق بينهما واكدا الاهمية القصوى لمثل هذه اللقاءات لما تخلقه من فهم أعمق لتجارب التطور السياسى والاقتصادى فى كل من البلدين.

هذا وقد رأس الجانب الفرنسى فى هذه المباحثات السيد بيير باسكوينى نائب رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية .ورأس الجانب العربى السيد كمال الدين رفعت عضو الامانة العامة للدعوة والفكر . وترجع أهمية هذا اللقاء فى نظر كثير من المراقبين الى انه أول لقاء سياسى بين التنظيمين الحاكمين فى كل من الجمهورية العربية المتحدة وفرنسا .

ومما هو جدير بالذكر أن السيد باسكوينى قد عبر فى المؤتمر الصحفى الذى عقده عقب المباحثات أن زيارة المشير عامر لفرنسا ، كانت بداية عهد صداقة جديدة بين البلدين وأكد ان فرنسا تحرص على تفهم موقف الجمهورية العربية وتقدر اهمية مشكلة فلسطين بالنسبة للشعب العربى ، ولن تقوم بأى عمل فى هذا المجال قد يسىء الى الجمهورية العربية . كما اوضح أن مجلس الوزراء الفرنسى قرر اخيرا تخصيص جزء كبير من ميزانية التعاون بين فرنسا والدول النامية للجمهورية العربية المتحدة

■ مجلس الامة

ضربة لمخططات الاستعمار وعرض لسياسة الاسكان والنقابات المهنية

أبرز نشاط لمجلس الامة فى الشهر المنصرم هو موقفه الحاسم من الحلف الاسلامى ازاء النشاط المريب الذى يبذله الاستعمار واعوانه فى المنطقة العربية فى الاسابيع الاخيرة بشأن ذلك الحلف خاصة بعد ان وصلت المجهودات المريبة الى السودان .

وقد تقدم عشرون عضوا بالمجلس لمناقشة الحلف الذى وصفه احد الاعضاء بأنه «الحلف للاستسلام» وبحثت لجنة الشئون العربية الموضوع واصدرت تقريرا جامعيه ان ذلك الحلف لايخدم مصالح الشعوب وانما يخدم مصالح الاستعمار .. وان القاهرة تعارض الحلف لذلك وان كانت ترحب بالتجمع الاسلامى الحر لخدمة الدين والاسلام وحده .

والقى زكريا محيى الدين بيانا بعد ان تتابعت كلمات الاعضاء مستنكرين الحلف . وتركز بيان رئيس الوزراء فى النقاط التالية:

● ان خدمة الاسلام والمسلمين لا تكون بالشعارات الزائفة بل تكون بتنفيذ تعاليم الدين الحنيف التى تقضى على الجمود الفكرى والظلم الاجتماعى . وان الشعارات المزيفة والمفاهيم الخاطئة للدين التى كانت تعمل على ان يزداد الغنى غنى والفقير فقرا قد ساعدت على تفكك المجتمع الاسلامى وتدهوره .

● ان ج.ع.م قد سارت فى طريق العمل المخلص والجاد فى دعم بنائها خدمة وحماية للاسلام والمسلمين وعدد رئيس الوزراء مظاهر ذلك مثل تطوير جامعة الازهر وانشاء المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .. الخ .

● بلادنا تتحمل أعباء كثيرة نتيجة وجود قاعدة العدوان الاسرائيلية وان الحديث عن المشاكل التى تواجه ج.ع.م ربما نشأ عن فهم خاطىء للمناقشة الديمقراطية التى جرت فى مجلس الامة حول سياسة الحكومة . والحقيقة ان مشاكلنا هى مشاكل كل شعب طموح يصنع مستقبله .

واختتم رئيس الوزراء بيانه بقوله اننا نريد ان نبنى الشعب القوى الذى يبقى دائما سندا للعروبة والاسلام وان الجماهير العربية التى ناضلت طويلا مستعدة لاسقاط الحلف .

واذا كانت مناقشة مجلس الامة للحلف الاسلامى كانت أبرز مسألة سياسية فان مناقشة مشكلة الاسكان كانت أهم مشكلة داخلية ناقشها المجلس فى دورة الشهر الماضى بعد أن تقدم الاعضاء بطلب لمناقشتها نتيجة لما اثير حولها من مناقشات بين الرأى العام وفى اجتماعات المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى العربى .

وقد عرض عزت سلامه وزير الاسكان فى بيان استغرق ساعتين امام الاعضاء ملامح الصورة لمشكلة الاسكان وخطة الدولة لمواجهتها فى السنوات الخمس التالية وركز الوزير فى بيانه على نقاط ثلاث وصفها بأنها أسس سياسة الحكومة :

● تشجيع الاستثمار الخاص والتعاونى ، بتيسير اصدار تراخيص البناء وتوفير مواد البناء بصورة منتظمة ودورية وتنظيم الاقراض التعاونى الذى حدد بنسبة تصل الى ٦٠٪ من قيمة المسكن وبحد أقصى ٩٠٠ جنيه للوحدة السكنية .

● الاستفادة الى اقصى حد من الاموال المخصصة للاسكان العام عن طريق تبسيط وتوحيد المساكن العامه وتغيير مواصفاتها بحيث يمكن ان تخدم القطاعات التى تعانى من مشكلة الاسكان بدرجة أكبر .

● تنظيم النواحى التشريعيه واستقرارها التى يعكسها مشروعا قانونى التنظيم العمرانى وعلاقه الملاك بالمستأجرين .. وسوف يعرض القانونان على مجلس الامة فى دورته الحالية .

وتحدث بعد ذلك الدكتور سلامه عن سياسه التمليك والتأجير التى اثارت مناقشات واسعة فى الصحف فأكد ان سياسة الدولة هى الا تطغى رغبات التمليك على التأجير بأى حال وحدد ان ٩٠٪ من الاسكان الاقتصادى مخصص للتأجير وعشرة فى المائة فقط للتمليك و٧٥٪ من الاسكان المتوسط مخصص للتأجير بينما ٢٥٪ للتمليك واعلن وزير الاسكان ان الدولة ستبنى ٢٥٠ الف مسكن فى المدن و٢٠٠ الف مسكن فى الريف علاوة على صيانة مائة الف مسكن آخر كل ذلك خلال السنوات الخمس القادمة .

ومن اهم اخبار دورة مجلس الامة فى الشهر الماضى هو اعلان الحكومة ردا على سؤال للنائب محمد عبد الحميد لبنه أنه تم الاتفاق على ان تقوم نقابة المهندسين بقيد خريجى المعاهد الصناعية العليا فى النقابة واعتبارهم مهندسين .

وقد علق أنور السادات رئيس مجلس الامة على ذلك القرار بقوله ان تلك المشكلة قديمة وقد عانينا منها فى الدورة الماضية للمجلس ، وطالب رئيس المجلس الحكومة بتقديم قانون جديد شامل لتطوير النقابات المهنية التى وصفها بأنها اشبه بالاحزاب السياسية القديمة ..

وطالب النواب الحكومة بالاسراع بتقديم قانون تطوير الجامعات بما يتلاءم والتطورات الاشتراكية والذى طال انتظاره فوعدت الحكومة بالانتهاء من دراسته فى مجلس الوزراء قريبا .

●

■ الجمهورية العربية المتحدة

٢٦٠٠ مليون جنيه على مدى ستة أعوام

اكتسب اعلان الخطة الخمسية الثانية فى نظر المراقبين السياسيين ، دلالة سياسية هامة — تعنى اصرار قيادة وشعب الجمهورية العربية المتحدة على استكمال البناء الاشتراكى كحل حتمى لتحقيق آمال قوى الشعب العاملة . كما يعتقد هؤلاء المراقبون ان اعلان الخطة الثانية فى وقت كانت تضطرب فيه الاحداث السياسية الدولية والمحيطة ، كان له معناه وابعاده التى لا تقل اهمية عن تلك الدلالة السياسية .

وبلغ حجم استثمارات مشروعات الخطة الجديدة حوالى ٢٦٠٠ مليون جنيه على ان تنفذ مشروعات الخطة على مدى ٦ سنوات يكون نصيب السنوات الخمس الاولى منها ٢١٠٠ مليون جنيه والسنة السادسة حوالى ٥٠٠ مليون جنيه . وتقول الدوائر السياسية المطلعة ان مراعاة الخطة لتخصيص اكبر نصيب منها للصناعة ، يؤكد الاطار العام الذى حدده المناضل جمال عبد الناصر عشية اعادة انتخابه رئيســـا للجمهورية ، لتحديات المرحلة المقبلة التى تعطى اهتماما اساسيا للصناعات الثقيلة بشكل خاص . كما تحاول الخطة الجديدة ـ فى مجال الخدمات ـ ان تضع حلا مناسبا لمعالجة مشكلة الاسكان المتفاقمة . ولذلك تقرر بمقتضى الخطـــة الخمسية الجديدة انشاء ٣٥٠ الف وحدة سكنية جديدة فى مختلف محافظات الجمهورية .

وجدير بالذكر ان استثمارات الخطة الجـديدة تزيد عن استثمارات الخطة الخمسية الماضية ، والتى انتهى العمل منها منذ ما يقرب من عام ، بحوالى ١١٠٠ مليون جنيه . فقد بلغت استثمارات هذه الخطة حوالى ١٥٠٠ مليون جنيه بمعدل

تعليـــق

كيف تشـــــارك الجمـــاهير فى اعداد الخطـــة ؟

صرح زكريا محيى الدين رئيس الوزراء بان الخطة الثانية ستعرض للمناقشة على المستوى الشعبى . وهذا يؤكد مدى حرص الحكومة على مساهمة الجماهير فى عمليـــة التخطيط . ولكن ثمة كثير من الفنيين الذين يتســـاءلون عن طريقة الاسترشاد برأى الجماهير فى عملية تبدو فنية بالغة التعقيد . وليس الغرض من هذا التعليق الدخول فى مناقشة حول مبدأ مشاركة قوى الشعب فى معركة التنمية . ولكننا نريد فحسب أن نرى ـ فى ظروف بلادنا المحددة وبصدد الخطة الثانية بالذات ـ كيف يمكن عمليا الرجوع للجماهير .

وفى تقـديرنا انه بمجـرد انتهاء مجلس الوزراء من اقرار اطار الخطة، لابد من طرح هذا الاطار للمناقشة فى كافة المستويات . ومن المعروف ان الاطار العام للخطة يتضمن جوهريا مايسمى « بالاختيارات » الاساسية، اى تحديد اولويات الاســـتثمار . ويبدو ان اتجاه الحكومة فى هـــذا الصدد قد تحدد تماما . ولذلك فلابد من استهلال المناقشة دون انتظار اقرار مجلس الامة للخطـــة . وبديهى أن المناقشة فى هذه المرحلة سيغلب عليها طابع التوعية واطلاع الجماهير على المشــــكلات المتشابكة التى تثيرها معركة التنمية . والهدف من المناقشة فى هذه المرحلة هو تعبئة الجماهير والحصول على موافقتها من اقتناع على الاولويات المقترحة . فمثلا اذا كان من اهداف الخطة الجـــديدة ضمان تشغيل المصانع القائمة الى اقصى طاقتها ، واستنفاد امكانيات التوسع فيها قبل انشاء مصـــانع جديدة فان اقتناع الجماهير بذلك يعنى عدم مطالبة هذه المدينة اوتلك بانشاء مصنع جـديد . واذا كان الاتجاه المفتوح هو استخدام المبانى المدرسية القائمة للدراسة على عدة فترات اقتصادا فى نفقات المبانى ، فان اقتناع الجماهير بذلك يعنى عدم المطالبة بانشاء مدارس جديدة الا اذا نجح الاهالى فى اقامتها دون تحمل الدولة اى نفقات جديدة فى المبـــانى والارض ... الخ . وفى رأينـــا فى ذلك ان هذه المناقشة يجب ان تبدا فورا حتى يكون لدى مجلس الامة صورة عن مدى استجابة الجمـــاهير للاولويات المقترحة .

فاذا ما انتهت هذه المرحلة وتم اقرار الاطار العام للخطة والتوزيع الاساسى للاستثمارات ، فلابد ان تبدا مرحلة جديدة من المناقشـــة التفصيلية فى كل وحدة انتاج وفى كل وحدة خدمات بقصد تحديد معـــالم الخطة الخاصة بكل وحدة . ويمـــكن ان يتخـذ ذلك شكل التـــدرج فى المناقشـــة من اعـــلى الى اســـفل وبالعكس . فتقترح كل وزارة توزيعا مبدئيا للاســـتثمارات فى القطـــاع الذى تشرف عليه . ثم تتـــولى كل مؤسسة اقتراح توزيع نصيبهـــا من الاستثمارات على شركاتها ، ثم يقوم مجلس ادارة كل شركة باعداد مشروع لخطة الشركة فى حدود الاستثمارات المتاحة . ثم يشترك العاملون جميعا فى هيئة جمعية عمومية فى مناقشـــة المشروع الذى اعده مجلس الادارة بقصـــــد تطويره واثرائه بمختلف الاقتراحات بحيث يخرج المشروع من المناقشة منقحا وقد احس العاملون باشتراكهم فى وضعه وبالتــــالى بمسئوليتهم فى تنفيذه . ثم يرفع المشروع الى المؤسسة فالوزارة فلجنة الخطة . ويتم فى كل مستوى مزج المشروعات المختلفـــة ورفع مافيها من تعـــارض وتحقيق الاتســـاق الداخلى الضرورى فيها .

واذا كان من الضرورى البدء فى العمل بالخطة الجديدة دون انتظار الوقت الذى يمكن ان تستغرقه كل هذه المناقشات حتى لا تمر فتـــرة طويلة بين نهاية الخطة الاولى وبداية الثانية ، فان التخطيط يجب ان يكون من المرونة بحيث يســـمح بان تاخذ الحكومة فى الاعتبار الاقتراحات الواردة من القاعـــدة الشـــعبية وتستفيد منها فى تعديل الخطة خلال تنفيذها . فالتخطيط يجب ان يكون عملية متصلة ، ولا ينبغى بحال ان يجمد فى اطار لا يناله التغيير خلال فترة تنفيذ الخطة كلها .

وبهذه الطريقة يمكن ان نوفق بين اعتبارات عدم تعطيل الخطـــة وبين ضرورة اثرائها بمبادرات الجمـــاهير وضمان التفاف العاملين حولهـــــا وفهمهم العميق لها وحرصهم عـــلى تحقيق اهدافها ، بل وتجاوزها . ومن خلال هذه المناقشـــات يرتفع وعى الجماهير وتبرز العناصر القيـــادية وتوضع كل حياتنـــا السياســـية فى اطارها المادى الا وهو معركة زيادة الانتاج التى هى فى نفس الوقت هدف معـــركة ارســـاء الاساس المـــادى للاشتراكية ، لان الاشتراكية لايمكن ان تكون مساواة فى الفقر، بل انها اطلاق لقوى الشعب الانتاجية بقصد تحقيق اكبر قدر ممكن من الهناءة لكل فرد .

د. اسماعيل صبرى عبدالله

٢٠٠ مليون جنيه فى السنة الواحدة . اما الخطة الجديدة فستكون بمعدل ٤٢٠ مليون جنيه للسنة الواحدة ، وذلك بخلال السنة السادسة وسيكون نصيبها حوالى ٥٠٠ مليون جنيه استثمارات جديدة . ومن المعروف ان اى استثمار جديد فى المشروعات يحتاج الى حوالى ٤٠٪ من العملات الصعبة من قيمة هذه الاستثمارات . ولذلك تقوم الان عدة دراسات للموقف النقدى .

وكذلك الموقف بالنسبة لتحقيق اهداف الصادرات المصرية كلها على أساس فائض الانتاج القومى وكذلك التعامل الخارجى مع الدول الاجنبية وما تحتاجه مشروعات الاستثمارات الجديدة من عملات صعبة .

●

مؤتمرات العمال .. ومعركة الانتاج

عقدت نقابات العمال منذ بداية هذا العام عددا من المؤتمرات لمناقشة دور العمال وتنظيماتهم النقابية فى معركة الانتاج . وقد انتهت هذه المؤتمرات بانعقاد المؤتمر الثقافى الثانى للاتحاد العام للعمال

ولقد سبق مؤتمر الاتحاد العام عدد من المؤتمرات الهامة، كان من اهمها مؤتمر النقابة العامة لعمال الزراعة والذى حضره ممثلو اربعة آلاف لجنة نقابية لعمال الزراعة . ولقد انتهى هذا المؤتمر الى عدد من التوصيات الهامة

ومن اهم ما اعلنته توصيات المؤتمر ، ضرورة ارتباط زيادة الاجر بزيادة الانتاج والتوسع فى انشاء وتعميم مراكز التدريب للعمال . وفى استخدام المكننة الزراعية الى اقصى حد ممكن لسد العجز الناشىء عن نقص الايدى العاملة ، وتوفير الاسمدة الكيماوية والمخصبات الزراعية ، واوصى المؤتمر بضرورة ان يؤاخذ من يهمل ارضه (ان كان مالكا او مستأجرا) وان تعطى لمن هو اقدر على حسن استغلالها . وطالب المؤتمرون بالتوسع فى مشروعات الانتاج الحيوانى ، والتركيز على دعم القطاع التعاونى فى هذا المجال . وفرض الرقابة الكافية على مصانع العلف الحيوانى ، مع ضرورة الزام الجهاز التنفيذى للجمعيات التعاونية بالاقامة فى القرية ليباشر واجباته الاجتماعية . وطالب المؤتمر أعضاءه ان يعتبروا أنفسهم دعاة فى القرية للمحافظة على المجارى المائية من الترع والمصارف . واكد ضرورة الاهتمام بالثروة المائية . والاهتمام بمشاكل الصيادين وحلها . **والغاء نظام مقاولى الانفار واستصدار قانون ينص على عقوبة السجن وان تكون وجوبية لكل من يحاول ان يعمل كمقاول انفار ، وان ينص ايضا على عقوبة صاحب العمل الذى يتعامل مع المقاولين ،** كما طالب بان يتم تشغيل عمال الزراعة والتراحيل عن طريق النقابة العامة لعمال الزراعة ولجانها النقابية بالتعاون مع الاتحاد الاشتراكى والهيئات ذات المصالح المرتبطة بعمال الزراعة ولجانها النقابية .

واعلن مؤتمر عمال الزراعة : **« انه يجب ان يبرز دور النقابة فى انه ليس هو الدفاع عن مصالح العمال فقط وانما تربيتهم بروح المحافظة على الملكية العامة ، والمحافظة على الالات وتقديم احسن اسلوب فى الانتاج ، والا تسمح بقيادتها الا للعمال المبرزين فى مجال العمل وان يعطى المفهوم النقابى دورا جديدا ، فالالة التى كانت تستهلك عند الراسمالى فى سنة ، يجب ان يكون استهلاكها فى القطاع العام فى مدة اطول » .**

وفى المدة من ١٢ الى ١٥ مارس ١٩٦٦ عقد الاتحاد العام لعمال الجمهورية مؤتمره الثقافى الثانى — وقد اعلن هذا المؤتمر فى صدر توصياته : « ان سيطرة الشعب على وسائل الانتاج لا تعنى فى حد ذاتها تكامل بناء المجتمع الاشتراكى . ذلك ان الاشتراكية لا تقوم بمجرد قيام القطاع العام وانما تبدأ اولى خطواته بانشائه وتدعيمه .ومن هنا كان اهتمام العمل الواعى ، وعملهم الجاد من اجل رفع مستوى الانتاج كما وكيفا » .

وقد افتتح السيد زكريا محيى الدين المؤتمر بخطاب هام عن دور العمال وتنظيماتهم النقابية فى معركة الانتاج

وقد اعلن المؤتمر عددا كبيرا من التوصيات الهامة العاجلة مثل التركيز على مكافحة الامية فى صفوف العمال . **والتوسع فى مجال الثقافة العمالية ، وتطوير برامجها لخدمة اهداف الانتاج ومرحلة التحول الاشتراكى التى نمر بها . وتشكيل مجالس انتاج مشتركة بالمنشآت والوحدات الانتاجية ، على ان تولى اجهزة الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتليفزيون عناية خاصة بمشاكل العمال والانتاج وتعميق المفهوم الاشتراكى للملكية العامة لوسائل الانتاج . والتوحيد بين صفوف العاملين فى امانة عامة واحدة بالاتحاد الاشتراكى .** وتصنيع قطع الغيار والصيانة محليا . والغاء مكاتب الوسطاء ومتعهدى الانفار واحترام التشريعات العمالية وتشديد العقوبات على مخالفتها . وتوسيع الضمانات التى كفلها القانون لحماية اعضاء التنظيمات النقابية والشعبية واعضاء مجالس الادارة وذلك بحمايتهم من النقل او الندب او الابعاد التعسفى .

واوصى المؤتمر فى مجال التنظيم النقابى بضرورة : ● ان تقوم التنظيمات النقابية بتنمية وتعميق المفهوم الاشتراكى والسلوك الجماعى لدى العاملين ، وان تقوم النقابات العامة بالمشاركة فى مؤتمرات اللجان النقابية وكذلك الاشتراك مع المؤسسات والهيئات العامة فى مناقشة مشروع الخطة على مستوى الصناعة ، ● ان تقوم اللجان النقابية بتنظيم المنافسة بين اقسام الوحدات الانتاجية لتجاوز الاهداف — وبين الافراد والمجموعات لاستنباط اساليب عمل جديدة وتقديم اقتراحات تحسين الالات ومنح الجوائز التشجيعية لذلك بالاشتراك مع نقاباتها العامة ، وان يكون احتفال اتحاد العمال بعيد اول مايو مقرونا بتكريم ابطال العمل الاشتراكى الذين حققوا ارقاما قياسية وادخلوا اساليب جديدة او ابتكارات فى الانتاج » .

واوصى المؤتمر فى مجال الادارة بضرورة ، ان تعمل الادارة على تهيئة اذهان العاملين لتقبل الاساليب الجديدة فى العمل وفى النظم قبل ادخالها وان يزيد الاجر تبعا لزيادة الجهد والمسئولية ، وان يوضع الشخص المناسب فى العمل المناسب وان يستفاد من الطاقة الانتاجية المعطلة من آلات ومواد زائدة عن الحاجة والاستفادة بها فى المجالات والمناطق الاكثر احتياجا لها ، وان تعرض تقارير مراقبى الحسابات عن الميزانيات على التنظيمات الشعبية فى الوحدات الانتاجية، ووضع معايير موضوعية دقيقة للتقارير الدورية عن نشاط العاملين ، وان يعطى التنظيم النقابى دوره الفعال داخل وحدات العمل عند بحث كافة المسائل التى تتعلق بشئون الافراد » .

وكما اصدر المؤتمر عددا من التوصيات الخاصة بالقطاع الخاص ، فاوصى بضرورة تجميع منشآت القطاع الخاص التى تمارس مختلف الانشطة تحت تنظيم نوعى يمثل هذا القطاع

وضرورة الزام منشآت القطاع الخاص بان تضع لوائح تتضمن منح العاملين بها علاوات دورية تتفق مع ما تحققه هذه المنشآت من ارباح .

واستنكر المؤتمر المؤامرات التى يدبرها الاستعمار والرجعية تحت ستار الدين باقامة ما يسمى بالحلف الاسلامى ، وكذلك مؤامرات الاستعمار والرجعية فى القارة الافريقية

ولقد اجمعت جميع مؤتمرات العمال التى ناقشت دور العمال فى معركة الانتاج على ضرورة احداث تغييرات فى تشريع العمل تتفق ومرحلة التطور الثورى التى يمر بهـــا المجتمع . حيث ان التشريع الحالى كما اعلن المؤتمر الثانى لعمال الغزل والنسيج «معبرا عن عصر مضى وانقرض وليس معبرا عن واقع العصر والاتجاهات التى تعيشـــها وبذلك لا يكون التشريع فى خدمة المجتمع الذى يعيشه ولكنه يكون معوقا من المعوقات التى تعترض طريق اندفاع المجتمع فى بناء مستقبله » .

●

حـل أزمـة الاســـكان بين القطاع الخاص والعام

بدأت مناقشة سياسة الاســكان فى جلسه ١٩ مارس ببيان الحكومة الذى القاه وزير الاسكان وقد حدد فيه الخطوط العـامة لسياسة الحكومة فى هذا الموضوع الحيوى كما يلى :

● تشجيع القطاع الخاص والتعاونى على استثمار مدخراته فى اقامة المساكن، هذا الى جانب مساهمته فى حل أزمة الاسكان المستحكمة فانه يعتبر وسيلة هامة لزيادة الادخار القومى وتعبئة المدخرات فى تدعيم اتجاهات خطة التنمية . وهذا التشجيع يتم اولا بتوفير المواد اللازمة للبناء للقطاع الخاص والتعاونى ثم التوسع فى الاقراض للقطاع التعاونى فى حدود ٥٠٪ من قيمة المبانى . وقد آتت هذه السياسة اولى ثمراتها حيث ينتظر أن يتم فعلا بناء ٩٠٠٠ وحدة سكنية هذا العام مقابل ٣٠٠٠ فقط فى العام الماضى .

ومن وسائل تعبئة المدخرات كذلك فى حل المشكلة تمليك جزء من المساكن التى يبنيها القطاع العام فى حدود ١٠٪ من المساكن الاقتصادية و٢٥٪ من المساكن المتوسطة .

● بالنسبة للمساكن التى يبنيها القطاع العام ، اعادة النظر فى المواصفات والاستغناء من الكماليات لتخفيض التكاليف دون المساس بالمتانة والتركيز على الوحدات الصغيرة التى تخـدم أكبر عدد من العائلات وخاصة من الفئات محدودة الدخل .

● اصدار التشريعـــات المنظمة للناحية الفنية من البناء وتيسير الحصول على تراخيص البناء وكذلك التشريعات المنظمة للعلاقة بين المالك والمستأجر لحماية الاخير من اى اســتغلال وزيادة لجان تقدير الايجار حتى يتم التقدير فى الشـــهور التالى لشغل المسكن مباشرة وكذلك تغيير شروط تقســيم البناء بما يسمح ببناء مساحات أكبر وادوار أكثر على كل قطعة ارض .

وفى هذا المجال اعلن الوزير عن تقليد جديد وهو اشـــتراك لجان مجلس الامـــة مع الوزارة فى دراسة هـــذه التشريعات والاتفاق عليها مقدما قبل صياغتها واحالتها رسميا على المجلس

وفى الجلستين التاليتين ادلى عدد من اعضاء مجلس الامة بآراء واقتراحات هامة وبناءة كان من أبرزها :

● التركيز على أهمية توفير مواد البنـاء للقطاع الخاص كواحدة من أهم وسائل تشجيع البنـاء وذلك أهم من تيسير اصدار تراخيص البناء .

● استخدام الاراضى الفضاء داخل المدن والاستيلاء عليها ان لم يسطع او يشأ اصحابها اقامة مبان عليها .

● اخلاء الشقق العديدة التى تشغلها مصالح الحكومة باقامة مبان لها بمدينة نصر ووقف تركيز الموظفين بالقاهرة ونقلهم للاقاليم لخدمة المواطنين هناك .

● اخضاع الشقق المفروشة للرقابة الحكومية بصفتها محلا تجاريا وتحديد عددها حتى لا تبتلع كل زيادة فى المساكن كوسيلة لاستغلال السكان .

● وارتفع أكثر من صوت يطلب اعادة النظر فى سـياسة التمليك حتى فى الحـدود التى اكتفت بهـا الدولة وذلك على اساس ان من يملك ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ جنيه يستطيع ان يشترى ارضا ويبنى مسكنا ولا يحتاج لمعاونة الحكومة وهو فى الغالب لا يعانى من أزمة المساكن وانما فى الاغلب يهدف للاســتغلال التجارى . وقد اكدت نتيجة الاقتراع على مساكن المنيل هـذه الحقيقة حيث تبين أن أغلب من وقعت عليهم القرعة من العزاب والسيدات وليسوا أصحاب العائلات الذين يعانون من أزمة الاســـكان .

وقد اشار بعض الاعضاء الى ضرورة الاهتمام بالاســكان الريفى الى جانب الاسكان الحضرى . ولفت الشيخ ابراهيم العزازى الانظار الى تجربته فى اقامة المســاكن الريفية من الفخار (الطين المحروق) اى الى الاستفادة من المواد الخام الرخيصة المتوفرة محليا .

وفى وسط هذا الاتجاه العام المتجانس ارتفع صوت لاحد الاعضاء يتهم قانون تخفيض الايجـارات بأنه أدى الى توقف القطاع الخاص عن البناء . رغم الاحصائية التى قدمها الوزير فى أول جلسة تدحض هذه الفكرة التى يروج لها بعض الجشعين من الملاك .

ويمكن القول بصفة عامة ان المناقشة اثبتت ان هناك اتفاقا عاما بين الحكومة والمجلس على الكثير من المبادىء العـامة السليمة وعلى السير قدما فى الطريق نحو تخفيف حدة الازمة التى أصبحت لا تطـاق .

●

نشاط العاملين فى مجال المقاولات

فى أوائل مارس الماضى ارسل وزير الاسكان خطابا دوريا الى جميع مؤسسات المقاولات التابعة للوزارة وشركاتها يدعوها فيه الى دراسة أوضاع تنفيذ الاعمال بها ومايسند منها الى مقاولى الباطن من القطاع الخاص وتقديم اقتراحاتها فى الاتجاهات الاتية :

● تدعيم أجهزتها الفنية للقيام بأكبر نسبة من اعمالها بشكل مباشر بما فى ذلك الاعمال التكميلية بقدر الامكان ويطرح الباقى بين الشركات النوعية للقطاع العام والقطاع الخاص

● وضع مقاولى الباطن تحت الاشراف الدقيق لضمان حسن سير العمل وعدم المغالاة فى الاسعار .. الخ وذلك بقصد التعامل على من ينضم منهم الى مؤسسة التعاون الانتاجى .

وكانت لجنة القاعدة للعمل على زيادة الانتاج بقطاع المقاولات، وهى التى تضم لجان الاتحاد الاشتراكى بشركات المقاولات والنقابة العامه للعاملين بصناعات البناء بالجمهورية ولجانها النقابية بالشركات توالى الدراسات وتقديم المقترحات المختلفه من أجل تدعيم القطاع لزيادة الانتاج وخفض التكاليف والوفاء بمتطلبات خطط التنمية ، ومن أجل القضاء على الاستغلال المقترن بوجود مقاولى الباطن من القطاع الخاص .»

وفى جلستها المنعقدة بتاريخ ١٤ مارس الماضى بحثت اللجنة الاقتراحات المقدمة من أعضائها فى اتجاه الاستجابة لتوجيهات الوزير ووصلت للاقتراحات العامة الاتية والتى رفعت للوزير وللمسئولين عن قطاع المقاولات ، كما قدمت للعاملين بالقطاع بهدف الاستمرار فى دراستها والتقدم بمزيد من الاقتراحات التفصيلية فى اتجاه تدعيم هذا القطاع الهام وتخليصه من اوضاعه الحالية حيث يسيطر القطاع الخاص على نصيب الاسد من الاعمال المسندة لشركات المقاولات المؤممة مما استفاضت الصحف مؤخرا فى توضيحه والكشف عن مساوئه ، وتضمنت اقتراحات اللجنة :

● تدعيم شركات المقاولات المؤممة بتنفيذ الخطوات الاتية :

١ ـ تدعيم الاجهزة الفنية بالشركات بعدد كاف من الفنيين ذوى الخبرة وبنواة قوية من العمال الفنيين من جميع المهن الهامة التى يشملها نشاط الشركات مثل عمال البناء ونجارة وحدادة المسلح الخ

٢ ـ تدعيم شركات القطاع العام النوعية المتخصصة مثل شركات التركيبات الميكانيكية والكهربائية واعمال الانارة الكهربائية والتكييف والمصاعد والاعمال الصحية والنجارة (صناعة وتركيب الابواب والشبابيك والارضيات) واعمال الكويتال ،وذلك بتزويدها بالفنيين المتخصصين والعدد والاجهزة وتدعيم راسمالها حتى تستطيع القيام بالنسبة الكبرى من الاعمال التى تدخل فى نطاق تخصصها لحساب شركات المقاولات العامة . وكذلك تنشأ شركات متخصصة فى توريد ونقل مون البناء مثل الرمل والزلط والطوب والاسمنت وتركز أساطيل سيارات النقل بهذه الشركات ولا يبقى بشركات المقاولات الا الحد الادنى اللازم للنقليات غير المنتظمة .»

٣ ـ ضم شركات التركيبات الهندسية التابعة حاليا لقطاع التجارة بحكم الاوضاع التاريخية حيث كانت تكون فروعا لشركات استيراد الالات والمصانع ، ضمها الى قطاع المقاولات حتى يمكن التنسيق بين جميع الشركات التى تقوم بأعمال متماثلة وتبادل الخبرة والامكانيات فيما بينها .

● وضع النظام الذى يسمح للنقابات التى تضم عمال الحرف المختلفة ،أو الجمعيات التعاونية التابعة لها بالتعاقد مباشرة مع شركات المقاولات على تنفيذ الاعمال المتخصصة التى يقوم بها اعضاؤها مثل نجارة وحدادة المسلح وصب الخرسانة والبناء والبياض والدهان وتركيب البلاط وذلك على أساس فئات محددة لكميات الاعمال المطلوب تنفيذها (لا باليومية). وذلك لاستبعاد الوسطاء من القطاع الخاص الذين يستغلون العمال ويغالون فى الاسعار وبذلك يرفعون تكلفة اقامة منشآت الخطة دون مبرر . وتنظم النقابات طريقة توزيع العمل على اعضائها بالدور وترتيبهم فى جداول حسب مهارتهم وتقوم بأعمال التأمينات الاجتماعية وتقدم لهم الخدمات والقروض وتدفع لهم حدا أدنى من الاجر عن أيام البطالة الخ .»

وكانت لجنة فرعية منبثقة عن لجنة القاعدة وتضم ممثلى النقابة العامه للعاملين بصناعات البناء قد درست هذا الموضوع باستفاضة وتقدمت اقتراحا متكاملا عرض على لجنة القاعدة فى جلستها المنعقدة بتاريخ ٦٦/٢/٢٨ للدراسة والمناقشة .»

● استمرار التعامل مع مقاولى القطاع الخاص جنبا الى جنب مع الشركات النوعيه المتخصصة المملوكة للقطاع العام ومع النقابات والجمعيات التعاونية للعمال الحرفيين وذلك لتنفيذ أعمال جزئية متخصصة ولا يعهد اليهم بتنفيذ مقاولات متكاملة الا فى حالات خاصة كأن تكون فى أماكن منعزلة ومتفرقة تجعل تنفيذها بواسطة شركات القطاع العام عملا غير اقتصادى وبحد أقصى لقيمة العملية يحدد بواسطة المؤسسات أو وزارة الاسكان . وضمان الرقابة على مقاولى القطاع الخاص عن طريق قيدهم فى سجل خاص بالمؤسسة المعنية ، وتطرح الاعمال فى مناقصات مفتوحة بين جميع المقاولين المقيدين بالسجل ويشطب من السجل كل مقاول يتلاعب فى تنفيذ التزاماته أو يقصر فى الوفاء بها . وتراقب المؤسسات والشركات قيام كل مقاول بالالتزامات التى تحددها القوانين العمالية وقانون التأمينات الاجتماعية الخ بالنسبة لجميع عماله .»

ومما يذكر أن وزير الاسكان كان قد استجاب للكثير من التوصيات السابقة التى قدمتها لجنة القاعدة لتحسين الاوضاع بالنسبة لقطاع المقاولات ولاجهزة تنفيذ المشروعات عموما .فقد نقل جميع المهندسين والفنيين الذين كانت تغص بهم اقسام المشروعات بالوزارة الى المؤسسات التابعة لها وأنشأ أقساما موحدة للدراسة والتصميم بالمؤسسات تضم بعض هؤلاء المهندسين وبقى أن يلحق بقيتهم بالشركات التى تقوم بالتنفيذ الفعلى وبذلك يقضى على الازدواج غير المعقول بين الوزارة وشركات القطاع العام والذى كان يؤدى الى بعثرة القوى وتضييع الجهود .»

●

■ الوطن العربى

وحدة عمل مؤتمرات القمة : هل تستمر ؟

بعد اربعة ايام من الاجتماعات المتواصلة ، انتهى مجلس رؤساء حكومات الدول العربية والذى عقد فى القاهرة الى عدد من القرارات والتوصيات

وقد حضر الاجتماعات ثمانية من رؤساء الحكومات العربية بينما مثل المغرب نائب رئيس وزرائها ، ومثل ليبيا والجزائر وزيرا خارجيتهما ، ولاحظ المراقبون ان المملكة العربية السعودية لم يمثلها رئيس حكومتها ولا احد وزرائها ، بل وكيل وزارة الخارجية وفى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القى السيد زكريا محيى الدين رئيس الوزراء فى الجمهورية العربية خطابا هاما تحدث فيه من خطط وحدة العمل العربى ، ومن التطورات العالمية الاخيرة ، والانتكاسات التى المت بالحرية فى بعض معاقلها الافريقية والاسيوية ، كما تناول بالتحليل الحرب المسعورة التى تشن الان لاضعاف روابطنا العربية والقومية

وقال رئيس وزراء الجمهورية العربية انه لا مناص من الاعتراف برغم ماحققناه ، اننا فى حاجة ماسة الى الجهد، وان ماتقذناه لايتلاءم وخططنا المرسومة ..»
ثم دارت بعد ذلك مناقشات حول التضامن العربى وقرارات مؤتمر وزراء الخارجية الذى سبق مؤتمر الرؤساء ، ووافق المؤتمر بالاجماع على اقتراح من السيد زكريا محيى الدين باجراء اتصالات مباشرة ، وفى اضيق الحدود بين رؤساء حكومات الدول التى ترى ان هناك تجاوزا عليها فيما يختص بالتضامن العربى ..»

وقد كانت اهم القضايا التى ناقشها المؤتمر بعد ذلك ــ الموقف من المانيا الغربية بعد دراسة تطورات علاقتها باسرائيل، وكذلك وقف من الولايات المتحدة الامريكية بعد صفقة الاسلحة الاخيرة التى اعطتها لاسرائيل .

ونظرا لحساسية الموضوع تقرر بعد اجتماع دام اكثر من ساعة ونصف تأليف لجنة سداسية من الجمهورية العربية والعراق والسودان ولبنان وسوريا والاردن وقدمت اللجنة بعد ذلك تقريرها الذى انتهى بتأكيد القرارات السابقة فى هذا المجال واستمرار الموقف الحالى بين الدول العربية والمانيا الغربية ، اى استمرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع المانيا الغربية .

اما فيما يتعلق بتزويد امريكا لاسرائيل بالاسلحة ، فقد كان مجلس وزراء الخارجية قد اتخذ قرارات فى هذا الصدد تتكون من اربع نقط وتتلخص فى استدعاء سفراء أمريكا فى العواصم العربية ولفت نظرهم الى نتائج هذا الموقف الامريكى على العلاقات العربية الامريكية ، وكذلك تكليف سفراء الدول العربية لدى امريكا بالقيام بمسعى مماثل لدى وزراء الخارجية الامريكية وتكليف الوفود العربية فى الامم المتحدة بالاتصال بيوثانت السكرتير العام للامم المتحدة ولفت نظره الى خطورة الموقف الامريكى على السلام فى الشرق الاوسط .

وقد ناقش مجلس الرؤساء بعد ذلك القضايا العربية الاخرى المتعلقة باسرائيل ومعركة التحرير فى الجنوب العربى وكذلك المؤامرات الاستعمارية فى الدول الاسيوية الافريقية .

واتخذ المجلس بعد ذلك قراراته بعد دراسة التقارير التى قدمتها منظمة تحرير فلسطين وكذلك جبهة تحرير الجنوب المحتل وكان السيد احمد الشقيرى رئيس منظمة تحرير فلسطين قد قدم تقريرا عن مسألة العجز المالى فى ميزانية وكالة اغاثة اللاجئين مما يعوقها عن تقديم الخدمات للفلسطينيين .

وقد جاءت القرارات والتوصيات التى خرج بها مجلس الرؤساء لتعبر عن رفض اى تخفيض فى ميزانية وكالة غوث اللاجئين وتحميل الامم المتحدة مسئولية اى تخفيض يطرأ عليها ، كما اتخذ عدد آخر من القرارات يتعلق بتدعيم الحركات التحررية فى الجنوب العربى ومساندة ثورة الشعب فى عمان والخليج والمضى فى تنفيذ مشروعات المياه العربية وتدعيمها عسكريا .

وعلق المراقبون السياسيون باهتمام على ماجاء فى حديث المناضل عبد الناصر عن وحدة العمل العربى عن طريق مؤتمرات القمة ، لما يتوقعون ان يترتب عليه من تغييرات اساسية فى سياسة واساليب العمل العربى ، طبقا لما اوضحه سيادته من ان « احنا واحنا بندعو الى مؤتمر القمة والى وحدة العمل العربى كنا نعتقد ان النية ستكون سليمة والنية ستكون خالصة للعمل العربى الموحد » الا انه كشف ان رؤساء الحكومات العربية عندما اجتمعوا تحدثوا فى كل شىء الا فى الموضوعات التى تهم كل العرب : الحلف الاسلامى واليمن واكد انه « اذا استمرت القوى الرجعية العربية فى عملها يبقى لابد ان يكون هناك قرار للانطلاق لقوى الثورة العربية من **العمل العربى الموحد ونسير فى العمل الثورى الموحد** » و « احنا تقريبا على وشك ان احنا نأخذ قرار فى هذا الموضوع اذا استمر التكتل الرجعى وتحالف الرجعية مع الاستعمار فى المنطقة لانه يبقى مفيش فايده بالنسبة للعمل الموحد ... »

●

■ سوريا

الدوامة

مرة اخرى ، وقبل أن تجف الدماء التى أريقت فى شوارع دمشق فى انقلاب ٢٣ فبراير ، يعود الحديث عن خلافات وصراع وانفجار جديد متوقع فى سوريا . فالانقلاب الاخير لم يكن الا حلقة واحدة فحسب من حلقات الصراع داخل البعث تتبعها حلقات .. الى اين ؟

ويؤكد المراقبون الذين تابعوا الاحداث على الطبيعة ان الضباط بدأوا تحركهم الفعلى ، خلافا لما اذيع ، قبل الانقلاب بيوم . فبينما كانت دمشق تحتفل بذكرى الوحدة فى ٢٢ فبراير طوقت قوات عسكرية المدينة دافعة المعركة الى ذروة التفجر. وعقدت القيادة القومية فى ذلك اليوم اجتماعا حضره مندوبون من كل الاطراف المتنازعة . وفى ذلك الإجتماع العاصف كان صوت ضباط القيادة القطرية هو الاقوى والاعلى . وفى حمية الجدل طالبوا بطرد امين الحافظ ، واعلن الحافظ بدوره استعداده للتنحى اذا كان هذا يحقق مصلحة حزب البعث ، وانفض الاجتماع بعد ان ابدى الجميع شعورا بالارتياح لتحكمهم فى لحظة الانفجار .

وعلى الرغم من الاتفاق تحرك الضباط « القطريون » صباح ٢٣ فبراير ، وكانت القوات تتكون من كتلتى **صلاح جديد وسليم حاطوم** .

كانت الخطة هى بدء الحركة فى السادسة صباحا . لكن سليم حاطوم تحرك منذ الساعة الرابعة ، آملا ان يجنى من الثمار أكثر من غيره . وحاصرت قواته منزل امين الحافظ ، واستمرت المعركة اكثر من ثلاث ساعات استخدمت فيها الاسلحة الخفيفة ، كما استخدمت القنابل والدبابات . ودعمتها بعد ذلك قوات عزت جديد . وقالت الانباء ان حوالى ٩٠ من حرس الحافظ قد قتلوا ، وان حاطوم قد خسر ٢٤٠ من رجال كتيبته . اما الحافظ فقد خرج من منزله واقتيد الى السجن بعد ان أصيب بجراح بالغة .

وفى الاماكن الاخرى من دمشق اختلفت الصورة . كانت المقاومة اقل ، وتمت السيطرة على العاصمة بسهولة .
وفى حماه ، تمردت الكتيبة المرابطة بها ، وانتهى تمردها بعد قصفها بالقنابل ، وكانت النتيجة ٦٠ قتيلا .
اما فى حلب ، فقد اجتمع الضباط والمسئولون فى حزب البعث بعد اذاعة بيان الانقلاب واتفقوا على اتخاذ موقف وسيط يحاول تقريب وجهات النظر . وفى اليوم التالى نقض ناجى

و « بتسآرية » تسليم حاطوم ، فان المراقبين يؤكدون أن الانفجار لن يكون بسبب خلاف فكرى ، وانما بسبب ما قد يثيره سليم حاطوم . فمن المعروف أن حاطوم كان قد زاد عدد أفراد كتيبته عما هو مقرر لها أيام الحافظ ، وهو ينوى أن يواصل تدعيمها بالرجال والعتاد لكى تصل الى لواء كامل ، وبذلك تتوفر له القوة العسكرية الفعالة فى الوضع الجديد . وهذا لا يرضى صلاح جديد طبعا . وأصبح من المؤكد أن حاطوم سيطالب بذلك بسرعة قبل أن تفوته الفرصة ويجد نفسه مبعدا أو مسرحا . ويتوقع الجميع حدوث الصدام عندما يطالب حاطوم بزيادة كتيبته .

لقد بدأت بوادر المشاكل تظهر بوضوح منذ الان . فصلاح جديد يردد فى جميع الاوساط براءته من العنف الذى صاحب الانقلاب ويلقى باللوم كله على حاطوم . كما أن صلاح جديد رفض اسناد وزارة الدفاع الى حمد عبيد ، واتهمه بالرشوة والاختلاس والتجسس لحساب المانيا الغربية عن طريق عدنان الزين المعتقل حتى الان .

ويلاحظ المراقبون أن ابعاد حمد عبيد عن وزارة الدفاع محاصرة مبكرة لنفوذ حاطوم ، ويرون ان اقصاءه وشيك الوقوع بعد أن تأكدت أنباء اقصاء صلاح الضللى بحجة الانتهازية والتذبذب .

فى هذه الدوامة ... أين تقف القيادة القومية ؟ ما هو نشاطها ونفوذها ؟

على أثر الانقلاب ، اعتقل الضباط القطريون محمد عمران وأمين الحافظ ... وقد تأخروا فى اعتقال القادة المدنيين أمثال منصور الاطرش وميشيل عفلق وصلاح البيطار ، مما اتاح لهم فرص الاختفاء . كما اعتقلت العناصر غير السورية فى القيادة القومية ، مثل جبران مجدلانى ، ومسعود الشابى ممثل تونس .

وبعد الانقلاب ، صدر عن القيادة القومية منشوران يدعوان قواعد الحزب الى مقاومة الانقلاب ، وفيهما اتهام صريح لقادة الانقلاب بالتعاون مع الغرب ، واتهام آخر موجه الى صلاح جديد يقول أن الانقلابيين يتسترون بالبعث لتغطية علاقاتهم بالقوميين السوريين .

وعلى أثر توزيع هذين المنشورين جرت اعتقالات واسعة بين اعضاء الحزب استهدفت انصار الحافظ بشكل خاص .

ويجمع المراقبون على أن تشكيل وزارة زعين تعبير واضح عن ضعف الحكم الجديد ، حيث عجز عن تقديم وجه قوى يمثل ثقلا شعبيا .

وكان تكليف عبد الكريم الجندى بوزارة الاصلاح الزراعى ورباح الطويل بوزارة العمل ، بمثابة ابعاد لهما عن صفوف الجيش . الا أن أعوان سليم حاطوم يقولون أن كتلتهم أصرت على أن يكون وزير العمل من بينهم حتى يكون لهم اتصال مباشر بأوساط العمال يتيح لهم فرصة توضيح موقفهم الاشتراكى .

ويواجه النظام الجديد ظروفا صعبة معقدة يستحيل معها علاج أى مشكلة جدية تواجهه . فالنظام الجديد مقطوع الصلة بكل القوى السياسية ، كما أن طابعه الطائفى يشكل عقبة أساسية أمامه ، قد تظهر آثارها عما قريب . فاذا أضيفت الى كل هذه المصاعب الازمة الاقتصادية الخانقة التى تمر بها سوريا ، تتضح صعوبة المهمة التى يواجهها الحكم الجديد.



● صلاح جديد

عامر ، قائد الكتيبة (١٠٢) الانفاق ، فاعتقل المعارضين ، ثم حول اذاعة حلب على موجات ارسال دمشق .

وكان الامر على خلاف ذلك بين قوات الجبهة . فقد سيطرت العناصر المعادية للقيادة القطرية على جميع القطاعات، وتزعم الحركة قائد الشرطة العسكرية ، وتم اعتقال عبد الغنى ابراهيم ، قائد الجبهة . والمعروف بعلاقته الوثيقة مع محمد عمران .

استمر الوضع فى الجبهة على ما هو عليه ، حتى صباح الجمعة ، حيث توجه اليها احمد سويدانى وحافظ اسد ، وقاما – بالتعاون مع بعض العناصر القطرية – باعتقال المتمردين . وأعيد عبد الغنى ابراهيم الى مركز القيادة . وفسرت اعادته بأنها مؤقتة ، أو تسوية لارضاء بعض الاطراف

ويضع المراقبون علامات استفهام كثيرة على هذه الصورة العسكرية . فحرس محمد عمران لم يقاتلوا ، واستسلموا مباشرة لقوات الانقلاب . كذلك لم يقاتل اللواء السبعين الذى كان عمران مسيطرا عليه . ولم تقاتل أيضا الكتيبة التى كان عمران قد أرسلها الى حمص لتعرقل تحركات اللواء الخامس .

ويرى المراقبون ان موقف عمران قد سهل على القائمين بالانقلاب مهمة السيطرة . غير أنهم يرون أن خطر الانقلاب القادم لايكمن فى القيادة القومية وانما يكمن بين صفوف الحكام الحاليين أنفسهم . فالانقلابيون منقسمون الى فريقين ، يتزعم الاول صلاح جديد وأحمد سويدانى وحافظ أسد ، بينما يتزعم الفريق الاخر سليم حاطوم وحمد عبيد ورباح الطويل. ويتفق الجميع على أن صلاح جديد هو صاحب القوة العسكرية الاكبر ، ولذلك يتوقعون أن يكون هو الرابح اذا ما احتدم الصراع .

وعلى الرغم مما يقال عن « يمينية » صلاح جديد ،

■ الجــزائر

النجاحات .. والصعوبات

في ٢٠ مارس اعلن عن افتتــاح خط الانابيب الثالث للبترول في الجزائر وابرزت الصحف اهمية هذا الحدث باعتباره اول خط انابيب بترول تملكه دولة في العالم العربي . وجاء في الكلمة التي القاها الرئيس بومدين بهذه المناسبة ، انه بتشغيل خط الانابيب الجديد سيبلغ انتاج الجزائر من البترول ٤٠ مليون طن ســنويا تدر دخلا يقــدر بنحو ٢٠٠ مليون من الدولارات .

وقد قوبل هذا النبأ بالارتياح في جميع انحاء الوطن العربي وكان الرئيس بومدين قد علق على الاتفاقية التي انشيء الخط بمقتضــاها ، وذلك يوم ٦ مارس في اجتماع موســع بمدينة قسطنطينة ضم عددا كبيرا من كوادر حزب جبهة التحرير ، ففي نهاية الخطاب عرض الرئيس الجزائري للعلاقات الجزائرية ــ الفرنسية فقال انها علاقات معقدة وتنطوي بطبيعتها على كثير من المشاكل الاقتصادية والثقافية . ولكنه استدرك يقول ان الجزائر قد توصلت الى عقد اتفاق مع فرنسا في ميــدان البترول ، وان هذا الاتفاق بما يتضمنه من مكاسب جديدة يجعل من الجــزائر الدولة الاولى بين البلاد العربية وبين البــلاد المنتجة للبترول . واكد ان الجزائر هي ايضا اول دولة ــ على حد تعبيره ــ تمارس سياسة تحرير نشطة في مجال الغــاز والمواد الهيدروكربونية .

وهذا الاتفاق ــ بما فيه من نواح ايجابية ــ يذكرنا في الوقت ذاته بالعديد من الصعوبات والتحديات التي تواجه هذا البلد الشقيق اذ ما مثلت الصحف الجزائرية تولي اهتمامها المتزايد لمشكلات الاقتصاد القومي . والتي يلخصها الاقتصاديون التقدميون في نقطتين الاولى نقص الكوادر الفنية اللازمة لاقامة الصناعة وهي القصة الرئيسيه على حد تعبير مجلة «المجاهد» اما الثانية فهي ان المساحات المختلفة تعاني ضعفا في الانتاج وتوقفا يكاد ان يكون كاملا في بعضهــا .

على ان الخروج بالاقتصاد الجزائري من حالة الضــعف وعدم التوازن ليس مجرد مسألة فنية بحتة ، وانما لا بد وان تؤسس الحلــول على مواقف فكريه وعقائدية وهــذا ما دعا الرئيس بومدين الى ان يخصص جانبا كبيرا من حديثه الى كوادر شرق الجزائر لعدد من القضايا الايديولوجية . وكان ان طرح قضية الوحدة التي تتطلبها مصلحة الجزائر وهل هي وحدة وطنية ام وحــدة ثورية . واكد على ان المطلوب هو وحــدة تجمع بين العمال والفلاحين والثوريين جميعا . فهذه الوحدة تقوم على اساس ايديولوجي هو :الاشتراكية . وقال ان الاصوات الغريبة التي ترتفع بالدعوة الى «وحدة وطنية» انما تتناقض مع الثورة لان الوحدة الوطنية تعني ان تمتلىء صفوف الثورة بالانتهازيين والساسة الفاسدين . واذا كانت الوحدة الوطنية تصلح لبلد ذو نظام ليبرالي فانها لا تصلح لبلد يهتدي بالاشتراكية . وكل تساهل في هذا الاتجاه يؤدي الى تصفية الثورة .

وانطلاقا من التاكيد على الاشتراكية حدد بومدين ان انقاذ الاقتصاد الجزائري يتطلب التمسك بالتسيير الذاتي والدفاع عنه : فالمبدأ سليم رغم النواقص في التطبيق ودعم القطــاع الاشتراكي في الصناعة والزراعة ورصد الميزانية اللازمة لذلك وتوفير المبالغ اللازمة لمساعدة صغار الفلاحين الذين لم يتلقوا اية مساعدة من الدولة منذ انتهاء حرب التحرير ووضع خطة للتنمية تنفذ في خمس او ســبع سنوات ، كما تقتضي اجــراء اصلاحات واسعة في التشريع وفي نظام الضرائب . على ان هذا ــ كما اوضــح الرئيس الجزائري ــ انما يتم داخل اطــار سياسة عامة تهدف الى تأكيد سلطة الحزب ودوره في تعبئة الجماهير وفي مراقبة السلطة التنفيذية والتنسيق معها . كما ان هذا يتطلب اجراء تغييرات سياسية ترسي مبدأ اللامركزية وتضع كثيرا من المسئوليات على كاهل سلطات الحكم المحلي ابتداء من القاعدة ممثلة في الكومونات الريفية هذه الكومونات التي اعلن بومدين ان العمل جار بتحديدها وتكوين مجــالس منتخبة لادارتها تحت اشراف الحزب .



● بومدين

ومن خلال بحث المسئولين في الجزائر عن حلول للمشكلات الاقتصادية وللقضاء على ما ســماه الرئيس بومدين بتهييج الخــواطر في الاوساط الشــعبية بســبب اعمــال السرقة والاختلاسات والاهمال ــ نقول من خلال ذلك يحاول المسئولون ان يصوغوا ويوضحوا المعالم الرئيسية لسياستهم الخارجية . ففي حديثه الى كوادر الحزب اشار الى ان الجزائر جزء من المغرب العربي وانها تسعى الى اقامته على اساس واقعي ولكنها ايضا جزء من هذه الامة التي تسمى «بالعالم العربي» على ان اهم ما ورد في القسم الخاص بالسياسة الخــارجية رأيه في الاضطرابات والانقلابات التي حدثت في بعض الدول الافريقية . لقد اشــار الى ان عــددا من الدول الافريقيــة التقدمية قد اصيب بنكسات . وانه لا يكفي ان نلوم المستعمرين والمستعمرين الجدد وحدهم فانهم وان كانوا يتحملون مسئوليات فادحة الا ان الشعوب الافريقية تتحمل ايضا مسئوليتها . ذلك ان كل شعب يتخلى من واجباته ويلقي بالاعباء كلها على كاهل رجل واحــد قائلا له انت الثورة «وانت الاشتراكية» «وانت الشعب نفسه» ــ مثل هذا الشعب انما يعرض نفسه لاخطار هو وحده المسئول عنهــا . وكان بومدين قد بدأ حديثه الى الكادر بالهجوم على ما سماه بالزعامات الشخصية التي قال ان الجــزائر قد عانت منهــا كثيرا واختتم الرئيس الجزائري حديثه عن الاوضاع في افريقيا بقوله ان اعلان المواقف بازاء ما حدث في القــارة الافريقية لم يعد يكفي ولا بد من ان تعزز المواقف بمناهج واسلحة اخرى ■

■ منظمة الوحـــدة الافريقيـــة

الحاجة لاسلوب جديد فى العمل

أعلن محمود رياض وزير خارجيـة الجمهـورية العربية المتحدة ورئيس وفدها فى اجتماع الدورة السادسة لمؤتمر وزراء خارجيـة منظمة الوحدة الافريقيـة الذى عقـد فى اديس ابابا فى اوائل الشهر الماضى ، ان القاهرة « طلبت اعادة النظر فى اسلوب العمل بالمنظمة بعد ان تبين ان اسلوب العمل الذى اتبع حتى الآن فيها على نهج اسلوب العمل فى هيئة الامم المتحدة ، لا يصلح فى المجال الافريقى » . ويرى المراقبون ان اعادة النظر فى اسلوب العمل فى منظمة الوحدة الافريقية ، قضية يتطلبهـا ضرورة الموقف المترتب على تغير علاقات القوى فى افريقيا على اثر الانقلاب الذى وقع فى غانا بعد الانقلابات العسكرية السابقة عليه فى غرب افريقيا .»

ولم يقتصر التفكير فى اسلوب جديد للعمل فى المنظمة على الدول التحررية فى افريقيا ، فقد طالبت به ايضا اثيوبيـــا التى تتخذ ــ على حد تعبير الايكونوميســت البريطانيـة ــ « موقفا مترددا او محايدا من القضايا الافريقية » . ولكل من هذه الاتجاهات اهدافها المختلفة من المطالبة بتغيير اسلوب العمل . فقد صرح وزير خارجية اثيوبيا لمندوب الســانداى تايمز البريطانية انه « لابد من اجراء اتصالات جديدة على مستوى الرؤساء لتبادل الرأى بشأن مستقبل المنظمـــة ومصيرها » .»

ولهذا يطرح المراقبون الافريقيون عدة تساؤلات هامـة تقول : هل سيجتمع رؤساء الدول الافريقية فى نوفمبر القادم فى اديس ابابا حسب قرار مؤتمر اكرا الذى انعقد فى اكتوبر ١٩٦٥ ؟ وما هو مصير منظمة الوحدة الافريقية ؟ ومن السابق لأوانه التكهن بالاجابة على هذه التساؤلات ، الا انه يمكن القول ان ذلك سيتوقف على الاطار الجديد الذى سيحدده رؤساء الدول الافريقية لاسلوب العمل فى المنظمة . حيث يتوقع المراقبون أن يلح رؤساء حكومات الانقلابات التى وقعت فى الفترة الاخيرة فى غرب القارة ، لعقد هذا الاجتمـــاع لاكساب حكوماتهم وضعية شرعية على النطاق الافريقى ككل .

وعلى الرغم من ان اجتماع اديس ابابا لوزراء الخارجية كان قد تم لمناقشة مشكلة روديسيا ، الا ان احداث الانقلاب فى غانا فرضت نفسها على جدول اعمال المؤتمر . وتقــول الاوبزرفر البريطانية « ان جو المؤتمر قد ساده التوتر بعــد ان عرف ان حكومة الانقلاب فى غانا قــد ارسلت وفـــدا يمثلها » . ولم يكن من الممكن ــ كما تقول النيويورك تايمز الامريكية ــ « تجاهل مثل هذه المشكلة » . وتقول وكالة تاس السوفيتية « ان تحديد موقف بينها يعنى تحديد اتجـاه كل دولة من الاحداث الاخيرة التى يقف وراءها الاســتعمار الجديد فى افريقيا » . وكان مؤتمر وزراء الخارجية قد اتفق فى جلسته الاولى على عدم حضور اى من الوفدين فى هذه الاجتماعات « منعا للخلاف » . ولكن فوجىء وزراء الخارجية بممثل حكومة الانقلاب فى غانا يحضور الاجتماع ، فانسحبت وفود كل من الجمهورية العربية المتحدة ومالى وغينيا وتنزانيا والجزائر والكونجو برازافيل ، « احتجاجا على حضور ممثل حكومة الانقلاب » . وقد بدى واضحا ان هناك تيارات ثلاثة تجاه الاحداث التى شهدتها القارة . تيار تمثله القـــوى التحررية التى انسحبت وفودها . وتيار آخــر يضم دول الافروملاجاش التى تبدى ميلا واضحا للغرب . وتيـــار ثالث يضم زامبيا وموريتانيا واوغندا والسودان والكاميرون التى تتخذ « موقفا مترددا » على حد تعبير المراقبين .

أما مشكلة روديسيا والتى انعقد المؤتمر لاتخاذ موقف منها، فلم يعد جو المؤتمر مناسبا لمناقشتها . ولم يصل المؤتمـر بشأنها الى اية نتائج ايجابيـــة . وعلى العكس من ذلك هاجمت بعض دول الافروملاجاش ، الدول الافريقية التسع الذين قطعوا علاقاتهم الدبلوماسية ببريطانيا ، تنفيذا لقرار منظمة الوحدة من قبل . كما اتخذت اللجنة السياســـية للمؤتمر توصية تقضى « بحق الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها ببريطانيا ، بسبب مشكلة روديسيا ، ان تعيـــد العلاقات معها » . وقـد اعتبر المراقبون هـذه التوصية « نكسة للقرار السابق » . وصرح محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة « ان اية توصيات غير ملزمة ما لم تعتمد من رؤساء افريقيا فى نوفمبر القادم » .»

ويتوقع المراقبون ان يتضح موقف التيارات الثلاثة داخل المنظمة ، من منظمة الوحدة الافريقية ، فى الاشهر القليلة القادمة . وجدير بالذكر ان ٣٣ شهرا قد مضت اليوم على انشاء منظمة الوحدة .»

●

■ غانا

راكب « الليموزين » المنتشى

تقول الساندای تايمز البريطانية تحت مقال طويل بعنوان « غانا تتجـه الى الغرب » « ان قادة الحكم الجديد فى غانا من المتحمسين للولاء للغـرب » . وقـد كتبت النيوزويك الامريكية تقول :

«لقد كان السفير الامريكى فى اكرا يبدو غداة الانقلاب وهو فى سيارته الليموزين ، منتشيا وغير مصدق لما يحدث أمام عينيه وبهذه السرعة » .

ولم تمر أيام على قيام الانقلاب حتى سارعت أمريكا بتلبية «الطلب العاجل» لحكومة الانقلاب للحصول على معونة كبيرة من المواد الغذائية ، وتقول«الايكونوميست البريطانية» ان امريكا تحث الدول الغربية وحلفائها على تقديم المعونة لحكومة اكرا الجديدة » . كما تلقت حكومة الانقلاب قرضا قدره ١٠ ملايين دولار من امريكا وتتوقع وكالات الانباء أن تحصل قريبا على ٣٥ مليون دولار اخرى . وقد اجمع المراقبون ــ كما تقـــول الساندای تایمز ــ «أن الحكم العسكرى الجديد يتجه بغانا الى الغرب بشكل حاسم» .

وبدلا من ان يقيم شعب غانا احتفالاته السياسية فى ٧ مارس الماضى بعيد استقلال بلاده ، اصدر انكراه رئيس المجلس الوطنى الذى اقامه قادة الانقلاب ــ أوامره «باحياء يوم الاستقلال بالذهاب الى الكنائس للصلاة » . وقد علق المراقبـــون السياسيون على هذا بقولهم «لقد خشى الانقلابيون مـــن الاحتفالات السياسية التى يمكن أن تنتهى بالهتاف والتظاهر ضد الانقلاب » وكانت هذه الاوامر جزءا من مظاهر الخوف التى يبدو عليها قادة الانقلاب الذين حولوا الحدود والمطارات



● نكروما ● سيكوتورى

ــ كما تصف الاوبزرفر ــ «الى ساحات عسكرية مدججة بالسلاح حتى اسنانها » . خاصة مذ وصول الرئيس نكروما الى فينيا .

وجدير بالذكر أن قادة الانقلاب قد اتخذوا عدة أجراءات سياسية واقتصادية تقضى **بحل حزب المؤتمر الشعبى** والميليشيا وأتحادات العمال والفلاحين والشبيبه . كما أعلن **انكراه** الغاء مشروع السنوات السبع للتنمية والغاء القطاع العام ومراجعة كل الاتفاقيات التجارية والاقتصادية التى عقدت فى ظل حكم نكروما . وقال انكراه لمجلة **التايم** الامريكية «ان القطاع الخاص فى اقتصاد غانا سيفتح للغانيين ولغير الغانيين . كما انه لن يجبر على قبول مساهمة الحكومة» . كما قامت حكومة الانقلاب باغلاق مبنى منظمة الوحدة الافريقية فى اكرا ومعسكرات تدريب الفدائيين الافريقيين الذين وفدوا الى غانا فى ظل حكم الرئيس نكروما لشن الكفاح المسلح فى بلادهم من أجل تحريرها . كما طردت الحكومة كل خبراء الدول الاشتراكية وطلبت من حكومات بريطانيا وأمريكا والمانيا الغربية المسارعة «بارسال الخبراء الاقتصاديين والفنيين والعسكريين الى غانا » . ويــــرى المراقبون السياسيون فى كل هذه الاجراءات «نكسة حادة لحركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى أفريقيا » .

ومنذ تولى كوامى نكروما رئاسة جمهورية غينيا والحزب **الديمقراطى الغينى** ، بالمشاركة مع الرئيس أحمد سيكوتورى ، يعيش قادة الانقلاب فى رعب دائم من النتائج التى يمكن أن تترتب على هذه الخطوة الذى اعتبرها المراقبون السياسيون «سابقة تاريخية خطيرة وذات أبعاد هامة » . ورغم أن العواصم الغربية حاولت أثارة المناقشات حول دستورية هذا الاجراء ، الا أنها سرعان ما صمتت أمام نص فى الدستور الغينى يقضى بأن «كل الافريقيين المقيمين فى غينيا والمؤمنين بالثورة الافريقية رعايا غينيين يحق لهم تولى نفس المراكز التى كانوا يتولونها فى بلادهم » . وعندما سافر نكروما وسيكوتورى الى باماكو (مالى) واجروا محادثات سرية مع **موديبو كيتا** رئيس جمهورية مالى ، أنزعج قادة الانقلاب فى غانا وأعلن انكراه أنه «اذا حاول نكروما ان يهاجم الحدود فاننا سنطلب مســاعدة أمريكا وبريطانيا على الفور » كما أعلن أحد قادة الانقلاب ان الحكومة الجديدة فى غانا «ستطلب من نيجيريا والدول الافريقية **الاخرى الصديقة أن تساعدها فى حالة قيام اية محاولة لغزو** غانا واعادة نكروما الى السلطة وفى **ساحل العاج** هاجم **هوفيه بوانييه** رئيس الجمهورية الخطوة التى اتخذها سيكوتورى والحزب الديمقراطى الغينى وقام بحشد الجيش على الحدود المشتركة مع غينيا . ومعروف أن ساحل العاج تقع ما بين غينيا وغانا ، وقد وصف سيكوتورى ، بوانييه ، بأنه « لعبــة فى يد الاستعمار » .

لقد وجه كوامى نكروما أكثر من حديث بالراديو الى شعب غانا يدعوه الى الثورة على حكومة الانقلاب كما قال للشعب الغانى فى حديثه «انني سأكون قريبا فى غانا» . وجدير بالذكر أن سيكوتورى شن هجوما ضد المناقشات التى أثارها الغرب حول تولى نكروما رئاسة جمهورية غينيا وسكرتارية الحزب الديمقراطى الغينى ، ثم قال «لماذا يرسل الامريكيون قواتهم وقوات كوريا ونيوزلنده الى فيتنام أن هذه القوات لاتحمى بلادها . ولكننا هنا ندافع عن بلادنا ــ أننا لانرسل قوات الى قارة أخرى ولكننا ندافع عن حرياتنا » . ومعروف أن حالة التعبئة العامة قد أعلنت فى غينيا

ويجمع المعلقون ، كما تجمع كل الدوائر السياسية على أن الرأى العام فى أفريقيا وفى دول العالم الثالث والـــدول الاشتراكية ضد الانقلاب . ويؤكد المراقبون صحة ما قاله نكروما «**ليس فى وسع اى شخص كان ان يدمر المكاسب الاشتراكية** التى حصل عليها شعب غانا » . ولهذا فان استمرار الحكم القائم فى غانا واستقراره ، محل شك كثير من المراقبين الذين يعتقدون أن منطق سيكوتورى صحيحا وهو يقول «أن الاستعمار يهاجمنا الان بكل وحشيته ورعونته ويجب أن نواجهه بكل مافى ثورتنا من شدة وبأس أنه يهاجم بكتلة متحدة ويجب أن نواجهه فى جبهة واحدة » .

وكان للبيان الذى أصدره **الاتحاد الاشتراكى العربى** ، غداة انقلاب غانا ، اثرا طيبا فى نفوس القوى الوطنية والديمقراطية فى أفريقيا . وقد وصف البيان الانقلاب بأنه «مؤامرة من صنع الاستعمار . والاستعمار الجديد الذى يسعى على الدوام لتقويض استقلال الدول الافريقية واعادتها لمناطق النفوذ من أجل الاستمرار فى استغلال شعوبها واستنفاد مواردها ، وحيا البيان الرئيس نكروما باعتباره دعامة من دعائم حركة النضال البطولى فى افريقيا وأبنا بارا لها وجنديا أخلص لحركة تحرير شعوبها وعمل على ابراز شخصيتها وتحقيق وحدتها » ثم اكد البيان «أن الشعوب التى آمنت بالحرية وثارت ضد الاستعمار وضد الاستعمار الجديد والتخلف وضد السيطرة الاجنبيــــة والاستغلال بجميع أشكالها لايمكن أن تثنيها مثل هذه النكسات العارضة عن التصميم على المضى قدما بارادة قوية فى مواصلة النضال لتصفية الاستعمار بجميع اشكاله وصوره تصــفية نهائية » .

●

■ اوغندا

المساومة ١٩٦٠ .. والتآمر ١٩٦٦

أعلن

ميلتون اوبوتى رئيــس وزراء **اوغنــدا** انه قد طرد فريدريك موتيسا رئيس الجمهورية وكاباكا بوجندا (اى الملك) السابق . وتولى اوبوتى سلطات رئيس الجمهورية بعــد قرار وقف الدستور وتقديم ٥ وزراء مــن حكومته للمحاكمة . ورغم الدلالة الهامة والخطيرة لهــذا النبأ ، الا انه لم يحظ بالاهتمــام الكافى من جانب المعلقين

السياسيين نتيجة للاحداث التي شهدتها منطقة غـرب افريقيا وخاصة انقلاب غانا . وقد صرح موبوتي انه اتخذ هـذه القرارات بعد ان ضبطت مؤامرة للاطاحة بحكومته يساندها الكاباكا و « القوى الاجنبية » .

ويبدو ان شيئا ما كان مدبرا من قبل من جانب بعض الدول الغربية . فقد اثار دهشة. وتشكك المراقبين السياسيين ان تخرج الصحافة البريطانية والامريكية في نفس اليوم الذي وقع فيه انقلاب غانا ، وقد نشرت في صفحاتها الاولى نبـأ يقول بان اوبوتي قد اطيح به ، بينما لم يكن قد حدث شيء بالفعل . ولهذا يرجح المراقبون ان انقلابا كان معدا لان يقع في اوغندا في نفس الوقت الذي وقع فيه انقلاب غانا بقصد تشتيت انظار وجهود الرأى العام الافريقي والقوى الوطنية في افريقيا . وفي نفس الوقت لبدء سلسلة مماثلة من الانقلابات في شرق افريقيا حيث تعد اوغندا احدى دولها الهـامة .

وفي الوقت الذي تحرض فيه التايم الامريكية شـعب اوغندا (٨ مليون) على التمرد ضد حكومته على لسـان زعيم المعارضة في اوغندا بقوله « وعلى شعب اوغندا ان يقف ضد الغاء الدستور ولو تطلب ذلك ان يموت » ، فينفس هذا الوقت تتحرك العناصر الانفصالية لاثارة عوامل التفرقة القبلية وخاصة في جنوب اوغندا حيث تعيش قبيلة. البانتو ضد قبيلة النيلوتيك في الشمال .

وتنقسم اوغندا التي استقلت في اكتوبر ١٩٦٢ الى اربعة اقاليم هي : بونيـورو وانكول وتورو وبوجنـدا التي تعتبر اكبرها مساحة وتعدادا للسكان . وتعد اوغندا اكبر دولة في الكومنولث تنتج القطن والبن .

وجدير بالذكر ان الكاباكا موتيسا قد طالب بريطانيا عام ١٩٦٠ اى قبل الاستقلال بعامين ، بانفصال بوجنـدا من اوغندا حيث كانت البلاد على ابواب انتخابات عامة . وقد حدث نوع من المسـاومة بين موبوتي رئيس الوزراء وبين الكاباكا على ان يتنازل عن فكرته مقابل تنصيبه رئيسـا للجمهورية والغاء الملكية بعد الحصول على الإستقلال .

●

■ روديسيا

ماذا بعد الانتخابات البريطانية وموقف المنظمة الافريقية ؟

كشفت الانباء الاخيـرة ، عن أن شركات البترول الغربية على وشـك الانتهاء من بناء ثلاث خزانات كبيرة للبترول في موزمبيق (مستعمرة برتغالية) في بيرا . وتوضح صحيفة الاوبزرفر البريطانية — بالتفصيل « ان خطا من الانابيب الضخمة طوله ٢٠٠ ميل سيصل بين بيرا في موزمبيق وبين اومتالي في روديسيا .

وتبلغ سعة الخزان ٦ آلاف طن وذلك كضمان جديد لاستمرار تدفق البترول الى روديسيا . وتزعم حكومة البرتغال ان الشركات الغربية القائمة بتنفيذ الخزانات «شركات خاصة» لتقول في النهاية أن نشاطها «مسألة خاصة بالشركات نفسها» . وذلك في نفس الوقت الذي اكد فيه كل من سلوين لويد — المتحدث بلسان حزب المحافظين والذي قام بجولة تحقيقية في روديسيا — وفرانك كازاناف — النائب الفرنسي — ان العقوبات الاقتصادية المفروضة على روديسيا لاتنفذ تقريبا سواء أكانت تتعلق بالبترول او بفرض حظر على واردات روديسيا » . وأوضح كازاناف ان هذا الموقف «فيما يبدو ، سيستمر لوقت طويل» وراح كولين ليجوم يؤكد في صحيفة الاوبزرفر البريطانية «أنه يبدو أن حكومة سميث قد اصبحت ابعد من السقوط الآن منه منذ اربعة اشهر» . وقد كشف ليجوم عن أن فيرفورد — رئيس وزراء الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا — «كان قد اعطى سميث — قبل اعلان الاستقلال غير الشرعي — ضمانات سرية بتأييده وتدعيم حكمه » .

لقد أصبحت مشكلة روديسيا مجالا أساسيا للمناورات الانتخابيه بين حزبي العمال والمحافظين في بريطانيا . حيث يسعى حزب المحافظين أن يتعهد ويلسون «بالعمل من أجل الدخول في مفاوضات مع حكومة سميث للوصول الى تسوية دستورية» أى الاعتراف بحكومة سميث غير الشرعية والبحث عن شكل دستوري لهذا الاعتراف . وتسعى الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا الى تدعيم حكومة سميث ، لانها ترى — كما تقول الايكونوميست البريطانية — «أن جنوب افريقيا سيواجه آجلا أو عاجلا تحديا دوليا مباشرا خاصة عندما تتخذ المحكمة الدولية قرارها بشأن جنوب غرب افريقيا خلال الاشهر الثلاثة القادمة . لذلك فهى ترى أن روديسيا ستكون افضل موقع لامتصاص هذا التحدي خاصة وأن الامم المتحدة تواجه الان صعوبات متعددة » . وفي نفس الوقت تسعى الولايات المتحدة الامريكية — كما يعتقد المراقبون — الى الإسراع بتمكين نفوذها الاقتصادي في روديسيا من السيطرة ، لذلك فهى تمد حكومة روديسيا بالمساعدات — وخاصة بعد افتتاح مركز للاستعلامات تابع لسميث في أمريكا — والمساعدات المادية . وقد صرح سميث لمندوب النيوزويك الامريكية أن حكومته «تتعاون دائما مـع المستثمرين الامريكان » .

وذهب هايستنجز باندا رئيس جمهورية مالاوي في تصريحاته الموالية للغرب والمعادية للشعوب الافريقية ، الى حد انه ادلى اخيرا بتصريح في البرلمان — استنكره المراقبون الافريقيون وادانوه — قال فيه «من غير المنطقي قبول العرب في الشمال الافريقي كمواطنين افريقيين ورفض قبول البيض الاوربيين في روديسيا كمواطنين » . وجدير بالذكر أن اجتماع وزراء خارجية منظمة الوحدة الافريقية الذي انعقد في اديس ابابا لم يستطع الوصول الى نتيجة بشأن مشكلة روديسيا — التي كانت سبب انعقاد الاجتماع أساسا — وذلك بسبب احداث غانا التي فرضت نفسها على المؤتمر . وكان جدول اعمال الاجتماع يتضمن «جانبا عسكريا يتناول التدابير التي يمكن أن تقوم بها المنظمة دفاعا من زامبيا في حالة تعرضها لعدوان من جانب حكومة روديسيا ، وكذلك امكانيات القيام بأعمال تخريبية داخل روديسيا لتعويق حكومة الاقلية العنصرية فيها» .

ويتوقع بعض المراقبين أن تشهد مشكلة روديسيا فترة من الركود السياسي بعد أن تنتهي الانتخابات البريطانية وتخف حدة المناورات بين حزبي العمال والمحافظين والإتجاه الى المضاربة الانتخابية على المشكلة . وقد جاءت توصية اللجنة السياسية التابعة لمنظمة الوحدة ، مرجحا لهذا الإعتقاد اذ تقول التوصية «من حق الدول التي قطعت العلاقات مع بريطانيا بسبب مشكلة روديسيا ، أن تعيد هذه العلاقات » . وقد أثارت هذه التوصية استياء واستنكار وزراء خارجية الدول المتحررة في المنظمة .

ولهذا يرى المعلقون الافريقيون أن مشكلة روديسيا ستصبح واحدة من المشاكل الوطنية الافريقية المعلقة والتي يصعب مواجهتها وبمعزل عن مواجهة تطور الاحداث الخطيرة في الفترة الاخيرة في افريقيا ككل .

■ اندونيسيا

الى أين ؟

أفادت آخر الانباء التى نقلتها الوكالات المختلفة من سنغافورة ان الحكومة العسكرية الاندونيسية الجديدة التى يتزعمها الجنرال سوهارتو قد خيرت الرئيس الاندونيسى سوكارنو بين مغادرة اندونيسيا فى رحلة طويلة للخارج ، او البقاء فى اندونيسيا فى منصب رئيس الجمهورية فقط ، او التعرض لتجريده من السلطات القليلة الباقية له ثم يجبر على الاستقالة ، ثم عاد سوكارنو وكذب هذه الاخبار واكد احتفاظه بلسطات رئيس الجمهورية وقيادة القوات المسلحة وزعامته للثورة .

وقد ذكرت هذه الانباء ان جنرال سوهارتو قائد الجيش « والرجل القوى » الان فى اندونيسيا كما تردد عديد من وكالات الانباء ، يقترح على سوكارنو ان يقبل الاختيار الاول . وقد تم ذلك بعد نقل الدكتور سوباندريو وزير الخارجية السابق والشخصية المقربة الى الرئيس سوكارنو ومعه الاربعة عشر وزيرا الذين كانوا اندوضعوا تحت (التحفظ الوقائى) الى السجن الحربى بجاكرتا .

وكان الجنرال سوهارتو قائد الجيش الاندونيسى ، قد اذاع بيانا من راديو جاكرتا قبل ذلك ، نفى فيه وجود مجلس ثورة عسكرى يحكم اندونيسيا وقال ان الرئيس سوكارنو لايزال « القائد الاعلى » لاندونيسيا . وكان اهم قرار قد اصدره سوهارتو قبل ذلك . هو امر باسم سوكارنو بحل الحزب الشيوعى الاندونيسى وحظر كل نشاط له برغم ان سوكارنو كان قد عارض مرارا من قبل فى اتخاذ مثل هذا القرار .

ولا يزال المراقبون يتساءلون وسط عديد من الانباء المتضاربة والغامضة الاخرى التى ترد من جاكرتا والعواصم المحيطة بها ــ عما ستؤول اليه الصراعات المحتومة داخل هذا البلد ، والتى اعقبت انقلاب ٣٠ سبتمبر الماضى .

وكان الرئيس سوكارنو قد اذاع قبل ذلك ، رسالة الى الشعب الاندونيسى « لان حدوث سوء فهم لموقفه ، ولان بعض الناس تلقوا انطباعا خاطئا عما حدث » كما اوضح هوبنفسه عقب ما اعلن عن تخويله للجنرال سوهارتو قائد الجيش ، سلطة اعادة الامن والهدوء الى البلاد . وقال فى رسالته ان له مطلق السلطة فى اختيار اعوانه ، رغم ان بعض الاشخاص يريدون ان يحددوا له من يختار . واكد انه لايزال يتمتع بالسلطات التى خولها له دستور ١٩٤٥ والمرسوم الرياسى لعام ١٩٥٩ بشأن تولى مهام الحكومة . وقد وقع سوكارنو بعدها اتفاقية لشراء ٤٠ طائرة من هولندة . وبعد ان كان المراقبون يعلقون على هذا الموقف بأن الصراع يدور فى صورة تمسك سوكارنو بحقوقه الدستورية فى مواجهة قوة جنرالات الجيش التى يتزعمها سوهارتو والتى تقبض على السلطة الحقيقية فان مارددته وكالات الانباء اخيرا يمكن ان يلقى الضوء على مستقبل علاقات القوى بين المجموعات المتعارضة هناك .

ويعتبر معظم المراقبين ان قرار الرئيس سوكارنو باعفاء الجنرال عبد الحارس ناسوتيون وزير الدفاع من منصبه ، وامره الاخير بحل « قيادة العمل الطلابية » هما أهم قرارين هجوميين وجههما ضد جنرالات الجيش الذين يعارضون وحدة كل القوى الوطنية فى اندونيسيا وفق جبهة « ناساكوم » القومية التى تضم الوطنيين والشيوعيين والاحزاب الدينية . خاصة وقد ترتب على هذه المعارضة مذابح ضخمة وراح ضحيتها ماقدرته بعض وكالات الانباء بحوالى ١٠٠،٠٠٠ اندونيسى اتهموا بمناصرة انقلاب قائد حرس الرئيس سوكارنو .

وكان المعلقون الغربيون ينظرون الى التعديل الوزارى الذى صاحب طرد ناسوتيون ، والذى عين فيه اثنين من اليساريين المعروفين فى منصبين بوزارة الدفاع ــ احدهما هو المارشال الجوى عمر داني القائد السابق لسلاح الطيران والذى نفاه الجنرالات الى اوربا باعتباره مناصرا للانقلاب ــ ، ينظرون الى ذلك باعتباره ذرا للملح فوق جراح الجيش . كما يعتبرون تعيين ادهم خالد رئيس حزب نهضة العلماء المعادى للشيوعيين ، كنائب لرئيس الوزراء ، وتعيين الميجور جنرال الحاج سربيني وهو معادى للشيوعية ايضا فى منصب وزير الدفاع ، بمثابة عملية من عمليات سوكارنو المعتادة فى ارباك المعارضة . الا ان الكثيرين منهم أصبحوا يرون ان تلك الخطوات جاءت متأخرة عن أوانها .

ويتساءل عديد من المراقبين حول المسار الذى يمكن ان تسير فيه الثورة الاندونيسية عقب التحولات الاخيرة ، والتى ازداد من خلالها بروز دور الجنرال سوهارتو الذى تزعم جنرالات الجيش

●



● سوهارتو

■ الهند

« أنديرا » تحارب فى ثلاث جبهات

سارعت السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند فى الفترة الاخيرة ، بزيارة منطقة آسام حيث اخذ رجال جبال ميزو يستعدون للقتال والانفصال عن الحكومة الهندية ، وتأسيس دولة جديدة خاصة بهم . هذا فى الوقت الذى كانت السيدة انديرا تبذل فيه جهودا متواصلة لمعالجة ازمات الطعام فى البنغال الغربى ، والقلاقل فى البنجاب الناشئة عن مطالب السيخ فى اقامة ولاية على اساس لغة البنجاب

وقد طار الى كلكتا جولزا ريلال ناندا وزير الداخلية الهندية وسوبرا مابنام وزيرالاغذية لبحثالموقف الناجم عنالاضطرابات الدامية التى ازدادت حدة هناك احتجاجا على سياسة الحكومة الغذائية ، وقد فرضت الحكومه حظر التجول هناك واضطر البوليس الى اطلاق النار على المتظاهرين وأعلن ناندا وزير الداخلية ان البوليس اطلق النيران على المتظـــاهرينفى كلكتا وغرب البنغال واعتقل ١٣٠٠ ممن اشتركوا فى المظاهرات ضد نقص المواد الغذائية واتهمت انديرا غاندى الاحزاب اليساريه بتدبير المظاهرات وهددت بسحق الاضطرابات ،وردد زعماءهذه الاحزاب بان المظاهرات ستستمر حتى تنتهى المجاعة فى غرب البنغال وحملوا الحكومة مسئولية تدهور الاوضاع الغذائية

ويرى اغلب المراقبين ان ولايتى كيرالا والبنغـــال الغربى ستكونان اكثر تعرضا للاضطرابات من غيرهما فى الفترةالقادمة بسبب اعتمادهما على الارز ولان من المتوقع انيصل النقص فى محصوله ٧ مليون طن مما يجعلهأكثر تاثيرا من النقصفى القمح الذى تعتمد عليه الولايات الاخرى . وبينما ستكفل الجمعيات الخيرية باطعام مليون شخص آخرين من النساء والاطفـــال والشيوخ ، يلاحظ انه لايوجد اى دليل بالنسبة للطبقاتالمتوسطة والغنية فى المدن الكبرى على حدوث نقص فى الاغذية ، حيث تتوفر هذه الاغذية فى الاسواق . هذا فى الوقت الذى وصل فيه الى السيدة انديرا غاندى تقرير كئيب عن الوضع فى المناطق المهددة بالمجاعةوذلك اثناءاجتماع حزبالمؤتمرفى جايبور .

وقد قوبل وصول بعثة البنك الدولى برياسة برنارد بيل لاستئناف المباحثات معالحكومة الهندية، بارتياح من جانبوزارة المالية التى كان قداصابها القنوط فى الفترةالاخيرةمنمساعدات الغرب الجديدة للهند تحت اشراف البنك الدولى . الا ان استئناف هذه المحادثات لايبدو فى نظر الكثير من المراقبين ضمانا للحصول على المعونة الغربية على النطاق الذى تصـــوره المخططون الهنود ، خاصة وينتظر أن تحتاج الهند الى ٣٧٥ مليون جنيه من العملة الصعبة فى ميزانية ١٩٦٦ — ١٩٦٧ . كما أوضحت الفيناتشيال تايمز البريطانية .

هذا وقد اسفر قرار القيادة العليا لحزب المؤتمر بتنفيذ مطالب السيخ بانشاء ولاية تتحدث بلغة البنجات هناك ، عن وقوع اضطرابات أخرى وصدامات مسلحة فى مدن امريتسار ولودنيانا وجوليوندار وامبالا ، مما اضطر السلطات لاستدعاء رجال الجيش لقمع الاضطرابات هناك وامتدت موجةالاضطرابات الى نيودلهى حيث خرج عشرات الالاف من الهندوس فى مظاهرات صاخبة احتجاجا على قرار الحكومة واتبعهم السيخ بهجوممضاد على الهندوس جرح فيه ١٠٠ شخص على الاقل ، كما أصيب ٩٤ من موظفى حكومة ولاية البنجاب بسبب المشكلة نفسها واحرق المتظاهرون من اعضاء حزب «جان سانج» الهندوكى ثلاثة من الهندوس الذين ايدوا قرار حزب المؤتمر بانشاء ولاية للسيخ ولاتزال حكومة انديرا غاندى تواصل العمل لتهدئـــــة الاضطرابات .

وكانت اخر المشكلات التى واجهتها الحكومة هى مشكلة اهالى الجبال فى منطقة ميزو ، الذين أعلنوا الثورة علىالحكومة المركزية وتأسيس دولة جديدة منفصلة من الهند ونجحوا بقيادة المدرس السابق لال-دنغا فى احتلال ايجول عاصمة المقاطعة الا أن الحكومة المركزية نجحت فى استعادتها وترجع هذه المشكلة الى وجود تركز مسيحى فى منطقة جبال ميزو ، يعتبر قلة داخل ولاية أسام ويتكلم عدد من الوجوه البارزة فى هذه المنطقة اللغة الانجليزية طلاقة ويجهلون اللغة الاسامية . وقد كان اتحاد ميزو الذى يضم ٣٥٠٫٠٠٠ مواطن من رجال القبائل تابعا لحزب المؤتمر ، بعد تنفيذ الاصلاح الزراعى الذى كانت الحاجة ماسة اليه ، ولكن الاتحاد تصدع عندما امرت حكومة حزب المؤتمر فى آسام على فرض اللغة الاسامية على الولاية كلها وكان الرد هو المطالبة بانشاء ولاية مستقلة لقبائل ميزو .

وقد انشأ المتطرفون فى جبال ميزو ، جبهة ميزو الوطنية لمعارضة اتحاد ميزو سنة ١٩٦١ وفازوا بانتصارات كبيرة فى الانتخابات الفرعية ، وفى سنة ١٩٦٥ عقد مؤتمر لجميع احزاب ميزو ، ناقش الاستقلال وقدم طلب بالاستقلال الذاتى ، هذا فى حين أن الزعيم السابق جواهر لال نهرو كان قد سبق ، وعرض عليهم الاستقلال على غرار استقلال اسكتلندة واكد ذلك شاسترى دون أن ينفذ ايهما شيئا فيما يتعلق بتغيير علاقة آسام بمناطق الجبال .

ويرى اغلب المراقبين ان السيدة انديرا لاتستطيع أن تعالج مشكلة ميزو دون موافقة آسام . ووجة الصعوبه يكمن فى ان اية خطوة للحد من سلطة حكومة الولاية على المناطق الجبلية ستواجه معارضة قوية من الاساميين فى السهول . وليس باستطاعة السيدة انديرا او رئيس وزراء آسام ان يتجاهلوا هذه المعارضة . الا ان البعض يرون أن علاقة أنديرا ابنة نهرو ووريثته السياسية، معالاقليات لاتزالقويه وان ذلك سيساعدها على الحد من تطرف المتطرفين من قبائل ميزو أو ناجا او غيرهم من ناحية ، وعلى مواجهة الضغط المتزايد داخلحزب المؤتمر لاتخاذ اجراءات شديدة العنف ضد دعاة الانفصال من اى لون من ناحية أخرى .

●

■ فيتنام

ماذا سيسجل على أمريكا ؟

لايكاد شـــهر يمر دون ان يطلب جونســـون من الكونجرس اعتمـــاد مبلغ اضـــافى لتغطية العمليات العسكرية فى فيتنام والتى شبهها السناتور كلارك « بمن يحاول احداث حفرة فى الميـــاه » .

وقد ترتب على هذا — كما تقول الاوبزرفر البريطانية — «ان انخفضت ميزانية ابحاث الفضاء الامريكية . وادت الى تأجيل الرحلات الى المريخ من عام ١٩٦٩ الى ١٩٧٣» هذا فضلا عن الضرائب التى ترفعها حكومة جونسون باستمرار ويتحملها الشعب الامريكى فى حرب سبق لجونسون نفسه أن أعلن (عندما طلب ايزنهاور من مستشاريه أمداد فرنسا فى ١٩٥٤ بالمساعدات لمواجهة الحرب فى الهند الصينية) انه ليست لامريكا «اى مصلحة فى هذه الحرب . وليس هذا هو المكان المناسب ولاالوقت المناسب للدخول فى معـــارك » . ولكنـــه اعلن فى مؤتمر صحفى منذ ثلاثة اســـابيع « أن طـــريق حـــرب فيتنام سيكون طويلا وشاقا ويستلزم كثيرا من التضحيات » .

ويقول نيل شيهان مراسل النيويورك تايمز الامريكية «ان التقارير الرسمية لحـــكومة سايجون توضـــح أن ١١٣ الف جندى تابع لجيش سايجون قد فروا من الخدمة العسكرية خلال عام ١٩٦٥ . وان هذا العدد يتزايد باستمرار . هذابالاضافة الى ان حكومة سايجون قد خسرت ١٢ الف قتيل من جنودها و ٢٢ الف جريح و ٦ آلاف مفقود فى عام ١٩٦٥ «كما ترفع

حكومة سايجون باستمرار من نسبة الضرائب المفروضة على السلع المستوردة الى حد بلغ درجة عالية » .

وتقول التقارير الواردة من وشنطن وتنقلها وكالات الانباء ، أن عدد الامريكيين المعارضين لسياسة جونسون فى فيتنام يتزايد باستمرار . فقد انضم السناتور ادوارد كيندى وروبرت كيندى الى المجموعة المعارضة لجونسون والتى يتزعمها مايك مانسفيلد زعيم الديمقراطيين . كما يشن كل من فولبرايت ووابن موريس، باستمرار ، هجوما سياسيا ضد جونسون بسبب الحرب فى فيتنام ويعترف المسئولون الرسميون فى امريكا أن خسائر امريكا «من العتاد والارواح» تتزايد بشكل مستمر امام الهجمات التى تشنها قوات جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية . ورغم المأزق الذى يضيق من خناقه ــ كما يقول المراقبون ــ حول الحكومة الامريكية ، الا ان كلا من دين راسك وزير الخارجية وماكسويل تيلور (سفير امريكا السابق فى فيتنام) ومكنمارا (وزير الدفاع) يدعون جونسون الى اصدار أوامره ببث الالغام فى مدخل ميناء هايفونج وهو اكبر موانى فيتنام الشمالية كحلقة من اتجاههم العام الداعى الى «توسيع نطاق الحرب» التى وصلت ــ كما تقول الصنداى تايمز البريطانية ــ الى حد «ضرب أهداف قريبة جدا من حدود الصين وقطع خط السكة الحديد الذى يمتد فى اتجاه الشمال الغربى ويصل مابين الصين وفيتنام الشمالية» وقد بلغت هذه المغامرة حدا صرح معه واين موريس «انه سيسجل على الولايات المتحدة أنها قادت العالم الى حرب عالمية ثالثة مالم تصل الى حل سلمى لأزمة فيتنام » . وجدير بالذكر أن القوات الامريكية تتزايد باستمرار فى فيتنام حتى بات من المقدر فى نظر النيويورك تايمز الامريكية «أن تصل الى ٣٥٠ الف جندى خلال هذا العام» وتضيف الاوبزرفر البريطانية «أن أمريكا تسترد الآن القنابل التى كانت قد باعتها عقب الحرب العالمية الثانية الى الحلفاء لاستخدامها فى حرب فيتنام» . كما يقول بيان وزارة خارجية فيتنام الشمالية الذى صدر فى أوائل مارس الماضى «ان حكومة كوريا الجنوبية ضاعفت فى الفترة الاخيرة عدد قواتها (من ٢٠ الف الى ٤٠ الف) الذين تبعث بهم لمساعدة حكومة سايجون» ولكن ذلك كله لم يحل دون استمرار هجوم قوات جبهة التحرير واسقاط كثير من الطائرات الامريكية التى تشن الغارات على فيتنام الشمالية .

وكان من المنتظر أن يلعب مؤتمر عدم الانحياز الذى كان مقررا عقده فى القاهرة ثم حالت احداث اندونيسيا دون عقده ، دورا بارزا بخصوص مشكلة فيتنام . وكان ديجول قد اقترح من قبل مشروعا من نقاط اربع لحل ازمة فيتنام سلميا ، وتقضى بمنح استقلال فيتنام وضمان عدم وقوع اى تدخل فى شئونها وتأكيد حق شعبها فى أن يختار مصيره وشكل الحكم الذى يرتضيه . وتقضى النقطة الرابعة من مشروع ديجول «بأن تنتهج كل من دولتى فيتنام سبيل الحياد»

ويقول سولزبرجر المعلق الفرنسى المعروف ــ أن باريس ترى «أن حكومة كاوكى فى سايجون لاتمثل اهالى فيتنام الجنوبية تمثيلا حقيقيا ، وبالتالى فان هذه الحكومة لاينبغى أن تشترك فى اية محادثات سلمية وليس هناك سوى جبهة التحرير الوطنية» وترى فرنسا ــ كما يضيف سولزبرجر ــ «أن الصراع يقوم فى فيتنام بين أمريكا ذاتها وبين شعب فيتنام الجنوبية . ولايمكن أجراء مفاوضات سلمية قبل أن يعترف بهذا» .

وجدير بالذكر أن التايم الامريكية قد نشرت تحقيقا صحفيا من فيتنام اوضحت فيه أن جونسون «يستمد سلطاته لابقاء الحرب دائرة فى فيتنام من مادة فى ميثاق حلف جنوب شرقى آسيا الموقع عليه فى عام ١٩٥٤ . واستنادا الى نص فى ميثاق الحلف يتقدم بين كل حين وآخر مطالبا بالموافقة على زيادة الاعتمادات لمواصلة الحرب » . ومعروف ان الدستور الامريكى يعطى رئيس جمهوريتها سلطة اعلان الحرب وابقاء اى حرب مشتعلة طالما يملى عليه ضميره والظروف السياسية المحيطة به أن ينتهج هذا المسلك » . ولهذا يتساءل المراقبون الى اية نتيجة سيقود جونسون العالم اليها بناء على هذه النصوص ؟

●

■ باريس

اصابة مباشرة فى قلب حلف الاطلنطى

قرر الرئيس ديجول الانسحاب من المنظمتين العسكريتين التابعتين لحلف الاطلنطى والموجودتين فى فرنسا ، وهما القيادة العليا لقوات الحلفاء فى اوربا ، وقيادة أوربا الوسطى ، ورغبته فى نقل مقر قيادة هاتين المنظمتين الى خارج فرنسا ، واعتبر المسئولون الامريكيون هذا الامر بمثابة « اكبر تهديد داخلى للتحالف الغربى » منذ انشاء حلف الاطلنطى فى عام ١٩٤٩ .

وقد أصدرت جميع دول حلف الاطلنطى ــ ماعدا فرنسا ــ بيانا تعهدت فيه بالتصميم على المضى فى القيادة العسكرية الموحدة للاطلنطى بدون فرنسا وذلك بعد قرار ديجول بالانسحاب من المنظمتين .

ويرجع هذا الموقف من ديجول الى :

● انه يعتبر حلف الاطلنطى بمثابة «غطاء» يخفى تحته وجود «محمية امريكية» فى اوربا . وان الامريكيين هم وحدهم الذين يسيطرون على الحلف وان اساس الدفاع فيه وهو السلاح النووى ، لم يدمج حتى على الورق ولا يتبع الا رئيس الولايات المتحدة . وان استراتيجية حلف الاطلنطى هى فى حقيقتها استراتيجية الولايات المتحدة، وان وزير الدفاع الامريكى ماكنمارا قد فرض مذهبه الشخصى فى التدرج فى رد الهجوم على مذهب حلف الاطلنطى الرسمى الذى يقضى «برد الهجوم بطريقة شاملة مباشرة» والذى أقر باجماع الاصوات فى عام ١٩٥٤، وان دواعى انشاء الحلف بهذا الوضع فى ١٩٤٩ فى مواجهة الخطر الشيوعى لم تعد مبررة الآن فى ظروف انقسام هذا المعسكر ورغبة السوفيت فى التعايش السلمى .

● أوضح ديجول انه لايتفق مع الامريكيين حول بعض المسائل السياسية الكبرى (كوريا ــ كوبا ــ فيتنام الدومينيكان) وانه يخشى أن ينزلق الى الحرب الى جانبهم دون مصلحة خاصة لفرنسا ، كذلك يفكر أيضا فى احتمال اختلافه مستقبلا مع السياسة الامريكية فى اوربا . ويزيد من تأكيد راى ديجول ان الامريكيين استخدموا الحلفين قبل بغير موافقة حلفائهم فى اغراض لاتمت بصلة الى الدفاع المشترك (مثل نزول القوات فى لبنان فى عام ١٩٥٨ والتدخل فى الكونغو الخ) .

ويقوم موقف ديجول على أساس ان كل شيء ينتمى لفرنسا على البر وفى الجو والبحر وكل عنصر أجنبى قائم فى فرنسا يجب ان يوضع تحت سيطرة السلطات الفرنسية وحدها » كما يستهدف استعادة «السيادة» الفرنسية كاملة الامر الذى يتطلب فى نظره :

● انسحاب جميع الضباط الفرنسيين ــ كمرحلة أولى ــ من قيادة قوات الحلفاء فى اوربا »



• ديجول

• اجراء مفاوضات ثنائية مع الولايات المتحدة بشأن سحب عدد يتراوح بين ٢٦ الف ، ٣٠ الف أمريكي من فرنسا .

• اغلاق جميع قواعد حلف الاطلنطي في فرنسا — التي تخصص الآن — لتموين قوات الحلفاء المرابطة في المانيا الغربية

• رفض الاحتفاظ بالقوات الفرنسية في المانيا الغربية تحت قيادة الحلف .

وعلى الرغم من ان هذه المجموعة من الاجراءات تعتبر في الحقيقة بمثابة انسحاب كلي لفرنسا من حلف الاطلنطي وقطعا للصلات التي تربطها بحلفائها الدول الثلاث عشر الاعضاء فيه ، الا أن وزير الاستعلامات الفرنسي قد اظهر استعداد بلاده لاجراء مناقشات مع الحلفاء حول العمليات المشتركة التي يمكن ان تتخذ عند وقوع الحرب واوضح ان حلف الاطلنطي سوف تعتبره فرنسا موجودا في هذه الحال .

وقد اشارت **الاوبزرفر** البريطانية : «ان سرعة اجراء الرئيس الفرنسي ، قد اثارت دهشة حلفائه الرئيسيين ، ومن الممكن توضيح سرعة الاجراء برغبة الرئيس الفرنسي في اقامة علاقة مستقلة جديدة مع الولايات المتحدة قبل أن يزور موسكو في يونيو القادم ».

وربما ترجع مسارعة ديجول الى اتخاذ قراره أيضا الى اعتقاده بأن مطالبته بجلاء الامريكيين ستقابل باستحسان شعبي وستؤدي الى تحسين وضعه بين الناخبين الفرنسيين قبل الانتخابات القادمة في الربيع القادم . على ان الصعوبة التي تواجه ديجول في الداخل هي انه اذا كان الانسحاب سيلاقي استحسانا من جانب الناخبين الذين ادلوا بأصواتهم لصالح **فرانسوا ميتران** ، فان اصطدامه بحلفاء فرنسا الغربيين سنثير الخوف في نفوس الناخبين الذين أيدوا مسيو **لوكانويه** الذى يحاول ديجول كسبهم ايضا . ولذا يرجع عدد من المراقبين موقف ديجول الاخير الى اقتناعه بان الخسارة في الاصوات التي قد تلحقه بين صفوف من يمكنهم ان يؤيدوه ، سيعوضها الاضطراب الذي سيحدث في صفوف معارضيه ، اذ لن يكون سهلا على الاشتراكيين في انتخابات الربيع القادم أن يؤلفوا تحالفا انتخابيا مع الشيوعيين ، بينما يتخذ الاشتراكيون موقفا من الحلف مماثلا لموقف هارولد ويلسون البريطاني ، يبدي الشيوعيون في هذه النقطة تأييدهم لديجول خاصة وهو يردد صدى شعارهم القديم «ايها الامريكيون ، عودوا الى بلادكم»

ويتوقع المراقبون ان يترتب على موقف ديجول الاخير :

• اصابة التحالف الغربي بصدع خطير بخروج فرنسا التي تمثل اكثر مراكز الوسط أهمية في التنظيم العسكري لحلف شمال الاطلنطي .

• انه ضربة قوية لقضية الوحدة السياسية الاوربية (*)

• توقع انسحاب العسكريين الكنديين من فرنسا .

• اجراء مباحثات مع بون حول القوات الفرنسية الرابضة في المانيا (وهي فرقتين ونصف فرقة وسرب جوى تكتيكي) .

• أشارت الاوبزرفر البريطانية الى اتجاه فرنسا نحو الحياد بقولها «انه ينبغي على بريطانيا ان تنظر نظرة جدية الى احتمال وجود دولة محايدة عبر القنال . وهذا هو مدلول خطوة الرئيس ديجول للانسحاب من الاطلنطي» وان كانت الاوبزرفر قد انفردت بذلك دون سائر الصحف .

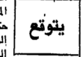
• زيادة اعتماد امريكا على المانيا الغربية في اوربا وبالتالي السماح لها بزيادة مشاركتها في الاشراف على السلاح النووي هناك .

• ان انفصال فرنسا عن الحلف سيشجع القوميين الالمان الذين يثيرون القلق في باقي دول اوربا وكذا الولايات المتحدة التي لا يقلقها فحسب اتجاه فرنسا الاستقلالي وانما ايضا الخوف من انتشار النزعة الاستقلالية والقومية في المانيا ذاتها .

●

■ بريطانيا

الابتعاد عن حافة الهاوية



اغلب المراقبين فوز حزب العمال على المحافظين في الانتخابات القادمة واستمرار حكم **هارولد ويلسون** . وتؤكد استفتاءات الرأي العام واحصاءات معهد جالوب بان العمال سيفوزون بنسبة ١٢٪ من المقاعد اي بأغلبية في مجلس العموم يمكن أن تتراوح بين ١٠٠ ، و ١٥٠ عضوا .

ويعللون ذلك التوقع بان ويلسون قد اختار لخوض معركته انسب وقت بالمقارنة بما كانت عليه الاوضاع في الفترة الماضية فقد انخفضت نسبة البطالة داخل البلاد الى ادنى حد ممكن منذ ١٠ سنوات او اكثر . وازدادت شعبية حزب العمال بسبب انجازاته اثناء حكمه ، اذ رفع معاش ارباب المعاشات ووضع برنامجا للرعاية الطبية وحاول حفظ مكانة الاسترليني ، كما أن تأييده لسياسة الولايات المتحدة في فيتنام ، وتواطؤه مع حكومة الاقلية البيضاء في روديسيا يأتيان في ظروف زحف يميني عالمي

يمكن ان يخفف من حدة هجوم الكثير من الناخبين البريطانيين على سياسته. هذا بالاضافة لانقسام صفوف المحافظين تجاه مشكلة روديسيا مثلا . وفشل زعامة هيث فى توحيد صفوف هذا الحزب، وفى الوقت الذى يستفيد فيه ويلسون من الزحف اليمينى فانه نجح فى الاشادة — بعد زيارته الاخيرة لموسكو — بتدعيم العلاقات بين بريطانيا والاتحاد السوفيتى . هذا وقد اشارت الفيناننشيال تايمز البريطانية الى ان «الرئيس جونسون يشعر بتعاطف غريب مع مستر ويلسون مقدرا له عملياته السياسية التى تتسم بالحذق والمهارة» . ولما كان تأييد واشنطون سيوجه للحزب الذى سيثبت مساهمته أكثر فى نمو تآلف على نطاق عالمى بين الولايات المتحدة واوربا ، فان اتجاه الولايات المتحدة المقبل يمكن ان يتحدد بناء على موقف الحزبين من هذه المشكلة . خاصة وان حزب المحافظين قد اثار مخاوف حقيقية فى واشنطون بشأن خطته لجعل بريطانيا قوة اوربية تلعب دورا عالميا .

وترى النيويورك تايمز الامريكية ان المعركة حول الجانب الاقتصادى الداخلى ستكون معركة بين «الرقابه» و «المنافسة» فبينما يميل العمال الى الرقابة الحكومية والتدخل ، يقوم مستر هيث زعيم المحافظين بالدعاية للمنافسة ، فيرى ان ما تحتاجه بريطانيا لدعم اقتصادياتها انما هو المنافسة ، وان الرد الصحيح على ارتفاع الاسعار يجب ان يتمثل فى المنافسة لا فى نظام الرقابة الحكومية ، وان الرد على تكاليف الاجور المتزايدة يقتضى ان تؤيد الحكومة المبدا القائل بان الاجور المتزايدة لا يمكن ان تقرر الا فى مقابل الزيادة فى الانتاج .

ومما يساعد على توقع فوز العمال فى نظر الكثير من المراقبين نجاح ويلسون فى تصوير كافة الجوانب السلبيه والاخطاء فى سياسة العمال السابقة باعتبارها اثار لحكم المحافظين . هذا وقد أعلن ويلسون عن وعود جديدة لتخفيف الاعباء عن الطبقات الفقيرة مثل مشروع تخفيض نسبة الارباح على من يشترون المنازل من العمال فقط ، وعدم زيادة الاعباء الضرائبية على اجور العمال مع فرض ضرائب على المقامرات وسباق الخيل والكازينوهات وغير ذلك من انواع الترف التى تمارسها الطبقات الارقى . هذا فى الوقت الذى يعم فيه الغموض والتناقض بيان المحافظين الانتخابى . كما يتوقع ان تؤدى خطة هيث لايقاف مدفوعات العجز للمزارعين الى رفع تكاليف الاغذية . فى الوقت الذى لم يوضح فيه للناخبين الطريقة التى يمكن بها التوفيق بين زيادة ميزانية الدفاع المقترحة وبين تخفيض الضرائب . وترى «النيوستيتسمان» البريطانية ان «اقتراحات هيث للحد من حرية الاتحادات التجارية تحمل معنى التصويت ضد هذه الاتحادات أكثر منه محاولة جدية لتطوير العلاقات الصناعية !! ويتضح الفرق بين البرنامجين العمالى والمحافظ فى الموقف من مشكلة فوضى النقل ، فبينما يعالجها العمال على أساس انها مشكلة قومية لا يمكن الفصل فيها الا عن طريق تخطيط واسع ، يهتم المحافظون «بتحسين احوال السائقين وجمهور المسافرين عامة» .

وقد أعلن حزب الاحرار فى مستهل حملته الانتخابية عن ضرورة تحسين احوال العمالة والتجارة وانشاء حكومة اقليمية فى كل من اسكتلندة وويلز وطالب الحزب فى بيانه الانتخابى بتخفيض التزامات بريطانيا العسكرية شرقى السويس وابقاء الجنود البريطانيين فى الاحلاف الغربية فحسب ، ووضع الاسلحة الذرية البريطانية تحت اشراف دولى .

وفيما يتعلق بالمنطقة العربية ، فقد ترتب على قرار حكومة العمال بالتخلي عن قاعدتها فى عدن ان اصبحت السياسة البريطانية شرق السويس تتعرض لنقد عنيف من جانب المحافظين وتتحول الى قضية تدور حولها المعركة الانتخابية ، وابدت الديلى اكسبريس مخاوفها من أن «الثوريين المؤيدين لعبد الناصر سيقومون بالتأكيد بتأميم شركات البترول البريطانية وسحب الاستثمارات من بنوك بريطانيا » .

ويرى المراقبون التقدميون انه ليس هناك احتمال فى ان تغير حكومة العمال الجديدة فى حالة فوزها ، موقفها من العرب ، والدلائل تشير الى توقع فوز العمال بأغلبية فعاله ، تبعد هارولد ويلسون عن «حافة الموسى» (وهى الاغلبية الـ ٣ مقاعد التى حكم من خلالها) الا ان هذا الحزب يركز جهوده على كل حال فى خدمة اسرائيل ويتعاون تعاونا وثيقا مع الصهيونيين البريطانيين .

●

■ موسكو

تجربة ٣٨ عاما فى التخطيط

نشر مؤخرا فى موسكو مشروع «التوجيهات الخاصة بخطة تنمية الاقتصاد القومى الخمسية ١٩٦٦ — ١٩٧٠» الذى تقدمت به اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى الى مؤتمر الحزب الذى انعقد فى نهاية الشهر الماضى . وهكذا بدأت مناقشة تلك التوجيهات على اوسع نطاق . وببداية الخطة الجديدة يكون قد مر على التخطيط فى الاتحاد السوفيتى ٣٨ عاما .

والتوجيهات المنشورة تبدأ بتحديد اهداف عامة ذات محتوى اجتماعى واقتصادى وسياسى فى آن واحد هى :

● زيادة الدخل القومى بنسبة تتراوح ما بين ٣٨ و٤٠٪ (ويلاحظ مرونة الهدف من ناحية ، وانخفاضه بالنسبة للمعدلات السابقة التى كانت تبلغ ١٠٪ سنويا ، والسبب فى ذلك هو انه بعد تحقيق الدخول الحاسمة فى التنمية تصبح نسبة الزيادة الجديدة الى ما تحقق فعلا اقل مما قبل)

● التقريب بين مستوى المعيشة للعاملين بالريف والعاملين فى المدن (والترجمة الرقمية لهذا هو انه بينما تحدد الخطة مدى لزيادة اجور عمال الصناعة هو ٢٠٪ وتتراوح الزيادة فى دخول العاملين فى الزراعة ما بين ٣٥ و٤٠٪)

● رفع المستوى الثقافى والتربوى والتكنولوجى العام

● توفير الاستخدام الرشيد لقوى العمل

● توفير كل جوانب الاقتصاد فى جميع الجمهوريات التى يتكون منها الاتحاد .

ثم تنتقل الخطة الى تحديد اهداف كمية لزيادة الانتاج فى كل قطاع على حدة بحيث يحقق مجموع هذه الزيادات الاهداف العامة المشار اليها .

واول ما يلفت النظر هو العناية الخاصة بالزراعة فى الخطة الجديدة، فبينما تستهدف الخطة زيادة انتاجية العامل فى الصناعة بنسبة ٥٠٪ نرى ان هذا الهدف يرتفع فى الزراعة الى ٢٠٠٪ ، وذلك حتى يمكن ان يزيد المتوسط السنوى للانتاج الزراعى خلال الخطة الجديدة بمعدل لا يقل عن ٢٥٪ بالنسبة للمعدل

المستوى فى الفترة الخمسية الماضية وهذه الزيادة تقتضى بالطبع الاستخدام الرشيد للارض ، وتحسين الدورة الزراعية وتحسين وسائل الرى والصرف واستصلاح اراضى جديدة .. الخ ولكنها تستند ايضا الى اجراءات تكتيكية وتنظيمية جديدة اهمها :

● توفير كمية كبيرة من الالات الزراعية . والخطة تستهدف زيادة انتاج الجرارات من ٣٥٥ الف الى ٦٢٥ الف جرار ، وزيادة انتاج الالات الزراعية الاخرى بحوالى الضعف .

● توفير الاسمدة وغيرها من المواد الكيماوية اللازمة للزراعة (مبيدات الحشائش ومبيدات الحشرات ...) والخطة تحدد هدفا للصناعة الكيماوية بزيادة انتاج الاسمدة من٣ر٣١ مليون طن الى ٦٥ مليون طن .

● زيادة الطاقة الكهربائية الموردة للزراعة بنسبة ٢٠٠٪

● توفير الفنيين اللازمين للالات الزراعية وورش الاصلاح

● التوسع فى تخصص المزارع الجماعية ومزارع الدولة

● تمكين تلك المزارع من القيام بالاعمال الصناعية التكميلية (كحفظ الاغذية مثلا) فى مشروعات نامية لمزرعة واحدة او لاكثر من مزرعة متجاورة

● التوسع فى ديمقراطية الادارة واعطاء الزراعة دورا اساسيا فى وضع خطة الانتاج

● زيادة دخول العاملين فى الزراعة .

والسمة الثانية للخطة الجديدة هى الاهتمام بزيادة الاستهلاك حقا ان صناعة السلع الانتاجية ما زال لها السبق ولكن الفارق بين معدل التوسع فيها ومعدل التوسع فى الصناعات الاستهلاكية قد تناقص كثيرا . فالزيادة المستهدفة فى سلع الانتاج وهى بين ٤٩ و٥٢٪ وفى سلع الاستهلاك بين ٤٧، ٥٠٪ . واول بنود الاستهلاك هو التوسع فى الاسكان . وقد بدأ الاستثمار الضخم فى الاسكان منذ اواسط الخمسينات . فقد زاد عدد المساكن المبنية خلال السنوات السبع الاخيرة بأكثر من ٩٠٪ عن السنوات السبع السابقة لها ، ويبلغ مجموعها تقريبا رقما يقارب المساكن التى بنيت منذ ثورة اكتوبر ١٩١٧ حتى سنة ١٩٥٨ . وتخصص الخطة الجديدة ٠٠٠ر٧١ مليون روبل لقطاع الاسكان من اجمالى ٠٠٠ر٣١٠ مليون روبل لكل اعمال التشييد ، واذا كان معدل الزيادة فى قطاع الصناعة بصفة عامة حوالى ٥٠٪ فان انتاج بعض سلع الاستهلاك يستهدف زيادة أكبر بكثير مثل السيارات (٤٠٠٪) والتليفزيون (٢٠٠٪) والثلاجات (٥٠٠٪) والاثاثات المنزلية (٢٥٠٪) . وفى المواد الغذائية تستهدف الخطة زيادة استهلاك اللحوم (٢٠ ــ ٢٠٪) واللبن ومنتجاته (١٨ ــ ٢٠٪)، والخضر (٤٠ ــ ٤٦٪) والاسماك ومنتجاتها (٥٠ ــ ٦٠٪) ... الخ . وفى ميدان الثقافة يمكن ان ننوه بأن الخطة تستهدف توفير التعليم الثانوى (بفروعه الفنية) لجميع الشباب فى سن هذا التعليم .

ولكن الصناعة لم تتخل لكل ذلك عن مركزها القيادى . بل ان التوسع فى القاعدة الصناعية والصناعات الثقيلة بالذات هو الاساس الذى اصبح ممكنا بفضله اليوم التوسع فى الاستهلاك وتطوير الزراعة . ولذلك فان الانتاج الصناعى سيزيد بمتوسط ٥٠٪ . وفى داخل هذه الزيادة تبرز العناية بالصناعات الكيماوية والنوتروكيماوية وما يتفرع عنها من بلاستيك والياف صناعية ، بالاضافة الى رقم انتاج الاسرة الذى سبقت الاشارة اليه يمكن ان نذكر ان انتاج البلاستيك والالياف الصناعية سيزيد من ٨٢١ الف طن الى ٣٠٠ر٢ الف طن .

واخيرا فان تنفيذ الخطة الجديدة مرتبط باجراءات التنظيم الاقتصادى التى اقرتها اللجنة المركزية فى العام الماضى والتى تدور حول فكرة احترام القوانين الاقتصادية الموضوعة ، وتوفير قدر اكبر من الاستقلال الذاتى لوحدات الانتاج (انظر الطليعة ــ عدد ١٢ من السنة الاولى ١٩٦٥) .

●

■ أدب

امين الخولى .. رائد مدرسة الامناء

عندما ولد الملك السابق فاروق عام ١٩٢٠ وقررت الحكومة يومها منح المدارس اجازة ابتهاجا بميلاد ولى العهد . وكان امين الخولى فى ذلك الوقت طالبا بمدرسة القضاء الشرعى ، وكان العداء بين القصر والشعب على اشده فارادت المدرسة ان تعبر عن سخطها على الملك وولى عهده وقررت ان تواصل الدراسة دون ان تعبأ بأمر العطلة . وسأله الناظر : لماذا اعتصمتم ؟ فأجابه الخولى: يمكنك ان تنفذ التعليمات التى لديك كاملة ! فاستأنف الناظر سؤاله : اى تعليمات ... هل تريد أن ابلغ السلطات عنكم ؟ فأجابه الخولى ثانية : ده اللى احنا عايزينه ! فقال الرجل بقوة وثبات : ولكن هذا ما لا اريده ، فانا معكم فى الراى ..

وقد ولد امين الخولى فى ريف المنوفية فى اول مايو سنة ١٨٩٥ وتخرج فى مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٢٠ لم تولى رياسة تحرير مجلة « القضاء الشرعى » سنة ١٩٢١ ، وان كانت صلته بالصحافة ترجع الى عام ١٩١٢ حين كتب فى مجلة « السفور » اولى مقالاته . وقد اتيحت له فرصة السفر الى اوروبا عام ١٩٢٣ حين عين اماما للمفوضية المصرية بروما ثم نقل الى برلين الى ان عاد عام ١٩٢٧ .

وقد كان المسرح من هوايات امين الخولى الحبيبة الى نفسه ، فقد كتب حوالى اربعة مسرحيات تاريخية ، لم يتيسر لاحداها ان ترى النور ، ثم كتب مسرحية « الراهب المتنكر » فمثلتها فرقة عكاشة قبيل سفره الى اوروبا . ولم يكن المناخ الاجتماعى يسمح له بأن يعلن عن نفسه كمؤلف مسرحى، فكانت الاعلانات تقول « الراهب المتنكر لكاتب متنكر » .

وفى عام ١٩٢٨ عين امين الخولى مدرسا بكلية الاداب وظل معنيا بشئون البلاغة والنحو والتفسير فأصدر على التوالى هذه الكتب « مناهج التجديد فى اللغة والنحو والتفسير » و « مشكلات حياتنا اللغوية » و« مالك بن انس » و« مالك : تجارب وحياة » و « راى فى ابى العلاء » و « فن القول ». وفى مساء ١٩ ابريل سنة ١٩٤٤ اسس « مدرسة الامناء » من الشباب الجامعى الموهوب فى الفكر الادبى وقد لخص فيما بعد اهداف هذه المدرسة فقال ان شعارها هو «الفن والحياة» اى ان الادب هو التفسير الفنى للحياة ، كما ان الفلسفة هى الشعار التأملى لها « وبهذا المعنى ليس ترفا ولا لهوا ولن يقال بعد اليوم : اعذبه اكذبه ، والى جانب هذا تصحح مناهج

الدراسة الادبية انتفاعا بالتقدم فى الجوانب الانسانية المختلفة». وقد اصبح من رواد هذه المدرسة : عبد الحميد يونس ، وبنت الشاطىء ، وعبد القادر القط ، وانور المعداوى ، وغيرهم من ابناء الجيل الجامعى الجديد فى قسم اللغة العربية .

وفى عام ١٩٤٧ اصدر امين الخولى كتابه «فى الادب المصرى» فصاغ فيه نظريته الخاصة بايجاد ادب مصرى يمد جذوره فى اعماق التربة المصرية مستفيدا من كافة الروافد التراثية فى الادب العربى والاداب الغربية ، ولكنه يتسم بخصائص ذاتية مستقلة عن التراث والغرب معا ، هى خصائص مصر روحها وتاريخها وحضارتها . وقد كان هذا الكتاب امتدادا نظريا للتيار المصرى فى الادب العربى . ولا يقصد **الخولى** بالمصرية فى الادب ان ينعزل او يتقوقع بالعنصرية او التعصب ، وانما هو يرى ان رسالة الاديب — اى اديب من اى بلد — فوق هذا الكوكب الارضى لايمكن ان تتغير مطلقا . فالادب رسالة الحياة، او كما يقول الامناء هو فن الحياة الذى يشارك فى اسعاد الافراد والجماعات بقدر ماتشارك الفنون والعلوم والفلسفة فى اسعاد الانسان لايعنى ذلك عند **امين الخولى** ان الادب منعة ذهنية مجردة « بل هو نوع من الجهاد » . والخولى لايؤمن بالالتزام بمعناه الضيق ، ويرى ان الاديب صاحب الرسالة هو سيد نفسه ولا يستوحى الا وجدانه « **وصلته بالجماعة ، بالشعب .. تبدأ وتنتهى عند انسانيته الكاملة .. انها وحدها كفيلة بان تؤهله لحمل الامانة الفنية ، وادائها على الصورة التى يرضاها ويطمئن اليها .. والادب ، يمثل الانسانية فى اعلى مراتبها الوجدانية ، ومن هنا يكون باحساسه المرهف ، اصدق الناس شعورا بحاجات مجتمعه ،**

تعليق

حتى لانخطىء مرة أخرى

فى يوليو ١٩٦٣ اصدرت وزارة الثقافة مجلتين للفكر والادب هما « الرسالة » و « الثقافة » . وفى يناير ١٩٦٤ اصدرت ادارة المجلات بالوزارة ، مجلتين اخريان هما « القصة » و « الشعر » . واتضح من ذلك ان الوزارة تهدف الى انشاء منابر للثقافة العامة ، واخرى للمواد الادبية المتخصصة .

على ان صدور هذه المجلات جميعها خلال عامين او اقل قليلا اثبت بصورة قاطعة انها لم تصدر من تخطيط واع دقيق باهم المشكلات الفكرية والادبية التى يضطرب بها محيطنا الثقافى من جهة ، والطاقات البشرية القادرة على حمل هذا العبء من جهة ثانية . ذلك ان « الرسالة » و « الثقافة » وهما منبر الثقافة العامة ، ظهرا كامتداد للرسالة والثقافة القديمتين ، مع اغفال الفترة الزمنية التى تفصل بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٣ وهى الفترة التى اجتاز خلالها مجتمعنا من الاحداث والتحولات ما نؤرخ له بثورة يوليو ١٩٥٢ كبداية وقرارات يوليو الثورية عام ١٩٦١ كمرحلة جديدة اختارت فيها بلادنا الطريق الطويل الى الاشتراكية .

لم تنعكس هذه الثورة الحضارية الشاملة على صفحات الرسالة والثقافة الجديدتين ، مما يدل مع احسن الفروض انه لم يكن ثمة تخطيط واضح لاحتياجات المرحلة الثورية الجديدة فى المجتمع . غير ان واقع الدور الذى قامت به المجلتان نتيجة لانعدام التخطيط — اذا احسنا النية — هو انها استعانت بنفس المناهج القديمة فى التفكير ، ونفس القدرات البشرية فى التعبير. لذلك جاء طابع الانتاج الفكرى والادبى فى مجلات وزارة الثقافة ، طابعا متخلفا عن روح العصر اذا شئنا التعميم ، معاديا لجوهر تقدمنا الحضارى اذا شئنا التخصيص . ومن هنا كان شيئا طبيعيا ان تسقط هذه المجلات ، تسقط عند قرائها اولا فتتراكم اكداسها فى المخازن ، وتسقط ثانيا عند كتابها فيتخذون منها اداة للصراع الشخصى على النفع المادى من ناحية المظهر واداة ايديولوجية رجعية من ناحية الجوهر وهكذا كان ظهور هذه المجلات كظهور اهل الكهف ، ظهورا شبحيا مآله العودة الى الكهف مرة اخرى . ومن ثم صدر قرار عام ١٩٦٥ بايقاف هذه المجلات عن الصدور .

ويدور الحديث هذه الايام حول اللجان التى شكلها الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة لبحث انشاء مجلات ثقافية جديدة . ولا شك انه من المفيد ان يستشير المسئول الاول عن الثقافة فى بلادنا رجال الفكر المختصين . ولكن لا شك ايضا ان تاسيس منابر جديدة للثقافة يحتاج الى ماهو اكثر من تكوين اللجان واصدار التوصيات واتخاذ القرارات . فاللجان وان لخصت اتجاهاتها مختلف التيارات الفكرية وطبيعة الصراع بين اطرافها المتعددة الا انها لا تصنع الدراسة العميقة الواعية بالحركة الاجتماعية والفكرية، ومن ثم لا تصوغ التخطيط الموضوعى الدقيق لتاسيس المنبر الثقافى .

وحتى لا نخطىء مرة اخرى ، لابد ان يبدا المسئولون بدراسة جادة لتطور المجلة الثقافية فى بلادنا حتى يمكن الوصول الى جذور النجاح او الفشل ، بغض النظر عن المكسب او الخسارة من الناحية المادية الا فى الحدود التى تلغى من اجلها وظيفة المجلة وهى انتفاء وجود قارىء لها. على ان تلحق بهذه الدراسة دراسة اخرى لاتقل عنها اهمية ، تنشا ضرورتها بظهور الوضع الجديد للمجلة الثقافية ، الوضع البعيد كل البعد عن الملكية الخاصة . هذه الدراسة تبحث طبيعة المرحلة التاريخية التى يمر بها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر ، والاحتياجات الموضوعية لابناء هذا المجتمع على المستوى الفكرى والادبى .

ان هاتين الدراستين يصلحان فيما اعتقد كنقطة انطلاق اولية لبحث هذا الموضوع الهام، بدلا من تضييع الوقت — الذى طال الامد به — فى اجتماع اللجان واتخاذ التوصيات .

غالى شكرى

وبما يخالج الناس من آمال والام .. ان الادباء يتسهمون بآرائهم ومشاعرهم فى كل معركة » . وفى موضع آخر يقول ان الفن لايمكن ان يكون هروبا من الحياة ، حتى الفنان الهارب المنعزل المطوى لا يكون هربه او انعزاله او انطواؤه الا صدى من اصداء الحياة « والفن لابد ان يكون تسلسلا فى موجات الحياة » .

وقد اهتم امين الخولى بشئون الاستشراق امدا طويلا فاسهم فى مؤتمرات المستشرقين بمحاضراته وكتاباته فى مجلاتهم . وقد صدر له بالايطالية والالمانية فى وقت واحد ــ وهما اللغتان الاجنبيتان اللتان يجيدهما اجادة كاملة ــ كتابه الهام «صلات الاسلام بالاصلاح فى المسيحية » . وفى اواخر عام ١٩٦٠ قدم الى مؤتمر المستشرقين فى موسكو دراسة جديدة حول «الصلات بين النيل والفولجا فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين » وهى دراسة تؤرخ لتلك الفترة الهامة ذات الاثر فى النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية حيث سيطر المماليك وهم من التتر . وقد كانت البعثات الدبلوماسية كثيرة بين مصر ومدينة سماراى على نهر الفولجا عاصمة دولة التتر فى ذلك الوقت . ويقول الخولى . « وقد تعجب اذا علمت ان العلماء كانوا يحضرون من سماراى الى الازهر .. ومن مصر سافر اليها علماء آخرون ، وتبادلت العاصمتان البعثات الدبلوماسية لمدة طويلة .. بل وحدثت علاقات مصاهرة ونسب .. وفى رأيى أنه لا يمكن فهم تاريخنا بنواحيه المختلفة الا اذا درسنا هذه الصلة » .

ويعتقد امين الخولى ان الاستشراق شر لم يخل من الخير « فقد كان الدافع اليه سياسيا » الا ان هنــاك ثلاثة قوى متداخلة لابد من التمييز بينها وهى . الاستشراق والتبشير والاستعمار . وان كان هذا لايجعلنا ــ فيما يقول ــ أن ننسى مابذله المستشرقون مشكورين فى جمع التراث الشرقى عربيا او غير عربى ، وفى حمايته وفى اخراجه ودراسته ، ويستشهد الخولى فى هذا الصدد بما قاله له مدير مكتبة البلدية فى برلين ذات يوم من ان « اى كتاب عربى فى اى فن جدى او هزلى علمى او سحرى يكون قد رأى الشمس فى مكان ما تستطيع ان تطلبه فتحصل عليه » .

وظل امين الخولى الى اواخر حياته يقول ان ميلى للقصة معدوم لانها لاتزال فى مستوى دون الرجاء .. والشعر القديم لم يتحقق فيه مفهومنا للادب .. أننا نلتمس من الشعر مايحقق معنى الادب بما هو قول فن .. والشعر الجديد مرغوب وان كان لايزال يحبو .. وبحكم البيئة فان جلوخى واضح للموسيقى الكلاسيكية ، وفى البيت اوركستر دائم ، والسينما لاتاخذ الا النادر من وقتى لقلة الافلام ذات القيمة .. لكنى احب المسرح وهوايتى له قديمة ، وربما كنا مقبلين على شبه نهضة فيه ، على كل حال فالتفاهة فى المسرح اقل منها كثيرا فى السينما .. اما الاذاعة فلا استمع اليها » .

وقد كانت هذه الاراء بمثابة المبادىء الهادية لمجموعات الشباب التى كانت تؤم اجتماعات مدرسة الامناء مساء كل احد ، والتى كانت تدخل فى مناقشات لاتنتهى مع امين الخولى على صفحات مجلته « الادب » التى واظبت على الصدور منذ اوائل عام ١٩٥٥ الى ان رحل الرائد الكبير فى التاسع من مارس الماضى .

الاصالة العربية فى الشعر الحديث

أصدرت مجلة الاداب البيروتية عددا خاصا حول « الشعر العربى الحديث » حشدت له ٥٥ شاعرا وناقدا من مختلف الاقطار العربية فكتب ادونيس عن (احمد سعيد) وعبد الوهاب البياتى وصلاح عبد الصبور ومحمد الفيتورى عن تجربتهم الشعرية اثناء عملية الخلق . وكتب ناجى علوش عن الشاعر العراقى بدر شاكر السياب ، والدكتور شكرى عياد عن الشاعرة نازك الملائكة ، ومحيى الدين اسماعيل عن الشاعر نزار القبانى ، وخليل كلنت عن الشاعر خليل حاوى ، وخليل . ا . خليل عن الشاعر ادونيس . وحول قضايا الشعر الحديث ، كتب رئيف خورى عن مطلب الاصالة العربية فى الشعر العربى المعاصر ، وجبرا ابراهيم جبرا عن المونولوج والمونتاج والتضمين ، وسامى خشبة عن الفكر فى الشعر العربى الحديث ، وشوقى خميس عن التيار الثورى فى الشعر ، وصبرى حافظ عن قصيدة النثر ، وفاضل تامر عن ظاهرة الغموض فى الشعر .

وقد قال ادونيس فى تعريفه للتجربة الشعرية :

«ان اكتب قصيدة لا يعنى اننى امارس نوعا من الكتابــة ، وانما يعنى اننى احيل العالم الى شعر : اخلق له فيما اتمثل صورته القديمة ، صــورة جديدة . فالقصيدة حدث او مجىء والشعر تاسيس ، باللغة والرؤيا ، تاسيس عالم واتجاه لا عهد لنا بهما ، من قبل . انه كشف وفتح . وكل ابداع تجاوز ، لهذا كان الشعر تخطيا يدفع الى التخطى .وهو اذن طاقة لا تغير الحياة وحسب ، وانما تزيد ، الى ذلك ، فى نموها وغناها وفى دفعها الى الامام والى اعلى ».

اما عبد الوهاب البياتى فيقول ان اغانى الفلاحين والحكايات الشعبية المنتشرة فى الريف كانت زاده الشعرى الاول . وكــان طرفة ابن العبد وابو نواس والمعرى والمتنبى والشريف الرضى هم اكبر من اثروا فى تكوينه الفنى «لقد وجدت فيهم نوعا مــن التمرد على القيم السائدة ، والبحث عن اشياء لا يوفرها واقعهم او مجتمعهم او ثقافتهم » .

وتحت عنوان «مسئولية المعاناة فى الشعر الحضارى» كتب مطاع صفدى ان المولد التاريخى الواضح للشعر الحــديث يبرهن بصورة قاطعة على أن هذا الشعر لم يصطنع من خارج حدود الامة ، ولم يفد عليها غريبا ، لكى يلسال على اقــلام امزجة ناشزة ، بل انه ولد من هدير الثورة الجماهيرية ثم ارتفع فى لحظات الهدوء الى حدود المعاناة الفردية ، بينما يذهــب جبرا ابراهيم جبرا الى انه من ابرز سمات الشعر اليوم انــه اقرب الى المونولوج ، الى صوت الفرد يحدث نفسه . على حين يفسر حسين مروه الظاهرة الشعرية الحديثة بقوله ان بــعض اهل الشعر الحديث ينتسب الى طبقة عجزت عن ان تقدم لمجتمعها اسباب الامل والتفاؤل اذ يغفل الشاعر ماتقدمه القوى النامية التى تحمل بذور الامل والتفاؤل ، فيقع من حيث لايدرى فى قبضة «الرؤى» الرومانسية الحادة ، أو قبضة التامــل الذاتى المأساوى .

ومن الجذوة الشعرية الفلسطينية بعد النكبة ، تســاءل ابراهيم ابوناب : الا يمكن القول ان الادب فى عهد ما بعــد النكبة قد استولى على وظائف جديدة حين بدأ ينزل من القصور الى الشوارع ، ومن ايدى القلة الخاصة التى كانت تتزين به وتتمتع به حياتها الى ايدى الاغلبية التى تريد أن تفهم به حياتها وان تستعين به وتستلهمه الامل الذى يعينها على المضى والاستمرار

الم نشهد فى عهد ما بعد النكبة مولد ما يسمى بالشعر الحديث او الشعر الحر ؟ ويجيب : فالذين قاموا فى مجالات السياسة والاقتصاد يهدمون الهياكل القائمة التى لم تعد تصلح لهذا الزمن ولم تعد تتجاوب مع حاجات الامة ، قاموا يهدمون ايضا هياكل القصيدة والقصة والمقال ليقيموا مكانها اشكالا تصلح لحمل المضامين الجديدة .

ومن قصائد العدد ، قصيدة كتبها الشاعر محمد عفيفى مطر بعنوان «يتحدث الطمى» ويشرح الشاعر هذا العنوان فى مقدمة

تعليق

عندما نولد من جديد ... فى التليفزيون

تدور احداث تمثيلية « عندما نولد من جديد » — التى قدمها التليفزيون العربى — فى بور سعيد فى الفترة ما بين احتلال قوات العدوان الثلاثى للمدينة وما بين جلائها عنها .

وقد استطاع الكاتب ان يقتحم ارضا صعبة وان يحقق الاستجابة المطلوبة والتاثير الفنى الصحيح معتمدا اولا على الزاوية التى يطرق منها الموضوع ، ومعتمدا ثانيا على طريقة المعالجة .

فالكاميرا تتحرك بين شارع مهجور يحتله الاعداء ، وبين شقة فى نفس الشارع ، تختبىء فيها مجموعة من المصريين يعيشون تحت تهديد مستمر خوفا من ان يكتشف امرهم الاعداء . وعلى المجموعة ان تختار بين امرين كلاهما مر ، ان تموت جوعا او ان تموت على يد الاعداء . ومن هذا الموقف الدرامى ينبع الصراع على النطاق الخارجى . كما يعمق من الصراع الخارجى ايضا عامل موجود بين المجموعة ذاتها ، فالمجموعة لا تتعرض للخطر من الخارج فحسب ، من العدو ، بل من الداخل ايضا ، من لص فى ثياب فدائى لجا الى الشقة من بين من لجاوا اليها ، رغبة اللص الدائمة فى التسليم التى تنتهى فعلا بتسليمه لنفسه ومصرعه على يد العدو تمثل خطرا داخليا تتعايش معه المجموعة .

ويضطرم الصراع بشكل اكثر عمقا وخصوبة فى نطاق المجموعة ذاتها نتيجة لتلون الشخصيات وبالتالى تلون رد فعل اللحظة عليها ولحصرها فى هذه اللحظة الحرجة التى تتطلب اتخاذ موقف ، وفى هذا المجال الضيق الذى تدور فيه والذى يجعل الاصطدام بينها حتميا . ونحن نجد انفسنا ازاء خمس شخصيات الى جانب اللص : صاحبة البيت ، فتاة تعمل مدرسة اختارت ان تبقى الى جانب اختها ، وثلاثة من الفدائيين لجاوا الى الشقة بعد ان تم للقوات المعادية احتلال الشارع ، وهم حسنى الذى بيده ان يتخذ القرار ، اما اندفاع يائس ، واما انتظار على امل ان يحدث شيئا ما فى الخارج يغير الوضع ، ويتخذ القرار بالانتظار ، لا ليكسب فرصة لنفسه والسم يسرى فى جسمه اثر اصابته برصاصة فى ساقه والموت مقدر عليه ، ولكن ليكسب فرصة للاخرين ، او على الاقل للطفل الوليد الذى ماتت امه بعد أن وضعته . ومصطفى الذى يقبل القرار على مضض وهو لا يرغب فى شىء سوى ان يدمر نفسه مع العدو بعد ان ضاع منه الامل ، والذى يفضل الاندفاعة اليائسة على الانتظار العاجز . وسعد الصبى الفدائى الذى فقد عائلته باكملها فى المعركة ولم يفقد الامل ، امل حسنى فى ان يحدث شيئا ما فى الخارج يضمن حياة ذلك الوليد الجديد الذى يتصور فيه اخته الصغرى التى ماتت وبطله حسنى الذى يموت فى البيت متاثرا بجراحه ، يتصور فيه استمرار الحياة باكملها .

وفى هذا المجال المحصور ، وبالاستعانة باللقطات الخلفية التى تصور الماضى ، وبانتقال الكاميرا انتقالا مستمرا بين حالات شعورية قائمة على التضاد والتماثل ، استطاع المخرج والمؤلف معا ان يخلقا عالما باكمله يحكى قصة الانسان وقصة بور سعيد معا . ففى هذا العالم تضطرم التجارب الاساسية فى الحياة الانسانية الميلاد والموت ومن الموت تولد الحياة . وفى هذا المجال الضيق تحتدم المشاعر الانسانية الاساسية وتتلاحم فلا يدرى احد ماهو الفاصل بين الخير والشر ، بين الحب والكراهية بين الشجاعة والجبن بين الامل واليأس ولا يدرى احد اين يقف من الصواب .

ولا حتى حسنى ذاته الذى يمزقه الصراع الداخلى وهو يتساءل هل اتخذ القرار الصحيح حين قرر الانتظار ؟

وحسنى يحب امينة المدرسة وامينة تحبه ، وحبهما محتوم بموت حسنى ، وسعد الصبى يحب امينة حبا يائسا ، ويتمزق داخليا بين حبه القديم لحسنى وكراهيته الجديدة له ، ومن الكراهية يتولد الحب ويتألق فى النهاية . ومصطفى يحقد على حسنى لانه يربطه بهذا الانتظار العاجز ولكن ولانه ينتصر على حقده .

ومنصور اللص يلعب دوره فى هذه التجربة الانسانية . ومصطفى يرفض ، وسعد يقف منه موقف التحفظ وحسنى وحده هو الذى يتقبله كجزء لا يتجزأ من التجربة الانسانية ، كالشر الذى يمكن ان ينبع منه الخير . وتبرز المفارقة الدرامية حين يتولى منصور تحت اشراف الاخرين عملية الوضع الذى يخرج اثرها المولود الى الحياة ، نفس المولود الذى يمثل بالنسبة للمجموعة باكملها الامل والغد واستمرار الحياة .

ومن خلال التزام المؤلف « زين العابدين سليط » والمخرج « محمد السيد عيسى » معا بالواقعية يبرز الرمز فى بساطة وبلا تكلف ، وحين يموت من يموت منتظرا ، ويستشهد من يستشهد مندفعا ، وتخرج امينة وحدها من البيت سليمة تحتضن الطفل نرى فيها مصر تسير مثخنة بجراحها ، ولكنها تسير الى الامام تحمل بين ذراعيها الوليد ، الامل والغد .

وقد حرك المخرج مجموعة ممتازة من الممثلين بمهارة لابراز المعنى العام للنص وتفوق فى الاداء على وجه التخصيص اسامه حسين فى دور الفدائى المراهق سعد وعبد المحسن سليم فى دور منصور اللص .

لطيفة الزيات

قصيدة جاء فيها «يتحدث الطمى .. عنوان على مجموعة من القصائد استلهمفيها البناءالاولى الذىتشكل فيهعقلى ووجدانى وانا افتح طريقى للعالم مندهش العين ، مرتجف القلب . هذا البناء الاولى هو الخرافات الصغيرة وطقوس الحياة والموت والتفسيرات الرائعة لكل ظواهر الخصب والعـــقم فى الارض والانسان . وكلها اطار عظيم يضم بين جوانبه وجدان قريتى «رملة الانجب» .. وفى قريتى يتحدث الناس بلغة شـــعرية مركزة، وتتحدث الحوائط والاشجار والطمى والسواقى . تتحدث بالشعر» .. يقول الشاعر محمد عفيفى مطر فى اللوحة الثالثة من القصيدة !

« لماذا صلبتك الريح ياجميزة المغرب !
تطن بجوفك الاصوات
جذورك أرجل هبت بلاحقنى
أنا متعب
أنا متعب
ساهرب من هنا ، أو من هنا ، أو من نهاية أول المسرب
سامرق من هنا .. ياشمس السوداء
خذينى ، واطرحى فوقى عباءة قلبك الطيب
اذ يقينى ثمار النوم فى الظلمة
خذينى واغسلى قلبى على جسر من الرحمة »

ان هذا العدد الخاص حول «الشعر العربى الحديث» دليل جديد على أن الكثير من قضايا الادب العربى المعاصر تحتـــاج الى محاولات جديدة للتقييم المستمر . بل ان هـــذه القضايا تجاوز فى رأى البعض حدود الفنون الادبية ، الى آفاق الفنون عامة ، كالموسيقى والفن التشكيلى . وصدور هذا العـــــدد الخاص من «الاداب» يجب ان يعقبه وفقا لهذا الرأى اعداد اخرى من المجلات المختلفة تصب عنايتها على بقية القضـــايا وبقية الفنون .

●

أندريه مالرو : الثورات ألهمتـــــه كل ما كتب

زار القاهرة فى الايام الاخيرة من الشهر الماضى **أندريه مالرو** وزير الدولة الفرنسى لشئون الثقافة زيارة رسمية تستغرق أسبوعا . وكان الوزير الفرنسى قد تلقى دعوة رسمية من حكومة الجمهورية العربية المتحدة لزيارتها .

وأندريه مالرو ليس وزيرا وسياسيا فحسب ، بل هو أحد الكتاب الفرنسيين الذين اثروا الادب الاوروبى بأعمالهم الفنية ذات النزعة الانسانية . وقد ولد عام ١٩٠١ فى باريس حيث تلقى تعليمه الاول فى الليسيه كوندرسيه ، ثم حصل على دبلوم التخرج من المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية . وقد اهتم مالرو فى مرحلة مبكرة من حياته بالاثار والفنون والحضارات القديمة ، خاصة تلك التى تقع منها فى الشرق الاقصى ،فسافر الى كمبوديا حوالى عام ١٩٢٣ فى بعثـة اثرية . وعاصر فى هونج كونج ثورة البيض على انجلترا ، فكتب عام١٩٢٨روايته « **الفاتحون** » ثم عاصر حكم شيانج كاى تشيك فى الصين اثناء الحرب الاهلية بين عامى ٢٥ و ١٩٢٧ فكتب روايته « **الوضع البشرى** » التى ظهرت عام ١٩٣٣ . وفى عام ١٩٣٦ حارب فى صفوف المناضلين ضـــد الفاشية والجنرال فرانكو بأسبانيا . وكانت هذه الحرب موضوعا لروايته « الامل » التى يميلبعض النقاد الى ترجيح كفتها عنرواية همنجواى «لمن تدق الاجراس» كذلك ساهم فى النضال ضد النازية وكتب روايته «**زمن الزراية**» من وحى معاملة الالمان للشيوعيين .

وقد فقد مالرو أخويه أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم فقد ولديه فى حادث سيارة عام١٩٦١ ، كما فقد زوجته غداة التحرير فى حادث قطار . وتنعكس هذه الاحداث الحادة فى طعم المرارة التى تلون معظم كتاباته الفنية ، الا ان اغلب النقاد يرون انه فى كل ما كتب حاول بأن يشعر الناس بعظمتهم التى لايحسون بها او يجهلونها . كذلك فان «الموقف فى حياة ابطـاله يوضح عظمة الانسان الطبيعية ، ويفجر الكوامن الثورية داخله» .

وكان مالرو قد بدا حياته الفنية سرياليا ، خاصة فى كتابه « أقمار من ورق » ثم انتهى الى هذا الموقف الذى يحتضن فيه جراحاته الخاصة مع جراح الانســـانيه فى مزيج فنى يمس شغاف القلوب .

وربما كان كتـابه «**محاولة رسم سيكلوجى للسينما**» الذى صدر عام ١٩٤٦ وكتابه الآخر «**سيكلوجيه الفن**» الذى صـــدر عام ١٩٤٧ بعنوان «**صوت الصمت**» من أهـــم كتاباته النظرية التى لاقت رواجا ضخما فى لغـات العالم الحية . ذلك انه فى **الكتاب الاول قد حاول ان يقيـم الفروق الجوهرية** بين الادب المكتوب والادب السينمائى ، وانتهى الى ان الكلمـــة المكتوبة أكثر بقاء وخلودا وتأثيرا فى الانسانية واتخذ من الفيلم الامريكى مادة تطبيقية لنقده فقال ان «الشكل الصحفى» هو الشـــكل الســـائد فى السينما الامريكية وهو الشـــكل الذى يجمع بين التسلية والخرافة . وهو الشكل «الذى يقتل حاسة الصـــدق الانســـانى» فيفقد الانسان بذلك الاحســـاس العميق بعظمته الحقيقية .

اما الكتاب الثانى فهو «متحف بلا جدران» على حد تعبيره، لانه يتضـــمن مجموعة نادرة من اللوحات العـــالمية مع مقدمة تفصـيلية تقول بأنه لابد من تصوير أهم منجزات الحضـــارة الانسانية فى الفن التشكيلى ، لتحملها صفحات الكتب الى كل انسان فى عالمنا . انها شريان يؤصل علاقة الانسان بالحضارة، اىبالجذور ثم يقول ان «الصـــخور» بالذات هى أعظم مؤرخ لحضارة الانسان ، لانها تكشف فى رسومها وحفرياتها أصـــالة البشر فى التعبير عن أنفسهم تعبيرا حرا .

وقد نال مالرو جائزة «الجونكور» عام ١٩٣٣ عن «الوضع البشرى» وجائزة لوى ديلوك عام ١٩٤٥ عن « الامل » .

ولم تنفصل الحياة الادبية والفكرية والفنية لمالرو عن حياته السياسية حيث عمل قائدا للواء الالزاس — لورين فى ١٩٤٤ ثم وزيرا للاعلام فى ١٩٤٥ — ١٩٤٦ ثم وزيرا منتدبا فى رئاسة الوزارة بوزارة شارل ديجول من اول يونيو ١٩٥٨ الى ٧يناير ١٩٥٩ فوزير دولة مكلف بتنسيق العمل الحكومى فى المجـــال الثقافى بوزارة ميشيل دوبريه فى ٩ يناير ١٩٥٩ ثم أصـبح فى نفس الوزارة وزير دولة للشئون الثقافية فى وزارتى جورج بومبيدو الاولى والثــانية فى ١٥ أبريل و ٦ ديســمبر ١٩٦٢ فرئيسا لجمعية الجمهورية الخامسة فى أكتوبر سـنة ١٩٦٤ فعضوا فى مجلس متاحف فرنسا ، فمديرا (بالاشتراك معجورج سال) لمجموعة «عالم الاشكال» التى تصدرها مطابعجاليمار .

وقد كان هذا الارتباط الوثيق بين حياته السياسية وادبه مصدرا لايمانه العميق بالالتزام فى الادب والحياة معا .

●

المحاكمة .. والقضية

خبر صغير نقلته وكالات الانباء الغربيـة عن موسكو ، بنشاط غير عادى ، ولا يتلاءم مع الحجم الحقيقى للخبر . قالت الانباء أن محاكمة تجرى من العاشر من فبراير الماضى فىالاتحاد السوفييتى لكاتبين روسيين هما: **أندريه سينيافسكى ويورى دانييل لاتهامـهما تهريب بعض** أعمالهما الادبية المعادية للنظام الاشـتراكى الى الخارج . واضافت الانباء أنكاتبا آخر يدعى تارزيس سمحت لهالسلطات السوفييتية بالسفر الى لندن ، ثم سحبت منه الجنسية فىاليوم التالى .

وقد اهتزت الدوائر الادبية والسياسية فى العالم لهذا النبأ . وان تباينت درجة الاهتزاز وحرارته ومداه من جهة الى اخرى . اما الدوائر الغربية فقد شنت حملة ضارية على الاتحاد السوفييتى ، فقالت الفيجارو الادبية انه « ربما كان أوضح شىء فى القضية المرفوعة ضد سينيافسكى ودانييل هو المعنى الذى ارادوا ان يعطوه لها . ان قسوة الاتهام تشير بوضوح الى ان الامر يتعلق بتحذير الى الكتاب والفنانين السوفييت الا يبتعدوا عن تعليمات مشرعى الحزب ومتطلبات الواقعية الاشتراكية » . وقالت الموند أن « قليلين من السوفييت هم الذين يدركون حالة الاستهجان التى خلقتها ادانة الكاتبين ، وبالضربة الموجهة الى الاتحاد السوفييتى من الرأى العام ». وفى هذه الحدود كتبت الإكسبريس والايكونوميست .

أما دوائر الفكر الاشتراكى فقد تصدرها مقال المفكر والشاعر الفرنسى الكبير لويس اراجون الذى نشرته الاومانتيه — لسان حال الحزب الشيوعى الفرنسى — صباح الاربعاء ١٦ فبراير الماضى وأعادت نشره ليتر فرانسيز . وجاء فيه انه « ليست المشكلة هى شخصية الذين يحاكمون او مواهبهم الفنية ككتاب لانه حتى الكاتب صاحب المواهب البسيطة من حقه ان يعيش حرا .. ان سلب كاتب حريته بسبب محتويات رواية او قصة قصيرة يجعل من الخلاف فى الرأى جريمة فكرية ويخلق سابقة اكثر ضررا بمصالح الاشتراكية مما يمكن ان تفعله اعمال كاتبين مثل دانييل وسينيافسكى . نحن نخشى فى الحقيقة ان يرسب فى اعتقاد الناس ان هذا النوع من القضايا كامن فى طبيعة النظم الاشتراكية ذاتها . ان مثل هذه القضية يمكن ان تدخل فى روع الناس ان هذا هو نوع العدالة فى بلد الغى استغلال الانسان للانسان . ان علينا ان نقول إن هذا لن يكون هو المستقبل فى فرنسا . ويجب على الحزب الشيوعى الفرنسى اخلاصا لمبادىء الديمقراطية السياسية الكامنة فى تقاليده ان يؤكد انه ليس من حق الحاكم محاكمة الاراء ».

وقد جاء مقال اراجون معبرا عن وجهة نظر العديد من مفكرى الاحزاب الشيوعية فى ايطاليا وبولندا وفنلندا ومعظم بلدان اوروبا الشرقية . وكانت وكالة نوفوستى للانباء قد ابرقت مقالا لفيدور جافريلوف جاء فيه ان التهمة الموجهة الى سينيافسكى ودانييل ، هى كتابة وارسال مؤلفات الى الخارج تتضمن افتراءات كاذبة تشهر بالدولة والنظام الاجتماعى لوطنهما ، على نحو غير مشروع ، ومع اخفاء اسميهما الحقيقيين ، وقد نشرت هذه المؤلفات على نطاق عريض فى الخارج ، ونشطت الدوائر المعادية فى الغرب فى استخدامهما لمحاربة الاتحاد السوفييتى ايديولوجيا وسياسيا » . وتحت عنوان « لماذا هم غاضبون » نقل ك . نيبومنياشتش عن الكاتب اناتول سافرونوف نائب رئيس لجنة التضامن الافريقى الاسيوى السوفييتية انه قال : « من المؤسف ان بعض الامناء من الناس فى الخارج ابتلعوا طعم الافتراء على الاتحاد السوفييتى .وانا افسر اقوالهم بمجرد قلة معرفتهم بجوهر القضية » .وكانت هذه العبارة بمثابة التعليق الرسمى غير المباشر من الاتحاد السوفييتى على مقال اراجون .

وفى ١٩ فبراير الماضى اعلنت سكرتارية اتحاد الكتاب السوفييت فى خطاب مفتوح نشر فى جريدة جازيتا الادبية ان « الكتاب السوفييت المرتبطين دائما بشعبهم ناصروا دائما وسيناصرون الدولة السوفيتية . اننا لم نخف هذا ابدا ولن نخفيه . لذلك فان تصرفات سينيافسكى ودانييل الحقيرة اثارت غضبا وأكدت ادانتنا لهم . ولذلك ايضا فاننا نؤيد الحكم الصادر من المحكمة ، والذى جاء مطابقا لنصوص القانون » .

الا ان معظم المراقبين فى الدول الصديقة للاتحاد السوفييتى تميل الى التاكيد على نقطتين : الاولى ان الجو الديموقراطى الذى ساد محاكمة الكاتبين بأن جرت الجلسات علنية وانتدبت اكثر من محام للدفاع عن المتهمين هو فى ذاته تطور كبير فى تاريخ المجتمع الاشتراكى بالاتحاد السوفيتى ، ويعد نقلة ثورية من الفترة الستالينية الى مابعد المؤتمر العشرين للحزب .

والنقطة الثانية هى ان المحاكمة فى ذاتها والنتائج التى ترتبت عليها (من الحكم بالسجن ٥و٧ سنوات الى الحملة الضارية التى شنها الغرب) لاتصلح طريقا للسلوك مع الكتاب والفنانين . فمن ناحية لايرتفع المستوى الفنى للكاتبين المتهمين بحكم النقاد الغربيين انفسهم الى مستوى الاضرار الحقيقية التى يمكن أن تلحق بالنظام الاشتراكى من جراء كتاباتهما أولا، ومحاكمتهما ثانيا . ومن ناحية اخرى فان التجربة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى قد بلغت من الوعى والنضج مرحلة تبيح لها التفاعل مع الآراء المختلفة فى الاداب والفنون ، بعيدا عن الجمود فى اطار ثابت ومتزمت للواقعية الاشتراكية ■

●

■ فن تشكيلى

هانز هوفمان رائد التجريدية التعبيرية

منذ حوالى ثلاثة اسابيع وقف هانز هوفمان بين ٢٣ لوحة زيتية كبيرة انتجها جميعا — باستثناء لوحتين — خلال العام الماضى ونظمت عرضها قاعة كوتز بمانهاتن ».

وكان هوفمان يؤمن بأن الفن خالق للروح الانسانية ويعده الوثيقة الثقافية لروح العصر ويترسم فيه اعلى مظاهر النشاط البشرى

فالفن على حد تعبيره لايمكن ان يعلم ». واقصى مايستطيع المعلم ان يفعله انما هو محاولة الكشف عما يمكن ان ينطلق من داخل الانسان ».

مات هوفمان عن ٨٥ عاما اثر نوبة قلبية فاجأته بعد وقفته فى معرضه بأيام معدودات ففقد الفن الحديث بموته احد اقطابه وفقدت التجريدية التعبيرية احد روادها الكبار .

ولد هانز هوفمان بوينزبرج عام ١٨٨٠ ، وتلقى دراساته الاولى فى المانيا وفى فرنسا حيث عرف بيكاسو وعمل جنبا الى جنب مع ماتيس . تأثر بالتعبيرية الالمانية وبالوحشية وبالتكعيبية واحاط بكافة التغيرات الفنية التى بدأت تتفجر منذ مطلع القرن العشرين دون ان تنطمس فيها معالم الشخصية الخلاقة المستقلة . انشأ مدرسة للفن الحديث فى ميونيخ عام ١٩١٥ وعلم فى جبال بافاريا وفى ايطاليا وفى فرنسا . وفى ١٩٣٠ رحل الى امريكا ليعلم فى جامعة كاليفورنيا وفى رابطة طلبة الفن بنيويورك حيث اصبح مواطنا امريكيا وانشأ مدرسة هوفمان فى ١٩٣٤ . تتلمذ عليه عدد كبير من الفنانين الامريكيين وامتد اثره حتى شمل جوركى وكلاين ولويس ليفلسون ولارى ريفرز وريتشارد ستانكيفتش وجاكسون بولوك الذى اشتهرت اعماله باتباع طريقة التسييل والتقطير التى مهد هوفمان نفسه طريقها منذ ١٩٣٩ ».

اقيمت معارضه الخاصة بقاعات بول كاسيرر ببرلين فى ١٩١٠ وبتى بارسونز بنيويورك فى ١٩٤٧ وماجت بباريس فى ١٩٤٩ » واستمر منذ ١٩٤٧ حتى وفاته يقيم لاعماله معرضا سنويا بقاعة كوتز بنيويورك حيث كان يعيش . وقد ضاع الكثير من اعمال هوفمان : اختفى كل ما انتجه حتى عام ١٩١٤ وكان معظمه فى مجموعة فرويدنبرج وكاسيرر ببرلين . وفى باريس صودر مرسمه الخاص ابان الحرب العالمية الاولى وفقدت صوره فى فرنسا ». وفى الحرب العالمية الثانية دمرت القنابل

معظم ما أنتجه من لوحات حتى نهاية العشرينات ولم يبق من اعماله سوى عدد من الرسوم . ولكنه استطاع ان يعوض من هذا الفقد بغزارة انتاجه منذ اوائل الثلاثينات اى منذ رحيله الى امريكا وبقائه فيها نأميا لنفسه من الحركة النازية التي كانت تعمل على قمع كافة الاتجاهات التقدمية الحديثة في كل مايتصل بالفكر والادب والفن .

استطاع هوفمان بما اوتى من استقلال فى الشخصية وقدرة على الادراك والتركيب ان ينأى من الاندماج الكلى فى مذاهب العصر بالرغم من تأثره بالتعبيرية الالمانية وبالحوشية وبالتكعيبية فصهر ما تأثر به واضفى عليه من داخل نفسه فى مركب جديد عرف باسم التجريدية التعبيرية .

ولئن كان هوفمان قد انتهى الى التجريد الا أن التجريد عنده يختلف عنه عند كثير من الفنانين . فهو يؤمن بأن سر الابداع الفنى يعتمد على الحوار بين البعدين والبعد الثالث ، بين السطح والعمق ، بين المساحة والحجم ، على عكس بعض الفنانين التجريديين الذين وقفت المشكلة عندهم داخل حدود البعدين ، ويرى هوفمان ان هذا الحوار او الثنائية تحتل حيزا كبيرا فى الفلسفة الفنية عند هوفمان بل ويمكن ان تعد اساسا لها . فالحياة حوار . والفن حوار . وثنائية الفن كما يقول بودلير نتيجة حتمية لثنائية الطبيعة البشرية . فالفنان نتاج لحوار الانسان مع الكون . والانسان نفسه فى حوار مع نفسه . وعملية الابداع الفنى ليست محاكاة للطبيعة وانما هى ملحمة بين الفنان ولوحته والوانه وادواته يشتد فيهما الجدل بين الشعور واللاشعور ، بين الوعى والتلقائية ، بين السطح والعمق ، بين المساحة ذات البعدين واكمال الحجم ذى الثلاثة الابعاد ، بين الظاهر داخل الصورة والمحتجب خارج اطارها .

وقد لاينسنى للمتذوق ان يستكنه اسرار العمل الفنى داخل الصورة نفسها إلا اذا استشعر الاتجاهات المنبثقة من داخلها واخترق بها حدود اطارها ليملأ بها الفراغ على امتداد « قراءاته » الداخلية المديدة .

وتتسم العملية الفنية نفسها كما يفسرها ويطبقها هوفمان باختراق كافة الحدود . فهو لايقيد نفسه بنظرية او وسيلة ولا يخضع « لما يجب ان تكون عليه الصورة » او « لما يجب ان يفعله الفنان » . فكل شىء عنده مباح فى سبيل خلق عمل فنى يثبت وجوده بمنطق وجوده ويثبت ان كل صورة انما هى خلق جديد . وهو بهذا قد دعم حرية الفنان واطلق تفكيره وخياله ومشاعره بل وحركته الجسدية ووسائله المادية من سجن الاطار او التقليد .

تعليق

انســـان عبد الهـــادى الجزار

الانسان ـ كداود النبى ـ ينسج من ذكائه ومهارته ومن وحدة عمله مع الاخرين مقلاعا يصرع به عمالقة المجهول مفرطى القوة شديدى الغباء.

هـكذا راى عبـد الهـادى الجزار (١٩٢٧ ـ ١٩٦٦) الانسان وهكذا صوره فى لوحاته : محاربا مقاتلا يتحدى عناصر الطبيعة ويصارع الخـرافات وينقب فى غـير المالوف ويغزو الفضاء ويخضع الدنيا لخدمته هو وابنائه.. وحتى اذا بدا انسان الجزار فى بعض الاحيان صـغيرا مستحقرا امام هذه العمالقة الا انه دائما هو الاصيل الرزين القوى المفكر المخطط المتجمع فى تكتلات قوية .. القادر على كل شىء ..

ولد الجزار فى الاسكندرية فخاض انسانه فى البحـر ـ ذلك العملاق المجهول : قواقع واعشاب وامواج تروح وتجىء ولهـا همس متواصل ومصطافين وسفن قراصنة غـرقى واسطول نابليون به غرقى واسماك وحوريات ناعمات الملمس باردات..

عاش الجزار فى الاحياء الشعبية ـ القبارى والسيدة ـ فصارع انسانه ابطال الحلم والاساطير والخرافات بشواربهم المفتولة وجباههم الضيقة تحرسهم كلماتهم السحرية واحجبتهم و « أعمالهم » ووشومهم وتقاليدهم وقوانينهم ـ يحيون بعنف وبافراط.. يحبون بعنجهية المراهقين ويحاربون بسيوفهم الخشبية يصولون ويجولون فى مداراتهم الجوفاء التافهة بكل اهتمام وجدية وضيق افق .

عاش الجـزار فى اوربا فخـرج انسانه عن عالمه المحدود المكان الى الافق العالمى العريض بلا حدود .. حارب لقضـايا الانسـان : الخبز والحرية والسلام .. صارع ديكتاتورية الالة الرهيبة ـ عملاق التكنولوجيا المعقد ـ حتى روضها لخدمته .. وغزا الفضاء اللانهائى .

عاش الجزار فى عالم الفن فتحدى انسانه عمالقة الاكاديمية ـ عمالقة المظاهر والطقوس ذوى الرؤوس الصلبة والكلمات المعقدة والقواعد الذهبية .. صارع غوايات الزخرفة والسريالـيـة الهذيانيـة والتعبيريـة والروائية السردية والازجال المرسومة والتحلل التجريدى فتغلب عليها جميعا واكتسب منها غنائم افادته .. برع فى مقومات العمل الفنى التكنيكيـة واكتشف مواد جديدة وافكار جديدة واحلام جديدة هدية للانسان .. وفاز بكثير من جوائز المعـارض الفنيـة المحلية والدولية ..

عاش الجزار التجربة الوطنيـة والاشتراكية فساهم انسانه فى معارك التحرر من الاستعمار واحتفل بهزيمته وهزيمة الرجعية والراسمالية المحتكرة والاقطاع وحطم اصنامها .. وخاض الجزار تجربة السد العالى فتغنى انسانه بانتصار الارادة وانتصار الحياة والعلم والرخاء ..

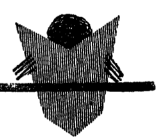
عاش الجزار عاملا .. لا متكلما ثرثارا .

ثم مات الجزار . لم يتحمل قلبه الدافىء برودة الحياة فاصابه روماتيزم وقيل ان تخبطا فى العلاج وتهاونا فى نقله للخارج عجلا بموته ..

مات الجزار وترك انسانه المقاتل حيا ..

كرمته الدولة ـ مشكورة ـ فى حياته وعليها الان ان تكرمه فى اعماله وزوجته واطفاله ـ تكرم فيها وفيهم الفنان الانسان المكافح الشريف الذى آمن بالحياة وبالمستقبل وبان الانسان قادر على كل شىء ..

فريد كامل





قادة افريقيا السوداء
فى مواجهة شعوبهم
● تأليف : سيدوباديان

من المجلات الفكرية العالمية :
● مجلة اليسار الجديد
● مجلة الفكر والتطبيق الاشتراكى
● مجلة الحزب الشيوعى الايطالى

قادة افريقيا السوداء فى مواجهة شعوبهم

● تأليف : سيدوباديان

يستهل المؤلف الجزء الاول من كتابه ـ الذى أصدرته دار ماسبيرو الفرنسية ـ بمقدمة يشرح فيهـا كيف أن الحروب التحريرية بعد الحرب العالمية الثانية كان لها الفضل فى حمل البلاد الاستعمـارية على اتخـاذ موقف « التفهم » لامانى الشعوب الافريقية بمنحتهم الاستقلال جملة واحدة بغية الاحتفاظ برباط التبعية على صورة جديدة تتناسب مع الاوضاع العـالمية . ويرى المؤلف أن العـامل الداخلى فى القارة الذى كان له اثر حاسم فى هذا المجال هو موقف الرئيس نكروما وبلاده سنة ١٩٥٧ والدور الكبير الذى لعبه هذا الزعيم بتحدياته للمستعمر وحماسه الشديد لاستقلال افريقيا ووحدتها .

غير أن هذه البلاد اصبحت تواجه بعد أن استقلت الواحدة بعد الاخرى مسئوليات ضخمة القى الشباب الجامعى والنقابى بعبئها على القادة دون الشعوب لما كانت عليه تلك الشعـوب من مستوى متخلف فى الوعى السياسى . ويذكر المؤلف أن كثيرا من هؤلاء القادة قد أعادوا نورا الحكم الاستعمارى بعد حصول تلك الاقطار على الاستقلال الذى كان قد رحل عن البلاد دون التخلص فعلا من أثقال ماضيه ، وكان مفهوم هؤلاء القـادة ينطلق فى هذا الصدد من «.... انه طالما لم تطلب الشعوب شيئا فالاستقلال الذى حصل عليه هؤلاء المسئولون هو بالتالى ملك لهم» ، الا أن الشعب رغم كل شىء كان قد تعود من الدعاية البرلمانية التى كان يقوم بها هؤلاء القادة خلال الكفاح الوطنى فى ظل الحكم الاستعمارى على مفهوم من الاستقلال لا يقف عند حد الاعتراف الشكلى ومجرد رد الاعتبار بل يتعداه بعيدا الى «.... تطلعات لحياة افضل وعدالة اجتماعية وبناء البلاد وفقا للامانى الوطنية المشروعة والعميقة » . واذذاك رفض الشعب أن يستبدل ظالما بآخر وصار يطيح بقادته (الاب يولوفولير فى الكونغو برازافيل والسيد / ماجا فى الداهومى) أيا كان الماضى العظيم الذى يتغنى به هؤلاء القادة .

أما فى البلاد الاخرى التى قام فيها القادة استنادا الى الشباب والنقابيين بدعاية رفعت المستوى السياسى للجماهير خاصة الفلاحين منها ، فلقد نتج من ذلك وضوح كامل فى الموقف مما حمل المستعمر على الاسراع بدعيا الدفاع عن التقاليـد والعادات والاصلاف بالتنديد بهؤلاء القادة واتهامهم بالقيام بدعاية ليست افريقية اصيلة ، فعمدوا الى تكوين أحـزاب «ادارية» يتزعمها «رؤساء» القبائل التابعون والموالون لهم وكلما زادت الحركة الوطنية نموا ازداد الانشطار واتضح وجود فريقين مختلفين وان اختلط فى كل فريق منهما العناصر السيئة بالعناصر الحسنة .

ويستمر باديان معالجا نفس الموضوع فيقول انه اذا كان وجود هذين النوعين من الاحزاب ليس مرده انقساما ايديولوجيا الا ان تطور الامور ابرز تناقضا في المصالح مما تمخض عنه بلورة واضحة خاصة بعد الحصول على الاستقلال . فان كان الحزب «الاداري» هو الذي تولى مقاليد الحكم بقيت حينئذ القضية كما هي بكل ابعادها واخطارها ، اما ان كان الامر في يد الحزب الذي يتزعمه قادة واعين بمصالح شعوبهم كان ذلك مدعاة لاجراء تغيير شامل في قواعد المجتمع .

ويؤكد الكاتب انه ايا كان الامر فالعقبة الحقيقية لتقدم هذه البلاد والتي تشترك فيها جميعا ويعني بذلك الاوضاع المتاخرة فيها انما يرجع في الاساس الى ما خلفه الحكم الاستعماري من سيئات ونواقص وكوارث مشيرا الى انتشار الامية ونسبة الوفيات وانعدام اي بناء تحتي مما يجعل الكاتب يصرخ «ان الامبريالية لا تترك عن طيب خاطر الارض التي استحوزت عليها»

وتنتهي مقدمة هذا الجزء بالتاكيد على ان اي موقف من هذه الشعوب للسير الى الامام مع ماتعانيه من اسباب الجوع والعوز والجهل انما سيؤدي بالضرورة الى جذب يتسلط على القادة وشعوبهم مما يحتم القيام بثورة شاملة تنطلق من الانسان لتعود اليه .

ويتناول في هذا الجزء الاول من الكتاب تركة ماضي ماقبل الاستعمار لسمات الحكم الاستعماري ثم يحلل القوى التي تواجه بعضها البعض ليتعرض بعد ذلك للطريق الاشتراكي وضرورته السياسية والاقتصادية واخيرا الصعوبات التي تعترض البناء الاشتراكي في هذه الاقطار (٥)

تركة ماضي ما قبل الاستعمار

يشرح الكاتب طابعين اساسيين : مفهوم حياة الجماعة والروح القبائلية اذ يرى لهذين الطابعين التاثير البالغ على الاوضاع الراهنة في افريقيا السوداء خاصة على المستوى السياسي .

● **روح الجماعة** : كان مفهوم حياة الجماعة هو المسيطر على افريقيا ماقبل الاستعمار حيث كانت العائلة اساس البناء الاجتماعي والعائلة هنا تختلف عن العائلة في البلاد الغربية ، فهي تتسع لتشمل ذوي القربى والذرية وعائلاتهم، ويقوم رب العائلة بتنظيم وتوزيع العمل على افراد العائلة فيصدر اوامره المطاعة ، والملكية عامة للارض وما فوقها من زرع ومبان ، ويعمل كل فرد من افراد العائلة لا لنفسه ولكن للجميع ولا محل للدخل الفردي .

ويستكمل هذا الجزء من البناء الاجتماعي بربط العائلات التي بينها اواصر القرابة وتقطن قريبة من بعضها البعض تحت لواء لها لايعلو عليه احد بعد ذلك (٥)

وكان هذا البناء الاجتماعي هو السمة الغالبة في جميع اقطار افريقيا تقريبا ، فرب العائلة و «الرئيس» يجمع بين يديه كل من السلطة الاقتصادية والسلطة السياسية وكذلك السلطة الروحية . فلم يكن لمفهوم الدولة وجود في افريقيا آنذاك ، اذ ان الدولة حديثة العهد في تلك البلاد باستثناء بعض الامبراطوريات الاسلامية القديمة .

واذا كانت الديمقراطية على اساس مفهوم المساواة والمشاركة تعد سمة مميزة للقرية الافريقية الا انها معدومة في المستويات العليا ، فالرئيس هو السيد المطلق لا يحد من سلطانه سوى مبدأ « العدل والمساواة بين المتساوين » (٥)

ويبين مؤلف الكتاب كيف أن هذا الطابع ينعكس على السلطة الحالية في البلاد الافريقية وعلى احزابها السياسية ، فالمناضل الذي كافح مع حزبه فوصل الى النصر يريد تجريد المعارضين من كافة الحقوق سواء في جهاز الدولة أو امام القضاء أو في المدارس والمعاهد والمستشفيات ... وهذا الطابع هو الذي يحمل عضو الحزب تمشيا مع العادات والتقاليد على افساح الطريق لاهله وذويه في كل هذه المجالات فهو صاحب الحق الذي لا جدال فيه .

وينتقل المؤلف من هذه النقطة مؤكدا النقص الكبير الذي يعانيه من جراء تلك الاحزاب السياسية نتيجة لفقدانها لاي اساس أيديولوجي ، ذلك ان مفهوم السلطة المجردة هو المفهوم الذي لاتعرف سواه الاحزاب في البلاد الاخرى مفقودا تماما في تلك الاقطار اذ انبثق من مفهوم البناء الاجتماعي الرئاسي المطلق الذي كان سائدا في عهد ماقبل الاستعمار المفهوم الحالي للشخصية وتقديس السلطة أي أن السلطة في يد قائد تلتف حوله الجماهير من أجل شخصه وتقدسه على هذا الاساس .

غير أن المؤلف يرى أن مثل هذا الوضع له مزاياه في الظروف الراهنة لتلك البلاد وانخفاض مستوى الجماهير بها اذ يستطيع القائد مع مايتمتع به من سلطة وشخصية وقدسية من كبح جماح الكوادر المتوسطة التي لاتبالي كثيرا بقواعد العدالة والديمقراطية والنزاهة على وجه الخصوص .

ولا شك أن الوضع يختلف من بلد لاخر تبعا للنظام السياسي فيه . فاذا كان هذا النظام مبني فقط على اساس شخصية القائد اضطر عندئذ الى الاستعانة بالاجهزة العسكرية والبوليسية والدعاية الديماجوجية بعكس ما اذا كان النظام يستند الى الجماهير فيكون دور هذا القائد الواعي بمصالح شعبه انارة الطريق أمامه

وكما يقول الكاتب ايا كان الامر : «في افريقيا السوداء اكثر من اية بقعة اخرى من الارض تتوقف الشعوب عن السير وراء قادتها اذا فقدت شعورها بالاعجاب بهؤلاء القادة » (٥)

ومن هنا يتبين مدى الفرق بين مفهوم السلطة في افريقيا السوداء ومفهوم السلطة المجرد الذي لايدرك الغربيون سواه.

● **الروح القبلية** : تلك سمة اخرى ورثها المجتمع الافريقي الحالي من افريقيا ماقبل الاستعمار . فالعلاقات بين الاهالي والسكان كانت تقوم على أساس القبيلة فلم يكن لمفهوم الامة مكان . ويؤثر هذا المفهوم على الاوضاع الحالية في البلاد ويستفيد بقايا الاستعمار من هذه الارضية الموروثة لابقاء الشقاق بين اهل البلاد الذين لا يزالون متمسكين بالاسلاف غير مبالين بالوحدة الوطنية بل كثيرا ماهددت هذه الوحدة الوطنية بعد حصول البلاد على استقلالها ، ولهذه الروح اثر سيء ايضا في المجال الاقتصادي اذ يستمر الناس يرفضون تادية اشغال مثل الصيد لان اسلافهم امتنعوا عن القيام بها . ويرى المؤلف انه يجب اعادة تربية المواطن الافريقي بحيث يستبقي من القبائلية روح التضامن ويبعد عنها التعصب القبائلي وضيق الافق والاوهام والعادات التي لامحل لها .

سمات الماضي الاستعماري

النقطة الاساسية التي يركز المؤلف عليها هي محاولة الاستعماريين صبغ غزوهم لتلك البلاد واعمال العنف والقهر التي اتسم بها هذا الغزو وهو مايسمى بالاستعمار على انه رسالة انسانية لصالح البشر ولصالح الشعوب «المتوحشة» في افريقيا السوداء وانطلاقا من هذه المحاولة نبذت جميع العادات والتقاليد خاصة الحسنة منها ونّدد بالاسلاف فهجر الاهالي روح الجماعة وصاروا يتحلون بالفردية ويقومون كل شيء بالمال فهو القوة والسلطة والجاه. وقد اشتد هذا الوضع خاصة بعد ان أدخل المستعمرون نظام العمل بأجر فانتفى بذلك تماما مفهوم العمل الجماعي من

اجلّ العائلة . لقد صنع الاستعمار انسانا جديدا يمثلّ الحكم الاستعمارى ويتبعه .

وينفى المؤلف من الحكم الاستعمارى فضله المزعوم بالاسراع فى توحيد القبائل والعمل على مركزية الامة ويرى ان هذا القول مبالغ فيه تماما فالتوحيد والمركزية لا وجود لها الا فى الظاهر ويدلل على ذلك بما يجرى اليوم بعد انقضاء الحكم الاستعمارى من خلافات ومشاجرات بين القبائل الامر الذى يهدد الوحدة الوطنية والاستقلال السياسى .

القوى التي تواجه بعضها : الاختيار

يؤكد المؤلف أن العالم الحديث يقدم للبلاد المستقلة حديثا احد طريقين لا ثالث لهما : الراسمالية أو الاشتراكية . غير انه يلاحظ ان غالبية الاقطار فى أفريقيا السوداء تطبق النظام الراسمالى غير أنه يؤكد على أن هذا الطريق مغلق تماما أمام هذه الاقطار لاسباب كثيرة أهمها :

١ ـ عدم وجود رؤوس اموال فى افريقيا ، فالاستعمار لم يترك لهذه الاقطار فرصة تكوين رأس مال خاص بها اذ كان يعتبرها ويعاملها على انها ملحقات له تموِّنه بكوادرها الاولية والمنتجات الزراعية بابخس الاثمان ، فلم يتكون بالتالى راس مالٌ محلى وهذا «مايفسر أن الراسمالية فى المستعمرات كانت بالمقارنة لنظام البلد » « الام الاقتصادى » ناقصة على الدوام »

٢ ـ استحالة تكوين راسمال محلى براسماليين محليين ، اذ يؤكد المؤلف على انه لامحل للمقارنة من هذه الزاوية بين هذه الاقطار التى لا وجود للاقطاع فيها والبلاد الاوروبية التى كان للراسمالية فى بدء نشأتها موقفا تقدميا فى كفاحها ضد الاقطاع . وبالتالى فالحافز على تكوين رأسمال فى الاقطار الافريقية لا يمكن أن يكون الا على حساب الجماهير الشعبية ، الامرالذى يتنافى مع تطلعاتها العميقة وآمالها »

٣ـ خطورة فرض راسمال اجنبى على السيادةوالاستقلال، ذلك أن الراسماليين الاجانب دائمى البحث عن أرباح يرتفع مستواها عن الارباح التىيمكنأن يحصلوا عليهافىبلادهمالمتقدمة صناعيا ، ثم يطالبون باستمرار بمختلف الضمانات من حيث تثبيت الاجور وابقائها الى اقل مستوى ممكن ، ومن حيث تصدير المنتجاتوالارباح بالاضافةالى امتيازات ضريبيةاخرى. وينتهى الامر بان يظهر كفاح الطبقات فى هذه الاقطار ويشتد «فيعجب هؤلاء القادة حين يرون النقابيين الذين تاثروا أشد التأثربنقابات اليسار فى البلد الاميتخذون بالنسبةلارباب المصانع عندهم أو لعملائهم فيها ذلك الموقف الذى يسلكه زملاؤهم العمال فى البلد الام بالنسبة لاصحاب المصانع هناك »

ويؤدى هذا الطريق الى خلق بورجوازية بيروقراطية تتميز بمظاهر الثروةوالجاه تسكنالقصورالفخمة وتستخدم السيارات الثمينة ، مما يعجل بانشطار الامة حيث لايروق هذا الوضع الشباب الجامعى والنقابى فتوجه التهم وتفتح المعتقلات وتضرب الديمقراطية ولا مناص بعد ذلك للراسمال الاجنبى سوى اقامة القواعد العسكرية وتعيين الاوروبيين فى المناصب الرئيسية «فيحدث الشىء العجيب أن السلطة السياسية تكون افريقية بينما يقود الاقتصاد غير الافريقيين » .

ويذكر المؤلف فى هذا الفصل كلمة البروفسور « دى بوا » تلخص كل الموقف قالها فى محاضرة القاها فى أكرا بغانا سنة ١٩٥٨ :

« ماهو الطريق الذى ستسلكه افريقيا ؟ يهمنى ان اوكد اولا انه ليس امام افريقيا المعاصرة مجال للاختيار بين الراسمالية والاشتراكية . فالعالم بأسره بما فى ذلك البلاد الراسمالية يتجه بالضرورة وبلا هوادة نحو الاشتراكية . نستطيع ان نختار بين كتلتين عسكريتينونستطيع اختيار حلفائناالسياسيين الا أننا لانستطيع الخيار بين الاشتراكية والراسماليةالخاصة لان هذه مقضى عليها » (ص ٥١)

الاشتراكية : يرىالمؤلف أنكلمة الاشتراكية كثيرة الاستعمال فى افريقيا السوداء وهو يقسم القادة من هذه الزاوية الى ثلاث مجموعات :

المجموعة الاولى يعلن أصحابها انهم اشتراكيون الا انهم يتجهون فى الواقع نحو الاستعمار الجديد اذ يعملون على ايهام الشباب بوجوب الابقاء على قطاع خاص بل وتشجيع هذا القطاع الخاص والعمل على ازدهاره كمنافس ومحفز للقطاع العام .

وتتكون المجموعة الثانية من القادة الذين يدينون بالاشتراكية ويعلنون لاسباب سياسية ودينية انهم يؤمنون بالاشتراكية الافريقية لانالقارة السوداء لاتميل للالحاد. كما انروح الوطنية الشديدةتشتعل فيها ويميل هؤلاء القادة اليوم الى استعمال عبارة « الطريق الافريقى نحو الاشتراكية » وهذا تعبير سليم كما يقول الكاتب .

اما المجموعة الثالثة فهى تشمل القادة الذين اختاروا الطريق الراسمالى والاستعمار الجديد وان لم يعلنوا رسميا عن موقفهم ويعوز هذا الفريق برنامج محدد وأهداف واضحة .

ويرى المؤلف ان البناء الاشتراكى الراهن فى هذه الاقطار يتميز بطابع خاص على صعيد العلاقات الخارجية حيث تتم الاتصالات والعلاقات بكافة مستوياتها مع البلاد الاخرى ذات الانظمة المختلفة الاجتماعية والسياسية .

الطريق الاشتراكى ضرورة سياسية

يركز المؤلف فى هذا الفصل لا على البلاد التى اختارت الطريق الاشتراكى ولكن على تلك التى اختار قادتها طريق الراسمالية وحكم « الليبرالية » فيؤكد انه لامناص لتلك البلاد من اقامة الاشتراكية فى ربوعها ويدلل على ذلك من تحليل الاوضاع السياسية والارضية الاجتماعية فيها مؤكدا أمورا لها أهمية بالغة :

● اهمية دور الاجراء اذ يشكلون بين جماهير الشعب (الفلاحين ، صغار التجار ، مهن حرة ...) فئة متميزة عن غيرهاتماما لهاتنظيمات نقابيةقوية تأثرت «.. فىافريقيا السوداء الناطقة بالفرنسية وعلى الدوام (باتحاد العمل الفرنسى) الذى يوجه الكفاح من زاوية النظرة الماركسية للامور . ويعنى ذلك انهليس الامرمجرد تحسينحالةالعمال بالفئات التىيتمانتزاعها من حين لاخر .... بل بقلب النظام قلبا شاملا حيث تستطيع الدولة البروليتارية وحدها ، اى دولة العمال والفلاحين تحقيق السعادة للطبقة العاملة ... » (ص ٦٤)

● هذا التنظيم النقابى المتأثر بفكر وايديولوجية اتحاد العمل الفرنسى» مرتبط من جانب آخر كل الارتباط بالتنظيم السياسى وهو حزب «التجمع الديمقراطى الافريقى» فقادة الحركة النقابية يتبوأون مراكز رئيسية فى الحزب . فاذا ما اخذنا فى الاعتبار أن هذا الحزب كان شديد الارتباط بالحزب الشيوعى الفرنسىذات الايديولوجية الماركسية ادركنا علىالفور مدى تعلق فئة الاجراء باقامة الحكم الاشتراكى .

● لا وجود داخل القارة السوداء لكفاح الطبقات بمفهومه التقليدى حيث لم تتولد فى هذه الاقطار خلال الحكم الاستعمارى بورجوازية «اقتصادية» تتناقض مصالحها مع مصالح الاجراء اذا استثنينا بعض البرجوازيين الاقطاعيين الذى أجبرهم الحكم

الاستعمارى على السكون والركود والذين كانوا الخدم المطبعين له . وقد برز هذا المفهوم بشكل واضح بعد سنة ١٩٥٠ حين ابتعد التجمع الديمقراطي الافريقي عن الحزب الشيوعي الفرنسي وبعد أن استقلت الحركة النقابية فى تلك الاقطار عن « اتحاد العمل الفرنسى » فبرز عندئذ مفهوم الشخصية الافريقية بمميزاتها الخاصة .

● ولا يعنى هذا انه لا وجود لكفاح الطبقات فى هـــذه الاقطار اذ ياخذ شكلا وقالبا آخر ، فالجماهير العمالية التى كافحت ضد الحكم الاستعمارى ضد البلاد الاستعمارية ونصورتها ــ هى والشيطان شىء واحد ــ لا تستطيع ان تتقبل برحابة صدر اتفاقات ومساومات مع حكومات هذه البلاد التى تدين بالرأسمالية وتطبقها ويدرك هؤلاء النقابيين بعمق وبوعى كامل ان الاتفاقات والمساومات مع حكومات تلك البلاد انما يعنى فى آخر الامــــر الاتفاق مع البورجوازية العالمية وهى الد اعداء الطبقة العاملة .

ومن هنا يلجا قادة « الليبرالية » الى اتباع سياسة القمع والاعتقال وانتهاج اسلوب التعسف السياسى وانتفاء الديمقراطية مما يزيد من شدة الكفاح ويؤدى الى اندلاع الثورات وتــــغيير الاوضاع لاقامة النظام الاشتراكى .

الطريق الاشتراكى ضرورة اقتصادية

● يؤكد المؤلف أن افريقيا السوداء تتجه بطبيعتها وبفطرتها فى الطريق الاشتراكى موضحا انه بالرغم من محاولات الاستعمار القضاء موضوعيا على القيم والاخلاق الحسنة التى تميزت بها افريقيا السابقة على الاستعمار الا أنه لاتزال روح الجماعـــة متاصلة فى اعماق القارة ولاتزال الجماهير الفلاحية تتاجج حماسة للعمل بالمقابل وللجماعة وهو أمر له أهمية بمكان فى مرحلة البناء الاشتراكى فى بلاد متأخرة اقتصاديا ويجب ان تعتمد على سواعد ابنائها لتكوين المدخرات .

● ويضيف المؤلف أن اختيار الطريق الراسمالى لن يحــل مشاكل افريقيا السوداء من حيث البناء الاقتصادى وخاصة من حيث الاسراع فى القضاء على الفقر والعوز والجهل ، تــلك الامور التى طالما كافحت من اجلها الجماهير الشعبية وخاصة الفلاحين خلال المعركة الوطنية .

● ثم هناك مشكلة النقص فى الكوادر بالنسبة لكل قطر من هذه الاقطار على حدة وهى مشكلة لا سبيل لحلها سوى ايجاد نوع من الارتباط بين هذه الاقطار لا مفر من أن يكون على اساس اشتراكى حتى لايميز قطر على حساب الاخر الامر الذى لا مفر منه مع قيام نظام رأسمالى .

● واخيرا فلا بد لهذه البلاد من اعادة النظر فى سياسة الزراعات الصناعية التى فرضها الاستعمار عليها جريا وراء مصالحه فى تموين مصانع بلاده ، فعلى تلك البلاد ان تنتهج فى هذا المجال سياسة مرتبطة كل الارتباط بحاجياتها الحقيقية وبمصالحها القومية ، الامر الذى يقتضى مستوى متقدما من التنظيم العلمى ، وهو لا مكان له حقا الا فى ظل النظام الاشتراكى .

مصاعب البناء الاشتراكى فى افريقيــــا الســـوداء

ويعالج المؤلف فى هذا الفصل ثلاث مصاعب رئيسية : الكوادر ثم مستوى الجماهير واخيرا المساعدات الخارجية .

● الكوادر : يقول الكاتب ان الاستعمار صنع طرازا جديدا من الانسان الافريقى ، انسان يتبع الحكم الاستعمارى وهــو فى الوقت نفسه مستقل منه . وهذا الانسان الافريقى هو الذى اشترك فى الكفاح الوطنى وعلى هذا الانسان تقع كل اعبـــاء البناء .

ويوضح الكاتب ان هذا الانسان كان يتميز قبل الحـــكم الاستعمارى بالشجاعة والاقدام والتفانى للقضايا المشتركة ويحترم الاسلاف ولكن الغرب بمحاولته اظهار الاستعمار على أنه رسالة انسانية حطم كل هذه القيم ، مصار هذا الانســـان يظن أن الغرب هو مصدر كل شىء وأساس القــــوة والارادة والعمل فتولد نتيجة ذلك اختلال فى التوازن السيكولوجى حيث اصبح هذا الانسان مع معاداته للاستعمار يعادى فى الوقت نفسه زملاءه ومواطنيه ويزدرى بهم ويفسر الكاتب بذلك موقـــف اللامبالاة والرعونة التى يتميز بها الان هذا الانسان الافريقى فى علاقاته بالدولة ومعالجته الاموال العامة .

وحين قامت الحرب العالمية الثانية انكشفت للافريقيين حقيقة مروعة ، فقد ايقنوا بضعف الغرب فطالبوا بالمساواة فى المعاملة سواء فى الاجور أو غيرها من الشئون وهو كما يوضح المؤلف موقف لايخرج عن قبول الاندماج فى النظام الاستعمارى والانخراط فيه فلم يفهم هذا الانسان الافريقى انه يستطيع أن يحكم نفسه بنفسه وان يستقل تماما عن طغاته «غير أنه اتيح لبعض الناس أن يتبينوا احتمال وقوع الاستقلال بل وضرورته بعد ان تحرروا من قيد العالم الاستعمارى القاتل اثر التقائهم بايدولوجيـــة أخرى اساسها الانسان تنبعث منه وتصل اليه» فيذكر المؤلف باعتزاز قادة افريقيا السوداء من امثال «جوموكينياتا» ونكروما وسيكوتورى وموديبوكيتا . وهكذا ولدت افريقيا فى ضـــمير هؤلاء القادة .

وهنا يوضح المؤلف الوضع الصعب والمتنافس بين هؤلاء القادة الذين فهموا افريقيا على حقيقتها وذلك الكادر الذى عليه أن يبنى معهم البلاد والذى لايزال ترزح مفهوماته تحت ضغط القيم التى ولدها الاستعمار فيه . ومن الامثلة الواضحة على هذا الوضع ماتم فى غانا حيث تكشفت لنكروما مفهومات اقرب المقربين اليه كما تكشفت له مقاصدهم ونواياهم .

● الجماهير : لاتزال الجماهير تتمسك بالعادات القديمة خاصة فى الريف مما ادى احيانا الى هبات فلاحية . وجماهير القرى ترفض رفضا باتا أى تطور أو تغيير وهذا لاشك يعرقل الانماء الاقتصادى . ومن جهة أخرى فلا يزال مفهوم الانتاج عند الفلاحين خاصة مقصور على التعمل من اجل سد الحاجات فقط ودرء الاخطار وبالتالى فهى ترفض العمل من أجل زيادة المدخرات مما يؤثر على البناء الاشتراكى .

غير أن المؤلف يستطرد فيؤكد أن الجماهير ستسير آخر الامر وراء القادة لانها تعودت من قديم الزمان على اطاعة الرؤساء الا أن الكادر الصالح ضرورى هنا أيضا لان القادة قد يتخذون بالنسبة لتلك الجماهير المطيعة موقف الازدراء بها أو موقف التأثر البالغ الحساسية منها وهما موقفان خطيران لابد من كادر واع لمنع الوقوع فيهما ودرء أخطارهما ، الامر الذى يجعل المؤلف يؤكد أنه : « .. ليس بناء الاشتراكية فى افريقيا السوداء فى حاجة اليوم الى قادة » « بقدر حاجتها الى مناضلين » .

● المساعدات الخارجية : لا بد لافريقيا من مســاعدات خارجية . والعالم منقسم الى معسكرين ، المعسكر الغربى الذى لايقدم عونا الا لتلك الاقطار التى اقامت حكماء ليبراليا أى «رأسماليا» ومن جانب آخر لم يعثر المعسكر الاشتراكى بعد على اسلوب سليم للتعاون الاقتصادى والفنى ويصبح الامر أكثر خطورة اذا ما ادركنا أن الكوادر الحالية نظرا لتسلط المفهوم الاستعمارى عليها ، تميل بطبيعتها للتعامل مع الغرب .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الجزء الثانى من الكتاب وهو كما قلنا يعالج بشكل خاص البناء العلوى فيعنى بمشكلة تكوين

المناضل ثم يتحدث موضوع الحزب ويتكلم عن انحرافات الحزب الواحد وينتهى الحديث باستعراض السبل الخاصة بأفريقيا السوداء .

ويشرح المؤلف فى مقدمة هذا الجزء الوضع الذى تتميز به الاقطار الافريقية من زاوية تكوين المناضل وتربية الكادروتطهير صفوف الحزب بالمقارنة مع الوضع فى البلاد التى قامت فعلا ببناء الاشتراكية حيث كانت الاحزاب الحاكمة فى هذه البلاد قد حددت منذ البداية هدفا واضحا وهو الاشتراكية ، فالحزب فى تلك البلاد يكون الكادر خلال معارك واضحة يقود فيها الجماهير ضدنظام الحكم السابق ومن أجل اقامة النظام الاشتراكى وبالتالى فان عملية تطهير الحزب من العناصر الغريبة علـــى أيديولوجيته وعلى خطه العام تأخذ سيرها الطبيعى وتسجل تقدما مضطردا . أما «الاحزاب الافريقية التى تقع عليها اعباء الحكم اليوم فلم تكن على أحسن فروض سوى حركات وطنية تستند الى حق الشعوب فى تقرير مصيرها» وبالتالى كان ينقصها مفهوم حزب الطليعة مانحة عضويتها لكل عابر سبيل بلا شروط ولا مقدمات ، بل كانت هذه العضوية تمنح والمراكز الرئيسية فى الحزب تسلم على أساس العلاقات الشخصية .

وليس أمام الحزب فى تلك البلاد ان يبنى الاشتراكية الا مستعينا بهذا الطراز من الاعضاء والكوادر . تلك هى احدى الصعوبات الكبرى التى تواجه بلاشك هذه المهمة التاريخية الشاقة .

صنع المناضل

يقول المؤلف أن تكوين عناصر مناضلة من الاهمية بمكان فى الاوضاع التى تمر بها أقطار أفريقيا السوداء ، فالعناصر المكونة للاحزاب فى هذه البلاد تتناقض بعضها البعض وان اتفقت فى حقدها على المستعمر وهذا الوضع الغريب أنما مرده فى البلاد الافريقية التى انتهجت النظام الرأسمالى فقدان تلـــك الاحزاب لروح وايديولوجية تربط كافة عناصرها وبالتالى فمن المهم العمل على تكوين الاحزاب على أساس من الوعى والارادة الثورية .

أما بالنسبة للبلاد الاخرى فالنقطة الاساسية فى هذا المجال هو العمل على أعادة تربية الجماهير لان الاحزاب فى تلك البلاد لاتنشأ مثلما تم فى البلاد الاوروبية أنطلاقا من التكوين الاجتماعى ولكن بفعل ونشاط القمة (أى من أعلى (ص ٩٩) الامر الذى من شأنه تعريض استقلالها السياسى للخطر لان اختيار النظام الاجتماعى أو الطريق الجديد لايتم سوى بعد حصولها على الاستقلال السياسى مما يتيح لقادتها والامر كله فى يدهم اذا ما كانوا من الرجعيين من الارتباط بمحالفات خارجية «تديصل بها الامر الى تهديد البلاد فى استقلالها السياسى » .

ومن هذا يتبين أهمية تسليح الشعب فكريا وتربيته سياسيا ويرى المؤلف أن هذا يقتضى ويتم على أساس :

● اجراء تحليل لنظام الحكم الاستعمارى وربط هذا النظام بالامبريالية .

● شرح المجتمع الافريقى وتفسيره وتوضيحه واعطاء هذا المجتمع مضمونا فكريا لايستهدف شطر هذا المجتمع حيث «لايمكن بناء الاشتراكية اذا كان جزء من الكادر المعادى والمستتر على استعداد لانتهاز أول مناسبة تسنح له لمهاجمة اى خطأ مستهدفا ايجاد حالة من الاضطراب تمكنه من اثارة الشعب ضد النظام »

● وجوب العودة الى الثقافة الوطنية بغير الوقوع فى التعصب القومى .

● ابراز اهمية العمل الشريف الذى يتم لصالح الجماعة وذلك باستعادة الثقة فى التقاليد والعادات السليمة التى كانت متأصلة فى شعوب تلك الاقطار فيما قبل الحكم الاستعمارى والتى تعمد هذا الحكم القضاء عليها . كما يجب ابراز اهمية العمل من اجل الانتاج ومن أجل تحسين مستوى المعيشة، لان يكون هدفه مجرد سد حاجيات المعيشة بالمفهوم الذى كانت تسير عليه افريقيا ماقبل الاستعمار .

● توضيح العلاقة بين الحزب والدولة وتحديد معالم تلك العلاقة ومداها منعا من محاولات عضو الحزب الاستفادة وفقا للعادات المتوارثة بمركزه فى الحزب للحصول على امتيازات خاصة له ولذويه .

● التوسع فى شرح فضائل التراث القومى وربطها بمقتضيات الحياة الجديدة بالتركيز على الكرم وحسن الضيافة وروح الجماعة بعيدا عن الانعزالية والتشبث وضيق الافق .

وينتهى المؤلف من كل هذا مؤكدا «أن صنع المناضل يمثل القضية الاولى فى أفريقيا المعاصرة لان هذا المناضل سيوفر الحلول الافريقية لبقية القضايا (ص ١١٠) »

ويهتم المؤلف اهتماما خاصا بالموقف الذى يجب اتباعه بالنسبة للذين كانوا قبل وصولهم الى مراكز الحكم والسلطة ينددون بالاخطاء رافعين راية التقشف لينقلبوا بعد أن يهرتهم المراكز والمناصب بالمطالبة بالامتيازات والمزايا فالكاتب يؤكد على انه :
«يجب على الدولة أن تكون فى هذا المجال متيقظة تماما ولا تتردد للبحث » عن مصـــادر بعض الاموال والاملاك التى تستخدم للاستعراض والتباهى الفاضح ... على الاخص بالنسبة لكبار المسئولين الاداريين والسياسيين »

ويعود هنا الكاتب مرة أخرى الى الدور الذى يتيسر للقائد القيام به بل ويجب أن يقوم به . فعليه أن يكون فى حياته الخاصة مثلا يحتذى به يخطو الخطوة الاولى فى هذا السبيل فهو محل أعتبار الجماهير وهى تقدره وتجله .

عن الحزب

تثير قضية الحزب جدالا مستفيضا بين الاشتراكيين فى كل من أقطار أفريقيا السوداء من جانب وبلاد الغرب من جانب آخر ، وكأنه حوار بين اشخاص قد فقدوا القدرة على النطق والسمع . وتدور المناقشة حول موضوع «الحزب الواحد»

ويرجع أختلاف النظرة فى هذا الموضوع الى اختلاف فى الاصول الموضوعية لسبب التجمع فى كل من هذه البلاد وتلك ، اذ بينما جرى الكفاح فى بلاد الغرب ضد الاقطاع وقد تمخض فى ذلك شعار «اتركهم يعملون» مما تولد عنه مفهوم حرية تكوين شتى الهيئات والاحزاب والعمل على اساس الدفاع عن مصالح الفرد كفرد ، فالوضع يختلف تماما فى أفريقيا السوداء حيث كانت روح الجماعة تشكل أساس الحياة لدرء أخطار الطبيعة التى تهدد الانسان (الحيوانات المفترسة ، الامراض المستوطنة مثل مرض النوم ، الحرائق التى تصيب الزراعة ..) وبذلك : «فالذى يضع نفسه فى أفريقيا خارج الجماعة أيا كان شكل هذا الخروج أنما يفقد صـــفته كانســـان » (ص ١٢١) . فالقاعدة فى

المجتمع الافريقى تتلخص فى وحدانية المصير الاقتصادى ومن هذا نشأ مفهوم الحزب الواحد .

ويستمر المؤلف يعالج قضية الحزب الواحد مبينا انه ليس للاحزاب الحاكمة فى الاقطار الافريقية مضمون واحد غير أن اغلبها لايتعدى وجوده فى الواقع سوى الاسم وهيبة رئيس الدولة ونشاطه .

ويخرج الكاتب من هذه الحقيقة باهمية «أن يقوم الحزب الواحد فى داخله بتدعيم الاسس الديمقراطية من زاوية مساهمة الاعضاء والمساواة بينهم وعلاوة على ذلك يجب ان يكون هدف برنامجه الصالح العام لا أن تترعرع داخله فئة من المختارين وذلك حتى يكسب الحزب الروح والوحدة الجماعية »

أما عن الاحزاب التى تلتقى فى حوار وجدل دائم مع الجماهير فالكاتب يذكر منها حزب غينيا الديمقراطى وحزب التجمـــع الديمقراطى الافريقى .

ثم ينتقل المؤلف الى قضية اخرى مرتبطة بالحزب ودوره فى هذه المجتمعات . فيقول أن الحزب فى تلك الاقطار يكاد يكون العامل الوحيد لتكوين الامة حيث انه لاوجود لمفهوم الامة فى تلك البلاد نتيجة انغراس الروح القبائلية والروح العائلية وانتشارهما

ويحذر المؤلف من استنتاجات بعض مؤلفى الغرب مـــن الاشتراكيين الذين يتوقعون انشاء عدة احزاب فى تلك الاقطار الافريقية بعد ان تستكمل الامة عناصر تكوينها فيقولون انه يجب وقتئذ اعادة النظر فى مبدأ الحزب الواحد . ويقول المؤلف معلقا على هذا الرأى بأن هذا الاحتمال قائم فى البلاد التى تتجه نحو الرأسمالية غير انه يستطرد مؤكدا انه «ليس من المحتم ان الوضع الحالى فى افريقيا سيؤدى الى الرأسمالية » وينتهى الكاتب من هذا كله بالتأكيد على اهمية اختيار اعضاء الحزب والمسئولين فى الحكومة الذين تقع عليهم مهام تكوين الامـــة وقيادتها .

بعض انحرافات الحزب الواحد

يقدم المؤلف اربع نصائح فى هذا الصدد :

● على القادة أن يتفادوا الوقوع فى عقدة الزعامة فيجب أن تكون المناقشات داخل الحزب حرة وديمقراطية .

● عدم الاساءة الى العناصر من الشباب الذين لم تتح لهم حداثة سنهم الاشتراك فى بناء استقلال بلادهم بمعنى أنه يجب عدم قصر عضوية الحزب على فريق من المناضلين دون الاخر .

● الضرب بشدة على يد كل من يتعمد تخريب قرارات الحزب .

● الحذر من الانفصال عن الجماهير

السبل الخاصة

يلاحظ المؤلف ان كثيرا من قادة افريقيا يؤكدون انهم يقومون ببناء الاشتراكية فى بلادهم واذ تختلف الاوضاع بين دولة وأخرى فتختلف بالتالى الانجازات يصعب عندئذ على الباحث «الاشتراكى» استنادا الى الايديولوجية التى يدعى فهمها التمييز بين السليم والخطأ ، الا أنه «قد تتنوع السبل فى مجال البناء الاشتراكى وقد يختلف بين بلد وآخر » ، « معدل سير هذا البناء تبعا لقانون الاوضاع الداخلية ، غير انه «يتساوى ما هو أساسى فهناك فالاهداف واحدة تماما ومعروفة ايضا ، ولا مجال للتمويه فى هذا المجال» (ص ١٣٦)

ويلخص المؤلف هذه السبل الخاصة بافريقيا السوداء فى الامور التالية :

● **تصفية البنيان الاقطاعى والاستعمارى** : بأن تحل على الفور كافة القضايا الزراعية كالاتى : توزيع وسائل الانتاج بالتساوى ، فالاستقلال قد تحقق بمجهود الجميع . واستنادا الى الاخلاق الحسنة والروح السليمة ، العمل على اعادة الإعتبار للمهن التى أعتاد الناس الازدراء بها (الحدادة ، صناعة الاحذية ، الموسيقى ..) واتخاذ موقف كريم ازاءها . نشر الديمقراطية فى الريف بتنظيم الفلاحين فى التعاونيـــات استنادا الى الروح الجماعية المتأصلة فيهم وتمشيا مع تراث تلك البلاد فى البناء الاجتماعى بحيث يتحقق التعاون بين أهل القرية ثم بين القرى المتقاربة حتى يصل الى مستوى الوحدات الادارية ثم صبغ الزراعة بالصبغة القومية وتجنب الزراعة وحيدة الجانب .

ويوضح المؤلف ما تقتضيه هذه الامور من اهمية الانسان الذى يدرك هذه الاوضاع بتخلصه من مساوىء الماضى وبالتخلـــى بالجانب المضىء من تراث بلاده . وهكذا نرى أن المؤلف يعود مرة أخرى الى الانسان كعنصر أساسى للتقدم الاقتصادى .

ويهتم المؤلف بالاسلوب الواجب اتباعه مع أهل الريف لتحقيق هذا البرنامج مؤكدا ان الطابع الرئيسى فى ريف تلك البلاد هو ليس وجود الملكيات الاقطاعية ولا الفلاحين الفقراء بل ما يطلق عليهم عبارة الفلاحين الاثرياء ، الامر الذى يشكل عقبة فى سبيل انشاء المزارع الجماعية ويقترح ان تقوم الدولة بتربية الفلاحين وتوعيتهم وبشكل خاص بتقديم الامثلة الحية الملموسة على أهمية استعمال الماكينات وضرورة تجميع الفلاحين ، ويدرك المؤلف أن هذه العملية طويلة وشاقة .

● **التصنيع** : ينطلق المؤلف من فكرة أساسية مؤداها الا تكون الصناعة عنصرا غريبا على البلاد أو أن تكون سبيلا جديدا لتستغل الامة من العناصر الاجنبية أو أن يكون الهدف منها مجرد الهيبة والتظاهر بل يجب أن تنشأ الصناعة على أسس اشتراكية بالخصائص التالية :

١ — انشاء قطاع صناعى تشجعه الدولة مع الاخذ بعين الاعتبار نقص قلة الكوادر ونقص راس المال ومن جهة اخرى الحذر من محاولة راس المال الخاص العودة الى مواقعه السابقة .

٢ — يجب ان يكون البناء الصناعى جزءا من الخطة القومية فتلعب الصناعة دور المدرسة لتربية الكادر .

٣ — العناية بتنمية المناطق المتخلفة .

٤ — عدم التخلى عن الصناعة الحرفية بل العمل على تشجيعها فهى من صميم التراث الوطنى ويتمشى وجودها مع احتياجات البلاد ومع النقص الذى تعانيه فى الكوادر الفنية ورأس المال .

● **معالجة قضية كل من التجارة الداخلية والخـــارجية باسلوب مختلف** :

أن النقطة الاساسية التى يبرزها الكاتب فى هذا الصدد ما ارتكز عليه الحكم الاستعمارى لاستغلال أهل البلاد حيث

كان هذا الاستغلال يتم أساسا في مجال تداول الاموال ، فان رؤوس الاموال تحقق في هذا المجال أعلى قدر من الارباح في فترة وجيزة من الزمن وباقل قدر من الاخطار .

ويرى الكاتب انه يجب ان تؤخذ هذه الحقيقة في الاعتبار للقضاء على تسلط الاستعمار اقتصاديا وللحد من الاستغلال فيقترح انتهاج السبل الاتية :

١ ــ بالنسبة للتجارة الداخلية ، العمل على انشاء قطاع تعاوني لابعاد الوسطاء الطفيليين مع الحذر من المساس بالوسطاء من الاهالي الذين ساندوا حركة الاستقلال ونشروا بذور الكفاح في الريف وعلى هذا فلا محل لتاميم التجارة الداخلية بل يجب على المسئولين وضع سياسة ترمي الى تسهيل اندماج هؤلاء الوسطاء من الاهالي في المجتمع الجديد على أن يتم ذلك باتزان وروية .

٢ ــ بالنسبة للتجارة الخارجية يجب العمل على تأميمها تأميما كاملا حتى تكون الواردات في حدود الاحتياجات الحقيقية وينبه المؤلف في هذا الصدد الى نقص الكادر اللازم لادارة التجارة الخارجية المؤممة مشيرا الى أن الكوادر الحالية في هذا المجال تظهر ميلا خاصا للاتصال بالغرب والتجارة معه وتنتهج عاداته .

● **وجوب تأميم المواصلات**

البروليتاريا وكفاح الطبقات

وبعد أن عدد وزير اقتصاد جمهورية مالي هذه الامور التي يحتاج اليها المجتمع الجديد اكد على أن هذا المجتمع لن يقتصر على مجرد تكوين في البناء الاقتصادي فالمسألة شاملة تعني في النهاية ابراز الانسان الجديد . انه آخر الامر الهدف الاسمى لكل نشاط .

فالمسئولية في هذه القضية من الخطورة بمكان لان الكوادر في تلك الاقطار تخلفت فيها عن الحكم الاستعماري عقلية وفكرية يجب العمل على ازالتها حتى يمكن السير بأمان في هذه الرحلة الجديدة .

ويناقش الكاتب قضية بناء الاشتراكية وارتباطها بوجود البروليتاريا ويتساءل هل توجد بروليتاريا بالمعنى التقليدي في البلاد الافريقية ، اليس فيها نوع ما من كفاح الطبقات ؟

ويؤكد الكاتب مستعرضا خصائص افريقيا السوداء أنه ليس بها على الوجه الغالب كفاح الطبقات بالمعنى التقليدي . فبالرغم من وجود فلاحين وحرفيين وأجراء وصغار تجار في هذه البلاد ، غير أن دخل الاجراء يفوق بكثير دخل الفئات الاخرى وهم الذين يعتبرون تقليديا مستغلين . فالقارة السوداء خالية من كفاح الطبقات ويتعذر العثور على امثلة جادة في هذا الشأن أن الطابع الغالب على النظام الافريقي هو ليس كفاح الطبقات ولكن نظام الجماعة حيث يعمل الفرد للمجموع .

وتأسيسا على ذلك يوضح المؤلف ان الوطنية ليس لها في تلك الاقطار أصول اقطاعية أو بورجوازية ، فالعنصر المحفز على حركات التحرر الوطني يتمثل في «فئة اجتماعية مكونة من الاجراء تشمل موظفي المكاتب والمدرسين والعمال وباقي فئات الشعب من الفلاحين والحرفيين وصغار التجار» . وهذه الفئـــة الاجتماعية تشبه البروليتاريا الاوروبية مع فارق هام بينهما ذلك انه اذا كان ليس للبروليتاريا الاوروبية ما تفقده خلال المغامرة الثورية فان تلك الفئة الاجتماعية في البلاد الافريقية قد تتحول الى فئة مستغلة .

وهنا يطرح المؤلف هذا السؤال : «هل علينا بعد ذلك أن ننتظر تكوين بروليتاريا صناعية لنبني الاشتراكية ؟ وهل من الضروري أن تؤكد احزاب الطليعة في القارة الافريقية السوداء أنها تدين بالماركسية اللينينية ؟ »

يجيب المؤلف بالنفي على اعتبار أن ارضية بناء الاشتراكية موجودة بالفعل والعبرة في بناء الاشتراكية بالمنجزات التي تؤدي اليها .

على أن الكاتب يستطرد ليؤكد على وجود نوع من كفاح الطبقات في هذه الاقطار كفاحا يتمثل في المعركة ضد العناصر التي غمرها الفساد وانخرطت سلوكيا في العالم الراسمالي وتبدي نوعا من التردد في العمل والبناء . ويحرص المؤلف على التحذير من تلك العناصر المنتشرة في الاحزاب الجماهيرية والتي تؤثر فيها

الموقف من المعسكر الاشتراكي

يسجل الكاتب أن تلك الاقطار تتخذ على مستوى العلاقات الدولية موقفا تعاونيا مع كافة البلاد على اختلاف نظمهـــا الاجتماعية والسياسية مؤكدا أنها «تحتفظ بشخصيتها المتميزة وبالدفاع عن افكارها الخاصة على المستوى السياسي » فاذا كان مفهوم الحياد الايجابي مقبول في مستوى العلاقات العالمية فلا محل له بأي شكل من الاشكال في مجال السياسة الداخلية

ثم يشير الى حاجة الاقطار الافريقية الان لتعاون بلاد الغرب على شرط أن تتخلى عن أسلوبها وتتخلص من مفهومها القديم ، ويرى الكاتب أن فرنسا تمثل في هذا الصدد البلد الغربي الذي قد يستطيع أكثر من غيره ممارسة تعاون يحمل هذا المضمون، ويضيف أن المعسكر الاشتراكي في حاجة الى انتهاج أسلوب يتسم بمزيد من المرونة ويعدد بعض الاخطار التي يقع فيهـا المعسكر الاشتراكي في علاقاته بأفريقيا السوداء مثل اشتراطه عند تقديم القروض من أجل بناء المصانع أن يساهم البلد الافريقي بتلك أعباء الانشاء ، المالية وكذلك من الاجور المرتفعة التي يتقاضاها الفنيون والمتخصصون ، ثم الاجال القصيرة لتسديد القروض ، وأخيرا عدم ملاءمة المعدات الصناعية ملاءمة كاملة لظروف البلاد ومناخها ، ويؤكد الكاتب على أهمية أجراء تعاون بين أفريقيا السوداء والبلاد الاشتراكية يتم بتضافر الجانبين وتعاونهما على ادراك المشاكل .

وفي ختام الكتاب يؤكد «سيدو باديان» على المهام التاريخية الضخمة التي تقع على عاتق قادة افريقيا السوداء ومسئوليتهم في مواجهة شعوبهم ، غير أنه يحمل أيضا جزءا كبيرا من المسئولية على الشباب الجامعي والنقابي للنهوض بالمساهمة في بناء أفريقيا ولمساندة القادة واحاطتهم بالرعاية والنصائح .

ويعود الكاتب مرة اخرى فيؤكد أنه «ليس المستقبل لافريقيا سوداء رأسمالية» مثبتا :

« ان بناء الاشتراكية في افريقيا السوداء لن يكون عـلى

طراز البناء الاوروبى للاشتراكية ، وقد لايكون مثل البناء الاشتراكى فى اسيا ، فسوف يصطبغ هذا البناء بمجموعة الجوانب العديدة التى تميز حياتنا اليوم » .

واخيرا بعد أن قام الكاتب بتحليل موقف كل من الشرق والغرب بالنسبة للمساعدات التى يقدمها لتلك الاقطار والصعوبات المختلفة التى تتعرض لها ينتهى به المطاف ليعلن أنه :

«على أفريقيا أن تقدم بوسائلها الخاصة اكبر قدر من الطاقة وأن تنهض كما لو كانت بمفردها ، غير أنها لن تكون أبدا بمفردها » ■ (ص ١٨٢) ■





الحركة العمالية البريطانية

• مجلة اليســــار الجـــــديد

العدد ٣٥ : يناير ــ فبراير ١٩٦٦

تخصص المجلة مقالها الرئيسى لرد مطول من «بيرى اندرسون» للنقد الذى قدمه المؤرخ البريطانى « ادوارد ثومسون » لدراسة أندرسون وغيرن التى سبق تقديمها فى سلسلة من اعداد المجلة على امتداد عامين من تاريخ انجلترا وبوجه خاص من تاريخ الحركة العمالية البريطانية . ويتناول البحث فى هذا الرد عددا من الموضوعات الهامة والمتنوعة وهو يمتد من طبيعة الحرب الاهلية الى دور ومركز الارستقراطية أصحاب الاقطاعيات فى تاريخ المجتمع البريطانى، الى تأثيرات البروتستانتيه والداروينية فى تشكيل ملامح الفكر البريطانى الى تأثير الشيوعية على الحركة العمالية البريطانية الى التطورات الحديثة فى الفكر الماركسى خلال القرن العشرين ــ وقد امتد الحوار حول هذه الدراسة الى مجلات اخرى ، منها المجلة الفرنسية « الازمنة الحديثة » ، كما أثارت اهتمام دوائر عديدة من اليساريين فى بريطانيا ■

ويواصل هذا العدد ابحاثه فى علوم الاجتماع بدراسة للمفكرين الامريكيين « بيتر بيرجير » و « ستانلى بولبرج » وتعليق من أحد كتاب المجلة « بن بروستر » وتدور الدراسة حول فكرة « التجسد » فى فكر هيجل وماركس «اى فكرة تحويل بعض منتجات تفكير الانسان الى حقائق موضوعية ذات كيان اجتماعى مستقل بغض النظر عن مصدرها كنتاج لتفكير الانسان» وعلاقة ذلك بوثنية السلع فى مجال الاقتصاد السياسى وبظواهر مماثلة فى مجالات أخرى ــ وتتعرض الدراسة لعلاقة فكرة « التجسد » بالنقد الاجتماعى لتشكل الوعى ، كما تتناول عددا من المصطلحات المستخدمة فى الفلسفة الماركسية بالتعريف والتحديد والتمييز فى علاقتها بفكرة « التجسد » . كما يتناول العدد دراسة نقدية لكتاب « جيلبريث » عن « مجتمع الوفرة » ولتجميع لمقتطفات أوراق ماركس الاولى استعدادا لكتابة دراسته عن « نقد الاقتصاد السياسى » و « رأس المال » وبالعدد شهادتين عن حياة مدرسة بمدرسة ابتدائية عتيقة ومدرس بمدرسة ثانوية حديثة »

وتتطرق موضوعات العدد بعد ذلك الى عدد من الموضوعات الخفيفة المتنوعة : دراسة للافكار الرئيسية فى أفلام هيتشكوك، الموجة الجديدة فى موسيقى « الجاز » والازمة الحالية التى تعترى نمو موسيقى الجاز من مجرد موسيقى للترفيه الى ما يتجاوز هذه الحدود ــ كما تتناول عرضا للمحاكمة الاخيرة فى ايران ودلالة هذه المحاكمة وعدم عدالة الاسس التى أدين بها المتهمون ، وتبرز الدراسة أن المعارضة فى ايران قد دخلت فى مرحلة جديدة ببروز شبان جامعيين قادرين على التحرك على هذه الحركة أن تنمو من خلال الاوضاع القائمة داخل البلد والا ترتكن بصفة أساسية على حركة المعارضين المنفيين بالخارج ■

●

الدور الاجتماعى للنقد

• مجلة الفكر والتطبيق الاشتراكى

العدد ٧٩ : اكتوبر ــ ديسمبر ١٩٦٥

مجلة نظرية وسياسية واعلامية يوغوسلافية ــ تناولت فى عددها الاخير عددا من الابحاث الهامة وفى مقدمتها بحث لادوار كارديلى حول الافكار الفلسفية التى تقف خلف النقد الاجتماعى ، وكيف ينبغى تطبيقه على الواقع اليوغوسلافى بمشاكله النوعية ــ ويتناول البحث الدور الاجتماعى للنقد وما الذى يميز النقد السليم والمطلوب اجتماعيا ، ثم يتعرض لدراسة نقدية للنقد والتمييز بين النقد البناء والنقد الهدام وحدود وأبعاد النقد والمحتوى الذى عليه أن يتضمنه ؛

وارتباطه الوثيق بالصراع السياسي والاجتماعي والممارسة الثورية ، وأخيرا مسئولية الديمقراطية ومسئولية النقد .

وتتطرق المجلة بعد ذلك الى بحث لبوبوفيتش حول المحتوى الاجتماعي الراهن من تعاليم ماركس في الانتاج وعلاقات الانتاج ، وتحديد متجدد للسؤال التقليدي والقديم ، ما هو الانسان وكيف يعرف ؟ ويتناول البحث باستفاضة مفهوم ماركس للانسان في وجه التحويرات التي ادخلت على هذا المفهوم ، وبالذات التحويرات الفوضوية والليبرالية . وماذا يقصد ماركس عندما يحدد الانسان باعتباره هو الذي يفتح حياته داخل أطار علاقات محددة وضرورية للانتاج . وكيف أن كافة التحويرات التي ادخلت على هذا المفهوم ، بما في ذلك بعض التحويرات التي أدخلها بعض المفكرين اليوغوسلافيين المعاصرين الذين يدعون انتسابهم الى الماركسية انما يعود بهم الى مواقع مثالية ورجعية تتنافى مع جوهر المفهوم الماركسي الصحيح .

ويتضمن العدد بحثا عن الكوميونات في يوغوسلافيا ، كيف نشأت من خلال اللجان الثورية ضد الاحتلال وفي مرحلة التحرير وكيف تطورت بعد ذلك ، والعناصر المميزة لها في وضعها الراهن وكيف يمكن تطوير التسيير الذاتي من خلالها ، وتنمية الديموقراطية المباشرة في مجتمع متعدد القوميات بالاستناد اليها — كما يتضمن العدد بحثا آخر عن الرأي العام الاشتراكي ودوره وعناصر تشكله وما الذي يميزه — وهو بحث يستكمل من زاوية أولى دراسة كارديلي حول النقد الاجتماعي — وأخيرا يبحث بيروفيتش مبدأ عدم التدخل في العلاقات الدولية متناولا أسباب ومبررات التدخل من جانب قوى الاستعمار كما يتناول بالنقد بعض نواحي السياسة الصينية الراهنة . ويقدم العدد عرضا للمؤتمر الخامس لاتحاد جمعيات المناضلين القدامى في حرب التحرير الوطني ، والمؤتمر العالمي الذي انعقد في بلجراد في أغسطس الماضي حول مشكلة زيادة السكان في العالم وبعض المشاكل الديمقراطية الاخرى .

●

وحدة القوى الاشتراكية

● ((النقد الماركسي)) مجلة الحزب الشيوعي الايطالي

يشمل العدد الاخير مقالين هامين ، أحدهما لجورجيو أميندولا تحت عنوان ((عند اعادة قراءة ديمتروف — تعاليم المؤتمر السابع للدولية الشيوعية)) والاخر للوشيو ماجري تحت عنوان ((قيمة وحدود تجارب بناء الجبهات)) . ويواصل المقالان الدراسات التي بدأتها قيادة الحزب الشيوعي الايطالي منذ عام لايجاد أنسب الاشكال لتوحيد القوى الاشتراكية والتغلب على الصعاب التي اعترضت هذا التوحيد ، في ظل ظروف ايطاليا وأوروبا .

ومن المعلوم أن جورجيو أميندولا ، وهو أحد قادة الحزب الشيوعي الايطالي قد افتتح المناقشة حول هذه القضية منذ عام ، في ضوء توصيات زعيم الحزب الراحل بالميرو تولياتي . وقد أثارت آراءه الجريئة في هذه القضية مناقشات حادة داخل الحزب الشيوعي وعلى نطاق اليسار الايطالي كله ، بل وخارج حدود ايطاليا .

وفي المقال المنشور بالعدد الاخير من ((النقد الماركسي)) ، استعراض لمواقف وتوجيهات المؤتمر السابع للدولية الشيوعية الذي انعقد عام ١٩٣٥ من ظروف ومدلول وأشكال انجاز وحدة القوى العمالية والشعبية والديموقراطية في وجه صعود الفاشية ، ودراسة نقدية في ضوء تجارب الحركة الثورية اللاحقة لقيمة التحالفات التي أنجزت خلال تلك التجربة وشروطها ، حدودها وأبعادها ، انجازاتها الايجابية وأوجه قصورها .

ويتعرض المقال لعدد من القضايا الهامة في دراسة تلك المرحلة من تاريخ الحركة العمالية ، وفي تقييم خطة الاحزاب الشيوعية والاشتراكية في مواجهة خطر الفاشية . ويؤكد المقال أنه ليس هناك مجال لادانة فكرة ((بناء الجبهات)) بالصورة التي اتبعت في الثلاثينيات باعتبارها مظهرا من مظاهر الستالينية ، كما لا يمكن دمغ مختلف مظاهر نشاط الحركة الشيوعية في ذاك الوقت بصفة ((الستالينية)) ويخطىء المقال التحليلات المبسطة التي ادانت كافة مظاهر النشاط الشيوعي وتتداك بدون تمييز ، بعد أن مجدت كل ما قام به ستالين . وينبغي البحث عن تقييم أكثر موضوعية يتناول هذه المرحلة بوصفها مرحلة هامة في تاريخ الحركة العمالية في وجه الاخطار الجديدة التي أصبحت تواجهها . ويمثل المؤتمر السابع في داخل هذه الحركة لخطة مبادرات سياسية كبرى بعد أن استولت النازية على السلطة في المانيا .

فقد أثبتت التغييرات العظمى التي اعترت العالم المعاصر خلال العقدين الاخيرين ، والتي عمقت الازمة العامة للاستعمار ، انه من السطحي اعتبار النضال ضد الفاشية كمجرد نضال للدفاع عن مؤسسات الديموقراطية البرجوازية ، ولا كنضال احتوى مضمونا اشتراكيا ، بحكم الدور القيادي الذي تولته الطبقة العاملة ، وكنضال فتح الطريق لظروف جديدة وأكثر مواتاة للتقدم نحو الاشتراكية في العالم .

فكان المؤتمر السادس للدولية الشيوعية (١٩٢٨) قد أبرز ظاهرة ((الاستقرار النسبي)) للرأسمالية عقب تغلب الدوائر الاستعمارية العالمية على الحركة الثورية التي انتشرت في أوربا بعد ثورة أكتوبر . وابرز أن أزمة عامة تهدد البناء الرأسمالي العالمي كله في مستقبل قريب ، وان تفاقم التناقضات الدولية يهدد بتجدد نشوب الحرب . وقد أكدت الازمة الاقتصادية التي انفجرت عام ١٩٢٩ صحة هذا التحليل ، وخطأت تحليل الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية والتحليلات اليمينية التي تزعمها بوخارين في الدولية أن الرأسمالية الاوربية قد استعادت استقرارها النهائي ، وارشدت الحركة الثورية لفترة طويلة . ولذلك دعا هذا المؤتمر بضرورة مواصلة النضال الثوري من أجل الاشتراكية في أوربا . وبما أن الاشتراكية الديموقراطية تمثل أهم عقبة في تعبئة جهود الكادحين من أجل هذا الهدف ، فكان ينبغي توجيه الضربة الرئيسية اليها . وتفادي الشعارات التي تسلط الاضواء على الخطوات الانتقالية بدون توعية الجماهير بالاهداف الاساسية والبعيدة .. وقد ترتب على هذه النظرة اخماد التغييرات العضوية داخل كيان الرأسمالية العالمية ، كما ترتب عليها تدعيم للمفهوم القائل بضرورة تأكيد تجانس الاحزاب الشيوعية ، والنظرة الى كل معارضة للخط الهام

داخلها باعتبارها موضوعياً تخدم مخطط العدو الطبقي ويتعين معاملتها كجزء لا يتجزأ من هذا المخطط ».

وكان من ابرز ما تقدم به المؤتمر السابع هو التمييز بين الاهداف الاساسية البعيدة ، والخطوات الانتقالية الضرورية لبلوغ هذه الاهداف وتقريبها . والتمييز بين اشكال مختلفة لسلطة البرجوازية وبالذات التمييز بين الديموقراطية البرجوازية ودكتاتوريتها الارهابية السافرة المتمثلة في الفاشية. وقد كان هذا التمييز في غاية الاهمية لاخراج الطبقة العاملة من عزلتها الطبقية ، ولبناء التحالفات المجدية والفعالة في مقارنة الخطر المحدق . كما انها افسحت المجال لمقاومة الانعزالية والجمود ، وللبحث عن الوسائل الكفيلة ببناء جبهة عريضة لكافة القوى المعادية للفاشية .

الا انه لا يمكن الادعاء أن المؤتمر السابع قد استخلص كل الدروس المترتبة على هذه النظرة ــ وفي ذلك تكمن درجة القصور والنقص في استراتيجية الاحزاب الشيوعية في ذلك الحين وانهيار بعض الجبهات الشعبية التي بنيت في ١٩٣٦ ــ وبخاصة في فرنسا ــ بسهولة نسبية . وهذه الفكرة على وجه التحديد هي التي يعمقها ويطورها مقال « لوشيو ماجرى » .

فيقول انه كان من المعتقد في اعقاب ثورة أكتوبر ان العملية الثورية التي انطلقت شرارتها في روسيا سوف تعم القارة الاوربية كلها . وأن النموذج الروسي لبناء الاشتراكية هو النموذج الاوحد الصالح للتجربة الثورية الاوربية كلها . ومع ذلك فقد اثبتت الظروف أن الثورة الاشتراكية قد امتدت الى ارجاء مختلفة من العالم . ومع ذلك ، لا يزال انجاز الثورة الاشتراكية في البلدان الراسمالية المتقدمة قضية مطروحة الى اليوم لم تجد حلا نهائيا .

كما انه ينبغي الالتفات الى أن بعض الصعاب التي واجهت بناء الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي ذاته شديدة الارتباط بعدم ايجاد حل بعد للتوصل الى الاشتراكية في البلدان الراسمالية المتقدمة. بل قد نجحت الاشتراكية الديموقراطية الاوربية في دمج جزء من الطبقة العاملة الاوربية داخل اطر الراسمالية ومقاييسها وتحولت بالتالي الى جهاز لاخضاع العمال لا لتحريرهم .

وقد حكم سياسة الدولية الشيوعية كلها بعد وفاة لينين مفهوم مجموعة ستالين على رأس الحزب الشيوعي السوفيتي للعلاقة بين الثورة السوفيتية والثورة في بلدان أوربا الغربية . لقد كانت الفكرة التي طورها وبلورها ستالين من « اقامة الاشتراكية في بلد واحد » تسليما ضمنيا بان الثورة لم تنضج في أوربا بعد ، وان الثورة في أوربا تختلف في ابعادها وتنفصل عن الثورة السوفيتية . ومع ذلك لم يستخلص ستالين الدروس المستفادة من هذه الفكرة واستمر في نظريته الى الثورة الاوربية باعتبارها امتدادا للثورة السوفيتية عليها ان تحذو حذوها وتتمسك بخطواتها في بناء الاشتراكية وهذا هو التناقض الاساسي الذي حكم كل فكر الستالينية .

ولا شك أن فكرة الجبهات الشعبية التي اقرها المؤتمر السابع الصورة الاكثر ثراء لما تضمنته فكرة استقلالية الثور الاوربية في الفكر الستاليني ــ فقد تضمنت هذه الفكرة الاعتراف بوجوب الوصول الى الاشتراكية في أوربا من خلال جبهة ديموقراطية عريضة تضم كافة القوى المعادية للفاشية ــ ومن هذه الزاوية يمثل المؤتمر السابع للدولية الشيوعية نقطة تحول ومساهمة ايجابية خطيرة في اكتشاف طريق أوربا الى الاشتراكية .

الا ان فكر ستالين الواقعي والتجريبي في الوقت ذاته لم يستخلص من هذه الفكرة كل أبعادها . فلم يتبين بتحليل كاف حقيقة انباء الفاشية وماذا تعنيه بالنسبة الى الراسمالية عموما . لم يبذل جهدا كافيا للتمييز بين الفاشية وبين الاشتراكية الديموقراطية التي لعبت دورا هاما في تيسير عملية وصول الفاشية الى الحكم. ولم يتناول التحليل الستاليني حقيقة ان القضاء على الفاشية لا يعني بالحتم القضاء على الراسمالية ، وان الراسمالية المعاصرة استطاعت حتى بعد تصفية الفاشية أن تجدد بعض ابنيتها وأن تنتعش مرة أخرى وان تحتفظ بمقاليد الامور في ايديها ــ كان الفكر الستاليني اميل الى اعتبار الفاشية الامتداد الضروري والحتمي والعام للراسمالية عموما ــ واستبعد احتمال انتهاج الراسمالية طرقا اخرى للمحافظة على سلطتها ولم يستكشف هذه الاحتمالات وما هي اجدى وسائل مقاومتها .

وقد ترتب على ذلك عدم بذل جهد في دراسة واقعية للظروف المختلفة والمتباينة للبنيان الراسمالي في البلدان الاوربية المختلفة . والارتباط الوثيق بين الصراع من اجل الديموقراطية وبناء اعرض الجبهات حسب الظروف النوعية لكل بلد على حدة ، وبين النضال العام من أجل الاشتراكية . وبقيت « اهداف ما بعد الفاشية » اهدافا غير محددة المعالم ــ وبالتالي ترددت كثيرا الاحزاب الشيوعية قبل التوصل الى خط محدد عليها أن تنتهجها في هذه الظروف الجديدة اذ ووجهت بوضع لم تكن قد استعدت له ، وهو احتمال استمرار وانبعاث الراسمالية ، حتى بعد القضاء على الفاشية .

وفي ضوء هذه الحقائق الاساسية ، يبرز لاشيو ماجرى اهمية الابحاث التي تولاها الحزب الشيوعي الايطالي للاهتداء الى حلول محددة للمشاكل المحددة ، ولصياغة نظرية عامة للتقدم نحو الاشتراكية في البلدان الراسمالية المتطورة ، على اعتبار انها من المشاكل الحيوية في الحركة الثورية العالمية ولا تزال مشكلة مفتوحة للمناقشة ومدرجة في جدول اعمال الاحزاب الثورية .





يتناول عبد العال حنفى عجم عضو لجنة الدعوة والفكر بالسويس ، من وجهة نظره ، المشاكل المتعلقة بقضية الانتاج فى شركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية فى السويس ، كوحدة انتاجية من وحدات القطاع العام .

حول قضايا ومشاكل الإنتاج

فى شركة النصر للأسمدة والصناعات الكيماوية

عبد العال حنفى عجم

شركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية بالسويس من الوحدات الانتاجية الهامة تأسست هذه الشركة فى اغسطس سنة ١٩٤٦ برأسمال قدره ٤ ملايين جنيه . قامت الشركة بأول انتاج لها فى يوليو سنة ١٩٥١ بكمية قدرها ٣٧ الف طن سنويا من نترات الجير المصرى ٥ر١٥٪ آزوت ثم زاد رأسمالها مرتين فى كل من عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥٦ حتى بلغ ٧ ملايين من الجنيهات وعندما انضمت الشركة الى القطاع العام حققت زيادة فى الانتاج باستكمال بعض التوسعات حتى بلغت ٢٧٠ الف طن سنويا. وفى خلال مراحل الكفاح وتقدم العمل والانتاج ، تطورت زيادة القوى العاملة حتى اصبح عدد العاملين بالشركة ٣٧١٨ عاملا سنة ١٩٦٥ وقد كان عدد العاملين سنة ١٩٥٢ ، ١٧٦٢ عاملا.

ولكن المشاكل الموجودة بالشركة كثيرة وبشكل ملحوظ ولو تضافرت الجهود على حلها نضمن زيادة كبيرة فى الانتاج كما نضمن جودة فى الصنف ومحافظة على اموال الشركة وممتلكاتها « آلاتها » . وهذه بعض المشاكل :

● **المواد الخام المحلى :** ١ ـ عجز فى عربات السكك الحديدية حيث يصل الشركة أقل من العدد المطلوب مما يترتب عليه تكديس السماد فى المخازن او تشوينه فى العراء مما يتسبب فى تلفه ٢ ـ عدم وجود تنسيق بين الشركات بالسويس التى تمد المصانع بالمواد مما يترتب عليه تعطيل يكبد الشركة خسائر ، خاصة مشروع التفحيم لشركة السويس التى تمد المصانع بالكبريت والغاز . كما ان اوراق التعبئة التى تأخذها الشركة من الكرافت تمثل مشكلة ، حيث درجة نفاذية الهواء

بها كبيرة تسبب تمبيع السماد فضلا عن عدم متانتها مسببا بسبب تلفها اثناء النقل .

● **قطع الغيار** : لا توجد خطة لتصنيع قطع الغيار بصفة عامة . ولكن هناك محاولات للاستفادة بالخردة حسب الجهود الفردى للعاملين بالمصانع .

● **الكفاية الفنية** : فنجد ان استغلال الكفايات معدوم . وليس هناك خطة لرفعها او اظهارها وتشجيعها . كما لم تقم ادارة التدريب بعمل اى برامج تدريبية تتعلق برفع قدرات هذه الكفاءات واعدادها للمستقبل خاصة وان المصنع فى حالة توسعية وينتظر ان يستوعب عددا كبيرا من العمال. وفى الوقت نفسه لا تؤمن الكفاءات الموجودة بالعمل السياسى وبالتالى فهى بعيدة عن القاعدة .

● **النقل والمواصلات** : هناك شعور بالتفريق بين العمال والموظفين حيث خصصت الشركة القطارات لنقل العمال والسيارات لنقل الموظفين والانسات والرؤساء بالورادى. كما اننا نجد ان قطع الغيار للسيارات تمثل مشكلة هامة بالنسبة للصيانة وتجد الشركة صعوبة فى الحصول عليها بالاسعار العادية . وقد تعرضت الشركة لخسائر كبيرة لعدم وجود وسائل النقل وتعرض السماد الموجود بالتخزين لعوامل الجو .

● **التقييم** : من اهم العوامل التى اثرت فى نفوس العاملين لتدخل الادارة فى التقييم ولعدم وجود تخطيط ثابت وسليم فقد تم التقييم على اربع مرات مما يدل على عدم وجود تخطيط ثابت مبنى على أساس علمى سليم علما بأن الشركة لم تستعن بخبراء متخصصين فى التقييم . ولم تمثل المنظمات الشعبية فى التقويم . بل تم اعتماد التقييم على آراء رؤساء الاقسام وتركيبتهم . ومن ثم لم تتحقق فكرة وضع الشخص المناسب فى المكان المناسب عند اسكان الوظائف. كما نلاحظ اختلاف التقييم فى المهنة الواحدة عنها فى الشركات المماثلة . فنجد مثلا ان فئة العاملين لوحدتى الكالسيوم والتعبئة تمثل القاعدة العريضة للشركة ورغم فنية عملهم الا انهم اعتبروا عمالا عاديين مما اوقف فرص الترقى امامهم واصبحوا يشكلون صورة من صور المشاكل داخل الشركة ».

لقد اتبعت الشركة اسهل الطرق وابسطها فى التقييم وهى طريقة الترتيب البسيط عن طريق مقارنة الوظائف وترتيبها صعوديا من حيث اهميتها على مستوى الادارات وبالتالى ظهرت عيوبها وهى : عدم استناد العملية على مقاييس علمية. بينما لا تصلح هذه الطريقة الا للمصانع ذات العدد المحدد من الوظائف . فكثيرا ما تتأثر درجات الوظائف بالحكم الخاص.

قامت الشركة بتوزيع علاوات قبل التقييم مباشرة ادت الى تغيير الاوضاع حسب الحالة الجديدة بعد العلاوات وخاصة وانها كانت تحت تسوية . وقد لاحظ العاملون تدخل الادارة عند تشكيل اللجان الخاصة بالتقييم وهى انها تفرض افرادا تتكرر اسماؤهم ويتم الاختيار بطريقة لجائية . كما حدثت استثناءات كثيرة فى عملية التقييم مطبقين مبدأ ٢/٣ المدة وحتى من استثنوا لم تكن تنطبق عليهم المدة المطلوبة .

● **المشاكل الادارية** : لقد كثرت الاوامر الادارية والمنشورات وتعددت جهات اصدارها مما يقلل من اهميتها ويضعف فاعليتها . وذلك فى وقت لا توجد فيه متابعة لتنفيذ الاوامر . كما ادى اعتماد الادارة على الحافز السلبى الى خوف العاملين ، وبالتالى الى تعقيدات مكتبية ، اصبحت تتحكم فى أعمال كثيرة بالشركة . ونتج عن ذلك بعد القادة عن العاملين مما ادى الى انعدام الثقة بينهم ويظهر ذلك فى عدم تنفيذ التعليمات .

ومن المؤسف ان المشرفين يعتبرون انفسهم قادة فنيين فقط مع بعد تام عن العمل السياسى وبالتالى وضح تأثير ذلك على العمال والتنظيمات الشعبية التى كان يمكن ان تصبح جهازا مساعدا للادارة .

● **الضياع الصناعى : ١ ــ ضياع الوقت** : ويعتبر هذا النوع من الضياع اكبر ظاهرة تستحق الدراسة وينحصر فى ــ ضياع الوقت فى الدخول والخروج ويبلغ حوالى ١/٢ ساعة . وكذلك بالنسبة للمرضى ويبلغ حوالى ٣ ساعات . بالاضافة الى عدم استغلال كامل للوقت اثناء العمل لضعف الاشراف . ويبلغ الوقت الضائع بالنسبة للمصنع فى المتوسط فى العام ٢ساعة × ٣٠٠ × ٣٠٠٠ عامل = ١٨٠٠٠٠٠ ساعة عمل اى ٢٥٧١٤ يوم عمل (علما بان هذا هو اقل تقدير) وهى ظاهرة تستوجب دراسة سريعة لانها تشكل بطالة مقنعة .

٢ ــ **ضياع المواد** : تشكل سرقة المهمات والمواد ظاهرة لها اثرها فى زيادة تكاليف الانتاج ، وتعزى الى قصور من القائمين بأجهزة الامن داخل الشركة علاوة على قصور التنظيمات الشعبية فى توعية العاملين بدورهم الجديد فى مجتمع الكفاية والعدل . والصورة الاخرى لضياع المواد هى فقد المواد الخام اثناء النقل .

٣ ــ **ضياع الخدمات الصناعية** : فى صورة كهرباء وغازات ومياه .. الخ وهى نتيجة لسببين : احدهما بيروقراطية التنفيذ عند الابلاغ عن ضياع معين وعدم الاهتمام السريع ومن ناحية اخرى عدم معرفة العاملين لاثر ذلك على انتاجية الشركة مما يجعلهم لا يبادرون الى اتخاذ اجراءات ايقاف الضياع » وفى نفس الوقت لم تعط الشركة اهتماما لهذه الظاهرة بوضع الحوافز اللازمة للتشجيع عند الابلاغ .

هذه هى المشاكل المحيطة بشركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية .

ومن الضرورى ــ فى رأيى ــ ان يقوم المكتب التنفيذى بعمل ندوات دورية تجمع رجال الادارة مع التنظيمات الشعبية والعاملين لبحث مشاكل العاملين ومشاكل الانتاج والصعوبات التى تعترض زيادة الانتاج وتشكيل لجان فرعية من رجال الادارة والتنظيمات الشعبية لبحث هذه المشاكل وكتابة تقارير عنها

تقدم فى الاجتماع الدورى مع ما يستجد من مشاكل وبذلك نضمن اختلاط الادارة بالعاملين ..

ومن مهمة المكتب التنفيذى — ايضا — عمل ندوات سياسية لهم مع لجان العشرين بالمصنع وادماجهم فى اللجان الفرعية مثل لجنة الدعوة او لجنة الخدمات حتى يحسوا بمسئوليتهم تجاه العمل السياسى وقد نكتسب قيادات جديدة.

ويتولى بعض المعزولين سياسيا مراكز قيادية فى شركات الانتاج وهؤلاء الناس يحسون ان المواطنين ينظرون اليهم على اعتبار انهم مواطنين غير صالحين ويحسون بمرارة كبيرة فى نفوسهم وحقد دفين على هذا المجتمع فهل ننتظر من هؤلاء اخلاص فى العمل او جهد فى الانتاج ؟ !! اقترح ابعاد مثل هؤلاء الناس عن المراكز القيادية اذا كانوا فعلا مواطنين غير صالحين او رفع العزل السياسى عنهم اذا كانوا مواطنين صالحين حتى يطمئنوا ويستردوا الثقة فى نفوسهم ..

كما ان تطبيق **الحافز المادى** فى شركات الانتاج لاشك سيعطينا وفرة فى الانتاج ومثال ذلك فى قسم الشحن بالشركة المذكورة محدد للشحن ٢٠٠ طن فاذا زادوا الى ٢٥٠ طنا يتقاضى كل عامل ١٠ قروش الى ٣٠٠ طن يتقاضى كل عامل ١٥ قرشا ، ونجد ان الشحن لا يقل ابدا عن الـ ٣٠٠ طن ، بل يطلبون من العمال ان يشحنوا اكثر من الـ ٣٠٠ طن

يناقش يحيى نصر الله من العراق — كربلاء القضية التى طرحتها الطليعة ، (كيف يمكن ان نوحد — فكرا وعملا وتنظيما — القوى الثورية الشعبية فى الوطن العربى من اجل تحقيق التحرر الحقيقى لجميع البلاد العربية ، وتقدمها السياسى والاقتصادى والاجتماعى على طريق الاشتراكية والوحدة) .

نحو مؤتمر اشتراكى عربى

يحيى نصر الله

المعروف ان الحركات الثورية فى اجزاء كثيرة من الوطن العربى اصابها التمزق والبعثرة نتيجة — فى رايى — لعدم ملائمة الافكار التى طرحتها هذه الحركات الثورية للواقع الحضارى والثقافى للنصف الثانى من القرن العشرين . كذلك لجنوحها من حيث التنظيم الى الاوتوقراطية والاثرة . بالاضافة الى ضيق افق مدارك بعض القائمين على ادارة شئون تلك الحركات مما جعل معظم تقديراتهم تهوى فى اول عملية اختبار كاوراق الخريف . ومن ثم كان على « **العربية المتحدة** » ان تعمد بعد ان تصدت لقيادة العمل الثورى واصبحت قاعدته الصلبة ، الى الوصول الايديولوجية تلائم الامة العربية وتفى باحتياجاتها . وفعلا وفقت فى طرحها — كنواة — ميثاق العمل الوطنى ، الذى يجسد حصيلة الافكار النيرة عبر التاريخ .

ولكون العربية المتحدة دولة وثورة ، وكون النضال

العربى بحاجة اليها فى المرحلة التى تجتازها كدولة وكثورة، فان المسألة لا تخلو من التعقيد . ولكن لما كان موضوع الثورة قضية مصيرية فلابد ان تصل العربية المتحدة الى حل يقى الحركات الثورية مما تعينسها ويضع العمل الثورى العربى على الطريق السليم . والسبيل الذى يبدو مرجحا على سواه ، هو ان تبادر العربية المتحدة بتوجيه **دعوة لعقد مؤتمر (اشتراكى عربى)** يحضره اعضاء من منظومات الدول العربية التى تتعامل معها كثورة ، ومراقبين من الدول الاخرى :» ويعرض عليهم ميثاق يتضمن الاهداف الرئيسية . ويترك الامور التفصيلية وفق ما يتهيأ لهم من امكانيات .» وما يتوفر لهم من قدرات . وينعقد المؤتمر المذكور بشكل دورى وينتخب **سكرتارية دائمة** تأخذ على عاتقها النظر فيما يعرض عليها من آراء وحلول او خلافات ، وتبت فى حدود ما يوكل لها فى لائحة تكوينها . مع ضرورة التأكيد بان تمارس اعمالها على اسس ديموقراطية . هذا وسأورد بضع ملاحظات لاعتقادى باهميتها الكبيرة على مجرى العمل الثورى:

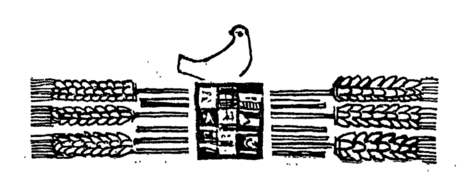
اولا ـ القومية : لا ينكر احد ان العمل القومى ـ وفق مفهومه الانسانى ـ اضحى فى هذه المرحلة الحضارية من انجع وسائل العمل الحشدى لبلوغ المجتمعات نحو الكفاية والعدل »، **ولكن يلاحظ وجود محاولات مستمرة لتجريد القومية من محتواها الانسانى وتضمينها محتويات فجر انبثاق القوميات الاوربية** ، واشياء اخرى تقذفها التطور فى زوايا النسيان واللاجدوى . ولكى نقطع الطريق امام هذه المحاولات لابد من وضع مرتكزات محددة للقومية على ان لا يتجاوز الارتباط المصيرى ، واللغة ، والامتداد الجغرافى .»

وبالنسبة للتاريخ مثلا ، فالمعروف ان معظم كتب تاريخنا كتبت تحت تأثير الظروف التى كانت سائدة فى حينها .ولما كانت تلك الظروف تتنازعها الاهواء والرغبات والانحياز للشيع والملل والنحل ؟ كما ان التاريخ بمجمله ما هو الا مجموعة استجابات لمجموعة تحديات . ولما كان لكل عصر وكل فترة حضارية تحديات معينة تقابلها استجابات ، فلا مندوحة اذن من زج التاريخ من بين مرتكزات القومية .» مع العلم لبهنى غرضى اهمال التاريخ او التنكر لجوانبه المشرقة .»

ثانيا ـ الاشتراكية : لم تعد الاشتراكية كما كانت فى اوائل هذا القرن مجرد نموذج من نماذج انظمة الحكم . بل اضحت وسيلة لابد للبشرية ان تأخذ بها لتنظيم شئونها واحوالها . بعد ان بات العجز يظهر جليا على النظم الرأسمالية والليبرالية فى تقديم المتطلبات الحياتيه للناس . ولكن الفئات المستغلة بعد ان اعياها الوقوف جهرا امام تيار الاشتراكية ، راحت تفلسفها بما يضمن استمرار بعض جوانب استغلال هذه الفئات . لذا ينبغى على الاشتراكيين ـ تنظيمات وافرادا ـ ان يلحوا ويثابروا فى التأكيد بان الاشتراكية هى انهاء استغلال الانسان لاخيه الانسان . وتوزيع ريع المنتوج للمنتج بصورة عادلة على شكل خدمات واجور .

ثالثا ـ الوحدة : ان تنوع الوسائل للوصول الى الوحدة كهدف ينبغى ان يستمد من واقع الاوضاع المتطورة . وانا لا اقصد الوحدة الاتحادية منها والبسيطة التى تنطلق فى تكوينها من عوامل عاطفية او بهدف التهرب من مشاكل ومتناقضات محلية ـ ولكن الذى اقصده انه يجب ان يوضع فى الاعتبار ان تجربة الوحدة التى تمت فى ١٩٥٨ وكان لايتجاوز محتواها الجانب السياسى قد تغير هذا المضمون اليوم بعد ان طرح الجانب الاقتصادى والاجتماعى بكل ثقله وردود فعله فى محتوى العمل الوحدوى . كما ان عملية الوحدة لم تعد مجرد تكوين كيان واحد ، بقدر ما هى ضرورة للتخلص من الواقع المتخلف الذى تعيشه امتنا .

واخيرا ان اى تساهل مع القوى الرجعية والانفصالية تحت اى اسم من «الرحمة» او « الانسانية » ، ليس فيه شىء من الصواب وبعد النظر . حيث انه بعد تجريد اولئك من وسائل استغلالهم ظل كثير منهم يحتفظ بنفوذه وثرواته المنقولة .» فلابد من تجريدهم من كل ما يمكن ان يجعلهم يمثلون خطرا .» والا سيبقى خطرهم ماثلا »، فالثورة عملية مستمرة لهدم القديم وتصفية آثاره ،وبناء الجديد والحفاظ عليه فى نفس الوقت .





صوت من القاعـــدة

حياتنا الثقافية بين حملة المشاعل وحمـــلة أعـــواد الثقـــاب

يــكتبه هــذا العدد
عبد الرحمن مهران
الاسكندرية

هل تسلك الحياة الثقافية والفنية فى مصر سبيل التطور والنمو، شأنها فى ذلك شأن التقدم السياسى والاقتصادى الذى تشهده بلادنا ام لا ؟ ذلك سؤال هام . والجواب عليه — فى اعتقادى — ان الحياة الثقافية والفنية عندنا تسلك فعلا سبيل التطور والتقدم، ولكن بسرعة «السلحفاة» وذلك بينما تطعت الحياة السياســـية والاقتصادية شوطا كبيرا فى هذا السبيل.

ففى الماضى لم تكن مصر معروفة لمعظم الدول الاجنبية، بل ومعزولة عن غالبية الدول العربية .والقلة التى كانت تعرف مصر، كانت تعرفها باسم «بلد الاهرامات وابى الهول» . اما اليوم ،فقد اصبح العالم كله يعرف مصر جيدا، ويعرف انها قاعدة للنضال التحررى فى المجال العربى والدولى . ففى المجـــالين الســـياسى والاقتصادى حققت مصر عدة انتصارات منها اجبار «نجم» المسئولين عن عدوان السويس ،على الافول من سماء العمـــل السياسى، ومنها ما جعل فرنسا تعيدالنظر فى سياستها تجاهنا بل وتمد لنا — اخيرا — يد التعاون والمساهمة فى مشاريعنا .

ومنها ما جعل الولايات المتحدة الامريكية تطلب وساطة مصر فى حل احدى مشاكلها الخارجية الهامة — مشكلة فيتنام .

اما المجال الثقافى والفنى فنصيب مصر فيه من التقدم، كنصيب توت عنخ آمون من معرفته باللغة العربية. وقد يقـــول قائل اننا نعيش ثورة ثقافية حيث تخرج لنا المطابع كتابا كل ست ساعات. كما ان هناك ثمة كتاب مصريون تترجم لهم بعض اعمالهم الى اللغات الاجنبية .وهناك افلام تم — ويتم — التعاقد عليها لاشتراك بعض الممثلين الاجانب فيها. والا يعد ذلـــك تقدما ؟

وانا لا انكر ان ثمة تقدما احرز فى هذا الصدد. ولكنه بالقياس الى تقدمنا فى المجال السياسى والاقتصادى يعد لا شىء .فالكتب الاربعة التى تخرجها المطابع كل اربـــع وعشرين ساعة معظمها — فى رايى — كلام لاحق لكلام سابق، يختلف فى المظهر ولكنه يتماثل فى المضمون. اى ان ما يســـمى «بالثورة الثقافية» ليس الا «ثورة مطبعية» ان صحت التسمية. فبعض الكتب التى تتصدر واجهات المكتبات الكبيرة ما ان تبدأ

فى قراءة احدها حتى تفاجأ بأن هذا الكتاب ليس الا طبعة جديدة لكتاب قديم قرأته من قبل لنفس الكاتب منذ سنوات بعنوان آخر. واذكر على سبيل المثال انى منذ عهد قريب اشتريت كتابا ثمنه بأربعين قرشا، وما كدت اقرأه حتى فوجئت بأنه نفس الكتاب الذى اشتريته منذ سنوات لنفس الكاتب بسبعين مليما. فقط تغير فى الكتاب عنوانه. وما ان تمسك ببعض الكتب حتى تفاجأ بأن المجموعة القصصية التى يحوى عليها كلها اوجلها، — رواية او مسرحية او مجموعة مقالات، قد نشرت مسلسلة فى الصحف والمجلات قبل ان تنشر فى كتاب. وكأن القراء ينتمون الى حزبين، حزب يقرأ الصحف والمجلات فقط ويقاطع الكتب، وحزب يقرأ الكتب ويقاطع الصحف والمجلات. وليت كل المقالات التى تنشر فى كتب بذات قيمة تستحق ذلك. بل معظمها — للاسف — اما يعرض لقضية ادبية اكل عليها الدهر وشرب، واما ان يعرض لحياة احد الكتاب الاجانب واثره فى دنيا الادب. وحتى المقالات التى كتبت لتوضح المفهوم الاشتراكى وتنادى بتحديد النسل والحد من الاسراف — ومضاعفة الانتاج استعار كاتبوها معظم ما قالوه من خطب الرئيس ومن الميثاق. وهذا يعنى ان كل الكتب والكتابات التى ينطبق عليها ذلك نشرت بهدف الكسب المادى او تعبيرا عن الافلاس الفكرى ولا معنى ثالث.

اما الكتب الادبية التى ترجمت الى اللغات الاجنبية لمؤلفين مصريين، فلا حس لها فى الخارج ولا خبر. لانها من ناحية الكم تعد على الاصابع . ومن ناحية الكيف تعرض لاحداث محلية بحتة. وكم من بلاد تمنى مثقفوها ان تمر بهم نفس الاحداث التى مرت بنا حتى يخلدوها فى كتاباتهم، كالعدوان الثلاثى وبناء السد العالى . اما مثقفونا فلا يأبهون لهذه الاحداث بقدر اهتمامهم بالطبل والزمر للافلام والمسرحيات والروايات وحياة الكتاب الاجانب .

واذا انتقلنا الى الحديث عن الافلام التى انتجت مشتركة، فانى اسأل: اى فيلم نجح منها حتى الان؟ ولا فيلم واحد. لماذا؟ لان الشركات الاجنبية هى التى تعد القصص وتختار لنجومها الادوار الرئيسية اللامعة وتترك لنجومنا الفتات. ولنا فى افلام «القاهرة» و «ابن سبارتاكوس» و «ابن كليوباترا» — الذى حرف التاريخ — خير دليل .

لهذه الاسباب مجتمعة ذكرت ان الحياة الثقافية والفنية عندنا متخلفة عن حياتنا السياسية والاقتصادية. والعلاج — فى رأيى — هو ان نطور ثقافتنا وفنوننا شكلا ومضمونا، اى نخلع رداء التقليد والمحاكاة والسطحية ونرتدى رداء الخلق والابتكار واللامحلية. فالمثقفون فى كل بلد — ولا سيما فى البلاد التى ما زالت فى طور النمو والتقدم كمصر — هم حملة مشاعل التقدم والتطور فى مختلف المجالات. وشتان بين حملة «المشاعل» وحملة «اعواد الثقاب».

حول «قضية الرغيف»

فتحت الطليعة — على امتداد اعداد ثلاثة منها — باب المناقشة حول قضية الرغيف ومستقبل التنمية، وشارك فيه **د. اسماعيل صبرى عبد الله ود. فوزى يوسف رفاعى ود. عباس كسيبه وحسن عبد اللطيف خضر . وقد كتب حسن معاذ رميح**، من الفلاحين الدارسين بالمعهد العالى للدراسات الاشتراكية، تعقيبا على هذه المناقشات، يعالج فيه المشكلة من الواقع الميدانى، فيقول :

بدراسة المشاكل والمعوقات التى تعترض الفلاح الصغير فى حياته اليومية، يمكن ان نضع اصابعنا على نقاط الضعف التى لو تلافيناها من حياته فان اثرها سينعكس على انتاج الريف كله . وهى وان كانت مشاكل صغيرة تقابله فى حياته اليومية مما جعله يعتاد عليها . الا ان تقييمها ومعالجتها يفيد فى القضية كلها، **واعرض فيما يلى المعوقات وما يقابل الفلاح فى حياته اليومية :**

● **تصنيف الارض :** اننا فى نظامنا الزراعى لانفرق بين انواع الاراضى الزراعية ومدى ماتصلح له من محاصيل. فتوجد اراضى زراعية يجود فيها زراعة القطن واراضى يجود فيها زراعة الارز وهكذا . فلو حددنا زراعة القمح والاذرة فى التربة التى تنتج فيها غلة اكثر، وهكذا بالنسبة لباقى المحاصيل الزراعية، لامكن زيادة الانتاج عامة . وهذا ما لايراعيه نظامنا الزراعى الذى يفرض على الفلاح احيانا زراعة محصول معين فى تربة غير جيدة لهذا المحصول .

● **تنظيم صرف السلف :** احيانا تصرف سلفة القطن مع الذرة . وعندما يأتى ميعاد تأدية الخدمة لمحصول القطن مثلا يكون الفلاح قد صرف السلفة التى تقاضاها على امور اخرى، **وبهذا لا تتوفر لديه النقود اللازمة لخدمة الارض والمحصول فى الوقت المناسب** . وتكون النتيجة اهمال يؤدى الى قلة الانتاج.

● **الفول واثره على القمح :** لقد رأت الحكومة لتشجيع زراعة الفول ان تشترى الاردب منه بمبلغ ثمانية جنيهات وتبيعه للمستهلك بستة جنيهات . وبذلك تتحمل الدولة جنيهان لكل اردب من الفول تشجيعا للفلاح على زراعته . وقد نتج عن ذلك ان زاد محصول الفول عن الكمية المطلوبة للاستهلاك المحلى وترتب عليه تلف كميات كبيرة منه نظرا لعدم التمكن من تصديره فى الوقت المناسب . هذا من زاوية، ومن زاوية اخرى فان التوسع فى زراعة الفول كان على حساب المساحة التى كانت تزرع قمحا . بعد ان وجد الفلاح ان الفول يدر عليه ربحا اكثر من القمح نظرا لارتفاع سعر الاردب منه عن سعر القمح علاوة على قلة تكاليف انتاجه عن تكاليف انتاج القمح . ونتج عن نقص المساحة التى تزرع قمحا ان ارتفع سعر التبن (وهو غذاء الماشية) ارتفاعا كبيرا، لاننا نعوض النقص فى القمح باستيراده من الخارج خاليا من التبن . وقد ادى هذا الى ان يبحث الفلاح عن مصدر آخر لغذاء الماشية. **واصبح يعتمد على تطويش الذرة (اى اقتطاع الجزء العلوى** من عود الذرة) وتقديمه كغذاء للماشية . وقد ثبت ان عملية التطويش تتسبب فى انخفاض غلة الفدان من الذرة . ومن هنا نجد ان التوسع فى زراعة الفول قد ادى الى انخفاض مساحة الارض التى تزرع قمحا والى قلة غلة الفدان من الذرة بسبب عملية التطويش . وهذه خسارة مزدوجة على انتاج الحبوب .

● **سوء توزيع التقاوى والكيماوى :** كثيرا ما تخطىء تقديرات وزارة الزراعة لكمية التقاوى والكيماوى اللازمة لكل محافظة . فيحدث مثلا ان تقدر لمحافظة ما كمية اقل مما تستحق وهنا يحدث العجز بينما تقدر لمحافظة اخرى كمية اكثر مما تستحق وهنا تحصل الزيادة التى تستغل فى السوق السوداء . وكذلك الحال بالنسبة للمبيدات .

ونتيجة لذلك نجد ان محافظة تعانى من مشكلة الحصول على احتياجاتها المطلوبة، بينما يوجد فى محافظة اخرى فائضا يستغل فى السوق السوداء .

● **اعتماد الفلاح على القمح :** وقد ادى انخفاض سعر

القمح وارتفاع سعر الذرة او بمعنى اكثر دقة تقارب سعركل منهما الى ان الريف عامة — الذى كان يعتمد اساسا على الذرة فى غذائه — اصبح يعتمد على الدقيق المطحون (القمح).

● **الاذرة النيلى** : فى تقديرى انه بوجه عام فشلت زراعة الاذرة النيلى وفى نفس الوقت لم تهتم الاجهزة الفنية بتطوير زراعته بالقدر المطلوب .

● **عملية التخزين** : من الملاحظ أن عملية التخزين غير كافية حتى الان ويترتب على ذلك تلف كميات لايستهان بها من انتاج الحبوب بسبب التسوس والبعثرة ... الخ ».

● **السماد البلدى** : وكان يعتبر فى الماضى عنصرا أساسيا من عناصر تقوية التربة . اما اليوم فقد اهمل الفلاحون السماد البلدى ونسوا دوره فى خصوبة التربة ».

● **مراقبة الرى** : ان الذى يتحكم فى توزيع مياه الرى هو خفير الرى الذى يزيد من كميات المياه لمن يتماشى معه ويبخل بها على من لايجاريه . هكذا دون رقيب ، والخسارة هنا تقع على الفلاح الصغير الذى ليس فى امكانه مجاراة الخفير .

● **اراضى الاوقاف والاصلاح** : توجد اراضى مهملة من اراضى الاوقاف والاصلاح — وخاصة بجانب الطرق الزراعية — وهى لاتجد العناية اللازمة حتى يمكن أن تستغل لزيادة انتاج زراعة الحبوب .

● **غذاء الطيور** : تستهلك الطيور كمية لايستهان بها من الحبوب ولو خصصنا نوعا محددا من الحبوب لتغذية الطيور — مثل الاذرة العويجى مثلا — ولو قام كل فلاح بزراعتها على القنوات والجسور لوفرنا كمية لا بأس بها من الحبوب للاستهلاك البشرى .

● **تأجير الالات** : كثيرا ماتتعطل زراعات صغار الفلاحين (وهم الغالبية الان) لعدم وجود الالات اللازمة فى حوزتهم او لدى الجمعيات التعاونية فى الوقت الذى يستغل فيه كبار الزراع احتكارهم لهذه الالات فى تأجيرها بأثمان مرتفعة لايقدر على دفعها صغار الفلاحين فتفشل زراعاتهم فى تحقيق انتاج مناسب ، او يقل دخلهم فى حالة تأجيرهم لهذه الالات ، فلو تم تحديد قيمة ثابتة لايجارات الالات الزراعية لتمكن صغار الفلاحين من زيادة محصولهم . وهذا الموضوع محل بحث الجمعية العامة لمحافظة البحيرة الان ».

● **الوعى والفلاح** : ان الفلاح فى الواقع لايعى كل ابعاد هذه القضية الاقتصادية والسياسية ، ولا يتبادر الى ذهنه ان عمله يؤثر على دخله وعلى اقتصاد البلد تأثيرا مباشرا ، فاذا ماعملنا من اجل توعيته بأبعاد هذه الحقيقة واهميتها ، فسوف يتجاوب ويعطى الارض ماتستحقه عندما تتضح الامور امامه وفى تقديرى ان العبء الاكبر لنشر الوعى يقع على عاتق اعضاء المكاتب التنفيذية .

وبعد ذلك ، ننتقل الى شرح دور الجهاز السياسى فى معركة الرغيف . وفى رايى انه يجب ان توفر الدولة المعامل لقيام الابحاث اللازمة لرفع انتاجية الذرة — كما وكيفا — وكذلك اعتماد الاموال اللازمة لاستيراد السماد وتوفيره بكميات كبيرة.

كما اقترح زيادة سعر محصول القمح لتشجيع زراعته وخفض سعر الفول الى سبعة جنيهات بدلا من ثمانية. ونعمل فى نفس الوقت على الاقلال من مساحات الفول يقابلها زيادة فى مساحات القمح الذى سيؤدى الى زيادة التبن (غذاء الماشية) الذى ارتفع سعره ، وسيمنع هذا تطويش الفلاح للذرة لتقديمه غذاء للماشية ، فالتطويش يقلل من انتاجية الفدان ».

ودور الجهاز السياسى هنا ، مراقبة تصنيف الارض ووصول الاسمدة فى مواعيدها المبكرة وتوافرها تبعا للحاجة الفعلية لكل محافظة لمنع السوق السوداء ». كذلك توعية الفلاحين بالنصائح والارشادات لزيادة المحصول وتعبئتهم فكريا للاهتمام بمحصول الذرة وارشادهم الى الطريقة التى ستؤدى الى مضاعفته كما عليه ان يشترك فى مراقبة خفراء المياه وتحديد اجر الالات الزراعية التى يؤجرها الملاك حتى لايستغل الفلاح الصغير ».

●

حول « تنظيم الشباب سياسيا »

من كلية العلوم جامعة القاهرة، كتب المواطن **محسن حسان** للطليعة تعقيبا على مقال **الدكتور محمد الخفيف** من «تنظيم الشباب سياسيا» :

«لا ينكر احد الفراغ الفكرى السائد بين طلبة الجامعات والمعاهد العليا. ولهذا لم نكن لنرجو الكثير من الذين اختيروا منهم لمنظمة الشباب فى الافواج الاولى، عن طريق الرواد. وذلك نظرا لانهم — فى رأيى — اختيروا غالبا من «الشلل الاحتكارية» كما جاء فى مقال الدكتور الخفيف، لانها الوحيدة التى تسيطر على النشاط الطلابى بالجامعات ، وهى ايضا التى تقع عليها عين الناظر للوهلة الاولى .

ولكن ظهرت اخيرا بادرة تبشر بكل خير. فالافواج اللاحقة للفوجين الاول والثانى تم اختيارها بمعرفة اعضاء منظمة الشباب بالكليات. وقد اظهر هذا الفوج بالذات — فيما اعتقد — التزاما فكريا وتنظيميا رائعين ، مما يدل على ظاهرتين هامتين هما: **اولا** : ان اعضاء منظمة الشباب بالكليات ، والذين امضوا الفترة الاولى من مراحل الدراسة بالمنظمة قد اثبتوا فعلا انهم على وعى وتقدير للمسئولية الملقاة على عاتقهم، فاختاروا العناصر الطيبة ورشحوها للانضمام للمنظمة بعيدا عن اى غايات او انحرافات . ثانيا: ما ابداه الفوج الاخير من تجاوب يفوق الافواج السابقة يظهر بوضوح مدى ادراك الشباب اخيرا للمرحلة التى تمر بها ثورتنا الان واحتياجاتها لجميع الطاقات وخصوصا طاقات الشباب — قادة المستقبل . كما يبرز ايضا خامة الشباب المصرى الطيبة التى ينقصها الصقل والتنظيم .

كل هذا يبشر بأننا نتقدم بخطوات سريعة نحو ما نريد تحقيقه فى مجالات الشباب ليساهم بدوره فى العمل الجاد من اجل تغيير المجتمع واستكمال اعادة بنائه على اسس اشتراكية تتفق ومصالح الجماهير .

●

التعاون الزراعى والديمقراطية

وفى رسالة للمواطن **على على حسانين** من سوهاج ، يعلق فيها على مقال **سعيد خيال** حول التعاون الزراعى الذى نشر فى الطليعة بعدد يناير، يقول:

فى رايى ان الثورة الشاملة التى تجتاح الانتاج الزراعى بكل نواحيه ، يحتاج من القائمين على شئون هذا الانتاج، ممارسة ثورية فى التطبيق واعطاء الفلاحين اعلى قدر من الديمقراطية

تلك الديمقراطية الاشتراكية التى اكدها الرئيس عبد الناصر فى كل خطبه التى القاها امام الجماهير وامام مجلس الامة. ولن تتاح الديمقراطية الكاملة لجماهير الفلاحين كقطاع من قوى الشعب العاملة، الا بالقضاء على مركزية الادارة وبيروقراطيتها التى تقف حائلا معوقا بين التطبيق وثوريته .

واخشى ان يشتم من مقال سعيد خبال دعوة الى نبذ الديمقراطية فى التطبيق لمشروعات النهوض بالانتاج الزراعى المطبقة حديثا، والتى اتخذ مقال التعاون فى توضيح خطواتها. وتلك - أن صح استنتاجى - دعوة غاية فى الخطورة ينبغى مناقشتها .

ان اساس نجاح مشروعات النهوض بالانتاج الزراعى فى محافظتى كفر الشيخ وبنى سويف ،هى الديمقراطية التى اتسمت بها. .طريقة التطبيق حيث اشتركت جماهير الفلاحين فى المحافظتين فعلا فى التطبيق للتنظيمات الزراعية. ونزل المهندسون المشرفون الى القرية حيث يعمل جماهير الفلاحين. وحيث امكن خلق الوعى السياسى. وحيث عرف الفلاح - لاول مرة - ان المهندس المشرف ماهو الا واحد منهم حريص على مصلحتهم ومصلحة الدولة. وحيث تلاشت صورة المكاتب التى كان يجلس عليها المهندس او المشرف ليخطط فى الجمعية دون الالتحام بالفلاحين.

ان الجمعيات التعاونية مؤسسات اقتصادية وسياسية شأنها فى ذلك شأن كل مؤسسة جماهيرية. ونحن نعيش فترة تحول نحو الاشتراكية وتتطلب هذه الفترة ضرورة خلق وتنمية الوعى السياسى لدى الجماهير. والجمعيات التعاونية مؤسسات جماهيرية ومكان تجمع جماهيرى يجب ان تستغل فى خلق مثل هذا الوعى المطلوب .وعلى ذلك فالمدير المشرف المسئول عن الانتاج فى الجمعية التعاونية ينبغى أن يكون مسئولا ايضا عن التوعية وسط الفلاحين. ويجب ان يلتحم بهم ليتعرف بشكل دقيق على مشاكلهم ويساهم معهم فى حلها .

ان فترة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية - لدقتها - لا تعنى الغاء الديمقراطية بل تحتم الالتحام بجماهير الفلاحين لافهامها الفوائد التى تعود عليها من تطبيق التنظيمات الزراعية فى مشروع النهوض بالانتاج الزراعى فى مختلف المحافظات .وذلك - فى رأيى - احد سبل القضاء على البيروقراطية .

اننا لن نستطيع ان ننتقل آليا من المجتمع الرأسمالى الى المجتمع الاشتراكى الا عن طريق العمل السياسى للشعب العامل ونضال الفلاحين والعمال لانهاء نفوذ الرجعية والعمل على تغيير العلاقات الرجعية القديمة تغييرا كاملا. ولن يتسنى ذلك الا بالاتجاه نحو اللامركزية ليمكن القضاء على بقايا الراسمالية المستترة بين جماهير قوى الشعب العامل.

●

نحو وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى

وردا على رأى المواطن عنتر عبد السلام الذى نشرته الطليعة فى عدد مارس فى باب كتابات جديدة ، جاءنا من المواطنة حميدة راقم التعليق التالى :

فى مقال المواطن عنتر عبد السلام نحو وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى اسس نظرية سليمة ولكننا من الناحية العملية لايمكننا ان نحقق وحدة الفكر والعمل والتنظيم للقوى الثورية العربية فى انعزال عن الخطوات التى تمت بالنسبة لتحقيق تلك الوحدة محليا .

ان القوى الثورية الشعبية فى بلادنا قد التزمت بالميثاق الوطنى كأساس للوحدة الفكرية ودعم هذه الوحدة الفكرية القائمة وحدة فى العمل فى مجالات مختلفة ولكن الى الان مازال جزء من القوى الثورية مفكك وهكذا تأخرت الوحدة التنظيمية محليا بينما هى الاساس فى ضبط ايقاع وحدة الفكر والعمل .

وفى رأيى أنه بدون استكمال الوحدة التنظيمية بين القوى الشعبية الثورية محليا لايمكن ان تؤدى وحدة الفكر ولا وحدة العمل الدور المطلوب من قيامهما فى مرحلة البناء الاشتراكى محليا كما أنه بدون ذلك لا تقوم وحدة الفكر والعمل والتنظيم على دعائم ثابتة فى الوطن العربى .

وخلال مراحل التاريخ كان دائما يتضح انعكاس للاعمال النضالية المحلية على باقى أجزاء الوطن العربى وفى هذا الصدد يقول الميثاق الوطنى :

● ان أعظم تقدير لنضال الشعب العربى فى مصر ولتجربته الرائدة هو الدور الذى استطاع أن يؤثر به فى حياة أمته العربية وخارج حدود وطنه الصغير الى آفاق وطنه الكبير.

والذى يراقب الحركة السياسية التقدمية على نطاق الوطن العربى الام خلال سنة ١٩٦٥ يلمس ظاهرة نضال فكرى فى خط موحد وذلك انعكاس للالتزام الفكرى القائم محليا بين القوى الثورية ... ويرى احيانا اشارات الى وجود وحدة عمل ثورية على النطاق العربى وهذا أيضا انعكاس لقيام وحدة عمل بين الثوريين محليا ولكن الحصيلة النهائية للحركة التقدمية العربية خلال سنة ١٩٦٥ ليست على اى حال فى صف القوى الشعبية العربية الثورية ... وفى رأيى أن لهذه النتيجة سببين : -

اولا : عدم قيام وحدة تنظيمية للقوى الثورية محليا ادى الى ضعف هذه القوى على النطاق العربى وتفككها حيث انها تنظر لبلادنا كقيادة للثورة العربية .

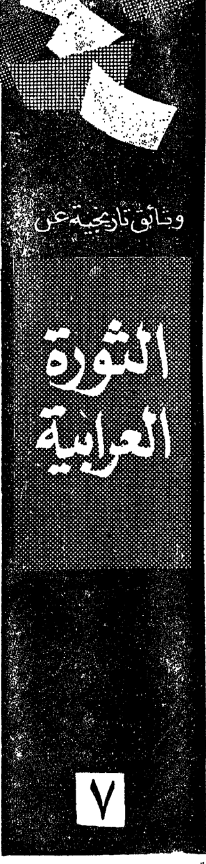
ثانيا : قيام وحدة مصلحية بين الرجعية العربية والاستعمار حيث وضعا مخطط دقيق يهدف الى تصفية القوى الثورية فى الوطن العربى باساليب عديدة .

وقد حدد الميثاق الوطنى مسئوليتنا القيادية حيال الوطن العربى حيث قال : -

● ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم ودعمه وحمايته تمتد لتشمل الامة العربية كلها .

وفى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة بالنسبة للوطن العربى حيث تكتل الرجعية والاستعمار صفوفهما وينفذان مخططهما بهدف تصفية القوى الثورية العربية من الضرورى أن تبادر الجمهورية العربية المتحدة الى تدعيم وحدة الفكر والعمل والتنظيم على نطاق الوطن العربى لكل القوى الثورية حتى يمكنها أن تحفظ توازنها أمام أخطار التنظيم الرجعى الاستعمارى القائم ... وذلك لن يتم عمليا الا من خلال تجميع كل القوى الثورية محليا وتنظيم ايقاع فكرها وعملها داخل صفوف التنظيم الشعبى وعلى كافة مستوياته وبخلاف ان ذلك يعد تنظيما لطاقاتنا الثورية محليا فان له انعكاس اساسى على باقى القوى الثورية الشعبية العربية حيث يفتح أمامها آفاق جديدة للحركة.

وثائق



النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع أحمد عرابى

"من الجلسة الرابعة إلى السابعة"

تواصل « الطليعة » فى هذا العدد ، نشر النصوص الكاملة لمحاضر جلسات التحقيق مع الزعيم الوطنى أحمد عرابى ، من الجلسة الرابعة حتى آخر الجلسة السابعة التى اختتم بها التحقيق معه ، ليبدأ بعد ذلك مع بقيــة زعماء الثــورة الذين قبض عليهم •

يتجلى فى الجلسة الرابعة اصرار احمد عرابى خلال الثورة على مقاومة الاحتلال فى الدلتــا بقطع خطوط المواصــلات الحديدية المؤدية الى العاصمة عند شبين ، كما يتجلى عمق عاطفته الوطنية فى صيغة التلغراف الصادر منه لوكيل الجهادية فى ١٥ اغسطس سنة ١٨٨٢ ، بشأن على افندى ياور وكيــل محافظة بندر الاسماعيلية والذى انحاز للانجليز ، هذا برغم ان ظروف قتال عدو احدث تجهيزا واشد ــ من الناحيــــة العسكرية ــ خطورة ، كانت اكثر قسوة وصرامة من ان تتيح الفرصة لصياغات تلونها العواطف • ومما يلقى الضوء على اباء الرجل واعتزازه بكرامته الوطنية ، انه لم يكن دفاعه عن نفسه فى اى سؤال سبق ان رد عليه ، بل اكتفى دوما بتذكير المحكمة بسابق جوابه ، مما يلقى ضوءا على مدى كبريائه الوطنى بازاء محكمة مكونة من صنائع الاحتلال ، لم ير لزاما امامها ان يكرر دفاعه رغبــة منه فى التبرئة او استجداء للعطف •

وتكشف التحقيقات عن واقعة لجوء قناصل ايطاليا والنمسا وبروسيا وروسيا الى احمد عرابى — الذى كان قد تم عزله رسميا ، حينذاك من وزارة الحربية — ليعطيهم تأمينات لرعاياهم ، وتلقى هذه الواقعة الضوء على مدى السلطة الحقيقية التى كان يتمتع بها احمد عرابى ابان الثورة ، والتى لم يستمدها قط من منصبه الرسمى وانما من زعامته الحقيقية ووزنه القيادى الشعبى .

كذلك يفسر عرابى بوضوح توقيعه على خطابه المرسل الى الاصدقاء حامد بك امين ، ومحمد بك الزمر باسم رئيس الحزب الوطنى ، على اساس ان اهل البلاد — « الذين يطلق عليهم لفظ فلاحين اذلالا لهم » .. انابونى بطلب ما يكفل لهم الحرية وحفظ الحقوق وكنت انا القائم بطلب ذلك ، ولم تكن لى صفة فى الحكومة فى هذا الوقت فوضعت امضائى بذلك » .

ويختتم المحضر بالجلسة السابعة التى دار فيها التحقيق حول حادثة اعتداء ابراهيم اغا التتنجى وكان يعمل فى خدمة الخديوى على عرابى فى سجنه .

◆ ◆ ◆

الجلسة الرابعة

بناء على ما تقرر بجلسة يوم السبت غرة الحجة سنة ١٢٩٩ طلب احمد عرابى من السجن لاتمام استجوابه وسئل فاجاب كما ياتى :

س : فى اجوبتك السابقة اوضحت ان المجلس الذى عقد بالداخلية لم يحصل فيه تهديدات لاحد ، وانكم ترتكنون على وجود البرنسات والعلماء خاتمين على المحضر الذى تحرر عنه ، مع ان المومأ اليهم اوضحوا انهم جبروا على ذلك . وفضلا عن ثبوت حصول التهديدات من عصبتكم العاصية بديوان الداخلية فانكم أمرتم بعزل وسجن بعض المديرين وهم شاكر باشا ، وابراهيم باشا ادهم ، وابراهيم بك توفيق ، وحسن بك فهمى ، وحصل فعلا عزلهم وسجنهم مدة أيام ، وصار سجن غيرهم حتى ان عند دخول الانكليز الى مصر وجدوا نحو الثمانمائة شخص مسجونين بالطوبخانة تهديدا لباقى السكان ، وهذه هى دلائل قوية مثبتة ان الذين ختموا بتلك الجمعيات كانوا مقهورين مجبورين على ذلك ، وان المساعدات التى حصلت من الاهالى لجيش العصاة كانت ايضا من هذا القبيل .

ج : قد قلت باجوبتى المتقدمة فى هذا الخصوص ، انه لا يتصور اصلا حصول تهديدات بمجلس مؤلف من اعيان الامة المصرية ورؤسائها ونبهائها يزيدون عن الاربعمائة نفس ، كما ان المساعدات والتبرعات التى كانت ترد للجيش المدافع عن البلاد مدافعة شرعية لم تكن بتهديدات أيضا ، بل من الناس من تبرع بنصف ماله ومن الناس من تبرع بماله اجمع ابتغاء مرضاة الله ومن الناس من تبرع من ماله بثلاثة آلاف اردب غلال وثلاثين راسا من الخيول تبرعا لمساعدة الجيش ، اذ ان الحرب الشرعية اما ان تكون بالنفس وبالمال او بالراى . ومن ضمن من تبرع وافتتح باب المساعدة دوائر العائلة الخديوية واغلب الذوات تبرعوا ايضا ، ولو استكشفت التلغرافات التى كانت ترد من جميع اهالى المديريات حتى من مديرية اسنا بدون واسطة مديرياتهم لعلم ان الامة المصرية جميعها كانت محاربة بمالها وانفسها . ولو استكشفت قوائم التبرعات ، لعلم انه لم يتأخر احد من اولى الرئاسة فى المساعدة ومن ضمنهم سعادة خيرى باشا حالة كونه لم يشهر الحرب بل كان فى اسكندرية ، ومن ضمنهم دائرة دولتلو رياض باشا . افكل هذا كان جبرا من جميع الناس، ومن الذى كان يجبرهم — ان هذا لامر تعترف به أهل البصائر الحقة . وأما الذين وجدوا مسجونين بالقلعة فانهم لا يزيدون عن مائة نفس من ارباب الجنايات المحكوم عليهم بالحبس ومحضرين من المديريات ، وانه لم يصدر منى أصلا امر بسجن أحد فى القلعة او غيرها . واما طلب ابراهيم باشا ادهم فذلك مبنى على ما حصل بطنطا بين مهاجرى اسكندرية وبين الاوروباويين . كما ان شاكر باشا وغيره ، لم يكن عزلهم من المديريات التى كانوا بها الا بأمر المجلس الادارى المعبر عنه بالعرفى لا بأمرى ، وانى ما كنت الا رجلا مأمورا بأمر من طرف ذلك المجلس الذى بيده حكومة البلاد وهو حفظ البلاد والمدافعة عنها .

س : من الذى أمر بسجن ابراهيم بك توفيق الترجمان ، وما هو سبب سجنه ؟

ج : انه علم ان ابراهيم بك توفيق مذ كان مديرا بالبحيرة ، كان يسعى كل السعى فى تهييج عربان البحيرة ومن ضمن ذلك انه أمرهم بنهب بعض البلاد والعزب ، فترتب على ذلك هيجان العربان والمسولدين منهم ، وحصل نهب فى بعض العزب والابعاد . وانبنى على ذلك ان المديرية كتبت تلغرافا بأن العربان كادوا ان يحيطوا بالمديرية ، اى ببندر دمنهور وتطلبوا اسعافهم بالعساكر وارسلت العساكر للمديرية فعلا بعضهم من مصر وبعضهم من كفر الدوار . هذا هو السبب الداعى لطلبه بالمجلس الحربى بمصر لمحاكمته على ذلك . وكان تحرر منى تلغراف لمديرية الدقهلية بارساله الى ذاك المجلس بمصر ، ولم يكن صار سجنه بأمر منى بل ان ذلك حسبما تراءى للمجلس المنوط بالنظر فى مثل ذلك ، حتى ومن ضمن ما حصل من العربان قتل رجل قبطى وزوجته وترك ابنها رضيعا الامر الذى تفتت له الاكباد ، وتحرر لمديرية البحيرة بضبط الفاعلين حالا وجرى ضبطهم وكانت محاكمتهم جارية وقيل انهم اعترفوا بهذا الفعل الشنيع .

س : تقول ان حبس ابراهيم بك الترجمان

ليس بأمركم، بل بأمر المجلس العرفي، والحال ان رئيس المجلس المذكور الذي هو **يعقوب سامي** احد رؤوس العصبة ، حرر لكم التلغراف المنسوخة صورته بهذا الذي صار اطلاعكم على أصله يترجاك في الافراج من المذكور ليكون صدقة زكاة فطر عنكم في عيد رمضان ، ولا كنت تقبل رجاءه ولم تفرج عنه الا بعد هزيمتكم بالتل الكبير ووصول عساكر الانكليز بالقرب للمحروسة ، ومن هذا يتضح ان المجلس العرفي الذي ذكرتم ،عنه لا تأثير له وان السجن والافراج كان بناء على أوامركم .»

صورة تلغراف من يعقوب سامي لاحمد عرابي تاريخه ١٤ اغسطس سنة ١٨٨٢ الموافق ٢٩ رمضان سنة ١٢٩٩ .

« كل عام وسعادتكم بخير ... وكل رمضان وله زكاة الفطر ، أرجو ان يكون زكاة فطر سعادتكم عتق رقبة ابراهيم بك الترجمان ، حيث ان والدته في حالة النزاع . »

ج : ان هذا التلغراف لم يبلغني ولم اطلع عليه الا الان ، ومع ذلك لا حق بطلب الاذن مني عن الافراج عنه ، اذ ان امر السجن والافراج من خصائص المجلس الادارى المعبر عنه بالعرفي وليس من خصائصي . وتحرير هذا التلغراف من وكيل الجهادية لا يفيد ان الامر بيدي اذ انى مأمور بالمدافعة فقط . ولو حصل التحرى في كافة التلغرافات التي كانت تصدر من المجلس لعلم انه صار مراجعتي في كثير من الاراء التي كنت أبديها النافعة كل النفع للحفظ والمدافعة . فاذا كنت اراجع في الامور الحربية التي صار الزامي بها ، فكيف يكون لي نفوذ في غير ما كلفت به .

(وجد تلغراف محرر من احمد عرابي ردا للتلغراف المحرر اعلاه) .

س : حينئذ كل من كانوا سجنوا بمصر وبالطوبخانة ما كان سجن احد منهم بأمركم .

ج : أنا ما أمرت بسجن احد حيث ذلك من واجبات المجلس الذي من خصائصه النظر في حل المشكلات .

عقب هذا الجواب تراءى موافقة استحضار يعقوب سامي وسئل بمواجهة عرابي كما سيأتي :

س : عند دخول عساكر الانجليز لمصر وجد أشخاص كثيرون مسجونين بالطوبخانة وبالسؤال من عرابي عنهم ، أجاب انه لم يأمر بسجن احد لاختصاص المجلس العرفي بذلك وبما انك كنت رئيس المجلس المذكور ، فهل سجن اولئك الاشخاص كان بأمر المجلس ، خاصة ولم يأمركم عرابي بسجن احد منهم أم كيف . وهل سجن **شاكر باشا وحسن بك فهمي وابراهيم بك الترجمان** كان كذلك بأمر المجلس أو بأمر عرابي .

ج : جميع من سجنوا حضروا بأوراق من عرابي ، والبعض منهم كان مع جاويشية بمراسلات والاثبات على ذلك ان مسألة ابراهيم بك الترجمان حصلت بأمره بكيفية ان العرابي حرر لمدير الدقهلية من برا برا بدون راى المجلس بضبط ابراهيم بك المذكور ، والمديرية حاصرت عزبته بحالة شنيعة وكانت والدته مريضة وصار ضبطه وارسلته المديرية لديوان الجهادية وأنا ما اجريت سجنه بالطوبخانة وأبقيته في قصر النيل ، ولتصادف دخول عيد رمضان حررت للعرابي تلغرافا أرجوه الافراج عنه صدقة لزكاة الفطر ووصله فلم يرسل لي رده ، ولما توجه بعض الذوات لكفر الدوار للتعييد أخبرت **بطرس باشا وعلى الروبي** بأن يترجوا احمد عرابي في الافراج عن ابراهيم بك المذكور وخلافه ، وترجوه ولم يقبل — وبالجملة فان كل أمورنا كانت بأوامر العرابي وهو المتسلط على كل الاجراءات بقوته هو ومن معه من عصبتهم ، وما كان المجلس يمكنه ان يراجع في شيء ، وانما كان ربما يجرى بعد تلطيفات مع غاية الخوف من المذكور . وهناك دليل آخر على أن كل الامور كانت تجرى بأوامره بما فيها عزل وسجن المديرين وهوانه أصدر مكاتبة للديوان بعزل **عثمان غالب باشا** مدير اسيوط ولعلمنا عدم وجود موجب لذلك ، وان الباشا المومأ اليه مستقيم ومحافظ على اجراء الامن والراحة بالمديرية فعملنا كل الطرق اللازمة لبقائه ولم اقدمها للمجلس وكذلك ورد لنا أمر منه بتعيين **اسماعيل باشا محمد** في توكيل نظارة الاشغال وان ينظر في ذلك بالمجلس . ومن هذا يعلم ان المجلس كان فقط بصورة رسمية للتصديق على ما يأمر به .

استحضر عمر رحمي وصار تورية التلغراف المتعلق بالرجاء في الافراج عن ابراهيم الترجمان وسئل كما سيأتي :

س : هل هذا التلغراف وصل لكم مذ كنت مع عرابي بكفر الدوار

ج : لا أعلم لانه كان موجودا كتاب خلافي أيضا معه ، وانما كافة التلغرافات التي كانت ترد كان يطلع عليها احمد عرابي ولا يمكن أخفاء شيء عنه .

سئل عرابي كما سيأتي :

س : ها أنت سمعت ما اجاب به يعقوب سامي امامك وعمر رحمي ، فقل لنا جوابك على ذلك .

ج : قد قلت في جوابي المتقدم في هذا الخصوص انه بناء على ما حصل من الخلل في مديرية البحيرة والفتك ببعض الناس من العربان الذين علم ان ذلك كان بواسطة ابراهيم بك الترجمان مدير تلك المديرية ذاك الوقت ، كتب لمديرية الدقهلية بارسال المذكور لديوان الجهادية ، وكتب للديوان بذلك لمحاكمته بالمجلس . واما التلغراف الذي قلت انى لم اره ، فالحق انى لم اتذكر رؤيته وقد يمكن انه حضر مع جملة تلغرافات التي كانت تأتي بكثرة ، جميعها للمعايدة ولكثرة الاشغال كان لا يمكن قراءتها بل اكتفى باسم الراسل واول جملة التي هي كلمة المعايدة ، وحيث ان هذا التلغراف مفتتح بكلمة المعايدة ، فربما انى اكتفيت بالاطلاع على هذه الجملة ولم اكمل تلاوته التي بها عبارة الافراج عن المسجون وما ذلك الا لكثرة الاوراق والاشغال — واما مسألة تعيين **اسماعيل باشا محمد** فلواسطة هجوم النيل ولزوم اخذ الاحتياطات اللازمة لحفظ البلاد من الغرق ، كنت رأيت تعيين سعادته اذا وافق ذلك بالمجلس . لم يكن أمرا بتا ، وكذلك كل من كان يقع عليه مسئولية في شيء فكنت اكتب عنه واطلب النظر في شأنه بالمجلس ، وكذلك لما كثرت الشكوى بالتلغرافات وغيرها من اهالي مديرية اسيوط في حق **عثمان باشا غالب** ، كان كتب أيضا بالنظر في المجلس وبرفع سعادته من المديرية مع الموافقة لتسكين خواطر المشتكين . ولم اتذكر ان احدا خاطبني في أيام العيد في الافراج عن ابراهيم بك مع انه لا لزوم لمخابرتي عن ذلك اذ ليس ذلك من واجباتي .

س : اوضحت بهذا الجواب انك اردت تعيين اسماعيل باشا محمد لتوكيل الاشغال ، لاجل الاجتهاد في أخذ الاحتياطات التي تقي البلاد من الغرق شأن من يكون حريصا على مصلحة البلاد مع انك امرت بقطع جسور الشرقاوية وترعة الاسماعيلية لاجل تغريق مديريتي الشرقية والقليوبية

بتوبيظ كوبرى شبين ، وشرعتم فى قطع سكة حديد منيا القمح وبلبيس بالاتفاق مع محمود سامى وان يكون ذلك بمعرفة مرعشلى باشا واحمد بك ناصر فاند من اسباب ذلك .

وها هى صورة المكالمة التى جرت بينك وبين محمود سامى بالتلغراف فى هذا الشأن موجودة ، اطلع عليها حيث ان محمود سامى اطلع عليها واعترف بها .

■ « من عرابى لسامى :

قد اعطينا الاوامر اللازمة لقطع جسور الشرقاوية وترعة الاسماعيلية لاجل تغريق الشرقية والقليوبية »

■ « من سامى لعرابى :

اذا استحسن يصير قطع السكة الحديد من جهة منيا القمح قطع مهول بالقرب من الزقازيق وكذلك قطع مهول من جهة بلبيس »

■ « الرد من عرابى لسامى :

طيب نبهنا بذلك » .

■ « من سامى لعرابى :

هل ممكن لسعادتكم قطع سكة منيا القمح مثل ما عرفناكم أم كيف . يفاد حالا » .

■ « الرد من عرابى لسامى :

ممكن وجارى اللازم نحو ذلك » .

■ « من سامى لعرابى :

ان وافق يسال من أحمد بك ناصر المهندس عما اذا كان يمكنه تغريق اراضى القليوبية والشرقية بواسطة قطع جسور الشرقاوية والترعة الاسماعيلية كى لا يكون للعدو طريق لمصر خلاف الخانكة » .

■ « الرد من عرابى لسامى :

انه جارى اللازم فى تبويظ كوبرى شبين القناطر وتحرر لمأمور ادارة السكة الحديد ومأمور مركز منيا القمح عن قطع السكة بين الزقازيق ومنيا القمح » .

■ « من سامى لعرابى :

انه لا يجوز السكوت لحد الصباح عن قطع السكة الحديد قطع مهول من فوق منيا القمح وبلبيس حالا مع قطع جسور ترعة الشرقاوية وترعة الاسماعيلية لاجل غرق الشرقية والقليوبية حالا قبل طلوع الصباح وذلك يكون بمعرفة مرعشلى باشا واحمد بك ناصر المهندس واظن انهما الان موجودان بمصر واخبرونا حالا عن راى سعادتكم » .

ج : انه لم تحصل مكالمة بينى وبين محمود سامى بالتلغراف حالة كونه بطلخا وانما بمصر ، وانما ورد تلغراف من محمود سامى لنا ، يرى قطع الجسور والترع المذكورة وحيث ان ذلك يحصل منه ضرر للاهالى فما قبلت ذلك ، بل تحرر منى الى مأمور منيا القمح بقطع السكة الحديد وحررت لادارة السكة الحديد بتعطيل السكة من عند شبين لتوقيف سير الوابورات ، وذلك بعض من الاعمال الحربية التى لا لوم فيها . وخلاف ذلك لم يصدر منى شىء ومع ما ذكر قد صرف النظر عن كل ذلك بواسطة استقرار الراى على المدافعة حرصا على حفظ البلاد .

س : من التحقيقات علم انك مذ كنت ناظر جهادية طلبت رتبة ميرالاى الى السيد قنديل مأمور الضبطية وقتها راسا من المعية ، واحسن بها عليه فى ١٥ جا سنة ٩٩ موافق ٣ أبريل سنة ٨٢ ، وفى اجوبتك الماضية اقريت ان الضبطية لم تكن تابعة للجهادية فكيف ذلك وما هو سبب طلب تلك الرتبة اليه .

ج : ان الضبطيات ليست تابعة للجهادية فى الادارة لكن ترقى الرتب للضابطان الذين اصلهم من الجهادية لا يكون الا بواسطة الجهادية ، ولكون ان المذكور كان محالا عليه ادارة اورطة المستحفظين والقومسيون كما هو حاصل فى مصر ، عرض للمعية السنية من طرفنا بطلب رتبة ميرالاى الى السيد قنديل المذكور ضمن كشف مستحقين الترقى ، وغالبا انه كان سبب طلب الرتبة المذكورة اليه من سعادة محافظ اسكندرية عمر باشا لطفى .

ثم وردت مكاتبة من الداخلية مقتضاها . ان الاحسان على السيد قنديل المذكور برتبة الميرالاى كان بناء على التماس الحربية ، كما وردت بذلك مكاتبة من سعادة كاتب ديوان خديوى فى ١٤ اكتوبر سنة ٨٢ للداخلية وعلم منها تاريخ الاحسان بالرتبة فى ١٥ جا سنة ١٢٩٩ .

س : القانون المتعلق بالقواعد الاساسية فى النظامات العسكرية الصادرة فى ٢٨ شوال سنة ٩٨ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ يقضى البند الثانى والعشرين منه ، بأنه لا يجوز اعطاء رتب جهادية بدون وظيفة فى الجيش او بفروع الجهادية لحد ان توضح فى آخره انه لا يجوز اعطاء رتب جهادية للملكية ، فاعد من اسباب طلب رتبة الى السيد قنديل المذكور بمعرفة نظارة الجهادية ما دام ان البند يقضى بذلك .

ج : ان جميع العساكر الموجودين بالمحافظات والضبطيات والمديريات والبوليس وكل حامل للسلاح ، فهم من ضمن الجيش وان ترقياتهم لاتكون الا بمعرفة الجهادية . هذا منطوق القانون المذكور .

س : يوم خروج العساكر من اسكندرية ، ماذا جرى فى الاشخاص الذين كانوا مسجونين بسبب تهمتهم بواقعة ١١ جونيو سنة ٨٢ والذين كانوا بالليمان ايضا يفاد عن ذلك .

ج : ان المذكورين عليهم خفر خصوصى ولا علم لى بما صار فيهم .

س : بالسؤال من احمد عمارة سوارى الوابورين اللذين كان المتهمون مسجونين بهما فى واقعة ١١ جونيو سنة ٨٢ قال انه فى أول يوم عند الشروع فى ضرب مدافع المراكب على الطوابى ، وكانت العربة محضرة لركوبك امام باب الترسانة ، سالك القبودان المذكور عما يجرى فى اولئك المسجونين فأمرته بالافراج عنهم ، فهل حصل منكم ذلك حقيقة أم لا .

ج : ان هذا الشخص لم آمره ذاتا ولا صفة ولم يخبرنى بأمر مثل هذا ايضا ولا أمرته بأمر مثل ذلك ، اذ ان المذكور له رؤساء يخابرهم عما يلزم له ولا مناسبة بينى وبينه .

س : وجد تلغراف صادر منك لوكيل

الجهادية فى ١٥ اغسطس سنة ٨٢ نمرة ٤٤٦ وصورته ادناه حسبما وجد بدفتر قيد التلغرافات .

■ التلغراف المذكور

« قد علم من تلغراف ورد لنا من سعادة رئيس اركان حرب بالاسماعيلية ، ان على افندى ياور وكيل محافظة البندر المذكور انحاز الى مراكب الانجليز ، وحيث ان هذا وما يماثله عدوين لدينهم وعرضهم وخائنين لوطنهم المغمورين فى نعمه والمترفهين فى خيراته ومن الاقتضاء معاملتهم بحسب طويتهم ، ليكون الجزاء من جنس العمل . فلهذا لزم تحريره لسعادتكم بأمل المذاكرة فى ذلك بالمجلس وما يستقر عليه الرأى يصدر به القرار اللازم بحيث يكون عاما شاملا لمن سبق انحيازهم للعدو ، والذين سوء طويتهم توجبهم للانحياز فى المستقبل والذين تركوا اوطانهم واموالهم واملاكهم فرارا من مقابلة العدو » .

فهل صدر منكم . وما كان القصد من تحريره .

ج : نعم صدر منى ذلك والقصد هو كما تحرر فيه .

س : الجواب الموضح صورته ادناه وجد فى الورق الذى وجد بمنزلك فاطلع على اصله الموجود وتنذ وأفد عن الاربعة مظاريف التى ارسلتها الى مصطفى عبد الرحيم ميرالاى ٥ جى بيادة بجاويش مخصوص ، وما كانت تشتمل عليه تلك المظاريف كما توضح فى حاشيتى ذلك الجواب .

■ وها هى صورة ذلك الجواب :

« سعادتلو افندم حضرتلرى : بعد تقديم الاحترام لجلالة تشريف سيادتكم، انه صدر بلغراف من الحضرة الخديوية معلنا به استعفاء الوزارة ، وان أمر الادارة العسكرية والبحرية تناط بحضرته فعرضنا لجنابه بالتلغراف ولسعادة رئيس النواب باننا غير راضين عن قبول الاستعفاء ، ومن سعادة ناظر جهاديتنا احمد باشا عرابى حيث لم يحصل من سعادته شيئا مخالفا القوانين ولا الشريعةالمحمدية، واننا مستعدين لكل مقاومة تنشأ عن سبب استعفائه ، وانه ان لم يفاد بالتلغراف فى مدة اثنى عشرة ساعة لا نكون تحت مسئولية فيما يحدث — وورد تلغراف من حضرة الجناب الخديوى يفهمنا بانه منظور فى هذا القبيل بمجلس مؤلف من العلماء والقاضى والنواب ورؤساء الجهادية وتنوه بالتلغراف المحكى عنه ان حضرات الضباط العظام الموجودين بالمحروسة ، لما اعلمناهم بذلك قالوا نحن مطيعين للامر ما عدا انهم غير راضين بالنوتة ، فبناء على ماذكر اعرضنا ثانيا بالتلغراف باننا ضامنين الهدوء حتى تنتهى المذاكرة المقال عنها وباخطارنا عن نتيجتها وقتها يفاد هنا بما يلزم . لهذا لزم تحريره لسعادتكم لاخبارية العموم بانه اذا كان رأى المجلس على عدم ابقاء سعادتكم فى مسند نظارة الجهادية ، فننادى برفض الاوامر ومقاومة كل معتدى نأمل المكرم بالافادة فى ١١ رجب سنة ٩٩ .

الامضاءات
قائمقام البوليس
ختم
قائمقام المستحفظين
ختم
سعد ابو جبل
هكمدار ٦ جى بيادة
ختم
على داود
مير ٥ جى بيادة
ختم
مير طوبجية سواحل
ختم
وكيل بحرية
ختم

■ صورة حاشية على الجواب المذكور :

« سعادتلو افندم :
من بعد تحريره وتعيين ولدنا محمد افندى ابراهيم لقيامه وحضوره به لذاك الطرف ، تصادف حضور رافعه ومعه الاربعة مظاريف، فجرى استلامهم منه والعمل نحو ما اشير انما ضرورى فى افادتنا عما توضح بالمتن عن يد مخصوص واستغنى الحال عن ارسال الافندى المذكور لوجود الجاويش افندم .

ختم
مصطفى عبد الرحيم

■ صورة حاشية ثانية :

« التلغرافات الحاكين عنهم بهذا الخطاب هم بصفة ما ورد بالمظاريف يكون معلوم .

ختم
مصطفى عبد الرحيم

ج : نعم هذا الجواب ورد لى واطلعت عليه ، ومنه يعلم لكل مطلع انى مقهور على كل شىء صار اجراؤه ، ويعلم ايضا انه ماكان يمكن التوجه الى اوربا ولا الى الاستانة ، وان الناس لم ترض بقبول اللائحة السابقة الذكر باقرار نفس الحضرة الخديوية بذلك كما هو واضح بصورة التلغرافات الواضحة بهذا الجواب ، وانى لو خرجت الى اوروبا او الى الاستانة لتعلق الناس بى فى هذا الوقت لمنعونى كل المنع بل لاضروا بحياتى ، واما الجاويش الذى ارسل بالاربعة مظاريف فتلك كانت مظاريف داخلها عرايض للضابطان اللذين صار ترقيتهم هناك.

س : ممن كنت مقهورا على اجراءاتك كما اوضحت .

ج : كنت مقهورا من افكار الناس المتضاربة كما هو واضح بالجواب المذكور .

(اعيد الى السجن فى تاريخه فى جلسة قبل الظهر وصار استحضار احمد عرابى ثانيا فى جلسة بعد الظهر فى يوم السبت غرة الحجة سنة ١٢٩٩ ووجهت اليه الاسئلة المحررة أدناه فأجاب عنها كما يأتى) :

س : بجوابك الذى اوضحته عن الاربعة مظروفات التى ارسلتها الى اسكندرية، قلت ان تلك المظاريف كان فيها عرايض رتب لمن ترتوا بتلك الجهة ، مع ان هذا ينافيه ماهو مسطور بالحاشية الثانية من الجواب الوارد لك من الضابطان الرؤوس اللذين باسكندرية الذى سبق اطلاعك عليه وصار نسخ صورته فى هذه المذكرة والمنصوص فى تلك الحاشية مانصه : « **التلغرافات الحاكين عنهم بهذا الخطاب هم بصفة ماورد بالمظاريف يكون معلوم** » وهذا دليل قوى ثابت على ان اجراءاتهم كانت بتعليمات منك لامحالة فأفد عن ذلك .

ج : تلك الحاشية لااعرف لها معنى ، ومع ذلك لدى سؤال محررين الجواب المذكور ، يتضح حقيقة ماكان بالمظاريف التى كنت ارسلتها اليهم حيث لايكون بفكرى غير ماسبق ايضاحه .

س : مما هو موضح بالحاشية المذكورة يتضح ان المذكورين ماكانوا يجرون شيئا الا بتعليمات منكم ، والمتبادر انه عند سقوط وزارة محمود سامى وعزلكم من نظارة الجهادية ، تجمعتم بمنزل سلطان باشا وحصل منكم وممن

معكم القنسلط على زجوعكم فى نظارة الجهادية ، واجريتم ماجريتموه مما هو واضح بهذه المذاكرة . وصار تبليغ مانرغبونه بتلغراف او غيره سواء كان منكم او من احد عصبنكم الى الرؤوس الموجودين باسكندرية ، وهم حرروا ذلك التلغراف للمعية السنية وفى عقبه ارسلتم لهم تعليمات فى تلك المظروفات بيدجاويش خصوص وقد جاءت بصفة ماحرره . وفى هذا وما سبق اقرارك به من ان جميع ضابطان الالايات تحت رايك صار متضحا ومثبوتا ان كافة الاجراءات التى توقعت من زمن العسكرية فى كل الوقائع ، وفى مقتلة الاسكندرية فى ١١ جونيو ١٨٨٢ والنهب والحريق الذى حصل باسكندرية فى يوم ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ ، كل ذلك كان بأمرمنك وتعليماتك الى الرؤوس المذكورين واثبات ذلك ماحصل من السيد قنديل فى السحابة بمنزله قبل واقعة ١١ جونيو سنة ١٨٨٢ وعدم خروجه لاجراء تسكين الفتنة فى تلك الواقعة وكون المذكور منسوبا اليك وانت الذى رقيته الى رتبة اميرالاى ، وكذلك ماحصل من سليمان سامى فى عدم ارسال العساكر لمنع المقتلة فى ١١ جونيو سنة ١٨٨٢ فى حالة طلب ذلك بمعرفة المحافظ ، وكونه هو الذى باشر نهب وحرق اسكندرية بنفسه وبواسطة ضباط وعساكر آلا ، وبلغ البك ذلك فى الوقت الذى كان جاريا مباشرة العمل فيه وقبله ، ولم تهتم بارسال قوة عسكرية مما كان تحت ادارتك لمنع ماذكر خصوصا وماهو مثبوت من ان سليمان سامى المذكور من اخص معتمديك فاند من ذلك .

ج : جميع ماذكر فى هذا السؤال من شبه ماتوقع من بعض اناس او لم يتوقع منهم ولم يثبت عليهم شىء ولم يحاكموا عليه والافصاح بأن ذلك لايكون الا بتعليمات منى ، فقد اعطى عنه الاجوبة الكافية عند ذكر كل مسالة على حدتها ، وانه حقيقة ان جميع فروع الجهادية لايجرون شيئا الاعلى حسب مايصدر لهم من الاوامر من ديوان الجهادية تحريرا بل من الجواب المستندين عليه . هذا يثبت كل الاثبات بأن مافعلوه باسكندرية من تحرير التلغرافات للمعية السنية هو من بادىء رايهم ، لادخل لى فيه كما هو واضح ، وكيف يعقل ان الاستعفاء حصل ليلا وفى صباح اهل اسكندرية يجرون امورا على حسب تعليماتى اللهم الا اذا كان بواسطة التلغراف .

فان كان هناك تلغراف تحرر منى بذلك كما تنوه بالسؤال المعطى الى فأتونى به لانظره . واما عدم خروج مامور الضبطية عند حصول حادثة ١١ جونيو سنة ٨٢ فذاك مثبوت ومعلوم للمحافظ وغيره انه اصيب بداء الشلل الجانبى من قبل ذلك بأيام وانى لم اكن موجودا باسكندرية ولم اعلم تلك الحادثة الا من نطق الحضرة الخديوية ، وقلت بأجوبتى المتقدمة انى لست مسئولا عن اهمال المحافظة او مامور الضبطية وليس هو منسوبا الى كما قيل ، بل ولا لاحد يعبر عليه بهذه اللفظة .

س : من الاوراق التى ضبطت بطرف بعض الضباط وجد الجواب المحررة صورته ادناه .

■ صورة الجواب :

« لحضرة حامد بك امين ولحضرة محمد بك الزمر ، انا وحضرات الباشوات وكافة اخوانكم الضباط يسلمون على حضرتكم وحضرات الضباط وبعد ، فاخبركم بان هيئة النظارة استعفت لامر سياسى فلا تهتموا فى هذا الامر مطلقا . لاننى وان كنت استعفيت من نظارة الجهادية ، لكن لم استعف من رئاسة الحزب الوطنى ، واعلموا يقينا ان المحافظة على الهدوء والامن العام ضرورية جدا فيلزم ان تؤكدوا على حضرات الضباط والعساكر وتفهموهم بان هذا الاستعفاء لايضر بشىء بل من المحقق انشاء الله تقدم الاحوال وغاية مااوصيكم به هو المداومة على اشغالكم الوطنية بغاية الجد والاجتهاد مع المحافظة على الهدوء والسكون ولاتمشوا خطوة ولا تفعلوا فعلة ، الا بتعليمات وتعريفات منا وفى ذلك كفاية .

تحريرا فى ٩ رجب سنة ٩٩

الامضاء رئيس الحزب الوطنى

ختم

« احمد عرابى »

وهذا هو صادر منكم حررتموه عقب استعفائكم من نظارة الجهادية عند سقوط نظارة محمود سامى وعليه امضاؤكم باسم رئيس الحزب الوطنى ومختوم بختمكم ، ومن ضمن ما اوضحتموه فيه انه ولو صار استعفاؤكم من نظارة الجهادية لكن لم تستعفوا من رئاسة الحزب الوطنى وختمتم القول فى هذا الجواب بأنهم لايمشون خطوة ولايفعلون فعلة الا بتعليمات وتعريفات منك فاطلع على اصله هذا الموجود الان المؤرخ ٩ رجب سنة ١٢٩٩ وافد عن اقوالك فيه .

ج : قد اطلعت على جواب محرر منى الى حامد بك حكمدار ٧ جى بيادة قوئانمقام الايه محمد الزمر بحصول استعفاء النظار وان هذا الاستعفاء لايترتب عليه ضرر ، واوصيتهما فيه بدوام السكون والراحه وعدم حصول شىء يخل بمصلحه الوطن الخ . نعم هذا الجواب محرر منى ، واسبابه ان حضرات قناصل جنرال ايتاليا والنمسا والبروسيا والروسيا حضروا لمنزلى فى صبح ليله الاستعفاء وحصل عندهم كدر شديد ، وكلفونى بأن اعطيهم قولى على ان الاوروباويين واموالهم فى امن حيث انهم يخشون عليهم ، فأجبتهم بأنى اليوم مرفوت من الخدمة ولاموجب لهذا الطلب منى ، فالحوا على بأن ذلك لايمكن وانه متى اعطيتهم تأمينا تطمئن خواطرهم حيث انهم يتحققون ان العساكر لايفعلون شيئا مادمت كافلا للراحة العمومية ولو كنت فى غير الخدمة ، فاجابة لطلب حضراتهم واعتمادا على وثوقى بأن العساكر لايأتون بضرر للاجانب او للاهلين فأعطيتهم قولى بان لاخوف على الاوروباويين ولاعلى اموالهم ، وانى احفظهم كحفظ نفسى وذلك لكل من كان من الاوروباويين فى البلاد المصرية . فكان من التكليف داعيا لى بأن ارجو ضباط العساكر بالمداومة على الامن والراحة وعدم مايخل بشأن الراحة العمومية او مصلحة البلاد لحين تشكيل هيئة نظارة تكون مسئولة عن ذلك ، وحيث لم يكن لى صفة فى خدمة الحكومة وضعت امضائى بلفظ رئيس الحزب الوطنى ، وان هذا الجواب لايدل الا على شدة حرصى على راحة البلاد العمومية وحفظها حتى ولو كنت فى زمن البطالة ، وانى لاآمر الا بما فيه الخير للبلاد ، ومن كانت هذه صفته فلا يصح ان ينسب اليه فعل الشر .

س : قد تعجب القومسيون من ادعائكم بهذا الجواب انكم اردتم حصول الامن والراحة اللذين تكفلتم بهما لحضرات القناصل ، مع انه لم يمض على ذلك سوى ١٥ يوما حتى وقعت مقتلة اسكندرية الشنيعة التى حصلت فى ١١ جونيو سنة ١٨٨٢ حالة كونك كنت ناظر الجهادية . واتضح من التحقيقات تداخل بعض عساكر المستحفظين فيها ، كما وان عساكر الالايات الذين كانوا باسكندرية لما دعوا من المحافظة للحضور لمنع تلك المقتلة ، لم يجيبوا طلب المحافظة بل تأخروا لحد الغروب حتى تمكن الفاعلون من القتل والنهب وبذلك نزع من العموم الامن الذى قلتم انكم تكفلتم به ثم الم تعلموا انه بالممالك المنتظمة ووجود الحضرة الخديوية بمقر الحكومة لايجوز وجود احزاب حتى تمضوا تلك المكاتبة بصفة رئيس الحزب فهل تصرح لكم من الحضرة الخديوية بذلك ، وان كان لم يتصرح

لكم فهلّ جعل نفستم رئيسا لحــزب داخل الحكومة لايعد عصيانا ، وان كنتم ترتكنون على عدم وجود وظيفة لكم وقت تحرير هذا الجواب فـمـا كان يمكن ان توضعوا فى الامضاء ناظر الجهادية سابقا كالجارى ممن يرفتون من مأمورى الحكومة .»

: من المعلوم ان مصر مسكونة بأجناس مختلفة ، وكل جنس منهم يعتبر حزب كما ان اهل البلاد حزبا قائما بذاته يطلق عليه لفظ فلاحين اذلالا لهم ، وحيث كان اهل البلاد انابونى بطلب مايكفل لهم الحرية وحفظ الحقوق وكنت انا القائم بطلب ذلك ولم تكن لى صفة فى الحكومة فى هذا الوقت فوصلت امضائى بذلك ليكون فيــه مناسبة فى عدم اقدامى على امريخل بالراحة العمومية كما هو واضـــح بالجواب المذكور ، وليس ذلك يعد عصيانا لان كل امة من الامم فيهــا احزاب قائمين بحفظ حرية بلادهــم والمدافعة عن حقوقها واما حــدوث مسألة ١١ جونيوسنة ١٨٨٢باسكندرية فهذا كان بعد انقضاء مدة تلك الكفالة، وان ماكان يلزم لحسمها وتداركهــا فقد اوضحنا عنه بالاجوبة المتقدمــة، ومع ذلك فان التنبيهات والتحذيرات لاتغنى من القدر شيئا ، وان هى الا عن افكار تطرا على الانسان فيبلغها احتراسا مما عسى ان يقع كماجرت بذلك عادة الانسان .

س : قد تكرر منك القول بالافتراء بانك نائب عن الامة ، فابرز الحجج التى بيدك تثبت لك هذه النيابة ، اذ الامة نوابها موجودون وهم اعضاء مجلس شورى النواب المعلومون رســميا للعموم ، وانك لم تكن منهم .

ج : جواب هذا السؤال تقدم فى صدر اجوبتى بهذه المذاكرة .

(أعيد الى السجن فى غرة الحجة سنة ١٢٩٩)

الجلسة الخامسة

بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاثنين ٣ الحجة سنة ١٢٩٩ ، طلب احمد عرابى من السجن ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه فاجاب عنها بما يأتى :

س : قد وجد فى الاوراق التى ضبطت ، ورقة محررة منك فيها صــورة سؤال استفتاء من العلماء عن جــواز عزل الجناب الخديوى لاســباب تمويهية مخترعة فى تلك الصورة) فما هى الورقة المذكورة . اطلع عليها وافد.

صورة الاستفتاء المذكور

« ما القول فى حاكم مولى من طرف سـلطان المسلمين على ان يعدل فى الناس ويقضى باحــكام الله فنقض العهد واحدث الفتن بين المسلمين وشق عصاهم ثم انتهى به الامر الى ان اختــار ولاية غـير المؤمنـين على ولاية المؤمنين وطلب من الامم الخارجة عن الدين القويم ان ينفذوا قوتهم فى بلاد حكومتــه الاسلاميــة ، وحمــل رعاياه على ان يدينــوا ويخضعوا لتلك القوة الاجنبية . وبذل عنايته فى المدافعة عنها ، ولما دعاه المؤمنون للرجوع عن ذلك ، ابى وامتنــع واصر على الخروج عن طاعــة السلـطان والمروق من الشريعة ، فهليجوز شرعا ان يبقى هذا الحاكم حاكما حتى يمكن قوة الاجانبمن السلطة فى البلاد الاسلامية ، او يتعين فى هذه الحالة عزله واقامة بدل له يحافظ على الشرعويدافععنه» افيدوا الجواب . »

ج : اطلعت على الورقة المذكورة ولمتكن بخطى ولا كانت بطرفى .

س : هل لا تعلم بها كليا .

ج : لا اعلم بها كليا .

س : هل تعرف الخط المحرر بها هــو خط من

ج : لا اعرفه هو خط من

س : هذه الورقة ضبطت ضمن الاوراق التى ضــبطها عســاكر الانجليز من منزلكم ووردت بالقومسيون منطرفكم مترجمة بظاهرها بالانكليزى كما صار اطـــلاعكم عليها فاذن لم يكن لــكم معلومات بها فكيف توجد بمنزلكم .

ج : يمكن انها ضبطت بالمنزل من ضمن الاوراق ، ولا يبعد انها كانت مـــع احد الناس وتركــها على الترابيزة التى عليها الاوراق .

س : فى مدة ايام سقوط وزارة محمود سامى كنتم جارين تحرير محــاضر بمنزلكم بعزل الجنــاب الخديوى ، وجارين احضــار الاهالى والعلماء لتختيمهـم عليهــا بالجبر منهـــم واستحضارهم لمنزلكم كان بواسطـــة ضابطان من آلايات واشـــخاص من مستخدمى الضبطية كما هو متضحمن التحقيقات التىجرت بهذا القومسيون فافيدوا عن اسباب ذلك .

ج : لما تقدمت اللائحة المقدمة من جناب قنصلى دولتى الانكليز وفرنسا وقبلها الخديو ولم تقبلها النظارة ، وحضر اعضاء مجلس النواب واشيع ذلك بين الناس ، تقاطرت الناس افواجا افواجا من المـديريات والمحافظات ومصر واسكندرية لرفض اللائحـــة المذكورة ورفض من يقبلهــا محررين بذلك اعراضات ومحاضر ، فهــل كذلك كان كل هذا جبرا عن الناس وكنت انا الجابر لهم ، الحــق ان جميع المسلمين ثاروا لقبول هــذه اللائحة وانكروها غاية الانكار ، بل ان جميع المصريين انكروها لما فيها من التداخل فى امور البلاد الداخلية.

س : الى اين تقاطر الناس ، هل الى منزلكم او لاى جهة ، وهــل كانت المحاضر التى يحررونها ترد اليـكم مختومة او تختم بمنزلكم ، وما الذى اجريتموه فى ذلك .

ج : كانت تأتى المحاضر مختومة ، وكان حضور الناس بها جهرا الى مصر لا خفية وبحضور جميع الناس لمنزلىاو

المنزل رئيس النظار محمود سامى ، كانوا يأتون بها ، ويقدمونها الينا اعلانا بعدم قبولهم اللائحة المذكورة ومن يقبلها ، وكان ذلك بحضور اعضاء مجلس النواب وكلهم مصادقون على ذلك ، وكما قلنا اولا ، ان الامة المصرية لم تخطىء فى هذه الطلبات وكانت تلك المحاضر باقية بطرف اربابها ، وبحضور دولتلو درويش باشا وتشكيل وزارة راغب باشا وصدور العفو العمومى ، صرف النظر من هذا وذاك .»

س : من اقوالك يعلم انك لم تستحضر احدا الى منزلك واجريت تختيمه على تلك المحاضر فهل كان ذلك ام كيف ؟

ج : نعم ولكن المحضر المقدم من اهل مصر العاصمة عند حضوره وتلاوته ، قام اناس من الموجودين من النواب والعلماء وغيرهم الذين لم يسبق ختمهم وختموا عليه فى منزلنا .»

س : هل انتم ختمتم ايضا عليه معهم .

ج : لا اذ لا لزوم لختمى عليه »

س : ما دام ان هذا المحضر صار تختيمه بمنزلك فماذا صار فيه واين يوجد الان .»

ج : صار تمزيقه لحصول العفو وانتهاء المسألة بتشكيل وزارة راغب باشا .

س : هل المحرر بذلك المحضر كان معينا فيه من يلزم تعيينه بدل الجناب الخديوى .»

ج : لا وانما كان الغرض من المحضر ان يعرض على الذات الشاهانية على يد الوفد الذى اعلن التلغراف بحضوره ، ولم يكن عين به شخص معلوم ، اذ ان ذلك واضح بالفرمان الهمايونى

(ثم أعيد الى السجن فى ٣ الحجة سنة ١٢٩٩)

الجلسة السادسة

بناء على ما تقرر بجلسة يوم ٥ الحجة سنة ١٢٩٩ صار طلب أحمد عرابى من السجن وسئل فاجاب كما يأتى :

س : فى يوم الاربعاء ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ ، هل لم يحضر اليك احد ويخبرك بان سليمان سامى وعساكره شرعوا فى نهب البلد وعزموا على حرقها .

ج : قدمت بجوابى انه وقت حضورى من الرمل ، وجدت العساكر والاهالى خارجة بالازدحام وصرت اتخلل وامنع العساكر من الخروج ، وبعدها اخبرت بان سليمان سامى هو والعساكر عازمون على نهب وحرق البلد ، فارسلت استحضرته وسألته فانكر ذلك ، ولما كان ذلك وجدت مع بعض العساكر امتعة بقلة وظلمت انها لا بد أن تكون من المنهوبات فامرت بجمعها كما اوضحت قبل الان .

س : هل فى ذاك الوقت لم تأمر عيد بك بارسال عساكر من الآلاى لمنع العساكر والاهالى من الخروج من البلد .

ج : نبهت على عيد بك وهو واقف فى الميدان امام الالاى وعلى كل ضابط اقابله ايضا ، بانهم يجرون منع العساكر فقط من الخروج من البلد .

س : لم تأمر عيد بك بشىء آخر

ج : لا .

س : هل لاتتذكر انك نظرت داود قائمقام مستحفظين أسكندرية فى هذا اليوم .

ج : لست متذكرا .

س : هل فى يوم الاربعاء ١٢ يوليو سنة ١٨٨٢ صباحا ارسلت محمود فهمى وخليل كامل الى كفر الدوار لاجل عمل الاستحكامات .

ج : نعم انه بحضور محمود فهمى وخليل كامل تذاكرنا فى المحل الذى يليق لتجمع العساكر فيه عند الاقتضاء اذا اخرجت العساكر من أسكندرية ، بحيث ان ذلك المحل يكون موافقا للمدافعة ايضا فقلت لهما ان يتوجها فى يوم الاربعاء المذكور صباحا .

س : فى يوم الجمعة صباحا اذ كنت بعزبة خورشيد او بكفر الدوار قد ارسلت محمود فهمى وسعد ابو جبل قائمقام البوليس فى رفاس الى اسكندرية فلاى سبب ارسلتهما .

ج : يوم الجمعة كنت توجهت الى كفر الدوار وصار تخطيط المحلات التى لزمت للعساكر ولم اتذكر انى ارسلت المذكورين لاسكندرية بعد ذلك .

(اعيد الى السجن فى ٥ ذى سنة ١٢٩٩) .

وبناء على الافادة الواردة من لجنة تحقيق قضايا الاقاليم نمرة ٦ علم من اوراق قضية عبد الرازق افندى علوان وكيل مديرية البحيرة سابقا انه ارسل لاحمد عرابى اثنين تليانية ولم يستدل على اعادتهما تقرر بطلب احمد عرابى من السجن وحضر ومعه موسيو برودلى الافوكاتو الموكل عنه وسئل فاجاب كما يأتى :

س : علم ان وكيل البحيرة ارسل اثنين تليانية بافادة رقم ٢٨ ذا سنة ٩٩ نمرة ١١٧٧ ، احدهما يسمى فيطانو فضالو والثانى قليار فضالو فيقتضى ان تفيد عما صار بالاثنين التليانية المذكورين .

ج : ان النفرين المذكورين لم يحضرا لطرفى قط .

س : وكيل المديرية المذكورة ارسل لك قبلها اثنين شوام وارسلت له جوابا بوصولهما .

ج : الاثنان شوام المذكوران لم يحضرا لطرفى ايضا مطلقا وانى متحقق ذلك .

س : من افادة اللجنة التى تليت عليك واطلعت عليها ، متضح ان الاثنين شوام وصلا لطرفك من وكيل المديرية ، واجريت اعادتهما بافادة فى ٢ ان سنة ٩٩ فكيف تقول بعدم حضورهما .

ج : اريد الاطلاع على الافادة المذكورة .

س : قد صار استحضار صورتها حرفيا من أوراق قضية عبد الرزاق افندى وكيل المديرية وتليت عليك حرفيا فجاوب .

ج : تذكرت ان الاثنين شوام حضرا حقيقة لطرفنا بكفر الدوار وصار اعادتهما للمديرية بموجب الخطاب المحرر منا .

س : قد تلى عليك الخطاب المحرر من وكيل المديرية ومرسول معه النفرين التليانية برفقة سليمان عمارة

وعسكرى من خدمة المديرية ، فهل متحقق من عدم حضورهما من المديرية ام كيف .

ج : لم يخطر بفكرى اصلا حضور اثنين تليانية من المديرية المذكورة لطرفنا بكفر الدوار .

(اعيد الى السجن)

اعضاء	
محمد مختار	يوسف شهدى
مصطفى راغب	سليمان يسرى
محمد زكى	سعد الدين
مصطفى خلوصى	على غالب
محمد حمدى	اسماعيل أيوب
	(رئيس القومسيون)

الجلسة السابعة

محضر يوم الاربعاء ٢٨ القعدة سنة ١٢٩٩ عن تداعى العرابى :

(بناء على ما تقرر من القومسيون فى يوم تاريخه الذى هو يوم الاربعاء الموافق ٢٨ ذى القعدة سنة ١٢٩٩،صار تعيين لجنة مركبة منا نحن الواضعين أسماءنا وأختامنا فيه لتحقيق ما ادعى به احمد عرابى على ابراهيم اغا التتنجى وقد صار استحضار أحمد عرابى من السجن وسئل فأجاب بما ياتى) :

س : علم للقومسيون مما قيل منكم لجناب الكولونل ولسن حال مروره على الاوض المقيمين فيها المسجونين، ان ابراهيم اغا التتنجى حضرلطرفكم ليلة الاحد الماضى وتعدى عليكم ، فما هو هذا التعدى وباى صورة كانت وفى اى وقت .

ج : الساعة تسعة ونصف افرنكى فتح باب الاوضة التى انا فيها فكنت نائما وقتها ، واذ دخل اناس كثرون لا اعلم عددهم لكون الاوضة مظلمة ليس فيها نور ثم قال لى قائل منهم يا عرابى بصوت مزعج فقمت من نومى فزعان وقلت ماذا تريد ، فقال لى اما تدرى من انا ، فقلت له لا ، اعلمنى باسمك وماذا تريده منى فى هذا الوقت ، فقال انا ابراهيم اغا يا ابن الكلب يا خنزير ثم تفل على ثلاث مرات بصورة قبيحة وكلام قبيح ، فما امكننى ان اجاوبه فى هذه الحالة وفى هذا الوقت ، ثم مكث على هذا الحال نحو الثمانية دقائق وخرج مع من معه وعلمت انه هو ابراهيم اغا تتنجى الحضرة الخديوية الذى كان سبق خروجه من مصر فى مدة سرقة مجوهرات شبقات الخديوى .

س : هل لم يتكلم معكم احد خلاف ابراهيم اغا فى تلك الليلة .

ج : نعم فى اليوم الذى حضرت فيه الى تلك الاوضة لم يدخل على احد وازعجنى بكلام غير ابراهيم اغا وفى هذه الليلة ايضا .

س : هل الاشخاص الذين كانوا مع ابراهيم اغا نعرف منهم احدا .

ج : لا اعرف منهم احدا لكون الاوضة كانت مظلمة كما قررت .

س : من الذى فتح الاوضة .

ج : الذى اعلمه ان الصاغقول اغاسى الخفير هو الموكل بفتح الاوض ، ولا يمكن لاحد ممن معه فتح الاوضة التى انا فيها الا باذنه .

س : هل الصاغقول اغاسى دخل الاوضة مع من دخلوا مع ابراهيم اغا .

ج : لم الحقق ذلك بسبب الظلمة فى الاوضة .

س : الاشخاص الذين صار دخولهم كان بينهم احد لابسا ملابس عسكرية .

ج : الظلام منعنى من رؤيتهم .

س : من ابتدا حضوركم للسجن لحد الان هل لم يحصل شىء مثل ماحصل فى هذه الوقعة .

ج : نعم . يوم الخميس فى ٥ اكتوبر سنة ٨٢ حضرت برفقة الكولونيل بتن الانكليزى من الاوضة التى كنت مقيما فيها فى مقر الانكليز بقشلاق عابدين الى هذا السجن المصرى فصار ادخالى الى اوضة خلاف الاوضة التى انا فيها الان ، وبعد دخولى اليها حضر الصاغقول اغاسى الموكل اليه امر السجن وفتشنا واخذ منا سندا ماخوذا على احد معاونى الضبطية ، باستلام اختام حرم وكريمة المرحوم محمود بك اللتين كانتا فى وصيتنا ، ومن جملة ذلك ورقة فيها مذاكرة عن اسباب الحوادث التى طرات على مصر فى الايام الاخيرة كان جرى تحريرها لاجل اخذ ما يلزم منها عند الاقتضاء ، واخبرنا المذكور انه سيعرضهم على المجلس ثم بعد ساعة حضر جمع كثير ودخل على الاوضة فيهم اغاوات من القواصة الترك الذين بمعية الحضرة الخديوية ومعهم تشريفاتجية اعرف منهم حضرة حسين افندى فوزى ،ثم تقدم الى احد القواصة بصورة هائلة مزعجة وقال لى قم فقمت ، وقلت له ماذا تريد ، فقال اريد افتشك ومد يده الى وصار يفتشنى حتى اخرج الجزمة من قدمى وفتشها ايضا فلم يجد معى شيئا الا جملة احجبة كانت تحت ملابسى وهى ليست بشىء وانما كان حملها بسبب ان أولادى كانت تموت بداء التشنج فى حال الصغر ولم تجدهم نفعا أدوية الحكماء ففزعنا وعلى حسب اعتقاد الناس فى التحفظ على الاولاد تحمل تلك الاحجبة وبالواقع حفظهم الله بسبب ذلك . ثم بعد ساعة حضر اناس قواصة اخر ترك ومعهم جاويشية مراسلة من مراسلة المعية والحضرة الخديوية واجروا تفتيشى وتفتيش السجادة والغطاء فلم يجدوا شيئا ، فبقى باقى يومها وليلتها بصفة خفر على الاوض ولم يحدث منهم ما يكدر الخاطر .

س : هل تعرف منهم احدا وان كان حضورهم باوامر ام لا .

ج : لم اعرف منهم خلاف حسين افندى فوزى فهو الذى يعلمهم ،وماسالتهم ان كان حضورهم بامر ام لا .

(وبعد ذلك أعيد الى السجن) .

وصار استحضار الصاغقول اغاسى وتوجه اليه الاسئلة المبينة فاجاب عنها بما ياتى :

س : احمد عرابى تشكى على انه فى ليلة الاحد ٢٥ ذا سنة ٩٩ الساعة ٩٫٣٠ تسعة ونصف افرنكى يعنى الساعة ثلاثة ونصف عربى تقريبا فتحت الاوضة ودخل عليه جملة

اناس بما فيهم ابراهيم اغا التتنجى فكيف حصل ذلك .

ج : لم يصر فتح اوضة احمد عرابى ولم يدخل احد عليه فى تلك الليلة .

س : هل يمكن فتح احد اوض المسجونين بغير امركم .

ج : لا يمكن فتح احد الاوض الابامرى .

س : فأفد من اسم الخفير الذى كان على تلك الاوضة ومفتاحها مع من .

ج : الخفير المقيم بالجهة التى فيهما اوضة احمد عرابى هو **مصطفى سليمان** والذى معه مفتاح الاوضة المذكورة والاوض المجاورة لها هما **طلعت عزمى وياور صدقى الصغير .**

(وقد انصرف المذكور وصار استحضار مصطفى سليمان الذى كان خفيرا على أوضة أحمد عرابى فى ليلة الاحد وسئل بما ياتى) :

س : ما اسمك وما وظيفتك .

ج : اسمى مصطفى سليمان ووظيفتى خفير على السجن .

س : علم الك كنت خفيرا على السجن فى ليلة الاحد من بعد الساعة ثلاثة لحد الساعة ستة فهل كنت خفيرا فى تلك الليلة وفى الوقت المذكور ام لا .

ج : نعم كنت خفيرا فى الليلة المذكورة وفى الوقت المحكى عنه من جهة يمين السلالم .

س : الجهة التى كنت واقفا فيها خفيرا فيها اوضة من ومن وهل اوضة عرابى من ضمنهم .

ج : اعرف اوضة عرابى واوضة عبد العال اما باقى الاوض لم اعلم من فيهم .

س : هل دخل على اوضة عرابى فى تلك الليلة والوقت المذكور احد فى مدة خفرك .

ج : لم يدخل احد .

(قد صار صرف المذكور وصار استحضار طلعت عزمى وياور صدقى الصغير اللذين معهما المفاتيح ، وسئلا بما ياتى) :

س : ما اسمكما وما وظيفتكما ؟

ج : اسم احدنا ياور صدقى الصغير وثانينا طلعت عزمى ، ووظيفتنا سجانين ومعنا مفاتيح الاوض التى على الجهة اليمنى من السلم .

س : المفاتيح التى معكم من ضمنهم مفتاح اوضة عرابى ام لا .

ج : نعم .

س : هل صار فتح الاوضة المذكورة ودخل اليها احد فى ليلة الاحد الماضى

ج : فى الليلة المذكورة لم يصر فتح الاوضة ، ولم يدخل اليها احد ، واذا لزم فتحها لاجل ادخال يمك او ماء او لاجل خروج المذكور لازالة ضرورة ، فيكون بحضور الصاغ والبكباشى .

س : فى الليلة المذكورة هل تركتم المفاتيح فى جهة ما او اعطيتموهم لاحد .

ج : لا يمكننا ترك المفاتيح ولا اعطيناهم لاحد .

(قد صرف المذكوران ، وصار استحضار الصاغقول اغاسى لاستجوابه عما حصل فى يوم الخميس ٥ اكتوبر سنة ٨٢) :

س : فى يوم الخميس ٥ اكتوبر سنة ٨٢ الذى هو يوم حضور العرابى للسجن هنا ، اانت كنت موجودا ام لا ؟

ج : بوقتها لا انا ولا البيكباشى ترتبنا ولم يصر حضورنا هنا .

(وقد تقرر باطلاع رئيس القومسيون عن مخابرة الداخلية بحجز الصاغقول اغاسى والاثنين الخفراء وهما مصطفى سليمان وخليل برازى اللذين كانا خفيرين على اوض أحمد عبد الغفار واحمد عرابى حجزا موقتا بقشلاق البوليس المجاور للضبطية تحت اذن اللجنة وتحرر تذكرة للداخلية عن ذلك فى ٢٨ ذى سنة ٩٩ ، ثم فى الساعة ٩ عربى من يوم تاريخه الذى هو يوم الاربعاء الموافق ٢٨ ذى سنة ٩٩ ، تصادف حضور ابراهيم اغا التتنجى بناء على سابقة الطلب وسئل منه عما ياتى) :

س : ما اسمك وما وظيفتك .

ج : اسمى ابراهيم حلمى ووظيفتى تتنجى باشى الحضرة الخديوية .

س : فى ليلة الاحد الماضى الموافق ٢٥ ذى سنة ٩٩ هل حضرت الى محل الحبسخانة التى فيها المسجونين ودخلت اوضة احمد عرابى واحمد عبد الغفار ام لا .

ج : لم احضر الى هذا المحل ولم ادخل عند احد من المسجونين ولم يكن لى شغل عندهم .

س : قد تلى عليك ما قاله احمد عرابى وما قاله احمد عبد الغفار فى حقك فما جوابك .

ج : لم احضر ولم يحصل منى شىء مثل ما قيل من المذكورين ، خصوصا انهم قالوا بانى حضرت الساعة ثلاثة ونصف ، مع انى فى الليلة المذكورة كنت بخدمتى بطرف الحضرة الخديوية لحد الساعة خمسة ونصف ليلا ، حتى دخل جنابه العالى الى الحرم وهكذا فى كل ليلة لم يمكن ترك محل خدمتى الا بعد دخول الخديوى ، واسالوا من المعية السنية عن ذلك حتى وبالنهار لا يمكننى الانفصال من محل ماموريتى الا بعذر ضرورى وبأمر مخصوص .

تواصل الطليعة فى الاعداد القادمة نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع بقية العرابيين .

(قد استقر حضور كل من أحمد عبد الغفار وأحمد عرابى ليصير مواجهتهم مع ابراهيم أغا وعلى هذا صار حضور أحمد عبد الغفار اولا . وثانيا قد صار حضور أحمد عرابى وتورى لهم ما اجابه ابراهيم أغا عن عدم حضوره بالكلية فكل منهم أجاب بان ما حصل لهم ابدوه بأجوبتهم ، كما وابراهيم اغا اورى امامهم على انه لم يحضر الى هنا مطلقا الا فى هذا اليوم ، وان بينه وبينهم جميعا عداوة من قديم والجميع يعلمونها وقد صار انصراف ابراهيم اغا) .

(واعيد المسجونين الى السجن فى تاريخ ٢٨ ذى سنة ٩٩) .

اعضاء

سليمان يسرى — **يوسف شهدى**

ختم — **ختم**

ملخص ماصار اجراؤه بحضور موسيو بيمن الانكليزى

« حيث انه من التحقيق الذى صار اجراؤه بمحضر نمرة ١ المختص بتحقيق لدامى احمد عبد الغفار ، وبمحضر نمرة ٢ المختص بتدامى احمد عرابى ، لم يظهر تأثير اكيد بالدعوى لمناسبة ان ابراهيم اغا المدعى عليه انكر الحضور ، كما والخفر او الاشخاص الذين معهم مفاتيح السجن والصاغقول اغاسى ايضا افادوا بعدم حضور احد ، فلهذا لم ير شدة ضرورة لحجز الصاغقول اغاسى والخفيرين مما ادعى به كل من احمد عبد الغفار واحمد عرابى على ابراهيم اغا ، وانما لملاحظة انه فى المستقبل ربما يلزم الحال للاستعلام منهم عن شىء فالاوفق مخابرة من يلزم بعدم حجزهم الان ، انما تؤخذ عليهم الكفالات اللازمة ، حتى انه عند اللزوم متى صار طلب احدهم يمكن الحصول عليه وبذا حررنا هذا القرار على هذا المحضر النمر بنمرة ٢ المرفوق معه المحضر النمر بنمرة ١ فى الخميس ٢٩ ذا سنة ١٢٩٩

سليمان يسرى — يوسف شهدى

ختم — ختم

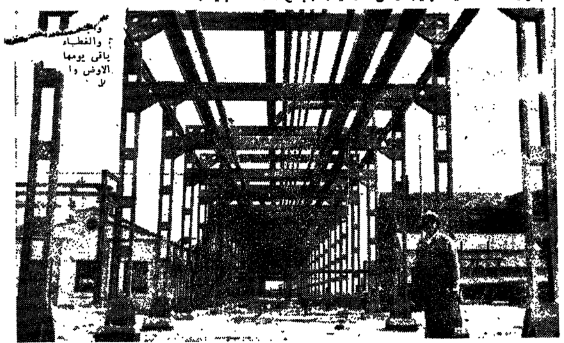
انتهت محاضر التحقيقات مع احمد عرابى



الصلب العربي
يساهم في توسعات الصناعات البترولية
مصنع تفحيم المازوت

قامت شركة السويس لتصنيع البترول بالسويس بتوسعات ضخمة لتغطية احتياجات البلاد من المواد البترولية . فاقامت ١٩ صهريجا للبترول سعة الواحد منها من ١٠ الى ١٥ الف طن ، كما قامت بتوسيع شبكة لانابيب بالسويس ؛ واستخدمت في هذه التوسعات ٧٣٠٠ طن من الالواح والقطاعات من انتاج مصانع شركة الحديد والصلب ، وقد تم توريد هذه الكميات جميعها والتى تقدر قيمتها بمبلغ ٧٠٠ الف جنيه .

و
والغطاء
باقى يومها
الاوض وا
ل



توسيع شبكة خطوط الانابيب بمعمل الشركة بالسويس


سياستنا..
الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا..
يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية



طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

٥

مايو ١٩٦٦
السنة الثانية







الصراع العربى الإسرائيلى

ملف الطليعة: مندور فى تراثنا القومى

وثائق تاريخية: النصوص الكاملة
لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية







طريق المناضلين الى

الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
أمين عز الدين
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف

سكرتارية التحرير :

ميشيل كامل
عبد المنعم القصاص

الفهرس

العدد الخامس ـ السنة الثانية ـ مايو ١٩٦٦

■ واجباتنا ازاء الخطة « الافتتاحية » ص ٥

● الحركة الثورية فى العالم الثالث بين المد والجزر — د. اسماعيل صبرى عبد الله ص ١٠

■ الصراع العربى الاسرائيلى ص ١٨

● جذور وابعاد الصراع العربى الاسرائيلى — لطفى الخولى ص ١٩
● الوجود الاسرائيلى فى المخطط الاستعمارى — خيرى حماد ص ٢٧
● الجذور التاريخية والطبقيه لعنصرية « شعب الله المختار » — ميشيل كامل ص ٣٤
● اقتصاديات اسرائيل واجهة مدنية لمؤسسات عسكرية — سعد زهران ص ٣٨
● ازمة اسرائيل من الداخل — مجدى فهمى ص ٤٥
● الهستدروت لافتة نقابية لمؤسسة راسمالية — عبد المنعم الغزالى ص ٥٢
● القنبلة الذرية والصراع العربى الاسرائيلى — هشام صلاح الدين ص ٥٩
● اسرائيل .. وافريقيا — مهدى بن بركة ص ٦٥
● ثورة يوليو فى مواجهة التحالف الاستعمارى الصهيونى . — مصطفى طيبه ص ٧٦
● قضية فلسطين اليوم عربيا وعالميا — د. برهان الدجانى ص ٨٥
● البنك الاهلى وبنك مصر وقضية السيطرة الاستعمارية — د. فؤاد مرسى ص ٩٤

■ تقارير الشهر والتعليقات ص ١٠٥

■ مكتبة الطليعة ص ١١٩

■ كتابات جديدة

● لنقدم ايديولوجيتنا مع السماد والبذور — ثروت سعيد الشعراوى ص ١٢٣
● الحياة الثقافية والفنية فى المجتمع المصرى — حسين عبد الله على ص ١٢٥

■ مناقشات مفتوحة ص ١٢٧

■ ملف الطليعة : مندور فى تراثنا القومى ص ١٣٠

■ وثائق تاريخية :

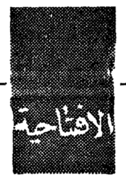
النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع عبد العال حلمى وعلى فهمى ص ١٥٣

عنوان المراسلات :

« الطليعة »
مبنى مؤسسة الأهرام ١٤ شارع مظلوم القاهرة تليفون : ٤٦٤٦٤ — ٤٤١٤٤
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج٠ع٠م٠ ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



واجباتنا إزاء الخطة

اعلن المناضل جمال عبد الناصر كرئيس للاتحاد الاشتراكى ورئيسا للجمهورية ان الخطة الخمسية الثانية ستعرض للمناقشة الجماهيرية على اوسع نطاق وهذا ولاشك **حدث فريد** فى حياتنا القومية ، انه أرقى تعبير عن تحرر شعبنا واخذه لمصيره بيديه . فقبل الثورة واختيار طريق الاشتراكية، كان الجزء الاعظم من شئون اقتصادنا القومى يتقرر بارادة عدد قليل من كبار الملاك والجماعات الراسمالية الكبيرة ، وكان الجزء الاصغر الذى تتولاه الدولة يظهر فى الميزانية العامة للحكومة التى تعدها وتقرها حكومه ومجالس نيابية تمثل « اصحاب المصالح الحقيقية» اى تمثل المصالح المشتركة للاقطاع وراس المال الخاضعين للاستعمار. اما اليوم فان كل مواطن مدعو لان يبدى الراى فى الطريقة المحددة التى سنسوغ بها مجتمعنا فى السنوات المقبلة ، كل مواطن مطالب الان بأن يشارك فى تحديد معالم هذا المجتمع وتقدير ما يقع على عاتقه من جهد حتى تتحول الصورة الى حقيقة ، ومعرفة ما سيعود عليه من كسب معنوى ومادى عند تحقيقها . ان التخطيط باعتباره نشاطا اجتماعيا شاملا تشارك فيه الجماهير على اوسع نطاق لا يعنى فقط ممارسة الجماهير لحقوق السيادة التى كانت الطبقات المستغلة قد انتزعتها ، ولكنه يعنى كذلك أعظم محاولة يقوم بها شعبنا للتغلب على عوامل الصدفة والارتجال ورسم طريق المستقبل على اسس علمية .

وهذه المنافسة الشعبية الواسعة **امر جد خطير**، يجب ان يكون شغلنا الشاغل يهتم به كل مواطن وكل جماعة . فمستقبلنا كله يتوقف على سلامة الخطة وصواب تقديراتها وضمان تنفيذها . ان الخطة لا تشكل تطورنا خلال السنوات الخمس المقبلة فحسب ، بل انها تحكم هذا المستقبل الى عشرات السنين . فما يتم تنفيذه فى اطارها بحكم التطور اللاحق كله . فبقدر ما ننجح فى الوصول اليه خلالها من انتاج للصلب ، يمكن ان نتوسع فى الخطط التالية فى الصناعات الهندسية ، وبقدر ما يصل اليه انتاجنا من الكميات خلال السنوات الخمس المقبلة بقدر ما يمكن ان نزيد انتاجنا الزراعى بعدها ،

وبقدر ما تتضمنه الخطة من توسع فى انتاج الاسمنت ومواد البناء ، بقدر ما يتيسر التوسع بعدها فى اعمال التشييد والاسكان... الخ . لكل ذلك يكون الاشتراك فى مناقشة الخطة واجبا مقدسا ، ومن يتخلى عنه يكون مواطنا سلبيا مقصرا أشد التقصير فى حق شعبه وحق نفسه وحق اولاده . ذلك ان مشاركة الجماهير فى مناقشة الخطة أمر حيوى لسلامة الخطة ذاتها ولضمان تنفيذها . فالخطة ليست مجرد عمليات حسابية وتكنيكية معقدة يجريها الخبراء ، وانما هى قبل كل شىء نشاط جماعى يقدم فيه كل مواطن الجهد والتضحية ، والخبرة والمبادرة .

والتخطيط الاشتراكى يولى اعظم قدر من الاهمية لمشاركة الجماهير فى وضع الخطة ، ولكى تكون هذه المشاركة فعالة وجدية جرت العادة على ان تمر **بمرحلتين متميزتين :**

ففى مرحلة اولى تطرح **القيادة السياسية على الجماهير الاتجاهات الاساسية** التى ترى ضرورة قيام الخطة على هدى منها

وفى مرحلة ثانية تجرى **مناقشة تفصيلية لمشروع الخطة** كما صاغه أجهزة التخطيط على ضوء الاقتراحات الواردة من القاعدة الشعبية .

وغنى عن الذكر ان تطبيق هذا المنهج العام يتوقف على الظروف المحددة التى يوجد فيها كل بلد عند وضع واقرار كل خطة . وظروف بلادنا حاليا من حيث التخطيط تتلخص فى التزامنا بهدف مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات وانتهاء تنفيذ الخطة الخمسية وضرورة العمل على تنفيذ الخطة الثانية بأسرع ما يمكن حتى لا ينفصم بشكل واضح تيار التخطيط ولا يفصل من الخطتين فترة لا يحكمها تخطيط . ولهذا فان مشروع الخطة الذى اوشكت الحكومة على الانتهاء من صياغته ليس مجرد توجيهات عامة وانما هو مشروع متكامل .

ومع ذلك فاننا نرى من **الضرورى تنظيم المناقشة على مرحلتين** ، فتجرى أولا مناقشة فى الاهداف والاتجاهات العامة ، ثم تتلوها مناقشة تفصيلية . وليس مبعث هذا الراى عندنا الحرص الجامد على احترام اسلوب ثبت نجاحه ، انما مبعثه اختلاف طبيعة المناقشة فى المرحلتين . ففى المرحلة الاولى يغلب على المناقشة الطابع السياسى ويلعب الدور الاول فيها التنظيم السياسى وتكون غايتها تعبئة شعبية شاملة حول الاهداف الاساسية وماتستلزمه من تضحيات . وفى المرحلة الثانية يتغلب الطابع التفصيلى والتكنيكى ويبرز بنجاح خاص دور المنتجين فى مختلف وحدات الانتاج ، وتكون الغاية هى اثراء مشروع الخطة بمعلومات جماهير المنتجين ومبادراتهم واقتراحاتهم ، ومن ناحية أخرى يكاد يكون من المستحيل ان يناقش الناس فى نفس الوقت القضايا السياسية والاقتصادية الكبرى وتفاصيل الانتاج والخدمات . بل ان أغلب الظن ان الطابع التفصيلى يجعل الخطة فى مجموعها مستحيلة المناقشة بين الجماهير ، فى نفس الوقت الذى ينصرف فيه كل فريق من المنتجين الى مناقشة الجزء الذى يخصه وحده لقدرته على الالمام بتفاصيله ، ولكنها مناقشة تدار عندئذ دون استيعاب للافكار العامة التى تحكم الخطة كلها .

وفى تقديرنا أن المناقشة الشعبية يجب ان تبدأ على ضوء وثيقتين أساسيتين :

الاولى : تقرير وجيز ودقيق وواضح عن تنفيذ الخطة الخمسية الاولى وما صادفه تنفيذها من عقبات ، وما أثبتته التجربة من نواقص شابت اعدادها او اسلوب تنفيذها . ومن المعروف ان وزارة التخطيط أجرت على اعداد تقرير سنوى عن متابعة تنفيذ الخطة ، وان تلك التقارير وثائق هامة وجادة يمكن ان تفضى الى التقرير الشامل والوجيز الذى نطالب به . وبدون مثل هذا التقرير لا يمكن ان تكون مناقشة الخطة الخمسية الثانية

مناقشة جادة ، لانه بافتقاد هذه الخبرة الثمينة يستحيل تماما تقييم الاتجاهات العامة للخطة تقييما سليما .

والثانية : خلاصة وجيزة وواضحة للخطة الثانية تبرز الاتجاهات الاساسية والاهداف العامة فى كل القطاعات دون ان تفرق فى ارقام تفصيلية .

ولابد من تحديد أكثر لما ينبغى أن تكون عليه وثيقة الخطة الثانية التى تطرح للمناقشة الشعبيه فى المرحلة الاولى . ودون ان نتعرض هنا لعرض مبادىء عامة معروفة ومسلم بها نظريا ، ويمكن ان نلخص المعالم الاساسية التى يجب ان تحتويها وثيقة الخطة على النحـــو التـــالى :

● **الاهداف العامة للخطة** فى ضــوء السعى لتحقيق مضاعفة الدخل القومى فى ســنة ١٩٧٠ . وهذه الاهداف لها تعبيرات نقدية مثل معدل الزيادة السنوية فى الدحل القومى، ومثل نسب الزيادة السنوية فى مختلف قطاعات الاقتصاد القومى : الصناعة ، الزراعة ... الخ . ولكن لابد أن تتضمن الخطة ايضا **أهدافا عينية** هى التعبير الحقيقى عن تنمية الاقتصاد القومى مثل حجم الانتاج من الصلب والكهرباء والبترول والكيماويات ... الخ لان حجم الانتاج من السلع الانتاجية الاساسية هو الضمان لاستمرار التنمية فيما وراء الخطه الخمسية . ومن المعروف ان كل خطة خمسية يجب ان تندرج فى اطـــار تخطيط لمدى اطــول (١٥ أو ٢٠ عاما) ، وما يتم فيها يكون محكوما بما ســبق تنفيذه كما انه يحكم الخطط الخمسية التى تليها .

● **وسائل تنفيذ الاهداف المنشودة** وبنوع خاص حجم الاستثمار اللازم لتحقيقها ونصيب التمويل الخارجى والداخلى فيه ، وبالتالى معدل الادخار الســنوى القومى الذى يجب توفيره . وهذا يتضمن بالضرورة تحديد الاستهلاك وبيان معدلاته ومكوناته .

● **كيفية وضع هذه الوسائل فى خدمة تلك الاهداف** وبصفة خاصة توزيع الاستثمار بين الانتاج والخدمات ، ثم بين انتاج السلع الانتاجية وانتاج السلع الاستهلاكية .

● **بيــان بالاولويات** اى تحديد أوجـــه الاستثمار التى سيكون لها الســبق على غيرها والاسس التى تم على ضوئها هذا الاختيار .

وليس يعنى اختصار المناقشة فى المرحلة الاولى على هذه النقاط الاساسية ، تعطيل تنفيذ الخطة . بل انه يمكن ان يبدأ التنفيذ فى الوقت الذى تدور فيه المناقشة العــامة . فالخطة لا يمكن ان تكون هيكلا جامدا لا يناله التعــديل والتطوير . بل ان الواجب هو اعادة النظر باستمرار فى الخطة من سنة الى أخرى على ضوء نتائج التنفيذ . حقــا ان الاهداف العامة الاساسية لا يمكن ان تخضع لهذا التغيير المستمر . ولكن الارجح هو ان المناقشة العامة لن تسفر عن تعديل جوهرى فى الاهداف الاســـاسية ، وانما يمكن ان تؤدى الى تطوير بعضها أو تعديله جزئيا .

ان المناقشـــة الجماهيرية للخطة يجب ان تتشـــعب فى كافة التشكيلات الســياسية والنقابية وكذلك فى جميع وحدات الانتاج والخدمات . **وعصب المناقشـــة ولاشك هو الاتحاد الاشتراكى العربى .** ويمكن فى تقديرنا أن تسير الامور على النحو التالى :

(١) تناقش **اللجنة التنفيذية العليا** المشروع المقدم من مجلس الوزراء وتقر الاتجاهات الاساسية والوثائق التى ستدور حولها المناقشة .

(٢) تدعى جميع **الوحدات الاساسية** للاجتماع لمناقشـــة الوثائق المطروحة بحضور ممثلى المكاتب التنفيذية . على أن تنتهى كل وحدة فى أجل معين من المناقشة وترفع الى مستوى المحافظة قرارا واضحا ووجيزا برأيها واقتراحاتها .

(٣) تدور المناقشة فى **مستوى المحـــافظة** على ضـــوء كل ما انتهت اليه الوحـــدات

الاساسية فى مختلف انحاء المحافظة . على أن يتم كل ذلك فى أجل تحدده الامانة العامة سلفا ، وتنتهى المناقشة هنا أيضا بقرار واضح يرفع الى الامانة العامة مصحوبا بقرارات لجان الوحدات الاســاسية .

(٤) فى نفس الوقت تدور المناقشة فى داخل كل وحدة من وحدات الانتاج فى شــكل جمعية عمومية للعاملين . ولهذا النوع من المناقشــة اهمية قصوى ، فهو يتم فى اطار مجال عمل محدد ويرتبط فيه الجانب السياسى بالجــانب الاقتصادى والاجتماعى . كما أنه يعطى الفرصة للمناقشة لكل العاملين وليس للجان العشرين وحدها . ويرفع راى كل وحدة الى الجهة التى تتبعها حتى تصل الى الوزارة .

(٥) كذلك يجب ان تنظم **النقابات العمالية العــامة** اجتماعات عامة لبحث الخطــة ودراستها على نطاق القطاع الذى تمثله النقابة العامة . كذلك لابد من مناقشة كاملة فى داخل حركة التعاون الزراعى . وترفع النتائج كلها للاتحاد الاشتراكى .

(٦) ويتعين على **النقابات المهنية** ان تخرج بهذه المناقشة عن الاطار الطائفى الضيق وتدير بدورها النقاش حول الخطة وما تفرضه على اعضائها من واجبات وتقدم آرائها للامانة العامة للاتحاد الاشتراكى .

(٧) وعلى **الجامعات والهيئات العلمية** ان تبدد فكرة سلبية المثقفين ، وان تقوم كل فى حدود امكانياتها ببحث الخطة وابداء الراى فيها .

(٨) اما **مجلس الامة** فيجب ان يراعى فى هــذا الشــأن التمييز بين دوره التشريعى الخالص الذى يتمثل فى اقرار الميزانية فى موعد محدد ، وبين دوره كمجلس سياسى يتعين عليه ان يعاون الحكومة والاتحاد الاشتراكى فى اعداد الخطة بأن يقوم بدراستها دراسة وافية مستعينا بخبراء من كافة أنواع التخصص .

(٩) ويجب أن تنتهى كل هذه المناقشات فى **أجل محدد** ، كشهر أو شهرين . ثم يكون من المفيد ان تتولى اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء فى اجتماعات مشــتركة فحص النتائج التى أفضت اليها المناقشة وتعديل الخطة على ضوئها .

ولعله من نافلة القول الاشارة الى دور الاذاعة والتليفزيون والصحافة فى مجــال مناقشة الخطة . ولكنه من المفيد ان نؤكد ان الفترة التى تحددها اللجنة التنفيذية العليا للمناقشة يجب أن تكون فترة تعبئة عامة لوسائل الاعلام جميعا لخدمة هــذا الهدف . وليس المقصود بالطبع الاثقال على القارىء أو السامع بحديث أقرب الى الوعظ او بسرد ممل لارقام لا حصر لها أو تكرار التغنى بمنجزاتنا . ان أجهزة الاعلام يجب أن تلعب دورا وثيق الصلة بنشاط الاتحاد الاشتراكى فى هــذا المجال . ان عليها ان تغذى مناقشات الوحدات الاساسية ووحدات الانتــاج والخدمات وأن تساعد باستمرار على اتســاع أفق المشاركين فى المناقشة . والوسيلة المثلى لذلك هى نشر المقالات واذاعة الاحاديث التحليلية وتنظيم الندوات وفتح «المنبر الحر» لكافة آراء الخبراء . ومن ناحيــة اخرى يجب أن تنقل أجهزة الاعلام صــورا من مناقشات وحدات التنظيم السياسى ووحــدات الانتاج والخدمات فى مختلف انحاء الجمهورية . فتقدم بذلك عناصر المقارنة وتســاعد كل وحدة على معرفة مايشغل بال غيرها من الوحدات . ان نقل تفاصيل مناقشة يجريها مثلا العاملون فى الســد العالى لابد أن يلعب دورا هاما فى رفع مستوى المناقشــة فى الجمعيات التعاونية الزراعية . ومناقشات الفلاحين لابد ان تثير ابحاث العــاملين فى صناعة الاسمدة ، والمناقشات فى المصانع الحديثة تبين للعاملين فى الجامعات مثلا مدى الاحتياجات الى الفنيين فى مختلف أنواع التخصص ... الخ .

وبانتهاء هذه المرحلة الاولى من المناقشة المركزة على أهداف الخطة العامة واتجاهاتها الرئيسية نكــون قد حققنا غاية أساسية : تفهم جماهير الشــعب للاطار العام لنمونا الاقتصادى والاجتماعى خلال السنوات الخمس المقبلة واستيعابها لابعاده ، ومايقتضيه من تضحية وما يحكمه من اتجاهات .

وعلى ضوء هذا الفهم يبدأ المسئولون فى كل وحدة من وحدات الانتاج او من وحدات الخدمات اعداد مشروع خطة تفصيلية لنشاط الوحدة التى يديرونها خلال السنوات الخمس المقبلة أو اعادة النظر فى هذا المشروع ان كان قد سبق لهم اعداده . ثم يطرح المسئولون المشروع التفصيلى الذى ينتهون اليه للمناقشة بين مجموع العاملين فى الوحدة بقصد تحسينه وتطويره واثرائه بآراء الجماهير واقتراحاتها ومبادراتها . وبعد هذه المناقشة يرفع المشروع الى الجهة التى تتبعها الوحدة . وعلى ضوء المشروعات الواردة من وحدات الانتاج او الخدمات يقوم المسئولون فى كل قطاع من قطاعات الانتاج او الخدمات باعداد مشروع شامل لنشاط هذا القطاع فى حدود الاتجاهات العامة التى حددتها الدولة . ويتعين فى تقديرنا عرض المشروع الخاص بكل قطاع على مؤتمر يمثل العاملين فى القطاع .وبعد مناقشته فى المؤتمر يرفع الى لجنة الخطة . وعندئذ يصبح فى امكان لجنة الخطة — مستعينة بأجهزة وزارة التخطيط — اجراء عملية اعادة بحث شاملة للخطة كلها على ضوء الاقتراحات الواردة من مختلف القطاعات لتقدم لمجلس الوزراء الخطة فى شكلها النهائى . وبعد اقرار مجلس الوزراء للخطة على هذا الشكل تعرض على مجلس الامة ليتوج هذه المعركة الكبرى بعمل تشريعى هو قانون اصدار الخطة .

ولنضرب بعض الامثلة على اهمية هذا الاسلوب فى المناقشة . لقد اجريت خلال السنوات الماضية عدة تعديلات فى **نظم التعليم** . ومازالت الهيئات الجامعية تبحث مشروعا جديدا لتنظيم الجامعات ، فى حين تدرس وزارة التربية والتعليم اصلاح التعليم العام ، وتقدم لجنة القوى العاملة الوزارية اقتراحات جديدة لسياسة التعليم . ومما لا شك فيه أن القائمين على التعليم بمختلف مستوياته لو بحثوا نظمه ومشكلاته **بعد استيعاب الاتجاهات الاساسية للخطة الخمسية الثانية** لجاءت اقتراحاتهم اكثر اتساقا مع احتياجات البلاد ، ولا يكفى مثلا أن نضع حدا لذلك الوضع الشاذ الذى يتمثل فى اضطرار الدولة الى تشغيل المهندسين بأوامر تكليف فى حين انها تكلف المصالح والشركات بتشغيل خريجى الكليات النظرية بغض النظر عن مدى حاجتها الحقيقية لهم .

وفى قطاع النقل والمواصلات يبذل المسئولون جهودا كبيرة لتطوير وسائل النقل تعويضا عن تخلفها خلال سنوات الحرب وما تلاها ولمواجهة احتياجات الاقتصاد القومى المتزايدة ومن الواضح تماما انهم لو اجروا ابحاثهم على ضوء التطورات المحددة التى تتضمنها الخطة لامكنهم تفادى النواقص التى جعلت من النقل أحد الاختناقات الاساسية خلال تنفيذ الخطة الخمسية الاولى .

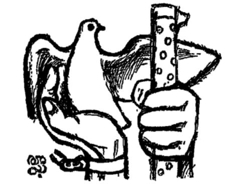
واذا اردنا مثلا من الصناعة لقلنا ان معرفة المسئولين عن الصناعات الهندسية بالتطورات المقررة فى انتاج الصناعات المعدنية من حيث كمية المنتجات ونوعها ومواعيد ظهورها تمكنهم من رسم خطط التوسع فى انتاج السلع الهندسية بشكل لا يجعلها تحت رحمة استيراد المواد الوسيطة من الخارج ولايترك بعض منتجاتنا من الصناعات المعدنية دون استخدام .... ويمكن ان نعدد الامثلة .

وبعد .. ان مناقشة الخطة الخمسية الثانية اول حدث من نوعه فى بلادنا ، ولذلك فليس لنا بتنظيمه خبرة سابقة ،ولا يكفى فى هذا الشأن ان يحس المسئولون فى الدولة بضرورة مشاركة الجماهير فى اعداد الخطة وان يسعوا ليتم هذا الاشتراك . بل لابد ان نتعاون جميعا على اكتشاف الوسائل العملية التى تكفل فى واقعنا المحدد ان تجرى مناقشة الخطة بطريقة جادة وفعالة . وثمة خطران يتهددان هذه المناقشة . الاول هو ان تطول وتتشعب وتغرق منذ البداية فى التفاصيل فلا تنتهى الى نتائج عديدة . والثانى ان تتحول الى اجراء شكلى محض لا يعبر عن اى مضمون حقيقى وينتهى بقرارات التأييد والمساندة المألوفة ، ولسنا نزعم ان هناك «طقوسا» معينة يجب مراعاتها . وانما نحن بصدد مشاكل عملية ترتبط بواقع البلاد ، علينا ان نكتشف الحلول للتغلب عليها ، وليس ما نقدمه من اقتراحات فى هذا الصدد الا محاولة متواضعة ، ان يكن لها من فضل فهو فضل جذب الانظار الى أهمية تنظيم المناقشة لكى تكون عملية مثمرة وفرصة حقيقية لمشاركة الجماهير فى التخطيط .

« الطليعة »

الحركة الثورية في العالم الثالث بين المد والجزر

د. اسماعيل صبري عبدالله



ماذا دها العالم الثالث فى العامين الاخيرين ؟ وكيف توقف تيارالثورة الجارف الذى بلغ ذروته عام ١٩٦٠–١٩٦١ حين استقلت معظم دول افريقيا واحرزت ثورة الجزائر نصرها

لقد اصبح من الواضح أن الاستعمار بدأ هجومه المضاد فى **الكونغو** والحركة الثورية فى عنفوانها على نطاق العالم الثالث كله ، ثم أخذ يفرض نفوذه شيئا فشيئا بسلسلة من الانقلابات أطاحت بحكومات ثورية وشجعت الحكومات العميلة على أن تسفر عن وجهها وتعلن خضوعها الكامل لسادتها المستعمرين

ويكفى أن نذكر مثالا واحدا على ذلك وهو ان مؤتمر القمة الافريقى الذى انعقد فى القاهرة فى يوليو ١٩٦٤ لم يشهد الا **تسيرانانا** رئيس الجمهورية الملاجاشية يعلن ولاءه للغرب ، أما اليوم فان هذا الولاء المعلن أصبح يمتد من **هاستنجز باندا** (ملاوى) الى **هوفويه بوانيى** (ساحل العاج) الذى لم يأنس فى نفسه عام ١٩٦٤ القدرة على حضور مؤتمر القاهرة.

وازاء هذه الاوضاع تثور كثير من الاسئلة ، ولعل أبرز تلك الاسئلة هى :

– لماذا تهاوت حكومات ثورية بسهولة فائقة؟.

– لماذا لم تتحرك الجماهير الشعبية للدفاع عن القادة الثورية الذين أطيح بهم ؟.

– لماذا لم تلعب التنظيمات السياسية حيثما وجدت دور المقاومة المنشود ؟ .

– ما هو بالدقة طبيعة دور القوات المسلحة فى بلاد العالم الثالث ؟.

واخيرا ، وهذا قلب الموضوع ، ما هو مصير الحركة الثورية فى العالم الثالث ؟.

وتقدم **الرجعية** ، عالميا ومحليا ، اجابة عامة على كل تلك الاسئلة ملخصها أن هذه الشعوب قد استقلت بأسرع مما ينبغى ، وانها ليست بعد اهلا لادارة شئون نفسها بنفسها ، وان قادتها الثوريين قد استبد بهم جنون العظمة فتخيلوا أن بوسعهم ان يقفوا فى وجه الغرب الاستعمارى وينفضوا عنهم سيطرته وأن يبنوا مجتمعا جديدا بعيدا عن الاستغلال بكافة انواعه . ومن المهم جدا أن نعى هذا الموقف الفكرى للرجعية حتى لا ننزلق الى أرضها الفكرية ونحن نبحث عن أسباب الانتكاسات التى ظهرت فى أنحاء متعددة من العالم الثالث . فان كل تعليل مبنى على اعتبار ان قوة الاستعمار لا تقهر ، او على عدم نضج الشعوب أو التشكيك فى قدراتها الثورية أو على القول بأن الطموح الى التنمية الاشتراكية أمر فوق طاقة البلدان المستقلة حديثا ، كل تعليل من هذا النوع يلتقى تماما مع ايديولوجية الاستعمار والرجعية ولا يثمر الى بث اليأس فى النفوس وتثبيط الهمم الثورية والتسليم بأبدية الاستعمار والاستغلال . مع ان الواقع عكس ذلك تماما. فالسمة الاساسية للعصر الذى نعيش فيه هى انه **عصر الشعوب** ، عصر انتصار الشعوب فى سعيها الدؤوب لتصفية كل أنواع السيطرة والعبودية والاستغلال . وما يمكن أن يحيق بالحركة الثورية من هزائم لايعدو أن يكون انحناءات وقتية الى اسفل فى خط ثورى طابعه الجوهرى هو انه خط صاعد .

اما **العناصر الثورية** فان ما نقدمه من اجابات على الاسئلة التى نطرحها الاحداث الاخيرة يتباين بقدر تباين ادراك كل جماعة منها لطبيعة الاحداث ومداها والاطار التى تقع فى داخله ، ورد الفعل الذى تحدثه عندها تلك الاحداث . ولذلك فانه من الاهمية بمكان ان يبدأ اى تحليل للظواهر الخاصة بالحركة الثورية فى العالم الثالث بتحديد الاطار العام لتلك الحركة .

الاطار التاريخى للحركة الثورية فى العالم الثالث

منذ ان اخذت الراسمالية الاوروبية تفرض سيطرتها الاستعمارية على أسيا وافريقيا وامريكا الشمالية والجنوبية كانت تلاقى قناة مريرا انتهى فى بعض الاحوال بالنصر ، وحيث باء بالهزيمة لم تخب شعلة المقاومة الى الابد ، بل ظلت كامنة كالنار تحت الرماد تتقد جذوتها من حين الى آخر . وحين ظنت الرأسمالية العالمية فى عصر الامبريالية انها قد أخضعت العالم كله بحيث لم تعد ثمة حروب الا تلك التى تشعلها مختلف الدول الامبريالية من اجل اعادة تقسيم العالم فيما بينها ، بدأ النظام الراسمالى يتلقى الضربات فى اسسه ذاتها .

وكانت **الثورة الروسية عام ١٩١٧** حدثا ذا آثار بعيدة . لقد ضربت تلك الثورة الرأسمالية فى الصميم واقامت مجتمعا جديدا منافيا لها سرعان ما أثبت تفوقه عليها . وفى نفس الوقت تضمنت تحرير عدد كبير من الشعوب التى كانت خاضعة للاستعمار الروسى فتمكنت فى ظل الاشتراكية من أن تطوى قرون التخلف فى سنوات وتحقق التحرر والتقدم جميعا . وكان كل ذلك يخالف ما حدث باليابان، حيث نجحت الطبقة الاقطاعية فى التحول الى الرأسمالية بفرض أبشع انواع الاستغلال على الشعب اليابانى وبقهر واستغلال شعوب كوريا ومنشوريا وانشاء علاقات استغلالية مع عدد من بلاد آسيا . فكان كل ما انجزته هو أفلاحها فى فرض عضويتها على نادى الامبريالية العالمى كما فعلت قبلها المانيا وايطاليا . ولكن الاعضاء القدامى فى ذلك النادى لم يكونوا يرحبون بالاعضاء الجدد . وانتهى الصراع بين الفريقين أثر الازمة الاقتصادية الكبرى التى هزت أسس النظام الراسمالى (١٩٢٩/١٩٣٤) الى ابشع حمام دم شهدته البشرية : الحرب العالمية الثانية .

ولكن **الحرب العالمية الثانية** كانت فرصة لتعبئة الشعوب فى مختلف البلدان ضد النظام الفاشى الهتلرى باعتباره أفظع تعبير عن الامبريالية . ولهذا كان طبيعيا ان تفضى الى حركة ثورية عارمة تعبر عن طموح شعوب العالم الى التحرر من القهر والاستغلال . لقد جعل روزفلت شعار الحلفاء خلال الحرب العالمية : الحرب ضد الخوف والجوع . وقد أرادت الشعوب أن تحول الى حقيقة ما أراده البعض مجرد شعار دعاية . وهكذا شهدت السنوات التالية للحرب انتصار الاشتراكية فى دول اوروبا الشرقية وفى الصين وكوريا الشمالية وفيتنام الشمالية ؛ فى حين اهتزت جنبات العالم تحت هدير ثورة التحرر الوطنى فى أسيا وافريقيا ثم أمريكا اللاتينية . وكان حصاد ذلك كله انهيار نظام السيطرة الاستعمارية المباشرة وتصفيته الا من بعض بقايا متناثرة فى القارات الثلاث الثائرة . **وعبثا يحاول البعض التهوين من شأن تلك الاحداث التى غيرت بالفعل وجه الكرة الارضية** . لقد كنا فى صبانا ننظر الى خريطة العالم فنرى اللون الوردى الذى يمثل الاستعمار البريطانى يغطى الكثير من أجزائها مما أوجد التعبير المشهور « الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس » وكانت فرنسا تحتل نصف أفريقيا والهند الصينية كلها ، والولايات المتحدة تحتل الفلبين، واندونيسيا تسمى «الهند الشرقية الهولندية » ، واليابان تحتل كوريا ومنشوريا وتحارب من أجل الاستيلاء على بقية الصين . والمانيا النازية تسيطر اقتصاديا وسياسيا على معظم اوروبا الشرقية ، وايطاليا تحتل ليبيا والحبشة والصومال وأريتريا . وما هى صورة العالم اليوم :

- **ان ثلث العالم قد قطع نهائيا ما بينه وبين الرأسمالية وكون مجموعة الدول الشيوعية التى تتبنى الماركسية اللينينية .**
- **ان عددا من البلدان التى احرزت نصرا مظفرا فى معركة التحرر من الاستعمار قد اختارت طريق الاشتراكية** وفتحت بذلك طريق التطور الحر رحيبا أمام العالم الثالث كله .
- **ان معظم بلدان العالم الثالث قد حصلت على استقلالها السياسى ،** وحتى حيث توجد حكومات موالية للغرب ، او حيث رفض القادة طريق الاشتراكية ، يعتبر احراز الاستقلال السياسى نصرا تاريخيا للشعوب يرد لها ثقتها بنفسها ويؤهلها لمزيد من النضال .

ذلك هو الاطار التاريخى لعالم اليوم . ومنه يتضح ان الظاهرة الاساسية التى تحكمه هى أن **الشعوب قد اتخذت موقف الهجوم على الاستعمار والسعى لتصفيته** . ولا شك أن الاستعمار لا يمكن أن يستسلم بسهولة ولا أن يلقى السلاح . انه لابد أن يستخدم كل ما توصل اليه من ثراء وتقدم حضارى وعلمى وتكتيكى على حساب المستعمرات فى نضال مستميت من اجل استمرار استغلال تلك الشعوب فى صور جديدة . ان جوهر الاستعمار هو الاستغلال الاقتصادى للمستعمرات وتصفية هذا الاستغلال تعنى تصفية الاستعمار والامبريالية على النطاق العالمى . ومن ثم فالصراع بين الاستعمار والشعوب صراع مصير، ولا يتصور أن يتقبل الاستعمار الموت فى رضا واستسلام . ولذلك فليس غريبا أن يقاتل ،وان ياخذ فى ظروف معينة المبادرة فى الهجوم . وليس غريبا عن اى حرب أن يتبادل طرفاها النصر والهزيمة .

فالحرب دائما كر وفر . وفقدان بعض المعارك لا يعني خسارة الحرب كلها . بل انه يمكن أن نقول ان الحرب بين الشعوب والاستعمار يستحيل أن تخسرها الشعوب .

عوامل الجزر الثورى على النطاق العالمى

ولكن يبقى بعد ذلك كله ان العالم الثالث قد شهد نكسات متكررة . ولا يجدى ازاء تلك النكسات ان نقنع بادراك أن حركة التاريخ فى صالح الشعوب . فالحتمية التاريخية ليست قدرية ، انها لا تعنى ان انهيار الاستعمار لابد ان يتم من تلقاء نفسه وانما كل ما تفيده هو ان نضالنا من أجل تصفية الاستعمار له أعظم الفرص فى ان ينجح لانه فى اتجاه حركة التاريخ . ان الحتمية التاريخية تظل مجرد امكانية نظرية ما لم يحولها نضال الشعوب الواعى الى حقيقة واقعة . كذلك لا يجوز ان نقنع بالتفسيرات المحلية لما حدث فى كل بلد على حدة . فتكرار النكسات من بلد الى آخر يدعو الى البحث عن أسباب لها طابع العموم على انه يكون من الخطأ تلمس السبب بشكل آلى فى التجارب الثورية السابقة . فالتاريخ لا يعيد نفسه كما تزعم الرجعية . ان تاريخ البشرية ليس تكرارا مأسويا لاحداث تحكمها الاقدار ولا قبل للبشر بها كتلك التى تحكم المأساة اليونانية القديمة . ولا شك ان ظروف الثورة اليوم تختلف الى حد بعيد عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية او فى مستهل القرن الحالى والنضال الذى يقوده **جمال عبد الناصر** مثلا يختلف جوهريا عن ذلك الذى قاده **أحمد عرابى** او **محمد فريد** . ولكن الثورة — كما قال **جمال عبد الناصر فى خطابه الشهير فى عيد العلم ١٩٦٥** — علم ، اى أن هناك مجموعة من القوانين تحكم الظواهر الثورية ، قوانين يختلف محتواها المحدد عبر الزمان والمكان ولكنها لا تنتفى .

ومن اهم قوانين الثورة **قانون المد والجزر** . فالثورة باعتبارها نضالا اجتماعيا — شأنها فى ذلك شأن السياسة وشأن الحرب — لا يمكن ان تسير فى خط مستقيم بل انها تواجه أحيانا الظروف المواتية فتقفز من نصر الى نصر ، وتصادف أحيانا أخرى ظروفا غير مواتية تلحق بها فيها الخسائر وانكار هذا القانون يعكس تفكيرا مثاليا خياليا يهرب من الواقع وصعابه ويتوهم طريق النصر سهلة ميسرة . وبالرغم من ان كل الحركات الثورية قد عرفت المد والجزر ، وتوالت عليها فترات التقدم والتقهقر ، الا ان كل مرحلة جزر ثورى كانت تشيع فى صفوف الثوريين أخطاء تقليدية أوضحت التجارب خطورتها .

فثمة فريق من الثوريين يستخفه النصر فى فترات المد ويستهين بقوة العدو ، حتى اذا ما انحسر ذلك المد واتخذت مقاومة العدو شكل الهجوم المضاد انقلب هؤلاء الثوريين يبالغون فى قسوة العدو مما يشيع روح الهزيمة والخوف ويمهد للاستسلام . كذلك يقع فريق آخر من الثوريين فى فترات الجزر فى خطأ **الشك فى قوى الثورة وحلفائها** مما يدفعه الى مواقف متطرفة تهدد بعزل العناصر الاكثر ثورية عن الهالة العريضة من الثوريين الذين قد يقعون فى أخطاء أو تعتورهم أحيانا مظاهر الضعف دون ان يفقدوا اخلاصهم لقضية الثورة . وأحيانا يتجه الثوريون فى ظروف الجزر الى **الانطواء على أنفسهم** والاستغراق بحجة تحليل أسباب الخسائر فى تبادل الاتهامات والتشكيك مما يشيع الفرقة فى صفوفهم . وأخيرا قد يستبد القلق ببعض الثوريين فيندفعون فى اعمال مغامرة يائسة

لكل هذا يجب ان يواجه الثوريون الجزر بضبط النفس والمناقشة الهادئة لاسبابه والتفرقة بين الخطأ والخيانة والتمييز بين الخسارة التكتيكية والخسارة الاستراتيجية . وان نظرة جادة الى حالة الجزر التى تعانيها حاليا الحركة الثورية فى العالم الثالث لتبرز على الفور أن لها عوامل عامة يظهر مفعولها على النطاق العالمى ، وأخرى محلية تتكرر داخل بلدان العالم الثالث ذاتها . ولنبدأ بالطائفة الاولى من الاسباب :

وأول ظاهرة تلفت النظر على الصعيد العالمى هى **الانقسام فى الجبهة المعادية للاستعمار** فمن المسلم به اليوم أنه بغض النظر عن الخلافات المذهبية والمصالح القومية يوجد موضوعيا على النطاق العالمى جبهة عريضة تضم مجموع القوى الثورية المناهضة للاستعمار . هذا لا يعنى وجود تحالف مكتوب بين تلك القوى ، ولا تنظيم مشترك يضمها ، وانما يعنى انها جميعا تعادى الاستعمار وان كل ضربة توجهها احداها له تستفيد منها القوى الاخرى . وبالعكس كل ضربة يكيلها الاستعمار لاحداها تهدد فى نهاية الامر كل القوى الثورية فى العالم . وتضم هذه الجبهة بمفهومها الواسع هذا دول المعسكر الاشتراكى والدول الوطنية الفتية التى اختارت طريق التحرر والتقدم والاشتراكية وحركة التحرر الوطنى فى البلاد التى مايزال للاستعمار فيها سيطرة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية ، والحركة الشعبية المعادية للاستعمار والرأسمالية داخل الدول الاستعمارية ذاتها . وقد انتاب هذه الجبهة عدد من الخلافات بددت بعضا من قواها :

- فهناك أولا وقبل كل شىء **الخلاف الصينى السوفيتى** الذى يقسم المعسكر الاشتراكى ويجعل أكبر دولتين فيه تستنفدان جزءا ضخما من جهودهما فى صراع داخلى بدل تركيز جهودهما جميعا ضد الاستعمار . ان هذا الخلاف قضية تعنى شعوب العالم كلها وليس بقضية داخلية تخص الشيوعيين وحدهم لان الاتحاد السوفيتى والصين لهما من الوزن فى حلبة الصراع العالمى ما يجعل وجودهما وتعاونهما عونا موضوعيا ضخما للحركة الثورية كلها .
- وهناك ثانيا **بقايا الشك وعدم الثقة وعدم**

الفهم الكامل بين المعسكر الاشتراكي والحركة الشيوعية العالمية من جانب وبعض حركات التحرر الوطني في العالم الثالث من ناحية أخرى . فكثير من الوطنيين يجعلون من تحفظاتهم الايديولوجيه على الماركسية اللينينية عقبة في سبيل تعاون القوى الثورية على النطاق العالمي. والاحزاب الماركسية اللينينية اخطأت في كثير من الاحيان في تقييم الحركات الوطنية وتقدير طاقاتها الثورية واحتمالات تطويرها. وكان لهذه الظواهر الموضوعية اثرها في بث عوامل الشك وعدم الفهم والحد من امكانيات التعاون .

● وهناك ثالثا **الخلافات بين القوى الاشتراكية** داخل العالم الثالث. وايا كانت الاسباب التاريخية لتلك الخلافات ، وبغض النظر عن مسئولية الاطراف المختلفة في تفاقمها ، فان وجودها لايخدم الا أعداء الاشتراكية . ان البلدان التي تناضل من أجل انبعاثها القومي ورفع مستوى معيشة شعوبها تحفل بالتيارات الاشتراكية التي تريد تصفية كل أثر للقهر والاستغلال. ومن الطبيعي جدا ان تختلف تلك التيارات فيما بينها حول الوسائل المثلى لبلوغ الهدف المنشود . بل ومن الطبيعي ايضا ان تقع في اخطاء جسيمة ، وان يظهر بين صفوفها عناصر رجعية في الحقيقة قد تنتهي حتى الى مواقف فاشية او تقع في حبائل الاستعمار وتصبح اداته المنفذة . ولكن كل ذلك لا ينفي ان قاعدة الحركة الاشتراكية في هذه البلدان جميعا قاعدة شعبية واسعة ، وان ما يجمع بين القوى الاشتراكية اكبر مما يفرق صفوفها .

وقد صاحب وجود هذه الانقسامات وتفاقم خطرها **ظاهرة التهوين من الخطر الاستعماري** وعدم اليقظة الكافية ازاء الاستعمار ومناوراته ومؤامراته فقد ظن بعض اليساريين انه بحصول بلاد العالم الثالث على استقلالها تنتهي المعركة مع الاستعمار او تخف حدتها الى حد بعيد لتبرز المعركة في الداخل بين الرأسمالية الوطنية والطبقات الشعبية وكان هذا الظن الخاطيء يمكن ان يؤدي الى اهمال خطر الاستعمار والانصراف كلية الى المعركة الداخلية وتحويل الرأسمالية الوطنية بأكملها الى احتياطي للرجعية والثورة المضادة . وقد ظن بعض اليمين ان الاستعمار قد سلم بالامر الواقع وانه وقد فقد الامل في استعادة مراكز السيطرة قد غدا يقنع بعلاقات الصداقة والتعاون . وكان من شأن هذا الظن أن ينعش آمال الرأسمالية المحلية في بناء مجتمع رأسمالي ينمو بفضل «المعونات» الغربية . كذلك فسر **مبدأ التعايش السلمي** تفسيرات خاطئة عديدة . فقد ظن البعض ان امكان منع الحرب العالمية المدمرة يعني بالضرورة انتفاء كل امكانية لعدوان استعماري محلي ومحدود المدى ، او انه يعني امكان حل كل قضايا التحرر بالمفاوضات السلمية . وظن البعض كذلك ان التعايش السلمي يمكن ان يطبق على العلاقة بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة على النطاق المحلي او القومي واختلط في هذا الاطار أمر التمييز بين المواقف التكتيكية والمواقف الاستراتيجية . ولعل خير مثل على ذلك محاولة تفسير سياسة « **مؤتمرات القمة العربية** » تفسيرا استراتيجيا ، مع ان جمال عبد الناصر قد اوضح منذ البداية في سنة ١٩٦٤ انها تمثل موقفا تكتيكيا املته ضرورة مواجهة التوسع الاسرائيلي وانها ليست بحال بديلا لوحدة الهدف التي تبقى الاساس الاستراتيجي لسياسة كل القوى الثورية العربية . والواقع ان التعايش السلمي لا يعني بالنسبة لحركات التحرر الوطني اكثر من ضمان عدم استخدام أسلحة التدمير الشامل ضدها لما يتضمنه ذلك من خطر حرب عالمية تدمر المعتدين الاستعماريين أنفسهم . اي ان التوازن النووي لا يحمي الدول الفتية ولا الحركات الوطنية من كل أخطار العدوان ، ولكنه يضمن لها الا ينقض عليها الاستعمار بكل ما يملك من قوى . ان التعايش السلمي يوفر لها امانا نسبيا وليس امنا مطلقا ، وهو يجعل من الممكن أن تحصل على مساعدات الدول الصديقة ، ويعطيها فرصة اكبر في تصريف امورها بمحض ارادتها ولكنه لا ينفي بحال خطر الاستعمار

واخيرا فان الاتجاه نحو التهوين من خطر الاستعمار والميل للتعامل الوثيق معه وفقدان الحذر ازاء تسلله وما يقيمه من جيوب كان امرا جد خطير لانه اصطحب بتغيير في تكتيك الاستعمار واساليب سيطرته ، انه اقترن بانتشار **ظاهرة الاستعمار الجديد** . ودون افاضة في الحديث عن الاستعمار الجديد يكفي ان نذكر ان جوهره هو **المحافظة على الاستغلال** . وهو يحاول ان يبقى الاستغلال بالاعتماد على حكومات عميلة بدلا من الحكم الاستعماري المباشر ، وتأسيس ارتباطاته على بورجوازية من الموظفين والوكلاء التجاريين بعد ان كان يعتمد على الاقطاع وشيوخ القبائل ، وقهر الشعوب عن طريق جيوش ترفع العلم الوطني ولكن ضباطها كانوا بالامس يخدمون في جيوش الاستعمار (مثل انكراه (غانا) وايرونيس (نيجيريا) او يتدربون اليوم في مدارسه العسكرية . بل ان الاستعمار الجديد يذهب الى ابعد من هذا ، انه لا يقف في طريق التنمية الاقتصادية بكافة مظاهرها، بل يعاون في بعض البلدان على احداث نوع من التنمية الزائفة تحقق رواجا مصطنعا تستفيد منه الطبقات المالكة وحدها. فالبلدان التي ترفض الاشتراكية تغمر السلع الامريكية والاوروبية اسواقها ويجد اصحاب الدخول العالية فيها كل ما يشاءون ، ويتحدثون عن الرخاء ملء افواههم والشعب يتضور جوعا . وقد وصل الاستعمار الجديد في مرونته الى حد المساعدة على خلق بعض الصناعات المحلية . وهذه الصناعات لا تغير من جوهر الاستغلال الاستعماري وانما تنقل موقعه . فصناعة النسيج مثلا التي انتشرت في دول افريقيا عقب استقلالها لا تلغي الاستغلال الاستعماري وانما تغير صورته .

فقديما كان الاستعمار يحصل على القطن بالثمن البخس ويبيع لتلك الشعوب المنسوجات بثمن باهظ. واليوم يشترى منها المنسوجات بثمن بخس ويبيع لها الالات وقطع الغيار بأثمان لا تفتأ ترتفع من يوم الى يوم . وحين ينشىء الاستعمار فى البلاد المنتجة للبترول معامل للتكرير بل وبعض الصناعات البترولية يشترى انتاج ذلك كله بثمن بخس فضلا عما يوفره من نفقات النقل ، والاستعمار بهذا يضرب عصفورين بحجر . فهو من ناحية يبقى على الاستغلال ومن ناحية اخرى يحاول ان يجعل من بعض البلاد الخاضعة له « نماذج للتنمية » تنافس ولو مؤقتا تلك البلاد المتحررة التى تعانى كل الالام التى تصاحب كل تنمية حقيقية . وفى نفس الوقت يعمل الاستعمار الجديد على بث النعرات القبلية لتفتيت الوحدة القومية ، واثارة التعصب القومى ليدفع بالافريقى لقتال الافريقى والاسيوى لضرب الاسيوى ، وشن الحملات ضد الاشتراكية تحت شعارات اشتراكية زائفة ، والعمل على عزل البلدان المستقلة حديثا عن بلاد المعسكر الاشتراكى وفى كل يوم يخرج عملاؤه بدعوة جديدة ليس لها من هدف الا ضرب حركة التحرر الوطنى والنضال الاجتماعى للشعوب التى عانت الامرين من سيطرة الاستعمار . فمن دعوة ليوبولد سنجور الى التعصب الزنجى ضد الافريقيين العرب الى دعوة فيصل للحلف الاسلامى المزعوم تتوالى الاقنعة التى يرتديها الاستعمار دون ان تفلح فى حجب حقيقته الكريهة . والواقع ان الاستعمار لم يفلح رغم كل شىء فى ان يغدو «معسولا» ولا فى أن يقيم حكومات مستقرة تمارس « الديمقراطية الغربية » فهو الى جانب التسلل عن طريق المعونات والاستثمارات قد لجأ الى الجرائم القذرة فى الكونغو والى التدخل العسكرى السافر فى سان دومينجو والى الحرب المكشوفة فى فيتنام . والحكومات التى ساندها لم تتمتع بالاستقرار المدعى . فمعظمها تحول الى ديكتاتوريات سافرة وحول فكرة الحزب الواحد من اطار التعبئة الجماهيرية الى اداة قهر بوليسى (وتلك حال ساحل العاج مثلا) . وحيث عجز الحكام المدنيون اسلموا السلطة الى « قادة الجيوش » الذين كانوا قبل ١٩٦٠ صف ضباط فى جيوش الاستعمار (فولتا العليا وداهومى وافريقيا الوسطى) .

ومهما يكن من امرفان خلاصة الموقف من الناحية العالمية هى انه فى الوقت الذى استجمع فيه الاستعمار قواه واخذ يجدد اساليبه لهجوم مضاد كانت الحركة الثورية تستبد بها الانقسامات وتضعف فى صفوفها اليقظة الثورية ويفتح اكثر من باب لتسلل الاستعمار .

قضية الديموقراطية

واذا كانت تلك هى الظروف المواتية عالميا للهجوم الاستعمارى المضاد ، فان نجاح هذا الهجوم فى هذا البلد او ذاك يتوقف الى حد كبير على الاوضاع الداخلية فيه. فان يستعد العدو ويعيد تنظيم صفوفه وينوع اساليبه ، امرمنطقى وطبيعى وان تكون الظروف العالمية مواتية لهجومه المضاد امر لاسلطان لبلد واحد عليه . ولكن نجاح الاستعمار فى الاطاحة بحكومة ثورية وشل حركة الجماهير وضرب الحركة الثورية ضربة قاصمة امر تفسره فى المقام الاول الاوضاع الداخلية للبلد المعين . واستعراض تلك الاوضاع فى البلاد التى اصيبت بنكسة استعمارية يكشف عن عدد كبير من المشكلات التى لعبت دورا اساسيا فى موقف الجماهير السلبى وعزله القادة وفتح باب المؤامرة امام المغامرين . ويمكن ان تجمع كل تلك المشكلات حول قضيتين هامتين ووثيقتى الارتباط : قضية الديمقراطية وقضية التنمية الاقتصادية .

وتحت قضية الديمقراطية تندرج قضايا عديدة لعل ابرزها قضايا **السلطة وجهاز الدولة ، وكادر القطاع العام ، والتنظيم السياسى الثورى ، ومشاركة الجماهير فى تصريف شئون البلاد الاقتصادية والسياسية** فيجب الا يغيب عن الذهن ان دولة متحررة تحكمها سلطة ثورية ليست فريسة سهلة للاستعمار كما قد يبدو لاول وهلة . فاذا كان الشعب معبأ تعبئة عالية ضد الاستعمار واخطاره وملتفا حول قيادته الثورية التفافا وثيقا وكان الحزب الثورى طليعة فعالة تنظم صفوف الشعب وتضرب له المثل فى النضال والتضحية ، فان قوى الشعب تعزل العناصر الرجعية والانتهازية والمتآمرة وتضيق عليها الخناق ، ولا يكفى عندئذ للاطاحة بالحكومة الثورية ان تستولى حفنة من المرتزقة على محطة الاذاعة ، لانها ستواجه بهبة منظمة من الشعب كله وفى كل مكان من البلاد . والشعب الذى استطاع ان يسقط حكم الاستعمار المباشر مع قوة الاستعمار وجبروته قادر ولاشك على تحطيم الانقلابيين . ان الانقلاب دائما من صنع عدد محدود من المغامرين . ومن الخطأ القاء مسئوليته على الجيش فى مجموعه . ففى عدد من البلدان المتحررة جيوش وطنية لا يمكن ان تنساق باكملها الى خدمة الاستعمار . وحتى فى البلاد التى يتولى قيادة الجيش فيها عناصر مريبة تربت فى احضان الاستعمار تكون اغلبية الضباط الشبان عناصر وطنية ذات اصل شعبى والجنود دائما من ابناء الشعب (ولا يستثنى من ذلك الا حالات نادرة مثل جيش المغرب القائم على عسكريين محترفين دون تجنيد اجبارى) . لكل ذلك يكون اشتراك وحدات الجيش فى الانقلاب ابتداء خضوعا لانضباط عسكرى ولا يستمر الا اذا نجح الانقلابيون بالفعل فى الاستيلاء على السلطة السياسية التى لها الامر الاعلى على الجيش . ولو صادف اى انقلاب مقاومة شعبية ناجحة بحيث لم تستقر السلطة السياسية فى يده لكان الغالب أن ينقض

الجيش على الانقلابيين. فسر نجاح الانقلابات اذن هو ان الشعوب لم تهب لمقاومتها . ومن ثم لابدمن الاهتمام الخاص بتلك الظاهرة التى علق عليها عدد كبير من الكتاب : **لماذا لم تهب الشعوب فورا للدفاع عن القادة الذين تحقق التحرر على ايديهم والذين اشتهروا بمواقفهم الثورية ؟ . اننا يجب ان نسلم بانه يمكن فى اى ظروف ان توجد حفنةمن الخونة والمتآمرين تحاول الاطاحة بالسلطة الشرعية ، وانه ليس من الممكن دائما منعها من المحاولة قبل بدئها . ومن ثم فان الضمان الحقيقى لحماية الثورة ليس فى منع محاولات الانقلاب وانما فى قدرة قوى الشعب على التصدى لكل انقلاب**

وقبل البحث فى اسباب عدم تصدى الشعوب لمقاومةالمحاولات الانقلابية لا بد ان نؤكد مرةاخرى انه اذا كان النظام الثورى من الشعبية بحيث يستطيع ان يسحق كل مؤامرة فانه لا يبقى امام الاستعمار الا العدوان السافر المباشر . وظروف عالم اليوم تجعل مثل هذا العدوان امرا استثنائيا فالاستعمار الامريكى لم يجرؤ عليه الا فى فيتنام . ومن فيتنام ايضا ياتى الدليل الساطع على ان قوة الاستعمار الغشوم لايمكن ان تصفى مقاومةشعب ان شعب فيتنام الذى لا يزيد عدده عن ١٥ مليون نسمة خاض حربا ضروسا لمدة تسع سنوات ضد الاستعمار الفرنسى انتهت بانسحاب الفرنسيين . وها هو ذا يقاتل من جديد منذ خمس سنوات ضد الاستعمار الامريكى وكل الدلائل تشير الى ان النصر سيكون حليفه. ولهذا فان الحلقة الرئيسية فى مقاومة مؤامرات الاستعمار وعدوانه جميعا هى التعبئة الشعبية والتنظيم الشعبى الذى يقوده حزب ثورى على رأسه قادة ثوريون .

وحيث نجحت الانقلابات يجب ان نتلمس سر نجاحها فى اختلال شروط المقاومة. ويمكن ان نرد اختلال تلك الشروط الى سبب عام هو الدور الذى تلعبه الطبقات والفئات والعناصر التى تحرص على الاستيلاء على النصيب الاكبر من مكاسب الثورة وعلى الانفراد بالممارسة الفعلية للسلطة . ففى بعض البلدان المتحررة توجد راسمالية وطنية أصيلة لعبت دورا ثوريا هاما ضد الاستعمار والاقطاع والاحتكار ، ولكنها بحكم وضعها الرأسمالى تريد مصادرة الثورة لحسابها فتنفرد بالسلطة وتفوز بأعظم المزايا ، وهى بحكم درجة تعليمها وخبرتها فى شئون الحكم والادارة تتفوق بسهولة على العناصر الشعبية وتنجح كثيرا فى فرض نفوذها . بل ان المثل الذى تضربه يتسرب الى الطبقات الشعبية ذاتها فتنتشر بينها الانانية والانتهازية والرغبة فى الكسب الشخصى والعائلى السريع على حساب المصلحة العامة . وفى البعض الآخر لا توجد فى الاصل راسمالية وطنية ، ولكن العناصر المتعلمة التى تتبوأ الاماكن التى كان الاستعماريون يحتلونها من جهاز الدولة ومن المشروعات الاقتصادية تسودها عقلية بورجوازية تطمع فى رغد العيش وتقليد الاجانب المستعمرين. ولهذا تلجأ عناصر كثيرة منها الى الحصول على مختلف انواع الامتيازات المشروعة وغير المشروعة وكثيرا ما يستخدم وضعها السياسى والادارى فى تكوين ثروة فى داخل البلاد او خارجها . ويزداد بالطبع خطر الاتجاهات الراسمالية كلما كان الاستعمار يحتفظ داخل البلاد بمصالح تقليدية او جيوب جديدة .

وتنجح تلك الطبقات والفئات والعناصر بمختلف الطرق،واساسا بفضل ما لديها من تعليم او خبرة فى السيطرة على جهاز الدولة والقطاع العام ، وهى بحكم عقليتها تلك تعمل على ابعاد الشعب عن ممارسة حقوقه المشروعة التى تنص عليها الدساتير والقوانين وتحتال على ذلك باساليب متعددة . فهى تغذى احيانا **عبادة الفرد** وتعمل على تأليه القائد والايهام بان ما يلهمه من تصرفات هو مفتاح التقدم وان ارادته يجب ان تكون امرا مقدسا . وهكذا بدل ان يتجه القائد الى الشعب يتجاوب معه ويستلهم ثوريته يميل الى معاملته كالطفل القاصر . وقليل هم القادة الذين يفلحون فى التغلب على هذا المنزلق ويرددون ما يقوله عبد الناصر فى كل مناسبة « ان الشعب هو المعلم والقائد » . وهى بحكم سيطرتها على الاجهزة الادارية تفضل دائما **الاسلوب الادارى البيروقراطى** فى حل المشاكل على الاسلوب السياسى . فالعمل السياسى يفترض توعية الجماهير وحفزها على التحرك ذاتيا لمواجهة مشاكلها وهذا يهدد بالا تخضع الجماهير لارادة ومصالح أصحاب النفوذ. فلا غرو أن يفضل هؤلاء العمل الادارى الذى قد يجحف بالجماهير ، والذى يفرض عليها — حتى فى حالة رعاية مصالحها — السلبية والتعود على انتظار الحلول من لدى الدولة . ولعل اخطر ما تقوم به الفئات والعناصر ذات الامتيازات هو: **تخريبها للتنظيم السياسى الثورى** بأعتباره سلاح الجماهير الاساسى فى ممارسة حقوقها . فمن المعروف ان الجماهير فى تفرقها ونقص خبرتها لا يمكن ان تبلور وجهة نظرها او تفرضها الا من خلال تنظيم سياسى ثورى نابع منها وملتصق بها . ولهذا فان كل القوى التى تحرص على بقاء الجماهير مهيضة الجناح تعرقل عمليا تكوين مثل هذا التنظيم حيث لا يوجد ، وتخربه حيث يوجد .

وتكون محصلة هذا كله هو ان السلطة السياسية بدل أن تكون بالفعل بيد قوى الشعب ممثلة فى القادة الثوريين النابعين منها المتمتعين بثقتها ، فضلا عن الممارسة المباشرة للديمقراطية عن طريق اشتراك الجماهير فى تصريف شئون البلاد الاقتصادية والسياسية ، بدل ذلك كله تصبح السلطة الفعلية — وبغض النظر عن النصوص والضمانات الدستورية — بيد الطبقات والفئات والعناصر المسيطرة بالفعل على جهاز الدولة والقطاع العام والتى لا تتبنى آمال الجماهير

واهدافها . وهكذا تحس الجماهير انها بعيدة عن السلطة ، وتنفصل القيادة الثورية عن الشعب الثورى . ويزيد من سوء الحال ان تلجأ الفئات الحاكمة بالفعل الى اساليب القهر العشوائى ضاربة عرض الحائط بالحريات الفردية . عندئذ لا تحس الجماهير بأن النظام القائم نظامها عليها ان تصونه

ان السلطة الشعبية الحقة هى ضمان التحام القيادة الثورية بالجماهير ، ضمان الاحساس العام بالوحدة المطلقة بين الحاكمين والمحكومين ، ضمان شعور كل فرد من افراد الشعب بأن اليد التى ترتفع لضرب حكومته انما تضربه فى صميم مصالحه والحزب الثورى ذو الفكر الثورى الواضح والكادر الثورى المتفانى فى خدمة الشعب هو الوسيلة الوحيدة لربط الجماهير بالقيادة ولتوفير المسئولين لجهاز الدولة والقطاع العام الذين لا تلهيهم مصلحة خاصة عن خدمة الشعب وبناء الاشتراكية .

قضية التنمية الاقتصادية

والى جانب قضية الديمقراطية تبرز قضية التنمية الاقتصادية . ذلك ان أهم دلالة عملية للحصول على الاستقلال السياسى هى انه يصبح فى وسع الشعب ان ينمى اقتصاده القومى ليرفع مستوى معيشته . ولا يمكن ان يصبح الاستقلال السياسى حقيقة ذات مغزى الا اذا صار بالفعل طريقا لتلك التنمية . وقد اثبتت التجارب العديدة ان الراسمالية عاجزة فى ظروف عالم اليوم من اجراء التنمية السريعة المنشودة ، فضلا عما تعنيه الراسمالية من ظلم اجتماعى ولهذا اتجهت الشعوب واتجه القادة الوطنيون الى اختيار طريق الاشتراكية . ولكن الاشتراكية ليست كلمة سحرية يكفى ان نرددها كالتعويذة فاذا الصعب من الامور يهون . انها تقدم اكثر الظروف مؤاتاة لتحقيق التنمية . ويبقى بعد ذلك ان التنمية عملية صعبة معقدة تفترض التضحيات الجسام .

وليس موضوعنا فى هذا المقام الحديث فى نظرية التنمية ولكن لابد من ان نذكر ان معدل التنمية الزمنى وابعادها الاقتصادية تتوقف على أمرين

● مقدار الفائض الاقتصادى الذى يستطيع المجتمع فى مجموعه ان يقتطعه من دخله القومى كل عام ليخصصه للتنمية .

● الاسلوب الرشيد فى استخدام هذا الفائض

وبلغة أبسط نقول ان حجم التنمية يتوقف قبل كل شىء على مقدار ما يدخره المجتمع ، أى ما يمتنع عن انفاقه فى شكل استهلاك جماعى او استهلاك فردى ، ويخصصه بالتالى للاستثمار . ولا شك ان الشعوب فى البلدان النامية تخرج من فترات حرمان واستغلال طويلة . ولكنها يمكن ان تقنع بتحسينات محدودة فى مستوى معيشتها الحالى لتضمن لها ولاولادها استمرار تحسن هذا المستوى مستقبلا ولكن أكبر ما يمكن ان يقلل عزيمة الشعوب واقدامها على التضحية هو ان تحس بأنها تضحى وحدها فى حين ان هناك طبقات او فئات او عناصر تثرى وتستمتع . ان الاشتراكية لا تعنى المساواة فى الدخول لان البشر ليسوا متساوين . ولكن التفاوت البالغ فى الدخول يؤثر معنويا فى قدرة اصحاب الدخول الصغيرة على تحمل التضحية . وهؤلاء يزيد سخطهم كلما احسوا بأن اصحاب الدخول العالية لا يقنعون بالمشروع بل ينحرفون الى الفساد والرشوة . وهنا تلتقى قضية التنمية بقضية الديمقراطية . فالسلطة الشعبية الحقة هى التى تستطيع ان تفرض التضحية على الجميع ، وان تضرب المثل فى بساطة معيشة المسئولين فى كافة المستويات وما يقدمونه من تضحيات . والتنظيم السياسى الثورى هو الذى يستطيع ما لا تملكه الدولة واجهزتها من تعبئة ضد الفساد والرشوة والدخول غير المشروعة ومظاهر الاستغلال والعدوان على الملكية العامة . وعدم تقبل اصحاب الدخول العالية للتضحيات اللازمة يؤثر فى الطبقات الشعبية من ناحية اخرى . فهو يؤدى الى ان يسود المجتمع كله جو طابعه التسابق الى الاستهلاك والتباهى بمظاهر الراحة او الترف المادية ، مع ان المجتمع فى مرحلة التنمية لابد ان تسوده قيم اخرى مثل تقديس العمل وتمجيد المتفوقين فى الانتاج واعلاء القيم الجماعية . ان اشد القوانين صرامة لا يمكن ان تحمى القطاع العام مالم تصبح الملكية العامة فى نظر الناس اقدس من الملكية الخاصة . ان المواطن العادى يحتقر اللص (اى من يعتدى على الملكية الخاصة) ولكنه لا يواجه بنفس الاحتقار من يعتدى على الملكية العامة

ويظهر اثر الرغبة فى زيادة الاستهلاك المباشر فى طريقة استخدام الفائض الاقتصادى المخصص للتنمية . فمن المعروف انه كلما اتسعت قاعدة انتاج سلع الانتاج كلما امكن مستقبلا مضاعفة انتاج السلع الاستهلاكية . ولكن ضغط الراغبين فى الاستهلاك السريع يقلل من الاستثمار فى السلع الانتاجية ويقلل بالتالى من معدلات التنمية الحقيقية .

وفى مثل هذه الظروف تتجه الاسعار نحو الارتفاع وتشتد وطأة التضخم وتحس الجماهير بأن مكاسبها تذوب فى نار الاسعار المتقدة . وهكذا تغطى متاعب الحياة اليومية على الانتصارات المجيدة والمنجزات الضخمة التى حققتها البلاد . وتتحول اقسام من الجماهير ذاتها — كما قال عبد الناصر — الى احتياطى للرجعية . وفى نفس الوقت تزداد شهية اصحاب الاوضاع الممتازة وتشغلهم احتمال الحد من دخولهم فتفتر حماستهم للنظام الذى اوصلهم الى ماهم فيه من اوضاع . ويضاعف من خطورة الموقف عدم تصفية الرجعية ووجود جيوب استعمارية تغذى فى آن واحد سخط الجماهير وطموح الطبقات الوسطى . . .

وعلى هذه الارضية من سخط جماهير الشعب واطماع أصحاب الاوضاع الممتازة يقيم الاستعمار صرح مؤامراته وتفرخ الانقلابات . وليس معنى

ما نقول ان الطبقات والفئات التى لا تعمل بيدها تقف كلها فى معسكر الثورة المضـــادة او تتربص بالنظام الثورى الدوائر . وانما نريد ان نبرز أنها رغم ثوريتها ووطنيتها لو ترك لها الامر يمكن ان تسير على سياسة ضارة تهدد الثورة والاستقلال جميعا . والواقع ان اقساما كبيرة منها — لا سيما المثقفون والفنيون — يمكن كسبها لقضية بنـــاء الاشتراكية . ولكن هذا يعنى ببساطة انه لا بد من اعادة تربيتها لتتخلص من المثل العليا البورجوازية وتدرك حقيقة القيم الانسانية العالمية التى تدعو اليها الاشتراكية . والتنظيم السياسى الثورى الذى يعبىء طليعة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين هو وحده القادر على جذب اعرض القوى الوطنية الى الثورة الاشتراكية وربطها بأهداف الشعب واعادة تثقيفها بقيم الاشـــتراكية

عناصر المد الثورى

وبعد ، ان شعب غانا لم يختف من الوجـــود بسقوط حكومة نكروما . لان شعب غانا هو الذى انجب نكروما وليس العكس . واذا كانت الجماهير تحت وطأة سخطها لم تهب للدفاع عن حكم كانت لها تحفظاتها عليه فانها لن تلبث ان تصطدم بالحكام الجدد وخيانتهم وتخريبهم لاقتصاد البلاد . وعندئذ ستتجمع قوى الثورة من جـــديد وتشتعـــل نار المقاومة .

فعوامل الجزر التى انتابت الحركة الثورية فى العالم الثالث لا تعدو أن تكون لحظة من لحظات النضال الثورى الطويل . والخسائر الاخيرة لم تغير جزريا علاقات القوى بين الاستعمار والقوى المعادية للاستعمار . فنحن ما زلنا فى عصر انتصار الشعوب . ووعى الشعوب يزداد يوما بعد يوم . وان فترات الجزر مدرسة للثوريين اذا ألحـــوا فى فهم دروسها ونجحوا فى رسم خططهم لاستئناف الهجوم .

وعلى ضوء عنـــاصر الضعف يمكن ان نتلمس اسباب القوة . ولهذا فان استئناف المد الثورى يقتضى فى تقديرنا .

● فى داخل كل بلد من بلدان العـــالم الثالث **تحقيق اعلى درجة من الوحدة بين كل القوى الثورية** والتغلب على كل عوامل الفرقة والاحكام المسبقة والشكوك المتبادلة . فهذه الوحـــدة هى العمود الفقرى لحركة الجماهير الثورية والسد المنيع ضد مؤامرات الاستعمار والرجعية .

● وعلى اساس تلك الوحدة يجب **تدعيم التنظيم السياسى الثورى** وتحقيق التحامه بالجماهير بحيث يصبح جزءا منها وطليعة لها ينبض بخفقات قلبها وينطق بلسانها ولا يعبر الا عن آمالها يعلمها ويتعلم منها ، يقودها ويستلهمها ، ينظمها ويعبئها ، ولا يمتاز عنها الا بما يقدمه كادره من مثل فى التفانى والتضحية والترفع عن الكسب الشخصى

● تمكين قوى الشعب بفضل تنظيمها السياسى من ان **تمارس السلطة بالفعـــل** بحيث يبرز من صفوفها الكادر السياسى والادارى والفنى المرتبط بقضية الشعب والاشتراكية .

● مواجهة **قضية التنمية مواجهـــة جادة** وعدم التردد فى فرض ما تقتضيه من تضحيات مع تحقيق العدالة فى تحمل تلك التضحيات .

● وعلى نطاق العالم الثالث كله لا بد من **التعاون الوثيق بين كل القوى الثورية** ، لا بد من التمييز الواضح بين مقتضيات المبادىء اليومية والرغبة فى اجتذاب الحكومات والتنظيمات السياسية المترددة ومحاصرة العناصر العميلة واجبارها على فضح نفسها وبين الرابطة الاصيلة التى يجب ان تربط الحكومات والحركات الثورية الصادقة والتى يجب ان تكون من القوة بحيث تتغلب على التناقضات ولا تجعل من الخلاف فى وجهات النظر او من اخفاق تجارب سابقة فى التعاون عقبة كؤودا فى سبيـــل وحدة الصف الثورى .

● وعلى تلك الحركات والحكومات الثورية أن **تتحلى باعلى درجات اليقظة ازاء الاستعمـــار والاستعمـــار الجـــديد** ، وليست تلك دعوة الى الانطواء على النفس أو للقطيعة الكاملة مع الدول الاستعمارية او رفض القروض والمساعدات . وانما هى دعوة لبذل اقصى الجهد لكى لا يكون التعاون اليومى سبيلا للمؤامرة . ولا شك أن تلك مهمـــة شاقة، ولكن طريق الثورة تحفل بمثل هذه المشاق .

● تعزيز التعـــاون مع كل **القـــوى المعـــادية للاستعمار فى الغرب ومع دول المعسكر الاشتراكى** فى اطار حل مشكلات التنمية ومقاومة مؤامرات الاستعمار وعدوانه . ان الولايات المتحدة نفسها تشهد اليوم حركة ديموقراطية من أعظم ما شهد العالم لمعارضة الحرب فى فيتنام وللقضـــاء على التمييز العنصرى . وفى كل الدول الغربية الاخرى توجد حركات شعبية قوية هى حليف طبيعى للثورة فى العالم الثالث . أما دول المعســـكر الاشتراكى فان علاقات الصداقة تربطها بالعديد من الدول المتحررة . وربما كان من المفيد فى هذا الشأن أن نشير الى ضرورة تخصيص القدر الاكبر مما تقدمه من معونات الى الدول التى تتصدر النضال ضد الاستعمار ومن أجل الاشتراكية . ولعل وحـــدة القوى الثورية فى العالم الثالث أن تـــكون أحـــد العوامل التى تساعد على تصفية الخلاف الحاد بين الصين والاتحاد السوفيتى ، فان هذه القوى الثورية الشابة التى تتعرض قبل غيرها لهجمات الاستعمار هى التى تعانى أكثر من غيرها نتائج الانقسامات فى الجبهة المعادية للاستعمار .

واخيرا ليكن شعارنا فى هذه المرحلة لا استسلام ولا مغامرة ، بل ضبط النفس واعادة تنظيم الصف وتحقيق أعلى درجات الوحدة والتلاحم بين القوى الثورية لتاخذ المبادرة من جديد فى صراع المصير ضد الاستعمار والتخلف .



- جذور وابعاد الصراع العربى الاسرائيلى ص ١٩
- الوجود الاسرائيلى فى المخطط الاستعمارى ص ٢٧
- الجذور التاريخية والطبقية لعنصرية شعب الله المختار ص ٣٤
- اقتصاديات اسرائيل واجهة مدنية لمؤسسات عسكرية ص ٣٨
- ازمة اسرائيل من الداخل ص ٤٥
- الهستدروت لافتة نقابية لمؤسسة راسمالية ص ٥٢
- القنبلة الذرية والصراع العربى الاسرائيلى . ص ٥٩
- اسرائيل .. وافريقيا ص ٦٥
- ثورة يوليو فى مواجهة التحالف الاستعمارى الصهيونى ص ٧٦
- قضية فلسطين اليوم عربيا وعالميا ص ٨٥

ان حديثنا عن اسرائيل كقاعدة استعمارية ليس من قبيل الاثارة السياسية او النشاط الدعائى ، بل هو تقرير واقع علمى وحقيقة موضوعية .فالتجمع الاسرائيلى الاستيطانى على ارض عربية انتزعت بحد السلاح وقوة العدوان ، دون اى وجه حق شرعى ، ليس له مقومات الامة ولا قسمات القومية ، وهى تعتمد على التمويل الخارجى فى حياتها من معونات وهبات وتبرعات وتعويضات وقروض وحصيلة بيع سندات وجبايات يدفع ٨٠٪ منها راسماليو الغرب .

وكما استمدت اسرائيل وجودها من الاستعمار فهى ايضا تستند على الامبريالية فى حماية الارض التى نهبتها من اصحابها . وسكان اسرائيل عبئوا كمحاربين تحت السلاح ، والقرى الاسرائيلية شيدت كحصون والمزارع انشئت كقلاع عسكرية .. فهى ترسانة الاحتكارات الغربية لحماية مصالحها الاستغلالية ، وهى القاعدة العدوانية لشن حملات ضد قوى التحرر الوطنى فى المنطقة .

وقد تردد اخيرا ان اسرائيل تضع اسلحة نووية فى مفاعلها الذرى الذى بدأ عمله عام ١٩٦٤ وتبلغ قوته ٢٤ ميجاوات ، مما يمثل اعظم خطر تتعرض له الامة العربية بل والسلام العالمى ، ولذلك فقد ادلى المناضل عبد الناصر بتصريح للصحفيين العراقيين كما اكد فى حديث آخر مع ممثلى التليفزيون الامريكى ان الجمهورية العربية المتحدة ستشن حربا وقائية ضد اسرائيل اذا حصلت على دليل قاطع على انها تصنع اسلحة نووية .

والطليعة تقدم دراستها الرئيسية فى هذا العدد عن تاريخ وطبيعة وتكوين وحقيقة واهداف هذا الجسم الغريب على العالم العربى والسبيل الى مواجهة تحدياته على اساس ثورى وعلمى واستئصال اخطاره وواقع ومستقبل الصراع العربى الإسرائيلى .



جذور وأبعاد الصراع العربى الإسرائيلى

لطفى الخولى

تكشف خريطة الشرقين الاوسط والادنى ، عن قيام تناقض عدائى لا خفاء فيه بين العرب وبين اسرائيل .

والواقع أن الاقتصار على مجرد الكشف عن ظاهرة التناقض هذه ، لا يفيد فى فهمها وعلاجها علاجا موضوعيا سليما ، وانما ينبغى أن نتعمق البحث بمنهاج علمى حتى نلمس جذور وابعاد هذا التناقض .

ان الدعاية الصهيونية والدوائر الموالية لها فى الغرب اساسا ، تعمد بمختلف الطرق الى تصوير هذا التناقض على أنه موقف عنصرى «شوفينى» من العرب ضد اليهود . او على حد تعبيرشائع فى اوربا الغربية هو **«موقف اتباع الدين الذى بشر به محمد من اتباع الدين الذى جاء به موسى من قبل»** .

ولقد كتبت مجلة **« الايكونيمست الاسرائيلية »** الشبه رسمية فى يوليو ١٩٦٣ ، تعلق على عدم صدور قرار صريح بادانة اسرائيل من المؤتمر الاول لرؤساء الدول الافريقية الذى انعقد باديس ابابا فى نفس العام .. كتبت تقول بتركيز واضح يستند الى هذا الخط الدعائى : **«واحدثنا ثغرة كبيرة جديدة فى الجبهة الاسلامية المعادية لاسرائيل التى تعب العرب فى محاولة خلقها منذ نشوءالدولة اليهودية فى ١٩٤٨»** . هذا فى حين ان هذا المؤتمر

كان اولا واخيرا مؤتمرا افريقيا لاعلاقة له من قريب او بعيد سواء فى تكوينه او فى الموضوعات المطروحة عليه بالاديان .

وعلى الرغم من ان وضع المسالة من جانب الصهيونية على هذا النحو ، هو فى حد ذاته وضع يشى بعنصرية اسرائيل نفسها ، الا ان بريق هذه الدعاية وحجمها مع الاسف ، قد حجبا عن عدد من الدوائر السياسية والفكرية التقدمية ، حقيقة العناصر المكونة لهذا التناقض والمختفية تحت قشور الدعاية اللامعة .

سؤال وجواب

واذن فالسؤال الذى يجب مواجهته بصراحة هو: **هل نحن العرب ، فى تناقضنا مع اسرائيل نصدر عن موقف عنصرى ؟**

كنقطة بداية ، يجب ان نحدد اولا «التشكيل الدينى للعرب» . فهناك فكرة خاطئة شائعة عالميا تجعل **((العربى))** مرادفا **((للمسلم))** . بمعنى ان العرب هم من يدينون بالاسلام فحسب . وهذه الفكرة ينقضها التاريخ والظروف والعلم والواقع العربى المعاشى . فالعربى هو نبت انسانى لارض معينة من العالم ونتيجة تفاعل اصول عديدة تكون اجتماعيا ونفسيا ، واقتصاديا خلال التطور التاريخى . وقد اسهمت جميع الاديان ، دون استثناء ، فى عملية التكوين هذه ، وخاصة من ناحية التراث والمزاج الثقافى والنفسى .

واذن **((فالدين))** ليس هو **((المعيار))** الذى نميز به **((العـــربى))** عن غيره . ان الباكستانيين والاتراك مثلا تدين غالبيتهم بالاسلام ومع ذلك فهم ليسوا عربا . كمالايتصور ان ينقلب من يعتنق الاسلام من البريطانيين او الفرنسيين او الامريكان عربا ، وينفصلون عن قومياتهم .

والواقع ان هذه الفكرة المضللة تنبع اليوم عن العقلية الامبريالية والرجعيات العربية المحليـــة المنهارة التى تتخذ من الدين سلاحا دعائيا ،تشهره فى وجه حركات التحرر القومى النامية والمتجهة نحو الاشتراكية فى تطورها والمهددة بالتـــالى لمصـــالح الاحتكارات العـــالمية والنظم والقـــوى الاقطاعية والرجعية عموما فى المنطقة .

وهو نفس السلاح الذى استخدمته فى القرن الحادى عشر ، قوى المغامرة والغزو والتوسع الاستغلالية الاوربية فى «حملاتها الصليبية» ضد العرب والشرق ، تحت **((شعار حب الله))** ، ساقت به الالاف من الاوروبيين المضللين « ذوى الايمان المسيحى الملتهب » الى مجازر الحرب ، لتحقيق آمال ارباب المال والتجـــارة والاقطاعيين وسادة الكهنوت فى «كنوز الشرق» .

واليوم يستخدم الاستعمار بالتحالف مع الرجعية والحركات العنصرية نفس السلاح فى الصراع مع الثورات التحررية التى تتفجر فى كل مكان مستعمر من عالمنا دون انقطاع .

فالامبريالية الفرنسية وحركة المستوطنين العنصرية الفاشية بالجزائر ، عمدت باستمرار الى تصوير الثورة الجزائرية امام الراى العام ، بانها تصدر عن العداء العنصرى للجزائريين المسلمين ضد الفرنسيين المسيحيين . ومن قبل جيشت الامبريالية العالمية الجيوش والامكانيات الضخمة ضد كل من الثورة السوفيتية والثورة الصينية باسم مقاومة اعداء الله الملحدين . ونفس التكتيك اتبعته القوى الاستعمارية والعنصرية باستمرار فى افريقيـــا حيث يتزامل التبشير المزعوم بالكتاب المقدس مع المدفع فى اغتصاب حقوق الافريقيين وحياتهم وارضهم فى جنوب افريقيا وروديسيا والكونجو وانجولا وموزمبيق وغيرها .

وهكذا الصهيونية فى نهاية النصف الاول من القرن العشرين اغتصبت فلسطين العربية بمساعدة قوات الاحتلال البريطانى ومؤازرة القوى الاستعمارية والاحتكارية العالمية وبطريق الابادة الدموية التى قامت بها العصابات الارهابية الفاشية (الهجناة وشتيرن والمنظمات العسكرية العبرية) وتشرد نحـــوا من مليـــون ونصف المليـــون من العـــرب مسيحيين ومسلمين من وطنهم ، وتقيـــم دولتهـــا **((كوطن قـــومى لليهـــود))** على اســـاس من التعصب الدينى **((لشعب الله المختار))** . ومع ذلك تحاول ، فى اتصالها بالعالم الخارجى ، ان تصور موقف العرب الضحايا منها ، بانه تعصب اسلامى ضد اليهود .

والحق انه لو استقرانا التاريخ ، فى جميـــع عصوره ، لتاكدت حقيقة ان العرب عامة ، سواء قبل او بعد الاسلام ، لم ينهجوا قط سياسة عنصرية او تعصبا دينيا ضد اى شعب او فئة او طائفة ما . وبالتالى فهم على وجه القطع واليقين التاريخى ، لم يشتركوا — بطريقة مباشرة او غير مباشرة — فى الحركات المعادية للسامية التى اجتاحت اوربا فترات اثر فترات ، واودت بحياة كثيرين من اليهود . ولعل السبب فى ذلك يرجع اساسا — فضلا عن كونهم ساميين فى اصولهم — الى ان العرب بحكم اوضاعهم الاقتصادية اولا ونتيجة لوقوعهم فى قبضة الاستعمار والاحتكارات العالمية ثانيا ، لم تتخلق فيهم القوى الاجتماعية والاقتصادية القادرة ذات المصلحة فى الاستغلال والتوسع الاستعماريين . بل على العكس كانوا دائما — كشعب — فى حالة مقاومة ، سلبية حينا وايجابية حينا اخرا ، ضد الاستعمار ومايثيره من نعرات ونظم تعصبية او عنصرية .

والحركات العنصرية أو التعصب الديني في النهاية، ليست في جوهرها الا اقنعة خارجية تستتر خلفها حركات للتنافس الاستغلالي والاستعماري اقتصاديا وسياسيا . فحركة العداء للسامية لم تولد في أوربا بشكل عنيف اذا استثنينا احداث محاكم التفتيش في أسبانيا في بداية العصور الحديثة والحروب الدينية في اوربا عامة الا مع بدء ظهور المدن ونمو الطبقة البرجوازية من التجار والصناعيين والماليين في قلب المجتمعات الاقطاعية . ولما كان نشاط هذه الطبقة البرجوازية يتسم بالمنافسة الحادة على السوق بين اعضائها ، فقد عمد اليهود من ابناء هذه الطبقة الى استثارة النعرة الدينية في نفوس عامة اليهود للتكاتف والتساند . وبالتالي الانفصال عن المجتمعات القومية — التي كانت آخذة في التبلور وصياغة الحياة على اسس جديدة — والتقوقع داخل مجتمعات مغلقة في الاحياء الخاصة التي عرفت باسم **((الغيتو))** حيث يستغل التجار وارباب المال والصناعة من اليهود ، طاقات افراد العامة العاملين منهم بابخس الاجور . وذلك بهدف خفض تكاليف انتاج وتسويق سلعهم .. الامر الذي جعل ارباب المال والصناعة والتجارة من اليهود في مركز اكثر امتيازا في مجال المنافسة الاستغلالية بالنسبة لباقي اعضاء الطبقة البرجوازية من المسيحيين .

هذا بالاضافة الى ان ارباب المال من اليهود كانوا تاريخيا أول من احترف الاقراض **بالربا** سواء لعامة الناس من الفلاحين او لصغار المنتجين او الاقطاعيين . ولم يكن غريبا رغم تناقض المصالح بين الاقطاعية الضيقة المفتتة لوحدة السوق وبين مصالح طبقة الماليين والتجاريين والصناعيين عامة التي تستهدف وحدة السوق وتوسيعه لاستغلالها .. لم يكن غريبا ان يعمد القسم اليهودي من الطبقة البرجوازية الوليدة الى الارتباط بالقوى الاقطاعية ومساعدتها بالمال ، وذلك لحاجته الى حماية الاقطاعيين في حرب المنافسة ، حيث كان الاقطاع مايزال له القوة الاولى في ذلك العصر .

هذه العوامل كلها ادت الى أن يثير المسيحيون من ارباب المال والتجارة والصناعة — باسم الدين — حركة تعصب مسيحية مضادة ، لمقاومة منافسيهم اليهود . وساعدهم على ذلك حنق جماهير الفلاحين الارقاء ، التي قاست من عمليات الاقتراض بالربا ومن ارتباط ارباب المال اليهود بسادتهم الاقطاعيين ، الذين كانوا يمثلون اعتى القوى طغيانا وسفكا للدماء ونهبا للاعراض وعرق العاملين .

لهذا لم تكن مصادفة قط ان يتلازم تاريخ اولى الحركات الدموية من العداء للسامية مع تاريخ الحملة الصليبية الاولى عام ١٠٩٦م ضد العرب في الشرق تحت شعار «انقاذ الاراضي المقدسة من البرابرة المسلمين» . فلقد استغل ارباب المال والتجارة والصناعة في «بلاد الراين» جو الحماس والتعصب الديني الذي اثاره اعداد ومسير الحملة الى جبل صهيون في بيت المقدس « حيث صلب اليهود المسيح » .. استغلوه للقضاء على منافسيهم من ارباب المال اليهود وقواهم العاملة في مجزرة رهيبة اطارت برؤوس ٨٥ الف يهودي . ومع تتابع الحملات الصليبية العنصرية تتابعت مجازر العداء للسامية في اوربا . ففي الحملة

تيودور هرتزل

هرتزل هو رائد الصهيونية وفيلسوفها ومخرجها من طور الاماني والامال الى طور العمل والتفكير الواقعي .

ولد في بودابست عام ١٨٦٠ . وهاجرت اسرته الى فينا بالنمسا وهو في الثامنة عشرة من عمره . وحصل على درجة الدكتوراه في القانون من جامعتها . ولكنه هجر القانون الى الكتابة ، فعمل مراسلا لصحيفة نمساوية في باريس ، وفيها حضر محاكمة دريفوس الضابط الفرنسي اليهودي الذي اتهم بالجاسوسية ، وقام بموافاة صحيفته بأخبار المحاكمة .

وكان لمحاكمة دريفوس تأثير كبير على تفكيره فقد كان يرى كما يقول « سيسل روس » في كتابه عن تاريخ اليهود ان خير حل للمسألة اليهودية هو تعميد الاطفال اليهود ليشبوا مسيحيين ، اذ أن تنصير الكبار عسير . ولكنه رأى بعد محاكمة دريفوس أن المسألة اليهودية ليست مسألة دينية بقدر ماهي عنصرية . بمعنى أن الكراهية منصبة على الجنس وليس على الدين . ومن هنا اتجه الى الاعتقاد بأنه لاحل لها الا بانشاء دولة يهودية يلوذ بها اليهود من الاضطهاد . وشرح فكرته هذه في كتيب اصدره باسم « الدولة اليهودية » . واخذ يدعو لها فكان ذلك بداية الحركة الصهيونية الحديثة التي تبلورت في المؤتمرات الصهيونية التي بدأت بمؤتمر بال سنة ١٨٩٧ . والغريب ان هرتزل لم يكن يؤمن بالتمسك بفلسطين لتكون مقرا للدولة اليهودية ووطنا قوميا لهم ، فقد كان يفضل عليها مكانا آخر يضمهم في افريقيا أو أمريكا . كما كان يفضل أن تكون الدولة علمانية لاصلة لها بالدين . ولكنه أمام معارضة زعماء الحركة الاخرين صدرت قرارات مؤتمر بال بأن تكون فلسطين مقر الدولة اليهودية .

ومات هرتزل عام ١٩٠٤ بالغا من العمر ٤٤ عاما .

الثانية انتقلت المذابح من بلاد الراين الى فرنسا . وفى الحملة الثالثة انتشرت المذابح فى انجلترا ..

فى ذلك العصر لم يحدث ان مست شعرة من يهودى واحد فى الشرق عامة وفى البلاد العربية او تلك التى اتصال بها او عاش فيها العرب بصفة خاصة . فخلال الحضارة العربية باسبانيا مثلا ، عاش اليهود كغيرهم فى ظل المساواة التامة فى الحقوق والواجبات . وكما يقول المؤرخ الفيلسوف ((دى بور)) استاذ الفلسفة بجامعة امستردام فى كتاب (تاريخ الفلسفة فى الاسلام) : **((وقد اشترك اليهود فى كل اطوار الثقافة العقلية عند المسلمين . وكان كثير منهم يكتبون باللغة العربية ، واخرون ترجموا المؤلفات العربية الى العبرية))** .

وفى هذا الجو العربى المتفتح بالاندلس ظهر المفكر الانسانى اليهودى الكبير **((ابن ميمون))** (عام ١١٣٥ — ١٢٠٤) فى محاولته التوفيق بين مذهب ارسطو وبين العهد القديم متاثرا بالفارابى وابن سينا .

ومع تقدم الزمن والتطور لم تتوقف حركات العداء للسامية باوربا . بل استمرت ، ضاق نطاقها حينا واتسع حينا اخر ، حتى بلغت الذروة فى عهد النازية بالمانيا الهتلرية فى الثلاثينيات من هذا القرن . فى حين ظل اليهود — عربا واجانب — آمنين تماما فى حياتهم ونشاطهم الاقتصادى والاجتماعى فى العالم العربى ، بل وشارك المواطنون منهم اخوانهم فى تولى مختلف الوظائف العامة .

ولو اتخذنا **مصر** ، كمثال تطبيقى للبلاد العربية لوجدنا ان تاريخها مايزال يفوح بعبير ابنها المفكر الفنان اليهودى **((يعقوب بن صنوع))** المعروف باسم ((ابو نضارة)) (عام ١٨٣٩ — ١٩١٢) وكفاحه ضد الاستبداد والطغيان ، حتى ليتربع فى تاريخها القومى — الذى يدرس الان فى معاهدها ومدارسها — فى مكانه بجانب الطهطاوى والافغانى ومحمد عبده وعبد الله النديم .

وحتى بعد قيام اسرائيل واشتراكها فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بعد تاميم قناة السويس ، لم يتغير الوضع العام بالنسبة لليهود . فمازالوا يمارسون حياتهم وحقوقهم الانسانية ويترددون على معابدهم فى حرية تامة . ولقد ظل **((حاييم ناحوم))** الحاخام الاكبر لليهود بمصر عضوا عاملا بالمجمع اللغوى بالقاهرة منذ انشائه حتى وفاته فى نوفمبر ١٩٦٠ . ولقد كان موت هذا الحاخام العالم خسارة كبيرة للفكر العربى المعاصر عبر عنها اعضاء المجمع فى حفل التابين الذى اقيم فى ديسمبر من نفس العام ، حيث تذاكر الناس البيان التاريخى الذى اصدره — كمواطن مصرى — خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وقال فيه : **((ان اليهود المصريين جزء لايتجزا من الامة المصرية ، وانهم يتمتعون بكل مايتمتع به المواطن المصرى الصالح . وعلى ذلك فليس لاى دولة اجنبية ، سواء اكانت هذه الدولة اسرائيل او غيرها اية صفة للتحدث باسمهم))** .

بل هناك ماهو اكثر من ذلك . فحى الازهر الذى يعتبر من اعظم الاحياء قداسة عند المسلمين من العرب وغير العرب ، هو فى نفس الوقت مركز هام من مراكز النشاط التجارى بالقاهرة . وفى ظلال جنبات الازهر ومآذن مسجد الحسين وغيره من المساجد تتجاور محلات المسلمين والمسيحيين واليهود التجارية .

وكذلك الحال فى الجزائر .. عمدت الثورة وقيادتها الى التمييز دائما بين الصهيونية كحركة عنصرية مرتبطة بالاستعمار واحتكاراته وبين اليهود كبشر . لقد وقفت الثورة من الصهيونية المتجسدة فى اسرائيل نفس الموقف الذى اتخذته بشجاعة ضد القوى الاستعمارية المعادية للتحرر الوطنى . فاسرائيل لم تكتف بالتصويت دائما فى الامم المتحدة ضد القضية الجزائرية بل عمدت الى التعاون الوثيق مع منظمة الجيش السرى الاوربية وتدريب اعضائها من الارهابيين ومدها بالسلاح .

واذن فالواقع الموضوعى يقطع بانتفاء اى تيار عنصرى ضد اليهود فى بلادنا وحتى عندما حدثت اخطاء فردية اوجدتها محاولة اسرائيل تجنيد الجواسيس بين ظهورنا للتخريب لصالحها كما كشفت عن ذلك قضية ((لافون)) الشهيرة ، عولجت هذه الاخطاء بسرعة وحسم مضادين لاى اتجاه عنصرى .

وعلى العكس من ذلك تماما نجد العداء العنصرى الاسرائيلى ضد العرب قد تجسد فى حملات ابادة مبيتة ذبحت فيها احيانا قرى عربية باكملها كمذبحة قرية دير ياسين فى ابريل ١٩٤٨ ومذبحة قرية بيت دراس فى مايو ١٩٤٨ ومذبحتى قرية قبيه فى اكتوبر ١٩٤٨ واكتوبر ١٩٥٣ ، ومذبحة قرية كفرقاسم فى اكتوبر ١٩٥٦ .. ومذابح الصهيونية للعرب لاتقل وحشية عن مذابح النازية ضد اليهود فهى تنبع عن نفس نظرية التعصب والتمييز العنصرى وتمارس نفس الاساليب . لهذا كان المؤرخ الفيلسوف البريطانى **((توينبى))** على حق فى تقييمه لهذه المجازر بقوله **((ان مذابح الاسرائيليين ضد العرب فى فلسطين تقارن من الناحية الاخلاقية بمذابح الالمان))** .

اسرائيل والعنصرية

ولست اريد هنا ان استرسل فى سرد سياسة التمييز العنصرى التى تنتهجها اسرائيل عن عمد ضد حوالى ٢٥٠ الف عربى يعيشون اليوم حياة

السجناء بكل معنى الكلمة فى اسرائيل فى مناطق معزولة ، ومقيدين بسلسلة محكمة من القيود والتشريعات العسكرية التى تحرمهم من ابسط حقوق الانسان ، هذا فضلا عن جريمة تشريد المليون ونصف المليون من العرب من وطنهم ومصادرة أموالهم . فهذا كله معروف ومقرر على المستوى العالمى .

على ان مايؤكد عنصرية اسرائيل تاكيدا قاطعا هو ان العداء العنصرى لايوجه ضد العرب فحسب بل هوينشب مخالبه الدامية بين طوائف اليهود انفسهم . وهذه نتيجة طبيعية تماما . فالعنصرية كالاستعمار ، ككل الآفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية اللانسانية من سماتها الشمول اذا مابذرت بذورها بارض مجتمع ما .

فالصهيونيون اليهود من غرب اوربا المعروفون باسم **«الاشكناز»** والامريكيون يسيطرون سيطرة تكاد تكون تامة على وسائل الانتاج وسلطات الحكم ، ويحاولون تشكيل المجتمع وتوزيع دخله لصالحهم على حساب الصهيونيين اليهود الشرقيين مثل يهود **« الكوش »** و **« السفارديم »** .

فبالرغم من أن اليهود الشرقيين فى اسرائيل يتساوون تقريبا فى العدد مع اليهود الغربيين فان مجموع دخل الاولين لايتجاوز ٧٠٪ من مجموع دخل الآخرين وذلك طبقاً لاحصاءات بنك اسرائيل الرسمية لعام ١٩٦٠ . ويمثل اليهود الشرقيون ٨٧٪ من سكان المستعمرات المؤقتة وهى اقصى المستعمرات سوءا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، و٩٠٪ من عدد العمال العاطلين . كما لاتزيد نسبة الطلبة من اليهود الشرقيين بالجامعة العبرية عن ٥٪ من المجموع الكلى .

ولقد حدث ان تفجر اليهود الشرقيون عنحركات للمطالبة بالمساواة ، ولكنها اخمدت من جانباليهود الغربيين المسيطرين سياسيا واقتصاديا وعسكريا بكل قسوة وعنف . وحاولت الحكومة تهدئةالموقف بتكوين لجان للتحقيق ولكنها مالبثت ان حفظت التحقيق دون اسباب .

وهكذا فالعنصرية اساس رئيسى من أسس اسرائيل تنشط خارجيا وداخلياعلى جبهتيه العربية واليهودية الشرقية على السواء .

قطبا الصراع العربى الاسرائيلى

ان هذه الحقائق التى يفور بها الواقع ، تكشف من **ناحية** عن زيف الدعاية الأسرائيلية فى محاولتها تفسير الموقف العربى منها — امام الرأى العام العالمى — على اساس انه موقف يصدر عن اتجاه عنصرى . وتؤكد من **ناحية اخرى** ان العنصرية الآثمة المخضبةبالدماء هى لب الصهيونية الاستغلالية المتجسدةبقوة الاستعمار العالمىاليوم فى فلسطين تحت اسم اسرائيل ».

واذن فاذا لم يكن موقفنا — نحن العرب — من التناقض القائم بيننا وبين اسرائيل ، يقوم من جانبنا على اساس من التعصب الدينى او العداء العنصرى .. فعلى اى اساس اخر يشتعل ويتحرك ؟

الحق ان جوهر هذا التناقض هو الصراع بينحركةالتحرر العربى التقدمية المعاصرة باتجاهاتها الاشتراكية ، وبين الاستعمار العالمى . هذا الصراع الذى تشكل فى صور متعددة ، واستخدمت فيهوسائل وادواتوقوى تنوعتدائما وماتزال بتنوع الظروف وتطور الاحداث .. كيف ؟

من المفيد اولا ان نحدد مفهومى **«حركة التحرر العربى المعاصرة»** و **« الاستعمار العالمى »** بحكم كونهما قطبى التناقض فى الصراع ومفتاحيه الرئيسيين .

ان **حركة التحرر العربى** وهى جزء من حركة التحرر العالمية ، حركة قومية تقدمية شملت منطقة متسعة ومتداخلة من قارتى آسيا وافريقيا ،وهى المنطقة التى عرفت جغرافيا باسم « الارض او العالم العربى » وتستهدف التحرر من الاحتلال والقواعدو التبعيةالاستعمارية وسيطرةالاحتكارات العالمية وقبضة الاقطاع والاستغلال الراسمالى المحلى وقيود التخلف الاقتصادى عامة . وهى حركة ظلت تعبر عن ارادتها منذ القرن التاسع عشر فى سلسلة من الانتفاضات والهبات ضد الاستعمارالعثمانى والفرنسىوالبريطانى فىسوريا والشام عموما ، وتونس والجزائر وليبيا ومراكش ومصر والسودان وغيرها من البلاد العربية ». ولكنها لم تستطع ان تتبلور عن حركة قومية ثورية بالمعنى الصحيح لعدم وجود الطبقة البرجوازية ذات المصالح المتناقضة فى السوق الوطنى مع القوى الاستعمارية ، والتى يمكن بالتالى ان تقود الشعب فى ثورته القومية للتخلص منالاستعمار ».

وعندما تم ميلاد نواة قوية الى حدما للطبقة البرجوازية فى احد البلاد العربية وهى مصر ، قبيل وخلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٩) بسبب اضطرار الاستعمار البريطانى الىالسماح باقامةبعض الصناعات بمصركالنسيج وغيره لسد احتياجات قواته المحاربة المحتلة للمنطقة والتى حالت الظروف الحربية دون استيرادها من بريطانيا . عند ذلك دب الصراع بينهذه القوةالوطنية الجديدة وبين قوىالاستغلال الاستعمارى حول السوق المصرى ، فولد الصراع ثورة ١٩١٩ ، التى اكتفت ، نتيجة لضعفالطبقة القائدة وطبيعتها المساومة ، بتحقيق هدف مشاركة

القوى الاستعمارية فى استغلال السوق والسلطة . بيد ان هذه الثورة من ناحية اخرى اطلقت اشعاعات ثورية مالبثت ان شملت المنطقة العربية كلها بل وامتدت حتى الهند . وكان طبيعيا ان تتحفز القوى القومية الثورية فى مصر لاستكمال اهداف الثورة الوطنية وتحرير البلاد وطنا وسوقا تحريرا كاملا من القيود الاستعمارية ، فقامت ثورة ١٩٥٢ واستطاعت ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادتهـــا الثورية والتحامها المباشر والعميق مع الجماهير أن تحطم فعلا القيود الاستعمارية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا فتقيم لاول مرة فى تاريخ الوطن العربى وافريقيا دولة حديثة مستقلة استقلالا كاملا من الناحية السياسية والاقتصادية وخاصة بعد تاميم قناة السويس والانتصار على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ثم تمضى بعد اختيارها الاجتماعى الحاسم فى يوليو ١٩٦١ تشق طريقها لبناء المجتمع الاشتراكى .

وقد جذب هذا النموذج الثورى المصرى ـ عربيا وافريقيا ـ كل القوى القومية والشعبية فى الوطن العربى فتفجرت ثورات تونس ومراكش والجزائر والعراق والاردن والسودان واليمن والجنـــوب العربى . وسرى بذلك تيار ثورى تحررى يلهب شعوب المنطقة كلها ضد الاستعمار والاقطاع والاستغلال الاحتكارى والراسمالى . ولم تلبث هذه القوى التحررية العربية المتزايدة النمو ان اســهمت وارتبطت بحركات التحـــرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريــكا اللاتينية ، ابتــداء من باندونج عام ١٩٥٥ حتى مؤتمر القارات الثلاث بهافانا فى يناير ١٩٦٦ ، فغدت بذلك عنصرا رئيسيا من عناصر الحركة التحررية الطوفانية التى تهدد باغراق الامبريالية واحتكاراتها واستعماراتهـــا فى كل انحاء العالم .

اما الإستعمار العالمى فهو نتاج تلك القوى والاتحـــادات الصناعية والمالية التى نمت نمـــوا سرطانيا بالمجتمعات الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا والنمسا والمانيا بعد الثورة الصناعية ثم بالولايات المتحـــدة وخاصة بعـــد الحرب العالمية الاولى . وسعت بالقوة المسلحة والاستغلال الاقتصادى الى اقتســـام العالم غـــير الصناعى او غير المتطور فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية واحتلاله واستغلاله كسوق ممتدة لمنتجاتها وموردا لاينضب معينه للمواد الخام اللازمة لصناعاتها .

وقدمنى الاستعمار العالمى بخسائر فادحة منذ نجاح الثورة الاشتراكية بروســـيا القيصرية ثم انفصال مجموعة دول اوربا الشرقية عنه وتكوينها مع الاتحاد السوفيتى كتلة اشتراكية مناوئة ، سرعان ماتضخمت بعد نجاح ثورة الصين عام ١٩٤٩ وثورة الفيتنام عام ١٩٥٤ وغيرها من ثورات آسيا ثم ثورة كوبا عام ١٩٥٨ وهكذا ضاق السوق يوما فيوما امام الاستعمار العالمى واحتكاراته . وانكمشت بالتالى مجالات استغلاله وبات يواجه عدوين فى وقت واحد ، القوى الشيوعية وقوى التحرر القومى التقدمية الجديدة ، وتشتت جهوده ، فى جبهتين فكان لابد من ان يجدد وسائله وخططه الحربية والسياسية والدبلوماسية على السواء .

هذان هما قطبا الصراع على المستوى الدولى وهما ايضا قطبا الصراع على المستوى العربى . فاين الصهيونية واسرائيل من هذين القطبين ومن ذاك الصراع ؟

هنا يحسن ان نحدد طبيعة الصهيونية ، بعد ان نجردها من الاقنعة التى تتستر وراءها مطلقة مباخرها حول اساطير العودة الى ارض الميعاد الدينية لتضلل الراى العام العالمى والجماهير اليهودية فى العالم بصفة خاصة .

من « الغيتو » الى « اسرائيل »

فالصهيونية ـــ تاريخيا وواقعيا ـــ حركة قام بها كبار رجال المال والصناعة من اليهود مستغلين العواطف الدينية الســـائجة لدى عامة اليهود ـــ الذين تعرضوا للاضطهادات العنصرية ـــ ابتداء من الحروب الصليبية حتى المذابح النازية ـــ للتوطن فى كيان معين يجعلون منه قاعدة لاستغلالاتهم الاقتصادية وبنكا للعالم كله يباشرون بواسطته سلطاتهم الاستثمارية فى جميع انحاء الارض بصفة عامة وفى المنطقة التى تضم « ارض الميعـــاد » بصفة خاصة . **((فالوطن القومى لليهود))** ماهـــو الا تطوير وتجسيد عصريين لفكرة وواقع **((الغيتو))** القديمين . ومن هنا كان الارتباط والتفاعل بين الاستعمار العالمى والحركة الصهيونية فى النشاة والحركة والهدف . فقد وجد الاستعمار العالمى فى الصهيونية اداة جديدة ونشيطة ومنظمة لخدمة اغراضه الاستغلالية ، ووجدت الصهيونية فى الاســـتعمار العالمى راعيا ابويا على استعـــداد لاشراكها فى عمليات استغلال الشعوب .

يؤكد هذا ، الاحداث التاريخية التى صاحبت نشاة الحركة الصهيونية على اساس تنظيمى منذ مؤتمرها الاول الذى عقد فى مدينة **((بال))** بسويسرا عام ١٨٩٧ برئاســـة الزعيم الصهيونى الفـــكرى والسياسى الاول الدكتـــور ((**تيودور هرتزل**)) صاحب كتاب **((الدولة اليهودية))** الذى يعد بحق **((توارة الصهيونية))** . اذ حذر هرتزل المؤتمر من اصدار قرار سريع بانشـــاء «الدولة اليهودية بفلسطين» حتى لايثير ذلك شكوك الدول الاستعمارية التى كانت وقتذاك تتنازع السيطرة بشدة وضراوة عـــلى بلاد الشرقين الاوســـط والادنى . . . وهى

الدول التى تؤيد الحركة الصهيونية وترعاهـا ماديا ومعنويا .

ولم يقتصر تحالف الصهيونية مع الاستعمار الاوربى فحسب بل تحالفت ايضا مع الاستعمار العثمانى الذى كان يتستر تحت اسم الاسلام . فكان الاستعمار العثمانى هو الذى سمح وشجع عام ۱۸۸۱ فى عهد السلطان عبد الحميد - وهو نفس الوقت الذى كانت مصر تموج بالثورة ضد الاستبداد العثمانى واسرة محمد على ومقدمات الاحتلال البريطانى للبلاد - اول هجرة يهودية كبيرة الى فلسطين . وكانت هذه الهجرة هى النواة الصهيونية الاولى فى قلب الامة العربية . كما سمح فى عام ۱۸۸۳ - بعد فشل الثورة العرابية فى مصر وتمكن الانجليز من احتلال البلاد - بانشاء اولى المستعمرات الزراعية الصهيونية فى فلسطين وكان الاستعمار العثمانى يخطط لاستخدام الصهيونيين كادوات قمع مناوئة للانتفاضات العربية التحررية التى اخذت تثور فى وجهه .

بيد ان الاستعمار البريطانى منذ ان استقر احتلاله لمصر منتصرا على الاستعمار الفرنسى حتى بدأ يعارض الصهيونية فى اقامة « الوطن القومى لليهود بفلسطين » . فقد اصبح ذلك يتناقض مع خطته فى الانفراد بالسيطرة الكاملة على الشرق الاوسط باعتباره الطريق الاستراتيجى الى الهند ، جوهرة مستعمراته . ومن هنا قام الاستعمار البريطانى بتقديم عرض جديد للصهيونية فى ١٤ اغسطس عام ۱۹۰۳ لتحقيق «دولتها الحليفة» باوغندا فى افريقيا حيث كان يطمع فى ايجاد قاعدة اقتصادية وعسكرية موالية له تخدمه فى صراعه مع الاستعمار الفرنسى والاسبانى والبلجيكى فى القارة . وقد اتجه المؤتمر الصهيونى السادس الى قبول العرض البريطانى الجديد ، والتنازل عن تحقيق «الوطن القومى بفلسطين» . ولكن قادة الحركة الصهيونية مالبثوا ان عادوا فرفضوا العرض حينما راوا ان قبوله قد صرف عنهم تاييد عامة اليهود المنساقين بسحر الدعاية الدينية التى يبشر بفلسطين بالذات كارض للميعاد لا اوغندا . الامر الذى كاد ان يحطم فى النهاية كل مشاريع واهداف الصهيونية والاستعمار معا .

قاعدة عدوانية فى شكل دولة

وخلال الحرب العالمية الاولى ، جندت الصهيونية قواها العاملة من عامة اليهود للحرب فى جانب الاستعمار البريطانى . وراحت الدوائر الحاكمة فى بريطانيا المتشابكة المصالح مع كبار قادة الحركة الصهيونية ، تنشط لخلق «دولة يهودية على مقربة من مصر وقناة السويس موالية لبريطانيا» وتسحب بذلك عرض اوغندا ، خاصة وان اخطار الحركة العربية التحررية ضد الاستعمار البريطانى كانت قد اخذت تتسع وتتزايد . وعلى اساس هذه «السياسة الجديدة» صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعد **(بلفور)** بتاييد بريطانيا وامريكا معا ، لاقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، كما اعترف بذلك **(لويد جورج)** رئيس الحكومة البريطانية وقتذاك . واكد ذلك ايضا تصريح الرئيس الامريكى **(ويلسون)** الذى قال فيه : **((انا مقتنع تماما ان امم الحلفاء بالاتفاق التام مع حكومتنا وشعبنا قد اتفقت انه فى فلسطين سيرسى اساس كومنولث يهودى))** .

وهكذا ظل الصهاينة واتباعهم من اليهود المضللين يتدفقون على فلسطين تحت حماية قوات الاستعمار البريطانى وبتاييد وتمويل مادى ومعنوى من جميع القوى الاستعمارية الاخرى . ونظمت من بينهم جماعات ارهابية مسلحة راحت تقوم بحملات ابادة ضد العرب ، وتنشىء مزيدا من المستعمرات العسكرية حتى قامت الحرب العالمية الثانية . وعندما وضعت هذه الحرب اوزارها بعد اندحار النازية ثار الصراع الدامى بفلسطين بين العرب من ناحية والبريطانيين والصهيونيين من ناحية اخرى . وامام اللجنة البريطانية الامريكية التى جاءت لفلسطين عام ١٩٤٦ تحت ستار التحقيق فى الحوادث الدامية ، قدمت **((الهاجناة))** ، اكبر العصابات الصهيونية العسكرية قوة ، تقريرا هو وثيقة تاريخية عظيمة الدلالة لانها تكشف بجلاء حقيقة العلاقات بين الاستعمار العالمى والصهيونية وبالتالى اسرائيل . يقول التقرير بالحرف الواحد :

« نحن نعتبر ان من المفهوم بان الدولة اليهودية ستؤمن بمعاهدات خاصة الشروط الجوهرية للامن العالمى كالقواعد الجوية والبحرية والبرية ومصافى البترول وماشابهها .. ان حركة المقاومة تشمل كل يهودى بفلسطين وهى المسئولة عن كل عمل يظهر معارضة لسياسة تصفية الصهيونية . ونحن الذين كنا نلاحق الثوار العرب الى مخابئهم . ان حركة المقاومة الصهيونية ليست حركة عدائية ضد البريطانيين . وليس هناك اى تعارض فى المصالح بيننا وبين بريطانيا العظمى .. ان باستطاعتنا مقاومة اى هجوم او ثورة عربية)) .

ولقد ظلت الصهيونية واسرائيلها حريصة على القيام بهذا الدور الاستعمارى ، باعتباره محور وجودها وحياتها . وبعد ستة عشر عاما من الاحداث والتجارب منذ تقرير الهاجناه وقف **((رولان برى))** السياسى الفرنسى المعروف بمشايعته الكاملة لاسرائيل فى الندوة التى نظمتها مجلة « **لاش** » الصهيونية فى باريس فى مايو ١٩٦٢ عقب توقيع اتفاقيات ايفيان والتسليم باستقلال الجزائر ، لمناقشة مستقبل العلاقات الفرنسية الاسرائيلية بعد الاستقلال الجزائرى .. وقف يقول بصراحة ووضوح دفاعا عن ضرورة انضمام اسرائيل للسوق الاوربية المشتركة :

« يجب علينا ان نعتبر اسرائيل تسربا للغرب

فى المناطق التى انصرفت عن الغرب . يجب علينا ان ننظر الى اسرائيل كاداة لتغلغل النفوذ الغربى بالنسبة للبلاد المتخلفة فى افريقيا واسيا .. واعتقد انه من حقنا ان نطالب بانضمام اسرائيل الى السوق الاوربية المشتركة استنادا الى هذه الحجة بالذات» .

على هذا الاساس مكن الاستعمار العالمى الصهيونية من ان تقيم اسرائيل عام ١٩٤٨ لتكون قاعدته العدوانية ضد حركات التحرر العربى الثورية ، بعد ان راحت تتعاظم قوتها واتجاهاتها الوحدوية والاشتراكية وتفشل سياسة الاستعمار فى التقسيم والفرقة بين العرب . ولتغدو ايضا مركزا من مراكز الاستغلال الاقتصادى المشترك للاستعمار الجديد فى المنطقة .

ولسنا فى حاجة هنا الى ان نعرض لتفاصيل الدور الذى تقوم به اسرائيل كقاعدة عدوانية ضاربة لصالح الاستعمار فان اعمال اسرائيل التخريبية لحركة التحرر العربى والاسيوى الافريقي تفوق كل حصر . ولكن يمكن ان نركز على الامثلة الاتية :

- اشتراكها فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ مع الاستعماريين البريطانى والفرنسى اثر تاميم قناة السويس .
- تأييدها المادى والعسكرى للثورة المضادة فى الكونجو ليوبولدفيل ضد حكومة لومومبا الوطنية ومساندتها لكل من تشومبى وموبوتو وجيش المرتزقة بل وتدريبها لقسم المظلات كله فى الجيش الكونجولى بما فى ذلك موبوتو نفسه .
- مساندتها للحكم العنصرى النازى النزعة فى اتحاد جنوب افريقيا ، والخروج على الاجماع العالمى بقطع العلاقات التجارية والاقتصادية مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية . ولقد ظلت اسرائيل هى فى مقدمة العملاء مع هذه الحكومة وبلغت نسبة التجارة الاسرائيلية مع جنوب افريقيا والمستعمرات البرتغالية فى القارة تمثل ٢٩٪ ، ٢٠٪ ، ٢٥٪ ، ٢٠٪ من مجموع قيمة التجارة الخارجية لاسرائيل فى سنوات ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ على التوالى . ويلاحظ ان النسبة تناقصت بعض الشىء ابتداء من عام ١٩٦٢ بسبب افتتاح اسواق جديدة لاسرائيل فى افريقيا نتيجة استقلال بعض الدول الجديدة .

ونفس الموقف تقفه اسرائيل اليوم فى تأييدها لحكومة روديسيا العنصرية ضد الشعب الافريقى .

- اتخاذها موقفا معاديا باستمرار من الثورة الجزائرية ومدها منظمة الجيش السرى الارهابية بالسلاح .

واليوم ، وامام التحام الثورة التحررية القومية بالثورة الاشتراكية فى الوطن العربى ، ترى اسرائيل التى كانت تحاول امام الراى العام العالمى ان تبدو فى مظهر الدولة الحديثة الديمقراطية ذات الاتجاهات الاشتراكية ، تعمد الى التعاون مع كل القوى الاستعمارية والرجعية فى المنطقة كحكومة شاه ايران لتدبير المؤامرات ضد مسيرة الحرية والاشتراكية العربية . وتعزف على نفس النغمات التى تتهم هذه المسيرة بالالحاد وتدافع وتؤيد مباشرة وبطريق غير مباشر الدعوة الاستعمارية الرجعية الجديدة لبناء حلف عدوانى متستر براية الاسلام !

وبعد .. فمن ارضية هذه الحقائق ، ينبع موقف الثورة العربية التقدمية المعاصرة وجماهيرها وقيادتها من الصراع العدائى مع اسرائيل . فهى اداة للاستعمار وقاعدة عدوانية مستمرة تتشكل فى صورة دولة يفبرك لها شعب لا تزيد نسبة عدد سكان اسرائيل الذين ولدوا بذات الارض عن ٣٧٪ فحسب ، وهناك ٣٥٪ جاءوا من أوربا وأمريكا ، ١٦٪ من آسيا ، ١٢٪ من أفريقيا تعيش على الهبات والاعانات التى لا ينقطع لها سيل من القوى الاستعمارية ولا تستطيع مع ذلك حتى الان ان تقيم اقتصادا طبيعيا متوازنا رغم ان هذه المساعدات بلغت قيمتها خلال العشرة السنوات الماضية ٧ بلايين من الدولارات ، وبلغ متوسط المساعدة للفرد الواحد ١٠٠ دولار فى السنة .

وهكذا كانت معركتنا — وماتزال — مع اسرائيل هى فى جوهرها معركة التاريخ والمصير مع الاستعمار العالمى واحتكاراته ، والعنصرية والرجعية المحلية معا ودون انفصال .

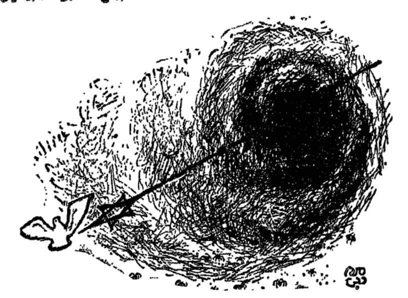
مؤتمر « بال » الصهيونى

اول مؤتمر للحركة الصهيونية دعا اليه « هرتزل » وعقد فى مدينة « بال » بسويسرا فى اغسطس ١٨٩٧ . وفيه أعلنت الحركة الصهيونية ووضعت مبادئها ورسم منهاجها الذى اختطته وسارت على هداه فيما بعد .

ويمثل اعضاء المؤتمر يهود العالم المشتركين فى الحركة الصهيونية والمسددين لرسم العضوية وقدره « شامل » أو مايساوى خمسة قروش فى العام . « والشامل » هو العملة العبرية القديمة .

وقد اتجه التفكير فى البداية الى عقد المؤتمر بمدينة « ميونخ » حتى يستثير الشعور العنصرى فى يهود شرق أوربا ، الا انه وجد معارضة حادة من يهود المانيا ، فقد خافوا من احياء العداء المسيحى فى المانيا لليهود بعد ان خبا بانتشار البروتستانتية . ولم يجد « هرتزل » بدأ من عقده فى مكان آخر ، فاختار مدينة بال .

ويعد مؤتمر بال بداية لسلسلة من المؤتمرات الصهيونية السنوية أو النصف السنوية فى بعض الاحيان .



الوجـــود الإسرائيـــلى فى المخطـــط الاستعمارى

خيرى حماد

ليست العـــلاقة بين الصـــهيونية وبين الاســـتعمار ، بالعلاقة الحـــديثة الطارئة كما يتوهم البعض ، أو كما يحاول القول تبريرا لموقف معين . فهى علاقة قـــديمة ، قـــدم الحـــركة الصهيونية نفسها ، اذ انها علاقة وجودية ومصـــيرية من ناحية . كما انها عـــلاقة مصـــلحية من الناحية الاخرى، تقوم على التلاقى بين الاهداف والمخططات والمصالح .

وقد حاولت الصهيونية ومازالت تحاول حتى يومنا هذا تقربا منها الى القوى التقدمية فى العالم وتزلفا للدول الحديثة المناهضة للاستعمار ولاسيما فى افريقيا واسيا ، ان تدفع عن نفسها تهمة الصفة الاستعمارية والامبريالية ، فتتظاهـــرت بالتقدمية ، والسير فى الطريق الاشتراكى ، حتى تمكنت من خديعة الكثيرين ، ولاسيما فى الحقب الماضية ، وصرف الانظار عن حقيقتها الاستعمارية، وطبيعتها الامبريالية ، الى ان سقط القناع الذى حاولت الاختفاء وراءه ، وظهرت فى صورتهـــا الصحيحة ، ممثلة لكل مافى الاستعمار والامبريالية من شرور ومساوىء،كما ظهرت اسرائيل نبتتها فى طابعها الحقيقى الصحيح ، تمثل أبشع صورة من صور الاستعمار والاستيطان الاستعمارى .

الصهيونية جزء من الامبريالية العالمية

قلت ان علاقة الصهيونية بالاستعمار ، علاقة وجودية ومصيرية ، لان الصهيونية نفسها حركة استعمارية تقوم على استعمار الارض ، واستيطانها بعد اخراج اهلها منها ، ولانها فى واقعها تؤلف جزءا لايتجزأ من الراسمالية العالمية ، التى تعتبر الامبريالية اعلى مراحلها . ومن هنا يكون الترابط الوجودى والمصيرى بين الصهيونية ونبتتها اسرائيل من ناحية ، وبين الاستعمار العالمى بشكليه القديم والجديد من الناحية الاخـــرى . ومن هنا ايضا يكون انهيار اسرائيل ككيان ، لاكمجرد قاعـــدة استعمارية ، جزء لايتجزأ من انهيار الراسمالية كنظام ، وزوال الامبريالية كوجود ، وتكون معركة تحرير فلسطين من القوى الصهيونية المسيطرة عليها جزء لايتجزأ من حركة التحرر من الاستعمار على الصعيدين العربى والعالمى .

ولقد كانت العزلة العنصرية التى فرضهـــا اليهود على انفسهم طيلة عصور التاريخ الطويلة وبتاثير بعض ماتضمنته تعاليم التوراة والتلمود من تكريس للعنصرية ، ومن تمجيد لليهود على انهم شعب اللـــه المختار ، السبب الرئيسى فى محاولة السيطرة على المجتمعات البورجوازيـــة

والراسمالية ، عن طريق المال ، لان هذا الطريق هو الوسيلة الوحيدة الذى تلجأ اليه الاقليات التى ارادت لنفسها هذا الوضع الاجتماعى ، فى محاولة اثبات وجودها ، والدفاع عن مصالحها . ومن هنا برزت قوة الاتجاهات العنصرية اليهودية العالمية كجزء ضخم من الراسمالية العالمية ، تحاول عن طريق السيطرة الاقتصادية ، التعويض على اوضاعها كاقليات منعزلة فى سائر المجتمعات العالمية ، للوصول الى السيطرة السياسية الخفية على مقدرات الامور فى البلاد التى تحقق فيها سلطانها الاقتصادى . ولما كانت الصهيونية كحركة ، هى التعبير السياسى الذى ظهر فى اواخر القرن التاسع عشر ، عن الرغبة فى تحقيق السيطرة السياسية على العالم الراسمالى عن طريق السلطان الاقتصادى ، فقد وجدت هذه الحركة الدعم كل الدعم منذ نشوئها من كبار الراسماليين اليهود ، كاسرة **روتشيلد** فى مختلف انحاء اوروبا ، واسرة **مونتفيورى** التى تعتبر من اغنى الاسر فى بريطانيا ، وكبار اصحاب المصارف فى المانيا وامريكا من امثال **هيرسن ومندلسون ومابر ، وكوهين لوب ، وليبمان ولازار وورمس .**

وكانت هذه العزلة العنصرية والتى جسدت نزعة فاشية رجعية ارتبطت ارتباطا وثيقا مع التناقضات الامبريالية ومع الصراع مع الحركات التقدمية والقومية ، مثار كثير من التساؤلات فى القرن التاسع عشر . حتى ان الكاتب الالمانى **برونوبوير** ، حاول مناقشة هذه المشكلة منذ عام ١٨٤٣ ، فذكر ان اليهودى يقف موقف الغريب من اية دولة قومية يقيم فيها ، وذلك لانه يعارض القومية الحقيقية بقوميته الوهمية ، والقانون الحقيقى بقانونه الخيالى . وهو يدعى ان من حقه ان يكون فى مركز منفصل وممتاز عن الناس جميعا ، ولذا فهو لا يشترك فى حركة الانسان التاريخية . وهو يتطلع الى مستقبل ليس بينه وبين المستقبل العام للانسان اية صفة مشتركة لانه فرد من الشعب المختار .

ودفعته هذه العزلة الى التعلق بالمال كسلاح للسيطرة على العالم ، وجسد بذلك الركن الاساسى فى كيان الراسمالية العالمية . ولقد وعى كارل ماركس هذه الحقيقة تمام الوعى فقال فى معالجته للمشكلة اليهودية ان «المال هو اله اسرائيل الشديد الطمع . ويعتقد اليهودى ان ليس من حق اى اله اخر ان يعيش الى جانب اله المال ، اذ ان المال يخفض جميع آلهة البشر ، ويجعلهم سلعا » ، ومن هنا بدات سيطرة الراسمالية العالمية التى يجسد الراسماليون اليهود ركنا اساسيا فيها على المقدرات السياسية للعالم ، وفى ذلك يقول ماركس .. «فاليهودى الذى لايحسب له حساب فى فيينا ، هو الذى يقرر بقوته المالية مصير النمسا كلها . واليهودى الذى قد يكون فى اصغر الدويلات الالمانية محروما من الحقوق هو الذى يقرر مصير اوروبا بأجمعها »

ولا ريب فى ان ماركس قد وعى ارتباط اليهودية المالية بالراسمالية العالمية ، التى تمثل الامبريالية اعلى مراحلها ، وعيا كاملا عندما قال «ان تحرير اليهود يعنى فى نهاية الامر تحرير الانسانية من اليهودية ، فالمجتمع البورجوازى ، يلد اليهودى من اعماق احشائه ، وقومية اليهودى الوهمية هى قومية التاجر ، وقومية رجل المال » .

ولاريب فى ان هذا الوعى التقدمى الكامل بطبيعة الصهيونية التى جاءت كتعبير سياسى عن قوة الراسمالية اليهودية ، هو الذى دفع الثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى بعد قيامها، الى اعلان الصهيونية حركة لامشروعة والى اغلاق مؤسساتها وتنظيماتها ، والى تحريم هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتى الى فلسطين وغير فلسطين من ارجاء العالم المختلفة ، بينما نمت الحركة الصهيونية وترعرعت ، ونشطت فى اعمالها، وتنظيماتها فى مختلف بلدان العالم الراسمالى لانها تؤلف جزءا لايتجزأ من حركة الامبريالية العالمية .

وليس ادل على النزعة الامبريالية الخطيرة التى تجسدها الصهيونية كحركة سياسية ، جعلت من اليهودية دنيا وقومية ، واستغلت ماانزلته الحركات اللاسامية الفاشية والرجعية ، من اضطهاد باليهود فى العالم فى دعوتها السياسية العنصرية من الخطاب الذى القاه **ناحوم جولدمان** الرئيس الحالى للمنظمة الصهيونية العالمية فى مدينة مونتريال الكندية فى عام ١٩٤٧ ، والذى قال فيه .. «وكان ممكنا لليهود ان يحصلوا على اوغندة ، او مدغشقر او غيرهما ، لينشئوا هناك وطنا قوميا لهم ، ولكن اليهود لايريدون على الاطلاق ، سوى فلسطين ، لا لاعتبارات دينية او بسبب اشارة التوراة الى فلسطين ، ولا لان مياه البحر الميت تستطيع ان تعطى عن طريق التبخر، ماقيمته خمسة الاف مليار دولار من المعادن والاملاح ولا لان تربة فلسطين الجوفية ، كما يقولون ، تحتوى على كميات من البترول تزيد على احتياطيه فى الامريكتين فحسب ، بل لان فلسطين هى ملتقى الطرق بين اوروبا وآسيا ، وافريقيا ولانها هى المركز الحقيقى للقوة السياسية العالمية ، والمركز العسكرى الاستراتيجى للسيطرة على العالم » .

العلاقة المصلحية

هذا من ناحية العلاقة الوجودية بين الاستعمار والصهيونية ، اما من ناحية العلاقة المصلحية التى اشرت اليها فى مستهل هذا المقال ، فان الصهيونية كحركة عنصرية دينية ، تقوم على مبادىء الاستغلال والعدوان ، وتستند الى فكرة التوسع والسيطرة

وتلجأ الى اساليب العنف وسفك الدماء . قامت فى القرن التاسع عشر على اساس ان الصهيونية دين وقومية ، ولذا فمن الواجب العثور على مكان يتكتل فيه اليهود ، وينظمون امرهم ، ويقيمون فيه دولة لهم ، تعيد لاسرائيل روحها ، ومجدها وسيادتها . وتبلورت هذه الاهداف التى جسدتها الحركة الصهيونية فى القرارات التى صدرت عن المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى مدينة بال فى سويسرا فى عام ١٨٩٧ بدعوة من **تيودور هرتزل** زعيم الصهيونية الاول . وتتلخص هذه القرارات فى وجوب انشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين كمرحلة لبناء دولة اسرائيل الكبرى التى تمتد من الفرات الى النيل ، مع تاكيد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف ، وتبنيها انشاء الصناديق الخاصة بتمويل الهجرة اليهودية الى فلسطين وباستملاك الاراضى واستعمارها ، لتكون نواة هذا الوطن القومى .

ولم تمض عشرة اعوام على هذا التاريخ ، حتى كان الاستعمار العالمى يحدد اهدافه ايضا . فقد حسر تقرير كامبل بانرمان نسبة الى رئيس وزراء بريطانيا فى عام ١٩٠٧ ، والذى نشرت بعض اجزائه فى الآونة الاخيرة ، النقاب عن هذه الاهداف ، وكيف تم تحديدها . ويقول هذا التقرير ان دول الاستعمار القديم ، قد نادت فى ذلك التاريخ الى مؤتمر عالمى ، لبحث المشاكل التى تواجهها والسبل التى تقترحها لحل هذه المشاكل وشهد هذا المؤتمر الذى عقد على مستوى اساتذة الجامعات والخبراء فى شؤون الاقتصاد والبترول والاستراتيجية والنقل وطبقات الارض والذى كان اشبه بالحلقة الدراسية منه بالمؤتمر السياسى ، ممثلون عن كل من بريطانيا وفرنسا وهولنده وبلجيكا واسبانيا والبرتغال وايطاليا . وعقد المؤتمر اول ماعقد فى مدينة لندن ، ثم انتقلت جلساته التى استطالت الى اكثر من عاصمة استعمارية ، وخرج فى النهاية بمجموعة من التوصيات ، كان اهمها تلك التى تناولت شؤون وطننا العربى . وتضمنت هذه التوصيات — على حد قول تقرير كامبل — بانرمان — ان الخطر الذى يهدد الاستعمار الغربى يكمن فى البحر الابيض المتوسط ، الذى يؤلف حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ، والذى يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية ، شعب واحد ، يتميز بكل مقومات التوحد والترابط ، وبما فى اراضيه من كنوز وثروات تتيح لاهلها مجال التقدم والرقى فى طريق الحضارة والثقافة . واوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر ، بان تعمل الدول الاستعمارية على تجزئة هذه المنطقة ، والابقاء على تفككها ، ومحاربة اى اتحاد يقوم بين اجزائها . والسعى الدائب الى تفسيخها عمليا وفكريا وتاريخيا ، واقترح كوسيلة عاجلة ، العمل على فصل الجزاين الافريقى والاسيوى فى هذه المنطقة ، احدهما عن الاخر ، واقامة حاجز بشرى قوى وغريب ، فى نقطة التقاء هذين الجزاين ، يمكن للاستعمار ان يستخدمه كاداة فى تحقيق اغراضه » .

وهكذا تحددت اهداف الاستعمار فى المنطقة العربية . ورأى قادة الصهيونية ، وهى كما قلت جزء لا يتجزأ من الناحية الوجودية والمصيرية من الاستعمار العالمى ، فى هذا التحديد الفرصة التى طالما انتظروها ، لتحقيق اهدافهم العنصرية الخاصة . وراحت الصهيونية تعرض سلعتها . ونفسها على الدول الاستعمارية واحدة اثر اخرى مبدية استعدادها للتحالف مع جميع الدول والقوى الاستعمارية . وكان قادتها ، يجوبون ارجاء اوروبا حيث كان مكمن الاستعمار القديم فى مستهل هذا القرن بحثا عن الاحلاف مع القوى الاستعمارية البارزة فى تلك الايام .

وكان اتصالهم الاول مع **فرنسا**، فقد قدموا مذكرة اليها ، يوجد نصها فى مجموعة وثائق اسرائيل الرسمية تقول .. (**(ستضم البلاد التى نعتزم احتلالها، مصر السفلى والاقسام الجنوبية من سوريا ولبنان . وسيمكننا هذا الوضع من ان نصبح سادة التجارة مع الهند وشبه الجزيرة العربية ، وافريقيا الشرقية والجنوبية . ونحن نعتقد ان ليس فى وسع فرنسا الا ان ترغب فى رؤية الطريق الى الهند والصين محتلة من شعب يسير وراءها الى الموت . وهل هناك من شعب يصلح لهذا الهدف ، اكثر من اليهود الذين شاء القدر لهم منذ بداية عصور التاريخ ، ان يرتبطوا بمثل هذا الهدف . وليس ثمة من شك فى ان اليهود والفرنسيين قد خلقوا منذ الازل ليعملوا معا**)) .

هذا ماقالته الصهيونية فى مذكرتها التى قدمتها الى فرنسا الامبريالية فى مستهل القرن العشرين وقد تحدثت فيها بلغة الاستعمار العالمى ، عن الطرق التجارية ، والممرات البحرية وموارد الهند. وقام اخرون من زعماء الصهيونية فقدموا عرضا مماثلا الى **المانيا القيصرية** التى كانت قد بزغت آنذاك وفى عهد الامبراطور غليوم ، ككوكب جديد فى سماء الاستعمار القديم . وقد تضمن هذا العرض مايلى : (**(نحن نريد ان نقيم على الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط ، حضارة عصرية ومركزا تجاريا ، يكونان دعامة للسيادة الالمانية مباشرة او لامباشرة . وستكون فلسطين عن طريق الهجرة اليهودية قاعدة سياسية وتجارية ، بل صخرة المانية — تركية كصخرة جبل طارق على حدود المحيط الانجليزى — العربى**)) .

ولم يقتصر العرض على هاتين الدولتين بل تعداهما الى الدولتين الانجلو — امريكيتين ، اللتين تحتلان زعامة الاستعمارين القديم والجديد ، وهما **بريطانيا وامريكا** . وقد نشر مؤخرا نص الرسالة التى كان قد بعث بها الدكتور **وايزمان**

زعيم الصهيونية الى القاضي **برانديسي** ، وهو الزعيم الامريكى الصهيونى الذى كان المستشار الاول للرئيس **ويلسون**،وصديقه الحميم ، والمؤثر الفعال على سياساته . وكان تاريخ هذه الرسالة فى الرابع عشر من يناير من عام ١٩١٨ ، وقد تضمنت مايلي: **((ان فلسطين اليهوديةالتى ستخلقها بريطانيا العظمى ، وتساعدها امريكا تعنى ضربة مميتة توجه الى السيطرة الاسلامية ـــ البروسية ـــ الطورانية على الشرق . ويجب ان يكون من الواضح كل الوضوح ، ان ثمة ارتباطا كليا بين المصالح الامريكية والبريطانية والصهيونية ، فى وجه المصالح التركية ـــ البروسية))** .

ويتضح من هذه الادلة والحقائق التاريخية الارتباطالمصلحى بين الاستعمار العالمى والصهيونية العالمية ، فهى تجسد الشكل الواضح الصارخ لابشع اشكال الاستعمار واشنعها، وهو **الاستيطان** الاستعمارى ، الذى يهدف الى تحويل وطن له اهله وشعبه ، الى قاعدة استعمارية امبريالية تتخذ منها الصهيونية المكان الذى تحقق فيه ايديولوجيتها العنصرية الفاشية ، والذى تستخدمه فى نشر اطماعها الاستعمارية فى الوطن العربى ، ويجعل منها الاستعمار الركيزة التى يستند اليها فى تنفيذ اهدافه ومخططاته ، وحماية مصالحه وقواعده،واسناد عملائه واجرائه فى الوطن العربى .

وهكذا تلاقت اهداف الاستعمار والصهيونية وتجسد هذا التلاقى فى وعد بلفور الذى صدر فى الثانى من نوفمبر من عام ١٩١٧ والذى اعطى فيه من لايملك ، كما قال الرئيس **جمال عبد الناصر** فى رسالته التاريخية للرئيس الامريكى الراحل كيندى ، لمن لايستحق ، ثم استطاع الاثنان **((من لايملك))** و ((من لايستحق)) بالقوة والخديعة ان يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه ، فيما يملكه وفيما يستحقه .

وليس ادل على هذه الوحدة الوجودية والمصيرية والمصلحية بين الاستعمار والصهيونية من قول **ونستون تشرشل** ، الذى يعتبر من بناة الوطن القومى الاول ، ومن ابرز زعماء الاستعمار فى العالم فى مذكراته التى توليت نقلها الى العربية ، اذ قال .. **((واذا اتيح لنا فى حياتنا ، وهوماسيقع حتما ، ان نشهد مولد دولة يهودية ، لافى فلسطين وحدها، بل على ضفتى الاردن معا ، تقوم تحت حماية التاج البريطانى ، وتضم نحوا من ثلاثة ملايين او اربعة من اليهود ، فاننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للامبراطورية البريطانية))** .

وقد تاكد هذا المعنى الذى صدر عن زعيم الاستعمار ، فى حديث لوايزمان زعيم الصهيونية عثر على نصه فى مجموعة الوثائق الصهيونية ، جرى فى الرابع من ديسمبر من عام ١٩١٨ مع **اللورد بلفور**وزير خارجية بريطانيا..قال **وايزمان** :

((وقد بينت للورد ان اقامة مجتمع يضم اربعة او خمسة ملايين من اليهود فى فلسطين ، سيكون قاعدة اقتصادية كافية ، يستطيع اليهود منها ان ينتقلوا بطريق الاشعاع الى الاجزاء الباقية من الشرق الادنى ، وان يسهموا اسهاما ضخما فى اعادة بناء تلك البلاد التى كانت مزدهرة فى يوم من الايام . لكن هذا العمل يتطلب اول ما يتطلب تنمية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، تنمية حرة وغير مقيدة ، بحيث نتمكن من اسكان اربعة ملايين او خمسة من اليهود فى فلسطين فى غضون جيل واحد ، ونجعل من فلسطين بلادا يهودية فى ظل التاج البريطانى .. وقد اقنعت اللورد بأن ما يسمى بالاستعمار ، ليس الا الصهيونية بعينها)).

ولاريب فى ان هذين القولين من الزعيم الاستعمارى والزعيم الصهيونى ، فى غنى عن الشرح والتفسير لانهما يمثلان الاعتراف الواضح الصريح بان الصهيونية والاستعمار شىء واحد ، وان رسالة الصهيونية المزعومة عن الاشعاع الى الشرق الاوسط واعادة البناء ليست الا رسالة الاستعمار المزعومة فى مختلف أرجاء العالم عن التحضير والتقدم ونشر نور المدنية .

اهداف الصهيونية

لا تقتصر مطامع الصهيونية واهدافها ، على احتلال هذا الجزء الذى احتلته من وطننا العربى فى فلسطين ، وانما تهدف الى اجزاء كثيرة من الوطن العربى الكبير ، تقع فى المنطقة التى حددها قادة الصهيونية بالارض الواقعة بين الفرات والنيل وهى اهداف تجعل من الوجود الصهيونى فى اسرائيل خطرا لايهدد شعب فلسطين وحده ، بل الوجود العربى كله .

يقول **التمان** ، وهو نائب فى الكنيست (البرلمان الاسرائيلى) فى خطاب القاه فى ٢٩ يوليو من عام ١٩٥١ **((ان من الواجب حشد خمسة ملايين من اليهود فى اسرائيل ، وهذا مالايمكن تحقيقه ضمن الحدود الحالية لدولة اسرائيل ، ولذا يجب تحرير ارض اسرائيل كلها من الفرات الى النيل))** .

ويقول **بن جوريون** الزعيم الصهيونى المعروف والرئيس المخضرم لحكومة اسرائيل مدة طويلة فى مقدمة التقويم السنوى لاسرائيل لعام ١٩٥٢ مانصه : **((نحن لم نرث بلادا واسعة ، ولكننا وصلنا بعد سبعين سنة الى اولى مراحل استقلالنا فى قسم من بلادنا الصغيرة))** .

ولاريب فى ان قيام اسرائيل فى قلب الوطن العربى ، يمثل الاطار الظاهرى لمؤامرة استعمارية واسعة الخطوط والشباك ، تتجاوز اهدافها حدود المنطقة المحتلة من فلسطين ، وتتصل خيوطها بالوجود العربى كله ، لا بالنسبة الى الدول العربية ، المجاورة لاسرائيل فحسب ، بل وللاجزاء البعيدة عنها من الوطن العربى ايضا .

وتشعر اسرائيل بوطأة الحصار العربى المفروض عليها ، وتدرك تعذر مرور تجارتها عبر قناة السويس ، الا اذا خاضت حربا تمكنها من السيطرة على هذه القناة ، وتحقق شطرا من احلامها فى الوصول الى ضفاف النيل ، وكان هذا الدافع هو الذى حفزها على العدوان فى عام ١٩٥٦ متآمرة مع دولتى العدوان الاخريين ، لكن صمود شعب مصر العربى الباسل ، وتطورات الموقف الدولى ، حالت بينها وبين تحقيق هذا الحلم ، فانكفات منسحبة من سيناء وقطاع غزة ، وهى تجرر ذيول الخيبة والفشل .

وهنا تزايد تطلعها الى **ميناء ايلات** على خليج العقبة اذ رات فيه المنفذ الذى تستطيع عن طريقه الاتصال بافريقيا وآسيا بعد ان اغلقت القناة فى وجهها . وراحت تضع المشاريع تلو المشاريع لتوسيع هذا الميناء وتحصينه، لتستطيع عن طريقه سد كفالة متطلباتها العسكرية والاقتصادية والاستراتيجية ، واقامت صناعة ضخمة لصيد الاسماك فيه والانتفاع من موارد البحر الاحمر الحيوانية ، واخذت تعمل على مد خط انابيب للبترول ، يمتد من ايلات الى سواحل البحر المتوسط، لتستطيع الدول الاستعمارية اللجوء اليه فى حالة توقف البترول عن المرور فى القناة نتيجة اية ظروف او طوارىء دولية .

وهناك ادلة مؤكدة ، على ان اسرائيل اقامت محطات جديدة لتوليد الذرة فى صحراء **((السبع))** التى يسمونها خطأ بصحراء **((النقب))** انسياقا مع تسميتها العبرية ، وهى تضع المخططات لحفر قناة مائية موازية لقناة السويس تبدأ من ايلات وتنتهى على ساحل البحر الابيض المتوسط ،وفى مكان يقع بين **غزة وحيفا** . ويقال انها اعدت ثلاثة مخططات لهذه الغاية ، ينتهى اولها فى مكان الى الشمال من قرية بيت حانون فى قطاع غزة ، ويبلغ طول القناة فى هذه الحالة (٢٨٠) كيلو مترا ، اى بزيادة (١٢٠) كيلو مترا على طول قناة السويس . اما المخطط الثانى فيقضى بأن تنتهى القناة عند المجدل ويكون طولها فى هذه الحالة ثلاثمائة كيلو متر ، بينما يقضى المخطط الثالث بان تنتهى القناة عند حيفا ، ويكون طولها فى هذه الحالة (٣٩٠) كيلو مترا . وقد قدر الحد الادنى من التكاليف لاى من هذه المشاريع الثلاثة بالف واربعمائة واربعين مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

وتتطلب هذه المشاريع كلها ، بالاضافة الى مشاريع التعدين والتصنيع فى صحراء السبع ، زيادة فى الايدى العاملة فى اسرائيل . ومن هنا كان تدفق سيول المهاجرين على فلسطين المحتلة من الصهاينة اليهود الذين يمتون الى مختلف القوميات والجنسيات والذين تاثروا اشد التاثر بالدعوة الصهيونية ، وقد بات عدد اليهود الان فى فلسطين المحتلة يزيد على مليونين ومائتى الف ، بعد ان كان عددهم لايزيد على الستمائة الف فى عام ١٩٤٨ وعلى الخمسين الفا فى عام ١٩١٨ .

وتهدف القيادة الصهيونية من هذه الهجرة الدافقة الى تدريب اكبر عدد من الشباب تدريبا مهنيا خاصا ليقوم كل فرد بواجبه فى بناء الدولة ، عن طريق مزاولته مهنة من المهن اللازمة للنهوض بالصناعة والزراعة والتعدين والاعمال المهنية الاخرى . وهى تهدف من الناحية العسكرية الى تدريب الشبان تدريبا كافيا ليؤدوا دورهم فى جيش اسرائيل .

مشاريع تحويل الاردن

ورأت الصهيونية ان الخطوة الاولى لتحقيق اهدافها التوسعية تتطلب المزيد من حشد اليهود فى المنطقة المحتلة . وهو ما اعربت عنه **جولدا مايير** وزيرة خارجية اسرائيل السابقة فى الامم المتحدة، عندما اعلنت ان **((عدد سكان اسرائيل سيزيد نحوا من ثلاثة ملايين فى غضون جيل واحد ، وان هذه الارقام ستقيم فى صحراء النقب))** . وقد اكد **بن جوريون** هذا بقوله ... **((اذا لم تتسع اسرائيل حدا لحياة الصحراء فى النقب فان حياة الصحراء فى النقب ،ستضع حدا لحياة اسرائيل))** .

ويقول **جوزيف شفارتز** ان : **((صحراء اسرائيل هى جبهة اسرائيل الجديدة ،فاذا فشلت فى اسكان الصحراء وتعميرها فان ذلك سيدعو جيراننا الى** مهاجمتنا والقضاء علينا)) .

لكن مشاريع اسرائيل فى صحراء الجنوب، ليست مجرد مشروعات اقتصادية ،كما تدعى الدعاية الصهيونية، وانما تمثل عدوانا سافرا يرتبط كل الارتباط بالوجود الاسرائيلى الحالى، وبحقيقة المخططات الاسرائيلية بالنسبة الى المستقبل ، وتوسع اسرائيل على حساب الدول العربية .فهى تعنى من الناحية الاقتصادية المجردة، زيادة مساحات الاراضى الزراعية فى اسرائيل زيادة كبيرة تمكنها من سد الجزء الاكبر من حاجاتها الغذائية. وتعمير منطقة الصحراء ، واعدادها لتوطين مئات الآلاف من المهاجرين الجدد فى المرحلة الاولى. لتنتقل بعد ذلك الى المرحلة الثانية وهى استغلال ما فى هذه الصحراء من موارد معدنية بعد ان تقوم الحياة الزراعية فيها، وزيادة الطاقة الكهربية اللازمة لمشاريع التصنيع والتعدين زيادة ضخمة ،واعداد ميناء ايلات للمهمة التى اوكلت اليه والتى تحدثنا عنها قبل قليل .

وتعنى هذه المشاريع تثبيت اقدام الكيان الاسرائيلى الحالى وتوطيد دعائمه واضعاف الامال فى انهياره اقتصاديا. كما تعنى تفاقم الخطر على الوجود العربى كله، عن طريق مضاعفة عدد السكان فى اسرائيل، وتطوير امكاناتها الاقتصادية والعسكرية تطويرا يؤدى الى تحقيق احلامها فى امبراطوريتها المتيدة .

ولم يخف بن جوريون هذه الحقيقة عندما قال

فى حفل افتتاح الطريق العسكرى الجديد بين العقبة وبئر السبع، بان هذا الطريق هو السد العالى الذى يقف فى وجه قوات مصر، وهو الباب الواسع للزحف الاسرائيلى المرتقب .

ويتضح من هذا ان مشاريع تحويل الاردن ، تؤلف جزءا من خطة سياسية واقتصادية وعسكرية صهيونية، تتصل باهداف اسرائيل التوسعية والعدوانية. فهى تريد انشاء مئات القرى المسلحة على طول الحدود المصرية والاردنية ،كما ذكر بن جوريون فى احدى المناسبات ،يقيم فيها مئات الالوف من الجنود المحاربين من فرق المنظمات شبه العسكرية وهى تريد ان تجعل من المشاريع الزراعية والصناعية والتعدينية ،وسيلة كما قال **((لودرميلك))** خبير المياه الامريكي المعروف ،وصاحب المشروع الذى اشتهر باسمه لتحويل نهر الاردن ، **((وسيلة لمعالجة عملية النزاع السياسى مع العرب))** .

ولا ريب فى ان القيادة الصهيونية التى اتمت مشروع التحويل، ومضت فى طريق الوصول الى الذرة ، تبذل كل ما لديها من جهد لتسهيل هجرة اليهود الى اسرائيل ، عن طريق تزويد المهاجرين بالقروض ،واعطائهم الضمانات والمنح المالية، وذلك لمضاعفة الطاقة البشرية الموجودة فيها، وزيادة امكاناتها العسكرية عن طريق زيادة طاقاتها على التجنيد .وهى ترمى الى مضاعفة سكانها الحاليين فى السنوات العشر القادمة .

ولن يكون فى وسع اسرائيل ،امام هذا الضغط الجديد من السكان الا ان تبحث عن « توسيع » شقة اراضيها ،على حساب البلاد العربية المجاورة لا سيما وان هذا العدد من المهاجرين الذى تأمل فى حشده، سيمكنها من مضاعفة جيشها الحالي، وزيادة قوتها العسكرية التى تعززت بالاسلحة الحديثة التى امدتها الدول الاستعمارية بها مؤخرا .وقد وعت القيادة العربية الثورية التى يمثلها جمال عبد الناصر هذه الحقيقة تمام الوعى ، وهى عاملة على دفع هذا الخطر كعمل مرحلى ،تمهيدا للمعركة الوقائية التى لا بد من وقوعها طالما ان العدوان الاسرائيلى مستمر، والتى اشار اليها الرئيس عبد الناصر فى خطبه الاخيرة .

أهداف الاستعمار

للوطن العربى اهمية خاصة فى جميع الخطط الاستعمارية والامبريالية ،اذ انه يحتل مركزا جغرافيا واستراتيجيا فى منتهى الاهمية بالنسبة الى اية كتلة من الكتل العالمية، المتصارعة، وفى اى عصر من العصور. ولذا كان هذا الوطن دائما ولا سيما المنطقة التى تقع على شطآن حوض المتوسط الشرقى وعلى مقربة من قناة السويس، مركز التطاحن بين مختلف القوى العالمية، فى كل عصر من عصور التاريخ نظرا لما فيه من ممرات طبيعية ،منها البحرية كقناة السويس والبحر الاحمر، وخليج العقبة، والخليج العربى، ومنها البرية التى تصل بين القارتين الافريقية والاسيوية ،ومنها الجوية، التى تربط بين اجزاء العالم المختلفة .

وقد سبق لى ان بينت فى مستهل هذا المقال، شيئا عن اهداف الاستعمار فى منطقتنا العربية ، عندما تحدثت عن المؤتمر الاستعمارى فى عام ١٩٠٧ الذى اوصى باقامة الحاجز البشرى الغريب عند نقطة التقاء القارتين الاسيوية والافريقية، لتجزئة وطننا العربى، وليستخدمه الاستعمار اداة فى تحقيق اغراضه. وقد افصح **الجنرال جلوب** وكان احد اعمدة الاستعمار البريطانى فى الوطن العربى، فى كتابه **((جندى مع العرب))** عن هذه الاهداف فقال ان **((بريطانيا ليرعبها ان تتصور ان تجارتها مع الشرق قد تنقطع فى يوم من الايام ،بسبب اقفال الممرات العربية فى وجهها))** . وذكر فى كتاب آخر له هو **((بريطانيا والعرب))** ان **((وجود دولة مقاتلة عظيمة ثابتة الدعائم فى الشرق الاوسط ، يستطيع ان يوجه الضربات القاصمة فى اوروبا وافريقيا حسب مشيئة هذه الدولة))** . واضاف ان مثل هذه الدولة تستطيع **((ان تشن الهجوم فى اية وجهة تشاء ، وعلى اى مكان فى اوروبا وآسيا وافريقيا، وان تفصل اوروبا عن آسيا والقارتين معا عن افريقيا، كما تستطيع التفريق بين الحلفاء وضربهم بعضهم ببعض ، وابادتهم جميعا ، الواحد تلو الاخر))** .

ويتضح من هذا ان الاستعمار يخشى اول ما يخشى قيام وحدة عربية تضم جميع ارجاء الوطن العربى، ولذا فقد عمل دائما على منعها من التحقق. ويفسر لنا هذه المؤامرات الاستعمارية على تجزئة هذا الوطن ، واقامة الكيانات الزائفة التى تهدف الى تكريس هذه التجزئة ، كما يفسر لنا الجهود القوية التى بذلها الاستعماران القديم والجديد لاقامة اسرائيل فى قلب الوطن العربى .

وليس ادل على صدق هذه الحقيقة من الاستشهاد ببعض اقوال صدرت عن قادة الاستعمار الغربى فى اكثر من مناسبة وتاريخ. فقد قال **دالاس** وزير خارجية امريكا الاسبق **((أن اسرائيل خلقت لتعيش ، وان الولايات المتحدة تعتبرها حقيقة واقعة))** . وقال **انطونى ايدن** رئيس وزراء بريطانيا الاسبق.. **((ان اى تحالف نكون نحن شركاء فيه، لا يمكن ان يوصف بانه موجه ضد اسرائيل))** . واعترف **ونستون تشرشل** بانه كان دائما من انصار قيام الدولة اليهودية. وقال احد نواب حزب العمال البريطانى فى عام ١٩٦١ انه لو قامت اسرائيل بالاعتداء على الدول العربية فان حزب العمال سيكون سعيدا جدا .

ويتضح من هذا ان الاستعمار اراد من خلق اسرائيل أن تكون اداة التجزئة التى يريدها فى الوطن العربى، واراد من خلقه الكيانات الزائفة التى تحيط بها ان تكون الوسيلة لحماية هذا المخلوق الذى

اقامه ، ودرء الاخطار عنه. وقد ايد المؤرخ العالمى المتحرر **ارنولد توينبى** الحقيقة فقال: **((خلقت بريطانيا هذا الوضع الذى نراه فى فلسطين عن سابق قصد وتصميم للابقاء على مصالحها الاستعمارية))** .

واراد الاستعمار ان يجعل من اسرائيل الاداة التى يسخرها فى تنفيذ مخططاته الاستعمارية فى المنطقة ، لا ضد العرب وحدهم ، بل وضد آسيا وافريقيا. ويهدد الاستعمار عن طريقها ، وعن قاعدته فيها ، جميع شعوب المنطقة ليفرض عليها تنفيذ مخططاته ، وجرها الى احلافه العسكرية الكريهة ، واخرها الحلف الاسلامى الذى اتخذت الرجعية العربية من قضية فلسطين ستارا للدعوة اليه. ولا ريب فى ان تاريخ اسرائيل منذ قيامها ، ولا سيما فى ايام العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ دليل واضح على ما نقول .

واراد الاستعمار من اسرائيل ان تكون عامل اشغال وتوتر فى المنطقة العربية كلها ، لصرف جهود الدول العربية عن اعمال التنمية والتحول الاشتراكى والنهوض بشعوبها ، وحصرها فى الاعداد لمواجهة اسرائيل وخطرها .

وجعل الاستعمار من اسرائيل الاداة التى يعتمد عليها فى سياساته الاستعمارية الجديدة ، لبسط نفوذه وسيطرته الاقتصادية على الدول الجديدة النامية فى آسيا وافريقيا . ولذا فهو يغدق عليها المعونات والهبات والقروض ، بشكل يفوق طاقاتها واحتياجاتها لتكون الممر الذى تعبر منه هذه المعونات الى الدول الجديدة. فاتحة السبيل امامه لفرض سيطرته الاقتصادية عليها ، والعودة اليها من النافذة ، بعد ان خرج بشكله القديم من ابوابها.

وتلقت اسرائيل لتحقيق هذه الغاية معونات اقتصادية ضخمة من الاحتكارات العالمية ، ولا سيما من امريكا . وتشير الارقام الى ان اسرائيل تلقت فى غضون عشر سنوات من الاحتكارات الامريكية اكثر من بليون ونصف البليون من الدولارات بالاضافة الى مئات الملايين التى تلقتها على شكل هبات وقروض ومساعدات وتعويضات من امريكا والمانيا.

ولا يقتصر تدفق الاموال والمساعدات الغربية الى اسرائيل على الولايات المتحدة وحدها ، وانما تشترك معها فى ذلك ايضا كل من بريطانيا وفرنسا والنمسا وكندا والمانيا الغربية. وتؤلف هذه الهبات والمساعدات بالاضافة الى قيمة املاك العرب المغتصبة فى اسرائيل والمقدرة بنحو ٣٨٠٠ مليون جنيه استرلينى ، الاساس الاقتصادى لدولة اسرائيل ويقدر مجموع ما حصلت عليه اسرائيل من مختلف المصادر حتى نهاية النصف الاول من عام ١٩٦٣ بنحو من سبعة الاف مليون دولار ، تقابلها ثروة قومية لا تتعدى حدود الاربعة آلاف مليون من الدولارات مما يشير الى عجز فاضح فى كيانها الاقتصادى .

ويتبين من هذا كله . ان دولة كاسرائيل تعيش على القروض والاعانات ، وتعانى من العجز الفاضح فى ميزانها التجارى ، لاتستطيع ان تتقدم بالمساعدات الاقتصادية الى الدول الجديدة النامية فى افريقيا وآسيا ، لولا ان رؤوس الاموال الاجنبية ، هى التى تمون اسرائيل ، لتتخذ منها ممرا لضمان استثماراتها فى هذه الدول النامية ، ولفرض سيطرتها الاقتصادية عليها. فالمعروف ان هذه الدول ، تتخوف من المساعدات الغربية ، لانها مشروطة فى الغالب ، ولانها تخشى السيطرة الاقتصادية الغربية على مقدراتها . ولذا جعلت الاحتكارات الراسمالية من اسرائيل ، اداة تصدير هذه الاستثمارات الى القارتين المذكورتين . وهذا هو السبب الذى يدفع اسرائيل الى التقدم بالعروض السخية الى هذه الدول ، والى التغلغل فى اقتصادها .

ويتمثل هذا التغلغل الذى يؤلف اداة الاستعمار الجديد فى افريقيا وآسيا فى تقديم التسهيلات الائتمانية الكبيرة ، ومقاولات البناء والفنادق ، واعمال المال والبنوك ، وشركات النقل ، والمساعدات الفنية ، والبعثات التدريبية ، والمنح الدراسية وغير ذلك من اوجه النشاط .

وعمدت اسرائيل بالاضافة الى هذا التغلغل الاقتصادى ، الى طرق اخطر الابواب للولوج الى مجال خطير ، وهو مجال العلاقات العسكرية. فبدات تعقد مع بعض الدول الافريقية اتفاقات عسكرية . لتدريب جيوشها واعدادها ، وتكوين قوات المرتزقة العاملة فى خدمة الاستعمار الجديد وعملائه فى افريقيا وتزويدها بمختلف الاسلحة. وكانت اتفاقاتها الاولى فى هذا الميدان مع ساحل العاج والكونجو (ليوبولدفيل) ، التى تتولى الان تدريب جيشها ، والتى تسمح لجنودها بالتدريب فى مدارس المظليين فى اسرائيل .

وتزاول اسرائيل فى بعض بلاد آسيا **كنيبال** مثلا نشاطا مماثلا ، وهى تمثل فى ذلك دور القاعدة التى يستغلها الاستعمار فى التسلل الى الدول الاسيوية ايضا.

ولا ريب فى ان هذا الدور الذى تمثله اسرائيل للاستعمار الجديد. هو الذى دفع الولايات المتحدة ، زعيمة هذا الاستعمار الى ان تلعب لعبتها الدولية الخطيرة على مسرح الامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ . فتفرض على المنظمة الدولية مشروع تقسيم فلسطين وتلجأ فى فرضها هذا الى اساليب ووسائل وصفها **جيمس فورستال** ، وزير دفاع امريكا الاسبق فى يومياته ، بانها اقرب الى الفضائح من اى شيء آخر ، كما وصفها «فولبرايت» رئيس لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشيوخ الامريكى «بالسلوك المخذى» .

ويتضح من هذا ان ارتباط الوجود الاسرائيلى بالخططات الاستعمارية والامبريالية العالمية ، يجعل من اسرائيل خطرا يهدد السلام العالمى كله. ويجعل من الصراع معها مظهرا من مظاهر النضال الذى تخوضه الشعوب كلها طلبا للحرية والاستقلال .



الجذور التاريخية والطبقية لعنصرية "شعب الله المختار"

ميشيل كامل

ابتكر الفكر الرجعى الغربى نظريات عنصرية معادية للسامية ، وتمادى فى حماسه ليزيف العلم وقوانينه لمصلحة الدوائر الاحتكارية .

وبلغت التشنجات الشوفينية ذروتها سياسيا فى العنصرية النازية،وتطبيقيا بعمليات الابادة الجماعية ضد الشعوب مع التركيز بصفة خاصة على يهود أوربا .

وكانت الشعوب العربية فى مقدمة القوى التى أدانت هذه المذابح الوحشية وعبرت عن تعاطفها مع المضطهدين والمشردين منهم ، وساهمت فى الجهود المبذولة من جانب القوى الديمقراطية والاشتراكية فى العالم اجمع للقضاء على الفاشية.

ورغم ذلك .. يعود اليوم جلادو الامس ليلبسوا مسوح الرحمة والتسامح والمساواة وينفثوا سموم دعاية مضللة عن عداء العرب للسامية .

والولايات المتحدة الامريكية التى تروج بها مجموعة ضخمة من الاحقاد العنصرية ضد الأمريكيين من ابنائها الذين ينحدرون من أصول زنجية وسلافية وصينية وايطالية .. الخ بالاضافة الى اليهود ، تنصب من نفسها حامية لهم مدافعة عن حقوقهم ، منددة بمعاداة العرب الوهمية للسامية فى محاولة لصرف الانظار عن حقيقة المشكلة وأساسها السياسى، واستدرارا للتاييد والمساندة لا لليهود انفسهم بل لدولة اسرائيل كقاعدة استعمارية وترسانة حربية عدوانية موجهة ضد الامة العربية ولحماية مصالحها الخاصة واستثماراتها — وخاصة البترولية — فى المنطقة .

والحركة الصهيونية — كجزء لا يتجزأ من

الامبريالية ــ اذ ادركت حاجتها الى تعبئة كل الجهود فى محاولة لوقف زحف قوى التحرر الوطنى والاشتراكية ـلجأت الى استخدام النعرة العنصرية وروح التعصب باسم الدين والتعالى بدعوى الجنس الاسمى ــ ((شعب الله المختار)) ، لتقيم دولة على اسس دينية ، ولتسلب ارضا عربية وتشرد سكانها واصحابها ، وتفرض عليهم اضطهادا عنصريا بشعا سواء المسلمين منهم او المسيحيين .. بل ويمد التعصب الاعمى ليفرق بين اليهود الاوربيين ــ او البيض ــ واليهود من ابناء آسيا وافريقيا .

ورغم هذا الواقع تنزعم الصهيونية حملة دعاية مركزه ضد العرب ، بدعوى اتجاهاتهم العنصرية ومعاداتهم للسامية ، فتختلق الاكاذيب التى تجد رواجا بسبب احتضان الدوائر الاستعمارية لها ، واستخدامهم لاحدث اساليب ووسائل الدعاية والاثاره بهدف تعبئه الراى العام العالمى ضد تعصب وهمى للعرب ، بجانب لمسها وترا حساسا فى وجدان الانسان الغربى الذى تعذبه عقدة الذنب من جراء الجرائم التى اقترفت ضد اليهود خاصة خلال سنوات سيادة الانظمة الفاشية والنازية فى اوربا . ويرجع الى هذا العامل الاخير بالذات ان عددا من الاحرار والمناضلين الامناء والمفكرين التقدميين ــ امثال سارتر وراسل ــ والزعماء الوطنيين فى العالم الثالث يقعون فريسة هذه الادعاءات الزائفة والحملات الدعائية المضللة .

لم يعرف عن الشعوب العربية فى يوم من الايام انها اضطهدت اليهود او عادت السامية او تعصبت ضدهم كاقلية دينية ، بل على العكس من ذلك تماما ، كان هؤلاء يعيشون بيننا دون تفرقة او تميز يستمتعون بجميع حقوق المواطن العادى . بل ان تراثنا فى الادب العربى ،القديم منه والحديث يشهد بأن شعوبنا لم تعرف التعصب او العنصرية ، بينما نجد ان التراث الادبى الغربى ممتلىء حتى التخمة بمظاهر وعناصر العداء لليهود ، اذ يضعهم فى مرتبة خاصة بهم ، غريبة بل ودخيلة على المجتمع .

حقا ، كانت هناك شريحة كبيرة من الراسمالية الاجنبية والمتمصرة من اليهود ،وكان موقف الشعب منهم لا يتعدى او يفترق عن موقفه من قرنائهم من ابناء الطبقة الراسمالية المستغلة اجانب ومصريين سواء منهم المسلم او المسيحى او اليهودى .. اما غالبيتهم التى كانت تعمل كحرفيين وصغار تجار فكانوا يعايشون مواطنيهم دون تفرقة وبلا عقد .

اننا نفرق بين اليهودى والصهيونى .. بين اليهودية كدين والصهيونية كمخطط وسلاح استعمارى ، بين شعب فلسطين كقومية متكاملة وبين اسرائيل كدولة مستوطنين اجانب معتدين لا يشكلون امة ولا يجمعهم علميا ــ مهما زوروا من اسانيد وزيفوا من بحوث ــ مقومات القومية الواحدة ، فالمهاجرون من شتى انحاء العالم ، لا يجمعهم تاريخ او ثقافة واحدة ، ليس لهم عادات وتقاليد مترابطة ، بل وهم غير قادرين على التفاهم فيما بينهم بلغة مشتركة ،وجميعها مقومات وعناصر اساسية لا غنى عنها فى تكوين القومية الواحدة .

ان معركتنا للقضاء على دولة اسرائيل هى جزء من المعركة ضد الاستعمار وليست حربا موجهة ضد السامية ، او حملة معادية لليهود ، كما تعمل الصهيونية على تصويرها . وهدفنا هو تحرير فلسطين المحتلة من المستوطنين الذين نهبوا ارض سكانها ، بنفس المفهوم الذى نساند به شعب زمبابوى ضد الاقلية البيضاء الفاشية فى روديسيا ، وعلى نفس المبادىء التى نؤيد على اساسها شعب جنوب افريقيا للتخلص من الحكم الارهابى الفاشى للاقلية البيضاء بها وبمنطق العدالة والحق الذى ايدنا بمقتضاه موقف شعب قبرص ــ وغالبيته من المسيحيين ــ ضد النيات والاستعدادات العدوانية لتركيا . ولا يغرب عن بال احد ان عداءنا لاسرائيل ــ المكونة من اليهود ــ والاقلية البيضاء فى روديسيا وجنوب افريقيا ــ وهم مسيحيون ــ وادانتنا لتركيا المسلمة ، يدل دلالة قاطعة على ان الدوافع التى تحرك السياسة العربية التحررية ليست عنصرية بل هى على العكس تماما .. متحررة تماما من التحيز ، تنطلق عن مواقف مبدئية لا تحيد عنها .

ولسنا اول من تصدى للاتجاهات الانعزالية والانفصالية للاقليات اليهودية والتى عملت الدوائر الراسمالية منذ نشأتها على تغذيتها ، فقد ادانت القوى الاشتراكية والتحررية هذه الاتجاهات وكشفت اساسها الطبقى والاجتماعى وازاحت الستار عن حقيقة الحجج التى كانت تقدم تبريرا لها ، وذلك عندما تبلورت هذه الاتجاهات واتخذت طابعا منظما واصبحت تهدد وحدة القوى الوطنية والتحررية .

قومية التاجر ورجل المال

ان مطالبة الاقليات اليهودية فى اوربا بوطن قومى خاص بهم ترجع الى النصف الاول من القرن

التاسع عشر بدات بمطالبة اليهود الالمان بالتحرر باعتبارهم جزءا متميزا من الشعب الالمانى ، مما جعل**برونو بوير**يتصدى لهم منتقدا موقفهم الانعزالى بقوله ((**فى المانيا ليس ثمة انسان متحرر سياسيا، ونحن انفسنا لسنااحرارا، فكيف نستطيع تحريركم، وانكم .معشر اليهود لانانيون حين تطالبون لانفسكم بتحرر خاص بكم ، فعليكم ان تعملوا ــ بوصفكم المان ــ على التحرر السياسى لالمانيا ، وبوصفكم بشرا على التحرر البشرى**)) وعاب على الاقلية اليهودية انها بدلا من الاندماج فى الشعب الالمانى ((تعارض القومية الحقيقية بقومية وهمية والقانون الحقيقى بقانون خيالى ، انهم يظنون ان من حقهم الانفصال عن سائر البشرية ، لا يشاركون فى الحركة التاريخية بل يطمعون فى مستقبل ليس بينه وبين لمستقبل العام للانسان اية سمة مشتركة))

انتقد بوير بشدة الاتجاهات العنصرية التى جعلت اليهود يغلبون الجوهر المحدود لكيانهم الدينى على الجوهر الاجتماعى والانسانى باعتبارهم اعضاء فى المجتمع ، وبحكم انتمائهم الى الشعب ككل ، ـ ى ان ((**الجوهر الخاص الذى يجعل منه يهوديا هو جوهره الحقيقى الاسمى الذى ينبغى ان يمحى امامه جوهر الانسان**))

ولكنه رغم هذا التحليل الواقعى لبعض عناصر مشكلة الاقليات اليهودية فى اوربا ، استخلص نتائج لا تقدم حلا عمليا لها ، اذ جابههم برايه ((**انكم لن تستطيعوا التحرر سياسيا دون ان تتحرروا من اليهودية تحررا جذريا**)) .

وقد علق **كارل ماركس** على راى بوير فى كتيبه ((**المسالة اليهودية**)) . ورغم التقائه مع بوير فى ان اساس المشكلة هو **تغليب الاقليات اليهودية لطبيعتهم الدينية المحدودة الافق على التزاماتهم الانسانية والسياسية** ، الا انه لم يشترط تحرر اليهودى جذريا من دينه كضمان لاندماجه فى المجتمع وحصوله على حرياته وحقوقه السياسة ، بل يرى ان فصل الدين عن الدولة يهيء لهم حرية العقيدة وممارستها، فالتحرر السياسى لا يلغى ولا يحاول ان يقضى على التدين الواقعى عند الناس، كما ان اعلان **حقوق الانسان سنة ١٧٩٣** الذى ينص على ((**حرية ممارسة العبادات**)) يمنح الانسان الحق فى ان يكون متدينا وان يكون ذلك بمطلق مشيئته وان يمارس فروض دينه الخاص بحرية ويهب امتياز الايمان كحق عام من حقوق الانسان . وهى ضمانات كافية لحرية أقلية دينية فى ممارسة ما تمليه عليها عقيدتها الخاصة ، **((الدولة التى تعرف نفسها باعتبارها دولة،وتضرب صفحا عن دين اتباعها ، ان تحرر الدولة من الدين ليس هو تحرر الانسان الواقعى من الدين)) و ((اذن فالانسان لم يتحرر من الدين بل تلقى الحرية الدينية))**

ولكن **ماركس** لم يقتصر على الاشارة الى الحرية الدينية فى ظل نظام فصل الدولة عن الدين ولا على الاساس الدنيوى لليهودية باعتبارها قائمة على ((**المصلحة العملية والمنفعة الشخصية**)) بل غاص الى اعماق المشكلة باعطائها المضمون الاجتماعى وارجاعها الى الجذور الاقتصادية اذ يوجه الانظار الى انه ((**لا يجب ان نبحث عن سر اليهودى فى دينه بل لنبحث عن سر الدين فى اليهودى الواقعى**)) اى الوضع الاقتصادى للاقلية اليهودية ومن ثم الدور الذى تلعبه اجتماعيا .. **دوره كراسمالى ، طبيعته كتاجر** وحرفى وبحكم ارتباطه بطبقات اجتماعية معينة ، ولذلك يشير الى ان ((**التناقض القائم بين قوة اليهودى السياسية الواقعية وحقوقه السياسية انما هو التناقض القائم بين السياسة وقوة المال ، فالسياسة هى نظريا فوق قوة المال، ولكنها عمليا قد اصبحت سجينته النموذجية**)) وان ((**اليهودى تحرر على الطريقة اليهودية ، ليس فقط بان اصبح سيد السوق المالية ، وانما لان المال اصبح بواسطته وبفضله قوة عالمية ، والروح العملية لليهودية اصبحت الروح العملية للشعوب المسيحية ، لقد تحرر اليهود بالنسبة نفسها التى اصبح المسيحيون فيها يهودا**))

فماركس يربط بين وضع الاقليات اليهودية الاجتماعى وبين اتجاهاتهم الانقسامية والانعزالية ربطا عضويا يتمثل فى قوله ((**ان قومية اليهودى الوهمية ، هى قومية التاجر ، قومية رجل المال**))

وامتدت فكرة القومية اليهودية الى النمسا لتنتشر بين الاقلية اليهودية بها ، الا ان **بوير** عاد ليفند مزاعمهم عن الامة اليهودية على اساس انه ((**ليس لليهود ارضا محددة لاقامتهم**))

وقد اضاف الاشتراكيون الروس فيما بعد اسانيد جديدة اذ اشاروا الى انهم ــ اى اليهود ــ يفتقرون كذلك الى مقومات القومية الرئيسية اذ انهم لا يكونون فئة اجتماعية مرتبطة بالارض التى يمكن بطبيعتها ان تؤدى الى التحامهم فى امة واحدة ((**لا كمجرد اطار بل كسوق قومى**))

وقد استغلت الاقلية اليهودية دعوة الاشتراكيين الديمقراطيين الى تحرير القوميات المستعبدة فى روسيا القيصرية ، لتسارع بالمطالبة بالاستقلال

الذاتى ، وانشات تنظيمها الخاص المسمى «البند» مقسمة صفوف الحركة الثورية ، الا ان الماركسيون الروس عارضوا موقفهم ورفضوا مطلبهم على أساس انه من بين خمسة او ستة ملايين يهودى روسى ، لا يزيد المرتبطون منهم بالزراعة بشكل او آخر عن ٣ — ٤ ٪ ، بينما يعمل نحو ٩٦٪ بالتجارة والصناعة والمهن الحرة منتشرين فى جميع انحاء البلاد ، لا يمثلون اغلبية فى اى مكان ، وليس لهم لغة مشتركة ، بل يتبنون لغات البلاد التى يعيشون فيها .

وامام الحجج التى ساقها الماركسيون ضد وجودهم كأمة او قومية مستقلة ، ولعدم توافر مقومات استقلال سياسى مرتبط بأرض محددة ، لجأوا الى ابتكار جديد .. المطالبة **بالاستقلال الثقافى الوطنى** على أساس الحرية فى التطور الثقافى .

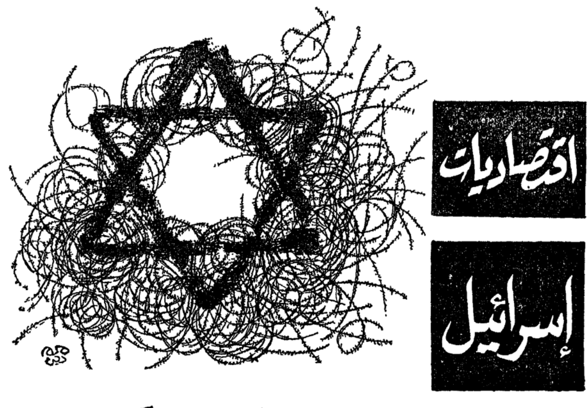
وقد شنت الدوائر الاستعمارية والصهيونية حملة شعواء على الاتحاد السوفيتى بعد أن رفض السماح بالهجرة الى اسرائيل . وقد صرح خروشوف فى ربيع عام ١٩٥٨ لمراسل صحيفة الفيجارو الفرنسية ردا على استفسار للاخير ، بأن اليهود لا يشكلون قومية وليس لهم مؤسسات قومية خاصة .. وانهم لا يعملون فى القطاعات التى تتطلب جهودا مشتركة من جماهير العمال كالصناعات المعدنية والبناء ، بل يفضلون العمل الفردى كالخياطة والبقالة وصناعة الماس .

وهكذا فان مطالبة الاقليات اليهودية بالاستقلال الذاتى والتحرر القومى فى مناسبات واماكن متفرقة وعديدة ، لم ترتكز على اسس موضوعية ، بل كانت ترجع الى التركيب الطبقى للاقليات اليهودية ، وانتمائها اساسا الى فئات الراسمالية بمستوياتها المختلفة .

وبتطور الراسمالية الى المرتبة الاحتكارية وبلوغها المرحلة الامبريالية ، ظهرت الحركة الصهيونية . وبعد ان فشلت فى تحقيق اهدافها فى اوروبا ، لجأت الى اقتطاع جزء حيوى من قلب الامة العربية لتجعل منه قاعدة عدوانية ضد حركات التحرر الوطنى فى المنطقة ، ونقطة انطلاق للتسلل منها الى بلاد افريقيا وآسيا حديثة التحرر .

والامبريالية اذ تعانى آثار واعراض امراض الشيخوخة ، كان من الطبيعى ان يولد جنينها مسخا مشوها يحمل كل شرور وآثام الاستغلال الاستعمارى فى ابشع صوره .. العنصرية المقيتة .. الا انه كالورم الخبيث الذى تنشط خلاياه وتتكاثر ثم تتوقف فجأة عن الحياة بموت عائلها .





اقتصاديات إسرائيل

واجهة مدنية لمؤسسات عسكرية

سعد زهران

الزراعة والصناعة ، والتجارة ، والتعليم ، والكتابة ، وحتى لغة الكلام والتخاطب اليومى بين الناس...

كل هذه الكلمات التى ترسم فى مخيلة من يسمعها صورا لفلاحين طيبين ، وعمال مجدين ، وباعة ، ومعلمين ، وكتاب .. وغيرهم من الناس الذين يكدون من اجل قوت اليوم وامان الغد ...

كل هذه العناوين على نشاط البشر السلمى ليست فى اسرائيل الا فروعا من النشاط الاوحد الذى يحرك كل شىء ، ويحكم كل شىء ، ويخضع كل شىء لضروراته الصارمة ، ونعنى به النشاط العسكرى .

والفلاح الاسرائيلى ، الذى يقيم فى مستعمرة « **نيتزانيم** » ، او فى اى واحدة من « المزارع المحصنة » فى اسرائيل ، ليس فلاحا مثل اى فلاح فى قرية الحامول المصرية او قرية بيشاراواى الهندية ، حتى ولو كان يفلح الارض ويجنى المحاصيل ويرعى الماشية والاغنام — وانما هو كائن عسكرى اولا وقبل كل شىء ، فهو لم يجلب من اقصى بلاد العالم ، ولم ينفق عليه هو وكل واحد من امثاله آلاف عديدة من الدولارات لكى يعيش فلاحا يزرع ويحصد وينجب البنين والبنات ، وانما جىء به ليحارب ويموت . جىء به ليقتل ويقتل دفاعا عن مصالح من دفعوا ثمن مجيئه من اوروبا او من امريكا او من استراليا ، ومولوا اقامته ، واقاموا دولته ، ولم يبخلوا — وهم الحريصون — بآلاف فوق آلاف الملايين من الدولارات . لقد خلقت

اسرائيل لتحارب — لا من اجل وجودها ، فليس لها وجود مستقل بذاتها — ولكن من اجل وجود صانعها ، وجود الاستعمار فى المنطقة العربية . وستظل اسرائيل فى حالة حرب الى ان ينتهى وجودالاستعمار فى الوطن العربى، وعندئذ ستموت اسرائيل ، سينتهى مبرر وجودها وسينتهى مبرر وجود هذا « الفلاح » المسلح المعبا للعدوان وامثاله ، او على الاقل سينتهى مبرر وجوده على ارض فلسطين .

ولكى نختصر كثيرا من المقدمات ، نبدا بالحديث عن **الزراعة** .

منذ حوالى سبعين عاما ، فى المؤتمر الصهيونى الاول (١) (١٨٩٧) ، تقرر انشاء شركة « **الكيرن كايمت** » لشراء الاراضى واستثمارها ، كما تقرر انشاء شركة اخرى لتمويل حركة الهجرة الى فلسطين . غير ان مشروعات التهجير والتوطين لم تبدأ فى اتخاذ شكل جدى الا بعد ذلك بعشر سنوات . ففى ١٩٠٧ وضع **بانرمان تقريره** الشهير (٢) الذى يعد اول وثيقة تشهد باللقاء الرسمى بين اهداف الاستعمار ومخططاته ، وبين اهداف الحركة الصهيونية ، والذى اوصى بأن تعمل الدول ذات المصالح المشتركة ، ويعنى بها الدول الاستعمارية ، على استمرار وضع المنطقة العربية على ما هى عليه من التجزئة والتأخر ، وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وتأخر وتناحر . واوصى التقرير ،كوسيلة اساسية مستعجلة لدرء الخطر ، بضرورة «العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الاسيوى ، عن طريق اقامة جسر بشرى ، قوى وغريب على الجسر البرى الذى يربط آسيا بأفريقيا ، ويربطهما معا بالبحر المتوسط ، بحيث تقوم فى هذه المنطقة ،وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة » .

وفى بضع السنوات التى سبقت الحرب العالمية الاولى حدثت اولى موجات الهجرة الكبيرة (٤٠ الفا) . وفى تلك الاثناء ارست الصهيونية تقاليد حيازة الارض وزراعتها بين المهاجرين اليهود : وهى التقاليد التى ورثتها اسرائيل بعد تأسيسها فى ١٩٤٨ .

كان **الصندوق القومى لليهود** يقوم ، بالاشتراك مع شركة ((**الكيرن كايمت**)) بشراء الاراضى الزراعية وتأجيرها للمهاجرين اليهود بايجار اسمى لا يزيد على ١ ٪ (او ٢/١ ٪) من انتاجها وحتى هذه المبالغ الاسمية كثيرا ما لا يتم تحصيلها على الاطلاق ، وذلك مقابل ان يتعهد المستوطنون لجدد بالعمل فيها دون استعانة بالعمل المأجور .

المستعمرات الزراعية مراكز أمامية للتوسع العسكرى

والفكرة من اعطاء حق استثمار هذه الاراضى دون مقابل تقريبا الى المهاجرين ، مع ابقائها فى ذات الوقت ملكا للشركة الصهيونية التى اصبحت شركة حكومية فيما بعد ، هى تجنيد ايد عاملة من اليهود الذين لم يتعودوا العمل فى الزراعة ،وضمان عدم انتقال الارض ثانية الى أيد غير يهودية، نتيجة لعدم تمرس هؤلاء فى المهن الزراعية ، واعطاء المهاجرين اليهود فرصا واسعة للمنافسة الاقتصادية مع اهل البلاد من العرب المتمرسين فى الزراعة . وحتى بعد ان اعلن تاسيس اسرائيل فى ١٩٤٨ ، وزالت دواعى التشجيع على المنافسة، استمر قادة الحكومة على التقليد الموروث ، لان الحاجة لاغراء مزيد من المهاجرين على الاستيطان قد تزايدت . والفارق الوحيد هو ان ما بقى من العرب فى اسرائيل محرومون من هذا الامتياز ،اذ تفرض عليهم الشركة الحكومية التى تحتكر ملكية ٨٠ ٪ من مجموع المساحة المنزرعة ، و ٩٤٫٥ ٪ من مجموع اراضى اسرائيل — تفرض عليهم دفع ثلث محصول الارض كقيمة ايجارية ،عدا الرسوم والضرائب الاخرى التى تحصل على الخدمات (وبخاصة الرى) . وجدير بالذكر ان العرب الموجودين فى حدود اسرائيل الان يبلغ عددهم (٣) حوالى ربع مليون ، وان ٨٧ ٪ منهم يعيشون فى القرى ، ومعظم هؤلاء يعملون بالزراعة ، بل يشكلون اكثر من نصف القوى العاملة فى الزراعة فى اسرائيل .

اما عن الارتباط المباشر بين الزراعة ومشروعات التوسع العسكرية للصهيونية ، فهذا ما يتحدث عنه الكاتب الصهيونى الامريكى **ناداف صافران (٤)**

(١) انظر مقال خيرى حماد عن فلسطين — الطليعة عدد ٥ لسنة ١٩٦٥

(٢) بانرمان هو رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين . والتقرير المشار اليه هو خلاصة للتوصيات التى تقدم بها مؤتمر استعمارى دعى فى ذلك العام ، وضم عددا كبيرا من المؤرخين وعلماء الاقتصاد والاجتماع والسياسة من ممثلى عدد من الدول الاستعمارية حينذاك لبحث المشكلات التى تهدد الوجود الاستعمارى نتيجة ليقظة شعوب الشرق وبدء تحركاتها الثورية فى القرن العشرين . انظر نفس مقال خيرى حماد السابق .

(٣) احصاء عام ١٩٦١ ، وكذلك جميع الاحصاءات الاخرى ، الا اذا نص على غير ذلك .

(٤) صهيونى خطير . عاش ابتداء من ١٩٤٤ فى احدى المستعمرات اليهودية فى فلسطين وحارب فى صفوف العصابات الصهيونية فى الحرب التى صاحبت مولد اسرائيل . ثم رحل الى الولايات المتحدة حيث اتخذها وطنا ثانيا . باحث واستاذ فى جامعة هارفارد وهو صهيونى متطرف . كتاباته قوية التاثير فى الرأى العام الامريكى والغربى المهتم بشئون الشرق الاوسط .

فى كتابه « الولايات المتحدة واسرائيل » ، حيث يقول : « منذ الايام الاولى للنشاط الصهيونى فى فلسطين ، لم تكن المستعمرات الزراعيـة ، على اختلاف انواعها ،ينظر اليها من الناحية الاقتصادية فحسب ، ولا كانت تعتبر وسيلة لتوفير العيش لساكنيها ، ولكنها كانت مراكز اماميـة ورؤوس حراب للغزو الصهيونى للبلاد . وفى العشرينات والثلاثينات ، حين نشطت اعمال المقاومة للغزو الصهيونى ، اتخذت المستعمرات الصهيونية هيئة حصون الحدود الامريكية ذات الاسوار والابراج، واصبحت مآثرها العسكرية جزءا من الاساطير القومية المتداولة فى اسرائيل ... »

وليس بعد هذا مجال لتأويل او اجتهاد . غير ان القارىء الذكى لا يفوته مغزى تشبيه المستعمرات اليهودية بحصون الحـدود الامريكية التى كانت — هى الاخرى — مراكز امامية ورؤوس حراب لغزو المهاجرين الاوروبيين الاوائل لامريكا الشمالية وانتزاعها من ايدى سكانها الاصليين ، من ايدى الهنود الحمر بعد ابادتهم . كذلك ، فان صافران بليغ فى التعبير عن المزاج الدموى لامثـاله من الصهيونيين ، اذ يرفع المذابح الغادرة التى راح ضحيتها مئات من السـكان العرب الامنين الى مستوى « المآثر العسكرية التى اصبحت جزءا من الاساطير القومية المتداولة فى اسرائيل » .

وبديهى ان حيازة الارض الزراعية ما كانت تمنح لليهود فأفراد ، لاستحالة امكان الاحتفاظ بها فى وجه المقاومة العربية ،لذلك كانت حيازة الارض تمنح ، منذ بدء النشاط الصهيونى فى فلسطين ، لجماعات من المهاجرين المسـلحين . ومن هذه الجماعات المسلحة انتظمت عشرات من العصابات المشتغلة بالعدوان اولا واساسـا ، وبالزراعة كنشاط ثانوى .

واثناء حرب فلسطين ، فى ١٩٤٩/٤٨ ، ظهرت حقيقة هذه المستعمرات كحصون عسكرية مكتملة المعالم مجهزة بخطوط الاسلاك الشائكة ،والمخابىء الارضية ، واوكار المدافع والرشاشات ، وحقول الالغام ، والمخازن ، ومستشفيات الميدان .

وغداة الحرب ، اعتبر الصهيونيون انهم كسبوا الجـولة الاولى من معركتهم الطويلـة الامد مع العرب . استمع الى **مناحم بيجن** ، زعيم **عصابة الارجون زفاى ليومى يقول** : « لقـد قامت دولة اسرائيل بالدم والنار ... حيث يعيش اليهـود ويحكمون فى جزء فقط من ارض كانت لهم ... انها بلادنا المعطاة لنا من الله ».

وليس هذا كلام زعيم عصابة متطرفة فحسب، ولكنه الراى الذى يجمع عليـه كل قادة الدولة والاحزاب والجماعات الدينيه والسياسية ، وعلى راسهم **دافيد بن جوريون** ، الذى تولى رئاسـة الحكومة وحزب الاغلبيه الحاكم طيلة الجزء الاكبر من حياة اسرائيل . يقول بن جوريون : « لقد اتى الشعب الاسرائيلى ليقيم فى وطن اجداده الذى تمتد من النيل الى الفرات ».

وبعد حرب فلسـطين ، مكنت اقامة الدولة ، والاستيلاء على اراض شاسـعة ، وتدفق مئات الالاف من المهاجرين ، ومئات الملايين من الدولارات كل عام — مكن كل هذا الصهيونيين من اقامه مئات من المستعمرات الجديدة ، وتاكد الهـدف منهـا كمنشآت عسكرية . وهيئة اركان الحـرب هى التى تحدد مواقع المزارع الجديدة ، وتشترك فى الاشراف على تنظيمها وتدريب المستوطنين فيهـا عسكريا . ولم تكن القيمة الاقتصادية هى التى تحدد هذه المواقع ، ولكنها القيمة العسكرية كمراكز امامية للهجوم والتوسع . وكثيرا ما لا تفى المزارع والمستعمرات بشىء يذكر من حاجات مستوطنيها ، وهنا تمول الجماعة المسلحة المكلفة باحتلالها ، وتنقل وحدات ومعدات من جيش اسرائيل لتقوم بأعمال الاستصلاح ، بجهود وتكاليف خيالية .

وفى اسرائيل منظمة عسكرية تسمى ((**نشال**)) Nachal او ((**منظمة الشباب الطليعى**)) ، والمهمة الاساسية لهذه المنظمة هى العمل لاقامة مستعمرات زراعية محصنة عند الحدود ، لتكون مراكز امامية للهجوم . والمجندون للخدمة العسكرية لهم حق اختيار قضاء كل او جزء من مدة التجنيد الاجبارى للعمل فى هذه المنظمة . والمجندون الذين يقضون مدة خدمتهم العسكرية فى منظمة « نشال » غالبا ما يوطنون فى المستعمرات التى ينشـئونها بعد انتهاء مدة الخدمة . وهكذا يعتبر العمل فى انشاء هذه المستعمرات مرادفا للخدمة العسكرية .

ويعترف ناداف صافران ، بل انه يفخر ، بأن « النشاط الاستعمارى الذى مارسته الصهيونية، والذى يربط الاهداف العسـكرية بالنشـــاط الاقتصادى ، تطور فى اسرائيل الى مستوى الفن الرفيع ، وتقوم اسرائيل اليـوم بنقله الى بعض البلاد الصديقة فى آسيا وافريقيا التى تجـابه مشكلات مشابهة ».

واغفل الكاتب ذكر ان هذه الخبرة تنقـل الى اصدقاء اسرائيل واخواتها فى جنـوب افريقيـا وروديسيا لتدعيم مركز الاقلية البيضاء ، ومواجهة مقاومة اصحاب البلاد من الافريقيين للمستوطنين

الدخلاء ، كما انها نقلت الى فيتنام الجنوبية بواسطة المستعمرين الامريكيين ، مع اجراء التعديلات اللازمة ، لانشاء ما يسمى (بالقرى المحصنة) فى الريف الفيتنامى . ونسى الكاتب الصهيونى ، ايضا ، ان هذا الفن الدموى الرفيع لا يصمد فى وجه المقاومة المسلحة لاصحاب البلاد ، كما تشهد بذلك تجربة فيتنام ذاتها .

وكثيرا ما ادعى الصهيونيون ان الزراعة عندهم ، التى لم تقم فى الاصل على العمل المأجور ، تحقق نوعا من المساواة للمشتغلين فيها يجعلها نموذجا فريدا من نماذج التطبيق الاشتراكى . غير ان نظام المستعمرات اليهودية ، او ((الكيبوتس)) ، او اى اسم تحمله مزارعهم المحصنة هذه ، لا تخرج طيلة فترة التأسيس الصهيونى عن كونها نوعا من معسكرات العمل ذات الطابع العسكرى ، المجافية للاشتراكية شكلا وروحا . وعلى اية حال ، فلم تكد تنقضى بضع سنوات على تأسيس الدولة ، وتظهر انواع من التمييز العنصرى فيها ، ليس فقط بين « شعب الله المختار » المزعوم ، وبين من تبقى فى فلسطين المحتلة من العرب ، ولكن فى صفوف الشعب المختار نفسه ، بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين — نقول ، لم تكد تنقضى بضع سنوات حتى بدا استخدام العمل المأجور على نطاق واسع فى الزراعة ، وهى ظاهرة تغمض الدولة عينيها عنها . واخذت تتشكل فوارق طبقية عنصرية شاذة فى ذلك الريف الاسرائيلى المصنوع ، يحتل فيه اليهود الغربيون مكان الارستوقراطية العسكرية الحاكمة ، ويقوم فيه اليهود الشرقيون بأعمال الحراسة الى جوار فلاحة الارض فى المراكز الامامية قرب الحدود ، بينما يحصر العرب فى قرى خاصة بالداخل ، بين الايجارات الباهظة ، والضرائب المجحفة ، والانغلاق فى تلك القرى المحصنة التى توجه تحصيناتها واسلحتها ضد سكانها العزل ، وتصبح — فى هذه الحالة — اشبه بمعسكرات اعتقال كبيرة .

هيكل اقتصادى شاذ

ويشكل المشتغلون بالزراعة نسبة ١٨ ٪ من مجموع القوى العاملة فى اسرائيل ، ويحققون ما يعادل ١١ ٪ من الانتاج القومى . والمنتج الزراعى الاساسى هو البرتقال والموالح عموما ، وتصدر غالبيتها الى اوروبا الغربية ، اذ تكون ٢/٣ الصادرات الزراعية ، او تدخل فى صناعة الاغذية المحفوظة . هذا بينما لا يفى الانتاج الزراعى بحاجة السكان من الحبوب وعلف الحيوان والزيوت النباتية . ومع ذلك تواصل الصهيونية سياسة استجلاب مزيد من المهاجرين اليهود من جميع انحاء العالم .

ويبلغ عدد المشتغلين بالصناعة ٢٢ ٪ من مجموع القوى العاملة ، يحققون ما يعادل نفس النسبة تقريبا من الانتاج القومى . وليس ثمة الكثير مما يمكن ان يقال عن الصناعة ، فهى صناعة هزيلة تستخدم آلات ومعدات مستوردة ، ووقودا مستوردا فى غالبيته ، ومعظم خاماتها مستوردة وهى فى غالبيتها صناعة تعدينية او استخراجية او تحويلية . وتملك الدولة والهستدروت (اتحاد عمال اسرائيل) ما يعادل نصف الصناعة الاسرائيلية ، وان كان لا يصل نصيبهما من مجموع الانتاج الا الى نصف هذه النسبة . ذلك ان الهدف الاساسى لاسهام الدولة فى الصناعة هو تشجيع الاستثمار الخاص وراس المال الاجنبى .

واهم مصادر الثروة المعدنية هو البحر الميت الغنى بالاملاح والمعادن والعناصر النادرة . ويقوم البنك الدولى للانشاء والتعمير بتمويل عمليات التوسع فى استغلال مياه هذا البحر .

وبالاتفاق مع احتكارات الماس فى جنوب افريقيا ، تقوم اسرائيل بتصنيع كميات كبيرة من الماس الخام ، وصقله ، واعادة تصديره الى دول الغرب ، حيث تحتل الولايات المتحدة المركز الاول بين المستوردين . وهذه الصناعة العجيبة التى لا تستند الى اية مقومات محلية هى الصناعة الاولى فى اسرائيل ، وتشكل ٣٨ ٪ من مجموع الصادرات الصناعية ، وحوالى ٢٩ ٪ من المجموع الكلى للصادرات .

ولم تستطع شركات البترول ان تعثر الا على حقول فقيرة فى الجنوب ، لم يزد انتاجها حتى عام ١٩٦١ عن ١٣٠ الف طن سنويا ، وهى كمية تعادل حوالى ٨ ٪ من حاجة اسرائيل الى الوقود . والى الان لم يعثر على اية احتياطيات للحديد او الفحم او المصادر المائية للطاقة . والمصدر الوحيد للطاقة الكهربائية هو المحطات الكهربائية الحرارية التى تستخدم وقودا مستوردا .

وتلك ظروف تجعل غالبية المراقبين العاطفين على الصهيونية انفسهم يتشككون كثيرا فى امكانية نمو الصناعة فى اسرائيل ، فالموارد والاحتياطيات محدودة ، كما ان الحصار العربى من حولها محكم .

ومن المعروف ان المصانع تقام بالقرب من مصادر المواد الخام ، وتركزات القوى العاملة ، ومراكز التوزيع . ولكن فى اسرائيل ، وفى الصناعة كما فى الزراعة ، تتقيد مواقع المنشآت الصناعية ،

بل يتقرر انشاء فروع كاملة لصناعات لا مقومات لها على الاطلاق ، وفقا للضرورة الاستراتيجية ، بغض النظر عن ان تكون مثل هذه المشروعات غير سليمة من وجهة النظر الاقتصادية او انها تتكلف اضعاف تكلفتها فى اماكن انسب او فى ظروف افضل . فالممول ، وهو الاستعمار العالمى ، لا يهمه التكاليف طالما كانت الاعتبارات العسكرية مرعية .

هكذا اقيمت صناعة للطائرات فى اللد . وهى صناعة تنفق عليها مئات الملايين طيلة اعوام كثيرة دون ان يبدو لها حتى الان اى فرص للحياة الطبيعية بعد ان تتوقف اعمال الحقن الصناعى من الخارج . واثبت ايضا مشروع مدينة الصلب بالقرب من عكا انه مشروع فاشل ،باهظ التكاليف، لم يحقق شيئا من الامال التى عقدت عليه .وكذلك فيما يتعلق بصناعة السفن ، وعشرات من الصناعات الصغيرة التى تنتج انواعا من العتاد واللوازم العسكرية ، لتزويد الجهاز العسكرى الضخم ، والتى يمكن الاعتماد على احتياطياتها فى حالات الطوارىء . ويعتبر الغرب ان اهم ما يستورده من اسرائيل هو البندقية الآلية من طراز يوزى ، التى تسلح بها قوات حلف الاطلنطى وتنتجها اسرائيل بتمويل وتكليف من دول الحلف، وبخاصة امريكا والمانيا الغربية .

الطابع الطفيلى لاقتصاديات اسرائيل

ولعل الطابع الطفيلى الهزيل لاقتصاديات اسرائيل يبدو أكثر وضوحا من القاء نظرة سريعة على بعض ارقام تجارتها الخارجية . والجدول الاتى يبين العجز فى ميزان المدفوعات فى بعض السنوات :

السنة	العجز فى ميزان المدفوعات (بملايين الدولارات)	نسبة الصادرات الى الواردات
١٩٥٠	٢٨٢	١٤ ٪
١٩٥٨	٣٣٣	٤٢ ٪
١٩٦١	٣٧٥	٤٨ ٪

وعلى الرغم من ان نسبة الصادرات الى الواردات تتزايد (وان لم تتجاوز ٥٠ ٪ حتى بعد ١٩٦١) فانها تكشف عن مدى ضعف الاسس التى يقوم عليها اقتصاد اسرائيل ومدى اعتماده على مقومات وجود خارجية . كما ان تزايد القيمة المطلقة لهذا العجز عاما بعد عام يكشف عن اسباب تشاؤم حكام اسرائيل انفسهم حين يعلنون استحالة وقوف اقتصاد اسرائيل على قدميه دون استمرار سيل المعونات من الخارج .

واذا فحصنا الرقم المتواضع لصادرات عام ١٩٦٠ مثلا وهو ٣٥٧ مليون دولار ، نجد ان الخدمات فيه (السياحة ،اعمال الاسطول التجارى والطيران ، والتأمينات ، ..)تشكل حوالى خمسيه بينما لا تشكل السلع الصناعية والزراعية سوى ثلاثة اخماسه . وهذا يؤكد مرة اخرى الطابع الطفيلى لاقتصاديات اسرائيل .

ودول السوق المشتركة الست (المانيا وفرنسا وايطاليا وهولنده وبلجيكا ولوكسبورج) هى اكبر مستورد من اسرائيل (٣٠ ٪) . وبعدها تأتى مجموعة دول منطقة التجارة الحرة السبع (بريطانيا والسويد والنرويج والدانمرك والنمسا وسويسرا والبرتغال) وتستورد ٢٥ ٪ ، ثم الولايات المتحدة (١٥ ٪) .

والولايات المتحدة هى اكبر مصدر لاسرائيل (٢٩ ٪) وهى تصدر لاسرائيل حوالى اربعة امثال ماتستورده منها ،وبعدها تأتى المانيا الغربية (١٤ ٪) ، ثم بريطانيا (١٢ ٪) ، وتأتى بعد ذلك بقية البلاد الاوروبية وجنوب افريقيا .

وعلى الرغم من ان لاسرائيل علاقات تجارية بعشرات من البلاد الافريقية والاسيوية ، الا ان هذه العلاقات ليس لها وزن يذكر من الناحية الاقتصادية ، وانما يتركز خطرها اساسا فى اثرها التخريبى على علاقات البلاد العربية ببقية اعضاء المجموعة الافروآسيوية وفى اعمال التسلل والتجسس والتخريب التى تمارسها الصهيونية لحساب الاستعمار العالمى فى القارات الثلاث .

ومن السمات الاساسية لاقتصاد اسرائيل انه اقتصاد غير منتج . تأمل الجدول الاتى :

اوجه النشاط الاقتصادى	النسبة المئوية لكل من هذه الاوجه من القوى العاملة	نصيب كل من هذه الاوجه فى الناتج القومى (٪)
الزراعة	١٨	١١
الصناعة	٢٢	٢٢
البناء	١٠	٧ر٥
الخدمات	٥٠	٥٩ر٥

فمن واقع هذا الجدول ، وحتى اذا اعتبرنا عمليات البناء تدخل ضمن الفروع المنتجة ، فمعنى هذا ان ٥٠ ٪ من مجموع القوى العاملة فى اسرائيل مخصصة للخدمات ، وهى اعلى نسبة من نوعها فى العالم . فان هذه النسبة فى بلداكثر تقدما ، مثل المانيا الغربية ، لا تزيد على الثلث . بل ان اسرائيل تعد ، فى هذا المجال ، اكثر تدللا من سويسرا . كذلك ، فان نسبة الانتاج الصناعى والزراعى لا يزيد على ٣٣٪ من مجموع الناتج القومى — وهى من اشد النسب انخفاضا فى العالم . وليست هذه المفارقة الصارخة الا تأكيدا جديدا للطابع الطفيلى الخالص لاقتصاديات اسرائيل .

تعبئة للقتال

وتربص للعدوان

واذا كانت تلك احوال الزراعة والصناعة والتجارة فى اسرائيل ، واذا كان رجال الدولة الصهيونية يقولون ان الحصار والمقاطعة العربية تكلفهم كل عام ما لا يقل عن ٤٠ مليون دولار (وهم لا شك يبالغون فى التقليل من قيمة هذهالخسارة) علاوة على الخسائر الناجمة عن احجام كثير من الشركات التى لها معاملات هامةمع الدول العربية عن التعامل مع اسرائيل ... واذا كانت صناعة اسرائيل تدور بآلات مستوردة ووقود مستورد وخامات مستوردة ،واذا كان الاقتصاد الاسرائيلى فى غالبيته اقتصادا غير منتج ، وانما هو اقتصاد مستهلك مستورد وطفيلى ، اذا كانت هذه هى الصورة العامة فى احسن احوالها كما تأتى على لسان حكام اسرائيل ودعاتها المتعصبين — **فكيف يتمكن ذلك الكيان الشاذ العاجز من الاستمرار ، بل كيف تتمكن اسرائيل من تحقيق معدل استثمار فى السنوات العشر التى اعقبت تاسيسها يصل الى حوالى ٢٦ ٪ من الدخل القومى ، وهى اعلى نسبة من نوعها فى العالم ؟ وكيف تمكنت اسرائيل من ان تحقق لغالبية سكانها ، وذوى الاصل الاوروبى منهم بصفة خاصة ، مستوى معيشة لا يقل عن نظيره فى بلاد اوروبا الغربية المتقدمة ،من اجل انيضمن بقاءهم علىارض اسرائيللاضطلاع بالدور المرسوم لهم ؟**

الاجابة على هذه الاسئلة كلها بسيط مختصر ، معلن على الجميع فى تحد صارخ وقح ، استمع مرة اخرى الى المستر صافران يقول : « لقدحققت اسرائيل ذلك بفضل برنامج ضخم للاستثماريمول من مصادر خارجية .... ففى غضون السنوات العشر . من ١٩٥١ الى ١٩٦٠ ، دخل الىاسرائيل حوالى ثلاثة آلاف مليون دولار ، ولم تساهم المدخرات المحلية فى عملية تكوين راس المالبشىء يستحق الذكر ، ان لم تكن مساهمتها سلبية ».

هكذا ، بصراحة .

ولكى يعرفنا بالممولين الحقيقيين يقدم المستر صافران البيان التالى عناستثمارات عام ١٩٦٠ ، وكلها من مصادر خارج اسرائيل :

هبات ومساعدات فنية من الولايات المتحدة ٩٫٧ مليون دولار

تعويضات من المانيا (للدولة والافراد) ١٧٧٫٥ مليون دولار

تبرعات (معظمها من الولايات المتحدة) ٦٩٫٨ مليون دولار

قروض من حكومة الولايات المتحدة ٢٨٫٥ مليون دولار

حصيلة بيع سندات الاستقلال (معظمها بيع فى الولايات المتحدة) ٢٩٫١ مليون دولار

استثمارات خاصة ٥٠٫٣ مليون دولار

المجموع ٣٦٤٫٩ مليون دولار

فماذا تقدم اسرائيل ثمنا لذلك ؟

الثمن هو ان اسرائيل ، كما سبق ان اكدنا تعيش فىحاله حرب بصفة دائمة .فليس لاسرائيل حياة مدنية خاصة وجهاز عسكرى متميز عنها ، انماالاثنان متداخلان ،بل ويكاد انيكونا متطابقين. وبتعبير اكثر بساطة فان مهمة الدولة الاسرائيلية هى ان تعبىء كل قادر على حمل السلاح تعبئة مستمرة ، بحيث يمكن اعتبار الجميع جنودا فى جيش احتلالقائم يمكن دعوتهم للقتالفى اىوقت. ذلك لان الدولة الاسرائيلية مكلفة من الاستعمار، ومدفوعة بشريعة عنصرية دموية مدمرة ،بأن تكون هى كلب الحراسة ، او بلطجى المنطقة الذى يتصدى لمجابهة كل القوى العسكرية التى يمكنان تعبئها الدول العربية مجتمعة . ومن هنا كان اصرار الغرب على ان تكون لاسرائيل من القوة العسكرية ما يوازى كل الدول العربية مجتمعة ، كما كانت سياسة توازن التسليح التى ابتدعتها الولايات المتحدة وحليفاتها ، والتى تهدف الى ان يكون فى حوزة العصابات الصهيونية من الاسلحة ما يعادل كل اسلحة الجيوش العربية مجتمعة ، بينما تعمل فى الواقع على ان يكون التفوق فى التسليح فى صالح اسرائيل دائما

ولكن تبقى مسألة القـوى البشرية ، مسـألة الجنـود .

ومن هنـا كانت المهمـة الاساسـية للدولة الاسرائيلية هى ان تجعل من كل سكان اسرائيل محاربين تحت السلاح بصفة دائمة ، اى ان تجعل من اسرائيل « سبارطة حديثة » على حد تعبيرهم ويتحقق هذا على النحو الاتى :

فى اسرائيل جيش نظامى يتكون من قلب من الضباط وصف الضباط ، من العسكريين المحترفين الذين يتلقون تعليما وتدريبا قاسيا ، ويرسلون فى بعثات دائمةالى امريكاوالمانيا وبريطانيا ،ليحصلوا على آخر كلمة فى العسكرية الاستعمارية .ويصل تعداد هؤلاء الى حوالى ١٢ الفا . ويدخل فىتعداد الجيش النظامى المجنـدون الذين يقضون مـدة الخدمه . والخدمة العسـكرية اجبارية للرجال والنساء ابتداء من سن الثامنـة عشر . ومدة الخدمة سنتان ونصف للرجال ، وسـنتان فقط للنساء . واسرائيل تنفرد بهذا النظام فى العـالم اجمع . وتبلغ نسبة النساء فى هذا الجيش ٤٠ ٪ ويصل عدد المجندين عامة الى رقم يتراوح ما بين ٤٠ الفا و ٥٠ الفا . وهذا ، طبعا ، لا يمكن ان يفى بالمطلوب من الدولة التى تتصدى لدور بلطجى المنطقة . ومن ثم تأتى اهمية القوات الاحتياطية فى اسرائيل . وكل من يتم مدة الخدمة الاجبارية يعتبر مجندا فى القوات الاحتياطية الى سن ٤٩ من الرجال ، وسن ٣٤ من النساء . وجميع القوات الاحتياطية تلقى تدريبا منتظما ، شهرا كل عام ، ويوما كل شهر . ويؤخذ الضباط الاحتياطيون ، علاوة على ذلك ، لقضاء فترات تدريب اضافية خاصة لا تقل عن اسبوع كل عام . وليس الجيش العامل الا اداة لتدريب الاحتياطى الذى يضم كل قادر على حمل السلاح من الناحية الفعلية .مهمة الجيش النظامى هى اعداد كل الاحتياطى للعمل فى اى لحظة ، وشعاره هو « تعبئـة لواء كامل (٥٠٠٠ جندى) فى ساعة واحدة حين تدق اجراس العدوان . وهكذا يمكن فى بحربضعة ايام تعبئة كل الاحتياطى الذى يقدرونه بأكثر من ربع مليون من مجموع سكان اسرائيل من اليهود البالغ عددهم ٢,٥ مليون .

غير ان هذا الرقم ، على ضخامته ، لا يفى بكل حاجات الاستعمار والصهيونية فى تكوين القوات الضاربة لهذا الجسم العدوانى الغريب . ومن ثم كان هذا الاصرار على مواصلة الجهود التى تبذل لتهجير وتوطين مزيد من يهود العالم . فلحـكام اسرائيل مشروع طموح يهدف الى مضاعفة عدد اليهود فى اسرائيل عند نهاية عام ١٩٧١ . وهذا المشروع مرتبط بالمخطط العدوانى لتحويل مياه نهر الاردن لزيادة موارد المياه بمقدار ٢٠ ٪ ، بالاضافة الى مساعدة امريكا لهم فى مشروعاتهم لازالـة ملوحة مياه البحر . وفى حساب حكام اسرائيل ان هذا سيرفع عدد الاحتياطى ، او بتعبير اصرح ــ سيرفع رقم جيش الاحتلال الصهيونى الى اكثر من نصف مليون . وهذا هو الحد الذى يعتبـره الصهيونيون ضمانا لبدء مرحلة جديدة فى سبيل تحقيق حلمهم التوسعى ما بين النيل والفرات ، لتوطين الملايين الاربعة عشر من اليهـود الذى يسعون لتجميعهم من كل اركان العالم .

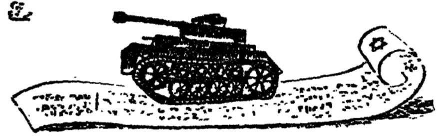
ترى ، هل تتوقف احلام الصهيونيين عند حد ؟

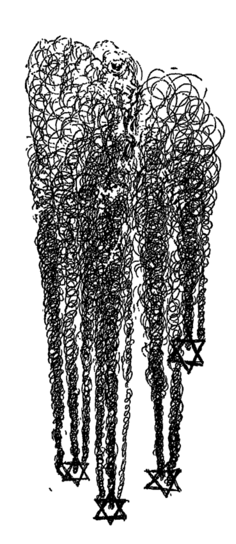
يعفينا **مناحم بيجن** من جهد التفكير فى الاجابة على هذا السؤال . اذ يقول مخاطبا ابناء اسرائيل

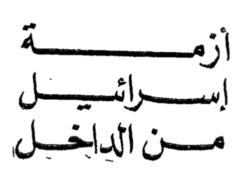
« ينبغى الا تستكين اسرائيليتكم عندما تقتلون اعداءكم ، ولا تأخذكم بهم شفقة حتى ندمر الحضارة العربية المزعومة ، ونقيم حضارتنا على اطلالها » .

ان الخيال ، مهما بالغ ، ما كان ليصـل الى تصور مثل هذا الهوس الخطير ، الذى لا تستطيع ــ حتى الدماء ــ ان تطفىء ظمأه ، ولا يرضى بأقل من تدمير الحضارة العربية واستئصالها .

وبعد ذلك يخرج علينـا **بورقيبـة** يدعو الى « التعايش السلمى » مع اولئك الذين لن تستكين اسرائيليتهم حتى بعد تقتيل العرب . ويخرج علينا ايضا من هم اشد خبثا من بورقيبة لكى ينالوا من وحدة الامة العربية باسم الحلف الاسلامى ، وما شاكله من الدعاوى ، ليسـلموها مفككة متنافرة للاعداء المتربصين المتهوسين .







أزمة إسرائيل من الداخل

مجدى فهمى

ثلاثة تحديات خطيرة القتها اسرائيل فى وجه العالم المعاصر منذ تكوينها ، تصطدم بكل ما فى حضارته من قيم ثقافية ، وقوانين علمية ، ومثل انسانية .

فمن الناحية **العلمية** يثير وجود اسرائيل قضية هامة ! هل يمكن تكوين أمة ، ودولة استنادا الى «وحدة الدين» ، بلا تاريخ مشترك ، ولا لغة مشتركة ، ولا تكوين نفسى مشترك ؟ .

ومن الناحية **الثقافية والانسانية** ، هل تملك جماعة دينية محددة ، اعتمادا على اضطهادات عنصرية ، الحق فى تشريد شعب آخر ، وابادة أمة تاريخية ، وفرض نفسها على أنقاض وجوده التاريخى والشرعى ؟

وأخيرا هل يمكن لدولة ان تبقى ، بلا وحدة لغوية ، او جنسية ، او تاريخية او ثقافية لشعبها ، وبلا كيان اقتصادى «داخلى» يكسب هذا الوجود مقومات حياته ، واستنادا فقطالى « معونات » و « تبرعات » و « تعويضات » بلاد أخرى ؟ ..

تلك هى التحديات الثلاث ، بكل ما يتفرع منها وعنها من عشرات المشاكل والقضايا الاخرى ، يفرضها وجود اسرائيل على عالمنا المعاصر .

فهل استطاعت اسرائيل انتكسب هذاالتحدى ، وتنتصر على كل مافى حقائق حضارتنا المعاصرة ، من قوانين علمية مستقرة ؟

فلنترك ازمة اسرائيل الراهنة تجيب على هذه القضية .

خلال الاشــهر الاخيرة ، وقعت فى اسرائيــل سلسلة من الاحداث البارزة ، عبرت جميعها عن دلالات تستوجب الدراسة والتأمل .

فلقــد انتابت أحزابها السياسية موجــة من الانقسامات ، شملت سائر أحزابها الاساسية ، فى صورة انفجار سريع مزق فى ايام كل هذه الابنية الســياسية . ومن جهة اخرى انطلقت بداخلها مجموعة من الاضرابات الضخمــة ، تميز اغلبها بظاهرة جديدة،هى التمرد على قيادة((**الهستدروت**)) التنظيم الرسمى للعمــال فى اسرائيل . وحسب الاحصاءات الرسمية ، وقع ٧٠٪ من اضرابات العمال فى اسرائيل رغم ارادة «الهستدروت» !

ثم ارتبطت هــذه الموجة بظاهرة ثالثة ، هى انفجار التناقضات بين فئاتها المختلفة ذات الاصول الجنسية والقومية واللغوية المتباينة ، فى صورة عاصفة من الكراهية والتمييز العنصرى ، أصبحت تمثل فى نظر قادتها أخطر مشــكلات اسرائيل . يضاف الى ذلك ، ازمة اقتصادية ، عبر ميــزان مدفوعاتها عن كــل ما وراءهــا من ابعــــاد .

ثم واكب هذه الظواهر كلها ، تعاظم اندفاعها نحو التسلح ، وتدفق صفقات الاسلحةالاستعمارية اليها ، ثم احتمالات متزايدة للتسلح الذرى !

فماذا وراء هذه الظواهر كلها ، وما هو الخيط الذى يجمعها ؟

جذور الازمة

من الصعب تفهم الوضع فى اسرائيل ، بمعزل عن القوى العالمية التى صنعتها ، وهى الاستعمار العالمى . فالعوامل الداخلية فى اسرائيل مهماكانت قوتها ، **مشدودة ومحكومة** بهذه القوى نفسـها . ودون الرجوع الى تفاصــيل تاريخ الصــهيونية والاستعمار ، يجب ان نذكر دائما هذه الحقــائق الاساسية :

أولا : فى العشرينات الاخيرة من القرن الماضى ، شهد التاريخ الانسانى ظاهرتان خطيرتان ، كان لهما اكبر الاثر على مجراه بعــد ذلك . **أولاهما** تطور الرأسمالية فى أوربا الى مرحلتها العليــا والاخيرة ، مرحلة الاحتكار والاستعمار وبــداية انطلاقها التاريخى خارج حدودها ، معلنة للعــالم بداية عصر الامبريالية . **والظاهرة الثانية** ، هى نشوءالحركة الصهيونيةالعالمية ، وبداية تخطيطها المحموم لاقامة دولة يهود العــالم . ولقد اثبتت الاحداث بعد ذلك ان هذا التلازم الغريب ، بين نشوء الامبريالية والصهيونية ، لم يكن مصادفة تاريخيـــة .

فمنذ المرحلة الاولى لنشأة الحركة الصهيونية، بقيادة **هرزل** ، ثم وايزمن واخيرا **جولدمان** ، سعت لتوحيد خططها مع سادة الاحتكارات العــالمية ، وقادة المرحلة الجديدة فى الرأسمالية .

ثانيا : ان تطور التوسع الاستعمارى ، لم ينفصل عن تطور التشابك الوثيق مع الحركة الصهيونية، فمع بداية تدفق الهجرة اليهودية الاولى لفلسطين، كان هناك تدفق مماثل لهجرة راس المال ورجاله الى المستعمرات الجديدة .. ومع صرخة **((رودس))** اكبر رجال المال الانجليز فى عصره ، «ان الامبراطورية كما كنت اقول لكم دائما ، قضية خبز وزبد . واذا اردتم تجنب حرب اهلية فيجب ان نحتــل بلادا اخــرى» . مع هذه الصرخة ارتفعت صــيحة الصهيونية المشهورة ، «فليهاجر يهود العالم الى فلســطين» .

وعندما كانت القــوات البريطانية تتدفق على أفريقيا ، كانت تقام فى فلســطين أول مستعمرة يهودية على مقربة من يافا .

ثالثا : ونتيجة لهذه الحقيقة ، كان مركز الحركة الصهيونية ينتقل من عاصمة لاخرى من عواصم العالم الراسمالى ، وفقا للتغيرات الجــارية فى مراكز القوى بداخله . فعندما كانت بريطانيا هى قائدة العالم الاستعمارى ، وسيدة بحاره وارضه وأجوائه . كانت لنــدن هى عاصــمة الحــركة الصهيونية ، وكان تشرشل هو راعيها الاعظم . وبعد الحرب العالمية الثانية تغيرت موازين القوى فلقد خرجت بريطانيا من الحرب متعبة ، مخربة ، عاجزة عن مواصلة دورها القيادى القديم . فى حين قفزت الولايات المتحدة الى مكان الصدارة فى قيادة العالم الاستعمارى . وعلى الفور ادركت الحركة الصهيونية هذا الواقع الجديد ، فحملت عصاها الى الولايات المتحدة ، وجعلت من نيويورك مركز حركتها ، تاركة لندن المخربة لمصيرها المحتوم.

رابعا : ووصل هذا الاتحاد قمته بعــد وجود اسرائيل . فمن الناحية الاقتصادية لا تســتطيع اسرائيل ان تعيش عاما واحدا دون مساعدات العالم الاستعمارى لها . ومن جهة أخرى أصبحت مشاريع الاستعمار فى المنطقة العربية وافريقيا ، تعتمد بصورة كبرى على اسرائيل .

فعند الاضطرار الى التدخل المســلح يتحرك

جيشها فى تناسق كامل مع الجيوش الاستعمارية، كما حدث فى حرب السويس . وعندما تستخدم الاساليب الجديدة للاستعمار ، وابرزها التسلل والتخريب الاقتصادى ، فان اسرائيل هى الاداة الاولى لهذه العملية ، مثلما تفعل الان فى افريقيا .

وحين يحتاج الامر الى تدريب بعض الجيوش المرتزقة لضرب الثورات التحريرية ، فان افضل جسر لهذا الغرض هو ايضا اسرائيل .

تلك كلها لمحات خاطفة لحقائق ثابتة لم تعد تحتاج الى ادلة او برهان . وقيمتها الاساسية الان ، هى فى القاء الاضواء على سياسة اسرائيل ومجرى أحداثها .

وبالتالى لا نستطيع تحليل ظواهر اسرائيل فى شتى المجالات ، دون البدء بفهم حقيقة الاوضاع فى العالم الذى ترتبط معه بوحدة المصير . والواقع ان ازمة اسرائيل ، بسائر ابعادها ، لا تنفصل فى جانبها الخارجى عن الازمة العامة فى الدول الراسمالية الكبرى . كما ان السعى المحموم للتسلح فى اسرائيل ، وبروز قوى الاتجاهات اليمينية والمغامرة فى داخلها مرتبط فى نهاية الامر بالخطة الاستعمارية العامة .

ونظرة سريعة على الوضع الاقتصادى فى الدول الراسمالية الكبرى تؤكد هذه الحقيقة .

● **ففى الولايات المتحدة :** ارتفع العجز فى ميزان المدفوعات الى ٢٠٠٠ مليون دولار ، مسجلا بهذا رقما خطيرا فى تاريخ الولايات المتحدة . وارتبط هذا بصيحات متزايدة من جانب رجال الاقتصاد الامريكى يحذرون من خطر التضخم ، فى نفس الوقت الذى تعالت فيه اصوات الجماهير ، وتعاظمت حركة الاضرابات ضد سياسة الارتفاع المستمر فى الاسعار ، والتى سجلت فى نهاية العام الماضى (١٩٦٥) زيادة قدرها ١١٪ عن معدلها فى السنوات الماضية . والجانب الاخر من الصورة هو ارتفاع نفقات الدفاع فى الميزانية الجديدة الى ٦٠ مليارا و ٥٠٠ مليون دولار ، وتعاظم خطط المغامرات العسكرية فى الخارج .

● **وفى بريطانيا :** بلغ العجز فى ميزان المدفوعات ٧٠٠ مليون جنيه استرلينى .. وحذر المعهد القومى فى بريطانيا من احتمالات تفاقم هذا الوضع . وفى سبتمبر الماضى اعلن مدير البنك المركزى فى الولايات المتحدة ، ان البنك ومعه تسع بنوك غربية أخرى ، قاموا بعمل مشترك لانقاذ الجنيه الاسترلينى ومعه الدولار من كارثة خطيرة .

● **وفى المانيا الغربية .** اعلن ايرهارد ان «المعجزة الاقتصادية» فى المانيا بدات تترنح ، نتيجة لارتفاع الاسعار والاجور ، وتزايد اخطار التضخم . وبلغ العجز ١٧٥٠ مليون مارك وفى نفس الوقت ارتفعت التحذيرات من خطر الهبوط فى المارك الالمانى ، وضرورة اتخاذ الخطوات الحاسمة لمنع وقوع الكارثة

● **وفى كندا :** ظهرت مشكلة العجز المتزايد فى ميزان المدفوعات ، والذى يتوقعه المسئولون هناك وصوله الى الف مليون دولار ، بعد ان كان ٤٤٣ مليونا عام ١٩٦٤ . وصاحب هذا نفس الظواهر الاخرى ، ارتفاع الاسعار ، التضخم الخ ..

● **وفى اليابان :** قررت الحكومة هناك الغاء مشروع السنوات الخمس ، والاكتفاء ببرنامج سريع لمواجهة اسوأ نكسة اقتصادية عرفتها البلاد منذ انتهاء الحرب الاخيرة . ونفس الاعراض تظهر ، الانكماش فى معدل النمو ، وظهور اعراض التضخم ، والارتفاع المتزايد فى الاسعار .

تلك صورة سريعة عن مظاهر الازمة فى بعض بلدان العالم الراسمالى ، بكل ما يصاحبها عادة من زيادة فى الركض نحو التسلح ، والمزيد من الخطط العسكرية فى الخارج . وفى اطار هذه الصورة ، وليس بعيدا عنها ، يجب ان **نبدأ بحثنا لحقيقة الوضع فى اسرائيل .**

فالصيحات التى ترتفع فى اسرائيل منذرة بالخطر، نتيجة للعجز المتزايد فى ميزان مدفوعاتها والتى بلغ فى نهاية ١٩٦٤ « ٥٢٨ مليون دولار » ، انما تعبر عن حقيقة لم يعد من الممكن اخفاءها . وحين يرتبط ذلك بحقيقة معروفة ، وهى أن نسبة المساعدات التى ستصل اسرائيل خلال الاعوام المقبلة ستنخفض الى ٣٠٠ مليون دولار ، مقابل ٦١٠ مليون دولار عام ١٩٦٣ ، و ٥٦٠ مليون دولار عام ١٩٦٤ ، فان الذعر يبلغ مداه . من هنا تحاول اسرائيل بياس علاج هذا الخطر ، بمحاولة الحصول على المزيد من المساعدات ، خصوصا من المانيا الغربية التى سينتهى هذا العام آخر قسط من تعويضاتها لاسرائيل .

الازمة العنصرية

ثم تأتى التناقضات الكامنة فى تكوين اسرائيل فتتحرك فى اتجاه الانفجار .

منذ فترة قصيرة اعلن ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل الحالى حقيقة هامة ، وهى ان اضطهاد

اليهود الملونين داخل اسرائيل هو اخطر مشكلة نواجهها اليوم .

ولقد جاء هذا الحديث بعدما فاحت رائحة التفرقة العنصرية داخل اسرائيل ، وتلك نتيجة طبيعية يستحيل تجنبها .

فالحركة الصهيونية منذ نشأتها ارتبطت بالعنصرية ، واستخدمت الحركات المعادية للسامية ، وسيلة لاكتساب الانصار ، وخداع العواطف . فبدعوى حماية اليهود من الاضطهاد، وانهاء عصر « النفى » لهم ، أطلقت ندائها المشهور ليهود العالم : اهجروا أوطانكم . فأرض الميعاد فى انتظاركم .

ومن كل قارات العالم استجاب اليهود الى النداء . وفوق أرض فلسطين ، تلاقت اغرب هجرة فى تاريخ البشرية ، تعبر عن عمق الخداع الاستعمارى عندما يحقق أغراضه على انقاض كل حقائق العلم والتاريخ . فمن اقصى الجنوب فى افريقيا . الى اقصى الشمال فى اوربا وأمريكا ، ومن سائر بلدان آسيا ، اجتمعت فئات غريبة من الناس ، ذات الوان مختلفة ، ولغات متباينة ، وثقافات وتقاليد مختلفة ، اجتمعوا فوق ارض «الميعاد» المزعومة ، فى أيديهم حقائبهم ، وفى أعماقهم وهم كبير !! ومن هذا الخليط الغريب حاولت الصهيونية تكوين أمة ، ودولة ، فكانت الكارثة التىتواجهها الان . فكما نشأتالصهيونية على نغمة عنصرية ، واستغلت فى نموها الحركات العنصرية المضادة لاسرائيل ، فانها اليوم مهددة بالانفجار بسبب هذا المرض نفسه .

فوفقا للتقارير الرسمية الاسرائيلية ، تضاعف سكان اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ اكثر من مرتين ، وجاء القسم الاكبر من مهاجرى آسيا وافريقيا ونتيجة لهذا تغيرت الخريطة السكانية تغييرا جوهريا . فلقد اصبح الملونون يشكلون غالبية السكان ، ويعانون فى نفس الوقت من الاقلية البيضاء ، القادمة من اوربا وامريكا ، اسوأ الوان الاضطهاد .

واخبار اسرائيل تقول ان الكنيست «البرلمان» اجتمع اكثر من عشر مرات لمناقشة هذه المشكلة ووضعت أمامه أرقاما مذهلة تنطق بخطورتها ، فلقد تبين أن ٩٤٪ من الوظائف الكبرى يشغلها اوربيون ، بجانب احتلالهم لـ ٧٢٪ من سائر المراكز الاخرى للدولة . وتبين ان الصحافةنفسها لم تخل من هذه الظاهرة .. ان ٧٢٪ من الصحفيين من أصل أوروبى .. فضلا عن أن الوزارة الاسرائيلية لم تعرف فى تاريخها كله وزيرا ملونا واحدا .

وامتدادا لهذه التفرقة العنصرية لا يسمح للملون باحتلال مركز اساسي فى جيش اسرائيل،ولا يسمح للاسرائيلية الاوروبية بالزواج من يهودى قادم من افريقيا او آسيا .

و « الحاخامية » فى اسرائيل تساند هذا الوضع وتدافع عنه . ولقد هددت اخيرا بالغاء قرارها القديم ، الخاص بمساواة ابناء الطوائف اليهودية ، اذا استمر ضغط العناصر « الملونة » ضد مظاهر التفرقة الاخرى !

وفى الجانب الاقتصادى تكتمل هذه الصورة اكثر . فالفروق الاقتصادية والاجتماعية بين القادمين من آسيا وافريقيا،وبين الاقلية الاوروبية الامريكية البيضاء تتعاظم باضطراد .

وحسب احصاء بنك اسرائيل ذاته ، فان الدخل الشهرى للفرد القادم من آسيا وافريقيا ، اقل من نصف الدخل الشهرى للرجل الابيض ، او المولود فى اسرائيل !

فدخل الاول يقل عن ٩٥ ليرة اسرائيلية ، بينما يزيد دخل الاخر عن ٢٠٠ ليرة .

ومتوسط سنوات التعليم للقادمين من اوروبا وامريكا ، هو عشر سنوات بينما يقل هذا المتوسط عن ٥ سنوات للاغلبية القادمة من افريقيا وآسيا . وتبرز هذه الحقيقة اكثر حين نعلم ان ٣١٪ من القادمين من آسيا وافريقيا اميون . حتى الاسكان نفسه لم يخل من هذا التمييز الواضح . فنسبة الكثافة فى البيت الافريقى والاسيوى ، تبلغ خمسة اضعاف الكثافة فى بيت اليهودى الابيض .

ثم ينتقل اخطبوط التمييز فيمتد الى طبيعة الاعمال نفسها ، فذوى الاصول الافريقية والاسيوية ، يعملون فى الزراعة ، والبناء ، او فى أحسن الظروف الصناعات الخفيفة ، اما الاقلية البيضاء ، فهى تحتكر وظائف الدولة بسائر مستوياتها ، والمهن الحرة وملكية المصانع والمزارع الخ ..

وثمة ملاحظة اخرى جديرة بالانتباه ، وهى ان نسبة العاملين بالاجر،تتزايد باضطراد ، ويتناقص فى نفس الوقت نصيبهم من الدخل القومى . ففى عام ١٩٥٥ ، كانت نسبة العمال من مجموع السكان ٦٤٪ ، وصلت عام ١٩٦٤ الى حوالى ٧١٪ ، وانخفض فى نفس الفترة نصيبهم من الدخل القومى

بصورة واضحة ، ففى ١٩٥٥ ، كانت نسبتهم من الدخل القومى ٥٨٪ هبطت عام ١٩٦٤ الى ٤٩٪ .

ولا شك ان الاغلبية الملونة قبل غيرها هى التى تدفع ثمن هذا الانهيار المتزايد ، ثم يأتى اضطهاد اسرائيل للعرب مسلمين ومسيحيين ، فيضيف الى تناقضاتها المتفاقمة كل عوامل الانفجار .

فمن المعروف ان ٩٠٪ من العرب يقيمون فى مناطق معزولة ، محكومة دائما بسيف الاحكام العرفية . ومحروم عليهم تكوين احزاب سياسية ، ولا تنظيمات جماهيرية ، ولا اصدار الصحف او المجلات ، يضاف الى هذا حرمانهم من قاعدة الاجر المتساوى وتجريدهم من كل ملكية ، مهما كان حقهم التاريخى والشرعى حاسما فيها .

الانقسامات السياسية

ومن هنا نبدا تحليلنا لظاهرة الانقسامات فى احزاب اسرائيل .

ولنبدأ باكبر هذه الاحزاب واخطرها ، **حزب الماباى** ، الحزب الذى احتكر الحكم فى اسرائيل منذ تكوينها .

لماذا انقسم **بن جوريون** ، زعيم حزب الماباى ومؤسسه ، وشكل حزبا جديدا خارج الماباى ، « حزب عمال اسرائيل » « رافى » ؟

لقد حاول الملفقون المناصرين لاسرائيل تفسير هذا الانقسام بطريقة سطحية ، مضللة ، تقود الى

سيسيل رودس

من أبرز الشخصيات الانجليزية الاستعمارية التى تم على يديها غزو افريقيا ونهب ثرواتها . كان من أكبر المساهمين نفوذا فى الشركات التى احتكرت ذهب وماس القارة .

وبصفته ممثلا للشركات الكبرى فى جنوب افريقيا ، شركة جنوب افريقيا البريطانية ، شركة مناجم دى بيرز المتحدة ، شركة مناجم ذهب جنوب افريقيا ، قام بتنظيم سلسلة من المذابح ضد القبائل الوطنية هناك ، مستندا الى قانون ملكة بريطانيا الذى صدر عام ١٨٨٩ ، وبموجبه اعطت لرودس الحق فى حكم وتنظيم المناطق التى يصل اليها فى افريقيا .

وكان لابد من تتويج هذا « المجد » الدموى لرودس بشىء يخلده الى الابد ، فتقرر اطلاق اسمه على المناطق التى استولى عليها بالخديعة والدم ، واصبح اسمها الجديد « روديسيا » .

تسليط الاضواء على الجوانب الثانوية فى الازمة ، وتجاهل جوهرها الحقيقى . فالصراع الشخصى بين **اشكول** وبن جوريون على السلطة وقيادة الحزب ، والصراع حول قضية **((لافون))** المشهورة ، والخلاف حول سياسة التحالف معحزب **((احدوت))** .. هذه العوامل كلها لا تمثل الوجه الاساسى للازمة . انها فى احسن الفروض تعبر عن الجانب الذاتى ، الشكلى ، لكارثة الماباى . ولكن الجذور الموضوعية اكبر واعمق من ذلك .

ما هى اذن الاسس الاجتماعية الموضوعية لهذه الازمة الاخيرة ؟

هنا لا بد من البدء بحقائق الوضع الطبقى والاجتماعى فى اسرائيل .

ففى ثناياه يكمن الجوهر الحقيقى للازمة السياسية .

أزمة اسرائيل من الداخل

ان اسرائيل تعانى ازمة اقتصادية ، وانفجارات عنصرية ، ويأس متزايد من جانب غالبية شعبها «الملون» تجاه أحلامه السابقة فى أرض «الميعاد» .

فكيف يواجه هذا الوضع ، بكل ما يحمله من اعاصير وانفجارات ؟

وعلى هذا السؤال تأتى اجابتان متناقضتان ، فيهما تختفى المعالم الجوهرية للازمة : «الزمن ليس فى جانب اسرائيل» .. هكذا يعطى **جولدمان** اجابته على هذا السؤال ، فى تصريحه فى ديسمبر ١٩٦٥ ، مؤكدا بهذا اتجاه بن جوريون الداعى الى الحرب كحل للازمة .

« الحرب ليست فى صالح اسرائيل الان » . بهذا يرد اشكول زعيم الاتجاه الثانى ! . وتلك احدى القضايا الجوهرية المطروحة كحل لأزمة الانفجار من « الداخل » فى اسرائيل .

ومن وراء هذه الخلافات تكمن الخيوط المحركة لها فى الخارج ، فى قلب «البيت الابيض الامريكى» بكل ما يتنازع اتجاهاته الان من خلافات . واذا كانت السياسة الامريكية فى المرحلة الراهنة تساند اتجاه اشكول ، فان « بن جوريون » سيكون بلا شك «فارس الامل» فى المستقبل القريب . وبغض النظر عن قيمة الانتخابات الاخيرة بكل ما اسفرت عنه من نتائج لصالح اشكول ، فالقوة الحقيقية المسيطرة فى اسرائيل ، هم العسكريون بطبيعتهم المغامرة ، وهؤلاء يقفون وراء بن جوريون ، وينتظرون الوقت الذى تراه القوى الاستعمارية مناسبا

للانقضاض على السلطة وفرض بن جوريون من جديد .

واحداث ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ ، لم تزل محفوظة فى ذاكرة التاريخ .. عندما تحرك الجيش فجأة ، وأطاح بحكومة ((شاريت)) ، وفرض بن جوريون على رأس الحكومة ، لتبدأ بعد ذلك مغامرة حرب السويس المشهورة .

ومن قلب اسرائيل يأتى الخيط الثانى ، الملتحم مع الوضع الخارجى فى نسيج واحد . فمع تعاظم الاستقطاب الاجتماعى بداخلها على أسس عنصرية وطبقية ، نشأت فئة جديدة ، خلقها حزب الماباى نفسه بقيادة بن جوريون . وتتكون من الرأسماليين الكبار ، ومعظمهم وكلاء الاحتكارات الاجنبية ، بجانب كبار الموظفين ، ورجال الجيش ، تتناقض مصالحها بشكل متعاظم مع الغالبية الساحقة للاسرائيليين ، خصوصاً ذوى الاصول الافريقية والاسيوية .

وتلك الفئة تتعاظم قبضتها على مصائر الامور فى اسرائيل ، وترتبط حركتها مع توجيهات القيادة الاستعمارية خارج اسرائيل . وفى اتحاد كامل مع هذه الفئة الجديدة ، تقف قيادة ((الهستدروت)) ، منفصلة تماما عن جماهير العمال التى تدعى التعبير عن مصالحها .

ولا شك أن انعزال قيادة ((الهستدروت)) ، وتعاظم الهجمات ضدها، أو كما يسمونها فى اسرائيل ((سكان الطابق الخامس فى الهستدروت)) ، كل هذه الظواهر تمثل جانبا هاما من الازمة العامة فى اسرائيل .

ولم يكن صدفة أن تنفجر الاضرابات فى اسرائيل فى تحد كامل ضد هذه القيادة ، وتسجل بعض المكاسب على حساب سمعة هذه القيادة ونفوذها .

انقسام الماباى اذن نتاج لهذه الاوضاع الاجتماعية فى اسرائيل ، بكل ما تفرضه هذه الاوضاع من البحث على حلول يائسة .

وننتقل الى حزب الاحرار ، ثانى انقسامات اسرائيل السياسية ... هنا نجد أيضا نفس الاسباب ، تقود الى نفس النتائج .

لقد كان اتجاه هذا الحزب تاريخيا ، يتأرجح بين الميل المتزايد نحو سياسة أقصى اليمين فى اسرائيل ، التى يمثلها أساسا حزب ((حيروت)) ، صاحب شعار ((اسرائيل من النيل الى الفرات)) وبين اتخاذ المناورة والتلون السياسى طريقا لكسب الانصار .

ومع أزمة الماباى وانقسامه ، انقسم هو أيضا الى فريقين ، اندمج جناحه اليمينى مع حزب ((حيروت)) ، بينما شكل الجناح الاخر حزب ((الليبرالى المستقل)) .

والواقع أن اندماج الجناح اليمينى ، مع حزب حيروت المتطرف ، انما يشكل بديلا جديدا قويا لحزب الماباى ، يمكن أن يلعب دوره فى المغامرات العسكرية المقبلة ، اذا رأت قيادة اسرائيل الحقيقية فى ((الخارج)) ضرورة لهذا . وبالتالى يصبح البديل العسكرى ، والبديل المدنى ، أمران ممكنان لتحقيق الخطة الجديدة ، حينما يأتى الوقت . وأخيرا لم ينج حتى أقصى اليسار نفسه ــ بالمعيار الاسرائيلى ــ من الازمة . فمع هذه الموجة من الانقسامات والتحالفات ، انقسم أخيرا **الحزب الشيوعى الاسرائيلى** الى حزبين ، أحدهما بقيادة سكرتير الحزب ، ميكونس ، ومعه كل الاعضاء اليهود تقريبا ، والاخر معه الاعضاء العرب .

ولقد عبر هذا الانقسام بصورة صريحة عن الازمة العنصرية فى اسرائيل .. بكل ما تحمله من استحالة كاملة ((للتعايش)) السلمى بين فئات شديدة التناقض والعداء . والسبب الرسمى لانقسام الحزب الشيوعى هناك ، هو الموقف من ((وجود)) اسرائيل .

فلقد اجتازت سياسته ثلاثة مراحل تجاه هذه المشكلة . الاولى استمرت منذ تكوين اسرائيل حتى العدوان الثلاثى على مصر ، وشعارها الرئيسى كان التسليم بالطابع الاستعمارى للحركة الصهيونية ، مع التمسك فى نفس الوقت بحق اسرائيل فى الوجود .

والمرحلة الثانية بدأت بعد العدوان حتى العام الماضى تقريبا . وارتكزت على حقيقة أن اسرائيل قاعدة استعمارية عدوانية ، وبالتالى انتفاء كل مقومات وجودها كدولة . بيد أن ميكونس ، غير هذه السياسة بعد ذلك ، وبدأ من جديد يتحدث عن حق اسرائيل فى البقاء ، رغم كل الوقائع الدامغة عن حقيقة دورها العدوانى . ومع تفاقم أزمة اسرائيل الداخلية ، لم يستطع الحزب أن يبقى موحدا ، وخرج الجناح العربى ليشكل حزبا آخر يعادى وجود اسرائيل المستقل .

هذه هى صورة اسرائيل السياسية ، أو صورة الجانب السياسى فى أزمة اسرائيل الاقتصادية والاجتماعية ، من خلالها تبرز كل تناقضات الوجود ((المفتعل)) لاسرائيل ، وتبرز كذلك كل احتمالات المغامرة العسكرية فى المستقبل . ومن خلال هذه الحقائق وحدها ، يأتى الرد الوحيد على مصير التحدى الذى فرضته اسرائيل .

لقد قال جولدمان « الزمن ليس فى صالح اسرائيل » ... وقال اشكول « الحرب الان ليست فى صالح اسرائيل » ... وكلاهما مصيب !

فلا الزمن ، ولا المغامرة العسكرية ، قادران على انقاذ اسرائيل من قوانين عصرنا الجديد ، وحتمياته الصارمة .

ان اسرائيل نتاج لعصر تنطوى الان آخر صفحاته . عصر « الهجرة الكبرى » هجرة رأس المال الاستعمارى ، ورجاله وجيوشه ، الى حيث توجد مناجم الحديد والذهب والبترول ، ومزارع القطن والقصب والكاكاو . وهى لا تستطيع أن تبقى بعد النهاية المحتومة لبقايا هذا التاريخ .

وحين يحارب قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية، كل ما هو ايجابى فى عصرنا الجديد ، و« يراهنون » ضد قوانينه وقيمه المنتصرة ، انما يؤكدون بذلك وحده مصيرهم مع قوى الماضى ، ووعيهم الكامل بتناقض أحلامهم مع الواقع والتاريخ .

انهم يقاومون « اندماج » الفئات اليهودية فى أى بلد مع سائر فئاته ، ويعتبرون ذلك خيانة عظمى ، وهم ينزعجون كلما شعروا باختفاء النعرات العنصرية، أو انتهاء مرحلة العداء « لليهودية كدين » ، ويعلنون بصراحة « أن النزعات العنصرية المعادية لليهود تقدم أكبر خدمة لاسرائيل » .

انهم يحلمون بحركة « نازية جديدة » ، تشعل نار الحقد العنصرى ، وتبيد بضع أفراد ، أو مئات، او آلاف من اليهود ، لتستمد اسرائيل من لهيبها طاقات جديدة لوجودها ، وتبتز من رماد ضحاياها ملايين جديدة من الدولارات، والماركات والتبرعات، وتكسب فى ظلها استمرار عواطف الكثيرين من المخدوعين فى العالم . ولكن التاريخ يمضى وجهة أخرى .

فمذابح اليهود فى المانيا ، جزء من عصور التعصب والكراهية فى التاريخ الانسانى . ويصعب فصلها عن مذابح الكاثوليك ضد البروتستانت فى فرنسا والمانيا . أو مذابح البيض ضد الزنوج فى أمريكا وجنوب افريقيا وروديسيا ، أو مذابح الهندوس ضد السيخ والمسلمين فى الهند ، أو غيرها من مئات المآسى العنصرية فى التاريخ .. وكلها تحمل بصمات عصر تنتفض الانسانية الان ضد بقايا ظلاله السوداء .

فعصرنا الجديد ، بكل قيمه العلمية والثقافية والانسانية ، يرفض أن يكون امتدادا لاسوأ فترات التاريخ قرصنة ، وهمجية ، وتعصب .. وانسان هذا العصر لا يقبل « هتلرا » آخر يقوده ، ويستثير أحقاده وغروره ضد البشر ، باسم تفوق مزعوم لجنس من الناس على أجناس أخرى .

لقد ارتبط نذير اسرائيل ، ثم وجودها ، واستمرارها ، بظاهرة عارضة فى التاريخ الانسانى الطويل ، هى الامبريالية ، واليوم تكافح اسرائيل، فى التصاق مع هذه القوى والظروف التى خلقتها ، من اجل وقف حركة التاريخ وتجميدها، حتى يستمر التبرير الوحيد لهذا الكيان الغريب .

لقد استطاعت اسرائيل أن تعيش بضع سنوات، فوق ارادة الواقع والعلم والتاريخ . وحاولت أجهزتها الدعائية استغلال هذه الفترة العارضة لاثبات عقم **الرفض العربى الثورى لهذا الوجود .**

ولكن التاريخ يحمل فى صفحاته الرد الحاسم على هذا الادعاء ... **فالحكم العنصرى فى جنوب أفريقيا** ، اقدم كثيرا من وجود اسرائيل ، والسيطرة الاستعمارية على غالبية شعوب العالم ، عاشت سنوات طوال .

ولم تكن هذه الظواهر كلها دليلا على حتمية هذا الوجود ، او تعبيرا عن ضرورة تاريخية حاسمة يستحيل تجنبها او التخلص منها .

ان نجاح اسرائيل فى « استجلاب » يهود من جميع انحاء العالم فوق ارض فلسطين ، بكل خلافاتهم القومية والثقافية واللغوية ، انقلب الان الى كارثة تهدد وجودها .

وارتباط وجود اسرائيل بالاستعمار، والعنصرية، وسائر الحركات والاتجاهات السوداء فى التاريخ ، انتهى بفقدان كل مبرر لاستمرارها . فكل طاقات الامبريالية ، بملايين « دولاراتها » و « ماركاتها » لم تستطع ستر « عرى » كيانها الاقتصادى المفتعل. وكل اوهام الدعايات الكاذبة عن ديمقراطية اسرائيل « الواحة الجميلة فى الشرق الاستبدادى » ، لم تستطع اخفاء قروح همجية التسلط العنصرى فوق غالبية اليهود ذوى الجلود « الملونة » فى ارض « الميعاد » .

وكل ضجيج حول نوايا اسرائيل « السلمية » ، لم يعد يقنع من يريد رؤية الحقيقة كما هى ، فى خيام اللاجئين العرب ، وفى الاعتداءات المتكررة على الحدود العربية . شىء واحد تتشبث به اسرائيل الان ، لتكسب تحديها مع قوانين العلم والتاريخ هو ارتداد موجة التحرر وانحسارها ، وتجميد حركة التاريخ عند العصر الذهبى لها ، عصر الامبريالية .

وما دامت حركة التاريخ تمضى فى صعودها الابدى مكتسحة امامها كل رغبات وتحديات الماضى، فان دبابات « باتون » ، وصواريخ « هوك » ، وطائرات « الميراج » المتدفقة على اسرائيل ، لن تستطيع مواجهة أمواجه المنتصرة .



المستدروت لافتة نقابية لمؤسسة رأسمالية

عبدالمنعم الغزالى

في ١٩١٣ رفع الدكتور آثر روبين تقريرا الى مؤتمر فيينا الصهيونى عن رحلته الى فلسطين قال فيه : « عند زيارتى لفلسطين شاهدت والاسى يملأ فؤادى فتور الحماسة وانعدام الثقة لدى الكثير من أبناء المهاجرين لاسيما فى **المستعمرات اليهودية والسامرية والخليل** . وقد حاولت ان اصدر حكما على الموقف بقلب منصف فما وجدت وصفا ادق من حلول الشيخوخة قبل أوانها .. وماذا جنى اليهود بعد عشرين عاما ؟ لا شىء أو ما يقرب من العدم اذا قيس بالاحلام الاولى ، ولا علاج لذلك الا اذا جلبنا دماء فتية من مختلف انحاء اوروبا تعيد الشباب وتنفخ فى الارض روحا وثابة جديدة » .

وكان تقرير روبين هذا دافعا للحركة الصهيونية العالمية لتدفع بقوى جديدة لتهاجر الى فلسطين ولتعمل فى المستعمرات الصهيونية ، وكانت النتيجة الاولى هى أن انشأ الدكتور روبين **(مكتب فلسطين)** فى ميناء حيفا — والذى وضع الوسائل الإستغلالية العملية وطبق الاتجاه الجديد لاحياء المستعمرات القديمة ولتطبيق السياسة العملية للاستيلاء على فلسطين . وسجلت هذه الهجرة الجديدة تركيبا اجتماعيا جديدا — فأصبحت أغلبية المهاجرين من العمال والحرفيين وجماعات لا يرتبطون بطبقة اجتماعية محددة وليس لهم دور اقتصادى محدد — فهم سماسرة وباعة متجولين ومرابين ومغامرين — ولقد كون هؤلاء نسبة عالية من المهاجرين القادمين من اوروبا وآسيا ، وكانت نسبتهم نحو ٤٠ ٪ من مجموع المهاجرين بينما كانت نسبة الحرفيين ٢٠٪ ونسبة العمال الفنيين ١٥ ٪ ونسبة الكتبة والاداريين ١٥ ٪ ونسبة الرأسماليين المتوسطين والكبار ١٠٪ . ومن بين هذه الفئة الكبيرة غير المرتبطة بطبقة اجتماعية بذاتها وجدت الحركة الصهيونية — كما تجد من بينهم كل قوة رجعية — الجيوش المأجورة وعصابات القتلة والمغامرين والجواسيس والمخربين وحتى هؤلاء الذين لا يحترمون شرف الكلمة من أنصاف المثقفين فكانوا أبواقا لترويج الدعاية العنصرية والرجعية ، **نفس الطبقة التى كونت منها الرأسمالية المالية فى أزمتها بعد الحرب العالمية الاولى دعاة النازية والفاشية . واطلقت الحركة الصهيونية على هؤلاء المهاجرين الجدد اسم « العلياء » نسبة الى العلى من سماء المجد .**

وخططت الحركة الصهيونية لاستخدام هذه القوى الجديدة استخداما سياسيا منظما ، فعملت على تنظيم صفوفهم فى أحزاب وهيئات اتخذت لافتات عمالية واشتراكية وماركسية ، خاصة وان عددا كبيرا من العمال الجدد القادمين من اوروبا كانوا ينتمون الى الحركة الاشتراكية الديمقراطية الاوروبية .. وكان من أبرز وأقوى التنظيمات السياسية الجديدة حزبين هما « **بوعالى زيون**» أى « **عمال صهيون** » و « **هابوعالى هات عير** » أى « **الفتى العامل** » واعلن كل من الحزبين انه اشتراكى ، وادعى الحزب الاول انه ماركسى ، بينما عارض الثانى فكرة الصراع الطبقى لانها لا تبنى الوطن الموعود الذى ستشيده كل طبقات الاسرائيليين . وكان الاتفاق بين هذين الحزبين كاملا حول طريقة زراعة الارض على اساس العمل دون أجر مدفوع واستعمال العبرية لغة قومية وفى ان هدفهما البعيد هو اقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين . ويعتبر الحزبان امتدادا لحركتين عنصريتين نشأتا كقوى انقسامية داخل الحركة الاشتراكية فى شرق اوروبا وهما حركة « البوند » وهو الاتحاد العام للعمال اليهود فى ليتوانيا وبولونيا وروسيا — وقد تأسس هذا الاتحاد فى عام ١٨٩٧ وكان يضم بصفة خاصة الحرفيين اليهود وصغار البورجوازيين ، والحركة الثانية هى حزب العمال اليهودى الاشتراكى وهو منظمة قومية بورجوازية تأسست عام ١٩٠٦، وكان قوام برنامجه فى روسيا المطالبة بالحكم الذاتى القومى لليهود وانشاء برلمانات يهودية غير اقليمية . ولقد حارب الحزبان الجناح الثورى فى الحركة الاشتراكية فى روسيا واوروبا . لقد كانت دعوتهما القائمة على اساس التعصب القومى لدين او فئة معينة انما هى دعوة بورجوازية هدفها تبليد عقول وحركة العمال وتعميتهم عن رؤية الطريق السوى وتفريق صفوفهم لتتمكن البورجوازية من ان تسوقهم بعصاها الى مذبح الاستغلال الراسمالى فى سهولة ويسر .

رايات الاشتراكية

تغلف اطماعا رأسمالية

ان الحركة الصهيونية العالمية قد فطنت الى اهمية وضرورة استخدام تنظيمات ترفع رايات اشتراكية زائفة حتى تتمكن تحت ستارها من جذب اعداد كبيرة من العمال اليهود من اوروبا الى فلسطين . وفى نفس الوقت الذى ترفع فيه هذه الرايات الاشتراكية الزائفة كانت ترفع شعارات **« الوطن القومى لبنى اسرائيل »** وما اسموه بالثقافة القومية اليهودية ، وقد وصف لينين — وهو مؤسس الجناح الثورى فى الاشتراكية الديمقراطية الروسية — شعارات هذه الجماعات فى روسيا والنمسا بقوله : « ان شعار الثقافة القومية اليهودية انما هو شعار الحاخاميين والبورجوازيين، شعار اعدائنا » . وقال ايضا : « لا الاشتراكيون الديمقراطيون النمساويون ولا الاشتراكيون الديمقراطيون الروس تبنوا مطلب استقلال الثقافة القومية الذاتى فى برنامجهم . ولكن الاحزاب البورجوازية اليهودية فى البلد الاكثر تأخرا وعدة كتل بورجوازية صغيرة تزعم انها اشتراكية تبنت هذا المطلب ، لكى تبث بطريقة مقلفة ناعمة افكار النزعة القومية البورجوازية فى اوساط العمال ، وهذا الواقع فى حد ذاته غنى عن التعليق » . كما انه اعتبر الدعوة الصهيونية محاولة لتعمية العمال والعمل على تشبعهم بالعقلية البورجوازية

واتخذت — الدولية الثالثة — فى مؤتمرها الثانى فى ١٩٢٠ قرارا ادان النشاط الصهيونى فى فلسطين ، واعتبر الحركة الصهيونية حركة رجعية يحركها كبار الرأسماليين ، وان فكرة « الوطن القومى اليهودى « فكرة خاطئة ومتعارضة مع المفهوم العالمى للقومية ، فاليهود ليسوا امة وليس لهم اى حقوق قومية لا فى فلسطين ولا فى غيرها».

ومن هنا يمكننا تبين مدى زيف اللافتات الاشتراكية التى حملتها هذه الاحزاب العمالية الاولى — والتى نشأت كأجهزة تابعة للمؤتمر الصهيونى العالمى ولخدمة اغراض حركة الهجرة اليهودية . ومنذ البداية وهذه الحركات على علاقة وثيقة بأحزاب الدولية الثانية والتى خانت منذ نهاية القرن التاسع عشر قضية الاشتراكية ودافعت عن سياسة الاستعمار ووقفت ضد حق الامم فى تقرير مصيرها ، وما زالت احزاب الدولية الثانية تدافع عن كل قضايا الصهيونية ، وفى ١٩٦٠ عقدت مؤتمرا دوليا فى اسرائيل لابراز تضامنها مع الصهيونية ».

وهذه الاحزاب العمالية الصهيونية التى اشرنا اليها لم تخدم بوجودها المنقسم « حركة الهجرة « و «حركة انشاء الدولة الاسرائيلية» داخل فلسطين رغم شكلية الخلاف ، ولهذا رأت الحركة الصهيونية العالمية ضرورة توحيدها وخاصة بعد صدور وعد بلفور ، وسعت الوكالة اليهودية لتوحيدها فعلا فى هيئة واحدة مع بقاء الكيان السياسى لكل منها داخل هذه الهيئة — وبذلك تأسس فى عام ١٩٢٠ **« الهستدروت » اى الاتحاد العام للعمال العبريين فى اسرائيل »** ، وكان من ابرز الاعضاء المؤسسين

له القطب الصهيونى ((**دافيد بن جوريون**)) والذى تولى منصب سكرتيره العام لفترة طويلة .

وكما جاءت نشاة «بوعالى زيون» « هابوعالى هاتعير » مع نشاة « مكتب فلسطين » لتنظيم الهجرة ، فان نشاة ((**الهستدروت**)) جاءت مع نشاه«دوائر المهاجرة والسفر».وهى الدوائر التى أنشاتها الادارة البريطانية برئاسة المستر **هايمون** وهو من أعضاء المنظمة الصهيونية البريطانية . وبعد ان اصدرت هذه الادارة قانون الهجرة الاستعمارى الذى وضعه المستر **نيتويتش** عضو نفس المنظمة السابقة والمستشار القضائى للحكومة البريطانية حينئذ . وبموجب هذا القانون كان المندوب السامى البريطانى يخطط جدولا بعدد المهاجرين المسموح لهم بالدخول الى فلسطين فى مده معينه ويقوم بتسليم شهاده الهجرة مفتوحه للوكاله اليهودية التى ترسلها بدورها الى المنظمة الصهيونيه العالمية والى « الهستدروت » حيث يقوم الاخير بالدور الرئيسى فى تجنيد المهاجرين وادخالهم لاسرائيل ، والقيام بتشغيلهم فى المشروعات الزراعية والصناعية .

وهكذا ولاول مرة فى تاريخ الحركة العمالية فى العالم يولد اتحاد عمالى مثل هذا الميلاد «الصناعى» كجهاز من اجهزة الحكم الاستعمارى والقهر القومى ، حيث اسند اليه استعماريو القرن العشرين مهمة اقامة « الوطن القومى » المزعوم لليهود داخل فلسطين ..

عضوية الهستدروت

لم يكتمل الشكل التنظيمى للهستدروت الا بعد مؤتمره الثانى الذى انعقد فى ١٩٢٣ والذى اقر دستور الهستدروت وانشا دارا للنشر خاصة به وصحيفة يومية ودعم الى حد كبير البناء الاقتصادى الخاص به — وحتى هذا التاريخ كانت معظم ميزانيته ترد اليه من صندوق المنظمة الصهيونية العالمية ومن اعانات تقدم اليه من الراسمالية العالمية وبصفة خاصة من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية .

وتراوحت العضوية فى الهستدروت فى السنين التى سبقت الحرب العالمية الثانية ما بين خمسة آلاف وعشرة آلاف ، رغم ان الهستدروت كان يتمتع بقوة اقتصادية جبارة فى مجال النشاط الراسمالى . وفى السنين التى تلت الحرب العالمية الثانية وبمساعدة من قبل الاتحادات العمالية الامريكية بصفة خاصة ازداد نفوذه وازدادت عضويته حتى وصلت الى ١٨٠ الف عضو فى ١٩٤٨ قبيل ظهور دولة اسرائيل .

وبعد ان فرضت الدولة الاسرائيلية بقوة حراب الاستعمار العالمى نمى الهستدروت بمؤازرة الدولة الصهيونية وبفضل ازدياد المساعدات الاجنبية اكثر من اى وقت مضى — واستمد تأييدا من الاتحاد الدولى للنقابات الحرة منذ تأسس الاخير فى ١٩٤٩ كانشقاق من الاتحاد العالمى للنقابات . وقد اخذت عضوية الهستدروت تزداد باضطراد فاصبحت ٤٥٠ الفا فى ١٩٥٨ وحوالى ٨٠٠ الف فى ١٩٦١ و ١٥٠٠ر١ر٠٠٠ فى ١٩٦٤ .

وللهستدروت مؤتمر يجتمع كل اربع سنوات لينتخب مجلسا تنفيذيا من ٢٨١ عضوا ليختار السكرتير العام من بينهم اثنى عشر مساعدا ولانتخاب لجنة تنفيذية من ٩١ عضوا متفرغا . وقبل اجراء الانتخابات للهستدروت تشكل لجنة مركزية للانتخابات تمثل فيها كل الاحزاب السياسية بنسب مختلفة تبعا لقوة كل حزب . فيمثل فيها الماباى وحزب احدوت هافودا والمابام والاحرار والشيوعيين والعمال المتدينين . فالهستدروت — كجهاز من اجهزة الحركة الصهيونية العالمية — يضم كل الاحزاب الموجوده فى اسرائيل سواء كانت هذه الاحزاب من التى ترفع لافتات يسارية او التى تمثل البورجوازية مباشرة .ويتمتع ((**الماباى**)) بأغلبية كبيرة فى الهستدروت ، والماباى او « حزب عمال اسرائيل » تأسس فى ١٩٣٠ نتيجة اندماج بعض الجماعات العمالية برئاسة الدكتور **حاييم ارلزوروف** ومن بعده بن جوريون وهو يتحكم فى ثلثى اللجنة التنفيذية للهستدروت ، ويسيطر على رئاسة الوزارة منذ ١٩٤٨ وعلى وزارات الدفاع والخارجية والمالية . و ((**المابام**)) او «حزب عمال اسرائيل المتحدين» وقد تأسس فى عام ١٩٤٣ قبل انشاء اسرائيل من جماعات منشقة على الماباى ، وفى ١٩٥٢ انقسم عليه تنظيمين عماليين احدهما باسم « العصبة اليسارية» والتى خرج منها **موشى سينيه** الذى انضم للحزب الشيوعى الاسرائيلى بعد ذلك — ويعتبر المابام ثانى الاحزاب نفوذا فى الهستدروت .

وثالث الاحزاب نفوذا فى الهستدروت هو **حزب احدوت هافودا** « حزب اتحاد العمال » ، وهو انقسام من الماباى على اسس شخصية مع بن جوريون ، وتسوده الروح العسكرية الصهيونية ويضم فى صفوفه معظم اعضاء **منظمة البالماخ العسكرية** وابرز قادته الجنرالات **سوشى كارمك واسرائيل غالينى وايلون** — ولهذا الحزب منظمات عمالية ومزارع وتعاونيات خاصة به .

ويلى هذه الاحزاب مجموعة من الاحزاب الاخرى — الحزب الشيوعى الاسرائيلى — وقد عارض قبل ١٩٤٨ قيام دولة اسرائيل ولكنه بعد ١٩٤٨ قال بوجود قومية اسرائيلية وبعد ١٩٥٦ اعتبر اسرائيل قاعدة امريكية وله ٢ ٪ من المراكز القيادية فى الهستدروت ويدور داخل هذا الحزب معركة منذ حيث يريد اعضاء الحزب من العرب

المقيمين باسرائيل تأسيس حزب عربى.

ويلى الحزب الشيوعى فى الهستدروت الاحزاب اليمينية الاخرى لحيروت وهو اصلا جمعية زفاى ليوم الارهابية والتى تكونت فى فترة الانتداب البريطانى ويلتقى هذا الحزب مع بن جوريون (العمالى !) فى ضرورة استخدام القوه العسكرية ضد العرب وفرض القيود العديدة على المواطنين العرب المقيمين باسرائيل والتى تجعلهم سجناء قراهم،ويليه حزب الصهيونيين العموميين وهو يمثل اتحاد ارباب الاعمال ورؤوس الاموال والمصانع وكبار المزارعين والتجار والجماعات الصهيونية الامريكية ،وحزب الصهيونيين التقدميين وهو حزب راسمالى آخر ، ولهذه المجموعة من الاحزاب اليمينيه نفوذ قوى داخل الهستدروت ــ وان كان لا يظهر بمقاعد ــ خاصة به فى المجلس التنفيذى .

النشاط الاقتصادى للهستدروت

انشأ الهستدروت ما يسمى بالتنظيم الاقتصادى التابع له لاقامة شركات استثمار راسماليه فى البلاد الفلسطينية ، ولتملك المستعمرات الزراعية والمشروعات الصناعية ،وانشأ المصارف للاقراض بفوائد ، وبهدف الاستيلاء على اراضى الفلاحين العرب ــ ولذلك نجد « الهستدروت » يملك اليوم تقريبا كل المستعمرات الزراعية فهو يملك حوالى ٤٥ مزرعة تمثل ٧٠ ٪ من الانتاج الزراعى لاسرائيل ويملك ١٦٥٧ مصنعا وخمسة بنوك ويساهم فى ٤٨٣ مشروعا تستثمر اكثر من ٢٥٠٠ مليون ليرة اسرائيلية ويستغل ١٥٤ الف عامل فى هذه المؤسسات وهو يملك اكبر دار نشر باسرائيل ملكية راسمالية كاملة ودارا لتوزيع الافلام وشركة للمسرح المتنقل ومدرسة للفنون . ويمسك بزمام نسبة كبيرة من التجارة الداخلية والخارجية ، ويملك اكبر شركات النقل الجوى والبرى ــ شركة الخطوط الجوية الاسرائيلية « الآل » . وشركة الملاحة البحرية « زيم » ويساهم فى شركة ميكورت، كما يملك عددا كبيرا من المطاعم والفنادق والمتاجر والمخابز وخطوط النقل الداخلى . وهى تحتكر ملكية « هفوات اوفديم » ــ المؤسسة التعاونية العامة ــ وهى تسيطر على نسبة كبيرة من اقتصاد اسرائيل فهى تدير ١٢٢٦ جمعية تعاونية واسمالها اكثر من ٥٤٠ مليون ليرة اسرائيلية ، وهى تضم اغلب الصناعات الثقيلة وكذلك المشاريع الكبيرة، وتضم كذلك شركة سوليل بونيه والتى تتبعها شركة البناء والاعمال العامة ولها مصانع تنتج مواد البناء ويعمل بها ٢٢ الف عامل وتسيطر على ٤٠ ٪ من مشروعات البناء ، وتضم كذلك شركة « كور الصناعية » ويعمل بها ٨٥٠٠ عامل ، وشركة الموانىء والمقاولات الخارجية وتقوم بتنفيذ مشروعات فى بلدان الشرق الاوسط المرتبطة بعلاقات مع اسرائيل مثل ايران ، وكما انها تساهم فى مشروعات بعض البلدان الافرو ــ آسيوية . ويتبعها كذلك مؤسسة التسويق التعاونى وهى تقوم بتسويق ٧٥ ٪ من الحاصلات الزراعية ، وكذلك الجمعية التعاونية للبيع بالجملة وهى تملك اكثر من ٢٠٠ مخزن .

هذا النشاط الراسمالى الضخم «للهستدروت» هو دليل كاف على انه مؤسسة راسمالية ولا يمكن اطلاقا ان يكون منظمة عمالية كما يزعم وكما يقدم نفسه فى البلدان الافرو ــ آسيوية .

« الهستدروت » جهاز معاد للعمال

وهذا الاتحاد العمالى الزائف لا يتخذ مواقف معادية من العمال العرب المقيمين باسرائيل فحسب بل وايضا من العمال اليهود انفسهم، فهؤلاء العمال بعد ان وجدوا اسرائيل ليست الا واحة راسمالية يستغلون بها كغيرهم من العمال فى انحاء العالم الراسمالى خاضوا معارك اضرابية من اجل الحصول على بعض المطالب الضرورية ــ وتبطش الحكومة الاسرائيلية بهذه الحركات الاضرابية وتكبتها بعنف وقسوة ويؤيدها الهستدروت فى مواقفها تأييدا كاملا .

والامثلة عديدة على مواقف الاتحاد المعادية للعمال اليهود ــ فخلال الاضراب العام ضد ارتفاع تكاليف المعيشة فى فبراير ومارس ١٩٦٢ هاجم البوليس المضربين فى ميدان ايليت فى رامات جان ، وايد الهستدروت موقف الحكومة تأييدا كاملا ،وفى ١٩٦٥ عندما انتشرت اضرابات العمال ضد سياسة حكومة ليفى اشكول لتجميد الاجور ايد الهستدروت حكومه ليفى اشكول وسياستها .

وفى مارس ١٩٦٣ عندما اضرب عمال الطيران فى خطوط الدولة « اى ــ آى » مطالبين بتحسين نظام التأمين الاجتماعى ، ايد الهستدروت سياسة فصل العمال ، وتحويل العمل على الخطوط الجوية لشركة بريطانية واستقدام مخربين اجانب لتحطيم الاضراب . وفى ابريل ١٩٦٣ عندما اضرب عمال مصنع البسكويت بفريمين ايد الهستدروت فصل العمال بالجملة واضطهاد العمال الذين دعوا لتنظيم العمال .

ويؤيد « الهستدروت » سياسة الاضطهاد العنصرى التى تمارسها الدولة الاسرائيلية ضد العمال العرب ، حيث يفرض عليهم نظام الاقامة الاجبارى، ويحرم عليهم الانتقال من مكان لمكان ، وتفرض عليهم شروط عمل قاسية واجور اقل بكثير من الاجور التى يتقاضاها العمال الاسرائيليين عن نفس العمل .

واصوات بعض العمال اليهود انفسهم ترتفع بالاحتجاج على الهستدروت ومواقفه. ففى اجتماع عمالى فى نوفمبر سنة ١٩٦٤ لجماعة « الجيل الجديد » التابعة لحزب احدوت هافودا ، يقول العامل ى . يعقوبى : « ان الخبز قد توفر الان للعامل الاسرائيلى ومع ذلك فان الفروق بين الطبقات تزداداتساعا ، والمسئول عن هذاالوضع هو الهستدروت ولذلك يجب السير مع « مابام » ومع « مين هايسود » لتكوين قوة ترغم «المباى» على تلبية مطالب العمال .

الهستدروت وعلاقاته الدولية

وعلى اساس علاقة الهستدروت بالدولية الثانية فقد كان منذ نشأته على علاقة وثيقة بالاتحاد الدولى للنقابات الذى نشأ قبيل الحرب العالمية الاولى بقيادة انتهازية من النقابيين الصفر الذين كانوا عملاء للامبريالية الغربية داخل الحركة العمالية والنقابية امثال الالمانى **كارل ليجين** والقادة الارستقراطيين فى الحركة العمالية الانجليزية والفرنسية . وفى نفس الوقت توطدت علاقة الهستدروت مع القادة اليمينيين فى الحركة النقابية الامريكية ، وخاصة شبح الانتهازية والخيانة الامريكية ((**صموئيل جومبرز**)) والذى اشتهر بدفاعه عن النظام الراسمالى والاستعمارى

لذا فان « الهستدروت » على اساس علاقاته السابقة ، ارتبط بعد الحرب العالمية الثانية مع القوى الانقسامية فى الحركة العمالية العالمية . واصبح تنظيما مدللا فى « الاتحاد الدولى للنقابات الحرة » — وهو الاتحاد الذى تكون فى ١٩٤٩ كانقسام من الاتحاد العالمى للنقابات تنفيذا لمخطط **مشروع مارشال** ومشروعات الاستعمار الامريكى لامركة اوروبا .

ويتمتع الهستدروت عن طريق هذا الاتحاد الدولى الاصفر بعضوية السكرتاريات الدولية المهنية (الاتحادات المهنية الدولية) كالاتحاد الدولى للبترول والنقل والاغذية . ويمكننا تبين دور الهستدروت فى خدمة سياسة الاستعمار الامريكى من تبين دور هذه السكرتاريات الدولية المرسوم لهامنقبل موجهى السياسةالاستعماريةالامريكية. فمهمة هذه السكرتاريات الدولية اليوم يحددها **جورج كابوت لودج** فى كتابه **(رؤوس حراب الديمقراطية والنقابات العمالية فى البلدانالنامية)** يقول : « على العموم يجب ان نحث النقابات الامريكية لتنمى مساهمتها فى السكرتاريات المهنية ... متيقظين للشكوك التى تحيط بالامريكىعندما يعمل وحيدا فى بعض البلدان المحايدة ، ورفض العديد من القادة النقابيين غير الشيوعيين قبول المساعدة المباشرة من الولايات المتحدة ، والتنبه لخطر تمويل اصدقائناوحلفائنا فىاوروبا وبريطانيا العظمى وفى اماكن اخرى الى اعداء .. انه من الافضل ان نعمل سويا داخل «السكرتارية» التى تحمى داخلها المصالح الامريكية » .

وعليه يمكننا تبين دور الهستدروت كجهاز من الاجهزة التى تعمل فى خدمة المصالح الامريكية والاستعمار الجديد فى البلدان النامية .

الهستدروت والاستعمار الجديد

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية — وبصفة رئيسية منذ الخمسينات حيث اخذت أمم عديدة فى آسيا وافريقيا تحصل على استقلالها فان اكثر الدوائر الرجعية فى العالم الاستعمارى وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية اخذت تسعى الى الابقاء على سيطرتها على البلدان المستقلةبوسائل وطرق جديدة تحل محل الطرق التقليدية للقهر الاستعمارى ، او الى السعى للحلول محل الدول المستعمرة القديمة فى مستعمراتها التى حصلت على حريتها .

وشكل من الاشكال الرئيسية لتاكتيكات الاستعمار الجديد يتمثل فى العمل على استخدام النقابات فى البلدان النامية بهدف جعلها مطايا فى خدمة الاحتكارات العالمية ، ولاضعاف نضالية العمال وتصميمهم على المقاومة ، ولتعميتهم عن الطريق الثورى ، لتمكن الاحتكارات الراسمالية الكبرى من تحقيق أرباح عالية على اساس استغلال العمل الرخيص وزيادة حدة هذا الاستغلال .

ويعرف الامبرياليون الدور القيادى الذى تمارسه الطبقة العاملة فى البلدان النامية — ولذا فهم يسعون للتدخل فى الحركة العمالية لخلق منظمات اصلاحية لعرقلة وحدة العمال على النطاقين الوطنى والدولى . واذ كشفت الحركات العمالية فى البلدان النامية الدور الرجعى للاتحاد الدولى للنقابات الحرة كأداة للاستعمار الجديد فان الاستعمار الجديد خطط لاستخدام منظمات جديدة لتعمل فى هذا المجال . يقول جورج كابوت لودج فى كتابه السابق « انه لتدعيم سياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية فى البلدان النامية من الافضل ان يتم ذلك اليوم بواسطة تنظيمات أخرى غير الاتحاد الدولى للنقابات الحرة الذى اصبح تنظيما غير موثوق به فى هذه البلدان» .

وأهم تنظيم من هذه التنظيمات الجديدة لتنفيذ السياسة الخارجية للولايات المتحدة وللاستعمار الجديد فى البلدان النامية الافروآسيوية هو

« الهستدروت » . فقد وجد المخططون للاستعمار الجديد ان هذا «الاتحاد» يمكن ان يعامل كاتحاد «آسيوى» ، كما انه من الممكن ان يقدم نفسه لهذه البلدان على انه يواجه مشـــاكل تنمية وبنـــاء كالتى يواجهونها ، وكذلك يمكن عن طريق القيـــام بمشروعات استثمار راسمالية بواســـطه الجهاز الاقتصادى للهستدروت ».

وهكذا فانه منذ مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ ركزت الدوائر الامبريالية العليا فى الولايات المتحدة على استخدام الهســـتدروت كراس حربة للتسلل فى البلاد النامية التى حصلت على استقلالها حديثا . ومن ثم أخذ الهستدروت يقيم علاقات مع المنظمات والهيئات الشـــعبية والنقابية فى البلـــدان الافرو آســـيوية وعن طريقهـــا يتغلغل ليســـيطر على اقتصـــاديات هذه البلدان لمصلحة الاحتكارات الاســـتعمارية العالمية التى يرتبط بهـــا مصلحيا وتاريخيا . ولذلك فان الهستدروت منـــذ ١٩٥٥ يقوم : (١) بارسال وفود لعرض المساعدات الفنية على الدول الفتية وخاصـــة عشية استقلالها . (٢) بتقديم قروض ومســـاعدات اقتصادية ومنح دراسية لهذه الدول بضمانة من البنوك الامريكية والاوروبية (البريطـــانية والفرنســـية والبلجيكية والالمانية الغربية) (٣) يستعين بخبراء اوروبيين وامريكيين فى تنفيذ مشروعاته خاصة فى القـــارة الافريقية . (٤) انشاء المعاهد لتدريب كوادر فنية فأنشأ معهدا للتخصص الزراعى مهمته ارســـال خبراء زراعيين الى آسيا وافريقيا ، ويدرس فيه طلبة من افريقيا وآسيا لمدة خمس ســـنوات على حساب اسرائيل ، كما قام بانشاء المعهد الافرو ـــ آسيوى للدراسات النقابية فى اسرائيل فى ١٩٦٠ وقد انفق على تأســـيسه الاتحادات العمـــالية الامريكيـــة والمنظمة العبـــرية بجمهورية المـــانيا الاتحادية (الغربية) . ويعمل هذا المعهـــد بنفس الطرق التى يعمل بها معهد الخدمة النقابية الحره فى المكسيك والذى يعتبر اداة من ادوات الامبريالية الامريكية فى امريكا اللاتينية والتى تعكس أهداف سياسة الاستعمار الجديد فى المنظمات النقابية . (٥) ويقوم الهستدروت لتنفيذ هـــذه الســـياسة كذلك باصدار حوالى ٤٠ صحيفة ومجلة باللغات المحلية الافريقية ، ويوجه اذاعة خاصـــة لافريقيا باسمه ».

وتبلغ المعونات المالية التى يتلقاها «الهستدروت» وحده ليوجهها فى خدمة أهداف الاستعمار الجديد حوالى ٤٠٠ مليون دولار سنويا . والامثلة عديدة على تســـلل «الهســـتدروت» كأداة من ادوات الاستعمار الجديد فى البلدان النامية وخاصـــة فى أفريقيا حيث يركز عليها يشكل رئيسى لمقاومة نفوذ الجمهورية العربية المتحدة ودورها التحريرى فى القـــارة .

فى ١٩٥٧ بعدان انتهت احتفالات غانا باستقلالها دعى الهستدروت مجموعة من العمال النقـــابيين لزيارة اسرائيل ، وقـــدم لهم كـــل ما طلبوه من مساعدات واعانات ـــ وعقد مع غانا اتفـــاقية اقتصادية شملت مشروع السنوات الخمس وانشاء مطار ومجموعة من الطرق الرئيسية وميناء للصيد وبنكا غانيا ـــ اسرائيليا ، وارسل لغانا ٣٠٠ خبير اسرائيلى ، علاوة على سيارة مجهزة للدعاية وآلات كاتبة وماكينات طباعة . واذ انكشـــفت الطبيعة الاستعمارية للخبراء بسرعة فان تصريح العمل لهم لم يجدد بعد عام ١٩٦١ ـــ كما ادت هذه العلاقات مع الهستدروت الى افساد عدد من القادة النقابيين بالبلاد استخدموا فى عدد من المؤامرات الاستعمارية التى وجهت ضد الرئيس قوامى نيكروما وضـــد وحده الحركة النقابية الغانية فى تطورها الجديد بعد انفصالها عن الاتحاد الدولى للنقابات الحرة واغلاقها اكرا فى وجهه بعـــد ان كانت مركزا من مراكزه الهامة فى افريقيا .

وقـــدم الهستـــدروت لنيجيريا قرضـــا يبلـــغ ٣٫٧٥٠٫٠٠٠ مليون جنيه اسرائيلى واقام شركة مشتركة (نيجيرية ـــ اسرائيلية) لاستغلال موارد المياه اشتركت فيها اسرائيل بـــ ٤٩٪ كما شاركت فى شركة لاعمال البناء بنسبة ٤٠٪ كما اسس فى لاجوس شركة للاستيراد والتصدير تقوم بتوزيع اســـمدة واحذية وفواكه اسرائيليـــة . ويدعـــم الهستدروت النشاط الانقسامى الذى يمارســـه الاتحـــاد الدولى للنقابات الحـــرة داخل الحركة النقـــابية النيجيرية بعلاقاته المريبة بالنقـــابيين النيجيريين السائرين فى ركب الغرب .

وفى ليبريا كان «الهستدروت» خلف كل العلاقات التجارية التى نشأت مع اسرائيل ، وتكاد ان تكون اسرائيل محتكرة لتجـــارة الماس فى ليبريا ـــ كما ساهم الهستدروت فى اقامة شركة بناء بالبلاد الى جانب مشروعات أخرى عديدة تساهم فيها اسرائيل عن طريق شركة « ماير » وبنك الاستيراد والتصدير الاسرائيلى تقدر بحوالى عشرة ملايين دولار .

وفى ساحل العـــاج قدمت اسرائيل عن طريق الهستدروت قرضـــا قدره ١٫٥ مليون دولا لبناء فندق عـــالى تبلغ تكاليفه ٦ ملايين دولار ، كما ان ساحل العاج يستورد من اسرائيل بـــ ٢٫٧ مليون دولار اطارات ومواد غذائية وسلع أخرى ومعظم هذه التجارة تتم مع الهستدروت .

وتستورد داهومى والسنغال وغينيا بضائع من

اسرائيل بـ ٤٧ر٥ مليون لـيرة . والعـلاقات الاقتصادية تتدعم بين اسرائيل وتنجانيقا واثيوبيا بفضل الدور الرئيسي للهستدروت في تجارة هـذه البلدان . كما يقدم الهستدروت منحاً دراسـية لهذه البلدان ويرسـل اليها الخبراء والاسـاتذة والمدرسين والمهندسين والخبراء العسكريين .

نمـو الاتجـاه المضـاد للهسـتدروت فى افريقيـا

واذ تبينت بعض الدول المستقلة طبيعة هـذا النشاط الاستعماري فقد أخذت تلغى اتفاقياتهامع اسرائيل ، وتدين نشاط الهستدروت في القارة . فغينيا ومالى مثلا ترفض اليوم اى معونة اوخبراء او اتفاقيات مع اسرائيل ، وتلغى كذلك الاتفاقات المعقودة وخاصة تلك التي وقعت خلال فترةالحكم الاستعماري . ولقد اكتشفت غانا قبل الانقلاب الاستعماري الاخير ضد الرئيس نيكروما وضـد الاشـتراكية في غـانا غش وسرقة الشركـات الاسرائيلية فـعـارض مجلسها النيابى اتفـاقية التجارة مع اسرائيل .

وفى فبراير ١٩٦٥ أدان المكتب التنفيذى لاتحاد نقابات كل افريقيا النشاط التخريبي للاتحادالدولي للنقابات الحرة ، والاتحادالدوليللنقابات المسيحية باعتبارها أجهزة في خدمة الاستعمار الجديد وادان الصهيونية الدولية فأعلن ان اتحاد نقـابات كل افريقيا : « يدين الاستعمار الامريكي وعملاءه في الشرقين الاوسـط والاقصى ، وكذلك الصهيونية الدولية » .

ولكن رغم انفضاح الطبيعة الاستعمارية لنشاط الهستدروت امـام عـدد من الدول الافريقيـة واتحاداتها العمالية ، فان الهستدروت مازال يدرس نشاطا واسعا في عدد كبير من هذه الدول وهـو يتمتع بنفوذ يمكنه من مساندة الحكومات العميلة للغرب ومن مسـاعدة قوى الثورة المضـادة في افريقيا ــ ان ذلك يلقى مهام عديدة على الحركات والتنظيمات العمالية والنقابية في البـلاد العربية وفى القارة الافريقية .

فأولا : ان اتحاد نقابات كل افريقيـا والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب يجب ان يواجها بكل قوة النشاط الاسرائيلي في القارة ــ ومواجهة هذا النشاط مواجهة سياسية وفضح طبيعته المعادية لمصالح الشعوب ــ فللهستدروت صحافة قوية في افريقيا واجهزة دعاية واذاعات موجهة ... الخ وكل هذا النشاط لا يوجد في مواجهته نشاط مضاد لمصـلحة الحركة التحريرية ــ ان قرارات ادانة نشاط الهستدروت باعتباره نشـاط استعماري لا تكفى فلا بد من مواجهـة العمل بالعمل ــ ان النقص الشديد في هذا المجال يوجب على القيادات العمالية العربية والافريقية وخاصـة في البلدان المتحدة والطليعية في النضـال الثورى ان تدخل المعركة بشكل جديد وحقيقى مع الهستدروت في افريقيـا .

ثانيا : ان الحركةالعمالية العربية وبصفةخاصة الاتحاد الدولىلنقابات العمالالعرب لم تقمبنشاط كاف في فضح طبيعة الهستدروت كاتحاد عمـالى زائف امام الحركة العمالية العالمية وخاصة بلدان افريقيا وآسـيا وامريكا اللاتينيـة ــ واذا كان الهستدروت يعتمد على الاتحاد الدولى للنقابات الحرة الاصغر ، وعلى اتحادات العمال الامريكية فانه على الحركة العمالية العربية ان تحسمقضية ارتباطاتها الدولية على أساس معاداة من يعادينا ومصادقة منيصادقنا ، ولئن كانت عضويةالاتحاد الدولى للنقابات الحرة هى٥٤ مليونا ، فانعضوية الاتحاد العالمى للنقابات تزيد اليومعلى١٢٧مليونا . ان أكثر من نصف العمال المنظمين في العالم ويعنى ذلك ضرورة الاهتمام بتوثيق العلاقة معهذاالاتحاد العالمى والذى ادان في مؤتمره الاخـير اسرائيل كقاعدة للاستعمار ، واقربحق العربوحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى . ان القضية ليست بشكل اساسى العضوية في هذا الاتحاد الدولى او ذاك ، انما القضيه هى مع من نقف وضد من نقف وهذا هو المفهوم السليم الثورى لشعارات الحياد الايجابى وعدم الانحياز حيث ان مضمونها وهدفها هو الكفاح ضد الاستعمار القديم والجديد .

ثالثا : يجب على الاتحاد الدولى لنقابات العمال العـرب ان يعمل مشتركا مع اتحاد نقـابات كل افريقيا لانشاء عدد من المعاهد النقابية والعمالية لتدريب وتعليم الكـوادر العمالية والفنيـة التى تحتاجها القارتين الافريقية والاسيوية ــ ان انشاء مثل هذه المعاهد اصبحامرا ملحاوضروريا لمواجهة المعاهد التعليمية الاستعمارية والصهيونية .

رابعا : انه على الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب بصـفة خاصة ان يحدد واجبـات عملية مباشرة لمواجهة الهستدروت مواجهة حاسمة ــ وهنا يصبح على اتحاد عمال الجمهورية العربية المتحدة مهمة خاصة باعتباره اتحاد طليعى ويجب ان يكون اتحـادا طليعيا في العمل الجدى ضـد النشاط الصهيونى في الحركة العمالية .



القنبلة الذرية

والصراع العربى الاسرائيلى

هشام صلاح الدين

ان التساؤل الذى ترددهمصادر عديدة غربيـة هذه الايام حول احتمال صنع اسرائيل للقنبلة الذرية يرتبط ارتباطا وثيقابالمخطط الاستعمارى الذى خلق هذه الدولة فى قلب الارض العربيـة ، ويلقى الضوء على طبيعة المعركة التى خاضـها العرب طوال ثمانيـة عشر عاما مع اسرائيـل ، وطبيعتها وحدودها الحالية مع الجمهورية العربية المتحـدة .

والقضية التى تثار اليـوم ، ليست جديدة .. فتاريخها يبدأ منذ سنوات بعيدة، وتحت ستار من التعمية كانت تحاك خيـوط مؤامرة جـديدة فى مفهومها واسلوبها لتتمكن اسرائيل من ان تفرض على العرب مكان وزمان المعركة فى وقت لا يجد فيه العرب نفسـهم الا فى موقف دفاعى سلبى .

طبيعة المعركة بعد ١٩٤٨

وحينما نتعرض الى مدى قدرة اسرائيل وامكانياتها في هذا المجال لابد من العودة قليلا الى الوراء ودون ان نقحم انفسنا في التفاصيل ، فان هناك حقيقة لابد ان نضعها في الاعتبار الاول وهي ان الدول التي اقامت اسرائيل ترى انهـا خلقت لتبقى .. والعرب اصحاب هذه الارض يرون انها لا يمكن ان تبقى ومصيرها حتما الى الزوال كقاعدة عنصرية عدوانية ..

اذن فالمسألة هي نظرية البقاء من جانب اسرائيل ومن اوجدوها .. ونظرية الزوال لها من جانب المعتدى عليهم ..

والتعارض السابق يحدد بالتالي الصورة التالية لاسرائيل وهي تستعد لتواجه معـركة تقترب ، يقودها الشعب العربي المعتدى عليه .

ولكن الموقف السابق ، وهو منطقي والمفروض انه يتفق مع طبيعة الاوضاع التي نشأت عن قيام هذه الدولة ، لم يكن متفقا مع الصورة التي سادت على ارض المعركة خلال السنوات التي تلت ١٩٤٨ .

لم تكن اسرائيل تستعد لتدافع عن نفسها .. بل لتقوم بعدوان تلو الاخر والقوى العربية تتلقى هذه الصدمات وهي في موقف سلبي ضـعيف لا يستطيع ان يواجه هذا التحدي بسلاح مماثل .. بل لقد تعـددت اهداف اسرائيل محـاولة تحطيم الروح المعنوية وخطط تحرير فلسطين الى اطماع توسعية استعمارية في المنطقة .

ولقد استمر هذا الوضع الشاذ يفرض نفسه على طبيعة المعركة الدائرة حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، ومعها بدأت اولى معالم جديدة على الطريق تسعى الى تحديد مواقع العرب من هذا العدوان وتؤكد وهي على طريق الثورة ان فلسـطين العربيـة ستتحرر ..

وكان هذا صوتا جديدا لم تتعود اسرائيل على سماعه . فلقد تعودت على سماع اصوات عالية تندد بها وهي تعلم انها ليست سوى دمى يحركها الاستعمار الذي يسـيطر على مقـدرات بلادها سياسيا واقتصاديا ولا يدع مجالا واحدا للحرية السياسية او الكرامة الوطنية لتتنفس فيه ..

وتحددت على نفس الطريق الثـوري علامة جديدة هي صفقة الاسـلحة التي كسرت احتكار السلاح في ١٩٥٥ ..

كان هذا عملا جديدا لم تتصـوره اسرائيل او تضعه في تقديرها .. كان فيـه اكثر من معنى ثوري . لعل اهمها ان اضواء الحرية السياسية والاجتماعية بدأت تلمع في مصر وان ابعاد المعركة تتغير بسرعة ..

ولان اسرائيل لا تستطيع السكوت على هـذا الخطر وترى فيه تعديلا جذريا لطبيعـة المعركة التي تعودت عليها مع العرب .. ولانها ايضا لم تكن تستطيع ان تواجه مصر بمفردها .. فقد لجأت الى بريطانيا وفرنسـا وحاكت خيـوط مؤامرة العدوان الثلاثي بهدف :

- تحطيم القوة العسكرية لمصر
- تقويض الثورة السياسـية والاجتماعيـة القائمة .
- الاستيلاء على سيناء .
- فرض الصلح على العرب من مركز قوى بعد انهيار القوة الاولى في المنطقة ..

ولقد كان نجاح العدوان الثلاثي يعني ان تحقق اسرائيل والغرب من ورائها اهدافا ولكن فشلت الخطة ، وفشل العدوان ، واضـطرت اسرائيل الى الانسحاب . وخرجت مصر بثورتها منتصرة من هذه المعركة . وفي خلال ١٩٥٧ تأكد لاسرائيل ان القوى العسكرية المصرية ما زالت قادرة على ضربها ، وان الجيش المصري يقف في مواقع التحفز النضالي ضد المعتدين .

اذن واجهت اسرائيل مرة اخرى الواقع الجديد الذي ترى فيه ان طبيعة المعركة التي خاضتها ضد العرب قد تغيرت ، وان الموقف عاد منطقيا ومتفقا مع الاوضاع التي نشأت عن استعمارها لفلسطين وهي ان تلتزم الدفاع وتبتعد عن العدوان المتكرر ضد العرب ، خاصة وقد اصبح في ايديهم ان يحددوا مكان وتاريخ المعركة الفاصلة ..

ويمكن القول ايضا انه في هذه المرحلة ايضا ، تحددت ابعاد المعركة واقعا وعملا وتحددت اطرافها ، ولم يعد لدى اسرائيل اي شك في ان قوى الجمهورية العربية المتحدة هي الطرف المواجه لها على الحدود وهي التي ستتصدى لها في الوقت المناسب لتقود معركة التحرير ..

استراتيجية جديدة

بدأت عندئذ السياسة الاسرائيلية في التفكير

اسلوب جديد لمواجهة هذا الموقف المتغير ، ومحوره اين تجد اسرائيل ضمانات جديدة لهـا ؟ . وكيف تستطيع اسرائيل ان تغير مرة اخرى من طبيعة المعركة ؟

لقد واجهت اسرائيل الحقائق التالية :

● ان الجمهورية العربية المتحدة تملك احدث جيش مدرب ومسلح فى المنطقة .

● ان القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحده اصبحت الى جانب امكانياتها الحربية ومستواها المرتفع قوى ثورية سياسية تخوض معركة التحول الاشتراكى عن ايمـان ، وهى فى ارض المعركة تدافع عن مبادىء وثورة .

● فى معركة مباشرة — ودون تدخل خارجي — توقن اسرائيل انها لا تستطيع مجابهة هذه القوى وماكتبه **موشى ديان** عن حرب سيناء يحمل الاعتراف الواضح والدليل على تفوق القوات المصرية رغم الامدادات الفرنسية والبريطانية .

● ان التنمية الاقتصادية تسير على اعلى معدل فى الدول النامية .

● ان النجاح السياسى الدولى الذى حققتـه الجمهورية العربية المتحده فى طريقه الى شـل اسرائيل وعزلتها .

● ان الثورة الاشتراكية بدات ترسم خيوطها وترسى جذورها فى المجتمع المصرى وتأكدت الحرية الاجتماعية فى هذا المجتمع الجديد .

والى جانب هذه الحقائق ، كانت هناك عوامل اخرى تلعب دورها فى التاثير على اسرائيل ، وهى فى هذه المرة تنبع من اسرائيل ذاتها ، واهمها هذا القلق المتزايد الذى بدأ يسرى فى الرأى العام حول امكانيات البقاء . وهل هنـاك امل فى الصلح والصراع بين نظرية بن جوريون فى اتباع سياسة عنف وعدوان ضد العرب وسياسة اخرى مضادة ترى ان هناك وسائل اخرى لمواجهة الموقف .

ما هى هذه الوسائل ؟ ماصورتها واشكالها .؟

هنا يتردد امكانية اسرائيل صنع القنبلة الذرية . .

ولكن هل تستطيع اسرائيل ذلك ؟ وان لم تكن تستطيع . . فما هى الدوافع وراء هذه الانباء التى تثور كل يوم فى الصحافة وعلى لسان المسئولين فى اسرائيل ؟

امـكانيات اسرائيـل فى صنع القنبلة الذرية

دون الدخول فى تفاصيل علميـة حول هـذا الموضوع ، يتطلب انشاء القنبله الذرية :

١ — مفاعل ذرى ضـخم قادر على انتـاج اليورانيوم المشع والماء الثقيل ثم البلوتنيوم النقى .

٢ — الخبرة الفنية

٣ — امكانيات مادية كبيرة .

وبالنسبة للمفاعل الذرى ، فان اسرائيل تملك ثلاث مفاعلات ذرية احدهما ملحق بمعهد حيفـا العلمى وهو للاغراض التعليمية وليست لديه اية قدرة انتاجية ، والثـانى قوته ١٠٠٠ كيلـووات وقدمته الولايات المتحده هدية لاسرائيل وهو بهذه الطاقة البسيطة لا يمكن ان يستخدم فى الاغراض العسكرية .

اما الثالث فهو مفاعل ديمونا وقوته ٢٤ ميجاتون (٢٤٠٠٠ كيلووات) وقد انشاته فرنسا بموجب اتفاقية فى اعقاب العدوان الثلاثى وبدأ عمله فى سنة ١٩٦٤ على ان يتم استخدامه وفق شرطين اسـاسيين :

اولهما ان يكون الاستخدام للاغراض السلمية ، ويتم هذا الضمان عن طريق العلماء الفرنسيين ممن يعملون فى هذا المفاعل .

وثانيهما ان تصدر اسرائيل الى فرنسا ناتج هذا المفاعل من اليورانيوم المشع لتستخدمه فرنسا فى صنع قنبلتها الذرية .

ومع ذلك فقد اثار هذا المفاعل الكثير من الشكوك ازاء السرية والكتمان الذى احيط به منذ انشائه حتى كشفت عنه المخابرات الامريكيـة عن طريق طائرات الاستكشاف ى — ٢ وكان هناك رد فعل من جانب الولايات المتحدة ، فطالبت بايفاد مراقبين للتاكد من ان المفاعل لا يستخدم للاغراض العسكرية ، الا ان اسرائيل رفضت هـذا الطلب . وحاولت الوكالة الدولية للطاقة الذرية ان تخضع اسرائيل لنظام التفتيش الدولى ، الا انها بدورها رفضت هذا الطلب .

ازاء ذلك تزايد الهمس حول مهمة هذا المفاعل خاصة وان هناك حقيقتين هامتين :

● برغم ان اسرائيل تصدر اليورانيوم المشع الى فرنسا ، الا ان هناك تقارير موثوق بها تفيد انها تستورد اليورانيوم من دول اخرى منتجه له، وبالتالى فان الضمان الفرنسى هنا يصبح غير ذى قيمه .

● ان اسرائيل تقوم باستخراج اليورانيوم من الفوسفات الموجود بكميات كبيره على شـواطىء البحر الميت ، رغم ان هذه العمليه تجدهم تكاليف باهظه .

وبالنسبة للخبرةالفنية ،فانه اصبح من الحقائق العميه ان كيفيه صنع القنبله نظريا لم يعد سرا علميا ،فبامكان اى دوبهلديها العلماء والامكانيات ان تصل الى هذا السر دون حاجة الى التجسس الذى كان العملية الاولى لكـل من المخـابرات السوفييتيه والامريكية . واسرائيل لديها عدد لا يستهان به من العلماء فضلا عن التعاطف القائم بين العلماء اليهود الذين صنعوا القنبله فى الغرب واسرائيل واحتمالات مدها بالمعونة الفنية .

ومع ذلك ، فان المعلومات المتوفرة تفيـد ان اسرائيل ما زالت فى مرحلة معينة بعيده عن صنع القنبله فعلا ، وان هذا الصنع يتطلب خبرة خاصه لا تتوفر لدى اسرائيل الان ، **مالم تقدم لها المعونة من دولة تحوز القنبلة .**

وبالنسبة للامكانيات المادية ، فمن المسلم بهان صنع القنبلة يتطلب اعتمادات بالغه وضخمه ولن تستطيع عليها اسرائيل بأوضاعها المالية الحالية على اية صورة ،فضلا عنالضرورة الحتمية لصنع القنبلة من تجربتها وتفجيرها لتحديد مدى النجاح والقوة والطاقة المشعة .. الخ .

نستطيع ان نستخلص مما تقدم :

● **ان اسرائيل لا تملك القنبلة الذرية فى الوقت الحاضر .**

● **ان اسرائيل لا تستطيع صنع القنبلة الذرية الا بمعونة خارجية سواء فى مجال المعونة الفنية ام المساعدات المالية .**

وهذا لا ينفى ان اسرائيل ، وان لم تصنعالقنبلة بعد ، **الا انها تحاول ذلك ..**

واذا كنا قد وصـلنا الى الافتـراض المنطقى السابق ، فانه يجب ايضا ان نقول ان اسرائيل يكفيها انتصنع قنبلة ذريةواحدة لتحققاغراضها،

ماذا تعنى القنبلة لاسرائيل ؟

لقد اوضحنا فيما سبق ان صنع القنبلة هـو الجواب الذى تحاول به اسرائيل ان ترد به على الحقائق التى تواجهها بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة وبالنسبة لاوضاعها الداخلية . وذلك بأمل الوصول الى تعديل ما جد من تغيير على طبيعة المعركة بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة .

والى جانب ذلك فانه لا يخفى ان هذا السلاح ان وجد فى يـ اسرائيل ، فانه يحقق لها :

ـ اثارةالقلق والتراجعفىالعالم العربى ودفع العناصر الرجعية المتخاذلة الى الاعلان عنضرورة الصلح مع اسرائيل ، وهى الدعـوى التى بادر بورقيبة الى احتضانها .

ـ اثارةالراى العام العالمى الذى اصبح مرهف الحس تجاه قضية نزع السلاح ومنع اسـتخدام الاسلحة النووية ، وتدخله فى المعركة الحاليـة ليضغط من اجل الصلح والسلام مع اسرائيل .

ـ دفعكلمنالاتحاد السوفييتى والولاياتالمتحدة الى الاتفاق علىسياسـة موحدة فىالشرق الاوسط لتفادى موقف قد يؤدى الى عواقب وخيمةبالنسبة للسلام العالمى .

ـ رفع الروح المعنوية للراى العام فىاسرائيل، والتخفيف من حالة الفزع والقلق السائدة

ولا شك ان الموقف السابق افتراضى حتى الان طالما ان اسرائيل لم تصنع القنبلة ، ولكن مما لا نزاع فيه ايضا ، ان اسرائيل بالضجة التى تثيرها اليومحول هذاالموضوع انماتعمل وفقاستراتيجية معينة تسعى الى استغلال ما سبق عرضـه من افتراضات واحتمالات .

والخطة التى اتبعتها اسرائيلظهرت فىمرحلتين متتاليتين :

اولهما : حملة فى الصحافة العالمية مصـدرها المعلومات الواردة من واشنطن والتى تؤكد ان اسرائيل فى سبيل صنع القنبلة وان هذا الموقف الجديد يؤثر على السلام العالمى بوجه عام وعلى تطورات قضية نزع السلاح والموقف فى الشرق الاوسط بصفة خاصة .

ثم توالتبعد ذلك مقالاتفى الصحافةالصهيونية **كالجويش اوبزرفر ولايبر ويتروفيه** وغيرها وبهـا بيانات عن التقدم الذى احرزته اسرائيل فى المجال

الذرى . او عن قدرة العلماء الاسرائيليين على صنع القنبلة وتنتهى هذه المقالات دائما بالتساؤل عن امكانيات السلام مع العرب لتفادى هذا الصراع الرهيب . .

وانتقلت عدوى هذه المقالات الى الصحافة فى الغرب التى رددت نفس النغمة ودائما . . وتقريبا نفس التساؤل ؟ ما اثر ذلك على السلام مع العرب وعلى الجمهورية العربية المتحدة بوجه خاص ؟

وثانيهما : ما دار فى اسرائيل خلال الحملة الانتخابية الاخيرة وتلميح المسئولين فى حزب **الماباى** الحاكم ان قوة اسرائيل الرادعة تكمن فى مستقبل سلاحها الذرى . وما ان انتهت الانتخابات وتولى ابا ايبان وزارة الخارجية حتى بدأ مرحلة نشاط دبلوماسى كان اساسه الدعوة الى ضمان رباعى للموقف فى الشرق الاوسط يشترك فيه الاتحاد السوفييتى ، او الدعوة الى مؤتمر سلام على غرار مؤتمر طشقند .

ووراء كل هذه الدعوات للسلام تلميحات من هنا وهناك حول القنبلة الذرية الاسرائيلية .

واسرائيل بهذا التكتيك الذى يربط بين الدعاية للقنبلة الذرية والنشاط الدبلوماسى ، انما تسعى الى :

- تهديد للقوى الغربية بضرورة منحها مزيدا من الاسلحة والا ستضطر الى المضى قدما فى صنع القنبلة الذرية . وقد اكد نجاح هذه السياسة تصريح ليفى اشكول الى صحيفة « ايديوت اهارونوت » خلال الشهر الماضى جاء به ان « الولايات المتحدة ترسل فى الوقت الحاضر اسلحة الى اسرائيل اكثر مما ارسلت فى اى وقت مضى » و « ان مقدرة اسرائيل العسكرية ازدادت من حيث الكم والكيف »

- دفع الاتحاد السوفييتى الى التدخل وقبول ضمان رباعى للوضع فى الشرق الاوسط .

- اثارة القلق والبلبلة والتراجع فى بعض العواصم العربية .

- تشجيع الاتجاهات المنحرفة لبعض القادة العرب كبورقيبة .

ونستطيع بعد العرض السابق ان نصل الى النتائج التالية :

- ان اسرائيل وان لم تصنع القنبلة ، الا انها تحاول ذلك .

- تقوم اسرائيل بشن حرب اعصاب ضد الدول العربية .

- تستخدم اسرائيل ما تردده من دعايات للضغط على الغرب من اجل مزيد من السلاح ومزيد من الضمانات .

- تحاول اسرائيل ان تعدل من موقف الاتحاد السوفييتى تجاهها ودفعه الى الحد من تأييده للموقف العربى وقبول مواقف جديدة يتفق فيها مع الغرب على اوضاع معينة فى منطقة الشرق الاوسط .

وهدف السياسة الاسرائيلية من وراء هذا التكتيك الجديد ان تعيد طبيعة المعركة بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة الى ظروف ما قبل سنة ١٩٥٥ حيث تقف مصر مرة اخرى فى موقف دفاعى سلبى امام اسرائيل .

وموقف الغرب بالنسبة لصنع اسرائيل للقنبلة الذرية تحكمه اعتبارات ، انه لا مصلحة لاى من قوى الغرب الحائزة على القنبلة حاليا من توصل دول أخرى لصنعها ، والا فقد السلاح الذرى قوته الرادعة وراحت قيمة النادى الذرى بأعضائه الخمس فى العالم ، ويؤيد ذلك :

- موقف الولايات المتحدة المعارض لاسرائيل حتى الان فى هذه القضية .

- التأكيدات التى قدمتها الحكومة الفرنسية للسيد المشير خلال زيارته لباريس حول عدم سماح فرنسا باستخدام المفاعل الذرى فى اغراض عسكرية .

- ارتباط الموقف البريطانى بالسياسة الامريكية فضلا من تقديره لخطورة هذا الموقف الجديد فى المنطقة وعلى السلام العالمى .

- ان التأييد الغربى لاسرائيل يتم فى اطار حدود معينة وهى استمرارها كعميل يخضع تماما للسيطرة الغربية ، وصنع اسرائيل للقنبلة يخرجها من هذا الاطار ويضعها فى موقف تملى فيه شروطها .

- ان الاتجاه السائد فى عواصم الغرب الثلاث هو تأييد عقد اتفاقية لمنع انتشار الاسلحة النووية ، واحد مبررات هذا التأييد هو بالذات خشية

تطورات الموقف في الشرق الاوسط والتسابق في التسلح النووي بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل ».

وبالنسبة لموقف الاتحاد السوفييتي فانه يتحدد على ضوء العوامل التالية :

● انه بواقع من سياسته ومصالحه يعارض من انتشار الاسلحة الذرية ».

● ان وقوفه سلبيا امام مثل هذا الافتراض الجديد يعني فقده الارض التي كسبها منذ بدا يفهم ويقدر حقيقة النضال الثوري العربي .

● لا يؤمن الاتحاد السوفييتي ان التفوق الاسرائيلي في التسليح هو الوسيلة الى فرض السلام في الشرق الاوسط ، والا لكان قد سمح بالموقف غير المتوازن منذ ١٩٥٥ ».

● ان اسرائيل ، كقاعدة استعمارية غربية ، تصبح في مواجهة الاتحاد السوفييتي قاعدة ذرية جديدة لا يمكن الاطمئنان اليها .

اما عن موقف الجمهورية العربية المتحدة ، فانه يتحدد على ضوء واقعين :

● واقع المشكلة الفلسطينية ذاتها وضرورة تحرير فلسطين والاستمرار في الابقاء على المعركة في اطارها السليم ».

● واقع دولي ، وهو اقتران السلام العلمي وتأييد نزع السلاح الشامل .

والواقع الاول يفرض احد حلين في حالة محاولة اسرائيل صنع القنبلة :

ان ما أعلنه الرئيس جمال عبدالناصر منذ الشهر الماضي في حديثه مع الصحفيين العراقيين ، ثم في خطاب عيد الوحدة واكده اكثر من مرة في الداخل والخارج من اننا في هذه الحالة سنضطر الى شن حرب وقائية لمنع اسرائيل من صنع القنبلة الذرية.

ونحن في هذه الحالة انما نستخدم حقا مشروعا من الوجهة الدولية ، ونعتقد ان كل القوى المحبة للسلام ستقف منه موقف التأييد ».

اما الواقع الثاني ، وهو موقفنا من اقرار السلام في العالم ونزع السلاح فهو يتحدد بتأييدنا في كل مناسبة لمنع انتشار الاسلحة الذرية حتى لا تقوم في العالم فوضى ذرية لا يمكن التحكم فيها ».

وقد اعلنا في اكثر من مرة في الامم المتحدة وخارجها تأييدنا لعقد اتفاقية دولية لمنع انتشار الاسلحة الذرية **بصورة مباشرة او غير مباشرة** وتنضم اليها كافة دول العالم . ولسنا في حاجة الى بيان ان الجمهورية العربية المتحدة وهي تتخذ هذا الموقف ،لا تتجاهل حقائق الواقع الاول المحيط بها ، بل تقف متيقظة ساهرة لتضع موضع التنفيذ المبادىء التي تعلنها وتؤمن بها .

ان الحرب الوقائية التي تكلم عنها الزعيم جمال عبد الناصر ليست سوى تنفيذ وتحقيق لمبادئنا ، فنحن لا يمكن ان نقبل ان تدخل الاسلحة الذرية في المنطقة بصورة اوباخرى وقواتنا الضاربة قادرة على شن هذه المعركة في الوقت المناسب ».

ان المسئولية الاولى لما يحدث او يحتمل ان يحدث تقع اولا على عاتق الاستعمار الذي اقام هذه القاعدة العدوانية في ارض العرب .

ان السلام الذي تردده اسرائيل هو السلام القائم على العدوان ، وفارق كبير بينه وبين السلام القائم على العدل والحق المشروع وعلى استرداد شعب باسره لارضه وكيانه ».

لقد حاولت اسرائيل مرة اخرى ان تغير من طبيعة المعركة .. وفشلت ، وعليها ان تفهم جيدا معنى الكلمات التي حددت بها القاهرة موقفها كما ان على الدول التي ساعدت اسرائيل في الماضي ، وتفكر في مساعدتها الان ان تقدر احتمالات هذا الموقف .

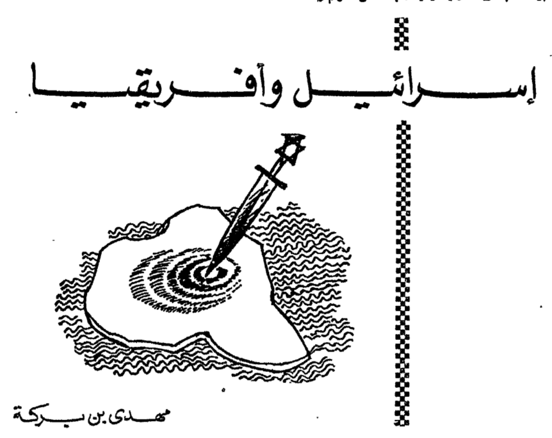
ان ما صدر عن القاهرة واضح وصريح ».



هذا البحث ، هو الدراسة التى قدمها المناضل العربى المغربى الكبير المهدى بن بركة الى ندوة فلسطين العالمية التى انعقدت بالقاهرة من ٣٠ مارس حتى ٦ ابريل ١٩٦٥ بدعوة من الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين ، وشارك فيها عدد كبير من المفكرين والسياسيين العالميين .

و « الطليعة » اذ تنشر بتقدير عظيم بحث المناضل مهدى بن بركة عن التسلل الاسرائيلى الاستعمارى فى افريقيا ، تؤمن بانه يسهل على من يقرا هذه الدراسة القيمة الموضوعية ان يدرك لماذا صبت الدوائر الاستعمارية والرجعية نقمتها على بن بركة ان هذا البحث هو آخر كلمة نضالية للزعيم العربى الافريقى الكبير صدرت عنه قبل اختطافه . والطليعة بنشرها تؤكد ان كلمة الحق التى يعلنها المناضلين لا تموت ابدا ، بل تكتسب تاييدا متزايدا وحياة متجددة على الدوام .

إسرائيل وأفريقيا



مهدى بن بركة

رغم الظروف التى يعيشها شعبنا فى المغرب حيث تعلمون ان المذابح الوحشية التى تعرض لها طلابنا وجماهيرنا الشعبية أدت الى مقتل ٣٥٠ مواطنا وتجاوز عدد المسجونين الآلاف والمحكوم عليهم يزيدون على الف شخص (١)

كل ذلك لم يمنعنا من حضور هذه الندوة ـ ندوة فلسطين العالمية ـ لنعبر لاخواننا عن تضامننا غير المشروط ، التام واللانهائى فى المعركة لتحرير فلسطين .

وأن الموضوع الذى شرفنى الاخوان بأن طلبوا

(١) يشير بن بركة الى الاحداث الدامية التى وقعت بالمغرب فى عامى ١٩٦٤ ، ١٩٦٥

منى تقديمه فى هـذه الندوة هو دور اسرائيل فى افريقيا ، او يمكن ان نسميه بالواقع الاسرائيلى فى القـارة الافريقية . فمن واجبنا ان نعرف هـذا الواقع كما ان من واجبنـا ان نعلن رفضنا لهـذا الواقع ككل واقع استعمارى ، لاننا نرفضه كعرب ونرفضه كمناضلين ثوريين . نرفضـه كعرب لان دور اسرائيـل فى افريقيـا هو جـزء من مخطط استعمارى ضد الثورة العربية ، ونرفضه كمناضلين ثوريين لان دور اسرائيل فى افريقيا جزء من الخطة الاستعمارية ضد الحركة التحريرية العالمية .

قال بن جـوريون امام المؤتمـر الصـهيونى الخامس والعشرين «ان المستقبل الاقتصـادى لاسرائيل ووضعها الدولى يتوقفان على الروابط التى نجتهد فى اقامتها مع افريقيا وآسيا» وقـال اشكول «ان مستقبل الاجيال المقبلة فى اسرائيل مرتبط الى حد كبير بنشاطنا فى القارة الافريقية» .

ومن الواجب علينا ان نواجه هـذا الموضوع مواجهة علمية وموضوعية فنعرف كيف استطاعت اسرائيل ان تلعب دورا فى افريقيا . وهى تلعبه . وكيف نستطيع نحن ان نمنع اسرائيل أن تكون اداة للاستعمار فى افريقيا ضد مطامع الشعب العربى وضد مطامع الشعوب الافريقية نفسها .

الصورة التى ترسمها اسرائيـل لنفسهـا

ان هـذه الاداة قد أعدت لتقوم بهـذه المهمة ، فالاستعمار يصوغ اداته لتقوم بعملها ضدمطامع الشعوب سواء أكانت هذه الاداة حكما عميـلا او منظمة مصطنعة او حكما دخيلا مثل اسرائيل . وقد حرصت اسرائيل على ان تكون من نفسـها وتعطى لوجهها صورة تناسب وتمهد وتسهل هذه المهمـة . فقد ارادت ان تكون بالنسـبة للدول المتخلفة ، وبالنسبة لدول افريقيا الفتية بالخصوص النموذج المثالى الذى يجب ان يحتذى ، والنموذج الذى يجب ان يمنح لهذه الدول الخبرات التى تحتاجها لمواجهة المشاكل التى تواجهها غداة الاستقلال . فقد قالت «جولدا مايير» مثلا امام البرلمان الاسرائيلى لتبرير سياسة اسرائيل بأفريقيا :

« اننا دولة ديمقراطية صـغيرة ليسـت لها مطامع توسعية ونتمتع بالخصال التى تلفت نظر الافارقة ، فنحن متلهم دولة جديدة واجهت ومازال تواجه مشـاكل متشابهة وقد اكتسـبت بعض الخبرات الفريدة فى مناهج التنمية وفى أسـاليب الرواد التى قد تفيد هذه الدول» .

نعم هذه اسطورة (وسنرى انها اسطورة) ولكن كان لها مفعول — فنجد مثلا موديبوكيتا وهو احد الزعماء فى افريقيا الثورية قد انخدع بهـا . ماذا كان يقـول سنة ١٩٥٨ بسبب اتصـالاته الاولى باسرائيل وعدم معرفته بحقيقة الوضع فى اسرائيل قال موديبوكيتا :

«لقد اصبحت اسرائيل قبلة تحج اليها الشعوب الافريقية لتستلهم منها اسلوب بناء بلادها . وان اسرائيل غدت بحق المثال الحى للشكل الانسانى الذى يبنى على اساسه المجتمع الجديد » (٢)

ونجد الرئيس نيريرى ، وهو احد زعماء افريقيا التقدمية أيضا يقول فى نوفمبر ١٩٦٠ :

« ان اسرائيل بلد صغير ولكنها يمكنها ان تفيدكثيرا بلدا كبلادى ويمكننا ان نتعلم منها كثيرا لان مشاكلنا ومشـاكل تنجانيقا تشبه مشاكل اسرائيل . ما هى هذه المشاكل ؟

انها مهمتان رئيسيتان تنتظراننا : بنـاء الامة وتغيير وجه الارض طبيعيا واقتصاديا » (٣)

هكذا مهدت اسرائيل لنفسها لتقوم بدورها . وهكذا صيغت الاداة لتقـوم بمهمتها . بقى ان نوضـح الدوافع التى دفعت باسرائيـل ودفعت بالاستعمار لاستعمال اسرائيل لتقـوم بمهمتها فى آسيا وخاصة فى افريقيا .

العوامل الدافعة

انها من نوعين كما قلنا :

- خدمة لاهدافها ضد العرب
- خدمة للاستعمار العالمى

لقد كان من المهم بالنسبة لاسرائيل بعد ماضرب

(٢) ، (٣) ادان موديبوكيتا ونيريرى فيمابعد اسرائيل باعتبارها قاعدة استعمارية وذلك فى المؤتمر الافريقى الذى عقد بالقاهرة فى ١٩٦٤

عليها الحصار العربى ان تحاول تحطيم هذا الحصار وان تبحث عن متنفس وعن سوق فى آسيا وافريقيا ، وفى نفس الوقت ان تعمل على تطويق البلاد العربية

يقول **بن جوريون** امام الكنيست فى اكتوبر ١٩٦٠ : «ان عطف الامم القريبة والبعيدة وصداقتها ، هما العاملان اللذان يمكناننا مع الزمن من ان نخترق سور الحقد والمقاطعة الذى يحيط بنا» .

فاسرائيل اسست فى قلب الامة العربية كقاعدة للاستغلال الاستعمارى موجهة ضد البلاد العربية وبافتقادها لهذه السوق العربية اخذت تبحث عن سوق جديده او ما يمكن ان نسميه **«رئة جديدة تتنفس منها»** .

والمهمة الثانية علاوة على هذه الرئة الحيوية ، فان اسرائيل ومن ورائها الاستعمار تريد تجنيد الاصوات فى الامم المتحدة نظرا لاهمية الوزن الدولى الذى اصبحت تشكله المجموعة الافريقية والآسيوية طمعا فى الحصول على تأييد او على الاقل على موقف حياد .

وهنا يجب ان نعطى اهمية كبرى للدور الذى تلعبه هذه الدول الافريقية الجديدة فى المنظمات الدولية سواء كانت هذه المنظمات افريقية اوالامم المتحدة نفسها .

ففى سنة ١٩٦٣ مثلا نجحت اسرائيل بعض الشيء بعد ان عقد المؤتمر الاول لرؤساء الدول الافريقية بأديس ابابا حيث ان هذا المؤتمر المنعقد فى مايو ١٩٦٣ لم يتخذ اى قرار بادانة اسرائيل . فراحت اسرائيل تعتبر هذا انتصارا لها وكتبت **مجلة الاكونيست الاسرائيلية** فى يوليو ١٩٦٣ غداة المؤتمر تقول : « اننا لا نغالى اذا قلنا بأن ضغط الراى العام الافريقى سوف يلعب دورا حاسما فى اية تسوية فى الشرق الاوسط . وليس معنى هذا ان مثل هذه التسوية يمكن ان تتحقق فى المستقبل القريب ، ولكن معنى هذا ان اى سياسى عربى يرغب فى ان يلعب دورا فعالا فى افريقيا ، عليه أن يحسب حسابا يزداد اهمية مع الزمن للمتاعب التى سيتعرض لها مع الافارقة اذا ما اثار فكرة الحرب ضد اسرائيل» وتضيف المجلة «ولقد اصبح عدد كبير من الدول الصديقة لاسرائيل من البلاد المسلمة ، مثل السنغال وسيراليون ، وتشاد ومن التى تشتمل على نسبة كبيرة مهمة من المسلمين مثل تنجانيقا ونيجيريا ، هذه الدول أصبحت توالى اسرائيل» . وبذلك تقول هذه المجلة شبه الرسمية فى اسرائيل «لقد احدثنا ثغرة كبرى جديدة فى الجبهة الاسلامية المعاديه لاسرائيل التى تحب العرب فى محاولة خلقها منذ نشوء الدولة اليهودية منذ سنة ١٩٤٨» .

هذا هو الفرض الاول وهذا هو العامل الاول لان تقوم اسرائيل بمجهود متواصل لكسب الدول الافريقية الفنية . وهناك عامل ثان يمكن ان نقول ايضا انه رئيسى وهو خدمة المصالح الاستعمارية الدوليـة .

وهنا يجب ان اقف وقفة قصيرة لالفت انظاركم الى ان الاستعمار قد غير خططه امام الدفع الثورى الاسيوى والافريقى والامريكى اللاتينى . وعندما وجد نفسه مضطرا للاعتراف بالاستقلال مثلا وللتنازل امام هذه الارادة الثورية بقى حريصا على ان يحتفظ بمصالحه الاساسية الاقتصادية والاستراتيجية مما يسمى باساليب الاستعمار الجديد . وهو تارة يكون عن طريق الحكومات العميلة وتارة عن طريق الاتفاق للتعاون المزعوم واخرى عن طريق التآمر اذا اقتضى الحال .

وكثيرا ما يتساءل الناس وبالاخص فى الراى العام الدولى ، لماذا تتهمون اسرائيل بانها اداة للاستعمار ؟ انها تقدم خدمات لهذه الدول الافريقية ، انها نريد ان نتاجر معهم . وهى دولة ليست لها مطامع توسعية كما قالت جولدا ماير من قبل . والحقيقة ان اكتشاف الدور العميل للاستعمار بالنسبة لاسرائيل فى افريقيا امر صعب ودقيق . ولادل على ذلك من تردد الثوريين الافارقة فى اتخاذ موقف صريح قبل السنة الماضيه . ولكن لدينا وثائق ولدينا قرائن تثبت هذه الصلة بين دور اسرائيل وبين الخطة الاستعمارية الدوليه .

لدينا محضر ندوة كان لها مغزى هاما حيث انها كشفت عن احد الجوانب لدور اسرائيل خدمة للاستعمار فى افريقيا . هذه الندوة نشرتها **مجلة «الاتش»** وهى مجلة صهيونية تصدر بفرنسا نظمت فى مايو ١٩٦٢ غداة اتفاقية ايفيان وعند قرب اعلان استقلال الجزائر ، نظمت ندوة بين بعض الشخصيات الفرنسية لتعرف هل هناك تحول فى السياسة الفرنسية تجاه اسرائيل بعد استقلال الجزائر . وكان من بين المواضيع التى اثيرت موضوع انضمام اسرائيل للسوق الاوروبية المشتركة وضرورة تأييد فرنسا لهذا الانضمام .

وقد حضر هذه الندوة شخصيات بارزة فى فرنسا **مثل ريمون آرون ، ودانييل بيير ، وليوهامو ، وسفير فرنسا فى اسرائيل** ، وأحد الاستعماريين الفرنسيين الذين لهم صلة وثيقة باسرائيل وهو

رولانبرى واخذ يدافع عن وجهة نظر اسرائيل فيما يتعلق بدخولها للسوق الاوروبية المشتركة قائلا . «ان مسألة الانضمام الى السوق الاوروبية المشتركه بالنسبة لاسرائيل ذات اهمية قصوى . لا لانها تتعلق فقط بجانب التبادل التجارى بينها وبين دول السوق بل لانها تتصل بموضوع توليه اسرائيل اهتماما متزايدا لانه مرتبط بمستقبلها الاقتصادى وهوموضوع علاقتها مع العالم المتخلف بافريقيا وآسيا .

ولاشك انه اذا نظرنا الى الموضوع من وجهة نظر المصالح الاقتصادية البحتة بدول السوق الاوروبية المشتركة فانه من العسير ان نجد مستندا لاثبات فائدة الانضمام بالنسبة للمجموعة الاوروبية ، ولذلك ارى أن المستند الحقيقى انما هو من الناحية السياسية» .

يقول رولانبرى . «يجب علينا ان نعتبر اسرائيل تسرب للعرب فى المناطق التى انصرفت عن العرب . يجب علينا ان ننظر الى اسرائيل كاداة لتغلغل النفوذ العربى بالنسبة للبلاد المتخلفة فى افريقيا وآسيا» ويضيف : «اعتقد انه من هنا ان نطالب بانضمام اسرائيل الى السوق الاوروبية المشتركة استنادا الى هذه الحجة بالذات» .

من هنا نفهم هذه الفقرة التى وردت فى خطاب الرئيس الجزائرى فى مؤتمر الدول الافريقية المنعقد بالقاهرة فى يونيو ١٩٦٤ عندما قال . ان اسرائيل تحل محل الامبريالية فى كل مكان ترحل عنه فتفرض رؤوس اموالها وبالاحرى رؤوس اموال البنوك الاوروبية والفنيين الذين دربوا فى مصانعها ومعاملها برؤوس اموال اوروبية وأينما اضطرت الامبريالية الى التخلى عن مكانها تأتى اسرائيل لتعرض خدماتها .

وحينئذ نرى ان هذه الاداة التى هى اسرائيل تعمل فى خدمة اغراض استعمارية محلية بالنسبة للثورة العربية ولاغراض دولية بالنسبة للاستعمار عامة وهى تشارك مع هذا الاستعمار فى عمليات النهب الاستعمارى لثروات أفريقيا اذا نظرنا الى شكل التجارة التى بينها وبين هذه البلاد .

وامام هذه الاداة التى صيغت للقيام بهذه المهمة هناك أيضا شروط وفرت لهذه الاداة حتى تقوم بمهمتها . ذلك فان الاستعمار يواجه الموضوع بجدية . ومن هنا أيضا نحن يلزمنا من الوجهة النظرية الثورية ان نواجه أيضا معركتنا ضد الاستعمار بنفس الجدية .

توفير شروط النجاح

هذه الاداة ارادت أن تلعب دورها بأسلوب جديد مبتكر فبدات تصور نفسها كنموذج مثالى للتنمية كما اخذت تدرس المشاكل الافريقية بجد حتى تواجهها وتواجه الجانب الفنى من عملها بكفاءة ومن وراء الجانب الفنى تخدم المصالح الاستعمارية ..

بدأت اسرائيل تقدم نفسها بالنسبة للدول الافريقيه كالنموذج المثالى . يقول **بن جوريون** فى نشرة لوزارة الخارجية : «لقد خلقت دولتنا نوعا جديدا من المجتمعات يلائم بصفة خاصة البلاد الفتية . وهذا النوع يقوم على اسس التساند المتبادل والتعاون الحر . وقد اهتدينا بفضله الى نظرة جديدة للعمل تضمن للعامل التقدم والرفاهية ويقوم هذا النوع من المجتمعات على جيش لا يستطيع فحسب ان يسهر على الامن القومى بل ويكون كذلك احد العوامل الرئيسية لانصهار فئات المجتمع» .

هذه هى المشاكل التى تنتظر افريقيا اجابة عنها : كيف يبنى المجتمع الجديد ؟ وكيف تصهر الفئات المختلفة لهذا المجتمع ؟ وجاءت اسرائيل بالجواب على هده الاسئلة .

وهناك أيضا مسائل اقتصادية علمية تواجهها افريقيا وجاءت اسرائيل أيضا ببعض الاجابات على هذه الاسئلة .

فهناك اخصائيون درسوا المشاكل الفلاحية التى تناسب المجتمع الافريقى وهناك التجربة للتنظيم الفلاحى أخذ يقدمها الاسرائيليون بالنسبة لافريقيا كنموذج للتنمية فى الميدان القروى وهى نماذج (Kiffonzim) و (Mochavin) وبدأ تطبيقها فعلا فى بعض الجهات فى آسيا وافريقيا فى تانزانيا وفى نيجيريا .. ثم هناك مشاكل خاصة بالبلاد النامية اخذت تدرسها اسرائيل وتجرب انواع النباتات الصالحة فى البلاد الصحراوية بالنقب ودرست كذلك انواع الرى التى تحتاج اليها البلاد الافريقية ، وأنواع الامراض المتشابهة فأختص بعض العلماء الاسرائيليين مثلا فى الامراض التى تصيب الرجل وهى أمراض القلب مثلا وكذلك الامراض التى تخص البلاد الحارة .

ثم اولت اسرائيل اهتماماخاصا بأنظمة الشباب محاولة تعميمها على البلاد الافريقية . واهم من هذا كونت اسرائيل خبراء يمتازون بعقلية الرواد

وهؤلاء الخبراء هم الذين يرسلون الى افريقيا للقيام بمهماتهم ، يقول احد كبار الصحفيين (٤) الذي زار افريقيا وشاهد دور الخبراء الاسرائيليين في افريقيا يقول : «بينما الفنيون الاوروبيون والامريكيون يطالبون بالمساكن المكيفة ولايظهرون الا ببدلات أنيقة وبقمصانهم البيض وهم يدربون الفلاحين الافارقة على وسائل تنمية الانتاج ، نجد الخبير الاسرائيلي في اغلب الاحيان وسط الحقول مع الفلاحين لابسا الشورت الكاكي والاقمصة المفتوحة والقصيرة الاكمام» .

تلك هي الاداة التي هيئت لتقوم بمهمتها في افريقيا .

أنواع المساعدات والنشاط في أفريقيا

هذه المهمة لها جانب فني مهم كما قلنا . ان جانبها الاستعماري خفي . وهذا الجانب الفني متنوع نجده مثلا في **التكوين والتدريب** في قلب اسرائيل . نجده في **البعثات الفنية** التي ترسل الى اسرائيل ، نجده في **الشركات** التي تتعاقد فيها اسرائيل مع المؤسسات الاقتصادية المحلية .

● **تفيد الاحصائيات الرسمية (٥) مثلا انعدد الخبراء الذين ارسلتهم اسرائيل للبلاد الناميه في افريقيا وآسيا وامريكااللاتينية من١٩٥٨الى١٩٦٣ وصل ١٥٠٢ خبيرا منهم ١٠٩٨ لافريقيا وحدها . في سنة ١٩٦٣ وحدها ٥٤٤ خبير لـ ٥٨ دولة نامية منهم ٤٢٤ خبيرا لـ ٣٠ دولة افريقية .**

وبلغ عدد الطلبة الذين يأخذون المنح من اسرائيلللتدريبفيمجموع السنوات من ١٩٥٨ الى ١٩٦٣ ٦١٦٥ طالباًمنهم ٣٤٣١ منافريقيا وحدها. وكان عدد الطلاب الممنوحين سنه ١٩٦٣ من افريقيا فياسرائيل ١٢٣١ طالبا افريقيا من ٣٦دولة وبعضهؤلاءالطلبة يدرسون في اسرائيل . فيالمعهد العبري بالقدس ، باللغة الفرنسية أو الانجليزية مع قسط اساسي من العبرية . وقد خصص مثلا جناحا طبيا للافارقة يصل عددهم الى نحو ٢٠ في كل سنةوتستمر الدراسة مدة ٦سنوات . وبعض هؤلاء المبعوثين يحصلون على منح منظماتدولية كالمنظمة الدولية للصحة . وهناك دالية من المعهد البيطري وبعضهم في مركز الطاقة النووية، ومعهد التكنيكيون بحيفا للكهرباء والفلاحة ، وهناكمراكز للاورطا .

وهناك المعهد الاسيوي الافريقي للتدريب النقابي وهذا المعهد يجب ان نقول عنه كلمة لانه يلعب دورا مهما بالنسبة لافريقيافهو معهد اسسته المنظمة النقابية الاسرائيلية «الهستدروت» بمساعدة من النقابة الامريكية التي دفعت فيالسنة الاولى ١٨٠ الف دولار لهذا المعهد . وقد حضر الدورة الاولى ٦٠ وفدا من نقابات داهومي ، الحبشة ، غانا ، ساحل العاج ، كينيا ، ليبريا ، نيجيريا ، روديسيا ، السنغال ، مالي ، تشاد ، غينيا . ووصلت الدورات الآن الى ١٠ دورات . حقا ، ان بعض الدول التي كانت ممثلة في الماضي لم تعد ممثلة في سنة ١٩٦٢ الا اننا مازلنا نجد نقابات من انجولا ، الكاميرون ، أفريقيا الوسطى ، مورتيوس ، النيجر ، رواندا ، السنغال ، تشاد .

ثم هناك نوعآخر منالدراسات وهي المؤتمرات: مثلا «المؤتمر العالمي» الذي عقد بروجيوفط في اغسطس سنة ١٩٦١ ، وكان موضوعه العلم في خدمة الدول النامية حضره عشرون وفدا من آسيا وافريقيا .. من افريقيا : الكونجو (ليوبولدفيل) ، سيراليون ، الكاميرون ، الكونغو (برازافيل) ، توجو.وعقدت ندوةاخرىعلمية فياغسطس١٩٦٣، حولالتخطيط القروي.وعقدت ندوة لكبار موظفي افريقيامن ٢٠ديسمبر ١٩٦٠ الى ٢٦ابريل ١٩٦١. حضرها ٢٦ مندوبا من افريقيا ، ١٦ من الكونغو (ليوبولدفيل) وحدها ، وعقدت ندوة لنساء افريقيا باسم «دور المرأة في المجتمع النامي» ودامت ستة اسابيعوحضرتها ٦٣امرأة من الكاميرون، الكونغو، الداهومي ، اثيوبيا ، الجابون ، ساحل العاج ، كينيا ، ليبيريا ، مدغشقر ، نيجيريا ، تنجانيقا ، السنغال ، السيراليون ، اوغنده ، فولتا العليا .
واخيرا في مارس ١٩٦٥، عقد مؤتمر دولي خاص بالحياة التعاونية حضره خبراء حتى من اوروبا الشرقية و٨ من اوروبا وأمريكا و٦ من كل من افريقيا وآسيا ومن أمريكا اللاتينية حول دور المؤسسات التعاونية في التنمية القروية .

● هناك جانب ثان هام هو البعثات ، هذه البعثات تشتغل اما بالشئون الفلاحية او بمحاربة

---

(٤) Bernard Reich الذى كتب مقالاعن سياسة اسرائيل فى افريقيا The Meddel East Journal - Winter 1964

(٥) انظر مجلة Acta Africana التى يصدرها المعهد الافريقى بجنيف سنة١٩٦٤ عدد ١.

الامراض او بالتخطيط القروى او بتنظيم المواصلات وايضا بالقوات المسلحة . ونسيت ان اقول لكم أن من جملة التدريبات التى نظمت فى اسرائيل تدريبات خاصة بتنظيم الشباب ، تدريبات خاصة بتدريب رجال المظلات بالنسبة للكونغو وكان عددهم ١٠٠ فى اغسطس ١٩٦٣ .

● والنوع الثالث من النشاط الاسرائيلى فى افريقيا هو : **المساعدة الاقتصاديه** اما على شكل شركات واما فى صورة قروض ، وهى قليلة . ابتدات اسرائيل بدفع اول قرض **لغانا** فى سنة ١٩٥٦ لان غانا كانت هى المركز الاول لاسرائيل فى ذلك الحين . وانتهى دورها فيما بعد وكان القرض الاول قد بلغ ٢٠ مليون دولار ولكن الخطة التى تتبعها اسرائيل فى الميدان الاقتصادى هى علاوة على الخبراء وعلى التدريب ، تكوين شركات مختلطة مع الدولة الحاكمة أو بين مؤسسات خاصة فيها وبين شركات اسرائيليه اهمها : شركة سوليل بونيه التى هى من مؤسسات الهستدروت والتى تمولها بعض المؤسسات الاستعماريه الامريكية . هذه الشركات تؤسس على ان يكون ٦٠٪ من الاسهم من رأسمال الدولة الافريقية و ٤٠٪ من «سوليل بونيه» . ولكن هذا اسلوب يفهمه الراسماليون وهو اسلوب يترك الاغلبية الصورية للدولة وفى الحقيقة يبقى العنصر الاساسى (وهو التجهيز والخدمات) وهذه تقوم بها الشركة ذات النسبة الاقل . وقد بلغت ارباح سوليل بونيه فى افريقيا سنة ١٩٦٠ أكثر من ١٦ مليون دولار .

والمشاريع التى تقوم بها هذه الشركات تنتشر فى افريقيا ولها ميادين مختلفة . مثلا فى **نيجيريا** تقوم ببناء طرق ومبانى المصانع ، فنادق ، مدارس ، مبانى حكومية ، حى طلابى ، برلمانى ، مركز كهرباء . فى **سيراليون** برلمان ، مبانى حكومية ، مطار ، بنك . فى **ساحل العاج** مبانى عمومية ، محطة اذاعة وتليفزيون ، مخابز . فى **الحبشة** بناء [illegible]ق ، مطار ، مجارى . فى **تنجانيقا** بناء فندق كليمانجارو . وفى **جيبوتى** مخازن فى الميناء والمطار .. الخ .

فضح التزييف

من هنا نرى ان الدور التى تقوم به اسرائيل فى افريقيا من الناحية الفنية والاقتصادية دور يمكن ان يحدث مغالطة بالنسبة لهذه الدول وبالنسبة للرأى العام الدولى . فلذلك وجب علينا ان نظهر الحقيقة وأن نفضح التزييف وان نبين ما هو الدور الاستعمارى من وراء هذا كله .

ان اسرائيل تقول اننا فى خدمتكم لاعطائكم نموذجا للتنمية السريعة كبلد متخلف ، اننا نعطيكم صورة فى اسرائيل عن مجتمع متخلف يتقدم وعن مجتمع اشتراكى فما هى الحقيقة من وراء هذا كله ؟

الحقيقة سمعناها من رئيس الوفد الجزائرى (احمد بن بيلا و [illegible] اك) فى مؤتمر رؤساء الدول الافريقيه فى يوليو الماضى سنة ١٩٦٤ حيث قال : « هذه الاشتراكية هى التى عرفها كل من عرف جبهات القتال والاشتراكيه التى عرفتها شخصيا فى كاسينو هى اشتراكية المعسكرات المحصنة . انها اشتراكيه الذين احيطوا بالخطر والذين جعلوا هذه الاشتراكية ضرورة لبقائهم . وبعد ، فذلك لا يمنع اسرائيل من ان تكشف عن وجهها الحقيقى فى ميادين نشاطها هنا وهناك وخاصة فى قارتنا حين تغدو اسرائيل اكثر فأكثر الاداة التى هى فى الواقع ، هذه الاداة الممتازة ، وهذا لان اسرائيل بلد صغير . ولكننا ننسى فى اغلب الاحيان ان هذا البلد لا يعيش الا باعانات تبلغ ملايين الدولارات تصل الى ثلثى ميزانيتها تقريبا . ومازال هناك من يردد تلك الاسطورة التى تقول بأن اسرائيل هى نواة تقدم . وكل الناس يعملون والدول العربية تعلم اكثر من غيرها ان اسرائيل بدلا من ان تكون نواة تقدم فى هذه المنطقة العربية فأنها تجمد الموقف وتشجع القوى الاشد رجعية» .

ولنعد للارقام لنعرف الحقيقة من التزييف فى اوضاع اسرائيل .

● **نوع السكان :**

نوع السكان فى اسرائيل يثبت انها مجتمع استعمارى اذ ان ٣٧٪ فقط مولودون فى اسرائيل و ٣٥٪ جاءوا من اوروبا وامريكا وهؤلاء سلوكهم فى اسرائيل هو كسلوك المستعمرين فى مستعمرات الاستيطان حتى بالنسبة لليهود الذين هاجروا من المناطق المتخلفة ونسبتهم ١٦٪ من آسيا و ١٢٪ من افريقيا ثم توزيع العمل فى اسرائيل هو توزيع غير طبيعى ، فنجد ٥/١ يشتغل فى الفلاحة و ٢/١٠ فى الصناعة و ٢/١ فى الخدمات ، فهذا مجتمع غير طبيعى .

● **التمويل الخارجى :**

ثم هذا مجتمع نجد فى تمويله ايضا عامل غير طبيعى وهو العامل الخارجى فان المساعدة التى تنالها اسرائيل من الخارج تصل الى ١٠٠ دولار للشخص فى كل سنة ويبلغ عجز الميزانية ازيد من ٥٥٪ فى ميدان الخدمات وحده .

وقدنالت اسرائيل كدوله فى ظرف ١٠ سنوات سبعة بلايين دولار لملء هذا العجز ، بعضها من الولايات المتحدة ، وبعضها من جبايا اليهود فى العالم ، وبعضها من التعويضات الالمانية . (٧٠٠٠ مليون دولار) .

وفيما يخص الاستثمارات الخاصة بلغ ما ورد منها من الخارج فيما بين ١٩٥٩ و١٩٦٢ ما يقرب من ٥٠٠ مليون دولار ، ٦٠٪ من امريكا الشمالية . ومثل هذا المبلغ فى ١٩٦٤ وحدها حسبما ورد فى الكتاب السنوى الرسمى لاسرائيل سنة ١٩٦٤ اما فى ميدان التجارة الخارجية فان العجز ظل يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ مليون دولار فى السنة حتى سنة ١٩٦٢ .

ولست اريد ان اطيل عليكم فى الارقام وانما أريد ان الفت نظركم الى ان الضريبة على اليهود فى الخارج حتى منتصف سنه ١٩٦٣ بلغت ١٤٢٥ مليون دولار حسب تصريح جوزيف مايرهوف رئيس جمعية الجبايه اليهودية الموحده مع الملا ... ان ٨٠٪ منها حصلت من ١٠٪ من المتبرعين ، اى ان ٨٠٪ من الجبايه اليهوديه هى من الاحتكارات الاستعمارية الراسمالية لا من اليهود العاديين الموجودين خارج اسرائيل .

فاقتصاد اسرائيل ليس الاقتصاد النموذجى الذى يجب ان تنظر اليه الدول الافريقية من اجل تنميتها ، انه اقتصاد غير متوازن ، انه اقتصاد طفيلى معتمد على الخارج ، انه اقتصاد كما سماه احد علماء الاقتصاد « اقتصاد منقول » مثل الاقتصاد الفرنسى الذى كان منقولا الى الجزائر ، فقد كان هو الآخر اقتصادا ناميا ولكن هل كان اقتصادا جزائريا .. أبدا .

وهنا يظهر ايضا زيف الاسطوره القائلة بارتفاع مستوى الدخل القومى الاسرائيلى . ان الاحصاءات التى تنشرها اسرائيل تعطى مثلا احصاءات مقارنة بين ماهو الدخل القومى للفرد فى اسرائيل ، والدخل القومى للفرد فى البلاد العربية فنجد مثلا فى نشرة رسمية فى مايو ١٩٦٤ الدخل الفردى هو ٩٤٠ دولارا فى السنة فى اسرائيل بينما الدخل الفردى فى البلاد العربية لا يتجاوز ٢٠٠ دولار .

كل هذا تزييف ، ان الدخل فى اسرائيل ليس دخلا قوميا حقيقيا مادام الاقتصاد اقتصادا مزيفا واقتصادا مصطنعا ويعيش كالطفيليات . فحينئذ لا يمكن ان نعطى قيمة علمية للاقتصاد الاسرائيلى كنموذج ولا للارقام التى تنشر والتى تستخدم للدلالة على التقدم وعلى سرعة التقدم ، كما ان هناك ابحاثا علمية نشرت أخيرا للدلالة على ان نقل النموذج الاسرائيلى غير ممكن .

نموذج للتنمية لا يمكن نقله

كتب جان هالبرين (٦) احد علماء الاقتصاد وهو من الموالين لاسرائيل فى كتاباته ، واستاذ فى تاريخ الاقتصاد والاجتماع فى جامعه زيورخ يقول : « ان ظروف الانطلاق تختلف كثيرا بين اسرائيل وبين البلاد الفنيه الحديثه عهدا بالاستقلال الى حد يستحيل معه ان نجعل من اسرائيل نموذج تلك الدول . ويكفى ان نورد فارقا واحدا اساسيا هو ان الكادر « الملاكات كان موجودا فى اسرائيل عند نشاتها بينما البلاد الاخرى مفتقره لمثل تلك الملاكات اشد الافتقار . وشتان بين مستوى شعوبها الثقافى وبين المستوى التى بدأت معه اسرائيل عند تاسيسها بفضل الهجرة الاوروبية .

وقد اكدت ابحاث اخرى علميه تفصيليه هذا المعنى ، فقد صدر كتاب فى فرنسا أخيرا للاقتصادى جوزيف كلاتزمان « دروس التجربه الاسرائيليه » اثبت فيه ان طرق تجربه الكيبوتزيم لايمكن ان تنقل الى البلاد الناميه سواء لاستحالة توفير الظروف الماليه او بسبب فقدان الجهاز من الخبراء الموجودين فى اسرائيل (ص ١٥٧ ـ ١٥٨) وزاد قائلا ان بعض القرارات الاقتصادية فى اسرائيل هى فى الحقيقة قرارات سياسية ويشير هنا الى انشاء بعض الكيبوتزيم على الحدود لا كمتجمعات فلاحية ولكن كمعسكرات محصنة .

وهناك اخصائى آخر . استاذ فى الجغرافية .. الاستاذ دريش سئل فى ندوة طلابية فى باريس فى يناير ١٩٦٢ وكانت هذه الندوة مخصصة لموضوع الاصلاح الزراعى فى بلاد المغرب العربى وكان الاستاذ دريش قد أورد أمثلة كثيرة من الاصلاح الزراعى التقدمى ، وسئل لماذا لم يورد مثال اسرائيل فى هذا الباب . فاجاب قائلا : « ان هذا المثال مثال خاطىء لان التجربة الاسرائيلية ليست تجربة

(٦) Jean Halberin فى بحث عن سياسة اسرائيل Cahiers De La Fondation Nationale

اشتراكيه وليست اصلاحا زراعيا . علاوة على مشاكل الديون التى تتخبط فيها هذه المؤسسات لانها تعيش فى اطار رأسمالى .

المعركه لفضح التزييف والدور الاستعمارى لاسرائيل

بعد ان تبين لنا زيف هذا النموذج الاقتصادى الذى يقدم لافريقيا يحق لنا ان نتساءل اذا كان هذا النموذج غير صالح فما هى مهمته الاستعمارية ؟ وما هو هذا الدور الاستعمارى لاسرائيل ؟ .

اعتقد اولا ان مجرد تقديم نموذج خاطىء للتنمية لدولة حديثة عهد بالاستقلال فيه خدمة للاستعمار لان هذا عامل تضليل وتعطيل بالنسبة لهذه الدول

ولكن هناك مظاهر ابرزمن هذا لخدمة الاستعمار هناك اولا روابط اسرائيل بالدولة الاكثر امعانا فى الاستعمار فى أفريقيا وهى أفريقيا الجنوبية . وهذا الموضوع قل ما يتحدث عنه الذين يشتغلون باسرائيل فان اسرائيل لها اتصال وثيق بالحكومة الفاشيه فى جنوب افريقيا . ويكفى أن نقول مثلا ان نسبة التجارة مع جنوب افريقيا فى مجموع التجارة الافريقية اذا أضفنا اليها أيضا التجارة مع المستعمرات البرتغالية تصل الى ٢٩٪ فى سنة ١٩٦١ ونسبة ٢٠٪ فى سنة ١٩٦٢ و٢٥٪ فى سنة ١٩٦٣ وحوالى ٢٠٪ سنة ١٩٦٤ . نعم هناك انخفاض نلاحظه بعد سنة ١٩٦٢ بسبب افتتاح اسواق جديدة لاسرائيل فى البلاد الحديثة العهد بالاستقلال . ولكن اهم من ذلك العلاقة المالية بين جنوب افريقيا واسرائيل ، فان اسرائيل كانت لها ميزة وحدها من سائر الدول وهى انه كان لها الحق أن تنقل الاموال بدون مراقبة من جنوب افريقيا حتى نهاية سنة ١٩٦٢ . لماذا تغيرت هذه الميزة لسبب بسيط هو ان اسرائيل اتخذت موقفا لمجارات التيار الافريقى ضد جنوب أفريقيا فكان عقابها انها فرضت عليها نفس الرقابة المفروضة على انجلترا من اجل نقل الاموال ولكن ذلك لم يغير شيئا من الروابط الاقتصادية الموجودة بين اسرائيل وبين جنوب افريقيا .

وهناك دور استعمارى خطير لابد ان ننتبه اليه وهو دور الخبراء ودور المدربين اذ أن هناك بعض التدريبات الحربية . مثلا اهتمام اسرائيل بالذات بالنساء واهتمامهم بالشباب وتدريبهم مثلا على تنظيم منظمات شبيهة بالمنظمات الموجوده فى اسرائيل ثم بالخصوص التدريبات العسكريه وتدريبات الشرطة . فان جيش المرتزقه الذى يحارب به الاستعمار فى الكونغو درب قسم المظلات منه فى اسرائيل ويوجد الان فى الكونغو خبراء اسرائيليون مع الجيش الاستعمارى وهناك ايضا تدريب حصل لبعض الدول الاخرى فى الشرطة وفى المخابرات . واذا اردنا ان ندرك خطوره هذه التدريبات فلنلق نظرة على ما جاء فى الصحف .. قرانا اخيرا فى تحقيق عن حوادث الكونغو الاخيره التى تجرى الان حول هجوم وقع على التوريين فى الكونغو فى نهاية مارس ١٩٦٥ (٧) « ان هناك حقيقة اكثر خطوره فلقد قال لى قاده الثورة الكونغولية ان اسرائيل تقوم بتدريب جيش اوغندا الذى لايزيد تعداده على كتيبتين وسلاح الطيران الاوغندى عبارة عن بضع طائرات اسرائيلية وجميع الطيارين من الضباط الاسرائيليين، كما أن قوات حدود أوغندا يشرف على تدريبها وتنظيمها خبراء اسرائيليون وقال ان لاسرائيل داخل حكومة اوغندا اعوان يحتلون أكبر المناصب وقد سبق ان قال لى احد كبار العسكريين الافريقيين فى جيش اوغندا بأن رئيس الوزراء ميلتون اوبوتى يشعر بخطورة النفوذ الاسرائيلى فى بلاده فقد بلغ من تغلغل نفوذهم ان رئيس الوزراء نفسه لايستطيع ان يتحدث مع احد تليفونيا فى أمر هام لان تليفونه مراقب ، وحكى لى انه عندما اغارت الطائرات الامريكية التابعة لحكومة تشومبى على اراضى اوغندا مرتين اصدر رئيس الوزراء اوامره الى سلاح الطيران برد العدوان واسقاط الطائرات المغيرة ولكن الطائرات الاسرائيلية كانت تحلق فى السماء ثم تعود الى قاعدتها فى « انتيبى » لتبلغ بأنها لم تلحق بطائرات العدو .

تلك هى حقيقة الدور الاستعمارى فى أفريقيا . وقد أكد اخيرا « جيبينى » رئيس الثورة الكونغولية أن اسرائيل تلعب دور تواطؤ مع رئيس الدولة فى اوغندا الذى هو سلطان يسمى « الكابكا » يعنى من أحد بقايا الملوك (٨) .

هناك اذن معركة بيننا كعرب وكمناضلين ثوريين وبين هذا التسرب الاسرائيلى . وهذه المعركة يجب ان نعترف أن لها مداو جذرا ، واننا تاركون

(٧) الاهرام عدد الاربعاء ٣١ مارس ١٩٦٥
(٨) وقد عزله اوبوتى من منصبه فى اوائل ١٩٦٦

منتصرين وتارة يكون الاستعمار له الاسبقية في الميدان .

وقد استمرت هذه المعركة سجالا بيننا وبين الاستعمار فيما يخص الدور الاستعماري لاسرائيل **منذ مؤتمر باندونج** . ويجب القول هنا بأن الفضل يرجع الي **الرئيس جمال عبد الناصر** بوضع القضية لاول مرة على الصعيد الدولى بعد أن منعت اسرائيل من حضور مؤتمر باندونج رغم تدخلات دولتين آسيويتين. اذ ذاك لقبولها ، واتخذ لاول مرة قرار يدين ويفضح هذا الدور الذى تقوم به اسرائيل فى السياسه الاستعمارية . يقول المؤتمر : (ابريل ١٩٥٤) . « نظرا للتوتر السائد فى الشرق الادنى، هذا التوتر الذى يحدثه الوضع فى فلسطين ونظرا للخطر الذى يشكله هذا التوتر ضد السلام العالمى فأن مؤتمر دول آسيا وأفريقيا يعلن تأييده لحقوق الشعب العربى فى فلسطين ويطالب بتطبيق قرارات الامم المتحدة وتحقيق حل سلمى للقضية الفلسطينية » .

وتلك أول مرة أتخذ فيها مثل هذا الموقف بفضل المشاركة العربية الثورية فى هذا المؤتمر . الا ان **المواقف الحكومية فى الحقيقة لم تكن دائما فى خط مستقيم بينما مواقف المنظمات الشعبية استمرت فى خط عدائى للاستعمار** . فقد عقدت فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٥٧ — يناير ١٩٥٨ أول مؤتمر شعبى آسيوى افريقى . أعلن هذا المؤتمر لاول مرة أن دولة اسرائيل « **قاعدة استعمارية تهدد تقدم الشرق الاوسط وسلامته** » . وأدان المؤتمر « سياسة اسرائيل العدوانية التى تشكل خطرا على السلم العالمى » ، واكد المؤتمر حقوق العرب فى فلسطين وأعلن عطفه على اللاجئين الفلسطينيين وتأييده جميع حقوقهم وعودتهم الى وطنهم » .

تلك اول خطوة دولية خارج المحيط العربى لاظهار الحقيقة ولاعلان حق الشعب العربى فى فلسطين . وتوالت المؤتمرات بعد ذلك .

انعقد فى أبريل ١٩٥٨ **مؤتمر دول أفريقيا** بأكرا وهذا المؤتمر اتخذ قرارا بسيطا عبر فيه عن « قلقه العميق حول قضية فلسطين التى تشكل عاملا يهدد الامن والسلام العالميين » ويطالب بحل عادل لهذه القضية .

وفى ديسمبر ١٩٥٨ اجتمعت **منظمة الشعوب الافريقية** ولكن قرارها فى هذه المرة تأثر بالمناخ الافريقى اذ ذاك ولم يهاجم اسرائيل كأداة للاستعمار .

وفى أبريل ١٩٦٠ اجتمعت **منظمة التضامن الافريقى الآسيوى** فى كوناكرى فقد اتخذت قرارا واضحا فى هذا الموضوع لم يشذ عنه الا مندوب ليبيريا ولازلت اذكر المسكين يعتذر بقوله : « اذا اتخذت معكم هذا القرار فاننى سأطرد من حكومتى »

وفى مارس ١٩٦١ اجتمعت **منظمة الشعوب الافريقية** فى القاهرة واعلنت ذلك فى قرار واضح حول الاستعمار الجديد حللته وعرفت بحقيقته وبادواته واعلنت ان اسرائيل دعامة للاستعمار الجديد وتشكل تهديدا خطيرا على البلاد الافريقية التى نالت أستقلالها حديثا او التى على وشك ان تنال الاستقلال . وكرر هذا القرار نفسه فى **باندونج** فى اجتماع التضامن الآسيوى الافريقى .

وانعقد **مؤتمر الدار البيضاء** وهنا استطاعت أيضا القيادة الثورية العربية ان نستخلص قرارا واضحا فى هذا الموضوع اذ اعلن بعد التحذير من الخطر الناتج عن الوضع الراهن فى فلسطين والناتج عن حرمان عرب فلسطين من حقوقهم واعلان ضرورة حل لهذه القضية حلا عادلا يرد الى عرب فلسطين حقوقهم كاملة قال القرار : « **يلاحظ المؤتمر بأستنكار أن اسرائيل دأبت دائما على مناصرة الاستعمار كلما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بافريقيا ولا سيما مسائل الجزائر والكونغو والتجارب الذرية فى أفريقيا ولذلك يندد المؤتمر باسرائيل بوصفها أداة لخدمة الاستعمار بنوعه القديم والجديد ، ليس فقط فى الشرق الاوسط بل وفى افريقيا كلها . ويدعو المؤتمر كافة الدول فى أفريقيا وآسيا الى الوقوف أمام هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الاستعمار فى خلق قواعد له** » .

وهذا قرار مهم لانه لاول مرة امضاه ممثلون عن ثلاث دول افريقية **(غينيا — غانا — مالى)** لها تبادل ديبلوماسى مع اسرائيل. ولكن فى الحقيقة لم يكن له مفعول ، لم يكن له اثر فعلى، ذلك لان ظروف مؤتمر الدار البيضاء فى الحقيقة كانت ظروفا مفتعلة. بعض الدول اجتمعت للدفاع عن نفسها وبعض الدول لتستر خياناتها بالنسبة للكونغو والحقيقة انه كانت مناسبة أخرى لتضليل الشعوب عن طريق بعض المؤتمرات التى يلعب فيها الاستعمار الجديد دوره.

وبدأت بعد قرار الدار البيضاء حرب ديبلوماسية بين اسرائيل وبين القيادة العربية الثورية المتمثلة فى القاهرة وبدأت القاهرة تدعو الزعماء الافريقيين لتبين لهم حقيقة الوضع بالنسبة للمعركة العربية، بينما اسرائيل أيضا توالى دعواتها للرؤساء الافارقة وكانت سنة ١٩٦١ و١٩٦٢ لتبادل الزيارات بين المعسكر الثورى العربى وبين الرؤساء الافارقة

وبين المعسكر الاستعمارى المتمثل فى اسرائيل وبين الرؤساء الافارقة .

وانعقد **مؤتمر دول عدم الانحياز** فى سبتمبر سنة ١٩٦١ ولكن فى هذه المناسبة سجل الاستعمار انتصارا حيث انه لم يتخذ قرار واضح بنفس الوضوح الذى كان عليه قرار باندونج ولم يكن ايضا بنفس الوضوح الذى كان عليه قرار دول عدم الانحياز فى القاهرة بعد ذلك بسنتين فى اكتوبر سنة ١٩٦٤ . اخذت اسرائيل تعتبر انها بدات تنجح فى مهمتها الدبلوماسية ولهذا بالذات لجأت الى مجاراة الدول الافريقية باتخاذ موقف ضد جنوب افريقيا فى الامم المتحدة . ونجحت اسرائيل ايضا حيث انها استطاعت ان يتقدم باسم وجهة نظرها ٨ دول من افريقيا وامريكا اللاتينية بقرار ينادى بالمفاوضة المباشرة بالشكل الذى تطالب به اسرائيل وان كان هذا القرار لم ينجح حيث انه رفض بـ ٤٦ صوتا ضد ٣٤ وامتناع ٢٠ ، ولكنه كان يدل اذ ذاك على بعض النجاح الذى حصلت عليه اسرائيل فى الميدان الدولى وجاء **مؤتمر اديس ابابا** ليسجل بعض النجاح حيث انه لم يتخذ اى قرار فى موضوع اسرائيل .

وحتى عندما كانت تتخذ بعض الدول الافريقية بعض المواقف المعادية لاسرائيل مثل ماشهدنا فى الدار البيضاء فان اسرائيل كانت تستمر فى نشاطها الاقتصادى مع تلك الدول . كتبت مثلا مجلة **المدل ليست جورنال** قالت : « انه رغم اتخاذ الدول الافريقية قرارات وتصريحات غير ودية نحو اسرائيل فان تلك الدول ما تزال تعلق اهمية على الاحتفاظ بالروابط المنتجة والمفيدة فنيا واقتصاديا مع اسرائيل وكأنها ترى فى تلك التصريحات مجرد مواقف سياسية شكلية لا تمس بأى حال وفى نفس الوقت فان اسرائيل تشعر بأن وجود هذه الروابط يساعدها على مواصلة تحقيق مصلحتها القومية »

وبمناسبة المؤتمرين الاخيرين **للدول الافريقية ولدول عدم الانحياز** فى القاهرة فى نهاية ١٩٦٤ اتخذ قرار صريح فى موضوع اسرائيل ، وكتبت اذ ذاك الصحافة الاسرائيلية تأسف على هذا التغير لدى دول آسيا وافريقيا فى اكتوبر سنة ٦٤ .

تقول مجلة اسرائيل ايكونوميست : **اننا نجد الى جانب العرب مجموعة من الدول تتخذ من اسرائيل فى الميدان السياسى موقفا باردا ان لم نقل عدائيا وهى : اندونيسيا ــ افغانستان ــ الهند ــ باكستان ــ صوماليا ــ وغينيا ــ والدول الاشتراكية والصين الشعبية ــ وشمال فيتنام ــ وشمال كوريا .**

كانت الصحيفة تتحدث عن سياسة الدول الآسيوية الافريقية بالنسبة لاسرائيل وهنا اظهرت المجلة الشبيهة بالرسمية امتعاضا كبيرا بالنسبة لتغيير موقف الهند وموقف غينيا بالنسبة لاسرائيل وكتبت تقول : وهناك من جهة اخرى دول ما تزال تأخذ مبادرات الدفاع عن اسرائيل ضد هجومات العرب فى الميدان الدبلوماسى ومنها : **تنزانيا ــ وساحل العاج ــ وفولتا العليا ــ وافريقيا الوسطى ــ ومدغشقر ــ والنيبال .**

وشعرت اسرائيل فعلا بالخطر وقامت « **جولدا مايير** » فى اوائل نوفمبر ١٩٦٤ برحلة عبر افريقيا وواجهت فى هذه الرحلة متاعب وخاصة فى نيجيريا واضطرت الصحافة الاستعمارية هناك أن تجند نفسها للدفاع عن اسرائيل ، وفضحت جولدا مايير نفسها فى ندوة صحفية عندما تحدثت عن الكونغو ودافعت عن وجهة نظر الاستعمار فى الكونغو .

انه تحول فى الموقف وهذا التحول يجب ان نسهر عليه ويجب أن نعالجه حتى يستمر وحتى يكون المد الثورى اغلب من المناورات الاستعمارية .

عوامل النجاح

وهناك الآن عوامل كثيرة للنجاح يجب ان نسجلها ويجب ان ننتبه اليها . هناك المناخ الجديد فى افريقيا وبالنسبة للثورة العربية المناخ الجديد الذى أحدثته الانتصارات السياسية والاجتماعية العربية سواء فى المشرق العربى ، وفى المغرب العربى ، فى قاعدة الثورة العربية فى المغرب العربى التى هى الجزائر . يجب ان ندرك ان قيام حكم

ثورى فى الجزائر كان له دور اساسى فى تغيير المفاهيم الافريقية لدور اسرائيل فى افريقيا .

ثم ان هناك تجربة عربية فى المشرق والمغرب لبناء مجتمع متقدم حقيقيا لا يعتمد كالطفيليات على المساعدة الاجنبية ولكن يعتمد اولا على نفسه ولا تكون المساعدة الاجنبية الامن قبيل اشكال التبادل التى تفرضها الظروف الاقتصادية والتى لا تتنافى مع قواعد التنمية الاقتصادية السليمة . وهذه التجارب العربية لا تخضع للاستعمار ولا تخضع لاحتكارات الراسمالية ولا لحليفيهما الاقطاع والبرجوازية العميلة والمستغلة . هذه التجارب ستلعب دورا كبيرا لاقناع المسئولين الافارقة واقناع المنظمات الشعبية اولا بأن المعركة العربية هى معركةثورية للتحرر والبناءوهى معركة تحمل لواء التقدم الانسانى والاشتراكية والحرية .

وان تلك القواعد المادية للثورة العربية فى المشرق والمغرب — هى التى ستمكنناوتمكن قضية فلسطين من ان تخرج من اطارها العاطفى الى اطارها العملى حتى يتحقق التحرير الفعلى لفلسطين .

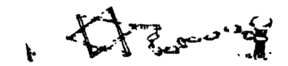
ان قضية فلسطين اليوم دخلت فى اطار قضايا حركه التحرير العالمية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينيه ، هى لم تعد قضية عرب ويهود ، بلحركة عربيةثورية ضدقوىالاستعمار بلاتعصبعنصرى.

فلذلك وبسبب هذا المفهوم الانسانى والعلمى لقضية فلسطين يمكننا ان نعتمد على القوى التقدمية والثورية فى افريقيا لتدرك حقيقة هذه القضية ولتقف بجانب العرب فى نضالهم العادل .

يبقى ماهو النموذج الذى يجب ان تسير عليه الحركة التحريرية فىفلسطين ، هذا النموذجمرتبط بالظروف الخاصة بفلسطين ولكنه لا يختلف عن النماذج الاخرى التى عرفناها فى آسيا وفى افريقيا وفى امريكا اللاتينية .

وان خلاصة القول فى هذا الموضوع هى ماورد على لسان **الرئيس جمال عبد الناصر** فى مؤتمر رؤساء الدول الافريقية حيث قال : « **ان ما حدث لشعب فلسطين شبيه بما حدث لشعب أفريقيا . جاءها المستوطنون الغرباء تحت دعوى السيادة العنصرية . سرقوا الارض وطردوا اصحابها الاصليين ولم يجدوا سندا من غير الاستعمار يساعدهم ليكونوا اداة له فى صوره المختلفة** » .

وكان هذا النداء متجاوبا مع وجهة النظر الثورية الافريقية حيث أجاب رئيس مؤتمر الدول الافريقية فى يوليو ١٩٦٤ **السيد احمد سيكوتورى اذقال : ان النداء العاطفى الحار على مستوى عال للضمير الحى ، هذا النداء الذى وجهه الان اخونا وصديقنا رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر فى خطابه الافتتاحى لن يذهب دون ان يترك له صدى عظيما فى نفوسنا ، وانهذا المؤتمر قد سجل بروح الارتياح هذا النداء بأعتباره خير سبيل نسلكه وخير مسلك فعال يمكن لمؤتمرنا ان يسلكه ليحققالامانى العميقة للشعوبالافريقية عند دراسة جميع المشكلات التى تشغل بال الافريقيين فى روح أفريقية وروح واقعية معالعزم الصارم على ان نجد لها جميعا حلولا صائبة رشيدة ومع التصميم الاكيد على ان يكفل بالعمل الملموس تحريرشعوبنا وسعادتها ليسهذافحسب بل ونعمل على خلق عالم جديد ذلك العالم الذى ننشدهونحلمبهجميعا .. عالم العدالةوالسلام » .**





ثورة يوليو في مواجهة التحالف الاستعمارى الصهيونى

مصطفى طيبه

أن قضية خلق اسرائيل لم تكن قضية الشعب الفلسطينى وحده بقدر ما كانت قضية الوطن العربى أساسا، وحركة التحرير العالمية بصفة عامة دل على ذلك وقت اللقاء بين الاستعمار والصهيونية الذى شهد ثورة ١٩٠٥ فى روسيا القيصرية ، والحركات العمالية فى اوروبا ، والحركات الوطنية فى البلدان العربية والصين والهند .

وفرض ذلك بالضرورة ان ياخذ الصراع العالمى بالنسبة لقضية فلسطين تعبيره الخاص ، فكلما أحرزت حركة التحرير العالمية نصرا ، كلما تدعم الحلف الاستعمارى الصهيونى ، وكلما اكتسبت قضية فلسطين طابعا أكثر شمولا .

وصار كل تقدم اجتماعى للثورة العربية يواجه بحركة تدعيم من الاستعمار الاسرائيلى ، وللانظمة الرجعية فى البلدان العربية . .وقد جسد جمال عبد الناصر هذه الحقيقة بقوله ((**القوى**

الرجعيسة في العالم العربي تخشى قوى التقدم العربي ، تخشى قوى الثورة العربية ، اكثر مما تخشى العدو المشترك ، اكثر مما تخشى اسرائيل ، وتكرس للثورة العربية والتقدم العربي ، كل الجهد وكل المال ، للى كان ممكن يكرس من اجل التحرير » (١) وانطلاقا من هذه الحقيقة شهدت قضية فلسطين منذ نشاتها اتجاهين اساسين ، اتجاه **المساومة** والاتجاه **الثوري** .

وبملاحظة حركة هذين الاتجاهين ومضمونهما الاجتماعي يمكن معرفة كيف واجهت حركة الثورة العربية المخطط الاستعماري الصهيوني .

الاساس الموضوعي

لسيادة اتجاه المساومة

كان من الطبيعي ان يسود حركة النضال العربي منذ **وعد بلفور** – على صعيد الدول العربية لاعلى صعيد الشعب الفلسطيني – اتجاه المساومة على القضية الفلسطينية . فمن ناحية ادى نجاح الاستعمار في تجزئة الوطن العربي ، وتخلف القوى التقدمية عربيا وعالميا عن ادراك المغزى الحقيقي وراء قيام اسرائيل ، من ناحية اخرى الى ان تتخذ قضية فلسطين مادة يساوم بها الحكام العرب الرجعيين المستعمرين .

ولم تكن مطالبة الحكام العرب ، بالغاء وعد بلفور والانتداب البريطاني على فلسطين ، ورفضهم قرار التقسيم ، ثم دخولهم – المظهري – حرب فلسطين ، سوى نوع من المساومة ، مادتها الشعور القومي القوي عند الجماهير العربية ، وانقسم الحركة الوطنية العربيه بسبب الموقف من قرار التقسيم ، ووقوف بلدان المعسكر الشرقي الى جانبه ، وتتذاك كحل لا بديل له في رايها . فلم تكن قرارات الملوك والامراء والرؤساء العرب منذ الثلاثينيات حتى ثوره يوليو سنة ١٩٥٢ ولا مؤتمراتهم العديده ، ولا جامعتهم «العربية» . ولا حربهم لصيانة « عروبة » فلسطين تشكل أي خطر جدي على الاستعمار والصهيونية . فلقد شكلت تجزئة الوطن العربي بشكل عام ، وعزله الثورة المصرية بصفة خاصة – قبل ١٩٥٢ – الاساس الموضوعي لسياده اتجاه المساومة بهدف تدعيم الانظمة الرجعية في البلدان العربية وضرب حركاتها الوطنية . وظلت الثورة العربية بتأثير تمزق ارضها تتعثر في خطواتها وتتوالى بها الهزائم . وتطلعت آمال العرب الى مصر منذ وقت مبكر . غير أن الثورة المصرية منذ انطلاقها على يد **عرابي** وهي تحصر نفسها في حركتها الخاصة . ومن بعده جاء **مصطفى كامل ومحمد فريد** لينصرفا عن المسألة العربية انصرافا كاملا . ومن بعدهما جاء **سعد زغلول** الذي اعلن بصراحة أن لا جدوى بتبني المسألة العربية وهي بعد تكافح من أجل قضاياها الاساسية . ثم ورثت الحركه الوطنية المصرية في اعقاب الحرب العالمية الثانيه انعزالية الثورة المصرية عن حركة الثورة العربيـة . وتضافرت عزلة الحركة الوطنية المصرية ، مع انقسام القوى التقدمية عربيا وعالميا حول قرار التقسيم ، لتخلق كل الظروف المواتية لخلق اسرائيل ، ثم لتكون قضية فلسطين مادة للمساومة ولضرب الحركة الوطنية في كل أنحاء الوطن العربي .

« **لقد فشلت هذه القيادات في أن تتعلم من التاريخ . وفشلت ايضا في أن تتعلم من عدوها الذي تحاربه ، والذي كان يعامل الامة العربية كلها على اختلاف شعوبها طبقا لمخطط واحد .**

ومن هنا فان قيادات الثورة لم تتنبه الى خطورة وعد « بلفور » الذي انشأ اسرائيل لتكون فاصلا يمزق امتداد الارض العربية وقاعدة لتهديدها » (٢) .

حرب فلسطين خلقت

نواة الاتجاه الثوري

ومع أن قيام اسرائيل كان تتويجا لمخطط الاستعمار والصهيونية الذي استهدف منذ مطلع القرن جذب حركة القومية العربيـة . ومع ان المخطط الاستعماري الصهيوني لاقى نجاحا في مقاومة حركة القومية العربية حين نجح في تجزئة العالم العربي . ومع ان حرب فلسطين – بالصورة التي وقعت بها – كانت تتويجا لمساومة الانظمة الرجعية للاستعمار ، بهدف تصفية الحركات الوطنية في البلدان العربية ، فلقد دل النضال العربي في السنوات التي تلت ١٩٤٨ ضد الاستعمار والرجعية في شتى صورها ، على أن احد بواعثه الاساسية كان الدرس الذي تلقاه العرب في مأساة فلسطين ذاتها . لقد كانت نكبة فلسطين وماوراءها من اسباب عميقة ، وما تحمله من معان ، حـادث تاريخي بالغ الخطورة . ان دل على شيء فعلى سوء أوضاع العرب القومية وفسادها التي تتمثل بتجزئة الوطن العربي ، وبتسلط الاستعمار واعوانه ، وضعف الحركة الوطنية وانقسامها . ولقد شكل افتقاد الطابع العسكري لحرب فلسطين حيث جرى توجيه بعضها من جانب ساسة خونة

(١) من خطـاب عبد الناصر – مارس سنة ١٩٦٦ (٢) الميثاق : باب جذور النضال المصري

وماجورين ، وبعضها الاخر بقيادة ضباط مستعمرين أحد الاسس الموضوعية لميلاد الاتجاه الثورى . ولم يكن مصادفة ان ينبع هذا الاتجاه من مصر ، ومن الجيش المصرى على وجه التحديد. او هكذا وعلى غير ما اراده الاستعمار والرجعية العربية من وراء حرب فلسطين، خلقت الحرب نواة الاتجاه الثورى . وعلى غير ماأراده الملك والاستعمار والرجعية من وراء حرب فلسطين لانقاذ حكمهم المتداعى ، تضافرت شتى العوامل ، لتجعل من أرض فلسطين المكان الذى يشهد قيادة الثورة المصرية طليعة للثورة العربية .

((ان سخرية القدر من الامة العربية وصلت الى حد أن جيوشها التى دخلت فلسطين لتحافظ على الحق العربى فيها كانت تحت القيادة العليا لاحد العملاء الذين اشتراهم الاستعمار بالثمن البخس . بل أن العمليات العسكرية تحت هذه القيادة كانت فى يد ضابط انجليزى يتلقى أوامره من نفس الساسة الذين أعطوا للحركة الصهيونية ((وعد بلفور)) (٣)

لقد دل تطور حركة النضال العربى عموما ، وحركة الثورة المصرية على وجه الخصوص ، على أن جوهر قضية الثورة العربية ، هى قضية وحدتها ،وان قضية فلسطين هى البؤرة التى تتبلور حولها .

لقد جاءت حرب فلسطين ، وصفقة الاسلحة الفاسدة ، والكشف عن مخازى السراى ايذانا بالقضاء على النظام الملكى الاستعمارى . ولم يكن مصادفة ان تتوالى منشورات الضباط الاحرار «مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد ... الشعب يريد القضاء على المستعمر واذنابه ، ونحن نسجل ارادته... الشعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك ، ونحن نطبع مئات المنشورات لتؤيد وجهة نظر الشعب» (٤) ولم يكن مصادفة يقول اول بيان للثورة (وتسبب المرتشون المغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين) (٥)

لقد كشفت حرب فلسطين عن الحلقة المفقودة فى حركة الثورة العربية .

ثورة ٢٣ يوليو

تمسك بالحلقة المفقودة

وحين قال المناضل جمال عبد الناصر **((وما من شك فى أن الدائرة العربية هى اهم الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا ، لقد امتزجت معنا بالتاريخ ، وعانينا منها نفس المحن ، وعشنا نفس الازمات)) (٦)** . وحين قال **((أن العملية ليست عملية فلسطين ، وانما هى عملية العرب ، وعندما طعنت فلسطين، طعن كل منا فى شعوره ووطنه)) (٧)** . فقد عبر بذلك عن وعى الثورة المصرية بارتباطها المصيرى بحركة الثورة العربية ، لقد ادركت الثورة المصرية أن ارتباطها بالدائرة العربية هو ارتباط المصير الواحد ، لانها دائرة القومية الواحدة . وأدركت ان قضية فلسطين دون كل القضايا العربية ، هى جوهر قضية الثورة العربية . وكان عليها بعد ان امسكت بالحلقة التى افتقدتها طويلا ان تحكم قبضتها عليها . وكانت وسيلتها فى ذلك هو وحدة النضال العربى ومحوره تحرير فلسطين ، فى نفس الوقت بعث النضال الفلسطينى وتاكيد الشخصية الفلسطينية من خلال وحدة النضال العربى .

ومع المعارك المتصلة والدائمة التى خاضتها ثورة ٢٣ يوليو ، كانت حركة الثورة العربية تواصل اكتشاف طريقها . لقد كان الجلاء عن مصر خطوة نحو تحرير فلسطين،وكانت معركة الاحلاف والمشاريع الاستعمارية ، وضرب احتكار السلاح ، ومؤتمر باندونج — خطوات على طريق وحدة النضال العربى ومهمة حتمية فى طريق النضال الفلسطينى.

وجاء عام ١٩٥٦ ومعه صورة اكثر وضوحا . ففى مطلع ذلك العام بدت الوحدة العربية أمر تفرضه وحدة النضال العربى ، وبدت حركة الثورة العربية تسير خطواتها السريعة نحو تحقيق مزيد من الانجازات على طريق التحرر والوحدة . ووقفت قضية فلسطين على أبواب معركة التحرر العسكرى . فلقد كان تأميم قناة السويس دفعة هائلة لحركة النضال العربى وبشير الخروج من الدائرة الاستعمارية . فلقد خلق تأميم قناة السويس الظروف الملائمة للاعداد الجدى لمعركة فلسطين ، وشروطها هى ، ازاحة نفوذ الاستعمار عن المنطقة ، والبدء فى بناء القوة الذاتية ، وابراز الكيان الفلسطينى .

وفى اكتوبر من العام ذاته بدت معركة تحرير فلسطين ، وكانها واقعة بين يوم وآخر لا محالة . وكان هذا دليلا آخر على صحة وحتمية الاتجاه الثورى الذى خطته ثورة ٢٣ يوليو بارتباطها بحركة الثورة العربية المرتبطة بقضية فلسطين . وبدا اتجاه المساومة الذى كان سائدا قبل ٢٣ يوليو وقد اصابته طعنات قاتلة . فقيام نظام تقدمى

---

(٣) الميثاق : باب درس النكسة
(٤) انور السادات فى كتاب (اسرار الثورة المصرية)
(٥) من البيان الاول للثورة المصرية
(٦) الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة
(٧) الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه له بيوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٥٣ « نادى فلسطين بالاسكندرية »

فى مصر ،كان النموذج الذى يلهب حماس الوطنيين فى البلدان العربية. غير ان العدوان الثلاثى وذيوله المختلفة طرح قضية فلسطين بشكل اكثر تعقيدا عما تصوره النضال العربى .

فمع ان «الغزو ولد ميتا . اما الانتصار الحقيقى فقد كان انتصار عبد الناصر الذى خرج من المعركة وهو بطل العالم الثالث ، ان عالم آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . ان كل عملية السويس التى ارادت أن تقضى عليه ، قد كللته فى النهاية باكاليل الغار » (٨) باعتراف الصهيونيين انفسهم .. فقد اوضح العدوان الثلاثى عددا من الحقائق :

● ان اى تصور لمعركة تحرير فلسطين ، لا يضع فى اعتباره عملية توحيد حقيقية للبلاد العربية ، هو فهم خاطىء . وان نوعا حقيقيا من الوحده يرتفع عن مستوى الاتفاقات العسكرية والقيادات الموحده هى ضروره حتمية فى معركة تحرير فلسطين .

● ان ثورة ٢٣ يوليو قد صارت بحكم الواقع والتاريخ ، وبحكم قيادتها لمعركة العدوان الثلاثى الذى استهدف من وراء غزو مصر ضرب حركة الثورة العربية ووحدتها القومية ، قد اصبحت هى قاعدة النضال العربى التحررى والوحدوى .

● ان اسرائيل ليست مجرد قاعدة استعمارية وانما تلاحمت مصالح اسرائيل مع مصالح الاستعمار الذى يقاتل بها ومن اجلها ولتحقيق اهدافها التوسعية .

● ان وراء عدوان الاستعمار الفرنسى على مصر ، هدف ضرب ثوره الجزائر . واكدت هذه الحقيقة دور القاهرة فى الثورة العربية . فلقد بات واضحا ان ضرب مصر هو ضرب لمهمات ثورة ٢٣ يوليو وبالتالى لكل آمال العرب فى التحرر . وان اسرائيل هدفت من وراء ضرب ثورة ٢٣ يوليو القضاء على التحدى الذى يتعاظم خطره على حدودها الجنوبية . وان هدف اسرائيل هذا هو هدف الحياة أو الموت .

● ان بريطانيا كانت اول من تنبه الى خطر عبدالناصر والثورة المصرية عليها. فصفقة الاسلحة اخرجت مصر من دائرة الخضوع فى تسليحها للغرب. ومعركة مصر ضد حلف بغداد عزلت أنصار بريطانيا لهذا كانت بريطانيا اول من فكر فى التدخل ضد مصر .

● ان موقف امريكا عبر عنه **دالاس** ، حين صاح بعد سماعه نبأ صفقة الاسلحة (هذا اخطر حادث دولى منذ حرب كوريا ، بل منذ الحرب العالمية) (٩)

وتلقفت الجماهير العربية وطلائعها الثورية هذه الحقائق لتحولها الى خطوط جديدة تطبع بها المرحلة الجديده لحركة الثورة العربية :

● الالتفاف حول القاعدة الثورية قائدة النضال العربى فى القاهرة ، وتدعيمها وحماية انجازاتها ، باعتبارها قائدة الثورة العربية ومطمح آمال العرب

● خوض معركة التحرير العربية فى كافة انحاء الوطن العربى ضد الاستعمار واسرائيل وعملائهما .

● الدعوة الملحة الى الوحدة العربية بوصفها الوسيله الوحيدة لمواجهه الحلف الاستعمارى الصهيونى .

● بناء القوة الذاتية العربية القادرة على مواجهة الاخطار المحدقة بحركة الثورة العربية ، والقادره على السير بمتطلبات المستقبل العربى .

والقى ذلك على ثورة ٢٣ يوليو ضرورة السير بخطوات واسعة فى تنظيم المجتمع المصرى، بتصنيعه وتطويره . القى عليها كسب الاستقلال السياسى مهمة تدعيمه وضمانه بالاستقلال الاقتصادى . وبدا ان تحديد الطريق الذى تسلكه مصر هى القضية المطروحة كيما تواصل سيرها على طريق الوحدة العربية .

وتحددت الشروط الحتمية لمعركة فلسطين . بناء القوة الذاتية العربية وقلبها الجمهورية العربية المتحدة بتحقيق استقلالها الاقتصادى كالشرط الضرورى لتحرير الوطن العربى ، وتحقيق الوحدة العربية . وتأكد أن شرط بناء المجتمع المصرى على اساس جديد هو الشرط الضرورى ، لدفع حركة التحرر الوطنى والوحدة العربية . وان تجاهله لن يؤدى الا الى كارثة محققة او الدوران فى حلقة مفرغة .

لقد كانت معارك ثورة ٢٣ يوليو لكسب الاستقلال السياسى ، خطوات على طريق تحرير فلسطين ، بعدها صار الاستقلال الاقتصادى الضرورة الحتمية لتواصل سيرها . لقد أصبح الطريق الذى تسير فيه ثورة ٢٣ يوليو لبناء اقتصادها هو الذى يحدد مصير الثورة العربية والوحدة العربية كالشرط الضرورى لتحرير فلسطين .

وجاءت وحدة ١٩٥٨ بين مصر وسوريا لتحقق بسرعة انجازا اساسيا فى حركة الثورة العربية . وبعد اقل من عام سقط نظام **نورى السعيد** ، وترنحت الانظمة الرجعية فى الوطن العربى كله . لقد

---

(٨) الكاتب الصهيونى مشيل باروهاو « اسرائيليات » احمد بهاء الدين
(٩) كتاب دالاس والسويس — هيرمان فيتز

قامت ((الوحدة النواة)) اتشق طريقها نحو تحقيق الوحدة العربية . وفى السنة الاولى من عمر الجمهورية العربية المتحدةبدا الطريق الىفلسطين قصيرا ومتسعا يشق طريقه نحو تحقيق الوحده العربية كالشرط الضرورى لمعركة فلسطين . لكن حركة الثورة العربية واجهت تعقيدات عديدة فى السنوات التى اعقبت الوحدة . فلا هى استطاعت ان تحقق انتصارات وحدوية جديدة ، ولا هى استطاعت أن تدفع بدولة الوحدة نفسها فى طريقها الثورى الى مداه الكامل .

لقد كانت الوحدة ضربة ساحقة للاستعمار والصهيونية ، فقد خلقت القاعدة الثورية التى تحيط باسرائيل من شمالها وجنوبها ، والتى تقود نضال العرب من اجلتصفية اسرائيل. وكان من الطبيعى أن تحدث ((الوحدة النواة)) اثرها الايجابى على حركة الثوره العربية فى كل اجزائها . ولاول مرة فى تاريخ الثوره العربيةالمعاصرة، ترفعكل الحركات الوطنية فى كل انحاء الوطن العربى ، وفى كل مستوياتها شعار الوحدة باعتباره أحد الشعارات الاساسية .

ولكن الوحدة لم تكن مجرد تجميع لاوضاع وانظمة ، ولم تكن مجرد اقامة هيكل سياسى واحد . وهى ايضا لم تكن مجرد جمع الصفوف فى مواجهة الاستعمار ومشاريعه وخططه العدوانية . لقد كانت تعبر عن روح العصر الحديث ، عن روح المرحلة التاريخية التى يجتازها العالم ، مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية . وحين لم تع حقيقة ان الوحدة القومية قد كفت عن ان تكون الوحدة القومية التقليدية ، بدات حركةالثورة العربية مرحلة جديدة . فلقد كانت الثورة القومية المعاصرة قد كفت عن ان تكون الثورة القومية التقليدية ، فى عصر تلاحم الثورات القومية والثورات الاشتراكية . وبالتالى كان الطريق الاشتراكى لثورة ٢٣ يوليو هو الطريق الذىيخلق القوة الذاتية لحركة الثورة العربية ، والوحدة القومية كالشرط الضرورى نحو فلسطين .

ولم يكنمن باب الصدف ان الراسمالية السورية فى الحاحها على الوحدة ، لم تكن نظرتها سوى البحث عن مكان لها فى السوق العربى الى جانب زميلتها المصرية . ولم يكن ايضا من باب الصدفة أن تقود الرأسمالية السورية الانفصال فتلتقى مع الرجعية والاستعمار ، وان تحاول الراسماليةالمصرية بعد ذلك عبثا الانقضاض على الثورة ، وكانتقد حققت نموا لمتحققه طوال تاريخها قبيل قرارات يوليو ١٩٦١ الاشتراكية .

لقد كادت الوحدة الوليدة أن تكون سلاحا لضرب الثوره العربية ، وهى التى قامت لتدفع حركتها نحو الوحدة الشاملة ، ونحو تحرير فلسطين . لقد كان الانفصال اعلى تعبير عن اختلال حركة الثورة العربية . ونتيجة لذلك ارتسمت على ساحة النضال العربى عامة العديد من التساؤلات ، من بينها سؤال كبير . ماذا عن فلسطين ؟.

ومرة أخرى تمسك الثورة المصرية بالحلقة المفقودة

((ان عهودا طويلة من العذاب والامل بلورت فى نهاية المطاف أهداف النضال العربى ظاهرة واضحة صادقة فى تعبيرها عن الضمير الوطنى للامة .

وهى — الحرية — الاشتراكية — الوحدة — بل ان طول المعاناة من اجل هذه الاهداف كاد ان يفصل مضمونها ويرسم حدودها)) (١٠)

هذه الظاهرة التى اتضحت فى الميثاق اكتشفت جمال عبد الناصر ملامحها وسط الغيوم التى ظللت سماء الوطن العربى ، وتركت السؤال الكبير عن فلسطين بلا اجابة . كانت هذه الظاهرة تنمو من خلال ظروف تلاحم الثورة الوطنية بالثورة الاشتراكية . فجانبها الاجتماعى هو فى تحديد الطريق الذى تسلكه الثورة المصرية باعتبارها قاعدة الثورة العربية وقائدتها . وجانبها الوطنى هو قضية فلسطين باعتبارها جوهر قضية الثورة العربية . ولم يكن صدفة أن يشهد عام ١٩٦٠ انعقاد مؤتمر الدار البيضاء الذى يتخذ لأول مرة قرارات واضحة بادانة اسرائيل كقاعدة للعدوان الاستعمارى . وفى ٢٣ سبتمبر من نفس العام يعلن جمال عبد الناصر من فوق منبر الامم المتحدة الاتجاه الثورى لتحرير فلسطين **((أن الحل الوحيد فى فلسطين ، كما هو الحل الوحيد فى الكونغو ، أن تعود الامور سيرتها الاولى .. وان نرجع الى النقطة التى بدا الخطا عندها)) (١١)**

ويشهد نفس العام اجراءات تأميم بنك مصر وتجارة القطن وعددا من الاجراءات الاقتصادية التى وضعت الثورة المصرية على عتبة طريق جديد للتنمية الاقتصادية .

هكذا ضربت الثورة المصرية حصون الاحتكارية فى مصر وقلاعها الجديدة فى سوريا ، فى نفس الوقت

(١٠) الميثاق : باب ضرورة الثورة
(١١) من خطاب جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٠ فى الامم المتحدة

الذى طرحت فيه قضية فلسطين والطريق الى حلها ، فعزلت الرجعية والاحتكارية عن الراسمالية الوطنية فى مصر وسوريا . وكسبت جماهير الثورة العربية ، فقد عبرت عن آمالها القومية وأهدافها الاجتماعية .

وتكتمل ملامح الظاهرة بجانبيها الوطنى والاجتماعى ، فيشهد عام ١٩٦١ الاجراءات التى أعقبت قوانين يوليو سنة ١٩٦١ (بعد ان بدت محاولة الانقضاض الرجعى على الثورة الاجتماعية عملية حاسمة لازالة عهود الاقطاع والرجعية والتحكم) (١٢)

وفى نفس الوقت ينعقد مؤتمر دول عدم الانحياز ليتخذ ولاول مرة قرارات حاسمة تدين اسرائيل كقاعدة للعدوان الاستعمارى ، واداة لتسلله الى بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

وهكذا تحددت العلاقة بين الثورة العربية وتحرير **فلسطين (فصنع التقدم بالطريق الرأسمالى .. لايمكن الا أن يؤكد الحكم للطبقة المالكة للمصالح والمحتكرة لهـا) (١٣) . ((واسرائيل ارادها الاستعمار ((عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للامة العربية تشغلها عن حركة البناء الايجابى)) (١٤)**

ولهذا (**(كان الحل الاشتراكى حتمية تاريخية فرضها الواقع وفرضتها الامال العريضة للجماهير كما فرضتها الطبيعة المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين)) (١٥)** .

ومرة أخرى تمسك الثورة المصرية **بالحلقة الاساسية** فى الثورة العربية . ويخلق حدث الانفصال ذاته نقطة تمضى بعدها الثورة المصرية فى الطريق الاشتراكى فكرا وتنظيما فيزداد التحامها بالثورة العربية . وتكتشف قانون حركة الوحدة العربية . فلم تعد الوحدة تعبيرا عن مصالح البورجوازية التى توحد نفسها فى مواجهة الاقطاع وهى لم تعد ايضا تعبير عن توحيد كل قوى الامة لمواجهة الاستعمار وخططه ومشاريعه . وأنما أصبحت تعبيرا عن آمال الطبقات الشعبية المطحونة الساعية الى التغيير الاجتماعى . وبارتباط حركة الوحدة العربية بحركة الثورة العربية، أصبح موقف الطبقات الاجتماعية فى الثورة ، هو نفس موقفها من الوحدة، وهو نفس موقفها من قضية فلسطين. لقد ادى منطق الوحدة الى التحام النضال الاجتماعى بالنضال السياسى للجماهير الشعبية صاحبة المصلحة فى الاشتراكية على نطاق العالم العربى .

وأدى منطق الانفصال الى تكتل قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية لتواجه الوحدة العربية بمضمونها الاشتراكى . وأدى ذلك بالضرورة الى انقسام القوى السياسية على نطاق العالم العربى ، وحدوى وانفصالى ، كتعبير عن الانقسام الفكرى والاجتماعى . ان (**(اللقاء بين القوى التقدمية الشعبية فى كل مكان من العالم العربى . والتجمع الذى تقوم به العناصر الرجعية والانتهازية فى العالم العربى هو الدليل على وحدة التيارات الاجتماعية التى تهب على الامة العربية ، وتحرك خطواتها وتنسقها عبر الحدود المصطنعة)) (١٦)**

وترتيبا على ذلك (**(ان وحدة الهدف لابد انتكون شعار الوحدة العربية فى تقدمها من مرحلة الثورة السياسية الى الثورة الاجتماعية)) (١٧)** .

((فالثورة الوحدوية التى حدثت فى سوريا عام ١٩٥٨ وانتكست بالانفصال عام ١٩٦١ ، حققت للعالم العربى شيئا كبيرا جدا ، عندما اقامت الدليل على أن شعار الوحدة هو شعار جدى قابل للتطبيق وليس مجرد شعار عاطفى ، وان الامة العربية أمة واحدة وان كل من تصدى للوحدة سقط فى نفس الوقت)) (١٨) .

غير انه حين عجزت قطاعات هامة من القوى الثورية ، عن فهم الحقائق الفكرية والسياسية والاجتماعية للثورة العربية التى كشفت عنها تجربتى الوحدة والانفصال ، عجزت عن فهم شعار وحدة الهدف . دل على ذلك محادثات ١٧ ابريل التى طرح فيها وحدة أداة العمل العربى الاشتراكى كضرورة لوحدة الثورة العربية الاشتراكية ،ووحدة الاداة السياسية لاقطار — دولة الوحدة — كاساس لازم للوحدة الدستورية ، وحين غابت هذه الحقيقة الفكرية الهامة عن أجنحة عديدة من حزب البعث انتهت الى ان تكون من قوى الثورة المضادة .**ولان هذه الحقيقة الفكرية ما زالت مفقودة عن قطاعات هامة من القوى التى ما زالت تتمسك باهداف النضال العربى باعتبارها . حرية . وحدة . اشتراكية ، فقد عجزت عن فهم المضمون الاجتماعى الجديد للثورة العربية ، والقانون الذى فرضه على حركة وحدتها .**

ان شعار حرية اشتراكية وحده يستند الى عدد من الحقائق الفكرية والسياسية والاجتماعية للثورة العربية كشفتها تجربتى الوحدة والانفصال.

● ان ثورة ٢٣ يوليو بانتقالها الى مرحلتها الاشتراكية ، انقذت الثورة العربية من كارثة كادت

---

(١٢) الميثاق : باب حتى الحل الاشتراكى (١٣) و (١٤) الميثاق : باب درس النكسة (١٥) الميثاق : باب حتمية الاشتراكى
(١٦) الميثاق : باب الوحدة العربية (١٧) الميثاق : باب الوحدة العربية
(١٨) من حديث جمال عبد الناصر الى مجلة الحوادث اللبنانية مارس ١٩٦٦

ان تقع . وقد كان طريقها الاشتراكى بما سبقه من تمهيدات اقتصادية واجتماعية وسياسية هو صمام أمن الثورة العربية والوحدة العربية ، وهى بذلك نقلت مفهوم الوحدة العربية عن موقعها القديم ، حيث تجاوزت أطار الظروف الوطنية التى قامت فيها الوحدة عام ١٩٥٨ ، وبالتالى نقلت مفهوم العمل الثورى لتحرير فلسطين .

● ان الوحـــدة العربية قد تحـــولت لتـــكون تجسيدا لحركة التغير الاجتماعى وأداتها . وأن التحام النضال الاجتماعى بالنضال السياسى جعل قضية الوحدة فى يد القيادات الشعبية المعبرة عن الجماهير صاحبة المصلحة فى الاشتراكية . واصبحت العلاقة بين الوحدة والتقدم يقابلها العلاقة بين التجزئة والتخلف . وأن الوحدة السياسية لاتجد أساسها الا فى وحدة الفكر والعمل . ووحدة الفكر والعمل لا تتحقق بغير وحدة الحركة الاشتراكية . وان الكفاح من اجل الوحدة ، والكفاح الوطنى فى كل مستوياته قد ارتبطا بالاشتراكية رباطا لا ينفصم . وتأكد بالتالى حقيقة قضية فلسطين باعتبارهـــا جوهر الثورة العربية .

● ان وحدة الاداة السياسيـــة اساس لازم لتحقيق الوحدة الدستورية لاى وحدة عربية . واداة ذلك هى وحدة العمل العربى باعتباره الاساس لوحدة الثورة الاشتراكية العربية . وارتباط هذه الاداة بحركات التحرر الوطنى فى جميع مستوياتها، وقيادتها له ضرورة فرضتها التطورات العميقة التى شقت طريقها فى الثورة العربية فاكتسبت مضمونها الاشتراكى . وهى بذلك تحمى ظهر معركة تحرير فلسطين .

● ان ثورة مصر وقيادتها الثورية تشكل المحرك التاريخى للثورة العربية فى حركتها المعاصرة . انها قيادة وقاعدة اى تحرك وطنى او اجتماعى ، وان كل انعزال عنها يعرضها للانهيار ، ومعاداتها يهدد بالوقوع فى شرك الثورة المضادة . وبالتالى فاى عمل فلسطينى مستقل عن الثورة العربية وقيادتها نصيبه الدمار المحقق .

● ان تعقـــد حركة الثورة العربية لم يفـــك الارتباط المصيرى بين الثورة العربية وقضية تحرير فلسطين . فالانجازات الاشتراكية ، مثلها مثـــل الانجازات الوطنية، انجازات على طريق فلسطين . وان مابدا انفصاما بين حركة الثورة العربية ، حين انصرفت ثورة ٢٣ يوليو مؤقتا لتدعيم طريق تطورها فى الاعوام التى تلت الانفصال ، كان هو العمل الثورى الذى فرضته الظروف الجديدة التى تشكل معركة تحرير فلسطين . وأن الانبثاق العفوى لعدد من المنظمات الفلسطينية وأن حملت شعار العمل المستقل يعبر عن الضرورة الحتمية لاداة فلسطينية تتولى دورها فى المرحلة الجديدة .

هذه الحقائق الفكرية والسياسية والاجتماعية للثورة العربية هى التى صاغت وحدة الهـــــدف شعارا لها ، غير ان القدرة على استيعابهـــا كان يتطلب قدرا عاليا من الوعى . وحين غابت هذه الحقائق عند قطاعات واسعة من القوى العربية الثورية ، لم تستطع ان تفهم المغزى العميق لسياسة القمة . وترتب على ذلك انقسام الفكر الثورى الى : **قسم مغامر** انتهى الى ان يقف الى جـــانب قوى الثورة المضادة ، **وقسم سلبى** يلوك الـعبـــارات الثورية دون عمل ايجابى ، يطالب القاهرة بكل شىء ولا يعرف ما هو هذا الشىء ، **وقسم حائر** لا يرى فى الواقع الحى اعمق من سطحه . وسمح كل ذلك بهجوم رجعى مسعور على القاهرة ، وعودة ظهور اتجاه المساومة الذى تجسد بعد ذلك فى **((البورقيبية))** ووسط الضباب الفكرى والسياسى والنضـــالى الذى ظلل سماء النضال العربى حتى تاهت قضية فلسطين ، وكاد النسيان أن يطويها ، انطلق الاتجاه الثورى بقيادة جمال عبد الناصر يشق طريقه ، وكانت الدعوة الى مؤتمر القمة الاول .

التاكتيك الثورى فى خدمة الهدف الاستراتيجى

ان احد الاهداف الاستراتيجية للثورة العربية هو تحرير فلسطين ، والاداة الاستراتيجية لتحقيق هذا الهدف الاستراتيجى هو وحدة الهدف .

والهدف الاستراتيجى لايحققه غير اداتـــــه الاستراتيجية . والقيادة الثورية هى التى تستخلص من بين الظروف المتغيرة . والمراحل التاريخية المختلفة ، صياغة الهدف وتحديد اداته . لكن المسالة لا تقف عند حـــدود الصيـــاغة النظرية ، كما ان وعى القيادة بها لايكفى وحده لتحقيقها . وانما يجب أن تلتحم هذه الصياغة النظرية بالجماهير لتكون مصدر حركتها نحو تحقيق الهدف . هنـــا يتقدم التاكتيك الثورى ليقوم بهذه العملية الكبرى ، وهو حين يتقدم ليباشر عمله الثورى لايخضع لنفس الاعتبارات التى تحكم الهدف الاستراتيجى وان كان عليه ان يكون جزءا منه وفى خدمته . فالاستراتيجية هى الهدف المبدئى الثابت، بينما التاكتيك هو الهدف الجزئى المتحرك فى اتجاه الهدف الاستراتيجى . فالتاكتيك اذن يملك الحق فى المساومة والمهادنة

دون تفريط فى الهدف الاستراتيجى الذى لايملك هذا الحق .

لكن ماالذى يحدد الشعار التاكتيكى وبالتالى يحدد أداته ؟ هو الواقع الموضوعى والامكانيات الذاتية . هو الوضع المحدد فى الزمان المحددلقوى الثورة ، والقوى المناهضة للثورة .

بهذا الفهم، وبكلوعيبمبادىء علمالاستراتيجية والتاكتيك ، قاد جمال عبد الناصر الثورة العربية من نصر الى نصر . لم تدر رأسه الانتصارات الضخمة التى حققتها الثورة العربية خلال مسيرتها المعقدة . ولم يركن الى باس آثر هزيمة مؤقتة أو هجوم رجعى مسعور أو حالة جماهيرية سلبية ثقيلة . لكن الذين تعودوا النصر دون جهد يبذلونه لم يفهموا أن المعركة كما تفترض النصر تفترض الهزيمة . وكما تفترض المد الصسارم نفتـرض الجزر الثقيــل .

لقد كان الاصل فى سياسة القمة هو طرح القضية الفلسطينية بكل أبعادها فهل أدت غرضها؟

ان جمال عبد الناصر خلال كل مؤتمرات القمة لم يكن يخاطب الملوك والرؤساء العرب،وانما كان يخاطب جماهير الامة العربية وقيادتها الثورية .

لم يغب عن ذهن عبد الناصر وهو يدعو لمؤتمر القمة الاول ((**أن الرجاء الاصيل معقود بالقوى الثورية وهى وحدهاالتى تقدر علىالقطيعةالكاملة مع الاستعمار، وهى وحدها التى تقدر على أجباره بأن يفك قواعده الباقية فوق الارض العربية .. وهى وحدها التى تقدر على مواجهة التصــفية الحاسمة للخطر الصهيونى**)) (١٩) .

لكن القوى الثورية لم تكن فقط غير قادرة على الحركة نحو هدفها ، وانما كانت أسيرة يأسها القاتل ، وفى المقــابل كان الخطر يدق الابواب . فماذا كان يجب عمله ؟ والسؤال موجه الى الذين يقولون ((**أن مؤتمرات القمة قدمت للرجعية العربية نهاية سعيدة لمعركتها معالحركة الثورية**)) (٢٠) . أما الثورة العربية وقيادتها الثورية فقد صاغت أجابتها من خلال النضــال .

لقد قامت سياسة القمة لتستكشف طريق العمل العربى لتحرير فلسطين . نشأت من طبيعة المعركة بين العرب واسرائيل التى تفرض أشكالا منالحركة السريعة يجب الاستعداد لها . وكانت محاولة للتعرف على مقدرة العمل العربى وعلى التحرك السريع فى مواجهة الخطر الاسرائيلى . لقد كان الخطرالاسرائيلىيتفاقم بسرعة. وكانت مشروعات اسرائيل لتحويل مياه نهر الاردن لتوسع من رقعة ارضها الزراعية يستهدف امرين ، اولهما كسب سياسى جديد باستجلاب مزيد من المهاجرين . وثانيهما ، نواياها الذرية التى اتضحت بشكليهدد بجمل الامور فى بدها . وأمام هذا الخطر المائل وبغير انحراف عن الطريق الثورى لتحرير فلسطين كان لابد من حركة سريعة . حركة لاتتوهم امكانية تجميع الدول العربية بانظمتها الاجتماعية المختلفة ومواقفها الدولية المتباينة فى عمل ثورى موحد ، وانما بغرض استكشاف مواقع العمل العربى وقدرته فى مختلف مستوياته،وتعطى للقوى الثورية فرصة الادراك الاعمق الذى يساعدهم على تطوير عملهم الثورى .

لقد كان العدو من جهة على ابواب بدء تحويل مياه الاردن ، مســتعدا لخلق اسرائيل اخرى فى النقب. والوضع العربى من جهةاخرى كان يعانى الضعف والتفكك . وبدأ الوضع قريبا من الكارثة أو هو الكارثة نفسها . وبدات موجة المساومات والمزايدات من جانب الحكومات الرجعية ترتفع من جديد لتحجب عن العرب الكارثة وهى تقع . وكانت الدعوة الى مؤتمر القمة الاول هو التاكتيك الثورى الوحيد . فهو من ناحية أدخل الارتباك فى صفوف العدو ، ووضع حدا للمســاومـــات والتصريحات الرنانة من الناحية الاخرى . ثم ، وفى المقام الاول طرح القضية الفلسطينية بكل ابعادها ،امام الجماهير العربيةوقياداتها الثورية.

ان براعة التاكتيك الثورى فى سياسة القمة ، تبدو فى أن الدعوة الى مؤتمر القمة الاول كانلمهمة محددة وجزئية فى الاصل ، هى تحويل الروافد العربية لنهر الاردن ، وتأمين الحماية اللازمة لهذا العمل فى وجه المناوشات المتوقعة نتيجة لذلك . ثم يجد المؤتمرون انفسهم أمام الاصل وهو تحرير فلسطين . لم تكن قضية تحويل نهر الاردن فىفكر عبد الناصر مجرد عمل فنى . . وأنما كانت فىالمقام الاول عملا سياسيا . عملا يستهدف طرح القضية الفلسطينية بكل ابعادها ، أمام الجماهير العربية ، وامام قياداتها الثورية التى كان عليها أن تستفيد من ذلك . ان قرارات القمة كانت فى ذاتها برنامجا كاملا للعمل من أجل تحرير فلسطين . فان كانت بديهية ان القمة ليست هى اداة تحقيقه ، فما كان يجب ان تعيه القوى الثورية ، هو حشد الجماهير حول هذا البرنامج . مثلا :

- بفضح التنــاقض بين موافقة الحــكومات الرجعية على (أن الهدف القوى النهائى هو تحرير فلسطين) (٢١) . ثم رفضها بعد ذلك مبدا تحريك الجيوش لدعم الجبهات العربية . وكذلك موافقة دول البترول على أن تقدم الاموال اللازمة للخطة، ثم تقدم بعد ذلك أرقاما هزيلة .

(١٩) من خطاب جمال عبد الناصر فىمجلس الامة ــ نوفمبر سنة ١٩٦٥
(٢٠) مجلة الحوادث اللبنانية .. ابريل سنة ١٩٦٦ (٢١) من قرارات مؤتمر القمة الاول

● وفضح غالبية الدول العربية رفضها لدعوة القيادة الموحدة الى توحيد أسس تسليح وتنظيم الجيوش العربية ، متذرعة بعلاقاتها مع الدول الاستعمارية ، على الرغم من موافقتها على تحديد علاقة «الامة العربية بدول العالم على اساس موقفها من القضية الفلسطينية » (٢٢) .

● كذلك لو ان منظمة التحرير لم تقف مكتوفة الايدى فى انتظار منحها حرية العمل . ولو أنها فهمت أن موقف بعض الحكومات من موضوع تنظيم شعب فلسطين ليس موقفا طارئا ولا عابرا بحيث يمكن تغيره عن طريق المفاوضة أو الخطب .ولو أنها وعيت حقيقة أن كل نشاط لايستند الى حشد وتنظيم شعب فلسطين لايؤثر فى سير المعركة . ولو أن المنظمات والحركات الثورية الفلسطينية التى انبثق معظمها تحت وهم انفصام النضال الفلسطينى عن حركة الثورة العربية بعد مؤامرة الانفصال انصرفت الى توحيد نفسها لتكون اداة حشد جماهير الشعب الفلسطينى بأعلى درجة ممكنة ، وخلال اقصر وقت مستطاع .

لو ان القوى الثورية تحركت فى هذا الاتجاه ، لكسبت قضية فلسطين ، أكثر بكثير مما كسبته الان . ولمكنت القيادة الثورية من تاكتيكات ثورية أخرى تنهض على أساس الواقع الجماهيرى المتطور وبحيث لاتضطر (مهما كانت مآخذها على سياسة مؤتمرات القمة .. ان تتمسك بالصبر وتروض نفسها عليه ، تحت الاعتقاد بأنها فى هذه الظروف بالذات لاتستطيع أن تهجر العمل الجماعى العربى بينما هى الدولة الاقدر على العملية اقتصاديـا وعسكريا حيال خطر طارىء) (٢٣) .

لكن ذلك لايعنى أن القاهرة ستستمر فى تمسكها بالصبر الى مالانهاية . ؟ فلقد أعلن جمال عبدالناصر **(احنا تقريبا على وشك ان ناخذ قرارا فى هـذا الموضوع اذا استمر التكتل الرجعى وتحالـف الرجعية مع الاستعمار فى المنطقة لانه يبقى مفيش فايدة بالنسبة للعمل الموحد)** (٢٤) .

ان اى تاكتيك ثورى يفقـد الغرض منـه فى وقت محدد . وسياسة القمة تفقد قيمتها تماما وتصبح لامعنى لها اذا ما نجحت الرجعية فى التكتل مع الاستعمار فى حلفها «الاسلامى» المزعوم . لقد راحت الرجعية منذ الدعوة الى مؤتمر القمة الاول ، تحركهافكرة ان مبادرة جمال عبد الناصر دليل ضعف ، وان فرصتها باتت مواتية لهجوم رجعى يطيح بمكتسبات الثورة العربية . فلم يكد اول مؤتمر للقمة يختتم اعماله حتى بدت مناورات الرجعية المكشوفة لتخريب قراراته ، فى قضيتى فلسطين واليمن . ثم لجأت الرجعية الى تخريب مؤتمر الاسكندرية الذى صاغ أهداف العمـل الفلسطينى وحدد اسلوب تحقيقها من خلال مزيد من الحشد للقوى العسكرية ، عن طريق التسويف والمساومة على قضية اليمن . ولما وقف المؤتمر الثالث طويلا امام القضية الفلسطينية وراى زاوية الخطر الذى فيها وما يتطلبه من مجابهة اسرائيل بحرب وقائية ، بدأت الرجعية فى تنفيذ الحلقـة الاخيرة والحاسمة فى مخططها . وظهرت الدعوة الصريحة لاقامة الحلف «الاسلامى» الذى يحقق أهداف الدفاع المشترك وحلف بغداد ومشروع أيزنهاور ومنظمة المعاهدة المركزية دفعة واحدة . هنا تفقد سياسة القمة جوهرها ويصبح القرار الثورى بشأنها امر تفرضه ضرورة المرحلة الجديدة للنضال الثورى .

فماذا بعد القمة ؟

ومابعد القمةهو التاكتيك الذى تفرضه الظروف الجديدة. ان الجوهر الثورى للتاكتيك هو قدرته على معرفة حركة العدو ليضربها فى اضعف حلقاتها . والحلف «الاسلامى» الذى تستميت الرجعيـة والاستعمار لتحقيقه ، يمثل اليوم أضعف نقطة فى حركة القوى المضادة للثورة . من هنا فان مهمة التاكتيك اليوم هو حشد أوسع الجماهير العربية فى مواجهته ، فى نفس الوقت الاحتفاظ بشكل مؤتمر القمة ليمنع الحركة الطليقة للرجعية .

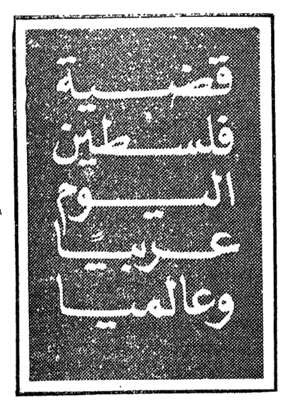
واذا مانجحت الرجعية فى تحقيق مؤامرتها تكون قد افتضحت تماما وبالتالى يتحدد التاكتيك على ضوء الظروف الجديدة . يؤكد جمال عبد الناصر ذلك بقوله **((اذا استمرت القوى الرجعية العربية فى عملها يبقى لابد أن يكون هناك قرار للانطلاق لقوى الثورة العربية من العمل العربى الموحد ونسير فى العمل الثورى الموحد))**

أن التاكتيك الثورى الجديد جوهره هو الانتقال الى مواقع الهجوم ، بعد أن طرحت أبعاد القضية الفلسطينية واستقطبت قوى الثـورة ، وقواها المضادة .

((ان واجب القوى التقدمية والقوى الثورية فى العالم العربى أن تتحد وتواجه تحالف الرجعية مع الاستعمار))

ونقطة البدء كيما تتحد هى الوعى بحقيقة أن جوهر اهداف النضال العربى التى صاغها الميثاق الوطنى وبترتيبها الزمنى ، حـرية ، اشتراكية ، وحدة ، هى جوهر قضية فلسطين. ويفرض ذلك بالضرورة أن تنتقل قضية فلسطين لتحتل مكانها فى الميدان الفكرى . أن الاتفاق الفكرى ، سوف يمتد بالضرورة الى كل القوى التقدمية فى العالم ، ليشكل موقفا سياسيا واحدا يخوض معركة القضاء على اسرائيل أكبر مؤامرة عرفها التاريخ .

(٢٢) من مقال لمحمد حسنين هيكل بالاهرام ١٢ اكتوبر١٩٦٥
(٢٣) من خطاب جمال عبد الناصر فى السويس فبراير١٩٦٦
(٢٤) من خطاب جمال عبد الناصر فى السويس مارس ١٩٦٦





د. برهان الدجاني

يعتمد وضع قضية فلسطين على «الحصيلة المجموعية» لتفاعل عدد من العوامل التي يمكن تلخيصها تحت العناوين التالية :

- التطور العربى ، فكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا .
- وضع اسرائيل واوضاع الصهيونية العالمية فى مختلف انحاء العالم .
- التفاعلات والمحاورات والمساومات بين الدول الكبرى التى تهمها قضية فلسطين ،بصورة مباشرة او غير مباشرة .
- التطورات التكنولوجية العسكرية ، ومالها من اثر فى تقرير نوعية النضال وتوقيته .
- «الثورية» فى العالم ، واوضاعها مفهوما وقوى .

وساحاول ان اتناول بايجاز تام كلا من هذه العوامل .

اولا : التطور العربى وأثره فى قضية فلسطين

لوعدنا القهقرى الى الفكر العربى المعاصر لكارثة فلسطين عام ١٩٤٨ ، لوجدنا ان هذا الفكر قد اصاب فى تشخيص الداء حين ارجع الكارثة الى عوامل ثلاثة : اولها التخلف العربى ، العلمى ، والاجتماعى والاقتصادى ، وثانيها تجزئة الوطن العربى الى دويلات عديدة ، وثالثها حلف الاستعمار والصهيونية العالمية ، يستفيد من التخلف والتجزئة فى الوطن العربى ،

ويغذيهما ويدعمهما بشتى الوسائل ، حماية لاسرائيل وللمصالح الاستعمارية فى الوطن العربى .

فكان لابد اذن ان تجرى المعركة العربية من اجل استعادة فلسطين على ثلاثة ابعاد : التقدم العام ، والسعى الملح للوحدة العربية ، والصراع المستمر للقضاء على الاستعمار فى الوطن العربى اينما وجد ، وتحت اى اسم تستر .

ولقد استطاعت الامة العربية فى موجة تقدمها العارمة بين سنوات ١٩٤٨ — ١٩٥٨ ان تسجل انتصارات باهرة فى الابعاد الثلاثة . فجاءت الثورة المصرية (١٩٥٢) تحمل للامة العربية معنيين ، **اولهما** تحديد معالم التقدم محتوى ونهجا . فمن ناحية المحتوى سيتم التقدم اولا وقبل كل شيء فى مصلحة الشعب كل الشعب ولاجله ، وسيكون على كامل الجبهات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية ، ومن ناحية النهج ، سيكون النهج ثوريا ، اى ملحا ، ومستحثا ، ومستعدا للقضاء على جميع القوى المعرقلة ، او العاملة على تحريف التقدم او استغلاله لمصلحة فئة دون مصالح المجتمع باكمله . **اما المعنى الثانى** الذى حملته الثورة المصرية للامة العربية فهو تاكيد عروبة مصر تاكيدا وضعها فورا موضع القلب فى التحرك العربى كله ، وحملها فى الوقت نفسه مسئوليات جسام ، نحو تحريك المجتمع العربى والدفاع عنه فى مواجهة الاخطار المختلفة .

فى مجال النضال ضد الاستعمار ، قامت عدة معارك ضارية ، متشابكة ، متسلسلة : معركة حلف بغداد ، معركة العدوان الثلاثى ، معركة الحصار الاقتصادى : على المستوى العربى العام ، والثورتان اللبنانية والعراقية على المستوى المحلى ، حيث تمكنت الثورة العربية العامة من حماية هاتين الثورتين . واتخذت هذه المعارك اقسى الاشكال واضراها ، وشهرت فيها جميع الاسلحة . من الحرب المكشوفة : (معركة العدوان الثلاثى) ، الى الانزال العسكرى (نزول الجيوش الاميركية والبريطانية فى لبنان والاردن عام ١٩٥٨) الى الحرب الاقتصادية والمنازلة السياسية ، والحرب الدعاوية والنفسية ، وقد خرجت الامة العربية من هذه المعارك كلها منتصرة بشكل كان يبدو وكانه انتصار حاسم يفتح أمامها مجالات لا حد لها للمستقبل .

وفى مجال السعى للوحدة العربية قامت عام ١٩٥٨ الوحدة بين مصر وسوريا ، ولعلها كانت اول وحدة طوعية فى التاريخ .

لقد كان عام ١٩٥٨ ذروة عالية فى المسيرة الثورية العربية ، وبدا هذا العام يوم ١٤ يوليو من تلك السنة ، وكانه حمل للعرب من ثمرات كفاح عقد من الزمن ، قدرا لايقل عن اكثر ماتاملوه .

اننا نعتقد ان كارثة فلسطين كانت محور هذه الاحداث الضخمة كلها ، وكانت الرابطة التى تحكم رباطها .

ولقد لعب الشعب العربى الفلسطينى دورا اساسيا فى هذه الفترة . فهو الذى اوقف زحف حلف بغداد الى الاردن ، والواقع ان حلف بغداد سقط فى عمان والقدس ، اثر فشل زيارة **تمبلر** . وهو الذى دفع الحكم الاردنى الى مسايرة المسيرة الوطنية ، والدخول فى معاهدات الدفاع الثنائية لعام ١٩٥٦ ، وهو الذى خاض معركة الدم والسلاح الى جانب شقيقه — شعب مصر — عام ١٩٥٦ وكانت وقفته فى **رفح** ، فى ظروف عسكرية مستحيلة هى الصدى والاستجابة لوقفة البطولة الرائعة فى **بورسعيد** . فرفح وبورسعيد وقفتان توأمتان فى يوم من ايام التاريخ الكبرى . وهو الذى شق الطريق للافكار التى نادت بها الثورة المصرية ، ورفع شعاراتها حيث وجد . وهو الذى بقى فى الساحة يوم بدأ الاستعمار والرجعية هجومهما المضاد ، وعلى اجساد ضحاياه بالدرجة الاولى دخلا دمشق يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، ويوم ١٨ يوليو سنة ١٩٦٣ .

انما نسوق هذه الحقائق لان تفهمها ضرورى للموجة الثورية العربية التالية ، التى نعتقد انها ستحقق النصر النهائى الحاسم للامة العربية .

فالواقع ان التقدم الاقتصادى الاجتماعى هدف لكل مجتمع ، وكان لابد ان يتجه اليه المجتمع العربى فى كافة اجزاء الوطن العربى — بدون فلسطين .

والوحدة العربية كانت مطلبا عربيا قبل فلسطين

والنضال ضد الاستعمار نضال كل شعب اينما كان .

غير ان الخروج بهذه الاهداف كلها من الاطار المحلى لكل بلد عربى على حدة ، وربطها جميعا فى «ثورة عربية» واحدة ، لايمكن ان يتم الا من خلال فلسطين : ارضا ، وشعبا ، وهدفا فوق كل هدف ، وقبل كل هدف . بدون ارض فلسطين ، لاتقوم وحدة عربية اطلاقا . بدون ارض فلسطين ، وشعب فلسطين — مخلصا — لاتتحقق وحدة بين الشعوب العربية اطلاقا . لان الوحدة من حيث التعريف هى «الخلاص» و «الحماية» لكل شعب عربى ، ولكى تتحقق يجب ان تثبت انها فعلا خلاص وحماية . واذا تكلمنا عن وحدة الهدف ، فان فلسطين فى هذه المرحلة من تقدم الامة العربية

هى الهدف الوحيد الذى يستطيع العرب جميعا ان يلتفوا حوله . ولقد اثبتت احداث ١٩٦٣ وما بعدها هذه الحقيقة .

بدون استعادة ارض فلسطين هدفا فوق كل هدف، يبقى كل نضال عربى نضالا منعزلا، ومعزولا وعاجزا تماما عن تحقيق اى هدف .

كان يبدو لنا عام ١٩٥٨ ان الطريق الى الوحدة العربية والحرية والاشتراكية للشعب العربى ، توصلنا الى فلسطين . ولقد علمتنا التجارب ان الوضع هو العكس . فان فلسطين وحدها هى التى توصلنا الى الوحدة العربية ، والاشتراكية العربية، والحرية العربية. بدونها ستكون «وحدات» لا « وحدة » وبدونها قد تكون « اشتراكيات » لا « اشتراكية » . وبدونها لن تكون حرية .

ثانيا : اسرائيل والصهيونية العالمية

اسرائيل والصهيونية العالمية وجهان لقطعة نقدية واحدة . ومصدر القوة الذاتية لاسرائيل (خلافا للقوة الاحتياطية الداعمة التى هى الاستعمار الغربى) لايقتصر على الامكانات الموجودة فى اسرائيل نفسها ، بل يتعداها الى قوى الصهيونية العالمية اينما وجدت . والصهيونية العالمية هى السلطة التى حشدت جانبا من يهود العالم ،وعبائهم ودفعتهم الى فلسطين ـــ بحماية من الاستعمار طبعا ـــ وزودتهم بالمال وبالسلاح والمدد ، ودعمتهم بالقوة السياسية ، والدعاوية ، وسخرت لهم الكثير من ادوات السلطة ـــ العلنية والمستترة ـــ المنتشرة فى كثير من بقاع العالم ، واقامت منهم اسرائيل . وللصهيونية العالمية تنظيمها الخاص اى لها حكومتها الخاصة التى تحكم الصهيونيين فى جميع انحاء العالم ، وتوجههم . ويمارس هذا التنظيم كثيرا من الاعمال والواجبات التى تمارسها الحكومة . فهو يعقد الاحلاف السياسية ،ويصادق ويعادى ، ويتبادل المنافع ، ويخوض المعارك ، ويرغب ، ويرهب ، ويبتز ويعقد القروض ويستدرج المساعدات ويستعمل جميع الوسائل التى تستعملها الدول علنا ، او التى تستعملها بعض اجهزة الدول السرية خفية . وهذا التنظيم يضع كامل امكانياته وقدراته حاليا فى خدمة اسرائيل ، لتكون فى نهاية الامر تجسيدا لحلمه ـــ اى دولة تضم اليهود ـــ جلهم او كلهم ـــ وتقوم على رقعة متسعة من الارض ، تمتد من الضفة الشرقية للسويس حتى الضفة الغربية للفرات متوغلة فى الجنوب الى ابعد نقطة تستطيع الوصول اليها فى الحجاز وشبه جزيرة العرب ، وفى الشمال الى اقصى نقطة تستطيع الوصول اليها فى بر الشام .وعاصمة التنظيم الصهيونى اليوم هى مدينة نيويورك طبعا .

وليست اسرائيل بالنسبة للصهيونية العالمية الا كالحكومة المحلية بالنسبة للحكومة المركزية فهى من ناحية تعبير الصهيونية العالمية عن نفسها ـــ وهى بالتالى راس الجسر الذى اقامته هذه الحركة فى اندفاعها المستميت نحو هدفها ـــ وهى من الناحية الثانية ، معتمدة فى وجودها على الصهيونية العالمية ، اى على ماتعبئه لها الصهيونية العالمية من دعم سياسى ومالى وسلاحى وبشرى .

واذا ماوجدت بعض اختلافات فى وجهات النظر بين الحكومة الصهيونية العالمية وحكومة اسرائيل فتلك اختلافات راجعة الى اختلاف زاوية النظر الى نفس الهدف . فاسرائيل اكثر تاكيدا على عناصر الميدان المحلى والصهيونية العالمية اكثر ادراكا لحل الميدان العالمى الشامل التى تعمل من ضمنه . غير ان وجهات النظر تناقش يوميا بين الحكومتين وتنسق فى مؤتمر سنوى للصهيونية العالمية ، توزع بموجبه الادوار .

ان حجر الزاوية فى اسلوب العمل الصهيونى العالمى يقوم على اساسين : اولهما تركيز الجهد على عدد قليل مختار من مراكز السياسة والسلطة فى العالم . وقد تنتقل المراكز المختارة تبعا للظروف المتغيرة ، وقد ينتقل التاكيد فيها من مركز الى اخر . وهكذا تعاقب العمل على مراكز السلطة فى برلين ولندن وباريس واسطنبول وواشنطن قبل الحرب العالمية الاولى . اما الاساس الثانى فهو التحكم فى مركز من مراكز النفوذ الاولى فى العالم ، على ان يختار هذا المركز على اساس تاثيره فى العالم وقدرته على خدمة الصهيونية العالمية من ناحية ، وتوفر امكانيات تسليط النفوذ عليه من ناحية اخرى . ولقد استطاعت الصهيونية العالمية ان تركز اقدامها فى فلسطين فى سنوات ١٩١٨ ـــ ١٩٤٨ بتسلطها على السياسة البريطانية ، واستطاعت ان تقيم دولة اسرائيل وتثبتها ، بتسلطها على السياسة الاميركية .

ان الاساليب التى تعتمد عليها الصهيونية العالمية فى التوصل الى التسلط والنفوذ ليست سرا من الاسرار ، ولعل آخر كشف لها قد جاء فى التحقيق الذى اجراه مجلس الشيوخ الاميركى فى النشاط الصهيونى بالولايات المتحدة الاميركية قبل ثلاث سنوات . ولكن من جملة قدرات التنظيم الصهيونى العالمى ، القدرة على طمس معالم هذه الحقائق كلما اطلت برأسها ، مستغلة بذلك الظروف وشتى الوسائل والادوات .

ولاتراعى الصهيونية العالمية فى تحركاتهـــا اطلاقا مصالح الدولة التى تعمل من ضمنها ، ولكنها قد تدخل فى تفاهم او تحالف مع دولة ما وضد غيرها فى سبيل هذه المصالح . مثلا فانها فى عام ١٩٤٨ ، اذ كانت على تحالف مع الولايات المتحدة الامريكية ، بحيث استطاعت ان تسخر كامل نفوذ هذه الدولة الكبيرة لتحقيق قيام دولة اسرائيل يبدو ــ كما قيل فى الاتهامات ــ انها لم تتورع عن تسليم الاسرار الذرية الامريكية الى الاتحاد السوفيتى ، (وكل الذين ادينوا بتهمة افشاء هذه الاسرار ، كانوا من الصهيونيين) لتنال بذلك موافقة الاتحاد السوفيتى ايضا على قيامها ، واعترافه الفورى بها . ولكنها عادت بعد ذلك الى تحالفها المستتر مع الحكومة الامريكية فى الحرب الباردة خلال العقد الخمسينى ــ ذلك التحالف الذى كانت ابرز ثمراته الثورة الرجعية فى المجر عام ١٩٥٦ ، التى تم توقيتها مع ذلك لتناسب العدوان الثلاثى على مصر ، فاخذت بها الحكومة الامريكية نفسها على غرة ولم تتمكن من استغلالها والافادة منها .

والاسلوب السياسى الذى تنهجه الصهيونية العالمية حاليا هو اسلوب التفاوض والمحــاورة، على اساس انها تملك مفاتيح السياسة الامريكية وان صداقة امريكا وعداوتها رهن بمشيئتها . فهى «حاجب» الدولة الامريكية الذى يسمح ،ويمنع ويكافىء ويعاقب . وقد لاتستسلم السياسة الامريكية كليا لهذا الوضع ولكنها لاتنكره . بل يبدو احيانا وكانها تغذى هذا الوهم فى العالم او تدفع لتغذيته . فعلاقة الصهيونية العالمية الابتزازية مثلا مع حكومة المانيا الغربية كان يبدو انها قائمة على وهم تحكمها بالسياسة الامريكية ، بحيث توهمت المانيا الغربية انها لن تحصل على رضا امريكا الا باسترضاء الصهيونية العالمية . لقد حلبت الصهيونية العالمية المانيا الغربية مالا وسلاحا ، واستمرت فى التشهير بها مع ذلك (محاكمة ايخمان) محافظة على هذا الوضــع الابتزازى . والان ، يبدو وكانها تريد ان تنجــه فى لعبتها هذه شرقا وتحاول ان تستدرج الاتحاد السوفيتى الى التوهم بانها هى التى تدفع احداث «ذوبان الجليد» بين الشرق والغرب الى تفاهم يتم على حساب مطامع المانيا الغربية فى اعادة توحيد المانيا واسترجاع جانب من اراضيها المفقودة. اى هى تسير فى اتجاه الريح وتزعم للذين يستفيدون من اتجاهه بانها هى التى تحركه ، وتامل ان تحصل بذلك ثمنا لقاء المنافع التى يجنونها من وراء اتجاه الريح .

تلك هى تحركات الصهيونية العــالمية . اما اسرائيل ، فهى بالطبع ، بصفتها جزءا من الجهاز الصهيونى العــالمى تنسق اعمالها معه ، فتارة تعمل هى بصفتها دولة «مسؤولة» من خــلال اجهزتها الحكومية . وتارة تقوم الصهيونية العالمية ــ وهى **حركة مستترة و «غير مسؤولة»** بالعمل الا ان هنالك اعمالا لايستطيع القيام بها سوى اسرائيل بحكم الموقع . مثلا الحرب النفسية ضد العرب ، والتسلل التخريبى فى المجتمع العربى ، من اختصاصها . كذلك فان اللامركزية الناجحة تقضى بأن يكون لها مجال واسع من الاختيار «الميدانى» فهى التى تقوم بالتحركات العسكرية على كامل نطاق الحدود مع الدول العربية . وهى المسؤولة عن التنظيم العسكرى فى مواجهة الدول العربية وعن المحافظة على صيغة ما من صيغ ميزان القوى بتنسيق مع مصادر التسليح فى الخارج من جهة وبعمل متواصل لزيادة القوة العسكرية الاسرائيلية من الجهة الثانية . والصيغة الاسرائيلية لميزان القوى هى :

- تطوير كفاءة القوات المحاربة الاسرائيلية تعويضا عن التفوق العدد العربى .
- تطوير اســلحة اكثر **ثورية** من الاسلحة العربية مع السعى للوصول الى السلاح الذرى
- فى حالة الاشتباك الاعتماد على التحركات الداخلية السريعة ، والمفاجاة ، والنهج غير التقليدى الذى تفترض بان القيادات العربية ستنهجه .

اسرائيل وقوى التجزئة فى الوطن العـــــربى

•

من الناحية السياسية يقوم اسلوب الحركة الاسرائيلى حاليا على اساس من وهمين تخادع بهما رعاتها وحلفائها ، اولهما ان حركة الوحدة العربية هى حركة عاطفية بل شبه وهمية ، وانها لاتستطيع وربما لاترغب باقامة دولة عربية واحدة، وان الدول الحالية بالتالى ستصبح كل منها مع الوقت «دولة قومية» ان لم تكن قد اصبحت كذلك بالفعل ، وان مصــالح حكوماتها ستصبح بنــاء لذلك مصالح قومية ، ولايعود هنالك تناقض بين مصالح الحــاكمين لدولة عربية ومصـــالح الامة العربية بمجموعها ، لان كل دولة هى امة ، والامة العربية هى وهم . ثانيهما ان بين بعض الحكومات العربية وبين اسرائيل فرص التبادل المنافع . مثلا فان اسرائيل هى التى منعت قيام الدولة العربية الواحدة . فكل حكومة تريد بقاء نفسها كدولة قائمة

بذاتها مدينة الى حد ماحتى بوجودها الى اسرائيل ذاتها . فهى واسرائيل تبقيان معا وتسقطان معا .

وبعبارة اخرى فان وجود اسرائيل ليس مجرد دعم للتجزئة العربية بل هو رهن بوجوده . فاذا زالت التجزئة العربية امكن القضاء على اسرائيل والاهم من ذلك انه اذا قضى على اسرائيل زالت التجزئة العربية .

ان تكاتف اسرائيل وقوى التجزئة فى الوطن العربى لمن اهم اسباب نكسة المسيرة الى الوحدة العربية — اى الى الدولة العربية الواحدة . ولن تتحقق هذه الوحدة الا بضرب اسرائيل . عندها فقط ينفرط عقد قوى التجزئة انفراطا لاقيام بعده .

واحب قبل ان اختتم هذا الجزء من البحث ان اعطى مثلا على التنسيق الوثيق بين اسرائيل والصهيونية العالمية .

فى نهاية عام ١٩٦٣ وجهت الدعوة الى مؤتمر القمة العربى الاول ، لمواجهة التحويل الاسرائيلى لنهر الاردن بعمل عربى موحد . وانعقد مؤتمر القمة العربى الاول فى مطلع عام ١٩٦٤ ، وقرر اولا تحويل روافد الاردن التى تنبع فى اراض عربية (بانياس بسوريا ، والحاصبانى بلبنان) الى الاراضى العربية واستثمارها فيها . وثانيا انشاء قيادة عربية موحدة ، وثالثا تخصيص ميزانية دفاعية موحدة لدعم القوات التابعة للدول العربية المحاذية لاسرائيل .

على الفور وضع مخطط منسق للعمل الصهيونى والاسرائيلى وجرى تطبيقه بسرعة ، واسفر حتى الان عما ياتى :

● ان مجموع المياه العربية التى يمكن تحويلها من رافدى الحاصبانى وبانياس يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ مليون متر مكعب بالسنة . وقد قامت الصهيونية العالمية بضغط على الحكومة الامريكية لتزويدها بماء بهذا المقدار على الاقل اذا تحققت اسوأ الاحتمالات بالنسبة لاسرائيل وهى نجاح العرب بتحويل هذه الكمية من المياه . وبذلك استطاعت الصهيونية العالمية ان تنتزع لاسرائيل مشروع المفاعل الذرى لازالة ملوحة مياه البحر . الا ان هذا المشروع يعطى اسرائيل علاوة على الماء ، كهرباء ماكانت لتحصل عليها ، وبلوتونيوم بكميات كبيرة وبالغة الخطورة بالنسبة لمجهوداتها للحصول على سلاح ذرى . ولقد حسبت قوة المفاعل على اساس انتاج كمية المياه التى قد ينجح العرب فى تحويلها .

● استدارت اسرائيل بعد ذلك للتصدى للمشروع العربى لتحويل الاردن ، كان لا ارتباط بين مشروع المفاعل الذرى الامريكى ، والزعم بان العرب سيحولون الاردن ، وتصدت بالسلاح لعمليات التحويل فى الجبهة السورية . فاذا نجحت بايقاف التحويل العربى تكون قد حصلت على ضعف كمية المياه التى كانت ستحصل عليها (مياه الاردن + مياه المفاعل) وان فشلت تكون قد عوضت المياه التى عجزت عن تحصيلها على الاقل . **بذلك فانها امنت «الحد الادنى من المكسب» ورفعت حده الاعلى الى الضعف .**

● فى مواجهة القيادة العربية المشتركة وميزانيتها الطويلة الاجل جدا ، ابتزت الصهيونية العالمية لاسرائيل صفقة الاسلحة الالمانية المشهورة ، التى اكملتها امريكا . فاذا قلنا بان القيمة الحقيقية لهذه الصفقة هى ٣٠٠ مليون دولار (القيمة الرمزية لها هى ٨٠ مليون دولار غير ان قيمتها الحقيقية تتراوح بين ثلاثة واربعة اضعاف القيمة الرمزية) فمن المؤكد انها استطاعت ان تحصل على «الفور» مايساوى مارصد للقيادة المشتركة على اجل يمتد سنين طويلة . والسلاح الذى اخذته اصبح « عصفورا باليد » .

● فى مواجهة كل فكرة القمة كانت طعنة بورقيبة ، التى كانت اول اصابة مباشرة اصابت محاولة التحرك العربى المشترك لقضية فلسطين ولقد امنت الصهيونية العالمية التحرك البورقيبى من خلال زعمها التقليدى بانها تملك مفاتيح الخزائن الامريكية وماعلى بورقيبة الا ان يضرب ويرسل وزير ماليته الى واشنطن ليقبض الثمن .

ان مواجهة اسرائيل لاتكون ابدا بالتحدى الشكلى او الكلامى ، فهى دائما تسبق كلامنا بافعال .

ثالثا : قضية فلسطين

فى المعترك الدولى

تعمل الدول جميعا على تحقيق مصالحها القومية قبل اى اعتبار آخر . الا أن الدول قد تختلف فى مقدار مراعاتها للاعتبارات الاخرى الى جانب مصالحها .

وعندما أصدرت بريطانيا وعد بلفور كان فى ذهنها نوعان من الاعتبارات : اولها ايجاد قوة عميلة على مقربة من الضفة الشرقية لقناة السويس لتستند اليها فى شغل القوى العربية وابقائها مجزأة وضعيفة ، فتأمن بذلك بقاءها فى قناة السويس ، وسلامة مواصلاتها الامبراطورية . فكان الوطن القومى اليهودى بذلك يشكل قسما من المخطط الذى وضعه ديزرائيلى ، وأفترق به عن السياسة البريطانية التقليدية التى كانت متبعة حتى ذلك الحين ، والتى كانت قائمة على تدعيم

الامبراطورية العثمانية ومنع انفراطها وانهيارها ، بدلا من ذلك ابتدا ديزرائيلى عملية السلخ والنهب لاجزاء الامبراطورية العثمانية ، فكان ان احتلت بريطانيا قبرص ومن ثم مصر ، واخذت تتطلع الى نصيب لها فى الاراضى العثمانية شرقى قناة السويس **وقد جاءت معاهدة سايكس بيكو ، ووعد بلفور استكمالا طبيعيا لهذه السياسة .**

وبرز قبيل الحرب العالمية الاولى عنصر جديد، هو الثروة البترولية ، التى اكتشفت أولا فى بلاد فارس (ايران) وكان معروفا وجودها فى العراق والخليج العربى . هنا ايضا كان واضحا انشغل المنطقة العربية واستنزاف قواها ، من خلال الوجود الصهيونى ، يخدم الهدف الجديد ، وهو السيطرة على الثروة البترولية العربية ، وعلى طرق نقلها ، (الانابيب والسفن) البرية والبحرية ، الى أوربا الغربية ، وقد انجزت أول خطوط أنابيب البترول كركوك — حيفا ، كركوك — طرابلس (لبنان) قبل الحرب العالمية الثانية .

المواصلات ، والبترول اذن ، هما المصلحتان اللتان تخدمهما اسرائيل لبريطانيا ولاوربا الغربية، ومن ورائها اميركا . ومازالت هذه هي المصالح التى تسعى هذه الدول لتامينها بواسطة اسرائيل

ولكن كيف تخدم اسرائيل هذه المصالح ؟تخدمها بأن تكون عنصر تهديد بل وحرب للعرب ، كلما تحركوا لاستخلاص مالهم من حقوق . بالنسبة للمواصلات مثلا ظهر هذا بالفعل جليا عام ١٩٥٦ فحينما ادركت بريطانيا أنها لن تستطيع بمفردها البقاء فى قناة السويس ، واضطرت الى الجلاء من مصر ، عادت فى السنة نفسها بغزو عسكرى مشترك مع اسرائيل ، وكان القصد سلخ سيناء من مصر ، وجعل الضفة الشرقية لقناة السويس حدا بين مصر واسرائيل ، لتقوم على ضفتى القناة قوتان بدلا من قوة واحدة ، ويكون توازن القوتين وسيلة لتأمين المواصلات عبرها . كذلك تخدم اسرائيل هذه المصالح بأن تقف فى وجه الوحدة العربية ، وتدعم التجزئة العربية ، اذ من الواضح أيضا انه مادام البترول العربى فى ايدى دويلات عربية عديدة ، فسيمكن دوما الانفراد بكل منها وضرب احداها بالاخرى (مثلا مطالبة عبد الكريم قاسم بالكويت) لتلتزم كل منها فى النهاية طريق الامان والسلامة الذى يحدد لها .

وكان يبدو عام ١٩٥٦ أن العرب قد تفهموا أخيرا هذا الارتباط الوثيق بين المصالح الاستعمارية الغربية وبين اسرائيل . واستطاعوا ، بشلهم حركة المرور فى قناة السويس ، وبنسف أنابيب النفط العراقية عبر سوريا ، أن يبينوا أن اسرائيل قد لا تكون الاسلوب الصحيح لتأمين المصالح المتبادلة ، بل ربما كانت هى الخطر الذى يهدد اى مصلحة مشروعة ومتبادلة . فالذى تؤمنه اسرائيل هو استمرار «النهب» ، ولكنها بذلك قد تفوت الفرصة حتى للتبادل السليم والمعقول للمصالح .

ولقد جاء الجواب الغربى واضحا ، وهو تغيير صيغة المبادلة باعطاء العرب جانبا اكبر قليلا من النهب الذى هو حقهم بأى حال ، وجعلهم بالتالى «مدمنين» لهذا التبادل ، مهما كان غير متكافىء ، بحيث يصبحون واقعيا أكثر ارتباطا به ، وأقل قدرة على التحرر منه . وبذلك انقلبت الاسلحة التى بأيدينا ، أما الى اسلحة لانستطيع نحن اشهارها، أو الى اسلحة هم اقدر على اشهارها فى وجهنا . مثال ذلك ان اكثر دول البترول العربية تحررا تعتمد فى ميزانيتها بنسبة ٧٠٪ تقريبا على عائدات النفط، وليس لديها وفر لتغطية حاجاتها حتى لنصف سنة فيما لو دخلت فى معركة اشهر الطرف الاخر فيها سلاح «البترول» ، اى أوقف استيراده لبترولها . فسلاح البترول لايشهر الا اذا كان سلاحا جماعيا واسرائيل تساهم فى التجزئة التى تبعده عن أن يكون جماعيا ، واعتماد الدول العربية المتزايد عليه يضعف من الناحية الثانية قدرتها على اشهاره .

فالدول الاستعمارية تتوهم الان أن الفترة الحرجة التى ربما كانت ستسوقها الى الاختيار بين « تبادل سليم للمصالح » وبين «وجود اسرائيل» والتى كانت ستعرضها لدفع ثمن خسارة كل مصلحة معقولة لها فى المنطقة العربية اذا اختارت جانب اسرائيل قد انقضت ، وانها تستطيع الان ان تتشبث باسرائيل، وسيلة لاستمرار النهب ولو أن مقدار النهب قل قليلا عن ذى قبل ، وان بوسعها فى المستقبل استبقاء هذه الصيغة بالتنازل عن مقادير متزايدة من «النهب» ، بحيث أنها بدلا من الاضطرار لقبول صيغة « التبادل السليم» فورا تستطيع ، بحكم وجود اسرائيل وسياسة «تدمين الدول العربية» أن تستبعدها الى حين ، وكل تأخير لها كسب استعمارى صاف، وخالص .

من العبث اذن التلويح للاستعمار بأن مصالحه فى البلاد العربية مهددة بالخطر اذا استمر فى تأييده لاسرائيل ، كما يقول البعض . مصالحه واسرائيل شىء واحد . ويبدو لنا عمليا ان الصيغة التى اصبحت ممكنة عمليا لمعالجة هذا الارتباط الذى لاانفكاك له هو فى ضرب اسرائيل . وكما أن ضرب اسرائيل هو الطريق الوحيد — فى اعتقادنا — الى تحقيق الدولة العربية الواحدة والمجتمع العربى الواحد ، فهو ايضا الطريق الوحيد لاستخلاص ثروات العرب .

بقى ان نشير الى الناحية المقابلة ، لهذا الارتباط بين اسرائيل والاستعمار الغربى ، وتلك هى امكانيات التفاهم ، والصداقة ، والتكاتف ، بين

العرب وبين القوى المعادية للاستعمار الغربي في العالم ، وهي : أولا الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاوربية ، ثانيا : القوة الاشتراكية الكبرى الثانية وهي الصين الشعبية ، ثالثا :العالم اللامنحاز ، رابعا : الامم المناضلة ضد الاستعمار الغربي .

يجب أن نوضح هنا انه في مجال تنسيق الادوار بين الصهيونية العالمية واسرائيل ، فان الصهيونية العالمية تحاول دائما التهوين والتخفيف من واقع ارتباط اسرائيل بالاستعمار الغربي ، وذلك بابراز جوانب تزعم أنها اشتراكية في الحركة الصهيونية (المزارع الجماعية — الكيبوتس — والنقابية — الهستدروت — ووجود الحركات الشيوعية واليسارية ضمن الحركة الصهيونية نفسها) . ثم أن الصهيونية العالمية تستعمل مع الدول كلها سلاحها التقليدي : الترغيب والترهيب ، مستخدمة في ذلك الصهيونيين المحليين ، ومفاتيح السياسة الاميركية بصورة خاصة والغربية بصورة عامة . فهي تشن مثلا حملات دعاية وتشويه ضد الاتحاد السوفياتي لما تزعمه من اساءة المعاملة لليهود السوفييت ، وتحول الحملة كلها الى محاولة ابتزازية باستدراج ثمن لقاء وعد التوقف عنها . كذلك تلوح بالقدرة التخريبية الداخلية التي تمتلكها الصهيونية العالمية في بلاد توجد بها أعداد كبيرة من اليهود ، ولا تخشى عاقبة من جراء ذلك لانها الرابحة على اى حال . فاذا اثار عملها سخط البلد المختص انعكس السخط ، سماحا بالهجرة اليهودية الى الخارج أي الى اسرائيل . واذا أثار عمله خوف البلد المختص ابتزت هذا الخوف مكاسب تحددها . من ناحية ثانية تناور الصهيونية العالمية بالتلويح بالمكاسب .

في العقد الخمسيني ، وفي فترة الحرب الباردة ، كانت قدرة المناورة الصهيونية تجاه الاتحاد السوفيتي محدودة جدا ، لانها كانت قائمة على قدرتها على التشهير والتخريب فقط . وقدواجهت الاتحاد السوفياتي بعداء سافر ، واجهها بمثله . وجاءت صفقة الاسلحة المصرية — السوفيتية عام ١٩٥٥ اول ضربة في النزال ، وفي عام ١٩٥٦ كانت وقفة الاتحاد السوفيتي الرائعة في جانب العرب ، وفي رسالة الانذار الشهيرة التي أرسلها بولجانين الى اسرائيل ومضة تشير الى أن الاتحاد السوفياتي قد يعيد النظر في وجود اسرائيل « كدولة » في ظروف معينة . ولقد خشيت الصهيونية العالمية هذا النزال واخذت تتراجع وتخفف حدة غلوائها ازاء الاتحاد السوفياتي وتحاول انشاء اتصالات به . وكانت تعتبر التأييد السوفياتي للعرب مشكلتها الاولى ، اذ كانت تتوهم أن العرب لن يمتلكوا لوقت ما القدرة المادية على منازلتها ، الا بمعونة الاتحاد السوفياتي . ولقد تحالفت والتقت مع الدول الغربية في الضغط على الاتحاد السوفياتي على امل التوصل الى صيغة لتوازن السلاح بين العرب واسرائيل . غير ان هذه الجهود كلها ذهبت ادراج الرياح .

ان الصهيونية العالمية تتوهم الان أن قدرتها على المناورة تجاه الاتحاد السوفياتي قد زادت ، بعد ان اتجهت السياسة الاميركية الى مصالحته والتفاهم معه ، ولو على حساب حل نهائي قاصم للمشكلة الالمانية . وهي تحاول استدراج الاتحاد السوفياتي تحت صيغة **(روح طشقند)** الى تخفيف دعمه السياسي والتسليحي للعرب ، وربما مع الوقت الى بذل جهوده لايجاد صيغة ما لتعايش بين العرب واسرائيل ، بشروط اسرائيل والصهيونية العالمية . والطعم هو نوع من **((البيان الرباعي))** ، الذي يضمن الحدود ويعيد صيغة موازنة السلاح . وهي ايضا تحاول أن توهم الاتحاد السوفياتي بأن هذا مكسب له لان هذه «السايكس — بيكو» الجديدة ، هي اعتراف رسمي من قبل الغرب بأن للاتحاد السوفياتي ايضا مصالح «مشروعة» في البلاد العربية ، وذلك مكسب له ، وتحاول أن تزيف عليه بأنه لايخسر مقابل ذلك ، لان صداقته للعرب لم تكن موضع شك ، وبوسعه ان يظهر العملية كلها وكأنها في مصلحتهم .

من الناحية العربية فان صداقة الاتحاد السوفيتي اساسية للعالم العربي ، ونحن نعتقد أن هنالك اسبابا كثيرة ستفوت على الصهيونية العالمية هذه المناورة . فالاتحاد السوفياتي لايمكن أن يتخلى عن دعم التحرر في العالم ، والا عزل ، واضطر الى ان يواجه عالما تسيطر عليه السياسة الاميركية والحوار العربي السوفياتي ضروري لاتقاء الكثير من المناورات الاستعمارية الرامية الى الاضرار بالاتحاد السوفياتي . وحل المشكلة الالمانية أمر حتمي تفرضه كافة الظروف ، وفي مقدمتها القوة العلمية والقوة الرادعة الهائلة التي يملكها الاتحاد السوفياتي . ومن بين الظروف أيضا أن حلفاء المانيا أنفسهم — بريطانيا ، وفرنسا ، واميركا — يخشون بعث العسكرية الالمانية . فالظروف الجغرافية التي جعلت من المانيا عدوة لروسيا ولدول غربي اوربا في آن واحد في حربين عالميتين ، مازالت قائمة ، انما احببنا ان نبين نوع المحاولة الصهيونية ، والامال التي تعلقها عليها .

اما في **الجانب الصيني** فان العداء المستحكم بين المصالح الاستعمارية ، وبين الثورية الصينية ، تجعل من المتعذر قيام اى تفاهم بين الصين والصهيونية العالمية ، رغم محاولات متعددة بذلتها الصهيونية العالمية لاقامة نوع من انواع الاتصال بالصين والصين مع العرب في قضية فلسطين ، الى الحد الذي يستطيعه العرب .

الا أن للصهيونية العالمية واسرائيل نشاطا واسعا فى العالم اللامنحاز . وللجمهورية العربية المتحدة الفضل فى انها متيقظة لهذا النشاط مثابرة على التصدى له . الا أن وضعا جديدا قد اخذ ينشأ من الردة الرجعية والاستعمارية ، فى بعض الدول الحديثة العهد بالاستقلال ، التى تستفيد فيها الصهيونية واسرائيل من عودة الاستعمار وتتعاون معه من جديد .

رابعا : التطور التكنولوجى وأثره على قضية فلسطين

قد يسهو عن بالنا أحيانا اننا نعيش فى عصر لامثيل له فى عصور التاريخ كلها ، وقد لانتنبه الى مالهذه الحقيقة من معان ضخمة ، فى مقدمتها أن الامثلة والاشباه والقرائن والسوابق التاريخية ، أصبحت أقل معنى بكثير بالنسبة الى عصرنا ، وأن الاستنتاجات المبنية عليها يجب أن تؤخذ فى حيطة فكرية اكبر . ويعود هذا الفرق — النوعى لاالنسبى — الى التطور الهائل فى التكنولوجيا عموما ، وفى التكنولوجيا العسكرية بصورة خاصة ، ذلك التطور المتمثل بالاسلحة الذرية ووسائل ايصالها ، وتطوراتها المستمرة ، هى وغيرها من انواع الاسلحة العصرية .

ان هذه التطورات تعكس نفسها على قضية فلسطين بواسطتين : أولاهما من خلال تأثيرها على مجمل العلاقات بين الدول الكبرى ، ذلك التأثير الذى ظهر فى الاتحاد السوفيتى تحت شعار «التعايش السلمى» ، وفى العالم الغربى ، من خلال سياسة استقصاء امكانيات التفاهم مع الاتحاد السوفيتى ، ولو على حساب اشياء كثيرة كانت تعتبر مهمة وعزيزة . ولقد كان لسياسة التعايش السلمى السوفيتية مثلا أثر واضح فى تجنب الاحتكاكات المتفجرة — كما فى كوبا — مما ادى بالتالى الى شىء من التلطيف فى دعم الحركات التحررية ولهذا الوضع تأثيره على قضية فلسطين وواضح أن الصهيونية واسرائيل يبنيان عليه آمالا كبارا . مثلا جاء فى تصريح لبن جوريون — رئيس وزراء اسرائيل السابق فى لندن بتاريخ ٢٤ — ٣ — ١٩٦٦ قوله : «اعتقد بأن السلام بين الدول العربية واسرائيل سيتحقق عندما يزداد التقارب بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة واوربا ، ويمكن أن يتم عندما تتحد أوربا »

هذا هو المجال غير المباشر لما يمكن أن يكون من تأثير التطورات التكنولوجية على أوضاع قضية فلسطين .

أما المجال المباشر فيدور حول امكان حصول اسرائيل على السلاح الذرى . ان خطر هذه الامكانية واضح بحيث أعلن **الرئيس عبد الناصر** صراحة انه اذا تحققت الجمهورية العربية المتحدة من أن اسرائيل فى صدد انتاج سلاح ذرى فلابد لها من خوض حرب وقائية معها . غير أن اسرائيل تسعى بلاشك لامتلاك سلاح ذرى ولايمكن للعرب أن يطمئنوا الى شهادة دولة ثالثة — كالولايات المتحدة الامريكية مثلا — بأن اسرائيل لن تكون بادئة بانتاج سلاح ذرى فى الشرق الاوسط . فمن الاساليب الكلاسيكية فى التصرف الصهيونى كله «العمل تحت مظلة من طمأنة الخصم» ومن أمثلة هذه السياسة، خطاب السلام الذى القاه بنجوريون فى أكتوبر ١٩٥٦ ، بعد أن تم الاتفاق على العدوان على مصر بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا (بموجب اتفاق **فيلا كوبلاى** الموقع بين الاطراف الثلاثة فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٥٦) . ومن أمثلتها أيضا استجلاب السلاح عام ١٩٤٨ تحت ستار الهدنة ومراقبة الامم المتحدة .

ان الاسلحة الذرية لايمكن أن تدفع العرب الى التخلى عن فلسطين ، ولكن يمكن أن تجعل ثمن استردادها باهظا جدا . وكلما زاد الانتظار كلما **غلا الثمن** .

خامسا : الثورية وقضية فلسطين

تتأثر قضية فلسطين بأوضاع القضايا والقوى الثورية فى العالم . ولقد أثر فى هذه الاوضاع بصورة عامة ، النزاع السوفيتى الصينى من ناحية والتراجع السوفيتى بعد كوبا من ناحية ثانية ، وعوامل أخرى متعددة . وهذه التطورات تفرض على القوى الثورية أن تنظم نفسها ، على أساس من التفهم التام لما يجرى فى العالم ، وفى أذهان الناس ، وفى الساحات المحلية .

ان الفرق بين الوضع اللاثورى والوضع الثورى هو أن الوضع اللاثورى هو الوضع الراهن ، والوضع الثورى هو عكسه . واسرائيل هى الوضع الراهن فى الوطن العربى ، وهى المحور الذى يجمع أجزاءه المختلفة : مصالح البترول ، والنفوذ الأجنبى والامتيازات التى تتمتع بها مختلف الفئات ، والتجزء السياسى . وهى جادة فى اظهار هذه الحقيقة ضمن المجال العربى نفسه لتصبح مفهومة هنا بمقدار ما هى مفهومة فى الخارج .

والنضال العربى لاسترداد فلسطين هو الوضع الثورى ، وكما أن الوضع اللاثورى يدور حول اسرائيل ، فان المحور الثورى يجب أن يدور حول النضال لاسترداد فلسطين . أن الشىء الذى تخشاه اسرائيل هو الثورة العربية ، لانها هى وحدها التى تواجه اسرائيل . الاستسلام للاثورة ، للوضع الراهن ، هو استسلام ببقاء اسرائيل . والثورة ، بحكم التعريف ، هى النضال ضد اسرائيل .

فاذا صح هذا فعلى الثورة العربية ان تنظم نفسها على هذا الاساس ، اى على أساس ضرب الوضع الراهن فى قلبه لتنهار اجزاؤه كلها من ثم دفعة واحدة . وهذا التحديد من شأنه ان يزيد الهدف الثورى وضوحا ، لانه يكشف طريق الوصول ، وما على الثورة الا ان تلج هذا الطريق

واسرائيل ، عرفنا ام لم نعرف ، هى أكبر تحد واجه الثورة العربية ويواجهها . والنضال ضدها هو الشعار الذى يستطيع أن يستجمع وراءه اكبر مقدار من القوة ، وأكبر مقدار من الاندفاع .

فلسطين والامة العربية

لقد تحدثنا حتى الان عن قضية فلسطين دون توضيح مباشر لماهية طبيعتهاولحقيقتها الجوهرية رغم اشارات عديدة الى ذلك .

أن قضية فلسطين تعرض عادة ، وكأنها مجرد قضية استرداد الحق العربى فى فلسطين . وهى كذلك فعلا ، ولكنها أكثر من ذلك بكثير .

أن قضية فلسطين هى اولا قضية مصير التراب العربى ، أو جانب كبير منه . فالصهيونية العالمية تطمح فعلا الى امتلاك رقعة من الارض تمتد من الضفة الشرقيه لقناة السويس حتى أقصى الطرف الشرقى لصحراء الشام (الفرات) . أن مطامحها المعلنة تضم جنوبى لبنان باسره (ثلث التراب اللبنانى) ، وجميع الاقسام السورية الواقعة جنوبى دمشق حتى الحدود السورية ، مع فلسطين والاردن . والاردن بضفتيه الشرقية والغربية حتى خط الحديد الحجازى (حيث يقطن ٩٩٪ من سكان الاردن الحاليين) . واقسام الحجاز المقابلة لمداخل خليج العقبة ، وحتى جوار المدينة المنورة . فهى بهذا المعنى قضية دفاع كل شعب عربى عن أرضه ، وكل دولة عربية عن حدودها ، وكل شعب عربى عن مستقبله .

ثانيا : أن اسرائيل هى الحاجز الذى يفصل البلاد العربية بريا عن بعضها البعض ، وقد أثبتت التجارب أنه حاجز فعال فى عرقلة زحف الوحدة العربية ، وفى ضرب هذه الوحدة . كما أثبتت أيضا أنه قادر على ضرب الوحدة العربية ، واقعا ، وأملا ، وعلى تفريق القوى العربية وبعثرتها ، بل حتى على تحريف جانب من القوى العربية المحسوبة أصلا على المعسكر الثورى .

ثالثا : أن اسرائيل أقوى سلاح واداة فى الصيغة الجديدة للسياسة الغربية التقليدية التى تقوم على عزل مصر ، وحصارها ، ومناهضة كل مالها من تاثير فى المجال العربى . وذلك لان مصر تشكل كتلة قوة يحسب حسابها ، وبالتالى ، فانها نواة لدولة عربية تلتحم حولها — تشكل امكانية دولة كبرى فى المنطقة العربية ، التى تعتبر من الناحية ((الجغراسية)) (الجغرافية السياسية) أهم موقع فى العالم . ولقد كانت سياسة بريطانيا مثلا منذ عهد محمد على تقوم على حصر مصر وعزلها ، وذلك اما بالتصدى لها اذا انطلقت من أطاروادى النيل ، أو بضربها فى عقر دارها . وقد فعلت هذا الشىء بالنسبة الى حملة أبراهيم باشا على بر الشام والاناضول ، ووصلت بسياستها هذهذروتها باحتلال مصر عام ١٨٨٢ . وأحدث مثال على هذه السياسة المزدوجة (سياسة التصدى لمصر خارج وادى النيل ، والا ففى عقر دارهـا كانت حلف بغداد (١٩٥٥) وغزو السويس (١٩٥٦) .

أن قوى الاستعمار تعرف ان البلاد العربية الاخرى ، بدون مصر قلب الوطن العربى شىء لاحساب له فى موازين القوى . وان مصر بدون البلادالعربية خطر يحسبحسابه فى موازينالقوى وانوحدة مصروالبلاد العربيةالاخرىهى «الثورة» اى قلب جميع الاوضاع والموازين فى هذه المنطقة من العالم .

فاسرائيل ، **لا ثورة** ، هى القوة المعاكسة التى تحاول الانقضاض على الثورة المصرية

واسرائيل ، **عدوانا** ، هى القوة التى تتطلع الى احتلال جانب من أرض مصر ، (سيناء) وتدمير سيطرة مصر على قناة السويس .

واسرائيل ، **حصارا** ، هى القوة التى تعمل الوحدة العربية ،

واسرائيل ، **حصارا** ، هى القوة التى تعمل لعزل مصر .

ومن الناحية المقابلة ، فان :
مصر **ثورة** ، هى الامل لشعب مصر وللشعوب العربية .

ومصر **قوة عسكرية وتقدما وصناعة** ، هىالقوة العربية الرادعة والدافعة من ناحية ، وهىصاحبة المسئولية الاولى نحو المستقبل العربى من الناحية الاخرى .

ومصر **عروبة** ، هى الامل لمستقبل عربى واحد مزدهر .

أن فى البلاد العربية قوى ثورية ، ولكن مصر وحدها هى «الدولة الثورة» فى الوطن العربى .
تحت راية المسئولية المصرية الثورية وحدها ، يمكن تجميع القوى الثورية العربية لمواجهة اكبر تحد للامة العربية .

والوقت يجرى سراعا .
أين المفر ؟

البنك الأهلى وبنك مصر .. وقضية السيطرة الاستعمارية

د. فــؤاد مرسى

عندما اتخذت الثورة قرارها التاريخى فى فبراير ١٩٦٠ بتأميم البنك الاهلى وبنك مصر،كانت فى الواقع تجرى عملية ثورية عظيمة الخطر ، تنطوى على جانبين لم يعد لهما بعد أن ينفصما وهما: أولا ــ تصفية الاستعمار من القمة ، وثانيا ــ سبر أغوار الرأسمالية الكبيرة تبشيرا موضوعيا باجراءات يوليو ١٩٦١ . فقد كان تأميم البنكين ختاما لحقبة اقتصاد المستعمرات ، وافتتاحا للانعطاف التاريخى من طريق التطور الوطنى المستقل الى طريق التطور غير الرأسمالى .

لقد كانت مصر ما قبل الثورة نموذجا لاقتصاد المستعمرات ، حيث تكون البنوك ظاهرة مستوردة لتأمين النهب الذى تباشره رءوس الاموال الاجنبية ومن المعلوم أن هذه البنوك قد أحكمت قبضتها بالتعاون مع الاقطاع الغشوم على الاقتصاد المصرى كله ، تعمق فيه معالم التخلف والنمو غير المتكافىء ، وتفرض أساليب الاحتكار على الحياة جميعها ، وتسعى أن تقر للابد نظام التبعية للاستعمار . وفى هذه الحلبة كان البنك الاهلى هو الفارس المغوار.ومن جانب آخر ، فلقد سدت هذه البنوك جميع المنافذ على الراسمالية الوطنية، حتى أصيبت بالضعف والهزال بحيث أن بنكها الوحيد الذى أنشاته بأموالها املا فى تدعيم وجودها المتعثر وسعيا جهيدا للاستئثار بسوقها القومى ــ بنكها هذا لم تلبث أن أقصيت عنه وتحول من ثم الى احتكار تسيطر عليه تلك القشرة العليا الرقيقة التى اصطفاها الاستعمار من بين الرأسماليين المحليين . وفى هذه الحلبة الاخيرة كان بنك مصر عبرة لمن يريد له الاستعمار أن يعتبر .

وعلى هذا النحو قدم البنك الاهلى وبنك مصر نموذجين فريدين لتجربة البنوك فى المستعمرات ، هذه التجربة التى اندثرت بالثورة ولن تعود. وانما يروق لنا اليوم فى مصر الثورة أن نستعيد أهم معالمها .

بعد سنوات من الاحتلال البريطانى ، وبعد قصر وظيفة صندوق الدين على مراقبة خدمة الدين فحسب ، رأت المصالح البريطانية حاجتها لاداة مركزية توجد تحت أيديها، تراقب الاقتصاد المصرى بأكمله وتعهد اليها بمهمة الامانة العامة لنظام النهب الاستعمارى فى مصر . هنالك فى عام ١٨٩٨ سمح كرومر لرأسمالى انجليزى هو **أرنست كاسل** ولرأسماليين من المستوطنين هما **سلفاجو وسوارس** بتكوين بنك نصفه للانجليزى ونصفه الاخر للمستوطنين قسمة عادلة بينهما . هكذا انشأ كرومر البنك الاهلى او البنك القومى على حد تسميته لتكون مهمته تبعا لذلك « اصدار أوراق تدفع لحاملها » . لكن اصدار البنكنوت لاول مرة فى مصر لم يكن وحده عملا رأسماليا مجزيا فى البداية ، ولذلك كان يجب أن يكون البنك الاهلى اكثر من بنك للاصدار بحيث يتولى مثلا : « تقديم السلفيات للمزارعين . . وقبول الودائع . . وخصم الكمبيالات . . وتقديم سلفيات على التعهدات المضمونة ببوالص أو ايصالات على البضائع » . وانما لم تكن المهمة تتطلب مجرد اضافة بنك تجارى الى مجموعة البنوك التجارية القائمة ، بل انشاء أداة أكبر شأنا تجمع بين يديها كافة خيوط الاقتصاد المصرى الموضوع فى خدمة الاقتصاد الاستعمارى . **وهكذا تقلد البنك الاهلى منصب الامين العام لنظام النهب الاستعمارى فى مصر .**

فكيف قام بأعباء المنصب فعلا ؟ باحتكاره اصدار العملة وبتأكيد صفته كبنك تجارى وبتأمينه وتنظيمه عملية النهب الاستعمارى .

● **باحتكاره اصدار العملة :**

فكان احتكار اصدار العملة الورقية هو سلاحه الرئيسى لتأدية مهمته . وعندما تأسس البنك الاهلى كانت مصر تتعامل رسميا وبخاصة فى التجارة الخارجية بالعملة المصرية الذهبية ، وفعلا بالجنيهات الاسترلينية الذهبية . وعلى الرغم من هذه السطوة الاستعمارية ، فقد كان هذا النظام يتطلب ذهبا يتداوله المصريون وهذا ما لم يطقه الاستعماريون . **ففى نهاية القرن كان الاستعماريون فى كافة المستعمرات يجردون شعوبها من الذهب والفضة ، ويصطنعون كافة السبل لتكديس المعدن النفيس فى بلادهم** . ومن ثم تكونت مجالس العملة لاصدار النقود الورقية فى عديد من المستعمرات .

وفى مصر حيث نشطت البنوك الاجنبية وبخاصة الفرنسية ، كان لا بد من أن يتولى العملية بنك كامل الصفات لا مجرد مجلس عملة . ودبر الامر تدبيرا محكما بحيث تتحول العملة المصرية الى احتكار ينفرد به بنك انجليزى معتمد .

لقد كان انشاء البنك الاهلى مقدمة لا مفر منها لكل التطور النقدى اللاحق فى مصر ، مقدمة لفرض التبعية النقدية على مصر . كانت بريطانيا تدفع مصر الى العدول عن استخدام الذهب ، بالتعامل على أساس الذهب بدلا من التعامل بالذهب نفسه . وهذا هو مايسمى بنظام الصرف الخارجى بالذهب . وكانت الخطوة الاولى فى سبيل فرض هذا النظام هى التعامل على الاقل فى الداخل بالنقود الورقية ، تمهيدا للتعامل بالاسترلينى الورقى — وهو على الذهب — فى الخارج .

فى عام ١٨٩٨ كانت مصر على قاعدة الذهب . ولذلك كان المطلوب سحب الذهب من التداول الداخلى واتمام تجارة مصر الخارجية بالاسترلينى الورقى بدلا من الاسترلينى الذهبى ، حتى تصبح العملة الورقية هى العملة السائدة فى الداخل والخارج . **ومن هنا تحايل البنك الاهلى منذ تأسيسه للقضاء على العملة الذهبية المصرية ، لتصفية الاستقلال النقدى ولفرض عملته الورقية عملة وحيدة للبلاد** . وفى ابريل ١٨٩٩ صدرت أول نقود ورقية . واذا كان للافراد عندئذ قبولها أو رفضها ، فقد أجبرت الحكومة بكافة مرافقها على قبولها . وتشجيعا لقبول الافراد لها كان يجب أن يكون نصف غطائها على الاقل سبائك ذهبية تودع فى مصر ، والباقى أوراقا تختارها الحكومة . لكن البنك صار يصدر النقود منذ البداية بلا رقابة من الحكومة . وانتهز فرصة اندلاع الحرب العالمية الاولى فى ١٩١٤ ، ففرض أوراقه على المصريين جميعا وسحب الذهب من التداول . ثم استولى على الرصيد الذهبى المتراكم لصلحة مصر وأرسله لتمويل العمليات الحربية البريطانية فى الحجاز . وبالاتفاق مع المستشار المالى الانجليزى للحكومة فى ١٩١٦ ، أهدر البنك النص الخاص بضرورة تغطية نصف الاوراق على الاقل بالذهب وأحل الورق الاسترلينى محل الذهب . وبذلك صار الغطاء كله أو يكاد ورقا استرلينيا . ومن ثم صار الجنيه المصرى طبعة محلية للجنيه الاسترلينى . وانتهى استقلال العملة المصرية ، وتحققت التبعية النقدية للاسترلينى تأمينا لرأس المال البريطانى فى مصر .

والواقع ان البنك الاهلى قد استخدم عندئذ صفته كبنك للاصدار من أجل تأمين تمويل التجارة الخارجية عن طريق قنوات وباستخدام أدوات

استعمارية لا شبهة فيها البتة . وبالفعل لقد كانت ترسم سياسته لجنة بريطانية تجتمع فى لندن. وفى القاهرة كان يتلقى التوجيهات من المستشار المالى للحكومة . ولقد رأينا كيف قاد كرومر خطوات البنك الاولى ، ومنحه وحده من البداية احتكار اصدار البنكنوت . وكان لا بد أن تضيق القوى الوطنية بهذه المؤسسة الاستعمارية التى ترفض رقابة الحكومة وتفرض رقابتها على مصر كلها . وفى ١٩٢٤ انعقد أول مجلس نيابى منتخب طبقا لدستور ١٩٢٣ . فتقدم احد النواب باقتراح بزيادة حصة الحكومة فى ارباح البنك من الاصدار وقد اصبح البنكنوت هو العملة الوحيدة فى البلاد وغدت ارباح البنك من اصداره طائلة . واقر مجلس النواب هذا الاقتراح العادى . فما كان من المستشار المالى الا ان احتج وطلب سحب الاقتراح فورا .

بل ان البنك كان يتلقى التعليمات من وزارة الحرب البريطانية . فابتداء من ١٩٣٩ كان البنك يستمد سلطاته من وزارة الحرب بغرض تمويل الجيوش البريطانية فى مصر — مما حمل بهى الدين بركات على الاستقالة من مجلس ادارته احتجاجا وعندما استشعر البنك ازدياد السخط عليه خشى على مستقبله حتى لقد قال محافظه فى ١٩٣٩ « يشعر البنك من جانبه أن لا ضمان لمستقبله » . ولهذا انتهز ظروف الحرب ففرض على الحكومة اتفاقية ١٩٤٠ التى تجدد احتكاره لاصدار العملة الورقية . وفى الحق لقد عقدت الاتفاقية فى ظروف مريبة . فقد طلبت الحكومة قرضا منه لمواجهة عجز طارىء فى الميزانية . لكنه رفض واشترط مقابل القرض تعديل قانونه وتجديد احتكاره للاصدار اربعين سنة اخرى ، على الرغم من أنه كان لا يزال باقيا على انتهاء امتيازه الاصلى عشر سنوات كاملة . **ورضخت الحكومة ومعها البرلمان،** وبذلك تخلت عن كل محاولة لتحويل الاصدار الى بنك آخر . وانضمت الى منطقة الاسترلينى ، وبذلك اتاحت للبنك سبيل المساهمة بأموال مصر فى تمويل المجهود الحربى لبريطانيا وتحمل اعباء الحرب معها .

ثم زادت تبعية البنك لبريطانيا . **فقد كان البنك يعتبر بنك انجلترا بنكه المركزى** ويستمد منه النصيحة ويتابع تنفيذ سياسته فى نطاق نشاطه وهو مصر . وكل هذا طبيعى . وانما عندما أمم بنك انجلترا عقب الحرب العالمية الثانية اصبح البنك الاهلى تابعا فى الواقع للخزانة البريطانية .

طوال هذه المدة كانت مهمة البنك الاهلى هى ضمان تبعية العملة المصرية تسهيلا لمهمة راس المال البريطانى المستثمر فى مصر . وكان البنك يفرض تبعية العملة بضمان الغطاء الاسترلينى وضمان التحويل المباشر بين الجنيه المصرى والاسترلينى . ولذلك عندما دعا اول مجلس للنواب لاستقلال العملة كانت دعوته صرخة فى غير واد ، دعوة غير واقعية ، فالعملة المصرية تابعة للاسترلينى لان الاقتصاد المصرى اقتصاد تابع . وكان لابد من البدء بتحرير الاقتصاد اولا . كان نمو الراسمالية المصرية هو سبيل تحرير العملة . وبدأت بالفعل منذ ١٩٤٧ وبفضل النمو الذى تحقق بفضل الحرب ، بدات خطوات جدية لتحرير العملة من قبضة الاسترلينى والخزانة البريطانية . ومع ذلك ظل البنك الاهلى يقاوم مقاومة مستميتة كل محاولة لفصم علاقة مصر بالاسترلينى . لكن الراسمالية المصرية استطاعت فى ١٩٥١ أن تتوصل معه عن طريق اتفاقية تجعل امر الجنيه المصرى هنا فى مصر لا فى بريطانيا . ومع ذلك راح البنك يشكك فى هذه النتيجة ويقول فى نشرته فى السنة ذاتها « ان القول بضرورة فصم عرى الارتباط بين الجنيه المصرى والاسترلينى لا يستند الى فهم صحيح للعلاقة بين العملتين . فلا داعى مطلقا لهذا الاجراء » .

ثم قامت الثورة .

● بتأكيد صفته كبنك تجارى :

البنك الاهلى الحريص على صفته كبنك للاصدار لم يكن اقل حرصا على نفى صفة البنك المركزى عن نفسه وعلى العكس تأكيد صفته كبنك تجارى . **ولسبب واضح : هو الا يلتزم ازاء مصر .** وولاؤه هناك فى بريطانيا ، لراس المال البريطانى وحده . وهو انما يتكامل مع الاقتصاد البريطانى فى المقام الاول .

انه يحتكر اصدار العملة المصرية ويشدها بوثاق الى الاسترلينى . وهو يحقق الارباح الطائلة من وراء الاصدار ، لكنه يكتفى بان يكون بنكا للاصدار وينطلق فى السوق كبنك تجارى . وهو اذ يسيطر على العملة ، يفرض لنفسه وجودا عريضا كبنك تجارى يعمل اساسا فى تمويل القطن، ويمارس الصراع التقليدى بين الاحتكارات الاستعمارية، ويطارد الراسمالية المحلية الصاعدة. ومن ثم يجنى الارباح الطائلة حتى ليقفز راسماله من مليون الى ثلاثة ملايين جنيه فى مدى سبع سنوات فقط من تاسيسه .

ان بنك الاصدار يعتبر مهمته المصرفية تمويل محصول القطن ، اى تمويل تجار ومصدرى القطن الانجليز . ولقد حاول من البداية أن يقدم نفسه

للمصريين كبنك زراعى ، حتى يخفف من وقع احتكاره للاصدار وهو بنك تجارى كسائر البنوك التجارية . لكنه لم يلبث ان تخلى سريعا عن هذه الدعوى ، وسارع بالمساهمة فى تأسيس بنك زراعى مستقل فى ١٩٠٢ . والواقع أن تمويله للزراعة كان يتم بطريقة اخرى هى تمويلهلمحصول القطن قبل تصديره ، اذ يعمد المنتجون الى تخزين القطن فى شون البنك الاهلى المنتشرة فى كل الريف، ويحصلون على السلف ، ثم يبيعون القطن ويردون القروض او يسحبون الكمبيالات على المستوردين الانجليز ويخصمونها فى البنك . ومن هنا ارتبطت عملية تمويل القطن بعملية اصدار البنكنوت ، وتجمعت العمليتان فى بنك واحد هو البنك الاهلى ، يجنى من وراثهما الارباح والارباح .

اما بالنسبة للحكومة فكان البنك يفرض سلطانه عليها بكافة الطرق . فهو يحتفظ بلا مقابل بودائع الحكومه والمحاكم المختلطة وصندوق الدينوحكومة السودان . ومع ذلك كان يرفض اقراضها الا فى حدود مبالغ ضئيله وبفائدة ' وكان يحرمهـا من نصيبها المشروع فى أرباح الاصدار حتى اصبحت المسألة لا تطاق فسمح لها بنصيب . وعلىالعكس ترك الحكومة تواجه وحدها ازمات ١٩٠٧ و١٩١١ و ١٩٢٩ وتحملت فى الازمة الاخيره وحدها ما لايقل عن ٢٠ مليون جنيه . وبعد ذلك فلم يكن البنك يجشم نفسه مشقة اخذ راى الحكومة فى اخطر قرارات اتخذها فى شأن العملة او فى شأن توظيف ودائع الحكومه وكبار الموظفين وكبار الملاك والرأسماليين فى السوق البريطانية . فقد كان يحتفظ بجانب كبير من اصوله فى صورة سندات واذون على الخزانة البريطانية او فى صورة قروض قصيرة الاجل للبريطانيين . لقد كان يستثمر اكثر من ٧٠٪ من الودائع لديه فى الاوراق المالية وبخاصة الاوراق الاسترلينية . وهكذا كان بأموال مصر يغذى سوق لندن .

واحتكار البنك الاهلى ينافس الاحتكارات المصرفيه الاخرى ويمارس الصراع التقليدى بين الاستعماريين . لقد قضى على السيطره التى كان يتمتع بها رأس المال المصرفى الفرنسى وبخاصة الكريدى ليونيه والكريدى فونسييه . وعندما انفجرت ازمة ١٩٠٧ وهى ازمة ائتمان تمسه فى المقام الاول ، ترك منافسيه يواجهون الافلاس . وفى ازمة ١٩١١ أغلق بنك الانجلو اجبشان أبوابه . وفىأزمة ١٩٣١ خاضالبنك الشرقى الالمانى ازمته وحده . وفى الازمة الدولية عام ١٩٣٥ حلت الضائقة بالبنوك الايطالية وصفى اغلبها أعماله . وتلك هى حقيقة علاقته بالبنوك التجارية المنافسة، علاقة منافسة فى حرب الاحتكارات التى لا ترحم . ولا يخفى البنك هذه الحقيقة ، بل يعترف فى احدى نشراته بأن علاقته بالبنوك هى « علاقة منافسة الى حد مافيما يختص بالاعمال المصرفية الداخلية» وكانت البنوك منجانبها تقابل هذهالمنافسة معتمدة على مراكزها الرئيسية فىالخارج وبحرص غريزى على عدم الارتباط بالبنك الاهلى .

فلما احتكر البنك عمليات تحويل العملة من استرلينى الى مصرية ومن مصرية الى استرلينى، اقامت معه علاقات محدودة للصرف ، بحيث كان البنك الاهلى هو سوق الصرف . وعندئذ كان من الضرورى تنظيم المنافسة بينها ، ومن ثم دخلت فى اتفاقات موحدة . ثم تكونت غرفة للمقاصة بينها ، لم يكن البنك الاهلى طرفا فيها . ثم عقدت معه اتفاقيات ودية لوضع حد أعلى للفائدة عن الودائع وحد ادنى للفائدة عن القروض . وبدأت تحتفظ بجزء من ودائعها لدى البنك الاهلى. ودعتظروف الحرب العالمية الثانية وما بعدها من صراع وطنى الى مزيد منالتضامن بينالبنوك تنظيما للمنافسة. ولذلك اضطرد نمو ودائع البنوك لدى البنكالاهلى .. وبعد أن كانت جملة ودائعها لديه فى ١٩٣٨، اكثر قليلا من نصف مليون جنيه ، اصبحت تحتفظ لديه بودائع ضخمة كان يستخدمها بدوره فى سوق لندن .

وكانت المنافسة قد بلغت قمتها بين البنكالاهلى وبنك مصر . لم يكن البنك الاهلى قد ارتضى على الاطلاق قيام بنك مصر تعبيرا عن تطور الراسمالية الوطنية . واحتدمت المنافسة بينهما فيما بين عام ١٩٢٥ وعام ١٩٣٢ فىسوق الحصم. وعندما حلت ازمة بنك مصر ، سنحت الفرصة أخيرا لتصفية الحساب معه . لجأ بنك مصر الى البنك الاهلى طلبا لقرض بضمان سندات الدين الموحد وسبائك الذهب . ولكن البنك الاهلى رفض ليدفع بنك مصر الى الافلاس . ومن ثم ترك الحكومة وحدها تسارع لنجده بنك مصر . وخرج محافظ البنك الاهلى ليعلن فى مجلة الايكونوميست فى مارس ١٩٤٠ موعظه موجهة الى بنك مصر : « ان فى قيام بنوك الودائع بالمساعده فى خلق الصناعات او فى تنمية الصناعات القائمة تكمن بذور الاضطراب » ... هذا بينما البنك الاهلى الوقور ، بنكالاصدار القابع فى مكان البنك المركزى ،يعربد كبنك للودائع يمول التجارة وتبلغ قروضه بضمان البضائع والاوراق حوالى ٨٥٪ من مجموع قروضه .

وهكذا نفهم لماذا كان هذا البنك الاهلى يرفض أن يكون بنكا مركزيا . فلماذا يتحمل التزامات شكلية تقلل من فرصه للربح ؟ فى عام ١٩٠٤، رفض البنك محاولة لان يتحول الى بنك مركزى — فهى « انقاص من نشاطه » . فهو بنك تجارى .

وهو نفسه يعترف بهذه الحقيقة الهامة عن نشاطه حتى الحرب العالمية الاولى فيقول : « ان البنك ثبت اقدامه فى هذه الفترة من الزمن كبنك تجارى له بعض اختصاصات البنك المركزى » . ولم يكن يعنى من هذه الاختصاصات سوى احتكار اصدار العملة ! وعندما قامت محاولة ثانية فى ١٩٣٣ ، اصابها الفشل السريع .

لقد حرص البنك منذ تاسيسه على اتباع اسلوب بنك انجلترا بتقسيم اعماله الى قسمين ، قسم عمليات الاصدار وقسم العمليات التجارية . وهو اسلوب يتفق مع نشأة بنك انجلترا كبنك تجارى للودائع سمح له باصدار الاوراق . اما فى مصر فكان التقسيم يمثل اصرار البنك الاهلى على البقاء كبنك تجارى الى الابد . وعندما افلحت الدوائر الراسماليه فى عقد اتفاقية ١٩٥١ لتجعل منه بنكا مركزيا ، ظل البنك حريصا على صفته كبنك تجارى، وعندما انكمشت سلفياته الصغيرة فبلغت ٨٠٠,٠٠٠ جنيه فى مجموعها فى عام ١٩٥٤ ، وجه البنك تحذيره الى كل من يعنيه الامر : « على انه ينبغى الا يفهم من هذا ان البنك يعتزم الانسحاب كلية من السوق » .

فلما قامت الثورة وقف البنك بشراسة ضد اتجاهات التصنيع . وكتب فى نشرته سنة ١٩٥٣ يسخر من الدعوة لتوجيه ودائع البنوك نحو التنمية الاقتصادية قائلا : « تراءى لبعض الكتاب فجأة انهم اكتشفوا موردا جديدا لما يلزم للتنمية الاقتصادية من اموال ، الا وهو ودائع البنوك التى توهموها اموالا معطلة » . نعم ، فلم تكن ودائع المصريين فى البنوك معطلة ، وانما موظفة فى لندن.

ومنذ انفصمت العلاقات بين الجنيه المصرى والاسترلينى ابتداء من ١٩٤٧ ، افتضح دور البنك الاهلى فى عملية تمويل القطن . فقد كان يقيس دوره هذا على وقع خطوات حركة التحرر الوطنى فى صراعها مع بريطانيا . وبلغ الامر ذروته عقب تاميم القناة ، فامتنعت البنوك عن تمويل محصول القطن . لكن الحكومة تدخلت وارغمته هو على تمويل المحصول .

● بتأمينه عملية النهب الاستعمارى :

النهب الاستعمارى هو عملية راس المال الاحتكارى كله فى مصر . والبنك الاهلى هو الحارس على هذه العملية بتولى تأمينها بنظام دقيق من التبعية النقدية والمصرفية .

فهو يحتكر الاصدار ويمول محصول القطن .

ومن هنا يبدأ تنظيمه لعملية النهب الاستعمارى ، فهو يتولى تمويل محصول القطن قبل تصديره . فالمالك الكبير منتج القطن والمصدر الانجليزى للقطن يلجآن كلاهما للبنك الاهلى . المنتج يقدم القطن لمخازن البنك حتى يباع ، اويخصم سندات التخزين، والمصدر يشحن القطن ويحصل على سندات الشحن التى تخصم لدى احد البنوك وبخاصة باركليز . ثم تسلم سندات الشحن الى لندن .

وبعبارة اخرى يصدر البنك الاهلى على رأس البنوك التجارية الاجنبية قروضا لتمويل محصول القطن حتى لا يظل على سوقه او يبقى فى الشون بلا تصدير . وكان حجم هذه القروض يتوقف على ثمن القطن كل عام .كما كان يعكس الخطوات التى يتحرك بها المحصول من الداخل الى ميناء الاسكندرية . ومن ثم كان البنك الاهلى يقرض المنتجين او المصدرين واحيانا البنوك . فتكون قروضه مناسبة لعمليتين اقتصاديتين خطيرتين فى حياة البلاد هما : تمويل القطن واصدار القروض. وتجمعت العمليتان بالدقة لدى بنك واحد غدا « **مركزا** » لسوق القطن بل لاقتصاد مصر .

من هنا كان تمويل القطن يتم بالبنكنوت اكثر مما يتم بالودائع المصرفية . ففى موسم القطن من كل عام يرتفع الاصدار فى حدود ٢٠٪ بينما ترتفع الودائع بنسبة ٦٪ فقط . وكان هذا يمنح البنك الاهلى سلطة اقتصادية هائلة تلمس فى جميع البيوت المصرية .

ففى مصر حيث يسود الانتاج السلعى الصغير ، تكون المعاملات النقدية كبيرة ، حتى لقد كان البنكنوت يمثل حوالى ٤٠٪ من مجموع وسائل الدفع وهى نسبة عالية .

لكن هذا الاصدار الكبير كان محكوما بتمويل سلعة واحدة ، هى مادة اولية زراعية معدة للتصدير الى الخارج حيث يتحدد ثمنها . هذه السلعة الموسمية قد جعلت اصدار البنكنوت موسميا ، وجعلت حركة الدخل القومى موسمية ، وحركة التجارة الخارجية موسمية . فعند التصدير تزيد الدخول ويزيد التبادل الداخلى ويزيد الاستيراد . ثم تصاب الحياة الاقتصادية بالموات . **فاذا كانت اثمان القطن مرتفعة امتد الرخاء وانتهى بالتضخم . اما اذا كانت اثمان القطن متدهورة ، امتد الكساد سريعا وانتهى بالانكماش** . غير ان طبيعة الاقتصاد التابع كانت تجعل الانكماش اخطر من التضخم .

تلك اول حلقة فى العملية . فزيادة الصادرات لا تجر انتعاشا بل تضخما . ونقص الصادرات

لا يجر كسادا بل انكماشا . فكيف يحدث ذلك ؟ ان البنك الاهلى يقف على راس الاقتصاد المصرى ليثبت سعر الصرف بين القاهرة ولندن . فمهما تقلبت موازين التجارة والمدفوعات لا يتأثر سعر الصرف . ولما كان التقلب يجرى — على الاقل تجاريا — لمصلحة مصر فهى التى تصدر اكثر مما تستورد ولها فائض فى الميزان التجارى ، فقد كان يجب ان يفضى هذا الفائض الى ارتفاع سعر صرف الجنيه المصرى بالاسترلينى . **لكن وجود البنك الاهلى قد جعل من هذه النعمة نقمة على مصر .** فالفائض التجارى لابد ان يحدث اثره فى مكان ما ، هنا فى مصر ، على الاسعار . ان الفائض التجارى يترجم الى زياده فى الاصدار ، فترتفع الاسعار فى مصر ويتحول الرخاء الى تضخم . وهكذا اصبح التضخم او الانكماش فى مصر نتيجة لقرار بريطانيا بشراء القطن بثمن مرتفع او منخفض ، بل اصبح البنك الاهلى يوسع او يضيق من التداول فى مصر ، لا طبقا لثمن القطن وحده ، ولكن طبقا لحالة الاسعار فى بريطانيا ذاتها .

وهكذا خرجنا بهذه الحلقة الثانية من العملية : **ثبات الصرف لمصلحة بريطانيا وتقلب الاسعار على حساب مصر .** ويعمل البنك الاهلى كصندوق لتحويل العملات . هو بمفرده سوق الصرف . وبعبارة اخرى ، لم يقم فى مصر سوق للصرف .

وهنا نبلغ الحلقة الثالثة من العملية . ان محصول القطن يتحكم سنويا فى حجم الدخل القومى ، بل انه ليتحكم فى توزيعه بين الطبقات ايضا . ولكن عندما تحقق مصر محصولا ممتازا ، فان فائض التجارة لا يتحول الى راس مال ، اى لا يتراكم من اجل التنمية الراسمالية فى مصر . بل يعد له البنك الاهلى استخداما فريدا . **ان فائض الميزان التجارى يتحول فى ايدى المصريين الى جنيهات مصرية ، وفى ايدى البنك الاهلى وجماعته المالية الى استثمارات استرلينية ، هى ما يسمى بارصدة مصر فى لندن .** ومعنى هذا انه كان على البلد المستعمر ان ينتج ويزيد من انتاجه ويزيد من صادراته — **اولا** ليدفع الفوائد والارباح والاقساط السنوية لراس المال الاجنبى ، **وثانيا** ليقرض البلد الاستعمارى ويرود لندن سنويا براس مال جديد ، **وثالثا** ليسوى العجز المحتمل فى مدفوعات بريطانيا مع البلاد الاخرى ، فعبء اختلال ميزان المدفوعات البريطانى انما يقع على مصر وغيرها من المستعمرات واشباه المستعمرات التى تدور فى فلك الاسترلينى . ومن هنا نشأ نظام الكتل والمناطق النقدية .

هكذا كانت ارصدة مصر الاسترلينية ، تلك التى تتراكم سنويا نتيجة الفائض التجارى اى نتيجة عمل الشعب الكادح ، تخصص سنويا لتلبية احتياجات السوق البريطانى . حتى لقد كان بنك انجلترا يستثمر ويدير ارصدة مصر ، ويتدخل بدلا منها لشراء اذون الخزانة وبيعها تبعا لاحتياجات سوق لندن .

وعلى الرغم من الفائض السنوى عادة ، وعلى الرغم من النفقات العسكرية لجيوش الاحتلال وهى صادرات غير منظورة ، **كانت مصر تحظى عادة بفائض فى الميزان التجارى ولكن بعجز فى ميزان المدفوعات . فهى دائنة فى المدى القصير مدينة فى المدى الطويل . وهذا هو جوهر عملية فى المدى الطويل . وهذا هو جوهر عملية النهب الاستعمارى .** ومن عجب ان كان الاقطاعيون وكبار الراسماليين يبررونها بحجة ان تبعيتنا لبريطانيا تضمن تصريفا منتظما لمحصولنا السنوى وفائضا سنويا فى الميزان التجارى . بينما الحقيقة ان بريطانيا تستثمر فى اسواقها راسمالنا الذى يتراكم بدعوى تسوية عجز ميزان مدفوعاتنا المدين دائما بفضل النهب الذى يحصل عليه راس المال البريطانى المستثمر فى مصر . وهكذا الحال فى جميع المستعمرات : ميزان مدفوعات مدين يستنزف سنويا ثروة المستعمرة من خلال ميزان التجارة الدائن .

وفى المرتين الوحيدتين اللتين تمتعت فيهما مصر بميزان مدفوعات دائن مع بريطانيا ، كان السبب هو الحرب العالمية . وكانت تجربة الحرب العالمية الثانية تجربة صارخة حقا . فمصر مرغمة على ان تبيع القطن لبريطانيا ، التى تفرض الحصار البحرى وهو حصار اقتصادى . ومصر تقدم منتجاتها وعملها بسخاء للجيوش المتحالفة . ولكن بريطانيا تدفع بالورق الاسترلينى . ويجمع البنك الاهلى هذا الورق ويصدر مقابله جنيهات مصرية حتى اشتد التضخم . مثل هذا التوسع فى الاصدار كان يمثل عونا ضخما لبريطانيا . فقد كان نوعا من الادخار تقابله فورا زيادة فى الاستثمار فى لندن . فالورق الاسترلينى استثمار مصرى . وانما ليس لمصر سلطان عليه . وعندما ارادت مصر بعد الحرب ان تضع هذه الارصدة فى خدمة التنمية ، كانت معركة ضارية فرضت فيها بريطانيا المدينة شروطها على مصر الدائنة .

وهكذا ظل البنك الاهلى حارسا امينا لعملية النهب الاستعمارى حتى اصبح البنك المركزى فى مصر ، لكنه ضاق بثوبه الجديد وحاول ان يكون اداة لتوجيه مصر كلها . ولم تسعفه الثورة ، فانقلب يقاوم عملية التنمية الاقتصادية لكنها عالجته بتغيير مجلس ادارته فى ١٩٥٥ ثم بتمصيره فى ١٩٥٧ ، ثم بتأميمه فى ١٩٦٠ . **وتاكدت من تجربة مصر حقيقة ان تصفية نظام النهب الاستعمارى هى الكفيلة بتصفية البنك الاهلى بوصفه الحارس المعهد على هذا النظام .**

قصة البنك الاهلى هى قصة رأس المال المالى على راس الاحتكارات الاجنبية ، يضبط لها حساباتها الاستعمارية وينظم عملية النهب الاستعمارى بقنوات وادوات واسلحة امينة تماما .

اما قصة بنك مصر فهى قصة راس المال الوطنى فى صراعه ضد الاستعمار والاقطاع ، محاولا بناء صناعة وطنية تلتف حولها راسمالية محلية نامية تتمتع بسوق محلية موحدة هو سوقها القومى .

راس المال الوطنى هذا يلقى مقاومة مستميتة من جانب الاحتكارات الاستعمارية ، ويكون عليه فى النهاية ان لم يناضل الاستعمار بثبات ان يواجه واحدا من مصيرين : ان يفلس كرأسمال وطنى او يغدو احتكارا بين الاحتكارات .

مرحلة رأس المال الوطنى

فى عام ١٩٢٠ كان تاسيس بنك مصر حدثا وطنيا تاريخيا ، يستجيب لتطور الراسمالية المصرية التى استطاعت ان تحقق بعض التراكم الراسمالى خلال الحرب العالمية الاولى وقادت ثورة ١٩١٩ التى اتاحت للراسمالية الصاعدة نصيبا من الحكم . كان تاسيس بنك مصر خطوة فى سبيل تكوين السوق المحلية وهوعنوان انتصار الراسمالية المحلية فى صراعها المعقد ضد الاقطاع والاستعمار . ان تكوين السوق المحلية وتوحيدها فى المستعمرات عملية تاريخية كانت تعنى فى المقام الاول تحرير السوق المحلية من السيطرة الاستعمارية وانفراد الراسمالية النامية بسوقها القومى .

وكانت المهمة واضحة فكريا لدى طلعت حرب الذى شارك مع اسماعيل صدقى فى ١٩١٦ فى تشكيل اللجنة التى تكونت لدراسة امكانيات تنمية الصناعة والتجارة ، تعبيرا عن طموح الراسمالية المصرية . ثم قام عقب الحرب بتاسيس بنك مصر مع فؤاد سلطان ومدحت يكن . ولقد اكد طلعت حرب على طبيعة بنك مصر كقطاع طليعى يقود عملية تنمية الراسمالية المحلية ، ومن ثم تحددت مهمة البنك بحيث : « يقوم بكل عمليات البنوك وتشجيع المشروعات الاقتصادية التى تعود بالنفع على البلاد والمساهمة فى انشاء الشركات من كافة الانواع واسداء المعونة لها حتى تقوى على اداء شئونها بنفسها » . هكذا بدأ التاريخ الاقتصادى للراسمالية المصرية . فلديها اخيرا بنكها لتنمية صناعتها . راسماله مصرى خالص ، فاسهم البنك اسمية حتى لا يتسلل راس المال الاجنبى الى البنك .

وأقبل العملاء على البنك من كل الفئات : **ان فئات لم تكن تتعامل مع البنوك من قبل من صغار المدخرين ومتوسطيهم عرفت طريقها الى البنك باعداد غفيرة ومدخرات متواضعة تصنع امكانيات ضخمة .** واستفاد البنك من هذه الحقيقة . فاصحاب المدخرات الصغيرة يعهدون بها الى البنك لتكون بمثابة ودائع توفير لاجل غير قصير . وبالتالى فهى لا تمثل طلبا حالا على البنك . ولقد استند اليها ليبرر انخفاض السيولة فى اصوله . ولكن الودائع جاءته كذلك من فئات تتعامل من قبل مع البنوك الاجنبية ، ومن ثم جاءت على حسابها ومنها البنك الاهلى . واستطاع بنك مصر ان ينتزع جانبا من الودائع الحكومية والخاصة . بل لقد اودعت فيه الحكومة بعض ايرادات الدولة . وهكذا ارتفعت ودائعه من ٢٠٠ الف جنيه فى ١٩٢٠ الى ٧ مليون جنيه فى ١٩٣٠ الى ١٦ مليون جنيه فى ١٩٣٩ .

وانطلق البنك فى تحقيق مهمته الضخمة ، يمول التجارة الداخلية ويقدم القروض بضمان البضائع ، ويبث فروعه فى الريف منافسا بذلك بنك باركليز والبنك الاهلى ، وينشىء الصناعات الخفيفة ابتداء من صناعة النسيج الرائجة .

ولقى البنك نجاحا هائلا ، حتى استطاع ان ينمى راسماله من ٨٠ الف جنيه فى ١٩٢٠ الى مليون جنيه فى ١٩٢٧ . وهنا استحكم الصراع بينه وبين البنك الاهلى بوصفه حارسا لمصالح النهب الاستعمارى بالتحالف مع مصالح الاقطاعيين .

ومن المؤكد ان بنك مصر كان منذ تاسيسه يغمط البنك الاهلى مكانته التى لا يستحقها . وفى حفل التاسيس لم يخف طلعت حرب من نواياه البعيدة ازاء البنك الاهلى فقال « البنك الاهلى فى مصر ... كان يجب ان يكون اهليا بكل معانى الكلمة ، اهليا فى راسماله ، اهليا فى ادارته . اما فى مصر فان الاسهم جعلت لحاملها واصبحنا لاندرى فى يد من هى الآن او بعد ساعة . لهذا اردنا ان يكون لنا بجانب البنك الاهلى بنك مصر نتدارك فيه ما فات لدى تأسيس البنك الاول » . ومن ثم راجت الدعوة لتحميل بنك مصر مهام البنك المركزى . معهم مخالفا طبيعته كبنك تجارى . وافلح البنك فكان يقرضهم بضمان الارض ويتساهل فى شروطه وفى الوقت ذاته حاول البنك استرضاء الاقطاعيين ، فعلا فى حمل بعض الاقطاعيين على الاحتفاظ بودائعهم لديه . لكن الدوائر الاستعمارية ظلت له بالمرصاد .

مرحلة الصراع الدامى

فى اعقاب ازمة ١٩٢٩ التى اصابت مصر بافدح مما اصابت بريطانيا ، حاولت الدوائر الراسمالية الاجنبية حماية صناعتها . ففرض اتحاد الصناعات رجله اسماعيل صدقى رئيسا للحكومة ووضعت تعريفة جمركية تحمى المنتجات المحلية . ولقد ترتب على هذه الاوضاع انهيار فى صادرات بريطانيا الى مصر وبخاصة من المنسوجات ، حتى لقد بلغت قيمة صادراتها الينا ٤٨ ٪ من قيمة صادراتنا اليها . هنالك طلبت الحكومة البريطانية من مصر استقبال بعثة تجارية تدرس اسباب تدهور الصادرات البريطانية . **وفى ١٩٣١، حضرت البعثة وقابلت عددا من المختصين على راسهم طلعت حرب** . واعترفت اللجنة فى تقريرها بعد ذلك بمسئولية بريطانيا نتيجة لارتفاع الاسعار فيها وطبيعة منتجاتها . ومن ثم ظل التدهور قائما ، على الرغم من تقلب النسبة السابقة على النحو التالى : بلغت ٧٥٪ فى ١٩٣١ لكنها هبطت باطراد قليلا الى ٦٥٪ فى ١٩٣٤، الى ٦٣٪ فى ١٩٣٢ر٥٢٪ فى ١٩٣٣ ، وان ارتفعت .

عندئذ اضطرت بريطانيا لطلب بعثة مصرية تدرس معها الوسائل المناسبة لتشجيع تصريف المنتجات المصرية فى السوق البريطانى. وكان طلب البعثة مجرد ذريعة لتغطية حقيقة النوايا البريطانية التى سنراها حالا . **وبعثت مصر فى ١٩٣٥ وفدا برئاسة حافظ عفيفى وعضوية طلعت حرب ،** طالبته بريطانيا بأن يبذل كل ما فى استطاعته من أجل تخفيض عجز الصادرات البريطانية . وتقدمت بطلبات اربع اهمها : تخفيض الرسوم الجمركية على المنتجات البريطانية وتطبيق نظام الحصص على واردات مصر من المنسوجات القطنية والحرير الصناعى وطلبت بريطانيا ان يحتفظ لها بنسبة ٥٣٪ من هذه الحصص . بحجة ان الحصص تحمى الصناعة المصرية .

غير ان البعثة رفضت مطالب بريطانيا خوفا من ارتفاع اسعار المنسوجات فى مصر وقدمت بدلا منها فكرة فرض رسم اضافى على المنسوجات اليابانية وتكوين لجنة مشتركة مصرية بريطانية لتنمية التبادل بين البلدين . وبالفعل فرضت الرسوم الاضافية على المنتجات اليابانية ، غير ان ماخسرته اليابان عندئذ كسبته ايطاليا والهند . كما الفت اللجنة المشتركة فى ١٩٣٩ ، لكن الحرب العالمية ابطلت مفعولها .

والخلاصة من كل هذا العرض ان صناع النسيج فى لانكشير قد دخلوا بذلك فى مفاوضات مباشرة مع بنك مصر وهو اكبر منتج للنسيج فى مصر .

وبينما لم تتمخض المفاوضات بين الحكومتين عن نتائج ملموسة ، تمخضت المفاوضات بين لانكشير وبنك مصر عن نتائج على اكبر درجة من الخطورة . لقد عقد بنك مصر مع اتحاد صباغى برادفورد اتفاقية ادت الى تاسيس شركتين هما الغزل والنسج الرفيع وصباغى البيضا . واتفق الطرفان على ان يملك بنك مصر ٥٠٠ر١٢ سهم من مجموع ٥٠٠ر٦٢ سهم فى البيضا ، بينما تملك برادفورد ٥١ ٪ من رأس المال . كما اتفقا على ان تملك البيضا ٥٠٠ر١٧ سهم فى الغزل والنسج الرفيع ، ويمثل راس المال البريطانى فيها ويليام بيرد . لكن الاهم فى الاتفاق هو انه يضمن تقسيما للعمل بين لانكشير وبنك مصر . فتتولى المحلة غزل ونسج المنسوجات السميكة اى المنسوجات الشعبية ، وتتولى كفر الدوار المنسوجات الرفيعة، وتتولى البيضا التجهيز النهائى بحيث لا تعمل الا للشركتين فقط . **وكان هذا يعنى ان صناعة النسيج فى اكبر وحدة انتاجية هى المحلة قد اقتصرت على انتاج المنسوجات الشعبية — وهذا هو مطلب لانكشير . بينما دخلت لانكشير شريكا فى صناعة المنسوجات الرفيعة ، صارت سيدا على صناعة التجهيز المصرية .**

فى اعقاب هذا الاتفاق ،عاشت المحلة عصرها الذهبى الذى استمر حتى ما بعد الثورة . فهذه الشركة التى تأسست فى عام ١٩٢٧، وراسمالها ٣٠٠ الف جنيه ، استطاعت ان تنمى راسمالها فبلغ مليونى جنيه فى عام ١٩٥١ . وتضاعفت احتياطياتها حتى بلغت٥ر٧ مليون جنيه فى عام ١٩٥٦ . وبينما كانت تستهلك ٣٠٨ر٢٢ قنطارا من القطن فى عام ١٩٣١ ،اصبحت تستهلك ٤٥٨ر٥٦٨ قنطارا فى ١٩٥٦ . وبلغ انتاجها فى عام ١٩٥٧ نحوا من ٣٠٪ من غزل القطن و ٤١ ٪ من منسوجات القطن .

وانما ابتداء من هذا الاتفاق بدات المصالح الاستعمارية تتداخل مع بنك مصر . فأسست شركة مصر للتامين فى ١٩٣٤ بمساعدة مؤسسة باورنج البريطانية والتأمين العامة فى تريستا . وتأسست شركة مصر للملاحة بالمشاركة مع شركة كوكس وكينجر البريطانية،وذلك بعدتهديد بريطانيا بانشاء مشروعات منافسة . وتأسست شركة مصر للطيران بمشاركة رأس المال البريطانى . وهكذا تخلى بنك مصر عن شرط الجنسية المصرية فى حملة اسهم هذه الشركات .

وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف الصراع بين الاستعمار وبنك مصر من أجل الاستيلاء

النهائى عليه . وتفجر الصراع فيما سمى بأزمة بنك مصر . فمع اندلاع الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ ، تدفق العملاء على البنك وبخاصة عملاء التوفير يسحبون ودائعهم منه حتى بلغت المسحوبات فى النصف الثانى من عام ١٩٣٩ نحو ٢٠ ٪ من ودائعه . هنالك تحرج مركز البنك . فهو بنك تجارى يحصل على ودائع لاجل قصير ، لكنه يستثمرها فى الصناعة لاجل طويل . ولم يكن هذا بالجديد على حياة البنك ، فقد ظل يمارس هذا النشاط بلاخطر منذ تأسيسه . بل ان هذا النشاط هو جوهر نشاطه كله ، واعظم ما فى تجربته . اما فى هذه المرة فقد حل الخطر فعلا . لماذا ؟ **لان عملاءه كانوا قد تغيروا من حيث التركيب الطبقى .**

فأولا — كان البنك قد تورط فى تأسيس عدد من الشركات والمصانع لم تكن تمثل تنمية اقتصادية حقيقية . فلم يكن البنك يدرس المشروعات قبل انشائها ، ولم يكن يخطط بدقة لاحتياجات التمويل مثلما حدث فى شركة مصر لصناعة الورق التى تأسست فى ١٩٢٤ برأسمال يبلغ ١٣ الف جنيه ثم وجد البنك ان اى تشغيل اقتصادى للمشروع يتطلب على الاقل ٢٥٠ الف جنيه . وبالتالى تقرر تأجيل المشروع الى اجل غير مسمى . كذلك قامت بعض شركاته برأس مال اكبر مما يجب . وبعضها لم يسفر عن ربح اطلاقا . وحاول البنك اخفاء خسائره .لكنه فى ١٩٤٠ صارت خسائره المتجمعة فى مصايد الاسماك ١٤ الف جنيه وفى السينما ٩٣ الف جنيه . وفيما بعد تحمل خسائر مصر للزيوت وبلغت ٦١ الف جنيه ومصر للدباغة وهى ٤٢ الف جنيه .

وثانيا — تورط البنك فى قروضه التجارية . فكان يقدم قروضا كبيرة لكبار تجار القطن على الرغم من تدهور مراكز بعضهم ، وذلك لمجرد الاحتفاظ بمحالجه واسطوله النهرى وشركاته للتأمين والتصدير .وظلت عملياته قصيرة الاجل مشوبة بالغموض . فقد كانت القروض القصيرة الاجل تتحول بالتجديد المستمر الى قروض طويلة الاجل فعلا . بل كانت بعض هذه القروض بغير ضمان سوى المعرفة الشخصية او بضمان عقارات .

وثالثا — اتجه البنك لاقراض الاقطاعيين من كبار الملاك مبالغ ضخمة بضمان الارض . وعندما يعجزون عن رد القروض — وغالبا ما يعجزون — لم يكن البنك يلجأ للحجز على ارضهم وبيعها سدادا لامواله . ولقد أسرف فى منح هذه القروض غير التجارية حتى كان بعضها يعقد على حساب رئيس مجلس ادارته طلعت حرب . وتجمد فى النهاية عجز ضخم ، ضاعف من وطأته ان بعض اصول البنك كانت مقومة بأكثر من حقيقتها . ولم تكن هناك حسابات مضبوطة للديون الضائعة او المشكوك فى امرها .

عندئذ لجأ بنك مصر الى غريمه البنك الاهلى ، يطلب قرضا بضمان ممتاز من سندات الدين العام وسبائك الذهب . لكن البنك الاهلى رفض بحزم . **فتقدم بنك مصر الى الحكومة التى حاولت فى البداية تصفية نشاطه الصناعى تماما** ، فاسدت اليه النصح لكى يتخلص من القروض الطويلة الاجل ويبيع الاسهم والسندات التى يملكها فى الشركات الصناعية ويحول القروض التى منحها لشركة مصر للغزل والنسج (المحلة) الى اسهم وسندات يبيعها فى السوق.وبالطبع رفض بنك مصر ، وظل يقاوم المحاولة حتى اقر البرلمان قانونا بدعم البنك. عندئذ تبين أن لديه عجزا يبلغ نحو ٤٫٢٥ مليون جنيه . فمنحته الحكومة مساعدة تبلغ ٢٫٢٥ مليون جنيه على ان يساعد البنك نفسه بالباقى من احتياطيه وارباحه .

مرحلة رأس المال الاحتكارى

هنالك تم الاستيلاء النهائى على بنك مصر . **انتهى بنك مصر كرأسمال وطنى ، واستمر كرأسمال احتكارى** . لقد غدا مجرد احتكار بين الاحتكارات .

١ — قررت الحكومة قصر حضور الجمعية العمومية لبنك مصر على من يحمل عددا من الاسهم لا يقل عن ٢٠ سهما ، بحيث بلغ عددهم عندئذ نحو ٢٥٠٢ شخصا يملكون نحو ٨٦٪ من مجموع رأسماله .

٢ — قررت الحكومة تحويل أسهم البنك الاسمية الى اسهم لحامليها ضمانا لتصفية البنك كمعقل للرأسمالية الوطنية واتاحة لاستيلاء رأس المال الاحتكارى الاجنبى والمحلى عليه .

٣ — فرضت الحكومة على البنك قادة الاقطاع وكبار الرأسماليين وأصبحت ادارته بعد عام ١٩٤٠ فى أيدى : حافظ عفيفى واسماعيل صدقى وزكى الابراشى وعلى يحيى وعلى ماهر . وانضم اليهم قبل الثورة أحمد عبود والياس اندراوس .

واستقر بنك مصر نهائيا . تغلب أخيرا على عقدة مولده . واستطاع أن يتخطى ازمته. وتوقف نشاطه الصناعى تقريبا ، بينما كانت الحرب العالمية الثانية

هى فرصة الرأسمالية المصرية للتصنيع . وحتى عندما شارك فى عام ١٩٤٧ للمرة الاولى والاخيرة قبل الثورة فى تأسيس شركة مصر للحرير الصناعى، كانت الشركة عنوانا على وحدة المصالح المعقودة بين بنك مصر ورأس المال الامريكى والملك فاروق. وركز البنك جهوده على صناعة النسيج. وصفى شركات الدخان ومصايد الاسماك . وصفى عمليا شركة مصر للمناجم والمحاجر. وسلم الجزء الاكبر من اسهم شركة مصر للملاحة الى على يحيى.

لقد اصبح بنك مصر احتكارا خطيرا مركزا لمجموعة مصر، وتركزا كبيرا للنشاط المصرفى والصناعى والتجارى .

فاولا — ارتفع رأسماله من ٨٠ الف جنيه عند التأسيس الى مليونين من الجنيهات فى يناير ١٩٥٥. وبلغت احتياطياته عند التأميم نحو ٨ مليون جنيه. وبداخله اصبح ٥٠ مساهما يملكون ٤٢٪ من مجموع اسهمه، بينهم ١٠ فقط يملكون ٢٠٪ من راسماله . وصار عبود وحده يملك ١٤٪ من الاسهم .

وثانيا — اصبح بنك مصر يمثل وحده نحو ٤٠٪ من حجم النشاط المصرفى كله . وقفزت ودائعه فى عام ١٩٥٩ الى ١٠٠ مليون جنيه. وانتشرت فروعه فى مصر طولا وعرضا، حتى كان له نحو ٩٠ فرعا . وكانت الاوراق المالية فى ميزانيته تمثل حوالى ٨٠٪ من مجموع الاوراق المالية فى ميزانية جميع بنوك المقاصة فى عام ١٩٥٤، وقدرت محفظته المالية عند التأميم بمبلغ ١٩ مليون جنيه .

وثالثا — تحول البنك من جهاز لتجميع رأس المال النقدى الى شركة قابضة تسيطر على الصناعة . فاستنادا الى رأسماله وهو مليونان كان يتحكم فى شركات راسمالها الاسمى ٢٠ مليونا حتى لقد كان له فى كل شركة منها حتى عام ١٩٥٥ مكتب للمراقبة المالية . واستطاع عن طريق استثماراته الصناعية أن يحقق نوعا من التكامل الرأسى . يقولون ان مساهمته لم تكن تزيد عن ٤٪ من حجم ودائعه . لكن يجب الا ننسى تلك القروض السخية الطويلة الاجل التى منحها فى البداية لمجموعة شركاته سواء من اجل التوسع او حتى لدفع المرتبات والاجور أحيانا . ولقد تبين عند اعادة تنظيمه أن بنك مصر يملك نحو ٧٥٪ من راس مال بعض شركاته .

ورابعا — عن طريق شركاته استطاع بنك مصر أن يتبوأ مركزا احتكاريا فى الانتاج والرأسمالية . كانت مصانعه للنسيج تنتج اكثر من ربع الانتاج المصرى . وكانت نسبة ربح رأس المال تصل احيانا فى شركاته الى ٣٠ر٩٪ مقارنة بنسبة ٢٤ر٩٪ فى الشركات الاخرى . ومن ثم كان البنك على حد قول الجريتلى يبدى ارتياحه لتكوين المنظمات الاحتكارية وتدخل الحكومة لحماية الصناعة . واشترك فى اتفاقيات ودية مع البنوك الاجنبية، ومع البنك الاهلى أيضا، لتحديد سعر الفائدة والعمولة .

ولاشك ان نشاطه الصناعى كان أعظم ماقدمه البنك للبلاد . وهو الذى جر عليه نقمة الاعداء . ولقد رأينا كيف سعت حكومة حسين سرى لحمله على تصفية وجوده الصناعى لحساب قادة الاقطاع ورأس المال الكبير والاستعمار . وانما يجب أن نتضح ذاتيا فيما يتعلق بمساهمة البنك فى الصناعة فلم تكن بعض الشركات التى أسسها تمثل استثمارا جديدا. فقد وضع احيانا عددا من المنشئات القائمة سلفا تحت رعايته . واحيانا كان اقدامه على تأسيس بعض الشركات نتيجة لاعسار بعض مدينيه من رجال الصناعه ومحاولة تفادى اشهار افلاسهم . ثم تحولت العملية فى يديه من وصاية صناعية الى وصاية مالية بمعنى أنه كان — على خلاف نظامه الاساسى — يتمسك بالمشروعات التى يؤسسها حتى بعد نجاحها . ولقد توسع البنك فى صناعات عديدة كانت تعتبر تنمية هائلة للرأسمالية المصرية . لكن قدمه ظلت راسخة فى النسيج . لقد اشترك فى تأسيس ٢٧ شركة مجموع راسمالها نحو ٢١ مليون جنيه، منها ١٢ مليون جنيه فى قطاع الغزل والنسيج وحده . ولقد اهتم بالنقل والتأمين والملاحة كعمليات تابعة . **غير أنه لم يلج أبدا باب الصناعة الثقيلة** . ولقد اشترك فى تمويل التجارة الداخلية منذ تأسيسه . لكنه ترك التجارة الخارجية احتكارا فريدا للبنوك الاجنبية حتى بعد الحرب العالمية الثانية .

وبعد قيام الثورة، استمر بنك مصر فى نشاطه المصرفى بهمة اكبر . واستعانت به حكومة الثورة وساعدته كثيرا . لقد أتاحت له ان يستأنف نشاطه فى تمويل الصناعة . فتملك مثلا ٢٠٪ من أسهم شركة الحديد والصلب . وسيطر على الجمعية التعاونية للبترول ورأسمالها ١٠ ملايين جنيه . وضاعف البنك من عونه لشركاته المشتغلة بالنسيج: الحرير الصناعى، الحرير، المحلة، الرفيع . بل وساهمت الحكومة بنصف مليون جنيه فى راس مال مصر للطيران وقررت لها اعانة سنوية. ومن ثم تضاعفت أرباحه الصافية بين عامى ١٩٥٠—١٩٦٠، من ٧٨٨ر٠٠٠ جنيه الى ١ر١٣٥ر٠٠٠ جنيه . ومع ذلك لم يوجه البنك كل جهوده صوب التنمية الاقتصادية . وهكذا وجدنا أنه بينما لم تزد استثمارات البنك من الصكوك الحكومية الا قليلا من ٦ر٩ مليون جنيه فى ١٩٥٦ الى ٧ر٨ مليون جنيه فى ١٩٥٨، انخفضت استثماراته فى الشركات

والبنوك الاخرى من ٤ر٧ مليون جنيه الى ٦ر٣ مليون جنيه . وعلى العكس فقد قفزت استثماراته فى شركاته من ٥ مليون جنيه الى ٧ر٩ مليون جنيه . لقد كان البنك ينمى باطراد سيطرته كاحتكار مالى .
ومن المعلوم انه عندما اصدرت الثورة قانون ١٩٥٧ للبنوك ، توخت ان لاتتحكم البنوك فى الصناعة ، ومن ثم اشترطت الا يمتلك اى بنك اكثر من ٢٥ ٪ من راس مال الشركات . كانت الثورة تبغى بذلك الحد من السيطرة المالية التى صارت لبنك مصر . لكن البنك رفض الانصياع للنظام الجديد ، ولم تستطع الحكومة اجباره على بيع الزيادة فى محفظته خوفا من احداث ذعر فى البورصة — على حد بيان القيسونى . ومن هنا كان تأميمه فى فبراير ١٩٦٠ . وفى بداية ١٩٦١ انشئت مؤسسة مصر التى تكون راسمالها من حصص بنك مصر فى شركاته التى انفصلت عن بنك مصر . وفى يوليو ١٩٦١ تم تأميم كافة مؤسسات الجهاز المصرفى ضمانا لمصادر التمويل فى خدمة قضية التنمية الاقتصادية .

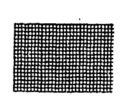
وهكذا عاد بنك مصر بفضل التاميم يواصل رسالته الوطنية التى انشىء فى الاصل من اجلها والتى صرفه عنها نظام النهب الاستعمارى الذى كان يسود .

والآن وقد استأصلت الثورة شأفة النهب الاستعمارى وعالجت بالتأميم جميع البنوك الاستعماريه والمحلية واقامت جهازا مصرفيا مصريا حقا مهمته تمويل التنمية الاقتصادية التى تحقق التحرر الاقتصادى ، اى توحيد وتحرير السوق المحلى فى ظروف طبقية اكثر تقدما تسير بالبلاد نحو الاشتراكية — الآن يمكن ان نضع سؤالا قد يبدو غريبا وهو : **هل ثمة فرصة مازالت قائمة للبنوك الاستعمارية تنفذ منها لممارسة النهب الاستعمارى فى بلادنا ؟**

لاشك ان النهب الاستعمارى لبلادنا قد توقف ، بمعنى انه قد توقفت عملية تصدير راس المال الاستعمارى الى مصر من اجل نهب ثرواتها وتسخير شعبها ، من اجل « **الاستيلاء على عمل مصرى أكبر فى مقابل عمل اجنبى أقل** » . لكن رأس المال الاستعمارى يحاول جاهدا — من الخارج — ان يحصل على اكبر قدر من عملنا فى مقابل اقل قدر من عمله . لم تعد عملية النهب الاستعمارى ممكنة فى دولة مستقلة ، بل هى تتخفى فى صورة جديدة هى صورة الاستعمار الجديد .

فقد اصبحنا نواجه الاستعمار كله ، نواجه استعمارا دوليا وليس بريطانيا فقط . لقد تم تدويل الاستعمار فى مرحلة انتصار حركات التحرر الوطنى .
واصبح النهب يتم اساسا كظاهرة دولية ، فى السوق الخارجى . فالسوق الداخلى قد صار منيعا . واذا كانت مصر قد تحررت من قبضة الاستعمار البريطانى ، فان مخطط الاستعمارية العالمية هو ان تجعل مصر مستعمرة عالمية ، للاقتصاد الراسمالى العالمى كله . ومن ثم تقف الاستعمارية دوليا ضد محاولة مصر ان تفصم علاقات التبعية للسوق الراسمالى العالمى وذلك بالوقوف فى وجه تنمية العلاقات الاقتصادية بالسوق الاشتراكى العالمى وبعرقلة قيام سوق مشتركة للدول المستقلة حديثا وبتخريب الجهود لتكوين السوق العربية المشتركة .

من هنا يضاعف الاستعمار العالمى من محاولاته لابقاء مصر مزرعة داخل الاقتصاد الراسمالى العالمى . واذا كانت مصر قد رفضت بحد السلاح وجودها كمزرعة بريطانية للانكشير ، فانه يأمل ان تكون مزرعة دولية للاحتكارات العالمية ! ولذلك يحاولون ان تبقى مصر بمثابة الريف من المدينة .
ومن الطبيعى ان يواصل راس المال الاستعمارى مهمته تلك بالوقوف بكافة الوسائل فى وجه التصنيع — باستخدام طرق دولية مثل احتكار الائتمان الذى تمنحه الهيئات الدولية ، وحبسه عن مصر ، والمضاربة على العملة المصرية ، وحمل مصر على استنزاف رصيدها ومواردها من العملة الاجنبية والذهب ، واستغلال التجارة الدولية لتعميق معالم اقتصاد المحصول الواحد وفرض علاقات عدم التكافؤ فى التبادل الدولى . وهذا كله هو ما نسميه **النهب شبه الاستعمارى** فى ظل الاستعمار الجديد . وهو موضوع آخر جدير بدراسة اخرى .



تقارير الشهر

* مناورة فى مجلس الامن ومزاد فى سالزبورى
* التســـــويق التعـــــاونى للارز والقطن
* الوحدة الوطنية تكريما لعبد الســـلام عارف
* هـــل تدب الحيـــاة فى جمعيـــة الادبـــاء ؟

■ **الاتحاد الاشتراكى**

مؤتمرات وندوات واجراءات تنظيمية

اجتمع الرئيس **جمال عبد الناصر** باعضاء المكاتب التنفيذية لمحافظات القليوبية ، والمنوفية والغربية . وكان **كمال الدين الحنساوى** امين اتصال الوجه البحرى قد اجتمع من قبل باعضاء هــذه المكاتب لدراســة مشــاكل التطبيق الاشــــتراكى والاتفاق على تنسيق عرض الموضوعات المشــتركة فى المحافظات الثـلاث عند اجتماعها بالرئيس **جمال عبد الناصر** .

وكان **على صبرى** الامين العام للاتحاد ، قد اجرى مناقشــة مفتوحة معهم ، تناولت مشاكل الجماهير وآراءها والاسلوب الذى اتبعه كل مكتب فى دراستها ومواجهتها ، كما دار النقاش حول الموضوعات التى وردت بخطاب الرئيس **عبد النــاصر** بالســويس وما قــام به كل مكتب لتوضيح الموضـــوعات التى عرضها الرئيس بحيث تتعمق مفاهيمها لدى القواعد الشعبية .

وقد اثار بعض الاعضاء موضوعات تمت دراستها واعداد تقارير شانها على نطــاق المحافظة ، وتبين ان بعض هــذه الموضوعات مشتركة بين المحافظات الثلاث وبعضها عام يمس المجتمع فى انحاء الجمهورية وخاصة فى قطاعات الزراعة والرى والانتاج والدعوة والفكر وموضوعات عن الاســتهلاك وصور من الانحــراف فى بعض نواحى نشاط وتصرفات الراســمالية الوطنيــة .

هذا وقــد تقرر ـــ حتى كتابة هذا التقرير ـــ عقــد مؤتمر السكرتيرين العامين للمحافظات، يشترك فيه ايضا السكرتيرون المساعدون بها ، يحضره ٤٨ عضوا منهم ، ويشترك فى مناقشاته محافظو الاسكندرية والبحــيرة والقليوبية والجيــزة والفيوم وسوهاج ، وعدد من خبراء الادارة ، منهم السيد **حلمى السعيد** رئيس الجهــاز المركزى للتنظيم والادارة . واهم النقاط التى صرح الدكتور **السيد زكى** رئيس اللجنــة المشرفة على اعــداد المؤتمر ، بانها مقترحة للمناقشة هى :

● دور الادارة المحلية على ضوء ما نص عليــه الميثاق ـــ وعلاقة اللجان الاساسية والمكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكى بالمجالس المحلية على مستوياتها الثلاث .

● تطوير اختصاصات وسلطات المجالس المحلية ودورها فى اقتراح الخطة العامة للدولة . وامكان استحداث موارد مالية جديدة لها ، وعلاقة الاجهزة المركزية بالاجهزة المحلية .

● دراسة البناء التنظيمى للمجالس المحلية .

● مشكلات العاملين بالمحافظات والمحليات .

● التمويل المحلى والموارد الاقتصادية والطبيعية والبشرية للمجالس المحلية ، ثم التخطيط القومى وتاثيره على التخطيط المحلى .

● عرض مقارن لنظام الادارة المحلية ، ثم مناقشة مع احد الخبراء الفرنسيين حول نظام الادارة المحلية فى فرنسا .

ومن اهم الاقتراحــات التى بعثت بها المحافظات التوســع فى اعطاء مزيد من السلطات للمحافظين بحيث يكون لهم اختصاص وزراء الخدمات فى دوائر اختصاصهم ماليا واداريا ، وان يعهد الى المحافظين ببعض اختصاصات رئيس الجمهورية .

ومن اهم الانجازات التى تمت فى نطاق الاتحاد ، ما حققه المكتب التنفيذى فى الدقهلية . اذ اســـتطاع من خلال العمل السياسى وبالاشتراك مع اللجان والقاعدة الشعبية ، القضاء على اكثر من مشكلة ووضع الحلول العملية لها لتنجح فى تنظيم وتوزيع السلع الاستهلاكية التموينية بالمحافظــة ، عن طريق مراقبة التصرف فى السلع نفسها ، وتقسيم حصة المحافظة الى

حصص للمراكز وتسليم حصة كل مركز لعدد من التجار . وتقوم لجنة الاتحاد بمراقبة عملية التوزيع من التجار الى المستهلك وعند وجود اية مخالفة يحرم التاجر من استلام حصته بعد اجماع اللجنة على ذلك . كما استطاع المكتب ايضا خفض اسعار الاحذية الى ثلث الثمن الحالى لها ، وبدء مشروع غابات ناصر للتوت لتجميل القرى وزيادة دخل الاسر بها ، واختير مركز السنبلاوين كرائد للتجربة ، كما نجح فى انشاء طريق يربط ٦ قرى تبرع الاهالى عند انشائه بالجهد والارض والادوات . وبذلك وفرت مبلغ ٩٧ الف جنيه كان مدرجا لانشائه . كما عجت بتنفيذه ويقوم المكتب الان بدراسة مشروع جديد يستهدف حماية مصلحة عامل الترحيلة لا الحائز او المالك فحسب وعلى اساس ربط هذا التجمع الجماهيرى - مجموعات عمال التراحيل - بالعمل السياسى على مستوى مراكز تجمعهم . وقام بجمع ٢٠٫٠٠٠ جنيه تبرعات من الاهالى لانشاء مستشفى جديد ، تبرع اطباء المحافظة للعمل فيه مجانا

وتابع الاتحاد الاشتراكى عقد ندواته لمناقشة القضايا والمشاكل المثارة على نطاق جماهيرى والتى تعتبر من تحديات التحول الاشتراكى ، ومن أهمها مناقشة سياسة التعليم الجامعى والعالى التى راسها كمال رفعت أمين الدعوة والفكر وتضمنت اهداف التعليم الجامعى والبحث العلمى ومشكلاته وقبول الطلاب بالجامعات ونظام العمل بمكتب التنسيق ونظم الامتحانات وتطويرها وبناء هيئات التدريس وخلق التفاعل بينها وبين العمل السياسى

وأصدرت اللجنة التنفيذيه العليا قرارا بحل لجنتين من لجان الاتحاد بسبب سلبيتهما وانقسامهما وعدم قيامهما بدورهما السياسى ، وشكلت لجان مؤقته بديلة . ويتوقع الكثيرون لهذا الاجراء ان يؤدى الى تنشيط اللجان والتغلب على تيار السلبية والتراخى ، اذ ذيقضى على الاتجاه السائد باعتبار الانتماء لهذه اللجان مجرد عضوية شرفية ، لا عملا نضاليا ومسئولية وجهادا من اجل البناء الاشتراكى .

●

■ الجمهورية العربية المتحدة

المصروفات = الايرادات، بلا ضرائب جديدة

وافقت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى على مشروع الميزانية الجديدة للدولة فى السنة المالية ٦٦/١٩٦٧ . وقد اعلن « ان الميزانية الجديدة لا تشتمل على فرض اية ضرائب جديدة ولا اية زيادات جديدة فى الاسعار » . وتبلغ حجم الانفاق فى الميزانية الجديدة ١٣١ مليون جنيه بزيادة قدرها ١٠٤ مليون جنيه عن الميزانية الحالية . وتقضى الميزانية الجديدة بزيادة اعتمادات لخفض تكاليف المعيشة الى ٣٦ مليون جنيه « لمواجهة التكاليف التى تتحملها الدولة عن المستهلك نتيجة فروق اسعار السلع التموينية » .

وتبلغ اعتمادات مصروفات ميزانية الخدمات ٧٠٦٫٢ مليون جنيه منها للاجور والمرتبات وحدها ٢٤١٫٦ مليون جنيه بزيادة ٦٫٦ مليون عن الميزانية الحالية ، وتبلغ اعتمادات « المصروفات الجارية » ٩٢٫٩ مليون جنيه بزيادة ٨٫٢ مليون جنيه [illegible] جديدة للتربية والتعليم

وتدعيم مستلزمات المستشفيات والخدمات المحلية ومشروعات الرى . وخصص للمشروعات الجديدة فى ميزانية الخدمات مبلغ ٤٧٫٢ مليون جنيه . اما القوات المسلحة والدين العام واعتمادات خفض تكاليف المعيشة فقد بلغ مجموع مارصد لها ٣٢٤٫٤ مليون جنيه بزيادة ٢٣٫٣ مليون جنيه . هذا وتبلغ ايرادات ميزانية الخدمات ٧١٦٫٩ مليون جنيه ستحول للمشروعات الانتاجية .

وبالنسبة لميزانية الاعمال فقد انتهت مناقشات مجلس الوزراء الى « موازنة الاستخدامات والموارد » فى حدود ١٠٨٤٫٣ مليون جنيه .

وجدير بالذكر ان الميزانية الجديدة تعتمد مبلغ ١١ مليون جنيه « لمواجهة العلاوات الدورية التى ستصرف فى مايو المقبل » . كما تعتمد مبلغ ٩ ملايين جنيه « لاستيعاب جميع الخريجين من المعاهد والكليات النظرية والمدارس المتوسطة » . وتقوم بتوزيع هذا الاعتماد اللجنة الوزارية للقوى العاملة بالاتفاق مع الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ووزارة الخزانة . وقد وضعت بعض التوجيهات العامة الخاصة بتحقيق التوازن بين درجات السلم الوظيفى واتاحة الفرصة للترقى امام صغار العاملين .

وتبلغ المصروفات الاستثمارية فى مشروع الميزانية الجديدة ، ٣٦٢٫٥ مليون جنيه . خصص منها لقطاع الصناعة والكهرباء ما يعادل ٣٢٫٦ ٪ من مجموع الاستثمارات . وخصص لقطاع الزراعة والرى مبلغ ٧٢٫٤ مليون جنيه ولقطاع السد العالى نحو ٦١٫٧ مليون جنيه وقطاع النقل والمواصلات وقناة السويس ٥٠٫٤ مليون جنيه وقطاع الاسكان والمرافق ٢٣٫٦ مليون جنيه والخدمات الصحيه ١٫٨ مليون جنيه والتعليم والبحوث العلمية ، ٧٫٢ مليون جنيه والخدمات الثقافية والسياحيه ١٫٥ مليون جنيه والتموين ٧٫٥ مليون جنيه .

●

المستقبل للتعليم الفنى

فى الخطة الخمسية الثانية ، بلغت استثمارات التعليم ١٢١ مليون جنيه ، منها ٦١ مليونا للتوسع فى مشروعات وزارة التربية والتعليم ومايزيد عن ١٦ مليونا للجامعات ، ١٥ مليونا للتوسع فى التعليم العالى وانشاء معاهد عليا جديدة ، ١٠ ملايين للازهر وجامعاته ، ١٣ مليونا للبحث العلمى » هذا عن المبالغ المخصصة للتوسع فى حجم التعليم فماذا عن نوعها »

فى مؤتمر عقدته النقابة العامة للعاملين فى المناجم والمحاجر تحدث الدكتور لبيب شقير ، عن الصعوبات التى واجهت تنفيذ الخطة الاولى وقال أن من اهمها ضعف الكفاية الانتاجية والنقص فى التدريب والفنيين ، فالخطة لكى تنفذ لابد لها من اعداد فنيين كافيين لتنفيذها . وفى الواقع فان هذا الاعداد ، كما يقول نفس الدكتور فى مجال آخر «قد تأخرنا فى انجازه ، كان علينا لو أردنا توفير الفنيين أن نعدهم قبل ذلك بخمسة أو ستة سنوات ... ولابد أن نوفر الفنيين لفترات مقبلة بعيدة بحيث يكون هناك تيار متجدد منهم » . والواقع أن مشكلة أعداد الفنيين ، يتوقف على حلها مصير البلاد النامية . فقد عمل الاستعمار على تخريج الكتبة والموظفين اللازمين فقط لادارة مشاريعه الرأسمالية . اما الكادر الفنى الوطنى فقد عمل بوعى على منع تكوينه ، حتى لا تفكر المستعمرات فى استغلال ثرواتها بنفسها وتضطر للاعتماد عليه ، وقصة المرشدين فى قناة السويس

مازالت ماثلة في الاذهان . والجمهورية العربية المتحدة وان كانت اسعد حظا درجة لايمكن مقارنتها معها من البلاد النامية الا انها مازالت تشكو تخلف الكادر الرئيسي كما وكيفا عن المهام الكبيرة المطروحة امامها ، وتبين نتائج ابحاث الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء التي أرسلت الى وزير التربية والتعليم ومديري الجامعات وعمداء المعاهد العليا ان :

القطـــاع الهندسي يشكو نقصا في المهندسين المدنيين ، والهيدروليكا والرى والطرق والمواصلات

ـ الهندســة الميكانيكية : ثلثى المهندسين حديثى التخرج ، والحاجه ماسة الى متخصصين في الهندسة الميكانيكية والبحرية

ـ الهندســة الكهربائية : يقتضى التوسع الكبير في كهربة البلاد وتقدم التليفون الالى والتلغراف الكاتب والاذاعـة والتلفزيون والرادار ، زيادة عدد المتخصصين في هذه الفروع

ـ الهندسة المعمارية : تقتضى تعويض النقص في المهندسين المعماريين

ـ المهن الطبية لا تستدعى ايجاد نوع من التوازن بين عدد السكان وعدد الاطباء ، ففى مجال كفاية الخدمات الطبية تحتل بلادنا المركز الرابع عشر بين دول العالم » كما ان هناك نقصا في المتخصصين في المهن الزراعية وفي الطب البيطرى وفي العلوم ولهذا بدأت حملة شاملة من البحث والتقصى منذ اوائل ١٩٦٥ لمعرفة الامكانيات الحالية واوجه القصور ، وطرق التغلب عليها وكونت دراسات عديدة وأرسلت بعثات لبحث تجارب البلاد الاخرى في التغلب على مشكلة الكادر الوطنى . وجاءت البعثة

تعليـــق

حول مشروع قانون المؤسسات العامة وشركات القطاع العام

يقدم مشروع قانون المؤسسات العامة وشركات القطاع العام مثلا رائدا في تطوير القوانين التى تنظم العلاقات الاجتماعية في بلادنا ـــ تطويرا دون نقطة البداية فيه ماحدث في المجتمع نتيجة صـدور القوانين الاشتراكية في يوليو ١٩٦١ « فلقد اثمرت هذه القوانين خلق قطاع عام قادر يقود التقدم في جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية في خطة التنمية » الا ان تنظيم نشاط القطاع العام كانت تحكمه قوانين سابقة عليه لا يمكن ان تتسع ـــ تفسيرا وتطبيقا ـــ لتنظيم العلاقات الاشتراكية الوليدة وتمكن لهـا طريق النمو الرشيد .

فالشركات المؤممة كانت تخضع أساسا للقانون ٢٦ لسنة ١٩٥٤ . والمؤسسات العامة كانت تنظمها قوانين صدرت مابين سنة ١٩٥٧ و١٩٦٠ . وعلى الرغم من الارتباط العضوى والوثيق بين الشركة والمؤسسة المهيمنة على نشاطها كانت احكام كل من الجهازين موجودة في قانون مستقل . وحتى بعد صدور قانون المؤسسات عام ١٩٦٣ ظلت شركات القطاع العـام خاضعة لقانون سنة ١٩٥٤ ـــ هـــذا القانون الذى وضع اساسا لحكم الشركات الخاصة ، والذى استمر مع ذلك يحـكم شركات القطاع العام

ولاول مرة يقدم لنا مشروع القانـون الجديد تنظيما لمنشآت القطاع العـام وحدها . فبالنسبة للشركات افرد مشروع القانون لها تنظيما مستقلا عن شركات القطاع الخاص . ومن ناحية أخرى ربط بين مختلف أجهزة القطاع العام تجمع في صعيد واحد بين المؤسسات العامـة والشركات الخاضعة لها بما يحقق والوحدة العضوية بين المستويين

ولقد اعتبر المشروع الجديد شركـة القطاع العام هى كل شركة يمتلكها شخص عام بمفرده او يساهم فيها مع غيره من الاشخاص العامة » وكل شركة يساهم فيها شخص عام او اكثر مع اشخاص خاصة أو يمتلك جزءا من رأس مالها أيا كان مقداره ـــ وذلك اذا صدر قرار من رئيس الجمهورية باعتبـارها شركـة قطاع عام » ومعنى هذا النص انه اذا لم يصدر هذا القرار ، فان الشركة الـتى يساهم فيها القطاع العام بأمواله مع القطاع الخاص تعتبر شركة من شركات القطـاع الخاص ، وتخضع للنظم التى تحكم هذا القطاع الاخير .

ولم يوضح القانون ان هذه المساهمة من جانب الشخص العام في الشركـات الخاصة يترتب عليها اى اثر في ادارته او الرقابة على نشاطه . هذا في حـين ان قانون المؤسسـة الاقتصادية الصادر سنة ١٩٥٧ كان يعطى رئيس مجـلس ادارتها حقوقا في الرقابة على قرارات مجالس ادارة الشركات التى تسـاهم فيها . بل ان قانونى التأميم الجزئى ١١٨ و ١١٩ لسنة ١٩٦١ اخضعا قـرارات الشركات التى للقطاع العام فيها نصيب لتصديق المؤسسات المشرفة عليها

ولقد افرد المشروع للشركات الـتى يساهم فيها شخص عام مع رأس مال اجنبى حكم خاص ـــ اذ اجاز بقرار مـن رئيس الجمهورية وضع نظم خاصة بهذه الشركات دون التقيد بأحكام شركـات القطاع الخاص .

والواقع ان الشركات التى يسـاهم فيها القطاع العام مع القطاع الخـاص ـــ سواء كان محليا ام اجنبيا ـــ تحتاج الى تنظيم واضح يبين الاثار التى تترتب على مساهمة القطاع العام في رأس مالـها سواء من ناحية الادارة او الرقابة او نظم العاملين فيها او طريقة تشكيل مجالس ادارتها وجمعياتها العمومية .

ولقد جاءت المادة ٨٣ بحكم جديـد اذ نصت على ان تتحول شركة القـطاع العام الى شركة مساهمة خاصة اذا أصبح الشخص العام غير مساهم فيه .

ولم يتضمن مشروع القانون تنظيمـا لانسحاب القطاع العام من شركاته ـ على خطورة هذه الظاهرة . فلم يوضح متى يكون هذا الانسحاب جائزا ، والجهـة التى تملك اصدار هذا القرار »

هذا ـــ ولقد كان من اهم الاثار التى ترتبت على سيطرة الشعب على وسائل الانتاج وملكيته لانواع منها ـــ أن اصبح للعاملين سلطة المشاركة في ادارة هذه الوسائل . ولقد نص المشروع على هذا المبدأ حين نص على ان يشكل مجـلس ادارة الشركة من تسعة اعضاء عـلى الاكثر يكون من بينهم اربعة اعضــاء ممن يعملون فيها

الا ان المشروع تضمن في المادة ٥٨ حكما يقضى بأنه يجوز بقرار من الوزير المختص ايقاف رئيس واعضاء مجلس ادارة الشركة المعينين والمنتخبين كلهم او بعضهم بصفة مؤقتة ـــ وتعيين مفوض او اكثر لمباشرة سلطات مجلس الادارة ورئيسه .

ولقد جاء هذا النص مطلقا من كـل قيد سواء من ناحية بيان الاحوال التى يجوز فيها هذا الايقاف ، او المدة التى يسرى الايقاف خلالها . واذا كان المشروع قد جعل لرئيس الجمهورية حق تعيين الاعضاء المعينين ، كما جعل لجماعـة العاملين بالشركة حق اختيار الاعضـاء المنتخبين ـــ فانه يكون من الصعب التسليم للوزير بحق ايقاف هؤلاء الاعضاء جميعا نوعيهم ـــ والى اجل غير مسمى .

ولهذا فانه يبدو من اللازم أن يتضمن النص تحديدا لمدة معينة تمارس فيها السلطات لمجلس الادارة ، أو يعاد تشكيله طبقـا للقانون

وليم سليمان

المصرية التى زارت الصين بخبرة عميقة فقد ربطت الصين التعليم بالعمل ، بيقضى الطلبة جزءا من يومهم الدراسى فى الفصول ، والجزء الاخر فى المصانع والمزارع يطبقون ماتعلموه من مبادىء نظرية . واستقدمت الحكومة خبراء اجانب ، فجاءت لجنة من خبراء التعليم والتدريب بالاتحاد السوفيتى ، وهو ذو خبرة عنيفة فى هذا الصدد ، فقد بدأ ثورته الصناعية وهو لايملك من الكـــادر الا القليل لان أغلب المتخصصين كانوا موالـــين للنظام الراسمالى الاقطاعى ممادفعهم الى الهرب ومعاداة النظام الجديد . وبعد اجتماعات استغرقت شهرين قابلت اللجنة ٩ وزراء ، وتفقدت ٢٠ مؤسسة صناعية ، وزارت ٣٦ منشأة تعليمية ، ورفعت اللجنة تقريرا الى المختصين اشارت فيه الى أن مستوى التعليم العام لايساير المشروعات الصناعية الضخمة فى خطة التنمية ، وطالبت بتعديل البرامج ، وتخفيف العبء على الجامعات والتوسع فى المعاهد العليا الفنية ومراكز التدريب المهنى لتوفير الافراد الفنيين اللازمين لتنفيذ مشروعات الخطة

وفى نفس الوقت تقدمت لجنة تمثل تسعة وزارات وهيئات بتقرير تطالب فيه بتعديل التعليم الثانوى والاعدادى ، واعدت مشروعا بزيادة سنوات الدراسة بمراكز التدريب وتحويلها لمعاهد تدريبية وضمت هذه اللجنة ، وزارات التعليم العالـــى ، والصناعات الثقيلة والتربية والتعليم والصناعة الخفيفـــة والكهرباء والعمل والتخطيط والجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، والاحصاء والتعبئة . واعدت السكرتارية الدائمة للجنتى الافراد والتخطيط ، بوزارة التخطيط بحثا يمثل ما انتهى اليه راى ممثلى الوزارات والهيئات ، طالب بتحويل الضغط على الجامعات بامتصاص الحاصلين على الثانوية العامة فى معاهد فنية ، لا بالنسبة للمجموعة الهندسية فقط بل فى كل النواحى الاقتصادية ـــ الزراعية والاقتصادية ـــ كما طالبت بالتوسع فى التدريب

وعقدت وزارة التربية والتعليم مؤتمرا هاما لتطوير التعليم الصناعى ، كما اوصت بعقد مؤتمرات محلية فى كل محافظة ، وقدمت اقتراحات بانشاء مدارس فنية اعدادية وثانوية ، تقبل بدون مجموع وتلحق بالمصانع والدراسة فيها نظرية وعملية فى نفس الوقت ويكون الاولوية فيها لابناء العاملين فى المصانع كما اقترح تفضيل خريجى المدارس الفنية فى القبول بالجامعات

وفى المؤتمر الذى عقد بمدينة اسوان ، لربط التعليم بالبيئة ، اتخذت قرارات فى منتهى الاهمية لتخريج فنيين على درجة كبيرة من الوعى بخصائص بلادهم ، وفى نفس الوقت لاتقل معلوماتهم عن زملائهم فى البلاد الاخرى . وقررت اللجنة الوزارية للقوى العاملة فى اجتماعاتها الاخيرة ، التوسع فى تخريج الاطباء البيطريين والبشريين ، واطباء الاسنان ، والمهندســـين ، والمحاسبين ، والتوسع فى فتح كليات جديدة وتنظيم دراسات تدريبية لتخريج رؤساء العمال المهرة فى المهن المختلفة ، وتخريج مساعدى الفنيين ، وتنظيم دراسات متتالية فى المدارس الصناعية والتوسع فى انشاء المدارس الصناعية النوعية بعد الشهادة الاعدادية ، وطالبت بالحد من الكليات النظرية .

وقد انتهت اللجنـــة الوزارية للقوى العـــاملة التى راسها الدكتور عبد القادر حاتم وضمت السيد يوسف وصدقى سليمان ولبيب شقير وحسين سعيد وانور سلامة ، بعد دراسة استمرت ٦ شهور ، بتقرير رأت فيه تعديل البرامج الدراسية وتطويرها واعادة النظر فى نظام القبول والتركيز على التعليم الفنى والمهنى واعادة تنظيم المعاهد العليا والغاء البعض منها ، واعادة النظر فى فئات المرتبات للعاملين فى الدولة للقضاء على المفهوم الحالى لتسعيرة الشهادات . وتستهدف السياسة الجديدة الوصول بعدد الملتحقين بالمعاهد الفنية الى ٧٥٪ من مجموع الدارسين فى كل مرحلة تعليمية . فخريجـــو الكليات النظرية فى الخمس سنوات القادمة يزيدون عن حاجة الخطة ، بينما يبلغ المتخرجون من المعاهد والكليات العملية ٨٢٠٠ بينما المطلوب ٩٦٠٠ ، وستخرج مراكز التدريب ١٥٠ الف عامل متوسط المهارة بينما المطلوب ٤٣٤ الفا وفى نفس الوقت تشير الاحصاءات الى أن هناك عجزا قدره ١٣٩ الفا من العمال المهرة ومساعدى الفنيين ، ٢١٣ الفـــا من الفنيين والفـــا من الاخصائيين ولهذا اقترحت اللجنة اعادة النظر فى سياسة التعليم كما يلى :

١ ـــ نظام القبول : تصبح مدة الدراسة فى الابتدائى ٥ سنوات فقط وسنة سادسة للممتازين فى حدود ٣٠٪ يتم اعدادهم للقبول فى اعدادى . وتكون مدة الدراسة فى الاعدادى ٣ سنوات يلحق بعدها ٣٠٪ بمراكز التدريب ، ٢٥٪ بالمدارس الثانوية الفنية ، ٢٥٪ بالمدارس الفنية المتخصصة (المقترح انشاؤها لاول مرة) ، ٢٠٪ للثانوى العام فالجامعات

٢ ـــ تعديل الدراسة فى الجامعة : الاستمرار فى القبول بالمعدل الحالى فى كليات الهندسة والطب والصيدلة والطب البيطرى والاقتصاد والعلوم السياسية والتوسع فى القبول فى طب الاسنان (وانشاء كلية جديدة) والعلوم والحد من القبول فى الكليات النظرية والغاء الانتساب تماما فى كليات الحقوق والاداب والتجارة

وبهذه الطريقة يمكن تعويض النقص فى الكادر الفنى وتوفير احتياجات البناء الاقتصادى وارساء قيم جديدة من العمل الفنى ، وتغيير النظرة القديمة الى من يعمل بيديه .

●

التسويق التعاونى للارز والقطن

تم فى النصف الاول من الشهر الماضى ، وضع النظام الكامل للتسويق التعاونى لمحصولى القطن والارز فى الموسم الجـــديد . وقد تعاونت مختلف اجهزة الدولة والمؤسسات والهيئات المعنية باقتصاديات القطن والارز الاشتراكى الاجتماعات التى أعد فيها النظام الجديد .

وتقرر فى مجال التسويق التعاونى للقطن ، العمل على تنظيم حملات « لتوعية الزراع من الان بأفضل الوسائل للعناية بنظافة محصولهم وتعبئة وتوريد كل (جنية) على حدة دفعة واحدة حتى يحصلوا على أعلى سعر ممكن » . واتفق مع المحافظين على تحـــديد مواعيـــد بدء الدراســـة فى المـــدارس الاعدادية والابتدائيـــة بتيسرى منـــاطق الانتـــاج « على ضـــوء موعد انتهـــاء عملية جنى المحصـــول فى كل محافظة » . وقد رفعت سلفة الجنى الى ٦ جنيهات للفدان ، وتحدد لجنة التسويق التعاونى فى كل محافظة موعد صرف هذه السلفة طبقا لظروف المحصول ومواعيد جنيه . كما تصرف سلف التسويق التعاونى للقطن على اساس ٥ جنيهات للفدان على ان يقتصر صرفها للزراع المسددين لسلف الشـــتوى » ويصرف الثمن المبدئى للمنتجين خلال ٤٨ ساعة من تسليم المنتج لاقطانه لمركز التجميع . ولاول مرة تقرر فى الموسم الجديد « أن يمنح الزراع الذين يسلمون اقطانهم لمراكز التجميع قبل منتصف سبتمبر فى الوجه القبلى وحتى آخر سبتمبر فى الوجه البحرى ، علاوة توريد قدرها ٣٠٠ مليم عن كل قنطار . وتنخفض هذه العلاوة الى ١٥٠ مليما للكميات التى تسلم اعتبارا من ٥ الى ٣٠ نوفمبر » . ويعمل النظام الجديد لتســويق القطن على تشجيع الزراع على العناية بجنيه ونظافته وتعبئته ، فقرر لاول مرة « التدرج بعلاوة التحسين التى تصرف للمنتجين بالزيادة كلما ارتفعت رتبة القطن المورد » .

أما بالنسبة لمحصول الارز الذى بدا يلقى اهتماما واسعا من جانب المسئولين ، لزيادة انتاجه ـــ كما وكيفا ـــ ، فقد تقرر « أن يشترك الاتحاد الاشتراكى فى عمليات حصر الحيازات وتحديد

ديون الزراع وكيفية سدادها والطعن فيهـا » . كما حددت المساحه المزروعه ارزا في محافظات ابد وبق حوالي ٨٨٨الف فدان يقدر انتاجها حاليا حوالي ٢ مليون ضريبة سيتم تسويق مليون و٣٢٠ الف ضريبه تعاونيا . وقد حرص النظام الجديد لتسويق الارز تعاونيا على تحديد نسبة رمزيه اعلى من السعر تبعا لدرجه نظافه كل ضريبه . وتتم محاسبة الزراع على ثمن محصولهم من الارز خلال ٤٨ ساعه على الاكثر من تاريخ عمليات فرز الارز وفي نفس الوقت تقرر غرامه على كل مزارع « لا يقوم بتوريد كل أو جزء من كمية الارز المقررة عليه توريدها للتسويق التعاوني» على أساس ٢٤ جنيه عن « كل ضريبه أرز لا تورد » . ويحظر النظام الجديد على التجار والفراكات « التعامل في تجارة الارز في محافظات التسويق التعاوني خلال الفترة من منتصف سبتمبر الى منتصف فبراير القادم ولا يجوز للسوك التجارية التسليف على الارز لتجار هذه المحافظة .

ويرى المراقبون المهتمون بشئون الاقتصاد الزراعي ، ان الدوله تهتم اليوم بمحصول الارز وتحرص على تسويقه تعاونيا حتى لا تعطى كبار التجار فرصة التحكم في زراع الارز او في المستهلك . وتعمل في نفس الوقت على تحسين انتاجية المحصول من الناحية الكمية بشكل خاص وكذلك من الناحيه النوعيه ، بعد ان اتضح أن هناك كثرة في الطلب على الارز المصري في الخارج بحيث يمكن أن تساهم عمليات تصديره في تغطيه حاجة خطه التنمية للعملات الصعبة لتنفيذ المشروعات التي تعمل على انجازها .

●

لقـــــاء

اكد البيان المشترك لمحادثات الرئيس **جمـال عبد الناصر** والامير **صباح السالم الصباح** امير دوله الكويت ، اتفاق الجمهورية العربيه المتحده والكويت على ضرورة اتحاد كلمة العرب للقضاء على المؤامرات الاستعماريه في الوطن العربي .

واكد الطرفان اصرارهما على تقديم كل الامكانيات المادية والمعنويه من اجل قضية فلسطين ، وتأييد منظمه التحرير . وأعربا عن تأييدهما لحق شعب الجنوب المحتل في الحريـة والاستقلال وحق شعب عمان في تقرير مصيره .

وقد تناولت المباحثات ايضا الموقف الدولي . واكد الطرفان ايمانهما بضرورة العمل من أجل تحقيق السلام في جميع انحاء العالم على أساس من العداله واحترام حق الشعوب في تقرير مصيرها . كما اكدا تمسكهما بالامم المتحدة ، والتزامهما بسياسة عدم الانحياز القائمه على تصفيه الاستعمار بمختلف اشكاله .

ووجه الشيخ صباح السالم الصباح الدعوة الى الرئيس جمال عبد الناصر لزيارة دولة الكويت والتي تقبلها الرئيس عبد الناصر .

وقد اجتمع اخيرا **محمود رياض** وزير الخارجيه بالشيخ **صباح الاحمد الجابر** وزير خارجية الكويت لاستكمال المشاورات التي تجرى حول قضيه اليمن والمساعي التي تبذلها الكويت للتوسط فيهـا . وكان قد اجتمع قبلهـا **بحسن صبري الخولي** الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية لنفس الغرض .

وقد أوضحت الجمهورية العربية المتحدة في هذه الاجتماعات الظروف التي أحاطت بتوقيع اتفاق جدة للسلام وحسن النية المطلق الذي حرصت الجمهوريه المتحدة عليه بتوقيعها هذا الاتفاق . كما أوضحت وقائع الاتصالات التي تلت توقف مؤتمر حرض، وتطور الاتصالات بين القاهرة والرياض والجهود المتصلة التي بذلتها للحفاظ على اتفاق جدة نصا وروحا ، وما لقيته الجمهورية المتحدة في هذا السبيل ، وذلك كي يكون الوزير الكويتي على بينة بالوقائع الحقيقيه للقضية ، قبل اجتماعه **بالملك فيصل**

وقد لاحظ المراقبون انه برغم الاختلاف في الاوضاع الاقتصاديه والاجتماعيه لكلا البلدين ، الا أن بيانهما المشترك قد عبر عن امكانيات العمل المشترك من اجل تقدم الاوضاع السياسيه العربية .

●

■ العـــراق

الوحدة الوطنية تكريما لعبد السلام عارف

على اثر الحادث الاليم الذي اودى بحياة الرئيس الراحل **عبد السلام عارف** والذي كان له صدى عميقا في مختلف انحاء الوطن العربي ، تم انتخاب اللواء **عبد الرحمن عارف** رئيسا جديدا للجمهورية بعد ساعات قليلة من توديع أخيه الراحل .

وقد تم انتخابه بالاجماع يوم ١٧ ابريل الماضي في جلسة مشتركة لمجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني طبقا لاحكام الدستور المؤقت .

وبعد ان ادى الرئيس الجديد القسم، قدم له الدكتور **عبد الرحمن البزاز** رئيس الوزراء استقالة حكومته عملا بالقواعد الدستورية وقد كلفه الرئيس عبد الرحمن عارف بتشكيل الوزارة الجديدة التي تم تأليفها في ١٨ ابريل برئاسة البزاز .

والرئيس عبد الرحمن عارف (٤٩ سنة) ، تخرج من الكليه الحربية عام ١٩٣٧ وتدرج في مناصب الجيش. واشترك في بداية حياته العسكرية في ثورة **رشيد عالي الكيلاني** ضد الاستعمار البريطاني عام ١٩٤١ . وقاد عبد الرحمن عارف بالاتفاق مع الرئيس الراحل الفرقة الخامسة لاسقاط حكم البعث الذي سيطر على السلطة في العراق بعد فبراير ١٩٦٣ . كما قاد بنفسه فصيلة الدبابات الرابعة وحارب حرس البعثيين المسلحين مما مهد للقضاء على الحكم الحزبي. وقد عين عبد الرحمن عارف في ديسمبر ١٩٦٣ وكيلا لرئيس الاركان ورقي في ١٩٦٤ الى رتبة لواء . واجرى محادثات باسم الرئيس الراحل مع **الملا مصطفى البرزاني** لبحث مسألة الاكراد ولكن المحادثات فشلت . وقد مثل العراق في احتفالات الذكرى الثالثة عشرة لثورة يوليو في القاهرة، على رأس بعثة عراقية. وعين في عام ١٩٦٥ عضوا في المجلس الجمهوري الثلاثي الذي ينوب عن الرئيس الراحل اثناء غيابه في المغرب لحضور مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء . وقام عبد الرحمن عارف بمهمة دقيقة هي اعادة انشاء علاقات وثيقة بين العراق والاتحاد السوفيتي. وفي اثناء قيامه بهذه المهمة في موسكو وقعت الحادثة المؤلمة فقطع رحلته وعاد الى بغداد لتبدأ مهمة جديدة من حياته .

وقد اشاد الرئيس العراقي بالروابط الاخوية بين القاهرة وبغداد. وقال ان وحدة العمل بين البلدين هي دائما قاعدة التضامن العربي ومنطلق الكفاح القومي التحرري. واكد ان العراق لن ترتبط بأية احلاف مهما كان نوعها. وقال الرئيس العراقي «ان الوحدة الوطنية والاتجاه الى زيادة مواردنا ورفع مستوى المعيشة للنهوض بالصناعة والزراعة، هو قوة لنا » . وبالنسبة لمشكلة الاكراد اكد عبد الرحمن عارف «اننا لا ننكر قومية الاكراد» .



عبد السلام محمد عارف

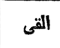
واضاف «اننا نؤمن بحل قضية الاكراد عن طريق اعطائهم الحكم المحلى الذى يبرز قوميتهم ويحافظ على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم» .وكان الرئيس العراقى قد صرح بأنه سيوسع اختصاصات المجلس الوطنى للثورة ومسئولياته واعضائه بحيث يضم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الاركان ومعاونيه وقائد قوة الميدان وقائد القوة الجوية والبحرية وقادة الفرق الخمسة وآمر بغداد. وسيجتمع المجلس مرة كل شهر على الاقل.

وقد افرجت القيادة الجديدة عن عشرة من الضباط الذين قيل باشتراكهم فى الحركة التى اتهم بها عارف عبد الرزاق فى سبتمبر الماضى. وتردد ان عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء السابق سيسمح له بالعودة هو وبعض الشخصيات الاخرى بعد ان قام صبحى عبد الحميد وزير الخارجية السابق بتصفية الجو بينه وبين اللواء عبدالرحمن عارف تدعيما للوحدة الوطنية فى العراق. كما اعلنت الحكومة عن عزمها على الافراج عن عدد متزايد من المعتقلين السياسيين .

●

■ **الجنوب العربى**

المناورات والثـــورة



السيد عبد القوى مكاوى الامين العام لجبهة تحرير الجنوب المحتل ، فى المؤتمر الصحفى الذى عقده أخيرا ، الضوء على المناورات البريطانية فى المنطقة ، وأوضح ان ماأعلنته بريطانيا بشأن مشروع الدستور المقترح والجلاء من قاعدة عدن فى عام ١٩٦٨ يستهدف فى الواقع «اطفاء نار الثورة المشتعلة التى شملت كل قطاعات الشعب» والهرب من الضغوط السياسية التى مارستها الامم المتحدة والجامعة العربية .

وأوضح السيد مكاوى ان بريطانيا تقصد أيضا بخطتها ، تمكين القوى الرجعية والعميلة فى المنطقة من تسلم السلطة عن طريق استغلالها « لهذه التنازلات المفتعلة » وتصفية الثورة الحقيقية .

وكانت رابطة الجنوب العربى ، قد دعت الى مؤتمر عقد فى اسمره فى مارس الماضى ، حضره بعض شيوخ القبائل ونفر من النقابيين ، وكان من أهم قرارات المؤتمر :

- استقلال الجنوب ووحدته وجعل حقوق السيادة والحكم فيه للشعب .
- وحدة الجنوب مع اليمن مسألة تخص شعب الجنوب المتحرر الموحد المستقل .
- تكافؤ التيارات بميع ارادة الشعب .
- تدخل اى دولة يفتح الباب لتدخل غيرها .
- عدم الارتياح لمسلك الجامعة العربية والذى يتسم بطابع الانحياز .
- المفاوضات المباشرة مع بريطانيا مع الالتزام بمخطط الشعب ، ورفض مسودة المشروع البريطانى للدستور ، الذى لابد أن تضعه جمعية منتخبة .
- شجب مايسمى بجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل ،وقد علق المراقبون على هذا بأن الرابطة التى هى جزء من القوى الوطنية تعمل بهذا الموقف على تفتيت الوحدة الوطنية الثورية ضد الاستعمار .

ولايزال الخلاف على أشده بين « جبهة التحرر القومى » التى مثلها قحطان الشعبى وبين جبهة تحرير الجنوب اليمنى المحتل بقيادة مكاوى والاصنج فبيما يرى التيار الذى يمثله الشعبى الاعتماد على المقاومة المسلحة فقط ، باعتبارها الطريق الوحيد لارغام بريطانيا على الجلاء ، ترى جبهة تحرير الجنوب، الى جوار ذلك ، امكان العمل السياسى بل والمفاوضة جنبا الى جنب مع المقاومة المسلحة . وتطالب بريطانيا بالمفاوضة معها لنقل السلطة اليها بعد جلائها باعتبارها الممثل الوحيد لشعب الجنوب ، وتنوى عقد جمعية وطنية فى تعز فى الشهر القادم تمثل فيها عدن والمحميات والنقابيين والنساء والتنظيمات المختلفة وذلك لتفويت الفرصة على الحكومة البريطانية لتقسيم الصف الوطنى ، واثارة التنازع حول من تختصه بالمفاوضة معها ونقل السلطة اليه .

●

■ **روديسيا**

مناورة فى مجلس الامن ومزاد فى سالزبورى



كان مجلس الامن يناقش فى جلسته الطارئة الموقف من استمرار تدفق شحنات البترول الى روديسيا وعدم فاعلية قراره السابق فى نوفمبر الذى يقضى بمقاطعة روديسيا اقتصاديا ومنع البترول عنها .

كانت اسواق وفنادق سالزبورى ـ كما تقول النيوزويك الامريكية والصنداى تايمز البريطانية ـ «مليئة بوكلاء الشركات

من جنوب أفريقيا والبرتغال وبريطانيا والمانيا الغربية وكندا وفرنسا لشراء محصول الدخان (½ صادرات روديسيا) الذي طرحت كميات كبيرة منه فى مزاد ضخم خلال الاسابيع القليلة الماضية . وتقول الايكونوميست البريطانية «وليس هناك من حل سوى أحكام مقاطعة صادرات وواردات روديسيا بشكل تام أو أستخدام القوة العسكرية » .

وكانت الحكومة البريطانية قد طلبت عقد جلسة طارئة لمجلس الامن ليخولها «سلطات استخدام القوة ـ عند الضرورة لمنع شحنات البترول من الوصول الى روديسيا» . وذلك بعد ان قامت شركات البترول الغربية بمد حكومة روديسيا بكميات من البترول تكفيها ـ كما تقول السنداى تايمز ـ «لمدة عام كامل» وقد وقعت ازمة فى مجلس الامن عندما طلبت ١٠ دول على رأسهم بريطانيا وأمريكا من رئيس مجلس الامن (موسى كيتا مندوب مالى) التعجيل بعقد جلسه طارئة للمجلس . ولكن كيتا أصر على ضرورة استشارة بقية أعضاء المجلس (١٤ عضوا) وضغطت الدول العشر على يوثانت ليضغط بدوره على كيتا لانعقاد المجلس . ووصف كيتا هذا الطلب بأنه «اجراء لامثيل له فى عمل المجلس اذ ان من واجبات الرئيس وحده دعوة المجلس الى الانعقاد . وهذا لايتم الا بالتشاور » ورغم أن مندوبو الدول العشر أعتصموا داخل قاعة المجلس مطالبين بالاجتماع الا أن كيتا لم يعقد الاجتماع الا بعد الانتهاء من مشاورات مندوبو الدول الاربعة الاخرى (نيجيريا وأوغندا وروسيا وبلغاريا)

ويلاحظ أن طلب بريطانيا عقد مجلس الامن جاء بعد أن اكتشف الرأى العام العالمى عدم جدوى سلاح المقاطعة الاقتصادية خاصة وأن الاحتكارات الغربية هى أول من يخرق هذا الاتفاق . وقد تعددت فى الاسبوع الاخير من مارس الماضى رحلات السفن اليونانية والبرتغالية المحملة بكميات ضخمة من البترول الى ميناء موزمبيق لينقل منه بطريق الانابيب الى ادمتالى فى روديسيا . وكانت جوانا ٥ (يونانية) تحمل وحدها ١٨ ألف طن لحساب حكومة سميث . وهذا رغم القرار الذى اتخذ فى آخر ديسمبر الماضى من جانب حكومة بريطانيا لوقف شحنات البترول الى روديسيا . (قرار مجلس الامن فى نفس الصدد صدر فى نوفمبر) . وقد علقت الايكونوميست على وصول هذه الشحنات من البترول بقولها «أنه تحدى أخير للاجهاز النهائى على خرافة الحصار الاقتصادى» . ومن جهة أخرى ، فقد سبق طلب بريطانيا المفاجىء ، حصول الدول الافريقية على موافقة لجنة تصفية الاستعمار على مشروع يقضى «بعقد اجتماع عاجل لمجلس الامن للحصول على تفويض منه باستخدام القوة لفرض العقوبات الاقتصادية ضد حكومة سميث باشراف هيئة الامم نفسها لاباشراف بريطانيا» لضمان تنفيذ القرار وهنا سارعت بريطانيا بطلبها هذا . وقد أيدت أمريكا بريطانيا فى طلبها حتى أن الاوبزرفر البريطانية نفسها تتساءل «.. ويبقى سؤال : هل ترغب بريطانيا وأمريكا حقا فى تنفيذ قرار المقاطعة بشكل جاد ؟ »

وقد علق المراقبون فى الامم المتحدة على قرار مجلس الامن بأنه « لا ينص على استخدام القوة ضد روديسيا نفسها كما لا ينص على اى أجراء ضد الحكومات التى ترسل شحنات البترول اليها » .

وقد حاولت الدول الافريقية الحصول على موافقة مجلس الامن على مشروع يقضى «بدعوة جميع الدول لقطع العلاقات الدبلوماسية مع روديسيا ودعوة بريطانيا لاتخاذ جميع الاجراءات الممكنة ومنها استخدام القوة لاسقاط حكومة سميث» ولكنها لم تحصل الا على ٨ أصوات بينما كان مطلوبا ٩ أصوات لاقرار المشروع . بينما حصلت بريطانيا على موافقة ١٠ أصوات على مشروعها وأمتنع مندوب كل من الاتحاد السوفيتى ومالى وفرنسا وأرجواى وبلغاريا عن التصويت . ويلاحظ المراقبون أن بريطانيا «مازالت مصرة على أن تنفرد هى نفسها بمعالجة مشكلة روديسيا» وجدير بالذكر أن سميث قد وصف موافقة مجلس الامن على المشروع البريطانى بانه «مجرد نكتة» .

■ كينيا

تحركات غامضة قبل وبعـــد المؤتمر

لم يحظ مؤتمر نيروبى (كينيا) لاقطاب دول شرق ووسط افريقيا ، باهتمام كبير لدى الصحافة العالمية بشكل عام . وقد انعقد المؤتمر فى اوائل الشهر الماضى بناء على دعوة جومو كينياتا رئيس جمهورية كينيا .

وقد فوجىء المراقبون بالدعوة لهذا المؤتمر خاصة وان الحكومات الذى حضرته تختلف فى اتجاهاتها السياسية بشكل وضح فى قرارات المؤتمر نفسها . فقد حضرته تنزانيا الى جانب الكونجو (ليوبولدفيل) بالاضافة الى كل من اثيوبيا والصومال وكينيا وملاوى وزامبيا وبوروندى ورواندا واوغنـــدا . ورغم ان السودان لم تكن مدعوة فى البداية لحضور المؤتمر الا ان وفدا عن الحكومة السودانية حضر اجتماعاته .

ورغم أن المؤتمر ضم عددا صغيرا من الدول المشتركة فى منظمة الوحدة الافريقية فقد اكدت مصادر المؤتمر انه «لم يكن محاولة لاغتصاب سلطة اومهام منظمة الوحدة الافريقية ، وانما كان مجهودا لتقوية الوحدة من طريق تحسين علاقات الجوار» واضافت هذه المصادر ان «جميع وثائق المؤتمر سوف تعرض على السكرتارية العامة لمنظمة الوحدة الافريقية فى اديس ابابا» . ورغم انه لم تعرف تفاصيل مادار فى المؤتمر ، الا انه اتضح ان اهم نقطتين تضمنهما جدول اعماله كانتا «الاحداث الاخيرة فى افريقيا . وتقوية العلاقات بين الدول المتجاورة فى شرق ووسط القارة» .

ويلاحظ المراقبون ان عقد المؤتمر قد اعقب عدة احداث هامة فى شرق افريقيا . فقد تجدد النزاع حول مشكلة الحدود فيما بين اثيوبيا والصومال ووقعت بعض الاشتباكات المسلحة بين قوات الدولتين . وجدير بالذكر ان النزاع حول الحدود بينهما كان قد توقف منذ عامين .

اما فى كينيا نفسها فقد اعلنت حكومة كينياتا انها «اصدرت اوامرها الى كل من جبينى وكانزا (من زعماء ثوار الكونجو) بمغادرة كينيا» . بعد ان حضرا لتمثيل شعب الكونجو . ومثل الكونجو فى المؤتمر وفدا برئاسة موبوتو رئيس الجمهورية الذى اجمعت الصحف والدوائر العالمية فى عام ١٩٦١ على انه احد المسئولين المباشرين من اغتيال لومومبا .

كما تفجر الخلاف بين كينياتا وبين نائبه اوجنجا اودينجا انتهى باستقالة اودينجا من منصبه فى الدولة وفى حزب الكانو الحاكم واعقب ذلك استقالة ١٣ من زعماء النقابات العمالية لينضموا الى الحزب الجديد الذى يشكله اودينجا لمعارضة حكومة كينياتا . ومن المعروف ان اودينجا واحد من الذين لعبوا دورا اساسيا وبارزا فى تاسيس وتنظيم حزب الكانو كما كان زعيما للجناح اليسارى فى الحزب . ويتساءل المراقبون عما ستسفر عنه الشهور القليلة القادمة فى كينيا اذا نجح اودينجا فى تشكيل حزب معارض قوى ؟ وجدير بالذكر ان الدستور الكينى ينص على قيام حزب واحد فى البلاد (الكانو) كما سبق لحزب الكادو المعارض ان نجح فى الانضمام الى حزب كينياتا بعد ان حل نفسه .

وفى اوغندا تفجر الخلاف بين ميلتون اوبوتى رئيس الوزراء وبين موتيسا رئيس الجمهورية . وانتهى بتسلم أوبوتى كل السلطات وعزل موتيسا . وقد تقدم ١٨ عضوا فى البرلمان بطلب عقد اجتماع طارىء للبرلمان لاستدعاء أوبوتى ومناقشته «فورا» فى مسالة توليه جميع السلطات . ولكن لم ينجح هذا الطلب فى عقد اجتماع طارىء للبرلمان او استدعاء أوبوتى ■

وبانتهاء المؤتمر ، اذيعت قراراته وكان من اهمها المطالبة «بمواصلة بذل جميع المجهودات الممكنة لتحرير الدول الافريقية التي لم تنل استقلالها بعد مثل مستعمرات اسبانيا والبرتغال في افريقيا» . كما طالب المؤتمر «بالضغطعلى بريطانيا لتستخدم القوة من اجل اسقاط حكومة سميث . ومناشدة شعب روديسيا بمضاعفة كفاحه» .

وجدير بالذكر ان السودان قد اعاد العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا بعد انتهاء المؤتمر بقليل .

●

■ اندونيسيا

الى اين تتجه الرياح ؟

اعلن الدكتور « آدم مالك » وزير الخارجية الاندونيسية أن الحكومة الاندونيسية قررت « وقف » جنسية سفيرها المستقيل في الصين الشعبية وانهاتعتزم اتخاذاجراءات تأديبية اخرى ضده . وكان ذلك السفير قد اصدر بيانا ، اعلن فيه أن استقالته جاءت احتجاجا على سياسة الحكومة الاندونيسية في الفترة الاخيرة تجاه الصين وتحولها كثيرا نحو اليمين .

وقد قام الدكتور مالك باستدعاء سفراء أندونيسيا لدى غانا وفيتنام الشمالية، ومالي، وسيلان، وكوبا، وترددت انباء عن أن ٧٥ دبلوماسيا أندونيسيا سيستدعون من الخارج ، وذلك ضمن حملة التطهير في وزارة ، الخارجية الاندونيسية . وقد أعلن الجنرال سوهارتو في أول مؤتمر صحفي عقده منذ تولى صلاحياته الجديدة في الحكم ، أن سلطات الحكم أصبحت الان في أيدي ثلاثة من نواب رئيس الوزراء ، هم الجنرال سوهارتو نفسه ، وآدم مالك وزير الخارجية ، والسلطان هامينجكو بوانو هذا رغم أن سوكارنو مازال يعلن انه الرئيس الفعلي المتحكم في مجريات الامور ، الا أنه من الملاحظ أنه في نفس الوقت يصرح بأن هناك بعض القوى السياسية تحاول ابعاده من الحكم وأن يصبح ملكا دستوريا أو رئيسيا رمزيا .

ويرى عديد من المراقبين أن عملية تغيير سياسة الرئيس سوكارنو سواء في الشئون الخارجية او الداخلية ، بدأ يتم بالفعل ، بعد التصريحات الهامة التي ادلى بها الاعضاء الثلاثة في المجلس الثلاثي ، فقد أعلن آدم مالك وزير الخارجية أن أندونيسيا سوفتدرس مسالةاعادة انضمامها الى الامم المتحدة وأنها ترحب بأية تسوية سلمية مع ماليزيا وأنها ستقيم من جديد علاقات ودية مع الدول الغربية . ولكن سوكارنو عارض هذا التصريح وقال: «أنهفيما يتعلق بالامم المتحدة» لاتنوى أندونيسيا العودة اليهما حتى يعاد تنظيمها » . اما سلطان جولجا كرتا الذي يشغل منصب نائب رئيس الوزراء للشئون الاقتصادية ، فقد وصف الموقف الاقتصادي الراهن في أندونيسيا ، بأنه خطير ولكنه لايدعو الى اليأس » ، وتحدث عن اجراءات اقتصادية شاملة تنوى الحكومة اتخاذها ، وأهمها قبول المعونة الغربية . بينما يطالب سوكارنو باتخاذ خطوات جذرية ، من بينها مثلا نقل مليوني شخص سنويا من جاوة المكتظة بالسكان الى جزر أخرى اقل ازدحاما مثلسومطرة وبورنيو، وقد اخذالجنرال سوهارتو على عاتقه مهمةتوضيح حدود مسئولية سوكارنومشيرا الى ان الدستور يقيد من سلطات رئيس الجمهورية الذي يعتبر مسئولا أمام المجلس الاستشاري الشعبي . ورغم أن سوكارنو قد رد على ذلك مدافعا عن حقوق رئيس الجمهورية المخولة له بموجب دستور سنة١٩٤٥ الذييعتبره صاحبالسلطة التنفيذية العليا، الا أن عددا من المراقبين قد اشاروا بأن المحاولات التي بذلها في الفترة الاخيرة لممارسة سلطته ، لم تترك اثرا واضحا » .

وكتبت الصنداي تايمز البريطانية تقول : «علم من مصادر موثوق بها ، أن سوكارنو حاول اغلاق ٣ صحف للجيش لانها دابت على انتقاده بصورة علنية ، ولكن الصحف الثلاث استمرت في الظهور» واذيع رسميا أن الرئيس الاندونيسي لم يعد يسمح له باجراء اتصال مباشر مع وزرائه الا بموافقة أحد اعضاء المجلس الثلاثة . وبذا اصبح سوكارنو اكثر عزلة عن الحكومة كما اصبح نشاطه السياسي مقصورا فقط على القاء الخطب وعقد المؤتمرات الصحفية التي يسمح له بعقدها .

وقد ترددت أنباء أخيرة في جاكرتا تقول : أن الادلة التي ستوجه ضد دكتور سوباندريو الذي يقدم للمحاكمة خلال هذا الشهر ، ستتعرض من طرف خفي للرئيس سوكارنو . وقد عقب أحد المراسلين على قيام وسائل الاعلام التابعة لجنرالات الجيش بنشر انباء تشير الى أن سوكارنو قد تورط الى ابعد الحدود في انقلاب ٣٠ سبتمبر الماضي ، بأنها «تستهدف احراج سوكارنو الى الحد الذي يترك فيه المسرح السياسي بمحض ارادته» خاصةوقد صرحأحد كبارالضباط العاملين معسوهارتو في الفترة الاخيرة بقوله : «حسب المقاييس الاندونيسية ، اصبح الرئيس سوكارنو رجلا متقدما في السن بعد بلوغه الرابعة والستين من عمره ، ونعتقد انه من الافضل له أن يحصلعلى أجازة طويلة» .

●

■ فيتنام

بوادر الانهيار رغم موسم الجفاف

تشير الانباء الواردة منفيتنام، الى أن الولايات المتحدة على وشك ان تدخل مغامرة جديدة لايستطيع ان يتنبأ أحد اليوم بمدى النتائج التي ستسفر عنها .

فقد اذاعت وكالات الانباء ان الطائرات الامريكية قد قامت بضرب احد احياء هانوى (عاصمة فيتنام الشمالية) «لاول مرة منذ بداية حرب فيتنام» .

وقد جاءت هذه الغارة عقب عدد من الاضطراباتالسياسية التي عمت فيتنام الجنوبية خلال الشهر الماضي والتي وصفها المراقبون بانها «تدهور خطير في الموقف بالنسبة للولاياتالمتحدة»

فرغم تزايد القوات الامريكية في فيتنام الجنوبية ، وتخصيص ٦٠٠ الف طن من القنابل لعام ١٩٦٦ لضرب مواقع قوات جبهة التحرير الوطنية (كما اعلن روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الامريكي) ورصد ١٢ مليارا و ٧٠٠مليون دولار من الميزانية الامريكية لحرب فيتنام ، واستخدام طائرات «س — ١٢٣» التي يتولى قيادتها «ابرع الطيارين الامريكيين» — على حد تعبير النيوزويك الامريكية — وتعدد العمليات الجوية التي يرمز لها باسم «ايدي المزرعة» — كما جاء على لسان قائد «الفرقة الجوية ٣٠٩» التي تطلق« مادة د—٤—٢ » الكيماوية التي تتلف المحصولات وتسقط اوراق اشجار الغابات وتسمم النباتات — رغم كل هذه الاجراءات فقد سقطت مدينة دانانج في ايدي المتظاهرين ضد حكومة سايجون على اثر قيام الماريشال كاوكي رئيس وزراء فيتنام الجنوبية باقالة قائد المنطقة الوسطى من مجلس «القيادة الوطني العسكري» الذي يحكم فيتنام الجنوبية وتعيين قائد اخر، فتفجرتالمظاهرات التيضمت الطلبةوالبوذيين والكاثوليك . واعلن عمدة دانانج «تحرير المدينة» . (تبعد دانانج ٦١١ كيلومترا عن العاصمة سايجون ويبلغ عددسكانها ١٦٠ الف نسمة . وبها قاعدة امريكية تضم ٢٥ الف ضابط وجندي امريكي) . وجدير بالذكر ان معارك شديدة وقعت



كاوكي

فى اواخر العام الماضى بين قوات جبهة التحرير وبين قوات حكومة سايجون والقوات الامريكية حول دانانج . وقد احدث سقوط دانانج اثرا سيئا على معنويات قوات حكومة سايجون والقوات الامريكية نفسها انعكس فى تدهور الموقف العسكرى بالنسبة لامريكا فى فيتنام الجنوبية ، خاصة بعد عجز القوات الامريكية عن تحقيق اى انتصارات فى موسم الجفاف الذى انتهى فى منتصف الشهر الماضى . وكان هذا الموسم هو الفصل المناسب لشن هجوم كاسح على الثوار الا ان جهودهم لم تكلل بالنجاح بل اصابها فشل ذريع ، وبدأ موسم الامطار الخطير .

وبعد سقوط دانانج فى ايدى الثوار ، وتهديد كاوكي بقيادة حملة لاعادة المدينة الى حكومته ، وانتشار القول بان كاوكي «قد وقع اتفاقا مع امريكا لتاجير ثلاث قواعد فى فيتنام الجنوبية لمدة ٩٩ عاما» ، ارسلت الحكومة كتيبتين من المظلات الى دانانج لكن لم يتراجع المتظاهرون وتازم الموقف الى حد ان اعلن العسكريون التابعون لحكومة كاوكي فى دانانج وقادة البوليس فى المدينة انهم فقدوا الثقة فى كاوكي وقرروا «الانضمام الى الثوار» . فاضطر كاوكي الى ان يوجه بيانا لسكان دانانج اعتذر فيه عن اتهامه الذى وجهه لهم « بالوقوع تحت سيطرة وتأثير الشيوعيين» . كما تراجع عن محاولة استرداد المدينة بالقوة .

وقد تبع هذا ، قيام مظاهرات الطلبة فى سايجون العاصمة نفسها واقتحموا محطة الاذاعة الحكومية وهم يهتفون «بسقوط الاستعمار الامريكى» بينما كانوا يهتفون «بحياة هوشى منه» رئيس جمهورية فيتنام الشمالية . وسرعان ماقام البوذيون بالمظاهرات التى تهتف فى سايجون بسقوط كاوكي . واضرب العمال الحكوميون عن العمل لمدة ثلاثة ايام. كما ضمت المظاهرات بعد ذلك الكاثوليك والطائفة الدينية المعروفة باسم «كاوداى» (لديها ٥٠ الف رجل مسلح) . وفى الجبال قام رجال القبائل بمطالبة الحكومة «بالاستقلال الذاتى» . وقد اجمعت كل هذه الطوائف الدينية والفئات الاجتماعية على ضرورة اسقاط كاوكي وتشكيل حكومة مدنية ووضع دستور جديد للبلاد .

وامام هذه التطورات ، اضطر كاوكي ان يعلن بانه سيشكل لجنة لوضع الدستور تضم (كما طالب البوذيون) اعضاء من المجالس الاقليمية المنتخبة «لتضع الدستور فى خلال شهرين على أن يتم بعد ذلك اجراء انتخابات عامة فى ١٩٦٧» . ولكن ضغط الكاثوليك على كاوكي جعله يتراجع فيعلن «ان اللجنة التى سيوكل لها وضع الدستور ستضم ٩٦ عضوا نصفهم من المجالس الاقليمية والنصف الاخر من المجموعات الطائفية والمهنية» . ومعروف ان البوذيين قد فازوا فى معظم المجالس الاقليميه . وجدير بالذكر ان هناك خلافات مستمرة بين الطائفتين ففيجو دييم رئيس وزراء فيتنام الجنوبية الاسبق الذى جاءت بها امريكا كان كاثوليكيا وقد لعب البوذيون دورا رئيسيا فى اسقاطه . وكان خلفه فان هاى كوات بوذيا ولعب الكاثوليك دورا اساسيا فى اسقاطه . اما كاوكي فقد اتضح ان الكاثوليك والبوذيين والطلبه والعمال ضده فى المظاهرات الاخيره . ومما يقلق امريكا حتى يحلو لبعض المراقبين السياسيين تشبيه الوضع الحالى بالايام الاخيرة من حكم تشانج كاى شيك وانهيار نظام الكومنتانج ان البوذيين « يحملون شعورا معاديا لها » ويدعون — كما تقول التايم الامريكيه — «للتفاوض مع قوات جبهة التحرير وسحب القوات الامريكية من فيتنام» . وتقول الايكونوميست البريطانية «لقد انهار وضع حكومة كاوكي . وساء الموقف العسكرى . وتدهورت الاوضاع الاقتصادية لدرجة مخيفة . وانهارت الروح المعنوية لجنود سايجون . فماذا ستفعل الولايات المتحدة» . ويخشى المراقبون «ان تغامر امريكا خطوة جديدة نحو تشديد العمليات العسكريه وتوسيع نطاق الحرب بشكل حقيقى ، الى الحد الذى لايستطيع معه احد ان يتنبأ بالنتائج التى ستسفر عنها تطورات الاحداث» .

■ موسكو

مواجهة الاستعمار وخطة التنمية فى المؤتمر الثالث والعشرين

اشترك وفود ٨٦ دولة فى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، منها ٧٧ وفدا تمثل أحزابا شيوعية ، و ٩ وفود تمثل هيئات واحزاب وطنيه واشتراكية . وقد قاطع الحزب الشيوعى الصينى هذا المؤتمر ، لاول مرة فى تاريخ العلاقات بين الحزبين ، وتضامنت معه فى ذلك الاحزاب الشيوعية فى البانيا واليابان ونيوزيلنده. ومن البلاد العربية حضرت وفود ممثلة للعراق ، والاتحاد الاشتراكى بالجمهورية العربية المتحدة كمراقبين برئاسة السيد حسين ذو الفقار صبرى الامين المشرف على الشئون الخارجية بالاتحاد الاشتراكى وعضوية الدكتور ابراهيم سعد الدين امين امانة المعهد الاشتراكى وفشلت محاولات كاتزبيل كاتز سفير اسرائيل فى موسكو التى استهدفت قيام الرئيس السوفيتى بودجورنى بتوجيه دعوة من الاتحاد السوفيتى الى حزب المباى (الحاكم) ، وحزب المابام لحضور مؤتمر الحزب السوفيتى .

ورغم ان المؤتمر تضمن اعنف هجوم ضد الامبريالية ومؤامراتها العدوانية خاصة بالنسبة للاستعمار الامريكى وفيما يتعلق بمشكلة فيتنام الا ان الاهتمام الاعظم تركز اساسا فى مناقشة الاوضاع المتعلقة بتقدم الاقتصاد السوفيتى . ويكاد يجمع المراقبون التقدميون على ان اهم سمة للمؤتمر هى الاعتدال والهدوء فى مناقشة كافة القضايا. فبالنسبة للصين رفض الدخول فى شجار علنى معها ، واعلن بريجنيف ان العلاقات بين الحزبين « غير مرضية » وعرض على الصين عقد اجتماع قمة للصلح ، واعرب القرار النهائى للمؤتمر عن الثقة فى امكان التغلب على الخلاف القائم . وفى الداخل كان بمثابة عملية وضع حد للمبالغات

التى ارتبطت برد الفعل المضاد للستالينيبية والذى اعقب المؤتمرين العشرين والثانى والعشرين .

فقد المح **نيكولاى ايجوريشيف** ، السكرتير الاول للجنة موسكو الحزبية ، ـ وان لم يكن قد حدد الاسماء صراحة ـ الى ان الحزب يخفف من حكم الادانة المنيفة التى كان خروشوف قد الصقها بعهد ستالين ، وقال ان البلاد يجب الا تنسى انه امكن انجاز اشياء كثيرة طيبة خلال حكم ستالين ، وانه لايمكن الغاء ٣٠عاما من التاريخ السوفييتى. ومع ذلك وعد بعدم العودة الى الماضى وبأبعاد كل ما من شأنه عرقلة التقدم . وانتقد **ايفان كازانتس** وزير صناعة الحديد والصلب ، خروشوف ـ دون ان يذكره بالاسم ايضا ـ لتوجيهه اهتمامه الاكبر الى الصناعات الكيمائية على حساب صناعات الحديد والصلب التى كان بالامكان انتاج كميات اكبر منها لولا هذه السياسة . واشار **نيكولاى بيباكوف** رئيس لجنة التخطيط الى ان الدخل القومى قد زاد بنسبة ٦٪ فى السنوات الخمس الماضية ، فى حين زاد بنسبة ٨ر٢٪ فى السنوات السابقة عليها . ونسب **بودجورنى** ـ بنفس الطريقة ـ الى خروشوف جزءا من اللوم على اوجه القصور والصعاب التى واجهت البلاد والتى اعتبر من اسبابها « ادارة الاقتصاد بطريقة ذاتية لا موضوعية » ، « تلك الروح التى وضع مؤتمر اكتوبر سنة ١٩٦٤ حدا لها » .

وقد اقر المؤتمر الخطة الخمسية الجديدة الخاصة برفع المستوى الاقتصادى للبلاد والتى تنتهى سنة ١٩٧٠ . وتقرر فيها زيادة حجم الانتاج الصناعى بنسبة ٤٧الى ٥٠٪، وزيادة الحجم السنوى لانتاج المنتجات الزراعية بمقدار ٢٥٪ ، ورفع مجمل الانتاج السنوى للحبوب بمقدار ٣٠٪، وزيادة اجور العمال والمستخدمين بما لايقل عن٢٠٪ ،واعلن **فيكتور جريشين** رئيس المجلس المركزى لنقابات الاتحاد السوفيتى ، تأييد النقابات التام لاقتراح اللجنة المركزية بجعل اسبوع العمل من ٥ ايام ، ويومين عطلة بالنسبة للعمال والمستخدمين وذلك فىمؤسسات جديدة غير الـ ٥٠٠ مؤسسة التى يطبقفيها هذا النظام حاليا .واعلن كوسيجين استمرار الحزب فى الاخذ بنظام الحوافز فى الاجور ». وفى العلاقات الاقتصادية الخارجية» قرر زيادة التبادل التجارى مع البلدان الاشتراكية وتوسيع التعاون مع البلدان النامية ».

وانتخب المؤتمر فىختام جلساته بالاجماع ، **ليونيد بريجنيف** سكرتيرا عاما للحزب ـ وهو المنصب الذى كان قد الغى منذ عام ١٩٣٤ ، وطالب سكرتير لجنة موسكو بارجاعه ـ وأعلن اعتزال **انستاس ميكويان** ، **ونيكولاى شسيفرنيك** من منصبيهما فى سكرتارية الحزب لتقدمهما فىالسن . وانضمام **آرفيت بليش** السكرتير الاول للحزب الشيوعى فى لاتفيا ، الى عضوية المكتب السياسى ـ الذى حل محل البريزيديوم (هيئة الرياسة ويعتبر بليش اول شخص من منطقة البلطيق يحتل مقعدا فى أعلى هيئة للحزب ، وبذا انخفض عدد المكتب من ١٢ الى ١١ عضوا) .

وقد اضاف المؤتمر فقرة جديدة فى لوائح الحزب تبيح للجنة المركزية فى حالة الضرورة ان تدعو لعقد مؤتمر حزبى على مستوى الاتحاد كله» ورحب **ايفان بوديول** سكرتير اول اللجنة المركزية للحزب فى مولدافيا» بارجاع دور لجان الحزب الاقليمية ، التى كانت دائما حلقة تنظيمية هامة من حلقات الحزب . وقرر المؤتمر رفع الحد الادنى لسن الاعضاء الجدد فى الحزب من ٢٠ الى ٢٣عاما وقبول الاعضاء الذين يتقدمون عن طريق منظمة الشباب اللينينى فقط بهدف تحسين الصفة النوعية لاعضاء الحزب الجدد . وزاد المؤتمر عدد اعضاء اللجنة المركزية من ٣٣٠ الى ٣٦٠ عضوا . كذلك عين **محمد كوناييف** سكرتير حزب كازاكستان **وبيوتر ماشيروف** سكرتير بيلوروسيا عضواء مرشحان للمكتب السياسى .وبذا تضمنت القيادة العليا للحزب تمثلا اكبر من اى وقت مضى للجمهوريات غير الروسية .

ومما هو جدير بالذكر ان **لويس كورفالان** سكرتير عام الحزب الشيوعى التشيلى ، بعد ان حيا بحماس فائق الوحدة بين الشيوعيين الشيليين والسوفيت ، اشار الى انقطاع العلاقات اخيرا بينهم وبين الشيوعيين الصينيين تلك التى « كانت فيما مضى فعالة ومثمرة بالنسبة للطرفين » . واتسم خطاب الرئيس التشيكى **انطونين نوفوتنى** ، بانه تضمن اعنف هجوم على الصين تردد فى قاعة المؤتمر ، وشاركه فى هذه الحملة **يانوش كادار** رئيس الوفد المجرى ، اما **نيكولاى تشاوشيسكو** رئيس الوفد الرومانىفأكد الحاجة الى الوحدة .

وقد اشار **حسين ذو الفقار صبرى** من على منبر المؤتمر، الى الواجب المشترك لكل قوى التقدم والسلام» فى الاتحاد للقضاء على « تحركات الاستعمار الواسعة التى تهدد باكتساح الشعوب الصغيرة والدول التى حصلت على استقلالها حديثا او التى تناضل من اجل التقدم والرخاء ».

●

■ يوغوسلافيا

العدد الطبقى لم يصل بعد

نشرت اللجنة المركزية لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف ، فى أواخر الشهر الماضى ، وثائق اجتماعها الثالث وانتهت مناقشاته بصدور عدد من القرارات فى أواخر مارس الماضى .

وقد ألقى الرئيس **جوزيف بروز تيتو** ، تقريرا فى بداية الاجتماع تناول فيه القضايا الهامة التى تشغل اهتمام المسئولين فى يوغوسلافيا وأعضاء الحزب والشعب . ونبه تيتو ـ فى تقريره الى أن عام ١٩٦٦ «هو أكثر السنوات صعوبة» فى حياة الشعب اليوغوسلافى . وعبر تيتو من شعوره «بالمرارة والقلق» من أنأجهزة الاعلام لاتوضح للشعب « هذه الصعوبات التى سنتخطاها بكل تاكيد» . بل يلوم تيتو هذه الاجهزة بأنها «تصور عمليات التطور والبناء كما كان شيئا سهلا تماما» .

ثم يتعرض تيتو الى مشكلة «تثبيت الاسعار» . ويوضح ان كثيرا منالمصانع وعددا منالمشروعات التجارية تصر علىان تبقى الاسعار غير ثابتة . ويبين تيتو ان هذه المشكلة من اهم العقبات التى تواجه عمليات البناء والتطور فى يوغوسلافيا . ثم تعرض تيتو ، فى تقريره ، بعد ذلك الى قضية «تقليل الفروق القائمة بين العمل الذهنى والعمل اليدوى» . وأوضح ان بعض الذين يقومون بأعمال بسيطة فى الادارة يتقاضون مرتبات افضل بكثير من العمال الصناعيين المهرة . وطالب تيتو ان يعاد النظر فى مثل هذه الاوضاع على أساس أن يوضع فى الاعتبار مقدار مساهمة كل فرد فى الانتاج . وانتهى تيتو من مناقشة هذه القضية الى ضرورة «ألا نهمل تنظيم وضع العمال المهرة والخبراء بشكل خاص» .

وأكد تيتوعلىاهمية توعيةالعمال فى يوغوسلافيا «بواجباتهم وحقوقهم» . ثم أضاف «يجب ان يعرف شعبنا لماذا أخذ هذا القرار أو ذاك» وفى الوقت الذى يؤكد فيه تيتو «دور الذين يتولون مناصب قيادية فى الادارة والمشروعات» الا انه يعود ليحذر من «أن يتدخلوا كثيرا فى العلاقات الداخلية الخاصة بالانتاج» .

ثم ناقش تيتو فى تقريره ، قضية الصراع الطبقى فى يوغوسلافيا موضحا أن « العدد الطبقى لميصف بعد فما زال موجودا . وله علاقاته بالعدد الطبقى فى الخارج عن طريق وسائل متعددة كما أنه يلقى مساندته» . وتناول تيتو الوضع الدولى العام فوضح أن «الراسمالية والامبريالية تسعى بكل ثقلها للهجوم من أجل أن تستعيد نفوذها الذى فقدته» . وأضاف

تيتو «والان .. اننا نعلم اننا نحارب ضد العدو ، ولكننا نعرف أيضا أن ذلك لا يتم بالاجراءات الادارية أو بالشعوذة» . واستطرد قائلا « انه من الضروري أن نشن باصرار صراعا ايديولوجيا ضد عوامل الانحراف المختلفة . كما يجب أن يمارس الشيوعيون النقد الذاتي باستمرار» .

وجاء في تقرير **ادوارد كارديلج** أن الظروف في يوغوسلافيا أصبحت مهيأة تماما لاتخاذ خطوات أكثر « من أجل تدعيم نظام الادارة الذاتية» . وقال كارديلج «ويجب الا نشغل أنفسنا بايجاد الظروف الملائمة للبناء الاقتصادي فقط ، وانما ينبغي أن نهتم كذلك بالتطور الاجتماعي الذي يصبح اليوم من أهم القضايا في بلادنا » .

ونبه كارديلج الشيوعيين اليوغوسلاف الى ضرورة أن يدركوا « أن واقع الحياة شيء ، ورغبات وخطط الانسان شيء آخر . ولهذا يجب أن نكون دائما على استعداد لان نتبنى مايثبت النقاش أنه صوابا» . ثم عرض كارديلج بالتفصيل للمظاهر المختلفة المعرقلة لتطور وتدعيم نظام الادارة الذاتية . كما ناقش اتجاه «العناصر البيروقراطية الداعية لمزيد من تدخل الدولة في هذه المشروعات التي تدار ادارة ذاتية » .

وفي مجال العلاقات الاقتصادية الدولية طالب كارديلج في تقريره بضرورة «أن تقوم هذه العلاقات على أساس أكثر وضوحا وأكثر ثباتا من تلك التي استقرت عليها منذ زمن بعيد» . وعندما تعرض للصعوبات التي تواجه عملية التطور الاقتصادي في يوغوسلافيا ، وجه حديثه للحاضرين في الاجتماع قائلا « واذا ناضلنا باصرار من اجل تدعيم الادارة الذاتية ، فسوف نواجه مشاكل وصعوبات اقل» .

وفي ختام الاجتماع الذي عقدته اللجنة المركزية لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف والذي وصفته في تقريرها بأنه عقد من اجل تدعيم وتقدم النظام الاشتراكي ومن أجل وحدة الشيوعيين وتحملهم لمسئولياتهم — انتهى الاجتماع بعدد من القرارات (١٧ قرار) تناولت قضايا سياسة الاستثمار وتطوير وتجديد الصناعة «على اساس آخر ماوصل اليه العلم والتكنولوجيا» . والعمل من اجل تثبيت السوق ومستوى الاسعار وسعر الدينار . وتدعو القرارات الى ضرورة تدعيم نظام الادارة الذاتية وخاصة في هذه الظروف التي «تتسع فيها القاعدة المادية الاقتصادية» . وتوضح القرارات ان عدم ادراك بعض «الكوادر القيادية» لابعاد التحولات الاجتماعية والتناقضات التي تبرز خلالها ، «يسهل من تسلل الفكر البورجوازي والمعادي للاشتراكية» وتنظر القرارات الى مقاومة العناصر البيروقراطية لاتجاه تدعيم نظام الادارة الذاتية باعتباره «شكلا من اشكال الصراع الطبقي» . واكدت اللجنة المركزية لرابطة الشيوعيين اليوغوسلاف في ختام قراراتها «ان تطورات الموقف الدولي تدعو الى قلق كل المخلصين الذين يعملون على تدعيم السلام العالمي والتقدم . ويتطلب هذا منا درجة عالية من تحمل المسئولية نحو تحقيق أهدافنا ، وبذل جهودا أكبر من اجل تدعيم الاشتراكية» .

●

■ **بريطانيا**

اشتراكية الـ ١٪

فاز حزب العمال على المحافظين بأكبر اغلبية حصل عليها حزب بريطاني على الاطلاق منذ اكتساح العمال للمحافظين في انتخابات سنة ١٩٤٥ . فبينما حصل العمال على ٣٦٣ مقعدا نال المحافظون ٢٥٢ ، والاحرار ١٢ ، وحصلت الاحزاب الاخرى على مقعد واحد .

وقد رد بعض المراقبين السبب في اكتساح حزب العمال ، الى انقسام المحافظين على أنفسهم بسبب قضايا عديدة على رأسها مشكلة روديسيا ، ونجاح ويلسون في كسب « الوسط » البريطاني . وأرجع آخرون فوز الحزب الى أنه قد أوجد بشخص **هارولد ويلسون** في نظر الناخبين البريطانيين — زعيما طغت شخصيته الى حد كبير على منافسيه الثلاثة من زعماء المحافظين . **ماكميلان ، والبك دوجلاس هوم** ، ثم **ادوارد هيث** فيما بعد . وعزوا احد اسباب انتصار ويلسون الى مفاجأته لزعامة المحافظين بتوقيت الانتخابات في الوقت الذي كانت فيه سياسة هذه الزعامة في دور التشكيل .

وقد فسر بعض المراقبين الاخرين هزيمة المحافظين كذلك بأنها ترجع الى أن جانبا هاما من الرأي العام البريطاني قد ربط بين سياستهم وبين ما كانت تعانيه بريطانيا حاليا من مصاعب اقتصادية . وفي استفتاء أجري أخيرا لاستطلاع اتجاه الرأي العام حول المسئول عن الصعوبات الحالية التي تواجه اقتصاد بريطانيا ، وجه ١٦ / فقط من الناخبين لومهم لحكومة العمال ، ٤٢ / لاموا المحافظين ، ٢٠٪ وجهوا اللوم الى الاثنين بالتساوي . غير أن غالبية المراقبين تميل الى الاعتقاد بأن هذه الاسباب مجتمعة هي التي ادت الى الفوز الواسع لحزب العمال . كما يعتقدون بان حالة الرواج النسبي التي سادت بريطانيا في الاشهر الاخيرة قد انعكست في الانتخابات لصالح الحكومة القائمة كما حدث لصالح المحافظين عام ١٩٥٩ ، وانها كانت من أكثر العناصر فعالية في الانتخابات الحالية .

ومن المتوقع أن يترتب على هزيمة المحافظين ، تنحية **ادوارد هيث** زعيم الحزب الحالي ، والميل الى اقصى اليمين واختيار رجل مثل **كوينتين هوج** لزعامتهم ، كما حدث للحزب الجمهوري الامريكي عندما اختار **باري جولدووتر** لقيادته ، الا أن الاغلبية تعتقد — على الاقل بالنسبة للمستقبل القريب — ان هيث سوف يصمد لاي تحد لزعامته ، لاسيما وانه ليس في الحزب من الاقطاب حاليا من تؤهله مكانته لان يحل محله ، بعد أن سقط **جوليا أيمري** زعيم الجناح اليميني المتطرف ، و**بيتر تورنكروفت** وزير الدفاع السابق و**كريستوفر سوم** وغيرهم من كبار شخصيات الحزب ، والرجال الذين لعبوا دورا اساسيا في الاخذ بسياسة العنف في مواجهة الشعوب وساهموا في العدوان ضد مصر في أزمة السويس سنة ١٩٥٦ .

وقد اعتبرت موسكو فوز العمال بأنه « تحول نحو اليسار في اتجاه الجموع الرئيسية من الناخبين » وان كانت قد انتقدت بشدة سياسة ويلسون بالنسبة لفيتنام . وفي الوقت الذي أكدت فيه مصادر حزب العمال على أن حكومة ويلسون ستعد ميزانية تقشف « ستحتوي على جرعة كبيرة من الضرائب » في محاولة للحد من التضخم الذي يهدد اقتصاد بريطانيا ، أجمع المراقبون المقربون الى ويلسون على أنه لن يجري تغييرا في سياسته بالنسبة للمضي في توثيق علاقته بحكومة واشنطون وتأييد سياستها بالنسبة لفيتنام وحلف الاطلنطي ، وانه ربما سيتشدد مضطرا ازاء حكومة روديسيا نتيجة للضغط المتزايد من الخارج ومطالبة الدول الافريقية باتخاذ اجراءات شديدة ضد تلك الحكومة في نطاق الامم المتحدة . وقد وجه نحو ٨٠ عضوا من الاعضاء اليساريين في حزب العمال نقدا شديدا للحكومة الجديدة بسبب تأييد ويلسون المستمر للحرب العدوانية في فيتنام وذلك في بداية اجتماع البرلمان البريطاني في الاسبوع الاخير من الشهر الماضي .

هذا وقد ترددت في الفترة الاخيرة كثير من الدعاوي حول ارتباط حزب العمال بالمبادىء الاشتراكية ، وتعليق ويلسون لنوع من « الاشتراكية غير المنظورة » ، غير أن ما أوضحته ، صحيفة **كوريري دي لاسيرا الايطالية** ، يمكن أن يلقي ضوءا كاشفا ، على اشتراكية الاحتكارات البريطانية الكبيرة : « ان أول ما يجب ملاحظته هو ان الاشتراكية كافحت من أجل الغاء الملكية الخاصة ، وحتى اليوم تقول الاحصائيات أن ١ ٪ من البالغين في بريطانيا يمتلكون ٥٠٪ في جميع رؤوس الاموال ، وأن ١٠٪ يمتلكون ٨٠ ٪ ، أما اغلبية الشعب الكبرى ونسبتها ٦٠ ٪ فانها لا تملك من رءوس الاموال الا ٥ ٪ ، وعندما تولى ويلسون الحكم لم يغير شيئا من هذا الوضع » .

والذي يتوقعه المراقبون حقيقة ، ليس اقدام ويلسون على

اجراء تغييرات جذرية فى هيكل المجتمع البريطانى ؟ واثما القيام ببعض الاصلاحات العاجلة ، كضغط الايرادات والاسعار معا ، واتخاذ الاجراءات لزيادة العمالة ، والاسراع بالتغيير البنائى والفنى للصناعة البريطانية ،ومواجهة مشكلة الوجود البريطانى شرق السويس الذى يكلف الميزانية كثيرا بالاضافة لمسألة انضمام بريطانيا للمجتمع الاوربى »

■ **المانيا الغربية**

النضال النقابى عام ١٩٦٦

يتوقع المراقبون العماليون أن يشهد عام ١٩٦٦ اضخم حركات اضرابات تجتاح أوروبا الغربية — وستكون المفاجأة فى المانيا الغربية حيث لم تشهد هذه البلاد أى نضال نقابى بارز منذ وقت طويل . فالخلافات التى نشبت بين النقابات ادت الى توقف النضال من جانب العمال ولكن وحدة العمل بين النقابات الالمانية مكنت عمال المانيا الغربية من دخول حلبة الصراع ضد هجوم الراسماليين والحكومة على مستوى حياتهم وظروف عملهم .

فاكثر من ١١ مليون عامل المانى اعلنوا تصميمهم على الغاء الاتفاقيات القديمة الخاصة بالاجور والمطالبة باتفاقيات جديدة لا تسمح باقتطاعات من أجورهم والعدوان على دخولهم .ولقد اعلن حاليا اكثر من ٧٠٠ الف عامل فى البنوك وشركات البناء والموانى والسكك الحديدية والصناعات المعدنية الاتفاقيات القديمة الخاصة باجورهم .

وتتضمن مطالب العمال بزيادة فى الاجور تتراوح بين ٩ ، ١٢٪ ومعاشات افضل ، وبالحماية من آثار التشغيل الذاتى .ويعانى العمال فى المانيا الغربية اليوم من الارتفاع المتزايد فى الاسعار، ومن زيادة وقت العمل وحدته ، وكما ان الحكومة قامت أخيرا بتخفيض المخصصات الاجتماعية بينما زادت من المخصصات العسكرية . وسجل عام ١٩٦٥ ارتفاعا هائلا فى أسعار السلع الاستهلاكية وخاصة المنتجات الغذائية والمساكن ، كما ارتفعت اثمان تذاكر السكك الحديدية ، والرسوم البريدية . فجريدة « مان بوست » الالمانية تؤكد ان المانيا الغربية تواجه : « زيادة فى الاسعار لم يسبق لها مثيل منذ انتهاء الحرب » وقالت : « ان المارك الالمانى فقد نصف قيمته خلال خمسة عشر عاما . » و « أن عام ١٩٦٥ يعتبر عاما قياسيا بالنسبة لارتفاع الاسعار » . و « ان القوى الشرائية هبطت بنسبة ٥ر٤٪ » .

وتبع ذلك عمليات طرد وتشريد للعمال على نطاق واسع فبلغ عدد العمال الذين وفروا فى السكك الحديدية ١٠٠ الف عامل وينتظر نفس المصير ١٢ الف عامل اذ قررت الحكومة اغلاق ٨ الاف كيلو متر من السكك الحديدية اى ٢٧ ٪ من مجموع الخطوط الحديدية بالمانيا الغربية . ومن المنتظر أن يتخذ مثل هذا الاجراء فى النقل البحرى بحجة التوفير . وقرر معهد البحث الاقتصادى بميونيخ عدد العمال المتعطلين بسبب التشغيل الذاتى بـ ٦ر١ مليون فى العام .

وفى نفس الوقت حقق الراسماليون زيادة جديدة فى ارباحهم، ففى العام الماضى زادت نسبة الارباح الموزعة على الحصص فى الصناعة بنسبة ٤٧ر١٣ ٪ ،كما ان الحكومة خفضت الضرائب المحصلة من الاحتكارات وخاصة من الترسانات الضخمة المشتغلة بصناعة الاسلحة .

ولقد ادى التشغيل الذاتى والارهاق المتزايد الى زيادة عدد حوادث العمل ، فبينما كانت الحوادث الصناعية فى ١٩٤٩ حوالى ١ر١ مليون فقد اصبحت ٨ر٢ مليون فى ١٩٦٤ مصاحبة آلاف حالة وفاة ، وكما أن عدد الامراض المهنية ازداد زيادة كبيرة . وفى نفس الوقت حصلت الاحتكارات على زيادة فى انتاجية العمل أكثر من ٥ ٪ بالنسبة لانتاج كل عامل . كما أن حكومة المانيا الغربية وهى ممثلة لمصالح الاحتكارات قد رسمت سياسة لتجميد الاجور وفى نفس الوقت طالبت العمال بمزيد من التضحيات ، يقول وزير المالية فى الرسالة التى وجهها الى الشعب الالمانى فى فبراير ١٩٦٦ : « ان ازدياد المطالب من جانب الشعب ادت الى اضعاف املنا فى تحقيق الاهداف القومية لالمانيا الغربية ». وهذه الاهداف القومية هى زيادة الانفاق على الشئون العسكرية ، انتاج وتخزين الاسلحة النووية ، فتح مستعمرات جديدة ، ومحاربة المانيا الديمقراطية — ومساعدة اسرائيل .. الخ .

وقد اكدت جريدة « فربيس فولك » وهى جريدة تقدمية « ان مطالب النقابات بخصوص الاجور مطالب عادلة وفى امكان الاحتكارات ان تدفع الزيادة المطلوبة فى الاجور » . ولكن سواء أكانت هذه المطالب عادلة أم لا فان الراسماليين الالمان ليسوا على استعداد للدفع ، ولقد قاموا بحملة هجومية ضد النقابات العمالية بواسطة أجهزتهم الدعائية التى برعوا فى توجيهها لمصلحتهم — « ففرانكفورتر ألجمين » تعلن « ان مطالب الاجور أفكار زاهية لعقول مجنونة » . و « الدستوى كوريير » تقول: « ان اتجاه أصحاب الاعمال الحازم يجب الا يضعف ». وفى الاذاعة والتليفزيون يعلن خبراء الاقتصاد الراسماليين ان الاجور العالية سوف تؤدى الى ارتفاع الاسعار ومن ثم فان ارتفاع الدخول ليس هو الحل لمشاكل العمال .وجريدة «هاندل سبلات» وهى من جرائد كبار رجال الاعمال تطالب الحكومة : «بالتدخل المباشر وفرض الاجور بالقوة ». — ولقد اعلنت الحكومة من جانبها انه على العمال ان يتقبلوا الوضع كما هو بالرضاء أو

واذ استشعرت حكومة المانيا الفيدرالية خطر الموجة الاضرابية القادمة فقد اعدت هى والدوائر المالية الكبرى خططا خاصة لتحطيم الاضرابات العمالية . ولقد نشرت جريدة « دى بوليزى » لسان حال البوليس الالمانى ملحقا بأحد اعدادها به خطة تفصيلية عن « كيف تحطم اضرابا » وضعها قومسيير البوليس . وقام البوليس الالمانى بتدريب قوات خاصة تدريبا فنيا لمواجهة الاضرابات ، ونشرت جريدة « باردل » وهى جريدة عسكرية صورة مجموعة من الصور لهذه التدريبات . كما نشر كتاب الفه كولونيل سابق فى قوات الامن الهتلرية عن التدريبات والتكتيكات العسكرية لوحدات البوليس نصيح فيه هذا الكولونيل النازى فى الفصل الخاص بالاضرابات باستخدام قوات البوليس الضاربة والرشاشات ومدافع الهاون والمصفحات لارغام المضربين على العودة الى العمل . وتطالب مقالات « دى بوليزى » باستخدام الكلاب والبوليس الراكب وبالتخلص من قادة النقابات وحرق المنازل واعتقال المضربين فى معتقلات خاصة .

وتتجه الراسمالية الالمانية الى استقدام قوى العمل الرخيصة من البلاد الاجنبية لاستخدامها بدل العمال الالمان وكقوة لتكسير الاضرابات العمالية ، وهناك على سبيل المثال مئات الالاف من العمال الاسبان يعملون فى المانيا الفيدرالية .

■ **أدب**

هل تدب الحياة فى جمعية الادباء ؟

دعا السيد يوسف السباعى السكرتير العام لجمعية الادباء الى عقد اجتماع عام للادباء خلال الاسبوع الاول من الشهر الماضى . وفى هذا الاجتماع الموسع طرح قضية النشاط الادبى شبه المعدوم فى الجمعية . وطلب من الكتاب الحاضرين ان يدلوا بآرائهم لحل هذه المشكلة التى تهدد بتفكك عرى الثقة بين الادباء وبعضهم البعض ، وبينهم وبين قرائهم اذا دامت العزلة التى يعيشون فيها .

وقد تحدث **احسان عبد القدوس** فقال اننا نفتقر بشكل حاد الى ما يمكن تسميته بالرأى العام الادبى . اى أن الاتجاهات الفنية المختلفة لا تتبلور عندنا بصورة أكثر شمولا من أعمدة

الصحف التى تتبادل الاتهامات . وقال صالح جودت أن عملية اللقاء المباشر بين الادباء لن تلغى اختلافاتهم حتما ،ولكنهاتخفف من حدة اللهجة التى يستخدمونها فى عرض هذه الخلافات

ثم تحدث لطفى الخولى فقال ان اختلاف الادباء فكريا وفنيا هو ظاهرة صحية فى مجتمعنا الجديد . وانه يتصور للخلاف ثلاثة وجوه : الاختلاف الفنى ، والاختلاف الفكرى ، والاختلاف على المستوى الشخصى . وقال أن معارك الفكر والفن معارك موضوعية تعبر عن التكوين الايديولوجى والحضارى لمجتمعنا الجديد بما يشتمل عليه من تطلعات اجتماعية متباينة . أما المعارك « الشخصية » فهى الآفة التى ينبغى التخلص منهما بواسطة تقاليد أدبية معترف بها وتحرص عليها جماعة الادباء ويحاسب كل أديب يخرج عليها .

وبعد أسبوعين تلقى عدد كبير من أعضاء جمعية الأدباء قرارا من مجلس الادارة يتضمن تشكيل عدة لجان يساهم فيها الاعضاء فى تدعيم مختلف نواحى النشاط فى الجمعية . وتحددت اللجان حسب الوظائف الادبية التى يمكن القيام بها فى الوقت الحاضر . فهناك لجنة للمراقبة ومهمتها متابعة نشاط الجمعية الثقافى والادبى والذكاؤه وانتهاج أفضل السبل للوصول به الى المستوى المرموق ، على أن تتقدم هذه اللجنة بتقرير عن مهمتها كل ثلاثة شهور . وقد أسندت مسئوليتها الى محمود تيمور . ولجنة المسابقات ومهمتها الاشراف على تنظيم المسابقات التى تعلن عنها الجمعية فى كل دورة ثقافية واقتراح الجوائز للفائزين ، وقد أسندت مسئوليتها الى محمد عبد الحليم عبد الله . ولجنة متابعة الاحداث القومية والعالمية ومهمتها التعبير عن رأى الادباء بشتى الوسائل عن موقفهم ازاء كل حدث من الاحداث واستنكار كل ما من شأنه التشكيك فى المواقف البطولية التى تقفها البلاد العربية فى سيرها التقدمى مؤمنة بمستقبل وحدوى اشتراكى ديمقراطى . وقد اسندت مسئوليتها الى يوسف السباعى . ولجنة الاستقبال ومهمتها الاتصال بالوافدين على الجمهورية العربية المتحدة من الادباء والمساهمة فى تنظيم البرامج الثقافية التى تعد لهم ، فضلا عن استقبالهم بمقر الجمعية لتوثيق الروابط الثقافية بينهم وبين أعضائها ، وكذلك تنظيم ندوات استقبال الكتاب العرب لقرائهم .وقد أسندت مسئوليتها الى أنور أحمد . ولجنة النشاط الثقافى ، ومهمتها وضع المنهج لكل اللجان المنبثقة منها بحيث تستوفى كل الانواع الادبية من قصة وشعر ونقد حقها فى العرض والمناقشة والمتابعة والرصد فضلا عن احتضان ذوى المواهب والواعدين من الناشئة بشتى الوسائل المادية والادبية . وتتفرع الى لجنة القصة ومقررها يحيى حقى ولجنة الشعر ومقررها صالح جودت ولجنة النقد والدراسات الادبية ومقررها لويس عوض . على أن تكون عضوية اللجان مفتوحة لجميع الاعضاء الذين يرغبون فى المشاركة فى نشاط أى لجنة

آدم .. وعمالقة السنارى

فى زقاق ضيق ، تطل عليه مشربيات بيت عتيق من العصر المملوكى ، أسمه بيت السنارى ... عندما تدخل البيت اول ما يصادفك رجلا قد اعطاك ظهره يشرب بشغف من « قلة » ، وبعد خطوه تجد طائرا وقد وقف منتصبا يغرد فى عذوبة وكبرياء ، ثم على اليسار تجد طائرا آخر وقد ضم جناحيه ورقد الى الابد يقص مأساته .. ثم تدخل الفناء ذو النافورة ، لتجد رجلا انتصب كالسيف الممشوق يحمل درعا ، وفتاة تهم باستقبالك باسمة ، ثم حمارا يقف بجانب النافورة مستغرقا فى تامل شديد كانه فيلسوف ، يذكرك « بحمار الحكيم » .. وعندما يتفحص الانسان هذه الوجوه التى تطل عليه من فناء بيت السنارى الذى يلفه السكون والصمت ، يرى فيها استغراقا فى تامل عميق ونظرة بعيدة تصل الى اغوار النفس تجعله يشعر بالرهبة والخشوع كذلك الاحساس الذى يشعر به الانسان عندما يقف بين أعمدة الكرنك .. او فى معبد مدينة « هابو » او داخل معبد ابو سمبل الرطب .

هذا هو الانطباع الذى تتركه فى نفس الانسان اعمال المثال آدم حنين . . فبالرغم من ان معظم اعماله التى تبلغ العشرين قطعة من النحت على الحجر والخشب والنحاس والتى لا يتجاوز معظمها حجم قبضة اليدين ، الا ان المشاهد يحس انه يقف بجانب عمالقة يحتاج لان يرفع راسه الى اعلى لكى يصل الى مشاهدتها .

وليست اعمال الفنان آدم حصيلة اربعة سنوات فقط من التفرغ ..ولكنها حصيلة نفرغه ثلاثة عشر عاما منذ تخرجه فى كلية الفنون الجميلة عام ١٩٥٣ ، ورفضه ان يستهلك نفسه فى اى عمل وظيفى ، او يحرمه من ان يهب حياته كلها للفن .

ان حصيلة هذه السنوات الطويلة.. تتلخص فى ان الفنان آدم قد اضاف الجديد للحركة الفنية المعاصرة بعد ان استفاد من الفن الفرعونى والفنون الافريقية والبدائية والقبطية .. لقد لخص كل هذا ليعطينا واجهة مشرفة للفن النحت فى بلادنا .. لقد كان يبحث عن لغة مشتركة بينه وبين الجمهور المشاهد ، وقد وصل بالفعل لخلق المفردات والكلمات التى تمكنه من الحديث الطويل بلغة واحدة مع الجمهور .

ان قصة الفنان آدم لا يجهلها احد من العاملين فى الحقل الفنى ، فقد منح التفرغ لمدة عام سنة ١٩٦٠ .وسعى مرة اخرى ونال منحة التفرغ فى عام ١٩٦٣ . ولم يقبل ان يعيش فى القاهرة .. ولكنه غادرها الى ارض النوبة ، وعاش كاحد ابنائها ،يمارس معها الحياة ويعيش تجربة التهجير الى النوبة الجديدة .. ثم يستقر بعد ذلك بجوار السد العالى فى جزيرة باسوان ، حتى الان .

ان فناننا آدم .. تقف له تماثيل فى المانيا ، وفى حديقة بمدينة دالاس بتكساس .. وليس له فى بلدنا الا لوحتين من الخزف بمعهد الكونسرفتوار.. واننى اعتقد ان تماثيل آدم عندما تقف على ارضها الام فى الحدائق والميادين ومداخل القاهرة .. ستكون عنوانا مشرفا ومشرقا لنهضتنا التى شملت الفن ايضا .. خاصة وان بلدنا اصبح يزورها كثير من السياح .

ان الفنان آدم يملاه الامل والرغبة فى ان تتقدم له وزارة او مؤسسة طالبة منه تنفيذ احدى تماثيله .. ويقول الفنان انه مستعد لان ينفذ تماثيله دون اجر فى سبيل ان ترى تماثيله النور فى حديقة الاندلس او التحرير او فى مدخل الاهرام .

وكم اتمنى ان تتبنى وزارتى الثقافة والسياحة تنفيذ احدى تماثيل الفنان.. كتمثال «فتاة» او « رجل يحمل درع » او «طائر» او « رجل وسمكة » .

عبد المنعم القصاص

رسالة من باريس

الحياة الفنية فى باريس •• بين القديم والجديد !

باريس بحر واسع تتلاطم فيه كل الثقافات والاتجاهات الفنية ، ويعوم فيه كل من لا يجيد السباحة وسط التيارات ، ترفع فيه الامواج البعض الى القمة او تهوى بهم الى القاع ..! فباريس تعطى الحياة للجديد بكل ما يحمل من تطور ، وتسمح للنزوات الغريبة أن تولد على ارضها وتعيش جنبا لجنب مع تقاليد الفن العريقة .

ولكن ، هذه الفرصة الفريدة للتعايش بين القديم والجديد ، تحمل خلالها التحدى للجديد ، ليثبت وجوده ،ويقف على اقدامه، اذا كان يحوى حقيقة القيمة الاصيلة التى تسمح بنموه وبلورته ..

وهذه الظاهرة . واضحة فى كل المجالات الفنية ، سواء فى الفن التشكيلى ، او السينمائى ، أو التليفزيونى ..

باريس ، تعطى الارض الخصبة لنمو كل فن .. مهما كان اتجاهه .. لذلك ليس غريبا ان تظهر « شطحات » و «موضات فنية » .. ولكن وجود الخلفية العريقة ، يتيح للجمهور أن يقبلها أو يلفظها .. ويصنع من نفسه حكما نزيها ..

● فى الفن التشكيلى :

امام الفنان الفرنسى المعاصر ٤٠٠ صالة عرض ليعرض فيها .. وان كان هذا الرقم يبدو كبيرا .. فانه يتضاءل بسرعة رهيبة اذا عرفنا أن الفنان الذى يريد أن يعرض عليه أن يشق طريقه وسط ٣٥ ألف فنان آخر يتسابقون معه على العرض !

والمسألة ليست هينة .. وتكاليف العرض باهظة .. فبرواز واحد متوسط الحجم يكلف الفنان ١٥٠ فرنكا !

والفنان الذى يريد أن يعرض فى باريس عليه أن يثبت وجوده الفنى .. أى يقدم جديدا يظهره وسط الزحام الفنى .. وقد يقوده الجديد الى خلق بدعة قد يكون الفنان نفسه غير مقتنعا بها .. قد تغرى صاحب صالة العرض ، وتدهش الجمهور لفترة .. ولكنها تموت سريعا مثل فقاعة صابون ...

وبعد الجرى الطويل فى متاهات التجريد . و « البوب آرت» و « الاوبتكل آرت » انحسر الجمهور عن الاقبال على المعارض المكررة التى لا تحمل أى مضمون ،سواء فى الفكرة أو الهدف .. وعاد عشرات الفنانين يراجعون أنفسهم ، يلتفتون حولهم الى الحياة والبشر .. ولعل نجاح برنارد بوفيه من مكوناته هو أنه استطاع ان يقف وسط زحام التجريد ، يعبر عن ملامح بلده ، وما تحويه من مناظر ، ويلتقى مع بوفيه فى اتجاهه الى التعبير عن ملامح فرنسا ، جاك ديبرت وتولولى وآفنتى بينما يلتقط ميشيل روف وفينست جيرار صورا من واقع الحياة

اما جيل الفنانين الشبان الذين تخرجوا من الفنون الجميلة، ويعيشون فى سان جرمان فبعضهم يأخذ المسألة فى جدية ،مثل شاب قدم دراسة كاملة لمحطة فضاء على سطح القمر ، وآخر اقام معرضا فريدا تناول فيه كل محاولات غزو الفضاء .. وثالث جعل من الانسان موضوع بحثه .. فأظهره فى لهوه ومرحه ، فى عمله وكفاحه ..

ومنهم من يلتفت الى الحياة فى نظرة ساخرة — فيها مرارة وفيها سخرية .. ينقد نفسه أو ينقد من حوله ..

ومنهم من اعطى ظهره لكل المدارس الفنية ، والتقاليد المتوارثة فى محاولات تتحسس الظلام الى طريق لم يتكون بعد .

● فى التليفزيون :

من الواضح أن التليفزيون الفرنسى ، يحاول جاهدا أن يمتع جمهوره ، ويثقفه ، ويحترم وقته ..

المتعة نراها فى برامج المنوعات المختلفة ، تقدم فيها الاغانى والاسكتشات الفكاهية فى اسلوب مبتكر ، يتفنن فيه المخرج فى تقديم الفقرات واستغلال الديكور والاضاءة .. مثل برنامج المغنى الفرنسى المعروف كلود فرانسوا الذى يقدمه ويشترك فيه مع مجموعة من الهواة .. فالفقرات قصيرة .. بلا ملل .. والاغانى لا تتجاوز مدتها ثلاث دقائق على الاكثر .. وتدور حول معان جديدة وكلمات جديدة ... وهى ظاهرة واضحة فى كل برامج الاغانى .. وبعض البرامج تستغل بعض الالحان القديمة الناجحة مع كلمات جديدة أو كلمات ناجحة لاغان قديمة فى تلحين جديد ..

ومعظم مخرجى المنوعات ، لا يستخدمون التيترات فى تقديم الاغانى ، ولكن يستغلون موضوع أو فكرة الاغنية فى تقديم صورة حية ، مثل اغنية بعنوان « العيون المقفلة » ، صور فيها المخرج مجموعة من الجنود يصوبون بنادقهم الى شاب معصوب العينين يعطينا ظهره .. وانطلق الرصاص مع صوت الطبل .. واذا بالمفاجأة .. الجنود يسقطون صرعى .. والشاب يتحول الى الجمهور مبتسما ويخلع من عينيه العصابة .. ونلمح فى يده مسدسا يتصاعد منه الدخان .. ثم يقول :

— صحيح كنت معصوب العينين لكن كنت أرى ...

ومن هذه الجملة تلتقط المغنية الجملة الاولى ...

اما الثقافة ، فيحصل عليها المتفرج من عشرات البرامج الناجحة يستطيع لو تابعها ان يخرج بمعلومات وافية حول عدة موضوعات حيوية ..

هذا .. بينما نشرة الاخبار تعطيه فرصة متابعة كل مايحدث فى العالم اولا بأول .. وتقوم « بتغطية واسعة » لكل ما يهم المتفرج أو يشغل باله .. مثل بعثة المصورين والمعلقين التى راحت تشترك فى تقديم صورة حية وصادقة لمأساة الطائرة الهندية التى تحطمت فوق الالب ..

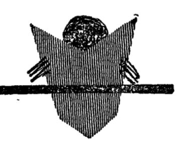
ومن التقاليد الجميلة الاشارة التى تظهر على القناة الاولى لتلفت نظر المشاهد انه فى نفس الوقت على القناة الثانية برنامجا يستحق المشاهدة !

كذلك المربع الابيض الذى يظهر فى ركن الشاشة يعطى اشارة تنبيه تلفت نظرهم الى ان البرنامج من المستحسن منع الاطفال من مشاهدته !

● فى السينما :

بينما تعرض السينماتيك فى قصر شايو و « شارع ديلم » [illegible] جودار أو برجمان .. وغيرهما من مخرجى الطليعة نجد بعض دور السينما فى الشانزليزيه او بيجال تعرض أفلاما رديئة للغاية هدفها جذب السياح الى مشاهد جنسية .. فمعظمها تدور موضوعاته فى نوادى العراة أو خلال استعراضات النوادى الليلية ... ولكن هذه الافلام رغم كل ما تقدمه من اثارة ورغم الدعاية والاعلانات لا تجذب الجمهور المتحمس مثل فيلم قديم لجون كوكتو عنوانه « الجميلة والوحش » .. و « فيلم الحى الغربى » الذى يستمر عرضه للعام الخامس فى نفس دار السينما او فيلم « اونيبادا » اليابانى ، رغم لغته الصعبة وغرابة اسلوبه ..

يوسف فرنسيس





الاشتراكية الافريقية
● اعداد : وليم هـ. فريد لاند
وكارل ج . روزنبرج

من المجلات الفكرية العالمية
● محور السياسة فى الشرق
مجلة البترول والغاز العربى

الاشتراكية الافريقية

● اعداد وليم هـ . فريدلاند وكارل ج . روزنبرج

عندما يتناول المرء كتابا عن « الاشتراكية الافريقية » ، فلاشك انه يبدأ بالبحث عن تعريف لهذا التعبير . غير أن قارىء ذلك الكتاب الذى صدر فى عام ١٩٦٤ لن يجد اجابة واحدة ، ولكنه سوف يتنقل بين عشرات الاراء التى يمكن أن يضمها هذا الرداء الفضفاض بعد ان اتخذه الكتاب عنوانا له .

ويزداد الامر تعقيدا عندما يتعدد الباحثون خاصة اذا ما اختلفوا لا فى طريقة نظرتهم الاجتماعية فحسب بل كذلك فى اختيار مادة مناقشتهم للموضوع . فقد ساهم فى الكتاب احد عشر باحثا من غير الافريقيين . ولكنهم لم يساهموا فيه من اتفاق فيما بينهم بل صدرت دراساتهم مستقلة عن بعضها . ثم تولى جمعها وتنسيقها والتقديم لها اثنان من اساتذة الجامعة بأمريكا .

ويشتمل الكتاب على ثلاثة اقسام رئيسية : ويهدف القسم الاول بفصوله السبعة الى دراسة الظاهرة العامة «للاشتراكية الافريقية» على ضوء قواعد العلوم الاجتماعية المختلفة من وجهة نظر اصحابها . وهكذا يقوم وليم فريدلاند دراسته الاولى من الناحية الاجتماعية . اما شاندلر موريس استاذ الاقتصاد الامريكى فيقدم دراسته للمحتوى الاقتصادى للاشتراكية الافريقية . بينما يسعى بحث ايجور كوبيتوف من زاوية علم الانثروبولوجيا الى الكشف من أصول تلك الاشتراكية فى تربة المجتمعات الافريقية التقليدية .. فى ثقافاتها وعاداتها . وعلى العكس تتجه الباحثة الامريكية دوروثى نيلكن الى دراسة مصادر الفكر فى «الاشتراكية الافريقية» بتحليلها للجذور الثقافية التى صاحبت تطور حركة الرابطة الافريقية واحتكاكها بالاتجاهات الاشتراكية فى أوربا على ايدى ديبوا وجورج بادمور وغيرهما من القادة الافريقيين المعاصرين .

وفى الفصلين الخامس والسادس تتعاقب دراستان تتناقضان كل التناقض . فكلا الدراستين تبحثان فى موضوع «الاشتراكية الافريقية» على ضوء المفاهيم الاشتراكية الاساسية ، غير أن احداهما تسير على ضوء التحليل الماركسى ويقدمها البروفسور بوتوخن مدير المعهد الافريقى بأكاديمية العلوم السوفيتية . أما الدراسة الاخرى فهى تجرى على ضوء افكار «الاشتراكية الديمقراطية» وتقدمها مارجريت روبرتس سكرتيرة مكتب الكومنولث للجمعية الفابية .

أما الجزء الثانى من الكتاب فقد اتجه الى دراسة الاوضاع الخاصة لبعض البلاد الافريقية ، فتناول بحثا خاصا من غانا ودراسة مقارنة بين السنغال وغينيا ثم تلتهما مالى . وتنجانيقا .

وينتهى الكتاب بافراده صفحاته الاخيرة لعدد من الوثائق الافريقية التى تعكس مدى تشابه واختلاف بعض القادة الافريقيين فى نظرتهم وتفسيرهم لموضوع الاشتراكية ، ومن ثم فى السياسات الاقتصادية التى يتبعونها داخل بلدانهم . وقد تمثلت هذه الوثائق فى مجموعة خطابات وأحاديث ومقالات القاها او كتبها كل من جوليوس نيريرى ومامادو ديا وتوم مبويا وكوامى نكروما وليوبولدسنغور وذلك بالاضافة الى مقال لم ينشر من قبل كتبه جورج بادمور عام ١٩٥٩ قبل وفاته بقليل .

« الاشتراكية الافريقية » كايديولوجية

ولا يوجد احد ممن ساهموا فى اصدار الكتاب بشك فى أن القادة الافريقيين الذين يعلنون الاشتراكية عقيدة لهم وهدفا لبلادهم يختلفون فيما بينهم فى النظرة اليها اختلافات واسعة . ويشير شاندلر موريس الذى قامت دراسته الاقتصادية على اربعة تجارب هى غانا وغينيا والسنغال وتنجانيقا ، ان جوليوس نيريرى يعرف الاشتراكية بكونها سلوكا عقليا . ومن ثم فان نيريرى يعتبر الواجب الرئيسى تثبيت ذلك السلوك الصحيح حيث لا يوجد . وبذلك ينتهى الى الافتراض بأن البنيان الاشتراكى سوف ينبثق نتيجة للافكار الاشتراكية وليس العكس . أما سيكوتورى كما يراه نفس المؤلف فهو على النقيض من نيريرى يرى مثل نكروما ضرورة تغيير اساس العلاقات الاقتصادية . ولكنه يختلف عن نكروما ازاء بعض جوانب المثالية التى تتخلل أفكاره عندما يقول : «اننا نضع الانسان فى مقدمة كل شىء» .

وربما يختلف الباحثون فى تحليلهم التفصيلى لايديولوجية القادة الافريقيين «الاشتراكيين» ، ولكنهم يشتركون فى الاقرار بأن اولئك القادة لا يمثلون منهجا واحدا بأى حال من الاحوال . وليس ادل على ذلك من النتيجة التى استخلصها آرستيد زولبرج استاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاجو فى دراسته وتحليله لطبيعة الحوار الذى جرى فى داكار فى أواخر عام ١٩٦٢ بين عديد من القادة الافريقيين (لم يحضره ممثلو دول الدار البيضاء) بناء على دعوة وجهتها الحكومة السنغالية «لبحث سياسات التنمية وتناول افريقيا لقضية الاشتراكية» . ان زولبرج يرى ان ذلك الاجتماع رغم اهمية الاراء ووجهات النظر التى أبديت فيه ، لم يحقق أهدافه فى ايجاد عقيدة موحدة .

هذه الحقيقة تشير اليها مقدمة الكتاب عندما تبين انه على عكس «الاشتراكية فى أوربا» التى ارتبط مولد اتجاهاتها المختلفة بأسماء مفكرين اشتراكيين محددين ، فان الاشتراكية الافريقية

ليست نتاج تفكير فرد معين ولكنها حصيلة مساهمات عديدة متباينة من القادة فى مواجهة احتياجات وظروف سياسية واجتماعية تختلف من مكان الى آخر .

واذا كان القادة الافريقيون قد فشلوا فى اعطاء مضمون موحد «للاشتراكية الافريقية» ، فان الباحثين الذين تصدوا للدراسة لا يجدون ازاء تعريفها سوى القول بأنها ايديولوجيه براجماتيه تحتوى على قسمات خاصة من الراسمالية والشيوعية والاتجاهات الاشتراكية المختلفة فى غرب أوربا الى جانب الوطنية الافريقية والخصائص التابعة من المجتمعات الافريقية التقليدية .

هكذا البسوا التناقضات التى يمكن الجمع بينها رداء فضفاضا هو «الاشتراكية الافريقية» ، مما يدفع القارىء الى التساؤل من سبب الاصرار على معالجة تلك التناقضات بوصفها ظاهرة واحدة .. وربما كانت الاجابة على هذا التساؤل كامنة فى البحث المقدم من مارجريت روبرتس عضوة الجمعية الفابية ، والذى يحكمه خط واحد ويحركه من بدايته حتى نهايته الا وهو التفتيش عن الفروق الجوهرية التى تفصل بين ماينادى به الماركسيون وبين ماينادى به «الاشتراكيون الافريقيون» رغم ان نداءهم أو دعوتهم ليست بالدعوة الموحدة .

وربما تبدو الفكرة الكامنة وراء كل ذلك فى محاولة تجنب اعطاء تعريف علمى دقيق للاشتراكية ذاتها ، بوصفها نظاما يقضى على استغلال الانسان للانسان . وما أسهل المحاولة اذا ماتعددت الاشتراكيات وتنوعت فى جوهرها . ففى ظل هذا التنوع يتحول معنى القضاء على نظام الاستغلال ووسائل ذلك الى مجرد كلمات عابرة فرغت من مضمونها والى معانى مثالية عن «المساواة» و« التعاون » فى ظل اى علاقات اقتصادية ! وأى سلطة سياسية !.

وعلى النقيض من ذلك تأتى الدراسة التى يجريها الباحث السوفيتى بوتوخين . ويستفيد بوتوخين من التطورات الفكرية التى ظهرت فى حزب الميثاق الشعبى بغانا . فقد حدد الحزب «الاشتراكية الافريقية» هدفا له عقب حصول البلاد على استقلالها . غير أن السنوات التى تلت شهدت مناقشة حية حول طبيعة الاشتراكية . وفى هذا يشير بوتوخين الى ان كوامى نكروما لم يعد يتحدث عن« الاشتراكية الافريقية» ، بل عن الاشتراكية بوجه عام . وقد اتخذ مؤتمر الحزب فى عام ١٩٦٢ قرارا ينص على ان ايديولوجيته انما تتأسس على افكار الاشتراكية العلمية . ويذكر بوتوخين انه اجرى حديثا خاصا مع كوامى نكروما فى ٨ ديسمبر من عام ١٩٦٢ قال فيه القائد الغانى :

«هناك اشتراكية واحدة فحسب بوصفها نظاما خاصا للانتاج الاجتماعى » .

وبالمثل يشير الباحث السوفيتى الى مؤتمر حزب «الاتحاد السودانى » وهو الحزب الحاكم بجمهورية مالى وتبنيه لصيغة الاشتراكية العلمية .

وهكذا يتجه بوتوخين اتجاها آخر . فهو يستبدل صيغة «الاشتراكية الافريقية» صيغة اخرى هى «الطريق الافريقى للاشتراكية» . ولكنه يتوقف ليؤكد أن انصار «الاشتراكية الافريقية» لا يختلفون مع الماركسية حول هدف القضاء على الاستغلال . ولكنهم يختلفون فى الوسيلة الرئيسية لتحقيق ذلك الهدف ، فى أنهم يغضون النظر عن ضرورة تشريك وسائل الانتاج ، ويعتقدون بامكانية استمرار المؤسسات الرأسمالية الخاصة فى ظل الاشتراكية وبامكانية اقامة مجتمع اشتراكى من صغار المنتجين . ويعتبر بوتوخين ذلك امتدادا لعملية تأثر «انصار الاشتراكية الافريقية » بأفكار الاشتراكية الديمقراطية .

محتوى حركة ((الاشتراكية الافريقية))

ولا شك أن هناك شيئا كامنا يربط بين مساهمات القادة الافريقيين رغم اختلافها . ويبدو الاحساس بهذا الشىء الكامن واضحا لدى الجميع . وتتجه كل الدراسات المقدمة الى توضيحه وتحليله . وحتى الصيغة التى وضعها الباحث السوفيتى على الرغم من اعتقاده بوجود اختلافات فى طرق التطور فيما بين الكثير من البلدان الافريقية ذاتها ، فان هذه الصيغة تفترض وجود طريق خاص بأفريقيا يتميز بسمات عامة متشابهة .

ومن هنا تعرضت خصائص المجتمعات الافريقية للبحث من مختلف الزوايا . ومن الطبيعى ان تختلف الاراء والتقديرات . غير أنه من الممكن للقارىء أن يتبين ثلاث موضوعات رئيسية تشكل فى خطوطها العامة محتوى حركة «الاشتراكية الافريقية» لدى جميع الباحثين .

وتتلخص هذه الموضوعات الثلاث فيما يلى :

- كفاح القارة من اجل تحديد شخصيتها .
- مشكلة التطور الاقتصادى أمام البلدان الافريقية النامية .
- اهمية المجتمع الخالى من الطبقات .

وهكذا يتبين الباحثون فى «الاشتراكية الافريقية» عنصرا من اهم عناصرها .. وهو عنصر توحيد القارة . وتشير أكثر من دراسة وبوجه خاص ماذكر فريدلاند من ان كثيرا من الدول الافريقية قد استقلت دون أن يتكون لديها الوعى بكيانها المستقل وربما كان ذلك تعبيرا عما ذكره نكروما من قبل من الاثار التى خلفها الاستعماريون نتيجة تمزيقهم الاراضى الافريقية .

ويشير روزبرج الى أن الكفاح من أجل توحيد القارة ومن اجل تحديد شخصيتها قد جاء استمرارا للكفاح ضد القوى الاجنبيه ومن هنا فهو يرى أن حركة معاداة الاستعمارية فى ظل العهد الاستعمارى قد تحولت لتصبح حركة «الاشتراكية الافريقيه» بعد حصول البلدان الافريقية على الاستقلال .

والحق ان هذه الفكرة تحمل جانبا كبيرا من الصواب ، فهى تكشف عن المحتوى الوطنى لكفاح الدول الافريقية النامية التى لاتتوقف معركتها ضد الاستعمار الدولى بعد انتصارها فى معركة التحرير السياسى . وان كان الكاتب لا يضع فكرته بمثل هذا الوضوح . فهو يضع حركة «الاشتراكية الافريقية» فى هذا المجال كرد فعل سلبى ، .. كعملية رفض لما يأتى من خارج افريقيا .

وهكذا فان الوطنية الافريقية جزء لايتجزأ من كفاح اى بلد افريقى من اجل الاشتراكية — وربما يفسر هذا موقف البلاد الافريقية التى تبنت صيغة «الاشتراكية العلمية» ومع ذلك ظلت تعتبر عملية البناء الاشتراكى لديها جزءا من المشاكل التى تواجهها القارة بأكملها .

وتستكمل الفكرة السابقة بما تواجهه البلدان الافريقية الفتية بعد حصولها على الاستقلال من مشاكل التطور الاقتصادى . والواقع أن هذه هى القضية الجوهرية . ويشترك الكتاب جميعهم فى تلك الملاحظة الاساسية الخاصة بضرورة اشتراك الدولة فى النشاط الاقتصادى وفى عمليات التنمية .

وتجمع الدراسات المقدمة على اهمية دور الدولة حتى اعتبرت أن الاشتراكية الافريقية قد استقرت لدى الكثيرين على انها مذهب ملائم يساعد على شرح وتبرير اشتراك الحكومة فى عمليات التطور الاقتصادى .

والواقع أن اشتراك الدولة فى توجيه الانتاج ليس فى حد ذاته عملا اشتراكيا ، بل ان وثائق الكتاب ذاته تشير الى عدد من الدول الافريقية التى تتخذ لنفسها قسمات مشابهة فى اشتراك حكوماتها فى نشاط البلاد الاقتصادى بينما لا تنضم هذه البلدان الى موكب «الاشتراكية الافريقية» .

فاذا اعتبرنا قضية التطور الاقتصادى القضية الاساسية ، فان بحث اى كاتب لا بد وأن يتجه عندئذ للتفتيش عن قسمات أعمق من مجرد اشتراك الدولة فى عملية التنمية الاقتصادية . ولقد حاول البعض أن يجد الحل بعيدا عن هذه الدائرة عندما راح ايجور كريتوفيفتش فى الخصائص الكامنة للمجتمع الافريقى فى التقاليد والعادات الى آخره . وفى بحثه هذا سرعان مايلتقى بجوليوس نيريرى الذى يرى فى افريقيا التقليدية مجتمعا اشتراكيا بالوراثة . ومن هنا فان الرأسمالية لاتلائم افريقيا ولاتمثل شيئا طبيعيا بالنسبة لها .

ولاعجب اذن أن تختط تنجانيقا (تنزانيا اليوم) خطة مختلفة عن غانا فى طريق التطوير الاقتصادى . فبينما تركز غانا على اهمية خلق المؤسسات الاقتصادية الحديثة التى تلعب فيها الدولة دورا بارزا (فى ظل حكم نكروما) ، فان تنجانيقا ترى أهمية التركيز على التطوير المشاعى على مستوى القرية . ان نكروما يؤمن بضرورة تغيير العلاقات الاقتصادية — بينما يؤمن نيريرى باشتراكية المجتمع الافريقى الموروثة .

أما مازجريت روبرتس فانها تواصل مناقشتها لا ثبات عدم ملاءمة الماركسية لمناخ أفريقيا .. وتركز افكارها على طبيعة المجتمع الافريقى الخالى من الطبقات . ومن ثم فهو مجتمع يرفض بطبيعته الماركسية التى تنادى بالصراع الطبقى . وتستخلص الباحثة البريطانية بعد كل ذلك النتيجة القائلة بعدم امكانية التطور الراسمالى فى افريقيا .

ويبين الباحث السوفيتى بوتوخين ان ماركس لم يكن له شرف اكتشاف الطبقات والصراع بينها ، ولكنه اعطى نقط التفسير العلمى لتلك الظاهرة الاجتماعية . ويرفض بوتوخين فكرة خلو المجتمع الافريقى من الطبقات وان كانت الإنقسامات الطبقية والتمايز الاجتماعى لم ينمو الى حد بعيد فى بلاد افريقيا الاستوائيه كما حدث فى جنوب القارة وفى شمالها. وينتقل الباحث السوفيتى الى اعتبار امكانيات النمو الراسمالي حقيقة واقعة ومن يتوقف رفض السير فى طريق النمو الراسمالى على نتيجة صراع القوى السياسية والاجتماعية المختلفة ، وربط الجماهير التجربة الراسمالية وآلامها بالتجربة الاستعمارية التى عانتفها الشعوب الافريقية .

والغريب ان شاندلر مورس أستاذ الاقتصاد الامريكى يقف موقفا مشابها للباحث السوفيتى فى اعتقاده بامكانية النمو الراسمالى فى افريقيا الاستوائية ، وفى تساؤله الذى يحمل فى طياته الشك اذا ماكانت الاجراءات المتخذة فى بعض بلدان «الاشتراكية الافريقية» سوف تفضى حقا الى بناء مجتمعات اشتراكية .

ان مورس يرى على العكس من مرجريت روبرتس امكانية قيام الطبقات . فهو يرى انه فى اى مجتمع لا يتخذ من النظام السوفيتى نموذجا له وينجح فى ادخال النظم الحديثة، فان القوى التى تميل الى خلق الطبقات الاقتصادية المتعارضة المصالح تفوق الى حد هائل كافة الوسائل التى تهدف الى حل هذه التناقضات .

ويخرج مورس بهذا التحليل نتيجة دراسته للعقبات الاقتصادية التى تعترض طريق تحقيق الاشتراكية فى البلاد الافريقية والتى تتلخص فى :

● ضرورة استخدام راس المال الاجنبى .. بينما تؤدى الافرقة الى خلق طبقة من المديرين .

● نمو راس المال الخاص المحلى والذى يؤدى الى تشابك أقسام اجتماعية محلية مع مصالح راس المال الأجنبى

● النقابات العمالية التى تختلف قيادتها من قاعدتها .. فلقد انضمت الجماهير الى النقابات بوصفها تنظيمات اقتصادية وهى تواصل محاولتها بعد الاستقلال لاستخدام هذه التنظيمات فى الحصول على امتيازات خاصة مما ادى الى اصطدامها بأجهزة الدولة السياسية كما حدث فى غانا وغينيا منذ سنوات .

● واخيرا الاساس الاقتصادى الذى توجد عليه الزراعة .

وهنا يناقش مورس كيف أن الزراعة فى جميع البلاد بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى قد ابدت نوعا من المقاومة ازاء محاولة ادخالها فى اطار النظام الجماعى . ويرد مورس بذلك على تلك الفكره التى يتبناها بعض قاده «الاشتراكيه الافريقيه» من ان الزراعة فى المجتمع الافريقى اشتراكية بطبيعتها كما يعبر عن ذلك ليوبولد سنجور وغيره . وبالتالى تنشأ فكرة هؤلاء القادة عن امكانية بناء النظام الاشتراكى فى الزراعة على نفس الاسس الاقتصادية القائمة دون ان يؤدى ذلك الى خلق طبقة من الملاك الافراد فى نفس الوقت الذى يتم فيه استنفاد كل الطاقة الانتاجية للارض . وهذا مايدعو للشك لدى شاندلر مورس .

هذه لمحات سريعة لبعض الافكار الهامة من بين مئات الافكار التى تبدو على صفحات كتاب «الاشتراكية الافريقية» عشرات الموضوعات تحت عنوان واحد .



محور السياسة فى الشرق

● مجلة البترول والغاز العربى

تصدر مجلة « البترول والغاز العربى » من « المركز العربى للدراسات الدولية » ، ويتصدر غلافها شعار « بترول العرب للعرب » وتناقش المجلة الجوانب المختلفة لقضية البترول وبصفة خاصة البترول العربى ففى عددها السادس تتناول بالدراسة معركة تأميم صناعة البترول فى المكسيك سنة ١٩٣٨ يقدمها « الدكتور عاطف سليمان » باستعراض لدور الاحتكارات البترولية فى نهب ثروات المكسيك وتكييف اوضاعها السياسية والاقتصادية بما يخدم اغراضها فقد اجبرت الشركات الاجنبية ، ماديرو اول رئيس للجمهورية بعد ثورة ١٩١٠ على الاستقالة عندما اراد تنظيم صناعة البترول والحد من حرية الشركات الاجنبية . وفى ١٩٢١ عندما حدث نزاع ضرائبى بين الشركات والحكومة كونت الشركات اتحادا لمجابهة الحكومة وقررت سحب الناقلات التى تنقل الزيت المكسيكى مما ادى الى شل صناعة البترول هناك .

وكان هناك مشروع قد طرح على البرلمان بانشاء شركة بترولية وطنية الا انه لم ينفذ الا فى ١٩٣٣ بانشاء « شركة استبعد منها الاجانب »كمحاولة جزئية لتأميم صناعة البترول»

وكان هناك مشروع قد طرح على البرلمان بانشاء شركة بترول وطنية الا انه لم ينفذ الا فى ١٩٣٣ بانشاء « شركة استبعد منها الاجانب «كمحاولة جزئية لتأميم صناعة البترول» وفى عام ١٩٣٦ انتخب كاردينا سماريف رئيسا للجمهورية وطالب البرلمان بأن يصدر قانونا يقضى بنزع ملكية جميع الممتلكات ذات النفع العام فانشئت فى ١٩٣٧ « الادارة العامة للبترول الوطنى » بهدف استكشاف واستثمار البترول . وعندما نشب نزاع بين العمال وشركات البترول هدد الحياة الاقتصادية باكملها ، ورفضت الشركات حكم المحكمة العليا والذى جاء فى صالح العمال فاصدر رئيس الجمهورية فى مارس ١٩٣٨ قرارا بتأميم الشركات التى رفضت الاذعان. وسارعت هذه الشركات بعرض دفع المبالغ التى قررتها المحكمة بعد ان صدر القرار . ولما رفضت الحكومة التراجع من قرارها طالبت بتدخل السلطات الامريكية وامتنعت الاحتكارات من تصدير المعدات اللازمة للعمليات البترولية لتحطيم الصناعة الوطنية .

وانشأت الحكومة « المجلس الإدارى للبترول » لادارة الممتلكات المؤممة واسست شركة وطنية اوكلت اليها كل الاعمال البترولية . واستفادت هذه الشركة من العدد القليل من الفنيين

الذين كانوا قد تدربوا على الصناعة فأصلحوا الالات والمعدات وابتكروا ما ينقصهم منها وقامت حملات واسعة لجمع الاموال اللازمة للشركة تبرع فيها معظم السكان . وقامت الحكومة المكسيكية بتسوية تعويضات الذين اممت ممتلكاتهم ويكمن مفتاح نجاح الشركة المكسيكية « فى محاولتها توجيه صناعة البترول المكسيكية نحو دفع الاقتصاد الوطنى الى الامام والنهوض به بدلا من توجيهها نحو تصدير الزيت الخام واستخدام البترول لبناء امة عصرية او استخدامه كما يقول الاقتصاديون المكسيكيون بمثابة محرك للثورة المكسيكية » .

وفى مقال عن « البترول محور السياسة فى البلاد العربية » يورد كاتبه الدكتور نقولا سركيس ، رئيس تحرير المجلة ارقاما تبين زيادة استهلاك البترول فى بلدان اوربا الغربية ، التى تستورد مايقارب ٧٤ ٪ من حاجتها من الشرق الاوسط وشمال افريقيا . ويظهر تاثير هذه الواردات فى الاقتصاد الاوربى فى :

● نمو صناعة التكرير والبتروكيماويات والصناعات المتفرعة عن البترول .

● البترول العربى من اهم موارد الاقتصاد الاوربى ، اذ يحقق ارباحا خيالية ، ثم ان الرسوم والضرائب على النفط المصدر الرئيسى لدخل بعض البلاد العربية يستخدم فى استيراد مصنوعات من الدول الغربية .

ويؤكد الكاتب ان « العلاقات البترولية بين العالم العربى والغرب بشكل عام واوربا بشكل خاص تشكل المحور الرئيسى للعلاقات الاقتصادية والسياسية بين الطرفين وان ارتباط العالم العربى بالغرب هو ارتباط التابع بالمتبوع والبلد المتخلف بالبلد الصناعى رغم مظاهر السيادة والاستقلال التى تتحلى بها بعض الدول العربية » . ولذا يميل الغرب لحماية استقلال الدول المصدرة للبترول عن طريق التدخل العسكرى . اما الوحدة العربية فيعتبرها تهديدا لتموينات الغرب بالبترول ، كما يعتبر الكثيرون ان الدول المنتجة للبترول يجب ان تظل خارج الدولة العربية الموحدة حتى ولو استوجب ذلك استعمال القوة »

ويبين الكاتب ان التدخل الغربى فى المنطقة لم يقتصر على البلاد المنتجة للبترول بل تعداها الى البلاد التى يمر البترول عبر اراضيها وقد عملت طويلا بريطانيا على منع الشركات الامريكية من مد انابيب بين السعودية وشواطىء البحر المتوسط « وقد كان هذا النزاع السبب المباشر لعدد من الهزات السياسية والانقلابات العسكرية التى جرت فى البلاد العربية خلال السنوات الماضية » . ولم يكن انشاء اسرائيل غريبا عن قضية البترول العربى بل جاء نتيجة منطقية لها فالدول الغربية المسيطرة على البترول العربى (انجلترا ، فرنسا ، امريكا) هى التى كانت وراء خلق دولة اسرائيل ولذا لا يمكن على حد تعبير الكاتب « معالجة قضية اسرائيل وغيرها من قضايانا بمعزل عن قضية البترول » .

ويفسر الكاتب عدم اهتمام العرب بقضية البترول بالقدر الكافى بعدم نمو الوعى البترولى ، فالشركات تقوم برشوة الصحف حتى لا تناقش القضية ، كما ان الجامعات تخلو من اقسام لدراسة البترول ، والرقابة الحكومية على نشاط الشركات لم يكن لها وجود ولكن هذا الوضع اخذ يتبدل فى السنوات الاخيرة بسبب مؤتمرات البترول العربى ومنظمة البلدان المصدرة للبترول ، وحركات التحرر السياسى وانتشار الوعى وزيادة تاثير صناعة البترول على الاقتصاد العربى .

ويرجع الكاتب اهمية الموضوع لانه يطرح قضية التعاون الاقتصادى والسياسى بين الدول العربية فى وقت يسير فيه العالم بخطى واسعة نحو التكتلات الاقتصادية .

وفى العدد الاخير [illegible] يتعرض الشيخ عبد الله الطريقى فى مقاله « العرب و[illegible] البترول والاسلام » لاهم القضايا المثارة فى العالم العربى بصراحته وجرأته المعهودة . فيؤكد فى بدء مقالته بأن الدول الغربية عاشت فى الماضى وتعيش فى الحاضر وستحاول ان تعيش فى المستقبل فى مستوى معيشى « يعتمد الى درجة كبيرة على استغلال ثروات الشعوب المتخلفة عنها صناعيا وحضاريا » ولذا منعت هذه الدول قيام قوة عربية ، وقضت على وحدة العالم العربى ، وبوجه خاص عملت « على عزل القاهرة ، ونشرت القواعد العسكرية فى ارجاء الوطن العربى ، وعملت على الحفاظ على الحكومات الموالية ومنع التجمع العربى » .

واخيرا اقام الاستعمار الغربى اسرائيل لابقاء العرب جزئين متناحرين . وفى رأى الكاتب « ان وجود هذا الجسم الغريب فوق الارض العربية تسبب فى صرف انظار العرب عن قضاياهم الكبرى كتطوير امكانياتهم الطبيعية وخلق دولة عربية موحدة فى المنطقة والاكتفاء بالبكاء على فلسطين المحتلة » وهكذا يضيع المجهود العربى وتهمل القضايا العربية الحيوية التى تهدف الى تجميع الامكانيات العربية ومنع استغلال الغرب للثروات العربية . ويختتم الكاتب هذا الجزء من المقال بنتيجة مؤداها انه ليس امام الامة العربية الا ان تقف صفا واحدا امام الغرب ، الذى تبلغ ارباحه الصافية من البترول مايقرب من مليارين سنويا ، ولا يمكن ان يعتمد على مصادر اخرى للحصول على حاجاته من النفط »

والظروف الحالية مواتية فى نظر الكاتب للقيام بعمل موحد ضد الغرب ، فالولايات المتحدة الامريكية مشغولة فى حرب فيتنام مما يجعل الضغط عليها مجديا ، كما ان الغرب عموما مشغول بحروبه المختلفة وتنافسه المتمادى مع الدول الاشتراكية وهو بحاجة الى صداقة العرب ، ومن جانب آخر فان تاجيل المعركة قد يؤدى الى احتمال كشف الغرب لمصادر بترولية اخرى مما يضعف مركزنا فى الضغط عليه فاذا رفض الغرب مطالب العرب امكن تاميم صناعة البترول وفى هذا يقول الكاتب « ليس معنى التاميم ان يقاطع الغرب البترول العربى وذلك لتعذر هذه المقاطعة لعدم وجود مصادر اخرى تمد الغرب بالبترول وسيشترى الغرب البترول العربى كما استعمل خدمات قناة السويس » . والعرب قادرون على ادارة هذه الصناعة بأنفسهم ، واذا دعت الضرورة يمكن استخدام فنيين من الدول الاخرى كالاتحاد السوفيتى واوربا الشرقية .

ويتناول الكاتب موضوع الحلف الاسلامى بطريقة سهلة مبسطة ومقنعة ، فيقول ان هذا الحلف ليس سبيلا لمواجهة الاستعمار واسرائيل ، وليس ذلك لان التقارب الاسلامى شائن فى حد ذاته ، بل لعدم كفاية هذا الاسلوب ، فالاحلاف لابد ان تكون موجهة ضد مجموعة اخرى من الشعوب والحكومات او للدفاع عن نفسها ضد مجموعة من هذا القبيل . والمجموعات التى تريد مواجهتها (الغرب) مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبلدان الاسلامية غير العربية ولا تستطيع هذه البلدان الوقوف معنا ضده . فباكستان تعتمد فى وجودها على الغرب وتركيا علاقاتها وثيقة باسرائيل . اما اندونيسيا فلن تنضم الى مثل هذه الاحلاف فضلا عن ان الحروب الداخلية تمزقها . وفى نهاية المقال يدعو الكاتب الملك فيصل الى محاولة اقناع شاه ايران بان يغير موقفه من العرب ، اذ انه رفض طلب الدول العربية منع وصول البترول الايرانى الى اسرائيل وادعى ملكية جزيرة البحرين وينازع العرب حصتهم فيها . وبذا يؤدى فيصل خدمة كبرى للمسلمين .

كتابات جديدة

المواطن ثروت سعيد الشعراوى ، من معهد الدراسات العربية العالى والموظف بمؤسسة المطاحن والمخابز بالعلاقات العامة يناقش دور الادارة واجهزة الدولة بالنسبة للعمل السياسى فى القرية وربط جماهيرها بالاتحاد الاشتراكى (*)

الوجود الايجابى والوجود السلبى للاتحاد الاشتراكى فى القرية

لنقدم أيديولوجيتنا .. مع السماد والبذور



ثروت سعيد الشعراوى :

من قضية الوجود الايجابى والوجود السلبى للاتحاد الاشتراكى فى القرية من ناحية وبين قضية الوجود الايجابى والوجود السلبى للواجهات التنفيذية التى يحتك بها الفلاح الصعب فى تقديرى ان نضع فاصلا بين خلال تعامله اليومى مع ممثلى السلطة التنفيذية من ناحية اخرى .

وفى رايى ان تسليمنا باستحالة الفصل بين « وجود » التنظيم السياسى و « وجود » السلطة التنفيذية فى القرية سيكون مفيدا فى دراسة هذه القضية من عدة نواحى ، اهمها: ان هذا الفصل غير موجود على الاطلاق فى ذهن الفلاح .. وهذه الحقيقة يستطيع كل من يمر بالقرية المصرية ان يراها بوضوح .

ومن هنا ــ وعلى ضوء تسليمنا هذه الحقيقة ــ نستطيع ان نقف على نفس الارضية التى يقف عليها الفلاح مما يصلح اساسا لرؤية القضية من هذه الزاوية ومحاولة الخروج منها بحلول واقعية .

وبداية الحركة السياسية للفلاحين تنبع اساسا من احساسهم بان ممثلى السلطة التنفيذية الذين يحتكون بهم هم ممثلون حقيقيون للدولة التى تمثل تحالفهم ــ اى الفلاحين ــ مع العمال وباقى طبقات الشعب العاملة »

وببساطة نستطيع ان نرى بوضوح ان راى الفلاح فى دولته ــ وبالتالى فى التنظيم السياسى الذى يقف ورائها ــ يتكون فى الاساس من خلال السلوك الذى يمارسه ممثلى السلطة التنفيذية فى تعاملهم ومواجهتهم لمشاكل الفلاح اليومية ومن خلال الفارق المقنع الذى يكتشفه الفلاح ــ بطريقته الخاصة ــ بين التطبيق العملى والاساس الفكرى الذى يحكم هؤلاء التنفيذيين ، والذى لابد ان يميزهم من التطبيق العملى والاساس الفكرى للتنفيذيين الذين سقطت دولتهم ــ دولة تحالف راس المال والاقطاع ــ مع فجر ٢٣ يوليو سنة ٥٢ .

واذا ماتركنا لجنة العشرين بالقرية جانبا فى محاولة لايراد بعض الامثلة من واقع التعامل اليومى للفلاح مع ممثلى السلطة التنفيذية كرئيس مجلس القرية ومجلس ادارة الجمعية التعاونية الزراعية ونقطة الشرطة بضباطها وجنودها وناظر المدرسة الابتدائية او الاعدادية ومفتش الصحة

الخ .. » نستطيع ان نجد للفلاح مع كل واحد من هــؤلاء « التنفيذيين » مطالب ومعاملات واحتكاكات يومية ،والوجه الذىيراه الفلاح لكلمنهؤلاء التنفيذيينخلال المطالبة،والتعامل والملاحظة يقدمللفلاحصورةصادقة ــ منوجهة نظره ــ لطبيعة النظام ككل ،كما يقدملهاساسا منطقيا لتحديد موقفه السلبى او ،لايجابى من الحركة السياسية المرتبطة بهذا النظام، بل تشكل ــ الى جانب العوامل الاخــرى الهامة ــ درجــة حماسه لدعم التنظيم السياسىاو الوقوف منه موقفا سلبيا.

وقد يبدو الامر على هذا النحو مشبعا بنوع من التعسف ، فكيف يصدر الانسان حكما على دولة ما من خلال تعامله مع موظفيها الذين سيكون بعضهم فى احسن الاحــوال منفذين غير أمناء لخططها الهادفة الى تحقيق الاشتراكية .

والاجابة على هذا التساؤل تكمن فى تاريخنا . فى ذلك التاريخ الذى فرض دائما على فلاحينا اشكالا من السلطة ترتدى اثوابا مختلفة وتتفق جميعها على استغلال الفلاح ، سواء اكانت سلطة استعمارية خارجية ام سلطة اقطاعيــة داخلية واثر ذلك التاريخالمرير على التكوينالنفسى والفكرى لفلاحينا الذين كان الحذر والشك وعدم الاستجابة الفورية اسلحتهم التى قاوموا بها مختلف الاشكال الاســتعمارية والاستغلالية التى تعرضوا لها .

ان المثقف الذى مارس الحياة بالريف ــ برؤيا متعاطفة مع الفلاح ــ يعلم ان الفلاح الذىلاينام قبل ان يطمئن على مواشيه يرغب اساسا فى توفير الاعلاف لمواشيه والبــذور والسماد لارضه والثمن المجزى لمحاصيله الخ .... وبقدر توفر هــذه المطالب من عدمه يتحدد مــوقفه من الجمعيــة التعاونية الزراعية « مثلا » .

ومن هنا نستطيع ان نجد ان مناقشة قضية الوجــود السلبى والوجود الايجابى للاتحاد الاشتراكى فى القــرية لايمكن ان تنفصل عن الوجود السلبى والوجود الايجــابى للاجهزة التنفيذية بالقرية باى حال من الاحوال .

ويدفعنا هذا الى ان نقرر بصراحة انه اذا كان هــدفنا التنظيمى السياسى الحيوى هو خلق كادر سياسى فــلاحى نستطيع الاسهام به فى دفع عجلة الانتاج وتحقيق اهداف خطة التنمية الزراعية وتحمل مسئولياتها والقيام بمشاركة سياسية جادة ، فان هدفنا العاجل يجب ان يتحدد فى اتجاه تحويل كــوادرنا التنفيذيــة المتصــلة بالقرية الى كــوادر « تنفيذية سياسية » تتولى تقديم صــورة انســانية للنمط الاشتراكى فى السلوك والفكر ودراسة المشاكل من خلال البحث الميدانى واستنباط حلولها من خلال وجهة نظر وراى اصحاب المشاكل والمصلحة الحقيقية ، والمساهمة فىالتقاط العناصر القيادية من صفوف الجماهير الفلاحية وتدريبهاعلى فنون القيادة الجماهيرية ومعايشة الجماهــير والاحساس بمعاناتها وتقديم العون الانسانى لها .

واذا كانت تجربتنا فى التحول الاشتراكى تتمتع بثروة بشرية عظمى من الكوادر الفنية ــ تفتقر لها تجارب مماثلة فى الجزائر وغينيا مثلا ــ وتعانى من العجــز فى الــكوادر السياسية العاملة وسط الجماهير فان تحــويل الواجهة التنفيذية بالقرية الى كوادر تنفيذية سياسية تعيش وسط الجماهير هو الاساس الحقيقى لتفاعل القرية مــع قيادتها السياسية وتنظيمها السياسى، وهو الدافعالقوى للوصول بالانتاجية الزراعية فى بلدنا الى الحد الاقصى الذى تقدمه لنا الامكانيات المتاحة .

ولكى نطلب من القرية ان تتفاعل مع قيادتها السياسية فعلينــا ان نقــدم ايديولوجيتنــا مع الســماد والبــذور لكى نقيم فى قاعدة تنظيمنا السياسى معاقل حصينة فى قرانا الممتدة عبر وادى النيل تمثل الاســاس الحقيقى للتنظيــم السياسى فى بلد يمثل الفلاحون غالبيته العظمى .

وليس هناك « موصل » اكثر « جودة » لهذه الايديولوجية من الكوادر التنفيذية المعدة سياسيــا لمعايشــة الجماهــير والعمال فى وســطها مقدمة التوعية مع الخــدمات لتلغى من طريق العمل السياسى فى القرية تراثا سلبيا طويلا تولد عبر سنين طويلة بين فلاحينا وبين السلطة .

ومن المهم فىهذا الصدد ان نرصد مجموعة من المبادرات الايجابية والتلقائية التى تمت فى قرانا فى الفترة الاخــيرة والتى اعتمدت اساسا على التناسق الفــكرى والعملى بين الاجهزة التنفيذية من ناحية والاجهزة التنظيمية من ناحيــة اخرى ، والتى ساهمت الى حد كبير فى حلمشاكل الجماهير (الطرق ، المواصلات ، الرى) عن طريق تعاون الجماهير مع الاجهزة التنفيذية والسياسية كنتيجة مباشرة لاستجابتها للتوعية الاشتراكية واستجابة هذه الاجهــزة لمطالبها من ناحية اخرى .

ومن خلال هذه المبادرات تبرز قيادات لها يجب الاهتمام بها وتحميلها مسئولية العمل فى الاتحاد الاشتراكى فى اطبار المكاتب التنفيذية للمراكز وفى داخل القرى ■



حول الحياة الثقافية فى مجتمعنا ، يناقش المواطن حسين عبد الله على الاحصائى الاجتماعى بشركة النصر للدخان والسجاير بالاسكندرية ، قضية تطوير ثقافة وفنون مجتمعنا الجديد .

الحياة الثقافية والفنية فى المجتمع المصرى



حسين عبدالله على

يقوم الفكر الثورى الاشتراكى بدور أساسى فى تطور المجتمع ونموه . ولابد ان يرتبط الفكر الثورى بنظرية العمل الثورى حتى يلعب دورا مزدوجا فى تطوير المجتمع وفى تطوير الفكر الاشتراكى نفسه ، وينشأ من اى تغيير مادى فى المجتمع لايصاحبه تغيير فكرى بنفس الدرجة ، فجوة خطيرة قد تساعد الافكار الرجعية على النمو مرة اخرى ويصبح امامها المجال الى زعزعة الفكرة الاشتراكية ومحاولة القضاء عليها من خلال تضخيم الصعوبات التى قد تواجه عمليات التطبيق الاشتراكى . واذا نظرنا الى مجتمعنا نجد اننا سرنا فى مجال التغيير المادى بسرعة اكبر من مجال التغيير الفكرى ، شأننا فى ذلك شأن كافة المجتمعات فى طفرات تقدمها اذ تسبق الجوانب الحضاريه المادية غيرها من الجوانب الثقافية والمعنوية فى التطور والنمو .

وتتضح تلك الصورة فى المجتمع المصرى بجلاء ، فان جزءا كبيرا من القيم السائدة فى وقتنا هذا هى فى الحقيقة قيم موروثة من المجتمع القديم . فمازالت هناك افكار تتناقض تماما مع الاشتراكية ولذا فهى لاتيسر عمليات التحول الاشتراكى بل على العكس تقف عائقا فى وجه هذا التحول فما زلنا نجد قيم التواكل والتبعية وعدم الايمان بالعلم والاكتفاء المطلق بالغيبيات والفوضى فى العمل والسلبية ورفض ومقاومة كل جديد وغيرها من القيم المنتشرة بين بعض الطبقات وحتى تلك التى استفادت من التحول الاشتراكى .

وكان لابد للثقافة والفنون المصرية ان تتأثر بالتطور الثورى والتحول الاشتراكى حتى تكون قادرة على تغيير الفكر وتطوير السلوك الانسانى بما يتمشى مع التغيير الاقتصادى والاجتماعى فى البلاد . ولكن لم تتأثر فى اول الامر الا فى حدود ضيقة ، فظلت تهتم بالشكل اكثر من المضمون وتعتمد اساسا على مخلفات المجتمع القديم والذى يعبر عن المجتمع الراسمالى . وذلك الى حين ظهور طفرات تقدمية فى مجال الثقافة والفنون بانشاء اجهزة ترعياها الدولة لخدمة الفكر ، وكذلك ظهور بعض المفكرين فى مجالات الثقافة والفنون يؤمنون بالتطور والتغيير — بالرغم من انهم قلة — وعلى الرغم من ذلك فمازال هناك تخلف فى واقع حياتنا الثقافية والفنية عن واقع الحياة المادية المتطورة نحو الاشتراكية .

ولذا لابد من تصفية القيم الفنية والفكرية للمجتمع الراسمالى المنهار والمنافية لروح الاشتراكية وذلك للالتحام بقيم جديدة تعبر عن مرحلة الانتقال المادى والمعنوى الى الاشتراكية وهذا يستلزم تطويرا للتراث القومى للاشكال الفنية والادبية وزرعا لقيم فكرية جديدة .

ومن هنا يتضح الدور الكبير للفكر الاشتراكى بمختلف فروعه من علم وادب وفن وموسيقى وغيرها فى مواجهة الافكار والقيم الرجعية بان يعكس صورة المجتمع الجديد الذى نريد بناءه فى الانتاج الفكرى والفنى والادبى حتى يستطيع بذلك ان ينتصر على الرواسب الرجعية الباقية فى المجتمع . وحتى يستطيع ان يقترب من الجماهير ويؤثر فيها ويكسبها الى صفه وينظمها فى اطار اشتراكى سليم .

ولابد لنا هنا من وضع الوسائل والطرق لتطوير ثقافتنا وفنوننا حتى تعكس صورة المجتمع الجديد ومن هذه الوسائل ما يلى :

● لابد من زيادة الاهتمام بتبسيط الثقافة وكتابة المبسطات لمتوسطى الثقافة على احسن صيغة واصدق معرفة علمية . وهناك تجارب اشتراكية فى بلاد اخرى لجأت الى مثل هذا الحل فى محاولة لارساء فكر جديد فى المجتمع .

● اعادة توزيع الاجهزة الثقافية فى بلادنا بحيث تمثل جميع التيارات الفكرية الثورية حتى يمكن ان يكون هناك صراع فكرى يخلق فى النهاية الفكر الاشتراكى المتكامل والموحد .

● لابد من انشاء اتحادات للادباء والمثقفين الجدد تعبر عن الطاقات المتحررة والجديدة وبذلك يمكن خلق جيل جديد

من الادباء والمفكرين قادر على تحمل مسئوليـة التغيير فى المجتمع .

● يجب ان يخرج المفكر الاشـتراكى من عزلتـه من الجماهير ويمتزج ويختلط فعليا بهـم حتى يمكن ان يكـون صادقا فى التعبير عن احوالهم من ناحية ومن ناحية اخرى قادرا على مخاطبتهم بأسلوبهم وطريقتهـم فيكون اقدر فى التأثير عليهم .

● حماية الادباء الجـدد من القيـادات الرجعية والتى تحارب كل جديد .

● اتاحة الفرص للمثقفين للانتاج — حتى يشاركوا فى تنمية الثروة الانسانية — من العلم والفلسفة والادب والفنون المختلفة .

● لابد من التخطيط والمتابعة لبرامج محو الامية فى البلاد فالمواطن المتعلم اقدر من الامى على الاستفادة من الخـدمات المقدمة له الى جانب تفاعله مع القيادة السياسية ومصـادر المعرفة والتوعية الاشتراكية بما يجعله قادرا على تغييروتعديل سلوكه بما يتمشى مع اتجاهات المجتمع .

● ارساء قواعد وتقاليد النقـد والنقد الذاتى وممارستها ضرورة اساسية للتطور

● ادراك الفنانين وايمانهم بالاشتراكية وبالجماهير العاملة وبكفاح الانسانية فى سبيل الخير والسلام — امر ضرورى لتقدم الفن .

● لابد ان تصل الثقافة والفن بمختلف صورهما الى الشعب فى الاحياء الشعبية ذاتها ولابد ان يلغى هذا النوع الرعاية الكافية (١)'.

● الاهتمام بوسائل الاعلام المختلفة من اذاعة وسـينما وتليفزيون ومسرح حيث لابد ان يتضح من خلال اعمالها مشكلة الانسان فى صراعه مع المقدرات الاجتماعية العامة من اجـل رفاهيته وسلامته وسعادته . وتعتبر تلك الوسائل من الاسلحة الخطيرة بالنسبة للفكر الاشتراكى لانها وسائل جماهيرية واسعة الانتشار وسهلة التأثير حتى على الامى ولكن مازال هناك قصور فى استخدامها .

ومن اهم الوسائل التى تحقق فاعليتها بما يحقق ورها مايلى : —

١ — مراجعة كافة النصوص المسرحيـة والسـينمائية — وخاصة التى انتجت خلال المجتمع الراسمالى واختيار ما يتمشى منها مع المجتمع الجديد .

٢ — لابد ان تكون البرامج المقدمة خلال تلك الوسـائل الاعلامية صادقة التعبير عن واقع الحيـاة المـادى المرتبـط بالجماهير .

٣ — التوسع فى الدراسـات والابحاث فى مجـال تحسين خدمات تلك الوسائل ومعرفة احتياجات المشاهدين والمستمعين والتفاعل معهم لتحقيق الاهداف المرغوبة .

٤ — لابد ان تكون البرامج المقدمة متناسبة مع حياة طبقات الشعب العاملة بمختلف الاسـاليب والطرق .

٥ — لابد من ارسال البعثات العلمية فى مجال الفنون والادب والثقافة الى المجتمعات الاشتراكية حتى يمكن الاستفـادة من طبيعة التغير الفكرى فى تلك المجتمعات بما يتناسب واحتياجات مجتمعنا وحتى يكون هناك تفاعل فكرى اشتراكى .

تلك ، فى تقديرى ، الوسائل التى تحقق نمو وتقـدم الفكر الاشتراكى ليسير جنبـا الى جنب مع واقع حياتنا المـادية ، وبذلك يتكامل بناء مجتمعنا الذى تتوافر فيه المقومات والظروف التى تعد مرتعا خصبا لتنمية الجوانب الاخلاقية والاجتماعية والتى تصل بنا الى مجتمع جديد تتوفر فيه الكفـاءات الخلاقة ذات المستويات العالية من الثقافة والتقـدم العلمى والخبرة الفنيـة .

كتابات جديدة

تتلقى الطليعة بترحاب كتابات الاقلام الجديد ونهم — ، ونود أن نلفت نظـر الاصدقاء ان بعضا من الكتابات التى يبعثون بها ، تتناول موضوعات تخـرج عن نطاق القضايا الاربعة التى حددتها الطليعة ، تسهيلا على هذه الاقلام الجديدة من جهة وبسبب اهمية هذه القضايا فى ظروفنا المعاصرة من جهة اخرى . وتقديرا للجهد الذى بذله اصحاب هذه الكتابات ، ستنشر الطليعة مثل هذه الكتابات التى تخرج عن نطاق القضايا الاربعة ، فى « مناقشات مفتوحة »

وتأمل الطليعة ان تتنـاول اقـلام الجديدة كتاباتها فى اطار القضايا الاربعة التالية :

● الوجود الايجابى والسلبى لاجهزة الاتحاد الاشتراكى فى القـرية وعلاقاتها مع الاجهزة الحكومية ، عرض وتشخيص للظواهر والاسباب ومقترحات العلاج .

● قضايا ومشكلات احدى وحـدات الانتاج على وجه التخصيص فى مجتمعنا من حيث الادارة والعمل وطبيعة العلاقات بينها ومظاهر واسباب البيروقراطية ، ومدى ممارسـة ديمقراطية الانتـاج والحد من الاسراف .. الخ . كيف يكون العلاج واساليبه بما وقع من تجـارب وحصيلتها ، وذلك كله بهدف زيادة الانتاج وتحسين نوعه .

● كيف يمكن ان نوحد — فكرا وعملا وتنظيما — القوى الثورية فى الوطن العربى من اجل تحقيق التحرر الحقيق لجميع البلاد العربية وتقدمها السياسى والاقتصادى والاجتماعى على طريق الاشتراكية والوحدة

● واقع الحياة الثقافية والفنية فى مجتمعنا ومدى تخلفه عن واقع الحياة المادى المتطور نحو الاشتراكية ، وكيف يمكن ان نطور ثقافتنا وفنوننا — كلا ومضمونا ، جماليا وعميقـا — نحو الوجدان الانسانى الاشتراكى فى جماهير شعبنا دون تحجر على حرية الكاتب او ما يخنق الابداع الذاتى للفنان .

المقالات التى نشرت حتى الان

مارس ١٩٦٦

● الوجود الايجابى والوجود السلبى للاتحاد الاشتراكى فى القرية .
محمد كمال بيومى غنيم
مهندس زراعى
— مؤسسة المطاحن

● نحو وحدة القوى الثورية فى الوطن العربى .
عنتر عبد السلام مخيمر
اخصائى اجتماعى — الشرقية

ابريل ١٩٦٦

● حول قضـايا ومشـاكل الانتـاج فى شركة النصر للاسـمدة والصـناعات الكيماوية .
عبد العال حنفى عجم
لجنة الدعوة والفكر
— السويس

● نحو مؤتمر اشتراكى عربى
يحيى نصر الله
كربلاء — العراق

(١) — مثل معرض الشعبى الذى اقيم فى قهوة الباشا بعابدين فى ديسمبر ١٩٥٦ ولقى نجاحا جماهيريا .



فى السياسة.. وكرة القدم

صوت من القاعدة

يكتبه هذا العدد المواطن
محمد عبد الحق
معيد الرياضة التطبيقية
علوم عين شمس

فى الوقت الذى نرتب فيه باهتمام هجوم الثورة المضادة فى بعض الدول ، ينبغى ان نتوقف لحظة لنقيم ظاهرة «كرة القدم» تقييما جادا وجريئا وبناء .

وفى رأيى الخاص ان نوادى الكرة قد استغلت من بعض عناصر الراسمالية المصرية المستغلة وقد راينا اكبر نوادينا وقد كان يراسها اغنى اغنياء مصر الذين تحيط بثرواتهم أكثر من علامة استفهام. وقد حاولت هذه العناصر ، فى تقديرى ، ان تكسب بهذه الطريقة شعبية وحبا من الجمهور المحب لهذه الرياضة، وحتى يظهروا بمظهر الكرماء ومشجعو وناشرو الرياضة .ثم تهاوت الراسمالية المستغلة تحت ضربات الثورة الاشتراكية المنتصرة ،فهرب من هرب من عناصرها وتوارى الباقى وراء الستار ، صامتين متربصين .

ولم تلبث اجهزة الاعلام ووسائله ــ للاسف الشديد ــ ان تسابقت محمومة بشكل غريب لتدق الطبول وتفرد الصفحات الطوال او تخصص الساعات على الاثير فى الاذاعة والتليفزيون .ومكنت هذه الاجهزة للاعبى الكرة ان يصبحوا نجوما اشهر من بعض ممثلى السينما .واصبح اصغر طفل فى مصر يعرف عن لاعبى الكرة وحياته وسهراته وعلاقاته.. الخ اكثر مما يعرفه عن نفسه او عن ابيه! وجرفت هذه الحمى كثير من كتابنا للحديث عن كرة القدم، حتى ليعد من لم يكتب عن كرة القدم على الاصابع ومن عجب أن الصحف لم تقم بنفس الدور الذى لعبته فى جذب الاهتمام الى كرة القدم، بالنسبة لتنشيط الاتحاد الاشتراكى، مالك هذه الصحف وموجهها .

ولسوف يقال ان النشر كان يهدف نشر الرياضة والروح والقيم الرياضية. وانا اسأل: هل انتشرت الرياضة؟ ولا اظن ان هذا صحيحا اذ يلاحظ التخلف الذى طرأ على جميع الالعاب الرياضية الاخرى غير كرة القدم. واما عن الروح والقيم الرياضية فانى اقول هل انتشرت اصلا بين اللاعبين حتى تنتشر على نطاق اوسع؟ لقد عاش اللاعبون حياة النجوم ينعمون بالسهرات وتسابق كاميرات السينما اليهم حتى اصبح من يصلى منهم ويصوم ، يعد اماما للزهد والتعبد !

والحل ؟ ان امامنا تجربة مماثلة لشقيقة عربية مناضلة.. فى الجزائر حيث اوقفت مباريات كرة القدم بعد حدوث شغب فيها.

واقول يجب ان نملأ كثيرا من الفراغ الذى يعيش فيه البعض. بأن نجذب هذه الجماهير بكل حماسها وطاقاتها الى تنظيمنا الشعبى وحشد كل قواها فى معركة البناء والمعركة ضد الاستعمار. ومن ثم يجب ان تنشط قيادات التنظيم التى ينبغى ان تحشد كل وسائل الاعلام لتعبئة كل الجهود داخل الاتحاد الاشتراكى لا فى نوادى كرة القدم.

اننى ادعو الى ان نشجع وننشر الرياضة بمعناها الحقيقى. واقتراحى ــ رغم غرابته ورغم انه على حد علمى لم تسلكه بلد آخر، الا انه فى رايى اقتراح جاد. اننى ادعو الى الغاء النوادى الخاصة التى تعشش فيها كثير من العناصر التى لا ينبغى ان نترك لها الفرصة. والبديل ،هو تعميم الساحات الشعبية بلا اسوار وفى كل حديقة صغيرة وفى كل خرابة مهجورة ،لنشر

الرياضة وممارستها لا مجرد مشاهدتها، ولنملا هذه الساحات بالخبراء الرياضيين الواعين بدورهم وبدور الرياضة فى مجتمعنا الجديد، كوسيلة لتهذيب النفس والسمو بها والارتقاء بمعارفنا ومداركنا واحاسيسنا ولتصبح هذه الساحات الشعبية اكبر معاقل لتجمع شبابنا لتقف امام المؤامرات الرجعية.

انه لا يجب ان ننظر الى مؤامرات الاستعمار التى نجحت فى وقف المد الثورى فى بعض المعاقل فى آسيا وافريقيا ثم يكتفى الثوريون بلوم الاستعمار ومؤامراته ويخلوا انفسهم من المسئولية. ان الجهود ..كل الجهود، يجب ان توجه لتعبئة القوى الشعبية والثورية لصد المؤامرات ..كل المؤامرات .فذلك هو طريق الكفاح ضد العدو.

رأى فى ملف العقاد

لقى ملف الطليعة عن عباس العقاد، اهتماما واسعا من كافة وجهات النظر — اتفقت او اختلفت — مع الطليعة .وننشر فى هذا العدد رايا للمواطن **ابو المعاطى ابراهيم ابو المعاطى** من زراعة عين شمس، يختلف مع وجهة نظر الطليعة يقول المواطن:

جردت الطليعة فى ملفها عن العقاد، جردته من اوصاف خلعت عليه فى حياته. انكرته كمفكر واتهمته بالنظرة الضيقة وعدم احترام العقل. وانكرته كاديب وناقد واتهمته باستغلال منصبه فى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب لمعارضة كل ما هو متطور وكل ما هو جديد. وانكرته كسياسى واتهمته بأنه قطب للهجوم الرجعى .

واذا قرانا آخر اسطر من كل قسم من اقسام الملف، سنجد — فى رايى — انكارا واجحافا وتشويها. ولا يقلل من هذا بعض التفاصيل السريعة فى كل مقال تحاول ان تنصفه .ولكن الغلبة الاخيرة للاجحاف. ولا يقلل من الموقف العام لطليعتنا من العقاد، دياجتها من العقاد ومن جهوده . ولا يؤيد موقف الطليعة استشهادها بالنص الذى ورد فى قرار لجنة الجائزة التقديرية للدولة ١٩٦٠ .فذلك النص شىء ،والطريقة والتحليل الذى ورد بالملف شىء آخر بعيد كل البعد عن الشىء الاول . بل نجد بين النص والتحليل مسافة شاسعة فى الاساس والطريق والمقصد.

اننا لا يهمنا وقائع الاحداث، ولكن يهمنا الروح التى تتم بها هذه الاحداث. فقد يحاول المشرفون على الملف ايهام القراء انه لولا تقديرهم المقرون بالحب والاعجاب بالعقاد لما اهتممنا به ولما افردنا له صفحات. ولكن مثل هذا القول مردود عليه. فالاهتمام بالعقاد ظهر فى جميع الصحف والمجلات على تباين كتابها واتجاهاتها. ومن ثم فاهتمام الطليعة بالعقاد شىء عادى مشابه لمواقف مجلات اخرى .

ويقودنى موقف الطليعة من العقاد الى موضوع متصل به ولا ينفصل عنه، وهو جماعية التأليف. صحيح ان الجماعة اقدر واسرع على تحمل نتيجة الافعال صحيحة ام خاطئة. ولهذا اعتقد لو ان شخصا واحدا — وذكر اسمه — كان قد اشرف على مثل هذا الملف، لما خرج هذا الملف بمثل هذا الراى فى العقاد. وقد يكون تبرير طليعتنا فى جماعية الاشراف على الملف هو تعدد زوايا النظر الى الموضوع. ولكننى لا اعتقد بأن الجماعية ممكنة فى الكتابة وابداء الراى والدراسات الفكرية .فجماعية الكتابة قد تصلح فى معالجة الابحاث الاقتصادية وقد كان لطليعتنا ملف عظيم عن السد العالى فى العام الماضى .

قد نختلف فى وجهات النظر، ولكننى مطمئن للاهداف الواحدة التى تجمعنا والاسس التى تعاهدنا بها مع الطليعة فى ترحيبها بتفاعل الاراء ،لتنصهر فى النهاية فى راى موحد .

الطليعة : مع تقديرنا الكامل لوجهة نظرك، الا اننا كنا نود ان يكون اختلافنا حول قضايا محددة فى الملف، ليدور الحوار بيننا حولها. وفى راينا اننا قلنا ما للعقاد وما عليه بشكل موضوعى فلم نغفل ايجابياته وفعاليته كما لم نغمض اعيننا عن سلبياته. اما عن جماعية الكتابة — كما تسميها — فاننا نؤمن بان العمل والانتاج الجماعى اكثر قربا للصواب من العمل والانتاج الفردى. والطليعة تتحمل مسئولية كل كلمة تنشر بها بدون توقيع. وهناك ابواب من الطليعة اعتدنا نشرها دون توقيع مثل التقارير الشهرية ومكتبة الطليعة والملفات. ولم يكن ملف العقاد وحده بلا توقيع فملف سلامة موسى — مثلا — لم يكن موقعا. وكذلك ملف منشور فى هذا العدد . ومعنى الكتابة الجماعية هنا هو الاتفاق المحدد بين خطوط الدراسة بعد مناقشتها من هيئة التحرير فى جلسات عمل .

الاشتراكية والوحدة فى الوطن العربى

كتب المواطن عادل منصور من المنيا ، يقول :

.. يفهم من مقال امين يسرى انه ينفى ان فى استعادة امجاد الماضى هو ايضا لقاء على امل حلو . ويستبعد هذه الامجاد من اللقاء على امل التجمع الجديد . اذ يقول امين يسرى « فالوحدة المطلوبة هى وحدة القوى التقدمية الشعبية على الامل — ليس فى استعادة امجاد مضت — بل فى اقامة مجتمع الكفاية والعدل » .

ويزعم — فى مقاله — ان دولة الوحدة التى نرمى اليها هى انشاء جديد لا يسنده رابط من كفاح وتاريخ مشترك . ولست بحاجة الى تاكيد اننا — كما ذكر د. عصمت سيف الدولة — كنا دولة واحدة الى ان فرض الاستعمار هذه التجزئة وهذه الحدود الوهمية . وانا لا ارى انقطاعا بين الماضى والحاضر . بين اللقاء على الامل فى استعادة امجاد الماضى ، والامل فى تطوير الحاضر والامل فى المستقبل . او باختصار لقاء على امل يصل بين اجمل ما فى الماضى واروع ما فى المستقبل » .

التضامن مع شعب فيتنام
نداء الى رجال القانون فى العالم

ارسلت **رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية** خطابا موجها للطليعة موقعا بامضاء كل من : **جو نوردمان** محام بمحكمة باريس والسكرتير العام لرابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية ، **وجوزى اليجاندرو رودريجوى** استاذ فى القانون (شيلى) ، **وحسيب نمر** عضو سكرتارية رابطة الحقوقيين ومحام ببيروت (لبنان) ، **وبيكاى ندياى** المدعى العام فى باماكو (مالى) ، **وعبد الله ابراهيموف** رئيس المحكمة العليا فى اذربيجان (الاتحاد السوفيتى) . وهذا هو نص النداء :

« فى هذه الايام المخصصة للتضامن العالمى مع شعب فيتنام ، نوجه نحن الموقعين على هذا البيان واعضاء وفد رابطة الحقوقيين الديمقراطيين العالمية ، نداءا الى رجال القانون فى العالم بأسره ، بعد ان قمنا اخيرا بزيارة لجمهورية فيتنام الديمقراطية .

لقد قمنا بزيارة المناطق التى تعرضت للعدوان فى فيتنام الديمقراطية . وشاهدنا الدمار الفادح الذى عم المحصولات والمستشفيات والمدارس واماكن العبادة .واخذنا معنا لدى عودتنا احدى شظايا قنابل « الانناس » والغير صالحة لتدمير الاهداف الاستراتيجية فهى مصممة اساسا لتسلب الانسان حياته وبصورة خاصة الاطفال فى المدارس والحقول .

كما قابلنا اعدادا كبيرة من لاجئى فيتنام الجنوبية الذين اعيد توطينهم بعد ان قاسوا عنت العدوانيين ، ووصف هؤلاء لنا اساليب الابادة التى تتبعها الولايات المتحدة وعملاؤها ، بالقاء الغازات السامة وقنابل النابالم والفوسفور الاصفر على اهالى البلاد .

لقد تدهور الموقف فى فيتنام تدهورا خطيرا منذ زيارتنا . فبعد فترة من توقف الغارات الامريكية ضد فيتنام الديمقراطية ، استؤنفت بقسوة متزايدة رغم استنكار واستياء العالم كله ، لقد ازداد العدوان جموحا فى فيتنام

الجنوبية حيث تتدفق الامدادات العسكرية بدون توقف ■ كما زيدت القوات الامريكية فى فيتنام الجنوبية الى ٣٥٠ الف رجل وتتحمل ميزانية الولايات المتحدة زيادة ضخمة فى الانفاق بسبب حرب فيتنام .

لقد وصلت الحرب العدوانية فى فيتنام حدا من الرعب، لا تستطيع معه البشرية التقدمية ان تتحمله ، فالطائرات الامريكية تشيع الموت برش المحصولات بالسموم وامطار البلاد بقنابل النابالم وقتل وحرق الالاف من الشيوخ والنساء والاطفال . وقد وصف الصحفيون وممثلو منظمة « ارض الانسانية » الذين قاموا بزيارة مستشفيات سايجون ، هذيان الاطفال الذين احترقوا واوضحوا فى وصفهم ان الاطفال يقيمون فى هذه المستشفيات وسط المدن التى تحتلها القوات الامريكية دون ان يوفر لهم الحد الادنى من العلاج الطبى .

اننا نناشد كل المشرعين الذين يحترمون القانون، المتحفزين للدفاع عنه باسم ضميرهم وواجبهم المهنى ، نناشدهم ان يستنكروا ويشجبوا التدخل الامريكى المسلح فى فيتنام الجنوبية والغارات العدوانية ضد جمهورية فيتنام الديمقراطية .

اننا ندعوهم الى ادانة جرائم الحرب التى ترتكب ضد الانسانية خرقا لكل مبادىء القانون الدولى المعاصر وخاصة ميثاق الامم المتحدة واتفاقية جنيف لعام ١٩٥٤ ، والاتفاقية ضد ابادة البشر لعام ١٩٥٠ ، ومعاهدة واشنطن الموقعة فى ٦ فبراير ١٩٢٢، وبروتوكول جنيف الموقع فى ١٧ يونيو ١٩٢٥، هذه المواثيق التى تحرم استخدام الغازات السامة .

اننا ندعوهم لان يطالبوا بتنفيذ اتفاقيات جنيف ويقدروا حقيقة ان مقترحات حكومة فيتنام الديمقراطية التى اعلنتها فى ١٥ ابريل ١٩٦٥ من اجل تسوية سياسية تتفق مع مبادىء القانون الدولى ونصوص هذه الاتفاقيات . كما ندعوهم لان يطالبوا بايقاف العدوان الامريكى ضد فيتنام الجنوبية وبانسحاب القوات والمعدات والامدادات العسكرية الامريكية وتلك التى تتبع حلفاءها ، كذلك بايقاف اعمال الحرب ضد اراضى جمهورية فيتنام الشمالية فورا وان يطالبوا بالاعتراف بجبهة التحرير الوطنية فى فيتنام الجنوبية باعتبارها الممثل الشرعى لشعب جنوب الفيتنام الذى يشن صراعا بطوليا من اجل حياته واستقلاله الوطنى وحقه فى تقرير مصيره .

اننا ندعو كل رجال القانون لان يقوموا بدور ايجابى فى المظاهرات التى تنظم فى العالم خلال ايام التضامن مع شعب فيتنام » ■

حول « التفـــــرغ . . . والقطاع العــــام »

. عبدالمنعم القصاص : قد اثار — فى تعليق له بالعدد الثالث للطليعة — قضية الالتزام بالنسبة للفنان المتفرغ وضرورة ان يستفيد الشعب — الذى ... حول التفرغ — من انتاج الفنانين المتفرغين » وفى هذا العدد ، تناقش الفنانة انجى افلاطون القضايا التى اثارها القصاص فى تعليقه . تقول انجى افلاطون :

اننى اتفق مع الاستاذ القصاص فى ان الدولة فى مجتمعنا يجب ان تشجع الفنان الملتزم ، الفنان الذى يدرك طبيعة المرحلة التى يمر بها مجتمعنا ويضع نفسه بكل قدراته وامكانياته ومواهبه فى خدمة ... الشعب .. قضايا التطور والتقدم والسلام » ولكن المشكلة هى هل الفنان الملتزم بهذا المعنى المحدد هو الفنان الذى يفهم الشعب فنه فورا او لاول وهلة ؟ طبعا هناك فنانون موهوبون يستطيعون ان يقدموا اعمالا ...ة ويستطيع الشعب ان يتعرف عليها ويتذوقها مباشرة ، ولكن يجب الا ننسى ان الفنون التشكيلية حديثة ، عمرها فى بلادنا قصير لايزيد على ٥٠ عاما وان جماهيرنا الشعبية — والمثقفين — ايضا لم يكتسبوا بعد القدرة على تذوق الفنون الحديثة والتاثر بها . فاذا عرفنا الفن الملتزم كما يبدو من حديث الاستاذ القصاص انه الفن الذى يفهمه الشعب مباشرة — وبقدرته الحالية على التذوق — فاننى اخشى ان ينحدر الفن الى مستوى فن الاعلانات والخطب المباشرة الساذجة المجردة من كل قيمة فنية بينما الواجب هو ان نرتفع بقدرة الشعب على التذوق والاحساس الفنى » وليس فيها اقول تعال على الشعب او انكار لقدراته الرائعة على التجاوب الفنى ولكن اعتراف بحقيقة واقعة وهى ان هذه القدرات تكتسب وتنمو عن طريق الممارسة والتعود الطويلين ■

اذا اتفقنا على انه لايشترط فى ظروف بلادنا الحالية لكى يكون الفنان ملتزما ان يكون عمله مفهوما على الفور لكل الناس ولا ان يكون اعلانا صارخا وواضح الثورية من ناحية المضمون ، الذى يقدر ما اذا كان الفنان ملتزما فى عمله او غير ملتزم »

من الذى سيحكم ما اذا كانت طريقة معينة من طرق التعبير او مضمونا معينا يمكن فى المستقبل ان يكون المفتاح الاساسى للمدرسة الفنية الثورية الاصيلة انه بالعكس سيبقى عقيما لافائدة منه، ثم الا تدل التجربة التاريخية على ان كل فن جديد و... اكتشاف لاسلوب غير مالوف من اساليب التعبير كان يبدو فى اول الامر معزولا عن الناس وغير مفهوم منها،

ثم لنفرض اننا اتفقنا على ان اعمال فنان معين لاتدل فى المرحلة الحالية على اى معنى من معانى الالتزام ولكنها تدل على وجود موهبة وقدرة على الخلق والابداع

اليس من المحتمل ان يتفاعل هذا الفنان مع قضايا الشعب فى المستقبل .. اليس من واجبنا اذن ان نسعى الى كسبه " التقدم ؟

وفى الواقع ان المسالة تنحصر فى النهاية فى سؤالين - هل يستطيع التفرغ ان يفرض « الالتزام » ام ان الالتزام ياتى عن طريق رفع الوعى والعمل السياسى بين الفنانين ؟ والسؤال الثانى: هل لدينا الان العدد الكبير من الفنانين الملتزمين والموهوبين بحيث يقصر التفرغ عليهم وهل يكفى الالتزام لكى يصبح الشخص متفرغا حتى ولو كانت مواهبه محدودة ؟

اننا فى بداية نهضة فنية كبرى لم تظهر الا من مدة قصيرة بعد ان مرت قرون طويلة من الجفاف الفنى ونحن الي... فى اشد الحاجة الى تنمية كل المواهب الفنية وطرح جميع الامكانيات امامها كى تنطلق انطلاقة كبيرة وتظهر فى النهاية المواهب الجدية الحقيقية التى ستكون عماد نهضتنا الفنية .

وقد كانت ... كومة على درجة عالية من الحكمة والوعى لظروف مجتمعنا حينما ضمنت فى مشروع التفرغ للفنانين التشكيليين الحرية الكاملة فى الخلق والابداع الفنى ولم تقيدهم باى قيد .

وقد اكد الرئيس جمال عبد الناصر هذا المعنى من جديد فى يوم عيد العلم عندما قال : « ان النجاح امر صعب والاحتفاظ به امر اصعب وعمل العالم والمفكر والفنان ليست ضربة حظ تسمح به وسط اضواء الاعجاب والشهرة وانما الخلق المبدع عناء وعذاب كل يوم واو. ان اضيف ان مجتمعنا ... فرصة لحرية الفكر والثقافة غير متاحة فى كثير من البلدان »





مندور في تراثنا القومي

في التاسع عشر من مايو من العام الماضي ، فقد الفكر والادب العربي الحديث أحد الاعمدة الرئيسية التي بنى عليها نقدنا المعاصر . ((المعلم)) الدكتور محمد مندور .

وبالرغم من أن شهرة مندور الادبية عند الاجيال الشابة الجديدة تفوق شهرته كمناضل سياسي ، الا أن حياة هذا المفكر تعتبر نموذجا لارتباط الفكر بالعمل . ولذلك يتعين علينا في الذكرى الاولى لوفاة الدكتور مندور أن نقدم في ((ملف الطليعة)) هذه الدراسة الموضوعية لمختلف جوانب الحياة المناضلة التي عاشها حتى يتعرف ابناء الجيل الجديد على جذور المفكر الذي طالعهم وجهه الادبي منذ بداية الخمسينات فاثرى وجدانهم بأكثر المناهج العلمية اصالة في نقدنا الحديث .

القســم الأول

مندور مثقفا ثوريا ومفكرا

— ١ —

فى عام ١٩٢٩ أنهى محمد مندور دراسته فى كليتى الاداب والحقوق واوفدته الجامعة المصرية الى بعثة فى السربون . ولم يكن سفر مندور الى الخارج حدثا فريدا من نوعه . فقد طالما ركب البحر من قبله مبعوثون من مصر ظلوا يتدفقون على جامعات اوربا منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر وكان من هؤلاء المبعوثين مصريون وشراكسة وأرمن . والثابت أن الطلاب المصريين قد لفتوا الانظار اليهم بفضل ذكائهم وجدهم وقدرتهم الملحوظة على تحصيل العلوم الحديثة . ونستطيع أن نسرد قوائم بأسمائهم تبدابرفاعة الطهطاوى ومحمودحمدى الفلكى ... الخ . على أن ماأثار دهشة الاساتذة الاجانب هو أن هؤلاء الطلاب هم فلاحون أبناء فلاحين ، ومن منابت ريفية صميمة . تلقوا العلم اول ماتلقوه فى الكتاتيب ، ثم تلقوا فى أوربا صدمة الحضارة الغربية فلم تركبهم عقدالنقص، ولم يفقدوا الثقة فى البلاد التى أوفدتهم ، بل تماسكوا وفى قلوبهم تستعر جذوة عظيمة هى جذوة الوطنية . ومن ثم فقد حرصوا على ان ينقلوا من الغرب اسباب القوة المادية والفكرية التى تميز المجتمعات الصناعية المتحضرة .

ان مندور أيضا كان احد هؤلاء المبعوثين وان كان قد نزح الى باريس فى النصف الاول من القرن العشرين . ونحن نعلم انه نشأ وتعلم فى الكتاب « بكفر مندور » فى عائلة من الفلاحين ، تنتمى الى البرجوازية الريفية . ثم التحق بالمدارس الابتدائية والثانوية وعندما تقدم ليلتحق بكلية الحقوق وحاول أستاذه طه حسين أن يثنيه عن عزمه — بعد أن توسم فيه استعدادا طيبا لدراسة الاداب . رفض مندور وتشبث بكليته معللا ذلك بأنه يطمح أن يكون وكيلا للنائب العام بعد أن لمس بنفسه مايتمتع به وكلاء النيابة — فى ذلك الزمان — من هيبة وهيلمان ! طموح مشروع ولا شك من شاب ريفى ينتمى الى هؤلاء الفلاحين الذين كانوا يجاهدون لتعليم أبنائهم ليصبحوا حكاما وليكون لهم مكان فى اجهزة الدولة المختلفة . على أن طموح مندور الى وظيفة النائب العام كان — كما سنرى — من المؤشرات الهامة على نزوعه الشديد الى الاشتغال بقضايا الحياة العامة . صحيح أنه ذهب ليدرس الاداب فى باريس . وصحيح أن الادب بعالمه السحرى قد جذبه بقوة . ولكن اذا جاز لنا هنا أن نستخدم اصطلاحات أهل الفلسفة قلنا ان عالم الادب بالنسبة لمندور هو عالم « الذات » او عالم « الانا » . اما عالم الحقوق والدراسات القانونية فقد كان عالم « الموضوع » . فى رحاب الادب كان يتعرف على نفسه وعلى تراثه الروحى الوطنى والانسانى العـــام . وفى عالم الحقوق وفى مجال دراسة القانون كان يتعرف على وقائع تشده الى علوم السياسة والاقتصاد والاجتماع . ولقد ظل مندور متشبثا على الدوام بالعالمين ، دائم الحركة بين القطبين، يعيشهما بأعماقه ويمزج بينهما فى مركب فريد هو عالم الانسان، عالم الذات والموضوع معا ، ولسوف يظل مندور على الدوام هكذا : تنمو شخصيته وتتسع أبعاد تفكيره تحت وطأة الصراع بين هذين العالمين .

ولعل هذا أن يكون ماحدث بالفعل .

فقبل ان يرحل الى الخارج كان مندور يحمل المقومات الاساسية لشخصية شاب وطنى لاسبيل الى هزيمتها . فلقد برهن اثناء دراسته فى الجامعة المصرية على استقلال فى الراى وحب عظيم للغة آبائه واجداده ، وكلف لايحد باقتحام آفاق المعرفة الانسانية . باختصار كان قد غرس أقدامه على ارض التراث القومى ، وهو وان كان لم يشرع فى تقييمه بعد الا انه كان قد تعرف عليه وانتمى اليه .

وفى باريس حدثت المواجهة الرهيبة بين الذات وبين الموضوع. بين الشاب المصرى المغترب وبين المجتمعات الاوربية . وفى هذه المرة واجه مندور الواقع الوطنى مواجهة قاسية . ذلك أنه رأى الابعاد الحقيقية لحالة التخلف السياسى والاقتصادى والثقافى فى مصر . وبين الاعتزاز بالكرامة القومية وبين الاعتراف بتفوق الحضارة الغربية كان على مندور أن يحدد أفكاره فى هذا العالم الغربى بكل مافيه من تيارات ومذاهب تصطرع فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع كما فى مجال الادب والفن.

ان التعليم الذى تلقاه مندور — كما صرح بذلك — تعليم كلاسيكى ليبرالى . وعليه أن يواجه بهذا السلاح المجتمع الغربى فى الثلاثينات التى انتهت بالحرب العالمية الثانية . فاذا نظرنا الى الاوضاع الاقتصادية وجدنا أن الازمة الاقتصادية العالمية قد انفجرت فى امريكا وعبرت المحيط الى اوربا ، وشرعت الراسمالية كعادتها تحل الازمة بتشريد كتل واسعة من العمال . لكن الطبقة العاملة تقاوم فترد الاحتكارات العالمية بتنظيم هجوم سياسى يتمثل فى تكوين وبعث المنظمات والاحزاب الفاشية فى داخل بلادها . اما فى الخارج فتشتدد عملية النهب فى المستعمرات والبلدان التابعة ، وتتمادى فى هذا الى حد القيام بعمليات الغزو المسلح (اسبانيا ، الحبشة) . وفى فرنسا أيضا تنشط بعض المنظمات الفاشية وان ظل نشاطها محددا وتأثيرها ضعيفا ، ولكن الاتجاه الى اليمين هو الذى يسود فى فرنسا وفى اوربا بشكل عام . والتراجع هو الذى يسود بشكل عــام ، وذلك على الرغم من ان الشعب الفرنسى قام بمحاولة باسلة ومجيدة عندما سلم مقاليد الحكم عام ١٩٣٦ الى حكومة الجبهة الشعبية التى ضمت الراديكاليين أقوى الاحزاب الفرنسيه فى ذلك الوقت كما ضمت الحزبين الاشتراكى والشيوعى وممثلين من اتحادات العمال .

فاذا كانت الظاهرة الاساسية على المستوى الاقتصادى هى استفحال الازمة الطاحنة ، وعلى المستوى السياسى زحف اليمين ، فان الظاهرة الاساسية فى مجال المذاهب الاجتماعية قد تمثلت فى هذه الواقعة وهى ان « الليبرالزم » أو مذهب الديموقراطية الليبرالية فى اوربا الراسمالية كان قد تضعضع واوشك أن يشهر افلاسه النهائى . وذلك تحت ضغط

التناقضات الاجتماعية الحادة بين الراسمالية الاحتكارية الحاكمة وبين الطبقة العاملة ومجموع الشعب الكادح . وان شعارات البرجوازية الصاعدة حرية العمل وحرية المرور للتجارة قد تحولت فى التطبيق — بنمو الراسمالية — الى سياسة استغلال وحشى وتوسع استعمارى وحروب لاتنقطع .

ازاء هذا الوضع كان للقوى الاجتماعية والسياسية المختلفة ردود فعل مختلفة . فأما اليمين المتطرف والمدافع عن الاحتكارات فقد راى الحل فى الفاشية والحرب . واما قوى اليسار فقد رأت الحل فى تجمع يوحد بين كل القوى الديموقراطية على اختلاف مذاهبها فى جبهة متحدة ضد الفاشية وضد الحرب . وبين هذين الاتجاهين كان قد نما وتوطد منذزمن فى اوربا اتجاه ينادى « بالديمقراطية الاجتماعية » وقد عارض اليمين ولكنه رفض ان ينحاز الى اليسار ، ولقد أخذ من البرجوازية الليبرالية شعار حرية الفرد بكل مضمونه البرجوازى . كما أخذ من اليسار مبدأ **الاقتصاد الموجه** .

ونحن نعلم ان **مندور** كان قد اطمأن بالفعل الى هذا المذهب الاخير ، الامر الذى يفسر لنا لماذا كان دائم الاستشهاد فى كتاباته بآراء « جيد » و « رست » وهما من علماء الاقتصاد الذين نادوا بمبدأ تدخل الدولة كشرط لازم لحماية التنمية الصناعية الناشئة .

والجدير بالملاحظة فيما يتعلق **بمندور** انه عندما استقر رايه على اختيار « **الديموقراطية الاجتماعية** » فقد تم هذا على ارضية نظرية بعيدة ومنفصلة تماما عن ارض الصراع الاجتماعى ، وعلى اساس من التجريد الكامل اذ لم يتح له — بداهة — وهو المغترب — ان أن يختبر هذه الاراء فى التطبيق العملى . ولعل هذا أن يكون احد الاسباب التى تفسر لنا كيف ان فكر مندور قد ظل زمنا طويلا — ربما امتد الى مابعد ١٩٥٤ — يعانى من تناقض حاد لم يستطع أن يحله حلا تاما . وهو التناقض بين دعوته الى تدخل الدولة فى توجيه الاقتصاد وبين تمسكه بالمضمون الكامل والليبرالى لحرية الفرد . بين دعوته الى أن تتولى الدولة بنفسها مقاليد تنمية الانتاج وتصنيع البلاد واستغلال منابع الثروة وبين دعوته التى عبر عنها فى كتاب « الديموقراطية السياسية » بضرورة اباحة تكوين الاحزاب لكل الطبقات « بدون قيد أو شرط ولا اعتراض أو ترخيص » .

على أية حال ، وأيا ماكان الامر ، فان **مندور** كان قد استطاع أثناء اقامته فى الخارج — وعلى أرض التجريد أيضا — أن يفكر فى أحوال وطنه وأن يجرى المقارنات . ولابد وانه قد استقر على مبادىء معينة فى الفكر والعمل ظلت توجهه فيما بعد وتحكم نشاطه ، وتنير طريقه فى واقع قومى قد اصبح هو بدوره معقدا غاية التعقيد . ولكن عضو البعثة — مع ذلك — كان قد عاد « بعينين أقوى ابصارا واحد ملاحظة لانه رأى حياة غير الحياة المصرية فاصبح قادرا على أن يتبين ما فى حياتنا من مواضع النقص أو مواضع الكمال » .

ثم تبدأ المرحلة الثانية فى حياته .

— ٢ —

عاد **مندور** الى مصر والبلاد تتخبط فى ازمة اقتصادية واجتماعية خطيرة . لانه اذا كانت سنوات ماقبل الحرب الثانية قد مضت رتيبة بطيئة ، فان هذا لم يمنع أن تحدث الحرب بتطوراتها ونتائجها آثارا بعيدة المدى ، لقد كانت تجيش فى البلاد روح وطنية عارمة ومتحفزة . غير أن الاحزاب الرسمية لم تقم بعمل جدى واحد فى سبيل تحرير البلاد من الاستعمار وفى سبيل اشاعة الديموقراطية بتخليص الشعب من استبداد الحكم الملكى الاقطاعى .

وبانتهاء الحرب لم تكن هناك طبقة من الطبقات الاجتماعية فى مواقعها السابقة . الاغنياء كانوا قد ازدادوا غنى والفقراء كانوا ازدادوا فقرا . وبحكم ازدياد الثروات بين أيدى الاقطاعيين وكبار الراسماليين اخذت الفوارق الحقيقية بين الاحزاب التقليدية تذوب وتتلاشى حتى أن **الوفد** نفسه قد زحف الى قيادته العليا اقطاعيون وماليون كبار . وفى الطرف الاخر من السلم الاجتماعى كان هناك الفلاحون الفقراء الذين كثرت هجرتهم من الارض وتحولوا الى عمال معدمين فى الصناعة او الزراعة . اما طبقة صغار المنتجين فقد طحنت الحرب مؤسساتهم لحساب المؤسسات الكبيرة . واما الطبقة العاملة فهى الطبقة الوحيدة التى ولدت فى هذه الفترة ميلادا جديدا . اذ نمت نموا كبيرا وتقدمت الى مواقع افضل من حيث الوعى والتنظيم النقابى . وفيما يتعلق بالمثقفين وهم ابناء الطبقات المتوسطة والصغيرة فقد أنزلتهم الحرب من « عروشهم » التقليدية ودفعتهم بقسوة نحو معسكر العمال والفلاحين . هذه الوقائع قد صدمت **مندور** وافزعته فكتب فى وقت مبكر يتحدث عما اسماه « بالعمالية الفكرية فقال « **اننا نقصد بالعمالية الفكرية نشوء طبقة جديدة ينزل فيها المشتغلون بالمسائل العقلية منزلة العمال بما لهم من حقوق ومطالب ومشكلات على نحو ماشاهد النصف الاخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بالنسبة للعمال اليدويين وبخاصة عمال الصناعة . وتلك مشكلة ستتمخض عنها الحرب الحاضرة بعد ان مهدت لها الحرب السابقة** » الى ان قال : « **ولقد عدت الى مصر فوجدت البلوى اعم** » ثم شرح الاوضاع السيئة التى يتردى فيها المثقفون المصريون : « **فالبطالة تتفشى فى صفوفهم والمشتغلون بالفكر يتحكم فى ضمائرهم الناشرون واصحاب الصحف** » .

لقد التفت **مندور** الى الجامعة ليدافع عنها وهناك لمس اصابع الاستعمار فى حياتنا الثقافية ممثلة فى مواقف واتجاهات بعض الاساتذة الاجانب . والتفت الى مناهج النقد الادبى فى قسم اللغة العربية ليقيمها على اسس علمية سليمة ولكنه اصطدم بعقلية رجعية تحاول ان تفرض مناهج واساليب العصور الوسطى فى تدريس اللغة والادب العربى . ثم تعين عليه بعد هذا كله ان يكافح ضد اتجاهين فى مجال الثقافة : **اتجاه** يدعو الى أخذ ثقافة الغرب على علاتها ، **واتجاه** معاكس يرفض ثقافة الغرب برمتها ، وبين **الاتجاهين** قدم **مندور** الحل الاصيل فقال انه من الحمق والتعصب أن نرفض كل ماهو غربى وانه من السطحية ان ننقل كل شىء عن الغرب نقلا اعمى . وانما نحن بصدد ثقافة متقدمة وانسانية علينا أن نهضمها ونتمثلها حتى تصبح جزءا لايتجزأ من كياننا . سنأخذ عن الغرب المنهج العلمى وهو اعظم اسلحة الثقافة ثم علينا أن نعمل هذا المنهج فى حياتنا وفى تراثنا الثقافى وأن نتمسك فى الوقت ذاته بما هو صالح فى التراث القومى وكم فى تراثنا من كنوز .

لكن هذا الحل النظرى لقضية الثقافة لايمكن أن يطبق فى فراغ بل على ارضية اجتماعية مواتية . واكتشف **مندور** انه قد بات من المستحيل أن تنفذ اصلاحات — حتى ولو كانت — جزئية بين جدران الجامعة وحدها أو فى حدود المثقفين وحدهم .

من هنا شرع مندور يبسط رايه فى اوضاع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فاعلن انه لم يعد باستطاعة المثقف ان يعتزل الحياة والاحياء « وقد اخذت تتردد على آذاننا انات الالم وزفرات السخط ... وهاهى الصحف والمجلات تطالعنا كل يوم بانباء البؤس الذى لم يعد الصبر معه ممكنا (١) » .

ما العمل اذن ؟.

رفض مندور أن تكون نقطة البدء الحل الذى تقدمه النظرية المثالية القائلة بأن انحطاط الاخلاق هو مصدر الشرور فى المجتمع المصرى . نعم .. الاخلاق العامة فى ظل حكم الاقطاع والراسمالية لابد وان تتدهور .. لكن اصلاح المجتمع لا يتم بالوعظ والارشاد لان الاخلاق نفسها ترتبط بالنظم السياسية والاجتماعية السائدة . وتمشيا مع هذا المنطق رفض مندور ايضا الفكرة القائلة بأن الشعور الوطنى عاطفة مستقلةبذاتها بمعنى انها لاترتبط بأى رباط بمصالح الافراد الذين يكونون الوطن (٢) . واخيرا رفض مندور ما ذهبت اليه المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى اسسها « دور كايم » فعارض أن تكون مبادىء الاخلاق ظواهر اجتماعية جبرية « تملى على الافراد دون ان يكون لهم دخل فى بنائها او فضل فى الايمان بها ».

ولم يقبل ايضا الفكرة القائلة بأن الضمير الجمعى اوالوعى الاجتماعى هو شىء شبيه بالناتج الكيمائى الذى يتمخض من مزيج من العناصر .وجدير بالملاحظة ان نشير الى ان مندور قد رفض دعاوى دوركايم ومدرسته منطلقا من شعور بالغيرة الوطنية خوفا من ان تؤدى مثل هذه النظريات العلمية المزعومة الى اشاعة السلبية فى نفوس المواطنين ، لقد اراد باختصار ان يؤكد قدرة الافراد على تغيير احوال اوطانهم .

أما نقطة البدء فى راى مندور فيجب ان تكون بعلاج الفقر لانه يرى ان المال فى المجتمع الحديث هواساس توزيع الطبقات، وهو أساس خاطىء . وهذا ظاهر من سوء توزيع الملكيات . وكثير منها لايقوم على جهد مالكيه فضلا عن ان الثروات الموروثة لاتستند الى حق انسانى مشروع . ويضاعف من وطأة الفقر فى مصر ان الاجانب يمتلكون معظم الثروات كما أن الزراعة والصناعة على تخلف فاضح .

فى تلك الفترة التى أمضاها مدرسا جامعيا طرح مندور الخطوط العامة لمذهبه الاجتماعى . لقد رفض الاشتراكية العمالية كما رفض الديموقراطية الليبرالية . وقد تصور ان الاولى لايمكن أن تتحقق فى مصر الا بالعنف الدموى ، فضلا عن ان العمال قد يسرفون فى مطالبهم الى درجة تقضى على النهضة الصناعية ذاتها .واما الديموقراطية الليبرالية فلا تصلح لنا لانها تقوم على اساس الاقتصاد الراسمالى الحر الذى يعنى فى التطبيق الاستغلال البشع للفلاحين . من هنا طرح مندور شعار « الديموقراطية الاجتماعية » وتصور انها من ناحية تقوم على مبدأ الانتخاب الحر والعام ، وبهذا يتم التغيير الاجتماعى تحت اشراف الدولة ، ومن خلال الاجهزة النيابية وبقوة القانون . ومن ناحية أخرى تقوم على أساس تدخل الدولة فى اعادة توزيع الثروات من طريق التدرج التصاعدى فى نظم الضرائب وتعميم النظام التعاونى ومشاركتها فى عملية الانتاج بانشاء الشركات والمساهمة فيها (٣) .

على أن قيادة الامة فى طريق التغيير الاجتماعى لابد وان يعهد بها — بالضرورة — الى المثقفين من ابناء الشعب الذين لايزالون يتذكرون أصولهم . وقد ظل مندور زمنا يؤكد على ان المثقفين من ابناء الطبقة الوسطى هم اصلح من يتولى القيادة فى البلاد . وقد شرح فكرته عام ١٩٤٣ فقال ان الاغنياء لايصلحون لانهم لاهون بلذاتهم الحقيرة ، اما « الطبقة المعدمة فقد غشى الجهل بصائرها وغلب عليها الياس فهى اعجز من ان تتصور علاجا » .

هذا هو مذهب مندور فى خطوطه العامة والرئيسية . واذا جاز لنا ان نضع هذا المذهب — وفى تلك الفترة بالذات — فى صف المذاهب الاصلاحية . الا اننا لانستطيع أن نطبق الاحكام على المجتمع المصرى بمثل مايطبق على المجتمعات الاوربية التى شاخ فيها النظام الراسمالى . ولعل الاصلح ان يقال ان مندور قد قدم فى مواجهة النظام الاقطاعى الراسمالى عددا من الافكار الثورية وان يكن قد حد من فاعليتها عندما جعل تحقيقها مرهونا بوسائل واساليب اصلاحية .

على أية حال كان مندور قد دخل بالفعل على مستوى الفكر السياسى فى صدام مع المجتمع الذى يحكمه الاقطاعيون والراسماليون . وهذا الحكم ينطبق سواء بسواء على نشاطه فى مجال الادب والنقد الادبى . ففى تلك الفترة تبنى مندور المنهج الجمالى فى الادب ، ذلك المنهج الذى يعتمد على الذوق الشخصى فى اكتشاف القيمة الجمالية للنص الادبى سواء رضى الناقد عن المضمون الانسانى لهذا النص ام لا .

ان كلاما كثيرا يمكن ان يقال فى نقد هذا المنهج الذى نقده صاحبه — فيما بعد — بوضوح ووعى . ولكن أيا ماكان الطابع الذاتى والمثالى المحض الذى يطبع هذا المنهج فقد عبر عن مقاومة وتمرد على الاساليب الشكلية والمتخلفة التى سادت دراسة الادب العربى فى مجتمع يحكمه الاقطاع وتحاول العقلية الاقطاعية فيه ان تغلب فى التعليم مناهج وأساليب العصور الوسطى .

واخيرا فان معالم فكر مندور فى تلك المرحلة تكتمل عندما يؤكد فى الممارسة علاقة الادب بالسياسة . ان سنوات الحرب بما فرض فيها من قيود على الصحافة لم تمكن مندور من أن يعبر عن كل آرائه تعبيرا صريحا . وانها لظاهرة مألوفة فى تاريخ الثورات الانسانية ان توجد على الدوام علاقة تلازم حميم بين الصراع الاجتماعى فى صورته السياسية وبين هذا الصراع فى صورته الادبية او الفنية . حتى ليعبر الاثر الادبى ذاته عن حالة من حالات الصراع السياسى . ولذلك عندما نشر مندور « نماذج بشرية » فقد كان يدخل حلبة الصراع السياسى بأسلحة الثقافة والادب ، وهى الحقيقة التى اشار اليها مندور بنفسه فى حديث له مع بعض المجلات (٤) .

وفى ختام هذا الفصل، من حق مندور علينا ان نسال ما الذى قدمه أستاذ الجامعة الذى عاد وشيكا من باريس وما الذى اضافه الى ترسانة الحركة الوطنية من افكار ؟ ان مندور اذا كان قد ثار ضد الشكلية فى الادب ، وضد الشكلية فى الاخلاق فهو قد ثار ضد الشكلية فى مسائل السياسة . ان السياسة لم تكن عنده هذه العبارات الخاوية التى انخرط فى ترديدها الساسة المصريون المحترفون . ولهذا قدم للمثقفين المصريين الدعوة الى التفكير الملتزم ، وحضهم على ان ينشئوا المذاهب الاجتماعية والسياسية لكى تتكامل نظرتهم الى قضايا الوطن المختلفة ، وحتى يضىء التفكير النظرى طريقهم .

اما الاضافة الثانية الهامة التى قدمها استاذ الجامعة فهى احساسه بأن المذاهب السياسية لاتعيش فى فراغ الصدور ،

---

(١) مجلة الثقافة ١٩٤٢
(٢) كتابات لم تنشر ص ٨٩ (٣) دستور الاصلاح : مجلة الثقافة ١٩٤٣(٤) روز اليوسف ١٩٦٤/٢/١٤

وانه لهذا يتعين على اصحاب كل دعوة الى انقاذ الوطن وانهاضه ان ينضموا الصفوف وأن ينظموا أنفسهم « لان من يبحث عن حل لمشكلة العيش فى حاجة أولا ان يبحث عن مبادىء ذلك الحل وعن الطرق العملية لتحقيق تلك المبادىء » . وبهذا الموقف من اهمية التنظيم كسبت الحركة الوطنية فى مندور مفكرا له فى نفس الوقت مقومات المناضل السياسى بروحه العملية ، ولسوف يثبت مندور على هذه الفكرة لتكون آخر فكرة دعا اليها وأكد عليها قبل أن يودع الحياة .

— ٣ —

قلنا ان الحرب العالمية الثانية قد غيرت خريطة العالم تغييرات عميقة وانها غيرت مواقف الطبقات وتشكيلاتها السياسية فى مصر . وقد انعكس هذا كله على حياة المثقفين المصريين وعلى أفكارهم فكانت ردود الفعل التلقائية من جانبهم تعبر عن الرفض والسخط والتمرد على واقع اجتماعى يهدد كيانهم ومصالحهم العاجلة والاجلة .

ولقد انطلقت فى مصر بعد انتهاء الحرب خصوصا منذ عام ١٩٤٥ حركة وطنية شعبية وديمقراطية عارمة جمعت فى حلف ثورى الطبقة العاملة والمثقفين ثم مالبثت قليلا حتى جذبت اليها الفلاحين . ان هذه الحركة الوطنية قد وضعت المثقفين المصريين أمام تناقضين حادين :

أحدهما : يتصل بحياتهم الداخلية : بأفكارهم ومثلهم والقيم التى غرسها المجتمع الطبقى فى نفوسهم . وبميلهم الى المحافظة على روابطهم الاجتماعية الطبقية ثم الامل فى أن يتجنبوا بشكل أو بآخر مصير الطبقات المعدمة .

اما التناقض الثانى : فقد تمثل فى متطلبات العمل السياسى اليومى . ذلك أن التاريخ المعاصر كان قد القى بالمثقفين فى معمعانه وفرض عليهم وقائع عالم مابعد الحرب . بل اننا نقول أيضا انه فرضها عليهم . وهى وقائع واضحة ومحددة لايستطيع وجدان سليم أن يرفضها او أن ينسحب أمامها الى برج عاجى أو صومعة مغلقة .

ان حل هذا التناقض لم يكن سهلا على الاطلاق . وقد وجد المثقفون الحل فى الانخراط الفورى فى الحركة الوطنية وذلك من خلال الاحزاب والتنظيمات السياسية : العلنية والسرية التى وجدت فى الاربعينات . ومن المؤكد ان غالبية هؤلاء المثقفين لم ينضموا الى هذه الاحزاب والتنظيمات تحت تأثير عقيدة من العقائد الجامدة والمحددة سلفا . لكن صياغة العقيدة جاء فى مرحلة تالية . وانما ساروا الى المعركة الوطنية بدافع من حرصهم الغريزى على مصالحهم المباشرة واليومية .

ولم يشذ مندور كمثقف — من الموقف العام للمثقفين المصريين وذلك على الرغم من ثقافته الانسانية العميقة ، فقد واجه التناقض وتقدم لحله ، كان عليه أن يختار بين حياة جامعية مغلقة وبين أن يخوض حلبة الكفاح السياسى ، فاستقال من الجامعة فى ١٩٤٣ — ١٩٤٤ ولخص فكرته فى حل مثل هذا التناقض الذى يواجه المفكر فى مقال تحت عنوان «قادة الفكر» (٥) فقال : ان الحياة تواجه المفكر بهذا التناقض : أن بعض الناس يدعو المفكرين الى الكفاح مع مواطنيهم عندما يدعو داعى الوطن ومنهم من يطلب منهم أن يبتعدوا عن هذا الكفاح « ليتوفروا على خلق الافكار الباقية وصياغة المشاعر التى تتغذى بها الاجيال فى كل زمان ومكان » . وقد حل مندور هذا التناقض موضحا أن تجارب التاريخ تؤكد أنه يمكن ان يخلد رجل السياسة بأعماله وكتاباته ■

وباستقالة مندور من الجامعة بدأ يحقق عددا من الارتباطات العضوية بالرأى العام عن طريق كتابته فى المصرى والاهرام . ثم عزز هذا الارتباط بانضمامه الى حزب الوفد . ومن خلال وجوده داخل هذا الحزب ومن خلال عمله فى صحفه القومية « الوفد المصرى وصوت الامة » — انتقل ارتباطه بالحركة الوطنية الى مستوى المشاركة العملية والداعية بل والقيادة لاحداث ومعارك كل يوم . لقد نقل مندور عالم الذات — عالم المثقفين — الى عالم الموضوع عالم الطبقات الاجتماعية الثورية ومنذ هذا التاريخ أصبح مندور مثقفا ثوريا بكل الابعاد التى يحملها هذا الاصطلاح السياسى اذ انتهت فترة كاملة من التفكير المنفصل عن العمل ، وربط مندور مصلحته ومصالح المثقفين الخاصة بمستقبل وأهداف الصراع الوطنى والاجتماعى فى البلاد .

ان هذا الارتباط العضوى بالحركة الوطنية قد ساعد مندور على أن يحل التناقض الرئيسى فى حياته : التناقض بين الفكر والعمل . لكن هذا الارتباط نفسه عاد ليطرح تناقضات جديدة .

كان أحد هذه التناقضات مع حزب الوفد وكان التناقض الاخر مع القوى الاجتماعية ومع الفكريات التى اخذت تصب فى التيار العام للحركة الوطنية المعادية للاستعمار . فيما يتعلق بالوفد فقد سعى مندور الى حل التناقض مع القيادة الوفدية عن طريق محاولة لصياغة عقيدة للوفد وهى العقيدة التى عبرت عنها الشعارات الثلاثة المعروفة « استقلال وادى النيل — الديموقراطية السياسية — العدالة الاجتماعية » الا أن كل مجهود بذله مندور للارتباط بقيادة الوفد والتقرب منها كان فى صميمه عملية انسلاخ مستمرة وابتعاد عن هذه القيادة . لذلك حل مندور هذا التناقض بأن اتجه بولائه الحقيقى الى القاعدة الشعبية للوفد ثم الى قاعدة وطنية أشد اتساعا من الطلبة والشباب والعمال .

وفى غمرة النضال الوطنى والاجتماعى المستعر واجه مندور عددا من التناقضات بين فكر المرحلة الاولى « مرحلة الديموقراطية الاجتماعية » وبين الواقع الجديد للحركة الثورية العامة .

ان حاسة مندور الثورية تمثلت فى هذه المرحلة فى قدرته على أن يستجيب لهذا الجديد وان يتخلص فى الوقت المناسب من كل قيود التفكير المذهبى المتحجر .

فما الذى قدمته الحركة الوطنية فى مرحلتها الجديدة لمندور وماذا تعلم منها وماذا قدم لها بدوره ؟

لقد ساهم مندور فى تقديم صياغات جديدة وثورية لقضايا جردتها القيادات البرجوازية التقليدية من كل مضمون .

فالقضية الوطنية او « المسألة المصرية » لم تعد الجرى وراء المساومات فى غرف المفاوضات وانما هى تعنى عند مندور رفض الاحلاف العسكرية والتخلص من الاحتلال وتصفية الاستعمار سياسيا واقتصاديا ومواجهة الاستعمار الامريكى الناشىء . كما تعنى عدم الاشتراك فى الكتل الدولية والتعامل مع جميع البلاد على اختلاف انظمها ، ان صورة الموقف الوطنى الجديد هى الحياد .

وأما الوسيلة الى تحرير البلاد فيجب أن تكون ثورية بأن يجاهد الشعب أعداءه بكافة الوسائل وان يسقط اية حكومة مصرية لاتنضم اليه فى هذه السياسة .

وأما موقف مندور من الطبقة العاملة فقد دخلت عليه تغييرات اساسية . ذلك انه لقى العمال وجها لوجه وتعامل

---

(٥) مجلة الثقافة ١٩٤٤/١١/٢٠

معهم فى معارك كل يوم وتعرف على كفاحهم وظروفهم المعيشية ومن ثم انتقل من مرحلة التحول من مطالبهم المسرفة ومن « محبته الرومانتيكيه » لطوائف العمال الى دفاع ايجابى عن مطالبهم . ولقد ظل مندور حتى عام ١٩٤٥ يؤكد ضرورة قيادة المثقفين للامة ولكن عندما تكونت لجنة الطلبة والعمال عام ١٩٤٦ حيا هذا الحدث واعتبره نقطة تحول خطيرة فى تاريخ مصر الحديث . وتعلم مندور اغلى الدروس وانفعها وهو درس الثقة فى مقدرة الطبقات المعدمة ، على الفهم والادراك. ذلك ان اتصاله اليومى بطبقات الشعب المختلفة وتجاوب القوى الثورية مع كتاباته قد انتهت به الى ان يؤكد فى عام ١٩٤٦ ان التفكير السياسى قد نضج فى صفوف الطبقات الشعبية.

ولقد ظل مندور على خلاف مع الاشتراكيه العلميه حول طائفة من القضايا لعل اغلبها كان يتعلق بالجانب الفلسفى منها . لكن المعركه الوطنيه التى كانت تعنى الكفاح المشترك ضد عدو مشترك ومن أجل تحقيق كثير من الاهداف المشتركة قد اتاحت لمندور أن يلتقى الاشتراكيين ليؤثر فيهم ويؤثرون فيه. وهكذا وصرح فى ١٩٤٥ بأن « **الاشتراكيه مذهب لايخيف فى شىء وانما هى الدعايات التى شوهت مدلولها . وما دمنا لانتعرض لحق الملكية الفردية فى شىء فنحن فى حل من أن ندعو الى كافة المبادىء الانسانية الاخرى التى تدعو اليها الاشتراكية** » .

ان مندور وقد القى بنفسه فى خضم النضال اليومى سوف يتعلم كل يوم شيئا جديدا . وهو وقد التزم تماما بقضايا الشعب لن يحيد بعد اليوم عن الطريق الذى سلكته بعناد الحركة الثورية العامه .وهو بعد هذا كله – ولامد طويل – سوف يستكمل ويطور بوعى معالم ايديولوجيته الثورية .. من هنا يدخل فى هذه المرحلة من مراحل حياته الفعالة تطويره لمفهوم دور الادب والفن . ان مندور يعيد صياغة نظرية المنهج الجمالى ليدخلها فى نسيج اعم : هنا يوضح أنه من الخطأ ان ينظر الى الادب باعتباره احساسات وأفكار لاتمت الى العمل فى شىء . ان قلم الاديب الناجح اداة تعمل فى النفوس وتلقى الى العالم بأفكار ومشاعر تعتبر فى ذاتها من القوى التى توجه الحياة بل وتوجه الامم .

— ٤ —

لعلنا لانخطىء اذا اعتبرنا ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بداية مرحلة جديدة فى حياة **محمد مندور** . ذلك أن الاحداث الخطيرة التى تتابعت على البلاد من حرب فلسطين ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٢ ، قد اضعفت بكيفية مستمرة الارتباطات الفكرية بين مندور وبين القيادة الوفدية بحيث يمكن القول بأنه عندما دعا مندور الى اعلان الجمهورية وايد قيام الحكم الجمهورى وايد قانون الاصلاح الزراعى – نقول عندما فعل ذلك فانه يكون بذلك قد وضع نفسه فى جانب وحزب الوفد فى جانب آخر .

على ان انقطاع الصلة التنظيمية بينه وبين **الوفد** قد ولد فى نفسه أزمة كالتى عاناها من قبل عندما لم يكن مرتبطا بتنظيم وعندما كان يبحث عن تنظيم يصب فيه أفكاره . وازدادت هذه الازمة حدة عندما بدا أن هناك تناقضات فكرية لم تحل بعد بينه وبين ثورة يوليو فى ايامها الاولى . وقد يكون مصدر هذه التناقضات ارتباطاته الحزبية السابقة أو دعوته الى اقامة نظام ديموقراطى ليبرالى يقوم فى جوهره على تعدد الاحزاب لكل الطبقات بدون قيد أو شرط .

واذا كان مندور قد انصرف فى فترة من حياة ثورة ٢٣يوليو الى التركيز على عمل ثقافى عميق وبناء فى الجامعة والمسرح والنقد الادبى فمن الخطأ ان نتوهم أن تطوره السياسى فى الخمسينات كان اقل عمقا من تطوره السياسى فى الاربعينات .

نعم كان مندور احد المثقفين الذين احسوا ببعض تناقضات بينه وبين بعض المواقف السياسية لثوره ٢٣يوليو – خصوصا فى مراحلها الاولى ، لكن مسيرة ٢٣ يوليو مكنت مندور من أن يصل الى حلول لهذه التناقضات بحيث يصبح جزءا منها وقوة تدافع عن اهدافها . وان ماحدث – كما نعلم جميعا – ان ثورة يوليو مضت بعد اعلان الجمهورية وقانون الاصلاح الزراعى فحلت القضية الوطنية وحققت الجلاء ثم خاضت معركة حلف بغداد وكانت من الدول المؤسسة لمؤتمر باندونج ثم سارت فى تحرير اقتصاديات البلاد وأممت القناة وانتصرت فى الحرب الوطنية عام ١٩٥٦ ثم اندفعت بتصميم بعد قرارات يوليو ٦١ نحو هدف ثابت هو بناء الاشتراكية . وعلى هذه الارضيه حل مندور كل مايمكن ان يكون من تناقضات مع الثورة على أساس من الكفاح الوطنى والثورات الشعبية وعلى اساس من شعاراته التى نادى بها ومن تجاربه الخاصة .

وعلى اساس من هذه التجارب ، حل مندور ايضا عددا من خلافاته الفكرية فى السياسة والفن مع بعض الاراء والقضايا الفكرية والسياسية والادبية التى وجدت فى البلدان الاشتراكية. ففى كتابه « **جولة فى العالم الاشتراكى** » الذى صدر عام ٥٧ يحدد مندور أن له تحفظا اساسيا بالنسبة للماركسية يتعلق بموقف الفلسفة الماركسية من قضية الدين . لكنه يطرح بعد ذلك بامانة المفكر والعالم عددا من القضايا التى كانت تشغل فكره والتى كون عنها تصورات خاطئة تحت ضغط الدعايات المعادية للبلدان الاشتراكية . فتحدث عن نظام الاسرة وعن مستوى المعيشة وعن حرية النقد وحرية العبادة . وأكد كثيرا على الاهتمام الفائق الذى يولى هناك للخدمات الثقافية .

ان مندور على اساس نضاله وفى وصف ثوره ٢٣يوليو وعلى اساس خبراته الشخصية ومشاهداته لم يعد مثقفا ثوريا فحسب بل مفكرا ومناضلا اشتراكيا . ومن خلال نظرته الاشتراكية وصل الى مفهوم النقد الايديولوجى وحدد بحسم انه مع تمسكه بالمقاييس الفنية واحترامه لهما فان على الناقد ان ينظر الى العمل الادبى والفنى على اساس ان له وظيفة اجتماعية وان على الناقد ان يركز اهتمامه على المضمون الانسانى والاجتماعى للعمل الادبى ويعطى هذا المضمون الاولوية .

على ان البعد الحقيقى لشخصية مندور كمناضل واشتراكى قد سجلها فى آخر مقال كتبه فى « **روزاليوسف** » وتحدث فيه عن ازمة الضمير عند المثقفين بمناسبة عرض بعض المسرحيات. ان كلمة مندور والحل الذى قدمه هى كلمة الثورة وهى الحل الذى تسعى اليه ، وهى بعد ذلك كله وصية مندور .. فلنستمع اليها :

« **ازمة الضمير عند المثقفين كما ظهرت على خشبات المسارح فى هذا الموسم اعتبرها انعكاسا لحالة البلبلة الفكرية والايديولوجية التى نمر بها اليوم والتى يجب ان نخرج منها سريعا بتكوين واعلان التنظيم السياسى الذى تحدث عنه الميثاق كدينامو للاتحاد الاشتراكى . فهذا التنظيم وحده هو الذى سيستطيع – اذا نجحنا فى تكوينه – أن يميز بين الحق والباطل ، والنصح والغش والصدق والكذب فى مجالات السياسة والادارة والاجتماع والاخلاق وعندما يتضح المنهج ويستقيم السبيل ستزول هذه البلبلة وترتفع الغمة ويتخلص ضمير المثقفين من ازمته الحاضرة والخانقة** » .

ان مندور بهذا الحديث يعيد خلق نفسه خلقا جديدا . فمنذ ١٩٤٢ وهو يبحث عن التنظيم ، عن اداة العمل ، وهاهو قد وضع آماله فى التنظيم السياسى ، وهاهو يثبت باستمرار ان المثقف الثورى الجدير بهذا الاسم هو المثقف الذى تمكنه كفاءته وارتباطاته بالشعب وشرفه الوطنى من أن يستجيب لمقتضيات كل وضع ثورى جديد باصرار واستمرار وبكيفية خلاقة على الدوام .

القسم الثاني

مندور سياسيًا وصحفيًا ومناضلًا اشتراكيًا

انها لحقيقة يزداد دوما تأكدها ، تلك التى تقول بأنه لم يعد باستطاعة الاقلام التقليدية الكبيرة فى بلادنا ، ان تؤثر فى مجريات الامــور العامــة بعد ثــوره ١٩٥٢ ، بنفس النقــل والديناميكية والتأثير الذين تمتعت بها فى الماضى، وليس ذلك بالضرورة، وفى كل حالة راجعا لاسباب ذاتية، من ضعف اعترى هذه الاقلام، او تخلف اصاب فلسفتها العامة ، او لنقص فى الارادة النضالية عانت منه ، وانما فى الاساس الى طبيعة المواضعات العامة التى اتسمت بجدتها وتعقدها ووطأتها، والتى كان لابد وان تمر بها مصر فى تلك الفترة التاريخية ، وهى تتجدد . هذه المواضعات الجديدة اسكتت كثيرا من «الابطال» الرجعيين السابقين ، وارتقت بوعى عدد من الذين لم يرقوا من قبل الى مستوى اهدافها، وكانت بالنسبة للاخرين ومنهم الرائد والمناضل الدكتور محمد مندور ، الظرف الاكثر صلاحية ، لتركيز فعاليتهم الانسانية ــ التى احتاج اليها النضال السياسى من قبل ــ فى الاتجاه الاكثر موائمة وتناسبا مع مواهبهم الادبية الطبيعية .

على انه اذا كانت تلك الحقيقة السابقة ، قد اكتسبت مع محمد مندور بالذات سمة ايجابية مثمرة ، فلا ينبغى بأى حال من الاحوال أن تكون بالنسبة للكتاب الكبار الاخرين ، مرادفا لسمة تشاؤمية استجدت عليهم وعلى بلادنا منذ ذلك التاريخ ، ذلك أن تلك الحقيقة لم تكشف عن مأساة فكرية قومية عامة تخصهم وتخص بلادنا بالتالى بل كشفت عن معنى أكثر تفاؤلا بما لايقاس عن عملاقية الوضع الجديد الذى جاءت به ثورة يوليو سنة ١٩٥٢

اذن ، فلقد كان عام ١٩٥٢ فاصلا مميزا فى التاريخ الكفاحى الذى شكل أمثولة حياة وجهاد محمد مندور ايضا لذا فاننا يمكن ان نؤرخ لهذا الكفاح بمرحلتين ، الاولى من اواخر الحرب العالمية الثانية حتى سنة ١٩٥٢ والثانية من سنة ١٩٥٢ حتى وفاته . على أن التقسيم المرحلى هنا ، لايقوم مطلقا على طبيعة وجوهر المساهمة من ناحية تقدمها أو رجعتها ، ذلك أن نضال وفكر مندور السياسى ، كان تقدميا ايجابيا فى عمومه فى كلا المرحلتين ، وانما هو يقوم على أساس أختلاف مجالى النضال التقدمى للرجل فى كلا المرحلتين ، مابين العمل السياسى المباشر فى الاولى ، وبين المساهمة البارزة فى توجيه ثورى للادب المصرى

المرحلة الاولى من ١٩٤٣ الى ١٩٥٢

لقد دخل مندور باب الحياة العامة فى مصر فى الفترة الحرجة الفائرة التى بدأت منذ أواخر الحرب العالمية الثانية . كانت الحياة الاجتماعية فى البلاد متأثرة بهذه الحرب الى ابعد الحدود، اذ كانت ظروف الحرب فرصة للاثراء البشع من جانب والافقار البشع من جانب آخر . فبضعة الاف من كبار ملاك الارض والرأسماليين الكبار، والاغنياء الجدد اصبحوا يمتلكون كل شىء، ولم يبق غير الفتات للملايين المنتجة العاملة . واذا كان من اعادة القول ، اليوم تكرار ايضاح الصورة الفاضحة لسوء توزيع الملكية الزراعية فى بلادنا فى تلك الفترة ، فلقد كان ما يقرب من ٦١٪ من الدخل القومى يعود الى كبار الراسماليين وكبار ملاك الارض ، أما الباقى فتتقاسمه البقية الباقية من ابناء الشعب فى المدينة والريف . وسائر تفاصيل الصورة الاقتصادية اكثر تجهما وقتامة .

فترة الفوران العنيف

ولما كان الشعب المصرى فى تلك الفترة ، وبعد أنتهاء الحرب مباشرة قد عقد العزم على تحقيق استقلاله ، الذى سوف فيه البريطانيون وخاتلوا بعد الحرب العالمية الاولى ، فان المد الوطنى بدأ يرتفع بمجرد انتهاء الحرب ، وفرضت المعركة ضد الاستعمار نفسها على اعتى القوى الرجعية . واضطرت حكومة الاقلية السعدية التى كانت تتولى الحكم فى ذلك الوقت الى التقدم بمذكرة هزيلة الى الحكومة البريطانية ، تطلب منها اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ ، مؤكدة لها أن هذا هو السبيل لتدعيم علاقات التحالف بين مصر وبريطانيا وضمان استقرارها . وردت بريطانيا بعد أشهر على هذه المذكرة ردا يكاد يوحى بأن مصر جــزء من الامبراطورية البريطانية ، وما أن نشرت المذكرتان حتى ثار الراى العام ، وبدأت مرحلة من أعنف المراحل فى تاريخ الحركة الوطنية والديمقراطية لم تستقر معها البلاد الا بقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

فى اوائل هذه المرحلة أو قبلها بقليل دخل محمد مندور ميدان الحياة السياسية العامة . ولذا فقد ارتبط دخوله اليها زمنيا ببداية الكشف الواضح فى التطبيق عن حقيقة أخرى تخفى اوضاع مصر السياسية، حقيقة افلاس نظام الديمقراطية الراسمالية ، نظام الواجهات الديموقراطية المزيفة الذى ظل مستمرا منذ اعقاب ثورة ١٩١٩ الوطنية . فبينما كانت العناصر الوطنية المناضلة حينذاك قد كشفت أحزاب الاقلية الرجعية التى استمرت تلعب دورها الخيانى الرجعى ، خدمة للاستعمار والسراى ومصالحها المالية ووقفت لها بالمرصاد فان حزب الاغلبية الجماهيرية نفسه ، حزب الوفد ، كان قد الحق بنفسه ضررا تاريخيا بالغا بتوقيعه معاهدة ١٩٣٦ ، معاهدة الصداقة والتحالف مع بريطانيا العظمى ، الدولة المحتلة التى تألف الوفد نفسه للصراع ضدها من أجل الاستقلال . واخذت الجماهير تتطلع حولها باحثة عن قيادات جديدة كفؤة لمواجهة تحديات التصدى الجديد ، غير أن اتجاها ثوريا صائبا جامعا لم يظهر حينذاك لملء هذا الفراغ . وتشتت جموع الشباب الوطنى مابين اتجاهات الارهــاب ، والفاشيين والشيوعيين والاخوان المسلمين وبين صفوف حزب الوفد . وبينما تركز أقصى اليمين حول انصار الشمولية المدنية التى اعتمدت على فكرة «حكم الصفوة» أو «المستبد العادل» الذى كان يمثله على ماهر وبطانته ، والفرق الفاشية ــ النازية الواضحة التى تجمهرت حول جماعات عباس حليم ، وانصار مصر الفتاة ، كما تركز حول أنصار الشمولية الدينية التى

تجمهرت حول الاخوان المسلمين وفكرتهم من اقامة حكومة دينية ثيوقراطية ،(فأن اقصى اليسار بدأ يتركز حول النوادى الماركسية المختلفة كجمعية نشر الثقافة الحديثة ، وجمعية الابحاث العلمية الخ ، وحول التنظيمات الشيوعية التى بدأت تتكون حينذاك مثل «نحو ديمقراطية شعبية» و «الشرارة» ، و «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» التى تحولت الى «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» الخ .

فى هذا المناخ قدر لمحمد مندور ان يلعب دوره السياسى النضالى فى المرحلة الاولى من كفاحه . على أنه ينبغى ان يكون واضحا أن نضاله فى تلك الفترة لم يتخذ طابع التأليف السياسى النظرى الذى يستهدف التأثير فى الرأى العام لصالح التقدم ، فى المدى الطويل ، بقدر ما اتخذ طابع المساهمة المباشرة فى المعركة بشخصه وبمقالاته السياسية لتحقيق نجاحات مباشرة للقوى الوطنية والشعبية فى صراعها ضد اعدائها وفى المدى القصير المباشر .

غدر الانجليز .. وسماء الحرية فى باريس

لم تكن عاطفة محمد مندور الوطنية وثورته على الاحتلال وصنائعه ، نتاجا لمشاعر وطنية أمكن اكتسابها نتيجة تربية قومية سليمة ، خاصة كانت او مدرسية عامة ، بقدر ما جاءت نتاجا طبيعيا لملامسة مباشرة منذ الطفولة المبكرة والصبا لمعنى المظالم التى انطوى عليها وجود الاحتلال . فلقد تفتحت عينى الصبى محمد مندور الطالب بمدرسة الالفى الابتدائية بمنيا القمح ، وهو لما يزل بعد فى الثانية عشرة من عمره ، على أحد هذه المعانى عندما شهد بنفسه الانجليز ابان ثورة ١٩١٩ يطلقون الرصاص من رشاشاتهم على مظاهرة شعبية من الفلاحين كانت تهتف بسقوطهم على جسر ترعة بحر مويس فيسقط منهم ١٥٠ شهيدا . وحين يعدل أهل قريته عن قرارهم بأن يخرجوا جميعا بفؤوسهم لتدمير السكك الحديدية التى تحمل القوات البريطانية ، بعد ان حذرهم محمد عثمان باشا أباظة من مغبة هذا العمل ، يصب مندور سخطه على قريته وأهلها ، ولكنه يعلن ارتياحه عنهم بعد ذلك ، عندما انتقموا بتحطيم سوق «التلين» المجاور تحطيما كاملا وحملوا كل ما استطاعوا حمله من قطع الحديد والخشب التى تخلفت من هدمه . وقد تعرضت قريتهم والقرى المجاورة بسبب هذا العمل ، لحملة بوليسية انتقامية استمرت بضعة أيام .

فى عام ١٩٢١ ينهى مندور امتحان الشهادة الابتدائية ، وفى سنة ١٩٢٥ يحصل على البكالوريا من القسم الادبى بمدرسة طنطا الثانوية . وكان ترتيبه الثانى عشر على القطر كله ، برغم انه فصل فترة غير قصيرة فى اواخر العام الدراسى بسبب تزعمه للطلبة فى الاضراب والمظاهرات ضد الانجليز وحكومة زيور باشا التى خلفت حكومة سعد زغلول اثر مقتل السردار لى ستاك .

والتحق مندور بعد ذلك بكلية الحقوق بالجامعة المصرية ، وتحت تأثير وتوجيه الدكتور طه حسين اقتنع بالالتحاق بكلية الاداب ، وحصل على ليسانس الاداب سنة ١٩٢٩ وكان ترتيبه الاول ، وفى سنة ١٩٣٠ انهى دراسته الحقوقية ، وقد وقع اختيار كلية الاداب عليه كعضو لبعثتها الى جامعة السوربون . واذا كان لذهاب مندور الى باريس فى البعثة ، أثر فى تفكيره السياسى وتكوينه الفكرى العام : «ان هذه السنوات هى التى كونتنى عقليا وعاطفيا وانسانيا» وانجو الحرية الفكرية الواسعة المنتشرة فى سماء باريس وأرضها ، قد كان له اثر فعال فى تفتيح نوافذ النفس على كافة الافاق» (٦) ، فقد كان الدكتور طه حسين فى الحقيقة صاحب الاسهام الاول فى اتاحة الفرصة لمواهب الشاب محمد مندور لتتشكل وفق الصورة التاريخية التى وجدناه عليها اخيرا، ذلك انه لما اعترض على ذهابه فى البعثة لاسباب طبية ، تدخل طه حسين لدى محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف حينذاك ليطلب من مجلس الوزراء اعفائه من الكشف الطبى وفعلا تم ذلك .

الحماس لبرودون ولاصلاحية ليون بلوم

وقد نفذ محمد مندور الجزء الاول من أهداف بعثته فى باريس وهو الحصول على ليسانس من السوربون فى الاداب واللغات اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية وفقهها المقارن، واستغرق ذلك تسع سنوات من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٣٩ ؛ لكنه لم يستطع تنفيذ الجزء الثانى وهو تحضير دكتوراه فى الادب العربى اذ اكفهر الجو السياسى فى أوربا عقب فشل مفاوضات تشمبرلين — هتلر المشهورة . فلما أحس أن الحرب قائمة لامحالة فضل العودة الى مصر دون أن يكتب رسالة الدكتوراه ،وقدمها بعد ذلك فى الجامعة المصرية وأن كان قد حصل من السوربون بالاضافة الى الليسانس على دبلوم فى القانون والاقتصاد السياسى والتشريع المالى ، كان له اثر كبير فى تكوينه الثقافى .

واثناء اقامته فى باريس تابعت السفارة المصريه هناك ، مساجلة هامة اجراها مندور فى الصحف الفرنسية ، وابلغتها السفارة الى وزارة الخارجية بالقاهرة . فقد كتب مندور عدة مقالات نشرها فى الصحف الفرنسية ، نبه فيها الفرنسيين الى أن معارضة حكومتهم فى الغاء الامتيازات الاجنبية فى مصر ستجعلهم يخسرون وضعهم فى مصر وحب أهلها لهم ، ورد عليه وكيل وزارة الخارجية الفرنسية وكان برأس الوفد الفرنسى فى مفاوضات مونترو ، وعقب مندور على ما كتب واستمر الامر بينهم سجالا حتى سلم الفرنسيون بما لم يكن منه بد وهو الغاء الامتيازات الاجنبيه .

وقد القى الدكتور لويس عوض(٧)الضوء على تفكير مندور السياسى فى أواخر الفترة التى قضاها الاخر فى اوربا . ذلك انه كانت تدور بينهما مجادلات سياسية اثناء لقاءاتهما الكثيرة فى باريس فى الفترة بين سنة ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ . وقد لاحظ فى تفكير مندور اتجاهين واضحين : حماسه لبرودون بصفة خاصة ولعامة مفكرى البورجوازيه فى القرن التاسع عشر ممن ثاروا على الديمقراطية الليبرالية وجنحوا الى لون من «الاشتراكية المخففة» التى تقوم على تدخل الدولة فى أطار المحافظه على الملكية الخاصة. ثم حماسه « لا صلاحيه » ليون بلوم التى اغضبت اليمين المتطرف واليسار المتطرف فى اوربا اثناء الثلاثينات وقد راى فى ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة لشاب بورجوازى مثقف عاصر فى فترة تكوينه ازمة الديمقراطية البورجوازيه فى اوربا اولا ثم فى مصر ثانيا ، ورأى حكم الطبقة المتوسطة القائم على حرية التجارة وحرية العمل وحرية الفكر يتصدع تصدعا تاريخيا بين تطرف الاشتراكية البرولبتارية (الماركسية) وبين تطرف الراسمال الاحتكارى العدوانى (الفاشية والنازية) ، فالتمس انقاذ الطبقه المتوسطة بالحلول الوسط مع الطبقة العامله ، والتنازل عن الحرية الفرديه المطلقة ، والدعوة لتدخل الدولة للحد من الراسمالية المطلقة ومما سماه بالعمالية المطلقة . ونرى من جانبنا ايضا أن عدم نقاء الظواهر الطبقية المصرية بالصورة التى عرفتها كثير من مجتمعات أوربا الصناعية المتقدمة وعدم توفر طبقة عاملة صناعية واسعة فى مصر قد كانا عاملين موضوعيين ، حالا دون تبنى مندور فى تلك الفترة للفكرة الاشتراكية العلمية بصورتها الكلاسيكية ، وقاداه مع غيره من المثقفين البارزين الى هذه الوسطية الفكرية . ذلك أن توفر

---

(٦) عشرة ادباء يتحدثون — الفصل الخاص بمحمد مندور لفؤاد دوارة
(٧) فى بحث لم ينشر بعد بعنوان الاصلاحى الكبير)

طبقة عاملة صناعية واسعة في بلادنا ، كان يمكن أن يكون ـ خاصة في ظروف اتصالنا الثقافي والحضاري بأوربا ـ ركيزة مادية واقعية ، يمكن أن تقود ـ العناصر الثورية ـ على الصعيد النظري الى الايمان بل ومحاولة تطبيق كلاسيكيات الاشتراكية العلمية على بلادنا بحيث يتخذ ذلك الايمان وتلك المحاولة سمة جماهيرية واسعة الانتشار .

العودة وتناقض حاد مخرجه الصحافة

في يوليو سنة ١٩٣٩ عاد مندور الى مصر ، وفي عامي ١٩٤٠ ، ١٩٤١ قام بالتدريس في كلية الاداب . وعندما انشئت جامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٢ اتخذ الدكتور طه حسين قرارا بتعيينه بها . وقد لعب الدكتور **احمد امين** في تلك الفترة دورا هاما وايجابيا في ضمان استمرار محمد مندور ، انسانا ومناضلا، ودارسا جامعيا ، وتحت الحاحه واشرافه اعد مندور رسالته التي نال عليها الدكتوراه . وقد ادى تحضيره لها باشراف الدكتور احمد امين الى اثارة سخط طه حسين عليه ، فاعلن اكثر من مرة انه لن يعترف بهذه الدكتوراه ، ورفض ان يشترك في اللجنة التي ناقشته فيها .

وقد ساعده احمد امين ايضا على تخطي اعبائه الماليةبترجمة بعض الكتب النافعة وفتح امامه باب الكتابة في مجلة «الثقافة» التي كانت تصدرها وتنذ لجنة التاليف والترجمة والنشر وكان براس تحريرها . وبرغم ان مكافاة المقالات التي كان يكتبها بها كانت زهيدة لاتتجاوز جنيها ونصف جنيه للمقال الا انها اسهمت في حل كثير من مشكلاته المادية ، كما بثت اسمه العام عندجمهرة القراء ولفتت له الانظار بشكل واضح كان له اكبر الاثر في مستقبله بعد ذلك .

وحصل مندور على الدكتوراه سنة ١٩٤٣ من جامعةالقاهرة بمرتبة الشرف الممتازة وتقدم اليالدكتور طه حسين بوصفه مديرا لجامعة الاسكندرية بطلب ترقيته الى وظيفة مدرس «أ» من الدرجة الرابعة ، فرفض طلبه بصورة دفعته الى التفكير الجدي في الاستقالة من الجامعة رغم ارتياحه اخيرا للتدريس في كلية الاداب . وبدأ يبحث لنفسه عن عمل اخر قبل ان يحتدم الصدام بينه وبين جامعة الاسكندرية . فلما التقى صدفة بالاسكندرية بالاستاذ **انطون الجميل** رئيس تحرير الاهرام وقتذاك والذي كان يثني على مواهب مندور الادبية وثقافته الواسعة، وساله عما اذا كانباستطاعته ايجاد عمل لهبالاهرام رحب بذلك وعرض عليه وظيفة رئيس قسم الاخبار بالجريدة فقبل على الفور على ان يوافيه انطون الجميل بقرار التعيين في القاهرة . ولكن طال انتظار مندور دون جدوى . وقد كان مصطفى امين صاحب جريدة الاخبار سابقا عضوا بمجلس تحرير الاهرام . ويذكر مندور هنا واقعة لها مغزاها الكامل ، فيما يتعلق بجهود الاخوين مصطفى وعلي امين : « **وقد فوجئت بعد عدة سنوات بمصطفى امين يقول انني حاقد عليه ، لانه عارض فيمجيء الى « الاهرام »، والحقيقة انيلم اعرفهذه الحقيقة الا من قوله هو . ومن غرائب الامور ، ان علي امين حينما كان سكرتيرا لامين عثمان وزير المالية في احدى وزارات الوفد ، عمل كل جهده لتعطيل تسوية معاشي بعد استقالتي** من الحكومة وعملي بالصحافة » (٨) .

على انه ينبغي ان يكون واضحا ، ان اتجاه مندور الى الصحافة لم يكن في الاساس بسبب المتاعب التي واجهها اثناء تدريسه بالجامعة ، وانما ليحل في ذلك الوقت تناقضا ضخما كان قد الح عليه. وقد كشف لنا فيمقال كتبه بعنوان« لماذا اشتغلت بالسياسة » في مجلة روزاليوسف في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٤ وقبل وفاته بشهور ، حقيقة هذا التناقض . ذلك انه بعد اقامته في فرنسا لمدة ٩ سنوات طلبا للعلم وبعد تجوله الطويل في البلاد الاوربية المختلفة ، تزايد احساسه بما في مصر من متناقضات صارخة : «**فامكانيات هذا الوطن لاحدود لها ، ومع ذلك كان واقعه يشهد ببؤس شعبنا وتخلفه بالقياس الى الشعوب الاوربية**» . لقد كان هذا التناقض يصطرع في نفسه بين الثقافة الكلاسيكية الليبرالية التي حصلها في أوربا وبين تجربة حياته المعاشة في وطنه .

«واستمر هذا التناقض قائما في نفسي ومنعكسا علىانتاجي الثقافي الاجتماعي ونقدي الفني الجمالي للشعر ، حتى اخذت تجربة حياتي المعاشة تزيد من احساسي باهمية بل باولوية العمل الايجابي المباشر في الحياة السياسية والاجتماعية اذا اردت ان اقضي على هذا التناقض بالقضاء على اوضاع حياتنا العامة الفاسدة والقوى الرجعية المستغلة التي تستفيد من تلك الاوضاع . وبخاصة بعدأن تاكدت خلال السنوات التي عملتها كمدرس بجامعتي القاهرة والاسكندرية من ان العمل الاكاديمي نفسه ، لن يستقيم ولن يثمر الا اذا تخلص من انعكاسات الوضع العام الفاسد عليه . فرؤساء الاقسام الاجانب بكليات الجامعة ، يحاربون العائدين من اوربا من ابناء الوطن حربا عنيفة شعواء تستهدف شللهم التام ، والاساتذة المصريون الرجعيون المتخلفون علميا وفكريا ومنهجيا ، لايطيقون المستنيرين الثوريين من الشباب العائد حتى ولو كانت هذه الثورية في حدود الثقافة الاكاديمية والمناهج العلمية السليمة . وعندئذ قررت ان احطم قيود الوظيفة الحكومية لاسترد حريتي الكاملة في العمل السياسي والاجتماعي الى جوار العمل الادبي الذي تخصصت فيه ، فلم اجد ميدانا استطيع ان اجمع فيه بين العمل السياسي والعمل الادبي كناقد متخصص الا فيالصحافة »

تيار سياسي جديد

وتعتبر مقالة« "الثقافة والديمقراطية الاجتماعية » (٩) التي نشرها مندور سنة ١٩٤٣ من اهم المقالات السياسية التي كتبها ، وكان لها دلالتها الواضحة على تفكيره السياسي في تلك الفترة .وقد اعتبرها الدكتور لويس عوض (١٠) اشبهشيء بمانيفستو اوبيان كتبه مندور في سنة١٩٤٣ليضعفيه الاسس الفكرية لتيار سياسيجديد ، بل اوشك انيقول لحزب سياسيجديدولذا سنوردهنااهم الاجزاءالتيتكشفلنا فكرهحينذاك قالمندور : «**بالنظر فيمايكتباليوم فيبلادنا نجد نزعتين : نزعة الديموقراطية الحرة ، والنزعة الاشتراكية ، واصحاب النزعتين فيما اعتقد ، مخطئون واخشى ان اقول اثمون في تضليل الراي العام وصرفه عن الاتجاه الصحيح . فالديموقراطية الحرةتدعو كما هو معلوم الى الحد من اختصاصات الدولة والى عدم تدخلها في الحياة الاقتصادية للفرد ، وهذا مذهب لو طبق في بلادنا لانها تخشى من اعتدائها على الحرية ، لظللنا على مانحن فيه من فقر وتخلف ، وذلك لما هو واضح من ان الاخلاقالفردية عندنا ، لم تعد تملك من الجراة وروح المبادأة والصلابة والمثابرة والثقة بالنفسما يضمن لهاالنجاح اذا تركت بغير رعايةالدولة. فنحن اذن في امس الحاجة الى تدخل الدولة في كافة نواحي حياتنا الاقتصادية ، وها هي كبرى المشروعات لاتزال معطلة ولن تزال حتى تنهض بها الدولة على نحوما ، اما بالاستغلال المباشر ، واما بواسطة شركات تضمن لها الحياة ، واما بمزيج من النظامين . ونحن بالفعل سائرون الى هذا . واما الخوف على حرية الفرد واسترقاق الدولة له فهراء نظري في بلد كبلدنا اين هي تلك الحرية ؟ ورق المادة ، ورق الفقر هلبعده رق »**

« كل هذا يسوقنا الى المنادة بتدخل الدولة (etatsme) **لا بالديموقراطية الحرة التي لاتصلح لنا ولانصلح لها .**

---

(٨) عشرة ادباء يتحدثون لفؤاد دوارة ـ الفصل الثاني
(٩) نشرت سنة ١٩٤٣ بمجلة الثقافة (١٠) في مقاله : الاصلاحي الكبير

«ونترك الديموقراطية الحرةكمذهبسياسيلننظر فيالاشتراكية كمذهب احتماعى . ولقد سبق ان اوضحنا ان مشكلة الفقر فى بلادنا ، ليست مشكلة توزيع فحسب ، لانه من الثابت انه لو وزعت الثروة الموجوده الان ببلادنا بالساوى لافتقر الجميع ولم يغتن احد ، ثم انه لكى نحقق الاشتراكية لابد من سفك دماء فيما ارجح ، وهذا امر اجرامى لايمكن ان يفكر فيه عقل ، لا لانه بشع فحسب ، بل لانه كما قلنا لن يحل المشكلة .. ونحن نحارب الاشتراكية العمالية، لاننا معمحبتنا لطوائفالعمالالمجدين نخشى ان تصل بهم الشهوة النفسية الى شل صناعاتنا الناشئة بمطالبهم المسرفة .. فهل تحتمل صناعتنا الناشئة كل ذلك ؟ اننا نلاحظ طغيانا فى اوربا من طبقة العمال على الطبقات الاجتماعية الاخر ، كالفلاحين واصحاب المهن الحرة ورجالالفكر ومن كل هذا مايخل بتوازن الامة الاجتماعى» .

«واذن فنحن منجهة نرفض الديموقراطية الحرة، لاننا لانرى مفرا فى ظروفنا الحاضرة مندعوة الدولة الى التدخل فى كافة مظاهر الحياة، كما نرفض الاشتراكية لاننا نكره وسائلها ونخشى طغيانها ، ونعتقد ان استفحالها الان ، قد يشل حركتنا الصناعية التى لانرى علاجا لمشكلة الفقر عندنا فى غيرها» .

« كل هذا ينتهى بنا الى المناداة بمذهب نظنه يتمشى مع اراء العقلاء منا ، وهذا المذهب ، هو مذهب الديموقراطية الاجتماعية ننادى بالديموقراطية ، لاننا نعتز بالفرد وبحرية الفرد وبكرامة الفرد . ونحن نريد تلك الديموقراطية ، اجتماعية لتحقق عدلا اجتماعيا ، وهذا العدل لن يكون بغير تشريع والتشريع تصدره الامة » .

والحقيقة ان مندور قد عكس فى تلك المقالة تفكير ومصالح قطاعات من البورجوازية الوطنية فى مصر ، وبخاصة الصناعية كما تعتبر دعوته الى تدخل الدولة لتحقيق المشروعات الكبرى دعوة لاتباع شكل من اشكال راسمالية الدولة . ومع ذلك فقد اسفر عن نظرة ثاقبة فى تنبهه الى ان المشكلة الاقتصادية فى بلدنا، ليست مشكلة توزيع فحسب وانما مشكلة تنمية الثروة القومية بعامة ايضا ، تلك المشكلة التى تواجه لابلادنا فحسب وانما جميع البلدان النامية التى تتشابه ظروفها مع ظروفنا . على انه ينبغى الا يتبادر الى الذهن معارضة مندور للاشتراكية العمالية ، باعتبارها معارضة لكل اشتراكية ولمبدأ العدالة الاجتماعية فى حد ذاته.ذلكانالذى قصده منالاشتراكية هنا وحسبماوضح فهو الاشتراكيةالماركسيةالتى اومأ الىاتباعها للعنفالذى يرفضه . وبذا اعلن مندور رفضه للديموقراطية الليبرالية وللاشتراكية الماركسية معا ونلمسه اعادة بناءالمجتمع علىاساس جديد يأخذ منالديموقراطية فكرةالحرية ويأخذ من الاشتراكية فكرة تدخل الدولة فى وسائل الانتاج وهوماسماه بالديموقراطية الاجتماعية .

استقال محمد مندور من جامعة الاسكندرية فى نهاية العام الدراسى سنة ١٩٤٣ ــ ١٩٤٤ ليتفرغ للعمل الصحفى فى «المصرى» جريدة الوفد . وكان قد تعرف اثناء انتدابه لتدريس مادة الترجمة الفرنسية بتلك الجامعة على الدكتور سيد ابو النجا الذى كان مدرسا بها ثم اصبح مديرا لجريدة المصرى . وكان هو الواسطة بينه وبين المصرى وعين مندور بالفعل مديرا لتحرير «المصرى» على ان يباشر عمل رئيسالتحرير الى ان يتخلى له محمود ابو الفتح عن هذا المنصب رسميا بعد ذلك .

دفاع عن الحرية جزاؤه الفصل

وظل مندور يعمل فى «المصرى» نحو ثلاثة اشهر ، ونجح فى عمله نجاحا واضحا برغم المقاومات العنيفة التى وجدها داخل الجريدة من بعض الصحفيين المحترفين الذين اعتبروه دخيلا على الصحافة . وبالاضافة الى ذلك فقد عرف مدى اعتزاز محمد مندور بحرية الكاتب والمفكر ، كانت هناك قضية كبيرة معروضة على القضاء بسبب اعتناق احد تجار الاثرياء الاقباط ، الدين الاسلامى ، لكى يطلق زوجته فطعنت الزوجة فى اسلامه بقصد التحايل على طلاقها ، ووكلت عنها المحامى عزيز خانكى . ولم يكتف عزيز خانكى بالابحاث والمذكرات التى قدمها للمحكمة ، بل نشر فى جريدة «الاهرام» مقالا خطيرا يطالب فيه باصدار تشريع يحرم تغيير الدين . واثار هذا المقال محمد مندور فكتب ردا عليه ، استنكر فيه ان يمتد التشريع الى ضمير الانسان ليفرض عليه التزام دين معين ، لان نطاقالضمير لايجوز للمشرع ان يقتحمه ، ولكن محمود ابو الفتح رفض نشر المقال فى «المصرى» . فذهب مندور على الفور الى جريدة «الاهرام» حيث طلب من انطون الجميل نشر رده فى نفس المكان الذى نشرت فيه مقالة عزيز خانكى ، ورحب انطونالجميل بذلك ونشر المقال بالفعل . وقد فوجىء مندور صباح اليوم التالى بمندوب من «المصرى» يخبره ان محمود ابو الفتح يطلب منه ان يلزم البيت حتى يدرس الموقف بعد خروجه على شروط العقد المبرم بينه وبين الجريدة بنشره مقالا فى الجريدة المنافسة لها . ويوضح مندور الموقف بعد ذلك فيقول فى حديثه مع فؤاد دوارة : «وجاءتنى بعد ذلك رسل تخبرنى ان محمود ابو الفتح قد يصفح عنى ، اذا اعتذرت له ووعدت بالا اعود الى خطئى ولكنى رفضت وقلت لهم ، ان محمود ابو الفتح لم يشترنى ولم يشتر قلمى ولافكرى ، ومادام قد رفض نشر مقالى فى جريدته ، فمن حقى كمواطن ، بل كانسان ، ان انشر رايى حيثاستطيع ولكنه لم يقبل قولى ، ولم البث ان تلقيت منه خطابا بفصلى من الجريدة لمخالفتى لاوامره . ومررت حينئذ بازمة مالية ، اذ ظللت متعطلا اكثر من ٤ اشهر ، لا مورد لى الا بضعة دريهمات معدودة كنت اكسبها فى كتابة بعض المقالات فى مجلات كالرسالة والثقافة ومن تدريس بعض المحاضرات بمعهد التمثيل الذى افتتح مسائيا فى عام ١٩٤٤ » .

وكتب مندور فى تلك الفترة مقالات هامة دعى فى احداها بعنوان « التوازن الاجتماعى » وقد نشرت فى ١٩٤٤/٩/١١ الى الاخذ بمبدأ الاقتصاد الموجه قال فيها : «لمبدأ الاقتصاد الموجه Economie Ditigee يقوم على تدخلالدولة فىالانتاج وذلك عن طريق التشريع وهو الزم مايكون فى اعقاب الحروب الكبيرة ، وانت عندما تثقل بالضرائب من اثرى بغير وجه مشروع لاتظلمه، بل تنتصفللامة منه، لانك عندالنظر الاخلاقىالصحيح لانستطيع ان تسميه الا مختلسا ، وانت عندما تنتصف للعامل من صاحب راس المال ، وللمستهلك من المنتج ، وللمريض من الصحيح ، وللجاهل من المتعلم ، لا تعتدى على احد ، وانما ترغم المقصر على اداء واجبه ، عندما تنعدم قيادة الضمير ، لقد حان الحين لكى تحزم الهيئة الاجتماعية امرها وتشد من عزم حكامها ليقيموا توازنهاالاجتماعىعلىاساس ترضاهانسانيتهاالجريحة» .

وصدرت فى ذلك الوقتجريدة «اخبار اليوم» واعلنتسياستها فىمناصرةالملك ضد الوفد حزباغلبيةالشعبوقتذاك،واخذتتنشر سلسلة من المقالات الصاخبة بعنوان : « كيف فسدت العلاقات بين الوفد والسراى» اخذت تشنع فيها على الوفد ، وتشيد بالملك الصالح والعامل الاول والتقى الاول ، وتسرف فى مناصرة الملك المتآمر مع الانجليز.وكانت حكومة الوفد قد اقيلت سنة ١٩٤٤ وحلت محلها حكومة الاقليات من السعديين وحزب الكتلة . وكان للسعديين مجلة صغيرة اسمها «بلادى» يصدرها محمود سمهان ابن احد كبار اثرياء الهيئة السعدية ، كان مندور يعرفه منذ اقامته معه فى باريس لبعض الوقت ، فاقنعه مندور بنشر مقال فى مجلته ردا على ماتنشره «اخبار اليوم» وفعلا نشر محمود سمهان المقال بعنوان «الاوراق الصفراء» وجعله افتتاحية المجلة . فكان بمثابة قنبلة انفجرت فى الوسط السياسى كله ، فاستدعى الحزب السعدى محمود سمهان وانبه تأنيبا

شديدا ، ولولا مكانة والده فى الحزب ، لتعرض لما هو اكثر من التانيب . وفى الوقت نفسه رضى الوفد المصرى ورئيسه عن المقال رضاءا شديدا ، واعتبروا كتابته ضد «اخبار اليوم» وضد السراى جراة لا مثيل لها تصل الى حد الفدائية .

ضد صدقى ومكرم عبيد

على ان هذه لم تكن المرة الاولى التى هاجم فيها مندور اعداء الوفد ، اذ شن من قبل هجمات عنيفة على **اسماعيل صدقى ومكرم عبيد** عندما كانا معارضين لحكومة الوفد سنة ١٩٤٤ . فعندما ثارت مناقشات داخل البرلمان وخارجه حول ميزانية الدولة ، خاصة بعد ان طالب مكرم وصدقى بعدم فرض ضرائب جديدة ، وطالب مكرم بان تبيع الحكومة اراضيها على ان يدفع الثمن فورا ، فى حين طالب صدقى الحكومة بعقد قروض عامة نجد مندور يكتب فى مقاله « الميزانية والعدالة الاجتماعية » الذى نشر فى ٦ — ٤ — ٤٤ قائلا : **«ان صدقى باشا لايقبل دفع ضرائب جديدة ويفضل على ذلك عقد قروض تمكنه هو وامثاله من استغلال اموالهم المكدسة بالبنوك ، ويكون هذا الاستغلال من دماء الشعب ، لان الدولة هى التى ستدفع لهم ارباح قروضهم .. اما مكرم باشا فكل مايحرص عليه ، هو ان تبيع الحكومة جميع املاكها ، وهو يشترط ان يدفع الثمن كله فورا ، ومعنى ذلك هو ان كبار الاثرياء هم الذين سينتهون بامتلاك اراضى الحكومة ايضا ، وهذا فى الحق تفكير آثم ، فنحن فى بلاد يعلم الكل مافيها من تفاوت بين فقراء الناس واغنيائهم ، ولقد جاءت الحرب فبالغت فى هذا التفاوت ، وافسدت من توازن الامة ، فكم من عزيز ذل ، وكم من حقير عز » .**

وعندما هاجم اسماعيل صدقى فرض ضريبة تصاعدية باسم العدالة الاجتماعية ، كشف مندور فى مقاله **«خطوات جديدة نحو العدالة الاجتماعية»** الذى نشر فى ١٥ — ٤ — ١٩٤٤ (١١) عن دوافعه الحقيقية فى هذا الهجوم ، قال : **«الدافع صدقى باشا دفاعا مزدوجا شخصيا وسياسيا ، فاما الشخصى فلانه من كبار الاثرياء وقد اخذت بنفسه شهوة المال ، فهو يقاوم مبدا الضريبة التصاعدية لان الحكومة ستاخذ من ماله ومال امثاله ، ماترده على البائسين فى هذه الامة وماكثرهم ، وقد حان الحين لتنتصف لهم حكومتهم من الحياة التى عضتهم بأنيابها ، واما الدافع السياسى ، فخصومة صدقى باشا للحكومة ، والخصومة السياسية شىء مقبول ، بل لعله واجب فى حياة الامم ولكنها عندما تصبح هوى يخالط الشهوة حزبية ، من الواجب ان نرد فى قوة ماينشا عن هذا الهوى وتلك الشهوة من خطر يهدد الحياة الكريمة العزيزة العادلة ، التى نبغيها لسكان هذا الوطن » .**

وكان لحزب الوفد فى ذلك الوقت جريدة مسائية تصدر باسم «الوفد المصرى» كان الاستاذ حامد طلبة صقر صاحب امتيازها فلما عرض على مندور رياسة تحرير هذه الجريدة مقابل مرتب يزيد على ما كان يتقاضاه من «المصرى» ، قبل مندور وبدا عمله كرئيس لتحرير هذه الجريدة ابتداء من فبراير سنة ١٩٤٥ .

وكتب مندور منذ اوائل سنة ١٩٤٥ مقالات عديدة ، سنورد هنا مقتطفات صغيرة من بعضها للتدليل على طابع التفكير السياسى للرجل فى تلك المرحلة . فى مقاله : **« الراى العام »** (١٢) الذى نشره فى ٢٢ — ١ — ١٩٤٥ ، هاجم الصحافة القائمة على الربح لاعلى المصلحة العامة فى توجيه وتنوير الراى العام «ومادامت الصحف ملكا لافراد او شركات وكان هدفها الاول هو الربح المادى فما اظن اننا نستطيع ان نرجو من ورائها خيرا كثيرا فى تكوين راى عام سليم . ان امثال هذه الصحف تقوض الجدية فى النفوس ، كما تفسد الاخلاق وتعود العقول الكسل» وفى مقاله **« اجور ام مساهمة فى الارباح »** (١٣) الذى نشر فى ٢١ — ٢ — ١٩٤٥ شن هجوما عنيفا على اسماعيل صدقى عندما لام الحكومة على رفعها مرتبات عمالها قال فيه : «لقد انتقد الباشا رفع الحكومة لمرتبات عمالها وراى فى ذلك خروجا على مبدا المساواة ، اذ اصبحوا يتقاضون اكثر مما يتقاضى عمال الشركات والافراد ، وعنده ان واجب الحكومة كان يقضى بان تحتفظ باجورهم فى مستوى منخفض لتتحقق المساواة وهذا هو المنطق الراسمالى العجيب .

«واما ان يطالب الشركات والافراد ، بان ينصفوا هم ايضا عمالهم لتتحقق المساواة فى الارتفاع لا فى الانخفاض ، فذلك ما يأباه الباشا» ويوضح فى اخر مقاله باننا «لسنا نشك فى ان النظام الطبيعى الذى ستنتهى اليه الانسانية فى بلادنا ، وغير بلادنا ، سيكون المساهمة فى الارباح» . وفى مقاله **«الراسمالية أم عدالة اجتماعيـــة »** (١٤) الذى نشره فى ٧—٣—١٩٤٥ أوضح ان المبادىء التى ندعو اليها الاشتراكية ، هى التى عناها بقوله «العدالة الاجتماعية» وفى ذلك يقول : «والاشتراكية بعد ، مذهب لا يخيف فى شىء ، وانما هى الدعايات التى شوهت مدلولها ، ومادمنا لانتعرض لحق الملكية الفردية فى شىء ، فنحن بعد ذلك فى حل من ان ندعو الى كافة المبادىء الانسانية الاخرى التى تدعو اليها الاشتراكية ، وليست هذه المبادىء الا ما اجملناه فى لفظة «العدالة الاجتماعية» وطرق تحقيقها واضحة .. ونحن نحارب الراسمالية عن ايمان اما العدالة الاجتماعية فندعو الى جوهرها» . ومن هذه الناحية فقد ارتبطت افكار مندور منذ البداية بمبادئه عن تحقيق العدالة الاجتماعية المتفقة مع جوهر الافكار الاشتراكية وبعداء واضح للراسمالية وسياساتها واهدافها . وقد سار هذا التفكير فى خط مطرد النمو حتى وجهت الثورة باجراءاتها الاقتصادية ضرباتها القاصمة للفئات الراسماليـــة المستغلة . وفى مقاله **«مشكلة الفلاح»** الذى نشر فى ١١—٤—١٩٤٥ ايد اقتراح محمد «بك» خطاب عضو مجلس الشيوخ بوضع حد اعلى للملكية الزراعية بـ ٥٠ فدانا كما طالب مندور باتمام تشريعات العمال والفلاحين وبوضع حد ادنى لاجورهم وتنظيم وسائل التامينات الاجتماعية التى تقيهم شر التعطل والشيخوخة والمرض وذل الاحسان . وفى مقاله **«حصن الاستعباد»** الذى نشره فى ١٦ — ٧ — ١٩٤٥ شن هجومه على البنك الاهلى «المصرى» بالاسم ، «الانجليزى» التابع لبنك انجلترا بالفعل ؟ وبحكم وجود السلطة الحقيقية فيه ، بيد محافظه الانجليزى وبيد جمعيته العمومية ذات الاغلبية الاجنبية . وطالب فى هذا المقال بانشاء بنك مركزى مصرى ، يكون له هو حق اصدار اوراق البنكنوت . وقد تحققت بالفعل احلام مندور بعد الثورة واصبح لدينا بنك مركزى ، كما اصبحت كل البنوك الاخرى تحت سيطرة الشعب تعمل لمصلحته ومن اجل تحقيق اهدافه .

وفى نفس الوقت الذى كان مندور يراس فيه تحرير «الوفد المصرى» ، عهد الى الاستاذ المحامى **زهير جرانة** ، برفع دعوى على جريدة «المصرى» وصاحبها محمود ابو الفتح ، مطالبا فيها بتعويض قدره ٥ الاف جنيه . وظلت هذه القضية منظورة فى المحاكم مايقرب من ٥ سنوات حكم له بعدها بالتعويض المطلوب .

ضد صحافة الانشاء والخطابية

لقد كان محمد مندور احد رواد الصحافة الذين جعلوا من المقالة الصحفية عملا موضوعيا يزخر بالافكار بعد ان كان صراخا خطابيا فارغا ، كان طليعيا فى تحويل المقالات السياسية من صياغة الانشاء الى نوع من التوعية العلمية الاجتماعية الثورية التى تستند الى الدرس والتحليل . كما جعل من الاقتصاد والسياسة مادة صحفية يقرؤها الناس مهما اختلفت ثقافاتهم ويتفهمونها وينفعلون بها ويتحمسون لها ، فيكون حماسهم عن فهم ووعى .

وكما كان مندور استاذا فى الجامعة ، فلقد كان كذلك استاذا

(١١) كتابات لم تنشر
(١٢) كتابات لم تنشر
(١٣) كتابات لم تنشر
(١٤) كتابات لم تنشر

في الحقل الصحفي . وطوال توليه رياسة تحرير بعض الصحف اليومية او المجلات الاسبوعية ، كان يجمع حوله باستمرار بعض الشباب المؤمل يعلمهم كيف يكتبون المقال السياسي مثلما كان يعلمهم في الجامعة كيف يكتبون النقد الادبي .

وفي البداية كان مندور يكاد يحرر جريدة « الوفد المصري » بمفرده ، لكنه جمع بعد ذلك حوله عددا من الشبان النابهين ، تلوا العمل كسكرتيرين له مثل الاساتذة : احمد رشدي صالح ، وسعد لبيب ، وأنور كامل ، ومصطفى كامل منيب . وكان قسم الترجمة في الجريدة يضم الاساتذة عبد الحميد الحديدي ، وابو سيف يوسف، وابراهيم نوار، ورسلان البنبي وغيرهم.

لقد فضح محمد مندور بضمير وطني وشعبي حي ، عمليات الاثراء الفاحش على حساب الشعب المصري من الشركات ومجالس ادارتها . واصدر مجلة «الطليعة» الاشتراكية داعيا فيها الى العدل الاجتماعي .

ونشر في «الوفد المصري» سلسلة من البراويز ، كلف الاستاذ مصطفى منيب باعدادها ، واعتمد في كتابتها على تقرير سنوي كانت تصدره الجاليات الاجنبية في مصر باللغة الفرنسية بعنوان «حولية الشركات» ويتضمن ملخصات لميزانيات الشركات، والمرتبات التي كان يتقاضاها اعضاء مجالس الادارات ، وقد تناموا باستخراج المكافآت التي كان يتقاضاها كل باشا من الباشوات من الشركات العديدة التي يعمل في ادارتها، وكشفت الاحصاءات عن حقائق مذهلة ، منها ان بعضهم مثل حافظ عفيفي ، وحسين سري ، كان يبلغ مجموع مكافآت كل منهم ، ما يزيد على المائة الف جنيه سنويا ، من مجالس عشرات الشركات . وكل يوم كانوا ينشرون اسم واحد من هؤلاء الباشوات ثم قائمة بالشركات التي يعمل عضوا بمجالس ادارتها ، وامام كل شركة مقدار المكافأة التي يتقاضاها منها، ثم مجموع هذه المكافآت. ويتساءلون بعد ذلك عن العمل والجهد الذي يبذله كل منهم في هذه الشركات مع انه لا يمكن ان يمر عليها كلها حتى مجرد مرور ولو مرة كل اسبوع .

تطوير الوفد من الداخل

مالبثت جريدة «الوفد المصري» ان اصبحت مركزا لحركة تقدمية داخل حزب الوفد نفسه ، رغم معارضة باشواته . وقد حولها مندور الى مايشبه المنشور اليومي الثوري ، ووصل فيها بالمعارضة السياسية الصلبة الى ابعد الحدود ، وحسبما يقول هو : « جعلت منها سوط عذاب على الانجليز والسراي واذنابهما من الاقليات،التي لم يكن لها هم سوى التربص للحكم ومغانمه».

على انه اذا كان مندور قد عاد من أوربا ووجد الاحزاب المصرية على الحال التي أوضحناها من قبل ، دون «قضية وطنية»، ودون«مسألة مصرية» ،ومجردة من كل برنامج اجتماعي واضح يبرر بقاءها ، فان تلك الحقيقة لم تكن واضحة حينذاك بنفس الصفاء الذي يتجلى الان ، ولا نستطيع ان نقول ، بل لم يحدث وقتها ان اعلن مندور يأسه من الاحزاب ونبذه لطريقها في الكفاح السياسي. يقول من تلك الفترة(١٥):«احسست عندئذ بان اقرب الاحزاب السياسية القائمة عندئذ من الشعب، هو حزب «الوفد المصري» وخيل الى انني استطيع تطوير هذا الحزب من داخله ، بتأثير كتاباتي الثورية بين جماهير الشعب العريضة ، وذلك مع تدعيم المشاعر الوطنية بقيم فكرية تستطيع ان تصمد مع الزمن ، والا تنطفيء وشيكا كما تنطفيء الثورات العاطفية » .

وفي تلك الفترة ،مثل مندور وعزيز فهمي اتجاها تقدميا داخل الوفد . ولم يكن بوسع العناصر الاقطاعية والرجعية داخل الوفد ، ان تترك مندور يمارس نشاطه التقدمي داخل الحزب ، فبداوا يتآمرون ضده ويكيدون له ، وليس هناك ابلغ من مندور نفسه في تصوير حملة العناصر الرجعية في الوفد ضده : «وبالرغم من عدم مهاجمتي لباشوات الوفد ، فقد أحسست بحركة تذمر ضدي بين الجناح الاقطاعي اليميني في الحزب ، في الوقت الذي اصبحت فيه الجريدة مكان تجمع لما عرف وقتئذ بالطليعة الوفدية ، والشباب الوفدي التقدمي الذي يبدو انه كان يضم عددا من الشيوعيين ، ولكنني على اية حال ، لم يكن لي في يوم من الايام اتصال بالحزب الشيوعي ومنظماته . واذا كنت وضعت بين شعارات جريدة «الوفد المصري » التي كانت تنشر تحت عنوانها كل يوم شعار «العدالة الاجتماعية ، فقد كنت مدفوعا في ذلك بنزعة اصلاحية خالصة ، كانت تدعوني الى مناصرة العدل بين المواطنين ، وتقريب المسافة بين الثراء الفاحش والفقر المدقع الذي كانت تتردى فيه الملايين».

« كل ذلك سبب لي متاعب كثيرة ، واشعل نار حرب خفية ضدي في جناح الباشوات الاقطاعيين المسيطرين على الحزب آنذاك، وعلمت اخيرا (١٦) ان بعض هؤلاء الباشوات كان يحرض الشبان الوفديين على الانفضاض من حولي ، بل ومحاربتي ، في الوقت الذي كنت احمل فيه مسئولية المعارضة كلها ، وذهبت بسبب كتاباتي الى الحبس الاحتياطي ما يقرب من عشرين مرة فيما بين عامي ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ » .

والحقيقة ان تجربة مندور داخل الوفد ، لا تكتسب اهميتها من مجرد دلالتها الجزئية الخاصة ، بقدر ما تكتسبه من دلالتها التاريخية العامة ، التي تكشف لنا عن عدم توافر امكانيات حقيقية لتطوير الاحزاب المصرية من داخلها في اتجاه اكثر تقدما بسبب التكتلات الرجعية التي تجمعت في قمة هذه الاحزاب والفساد السياسي الذي ضرب اطنابه داخلها ، هذا مع العلم بأن مندور خاض تجربته مع حزب الوفد ، الذي كان بالقياس الى الاحزاب الرجعية الاخرى ، اكثر جماهيرية واقترابا نسبيا من تبني بعض المطالب الجماهيرية العامة .

على انه اذا كان مندور لم يستطع ان يحقق عملية تطوير الوفد من داخله ، فبلا ادنى شك كان نشاطه التقدمي داخل هذا الحزب عاملا من عوامل مد كثير من العناصر الوطنية التقدمية والثورية ، بالطاقة والحماس للعمل الوطني في ظروف بالغة الاظلام . يقول مندور في مقالة كتبها بروز اليوسف في ١٤ — ١٢ — ١٩٦٤ وقبل وفاته بشهور قليلة : « وبالرغم من ان كفاحي داخل الوفد ، لم يكلل بالانتصار، لسيطرة الرجعيين الاقطاعيين والراسماليين على هذا الحزب الشعبي الكبير ، الا انني غير نادم على خوض تلك المعركة واعتبر انني لم افقدها بل استطعت من خلالها ، ان احقق مكاسب سياسية واجتماعية ثورية لها اهميتها في المد الثوري الذي اخذ يتزايد حتى تحقق النصر النهائي بفضل ضباطنا الاحرار في سنة ١٩٥٢

سجون صدقي

في ٩ فبراير ١٩٤٦ ، وقعت مجزرة كوبري عباس المشهور التي ادت الى سقوط حكم السعديين وتولى اسماعيل صدقي رئاسة الحكومة . وفي ١٧ فبراير تكونت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال في مدرج كلية الطب بجامعة القاهرة . وسجل مندور ذلك في مقال كتبها في ١ — ٣ — ١٩٤٦ بعنوان «الحدث خطير اتصال المثقفين بالعمال (١٧) .

وبعد ان تظاهر صدقي في البداية بالمسكنة والتقرب من الشعب

---

(١٥) لماذا اشتغلت بالسياسة ؟ — محمد مندور مقال نشر بروز اليوسف ٦٤/١٢/١٤
(١٦) كتابات لم تنشر (١٧) نفس المرجع

اخذ بعد فترة يكشف عن وجهه الحقيقي ، وكان يتعجل استئناف المفاوضات مع بريطانيا وتوقيع اتفاقية صدقي ــ بيفن ، وهنا تجمعت القوى الوطنية الشعبية لمواجهة هذه المؤامرة الجديدة على الاستقلال .

وفى هذه المعركة ارتفع قلم الدكتور مندور مدويا ، فاضحا ، محذرا ، داعيا الى المقاومة . ولم تقتصر كتاباته حينذاك على كشف اخطار هذه المؤامرة ، وانما راح يكشف كذلك حقيقة السياسة الاستغلالية البشعة التى راح صدقي يتبعها خدمة لمصالح كبار الراسماليين المصريين . وفى مقاله «السياسة الراسمالية » (١٨) الذى نشره فى ١٧–٣–١٩٤٦ فضح سياسة صدقي التى ادعت عزمها على رفع مستوى معيشة الشعب لحسب من طريق تنمية الانتاج ، دون ادنى اشارة لمشكلة توزيع الثروة . وفضح مشروع صدقي حينذاك بعقد قرض وطنى بمبلغ ٥٠ مليونا من الجنيهات ادعى صدقي استخدامه لمحاربة الفقر والمرض والجهل ، بينما كان يبغى فى الحقيقة ارضاء الراسماليين المصريين عن طريقه بفتح باب لاستثمار اموالهم . وفى هذا المقال يقول مندور كاشفا سياسة الحكومة **«لو ان حكومة صدقي باشا ، كانت حكومة ديموقراطية حقا وارادت ان تعالج الفقر والمرض والجهل ، واعوزها المال اللازم لذلك لاقدمت فورا على تغيير نظامنا الحالى وفرض ضرائب تصاعدية جديدة تستطيع ان تحصل بها ، لا على ٥٠ مليونا بل على ١٠٠ مليون دون ارهاق حقيقى لكبار الاثرياء الظالمين »** .

وفى ختام مقالة يتوجه لهم قائلا : **« اذا كانت هناك نصيحة نستطيع أن نسديها الى صدقي باشا واخوانه الراسماليين ، فهى ان يسايروا الزمن ويعرفوا بان الشعب، اذ لم يعد يطيق الاستعمار الخارجى ، فهو من باب اولى لن يصبر على الاستعمار الداخلى الذى يمس قوته وحياته اليومية عن قرب»**.

وفى مقاله « اس الفساد » (١٩) الذى نشر فى ١٧ – ٤ – ١٩٤٦ ، هاجم موقف صدقي وسابا حبشي ضد المشروع بقانون الذى تقدم به أحد النواب ، بتحديد عضوية الباشوات الوزراء السابقين فى ٥ شركات فقط ورياسة شركتين. كما هاجم معارضتهما لتأسيس بنك صناعى يمول الشركات عند انشائها ، فاضحا مقاصدهم فى اتاحة الفرصة «للباشوات» المولين لتأسيس مايريدون من شركات . كذلك فضح اتفاقية الطيران التى كان يتجه صدقي لعقدها والتى كانت تسعى بها بريطانيا لان تقتل شركة مصر للطيران ، كما فضح تراجع حكومة صدقي عن مجانية التعليم ، ذلك انه بعد ان كانت المجانية قد بلغت نسبتها ٤٠٪ عادت الى مايقرب من ١٠٪ فحسب .

وعندما أعلنت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، الاحتفال يوم ١١ يوليو وهو ذكرى ضرب الاسكندرية ليتجدد فيه النضال الوطنى وليحتشد فيه الشعب ضد معاهدة صدقي ــ بيفن ، قرر صدقي ان يعجل بضربته . وفى يوم ١٠ يوليو سنة ١٩٤٦ شن حملة واسعة من الاعتقالات ، شملت عددا كبيرا من الصحفيين والكتاب المناضلين كان على رأسهم **محمد مندور وسلامة موسى ومحمد زكي عبد القادر ، واحمد رشدى صالح، وعبد الرحمن الشرقاوى ، وعبد العظيم انيس ونعمان عاشور** وعشرات غيرهم واغلق حوالى ١٢ جريدة ومجلة فى ليلة واحدة .

وكان من الصحف التى اغلقها صدقي ، جريدة «الوفد المصرى» ومجلة «البعث». الاسبوعية التى كان يصدرها مندور بما ادخره من مكافآته. وتكشف لنا قصته مع هذه المجلة ، عن دأبه وتفانيه المنقطعى النظير خدمة للقضية التى كرس حياته من أجلها ، كان مندور يحرر هذه المجلة مع عدد من الكتاب الشبان الذين كان يدفع لهم اجورا زهيدة ، وكان بعد ان يجمع موادها يحملها بنفسه الى مطبعة «الرغائب» فى شارع محمد على ، حيث يسهر الليل كله حتى تجمع المقالات ويصححها ، ثم تطبع المجلة ويسلمها بنفسه للباعة والمتعهدين ، ثم يمر عليهم بعد ذلك فى شوارع القاهرة يفتش على التوزيع، كل ذلك دون ان ينال اى قسط من النوم أو الراحة .

رفض الخيانة وسفارة سويسرا

والحقيقة انه لم يلق القبض على مندور ، الا بعد ان رفض « الرشوة » التى حاولها معه صدقي عندما ارسل اليه وزير ماليته **عبد الرحمن البيلى** ليخبره بلسان الملك ورئيس الوزراء ان معاهدة «صدقي ــ بيفن» ستوقع اراد ام لم يرد ، وانه لا جدوى من معارضته ، وانه من الخير له ان يريح ويستريح بأن يقبل منصب سفير مصر فى سويسرا، فاجابه مندور بأنه يفضل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية .

وقد قبض عليه بعد ذلك، وشنت «أخبار اليوم» حملة عليه، وهى التى قاضاها مندور بسببها وكسب القضية. وحدث اثناء نظر القضية ان طلب رئيس المحكمة اسماعيل صدقي ــ وكان قد خرج من الحكم ــ ليدلى بشهادته ، فقال اسماعيل صدقي، ان المباحث كانت قد رفعت اليه تقريرا يفيد، ان مندور يعمل وسيطا بين الوفد والكومنترن، اى الشيوعية الدولية، ولكنه تبين بعد ذلك ان هذا التقرير لم يكن صحيحا، كما اعترف بأنه هو الذى ارسل بهذا الخبر الى «اخبار اليوم» .

وعلى ذلك فقد حكمت المحكمة بادانة «اخبار اليوم» وبغرامة على صاحبها وبتعويض مدنى لمندور قدره الفا جنيه، خفض فى الاستئناف الى ٥٠٠ جنيه ، واشادت المحكمة بوطنيته واخلاصه ودفاعه الصادق عن بلاده .

ان روعة الصفحة النضالية التى خطتها حياة محمد مندور، لا تكمن فحسب، فى مجرد المغزى الذى انطوت عليه حياة الرجل ذاتها، بقدر ما اسفرت عنه ايضا من كشف لمكامن الروح النضالية فى ابناء الشعب عامة . يقول مندور (٢٠) **«وبالرغم من كل هذه الاهوال التى تعرضت لها فاننى لا استطيع الا ان اثنى على وطنية شعبنا بمختلف طوائفه، فقد كان جميع ابناء الشعب الشرفاء متضامنين معى فيما احسست ، بما فى ذلك رجال البوليس انفسهم، الذين حرصوا على ان يوفروا لى فى السجن اكبر قسط من الراحة، معرضين انفسهم بذلك للاخطار، فكانوا يحملون لى الغذاء والصحف من الخارج، بل لقد مكنونى من كتابة مقالات ضد صدقي والسراى والانجليز من داخل السجن ، وحملوها للجريدة فنشرتها ، مما كاد يطيح بصواب الحكومة الظالمة القائمة وقتذاك، وتسبب ذلك فى نقل بعض رجال البوليس، وتشريد بعضهم الاخر»**

ورغم ذلك ساومت قيادة الوفد بتحريض من جماعة الباشوات الرجعيين داخله، الذين راوا فى قلم مندور خطرا يهددهم ويهدد ثرواتهم الضخمة، ساومت على قلم مندور. وقبل الوفد ان يتعهد لحكومة صدقي بعدم اسناد رياسة تحرير «الوفد المصرى» له فى مقابل ان تعطيهم الحكومة رخصة جريدة جديدة اسموها «صوت الامة» . ولكن الشعب استطاع بعد قليل ان يسقط حكومة اسماعيل صدقي وان يوقف مفاوضاته مع الانجليز. وبسقوطه تمكن مندور من ان يتولى رياسة تحرير «صوت الامة» وواصل فيها كفاحه ضد الاستعمار والاستبداد واحتكار رأس المال الاجنبى والوطنى لكل ثروات البلاد .

وقد نبهته هذه الازمة التى واجهته داخل حزب الوفد، الى ضرورة الاعتماد على نفسه والاستقلال بحياته المادية عن الحزب والمسيطرين عليه، فقرر فى اوائل عام ١٩٤٨ ان يقيد نفسه فى نقابة المحامين وان ينتفع بدراسته للقانون فى مزاولة مهنة المحاماة، وقد بلغ حينذاك مبلغا كبيرا من الرخاء المادى برغم حرصه على شرف مهنة المحاماة .

الحياد ومصالح مصر

وقد ظل صوت مندور عاليا بالتوعية والتنبيه والتنديد والكشف خلال سنوات سنة ١٩٤٨ ، وسنة ١٩٤٩ لكل مناورات الاستعمار

---

(١٨) نفس المرجع

(١٩) نفس المرجع

(٢٠) عشرة ادباء يتحدثون لفؤاد دوارة

وخيانات الرجعية والسراى، وفى ٨ ــ ٢ ــ ١٩٤٨ كشف فى مقاله «**ارتفاع اسعار القطن اكبر شاهد على ان الحياد هــو المحقق لمصالح مصر**»(٢١)، الاكاذيب الاستعمارية التى استهدفت جذب الشعوب العربية الى شباك الدفاع المشترك عن طريق تخويفها بحرب خيالية مع الشيوعية وغزوها لبلاد الشرق الاوسط. كتب مندور حينذاك يقول : « **هذه الحملات لا بد من تحطيمها ، لانها حملات مجرمة مفرضة، ولن ترهبنا اراجيف ولا دسائس عن ان نهتك سترها ونحرقها بنار الايمان.. اننا نرفض التحالف مع انجلترا والدفاع المشترك، لاننا نريد استرداد سيادتنا الخارجية كاملة، ولان السنين الطويلة الماضية علمتنا ان هذا التحالف ليس الا الحماية بعينها... انه بمجرد ان فتحنا باب التنافس بين الدول المختلفة على قطننا، دون ان تثنينا عن ذلك صيحات المجرمين الذين يحاربون بلادنا باسم الشيوعية والروسية وما الى ذلك من اراجيف مفرضة، ارتفعت اسعار محصولنا الاساسى هــذا الارتفاع العظيم... ان فى هذه الحادثة الدليل القاطع من الناحية الاقتصادية على ان سياسة الحياد ومعاملة الجميع هى التى تحقق مصالح بلادنا، كما ان نفس الحياد هو الذى سيحقق من الناحية السياسية استقلالنا الحقيقى**» . وهكذا كان مــندور بوضوح ، داعيا الى كثير من الخطوات الاساسية الهامة التى اتخذتها حكومة الثورة لتحقيق استقلالنا السياسى والاقتصادى بنجاح .

وقد واصل مندور فى نفس الوقت، الكتابة والاشراف على تحرير جريدة «صوت الامة» حتى هزمت حكومات الاقليات هزيمة مطلقة، واضطر الملك الى التسليم بضرورة اجراء انتخابات جديدة تشرف عليها حكومة محايدة برياسة حسين سرى ، وتولى الدكتور محمد هاشم وزارة الداخلية التى اجرت الانتخابات، وطلب مندور من الوفد ترشيحه لدائرة السكاكينى. وفعلا جرت الانتخابات وفاز فيها فوزا ساحقا، ودخل البرلمان عضوا فيه لاول وآخر مرة عام ١٩٥٠. وكانت حكومة الوفد قد اعدت مذكرة وقتذاك لتعيينه وكيلا لوزارة الشئون الاجتماعية مع وزيرها الدكتور احمد حسين. ولكن احدا لم يفاتح مندور فى ذلك: ويقول فى هذه المسألة «**لو فاتحونى لكان من المؤكد ان ارفض مفضلا الاستمرار فى تمثيل الشعــب بمجلس النواب، والاستمرار فى عملى الصحفى، وعملى المستقل الناجح فى المحاماة، وان كان القدر قد اعترض سبيلى لسوء الحظ**» . اذ لم يكد يمضى عام ١٩٥٠ على عضويته فى مجلس النواب ورئاسته للجنة التعليم وعضويته للجنة المالية حتى فوجىء بمرض داهم فى عينيه فسافر الى لندن للعلاج. ولكنه عاد ليشارك فى الجهود التى بذلت داخل حزب الوفد لالغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ ومعاهدة السودان سنة ١٨٩٩ ، ويقف الى جانب الشعب فى المرحلة الثورية الجديدة، مرحلة انهاء عهد المفاوضات والدخول فى كفاح مسلح ضد جيوش الاحتلال عام ١٩٥١ .

لكن الانجليز والسراى دبرا بعد ذلك حريق القاهرة، تآمرا على هذه المعركة ، فسقطت حكومة الوفد ، وحل البرلمان وتقلبت على البلاد خلال بضعة اشهر سلسلة وزارات من صنع السراى ، حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو امتدادا لكفاح الشعب ، ووضعت حدا لسيطرة الانجليز والسراى معا على مقدرات البلاد.

المرحلة الثــانيــة
من ١٩٥٢ الى ١٩٦٥

وبينما تركز اغلب كفاح مندور السياسى فى المرحلة الاولى . فقد استغرقه العمل الادبى والفنى فى الاساس طوال المرحلة الثانية . لقد رست سفينة المثقف الثورى محمد مندور ، على انه لم يتوقف قطمن النضال فى سبيل الافكار التقدمية وقضايا العدل الاجتماعى ، وانما وجد فى الثورة تجسيدا حقيقيا للاهداف التى كافح وسجن من اجلها . فاخذ يسهم فى تاييدها وتدعيم قيمها واشاعة مبادئها . وقد كان محمد مندور بالفعل من اسبق المبشرين بين طوائف المثقفين جميعا باصالة ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وبذورها الوطنية التقدمية الواضحة . وتجلت للجميع انطلاقاته المديدة فى مجال تاكيد اهمية الخطوات الاولى للثورة فى مجال الاصلاح الزراعى ثم فى مجال النضال الوطنى لتحقيق الجلاء ثم فى مجال الصراع العام للقضاء على الاستغلال الراسمالى .

وعلى الرغم من ان المرحلة الثانية شهدت صدور معظم مؤلفاته الادبية والنقدية ، الا انه اصدر فى بدايتها وفى ديسمبر سنة ١٩٥٢ كتابه فى «**الديموقراطية السياسية**» الذى افتتحت به مجموعة من المثقفين الوطنيين سلسلة «كتاب المواطن» التى تررت اصدارها .

ولهذا الكتاب اهميته الخاصة فى الكشف من مدى تغلغل التفكير الديموقراطى الليبرالى فى عقلية مندور السياسية حتى ذلك الوقت . وقد اوضح فيه ان فشل النظام النيابى منذ انشىء فى مصر سنة ١٩٢٤ لايرجع الى فساد ذلك النظام فى ذاته ، وانما يرجع الى وجود السيطرة الاستعمارية من جهة والاستبداد الملكى من جهة اخرى . واعتبر فيه تعدد الاحزاب ضرورة ملازمة للديموقراطية السياسية . واوضح الى ص٣١ : «**ان اطلاق حرية التفكير السياسى سيؤدى الى قيام الاحزاب على اساس من المبادىء والمذاهب والافكار وبذلك ينفى العيب الملاحظ على احزابنا الحاليه ، من قيامها على العنصر الشخصى فهذا العيب انما نشا ، لان مجال التفكير السياسى كان محددا محصورا**» .

والحقيقة ان الموقف من الحزبية والاحزاب لم يكن واضحا عند سائر المثقفين فى عام ١٩٥٢ بالجلاء البين الان . ليس ذلك فحسب ، بل ان الاستفتاء الذى اجرته مجلة « المصور » فى يوليو سنة ١٩٥٥ بين عشرة الاف مصرى ، ليحددوا رايهم فى نظام الحكم بعد فترة الانتقال ، قد كشف عن مدى ارتباط الليبرالية بالديموقراطية فى اذهان جانب اساسى من الراى العام المصرى حينذاك ، فالذين ايدوا قيام حياة برلمانية تستند لاكثر من حــزبين كانوا ٩١ر١٥٪ من الاصــوات ، والذين ايدوا استنادها الى حزبين كانوا ٤ر١٪ والى حزب واحد ١ر٢٥٪ والذين وقفوا الى جانب حياة برلمانية لاتستند لاحزاب كانت نسبتهم ٥ر٣٪ . كذلك فقد كان الحديث لايزال حتى سنة ١٩٥٧ جاريا حول اقامة احزاب ونظام حزبى فى بلادنا .

على ان القارىء لكتاب الديموقراطية السياسية يحس بان مندور قد ردد ارائه حول امكانية قيام حزبية مصرية على اساس مبدأى جديد(٢٢)، وهو متاثر بنضال العناصر التقدمية فى بعض التنظيمات السياسية المصرية ، وليس بالهيكل العام الفاسد للمنظمات الحزبية المصرية السابقة على ثورة يوليو . وهى نفس النظرة التى نظرت بها كثير من الاحزاب التقدمية واحزاب اليسار فى بعض البلدان المستقلة حديثا ، من القضية التى اثيرت بينها وبين القيادات الثورية الجديدة فى هذه البلدان ، قضية استبدال النظام الحزبى القديم القائم على تعدد الاحزاب مابين الرجعى المتطرف واليسارى المتطرف ، بنظام الحزب الثورى الواحد الذى يجمع فى داخله كل المناضلين من اجل التغيير الاجتماعى والتقدم ، هذه النظرة نبعت اساسا من ثقة هذه الاحزاب فى تقدمية اهدافها وعدالتها ، وثقتها فى اخلاص مناضليها الوطنى التقدمى بالاضافة الى اعتزازها بتراثها الذاتى ونضالها . على ان وجهة النظر هذه ، سوف تصبح فيما يتعلق باحتياجات التطور العام نظرة ذاتية تعتمد على فكرة النمو الذاتى للقوى التقدمية بالطريق التقليدى طارحة من اعتبارها الامكانيات التنظيمية والسياسية الجديدة التى جاءت بها فكرة اقامة حزب ثورى واحد جامع .

(٢١) كتابات لم تنشر

(٢٢) حديث الرئيس عبد الناصر مع مجلة بليتز الهندية سنة ١٩٥٧

وقد فضح مندور فى هذا الكتاب ايضا انتهازية السياسيين الذين كانوا يسمون انفسهم قبل قيام الثورة «بالمستقلين» والذين كانوا يحاولون فى حقيقة الامر ان يكونوا على صلة طيبة بكافة الاحزاب ، ثم بصلة اكثر طيبة بالسراى والملك . حفزه الى ذلك محاولتهم الانتهازية لركوب الاتجاه الثورى الجديد الذى قام يعارض الحزبية الرجعية واقامة حياة سياسية جديدة نظيفة .

وفى عام ١٩٥٤ اغلق مندور مكتب المحاماة وانصرف الى التدريس بمعهد الصحافة ، ثم بقسم الصحافة بجامعة القاهرة منذ انشائهما لتدريس مادة النحرير الصحفى ، والنقد الادبى بفروعه ، كما انصرف الى الكتابة فى الصحافة ، فكتب فى جريدة « الجمهورية » منذ انشائها ، وفى جريدة « الشعب » حتى اغلقت ، ثم عاد ثانية الى «الجمهورية» بالاضافة الى كتابته فى عدد من المجلات الادبية الاخرى ، ورئاسته لتحرير مجلة « الشرق » .

والحقيقة ان انصراف مندور عن الحياة الحزبية المصرية لم يتم ميكانيكيا عام ١٩٥٢ بالتحديد ، وانما قبل ذلك بسنتين . فمنذ عام ١٩٥٠ نجده يبدأ فى الانسحاب من خضمها الفاسد وهو اكثر الناس مقتا لقياداتها الرجعية ، واتجه منذ ذلك التاريخ اكثر فاكثر الى مجالات التعبير الثقافى ليرسى دعائم الادب المصرى على اسس ثورية حقيقية .

مندور الى الصفوف الاولى كواحد من اوائل الكتاب الوطنيين المعادين للاستعمار ... وعندما صدرت اجراءات يوليو الثورية عبر مندور بحماس عن تاييده لها وواصل نضاله الادبى مفكرا وفنانا .

مندور وحركة السلام

وقد كافح الدكتور مندور من اجل السلام . ولم يكن كفاحه عارضا مسايرا للجو العام ، بل كفاح يمتد الى سنوات ماقبل الثورة حين كانت الدعوة الى السلام تذهب بصاحبها الى السجون وتعرضه للقهر والارهاب . كان يؤمن بالسلام عن وعى وعمق ويربطه بمقاومة الاستعمار وبالعدالة الاجتماعية ، وحين اصبحت الدعوة الى السلام حركة منظمة ترتبط بالزحف العالمى لهذا الهدف الانسانى النبيل ، لم يتردد مندور فى الالتحاق بهذه الحركة رغم ماابداه حزب الوفد من امتعاض بسبب ذلك وكان مندور من اول الموقعين على ميثاق استوكهولم عام ١٩٤٩ ، كما كان من ابرز مؤسسى حركة السلام المصرية ثم اصبح عضوا بمجلس السلام العالمى .

وقد قرر المجلس القومى للسلام بمصر فى ٢٩ مايو سنة ١٩٦٥ وبعد وفاته ، انشاء ميداليتين ذهبيتين تحملان اسمه — وفاء له — احداهما للادب والاخرى للفن ، كى تقدما سنويا لاعظم الاعمال الادبية والفنية خدمة للانسانية والسلام .

التنظيم السياسى

لقد استمر فكر مندور السياسى النير ، يرسل ومضاته حتى آخر كلمة كتبها . ففى آخر مقال كتبه بروزاليوسف (٢٣) فى ٢٤ — ٥ — ١٩٦٥ وضع يديه على احد العوامل الاساسية ان لم يكن اكثرها اساسية فى الاونة الاخيرة بالنسبة لضمان نجاح الثورة واستمرار تقدمها ، حين قال : «ان التنظيم السياسى الذى تحدث عنه الميثاق كدينمو للاتحاد الاشتراكى ، هذا التنظيم هو وحده الذى سيستطيع ، اذا نجحنا فى تكوينه ان يميز بين الحق والباطل ، والنصح والغش والصدق والكذب فى مجالات السياسة والادارة والاجتماع والاخلاق» .

وبعد :

لم يكن من الصدفة ان شيع جيل الكتاب والمناضلين الذين قاربوا الاربعين او شارفوها بقليل ، محمد مندور بكل هذا الحب والاعزاز . ذلك انهم شيعوا فيه جزءا من ذاتهم عزيزا ، شيعوا فيه الامثولة المشرقة بالنضال الايجابى الدائب يوم عمت مصر السلبيات ، شيعوا فى هذا الاستاذ الاكاديمى الفذ والدارس العميق ، روعة الاتضاع خدمة لامال الشعوب التى لا تنتهى ، شيعوا فيه العقل والقلم والنضال والانسان الذى التف وتفاعل وتعلم منه الاف من المثقفين فى مصر والوطن العربى على مدى جيلين كاملين .

القسم الثالث

مندور أديبا وناقدا

ثلاث مراحل رئيسية مرت بها حياة مندور الادبية والنقدية ، الا ان المرحلة الاولى قد سبقتها مجموعة من الارهاصات التى عاشها فى الجامعة فقد التحق مندور بكليتى الحقوق والاداب معا منذ عام ١٩٢٥ وهو العام الذى تحولت فيه الجامعة الى مؤسسة تابعة للدولة بعد ان كانت مؤسسة أهلية ... وقبل حصوله على درجة الليسانس من كلية الاداب اجرى قسم اللغة العربية عام ١٩٢٨ مسابقة عن الموازنة بين جرير والفرزدق وذى الرمة والاخطل ... وقد فاز مندور حينذاك بالجائزة الاولى عن بحثه الذى بلور فى الدفاع عن «ذى الرمة» . وربما كان الدكتور طه حسين هو أول من صاغ التحول الحقيقى فى نظرة مندور الى الادب والنقد عندما لفته الى اهمية المناهج الغربية فى دراسة الادب وتذوقه ، وبخاصة المنهج الفرنسى القائم على النقد الموضعى . ولعله سمع عن سانت بيف وتين وبرونتيير ، لاول مرة ، من محاضرات طه حسين . ولكنه سمع أيضا فى ذلك الوقت ، وخارج جدران الجامعة ، عن لسنج وكتابه الشهير «لاوكون» فى كتاب المازنى «حصاد الهشيم» حيث اراد ان يطبق

(٢٢) المثقفون وازمات الضمير — محمد مندور .

منهج لسنج على ابن الرومى . وقد افاد من احمد امين آنذاك ماأسماه بدقة القاضى وعدله حيث يلتزم الناقد بايراد الحيثيات المفصلة قبل صدور الاحكام الحاسمة . غير أن الفترة التى قضاها فى الجامعة بين ١٩٢٥ و ١٩٢٩ (الاداب) و ١٩٣٠ (الحقوق) كانت بمثابة المقدمة التمهيدية التى تعرف خلالها على الاساتذة الاجانب من امثال الايطالى نللينو الذى درس على يديه تاريخ اليمن وماقبل التاريخ ، والايطالى الاخر جويدى الصغير الذى درس عليه فقه اللغة وعلم الانسان ، وليتمان الالمانى الذى درس بواسطته تاريخ الشرق الاوسط والقديم .

. تلك هى المقدمة الثقافية الاولى فى حياة مندور ،اما مرحلة التكوين الحقيقية فهى تلك التى قضاها فى ربوع أوروبا مابين ١٩٣٠ و ١٩٣٩ ، حيث التحق بجامعة السوربون فى فرنسا ، فتعلم تاريخ الادب الفرنسى فى القرن الثامن عشر على دانيال مورنو الذى لم يرفض المنهج التأثرى تحت رقابة العقل والثقافة العامة . كما تعلم على أمستر وسكى تاريخ الادب الفرنسى فى القرن الماضى على أساس أن التذوق هو الزاوية الرئيسية فى التقييم النقدى .

واذا كان التفات مندور الى الدراسات اليونانية أو اليونانيات بشكل عام قد بدأ على يدى طه حسين فى الجامعة المصرية ، فان السوربون أصقلت لديه هذا الاتجاه . بالاضافة الى ماعمقته فى واعيته من الاصول العقلية للثورة الفرنسية والبحث عن هذه الاصول فى التاريخ الواقعى للشعب لامن كتب المفكرين والادباء وبعد مضى تسع سنوات قضاها مندور بين اسوار الجامعة ومتاحف باريس ومسارحها وانتقاض اليونان الاقدمين فى بلاد الاوليمب، عاد الى مصرلتكون اولى كلماته أن الادب أدق وأرهف واعمق من أن نخطط له طرقه ((الادب شيىء غير دقيق بطبيعته ، ومحاولة اخذه بالمعادلات جناية عليه . الادب مفارقات ، ونقد الادب وضع مستمر للمشاكل الجزئية» فقديكون جماله فى تنكير اسم او نظم جملة او كبت احساس أو خلق صورة او التاليف بين العناصر الموسيقية فى اللغة . ولقد يخلو من كثير من العناصر التى نعددها كالخيال والعاطفة وما اليها ، ومع ذلك يروقنا لصياغته او سذاجته » كما جاء فى الميزان الجديد (الطبعة الثالثة ص ١٧٧)

النقد النظرى

لم يكن الطريق ممهدا امام الدكتور مندور حين اختار ان يستقرىء نظرية الادب فى اطارين رئيسيين هما : فنون الادب المختلفة ، ومذاهبه المتعددة . فقد ظلت مناقشة قضايا الفكر فى ادبنا الحديث أو القديم مجرد مناقشات جزئية لافتقاد القضية المطروحة للبحث الى معيار علمى دقيق . كما أن تاريخنا الادبى المدون لم يرتفع الى مستوى الوثائق الامينة المدروسة من المحاولات القديمة البدائية والمحاولات الاجنبية الحديثة على ايدى المستشرقين . وقد اختار الدكتور مندور ان يتلمس بدايات الطريق الشاق ، الطريق الذى يحاول جاهدا اكتشاف مسارنا الادبى الخاص مستخلصا النظرية العامة فى الادب من الملامح القومية لادبنا وحضارتنا فى اتصالهما الوثيق بآداب العالم وحضارته . لذلك ينال درجة الدكتوراه بعد عودته الى مصر فى النقد العربى القديم . وهى الرسالة التى صدرت فى كتابه المعروف باسم ((النقد المنهجى عند العرب)) وهو دراسة علمية للتراث النقدى فى اللغة العربية ، وقد خاض مندور منذ عودته الى مصر العديد من المعارك حول الادب والنقد بدأها عام ١٩٤٠ فى مجلتى الرسالة والثقافة ، حيث ناقش كلا من العقاد وسيد قطب والكرملى حول الشعر المهجرى والشعر المهموس لغير المهجريين وشعر ابى العلاء . كما ناقش محمد خلف الله احمد حول المنهج النفسى فى الدراسة الادبية . وكان كتابه «فى الميزان الجديد» هو الحصاد الاول لتلك المعارك الباكرة . ويعتبر هذان الكتابان «النقد المنهجى» و «الميزان» من اهم انتاج المرحلة الاولى فى حياته النقدية .

المرحلة الاولى

لاحظ مندور فى ذلك الوقت ان الشعر العربى، رغم طغيان التقليد عليه ، قد تطور — على الاقل فى خصائص صياغته — تطورا كبيرا «حتى انتهى الى ذلك التصنع اللفظى الذى احاله عبثا مجردا من كل قيمة انسانية حقة» (الادب ومذاهبه ص ٣٣ من ط ٣) ، ولاحظ ايضا ان التطورات التى طرأت على مجرى الشعر العربى لم تكون ما يمكن تسميته بالاتجاهات والمذاهب ثم يرى ان اللغة العربية لم تعرف المذاهب الادبية الحقة ، الا مع ظروف الانبعاث الحديث ، عن مدارس الادب الغربى فى مختلف عصوره ، ويدرك منذ البداية ان ثمة فروقا جوهرية بين تطورنا الادبى والحضارى العام ، وتطور الغرب فى أدبه وحضارته معا . لهذا يتحدد موقفه الخاص من نظريه الادب على ضوء هذه الفروق اولا ، ثم على ضوء الاستقرار الذاتى لمشكلات الادب العامة فى كل زمان ومكان . الا ان عماد تلك المرحلة من مراحل تطور مندور هو المنهج الجمالى القائم على الانطباعة الذاتية والتأثر الشخصى . ولايسرف مندور فى اعتماده على هذا المنهج لانه مقتنع فى ذلك الحين بأن الذوق الشخصى لابد ان يستند على اساس متين من المعرفة العقلية . فهو الذوق المدرب على قراءة عيون الادب الخالدة ، وهو خلاصة الرواسب المتبقية من هذه الدربة وما يصاحبها من معاناه ترتفع الى مستوى الخلق والابداع . وذلك لانه ((اذا كانت دراسة الادب فى نهاية الامر هى تذوق النصوص فانه لاغنى لمن يريد ذلك التذوق من ان يتأكد اولا من صحه النص الذى امامه ، ومن استقامة وزنه وكيفية تلك الاستقامة ان كان شعرا)) كما جاء فى الميزان الجديد (ص ٦) . وقد كان مندور حريصا على تصور هذا المنهج الجمالى فى ضوء بعيد عن الاستعانة بالدراسات النفسية أو الاجتماعية او التاريخية ، بالرغم من اعترافه لها بأنها من أدوات التثقيف العامة للناقد وغير الناقد الا انها بالقطع ليست من ادوات النقد الادبى . بهذا الفهم لدور الادب والنقد أوضح مندور منهجه ضد التعميم (ص ١٢٦ من نفس المرجع) حين فرق بين وظيفة الادب الشديدة الفردية ، ووظائف بقية العلوم الانسانية التى تميل بطبيعتها الى التعميم . فخامة الادب هى النفس الانسانية فى ادق خلجاتها التى لا تتشابه مع اية نفس انسانية اخرى . اما بقية العلوم الانسانية والاجتماعية والتاريخية فان مجال بحثها ليس هو الوحدات المفردة ، وانما هو الشرائح الجماعية حتى علم النفس الفردى ، وعلم النفس التحليلى كلاهما يميل الى وجه التشابه فالتعميم ، من هنا لا يحق للناقد — عند مندور — ان يتخذ موقف عالم النفس او الاجتماع أو المؤرخ اذ أن مهمته على النقيض منهم هى استقصاء الملامح الذاتية والخصائص المفردة لهذا العمل الفنى .ومن ثم يرفض مندور عنصر المقارنة فى النقد الادبى الذى يؤدى الى جمع اوجه التشابه ولا يرفض حين يؤدى الى تحديد الفوارق . فاذا تصدى فى تلك المرحلة لتقييم ابى العلاء — على سبيل المثال — لم يهمل الفهم العام لنفسية ابى العلاء وظروفه التاريخية . فالنقد التاريخى تمهيد للنقد الادبى ، تمهيد لازم ولكن لايجوز أن نقف عنده والا كنا كمن يجمع المواد الاولية ثم لايقيم البناء . فالمواد الاولية ليست كلها عناصر أصيلة فى نفس الفنان ، وانما هى تجمع الى جانب العناصر الاصيلة عناصر اخرى مكتسبة من البيئة والعصر ، ولكنها تلتحم بنفسية الفنان التحاما حيا عميقا . وهذه الوحدة النفسية هى التى يستقطرها الفنان فى عمله الفنى فيمس بناء متكاملا لاتميز فيه بين الاصل الاجتماعى او التاريخى ، وانما سبيلك الى جوهره هو التذوق الجمالى المدرب .

وهكذا يمكن تحديد الاطار المنهجى للمرحلة الاولى فى حياة مندور النقدية فى نقطتين :

الاولى ان النقد هو الدراسة الموضعية للنص الادبى ،وبذلك يصبح الاداة الوحيدة لتمييز الاساليب المختلفة ، فيضع الاشكال لكل لفظة ، ومتى اتضحت معالم المشكلة التى تثيرها حلت على

الفور ، لان الصعوبة الحقيقية كامنة في القدرة على رؤية المشاكل. لهذا كان النقدالادبى بمثابة «وضع مستمر للمشاكل» (ص ١٦٢ من الميزان الجديد) .

والنقطة الثانية هى أن النقد لايدخل اذن فى اختصاصات علم الجمال او علم النفس ولا الى أى علم آخر ، وانما هو الذوق كملكة غير ضبابية أو غيبية او مبهمة ، وانما هى حصيلة التأثرات الواعية واللاواعية ، او هى رواسب العقل الخفى التى يمكن صقلها بالمران المستمر .

المرحلة الثانيـــــة

وتبدأ هذه المرحلة حوالى عام ١٩٤٩ حين صدر كتابه الهام **«فى الادب والنقد»** فهو على الرغم من ابقائه على الايمان بالدور الشخصى للذوق والتأثرلان «الجمال بطبعه لايقين له» ولان **«التفكير القاعدى فى الادب خليق بان يقود الى التحكم»** يحاول أن يوسع من الاستعانة بروح العلم لانها حسب تعبيره روح أخلاقية تدفع الناقد الى استقصاء التفاصيل ، وبناء حكمه على ما جمع من معلومات وثيقة ، وتسبيب الحكم بالحجج العقلية . والمنهج التاريخى فى هذه المرحلة الجديدة نسبيايصبح عند مندور مفيدا من حيث أنه يحيط الناقد بمجموع ما الف الكاتب فيأتى حكمه اقرب الى الصواب والشمول ، ويطور من مفهومه للنقد اللغوى ، فيقول أن اللغة حقا خلق فنى مستقل ، ولكن الثروة اللغوية الحقيقيةتقاس بالثروةالفكرية والعاطفية التىاستطاعت تلك اللغة أن تعبر عنها ، واسلوب الكاتب عادة يمزج بين الفكر والاحساس . ولايشك مندور فى أن الكاتب مع بداية تحوله الجديد فى أن الكاتب مادام أنسانا وليس آلة راصدة فانه يضمن عمله الفنى باحكام وبغير مباشرة أو تقرير ، موقفه من العالم حوله مهما كان هذا الموقف أخلاقيا . ويلخص العلاقة بين الادب والاخلاق بأن الاتجاه العام فى الاداب يسير نحو أمرين : فهم النفس البشرية وتحليلها ، وخلق الجمال وتهذيب النفوس بفضله **«وأما الوعظ والارشاد فذلك ماأثبت الزمن فشله»** على أن هذه الحقيقة لاتنفى حقيقة أخرى أكثر اهمية هى الوظيفة الاجتماعية للادب . ويخيل الى أن هذه القضية كانت نقطة التحول الفكرى الاولى فى كيان مندور وموقفه من نظرية النقد فهو يعلن (فى ص ٣٧ من نفس الكتاب) أن ادراك العلاقة بين معنويات الحياة وماديانها ، ووعى الفرد بما فيه من رعوس ، يؤدى الى تفهم وظيفة الادب الاجتماعية « من حيث أن محرك لارادة الشعوب والذى لاشك فيه ان الحركات الكبيرة التى قامت فى التاريخ الحديث كالثورة الفرنسية ووحدة ايطاليا وثورة روسيا البلشفية ، قد مهد لها الكتاب بعملهم فى النفس البشرية تمهيدا لم يكن من الممكن أن تقوم بدونه هذه الحركات» تلك هى نقطة التحول الاولى والخطيرة التى أعلنها كتاب مندور فى ذلك الوقت الحرج من تاريخ مصر . ولعل اشتراكه فى العمل السياسى المباشر الى جانب الحزب الممثل لامال الشعب عندئذ هو الذى اكسب نظرته الجمالية هذه الدلالة الاجتماعية ، واذا كان يخيل الى أن تطور مندور سياسيا فى موازاة تطور النضال الثورى فى مجتمعنا ، هو المصدر الاساسى والحاسم لما طرأ على نظرته النقدية من تطورات ، فاننا نرجح سببا آخر لهذه الظاهرة ، لا يقل عن ذلك العامل الاول اصالة . ونعنى بهذلك التفاعل الحى العميق بين حصيلة مندور من نظرية النقد الاوروبى والعربى ، وبين المرحلة الحضارية التى كنا نجتازها منذ بداية عصر النهضة الحديثة . ويتبين لنا مدى الاثر الذى أحدثته لقاءات مندور مع الثقافة الاشتراكية حين يقرر بالحرف **«..ولكن زيارتى للعالم الاشتراكى جعلتنى اتبين حقيقة هذا العالم وما يضطرب فيه من نظريات كانت غامضة فى ذهنى أشد الغموض . ومن بين هذه النظريات نظرية الواقعية بهذا المعنى الجديد الذى يلوح الى منافيا او على الاقل مجانبا لحقائق الناس والاشياء»** ويعترف بأن ما تلقاه منذ ربع قرن على كبار اساتذته فى الجامعات من تعاريف النقد واتجاهاته ومذاهبه **«قد تخطاه الزمن نتيجة لدفعة الحياة واحداثها الكبرى»** ويستطرد فى الاعتراف قائلا أنه لاسبيل الى أنكار الدور الخلاق لمذاهب الفكر والسياسة والاجتماع فى بلورة الاتجاه الصحيح للنقد الادبى . ولم يكن مندور مسايرا للظروف بشكل آلى ، وأنما كان ثائرا أصيلا يخضع حصيلته من الفكر والحياة معا موضع التجربة التى تحتمل الصواب والخطأ .

المرحلة الثـــــالثة

وبالمنهج التجريبى وحده — لابالمقدمات النظرية المسبقة — وصل مندور الى أبواب المرحلة الثالثة والاخيرة فى حياته النقدية **مرحلة الواقعية الاشتراكية** غير أن هذه الواقعية أتخذت عنده سمات خاصة يتميز بها وتتلاءم مع تاريخه الخاص وخبراته الذاتية فى حقل الادب ، فهو يتساءل : هل من حق الناقد أن يصادر العمل المنقود بمجموعة من القوالب الفكرية الجاهزة أم أنه يستغرق فى التذوق الجمالى البحت لدرجة العمى عن الروابط المتينة بين الادب والحياة ؟ ويجيب بما يفهم منه أن العمل الادبى ليس كائنا ميتا فيزيقيا معلقا فى الهواء ، بل ثمة وشائج تربط بينه وبين الحياة بصورة دينامية هى التفاعل الحى بين الاخذ والعطاء ولذلك يتحتم على الناقد أن يرصد مكان العمل الادبى من الحركة الادبية والحركة الانسانية على السواء . وعليه أن يحرص أشد الحرص على استخدام الادوات البعيدة عن منابر الوعظ والارشاد فى استقصاء مكان الكاتب من حركة التاريخ ، وموقفه من المجتمع والانسان . ولن يتم ذلك بمجموعة من المقولات الفلسفية الجاهزة ، وانما يكشف العناصر المكونة للعمل الادبى بدءا من اختيار الكاتب لموضوعه الى الزاوية التى اختارها لمعالجة هذا الموضوع . فاذا وضعنا اليد على عنصر الاختيار الفنى وزاوية التصوير أمكن لنا ان نحدد اتجاه السهم فى موقف الفنان الفكرى بأدوات فنية خالصة . فالادوات الفنية القديمة كانت قاصرة على اكتشاف ظواهر الشكل وجانبه السطحى وقد حان الوقت لان نستبدل بها أدوات قادرة على استيعاب الشكل والمضمون فى وحدة متكاملة . وقد صاغ مندور موقفه الاخير من نظرية النقد فى أحد فصول كتابه **«النقد والنقاد المعاصرين»** الذى صدر قبيل وفاته بعام واحد . ففى هذا الفصل وعنوانه **«النقد الايديولوجى»** يرى أنه على الناقد أن يصدر حكمه على العمل الادبى فى اطاره الاجتماعى وموضعه التاريخى ودوره العقائدى . ويتضح لنا من أصول هذا المنهج أن مندور قد أحتفظ من مراحل تطوره السابقة بما تحتويه من قيم ايجابية وعناصر لا غنى عنها. احتفظ من المرحلة الاولى بحاسة الذوق المدرب ، ومن المرحلة الوسطى بالمعرفة العقلية كاداة لتحليل مصادر الذوق .. ثم اضاف ماتنطوى عليه المرحلة الجديدة من التزام ايديولوجى ازاء المجتمع ، فهو لم يهمل عنصرا واحدا من العناصر التى ينفرد بها أحد الاتجاهات الرئيسية فى النقد الحديث . وقد كان هذا التكوين الخاص لمحمد مندور بمثابة العامل الاول فى أوجه الاختلاف بينه وبين بقية النقاد الواقعيين فلم ينزلق قط الى مستوى أستخدام الكلشيهات الجاهزة التى تقتل النقد والادب معا بتجميدها فى اطر الشعارات السطحية الساذجة .

النقـــد التطبيقى

يتميز أدب الدكتور مندور بخصيصة جوهرية ، هى أن نقده النظرى لم ينفصل قط من نقده التطبيقى ، فنراه دائما يختبر ادواته النظرية بالتجربة العملية على الواقع التطبيقى . ومن ثم تغتنى الاسس الفكرية لمنهجه النقدى بكل ما يضيفه الواقع الجديد من معطيات جديدة . ولقد كتب مندور فى الشعر والقصة والمسرح الا أن الملاحظة الاولى هى اهتمامه شبه المتخصص

فى الشعر والمسرح . ففى الشعر كتب مؤلفه الكبير «الشعر المصرى بعد شوقى» بأجزائه الثلاثة ، كما ألف كتابا مستقلا عن كل من خليل مطران واسماعيل صبرى وابراهيم المازنى وولى الدين يكن .. بالاضافة الى كتيب صغير حول «فن الشعر»

ويكاد ان يكون كتابه عن خليل مطران ، أن يكون أكثر هذه الكتب استيعابا لمنهجه فى نقد الشعر . فى هذا الكتاب يخطط رحلته مع شعر مطران هكذا : ● وضع الاساس النظرى ثم تطبيق القاعدة — ● الانطباع التأثرى مع الوصف الخارجى للشكل — ● «الحكم» على العمل الفنى — ● عنصر المقارنة مع الشعر العربى والشعر الاوروبى — ● الكشف عن الجذور الفنية بمناقشة أولى قصائد الشاعر لتبين طبيعة تكوينه الاول . هذه هى النقاط الرئيسية التى يستنيرها فى رؤية مطران شاعرا ، فيقول أن طبيعة خليل مطران النفسية لم تسمح لحياته وآرائه وعواطفه بأن تظهر سافرة فى شعره ، وان كنا نستطيع أن نستنتج بطريق غير مباشر بعض هذه الحقائق التى حرص على تنكيرها واول تلك الحقائق هى عروبة الشاعر ، وثانيها هى غريزة المهاجرة ، والثالثة هى انتماؤه لاسرة كاثوليكيه . ثم يعرج الى «مقومات فنه» فنضع ايدينا على انطباعية مندور حين يستخدم تعبيرات مثل «فأى رومانتكية أعمق» و «أية قوة فى هذه المناجاة» ثم نضع أيدينا على ميله الحاد الى وصف الشكل الخارجى فنراه يستشهد باحدى القصائد قائلا أنها قصيدة وجدانية قوية ، ولكن وجدانية خليل مطران تغاير ما ألفه الشاعر المغربى فى وجدانياته ، وذلك لانها مركبة لا تصدر عن عاطفة موحدة تنبثق من القلب مباشرة بل تمتزج بالخيال الشعرى ويسيطر الفكر على صياغتها «والواقع أن طبيعة مطران الشعرية تستند الى الخيال أكثر من استنادها الى الاحساس المباشر ، فالخيال هو الذى يثير عاطفته فى قصائده القصصية والدراماتيكية التى تغلب على ديوانه ، حيث نراه يتصور المواقف والاحداث والشخصيات ثم ينفعل بما تصور ، ولكن لايترك لخياله ولا لعاطفته العنان مطلقا ، بل يخضعها لعقله وتفكيره ، ويظهر هذا المجهود الارادى فى الصناعة » (ص ٢١) ويعرض لاحدى القضايا الهامة فى شعر مطران ، وهى قضية شعره القصصى هل هو يدخل فى باب الملاحم والدراما ، وبذلك يكون قد أضاف الى التراث العربى شيئا جديدا ، أم أنه لم يخرج على تقاليد هذا التراث ؟ يقول مندور انه يرى فيما أقدم على كتابة مطران من شعر قصصى «جديدا» يضاف الى التراث ، لانه وثيق الصلة بفن الملاحم ولم يقصد فيه الى فخر او غزل او مدح بل يقصد الى القصص فى ذاته كفن جميل خالص من كل هدف شخصى او ارتباط بحياة الشاعر أو شخصيته ، كما أننا فى راى مندور نستطيع أن نميز فى قصائد مطران القصصية مايدخل فى باب الدراما «ولعل (الجنين الشهيد) و (طفلان) و (فنجان قهوة) من خير قصائد شعر الدراما التى نظمها مطران وجمع فيها خصائص هذا الفن من حركة وصراع وتصوير للشخصيات وكشف عن دوافع النفوس وخفاياها »

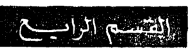
وقد وقف مندور الى جانب قضية الشعر الجديد ، مواكب المجموعات الشعرية الجديد مواكبة حارة صادقة بذل فيها من النضج والتوجيه ما كان عاملا من عوامل التقدم والازدهار لهذا الشعر . وربما تختلف الان بالنسبة للكثير من الاحكام التى اطلقها مندور على بعض الشعراء ، وربما لانرى ما رآه من اضافات عند هذا الشاعر او ذاك الا أنه يبقى بعد ذلك كونه الناقد الوحيد الذى انصرف بجدية وعمق الى تقييم الشعر العربى المعاصر تقييما دؤوبا على متابعة أحدث منجزات النقد الاوروبى فى تقييم الشعر واستكشاف القيم الباقية فى تراثنا القديم .

وقد الف مندور خمسة كتب فى المسرح هى «المسرح» و «المسرح النثرى» و « مسرح توفيق الحكيم » و « مسرحيات شوقى » و «مسرحيات عزيز اباظة» . كذلك فانه تابع المسرح المصرى والغربى متابعة جادة صبورة . وهو فى هذه الدراسات جميعها مثال الناقد الذى يجمع بين الحرص على كمال الشكل الفنى وسلامة المضمون الايديولوجى ، هو يأخذ بيد الكتاب الشباب فيقول عن مسرحية «طيور الحب» ان الاسلوب القصصى الذى عرفنا به عبد الله الطوخى قد نضج فى مسرحيته هذه التى تعتبر أول انتاج له فى هذا الفن ، وذلك لاننا أحسسنا بوضوح ان المؤلف قد كان موجودا دائما فى مسرحيته ، وأنه قد استخدم الحوار لتحليل شخصياته تحليلا مباشرا أكثر من استخدامه لهذا الحوار كما جرى العرف الدرامى فى توليد الحركه المسرحية وتركه المواقف والاحداث توحى للمشاهدين بابعاد شخصياته» ويحاول ان يكشف الجديد فى المسرح المحلى ويدعمه فيكتب عن «عيله الدوغرى» انها من فن «الاوتشرك» وأن نعمان عاشور قد أتم بها ثلاثيته التى صور فيها المجتمع المصرى بطبقاته الثلاث وسط أحداث الحياة العامة والخاصة «ومع ذلك لست أدرى لماذا ينشىء نعمان كالفريق (بالست دراما) مع أن موهبته الحقيقية قد هدته الى كشف صورة جديدة بالنسبة لادبنا المصرى فى فن المسرح » ، ويعد مندور من أبرز نقادنا الذين يعتبهم «تطور» المؤلف المسرحى فلا يفصلون بين مرحلة وأخرى ، أو بين عمل وآخر . يقول وهو بصدد نقده لمسرحية «القضية» : «أذكر أننى قد وصفت مسرحية لطفى الخولى الاولى وهى قهوة الملوك بأنها مسرحية شخصيات لنجاحها فى تقديم نماذج بشرية فى حين لاحظت تفككا فى بنائها الدرامى فاننى الاحظ هذه المرة — على العكس — أن مسرحية القضية قد جاءت أكثر سلامة فى بنائها الدرامى منها نجاحا فى تصوير الشخصيات وتحديد ابعادها على نحو دقيق مقنع» . وهو يرصد الظواهر السلبية فى الحركة المصرية حتى تتحول منها الى الايجابيات المفيدة فى عملية البناء تحت عنوان «طوفان مسرحة القصص» كتب مندور محذرا من ان فرقنا المسرحية تقبل القصص الممسرحة بدافع تجارى فى الغالب ، وهو الحرص على الاستفادة المادية من شهرة تلك القصص وشهرة أسماء كاتبيها دون الاهتمام بالناحية الفنية والانسانية الخالصة «فبعض القصص التى مسرحت هذا الموسم لايصلح اطلاقا للمسرحة» . ولعل الملاحظة الرئيسية على النقد المسرحى عند مندور انه ليس من اولئك النقاد الذين يكتفون من الظاهرة المسرحية بالنص الادبى ، وانما يأخذون فى الاعتبار الى جانب الكلمة المكتوبة ، كافة العناصر المكونة للعمل المسرحى كالاخراج والتمثيل والديكور والاضاءة وغيرها من العناصر اى انه يرى المسرح كظاهرة فنية مركبة كالسينما تتآزر فيها مجموعة مختلفة من الفنون ، لا ظاهرة «بسيطة» كالعمل الادبى المكتوب .

وبالرغم من أن الدكتور مندور لم يكن متخصصا فى النقد القصصى ، الا ان مساهماته فى هذا الباب تعد تدعيما مباشرا للاتجاهات الجديدة فى هذا الفن ، خاصة الواقعية منها . وقد كان كتابه «نماذج بشرية» من المحاولات الجادة فى التعرف على أحد عناصر البناء القصصى والدرامى ، وهو عنصر «الشخصية الفنية» وفى هذا الصدد يقرر مندور مبداين فى العمل القصصى هما : أن الوصف فى القصة لا يقصد لذاته بل لاداء وظيفة قصصية معينة كالقاء ضوء على بيئة القصة او المشاركة فى تفسير سلوك احدى الشخصيات على نحو مافعل فلوبير مثلا عند وصف نعومة الطبيعة المحيطة ببطلة قصته « مدام بوفارى » ، عندما تآمرت على تلك النعومة مع اغراء الكونت المنحل على سقوط أما بوفارى بين براثنه .. والمبدأ الثانى هو أن الاسلوب الفنى فى الوصف القصصى يجب أن يقوم على الاختيار لا الاستقصاء بمعنى أن الكاتب الفنان هو الذى يلمح القسمة المميزة للموصوف ويبرزها بلمسة فنية سريعة تاركا للقارىء اعمال خياله لاستكمال الصورة عن طريق الايحاء الناجح بفضل تلك اللمسة المختارة . وأما الاسهاب والاستقصاء فانه يصيب العنصر القصصى بالبطء والركود والاخلال ، كما أنه يضع القارىء فى موضع سلبى عقيم مضن « وفى رأيى أن التزام الكاتب القصصى لهذين المبدأين البالغى الوضوح والبساطة يمكن ان يقيه شر اخطاء كثيرة فى فنه قد تخرج بهذا الفن من خياله الحقيقى الى مجال الوثائق الاجتماعية او ماسميته بمحاضر المعاينة أو بتقارير الباحثين الاجتماعيين وما شابهها مما لايمت الى الفن بصلة وثيقة » .

وعلى ضوء هذا المنهج عالج مندور عشرات المجموعات القصصية بالنقد والتحليل ، كما عالج الكثير من القضايا العامة فى فن القصة القصيرة والرواية . الا أنه ظل الى آخر حياته وفيا مخلصا لفن المسرح والشعر . والى جانب ذلك لم يكف لحظة واحدة عن التصدى للمشكلات الفكرية العامة »

ولم تنفصل حياة مندور العملية عن حياته الفكرية ، فكان عضوا بالمجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، يتخذ دائما موقف المبادرة الثورية فى كل ما يتصل حياة الفكر والادب والفن ، وسوف تظل مواقفه فى كافة المؤتمرات الادبية التى اشترك فيها ، وفى مختلف السياحات الفنية التى جال خلالها ربوع العالم ، سجلا رفيعا لكاتب وفنان كانت مهمته الوحيدة فى دنيانا هى تمجيد الانسان .



نصـــوص وبيـــانات

النصـــوص

« الهمس فى الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوى هو الذى يهمس فتحس صوته خارجا من اعماق نفسه فى نغمات حارة ، ولكنه د الخطابة التى تغلب على شعرنا فتفسده ، اذ تبعد به عن النفس ، عن الصدق ، عن الدنو من القلوب » الهمس ليس معناه الارتجال فيتغنى الطبع فى غير جهد ولا احكام صناعة ، وانما هو احساس بتأثير عناصر اللغة واستخدام تلك العناصر فى تحريك النفوس وشفائها مما تجد . وهذا فى الغالب لايكون من الشاعر عن وعى بما يفعل وانما هى غريزته المستنيرة مازال به حتى يقع على مايريد» الهمس ليس معناه قصر الادب او الشعر على المشاعر الشخصية ، فالاديب الانسانى يحدثك عن اى شىء يهمس به فيثير فؤادك ، ولو كان موضوع حديثه ملابسات لاتمت اليك بسبب ».

من مقال «الشعر المهموس» من كتاب « فى الميزان الجـديد » ص ٦٩ الطبعـة الثالثة نشرت اول مرة فى مجلة الثقافة سنة ١٩٤٣.

●

« وماذا يذكر امين مشرق من امه ؟ يذكر فتات الحياة التى عرف كبار الشعراء كيف يلتقطونها بأنامل ورعة. يذكر يديها اللطيفتين الناعمتين ، ووقع قدميها الصغيرتين حول سريره . يذكر «فسطانها» المتيق وبيتهم الصغير المنفرد . ومن قبل ماحز فى نفس «كوبر» ان كانت امه تخف الى مهده فى ظلام الليل تغطيه خوفا من ان يصيبه برد . هذه التفاصيل الصغيرة هى التى تحركنا ، لانها نسيج الحياة . نسيجها الحقيقى . وبهذه التوافه عبر الموهوبون من الادباء عن اكبر المشاعر . وموضع الاعجاز هو ان نقول الاشياء الكبيرة بألفاظ صغيرة ولانحسبن ان هذا امر هين ، فليس اشق من ان نلاحظ مانراه كل يوم

من مقال «النثر المهموس» من كتاب « فى الميزان الجديد» ص٦٩ الطبعة الثالثة نشرت اول مرة فى مجلة الثقافة سنة ١٩٤٣

●

« فيجارو روح خالدة لانها كقوى الطبيعة التى لاتدفع » فيجارو من روح الله لانه رمز الشعب ، ذلك الشعب الخامل الذكر المهضوم الحق ، ذلك الشعب الذى لايريد ان يستجدى احدا ، وانما يطالب بحقوق لابد ان ينالها يوما ما ، ذلك الشعب الذى يشكو من نظام فاسد لابد ان يقيم على انقاضه نظاما اصلح »

من مقال عن «فيجارو» نشر بمجلة «الثقافة» سنة ١٩٤١ وجمع فى كتاب «نماذج بشرية» الطبعة الثالثة من «دار المعرفة» ص ٤٣

●

« وموضع الخطر هو ان نحسب ان مذاهب الغرب كما هى صالحة لبلادنا مضمونة النجاح فيها . ثم ان كل تفكير انشائى لابد مصطدم بالكثير من حقائق الواقع عندما تستجيب له النفوس خذ فى تطبيقه »

من مقال « التفكير المذهبى » . نشر فى مجلة الثقافة ١٩٤٤/١٠/٢١ واعيد نشره بكتـــاب «كتابات لم تنشر» من سلسلة كتاب الهلال.

●

« والامر فى حياتنا الثقافيه مثله كمثل حياتنا السياسية والاجتماعية سواء بسواء ، فمن الناس نفر كثير لايزال يزج بالنعرات القومية والدينية فى مجال الثقافة ليتلف علينا حياتنا من جهل ، فنسمع مقابلات عجيبة بين روحية الشرق ومادية الغرب ، كأن الغرب لاروح فيه والشرق لامادة به. والمشكلة الحقيقية ليست مشكلة ثقافة الشرق وثقافة الغرب وانما هى مشكلة الثقافة والجهل » .

نفس المقال السابق

●

« الاستهتار ضرب من اليأس والرهبة من الحياة وعدم السيطرة عليها ، وذلك لان الأمل والاقبال على الحياة وروح الاستبشار خليقة بان تعطى لكل شىء قيمة وان تدعو الى الاهتمام بكل امر ، كما تشحذ الهمة وتثير النشاط وتخلص العزم من الكسل لذى يمن فى كل استهتار نفسى . الاستهتار

الذى يأتى للفتى ، ولهذا اليأس اسبابه التى تلعب فيهمسا الحياة الاجتماعية الدور الاول ، ولكنه ايضا انعدام النظام العقلى، وتلك ظاهرة رها فساد التربية وفساد التعليم معا»

من مقال عن «الاستهتار» نشر بجريدة الاهرام ١٩٥٠/٨/٢٩ ونشر مرة اخرى ص ١٢٩ فى كتاب «كتابات لم تنشر» من سلسلة كتاب الهلال

●

« فى العصور القديمة كان العمل من اختصاص العبيد ، واما المواطنون فكانوا يرون عارا ان يزاول احدهم بنفسه زراعة او صناعة ، وقد اثقلت هذه النظرة تاريخ الانسانية، وجاهد المفكرون وطلائع البشر فى رفع هذا الثقل قرونا طوالا وبالرغم من ان الانسانية قد اجتمعت كلماتها على الغاء الرق ـ فان العمل لايزال ينظر اليه الى اليوم نظرة لاتتفق مع قيمته الحقيقية من حيث انه منبع الثروة الوحيد .. فانت تستطيع ان تملأ خزائنك بالمال ، وتترك هذا المال بالخزائن طوال السنين ثم ترى انه لم يلد شيئا ، وانما المنتج كد الرجال »

نشرت فى مجلة «الثقافة» ٤٤/٨/٢٨ من مقال بعنوان «العمالية الفكرية» اعيد نشره فى كتاب «مقالات لم تنشر » ص ٤٦ من سلسلة كتاب الهلال .

●

« ليست هناك هيئة اجتماعية تستحق الاحترام اذا لم يقدس فيها الفكر . وهذا الفكر هو القوة التى نسيطر بها لاعلى النفوس فحسب ، بل على المادة ايضا .. وانه لمن غريب الامر الا نرى ببلادنا الى اليوم قانونا يحمى الملكية الادبية والفنية ، ولانقابات للمقليين الذين يزاولون النشاط الحر والثقافة غير المهنية »

نفس المقال السابق

●

« مبدأ الاقتصاد الموجه يقوم على تدخل الدولة فى الانتاج وذلك عن طريق التشريع ، وهو الزم مايكون فى اعقاب الحروب الكبيرة ، وانت عندما تثقل بالضرائب من اثرى بغير وجه مشروع لاتظلمه بل تنتصف للامة منه لانك عند النسر الاخلاقى الصحيح لاتستطيع ان تسميه الا مختلسا . وانت عندما تنتصف للعامل من صاحب راس المال ، وللمستهلك من المنتج وللمريض من الصحيح وللجاهل من المتعلم لاتعتدى على احد وانما ترغم المقصر على اداء واجبه عندما تنعدم قيادة الضمير»

من مقال « التوازن الاجتماعى » نشر بمجلة «الثقافة» فى ٤٤/٩/١١ واعيد نشره فى كتاب «مقالات لم تنشر» ص ٥٢ من سلسلة كتاب الهلال .

●

« لا يابنى ، ليس هناك عقل جماعى كما زعمت او زعم لك دركايم ، وانما هناك عقل فردى ، هناك ارادة حرة ، ارادة يجب ان تستيقظ فى قلوب امثالك فتهدم الصخر . لايابنى ليس هناك جبر تمليه قوانين مزعومة، وانما هناك نشاط حر ، نشاط لايعرف اليأس . وكم احزننى من شاب مثلك ان يقول بقيام قوانين تقف دون ارادة هذه الامة التى انت احد افرادها فتردها عن اهدافها القومية » .

من مقال « مكافحة الشكلية » نشر بمجلة « الثقافة » ٤٤/٩/٢٥ واعيد نشره بكتاب « مقالات لم تنشر » ص ٥٨ فى سلسلة كتاب الهلال .

« الضريبة مساهمة فى الحياة العامة وتبرع اجبارى من الفرد للهيئة الاجتماعية التى ينتمى اليها ، واساسها الحق ليس الخدمة المقدمة للفرد وانما هو تحقيق العدالة الاجتماعية، وذلك . الغنى انما يثرى من جهد الفقير ، والعمل هو منبع الثروات » .

من مقال بعنوان «خطوة جديدة نحو العدالة الاجتماعية » نشرت ١٩٤٤/٤/١٥ بجريدة «المصرى» واعيد نشرها فى «كتابات لم تنشر» من سلسلة كتاب الهلال .

●

« وعندما يكون المرء فى قبضة غيره ، والحاجة الى الكفاف من العيش تلاحقه كيف تريد ان يكون حر الراى»

« والاجتماعيون لاريب يسرهم ان يزيد الدخل العام للامة وهم ليسوا من خصوم الصناعة ، ولكنهم سيحرصون على ان تكون وسائل الانتاج ملكا للامة جميعا ، ولو بطريق التساهم لالفرد من الافراد ، وذلك لانهم لن يستطيعوا صبرا على التفاوت القائم اليوم .. واذا كتب للاجتماعيين الغلبة فلن يتركوا مشكلة توزيع الثروة .. »

من مقال « الراى العام » نشرت بمجلة « الثقافة » ٤٥/١/٢٢ واعيد نشره ص ١٦٩ فى « كتابات لم تنشر » من سلسلة كتاب الهلال

●

« والاساس العام لحل مشكلة الفقر فى البلاد هو العدالة فى تمكين مختلف الافراد من وسائل الانتاج ..

« ان الحل الطبيعى لمشكلة الفقر فى البلاد سيحتاج بلاريب الى استغلال اتم لمصادر ثروتنا ، وتنمية لانتاجنا العام ،ولكنه ايضا متعلق اشد التعلق بمشكلة التوزيع ، ولهذا لانستطيع الا ان نؤيد الاقتراح الذى تقدم به الشيخ المحترم محمد خطاب الى المجلس لوضع حد اعلى للملكية ، كما اننا لازلنا نطالب باتمام تشريعات العمال والفلاحين بوضع حد ادنى لاجورهم وتنظيم وسائل التأمينات الاجتماعية التى تقيهم شر التعطل والشيخوخة والمرض وذل الاحسان .. ثم اننا قلنا ونكرر انه لم تعد فى بلاد العالم المتمدين امم لاتأخذ اليوم فى نظمها المالية بمبدأ التصاعد فى الضريبة غير مصر ، وهذا المبدا هو الذى سيمكن الحكومة من ان تنمى مواردها لتنهض بمرافق هذا الشعب المسكين .. وثمة ضريبة التركات وهى الضريبة الوحيدة التى تتناول راس المال باعادة التوزيع ، فلماذا لانقرر فى نسب تصاعدية كافية لاعادة توزيع الملكية فى بلاد لايستند فيها حق الملكية تاريخيا الى كسب الانسان وعرق جبينه »

من مقال « مشكلة الفلاح » نشر ٤٥/٤/١١ بجريدة «الوفد المصرى» واعيد نشره فى « كتابات لم تنشر »

●

« رأينا كيف انه قد صدر من وزير المالية المصرية ١٩٢٦ تصريح يجيز للبنك ان يصدر اوراق البنكنوت دون ان يحتفظ فى خزائنه بما يساوى نصف قيمتها ذهبا كما يقضى بذلك دكريتو تأسيسه الصادر سنة ١٨٩٨ وذلك اكتفاء بأن يكون الغطاء اذونات على الخزينة البريطانية ، ولقد بينا كيف ان هذا التصريح المشئوم قد ظل معمولا به الى الان فاستباح البنك لنفسه الحق فى قبول مايساوى ١١٠ مليونا من الجنيهات

اذونات على الخزينة البريطانية ، وبفضل هذا التصرف البرىء اعطى البنك لانجلترا ٣٥٠ مليون جنية مصرى اشترت بها من بلادنا ما ارادت وانفقت جنودها كما اشتهت ». ولقد يتساءل القارىء كيف ان الحكومات المتعاقبة لم تحاول ان تستخدم حقها المنصوص عليه فى دكريتو سنة ١٨٩٨ فتقف البنك عند حده وذلك بأن يرفض وزير المالية المصرية قبول اذونات الخزينة البريطانية كغطاء لاوراق نقدنا .. وعلى القارىء ان يسأل وزراء المالية المتعاقبين ن جواب لهذا السؤال المؤلم .

« واما السلطة الحقيقية فقد بقيت فى يد محافظ البنك الانجليزى من جهة وفى يد الجمعية العمومية التى لايمكن ان تتجه سياستها نحو مصلحة مصر الا عندما تكون اغلبيتها مصرية ..»

« ولقد كان الامر يهون بعض الشىء لو انه ترك لنا الحق المشروع فى ان نستولى على مايصل الى يدنا من عملات هذه البلاد (بلاد العملة الصعبة) لما نبيع لها من بضائع او نؤدى من خدمات او تنفقه قوات كالقوات الامريكية فى بلادنا من دولارات ، ولكن ـومة الانجليزية ابت ان تجردنا حتى من هذه العملات فوقعت مع مكرم باشا اتفاقا عجيبا هو اتفاق الاستيراد والعملة وبموجبه التزم رزير ماليتنا ان يقوم بعملية المحصل لبنك انجلترا واصدار اوامر عسكرية توجب على كل مصرى يصل اليه شىء من عملات البلاد التى ذكرناها ان يقدمها لوزارة المالية المصرية والوزارة تحولها الى البنك الاهلى والبنك الاهلى يحولها بدوره الى بنك انجلترا وفى مقابل كل هذا تعهد بنك انجلترا بأن يعطينا فى خلال سنة ١٩٤٥ من تلك العملات السليمة ما يساوى ١٥ مليونا من الجنيهات.

واليوم وقد مضى نصف العام نسأل اللجنة المالية بمجلس الشيوخ عن المبلغ الذى اعطى لنا بالفعل فاذا به لايتجاوز ٣٫٢٢٢٫٤٤٠ .. هل من الممكن ان نعرف مقدار المبالغ التى كانت مصر تستطيع ان تحصل عليها من معاملاتها مع تلك الدول ذات العملات السليمة لنعرف هل غبنا بتحديد انجلترا لها بمبلغ ١٥ مليونا من الجنيهات ام لا ؟

« والان وقد اتضحت تلك الاثار البعيدة التى نتجت عن جراء البنك الاهلى وضعف الحكومات المصرية واصبح من البين ان حياتنا الاقتصادية كلها مهددة أكبر تهديد فى الداخل وفى الخارج بتلك الكارثة يحق لنا ان نتساءل ماذا تنوى الحكومة المصرية ان تفعل ازاء هذا الحصن الاستعمارى الشنيع ؟

ثم متى يصبح لنا بنك مركزى ينقذنا من حصن الاستعمار الذى يسمونه البنك الاهلى المصرى »

من مقال بعنوان « حصن الاستعباد »نشر فى ١٦ ، ٤٥/٧/١٧ فى جريدة الوفد المصرى ثم نشر فى (كتابات لم تنشر)

« .. لان الفرد متى اصبح يدرك ادراكا واضحا ان لاخير فى الغاء الرق الخارجى اذا دام الرق الداخلى جاثما على صدره، وانه لاجدوى من ان يصبح الوطن عزيزا اذا ظل الفرد ذليلا، بل ان التخلص من الاستعمار نفسه ليس الا وسيلة لرفع مستوى الحياة بين طبقات الشعب وذلك بمنع الاجنبى من ان يستغل مصادر الثروة فى بلادنا . وليس بكاف ان ندافع عن قوتنا وقوت ابنائنا ومواطنينا ضد الاجنبى بل لابد من ان ندافع عنه ايضا ضد المستغلين من المصريين والاثرياء الجشعين حتى تتحقق العدالة بين الناس وتتاح الفرص لكافة المواهب ويفسح المجال لكل نشاط منتج ... والشىء الذى يستحق التسجيل هو ان هذا التفكير قد خرج من حيز الفكر والاحساس الى حيز العمل والتنظيم ، وقد اد‍ى الخطوة الاولى اليه من شباب الجامعة المثقفين القلقين على مستقبلهم قلقهم على مستقبل بلادهم ، فهم الذين سعوا الى العمال بدافع ذاتى يريد المغرضون الكاذبون ان يشوهوا جماله فيتحدثون عن ايد خفية فيه ، وهم لايكذبون عندئذ بل ويأثمون » .

من مقال « حدث خطير .. اتصال المثقفين بالعمال » نشرت فى مجلة ((البعث)) ٤٦/٣/١

« اننا نؤمن ان زمن التحالف مع انجلترا او غير انجلترا من الدول الكبرى قد انقضى بانقضاء زمن الاستعمار ، وقد اصبحنا نعتقد ان هذا التحالف مرادف للاستعمار ، وان التمسك به بعد تنظيم السلام تنظيما دوليا انما يخبىء بين طياته التمسك بالنزعة الاستعمارية القديمة ».

من مقال « اتجاه المفاوضات » نشر فى ٤٦/٤/٣ بجريدة ((الوفد المصرى)) واعيد نشرها فى (كتاب . لم تنشر)



« لقد اصبح الحياد السياسة المقررة لالشعب مصر وحده بل وللغالبية العظمى من الشعوب العربية الاخرى التى اخذت تعلن فى وضوح انها ترفض الانضمام الى اية كتلة دولية ، وذلك لكى تتخلص من الاستعمار الانجليزى العتيق والاستعمار الامريكى الناشىء»

من مقال ((ارتفاع اسعار القطن اكبر شاهد على ان الحياد هو المحقق لمصالح مصر))نشر فى ٤٨/٢/٨ بجريدة (صوت الامة) واعيد نشره بكتاب ((كتابات لم تنشر)).



« للادب وظيفة سياسية ولكنه لايؤديها بأسلوب مباشر والا انقلب الى مجرد دعاية سياسية . فوظيفة الادب فى التطوير السياسى ان يستخلص القيم المحركة التى تكمن خلف مظاهر التطور المادى والاجتماعى للحياة ، وهو بكشفه عن هذه القيم الكامنة يحيلها الى قوة ايجابية فعالة تدفع نحو مزيد من التطور فى نفس الاتجاه . ومعنى هذا ان الادب انعكاس لواقع الحياة وتطورها ، ولكنه ليس انعكاسا سلبيا بل انعكاسا أيجابيا نحو مزيد من التطور والتقدم وبذلك يأخذ من الحياة ثم يعطيها اكثر مما اخذ ، وهذا هو المفهوم الديالكتيكى للفلسفة الاشتراكية بالنسبة للادب وهو يختلف عن المفهوم الميكانيكى للاشتراكية الذى يعتقد ان التطور المادى للحياة هو الذى يطور الفكر فى حين ان الفكر لايمهد لهذا التطور ولايسبقه ، فهو يضع الفكر فى موضع الذنب لا الراس، بينما المفهوم الديالكتيكى يجعل الفكر قوة فعالة نحو التطور والتقدم لامجرد انعكاس لذلك التطور »

من حديث له نشر فى عدد ديسمبر سنة ٦٤، فبراير سنة ٦٥ من مجلة ((المجلة)).

حيـــاة منـدور فى ســطور

● ولد فى ٥ يوليـو سنة ١٩٠٧ بكفر مندور مركز منيا القمح بمديرية الشرقية . وتلقى تعليمه الاول بكتاب الشيخ عطوة بالقـرية . ثم تلقى تعليمـه الابتـدائى بمـدرسة الالفى الابتدائية بمنيا القمـح ، وتعليمـه الثانوى بمدرسة طنطا الثانوية . وفى السنة النهائية فصل فى اواخر العام الدراسى لتزعمه للمظـاهرات التى قامت ضد الانجليز وحكومة زيور التى خلفت حكومة سعد زغلول ، اثر مقتل السردار « قائد الجيش الانجليزى فى السـودان » ، ولكنه نال البكالوريا بتفوق من القسم الادبى وكان ترتيبه الثانى عشر ، وكان ذلك سنة ١٩٢٥ .

● افتتحت الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ فالتحق بكلية الحقوق وكانت مدة الدراسة بها خمس سنوات ، السنة الاولى يشترك فيها الطلبة مع طلبة كلية الاداب فى دراسة اعدادية فى الادب واللغات والتاريخ والاجتماع وعلم النفس . فاعجب به الدكتور طه حسين واقنعه بالالتحاق بكليـة الاداب بالاضافة الى الحقوق . كما اقنعه استاذ الاجتماع بالالتحاق بقسم الاجتماع بالاضافة الى قسم اللغـة العربية فى كلية الاداب . وظل يمتحن كل عام فى هذين القسمين حتى وصل الى الليسانس ، فاكتفى بقسم اللغة العربية . فحصـل على ليسـانس الاداب من ذلك القسم سنة ١٩٢٩ وكان ترتيبه الاول ثم على ليسانس الحقـوق سـنة ١٩٣٠ وكان مـن المتفوقين .

● رشح فى بعثة لكلية الاداب كما دعى ليكون وكيلا للنيابة ولكنه فضل البعثة ، اذ سافر الى باريس والتحق بالسربون ليدرس الاداب واللغـات اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية.

● حصل من السربون على ليسانس فى اللغة اليونانية وآدابها واللغـة الفرنسية وآدابها وفقهها كما حصل على دبلوم الاقتصـاد السـياسى والتشريع المالى من كلية الحقـوق بجامعة باريس بعد دراسة لمذاهب الاقتصاد وفلسفة النظم الضريبيـة والتشريع المالى .

● كان لايكتفى بحضور المحاضرات فى المواد المقررة بل كان يتـابع محاضرات الفلسفة والتاريخ والاجتماع والعمارة وكافة ميادين المعرفة ،كما قام بسياحات كثيرة الى مختلف البلاد الاوروبية دارسـا ومتـأملا وممتزجا بالحياة .

● اثناء مفاوضات منترو لالغـاء الامتيازات الاجنبية كتب عدة مقالات فى الصحف الفرنسية ينبه الفرنسيين فيها الى وجوب موافقتهم على الغائها ، ورد عليه وكيل وزارة الخارجيـة الفرنسية ،وكان يرأس الوفد الفرنسى فى تلك المفاوضات ، وظلت بينهمـا المناقشات سجالا . وفى ذلك الوقت كان قد اوقف مرتبه من البعثة كما طلب مديرها بباريس فصله لسفره فى رحلة لبلاد اليونان يكمل بهـا دراسته للغة اليونانية وآدابها .

● حصـل على دبلوم معهـد الاصوات بباريس حيث قام بدراسة معملية عن موسيقى الشعر العربى واوزانه .

● عاد الى مصر فى يوليو سنة ١٩٣٩ قبل ان يكتب رسالة الدكتوراه ورفض الدكتور طه حسين ان يدرس فى قسم اللغة العربية بكلية الاداب ورفض رئيس قسم الدراسات القديمة الانجليزى ان يسـمح له بتـدريس اليونانية لانه درسـها على المنهج الفرنسى . ورفض رئيس قسم اللغة الفرنسـية ان يدعـه يدرس الادب الفرنسى لان لديهما يكفى من الاساتذة، فدرس الترجمة الفرنسية والانجليزية بالكلية وبمعهد الصحافة .

● فى اكتوبر سنة ١٩٤٢ نقل الى جامعة الاسكندرية حيث درس الادب العربى والنقد القديم والحديث ،كما درس اللغة اليونانية فى قسم الدراسات القديمة .

● سنة ٤٣ حصل على الدكتوراه من جامعة القاهرة بمرتبـة الشرف الممتـازة ، وكانت رسالتـه عن « تيارات النقد العـربى فى القرن الرابع الهجرى » التى اصبحت فيما بعد كتابه الشهير « النقد المنهجى عند العرب » .

● فى عام ١٩٤٤ استقال مـن الجامعة ليعمل مديرا لتحرير جريدة « المصرى » وبعد ثلاثة اشهر حصل خلاف بينه وبين صاحبها محمود ابو الفتح بسبب نشره فى جريدة « الاهرام » تعليقا على مقال نشر بهـا ، وكان صاحب المصرى قد رفض نشر الرد فى جريدته . وطلب صاحب المصرى منه ان يعتذر فرفض فانتهى الامر بفصله من الجريدة .

● جعل يكتب بعض المقـالات الثقافيـة فى مجلتى « الرسـالة » و «الثقافة» كما قام بالقـاء بعض المحاضرات فى معهد التمثيل الذى اعيد افتتاحه سنة ٤٤ .

● رأس تحرير جريدة « الوفد المصرى » فى فبراير سنة ١٩٤٥ ، وجعلها شبه منشور ثورى اذ جمع حوله عددا من الشبان التقدميين ، وجعل يفضـح فيهـا الاسـتعمار السياسى والاقتصادى والاسـتغلال الاقطاعى والراسمالى الداخلى .كما اصدر مجلة « البعث » فى ديسمبر سنه ٤٥ ونحا فيها نفس المنحى ،حتى كان يوليو سنه ١٩٤٦ حين اغلقها ، كما اغلق جريدة «الوفد المصرى» من بين اثنى عشر جريدة ومجلة اغلقت باسم محاربة الشيوعية ، وذلك بسبب معارضتها لمعاهدة صدقى ـ بيفن التى كانت ستكبل البلاد بمحالفة ابدية ودفاع مشترك مع انجلترا ، كما قبض على مائتين من الكتاب والصحفيين كان من بينهم . وبعد بقائه سنة واربعين يوما فى سجن الاجانب اضطرت النيابة الى الافراج عنه حين لم تستطع ان تحكم حوله اتهاما . كما سبق ان اضطرت الى الافراج عنه بعد مرات الحبس الاحتياطى الكثيرة التى تعرض لهـا بسبب المقالات التى كان يكتبها فى الجريدة والمجلة . وقد استطاع اثناء وجوده بسجن الاجانب ان يكتب مقالات يهاجم فيها حكومـة صـدقى باشا والدفاع المشترك والانجليز نشرت فى الصحيفة .

● اعطى صدقى باشا للوفـد رخصة بجريدة جديدة باسم «صوت الامة» بدلا من « الوفد المصرى » التى عطلت مشترطا الا يكون محمد مندور رئيسا لتحريرها . وقد قبل الوفد هـــذا الشرط ، وان ظلت مقالات منـدور تنشر بها . الى ان سقطت حكومة صدقى وفشل مشروع التحالف فعاد لرياسة التحرير .

● فى سنة ١٩٤٨ قيد نفسه فى نقابة المحامين وافتتح مكتبا للمحاماة بالاضافة الى عمله فى « صوت الامة » .

● فى سنة ١٩٥٠ اصبح عضـوا فى مجلس النواب نائبـا عن دائرة السكاكينى ،وكان عضوا بلجنة الشئون المالية ورئيسا للجنة التربية والتعليم بالمجلس . وكان اثناء ذلك داخل ـ الهيئة الوفدية وداخل اللجان البرلمانية

ـ يقاوم التيارات الرجعية التى كانت تحاول فرض نفسها ، مثل معارضته لقانون المشبوهين السياسيين وقانون منع ابناء الفصر .

● فى اواخر سنة ١٩٥٠ اصيب بورم فى الغدة النخاميه اثر على ابصار احدى العينين ، ونشرت جريدة «اخبار اليوم » خبرا تقول انه اصيب بالعمى ، وقد اثر هذا الخبر على عمله بالمحاماة عندما رجع من لندن حيث اجرى بها جراحة لازالة المرض .

● كانت قد توقفت جريدة «صوت الامة » فجعل ينشر بعض المقالات فى جريدة « البلاغ » كما انه لم يكن ينقطع خلال تلك المدة السابقة عن التدريس فى معهد الصحافة ومعهد الفنـــون المسرحية حتى عين اواخر سنة ١٩٥٩ استاذا دائما ورئيسا لقسم الادب الدرامى بالمعهد بعد تحوله الى معهد عالى . كما كان يلقى المحاضرات عن الادب الحديث بالمعهد العـالى للدراسات العربية التابع لجامعـــة الدول العربية ويقبل فيه الطلبة الذين اتموا المرحلة الجامعية .

● فى عـام ١٩٥٤ اغلق مـكتب المحاماة وانصرف للتدريس والتـاليف والصحـــافة ، فـكتب فى جـريدة « الجمهورية » ثم « الشعب » ثم عاد «للجمهورية» وفصل منها اكثر من مرة ثم كتب اخيرا فى روز اليوسف ، وقد كتب مقالته الاخيره بها ليــلة وفاته ونشرت فى الاسبوع التالى .

● الف كثيرا من الكتب فى النقد الادبى خصوصا عن الادب المعاصر ، كما ترجم بعض الكتب وكتب آلافا من المقالات السياسية والثقافية والنقدية ، نشر بعضها فى كتاب «كتابات لم تنشر» من سلسلة كتاب « الهلال » ، اما اكثرها فلم ينشر بعد . وكان اكثر اهتمامه النقدى منصبا على المسرح والشعر ثم القصة .

أعمال مندور

(أ) مؤلفات فى النقد والفكر والادب

١	ـ نماذج بشرية	١٩٤٤
٢	ـ فى الميزان الجديد	١٩٤٤
٣	ـ النقد المنهجى عند العرب	١٩٤٨
٤	ـ فى الادب والنقد	١٩٤٩
٥	ـ ولى الدين يكن	١٩٥٣
٦	ـ مسرحيات شوقى	١٩٥٤
٧	ـ الديمقراطية السياسية	١٩٥٤
٨	ـ الشعر المصرى بعد شوقى (الجزء الاول)	١٩٥٥
٩	ـ اسماعيل صبرى	١٩٥٥
١٠	ـ خليل مطران	١٩٥٥
١١	ـ ابراهيم المازنى	١٩٥٥
١٢	ـ الشعر المصرى بعد شوقى (الجزء الثانى)	١٩٥٦
١٣	ـ الشعر المصرى بعد شوقى (الجزء الثالث)	١٩٥٧
١٤	ـ الادب ومذاهبه	١٩٥٧
١٥	ـ جولة فى العالم الاشتراكى	١٩٥٧
١٦	ـ مسرحيات عزيز اباظة	١٩٥٨
١٧	ـ قضايا جديدة فى ادبنا الحديث	١٩٥٨
١٨	ـ الثقافة واجهزتها	١٩٥٨
١٩	ـ المسرح	١٩٥٩
٢٠	ـ المسرح النثرى	١٩٦٠
٢١	ـ مسرح توفيق الحكيم	١٩٦٠
٢٢	ـ فن المسرح	١٩٦٢
٢٣	ـ النقد والنقاد المعاصرون	١٩٦٤
٢٤	ـ الادب وفنونه	١٩٦٤
٢٥	ـ كتابات لم تنشر	١٩٦٥

(ب) مترجمات

١	ـ دفاع عن الادب (لجورج دى هامل)	١٩٤٢
٢	ـ منهج البحث فى الادب واللغة (لانسون وماييه)	١٩٤٦
٣	ـ من الحكيم القديم الى المواطن الحديث (٦ كتاب)	١٩٤٤
٤	ـ اعلان حقوق الانسان	١٩٥٠
٥	ـ نزوات ماريان وليالى الفريد دى موسيه	١٩٥٩
٦	ـ مدام بوفارى	١٩٥٨
٧	ـ قصص رومانية	١٩٦٤

وثائق

وثائق تاريخية عن :

الثورة العرابية

٧

النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع عبد العال حلمي وعلي فهمي

تواصل « الطليعة » في هذا العدد ، نشر محاضر التحقيقات الخاصة بباقي زعماء الثورة العرابية. ويشتمل هذا العدد على محضري استجواب على « باشا » فهمي وعبد العال « باشا » حلمي ، وهما من كبار زعماء هذه الثورة .

و « الطليعة » اذ تنشر هذين المحضرين اليوم ، ستواصل في الاعداد القادمة وبناء على رغبة أصدقائها ، تقديم سائر محاضر التحقيقات المتعلقة بجميع شخصيات الثورة العرابية ، استكمالا منها للصورة التاريخية الوثائقية لهذه الاحداث .

محضر استجواب عبد العال باشا حلمى

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الاحد ١٨ القعـدة سنـة ١٢٩٩ الموافق اول اكتوبر سنة ١٨٨٢ ، صار احضار عبدالعال باشا حلمى من سجن الضبطية ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة المحررة ادناه فاجاب عنها بما ياتى) :

س : كيف تتجاسر على طلب الالاى حكمداريتك من طره الى مصر بقصد خلاصك انت وباقى الميرالايات حال سجنكم فى قصر النيل وتحرر بوصله بذلك الى خضر خضر الذى كان بكباشى بالالاى مع علمك بانك معزول بامر الخديوى الافخم .

ج : انا ماكنت اعلم بالحبس حتى كنت اتفق على حضور الالاى .

س : خضر خضر البكباشى قرر امام القومسيون انك ارسلت اليه بوصلة مع رجل مخصوص .

ج : لم ارسل اليه احدا ، وان كان يقول ذلك فليوضح ممن اوصلها اليه .

س : هل تريد احضار البكباشى المذكور ليواجهك امام القومسيون .

ج : لا لزوم لحضوره فان القومسيون ينظر فى اقوال كل منا ، ولو كنت امرت بحضور العساكر لخلاصنا لما انكرت ذلك .

س : من التحقيق مثبوت سبق الاتفاق بينكم على حضور العساكر لخلاصكم من السجن .

ج : لم يكن عندى خبر بهذا الاتفاق .

س : ماذا جرى بعد حضور الايك لعابدين؟

ج : امرته بان يصطف ويدعو للحضرة الخديوية وقد حصل ذلك ثم انصرفنا .

س : ما الذى صار بعد حضوركم من قصر النيل برفقة ا جى الاى بيادة الذى اخرجكم من السجن .

ج : حضر خيرى باشا ومحمود سامى باشا وتقابلا مع احمد عرابى ، وحصل بينهما كلام ابلغاه للخديوى ، ثم حضر راشد باشا ودعانا للحضور امام الذات السنية ، فتوجهنا فنبهت علينا بعدم اجراء شىء يماثل ذلك فيما بعد .

س : هل التمست مع باقى الضباط عزل ناظر الجهادية وقتها ؟

ج : نعم لا انكر ذلك .

س : ما الذى التمستموه غير ما ذكر ؟

ج : الذى التمسناه هو عزل ناظر الجهادية وتشكيل مجلس الامة وسن قوانين .

س : مادمت عالما انك معزول بامر الحضرة الخديوية ، فكيف توجهت الى القشلاق مع ا جى الاى بصفة كونك ميرالاى واقمت مع العساكر .

ج : انى جبرت على ذلك حتى انى ضربت من العسكر الذين اخرجونى من الحبس .

س : ما هو السبب فى طلبكم عزل ناظر الجهادية ؟

ج : السبب هو الحالة التى كانت حاصلة وقتها .

(اعيد الى السجن) .

ثم تقرر استجوابه ثانيا عن واقعة يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ فاستحضر وسئل فأجاب كما هو موضح ادناه .

س : ما هى اسباب تجمع الالايات عند سراى عابدين فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ ومحاصرتها مع الالاى حكمداريتكم ؟

ج : هذه المسألة صدر عنها امر عال بالعفو فلماذا السؤال منا عنها الان .

س : السؤال عن ذلك هو لاجل التوصل الى امر آخر فافد عما سئلت عنه ؟

ج : وردت لى بوصلة من احمد عرابى بحضورى للالاى لعابدين فى الساعة ٩ وبناء عليها حضرت .

س : حيث انكما متساويان فى الرتبة فلابد انكما متفقان على شىء حتى انقدت لامره .

ج : بالنسبة للحالة التى كانت حاصلة وقتها وسبق حبسنا واهانتنا وبالنظر لخوفنا ، جعلنا احمد عرابى رأسا علينا نحن وجميع الضباط ووكلناه فى التكلم بما فيه صالحنا .

س : ماذا جرى بعد حضوركم لعابدين ؟

ج : لما وصلت الى عابدين بالالاى ، وجدت العساكر جميعها مجتمعة طوبجية وسوارى وبيادة والمكالمة حاصلة بين القناصل واحمد عرابى فى شأن طلبات العسكرية .

س : ماذا كانت طلباتكم ؟

ج : تشكيل مجلس الامة وابلاغ الجيش الى عدد ١٨٫٠٠٠ وسن قانون عسكرى .

س : اما طلبتم رفع النظار ايضا ؟

ج : لا اعلم اذ ان الكلام كان بين عرابى وبين القناصل .

س : هل امر الجناب الخديوى بانصرافكم ووعدكم باجابة طلباتكم فيما بعد ؟

ج : المكالمة كانت مع عرابى انما فى آخر الامر تقابلنا مع الحضرة الخديوية وامرنا بالانصراف وقال انه سينظر فى طلباتنا .

س : لما استصوبتم توكيل عرابى عنكم هل حصلت جمعية وقررت ذلك ؟

ج : كثيرا ما انعقدت جمعيات .

س : فى اية جهة ؟

ج : فى جملة محلات وفى منزلى ومنزل غيرى .

س : هل تتذكر اين كانت الجمعية المختصة بتوكيل عرابى ؟

ج : لا .

س : هل توجد عندك البوصلة التى وردت اليك من عرابى بالحضور الى عابدين مع الالاى ؟

ج : كانت موجودة عندى فى دمياط ولكنها اخذت مع بقية الاوراق المختصة بى .

س : هل كان طلبة باشا متفقا معكم على توكيل احمد عرابى ؟

ج : جميع الضباط كانوا على هذا الاتفاق بما فيهم طلبة باشا .

س : هل كان محمود باشا سامى مشتركا معكم ؟

ج : محمود باشا كان كلامه مع احمد عرابى ، وكنا نجتمع فى منزله فى بعض الايام ، الا انى ماكنت اطلع على ماكان يحصل بينه وبين احمد عرابى .

س : توكيل احمد عرابى منكم كان كتابة او شفاها ؟

ج : لم احرر شيئا فى ذلك ولا اعلم ان كانت توجد كتابة من غيرى ام لا ؟

س : قبل اجتماع الالايات بعابدين كتب احمد عرابى للمعية السنية بعزمكم على الحضور فى الساعة ٩ فهل تعلم بذلك ؟

ج : لا اعلم سوى انه وردت لى بوصلة منه بالتوجه لعابدين فى الساعة ٩ وبناء عليها توجهت .

(ثم اعيد للسجن فى ١٨ القعدة سنة ١٢٩٩) .

حسب ماتقرر بجلسة ١٩ ذى سنة ٩٩ الموافق ٢ اكتوبر سنة ١٨٨٢ **صار استحضار المذكور من السجن ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الموضحة** بهذا وجاوب عنها بما يأتى :

س : كنت حررت تقريرا انت واخوانك الضباط وقدمته لرئيس مجلس النظار فلم يقبله ثم لمحمود سامى فرفضه ايضا ، ثم قدمته للجناب الخديوى وترتب على ذلك طلبك الى الاسكندرية فوضح لنا مشتملاته وبين اسماء من كان موقعا عليه .

ج : هذه المسألة مضى عليها زمن مديد ، ولكنى اقول انه حصل لى جملة نوادر مذ كنت فى طره ، من ضمنها حضور فرج الزينى لاغراء العسكر على عدم الامتثال للضباط الاهليين ، وفى يوم من الايام وردت لى بوصلة من البكباشى البوستجى باخبارى ان الميرالاى المباشر اغراء العساكر على ما ذكر حضر لطرة ، فتوجهت فى اليوم الثانى فأخبرت ناظر الجهادية فنبه على بتحقيق هذه المسألة ، ولما توجهت وسألت عما ذكر وجدت ان فرج بك الذى اغوى العساكر بواسطة اقاربه الموجودين هناك على عدم الانقياد فحررت تقريرا متضمنا هذه المادة مع التسعة عشر ضابطا ومسألة يوسف باشا كمال وقدمته لمحمود باشا سامى فلم يقبله ، ثم قدمته لسعادة رياض باشا باتحادى مع احمد عرابى فنصحنا بعدم اجراء مايماثل ذلك ، ثم طلبنا الخديوى باسكندرية ونبه علينا باحضار التقرير معنا ولدى مثولنا بين يديه امرنا بالاقتصار عن هذه الامور والاجراءات .

س : ما هى مسألة التسعة عشر ضابطا التى ذكرتها ؟

ج : مسألة التسعة عشر ضابطا هى انهم كانوا باسكندرية وحضروا من هناك وأشاعوا ان فى العزم تفريقنا فى جهات مختلفة وتعيينهم بدلا منا ويحكموا حينئذ فى البلد ثم بعد ذلك يصير الشروع فى اعدامنا وقتلنا .

س : ماذا طلبت بالتقرير ؟

ج : لم اطلب شيئا بل اقتصرت على ذكر ما حصل لى من جهة فرج بك الزينى ويوسف باشا كمال والتسعة عشر ضابطا ولم اطلب سوى دفع هذا الضرر عنى الناشىء عن اجراءات من ذكروا ولم التمس عزل احد .

س : هل ختم على التقرير المذكور منك بمفردك او بالاتحاد مع احمد عرابى ؟

ج : ختم عليه منى بمفردى .

س : حيث ان يوسف باشا كمال والتسعة عشر ضابطا وفرج الزينى الذين قدمت التقرير فى حقهم سبق مجازاتهم فما كان لزوم لتقديم ذلك التقرير ؟

ج : خوفا من حصول شىء آخر فيما بعد .

س : بعد عزل عرابى مع سقوط وزارة محمود سامى باشا فى يوم عيد جلوس الخديوى ، طلبتم فى الاسماعيلية مع احمد عرابى وطلبه وعلى فهمى وباقى الضباط واخبركم الجناب الخديوى بسقوط الوزارة واحالة نظارة الجهادية عليه وانه يجب سماع اوامره من الان فصاعدا دون غيره ، فأجابه اثنان منكم بانهم لا يسمعون اوامره ما لم ترفض لائحة الدول فأفدنا عن كيفية ذلك وبين لنا ما حصل فى اليوم المذكور ؟

ج : لم اتوجه فى ذلك اليوم للاسماعيلية لا انا ولا احمد عرابى اذ تصادف عاد وصولى من دمياط لمصر ان طلبه وعلى فهمى وحسن مظهر ويعقوب سامى والميرالايات الذين كانوا موجودين توجهوا هناك .

س : بعد ذلك اجتمعتم فى منزل سلطان باشا وحصلت مذاكرة فى بعض أمور ووقعت تهديدات من بعض الضباط الحاضرين فأفدنا عن كيفية ذلك بالتفصيل ؟

ج : فى الواقع كنت موجودا فى تلك الجمعية التى كانت مؤلفة من النواب والعلماء وكثير من الضباط ، وحصل كلام من احمد عرابى ومن سلطان باشا وبعض العلماء فى خصوص مجلس الامة واصلاح البلد ووافق على ذلك بعض الحاضرين والبعض لم يوافق .

س : قال احمد عرابى فى ذلك اليوم ان الجناب الخديوى معزول وان من يوافقه فليقم واقفا ، ومن لم يوافق على رايه فليبق جالسا ، فهل سمعت ذلك ؟

ج : الذى سمعته فقط هو انه قال من يوافقنى على رايى فليقم والذى لم يوافقنى فليبق جالسا .

س : هل ان رايه الذى اشار به كان عزل الخديوى ؟

ج : لا بل تشكيل مجلس الامية وسن قانون العسكرية .

س : كيف تقول ذلك والمعلوم ان المجلس كان مشكلا فى الوقت المذكور ؟

ج : الذى اتذكره هو اننا كنا بعابدين ، وحضر سليمان اباظة باشا وبعض النواب والعمد ودعوا احمد عرابى للتوجه الى منزل سلطان باشا فتوجه وتوجهنا صحبته ، وعند وصوله القى مقالة طويلة متعلقة باصلاح البلاد وختمها بقوله من كان معنا فليقم فقام اناس كثيرون .

س : الم يحصل كلام بخصوص عزل الحضرة الخديوية .

ج : فى وقتها امرنى احمد عرابى بالخروج خارج المحل لمنع الضباط من الازدحام على الشبابيك وخرجت وغاية ما رأيت خروج محمد عبيد وغيره متهورين انما لم اسمع عبارة العزل .

س : الم تتذكر ان كلام احمد عرابى كان متضمن القول بعزل الحضرة الخديوية ؟

ج : لم اسمع ذلك بالنظر لخروجى لمنع الضباط من الازدحام كما قلت آنفا ، فضلا عما كان حاصلا من الضوضاء وغاية ما سمعت هو انه قال ان من يوافقنى على رأيى فليقم .

س : احمد عرابى لما توجه لمنزل سلطان باشا كان معزولا فبأى صفة اتبعتموه ؟

ج : انى متذكر انه كان فى ذلك الوقت قد عاد لوظيفته .

س : الاجتماع حصل قبل عودته ؟
ج : لست متذكرا .

س : لم يكن خافيا عليك ما حصل فى شأن الضرب على طوابى الاسكندرية من المراكب الانجليزية بسبب التهديدات التى كانت حاصلة من الطوابى المذكورة ، ووقع الضرب بالحقيقة ، وبعد ذلك صدر امر من الخديوى بصرف العسكر وابطال المحاربة مع الانكليز اذ كان الغرض فقط الضرب على الطوابى بسبب حصول التهديد منها للمراكب ومع صدور هذا الامر ، استمر احمد عرابى على المحاربة وقطع المواصلات وجمع العسكر حتى ترتب على ذلك عزله ولم يمتثل ايضا فكيف تنقاد لاوامره مع علمك بانه معزول .

ج : فى الواقع اعلم بصدور امر الجناب الخديوى بعزله ، ولكن الامة لم تقبل بذلك ، وفضلا عما ذكر اقول انه لم يحصل اطلاق نيران فى الجهة التى كنت مقيما فيها ، ولم تحضر لى اوامر خديوية وامتنعت من تنفيذها .

س : هل عرفت احمد عرابى بعد عزله بصفة ناظر جهادية ام لا ؟

ج : عرفته اولا انه معزول ، ولكن حضر بعد ذلك امر الامة بان احمد عرابى يبقى فى وظيفته ويستمر على المدافعة فعرفته اذا بصفة ناظر جهادية بناء على امر مجلس الامة .

تحت السلاح ، ولم تنفض الا بعد طلبكم طلبات من الحضرة الخديوية وسلمت لكم فيها .

ج : لم نقم الالاى تحت السلاح ، انما عملنا تعظيمات للحضرة الخديوية امام سراى عابدين وقلنا (افنديمز جوق يشاه) ، وسعادة خيرى باشا يعلم ذلك ، فان الحضرة الخديوية ارسلته يسألنا عن طلباتنا ونحن بصفة عبيد لولي النعم طلبنا عزل عثمان باشا رفقى من نظارة الجهادية واجابنا الى ذلك — (بعد اجابته المسطرة اعلاه ، اعيد الى السجن كما كان)

(ثم حسب ما تقرر بجلسة اليوم المذكور من لزوم استجوابه فيما ياتى صار طلبه وحضر وجاوب كما هو موضح ادناه) .

س : ما اسباب اجتماع الالايات فى يوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ وماذا نظرتم وما كانت طلباتكم .

ج : لا اعلم بذلك من قبل فانى بينما كنت فى طنطا مع الخديوى ، اذ صدر لى امر بتعيين اثنى عشر بلوكا ليتوجهوا الى طنطا وفى الليل حضر الى داود باشا بناء على التنبيهات التى صدرت وقتها بعدم تجمع الضباط وكان الغرض من حضوره ان يرى حصول تجمع او عدمه وفى الصباح ركبت مع الخديوى لطنطا ، وبوصولنا وجدت البلوكات فأوقفتهم تشريفة ، وتلقيت الاوامر الخديوية ومن ضمنها اخراج العساكر بالليل بهيئة تشريفة ، ولما وصلنا لمصر الساعة ٨ نمت بعابدين وفى الصباح طلبنى الخديوى الساعة ٤ وما كنت اعلم باخبار عزم العساكر على التجمع فى هذا اليوم ، اذ حضر احد خدم الخديوى واخبره برفع خفر القبة الذى من الاى عرابى ، فاظهرت عدم تصديق ذلك ، فأجاب الخديوى ان هذا صحيح وانهم يعملون اشارات ، ثم ورد خبر من داود باشا او من عبد القادر باشا ان العساكر قائمون ثم حضر آخر وقال ان احمد عرابى كتب للالايات بالتجمع فى عابدين وبقيت انا عند الخديوى ونظرت اناسا حضروا وفى جملتهم ابراهيم بك حيدر ، فأخبرنى الخديوى ان ابراهيم بك حيدر يقول ان العساكر لم ترغب القيام من القلعة ولما سألنى الخديوى عما اجريه ، قلت له انى ادافع عنه بروحى واستعجلت حضور البلوكات من طنطا ، ثم حضر رياض باشا وخلافه وسألونى عما اجريه فقلت انى اقاوم بما عندى من العساكر ثم انصرفت وبالقرب من منزل الرئيس محمود ، رأيت الخديوى يشير الى بالحضور سريعا الى الالاى فوجدت الخديوى ضرب نفير تجمع العساكر وعرف افكارهم من جهة احلاد سهم اليه ثم ركب الخديوى فاستفهمت من خيرى باشا من جهة توجهه واشرت بعدم دخوله بين العساكر لهياجهم ثم حضرت الالايات .

س : ما هى الالايات التى حضرت ؟

ج : جميعها ما عدا الاى القلعة وهم آلاى طره و٢ جى الاى حكمدارية شوقى و٤ جى آلاى حكمدارية عبد العال والطوبجية والسوارى حكمدارية عبد الغفار واورطة المستحفظين .

س : هل الايك كان معهم ؟

ج : لما نظرت تجمع الالايات ورأيت رياض باشا وخيرى باشا ، تداولنا فيما نجريه ، واخيرا استصوبت المحافظة على ابواب السراى وفرقت البلوكات على الابواب واطلعت واحد يوزباشى فوق خوفا من وصولهم من باب الرمل ، ثم ارسلت الى احمد عرابى واستفهمت منه عن نيته فأجابنى انه طالب ثلاثة امور وهى رفع النظار واهمال القانون العسكرى وابلاغ الجيش ١٨ الف ولا شىء خلاف ذلك ، ولا يصير سفك دماء ثم تقدم احمد عرابى واخبرنى ان عساكر الايى عزموا على الضرب من الشبابيك فتركت له ذلك ، ثم حضر من اخبرنى بحضور الخديوى ورأيته واخبرته ان يطلع فوق ولا يقف امام العساكر ، فسمع منى ذلك وطلع وتبعته ثم حضر الاى السودان ووقف بالجهة الغربية ووقفت اورطة المستحفظين بجانب اجى الاى ولا اعلم ان كان حضورهم لمساعدتى على المحافظة على الحضرة الخديوية او لمضادتى . ثم حصلت المكالمة بين المراقب الفرنساوى والمراقب الانكليزى وبين احمد عرابى بمفرده فانه كان المتكلم ، وكنت برفقتهما للمحافظة عليهما حتى انتهت المكالمة على اجابة الطلبات .

س : هل كنت معهم فى التماس الثلاثة امور ؟

ج : لم اعلم ذلك من قبل ولم يحصل اتفاق معهم على هذه الامور .

س : هل ملت واستصوبت اجابة الطلبات المذكورة .

ج : لو اظهرت معارضة لهم لحصل سفك دماء ولذلك اظهرت الميل للجهتين .

س : هل بعد حصولهم على طلباتهم انصرفوا ؟

ج : بعد استحصالهم على طلباتهم قدمت للخديوى احمد عرابى وعبد العال وعبد الغفار وقبلوا اقدامه ثم انصرفوا بالالايات .

س : هل اخبرهم الخديوى بان يجيب طلباتهم فيما بعد ودعاهم للانصراف واصروا مع ذلك ام لا ؟

ج : كانت المكالمة حاصلة فى شأن هذه الطلبات مع احمد عرابى .

س : طلبة باشا كان موجودا ؟

ج : نعم .

س : حضر باى صفة ؛

ج : لا اعلم .

س : هل كان له دخل فى المكالمة ؟

ج : جميع الناس كانت متداخلة

س : قد اظهرت لهم انك موافق ؟

ج : ما كنت اعلم بحضورهم وبقصدهم وطلباتهم حتى كنت اوافق عليها ومع ذلك جميع الناس كانت موافقة على هذه الطلبات .

س : بعد حضورهم وعلمك بطلباتهم وافقت على ذلك ام لا ؟

ج : كنت مشتغلا بمأموريتى وتجنب ما ربما يفضى لسفك الدماء .
ومع ذلك ما كان يصح اعطاء اجابة منى فيما سألتمونى عنه الان بما انه سبق ونلت العفو من الحضرة الخديوية عن جميع ما ذكر .

« وبعد ان اجاب المذكور بما سطر يمينه واعلاه اعيد الى السجن كما كان »

(فى ١٨ القعدة سنة ٩٩)

حسبما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٠ ذا سنة ٩٩ استحضر على باشا فهمى من سجن الضبطية ووجه اليه سعادة الرئيس اسئلة وجاوب عنها بما ياتى :

س : ولو انك سئلت قبل الان عن واقعة ٤ فبراير سنة ١٨٨١ ، لكن ضرورى ان توضح عن كيفية تجرؤك على استحضار عساكر الالاى لاخراجك من السجن انت وباقى الميرالايات ، وتوجهك بهم الى عابدين ووقوفك تحت السلاح بصفة كونك مير والنداء عليهم باعمال التعظيمات بان يتولوا (افنديمز جوق يشاه) ، مع انك كنت معزولا ، ولم تنصرفوا حتى صار اجابة طلبكم بعزل ناظر الجهادية وتعيين محمود باشا سامى بدلا عنه ؟

ج : لم استحضر العساكر ، بل هم الذين حضروا واخرجونا من السجن واوصلونا جبرا للقشلاق وانا بعد

ذلك ، انا الذى امرت احمد عبد الغفار باجراء التنظيمات ووقوفه مع الالاى لعدم وجود سيف معى سبق اخذه منى حال السجن ، ولو سألتم خيرى باشا ومحمود سامى باشا يقولون بما يعلمونه ومن جهة طلب عزل ناظر الجهادية فماذا علينا لو طلبنا من صاحب الحكومة عزل شخص ظالمنا .

س : بعد سقوط وزاره محمود باشا سامى قد اجتمعتم بمنزل سلطان باشا ، وكان موجودا هناك جملة ضباط وقلتم ان الخديوى معزول وان من يكون موافقا لكم فى هذا الراى يقف ، فهل كنت موجودا انت ايضا؟

ج : نعم كنت موجودا هناك ولكن لم اقل ذلك واسألوا سلطان باشا فانى كنت مسكتا ومهدئا للضباط ومحبا للخديوى

س : حيث انك محب للخديوى ، فقل لنا ماذا جرى ؟

ج : اسألوا سلطان باشا .

س : هل تقبل بما يقوله سلطان باشا؟

ج : اسألوه .

س : افدنا عن حقيقة ما جرى فى منزل سلطان باشا فى ذلك اليوم .

ج : اجتمع الضباط للمذاكرة فى اللائحة المقدمة من دولة الانكليز .

س : حيث انكم كنتم تتذاكرون فى ذلك، فقل لنا ماذا جرى ، وهل قيل ان الخديوى معزول ام لا ؟

ج : لم اسمع ذلك بالنظر لحصول الضوضاء انما سمعت المذاكرة فيما يتعلق باللائحة الانكليزية التى لما تقدمت ، طلبونى انا ويعقوب باشا وسألونا عن رأينا فيها فقلنا ان تنفيذها غير قانونى ، وفى اثناء ذلك ، حضر جملة ضباط واهالى وابتدأت المذاكرة عموما .

س : ما هى هذه اللائحة ؟

ج : اللائحة متعلقة باخراجنا من البلد ومع ذلك جميع ما ذكر مختص بالخديوى وهو اصدر امرا بالعفو عنا .

س : لما طلبك الخديوى انت وطلبة وذوات الجهادية بالاسماعيلية عقب وجودكم فى منزل سلطان باشا ، ونبه عليكم بالاقتصار عن اجراءاتكم حصل منكم تهور فافدنا عن كيفيته ؟

ج : لم اتوجه ولم يحصل تهور ولا نظن اننا نرتكب اساءة ادب امام الخديوى مع اننا نتمنى تقبيل اقدامه ، ومع ذلك كل هذا من حقوقه فهو يفعل بنا ما يريد .

س : المثبوت انه بعد عزل الوزارة طلبكم الجناب الخديوى لاعطاء تنبيهات لكم كما ذكر ، وحصل منكم تهور وخرجتم من امام حضرته العلية بغير اذن ، وبحالة مخالفة للادب ، فيلزم ان تبين الحقيقة ؟

ج : اجتمعنا مع باقى الضباط لاجل اعداد الالاى للتشريفة التى كان يظن حصولها لمناسبة عيد جلوس الخديوى ، ثم صرف النظر من ذلك وحضر يعقوب سامى باشا ، واخبرنا ان الخديوى حول على نفسه نظارة الجهادية وانه طلب حضور جميع ضباط الجهادية من رتبة الميرالاى وما فوقها لمثول بين يديه فتوجهنا وتلا علينا الخديوى الامر المتعلق بتحويل نظارة الجهادية عليه ، ثم تقدم طلبة باشا وقال للحضرة الخديوية ، ان لائحة قنصلى انكلترة وفرنسا لا يمكن تنفيذها ، فاننا لا نسلم بخروج احد منا وبعد ذلك وجه الى الجناب الخديوى السؤال عن ذلك فاجبته ان تقديم هذه اللائحة تمس حقوق الدولة العلية فاجابنى بان هذا من خصائصه النظر فيه .

س : ما هو وجه تداخلكم فى اللائحة وفى الامور السياسية التى تحصل بين الخديوى وبين القناصل مع انك ضابط جهادى ولك حدود خاصة بك؟

ج : لم اقل شيئا فى هذا الشأن سوى انى اخبرت الخديوى الافخم ان اللائحة تمس حقوق الدولة العلية .

س : هل هذا من خصائصك .

ج : نعم من خصائصى بصفة كونى ضابطا جهاديا .

س : هل خروجكم كان بناء على طلب طلبة باشا او كيف ؟

ج : لم نخرج الا بعد ان اشار علينا الخديوى بالسلام .

س : بعد مروركم من هناك ، هل اجتمعتم فى جهة ما ؟

ج : توجهنا الى القشلاق مع يعقوب باشا ثم حضر اثنان من النواب واخبرانا انه بناء على امر الخديوى يلزم توجهنا لمنزل سلطان باشا للمذاكرة فى الحالة الراهنة فتوجهنا ، ولما وصلنا لم يحصل كلام لغياب سلطان باشا ، ثم لما حضر الباشا المشار اليه ، طلبوا احمد عرابى ايضا وحضر هو ورؤساء الالايات وتذاكروا فى اللائحة .

س : على اى شىء استقر الراى ؟

ج : على الالتماس من الخديوى بواسطة النواب انه يرفض اللائحة

س : هل انتم جمعتم النواب

ج : كانوا مجتمعين من قبل .

س : ماذا كانت نتيجة العرض للحضرة الخديوية ؟

ج : عفوه عنا واعادة احمد عرابى على نظارة الجهادية .

س : هل عفى عنكم برفع السلاح بخلاف اوامره ؟

ج : لم احمل السلاح بخلاف امره »

الوقائع الاخيرة

س : انت كنت موجود بمصر مع الاى وصدرت لكم اوامر من الحضرة الخديوية كما تخالفك بالتحفظ على البلد ، ومنع ما يخل بها فلماذا تركت مركزك وتوجهت للتل الكبير بالعساكر؟

ج : لما صار الاعتداء بالضرب على الاسكندرية ، ورد لنا تلغراف من هناك بانتشاب الحرب ، وبلغنى ان ذلك بعد انعقاد مجلس هناك قر رأيه على المحاربة وحصل ذلك ، ثم ورد لى تلغراف من الخديوى بالتحفظ على البلد وعلى الناس ، وبناء عليه اعطينا نص الراى للمستحفظين لزيادة الخفر، وارسلت خفرا معهم سافر للاسماعيلية من الاوروباويين واستمريت على ذلك حتى صدر تلغراف لوكيل الجهادية فى اوائل سبتمبر عقب واقعة المحسمة التى كانت يوم جمعة ان راشد باشا ومحمود باشا فهمى وخالد باشا ، اخذوا اسراء وقيل ايضا بالتلغراف المذكور ، ان اوردى رأس الوادى الذى كان مركبا من ثلاث الايات ، تشتت فى المحسمة ، ولذلك امر وكيل الجهادية بقيام اجى الاى وبطارية او اثنين من الطوبجية ، ثم ورد تلغراف من عرابى، بانه بالنظر لعدم وجود الثلاثة الباشاوات السابق ذكرهم ، يلزم قيامى مع العساكر سيما وان الالاى قيادتى هو المرسل قبله فتوجهت .

س : تعلم ان عرابى عزله الجناب الخديوى ، فكيف تنقاد لامره ؟

ج : لم انقد لامر عرابى بل لامر الامة .

س : اين امر الامة ؟

ج : اسألوا وكيل الجهادية »

س : نحن نسألك انت لا وكيل الجهادية؟

ج : احضروا المحضر الموقع عليه من بعض الامة بالنيابة عن عمدها ، لما عقدت جمعية بالداخلية وانظروه .

س : الم يتل عليكم فى تلك الجمعية الامر الصادر من الحضرة الخديوية بعزل عرابى ؟

ج : وردت كتابة من عرابى للمجلس العرفى وصدر امر من الحضرة الخديوية بعزله ورغب فى اخذ رأيهم فاستصوب المجلس جمع الامة واخذ رايها فى ذلك

فاجتمعت وقررت استمرار الحرب »

س : انت تعلم ان الخديوى هو صاحب الامر لا الامة ، فلم لم تمتثل لامره واذعنت لامر المجلس الذى عقد بالداخلية ، مع انه مجلس غير معتبر مطلقا ؟

ج : انا امتثلت لامر الخديوى فانه امر بالحرب .

س : ولكن بعد ذلك امر بابطال الحرب وعزل عرابى فلم لم تمتثل لامره ؟

ج : نعم ولكن من حيث ان الامة كلفتنى بالمحاربة وهى القائمة بمصاريفى ، فالتزمت بالاذعان لاوامرها .

س : ان المجلس الذى عقد بالداخلية لم يكن مجلس الامة ولا يعول عليه كليا لان مجلس الامة اى النواب لا يعقد الا بموجب امر خديوى ولهرئيس ويعمل له افتتاح رسمى كما لا يخفاكم ؟

ج : نعم ولكن ذلك المجلس كان مركبا من عمد البلاد واعيانها فاحضروا المحضر واطلعوا عليه »

س : من هم اوجه المجلس العرفى ؟

ج : وكلاء الدواوين .

س : ومن امر بجمعه ؟

ج : لا اعلم .

س : حيث انك لا تعلم فلماذا انقدت لامره ؟

ج : ما انقدت لامره بل لامر مجلس العموم » .

س : هل يوجد عندنا مجلس عموم ايضا؟

ج : الاهالى الذين اجتمعوا من ذوات ورؤساء روحانيين وعلماء وعمد واعيان هم مجلس العموم ونحن تحت امرهم .

س : لو احضرنا هؤلاء الاهالى وسألناهم عن ختمهم على ما ختموا عليه ، لقالوا انه خوفا من الطوبخانة التى هددتهم بها كثيرا من الناس المعتبرين .

ج : لو قالوا كذلك لقلته انا ايضا اعنى لم اتوجه للحرب الا خوفا »

س : حيث ان الامر الخديوى صدر بعزل عرابى وعلمتوه من ديوان الجهادية ومن المجلس العرفى ، وورد خبر من عرابى المعزول بان يصير جمع الاهالى واخذ رأيهم فى ذلك ، فلماذا امتثلتم لامر عرابى وجمعتم الاهالى ، ولم تمتثلوا لامر الخديوى الافخم ؟

ج : الذى اعلمه هو ان الحضرة الخديوية امرت اولا بالحرب ، ولما ورد امره بابطالها كان موجودا بالاسكندرية والعساكر المصرية الذين كانوا معه كان عددهم قليلا ، فربما تكون العساكر الانكليزية احاطت به واخذته اسيرا ، وعلى ذلك ربما يكون الامر الذى كتب بخلاف رغبته وارادته بل جبر عليه ، فاستصوبنا استمرار المحاربة حتى يحضر مع النظار ونعلم الحقيقة »

(بعد ذلك اعيد الى السجن كما كان فى ٢٠ القعدة سنة ٩٩) .

(حسب ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ٩٩ احضر على باشا فهمى من السجن ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الاتية فاجاب بما ياتى) .

س : فى مدة وزارة محمود باشا سامى جمعت الضباط بالقشلاق الذى كان تحت ادارتك وحلفتم يمينا بحضور الشيخ محمد عبده ، فما هو هذا اليمين ، وما اسبابه ؟

ج : فى ذات يوم اجتمعنا نحن وجميع الضباط ومأمور الضبطية وضباط المستحفظين ايضا ، وجميعنا حلفنا يمينا ان الذى يكون غير مستقيم يصير مجازاته ولا يكون منا وان سيرنا يكون حسب القانون »

س : هل محمود باشا فهمى كان معكم ؟

ج : لست متذكرا وانما محمود باشا سامى ويعقوب سامى وجميع الضباط لغاية البكباشى كانوا موجودين .

س : ما هى كيفية اليمين ؟

ج : اننا نكون بكلمة واحدة ومتيقظين لحفظ بلادنا ، وان بعض الضباط الاصاغر غير المستقيمين يستقيمون والا يجازون ولا يكونون منا .

س : ما هو الجزاء الذى كان يترتب ؟

ج : بحسب القانون »

س : ما دام القانون موجود فلاى سبب يحصل التحليف ؟

ج : ان حقيقة اليمين ان نكون حريصين على راحة بلادنا والاخوة بين بعضنا وان من لم يكن مستقيما يجازى .

س : الم يذكر الضباط فى اليمين ان من يخالفه يستحق قطع الرقبة وشق الصدر ؟

ج : لست متذكرا لانه يمين طويل .

س : كان ذلك باى تاريخ ؟

ج : كان فى مدة رياسة محمود سامى على مجلس النظار .

س : الم يكن ضمن اليمين ان اتحادكم يكون عموميا ولو ضد اوامر الحضرة الخديوية ؟

ج : حاشا »

س : حينئذ لو كان صدر لكم امر من الحضرة الخديوية يخالف افكاركم كان ينفذ ؟

ج : نعم .

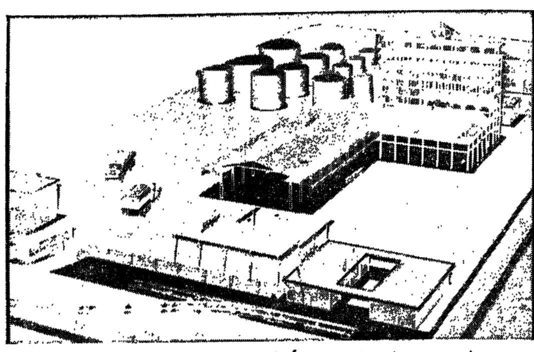
س : الشيخ محمد عبده المحلف لكم قال انكم قلتم ضمن اليمين اذا صدر لكم امر فلا يصير تنفيذه ما لم تكونوا متفقين عليه ؟

ج : لا لم يحصل ذلك .

اعضا	اعضا	اعضا
محمدمختار	مصطفىخلوصى	سليمانيسرى
اعضا	اعضا	اعضا
مصطفىراغب	محمدحمدى	سعدالدين
اعضا	اعضا	اعضا
محمدزكى	يوسفشهدى	علىغالب

رئيس القومسيون
اسماعيل ايوب

تواصل الطليعة فى العدد القادم
نشر النصوص الكاملة لمحاضر
التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



الدلالات الصناعية والاقتصادية لأول وحدة لخلط الزيوت المعدنية بالسويس

اذا القينا نظرة سريعة على النهضة الصناعية التى تشهدها بلادنا اليوم ، وتاملنا الصفات المميزة لها ، نجد انها تعتمد كلية على السواعد والخبرات العربية ، وتقوم اساسا على الخامات المحلية .

وهنا .. قد يبرز سؤال هام اين كانت هذه السواعد والخبرات فى الماضى ؟ لماذا لم تستغل هذه الخامات قبل ١٣ عاما مضت .

الجواب : لان الاستعمار الذى كان يحتل بلادنا ، لم يكن من مصلحته أن تظهر بين العرب كفاءات او مهارات ، حتى نظل نعتمد على الخبرات الاجنبية ، فيضمن أن نكون فى قبضته الى الابد ، يفرض علينا شروطه ، ويتحكم فى مقدراتنا

واذا اردنا ان ندلل على الفرق بين الامس واليوم .. لوجدنا اكثر من نموذج .. واكثر من مثال .. ومن احدث الامثلة .. مشروع وحدة خلط الزيوت المعدنية الذى اقيم فى السويس .. ان هذه الوحدة تقوم بانتاج ٢٠ الف طن سنويا من الزيوت المعدنية بمختلف انواعها ، وتوفر مليون ونصف مليون دولار كنا نستورد بها احتياجاتنا من الخارج .

وتزداد الصورة وضوحا عندما نعرف حقيقة هامة وهى ان الخبراء العرب فى القسم الهندسى بالجمعية التعاونية للبترول ، قاموا بوضع تصميمات الالات والمعدات الخاصة بالمشروع ، ثم عرضت هذه التصميمات فى مناقصة عالمية ، رست على احدى الشركات البريطانية التى قامت بتنفيذ الالات وتوريدها طبقا للمواصفات التى وضعها الخبراء العرب ، فتحطمت بذلك الاسطورة الاستعمارية التى كانت تدعى ان الخبرة والعلم للغرب وحده ، أما ابناء الشرق ، فلا نصيب لهم فيه .

وقد ادى قيام الخبراء العرب بوضع هذه التصميمات ، الى توفير مبالغ كانت ستدفع الى احد بيوت الهندسة العالمية

وقد فكرت الدولة فى تنفيذ هذا المشروع عندما زاد استهلاكنا من الزيوت المعدنية اللازمة لتشغيل المحركات المختلفة ، اذ بلغت ٧٠ الف طن سنويا نستوردها جميعها بالعملات الصعبة ، وقد اثبتت الدراسات ان هذه الكميات ستزداد عاما بعد عام نتيجة التوسع فى المشروعات الصناعية .

وتنفيذا لسياسة الدولة ، قررت المؤسسة المصرية العامة للبترول ان تقوم شركة السويس لتصنيع البترول بانشاء اول معمل لها لتصنيع الزيوت المعدنية الاساسية بطاقة انتاجية قدرها ٦٠ الف طن ، وقد تم تنفيذ هذا المشروع فى الخطة الخمسية الاولى ، ثم اسند الى الجمعية التعاونية للبترول تنفيذ اول وحدة لخلط الزيوت الاساسية التى ينتجها معمل شركة السويس لتصنيع البترول ، لكى يتم فى هذه الوحدة معالجة هذه الزيوت وخلطها واضافة مايلزمها من مواد كيماوية وتعبئتها ، مع اكتمال تصنيع كل انواع الزيوت طبقا للمواصفات العالمية .

والوحدة الجديدة التى انشأتها الجمعية التعاونية للبترول تكلفت ٥٠٠ الف جنيه ، وستوفر مليونا ونصف مليون دولار . وتصل طاقتها الانتاجية الى خلط وتعبئة ٢٠ الف طن سنويا من انواع الزيوت المعدنية ، وسوف ترتفع هذه الطاقة فى المستقبل حسب احتياجات البلاد .

وايمانا من الجمعية التعاونية للبترول بان النجاح لا يتركز فى صناعة نوع جديد من الانتاج كنا نستورده من الخارج ، انما يكمن فى الارتفاع دائما بمستوى جودة كل انتاج .. قامت الجمعية بانشاء معمل كيمائى الحق بالمشروع ، لمراقبة جودة انتاج الزيوت ، ويضم هذا المعمل محركات لاجراء تجارب الاداء على الزيوت لتطويرها حتى تواجه احتياجات الصناعة من مختلف الضغوط .

كما الحقت بالمشروع ايضا ، ورشة للكشف واختبار البراميل واستصلاحها ، كما ستلحق به ورشة اخرى لتصنيع العبوات الصفيح .

واذا انتقلنا الى جانب آخر من المشروع ، وهو « القوى البشرية » التى تدير الالات .. وتصنع الانتاج لوجدنا انها تؤكد حقيقة السواعد العربية التى تعتمد عليها نهضتنا الصناعية اعتمادا كليا .. ان المشروع يعمل به ١٣٠ عاملا وفنيا ، اوفدت الجمعية عددا كبيرا منهم الى كبريات المصانع العالمية للتدرب على احدث وسائل الانتاج فى هذه الصناعة .

وبعد .. فان اول وحدة لخلط الزيوت المعدنية فى السويس ، هى احد [illegible] الكبرى التى تساهم بها الجمعية التعاونية للبترول فى تدعيم نهضتنا الصناعية ، لتحقيق مجتمعنا الاشتراكى



سيجارة
بلمونت
بفم فيلتر مخصوص
بلمونت
Belmont
متعة
لملايين
المدخنين
المستوردون الوحيدون
• الكويت : عبدالعزيز سعود البابطين
• الإمارات المتصالحة وقطر :
يوسف حبيب واخوانه
• العراق : طالب مصطفى خان
• البحرين : المؤسسة التجارية الشرقية
• اليمن : شركة التبغ والكبريت الوطنية
• عدن والجنوب العربي :
وكالة الاهرام التجارية
• غزة : عيسى سيسالم واولاده
• المملكة العربية السعودية :
عبدالوهاب محمد علي بحراوي
• الجزائر : الشركة الوطنية للتبغ والكبريت
• دول غرب افريقيا :
فروع شركة النصر للتصدير والاستيراد
إنتاج الشركة الشرقية "إيسترن كومبانى" ش م م بالجيزة
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

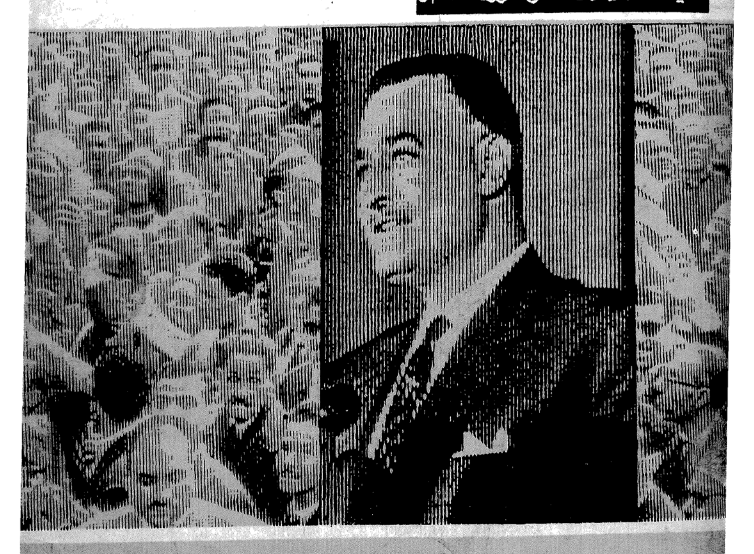


سياستنا .. الاعتماد على أنفسنا في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا .. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل .. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

الطليعة

٦

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر



■ ٤ سنوات للميثاق فى التطبيق

- الحصاد السياسى والاجتماعى لكمشيش

- وثائق تاريخيـة : النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

الفهرس

العدد السادس — السنة الثانية — يونية ١٩٦٦

■ ((ترومونتي)) كمشيش (الافتتاحية) — لطفي الخولي — ص ٥
● وثيقة تنظيمية : تحقيق سياسي عن كمشيش — ص ١٠
■ ٤ سنوات للميثاق فى التطبيق : — ص ١٧
●● فى العمل السياسى
● حصيلة النشاط .. وآفاق المستقبل لتحالف قوى الشعب العاملة — د. محمد الخفيف — ص ١٨
● الديمقراطية فى الميثاق — مصطفى طيبه — ص ٢٩
● الحكم المحلى .. ومسئولية التنظيم — على كامل — ص ٣٥
●● فى التنظيم السياسى والمنظمات الجماهيرية — ص ٣٨
● الالتزام اساس عضوية التنظيم — امين عز الدين — ص ٣٩
● الحركة العمالية .. من المفهوم الاقتصادى الى المفهوم ((السياسى)) — د. عبدالرؤوف ابو علم — ص ٤٧
● الفلاحون يواجهون انحراف البيروقراطية — د. عباس كسيبة — ص ٥٨
● اعداد القيادات الجديدة — د. حسين كمال بهاء الدين — ص ٦٤
●● فى النشاط الاقتصادى
● خريطة الاقتصاد القومى بين القطاع العام والقطاع الخاص — د. عبد الرازق حسن — ص ٦٩
● نحو تنظيم جديد شامل للقطاع العام — د. وليم سليمان — ص ٧٦
● الرقابة الشعبية على النشاط الاقتصادى — د. عبد السلام بدوى — ص ٨٤
● أضواء على اتجاهات الراسمالية الوطنية — عادل غنيم — ص ٩٦
●● فى القيم والثقافة والتربية
● الميثاق اساس لنظرية فى القيم — ابو سيف يوسف — ص ١٠٦
● حصيلة الصراع الفكرى نواة ((لثقافة جديدة)) — د. لطيفة الزيات — ص ١١١
● الميثاق .. والسياسة التعليمية الجديدة — اديب ديمترى — ص ١١٦
● حول المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى — حسين ذوالفقار صبرى — ص ١٢١
● قضايا المجتمع .. والثورة فى العراق — جميل كاظم المناف — ص ١٢٦
● الثورة الافريقية بعد انقلاب غانا — دافيد ديبوا — ص ١٤٠
● العمل الجماهيرى والدوائر الثلاث فى النشاط الخارجى — محمد عبد الفتاح ابو الفضل — ص ١٤٦
● حول مفهوم ((الربح)) بين الاشتراكية والراسمالية — ا . ليبرمان — ص ١٥٠
■ تقارير الشهر والتعليقات — ص ١٥٦
■ مكتبة الطليعة — ص ١٨١
■ كتابات جديدة — ص ١٨٩
■ مناقشات مفتوحة — ص ١٩٣
■ وثائق تاريخية — ص ١٩٨

عنوان المراسلات :

((الطليعة))

مبنى مؤسسة الاهرام ١٤ شارع مظلوم
القاهرة تليفون : ٤٦٦٤٦ — ٤٤١٤٤

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ، ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادها ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر ((قد أختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك)) .



"ترمومتر" كمشيش

بقدر ما كان الثمن فادحا .. حياة ((**صلاح حسين**)) المناضل الشـاب .. بقدر ما يجب ان يكون وزن وقيمة حصادنا السياسى والاجتماعى لهذه المعركة المريرة المعقدة ، والتى بلغت ذروتها مع تلك الرصاصة القاتلةالتى تلفعت بسواد امسية ((**كمشيش**)) ليلة الاول من مايو الماضى .

ومن هنا يصبح واجبا ان لا نسجن «القضية» فى حدود كمشيش واستشهاد صلاح حسين كمناضل فرد فحسب . بل أن نتخذ من هذا الحادث الدموى ، ((**ترمومترا**)) سياسيا واجتماعيا ـ تسلحنا به معركة واقعية ـ لقياس جديد للاوضاع الراهنة فى ريفنا كله ، بعد التطورات المادية والمعنوية التى لحقت به منذ قانون الاصلاح الزراعى الاول فى سبتمبر ١٩٥٢ حتى اليوم .. ومعرفة مضمون ودرجة حرارة الصراع من حول الارض وعرق الفلاح واتجاهاته وموقف وطبيعة القوى الاجتماعية الريفية فى تركيبها الراهن .. ومدى ما يجب ان يصفى منها أو يحد من نفوذها او يقوى من مواقعها ، وذلك كله فى اطار الالتزام الواعى بالميثاق وظروف وامكانيات ومتطلبات عملية التحول الاشتراكى للمجتمع ككل ومستقبلها . هذه العملية التى تواكب فى نفس الوقت ودون انفصال التحديات الداخلية والخارجية لقوى شعبنا العاملة ، المتجسدة فى تحركات الرجعية والاستعمار من ناحية ، وفى نواقص قوانا الثورية الذاتية من ناحية أخرى .

ولعل هذا هو جوهر الاتجاه الذى تبنته قيادة الثورة بالفعل ، عندما بادر المناضل جمال عبد الناصر ـ كرئيس للاتحاد الاشتراكى وللجمهورية معا ـ باصدار قرار بتكوين لجنة مركزية ـ سياسية تنفيذية ـ برئاسة المشير عبد الحكيم عامر عضو

اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي والنائب الاول لرئيس الجمهورية ، لبحث الوضع الريفي كله على ضوء حادث كمشيش .

واذا اردنا أن نتخذ من كمشيش ((ترمومترا)) للقياس السياسي والاجتماعي لحالة ريفنا ، فيجب أن نقف أول ما نقف على حصيلة ما كشفت عنه كمشيش من حقائق موضوعية ، وما تقدمه لنا من دروس واقعية عامة في مدلولها . فبهذا نربط «الخاص» « بالعام » ونعمم — دون افتعال أو تعسف — على « الكل » الاستفادة من « الخبرة » المكتسبة من « الجزء » .

وكمشيش — مسرح الحادث — قرية من قرى محافظة المنوفية البالغ عددها ۳۰۹ قرية ، تمتد مع ۸ مدن ، بين فرعي دمياط ورشيد لدلتا النيل على مساحة ۳۳۲ر۲۹۱ فدانا ، يعيش عليها ۱ر۹٤۷ر۲۷۰ مواطنا ومواطنة يمثلون ٦ ٪ من مجموع المشتغلين بالزراعة في الجمهورية .

وازاء كثافة السكان المتزايدة بالنسبة لمساحة الارض التي تتميز بخصوبتها بالقياس الى انتاجية الارض في بقية المحافظات حتى لتوازى قيمة الفدان الواحد في المنوفية ، ما يقرب من فدان وربع الفدان في غيرها ، ويتسم واقع المنوفية وقراها بالسمات الخاصة التالية :

● تفتت الملكية الزراعية الى ملكيات متناهية الضآلة تصل في المتوسط الى اقل من فدان واحد ، وبالتالي ندرة الملكيات الكبيرة (۳۰ فدانا فأكثر) سواء قبل الثورة وتطبيق الاصلاح الزراعي او بعد تطبيقه . بحيث أن الاصلاح الزراعي لم يستول عند تنفيذه طبقا للقانون على أكثر من ۲۰ الف فدان فحسب ، تم توزيعهما بالفعل على ٤ر٨٠٠ عائلة .

● اكتساب فلاحي المنوفية بسبب جودة الارض من ناحية وضيق مساحتها من ناحية أخرى لخبرة زراعية ممتازة ، طعموها باستمرار — وبدافع البحث عن مصادر ضرورية أخرى للدخل — باتقان عدة حرف صناعية صغيرة معتمدة على الزراعة كتربية النحل ودود القز وصناعة الالبان والحصير والاسبتة الخ ..

● لم تدخل الصناعة الحديثة بحجم ووزن كبيرين ومؤثرين في محافظة المنوفية فلا يوجد بالمحافظة غير مصنع للغزل يضم ٦ آلاف عامل من المنتظر أن يرتفع عددهم خلال عملية التوسع في غضون السنوات الثلاث الاولى من الخطة الثانية ، الى ۱۲ الف عامل . وذلك بالاضافة الى مصنع صغير لنسج خيوط الحرير وآخر للدخان المعسل . ومن هنا ظلت « الارض » هي وسيلة الانتاج الاساسية والغالبة باستمرار في المحافظة .

● ارتفاع نسبة التعليم بدرجة ملحوظة في المنوفية عن غيرها من محافظات المنوفية حتى لتصل الى حوالي ٦٠ ٪ من ابنائها وبناتها . وحرص المتعلمين والمتعلمات على عدم هجرة محافظتهم غالبا وانما التوظف بها والاستمرار في المعيشة داخل حدودها . أو على الاقل عدم الانعزال عنها ، الامر الذى جعل للفئات المتعلمة ومعظمها من ابناء وبنات الفلاحين الفقراء والمتوسطين وجودا ايجابيا في قرى المحافظة يتمثل في مستوى الوعي العالي نسبيا لسكانها بالقياس الى بقية القرى في المحافظات الاخرى .

وهذه السمات الاربع « للمنوفية » هي التي شحنت « الصراع من حول الارض » بكل هذه الحدة الملحوظة والمميزة في هذه المحافظة ، والتى انفجرت في كمشيش .

وكمشيش ذاتها قرية صغيرة لايزيد عدد سكانها على عشرة آلاف نسمة فوق ارض زراعية لا تتسع مساحتها لاكثر من ۲۱۲۰ فدانا ، استطاع عدد صغير من أفراد عائلة الفقي

ـ تاريخيـا ـ خلال الصراع من حول الارض مع افراد عائلة اخرى هى عائلة مقـلد ، التى ينتمى اليها الشهيد صلاح حسين وزوجته المناضلة شاهنده مقلد وجموع الفلاحين الفقراء والمتوسطين والعمال الزراعيين ، أن يستولوا ـ كملكية خاصـة ـ على ١٢٠٠ فدانا من أراضى القرية . انتزعت بأساليب غير مشروعة فى الغالب من ايدى الفـلاحين الفقراء والمتوسطين عامة وعائلة مقلد خاصة .. هذه العائلة التى هوت خلال الجيلين السابقين ـ الى مواقع الفلاحين العاديين فقراء ومتوسطين .

ثم جاء الجيل الثالث المعاصر من ابناء الفلاحين ، مواكبا لثورة يوليو ١٩٥٢ ،مسلحا بالثقافة والوعى السياسى والاجتماعى ـ ومن بينهم الشهيد صلاح حسين وزوجتـه شاهنده مقلدوزملائهما وزميلاتهما ـ ليقودوا آبائهم واخوانهمفى عملية الصراعالمتواصلة والتى لم تهدأ يوما ما ولكن بمضمون أكثر ثورية وتفتحا ، ضد أصحاب الملكيات الكبيرة فى القرية المميزين اقتصاديا واجتماعيا ، والذين تجسدوا فى نفر قليل من عائلة الفقى. فرغم أن هذهالملكيات الكبيرة موزعة قانونا على أفراد العائلة، الا انهم عمدوا الىتجميعها فعليا خلال عملية الاستغلال ، كمشروع رأسمالى كبير ، موحد الطاقة ، موحد الادارة . وذلك عن طريق بعض منهم اقام فى القريه لممارسة عمليه الاستغلال من زراعة وتأجير وتربية المواشى والدواجن وغيرها ، وعقد صفقات البيع والشراء فى السماد والبـذور واحتكار توزيعها على الفلاحين بالاثمان التى يحددها ، فى حين هاجر بقية افراد الاسرة المالكين الى العاصمة حيثاحتلوا مناصب حكومية. واخذوا جميعا يشاركونبأرباحهم فى مشروعات تجارية وصناعية خاصة ، واصبحوا بذلك « عالة رأسمالية طفيلية » على القرية ، وقوة مميزة من قوى القطاع الخاص عامة .

وهكذا انقسمت كمشيش بوضوح حاسم الى قسمين رئيسيين :

قسم كبار الملاك الرأسماليين الطفيليين الذى تبلور فى أفراد معدودين من عائلة الفقى راحوا بحكم وزنهم الاقتصادى يسيطرون على كل مظاهر وادوات النفوذ والسلطة فى القريه ويستخدمون ما تخلف هناك من رواسب العـلاقات الاقطاعيـة فى الاستبـداد بالفلاحين والتحكم فى ارزاقهم وتشغيلهم بأبخس الأجور ، لا يستثنى من ذلك أحد حتى أفراد العائلة من المعدمين أو من الفلاحين الفقراء .

وقسم من الفلاحين الفقراء والمتوسطين والعمال الزراعيين وابنائهم من الشـباب الجديد المتعلم يشمل غالبية القرية بما فيهم بعض المعدمين من عائلة الفقى نفسهـا . يحاولون بكل الطرق محاربة استغلال واستبداد الراسمالية الريفية الطفيلية المتجسدة فى الملكيات الكبيرة الوزن للافراد الممتازين من عائلة الفقى .

واستطاع نضال الفلاحين ان يتبلور فى زمن مبكر من سنوات الثورة الاولى عنتكوين تنظيم باسم « الفلاحين الاحرار » ـ تشبها بتنظيم الثورة « الضـباط الاحـرار ـ وذلك بزعامة صلاح حسين الذى ظل على ارتباط مستمر ووثيق بقريته رغم عـدم وجود مصالح مادية تذكر له فيها، رافعا شعار « تصفية اقطاع الفقى فى كمشيش » ، واهبا كل حياته وجهده باخلاص لقضية الفلاحين فى قريته ، رابطا بينها وبين قضيـة الثورة فى المجتمع ككل .

ونجح نضال احرار كمشيش ، سواء بضرباته التلقائية المباشرة أو من خلال العمل داخل الاتحاد القومى ، فالاتحاد الاشتراكى بالقدر الذى سمحت به الظروف ، أن يسجل انتصارات متوالية :

● تكتيل الفلاحين لمقاومة الاستغلال الراسمالى الطفيلى بصورة جماعية وملموسـة كرفض العمـل بالاجور المخفضـة ، وتحطيم السدود المقامة على مياه الرى اللازمة

لاراضيهم ، وطرد جماعة « القتلة المأجورين » الذين استقدمهم كبار الملاك لتأديب وارهاب أهل القرية .

● دخول المعركة الانتخابية بالنسبة لكل من الاتحاد القومي والاتحاد الاشتراكي لمنع كبار الملاك من السيطرة على التنظيم السياسي .

● كشف قيام كبار الملاك بالتحايل على قانون الاصلاح الزراعي بتهريب ٢٣٧ فدانا من ممتلكاتهم تدخل في دائرة تنفيذ القانون ومصادرتها وتوزيعها على الفلاحين .

● ثم جاءت الضربة الاساسية باقناع القيادة الثورية ببشاعة استغلال الراسمالية الطفيلية للفلاحين الامر الذى ادى الى فرض الحراسة عليها عام ١٩٦١ .

وهكذا وصل الصراع الى ذروته ، خاصة وان نضال الفلاحين ظل يتتبع ويراقب بدقة نشاط الراسمالية الطفيلية في القرية بعد وضعها تحت الحراسة واستمرارها في ممارسة الاستغلال الاقتصادى والاجتماعي ــ باسماء مخدوميها ــ في تجارة المواشي والحبوب والسماد وغيرها مستعينة بتغطية كاملة من سلطات القرية المحلية كالعمدة ومشايخ البلد والخفر وبعض القائمين على الاجهزة الادارية . وأصبحت القضية بالتالى قضية حياة أو موت بالنسبة لكل طرف من أطراف الصراع. فانطلقت الرصاصة الى رأس زعيم فلاحي كمشيش .. وسقط صلاح حسين شهيد معركة الفلاحين الفقراء والمتوسطين والعمال الزراعيين ضد الراسمالية الطفيلية .

ما الذى نستطيع ان نخرج به اذن من هذه المعركة من حصاد سياسي واجتماعي ؟ .

لعل اول امر نخرج به هو أن الصراع في ريفنا اليوم ليس كما يصور غالبا ، بين « الاقطاع » و « الفلاحين » . فالاقطاع في الواقع والحقيقة قد قضى عليه اقتصاديا وسياسيا واصبح مجرد شبح هزيل لا يبدو الا في تلك الرواسب من العلاقات الاجتماعية وبالتالي فالقول بأن المعركة مع « الاقطاع » يجعلنا « كدون كيشوت » نحارب عدوا وهميا لا وجود له ، وننصرف عن العدو الحقيقي وهو تلك الراسمالية الريفية الطفيلية التى تحاول أن ترث كل نفوذ الاقطاع القديم السياسي والاجتماعي وتزيد من ثرواتها متسترة برداء « الراسمالية الوطنية » كي تحتمي من الثورة داخل تحالف قوى الشعب العاملة وتكسب مواقع فيه للانقضاض والتخريب .

و « كمشيش » تظهر بجلاء ان المعركة الحقيقية هي بين هذه الراسمالية الريفية الطفيلية وبين كل فئات الراسمالية الوطنية الريفية المتجسدة في صغار ومتوسطى الفلاحين والعمال الزراعيين والمثقفين الريفيين الثوريين . وهذا بدوره يستلزم العمل على عزل هذه الراسمالية الطفيلية عن تحالف قوى الشعب العاملة .

اما الامر الثاني فهو ان الراسمالية الريفية الطفيلية تسيطر سيطرة فعلية على مظاهر وأدوات النفوذ الاجتماعي والادارى المحلية في القرى . وهذا من شأنه أن يعزل القوى الريفية الشعبية صاحبة المصلحة في التطور الاشتراكي عن الثورة ، الامر الذى يزيد من الهوة بين الريف والمدينة من ناحية ، ويمنع وضوح الرؤية لحقيقة نضال الفلاحين ويلونه كحركات تمرد ومغامرة ، ويثقل كاهل المناضلين باتهامات باطلة وكاذبة كما حدث بالنسبة لصلاح حسين حين اتهم في وقت واحد كاخواني وشيوعي لابعاده عن ساحة المعركة وعزله عن العمل السياسي . وقد ظل نتيجة لهذا معزولا بالفعل حتى عام ١٩٦٥ .

ويعني هذا في نفس الوقت ان سلطات الحكم المحلي ــ كما يقول ابراهيم بغدادي محافظ المنوفية بصراحة وشجاعة ــ تقف بلا حراك ولا قدرة عند الحدود الخارجية للقرى ، طالما

ظلت السلطة فى القرية فى اطار النظام التقليدى للعمد والمشايخ الذين يدينون بالولاء ـ بحكم علاقات القوى الراهنة ـ الى مجموعات الرأسماليين الطفيليين أصحاب النفوذ الاقتصادى .

اما الامر الثالث فهو ان الاتحاد الاشتراكي في كمشيش استطاع ان يوجد بوزن وفاعلية حقيقيين من خلال الصراع ضد الرأسمالية الريفية الطفيلية ، وعلى أكتاف مناضلين واعين حركيين نبتوا من أحضان الفلاحين واستطاعوا بالتالي ان يعبئوا قواهم فى حركة منظمة لا تهدأ ولا تهن . وهذا بدوره يطرح بالحاح قضية تكوين الكادر الثورى الريفى ليكون العمود الفقرى القيادى المنظم للعمل السياسى فى الريف وتحريك الاتحاد الاشتراكى .

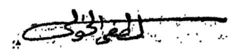
بيد انه فى نفس الوقت تظهر « كمشيش » أن وقتا وجهدا وحياة قد ضاعت بسبب عدم وجود قنوات تنظيمية سريعة وفعالة بين قواعد الإتحاد الاشتراكي ومستوياته القيادية محليا حتى اضطر صلاح حسين وزملائه ان يستخدموا فى نضالهم الاتصالات والعلاقات الشخصية مع المستويات العليا القيادية للاتحاد الاشتراكى ، دون الاستفادة من قيادات وتنظيمات المنطقة نفسها تنظيميا . الامر الذي جعلهم مكشوفين دون حماية فعالة من التنظيمات المحلية .

وأما الامر الرابع فينبع من ضرورة ان تكون قيادات الحكم المحلي ـ اداريا وتنظيميا ـ فى ايدى كادر سياسى ثورى . ذلك ان مبادرة كل من محافظ المنوفية ومدير امنها وامين المكتب التنفيذى بالقاء الضوء على جريمة قتل صلاح حسين وكشفها على اساس أنهـا جريمة سياسية اجتماعية فى المقام الاول ، قد اسهم إيجابيا فى تقديم « تقدير موقف واقعى وسليم » للقيادة الثورية امكنها من إتخاذ اجراءاتها الحاسمة فى الحال فى إطار الشرعية الثورية .

واما الامر الخامس فهو يتجلى فى امكانية استخدام الصراعات التقليدية المترسبة بين العائلات الريفية وعصبياتها الكامنة حتى اليوم فى ريفنا ، كأسلحة للنضال الاجتماعى من اجل التطوير الاشتراكى، وذلك بتحويلها على ايدى الشباب المثقف الواعى ـ كما فعل صلاح حسين وزملائه ـ من صراعات عصبية وعائلية الى صراعات ذات مضمون اجتماعى وسياسى ثورى ملتزمة بخط التنظيم السياسى وميثاقه .

وأما الامر السادس والاخير فهو ان التنظيم السياسى بما يقدمه من تعبئة جماهيرية منظمة وواعية يستطيع ان يصمد أمام الهزائم المؤقتة وأن لا يسيطر عليه الغضب العاطفى المدمر ازاء اقصى الاستفزازات . وانما يواصل بثقة واصرار والتزام ، العمل والنضال على طريقه . ويحول بجهده الواعى وبارتباطه الوثيق بقيادته ، الهزائم الى انتصارات ، والغضب العاطفى الى طاقة بناء وتقدم . مثلما فعل زملاء صلاح وزوجته، حينما قادوا الجموع الغاضبة بعيدا عن طريق الثأر الفردى الى طريق الثورة ضد الرجعيه فى الريف ككل .

وبعد .. ان « ترمومتر » كمشيش قد غدا سلاحا من أسلحة نضالنا السياسى والاجتماعى لخلق الريف الثورى الجديد فى مجتمعنا، بشرا وانتاجا وعلاقات اجتماعية، وبقدر ما نحسن استخدامه واقعيا ، بقدر ما نكرم تضحية شهيدنا صلاح حسين بحياته .



وثيقة تنظيمية



تحقيق سياسى عن كمشيش

تنشر ((الطليعة)) ، بتصريح خاص ، نص التقرير التنظيمى الذى وضعته امانة شئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكى عن حادث اغتيال الشهيد ((صلاح الدين محمد حسين)) عضو لجنة الفكر والدعوة بالوحدة الاساسية لقرية كمشيش بمحافظة المنوفية .

وكانت الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى قد تابعت باهتمام حركة الصراع الدائرة فى القرية بين رواسب القوى الاقطاعية وكبار الملاك وبين قوى الشعب العامل بقيادة صلاح حسين . وعندما وقعت الجريمة فى ليلة أول مايو ١٩٦٦، عهد السيد على صبرى الامين العام للاتحاد الاشتراكى الى السيد عبد الفتاح أبو الفضل امين شئون الاعضاء باجراء تحقيق سياسى مبدئى عن الحادث بعد بساعات قليلة من وقوعه .

تقرير عن اغتيال المرحوم صلاح الدين محمد حسين

عضو لجنة الدعوة والفكر لموقفه من عائلة الفقى الاقطاعية بكمشيش

١ ـ بتاريخ ١٩٦٦/٥/٢ وردت للامانة برقيات من لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى بقرية كمشيش ومن العمال والفلاحين ومن والدة الشهيد صلاح الدين محمد حسين التى استشهد من قبل ابنها الرائد طيار محمد حامد حسين فى معركة اليمن للدفاع عن الحرية .. يستنكرون فيها اغتيال شهيدهم المرحوم صلاح الدين محمد حسين بيد الرجعية والاقطاع لموقفه فى كشف تهربهم من تطبيق القوانين الاشتراكية ولتصديه الدائم لهم وفضح مؤامراتهم .

٢ ـ بالرجوع الى المعلومات المحفوظة بالامانة اتضح ان ادارة المباحث العامة سبق ان اخطرتنا بوجود تكتلين فى قرية كمشيش يرأس أحدهما المرحوم صلاح الدين محمد حسين (القتيل) ويمثل التكتل الثانى عائلة الفقى الرجعية واتباعها وتضمن احد كتابى المباحث العامة المعلومات المسجلة عن المرحوم صلاح الدين محمد حسين والتى تشير الى سابقة اعتقاله اكثر من مرة لانتمائه لجماعة الاخوان المنحلة وفى نفس التقريرين المشار اليهما ذكر أن نشاط صلاح حسين الحالى ذو صبغة شيوعية !.

وانه يسود اعتقاد بقيامه بتكتيل الشيوعيين ضد عائلة الفقى .

٣ ـ كما سبق أن ارسل المرحوم صلاح حسين للامانة شئون الاعضاء صورة من تقريره للجهات المختصة يطالب فيه بتصفية الرجعية والاقطاع فى المرحلة الحاسمة التى تجتازها البلاد حتى لا تكون خطرا داخليا يعوق انطلاقنا الخارجى .

٤ ـ واتضح أيضا ان لجنة وحدة كمشيش ارسلت للامانة صورة تقريرها للجهات المختصة تطالب فيه بالاستيلاء على قصور عائلة الفقى المهجورة بكمشيش والتحقق من مصادر الثراء الحالى لافراد العائلة خصوصا وأن الملاك من العائلة تحت الحراسة حاليا .

٥ ـ فور تلقى البرقيات أمس قامت الامانة بابلاغ السيد الامين العام باشارة تليفونية بالاسكندرية بملخص الحادث وضرورة اتخاذ اجراء ثورى ضد عائلة الفقى الاقطاعيين .

٦ ـ انتقلت ومعى بعض المساعدين الى محافظة المنوفية وقابلنا زوجة الشهيد السيدة شاهندة كما تقابلت مع أمين المكتب التنفيذى وبعض اعضاء المكتب بحضور السيد محافظ المنوفية ومدير الامن وخلال المناقشة تمكنت من الاحاطة بظروف حادث الاغتيال ، وموقف عائلة الفقى بصفة عامة على النحو التالى :

أولا : عائلة الفقى

١ ـ كانت عائلة الفقى تمتلك ١٢٠٠ فدان بزمام قرية كمشيش مركز تلا بالاضافة الى ما تمتلكه بالقرية من قصور .

٢ ـ تمكنت العائلة بالتحايل على القانون من الاحتفاظ بهذا القدر من الاراضى الزراعية حتى عام ١٩٦١ حيث وضعت أملاك العائلة تحت الحراسة ولم يستول الاصلاح الزراعى فى هذا العام الا على ما يقرب من ٢٣٠ فدانا وظلت بقية المساحة مملوكة للعائلة فى حدود ١٠٠ فدان لكل فرد من العائلة .

٣ ـ ونتيجة لاحتفاظ العائلة بهذا القدر من الاراضى الزراعية منذ صدور قانون الاصلاح الزراعى الاول عام ٥٢ حتى ١٩٦١ (تاريخ وضع الاراضى تحت الحراسة) ولوضوح نية الدولة فى تحديد الملكيات الزراعية فقد اخذت العائلة فى تكديس الاموال واستثمارها فى التجارة (فى المواشى بصفة خاصة) .

ثانيا : المرحوم صلاح الدين محمد حسين

٤ ـ من عائلة فقيرة بقرية كمشيش .

٥ ـ اشترك عام ١٩٤٨ فى احدى كتائب تحرير فلسطين وسافر على نفقته الخاصة بعد أن باع مصحفا مذهبا كان يحمله .

٦ ـ قام بتشكيل كتيبة من فلاحى كمشيش عام ١٩٥٦ استعدادا للاشتراك فى المعركة ضد قوى الاستعمار .

٧ ـ صدم منذ طفولته الأولى بجبروت الاقطاع والرجعية متمثلا فى عائلة الفقى ـ وكان فى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ الامل له وللفلاحين فى كمشيش فى الخلاص من ظلم الاقطاع والرجعية .

٨ ـ وبعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ وصدور قوانين الاصلاح الزراعى الاولى وتهرب عائلة الفقى من القانون زاد اصرار المرحوم صلاح حسين وزملائه من الفلاحين على تحقيق اهداف الثورة وأخذ فى تجميع الفلاحين حوله واتخذت المعركة صورة سافرة بين أفراد الشعب الحقيقيين وبين عائلة الفقى وبعض الافراد المنحرفين بالاجهزة التنفيذية .

٩ ـ ورغم ما تعرض له المرحوم صلاح حسين واعتقاله أكثر من مرة بتهمة انتمائه لجماعة الاخوان المنحلة الا أن ايمانه بالثورة وقيادتها الثورية لم يضعف . وأخذ فى ابلاغ القيادات السياسية عن تهرب عائلة الفقى من تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى وقد ثبت فعلا صحة ما ابلغ به ووضعت أملاك العائلة تحت الحراسة عام ١٩٦١ واستولى الاصلاح الزراعى على حوالى ٢٣٠ فدانا وزعت بالفعل على بعض المعدمين من فلاحى القرية فى نهاية عام ١٩٦٥ .

١٠ ـ واستمر المرحوم صلاح حسين (باعتباره عضو لجنة الدعوة والفكر بكمشيش) فى استقطاب الفلاحين حوله وحول لجنة الاتحاد الاشتراكى بالقرية وأخذ فى فضح مؤامرات عائلة الفقى مما أدى الى اتهامه ومن معه بالشيوعية (رغم سابقة اعتقاله بتهمة انتمائه لجماعة الاخوان) . وذلك بتأثير عائلة الفقى على بعض المنحرفين من الاجهزة التنفيذية .

١١ ـ وكانت المعركة الاخيرة التى خاضها المرحوم صلاح حسين ضد عائلة الفقى (التقرير المقدم منه ـ السابق الاشارة اليه) يطالب فيه بتصفية الرجعية والاقطاع تصفية نهائية كما طالب خلال لجنة وحدة القرية بالاستيلاء على قصور العائلة .



زوجة الشهيد « السيدة شاهنده »

١٢ ـ خلال مقابلتى للسيدة شاهندة حرم المرحوم صلاح الدين حسين شاهدت المرأة المصرية الباسلة المناضلة بكل عظمتها ـ وبدون بكاء أو نحيب قررت السيدة أن زوجها سقط برصاص الرجعية . وانها لا تقبل اى عزاء سوى الاجراء الثورى لتصفية الرجعية ليس فى المنوفية فقط ـ بل فى كل انحاء الجمهورية العربية المتحدة وأكدت السيدة أن صلاح سقط « الآن الراية لن تسقط وانها وغيرها من الشبان والشابات ستقوم بنفس دوره وأن ثقتها فى الثورة وقائدها الرئيس جمال عبد الناصر لن تتزعزع .

كانت السيدة شاهندة خلال اعتقال زوجها عام ١٩٦٥ بتهمة انتمائه لجماعة الاخوان المنحلة زورا ـ تقود المظاهرات فى شبين الكوم تهتف بسقوط الاخوان والرجعية ولم تهتز ثقتها قط فى ان الرجعية وليست الثورة ـ هى التى زورت الحقيقة ودفعت بزوجها الشهيد الى المعتقل . ولقد كانت الثورة عند حسن ظنها وافرج عن زوجها بعد ان ثبت ان لا صلة بينه وبين الاخوان .

٧ ـ لم تكن جنازة المرحوم الشهيد صلاح الدين حسين مأتما يقبل فيه العزاء بل كان مظاهرة ثورية شعبية قادتها حرمه السيدة شاهندة هاتفة بحياة الثورة واستمرارها واشترك فيها فلاحو القرية وشبانها وكل الذين يرفضون الاستسلام للرجعية .

معلومات محافظ المنوفية وأمين المكتب التنفيذى ومدير الامن

١٣ ـ اكدت معلوماتهم ان مقتل المرحوم صلاح الدين حسين لم يتم الا بتحريض من عائلة الفقى وعلى رأسها عميدها صلاح الدين أحمد عبد الله الفقى ، وانه من الصعب جدا اثبات ذلك جنائيا لانه على فرض اعتراف القاتل ـ بتحريض آخر له ـ وهذا يعرضه لعقوبة الاعدام نتيجة هذا الاعتراف ، بالاضافة الى أن تحقيق النيابة لم يسفر حتى الان عن الاهتداء ـ بصورة مؤكدة لشخصية القاتل .

١٤ ـ كما أكدت معلوماتهم أن عائلة الفقى تعيش فى مستوى اعلى بكثير من مستواها قبل الثورة وانها تعيش فى شبه عزلة عن بقية سكان المنطقة ، الامر الذى اضطرهم فى النهاية الى السكن فى الاسكندرية وان العداء والشك هو الذى يحكم علاقتها ببقية الناس . وان الشهيد صلاح الدين حسين كان من وجهة نظر العائلة محرض اساسى ، لكشف حقيقتهم أمام الناس .

ظروف ارتكاب الحادث

توجه صلاح حسين الى الامانة العامة بالقاهرة وقابل المسئولين بأمانة الفلاحين وناقش معهم وضع الاقطاع فى كمشيش ثم عاد الى بلدته لاحاطة أهلها علما بما اسفرت عنه زيارته للقاهرة وبعد انتهاء الاجتماع بكمشيش وفى طريق عودته الى منزله ومعه صديقه وزميله بالاتحاد الاشتراكى شوقى شريف الموظف بالتأمينات الاجتماعية بشبين الكوم خرج عليهما محمود عيسى والسيد عطيه من منزل الاخير وكان بيد الاول مسدسا اطلق منه الرصاص فأصاب المرحوم صلاح حسين فى جمجمته فلقى مصرعه فى الحال فسارع صديقه شوقى شريف بالقبض على القاتل الذى هرب شريكه وفى نفس الوقت حضر شيخ الخفراء بسيونى الفقى من العائلة الاقطاعية ومعه آخرين وضربوا الشاهد شوقى شريف حتى هرب القاتل بعد أن عض الشاهد المذكور فى يده وقد قام الشاهد بابلاغ الشرطة فى الحال بالجريمة وحضر بعده مباشرة المتهم بالقتل محمود عيسى وشريكه السيد عطيه وآخرين وقدموا بلاغا بقيام المقتول والشاهد بالاعتداء على القاتل وشريكه بالضرب فى محطة سكة حديد كمشيش قبل ارتكاب جريمة القتل بحوالى ٣ ساعات وقدموا جميعا بما فيهم شيخ الخفراء واقعة القتل على النحو الذى ذكره شوقى شريف وقد اوضح مدير الامن بالمحافظة أن المتهمين بالقتل محمود عيسى وشريكه من اتباع عائلة الفقى .

تعليق امانة شئون الاعضاء

قالت زوجة المرحوم صلاح حسين فى حديثها مع المسئولين فى المنوفية وفى الاتحاد الاشتراكى

العربى ان الصراع السلمى بين الطبقات فى المجتمع المصرى لم يعد ممكنا ، لقد كان زوجى يصارع سلميا ولكن الذى حدث هو أن رصاص الرجعية والاقطاع قد صرعه .

وفى اعتقادى أنه لابد من وضع حد لتزايد ضراوة الرجعية المحلية التى ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان ضراوتها فى الداخل تنمو باضطراد مع اتساع ونمو الرجعية والاستعمار فى المنطقة العربية . ان حماية الجبهة الداخلية تستلزم بالضرورة اعادة الثقة الكاملة والمعطلة لكل الفئات صاحبة الحق والمصلحة من الثورة . وهذه الجريمة سابقة خطيرة لانها قضية سياسية فى المكان الاول لابد من مواجهتها باجراءات حاسمة تعيد الثقة لقوى الشعب العاملة فى هذه المنطقة . ان اكثر ما يزيد القضية عمقا شعبيا ان كل أهالى قرية كمشيش يعلمون أن شقيق صلاح الدين حسين هو الرائد طيار محمد حامد حسين الذى استشهد فى معركة الحرية فى اليمن وان ابناءه يعيشون فى بيت عمهم الذى قتلته عائلة الفقى الرجعية فى المنوفية .

●

مرفق (١)

شبين الكوم بلت
السيد على صبرى ــ القاهرة

لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى بوحدة كمشيش تلا منوفية تناشدكم سرعة محاكمة عائلة الفقى الاقطاعية لتدبيرها مؤامرة اغتيل فيها ابن الثورة المناضل صلاح حسين . ان الاقطاع والرجعية أبوا على مناضلى كمشيش ان يرفعوا راياتهم البيضاء فى يوم عيد العمال فلطخوها بدماء الشهيد البطل .

أمين اللجنة بكمشيش مركز تلا
كمال عبد السلام عطيه

●

مرفق (٢)

شبين الكوم بلت
السيد على صبرى ــ القاهرة

بلادنا تستعد للاحتفال بيوم العمال الحالى تخليدا لنضالهم الطويل سقط امس المناضل الشهيد صلاح محمد حسين طريح طلقات رصاص الاقطاع والرجعية على ارض كمشيش وبتدبير عائلة الفقى الرجعية وباشراف الخائنين عزيز صلاح الفقى وشيخ الخفراء بسيونى الفقى . ان اغتيال الشهيد ليس المقصود به شخص صلاح الدين محمد حسين وانما هو عمل يستهدف الثورة وابنائها وقادتهم وجنودهم . وهو تحدى مدبر من القوى المعادية للثورة الوطنية .

ان الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود من ابناء كمشيش يهيبون بكم وهم يعرفون مكانة صلاح الدين حسين النضالية ان تاخذوا الاجراء الثورى الرادع ومحاكمة المجرمين الخونة على جريمتهم البشعاء .

عنهم : شوقى عبد الله شريف كمشيش البتانون

●

مرفق (٣)

شبين الكوم بلت
السيد على صبرى ــ القاهرة
والدة شهيد اليمن / رائد طيار محمد حامد حسين ولم تكد تفيق من صدمتها حتى اغتالت عائلة الفقى الاقطاعية ابنها الاكبر والاخير المناضل الشهيد صلاح حسين بالامس على

ارض كمشيش بالمنوفية باسم المبادىءالثورية التي من اجلها استشهد كل ابنائى اطالبكم بسرعة تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة عائلةالفقى على مؤامرتها الرجعية وعلى اغتيالها ابن بار من اشرف ابناء الثورة .

والدة الشهيدين امينة مقلد
شارع محمد فريد / ٧ شبين الكوم

●

محافظة المنوفية
الاتحاد الاشتراكى العربى
لجنة وحدة كمشيش الاساسية
مركز تلا

مرفق (٤)

السيد عبد الفتاح ابو الفضل
امين امانةشئون الاعضاء بالاتحاد الاشتراكى العربى

ثورة ٢٣ يوليو ملك لجماهير شعبنا .

اسرعوا باعتقال كل الاقطاعيين السابقين ومن اضيروا من الراسمالية بقوانين الثورة والا فانقلاب رجعى فى الطريق ، شددوا الهجمات على الاستعمار والا فاحلامه الخبيثة تزين له العدوان .

من المسلم به ان الاستعمار يعيش اليوم صحوة موته ، ولهذا فهو يضرب بكل قوة حركات التقدم والتحرر متخذا من آسيا خطاأماميا للدفاع عن مصالحه فى افريقيا وأمريكا اللاتينية ، فواضح ذلك فى المعركة ضد فيتنام وجنوب شرقى آسيا .

ولا شك ان هذه الصورة النامية فى التوحش قد جاءت عبر اختبارات القوة الاستعمارية المتزايدة لرد فعل المعسكر الاشتراكى عامة والاتحاد السوفيتى خاصة منذ انزال القوات الامريكية على شواطىء لبنان الى مهزلة الكونغو الى سحب الصواريخ من كوبا - وبغض النظر عن النتائج الايجابية المحدودة لبعض تكتيكات رد الفعل مثل تجنيب كوبا ويلات الحرب ألا انه على النطاق العالمى قد فتح الباب بصورة متزايدة لأمكانية أشعال حروب محدودة - فيما عدا شرقى اوربا . دون التورط فى حرب عالمية رادعة . وقد كان الانشقاق فى المعسكر الاشتراكى أيا كان المخطىء والمصيب اكبر الأبواب اتساعا .

وطبيعى ان يعدل الاستعمار من تكتيكه فى افريقيا وامريكا اللاتينية بما يتناسب والعنف الدامى فى خطوطه الامامية مستخدما فى ذلك الى اقصى حد انتعاشات الرجعية المحلية والتقليدية والرعشة التى اصابت البرجوازية الوطنية فى البلدان حديثة التحرر حيث يبدو فى وضوح أن الاستعمار الجديد شرع فى انقلابات سافرة ، ينتهك من جانبه تكتيك التعايش السلمى على النطاق العالمى بغض النظر عن تفاصيل نظمها الاقتصادية الداخلة او موقفها الحيادى أو حتى الكومنولثى . . وفى غانا اقرب مثال . وعلى هذا الضوء وامتدادا له نلاحظ على الصعيد العربى تحرك الحكومات الرجعية تارة فى اتجاه اضفاء الرغبة على الجيب الاستعمارى فى اسرائيل وطورا فى محاولة اقامة حلف رجعى تحت ستار من التزيف الدينى واخرى فى الحيلولة دون اقامة سلم عادل فوق أرض اليمن ، فى حين ينهال السلاح الاستعمارى على اسرائيل الى حد المفاعل الذرى ، وتهبط الطائرات الامريكية لدعم السلاح الجوى الملكى السعودى وفى الداخل تتحرك الرجعية الأخوانية خلف الرجعية الاقطاعية والراسماليين المضروبين وفى تنسيق واضح مع الحلف المركزى .

هذه هى صورة موجزة عن صحوة الموت الاستعمارى والرجعى ، هذا هو القدر المصرى يضع على اكتاف الشعوب ، وبالدرجة الاولى التى استقلت منها حديثا أشق مهمة وأشرفها ، مهمة تكميل تحرير الانسان من كافة صنوف الذل والاستغلال . . والشعب المصرى من طلائع هذه الشعوب المستغلة حديثا التى تحمل فى نشاط فوق ذلك عبء القضاء على التخلف وانجاز الصناعات الحديثة .

فماهو موقفنا؟ . نحن نؤمن بأن قضية التحرر عالمية ويستحيل تجزئتها، هل نرفض التعايش السلمي ؟ لا لاننا نؤمن أيضا بالنضال المتصل ضد الاستعمار وبمناداة من يعادينا، هل نرفض الحياد ؟ لانه عندنا ايجابي لا يعرف المساومات ولا التخلي عن المسئوليات .

هل نركع تحت ظروف التنمية الاقتصادية؟ وننكمش داخليا ، هذا مستحيل وهذا هو الموت البطيء « أو قل السريع بالنسبة لظروف الاستعمار الحديث » بل علينا أن ندفع راضين كل جهد ومشقة على النطاق الوطني حتى نبني صناعتنا الثقيلة وعلى النطاق الدولي حتى ترجح كفة الحرية بدرجة يعود فيها الاستعمار الى جحوره ويستحيل فيها شن الحروب على اصغر الدول وأفقرها .

لكن هل يعقل أن يتم انجازها لهاتين المهمتين في مثل هذه الظروف الخارجية الصعبة والخطر الداهم والداخل يتهدد ثورتنا الاشتراكية بل ويلقي ظلا رهيبا من السلبية حتى في صفوف الفلاحين والعمال . ان شعبنا يقف مشدوها وهو يرقب الاقطاعيين السابقين والرأسماليين المضروبين يتخذون ومن حولهم الاتباع والاشاعات المفزعة عن مصير ثورتنا وكان الامر مفروغ منه .

وباسم الثقة القائدة التي منحكم اياها شعبنا المجرب أطالبكم باعتقال كل الاقطاعيين والرأسماليين المضروبين واتباعهم وتصفية احلامهم في معسكرات خاصة للعمل البناء كعمال وفلاحين عاديين .

والسلام .

عضو لجنة الدعوة والفكر بكمشيش
صلاح حسين
امضاء

مرفق (٥)

رأى اللجنة فى التقرير المرفق با

نؤيد كل ما جاء بالتقرير المقدم من السيد / صلاح الدين محمد حسين عضو الاتحاد الاشتراكي بالوحدة ـ علما باننا على نطاق القرية قد لمسنا مثلا لتحركات الاقطاعي السابق متمثلة في عقد مؤتمر سياسي رجعي تحت ستار عملية العزاء في وفاة أمه حيث حضر أكثر من أصحاب ٨٠٠ سيارة رجعية من كافة جهات الجمهورية وعقدت إجتماعات تسربت فاشاعت وتحركت بعدها الجيوب الرجعية تعارض لجنة الدعوة والفكر المنبثقة من الاتحاد الاشتراكي بالقرية مستخدمة نفس الاسلحة المزيفة للمخطط الرجعي العربي من تشكيك في المفاهيم الاشتراكية بحجج دنيئة الي ادعاء الغيرة على أصالة ثورتنا الى حد الحجر على الاستفادة من تجارب الشعوب الاخرى وفق ظروفنا المحلية .

وجارى تصفية هذه العناصر الصغيرة فكريا التي يغلب عليها طابع المثقفين المنبوذين من فلاحي وعمال القرية . والغريب أيضا أن هذه المؤتمرات الرجعية التي استمرت تحت ستار العزاء ثلاثة ايام قد تمت بحضور ضابط المباحث العامة محمد عبد الحليم عبدالله الذي يعمل حاليا بالاسكندرية وأن مخطط مهاجمة لجنة الدعوة والفكر قد تم بتوجيهاته وهذا الضابط قد وصل الى العمل بالمباحث العامة بواسطة احد اقرباء الاقطاعي السابق بوزارة الداخلية مكافاة له على مواقفه المعادية للفلاحين بكمشيش أثناء عمله بالمباحث الجنائية بمركز تلا وتترك اللجنة امر هذا الضابط لكم .

وتوصي اللجنة : ـ بمصادرة قصور الاقطاعي السابق المهجورة بالقرية منذ رحيله الى الاسكندرية عقب تصفية ملكيته الزراعية عام ١٩٦١ ووضع هذه القصور في خدمة التعليم والصحة والثقافة للقرية . وفضلا عما في هذا الاجراء من معان ثورية وتقدمية فانه يوفر على الدولة آلاف الجنيهات المزمع انفاقها في اقامة مثل هذه الخدمات وتمشيا مع سياسة التقشف . ولنا كبير الامل ان لا يكون خلف مقاومة لجنة القرية للدعوة والفكر أيضا اية عناصر انتهازية خارجية تخشى على تسلقاتها داخل الاتحاد الاشتراكي من اتاحة الظروف الطبيعية لثورة الفلاحين ومثقفيهم بالقرية . علما بان العزل السياسي عن ثوار الفلاحين برغم الجهود المخلصة والشريفة التي تبذل من أعلى المستويات لم يرفع حتى الان .

وتوصي اللجنة أيضا بمنع الاقطاعي وأسرته من نزولهم الى القرية لعدم اثارة الشائعات الكاذبة ضد الثورة ومكاسبها .

عشت يا ناصر ناصرا للعمال والفلاحين وعاشت الثورة الاشتراكية .

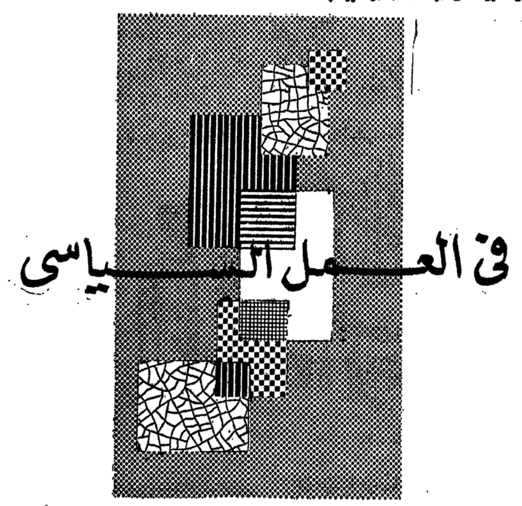
الامين المساعد	امين اللجنة
امضاء	امضاء

٢٠ / ٣ / ١٩٦٦



ميثاق العمل الوطنى الذى قدمه المناضل جمال عبد الناصر الى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ، بجانب ما يتضمنه من مبادىء عامة وفلسفة متكاملة واهداف استراتيجية بعيدة المدى ، فهو ايضا يحدد هدف النضال السياسى والاجتماعى فى مرحلة معينة .. على مدى السنوات الثمانى منذ اقراره فى ٣٠ يونيو عام ١٩٦٢ ، وبذلك نكون قد قطعنا منتصف البعد الزمنى فى طريق الاستراتيجية القريبة — وهى اشق مراحل رحلتنا الطويلة الصعبة فى عملية البناء الاشتراكى — وانتقلنا الى مواقع متقدمة فى جميع مجالات النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، ونجحنا فى انجاز القدر الاكبر من بعض مهام المرحلة ، بينما ما زلنا فى مستهل الطريق فيما يتعلق بمهام اخرى .

تلك العوامل تقتضى منا وقفة وتأمل ودراسة وتقييم ، مستندين الى خبرة مكتسبة من واقع الممارسة العملية فى جميع مجالات النشاط ، واسترشادا بالميثاق ، كدليل للعمل الثورى ، نتزود بهما لاستكشاف واقع ما انجزناه ، وما لم يجر تنفيذه بعد ، والعقبات والعوائق التى تعترض طريقنا ، والسبيل الى تحديها والتغلب عليها من اجل تحقيق اهداف المرحلة القادمة من تطورنا .



يستهدف الميثاق اساسا الى بناء دولة ومجتمع تحالف قوى الشعب العاملة، وبالتالى صياغة كل الاجهزة والعلاقات فيما بينها صياغة ديمقراطية لصالح هذه القوى . ماذا تم من هذا كله خلال مرحلة الاربع سنوات من وضع الميثاق فى التطبيق .. وكيف .. وفى اى اتجاه .. وما هى الخطوات الاخرى الواجب اتخاذها فى هذا المجال تنفيذا للميثاق ؟

● حصيلة النشاط وآفاق المستقبل لتحالف قوى الشعب العاملة ص ١٨

● الديمقراطية فى الميثاق .. بين النظرية والتطبيق ص ٢٩

● الحكم المحلى ومسئولية التنظيم الشعبى ص ٣٥



حصيلة النشاط وآفاق المستقبل لتحالف قوى الشعب العاملة

د. محمد الخفيف

في الباب الخامس يربط الميثاق بين الديموقراطية السليمة وبين الاتحاد الاشتراكي العربي فيقول :

« ان تحالف الرجعية وراس المال المستغل يجب أن يسقط ولابد أن ينفسح المجال بعد ذلك ديموقراطيا للتفاعل الديموقراطي بين قوى الشعب العاملة وهي : الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والرأسمالية الوطنية .

ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعي لتحالف الاقطاع مع راس المال المستغل وهو القادر على احلال الديموقراطية السليمة محل الديموقراطية الرجعية .

ان الوحدة الوطنية التي يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هي التي تستطيع ان تقيم الاتحاد الاشتراكي العربي **ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة »** .

فالى اى مدى استطاع الاتحاد الاشتراكي أن يكون فعلا السلطة الممثلة للشعب وما نوع العقبات التي اعترضت طريقه وكيف تصدى لها ، لقد بدىء في تشكيل الاتحاد الاشتراكي منذ أكثر من ثلاث سنوات وهي فترة لا شك قصيرة في عمر التنظيمات السياسية، ولكننا لا نقصد بمحاولة دراستها ان نصدر حكما او أن نضع الاتحاد الاشتراكي في الميزان لنحكم له أو ضده وانما نقصد محاولة استخلاص الدروس وبحث نواحي

القوة والضعف وما تكون قد وقعنا فيه من اخطاء أو أغفلناه من ظروف وما نجحنا فى تحقيقه وذلك كله بهدف تدعيم الاتحاد الاشتراكى ليظل دائما القوة الدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة .

ان الاتحاد الاشتراكى ليس تجربة وليس مشروعا من المشروعات العامة بحيث يجوز العدول عنه أو الغاؤه وانما هو تنظيم سياسى يعبر عن واقعنا الاقتصادى الاجتماعى ، تنظيم يقود عملية تغيير مجتمعنا التى نخوضها بكل قوة ونجاح ومن ثم فهو جزء لا يتجزأ من واقعنا . ان حتمية الحل الاشتراكى تحتم عملا واعيا متصلا من جانب الجماهير صاحبة المصلحة فى الاشتراكية ولا يمكن أن يتحقق هذا العمل بدون تنظيم سياسى يقود حركة الجماهير ، وكما يقول السيد الامين العام للاتحاد الاشتراكى « يقود العمل الشعبى ، ويتفاعل مع هذا العمل ومع احتياجات الجماهير من طريق تنظيماته فى المستويات المختلفة ، بحيث يصبح السلطة العليا فوق جميع الاجهزة التنفيذية ، والاجهزة التشريعية » (١) .

التحالف كشكل جديد من أشكال التنظيمات السياسية

ان فكرة تحالف قوى الشعب لم تبدأ بالاتحاد الاشتراكى ، بل لقد بدأت فى الواقع بقيام ثورة ٢٣ يوليو وليست تجربة ــ كما سبق أن قلنا ــ قصد بها ، كما حاول البعض أن يصوروا الامر ، سد فراغ سياسى نشأ من الغاء الاحزاب بعد استيلاء الشعب على السلطة ، وانما هى ضرورة نبعت من واقعنا بعد الثورة ومن واقع العالم فى النصف الثانى من القرن العشرين ولها جذورها الممتدة فى تاريخ كفاح شعبنا ضد الاستعمار . بل انها تكاد أن تكون ظاهرة عامة تتميز بها غالبية الشعوب التى خاضت المعركة ضد الاستعمار اثر الشرارة الاولى التى فجرتها ثورتنا بقوة عام ١٩٥٢ .

ان أهم الظروف الجديدة التى بدأت تميز العالم بعد الحرب العالمية الثانية والتى ازدادت وضوحا منذ الخمسينيات يمكن اجمالها ــ فيما يتصل بدراستنا لفكرة التحالف ــ فى النقاط التالية :

- نجاح الاشتراكية على النطاق العالمى كتنظيم اجتماعى يستطيع أن يحقق آمال الانسان فى حياة سعيدة مستقرة وتعدد طرق الوصول اليه وفقا لاختلاف الظروف من بلد الى آخر .

- تقدم العلم تقدما جبارا فتح أمام محاولات التطوير والبناء آفاقا لا حدود لها تستطيع معها الشعوب أن تحول أحلامها الى حقائق ، كما حقق تغييرا مذهلا فى وسائل المواصلات والاتصال فتلاشت المسافات وسقطت الحواجز التى كانت تفصل ما بين الامم فعليا وفكريا ، فتفتحت أمامها طرق التعاون وتبادل الخبرات والعمل المشترك وذلك فى نفس الوقت الذى اتسعت فيه وقويت الحركة الوطنية العالمية ضد الاستعمار بحيث أصبحت ذات وزن فعال على مسرح السياسة العالمية .

- انفضاح أمر الديموقراطية الغربية القائمة من الناحية السياسية على النظام البرلمانى الحزبى ، اذ بدأ يتضح أمام الشعوب ارتباطها الوثيق بالاحتكار والاستعمار واعتمادها على قهر الشعوب والتدخل فى شئونها بمختلف الوسائل وعلى التفرقة العنصرية واهدار كافة الحقوق الانسانية والتعاون مع العملاء والخونة .

وكان لهذه الظروف أربعة آثار هامة على نضال الشعوب من أجل التحرر :

الاول : هو أن قضية التحرر لم تعد قضية تحرير الارض ، لم تعد قضية طرد قوات المستعمر والحصول على الاستقلال السياسى فحسب ، بل أصبحت أيضا فى هدفها البعيد قضية تحرير الانسان ، أى أن الثورة الوطنية التحررية لم تعد تلك الثورة التقليدية التى تستهدف تحرير البلد ثم يبقى النظام الاجتماعى قائما على الاستغلال ، لم تعد قضية استبدال مستغل أجنبى بمستغل وطنى ، بل أصبحت ثورة سياسية اجتماعية فى نفس الوقت ، وان الجموع التى خاضت حرب التحرير وحملت العبء الاكبر من التضحيات لابد وأن يهيىء لها الاستقلال نظاما اجتماعيا يحقق مصالحها .

(١) نشرة الاشتراكى العدد ١٩ الصادر فى ٦٥/١٠/١٦.

الثاني : هو ان اقامة هذا النظام مرتبط تمام الارتباط بالتنمية الاقتصادية وصولا الى المجتمع الاشتراكى ، مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع الرفاهية .

الثالث : هو أن عملية البناء الاشتراكى وان استفادت من التجارب الاخرى الا انها غير ملزمة بحرفية تجربة من التجارب بل ان نجاحها مرتبط أساسا بظروف واقعها .

الرابع : هو أن الثورة من أجل تحرير الارض وصولا الى تحرير الانسان عن طريق التنمية الاشتراكية عملية ضخمة **تستلزم تكتيل جميع جهود القوى صاحبة المصلحة فيها** ، وانها لايمكن أن تتقيد بأساليب الثورات فيما مضى، وليس معنى ذلك ، كما يقول الميثاق « أن النضال الوطنى للشعوب وللامم مطالب اليوم بأن يخترع مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ، ولكن معناه أنه مطالب اليوم بأن يجد الاساليب المسايرة لاتجاه التطور العام والمتفقة مع طبيعة العالم المتغيرة .

جذور التحالف فى تاريخ

كفاح الشعب المصرى

منذ اليوم الاول لكفاحنا ضد الاستعمار وجماهير شعبنا من الفلاحين والعمال والطلبة والمثقفين تخوض المعركة بكل قوة وصلابة . لم تتوان يوما عن بذل الدماء بل والارواح فى سبيل مجتمع حر مستقل ، ولم تتأخر عن الالتفاف حول اية قيادة كانت تتصور انها قيادة حقيقية ولكن على الرغم من هذا البذل المتصل كانت الجماهير تصدمها من حين الى حين عبر الحركة الوطنية وبشكل سافر ابتداء من ثورة ١٩١٩ ، حقيقة هامة هى تهادن القيادات المختلفة مع الاستعمار ووصولها معه الى اتفاقات تحقق لها دون الشعب قدرا من الامتيازات .

لقد خانتها قيادة ثورة ١٩١٩ لتخرج بدستور ١٩٢٣ الذى كفل لها حق مشاركتها للاستعمار فى استغلال الشعب، وتخلت عنها فى ١٩٣٦ لتخرج بمعاهدة كانت من ناحية صكا شرعيا للاحتلال ، وكانت من ناحية اخرى سبيلا الى اطلاق أيدى الراسمالية والاقطاع المحليين فى تعاون مع الرأسمال الاجنبى فى استغلال الجماهير . وخانتها فى حرب فلسطين لتثرى على حساب الارواح وتثبيت اقدام اسرائيل ، وخانتها فى الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال بالقنال ، ذلك الكفاح الذى بدأته الجماهير وخاضته من تلقاء نفسها وبلغت الخيانة قمتها بحريق القاهرة عاصمة العالم العربى ومنار حضارته منذ القدم .

وقد خرجت الجماهير من هذا التاريخ المرير للخيانة ـ بحقيقة هامة هى أن تلك « القيادات » وما يمثلها من احزاب انما هى قيادات واحزاب لا يمكن ان تمثل مصالحها بل هى تمثل اساسا مصالح الاقطاع والراسمالية المتعاونين مع الاستعمار وان اختلفت درجات التعاون ، غير أن الدرس لم يكن من العمق بحيث يقدم الحل الصحيح/.. لقد فقدت الجماهير بحكم خبرتها ثقتها فى الاحزاب ولكن خبرتها لم تكن من النضج ووعيها بمصالحها الطبقية المتميزة لم يكن من العمق بحيث تعى ان انتصارها مرتبط بأن يكون لها تنظيمها السياسى المستقل . لقد تحركت بعيدا عن الاحزاب الرجعية فى سنوات ١٩٣٥ و ٤٦ و ٥٠ و ٥١ ولكنها كانت تحركات تلقائية تنطلق من أعماقها دون أن يقودها ويوجهها تنظيم سياسى قيادى يضمن لها الاستمرار حتى النصر .

لقد هبت الجماهير فى ١٩٣٥ تدعو الى الوحدة الوطنية من أجل الاستقلال ولكن الوحدة الوطنية انتهت الى أن تتكون جبهة من الاحزاب وقعت معاهدة ٣٦. وهبت الجماهير مرة أخرى فى ١٩٤٦ تطلب طرد الاستعمار وتقف فى وجه حلف صدقى بيفن عن طريق الكفاح المسلح واستفادت من تجربة ١٩٣٥ ، فكونت «اللجنة الوطنية للطلبة والعمال» كقيادة مستقلة أثبتت فعاليتها لمدة ولكنها عجزت عن الاستمرار ، فمن ناحية تكتلت ضدها الاحزاب الرجعية واجهزة الدولة من خارجها عن طريق التنكيل والارهاب والخداع ومن داخلها عن طريق التخريب بواسطة عناصرها التى تسللت الى صفوفها ، ومن ناحية اخرى ظلت اللجنة مجرد جهاز قيادى لا يرتبط بالجماهير بمستويات تنظيمية قوية ، قيادة موحدة وجماهير مشتتة وقد تميزت هذه الفترة بمحاولات متتابعة لتكوين تنظيمات وطنية سرية وكانت هذه « التنظيمات السياسية لا تعتبر من مصالح الطبقة الحاكمة ، لكن فاعلية هذه التنظيمات كانت فى معظم الاحيان محدودة أو سلبية بسبب تحفظ الطبقة الحاكمة عليها من ناحية ، ومن ناحية اخرى لان هذه التنظيمات حركتها دوافع انفعالية عاطفية (٢) .

(٢) مشروع التنظيم الشعبى ٢ يوليو ١٩٦٢.

أن السنتين السابقتين للثورة (١٩٥٠/١٩٥١) حافلتان بالاحداث التى تثبت عن يقين فقدان جماهير الشعب ثقتها تماما فى الاحزاب السياسية الرجعية كماتثبت احتدام الصراع الطبقى والتحام الصراع ضد الاستغلال الداخلى بالصراع ضد الاستعمار من اجل التحرر . لقد وقع خلال ١٩٥٠ وحدها ٤٩ اضرابا عماليا .. ولم تقتصر حركة الاضراب على العمال فاضرب المعلمون والاطباء والصيادلة .. بل اضرب الكونستبلات ، بل لم يقتصر الامر على المدن والعمال والموظفين بل بدأ الصراع أيضا فى الريف .. فى كفور نجم ضد محمد على الذى كان يملك من زمامها ٧٠٠٠ فدان وفى درين حيث كانت تملك وتحكم عائلة البدراوى .

وفى ٨ أكتوبر ٥١ وتحت ذروة الضغط الشعبى المتزايد اضطرت حكومة الوفد الى الغاء معاهدة ٣٦ فانطلقت المظاهرات وارتفع شعار مقاطعة الانجليز وكان أول من استجاب للشعار عمال منطقة القنال والمعسكرات البريطانية ، وبدأ تنظيم كتائب التحرير وفتحت مكاتب التطوع ومراكز التدريب وتطوع بعض الضباط لتدريب الكتائب ومدها بالسلاح ثم ابتدأ نشاط الكتائب فى معسكرات الانجليز بالقنال فى اواخر اكتوبر .

على طول هذا التاريخ كان هناك تحالف طبيعى — وان كان بشكل جنينى — بين قوى الشعب العاملة ممثلة فى الفلاحين والعمال والمثقفين والحرفيين وصغار البرجوازية يشترك بكل قواه فى أتون المعركة الوطنية والاجتماعية كتحالف يزداد بنمو المعركة تمايزا واستقلالا فى مواجهة تحالف الاقطاع والرأسمالية المستغلة والاستعمار وبقيام ثورة يوليو انضمت قوة شعبية جديدة ، قوة الجنود ، وكان انضمامها هو العامل الحاسم فى بدء انهيار تحالف الرجعية ليقوم مقامه تحالف الشعب . وكما يقول الميثاق :

« ان تحالف هذه القوى الممثلة للشعب العامل هو البديل الشرعى لتحالف الاقطاع مع رأس المال المستغل » و « ان الوحدة الوطنية التى يصنعها تحالف هذه القوى الممثلة للشعب هى التى تستطيع أن تقيم الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة ، والحارسة على قيم الديمقراطية السليمة » .

وكان أمرا ضروريا وطبيعيا أن يتجسد هذا التحالف واقعيا فى شكل تنظيمى يوجه العمل الثورى لقوى الشعب العاملة نحو أهدافها فلم تكن ثورة ٢٣ يوليو هى نهاية المطاف بل كانت قمة النصر لمرحلة تبدأ معها ومنها مرحلة أخرى ، أشمل وأوسع من مراحل العمل الثورى . يقول الميثاق :

« ان الثورة لم تحدث ليلة ٢٣ يوليو ولكن الطريق اليها قد فتح على مصراعيه تلك الليلة العظيمة » .

هيئة التحرير

كانت المهمة الاساسية عند قيام الثورة — هى طرد الاستعمار ، وهى مهمة واضحة أمام قوى الشعب التى كانت مؤمنة بأهميتها موحدة حول شعاراتها وملتفة حول قيادتها الثورية . كل ذلك بحكم الكفاح الطويل للشعب ضد الاستعمار وما حصل عليه خلال هذا الكفاح من خبرة ووعى بالمعركة الوطنية مكناه من أن يكشف فى سهولة أعداءه فى تلك المرحلة من ناحية وان الاسلوب هو أساسا الكفاح المسلح فى القنال يسانده العمل السياسى فى القاهرة من ناحية أخرى ، وكان الكفاح ضد الاستعمار يستلزم فى نفس الوقت ضرب الاقطاع بوصفه على قمة القوى المعادية لقوى الشعب . وكان لابد من شكل تنظيمى يضم تحالف قوى الشعب وكانت فى هذه المرحلة كل القوى المعادية للاستعمار والتى من صالحها أن تستكمل البلاد استقلالها السياسى وان اختلفت الاراء بينها حول طرق حل المسألة الاجتماعية بعد الاستقلال ، أيكون الحل اصلاحيا أم ثوريا ، رأسماليا أم اشتراكيا .

هكذا تكونت هيئة التحرير رافعة شعار « كلنا اعضاء فى هيئة التحرير » أى كل من يريد طرد الاستعمار ، ودون برنامج محدد ، فالهدف هو الاتحاد من أجل الاستقلال . كان طبيعيا اذن أن ينضم الى هيئة التحرير الرأسماليون بكافة طبقاتهم التى لا ترتبط مصالحها مع الاستعمار وملاك الارض الذين لم ينطبق عليهم قانون الاصلاح الزراعى والذين تتناقض مصالحهم مع الاستعمار وذلك الى جانب الفلاحين والعمال والمثقفين . وكان طبيعيا فى نفس الوقت ما دام التحالف مفتوحا دون قيود لكل من يريد طرد الاستعمار ، وهل كان هناك من يجرؤ على ان يدعى العكس ؟ أن يتسلل الى صفوف التنظيم بل الى بعض مستوياته القيادية عناصر معادية لقوى الشعب ومرتبطة بشكل أو بآخر بالاستعمار .

غير أنه بالرغم من ذلك كان من أهم النتائج الايجابية لتحالف الشعب فى هذه المرحلة أنه فتح

الباب واسعا أمام قيادة الثورة لتنتقل من العمل السرى داخل صفوف الجيش الى العمل اليومى وسط الجماهير الشعبية بآفاقه الواسعة ، او بمعنى آخر اتاحت هيئة التحرير الفرصة لالتحام قوى الشعب العاملة بقيادتها الثورية الجديدة . وذلك الى جانب جمع هذه القوى نفسها بشكل منظم لاول مرة وبدأ تعرضها لمشاكلها اليومية (ولو أن اهتمامها كان قاصرا على المشاكل العادية البسيطة) الى جانب ما اسهمت به من بعض التوعية الوطنية والتدريب على حمل السلاح .

هذا وقد قيمها الرئيس جمال عبد الناصر تقييما دقيقا بوصفه لها بأنها كانت اقترابا غير منظم من مجموعة من الامانى العامة ليس لها منهاج تفصيلى تلتقى عنده جهود جماعية على أساس فكرى واضح واحد لتصدر عنه ارادة شعبية عميقة ومؤثرة .

الاتحاد القومى

كان اندحار العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ وتحقق الاستقلال السياسى لاول مرة منذ الاحتلال البريطانى على يد قوى الشعب وقيادته تجربة هامة اثبتت وحدة هذه القوى الصلبة تحت قيادة عبد الناصر وكشفت عن طاقاتها الجبارة اذا اتحدت حول هدف مشترك وتحركت من اجل تحقيقه تحت قيادة ثورية .

وبتحقق الاستقلال السياسى ثار السؤال : ماذا بعد الاستقلال ؟ وكان الجواب ان الاستقلال لم يكن هدفا ينتهى به نضال الشعب بل كان هدفا لابد من تحققه لكى يبدأ الشعب بناء مجتمعه الجديد . وبناء المجتمع الجديد يبدأ بعملية الانتقال من حالة التخلف التى انتهى اليها خلال سنوات طويلة من الاستعمار والاقطاع الى حالة التقدم . كانت المهمة الاساسية اذن التى تواجه العمل الثورى هى مهمة التنمية الاقتصادية ، مهمة بناء اقتصاد قومى قوى ومستقل ، اقتصاد يعتمد أساسا على الصناعة ، بل ان هذه المهمة كانت فى نفس الوقت امرا ضروريا لصيانة الاستقلال السياسى الذى حققه الشعب بالارواح .

هنا ظهرت الحاجة الى تنظيم جديد لتحالف قوى الشعب يتولى عملية البناء ويصون الاستقلال فى نفس الوقت . ولكن من كانت قوى الشعب فى تلك المرحلة ؟ كانت جميع القوى التى ساهمت فى دحر العدوان والتى ترى انها صاحبة مصلحة فى بناء اقتصاد قوى مستقل وهكذا كان المنطق فى ذلك الوقت يقضى بأن يضم التحالف كل من له مصلحة فى البناء . غير أن المصلحة تختلف من قوة اجتماعية الى اخرى . فالراسمالية وملاك الارض غير المرتبطين بالاستعمار تهمهم عملية البناء لانها تفتح لهم ابواب الاستثمار والانفراد بالسوق وبالتالى ازدياد ثرواتهم ، اما الفلاحون والعمال والمثقفون فكانت مصالحهم مرتبطة بعملية البناء لانها تفتح امامهم مجالات العمل وارتفاع مستواهم ماديا واجتماعيا ، غير ان المصلحتين فى نفس الوقت متناقضتان لان عائد البناء واحد وبقدر ما يزداد نصيب الراسماليين منه بقدر ما يقل نصيب باقى القوى التى لا تملك سوى العمل والعكس صحيح ، اى ان التناقض بين راس المال والعمل كان لا يزال سائدا وكان من الطبيعى ان تكون الغلبة للراسمالية ، لو ترك الامر دون تدخل ، بسبب انها الطرف الاقوى اقتصاديا والاكثر خبرة ، وبسبب ان الحياة الاقتصادية فى مجموعها كانت تسير فى نطاق قوانين الاقتصاد الراسمالى . ومن هنا كانت الراسمالية تحاول باستمرار الوقوف فى وجه اى اجراء قد ينقل مركز الثقل الى قوى الشعب كما حدث مثلا عام ١٩٥٨ عندما صدر قانون التنظيم الصناعى وفى ١٩٥٩ عندما صدر قانون تحديد ارباح الاسهم . كما حاولت باستمرار انتهاز جميع الفرص لتقوية مراكزها ، ولعل ابرز مثال على ذلك محاولتها ان ترث المؤسسات والشركات البريطانية والفرنسية التى مصرت . ولكن القيادة الثورية كانت الحصن التى تحطمت عليه هذه المحاولات .

وبصدور قرارات يوليو ١٩٦١ ازداد التناقض عمقا وانفجر فى أضعف حلقات سلسلة التحالف ، فى سوريا ، فحدث الانفصال .

وجدير بالذكر هنا قول الرئيس فى مؤتمر للاتحاد القومى :

« ان الفكر الثورى فى تلك الفترة ، وهو يتطلع الى الوحدة الوطنية ، ويدرك ضرورتها الحيوية داخل الوطن وفى مواجهة الظروف المحيطة به وقع فى الخطأ حين توهم أن الطبقة المحتكرة التى كان لابد ان تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية ، يمكنها أن تقبل الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحبة المصلحة فى الثورة . ولقد كان من أثر ذلك ان محاولات التنظيم الشعبى التى جرت فى ضباب هذا اليوم ، حدث فى داخلها من عوامل الصدام بين القوى الثورية الطبيعية ، والقوى المضادة للثورة الطبيعية ما أصابها بالشلل واقعدها عن

الحركة ، بل وكاد ينحرف بها في بعض الاحيان عن الاتجاه الثوري الاصيل » .

وقوله في مناقشات المؤتمر الوطني للقوى الشعبية :

« أنا أعتقد أن الاتحاد القومي كان به عيب واحد، هو اننا تركنا الفرصة للرجعية للتسلل اليه وتسيطر على المناصب الرئيسية ، ونحن في هذا كنا حسني النية ، لاننا عندما كنا نريد أن نحل الصراع الطبقي بالوسائل السلمية ونقيم نوعا من التعايش السلمي بين الطبقات في أطار الوحدة الوطنية ، سمحنا لكل الناس ، حتى الرجعية بالدخول في الاتحاد القومي » .

وهكذا كان لابد لتحالف القوى الثورية الطبيعية ، قوى الشعب العاملة ، أن يظهر صفوفه من القوى المضادة للثورة ، من قوى الراسمالية المستغلة . وكان لابد من تنظيم جديد يضم قوى الشعب في عملية البناء الاشتراكي ، في عملية تغيير المجتمع الى مجتمع يزول منه الاستغلال ويعم فيه الرخاء كل افراد قوى الشعب العاملة بعد أن تحقق استقلاله سياسيا واقتصاديا .

الاتحاد الاشتراكي العربي

تكون الاتحاد الاشتراكي في ظل أوضاع اجتماعية جديدة شقت لها الطريق قيادتنا الثورية بضربات يوليو ٦١ وأغسطس ٦٣ ومارس ٦٤ . وهذه الاوضاع هي :

- الاستقلال السياسي والاقتصادي .
- عزل كبار ملاك الارض وكبار الرأسماليين عن السلطة السياسية وتصفيتهم اقتصاديا .
- وصول قوى الشعب العاملة الى السلطة السياسية والاقتصادية .
- تصفية الملكية المستغلة كأساس للعلاقات الاجتماعية وتكوين قطاع عام مسيطر على أهم واغلبية وسائل الانتاج وتملكه قوى الشعب ، والى جواره قطاع خاص خاضع لتوجيه الدولة والرقابة الشعبية .
- تسلح العمل الثوري ولاول مرة بدليل للعمل اقرته قوى الشعب هو الميثاق .

وهذه الاوضاع حتمت أن يكون تحالف الشعب هو تحالف خمس قوى اجتماعية دون غيرها ، تحالف الفلاحين والعمال والمثقفين والجنود والراسمالية بوصفهم جميعا اصحاب المصلحة الحقيقية في المضي بعملية تطوير المجتمع وتغييره أشتراكيا . ومن هنا كان لابد للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية أن يحدد من هم أعداء الشعب حتى يقطع عليهم حبل التحايل على الانضمام الى التحالف .

من هنا فأن الاتحاد الاشتراكي يمتاز عن الشكلين السابقين للتحالف في النواحي الاساسية التالية :

- وجود الميثاق كبرنامج ودليل عمل واضح ومقرر من مؤتمر القوى الشعبية .
- وجود خطة قومية شاملة للتنمية .
- تحديد قاطع لقوى الشعب بأنها هي فقط القوى التي تستهدف فعلا بناء مجتمع اشتراكي وبالتالي وضوح نقطة في غاية الاهمية وهي ان هذا التحالف بهذا الوصف لابد وبالضرورة أن يكون قوة ضاربة ضد كل القوى المعادية للاشتراكية . فلم تعد الوحدة الوطنية هي وحدة كل المعادين للاستعمار بل اصبحت بالتحديد وحدة كل الراغبين في ـ الاشتراكية ضد غير الراغبين فيها .

طبيعة التحالف

لم تكن فكرة التحالف اذن مجرد محاولة أو تجربة لسد فراغ سياسي نشأ من الغاء الاحزاب بل كانت ، شأنها في ذلك شأن الغاء الاحزاب ، ثمرة واقع معين ونتائج تاريخ معين . ومن الواضح أن هذا التحالف ليس حزبا جديدا فهو لا يمثل مصالح أو سيادة طبقة معينة في مواجهة باقي الطبقات ، وهي ليست أيضا بالجبهة التي تتكون من أحزاب مختلفة من أجل تحقيق هدف مرحلي مشترك او ضد خطر مشترك ، فاذا تحقق الهدف انفض شملها وتفرقت ، وانما هو تنظيم يجمع جماهير الشعب العامل حول هدفين رئيسيين ، هما صيانة الاستقلال وعملية التنمية الاقتصادية الاجتماعية في ظل علاقات اشتراكية وذلك في مواجهة الطبقات المستغلة وحليفها الطبيعي الاستعمار بعد أن تم اسقاط تحالفهما من السلطة السياسية وتجريده من سلطة رأس المال .

غير أن الظروف التي تكون في ظلها هذا التحالف، وكونه تنظيما يجمع كل من كان التحول الاشتراكي في صالحه ، يجعلان منه :

● منظمة جماهيرية واسعة اكثر منه تنظيم طليعي . وهذا يعني العمومية في البرنامج والتساهل في شروط العضوية ، والامران يؤديان الى غياب الالتزام الدقيق فيصبح هناك احتمال قوي أن يفتح الباب أمام العناصر الانتهازية أو حتى أمام عناصر من القوى المعادية لقوى التحالف.

● مسرحا للتناقضات بين القوى الاجتماعية المختلفة ، فان لم يوجد « جهاز » يتحكم في هذه التناقضات ويعمل على تصفيتها كان هناك خطر أن يتحول العمل السياسي الى صراع حول المطالب الاقتصادية الضيقة لكل قوة ، وأن تتحول التناقضات الطبيعية بين قوى التحالف الى تناقضات رئيسية قد تتخذ طابع العداء ، الامر الذي تستفيد منه الطبقات المخلوعة التي قام التحالف من اجل القضاء عليها قضاء نهائيا .

● مجالا للانحرافات البيروقراطية واحتكار صفوة المثقفين للعمل ، يساعدهم على ذلك ظروف التطور نفسه فهم بحكم هذه الظروف اقوى قوة من قوى التحالف تاريخيا فقد لعبوا دورا أساسيا في المعركة الوطنية واتيح لهم من فرص العلم والفكر ما لم يتح للقوى الاخرى، الامر الذي يجعل منهم قوة أساسية في عملية التنمية والبناء التي تعتمد على العلم والفكر ، وقوة اساسية ايضا في العمل السياسي بحكم اتصالهم أكثر من غيرهم بالفكر العالمي والسياسة العالمية . وهو ما يمكن ان يهدد بظهور طبقة بيروقراطية جديدة تستأثر بأكبر قدر من ثمار العمل الوطني على حساب باقي القوى.

ومما يزيد الامر تعقيدا أن لكل قوة من قوى التحالف منظمتها الجماهيرية التي تعبر بشكل أو بآخر عن مصالحها الخاصة المباشرة ، والتي تلعب دورا هاما في تكوين اتجاهاتها . فالعمال منظمون في نقابات يضمها اتحاد عام ، والفلاحون في نقابات أو تعاونيات ، والمثقفون في نقابات مهنية وجمعيات علمية ونواد اجتماعية ، والرأسمالية الوطنية في غرف تجارية .. وكلها منظمات اقدم عهدا من التحالف الذي يضم الجميع وبالتالي أقوى أثرا من حيث تشكيل آراء المنضمين اليها وتكتيلهم .

وكل هذه عوامل تجعل من الصعب أن يكون الاتحاد الاشتراكي ــ كما أراد له الميثاق ــ السلطة المثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة ولكنها ليست العوامل الوحيدة فهناك مجموعتان اخريان من العوامل لعبتا دورا في هذا الصدد .

عوامل تنظيمية

لكل تنظيم سياسي بناؤه أو هيكله التنظيمي الذي يحدد مستوياته المختلفة والعلاقة بينها والذي يخدم أهداف التنظيم ، وقد قام البناء التنظيمي للاتحاد الاشتراكي على اساس جغرافي هرمي بمعنى ان يكون لكل مجال نشاط أو حي سكني لجنة تقود الاعضاء في المجال او الحي ، ولكل قسم لجنة تقود اللجان القاعدية التابعة له، ولكل محافظة لجنة تقود النشاط على نطاق المحافظة ككل ثم يعلو هذا كله اللجنة القيادية العليا كمركز قيادي واحد للنشاط على نطاق الجمهورية .

والاساس الجغرافي اساس سليم لأننا اذا كنا نريد وحدة قوى الشعب وتذويب الفوارق بينها فلا يمكن أن ننظمها على اساس مهني أو نوعي فنجعل في كل مجال او حي لجنة تقود العمال ، وأخرى تقود المثقفين وثالثة تقود الرأسمالية الوطنية، غير ان القضية الهامة كانت : كيف تتكون اللجنة القيادية ، وكان الانتخاب هو الحل الديموقراطي السليم فالأعضاء في كل مجال جماهيري يعرفون بعضهم بعضا بحكم اشتراكهم في نشاط واحد في مكان واحد ومن ثم يستطيعون عن طريق الانتخاب أن يشكلوا لجنتهم القيادية غير ان التجربة اسفرت ــ في الوحدات ــ عن نتيجتين هامتين :

الاولى : هي ان عددا من اعضاء اللجان نجحوا في الانتخاب لا لانهم عناصر قيادية ولا حتى لان اعضاء الوحدة يعرفونهم بل نجح هذا العدد بحكم القانون الذي اشترط أن تكون اللجنة من عشرين عضوا وأن ينتخب كل ناخب العشرين جميعا والا الغي صوته ، وقد اتضح في معظم الحالات ان لم يكن جميعها انه ليس ضروريا أن يعرف كل فرد عشرين فردا يصلحون من وجهة نظره لان يكونوا قادة فتكون النتيجة أن يكتب عشرين اسما كيفما اتفق. وهكذا نستطيع القول بأن عددا غير قليل من أعضاء اللجان بالوحدات لا يعبر بحال من الاحوال عن آراء القاعدة على الرغم من ان اختياره تم وفق انتخاب حر ومباشر .

والثانية ان غالبية المسئولين عن العمل الادارى او التنفيذى سارعت الى الترشيح لعضوية اللجان وكنتيجة طبيعية لنفوذها وللنظرة التى لا يزال الكثيرون ينظرونها الى المسئولين ، ولغياب الفهم الصحيح لدور الاتحاد الاشتراكى وطبيعة عمله نجح معظم المرشحين من المسئولين واصبحوا يكونون فى اللجان نسبة وان لم تكن اغلبية فعلى الاقل ذات وزن لا يستهان به . ورب سائل يتساءل وما الضرر فى ذلك ؟.

والواقع أن هناك ثلاثة اضرار لا ضرر واحد ، أولها ان يطبع العمل داخل الاتحاد الاشتراكى بالطابع الادارى المكتبى بينما هو فى الاساس عمل سياسى ، وثانيها ان المهام الوظيفية للمسئول الادارى او التنفيذى لا يمكن أن تترك له وقتا كافيا يخصصه للعمل باللجنة فيصبح عملا اضافيا متوقفا على الظروف ، وثالثها ان يمتد نفوذه الادارى الى داخل اللجنة فيسود رأيه لا لانه الرأى السليم ولكن لانه رأى المدير أو رأى الرئيس فينعدم النقد وتغيب المحاسبة . وتكون النتيجة أن تصاب اللجنة بالشلل أو الجمود فتنعزل عن الجماهير بينما كان المفروض ان تكون هى السلطة المثلة لها فى مجالها .

وتكرر نفس الامر بالنسبة الى لجنة القسم التى تكونت بالانتخاب من بين اعضاء مؤتمر القسم (اثنان من كل وحدة) الذين لم يجتمعوا ولا مرة ولم يعرف بعضهم بعضا فجاءت لجان القسم لا هى معبرة عن أعضاء المؤتمر ولا هى ذات صلة بلجان الوحدات فكان من المتعذر ان تكون لجنة القسم قيادة طبيعية للجان الوحدات .

اما لجان المحافظات فتكونت بالاختيار وليس بالانتخاب فقد كان من المستحيل عمليا ومؤتمر المحافظة لم يجتمع بعد وعدد اعضائه بالمئات ان يتم تكوين لجنته بالانتخاب ولئن كانت لجنة مؤتمر القسم تكونت بالانتخاب فلانه كان من المظنون لضيق رقعة القسم ان يكون اعضاء مؤتمره على علم ببعضهم البعض . ولكن اختيار لجان المحافظات تسبب فى بعض النفور لدى اعضاء لجان الاقسام والوحدات الذين كانوا يرون بحكم انهم منتخبون انهم القيادات الحقيقية خاصة وأن بعض المختارين للجان المحافظات لم يكن عند حسن الظن به .

الى جانب هذه الظروف التى صاحبت تشكيل اللجان نشأ ظرف آخر شغل لجان الاتحاد الاشتراكى وقتا طويلا وهو عدم وضوح الاسس التنظيمية والسياسية التى تنظم العلاقة بينها وبين اللجان النقابية واعضاء مجلس الادارة المنتخبين .

عامل تنظيمى آخر ، هو انه بينما شكلت مستويات الاتحاد جميعا على اساس جغرافى شكلت القيادة العليا اليومية (الامانة العامة) على اساس نوعى فقسمت الى قيادات للفلاحين والعمال والجامعات والشباب والمهنيين الخ ثم قيادتين جغرافيتين واحدة للوجه البحرى وأخرى للوجه القبلى ولم تحدد طرق الاتصال بين هذه القيادات المختلفة وبين لجان المحافظات ، الى جانب أن أعضاء الامانة لم يكونوا متفرغين للعمل السياسى وكانت غالبيتهم من الوزراء أو كبار الموظفين .

عامل أخير هام من الناحية التنظيمية ، هو ما عبر عنه السيد على صبرى الامين العام بقوله ان الاتحاد لابد « أن يكون على مستوى من التنظيم ـ اداريا وسياسيا وفنيا ـ بحيث يستطيع فعلا ان يقود الاجهزة التنفيذية بما فيها من حشد كبير من الفنيين ، وأن يقود الاجهزة التشريعية بما فيها من حشد كبير من ممثلى الشعب ومن الخبرات الفنية المختلفة . ولا يمكن أن يتحقق للاتحاد هذا المستوى من التنظيم الادارى والسياسى والفنى ، اذا ظل تكوينه قاصرا على لجان أساسية او جماهيرية تقوم فى الاحياء ، تتبعها لجان على مستويات المراكز والمحافظات ، أى اذا ظل تكوين الاتحاد قائما على التوزيع الادارى والجغرافى ، دون أن يوجد بجانب هذا التنظيم أجهزة فنية ، تستطيع أن تدرس المسائل بعمق ودراية ، وأن تعطى اراءها ومقترحاتها وحلولها لقيادة الاتحاد ، فيتكون بذلك لدى القيادة حصيلة كبيرة من الدراسات تستطيع أن تلزم بها الاجهزة التنفيذية والاجهزة التشريعية على السواء » .

عوامل فكرية

لعل أول هذه العوامل هو عدم وضوح مفهوم العمل السياسى فى فترة الانتقال من المجتمع الراسمالى الاقطاعى الى المجتمع الاشتراكى . ان شعبنا ، كما قال الرئيس ، خبير فى محاربة الاستعمار وفى محاربة تحالف الاقطاع والراسمالية عندما كان فى السلطة . كان العدو واضحا وكانت القوى الوطنية واضحة وكان العمل السياسى يدور أساسا حول اسقاط الحكومات الرجعية

ومن اجل طرد الاستعمار . اما فى فترة الانتقال الى الاشتراكية فالامر جد مختلف ، السلطة فى أيدي تحالف الشعب ومن ثم فقضية السلطة لم تعد قضية الاستيلاء عليها بل تدعيمها ، والطبقات المعادية تم تجريدها من سلطة الدولة وسلطة راس المال ولكنها لم تنته ، لم تختف من المجتمع بل لا تزال تحيا وتتحرك فيه بقصد استعادة نفوذها ، لم تعد أساليبها مباشرة وانما تلجأ الى اساليب غير مباشرة ، تنفث السموم وتبذر الاشاعات وتضخم الاخطاء وتنسج المؤامرات وتحاول تعطيل اجراءات البناء ، لم يعد العداء سافرا كما كان عندما كانت فى السلطة واصبح أسلوبها يعتمد على محاولة ابعاد قوى الشعب العاملة عن قضية الاشتراكية . والاستعمار وان كان قد تم طرده تماما الا انه لا يزال يعيش حولنا وبينه وبين الطبقات المخلوعة حلف طبيعي وهو ايضا قد تغيرت أساليبه . والى جانب هذا كله عملية البناء الاشتراكى بضخامتها وتعدد مهامها وما تتطلبه من بذل وتضحيات .

كل هذه الظروف تتطلب مضمونا جديدا ومهاما جديدة للعمل السياسى الذى اصبح اساسا قيادة حركة الجماهير من حركة تلقائية الى حركة واعية تحدد الاهداف والمهام وقوى الثورة وما تخضع له من مؤثرات والقوى المعادية وما تتبعه من أساليب وتحدد انواع التناقض والصراع بين هذه القوى وترسم أسلوب العمل بحيث يكون قوة ضاربة قاتلة للقوى المعادية وبحيث يكسب لقضية الاشتراكية أعدادا متزايدة كل يوم .

ومن هنا فان تحالف قوى الشعب العاملة لابد وأن يكون واضحا تمام الوضوح فى نقطتين هامتين : الاولى مسألة الوحدة الوطنية التى لم تعد وحدة كل المعادين للاستعمار بشكل عام بل اصبحت بالتحديد وحدة أصحاب المصلحة فى الاشتراكية فقط فى مواجهة اعدائها ، وحدة ضاربة ضد أعداء الاشتراكية، والعداء للاشتراكية هو فى نفس الوقت طريق الارتماء فى احضان الاستعمار . أما النقطة الثانية ، وهى مرتبطة بالنقطة الاولى ، فهى مسألة الصراع بين الطبقات والتعاون بينها . فهناك بين قوى الشعب وبين القوى المعادية صراع عدائى لان : « الرجعية تتصادم فى مصالحها مع مصالح مجموع الشعب بحكم احتكارها لثروته ، ولهذا فان سلمية الصراع الطبقى لا يمكن ان تتحقق الا بتجريد الرجعية — اولا وقبل كل شىء — من جميع اسلحتها » (٣) مع الرجعية لا تهادن ، ولا مساومة، ولا تذويب للفوارق بل **تجريد من جميع أسلحتها** . اننا لا نريد بحال من الاحوال أن يكون الصراع ضد الرجعية دمويا ولكن وكما قال الرئيس فى خطابه بالمحلة فى عيد العمال اذا أرادته الرجعية دمويا فهل نقف مكتوفى الايدى بدعوى سلمية الصراع ، أعتقد أن الجواب واضح .

أما التناقضات بين قوى الشعب فتناقضات غير عدائية ناجمة من فوارق فرضتها ظروف تطور مجتمعنا فى الماضى . وهذه فقط هى التى يعمل العمل السياسى على حلها سلميا .

وهكذا عندما يتحدث الميثاق عن ان «الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات لا يمكن تجاهله او انكاره وانما ينبغى أن يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات » يصبح واضحا أية طبقات يعنى وأية وحدة وطنية يقصد .

ان عدم الوضوح الفكرى لهاتين النقطتين، الوحدة الوطنية والصراع الطبقى ، يطمس الحدود بين الشعب وبين أعدائه ويقود العمل الوطنى الى متاهات قد يضيع فيها الجواب الصحيح عن السؤال الذى لابد وأن يطرحه العمل السياسى دائما وهو : من الشعب؟ وذلك حتى يكون تحالف قوى الشعب العاملة دائما هو السلطة الممثلة للشعب . ان اى اجراء ، اقتصاديا كان أو اداريا أو سياسيا ، لابد وأن يكون محوره هذا السؤال: من الشعب ؟ .

محور التحالف الثورى

ومن هنا كان حرص الميثاق على تأكيد حقيقة هامة هى أن الاتحاد الاشتراكى تحالف محوره الفلاحون والعمال . وكان تأكيده لهذه الحقيقة تأكيدا عمليا اذ اشترط ان يكون لهما كحد أدنى، وهما قوتان فقط من القوى الخمس للتحالف ، نصف عدد مقاعد جميع اللجان والهيئات المنتخبة بما فى ذلك مجلس الامة .. لماذا ؟ .

ليس فقط لانهم يكونون الاغلبية العددية لقوى الشعب ، ليس فقط لتعويضهم عما لاقوه من حرمان طوال السنوات الماضية ولكن لان :

---

(٣) الميثاق : الباب الخامس

« ذلك فضلا عما فيه من حق وعدل باعتباره تمثيلا للاغلبية ضمان أكيد لقوة الدفع الثورى نابعة من مصادرها الطبيعية الاصيلة » .

ويزيد الرئيس الامر تفصيلا فيقول : « انهم أصحاب المصلحة الحقيقية الاصيلة فى الثورة ، وبالخمسين فى المائة المحددة لهم يكون فى استطاعتهم حماية المكاسب التى حققناها ، وبذلك نحمي الثورة ونبني بلادنا بناء سليما على اسس ثابتة ودعائم قوية من الحرية والعدل والاشتراكية» (٤)

« ان الطبقة العاملة كانت مستغلة وكانت قليلة العدد قبل الثورة ، وقد خف ذلك بصورة متزايدة نتيجة للتغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت فى البلاد وهذه الطبقة العاملة تمثل فى النظام الاشتراكى المركز القيادى » (٥) .

ولكن هل يتفق تعريف الفلاح والعامل الذى وضعته لجنة المائة مع هذا الهدف ، هدف ان يكون الفلاحون والعمال هم محور التحالف وان يمثلوا المركز القيادى ؟ ان ٩٤ ٪ من ملاك الارض لا تزيد ملكية كل منهم على ٥ افدنة ، هذا بالاضافة الى من لا يملكون ، فهل يتفق هذا الوضع مع تعريف الفلاح بأنه كل من لا تزيد حيازته ملكا أو ايجارا على ٢٥ فدانا ؟ فاذا ناقشنا تعريف العامل وجدنا انه أقرب الى التعريف القانونى منه الى التعريف الواقعى ، فكون قانون النقابات العمالية يسمح بالانضمام اليها لكل من ليس عضوا بمجالس الادارة لا يعنى أن كل من له حق الانضمام اليها ، حتى ولو لم يستخدم هذا الحق ، عاملا . الا يكون أقرب الى الواقع أن يقوم تعريف العامل على أساس مصدر الدخل فيكون عاملا كل من كان العمل ، يدويا أو غير يدوى ، فنيا أو غير فنى ، هو مصدر دخله ؟ ان هذا لا يعنى بطبيعة الحال اخراج الباقي من قوى الثورة بل نسبتهم الى قواهم الحقيقية ، المثقفين والرأسمالية الوطنية .

ان اهمية المسألة ترجع الى احتمال ان يتحول محور التحالف من الفلاحين والعمال الى المثقفين والرأسمالية الوطنية وأن يتوه جواب السؤال : من الشعب ؟ وأن يتصور التحالف أنه يعبر عن مصالح الشعب جميعا بينما هو فى الواقع قد لا يعبر بشكل أساسى فى بعض الاحيان الا عن مصالح قوتين فقط .

غير أنه بالرغم من هذه الظروف وأغلبها ناشىء من طبيعة المرحلة التى نمر بها ، فان الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة السابقة على تشكيل الامانة العامة المتفرغة نجح الى حد لا بأس به فى بعض النواحي وتكونت من نشاطه حصيلة افادت المرحلة الحالية . لقد نجح فى اكتشاف بعض العناصر القيادية التى اثبتت صلابة ووعيا وقدرة على الحركة فى مواجهة العقبات ، كما نجح فى اثارة الاهتمام بين صفوف قوى الشعب بقضايا الاشتراكية ، واستطاع أن يجمع هذه القوى حول عدد من القضايا السياسية العامة عن طريق المؤتمرات والندوات والنشرات ، ومن خلال نشاطه العام بدات الوحدات تثير بعض قضايا العمل السياسى كالقيادة والسلبية ومحاربة الانحراف وبدات تتحدث عن بعض قضايا البناء كزيادة الانتاج والحد من الاستهلاك ومحاربة الاسراف ، كما أرسى الاتحاد اللبنات الاولى فى عملية اعداد الشباب اعدادا سياسيا .

المرحلة الحالية

وأعنى بها المرحلة التى بدات بتشكيل الامانة الحالية وهى مرحلة تتميز باتجاهات أساسية وهامة ، اولها الاعتماد على التفرغ السياسى بوصفه حجر الزاوية الذى يقوم عليه نشاط الاتحاد وبوصف أن هذا النشاط هو الطريق الوحيد لابراز العناصر التى يمكن أن يتكون منها الجهاز السياسى الخاص الذى نص عليه الميثاق والذى يعتبر القوة الاساسية التى تجعل من الاتحاد الاشتراكى « السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة» فهو الذى يقود التحالف، وسط مختلف الظروف وضد كل العقبات ، ويوجهه كجيش واحد نحو هدف واحد ، هو الذى ينتقل بحركة الجماهير من حركة تلقائية الى حركة واعية ، هو الحارس ضد البيروقراطية والانحراف والمنسق للتيارات والاراء المختلفة للجماهير ، والمذيب للتناقضات غير العدائية فى بوتقة العمل السياسى والسيف البتار للمتسللين من الانتهازيين وأعداء الشعب .

---

(٤) خطاب الرئيس فى الاحتفال بتحويل مجرى النيل — فى ١٢ نوفمبر ١٩٦٤

(٥) خطاب الرئيس فى الجلسة الافتتاحية لمجلس الامة مايو ١٩٦٤

التفرغ اذن هو حجر الزاوية لانه هو طريق الولاء للاتحاد أي للشعب وكما يقول السيد الأمين العام :

« ان الفرد الذي تنتدبه للعمل بعض الوقت في الاتحاد سيظل مرتبطا بالجهاز الاداري الذي يعمل به وسيظل متأثرا بهذا الجهاز والنتيجة الحتمية لذلك أن يصبح الجهاز الاداري هو المؤثر في الاتحاد وليس العكس . من هنا نرى ان اهمية التفرغ لا ترجع الى توفير كمية الوقت الذي يستطيع الفرد أن يعطيه للاتحاد ولكنها ترجع اساسا الى ضمان ولاء هذا الفرد للاتحاد لا لأي جهة اخرى .. الى ضمان حرية تفكيره وارتباطه بالتنظيم الشعبي وعدم تأثره بالعمل الروتيني التنفيذي اليومي ولا برياساته التنفيذية » .

على هذا الاساس السليم شكلت الامانة العامة والمكاتب التنفيذية للمحافظات من اعضاء متفرغين ولو ان مسألة توزيع المسئوليات داخل الامانة وداخل بعض المكاتب على اساس نوعي لا تزال تحتاج الى نقاش .

الاتجاه الهام الثاني هو الاهتمام بمشاكل الجماهير ليس فقط بطريق الكلام وكتابة التقارير ولكن اساسا ، وهذا هو المهم ، بالاشتراك مع الجماهير في حلها ولم يكن هذا ممكنا بدون تفرغ ، ويعني هذا كما اوضح السيد الامين العام « ان يقوم الاتحاد بدور ايجابي وذاتي في حل مشاكل الجماهير اينما وجدت وحيثما أمكن ذلك .. خاصة تلك التي يصعب حلها بواسطة الاجهزة التنفيذية ، أو التي لا تحتاج في حلولها الى عمل تلك الاجهزة » .

إن الاشتراك في حل المشاكل بالعمل لا بالقول يجعل من الاتحاد قيادة حقيقية للعمل الجماهيري . إن حل المشاكل يستلزم بطبيعة الحال تحديدها والالمام بها ، وهو مالم يمكن ان يتحقق الا اذا التحم اعضاء المكاتب التنفيذية بالجماهير وعاشوا معها حيث تعمل وسمعوا آراءها وتحسسوا احتياجاتها فالجماهير هي وحدها التي تستطيع ان تدلهم على المشاكل والعقبات وعلى مواقع الانحراف والتخريب وعلى ما تستطيع أن تقوم به وما لا تستطيعه . وعن طريق المعايشة والمشاركة في العمل يتعلم الاتحاد من الجماهير ويعلمها وتنمو الصلات بينهما وتزداد الثقة ويصبح الاتحاد فعلا في كل تصرفاته وقراراته معبرا عن آراء الجماهير ومصالحها لانه قد خرج بهذه التصرفات والقرارات من بين الجماهير انفسها عن طريق الحياة المشتركة معها . بهذه الطريقة ايضا تختبر العناصر التي تم اختيارها وتظهر عناصر قيادية جديدة ربما كانت موجودة طول الوقت ولكن لم يكن يحس بها احد .

وليس أدل على اهمية دور المكاتب التنفيذية من الاجتماعات المستمرة المنظمة التي يلتقي فيها اعضاء المكاتب بالرئيس بوصفه قائدا للثورة ورئيسا للاتحاد الاشتراكي .

ان الالتحام بالجماهير يحقق في نفس الوقت التحاما بالفلاحين والعمال ، وارتباطا بهم ، وحلا لقضاياهم ، وتعبيرا عن آرائهم ، واكتشافا للعناصر القيادية ، يحقق في النهاية أن يكون التحالف تحالفا محوره الفلاحون والعمال .

والاتجاه الهام الثالث هو التركيز على الشباب ، جميع الشباب عمالا كانوا او فلاحين او طلبة او مثقفين .. ايمانا بأن استمرار التقدم مرتبط باستمرار العمل الثوري وهو ما لا يمكن أن يتحقق الا « حين يكون هناك في كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة ، ولحمل الامانة ، ومواصلة التقدم بها » .

وما من شك في أنه بالرغم من قصر المدة منذ انشاء الامانة المتفرغة ثم انشاء المكاتب التنفيذية الا إننا نستطيع القول — في ضوء ما تم من عمل — أن الفترة الحالية في حياة الاتحاد الاشتراكي فترة هامة وحاسمة وأنها بحق فترة تدعيم سلطة الشعب وأن الاتحاد يزداد دوره يوما بعد يوم كالسلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة .



الديمقراطية في الميثاق بين النظرية والتطبيق



مصطفى طيبة

كما اسهمت ثورتنا في اثراء الفكر الاشتراكي العالمي ،كذلك اسهمت في اغناء قضية الديموقراطية بزاد جديد . فلقد حدد الميثاق مفهوما واضحا للديموقراطية في تجربتنا، يستمدمقوماته من جوهر النظام الاجتماعي الذي اخترناه هدفا لحياتنا، ومن واقع التجربةالحية لطريقنا الخاص نحو تطبيق هذا النظام .

فعلى أساس ((**ان الحل الاشتراكي هو المخرج الوحيد الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وهو طريق الديمقراطية بكل اشكالها السياسية والاجتماعية**)) حدد الميثاق مفهوما واضحا للقضايا الاساسية التي تندرج تحت قضية الديموقراطية .

فبالنسبة للسلطة وباعتبارها جوهر الديموقراطية قال ((**ان تحالف الرجعية ورأس المال المستغل يجب ان يسقط ، ولابد أن ينفسح المجال بعد ذلك ديموقراطيا للتفاعل الديموقراطي بين قوى الشعب العاملة**)) وان هذا التحالف هو ((**السلطة الممثلة للشعب والدافعة لامكانيات الثورة والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة**)) .

وبالنسبة للدولة اوضح الميثاق حقيقة

((**ان النظام السياسي في بلد من البلدان ليس الا انعكاسا مباشرا للاوضاع الاقتصادية السائدة فيه وتعبيرا دقيقا للمصالح المتحكمة في هذه الاوضاع الاقتصادية**)) .

وعن القطاع العام باعتباره اداة التنمية الاقتصادية نص الميثاق على ضرورة ((**خلق قطاع عام قوى وقادر ، يقود التقدم في جميع المجالات، ويتحمل المسئولية الرئيسية في خطة التنمية**)) .

وفي نفس الوقت ((**وجود قطاع خاص يشارك في التنمية في اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال**)) .

وبالنسبة للتنظيم السياسي الثوري ابرز الميثاق ((**ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسي جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي العربي يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ،ويطور الحوافز الثورية للجماهير، ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات**)) .

وعن مشاركة الجماهير في تصريف شئون البلاد السياسية والاقتصادية نص الميثاق على ضرورة ان ((**يضمن للفلاحين والعمال نصف مقاعد**

التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها ، بما فيها المجلس النيابى ، باعتبارهم اغلبية الشعب » .

وحين نص الميثاق عن حقيقة« **ان الديموقراطية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الحرية الاجتماعية » فقد أعطى للحرية مدلولا جديداً** . فتحرير ارادة الشعب من القيود الاقتصادية والاجتماعية ، هي وحدها الطريق لحرية الرأى والانتخاب ،وسائر الاشكال الديموقراطية الاخرى، ويستطيع الشعب بذلك أن يشارك فى « **تشكيل سلطة الدولة التى يرتضى حكمها »** .

واليوم وبعد تجارب السنوات الاربع الماضية، ما هي المحصلة النهائية لهذه التجارب ، سواء من حيث جانبها الايجابى أو السلبى ؟ .

الديمقراطية وحركة

الطبقات الاجتماعية

اذا كان التحرر الاقتصادى والاجتماعى هو أساس الديموقراطية، فان متابعة هذه العملية هي وحدها المعيار الحقيقى لرؤية الصورة الحقيقية لمفاهيمنا عند التحامها بالحياة .

فاذا بدأنا بالطبقة العاملة ، فالامر المؤكد أن مكاسبها سواء فى الميدان الاجتماعى أو السياسى أمر واضح . ولا شك أن نقطة الانطلاق الديموقراطية الكبرى كانت اجراءات يوليو بكل ما انتهت اليه من تحرير الطبقة العاملة من عبودية مستغليها . فمن الناحية الاجتماعية تبرز الكثير من القوانين الاساسية التى أرست قواعد الديموقراطية الاجتماعية ، مثل المشاركة فى الارباح ، ورفع الحد الادنى للاجر الى ٢٥ قرشا ، وتحديد ساعات العمل بسبع ساعات يوميا ، وقوانين الحماية الاجتماعية والمساواة وتقريب الفوارق بين العاملين ، وقوانين الحماية التأمينية. هذه القوانين وغيرها كانت هي التعبير الحقيقى عن مفهوم الميثاق للديموقراطية كوسيلة لتحرير جماهير العمال من عبودية الاستغلال والقهر .

وفى الجانب السياسى ، هناك مشاركة العمال فى الادارة ، والمشاركة فى قيادة الدولة عن طريق حقهم الدستورى ، ومعهم الفلاحين فى ان يكون لهم ٥٠ ٪ على الاقل فى الهيئات التشريعية والسياسية .

ولقد عبرت هذه الامثلة عن واقع ديموقراطيتنا من حيث كونها ممارسة واقعية لا نصوص مسجلة على الورق بلا مضمون حقيقى .

ونفس الامر ينطبق على الفلاحين ، فقوانين الاصلاح الزراعى ضربت علاقات الاقطاع ذات البصمات السوداء فى حياة الفلاحين ، وحررته من أسوأ الوان الاستغلال الاقطاعى . وقوانين الجمعيات التعاونية التى نصت على أن يكون ٤/٥ مجلس الادارة لمن يملك خمسة افدنة فأقل ،تحقق الغرض منها من تقديم المساعدات للفلاحين ، هذا الى جانب التجميع الزراعى، والتسويق التعاونى. وعبر كل ذلك عن مفهومنا للديموقراطية كوسيلة لتحرير الفلاحين من عبودية الاستغلال الاقطاعى.

تحريم الاستغلال والانحراف

واذا كانت قوى الفلاحين والعمال قد حققت الكثير من الانتصارات الثورية الديموقراطية ، فانها من جانبها وقفت دائما على استعداد لتقديم كل طاقاتها ، وكل جهدها من أجل الخلق والبناء، فلقد شكل تحرر هذه القوى الاجتماعى أساس تحالف قوى الشعب العاملة ، فالى أى حد تحقق هذا التحالف ليكون دافعا للثورة وحارسا على قيم الديموقراطية ؟ .

ان الفلاحين والعمال هم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ، وموقفهم من التحالف الشعبى باعتباره السلطة ينبع من هذه المصلحة . وعبرت المعارك المختلفة للفلاحين فى الريف ضد الاقطاع وأغنياء الفلاحين ، وللعمال فى المصانع ضد الانحراف والاستغلال عن هذه الحقيقة . غير أن تحالف هذه القوى لم يتحقق كالركيزة الاساسية للتحالف الشعبى كله ، وبالتالى لم يتحقق التحالف الشعبى . فلماذا ؟ .

هنا ننتقل الى الرأسمالية الوطنية التى تحتاج حركتها الى دراسة جادة . وعلينا أن نستعيد بعض الحقائق الاساسية حتى تتضح معالم حركة هذه الطبقة خلال النضال الثورى .

● ان ثورتنا كانت دائما ثورة الشعب ولتحقيق اهدافه العميقة . انها ثورة تستهدف القضاء على التخلف والاستغلال بغض النظر عن مصدره، سواء كان خارجيا أو داخليا .

● ان ثورتنا حاولت دائما تحقيق أهدافها بروح

سلمية ، ومعالجة الصراع الطبقي بمنهج أصبح اليوم نموذجا لكثير من ثورات العالم .

● ان ثورتنا حين حددت طبيعة التحالف الثوري وضعت الراسمالية الوطنية مع العمال والفلاحين في قلب هذا الحلف ، واكدت حقها في العمل والملكية بشرط واحد هو أن لا تنحرف ولا تستغل . فهل سارت حركة هذه القوى خلال التحول الثوري ، في القطاع العام وفي القطاع الخاص بما يتفق مع عطاء الثورة لها ؟ .

الطبقة الجديدة

منذ ما يقرب من العامين قال المناضل جمال عبد الناصر **((ينبغي لنا مهما كان الثمن ان لانسمح بظهور طبقة جديدة تظن أن الامتيازات ارث لها بعد الطبقة القديمة ، وعلينا ان نقاوم مثل هذا الانحراف ونقومه ونثور عليه اذا اقتضى الامر ، ونجرده من اى سلاح يكون قد حصل عليه ، فان هذا السلاح سوف يتجه في لحظة تواتيه الفرصة الى طعن تحالف قوى الشعب العاملة))** .

وبعد أربع سنوات من صدور الميثاق تقف جماهير الفلاحين والعمال حائرة . فعلى الرغم من ان الثورة حررت الفلاحين والعمال اجتماعيا واقتصاديا وكفلت لهم المشاركة في قيادة الدولة، فانهم لم يمارسوا هذا الحق من الناحيةالعملية. بل أن الجماهير تشعر بأن استمرارها في هذا الوضع يفقدانتصاراتها الثورية مضمونهاتدريجيا، وتتحول تنظيماتها الشعبية الى أشكال خاوية من مضمونها الثوري ، وهي تقف عاجزة لا تستطيع بعث الحياة فيها .

لقد تكونت هذه الطبقة الجديدة من بعض فئات الراسمالية التي احتلت بحكم وضعها في المرحلة السابقة بعض مراكز الدولة والقطاع العام ، وبالتالي بعض المراكز القيادية في الاتحاد الاشتراكي . هذه العناصر استغلت مراكزها لتكوين ملكية خاصة ، اما بالافساد أو التخريب، أو بالتعاون مع بعض العناصر الاستغلالية في القطاع الخاص ، التي تعمل هي الاخرى لتحقيق الربح السريع بالمضاربة على منجزات القطاع العام ، واستنفاد موارده وتحويله الى ملكيات خاصة . من هنا أصبح خطر هذه الطبقة يكمن في انها تعمل على تحويل القطاع العام من اداة للتطوير الثوري الاقتصادي والاجتماعي ، الى عائق للنمو الاقتصادي وللردة الاجتماعية .

هذه الطبقة قد اصبحت ((**طبقة عازلة تحول دون تدفق العمل الثوري ، وتجمد وصول نتائجه الى الجماهير التي تحتاج اليه**)) . كما قال الميثاق منذ اربع سنوات .

معنى ذلك انها تعمل على ابعاد الشعب عن ممارسة حقوقه المشروعة التي نص عليها الميثاق، وتحتال على ذلك باساليب متعددة . فهي تغلب الاسلوب الاداري في حل مشكلات الجماهير على الاسلوب السياسي . ذلك ان العمل السياسي يحفز الجماهير ويوعيها بحقوقها ويمثل ذلك خطرا على مصالح هذه الطبقة . وفي التنظيم السياسي تعمل هذه الطبقة بحكم الموقع الذي تحتله في الاتحاد الاشتراكي على تعطيل عمله بمختلف الوسائل ، التي تنتهي بنشر اليأس في صفوف الشعب ، وافقاده الثقة في تنظيمها السياسي . ويتبع ذلك بالضرورة وضع العقبات والعراقيل في طريق بناء الجهاز السياسي الذي يقود الجماهير من خلال الاتحاد الاشتراكي .

والنتيجة الطبيعية هي العمل على مصادرة امكانية تحقيق ((**سلطة المجالس الشعبية على جميع مراكز الانتاج ، وفوق كل اجهزة الادارة المركزية أو المحلية**)) . كما استهدف الميثاق .

ان محصلة اربع سنوات تقرر حقيقة أن السلطة السياسية بدلا من أن تكون بكاملها بأيدي قوى الشعب كما استهدف الميثاق عن طريق ممارسته المباشرة للديموقراطية ، ما زال جانب من السلطة الفعلية بيد الفئات والعناصر المسيطرة على جهاز الدولة والقطاع العام وبالتالي بعض المراكز في الاتحاد الاشتراكي ، وهي فئات وعناصر تعادي الاشتراكية أو على الاقل تقف منها موقفا سلبيا. معنى ذلك انها كما حذر الميثاق أصبحت طبقة عازلة تحول دون التحام جماهير الشعب بقيادته الثورية .

من هنا فمحاولة البحث عن أسباب ضعف فاعلية التنظيمات الشعبية في المدينة والريف ، وعن عدم استكمال الاتحاد الاشتراكي لفاعليته الكاملة وعن عدم قيام المجالس الشعبية ،وضعف الحكم المحلي ، بعيدا عن السبب الجوهري ،وهو وجود هذا الحاجز لن تؤدي الى التطبيق الفعلي لكل ما استهدفه الميثاق في هذا الصدد . وكذلك فان محاولة تطبيق الاشكال الديموقراطية التي نص عليها الميثاق مع وجود هذه الطبقة العازلة في المواقع القيادية في المجالات المختلفة ليست فقط عديمة القيمة ، وانما سوف تقوى

من خطر سيطرة هذه الطبقة على كافة التنظيمات الشعبية . فالسلطة الشعبية التى ارادها الميثاق ، هى التحام القيادة الثورية بالجماهير ، وهى الوحدة المطلقة بين القيادة الثورية وجهاز دولتها وتنظيمها السياسى ، ولا سبيل الى تحقيق ذلك الا بتحالف قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية .

ثغرات فى الاطار القانونى

من هنا فان اخطار التطلعات الطبقية ستظل قائمة ما دامت هناك ثغرات قانونية تتيح لها فرص الوثوب . هذه الثغرات هى التعريفات والتحديدات القانونية والطبقية للقوى الاجتماعية فى بلدنا ، تلك التعريفات التى لا تستند الى اساس حقيقى من الواقع . فتعريفات الراسمالية الوطنية فى بلادنا لا تفرق بين الراسمالية الصغيرة والمتوسطة، وتضع الاثنين فى كومة واحدة ،ويؤدى ذلك الى اخطار جسيمة . فحين نضع التاجر الصغير والحرفى الكادح جنبا الى جنب مع كبار التجار الجشعين ، فلا شك ان هذا الوضع يتيح للفئات النامية من الراسمالية فرصا ذهبية لاحكام قيادتها على قوى ثورية تتفق مصالحها مع كل خطوات الثورة ، وهى البورجوازية الصغيرة . ومن جهة اخرى تجعل هذه التعريفات من مالك الـ ٢٥ فدانا فلاحا كادحا ، وتجعل من التاجر الصغير الفقير راسماليا ، فى الوقت الذى تبلغ فيه ثروة الاول آلاف الجنيهات ، ولا يزيد راس مال الثانى عن بضع عشرات من الجنيهات .

هذه الثغرات حين ساعدت على تمييع القوى الاجتماعية ، تخلق الظروف المواتية لنمو طبقة جديدة تلتحم مصالحها بالقوى الاستغلالية المخلوعة ، وتشكل حاجزا يعوق تحالف قوى الشعب ، ويمنع الجماهير من ممارسة حقوقها الديموقراطية ، تمهيدا لضرب منجزات الثورة ، وبالتالى سلب قوى الفلاحين والعمال والمثقفين حريتهم الاجتماعية .

واذا كان "الفلاحون والعمال والمثقفون الثوريون والجنود هم الاعمدة الرئيسية للحلف الثورى ، بجانب الراسمالية الوطنية ، فان تحديد معالم كل طبقة بطريقة صحيحة ، هو الشرط الجوهرى لتطبيق الديموقراطية كما جاءت بالميثاق ، وللاستفادة الحقيقية من طاقات هذه القوى .

الثورة طريق

تطبيق الديمقراطية

على ان سد الثغرات فى الاطار القانونى لاتمثل غير خطوة اولى على طريق تطبيق ديموقراطيتنا . فلقد ضاعف التأخر فى اتخاذ هذه الخطوة من مصاعب طريقنا الخاص نحو الاشتراكية ، بحيث صار الوضع يتطلب حلا حاسما كحل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وفى مستوى حل اجراءات يوليو سنة ١٩٦١ .

ان فترات الانتقال أو التحول الثورى هى بطبيعتها وبالضرورة فترات استثنائية تحوطها مخاطر خاصة ، هذه المخاطر تختلف اسبابها وطبيعتها ونتائجها من مجتمع لآخر حسب الطريق الخاص الذى يشقه كل مجتمع لنفسه نحو الاشتراكية ، ولكن اساس التغلب عليها جميعا هو الوعى بالخصائص الخاصة لهذا الطريق والصعوبات التى تحف به ، والتسلح بالوسائل اللازمة لمواجهتها .

وعملية التحول الثورى التى تجرى فى بلادنا ليست استثناء من هذه القاعدة ، فلها مخاطر الطريق الخاص الذى تسير فيه ، وهى مخاطر قد اصبحت ظاهرة فى الفترة الراهنة . واحد سمات هذا الطريق هو العلاقة الشاذة بين السلطة والدولة .

● فثورتنا لم تستطع حتى اليوم خلق جهاز دولتها المنفذ لخط السلطة الثورية ، فلقد ادى انفجار الثورة العلوى ، واعتمادها على القلب الرئيسى لجهاز الدولة القديم الى وجود طبيعة شاذة بين السلطة الثورية والدولة .

● وحين تميزت ثورتنا منذ انطلاقها بعدم اعتمادها على تنظيم سياسى جماهيرى واسع ، ادى ذلك وبالضرورة الى عدم توافر المنبع الرئيسى لخلق الدولة الجديدة .

● ودلت كل المحاولات التى بذلت واتخذت طابع "اصلاح الجهاز الادارى على انها لم تؤد الى نتائج واضحة . والسبب فى ذلك يرجع الى ان ما نواجهه ليست مشكلة فنية تحتاج الى خبراء ، ولا مشكلة جزئية تحتاج الى ترميم ، انما هى مشكلة سياسية مرتبطة بعقلية كاملة تسود معظم نواحى هذا الجهاز ، مشكلة فلسفة تحكم منطق

اجهزته وتتعارض تماما معمنطق الثورةومنجزاتها وآفاقها العظمى .

● من هنا فالحل الثوري للعلاقة الشاذة بين السلطة والدولة هو الحل الحاسم، وبصفةخاصة في مرحلتنا الحالية التي تتطلب أعلى درجة من الوحدة بينالقيادة الثورية والمؤسساتالتنفيذية، بين خط وقرارات القيادة الثورية والتطبيق الثوري لها ، بين الاهداف الاشتراكية واسلوب تنفيذها الاشتراكي .

والوحدة هنا لا تلغي التناقض ، ولا تلغي الصراع ، ولكنها تحدد المكان الطبيعي لهما باعتبارهما شرطان لمزيد من الوحدة على مستوى أرقى ، لا باعتبارهما وسيلة لمزيد من الانفصال والتخريب . والحل المناسب هو المقرطة الشاملة لكافة الاجهزة التي تتكون منها الدولة، والتشريك الكامل لكل أجهزتها ، فهما يعنيان اعادة بناء هذه الاجهزة بروح جمهوريتنا الثورية وبروح قيادتها الاشتراكية . يعنيان اعادة تكوين مناهجها وفلسفاتها وطرق تنفيذها بعقلية تعي بعمق كامل معنى مرحلة الانطلاق الى الاشتراكية .

والسمة الثانية لطريقنا الخاص هو التناقض الناتج عن وجود طريق اشتراكي في بلادنا ، في نفس الوقت الذي لم يكتمل فيه بعد قيامتنظيم اشتراكي جماهيري يكون في مستوى هذا التحول العظيم . وهو أمر يحتاج بالضرورة الى وقت — والحل الحاسم لهذا التناقض ينبع من عدد من الحقائق .

● ان تعبئة الجماهير واطلاق قواها الكامنة ، لا يمكن تحقيقه دون تنظيم حقيقي ، قادر على التجاوب مع العملية الثورية ، وعلى رسم معالم طريقها . تنظيم له الفاعلية الحقيقية والاشراف الفعلي على اجهزة الدولة ومؤسساتها .

● ان الاشتراكية على خلاف جميع النظم الاخرى تحتاج في انطلاقها لمقاومة خصومها ، الى أعلى مستوى ممكن من توعية الجماهير ، وهو أمر يستحيل تحقيقه بدون تنظيم .

● ان الطريق نحو الاشتراكية — مهما تنوعت أساليبه واشكاله — يواجه من جانب الطبقات المستغلة بصراع الحياة او الموت . واذا كانتجريد هذه الطبقات من قواها الاقتصادية يمثل أحد الاسلحة الاساسية لمثل هذه المقاومة ، فان اليقظة الجماهيرية الحاسمة هي طريق تأمينهذه العملية الكبرى ، ومثل هذه اليقظة والتعبئة من المستحيل تحقيقها دون تنظيم .

● ان الطريق الحقيقي نحو حماية وتنشيط قطاعنا العام المتعاظم القوة ، والذي يتعرض أكثر من غيره لكثير من ألوان الفوضى والتخريب ، انما يكون بتطبيق الديموقراطية في الادارة والتوجيه بروح ثورية اشتراكية . وهذه العملية لا يمكن تحقيقها الا بوجود الفصائل الاشتراكية المنظمة داخل كل مؤسسة والقادرة على وضع هذه المبادىء في التطبيق ، وتلك احد المهام الاساسية للتنظيم .

ولقد حاول الميثاق فكرا وتطبيقا التغلب على هذين التناقضين بمفهومه عن الديموقراطية ، وبالاشكال التي تمارسمن خلالها الديموقراطية. غيران ما حذر منه الميثاق حين قال ((**ان القيادات الجديدة لابد لها أن تعي دورها الاجتماعي . وان اخطر ما يمكن ان تتعرض له هذه المرحلة هو أن تنحرف ، متصورة أنها تمثل طبقة جديدة حلت محل الطبقة القديمة وانتقلت اليها امتيازاتها**))قد حدث بالفعل.وفي غيبةالجماهير التي لم تمارس حقوقها الديموقراطيةالتي كفلها الميثاق، راح قانون النمو المتعاظم للانتاج من أجل اشباع الحد الاقصىمن الاحتياجاتالماديةوالمعنويةللمجتمع، يسير سيرا متباطئا ولحساب قانون الحد الاقصى للربح ، وهما القانونين الاساسيين المتعاصرين والمتصارعين في نفس الوقت ، خلال فترة التحول الى الاشتراكية . يقول جمال عبد الناصر ((**لقد لاحظنا اخيرا بروزا واسماليا(1) فيقطاعات معينة وقد سبب لنا ذلك بعض القلق**)) . هنا يصبح العلاج الحاسم هو ذلك العلاج الذي يحل التناقض بين المضمون الاجتماعي للثورة وبين أطارها السياسي ، فحين تصبح حرية الجماهير الاجتماعية مهددة فالثورة هي الوسيلة الوحيدة لحمايتها ، وهي أساس حرية الجماهير السياسية ، وممارسة حقوقها الديموقراطية . يؤكد المناضل جمال عبد الناصر هذا المعنى بتأكيده على استمرار الثورة لاقتلاع جذورالطبقة الجديدة التي تحاول انتهاز لحظة مواتية لها لضرب التحالف الشعبي ، وبالتالي ضربالثورة ومنجزاتها الاشتراكية .

دروس من الشعب

غير ان هذا الظرف الذي تنتظره الرجعية

قديمها وحديثها لن يواتيها ، فشعبنا قد كسب حريته الاجتماعية وهى الضمان الاكيد لحريتــه السياسية . وشعبنا لم يقف ســاكنا ، طــوال السنوات الاربع الماضية ، بل لقد ناضل ببسالة ضد كل الجيوب الرجعية فى اجهزة الدولة والقطاع العام والاتحاد الاشتراكى ، من اجــل حقــوقه الديموقراطية التى كفلها له الميثاق . وظل شعبنا فى صراعه العنيد يفرق دائما بين تلك الجيــوب الرجعية وبين قيادة الثورة ، التى ظل ايمانه بها لا تهزه مطاردات فى الرزق ، أو ينال منها تشريد او تلفيق للتهم . لقد ظلت حريته الاجتماعية التى حصل عليها هى الارض الصلبة التى يقف عليها فى مواجهة الرجعية . وظــل التــزامه بالثــورة ومبادئها ، والثقة المطلقة بقائدها ، صــمام امن يهديه الطريق فى معركته المقدسة ، ومن أجــل حقه الذى كفلته له الثورة ، فى تصريف شــئون البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولقد جاءت تجربتى كمشيش والمنيا تجسيدا للحقيقة الحية التى تعيش فى وجــدان شــعبنا منذ انطلقت ثورته عام ١٩٥٢ ، حقيقة أن الثورة هى ثورة الشعب حتى وان وقفت بعض اجهــزة الامن والاتحاد الاشتراكى الى جانب الرجعية .

لقد اكدت جريمة كمشيش حقيقة الصراع الطبقى ، وحقيقة الطبيعة العدوانيــة للرجعيــة المعادية للاشتراكية . وأن القوانين الثورية تفقد مضمونها ما لم تطبق تطبيقا ثوريا وتسلم المسئولية للجماهير ، ويقيم منها حارسه على الثورة كلها . وان الدولة القديمة بنظمها وأجهزتها فى حاجة الى ثورة ، فلولا الاشراف المباشر للجهاز الثورى « المباحث العسكرية » على التحقيق فى مقتل الشهيد صلاح حسين ، لانتهى التحقيق الى مجرد قتل عادى ، ولما بعثت قضية المنيا بعد ان قبرت . فى كلمة لقد جسدت جريمة كمشيش حقيقة ان حماية الاشتراكية هى المزيد من الاشتراكية ، وان الحماية الوحيدة للثــورة هى المزيد من الثورة ، هى استمرار الثورة .

على أن الدرس الكبير الذى علينا أن نتعلمه من تجربة كمشيش ، ان الديموقراطية حتى وان صيغت فى الدستور وفى القوانين ، فهى حق ينتزع من الرجعية التى تصارع صراع الحياة او الموت ضد حق الشعب فى تصريف شئون البلاد ، ان الديموقراطية حتى وان كان على رأس السلطة قيادة ثورية اشتراكية ، هى حق ينتزع من الرجعية التى تصارع فى استماتة لمنع التفاعل بين الجماهير الثورية وقيادتها الثورية .

والدرس الكبير الاخر الذى علينا أن نتعلمــه من تجربة كمشيش ، أن ما تحسبه الرجعية ، عزلة بين الشعب وقيادته ، هو وهم كبير ، وان ما حسبناه سلبية للجماهير وهم آخر . فالحقيقة البسيطة والعميقة بساطة شعبنا وعمقه ، هى أن طريق الديموقراطية هو الوحدة والصراع ، وهو طريق اقامة التحالف الشعبى . فلو ان تجــربة كمشيش طوال اعوام الثورة ، تكررت فى ريف بلادنا ومدنه ، بنفس ايمان كمشيش بالثورة والثقة بها ، لانتزعنا حقوق الشعب الديمقراطية من جــلاديه القدامى ، ولما سمحنا بظهور جــلادين جــدد ، ولخلقنا الظروف المناسبة لقيــادتنا الثورية كى تسد الثغرات فى الاطار القانونى التى فرضتهــا ظروف محددة .

ولو كنا قد وعينا عمق كلمات جمال عبــد الناصر منذ أكثر من عام « **أنه يمكن لشــخص او شخصين ان يوجها آلاف الناس .. وهــذا ما ينقصــنا فى كل مكان** » (٢) لــكان حصــادنا الديموقراطى اليوم شيئا ملموسا ، لــكنه اغلى من تضحيات كان لابد أن تبذل من اجله ، فالوحدة والصراع تفترض التضحيات بالضرورة .

ولو اننا وعينا اليوم وبعد تجــربة الســنوات الاربع الماضية ، ان تطبيق الديموقراطية ، قضية تكتسب من خلال الوحدة والصراع ، وان قانون الوحدة والصراع لا يتوقف وانما يؤثر سلبــا وايجابا ، وان العمل السياسى هو المناخ المــلائم كى يكون ايجابيا ، لاصبحنا بحق عناصر ايجابية .

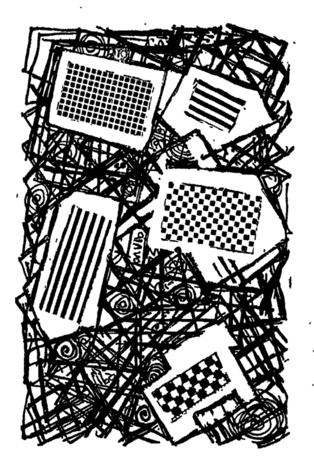
ان الاشكال الديموقراطية التى نص عليهــا الميثاق ترتبط حياتها وفاعليتها بمــا يحتــويه مضامينها المتمثلة فى فاعلية الجماهــير المنظمــة الواعية . وليس من سبيل الى ذلك الا بالعمل السياسى الملتزم والمســئول . ويمــكن ان يــكون نقطة انطلاق العمل السياسى اليوم ، هو مناقشة الخطة الثانية .

فاذا اتجهت مناقشة الخطة فى الاساس نحــو تحديد طبيعة تحالف قوى الشعب ، ومن الــذى يقوده ، ولمصلحة من ، فان ذلك يخلق المناخ الملائم كى تطرق الثورة القطاع العام ، واجهزة الدولة ، والاتحاد الاشتراكى لتضرب كل امتيازات طبقية ، وتقيم تنظيمها السياسى الطليعى القــادر عــلى ممارسة الديموقراطية بالتزام ومسئولية ، واقامة المجالس الشعبية بوصفها السلطة الحقيقية للشعب

---

(١) من حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى كارتجيا — مايو سنة ١٩٦٦

(٢) فى اجتماع الامانة العامة ، فبراير سنة ١٩٦٥



الاستاذ على كامل بجانب شغله مركز مدير الشئون القانونية بالاتحاد الاشتراكى ، يعمل مستشارا قانونيا للحكم المحلى . يقدم فى هذا المقال مفهوم الحكم المحلى فى كلا من النظامين الراسمالى والاشتراكى، ويناقشها فى اطار الميثاق ويستعرض الخطوات التى انجزت فى الطريق نحو نقل سلطة الدولة الى ايدى السلطات الشعبية .

الحكم المحلى ومسئولية التنظيم الشعبى

على كامل

جاءت ثورة سنة ١٩٥٢ ونظام الادارة المحلية المطبق فى البلاد يتمثل فى مجالس مديريات ليس لها الا اختصاص ضئيل اكثره استشارى، ومجالس بلدية اقيمت فى بعض المدن الكبرى التى تكثر فيها الجاليات الاجنبية ، يشترك فيها اعضاء اجانب يمثلون هذه الجاليات ، واختصاصها قاصر على بعض مرافق ضرورية كتوريد المياه والاضاءة وهى مرافق معهود باستغلالها المباشر فى اغلب الاحوال لشركات احتكارية .

ثم اخيرا مجالس قروية ذات اختصاصات هزيلة ضاق بها اهل القرى لانهم لم يحسوا لها فائدة أو جدوى تقارب رغم ماكانوا يحتملونه من رسوم قروية . وكان شرطا لازما فى اعضاء هذه المجالس جميعا أن يكونوا من اصحاب نصاب مالى معين .

والواقع ان تشكيل المجالس المحلية فيما قبل الثورة على النحو المتقدم وتحديد اختصاصاتها بهذه الصورة الضيقة الباهتة كان امرا طبيعيا منطقيا ، فالحكم المحلى الحقيقى هو اصلاتطبيق سليم من تطبيقات الديمقراطية الحقة . لذلك فهو لا يزدهر ابدا الا فىظل ديمقراطية سليمة. ولميكن لدينا منها فيما قبل الثورة حتى فى المستوى القومى، الا صورة زائفة واجهتها البراقة حياة دستورية برلمانية ، وجوهرها دكتاتورية الاقطاع وراسمال المستغل المتحالفين مع الاستعمار .

وكان طبيعيا وقد اعلنت الثورة عند قيامها مبادئها الستة وضمنها مبدأ اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، ان تتجه الى نظام الادارة المحلية المطبق وقتذاك فتدفع به الى الاتجاه الذى يجعله وسيلة جادة لتحقيق هذه الديمقراطية السليمة .

ولكن كان لزاما ان يكون دفع عجلة تطور نظام الادارة المحلية لتحقيق هذا الهدف ، مرتبطا ارتباطا حتميا وزمنيا بدفع عجلة تطوير الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد . ذلك لان التنظيم الادارى فى الدولة لاينفصمبالطبيعة عن ظروف حياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فكما ان النشاط الادارى يهدف اساسا الى وضع اتجاهات النظام السياسى الكلية موضع التنفيذ فى الفروع والجزئيات من المنطق ان تنعكس اتجاهات النظام السياسى على اساليب التنفيذ .

ولذلك فقد بدات الدولة [illegible] الى اقامة

ادارة محلية صحيحة ، بانشاء مراقبات وفروع للوزارات في عواصم المديريات ، منحتها استقلالا عن الديوان المركزي في معالجة الخدمات التي تقوم عليها هذه المديريات او المراقبات في المجال المحلي

مرحلة اللامركزية المصلحية

كانت مرحلة اللامركزيه المصلحية هذه هي التحضير العلمي والتمهيد المثمر لاقامة نظام الادارة المحلية المطبق حاليا والصادر به القانون رقم (١٢٤) لسنة ١٩٦٠ والذي يقوم اساسا على تقسيم الجمهورية الى محافظات ومدن وقرى وتشكيل مجالس لتمثيل هذه المحليات وادارة مرافقها من اغلبية منتخبة لتشكيلات التنظيم السياسي ومجموعة من ممثلي الوزارات ثم مجموعة ثالثة من الاعضاء العاملين بالتنظيم السياسي من ذوي الكفاية والخبرة بشئون المحليات . ونيط بهذه المجالس انشاء وادارة مختلف المرافق والاعمال ذات الطابع المحلي في المجالات الاجتماعية والتعليمية والثقافية والصحية والتنظيم والمياه والانارة والانشاء والتعمير والمواصلات والشئون الاقتصادية وفقا لما حددته اللائحة التنفيذية للقانون .

وانطلق ممثلو الجماهير الشعبية لاول مرة في ظل هذا النظام متعاونين مع مواطنيهم من ممثلي الوزارات اصحاب الخبره الاداريه بشئون المرافق التي قامت المجالس المحلية على ادارتها ، يمارسون بحق ادارة المرافق المحلية بصورة طيبة من صور الادارة الديمقراطية كوسيلة لتحقيق الحياة الديمقراطية السليمة .

الميثاق والحكم المحلي

ولكن عجلة تطوير حياتنا الاجتماعية والاقتصادية اندفعت مع عجلة تطوير حياتنا السياسية تحدد لنا بعمق المعالم الحقيقية لاوضاعنا التقدمية في هذه الامور جميعها على الصورة التي اوضحها الميثاق الوطني في تفصيل كامل . فكان طبيعيا ان يلازم هذا التطوير التقدمي في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تطوير مقابل له في مجال الادارة المحلية . ولذلك فقد جاء في الباب الخامس من الميثاق تحت عنوان الديمقراطية السليمة ، ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب ان تتاكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ، فذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينظم سيادة الشعب ، ثم هو الكفيل بان يظل الشعب دائما قائد العمل الوطني . كما انه الضمان الذي يحمي قوة الاندفاع الثوري من ان تتجمد في تعقيدات الاجهزة الادارية او التنفيذية بفعل الاهمال او الانحراف .

كذلك فان **((الحكم المحلي يجب ان ينقل باستمرار وبالحاح سلطة الدولة تدريجيا الى ايدي السلطات الشعبية فانها اقدر على الاحساس بمشاكل الشعب واقدر على حسمها))** .

كما جاء بالميثاق في الباب الثامن منه ((**كذلك فان وسيلة الديمقراطية ان تتحقق سلطة المجالس الشعبية على جميع مراكز الانتاج وفوق اجهزة الادارة المركزية او المحلية فان ذلك يضمن للشعب باستمرار ان يكون سلطة تحديد أهداف الانتاج وان يكون في الوقت ذاته سلطة الرقابة على تنفيذها**)) .

تلك هي الصورة التي اوردها الميثاق لنظام الحكم الداخلي للبلاد في المجال المركزي والمجال المحلي . وهي صورة تبرز في وضوح أنه في كلا المجالين على السواء يتعين اخذا بمبدأ سيادة الشعب وتحقيقا للديمقراطية السليمة ، ان يقوم الى جانب الجهاز الاداري في كل مجال مجلس شعبي منتخب يعلو هذا الجهاز الاداري سلطانا . وبذلك تتحقق السلطة الشعبية على جميع مراكز الانتاج وعلى اجهزة الادارة المركزية والمحلية .

الاجهزة الثلاثة وضمانات الديمقراطية

ولكن على اي وضع وفي اي شكل يمكن افراغ هذه المبادىء لنقيم حكما المحلي على الاركان التي أوردها الميثاق محققين غاياته ؟ وعلى اي صورة يتم تكوين الجهاز الاداري في المجال المحلي ويتم انتخاب المجلس الشعبي المقابل له ؟ وكيف تكون اختصاصات وسلطات كل منها ؟ وما هي العلاقات التي تقوم بينها لتضع أخيرا الصورة الكاملة لنظام الحكم المحلي لدينا ؟

في خطاب لرئيس الجمهوريه باسوان سنة ١٩٦٣ و في خطاب آخر لسيادته في عيد النصر ببورسعيد ذات السنه ، قال انه اذا كانت سلطات الدوله التي تقوم على المجال المركزي هي المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي بلجنته المركزية يباشر العمل السياسي ، ومجلس الامه يباشر عمل التشريع والرقابة على الاجهزة التنفيذية ، ومجلس الوزراء يقوم بالسلطة التنفيذية . فانه في المجال المحلي يجب أن تقوم كذلك ثلاثه اجهزة متشابهة — جهاز شعبي سياسي هو مؤتمر المحافظة او المدينة او القرية للاتحاد الاشتراكي العربي بلجان كل منها ، وجهاز شعبي للرقابة على الاجهزة التنفيذية هو المجلس الشعبي للمحافظة او المدينة او القرية ثم جهاز تنفيذي هو المجلس المحلي لكل من هذه الوحدات الادارية المختلفة .

وعلى هدى ماجاء بهذين الخطابين ،واستنادا الى ما اورده الميثاق فى هذا المجال ، يمكن القول بأنه بات مستقرا ، ان نظام الحكم المحلى لدينا ، يقوم على اساس جهاز ادارى يختص بادارة المرافق المحلية تحت سلطان ورقابة ومتابعة مجلس شعبى منتخب . وكل ذلك من خلال تنظيمنا السياسى الشعبى وهو الاتحاد الاشتراكى العربى .

كما يمكن القول كذلك استنادا الى ما تقدم ،انه بات مستقرا ايضا ان اختصاص الجهاز الادارى المشار اليه والذى قد يسمى المجلس المحلى هو ادارة كافة مرافق الخدمات ذات الطابع المحلى . وان اختصاص المجلس الشعبى هو توجيه هذا الجهاز الادارى ثم متابعته ومراقبته وكذلك اصدار كافة اللوائح والرسوم والضرائب المحلية والموافقة على مشروع ميزانية المجلس المحلى وحسابه الختامى — وتصرفاته بالتبرع فى أمواله . هذا بالاضافة الى سلطة المجلس الشعبى فى المتابعة والرقابة التنفيذية لمراكز الانتاج والهيئات والجمعيات والنقابات المحلية التى تقع فى نطاقه تاركا للاجهزة المركزية التى تتبعها هذه الهيئات وضع سياستها العامة — وذلك كله تطبيقا لماسبق أن أشرنا اليه من النص فى الميثاق على أن وسيلة الديمقراطية ان تحقق سلطة المجالس الشعبية على جميع مراكز الانتاج وفوق أجهزة الادارة المركزية أو المحلية .

كما بات مستقرا أن يكون تشكيل المجلس الشعبى المحلى على غرار تشكيل مجلس الامة ، المجلس الشعبى المركزى ، بالانتخاب المباشر من بين المرشحين الذين تشترط فيهم العضوية العاملة بالاتحاد الاشتراكى العربى مع التزام نسبة الـ ٥٠٪ على الاقل للعمال والفلاحين .

وانما يكاد ينحصر مجال الخلاف الان بالنسبة لتفصيل الصورة الكاملة للحكم المحلى، فى أمرواحد **هو كيف يكون تشكيل الجهاز الادارى المحلى أو بمعنى آخر ، المجلس المحلى فى ظل هذا النظام ؟**

فرأى يقول بانه طالما كان هناك تماثل كامل فى أنواع الاجهزة التى تقوم فى كل من المجالين المركزى والمحلى ، وفى وظائف واختصاصات ومسئوليات كل منها ، وفى علاقاتها بعضها بالبعض الاخر . فان منطق التماثل فى هذه الامور جميعا يستتبع القول بان يكون تشكيل الجهاز الادارى المحلى على غرار تشكيل الجهاز الادارى المركزى ومن ثم فلاحاجة لان يتكون المجلس المحلى بالانتخاب او ان يضم اغلبية منتخبة ، ويكفى ان يضم رؤساء الاجهزة الوظيفية القائمة على مرافق الخدمات فى المجال المحلى . خاصة أنه لاخشية على الصورة الديمقراطية من ترك السلطة الادارية فى يد هذا المجلس ، طالما كان خاضعا لتوجيه ورقابة المجلس المنتخب جميعه من الشعب .

اما الراى الاخر فيرى ضرورة استبقاء الاغلبية المنتخبة فى تكوين هذه المجالس لان فى ذلك تدعيم للاتجاه الديمقراطى السليم الذى سلكه نظام الادارة المحلية الحالى ، والذى لايجوز ان نتراجع عنه خطوة ونحن نسعى بالحكم المحلى الى مزيد من الديمقراطية .

واذا كان تشكيل الجهاز التنفيذى المركزى من وزراء لهم طابعهم السياسى ، الذى لاينكر ،يجعل التماثل الذى ينادى به الراى الاول بتشكيل الجهاز التنفيذى المحلى من مجموعة موظفين طابعهم ادارى صرف ، تماثلا غير حقيقى .

واذا كان هذا الجهاز الادارى ستبقى له سلطات انشاء وادارة مرافق الادارة المحلية ، فلعله مما لاشك فيه أن اشراك مندوبين وممثلين للجماهير الشعبية الذى يقوم هذا الجهاز على خدمتها فى تشكيل هذا الجهاز يجعله اكثر قدرة على الاحساس بمشاكل الجماهير واكثر قدرة على حلها الحل اليومى السريع ، خاصة اذا كان أتجاهنا الديمقراطى فى ادارة مشروعات القطاع العام الانتاجية وهى غير متصلة اتصالا مباشرا بخدمة الجماهير ، قد أنتهى الى تشكيل مجالس ادارات هذه المشروعات من مجموعة منتخبة من العاملين فى هذه المشروعات الى جانب المجموعة المعينة .

غير انه اذا كان من غير المستحب تعدد العمليات الانتخابية فى المجالات المحلية ، وكان من المتعين تمكين تنظيمنا السياسى الشعبى من المساهمة بمسئوليته فى دعم الاجهزة الادارية التى تقوم على خدمات الشعب ومرافقه لحماية الاندفاع الثورى من أن يتجمد فى تعقيداتها ، فلعله من الاوفق على ضوء ذلك كله ان يكون تشكيل المجالس المحلية فى ظل نظام الحكم المحلى الذى اشار اليه الميثاق من مجموعة تمثل الجماهير الشعبية فى المجال المحلى يختارها الاتحاد الاشتراكى العربى من بين اعضائه المنتخبين اصلا الحائزين لثقة الجماهير ، بمراعاة اصلحهم للعمل الادارى ، بالاضافة الى ممثلى الوزارات القائمين على رئاسة الاجهزة الوظيفية للمرافق المحلية .

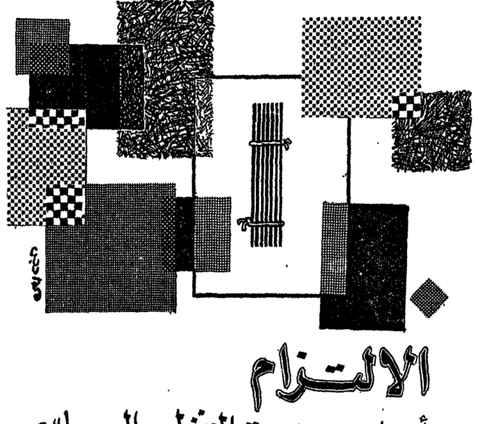
بذلك نضمن تشكيلا ديمقراطيا لهذه المجالس يعمل فى ظل توجيه ورقابة كاملة لمجلس شعبى مشكل كله بالانتخاب من بين قوى الشعب العاملة بضمان الحد الادنى المقرر للعمال والفلاحين فى المجالس الشعبية عموما . مما يحقق الصورة الديمقراطية الحقيقية لنظام الحكم المحلى . الذى يساهم فى رسم جانب هام من جوانب حياتنا الديمقراطية السليمة .



تحتل قضية تكوين التنظيم السياسى الثورى بشقيه الجماهيرى (الاتحاد الاشتراكى) والطليعى (الجهاز السياسى) اهتماما كبيرا من الميثاق، وذلك باعتباره الاداة السياسية فى يد تحالف قوى الشعب العاملة لممارسة سلطته. ويرتبط هذا فى نفس الوقت بتكوين المنظمات الجماهيرية والنقابات والتعاونيات كقوى تنظيمية ديمقراطية تتفاعل فى مجالات نشاطها مع التنظيم السياسى وخطه.

والدراسات هنا تلقى ضوءا على واقع ومستقبل هذه القضية الحيوية فى التنفيذ العملى.

- الالتزام اساس عضوية التنظيم السياسى — ص ٣٩
- الحركة العمالية من المفهوم الاقتصادى الى المفهوم السياسى — ص ٤٧
- الفلاحون يواجهون انحراف البيروقراطية — ص ٥٨
- اعداد القيادات الجديدة هدف المرحلة القادمة — ص ٦٤



الالتزام

أساس عضوية التنظيم السياسى

أمين عز الدين

نشأت المنظمات الجماهيرية مثل النقابات العمالية والتعاونيات والجمعيات النسائية وروابط المثقفين والفنانين والكتاب ومنظمات الشباب وغيرها فى كنف المجتمعات الراسمالية، مستهدفة فى الاساس الدفاع عن مصالح اعضائها وخدمة هذه المصالح.

واتجهت الغالبية العظمى من هذه المنظمات ـ بحكم ظروفها ونشأتها ـ نحو الدفاع عن المصالح الاقتصادية لجماهيرها واعتبرت ذلك هدفا اساسيا لنشاطها فى أطار العلاقات السائدة فى المجتمع . ولم ؛ هذه المنظمات ـ على اختلافها ـ تعبر فى برامجها المبكرة عن الرغبة ـ او الوعي ـ بضرورة تغيير العلاقات القائمة فى المجتمع الراسمالى ، وانما قصرت جهودها ونشاطها على تنظيم صفوف أعضائها وتأكيد تضامنهم ، حتى تتمكن من ممارسة الضغط بوسائلها للظفر بأقصى مايمكنها الحصول عليه من مكاسب اقتصادية واجتماعية لهؤلاء الاعضاء . فالنقابات العمالية فى ظل النظام الراسمالى مثلا تنشط وتتحرك من اجل رفع أجور أعضائها وتحسين شروط عملهم، والتعاونيات تسعى للحصول على اكبر قدر من الحماية والخدمات لاعضائها سواء كانوا منتجين او مستهلكين ، وروابط المثقفين تنشد تحقيق الوان من الامتيازات والحصانات لاعضائها .. وهكذا

ويكشف تاريخ الحركة النقابية ـ بالذات ـ عن هذه الحقيقة فى كافة بلدان العالم . ففي بريطانيا وامريكا وفرنسا وغيرها من بلدان العالم الغربي ، وفى روسيا وبلدان اوربا الشرقية قبل التحول الاشتراكي ، وفى مصر ومثيلاتها من البلدان النامية ، نشأت الحركة النقابية وعاشت سنوات طويلة وهى متمسكة بموقف الدفاع عن مصالح اعضائها دون أن تضع ضمن برامجها هدف تغيير المجتمع تغييرا جذريا ، بل أن بعض القيادات النقابية فى الغالبية العظمى من هذه البلدان ظلت الى عهد قريب ـ وربما الى وقتنا الحاضر فى الكثير من هذه البلدان ، ترفض فكرة العمل

السياسي من اجل تغيير المجتمع وترى ان ذلك من شأنه أن يبعد بها عن الاهداف الاساسية للعمل النقابي ومن ثم اصبح العمل النقابي لدى هذه القيادات قرين الكفاح الاقتصادي من أجل رفع الاجور وتحسين شروط العمل فقط ، وساد الأعتقاد بان نجاح هذا العمل انما يكون أقرب الى تحقيق اهدافه كلما بعد عن «مزالق» العمل الثوري . واذا كان هذا الموقف لم يمنع ظهور تيارات ثورية داخل هذه المنظمات النقابية ، فان **العمل الاقتصادي** كان دائما هو الطابع المميز لها في كافة وجوه نشاطها واتجاهاتها .

ولكن نمو العلاقات الرأسمالية وما ترتب عليه من توسيع رقعة الاستغلال داخل المجتمع وتدعيم لسيطرة الرأسمال على الحكم بكافة أجهزته ، جعل العمل الاقتصادي للمنظمات الجماهيرية — وخاصة النقابات العمالية — قاصرا عن بلوغحتى اهدافه المحدودة ، وعاجزا تماما — بالطبع — عن احداث التغيير الضروري في علاقات المجتمع . ولهذا كان من الطبيعي ان تتطلع الجماهير — وقطاعاتها الثورية — الى اقامة اشكال أخرى من التنظيمات تكون أكثر قدرة — من حيث اهدافها وتنظيمها وافرادها — على مواجهة القهر الاجتماعي الذي تمارسه الراسمالية وان تتصدى كتنظيم طليعي لقيادة العمل الثوري بين الجماهير من أجل تغيير أسس المجتمع تغييرا يسمح لها بممارسة حقها في الحكم بعد الاستيلاء على السلطة في المجتمع وتوظيفها في خدمة مصالحها .

وكان من الطبيعي — ايضا — ان يكون نشوء هذه التنظيمات الجديدة او «الاحزاب الثورية الطليعية» ، على مقربة من المنظمات الجماهيرية وذات صلة وثيقة بها ، بل أن بعض هذه التنظيمات الثورية الطليعية — او اغلبها في واقع الامر — قد نشأ في الاصل في كنف التنظيمات العمالية والفلاحية وكامتداد طبيعي لها . فمنها ماارتبطت في نشأتها بالنقابات مثل حزب العمال البريطاني والحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني والغالبية العظمى من الاحزاب الاشتراكية والشيوعية في بقية البلدان الاوربية ، ومنها ما ارتبطت بحركة التعاونيات الزراعية واتحادات الفلاحين مثل الاحزاب الاشتراكية في الدول الاسكندنافية ودول وسط أوروبا وسويسرا واستراليا .

واذا كانت هذه التنظيمات الطليعية اوالاحزاب قد تباينت في تركيبها وبرامجها ونشاطها واساليبها تبعا للظروف التاريخية والموضوعية التى احاطت بنشأتها ، فانها اختلفت أيضا من حيث ارتباطها واشكال علاقاتها بالتنظيمات الجماهيرية السابقة لوجودها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانها في مجموعها — وفي ملامحها الاساسية المشتركة — قد اختلفت ايضا عن **التنظيمات الجماهيرية** من عدة نواح بارزة :

فمن ناحية العضوية ، نجد ان المنظمات الجماهيرية تفتح المجال لانضمام اقصى ما يمكن ان تنظمه من الجماهير ، وتسعى باستمرار لتحقيق ماتعارفنا عليه بالعضوية الكاملة أوعضوية الـ ١٠٠٪ . وهي في سبيل ذلك تضع الحد الادنى من الشروط حتى لاتعوق قبول أعداد متزايدة من جماهيرها ، وتسعى الى الحصول على الكثير من « الضمانات » Union security الكفيلة بالحفاظ على مستوى عضويتها او رفعها باطراد . فالنقابات العمالية تفتح عضويتها لكل من يعمل مقابل أجر وتعتبر ان واجبها التنظيمي يقتضيها توسيع مجال عضويتها كلما وجدت الى ذلك سبيلا . بل أننا لنجد من المنظمات النقابية ماتسمح بقبول قطاعات غير «عمالية» في صفوفه ، مثل قطاعات الحرفيين المستقلين الذين انضموا الى بعض النقابات الصناعية ، وقطاعات صغار الملاك الذين انضموا الى نقابات العمال الزراعيين . ولايختلف الامر عن ذلك كثيرا في الحركة التعاونية التى تتيح فرص الانضمام الى عضويتها لجموع الشعب ولا يستثنى منها غير جماعات محدودة ، كما هو الحال في التعاونيات الاستهلاكية التى تسمح طبيعة اهدافها ونظامها بضم الكثيرين دون تمييز . ومن الجلي أن تخصص هذه المنظمات الجماهيرية بخدمة المصالح الاقتصادية المباشرة واليومية لاعضائها قد ساعد على تضخم عضويتها لاقبال الجماهير عليها من اجل قضاء مصالحهم . ولم يكن يعوق هذا الاقبال اختلاف هؤلاء الاعضاء في الجنس أو الدين او اللون ، كما لم يكن يعوق قبولهم — الا في حالات محدودة — تباين آرائهم ومواقفهم السياسية او حتى عزوفهم التام عن الاهتمام بالسياسة أو بالعمل الثوري .

والأمر يختلف عن ذلك كثيرا في التنظيمات الثورية الطليعية . فالعضوية في التنظيمات الثورية لاتقوم على الحشد الواسع للجماهير ،وانما تبنى بالانتقاء الدقيق لافراد جرى اختبارهم خلال العمل الثوري واثبتوا جدارتهم — فكريا ونضاليا — للعضوية ، وتشترط التنظيمات الطليعية في اختيار اعضائها أن يكونوا على وعى تام بحتمية تغيير المجتمع ، وضرورة احكام العمل المنظم لاتمام هذا التغيير ، ولهذا فانها تعنى بأن يكون اعضاؤها من صفوة العمال والفلاحين والمثقفين وغيرهم من

الفئات صاحبة المصلحة فى التغير والرغبة والايمان فى العمل من أجل تغيير العلاقات الاجتماعية فى اتجاه التقدم والاشتراكية . ولكن ذلك لايعنى أن قضية العضوية فىالتنظيمات الطليعية هىبالضرورة قضية الانتماء الطبقى للاعضاء وأنما هى قضية الولاء الفكرى والنضالى لاهداف التنظيم . فاذا كانت الحركة النقابية تفتح عضويتها لابناء الطبقة العاملة فى الاساس ، واذا كانت الحركة التعاونية الزراعية تنظم الفلاحين أو قطاعات معينة من الفلاحين فان التنظيمات الطليعية الثورية يهمها فى المحل الاول الولاء الفكرى والنضالى لاعضائها أكثر من أهتمامها بانتمائهم الطبقى . ولكن ذلك لايتناقض مع قبول الافتراض بأن الانتماء الى الطبقات والفئات المقهورة فى المجتمع — كالطبقة العاملة أو الفلاحين — من شأنه أن يجعل ابناء هذه الطبقات أكثر استعدادا لقبول الفكر والعمل الثورى وبالتالى أكثر حظا فى القبول والنمو داخل التنظيمات الطليعية الثورية .

وينقلنا هذا الموضوع — بطبيعة الحال — الى مسألة الالتزام كأساس للمقارنة بين المنظمات الجماهيرية والتنظيمات الطليعية الثورية .

وتعتبر قضية **الالتزام** من القضايا الاساسية فى التمييز بين العمل الطليعى الثورى وبين العمل من خلال المنظمات الجماهيرية .

فالتنظيم الطليعى — بطبيعة تشكيله وأهدافه — لايمكن أن يحقق فاعلية فى العمل الثورى الا اذا كان تنظيما متماسكا وتربط مستوياته وحدة تنظيمية قوية(١) بمعنى ان يكون له برنامج واحد يلتزم بتنفيذه جميع الاعضاء ، وأن يكون له **لائحة واحدة** تحكم قواعدها جميع المستويات والأعضاء على أختلاف مسئولياتهم ومناصبهم ، وأن يكون له **قيادة عليا واحدة** أى مركز قيادى واحد تخضع لقراراته وتوجيهاته كل المستويات والقيادات المحلية الاخرى وبالقدر الذى يتيح فيه التنظيم الطليعى لاعضائه من حرية المناقشة وفرص الاسهام فى بناء قراراته فانه — بالمثل — يحتم عليهم الالتزام التام بتوجيهات قيادته وقراراتها ، ويجعل من الرقابة التنظيمية أداة فعالة لرفع مستوى الالتزام بين أعضائه باستمرار .

ولسنا نجد مثل هذا الالتزام فى المنظمات الجماهيرية فهى وان تطلبت من اعضائها قدرا من الارتباط ببرامجها او قراراتها فانها لاتلزمهم باتخاذ مواقف أو تبنى اتجاهات سياسية معينة ، بل أنها — فى الاغلب والأعم — لاتتخذ من ذلك معيارا لاستمرار عضويتهم ، فعضو منظمة جماهيرية كالنقابات العمالية أو جمعية تعاونية ليس مطالبا بالتزام ثورى معين ولايمكن أن تكون عضويته رهنا بذلك . لهذا ليس من الغريب أن نجد داخل المنظمة الجماهيرية الواحدة تيارات سياسية متناقضة أو اتجاهات اجتماعية متباينة . فكم من اعضاء النقابات البريطانية يصوتون فى الانتخابات العامة لحزب المحافظين ، وكم من أعضاء النقابات الفرنسية يؤيدون ديجول أو أحزاب اليمين !

وقد يشير البعض الى ان هناك من المنظمات العمالية او التعاونيات فى عدد من الدول تحظر بقبول بعض العناصر فى عضويتها — او تطلق أحيانا حملات تطهير فى صفوف أعضائها — لاسباب تتصل بمواقفهم السياسية أو آرائهم الثورية والاشتراكية . ومثل هذه الظواهر وان كانت تعبر — فى واقع الامر — عن موقف القوى المسيطرة داخل هذه المنظمات وارتباطاتها الاجتماعية والفكرية، فانها لا تغير من طبيعة المنظمة الجماهيرية اذ أنها تظل تسمح فى داخلها بتيارات متناقضة ومتصارعة أخرى ولاتحتم القدر من الالتزام الفكرى والسياسى الذى نجده فى التنظيمات الطليعية الثورية .

بهذه المقارنة العاجلة لطبيعة المنظمات الجماهيرية والطليعية من حيث عضويتها ومن حيث وحدتها التنظيمية وما تقتضيه من مستوى معين من الالتزام فى داخلها ، تتضح لنا عدة حقائق هامة :

أولا : ان التنظيم الطليعى يقوم على صفوة ممتازة من المناضلين الثوريين ويجند العناصر الصالحة لقيادة العمل الثورى بينما تضم المنظمة الجماهيرية الجماهير العريضة المتطلعة الى حل بعض قضاياه اليومية والدفاع عن مصالحها المباشرة .

ثانيا : ان العضو فى التنظيم الطليعى مطالب — اساسا — بتحقيق أعلى قدر من الالتزام التنظيمى والفكرى ، بينما عضو المنظمة الجماهيرية «حر» فى تحديد مواقفه السياسية أو حتى اتخاذ موقف السلبية التامة من العمل السياسى برمته .

(١) راجع محاضرة الدكتور محمد الخفيف« التنظيم السياسى الطليعى » ص ٤ ومطبوعات المعهد .

ولكن هذا التباين لم يكن يوما حائلا دون قيام علاقات وثيقة بين المنظمات الجماهيرية والتنظيمات الطليعية . بل لعل هذا التباين — فى حد ذاته — قد سمح بقدر من التخصص وتقسيم العمل بينها ولم يضع المنظمات الطليعية موضع التناقض الاساسى فى مجال العمل الاقتصادى ضد المنظمات الجماهيرية كالنقابات والتعاونيات ، كما أنه لم يجعل من المنظمات الجماهيرية قوة مناقضة تناقضا أساسيا للتنظيمات الطليعية فى مجال العمل السياسى والثورى .

ولقد شغلت مسألة العلاقة بين التنظيم الطليعى وبين المنظمات الجماهيرية اذهان الباحثين والمشتغلين بالفكر والعمل الثورى سنوات طويلة واختلفت المواقف والاراء حول بعض جوانب هذا الموضوع اختلافا واسعا ، بقدر ما اتفقت اتفاقا يكاد ان يكون تاما حول بعض الجوانب الاخرى . واضاف الى حيوية البحث حول هذا الموضوع انه لم يكن يتم — فى الغالب — بمعزل عن واقع العمل السياسى الثورى والحركة الشاملة للمنظمات الجماهيرية ، بل كان جزءا من الجهود العملية للتنظيمات الطليعية فى عديد من البلدان لاكتشاف صيغة مناسبة لعلاقتها بالمنظمات الجماهيرية ، صيغة تأخذ فى اعتبارها الظروف التاريخية والموضوعية لنشوء هذه العلاقات ، والاتجاه او الموقف النظرى الذى تتبناه التنظيمات الطليعية فى سعيها لتحقيق التغيير الاجتماعى واقامة الاشتراكية .

ومهما يكن من أمر النتائج النهائية لهذا البحث وتباين الصيغ التى استقرت بشكل العلاقات بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية فى هذا البلد أو ذاك ، فان المناقشات التى دارت حول الموضوع كانت — ولاتزال — تتناوله فى الاساس من ناحيتين مختلفتين وأن كانتا متكاملتين :

اولا : الناحية التنظيمية :

اى من ناحية **العلاقات التنظيمية** التى يمكن ان تقوم بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية .

ثانيا : ناحية أساليب العمل المشترك :

اى من ناحية الطرق المتبعة لتنسيق — اوتقسيم — العمل النضالى بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية .

ومن الجلى ان هذا التقسيم لايعنى امكان الفصل التام بين العلاقات التنظيمية واساليب العمل السياسى المشترك فى العلاقات القائمة بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية مهما كان شكل هذه العلاقات . فالتأثير المتبادل بين التنظيم واسلوب العمل امر لايمكن انكاره اذ ان اسلوب العمل السائد من شانه ان يفرض — او يتطلب — شكلا او وضعا تنظيميا معينا ، كما ان كل شكل من اشكال التنظيم قد يحتم — او يتيح — باستخدام اساليب للعمل السياسى معينة ويتحكم فى مدى نجاحها او يعوق فاعليتها .

العلاقات التنظيمية

ان استعراض العلاقات التنظيمية القائمة فى عدد من الدول بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية يكشف — بصورة عامة — عن وجود اتجاهين أساسيين يحكمان هذه العلاقات :

● **اتجاه يربط بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية ربطا عضويا** Organic .

ويمكننا ان نميز **داخل هذا الاتجاه** اشكالا عديدة من الارتباط العضوى : فقد يحتوى التنظيم الطليعى بعض المنظمات الجماهيرية احتواء تاما بحيث **تصبح المنظمة الجماهيرية** « تفريعه » Shoot Off من التنظيم الطليعى ، والمثل الواضح لذلك هو مثل منظمات الشباب فى كثير من الاحزاب الشيوعية والاشتراكية . فهذه المنظمات هى «منظمات الحزب» وهى تباشر نشاطها بتوجيه الحزب ، وتعتبر قوة مساعدة للحزب فى كافة مجالات العمل والبناء الاشتراكى وعليها ان تلعب دورا نشيطا فى تنفيذ سياسة الحزب وقراراته . وغالبا ماتنتقل عضوية الشباب من المنظمة الى الحزب فوربلوغه السن المعين الذى يحدده قانون الحزب ، بل يمكن لبعضهم ان يحصل على العضوية الكاملة للحزب ويستمر فى منظمة الشباب اذا كان يشغل فيها موقعا قياديا هاما او يمارس عملا له اهمية خاصة للمنظمة .

وهناك ايضا **العضوية الجماعية** كشكل من اشكال الارتباط التنظيمى ونقصد بالعضوية الجماعية ان تنضم المنظمة الجماهيرية — ولتكن نقابة أو جمعية تعاونية او رابطة للمثقفين او النساء — انضماما جماعيا الى التنظيم الطليعى وتسدد ما يفرضه عليها ذلك من اشتراكات شهرية وهى

تتمتع مقابل ذلك بشكل او آخر من اشكال التمثيل فى مؤتمرات الحزب ولجانه القيادية . وابرز مثل للعضوية الجماعية هو مانجده بين النقابات البريطانية وكذا بعض الجمعيات التعاونية والجمعيات الثقافية وبين حزب العمال البريطانى فعضوية الحزب مفتوحة لهذه المنظمات بقدر ماهى مفتوحة للافراد ، ففى سنة ١٩٥٩ كان عددالنقابات المنضمة للحزب ٨٧ نقابة يبلغ عدد اعضائها ١٠ر٥٦٤ر٥ عضوا . ومن حق هذه النقابات الاعضاء أن تمثل فى المؤتمر السنوى للحزب بنسبة اعضائها وبذلك تتاح لها فرصة الاسهام فى المناقشات التى ترسم سياسة الحزب وفرصة الرقابة العامة على اعمال الحزب . وقد خصص لهذه النقابات ١٢ مقعدا فى اللجنة التنفيذية القومية للحزب التى يبلغ مجموع اعضائها ٢٥ عضوا .

● اتجاه يؤكد قيام المنظمات الجماهيرية ككيان تنظيمى منفصل عن التنظيم الطليعى :

ويكاد هذا الاتجاه ان يكون الطابع المميز للعلاقات التى تربط الاحزاب الطليعية وبقية المنظمات الجماهيرية فى دول اوربا الشرقية وروسيا والصين كما انها الطابع المميز للعلاقات التى تربط بعض الحركات النقابية بالاحزاب الاشتراكية والشيوعية فى عدد من بلدان غرب اوربا مثل فرنسا وايطاليا وكذا البلدان الافريقية التى سارت على طريق التنمية والتحول الاشتراكى مثل غينيا ومالى وغانا ففى جميع هذه البلدان لاتعتبر المنظمات الجماهيرية — كالنقابات العمالية والجمعيات التعاونية — منظمات حزبية كما هو الحال فى منظمات الشباب، وانما هى منظمات «مستقلة» أى أن لها كيانها المنفصل عن كيان الحزب . ويتحتم علينا ان نأخذ تعبير «مستقلة» بحذر كبير ، فالنقابات والجمعيات التعاونية والمنظمات النسائية وغيرها من المنظمات الجماهيرية فى مثل هذه الاحوال قد لاتكون ذات ارتباط عضوى بالتنظيم الطليعى ولكن ذلك لايعنى انها «مستقلة» عنه استقلالا تاما بأى حال من الاحوال . فهذه المنظمات فى الاغلب والاعم — مرتبطة بالتنظيم الطليعى **بوسائل مختلفة** من الارتباط غير العلاقات العضوية .

ولعل ابرز هذه الوسائل — واكثرها شيوعا ان توجد **جماعات قيادية** نشيطة من التنظيم الطليعى داخل المنظمات الجماهيرية او تتحقق اشكال من الازدواج القيادى فى مستوى او اكثر من مستويات المنظمات الجماهيرية . والازدواج القيادى يعنى أن افراد التنظيم الطليعى — أو بعضهم — قد تمكنوا من شغل المواقع القيادية فى المنظمات الجماهيرية كما قد يعنى ايضا ان التنظيم الطليعى قد نجح فى «تجنيد» القيادات الرئيسية او النشيطة بالمنظمات الجماهيرية وضمهم الى عضويته .

ويشير هذا التحليل الى حقيقة هامة ، وهى ان **العلاقات العضوية** Organic ليست دائما هى الشكل السائد او الامثل للارتباط بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية ؛ بل يمكن استنباط «اساليب» للعمل المشترك بينها قد يكون اقدر على تحقيق هذا الارتباط دون حاجه الى اتخاذ هذا الشكل او ذاك من العلاقات العضوية فيما بينها .

ومن هنا يتاكد — كما اشرنا — اهمية دراسة علاقة التنظيم الطليعى بالمنظمات الجماهيرية من ناحية اساليب العمل المشتركة بينها .

أساليب العمل المشتركة

ونقصد بأساليب العمل المشتركة — فى هذا الموضوع — مجموع الطرق المتبعة لتنسيق او تقسيم العمل النضالى بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية . فليس هناك خلاف كبير حول **اهمية الدور** الذى يمكن أن تقوم به المنظمات الجماهيرية فى العمل الوطنى — السياسى وغيره — بجانب التنظيم الطليعى وبقيادته ، ذلك أن الاتفاق يكاد ان يكون تاما فى سائر الدول على انه من الطبيعى أن يسند الى هذه المنظمات بجانب مهماتها الاساسية قدرا من الواجبات — **ذات المضمون السياسى** — تؤديها من خلال جماهير اعضائها . ولكن المشكلة التى يثور حولها النقاش حقا هى كيف يتم تحديد هذا الدور ، وما الاسلوب او الاساليب التى يمكن ان يستخدمها التنظيم الطليعى لضمان قيام المنظمات الجماهيرية المختلفة بهذا الدور بنجاح .

والواقع ان موقف الغالبية الساحقة من التنظيمات الطليعية ازاء المنظمات الجماهيرية هو الرغبة فى تحقيق اقصى قدر **من التوحد فى الاتجاه** بين العمل الطليعى الثورى وبين نشاط هذه المنظمات وحركتها . فالتنظيم الطليعى — فى رأى الجميع — هو وحده القادر على صياغة « الخط » الذى يوحد الاتجاه بين هذه المنظمات ، وبذلك يتحقق لها «وحدة القيادة» فى كافة نشاطها . ولكن ذلك لايعنى ان تصبح المنظمات الجماهيرية خاضعة للتنظيم الطليعى خضوعا رسميا ، وانما

يعني فقط أن افراد التنظيم الطليعي المنتمين — في نفس الوقت — لعضوية المنظمات الجماهيرية والذين يتمتعون بنفوذ معين في داخلها ، مطالبون بأن يبذلوا اقصى جهدهم لاقناع هذه المنظمات بالاقتراب في نشاطها وحركتها من نشاط التنظيم الطليعي وحركته ، وقبول قيادته السياسية باختيارهم .

وبهذا الأسلوب يصبح من العسير أن نتحدث عن «استقلال» المنظمات الجماهيرية او «حيادها» رغم كونها منظمات غير حزبية ، فان نجاح أساليب العمل المشترك يجعلها مرتبطة — في الواقع — بالتنظيم الطليعي ارتباطا وثيقا .

ولعل أبرز هذه الاساليب واكثرها فاعلية مايلي:

● ان تتشكل «جماعات قيادية» حزبية — اى ممثلة للتنظيم الطليعي — داخل كل منظمة جماهيرية وتعمل على التوعية — وسط جماهير الاعضاء — بمواقف التنظيم الطليعي وآرائه وتثبت في كافة المشاكل التى تواجهها المنظمة الجماهيرية توحد التنظيم الطليعي مع جماهير الاعضاء واستعدادهم للدفاع عن مصالحهم مع ضرب القدوة الحسنة في معاملة الجماهير واحترامها .

● أن يتمكن التنظيم الطليعي — من خلال نشاط الجماعات القيادية المنتمية اليه من كسب ثقة جماهير الاعضاء والظفر بتأييدهم في كافة الانتخابات التى تجرى داخل المنظمة الجماهيرية فيضمن — بذلك — انتخاب افراده في كافة المستويات القيادية بالمنظمة الجماهيرية .

● أن يتمكن التنظيم الطليعي من تجنيد القيادات القائمة بالمنظمات الجماهيرية وضمهم الى صفوفه ، خصوصا اذا كانوا قد اثبتوا جدارتهم في العمل الجماهيرى ، او أظهروا استعدادا لتفهم اتجاهات التنظيم الطليعي وقبول اهدافه .

ومن خلال الاستخدام الامثل لهذه الوسائل ينمو نفوذ التنظيم الطليعي داخل المنظمات الجماهيرية، وتصبح كل منظمة «سيرا ناقلا» او «قوة مساعدة» بين التنظيم الطليعي والجماهير .

حول التجربة المصرية

يواجه الباحث في موضوع العلاقة بين التنظيم الطليعي والمنظمات الجماهيرية في التجربة المصرية صعوبة اساسية . ذلك انه مطالب — قبل معالجة الموضوع — بأن يوضح على وجه التحديد ماذا يقصد بالتنظيم الطليعي في التطبيق الاشتراكي المصرى . هل التنظيم الطليعي هو الاتحاد الاشتراكي العربى ؟ أم انه الجهاز السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى ؟

ان البحث من خلال «القانون» عن اجابة نهائية على هذا التساؤل قد يجرنا الى نتائج خاطئة بالنسبة للواقع ، أو قد يفرغ البحث من مضمونه السياسى ، فقانون الاتحاد الاشتراكى يؤكد في ديباجته « المقدمة والاهداف » « أن الاتحاد الاشتراكى هو **الطليعة الاشتراكية** التى تقود الجماهير وتعبر عن ارادتها وتوجه العمل الوطنى وتقوم بالرقابة الفعالة على سيره في خطه السليم في ظل مبادىء الميثاق »

ولكننا نعرف أن الصورة التى تمت عليها تشكيل عضوية الاتحاد ، والتى سمحت بفتح باب العضوية فيه لنحو ستة ملايين مواطن قد غيرت من طبيعته في واقع الامر من تنظيم « **للطليعة الاشتراكية** » الى **منظمة جماهيرية** في مجال العمل السياسى . فبصرف النظر عن النصوص القانونية ، أصبح الاتحاد الاشتراكى تحالفا شعبيا واسعا يمثل اطارا عاما للعمل الوطنى أو المجال السياسى المشترك الذى تتحرك داخله القوى المتحالفة .

ويؤكد السيد الرئيس ذلك في قوله (٢) :

« في مراحل التفكير الاولى لإقامة تنظيم سياسى برزت لبعض الوقت فكرة قيام التنظيم في حيز ضيق .. وكنت قد تكلمت عن هذا في مؤتمر القوى الشعبية للاتحاد الاشتراكى .. ولكن وجدنا استحالة تنفيذ هذا الرأى لاننا كنا سنخلق المعارضة قبل أن يقوم التنظيم نفسه ، فعندما قلنا اننا سوف

(٢) مفهوم العمل السياسى : من اقوال الرئيس جمال عبد الناصر

:كون الاتحاد الاشتراكى من ٥٠ الف عضو فقط تبينا أنه عند التطبيق فسوف نستبعد كثيرا من الناس .. وبذلك سنوجد المعارضة قبل ان يوجد الاتحاد الاشتراكى .. وهذا ماجعلنا نقرر ان يدخل فى عضوية التنظيم كل من يريد حتى بلغوا الستة ملايين شخص على اساس أن يتم تشكيل الجهاز السياسى فيما بعد ليضم الفا أو الفين أو العدد اللازم له » .

ولكن اذا كان الاتحاد الاشتراكى — بتركيبه وعضويته الحالية اقرب مايكون الى منظمة جماهيرية سياسية ، فان **الجهاز السياسى** الذى يعمل فى داخله ، يصبح بالضرورة التنظيم الطليعى بالمعنى العلمى لهذا التعبير ، ولانه «يجمع الصفوة من الاشتراكيين الذين يمكن أن يكونوا الدعاة الحقيقيين للاشتراكية والذين يعتبرون بمثابة العمود الفقرى للاشتراكية» (من اقوال السيد الرئيس) ، وباعتباره المسئول عن تجنيد العناصر الصالحة للقيادة وتنظيم جهودها وتطوير الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها والمساعدة على أيجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات .. وغير ذلك من مهام التنظيمات الطليعية . فاذا كان الاتحاد الاشتراكى هو كل الجماهير فان الجهاز السياسى هو الطليعة الثورية التى تقوده .

نخلص من ذلك بحقيقة هامة وهى أن التجربة المصرية تقوم على **ثنائية تنظيمية** . فهناك التنظيم العام وهو الاتحاد الاشتراكى وهناك التنظيم الخاص وهو الجهاز السياسى .. والاتحاد الاشتراكى بدون الجهاز السياسى كالجنود بدون قيادات ، والجهاز السياسى بدون الاتحاد الاشتراكى كالقيادات بدون جنود .

وعلى الباحث فى موضوع العلاقة بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية فى التجربة المصرية ان يعى هذه الثنائية ، فان تحدث عن الاتحاد الاشتراكى فان ذلك يعنى وجود الجهاز السياسى كقيادة طليعية داخله ، وأن تحدث عن الجهاز السياسى فان ذلك يعنى انه التنظيم الذى يقود الجماهير العريضة والقوى المتحالفة فى الاتحاد الاشتراكى .

لقد تطرق قانون الاتحاد الاشتراكى فى مواضع عديدة لموضوع العلاقات بين الاتحاد وبين المنظمات الجماهيرية . «فالمقدمة والاهداف» تتضمن طائفة من القواعد التى تحكم هذه العلاقات لعل ابرزها:

أولا : أن الاتحاد الاشتراكى لايحل محل النقابات والتعاونيات أو منظمات الشباب ، وانما يعمل على القيام برسالته وتحقيق أهدافه بمساعدة هذه المنظمات على النحو الذى أوضحه الميثاق .

ثانيا : أن من اهداف الاتحاد الاشتراكى دعم التنظيمات التعاونية والنقابية .

ثالثا : أن الاتحاد الاشتراكى — وهو السلطة الشعبية — يقوم بالعمل القيادى والتوجيهى وبالرقابة التى يمارسها باسم الشعب ، بينما تقوم المجالس النقابية (وغيرها) بتنفيذ السياسة التى يرسمها الاتحاد الاشتراكى .

وعلى الرغم من وضوح هذه القواعد العامة فان تنفيذها كان يتطلب بدون شك صدور قرارات تنظيمية وتحديد اسلوب العمل الكفيل بوضعها موضع التطبيق .

ولسنا نجد من القرارات التنظيمية العديدة التى صدرت فى الاتحاد الاشتراكى مايتصل بموضوعنا غير القرار الذى يحتم أن يكون المرشحين للمراكز القيادية بالمنظمات الجماهيرية (وخاصة نقابات العمال) من أعضاء الاتحاد الاشتراكى وممن يوافق الاتحاد على ترشيحهم .

وفى تقديرنا أن هذا القرار لم يؤد فى الواقع الى خلق اى نوع من الارتباط العضوى أو الازدواج القيادى الحقيقى ، بقدر ما استخدم — وفى حدود ضيقة للغاية — فى استبعاد بعض العناصر النقابية التى رئى ضرورة اقصائهم عن الحركة النقابية . ولعل السبب الرئيسى فى عدم فاعلية هذا القرار أن الاتحاد الاشتراكى لم يكن قد جند عناصر قيادية ملتزمة يمكن ان يدفع بهم — ديمقراطيا — الى شغل المواقع القيادية فى المنظمات الجماهيرية .

ولكن اذا كانت قضية العلاقات بين التنظيم الطليعى والمنظمات الجماهيرية فى التجربة المصرية لم توضع لها الصيغة القانونية النهائية لتنظيمها واحكامها ، فانها قد بقيت — ولا تزال تلقى الكثير من عناية القيادة السياسية ومناقشاتها الفكرية الرائدة .

ففى ميثاق العمل الوطنى تاكيد بضرورة استمرار المنظمات الجماهيريه لتلعب دورا هاما فى مجالات العمل الوطنى ، بل أن الميثاق يتوقع ان يزيد هذا الدور وتتسع آفاقه فى التطبيق الاشتراكى . فالتعاون مثلاً سوف يخلق المنظمات التعاونيـــة القادرة على تحريك الجهود الانسانية فى الريف لمواجهة مشاكله ، والنقابات سوف يزيد اهمية دورها ويمتد من مجرد كونها طرفا مقابلا لطرف الاداره فى عملية الانتاج الى الحد الذى يجعل منها قاعدة طليعية فى عملية الانتاج .

وقد سئل السيد الرئيس فى احد لقاءاته التاريخية بالمكاتب التنفيذية عن مفهوم «القاعدة الطليعية» باعتبارها شكلا تنظيميا فى العمل الثورى ، فقال أن ذلك يعنى ان يظهر التنظيم الطليعى — فى التجربة المصرية — ضمن اعضائه — بالقيادات النقابية النشيطة القادرة على الحركة بوعى ثورى فى مواقعها الجماهيرية .

واكد سيادته هذا المفهوم فى مناقشات الامانة العامة بالاتحاد الاشتراكى حين قال: «يجب ان نعمل على ان لايصل الرجعيون الى مجالس الادارات او لجان النقابات او لجان الاتحاد الاشتراكى باى شكل من الاشكال .. فهذا هو صمام الأمان حينما يدخل الاشتراكيون هذه التنظيمات »

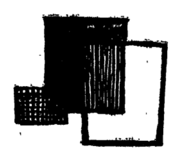
ومعنى ذلك ان علاقات التنظيم الطليعى فى التجربة المصرية بالمنظمات الجماهيرية يمكن أن تقوم على اساس وجود العناصر الثورية المؤمنة فى قيادة هذه المنظمات . وهذا — ولاشك — يمكن التحقيق اذا ثابر الاشتراكيون على العمل داخل هذه المنظمات وعملوا على كسب ثقة اعضائها واثبتوا جدارتهم بالقيادة من خلال الا[illegible] المخلص على خدمة الجماهير وتنظيم حركتها وتوجيهها بوعى فى اتجاه التاريخ .

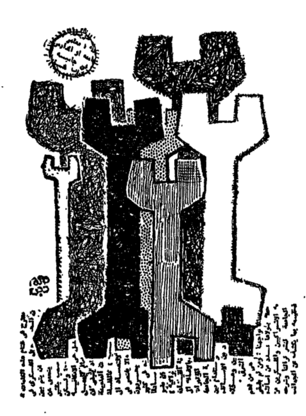
هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى يؤكد السيد الرئيس «أن هناك اشتراكيون وعناصر طيبة لم تظهر الى الان ، وبعض الناس يمكن ان يؤمنوا بالاشتراكية ويكونوا عناصر اشتراكية صالحة .. وقد يكون من هؤلاء نقابيون ، فمن يكون اشتراكيا هو الذى يعمل معنا

« والمطلوب هو تكتيل العناصر الاشـــتراكية وجمعها فى التنظيمات المختلفة .. »

نخلص من ذلك — اذن — أن التجربة المصرية الرائدة وان كانت لاتطرح — او لعلها لاتقبل — العلاقات العضوية بين التنظيم الطليعى والتنظيمات الجماهيرية ، فانها تقبل اساليب العمل المشتركة بأشكالها المتاحة وتعمل على تعميقها .

وفى تقديرنا أن قبول هذه الاساليب انما يكشف فى واقع الامر عن تصميم القيادة الثورية على تعميق العمل الثورى داخل المنظمات الجماهيرية باقصى قدر من الديمقراطية ، وبأقصى بعد عن اساليب القسر التنظيمى .





الحركة العمالية

من المفهوم "الاقتصادى" الى المفهوم "السياسى"

د . عبد الرؤوف أبو علم

ان تحولنا نحو الاشتراكية الذى بدأ بانحياز القيادة الثورية لثورة ٢٣ يوليه لطبقات الشعب العاملة ، وتحطيمها لآمال الراسمالية المحلية فى أن تحل محل المستغل الاجنبى ، وتغيير شعار التمصير ، وابراز شعار التأميم ، وانشاء القطاع العام بتملك الدولة لوسائل الانتاج التى كان يملكها رأس المال الاجنبى ، استلزم بالضرورة وضع اسس فلسفية وعلمية وتنظيمية جديدة لمجتمعنا ولهذا الهدف أعلن الميثاق الوطنى فى مايو سنة ١٩٦٢ .

ذكر الميثاق عن حتمية تحولنا الى الاشتراكية ان مصدر التنمية التقليدى هو التكوين الراسمالى الذى يعتمد اساسا على استغلال القوى العاملة، وتركيز فائض الانتاج فى يد طبقة صغيرة تسيطر سيطرة كاملة على المجتمع واجهزته المختلفة ، واوضح ان التنمية عن هذا الطريق لم تعد ممكنة ، اذ لا مجال فى مصرنا الحالى لاستغلال الطبقة العاملة او لاحتكار قلة لفائض انتاج الشعب كله فضلا عن ان هذا الطريق لا يمكن أن يحقق تنمية اقتصادية واجتماعية متكاملة تهدف الى رفع مستوى معيشة الشعب كله والنهوض بالمجتمع بأكمله .

ثم ذكر ان عجز راس المال الخاص المستغل عن زيادة قاعدة الثروة الوطنية ، وتوزيع فائض العمل الوطنى على اساس العدل « يضع نتيجة محققة امام ارادة الثورة الوطنية لا يمكن بغير الوصول اليها ان تحقق اهدافها ، هذه النتيجة هى ضرورة سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج ، وعلى

توجيه فائضها طبقا لخطة محددة» ثم استطرد الميثاق ليقول: «ان هذا التنظيم لابد له ان يعتمد على مركزية فى التخطيط وعلى لا مركزية فى التنفيذ تكفل وضع برامج الخطة فى يد كل جموع الشعب وافراده» . وبهذا العرض العلمى الموضوعى ، وضع الميثاق اساس الاشتراكية كطريق حتمى للتنمية والتقدم .

ولكن كيف يتم تحولنا الى الاشتراكية؟ اوضح الميثاق ان ذلك سيتم من خلال العمل المشترك لتحالف العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والراسمالية الوطنية، كما اوضح ان للعمال والفلاحين اهمية خاصة داخل هذا الاطار .

ان الفترة منذ تأميم قناة السويس ثم قوانين يوليو عام ١٩٦١ الى صدور الميثاق تميزت بجدل حاد وعميق داخل الحركة النقابية حول دور التنظيمات العمالية فى المجتمع الاشتراكى الجديد . فكانت هناك مدرسة، من المدارس المختلفة داخل الحركة، تاثرت بفكرية ونظريات الاقطاع والراسمالية ،تزعمتها قيادات نقابية تقليدية كونت مفاهيمها النقابية واسلوب عملها النقابى من ايديولوجية هذا المجتمع وآمنت بالنقابية البحتة اى التى تقصر كفاحها على مطالب العمال المباشرة الخاصة بالاجور وساعات العمل وتحسين ظروفه ، مع الاعتراف بالنظام الراسمالى، وكانت هذه المدرسة تنادى بأن التحول الى الاشتراكية ينهى دور التنظيمات العمالية ، وان تكوين القطاع العام وملكية الدولة له، يقف حائلا دون ممارسة التنظيمات العمالية لاى نشاط .بينما نادت مدرسة ثانية، تزعمتها قيادات ثورية آمنت بالنقابية السياسية ، وبأن مصالح الطبقة العاملة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصالح المجتمع كله،وان هذا لن يتحقق الا بتحرير المجتمع من كل انواع الاستغلال ، ولهذا وعت هذه المدرسة منذ البداية حقيقة التحول الى الاشتراكية ، ونادت بأن ذلك يزيد من اهمية دور التنظيمات العمالية ، ويتطلب المزيد من الجهد من جانب هذه التنظيمات لبناء المجتمع الاشتراكى الجديد .

بسبب هذا الجدل ،ورغبة فى حسم هذا الخلاف وقطع خط الرجعة على المدرسة الاولى،وتوضيح الرؤيا امام جماهير العمال ومنظماتهم اكد الميثاق، ان هذا الوضع «الاشتراكى» الجديد لا ينهى دور التنظيمات العمالية، وانما هو يزيد من اهمية دورها .ولم يقف الميثاق عند هذا الحد ، لانه داخل اطار تحالف قوى الشعب العاملة ، يكون العمال والفلاحون اصلب طائفة واكثرها قدرة على الكفاح وتحمل مسئولية رئيسية ، فضلا عن انهما اكثر القوى التى عانت من الاستغلال والاضطهاد والحرمان ، واكثرها حرصا على الاشتراكية ، لهذا طالب الميثاق التنظيمات العمالية بأن تكون قاعدة طليعية فى عملية التطوير والقى عليها مسئولية رئيسية فى الانتاج،كما تعرض بالتخصيص لتنظيمات عمال الزراعة فذكر ان « نقابات العمال الزراعيين سوف تكون قادرة على تجنيد جهود الملايين الذين ضيعتهم البطالة ، واهدرت بالسلبية طاقاتهم ، ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع ان تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة» . اى ان الميثاق فى حقيقة الامر اعاد المسح الاجتماعى من جديد ، وابرز فى المجتمع فئات كانت بعيدة عن المشاركة فى بنائه ، واعطاها مسئوليات وطنية وسياسية،واصبحت الطبقة العاملة جزء من القيادة السياسية للمجتمع الجديد،وهو بهذا المفهوم الجديد قضى على فلسفة **النقابية البحتة** التى كان يباركها الاستعمار والراسمالية،والتى تبعد الطبقة العاملة عن العمل الوطنى والسياسى ، وتعزلها فى الحدود الضيقة لمطالب العمال الاقتصادية المباشرة الخاصة بهم ، الى فلسفة « **النقابية السياسية** » التى تربط بين مصالح الطبقة العاملة ومصالح المجتمع كله ، وبالتالى تربط كفاح العمال من اجل تحقيق مطالبهم بكفاح الشعب كله من اجل تخليصه من كل انواع الاستغلال سواء كان استغلالا اجنبيا على يد الاستعمار او محليا على يد راسمالية مستغلة . وتربط ايضا العمال والفلاحين مع طوائف الشعب الاخرى فى جميع المعارك الوطنية والسياسية ، ومعارك التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وبتغير الاساس الفلسفى للحركة العمالية ، غير الميثاق ايضا من وضع الطبقة العاملة فى المجتمع ومن مهامها .فلم تعد تنظيما بعيدا عن جسم المجتمع، بل اصبحت جزءا منه دائم التفاعل معه .ولم تعد مهامها محصورة فى مطالب الطبقة التى تنظمها بل امتدت الى الآفاق الواسعة فى مجال العمل الوطنى، السياسى والاقتصادى والاجتماعى والى تحمل مسئولية رئيسية فى بناء الاشتراكية وحمايتها وفى الانتاج لتحقيق الوفرة والرخاء للجميع .

وبهذه الفلسفة الجديدة والمفهوم الجديد دخلت الحركة العمالية عهد التحول الى الاشتراكية ،فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين ومثقفين وجنود ورأسمالية وطنية لبناء الاشتراكية.

وبجانب هذه المهام العامة حرص الميثاق على ابراز ان التنظيمات العمالية عليها ايضا ان تقدم الكثير من الخدمات لاعضائها، وذكر على سبيل المثال لا

الحصر دورها فى توعية ملايين العمال والفلاحين، ورفع كفايتهم الفكرية والفنية والانتاجية ،وصيانة حقوقهم ومكاسبهم، ورفع مستواهم المادى والثقافى وتنظيم الاستفادة الجديدة صحيا ونفسيا وفكريا من أوقات الفراغ والاجازات ... الخ...

والميثاق وهو يطلق قوى العمال لحركة بناء الاشتراكية، وحمايتها من الثورة المضادة لم يتجاهل العوائق التى اوجدتها ظروف التخلف التى فرضت على هذه الطبقات ، وبالتالى حرص على تصفية الرواسب الايدولوجية المتبقية بتسليح هذه الطبقات بامكانيات ضخمة وكانت أولى هذه الأسلحة ازالة الرواسب القديمة عن العمل وقيمته فى المجتمع،فبعد ان كان العمل فى الماضى مقرونا بالعبودية،أصبح فى ظل الفلسفة الاشتراكية،هو مصدر القيمة والمفتاح الوحيد للتقدم، واصبح حق العمل هو حق الحياة من حيث هو التأكيد الواقعى لوجود الانسان وقيمته. **ولهذا تغير وضع الطبقة العاملة من طبقة تعمل لانها لا تملك الى طبقة تعمل لانها تملك كل أدوات الانتاج،** اصبح المجتمع كله مجتمع المالكين العاملين ملكية جماعية،وعمل جماعى لخير الشعب كله،وبعد هذا التغيير الثورى فى موقع الطبقة العاملة،وفى مهامها، نص الميثاق على تمثيل العمال والفلاحين فى كافة المجالس الشعبية بخمسين فى المائة على الاقل،بما فى ذلك مجلس الامة أكبر سلطة تشريعية فى البلاد، وعلى مشاركتهم فى ادارة جهاز الدولة الاقتصادى باشراكهم فى مجالس ادارة الشركات وبهذا حمل الطبقة العاملة مسئولياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبناء الاشتراكية وادارة المجتمع .

ان العمال والفلاحين اكثر الطبقات التى عانت من المجتمع الاقطاعى الراسمالى القديم، وهذا هو الذى جعلها منذ بداية حركتنا الوطنية فى مقدمة القوى المكافحة وجعل منها اصلب القوى الاجتماعية نضالا وحرصا على تحطيم هذا النظام والتحول الى الاشتراكية والطبقة العاملة التى انتقلت من اللاملكية فى ظل النظام الراسمالى الى الملكية الجماعية فى ظل الاشتراكية،هى اكثر ايمانا بتلك القيم الاشتراكية الجديدة،والاكثر بعدا من الارتباط بالملكية الفردية، ولهذا فهى اكثر القوى الاجتماعية داخل التحالف الشعبى ثورية ورغبة فى بناء الاشتراكية وتدعيمها وحمايتها .

وبعد هذا التغيير فى فلسفة الحركة العمالية، وفى موقعها فى المجتمع وفى مهامها ، كان لزاما على الميثاق ان يتعرض لاسلوب العمل، باعتباره وسيلة الحركة لتحقيق مهامها، فاسلوب العمل التقليدى القديم لم يعد ممكنا فى ظل القيم الاشتراكية الجديدة، واستمرار اتباعه سيكون عبئا على العمل الاشتراكى وعائقا له .ولهذا تعرض الميثاق خلال صفحاته العديدة الى اسلوب العمل الديمقراطى وحدد هذا الاسلوب فى :

● **العمل الجماهيرى :** وضح الميثاق اهمية العمل الجماهيرى عن ايمان عميق بوعى الشعب وقدرته، وطالب بضرورة استمرار اتصال القيادة بالقاعدة، واشراك القاعدة فى كل المسئوليات وفى ادارة شئون المجتمع الجديد موضحا «فلسفة العمل الوطنى يجب ان تصل جميع العاملين فى الوطن فى كافة المجالات، بل يجب ان تصل اليهم بالطريقة الاكثر ملاءمة بالنسبة لكل منهم. ان ذلك يكفل دائما ان يكون الفكر على اتصال بالتجربة، وان يكون الراى النظرى على اتصال بالتجربة، وان يكون الراى النظرى على اتصال بالتطبيق التجريبى » .

● **جماعية القيادة وشعبيتها :** ابرز الميثاق جماعية القيادة كاسلوب جديد فى الحكم الاشتراكى واوضح حاجة هذه القيادات الى الحماية لتادية رسالتها بنجاح، كما اوضح ايضا حاجتها فى بعض الاحيان الى حمايتها من نفسها،حتى لا تلجأ الى التعقيدات المكتبية والادارية، وتصبح طبقة عازلة تحول دون تدفق العمل الثورى وتجمد وصول نتائجه الى الجماهير التى تحتاج اليه . وتدرج فى فلسفة القيادة الى قوله ان « تكديس سلطات كبيرة فى ايد قليلة يؤدى دون جدال الى انتقال السلطة الحقيقية الى غير المسئولين عنها بالفعل امام الشعب. لقد كان هذا الاعتبار هو المصدر الحقيقى للقانون الثورى الذى صدر بأن يكون هناك عمل واحد للفرد . إن ذلك لم يكن اجراء عدل فقط ولكنه كان محاولة للوصول الى ان يكون الفرد المناسب فى العمل المناسب» .

● **الديمقراطية :** اهتم الميثاق اهتماما رئيسيا بقضية الديمقراطية وذلك ايمانا بأنها الترجمة الصحيحة لكون الثورة عملا شعبيا . . ولانها توكيد السيادة للشعب ووضع السلطة كلها فى يده وتكريسها لتحقيق اهدافه. واكد بصورة واضحة أن التنظيمات الشعبية، ومنها التنظيمات النقابية تستطيع أن تقوم بدور مؤثر وفعال فى التمكين للديمقراطية السليمة وانها لا بد وان تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديمقراطى، كما ركز على النقد والنقد الذاتى ايمانا بأهميتهما فى التنظيم الاشتراكى .

● **تدعيم سلطة التنظيمات الشعبية ومنها التنظيمات النقابية :** حرص الميثاق على توضيح العلاقة بين التنظيمات الشعبية والاجهزة التنفيذية فذكر « ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب

انتتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية فذلك هو الوضع الطبيعى الذى ينظم سيادة الشعب ثم هو يكفل بأن يظل الشعب دائما قائد العمل الوطنى الذى يحمى قوة الاندفاع الثورى من ان تتجمد فى تعقيدات الاجهزة الادارية بفعل الاهمال او الانحراف .

من هذا العرض السريع نرى ان الميثاق قد حسم الخلاف بشأن الفلسفة النقابية وعدل من موقع الطبقة العاملة فى المجتمع، وغير مهامها. واصبحت فلسفة النقابية السياسية هى فلسفة الحركة النقابية فى فترة التحول الى الاشتراكية ،وعدل موقع الطبقة العاملة من طبقة بعيدة عن جسم المجتمع الى طبقة تحتل مكانا رئيسيا داخل المجتمع، وبين طوائفه الاخرى وغير مهامها من مجرد الدفاع عن مصالح اعضائها الخاصة المباشرة الى تحمل مسئولية رئيسية فى ادارة المجتمع فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبذلك اصبحت الطبقة العاملة مسئولة عن الرخاء فى هذا المجتمع ليس فقط لاعضائها بل لكل طبقات الشعب ، واصبحت مسئولة عن مد المجتمع بقيادات عمالية سياسية واقتصادية واجتماعية، وباعداد كبيرة وذلك لانها اخذت مكان طبقات اخرى كانت تدير المجتمع فى هذه المجالات .

اصبحت مسئولة عن اعادة صياغة مفاهيم المجتمع واخلاقياته ، فمفاهيم المجتمع واخلاقياته كانت مستمدة من اوضاعه الاقطاعية الراسمالية القديمة ، وبقائها يقف حائلا امام دور الطبقة العاملة الجديدة فى البناء الاشتراكى .

وبقدر ما تنجح فى هذا كله بقدر ما تثبت جدارتها، وتتمكن من اقناع طوائف الشعب الاخرى بدورها الطليعى، وقيادتها للعمل الوطنى .

هذا هو مفهوم الميثاق عن التنظيمات العمالية، والفلسفة التى حددها ومهامها الجديدة ،فى العمل الوطنى والعمل النقابى. وهذا هو اسلوب العمل النقابى الجماهيرى الجديد الذى اتى به الميثاق للوصول الى القيم الجديدة للمجتمع وتحقيق الطبقة العاملة لمهامها .

والان بعد مرور اربعة اعوام على صدور الميثاق، تمشيا مع مبدأ النقد والنقد الذاتى ، نتعرض للتنظيمات النقابية على ضوء هذا المفهوم واسلوب العمل الجديد، لنتدارس اولا الخطوات التى اتخذت لتطبيق هذا المفهوم .. وثانيا المعوقات التى وقفت فى سبيل هذه الخطوات .

التطبيق الثورى فى اطار مفهوم النقابية السياسية

يلاحظ من دراسة التنظيمات العمالية ودورها فى المجال الوطنى، ان الخطوات الاشتراكية التى نص عليها الميثاق بهدف تدعيم هذه التنظيمات وتسليحها بامكانيات فعالة قد اخذت طريقها الى الظهور بسرعة .

تمثيل العمال

فمنذ اقرار الميثاق نفذ النص الخاص بتمثيل العمال والفلاحين بنسبة خمسين فى المائة على الاقل فى المجالس الشعبية، تم ذلك فى مجلس الامة اعلى سلطة تشريعية فى البلاد، وتولى عدد من العمال والفلاحين رئاسة بعض لجان المجلس، وتولى واحد منهم ايضا مركز وكيل المجلس، وتم نفس الشىء فى الاتحاد الاشتراكى العربى وفى لجانه المختلفة .

مشاركة العمال فى الادارة

وفى هذه الفترة ايضا بدات الخطوات الاولى لتحقيق مبدأ المشاركة فى الادارة باشتراك العمال فى ادارة وحدات الانتاج التى يعملون بها، فدخل العمال لاول مرة الى مجالس الادارة بعضوين ثم باربعة، واصبح تعيين الاربعة الاخرين من بين العاملين بالشركة نفسها ممن يحتلون مناصب رئيسية فيها، وليس من خارج الشركة او الصناعة كما كان الطابع الغالب فى الماضى .

اما فيما يختص بمهام الطبقة العاملة طبقا لمفهوم الميثاق فيلاحظ تخلف التنظيمات العمالية تخلفا واضحا، على ان هذه الفترة منذ صدور الميثاق حتى الان، قد شاهدت تاثر النشاط النقابى، بعوامل كثيرة منها ضغط القاعدة العمالية، وبلورة المفاهيم النقابية الجديدة وارتباطها بمعركة الانتاج، واحساس الطبقة العاملة بمسئولياتها حيال المهام التى حددها الميثاق، ولكن هذه المفاهيم الثورية الجديدة لم تنطلق الى ابعادها الطبيعية، وظلت فى بعض اجزائها حبيسة بعض النشاطات العلوية .

هل قامت التنظيمات العماليــة بالنشــاط المطلوب منهــا ؟

ان اى دراسة لهذا النشاط توضح انه ليس على مستوى المسئولية التى حددها الميثاق للتنظيمات النقابية، وليس على مستوى الدور الطليعى الذى رسمه الميثاق للعمال والفلاحين فى فترة تحولنا الى الاشتراكية، وان التنظيمات العمالية مازال يعوزها الكثير كى تكون قوة طليعية حقيقية فى هذا المجتمع وكى تعبر تعبيرا صادقا عن قاعدتها العمالية .وقد دفع قصور التنظيمات العمالية البعض الى ان يردد ان الثورة فى تحركها اعطت للعمال والفلاحــين الضمانات التى تحدث عنها الميثاق دون ان تأخذمنها الجهد المقابل ،اى ان هذه الفترة تميزت من جانــب الثورة بالعطاء ، ويتمادى هذا البعض الى حد اتهام الثورة الاشتراكية بانها اعطت الطبقة العاملة هذه الامتيازات تقربا اليها او رشوة لها، تماما مثل الاساليب التى اتبعها الاقطاع ورأس المال واحزابهما السياســية التقليدية .. وهــذا وهم خاطىء ، فالاشتراكية تقوم اساسا على تملك الشعــوب لادوات الانتاج ، وادارته للانتاج وتمتعــه بعائد الانتاج . والاجراءات الثورية الخاصة بالطبقة العاملة انما هى اجراءات اشتراكية يفرضهـــا التحول الاشتراكى .

ان التحول الى الاشتركية لا يمكن ان يتم الااذا ساهمت الطبقة العاملة فى قيادة عملية التحول ، وهذا يستلزم بالضرورة تحديد الموقع الحقيقى لها فى المجتمع واقرار حقوقها كاملة. وقد تصــورت القطاعات المتخلفة من المثقفين والبرجوازية بأن رد الحقوق هو منح امتيازات ،ثم ان بعض ما اخذته الطبقة العاملة يمثل بعض ثمار الثورة التى كان لا بد وان توزع على القوى الثورية التى اشتركت فيها ، ومن أبرز هذه القوى العمال والفلاحون. ان ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ليست معزولة عن نضــال الشعب الطويل، بل هى امتداد له. وفى تاريخنا النضالى الطويل كان العمال والفلاحون دائما فى مقدمة القوى الثورية، وفى الفترة الحديثة قام العمال والفلاحون بدور تاريخى فى المعركة الوطنية عام ١٩٤٦، ومساهمتهم الفعالة فى قيادة الحركة الوطنية تحت زعامة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، وانتزاع القيادة من الاحزاب السياسية التقليدية تاريخ حديث ومعروف ،كما ان هبات الفلاحين فى العديد من قرى الجمهورية منذ هذا العام حتى قيام الثورة امر ازعج الاقطاع والسلطات الحاكمة .

وامتدادا لهذا الوعى النضالى شارك العمال والفلاحون فى ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ورموا بثقلهم منذ البداية فيها، فى مرحلتها الوطنية ثم مرحلتهـــا الاشتراكية لذلك كان من الطبيعى ان تحصل هذه الطبقة على بعض ثمار الثورة الاشتراكية .

ويلاحظ أن الذى يردد هذه الاتهامات فى الوقت الحاضر هو ذلك الجزء من البرجوازية الذى تخلف عن الثورة الاشتراكية ، وتوقفت ثورته عند حدود الثورة الوطنية .

ومن هنا كانت اتهاماته الدائمة للثورة الاشتراكية، ومن اخطر ما نمر به فى هذه المرحلة ،هو محاولـــة تحالف هذا الجزء من البرجوازية، مع القيادة العمالية التقليدية التى عجزت ايضا عن ان تتحول الـــى الاشتراكية والتى لديها تطلعات طبقية . ان هذه الطبقة الاخيرة تبرز خطورتها فى فترة تحولنا الى الاشتراكية ، فهى مازالت تحتل مواقع نقابيــة رئيسية، ولها سيطرة على بعض اجزاء التنظيمات العمالية، ومن هذه المواقع الجديدة التى احتلتهــا الطبقة العاملة فى المجتمع، ومنها امكان شغــل القيادات العمالية للوظائف العليا فى الدولة واجهزتها المختلفة، اصبحت حركة هذه الفئة، سواء عــن وعى أو غير وعى، تخدم مصالح الفئات المعادية للاشتراكية بتجميدها لحركة جماهير العمال، وعزلها عن مهامها الرئيسية فى المجتمع الجــديد وانمــاء السلبية فى داخلها نتيجة لذلك .

ومن هنا كانت اهمية القيادات العمالية، اهمية كونها قيادات اشتراكية مؤمنة ومرتبطة بالاشتراكية ومقتنعة ان بقــاءها ووجودها مرتبط بهذا النظام الاشتراكي، وان القضاء على هذه الثورة قضاء عليها، وان الثورة المضادة تعنى ثورة مضادة لها وللطبقة العاملة، وانجاح القوى المعادية للاشتراكية معناه هزيمة للعمال والفلاحين، وعودة بهم الى مواقعهم فى المجتمع القديم، حيث الاستغلال والاستعباد ، والانعزال عن المجتمــع وادارته وسيطرة القلة المستغلة على جماهير الشعب العاملة .

ان التنظيمات العمالية تقف امامها معوقات كثيرة تحول دون قيامها بدورها الاشتراكى كمـــا حدده الميثاق، والقضايا التالية تمثل بعض المعوقات التى تقف امام التنظيمات العمالية .

ضعف العضوية النقابيــة

ان نسبة اعضاء التنظيمات العمالية الى مجموع القوى العاملة الممكن ضمها الى عضوية التنظيمات

نسبة صغيرة، لا تزيد عن ٢٠٪ . وهذا الضعف التنظيمى للحركة النقابية عندنا يمثل معوقا رئيسيا امام قيام التنظيمات العمالية بدورها الاكمل. وهذه النسبة من اكثر النسب انخفاضا فى العالم، اذ تبلغ نسبة التنظيم النقابى فى المجتمعات الراسمالية من حوالى ١٥٪ الى حوالى ٣٥٪ ، وفى المجتمعات الاشتراكية اكثر من ٩٠٪ وذلك بسبب حرص هذه المجتمعات على تنظيم جميع القوى العاملة بها بما فيها عمال الزراعة .

وعندنا حيث ورثنا مجتمعا عانى طويلا من الاستعمار، وعانت الحركة العمالية فيه من سياسته القائمة على اساس منع التنظيمات العمالية، وفى حالة ضرورة الاعتراف بها، حرمان طوائف عديدة من حق التنظيم النقابى مثل عمال الزراعة وعمال الحكومة، وتفتيت الحركة النقابية وحرمانها من قيادة موحدة ممثلة فى اتحاد عام واحد . ولهذا كانت الصورة النقابية عند قيام الثورة عام ١٩٥٢ حركة عمالية تضم حوالى ثلث مليون عضو مبعثرين فى حوالى ١٣٠٠ نقابة دون اتحاد عام يوحد قيادتهم. ورغم تحسن هذه الصورة الا انها مازالت ضعيفة لاتساير تطور مجتمعنا والاسس الاشتراكية التى يقوم عليها وهذا الضعف التنظيمى شديد الخطورة فى مجتمعنا الاشتراكى لاسباب عديدة. لانه يحرم التنظيمات العمالية من الاتصال بجماهير العمال والفلاحين ويعزلها عن الجزء الاكبر منها قرابة ٨٠٪ ، وبذلك يضعف جماهيرية التنظيم، ولانه يعزل الاغلبية الكبرى من العمال والفلاحين غير الاعضاء عن زملائهم اعضاء التنظيم، ويحرمهم من فرصة المساهمة فى النشاط الوطنى والنقابى، ويحرم هذا النشاط من جهدهم وطاقاتهم. كما انه يؤثر على نشاط الاتحاد الاشتراكى، لانه عادة يختار ممثلى العمال فيه عن طريق التنظيمات النقابية ومن بين اعضائها ، ومعنى ذلك قصر الاختيار السياسى على نسبة صغيرة من العمال واستبعاد الجزء الاكبر منهم . . . وربما كان من بين هذا الجزء من هو اصلح للعمل السياسى والنشاط الجماهيرى .

ويرتبط بالضعف التنظيمى ايضا ضعف التمويل النقابى . فالتنظيمات النقابية لا بد وان تمول نفسها عن طريق اشتراكات اعضائها، وضعف العضوية ينعكس على الاشتراكات وميزانيات النقابات واللجان النقابية والاتحاد العام، وهذا يؤثر تأثيرا كبيرا على نشاط هذه الاجهزة، ومن الممكن بعملية حسابية بسيطة تصور ميزانية التنظيم النقابى عندنا فى حدود عشرة قروش وهو متوسط الاشتراك الشهرى للعضو اذا ارتفعت عضويته الى خمسة ملايين او اكثر ، وبالتالى تصور ما يكن لهذا التنظيم عمله والقيام به لخدمة اعضائه وخدمة المجتمع، وتدعيم دور الحركة العمالية فى المجال الدولى. لهذا كان الضعف التنظيمى اكبر تحد يواجه حركتنا العمالية ، وعلى التنظيم النقابى على جميع مستوياته تقع مسئولية تدعيم العضوية النقابية ودراسة اسباب الضعف الحالى ووسائل واساليب معالجتها حتى تضم الاغلبية الكبرى من عمالنا .

نوعية القيادة العمالية

والحركة العمالية فى تاريخها الطويل منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الان فى مختلف دول العالم ، شاهدت اتجاهات متعددة . يعنينا منها الاتجاه الذى يطالب بقصر نشاط التنظيمات العمالية على مطالب العمال المباشرة والذى يعبر عنه اتجاه «النقابية البحتة» .

ويعنينا فيها ايضا اتجاه آخر يربط مصالح العمال المباشرة بمصالح المجتمع ويرى ان تحقيق اى مكاسب حقيقية للعمال ، لايمكن ان يتم والمجتمع نفسه يخضع لاى نوع من الاستغلال .

وتاريخيا تشجع الراسمالية المستغلة الاتجاه الاول، وحاولت، ومازالت تحاول جهدها، ان تتبنى الحركات العمالية ببلادها هذا الاتجاه . كما يشجع الاستعمار ايضا نفس الاتجاه ، ويحرص دائما على فرضه ، بمختلف الوسائل على الحركات العمالية فى الدول التى وقعت فى قبضته .

وفى مصر حاول الاستعمار والراسمالية المستغلة ، فرض هذا الاتجاه على حركتنا العمالية لكنهم لم ينجحوا كلية ، وظهرت خلال تاريخنا النقابى الطويل قيادات تؤمن بالاتجاه الثانى ، وتمكنت فى بعض الفترات من السيطرة على الحركة العمالية والخوض بها العديد من المعارك الوطنية السياسية .

ثم جاء الميثاق فحسم هذا الخلاف ، وحدد للحركة العمالية عندنا الاتجاه الثانى فلسفة ومنهاجا ، وربط العمال بالمجتمع ، وربط مصالحهم بمصالح المجتمع كله ، وكفاحهم بكفاح المجتمع من اجل بناء الاشتراكية التى تحقق العدل والرخاء للمجتمع .

على ان هذا الحسم النظرى من جانب الميثاق، لم يقض على انصار الاتجاه الاول داخل الحركة

العمالية عندنا ، خصوصا وانهم كانو الاكثر سيطرة على المراكز الرئيسية فى القيادة النقابية .

حاول جزء منهم أن يطور نفسه وان يتفهم الاتجاه الثانى ، على ضوء واقعنا وظروفنا الجديدة لكن جزءا آخر ما زال عاجزا عن ذلك،وعن تصور امكان اتساع الحركة النقابية الى الافاق السياسية والاجتماعية .

واستمرار سيطرة بعض عناصر هذا الجزء العاجز على بعض المراكز القيادية فى الحركة النقابية ، يمثل احدى المعوقات التى تحول دون انطلاق الحركة العمالية الى آفاقها الواسعة فى العمل الوطنى السياسى ، على اساس من الوعى الكامل بمجتمعنا الجديد والقوانين التى تحكم العلاقات الاجتماعية به .

واختيار بعض القيادات النقابية من انصار الاتجاه الاول فى بعض المناصب السياسية والادارية انتهى فى بعض الحالات الى تجميد هذه المراكز والانحراف بها وبنشاطها واهدافها ، الامر الذى تسبب فى اضعاف التنظيمات العمالية ، وفى شغل بعضهم لاكثر من منصب ومركز رئيسى مخالفا بذلك فلسفة الميثاق «عمل واحد للرجل الواحد» و «الفرد المناسب فى العمل المناسب » ، وانتهى بنا الى عدم التركيز وعدم اتقان الاداء ، وكان ذلك كله على حساب العمل النقابى .

كما تسبب استمرار سيطرة بعض انصار النقابية البحتة على بعض المواقع الرئيسية فى التنظيمات العمالية فى الانحراف بالنشاط النقابى وتجميد بعض اجزائه . فعدد كبير من اللجان النقابية مجمد وعاجز عن الحركة والنشاط بسبب تصرف بعض قيادات النقابات العامة التابعة لها هذه اللجان . وعدد كبير من النقابات العامة تعانى ايضا الجمود والانحراف فبعضها ساكن لايتحرك والبعض يتحرك حركة بعيدة عن مفهوم الميثاق للتنظيمات العمالية ودورها . ودراسة ميزانيات النقابات العامة تظهر نماذج متباينة للمفهوم النقابى عند القيادة النقابية ، فبعضها لم يصرف عشرة فى المائة من الميزانية،وفخور بجهده فى توفير التسعين فى المائة وجعله من النقابة فرعا جديدا من افرع صندوق التوفير ، وبعضها تمثل المصروفات الادارية الجزء الاكبر من المصروفات بما لا يتناسب مع متطلبات المرحلة الحالية ، وبعضها تضاءلت فيه ، واحيانا انعدمت المصروفات الخاصة بالتوعية الاشتراكية والثقافة العمالية ، رغم اهميتها البالغة والاولوية التى يجب ان تحظى بها فى النشاط النقابى ، وبعضها انعدمت المصروفات الخاصة بالخدمات الاجتماعية والاسكان ، الى غير ذلك من الامثلة التى توضح عدم التزام القيادات النقابية بالفلسفة النقابية التى وضعها الميثاق ، وباسلوب العمل الجديد الذى حدده ، وبعد معظم هذه القيادات عن الفكرية الثورية الاشتراكية الواعية .

من أبرز المعوقات الموجودة فى الوقت الحاضر عدم جماهيرية الحركة العمالية . فأى دراسة موضوعية توضح ان التنظيم النقابى عندنا مازال تنظيما بعيدا الى حد ما عن جماهير العمال عن حياتهم ومشاكلهم اليومية والفعلية، عن مشاكل العمل ومشاكل الانتاج، عن مشاكل المجتمع التى تمس هذه الجماهير مسا مباشرا مثل مشاكل الاسكان والمواصلات

ولهذه الحالة أسباب كثيرة :

منها الضعف التنظيمى ، اذ ان هذا الضعف يبعده منذ البداية عن حوالى ٨٠٪ من مجموع العمال .

ومنها قياداته العلوية ، فبعض القيادات الحالية بسبب نوعيتها السابقة ، قيادات علوية بعيدة عن الجماهير وحياتها اليومية .

وبحكم وجودها فى مواقع القيادة النقابية اعطيت سلطات واسعة مثل اختيار العمال فى مجالس ادارة المؤسسات والهيئات التى للعمال تمثيل فيها مثل المؤسسة الثقافية العمالية ، ومؤسسة التأمينات الاجتماعية ، والمؤسسة الاجتماعية العمالية ، ومثل اختيار أعضاء لتمثيل عمال الجمهورية فى المؤتمرات والاجتماعات الدولية والزيارات الخارجية بصفة عامة .

وفى هذه الامور ، ومع عدم وجود مقاييس موضوعية للاختيار ، لجأت هذه القيادة الى الاختيار على اساس المجاملات والمحاسيب والانصار واستخدمت ذلك لتدعيم نفوذها وسيطرتها .

وفى هذا الشأن لا يقف الامر عند مجرد تدعيم قيادة أو محاباة فئة معينة ، بل يتعداه الى سمعة حركتنا النقابية فى الخارج ، والى دورها فى المجال الوطنى .

وممثلو الحركة العمالية فى المؤسسات والهيئات السالف الاشارة اليها ، ينتهى الامر بهم الى انهم يمثلون انفسهم ولا يمثلون العمال او التنظيم النقابى. لانهم يرسلون دون اختيار موضوعى فنى، ودون سياسة داخل التنظيم النقابى يلتزمون بها ويقضون مدتهم دون رقابة من التنظيم النقابى ، أو مناقشة معينة للخطوط الرئيسية التى تثار فى هذه المجالس . وهذا يضعف دور ممثلى العمال داخل مجالس ادارة هذه المؤسسات والهيئات وغالبا ماينتهى الامر بعدم فاعليتهم والاكتفاء من التمثيل بالمظهر والشكل . وقد حدث فعلا ان بعض هذه المؤسسات لم يجتمع مجلس ادارتها مرة واحدة منذ التشكيل النقابى الاخير حتى الان . كما ان المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال ، قمة التنظيم النقابى ، لم يناقش منذ تشكيله عام ١٩٦٤ ايضا الخطوط العامة لسياسة هذه المؤسسات والهيئات .

ومن اسباب عدم جماهيرية الحركة العمالية ايضا تشريع العمل الذى مازال فى حاجة الى تعديل جذرى وذلك لان تعديل ١٩٦٤ تم بعيداً عن جماهير العمال ، ودون مشاركتهم او الاستفادة من آرائهم المستمدة من الخبرة العملية،وخرج اساسا من خبرة الاجهزة الادارية.فهذا القانون بنصوصه يمكن من تصعيد قياداتلم تمرعلى انتخاباتقاعدية وهو رغم اعطائه اللجنةالنقابيةالشخصيةالاعتبارية الا انه يحرمها الحركةوالنشاط كتنظيممباشر للعمال على مستوى وحدات الانتاج ، ويتركها تحت سيطرة من النقابة العامة أثبتت تجربة العامين الاخيرين انها تصل الى حد تجميدها ، وافقاد اعضائها الثقة بالتنظيم النقابى كله . والتصنيف المهنى الذى جاء نتيجة له وضع طوائف من العمال فى تنظيم واحد مع طوائف اخرى لايجمعهم تماثل ولا تكامل صناعى ، الامر الذى أبعد طوائف عديدة عن الارتباط العضوى بالتنظيم وجمد بعضها .

ومنها استمرار السيطرة الادارية على الحركة العمالية ، واستغلال هذه السيطرة فى الحد من حرية حركة ونشاط التنظيم النقابى ، وبقائها سيف مسلط على كل من يخرج عن التعليمات الادارية .

ومنها انعدام النقد والنقد الذاتى داخل التنظيم النقابى ، رغم ما لهذا من اهمية كبيرة فى ابراز الاخطاء وسرعة معالجتها . على ان هذا الانعدام نتيجة منطقية لطبيعة القيادة ، وحساسيتها الشديدة لاى نقد .

تخلف الواقع الديمقراطى

يمثل ضعف روح الديموقراطية داخل التنظيمات العمالية معوقا رئيسيا امام هذه التنظيمات فى مجال نشاطها الوطنى ، فالتنظيمات النقابية بعيدة عن الديمقراطية كمفهوم الميثاق ، ولم تطور نفسها فى هذا الشأن منذ صدوره رغم عباراته الواضحة وتأكيده لها . والديمقراطية اذا نقلناها من المجال العام الى المجال النقابى، واطلقناعليها الديمقراطية النقابية ، كجزء لا يتجزأ من الديمقراطية العامة نراها تتمثل داخل التنظيم النقابى فى المؤتمرات العامة والاجتماعات وفى الصحافة العمالية وفى السماح بالنقد والحرص على اكتشاف وتشجيع القيادات الجديدة الخ .

والحركة النقابية عندنا ورثت فيما ورثت من مجتمعنا الاقطاعى الرأسمالى القديم اساليب عمل وتقاليد بعيده عن الديمقراطيه وما زالت للاسف تمارس بعض هذه الاساليب . فالمؤتمرات العامة والجمعيات العمومية لا تعقد فى مواعيدها المحددة رغم ما فى ذلك من مخالفة لنصوص القانون ولوائح النظام الاساسى . وعلى سبيل المثال عقد الاتحاد العام للعمال عندنا ثلاث مؤتمرات عامة حتى اليوم منذ انشائه فى يناير عام ١٩٥٧ ، الاول المؤتمر التاسيسى والثانى عام ١٩٥٩ والثالث عام ١٩٦٤ أى انه عقد مؤتمر كل ثلاثة اعوام ونصف حتى المؤتمر الاخير ، رغم ان لائحة نظامه الاساسى فى ذلك الوقت كانت تنص على عقد مؤتمر عام مرة كل عام . وفى مؤتمره الاخير فى يوليه سنة ١٩٦٤ تم تعديل اللائحة وعدل هذا النص واصبح عقد المؤتمر العام مرة كل عامين . ونفس الشيء يقال بالنسبة لكثير من النقابات العامة واللجان النقابية ، بل ان الامر وصل الى حد عدم اجتماع مجلس ادارة نقابة عامة خلال عام باكمله .

والمؤتمرات العامة والجمعيات العمومية ليست غاية فى ذاتها ولا يحقق مجرد عقدها الديمقراطية النقابية ، لكنها بما يتم فيها تشمل احدى وسائل الديمقراطية النقابية.فهى لا بد وأن تمثل القاعدة العمالية اوسع تمثيل مع عدم التقيد بالنظرية القديمة التى تحد من التمثيل بحجة تهيئة الجو المناسب المحدود لمناقشات مجدية لان المناقشات عادة تركز فى لجان متخصصة داخل المؤتمرات بما يحقق جدية وفنية المناقشات . كما ان المؤتمرات لا بد وأن تتعرض لسياسة المنظمة فى الفترة السابقة بالنقد والتحليل للاطمئنان على مسايرتها للخطوط العريضة التى رسمها المؤتمر العام

السابق ، وتتعرض ايضا للسياسة المقبلة فتضع خطوطها الرئيسيه التى يجب ان يلتزم بها مجلس الادارة والاجهزة التنفيذية. وعليها ايضا انتتعرض بعمق واسهاب لميزانيةالمنظمةالتى تعكس نشاطها فى صورة ارقام واضحة محددة اها دلالتها ، مع التوجيه باوجه الصرف فى الميزانيه المقبلة وفى هذه المؤتمرات العامةايضا تتم جميعالانتخابات النقابية.

والدارس لتاريخ المؤتمرات والجمعيات العمومية التى عقدها التنظيم النقابى عندنا يراها بعيدة بعض الشىء من الصورة السابقة التى تحدد للديمقراطية النقابية .

وتعتبر الصحافة العمالية ـ اى التى تصدر عن التنظيم النقابى ـ سلاحا قويا من اسلحة الديمقراطية النقابية ، لانها احدى وسائل القاعدة العمالية الرئيسية فى التعبير عن رايها ، ومناقشة القضايا الهامة التى تمسها وتمس تنظيمها النقابى وفى التعرف على بعضها ، والتعرف على قيادتها وآرائها واتجاهاتها الفكرية.والملاحظ عندنا ايضا تخلف الصحافة العماليه وضعف الديمقراطية واضح ايضا من ضعف النقد والنقد الذاتى ومن عدم اكتشاف قيادات جديده او تشجيع العناصر الواعية التى تبرز من خلال العمل النقابى

سيطرة الجهاز الأدارى

تمثل سيطرة الجهاز الادارى على التنظيم النقابى احدى المعوقات التى تحول دون انطلاق التنظيم وقيامه بمهامه الاشتراكية كما حددها الميثاق . ان السيطرة الادارية على الحركة العمالية اسلوب من اساليب الرأسمالية للسيطرة على الحركات العمالية ببلادها، ومنأساليب الاستعمار للسيطرة على الحركات العمالية فى المستعمرات وقد عانته الحركة النقابيه عندنا اعواما طويلة وباركته الرجعية والرأسمالية الوطنية المستغلة اذ وجدت فيه وسيلة لسيطرتها على هذا التنظيم الشعبى .

اما فى مجتمع اشتراكى حيث انتهى الاقطاع والرأسمالية المستغلة ، فلم يعد هناك فرصة لسيطرة جهاز ادارى على جهاز شعبى ، واصبح الشعب كله هو مالك أدوات الانتاج والمستفيد من عائد الانتاج وهو المدير لجهاز الدولة ، وأصبح الجميعجزء من عمل جماعى له هدف واحد هو رفع مستوى معيشة الشعب كله .

والفلسفة التى أرسى الميثاق اسسها اوضحت ايضا ان الاجهزة الشعبية هى الاجهزة العليا فى المجتمع ، ولا يصح ان تسيطر عليها اجهزة ادارية تنفيذيه ، ولهذا كان من الواجب والضرورى بعد اعلان الميثاق ان تختفى صور السيطرة الادارية على الحركة النقابية ، وان تمر هذه الاجهزة والحركة النقابية بفترة مرحلية يتم فيها بالتخطيط والتنسيق نقل اختصاصات الحركة النقابية اليها .

ان هذه السيطرة تتم اساسا عن طريق وزارة العمل،ووسيلتها قانون العمل والقراراتالوزارية المكملة له، والتقاليد القديمة التى مازالت متبعة .

وفى مجتمعاشتراكى لا بد وانينتهىالامر باختفاء وزارة العمل،وتحويلاختصاصاتها للحركةالنقابية.

وأى دراسة للوزارة فى الوقت الحاضر توضح انها تضم ثلاثة انواعمن الادارات :

النوع الاول : ادارات تختص بموضوعات ليست من اختصاص وزارة العمل وحدها ، ولا يصح ان تكون كذلك ، مثل ادارات القوى العاملة والتدريب المهنى والاجور . فهذه الموضوعات تمس اختصاص اكثر من وزارة وهيئة . على انه نظرا لارتباطهاالوثيق بالخطة،وتمشيا معمركزيةالتخطيط ، من الانسب ان تنشىء لكل منها لجنة عليا مرتبطة مباشرة باجهزة التخطيط العليا او برئاسة الوزارة على ان تمثل فيها جميع الوزارات التى لها علاقة باختصاصاتها وكذلك التنظيمات العمالية .

النوع الثانى : ادارات تختص بموضوعات هى من صميم اختصاص الحركة النقابية مثل ادارات النقابات والثقافة العماليه ، والتشريع والتفتيش العمالى ، وعلاقات العمل . وهذه الادارات من الواجب نقل اختصاصاتها للتنظيم النقابى.وادارة العلاقات العمالية الدولية يلاحظ ان جزءاً منعملها من اختصاص التنظيم النقابى ايضاً ، والجزء الاخر من الممكن ان تشرف عليه وزارة الخارجية .

النوع الثالث : ادارات تخدم الادارات السابقة

وتخدم الوزارة كجهاز قائم وموجود ، مثل ادارة الشئون المالية والادارية وادارة التخطيط وادارة شئون المناطق ، وهذه الادارات ستختفى باختفاء الوزارة نفسها ، اذ ان وجودها مستمد من وجود الوزارة بسبب ادارات النوع الاول والثانى .

ان دراسة الاجهزة والتنظيمات القائمة على ضوء واقعنا المتطور امر ضرورى ولازم حتى لا يستمر بعضها عبئا على التحول الاشتراكى ، فمثلا كانت المؤسسة الاقتصادية ضرورة تاريخية فى فترة من الفترات حتى تستطيع ان تخلق نواة للقطاع العام ، وينمو القطاع العام واستيعابه للمجالات الرئيسية للنشاط الاقتصادى تحتم الغاء ذلك الشكل، وبالتالى فان كانت وزارة العمل ضرورة فى فترة من الفترات ، فان هذه الضرورة لم يعد هناك مبرر لوجودها ، بقيام التنظيمات الشعبية ، ودخولها فى فترة التحول الاشتراكى ، والا كانت عبئا على هذه التنظيمات يفرغها من مضمونها الثورى الذى وجدت من اجله ، ويعجزها عن ممارسة دورها الثورى .

على ان عملية نقل اختصاصات الوزارة الى التنظيم النقابى لا بد وان تمر خلال فترة مرحلية يتم فيها اعداد التنظيم النقابى لتحمل هذه المسئوليات .

ان حجة تخلف العمال والتنظيمات العمالية يجب الا تقف امام عملية نقل الاختصاصات هذه ، فالتخلف الحالى مصدره الاوضاع السابقة التى عاشت خلالها التنظيمات النقابية والتى فرضت عليها الوصاية دائما ، والخبرة ستأتى حتما بالممارسة ونظرية احتكار الخبرة على طائفة او طبقة او شعب او جنس نظرية بالية عفى عليها الزمن ، فالانسان فى اى مكان قادر على العمل المنتج الخلاق اذا اعطى الفرصة والامكانيات، وقد اثبتت شعوب العالم التى اتهمت فى الماضى بعدم القدرة والخبرة مقدرتها الفائقة ، وقدرتها الابداعية الخلاقة عندما اعطيت لها الفرصة ووفرت لها الامكانيات . والعمال عندنا اذا كانت الثورة قد وثقت فى قدرتهم على ادارة شئون هذا المجتمع ، ادارة مجلس الامة ، التنظيمات الشعبية العديدة ، التنظيمات السياسية ادارة الشركات والمؤسسات .. فلا شك انهم قادرون على ادارة شئون انفسهم ، وادارة التنظيم الذى يضمهم .

تشريع العمل

يشكل تشريع العمل الاطار التشريعى الذى يعمل فى حدوده التنظيم النقابى . ويحرص الاستعمار دائما على تحديد هذه الحدود للاطمئنان على حركة التنظيم النقابى ووضعها فى الحدود التى لا تخرجه الى مجال العمل الوطنى والسياسى او مشاركة قوى الشعب الاخرى فى المعارك الوطنية والاجتماعية . ويبارك الاقطاع والرأسمالية هذا الاتجاه ، ولهذا كان اهتمامهما البالغ بقوانين العمل ، وحصر نشاط الحركة النقابية عن طريقها وفى هذه العهود الطويلة لم يكن للعمال رأى يذكر فى تشريع العمل او مناقشة القوانين التى تحكمهم وتحكم حركتهم ، وكانت دائما تفرض عليهم ، وان تمتعوا فى بعض الفترات بامتيازات تحقق بعض المشاركة الصورية مثل المجالس الاستشارية التى يمثل فيها العمال بجانب الادارة واصحاب الاعمال .

وفى مجتمع اشتراكى لا بد وان تنبع الخطوط الرئيسية لقانون العمل من العمال انفسهم ، وتعبر تعبيرا واقعيا عن رغباتهم ومشاكلهم ومقترحاتهم لحل هذه المشاكل ، وقد آمنت الطبقة العاملة بذلك وسجل نشاطها منذ اقرار الميثاق حتى الان اهتماما بهذا الموضوع وعقدت لهذا مؤتمرا عاما فى اكتوبر من العام الماضى . وليس اوقع فى هذا الشأن مما قاله العمال انفسهم فى صورة التوصيات التى صدرت عن هذا المؤتمر .

ان قانون العمل الحالى ، فى حاجة الى تعديل جذرى على اساس من توصيات العمال انفسهم مع عدم ادماج النصوص الخاصة بعلاقات العمل مع النصوص الخاصة بالتنظيم النقابى ، فالنصوص الاخيرة تمس تنظيما شعبيا ، من المنطق عدم خلطها بالاولى ، وضرورة اعطاء التنظيم النقابى حق ادارة نفسه دون اى وصاية او سيطرة ادارية .

على ضوء هذه الاوضاع والحقائق يتبادر الى الذهن سؤال يفرض نفسه ، وهو كيفية تنشيط التنظيمات العمالية، حتى يمكنها القيام بالدور الطليعى فى حدود الفلسفة والمفهوم الجديد الذى اوضحه الميثاق

اولا : اعداد ميثاق نقابى للحركة العمالية يكون دليل العمل النقابى ، ويوضح على اسباس فلسفة النقابية السياسية التى اقرها الميثاق وأسلوب العمل الذى حدده الميثاق يوضح فكر الطبقة العاملة وايديولوجيتها ، وموقعها فى المجتمع الجديد ومهامها وكيفية بناء التنظيم النقابى وادارته وتدعيم جماهيريته وديمقراطيته ، واسلوب العمل النقابى وشروط القائد والتزام القيادة ، ويكون اساس التربية النقابية السياسية والثقافية العمالية .

ثانيا : البدء فى نقل بعض الاختصاصات التى تمارسها وزارة العمل الى التنظيمات العمالية ، لتستطيع عن طريق ممارستها ان تربى كوادرها وتكتسب الخبرة اللازمة لكى تاخذ اختصاصاتها الكاملة بين يديها فى ظل الحكم الثورى وفى اطار الاشتراكية .

ثالثا : تعديل قانون العمل ، ووضعه على اسس تمكن التنظيمات العمالية من القيام بدورها الطليعى فى بناء الاشتراكية وادارة شئون نفسها بنفسها دون وصاية ادارية وذلك على ضوء التوصيات التى صدرت من العمال انفسهم والمستمدة من الواقع والخبرة العملية

رابعا : السرعة فى اعداد القيادة النقابية الاشتراكية، وتمكينها سياسيا من تدعيم مواقعها القيادية النقابية، ووقف الاجراءات غير النقابية التى من شانها تدعيم القيادات التقليدية .. انصار مدرسة النقابية البحتة ، وترك المعركة للعمال انفسهم لانهم كفيلون بوعيهم النضالى الطويل من ترجيح كفة القيادة الثورية الاشتراكية .

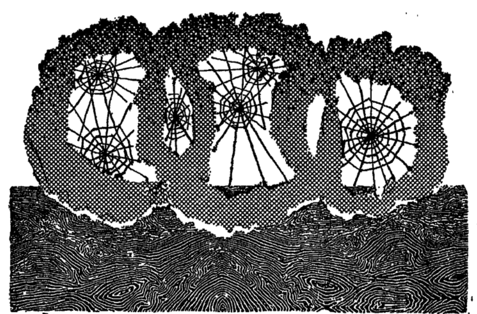
خامسا : مواجهة القيادة النقابية الاشتراكية للمشاكل الرئيسية فى الحركة العمالية بتدعيم العضوية النقابية وجماهيرية الحركة النقابية والديمقراطية النقابية ، باعطاء اولوية للثقافة العمالية والتوعية السياسية الاشتراكية بين صفوف العمال ، وبالصحافة العمالية على كافة مستويات التنظيم النقابى واعداد الكوادر العمالية المطلوبة للعمل الوطنى على كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

سادسا : الاسراع بتدعيم الاجهزة الفنية للاتحاد العام للعمال والنقابات العامة ، حتى يمكنها خدمة التنظيمات العمالية ، وخدمة القيادات العمالية التى تقود العمل الوطنى فى مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ان النقابية فى مجتمع اشتراكى لايمكن انتؤدى دورها الواسع دون اجهزة فنية متخصصة فى جميع مجالات العمل الوطنى ، وعلى مستوى من الكفاءة يتناسب والمسئوليات الجديدة للطبقة العاملة .

سابعا : انشاء مؤسسات عمالية من حصيلة النسبة المخصصة للخدمات المركزية تمارس تقديم الخدمات التى استهدفها هذا التخصيص ، وذلك لعجز كل نقابة على حدة عن القيام بشىء ملموس فى حدود نسبتها وحدها ، مثل انشاء معاهد لرفع الكفاية الانتاجية والتدريب المهنى او اقامة استراحات صيفية وشتوية،وفى ذلك مساهمة فعالة من جانب التنظيمات العمالية فى تخطيط القوى العاملة والاستجابة لاحتياجات الخطة وتخفيف اعباء الدولة فى مجال التدريب لمواجهة مطالب التطور الصناعى الدائم وتقديم خدمات اجتماعية ملموسة لاعضائها .

ان التحول الى الاشتراكية لا يمكن ان يتم الا اذا ساهمت الطبقة العاملة فى قيادة عملية التحول ، ومن المواقع الجديدة التى احتلتها الطبقة العاملة فى المجتمع يمكن للتنظيمات العمالية ان تقوم بدورها الطليعى فى بناء الاشتراكية،وهذه فى الاساس مسئولية العناصر الواعية فى الحركة العمالية ومسئولية القيادة الاشتراكية .





الفلاحون يواجهون انحراف البيروقراطية

د. عباس كسيبة

بدأت الحركة التعاونية فى مصر منذ عام ١٩٠٩ كمنظمات ديموقراطية للراسمالية المحلية فى وجه الغزو الراسمالى الاحتكارى الاجنبى . اذ عملت البنوك الاجنبية على اقراض الفلاحين بفوائد باهظة مستغلة حاجات الفلاحين واثقلت كاهلهم بالربا الفاحش وتراكمت الديون على أصحاب الاملاك الزراعية وغير الزراعية، وانتقلت ملكية كثير منها الى الدائنين وكلهم من الاجانب . وقد جاء فى تقرير **للورد دفرين** سنة ١٨٨٣ ان قيمة الرهون المسجلة بالمحاكم المختلطة فى مدة ست سنوات ١٨٧٦ — ١٨٨٣ قدزادت من نصف مليون جنيه الى ٧ ملايين من الجنيهات تقريبا . وان هذا المبلغ يشمل الى جانب قيمة الديون قيمة الفوائد المتجمعة التى تبلغ معدلها ٣٦٪ سنويا . وقد احصى **الكونت جراس (١)** الديون العقارية لبعض المصارف فبلغت ٥١٠٦٢٥٠٠٠ر جنيه فى سنة ١٩١٢ اغلبها للاجانب . ولهذا عملت البرجوازية المحلية على تنظيم جمعيات تعاونية لتمويل عمليات الزراعة . وقد عانت هذه الحركة من العقبات التى وضعتها الحكومة الاقطاعية فى ذلك الوقت والتى كانت ترى فى هذه الحركة خطرا على مصالح الطبقة الاقطاعية المتحالفة مع الراسمالية الاجنبية . ولم تتطور هذه الحركة لتاخذ الطابع

---

(١) كتاب مصر اليوم للكونت جراس — باريس ١٩١٢

السياسى الا لفترة وجيزة واثناء محاولات الحزب الوطنى للاتصال بالنقابات العمالية والتعاونيات.

وقد تناول الميثاق الحركة التعاونية **بمفهوم جديد** خرج بها عن الاطار التقليدى كتجمع للبرجوازية الصغيرة لتنظيم انتاجها فى مواجهة منافسة الاحتكارات الراسمالية والاقطاعيات ، الى تنظيم جماهيرى واسع ينفتح على البعد السياسى والاقتصادى للمجتمع .

وقد حدد الميثاق هذا المفهوم من ناحيتين :

- دور التعاونيات كأجهزة ديموقراطية .
- دور التعاونيات كأجهزه للانتاج .

المهام الديمقراطية للمنظمات التعاونية

وقد جاء فى الميثاق عند تحديد معالم ديموقراطية الشعب .. ديموقراطية الشعب العامل كله ، ان اختص بالتحديد دور التعاونيات كمنظمات ديموقراطية . « ان التنظيمات الشعبية وخصوصا التنظيمات **التعاونية** والنقابية ، تستطيع ان تقوم **بدور مؤثر وفعال** فى التمكين للديموقراطية السليمة.

ان هذه التنظيمات لابد وان تكون **قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديموقراطى** ، وان نمو الحركة التعاونية والنقابية **معين لا ينضب للقيادات الواعية** التى تلمس باصابعها مباشرة اعصاب الجماهير وتشعر بقوة نبضها .

ولقد سقط الضغط الذى كان يخنق حرية هذه المنظمات ويشل حركتها ان تعاونيات الفلاحين فضلا عن دورها الانتاجى ، هى **منظمات ديموقراطية** قادرة على التعرف على مشاكل الفلاحين وعلى استكشاف حلولها » .

ونستنتج من هذا ان الميثاق قد حدد للتعاونيات دورها فى بناء الديموقراطية على النحو التالى :

- ان التعاونيات هى منظمات ديموقراطية للجماهير الواسعة من الفلاحين فى الريف .
- انها يجب ان تكون قوى متقدمة فى ميادين العمل الوطنى الديموقراطى نحو تدعيم البناء الديموقراطى .
- انها تستطيع أن تزود المجتمع بقيادات واعية ملتصقة بالجماهير ومتفهمة لمشاكله وحلولها .

والسؤال الذى ينبغى ان نطرحه اليوم هو الى اى مدى امكن للحركة التعاونية فى مجتمعنا المتحول ان تلتزم بما حدده الميثاق لها من واجبات وان تحقق هذه الاهداف ؟

فاذا حاولنا تلمس ابعاد الحركة التعاونية فى المجتمع نجد انها حركة واسعة الانتشار ذات بناء هرمى . ففى عام ١٩٦٤ بلغ عدد الجمعيات التعاونية ٤٦٦٥ جمعية ، فى حين لا يزيد عدد القرى بالجمهورية عن ٤٠٤٣ قرية . لكن هذا البناء على الرغم من انتشاره الواسع هذا الا انه لا زال الى حد كبير **بناء شكليا** ، بعيدا كل البعد عن الاسم الذى يحمله وعن الاهداف التى نص عليها الميثاق .

ونحن نتساءل هل المنظمات التعاونية بوضعها الحالى هى منظمات ديموقراطية . ينص القانون المنظم للجمعيات التعاونية على تشكيل جمعية عمومية تنتخب مجلس ادارة من ٥ ــ ٩ اشخاص، وان قرارات الجمعية بالاقتراع وبراى الاغلبية .

الا اننا نلاحظ السمات الاتية لمظاهر بعد الحركة التعاونية حاليا عن اهداف الميثاق :

- بدراسة خريطة الملكية الزراعية فى مصر حسب احصائيات ١٩٦٤. نجد ان ٣٥ر٢٪ من اجمالى المساحة المنزرعة يملكها ٣ر٢٪ فقط من اجمالى عدد الملاك بالجمهورية ، ويتراوح حجم الحيازة فى هذه الفئة من ١٠ افدنة حتى ١٠٠ فدان بمتوسط عام للحيازة مقداره ٥ر٢١ فدان للفرد الواحد . بينما نجد ان ٦٤٫٩٪ من اجمالى المساحة المنزرعة يملكها ٩٦٫٨٪ من اجمالى عدد الملاك ويتراوح حجم الحيازة فى هذه الفئة من اقل من خمسة افدنة حتى خمسة افدنة بمتوسط عام مقداره ٣ر١ فدان للفرد الواحد . ويتضح من هذا الفرق فى **الوزن الاقتصادى** للفئة الاولى **ومجال تاثيرها** بالنسبة للفئة الثانية .
- ونتيجة لهذه الاوضاع الاقتصادية فانه ينشأ تناقضا فى المصالح بين الفئتين . اذ تعمل الفئة

الاولى على محاولة الاستحواذ على اغلب المميزات على حساب مصالح الفئة الثانية . وعلى الرغم من ان ما يقضى به القانون الحالى (رقم ٨٧ لسنة ١٩٦٤) بتمثيل مالكى الخمسة افدنة على الاكثر (الفئة الثانية) باربعة اخماس مقاعد مجلس الادارة للجمعية على الاقل ، الا ان الوزن الاقتصادى والاجتماعى للفئة الاولى استطاع باستمرار ان يحول مجلس الادارة الى اتباع لهم خصوصا وان المرشحين غالبا ما يكونوا من اقرباء او معاونى كبار الملاك ويتم انتخابهم بحكم تأثير الفئة الاولى على غالبية الفلاحين الفقراء وفى غيبة من التنظيم السياسى والوعى الاقتصادى والاجتماعى .

● ونتيجة لهذا فانه على الرغم من ان القانون الحالى للتعاون وكذا النظم الداخلية للجمعيات التعاونية قد حددت جدول اعمال الجمعية العمومية والمسائل التى تنظر فيها سنويا كما اجازت النظم الداخلية تشكيل لجان فرعية من مجلس الادارة يمكن لها ان تضم بعض اعضاء الجمعية العمومية، الا ان القواعد التى تحكم عقد الجمعيات العمومية **لم توضع موضع التنفيذ** كما قصرت اللجان التى يشكلها مجلس الادارة عن ممارسة نشاطها مما حول معظم الاجتماعات — سواء اجتماعات الجمعية العمومية او مجلس الادارة — الى **اجتماعات صورية** بعيدة عن الاهداف المرسومة لها ، وخلقت بذلك **فاصلا** بين القاعدة الفلاحية الممثلة فى اعضاء الجمعيات وبين الجمعيات نفسها ، الامر الذى اضعف العلاقة بين الاعضاء وبعضهم واظهر السلبية الواضحة من جانب الفلاحين فى معظم التصرفات . فى حين ان هذه المنظمات مفروض ان تكون مدرسة للديمقراطية يتعلم فيها الفلاحون اسلوب الديموقراطية السليمة. ويمكنها ان تربى القيادات وان تنمى **الوعى التنظيمى** لجماهير الفلاحين واحساسهم **بالارتباط المباشر** بينهم وبين مصالح المجتمع ككل . كخطوة نحو الممارسة الفعالة فى التنظيم السياسى القائد. كما يمكن لهذه المنظمات التعاونية ان تكون رائدة فى تحقيق الاشكال المناسبة للاجتماعات فى القرية وطريقة التصويت المثلى واسلوب المناقشة والحوار بين المجتمعين والتى يمكنها ان تخدم العمل السياسى فى القرية وتدفعه ثوريا الى التقدم .

● ونتيجة لهذا فان انفراد مجلس الادارة (مدة عضوية المجلس خمس سنوات) باعماله الجمعية وفى غياب الجهاز الشعبى الذى يستطيع مراقبته فانه يقع تحت سيطرة كبار الملاك ويتحول دائما الى اداة فى يد الجهاز البيروقراطى المعين ، يوجهه لخدمة اهداف بعيدة عن اغراض الجمعية ولمصالح الفئة المسيطرة من المالكين .

ومن ذلك مثلا توجيه الخدمة الآلية لصالح كبار المزارعين والتغاضى عن التأخير فى سداد السلف واولوية توزيع السماد والتقاوى والمبيدات لهم .

● وكنتيجة لذلك فان الجمعية التعاونية تصبح بعيدة تماما عن امكانية التأثير المباشر فى **الصراع** الذى يدور الان فى الريف بين مصالح الفئة الاولى ومصالح الفئة الثانية من جهة وبين مصالح مالكى الارض عموما ومصالح العمال الزراعيين من جهة اخرى . فمثلا لا زالت الجمعية التعاونية بعيدة عن التدخل والتأثير الفعال لصالح صغار الفلاحين والعمال الزراعيين لضمان حقوقهم سواء بضمان عدم زيادة القيمة الايجارية عن ٧ امثال الضريبة او التدخل لمنع نظام الزراعة بالمشاركة او الكشف عن عمليات تهريب الارض وطرق التحايل المختلفة على القوانين وضمان عدم زيادة الحد الاعلى للملكية عن الحدود التى اقرها الميثاق . وغيرها من انواع الصراعات التى تدور اليوم فى ريفنا .

ولكن اذا صح تأثير هذه الاوضاع الاقتصادية على نشاط وفاعلية المنظمات التعاونية فانها لابد وان تنعدم فى اراضى الاصلاح حيث لا يوجد تفاوت فى الملكية ويتقارب مستوى الاعضاء اجتماعيا خصوصا وان شكل الملكية لا زال ضعيفا ، وحيث تقوم الدولة من خلال المنظمات التعاونية باعادة صياغة الانتاج وعلاقاته وتحويله على مراحل من انتاج فردى متخلف الى انتاج اشتراكى متقدم وذلك بتوفير القاعدة التكنولوجية والاسلوب العلمى ، ولكننا نجد ان العقبة الاساسية فى سبيل فاعلية الحركة التعاونية فى هذه المناطق هى قضية الادارة الديموقراطية لتعاونيات الاصلاح الزراعى ، فتلك الجمعيات ليس للفلاحين فيها وهم المنتجون المباشرون قدرة فعلية فى رسم سياستها بل ينفرد بذلك الجهاز البيروقراطى المعين ، اذ لا يملك مجلس ادارة الجمعية او الجمعية العمومية اى سلطة حقيقية فى توجيه شئون الجمعية الاساسية وليس لها اى سلطان على الجهاز البيروقراطى المعين فهى لا تملك الاعتراض على

تعيينه وليس لها الحق فى عزله او مجازاته اذا اخل بنظام الجمعية . وهنا يتضح التناقض بين مصالح الفلاحين وبين الجهاز البيروقراطى المشرف على الانتاج .

وفى اطار كل هذه الظروف ، فانه يمكننا ان نبين ان الحركة التعاونية بوضعها الحالى فى مصر تمثل اساسا **حركة البيروقراطية** المصرية فى الريف تحت واجهة .. رية باسم منظمات تعاونيــة . وتسخر هذه المنظمات الجزء الاكبر من جهودها لصالح كبار الملاك والبرجوازية المتوسطة والجهاز البيروقراطى المسيطر . ففى اطــار الاوضــاع الاقتصادية السائدة لا يمكن للتعاونيات الا ان تكون بعيدة عن تحقيق أهداف الميثاق . فهى بعيــدة عن أن تكون منظمات ديموقراطية تعمل على تدعيم البناء الديموقراطى السليم كمــا انها بنوعيــات قياداتها الحالية المتباينة لا تستطيع ان تزود المجتمع بقيادات واعية ملتصقة بالجماهير ومتفهمة لمشاكله وحلولها .

المهــام الانتــاجية

للمنظمات التعاونية

فى تناول الميثاق للمشكلة الزراعية فى مصر كان شرط وجود حركة تعاونية نشيطة وفعالة هــو الضمان الاساسى لحل المشكلة الزراعية اذ جاء فى الميثاق : « ومن هنا فان الحلول الصحيحــة لمشكلة الزراعة لا تكمن فى تحويل الارض الى الملكية العامة . وانما هى تستلزم وجود الملــكية الفردية للارض ، وتوسيع نطاق هذه الملكية باتاحة الحق فيها لاكبر عدد من الاجراء مع تدعيم هذه **الملكية بالتعاون الزراعى على امتداد مراحل عملية الانتاج فى الزراعة من بدايتها الى نهايتها** » .

« انها تبدأ مع عملية **تجميع الاستغلال الزراعى** الذى أثبتت التجارب نجاحه الكبير وتساير عملية التمويل التى تحمى الفــلاح وتحرره من المرابين ومن الوسطاء الذين يحصلون على الجزء الاكبر من ناتج عمله ، وتصل به الى الحد الذى يمكنه من استعمال **احدث الالات والوسائل العلمية لزيادة الانتاج** ثم هى معه حتى **التسويق** الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة **تعويضا عن عمله** وجهده وكده المتواصل » . « ان نجاح هذه المواجهة الثورية لمشكلة الزراعة ، هــذه المواجهة القائمة على زيادة عدد الملاك لا يمكن **تعزيزه الا بالتعاون الزراعى** ، والا بالتوسع فى مجالاته الى الحد الذى يكفل للملكيات الصغيرة اقتصادا قويا نشيطا » .

ويتضح مما سبق ان الميثاق يشترط لنجــاح التطبيق العربى للاشتراكية فى الزراعه ، ضرورة نجاح الحركة التعاونية . اذ ان امكانية تطــوير الزراعة وادخال الاساليب التكنولوجية والعلمية الحديثة فى الانتاج — تحت ظروف الملكية الفردية للارض — رهن بنجاح وفاعلية التنظيم التعاونى الذى يستطيع ان يذيب ويتخطى الحدود المصطنعة للارض (على اساس الملكية) وان تدمج عمليات الانتاج فى حدود مساحية كبيرة بما يسمح بادخال الالات الحديثة واتباع الاساليب العلمية للانتاج تحت ظروف اقتصادية .

ويمكن ان نبين بايجاز الارضــية التى تتحرك عليها الحركة التعاونية فى مصر :

- ان نظام الحكم الاقطاعى الراسمالى المتخلف الذى استمر حتى الثورة لم يكن يســمح بتطور أساليب الانتاج ولا علاقات الانتاج مما ادى الى ان الزراعة المصرية استمرت على مدى سنين طويلة بدائية بعيدة عن التطور العلمى الحديث الا فى حدود ضيقة . كما ان انتاجية الارض اخــذت تتــدهور باستمرار وبعــدت المسافة بين الاســاليب التى نستخدمها والاساليب العلمية المستحدثة فى العالم .

- وهذا التخلف البشع فرض نفسه ايضــا على الفلاحين كأحد عناصر الانتاج (قوة العمل) اذ ان استمرار استعمال الفلاح لادوات انتاج بدائية وسيادة علاقات الانتاج شبه الاقطاعية كان له أثره المباشر على التطور الفكرى والسياسى والاجتماعى للفلاح .

- وفى اطار هذه الاعتبارات فان حل المشكلة الزراعية فى مصر مع اســتمرار الاحتفاظ بالملكية الفردية للارض وتوزيعها فى مســاحات محدودة لا يمكن ان ينجح الا تحت ظل نظام للانتاج يمكنه ان يتعدى اى حدود مصطنعة للارض وان يضــم المساحات الصغيرة المنفردة فى وحــدات مساحية

كبيرة بصرف النظر عن حدود الملكية حتى تسمح بادخال اساليب الانتاج الحديثة من آلات وطرق علمية للزراعة . ولهذا كان الميثاق واضحا في تحديد هذا الشرط بالذات . اذ ان حل المشكلة الزراعية ليس فى توزيع الارض الزراعية المحدودة فقط والتى لن تكفى حتى لو وزعت فى حدود متر مربع لكل فرد من السكان خصوصا تحت ضغوط التزايد المستمر فى السكان وضيق الرقعة الزراعية المتاحة.بل ان الحل الوحيد لهذه المشكلة يكمن أساسا فى زيادة الانتاجية وذلك بتطوير طرق وعلاقات الانتاج من الصورة المتخلفة الى اقصى التقدم .

● ولكى يمكن ان يتم هذا تحت ظروف الملكية الفرديه كان لا بد من **تجميع الاستغلال الزراعي** بحيث تلعب فيه التعاونيات دورا نشيطا وفعالا يمكنها من أن تجمع الفلاحين وتقودهم نحو احداث التغير نحو التقدم ويمكنها من ان تجمع — اراديا وبادراك كل الفلاحين — المساحات المفتتة للارض نحو اعادة تخطيط الزمام فى مساحات اقتصادية كبيرة تمكن من استخدام الاساليب الاكثر تطورا للانتاج . وهذا فى حد ذاته سوف يكون له من القوة الذاتية التى تفجر كل الطاقات الكامنة فى الفلاح المصرى وتدفع عنه كل مظاهر التخلف حتى ينطلق ذاتيا نحو تطوير المجتمع . وفى هذا ينص الميثاق : « ان تطوير عملية الانتاج فى الريف سوف يساعد فى نفس الوقت على ايجاد القوى **البشرية المنظمة** التى تستطيع بدورها تغيير شكل الحياة فيه تغييرا ثوريا وحاسما » . وينص الميثاق على دور التعاونيات فى هذا المجال . « ان التعاون سوف يخلق **المنظمات التعاونية** القادره على تحريك الجهود الانسانية فى الريف لمواجهة مشاكله» « ان هذه القوى هى الخلايا التى تستطيع ان تنسج خيوط الحياة فى الريف من جديد وتصنع منها قماشا حضاريا يقرب القرية الى مستوى المدينة »

وهنا ينبغى ان نتساءل عن الجهود التى بذلت لتحقيق هذا الدور الانتاجى للتعاونيات ؟ ان الجهود التى تتم الان فى الريف نحو تنظيم الدورة الزراعية وتوفير مستلزمات الانتاج تعتمد اساسا على دور الدولة فى حين انه لو كان للحركة التعاونية فاعلية تذكر لامكن توفير الكثير من النفقات والانحرافات وكانت رقابة المنتجين المباشرة تحقق كفاءة اكبر لخدمة الانتاج وفى تطوير الوعى السياسى والاجتماعى للفلاح . وبالرغم من النجاح الذى امكن الوصول اليه تحت هذه الظروف فى تحقيق زيادة فى الانتاج عن طريق تنظيم الانتاج فى كثير من المحافظات ، الا ان الحدود والافاق التى يمكن الوصول اليها تتعدى النتائج الاولية للمشروع **لو دعم بالمشاركة الفعالة من المنتجين نحو ادارة ذاتية لوحدات اقتصادية** من الارض الزراعية مزود بكل الاساليب الحديثة فى الانتاج دون المساس بشكل الملكية .

وكذلك بالنسبة لتعميم التسويق التعاوني للمحاصيل التى يجب ان تتسع لتغطى كل انواع الحاصلات على اساس تسويق كل المحصول كما يحدث فى القطن وليس جزء منه فقط . حيث ان هذا — كما نص الميثاق — يساعد على حماية الفلاحين من المستغلين كما انه يدخل الفلاحين فى السوق القومية ويعمل على توسيع اطارها بمشاركتهم فيها فالصناعات الاستهلاكية لا زالت تعتمد على المدينة كسوق لتصريف منتجاتها نظرا لضعف القوة الشرائية لدى الفلاحين ، الا ان نظام التسويق الحالى يجب ان يعدل بحيث لا يسمح لكبار الملاك المتعاونين مع التجار المستغلين لتحقيق ارباح باهظة على حساب جماهير القاعده الفلاحية . مثل ما حدث فى العام الماضى عند تسويق الارز وتحديد معدل ثابت للتوريد بغض النظر عن حجم الحيازه وضع تحت ايدى كبار الملاك فائض كبير تصرفوا فيه فى السوق السوداء بينما كان صغار الفلاحين لا يملكون مثل هذا الفائض اويستهلكونه ذاتيا . كما ان العمليات المشبوهة التى يقاوم بها كبار الملاك نظام التسويق تحت علم الجهاز البيروقراطى من تهريب للمحاصيل وتزييف فى ارقام المحصول بهدف تحقيق ارباح من السوق السوداء خصوصا فى تسويق الحبوب . وهى احدى صور الصراع الذى يدور حاليا فى الريف من جانب كبار الملاك لمقاومه التطوير والتقدم للمجتمع .

اما عملية التمويل المباشر للانتاج الزراعي والتى يقوم بها حاليا مؤسسة الائتمان الزراعى والتى تتم دون تحصيل فوائد على هذه القروض بصرف النظر عن حجم الحيازة وتتساوى فى الامتياز بين الفلاح الصغير الذى لا يملك المقدرة الذاتية على التمويل وبين المالك الكبير الذى يملك المقدرة الذاتية على التمويل . وقد اتضح ان كبار المزارعين

هم المتأخرون فى سداد القروض التى يمنحها لهم بنك التسليف فضلا من ان هذه القروض لاتستخدم مباشرة فى الانتاج لتحقيق مزيد من التنمية بل يتجه جزء كبير منها الى الاستهلاك مما يؤثر على ميزان الاسعار ووفرة السلع فى الاسواق. هذا فى الوقت الذى يتحمل عبء هذه الفوائد الشعب العامل بعماله وفلاحيه الذين هم احوج لتوجيه هذه المبالغ نحو مزيد من الاستثمارات للتنمية . وعلى الرغم من ان المؤسسة المصرية العامة للائتمان الزراعى هى وسيلة التمويل الرئيسى للجمعيات التعاونية الا ان الفلاحين اعضاء الجمعيات ليس لهم اى سلطان حقيقى على ادارتها ، وليس لهم حق المشاركة فى رسم سياسة البنك أو الرقابة على اعماله ونشاطه.

ويتوقف مدى نجاح التطوير الحديث للزراعة على الامكانيات المادية من الالات والمواد اللازمة للانتاج التى يتعين على الدولة توفيرها خصوصا فى الوقت المناسب ، اذ أن ما يحدث حاليا من تأخير تسليم مستلزمات الانتاج له اثره المباشر على انتاجية الارض .

كما ان جهود الدولة نحو تصنيف الاراض وتحسين انتاجياتها اساسية لوضع الحطة العملية لزيادة الانتاج. ولكن من الملاحظ ان الآلات الزراعية التى لا زالت فى حوزة كبار الملاك لا توجه لخدمة المساحات المنزرعة حسب طاقاتها بل تظل حبيسة مع المالك فى حدود ضيقة دون السماح بتعميم الاستفادة لباقى المزارعين وهنا يستلزم للجمعيات التعاونية التدخل المباشر اما للاستيلاء على الالات او لتنظيم الانتفاع من هذه الطاقات المعطلة .

وعلى هذا فان تخلف الحركة التعاونية له اثره المباشر على امكانية نجاح الحلول المختلفة للمشكلة الزراعيه كما نص عليها الميثاق . ولعل اخطر هذه الاثار هو انعزالها من الفلاحين كقاعدة وعن تنظيمهم وتحريك القوى الثوريه الخلاقة فيهم نحو تطوير المجتمع .

واخيرا فان الحركة التعاوبية كى تنجح يجب ان [illegible]مل باصرار على تطوير بعض اشكال علاقات الانتاج المتخلفة التى لا زالت تحكم الانتاج فى الريف وتعيق تطوره مثل نظام الزراعة بالمشاركة وغيرها .. كما ان حسم الصراعات التى تدور فى اتجاه الريف لصالح العمال الزراعيين وصغار الفلاحين هو من المهام الاولى للتنظيم السياسى والتعاونى . ولهذا فان المنظمات التعاونية ذات صفة سياسية ايضا ويجب ان يكون للاعتبار السياسى اساسه فى التنظيم .

وعلى هذا فان مسئولية الدولة فى تعيين المشرفين الزراعيين والتعاونيين على اساس سياسى نظرا لاتساع مجالات العمل التنظيمى والسياسى فى نطاق عملهم المباشر مع جماهير الفلاحين . كما ان التنظيم السياسى يجب ان يتدخل لتكتيل الفلاحين وتنظيمهم نحو انجاح مرشحيه لعضوية مجالس الادارة مع مراقبتهم وتدعيمهم . كما ان توسيع اطار النشاط التعاونى بحيث يشمل الخدمة الاستهلاكية وتنظيم الاجور للعمال الزراعيين والانتاج يحتم ان يكون العمال الزراعيين اعضاء فى الجمعية التعاونية وان يكون لهم حق عضوية مجلس الادارة اذ ان الانتاج اساسه العمل وليس الملكية . وهذا لا يعيق من دور النقابات فى تنظيم العمال الزراعيين. وعلى [illegible] فاننا بتحويل التعاوبيات الى خلايا ثورية معاونة للتنظيم السياسى القائد فى الريف نكون قد حققنا اهم خطوة نحو حل المشكلة الزراعية فى مصر . ولن يتأتى هذا من طريق الاسلوب الادارى بواسطة الاجهزة البيروقراطية بل يتم اساسا بواسطة الاسلوب السياسى عن طريق الجهاز السياسى . ويجب ان نحذر من البيروقراطية ومدى خطوره تغلغلها فى الريف وان نعمل سياسيا على التخلص منها كما يقول المناضل جمال عبد الناصر بوضوح : «ان الميول البيروقراطيه فى مرحلة الانتقال من الاقطاع والراسمالية الى الاشتراكية تمثل قوى اجتماعية خطيرة . طبعا هذه البيروقراطية موجودة وستحاول بكل الوسائل ان تكون لها مكاسب وان تحصل على اكبر قدر من السلطة حتى تستطيع ان تقوم بدور حاسم فى الانتاج وفى العلاقات الاجتماعية وتحتكر هذا الدور ، وبفضل هذا الاحتكار تستطيع البيروقراطية ان تاخذ مكان الراسمالية فى المجتمع الراسمالي» .

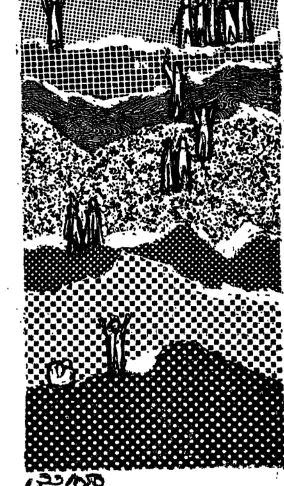
والثورة يجب ان تعمل بكل ما فى وسعها لانتزاع جذور الظواهر البيروقراطية . والسلاح الرئيسى الذى نستطيع ان نقضى به على البيروقراطية وعلى الانحراف هو تطوير الديمقراطية الاشتراكية والتوسع فى الديمقراطية الاشتراكية .

كاتب هذا المقال هو الدكتور حسين كمال بهاء الدين عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي لشئون الشباب . وهو هنا يعرض من خلال ممارسته لمسئولياته ، مفهوم وطريق تنظيم الشباب سياسيا واجتماعيا ، وذلك في اطار ترجمة الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي لمبادىء الميثاق في هذا المجال الحيوى .

إعداد القيادات الجديدة

هدف المرحلة القادمة

د . حسين كمال بهاء الدين



ان فلسفة الميثاق وهى تعبر عن المجتمع المصرى الاصيل مستكشفة أغوار الماضى بالتحليل والبحث العلمى المدرك لقوانين التطور المؤمن بارادة الانسان المصرى ودورها المبدع الخلاق

وهى تحلل الحاضر الذى يعيش فيه تحليلا واقعيا يعبر عن ارادة الجماهير المصرية ويصل الى اعماق مشاكلها . وهى ترسم المستقبل بالتخطيط الواعى الذى يترجم آمال الجماهير الى حقائق كان لابد لها ان تحدد موقفها من الشباب وهو قوة لها اثرها فى تشكيل المجتمع وتحديد ابعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ان الميثاق وهو يصحح تاريخنا وهو يبحث

في جـذور النضال المصرى (١) ، اشـاد بالدور الذى قام به الشباب المصرى ممن ارسلوا الى أوروبا أيام الصـحوة التى سبقت نكسـة تسلط الاستعمار والاحتكارات العالمية على مقـدرات الشعب والذين استطاعوا بالعلم والمعرفة خلق نهضة فكرية على ضفاف وادى النيل ، والتى كانت السبب المباشر فى لفت انظار العناصر المتطلعة الى التقدم فى المنطقة كلها نحو مصر وجعلت منها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر منبرا للفكر العربى كله وملتقى لكل ثوار العرب رغم الحدود المصطنعة والموهومة التى صنعها الاستعمار لقد استطاع هـذا الجيل من الشباب ان يختزن لامته ارادة التغيير الثورى التى لم تستطع النكسات ولا القوى الباغية ان تقضى عليها خلال عصور طويلة من الظلم والعذاب والتخلف .

ولقد كانت ثورة عرابى هى قمة رد الفعل الثورى ضد النكسة ، ولقد تصور الاستعمار وهو يعبر عن مصالح الاحتكارات العالمية انه بالقوة الغاشمة قد استطاع ان ينهى قوة المقاومة فى الشعب المصرى . ولكن اجيالا متجددة من الشباب المصرى استطاعت ايضا أن تحفظ لوطنها ارادة التغيـير التى هبت سـنة ١٩١٩ والتى تمكنت من ان تجبر الاستعمار على تغيير اسلوبه . ولئن كانت ثورة سنة ١٩١٩ لم تستطع أن تحقق اهدافها الا ان اخطائها كانت درسا مفيدا للشباب الذى واصل حمل الامانة وواصل الكفاح فى سبيل مبادئه .

ولقد كانت اصداء انفجارات القنابل وطلقات الرصاص والتنظيمات السرية للشباب والشهداء الذين سقطوا صرعى فى اثناء مقاومتهم لقوى الاحتلال كلها تعبيرا عن موجات من السخط والغضب على كل من مدوا ايديهم الى الاحتلال وقبلوا وجوده وارتبطت مصالحهم بمصالحه .

ان مرحلة الغضب كانت تمهيدا للثورة . ولئن كان الغضب مرحلة سلبية فى تاريخ الشعوب فانه فى تاريخ الثورة المصرية كان مرحلة ضرورية .

ان الغضب بالنسبة للشعب المصرى ــ الذى حاول الاستعمـار وصنيعته تحـالف الاقطـاع والراسمالية منعه من التطور الطبيعى ــ كان طاقة عاطفيـة ضخمة الهدف بمشاعره وتهيئـات قواعده للتغيير الجذرى الذى اعدته طليعة مؤمنة من الشباب المصرى سنة ١٩٥٢ .

ان الشباب الذى كان غضبه تعبيراً عن ارادة التغيير التى لم تضعف وتمهيدا للتعبئة الشعبية الواسعة التى مهدت للثورة . هو نفسه الذى مارس بالايمان وبالشجاعة دوره التاريخى فى الاعداد الواعى للتغير الثورى الذى بدأ فى يوليو سنة ١٩٥٢ .

ان الشباب كان دائما الجسر الذى استطاعت الجماهير المصرية ان تنقل بواسطته اسرار آمالها وارادة التغير فيها من جيل الى جيل عبر تاريخها الطويل .

والميثاق فى بحثه للتطبيق الاشتراكى ومشاكله عبر عن ايمـانه العميق بالشباب حينما قال (٢) «القيادات الجديدة المتصدية لتحريك التطور الوطنى قوة هائلة لابد من حمايتها لتؤدى رسالتها الوطنية بالنجاح المطلوب .

لقد شرح الميثاق دور الاستعمار والرجعيـة فى محاولة استنزاف طاقات الشباب الثوريـة ادراكا منهم للدور الخطير الذى يمكن للشباب ان يلعبه فى تطوير المجتمع وتقدمه :

أولا ان قوى الاستغلال حرصت دائما على سيطرة المفاهيم المعبرة عن مصالحها الاقتصادية . على نظم التعلم ومفاهيمه بحيث اصبحت تلك النظم لاتصـبح الا بشعارات الاستسلام والخضـوع كما ان اجيالا كثيرة من الشباب لقنت زورا ان بلادها لاتصلح للصناعة ولاتقدر عليها . ان هذا التزييف المتعمد كان يهدف الى تعويق اى نهضة صناعية على اكتاف الشباب ادراكا منهم بان تقدم الصناعة وما يتبعها من تطور فى قوى الانتاج وعلاقاته وانعكاسات ذلك الاجتماعية السياسية انما تفتح الباب على مصراعيه امام احتمالات التغيير الثورى التى ستهدم حتما الاوضاع الاقتصادية القائمة على الاستغلال وتصفى المصالح الطبقية المرتبطة بالاحتكارات الاجنبية .

ثانيا ولقد كان الاستعمار دائما يقدر تماما مدى خطورة التراث الفكرى والحضارى المصرى والعربى واثرهما البالغ فى ضمان استمرار ارادة التغيير الثورى لدى الجماهير ونقلها عبر الاجيال الجديدة لتكون نبراسا لكل مصرى ولتنقل مع سر الحياة الى الدماء الشابة روح المقاومة التى تميز بها الشعب المصرى والتى مكنته من ان يثور دائما على قوى البغى والاستغلال ولذلك عمد الاستعمار الى تزييف التاريخ الوطنى واحاط الخونة بهالات من التمجيد وحاول ان يطمس عظمة ابطاله وامجادهم

(١) الباب الثالث من الميثاق (٢) الباب الثامن من الميثاق

الخالدة حتى يعزل الجماهير عن جذورها التاريخية ان هذا المخطط الرهيب يظهر جليا بكل بشاعته فى تلقين اجيال عديدة من الشباب المصرى تاريخها الوطنى على غير حقيقتــه وصــور لهم الابطال الحقيقيين تائهين وراء سحب من الشك والغموض بينما وضعت هالات التمجيد والاكبار من حول الذين خانوا كفاحها (٣) .

ثالثا : ولقد حاول الاستعمار والرجعية ان يعزلا دائما القيادات الشبابية عن قواعدها الجماهيرية وان يربطا الطلائع المتفتحة بالعلم بالمصالح الطبقية للتحالف المستغل . ان اجيالا متعاقبة من شباب وادى النيل قد انتظمت فى سلك المدارس والجامعات والهدف من التعليم كله لايزيد عن تخريج موظفين يعملون للانظمة القائمة وتحت قوانينها ولوائحها التى لا تأبه بمصالح الشعب دون اى وعى لضرورة التغيير الجذرى لتلك القوانين . ولئن كانت قلة مخدوعة قد استسلمت لهذا الاغراء الطبقى فان عمق الوعى الثورى واصالته قد ربط الغالبية من الشباب ربطا حقيقيا بقواعدهم الشعبية ولقد كان التحام هؤلاء الشباب بالشعب المعلم فى قواعده العريضة ضمانا حقيقيا حمى طاقة التغيير الثورى من التبدد عبر قرون طويلة من التخلف والاستغلال .. وظل الشباب بالرغم من كل تلك المحاولات الفاشلة من جانب الاستعمار واعوانه . قوة تحمى آمال الشعب وتقود نضاله ولقد واصل الشباب حمل راية الحرية فى كل مراحل الكفاح الوطنى ولازال الشباب وسيبقى دائما القوة التى تحمى هذا الوطن وتحافظ على مكاسبه .

ولقد حرص الميثاق وهو يرسم صورة المستقبل على ان يحدد ان الهدف الرئيسى فى المرحلة القادمة هو اعداد القيادات الجديدة اعدادا سليما ..

ولقد عبر الزعيم القــائد عبد الناصر عن روح الميثاق تعبيرا صادقا حينما قال (٤) :

- اننا نستطيع بالجمود والتعـــالى ان نصده ونعقده وبالتالى نعرقل تقدمه وتقدم امته .

- ان علينــــا بالصبر ان نستكشفه دون من عليه ولا وصاية .

- وعلينا بالفهم ان نقدم له تجاربنا دون ان نقمع حقه فى تجربته الذاتية .

- ان علينـــا فى رضى ان نفسح له الطــريق دون انانية .

- ان علينا ان نتيح له بفكره الحر ان يستكشف عصره دون ان نفرض عليه قسرا ان ينظر الى عالمه بعيون الماضى »

ان روح الميثاق تفرض علينا واجبات اساسية بالنسبة للشباب

اولا : «ان العلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية ومن هنا يبدأ الدور العظيم الذى لابــد للجامعات ومراكز العلم على مستوياتها المختلفة ان تقوم به » (٥) .

ولقد وصلت بنا المعرفة الانسانية ووصلنا بها الى نقطة التقت فيها الثورة كتغيير جذرى للمجتمع والعلم كمنظم لهذا التغيير ودليل اليه . ولئن كانت الثورة هى علم تغيير المجتمع فان العلم لم يعد دوره قاصرا فى هذه المرحلة على مجرد كشف القوانين التى تحكم التطور وتنظمه فحسب وانما اصبح العلم والاسلوب العلمى هما الوسيلة الوحيدة للعمل الثورى وصولا به الى اهدافه .

اننا قد تعدينا العصر الذى كان العلم فيه قضية تقدم وتخلف . اننا نعيش فى عالم اصبح العلم فيه هو الفرق بين الحرية والعبودية . ان جيلنا الجديد لايستطيع ان يتحمل مسئولية الدخول الى عالم الغد وسلاحه العلمى فى موقف الضعف او التخلف وشعبنا الثائر لايطيق ان يتحمل نتائج تخلف علمى يضعنا فى موقف التخاذل . ولابد ان يعكس العلم فى المرحلة القادمة المجتمع المصرى كما يتطور فى مرحلة التحول العظيم الذى نمر به . ولقد استطعنا فعلا ان نغير كثيرا من البرامج الدراسية ولكن يبقى ايضا امامنا مجهود مضن نبذله فى نطاق العلوم الانسانية كى تلاحق التغيير الجذرى الذى حدث فى البنيان المادى والاقتصادى فى المجتمع . لابد وان يكون العلم فى المرحلة القادمة من صميم المجتمع ولصالح هذا المجتمع ومن هنا يبدأ الدور العظيم الذى لابد للجامعات ولمراكز العلم على مستوياتها المختلفة ان تقوم به .

ثانيا : ومن جهة اخرى فان على القيادات الجديدة من الشباب ان تعى بعمق وايمان دورها الاجتماعى وان تحس بمطالب الشعب وان تنجح فى التعبير عنها وتجميع قوى الشعب وراء الجهود

(٣) الباب الثالث من الميثاق
(٤) خطاب الرئيس فى بدء ترشيحه فى مجلس الامة للفترة الجديدة من رئاسة الجمهورية
(٥) الباب الثامن من الميثاق

المحققة لها (٦) . واخطر ما يواجه الجيل الجديدهو السماح بفصل العلم عنمطالب الجماهير. ان قوة العلم الجباره قد تصبح عندئذ بالتامر والخديعةسلاحا تضرببه آمال الجماهيرومكاسبها، لابد انيصاحب النهضة العلمية وعىسياسى كامل لدى القيادات الجديدة ان مفاهيم الميثاق وهى المرآه الصادقه للمجتمع المصرى لابد ان تكون فى ضمير الجيل الجديد وفى عقله. ان ذلك هوالضمان الاكيد لاستمرار العمل الثورى لارادة الجماهير المصرية ولصالحها . ان ذلك يقتضى منالقيادات الجديدةايمانا واعيابالعمل السياسىطريقا واسلوبا وبخدمة الجماهير هدفا ومقياساحقيقيا لنجاحهولابد للقوى الوطنية وهى تسهم فى اعداد هذا الجيل ان تتسلح بالاصرار والمثابرة والصبر .

ان علينا بالصبر ان نستكشف القياداتالجديده وعلينا بالاسلوب العلمى ان نمكن الجيل الجديد بتجربته الخاصة من ان يكون اكثر وعيا واكثر صلابة واكثر طموحا من جيل سبق .

اكثر وعيا لانه يدخل فى مرحلته الحاسمة من السباق التاريخى نحو التقدم ومعه ذخيره غالية من التجربة الغنية التى حصلت عليها الاجيال السابقة على حساب عمرها . ثم هو جيل تفتحت امامه حرية الفكر وحرية العلم بعيدا عن التعصب وفى مأمن من التسلط والجمود . ثم هو يملك من ثقته بنفسه وانجازاته الثورية مايغنيه ويترفع به عن مجرد النقل او التقليد .

اكثر صلابة لانه يصل الى الصدارة ولم تطحنه المعارك المريرة التى استنفدت جزءا كبيرا من طاقة الاجيال التى سبقته ، ولم تترك فيه تناقضات الماضى الآثار النفسية التى عانى منها الجيل الذى سبق .

اكثر طموحا لأنه ينطلق نحو المستقبل وقد تحرر من قيود الاستغلال ومذلة الاحتلال . ثم هو جيل ذاق حلاوة النصر وانتشى بالتجربة الناجحة وهو جيل قد حظى بحماية الطليعة وتشجيعها ، ولم تصده مركبات النقص والجمود الفكرى ثم هوجيل مكنته الثورة من ان يصل الى الصدارة وهو فى شبابعمره. انه جيل لازال يشده ويجتذب انتباهه ميعاده مع فجر جديد اكثر من تعلقه بذكريات ماض بعيد .

وفى ظلمجتمع تكافؤ الفرص فانالمقياس الوحيد لثورية الشباب والمعيار الحقيقى لتضحيته هو العمل الخلاق الذى يساعد على تطوير المجتمع . ان مجالات التنافس الشريف فى السباقالاشتراكى الواعى لتحقيق اهداف الخطة هى المجال الطبيعى لظهور القيادات الجديدة ، والتجربة والممارسه هى الفيصل فى تحديد موقع كل شاب من المسئولية والثورية التى يتحملها هذا الجيل منآمال الجماهير وأمانيها . ان معركة الانتاج ومشروعات خدمة البيئة ومعسكرات العمل التطوعى هى مجالات الامتحان الحقيقى لقدرات الشباب الثورية وطاقاته الخلاقة .

ثالثا : ان القيادات الجديدة فى حاجة الى حماية وفى بعض الاحيان فان هذه القيادات فى حاجة الى حمايتها من نفسها (٧) . ان ذلك يقتضى من القوى الوطنية ادراكا واعيا لحقوق الجيل الجديد من الشباب وواجباته ادراكا كاملا :

- حق الفكر الحر وحق القول الحر . على ان يكون واضحا ان الفكر الحر طائر قد تقتله القيود ولكنه فى الوقت نفسه قابل للضياع فى متاهات التعصب او سراب الاوهام .

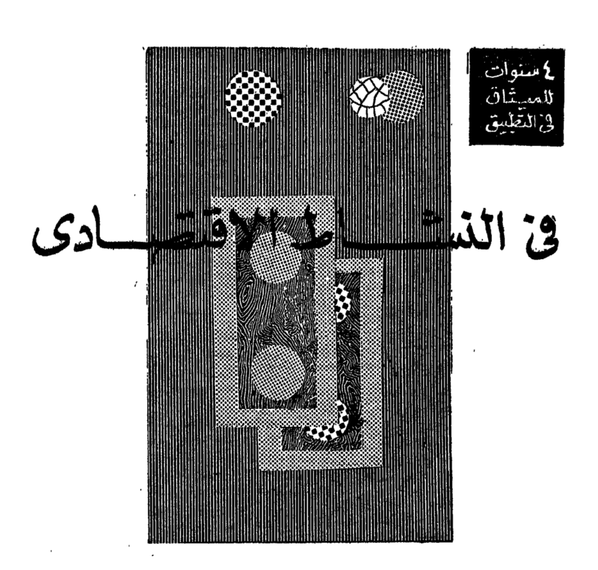
- حق التجربة والخطأ . على ان ذلك يقتضى دائما التعود على مواجهة الاخطاء والاعتراف بها والقدره الواعية على اصلاحها . وفرق كبير بين الوقوع فى الخطأ نتيجة للعمل وبين التغاضى عن الاخطاء والتمادى فيها : النوع الاول طريق النضوج والنوع الاخير بداية الانحراف .

- حق الحماية من الغير ومن النفس . ان الشعب المعلميستطيع دائما انيحافظعلىالقيادات الجديدة بالرقابة الشعبية الواعية وبالنقد والنقد الذاتى . والتحام القيادات الجديدة بالجماهير يحفظ دائما طاقتها الثورية ويمدها بمورد متجدد من الطاقة والمناعة .

- حق الرعاية والنصح بعيدا عن المن وبغير قهر . ان الكلمة الطيبة والنصح الخالص مصابيح تضىء طريق الجيل الجديد وطاقة دافعة له . والمن والقهر ضباب يحجب الرؤية ويشل التفكير ويقضى على ثقة القيادات بنفسها وبقدراتها .

ان منظمة الشباب وهى التعبير الصادق من القيادة السياسية عن ايمانها العميق بالمستقبل بقدر ثورتها على اوضاع الماضى هى أمل حقيقى للجماهير العربية التى تنظر الى الجيل الجديد بعين الامل والرجاء. والشعبحين يحتفل بالذكرى الرابعة لاقرار الميثاق الوطنى يرى الامل والواقع قد أوشكا على التلاقى عند نقطة يقف فيها آلاف من الشباب استطاعوا فى معسكراتهم وفى مجالات الخدمة العامة ان يمزجوا الايمان بالتجربة والعلم بمطالب الجماهير والوعى السياسى القائم على المناقشة والاقناع بالممارسة الحقيقية فى خدمة الجماهير وتحقيق آمالها .

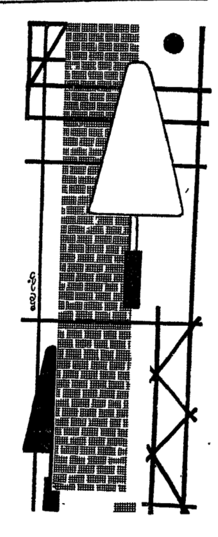
(٦) و (٧) الباب الثامن من الميثاق



يتبنى الميثاق بوضوح حاسم الاشتراكية طريقا للتطور ، ويتخذ من التخطيط العلمي الشامل وسيلة أساسية لبناء اقتصاد وطنى نام ومتطور تسوده العلاقات الاشتراكية .

وفى اطار هذا الاقتصاد يقوم الآن القطاع العام كقوة رئيسية قائدة للنشاط الاقتصادى وبجانبه قطاع خاص .. فكيف تجرى العلاقة بينهما وما هى الصعوبات والمشاكل التى ظهرت خلال العمل وما هو الطريق الى حلها طبقا للميثاق ؟ ..

● خريطة الاقتصاد القومى بين القطاع العام والقطاع الخاص ص ٦٩
● نحو تنظيم جديد شامل للقطاع العام ص ٧٦
● الرقابة الشعبية على النشاط الاقتصادى ص ٨٤
● اضواء على اتجاهات الراسمالية الوطنية ص ٩٦



خريطة الاقتصاد القومى .. بين القطاع العام والقطاع الخاص

د. عبد الرازق حسن

حينما صدرت التشريعات الاشتراكية فى منتصف سنة ١٩٦١ دار التساؤل حول شكل العلاقات المادية فى المجتمع ، واتجاهات التطور فيه ، فوضع الميثاق فى مايو سنة ١٩٦٢ ليرسم اطار العمل فى مرحلة التحول الاشتراكى ، ويبين أن الاساس الذى يقوم عليه العمل هو الديمقراطية، التى هى تأكيد لسيادة الشعب ، والتى لا تتأتى الا عن طريق سيطرته على ادوات الانتاج .

ويتم اشراف الشعب على هذه الادوات عن طريق الممثلين الحقيقيين لقوى الشعب العامل ، وهم ــ كما اشار الميثاق ــ الفلاحون والعمال ، والجنود ، والمثقفون ، والراسمالية الوطنية ، الذين يضمهم تحالف يقوم على انقاض التحالف المستغل القديم الذى كان يدور على محور الاقطاع والراسمالية ، ويحركه الاستعمار .

والجدير بالاهتمام انه نتيجة لان التحول الاشتراكى قد تم فى جو سلمى ، فقد كان طريق تحالف قوى الشعب هو الطريق الذى يمكن أن تذوب فيه الفوارق وتزول التناقضات ، وبمعنى آخر يحل «الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات» كما ذكر الميثاق ، بشكل سلمى «فى اطار الوحدة الوطنية » .

ويقوم اساس العمل الاشتراكى تبعا للميثاق على «سيطرة الشعب على أدوات الانتاج» لانه عن طريق هذه السيطرة يمكن القضاء على عوامل التناقض والتنافر فى المجتمع التى تنبع اساسا من فوضى الحرية الخاصة فى تملك ادوات الانتاج وما تنتهى اليه عادة من تركزها فى يد فئة قليلة تستغلها فى تشكيل الانتاج تبعا لاهوائها ، وتتمكن عن طريقها من الوثوب الى جهاز الحكم لتفرض ارادتها على المجتمع . فالهدف من سيطرة الشعب على أدوات الانتاج اذن هو تجميع الطاقات المادية والبشرية لتحقيق الاهداف العامة ، واقفال بابى الاستغلال .

وهـذه السـيطره التى يشير اليها الميثاق **((لا يستلزم تاميم كل وسائل الانتاج ، ولا تلغى الملكية الخاصة ، ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها))** وانما يمكن الوصول اليها عن طريق **((خلق قطاع عام قادر ، يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنميـة))** ويقوم الى جانبه **((قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال))**.

وارتكاز الانتاج فى مرحلة تحولنا الاشتراكى الى القطاعين العام والخاص يرجع اساسا كما ذكرنا الى الشكل السلمى الذى اتخذه هذا التحـول ، وما ارتبط به من تحالف قوى الشعب العاملة ذات المصالح والاهداف المتقاربة ، ولا يعنى الاعتراف بالقطاعين فى عملية الانتاج انهما تتنافسان ، او يمكن الاستفادة منهما بتغذية روح التنافس والصراع بينهما ، بل يعنى ضرورة عملهما فى اطار الخـطة العامة وتعاونهما لتحقيق اهدافها ، مع ملاحظة أن تكون القيادة فى جميع المجالات للقطاع العام .

وسنحاول فى الاتى ان نبين الحدود التى رسمها الميثاق لعمل كل من القطاعين العام والخاص ، وما كان يهدف اليه ، وما تحقق من هذه الاهداف منذ صدوره حتى الان .

اطار عمل القطاع العام

يشير الميثاق الى **((ان النضال الوطنى لجماهير الشعب هو الذى صنع نواة القطاع العام بتصميمه على استرداد المصالح الاحتكاريه الاجنبية ، وتاميمها واعادتها الى مكانها الطبيعى والشرعى وهـو الملكية العامة للشعب كله))** كقناة السـويس ، ومرافق الكهرباء والمياه ، والمواصلات الداخلية ، وقد أضاف النضال لرصيد هذا القطاع كل الاموال البريطانية والفرنسية التى كانت قد سلبت مـن الشعب تحت ظروف الامتيازات الاجنبية .

وكانت نواة القطـاع العـام هى المؤسسـة الاقتصادية ، التى انشئت بعد العدوان ، (فى يناير سنة ١٩٥٧) وآل اليها وقتذاك كل ما كانت تملكه الدولة فى المجال الاقتصادى ، واشترت من الحراسة النصيب الاكبر من أموال الاعداء ، وقامت بانشاء او المساهمة فى بعض المشروعات الحيوية التى ترتكز عليها التنمية ، وقدرت المؤسسة باستثمارات قيمتها ٤ر٢٢ مليون جنيه ، وتزايدت بدرجة كبيرة حتى بلغت ٩ر٦٤ مليون جنيه فى نهاية سنة ١٩٥٩ .

وقد ساهمت المؤسسة حتى مرحلة التحـول الاشتراكى فى ٩١ شركة ، وكان لها حق الاشراف على ٤٩ شركة منها ، وهى تلك التى تبلغ حصتها فيها ٢٥٪ من رأسمالها على الاقل . وتركزت استثمارات المؤسسة فى البنوك وشركات الثروة المعدنية والتجـارة والنقـل والغزل والنسـج والتامين .

وقد تعزز مركز القطاع العام فى فبراير سـنة ١٩٦٠ (قبيل تنفيذ الخطه العامة للتنمية) بتاميم بنك مصر الذى كان يسيطر على قطاع هام مـن الشركات الصناعية والتجارية (عددها ٢٧ شركة) ويحوز حوالى ثلث اصول البنوك التجارية مجتمعة ويتحكم فى قدر كبير من ودائع الجهاز المصرفى قدر بحوالى ٤٠٪ . كما تعزز بتاميم البنك الاهـلى المصرى فى نفس الوقت ، وكان البنك الاهـلى يقوم بدور البنك المركزى ويرسم ويوجه السياسة الائتمانية ، ويراقب الجهاز المصرفى .

وقوى كيان القطاع العام بتاميم الاسـتثمارات البلجيكية فى ديسمبر سنة ١٩٦٠ التى كانت مستغلة فى مجال المرافق العامة (النقل والكهرباء) وأراضى البناء ، والفنادق ، والبنوك ، وكانت قيمتها تبلغ بضعة ملايين من الجنيهات .

وقد كان قيام القطاع العام قبل التشريعـات الاشتراكية الجذرية التى اتخذت فى منتصف ١٩٦١ مدعاة للتساؤل وهل الهدف منه تأكيد حق الشعب فى تشكيل اوضاعه الاقتصادية ، ام ان الهـدف هو حفز الاستثمار الخاص وتوجيهه الوجهة التى تساعد على التنمية ، وهل القطاع العام أنـشىء ليبقى عنصرا فعالا فى الكيان الاجتماعى ، اى عنصر موازنة ، أم انشىء ليواجه مرحلـة حتى يطمئن الافراد وتزداد امكانياتهم ويصفى بعد ذلك .

كانت هذه التساؤلات تمثل فى الواقع وجهتى نظر مختلفتين الاولى ترى ان التنمية فى المجتمعات المستقلة حديثا ، وتلك المتخلفه التى تحاول اللحاق بركب الحضارة لايمكن ان تتم بالاساليب الاقتصادية القديمة ، وفى ظل علاقات اجتماعية يسود فيـها حكم القلة من الطبقة المالكة لادوات الانتاج ، لان موازين القوى فى العالم قد تغيرت ، واسـتمرار الاوضاع القديمة لن يؤدى الا الى التبعيـة الاقتصادية للراسمالية العالمية ، كما أن اى محاولة لاقامة صناعة وطنية ، مهما كان مستواها ، يتطلب اقامة أسوار عالية من الحماية تؤدى فى النهايـة الى زيادة حدة التناقضات فى المجتمع ، وتفتيـت القوى الاجتماعية ، فضلا عن ان الامكانيات الفردية

ضعيفة لايمكن الاعتماد عليها فى بناء اقتصاد متوازن . وكان ينتهى هذا الراى الى ان الاشتراكية هى الحل الحتمى الوحيد للتقدم ، ويستند فيه الى ما اعلنته الثوره عند قيامها بأنها قامت للقضاء على الاقطاع ، والاحتكار ، وسيطرة راس المال على الحكم ، واقامة عداله اجتماعية .

اما وجهه النظر الاخرى فكانت تتمسك بالاوضاع والقيم السائده . لانها عاشت فيها وتجد من الصعوبه تصور اى تغير فيها . وكانت من ناحيه اخرى ترى ان الامكانيات الفرديه لم تستنفد بعد . وان الاداره الحكوميه لا يمكن الاطمئنان اليها للقيام باى عمل ايجابى . وكانت تستند فيما تبديه الى ما تتمتع به البلاد الراسماليه من ارتفاع فى مستوى المعيشه . وما يشوب الاجهزه الحكومية من بيروقراطية ونقص ، وترى ان العدالة يمكن ان تتحقق بتعديل النظام الضريبى بالشكل الذى يضمن امتصاص قدر من الدخول العالية او الارباح الاحتكاريه واتفاقها على المشروعات التى تستفيد منها الطبقات الفقيره . وكانت هذه النظره تفتقر الى الموضوعيه لانها تتجاهل الظروف التى تعيش فيها النظم ، وتعمل فيها الاجهزه العامه . ولا تلقى بالا الى عنصر العدالة الاجتماعيه ، وما يعنيه من ضرورة قيام الاقتصاد على اسس ذات طبيعه خاصة لتحقيق الاهداف العامه ، وان نظم الضرائب مهما بدت جاذبيتها لا يمكن ان تفى بهذا العرض . وانه ليس من الطبيعى أن تقوم الدولة بمشروعات فشلت الامكانيات الفردية فى اقامتها ، ثم تعيدها الى حفنة من الافراد بعد ان تصبح ناجحة .

وقد حسمت التشريعات الاشتراكية هذا الجدل فى منتصف سنة ١٩٦١ بتاميم بعض قطاعات الانتاج . وتحديد الملكيه فى قطاعات اخرى ، ووضع حدود دنيا وعليا للاجور ومنح العاملين حق الاشتراك فى ادارة المشروعات الاقتصادية وحق الحصول على قدر من فائض العملية الانتاجية ، او الربح . ورسم الميثاق اطار عمل القطاع العام الذى يتلخص فى :

● **الملكيه العامة لهياكل الانتاج الرئيسية** كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة والسدود ، ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العامة . كما تدخل فى هذه الملكية مراكز تجميع الاموال وهى البنوك وشركات التامين .

● **الملكية العامة فى غالبيتها فى مجال الصناعات** الثقيلة والمتوسطة والتعدينية ، ويقوم القطاع العام بدور فى الصناعات الخفيفة يمكنه من توجيه الانتاج للصالح العام .

● **الاشراف الكامل للشعب على التجارة الخارجية** عن طريق قيام القطاع العام وحده بتجارة الاستيراد ، أما تجارة الصادرات فتكون له الغالبيه فيها التى يمكن تحديدها بحوالى ثلاثة ارباع الصادرات . وللقطاع العام دور فى التجارة الداخلية فى حدود الربع .

وقد تطلب بناء القطاع العام توسيع قاعدته فى السنوات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، وشمل ذلك الكثير من الشركات التى كان تاميمها جزئيا فى سنة ١٩٦١ كشركات الغزل والنسيج الكبرى والسكر والتكرير والتعدين ، والكيماويات . وبعض شركات البترول وشركات المقاولات ، كما شمل مجموعة كبيرة من المطاحن والمخابز والمضارب ، وشركات النقل التى تزيد وحداتها عن عدد معين . وتطرق الى بعض الخدمات الصحية فاممت مجموعة من المستشفيات الكبيره لتكوين نقطة ارتكاز لتنفيذ الرعايه الصحية التى اشار اليها الميثاق .

وبالرغم من عدم وجود بيانات رسمية يمكن الاعتماد عليها للجزم بان الحدود التى رسمها الميثاق للقطاع العام قد أحكمت ، الا أنه من الملموس أن بعضها قد احكم فعلا . فهياكل الانتاج الرئيسية ومراكز تجميع المدخرات فى داخل اطار الملكية العامه . كما أن الصناعات الثقيله والمتوسطة والتعدينيه فى غالبيتها يمتلكها الان القطاع العام ، غير ان النقاش مازال يدور حول دور القطاع العام فى الصناعات الخفيفة ، وفاعليته فى مجال التجارة والخدمات ، وسنحاول أن نعالجه فيما بعد .

اطار عمل القطاع الخاص

حدد الميثاق اطار عمل القطاع الخاص بشكل مباشر حينما حدد نصيب القطاع العام فى مجالات الانتاج ، وبشكل غير مباشر حينما أغفل الاشارة الى بعض القطاعات التى يزاول الافراد نشاطهم فيها .

والسماح بالمبادرة الفردية فى بعض مجالات الانتاج عندئذ ترجع اساسا الى طبيعة الظروف التى نمر بها ، فنقص اموال الاستثمار فى يد الدولة قد

تتطلبه التنمية، وعدم امكان القطاع العام الاستفادة من جميع الطاقات العاملة فى المجتمع يؤدى الى ضرورة الاستعانة بالامكانيات الفردية المادية والبشرية اينما تكون . والاشتراكية — كما لاتحتاج الى تأكيد — يهمها اولا اقامة نظام متوازن تسود فيه العدالة ، ولهذا تعمل على تعبئة وتوجيه الطاقات للخدمة والمصلحة العامة وهو ما يتناقض مع مصلحة الفرد أو حوافزه .

وفى كلامنا عن حدود نشاط القطاع الخاص علينا ان نفرق بين النشاط فى مجالين ، مجال الانتاج السلعى ، ومجال الخدمات ، ويتميز المجال الاول بوجود ادوات انتاج يملكها البعض ، ويعمل فيها فئة من العمال ، أما المجال الثانى فيعتمد على عنصر العمل ، وتختفى فيه ادوات الانتاج . وفى المجال الاول يظهر التناقضات الاجتماعية وتتفاقم مع تضخم أدوات الانتاج ، لان عملية الانتاج تتحول من انتاج بهدف الحصول على دخل لسد المطالب الفردية ، الى انتاج بهدف تكديس الربح والسيطرة على المقاليد الاجتماعية ، ومع تضخم أدوات الانتاج تنفصم العلاقة بين العمال وملاك تلك الادوات ، ولهذا لم يكتف الميثاق برقابته للقطاع الخاص عن طريق التشريع او المساهمة فى جزء من راس المال كما كان الحال قبل سنة ١٩٦١ ، بل وضع للقطاع الخاص حدودا لايتعداها فى الصناعات الثقيلة والمتوسطة والتعدينية . وان كان قد ترك المجال بشكل اوسع فى الصناعات الخفيفة التى ينخفض فيها حجم رأس المال ، ويقل عدد العمال ، ويعتمد الانتاج فى الغالب على مايسمح به القطاع العام من أدوات أو خامات ، لذلك أكتفى الميثاق بالاشارة الى ان للقطاع العام فى هذا المجال دور يتركز فى ابعاد القطاع الخاص من الاحتكارية التى قد يتجه اليها ، لو وجد المجال رحبا أمامه .

هذا وقد اكتفى الميثاق فى مجال الزراعة بقوانين الاصلاح الزراعى التى وضعت حدودا عليا للملكية وهى ١٠٠ فدان ، وان كان قد نص على أن «روح القانون تفرض أن يكون هذا الحد شاملا للاسرة كلها . . . وذلك حتى لا تتجمع ملكيات فى نطاق الحد الاعلى تسمح بنوع من الاقطاع» .

هذا بالاضافة الى أن قوانين الاصلاح الزراعى قد نظمت العلاقة بين الملاك والمستأجرين ، كما انها ربطت بين المنتفعين الذين وزعت عليهم الارض — فى جمعيات تعاونية .

اما النشاط فى مجال الخدمات فيعتمد على جهود الافراد ، ولا تلعب ادوات الانتاج دورا يذكر فيها ، وتتشكل الخدمات تبعا لاحتياجات المجتمع والفائض فيها يتكون فى الغالب من مدخرات وليس من استغلال الطبقة العاملة ، ولهذا نجد الميثاق قد ترك المجال مفتوحا فيها بدرجة كبيرة للقطاع الخاص ، كالتجارة الداخلية ، والخدمات المهنية والترفيهية .

وهنا قد يثور الجدل حول نوع من الخدمات يؤثر فى اتجاهات الانتاج ، ولا يتضمن ادوات انتاج كالاسكان ، والتعليم والصحة ، فالتحكم فيها يثير الكثير من الاشكالات .

وقد اشار الميثاق بالنسبة للاسكان الى ان قوانين الضرائب التصاعدية ، وقوانين تخفيض الايجارات ، والقوانين المحددة لقواعد ربطها ستبعدها عن مجالات الاستغلال ، واستدرك فى نفس الوقت — حتى لا يترك مجالا للعبث — فأشار الى أن الرقابة على الاسكان أمر ضرورى، وأكد أن الاسكان التعاونى يمكن أن يكون عامل موازنة يقضى على فرص استغلال الملاك للمستأجرين .

مشاكل التطبيق

كان الاخذ بأسلوب العمل الاشتراكى فى بلادنا هو الحل الحاسم لمشاكل التخلف واختلال التوازن الاقتصادى والاجتماعى ، وكان اسلوبنا فى العمل يختلف عما اتبعته البلاد الاخرى ، لانه اعتمد أساسا على واقع وظروف المجتمع المصرى فى حركته ونموه ، ويؤكد الميثاق «أن التسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعى ليس معناه قبول النظريات الجاهزة ، والاستغناء بها عن التجربة الوطنية» كما أن اية حركة شعبية ، فى تصديها لمسئولية العمل الاجتماعى ، لا تملك أن تستغنى عن التجربة وعليها أن تستفيد فى نفس الوقت بتجارب الغير .

وكان للثورة السلمية — كما ذكرنا — اثرها فى قيام تحالف قوى الشعب ، ووجود القطاع الخاص تحت اسم الرأسمالية الوطنية يعمل فى اطمئنان الى جوار القطاع العام .

وقد حقق التحول الاشتراكى الكثير مما كنا نرجو ، فقد ارتفع معدل التنمية ، وزاد نصيب العاملين فى العملية الانتاجية ، وعلى سبيل المثال

لا الحصر نجد أن معدلات النمو السنوى للدخل ند زادت من ٥ر٣٪ فى سنة ٦١ — ٦٢ الى ما بتراوح بين ٥ر٥٪ ، ٨ر٨٪ فى السنوات ٦٢ — ٦٢ — ٦٤ — ٦٥ . وبلغ معدل النمو فى الصناعة ,الكهرباء وحدهما فى السنوات ٦١—٦٢—٦٤—٦٥ حوالى ٥ر٨٪ وهو معدل مرتفع اذا قورن مثيله فى البلاد النامية التى يقل فيها عن نصف مذا القدر . وزاد نصيب العاملين فى الدخل من ٥ر٤١ ٪ فى سنة ٦٠ — ٦١ الى ٧ر٤٦ ٪ فى سنة ٦٤ — ٦٥ ، وذلك بالاضافة الى أن جزءا من الدخل الذى يتمثل فى عوائد حقوق التملك قد عاد على الزراع الذين استفادوا من التملك نتيجة نوانين الاصلاح ، كما ان عوائد حقوق التملك فى القطاع العام قد عاد جزء منها على العاملين فى ذلك القطاع ، وتحول الباقى الى ميزانية الدولة لمقابلة احتياجات الانفاق العام او التنمية ، غير انه بالرغم من ذلك كله فاننا نجد بعض المشاكل تقوم من وقت الى آخر فى داخل كل من القطاعين العام والخاص ، او بين القطاعين ، وبعض هذه المشاكل ترجع اما الى الخروج عما نص عليه الميثاق او تفسيره بما يتناقض مع الروح التى أملته .

والمسألة الاولى التى تواجهنا هى هل قام القطاع العام بدوره القيادى فى التقدم ؟ والاجابة على ذلك يمكن أن نلمسها فى زيادة الانتاج ، وتحقيق الكثير من أهداف التنمية ، كما يمكن أن نلمسها أيضا من بعض الاخطاء التى تثار من وقت الى آخر كنتيجة لتسلل بعض العناصر الانتهازية اليه . وقد قوى المركز المادى للقطاع العام كنتيجة مباشرة لتاميم مراكز تجميع المدخرات ، والمشروعات الصناعية الكبرى ، وقسما طيبا من المتوسطة ، ونتيجة لسيطرته على التجارة الخارجية وادارته لبعض المشروعات التجارية ، غير ان القطاع واجه الكثير من النقد نتيجة لبعض الاخطاء التى اكتنفت ادارته ، فبعض المديرين تصوروا ان كفايتهم تظهر بتحقيقهم لاكبر قدر من الربح فعمدوا الى رفع الاسعار ، وتصور البعض الآخر انه غير ملتزم بتحقيق الربح فلم يعبأ بزيادة مصروفات التشغيل والمصروفات العامة ، ونسى هؤلاء وأولئك أن العبرة هى العمل للرخاء العام ، وتحقيق التوازن الاجتماعى ، وهذا يقتضى حسن تشغيل الموارد العامة ، وأن تحقيق الربح مقبول اذا تضمن خفض التكاليف ، أو زيادة حجم المبيعات ، أو اذا كان مخططا بهدف امتصاص جزء من القوة الشرائية . وبالتالى فان اكتفاء بعض مشروعات القطاع العام بدور الوساطة كما يحدث بالنسبة لعمليات المقاولات ، والتجارة الخارجية لا يتمشى مع روح الميثاق ، ويخشى ان يؤدى ليس الى سيطرة القطاع العام ، وانما على العكس الى ترك القياد للقطاع الخاص الذى لا يجد ما يكبح زمامه .

وقيادة القطاع العام لعملية الانتاج والنمو ، تقتضى الدراسة الدائبة لمشاكل الانتاج ، والتكاليف والتسويق ، والبحث عن مجالات جديدة لتشغيل طاقاتنا القومية . وهنا نجد أن الامر يفرض تناسق العمل بين وحدات البحث ، والتخطيط ، والتنفيذ لا ان تترك الامور لعفوية الظروف .

وقد سادت فى الفترة الاخيرة نغمة اللامركزية والمناداة بمنح مديرى الوحدات سلطات كبيرة فى التنفيذ ، وهذا الامر يحتاج الى التفكير ، حتى لا يتحول الامر الى انفراد هؤلاء المديرين بالسلطة وفقدان ركن أساسى لتجربتنا الرائدة باشراك العاملين فى الادارة ، لان المسألة ليست مسألة انتاج مادى فحسب ، وانما مسألة اجتماعية من الدرجة الاولى . واذا كان بعض مندوبى العاملين لم يكونوا فى مستوى المسئولية الملقاة على عاتقهم فاننا يجب ان ندرك اننا نمر بتجربة جديدة ، هذا فضلا عن ناحية أخرى وهى ان نسبة طيبة ممن يشرفون على أجهزة القطاع العام لم يسبق لهم ممارسة العمل الاشتراكى ، او حتى الاهتمام بالفلسفة الاشتراكية ، وعليهم ان يعيدوا النظر فى كثير من المفاهيم التى يتاثرون بها حينما ينادون بالتغيير ، حتى لا يحيدون عن الطريق فى حماسة الرغبة فى اثبات كفايتهم .

والمسألة الثانية التى تحتاج الى جواب هى هل يسيطر القطاع العام فعلا على أدوات الانتاج والرد على ذلك يمكن أن نستشفه لو حللنا أوضاع القطاع الخاص ، فقد ترك للراسمالية الوطنية مجال للنشاط الاقتصادى باعتبارها عاملا فى تحالف قوى الشعب ، وعلى أساس انها اقرب الى الشعب فى مصالحها واهدافها . وقد رسم الميثاق كما رأينا الاطار الذى يتحرك فيه القطاع الخاص ، فى الارض ، والصناعة الصغيرة ، والتجارة الداخلية ، والخدمات ، ووضع شرطا اساسيا لعمله وهو البعد عن الاستغلال ، وقبول رقابة وقيادة القطاع العام ، غير أنه قد زادت شكوى المتعاملين مع القطاع الخاص فى الفترة الاخيرة ، على اساس عدم التزام القطاع بروح الميثاق ، وظهور الانحرافات الكثيرة فيه . ويرد العاملون فى القطاع على ذلك بأن الفرص الكافية لم تتح لهم لاثبات كفايتهم ، وأن مايبدو من استغلال فى تصرفات البعض منهم انما ترجع الى ظروف مرحلة التحول التى نعيش فيها ، والمسألة بالتالى تحتاج

الى بعض التحليل قبل الوصول فيها الى رأى سيما وان القيم الاشتراكية لم ترسخ بعد لدى الكثيرين، فما زال مفهوم الفرص والربح السريع تؤثر فى مجال نشاط العاملين فى القطاع الخاص الذى يضم فئات غير متجانسة، ذات اهداف متباينة . كما أن البعض يجد أن متطلبات الحرفة استغلال الاخطاء التى يقع فيها القطاع العام أو اجهزة الدولة . وهناك مجموعة تعيش فى جو من الشك والخوف من المستقبل، الشك لانهم تعودوا العيش دون رقابة جادة، ويتصورون الرقابة وسيلة للحد من نشاطهم والخوف من ان يؤدى كشف بعض الانحرافات فى مجال عملهم الى تأميم مشروعاتهم وهذه المجموعة تتجه الى تفتيت استثماراتها فى نواحى متباينة، وتهتم باستغلال ما فى ايديها من موارد فى القيام بالصفقات التى يمكن تصفيتها بسرعة ويكسب مضمون .

لقد سار قسم من القطاع الخاص فى طريق العمل الجاد فى مجال الصناعات الصغيرة، وتجارة التجزئة، والخدمات، غير ان هناك قسما آخر استغل ظروف التنمية وما يرتبط بها من نقص فى بعض المواد، وزيادة القوة الشرائية فى المجتمع واتخذ لنفسه سبيل الربح السريع عن طريق اعمال المقاولات من الباطن، ومقاولات عمال التراحيل، والمضاربة على المنتجات، واستغلال نقص بعض السلع وتصريف منتجات رديئة، او بيعها فى السوق السوداء باسعار عالية، وقد اكتسب هذا البعض اسم الرأسمالية الطفيلية تفرقة له من الرأسمالية الوطنية .

ومن أهم مجالات الاستغلال الجديدة التى فتحت لتشرئب اليها تطلعات بعض عناصر القطاع الخاص هى الاسكان، وتجارة قطع الغيار، والخضر والفاكهة وصناعة الالبان، والنقل باللورى، وهى المجالات التى مازال نشاط القطاع العام فيها محدودا اذ ان القسم الغالب من الاسكان فى يد الافراد وما سمى بالاسكان التعاونى انحرف به الطريق عن التعاون . كما ان الزراعة فى يد الافراد لا يمكن التحكم فى أسعار منتجاتها الا اذا توافر للقطاع العام من الامكانيات ما يستطيع به أن يحدث التوازن المطلوب، وبالرغم من كبر امكانيات القطاع العام فى النقل الا انه مازال قاصرا عن الوفاء باحتياجات الافراد الامر الذى يسهل على البعض استغلال فرص الطلب المتزايد .

وقد اشار السيد الرئيس فى خطابه — فى الاحتفال بالعيد القومى للسويس فى اواخر مارس الماضى الى قضية التطلعات التى يعيش فيها بعض العاملين فى القطاع الخاص، ومحاولتهم تغطية استغلالهم بتضخيم اخطاء القطاع العام .

والمسألة الجديرة بالاهتمام فى هذا المجال مشكلة حدود الملكية، فمازالت حدودها كما وضعها قانون الاصلاح الزراعى الثانى فى يوليو سنة ١٩٦١، وهى جعل الحد الاعلى للملكية للفرد وليس للاسرة، الامر الذى يؤدى الى تجمع بعض الملكيات بما يسمح بنوع من الاقطاع وهو ما اشار اليه الميثاق وكان يحذر منه، ولعل قصص ما يجرى من صراع فى الريف وآخرها قصة قرية كمشيش ما يوضح خطورة هذه المسألة . وقد لا تكون المشكلة مشكلة حدود للملكية، ولكن سيادة مفاهيم معينة، اذ من الممكن ان نجد بعض الملكيات تتفتت فى نطاق البالغين، ولكن تحكمها ادارة رب الاسرة كما هى الاوضاع فى الريف، وتغيير هذه المفاهيم يحتاج الى وقت، ويحتاج الى تغيير فى شكل الانتاج وعلاقاته فى الريف ومراقبة هذا التغيير .

انه بالرغم من اخطاء القطاع العام، فانه يمكن مواجهتها، وتصحيحها طالما الشعب هو صاحب السلطة فى النهاية، وعن طريق رقابته تتكشف الاخطاء، ويبعد المسيئون، أما الخطر فيكمن فى الراسمالية المستغلة، الراسمالية الطفيلية التى تتمسح فى الراسمالية الوطنية . ولهذا كانت فاعلية سيطرة القطاع العام وتأكيد هذه السيطرة على ادوات الانتاج وعلى القطاع الخاص نفسه مسألة يجب أن تنال منا كل اهتمام حتى لا يصبح هذا القطاع عنصرا مناوئا للقطاع العام، ومعرقلا لفاعليته .

كيف تتم سيطرة القطاع العام ؟

تقتضى الاجابة على ذلك السؤال، النظر الى مكونات القطاع الخاص لتباينها فى الظروف، وفى التأثير والتأثر .

فالملكية الخاصة فى الزراعة، وهى الغالبية، وتنتج أكثر من ٩٠٪ من قيمة الانتاج الزراعى يمكن اخضاعها للسيطرة العامة عن طريق قيام نظام واضح للانتاج الزراعى، وبيع السماد

والبذور ، ومنح القروض الزراعية ، وتصريف المحاصيل وهو ما قطعت فيه الدولة خطوات واسعة . ومهما قيل من خبرة بعض ملاك الارض الا ان ترك الحرية لهم فى زراعة ما يشاءون وتسويقهم للمحاصيل تبعا لما عليه اهوائهم امور لا تتفق مع التخطيط فى شىء ، ويخشى منها على التأثير فى نتائجه . اضف الى ذلك ان اهتمام الدولة بمعاونة الزراع واعفائهم من الفوائد الزراعية لا يعنى أنها تقبل تهربهم من سداد التزاماتهم، وما معناه استغلالهم للاموال العامة ، ونؤكد هنا أن تنظيم الزراعة لا يعنى فى شىء التدخل فى الملكية الزراعية أو حق الارث ، وقد سارت بلادنا لسنوات طويلة تحدد المساحة المزروعة لبعض المحاصيل ، وتفرض رقابة خاصة على انواع البذوراو الاسمدة المستخدمة .كذلك الحال بالنسبة للتسويق الذى يحتاج الى تنظيم دقيق حتى لا يشعر المجتمع بالاختناقات من وقت الى آخر نتيجة سياسة الحرية فى التصريف ».

اما القطاع الخاص فى الصناعة فان مجاله قد تحدد بشكل واضح ، ولكن ليس معنى ذلك أن انحرافه غير محتمل ، ويمكن اخضاع هذا القطاع للقطاع العام عن طريق وضع حدود لزيادة رأس المال المستثمر ، والرقابة على التسهيلات الائتمانية التى تمنح لاربابه ، وملاحظة الا تقل الفائدة الممنوحة عن التكاليف الاجتماعية لخدمة الدين الممنوح والمخاطر التى يتعرض لها . هذا وقد اتجهت بعض اجهزة القطاع العام للاشراف على المشروعات الخاصة التى تعمل فى مجالها عن طريق مدها بالمواد الخام ، ومطالبتها بالمنتجات النهائية (حدث هذا بالنسبة لبعض مصانع التريكو والمنسوجات) وقد اثبتت هذه العملية نجاحا كبيرا .

وفى قطاع الاسكان ، ليس هناك شك فى أن توسع الدولة فى مشروعاته سيخلق فى الاجل الطويل نوع من التوازن مع القطاع الخاص ، غير أن هذه الوسيلة طويلة ، وليست عملية، ولعل الطريق السليم ــ كما نعتقد ــ هو قطع الصلة بين ملاك العقارات والسكان ، وانشاء مكاتب تتبع الدولة تتولى تحصيل الايجارات ودفعها للملاك . ويمكن للدولة أن توجه جزءاً من الحصيلة لانشاء مرافق ترفيهية للسكان ، أو للقيام بما يقتضيه الامر من اصلاحات اوتجديدات فى المبانى».

أما فى قطاع المقاولات فقد آن الاوان للقضاء على نظام مقاولى الباطن ، فقد اكتسب القطاع العام من الخبرات ما تمكنه من تولى العمليات عن طريق عماله .

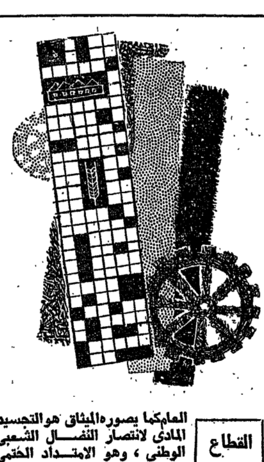
وفى التجارة ، ليس هناك مفر من الغاء تجارة الجملة التى تزيد من التكاليف العامة وتبطىء من حركة تدفق السلع ، وتساعد على خلق السوق السوداء ، وتشجع على افساد بعض عناصر القطاع العام ، وقد كشفت بعض القضايا الاخيرة الكثير من هذه المسائل ، ويمكن للمشروعات الصناعية ان تتولى توزيع منتجاتها لتجار التجزئة مباشرة عن طريق مجمعات تنشأ فى المراكز المختلفة ويتولى تنظيمها المصانع والتجار فى شكل تعاونى». ويمكن التوسع فى وحدات التعاون الاستهلاكى لتكون بمثابة عناصر موازنة لتجار التجزئة .

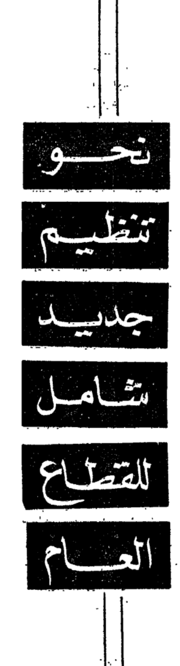
ومن أهم المجالات اثارة فى القطاع الخاص هى الخدمات التعليمية والصحة ، اذ مهما قيل عن انخفاض مستوى الاجهزة العامة القائمة عليها ، الا انه من غير الطبيعى أن يترك للقطاع الخاص ليقدم خدمات هدفها استغلال المواطنين او بث بعض المفاهيم الخاصة فيهم ، والتربية الاجتماعية الصحية هى التى يخضع فيها الجميع لنظم لاتتضمن اى تمييز ، ولا تؤدى الى اى تفرقة ، او تخل بمفهوم الفرص المتكافئة ».

ويمكن السيطرة على القطاع العام ماديا ومراقبة نموه عن طريق تخصيص أحد البنوك لمعاملات القطاع الخاص توضع فيه الودائع الخاصة ويقترض منه أفراد أو مشروعات القطاع ، ويمكن من خلال هذا البنك مراقبة نمو القطاع الخاص ».

وفى النهاية نعود فنكرر ما أكده الميثاق من أن سيطرة القطاع العام لاتعنى الغاء القطاع الخاص ». واذا كان للاول دور القيادة ، فان للثانى دور فى العمل للتنمية دون استغلال ، وفى الاطار المرسوم لها ، وان الخدمة التى يمكن ان تؤدى لهذا القطاع لهى تنظيفه من عناصر الانتهازية، والفئات المتسلقة الطفيلية فيه .

كما نؤكد أن العاملين فى القطاع العام ليسوا بمنأى عن اللوم ، فان كبر المسئولية الملقاة على عاتقهم تفرض الدقة فى محاسبتهم وعدم التهاون فيما يرتكبونه من أخطاء ، لان الذى يدفع الثمن هو الشعب ».





د . وليم سليمان

القطاع العام كما يصوره الميثاق هو التجسيد المادى لانتصار النضال الشعبى الوطنى ، وهو الامتداد الحتمى لمعركة التحرر الوطنى ليصبح رأس الحربة فى معركة الثورة الاجتماعية التى تستهدف التغيير الجذرى الشامل للمجتمع فى بلادنا .

يقول الميثاق :

« ان النضال الوطني لجماهير الشعب هو الذي صنع نواة القطاع العام بتصميمه على استرداد المصالح الاحتكارية الاجنبية وتاميمها واعادتها الى مكانها الطبيعى والشرعى وهو الملكية العامة للشعب كله

« كذلك فان هذا النضال الوطنى ـ حتى فى ابان معركته العسكرية المسلحة ضد الاستعمار اضاف لهذا القطاع العام كل الاموال البريطانية والفرنسية فى مصر ، وهي الاموال التى سلبت من الشعب تحت ظروف الامتيازات الاجنبية ، وفى العهود التي استبيحت فيها حرمة الثروة الوطنية لتكون نهبا للمغامرين الاجانب

« كذلك فان هذا النضال الوطني ـ فى سعيه الى الحرية الاجتماعية وفى اقتحامه لكل مراكز الاستغلال الطبقى ـ هو الذى ضم الى هذا القطاع العام الجزء الاكبر من ادوات الانتاج، وذلك بقوانين يوليو ١٩٦١ وثوريتها العميقة المعبرة عن ارادة التغيير الشامل فى مصر »

وبديهى أن الشعب لا يناضل لاسترداد حقوقه الشرعية فى وسائل الانتاج الا ليواصل ادارتها بكفاءة وتوجيه عائد عمله فيها على اساس العدل لصالح كل الشعب . ولهذا تعتبر القوانين والقرارات التى تنظم العمل داخل القطاع العام عنصرا بالغ الاهمية يتوقف عليه تحقيق الهدف الاصيل من كل اجراءات التأميم ، بل ان هذه النظم هى الترجمة العملية لسيطرة الشعب على وسائل الانتاج اذ تجعلها واقعا ملموسا تنعكس آثاره فى الحياة اليومية على مستوى الوطن كله .

ومنذ ان بدات نواة القطاع العام فى الظهور، اخذ المشرع يتلمس الطريق الى النظام الرشيد لادارة هذه الاموال . ففى سنة ١٩٥٧ انشئت المؤسسة الاقتصادية وصدر قانون المؤسسات العامة ، وشهدت سنة ١٩٦٠ تطورا فى تنظيم هذه المؤسسات يتناسب والزيادة التى اضافها النضال الوطنى الى ثروة الشعب بقوانين التأميم المتعاقبة . وتضمنت قوانين يوليو ١٩٦١ تنظيما مؤقتا لادارة الاموال والمنشآت التى خضعت لها . ثم صدر قانون شامل للمؤسسات فى سنة ١٩٦٣ . ويلاحظ ان كل هذه التطورات كانت فى نطاق سلطة الرقابة على الوحدات الاقتصادية التى تقوم بعملية الانتاج . أما النظام الذى كانت هذه الوحدات تسير طبقا له فقد ظل هو قانون الشركات الصادر عام ١٩٥٤ . (١)

ومن هنا كانت الصعوبات العديدة التى كان العمل اليومى يظهرها — لان القانون الذى كانت نقطة البداية فيه هى حق الملكية الخاصة لجماعة المساهمين فى الشركة هو الذى يحكم منشآت انتفت من نطاقها آثار هذا النوع من الملكية .

ولقد شهد عام ١٩٦٦ اول محاولة نحو وضع تنظيم شامل للقطاع العام يتخذ منطلقا له المبادىء التى تضمنتها قوانين التحول الاشتراكى ، فلقد تقدمت الحكومة الى مجلس الامة بمشروع قانون لتنظيم المؤسسات العامة وشركات القطاع العام — افرد لهذه الشركات تنظيما مستقلا عن شركات القطاع الخاص ، وربط بين مختلف اجهزة القطاع العام فجمع فى صعيد واحد بين المؤسسات العامة والوحدات الاقتصادية الخاضعة لها بما يتفق والوحدة العضوية بين المستويين .

وهكذا بعد مرور اربع سنوات على صدور الميثاق الذى عبر فيه الشعب عن حقوقه فى السيطرة على وسائل الانتاج ، يواصل الشعب مناقشة الطريقة التى تنفذ بها هذه السيطرة عمليا .

ولا بد ان نسجل هذه التجربة الديمقراطية التى لم تقتصر على مجلس الامة ولجانه واعضائه ولكنها اتسعت فشملت كل من له راى وخبرة — فلقد اشار رئيس المجلس الى ضرورة طرح المشروع الجديد للمناقشة على أوسع نطاق حتى تتكشف امام المجلس مختلف وجهات النظر ، وحتى يمكنه الاستفادة بمختلف الاراء والتجارب لكى يصدر القانون مكتملا خاليا من اية ثغرات . ومن اجل هذا قرر المجلس ارسال مشروع القانون الى المؤسسات والشركات لدراسته وابداء الملاحظات عليه . كما قرر ارساله ايضا الى اساتذة الجامعة المختصين والى النقابيين . بل ان لجان المجلس الاربعة التى تقرر أن تقوم بدراسة المشروع ومناقشته — وهى لجان الخطة والشئون الاقتصادية والصناعية والعمل — دعت الى اجتماع مشترك مع الحكومة للاستماع الى مختلف وجهات النظر قبل ان تبدأ فى دراسة المشروع وشاركت فى هذه المناقشة مختلف وسائل الاعلام فنشرت وأذاعت كثيرا من الدراسات والاراء .

ولقد كانت ذروة هذه التجربة الديمقراطية ماصرح به أخيرا مصدر مسئول فى مجلس الامة من ان الحكومة تعيد النظر فى مشروع القانون الذى كانت قد تقدمت به الى المجلس بشأن المؤسسات العامة وشركات القطاع العام . وقال المصدر ان المجلس سيحتفظ بجميع المناقشات التى كانت قد اجريت حول هذا المشروع الى أن تتقدم الحكومة بمشروع القانون فى صورته النهائية وذلك للاستفادة بجميع الآراء التى ابديت فى هذه المناقشة .

وهكذا يثبت شعبنا عمليا حرصه على ماكسب بجهده النضالى وعبر عن ملكيته له فى ميثاقه ، مؤكدا اصراره على أن تكون أساليب سيطرته على ثروته رشيدة واضحة .

والحقيقة ان الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية لا يمكن أن يتم بمجرد اعلان حتمية الحل الاشتراكى واختيار الاشتراكية نظاما للمجتمع . بل ان اقتحام مراكز الاستغلال الطبقى

---

(١) انظر المقالين المنشورين فى الطليعة :
مسيرة يوليو ١٩٦١ الاشتراكية ، عدد يوليو ١٩٦٥ ص ٥٢
اسئلة واجابات حول الجمعية العمومية لشركات القطاع العام ، عدد اكتوبر ١٩٦٥ ص ٤٨

واستخلاص ادوات الانتاج من سيطرة تحالف الاقطاع والراسمالية — هذا الاقتحام نفسه على صعوبته وتاثيره الحاسم ، ليس الا الخطوة الاولى فى الطريق الطويل الذى لا بد ان يسير فيه التحول. والامر فى الثورة الاشتراكية مختلف عنه فى الثورة البرجوازية — لان هذه حين تنتصر تجد امامها اسس الانماط التى تسير طبقا لها العلاقات الاجتماعية الوليدة — فالملكية الفردية الاستغلالية التى هى اساس النظام الاقطاعى تواصل دورها فى المجتمع الراسمالى بعد انتصار الطبقة الراسمالية الصاعدة. اما الجماهير المحرومة ، فانها لا تكتسب من انتصار الثورة البورجوازية اى خبرة فى تنظيم العلاقات الاجتماعية — ذلك لان دورها فى هذه الثورة قاصر على هدم النظام الاقطاعى وتحطيم اسسه ، لافساح الطريق امام الاقلية التى فرضت سلطانها على المجتمع كى تقوم باعادة بنائه طبقا لما تراه محققا لمصالحها .

اما اصحاب المصلحة فى انتصار الاشتراكية فيبداون جهودهم بعد استخلاصهم للسلطة السياسية ، فى ظروف بالغة الصعوبة . اذ يحاولون — بخبرة ضئيلة او منعدمة — بنساء علاقات اجتماعية جديدة على اساس مغاير تماما لما كان يقوم عليه المجتمع القديم . وعليهم ان ينحتوا المسالك العملية التى يتعين ان تسير فيها هذه العلاقات . وليس للجماهير فى مواجهة هذه الاعباء الا ارادة الثورة والتصميم على التغيير . والموقف فى مواجهة الثورة الاجتماعية يشبه تماما موقف الطلائع الثورية حين بدأت زحفها فى معركة التحرر الوطنى . يقول الميثاق ‹‹ **ان قسوة الارادة الثورية لدى الشعب المصرى تظهر فى ابعادها الحقيقية الهائلة اذا ماذكرنا ان هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشاكل المعركة . كذلك فان هذا الزحف الثورى بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى** ››

ولهذا فانه فى هذه الثورة الاجتماعية التى تنهض باعبائها جماهير الشعب العاملة لا بد من التجربة الوطنية — تجربة الصواب والخطا ، يكتسب منها العاملون وعيا ووضوح رؤية من خلال المحاولات المتنوعة المتعاقبة غير الكاملة التى يجهدون من خلالها لاقامة البناء الاشتراكى . والتجربة هنا لا يقوم بها فرد يفرض ارادته على الجماهير ، ولكن تقوم بها الجماهير نفسها فى جهد شعبى مشترك بقيادة ثورية . ولهذا فان الخطا هنا يكون مأمون العاقبة ، لان النتيجة التى ستخلص منه ستكون مزيدا من الوعى — فالجماهير تفحص مواقفها وتتحقق من ضرورة تعديلها وترسم لنفسها طريقا جديدا . ان الاشتراكية **لن تكتمل الا بزيادة الانتاج كما وكيفا — وبان تكون هذه الزيادة نتيجة السيطرة الفعلية لجماهير القوى العاملة على وسائل الانتاج** . وتاريخ التحول الاشتراكى هو تاريخ الجهود والمحاولات التى يعانيها الشعب الى أن يصل الى هذا الهدف الكبير

طبيعة المرحلة والهيكل التنظيمى للمؤسسة

ولقد ذكرنا ان تنظيم ادارة المشروعات المؤممة اتخذ اساسا له قانون الشركات الصادر عام ١٩٥٤ ، وقوانين المؤسسات السابقة على ١٩٦١. ولهذا احتفظ المشرع فى الشركة بالتفرقة بين مجلس الادارة والجمعية العمومية . وفى نطاق مجلس الادارة جعل للعمال ممثلين زيد عددهم من اثنين الى اربعة . ثم نقل سلطات الجمعية العمومية الى المؤسسة العامة التى تشرف على الشركة . واستمر هذا النظام ساريا من يوليو ١٩٦١ . وفى اعقاب الاستفتاء على انتخاب رئيس الجمهورية ، حدد المناضل جمال عبدالناصر فى الاسبوع الاخير من شهر مارس ١٩٦٦ فترة ستة شهور لدراسة شاملة لجميع الاوضاع قبل البدء فى عملية التغييرات الثورية التى تضمنها برنامجه . وفى بداية عمل الوزارة التى راسها زكريا محيى الدين ادلى رئيس الوزراء ببيان اوضح فيه محور سياسة الحكومة الجديدة ، وعقد مؤتمر لرؤساء وحدات القطاع العام تحدث فيه رئيس الوزراء عن طبيعة المرحلة الجديدة واهدافها واسلوب الادارة المناسب لتحقيقها

قال رئيس الوزراء : ‹‹ **ان طبيعة المرحلة القادمة وآمالها ومخاطرها تفرض ثورة فى تعزيز الديمقراطية وتحقيق اكبر قدر ممكن من كفاءة الانتاج والخدمات تحت الادارة والرقابة الشعبية** ››

وذكر فى مؤتمر الانتاج : ‹‹ **ان مفهوم الديمقراطية السليم ان تكون سبيلا الى زيادة الانتاج وتحسين نوعيته فاذا لم تؤد الى هذا فلابد ان يكون هناك خلل فى تطبيقها مما يعرقل العمل والانتاج** ››

وفى هذا الاطار قدم رئيس الوزراء الخطوط الرئيسية التى يرى ان يتم على اساسها ادارة وحدات القطاع العام ، ‹‹ **ان رئيس مجلس ادارة**

أى وحده اقتصادية من وحدات القطاع العـام مسئول مسئولية كاملة اداريا وسياسيا عن تحقيق اهداف وحدته بطريقة اقتصادية . وعلى ذلك فان تحديد المسئوليات يكون كالاتى :

«الوزير . يتحمل مسئولية تنفيذ السياسـة العامة للدولة التى تقررها القيادة السياسيـة فى مجال النشاط الذى يشرف عليه ومتابعتها وكذلك تنفيذ خطة التنمية . ويقتصر دوره على التوجيه والاشراف والتنسيق والرقابة والتقييم

«المؤسسة العامة : جهاز الوزير الذى يعاونه فى النهوض بمسئولياته

«رئيس الوحدة التنفيذية : هو المسئول اولا واخيرا عن تحقيق الاهداف الانتاجيه الموضوعـة لوحدته . وله حرية التصرف فى مواجهة كافـة مشاكل الانتـاج بسرعة وفاعلية باعتبـاره اقدر الجهات واقربها احساسا بتلك المشاكل ويعطى من السلطات مايمكنه من القيام بمسئولياته مـع تحميله نتائج الخطة الانتاجية »

والسؤال الان ـــ هل حقق مشروع قانـون المؤسسات العامة وشركات القطاع العام المطروح حاليا للمناقشة الشعبية ما تتطلبه ظروف المرحلة الجديدة من ثورة فى طريقة ادارة وحدات القطاع العـام ، كما كشفت عن ذلك الدراسـة التالية للاستفتاء واوضحها رئيس الوزراء وفصلتـها قرارات مؤتمر الانتاج ؟

ان اول مايستلفت النظر فى هذا المشروع انه فى كثير من نصوصه اقتبس قرارات مؤتمر الانتاج اقتباسا يكادان يكون حرفيا وجعل من هذه القرارات موادا فى المشروع المعروض .

شيوع المسئولية أو جمود عن الحركة

والواقع ان المهمـة الاولى لمن يتـولى اقامة القواعد القانونية هى تعرف حاجات الحيـاة الاجتماعية تعرفا دقيقا فتكون هذه الحاجات هى المادة التى يرد عليها نشاط صائغ القانون وعمله . الا ان القاعدة القانونية ليست مجرد تقرير لحقيقة أو حاجة معينة ـــ بل لا بد من تحويلها الى امـر بعمل معين أو امتناع عنه مصحوب بجزاء تنفذه السلطة العامة عند المخالفة . **وليس يكفى فى هذا الصدد وضع التوجيهات فى عبارات عامـة شاملة يحدث الاختلاف حول مدى حدودها عنـد التطبيق ، خصوصا اذا تعدد المخاطبون بنفـس** **التوجيهات .** ان المذكرة الايضاحية لمشروع القانون تقول انه «لابد من تحديد الاختصاصات والمسئوليات تحديدا واضحا والعمل على تبسيط الاجراءات داخل القطاع العام » **ولكن الحقيقة هى ان نصوص المشروع تؤدى الى عكس هذا الهدف تماما .**

فنحن نقرا فى المواد الاولى العبارات الاتية :

- السياسة العامة .

- سلطة الاشراف والتوجيه والتنسيق وتقييم الاداء والرقابة .

وفى نهاية المذكرة الايضاحية نقرا تعريفات لكل من هذه العبارات ـــ وفيها نجد اختلاطا فى مفهوم بعضها فى البعض الاخر . **فالتوجيـه** يقصـد به اصدار تعليمات معينة فى موضوع معين . وهـو **بذلك يعتبر جزءا من عمليات وضع السياسـة العامة ومكملا لها . والاشراف** يشـمل عمليات التخطيط **ووضع السياسة والرقابة والتنسيق .**

وليس الامر هنا فقط مداره ان مواد التشريع لا يجوز ان نحوي مترادفات ـــ بل ان التقريب بين هذه المواد وبعضها البعض يكشف عن الخـلط والاضطراب اثناء التطبيق :

فاذا كانت المؤسسة العامة تمارس نشـاطها طبقا للمشروع بواسطة مايتبعها من وحـدات اقتصادية

واذا كان للوزير سـلطة الاشراف والتوجيـه والتنسـيق وتقييـم الاداء والرقابة بالنسبـة للمؤسسات التى تتبعه .

واذا كانت للمؤسسات سلطة الاشراف و ... بالنسبة الى الوحدات الاقتصادية التى تتبعها .

فهل نخلص من هذا التسلسل وفى اطـار العبارات العامة والتعريفات السابقة ان للوزير سلطة الاشراف و ... بالنسبة للوحدات الاقتصادية التابعة للمؤسسات التى يشرف عليها ، بحيث لا تستطيع هذه المؤسسات أن تتصرف بدون توجيهه واشرافه ...

واذا كان اختصاص **مجلس ادارة المؤسسـة بالنسبة** للوحدات الاقتصادية التابعة لها يشـمل وضع الاهداف والخطط ومتابعـة سير العمـل والتنسيق ـــ وفى نفس الوقت اعطى المشروع **لرئيس مجلس ادارة المؤسسة اختصاص توجيه** الوحدات الاقتصادية والاشراف والمتابعة ورقابة

سير العمل فيها والتنسيق بينها .. اذا كانت الاختصاصات بين الوزير والمؤسسة — مجلسها ورئيسه — مشتركة مختلطة على هذا النحو ، فانه يصبح من الصعب تماما وضع الحدود الواضحة بين التصرف الصحيح الصادر من صاحب الاختصاص وبين التصرف الذى جاوز اختصاص من صدر عنه — الامر الذى يترتب عليه اما شيوع المسئولية أو الجمود من الحركة :

● فهل يعنى هذا الاشتراك فى الاختصاص بين مختلف هذه الجهات ان المستوى الادنى لا يستطيع أن يتصرف الا بعد وصول تعليمات من المستوى الاعلى ؟

● م هل يؤدى مضمون هذه النصوص ذات العبارات العامة الى امكان الانفراد بالتصرف من كل جهة اعطيت اختصاصا ودون توقف على «توجيه» من جهة رئاسية أخرى ؟

ويبقى بعد هذا كله ان التساؤل عما اذا كانت ممارسة سلطة الاشراف و ... بواسطة الوزير والمؤسسة — بمجلسها ورئيسه — تبقى لرئيس مجلس ادارة الوحدة الاقتصادية الخاضعة للوزير وللمؤسسة ، تلك الحرية فى التصرف المصحوبة بالمسئولية الكاملة التى اشار اليها رئيس الوزراء فى حديثه الى مؤتمر الانتاج

وحقيقة الامر ان نشاط اى مشروع اقتصادى متنوع لا يمكن مقدما تحديد تفصيلاته وتصنيفها . انه أشبه بالكائن الحى العضوى الذى تتشابك وظائف أعضائه ويتعقد نشاطها بغير حدود .

ولذلك فان المنهج السليم هو اطلاق الحرية للوحدة الاقتصادية لتقوم بتنفيذ الجزء المحدد لها من خطة التنمية — ثم اختيار بعض نواح محددة من قراراتها لتخضع لرقابة المستوى الاعلى — المؤسسة أو الوزير . أما فيما عدا ذلك فان تصرفات الوحدة تكون نهائية ونافذة .

وتكون الرقابة الفعالة والمجدية فى النهاية هى على مدى ماحققته الوحدة من حصتها فى خطة التنمية .

ونحن نرى أن القانون الحالى للمؤسسات العامة — رقم ٦٠ لسنة ١٩٦٣ يمكن أن يعتبر فى هذا الصدد أساسا صالحا قابلا للتطوير . فهو يفرق بين نوعين من قرارات الشركات الخاضعة للمؤسسات : قرارات لا تنفذ الا باعتماد المؤسسة وأخرى لا تحتاج لنفاذها الى هذا الاعتماد ، وانما يصير تبليغها للمؤسسة للعلم (المادة ١٤)

اى أن الاصل هو حرية الشركة فى التصرف ، أما الاستثناء فهو خضوع قراراتها للاعتماد .

واذا كانت بعض القوانين واللوائح — كلائحة العاملين — تزيد من عدد القرارات التى تحتاج الى اعتماد لاحق ، فان العلاج يكون بتعديل هذه اللوائح والقوانين مع الابقاء على القاعدة السليمة التى تضمنها قانون المؤسسات الحالى ، فانها تعتبر صياغة موفقة لمبدأ حرية الوحدة الاقتصادية وهى تخلو من التوجيهات العامة التى تخاطب جهات متعددة فى نفس الوقت ، وبها يمكن تحديد الاختصاصات والمسئوليات وتبسيط الاجراءات .

بصمات التنظيم الرأسمالى

فى قانون المؤسسات

ولقد اشرنا الى أن اختيار الحل الاشتراكى أساسا للعلاقات فى المجتمع يفرض على الشعب عبئا بالغ الصعوبة هو تحديد الاشكال التنظيمية التى تجرى فى اطارها العلاقات الاجتماعية . هذا العبء يزداد مشقة اذا بقيت النظم القائمة على مبدأ الملكية الفردية اساسا لتنظيم القطاع العام الذى يستبعد هذا المبدأ بالضرورة

والواقع ان مشروع القانون محل البحث مازال يحمل الكثير من نظم قانون الشركات السابق عليه

وليس يكفى فى هذا الصدد ان يغير المشروع فى احدى مواده اسم الشركة ليصبح « الوحدة الاقتصادية » — هذا مع ملاحظة ان اصطلاح شركة القطاع العام منتشر فى مشروع القانون وموجود فى عنوانه .

بل ان المشروع قد نص صراحة على ان شركة القطاع العام يجب أن تتخذ «شكل شركة المساهمة» (م ٣٤) وغنى عن البيان أن هذا النوع من الشركات لصيق بالنظام الاقتصادى الفردى .

ويفتح المشروع المجال امام القطاع الخاص ليشترك مع القطاع العام فى تأسيس شركات لا يمكن اعتبارها من شركات القطاع العام الا اذا

صدر بذلك قرار من رئيس الجمهورية ، ويترتب على ذلك اخضاع حصة القطاع العام فى هـــذه الشركات ـــ اذا لم تعتبر من القطاع العام ـــ لنظم القطاع الخاص . فهذه الحصة يجب ان تقسم لاسهم ، يمكن قيدها فى بورصة الاوراق المالية . واذا أعملنا نص المادة ٥١ على اطلاقه يصبح من الممكن التصرف فيها . بل ان المادة ٨٣ تجيز للقطاع العام أن ينسحب من شركاته (هل بالتصرف فى الاسهم مثلا ؟) وحينئذ تصبح هذه الشركات مـــن القطاع الخاص بعد استيفاء الاجراءات اللازمة للتأسيس . يضاف الى ذلككله ان الشركة الخاصة التىيساهم فى راسمالها القطاعالعام تظل تمارس نشاطها دون أى تدخل من جانب القطاع العـــام فيما يجاوز حقوقه كمالك لنصـــيب فى الاســـهم ولا يستثنى من ذلك الا الشركة التى حصة القطاع الخاص فيها راس مال اجنبى

ولنا على هذه الاحكام ملاحظات :

فاولا ـــ لايسوغ انيطلق نشاطالشركة الخاصة المختلطة دون رقابة من الشخص العام المساهم فيها . بل يجب أن يكون للمؤســسة او للوزير راى فيما تتخذه من قرارات وتصرفات . والا فان شركة القطاع الخاص المختلطة تكون متمتعة بحريـــة فى التصرف اكثر من شركات القطاع العام اذا اخذنا فى الإعتبار مختلف القيود التى تخضع لها هـــذه الشركات والجهات الرئاسية التى تقوم باعتمـــاد قراراتها .

وثانيا ـــ لا يجوز انيطلق مبدا انسحاب القطاع العام من شركاته دون قيود تحدد حالات هـــذا الانسحاب والسلطات التى يمكن أن تتخذ مثـــل هذا القرار الخطير . بل اننا نرى استبعاد مثل هذا المبدأ تماما ـــ وفى الاحكام الخاصة بادمـــاج الشركات وتصفيتها ما يغنى عن تحويل الشركات العامة الى شركات قطاع خاص .

وثالثا ـــ ان النص على أن شركات القطاع العام تتخذ شـــكل شركات **المساهمة** يعيد من جـــديد كل الصعوبات الناشئة من ضرورة وجود مجلس للادارة وجمعية عمومية . ويصبح من المتعين فى التطبيق معرفة الجب التى لها سلطات الجمعية العمومية ـــ مع ملاحظة أن النصوص الحالية التى تعطى لمجلس ادارة المؤسسة هذه السلطات قد استبعدت من المشروع المعروض .

وفى نفس الوقت يصبح من الصعب ان نجـــد لرقابة العاملين أو للرقابة الشعبية مكانا فى أطار هذا الشكل القانونى الذى ماكان يسمح الا لمالكى الاسهم براى فى اداره الشركة والرقابة عليها .

والحقيقة ان الشكل التقليدى لادارة الشركات المساهمة والرقابة عليها يضيق عن أن تندرج فى اطاره رقابة جمهور العاملين فى الشركة ـــ ومن باب أولى الرقابة الشعبية على مراكز الانتـــاج التى ينص عليها الميثاق .

بل ان التركيز على ان يكون الشكل القانونى العملى الذى تاخذه سيطرة الشعب على وسائل الانتاج هو اشتراك العمال فى مجالس الاداره ـــ هذا التركيز يسلب من هذه السيطره جوهرها الشعبى ويعرضها لان تتاثر بالاوضاع الفئويـــة التى قد ينساق اليها الاعضاء المعينون او ممثلو العمال داخل مجلس الادارة بكل مايترتب على ذلك من اضطراب فى العمل وتعطيل للانتاج . ومن هنا اصبح لازما ـــ **مع الاحتفاظ بما تحقق للعمال من مكاسب بالقوانين الاشتراكية** ـــ ان نبحث عن اشكال جديدة لممارسة سيطرة الشعب عـــلى وسائل الانتاج فى ضوء النتائج التى تكشفت عنها تجربة اشتراك العمال فى مجالس الادارة (٢)

ان اشتراك جماعة العاملين بالشركة فى مناقشة أهداف الخطة المطلوبة من الشركة اثناء اعداد الخطة وعند بدء تنفيذها ، واشتراكهم ســـنويا فى مناقشة النتائج التى حققها عملهم ـــ هـــذه الرقابة الجماهيرية على الانتاج تمنح العامـــلين الفرصة للتعرف على النواحى الايجابية والسلبية فى نشاط الشركة ، وتجعل الرقابة فى اطار اهداف الخطة دون أن تتعدى ذلك الى تفاصيل العمـــل التنفيذى التى يضطلع بها مجلس الادارة بـــكل مايحتاجه ذلك من علم وخبرة واطلاع على بيانات واحصاءات واحاطة بكل ظروف العمل الفنية .

ولعل هذه الرقابة ان تحقق الثـــورة المبتغاة فى تعزيز الديمقراطية ، وفى اطارها يمكن ان يكون رئيس الوحدة التنفيذية هو المسئول عن تحقيق الاهداف الانتاجيه الموضوعه لوحدته ـــ فتكون

(٢) مقال د . نجيب اسكندر ، حولتجربةاشتراك العاملين فى مجالس الادارة ،الطليعة ، مايو ١٩٦٥ ص ٥٤

له حرية التصرف مع مساءلته امام جماعة العاملين فى الشركة عن نتائج الخطة الانتاجية ، بالاضافة الى مسئوليته امام المؤسسة أو الوزير .

وانطلاقا من هذا المفهوم نعتقد أن يكون اختصاص مجلس الادارة هو متابعة التنفيذ والرقابة على اعمال رئيس المجلس فى فترات دورية — كل ثلاثة او ستة اشهر — وتقديم التقارير عن مدى نجاح الشركة فى تنفيذ اهداف الخطة الى جماعة العاملين اثناء اجتماعها السنوى والى المؤسسة والوزير

ومن الممكن ان نطور تشكيل مجلس الادارة نفسه **فيكون مؤتمرا قياديا للوحدة** ، يضم الاعضاء المنتخبين واعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية وننضم اليه رؤساء الاقسام بحيث يكون قادرا بعد هذا التشكيل الجديد على ممارسة مهمته فى الرقابة على مدى نجاح الشركة فى تنفيذ أهداف الخطة بطريقة جادة . وغنى عن البيان أن سلطة الوزير المطلقة فى وقف مجلس الادارة لا يمكن التسليم بها . وثمة اجماع على رفضها.

وفى نفس الوقت ، يتعين ان يهيأ لجماهير العاملين توعية ودراسات سياسية ومهنية بحيث يمكن اعدادهم ليكونوا قادرين على أداء دورهم الطليعى أداء رشيدا .

نص القانون

وروح الثورة

ولقد اصبح تطوير دور المؤسسة والوزير فى الانتاج ضرورة حتمية . وليس من الممكن ان يتم هذا التطوير بمجرد تعديل فى النصوص القانونية مهما بلغت النصوص الجديدة من الدقة والاحكام

لابد أولا من اعادة النظر فى الوضع الحالى لشركات القطاع العام ومؤسساته بل والوزارات التى تشرف عليه . «فالانتاج يتم فى وحدات انتاج يخضع تحديد حجمها ومكانها لقوانين اقتصادية موضوعية وليس لمجرد الراى الذاتى لاى انسان ومخالفة هذه القوانين خطأ يدفع المجتمع ثمنه غاليا (٣) » . « وفى ظل التخطيط العلمى فان هذه الوحدات الاقتصادية يجب ان تتجمع فيما بينها،اما على اساس تماثل نشاطها واما على اساس تكامل نشاطها . . . وعندما يتحدد دور المؤسسة العامة بأنه التوحيد النوعى أو التنسيق ، يبدو على الفور عدم الحاجة الى بعض المؤسسات عندما توجد على راسها وزارات نوعية ، فهذه الوزارات تكفى » (٤)

بل انه اذا كان النشاط الغالب للوزارة هو فى الاشراف على مؤسسات عامة ،يمكن أن تتحول الوزارة بعد تعديل وحدات الانتاج والمؤسسات المشرفة عليها لتصبح الوزارة نفسها مؤسسة عامة

ان الصورة الحالية للقطاع العام تثبت ضرورة اجراء التعديلات فى مختلف أجزائه :

● فهناك مؤسسات عامة تشرف على شركات ولكن يمكن أن تمارس كل مؤسسة نشاطها فى شكل شركة لها عدة فروع انتاجية (٥) .

● وهناك مؤسسات عامة تقوم فعلا بالانتاج يجب أن تتحول الى وحدات اقتصادية انتاجية

● وهناك شركات يمكن ان تتبع الوزير مباشرة دون حاجة الى مؤسسة تتوسط بين المستويين

● وهناك انواع من النشاط موزعة على عدة مؤسسات عامة يمكن أن تضمها مؤسسة عامة واحدة يتحقق فى نطاقها التنسيق بصورة افضل (٦) .

● ثم هناك أجهزة التخطيط والرقابة — ولا يمكن وضع تنظيم للقطاع العام يكون قاصرا على المؤسسات العامة والشركات التابعة لها وتظل مختلف الاجهزة المرتبطة ارتباطا وثيقا بعملية الانتاج تمارس عملها دون أن يعاد النظر فى نظمها ولوائحها بما يتفق والتطوير الشامل الذى يحدث

(٣) د . اسماعيل صبرى عبد الله ، حول المبادىء الاساسية لتنظيم القطاع العام « الاهرام » ١٩٦٦/٤/٢٦
(٤) د . فؤاد مرسى ، من أجل قانون لشركات القطاع العام « الاهرام » ١٩٦٦/٤/٢٤ .
(٥) راى د. ابراهيم سعد الدين فى « الاخبار » ١٩٦٦/٤/١٦
(٦) انظر فى تفصيلات هذه المسائل مقالى د. اسماعيل صبرى ود. فؤاد مرسى المشار اليهما

فى القطاع العام . وعلى سبيل المثال ، فان التنظيمات الحالية التى تحكم التخطيط وضعت قبل قوانين يوليو ١٩٦١ وقبل صدور الميثاق ، ولا يمكن ان يتم تنظيم شامل للقطاع العام دون مراجعة قوانين التخطيط ولوائحه . واذا قيل ان هذه الاجهزة تقوم بعملها فى نطاق اوسع من القطاع العام – فاننا نرى ان تكون نظمها متنافسة فى المحل الاول مع القطاع الذى يقع عليه العبء الاكبر فى بناء **الاشتراكية فى بلادنا ، قطاع الانتاج**

● والامر بالمثل فيما يتعلق بنظام العاملين فى شركات القطاع العام ، ان النقد لا يوجه الى هذه اللائحة من جانب رؤساء مجالس الادارة وحسب ولكننا نقرأ فى كلمات رئيس نقابة السكر امام اللجنة الفرعية لمناقشة المشروع بمجلس الامة نقدا واعيا لها : « فهذه اللائحة يجب أن ننظر اليها جنبا الى جنب مع نظرنا فى هذا المشروع . هى على الاقل تتجاهل الحوافز . ونحن كلنا نعرف كيف ينفر الجميع من العمل بالمناطق النائية طالما ليس هناك حافز معقول لهذا وطالما العمل متوفر فى اماكن اخرى » (٧) .

وفى هذا المجال ابديت اقتراحات موفقة تعتبر تطويرا ثوريا فى نظم العمل بمجتمعنا – كتجربة التنزيل والتصعيد فى الوظيفة (٨) .

● ولابد ان يصحب كل تطوير تشريعى لنظم القطاع العام ، تطوير مناظر للدراسات فى جامعاتنا ومعاهدنا العليا . ان الحلول التى تقدمها دراسات القانون والاقتصاد المرتبطة بالنظم الراسمالية لم تعد تغنى فى تكوين الاجيال الجديدة من الخريجين الذين ينخرطون فى العمل داخل القطاع العام ، بل هى كما قلنا تزيد المشقة فى البحث عن التنظيم المطلوب للعلاقات الاجتماعية الاشتراكية . وتقدم بعض الدراسات التى نشرت اثناء مناقشة المشروع المعرض مثلا موفقا على مدى الاستفادة من القانون الاشتراكى المقارن فى دراسة نظام التحكيم كعلاج لمواجهة المشاكل التى يولدها نشاط القطاع العام فى علاقات وحداته ببعضها البعض او بغيرها من وزارات ومصالح الحكومة (٩) .

● ولقد جاء الوقت الذى ينبغى فيه أن يصدر قانون المجالس الشعبية ، فسلطة هذه المجالس المنتخبة طبقا للميثاق يجب أن تتأكد باستمرار فوق سلطة أجهزة الدولة التنفيذية وعلى جميع مراكز الانتاج .

وبعد فانه يكون تحميلا لاى قانون فوق مايحتمل ، أن نعلق عليه جميع اخطاء النشاط الانتاجى فى القطاع العام . كما انه يكون تطلبا منه فوق ما يستطيع ان يعطى حين يؤمل منه حل جميع المشاكل القائمة .

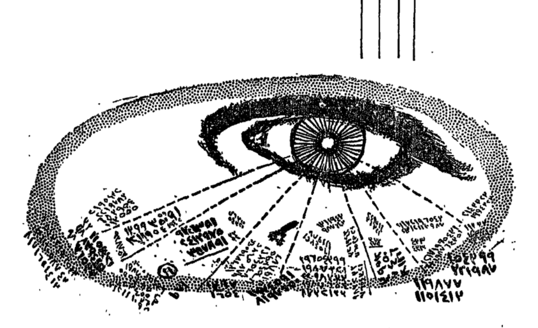
لابد من تعديل جذرى للجهاز يشمل كل نواحيه وفى اطار هذا التعديل يوضع القانون . « امامنا طريقان : اما ان نغير التنظيم القائم للقطاع العام تغييرا جذريا .. واما ان نقلل من طموحنا ولا داعى للتغيير الجذرى ، ونبحث عن عدد من المواد لنعدل بها الاحكام الحالية .. اما ان نعدل جذريا ونحل المشاكل جذريا فهذا شىء آخر ... » (١٠)

لقد أعلن المناضل عبد الناصر غداة انتخابه رئيسا للجمهورية : « ان المرحلة الجديدة .. ليست استمرارا لمراحل سبقت ، وانما هى ثورة بعدها فى تعزيز الديمقراطية ، وتحقيق اكبر قدر ممكن من كفاءة الانتاج والخدمات تحت الادارة والرقابة الشعبية »

هذه الثورة لايمكن الاكتفاء فيها بتعديل قانون أو اكثر – بل لا بد أن تكون شاملة تتناول القطاع العام فى كل نواحيه ، ليمكنه ان يقوم بالدور الذى حدده الميثاق له باعتباره قائد التقدم فى جميع المجالات الذى يتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية .



(٧) الاهرام ١٤/٤/١٩٦٦ .
(٨) مقال لطفى الخولى ، فللجرب سياسة « التنزيل والتصعيد » فى الوظيفة » ، الاهرام » ٢٥/٤/٦٦
(٩) مقال د . جمال العطيفى ، التحكيم كضمان لتنفيذ الخطة الاقتصادية « الاهرام » ٢٧/٤/١٩٦٦
(١٠) د . فؤاد شريف فى اقواله امام لجنة مجلس الامة « الاهرام / ١٤/٤/ ١٩٦٦ .



الرقابة الشعبية على النشاط الاقتصادى

د. عبد السلام بدوى

أشار الميثاق الى ان الحل الاشتراكي لمشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي فى مصر كان حتمية تاريخية يبررها الواقع وتفرضها الظروف المتغيرة للعالم فى النصف الثانى من القرن العشرين .

لقد وصلت بلدان العالم المتقدمة الى مرحلة الانطلاق الاقتصادى اما على اساس الاستثمارات التى حصلت عليها من مستعمراتها واستغلتها فى تطوير زراعتها وصناعتها ، واما على حساب زيادة شقاء الشعب العامل سواء لصالح راس المال او تحت ضغط تطبيقات مذهبية ذهبت الى حد التضحية الكاملة بالاجيال القائمة فى سبيل اجيال قادمة .

غير انه لما كان التقدم عن طريق النهب، أو عن طريق السخرة لم يعد امرا تطيقه القيم الانسانية

الجديدة ، لذا كانت الاشتراكية العلمية هي الوسيلة الملائمة لايجاد السبيل الصحيح للتقدم ، ذلك السبيل الذى ينبغى الا يترك للجهود الفردية العفوية التى يسيطر عليها دافع الربح الانانى ، ومن ثم لا تعبأ بالمصالح القومية التى تهم الاقتصاد القومى فى مجموعه . وبذلك يمكن القول بأن مشكلة التخلف الاقتصادى والاجتماعى تمثل فى الواقع مشكلة التحدى الذى يمكن مواجهته بالشروط التالية :

- تعبئة المدخرات الوطنية .

- استخدام كل خبرات العلم الحديث فى خدمة استثمار هذه المدخرات .

- وضع تخطيط شامل لعملية الانتاج ، وبرامج شاملة للعمل الاجتماعى الذى يحقق عدالة توزيع الثروة القومية بين افراد المجتمع .

- ايجاد المنظمات التى يعهد اليها بالرقابة على النشاط الاقتصادى للتحقق من كفاية الاجهزة الاقتصادية ، وقيامها بالواجبات التى استهدفتها برامج التخطيط .

ومن ثم يعنى التخطيط الاقتصادى ضمان استخدام جميع الموارد الوطنية ، المادية والطبيعية والبشرية وتعبئتها لتحقيق أهداف النمو الاقتصادى المتوازن على أساس علمى منظم ، وهذا يتطلب ايجاد تنظيم ذى كفاية عالية وقدرة تمكنه من تعبئة القوى المنتجة ورفع كفايتها ماديا وفكريا وربطها بعملية الانتاج .

ولاتستلزم سيطرة الشعب على كل ادوات الانتاج — كما أشار الميثاق — تاميم كل وسائل الانتاج ولا الغاء الملكية الخاصة ولا المساس بحق الارث الشرعى المترتب عليها ، وانما يمكن الوصول الى هذه السيطرة بطريقين :

اولا : خلق قطاع عام قوى يتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية .

ثانيا : وجود قطاع خاص يساهم فى خطة التنمية فى اطار الخطة الشاملة دون استغلال .

غير ان مجرد تاميم كل وسائل الانتاج اوبعضها لا يعنى تحقيق الاغراض التى تستهدفها الخطة القومية الشاملة اذ لابد من توافر وايجاد الاجهزة والمنظمات التى يعهد اليها بالرقابة على وسائل الانتاج للالتزام بالخطة ، ومن ثم اكد الميثاق الوطنى ضرورة توفير سبل رقابة الشعب على نشاط القطاعين معا .

وهذه الرقابة قد تمارسها الحكومة ممثلة فى اجهزتها الفنية المختلفة أو عن طريق الشعب ممثلا فى منظماته السياسية والاجتماعية ، وذلك بتحديد مسئولية كل وحدة اقتصادية فى العمل على اساس الخطة مقترنا باطار زمنى محدد ، وهذا يتطلب ان تتحول الخطة الشاملة فى اهدافها الاقتصادية والاجتماعية — الى برامج تفصيلية تكون فى متناول اجهزة الانتاج ، الامر الذى يحتم ربط الانتاج ، كما ونوعا ، بحدود زمنية معينة تلتزم بها القوى المنتجة ، على أن يدرك كل مواطن مسئوليته المحددة فى الخطة الشاملة وحقوقه المؤكدة من نجاحها .

ماذا نعنى بالرقابة ؟

الرقابة هى «مجموعة من العمليات تتضمن جمع البيانات وتحليلها للوصول الى نتائج ، تقوم بها أجهزة متخصصة ، للتاكد من تحقيق الاهداف بكفاية مع اعطائها سلطة اتخاذ القرارات المناسبة» .

والرقابة فى ظل اى نظام اقتصادى تهدف الى التحقق من سلامة استخدام الاموال والى انها تنفق على النحو المخصص لها وبأعلى درجة من الكفاية . وعلى ذلك فان مفهوم الرقابة وتحقيق أهدافها يتطلب استخدام اساليب معينة وقيام أجهزة تباشر مراقبة تحقيق الاهداف وتقييم النتائج . اما تلك الاساليب فيلزم أن تكون واضحة يتيسر اعدادها ويسهل استخدامها وتطبيقها .

وتهدف الرقابة الى أن تستخدم الموارد افضل استخدام وباعلى درجة من الكفاية وذلك على ضوء أنماط ومعايير ومقاييس معدة من قبل يمكن عن طريقها قياس كفاية اداء الوحدات الاقتصادية ومعرفة مدى وصولها الى المعدلات القياسية .

وتتضمن هذه المقاييس ، التكلفة المعيارية ، ومقياس الربح او الفائض ، والقيمة المضافة والميزانيات التقديرية او جداول الخطة .

وتستخدم هذه المقاييس لمقارنة النتائج بالتقديرات ولمعرفة مدى تحقيق المشروعات او اقترابها من المعدلات والتنبؤات التى استهدفتها الادارة حتى يمكن تقييم أعمالها او اعادة النظر فى تلك المعدلات واتخاذ الوسائل التى تعين الوحدات المنفذة على تحقيق أهدافها .

وتستعين الادارة كذلك بمقاييس الانتاجية للحكم

على مدى تطور كفاية المشروعات سنة بعد اخرى وللمقارنة فيما بين المشروعات المثلة ، ويستعان بها كذلك فى تقرير سياسة الاجــور والمــكافآت التشجيعية وتخصيص الموارد على المستوى القومى .

وليس هناك خلاف حول ضرورة استخدام هذه المقاييس فى النظم الاقتصادية المختلفة للتعرف على مدى كفاية الاداء ، غير ان اوجه الخلاف تنحصر فى نوع الاجهزة التى تستخدم تلك المقاييس وتباشر العملية الرقابية ومدى السلطات الممنوحة لها فى فرض رقابة فعالة على النشاط الاقتصادى .

والاجهزة التى تباشر المهمة الرقابية فى النظم الراسمالية تتمثل فى اجهزة السلطتين التشريعية والتنفيذية عملا بمبدأ الفصل بين السلطات .

اما فى النظم الاشتراكية ، فتقوم الاجهزة التى يعهد اليها بوضع الخطة بمهمة متابعتها . وتحقيقا لهذا المبدا يباشر جهاز التخطيط والجهاز المصرفى ومجالس الشعب مسئوليات محددة فى وضع الخطة ومتابعتها .

وعلى ذلك يلزم تحديد مسئولية كل وحدة اقتصادية فى العملية الانتاجية على ضوء جداول الخطة ووفق اطار زمنى محدد . وهذا يتطلب ان تكون الخطة تفصيلية تبين دور الوحدات وواجباتها وتحدد انتاجها كما ونوعا وفق جداول زمنيــة معينة .

ولقد اكد الميثاق ضرورة قيام مجالس شعبية مهمتها الرقابة على جميع مراكز الانتاج بحيث تتأكد سلطتها على اجهزة الادارة المركزية والمحلية ، وبذلك تتاكد سلطة الشعب باستمرار فى تحديد اهداف الانتاج ، وتتحقق رقابته على تنفيذ تلك الاهداف .

وفى خلال السنوات الاربع الماضية مارست السلطة التنفيذية والتشريعية والمحلية رقابتهــا على الانفاق العام عن طريق اجهزتها المختلفة ، غير ان هذه الرقابة لم تتحقق على النحو الذى اورده الميثاق وظهرت بعض المشكلات التى اعترضت الاجهزة التنفيذية او الشعبية ، لذلك يلزم التعرف على طبيعة تلك المشكلات وتقديم الاقتراحــات المناسبة .

ثغرات فى التطبيق

أولا : الاجهزة التنفيذية

تتمثل رقابة السلطة التنفيذية فى اجهزة التخطيط والجهاز المصرفى ، والجهاز الاحصائى وغيرها من الاجهزة المركزية .

فالخطة مازالت تفتقر الى الجداول الانتاجية والمالية ، بحيث تبين على نحو مفصل دور المشروعات فى تنفيذ الاهداف الكمية التى استهدفتها .

كذلك لم يقم جهاز التخطيط بمتابعة تنفيذ الخطة على النحو المتبع فى النظم الاشتراكية . حيث لم يتوافر لديه بيانات مفصلة عن النشاط الاقتصادى وتطوره بسبب عدم وضوح العلاقة مع اجهزة الســلطة التنفيذية ومع الاجهزة القائمة بتنفيــذ الخطة من ناحية وعدم اتصال جهاز التخطيط اتصالا وثيقا بالاجهزة القائمة على جمع البيانات سواء كانت اجهزة مركزية او تابعة للوزارات او الوحدات القائمة بالتنفيذ من ناحية اخرى .

ولا توجد علاقة محددة بين جهاز التخطيط وبين أجهزة الائتمان فى الدولة بما يضمن تدبير الموارد المالية اللازمة لتنفيذ الخطة العينية .

كما تفتقر الخطة الى التفصيل الذى يحدد للوحدات القائمة بالتنفيذ رقم الانتاج المستهدف وحجم مستلزمات الانتاج وربط ذلك بخطة اثتمانية فضلا عن تحديد مقدار الفائض المستهدف . وبذلك يمكن مقابلة النتائج بالتقديرات والتعرف على مدى كفاية الوحدات الاقتصادية فى تنفيذها الاهداف الكمية والنوعية والزمنية لبرامج الخطة .

ولاتشترك الوحدات الانتاجية فى عملية بناء الخطة بحيث تحدد كمية السلع أو الخدمات التى يمكن انتاجها خلال فترة زمنية مقبلة على ضوء امكانياتها الفعلية وحاجتهــا من الموارد والآلات والمهارات المختلفة حسب ظروف التشغيل الخاصة بها .

ويتعذر على جهــاز التخطيط الحصــول على البيانات الكميه والمالية الخاصه بمتابعة تنفيذ الخطة فى الوقت المناسب بحيث يمكنه استخدام نتائج هذه البيانات بشكل ايجابى ، هذا فضلا عن ان الوسائل التى لدى الجهاز لاتمكنه من التحقق من صحة هذه البيانات . ويترتب على ذلك صعوبة التعرف على المشكلات فى حينها وبذلك تتفاقم ويصعب حلها فضلا عن تشتت المسئولية وعدم تحديدها . ويرجع السبب فى وجود تلك المشكلات الى أن جهاز التخطيط لا يباشر عملية المتابعة بنفسه اذ انهــا متروكة للوزارات المختصة ، فيؤدى تحميــل الوزارات بمسئولية الاشراف على قطاعات معينة وتنميتها ثم متابعتها فى نفس الوقت الى محاولة اخفاء بعض مشكلات التنفيذ ، وبذلك لا تسير عملية المتابعة على النحو المرسوم لها .

ولقد ادى وجود هذه الثغرات بالنسبة لجهاز التخطيط الى خلق عدة مشكلات تعوق الوحدات الاقتصادية عن القيام بدورها كاملا فى تحقيق اهدافها

ويترتب على ذلك عدم توافر مستلزمات وعوامل الانتاج بالكميات الضرورية وفى المواعيد المتفق عليها نتيجة لصعوبات تتعلق بالتمويل او لعدم ترتيب اولويات للتنفيذ .

يضاف الى ذلك مشكلات تتعلق بمدى التزام اجهزة السلطة التنفيذية بتحقيق البرامج المستهدفة ولاياتى الالتزام بتنفيذ الخطة الا اذا ارتبط بوجود اهداف واضحة وبرامج محددة مع توفير كافة الظروف التى تعين الوحدات الاقتصادية على القيام بدورها كاملا فى تنفيذ خطة التنمية .

ومن ناحية الجهاز المصرفى ، نجد انه لم يطور بعد ليساهم فى وضع الخطة بحيث يكون مسئولا عن اعداد الجداول المالية ومراقبة تنفيذ الخطة من نواحى مراجعة مخصصات الاجور والمواد الخام وكميات الانتاج المستهدفة .

فالجهاز المصرفى تواجهه عدة مشكلات . وهذه ترجع الى طبيعة تكوين وتنظيم الجهاز المصرفى نفسه ومدى قيامه بدور فعال فى اقتصاد اشتراكى مخطط، والى ازدواج اختصاصات بعض المؤسسات المالية ، والى عدم السيطرة الكاملة على قطاع الائتمان فى الدولة . وتتمثل اهم المشكلات الحالية فى ان البنك المركزى لايسهم فى وضع الجداول المالية للخطة ، ولايقوم بمتابعة تنفيذها او التعرف على تطوير انشطتها حيث لايحتكر منح الائتمان القصير الاجل . ولا يستطيع البنك المركزى فرض رقابة ايجابية على تنفيذ الخطة نظرا لانه لايضع ميزانية ائتمانية تفصيلية على مستوى المشروع فى مختلف قطاعات الاقتصاد القومى . كما أن اشراف البنك المركزى على البنوك التجارية غير تام بل ويكاد يكون معدوما ، ومازال يعتمد على أسلحته التقليدية التى لم تعد ذات فاعلية حتى فى النظم الراسمالية التى لجأت اخيرا الى تخصيص الائتمان وتحديده .

كذلك مازالت البنوك عندنا تعمل على غرار البنوك التجارية فى النظم الراسمالية حيث انها ليست كلها متخصصة .

ومازال حصول المشروعات على ماتطلبه من ائتمان غير مقيد بشروط محددة على استخدامه او مرتبط بتحقيق اهداف معينة ، او متوقف على سلامة المركز المالى للمشروع ونجاحه وضمان السداد .

هذا فضلا عن ان التمويل الذاتى مازال مسموحا به للوحدات الانتاجية ، كما أن الائتمان التجارى فيما بين المشروعات والمؤسسات العامة قائم بجانب وجود المنافسة بين البنوك رغم انها جميعا مملوكة للدولة .

ومازال هدف كل وحدة من وحدات الجهاز المصرفى هو تحقيق اقصى ربح دون النظر فى مدى مساهمتها فى تحقيق اهداف الخطة .

ولاتسير البنوك فى مجموعها وفق سياسة ائتمانية محددة حيث قد توسع بعضها فى منح الائتمان الى مؤسسات معينة قد لاتحتاج الى هذا القدر منه فيبقى لديها جزء من الاموال معطلا فى الوقت الذى تكون هناك مؤسسات اخرى ناجحة فى حاجة ماسة الى الاموال .

وعلى ذلك فان المشكلات التى تواجه المشروعات الاقتصادية من ناحية علاقتها بالجهاز المصرفى تنحصر فى تعدد الاجهزة التى توجه الائتمان وتراقبه ، وفى عدم وجود جداول مالية تتقيد بها البنوك عند تعاملها مع وحدات القطاع العام والخاص ، هذا الى جانب تنافس المشروعات الاقتصادية على الموارد المالية المحدودة او تنافس البنوك فيما بينها للحصول على اكبر ربح ممكن .

ولم تتحدد بشكل واضح علاقة الوحدات الانتاجية والمشروعات الاقتصادية العامة باجهزة التجارة الخارجية التى تتولى تسويق المنتجات تامة الصنع واستيراد ماتحتاجه تلك المشروعات من مستلزمات الانتاج مما ادى الى حدوث اختناقات فى العملية الانتاجية والتسويقية . وتفصيل ذلك ان المؤسسات العامة تعترضها كثير من الصعوبات سواء عند استيراد مايلزمها من مستلزمات الانتاج او عند تسويق منتجاتها النهائية ، وهذه الصعوبات يتعلق بعضها بصفة أساسية بالاجراءات التى تمر بها عملية استيراد او تصدير سلعة معينة ، ويرتبط بعضها الاخر بعدم تنسيق العمل بين الاجهزة التى تتولى عملية التجارة الخارجية ، والى عدم وجود خطة موحدة للاستيراد تقوم بها جهة مسئولة عن تنفيذها ، وفق جداول زمنية محددة وعلى ضوء دراسات تفصيلية لاحتياجات السوق المحلى والاسواق العالمية . ويمكن التغلب على هذه الصعوبة بالغاء نظام اذونات الاستيراد والاكتفاء بالتقديرات الواردة فى الخطة .

كذلك ترجع بعض المشكلات الى عدم وجود جهاز مركزى يختص برسم سياسة موحدة ومتناسقة لعمليات التصدير ، بحيث يمكنه ربط سياسة

التصدير بسياسة الاستيراد والتنسيق بينهما وبين قطاعات الاقتصاد القومى ».

ومن الملاحظ كذلك تعدد اجهزة الرقابة والمراجعة على حسابات الحكومة والمشروعات العامة بصورة غير متكاملة تؤدى الى حدوث التداخل والازدواج فى بعض واجباتها واختصاصاتها .

وتتمثل أهم هذه الاجهزة المركزية فى الادارة العامة لحسابات الحكومة والحساب الختامى لوزارة الخزانة وهذه تعهد الى بعض أجهزتها ممثلة فى مصلحة الجمارك ومصلحة الضرائب ، ومصلحة الاموال المقررة بمراقبة ايرادات الدولة وتحصيل مستحقات الحكومة .

كذلك يوجد الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، والجهاز المركزى للمحاسبات . وقد اتضح من دراسة المهام والاختصاصات التى تباشرها مختلف الاجهزة الرقابية المركزية ، وجود نوع من تداخل الاختصاصات فيما بينها ، فالمؤسسات العامة والشركات التابعة لها تخضع لرقابة اجهزة متعددة ، وهذه الاجهزة تباشر نشاطا متماثلا قد يحدث اضطرابا فى العلاقات بينها وبين بعضها ، وكذلك فيما بينها وبين المؤسسات العامة ، الامر الذى يجعل الرقابة تتشعب فيضعف أثرها وتجد المشروعات الاقتصادية نفسها فى موقف ينال كثيرا من كفايتها وانتاجيتها .

ثانيا : الاجهزة الشعبية

● لجان الاتحاد الاشتراكى :

يتضح من القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى أن منظماته تتدرج من القاعدة الى القمة اذ تبدأ من القرى والوحدات الجماهيرية الى ان تصل الى مستوى الجمهورية . كما ان جميع لجانه تشكل بطريقة الانتخاب . ومهام هذه اللجان القيام بعمل سياسى ، فليست لها اختصاصات تنفيذية الا بصورة عرضية .

وعلى الرغم من ان لجان الاتحاد الاشتراكى من اهم المنظمات التى يمكن ان تقوم بالرقابة على النشاط الاقتصادى ، الا ان هذه اللجان لم تؤد الدور المطلوب منها على النحو المطلوب . ويرجع ذلك بصفة اساسية الى عدم وضوح الدور الذى ينبغى أن تقوم به لجان الاتحاد الاشتراكى فى الوحدات الانتاجية مما جعل هذه اللجان تفتقر الى الوسائل والاجراءات مما يمكنها من أداء رسالتها ، كما يرجع كذلك الى تداخل اختصاصات المنظمات الاجتماعية والادارية الاخرى مع اختصاصات هذه اللجان وبالتالى لم يتوفر تعاون وثيق بين لجنة الاتحاد الاشتراكى من جهة وبين لجنة النقابة . وقد ترتب على هذه الثغرات أن بعض لجان الاتحاد الاشتراكى فى الوحدات الانتاجية لم تتمكن من القيام بدور قيادى داخل تلك الوحدات وهو متابعة تحقيق اهداف الخطة ، والعمل على زيادة الانتاج ، وخفض التكاليف ، والتاكد من سلامة تصرف المسئولين ، ومراقبة تنفيذ التوجيهات التى تصدرها لجان الاتحاد فى المستويات المركزية .

● لجنة النقابة :

ويختلف دور النقابات فى المجتمع الاشتراكى عما تقوم به فى الانظمة الراسمالية ، فلم يعد الدفاع عن مصالح اعضائها والمطالبة بتحسين ظروف العمل ورفع الاجور هو مهمة النقابة فى المجتمع الاشتراكى ، بل ان رسالتها تهدف اساسا الى زيادة الانتاج ، وتحقيق المنافسة الاشتراكية بين العمال ، ورفع كفايتهم الانتاجية وتحقيق اهداف الخطة القومية .

ولاشك فى ان قصور اللجنة النقابية عن اداء وظائفها كاملة يرجع بدرجة كبيرة الى عدم ارتباطها بطريق او باخر بلجان الاتحاد الاشتراكى ، الامر الذى نشأ عنه تعارض بين اختصاصات هذه الهيئات ، وهى التى ينبغى أن تعمل جميعا للوصول الى اهداف واحدة .

● المجالس الشعبية :

يتعين وفقا لاحكام الميثاق ، انشاء مجالس شعبية منتخبة توجد الى جانب المجالس المحلية وتعتبر بمثابة برلمانات محلية تتحقق بواسطتها مساهمة فعلية للسلطة الشعبية المختلفة فى الرقابة على اعمال الاجهزة التنفيذية . غير ان هذه المجالس لم تتكون بعد .

● المجالس المحلية :

يتضح من القانون الحالى المنظم للمجالس المحلية انها تشكل اساسا بطريق التعيين من بين الاعضاء العاملين بالاتحاد الاشتراكى العربى المنتخبين او بحكم وظائفهم . وتتولى المجالس المحلية اختصاصات تنفيذية هامة وهى اساسا انشاء وادارة مختلف المرافق والاعمال ذات الطابع المحلى وفقا لمستواها

فى التدرج الهرمى من المحافظة الى المدينة والقرية.

وقد صدر قانون الادارة المحلية رقم ١٢٤ لسنة ١٩٦٠ محتفظا بمعظم الاسس العامة التى عرفتها البلاد منذ بدات تاخذ بمظاهر اللامركزية الادارية . وبالرغم من قصر المدة التى طبق فيها النظام الجديد فان تطبيقه قد كشف عن كثير من الدلالات .

فلا شك ان النظام قد حقق كثيرا من النجاح ولكن ظهرت بعض الثغرات التى تكشفت عند التطبيق العملى ، وهذه يجب مواجهتها حتى يحقق النظام نتائجه الكاملة .

واول العقبات التى صادفت التطبيق ترجع الى ان التغيير الجوهرى الذى احدثه نظام الادارة المحلية فيما يتعلق بادارة المحافظات والمدن والقرى لم يصاحبه تغيير جوهرى مماثل فى اجهزة الوزارات مما ادى الى التداخل بين اجهزة الحكم المركزية واجهزة الادارة المحلية . والامر يحتاج الى تغيير هيكلى فى تنظيم الوزارات التى تتصل اختصاصاتها باجهزة الادارة المحلية بحيث تعيد النظر فى تنظيماتها وادارتها الاقليمية على ضوء مااستحدثه نظام الادارة المحلية من احكام ، ذلك ان نظام الادارة المحلية يقتضى ضرورة نقل الاختصاص باتباع سائر الخدمات ذات الطابع المحلى الى السلطات المحلية بحيث لايبقى فى يد الوزارات فى العاصمة الا التخطيط والخدمات ذات الطابع القومى . كما ان الامر يقتضى بالمثل اعادة توزيع موارد الدولة وموظفيها بما يتمشى مع تدعيم نظام الادارة المحلية .

نحو بناء نظام رقابى متكامل

على ضوء دراسة الثغرات التى اسفر عنها التطبيق العملى فى السنوات الاخيرة ، يمكن ان نتناول فيما يلى الدور الذى يجب ان تضطلع به كل من اجهزة السلطة التنفيذية ممثلة فى الاجهزة المركزية التى تقوم بوضع الخطة ومتابعة تنفيذها . والاجهزة الشعبية ممثلة فى لجان الاتحاد الاشتراكى واللجان النقابية ، والمجالس المحلية ، والمجالس الشعبية . على انه ينبغى ان يكون شكل وتكوين الاجهزة الرقابية المقترحة متفقا والظروف الاقتصادية القائمة ووفق اسلوب التخطيط الشامل ، مع ضرورة تحديد علاقة هذه الاجهزة بعضها بالبعض الاخر ، وعلاقتها بالمشروعات الاقتصادية حتى تؤدى كل منها دورا محددا ومتكاملا فى العملية الرقابية .

اولا ـ رقابة الاجهزة التنفيذية :

يقع على عاتق جهاز التخطيط مسئولية وضع الخطة ومتابعة تنفيذها متعاونا فى ذلك مع الاجهزة الاخرى . على ان تبنى تقديرات الخطة على اسس علمية واقعية وان تسهم الوحدات الانتاجية والمشروعات الاقتصادية فى وضعها منذ البداية على ضوء ظروفها الانتاجية وطاقاتها التشغيلية .

وجهاز التخطيط مسئول عن متابعة التنفيذ عن طريق مايحصل عليه من بيانات بواسطة اقسامه التى يجب ان تكون تابعة له فى المؤسسات والوزارات المختصة ، وعن طريق الجهاز المصرفى والجهاز الاحصائى حتى يستطيع ان يتخذ القرارات الضرورية وفى الوقت المناسب لتذليل أى صعوبات تعترض الخطة او تعديل اولويات التنفيذ او تعديل الخطة ذاتها على ضوء امكانياته الفعلية .

ويلزم ان يعاون الجهاز المصرفى جهاز التخطيط فى وضع الخطة ومتابعة تنفيذها ، فيعهد اليه بوضع الجداول المالية ومتابعة تنفيذ المؤسسات العامة والوحدات الانتاجية للخطة من الناحية الكمية والقيمية .

ويلزم فى هذا الشان اعادة تنظيم وتطوير الجهاز المصرفى ليقوم البنك المركزى بمهام بنك الدولة فى الدول الاشتراكية بحيث يمكنه مراقبة تنفيذ المشروعات الاقتصادية للخطة والسيطرة على كافة مصادر الائتمان فى الدولة .

ولكى تتم رقابة الجهاز المصرفى على الانفاق العام ، فانه يلزم اتخاذ عدد من الاجراءات والخطوات التالية :

● ادماج جميع البنوك الحالية فى البنك المركزى وذلك بعد تصفية مراكزها المالية بحيث تصبح فروعا للبنك المركزى ، ليقوم بمتابعة تنفيذ الخطة متابعة دقيقة عن طريق الميزانية الائتمانية وملحقاتها وفيها تحدد الحصص المختلفة من القروض قصيرة الاجل التى يمنحها البنك لكل قطاع ولكل مؤسسة داخل هذا القطاع ، ولكل وحدة انتاجية تتبع المؤسسة الفرعية ، ويجب ان تقسم هذه الحصص الاجمالية من القروض الى بنود مختلفة كالاجور ومستلزمات الانتاج وغيرها من شتى البنود . ويلزم ان تحتفظ كل مؤسسة ووحدة انتاجية بحساب لدى فرع البنك المختص بنشاطها فى المنطقة التى تقع فيها .

● لا يسمح باكثر من حساب واحد لكل مؤسسة او وحدة انتاجية ، على ان يتم تعامل المؤسسة او الوحدة الانتاجية مع غيرها عن طريق هذا

الحساب فى كافة العمليات . ومن الضرورى ان يصور الحساب التفصيلى نشاط المشروع تصويرا كاملا كالاجور والانتاج والمبيعات والمخزون ومستلزمات الانتاج وغيرها .

● لا يصرف أى اعتماد الا اذا تأكد المختص فى فرع البنك من ان ذلك الاعتماد سوف يستخدم فى الغرض الذى اعتمد من اجله فيتحقق مثلا من ان الاجور المطلوب صرفها قد قابلها الانتاج الذى استهدفته الخطة كما ونوعا وفى الوقت المحدد . ويتحتم عدم تجاوز الاعتماد المقرر الا فى ظروف خاصة وبموافقة من الجهاز المصرفى أو النقل من بند لآخر الا فى حالات معينة يقرها البنك . والى جانب ذلك فانه يلزم عدم السماح بالتمويل الذاتى او الاحتفاظ بمبالغ سائلة لدى المؤسسة او الوحدة الانتاجية الا فى حدود ضيقة للمصروفات النثرية .

وبادماج البنوك جميعها فى البنك المركزى ، واشرافه التام على اجهزة الادخار ، وعلى كافة مصادر الائتمان فى الدولة ، يصبح البنك المركزى فى موقف يمكنه من المساهمة فى وضع الجداول المالية للخطة ومتابعتها .

ثانيا — رقابة المنظمات السياسية والاجتماعية :

من المعروف ان التنظيمات السياسية والاجتماعية التى انبثقت من عملية التحول الاشتراكى هى قيام مجلس الامة ممثلا لجموع الفلاحين والعمال ، ولجان الإتحاد الاشتراكى ، ونقابات العمال ، والمجالس المحلية ، والمجالس الشعبية . ولما كانت هذه المنظمات تسهم بحكم تكوينها وتنظيمها فى وضع الخطة الاقتصادية وتراقب تنفيذ الجهاز التنفيذى لبرامج الخطة ، لذا كان من الضرورى تنظيم وتحديد العلاقة بين هذه المنظمات والمشروعات الاقتصادية حتى لاتتعارض اختصاصاتها او يحدث ازدواج فى المهام التى تضطلع بها .

● السلطة التشريعية :

يعتبر مجلس الامة اخر حلقة فى الأشراف على الانفاق العام ، فهو الذى يصادق على الميزانية العامة ويعهد الى جهاز التخطيط والجهاز المصرفى والاجهزة المحاسبية فى مراقبة تنفيذ الخطة للتحقق من سلامة الانفاق وكفاية الاداء . وللمجلس ان يتخذ من الوسائل مايتاكد به من مدى تحقيق المشروعات الاقتصادية للأرقام التى استهدفتها الخطة ، وان ينشىء لجانا تكون مهمتها التحقق من كفاية المشروعات الاقتصادية ومدى تحقيقها لأهداف الخطة ، ودراسة المشكلات والصعوبات التى تقابل الاجهزة الادارية والمشروعات العامة والتقدم بتوصيات ايجابية تعرضها على المجلس .

● نقابات العمال :

يختلف دور نقابات العمال جذريا فى المجتمع الاشتراكى عن ذلك الدور الذى تقوم به فى المجتمع الراسمالى . فلم يعد هناك انفصال بين ملكية راس المال وملكية العمل فى المجتمع الاشتراكى ، وبذلك اصبح عليها اداء رسالة هامة سواء على المستوى القومى أو على مستوى الوحدة الاقتصادية .

ويتمثل دور النقابات على المستوى القومى باشتراكها فى وضع خطة الاجور ، ومحاولة استقرار «الاجور الحقيقية» بحيث لاتسعى الى اجراء أى تغيير فى هيكل الاجور بعد اقرار الخطة عن طريق مساومات منفصلة فى كل صناعة على حدة ، بل ان عليها أن تجعل جداول الاجور مطابقة لبرامج الانتاج التى استهدفتها الخطة طبقا لقاعدة «المكافأة حسب العمل» . وعلى النقابات ان تزيد من انتاجية العمال بالتدريب والمران بكافة الوسائل الممكنة لاعدادهم من الناحية الايديولوجية والفنية لشغل الوظائف الادارية والقيادية . ومن مهمة النقابات كذلك مراقبة اداء العمال بما يضمن تحقيق اهداف الخطة ، ومراقبة تنفيذ قوانين العمل والتامينات الاجتماعية .

ويتمثل دور اللجنة النقابية على مستوى الوحدة الانتاجية فى التاكد من استخدام نظام العمل بالقطعة وتشجيع العمال على زيادة الانتاجية وتحقيق المنافسة الاشتراكية فيما بينهم والعمل على سلامة الانتفاع بالموارد والقضاء على الاسراف فى استخدام المواد والمعدات ، وتدريب العمال على تولى مهام ادارية وتنمية العلاقات الاجتماعية داخل المشروع . وفيما يتعلق بتنفيذ الخطة يكون للجنة النقابية أن تطلب من مدير المشروع برنامج الخطة وتبحث كل الظروف التى تساعد على تحقيقها والتغلب على المشكلات التى تعترضها ، ويمكن أن تعقد «مؤتمرات انتاج» شهرية او كل ثلاث شهور تضم اللجنة النقابية وعددا من الفنيين فى المشروع ونسبة من العمال ، وذلك لمناقشة مدى تقدم العمل واقتراح الوسائل والاجراءات التى تضمن تنفيذ الخطة فى الوقت المحدد لها وبالكميات والمواصفات المطلوبة . على ان يتم تحقيق هذه المهام جميعا دون اى تدخل من جانب اللجنة النقابية فى أعمال الادارة حيث ان واجبها الاساسى هو العمل على تنفيذ الاهداف وتحقيق المنافسة فيما بين العمال وزيادة انتاجيتهم —

● لجان الاتحاد الاشتراكى :

تعتبر لجان الاتحاد الاشتراكى باعتباره الاطار السياسى الشامل للعمل الجماهيرى لقوى الشعب المتحالفة من اهم الادوات التى يعهد اليها بالرقابة على النشاط الاقتصادى . فهذه اللجان يمكن أن تؤدى دورا هاما فى مجال وضع الخطة ومراقبة تنفيذها على كل المستويات الادارية ، فتقوم اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى باتخاذ القرارات الهامة المتعلقة بالنشاط الاقتصادى وبالاهداف التى تسعى الى تحقيقها فى خلال فترة مقبلة . وتستمد هذه اللجنة بياناتها من اللجان الشعبية الجماهيرية الممتدة افقيا فى المستويات الادارية المختلفة من القرية حتى اللجنة المركزية ، وكذلك عن طريق ممثليها فى المشروعات الاقتصادية . وعلى لجان القاعدة وغيرها من اللجان الشعبية ان ترسل ماتراه من مقترحات او توصيات فيما يختص بتنمية البيئة التى تعمل فيها ، وتقوم بدراسة هذه التقارير لصياغتها فى شكل برنامج واهداف عامة تكون بمثابة خطة اولية تحمل رغبات الشعب من واقع بيئته وظروفه الاقتصادية والاجتماعية القائمة وامكانياته المتاحة .

وتعتبر لجان الاتحاد الاشتراكى من ناحية اخرى التنظيمات السياسية لمباشرة مهمة الرقابة الشعبية على النشاط الاقتصادى وادارته ادارة أمينة ، ويساعد هذه اللجان على تحقيق تلك المهمة أمران : الاول هو ما تتمتع به هذه اللجان من صفة شعبية ، والثانى ينحصر فيما تضمه هذه اللجان من مجموعة العاملين الذين يعلمون تفاصيل المشروع ، الامر الذى يمكنهم من مناقشة كثير من الارقام التى ترد فى تقارير جهاز الادارة عن نشاط المشروع وانتاجه ، للتحقق من ملاءمتها .

وتتمثل مهمة لجان الاتحاد الاشتراكى على مستوى المشروع فى حشد جهود العمال لتنفيذ اهداف الخطة والعمل على زيادة الانتاج وخفض التكاليف والتاكد من سلامة تصرف المسئولين ومراقبة تنفيذ التوجيهات التى تصدرها الامانة العامة ، كذلك تعليم العمال الاخلاص للنظام الاشتراكى بعمل برامج توعية لهم ، وحثهم على تحقيق برامج الانتاج كما ونوعا وتحقيق المنافسة فيما بينهم . ويمكن للجنة ان تناقش التقارير الدورية التى يرفعها جهاز الادارة الى السلطات الاعلى خاصة فى نواحى ماتم تنفيذه من أهداف الخطة . وعلى اللجنة ان تدون ملاحظاتها وترسلها الى ادارة المشروع لمناقشتها والرد عليها . وللجنة ان تدعو مدير المشروع لمناقشته فى اى مشكلة هامة من المشكلات المتعلقة بالجماهير او المتصلة بتنفيذ الخطة .

غير انه لابد من تحديد العلاقة بين لجان الاتحاد الاشتراكى واللجنة النقابية وجهاز الادارة وذلك من حيث المهام والاختصاصات المسندة لكل منها . لذا يلزم ان يكون هناك تعاون وثيق بين هذه المنظمات . ويمكن ان يتم اجتماعهم دوريا فى «مؤتمرات الانتاج» التى تعقد كل ثلاثة شهور مثلا ، لمناقشة مدى تنفيذ الخطة ومشكلات الانتاج وتقديم المقترحات التى تدفع بعجلة الانتاج . كذلك يجب ان تشترك لجنة الاتحاد ولجنة النقابة فى وضع خطة المشروع وتقديم ملاحظاتها عن برنامج الخطة .

غير ان عملية البناء الاشتراكى تتحقق بمدى ايمان قادة هذه المنظمات بالنظام الاشتراكى وبالدور الذى يقع على عاتق المشروع فى تنفيذ اهداف الخطة القومية .

● المجالس المحلية :

على ضوء الثغرات التى سبق ان اشرنا اليها فيما يتعلق بقانون الادارة المحلية تظهر الحاجة الى اعادة النظر فى اختصاصات هذه المجالس المحلية بحيث يتسع نطاق القرارات والاعمال التى تدخل فى الاختصاص النهائى للمجلس المحلى ولا تخضع لتصديق وزير الادارة المحلية او اية سلطة اخرى ، وذلك حتى يكون هناك محلا لاعمال رقابة المجالس الشعبية على اعمال المجالس المحلية ، باعتبار انه من غير الملائم ان تخضع قرارات المجالس المحلية لوصاية السلطة المركزية ولرقابة المجالس الشعبية فى نفس الوقت ، لان من غير الملائم ان تخضع تلك القرارات لرقابة المجلس الشعبى بعد ان يكون قد صدق عليها من وزير الادارة المحلية او اية سلطة مركزية اخرى ، كما انه من ناحية اخرى لايتلاءم اخضاع القرارات المحلية معدلة او مصدقا عليها من المجلس الشعبى لرقابة لاحقة من السلطات المركزية لما فى ذلك من الاخلال بالدور الشعبى فى الرقابة المطلوبة من المجالس الشعبية وبما يجب ان يكون لها من استقلال يمكنها من اداء دورها على نحو فعال باعتبارها سلطات شعبية تمارس جزءا من سلطات الدولة وفقا لما نص عليه الميثاق .

ويقتضى ذلك ان تقتصر سلطة الوصاية التى تمارسها السلطات المركزية على الامور الهامة والتى تمس السياسة العامة او الخطة العامة

للدولة ، اما القرارات المتعلقة بالامور المطبنة البحتةفتكون من الاختصاص النهائى للمجالس المحلية ولا تخضع الا لرقابة المجالس الشعبية وحدها .

واذا ماانتقلنا بعد ذلك الى بيان مايقتضيه الامر من تعديلات على قانون الادارة المحلية ، امكن ان نشير الى أهم الملاحظات فى هذا الشأن .

ففيما يتعلق بتشكيل المجالس الشعبية فان من المناسب تغليب عنصر الانتخاب واشتراطه فى غالبية الاعضاء حتى يمكن ان يكون المجلس المحلى سلطة معبرة عن ارادة قوى الشعب فى دائرة اختصاصه ، وبذلك يتحقق مايقتضى به الميثاق من ان الحكم المحلى يجب ان ينقل سلطة الدولة تدريجيا الى ايدى السلطات الشعبية .

وبالنسبة لرؤساء هذه المجالس يجب النص على ان يكون رئيس مجلس المدينة او القرية من بين ابناء الاقليم ، كما يحسن ان يكون اختيار وكيل مجلس المحافظة بطريق الانتخاب من بين اعضاء المجلس ويحل محل المحافظ عند غيابه بدلا من مدير الامن تدعيما للعنصر الشعبى فى المجالس المحلية .

كذلك يجب اعادة النظر فى التفاوت البين بين وضع إعضاء مجالس المحافظات الذين يتقاضون مكافآت شهرية محددة وغيرهم من اعضاء المجالس المحلية الذين لايتقاضون اية مكافات فى الوقت الذى يتقاضى فيه رؤساء مجالس المدن مكافات كبيرة .

كذلك يجب ان يكون هناك دراسة موضوعية لرسم الحدود الفاصلة بين مايدخل فى اختصاصات المجالس المحلية وماتحتفظ به الوزارات ، على ان يراعى توسيع نطاق الاختصاصات النهائية للمجالس بدلا من اخضاع العديد منها لتصديق المحافظ او لسلطة ممثل الوزارات ذات الشان .

وقد يكون من المناسب ان يقوى القانون كيان اللجان الفرعية المنبثقة عن المجلس المحلى باعطائها سلطات محددة بحيث تكون كمجالس للمشورة الى جانب الجهاز المختص بالتنفيذ، وذلك فى الاوقات التى لاينعقد فيها المجلس بصفة خاصة .

ويلزم ان يعاد النظر فى تنظيم الاجهزة الفنية للمحافظات لتكون فى خدمة مجالس المدن والقرى حيث لاتستطيع تلك المجالس فى الظروف الراهنة من خلق الاجهزة الفنية الخاصة بها . ويتحتم ان تتولى اجهزة مجالس المدن خدمة مجالس القرى القريبة منها بتوحيد اجهزة المستخدمين والحسابات والميزانية بحيث تخدم فى ذات الوقت المدينة والقرى القريبة منها تخفيفا للاعباء المالية على مجالس القرى .

● **المجالس الشعبية :**

يتعين وفقا لاحكام الميثاق ، انشاء مجالس شعبية منتخبة الى جانب المجالس المحلية وتعتبر بمثابة برلمانات محلية تتحقق بواسطتها مساهمة فعلية للسلطة الشعبية فى المستويات المختلفة فى الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية .

ولما كانت هذه المجالس لم تشكل بعد ، لذا فمن الضرورى ان نضع خطوطا عريضة لتنظيم هذه المجالس الشعبية ، مع بيان تنظيم لعلاقتها بلجان الاتحاد الاشتراكى ، وبالمجالس المحلية .

غير انه من المفيد ان نلقى الضوء على الخصائص الرئيسية التى تميز المجالس الشعبية فى النظام الاشتراكى من واقع تجارب دول اشتراكية ورأسمالية كذلك ، هى على سبيل المثال الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا من ناحية ، وانجلترا وفرنسا من ناحية اخرى .

السمات الرئيسية للمجالس الشعبية فى الدول الاشتراكية

يتميز نظام الحكم المحلى فى الدول الاشتراكية ببعض الخصائص او الملامح التى لاتوجد فى الدول الراسمالية ، وهذا ينعكس اثره على التنظيمات الشعبية والسياسية والادارية سواء من حيث الاختصاصات او التكوين او العلاقات فيما بينها . وتتمثل هذه الخصائص فيما يتعلق بالمسائل التالية:

● **مبدأ الفصل بين السلطات :**

وتاخذ الديمقراطيات الراسمالية بمبدأ الفصل بين السلطات ، اما الدول الاشتراكية فلا يوجد فيها فصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية حيث تستمد السلطات جميعها من الشعب الذى ينتخب ممثليه مباشرة فى المجالس الشعبية وفى البرلمان كما ينتخب القضاة لمدد معينة .

فالمجالس الشعبية المنتخبة تدير بنفسها الادارات والمصالح التى تعمل فى الخدمات ، وتدير كذلك المشروعات الاقتصادية ذات الطابع المحلى، وبذلك تنبثق السلطة التنفيذية من المجالس الشعبية حيث تباشر هذه المجالس السلطتين التنفيذية والتشريعية فى المسائل التى يخولها الدستور حق ممارستها .

وتجدر الاشارة الى ان عدم الاخذ بمبدأ الفصل بين السلطات فى البلاد الاشتراكية يتجلى بصورة واضحة فى المجالين التشريعى والتنفيذى ، اما القضاء فهو سلطة مستقلة تباشر اختصاصاتها دون تدخل من جانب اية سلطة اخرى .

والوظيفة الرقابية التى تباشرها البرلمانات فى الدول الراسمالية على اعمال السلطة التنفيذية بصفة عامة لاتدخل من الناحية العملية فى اختصاص البرلمانات فى الدول الاشتراكية حيث تجتمع هذه الاخيرة مرتين او اربع مرات فى السنة وتنظر فى امور الميزانية والخطة القومية عند وضعها ، وعند

تنفيذها لتتأكد من تحقيق الاهداف الواردة بالخطة، كما تنظر فى المسائل الهامة العليا كالسياسة الخارجية والتغييرات الاساسية فى النظام الاقتصادى والاجتماعى ، وتصدق كذلك على القوانين . اما مادرج عليه العمل فى البرلمانات الراسمالية من الاجتماعات اليومية او الاسبوعية للنظر فى المسائل التفصيلية الجارية وتقديم الاسئلة الى السلطة التنفيذية أو الوزراء ، فلا محل لهـا فى البـلاد الاشتراكية .

وتتـولى الرقابة على المشروعات والمنظمـات المختلفة فى الاقتصاديات الاشتراكية لجان منبثقة من المجلس الشعبى يعاونهـا خبـراء وموظفون معينون ، الى جانب أجهزة فنية متخصصة كجهاز التخطيط والجهاز المصرفى .

● سلطات المجالس الشعبية :

من المعروف ان للمجالس المحلية فى الاقتصاد الراسمالى سلطة الاشراف على بعض الخدمات المحلية كخدمات الكهرباء والمياه والاسكان والخدمات الصحية والتعليمية وغيرها . وتتراوح هذه السلطة بين الاشراف المباشر على هذه الخدمات كما هو الحال فى انجلترا ، او الاشتراك بطريق غير مباشر مع الادارة التنفيذية فى الرقابة عليها ، كمـا هو الحال فى فرنسا .

غير ان المجالس الشعبية فى الاقتصاد الاشتراكى تمارس اختصاصات اوسع مدى ، فهى تدير الخدمات جميعا ادارة مباشرة ، سواء الخدمات المجانية او خدمات يدفع السكان عنها مقابلا . كما أنها تقوم بادارة المشروعات الاقتصادية المحلية بطريق مباشر ، وتاخذ جزءا من ايراداتها لتستخدمه فى تمويل نشاطها . والميزانية العامة للدولة هى التى تمد المجالس الشعبية بالاموال اللازمة لتمويل الخدمات المجانية ، وبالاموال الضرورية لاوجه نشاطها الاخـرى فى حالة عدم كفاية مواردها الذاتية . على ان المجالس الشعبية فى الدول الاشتراكية لاتدير المشروعات ذات الاهمية القومية التى توجد فى منطقة اختصاصها فهذه تدار ادارة مركزية اى انها تخضع اما لمؤسسة معينة أو للوزارة التى تتولى شئون قطاع معين ، غير انها تقوم بالاشراف على سير العمل فى تلك المشروعات والمنظمات ويتم ذلك احيانا لحساب السلطات المركزية . كذلك تشرف هذه المجالس على ادارة القطاع الزراعى كله الحكومى والتعاونى والخاص .

ويرجع هذا التوسع فى وظائف الحكم المحلى فى الدول الاشتراكية الى طبيعة النظام الاشتراكى نفسه الذى يحتم على الدولة القيام بدور رئيسى فى عمليات الانتاج والتخطيط وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية لجميع المواطنين ، بجانب قيام الدولة بالوظائف التقليدية المعروفة . فمجالس السوفييت المحلية وفقا للدستور السوفيتى مثلا تدير الاجهزة الادارية التابعة لها ، وتحافظ على الامن واحترام القانون وحقوق المواطنين ، كما تدير المسائل الاقتصـادية والثقـافية والمحلية وتضع الميزانية الخاصة بها .

● مبدأ المركزية الديمقراطية :

ومؤدى هذا المبدأ ان المجالس الشعبية فى مستوياتها المختلفة تتمتع بحرية تامة فى مباشرة اختصاصاتها والرقابة على المشروعات والمنظمات التى تقع فى دائرة اختصاصها ، الا ان المجالس الادنى تخضع للمجالس الاعلى منها مرتبة وملتزمة بتنفيذ تعليماتها وتوجيهاتها وتخضع لرقابتها . اما فيما يتعلق باللجان التنفيذية التى تنبثق عن تلك المجالس الشعبية ، فهى لاتخضع لاية سلطـة تنفيذية كالوزارات مثلا ، ولكنها تخضع فقط للجان التنفيذية فى المجالس الشعبية الاعلى منها حتى تصل الى مجلس الوزراء . وبطبيعة الحال فان هذه اللجان تخضع لرقابة المجالس الشعبية التى تنبثق منها .

غير ان يوغوسلافيا لم تتبع كثيرا هذا المبدأ حيث ذهبت منذ سنة ١٩٦٣ الى اعطاء الوحدة الاساسية الممثلة فى الكوميون شخصية مستقلة وسلطات اوسع فى التصرفات ، كما يعتمد النظام اليوغوسلافى فى رقابته على المشروعات الانتاجية على مجالس العمال التى ينتخبها جموع العاملين داخل كل مشروع اقتصادى ، بالاضافة الى لجنة النقابة وخلية الحزب . وهذه المشروعات لاتخضع لرقابة مركزية ، ولكنها تخضع لرقابة محلية ممثلة فى مجلس المنتجين بالكوميون .

اما الوضع فى الدول الراسمالية فمختلف ويتراوح بين المركزية والاستقلال . فنظام الحكم المحلى فى فرنسا يعتبر من اكثر النظم مركزية حيث تخضع الهيئات المحلية فيه الى رقابة شديدة من السلطات المركزية . والسلطة العليا فى الرقابة هناك هى الحكومة المركزية ممثلة فى رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء ، ولكن الرقابة المباشرة فى كثير من الاحيان يقوم بها المحافظ الذى يمثل السلطة المركزية .

وتتخذ الرقابة على الهيئات المحلية فى فرنسا صورا عدة منها الرقابة على الموظفين فى الحكم المحلى ، وعلى عمل المجالس وقراراتها ، هذا الى جانب الرقابة المالية والقضائية وغيرها .

والحال فى بريطانيا يختلف ، فالسلطات المركزية لا تتدخل فى انتخاب او تعيين أعضاء المجالس المحلية ورؤسائها ، ولاتحتاج هذه الهيئات الى موافقة الحكومة المركزية على ميزانياتها او قراراتها ولا يجوز للسلطة المركزية ان تحل اى هيئة من هيئات الحكم المحلى . على ان هذه الحرية ليست مطلقة فهى خاضعة لرقابة القضاء ، ولرقابة الوزارات

فى بعض النواحى كاللوائح التى يصدرها الوزراء والمعونات المالية والتفتيش غير المباشر .

● **الانتخاب المباشر :**

تنتخب المجالس الشعبية فى البلاد الاشتراكية انتخابا مباشرا فى جميع مستوياتها بواسطة الشعب فلا يجوز أن يكون فى هذه المجالس اعضاء بالتعيين .

ويتولى ترشيح الاعضاء الهيئات العاملة والتنظيمات الشعبية مثل الحزب الشيوعى ونقابات العمال والتعاونيات ومنظمات الشباب والجمعيات الثقافية والمصانع ووحدات القوات المسلحة . ويتم الاتفاق بين هذه المنظمات على مرشح واحد لكل دائرة انتخابية قبل اجراء عملية الانتخاب . وهنا يلزم أن يحصل على اصوات جميع المقيدين فى سجل الدائرة لكى يفوز بالعضوية .

وفى كل دورة انعقاد عادى ينتخب المجلس الشعبى «هيئة مكتب» لادارة جلساته واعماله ، وتتكون من رئيس وامين عام ، وهذه الهيئة تقوم بالادارة التنفيذية على مستوى القرية فحسب ، اما فى المستويات الاخرى فالمجلس ينتخب لجنة تنفيذية من رئيس ونائب رئيس واعضاء يتراوح عددهم بين خمسة وثلاثة عشر عضوا . وتصدق كل لجنة تنفيذية على انتخاب رئيس اللجنة المماثلة فى المستوى الاقل منها .

ويتميز النموذج اليوغوسلافى بأن جمهور الكوميون يقوم بانتخاب « لجنة الكوميون » وهى تتكون من مجلسين :

● مجلس الكوميون ، وينتخبه جميع المواطنين الذين لهم حق الانتخاب .

● مجلس منظمات العمال : وتنتخبه الجماهير العاملة لافى المشروعات والمؤسسات الاقتصادية فحسب ، كما كان الوضع قبل دستور ١٩٦٣ ، ولكن فى المؤسسات الثقافية والتعليمية والاجتماعية والصحية كذلك .

والانتخاب لهذه المجالس مباشر . ويقوم «مجلس الناخبين» بتقديم اثنين من المرشحين على الاقل لكل مقعد . والعضوية لهذه المجالس لمدة اربع سنوات على أن يتغير نصف اعضاء المجالس كل سنتين .

غير ان الانتخاب المباشر فى يوغوسلافيا يقتصر على مستوى الكوميون وتكون كل مجموعة من الكوميونات اقليما له «جمعية شعبية» تتكون من مجلسين ايضا ، وينتخب اعضاؤهما بواسطة مجالس الكوميونات ، ومن بين اعضائها ، ومعنى ذلك ان الانتخاب هنا غير مباشر .

والوضع يختلف بعض الشىء فى البلاد الرأسمالية ففى بريطانيا مثلا نجد الانتخاب مباشرا فى كل المستويات ، غير ان العضو الواحد يمكن انتخابه لاكثر من مجلس من المجالس المحلية . وتتميز مجالس المقاطعات والمدن فى بريطانيا بأن عضويتها لاتقتصر على الاعضاء المنتخبين انتخابا مباشرا ، بل يقوم هؤلاء الاعضاء بانتخاب مايعادل ثلث عددهم من الافراد العاديين ذوى الكفاءات الذين لايستطيعون الاشتراك فى عملية الانتخاب المباشر ، وذلك لكى ينضموا معهم لعضوية المجالس . كذلك يتميز النظام الانجليزى بأن المجلس المحلى ينتخب رئيسا له من بين اعضائه او من خارج المجلس بشرط ان تتوافر فيه شروط العضوية للمجلس ، ولايحتاج انتخاب الرئيس الى اعتماد جهة أعلى من المجلس الذى انتخبه وعادة يعاد الانتخاب لهذا المنصب كل عام .

والنظام الفرنسى يقوم على الانتخاب المباشر لجميع المجالس وليس فيه أعضاء مختارون بواسطة أعضاء المجالس ، كما هو الحال فى النظام الانجليزى .

ورغم ان رئيس مجلس الكوميون منتخب من المجلس الا انه لايخضع له تماما الا فى المسائل ذات الطابع المحلى ، أما فى المهام الاخرى التى يقوم بها الرئيس كمندوب للسلطات المركزيه فهو لايخضع فيها لسلطات المجلس المحلى . ويزداد الانفصال بين الهيئات التشريعية والتنفيذية فى النظام الفرنسى فى مستوى المحافظة . ففى هذا المستوى ينتخب الشعب ايضا مجلسا شعبيا انتخابا مباشرا وينتخب المجلس رئيسا له ولكنه لا يرأس الجهاز التنفيذى حيث ان المحافظ هو الذى يقوم بذلك ، وهو ليس منتخبا من المجلس ولكنه معين بواسطة رئيس الجمهوريه بناء على ترشيح وزير الداخليه وتدفع الدولة مرتبه .

● **المشاركة الشعبية فى الحكم المحلى** تأخذ الديمقراطيه تطبيقا أكبر فى النظم الاشتراكيه ، حيث يتاح للشعب اكبر قدر من المشاركة فى المجالس الشعبية وفى اعمالها . فالمعروف أن هذه المجالس تؤلف لجانا فرعية من بين اعضائها لتباشر الوانا مختلفة من النشاط الاجتماعى والاقتصادى يختص كل منها بالإشراف على فرع معين من اعمال المجلس كالصناعة والزراعة والنقل والصحة والتعليم وغير ذلك ، على ان عضوية هذه اللجان لاتقتصر على اعضاء المجلس فحسب ، كما هو الحال فى البلاد الرأسمالية ولكنها تضم ايضا مندوبين عن المصانع والمزارع والمنظمات التابعة للمجلس ، وموظفين فنيين من الاجهزة الادارية ، بالإضافة الى عدد من افراد الجماهير العاملة .

ففى الاتحاد السوفييتى ويوغوسلافيا مثلا ينص قانون المجالس الشعبية على ضرورة اشتراك المواطنين فى اللجان الدائمة التى يختص كل منها بنوع معين من نشاط المجلس واعماله ، كما تهتم الدول الاشتراكية بعقد مايسمى «باجتماعات الناخبين» حيث يجتمع المواطنون جميعا فى دائرة

كل مجلس وتعرض عليهم التقارير عن أعمـاله وتطرح عليهم موضوعات مختلفة لمناقشتها واتخاذ قرارات بشأنهـا ، ورغم أنهـا غير ملزمة قانونا للمجالس المحلية الا انها تضعها دائما في اعتبارها.

وتهتم السلطات المحلية ايضا بعقد «المؤتمرات المهنية» كمؤتمرات عمال البناء والاطباء والمزارعين والعاملين في الصناعة الى غير ذلك . وتصدر هذه المؤتمرات قرارات وتوصيات في مختلف المسائل التي تحتاج الى دراسة في المجالس المحلية .

وهذه المشاركة الشعبية لايوجد مايماثلها في الدول الراسمالية فيما عدا نظام «الاستفتـاء الشعبي» الذي تاخذ به بريطانيا في نطاق محدود فيدائره الكنيسة .

● **التنظيم الحزبي** : تعتمد الدول الاشتراكية في توجيه تنظيماتها السياسيه والشعبية بصفة عامة على تنظيم حزبي دقيق ، يتكون اعضاؤه من الكادر الثوري الذي يقود عملية البناءالسياسي والاقتصادي جميعا . ويرجع هذا الاعتماد الى رغبة هذه الدول في تشجيع الشعب على المشاركة في المجالس الشعبية وفي « مؤتمرات الناخبين » ويبدو ان هذا العامل هو من اهم الاسباب التي ادت الى نجاح هذه الدول في هذا المجال ، ذلك انانتشار القواعدالحزبيةالمؤمنةبالنظام الاشتراكي تكون بمثابة خلايا متحركة قادرة على تحقيق فاعلية كبيرة ، سواء في المجالس الشعبية او في غيرها .

● **التنظيم المقترح للمجالس الشعبيـة** : على ضوء ماسبق ايضاحه من الخصائص الاساسية التي تميز تجارب الدول الاشتراكية والديمقراطيات الراسمالية فيما يتعلق بالمجالس الشعبية ، يمكن ان نضع الخطوط العريضة لتنظيم هذهالمجالس فيما يلي :

● يتعين ان تكون المجالس الشعبية مشكلة اساسا عن طريق الانتخاب حتى تكون منظمات شعبية صادقة ممثلة لقوى الشعب العامل وقادرة على ممارسة دورها فيالرقابة الشعبية .

● أن يكون من بين الاختصاصات الهامة التي يجب أن تتولاها المجالس الشعبية في الجمهورية العربية المتحدة ماياتي :

ـــ حق ادارة ومباشرة النشاط الاقتصادي ومتابعته في المستوى الاداريالمحلي فيشكل اعضاء هذه المجالس بطريق الانتخاب المباشر ، بحيث يمثل كل عضو عددا من السكان ، وتقوم هذه المجالس بانتخاب رئيس لها ، وتكون من بين اعضائها لجانا تنفيذية مهمتها الرقابة على فروع النشاطالاقتصادي المحليكالصحة والتعليموالثقافة والصناعة والزراعة والنقل وغيرها ، اي على مراكز الانتاج القائمه فيدائره المجلس الشعبي ، بحيث يخضع النشاط الاقتصادي لرقابه السلطة الشعبية المحلية ويكون له حق فرض رسوم معينة يحددها القانون .

ـــ ضرورة عرض مشروع ميزانية المجلس المحلي والحساب الختامي على المجلس الشعبي ، كما تجب موافقته على ميزانيـات المؤسسـات والهيئات العامة المحلية وحساباتها الختامية .

ـــ حق المجلس الشعبي في مناقشة الخطة العامة للانتاج فيما يتعلق منها بالمشروعات الداخلة فياختصاصه .

ـــ ضرورة موافقة المجلس الشعبي علىاللوائح المحلية وتعديلها والغائها .

ـــ ان يكون لاعضاء المجلس الشعبي حق توجيه الاسئله والاستجوابات وطلبات المناقشة الى رئيس المجلس الشعبي في المستوياتالادارية المختلفة ، وكذلك الرؤساء الاداريين والمسئولين عنالمهام التنفيذية .

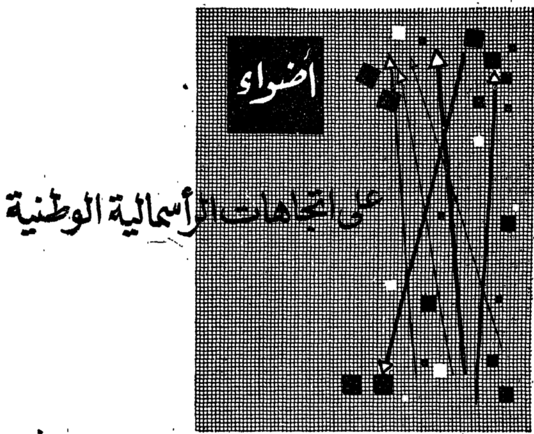
ـــ يكون تمويل المجالس الشعبية اساسا عن طريق ما يدرج لها من اعتمادات في ميزانية الدولة او عن طريق ماتفرضه من رسوم محلية يحددها القانون .

ـــ وتعتبر الخدمة في هـذه المجالس شرفية ، لايتقاضى افرادها اجورا سوى مايحصلون عليه نظير حضور الجلسات .

وتجدر الاشارة الى ضرورة تجديد وايضاح العلاقة بين المجالس الشعبية من جهة وبين لجان الاتحاد الاشتراكي والمجالس المحليه من جهة اخرى .

ويمكن ان تتحدد العلاقة بين المجالس الشعبية وبين الاتحاد الاشتراكي العربي على ضوء طبيعة الوضع السياسي والدستوري للاتحاد باعتباره التنظيم السياسي الشعبيالذي يضم قوى الشعب العامل ويتمثل فيه تحالف هذه القوى ، فالمجالس الشعبية تعتبر نابعة من الاتحاد الاشتراكي وداخلة في اطاره ويترتب على ذلك ضرورة ان يكوناعضاء المجالس الشعبيه من بين اعضاء الاتحاد ، كما يجب من ناحية اخرى ان تتقيد المجالس الشعبية بمايضعه الاتحاد الاشتراكي منخطط وسياسات.

اما عن العلاقة بين المجالس الشعبيه وبين المجالس المحليه على المستوى المحلي فيجب ان يعاد النظر في شأنها ، حيث أن المجالس الشعبية لها ان تمارس مهاما تشريعية وتنفيذية ورقابية في وقت واحد عملا بمبدا «عدم الفصل بين السلطات» المعمول به في النظم الاشتراكية ، وتحقيقا لهذا المبدا يكون للمجالس الشعبية سلطات في اقرار التشريعات واللوائح المحليـة وفي اعتمد الشئون المالية المحلية وفي ادارة المشروعات الانتاجية والخدمات ذات الطابع المحلي ، كمايكون لها حق الرقابة على المنظمات المحلية ، ومتابعة تنفيذ الخطة الاقتصادية .



أضواء على اتجاهات الرأسمالية الوطنية

عادل غنيم

لقد اوضح الميثاق ان العمل من اجل زيادة قاعدة الثروة الوطنية لايمكن ان يترك لعفوية راس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة . وان ذلك يضع نتيجة محققة امام ارادة الثورة الوطنية وهى ضرورة سيطرة الشعب على كل وسائل الانتاج وعلى توجيه فائضها طبقا لخطة محددة وذلك عن طريق قطاع عام قادر على قيادة التقدم فى كافة المجالات والى جانبه وتحت قيادته قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة على ان تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما معا .

وفى نفس الوقت ينص الميثاق على « ان الشعب قد عقد عزمه من غير تردد على رفض كل وضع استغلالى سواء كان طبقية موروثة أو كان طفيلية انتهازية » .

وتثبت الحياة كل يوم سلامة هذا الخط الثورى وضرورة النضال من اجل وضعه دائما موضع التطبيق منذ شهدت السنوات الاخيرة نمو بعض قطاعات الراسمالية وخاصة فى المجالات الطفيلية، ونبه قائد الثورة الى اخطارها فى احاديثه مع الشعب فى الفترة الاخيرة مما اثار التساؤلات حول طبيعة الراسمالية الوطنية ودورها فى المرحلة القادمة من تطورنا .

ماهى اذن الرأسمالية الوطنية ؟ وماهو الدور الذى تلعبه فى الاقتصاد والسياسة وفى عالم الفكر ؟ ماهى اتجاهات نموها وماهى قوانين حركتها وتطورها ؟ ماهى التناقضات التى تحكم علاقاتها بسائر الطبقات الاجتماعية .. بالعمال والفلاحين والمثقفين ؟

هذه هى بعض الاسئلة الملحة التى يطرحها واقعنا الثورى الراهن حول الموقف من الراسمالية الوطنية والاجابة عليها امر لاغنى عنه لوضع خط ثورى واضح المعالم للمرحلة المقبلة ولحل تناقضاتها ديموقراطيا وسلميا فى اطار من الوحدة الوطنية

لماذا الرأسمالية الوطنية ؟

لقد شهدت بلادنا فى السنوات الخمس الماضية انجازات ثورية هامة سواء فى مجال التحول

الاجتماعى (التأميمات الواسعة والاصلاح الزراعى الثانى) او فى مجال البناء الاقتصادى (انجاز الخطة الخمسية الاولى ٦١ - ٦٥) وابرز هذه الانجازات تصفيه الاحتكارات الراسمالية وضرب الملكية الاقطاعية الكبيره واتساع القطاع العام الذى يملك اليوم ٨٥٪ من وسائل الانتاج خارج الزراعة ويحتل أهم المواقع الاستراتيجيه فى الاقتصاد القومى .

غير ان البرجوازية المصرية لاتزال تلعب دورا هاما فى حياتنا الاقتصادية فالقطاع الخاص يملك ٩٠٪ من الاراضى الزراعية، ويسيطر على ٧٥٪ من التجارة الداخلية فضلا عن دوره الاساسى فى قطاع التشييد. من هنا كانت اهمية تحليل اتجاهات نمو الراسمالية فى بلادنا ودراسة تطور العلاقة بين القطاعين العام والخاص خلال السنوات الخمس الماضية . ولا بد ايضا من تحديد مفهوم واساليب قيادة القطاع العام للقطاع الخاص خاصة اننا نواجه الان قضية اعادة تنظيم القطاع العام ونستعد لطرح خطة التنمية الاقتصادية الثانية للمناقشة الجماهيرية الواسعة

وفى الميدان السياسى تخوض القوى الثورية فى بلادنا معركة بناء التنظيم السياسى اى الطليعة الاشتراكية القادرة على التصدى لبناء وقيادة تحالف قوى الشعب العاملة ، ذلك التحالف الذى يضم بين صفوفه الراسمالية الوطنية . كما اننا مقبلون على فتح اوسع المناقشات حول الدستور الدائم لجمهوريتنا . ولهذا فلابد من تحديد مفهوم واضح كل الوضوح للراسمالية الوطنية ومكانها داخل التحالف الاشتراكى .

وعلى صعيد الفكر تفرض المرحلة المقبلة فتح أوسع الافاق للفكر الاشتراكى العلمى لتحطيم بقايا الافكار الرجعية وتعميق الحوار بين قوى الشعب العاملة داخل اطار الاتحاد الاشتراكى .

من هذا كله تستمد تلك الاسئلة التى يطرحها تطور الثورة حول الراسمالية الوطنية اهميتها الحيوية .

ماهى الرأسمالية الوطنية ؟

ماهو المضمون الطبقى للراسمالية الوطنية فى المرحلة الثورية الراهنة وما هى حدودها الاجتماعية؟

للاجابة على هذا السؤال لا بد من تحليل التطور الراسمالى فى بلادنا قبل تأميمات يوليو ٦١ وبعدها وذلك للتعرف على التغيرات التى طرات على هيكل الراسمالية وعلى أساليب الاستغلال الراسمالى . وبالتالى التعرف على اتجاهات وخصائص نمو البرجوازية المصرية ، وايضا لتقدير الوزن الذى تمثله والدور الذى تلعبه فى الانتاج الاجتماعى .

وتحليل التطور الراسمالى فى مصر قبل يوليو ١٩٦١ انما يدل بوضوح على افلاس الراسمالية كاسلوب للانتاج وكطريق لتطوير الاقتصاد القومى وتحويله من اقتصاد زراعى متخلف وتابع للاقتصاد الراسمالى العالمى الى اقتصاد صناعى زراعى متقدم ومستقل (١) .

لقد كانت الراسمالية المصرية عاجزة موضوعيا عن حل المهمة الاقتصادية الرئيسية للثورة الوطنية وهى مهمة البناء الاقتصادى اى انشاء قاعدة قوية للصناعة الوطنية التى تعد بحق الدعامة الاولى للاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

ولعل ابرز مظاهر افلاس الطريق الراسمالى طريق ((المشروع الخاص)) فى ميدان التنمية الاقتصادية هو انخفاض وتدهور معدل تكوين رأس المال الثابت بواسطة المشروع الخاص . فقدهبط متوسط تكوين رأس المال الثابت فى القطاع الخاص من ١١٣ مليون جنيه فى السنوات ٤٩-٥١ الى ٧٦ مليون جنيه فى الفترة ٥٣ - ٥٦ بينما ارتفع نصيب القطاع العام فى تكوين رأس المال الثابت من ١٧٪ فى السنوات الاربع السابقة على الثورة الى ٣٥٪ فى السنوات الاربع التالية للثورة .

وكان القانون الذى يحكم حركة الانتاج الراسمالى (قبل تأميمات ١٩٦١) هو تحقيق اقصى ربح احتكارى عن طريق سيطرة الاحتكارات على السوق لا عن طريق تطوير قوى الانتاج . ومن هنا كان طابعها الطفيلى، وبلغت الارباح التى حققتها الشركات المساهمة قبل التأميم ٤٤٫٢ مليون جنيه (سنة ٥٨ - ٥٩) بنسبة ٣٥٪ من رأس المال . ويتمثل الطابع الطفيلى للراسمالية المصرية أيضا فى تبديدها الفظيع للثورة القومية واهمالها للتصنيع ، واتجاهها المحموم الى الاستثمار العقارى فبلغت الاستثمارات فى المبانى سنة ١٩٥٥ ماقيمته ٤٧٫٣ مليون جنيه اى ٧٥٫٨٪ من مجموع الاستثمار الخاص .

ومن ناحية أخرى اخذت تتحول اقسام متزايدة

(١) ثورة يوليو والراسمالية - الطليعة عدد يوليو ١٩٦٥

من البرجوازية المصرية بعد سنة ١٩٥٧ من معسكر الثورة الى معسكر اعداء الثورة ، واخذت تنمو التناقضات الطبقية والسياسية بين القوى الثورية التى تضم العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وتلك الاقسام من البرجوازية التى لها مصلحة فى استمرار الثورة من ناحية ، وقوى الثورة المضادة وقوامها تحالف الاقطاع والرأسمالية الكبيرة من ناحية اخرى . ومن هنا كانت ضرورة تفجير الثورة الاجتماعية التى شهدتها الفترة ٦١ — ٦٤ والتى حطمت الهيكل التقليدى للرأسمالية. واصبح القطاع الخاص الرأسمالى يتركز بصورة اساسية فى الزراعة والتجارة الداخلية والمقاولات . ونمت البرجوازية المصرية خلال السنوات الخمس الماضية نموا سريعا وملحوظا . كما شهدت تلك الفترة تفاقم الطابع الطفيلى للاستغلال الرأسمالى. واشار قائد الثورة بوضوح الى تلك التطورات السلبية بقوله ((**الرأسمالية الوطنية وقطاع الرأسمالية الوطنية فى بلادنا كبر من سنة ١٩٦٠ اكبر مما نتصور.. ازاى.. كل التنمية وكل التجارة وكل الخطة .. قطاع الرأسمالية الوطنية بيزيد ويترك فى ايده فلوس كتير**))(٢) وعندما قال «كارنجيا» رئيس تحرير صحيفة بليتز الهندية فى الحديث الذى اجراه مع المناضل عبد الناصر «كنت اظن ان القطاع الرأسمالى قد تمت تصفيته فى الجمهورية العربية المتحدة» . كان رد عبد الناصر انه ((**لابد ان تظهر جيوب وهذه الجيوب الرأسمالية ليست فى الواقع ضخمة لكنها كبيرة بالنسبة لاقتصادنا الاشتراكى وتمثل اتجاها خطرا لانها تؤدى الى الفساد والى شرور اخرى كثيرة ولهذا لا بد ان نبقى دائما على يقظة**)) (٣) .

البرجوازية المصرية بعد يوليو ١٩٦١ ..

تركيبها الاقتصادى والاجتماعى واتجاهات نموها .

وتكفى مقارنة سريعة لتطور استهلاك السلع المعمرة (التى تعد مؤشرا لاستهلاك الطبقات البرجوازية) ، باستهلاك السلع غير المعمرة (الشعبية) خلال الخطة الخمسية الاولى لندرك مدى ماطرأ على دخل الفئات البرجوازية من ارتفاع خلال تلك الفترة وهذا يتضح من الجدول (٤) :

ويصور هذا الجدول تصويرا صادقا ظاهرة تضخم الاستهلاك الترفى (استهلاك الفئات البرجوازية) ويشير بجلاء الى ان تلك الفئات هى التى لعبت الدور الرئيسى فى تفاقم مشكلة تزايد الاستهلاك خلال الخطة الخمسية الاولى .

الرأسمالية الزراعية (أغنياء الفلاحين) (٥) .

الرأسمالية الزراعية وتضم اولئك الذين يزرعون الارض التى يحوزونها (ملكا أو ايجارا) (من ١٠ — ٥٠ فدان) زراعة رأسمالية تعتمد على رأس المال واستغلال العمل الاجير مستخدمين الالات والاساليب الزراعية الحديثة وقد شهدت السنوات الاخيرة نمو تلك الطبقة واتساعها وتزايد وزنها فى الانتاج وفى المجتمع لعدة اسباب اهمها :

● دفع التحديد المطرد للملكية والحيازة الزراعية وتحديد الريع العقارى (القيمة الايجارية) كبار الملاك الى احلال اسلوب الانتاج الرأسمالى محل اسلوب الانتاج الاقطاعى القائم على الايجار والمزارعة لتعويض ماطرأ على دخولهم من انخفاض فالزراعة على الذمة اوفر دخلا وأكسب للمالك الكبير من الايجار بعد ان انخفضت قيمته وبهذا تحول عدد كبير من كبار ملاك الاراضى من مصاف الاقطاعيين الى صفوف الرأسماليين ، ومن ناحية أخرى تحول عدد كبير من المستأجرين فى أراضى هؤلاء الملاك الى عمال زراعيين .

	السلع المعمرة	النسبة المئوية	السلع غير المعمرة	النسبة المئوية
١ —	الثلاجات الكهربائية	٥ر٢١٥ ٪	القمح	٤ر٢٩٪
٢ —	الغسالات الكهربائية	١ر٣٩٠ ٪	الذرة الشامية	٩ر٤٠٪
٣ —	السخانات	٩ر١٥٤٣٪	الفول	٣٥٪
٤ —	مواقد البوتاجاز	١١٧ ٪	الاقمشة	٧ر٢٦ ٪
٥ —	الراديوهات الكهربائية	٢ر٦٥٢ ٪	الاحذية	٦ر٦٠٪

(فى حين ان الزيادة فى الاستهلاك الفردى خلال الخطة الخمسية الاولى كانت فى حدود ٣٧٪)

(٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى السويس فى ١٩٦٦/٣/٢٢ (٣) الاهرام ١٩٦٦/٥/٩
(٤) تقرير متابعة الخطة الخمسية الاولى ٦٠/٦١ — ٦٤ /٦٥ فبراير ١٩٦٦
(٥) هذه الدراسة قاصرة على الرأسمالية الزراعية والتجارية والرأسمالية فى قطاع المقاولات وسوف نتناول الرأسمالية فى قطاع الصناعة والحرف فى دراسة مستقلة مقبلة .

● اجاز قانون الاصلاح الزراعي الاول لكبار الملاك التصرف فى الاطيان الزائدة عن القدر الجائز تملكه قانونا الى الفلاحين الذين يملكون اقل من عشرة أفدنة. وبلغت المساحة المتصرف فيها ٠٠٠ر١٤٥ فدان كان معظمها من نصيب اغنياء الريف فهم وحدهم القادرون على دفع الثمن .

● استفاد اغنياء الفلاحين من المستأجرين (١٠ — ٥٠ فدان) من تخفيض القيمة الايجارية للاطيان الزراعية وتحديدها بسبعة امثال الضريبة فانخفض الريع العقارى الذى يدفعونه الى ملاك الاراضى بنسبة تصل الى ٥٠٪ وقد مكنهم هذا التخفيض من توسيع استثماراتهم الرأسمالية فى الزراعة .

● تمكن اغنياء الفلاحين بالتحالف مع كبار الملاك (قبل ١٩٦١) من السيطرة على الجمعيات التعاونية الزراعية ومنوضعها فى خدمة الاستغلال الراسمالى فى الزراعة ، وذلك على حساب غالبية الفلاحين الساحقة

وقد تصدت الدولة لهذا الاتجاه ، فاصدرت سنة ١٩٦١ قانونا يجعل اربعة أخماس المقاعد فى مجالس ادارات الجمعيات التعاونية من نصيب الفلاحين الذين لاتزيد حيازتهم عن خمسة افدنة وفى ظروف غيبة التنظيم الثورى الطليعى فى الريف تمكن اغنياء الفلاحين وكبار الملاك من تحويل هذا المكسب الثورى الى مجرد مكسب شكلى . فقد نجحوا فى وضع رجالهم فى مجالس ادارة الجمعيات التعاونية ضمن نسبة الـ ٤/٥ المخصصة لصغار الفلاحين بل اكثر من هذا فالراسمالية الريفية وممثلوها تطالب صراحة بالغاء نسبة الـ ٤/٥ بحجة «اننا لانريد ان نخلق فى الريف طبقتين» وانه «لاخوف على الاطلاق من سيطرة كبار الملاك على الجمعية مادامت كل الاعمال التنفيذية تتم بواسطة جهاز الجمعية وان اصغر فلاح لا تصله مستلزمات الانتاج يعرف أن الحل فى شكوى صغيرة يقدمها الى رئيس مؤسسة الائتمان » (٦) .

أبرز مظاهر نمو الرأسمالية الريفية

● ارتفاع عدد من يملكون من ٢٠ — ٥٠ فدان من ٠٠٠ر٢٢ مالك سنة ١٩٥٢ الى ٠٠٠ر٢٩ مالك سنة ١٩٦٤ وزادنصيبهم منملكية الاراضى الزراعية خلال تلك الفترة من ٠٠٠ر٦٥٤ فدان الى ٠٠٠ر٨١٢ فدان اى من ٩ر١٠٪ الى ٣ر١٣٪ من مجموع الاراضى الزراعية (٧) .

● اتساع المساحة التى تزرع على اسس راسمالية وانكماش الاستغلال الزراعى التقليدى (الايجار والمزراعة على مساحات صغيرة من ١ — ٥ أفدنة) فبلغت المساحة التى يستأجرها الراسماليون الزراعيون ٢ر١مليون فدان أى حوالى خمس الاراضى الزراعية وقد تم هذا التوسع على حساب صغار الفلاحين من المستأجرين .

● ومن ناحية أخرى نجد ان المساحة التى تغطيها الحدائق والبساتين وهى زراعة راسمالية من الدرجة الاولى قد تضاعفت تقريبا خلال الفترة ٥٢ — ٦٤ فأرتفعت من ٠٠٠ر٩٤ فدان سنة ١٩٥٢ الى ٠٠٠ر١٧١ فدان سنة ١٩٦٤ (٨) .

● ارتفاع عوائد التمليك المحققة فى الزراعة (اى فائض القيمة ويشمل الريع العقارى الزراعى + الربح الزراعى + الفائدة على راس المال المستثمر فى الزراعة) خلال سنوات الخطة الخمسية الاولى من ٣٠٧ مليون جنيه سنة ٥٩ — ٦٠ (سنة الاساس) الى ٩ر٣٦٠ مليون جنيه فى آخر سنوات الخطة اى بزيادة قدرها ٩ر٥٣ مليون جنيه وبنسبة زيادة ٦ر١٧٪ عن سنة الاساس (٩) وكانت الزيادة المحققة فى عوائد التمليك خلال تلك الفترة من نصيب راس المال الزراعى فى صورة ارباح زراعية آلت اساسا الى الراسمالية الزراعية ذلك ان حجم الريع العقارى الزراعى (دخل ملاك الاراضى من ايجار الاطيان الزراعية) ظل ثابتا طوال تلك الفترة فهو محدد بحكم القانون ومن ناحية اخرى لايحصل راس المال المصرفى (القروض التى تقدم للزراعة) على عوائد تمليك تذكر فى ظل نظام الائتمان الرخيص والمجانى (قروض بنك التسليف الزراعى) .

ومع ذلك فان الزيادة فى الدخل الزراعى خلال السنوات الاربع الاولى من الخطة الخمسية (٦٠ — ٦٥) لم يتجاوز ١٢٪ فى حين أن الزيادة المستهدفة فى نهاية الخطة كانت ٦ر٢٣٪ .

(٦) الاهرام : مناقشة على الطبيعة حول الجمعيات التعاونية ١٢/٤/٦٦
(٧) الطليعة عدد سبتمبر ١٩٦٥ معلى الأرقام : تطور مساحة والتاج الارض والملكية الزراع.
(٨) المرجع السابق (٩) تقرير متابعة وتقييم الخطة الخمسية الاولى — الجزء الاول فبراير ١٩٦٦ .

أهم مظاهر النشاط الطفيلى للرأسمالية الزراعية

ولعل ابرز مظاهر النشاط الطفيلى للرأسمالية الزراعية هو استغلالها للائتمان الزراعى ، فقد بلغ رصيد الديون المتاخرة على المزارعين الرأسماليين (اكثر من ٢٥ فدانا) ويكونون ٢ر٥١٪ من مجموع الحائزين لحساب بنك التسليف الزراعى والتعاونى ٦٠ مليون جنيه أى ٧٥٪ من اجمالى المتاخرات التى تصل الى ٨٠ مليون جنيه . ومعنى هذا ببساطة ان الراسمالية الزراعية تحول بهذه الطريقة راس المال العام المملوك (القروض التى يقدمها بنك التسليف) الى راس مال خاص (Denationali sation) ولا شك أن هذا الوضع يساهم فى تفاقم ظاهرة التضخم وزيادة الاستهلاك .

ويضع نظام التسويق التعاونى للمحاصيل الزراعية سلاحا هاما فى يد الدولة لتصفية هذا الاتجاه الطفيلى عن طريق حجز مستحقاتها عند المنبع بالخصم من اصل ثمن المحاصيل الخاضعة للتسويق وقد شرعت الدولة فى تطبيق هذه السياسة بحزم .

● كما يتمثل الاستغلال الراسمالى الطفيلى فى الزراعة فى الارباح الخيالية التى يحصل عليها الراسماليون الزراعيون من تأجير آلاتهم الزراعية لصغار الفلاحين بالاجرة الفاحشة فسعر حرث الفدان الواحد ٣٠٠ قرش ، فى حين ان سعر التكلفة لا يتجاوز ١٣٠ قرشا وهم فى هذا يستغلون مركزهم الاحتكارى اذ تملك الراسمالية الريفية ٦٧٢ر١٢ جرارا أى حوالى ٨٢٪ من مجموع الجرارات العاملة فى الزراعة المصرية (١٠)، والتى يقدر عددها بـ ٧٥٢ر١٣ جرارا فى حين لا تملك الجمعيات التعاونية الزراعية غير ٨٪ من الجرارات (١٠٨٠ جرار) وتقدر الطاقة اللازمة لميكنة الحرث فى مصر بـ ٠٠٠ر١٧ جرار وما يحدث فى مجال الحرث يحدث ايضا بالنسبة لالات الرى . ومن ناحية اخرى تحاول الراسمالية الريفية بكل الوسائل تخريب التجارب الرائدة فى التنظيم الزراعى التى تستهدف خلق زراعة آلية حديثة فى بلادنا . فعن طريق عملائهم فى الجمعيات التعاونية يستغلون جراراتها فى زراعاتهم مستفيدين بالسعر الرخيص (سعر التكلفة) ويلجأون الى تعطيل جرارات الجمعية اذا ما نافست جراراتهم .

وقد ادى تزايد الوزن الاقتصادى والاجتماعى للراسمالية الريفية الى اتساع ونمو نفوذها السياسى على حساب جماهير الفلاحين فهى اليوم وفى ظروف غيبة التنظيم السياسى فى الريف تحتل مكان القيادة داخل مختلف المؤسسات والمنظمات الجماهيرية القائمة فى الريف (الجمعيات التعاونية الزراعية — لجان الاتحاد الاشتراكى — المجالس القروية فضلا عن تسربها الى المنظمات النقابية فى الريف) .

والمسالة الرئيسية التى تواجه التنظيم السياسى خلال المرحلة القادمة فى الريف هى النضال على راس القوى العاملة فى الريف (ابتداء من العمال الزراعيين حتى الفلاحين المتوسطين) لكى تصبح تلك القوى لا الراسمالية الريفية هى مركز الثقل والقيادة فى تحالف قوى الشعب العاملة فى اطار الاتحاد الاشتراكى وهذا لايعنى استبعاد الراسمالية الريفية من التحالف الوطنى طالما انها تساهم فى تطوير الاقتصاد الوطنى وتقبل الخط الاشتراكى وتلتزم به وتعمل ضمن الخطة الاقتصادية القومية وتساهم فى انجاز اهدافها .

اما العناصر التى تخرب الاصلاح الزراعى أو تعرقل التجميع والتسويق التعاونى أو تناهض التنظيم الزراعى فلا يمكن السكوت على نشاطها ولا بد من اخراجها من التحالف واستبعادها من الاتحاد الاشتراكى ومن سائر المنظمات السياسية والجماهيرية ، وبهذا يتدعم الاتحاد الاشتراكى ويكسب ثقة الجماهير وولاءها .

ولا بد ايضا من انتهاج سياسة اقتصادية تمكن الدولة من امتصاص جانب من الفائض الاقتصادى المتولد فى القطاع الراسمالى فى الزراعة وذلك عن طريق سياسة الضرائب والائتمان والاسعار، فمن المعروف أن الاستغلال الزراعى هو النشاط الوحيد الذى لا يخضع لاى ضريبة نوعية كما أن الراسمالية الريفية تحصل على الائتمان مجانا وعلى الخدمة الالية التعاونية باسعار التكلفة .

(١٠) الاهرام ٦٦/٤/٢١ الجمعيات التعاونية والميكنة الزراعية

البرجوازية التجارية

البرجوازية التجارية فى مصر طبقة عريضة ولها وزن كبير من الناحيتين الاقتصادية والعددية فعدد المشتغلين بالتجارة يقدر بـ ٧٥٠ر٠٠٠ تاجر يمثلون ٢٢٪ (١١) من مجموع المشتغلين فى جميع فروع الاقتصاد القومى . ويتسم قطاع التجارة الداخلية بالتخلف الشديد الذى يتمثل فى تفتت الوحدات التوزيعية وتضخم عدد المنشآت التجارية فهناك تاجر على الاقل لكل ٢٧ شخص فى القاهرة ولكل ٢٨ شخص فى الاسكندرية . كما ان معظم وحدات التوزيع دون الحجم الاقتصادى .

والبرجوازية التجارية طبقة غير متجانسة فى تركيبها الاجتماعى فهى تنقسم الى برجوازية كبيره تضم فى صفوفها تجار الجملة وكبار تجار التجزئة، وبرجوازية صغيرة تضم مئات الالوف من تجار التجزئة الذين يكونون غالبية التجار الساحقة وعدد المموّلين من التجار وفقا لاحصاءات مصلحة الضرائب ٤٦٦ر٨٤٣ تاجرا موزعين حسب فئات الدخل الضريبى (حصر سنة ١٩٦٢) كما يلى (١٢) :

الفئة	العدد	٪
دون حد الاعفاء الى ٢٥٠ جنيه	٢٦٨٣١٢	٥٧ر٥٪
٢٥٠ جنيه ماكثر	١٥٩٨٥٩	٣٤ر٢٪
٥٠٠ جنيه فاكثر	٢٠٦٠٦	٤ر٤ ٪
١٠٠٠ جنيه فاكثر	١٨٠٦٦	٣ر٩ ٪
الجملة	٤٦٦ر٨٤٣	١٠٠٪

ويصور هذا الجدول الواقع الطبقى لهذا القطاع، فعدد التجار الذين يقل دخلهم عن ٢٥٠ جنيها فى السنة ٢٦٨٣ر١٢ تاجرا يشكلون ٥٧ر٥٪ من مجموع التجار (الداخلين فى هذا الاحصاء وهم اقل كثيرا من عددهم فى الواقع) ويبلغ متوسط دخل تاجر التجزئة ١٨٠ جنيها فى السنة ، بينما يبلغ عدد التجار الذين يزيد دخلهم عن ١٠٠٠ جنيه فى السنة ١٨٠٦٦ اى ٣ر٩٪ من مجموع التجار .

ولقد شهدت السنوات الاخيرة صراعا اجتماعيا مريرا بين القلة من كبار تجار الجملة وبين جماهير صغار التجار فبعد التأميم قبضت البنوك التجارية يدها عن تمويل التجارة الداخلية وسحبت الائتمان من السوق التجارى فلجا تجار الجملة الى ممارسة اسوا وابشع صور الاستغلال لتجار التجزئة الذين اصبحوا ملزمين بالتعامل مع تجار الجملة بالنقد ودفع ثمن البضاعة مقدما . وبعد ان كان تاجر الجملة هو الذى يمنح الائتمان لتاجر التجزئة انقلبت الصورة واصبح تاجر التجزئة هو الذى يمول تاجر الجملة الذى يجنى الارباح الخيالية بلا راس مال .

وانتقل الصراع بين تجار الجملة وتجار التجزئة اكثر من مرة الى المعركة الانتخابية فى الغرفة التجارية ثم كشف نفسه نهائيا فى ردهات الغرفة خلال اجتماعات تجار التجزئة الذين اغلقوا ابوابها دون تجار الجملة (١٣) .

مظاهر نمو الرأسمالية التجارية

بعد ان اممت الثورة التجارة الخارجية (كل الواردات ومعظم الصادرات) اصبح نشاط راس المال التجارى مركزا فى التجارة الداخلية .

وامكن بانتهاج سياسة التسويق التعاونى للمحاصيل الزراعية الرئيسية (القطن والارز والبصل وسائر المحاصيل التصديرية) تصفية نشاط راس المال التجارى فى هذا القطاع الحيوى .

ومع ذلك فدور القطاع العام ووزنه فى السوق الداخلى لايزال محدودا . اذ يسيطر القطاع الخاص الراسمالى على تجارة الجملة والقسم الاكبر من تجارة التجزئة ويقوم راس المال التجارى الخاص بدور الوسيط بين القطاع العام (الدولة) كمنتج ومستورد) من ناحية والشعب كمستهلك من ناحية اخرى ، بل ويقوم ايضا بمختلف عمليات الوساطة بين وحدات القطاع العام ذاتها عن طريق عقود التوريد (المناقصات والمزايدات العامة) .

ومن المعروف ان جانبا هاما من المخزون السلعى (الانتاج + الاستيراد) يتركز فى ايدى تجار الجملة الذين يلعبون دور الوسيط بين وحدات الانتاج والاستيراد من ناحية والسوق من ناحية اخرى ومن هنا كان دورهم الحاسم والمسيطر فى السوق الداخلى وفى حركة الاسعار ، ذلك ان احوال التجارة الداخلية تتوقف الى حد كبير على من الذى يسيطر على تجارة الجملة وفى اى اتجاه تسير .

(١١) النشره الاقتصادية لبنك مصر عدد مارس ويونيو ١٩٦٤ ص ٧٨
(١٢) المرجع السابق (١٣) الاهرام ١٩٦٦/٢/١٨

واذا اخذنا على سبيل المثال سوق الاقمشة فى الازهر والحمزاوى الذى كان مسرحا للمضاربات المحمومة والسوق السوداء طوال الشتاء الماضى فاننا نجد انحجم التعامل فيه يصل الى ١٢٠ مليون جنيه سنويا، ونصيب القطاع العام منها لا يتجاوز ٥ر٨ مليون جنيه هو حجم تعامل الشركة العامة الوحيدة للاتجار بالجملة فى قطاع المنسوجات، ورأسمالها لا يزيد عنمليون جنيهفكان منالطبيعى ان يقف القطاع العام عاجزا عن تحقيق التوازن فى السوق والسيطرة على الاسعار .

لقد زاد حجم التجارة الداخلية الخاصة فى مصر زيادة كبيرة خلال السنوات الخمس الماضية نتيجة لعدة عوامل اهمها الزيادة الكبيرة فى حجم الاستهلاك الحكومي (الجماعى) والفردى على السواء خلال تلك الفترة :

تطور الاستهلاك بملايين الجنيهات (١٤)

الفترة	٦٠/٥٩	٦٥/٦٤	%
الاستهلاك الجماعى	١ر٢٢٨	٣ر٤٣١	بزيادة (١ر٨٩٪)
الاستهلاك الفردى	٦ر٩٧١	٩ر١٣٣٠	بزيادة (٣٧٪)
الجملة	٧ر١١٩٩	٢ر١٧٦٢	متوسط الزيادة ٩ر٤٦٪

ولا شك ان تطور حجم الاستهلاك الاجمالى خلال تلك الفترة يعد مؤشرا هاما لنمو حجم التجارة الداخلية وهو يشير الى ما طرا عليها من توسع كبير . ومن ناحية اخرى ارتفع عدد التجار المقيدين فى السجل التجارى فى القاهرة وحدها من ٩ر١٠٥٫٧٠ تاجرا سنة ١٩٦٠ الى ٤٧٠ر١٢٩ تاجرا سنة ١٩٦٥ (١٥).

لقد حققت البرجوازية التجارية وخاصة فئاتها العليا (تجار الجملة) ارباحا فاحشة خلال السنوات الاخيرة ليس فقط نتيجة للعوامل التى اشرنا اليها وانما ايضا وبالدرجة الاولى عن طريق عمليات المضاربة المحمومة فى السوق السوداء .

وهذه بعض النماذج من السوق السوداء، فبالنسبة لمستلزمات الانتاج ارتفع سعر طن الصاج من ٩٨ جنيها الى ١٧٠ جنيها والزنك الالواح تبيعه الدولة بـ ٣٢٥ جنيها للطن ويبيعه تجار الجملة فى السوق السوداء بـ ٧٠٠ جنيه للطن ومسمار البورمة تبيعه الدولة بـ عشرة قروش للعلبة ويباع فى السوق السوداء بـ ١٠٠ قرش وبالنسبة للسلع الاستهلاكية الاساسية نجد ان القمح وانتاجه المحلى يصل الى ٠٠٠ر٤٩٣ر١ طن ومستورد ٠٠٠ر٩١٤ طن بينما لا يزيد الاستهلاك عن ٠٠٠ر٣٨٣ر٢ طن ومع ذلك يبيعه التجار بزيادة ٣٥٠ قرشا . والذرة من ١٥ قرشا الى ٣٠ قرشا للكيلة. وكان للسوق السوداء آثار سياسية مخربة وانعكاسات ضارة على مجموع الاقتصاد القومى . فهى تعنى التخزين والمضاربة اى عدم الانسياب والانقطاع فى حركة التداول السلعى مما يؤدى الى الاختناقات الاقتصادية وارتفاع تكاليف الانتاج وارتفاع نفقات المعيشة وزيادة اعبائها على الطبقات الشعبية الامر الذى لابد وان يؤثر على المكاسب الاشتراكية التى حصل عليها الشعب العامل .

ومن ناحية اخرى فقد جذبت السوق السوداء عددا كبيرا من الحرفيين الى نشاطها فهجر الكثيرون العمل المنتج الشريف الى المضاربة غير المشروعة فى مستلزمات الانتاج التى يحصلون عليها وفقا لنظام الحصص والتراخيص .

ولا يكتفى رأس المال التجارى باستغلال جماهير المستهلكين، وانما يقوم ايضا باستنزاف القطاع العام ذاته من خلال عمليات التوريد على اختلافها. والشىء المذهل حقا ان يشترى القطاع العام ما يحتاجه من مستلزمات انتاج او سلع استهلاكية من السوق الراسمالى فى حين انه المستورد الوحيد وهو اكبر منتج فى البلاد فهو يبيع ماينتجه ومايستورده بالسعر الرخيص فى السوق ثم يعود فيشتريه من القطاع الخاص بالسعر الخيالى فضلا عن انه كثيرا ما يضطر الى الشراء من السوق السوداء .لقد بلغت توريدات القطاع الخاص للقطاع العام من مختلف السلع ٢٠٠ مليون جنيه خلال الخطة الخمسية الاولى .

ولنأخذ بعض الامثلة : « فالمحالج وبنك التسليف يبيع بذرة القطن وزكائب بذرة القطن الى تجار القطاع الخاص وتجار القطاع الخاص يبيعون هذه الزكائب والبذرة الى شركات الزيوت ومعاصر الزيوت فى القطاع العام وفروق الاسعار فى هذه العمليات كبيرة نظرا لان عدد تجار القطاع الخاص الذين يتحكمون فى العملية قليل » (١٦) .

كما يبيع الاصلاح الزراعى معظم انتاجه من الخضروات والفواكه الى تجار الجملة الذين يبيعونها بدورهم الى المجمعات الاستهلاكية (القطاع العام) (١٧) ويحققون ارباحا مضاعفة من العمليتين .

(١٤) تقرير متابعة وتقييم الخطة الخمسية الاولى ـ الجزء الاول فبراير ١٩٦٦ . (١٥) الاهرام ١٩٦٦/٢/١٩
(١٦) الاهرام ١٩٦٤/١١/٢٨ « القطاع الخاص يضحك على القطاع العام » (١٧) الاهرام ١٩٦٦/٢/١٨

وعمليات المضاربة والسوق السوداء ليست هي المظهر الوحيد لطفيلية راس المال التجاري فهناك أيضا عمليات التهريب والتجارة في السلع المهربة التي نشطت في السنوات الاخيره ففي كل شهر تضبط ٢٥ محاولة تهريب كبيرة (١٨) وفي تجارة التهريب نجد تشكيلة واسعة من السلع ابتداء من الدخان والتفاح والشاي واللب حتى قطع الغيار ومستلزمات الانتاج ويعتبر ميناء غزه المركز الرئيسي لهذه التجارة السوداء وتقدر البضائع التي تفرغ على ارصفتها بـ ٤٠٠ طن شهريا في المتوسط تقفز الى ١٤٠٠ طن شهريا في موسم الصيف. وتعد تجارة التهريب احد الثغرات الخطيرة التي ينفذمنها راس المال التجاري ليخرب اقتصادنا القومي ويزيد من حدة مشكلة الاستهلاك .

ضرورة تنظيم التجارة الداخلية

ان الربح التجاري باعتباره جزءا من فائض القيمة لا يتولد من عملية التداول السلعي بل في الانتاج المادي من عمل العمال والفلاحين في الصناعة والزراعة ، ومن ثم فارتفاع الاسعار وتضخم الارباح التجارية لابد وان يؤدي الى انخفاض الدخول الحقيقية للعمال والفلاحين والى استنزاف القطاع العام ويؤثر على حجم الاستثمارات في الخطة الاقتصادية .

ولما كانت التجارة الداخلية تعتبر حلقة رئيسية في عملية تكرار الانتاج الاجتماعي فلا مناص من اعادة تنظيمها على اسس اشتراكية تضمن تحويل السوق الداخلي من سوق راسمالي يسيطر عليه راس المال التجاري وتحكمه العلاقات والقوانين الراسمالية الى جهاز للخطة الاقتصادية وهذا يقتضي تأميم تجارة الجملة، فمن هذا الموقع الحيوي تستطيع الدولة ان تسيطر على حركة المخزون السلعي وان تخطط الاسعار وتستخدم الفائض الاقتصادي الذي يذهب الى جيوب كبار التجار في البناء الاقتصادي والتنمية .

ولا بد ايضا من اعادة صياغة تجارة التجزئة على اسس جديدة تعاونية فالتعاون هو السبيل الوحيد لتصفية التخلف ولخلق وحدات توزيعية اقتصادية وحديثة وهو ايضا يفتح آفاق التحرر من الاستغلال لجماهير صغار التجار .

الرأسمالية في قطاع التشييد (المقاولات)

قطاع التشييد كالصناعه هو احد فروع الانتاج المادي الرئيسية ومهمتـه بناء الهياكل الاساسية لكافه فروع الاقتصاد القومي في الانتاج المادي (الانشاءات الصناعية والكهربائيه والزراعية وانشاءات النقل) وفي الخدمات على السواء (بناء المدارس والمستشفيات ودور الترفيه) ولهذا فنمو جميع فروع الاقتصاد وتطور انتاجية العمل وارتفاع المستوى المادي والثقافي للشعب كل ذلك رهن بنمو وتقدم قطاع التشييد وكان قطاع التشييد في مصر بل ١٩٦١ يتميز بعده سمات رئيسية :

- فهو قطاع متخلف من الناحيتين التكنيكية والتنظيمية اذ يعتمد على التكنيك الحرفي البدائي والعمل اليدوي فلا تزال ميكنة العمل محدودة النطاق وتعاني وحدات التنفيذ من التفتت الشديد ومعظمها دون الحجم الاقتصادي وهذا مصدر هام للضياع وارتفاع التكاليف في هذا القطاع الحيوي.

- يعمل في قطاع التشييد جيش من الحرفيين والعمال ويبلغ عدد العمال وحدهم في قطاع البناء ١٧٠,٠٠٠ عامل سنة ١٩٦٠ .

- ان راس المال العامل في قطاع التشييد راس مال تجاري ، والسلعة التي يبيعها هي قوة عمل الحرفيين والعمال والشكل القانوني لهذا النشاط هو عقود المقاولات على اختلاف صورها ويبلغ عدد المقاولين ٢٠٠٠ مقاول .

- كانت البنوك التجارية والمتخصصة تقوم بتمويل نشاط المقاولين .

لقد كان نصيب استثمارات التشييد في الخطة الخمسية الاولى (٦١ — ٦٥) ٧٠٠ مليون جنيه اي ٤٧٪ من اجمالي استثمارات الخطة ولم يكن معقولا بعد التاميمات الواسعة ان تطرح الدولة هذا الحجم من العمليات الانشائية في السوق يتولاها القطاع الخاص الراسمالي (المقاولون) لان هذا يعني ببساطة استيلاء القطاع الراسمالي على نصف الخطة وينفذها بالاسعار وبالطريقة التي يراها وتتحول الخطة الى اداة لتنمية القطاع الخاص. ولهذا لم يكن هناك مفر من تاميم شركات المقاولات الكبرى كما ساهمت الحكومة بنسبة ٥٠٪ في معظم شركات المقاولات .ولكن ما الذي حدث في التطبيق؟ هل تغيرت علاقة راس المال الخاص بقطاع التشييد وهل اصبحت وحدات القطاع العام هي التي تتصدى مباشرة للتنفيذ ؟

الواقع يقول ان تاميم المقاولات لم يتحقق بصورة فعالة اذ تحول الى مجرد تأميم للمكاتب والموظفين ولم يكن تأميما لقطاع التشييد في واقع الامر. لماذا ؟

(١٨) الاهرام ١٩٦٥/٤/٦

لانه ابقى على المقاولين من الباطن وعلى نشاطهم الواسع .

والذى حدث فى التطبيق خلال السنوات الخمس الماضية (٦١ — ٦٥) ان القطاع الخاص قام بتنفيذ ٧٠٪ (١٩) من اجمالى اعمال التشييد (فى الخطة الخمسية الاولى) ولم ينفذ القطاع العام غير ٣٠٪ من هذه الاعمال. لقد كانت شركات المقاولات العامة تتسلم من وحدات القطاع العام عمليات التشييد وتوزعها على المقاولين من الباطن بعمولة ٥٪ + ٢٢٪ (٢٠) مصاريف ادارية وهى لا تهتم بالسعر فكلما زادت أسعار التنفيذ التى يطلبها المقاولون من الباطن كلما زادت أرباح الشركة .

ولكن ما هى المصادر التى يلجا اليها المقاولون من الباطن لتمويل نشاطهم الضخم بعد ان قبضت البنوك يدها عن تمويلهم .

● هناك اولا راس المال الربوى الذى نشط ونما خلال السنوات الاخيرة فالفئات البرجوازية الجديدة وأصحاب الثروات غير المشروعة يتطلعون لتكوين ثروات سريعة دون تجميد راسمالهم السائل بتحويله الى راسمال ثابت (فى صورة مصانع وعقارات) ليكون فى مأمن من التأميم والحراسة . ولهذا يركزون نشاطهم فى عمليات الاقراض الربوى وتمويل مختلف عمليات الوساطة (التجارة والمقاولات والتوريد للقطاع العام) ويحصل راس المال الربوى من هذا النشاط على فوائد خيالية تصل الى ٣٠٪ سنويا .

● كما تساهم وحدات القطاع العام ذاتها فى تمويل نشاط المقاولين من الباطن فكل دفعة من الدفعات التى يحصل عليها مقاول الباطن عند انهاء كل مرحلة من مراحل التنفيذ فيستخدمها فى تمويل المرحلة التالية وهكذا وكل ما يتحمله مبلغ بسيط يدفعه عند أخذ العطاء كتأمين بينما تصل الارباح الى ٢٥٪ من قيمة الاعمال .

وهذا يبين بوضوح مدى طفيلية النشاط الراسمالى فى قطاع التشييد .

وهكذا يستخدم المقاولون من الباطن (القطاع الخاص) شركات المقاولات العامة (القطاع العام) فى استنزاف القطاع العام وتكوين الثروات والارباح الخيالية .

ومن ناحية اخرى يحتل عدد كبير من اصحاب شركات المقاولات السابقين مراكز هامة فى ادارتها بعد تاميمها ومن هذه المواقع يمارسون استغلال ونهب القطاع العام من الداخل .

فمثلا شركة اطلس للمقاولات كانت مملوكة لشخص واحد اممت جزئيا (٥٠٪) ثم اممت بعد ذلك تأميما كاملا وضمت اليها شركة طيبة للمقاولات وشركة طيبة التجارية وكانت السيطرة فى الشركة الجديدة لشركة أطلس التى عين صاحبها الاول رئيسا لمجلس الادارة وكان من نتيجة ذلك سيطرة موظفى الشركة القديمة على جميع المراكز القيادية فى الشركة الجديدة ومعظمهم من اقارب رئيس مجلس الادارة ويصل حجم نشاط هذه الشركة الى ٥ر٥ مليون جنيه ويعمل بها ١٣٧٣ عاملا وموظفا (٢١).

وفضلا عن ذلك كله يلعب راس المال الخاص دورا رئيسيا فى افساد القطاع العام وقياداته الجديدة ومن هنا كانت جرائم الرشوة والاختلاس والتزوير .

لكل هذا لا بد من اعادة تنظيم قطاع التشييد على اسس اشتراكية تضمن تصفية كافة مظاهر الاستغلال الراسمالى الطفيلى لراس المال الخاص وتبيح خلق قاعدة تكنيكية وميكانيكية حديثة لهذا القطاع الحيوى وذلك يقتضي تصفية المقاولين من الباطن وانشاء شركات عامة متخصصة فى كل فرع من فروع التشييد مزودة بكافة الامكانيات التكنيكية والتنظيمية ولا بد ايضا من تجديد القطاع الحرفى المرتبط باعمال التشييد وذلك بجذب الحرفيين العاملين فى هذا القطاع الى المنظمات التعاونية على اختلاف أنواعها (اسواق الانتاج مثلا) التى توفر لهم الائتمان الرخيص ومستلزمات الانتاج وتربطهم بوحدات التشييد العامة بحيث يصبحون جزءا لا يتجزأ من الدورة الاقتصادية للقطاع العام .

هذه هى اهم مظاهر النشاط الطفيلى للراسمالية المصرية .

والان يمكننا أن نقول أن الراسمالية الوطنية هى الراسمالية المنتجة المعادية للاستعمار والتى تساهم فى البناء الاقتصادى ، فى التصنيع وفى بناء الاشتراكية طريق الوطنية الجديدة .

ولهذا فلا مناص من تصفية الراسمالية الطفيلية تصفية كاملة واخضاع الراسمالية الوطنية (المنتجة) لقيادة القطاع العام ولمقتضيات الخطة الاقتصادية القومية .

ولا بد أيضا من اعادة تنظيم القطاع العام على اسس جديدة ديموقراطية وتطهيره من كافة العناصر البيروقراطية والمعادية للاشتراكية .

(١٩) و (٢٠) و (٢١) روز اليوسف العدد ١٩٦٨ — ٢٨/١/١٩٦٦



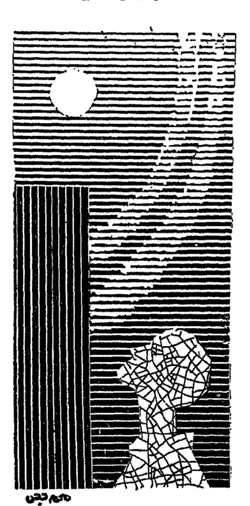
اهتم الميثاق ، باعتبـــاره وثيقة نظرية منهاجية علمية ، للتطبيق العربى للاشتراكية بتحديد مفاهيم تقدمية للقيم والثقافة والتربية فى المجتمع الجديد.

وتعالج الدراسات هنا هذا الموضوع الحيوى وتطبيقاته وحركة الصراع الدائرة بين القيم والاتجاهات الجديدة والقيم والاتجاهات القديمة فى هذه المجالات .

□ الميثاق اساس لنظرية فى القيم ص ١٠٦

□ حصيلة الصراع الفكرى..نواة الثقافة الجديدة ص ١١١

□ الميثاق والسياسة التعليمية الجديدة ص ١١٦





كأساس لنظرية فى القيم

أبو سيف يوسف

فى محاضرة مطبوعة وزعت على العاملين الجدد فى احدى الهيئات تحت عنوان « حقوق العامل وواجباته» يتحدث كاتب المحاضرة عن نوعين من الواجبات : احدهما « ايجابى » والاخر « سلبى » . وقد حصر المحاضر مجموعة الواجبات الايجابية ، ثم قام بحصر لمجموعة الواجبات السلبية .

وعلى سبيل المثال ادخل فى نطاق المجموعة الاولى الواجب الايجابى التالى :

● « اطاعة اوامر الرؤساء والمحافظة على كرامة الوظيفة » .

ثم ادخل فى المجموعة الثانية كواجب سلبى :

● « عدم مخالفة القوانين والاحكام المالية المنصوص عليها فى القوانين » .

واذا كان مجرد التفرقة بين واجبات «ايجابية» واخرى « سلبية » يدهشنا ويحيرنا فان ما يذهل حقا ان يكون الامتناع عن مخالفة القوانين المالية مجرد « واجب سلبى » وذلك فى مجتمعنا الراهن، اى فى مجتمع اصبح فيه تملك الشعب لوسائل الانتاج الرئيسيةالقاعدة الاساسيةلتطور المجتمع، واصبح الحفاظ فيه على هذه الملكية واجبا مقدسا ، ليس هذا فحسب بل فى مقدمة الواجبات « الايجابية » اذا صح وسلمنا جدلا بأن واجبات المواطن فى مجتمع يهتدى بالاشتراكية العلمية يمكن ان تقسم الى واجبات ايجابية والى اخرى سلبية .

وليس فى نيتى على الاطلاق ان اتهم كاتب المحاضرة بسوء النية .ولعل العكس هو الصحيح لكن المثل الذى اشرت اليه يكفى للدلالة على ان القيم الاخلاقية الجديدة لم تتجسم ولم تتبلور بعد فى مجتمعنا ، وان هذا فى حد ذاته يعد مصدرا من مصادر التناقض الحاد بين سيادة قيم اخلاقية

تنتمي الى المجتمع القديم وبين واقع اجتماعي وعلاقات اجتماعية جديدة ، بكل ما يحمله هذا التناقض من اثارة للبلبلة وبكل ما ينطوى عليه من اخطار قد تعود بدورها لتهدد المكاسب الثورية ذاتها .

ولقد مضت خمس سنوات على صدور قوانين يوليو المجيدة،كما انقضت اربع سنوات على اقرار ميثاق العمل الوطنى . ولقد تمت بفضل قوانين يوليو وبوحى الميثاق تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة وبعيدة المدى . ولكن يكاد انيكون من المتفق عليه — بوجه عام — بين الثوريين ان هذه التحولات المادية لم تواكبها حتى اليوم ولم تساندها ثورة ثقافية فى صورة ثقافة وطنية جديدة ، كما لم تواكبها بالمثل وتدعمها القيم الاخلاقية الجديدة التى اشار اليها **الميثاق** بقوله ان الشعب المصرى **« تحت ظروف هذه المعارك الثورية المتشابكة المتداخلة كان مصرا على ان يستخلص للمجتمع الجديد الذى يتطلع اليه ، علاقات اجتماعية جديدة تقوم عليها قيم اخلاقية جديدة وتعبر عنها ثقافة وطنية جديدة »**

وهذا الوضع يدعو الى المزيد من اليقظة والحذر بل والقلق ايضا . لانه اذا تركنا مؤقتا قضية الثورة الثقافية وحصرنا انفسنا فى مجال القيم الاخلاقية الجديدة وجدنا انفسنا امام خطرين :

الاول : اتجاه تلقائى يتمثل فى استمرار وسيادة القيم الاخلاقية التى خلفها لنا مجتمع الاقطاع والراسمالية . وهذا ظاهر فى حياتنا اليومية وانماط سلوكنا وعلاقاتنا وتطلعاتنا .

والثانى : اتجاه واع يتمثل فى زحف مضطرد لنظريات اخلاقية تتعارض مع الاسس النظرية للميثاق اى مع ايديولوجية الميثاق الاشتراكية . وهذه النظريات تفرض نفسها بقوة فى اوساط المثقفين .

واركز حديثى على الاتجاه الثانى . هنا نرى الميدان متروكا لمدرستين : انصار **الوجودية** من ناحية،وانصار **الوضعية المنطقية** من ناحية اخرى .

اما الوجودية فترى ان القيمة الاخلاقية مردها اولا واخيرا الى الفرد لا الى المجتمع . ان القيمة الاخلاقية هى فعل الذات وذلك من حيث انها ذات حرة . وهذه الحرية هى التى تجعل الفرد مسئولا ومختارا . ان الفرد هو الذى يختار الالتزام بقيمة معينة او بنظام معين من القيم ، وتتم هذه العملية لا بقبول الواقع المألوف بل بالخروج عليه . ولما كان خلق الفرد للقيمة الاخلاقية عملية ذاتية محضة فان عملية الخلق هى فى صميمها عملية شعورية ، عملية تخيل .

وتكون القيمة الاخلاقية جديرة بهذا الاسم طالما ظلت فى نطاق الحقيقة الشعورية اى فى نطاق الذات . فاذا ما تحققت خارج الذات او اذا ما شاعت بين افراد المجتمع واصبحت بالتالى موضوعا للبحث — عندئذ لا تعود مستحقة لاسم « القيمة الاخلاقية » بل تصبح معيارا او مقياسا اجتماعيا . والفرق بين القيمة الاخلاقية والمعيار الاجتماعى هو ان الاولى مردها الى حرية الذات اما المعيار فهو ما يفرض على الفرد من الخارج سواء من فرد آخر او من جماعة . ففيه اذن صفة الالزام (١) .

بعبارة اخرى تظل القيمة الاخلاقية عند الوجوديين — جديرة بهذا الاسم — ما دامت باقية فى حيز الامكان اى بعيدة عن التحقق .

واما اصحاب الوضعية المنطقية فأمرهم ادهى وامر ، انهم يبدأون من هذه النقطة « ان العالم هو عالمى انا فحسب » . وعليه فأحكام القيمة عندهم لا تدخل فى سلك العبارات العلمية ومن ثم يصعب الحكم عليها او تكوين نظرية عنها . فاذا قلت ان « الكذب شر » فان هذه القضية لن يكون لها معنى . لانه ليس فى الطبيعة ولا فى المنطق ما يحتم ان الكذب شر . كما انه ليس بمستحيل ان نجد فى الطبيعة من يقول ان الكذب نافع .

من هنا فان الوضعية المنطقية تهتم اساسا بالالفاظ التى تستخدم فى الاخلاق وتجتهد فى تعريفها وردها الى عبارات والفاظ يمكن التحقق من صحتها فى الواقع . وهكذا فعبارة « الكذب شر » لا تخرج عن كونها امرا او صيغة تمن او اقناع . الامر يصدره القائل « لا تكذب ! » ، والتمنى « ليتنى لا اكذب » والاقناع « اننى لا احبذ الكذب وانت ايضا يجب الا تحبذ الكذب » (٢)

« وطالما ان العالم هو عالمى انا ، ولا استطيع ان اتحدث الا عن عالمى انا » ، وطالما انه لا سبيل الى اقرار واقعية العالم الخارجي فان الاسئلة الخاصة بقضايا الاخلاق والفلسفة لا معنى لها على

---

(١) و (٢) حول نظرية القيمة المعاصرة — مقال للدكتورة اميرة حلمى مطر — مجلة الفكر المعاصر — يوليو ١٩٦٥ ، فى هذا المقال حاولت الكاتبة ان تقدم نقدا لنظرية القيمة عند الوجوديين والمناطقة الوضعيين على ان نقدها ظل على الدوام على ارض التجريد وبعيدا عن الواقع الاجتماعى المحدد .

الاطلاق لان هذه القضايا لا تتحقق فى الواقع .

من هنا انحصر دور اصحاب الوضعية المنطقية فى ابعادنا عن اليقين سواء فى مجال العلم او فى مجال الاخلاق (٣) . فاذا انتفى اليقين فى هذين المجالين فهو منتف ايضا فى مجال السياسة والاجتماع . هنا لا يعود الحل الاشتراكى حلا حتميا ، ولا تعود الثورة ضرورة . أن القضية ترجع الى اختيارى الخاص فقد آخذ بهذا الحل وقد ارى ان غيره من الحلول اجدى وانفع فى حل قضايا المجتمع .

ولسنا فى حاجة الى جهد خارق للتدليل على ان هذه الفلسفات الاخلاقية التى تقدمها سواء الوجودية او الوضعية المنطقية انما تعارض من ناحية المبادىء ، وفى التطبيق العملى ايضا الرؤية العلمية التى تحكم ميثاق العمل الوطنى . فالميثاق ينطلق من منهج علمى ثورى هو منهج اليقين منهج الاقرار بواقعيه الطبيعة والمجتمع ، منهج الثقة فى قدرة الانسان على تغيير الطبيعة والمجتمع وذلك من خلال عمل جماعى مبدع وخلاق لا تطمس صفته الجماعية خصائص وقسمات المجهود الفردى .

قضايا أساسية

صحيح ان الميثاق لم يخصص فصلا مستقلا تحت عنوان « القيم الاخلاقية فى المجتمع الجديد» لكنه مع ذلك قدم صياغات هامة فى دراسته وتحليله للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، صياغات تصلح لان تكون اساسا لنظرية علمية فى السلوك الاخلاقى ، واساسا صالحا لارساء القيم الاخلاقية الجديدة التى تحدث عنها الميثاق ذاته .

وعلى سبيل المثال يرفض الميثاق قيما معينة ويعلى من شأن قيم اخرى :

● ففى البابين الرابع والخامس يدين الميثاق هذه الفئات الطفيلية من المثقفين الفاسدين الذين انكسرت مقاومتهم امام فئات الامتيازات الطبقية فتخلوا عن اهداف الثورة وسقطوا امام الاغراء وكان الاغراء اقوى منهم .

● وفى الباب الخامس يدين الميثاق الضغوط المادية التى تعرض لها الفلاحون ايام سطوة الاقطاع ويوضح ان هذه الضغوط حرمت الفلاحين من حرية التصويت وكانت عبئا على حرية الضمير .

● وفى الباب السادس يرفض الميثاق ان يكون عائد العمل من نصيب قلة من الناس « يفيض المال لديها لدرجة انها تبدده فى الوان من الترف الاستهلاكى يتحدى حرمان المجموع » .

● وفى باب « مع التطبيق الاشتراكى ومشاكله » يقرر الميثاق أن اهدار ثروة الشعب انحراف ، اى عمل غير اخلاقى . بل ويعتبر من قبيل هذا العمل اللا اخلاقى كل اسراف فى المشروعات الكبرى حتى ولو لم يستتبعه استفادة شخصية .

لكن الميثاق لا ينسى ان يحدد فى اكثر من موضع **المواصفات والشروط السياسية والاجتماعية التى تتولد عنها بالضرورة القيم الاخلاقية الجديدة :**

● ففى باب الانتاج والمجتمع يوضح الميثاق الصلة بين العمل فى نطاق الخطة لتنفيذ اهداف الانتاج وبين التفكير الاجتماعى الذى يوجه الخطة الى صنع المجتمع الجديد ، ويضع « قيما اخلاقية جديدة . ومعان انسانية متفتحة للحياة ، نابضة بها » .

● وفى نفس هذا الباب يؤكد الميثاق على هذه الفكرة وهى ان الحرية المكفولة للفرد هى اساس الموقف الاخلاقى فى قيامه بالواجب « ان حرية الفرد هى اكبر حوافزه على النضال »

● وفى باب الديمقراطية السياسية يوضح الميثاق ليس فقط الاهمية السياسية لكون القيادة جماعية بل الاهمية الاخلاقية ايضا ، وذلك عندما يشير الى ان « جماعية القيادة تؤكد الديمقراطية كما تعصم الفرد من الجموح » .

● وفى باب الانتاج والمجتمع يؤكد الميثاق على ان « التغيير الثورى فى الحقوق العمالية لابد وان يقابله تغيير ثورى فى الواجبات العمالية » .

واخيرا وليس آخرا كما يقولون — من الاهمية بمكان ان نلفت النظر الى الصياغات التى تكشف عن النزعة الانسانية العميقة التى تسود الميثاق . لننظر مثلا فى هذه القضية « ان العمال ليسوا سلعة فى عملية الانتاج » ولننظر ايضا الى تأكيده على « ان العامل هو سيد الالة ولم يعد احد التروس فيها » .

بعد هذا كله يحق لنا ان نتساءل هل يمكن ان

(٣) راجع الدراسة النقدية الهامة التى قدمها الدكتور يحيى هويدى من الوضعية المنطقية فى كتابه « ماهو المنطق — دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية — القاهرة ١٩٦٦ » — انظر بصفة خاصة ص ١٧٢ — ١٧٩ وص ١٨٢

نقيم على الميثاق نظرية علمية فى السلوك الاخلاقى، تتحدد بموجبها طائفة من القيم الاخلاقية الجديدة؟

الجـواب بالايجاب .

الاساس العلمى لنظريات فى الاخلاق

لكن ما هو الاســاس المادى والملموس الذى يمكن ان تقوم عليه نظرية فى الســلوك الاخلاقى تستمد بطريقة علمية مع روح الميثاق ؟

فى اعتقادى ان هذا يتم على الوجه التالى :

نحن نعلم ان ثوره يوليو قد دخلت فى صدام مع الاســتعمار ومع مجتمع الاقطاع والراسـماليه الكبيره . كان هذا الصدام ولا يزال — يؤذن بأن قياده ثوره يوليو ترفض الأساس المادى الذى كانت تقوم عليه علاقات الانتاج فى المجتمع القديم ، وانها ترفض بالتالى وبالضرورة — النظم السياسـية والاجتماعية التى عبرت عن هذه العلاقات ، كما ترفض قيم المجتمع القديم ومثله الاخلاقية .

ولقد قام المجتمع القديم على اساس ابشـع انواع الاستغلال ضد اوسع الجماهير خاصة من العمال والفلاحين . كما ان دور الطبقات المالكة فيه لم يكن دور بناء بل تطفل كامل وسرقة لعرق الكادحين . وفى ذلك المجتمع لم يكن عمل الانسان اساس تقييمه بل كان الاساس العـام الانتمـاء الطبقى ، وما آل اليه او سيؤول من ثروات ، وما يتمتع به من قدرة على المضـاربة فى الســوق السـوداء ، او فى سوق الاوراق المالية .

ويرفض الاساس المادى لهذا المجتمع كان لابد وان تضع ثورة يوليو اساسـا جديدا : ملكيـة الشعب العامل لوسائل الانتاج الرئيسـية وما تقتضيه هذه الملكية من ضرورة تخطيط الاقتصاد القومى والعمل المستمر لتحسين المستوى المعيشى والثقافى للجماهير الشـعبية . هنا وفى مجـال الاقتصاد يصبح العمل الخلاق للجماهير فى مراكز الانتاج هو ضمان صيانة الملكية العامة لوسـائل الانتاج وتطويرها ، وهو ضمان احداث التحول الاشتراكى فى اسرع وقت .

ولكن اذا تركنا مجال الاقتصاد فان العمل لا تكمن اهميته القصوى فى انه مجرد قيمة اقتصادية كبرى وحسب ، بل سيكون بالنسبة للمجتمع اساسـا ومصدرا للقيم الاخلاقية الجديدة التى اشار اليها ميثاق العمل الوطنى .

فلقد نص الميثاق على ان **«العمل شرف ، والعمل حق ، والعمل واجب ، والعمل حيـاة»** . **« ان العمل الانسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم»**

ان هذه الصياغات ليست ولا يمكن ان تكون من قبيل العبارات الانشائية .

اولا : لانه فى مجتمع الاقطاع والراسمالية ينقسم الكادحون الى قسمين : قسم ليس له الحق فى العمل ببساطة لان المجتمع لا يتيح له فرص العمل . ثم قسم يعمل ولكن عمله ليس حرا على الاطلاق . لان ثمار هذا العمل تذهب بالضرورة الى صاحب العمل . هنا يصبح العامل تابعا للالة ، او نوعا من رقيق الارض وعندئذ يصبح العمل عبئا فظيعا على العامل بل قد يكون محطما له فى بعض الاحيان .

وعلى العكس من ذلك : عندما يسقط الاستغلال الطبقى ويصبح العمل **حقا** لكل مواطن . هنا يدخل عنصر الحرية فى العمل . ويصبح العمل مصدر الهام يغذى فى نفس الانسان صفات الاستقـلال والمبادرة ، والجسارة ويكون اساسا لما نسـميه بالخلق المتين .

ثانيا : وكلما واصل المجتمع مسيرته فى طريق التنمية والتصنيع فان هـذا يتطلب بالضرورة ان يدخل عنصر المعرفة فى العمـل الانســانى . ان مكافحة الامية ونشر التعليم العام ورفع مستواه ، وتحويل العمـال غير المؤهلين الى عمـال مهرة وفنيين ، والتوسع فى استخدام العلوم الحديثـة والتكنولوجيا ، كل هذا يحول العمل من عبء الى متعة معمقا فى العمل الانسانى عنصر الحرية . لكن كل تغيير فى ظروف العمل وادواته يغير العامل ذاته ، ويعيد خلقه من جديد . هنا يصبح العمل مرادفا لمعنى الحياة والتقدم .

ثالثا : فاذا ما اقترن هذا كله بالتوعية السياسية واصبح كل عامل سياسيا على حد تعبير **جمـال عبد الناصر فى خطاب السويس (ابريل ١٩٦٦)** ، واذا ما عرف العامل مهمته — مهما كانت متواضعة — فى نطاق المصنع ، ثم عرف بعد ذلك دور المصنع فى اطار المجهود الوطنى برمته ، ثم وضـع العمـل الوطنى فى موضعه من موكب المدنية المتقدمة . هنالك لا يعـود العـامل آلة من الالات او قوة مسخرة من قوى الطبيعة ، بل سيصبح العـامل خبيرا ومفكرا ومساهما واعيا فى البنـاء القومى العظيم .. سيصبح شخصية انسانية لها نصيبها فى المسئولية والكفاح ، ونصيبها من المجد فى النصر . وهذا معنى قولنا العمل شرف ، العمل واجب .

هكذا وانطلاقا من مفهـوم العمل — **القيمـة الاخلاقية الكبرى والجديدة فى المجتمع الجديد** — نستطيع ان نتقدم لنحـدد بعض القيم الاخلاقيـة الجـديدة وذلك من واقع المواقف السياسـية والاجتماعية التى يحددها الميثاق . وعلى سبيل المثال لا الحصر سنجد من بين هذه القيم :

- الاخلاص لقضية الثورة والتقدم .
- حماية الملكية العامة لوسائل الانتاج .
- حماية العائلة ، واحترام كرامة المرأة وانسانيتها .
- المقاومة الايجابية لكل الوان الاستغلال .
- المقاومة الايجابية للمستعمرين وتجار الحروب .
- الاخاء البشرى والتضامن مع الشعوب والدفاع عن السلام .

ولعلنا بعد ذلك لا نخطىء عندما نقول ان كل صياغه لمبدأ ثورى من المبادىء الاساسيه فى الميثاق — ايا ماكان طابعه السياسى او الاجتماعى — هو فى الوقت ذاته — اما صياغة لقضية اخلاقية او اساس يترتب عليه بالضروره موقف اخلاقى. فالدفاع عن السلام — مثلا — قضيه سياسية واخلاقيه فى آن واحد وهكذا ...

هنا قد نسمع من يعترض بأن بعض هذه القيم الاخلاقية ليس جديدا على الاطلاق،وانها قد وجدت من قبل فى هذا المجتمع او ذاك ، وفى هذا العصر او ذاك . ونجيب على ذلك : بالطبع ، لان القيم الاخلاقيه الجديدة ليست مجرد اختراع من العدم. وصحيح انه قد وجد على الدوام افراد وجماعات قاومت الظلم ووقفت فى وجه الانحلال الخلقى . وكانوا بالفعل قدوة تحتذى فى التضحيةو الشجاعة والتفانى فى اداء الواجب . لكن كل مجتمع — مع ذلك — يولد مجموعة من العلاقات الاجتماعية لم توجد من قبل ، تترتب عليها بالضرورة مجموعة من المثل والقيم الجديدة . وعلى سبيل المثال فان ملكية الشعب لوسائل الانتاج لم توجد كشكل من اشكال الملكية قبل ٢٣ يوليو . وهذا معناه اننا لابد وان نتفق على مجموعة من قواعد السلوك من الواجبات والحقوق تترتب بالضرورة على العلاقات الاقتصادية الجديدة وتقوم عليها .

ولا بد من ان نؤكد على ان كثيرا من القيم الاخلاقية الجديدة التى ندعو اليها انما تؤسس على خير ما فى التراث الروحى والقومى للامة . لكن عملية التاسيس هذه هى ايضا عملية اعادة خلق للقيمة الاخلاقية الجديدة . اذ بينما نتمسك بمضمونها الحى والثورى نتقدم لنوسع مرة اخرى مفهومها، ونمد حدودها حتى لتشمل آفاقا لم تكن تشملها من قبل . وعلى سبيل المثال : الوطنية شعور اصيل وعريق وجد منذ زمن بعيد . وقد عبر ولا يزال يعبر عن تعلق الفرد ببلاده ، بأرضها وتاريخها والناس الذين يحتمون بسمائها . لكن مفهوم الوطنية فى مجتمعنا نراه يتسع ويتخذ ابعادا واعماقا جديدة فى الميثاق . ان الوطنية هى حب الوطن . وهى فى الوقت ذاته موقف ايجابى وبناء من قضايا التحول الاشتراكى. ولكنها ايضا تعنى الولاء للوطن العربى الكبير . ثم هى بعد ذلك تدخل فى مفهوم انسانى عريض وعميق عندما نرى انها تعنى التضامن مع الاسرة البشرية من اجل السلام والتقدم والرخاء .

واخيرا اذا لخصنا هذا كله امكن ان نقول ان وجهة النظر الاشتراكية التى تعلى من شأن العمل الانسانى وتضعه فى القمة السامية انما هى الاساس فى صياغه نظرية للقيم الاخلاقية الجديدة، كما انها باختصار الاساس فى تكوين الوعى الوطنى بمضمونه الجديد وابعاده الجديدة . وعلى الناس الثوريين ان يتوفروا — منذ الان — على هذا العمل: صياغة وبلورة المثل الاخلاقية الجديدة فهذه احدى مهامهم العاجلة والمباشرة . ولن يثنيهم عنها الاحتجاج بان التطور الفكرى والاخلاقى ياتى متخلفا من ناحية الزمن عن التطور الاقتصادى والاجتماعى. ان هذا صحيح بوجه عام ولكن التراخى فى مناقشة القيم الجديدة ضار ، لانه كما تمهد التغييرات الاقتصادية والاجتماعية الارضية الصلبة لنشوء ثقافة وطنية جديدة وتولد قيما اخلاقية جديدة الا ان الارتباط بين الاثنين ليس ارتباطا آليا. والذى يحدث هو ان القيم الاخلاقية والثقافة الجديدة تقوم بدور هائل — واحيانا حاسم — فى حماية التغييرات الاقتصادية والاجتماعية ودفعها الى الامام .

وفى فترة الانتقال حيث يتجاور القديم والجديد وحيث يضطرم صراع مرير بينهما ، وحيث تعيش القيم القديمة جنبا الى جنب مع القيم الجديدة الوليدة ، لا مناص من ان يتدخل المفكرون الثوريون بوعى لدفع عجلة التغير . وهذا التدخل لن يكون من قبيل اعمال « التبشير » باخلاق مجردة ، ولن يكون ايضا من قبيل الوعظ والارشاد . ولكنه عملية نضالية . ولقد طالما وضح جمال عبدالناصر ان قوى التقدم مدعوة الى ان تقوم بصدام على الجبهة الفكرية مع الحزب الرجعى. هكذا وفى خلال النضال ضد اوضاع محددة وضد القيم والافكار المعارضة المعادية تولد وتتاكد القيم الاخلاقية الجديدة.

وان دور الميثاق فى خلقها والتمهيد لها انما يكون بالاصرار على التسلح بالميثاق كمنهج وكدليل للعمل . وتطبيق الميثاق على اوضاعنا الراهنة يدعونا الى التاكيد على هذه الحقيقة وهى انه من خلال جذب اوسع الجماهير الى العمل السياسى ومن خلال تعبئتهم تعبئة تقوم على الاقتناع من اجل انجاح الخطة الثانية ستولد على الدوام وتتاكد المثل الاخلاقية الجديدة التى تعود بدورها لتدفع المناضلين الى المزيد من العمل الثورى الخلاق .



حصيلة الصراع الفكرى نواة "الثقافة الجديدة"

د. لطيفة الزيات

يستهدف الميثاق عدة اهداف ثقافية تتجمع كلها فى هدف واحد هو «خلق ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الإحساس بالجمال فى حياة الانسان الفرد الحر» :

ولعل هذا البند ، ان دل على شيء ، فانما يدل على مدى غنى ثورتنا . فثورتنا لا تؤمن ان بالخبز وحده يعيش الانسان . وانما تسعى الى ان توفر له اثمن واجمل ما فى الحياة من متع . وهى لا تريد للفرد ان يحيا فحسب ، بل ان يزدهر كفرد حر قادر على ان يرتاد منابع الجمال ، وان يضيف الى هذه المنابع من ذاته ومن كيانه .

ومن الواضح ان هذا هدف لا يمكن ان يتحقق الا فى المدى البعيد ، فالثقافات عادة بكل مستوياتها الحضارية والادبية والفنية والفكرية والفلسفية هى انعكاس للقيم الاجتماعية والاخلاقية التى تسود مجتمع من المجتمعات ، وهذه القيم بدورها تنبع من طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التى تتحكم فى هذا المجتمع . وكل حركة حضارية او فكرية او فلسفية او فنية ممكن أن ترد الى منابعها فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التى تسود مجتمع من المجتمعات فى فترة من الفترات . وكل حركة ثقافية ، تقدمية بمدى ما ساعدت وتساعد على تطور المجتمع ، ورجعية بمدى ما تحاول أن توقف من هذا التطور . وتجمد الوضع على ماهو عليه وذلك عن طريق ايجاد التبرير الفكرى او الفلسفى ، او الفنى لوضع اقتصادى متدهور بمقتضى التطور التاريخى الحتمى . ومن ثم يصبح تغير الثقافة تغيرا جذريا رهين بتغير الاسس الاقتصادية تغيرا جذريا .

وهذا هو بالفعل ما نص عليه الميثاق فى تحليله العلمى للموقف . فالثقافة الوطنية الحرة هى انعكاس للقيم الاجتماعية الجديدة . وهذه القيم لا تنشأ ، كالصانع ، ما بين يوم وليلة ، وانما هى تنشأ نتيجة لتغير العلاقات فى البناء الاقتصادى

والاجتماعي . وخروج هذه القيم رهين باستكمال بناء المجتمع الاشتراكي ، بل ربما كان لاحقا باستكمال هذا البناء . ومن ثم ينص الميثاق على : ان مجتمع الرفاهية قادر على ان يصوغ قيما اخلاقية جديدة لا تؤثر عليها القوى الضاغطة المتخلفة من العلل التي عانى منها مجتمعنا زمنا طويلا ، كذلك فان هذه القيم لابد لها ان تعكس نفسها في ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال في حياة الانسان الفرد الحر .

وفي المجتمع الواحد نجد عدة ثقافات ، **سواء اكان هذا المجتمع راسماليا او اشتراكيا** . وليست الثقافه بالضروره مستمده من الكتب . فالفلاح المصرى الذى لا يقرا ولا يكتب له عالمه الثقافى ، اى مجموعه القواعد الحضارية التى تشكل تفكيره وتؤثر فى وجدانه . وللفلاح رسومه واغانيه وحكمه وامثاله وفلسفته وحكاياته واساطيره،اى عالمه الثقافى المتميز . والعالم الثقافى لفلاح اقصى الصعيد قد يختلف . باختلاف الظروف الاقتصاديه وباختلاف البيئه . عن العالم الثقافى لفلاح الدلتا حيث طبيعه الارض اكثر كرما ، وحيث الاتصال بالمراكز الثقافيه الكبرى ايسر واسهل . وتنوع الثقافات فى المجتمع الواحد وازدهارها امر ينبغى ان نحرص عليه وان نسعى الى تحقيقه ، ولكن على اساس وجود ارضية مشتركةواطار مشترك يجمع بين افراد الشعب الواحد .

وهنا يكمن الفارق الجوهرى بين تنوع الثقافات فى المجتمع الراسمالى وتنوع الثقافات فى المجتمع الاشتراكى . ففى المجتمع الراسمالى توجد هوه تفصل بين الثقافه والثقافه ،وتقسم المجتمع الواحد الى عوالم ثقافية منفصلة ومنعزلة وتجعل كلا من التفاهم العقلى والمشاركة الوجدانية مستحيلابين اهل البلد الواحد .وهذا الانفصام مقصود ومتعمد فى المجتمع الراسمالى ، اذ ان الثقافة هنا سلاح يعمق من الفروق بين الطبقات ، ويسجن كل انسان فى طبقته ، بحيث يستحيل عالمه الثقافى الى سجن يلزمه بمكانه فى السلم الاجتماعى . ولعل ايراد مثل هنا يدلل على ما احاول ان اقول .فنحن قد سمعنا **بمدرسة السخط** فى انجلترا **وبادب الساخطين** وفى مقدمتهم **اوزبورن** صاحب مسرحية **« انظر الى الخلف فى غضب »** . وسبب السخط والغضب ابسط مما نتصور بكثير . «**فأوزبورن**» وزملاؤه من الساخطين ، هم اول دفعة من ابناء العمال تلتحق بالجامعات الانجليزية وقد كانت الجامعات الانجليزية حتى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وما زالت الى حد كبير ، حكرا على ابناء الطبقة الوسطى والارستقراطية نظرا لضخامة المصاريف التى تقتضيها من الطالب . وحين تولت حكومه العمال الحكم فى اعقاب الحرب اعطت منحا للتعليم الجامعى لدفعة من ابناء العمال من الطلبة المتفوقين فى التعليم الثانوى . وكان ان تخرج **«اوزبورن»** وزملاؤه من الجامعات البريطانية وتوهموا انهم قد حطموا السجن الثقافى الذى يعزلهم فى طبقة العمال ، وان الباب قد فتح امامهم ليندرجوا فى صفوف الطبقة الوسطى .. ورفضت الطبقه الوسطى ان تفتح لهم الباب . فالثقافة كما قلت ، ليست هى ما يتلقاه الانسان من الكتب فحسب ، بل هى مجموعة القواعد الحضارية التى تتحكم فى تفكير الانسان وفى سلوكه وفى شعوره الوجدانى . ورغم التعليم الجامعى حالت هذه القواعد دون امكانية اندماج هذه الدفعة من ابناء العمال فى الطبقة الوسطى . ووجد **« اوزبورن »** وزملاؤه انفسهم فى وضع لا يحسدون عليه ، فلا طبقة العمال عادت تقبلهم ولا الطبقة الوسطى تفتح لهم الباب . ومن هنا جاء السخط على هذا السلم الاجتماعى المتحجر ، على هذه العوالم الجامدة المغلقة كسجون لا مهرب منها . ومن هنا جاء غضب « اوزبورن » الذى انتهى به الى الهجرة نهائيا من بريطانيا ، والى الاستمرار فى توجيه اقذع اللعنات والشتائم للمجتمع البريطانى. فتعدد الثقافات فى المجتمع الراسمالى سلاح رهيب، سلاح لتجميد الوضع الطبقى وبالتالى للابقاء على الوضع الاقتصادى المستغل .

اما بالنسبة للمجتمع الاشتراكى فالعكس هو الصحيح . فالثقافة فى المجتمع الاشتراكى اداة تجميع لا تفريق ، وهى اداة لتذويب الفوارق بين فئات الشعب لا لتعميقها وتجميدها . ولابد اولا وقبل كل شىء ان تتوفر لمثل هذا المجتمع وحدة فكرية تجمع بين جميع افراد الشعب ، وحدة من شانها ان تتيح للجميع على السواء المشاركة العقلية والوجدانية على نفس المستوى . فمن المفروض فى المجتمع الاشتراكى ان يتمتع العامل وان يتمتع الفلاح بالقدرة على ارتياد منابع الجمال التى يرتادها المثقف الاشتراكى ، والا تصبح ارقى انواع الاداب والفنون حكرا على فئة من الشعب دون الاخرى . وهذه الوحدة الفكرية هى الاساس الاول الذى يرسى فى المجتمع الاشتراكى ، ويأتى تنوع الثقافات وتعددها كتتويج لهذه الوحدة الفكرية . ومن نفس المنبع الذى يرتاده الجميع تتفجر مختلف الينابيع معبرة عن ذاتية البيئة وعن ذاتية الشخصية التى تعمر هذه البيئة .

نحو اطار فكرى وثقافى موحد

وفى مرحلة التطور الاشتراكى التى نمر بها فى بلادنا جد ان الوضع يختلف اختلافا جذريا عن الوضع السائد فى المجتمع الراسمالى ، ولا يرقى فى ذات الوقت الى الوضع كما ينبغى ان يكون فى المجتمع الاشتراكى . فمجانيه التعليم فى كل مراحله والخدمات الثقافية والاعلاميه التى يتسع نطاقها باستمرار ، ونشاط لجان الاتحاد الاشتراكى الذى يصل الى اقصى الريف ، كل هذا يخلق نوعا من المرونه ، ويتيح فرصا كبيره لتذويب الفروق بين الطبقات . غير ان هذه المرونه لا تنفى بحال ان قوى شعبنا العامل ما زالت تعيش منفصلة كل فى عالمها الثقافى المنعزل ، دون توفر اطار فكرى وثقافى موحد يجمع بينها جميعا .

ولا يعنى هذا بحال ان الثقافة عندنا لم تتغير تغيرا جوهريا فى ظل الثوره الوطنيه الاشتراكية ، فهى قد تغيرت . فمما لاشك فيه ان اهتماماتنا الثقافيه قد تغيرت وتنوعت وتعددت واتسعت آفاقها . وان الثقافه بدات تنقب فى القديم والجديد من التراث الوطنى ، وهى تسعى الى بلورة كل ما هو اصيل فى الشخصيه المصرية . ومما لاشك فيه ان ثقافتنا قد فتحت نوافذها على العالم الخارجى بتراثه القديم والمعاصر ، تبحث فيه عن هذه الافكار والاشكال التقليديه والمستحدثة التى تلائم الشخصيه المصريه فى فتره التطور التى نمر بها . ومما لا شك فيه ايضا اننا نجتاز نهضة ثقافيه فى كل المجالات الفكريه والفنيه والادبية ، نهضه لم نعرف لها فى العصور الحديثه مثيلا .

ومع ذلك فيتحتم علينا ان نقف لنتساءل . ثقافة من ... ؟ وهل هى ثقافه الشعب ككل ام ثقافة فئه من الشعب دون الاخرى ؟ واين حدثت هذه التغيرات بصورة ملموسة ؟ هل حدثت فى القرية بالقدر الذى حدثت فيه فى المدينه . وفى المدن بالقدر الذى حدثت فيه فى العاصمه ؟ واى فئات شعبنا هى القادرة على استيعاب هذه الثقافه والتمتع بها ؟ واى قيم اجتماعية واخلاقية تعبر عنها هذه التغيرات الفنيه والادبية ؟ هل هى قيم جديدة لمجتمع اشتراكى جديد ام قيم تصطلى بكل ما تصطلى به قيم فترة الانتقال من اندفاع وتردد ومن يقين وتشكك ، من قلق وامل وتشاؤم وتفاؤل ، بكل المتناقضات التى تتصارع فى مثل هذه الفترة ؟ واذا اجبنا على هذه الاسئلة ، وجدنا الطريق ما زال امامنا طويلا نحو تحقيق هذه « الثقافة الوطنية الحرة » التى تفجر ينابيع الجمال بين جميع افراد الشعب على السواء

ومن ثم فطريقنا نحو هذه « الثقافة الوطنية الحره » التى نص عليها الميثاق ، هو طريق واضح فلابد اولا من ارساء وحدة فكريه كشرط اساسى لخروج هذه الثقافة الوطنية الحرة الى حيز الوجود . والوحده الفكرية لا تتحقق ما بين يوم وليلة ، ولا تتحقق الا عن طريق صراع فكرى طويل يتحقق فى جبهتين

اولا — بين الفكر التقدمى من ناحية وبين الفكر الرجعى من الناحيه الاخرى

ثانيا — بين فكر كل طبقة من الطبقات التى تشمل فى مجموعها اتحاد قوى الشعب العاملة وذلك داخل نطاق الاتحاد الاشتراكى .

وقد سقط الاقطاع وسقطت الراسمالية المحتكرة ، ولكن لا فكر الاقطاع سقط نهائيا ، ولا فكر الراسمالية المستغله ، ولن يسقط الا باستكمال الصراع بين الفكر الرجعى من ناحية وبين الفكر التقدمى من ناحيه اخرى . فالصراع الفكرى بين اتحاد قوى الشعب العامل من ناحيه وبين الفكر الرجعى من ناحيه اخرى صراع محتوم ولا يمكن الافلات منه ، ولكنه ايضا صراع محتوم بانهزام الفكر الرجعى ، فالدوله عندنا دوله اشتراكية تقدمية . ومن المفروض ان تسلح قوى الشعب العاملة بكل الامكانيات التى تهيىء لها الانتصار فى هذا الصراع والتى تعجل من هذا الانتصار .

وقوى الشعب العامل قد انتظمت فى صفوف الاتحاد الاشتراكى كجبهه تجمعها المصلحة المشتركه ضد الاقطاع والراسماليه المحتكرة ويجمعها الشعور المشترك بحتمية الحل الاشتراكى ولكن هذا لا يعنى بحال ان التناقضات قد زالت بين الطبقات التى تندرج فى صفوف الاتحاد الاشتراكى ، وان الوحدة الفكرية قد تحققت بين هذه الطبقات . فهذه الوحدة لا يمكن ان تتحقق الا من خلال صراع فكرى سلمى فى نطاق الاتحاد الاشتراكى بين فكر كل طبقة من الطبقات وكل فئة من الفئات التى يتكون منها الاتحاد الاشتراكى . ومن خلال تصارع الاضداد تصل الى التوحيد ومن خلال التنوع تخرج الوحدة الفكرية ، تلك الوحده التى يستحيل بدونها ان تصبح الثقافة اداة تجميع لا اداة تفريق .

وقد رسم الميثاق الطريق بوضوح حين نص على

ان التناقضات بين الطبقات الشعبية لا تزول بمجرد زوال الاصطدام الفعلى بين قوى الشعب العاملة من ناحية وبين قوى الرجعية من ناحية اخرى ، بل لابد وان تصفى هذه المتناقضات سلميا فى نطاق الوحدة الوطنية عن طريق صراع فكرى سلمى .

« ان ازالة التصادم لا يزيل المتناقضات بين بقية طبقات الشعب ، وانما هو يفتح المجال لامكانية حلها سلميا اى بوسائل العمل الديمقراطى ...

ان تحالف الرجعية وراس المال المستغل يجب ان يسقط ولابد وان ينفسح المجال بعد ذلك ديمقراطيا للتفاعل الديمقراطى بين قوى الشعب العاملة وهى : الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون والراسمالية الوطنية »

صراع فى جبهتين

وما دامت الثقافة الوطنية لن تخرج الى حيز الوجود الا بخروج قيم مجتمع الرفاهية الى الوجود ، وما دام الطريق الى هذه الثقافة التى توحد بين الشعب هو طريق الوحدة الفكرية فلابد لنا وان نناقش المبادىء الاساسية التى لا يمكن بدونها ان تتم هذه الوحدة الفكرية وبالتالى هذه الثقافة الوطنية . وقد نص الميثاق على كل هذه المبادىء فى ابواب متفرقة وما على الانسان الا ان يجمعها ويبوبها لتتضح لنا معالم الطريق . واذا ما تحتم استكمال الصراع الفكرى فى الجبهتين اللتين اشار اليهما الميثاق اى بين الفكر الرجعى والفكر التقدمى اولا وداخل نطاق الاتحاد الاشتراكى ذاته ثانيا فلابد لنا وان نؤكد :

اولا : ضرورة توفير الارضية فى المجال الفكرى التى تتيح بلورة هذا الصراع تمهيدا لاستكماله . ولابد لنا وان نقرر هنا ان سياسة الدولة فى هذا الاتجاه سياسة حكيمة للغاية ، فقد فتحت الباب لهذا الصراع الى اقصى حد ممكن ، وحمت الصراع الفكرى فى ذات الوقت من الارهاب ، الذى من شأنه ان يحول دون استكماله ، وان يحول بالتالى دون التوصل الى الوحدة الفكرية . وتجربتنا المصرية تجربة فريدة فى السماحة التى تتمتع بها الدولة وفى النظرة الرحبة التى تتقبل بها حتمية الصراع .

ففى مجال الصراع الفكرى بين التقدمية من ناحية والرجعية من ناحية اخرى ، نجد ان هذا الصراع قائم ومستمر على صفحات الجرائد والمجلات والكتب ، ولا يحول دون بلورته سوى تستر الرجعية وراء الشعارات الاشتراكية واختلاط الرؤية نتيجة لهذا التستر . ولو واتت الرجعية الشجاعة لتسفر عن وجهها لتحددت الخطوط وتبلورت نقط النقاش ولاستفاد المواطن اكثر مما يستفيد الان نتيجة لهذا التحديد وهذا التبلور . والدولة لا تملك ان تفعل الكثير فى هذا الاتجاه ، والعبء يقع هنا على الطلائع الثورية التى يتحتم عليها ان تكشف قناع الرجعية وان تحاصرها فى مواقف فكرية محددة ومعينة ، وان تدخل معها فى جدل علمى هادىء حول هذه المواقف دون استعداء للسلطات ، ودون استخدام اى وسائل للارهاب ودون مجرد الاكتفاء برفع الشعارات الحماسية الرنانة . فالسلطات لاتملك للفكر شيئا ، وهى تملك ان تسحق الرجعية كحقيقة اقتصادية واجتماعية ولا تملك ان تسحقها كحقيقة فكرية . ولا يجدى هنا الا الجدل العلمى والا ارتفع المد الشورى بصورة منتظمة .

وقد فتح الاتحاد الاشتراكى بلجانه المختلفة وبالنشاط المختلف لهذه اللجان المجال امام استكمال الصراع بين قوى الشعب العامل ذاتها ، وما زال يشكل المجال المثالى لهذا الصراع السلمى . وعلينا ان نتنبه ان الحرية حتمية هنا ، وان علينا نحن اعضاء الاتحاد الاشتراكى ان نخلع النقاب على الباب وان نتجادل مخلصين ، والا نخشى ابدا من الاختلاف . فما دامت غايتنا واحدة وهى استكمال بناء المجتمع الاشتراكى فاحتدام الخلاف بيننا انما هو دليل على حيويتنا وجديتنا ، وعلى اننا نسير من خلال التنوع الى الوحدة المطلوبة .

ثانيا : ضرورة تسليح قوى الشعب العاملة مجتمعة بالسلاح الذى يتيح لها الانتصار ضد الرجعية والذى من شأنه ان يعجل من هذا الانتصار . ويقع على الدولة عبء تسليح قوى الشعب العامل **بالاسلوب العلمى فى التفكير** ، وهو هذا الاسلوب الذى يصعب بدونه الانتصار على قوى الرجعية . ويستحيل بدونه التعجيل بهذا الانتصار . فالاسلوب العلمى هو الذى يتيح لقوى الشعب العامل ان تنفذ من مظهر الاشياء الى جوهرها ، وهو الذى يتيح لها تبين العلاقات المختلفة التى تجمع بين هذه الاشياء . والاسلوب العلمى هو الذى يمكن قوى الشعب ان تدرك طبيعة التنوع الذى تنطوى عليه الاوضاع ومغزى

هذا التنوع في الاطار العام،وهو باختصار السلاح الذي يمكن قوى الشعب من اخضاع القوانين الموضوعية لارادة التغيير .

وما زال اسلوب التفكير في بلادنا متخلفا ، بل تكاد النظرة العلمية في التفكيران تكون منعدمة حتى في الجامعات التي من المفروض ان تكون منبعا لهذه النظرة . ولعل هذا يرجع اكثر ما يرجع الى مناهج وطرق التدريس في المراحل التعليمية المختلفة.وقد عانت مناهج وطرق التدريس عندنا تغييرات عديدة، ولكنها لم تتغير حتى الان تغيرا جذريا ثوريا . فما زلنا ندرس المواد كظواهر منعزلة لا يربط بينهما وبين البعض رابط ، ولا يربط بينهما وبين الحياة اليومية رابط . وما زلنا نلقن الطلبة ليحفظوا ما نلقنه وليتخففوا منه كما يتخففون من حمل ثقيل بعد الامتحان ، وما زالت طرق التدريس عندنا عاجزة على ان تخلق في الطالب القدرة على التوصل الى الحقائق من طريق التدليل والبرهان، وعلى رفض ما لا يقوم على البرهان والدليل ، وما زالت طرق التدريس عاجزة على ان تنمي في الطالب القدرة على التمييز وبالتالي على النقد البناء والنقد الذاتي .

ونتيجة لانعدام الاسلوب العلمي يتسم اسلوب التفكير عندنا حاليا بالعشوائية والارتجالية وبالتردد نتيجة لعدم القدرة على التمييز الحق ، وبالاهتمام باللفظ دون المعنى ، وبالشكل دون المضمون وبالفورات الوجدانية التي لا تبنى على اساس عقلي والتي لهذا السبب ان تختفي كالفقاقيع .كما يتسم اسلوب التفكير عندنا نتيجة لانعدام الاسلوب العلمي بالتمسك بالغيبيات وبالاعتماد على الحظ والنصيب ، وبقدر كبير من « الفهلوة » و « الصهينة » وبالتالي بالتواكل . وليس من شأن مثل هذا الاسلوب في التفكير ان يساعد قوى الشعب العاملة على الانتصار على الرجعية في الصراع الفكري ، بل ليس من شأنه حتى ان يساعد على استكمال البناء الاشتراكي .

ثالثا : ضرورة منح كل طبقة من الطبقات المندرجة في صفوف الاتحاد الاشتراكي فرصا متكافئة للاسهام في الصراع الفكري داخل نطاق الاتحاد الاشتراكي ، والا استعصى استكمال مثل هذا الصراع ، واستعصى بالتالي الوصول الى الوحدة الفكرية المطلوبة . فالراسماليون الوطنيون ، والمثقفون الذين ينتمون في معظمهم الى الطبقة الوسطى احتكروا في الماضي الخدمات التعليمية والثقافية التي حرم منها العمال والفلاحون ، وما زالوا يحتكرون الى حد كبير بعض الخدمات الثقافية الى اليوم .

وما دام الامر كذلك فالاحتمال قائم ان يبتلع فكر الراسمالية الوطنية او ان يبتلع فكر المثقفين فكر العمال والفلاحين . وهذا بالطبع امر ابعد ما يكون عما نريد . فنحن لا نريد لفكر فئة من فئات الاتحاد الاشتراكي ان يذوب في فكر فئة اخرى ، وانما نريد للكل ان ينصهر في بوتقة خارجا بمحصلة جديدة كل الجدة اغنى بكثير من حصيلة مجموعة اضافات فكر الى فكر .

ولكي يتأتى هذا يجب ان تتمتع كل قوة من قوى الاتحاد الاشتراكي بنفس الثقل على اقل تقدير . ولكي يتأتى هذا لا بد وان نعوض للعمال والفلاحين ما فاتهم في الماضي وان نركز في الفترة الحالية في الخدمات التعليمية والثقافية على العمال والفلاحين، وان نجعل هذا الهدف نصب اعيننا لا نحيد عنه ابدا . وهذه هي نقطة الانطلاق التي يتعذر بدونها ايجاد التوازن المطلوب داخل نطاق الاتحاد الاشتراكي ويتعذر بدونها التوصل الى الوحدة الفكرية وبالتالي الى هذه الثقافة الوطنية التي توحد ولا تفرق . وقد نص الميثاق على :

- حق كل مواطن في التعليم .
- ضرورة القضاء على الفجوة الحضارية بين المدينة والقرية .

وواضح ان الاشارة هنا تسرى على العمال والفلاحين اكثر مما تسرى على اى طبقة أخرى من الطبقات المندرجة في الاتحاد الاشتراكي . ولا شك ان الدولة قد بذلت الكثير من الجهود في هذا الاتجاه وان سياسة التعليم والخدمات الثقافية والاعلامية تحاول جادة ان تخدم هذا الاتجاه ، وكان ماتطالب به هنا هو ضرورة ان يأخذ التخطيط للخدمات التعليمية والثقافية والاعلامية في اعتباره ضرورة التركيز على العمال والفلاحين في هذه المرحلة لتعويضهم ما فات ، ولمنحهم الفرصة المتكافئة داخل نطاق الاتحاد الاشتراكي . ولن يكتب لهذه «الثقافة الحرة » ان تخرج الى حيز الوجود ما لم يتمتع العمال والفلاحون بنفس فرص التعبير الفكري والفني التي تتمتع بها حاليا الطبقة الوسطى .

رابعا : ضرورة تغيير التشريعات تغييرا جوهريا يتمشى مع التطور المادي الذي احرزناه ، وأعني التشريعات هنا على اطلاقها الخاص منها والعام. وبدون هذا التغيير في التشريعات لا يتأتى للقيم الاجتماعية التي تتحكم في مجتمعنا نتيجة للماضي ان تتغير .وما لم تتغير هذه القيم لن يتغير الفكر النابع منها . ولن يتهيأ لقوى الشعب العاملة الوسائل التي تمكنها من استكمال الصراع في الجبهتين ، والتي تتيح لها الاسراع في حسم هذا الصراع لصالحها .



الميثاق والسياسة التعليمية الجديدة

أديب ديمترى

التقرير المقدم من لجنة القوى العاملة عن السياسة التعليمية الجديده عمل هام ومحاولة جادة للربط بين خطط التعليم وأهدافه وخطة التنمية . ولاشك ان خطة تستثمر ٣١٦٠ مليون جنيه وترصد للصناعة ١١٠٢ مليون ، وللزراعة ٥٠٩٨ مليون ، وترفع العمالة من ٣٠٠ر٧ مليون الى ٧٠٠ر٨ مليون فى آخر سني الخطة لابد أن تحسب بميزان دقيق نوعية القوى البشرية اللازمة لها واعدادها ومستوى ثقافتها ومهاراتها .

واى خطة يراد لها النجاح تعتمد بداهة على هذا الحساب الدقيق ، ولكن علينا أن نحذر فى نفس الوقت من النظرة الفنية الضيقة التي تحصر نفسها فى الارقام ، وتعتبر الارقام نقطة البداية والنهاية ولاتعلو الى مستوى الفلسفة التي تحرك الارقام . فالأرقام وسائل ومشيرات تعمل قد يحركها فكر تقدمي أو رجعي ، وهي فى يد الثوريين ينبغي أن تقف على أرضية فلسفة واضحة المعالم تخدم أهداف التطوير والتغيير .

والواقع أن الميثاق قد ارسى معالم هذه الفلسفة وحدد القسمات الواضحة لثقافة وتعليم ثورى . ومن الطبيعي ان يعكس مثل هذا التقرير الهام المبادىء التى حددها الميثاق ويترجمها الى واقع عملى فى الخطط والمناهج والارقام . وقد مضت فترة كافية تماما منذ صدور الميثاق لنقيس ما انجز فى ميدان التعليم — وفى تقديرنا أنه الاقل — ومايبنغى أن ينجز فى سنوات الخطة القادمة .

لقد أكد **الميثاق** ان الرجعية لم تدخر وسعا لضمان سيطرة المفاهيم المعبرة عن مصالحها ومن ثم انعكست آثار ذلك على نظم التعليم ومناهجه أجيالا متعاقبة من شباب مصر انتظمت فى سلك المدارس والجامعات والهدف من التعليم كله لايزيد عن اخراج موظفين يعملون للانظمة القائمة وتحت قوانينها ولوائحها .

والحاجة ماسة الى تنمية ثقافة نابضة بالقيم الجديدة عميقة فى احساسها بالانسان .. قادرة على تحريك طاقات كامنة فى أعماقه .

ومن هنا فان مناهج التعليم فى جميع الفروع ينبغى ان يعاد دراستها ثوريا لكى يكون هدفها هو تمكين الانسان الفرد من القدرة على اعادة تشكيل الحياة

واكد **الميثاق** حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه . ان العلم طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها .

وابرز **الميثاق** حقيقتين هما عصب التربية الاشتراكية ومحور التغيير الثورى المطلوب :

« العلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية واذا تخلت الثورة عن العلم فمعنى ذلك انها مجرد انفجار عصبى .

والعمل الانسانى هو المفتاح الوحيد للتقدم .. طبيعة العصر لم تعد تقبل وسيلة للامل غير العمل الانسانى .

والتقرير يطرح العديد من القضايا والاتجاهات **الجديدة بان تحظى باوسع اهتمام ومناقشة :**

- قضية تكافؤ الفرص فى المجتمع الاشتراكى وترجمتها فى نظم التعليم .
- مرحلة الالزام وعدد سنيها .
- الدراسات النظرية والعملية ، ومركز العلوم الانسانية فى التربية والثقافة الاشتراكية .
- المناهج وتطويرها ومفهوم التربية الاشتراكية .
- اعداد المعلم وكسبه للثورة الاشتراكية
- هبوط المستوى فى مراحل التعليم وقضية الكم والكيف ..
- الانتساب ..
- التعليم الخاص .

ولايتسع المجال لمناقشة كل هذه القضايا مناقشة مستفيضة وسنكتفى بالخطوط العريضة التى يمكن أن تحدد الاتجاه .

والتقرير يؤكد منذ البداية حقيقة هامة ، وهى ان **سياسة الباب المفتوح فى التعليم** كانت تمثل ضرورة اقتضاها العدل لتحطيم الفوارق الطبقية وتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص ، هذه السياسة التى وضعت فى التطبيق بتقرير المجانية الشاملة وبالقفزات الكبيرة فى أعداد الدارسين .

ولاشك ان هذه السياسة كسب للاشتراكية وثمرة معركة طويلة بين القوى التقدمية والرجعية فى بلادنا وان اقترنت فى احيان خاصة قبل الثورة ببعض المفاهيم الليبرالية والاتجاه الى فتح التعليم على مصراعيه دون اى محاولة للربط بين الاحتياجات الفعلية من القوى البشرية وانواع التعليم . وقد كان هذا طبيعيا قبل الثورة ولكن التقرير اكمل ما كان ينبغى أن يتم ، وهو أن تتوج سياسة الباب المفتوح بالتخطيط وحساب الاحتياجات فى ضوء خطط التنمية . ولكن علينا ان نحذر من مفهوم غير اشتراكي قد يتسلل ، وهو ان سياسة الباب المفتوح مرحلة حققت أهدافها من تحطيم الفوارق وتحقيق تكافؤ الفرص ، وأن التخطيط مرحلة اخرى سمتها التضييق والحد من التدفق الشديد على مراحل التعليم . فسيظل الاساس لاى سياسة اشتراكية فى التعليم هى سياسة الباب المفتوح بمعنى تحقيق تكافؤ الفرص وتحطيم الفوارق الطبقية وتصفية تركة الحرمان للشعب العامل من موارد الثقافة الرفيعة فى اطار من التخطيط الشامل للموارد والامكانيات والاحتياجات من القوى العاملة .

وبهذا يطرح التقرير قضية هامة هى مفهومنا عن تكافؤ الفرص فى مجتمع يبنى الاشتراكية ويتصدى لتصفية بقايا الاقطاع والراسمالية . ولنتتبع التخطيط الاساسى لمراحل التعليم كما جاءت فى التقرير :

فى المرحلة الابتدائية اقترحت اللجنة جعل مدة الدراسة خمس سنوات الزامية يضاف اليها سنة سادسة للذين يلحقون بالمرحلة الاعدادية وحددت نسبتهم بـ ٣٠٪ من مجموع تلاميذ السنة الخامسة وبعد المرحلة الاعدادية يوزع الطلبة بين الانواع التالية من التعليم :

- مراكز تدريب قصير واعمال بيئية ويقبل بها ٣٠٪ من جملة خريجى الاعدادى لتخريجهم عمالا متوسطى المهاره
- مراكز تدريب مهنى ومدارس ثانوية فنية ومدة الدراسة من ٢ الى ٣ سنوات ويقبل بها ٢٥٪ من خريجى الاعدادية لتخريجهم عمالا مهرة ومساعدين فنيين .
- مدارس فنية متخصصة (صناعية . تجارية زراعية . معلمين ابتدائية) . مدة الدراسة خمس سنوات ويقبل بها ٢٥٪ من الاعدادى .
- مدارس ثانوية عامة بعدها الجامعات والمعاهد العليا ومدة الدراسة ثلاث سنوات . ويقبل بها ٢٠٪ من القادمين من الاعدادية .

ولتحديد الصورة نقارن هذه المراحل والنسب المقترحة فى التقرير بالنسب الحالية فى القبول لعام ٦٥ — ٦٦ على سبيل المثال :

عدد المقبولين بالاعدادى بالنسبة لتلاميذ السادسة الابتدائية ٢٦٫٩٪

عدد المقبولين بالثانوى العام الى الناجحين فى الاعدادية (٦٤ ـــ ٦٥) ٤٣٪

عـــدد المقبولين بالثانوى الفنى بأنواعـــه الى الناجحين فى الاعدادية (٦٤ ـــ ٦٥) ٢٣ر٤٪

ولابد ان نتفق مع التقرير فى ان تحديد فروع التعليم المختلفة وأنواعه ومراحله ومستوياته ونسب القبول فى كل منها مردها فى نهاية الامر للحساب الدقيق من قبل اجهزة التخطيط للاحتياجات الفعلية من القوى العاملة فى مختلف فروع الانتاج على أساس الخطة المرسومة للتنمية ، بالاضافة الى الموارد المتاحة والامكانيات التى يمكن أن تخصص للخدمات التعليمية وهى بالضرورة محدودة وقاصرة ولها احكامها وضروراتها التى لابد أن نقدرها ونتفهمها فلا جدال أن الموارد المتاحة للشعوب النامية والتى تشق طريقها الى الاشتراكية فى مواجهة تحديات الداخل والخارج ستقصر دائما عن تحقيق كل الامال العريضة والتطلعات التى تحرك شعوبا تخرج من كابوس التخلف والعوز

ورغم هذه الاعتبارات الاقتصادية والفنية والتى كان لها فى الاغلب الثقل الحاسم فى تحديد هيكل النظام التعليمى كما رسمه التقرير ، والنســـب المقررة لكل مرحلة ونوع من التعليم الا اننا لابد ان نقيس هذه السياسة ونقيمها على اساس مدى مراعاة مبدا تكافؤ الفرص باعتباره حجـــر الزاوية فى اى نظام وسياسة تعليمية اشتراكية . وتكافؤ الفرص فى بلد يمر بمرحلة تحول وانتقال ويشق طريقه صوب الاشتراكية يعنى بالضرورة اتاحة الفرص فى المحل الاول للطبقات التى طالما حرمت فى المجتمع الطبقى القديم ، لقوى الشعب العاملة ، ونقل الثقل فى التعليم من الطبقات القديمة الى الطبقات المنتجة والمتصـــدية لعملية التغيير الثورى أجتماعيا واقتصاديا وسياسيا .

وعلى ضوء هذا التحديد نقيس الامور ولنا فيها بعض ملاحظات :

● تقصير مدة الالزام من ست سنوات الى خمس وان حكمته فى الاغلب اعتبارات اقتصادية الا ان خسارته اكبر بكثير من كسبه . ففى مقابل التوفير الذى يمكن أن يتحقق فنحن نخفض مستوى هذه المرحلة بدرجة ملموسة خصوصا وأننا نعلم أن الست سنوات نفسها غير كافية والحقيقة ان الخمس سنوات لن تصل بنا سوى الى مستوى محو الامية او مجرد تعليم الفنون الثلاثة (القراءة والكتابة والحساب) ، هـــذا اذا تحققت والاغلب ان الطفـــل لن يلبث حتى يعـــود كرة اخرى الى الامية فنخسر ما أنفقناه .

واذا كان عدد المقبولين بالمرحلة الاعداديـــة لن يتعدى ٣٠٪ فمعنى ذلك أن ٧٠٪ من أبناء الشعب العامل والاغلبية الساحقة منهم من ابناء العمال والفلاحين ستنتهى بتعليمها عند هذه الحدود . ولا شك ان تعلم الفنون الثلاثة ليس مما يكفـــى فى تكوين المواطن فى بلد اشتراكى . وقد كان هدف محو الامية فى القرن التاسع عشر بما يكفى لمتطلبات الصناعة فى أوربا حينذاك . ولكن الثورة الصناعية والتكنيكية فى القرن العشرين وطابع الصـــناعة والزراعة المتقدم والتعقيد الشديد فى التكنيـــك جعل الحاجة ماسة فى عالم اليوم الى مســـتوى أعلى من الثقافة للطبقات العاملة . ونحن بلا شك لانبدأ بالصناعة من اولها ، وانما نتصدى لتطوير صناعى وزراعى بعيد وفى أعلى مستوى وهـــو مايفرض بالضرورة مستوى ثقافى أعلى للشـــعب العامل .

ولكن الاخطر من هذا أن النظام المقترح يقف بالالزام عند السنة الخامسة ، بينما يبدأ المرحـــلة الاعدادية بعد السادسة ، وهو ما يخلق فاصـــلا يقف عائقا دون الكثيرين فى محاولة مواصــــلة دراستهم او اكمالها فيما بعد ، وهو فى الحقيقة شكل من اشكال ازدواجية التعليم وبقية من بقاياه تعليم للعامة وتعليم للخاصة ، وهو مايتعارض مع الحقوق الديموقراطية للمواطنين ، ويقع عبؤه وضرره على أبناء العمال والفلاحين فى الاغلب وهم الاحق بافســـاح الفرص وقد طال حرمانهم من الثقافة والتعليم .

● التقرير حـــدد نسبة ٢٠٪ من المنتهين من المرحله الاعدادية للالتحاق بالتعليم الثانوى العام أو العلمى والذى يوصل الى الجامعات ، ولا شك أن الهدف هو تحويل الاتجاه الى انواع التعليـــم الفنى والعملى التى تشتـــد الحـــاجة اليهـــا فى ميادين الانتاج المختلفة ،وهو تحول مطلوب وسليم فى اتجاهه العام . ولكننا مع ذلك نأخذه بجـــذر فقد يحمل اتجاها الى ضغط التعليم الثانوى والجامعى والعالى بشكل مخل وضار . فقد كانت هنـــاك دعاوى رجعية فى الماضى للحد من التعليم الثانوى والعالى فى مقابل الاسراع فى تعميم الالزام والتوسع فى محو الامية ، وهى موازنة مضللة وخســـارة ، لان الحاجة الاولى والاساسية فى البلدان النامية وكما حددها بوضوح مؤتمر الدول الافريقية لتقدم التعليم الذى عقد فى أديس أبابا فى سنة ١٩٦١ هى الى أنواع التعليم الراقية فى الثانوى والعـــالى وذلك لان اعداد الكوادر الفنية القيادية هو الحاجة الماسة ، والنقص فى انواع الخبـــرة المتقـــدمة والرفيعة هو الظـــاهرة البارزة فى هذه البلدان . وأى محاولة للحد او الابطاء فى توفير هذه الانواع

من الخبرة والكوادر بشكل مخل يلحق اشد الضرر بالتطوير الاقتصادى والانتاجى فى مداه وسرعته .

● ولكن اكبر ضربة توجه لمبدا تكافؤ الفرص وتخل به ، هو مايقرره التقرير من قصر القبول بالجامعات والمعاهد العليا على خريجى المدارس الثانوية العلمية وحدها فيما عدا قلة قليلة الى جانبهم من خريجى المدارس الفنيه بينما تحرم الاغلبية الكبيرة من الطلبة فى انواع التعليم العملى وفروعه من فرص مواصلة الدراسة العالية

وليس معنى هذا اننا نطالب للجميع بالتعليم العالى والجامعى،فللدولة الحق الكامل بل الواجب أن تضع من الشروط والاختبارات والوسائل الكفيلة باختيار اصلح العناصر واكفأها لمواصلة الدراسة العالية بالجامعات والمعاهد،وفى الحدود المرسومة للقوى العاملة،وما تسمح به الموارد المتاحة للتعليم، كل هذا حق ولكن هذا يؤكد أن اتاحة الفرص على قدم المساواة التامة بين فروع التعليم النظرى والعملى للتقدم للجامعات والمعاهد ومواصلة الدراسة ضرورة يحتمها مبدأ تكافؤ الفرص والا لتحولت الجموع مرة اخرى وبمختلف الاساليب والحيل من تعليم خاص وغير خاص لتتدفق من جديد على التعليم الثانوى العام وتقف عند ابوابه. ونحن فى الحقيقة بعدم التسوية بين فروع التعليم وانواعه نخفض من قيمة الدراسات العملية ونبقى على نظرة الاحتقار الى العمل.ولن تكون التضحية سوى بأبناء الشعب العامل لان الطبقات الاخرى ستشق طريقها بكل السبل .

والواقع ان هذه القيود والسدود هى بقية من خوف قديم وفكر طبقى خاطىء فى المجتمع القديم فقد كان الشائع ان المثقف لايعمل بيديه، فاذاعلمنا الجميع فمن يبقى اذن ليعمل فى المصانع والحقول؟ وكانت المدرسة القبانية الرجعية على وجه الخصوص تروج لهذا المفهوم لتبرير نظمها وفلسفتها فى حرمان الاغلبية الساحقة من اى فرص للتقدم الى اعلى السلم .

بينما المفروض ان المجتمع الاشتراكى يقلب الصورة تماما فقد اصبحت القيمة كلها للعمل وللعامل المنتج، بينما المثقف الذى يترفع عن العمل ولا يضع ثقافته فى خدمة العمل والانتاج لا سعر له. والمفروض ان يستجيب نظامنا التعليمى لهذا المفهوم الثورى ويتيح كل الفرص وارقاها للشعب العامل من مختلف ميادين الانتاج ويجند المثقفين من صفوف الشعب العامل .

وينقلنا هذا الفهم الى موضوع آخر لايقل أهمية:

فالمفروض اننا لا نتصدى لاعداد الاجيال المقبلة من العاملين فحسب بل وايضا لتصفية تركة باكملها من التخلف والتجهيل للجماهير العاملة.واذا كانت نسبة الامية لا زالت ٧٠٪ فمعنى هذا ان الاغلبية الساحقة من جماهير العمال والفلاحين لا يتعدى تعليمها اذا افلتت من الامية حدود الفنون الثلاثة. ونحن عندما نتصدى لتطوير مجتمعنا بالتصنيع الشامل والميكنة فى الزراعة ننقل صناعة طابعها الميكنة والاوتومائية على اوسع نطاق وهو مايتطلب قوى عاملة من مستوى جديد.وقد واجهت العديد من البلدان الاشتراكية هذا الواقع بعد ثوراتها ونحن فى آسيا وافريقيا نواجه تركة من التخلف اثقل وافدح ولا سبيل الى مواجهتها الا بأن نتيح للشعب العامل،ونحن نعده ايضا للادارة والسياسة والحكم ، كل الفرص ليواصل دراسته وان تنشأ انواع من الدراسات المختصرة والمعاهد الملحقة بالمصانع والمزارع وكل ما يمكن العامل والفلاح من الدراسة وهو فى مصنعه او مزرعته. ومن الطبيعى الا نكلف الدولة عبئا جديدا فهذا عبء ينبغى ان تتحمله المؤسسات والنقابات والجمعيات العلمية والشعبية .

وفى ضوء هذا الفهم تنقلب النظرة الى الانتساب فعلى عكس ما يرى التقرير تلح الحاجة لا الى الغاء الانتساب بل الى توسيعه وامتداده بالضرورة بل وفى المحل الاول الى الكليات والمعاهد العملية والتكنيكية . وليس لنا ان نخشى من صورة المثقف القديم العاطل عن العمل بل ينبغى أن نحل مكانها صورة المثقف الجديد الذى يستمد من ثقافته مزيدا من القدرة على العمل والانتاج .

وموضوع الغاء الانتساب بالكليات النظرية يثير موضوعا آخر هام وهو وضع الدراسات النظرية والعلوم الانسانية فى المجتمع الاشتراكى.ولا شك اننا نتفق مع التقرير عندما يتصدى لظاهرة مزمنة فى المجتمع القديم وهى الاقبال على الدراسات النظرية للحصول على مؤهل بأى ثمن . وللمخطط الحق الكامل فى ان يغير الدفة فى حدود تخطيطه من التعليم النظرى الى العملى . ولكن الخطأ البين ان نقفز من هذه الظاهرة المعيبة فى المجتمع القديم الى التهوين من شأن الدراسات الانسانية واعتقاد عدم الحاجة اليها الى حد الدعوة الى اغلاق كليات الاداب والعلوم واغفال دورها الثورى فى تطوير المجتمع وبناء المجتمع الجديد ، بناء القيم الجديدة وصياغة المواطن الجديد . فالثورة تحتاج الى الوعى والفهم العميق ، بقدر ما تحتاج الى العمل

المنتج والا لسقطنا فى الفلسفة البرجمتية الرجعية ومذاهب الغيبية والتجهيل .

وهنا تبرز قضيــة المعلم التى حاول ان يحلها التقرير بتحويل كليات الاداب والعلوم الى كليات للمعلمين والواقع انه هروب من المشكلة وليس حل لها ، فالمشكلة ليست نقصا فى دور المعلمين بل هى قضية كسب المعلم للثــورة الاشــتراكية وكسب المثقفين لهذه المهنة الرفيعة . وليس من الصعب تشخيص العلة فلا شك أن وضع المعلم من تركات الماضي المثقلة ولا مفر من ان تتصدى الثورة لمعالجة مشاكله المادية والادبية بفهم وتقدير . وقد استطاعت الثورة البرجوازية ســنــة ١٩١٩ ان تكسب معلم القرية والمدينة وكان له دوره الخطير فى تحريك جماهير الفلاحين ومثقفى المدينة ، واجدى بالثورة الاشتراكية ان تكسب هــذا العامل الذهنى وهو اقرب اليها واشد ارتباطا بها .

بقيت مشاكل المنــاهج ومستوى التعليم وهى مشاكل بالغة الخطورة نكتفى باشــارات عاجلة تصلح للمناقشة اكثر مما تحيط بالموضوع .

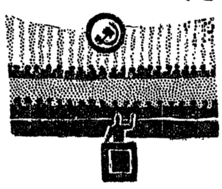
فقد ابرز التقرير اهمية تطوير المناهج وتعديلها بما يتمشى واهداف المرحلة الثورية . وهو ما ليس محل خلاف ولكن نخشى ان تتحول المسالة فى ايدى اللجان الفنية الى مجرد حذف او اضافة لموضوعات هنا وهناك بينما الحقيقة انها تحتاج الى تطوير شامل وجذرى لانها ترتبط فى الحقيقة بمفهوم التربية الاشتراكية والفلسفة الاشــتراكية فى التربية ، والواقع ان مدلول هذه المدرسة يكاد يكون مجهولا تماما لقادة التربية فى بلادنا . فالاغلبية الساحقة منهم تقع تحت السيطرة المباشرة للفلسفة البرجمتية الرجعية ، فلسفة جون ديوى وتابعتهــا فى مصر مدرسة اسماعيل القبــانى ، وهى تجهل بالطبع محور التربية الاشتراكية فيمــا يسمى بالمدرسة « متعددة الفنون » او البوليتكنيك وهى مدرســة تقوم على اساس الربط الوثيق بين النظرية والعمل المنتج وتدخل العمل المنتج فى الصنع والحقل فى صلب المنهج وتصبح المدرسة امتــدادا للمصنــع والمزرعة . ولذلك فمن المصلحة ان نعــد لتعديل المناهج بمؤتمرات موسعة وحلقــات للدراســة والمناقشة بين قادة التربية واساتذتهــا وجمهور المربين لتحديد مفهوم المدرسة الجديدة قبل اعداد مناهجها .

واخيرا فان هنــاك قضيــة تلح على القــادة والمشتغلين بالتعليم منــذ سنوات وهى التدهور الواضح فى المستوى التحصيلى للطلاب بمختلف مراحل التعليم ، وقد عالج التقرير هذه المشكلة من زاوية الكم والكيف وارجعها فى الاغلب الى غلبة الكم على الكيف وهى معالجة تقليدية وقديمة طالما رددتها مدرسة القبانى على وجه الخصوص لتواجه بها سياسة الباب المفتوح تحت زعم المحافــظة على الكيف والمســتوى الرفيــع ، وكانت تحصر نواقص التعليم واسباب القصور فيه فى حــدود الاسباب الفنية التربوية وعدم اتباع طرق التربية النموذجية ، وهو نوع من فهم التكنوقراطيين .

وواقع الامر ان هذه المشاكل عادة فى جوهرهــا سياسية وليست فنية فى الاعتبار الاولى . ونحن لا ننكر بالطبع اهمية العوامل والاسباب الفنية ونواحى القصور من ازدحام الفصول الى ضعف التجهيز وقلة الابنية الصالحة الخ ، وكم نتمنى ان تتوفر لنا افضل المدارس واجمل الابنية وفى اسرع وقت ممكن . ولكننا نؤكد ان هذه الاوضاع ستظل وبالضرورة لسنوات طويلة وفى كل البلدان النامية لقصور الموارد عن الوفاء بالاحتياجات المتضخمة ليس فى التعليم فحسب بل وينطبق هذا ايضــا فى الصحة وفى النقل وفى العديد من النواحى ، ستظل المدارس والمستشفيات والمؤسسات فقيرة التجهيز قاصرة الموارد وليس فى هذا عيب بل هو الامــر الطبيعى فى المرحلة الراهنة ولا سبيل الى ملافاته الا بالتدريج وبجهد كبير . كيف اذن نواجه هذا الواقع ؟ الحل فى العمل وسيقع العبء على الجهد البشرى الخــلاق لملافاة كل انواع هــذا القصور ولتعويض ضيق الموارد المادية كما ذكر الرئيس عبد النــاصر فى خطابه الاخير فى عيد العمــال : سيقع على المعلم والطبيب والمهندس والعامــل ليصنع المعجزات . ولنذكر حتى دروس الثــورة البرجوازية فى بلادنا .. لقد استطاع المعلم فى ظل الاستعمار وفى ظل المناهج الاستعمارية المسمومة والمدارس التى خنقها الاستعمار ان يخرجــوا وطنيين كبار وقادة كبار برغم كل شىء . والسر هو الحركة الوطنية الجارفة التى شدت اليهــا جمهور المعلمين والطلاب . لقد كان وجود منظمات قوية وواسعة للمعلمين وللطلاب ، وتحت القيادة السياسية الثورية حينذاك هو الذى صنع المعجزة حولت اضعف الامكانيات الى قوة وامكانية بلا حدود . لقد استطاع المعلمون ان يصنعوا الكثير واستطاعت الحركة الطلابية الثورية ان تشد الطلاب الى العلم والمعرفة باعتبارهما أدوات تقدم وثورة ، وتحقق لهم مستوى ما كان من الممكن ان يستمــدوه من مناهج الاستعمار وكتبه . لقد خــرج من صفوفهم الرعيل الاول من كتابنا ومفكرينا وفنانينا ، علينا أن نتعلم من هذا الدرس ، وان ندرك أن خلــق الحركة القوية والمنظمة للمعلمين والمثقفين والطلاب والشباب تحت القيادة الاشتراكية هو اداة ووسيلة اساسية للتغلب على النواقص ورفع المســتوى فى الجامعات والمدارس ولاكساب العلوم والثقافة مضمونها الثورى

فى هذا المقال يعرض تضين ذو الفقار صبرى عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى لشئون العلاقات الخارجية ، انطباعاته عن المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى . وكان السيد حسين ذو الفقار صبرى قد راس وفد الاتحاد الاشتراكى الى المؤتمر كمراقب .

حول المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى



حسين ذو الفقار صبرى

المرة الاولى فى تاريخ مؤتمرات الحزب الشيوعى السوفييتى توجه الدعوة الى هيئات غير شيوعية كالجبهات والاحزاب والتنظيمات السياسية التى اتخذت من الاشتراكية مبدءا ومنهاجا ، وابرزها الاتحاد الاشتراكى العربى الذى يسعى بفكر مفتوح الى تلك المرحلة من مراحل التجربة السوفييتية ، يسعى اليها مزودا باصالة تضرب بجذورها الى أغوار الماضى السحيق ، هى اصالة الشعب المصرى صانع الحضارات على مر الدهور .

وجاء الى المؤتمر ايضا ممثلون عن المنظمات التى نذرت نفسها لتحرير بلادها من استعمار جاثم فوق اراضيها ممعن فى التنكيل بالارواح البشرية واهدار القيم الانسانية ، وابرزها جبهة تحرير فيتنام الجنوبية التى اهتزت مشاعر العالم بقصص كفاحها البطولى حتى رجت الارض رجا بل كادت أن تميد دعائم « البيت الابيض » نفسه فى واشنطن اذ يسرى السخط بين اعداد متزايدة العدد دوما من فئات الشعب الامريكى نفسه .

وكما حدث فى المؤتمرات السابقة جميعا تقاطر على موسكو ، من ارجاء الاتحاد السوفييتى واطرافه المترامية الى ما خلف جبال الاورال ، ممثلو الحزب الشيوعى السوفييتى ، بقومياتهم المتعددة ، ثم من عواصم العالم وفود الاحزاب الشيوعية يتجمعون فى تلك القاعة الفسيحة فتكتظ بهم مقاعدها وهى آلاف ستة أو تزيد وترتفع اصواتهم بشعارات الماركسية اللينينية ، بينما يطل عليهم وقد تصدر القاعة وجه الزعيم لينين ، بقسمات من عزم وتصميم وقد اختلجت بوهج من حمرة قانية من خلال اضواء ساطعة تكاد تخطف الابصار .

ولكنه فى جوهره ليس كأى من المؤتمرات السابقة فقد تخلفت عنه وفود شيوعية لم يسبق لها ان تخلفت ، وابرزها الوفد الصينى ، فهو ليس مجرد وفد واحد من عشرات أخر وانما وفد شعب يبلغ تعداده سبعمائة مليون ، اى ربع سكان العالم ثم هو وفد دولة صاعدة الى زمرة القوى العالمية الكبرى ، سوف تصبح قادرة عما قريب أن تتصدى لاى من الدولتين الذريتين الكبيرتين ، فهو وفد له ثقله المادى حيثما تكون المقاييس مادية ، وله ايضا ثقله المعنوى اذ يمثل اتجاهات عقائدية لها وزنها وخاصة حيثما هناك معارك تخوضها شعوب فى سبيل التحرر ، وان كانت الصين قد اخفقت حتى اللحظة فى ان توائم بين النظرية والتطبيق فى مجالات اتصالاتها بالشعوب وعلاقاتها بزملاء الكفاح

لاسباب عدة ، عميقة الجذور ، ليس هذا مجال النظر فيها والا خرجنا عن جادة موضوعنا .

وقد وفق الحزب الشيوعي السوفييتي أيما توفيق اذ ألمح في تقرير لجنته المركزية الذي ألقاه ((**ليونيد بريجنيف**)) ، الى الخــلاف الصيني السوفييتي في عبارات هادئة متزنة ، وعرض الى اسلوب ارتآه الوحيد كفيلا بتضييق شقة الخلاف عن طريق لقاء يتم في أي من موسكو أو بكين بين اقطاب الحزبين الكبيرين ، هذا عن الاشارة المباشرة اذ لم يفته في مكان آخر التعريض بموقف الصين تلميحا حين ندد «بالانحرافات سواء اتجهت الى اليمين أو اليسار فترتبط بمظاهر النعرة القومية أو محاولات السيطرة » ، «فالانحراف الى اليسار» و «محاولات السيطرة» كلمات أصبح لها في لغة التخاطب بين الجناح الاكبر من الماركسية اللينينية مفهوما قد لصق بتصرفات المسئولين الصينيين .

واذا كان **(كدار)** سكرتير أول الحزب الشيوعي المجري لم يتورع عن تعنيف الصين أشد التعنيف مع الحرص ــ كما هي عادة الشيوعيين في مثل هذه الحالات ــ على عدم التصريح باسمها ، اذ ندد «بالانقساميين الذين يدعون الماركسية اللينينية بينما يحاولون الهاب المشاعر ضد السوفييت » ثم يقرر «أن معيار الروح الدولية هو مدى اخلاصها للاتحاد السوفييتي » ويعني بها طبعا «دوليــــة الحركة الشيوعية» ، فان **(كدار)** انما ساعد في أن يضفي بايحاء من مقارنة الى عنفه ، مزيدا من نصاعة على الحزب السوفييتي وموقفه الهادىء من الخلاف .

وهذه ظاهرة تميز بها هذا المؤتمر عن الثلاثة الاخر الذين انعقدوا خلال حــكم **(خروشوف)** ، والذي تطور خلالها الخلاف الصيني السوفييتي حتى كاد أن يجاوز المرحلة التي ليس بعدها مآب فلقد انطلقت شرارته الاولى في **المؤتمر العشرين في فبراير عام ١٩٥٦** ، حين قدم خروشوف تقريره السري ضد **ستالين** ، وليس هذا طبعا كما سبق وذكرت مجال تقصي جذور الخلاف الصينـــي السوفييتي ، والا لتساءلنا عن الاسباب التي دعت الصين الى التشبث بهذا الموقف من ستالين كمنطلق للخلاف ، في حين أن الحزب الشيوعي الصيني لم يضركما أضاره ستالين بالذات وخاصة خــلال السنوات العصيبة التي أدت الى «المسيرة الكبرى» وانما الذي يعنينا أن هذا التقرير والذي أعتبر من بعد الشرارة الاولى ، كان تقريرا سريا لم يتسرب عنه وقتئذ الى خارج قاعة المؤتمر «حس أو خبر» فلما أحتدم النقاش بين الجانبين وظهرت بوادر التشقق والخلاف بينهما ، ظلت هذه التصادمات مثلها مثل التقرير الذي أثارها حبيسة القاعة وعنها الاذان ولم تلكها الالسن ، وحصرت من بعد ردود الفعل الناتجة عنها في حدود ضيقة حتى أن العالم الخارجي حين بدأ يحس بها كان لايكاد يحفل ، اعتقادا منه بأنها لعبة يمارسها حليفان لصيقان ، لعل أن يكسبا من ورائها شيئا لو أن خدع بهــا البعض .

وفي اعتقادي ان **خروشوف** كان يود لو اتخــذ من المؤتمر التالي مبررا لهجوم جديد على الصين ، الا ان الظروف لم تسعفه لاسباب أخر ، ربمــا تعرضنا لها اذا اتسع المجال ، ولكن ما أن واتته الفرصة في اكتوبر عام ١٩٦١ ، حين انعقد **المؤتمر الثاني والعشرين** ، حتى انطلق «ينشر غسيله القذر» على مشهد من الملا ، كما يقول الصينيون، فردد اتهاماته للحكم الستاليني ثم تطاول على البانيا، وحدث كل ذلك علنا وليس من خلال تقرير مكتوم فانسحب **شوان لاى** من المؤتمر ، ولم يفته قبل مغادرته لموسكو أن يحج بتحية لها مغزاها الى قبر ستالين .

برز اذن في هذا المؤتمر أسلوب جديد في مواجهة الخلاف السوفييتي الصيني ، أو في «معالجـــة الانحراف الصيني» واذا اردنا التعبير بصدق عن مشاعر جمهرة المؤتمرين ، وأقول جمهرتهم فقد كانت هناك قلة ، ولكنها قلة يعتد بها ، تملي عليهـــا مصالحها ، أو ربما حرصها على وحدة الصف الا تشتط في الحكم على جانب دون آخر ، فهناك في المكان الاول **الحزب الشيوعي لفيتنام الشمالية ، وجبهة تحرير فيتنام الجنوبية** ، اذ يخوض الشعب الفيتنامي معركة البقاء او الفناء مع جحافل الاستعمار الامريكي ، المنبثق من تحالف الرأسمالية العاتية مع البنتاجون معقل **((انكشارية))** العصر الحديث، تخطط لهما في مواجهة أي احتمالات ديمقراطية امريكية ، أجهزة المخابرات ، دولة داخل الدولة ، بل فوقها، تصرفاتها تفرض الامر الواقع على السلطة التنفيذية وسراديبها الفكرية والتخطيطية والتمويلية بمنأى عن متناول السلطة التشريعية .

فيتنام بشقيها اذ تخوض تلك المعارك الضارية تشعر انها لفي حاجة لكل عون تتلمسه اينما يكون. وفي المقام الاول عند جانبي النزاع داخل المعسكر الشيوعي ، ليس لها أن تفاضل بينهما .

وهناك ايضا **الحزب الشيوعي الروماني** وربما كان أقرب الاحزاب المؤتمرة في موقفه الى ما كان ينادي به **توليانى** الزعيم الايطالي الراحل ، بل أقرب اليه من الحزب الايطالي نفسه ، حفاظا على وحدة الحركة الشيوعية والعمالية أمام تنمر القوى الاستعمارية وقد حفزها الى العدوان الخلاف الصيني السوفييتي أولا ، ثم انجذاب القسط الاكبر من جهود القوى المناهضة للاستعمار الى مجالات هذا التنازع فتتبدد فيه وتهن .

لم يتميز اذن هذا المؤتمر عن سابقه باختلاف الاسلوب في معالجة الخلاف الصيني السوفييتي

وحسب كما سبق وذكرت ، وانما سجل في اعتقادي تحولا خطيرا عن سياسة خروشوف التي كانت تدفع بهذا الخلاف دفعا الى ذروة من تصدع .

فما هي الاسباب التي كانت تحمل خروشوف على هذا ، وهل كانت اسبابا منبثقة من واقعه داخليا فلها بالتالي تأثيرها على سياسته الخارجية أم انها كانت خارجية بحتة ، واني لحريص على الا أحيد بالموضوع عن جادته ، ولكني أرى لزاما أن نعود الى الماضي بعض الشيء ، الى ذاك القدر — فلا انعداه — الذي يسمح لنا بتفهم تطورات هذا المؤتمر الذي نحن بصدده .

تداخلت التطـورات التـاريخية للحـركة الشيوعية من جهة والاتحاد السوفييتي من جهة أخرى حتى كادت ان تلتحم ، فقد ظهرت الماركسية في المناخ الفكري لاوربا الغربية بمجتمعاتهـا الراسمالية المتطورة صناعيا ، وقواها العمالية المتفتحة الوعي ، المتزايدة عددا ، حتى اذا تفجرت الثورة في روسيا القيصرية ، واقبل زعيمها «لينين» يواجه بالنظرية واقعا متخلفا لم تعمل له الماركسية حسابا ، كان طبيعيا ان يمضي في عمله وهو دائم التلفت الى الغرب ، مترقبـا العون .. بل ان تنجرف الثورة الروسية قدما الى الامام في تيار من ثورات ماركسية عارمة تجتاح دول اوربا المتقدمة صناعيا ، حين تصدق النبوءة ، وكان الايمان راسخا بانها لابد وأن تصدق .

ثم وضح واقع مرير من الا احتمالات قريبة لما يترقبون والا مفر من تركيز الجهود حيثما تفتحت الفرصة وان اقفرت بالامكانيات وان التلفت مضيعة للوقت وتشتيت للجهود ، واذا كان هذا الواقع قد وضح للبعض فقد كانوا قلة ولكنهم بفضل من تفكير واقعي تمكنوا من أن يفرضوا اتجاهاتهم فرضا وان ينحوا زملاءهم القدامى عن مراكز السلطة ، ثم انفرد من بينهم ستالين ، بدكتاتوريته على الاتحاد السوفييتي ، يدفع به الايمان بضرورة التحـول الاشتراكي أمام الصعوبات الجبارة التي تواجهه وتحف به ، الى تعصب فاق في ذروته «الكلفينية» البروتستانتية حين تحصنت خلف اسوارهـا الحديدية داخل قلعتها « جنيف » فتصمد للنفوذ الكاثوليكي المتلاطم من حولها .

واذ تمسكت الستالينية باهداف التحـول الاشتراكي كما تطلعت اليه الماركسية ثم اللينينية ، الا انها في سبيل تنفيذ تلك الاهداف اهدرت القيم الديموقراطية التي انطوت عليها وارتدت كلية الى الاساليب الارهابية التي لجأ اليها بطرس الاكبر فيتحول بروسيا عن «اسيويتها البربرية» الى ما أعتقده ازدهار «التحضر الاوربي» ، وهكذا اصبحت اداة ستالين ليس الحزب الشيوعي المرتكز على قواعد شعبية واسعة الانتشار وانما مكتب سياسي أتوقراطي النزعة تدعمه تنظيمات بوليسية ، هي التي سمح لها بأن تنبث الى ادق تلافيف القاعدة الشعبية فيفرض بوسائله الخاصة التطبيقات التي يقرر المكتب السياسي انها المعبرة دون غيرها عن النصوص الماركسية .

وعندما ذهب ستالين خلصت اجهزة الحكـم والسيطرة التي كان قد ارساها الى وجود ، من تلك القبضة الحديدية التي كانت تمسك باطرافها جميعا فتنسق بينها وتوجهها وجهة واحدة بصرامة لاتعرف الرحمة ، ثم أن الاوضـاع في الاتحـاد السوفييتي كانت قد تحولت تحولا جذريا عما كانت عليه حين لجأ ستالين الى وسائل السيطرة تلك ، التي ابتدع لها فلسفة توائم واقع حال مضى زمانه ، فقد اصبح الاتحاد السوفييتي قوة صناعية كبرى ، قوامها طبقة عمالية وفيرة العـدد تقودها اداريا وفنيا فئة ذات مستوى ثقافي تكنيكي رفيع ، متمركزة في المعاقل الصناعية الكبرى ، تحيط بها مناطق زراعية لم تنهض الى مستويات من تقدم يتوازى معها أو يستحق أن يقارن بها ، بل كابد القائمون عليها اشد أنواع العسف ثم تفتحت اذهانهم اولئك وهؤلاء ، زراع وفنيين وعمال ، الى مستويـات المعيشة خارج الاتحاد السوفييتي وقد تهاوت الحواجز بين بلادهم وبين اجزاء من العالـم الخارجي خلال سنين الحرب وما بعدها حين رابط من جندوا منهم في عواصم بلاد أوربا المغلوبة على أمرها واكثرها صناعية متقدمة احتوت اراضيها ايضا مناطق زراعية متطورة .

بدأ الصراع على السلطة عند وفاة ستالين ، ولاح أن المعركة سوف تنحصر بين جبهات ثلاث ، أخطرها جبهة بريا ومن خلفه أجهزته البوليسية الرهيبة . وأن كان ستالين قد أوهن منها خوفا من تزايد نفوذ بريا أو ربما تمهيدا للتخلص منه ثم جبهة مولوتوف وكجانوفتش ، رفاق ستالين القدامى وأعمدة المكتب السياسي ومن ورائهما الاجهزة الرئاسية في الحزب ثم الادارية في الوزارات غير الفنية واخيرا جبهة مالينكوف ، ومن خلفه الاجهزة الادارية الفنية ، المتماسكة بيروقراطيا والتي قامت عليها المنجزات الصناعية الكبرى ، يعاونه خروشوف على رأس اشتات من تنظيمات حزبية اقليمية تضعضعت الى خمول ومذلة اذعان خلال حكم ستالين الارهابي الطويل .

وهنا برزت مقدرة خروشوف التكتيكية الفريدة وقدرته العجيبة على خلخلة القوى المعبأة لمعركة السيطرة وقلب موازينها مرة بعد أخرى ، فاذا به يتحرك وكأنه يعمل لحساب مالنكوف متضافرا مع كتلة مولوتوف ، فيستنفر قوة لم تكن في الحسبان ، بل قوة طالما بطش بها الحزب الشـيوعي في كل زمان ومكان فلا تستأثر بسلطة سياسية ، ولكنه اقنع زملاءه انه اجراء مرحلي لامفر من الالتجاء اليه أمام جبروت النفوذ البوليسي ، والا خشية من احتمالات تطور «بونابرتي» فتم التخلص من بريا داخل الكرملين حين نصب له خروشوف كمينا من

بنعض قواد الجيش الكبار وهم الذين عانوا ماعانوا من أرهاب الجهاز البوليسى طوال حكم ستالين .

ثم يتحول خروشوف عن ربيبه مالنكوف ، فيستغل اتجاهاته في التوسع في أنتاج السلع الإستهلاكية على حساب الصناعات الثقيلة فيثير مخاوف مولوتوف منتلك الاتجاهات «البورجوازية» ويثير حفيظة الجيش عليه .

واخيرا يخلو له الجو في مواجهة مولوتوف ولكنه يكاد أن يخسر المعركة في يونيو ١٩٥٧ حين صوتت الإغلبية ضده داخل البرزديوم (المكتب السياسي القديم) وكان قد كشف عن وجهه بمهاجمة الستالينية في المؤتمر العشرين ، كما سبق وذكرت ، كما تزايد اعداؤه اذ انضم اليهم مالنكوف الذى غدر به ، ومايزال وقتئذ عضوا في البرزديوم ولكنه كان قد اعد للامر عدته ، اذ اعاد تنظيم لجان الحزب الاقليمية بانصاره ، وهم عماد اللجنة المركزية ، التى لها حق تعيين سكرتيرى الحزب او عزلهم ، كما تنص اللوائح ، وصحيح انها لوائح قد صارت الى نص مهمل خلال الحكم الستالينى ، وان اعداء خروشوف في البرزديوم كان بوسعهم الاعتماد على العرف المتبع فيرفضوا دعوة اللجنة المركزية فيقيلوه من منصبه كسكرتير اول للحزب ، ولكنهم اذ شرعوا في ذلك فوجئوا بتجمهر عدد كبير من اعضاء اللجنة المركزية خارج قاعة اجتماعات البرزديوم ، ومن بينهم ــ وهنا تمثلت خطورة الموقف ــ قواد الجيش اعضاء تلك اللجنة ، يلحون في صخب على البرزديوم الا يكتم عنهم مجريات الامور التى من حقهم النظر فيها والتصويت عليها .

وباجتماع اللجنة المركزية تم لخروشوف القضاء على منافسيه في السلطة ، ثم تمضي الايام وتتوطد دعائم بسيطرته ، وينحو الى فردية في الحكم ، لم تنزع ابدا الى ارهاب ستالينى يضفي به على نفسه هالة من « تاليه » فيكاد يعبد ، وانما تطورت الى فردية مطلقة ، تتصدى للمشاكل الموضوعية بغرور من قرارات «ذاتية» طارئة ، تتحصن ضد كل مراجعه خلف سهام من سخرية لاذعة ، تحيل اترابه الى اقزام ، فلا يجازفون بابداء راى معارض خشية الا يعتد به احد فيصيرون الى عزلة تعجل بالقضاء عليهم .

وانهالشخصية عجيبة فريدة تروىلنا المؤتمرات الثلاثة السابقة على هذا المؤتمر الثالث والعشرين قصة صولاته وجولاته وحركاته التفافه الخاطفة الكاسحة ولكنها تبين لنا ايضا كيف أنها نفخت في ثقته بنفسه فتهاوت من حولها أسباب الحذر فتطلع الى اهد'فتقصر عنها إ.كانياته، فقد اغضب الكثيرين كما ، فاجا المره تلو الاخرى حلفاء كل معركة خاضها بمعارك جديدة ينقلب فيها عليهم في صحبة حلفاء جدد ، حتى ضاقت امامه سبل المناورة فلا يؤازره حليف جديد الا وهو منه متوجس حذر ، ولا يعطيه الا بقدر خشية غدر لاحق .

فقد اطاح بمن كانوا ينافسونه مقاليد الحكم اعتمادا على اطارات متجددة في لجان الحزب وبتأييد من الجيش فقوض سلطان البرزديوم المتوارث عن ستالين بسلطان مستمد من لجنة مركزية ، قد اصبح للجيش فيها بعض نفوذ سياسى وكسر السيطرة البيروقراطية للاجهزة المركزية الفنية ليدعم بها مجالس اقتصادية أقليمية لامركزية متداخلة مع لجان الحزب ، ورفع المارشال جوكف الى اعلى المراتب سياسيا وعسكريا ثم نحاه وكانه لم يكن ، فقد كان في حاجة الى استقطاب تأييد الجيش سياسيا حين اعوزه التفوق السياسى ، ثم هبط بالجيش اداة طيعة للحزب حين صارت اليه مقاليد الحزب .

واخيرا حين هل المؤتمر الثاني والعشرين ــ مؤتمر القطيعة العلنية او الرسمية مع الصين ــ عاود الهجوم علىالستالينية وعلىمجموعة «اعداء الحزب» وهو الاسم الذى اطلقه على انصار مولوتوف وكجانوفتش ، ثم على التزمت وكان يمهد فيما اعتقد ، وأن بدأ أنى اشتط ، الى احكامبسيطرته الذاتيةعلى الاتحاد السوفييتى ،بتفتيت الاطارات السياسية للحزب،ثم اعادةتكوينها فيصورة اطارات تكنيكية خاوية من المضمون السياسى موحد الفكر، القادر يوما ما ان يسائله فيما سوف يحلق اليه من بدع او ما سوف يستحضر من فبكريات تبريرا لتصرفاته الذاتيةداخليا وخارجيا فيمحيط السياسة الدولية .

وربما التبست الدلائل على ما اقدم في محاولات خروشوف لفصل الصناعيين عن الزراعيين في لجان الحزب ، وانه لاجراء يطوى ، اذا مارسيت له القواعد فثبتت ، على إحتمالات منتفتت متزايد، فالزراعة وتخصصاتها انواع ، والصناعة انواع بل اضعاف انواع ، وتزايد اعتماده على المحاسيب والاقرباء في المراكز الحساسة ، بل وان يكلف هؤلاء ، بتعدى اختصاصات تلك المراكز الى ماهو اعلى ، كما حدث حين فوض زوج أبنته باجراء محادثات مع المانيا الغربية ، كما كان مقدرا «لادجوبى» أن يفعل لولا إن عجلبتنحية خروشوف .

واخيرا وليس آخرا ، فانما هو انعكاسلسياسة تفتيت الحزب فكريا ، الامعان في دفع الصين الى طريق اللاعودة فانه لامر كان يهدد بانقسامالحركة الشيوعية وتفتتها ، وان التاييد شبه الشامل الذى حظى به الحزب الشيوعى السوفييتى في مؤتمره الثالث والعشرين من الاحزاب الشيوعية جميعا ، انما حظى به لاتباعه سياسة الحرص على وحدة الحركة الشيوعية الدولية ، وفي اعتقادى ان استجابة تلك الاحزاب لموقف الحزب الشيوعى السوفييتى ليست دليلا على انها تؤيد الحزببكلية من حيث موقفه من الخلاف او انها ترفض وجهة النظر الصينية تماما ، وإنما دليل على إنها ترفض السياسة التى تؤدى الى الانقسام وتريد ان تاخذ بضرورة مجابهة الخلافات بالحوار المستمر فيأطار من وحدة ، كما سبق لتولياتى أن اقترح في خطابه الاخير لخروشوف .

وفي ضوء ما تقدم يمكنى ان اقول ان المؤتمر

الثالث والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي هو مؤتمر «تصفية الخروشوفية» ، ولكني اجانب الحقيقة اذا أصررت على أنه لم يكن الا ذاك ، وانما اقبل المؤتمر على تصفية الخروشوفية تمهيدا لانطلاق جديد ، أنطلاق الى اين ؟ وكيف ؟ .

أن الحاضر المتحفز للانطلاق فى حاجة الى جديد ، الا انه يفقد من فعاليته وتضيع شخصيته اذا ماحاول أن يقطع وشائجه مع الماضى جميعا .

فهل سعى الحزب الشيوعى السوفييتى الى احياء الستالينية كما حلا للبعض أن يتصوروا فيتكهنوا ، كلا بل سادت المؤتمر روح من جسد ، تتفحص مشاكل الاقتصاد والسياسة فى موضوعية هادئة لا يعتورها قلق او فرق ، كما كان حريا ان تفعل لو أن شبح ستالين الرهيب رفرف على القاعة أو حام من حولها ،وانما كانت المناقشات تهش طيف خروشوف بتقلباته ، فيشف الجووتشد الانظار عبر الاحقاب ، عبر الخروشوفية ثم الستالينية الى وجه لينين وقد تصدر القاعة ، لينين وحده وليس بصحبة ماركس وانجلز كما فى اللافتات التى تزدان بها ميادين موسكو وشوارعها حين تكون أحتفالات ، لينين وحده لايصاحبه ماركس كما فى شعارات الاحزاب الشيوعية ، لينين رجل الفكر والعمل وبث النظرية الفكرية التى انبثقت فى المناخ الصناعى لاوربا الغربية ، يؤمن بها ايمانا لاحد له ولكنه يرى انها أنما ابتدعت لصالح الواقع البشرى أينما يكون ، فاقدم يطوعها لخدمة هؤلاء الذين كانوا يعيشون هذا الواقع على أرض الاتحاد السوفييتى .

الجديد فى المؤتمر اذن هو الانقلاب على الخروشوفية التيحاولت الاتجاهبالاتحاد السوفييتى كلية الى سياسة من تعايش سلمى شبه مطلق ، ظاهرة التنافس الوحيد فيه هى مغالبة العالم الراسمالى ، والولايات المتحدة بخاصة فى مجال الارتفاع بمستويات المعيشة، فتتركز الجهودجميعا نحو الاسراع الى زيادة الانتاج ، بأى شكل وبأى وسيلة ، كما يتضح لنا من الاهداف الطموحة التى أفترضتها الخطة السبعية حين عرضت علىالمؤتمر الحادى والعشرين والتى هبط بها المؤتمر الثالث والعشرين الى أرقام معقولة حين عرض الخطة الخمسية الجديدة ، وبلغ من تلهف خروشوف الى تحقيق آماله أن دفع بالمشاريع تلو المشاريع الى مجال التنفيذ ، كلما لاح له فى أحدها بريق من احتمالات كاسحة ،فلا يتأنى ،فيستشير الخبراء عن مكانة المشروع فى الخطة بعامة وعن تأثيراته المحتملة فى الميادين الاخرى ، بل ينطلق اعتباطا ويضيق بمن يحاول مراجعته فلا تنحرف أهداف الانتاج باساليب التنفيذ بعيدا عن مستلزماتتطور العلاقات الاجتماعية كما رسمتها النظريات الاشتراكية .

الجديد فى المؤتمر هو القضاء على تيار الخروشوفية اذا أتجهت الى ارساء قواعدالدولة التكنوقراطية خدمة لاهداف رفع مستوياتالانتاج بأى وسيلة ، وتعود الى التيار الليثيتى الذى هو الارتفاع بالواقع فى سبيل تطوير المجتمع ، الخروشوفية كانت تستهدف مجتمع الكفاية فيباهى به العالم أجمع وحكام الولايات المتحدة بخاصة ، اما اللينينية فهى تعنى بالعدل قبلالكفاية ،نموذجا حيا لما يجب أن تكون عليه العلاقات الاجتماعية بين مختلف طوائف الشعب فتجتذب الى التجربة شعوب العالم جميعا .

فاذا كان المؤتمر قد اتجه فى ظاهره الى انطلاق علمى مدروس للانتاج على المستوى الاقليمى ، مع الربط التخطيطى على المستوى المركزى الا انه فى «جوانيته» اتجه الى اطلاق طاقات المجهود العلمى مع التركيز على الربط العقائدى المعنوى .

فمنناحية مزيد منسلطاتللسوفييتياتالاقليمية فى سبيل تحقيق اهداف الانتاج والتصدى للمشاكل الادارية الناجمة عن احتكاك الواقع بقيود التخطيط او عن قصور أمكانيات التمويل ، ثم حث علىتعميق الديموقراطية علىكافة المستويات فتتعدداللقاءات البناءة ، قوامها تشجيع النقد والنقد الذاتى .

وفى الناحية المقابلة ، بل بما يكفل التكامل مع ما تقدم تكثيف التربية العقائدية فى صفوف الشباب والحث على التصدى لاية ظواهر بورجوازيةطارئة (اهى التطلعات التكنوقراطية الطبقية التى تعهدها خروشوف دون أن يدرى ؟) ودفع الادباء والفنانين الى الالتصاق بالواقع الاشتراكى ثم التصدى بكل قوة للتيارات «اللاسياسية» اى جميع الاتجاهات التى تحاول التحلل من المضمون السياسى او أن تهمله ، ومما له دلالته التعديلات الجديدة للوائح الحزب التى تتشدد فى قبولانضمام الاعضاء الجدد وتدقق فى عملية تكوين الكوادر ، وتحكم حول تصرفات الاعضاء حلقات الضوابط .

وماذا اذن من هؤلاء الذين تصدوا لاستمرار الحملة ضد الستالينية ؟ فقد طالب البعض بوقفها فعلا ولكنها لم تهدف قط العودة الى الوراء ، وانما قالوا ماقالوا فى أطار من تصفية للخروشوفيةالتى لو قدر لها أن تستمر لوصل بها الامر الى التنديد بكل شىء وأى شىء ، وكأنما كانت سنوات حكم ستالين جميعا وبالا من تعسف أو فراغا من بناء ، حرى بالشعوب السوفييتية أن تمحوها من تاريخها كلية ، وربما سعى خروشوف ، سواء درى بذلك أم لم يدر ، الى تأكيد مناخ من أنقطاع حضارى فى مسيرة العقيدة الشيوعية فيخلو له الجو لتشييد «طوباوية» التكنوقراطية ، ولكنها محاولات ابت الى فشل حين هوت « الذاتية الاعتباطية » ، وهى لغة المؤتمر الثالث والعشرين حين يعرض لعصر خروشوف .

فهل نحن أمام «لينينية» جديدة أم انها فترة انتقال ؟ رانتقال الىماذا والىاين ؟. ولكن لاعلينا انما الذى يعنينا أننا أمام مرحلة جديدة أعتقد أن سوف تمتد الى حين قد يطول ، من عمل دائب فى جو من طمأنينة واستقرار .

في هذا البحث الذى كتبه من العراق « جميل كاظم المناف » ، يقدم من — وجهة نظره — عرضا وتحليلا لقضايا المجتمع والثورة في العراق وذلك من خلال التاريخ لمعارك الاستقلال والوحدة والتقدم الاجتماعى للوطن العربى ككل ومراحل الصراع ضد الاستعمار والاحتكارات الاجنبية والرجعية العربية .

ويهم الطليعة ، وهى تفتح صدرها لهذا البحث ، ان تؤكد ترحيبها بنشر اى وجهات نظر اخرى في الاطار العام للفكر العربى الثورى سوا بالنسبة للعراق او لاى قطر آخر من اقطار وطننا العربى .

قضايا المجتمع والثورة في العراق

جميل كاظم المناف

نتيجة لتبعية العراق وسائر البلاد العربية لتركيا الدولة الاقطاعية التى كانت تمثل مصالح الاقطاع والمجموعات الاوليجاركية العسكرية في الاستانة عدة قرون بأكملها (1) ، ونتيجة لكون الاساس العلوى للطبقة العليا يعتمد على قضايا روحية تدعم السيطرة الطبقية التى هى الاساس السفلى للعلاقات الانتاجية ، فقد اخرت تلك القضايا الروحية يقظة الشعوب العربية ، وتأخرت اليقظة القومية العربية عن اليقظة القومية الاوربية بما يقارب الخمسة قرون، ففى القرن الخامس عشر تم تكوين الدولة القومية لانجلترا واعقبتها فرنسا ثم البرتغال وهولندا واسبانيا ،واصبح لكل منها ارضها الموحدة وجيشها وكيانها السياسى .

وقد قادت الطبقات الاقطاعية وشبه الراسمالية العمل في سبيل وحدة الشعوب الاوربية كيما تستطيع ان تدعم الوسائل المادية التى تستطيع فيها شق طريقها الى العالم الخارجي ، والفترة التاريخية التى نشأت فيها الوحدات القومية كانت تحتم نشوء المجتمعات شبه الاقطاعية وشبه الراسمالية ، ومع ذلك فلم تكتمل الوحدات القومية لاى بلد من البلدان الاوربية ، الا لتبدا مرحلة اجتماعية جديدة . فعلى مستوى العالم انشأت اسواقا تجارية نتيجة للاحتلال والغزو والفتح ،كما انشأت اسواقا داخلية الغيت فيها التعريفة الجمركية التى كانت تجعل كل اقطاعية دولة قائمة بذاتها ، واصبحت مرافق الحياة الاقتصادية تصب في المدن التى كانت تحتكر الاسواق والتجارة والحرف « المنفكتورات » الصغيرة . ومن هنا استطاع سكان المدن من حرفيين وصناع وتجار تكوين اسواق داخلية تحتكر التجارة ، فنشأت تحالفات بين الملوك والتجار ، وكان هذا بداية **تحول تاريخى كبير انتج الاستعمار الذى زحف** على القارة الاسيوية والقارة الافريقية ، وانتج

---

(1) الاوليجاركية : هى الاقلية ، وقد اطلق هذا الاصطلاح افلاطون في كتابه « الجمهورية » وقد استعمل بعد ذلك في شتى المجالات للتدليل على حكم الاقلية العسكرية والمالية او الطبقية ، راجع دائرة معارف العلوم الاجتماعية ، فصل الاقتصاد الكلاسيكى Classicol Economics

التناقضات الرئيسية بين الاقطاع والبورجوازية الناشئة - تلك التناقضات التي انتجت الثورة الفرنسية ، والثورة الانجليزية قبل ذلك بقيادة كرومبل . وهكذا ورثت الوحدات القومية الراسمالية الاستعمار التجاري وراحت تفتش عن بلاد جديدة تصدر اليها السلع وتحتكر المواد الخام التي فيها .

ان الراسمالية وقد تحولت الى نظام عالمي اخذت تسعى الى القضاء على النظم الاجتماعية الاقطاعية التي تتناقض مصالحها مع مصالح تلك النظم ، وقد تمثل هذا السعي في الحروب الصليبية التي شنتها اوروبا ضد الشرق العربي كتعبير عن تحولها الى نظام عالمي آخر ،وقد كانت الراسمالية في ذلك الوقت تعبر عن الاستعمار التجاري ، وبذا اخذت البورجوازية الناشئة تنقض على اراضي الدول والامبراطوريات الاقطاعية ذات النظم العتيقة ، فراحت تحتك بشعوبها وتصدر الافكار لها وتبذل اقصى جهودها في سبيل حفز تلك الشعوب للثورة على الاقطاع ، وعندما تعجز من احداث اي تحول في داخل المجتمعات الاقطاعية تلجأ الى الغزو والحرب من اجل « برجزة » الطبقات التي تسيطر على شعوب الامبراطوريات القديمة .

وقد حملت تلك الفتوحات بعض الافكار الليبرالية كافكار روسو ومونتسكيو وفولتير وجون ستيوارت ميل في الاقتصاد ومن ثم ريكاردو وكينز . وعلى هذه القاعدة كانت حملة نابليون على مصر التي استطاعت انشاء طبقة تجارية انتجت نظاما شبه برجوازي في مصر اعتمد على القوى التجارية وشجع بعض الشيء اصحاب الحرف والصناع ، وكانت وثبة محمد على تعبيرا عن عوامل محلية كارهاصة اولى في فتح باب التاريخ الحديث في الشرق ... وهكذا كان العرب في موقفهم من خطر الغزو الاجنبي يتحدد دائما بقواهم الاجتماعية ، ومدى استعداد تلك القوى الطبقي والاجتماعي ، فهل كانت تلك القوى تسمح بمقاومة الغزو الاستعماري الاوربي وتقرير مصير البلاد العربية ، والعالم يمر بعملية تحول تاريخية كبرى تغيرت فيها موازين الانتاج وتبدلت الطبقات .؟

في اغلب البلاد العربية ومنها العراق لم يكن ملاك الارض من العرب وانما كانوا من الاتراك الذين استأثروا بمناصب الدولة وادارة الجيش ، ولما كانت التجارة وهي عماد الدولة العباسية قد تحولت من ايدي العرب الى الاتراك ولما كان هؤلاء قد جمدوا التجارة وانصرفوا الى الضياع الاقطاعية والمناصب الحكومية ، فقد تحولت التجارة الى الاوربيين ، بعد التفاف البرتغال على طريق راس الرجاء الصالح ، وبعد اكتشاف فاسكودي جاما جزر الهند الغربية باستعانة الملاح العربي احمد ابن ماجد السعدي ، لاسيما وان صعود الطبقة البورجوازية الصاعق الى الحكم واكتشاف وسائل انتاج جديدة وطرق بحرية قد ساعدا على احداث تناقض بين الدول البورجوازية الصاعدة والامبراطوريات العثمانية الاقطاعية المتخلفة التي كانت كل ولاية — دولة او عدة اقاليم — تابعة لها بقوة الجيش والوسائل العسكرية البربرية الفجة .

اذن اصبح من الحتم والضروري حصول كل ولاية — اقليم — على استقلالها ، غير ان اغلب الوطنيين الذين فكروا في الاستقلال لم يفكروا فيه بالمعنى القومي العربي الواضح الرؤية والابعاد، فقد كانت القومية مرتبطة بالدين الاسلامي ، وفي البدء كانت الدعوات الاستقلالية وشبه الاستقلالية تنصب على اللامركزية مع بقاء اتحاد البلاد العربية بالدولة العثمانية . (٢) وقد ساعد على ذلك بعض العوامل العالمية ، فالموقف الدولي الذي تتحكم فيه انجلترا وفرنسا كدولتين كبيرتين صاعدتين حتم على دعاة الدعوة الاستقلالية العربية عدم التطرف، لان البلاد العربية الضعيفة لا تستطيع مواجهة الدول الناهضة ناهيك عن مصارعتها ومنازلتها.

الا ان هذا العامل اختفى او اضمحل عندما نشأت في البلاد العربية طبقة شبه بورجوازية تكونت في الاقاليم التي ارسلت بعض ابنائها الى اوربا للدراسة والتحصيل .وكان المحرك الاساسي لهذه الطبقة الشعور العربي باستقلال الذات العربية واختلافها عن الذات التركية رغم وجود الدين الواحد ، وساعد على ذلك انحلال النظام التركي البدائي الذي لم تكن له اهمية تذكر على الصعيد الداخلي والعالمي معا (٣) ،كما ان اختلال التوازن بين الشرق والغرب ساعد على ايجاد حاجة الوحدة العربية ، وبهذا نشأت جمعيات عربية سياسية وثقافية واجتماعية تعبر عن مظاهر وعوامل الحياة الجديدة ، وتدعو الى التقدم .

---

(٢) لم تكن الدول العربية متحدة بالمعنى الدستوري الحديث لانها لم يكن لكل منها وجود مستقل ، فلقد كانت متحدة واقعا ومجتمعا وتاريخا وفكرا وبالشمول السياسي في الدولة الاموية والعباسية والفاطمية ،حتى المنازعات كانت تدور بين الدول حول احقية كل منها في تمثيل جميع البلاد العربية ، وكما هو معروف فالدول العربية جزئت بعد السيطرة الاستعمارية

(٣) لم يكن للنظام التركي اهمية اجتماعية تاريخية فقد كان نظاما اوليجاركيا اقطاعيا لم يقدم اية معطيات حضارية كما قدمت الحضارة العربية ، الا ان اهميته الدولية كانت منبعثة من الفعالية العسكرية للاتراك اساسا .

ويقف المفكر العربي بضآلة بلأده امام الازدهار الاقتصادى والصناعى والتكامل القومى فى اوروبا نشأت دعوات التقدم الليبرالى ، وفى هذا الوقت كانت الدول الاوربية تنقض على مخلفات الرجل المريض — تركيا — وقد اكتشف الفكر العربى التناقض الصارخ بين الدعوات الليبرالية البورجوازية للراسمالية الغربية وبين واقع الامر الذى يدفعها الى الاستعمار وسحق الشعوب المتطلعة الى الحرية بكل قسوة ووحشية ، الا ان الفكر العربى ظل متأثرا بالفكر الغربى الليبرالى شأنه شأن اى فكر آخر لاتحدث فى مجتمعه تحولات جذرية . وعلى هذا نجد ان الدعوة العربية الاستقلالية تكتشف ابعادها الفكرية فى افكار دعاة الحرية والاخاء فى الثورة الفرنسية ، فالانفصال عن الدولة العثمانية لابد وان يصحبه **تعاقد اجتماعى دستورى فى جميع البلدان العربية** .

نشأت الحاجة الى الوحدة العربية كرد تاريخى على التفكك الذى تستشعره البلاد العربية كما نشأت الحاجة الى الدستور والتعاقد الاجتماعى كرد سياسى على تفسخ النظام العثمانى الاوليجاركى العسكرى الفج الذى كانت تسيطر فيه الاوتوقراطية العسكرية التركية ، ومن الاجناس الاخرى الارناؤوط والشركس ! ، **فما هى طبيعة الافكار التى صاحبت تلك الحاجات القومية والاجتماعية؟**

من الضرورى لفهمها ان نضع فى اعتبارنا الظروف الخاصة لكل بلد عربى والقاعدة الاجتماعية ومكوناتها حيث ان الاقطار العربية كانت متفاوتة فى تركيبها الطبقى والاجتماعى .. ففى **مصر** كانت الدولة تخضع لسلطة محمد على وتنتقل من طور الدولة الاقطاعية المركزية التى لا تكاد تربطها بالعثمانيين الا الرابطة الروحية (٤) الى طور الدولة شبه البورجوازية الا انها لم تفقد جذورها الاقطاعية ، .. بينما كان **العراق** لا يتمتع باى حكم ذاتى فهو والبلاد العربية الاخرى تخضع للدولة العثمانية بشكل مركزى صارم وتعبث فى ارضها **الجندرمة والانكشارية والمرتزقة** وتتشكل فيها الاقطاعيات الكبيرة ، كما تتقاتل العشائر والقبائل فيما بينها ، ويسود نظام الجباية والخراج والسخرة بالقوة (٥) بينما ينهش الجوع والبؤس والاضطهاد بالمواطنين الذين يكلفون باطعام الجنود وغسل الجياد التى يركبونها فى حالة مرور الدوريات العسكرية فى القرى التى يسكنون فيها .

وعندما اصطدمت تركيا بالقوى الدولية لم تجد بد من تشديد قبضتها على البلاد العربية ، اذ أن المستوى الفكرى كان يعطى للصراع بين الامبراطورية العثمانية واوربا مدلولات روحية ، فالعثمانيون يدافعون عن الاسلام ، بينما اوربا تدافع عن المسيحية ولهذا ثارت النعرات الدينية القديمة ، فالقادة الانكليز كانوا يعلنون صراحة انهم انما جاءوا لكى يكملوا الغزو الصليبى ، وقد سجل التاريخ كلمة القائد الانكليزى : اللنبى الذى وطىء بقدمه ضريح القائد صلاح الدين وقال : لقد عدنا يا صلاح الدين (٦) وتوارت البواعث الطبقية والاجتماعية والحضارية التى تحرك الصراع تحت اشكال روحية ، فالبشر دائما يخفون الدوافع الحقيقية خلف اقنعة فكرية وروحية تموه وتبرقع اهدافهم .

وعلى اية حال فقد كان الفلاحون فى البلاد العربية يخلطون بين الدعوة للجامعة الاسلامية والخلافة التى تدعو لها تركيا ، وبين الوحدة العربية التى كانت تدعو لها — بمفهومها وقتذاك — الفئات شبه الاقطاعية — شبه البورجوازية فى المدن . فالمدن العربية تمثل الوجه التقدمى بينما الريف العربى يمثل الوجه المتاخر ، الا ان هذا لايعنى ان الفلاحين لم يثوروا ضد السلطة العثمانية ، فقد ثارت **قبائل نجد** ضد جيوش الامبراطورية العثمانية الممثلة بجيوش محمد على الكبير ، ولا زالت تلك الثورات الباهره وصمة عار بوجه بعض الاقليات التى لعبت دور مخلب القط للاستعمار الترکی .. كما ثارت قبائل **العراق** اكثر من مرة فى اواخر القرن التاسع عشر وما زالت الفظائع فى الريف العراقى حية فى اذهان الناس وموجهة ضد التاريخ الذى ارتكبت فيه .

كذلك ثارت **اليمن** اكثر من مرة ضد الاتراك ولم تخضع للاستعمار العثمانى الا لفترات قصيرة ، كانت المدن العربية المنادية بالانفصال عن تركيا تمثل الدعوة الليبرالية والبورجوازية التى تتشكل من فئات المستنيرين والمثقفين والشعراء ، اما الدعوات التى كانت تنادى بالخلافة فقد كانت تمثل الاقطاع المتحالف مع العسكريين الاتراك والخليفة المستبد .

وهناك اتجاه ثالث كان ينادى بالوحدة الاسلامية على اساس العودة الى روح الاسلام وتأسيس الحكم على قاعدة الشورى لتتمكن من حل تناقضات الدول الاسلامية وايجاد حياة اجتماعية متقدمة ، وقد مثل هذه الدعوة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده فى مصر وقد كان لها انصار فى البلاد العربية الاسلامية .

---

(٤) اى الرابطة الدينيه الشكلية

(٥) تذكر بعض المصادر التاريخية ان من اسباب الاقتتال والصراع بين العشائر العراقية فى الفرات الاوسط والجنوب الصراع بين بريطانيا والدولة العثمانية ذلك الصراع الذى يمتد الى عام ١٦١٥

(٦) فى بعض المراجع ان الجنرال غورو هو الذى قال تلك الكلمة

وهكذا كانت البلاد العربية — تجاه المرحلة التاريخية التى تمر بها — تعمل فى داخلها عدة متناقضات ، فالدعوة القومية توقظ الشعور العربى ازاء الهيمنة العثمانية ، اما الدعوة الاسلامية فتقلل من الشعور القومي وتحاربه ، اما الدعوة للوحدة الاسلامية فقد كانت تمثل تيارا تقدميا ليبراليا فى وقته ، والى جانب هذه المتناقضات التى تصطرع نجحت البعثات التبشيرية الاوربية فى اجتذاب اعداد غفيرة من الاقليات خاصة فى لبنان وسوريا وبعض الشيء فى العراق لدى النساطرة والاشوريين ، وخلقت تناقضات مصطنعة بين المسيحيين والمسلمين ، فتبلور الشعور القومي لدى المسيحيين اكثر منه بين المسلمين ، وقد كانت اوربا تستهدف من وراء ذلك ربط الحركة القومية بالفكر الغربى كما تم لها ذلك فى تركيا عندما استطاعت احكام صلات مؤسساتها الثقافية والتجارية مع قادة حركة ((الاتحاد والترقى)) التى استطاعت ان تنفذ الى السلطة بواسطة البورجوازية المتحالفة مع بعض العسكريين حول قيادات الكادر العسكرى ، وكان للجهد الذى بذلته انجلترا وفرنسا فى سبيل احكام الطوق الفكرى على التطلع القومى العربى نتائجه الخطيرة حيث ركن دعاة الوحدة العربية واستسلموا الى دعاة البورجوازية التركية «الاتحاد والترقى — الطورانى» الذين كانوا يمنون البلاد العربية بحكومات دستورية تنسق العمل بينها وبين الحكومة التركية مجالس مشتركة .

واول نتائج هذا الارتباط محاولة جماعة الاتحاد والترقى المرتبط بالماسونيه والمنظمات الليبرالية الاستعماريه الاخرى هى البادره الخطيره التى حاولوا فيها جعل الجنس التركى فوق الجنس العربى (٧) وعلى هذا النحو يمكن قياس الامور السياسية والاجتماعية الاخرى ، واذا كانت هذه البادرة تمثل شعور البورجوازية التركية الشوفينية التى تحالفت مع البورجوازيات الاوربية بعد انقضاضها على الخلافة المتداعية ، والمرتبطة بمنظماتها سيئة الذكر فان ذلك ليس بالشيء الغريب لان المرحلة التاريخية التى كانت تمثل صعود البورجوازية الى قمة الذروة انتجت بالضرورة والحاجة الاستعلاء الشوفيني للبورجوازية التركية التى هى الوريثة الشرعية للاوليجاركية العسكرية العثمانية — ذات الاحلام الامبراطورية والفتوحات .

مرحلة الثورة المسلحة

عندما شاخت الامبراطورية العثمانية انتقل المركز الحضارى الى اوربا وتمكن الانجليز والفرنسيين والاسبان من فتح البلاد المتخلفة بالقوة العسكرية أو الاستعمار والغزو التجارى والمالى . والبلاد العربية فى الصورة التى رسمناها وهى تواجه الموقف الدولى تعاونت مع الإنجليز ضد الدولة التركية املا منها فى نيل استقلالها ، وبالطبع كانت نوايا بريطانيا تختفى ابتسامتها جادة خلف التكشيرة او الابتسامة المصطنعة للعرب .

ففى اعقاب الثورة المسلحة التى انطلقت من نجد كانت اتفاقية سايكس بيكو التى عقدت بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم البلاد العربية ، وفى الوقت الذى كانت فرنسا تنقض فيه على مراكش وتونس ، كانت بريطانيا تزحف على العراق وسائر منطقة الشرق الادنى ، وكان واضحا ان سياسة بريطانيا آنذاك احداث التناقض بين البورجوازية العربية والاقطاع او احداث تحالف بينهما . ومن ابرز ما حدث فى اوائل هذا القرن هو مبادرة ادارة المخابرات البريطانية توثيق صلاتها بالقيادات الاقطاعية التى تزعمها وقادها الشريف حسين عام ١٩١٦ فى ثورة مسلحة موجهة ضد تركيا . ورغم ان القوى شبه البورجوازية النامية فى صفوف الضباط والتجار قامت بدور رائع عندما اشتركوا فى قيادة بعض العمليات الموجهة ضد الاتراك ، الا انها كانت اكثر توجسا وخيفة من بريطانيا على عكس القيادات الاقطاعية التى كانت مطمئنة ، ويعطينا الفكر الاساس المادى لتطلع البورجوازية التجارية فى المضمار العربى التى تحاول ايجاد سوق كبير فى البلاد العربية يجد فى الاستقلال التام الناجز ما يحميه من منافسة الاقتصاديات الاوربية الضخمة .

كما يعطينا الادب والشعر الهدف الرومانطيقى الذى جعل الشعور العربى يحن الى مجتمع يتجاوز الواقع السيء وينتصر عليه (٨) وفى تلك الفترة نبعت بذور افكار مثالية خالية من وسائل العمل والفهم الواقعى للاشياء كانت بمثابة — نواة — الى افكار مثالية تزداد اقترابا من الواقع بقدر ما تبتعد كما سيأتى الحديث عنها فى سياق البحث .

ومن اهم عوامل مقاومة البورجوازية التجارية للتحالف مع بريطانيا التحول الذى حدث فى بنية المجتمعات العربية التى اخذت تستشعر بعمق التيارات التاريخية التى تتحرك فيها خاصة وان هذه التيارات قد ارتبطت فكريا بالتيارات الليبرالية والديموقراطية فى اوروبا مثلما حدث فى تركيا ، الا ان الاختلاف هنا هو ان الحركة القومية التركية كانت تتخذ الاسلام قناعا — اي انها حركة استعمارية ذات جذور تاريخية متخلفة وتقاليد ارستقراطية عسكرية ، وثورتها ضد الخليفة الذى اشاع الارهاب واوقف العمل بالدستور ، ليس الا

(٧) الماسونية ليست منظمة ليبرالية — حركة بقدر ماهى منظمة استعمارية فاشية تخضع للصهيونية ، ولكن تسميتها هنا بالليبرالية من باب تسمية الشيء بنقيضه ، كما نقول العالم (الحر) واوروبا الحرة .. الخ .

(٨) الرومانطيقية نزعة وجدانية تسعى الى مثل تجريدية دون ان تعرف مواقعها ، عرفتها جميع اداب الامم واختلطت فى آداب العصر الجاهلى العربى الا انها كمدرسة لم تبرز وتتحدد مقوماتها وملامحها الا فى عصر النهضة الاوربية

مغامرة من مغامرات الارستقراطية المالية والبورجوازية النامية بالتحالف مع المصالح الالمانية والفرنسية والانجليزية في ذلك الوقت . فقد ساءت الحالة الاقتصادية في السلطنة العثمانية لدرجة اضطرت معها السلطنة الاستعانة برؤوس الاموال الاجنبية ، ففي عام ١٨٥٦ قام البنك العثماني برأسمال بريطاني — فرنسي قدره ١٠ ملايين من الجنيهات الاسترلينية وكان نفوذ ودور هذا البنك كبيران في اقتصاد البلاد ، وعدا البنك العثماني قامت مصارف اخرى ومؤسسات كثيرة ، ومنذ عام ١٨٧٥ شرعت المصارف الاوروبية الكبرى تفتح لها فروعا في اهم مدن السلطنة ، كما ان مصر وقعت تحت نفوذ الرأسمال الاجنبي وتكاثرت القروض منذ عهد اسماعيل ، وفي بداية الحرب العالمية الاولى كانت ديون الامبراطورية العثمانية تبلغ ٥ر٥ مليار فرنك ذهب ، تم بعد الحرب سوى هذا الدين في **مؤتمر لوزان** بمبلغ ١٣١ مليون ليرة تركية وفرض على الحكومة الجديدة من اجله ٦ر٨٤ مليون ليرة على ان تدفع الباقي وقدره ٤ر٤٦ مليون ليرة البلدان العربية التي انفصلت عن السلطنة .

وهناك رؤوس اموال امريكية ممثلة بمؤسسة ((**اميركن بورداوي فورين مينسن**)) ورؤوس اموال انجليزية ضخمة ممثلة بشركتي ((**است انديا كومباني ، وانجكش تركش كومباني**)) فرغم تقدمية الحركة القومية البورجوازية التركية حينذاك فقد كانت سحنتها الحقيقية جشعة ، ترتد مرة اخرى الى جذورها في محاولة ((**لتتريك**)) الشعب العربي ، ولم تقتصر افكارها العنصرية على ذلك بل اخذت تدعم توسعها في مجالات استعمارية جديدة بالصناعة منافسة الدول الاستعمارية ، واول خطوة اقدمت عليها هي جعل اللغة التركية لغة التخاطب في الولايات — الاقاليم — التابعة لها .

وهكذا كانت البورجوازية التجارية الغربية معادية للاستعمار التركي والغربي ، فهي قد نبعت من وسط مضطهد وواقع تهان فيه الشعوب ، وعلاقات طبقية تلعب فيها الطبقة التجارية الصاعدة دورا قياديا * ، وعلى هذا الاساس اخذت فكرة الاستقلال القومي تتأطر في اطار تحرري ووحدوي في اغلب البلاد العربية وتجد تدعيما في اغلب القطاعات الشعبية ، وها هي الان تنتقل الى **العراق** لتشكل تيارا له اثره في المجتمع والحركة الشعبية .

كان واضحا ان ثورة **الشريف** حسين ذات قيادة اقطاعية ظهرت في ظروف مطلع قرننا العشرين ، ظهرت كقوة جديدة تحاول انتزاع الاستقلال بالقوة من الاتراك ، ونتيجة لالتفاف الاسر المعنوية ورجال الدين الذين كانوا ينتمون الى اسر اقطاعية وشبه بورجوازية وشعبية ايضا ، وتأييد الشعب لها (٩) استطاعت مجابهة تركيا ، ثم يضاف الى هذا اندفاع الدول الاستعمارية الى اقامة صناعات محلية في العراق ومصر بعد حملة نابليون التي حاول الفرنسيون فيها تحويل مصر الى مجتمع علماني تجاري يدين للدولة بكل شيء وهكذا تغلغلت بوادر الرأسمالية في الادارات الحكومية في بلدان الشرق العربي ، وساعد على ذلك نشوء فئات من البورجوازية المالية استطاعت ان تكون صناعات وحرف صغيرة ، كما ان مد خطوط السكك الحديدية وتحول جزء من تجارة الشرق بالمواد الخام الى الغرب بأثمان زهيدة ، واندفاع المولين الغربيين في شراء الاسهم في شركات تنقيب البترول وحاصلات القطن . الخ ، واقتراب المسافات بين الدول ، كل ذلك ساعد على التقاء البورجوازية التجارية مع المثقفين والعائلات الاقطاعية التي تقود الثورة ضد السلطنة العثمانية .

كانت الامبراطوريات الاستعمارية الناهضة قد اطلقت شعار : **التوجه نحو الشرق** ((وكان **لورنس** داعية الاستعمار البريطاني في الارض العربية قد استطاع ان ((**يحدث**)) التناقض الاساسي الموجود بين القيادة الاقطاعية للثورة العربية والاجنحة الليبرالية والشعبية المؤيدة لها . ومنذ البداية عمل لورنس على كسب القيادة الى جانب بريطانيا والحيلولة دون نهاوبلوغ الاماني والاهداف القومية . ففي الوقت الذي كانت الثورة تستهدف اقامة دولة واحدة راحت بريطانيا تقسم البلاد العربية الى دويلات عديدة . . ويعود تاريخ صراع بريطانيا مع تركيا على استعمار البلاد العربية الى القرون الوسطى الا ان اوائل القرن التاسع عشر واواسطه بلورت هذا النزاع كلية وبشكل جلي حيث استطاع الرأسمال الاوروبي الحيلولة دون تغلغل الرأسمال التركي الى البلاد العربية اضافة الى ضعف الدولة التركية .

ففي عام ١٨٨٦ قرر قانون النظر في منح بريطانيا **امتيازات البحث عن البترول في البلاد العربية** ، وقد استطاعت شركة ((**توركش بتروليوم كومباني**)) التي اصبحت فيما بعد ((**عراق بتروليوم كومباني**)) شركة نفط العراق — الحصول على امتيازات في

(*) لم تحافظ البورجوازية العربية على معاداتها للاستعمار فكما سيظهر في سياق البحث انها قد طعنت النضال الشعبي في عدة مواقف مفضلة مصالحها الاقتصادية التي ارتبطت بشكل مباشر مع الاستعمار

(٩) المقصود بالاسر المعنوية ، الاسر التي كان لها تاثير نفسي على الشعب في ذلك الوقت كالشعب الملية ورجال الدين والوجهاء

جميع البلدان العربية الخاضعة للسلطنة ،**كسوريا وفلسطين والعراق** وشبه الجزيرة العربية ، الخ وفى الوقت الذى كانت فيه البورجوازية التركية تسيطر على الحكم بقيادة اتاتورك الذى تزعم التيار الليبرالى فى بلاده ، كانت بريطانيا تتحالف مع هذه القوى الجديدة وتخون حليفها الشريف حسين **وتصدر وعد بلفور فى اعطاء الصهيونية وطن قومى لليهود فى فلسطين** ،ونقتطع سنجق **الاسكندرونة** من سوريا وتلحقه بتركيا طبقا لخطة استراتيجية طويلة المدى ، كما تشرف على هجرة اليهود الى فلسطين ، وتسلحهم وتوصل الاموال لهم ، وتركز قواتها العسكرية فى قناة السويس ،وعدن ،والكويت ،والبحرين ،والحبانية، والشعيبة فى العراق ، لتجعل من البلاد العربية خط دفاع خلفى للمستعمرات يوصلها **بالهند والشرق الاقصى** .

واقفلت **((حلقة الشرق العربى))** بيدى بريطانيا وفرنسا ،وفى الوقت ذاته كانت هناك عدة تناقضات تدور بين الاستعماريين الجدد ، فالاستعمار هو اساسا سيطره البورجوازية الكبيرة والاحتكارات الصناعية والنفطية والمالية المتطفلة على الشعوب وهو المعبر عن حقيقة الاوضاع الاجتماعية للشعوب الاوربية التى تمر بمرحلة الراسمالية بكافة انواعها واشكالها (١٠) .وقد اشتد النزاع بين الاحتكاريين الراسماليين فى البلدان الاوروبية وامريكا على السيطرة على البلاد العربية . وخلال فترة المنازعات هذه ظهرت **الراسمالية** التى تقود العصر الامبريالى بوجهها البشع واساليبها الضارية ، ظهرت عارية تنبع من المصارف الكبرى والشركات النفطية وشركات السكك الحديدية والاستثمارات المالية والقروض . الخ ،واصحابها من الصهاينة الذين استغلوا تطلعات ابناء دينهم لبناء وطن قومى فساعدوا الصهيونية لتصبح حركة عالمية .

ولما كانت القوى العالمية تبغى كسب عطف اليهود وتأييدهم المالى وتغلغلهم فى مرافق الدول الحساسة واعتمادهم الاستغلال سلوكا وفكرا ، فقد كان عليها ان تبر بوعدها — **وعد بلفور** — بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . وقد وجدت القيادة الاقطاعية للثورة العربية ان هناك تناقض بين سلوك بريطانيا الواقعى والتزاماتها الادبية والسياسية مع العرب ، وزاد التناقض طبيعة الصراع بين القوى الاستعمارية نفسها ، ففى المانيا تنشأ قوة امبريالية ذات امكانيات غير محدودة تتطلع بشراهة ونهم الى بلاد الشرق الاوسط ، وفى الولايات المتحدة الامريكية تبلغ الراسمالية الامريكية مرحلة الامبريالية ، وتسعى الى ايجاد اسواق لبضائعها واستثماراتها واحتكاراتها . اما بريطانيا فقد كانت الدولة الكبرى آنذاك ، وقد كانت الحرب العالمية الاولى النتيجة الطبيعية للتناقضات المحتدمة بين الاستعماريين على اقتسام مناطق النفوذ وانتزاع مستعمرات جديدة من تركيا . الرجل المريض .

وفى ظل تلك الظروف لم نجد العناصر المكونة للقياده الاقطاعية لثورة الشريف حسين مناصا من التخاذل والمساومه . وقد كان حسين يتزعم حركة الكفاح العربى التى تريد اقامة دولة واحدة مستقلة من حدود **مرسين واطنة حتى الدرجة ٢٧ من خط العرض الى حدود ايران شمالا ، وشرقا حدود فارس حتى خليج البصرة ، وجنوبا المحيط الهندى، وغربا البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى مرسين .**
والواقع ان الاستراتيجية البريطانية كانت تعمل على المراوغة والمساومة ، ووفقا لهذه الخطة **قسمت بريطانيا البلاد العربية** بين الزعماء المنحازين لها ، **فالملك فيصل** ووالده الذى كان ملكا على الحجاز وشقيقه امير شرقى الاردن ، دفع بعضهم الى التعاون مع بريطانيا وعمل البعض الاخر باخلاص للسياسة الانجليزية ، وفى شهر ايلول — سبتمبر — ١٩٢١ وبناء على وساطة اللورد **بلفور** اسندت عصبة الامم الى بريطانيا الانتداب على ولايتى بغداد والموصل الغنيتين بموارد البترول ، وبريطانيا تاكيدا لسلطتها عمدت فورا الى تكليف **((بيرى كوكس)) والكولونيل لورنس** باجراء عملية استفتاء مزورة ، ثم عمدت بواسطة **((ماكدونالد))** الى فرض المعاهدة العراقية البريطانية التى جعلت من العراق آلة بيدها ، غير ان الشعب العراقى عبر عن سخطه على المعاهدة المذكورة بطرق مختلفة . .

لم تكن استجابة الشعب العربى لثورة شريف مكة الا تعبيرا عن احساس العرب بمضمون الوحدة العربية التى تضمن وتستهدف تحقيق العدالة بين المواطنين ، وقد كان ذلك المضمون بالمعنى الليبرالى والواقع الاجتماعى والتاريخى يعد ثورة فى نظر الثائرين فى سوريا والعراق ولبنان وشبه الجزيرة العربية ،وليس فكرة مجردة يمكننا ان نقبلها او نرفضها ، بل كيانا قوميا لابد من تحقيقه فى مواجهة الوجود الاستعمارى الذى لا تملك اى بلد عربى منفردة الرد عليه . ومن هنا انتقلت فكرة **الوحدة العربية** من النظريات المجردة الى العمل السياسى ، فالمؤامرات التى ادت الى

(١٠) كان العصر الاحتلالي يسمى عصر الاستعمار والامبرياليه اما الاستعمار الحديث فيسمى بالكولونيالية — اى السيطرة الاقتصادية المالية والتعدينية والنفطية والصناعية والمصرفية والسلعية . الخ مقومات الاستعمار الجديد

احباط ثورة الشعب العربى فى **مصر عام ١٩١٩** والشعب العربى فى **العراق** عام ١٩٢٠ وثورة الفلاحين فى **الفرات الاوسط** عام ١٩١٩ وفى**سوريا** عام ١٩١٥ وعام ١٩٢٥ ، جعل الفكر العربى يتعمق اكثر فى مضمون الوحدة العربية ويلتصق بآلام الجماهير ويكون اكثر اقترابا الى ادراك طبيعة التناقضات التى تحكم البلاد العربية والتضات الماليه والاستعمارية التى تصطرع فى العالم .

ان امتيازات المملكة البريطانية الاستراتيجية كانت السبب — فى بداية الحرب العالمية الاولى — لتاسيس دولة **العراق** واظهارها الى حيز الوجود وبفضل وضعها الاستراتيجى وثروتها النفطية (١١). واذا كانت الفترة الواقعة ما بين اواخر القرن التاسع عشر وعشرينات القرن الراهن تمثل طبيعة التناقض بين الاستعمار العالمى فى السيطرة على بلدان الشرق الاوسط وتقسيمها ، فان تلك المرحلة تمثل بالنسبة للبلدان العربية مرحلة القيادة الاقطاعية وفشل تلك القيادة فى احراز النصر على الاستعمار ، بسبب ظروف العالم الموضوعية وبسبب كون الاقطاعية ذات مطامح طبقية تنتهى عند سيطرتها الاجتماعية ، وقد حول الاستعمار الكثير من الاقطاعيين الى حلفاء مباشرين له . وبالطبع نشأت الدول العربية متحالفة مع بريطانيا ، ومن هنا يمكن اعتبار انقسام البلاد العربية وتقسيمها نتيجة للتناقضات الحاصلة فى صفوف المعسكر الاستعمارى واستراتيجية بريطانيا وتذبذب القيادات الاقطاعية التى انتهت الى عميلة للاستعمار عند التقسيم ، والذى يعنينا من هذه الصورة **المجتمع فى العراق** وتطور الحركة السياسية والفكرية والاجتماعية فيه وصولا الى تقييم الواقع المعاصر من خلال مدلولات المعطيات الاجتماعية بالتماس مع حركة تطور المجتمع العربى والموقف العالمى .

ملامح المجتمع فى العراق منذ الاستقلال الصورى حتى عام ١٩٥٨

وفقا للخطة التى خططتها ورعتها المخابرات البريطانية قسمت البلاد العربية بين الاستعماريين الانجليز والفرنسيين بمقتضى معاهدتى **سايكس** — بيكو ، وسان ريمو . وقد حصرت الدولتان المنتدبتان همهما فى جعل هذه الدول وحكامها من الاشخاص والزعماء المنحازين اليهما ، وكما ذكرنا فيما سبق ، فقد اختارت بريطانيا الملك فيصل ملكا على العراق بعد فشله فى سوريا التى فتحها ، أو هكذا ارادت بريطانيا وفرنسا ، وقد دعمت حكم الملك فيصل بولاء الاغنياء الاقطاعيين فى جنوب العراق واستطاعت انتزاع الولاء من بعض الليبراليين الذين تخاذلوا بعد اندحار ثورة الشريف حسين وفشل ثورة الفلاحين فى الفرات الاوسط (١٢) وقد كانت الاستراتيجيه البريطانيه التى استهدفت خلق **دول صغيرة** فى الشرق الاوسط ومنها **العراق** تخطط ببواعث استعماريه تدرك اهميه **الوضع الاستراتيجى** لمنطقة الشرق الاوسط **والثروة النفطية** التى تكمن فيها . ولقد لفت نظر السلطنة العثمانية الى الثروه الموجوده فى اراضى ولايتى الموصل وبغداد « كالوسد كالبنكيان » ممثل المصالح التركية وقتذاك ، والتقرير الذى قدمه فى هذا الصدد والذى اصبح فيما بعد اساسا للمفاوضات القائمة بين الدوله العثمانيه واصحاب الامتيازات الاجانب ، ومنذ عام ١٩١٤ حتى ١٩٢٠ لم تقدم اية محادثات او مفاوضات بين الفريقين الا باطلاع كالبنكيان بوصفه الوسيط الرسمى بين الحكومة العثمانيه وطالبى الامتياز ، وبسببه توحدت شركات كثيرة من جنسيات المانية وبريطانية فى شركة ((تورکش بترـ ـيوم كومبانى)) وبانتهاء الحرب التى هزمت فيها المانيا وتركيا والتى افاد منها الاحتكاريون البريطانيون وبذلوا جهودهم للحصول على امتياز النفط فى بغداد والموصل والبصرة .

وقد **لوحت** بريطانيا باعطاء **الموصل** لتركيا ترضية لها وتعويضا عن تنازلها للشركات الاجنبية الانجليزية بالامتيازات النفطية ، كما قامت فرنسا بمحاولة لتنفيذ اتفاقية سايكس بيكو الموقعة بتاريخ ١٦ آيار (مايو) ١٩١٦ والتى كانت تقضى بضم ولاية الموصل الى الانتداب الفرنسى ، ومن المعروف ان بريطانيا تمكنت من تجميد معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٩ بسبب مصالحها ، وتعويضا عن ولاية الموصل منحت محتكرى النفط الفرنسيين امتياز النفط فى العراق ، وفقا لنص اتفاقية سان ريمو الموقعة بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٢٠ على ان يكون لفرنسا حصة قدرها ٢٣٫٧٥ بالمائة ، وقد تدخلت الولايات المتحدة فى هذا النزاع وعضدت تركيا ضد بريطانيا ، كذلك عضدتها فى حربها ضد اليونان عام ١٩١٦ ، وقد استفاد الاحتكاريون الامريكان

---

(١١) راجع كتاب : على طريق الهند تاليف عبد الفتاح ابراهيم — بغداد

(١٢) تقول بعض المراجع التاريخية : ان الشريف حسين كان مخدوعا ببريطانيا وانه لم يوافق على مخططاتها فيما بعد ، ونفى بسبب ذلك ولانه اصر على وجود دولة عربية واحدة » اما الملك فيصل الذى استطاع فتح سوريا بالقوة فقد اوعزت بريطانيا الى فرنسا بطرده حتى تستطيع ان تجعله العوبة فى يديها بالعراق ، وقد عقدت بريطانيا مؤتمرا سياسيا بين الملك فيصل ووايزمان رئيس ملظمة الصهيونية العالمية آنذاك من اجل توقيع اتفاق ينص على اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وقد وقع الملك فيصل ذلك الاتفاق ، الا انه فكر بعد توقيعه . وتحت عنوان : ملاحظة ا لا تقوم دولة يهودية الا بعد قيام الدولة العربية الواحدة — اى انه حاول ان يلغى توقيعه واكد انه وقع قسرا بسبب خوفا ، على ملكه

من هذه الحوادث واستطاعوا الحصول على مغانم من الحكومة البريطانية وفازوا بحصة ٢٣ر٧٥ بالمائة من حقوق استثمار النفط في العراق (١٣).

وفي اعقاب كل هذه التطورات انتقل النضال ضد الاستعمار ورؤوس الاموال الاجنبية الى طور جديد اعتمد على صغار البورجوازيين والمثقفين والضباط الوطنيين وبعض الحرفيين والشعراء والمفكرين الذين انعكست على مشاعرهم النكسة والنكبة الخطيرة التي اصابت العرب في آمالهم في فشل ثورة الشريف حسين ،فالفوا حزب **الاستقلال العربي في العراق** ، كما تم في سوريا تاسيس « الحكومة الدستورية » وقد شرع الحزب المذكور في استقطاب كافة الجماهير المعادية للاستعمار والصنائع الرجعية التي نصبت كالانصاب على مقدرات البلاد .

وهكذا تتجسد امامنا صورة العراق الذي تستعبد فيه جموع الفلاحين الذين كانوا يزرعون ارضهم وينتجون الغلال ويكونون عامة الجيش العراقي الذي نشأ في بداية الامر تحت امرة قادة انجليز وقد كان الفلاحون يدفعون ضريبة وجودهم البائس شقاء ونكدا وبؤسا ،فالاقطاعيون حلفاء الانجليز وصنائعهم الذين تسلطوا بقوة المدفع كانوا يحملونهم ضرائب فادحة تتمثل في اعطاء الـ ٤/٢ او ٣/٢ الربع الباقي من المحصول الى الاقطاعي صاحب الارض ،اما الـ ٣/٢ الباقين من الربع فيذهبان الى الديون الباهظة الربا التي يقترضها من الوكلاء « السراكيل » او من الملاك او عبيد شيوخ الاقطاع ، او في الكيل البخس الذي لا تكفل فيه موازين الوكلاء الحق او العدل او حتى الانصاف فيما تبقى من محصول قليل .

وكان الاهالي الذين يفرون من امتهان واستبداد الاقطاع من قراهم ضيقا بما انزله بهم الاقطاعيون والجنود الانجليز الغزاة ، يعادون اليها وقد زيدت تكليفاتهم وديونهم .

واستمر الملك فيصل والانجليز يملكون لرقبة الارض العراقية يقطعون ما يشاءون منها لكل من ينضوي تحت لوائهم . وساعد ذلك على بلورة **الوعي الطبقي** بصورته البدائية لدى الفلاحين . واول ما يلفت النظر ان الجيش العراقي الذي كان ضباطه الانجليز يشكلون طائفة متميزة تكاد تكون جميع وحداته او افراده من **الفلاحين** او «الدهماء» كما يسمون في ذلك الوقت (١٤) . اما الضباط العراقيون فقد كانوا من ابناء البورجوازية الصغيرة المعادية للاستعمار يحملون آمال طبقة الفلاحين المضطهدة وافكارها ، الا ان الاقطاع في تهالكه لخدمة المستعمرين كان يزدري كل وطني وقومي بقدر اعجابه بكل ما هو اجنبي واستعماري . والاقطاعيون الذين وجدوا في الامبريالية البريطانية سندا لهم كانوا يقلدون الاستعماريين في المأكل والمشرب والملبس وينفرون من ابناء جلدتهم ، الا انهم كانوا في نفس الوقت غارقين حتى قمة رؤوسهم بالعلاقات القبلية والطائفية والعشائرية . وقد شجع الاستعمار هذا التباين . وجعل ابناء البورجوازية التجارية الصغيرة تقدم **الكادر الاداري** ، بينما تقدم الطبقة الفقيرة **الجنود** بسبب انسداد الفرص امامها وانعدام كفاءاتها ومواهبها الفنية والثقافية للسبب ذاته ، الا ان الجنود كانت لديهم موهبة الحقد على الاستعمار والثورة عليه والتطلع الى اليوم الذي تهب فيه رياح الثورة لتعصف بالنظام الاستعماري الفاسد وحليفه الاقطاع الذي يمتهنهم كبشر وكمنتجين وجنود .

وعلى نفس خط هذا التكوين الطبقي كان المجتمع : فالاداريون والضباط والوزراء من ابناء البورجوازية الصغيرة ،والفلاحون والجنود والكتبة والعمال من ابناء الطبقة الدنيا المسحوقة . وقد حاول الاستعمار والاقطاع استعمال الجيش كاداة ضد الشعب وقد تعذر عليه ذلك ، لان من الصعب ان يقاتل الناس اخوتهم الذين يشتركون معهم بالطبقة والامال والتطلع والصبوة والفكر . فيطاردون الذين يكافحون من اجلها ،الااذا تحولوا الى جواسيس او خدما او موظفين لدى الدولة التي تمثل سيطرة الطبقات المستغلة. ولهذا حاول ساسة العهد الملكي جعل الجيش فوق الشعب ، الا انهم لم يأمنوا جانبه رغم ضعف امكانياته وعدده في ذلك الوقت ، وعند اشتداد اوار المعركة الوطنية وحصول تناقض سياسي بين نوري السعيد وعبد الاله من جهة ، والملك غازي من جهة اخرى، ولجوء الاخير الى الضباط الوطنيين : صلاح الدين السبعاوي ، فهمي سعيد ، كامل شبيب ، لم يلجأ الانجليز الى الجيش العراقي بفضل اعتمادهم على رماح القوى المعسكرة في الحبانية والشعيبة ، وقدرتهم على تنفيذ مخططات غدر في وضح النهار ، فقتلوا الملك غازي بحادث اصطدام السيارة بعمود الكهرباء المزعوم .

كان **الملك غازي والضباط** الذين التفوا حوله يمثلون الوجه التقدمي للعراق في تلك المرحلة من

---

(١٣) لقد اشركت بريطانيا ، فرنسا وامريكا في اتفاقية امتيازات النفط في العراق حتى لا يستطيع العراق تاميم النفط في المستقبل بسبب الجهات الدولية المتعددة الاطراف

(١٤) وكانوا يسمون « الرعاع » والعامة والبهائم ، والقطيع ، وما الى ذلك من نعوت تكبط المعنويات والعزائم وتجعل الفلاح اقرب الى الحيوان منه الى البشر وتلك هي اخلاقيات المجتمع الذي تسود فيه الطبقات المستغلة

التاريخ التى امتدت منذ عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٤٥ . وقد ساندت الليبرالية البورجوازية المتوسطة تطلعاته التى تشبه الى حد كبير تطلعات ((**احمد عرابى**)) فى مصر وضباطه الذين تاججت فى جنباتهم دعوة التخلص من الاستعمار والاقطاع والثأر ليوم التل الكبير بعمل عسكرى وشعبى حاسم . واذا امعنا النظر فى دور الجيش فى مرحلة الكفاح الوطنى الذى سادته الاتجاهات الليبرالية التى تقودها الطبقة الوسطى ، اتضح الدور التقدمى الذى يضطلع به فى جميع البلاد التى يسيطر عليها الاستعمار ويضطهدها باستثناء دول امريكا اللاتينية — بواسطة تركيبها الاجتماعى الذى تسيطر فيه العائلات الغنية المستوطنة .

وعلى ضوء هذا الفهم لطبيعة قوى المجتمع فى تلك الفترة يمكن استخلاص حقيقة الصراع الذى كان يقوده الضباط الوطنيون ضد الاستعمار والاقطاع ، الذين هم فى نفس الوقت جزء لا يتجزأ من الحركة الوطنية آنذاك ، وذلك بالرغم من كون الجيش كجهاز من اجهزة الدولة التى هى الممثلة الشرعية للاستعمار والاقطاع يستخدم لحماية مصالحها والدفاع عنها ، لان التناقض الذى كان بين القوى الوطنية وبين الاستعمار ينسحب على الجيش باعتباره جزءا من القوى الوطنية . ومن هذا الاساس يمكننا فهم ثورة ١٩٤١ التى انفجرت ضد الانجليز ، فالدور الوطنى الذى قام به الجنود وهم ابناء الطبقة الفقيرة **يمثل نضوج الظروف الموضوعية** التى تربط العسكريين بالشعب ، وقد حددت تلك الظروف الدور الحاسم الذى لعبه الجيش فى ثورة ١٩٤١ ويمكننا تلخيص هذه الظروف فى نقطتين :

● تفاقم التناقضات داخل التحالف الاقطاعى — الاستعمارى ، وزيادة حدة الصراع على المغانم المتمثلة بمعاهدة ١٩٣٠ التى اعطت حقوق استثمار البترول للانجليز ، وبمصادرة حرية الشعب وسلبه حقوقه الطبقية والاجتماعية ووصوله الى قمة التصادم بشكل اصاب ذلك التحالف بفتح ثغرات فيه اتاحت المجال لنمو حركات معادية ذات جذور ليبرالية انحدرت من بقايا القوى التى تحالفت مع الشريف حسين وتطورت بدخول عناصر شبه بورجوازية جديدة الدماء والفكر والانسجة حتى داخل الاجهزة التى يفترض فيها الدفاع عن ذلك التحالف

● وجود تنظيمات سياسية مرتبطة باهداف اجتماعية كتحقيق العدالة وطرد القوى الاجنبية او عقد معاهدات متكافئة معها ، الى جانب تنظيم سياسى يربط العسكريين الذين قاموا بثورة ١٩٤١ ، رغم بدائية ذلك التنظيم وافتقاره الى وحدة التخطيط والمنهج كما تدلل على ذلك مذكرات **صلاح الدين الصباغ** ، واعتماده على القوى العسكرية دون القوى الشعبية ، وتطلعه نحو افكار تفتقر الى القوانين والعوامل الموضوعية كالروابط الاقتصادية والاجتماعية وفهم اللحظة التاريخية التى انتجت مقومات المجتمع فى العراق والوطن العربى الا ان تلك الافكار رغم رومانطيقيتها واعتمادها على العاطفة الوطنية والقومية الجياشة ، كانت تعبر وبشكل حاسم عن المرحلة المذكورة فى مجتمعنا ، المعطاة تاريخيا كظاهرة من ظواهر سيطرة الاستعمار وتطور القوى التى يتشكل ويتكون منها المجتمع فى العراق ، كما ان تفاقم التناقضات داخل المعسكر الاستعمارى الذى كانت دول المحور فيه تلوح بالحرب بوجه الحلفاء ، حرك القيادات الرسمية وغير الرسمية فى الجيش التى حاولت الاستفادة من التناقضات الاخيرة والاستعانة بدول المحور ضد بريطانيا ، وهذا هو الخطأ الذى ارتكبته القوى الوطنية والقومية حينذاك اذ ان الاستعمار وجد مبررا لضرب الثورة المعلنة وزحف بجيوشه من الحبانية واستطاع قمع حركة ١٩٤١ .

وبعد فشل تلك الثورة استطاع الاقطاع والاستعمار استبدال الكادر العسكرى بكادر آخر من النبلاء وابناء الاقطاع والعائلات الارستقراطية التى كان لديها استعداد كامل للتعاون وفق اسس طبقية واجتماعية ، وبرز من خلال ذلك انحراف الجيش عن الاهداف الشعبية الى حد ما ، مما دفع صالح جبر الى توقيع معاهدة **بورتسموث** وتأليف **حزب الامة الاشتراكى** . وفى هذا المجال تظهر ادوار القيادات العسكرية الخائنة . واول ما يجب ان نؤكده فى هذا المجال تعاون ابناء البورجوازية المتوسطة مع الاقطاع ، فبينما كان الوطنيون والقوميون يلقون حتفهم برصاص الانجليز كان عدد من البورجوازيين الصغار يتبادلون الولائم مع السفير البريطانى . وهكذا بلغ سخط الشعب ذروته عندما تآمر صالح جبر واعوانه على توقيع معاهدة بورتسموث سيئة الصيت ، وحين اتخذت حكومة جبر هذه المعاهدة حجة وذريعة لاعتقال العناصر الوطنية ، كانت الاحزاب كحزب الاتحاد الدستورى ، وحزب الامة الاشتراكى ، الممثلة لمصالح السراى ، تكشف عن وجهها الخيانى البشع ومرتكزاتها الطبقية ومعاداتها للشعب .

كان الشعب ينتظر التغيير الحاسم واقتلاع

السلطة الممثلة لتحالف الاقطاع والاستعمار ،بينما كان الاستعمار يوغل فى تنظيم مخططاته الاجرامية..

ان الحالة الثورية التى عاشها العراق فى الفترة الممتدة منذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٨ كانت تنعكس بأصدائها العميقة لتنفذ الى وجدان الجيش ، وبتلاحق الاحداث وتعاظمها حدث **انقلاب بكر صدقى** ــ الذى لم تتوفر لدينا الوثائق التاريخيه لدراسة اسبابه ودوافعه واهدافه وارتباطاته ، كما حدثت **حرب فلسطين ١٩٤٨** التى باع فيها الاستعمار والقوى الخيانيه المتعاونة معه فى الدول العربيه ، ارض العرب لحفنة من عنصرى الصهيونيه [illegible] رق فلسفة عدوانية واخبث تفكير بشرى انتجته ظروف المجتمع العبيدى حيث كانت تسود القبليه والتعصب الدينى ، بعد ان قاموا بحرب صورية راح ضحيتها الجيش العراقى والجيوش العربية ، وقد كانت حرب فلسطين **الحد الفاصل** فى تصدر البورجوازية الصغيرة للقيادات الحربية والكفاح الوطنى والقومى ، الا ان الفتره التى اعقبت حرب فلسطين كانت من اعقد الفترات ، ففيها اشتبكت العوامل والبواعث والمقومات ، فقد كانت القيادات الليبرالية لا تزال مهيمنه على الاحزاب الثورية بينما الوعى الشعبى قد تطور الى حدود استطاعت تجاوز ــ الحل الوسط ــ والاحزاب القوميه كحزب الاستقلال والبعث آنذاك تؤمن بضروره ايجاد تقدمية جذرية فى التاريخ العربى المعاصر ، دون ان تبحث عن القوانين او الظروف الموضوعيه التى تضمن ذلك او تحققه بالضرورة والحاجة والتاريخ ، فلقد كان الوعى الجماهيرى التقدمى من خلال نضاله يتسلح بواسطة صراعاته المتعددة فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمقاييس موضوعية ومعايير واقيسه تقيس فيها العدو من الصديق ، بينما كان القادة يطلقون صيحات الاحتجاج وصرخات الامال الرومانطيقية والشعارات العريضة التى تحرر فلسطين وتبنى الاشتراكية بجرة قلم . **لم يعرفوا كيف يعبئوا الجماهير ، لم تكن لهم استراتيجية عمل ، ولا قدرة على خلق بنية داخلية قوية للتنظيم .**

ان الاجابة التى قدمتها هذه القوى كانت اجابة انفعالية ضد اوضاع التخلف والتأخر والزعامات الخيانية ، وقد اعتمدت على تفكير ضبابى اقرب ما يكون الى الشعر الرومانسى الطوبائى منه الى الفكر الموضوعى الواضح ، أما الاجابة التى قدمها حزب الاستقلال الليبرالى والتى تتمثل فى وحدة عربية شاملة مبنية على أسس ديموقراطية جميع الطبقات فقد انتهى دوره بعد ان استنفد أغراضه ووسائله

والحق ان الفترة الممتدة من ٤٨ الى ٥٨ كانت فترة محتدمة شهد فيها الشعب فى العراق اندحار القيادات الليبرالية التى خاضت النضال ضد الاحتلال الاستعمارى قبل وبعد الحرب الثانية واثناء نكبة فلسطين ، ونشوء تفكير شعبى جديد وتطوير كبير فى القوى الاجتماعية ،وبزوغ متطلبات جديدة فى صعيد العمل القومى الذى حتم الوحدة العربية على اسس اشتراكية لاستكمال الوجود العربى ولاستكمال الانتصار للانسان العربى ضد الاستعمار والرجعية ، وسيطرته على موارد الانتاج وقدرته على بناء المجتمع العربى طبقا لذاتية التجربة العربية ومكتسبات العصر .

والواقع ان اللحظة التاريخية قد اكسبت الوعى الشعبى مع الايام وتطور الاحداث والظروف المحليه والعالمية فى العالم وفى الوطن العربى اعماقا وابعادا جديدة واتجاهات جديدة محددة ومعينة ، بحيث يمكن اتخاذها كمعايير موضوعية للحكم على اصالة وعمق الثورية العربية وكل عمل وفكر يتدعم فيها ،ويتبلور بعد ذلك النضال الدامى الذى خاضه الشعب مع القوى الرجعية فى **العراق** التى استطاعت ان توجد قيادات عسكرية متعاونة معها ،وتفرض ظروفا خاصة على المعسكر الوطنى ابان الحرب العالمية الثانية ــ بعد تحالف الاتحاد السوفييتى مع الحلفاء ، وتعتبر فترة حكم **نور الدين محمود ــ والايوبى ــ والجمالى ،** نقطة التحول الحاسمة فى عملية الانتقال الاجتماعى والتاريخى من الاقطاع الى الراسمالية النامية ، وقد اتفقت تلك الفترة مع التوسع الشامل والنشيط للراسمالية العالمية وبداية تحولها الى الاحتكار الواسع الشامل ، وخلال تلك الفترة ظهر عدد من المموليين الراسماليين اليهود والانجليز تناصرهم شركة : **بتروليوم عراق** «والجناح البريطانى فى شركة **ميدل است سبلاى ستر** » وعقدت عدة قروض مع الحكومات العراقية المتعاقبة ، واعطيت تسهيلات ائتمانية واسعة للراسماليين العراقيين ، وكان نشاط الانكليز فى « الاسترن بنك » يتركز فى اول الامر فى اعمال السمسرة والوساطة بين البيوت المالية الاجنبية ورئاسة الوزارة لعقد القروض والتمويل للعراقيين وتمويل العمليات التجارية» ومن اشهر العائلات المستفيدة من تلك القروض عائلات **فتاح باشا والدامرجى ، وابن الخضيرى ،وحديد ، والصابونجى والجلبى)» .**

وقد جمعت تلك الفئة ثروات طائلة استخدمتها فى انشاء شركات ومصانع ، وتطورت اعمالها تطورا ملحوظا على اثر سحب عدس لامواله من جراء حرب فلسطين وانسحاب الاموال اليهودية» روتشيلد» وشركة اسرائيل بتروليوم «التى أعطت امتيازاتها لشركة عراق بتروليوم ، وقد تأسست فى الفترة التى تلت الحرب بنوك محلية مرتبطة **بالاسترن بنك ، والبنك البريطانى للشرق الاوسط ،** وساهمت بعض الشركات والشخصيات المعروفة فيها ، وبعد تأسيس البنوك المساهمة ، تحول

عدد من المساهمين وأصحاب البنوك الى تأسيس الشركات المساهمة ، فتأسست شركات عديدة للغزل والنسيج والشفرات والصابون ومساحيق الغسيل والورق والصودا والبيرة وشركات التامين الاهلية . اما نشاط الاموال الاجنبية فقد كان ولا يزال فى مراحله الاولى ـ باستثناء حقل النفط الذى تستثمر فيه رؤوس اموال امريكية وانجليزية وفرنسية وتدر ربحا فاحشا لا يصدق .

ويمكننا ان نستخلص من هذا العرض الموجز لتحول المجتمع العراقى من المجتمع الاقطاعى الى المجتمع الاقطاعى ـ شبه الراسمالى .

اولا : ان الراسمالية فى بلادنا نشأت متاخرة عن منطق التطور التاريخي للمجتمع فى العراق ، وانها توطدت نتيجة لتحول الراسمالية ـ عالميا ـ الى مرحلة الاحتكار ،وغزو رءوس الاموال الاجنبية بلاد الشرق الاوسط والاقتصاد العراقى بوجه خاص .

ثانيا : ان البورجوازية التجارية التى تكونت فى اوائل القرن المعاصر وعايشت ثورة نجد فى سنة ١٩١٨ ـ ١٩٢٠م كانت النواة للراسمالية العراقية اضافة الى بعض المغامرين المرتبطين بالاحتكارات المالية الاجنبية، وكانوا **اداة الاستعمار** فى استغلال الشعب واستنزاف ثروات البلاد كالمغامر المالى **كالوسدكالبنكيان** ، واذا حللنا البورجوازية العراقية بعد عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٨ لوجدناها تتميز بالسمات التالية :

ـ اتحادها العضوى مع طبقة الاقطاعيين ـ تحول كبار الملاك الى راسماليين ، واستثمار الاموال المستغلة من جهد الفلاح فى الشركات الحكومية والاهلية ـ كشركة معمل الوحي ـ وفتاح باشا ، وشركة الجوت والسجاد .

ـ محاربتها للراسمالية الوطنية والمثال الصارخ لتلك الظاهرة ،هى عدم قبول اى راسمال لا يزكيه اقطاب العهد الملكى ، وهكذا تركزت الراسمالية فى شركات الغزل والبنوك بينما تركت **الصناعة** بناء على أوامر الاحتكار الاجنبى الذى يستغل السوق الوطنية باغراقها بمصنوعاته ، الا ان رؤوس الاموال الوطنية كانت تعتمد على الصناعات الخفيفة وقد استطاعت بعدئذ المساهمة فى البنوك ،ولكنها كانت تفتقر الى الجراة والتراث التجريبى، اضافة الى معاكسة الاوضاع السياسية لها فلم تنشأ صناعة وطنية وراسمالية وطنية معادية للاستعمار الا فى الحدود الدنيا .

من الكفاح الوطنى الى الكفاح الاجتماعى

(الفترة الممتدة منذ ١٩٥٨ حتى الان)

هذه الحقائق للبناء الاقتصادى للمجتمع فى العراق تنعكس ايضا على البناء الاعلى بما فى ذلك سلطة الدولة ، وهذه النتيجة حفزت الوطنيين والقوميين والديموقراطيين الى تأسيس جبهة وطنية متحدة بطريقة ايجابية اكثر اقترابا الى الطابع العملى والايجابى لمواجهة الاحداث المحلية والظروف العالمية التى اغدقت بريطانيا فيها وعودا كثيرة للعرب تمشيا مع سياستها التقليدية: اللف والدوران فى ابعد وقت ممكن ، وصولا الى : فرق تسد وحصولا على مال أكثر واستغلال اوفر باقل جهد ، وقد ارادت بريطانيا بعد عام ١٩٤١ وفشل **ثورة الكيلانى** ، تأسيس دولة كبرى او اتحاد يكون تحت الحماية البريطانية ، وكانت تفضل الوحدة الكاملة ، حتى تتمكن هذه الدولة العربية الكبرى من حماية طرق المواصلات البريطانية ، اما رغبة بريطانيا فى تقييد الدولة الجديدة بالحماية البريطانية فكان مبررها الوحيد هو ان لا تشكل هذه الدولة ـ مستقبلا ـ خطرا على طرق المواصلات نفسها. وكان مشروع **الهلال الخصيب والجامعة العربية** اللذين نشرا فى **الكتاب الازرق** سنة ١٩٤٢ ، وقد جاء فى تصريح لوزير الخارجية البريطانية **انطونى ايدن** حينذاك بتاريخ ٢٥ أيار (مايو) ـ ١٩٤١ ـ أى قبل نشر الكتاب: لما كان العرب بحاجة الى مساعدة فاننا مستعدون لمساعدتهم ونعتبر أن رغبة العرب فى تحقيق اتحادهم صادقة وانهم محقون فى هذا الامر .. ولكن نص هذا المشروع الذى نشر فى بغداد عام ١٩٤٣ بعنوان « **استقلال العرب واتحادهم** » وجد معارضة واسعة لدى الطبقات الشعبية ، وعندما فشل مشروع الاتحاد العربى **والهلال الخصيب** لمعارضة سوريا ولبنان والسعودية التى تكره الهاشميين اصدقاء بريطانيا وتغلغل النفوذ الامريكى فيها وتعارض هذا الاخير مع السياسة الانجليزية آنذاك ، وارتباطها بالمصالح الامريكية النفطية والسياسة المناقضة ـ **بدون** عداء ـ لمخططات بريطانيا الى حد ما . وبتاريخ اكتوبر عام ١٩٤٤ تم فى الاسكندرية توقيع ميثاق الجامعة العربية وقانونها ومبادئها . وقد كانت الجامعة العربية مجموعة متناقضة من الدول ، الا انها تمثل الى حد ما تطلع العرب الى اتحاد او وحدة تلم شملهم ، وقد تضمنت بنود الجامعة عدم تدخل دولة عربية فى شئون دولة عربية اخرى ، وان لا تنفرد اية دولة عربية بعقد وتوقيع اية اتفاقية مع الدول الاجنبية بدون استشارة الدول الاعضاء ، مسبقا .

ولما فشلت السياسة البريطانية في جعل الجامعة العربيه **اداة** بيدها علي الصعيد السياسي نتيجة للتناقضات السياسية والاقتصادية بين الدول الاستعمارية في الشرقين الادني والاوسط وارادة الشعب العربي وانتفاضاته المتواصلة . وتحررت الجامعة قدر استطاعتها من كابوس اهداف وزارة الخارجية البريطانية، وكثيرا ما اصطدمت الجامعة مع بريطانيا حول نفوذ ومصالح هذه الاخيرة في المنطقة . وعندما نشطت الحركات التحررية في البلاد العربية اصبحت الجامعة رغم ضعفها وهيكلها القديم ومبادئها الاولية مصدر قلق للسياسة البريطانية وقذى في عينيها ، وتمكنت **مصر** من قيادة الحركة السياسية القومية المناهضة للاستعمار والامبريالية ، فقامت بريطانيا من ناحيتها بجهود يائسة لجعل الجامعة اتحادا للبلدان العربية وبالنتيجة تبقى مصر خارجها .

وبعد ان تاكد للمستعمرين الغربيين استحالة فرض عقد اتفاقيات خاصة مع بلدان الشرق الادنى والاوسط مع قيام الجامعة ، للاستيلاء على هذه البلدان سياسيا وعسكريا لدعم الاستغلال الاقتصادي القائم — بالفعل — وتدعيمه ، تنازل المستعمرون عن فكرتهم القديمة : انشاء قيادة الشرق العربي « وعمدوا الى الدعاية لتحقيق مشروع جديد صمموه ووضعوا مخططاته ، بعد أن وسموه بالطابع المحلي ، واطلقوا عليه اسم **حلف بغداد** » وكلمة — ميدو — التي كانت اختصار الاسم MiddleEast Defen.. Organi

« Middle East Defense Organisation »

تعبر عن طبيعة حلف بغداد الاستعمارية ، وقد عارض الشعب العربي الذي سار شوطا بعيدا في طريق التحرر هذا المشروع ، وقد افتضح امر الحلف عندما اشتركت فيه بريطانيا بتاريخ ١٣ آذار (مارس) ١٩٥٥ ثم دعيت الولايات المتحدة وفرنسا للاشتراك في الحلف ، وخلال هذه الفترة كانت **مصر** تقود النضال **القومي** ضد الحلف المذكور ، وتعارض اي تدخل اجنبي في البلدان العربية مهما كان نوعه . اما امريكا وبريطانيا فقد حملتا على السياسة المصرية العربية وبحجة مقاومة صفقة الاسلحة التشيكية ، وبتاريخ ٢٧ ايلول (سبتمبر) — رد الرئيس **جمال عبد الناصر** على الشكاوى الامريكية البريطانية بقوله : ان بلادي سوف تواصل سيرها في الطريق الذي رسمته الثورة وانها يجب ان تتخلص نهائيا من نير الاستعمار وأن تضع حدا للنفوذ الاجنبي في دنيا العرب ثم حدثت بعدئذ تطورات خطيرة في المنطقة ، فقد استطاعت سوريا تشكيل حكومة معادية للاستعمار ومخططاته ، ووقع العدوان الاسرائيلي الانجلو بريطاني على مصر عام ١٩٥٦ ، واحتدمت المعركة مع الرجعية في العراق وكانت انتفاضة ١٩٥٦ تعبيرا عن سخط الشعب ضد الانجليز ونوري السعيد وهي تكملة للانتفاضات التي حدثت في عام ١٩٣٠ و ١٩٣٦، و ١٩٤٨ و ٥٢ و ٩٥٤ و ٩٥٥ .

ولم تكن القوى الوطنية والقومية في العراق في معركة **العدوان الثلاثي** بالحركة الشعبية في الصعيد الشعبي ولا في الكادر — الا انها تستقطب الكثير من طبقات الشعب بدون تنظيم — فالاحزاب والحركات والمنظمات السياسية لا زالت تقودها البورجوازية الصغيرة لكنها في نفس الوقت ومن زاوية التناقض عبارة عن وجهين مختلفين .فالقاعدة الشعبية لها تطلعات تختلف عن قياداتها . ومن هنا منشا التباين في نية الحركة الوطنية القومية في **العراق** الذي اعطى نتائج مؤسفة بعدئذ . اما عن البورجوازية الوطنية التي لم ترتبط بالقروض والبنوك الاستعمارية ، فان انتفاضة ١٩٥٦ ضد حلف بغداد والعدوان الثلاثي على مصر ، قدمت الدليل على الطبيعة المترددة لهذه الطبقة ، ففي ظروف الكفاح الوطني يمكن ان تشارك البورجوازية الوطنية الشعب ثورته وتنحاز اليه كما حدث في الفترة الاولى من تاريخ دولة العراق ، الا ان خمسينات القرن الحاضر كشفت عن تذبذبها وخيانتها واستسلامها للحكومة التي تمثل تحالف الاقطاع والاستعمار .

وغني عن القول : ان الجيش الذي تقوده الطبقة الوسطى كان يتجاوب مع الشعب ، جنبا الى جنب مع معاداة بعض القادة اليمينيين فيه للشعب بسبب ارتباطهم مع الرجعية الحاكمة ، الا أن تجاوبه لم يكن واضح الهوية والمضمون، فالاحزاب الليبرالية منها ، والديموقراطية والقومية والاشتراكية والشيوعية تحظى بتأييده شأنه في ذلك شأن كل جيش تنتمي قياداته الى الطبقات القريبة من الطبقة العليا وتدور في افكار قادته افكار مبهمة وغامضة ومضببة عن الوطنية والقومية ، وهكذا عندما اندلعت ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ واصطدم الجيش بالواقع الصلب للمجتمع واخذت قياداته تنشق على نفسها تبعا لانتماءاتها الطبقية واهوائها السياسية التي تعبر عن ارتباطات تحتية موضوعية وتكوينها البيروقراطي او العسكري ، فحدث خلال الفترة الممتدة من ١٩٥٨ الى ١٩٦٣ تطاحن مرير بين الاحزاب السياسية المحلية ، ففي الوقت الذي كان ينبغي فيه تطوير الثورة وتكوين جبهة متحدة ضد الاستعمار والرجعية ، اضحت الاحزاب تتجاوز الواقع الاقتصادي والسياسي والقومي للقطر العراقي ، وقد احتدمت معركة ضارية وقتذاك واعقب ذلك ظهور انشقاقات حاسمة في الجبهة الوطنية حيث اخذت بعض الاحزاب طابعا اقليميا واخرى طابعا قوميا ، وقد احتضنها حزب ليبرالي موال لليبرالية الديموقراطية هو: **الحزب الوطني الديموقراطي** .

وقد حاول **الحزب الشيوعي** ان يطبق الجدلية التاريخية التي يعتبرها اسلوبا حتميا لفهم العالم على الواقع الاجتماعي في العــراق دون مراعاة نسبية الظواهر الاجتماعية وخصائص الظـروف السياسية والاجتماعية ، اضافة الى قسر الواقع على الخضوع لتفسيرات ميكانيكية بعيدة عن روح التفاعل الجدلي الحقيقي المتصـف بالاستيعـاب والمرونة وفهم جزئيات الواقع وتنـوع ابعـادها ومؤدياتها في مجتمع القطر العراقي ، وقد ظـل النهج الجدلي مرتبطا بفكرة الاسراف في الحتمية او الحتمية المطلقة ، الامر الذي انتج مشـــاكل وحلقات اجتماعية واقعه تحت تصـــور مغلوط او متجاوز لذاته ، وبالضرورة فقد دخلت هــذه الامور المتصورة بصـــورة معكوســة على **قشرة** المجتمع دون ان نمس التناقضات الاساسية فيه ، وبقيت العلاقات الطبقية على ما كانت عليــه في ذات الوقت الذي كانت فيــه اعداد من قيــادة الحزب المذكور من البورجوازية الوســطى التي تملك العقارات والضياع الى جانب احتوانها على اجنحة يسارية ذات عقلية سياسية **مغامره** تؤمن بالفعل المحض وتبغي زرع النبتــة دون مراعاة الموسم والمناخ والبيئــة .

اما **حزب البعث** فقد كان حزبا قوميا يحمــل افكارا قومية ، الا ان خطـأ تلك الافـكار كانت تعتمد على الاخلاق ومثالية الذات والفكرة دون أن تبحث عن قوانين الواقع وأسس تحـركاته ، وهكذا لم تكن لهذا الحزب استراتيجية عمــل ، او بنية تنظيمية واطارات تعتمد على العمل كأساس لتحرك المناضلين ، ومع ذلك استطاع ان يستغل اخطاء الشيوعيين ويبني شخصية اعضائه من قشرة انفصالية محضة شكلت لديهم نزعة فاشية دعمتها مفاهيم الطليعة لدى الحزب ، وظروف العــراق الحادة المتوترة والافـكار الحالمة ذات النــزعات الطوباوية التي تتيح المجال لبروز الامزجة الذاتية بشكل عنيف يطغى على علمية المنهج ــ ان وجد ــ وهذا الحزب يتكون من الطبقة الوسطى وبعض الملاك والطلبة ، وقليل من العمال والمثقفين الذين يتسمون بنزعات الشرود والتردد وعدم الثبات والاستقرار الذاتي ، وسهولة انتقالهم من موقع الى موقع ، وبالتالي انشغالهم بالفعالية والحركة . ولم تكن الاحزاب الاخرى تخلو بالطبع من امثال هذه النماذج ، فالكثير من العدميين الذين يحبون ويستسيغون الافعال المحضة في داخل الاحـزاب وقياداتها . ومن هذه الزاوية يمكننا فهم **العنف** الذي حدث في تلك الفترة ، اضافة الى عدم وجود **الاصالة** في الايمان والسلوك الاخلاقي **وتشـابك الاخلاقيات البورجوازية والثـورية والتطلعـات الطبقية ، والانشغال بالكسب الكمي دون النوعي ،** وعدم وجود مخططات واضحة لمقاومة الاستعمار والرجعية ، والتعـلق بالحتميـات ، فالحـزب الشيوعي كانت اخطاؤه ناتجة من سوء تطبيـق الحتمية التاريخية ، اما البعث فقد كانت اخطاؤه نتيجة لرد الفعل ضـد الشـيوعيين والتربيـة الحزبية ذات النزعة الاستعلائية في رهوطه وتراثه الفكري التهويمي الذى انتجته ظروف التجـزئة والتخلف التي وصلت اليها الامة العربية بعـد الحرب العالمية الاولى . ومفهومه الفاشي للطليعة ، وتركيب البنية الداخليـة لتنظيماته التي كانت تعج بالعديد من التناقضات الذاتية والنفسـية والطبقية .

كان الاثنان يعملان في **المنطقـة الخارجيـة** ويتصارعان على **الكسب** ، اما الاعماق الجوهرية في المجتمع والمقومات الاساسية للواقــع فقـد تحركت وأنتجت ردود فعل ضد كلا الحـزبين ، وعمم الحكم على الجوانب الايجابية في التفـكير الشيوعي والبعثي حتما .. ومأساة كلا الحزبين تنبع كما ذكرنا من تصـورهما المغلوط لظـروف المجتمع وسيطرة قيادات يمينية وأجنحة يسارية مراهقة ذات تفكير **مغامر** يميل الى تفجير الازمات دون ما مبرر او داع اليهما ، ومن هنـا لا يمـكن اعادة الحزبين الى جادة النضال الثورى الاصيل الا بمراجعة مواقفهما السابقة **وغـربلة** التفـكير الذى رانت عليه الكثير من التطورات واعادة النظر بالتطور القومي الذى حتم ازدواج الثورة الوطنية التي تقودها الطبقات الفقيرة مع التطور الاشتراكي الذى تخطى مرحلة البورجوازية ، وفك الارتباط بسياسة الدول المنضوية في التكتل الايديولوجي **والمغالاة** في الاعتماد عليها ، مع الانفتاح على الاخرين من احزاب وحركات اخرى في عملية جادة لرصد جميع الامكانيات الايجابية في المعركة ، والابتعاد عن التقوقع والتكلس **الوحداني** على النفس الذى يجعل القوى المعادية للثورة اكثر قدرة على التحرك وضرب الاحزاب الثورية بعضها بعضا .

وعندما اتسعت دائرة الارهاب عام ١٩٦٣ التي قادها حزب البعث والتي كانت تدور في **الفعالية المحضة** ــ اى الحركة من اجل الحركة دون عمل اجتماعي وتاريخي خلاق .. كشفت الاحـداث عدم اصالة الحلول والتفسيرات وسوء تطبيقهـا في تلك الفترة ، وابرزت التنـاقض المخيف بين الشعار المجرد ومؤديات الواقع .

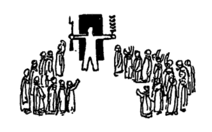
واذا كنا نتخذ من هذا المعيار اساســا لفهـم تلك المرحلة فليس معنى هذا اهمال المعايير الاخرى التي تستلزمها التحليلات **الحقيقيـة الجدليـة التاريخية** والواقع القومي العربي والمتناقضـات الاجتماعية في كل قطر ومجتمع من المجتمعـات العربية ، فبحكم التطورات اصبح تفـكير البعث متخلفا عن تطور التطلعات العربية والفكر الثورى المستـوعب لقضـايا العـالم وفعالية اصطراع المتناقضـات في كل اقليم من اقاليم العـرب ،

وأصبحت القضية الكبرى لديه ان يحـكم .. وهكذا تحولت بنيته الداخلية النفسية وتأقلمت فى ردود الفعل الوافدة عليها من الخارج ،فأصبح القشر لديه هو الجوهر ، وهـذا ما يفسر **مغالاته** فى الشعارات التقدمية وعدم قدرته على اعطاء فكر اجتماعى وقومى واشتراكى واضح ، وليس ادل على ذلك ، تمسكه باطار الفكر النهويمى القديم الذى انتجته اقلام الفلاسفة الفيبيين مع زيادة الزخم (المد) الشعارى فيها وتأطيرها باطر وزخارف **لفظية** جديدة .

أما التناقض الحاصل فى **الحزب الشيوعى العراقى** ، فهو اسرافه فى النظرية كما قلنا ، وعدم ارتباطه بخصوصية التجربة العربية الاشتراكية وتأثره بالتراث الصراعى بين الاحزاب العراقيــة فى فترة ١٩٥٨/١٩٦٣ .

ان قوى الثورة العربية على مستوى التحــرر الوطنى والنضال الطبقى ليست منفصلة بأى حال عن بعضها، وانما هى كل واحد لا يتجزأ فى حركته، وبحكم مسار التاريخ فأن تجارب القطر العراقى تصب فى التجربة المتنوعة الاجزاء والواحدة الاطار والمحتوى للشعب العربى ، فالتحرر من الاقطاع والاستعمار والرجعية والاستغلال الرأسمالى يحقق الاتجاه الاشتراكى والقومى بالحتم والضرورة للاقطار ، كما ان الاحزاب والحركات العربيــة تتحرك داخل هذا الاطار وتتفاعل مع هذا الواقع طبقا لتنوع اساليبها ووحدة اهدافها . والمرونة فى الاسلوب والجسارة فى المواجهة والنقد الذاتى العلمى كفيل بتقويم كل انحراف وفهمه واكتشاف الوسائل الكفيلة بدرئه واكتساب وسائط جديدة اكثر تطورا منه .. ان الاصالة العربية اكدت ان **الذات العربية** بعد تجربة الوحدة بين مصر وسوريا واخفاق الاتحاد القومى قد اكتشفت ان الوحـدة خرجت من نطاق الامال الطوبائية ودخلت مجـال المتناقضات الاجتماعية ، ولهذا لابد من تطـور جديد فى الوسيلة والتحليل الفكرى كيما تـكون التطبيقات ممكنة ـ موضوعيا ـ ومن هنا يجب أن تمارس الاحزاب العربية الثورية مسئوليتها داخل كل قطر على قاعدة الضـغط السياسى والتحويل الاجتماعى للقوى المناهضة للوحدة التى هى الاســاس التـاريخى للانتاج الاشـتراكى العريض ، كما يجب على الاحـزاب والحـركات الثورية عدم الانسياق وراء شطحات يســارية طفيلية او الانسياق خلف قيادات يمينية تقـوم وتتحرك داخل ذاتها،وتعميق الانفتاح على بعضها فى محاولة لتوحيد العمل الوطنى والقومى وفق منهاج علمى ومفاهيم اشتراكية وغايات قوميــة وأساليب قادرة على الحركة فى السلب والايجاب. وعن هذه الحقيقة الموضوعية تصدر الارادة الثورية فى تكون « **البنية** » **الشخصية لتلك الاحـزاب** ، من خلال فعاليتها فى المجتمع ، وهذا شىء يجب أن يكون برؤية موضوعية وبعمل ايجابى يتخطى كل معوقات الماضى والصراعات الجانبية وتشعبات القديم .

فى كل فترة تاريخية انتقالية تنتج الارتباطات السببية فى المجتمـع حلولا فـكرية وسياسيــة تنسحب وتصلح لمرحلة معينة،واذا كانت العلاقات السببية انتجت حركات عدة فى عشرينات هـذا القرن بالنسبة للعرب فلان تلك العلاقات فى اجوبتها اصيلة الى ابعد حد ـ رغم فشلها ـ اما الثورات والحركات التى حمل لواءها الرعيل الذى عاصر الحرب العالمية الثانية ونـكبة فلسطـين حتى الخمسينات فقد اخذت كل نماذجها ومعطياتها من ظروف المجتمع العربى الاقطـاعى ـ شبـه البورجوازى ، وهكذا اصبحت الثورة العربيــة بعدئذ تتحرك داخل الطبقات المستغلة الـكادحة واخذت الوحدة تطرح قيادة البورجوازية جانبـا وتحاربها فى محاولة لاقصائها وسـحقها نهائيا ، الا ان الثورة العربية تصطدم الان بضراوة الاعداء والصراعات الدائرة بين الثوريين وتشابك القيادات الثورية والبورجوازية الصغيرة ، والانزلاق الى اســاليب العنف الدموى ، والارتبـاط بالاجنبى واستلهام سياسته الايديولوجية كلية .. وهناك العديد من العوائق والصعاب . الا ان استمرار الانفتاح وامتداد الوعى الثورى والتجارب الثورية ومحصلتها سلبا وايجابا جعلت الطـريق أمـام **وحدة اليسار العربى ممكنة** ، تحتمهــا وحـدة المصير والتاريخ والمنهج العلمى ، والبدء يكون فى الاعتراف بمبدأ الشروع فى الالتقاء الثـورى بين الاحزاب والحركات لتجسيـد وحـدتها التـامة والمطلقة فى القريب العاجل .



الثورة الإفريقية بعد انقلاب غانا

دافيد ديبوا

تؤكد الاحداث الاخيرة في افريقيا ، أن الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، شرعوا فى شن هجوم مسلح جديد ضد شعوب القارة بهدف استعادة نفوذهم . ويشن هذا الهجوم الجديد اليوم ، فى مواجهة الاصرار المتزايد لدى شعوب افريقيا من أجل تحقيق وحدة القارة . كما يشن فى وقت يشتد فيه ساعد المعارضة الشعبية ضد التسلط الاستعمارى والحكام المزيفين ، فى وقت يزداد فيه عدد المناضلين الذين يدينون بالولاء لقارتهم وعدد القادة التقدميين الذين يستلهمون مثل الرئيس كوامى نكروما والرئيس جمال عبد الناصر .

وتشن الامبريالية هجومها الجديد هذا ، لانها تدرك أنه اذا أعطيت الفرصة للقاعدة الشعبية أن تتسع لتشمل القارة كلها ، وان تنظم هذه القاعدة فسوف يؤدى ذلك الى الهزيمة الاخيرة للامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد . ويعرف الامبرياليون أن « أفريقيا الموحدة » لن تكون تهديدا لوجودهم فحسب ، وانما سيكون فيها تقرير مصيرهم النهائي أيضا . كما يعرفون أن أفريقيا الموحدة المستقلة استقلالا حقيقيا ، سوف تحرمهم من مصدر عظيم للثروة وسند كبير لاستقرارهم . ويدركون أيضا أن افريقيا الموحدة سوف تضعف بشكل خطير من قدرتهم على الاستمرار فى رشوة جماهير الكادحين فى بلادهم وشراء سكوتهم ، مما يؤدى الى انهيار نظامهم من الداخل .

ان انقلاب غانا الذى تم بتمرد فى الجيش والبوليس ، والاصرار على عزل الرئيس كوامى نكروما ، وحل حزب الميثاق الشعبى والمنظمات الجماهيرية الشعبية ، يمثل أعنف ضربة وجهت الى الثورة الافريقية منذ الردة التى دبرتها الامبريالية فى الكونجو ومقتل باتريس لومومبا . بل أن انقلاب غانا يغطى على الردة فى الكونجو ، لانه يمثل أكثر محاولات الاستعمار استماتة من أجل ايقاف مسيرة الثورة الافريقية منذ بدايتها المنتصرة من ١٤ عام مضت بالانتصار التاريخى لثورة ٢٣ يوليو فى مصر .

لقد أصابت الحركة التى دبرها الامبرياليون فى الجيش والبوليس الغانى قلب الثورة الافريقية ومصدر الهامها . ونالت من آمال شعوب أفريقيا فى حرية واستقلال حقيقيين ومستقبل تسوده

دافيد ديبوا من مواليد الولايات المتحدة الامريكية من الزنوج ، الا انه غادرها الى افريقيا — بلا عودة — عام ١٩٥٩ . وحصل على جنسية غانا عام ١٩٦٣ . وعندما وقع الانقلاب الرجعى فى غانا ، كان ديبوا فى القاهرة يعد لاصدار طبعة عربية من « المجلة الافريقية » الشهرية الغانية ، وهى التى اغلقتها سلطات الانقلاب واحرقتها فى شوارع اكرا .

ويعد والده الدكتور ديبوا الاب الروحى للوحدة الافريقية وتوفى عام ١٩٦٣ فى اكرا اثناء اعداده لاصدار اول موسوعة افريقية .

الاشتراكية والسلام والاخوة والرخاء فى أرجاء القارة .

ويتوقف مستقبل افريقيا الحرة المستقلة ، على تقويض وتدمير نظام « انكراه » الامبريالى فى غانا ، واعادة السلطة الشعبية لقائدها الحقيقى ومعلمها وموجهها الدكتور كوامى نكروما وحزب الميثاق الشعبى . وتلك هى المهمة العاجلة والمباشرة والاساسية التى يتحمل شعب غانا مسئوليتها . وهى ايضا مسئولية كل القوى الثورية والتقدميه والمناضلة فى قارة افريقيا . واذا لم تدرك القارة هذه الحقيقة ، وتناضل من أجلها ، وتضعها موضع التنفيذ بلا تردد ، من القاهرة الى الكاب ومن مدغشقر الى مراكش ، فان استقلالافريقيا وحريتهااستصاباً فىالصميم. واذا لم ينظر الى هذه المهمة باعتبارها المسئولية المباشرة ، فان كل دولة افريقية مستقلة اختارت طريق الاشتراكيه والحكم الشعبى ، ستصبح مهددة بمصير مشابه لذلك الذى حدث فى غانا . ولسوف يؤثر ذلك بالتالى على كفاح شعبجنوب افريقيا فى صراعه من أجل التحرر الوطنى . وستعود افريقيا مرة ثانية أداة طيعة فى يد الاستعمار . وتعود مرة أخرى المصدر الرئيسى للمواد الخام والطاقة البشرية التى يستمد منها الجناح الاكثر رجعية فى العالم الامبريالى ، امكانياته ونصميمه لمحاولة القضاء على العالم الاشتراكى .

ويجب الا ننظر لانقلاب غانا باعتباره مجرد محاولة من جانب الامبريالية ، لاستعادة قبضتها على القاره الافريقية . بل يجب ان ينظر اليه كخطوة حاسمة قامت بها الامبرياليه لاسكات صوت الرئيس كوامى نكروما وتحطيم نفوذه باعتباره واحدا من أكثر القادة الافريقيين تحررا ومن اكثرهم تعبيرا عن ارادة افريقيا فى مناهضة الامبرياليه والاستعمار والاستعمار الجديد . وباعتباره رمزا للشخصية الافريقية ومن أشد المدافعين عن الوحدة الافريقية اصرارا .

ولهذا ، تحركت الامبريالية لتحطيم نموذج من اعظم النماذج اشراقا للبناء الاشتراكى والاستقلال الحقيقى والاقتصاد المزدهر الذى جعل غانا انجح البلاد الافريقية جنوبي الصحراء وأكثرها تحقيقا لشخصيتها الافريقية .

حكومة أفريقية واحدة

هكذا ، حاولت الامبريالية درء أكثر الاخطار التى تواجهها فى القارة ، الا وهى فكرة خلقحكومة افريقية واحدة . هذه الفكرة التى كان يحمل لواء الدعوة لها الرئيس نكروما . وقد تحركت الامبريالية بقصد ايقاف انتشار هذه الفكرة التى أثرت خيال وايمان شعوب افريقيا كلها واصبحت مطلبا شعبيا جماهيريا .

ورغم الجهود المتعددة التى بذلها الامبرياليون وعملاؤهم للسخرية من الرئيس نكروما والتقليل من شانه والتشكيك فى دفاعه العنيد عن فكرة اقامة حكومة افريقية واحدة ، الا ان جماهير القارة تزداد اصرارا على دعوة نكروما ،باعتبارها الضمان الوحيد ضد هجوم الامبرياليين ومن اجل صيانة المكاسب التى حصلت عليها خلال العقدين الماضيين . ومن اجل قيام افريقيا المستقلة المتحررة . وقد ارتفعت اصوات قوية من بين قادة الحكومات والحركات الشعبية فى القارة تعبر عن هذا الاحساس الجماهيرى . وتحتل مشكله حكومه افريقيه واحده مكان الصدارة فى الصراعات السياسية الدائرة فى داخل كثير من البلاد الافريقية .

والا ، كيف نفسر موافقة ١٨ دولة افريقية مستقلة على الاقتراح الذى تقدم به نكروما لمؤتمر اكرا فى أكتوبر الماضى لاقامة حكومة افريقية موحدة ؟ ورغم أن كثيرا من القادة الذين صوتوا على هذا الاقتراح بالموافقة، كان موقفهمالشخصى معارضا له ، الا انهم كانوا على يقين من انهم سيعجزون عن الدفاع عن وجهة نظرهم الخاصة أمام شعوبهم . . كماكانوا علىيقينمن انمستقبلهم كقاده سيتزعزع ان هم رفضوا تأييد اقتراح يعد خطوة اولى ــ وان تكن خطوة هامة ــ فى سبيل تكوين حكومة افريقية واحدة على نطاق القارة . فهم يعرفون موقف شعوبهم من هذه القضية . كما يعرفون قيمة ما ستقوم به المعارضة التقدمية فى بلادهم اذا هم عارضوا هذا الاقتراح . فقد كانوا يعرفون أن التصويت بالرفض يعنى انهم يوقعون وثيقة ابعادهم عن مناصبهم .

وهكذا ادرك الامبرياليون ان الدعوة لاقامة حكومة افريقية موحدة، قد أصبحت مطلبا شعبيا فى القارة كلها . وبينما كانت وسائل اعلامهمتذيع على العالم كله من أن كوامى نكروما وبعض المتعصبين من مؤيديه هم فقط الذين يطالبون بحكومة افريقية متحدة،كان عملاؤهمومأجوروهم المنتشرون فى انحاء القارة بين البعثات الطبية والتعليمية والمعونات الفنية ووحدات السلام والبعثات التبشيرية ..الخ ــ كان هؤلاء العملاء يبعثون بالتقارير يقولون فيها الحقيقة لرؤسائهم فى وشنطن ونيويورك ولندن وباريس وبون : ان جمهرة الافريقيين تؤيد فكرة اقامة حكومةافريقية متحدة وتدين أولئك القادة الذين يختلقونالمعاذير لتأجيل تنفيذ هذه الفكرة .

وفى ٢٥ مايو ١٩٦٣ فى مؤتمر اديس أبابا عندما وافق بالاجماع على ميثاق الوحدة الافريقية

رؤساء دول وحكومات ٣٢ دولة افريقية مستقلة، أصيب الامبرياليون بالدهشة والفزع . ويعد هذا الاجماع الذى وصل اليه المؤتمر - رغم الجهود المضادة - نصرا حاسما للرئيس كوامى نكروما ولقادة افريقيا التقدميين وللقوى الشعبية فى القارة . وكان هذا الاجماع ، فى نفس الوقت، هزيمة ساحقة للامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد .

واذ لمح الامبرياليون اشارات الخطر تتهدد أهدافهم لاعادة استعباد شعوب افريقيا ،سارعوا الى بذر بذور الفرقة بين اعضاء منظمة الوحدة الافريقية . وكان المناضلون من اجل الثورة الافريقية على وعى بهذا الخطر منذ توقيع اتفاقية تاسيس منظمة الوحدة . وحذروا الدول الاعضاء من أن التفرقة ستكون تاكتيك الامبرياليين الجديد . وان نظرة عابرة الى نتائج اجتماع وزراء خارجية المنظمة الذى عقد أخيرا فى أديس أبابا فى نهاية فبراير الماضى ، والذى انسحب منه ثمانية أعضاء ، توضح الى اى حد أصبحت المنظمة - بعد ثلاث سنوات من تكوينها - أداة للامبريالية وعملائها لتخريب واعاقة الثورة الافريقية . ولنسأل قادة منظمات « المدافعين عن الحرية » المنتشرة فى جنوب افريقيا : كيف أن لجنة التحرير التابعة للمنظمة ، والتى انشئت من اجل مساعدة كفاحهم ، عملت فى الواقع على تخريب جهودهم لتنمية الكفاح الثورى لشعب جنوب أفريقيا . وان المرء لا يكاد يصدق ما يحكيه هؤلاء القادة ، عن نشاط لجنة التحرير التابعة لمنظمة الوحدة : وهى التى استقبلت عند مولدها بالفرح والثقة فى قدرتها على تنفيذ أهدافها النبيلة .

واذا كان المؤتمر التاسيسى لمنظمة الوحدة الافريقية فى اديس ابابا ، قد افزع الامبرياليين وادهشهم ، فان موافقة الدول الافريقية الثمانية عشر فى أكتوبر الماضى فى اكرا - بعد ثلاث سنوات من تاسيس المنظمة - صدم العدو الرئيسى لحرية أفريقيا واغضبه . ورغم أن الاصوات الثمانية عشر لم تشكل الاغلبية المطلوبة ، الا انها كانت تمثل اتجاها نحو وضع مشروع نكروما موضع التنفيذ ، الامر الذى يعد خطرا على الامبريالية . ولم تكن الامبريالية بمتغافلة عن حقيقة انه فى داخل اروقة مؤتمر اكرا وردهاته ، وبين صفوف المراقبين والصحفيين ، كان هناك شبه يقين بأن هذا الاقتراح سينال الاغلبية فى بحر سنوات قليلة قادمة ،لتبدأ أولى خطوات اقامة الحكومة الافريقية المتحدة .

ومما يذكر أن الرئيس كوامى نكروما ، وهو رئيس الدولة المضيفة لمؤتمر القمة فى اكرا ، كان من المقرر أن يكون رئيسا لمنظمة الوحدة حتى موعد انعقاد مؤتمر القمة التالى فى سبتمبر ١٩٦٦ فى اديس ابابا . ولا يشك احد فى ان نكروما كان سيستخدم كل سلطاته ونفوذه كرئيس للمنظمة فى هذه الفترة ، لكى يعمل مؤتمر ١٩٦٦ على تنفيذ اقتراحه بتكوين لجنة تنفيذية تمهد لانشاء حكومة متحدة فى افريقيا. وكان نكروما قد أسر لاصدقائه بانه واثق من النجاح . ولا يشك فى قدرة نكروما على تنفيذ رسالته الا القليل .

فى هذا الاطار يمكن رؤية الدوافع التى تكمن وراء تمرد الجيش والبوليس الذى وقع فى غانا بعد أربعة شهور فقط من انعقاد مؤتمر القمة فى أكرا . وفى هذا الاطار أيضا يجب أن ننظر الى الانقلابات العسكرية الاربعة التى سبقت انقلاب غانا ، واعقبت انتهاء مؤتمر اكرا، والتى وقعت فى: داهومى وفولتا العليا وجمهورية وسط افريقيا ونيجيريا . انها تحركات عسكرية تتم للتعجيل بالقضاء على الثورات الشعبية ذات القيادات التقدمية التى تناهض القادة المزيفين الذين يفرشون الارض ترحيبا بمقدم المستعمرين الجدد.

ان مخططى السياسة الامبريالية للشئون الافريقية ، فى وشنطن ولندن وبون ومكاتب حلف الاطلنطى فى باريس ، يدركون جيدا ان افريقيا المتحدة الاشتراكية سوف تعوق استراتيجيتهم العالمية التى يهدفون من ورائها فى النهاية الى عزل وتدمير العالم الاشتراكى، والى استعادة سيطرتهم الكاملة بدون منازع على الموارد المادية والبشرية لافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

الهجوم المضاد وطريق العودة

وتعانى الامبريالية خسائر فى جبهات عديدة جنوب شرقى آسيا ، فيتنام ، الشرق الاوسط ، الكاريبى ، وأخيرا فانها تعانى خسائر بين صفوفها نجمت عن موقف الرئيس الفرنسى شارل ديجول. وقد عقد الامبرياليون العزم على الا يفقدوا شيئا فى أفريقيا . وهم يستفيدون من الاحتياجات المادية والفنية لبلاد أفريقيا المستقلة حديثا ،لكى ينتزعوا لانفسهم موضعا وطريقا للعودة . كما يستفيدون من حداثة حكام أفريقيا وقلة خبرتهم ليؤلبوا الشخصيات او المجموعات السياسية بعضها ضد بعض . كما يستفيدون من حماس الشعوب الافريقية المستقلة حديثا للترحيب بالاجانب (الجدد) كأصدقاء واخوة فى البشرية ـ يستفيدون من هذا ليتسللوا الى كل أركان الحياة الافريقية ولينشروا سمومهم المعادية للاشتراكية والموالية للاستعمار بين الجماهير الافريقية الطيبة وغير المسلحة ايديولوجيا .

ويبتسم الامبرياليون فى وجه جمال عبد الناصر ومعاونيه المقربين ، بينما يتقدم مبعوثوهم مدعين

أن لديهم أدلة قاطعة على أن كوامى نكروما يعمل ضد مصر وافريقيا العربية . وفى نفس الوقت يبتسمون فى اكرا فى وجه كوامى نكروما ومعاونيه المقربين ، بينما يتقدم مبعوثوهم مدعين ان لديهم أدلة قاطعة على أن جمال عبد الناصر يعمل ضد غانا وافريقيا العربية .

ان الاسلوب الذى اختاره الامبرياليون فى هجماتهم الجديدة ضد شعوب افريقيا ، هو القوة العسكرية، يستخدمها عملاؤهم المأجورون. ولقد كسبت الامبريالية اولى معارك هذا الهجوم الجديد. وما زال الصراع المسلح المفتوح والمستمر الى النهاية فى مراحله الاولى . ولم يعد امام شعوب افريقيا سوى ان تقبل التحدى وتواجه العدو بأسلحتها الخاصة .

لقد واجه احمد سيكوتورى رئيس غينيا التحدى بايمان كامل بهذه القضية . وبفضل ما تجلى به من شجاعة وحكمة وايمان عميق بتفانى الشعوب من أجل الثورة الافريقية ، تمكن الرئيس سيكوتورى من ضرب هدف الامبريالية الاول من وراء (انقلاب) غانا وهو اسكات صوت الدكتور كوامى نكروما وتحطيم نفوذه بصفته الروح الملهمة لثورة افريقيا ووحدتها .

ان صمود الرئيس سيكوتورى فى وجه ابشع حملات التشهير والتهجم والتهديد الشرير من جانب الغرب ، قد دفع كوامى نكروما الى مركز القيادة الحقيقية الفعالة التى لا يقف فى وجهها شىء ، لجماهير افريقية تمتد على طول القارة ولجيش لم ينظم بعد من ثوار افريقيا ومناضليها وتقدمييها الذين كرسوا حياتهم من اجل الهزيمة التامة لكل أشكال الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد فى كل بقعة من ارض القارة وجزرها ومياهها ولتحقيق وحدة افريقيا .

ان الخطوة التى اتخذها الرئيس سيكوتورى هى اشارة البدء لخلق جيش ثورى يمتد على طول القارة ينتظم فيه المناضلون والتقدميون على المستوى الشعبى والحكومى ، وهدفهم الاول والعاجل هو القضاء على نظام انكراه الذى اقامته الامبريالية فى غانا لاستعادة السلطة الشعبية الثورية متمثلة فى قائدها ومعلمها الدكتور كوامى نكروما وحزب الميثاق الشعبى .

ان خلق اداة شعبية للنضال الثورى على نطاق القارة كلها لمواجهة هذا الهجوم الامبريالى الجديد ولكسب حرية واستقلال حقيقيين لافريقيا ، لهو الضمان الوحيد لتحقيق الهدف النهائى : وهو اقامة حكومة موحدة لا تقهر لكل افريقيا .

يجب الا ننظر ببساطة الى وحدة القارة الافريقية ، كهدف يتحقق فى مستقبل بعيد غير منظور . بل ينبغى النظر اليها باعتبارها وسيلة تحقيق سيادة الشعوب الافريقية وكرامتها وسيلة للقضاء نهائيا على الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، كدعوة لشعوب القارة لان تترجم ايمانها بالوحدة الى عمل ثورى .. فى الحال .

دروس النكسة

ومن الخطأ ان نعتقد أن الوحدة الافريقية يمكن أن تتم من اعلى ، او ان تتحقق على الورق ، او أنها وثيقة مكتوبة بخط جميل ، او انها مجموعة من الوثائق يعد فيها القادة الافريقيون بالتمسك بمبادىء التعاون وعدم التدخل فى شئون الاخرين والتمسك بالمصالح المشتركة .

انما تصاغ الوحدة الافريقية فى بوتقة نضال الشعوب نفسها ضد عدوها المشترك ، ومهما كانت الخلافات والمخاوف والظنون والشكوك الموجوده بين شعوب القارة ، فهناك قضية مشتركة تربطهم فى معركتهم ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، سيقفون جنبا الى جنب من الصفوف الاولى للمعركة .

ما هى الدروس الهامة التى يمكن تعلمها من الانتكاسة التى وقعت فى غانا ؟ .

ـ ان الامبريالية مصممة على ضرب مسيرة افريقيا نحو تنظيم اقتصاديات البلاد المستقلة على اسس اشتراكية ، وسوف تستخدم كل الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الهدف .

وتهدف الامبريالية الى القضاء على كل زعيم افريقى يقود بلاده على طريق الاشتراكية ويناضل فى بلاده من اجل رفاهية العمال والفلاحين ،ورفع مستواهم السياسى والثقافى . وبينما يتكلم الامبرياليون عن الصداقة والمعونة والتعاون مع هذه البلاد الحديثة الاستقلال ، يبذل عملاؤهم جهودا محمومة فى الداخل والخارج لتحطيم الاتجاه نحو الاشتراكية والقضاء على قياداتها المستقلة المناضلة وتنصيب قيادات خاضعة للاستعمار .

ولهذا فان الاهتمام بحماية تراث الماضى وتحقيق مستقبل اشتراكى للشعب ، يقتضى من قادة الدول الافريقية التقدميين أن يشددوا من يقظتهم لمواجهة مؤامرات الامبرياليين ، وان يحذروا من بعثات الدول الامبريالية التى تدخل البلاد تحت اسم « المعونة والمساعدة » . وعليهم أن يراقبوا نشاط هذه البعثات بشكل حاسم ، ويحذروا المواطنين فى بلادهم من هذه العناصر بشكل دائم، وان يتخذوا كل الاحتياطات لمنعها من نشر الاشاعات

والافكار المناهضة للاشتراكية . كما يجب منع هذه العناصر باكاذيبها المعادية للاشتراكية من الوصول الى شباب هذه البلاد ، والحذر من اتصالها بالشخصيات التى تتولى مناصب هامة فى الهيئات والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، للتأثير عليها. ويجب اتخاذ اجراءات عنيفة ضد المواطنين الذين يتجاهلون هذه التحذيرات، وأن يلقى عقابا صارماكل من ينكشف امره كعميل للامبريالية او ضالع فى نشاط يعمل على تقويض مسار الدولة الاشتراكى .

كانت اليقظة الثورية فى كل مجالات الدولة فى غانا قد تحللت، وتركزت فقط حول شخصية الزعيم الدكتور نكروما فى مواجهة المحاولات المتعددة السابقة للاعتداء على حياته . وهكذا ، وعلى نطاق واسع ، ترك الشعب بلا سلاح او حماية ضد عملاء الامبريالية المنبثين بينهم . ورغم ان نشاط عملاء الامبريالية المخرب ، كان معروفا جيدا فى غانا ، الا أنه لم تتخذ الاجراءات الكافية لمنع هذا النشاط ومراقبته .

ــ لا تستطيع البلاد التى تبنى الاشتراكية أن تعتمد على ولاء قيادة الجيش أو البوليس التى تلقت تدريبها على ايدى القوى الاستعمارية اذ ان دور الجيش ووظيفته تختلف تماما فى المجتمع الاشتراكى ، عنه فى المجتمع الراسمالى . فوظيفته الاولى فى المجتمع الراسمالى ، حماية مصالح الراسمالية ضد اى تهديد لها فى الداخل أو الخارج . ووظيفته فى المجتمع الاشتراكى ، حماية مصالح الشعب من المستغلين . ومن المستحيل أن نتوقع من العسكريين الذين تدربوا على أساليب التكتيك والتكنيك والايديولوجية المعادية للاشتراكية ، أن يجدوا اى مبرر يقنعهم بأن يتواءموا مع اهداف المجتمع الاشتراكى .

لقد ظنوا فى غانا أن قادة الجيش والبوليس الذين تدربوا فى بريطانيا يمكن أن يقودوا الاجهزة العسكرية للبلاد باخلاص . فقد اقسموا أن يدينوا بالولاء للرئيس نكروما وحزب الميثاق الشعبى ، رفضوا بأصرار تدخل الحزب فى صفوف الجيش . كما رفضوا بحزم أن يقود الحزب ، الجيش فكريا وسياسيا . بل انهم سخروا من فكرة تكوين ميليشيا شعبية .

ــ تحتاج الدولة التى تبنى الاشتراكية الى ميليشيا شعبية مسلحة ايديولوجيا وعسكريا ، من ابناء الشعب، تكون بمثابة يد الحزب الضاربة. ان هذه الميليشيا هى التعبير الثورى عن القوى الشعبية وتصميمها على حماية مكاسب الاستقلال ومقومات مجتمعها الاشتراكى ، بكل ما تملك من قوة . وتعمل هذه الميليشيا كرقيبة للجيش الذى يعد فى معظم الدول الافريقية المستقلة حديثا أحدى معطيات النظام الاستعمارى الذى قام بتدريبه وكسب ولاءه .

كما يجب أن تجهز الميليشيا الوطنية بمراكز للتعليم والتدريب الثورى لجماهير الشعب العريضة ، وتعمل كقوات أمن شعبية لحماية الوطن ضد النشاط الذى تقوم به العناصر المضادة للثورة وعملاء الامبريالية فى صفوف الشعب .

لقد كانت الميليشيا الشعبية على وشك أن تنظم فى غانا أثناء الظروف الطارئة التى خلقتها أزمة روديسيا منذ شهور قليلة مضت . ولقى النداء الذى وجهه نكروما وحزب الميثاق الشعبى بطلب متطوعين للميليشيا ، استجابة وحماسا شعبيا يعكس وعى الشعب الفطرى بالخطر الذى يواجهه . كما يعكس رغبته التلقائية فى أن يضع نفسه فى مقدمة صفوف المدافعين عن استقلال افريقيا . ولو ان الميليشيا تكونت فى الشهور التى اعقبت اعلان الجمهورية عام ١٩٦٠ ، فانه كان من المشكوك فيه أن تجد غانا نفسها اليوم تحت حكم عملاء الاستعمار .

ــ ان تنظيم جماهير الشعب وتنشيطها فى مجتمع يبنى الاشتراكية يعد قضية اساسية تماما . فخلق حزب جماهيرى ، وبناء منظمات جماهيرية ــ تحت اشراف الحزب ــ للعمال والفلاحين والطلبة والشباب والنساء والمثقفين والتجار وسائر المواطنين فى المصانع والمناطق الجماعية وفى الجامعات والمدارس وفى مختلف المؤسسات العلمية والثقافية والاكاديميات ذلك كله من المتطلبات الاولى لخلق مجتمع اشتراكى ديمقراطى . ان خلق مثل هذه الاجهزة، لهو الضمان الوحيد لان تصل آراء الشعب بشكل دائم الى المستويات العليا فى الحزب واجهزته القيادية . ان مثل هذه الاجهزة ، هى الضمان الوحيد لان تصل توجيهات الحزب بشكل دائم الى كل صفوف الشعب .

ونموذج هذا الحزب الجماهيرى والمنظمات الشعبية كان موجودا فى غانا، ومما يدل على اهمية هذه التنظيمات كقلاع للايديولوجية الاشتراكية ، ان نظام انكراه قد سارع بقتل وسجن قادة هذه المنظمات وحرم نشاطها وحلها . . على اية حال ، فان التعرف على هذه الاجهزة لم يعط الاهمية الكافية كمصادر اولية للتعرف على رغبات

الشعب من جانب القيادات القاعدية للحزب فى غانا .

ورغم النداءات المستمرة التى وجهها الرئيس نكروما الى قيادات الحزب فى كل المستويات ، بان تجعل من هذه الاجهزة همزة الوصل الاولى بينها وبين الشعب ، الا ان قيادة الحزب لم تستجب لهذه النداءات ، وراحت تتنافس على حماية نفوذها ومراكزها وتأثيرها بين الناس .

- واخيرا ، فان على الدول الافريقية المستقلة التى اختارت لنفسها طريق الاشتراكية ، انتدعم علاقاتها بالدول الاشتراكية فى الشرق ، دون خوف ، وبكل ثقة لخلق علاقات يسودها روح اشتراكية من التعاون الاحوى والصدق .

وانها لمجازفة من الدول المستقلة حديثا والتى قررت بناء مجتمع اشتراكى ، ان تنتهج موقفا مماثلا تجاه كل من المعسكر الاشتراكي فى الشرق والمعسكر الراسمالى فى الغرب . ان موقف الدوائر الافريقية الذى غالبا ما يعبر عنه بالقول «الطاعون فى كلا الدارين » ، لا يعكس حقائق عالم اليوم .

والعدو المشترك لكل الدول الاشتراكية فى العالم هى الامبرياليه، التى تمثل بطبيعتها تحالف للدول الراسمالية تتقارب فيما بينها يوما بعد يوم اقتصاديا وسياسيا فى مواجهه قوة العالم الاشتراكى المتعاظمة فى تصميمها المقصى عليه بالفشل -على ان توقف زحف مسيرة الاشتراكية فى العالم وان تجعلها تتقهقر .

ويجب ان تدرك الدول الافريقية حديثة الاستقلال التى اختارت الاشتراكية - وعلى الدول الاشتراكية فى الشرق ان تدرك ايضا - ان الهجوم الامبريالى على البلاد التى تقود التقدم فى افريقيا الفتية ، هو فى الواقع ، هجوم ضد الجبهة الاشتراكية العالمية فى أضعف مواقعها .

ان تدعيم قوة الدول التى تقود التقدم فى افريقيا، اقتصاديا وعسكريا وسياسيا ، بالتعاون الوطيد معها فى كل الجبهات ، هو فى الوقت نفسه تقوية لقضية الاشتراكية فى العالم مما يقرب من نهاية الامبريالية العالمية ومصيرها الحتمى .

وهناك اكثر من مضمون لاصطلاح « الثورة الافريقية» . ويستخدم رؤساء الدول والحكومات والقادة الشعبيون ، هذا الاصطلاح ، فى خطبهم وكتاباتهم بكثرة ، دون التقيد بمضمون واحد . اذ يجدون فى استخدامه ، استجابة حماسية لدى الجماهير الافريقية ، بينما تنزل الخوف بقلوب اعداء حرية افريقيا . وقد حان الوقت لترجمة هذا الاصطلاح الى عمل ثورى يتناسب مع أمانى الجماهير الافريقية وتصميمها الثورى .

لقد اثبتت كل محاولات المهادنة والمساومة والتوفيقية مع اعداء حرية افريقيا ، انها سياسة عديمة الجدوى. كما ثبت بوضوح فشل محاولات التفاوض ، مع اولئك المسئولين عن رفض الاقرار بحق شعوب القارة فى الحرية والاستقلال ،وذلك بهدف الحصول على حريتها واستقلالها الحقيقيين .

لقد غير الاستعمار من عبوديته المكشوفة والفجه والمحجله ليتنكر فى ايامنا هذه فى شكل جديد للاستعمار يستعبد الشعوب اقتصاديا وسياسيا ، فتظل ظروف حياة هذه الشعوب على ما هى عليه .

لقد حان الوقت أمام زعماء افريقيا التقدميين فى كل المستويات الحكومية والشعبية ، ان يبادروا الى تجميع جماهير شعوب القارة التى تقف مترقبة فى انتظار دعوة جادة الى عمل ثورى من اجل الحريه . ان تحولا حاسما فى اتجاه الجماهير الشعبية يجب ان يتم فى افريقيا . . تحولا يقضى بشكل قاطع وثورى على الاعتمادية والثقة فى الهيئات السياسيه الحادعه فى الغرب ، وتتحول هذه الثقه الى الهيئات السياسية الديمقراطية الاشتراكية . تحولا يفتح طرقا ثورية جديدة للصراع فى كل الجبهات على طول وعرض القارة. تحولا يتواءم مع وحدانية شعوب هذه القارة كما يعبر عنها اصطلاح «الشخصية الافريقية».

لقد حان الوقت لخلق تلك الظروف الملائمة لتنشيط الطاقة الانسانية الثورية على نطاق واسع فى ارجاء القارة . فما تزال معظم هذه الطاقة معطلة ، وتنتظر بصبر دعوة ثورية حقيقية للعمل .

ان مستقبل افريقيا اليوم ، فى مفترق الطرق ويتوقف هذا المستقبل على وحدة قوى شعوب هذه القاره مع كل الانسانية التقدمية فى العالم لايقاف الهجوم الامبريالى المسلح الجديد وانزال الهزيمه النهائية بالامبريالية .

ان قيام جبهة موحدة ، تقدمية وقوية ، على نطاق القارة ، هو سبيل مواجهة اية قوة على الارض تحاول ضرب الثورة الافريقية ، وسبيل تحقيق احلام وآمال شعوب القارة. وبدون هذه الجبهة ، ستنتكس الثورة الافريقية لعدة اعوام، ربما تدفع افريقيا والعالم الى حرب نووية عالمية ثمنا لانتصار جديد .

بواصل عبد الفتاح ابو الفضل عضو الامانة العامة لشئون الافراد مناقشة مشاكل العمل الجماهيرى ، ويعالج فى هذا المقال قضايا النشاط الخارجى ويدخل فى اطار هذا النشاط الدائرة العربية ، جنبا الى جنب مع الدائرة الافريقية والعالم الاسلامى .
وبسبب اهمية هذا الموضوع وحيويته فى المرحلة الراهنة ، تفتح الطليعة باب المناقشة امام المناضلين حول الآراء والافكار التى تناولها هذه المقالات . وذلك ايمانا منها بان الحوار التنظيمى الملتزم يزيد ويعمق من وضوح الرؤية .

العمل الجماهيرى والدوائر الثلاث فى النشاط الخارجى

محمد عبد الفتاح أبو الفضل

قد يكون الحديث عن العمل الجماهيرى الداخلى مفهوما ، أما الذى يحتاج الى تفسير حقا، فهو العمل الجماهيرى الخارجى، اذ كيف نمارس هذا العمل وبأى حق ، وما هى وسليتنا اليه ؟

ان نشاطنا الخارجى، هو عمل جماهيرى أولا واخيرا، لاننا ثورة.. ثورة لا تمثل مصر وحدها، ولا تقبل ان تغلق على نفسها هذه الحدود التى فرضها الاستعمار والتى يحاول ان يغلقها عليها لتموت الثورة داخل سجن من صنعه .

ان القائد المعلم قد حدد ابعاد العمل الثورى منذ اللحظات الاولى عندما تحدث عن الدوائر الثلاث فقال :

((ما هو دورنا الايجابى فى هذا العالم المضطرب واين هو المكان الذى يجب ان نقوم فيه بهذا الدور))

واجاب على السؤال بقوله **((ايمكن ان نتجاهل ان هناك دائرة عربية تحيط بنا وان هذه الدائرة منا ونحن منها، امتزج تاريخنا وارتبطت مصالحنا بمصالحها ، حقيقة وفعلا وليس مجرد كلام)).**

ايمكن ان نتجاهل ان هناك قارة افريقية، شاء لنا القدر ان نكون فيها وشاء ايضا ان يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها، وهو صراع سوف تكون آثاره علينا سواء اردنا ،او لم نرد ؟ ايمكن ان نتجاهل ان هناك عالما اسلاميا تجمعنا واياه روابط لا تقربها العقيدة الدينية فحسب وانما تشدها حقائق التاريخ .

ان هذه الدوائر هى قدر الثورة العربية، وليست قضية اختيار او بحث عن المجال الحيوى، او بحث عن دور ، بل هو دور فرضه التاريخ الذى شكل مصير المنطقة وفرضه الواقع الذى نواجهه.. واقع الحرب التحررية ضد الاستعمار بأشكاله القديمة وشكله الجديد .

ولقد اثبتت معارك التحرر من الاستعمار بشكله القديم انه لا سبيل لتحقيق الاستقلال بالكفاح الفردى، او بمعزل عن الشعوب، ولعل معركة السويس هى أوضح تجربة لما يمكن ان تحققه الوحدة الثورية فقد كان وقوف الجماهير العربية الى جانب الشعب المصرى فى مواجهة الغزو الاستعمارى عاملا حاسما من عوامل النصر. وما كان يمكن ان نصل الى هذا الموقف الا عبر العمل الثورى بين الجماهير العربية خلال السنوات السابقة على العدوان، العمل

الجماهيرى الذى بلغ قمته فى معركة اسقاط حلف بغداد .

ان الجماهير العربية هى مجال عمل ثورتنا لان الجماهير هى مادة الثورة، ولان ديبلوماسية الثورة تختلف عن دبلوماسية الحكم. ونحن لا نخشى ان نقول بكل صراحة اننا ننتمى للجماهير فى كل بلد عربى ونمثل هذه الجماهير ونعمل من اجلها. ان كل تضحيات الشعب المصرى وكل طاقاته هى نضال فى خدمة الثورة العربية، فى خدمة الجماهير العربية.

والثورة فى مصر تؤمن تماما انها تعيش فى حماية الجماهير العربية وتزدهر بتضحيات هذه الجماهير التى تحوط ثورتها بحبها وحنانها ، وترد عنها ضربات المستعمرين والرجعيين وتحطم كل محاولاتهم لعزلها.

يقول الميثاق : «والجمهورية العربية المتحدة — وهى تؤمن بأنها جزء من الامة العربية لابد لها ان تنقل دعوتها والمبادىء التى تتضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربى ولا ينبغى الوقوف لحظة امام الحجة البالية القديمة التى قد تعتبر ذلك تدخلا فى شئون غيرها » .

كيف يتحقق العمــــل الجماهيرى الخارجى ؟

تلك هى القضية، بل تلك هى المشكلة الكبرى التى واجهت الثورة العربية وما زالت تواجهها . ويمكن ان نقسم العمل الجماهيرى الخارجى لثورتنا فى الميدان العربى الى ثلاث مراحل :

● مرحلة الاتصال المباشر بين القائد ، وهى مرحلة التحرر الوطنى، مرحلة الكفاح ضد الاستعمار المباشر ضد الاحتلال الاجنبى، ضد الاستعمار بأوضح صوره، فى اشكاله القديمة الموروثة من القرن التاسع عشر، كان العدو واضحا والهدف واضحا والجماهير عطشى الى النداء الثورى، فقدت كل الثقــة فى القيادات الرجعية الحاكمة (الاقطاعية اساسا) المتهالــكة المترامية على اقدام الاستعمــار . وتنبهت على موقف ثورى ينبعث من القاهرة وضربات هائلة ناجحة تكال للاستعمار، فالقت بسمعها الى القاهرة واصبح «الاثير» هو حلقة الوصل بين الموقف الثورى فى القاهرة وبين التحرك الجماهيرى فى جميع ارجاء الوطن العربى. لم تكن الجماهير بحاجة الى اكثر من تعريفها بالموقف السليم الذى عليها ان تتخذه، وما ان يعلن هذا الموقف حتى يتحرك الشارع وتنتقل الثورة العربية من نصر الى نصر .

يقول الميثاق : «وان اعظم تقدير لنضال الشعب العربى فى مصر ولتجربته الرائدة هو الدور الذى استطاع ان يؤثر به فى حياة امته العربية وخارج حدود وطنه الصغير الى آفاق وطنه الكبير » .

لم تكن الثورة العربية — كما كان يبدو — بحاجة الى تنظيم . كان الشارع يتحرك خلف الزعيم، وكان تحرك الشارع يخفى متناقضات الثورة العربيــة ويكتسح مقومات الرجعية، ويبدد تاريخها وسيطرتها التقليدية المتوارثة ولكنه ايضا كان يخفى ضعف وتآكل القوى الشعبية الوليدة. كانت القوى الثورية الجديدة تقف فوق اكتاف الجماهير فتبدو عملاقة، جبارة، وهى ما زالت بعد فى دور الطفولة لا تقوى على الوقوف على ساقيها بل وبعضها كان قد ولد مشوها ولا يمكنه ولن يمكنه الوقوف ابدا ولكن زحف الجماهير وحماس الشارع اخفى عاهته وجعله يبدو فى ثياب الكبار .

ولم تتوقف الثورة العربية لتدقق فى الذين يرتدون ثياب الثورة، فقد كان معدل زحف الجماهير اسرع من ان يسمح بالتردد او الفحص والتثبت. واستطاع القائد من خلال المخاطبة المباشرة للشارع العربى ان يسقط حلف بغداد، وان يحرك الجماهير العربية لاول مرة فى تاريخها من المحيط الى الخليج فى عمل مشترك ضد العدوان الثلاثى وبلغ الزحف قمته بسقوط عرش بغداد .

وكان على الثورة العربية ان تنتقل الى مرحلة جديدة، وان تدفع ثمن النصر فى المرحلة السابقة.

ويمكن ان نلخص تجربة المرحلة الاولى التى تنتهى فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى :

١ — انتهى الوجود الاستعمارى السافر وتحتم زوال الشكل التقليدى الذى كان يربط الــدول العربية بالاستعمار وقد تم تصفية هذا الوجود فى البلدان العربية الرئيسية ، وبقيت عدة جيوب كان مصيرها الى التصفية لولا النكسة التى بدأت من صميم لحظة النصر فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

وفى هذا المجال يقول الميثاق: «ان معركة السويس التى كانت احدى الادوار البارزة فى التجربة الثورية المصرية، لم تكن لحظة اكتشف فيها الشعب المصرى نفسه اكتشفت فيها الامة العربية امكانياتها فقط، وانما كانت هذه اللحظة عالمية الاثر، رأت فيها كل الشعوب المغلوبة على امرها، ان فى نفسها طاقات كامنة لا حدود لها ، وانها تقدر على الثورة.. بل ان الثورة هى طريقها الوحيد» .

٢ — هوت الرجعية العربية الاقطاعية وكان خروجها من المسرح متناسبا مع القدر الذى ساهمت به فى معركة حلف بغداد. فسقطت والى الابــد الاطراف التى تبعت المخطط الاستعمارى بوضوح محاولة فرضه على الشعب العربى، بينما استمرت

ولو فيضعف شديدالاطراف التيشلتها متناقضاتها واضطرت الى مسايره الزحف الثورى .

ولكن كان واضحا ان الرجعية الاقطاعية غير قادره علىالاستمرار وانالثوره العربيه بنيصدها الا نسفها من داخلها . نعم انتهت المرحلة الوطنية بما يشبه النصر الساحق على الاستعمار، اذ سقط عرش بغداد وسقط التيار النشط فيموالاته للغرب فيلبنان،وانحدتمصر وسوريا،وشلترددالسعودية واليمن، وتعاظمت الحركة الوطنية فى الخليج كله واستقلت توسى والمغرب والسودان ، وتحددت معالم واتجاهات ومستقبل الثورة الجزائرية .

والسؤال الذى تطرحه هذه المرحلة.. هو لماذا لم تقم القياده الثورية تنظيما جماهيريا على نطاق الوطن العربى ،او حتى فيالجبهه الملتهبة بالمشرق العربى ؟

لماذا لم تستفد من الوحدة الوطنية والمد الثورى لتخلقتنظيمها السياسى الذىكان بوسعه ان يواجه الجذر ويمنح النكسة ويصد الموجة الاستعمارية والرجعية ؟

وفى اعتقادى ان طرح السؤال على هذا النحو فيه تجاهل لطبيعة القوى التى خاضت معركةحلف بغداد والتى وصلت بالثورة العربيه الى صباح ١٤ تموز ١٩٥٨ .

وفى اعتقادى اننا نبالغ كثيرا عندما نتحدث عن الجبهة الوطنية التى اسقطت حلف بغداد وصدت العدوان الثلاثى وحققت الوحدة بين مصر وسوريا، وانتهت بثوره العراق ١٩٥٨ .

اقول نبالغ كثيرا، فلم تكن جبهة بالمعنى المفهوم.

كانتوحده وطنيةضد الاستعمار وتتكوناساسا من الجماهير التى يجمعها الشارع وحده، والمعادية للاستعمار والطبقات المستغلة دون تحديد لطبيعة هذهالطبقات،ودون تعريف دقيق لنوعيةالاستغلال الذى تعاديه .ثم طبقات مالكة هى اســاســا البورجوازية العربية ذات الاحلام الواسعة فى طرد الاستعمار والتخلص منالاقطاع والانفرادباستغلال الجماهير العربيه او الضغط على الاستعمــار والاقطاع وارهابهما بزحف الشارع حتى يسمحا لها بنصيب اكبر فى مائدة الاستغلال .

وكانت هذه القوى جميعها تمثلها حركات رمزية، انتفعتبقوة زحف الجماهيرفاتخذت شكل الاحزاب والتنظيمات، وهىبعيده كلالبعد عنهذا الوصف. كانت الطبقات المالكة هى الاكثر ترابطا وتنظيما ووعيا بطبيعة المعركة، ومنثم فقدكانت اىمحاولة لتنظيم الزحف الوطنى فى هذه السنوات تعنى اما تأكيدقيادة هذهالطبقات وفرضمصالحها وشعاراتها واسلوبها فى العمل السياسى او — وهو الاحتمال الارجح — ان تفضى هده المحاوله الى تمزيق وحدة الشارع .

ولقد اختارت الثورة — وربما بدون غير تدبير سابق — وحده الشارع لتحقيق اهداف التحرر الوطنى، وسمحتباستمرار هذا التحالفالظاهرى وتركتالتنظيماتالمتسلقة تلتفحول دوحةالجماهير العريضة .

● المرحلة الثانية : وعنــدما طرحت الجماهير شعار الوحده العربيه وتبنته البورجوازيه العربية على اختلاف مراتبها وعلى تباين اهدافها، وتعدد مفاهيمها للوحدة المنشوده .حاولت الثوره ان تقيم الشكل التنظيمى الذى يعبر عن هذه المرحلة .. مرحلة الوحده القومية، فكان الاتحاد القومى. وانا لا اريد ان اقول انها كانت تجارب بل هى مراحل عكست التطور الحقيقى للثوره ،مرحلة التحرر الوطنى كانت بحاجه الى تنظيم واسع الى اقصى حد، تنظيم ليس فيه من القيود او التحديدات ما يثير التناقضات ويفتح صفحات صراع لم يحن وقتهبعد. لاننا كنا نعيش الثوره التى وصفها الرئيسفيفلسفة الثورة بانهاتحتم علينا ان نتحد،ونتحاب ، « ثورة تتطلب لنجاحها ،وحده جميععناصر الامة وترابطها وتساندها ،ونكرانها لذاتها فى سبيل الوطن »

ثم مرحلة الوحده القومية: كان الاتحاد القومى هو الشكل التنظيمى الذى يعبر عن حقيقه القوى المشتركة فيها ، ذلك لم يستبعد الا الاقطاعيين المرتبطين صراحة بالاستعمار ،وكان من الممكنان يحقق الاتحاد القومى اهداف هذه المرحلة لو ان عمليه الوحده قد سارت فى طريقها الطبيعى ، او لو ان حماس الشارع قد استمر فى اندفاعه بحيث يسوقالطبقات المترددة،ويذيب التناقضاتالاقليمية والمصالح الانتهازية.

ولكن احداث ١٩٥٩ فى العراق.. اوقفت مسير الوحده ودب الانقسام فى الشارع.. وخلعــت التنظيمات المتسلقة على نفسها اهمية مفتعلــة ، كسبتها من الانقسام وحده.. .فقد التنظيم الجديد وهو الاتحاد القومى مبررات وجوده.. واصبح على الثوره العربية ان تجدد نفسها قبل ان تتآكل بفعل متناقضاتها ، كان عليها ان تستند لجماهيرها الحقيقيه، وان تقطع جدور البورجوازية التى بدت تمد يدها الى الاستعمار والاقطاع العربى .

وكانت مرحلة التحول الاشتراكى، ومرة ثانية التقى الشارع بالقياده الثورية، وما زالت مشكلة التنظيمباقية. ولكنليس هذا ماقصدته من الحديث. المهم ان الثورة المصرية محكوم عليها ان تمارس العمل الجماهيرى خارج حدود القومية المصرية. اما ما هو شكل هذا العمل فتلك قضية اخرى.

اما العمل الجماهيرى فى الدائرة الافريقية فالاحداث من حولنا لا تترك مجالا للشك فى اهمية هذا العمل، ان الاستعمار يتحرك فى جبهة فمن الجنون ان نقابله متفرقين ممزقين ».

والاستعمار الجديد، هو بكل بساطة، استغلال الثغرة المتزايدة الاتساع بين الدول المتقدمة والمتخلفة لابقاء سيطرته الاقتصادية على موارد هذه الدول واستغلال هذه السيطرة فى التحكم فى اسعار المواد الخام التى تنتجها الدول المتخلفة، وفرض اسعار لسلعه المصنعة تحقق له اكبر ربح من خلال تبادل ظالم هو الذى يفرض شروطه. وبذلك يبقى هذه الدول فى هاوية الفقر والتخلف ، بل وتزداد الهوة اتساعا عاما بعد عام .

ووحدة الدول النامية فى مواجهة الاستعمار الجديد تحتمها :

● التفوق التكنولوجى الساحق الذى حققته الدول المتقدمة، مما يجعل اى محاولة لادراكه فضلا عن سبقه من جانب دولة صغيرة بمفردها محاولة انتحارية ومستحيلة ».

● الوضع الاحتكارى الذى تتمتع به الدول الكبرى من ناحية الموارد الصناعية واتفاقها على تحديد اسعار البيع والشراء، وفى مقابل تشابه انتاج الدول المتخلفة (باستثناء حالات نادرة جدا تتميز فيها بعض الدول بوضع احتكارى لخامات بعينها) ».

وهذا الوضع يحتم توحيد موقف الدول المنتجة للخامات، والا استخدمت فى ضرب بعضها مما يؤدى الى تدهور دخلها وتعطل مشاريع التنمية، وزيادة خضوعها للاستعمار الجديد ».

اما الدائرة الثالثة، فلعل الحلف الاسلامى هو خير دليل على وجودها وحيوية العمل فيها وضرورة ان يمتد العمل الثورى الى جماهيرها، لتقدم لهذه الملايين التى عاشت قرونا طويلة فريسة الاستعمار والرجعية المستترة بالدين، والدين منها برىء، علينا ان نقدم لهذه الجماهير القيم الثورية الخالدة التى نادى بها الاسلام .

ومن خلال كفاحنا فى هذه الدوائر الثلاث ، استطاعت الثورة المصرية ان تحقق مكانة دولية، يجب ان نقول انه بقدر ما افادت مصر السلام العالمى، والتعاون الدولى، فقد افاد كفاحها الدولى، الثورة المصرية ودعم وجودها، ونشر رسالتها .

ان الوحدة الافريقية او التضامن الاسيوى الافريقى، او اللقاء بين عالم عدم الانحياز والقارات الثلاث، لا يعزز المكانة الدولية لهذه الدول فحسب، بل هو اساس مقاومتها الناجحة للاشكال الجديدة للاستعمار. ان التكتلات الاقتصادية للاحتكارات العالمية ، لا يمكن مواجهتها الا بتضامن شعوب العالم الثالث. وسد الثغرة بين الدول المتقدمة والمتخلفة لا سبيل الى تحقيقه الا بتكتيل الجهود العلمية للدول النامية، بتبادل الخبرات، بتجميع المعرفة، لتحطيم سياسة احتكار العلم وحبسه عن الدول النامية، تلك السياسة التى تمارسها الدول الاستعمارية المتقدمة ، لذلك فان العمل الجماهيرى الخارجى هو عنصر اساسى فى تدعيم البناء الداخلى لان تعريف الجماهير فى الدول الافريقية والاسيوية بحقيقة عدوها ومكمن استغلاله لها، وتبصيرها بامكانياتها الجبارة، وانها كما يقول الميثاق «قادرة على الثورة» ذلك هو سبيلنا لتحطيم الحصار الاستعمارى وافساد مؤامراته وكثيرا ما ينصحنا الاستعمار وعملاؤه بتوفير الجهد والمال الذى ينفق على النشاط الخارجى، والالتفات للبناء الداخلى .

ولكنها نصيحة مسمومة، هدفها الاول والاخير هو عزلتنا لتحطيم ما نبنيه فى الداخل ».

العمل الجماهيرى الوقائى

ويقوم العمل الجماهيرى الوقائى على اساس التعرف على اتجاهات الرأى العام وفقا للاسلوب العلمى، وبعيدا عن سياسة الاحصائيات المجردة والتى تقدم اى لون من الحقائق يخدم مصلحة الذين يجرون الاحصاء او يدفعون ثمنه ، كما هو الحال فى تلك الاحصائيات التى تصدرها الاجهزة الرأسمالية المتخصصة .

انما نقف بدراسة اتجاهات الراى العام العيشى بين الجماهير والتعرف على مشاكلها واتجاهات تفكيرها، اختيار العناصر المتصلة بنبض الجماهير وتدريبها على فهم هذه النبضات وتفسيرها ».

كذلك يشمل العمل الجماهيرى الوقائى تحليل الاشاعات والدعايات المعادية، لمواجهتها. وقد اثبتت التجربة ان هناك صلة عضوية بين الاشاعات التى تروج فى الداخل، وبين الدعايات المعادية فى الخارج ، ولا شك ان تتبع هذه الصلة وتوضيحها للجماهير هو ضمن العمل الجماهيرى الوقائى ، كما يمكن من خلال هذه الدراسة التعرف على اتجاه التحرك المعادى ومواجهته .

والعمل الجماهيرى الوقائى يعنى تدريب الجماهير على ممارسة الرقابة بنفسها، عندئذ يصبح للثورة كما قال الرئيس ملايين الاعين وملايين الاذان، وملايين الايدى التى تصون وترد كيد الحاقدين ».

وبعد ، فان نقطة البدء فى العمل الجماهيرى هى دائما اصعب مرحلة وانا اسمى العمل فى هذه المرحلة بكسر هذه البداية ، ان القائد الثورى هو الذى يستطيع ان يخطو الخطوة الاولى، يزيل تهيب الجماهير، يؤكد لها انه من الممكن ان نبدأ .

هناك جماعة من علماء الاقتصاد السوفييت ـ من بينهم البروفسير « ليبرمان » .. ترى استخدام معايير الربح والفائدة على رأس المال والحوافز المادية والمكافآت المجزية للدفع بعجلة الانتاج ورفع مستوى جودته . وقد أخذ الحزب والدولة بوجهة النظر هذه ، حتى انها تطبق حاليا في حدود معينة تمهيدا للتوسع في استخدامها .

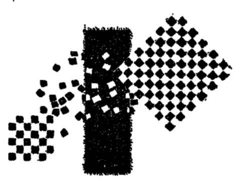
وقد اثار هذا الاتجاه الجديد ضجة في الغرب والشرق على السواء ، فمازالت هناك مدارس من الفكر الاشتراكي تعارض تلك الافكار وتطبيقاتها .

ويعمد اقتصاديو البلاد الرأسمالية الى الخروج من هذا الاتجاه بنظرية «الالتقاء» و «التقارب» بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي في موقف وسط ومحصله للاتجاهين . ويناقش « ليبرمان » في المقال التالي « هذه النظرية » وذلك من خلال الرد على خطاب بعث به اليه احد رجال الجامعات البريطانية « ف. هـ. السبي » .

وينشر مقال ليبرمان في مجلة « ليتراتورنايا جازيتا » السوفييتية بالاضافة الى « الطليعة » .

وقد سبق « للطليعة » في عددها الثالث من السنة الاولى (مارس ١٩٦٥) ان نشرت مقالين عن التطور الحديث في الاقتصاد السوفيتي لكل من « ليبرمان » بعنوان « حول الخطة والربح والعلاوات » ، و « ترابزنيكوف » بعنوان « نحو ادارة اقتصادية مرنة للمشروعات » .

حول "مفهوم الربح" بين الاشتراكية والرأسمالية



أ. ليبرمان

تسلمت حديثا خطابا من مستر ف . هـ . السبي من كلية اشريدج لتدريب المديرين في بيرهامستيد ببريطانيا، وقد تناول في هذا الخطاب احدى مقالاتي التي تعالج الاصلاح الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي . ولم يطلب مني مستر السبي اية اجابة ، فقد اورد آراءه فقط على اعتبار انها تستحق النظر . وعلى الرغم من انه لم يعبر عن اية آراء اصيلة ـ لان كل ما ذكره قد ردده من قبل كثير من علماء الاجتماع والاقتصاد البرجوازيين في العالم ـ الا ان آراءه مع ذلك تستحق ان تعالج بالتفصيل لسبب واحد هو انتشارها . ولا أعتقد أن هذا سيغضب مستر السبي .

النقطة الاساسية التي تستند اليها حجج مستر السبي ، هي ما يلي : « ان أساليب التفكير في الاشتراكية والرأسمالية تقترب من بعضها بسرعة هذه الايام ، وهي قد أصبحت في الحقيقة شديدة التشابه بالفعل حتى اننا لا نستطيع التمييز بينها » . وهذه النظرة التي يعتنقها كثير من الكتاب الغربيين ، قد اصطلح علميا على تسميتها بـ « التقارب » ويعني هذا الاصطلاح بلغة علم الاحياء ، تطور السمات المتشابهة لدى الحيوانات أو النباتات من المجموعات المختلفة ، نتيجة لتشابه العادات أو البيئة اكثر من تشابه الاصل .

فما هي الاسس التي يقيم عليها مستر السبي وزملاؤه هذه الاراء ؟.

انهم يؤكدون ان الرأسمالية اليوم هي رأسمالية جديدة « مستنيرة » . ويقول السبي « اننا لا زلنا نسميها رأسمالية ، ولو أن ماركس نفسه ما كان ليطلق عليها هذا الاسم . لماذا يتحدث مستر السبي هكذا بثقة بالنيابة عن ماركس ؟ لان

« الراسماليين المستنيرين» فيما يبدو ،لايعتبرون الربح هدفا للانتاج . وعندهم ان الهدف الوحيد للانتاج هو الاستهلاك! فما هو الربح عندهم اذن؟ الربح هو اولا دافع لانتاج السلع التي يحتاجها المستهلك ، وثانيا « ضمان ضد المخاطرة المرتبطة بمواصلة الانتاج في المستقبل » . وبعبارة اخرى فان الربح ليس الا اشارة لرجل الاعمال ، تأتيه من السوق ، بأن المستهلك يوافق على منتجاته .

وهكذا، فان الراسماليين المستنيرين، لايسعون الا لصالح المستهلك .

اجل يامستر السبي ، ولكنك نفسك تقول ان الربح دافع . وبدونه فان الراسماليين ، مهمـا كانوا مستنيرين ، لن يعبأوا مطلقا بصـالح المستهلكين . ولهذا يجب ان نجد اولا ما تغير في ظل « الراسمالية المستنيرة » .. من الذي يحصل على الربح الان وكيف يستخدمه . وفي هذا الصدد يكرر مستر السبي نفسه ببساطة وان يكن بطريقة أكثر غموضا ، « بالنسبة لجهة التمويل (« مالك رأس المال » : ليبرمان) ، سواء كان مالكا خاصا او مصرفا او هيئة اخرى في المجتمع الراسمالي ، أو بنك حكومي في المجتمع الاشتراكي ، فان الربح او الفائدة هي ايضا دافع للاستثمار في نشـاط معين يلبي احتياجات المستهلك ، كما انه ضمان ضد المخاطرة المرتبطة بهذا النشاط » .

وهكذا فان الربح «ايضا» ، هو حافز للاستثمار لصالح المستهلك . ولكن ما هو الربح أسـاسا في ظل الراسمالية ؟ لايجيب مستر السبي على ذلك .

ولنضع السؤال بهذه الطريقة . هل يستثمر الراسماليون اموالهم في شيء يشبع حاجة هامة معينة ولكن لا يحقق الا ربحا ضئيلا ؟ مثـلا في الاسكان ، وخاصة بالنسبـة للـكادحين ؟ ان التجـربة الانجـليزية ترينـا أن الراسماليـين المستنيرين يتجنبون هذا كما يتجنب الشيطـان الماء المقدس . انهم يفضلون أن يتركوا للمجالس البلدية هذا النوع من البناء . وعلاوة على ذلك فان ملاك الاراضي المستنيرين (كما يسمي مـلاك الاراضي الراسماليين في بريطانيا اليوم) لايتحملون الناس الذين لا يدفعون ، في رايهـم ، اجـورا منخفضة ، ويلقون بهم الى عرض الطريق حالمـا يفتح لهم القانون ثغرة ضئيلة . هـكذا يعتنـون باحتياجات المجتمع .

ولابد أن نشير الى ان الاقتصاديين الغـربيين يستبـدلون دائمـا مفهـوم الاستهـلاك بمفهوم « الحاجة » . ولكن المفهومين ليسا متطابقين . وهكذا فان العقاقير المنومة والمخدرة التي ينتجها « الراسماليون المستنيرون » ، والمواد الاباحيـة التي ينتجونها على نطاق صناعي والسلع الاخرى المشابهة ، تجد مستهلكيها . ولـكن ، هل تلبي بالفعل حاجة معقولة ؟ كلا بالطبع . فهذه المنتجات تضر الانسان ولكنها تجلب الـربح للراسـماليين المستنيرين ، وليس هو بالربح الضئيل .

ولنعد الى حجج مستر السبي . انه يعترف بأن الحافز على النشـاط النبيل للراسـماليين الذين يقومون به لصالح المستهلك : هو الـربح أساسا . فكيف يقوم بهذا الدور ؟ لا نستطيع أن نتصور ان هذا الربح يوضع في الخزائن بصـفته امـوالا احتياطيـة « لضـمان المخـاطرة » . فالراسماليون المالكون للربح ينفقونه بغض النظر عن درجة استنارتهم .

فكيف ينفقونه ؟ ربما قال مستر السـبي ان الراسماليين يستثمرونه من جديد في الانتـاج . ولابد من الاعتراف بأن هذا حق وذلك نظـرا الى سعى الراسماليين لزيادة ارباحهم بلا حـدود . ولكن الامر لا يقف عند هذا الحد . فان الراسماليين الذين يمثلون اقلية من السكان يحصلون على اكبر نصيب من الدخل القومي (أكثر من ٥٠ ٪ كقاعدة عامة) . وينفقون جانبا كبيرا على استهلاك غـير انتاجي : الكماليات ، والملابس الغالية ، والفيللات واليخوت ... الخ .

والحق ان نصيبا ليس بالصغير من الارباح يدفع في صورة ضرائب عالية . ويعتقد حزب العمـال البريطاني أن الضرائب يمكن استخدامها لاخمـاد شهية الراسماليين . وهذا احد الاوهام الاصلاحية القديمة . فان أسعار السلع معدة بحيث يدفـع المستهلك الضرائب ايضا .

ولنأخذ مثالا من بريطانيا نفسها . ان الضريبة على الربح هناك مرتفعة جـدا ، ولـكن الارباح الصافية للشركات والبنوك قـد ارتفعت منـذ الحرب ، وبلغت ٢٠ ٪ من رأس المال المستثمر . ومن ذلك فان حملة الاسهم لا يحصلون الا عـلى معدل متوسط من الربح لا يتجاوز ١٠ ٪ ، بينما يقـوم البـاقي بدور الاساس « لاعادة تقـدير الضرائب » على راس المال طبقا لمعدل ربحـه فمثلا ، اذا جلب راسمال مقـداره ١٠٠ مليـون دولار دخـلا مقـداره ٢٠ مليـــون دولار ، فان الراسماليين «يحولون» راسمالهم الى ٢٠٠ مليون دولار ، مستخلصـين نفس الـ ١٠ ٪ ربحـا . وتوزع الـ ١٠٠ مليون دولار الصورية للراسمال الجديد بين حملة الاسهم الاساسيين والمصارف والمضاربين ، الخ ... وقد تمكنت شركة فيرانتي من الحصـول على ارباح قدرها ١٠٠ ٪ على الامدادات العسكرية للحكومة البريطانية بتضمينها ارباح عدد من الشركات التابعة الوهمية في تكلفة انتاجها . ولم يحاسبها احد على ذلك .

اليس الثمن الذي يدفعه المستهلك «للراسماليين المستنيرين » على نحو تهم ازائه عاليا جدا ؟ .

هكذا نرى أن الربح لا يمكن اعتباره حافزا متساويا للاستثمار سواء كان المستثمر مالكا خاصا (بنك) فى ظل الرأسمالية ، أو مصرفا حكوميا فى ظل الاشتراكية . كلا يامستر السبى. الامر يختلف من حالة الى أخرى - ويتوقف بالضبط على شكل الملكية. ففى ظل الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، يذهب الربح كله الى ملاك راس المال . ويوزع الربح ويعاد توزيعه بينهم مهما كانت صفتهم : حملة أسهم أو مصرفيون أو مديرون للشركات الكبرى ، أو مضاربون ، الخ..

وطالما أن الملكية الخاصة لوسائل الانتاج تسود المجتمع ويقوم توزيع الدخول على راس المال بدلا من العمل ، فمن العبث التحدث عن اى تقارب بين الرأسمالية والاشتراكية . والواقع ان امثال مستر السبى يقعون فى هذا الخطأ ، لان الاشتراكية بصفتها المرحلة الاولى من الشيوعية ، هى احد أشكال الانتاج السلعى المخطط . واذا كانت الراسماليه هى الانتاج السلعى التلقائى بواسطة الافراد من اجل الربح ، فان الاشتراكية هى الانتاج السلعى المنظم بتخطيط كامل من أجل تحقيق أشباع معقول للاحتياجات الاجتماعية والشخصية للمجتمع ككل ولكل واحد من اعضائه. وفى كلتا الحالتين تستخدم نفس تصنيفات الانتاج السلعى المتطابقة فى الشكل ، ولكن المختلفة جذريا فى المحتوى . ونفس الامر ينطبق على الربح ايضا. ففى ظل الراسمالية نجد ان الربح هو الدافع الاساسى ، ولا تشبع احتياجات المستهلك الا الى الحد الذى يستحيل معه تحقيق فائض القيمة دون انتاج ومبيع أشياء تلبى بعض المطالب . ولكن اذا كان من الممكن تحقيق الربح بتشويه بعض المطالب أو تجاهلها ، فان الراسمالية لا تتورع عن هذا ابدا باسم هدفها الاساسى .. الربح !.

ان القوة الموجهة الاساسية للانتاج الاشتراكى هى الرغبة فى مواجهة المطالب الحقيقية التى يبررها العلم ، اى اجتماعيا وبيولوجيا . ان مصارفنا الحكومية لا تمول الا ما يحدده الطلب الاجتماعى . وليس ربحها خصما من دخول المستهلكين، ولكنه ذلك النصيب من الدخل القومى الذى نحتاجه لنواجه به بعض المطالب الاجتماعية او الشخصية : التوسع فى الانتاج ، التعليم ، الصحة ، المعاشات ، تطوير الفنون والعلوم ، الخ « ونحن نستخدم الارباح مثلا لبناء منازل كثيرة بأجور فى متناول اى عامل ... اجور لن تحقق ربحا على الاطلاق فى اى مجتمع رأسمالى» .

واخيرا ، نحن مرغمون على استخدام هذه الارباح لتقوية دفاعنا . وانه لامر مؤسف بالطبع أن تنفق النقود بهذه الطريقة ، ولكن ماذا نفعل؟! فأمام نشاط الاحتكارات الراسمالية « المستنيرة» التى تدفع حكوماتها الى الحرب ، والتى تخلق اكثر الظروف ملاءمة لها ، لن يلومنا احد على انفاق جانب من ارباحنا على الدفاع .

ان روبلا واحدا من الربح الاشتراكى لا ينفق على استهلاك غير انتاجى . وليست لدينا طبقة قادرة على استخدام الربح لمصالحها الخاصة . لا بورصة ، ولا أسهم ، ولا حملة اسهم ، ولا مضاربين .

وهذا ليس بالفرق الضئيل بين الاشتراكية والراسمالية يامستر السبى ، أليس كذلك ؟!.

ولكن بعض المعقبين الغربيين يردون على كافة هذه الحجج قائلين ان «طبقة رأسمالية جديدة» (؟) تنشأ فى الاتحاد السوفييتى من المديرين وكبار موظفى الحكومة ، الخ ، لقد اصابهم العمى هؤلاء المراقبون ! فليس للقادة السوفييت اى مصدر آخر للدخل فيما عدا مرتباتهم . وليس لديهم اية مصالح طبقية خاصة غير مصالح الشعب العامل عامة .

والحق أن أجورهم أعلى من اجور العمال اليدويين الاقل مهارة . وهذا امر طبيعى تماما . ففى الاشتراكية يسود مبدأ التوزيع حسب العمل، لاننا لا زلنا نفتقد وفرة السلع التى يحتاجها التوزيع وفقا للاحتياجات . ولهذا فمن المعقول تماما والواقعى ، أن يحصل كبار الموظفين والعلماء والعمال المهرة والملاحظين والمخترعين فى الاتحاد السوفييتى على جزاء أعلى ، ليس الا مكافأة للمهارة والمسئولية الاعلى والمبادرة الخلاقة . ولا يمكن أن ينتقد الاتحاد السوفييتى على اتباع سياسة واقعية لتوفير الحوافز المادية على العمل الجيد ، سوى الفوضويين والجامدين .

ولسنا ننكر ان متوسط مستوى المعيشة فى اكثر البلاد الراسمالية تقدما أعلى منه فى الاتحاد السوفييتى . وقد تحققت هذه المستويات نتيجة لنضال النقابات الطويل من اجل زيادة نصيب العمال من الثمار التى تعود بها الثورة التكنولوجية المعاصرة على الرأسمالية . ولكن يجب القول بكل انصاف انه لولا وجود الاتحاد السوفييتى والمعسكر الاشتراكى كله ، لكان « الراسماليون المستنيرون» قد ناضلوا بعناد أكثر مطالب العمال . ان خطر الهزيمة ، لا خطر التقارب ، هو الذى يكمن خلف اعمال الراسماليين ، حتى ولو لم يدركونه تماما بانفسهم .

وفى نفس الوقت ، تزداد الجماهير العاملة فى العالم الراسمالى ، فقرا بدلا من ان تزداد ثراء ان الافقار النسبى للطبقة العاملة هو حقيقة قد اعترف به الاقتصاديون البرجوازيون انفسهم .

ويستمر هبوط نصيب العمال من الدخل القومي الاجمالي بدلا من ان يرتفع .

ولكن اصحاب نظرية « التقارب » لا يرون كل هذا . فقد أعماهم كون العمال قادرين الان على ابتياع كؤوس الخمر والمراهنة ، بل والحصول على سيارات ومنازل بالتقسيط . ولكن هذا في معظم الحالات ليس سوى رهونات ، ويمكننا أن نتصور الجو السائد في منزل عامل غارق في الديون . لان سداد الديون يتطلب عملا ثابتا مجزيا وصحة جيدة . ولكن هناك على الاقل ثلاثة ملايين ونصف مليون عاطل ، على الاقل ، في الولايات المتحدة مثلا .

وهكذا فان « الرأسمالية المستنيرة » لايعنيها المستهلك الا الى الحد الذي يجلب فيه الربح . ان الربح هو الاساس عند الراسمالي ، بينما يأتي اشباع الحاجات في المرتبة الثانية .

وتحت راية التقارب، تقوم الراسمالية بتمثيلية هزلية . الرأسمالية تغير من الوانها . ويفضل مستر السبي ان يسمي «المجتمع الجديد الموحد» بـ « الاستهلاكيـــة » بدلا من الرأسماليـــة أو الاشتراكية .

وشعار هذا المجتمع هو « أن المستهلك دائما على حق » .. ولسوف تختفي كلمات « العمال » و « الموظفين » و « الراسماليين » ، الخ . فهم جميعا مستهلكون ، ويجب احترامهم . وبخفة اليد هذه يحظى العمال والراسماليون بالتبجيل والتعظيم على قدم المساواة .

ويميل بعض الكتاب الى تسمية « المجتمع الجديد » بالمجتمع الصناعي . ويفترضون أن هذا المجتمع يواجه مهمة واحدة بغض النظر عن أشكال ملكية وسائل الانتاج التي يتخذها : وهي ادارة المصانع بفعالية بغض النظر عن مالكيها . ولما كان الاتحاد الســـوفييتي يؤمن بضرورة مراعاة احتياجات السكان وادارة المصانع بحافز الربح ، فنحن اذن امام برنامج كامل للتقارب : يتبنى الاتحاد السوفييتي الأساليب الادارية التي تميز الراسمالية : ١ ـ مراعاة طلب السوق. ٢ ـ حافز الربح .

ومن العسير القول بما يحكم الامر هنا ... أهو الرغبة في الاقلال من شأن الاشتراكية بالصاق المثالب الاقتصادية للرأسمالية بها، أو على العكس زخرفة الراسمالية وتزويقها باخفاء جوهرها .. الا وهو الملكية الخاصة لوسائل الانتاج .

ولا يملك المرء الا ان يرى ان كثيرا من الكتاب ، بما فيهم مستر السبي ، يؤمنون باخلاص ان التقارب هو التعايش اي التعايش السلمي بين الراسماليه والاشتراكية. فمادامت طريقة التفكير وأساليب الاداره يزدادان قربا من بعضهما ، فلا محل اذن لوجود اى اساس للنزاع بينهما .

ولا يسعنا بالطبع الا ان نرحب بالرغبة في تجنب الاشتباك . ولكن اى نوع من الاشتباك ؟ ان الاشتباكات العسكرية يمكن التخلي عنها بل ويجب ذلك . ولكن « نظرية التقارب » لن تؤدي الى منع الاشتباك بين ايديولوجية المنشأة الخاصة وأيديولوجية الادارة العامة للانتاج .

ان كثيرا من المثقفين في الغرب ـ وفيهم كثيرون مرتبطون بالاشتراكية ارتباطا وثيقا ـ كانوا يدعون الى « ابعاد الاقتصاد عن الايديولوجية ». ويقولون أن مبدا الربح كاف في حد ذاته ، وان اعطاءه الفعالية الكاملة يستلزم القضاء على كل وصاية ايديولوجية على الاقتصاد ، يستلزم اتاحة الفرصة الكاملة للقوانين الاقتصادية الكامنة في هذا المبدا .

ولنستعرض مع ذلك هذه الحجج . ما هي القوانين الاقتصادية التي نحن بصددها ؟ هناك اساسا قانون القيمة . واذا ما سمح له بالعمل بشكل تلقائي دون عائق ،دون «عوائق ايديولوجية» (والمقصود بها هو المبدا الاقتصادي الاساسي للملكية العامة لوسائل الانتاج) ، فان قانون القيمة يؤدي مباشرة الى اعادة الرأسمالية بصـــورة كاملة او جزئية .

ان الايديولوجيين الراسماليين يتلهفون على هذا التطور ، اذ يؤمنون بان التوجيه على اساس مصالح المستهلك والربح سيقضي في النهاية على التخطيط المركز للاقتصاد ، وهو السمة الاساسية للنظام القائم على الملكية العامة لوسائل الانتاج .

ولكن هنا بالدقة يكمن مفتاح الخلاف بين الاشتراكية والراسمالية ، أيا كانت العبارة التي يتشجون بها ، وهو ان الملكية العامة لوسائل الانتاج هي المبدا الرئيسي للاشتراكية ، وجوهرها . ومن هنا كان الهدف الاجتماعي للانتاج هو اشباع احتياجات المجتمع ، وليس الربح ، لانه من المستحيل في الحقيقة أن نتصور هدفا آخر لمجتمع يملك وسائله الانتاجية . ومن هنا ايضا كانت الوسائل الاساسية ـ التوجيه المخطط المركز لانتاج السلعة تطبق عن عمد القوانين الاقتصادية

كى تواجه المطالب المبررة علميا وعمليا . ويستخدم قانون القيمة لا كقانون اولى يعمل بصورة آلية ، ولكن كقانون مفهوم للتبادل المتكافىء المتعادل ، يحدد نسب هذا التبادل عن طريق حساب نفقة العمل الضرورية اجتماعيا ، كقانون للتخفيض الواعى لهذه النفقة الى الحد الادنى عمليا ، بايجاد حوافز مادية للمنتجين ليعملوا باقصى حد من الفاعلية .

ان المنظرين لفكرة التقارب لا يمكنهم ان يفهموا ان الهدف من الاصلاح الاقتصادى فى الاتحاد السوفييتى هو تشجيع روح المشروع ، وليس المقصود هو المشروع الخاص .

ولما كانت وسائل الانتاج تخرج من نطاق الملكية الخاصة فى ظل الاشتراكية ، فان قانون القيمة هنا يعمل كأداة ضرورية وهامة لتوجيه الانتاج الاجتماعى . وهو لا يستطيع ان يؤدى الى تقويض الملكية العامة ، ولكنه بالتاكيد يستطيع ويجب ان يساعد باى وسيلة على رفع مستوى الاستخدام الفعال لهذه الملكية العامة لصالح الشعب العامل كله . ان قانون القيمة قانون ملازم للانتاج السلعى المخطط . ولكن يجب ان تعطى لقانون القيمة فرصة كافية ليحسن ، بواسطة حساب التكلفة ، من الربح والحوافز المادية ، على اساس الطلب وحماية مصالح السوق المنظم — وهى العملية التى يكتمل بها التخطيط — والقضاء على كافة ظواهر الاختلال والعدوان على مصالح المستهلكين السوفييت .

ان التقارب يعنى فى التحليل الاخير ، مزيدا من الاقتراب من بعضنا البعض ، ونحن مع «التقارب»! ولكن اى نوع من التقارب ، وعلى اى اساس ؟! .

يعتقد المنظرون الغربيون ان التقارب يحدث نتيجة لارتدادنا الى الراسمالية . وهذا هراء . فمثل هذه الردة « ليس لها اهمية مطلقا بالنسبة للمصالح التاريخية لاغلبية البشرية ، اى الشعب العامل فى العالم . اننا نؤيد تقاربا « يؤدى بالبلاد الراسماليه الى الاشتراكية . فهذا سرعان ما سيحدث ، طالما تثبت الاشتراكية قدرتها على توفير مستوى حياة وثقافة مرتفع لكل العاملين .

وعندما نتحدث عن المستوى العالى للمعيشة ، فنحن لا نعنى به فقط الرفاهية المادية ، وانما ايضا نطاقا كاملا من تطور كافة الامكانيات المتنوعة لكل فرد . ولقد حققنا بالفعل الكثير فى هذا الشان ، ولكن لا زال امامنا الكثير لننجزه .

ما يجب ان نتحدث عنه اذن ليس هو «التقارب» مع الراسمالية وانما رفض الراسمالية . ولهذه الغاية — ولا غاية اخرى غيرها — يجب ان نطبق بصورة رشيدة تلك الثروة من اساليب الادارة الصناعية ومتابعة طلب السوق ، وهى الوسائل التى تجمعت فى ظل الراسمالية ، والتى لا يوجد لدينا من سبب يجعلنا نتجاهلها ، ما دام يمكن استخدامها بصورة اكثر نجاحا للانتاج السلعى المخطط لصالح المجتمع كله . ان هذه الاساليب تتفق واطار الاقتصاد المركز المخطط . وليست بنا حاجة للنفاق الاقتصادى والادعاء باننا نستطيع ان نحل بواسطة اساليب الادارة المباشرة ، مهاما يمكن حلها بصورة افضل بواسطة اساليب التشجيع الاقتصادى . ان التنبؤ العلمى ، والتخطيط ، والتشجيع الفعال للانتاج بواسطة دافع الربح .. هذا هو سلاحنا الاقتصادى ، ونحن على ثقة انه سيحقق لنا النصر .

لا ترتكبوا اخطاء ايها المراقبون الغربيون ، فلن تكون هذه ردة الى الراسمالية ، ولكنها خطوة الى الامام ، نحو تدعيم الاشتراكية وتطورها . ولا يعنى هذا ولو بادرة او اتجاه الى التوزيع على اساس راس المال ، انه فقط توزيع اكثر فعالية على اساس العمل ، اى تعويض كل مؤسسة عن خدماتها الاصيلة لمالكها الوحيد .. الا وهو المجتمع .

وهذا ما يدركه المراقبون البرجوازيون الموضوعيون ، فقد كتبت نشرة بنك نيويورك سيتى فى عددها الصادر فى اكتوبر ١٩٦٥ عن اصلاحاتنا ما يلى : « ... وبالرغم من هذا فأن الاقتصاد الشرقى بتوجيه دافع الربح سيصبح اكثر انتاجية واثمارا . ونأمل أن تصل امم أوروبا الشرقية الى مستوى معيشة يتفق وعملها الشاق والتضحيات التى بذلتها » .

ما هى الصورة التى ترسمها كل من الراسماليه والاشتراكية لمجتمع المستقبل ؟ .

ان الراسمالية عاجزة تماما فى مجال التنبؤ البعيد المدى . انها عاجزة عن أن تعد الشعب العامل بشىء احسن ، وافضل ما تستطيع تقديمه هو ان الامور لن تسوء ، ولن تكون هناك ازمة وبطالة . والعجيب ان بيتريم سوروكين ، وهو من علماء الاجتماع البرجوازيين البارزين ومدافع

عن نظرية « التقارب » ، قد اضطر الى الاعتراف بأن احد الافضال العظيمة للفكر العلمي في الاتحاد السوفييتي هو وجود علم اجتماع استراتيجي.

حقا ان الرئيس جونسون ونائبه همفري قد اعلنا عن برنامج من الاجراءات للقضاء على الفقر الذي يهدد حياة ٣٥ مليون فرد في اغنى البلاد الرأسمالية . وامثال هذه البرامج توضع بكثرة في الولايات المتحدة . ومنذ عهد قريب ، اصدر عدد من الاقتصاديين البرجوازيين المعروفين بيانا عما اسموه « بالثورة الثلاثية » (السبرنطيقا ، الثورة التكنيكية الحربية ، الثورة المدنيـة) . وقد تبرأ كاتبو البيان من نظرية التشغيل الكامل التي ابتدعها « كينز » في الراسمالية الحديثة ، واثبتوا ان التشغيل الكامل ضار بالاوتوماشن في الانتاج . حقا ان نقابة عمال الصلب الامريكيين قد طالبت بضمان العمل لكل عامل حتى يبلغ سن التقاعد . ولكن هذا ليس الا تهديدا بالبطالة للشباب الذي يدخل سوق العمل . ويقول هؤلاء الاقتصاديون البرجوازيون ان البطالة الجزئية امر حتمي ، يصيب طبقا لتقديرات العلماء الاكفاء، نصف السكان القادرين في الولايات المتحدة . واما النصف الثاني فسوف يشرف على الالات الاوتوماتيكية وينال اجورا مرتفعة،ويدفع ضرائب عالية . وسيكون على الدولة ان تعنى بأمر جيش العاطلين المنتظم ، فتدفع الى راس كل اسرة عاطلة مبلغا من المال يساوي نصف الحد الادنى اللازم للمعيشة . هذا هو النموذج « العلمي » للمجتمع الراسمالي المزدهر ، كل فرد بين اثنين او ثلاثة اصحاء قادرين على العمل ، مصيره الى بطالة مهينة لا تجزي .

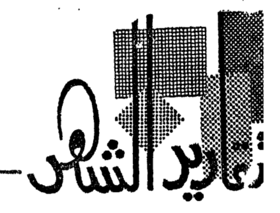
فهل هناك برهان افضل من هذا على قول الماركسية المعروف بحتمية التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج في ظل الراسمالية ؟ .

ما هو النموذج الذي تقدمه الاشتراكية للارتوماشن ـ الاتمتة ـ الشاملة للانتاج؟ ان اساس هذا النموذج واضح : الانتقال التدريجي الى الشيوعية ، اي التوزيع على اساس الحاجة بدلا من العمل . ان دخول الشعب العامل ستنمو مع ارتفاع الانتاجية، وسيمتص النمو الطليق لطلباتهم المعقولة هذه الدخول ... وبمرور الزمن ستؤدي هذه الانتاجية المتزايدة الى مزيد من وقت الفراغ، اي الى خفض ساعات العمل الاجباري للجميع بدلا من فئة ممتازة من المجتمع .

ونكرر ، ان احدا غير ماركس لم يتنبأ بأن ثروة المجتمع ستقاس في يوم ما لا بعدد ساعات العمل وانما بعدد ساعات وقت الفراغ ، ولا يعني بوقت الفراغ التبطل والكسل ، وانما يعني به عملا يبهج الروح ويشبعها .

ان امكانيات نمو المطالب الاجتماعية لا حدود لها ، والنموذج الذي نقدمه يدعو الجميع للعمل طبقا لرغبتهم ، وأن يحصلوا على كل شيء من المجتمع طبقا لاحتياجاتهم البشرية الحقيقية المتطورة عاليا .







خطة طموحة واعباء في مرهقة

الاستثمار المشترك أم صراع الحدود ؟

بن باديس .. رجل الدين والمناضل الثورى

جميع الاحتمالات لمصلحة الثوار

جسر للتفاهم بين أوروبا الغربية والشرقية

■ الاتحاد الاشتراكى العربى

٢٠ مكتبا تنفيذيا و ٢٩٤ جماعة قيادية

بدأ المكتب التنفيذى للقاهرة بتكوين الجماعات القيادية التى طالب المناضل عبد الناصر بتشكيلها حتى يمكن تحريك الاتحاد الاشتراكى ولتكون له الفاعلية فى العمل الثورى وبعد أن تم تكوين عشرين مكتبا تنفيذيا فى عشرين قسما بالقاهرة ـ تمكن المكتب التنفيذى للقاهرة حتى منتصف مايو ١٩٦٦ من تشكيل ٢٩٤ جماعة قيادية على مستوى الوحدات الجماهيرية ؟

وقد شكلت هذه الجماعات القيادية من اعضاء من لجنة الوحدة واللجنة النقابية وأعضاء مجلس الادارة المنتخبين وعناصر منظمة الشباب وعناصر نشيطة مختارة من أقسام الوحدة ومن الادارة العليا .

وبعد خطاب الرئيس فى أول مايو ١٩٦٦ وجه المكتب التنفيذى مناقشة الخطاب داخل الوحدات القيادية والجماهيرية ومن أهم الموضوعات التى دار حولها النقاش : مفهوم الاستغلال والانحراف . القوى المعادية للاشتراكية وماهيتها وكيف تعمل والمعركة القادمة ضد الرجعية ـ خطة التنمية ـ الظروف الخارجية التى تحيط بنا ونحن نبنى الاشتراكية ـ الاتجار بالدين ضد الاشتراكية ـ وحدة القوى الثورية فى العالم العربى فى اطار الاهداف القومية .

ونظم المكتب التنفيذى مناقشات واسعة للخطة تهدف الى مناقشة ودراسة السياسة العامة التى تحكم الخطة وخطوطها الاساسية ـ كما تدير المجموعات القيادية مناقشة لتفصيلات الخطة على مستوى « الوحدة الانتاجية » بهدف انجاز الخطة الخاصة بكل وحدة فى وقت أقصر من الوقت المقرر لها وتنفيذها باقل تكلفة .

ويقود المكتب التنفيذى للقاهرة العمل من أجل حل مشاكل الجماهير الملحة بعقد اجتماع مشترك مع المكاتب التنفيذية والمحافظ ووكلاء الوزارات المختصة ـ ومن أهم المشاكل التى نوقشت مشكلة عدد كبير من المواطنين الذين أخلوا مساكنهم اداريا بسبب تصدعها وخصصت لهم مساكن فى مشروع ناصر

ولكن معظمهم لا يستطيعون دفع الايجار المحدد وكذلك مشكلة الف عائلة تسكن الخيام بزينهم ومثلها تعيش فى المقابر وضرورة حل مشكلة اسكانهم بشكل عاجل . كما عمل المكتب على انشاء جمعية تعاونية بين اهالى قسم الدرب الاحمر ومؤسسة الاسكان التعاونى لاقامة مبان فى الخرابات المنتشرة بالحى .

وواجه المكتب مشكلة الاستقبال بالمستشفيات ، باعتبارها من المشاكل الحادة التى تواجه المواطنين حيث كان نظام تحديد ايام لكل مستشفى لاستقبال الحوادث يسبب مشقة للمواطنين ، فاتفق على ان يتقبل مستشفى القصر العينى جميع الحوادث فى اى وقت ومن اى مكان والمكتب فى سبيل الاتفاق مع كل المستشفيات لاستقبال جميع الحوادث .

وواجه المكتب مشاكل صغار الحرفيين المشتغلين « بالحرف المنقرضة » فى الدرب الاحمر وباب الشعريه وذلك بالعمل على استخدام المبالغ المعتمدة لتدعيم هذه الحرف عن طريق مؤسسة التعاون الانتاجى وفتح مراكز للتدريب وسوق خاص بسلعها .

ولمعالجة النقص فى تقديم الخدمات الصحية والاجتماعية فى الاحياء المختلفة اتفق المكتب مع المحافظة على حجز عدد من الشقق فى الاحياء المختلفة لمرافق الخدمات الصحية والاجتماعية .

ولحل مشاكل توزيع الخضر والفاكهة يعمل المكتب على تكوين جمعية تعاونية لتجارة الجملة للفاكهة والخضر بروض الفرج . كما يعمل على انشاء جمعية تعاونية لصناعة الاحذية وسيعمل على تمكينها من الحصول على الجلد والمواد اللازمة من مصادرها الاساسية وعلى ايجاد مراكز لتصريف انتاجها فى القطاع العام مع التحكم فى أسعار التكلفة والربح .

وأمام المكتب التنفيذى العديد من المشاكل اليومية تعمل على ايجاد الحلول الملائمة لها على اساس التعاون الكامل بين الجماهير والاجهزة الشعبية والادارية ومساهمة الجماهير مساهمة ايجابية .

وفى سبيل تكوين القيادات واعدادها للعمل ينظم المكتب حلقات نقاشية للمكاتب التنفيذية فى قاعة الشعب بالاتحاد الاشتراكى ويناقش فى هذه الحلقات موضوعات عديدة — مثل — قواعد الاجتماعات ، واسلوب العمل السياسى فى المرحلة الحالية ، ومعنى التحول الاشتراكى ومقتضياته .

●

المؤتمر السادس للاتحاد النسائى العربى

عقد فى القاهرة من ١ — ٧ مايو ١٩٦٦ المؤتمر السادس للاتحاد النسائى العربى العام ، الذى تأسس فى مدينة القاهرة عام ١٩٤٤ . وكانت قد دعت الى تأسيسه السيدة هدى شعراوى رئيسة جمعية الاتحاد النسائى المصرى واشتركت معها فى التأسيس رئيسات الاتحادات النسائية المحلية فى كل من شرق الاردن ، السيدة املى بشارات ، والجمهورية السورية السيدة عادلة بيهم الجزائرى وعن المملكة العراقية السيدة نظيمة العسكرى وعن فلسطين السيدة زليخا الشهابى وعن جمهورية لبنان السيدة روز شمعه .

وقد رأس الاتحاد منذ نشأته فى عام ١٩٤٤ حتى مؤتمره السادس فى أول مايو ثلاثة رائدات نسائيات عربيات من السيدة هدى شعراوى من عام ١٩٤٤ — ١٩٤٩ ثم الانسة ابتهاج قدوره رئيسة اتحاد لبنان من عام ١٩٤٩ — ١٩٥٧ — ثم السيدة عادلة بيهم الجزائرى من سوريا من ١٩٥٧ — ١٩٦٢ ثم اعيد انتخاب الانسة ابتهاج قدورة من ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ .

وتميز المؤتمر الاخير بأن قراراته توحى بتغيير أساسى فى طبيعة نشاطه فقد تضمنت :

● مناقشة المكتب الدائم للاتحاد لمشروع الدستور الذى تقدم به وفد الجمهورية العربية المتحدة . ثم اقراره بعد ادخال بعض التعديلات عليه ثم انتخاب امينة جديدة للاتحاد واقرار تثبيت مقره الدائم والموافقة على أن يكون فى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة .

● تقسيم المشتركات فى المؤتمر والبالغ عددهن ٢٥٠ من ١٢ دولة عربيه الى خمس لجان اساسية هى لجنة الاسرة ولجنة الرعاية الاجتماعية ولجنة الثقافة ولجنة قضايا الوطن العربى ثم لجنة العلاقات الدولية .

● تنظيم اربع محاضرات وندوة عامة القيت فى قاعة الشعب فى الاتحاد الاشتراكى العربى عن القضية الفلسطينية والمرأة فى الجنوب العربى ودور المرأة فى الجمهورية العربية المتحدة ثم دور المرأة فى الوطن العربى

● طبع وتوزيع ١٢ دراسة قدمت للمؤتمر — ١١ منها قدمها وفد الجمهورية العربية المتحدة — وناقش فيها القضايا الاتيه . . مجلات الاطفال ، وأثر الاعلام فى تكوين المرأة ، والمرأة العاملة والاسرة ، وأثر الادخار فى الدول النامية ، والاستعمار البريطانى والجنوب المحتل ، والخليج العربى والاستعمار ، والمرأة والدعاية الصحية ، وقضية فلسطين ، والجمهورية العربية المتحدة والحياد الايجابى ، ودور المرأة فى الجمهورية العربية المتحدة

اما البحث الثانى عشر فقد قدمه وفد الجمهورية العراقية وكان عن دور المرأة فى المجتمع العراقى وكتبته السيدة مليحه مونى القصير .

وكان المتوقع أن تشترك ١٣ دولة عربية فى المؤتمر السادس للاتحاد النسائى العربى العام . ولكن وفد تونس اعتذر عن الاشتراك فانخفض العدد الى ١٢ وفدا عربيا فقط . ولكن من ناحية اخرى ضم هذا المؤتمر وفودا من اتحادات نسائية كانت بعيدة بعض الشىء عن المساهمة الايجابية فى هذا المجال العربى العام . وهى وفود جمهورية السودان الذى مثلته الانسة فاطمة ابراهيم رئيسة الاتحاد النسائى السودانى ورئيسة تحرير مجلة صوت المرأة السودانية وعضو الجمعية التشريعية السودانية . وكذلك وفد المغرب الذى اشترك لاول مرة ايضا بمندوبتين عن المنظمة النسائية التى تتحد فى المعركة وفى الراى مع حزب جبهة المنظمات الشعبية المغربى وهن السيدة زهراء مليش وخديجة الزهر . وكذلك وفد الجزائر والذى مثله السيدات صفية بن ماضى ومنوبه خالد خوجه وربيعة عبد الله وهن عضوات الاتحاد النسائى الجزائرى وكذلك عضوات جنوب جبهة التحرير الجزائرى . ثم وفد عدن الذى مثلته الانسة رضية احسان وهى احدى المناضلات العدنيات وقد سجنت مرتين بسبب اشتراكها فى تنظيم الاضرابات العمالية والتحريض على المظاهرات ثم السير فيها . ثم وفد نساء اتحاد المرأة الفلسطينى الذى رشحته منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة السيدة عصام عبد الهادى الذى انضم الوفد الفلسطينى القادم من القدس .

واهم ما خرجن به وفود الـ ١٢ دولة عربية من هذا المؤتمر

هو الشكل التنظيمي الجديد الذى أدخل على هيكل الاتحاد النسائي العام والذى لا يرمى الى تدعيمه لملاءمه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى ظهرت على المجتمع العربى فحسب وانما لتلائم كافة الاشكال التنظيمية التى تسير عليها الاتحادات العربية المهنية التى تكونت خلال العام والنصف الاخير .ومن اتحادات المحامين والصيادلةوالاطباء والصحفيين الخ

وكان من أهم العقبات التى تقف دون أداء الاتحاد النسائى العربى العام لدورة رغم بلوغه عامه الثانى والعشرين ، هى عدم وجود مقر ثابت له . فقد كان الدستور الذى وضع فى عام ١٩٤٤ ينص على أن يكون مقر الاتحاد فى محل اقامة الرئيسة العامة . فاذا اقيمت لمدة ثلاث سنوات فى دمشق تحرك المركز الى دمشق واذا اقيمت الرئيسة فى بيروت هاجر وراءها المركز الى بيروت . وبذلك صعب تكوين مقر دائم للاتحاد يتمتع بكافة الصلاحيات التى تدفعه للعمل والمتابعة والتنسيق بين كافة الاتحادات والجمعيات النسائية المحلية والموجودة فى كل الاقطار العربية ، وينزع عنه الارتباط بشخصيه الرئيسة .

وقد خرج التعديل فى الدستور الجديد بالقرارات التالية :

- ان يكون للاتحاد امينة عامة لها امينات مساعدات فى كل قطر عربى .
- ان يكون لامانة الاتحاد مقر دائم فى القاهرة .
- ان يكون هذا المقر الدائم كافه الاجهزه التى توفر له امكانيات العمل الفنى والمتابعه والتنسيق والمحاسبه ثم الحركة بين حامه الانشطه النسائيه فى كافه الاقطار العربيه .
- السلطة العليا فى الاتحاد للمؤتمر العام الذى يعقد مرة كل ثلاث سنوات وتحضره عضوات من الـ ١٣ دولة عربية التى تضم اما اتحادات نسائية عامة أو جمعيات أو منظمات نسائيه محلية .
- للاتحاد مكتب دائم يقوم بالتنسيق ورسم الخطوط التى يضعها المؤتمر العام فى شكل أعمال تلزم بها الامينـه العامة والامينات المساعدات فى كل قطر عربى .
- للمكتب الدائم حق اختيار الامينة العامة ومحاسبتها وللمؤتمر حق محاسبه الجهتين معا .
- للاتحاد ميزانيهتعرض فىالمؤتمر العام لاقرارهاوالمحاسبة عليها .

ومن القرارات الهامه التى اتخذها المؤتمر التزام الامانة الدائمه للاتحاد باصدار مجله نسائيه دوريه توزع على جميع الاقطار العربية . ثم اصدار دليل سنوى للمراة العربية يلقى الضوء على الشخصيات النسائية البارزة فى الحقل العام والانشطه النسائيه العربيه .

هذا بالاضافه الى القرارات الداخليه الاخرى والتوصيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافيه التى اعلنت فى الصحف والمجلات .

●

حوار بين الاتحاد الاشتراكي العربي والحزب الشيوعي الفرنسي

فى اطار خطة الاتحاد الاشتراكى العربى فى ادارة حوار سياسى وفكرى مع كل الاحزاب والتنظيمات السياسية التقدمية فى العالم، تم فى القاهرة خلال الشهر الماضى بناء على دعوة من الاتحاد الاشتراكى لقاء بينه وبين الحزب الشيوعى الفرنسى

وقد مثل الحزب الشيوعى فى الحوار وفد برئاسة ايتان فاجون عضو المكتب السياسى للحزب ومدير صحيفة اليومانتيه وجورج فريشمان عضو المكتب السياسى ، وجوردان عضو اللجنة المركزية ورئيس تحرير المجلة النظرية للحزب وكاريل رئيس تحرير يومانيه الاحد والسيدة لوك مسئولة منطقة تنظيمية بالحزب .

اما وفد الاتحاد الاشتراكى فقد تكون برئاسة كمال الدين رفعت امين الفكر والدعوة ، وحسين ذو الفقار صبرى امين العلاقات الخارجية ، وعبد الفتاح ابو الفضل امين شئون الاعضاء ، د . ابراهيم سعد الدين مدير المعهد الاشتراكى ، وامين عز الدين ولطفى الخولى عضو امانة الدعوة والفكر الاشتراكى .

ولم يقتصر اللقاء على اجراء الحوار بين الوفدين وانما اتيح للوفد الفرنسى مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى وكذلك على صبرى الامين العام للاتحاد ، كما قام بزيارة عدد من المدن ومواقع النضال الشعبى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

ويعتبر هذا اللقاء هو ثانى لقاء يتم فى القاهرة مع حزب شيوعى فى اوربا الغربية فقد سبق ان التقى الاتحاد الاشتراكى خلال عام ١٩٦٥ مع وفد يمثل الحزب الشيوعى الايطالى .

وهو ايضا ثانى لقاء يتم مع حزب فرنسى ، فقد سبق للاتحاد ان التقى فى القاهرة مع وفد يمثل حزب الاتحاد الجمهورى الجديد ، الديجولى الحاكم برئاسة «بيير باسكوينى» نائب رئيس الجمعيه الوطنية الفرنسية فى مارس ١٩٦٦ .

والحزب الشيوعى الفرنسى هو من اقوى الاحزاب وزنا وشعبية فى فرنسا واوربا الغربية بصفة عامة ، وقد وقف باستمرار مناهضا للاستعمار القديم والجديد ومؤيدا لحركات التحرر فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية وحقها فى تقريرمصيرها وسيادتها الكاملة على مقدرات شعبها وارضها . وكان هو الحزب الفرنسى الوحيد الذى وقف بشجاعة ضد العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ واشتراك حكومة الجمهورية الرابعة فيه بعد تأميم قناة السويس .

وقد تعرضت المحادثات بين الوفدين الى الموقف الدولى المعاصر وصرعات القوى فيه ومظاهر العدوان الاستعمارى العنيف على بعض الشعوب اليوم مثل فيتنام والجنوب العربى واليمن وكذلك شملت المباحثات عددا من القضايا الفكرية والتطبيقية حول الاشتراكية والتنظيمات الحزبية والجماهيرية ومواقع النضال التحررى والاجتماعى فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية مع عرض ومناقشة لكل من التجربة الثورية المصرية بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومواقفها الدولية وكذلك لمنهاج الحزب الشيوعى نحو توحيد الجبهة اليسارية والديمقراطية فى فرنسا لاقامة نظام ديمقراطى جديد فى فرنسا يسعى نحو التحول الاشتراكى السلمى .

واحتلت قضية فلسطين مكانا بارزا من المحادثات فقد قام وفد الاتحاد الاشتراكى بعرض شامل لهذه القضية وجذور وابعاد الصراع العربى الاسرائيلى باعتباره جزءا من الصراع بين حركة التحرير التقدمية العالمية وبين القوى الاستعمارية والامبريالية المتحالفة مع العنصرية الصهيونية واكد الوفد المصرى على التمييز الكامل — نظريا وعمليا — بين اليهود كبشر ومواطنين لهم جميع حقوق البشر والمواطنين وواجباتهم فى كل بلد وبين الحركة الصهيونية واسرائيل كحركة استعمارية عنصرية وقاعدة عدوانية . واكد الوفد الفرنسى أنه تفهم جيدا الموقف العربى من القضية وأنه سيقوم بعرضه على قيادة حزبه وقواعده .

وقد صدر عن الوفدين بيان عن محادثاتهما أكدا فيها أنهما يواصلان العمل ضد الاستعمار القديم والجديد فى كل مكان وضد العدوان على فيتنام واليمن والجنوب العربى وضـد

الاحلاف والقواعد العسكرية والتسابق النووى للاسلحة ، كما اكدا تمسكهما بسياسة التعايش السلمى بين الدول المختلفة الانظمة ، في نفس الوقت مع الكفاح ضد الاستعمار والعدوان وفي تأييد الحركات التحريرية التقدمية في كل مكان من اجل الاستقلال الوطنى وشق طريقها الاصيل نحو الاشتراكية والغاء استغلال الانسان للانسان .

وتم الاتفاق على استمرار اللقاءات والحوار بين التنظيمين وقبل الاتحاد الاشتراكى الدعوة التى وجهها الحزب اليه لايفاد وفد مماثل الى باريس .

●

■ **الجمهورية العربية المتحدة**

ناصر — كوسيجين

تابعت الدوائر السياسية العالمية باهتمام شديد ، زيارة السيد اليكسى كوسيجين رئيس الوزراء السوفييتى للجمهورية العربية المتحدة . وهى أول زيارة يقوم بها لدولة غير شيوعية منذ توليه السلطة . وتأتى الزيارة ايضا وسط ظروف دولية شديدة التعقيد ، سواء على مستوى الشرق الاوسط ، أو العالم .

وضم الوفد السوفييتى السيد اندريه جروميكو وزير الخارجية والاميرال سيرجى جورشكوف قائد البحرية السوفييتية ، ونائب وزير الدفاع ، وسيميون سكاتشيكوف رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية ، وبيترو نيباروجنى وزير القوى الكهربائية ، وقد دارت محادثات ناصر — كوسيجين ، حول مسائل محلية كالمسائل الاقتصادية التى تهم علاقات البلدين ، بالاضافة الى دراسة شاملة للتطورات السياسية الهامة فى الموقف الدولى والاوضاع السياسية فى منطقة الشرق العربى ، ومشكلة فيتنام والامن الاوربى ونزع السلاح ومسالة مواجهة المد الاستعمارى الزاحف على حركات التحرر الوطنى .

وقد اتفق الرئيسان ناصر وكوسيجين فى البيان المشترك الذى اعقب محادثاتهما ، على ضرورة العمل على تخليص العالم من أخطار سياسة القوة أو التهديد بها ، وضرورة تدعيم التعاون بين الشعوب والدول المحبة للحرية ، من أجل حماية الانتصارات الضخمة التى حققتها وبذل جهود دولية قوية تستهدف تحقيق الاستقرار الاقتصادى والتنمية لهذه الدول مما يمكنها من الحفاظ على سلامة كيانها وتدعيم مقاومتها لمحاولات الانتقاص من سيادتها واعربا عن مساندتهما لنضال شعب فيتنام والشعوب الاسيوية والافريقية فى نضالها من أجل التحرر . واعرب الاتحاد السوفييتى عن تأييده التام لنضال الشعوب العربية ضد سياسة القوى الامبريالية التى تسعى لاحياء التكتلات العسكرية الاستعمارية فى الدول العربية . وايدا تأييدا تاما الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ونضال شعب الجنوب العربى .

واعلن الرئيس اليكسى كوسيجين فى خطابه بمجلس الامة ، تأييده لموقف الجمهورية العربية المتحدة من المسألة اليمنية . واكد فيما يتعلق بتطور الاوضاع فى الشرق العربى ، ضرورة تلاحم جميع قوى الحركة التحررية الوطنية المعادية للاستعمار ، وضرورة احتفاظها بالتضامن ، لتحطيم جميع المساعى المؤدية لاعادة السيطرة الاستعمارية . واكد ان الجمهورية العربية المتحدة تستطيع الاعتماد دائما على مساعدة الاتحاد السوفيتى وتأييده المستمرين .

وفيما يتعلق بالامن الاوربى ، اتفق الجانبان على أن احدى الدعامات الاساسية لتحقيقه ، تكمن فى ايجاد تسوية سلمية للمشكلة الالمانية ، واكدا الاهمية الحيوية لابرام معاهدة دولية لمنع انتشار الاسلحة النووية ، وعقد مؤتمر دولى لنزع السلاح وادخال الصين الشعبية الامم المتحدة — وعبر الجانب العربى عن تقديره الكبير للمساعدة الاقتصادية والفنية التى يقدمها الاتحاد السوفيتى للجمهورية العربية المتحدة .

وقد اجتمع كوسيجين قبل سفره باحمد الشقيرى وبوفد الجمهورية اليمنية برئاسة حسن العمرى رئيس وزراء الجمهورية اليمنية ، واعلن القاضى الايريانى أن كوسيجين قبل الدعوة التى وجهها اليه الوفد لزيارة اليمن واضاف أن رئيس الوزراء السوفيتى يؤيد الثورة اليمنية والنظام الجمهورى وأبدى استعداده لتقديم المساعدات للجمهورية اليمنية .

وقد أثار الاجتماع تعليقات عديدة من جانب المعلقين والمراقبين السياسيين فى الصحف الغربية التى راحت تشن حملة من الافتراءات والتهديدات ضد الجمهورية العربية. ويعزو المراقبون التقدميون هذا الموقف الهستيرى الى ان اللقاءات بين القيادات الثورية والتضامن بين القوى المعادية للاستعمار ينبىء بانحسار موجة المد الرجعى الاستعمارى ، وانتقال جانب المبادرة الى قوى التحرر الوطنى والاشتراكية والجبهة المعادية للاستعمار

●

اللقاء السابع عشر .. ومهام عام ١٩٦٦

أبدت وفود دول عدم الانحياز فى الامم المتحدة اهتماما شديدا ، باللقاء السابع عشر بين الرئيسين جمال عبد الناصر وجوزيب بروز تيتو ، واعتبرته احياء للقوة الدافعة لسياسة عدم الانحياز .كما تابعت الدوائر الغربية وخاصة الفرنسية منها باهتمام هذا اللقاء ، فأشارت جريدة كومبا الفرنسية الى أن الهدف منه هو « اعادة النهوض بمجموعة الدول غير المنحازة ، واحياء التأثير الذى كانت تتمتع به ، وارساء قواعد جديدة للعمل » .

وقد اكد الرئيسان فى البيان المشترك الذى اعقب محادثاتهما على ضرورة تضامن الجهود بين كافة الدول فى الفترة الحرجة التى يمر بها العالم ، لاحلال السلام وتهيئة الجو الذى يسمح للشعوب بالتركيز على تنمية مواردها للنهوض باقتصادياتها ، ونددا بمحاولات الاستعمار الهادفة الى التدخل فى شئون الدول الافريقية ، واعربا عن ترحيبهما باتجاه بعض هذه الدول الى اتخاذ مواقف مستقلة فى المشاكل الدولية ، وتمسكها بمبادىء عدم الانحياز ، وبالتضامن الافروآسيوى فى ظل منظمة الوحدة الافريقية . وطالبا بضرورة وقف الغارات على جمهورية فيتنام الديموقراطية ، واحترام وتطبيق اتفاقيات جنيف . كما ايدا حق شعب فلسطين فى استعادة حقوقه الشرعية ، وضرورة عقد مؤتمر دولى لنزع السلاح تحضره كافة دول العالم . واتفقا

على ضرورة البدء فى الاعداد لهذا المؤتمر والعمل بكافة الوسائل لضمان اشتراك جميع الدول فيه . كما عبر الطرفان عن اقتناعهما بضرورة تدعيم الامم المتحدة بشتى الطرق لتتمكن من ارساء وزيادة التعاون بين الدول والحفاظ على السلام .

وقد جاءت أولى نجاحات مباحثات ناصر مع تيتو ، بموافقة السيدة أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند على الاقتراح المشترك الذى بعث به الرئيسان لعقد اجتماع ثلاثى بينهم . ورددت بعض وكالات الانباء ، نقلا عن مصدر هندى رسمى ، أن مؤتمر قمة لدول عدم الانحياز يمكن أن يعقد فى نيودلهى قبل نهاية العام الحالى ، بعد أن يعقد اجتماع الاقطاب الثلاثة ويتفق ذلك الاسلوب فى العمل مع ما أشار به الرئيس عبد الناصر فى حديثه الى الصحفى الهندى كارانجيا والذى أشار فيه انه لا يمكن الان تنظيم مؤتمر كبير لدول عدم الانحياز بسبب انشغال كل منها بمشكلاتها الخاصة ، وانه من الافضل عقد اجتماعات ثنائية بين الرؤساء الاكثر تقاربا لتقدير الموقف الجديد ثم تحديد الخطوة التالية بعد ذلك .

ولذا فان عديدا من المراقبين قد أشاروا الى هذه المباحثات، باعتبارها مبادرة مثمرة لاعادة الحيوية لمجموعة دول عدم الانحياز لتساهم بشكل أكثر فعالية مما كان عليه طوال عام ١٩٦٥ ، وبداية سنة ١٩٦٦ للتغلب على العقبات التى تعرقل الجهود الرامية لتحسين الموقف الدولى المتفاقم الخطورة .

●

الحـزب الرجـعى يتحرك
والثورة له بالمرصـــاد

نقرر

تشكيل لجنتين رئيسيتين لمتابعة عمليات حصر الجيوب الاقطاعية فى جميع محافظات الجمهورية . بعد ان كشفت حادثة كمشيش عن مدى النفوذ الذى لا تزال تتمتع به عديد من الاسر الاقطاعية . وكان القائد عبد الناصر قد اكد فى خطابه بالمحلة ان القوى التقدمية لا تسعى لان يكون الصراع دمويا، ولكن القوى الرجعية هى التى تلجا الى العنف . ولم تكد تمر أيام على هذا الخطاب حتى كشفت الاحداث عن صدق هذه القاعدة ، على اثر وقوع جريمة كمشيش التى راح ضحيتها الشهيد صلاح حسين .

وسرعان ماجرت حلقة جريمة كمشيش حلقات أخرى ، تكون سلسلة من العمليات المترابطة المعبرة عن احتدام الصراع بين كبار الملاك وبين العمال الزراعيين (قضية التلاوى فى المنيا) وفقراء الفلاحين ، وتزداد ضراوة الصراع الطبقى حدة باتساع ونمو النشاط الرجعى والاستعمارى فى المنطقة العربية على حد تعبير مذكرة أمانة شئون الاعضاء .

واكد التحقيق الذى اجرته السلطات المسئولة والتحقيقات الصحفية صحة ما استنتجه المسئولون بالاتحاد الاشتراكى من ان المسألة ليست مجرد قضية تعكس مظاهر الصراع الاجتماعى فى حدود قرية واحدة او انها حادثة فردية ، اذ اتضح مغزاها السياسى ونطاق دلالتها الطبقية عن حقائق عديدة .

● ان صلاح الفقى عميد الاسرة كتب فى مذكراته — التى ضبطت بمنزله — يؤكد ضرورة تجميع أسرة الفقى والاتصال بفروعها فى مختلف المحافظات .

● باجتماع مئات من كبار الملاك الزارعين من مختلف أنحاء الجمهورية فى قصر عائلة الفقى تحت ستار العزاء ، ليتدارسوا خطة متكاملة للتهرب من قوانين الاصلاح الزراعى وتنظيم نشاطهم للدفاع عن مصالحهم الطبقية الاستغلالية ضد قوى الشعب العاملة . وقد ابلغ الشهيد صلاح حسين عن هذا الاجتماع وعن ارقام السيارات التى جاء اصحابها من أنحاء مختلفة من الجمهورية ، الا أن الشبهات والاشاعات التى روجها عنه كبار الملاك جعلت المسئولين يهملونها ويعتبرونها مجرد ادعاءات كيدية .

● ضبط مجموعة من كتب سيد قطب (الثلاثة عشر) وكمية كبيرة من الاسلحة كالمدافع الرشاشة والبنادق الاوتوماتيكية مخبأة فى المقابر والاصطبلات مما رجح وجود علاقة بتنظيم الاخوان المسلمين

● استحوذ العائلة على مراكز رئيسية فى المنظمات السياسية والجماهيرية السابقة لتوجيهها فى خدمة مصالحهم .

● تعاونهم مع بعض رجال الادارة المنحرفين وتسخير بعض القوانين فى القضاء على معارضيهم وعلى القوى الثورية ، لقد نجحوا عن طريق اتهام صلاح حسين بالشيوعية حينا والانتماء الى الاخوان المسلمين حينا آخر ، من عزله سياسيا واعتقاله فترة ما . بالاضافة الى نجاحهم فى تأجيل تطبيق قرار الحراسة على ممتلكاتهم مدة ٢١يوما حتى يتمكنوا من تهريب وتبديد جزء كبير منها ، واستخدام نفوذهم لدى رجال الادارة المحليين لطمس معالم الجرائم التى يرتكبونها ، بل وكاد التحقيق فى قضية مقتل صلاح حسين أن يحفظ .

● تشابه هذه الجريمة مع تلك التى ارتكبت فى المنيا وراح ضحيتها دسوقى على عضو الاتحاد الاشتراكى ببلدة بنى محمد سلطان وجريمة الفيوم .. ، مما يثبت أن الرجعية تستخدم جميع الاسلحة بما فيها الارهاب الدموى للتخلص من العناصر القيادية التى تتصدى للنضال ضد تحالف الاقطاع ورأس المال .

● قدرة كبار الملاك الزراعيين على تهريب الارض وتنويع اشكال الاستغلال الرأسمالى ، فرغم الحراسة التى فرضت عليهم نجدهم يعيشون فى مستوى رفاهية وبذخ على مجتمعنا وفى ظروفنا ، فصلاح الفقى الذى يسكن قصرا فى الاسكندرية قدرت قيمة اثاثه بنحو ١٠٠٫٠٠٠ جنيه يقوم على خدمته ٢٨ خادما و ٦ بوابين و ٦ طباخين و ٦ سائقين لست سيارات فاخرة .. الخ من مظاهر الثراء والتبذير المبتذل .

● ان خطر سيطرة النفوذ الطبقى لكبار الملاك الزراعيين لايرجع الى وضعهم كافراد ، بل بحكم نفوذهم كعائلات ، احتفظت بمكانتها نتيجة لحيازتها مساحات كبيرة من الاراضى ، فرغم أن ملكية الافراد لاتزيد عن ١٠٠ فدان الا أن الملكية الاجمالية للاسرة تسمح لها بالهيمنة على الجزء الاكبر من وسائل الانتاج فى ريفنا المصرى .

وقد بادرت الثورة الى اتخاذ اجراءات رادعة ، كما قام الاتحاد الاشتراكى والصحف التى يمتلكها بالتوعية . وكشف الجيوب الرجعية كما شكلت لجنة لازالة قواعد الاقطاع وتصفيتها برئاسة المشير عبد الحكيم عامر تواصل اجتماعاتها بعد أن وضعت خطة العمل وأسلوبه وحددت صور الاقطاع الزراعى

والوانه سواء كان عن طريق التهرب من قوانين الاصلاح الزراعى أو التحايل عليها ، او كان عن طريق استغلال النفوذ واقتراف الجرائم المختلفة واعطيت مسئولية الكشف عن هذه الصور المعاينة للنفوذ الاقطاعى للاجهزة الشعبية للاتحاد الاشتراكى والاجهزة الادارية واجهزة الأمن مع التأكد من المعلومات التى تدخلها من هذه الاجهزة عن طريق المخابرات العامة والمباحث الجنائية العسكرية تحت اشراف اللجنة .

●

مصير قواعد العدوان

فى الاحتفال بعيد أول مايو ، ووسط اكبر تجمع عمالى فى المحلة الكبرى التى تعد « موقع هام من مواقع النضال الطولى الذى خاضه الشعب المصرى » ، القى رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس الاتحاد الاشتراكى ، خطابا سياسيا واقتصاديا شاملا تعرض فيه لاهم القضايا التى تشغل اهتمام الراى العام فى الداخل والقوى التقدمية فى الوطن العربى .

ويعكس اهتمام المناضل عبد الناصر بالمشاركة فى الاحتفال بعيد العمال، تقدير القيادة الشعبية والدولة «للدور البناء والهام الذى يقوم به العمال فى عملية التحول الاشتراكى» .

وقد تعرض الرئيس فى خطابه، امام جماهير الطبقة العاملة، لعدد من القضايا النظرية والعملية بمستوى من البساطة والوضوح اثار اعجاب المعلقين والمراقبين العرب والاجانب ، توضح استيلاء الرأسمالى على فائض قيمة عمل العامل، لانه «ياخذ عرق الناس، عرق العمال. العامل اللى بيشتغل وقيمة عمله جنيه يديله ربع جنيه وياخد هو الـ ٣/٤ جنيه» كما وضح الرئيس ان «الراسمالية تعمل على بقاء جيش احتياطى من العمال العاطلين» .

وفضح المناضل عبد الناصر — فى خطابه — محاولات الرجعية لاستغلال بعض الاخطاء للتشهير. واكد ان حالات الانحراف «حالات فردية والدولة لها بالمرصاد» .وعندما تعرض الرئيس لمؤامرات الاستعمار والرجعيه التى تواصل تآمرها «على مسيرة الثورة» وضح انها «لن تكف عن ذلك» .وطالب قوى الشعب العاملة باليقظة والوحدة ضد هذه المؤامرات .

وفى صراحة القائد الذى يدرك ابعاد المعركة ومهامها، تحدث عن الخطة الثانية امام جماهير الطبقة العاملة فى المحلة ،باعتبارها «القوة التى تستطيع ان تحول الارقام وتحول التفكير والتخطيط العلمى الى واقع» .ودعا الرئيس الى مناقشة الخطة الاولى واستخلاص الدروس منها، فى وحدات الانتاج وفى الاتحاد الاشتراكى ،الى جانب الخطة الثانية وهى «التعبير الصادق عن ارادة الشعب المصرى وعن عزمه وعن قدرته وعن طموحه وآماله» ووضح انه «اثناء الخطة الجديدة سوف نواجه ايضا معركة» وأكد اننا «نستطيع ان ننجز عملنا وندافع عن مبادئنا» وقد التهبت اكف العمال عندما اعلن المناضل عبد الناصر انه « لا الاستعمار ولا الرجعية هتقدر علينا ،وزى ما احنا قاعدين واحدة واحدة بنصفى فى الاستعمار حوالينا وبنصفى فى الرجعية حوالينا . بناخد بهم سياسة النفس الطويل لغاية ما ينقطع نفسهم.ما أحنا نفسنا هنتعب ابدا» .

ثم انتقل الرئيس الى الوضع العربى ومؤامرة الحلف الاسلامى فأكد انه من تحدى الرجعية ان تتمسح فى الدين. واضاف «ان قوى التقدم مش هى اللى تحول الصراع دمويا. قوى الرجعية هى اللى تحول الصراع دموى» ولهذا حدد المناضل عبد الناصر مسئوليات وواجبات القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى بان عليها «ان تتجمع لتتصدى لمواجهة الرجعية والاستعمار.لابد ان تتجمع على تقدير واع للموقف ولمتطلبات الموقف العاجله والاجلة» .

ويعتقد المراقبون السياسيون ،ان الوطن العربى، سيشهد فى الاونه القريبه القادمة، تحولات على جانب كبير من الاهميه تتفق مع المعانى التى اكدها الرئيس فى خطابه امام آلاف العمال عندما اكد ان القوى الثوريه فى الوطن العربى «مطالبة فى هذا الوقت اكثر من اى وقت آخر، ان تحل تناقضاتها لتواجه هذه المعركة الحاسمة» .

وقد تعرض الرئيس فى ختام خطابه، لقضية الثورة فى اليمن. فأكد انه «لن تستطيع اى قوة ان تضرب الشعب اليمنى .واذا حصل تسلل من السعوديه فاحنا لابد ان نضرب قواعد العدوان ومش حانضرب قواعد العدوان، حنحتل قواعد العدوان ، وكان الرئيس يشير بذلك الى جيزان ونجران.وجدير بالذكر ان المجلس الجمهورى ومجلس الوزراء اليمنى قد اصدرا بيانا يوضح «الاراضى اليمنية المغتصبة فى الشمال والشمال الغربى وتتضمن عسير والمخلاف وبنى مالك» . كما اعلن المجلس الجمهورى ومجلس الوزراء اليمنى تأييدهما التام لخطاب الرئيس .

وقد اثار خطاب المناضل عبد الناصر رد فعل عنيف من جانب قوى الاستعمار والرجعية فاعلن متحدث بلسان الخارجية الامريكية، «ان كل حكومة امريكية منذ عهد ترومان قد اوضحت اهتمامها بالسعودية .كما اعلنت مصادر الخارجية الامريكية ان الولايات المتحدة ستدافع عن السعودية تأكيدا لما جاء فى الخطاب الذى ارسله كيندى الى سعود منذ سنوات مضت . ويشير المعلقون السياسيون ان الملك فيصل طالب بالحاح بان تعلن امريكا تأييدها له وكان ذلك موضوع مقابلته مع السفير الامريكى فى الرياض عقب خطاب الرئيس .

●

خطـة طموحـــة
واعباء غير مرهفـــة

اعلنت اللجنة التنفيذيه العليا للاتحاد الاشتراكى العربى ارقام خطة التنمية الثانيه ، بعد ان اجرت فيها بعض التعديلات الاخيرة ؛ فقد تقررت زيادة الانفاق بمبلغ يساوى ١٢ر٦ مليون جنيه ، تخصص كلها لباب الاجور والمرتبات .

والخطة الجديدة تأتى فى مرحلة حاسمة من مراحل تطور بلادنا . فهى تتم فى وقت تشتد فيه التحديات الخارجية التى تواجهنا والتى تستهدف اول ما تستهدف عرقلة عملية البناء الدا[illegible] الا[illegible] [illegible]ل عبد [illegible]ر واوضح ان امكانيات النصر متوفرة . وكلها تؤكد قدرتنا على العمل فى جبهتين ، التنمية الداخلية ، والمحافظة على تعاليمنا الدولية .

ومن اهم هذه الامكانيات :

● توفر خبرة البناء والتنمية بعد ما نفذ من مشاريع اضطررنا الى الاعتماد فى كثير منها على انفسنا .

● توفر الخبرة فى مقاومة محاولات الحصار الاقتصادى والتخريب وفشل التنمية ، ففى ١٩٥٣ استثمرنا ١٠٠ مليون جنيه وحاربنا مع معركة الجلاء ، وفى ١٩٥٦ استثمرنا ٣٠٣ مليون جنيه وهزمنا العدوان والاحلاف والحصار الاقتصادى، وفى الخطة الماضية استثمرنا ١٥٠٠ مليون جنيه وقمنا بدورنا فى مساعدة حركة التحرير (فى اليمن وغيرها) .

● التعاون الدولى المنزه مفتوح على مصراعيه امامنا ، ووجود الكتلة الاشتراكية التى تقدم قروضا بفائدة ٥ر٢٪ (الغرب ٧٪) .

● التغييرات الاجتماعية والاقتصادية التى تمت فى بلادنا والتى عززت مواقع القوى الاشتراكية .

وحتى تجيء الخطة معبرة بصدق عن ظروف الواقع المصرى مع الاستفادة بالخبرات المكتسبة من تنفيذ الخطة الاولى ولذلك روعى فيها الاتى :

● دقة التقديرات وتمشى الاستثمارات مع طاقة الاقتصاد القومى ومقدرته على التنفيذ .

● اختيار المشروعات التى تحقق عائدا سريعا .

● يكون الباب الاول — من الخطة — الاجور والمرتبات — فى الحدود التى يمكن السماح للاستهلاك بان يصل اليها.

● ان تكون السلع المنتجة فى مستوى يسمح لها بمنافسة الاسعار العالمية .

● تحقيق التكامل والتنسيق بين كل المشروعات .

● مرونة كاملة تسمح بالتعديل سنويا اذا اقتضاه التطبيق .

● استهلاك اقل قدر من العملات الصعبة (٤٠٪ من جملة الاستثمارات بالعملات الصعبة و ٦٠٪ بالعملة المحلية) ومراعاة الاقلال من القروض الاجنبية (حدد الرئيس احتياجاتنا القادمة بمبلغ ٤٠٠ مليون جنيه فقط واثبت تنفيذ الخطة الماضية ان الامكانيات متوفرة محليا فمن ١٥٠٠ مليون اقترضنا ٤٠٠ مليون فقط وتحمل الشعب الباقى) .

● التوسع راسيا فى الزراعة .

● تجنب اى مظاهر تضخمية تنتج من زيادة الانفاق المحلى.

● دعم جهاز الانشاءات .

● الا يكون الهدف زيادة عدد المصانع على الاطلاق بل تشغيل الموجود بكامل طاقته واستكمال النقص فيه .

● تشغيل المصانع التى تعتمد على خامة محلية اولا .

وقد بلغت استثمارات مشروع الخطة الجديدة ٣١٦٦ مليون جنيه توزعت على القطاعات التالية :

● الصناعة : خصص لها مبلغ ١١٠٢ مليون جنيه ، وهو يعادل ٣٥٪ ، اى اكبر نصيب من الاستثمارات فالخطة الثانية هى خطة « الصناعات الثقيلة » بحق ، فالاستثمارات موجهة اساسا الى انتاج البترول ، التعدين (الحديد من الواحات البحرية) ، والصناعات الكيماوية ، والهندسية والمعدنية . وهذا بالطبع لا يعنى اهمال الصناعات الاستهلاكية .

● الكهرباء : خصص لها ٢٦٣ مليون جنيه (تعادل ٨ر٤٪) لتنفيذ مشروعات هيئة السد ومؤسسة الكهرباء ، ومن ضمنها بدء تشغيل محطة كهرباء السد من العام القادم .

● الزراعة : خصص لها ٢ر٢٨٧ (تعادل ١ر٩) ، من ضمنها مشروعات توسع افقى باستصلاح ٦٠٠ الف فدان وزراعة ما تم استصلاحه فى الخطة الاولى ، ورفع كفاية الارض بمشروع تنظيم الانتاج الزراعى وانشاء محطات البحوث وحماية الثروة النباتية .

● الرى : ٦ر٢٦٩ مليون جنيه (٥ر٨٪) .

● السد العالى : ٥ر٤١ مليون جنيه (٣ر١٪) .

● النقل والمواصلات والتخزين : ٥٥٨ مليون (٦ر١٧٪).

● الاسكان : ٢٧٠ مليون جنيه (٥ر٨٪) منها ١٤٠ مليون جنيه للقطاع العام ، ١٣٠ مليون للقطاع الخاص .

● المرافق العامة : ٥ر٩٧ مليون (٥ر٣٪) .

هذا غير ٢ر٧٦ مليون للتعليم والبحث العلمى ، ٣٦ مليون للخدمات الصحية ، و ٤٢ للخدمات السياحية .

وتستهدف الخطة التى ستنفذ فى سبع سنوات بدلا من خمس، ايجاد فرص عمل جديدة فخلال ٦ سنوات ستزداد ٤ر١ مليون فرصة عمل وزيادة الدخل بنسبة ٩٤٪ مما كان عليه فى ٥٩/ ١٩٦٠ . وقد تقرر مضاعفة الدخل فى ١٢ عاما بدلا من عشرة، حتى لا يتم اى نوع من الاجهاد من ناحية فالمدخرات المحلية لا تبلغ سوى ١٤٪ بينما تقتضى مضاعفة الدخل فى ١٠ سنوات ان تكون ٢٠٪ . الخطة زيادة الصادرات الى ٤٢٤ مليون جنيه الى جانب سد حاجات الشعب من السلع والخدمات.

وستنتهى الخطة الجديدة فى ١٩٧٢/٧١ اى بعد ٦ سنوات لان السنة الماضية اعتبرت من ضمنها . وقد اعلنت دول كثيرة عن رغبتها فى المساهمة فى الخطة وآخر هذه الدول فرنسا التى تقدمت للمساهمة بمبلغ ٣٠ مليون جنيه ، والمانيا الشرقية بمبلغ ٣٦ مليون جنيه وكذلك تشيكوسلوفاكيا والبنك الدولى للانشاء والتعمير .

وستجرى مناقشة الخطة فى كافة الوحدات الانتاجية، وفى وحدات الاتحاد الاشتراكى ، وسيقوم مجلس الامة بمناقشتها وابداء الرأى فيها ، كما ستطرح على مؤتمر الانتاج الثانى الذى سيعقد قريبا ومؤتمر المديرين ، فى نفس الوقت الذى تجرى فيه مناقشة النتائج المترتبة على الخطة الاولى واستخلاص الخبرات الدافعة لضمان حسن تنفيذ الخطة الثانية . من واقع خبرة النشاط الانتاجى فى الخطة الاولى . وقد اعدت وزارة التخطيط نظاما جديدا لاحكام الرقابة المالية على تنفيذ الخطة ، كما وضع نظام لتقييم اعمال الوحدات الانتاجية حتى يمكن تلافى اى نقص يظهر فى التطبيق .

■ **الجزائر**

الاستثمار المشترك ام صراع الحدود ؟

أعلن الرئيس هوارى بومدين تأميم ١١ منجما للمعادن فى الجزائر واوضح فى خطاب وجهه للشعب الجزائرى بالراديو « ان الجهود المبذولة للتصنيع ينبغى ان تعتمد فى المقام الاول على استغلال مواردنا الارضية ويستبين خاص مواردنا المعدنية . فالثروات الباطنية التى تشكل العنصر الاساسى لاى تطور اقتصادى ، كانت لاتزال بعد ٤ سنوات من استقلالنا ، بيد الشركات الاجنبية ، بيد الاحتكارات التى كانت تحدد حسبما ترى ، احجام الانتاج والاسعار . وان تأميم صناعة التعدين ينمشى مع سياسة الحكومة التى تهدف الى سيطرة الشعب على جميع مصادر الثروة فى البلاد » وقد اعتبرت العقارات التى هجرها اصحابها فى مناطق المناجم المؤممة» ملكاللدولة ، واكد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائرى انه لن تقدم عنها تعويضات . هذا فى حين كانت الاوامر التى صدرت بالتأميم ، قبل ذلك ، فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٦٢ ، وفى ١٨ فبراير سنة ١٩٦٣ تعترف ببعض الحقوق ازاء الملاك القدامى . وتبلغ القيمة الاجمالية لهذه العقارات ١٠ مليار فرنك .

والشركات الاجنبية التى مستها هذه التأميمات هى شركة **ويترا الفرنسية، وفيبى مونتانى، وبنارويا، وموكتا** ، واكثر المناجم التى اممت اهمية هما منجمى **جبل ونزا** ، **وبوخضرة** من ممتلكات شركة ويترا التى تستحوذ على ٤٪ مناجم الحديد الجزائرية وتنتج حوالى ٣ ملايين طن سنويا اما الشركات الثلاث الاخرى، فلم تمسها التأميمات بنفس القدر ، ليس فقط لان مناجمها المؤممة اقل اهمية ، وانما ايضا لان اغلب اعمالها خارج الجزائر . فشركة فيبى مونتانى مسها تأميم منجم الرصاص والزنك فى **وارسيس** ، وبنارويا مسها تأميم منجم الرصاص والزنك فى **سيدى كمبر وعين البربر** ، وموكتا مسها تأميم شركة حديد **خانجيه** .

وقد عبر عدد من المراقبين عن خشيتهم من اتخاذ عملية التأميم رغم مشروعيتها ــ ذريعة لتجديد الصراع على الحدود الجزائرية المغربية اذ هاجم حزب الاستقلال المراكشى تأميم منجم **جاراجبلة** فى منطقة تندوف المتنازع عليها وذكرت بياناته « ان وجود الجيش الجزائرى فى هذه المناطق لايترتب عليه مطلقا اية حقوق للحكومة الجزائرية فى التصرف فى الثروات المراكشية التى توجد هناك » . وارسل الملك **الحسن الثانى** ، **الطيبى بن هيمه** مدير مكتبه ، ليوضح للرئيس بومدين وجهة نظر حكومة المغرب فيما يتعلق بمنطقة تندوف ــ ومما يلقى الضوء على دقة الموقف بين البلدين ، ان مكامن المواد المعدنية لمنجم الرصاص والزنك فى « **العابد** » ، تمتد من جهة لاخرى عبر الحدود المراكشية الشرقية ، وان كان احتياطيها فى الجانب الجزائرى (١٠ ملايين طن)اكبر منه فى الجانب المراكشى ، وهو يستمد الطاقة الكهربائية التى يحتاجها من مراكش ، ويعتمد فى استخلاص المعدن وتنقيته وصهره على مصنعى شركة مناجم **زليجة** ، ومصنع الصهر فى **ويدلحيمر** وكليهما موجودين فى مراكش . ومصنع الصهر هذا يقتسم فوائده بالتساوى ٥٠٪ مع شركة بنارويا وشركة مناجم زليجة .والشركة الاخيرة تساهم بخلاف ذلك بـ ٣٠٪ من رأسمال الشركة الجزائرية للزنك ومناجم العابد ، ويساهم بـ ٢٠٪ من رأسمالها كذلك المكتب الملكى المغربى للفوسفات . وهذا المكتب يشارك بحصة تبلغ ١٨٪ فى شركة مناجم زليجة ولذا اشارت جريدة **الموند** الفرنسية ان الدولة المراكشية ستكون احد المساهمين الذين مستهم اجراءات تأميم منجم العابد . الا ان مما يلقى ضوءا على الموقف ان **الاخضر الابراهيمى** سفير الجزائر فى القاهرة قد صرح بأن قرار تأميم المناجم على الحدود مع المغرب انما وقع فى القسم الجزائرى .

ومما هو جدير بالذكر ان المعارضة المغربية شنت حملة لتأميم المناجم الاجنبية فى المغرب ، وذلك غداة القرار الجزائرى فطالبت جريدة « العلم » اليومية التى تمثل حزب الاستقلال، بتأميم مناجم الرصاص والزنك فى زليجة وبنارويا فى شرق مراكش ، وكذلك مناجم الكوبلت فى بوعازر ديجرا ، ومناجم الحديد والمنجنيز فى امنى وبوعرفه : هذا فى حين اشار بعض المراقبين التقدميين الى ان الاستثمار المشترك للثروات المعدنية بين الجزائر ومراكش يمكن ان يصبح وسيلة تقارب بينهما تساعد على التغلب على مشاكل الحدود .

وقد اثار مجلس الوزراء الفرنسى فى احدى جلساته الاخيرة، مسألة التأميمات الجزائرية ، الا ان قرارا منه لم يصدر حتى كتابة هذا التقرير . فى حين يتساءل البعض عما اذا كانت هذه التأميمات ستؤثر على المفاوضات التى ستبدا قريبا فى باريس حول تحسين شروط تصدير النبيذ الجزائرى الى السوق الفرنسى ام لا .. هذا وقد ذكرت مجلة « الثورة الافريقية » الجزائرية اخيرا ، ان الجزائر ستقوم بتأميمات جديدة تتناول جميع قطاعات الحياة فى البلاد .

ويجمع المعلقون التقدميون على ان هذه التأميمات تقف دليلا على اهتمام القادة الجزائريين باستكمال استقلال بلادهم الاقتصادى وبدعم اسس بناء الاشتراكية فى الجزائر ، واشارت **الموند** الفرنسية الى ان قرار الرئيس هوارى بومدين سيحوز رضاء النقابات الجزائرية التى شنت حملة على صفحات مجلة « الثورة والعمل » ضد ادارات المشروعات التى اممت ، اكد فيها القادة النقابيون الجزائريون ان سيطرة الشركات الراسمالية الاجنبية فى الارض الجزائرية ، تعرقل القيام بسياسة تصنيع حقيقية فى الجزائر .



● بومدين

بن باديس .. رجل الدين والمناضل الثورى

احتفلت الجزائر اخيرا بمرور ٢٦ عاما على وفاة رائد من رواد الوطنية الجزائرية والوحدة العربية ، ومناضل صلب ضد الاستعمار ، ومفكر كبير واصيل وهب عقله وقلبه لقضية انبعاث الامة وايقاظ اصالة الشعب الجزائرى فى حركة بعث قومى تقدمية رغم وطاة القهر الاستعمارى .. هذا الرائد هو الامام الشيخ عبد الحميد ابن باديس .

ولم يكن ابن باديس من ابناء الشعب الفقير ، بل كان ينتمى الى الطبقة السرية المتميزة . ومع ذلك فقد اختار بوعى جانب امته المقهورة ، وفعل ذلك بتصميم فائق وعناد يضرب به المثل فى امتنا العربية كلها .

واذا كان ابن باديس قد تاثر باحد من الاقدمين فقد اخذ من الامام الغزالى القدرة على الجدال النظرى والمحاجة . لكن ابن باديس كان فى العصر الحديث تلميذا مخلصا لجمال الدين الافغانى وللامام محمد عبده . وقد جذبته ايضا تعاليم المهاتما غاندى بما فيها من مضمون انسانى كريم . وقد وهب حياته للدفاع عن اكرم المثل واقدسها :

● فمن ناحية نذر الشطر الاكبر من جهاده للدفاع عن كيان الامة الجزائرية والمحافظة على مقدمات شخصيتها الوطنية .

● وفى الوقت ذاته ، ومن ناحية اخرى دعا الى الوحدة العربية واكد على مقوماتها ودعا الى الثقة بانتصارها .

وكان فى نضاله الوطنى يتسلح ببصيرة القائد السياسى المحنك الذى يدرك الهدف البعيد بوضوح ولكنه يفتش مع ذلك عن الخطط الجزئية التى توصل الى ذلك الهدف .

وهكذا فى دفاعه عن الشخصية الجزائرية تصدى للمحاولة التى بذلها المستعمرون لاستيعاب القومية الجزائرية . وذلك عندما شرعوا يلقنون تلاميذ المدارس اصول نظرية علميـة زائفة تزعم ان الجزائريين المسلمين والبربر ينحدرون من قبائل الغال ، هذه القبائل التى ينحدر من صلبها الفرنسيون انفسهم . وقد رد ابن باديس على هذا الزعم بقوله : « الجزائر وطننا ، والعربية لغتنا ، والاسلام ديننا » وكتب عام ١٩٣٦ يقول: « لقد فتشنا فى الماضى وفى الحاضر واثبتنا ان الامة الجزائرية المسلمة قد تكونت ووجدت كما تكونت ووجدت كل امم المعمورة» وان لهذه الامة تاريخها ووحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها وتقاليدها .... اننا نقول ان هذه الامة الجزائرية ليست فرنسا ولا يمكن ان تكون فرنسا ، ولا نريد ان تكون فرنسا » .

الا ان الاستعمار لسوء الحظ كان قد تمكن من استمالة اقلية من المثقفين حملة الشهادات الذين سارعوا الى التجنس بالجنسية الفرنسية . كما وجد المستعمرون من بين رجال الدين انفسهم من تبنى دعوة المستعمرين وباركها .

لكن ابن باديس واجه هذا الموقف بخطة ذكية . لقد شدد النكير على فكرة الاستيعاب ، ودعا الجزائريين الى ان يرتبطوا بماضيهم وتقاليدهم مهتما كل الاهتمام بتنبيه الوجدان الدينى فى نفوسهم .

وفى الوقت ذاته التفت بنضاله السياسى الى المثقفين الجزائريين الذين استسلموا لعملية الاستيعاب ومد اليهم يده قائلا فى عام ١٩٣٠ قولته المشهورة : « ان ما ربطته الفطرة لا ينقضه التصنيع ، فهؤلاء القوم من جنسنا وان ابوا ، وتعطفنا عليهم عاطفة اللحمة وان قطعوا .. ونحن لنا اصدقاء من المتجنسين نثق بهم ويثقون بنا » .

واما موقفه من المتاجرين بالدين لحساب الاستعمار فقد قال كلمته الصارمة « لو طلبت منى فرنسا ان اقول لا اله الا الله ما قلتها » — كل هذا رغم تدينه العميق ! وعندما حاول الانجليز عام ١٩٣٨ ان ينصبوا فاروقا خليفة للمسلمين كتب يقول :



● بن باديس

« يتحدثون فى مصر وفى الازهر عن الخلافة كانهم لايرون معاقل الانجليزية الضاربة فى ديارهم . كفى غرورا وانخداعا . ان الامم الاسلامية اليوم — حتى المستعبدة منها — اصبحت لاتخدعها هذه التهاويل ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائم » .

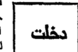
وقد علقت مجلة « المجاهد » الجزائرية لسان حال حزب جبهة التحرير الجزائرى على هذا بقولها « هذا الكلام الذى قاله ابن باديس عام ١٩٣٨ مايزال يحتفظ بقوته ويصلح اليوم للرد على طهاة الحلف الاسلامى » .

لكن هذا القائد الوطنى الذى دافع عن مقومات الشخصية الجزائرية فى صراع الحياة والموت الذى خاضته ضد الغزاة المستعمرين دافع ايضا بنفس القوة وبحجج ذكية عن الوحدة بين الشعوب العربية ففى عام ١٩٣٨ كتب يقول : هذه الامة العربية تربط بينها — زيادة على رابطة اللغة — رابطة الجنس ورابطة التاريخ ... فالوحدة بينها متحققة لامحالة » ولكنه استدرك يقول ان الوحدة تتم بين شعوب متحررة اما الوحدة السياسية بين الامم المغلوبة على امرها « فأمر غير ممكن ولا معقول ولا مقبول » . وقد اثبت بن باديس انه ينتمى الى كل الشعوب العربية بقدر ماينتمى الى الجزائر مما يعكس تجاوبه مع روح ومفهوم القومية العربية فى مرحلة متقدمة من النضال العربى الوحدوى .

●

■ الجنوب المحتل

لمن السلطة بعد الاستقلال ؟



دخلت قضية تحرير جنوب اليمن المحتل ، مرحلة جديدة من مراحل تطورها — خلال الشهر الماضى ، باتت تنبىء باحتمالات اوسع للصدام بين القوى الوطنية من جهة وبين بريطانيا وعملائها من جهة اخرى .

وقد قامت بريطانيا بمناورة اخيرة تستهدف اجراء

المفاوضات مع حكومة السلاطين المسماة بحكومة اتحاد المحميات وبعض العناصر التى انشقت على جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل بالاضافة لعدد من العناصر الاخرى التى يصفها المراقبون بانها « اصبحت تتخذ موقفا مترددا من القضية الوطنية وبدأت تستجيب بشكل اكثر وضوحا لاغراء الريالات السعودية » .»

وقد تمت المناورة البريطانية على مرحلتين : بدات الاولى بان اعلنت حكومة ويلسون البريطانية فجأة ، فى ابريل الماضى « استعدادها للانسحاب من عدن ومنح المنطقة استقلالهما السياسى » .» وعلى اثر هذه التصريحات قام عدد من وزراء حكومة الاتحاد بالاشتراك مع احمد بن عبد الله الفضلى وجميل بن حسين المنشقين على جبهة التحرير ، بعقد مؤتمر فى بيروت اعلن فيه ان حكومة الاتحاد « قررت قبول قرارات الامم المتحدة بشأن الجنوب العربى» . وجدير بالذكر ان هذه الحكومة سبق ورفضت من قبل هذه القرارات التى ادانت حكومة الاتحاد بعدم الشرعية . فهى تنص على الغاء المؤسسات القائمة (ومنها حكومة الاتحاد) والغاء الاحكام العرفية والافراج عن المعتقلين السياسيين تمهيدا لاجراء انتخابات حرة باشراف الامم المتحدة لتكوين حكومة وطنية تتسلم السلطة فى البلاد .»

وتبدى بعض العناصر الاخرى التى تستجيب بشكل اكثر لاغراء الريالات السعودية ميلها الى امكانية قيام هذه المفاوضات والحصول على الاستقلال الذى تعرض بريطانيا منحه والذى تصفه جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل «بالاستقلال الزائف » .

وفى الجانب الاخر ، اذاع عبد القوى مكاوى الامين العام لجبهة تحرير جنوب اليمن المحتل بيانا للجبهة هاجم فيه « مؤتمر عملاء الاستعمار الذى عقد فى بيروت » . وجاء فى البيان « ان المناورة البريطانية الاخيرة تستهدف فسخ قرارات الامم المتحدة من ناحية ومحاولة وقف الثورة من ناحية اخرى» . وقد اكد امين جبهة التحرير « ان الجبهة بوصفها البوتقة التى انصهرت فيها كل القوى الوطنية المؤمنة بالنضال المسلح اسلوبا للخلاص الكامل من الاستعمار ، تعلن انها لن تضع السلاح حتى يتحقق النصر الكامل فى اجلاء المستعمرين وتحقيق اهداف النضال المسلح » .

ولم تلبث المناورة البريطانية ان دخلت مرحلة اخرى ، عندما ثارت فى مجلس العموم البريطانى مناقشة حادة بين حكومة العمال وبين حزب المحافظين . واتضح من المناقشات انه لا خلاف فى الهدف بينهما . وانما يدور الخلاف حول طبيعة الروابط التى تسعى بريطانيا الى عقدها مع سلاطين المحميات بعد استقلال جنوب اليمن المحتل وسحب قاعدتها من عدن . فحزب المحافظين يرى انه على بريطانيا « أن تعقد ميثاقا للدفاع تقوم بموجبه بحماية حلفائها « ــ بينما يتضح من رد ويلسون أن حكومته لا تفكر فى عقد مثل هذا الميثاق . ويفسر المراقبون المطلعون موقف حكومة العمال على انه موقف اكثر ذكاء لا يغامر بتحمل نفقات باهظة للدفاع عن مجموعة من السلاطين مشكوك فى احتمال استمرارهم فى الحكم لانهم لا يتمتعون باى تأييد شعبى . وان حكومة ويلسون تسعى اليوم لاقامة مفاوضات تؤدى الى اعطاء الاستقلال لحكومة تضم عناصر اقل افتضاحا من السلاطين ، وخاصة اولئك الذين لمعت اسماؤهم لفترة فى الحركة الوطنية اما لاغراض انتهازية ، او عن دوافع وطنية سرعان ما انهارت تحت اغراء المال وطموح فى السلطة .»

وكشكل من اشكال الضغط على الحركة الوطنية ، راحت مصادر الخارجية البريطانية تعلن انها «مستعدة لمنح الاستقلال فى ١٩٦٨ ، اذا جاء دليل مرض على ان الثورة قد انتهت» .» وراحت هذه المصادر تتهم « الجمهورية اليمنية وحلفاءها » بتنظيم الثورة فى جنوب اليمن المحتل .»

لقد كشف السلاطين ، على لسان صالح بن حسين العوذلى وزير الامن فى حكومة الاتحاد ، عن مخاوفهم اذا استقلت البلاد وانسحبت بريطانيا دون ان تقدم لهم الضمانات الكفيلة بحمايتهم . وقد سافر بعض وزراء الاتحاد الى لندن ــ فى اواخر الشهر الماضى ــ «لاجراء محادثات حول المسائل الخاصة بالدفاع » .» ويقول المعلقون على الشئون العربية ان الهدف الحقيقى من هذه الزيارة الاتفاق على اقامة جيش تابع لحكومة الاتحاد تمده بريطانيا بالسلاح لحماية حلفائها من السلاطين والعناصر الانتهازية » .

ويرى المراقبون ان بريطانيا مرغمة على التسليم باستقلال جنوب اليمن المحتل ، امام تزايد واتساع نطاق الكفاح الوطنى المسلح الذي تقوده جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل ، وبسبب الظروف الجغرافية والطبيعية المناسبة لحرب عصابات ناجحة من جانب القوى الوطنية .» ولكن القضية الاساسية اليوم هى : من الذى يتولى حكم البلاد وادارتها بعد الانسحاب البريطانى ؟ ومصير القواعد العسكرية ــ خاصة قاعدة عدن ــ فى اطار الاستراتيجية المتطورة للاستعمار الجديد ؟

لقد بعث عبد القوى مكاوى برقية الى يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة ، حول تطورات احداث عدن والجنوب ودعاه فيها « الى تكليف لجنة تصفية الاستعمار بتطبيق قرارات الامم المتحدة بشأن المنطقة » . ومعروف ان اجتماعا هاما ستعقده جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل فى تعز فى الاسابيع القليلة القادمة ، يتوقع المراقبون ان يسفر عن نتائج هامة بشأن تطور قضية تحرير الجنوب من جهة ووضع حد للتحركات السعودية الاخيرة الرامية لتطويق ثورة الشعب اليمنى ، من الجنوب .»

●

■ **الاردن**

التل فى الرياض
والوطنيون فى « الجفر »

نقول

آخر الانباء الواردة من الاردن ، أن حملة الاعتقالات التى قامت بها الحكومة الاردنية ــ منذ اواخر ابريل الماضى ــ قد اتسعت دائرتها وشملت ضباطا فى الجيش ارسلوا مع ٢٠٠ شخص وصفوا بانهم من «اليساريين والقوميين العرب والبعثيين » ، الى معتقل الجفر بالصحراء .» ويشبه المراقبون السياسيون حملة الاعتقال والارهاب التى تجرى ضد شعب الاردن ، بتلك الحملة التى جرت فى أبريل من عام ١٩٥٧ عندما اقيلت حكومة سليمان النابلسى الوطنية وزج بالمئات فى السجون والمعتقلات .

ويربط المراقبون بين أنباء الاعتقال فى الاردن ، وبين الزيارة التى قام بها فيصل ملك السعودية الى عمان فى فبراير الماضى ، لاجراء محادثات مع حسين ملك الاردن حول دعوة فيصل للحلف الاسلامى . وقد جدد الملكان فى تلك الزيارة الاتفاق الذى عقد

فى الطائف عام ١٩٦٢ ويقضى بأن اى عدوان على اى من المملكتين يعد عدوانا على المملكة الاخرى . ومن المعروف ان وصفى التل رئيس حكومة الاردن قد قام فى الشهور الماضى بزيارة الى السعودية ، وصفها مندوب النيويورك تايمز الامريكية فى بيروت بأنها « زيارة ذات مغزى خاص » . فقد تمت بعد بدء حملة الاعتقالات فى الاردن ، وصرح التل بعدها «لقد قررت السعودية تقديم مساعدات الى الاردن للاسهام فى مشروعات التنمية ». وجدير بالذكر أن الملك حسين كان قد أطلق سراح عدد من المعتقلين السياسيين فى الاردن وسمح لعدد من الوطنيين المنفيين خارج الاردن بالعودة الى بلادهم ، فى أعقاب انعقاد مؤتمر القمة العربى الاول فى يناير ١٩٦٤ ».

ويصعب على كل من يتابع الموقف فى الاردن ، أن يقتنع بامكانية استمرار الاوضاع فيه على ما هى عليه ، بعد أن فرض الملك حسين الاستقطاب على التيارات السياسية وحدد مواقع القوى المختلفة بعد ضرب العناصر الوطنية التى تعارض سياسة الحكومة وتوثيق الارتباط بحكام السعودية ونشاطهم بخصوص الحلف الاسلامى ، وكذلك موقفها الاخير من منظمة تحرير فلسطين وعرقلة أعمالها ».

وقد اصدرت كل من اللجنة التحضيرية للعمل الفلسطينى الموحد ، واللجنة التحضيرية للطلبة العرب فى الجمهورية العربية المتحدة ، بيانا نددتا فيه بالسياسة الاردنية وبحملة الاعتقالات وطالبتا باطلاق سراح المعتقلين فورا ».

كما لفتت انظار المراقبين العرب تلك التحولات التى جرت اخيرا ، وتجرى فى اوضاع الكويت الداخلية ، وفى علاقتها بالقوى المتصارعة فى البلاد العربية . فقد عمدت السلطات الكويتية الى حل المجلس البلدى واعتقال عناصر المعارضة البرلمانية ، وأصدرت قرارا بتعطيل مجلة « الطليعة » لسان حال المعارضة وبدات تمهد لتصفية عدد من الاندية والهيئات الشعبية والنقابية ، وكانت قد اصدرت من قبل قانون التجمعات الذى حرم المواطنين من حق الاجتماع للتعبير عن آرائهم ، وقانون الوظائف العامة الذى وضع الموظفين تحت رحمة احكام وقيود تعسفية ، وقوانين الطباعة والنشر التى قيدت حق المواطنين وحريتهم فى الكتابة ».

وقد عزا بعض المراقبين العرب هذه التحولات الى عاملين :

- وقف الاتساع المتزايد لنفوذ المعارضة الداخلية ».
- التمهيد لتقريب الكويت من الحلف الاسلامى ».

تعليق

التدخل الكئيب ويقظة الشعوب

يبدو ان الاستعمار الجديد بالغ فى تقدير قوته فى الفترة الاخيرة ، بعد أن نجحت مخابراته فى قلب بعض الحكومات ، وأوغلت جيوشه ومرتزقته فى مزيد من دماء شعوب القارات الثلاث .

ولعل ما حدث فى الشرق العربى اخيرا ، تعبير عما أصاب المستعمرين الجدد وعملاءهم من غرور واندفاع . فلم يحدث ، بعد فورة الحركة القومية العربية على اثر ثورة يوليو وانتصار السويس ، ان تحرك المستعمرون الجدد وعملاؤهم للعمل الاستفزازى المكشوف مثلما تحركوا فى الفترة الاخيرة .

لم يحدث ان تجرأ احد من خونة القضية العربية على الدعوة الى الصلح مع اسرائيل وتصفية قضية فلسطين مثلما فعل بورقيبة .

ولم يحدث ، بعد سقوط حلف بغداد ، ان خرج احد يدعو الى احياء سياسة الاحلاف الاستعمارية فى الوطن العربى ، مثلما يفعل اليوم حكام السعودية .

ولم يحدث ان تصدى احد من الحكام الرجعيين للتدخل فى بلد عربى شقيق لاخماد ثورة شعبها بسلاح الاستعمار ، مثلما يفعل اليوم مرتزقة السعودية مع فلول الامامية فى اليمن والجنوب العربى.

كذلك ، فان الضغط الاقتصادى ، والنشاط الرجعى والانقلابى الذى يقوم به المستعمرون الجدد ومخابراتهم وجماعاتهم المريبة — اعنف اليوم مما كان فى اى وقت مضى ، وبخاصة ضد الجمهورية العربية المتحدة ، قلب النضال العربى وطليعته وضد جناحيه ، فى الجزائر والعراق .

هذا بعض مابذره المستعمرون فى اندفاعهم المحموم خلال اكثر من عام مضى .

فما هو حصاد هذا البذر المسموم ؟

عزل بورقيبة عن الركب العربى المتحرر ، وتضاعف الاهتمام بقضية فلسطين ، فتكونت القيادة العربية الموحدة ، وولد الكيان الفلسطينى ، وضاعفت الحركة التحريرية العربية استعدادها لخوض المعارك الفاصلة مع اسرائيل .

وتعثر الحلف الاسلامى ، وانكشفت حقيقة الداعين له والارجح ان الحلف المشبوه سيدفن قبل ان يولد .

واشتد ساعد الثورة اليمنية ، وزادت قدرة القوات العربية على مواجهة التسلل المسلح على حدود اليمن ، بل وعلى ضرب قواعد العدوان فى السعودية اذا اقتضى الامر .

واخفق الاستعمار فى تحقيق اى نوع من الاستقرار السياسى أو الانعاش الاقتصادى فى البلاد التى أصاب فيها شيئا من النجاح ، مثل المغرب والسودان .

وطاشت تقديرات المستعمرين فى العراق بعد اختيار عبد الرحمن عارف رئيسا للجمهورية .

وفى الجزائر ، تمضى القيادة الثورية فى دعم البناء الاشتراكى فى الاقتصاد والدولة ، كما تسعى الى رأب الصدع الذى أصاب وحدة القوى الثورية .

وتضع سوريا قدمها ، بعد اقصاء اليمين البعثى المتطرف ، على عتبات عهد جديد يتطلع فيها القطر الشقيق الى آفاق رحيبة من العمل الوطنى والاشتراكى المثمر .

وفى المقدمة ، تقف الجمهورية العربية المتحدة صامدة لكل اشكال الضغط والتآمر ، وتمديدها ، داعية لوحدة القوى الثورية فى الوطن العربى ، ويرتفع صوت رئيسها مبشرا ، رافعا معنويات الشعوب المناضلة فى الشرق العربى ، بل وفى العالم أجمع ، ويدعو — فى ذات الوقت — الى اليقظة والحذر :

« استطيع ان اقول ان اسوأ مرحلة لهجوم الاستعمار الجديد قد انتهت . واذا استثنينا حالتى غانا واندونيسيا .. فان الدول الاستعمارية لم تكسب كثيرا ، وخاصة فى افريقيا .. وانى اميل الى الاعتقاد بان هذا التدخل الكئيب الذى يمارسه الاستعمار الجديد قد انتهى وعفى عليه الزمن ، وان شعوب آسيا وافريقيا تقف اليوم يقظة ومستعدة لحماية حريتها وسيادتها » .

سعد زهران



• الملك فيصل • وصفى التل

البرلمان بسلسلة متلاحقة من المشاريع تناولت ادق شؤون النظام الاقتصادى والاجتماعى والسياسى فى الكويت . كما اصبحت صحفها منابر لتوجيه الراى العام الكويتى . ونجحت فى فضح « اتفاقية تنفيق العائدات البترولية » حتى رفضها البرلمان بالاجماع . واشار بعض المراسلين الصحفيين الى ان السلطات الكويتية قد اخذت بنصائح شركة النفط البريطانية بعد ذلك وعمدت الى تصفية المعارضة بالوسائل غير الشرعية والمسد رجالها اى مناقشات جادة تدور داخل البرلمان حتى تقدم نواب المعارضة استقالتهم ، فلما ازداد ثقل المعارضة ونفوذها بعد الاستقالة ، عمدت السلطات الى القمع والاعتقال .

وقد اشار بعض المراقبين اللبنانيين الى ان تصفية المعارضة التقدمية داخليا ، لم يكن الا لشل المقاومة الشعبية التى يمكن ان تتصدى لادماج الكويت فى نطاق الحلف الاسلامى . خاصة وقد بدا الشيخ **صباح السالم الصباح** يجوب امارات الخليج داعيا الى اتحاد فيما بينها يتعاون مع السعودية فى اتجاه تكوين

وكانت المعارضة البرلمانية قد نجحت فعلا فى اجتذاب قطاعات واسعة من الجماهير حولها . اذ فاجأت الاغلبية الحكومية فى « اتحاد الجزيرة العربية » الذى تحلم به امريكا وبريطانيا ، ويعتبره **الملك فيصل** ، أول اجراء تنفيذى على صعيد الحلف الاسلامى . واذا كان هؤلاء المراقبين قد سجلوا أن الكويت يتحول عن خط الحياد الظاهرى بين القوى التقدمية والرجعية العربية ، الى خط التعاون الواضح مع السعودية الا انهم يعتقدون ان عملية ادماج الكويت فى نطاق الحلف الاسلامى لن تتم بسهولة ، اذ سيتعين على السلطات الكويتية مواجهة المعارضة التى يتزايد انتشارها ضد الحلف .

●

■ اسرائيل

« الالمانى » الجدير بترحيب اسرائيل

استقبلت اسرائيل **كونراد اديناور** مستشار المانيا الغربية السابق ، بحملة مزدوجة من مظاهر الحفاوة والعداء . ويرجع الاحتفاء به الى انه ، كما أوضح الدكتور **جولدمان** العالم الصهيونى : « لم يظهر اى شخص فى المانيا بعد الحرب ، أبدى ما أبداه الدكتور اديناور من ادراك وفهم لفحوى تجربة اعادة العلاقات السليمة بين الشعب اليهودى والشعب الالمانى بعد العهد الهتلرى » فهو الذى منحها تعويضات قدرها ٣٤٥٠ مليون مارك ، ومهد لصفقة الاسلحة السرية معها عندما التقى ببن جوريون فى نيويورك من ستة اعوام ، كما ادت جهوده ايضا الى اقامة العلاقات الديبلوماسية بين اسرائيل والمانيا الغربية . هذا واستهدفت حملة التشهير القيام بالضغط على المستشار الالمانى السابق ليؤكد وعده بتقديم معونة جديدة لاسرائيل قيمتها ٥٠٠ مليون دولار ، وهو الوعد الذى تدعى اسرائيل انه قطعه لبن جوريون فى محادثاتهما السرية التى جرت فى نيويورك عام ١٩٦٠ . وقد قام طلبة الجامعة العبرية بمظاهرات معادية لاديناور ، واعلن حزبى « المابام » و « احدوت ـ هاعفودا » المشتركين فى الوزارة ، مقاطعتهما لجميع الحفلات الرسمية التى اقيمت له . كما اصدر احد الحزبين الشيوعيين الاسرائيليين بيانا تنصل فيه من اية صلة له بالدعوة التى يزور اديناور بموجبها اسرائيل ، الا ان عديدا من الصحف حاولت التخفيف من الحملة الموجهة ضده باعتباره « الالمانى الوحيد الجدير بالترحيب به فى اسرائيل » لخدماته السابقة والحالية للحركة الصهيونية .

وينظر كثير من المراقبين الى هذه الزيارة باعتبارها محاولة من جانب كونراد اديناور لتذليل نقاط الخلاف التى ادت الى تعثر الجولة الثانية من المباحثات الاقتصادية الجارية بين المانيا الغربية واسرائيل ، والتى تضغط اسرائيل ، من خلالها بقصد الحصول على قدر اكبر من المساعدات الاقتصادية . واذا كان قد اعلن رسميا ان الهدف من الزيارة هو تفقد اديناور لما قد تم انجازه فى اسرائيل خلال الاربعة عشر عاما الماضية ، الا ان سلسلة مقابلاته مع **ليفى اشكول** وسائر الزعماء الاسرائيليين تكشف عن الاهداف الحقيقية لتدعيم كيان اسرائيل الاقتصادى والمالى والسياسى والعسكرى ، وان كان بعض المراقبين يعتقدون أن اديناور حاول اقناع الزعماء الاسرائيليين بالتقدم بمطالب معقولة واكثر واقعية ، بدلا من التطرف الواضح فى المباحثات الجارية خاصة وقد طالب اشكول من بون بتقديم قروض ذات فائدة منخفضة لأسرائيل بمعدل ٢٠٠ مليون مارك سنويا ولمدة ١٠ سنوات .

كما لفتت زيارة اديناور لمعهد وايزمان العلمى الانظار الى محاولات أسرائيل دعم التعاون الذرى بينها وبين المانيا الغربية ، والذى تعلق عليه نتائج كبيرة ، بعد أن اصبح عدد علماء الذرة الالمان هناك ٨٨ عالما من ٢٠٠ عالم وبعد زيارة البروفيسور **هانز جنس** والبروفيسور **ولفانج جنتر** وهما من كبار علماء الذرة الالمان لها .

وقد اشار بعض المراقبين التقدميين الى ان التصريحات التى ادلى بها اديناور قبل مغادرته اسرائيل من « أن من واجب المانيا تعزيز المركز السياسى لاسرائيل فى جميع المجالات ؛ وهذا ينطبق أيضا على دور المانيا فى الشرق الاوسط » ، قد كشفت بوضوح عن ان التورط الالمانى معها قد وصل الى مرحلة خطرة حقا وهى ان حكومة المانيا الغربية قد رسمت استراتيجيتها فى الشرق الاوسط على اساس معاداة العرب الكاملة لحساب اسرائيل والصهيونية ولذا فان الأمر يتخطى فى الحقيقة حدود المفاوضات حول المعونات والتعويضات الموقوتة التى صورت على انها الهدف الاساسى للزيارة .

هذا وقد كشف النبأ الذي نشرته « الاهرام » عن صفقة الاسلحة التي عقدتها الولايات المتحدة مع اسرائيل ، والتي نالت بموجبها ٢٠٠ دبابة طراز باتون ، ٨٠ طائرة فـ١٠٤ ، عن الدور العدواني الخطر الذي تعد الولايات المتحدة اسرائيل للقيام به ، تحت ستار من الادعاء بتحقيق التوازن العسكري مع العرب . ذلك الادعاء الذي تعلم الشعوب العربية جيدا حقيقة مغزاه .

●

■ كينيا

الاحتمالات الاربعة

وصل الخلاف بين كينياتا ومبويا من جهة ، وبين اودينجا من جهة اخرى ، الى طريق اللاعودة ، فقد كون الاخير حزب اتحاد الشعب الكيني المعارض . وانضم اليه بعض الوزراء ونوابهم وعدد من اعضاء البرلمان وزعماء نقابات واتحادات العمال . واصبح الوضع في كينيا ، يطرح عددا من التساؤلات الهامة تدور حول احتمالات اربعة : أن تقوم حكومة كينياتا باختلاق معارك على الحدود مع الصومال لتغطية الازمة الداخلية ، خاصة وأن راديو الصومال ـــ كما تقول الايكونوميست ـــ « يمتدح مجموعة أودينجا » . والاحتمال الثاني : أن تقوم الحكومة بحملة اعتقالات يخشى بعض المراقبين أن تبلغ حد الاغتيال . والثالث : أن يقع انقلاب عسكري على غرار ما حدث في غرب افريقيا في الشهور القليلة الماضية . اما الاحتمال الرابع : أن ينجح الحزب المعارض الجديد في كسب الانتخابات الفرعية التي ستجرى هذا الشهر ، وأن يفرض ـــ من داخل البرلمان ـــ وجوده . وعلى أية حال ، فان المراقبين السياسيين يتوقعون أن تشهد كينيا احداثا مفاجئة لا تؤثر في مستقبل اوضاعها فحسب وانما في شرق افريقيا كله .

ومنذ استقالة أودينجا من منصبيه في الدولة (كنائب لرئيس الجمهورية) وفي حزب الكانو الحاكم (كنائب لرئيس الحزب)، ينبيء تطور الاحداث في كينيا عن حتمية وقوع صدام حاد بين حزب اتحاد الشعب الكيني وبين حزب الكانو . فأودينجا يطالب الحكومة بتسجيل الحزب الذي انتخب رئيسا له . ويتطلب هذا تعديل الدستور الذي ينص على نظام الحزب الواحد في البلاد. ومن جهة اخرى ، هل سيسمح لمرشحي الحزب الجديد دخول الانتخابات الفرعية بعد ان اسقط البرلمان عضوية اعضائه الذين استقالوا من «الكانو» وانضموا الى « اتحاد الشعب» أم ستقتصر الترشيحات على اعضاء الكانو فقط ؟ ومن جهة ثالثة ، يتهم حزب الكانو الحزب المعارض الجديد بأنه يعمل على كسب تأييد مجموعة حركة الماو ماو القديمة التي لعبت دورا أساسيا في الكفاح الوطني ضد الاستعمار البريطاني ، وتنظيمها لاستخدامها في التخلص من نظام الحكم القائم ، بما يتضمنه ذلك من الاشارة الى اللجوء الى العنف . الا ان أودينجا نفى بهذا الاتهام بعد أن انكره تماما . واعلن أنه يتحدى خصومه ـ الذين لم يذكر اسماءهم ـــ « بالالتجاء الى الشعب والحصول على حكم منه » .



● كينياتا

وقد تفجرت الازمة في كينيا ، في مارس الماضي أثناء انعقاد مؤتمر حزب الكانو عندما تقدم توم مبويا السكرتير العام للحزب وزعيم جناحه المحافظ ووزير التخطيط باقتراح يقضي «بانتخاب ٨ نواب اقليميين لرئيس الحزب » . وذلك بهدف ابعاد أودينجا وقد انسحب أودينجا ـــ ومعه بعض الاعضاء ـــ من المؤتمر الذي وافق على الاقتراح . ومنذ نوفمبر الماضي والصراع يحتدم بين جناح أودينجا وجناح مبويا على اثر انضمام حزب الكادو (بقيادته المحافظة التي وجدت أنه من الصعب عليها مواجهة شعبية الكانو ورئيسه كينياتا) ، عندما أعلن قيام نظام الحزب الواحد ، فتدعم بذلك الجناح المحافظ في الكانو ووقف كينياتا الى جانبه .

وتجمع الدوائر السياسية ، على أن تغيرا حقيقيا لم يحدث في مستوى معيشة شعب كينيا منذ الاستقلال (١٩٦٣) . وما زالت البطالة منتشرة . ويدفع الافريقيون اقساطا غالية للارض التي وزعت عليهم ، بينما عوض الاوربيون تعويضات خيالية ـــ على حد تعبير الديلي تلجراف البريطانية ـــ وزادت نسبة رءوس الاموال البريطانية والامريكية والالمانية الغربية في الاقتصاد الكيني . وقد صرح أودينجا أن كينيا « لم تعد دولة غير منحازة . وانما أصبحت متحالفة مع البريطانيين والامريكيين» . وجدير بالذكر أن الحزب الجديد اعلن في برنامجه انه يعمل من أجل « تحقيق سياسة اجتماعية واقتصادية وخارجية تعكس الرغبات والمطامح الحقيقية لشعب كينيا » . وأكد أودينجا «أن شعب كينيا لن يسمح بوجود طبقة غنية جدا جنبا الى جنب مع طبقات الشعب الفقيرة جدا » . وتصف الاسكتاتور البريطانية أودينجا بأنه « من أكثر الافريقيين عداء للغرب » .

ويعتقد المراقبون الافريقيون أن أهم المشاكل التي تواجه قيادة الحزب الجديد ، تتلخص في نقطتين : الاولى : مواجهة شعبية كينياتا الواسعة . والثانية : مدى قدرتهم على الاحتفاظ بالوحدة التنظيمية ، اذ يوجد بينهم بعض الخلافات الفكرية . ومن الملاحظ أن قيادة الحزب الجديد تركز هجومها على مبويا وقيادة الكانو دون أن تشير الى كينياتا بالاسم .

■ روديسيا :

المؤامرة •• وبداية حرب العصابات

رفضت الدول الافريقية فى الامم المتحدة المشروع الامريكى الذى يهدف الى ايفاد بعثة الى لندن « للتحرى من ويلسون عن حقيقة موقف بريطانيا تجاه روديسيا ».وقد وصف المراقبون هذا المشروع بانه محاولة لتمييع المشكلة واعطاء بريطانيا فرصة اكثر لكسب الوقت حتى تنتهى الى اتفاق مع حكومة سميث • وقد برز فى الامم المتحدة اتجاها وسطا يدعو لمجرد « تأكيد قرارات مجلس الامن السابقة الخاصة بالمقاطعة والعقوبات الاقتصادية ودعوة جيران روديسيا لاحترام هذه القرارات » • وتتبنى هذا الاتجاه الارجنتين •

ويبدو ان حكومة ويلسون تزمع اتخاذ موقف تأييد اكثر علانية لحكومة سميث فى المرحلة القادمة .وتؤكد السنداى تلجراف البريطانية هذه التوقعات بقولها «لقد غير ويلسون من اهدافه تجاه روديسيا ولم يعد يريد اسقاط سميث ،بل اصبح مستعدا للتعاون معه» • وقد كشفت التايم الامريكية ان المباحثات التى جرت فى لندن فى منتصف الشهر الماضى بين وفد حكومة بريطانيا ووفد حكومة سميث، قد تمت بناء على طلب بريطانيا وذلك بعد ان بعث ويلسون باوليفر رايت الى سالزبورى ،فى اواخر ابريل «بناء على رسالة سرية تلقاها من همفرى جيبس حاكم روديسيا السابق» وتزعم حكومة بريطانيا انها اجرت هذه المباحثات «كمحاولة لجس نبض امكانية الوصول الى حل يضمن تحسين الوضع السياسى للافريقيين فى روديسيا» •

ويرجع المراقبون قيام حكومة ويلسون باجراء هذه المباحثات، الى عدة اعتبارات كشفت عنها تطور الاحداث الاخيرة. اولا : لقد تأكد بشكل واضح فشل العقوبات الاقتصادية والحصار الاقتصادى على روديسيا .ثانيا: ضغط حلفاء بريطانيا فى جنوب افريقيا والبرتغال من جهة وحزب المحافظين فى الداخل من جهة اخرى • ثالثا : نجاح بريطانيا اكثر من مرة فى فشل اى مشروع تتقدم به الدول الافريقية الى الامم المتحدة، فضلا عن ان رد فعل الرأى العام العالمى من استقلال روديسيا غير الشرعى لم يكن جادا او بارزا ، مما يشجع بريطانيا على الاقدام على خطوات اكثر جراة .رابعا: حرص بريطانيا الشديد على الا تفلت الامور من ايديها فى روديسيا خوفا من ان تفلت بالتالى من جنوب القارة ككل •



• ويلسون

ومن الملاحظ ان بريطانيا قد اقدمت على اجراء المباحثات فى نفس الوقت الذى تردد فيه انباء قيام بعض عمليات «حرب العصابات» فى روديسيا .وفى نفس الوقت الذى قامت فيه طائرات الهليوكوبتر التابعة لحكومة سميث بقتل ٧ من الافريقيين الفدائيين بزعم انهم «عبروا الحدود من زامبيا» كما اجرت حكومة سميث محاكمات قضت فيها بالسجن لمدة ١٠ سنوات مع الاشغال الشاقة على عدد من الوطنيين فى روديسيا بتهمة «محاولة اسقاط الحكومة» ويصف المراقبون اقدام بريطانيا على المباحثات فى هذا الوقت بالذات على انه «تأكيد جديد يوضح بشكل قاطع الى جانب من ، وضد من تقف بريطانيا على عكس مزاعمها التى تقول انها تنظر الى حكومة سميث باعتبارها حكومة متمردة وغير شرعية » •

وجدير بالذكر ان السفارة البريطانية فى وشنطن قد اعلنت فى بيان لها اذاعته فى اوائل مايو الماضى «أن بريطانيا سددت مبلغ ٤٩٨،٠٠٠ر١ دولار تدين بها حكومة سميث للبنك الدولى» كما تقول وكالة اليونايتدبرس «ان بريطانيا تضمن قروضا تبلغ فى مجموعها ٤ر٢٧٩ مليون دولار لحكومة روديسيا» •

ويعلق المراقبون اهمية خاصة على قيام بعض الوطنيين فى روديسيا بحمل السلاح ضد حكومة سميث، باعتبار ان ذلك هو الطريق الوحيد لاسقاط النظام العنصرى.

●

■ فيتنام

جميع الاحتمالات لمصلحة الثوار

بعد ان اجرى ليندون جونسون مشاوراته بشان مشكلة فيتنام مع مستشاريه ، اعقبه عقد اجتماع سرى للمجموعة العسكرية الحاكمة فى سايجون ، قامت القوات التابعة لحكومة كاوكى — وتحت اشرافه — باحتلال مدينة دانانج التى تعد مركز الثورة المدنية المطالبة باجراء الانتخابات « فى اقرب وقت » لاختيار « حكومة مدنية تمثل جميع طوائف الشعب واتجاهاته السياسية» •

وقد اعقب ذلك عدد من الاشتباكات بين القوات الحكومية من جهة وبين قوات منشقة عليها والبوذيين من جهة اخرى ، وقد وصلت هذه الاشتباكات الى حد قتل معه العشرات من الجانبين وانتهكت معابد البوذيين واعتقل العشرات منهم ، مما اثار الشعور العام المعادى للحكومة فزاد من الازمة الداخلية للحكم •

وكان الوضع الداخلى فى فيتنام قد تدهور فى الاسابيع الاخيرة الى حد فشلت معه العمليات العسكرية الامريكية والحكومية وتحولت الى هزائم متلاحقة، حتى ان ويستمورلاند (قائد القوات الامريكية فى فيتنام الجنوبية) صرح بقوله «انه للتقليل فقط من عدد الضحايا الامريكية ، ينبغى زيادة القوات الامريكية الى ضعف عددها الحالى • (يقول بيان خارجية فيتنام الشمالية انها تبلغ حاليا ٢٧٠ الف جندى) • ويقول المعلقون السياسيون

ان الازمة السياسية فى سايجون «قد أنهت الشرعية المتملة لحكومة سايجون التى يقال ان القوات الامريكية موجودة بناء على طلبها » . وقد صرح **ماكنمارا** وزير الدفاع الامريكى أن ثورة البوذيين «قد اضعفت المجهود الحربى بنسبة مابين ٥٠ و ٧٠ ٪ » وفى نفس الوقت يعانى الجيش الحكومى الانقسام فى صفوفه . وركزت **قوات جبهة التحرير الوطنية** هجومها على القوات الامريكية .

ويتوقع المراقبون ان نشهد فيتنام الجنوبية ، فى القريب تطورات هامة قد تغير من مجرى الاحداث هناك . وتدور توقعات المراقبين حول احتمالات ثلاث هى :

تعليق

نحو انشاء معهد نقابى أفريقى

فى ٨ مايو ١٩٦٦ انتهت الدورة الافريقية الثالثة للدراسات العمالية والتى بدأت فى القاهرة من ٨ ابريل ١٩٦٦ وقد شارك فى الدورات حوالى ستون نقابيا من المنظمات النقابية الافريقية . وقام بتنظيم هذه الدورات الاتحاد العام للعمال فى الجمهورية العربية المتحدة .

والحركة النقابية الافريقية منذ نشأتها فى معظم بلدان افريقيا متحدة اتحادا كاملا مع حركة التحرر الوطنى ، بل وكان لها دور مزدوج لا كمنظمات عمالية خالصة تدافع عن حقوق العمال الاقتصادية فحسب ولكن كمنظمات سياسية جماهيرية تعبر عن مطالب حركة التحرر من الاستعمار ومن سيطرة الاحتكارات العالمية . وفى بعض البلدان وجدت النقابات قبل الاحزاب والحركات السياسية ومهدت الأرض لوجودها ، وللنقابات دور بارز طليعى فى بناء افريقيا ، وكما يقول سيكوتورى « انها عنصر حاسم فى تاريخ افريقيا » .

ولذلك فقد ركزت قوى الاستعمار القديم والحديث العمل من اجل السيطرة على الحركة النقابية الافريقية — وهى تسعى الى تحقيق ذلك عن طريق التنظيمات النقابية الدولية المرتبطة بمشروعات ومخططات حكومات الغرب الرأسمالى والتى تروج لنظرية العمل النقابى البحت وابتعاد النقابات عن العمل السياسى اى الابتعاد عن الكفاح الوطنى ضد الاستعمار ومن اجل احداث تغيير اجتماعى فى البلدان المتخلفة . ومن هذه الاتحادات الاتحاد الدولى للنقابات الحرة والاتحاد الدولى للنقابات المسيحية وكذلك الاتحادات العمالية الصفراء فى البلدان الرأسمالية مثل «مؤتمر النقابات البريطانى » و« اتحاد العمال الامريكى» «واتحاد عمال اسرائيل » — الهستدروت.

ومن المجالات الهامة التى تنشط من خلالها هذه المنظمات ، مجال التدريب النقابى والعمالى . مستغلة بذلك حاجة الدول الافريقية الى الخبرات والموظفين والكوادر المدربة فى كافة المجالات — وللاتحاد الدولى للنقابات الحرة معهد لتدريب نقابى بمدينة كمبالا باوغنده يعمل بصفة مستمرة على مدار السنة ويقدم دراسات باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وكما انه ينظم دورات دراسية خارج القارة وبعض هذه الدورات تنظمها الاتحادات الغربية مثل الاتحادات الامريكية والالمانية والبريطانية ولقد اقامت هذه الاتحادات باسرائيل عن طريق « الهستدروت » معهدين عماليين احدهما المعهد الافرو — آسيوى للدراسات النقابية والثانى معهد الدراسات التعاونيه التعاونية .

وهذا النشاط الاستعمارى الواسع فى الحركة العمالية الافريقيه يكشف لنا عن اهمية الدورات الافريقية التى نظمها « اتحاد عمال جمهوريتنا » . ولكن رغم اهمية الدور الذى ادته وتؤديه هذه الدورات — اذا ما استمرت — ، فانها ما زالت قاصرة عن مواجهة النشاط الاستعمارى والصهيونى الضخم فى المجال النقابى الافريقى . فبينما يستقبل معهد « كمبالا » المئات من القادة النقابيين الافارقة وبينما يتخرج المئات من الدورات « النقابية » الغربية وبينما تستقبل « المعاهد الاسرائيلية » المئات من العمال الافارقة والاسيويين وتقدم اليهم كافة المعونات والمساعدات لممارسة نشاطهم داخل الحركة النقابية على اساس العمل النقابى البحت ولخدمة مخططات ومشروعات الغرب الرأسمالى الاستعمارى ، فاننا لم نقم بدورنا الا فى حدود استقبال اعداد محدودة من القادة النقابيين الافارقة ، وبينما تصدر الاتحادات الغربية الصفراء « والهستدروت » العشرات من الكتيبات والصحف والنشرات المتخصصة وتوزعها على نطاق القارة ، فاننا فى هذا المجال لم نقدم عملا واحدا ولم نضع قدمنا حتى على هذا الطريق !

ولقد اكدت الدورات الثلاث التى عقدت فى القاهرة — رغم ان كل منها لم تتجاوز الشهر — من خلال اللقاء الفكرى بين عشرات من القادة النقابيين الافارقة ومن خلال دراسة هؤلاء للتجربة المصرية الثورية كتجربة طليعية ضرورة وأهمية توسيع وتطوير هذا العمل .

وفى هذا المجال لا بد من انشاء معهد افريقى للدراسات النقابية والعمالية — يتطور بعد ذلك فيصبح معهداً افريقيا ، ويقوم هذا المعهد بتقديم الثقافة العمالية والنقابية على مدار السنة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية. وسيكون هدف هذا المعهد ليس فقط تخليص حركة الثقافة العمالية فى القارة من سيطرة الاتحاد الدولى للنقابات الحرة والهستدروت ومن الايديولوجيات الاستعمارية ، ولكن كذلك العمل على تقديم كوادر مدربة لحركة التحرر وحركة البناء والتنمية فى افريقيا ، وللعمل على ايجاد اساس لتوحيد فكرى بين الشعوب الافريقية عن طريق وحدة العمل والفكر فى الحركة النقابية الافريقية . على ان يقوم اتحاد العمال بالجمهوريه العربية المتحدة بانشاء هذا المعهد ، باعتبار الجمهورية العربية المتحدة قاعدة طليعيه فى النضال الثورى فى القارة ، وباعتبارها قاعدة اضخم تجربة اشتراكية فى القارة ، ويتعاون معه فى هذا العمل الاتحاد الدولى لنقابات جميع عمال افريقيا والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب.

وقد عبر الدارسون الافارقة عن هذه الرغبة فى كلمتهم فى الحفل الختامى للدورة الافريقية الثالثة للدراسات العمالية (٨ مايو ١٩٦٦) — فقال المتحدث باسمهم : « ونحن جميعا على اقتناع تام بان نجاح هذه الدورة يؤكد الحاجة الماسة العاجلة الى انشاء معهد دائم للدراسات العمالية فى الجمهورية العربية المتحدة لدفع عجلة التقدم الكفاحى والاسراع بنشر النظرة الصحيحة والتقييم السليم والتخطيط الفعال بين صفوف الحركة النقابية فى قارتنا الافريقية واتحاد نقابات عمال افريقيا الذى يجمعها ، ولاعادة تنظيم هذا الاتحاد لضمان فاعلية نهوضه بمهمته كراس حربة لنضال عمال القارة ضد آخر معاقل وفلول الامبريالية والاستعمار الجديد والرأسمالية .

عبد المنعم الغزالى

● **حرب اهلية أم انقلاب ؟** بناء على التقارير الذي وصلته، أصدر ايندون جونسون بيانا ناشد فيه «الجماعات المتصارعة» في فيتنام الجنوبية أن «تنهي الخلافات فيما بينها لتواصل الحرب» وكانت المظاهرات الضخمة المعادية للحكومة قدعمت فيتنام الجنوبية خلال الشهر الماضي . فبعد تظاهر ١٠ آلاف شخص في سايجون في عيد العمال (أول مايو) ، أضرب اتحاد العمال (يضم ١١٧ نقابة) عن العمل لعدة ايام . ومنذ ان تراجع **كاوكي** رئيس الوزراء عن وعده باجراء الانتخابات في موعد اقصاه سبتمبر القادم ، تجدد الاشتباكات الدموية بين ساعة وأخرى ، بين قوات الحكومة والبوذيين الذين اعتصموا بمعابدهم وهددوا بحرق أنفسهم احتجاجا على الحكومة . وقد وصفت وكالة اليونايتدبرس نداء **تيتش ثيان** زعيم البوذيين بالاضراب عن الطعام في معبد **فوكوانج** بأنه «قد يتحول الى أول نداء رسمي لرفع السلاح ضد حكومة كاوكي » .

ومن جهة أخرى قام **الكاثوليك** في سايجون نفسها بتنظيم المظاهرات المعادية للحكومة بعد أن اعتبروا تصريح كاوكي باجراء الانتخابات ودعوة لجنة من مجلس الاقاليم المنتخبة لوضع الدستور «تسليما من جانبه للبوذيين» على حساب طائفة الكاثوليك (١٫٨ مليون) . كما طالب الكاثوليك بطرد **لودج** سفير أمريكا في سايجون .

وتقول **النيوزويك** الامريكية ان مجلس الجنرالات العشرة أصبح ينتقد سياسة كاوكي . وبذا تكشف كل الانباء عن ان الهيئات القائمة في فيتنام الجنوبية غير راضية عن حكومة كاوكي كما توجد خلافات بين هذه الهيئات بعضها البعض .

وقد ترددت الانباء من سايجون **وواشنطن** ، تقول ان هناك أحتمال «بأن تقوم بعض قطاعات الجيش ، ازاء اصرار الشعب على اجراء الانتخابات ، بانقلاب يمنع اجراءها» . وتضيف هذه الانباء أن «كاوكي نفسه» قد يقوم به .

● **توسيع نطاق الحرب .** لقد صرح **السناتور واين مورس** انه يتوقع «أن تعمد امريكا الى توسيع نطاق الحرب في الطريق الذي يؤدي الى مواجهة **الصين**» ومعروف أن الطائرات الامريكية قد قامت (لاول مرة منذ حرب فيتنام) بالاعتداء على المجال الجوي الصيني خلال الشهر الماضي . وقد أنذر المسئولون الصينيون بأن أمريكا «ستمحى من الوجود» اذا اعتدت على الصين .

وعلى الحدود بين فيتنام الجنوبية **وكمبوديا** ، قامت فرقة من القوات الامريكية باطلاق نيران مدفعيتها الثقيلة على **تريتي لوجو** على الحدود **وكاى باك** داخل اراضي كمبوديا ، وذلك بحجة أن قوات جبهة التحرير تتسلل من هذه المناطق. ويعد هذا الحادث ـــ كما تقول **التايم** الامريكية ـــ «الاول من نوعه منذ قيام الحرب في فيتنام» . وقد استخدم في هذا الهجوم ١٥٠ الف جندي أمريكي وفيتنامي جنوبي

ومن جهة ثالثة ، وسعت الطائرات الامريكية من نطاق غاراتها على المناطق الصناعية والاستراتيجية في **فيتنام الشمالية** . كما حاولت أثناء الشهر الماضي عزل مدينة هانوى (العاصمة) عن بقية البلاد . ولاول مرة منذ قيام حرب فيتنام ، اشتبكت طائرات الميج التابعة لحكومة هانوى مع المقاتلات الامريكية وتبادلا اطلاق الصواريخ . وقد بلغ عدد الغارات الامريكية على فيتنام الشمالية في أحد الايام ١٣٥ غارة .

وجدير بالذكر ان امدادات عسكرية امريكية جديدة (٤ كتائب مدفعية) قد وصلت فيتنام الجنوبية . كما كشفت النيوزويك ان الحكومة الامريكية « سترسل ١٢٥٥ الف جندي اخرين الى فيتنام قريبا » .



● كاوكي ● جونسون

● **انتصارات أكبر .** من المنتظر أن تشدد قوات جبهة التحرير من هجماتها ضد القوات الامريكية ، مستغلة الازمة السياسية التي تعانيها حكومة سايجون والانقسام الذي تعانيه داخل صفوف جيشها . ومن المتوقع أن تحرز قوات الجبهة انتصارات أكبر خاصة وأن البلاد مقبلة على موسم الامطار الذي تخشاه القوات الامريكية التي تعتمد في هجومها على قوات الجبهة على الطائرات بشكل رئيسي . ويشعر الامريكيون بالاسى لانهم لم ينجحوا في كسب اية معارك خلال موسم الجفاف الماضي . وجدير بالذكر أن راديو جبهة التحرير قد اذاع أن قوات الجبهة «على استعداد لتقديم معونة عسكرية للقوات الثائرة على الحكومة » في المدن المختلفة ويعتقد المراقبون أن موقف الجبهة هذا سيدعم من نفوذها وقوتها وتأثيرها .

●

■ أندونيسيا

٦ حراس لكل عضـو

اقترحت الحكومة الاندونيسية الحالية اجراء محادثات سلام مباشرة مع ماليزيا ، على مستوى وزراء الخارجية ، وابدى الرئيس **سوكارنو** استعداده للاجتماع بتنكو **عبد الرحمن** رئيس حكومة ماليزيا . رغم ان سوكارنو كان قد اتخذ موقفا مضادا من **آدم مالك** وزير الخارجية الاندونيسي ، عندما صرح الاخير بعد محادثاته مع **راموس** وزير خارجية الفلبين بأنه « يود انهاء سياسة المواجهة الباهظة الثمن بالنسبة لاندونيسيا ولو غدا » لذا اعتبر المراقبون قرار محادثات السلام ، نجاحا للمجلس الثلاثي الحاكم الذي يقوده جنرال **سوهارتو** ، والذي يتبع خط الهجوم ثم الهجوم عقب كل تراجع من الرئيس احمد سوكارنو .

كما تم كذلك اعفاء قائدين عسكريين من اقوى حلفاء الرئيس سوكارنو وهما الجنرال **ابراهيم ادجي** قائد القطاع العسكري لغرب جاوة والميجور جنرال **سورجو سوبيينو** قائد القطاع العسكري لوسط جاوة .

على ان نجاح المجلس الثلاثى فى تلك المسألة لا يعنى انتصاره فى كل نقاط الصدام الحالى بينه وبين الرئيس سوكارنو .. اذ دار صراع عنيف فى الفترة الاخيرة حول عقد المجلس الاستشارى الشعبى . فبينما طالب المجلس الثلاثى بعقد المجلس الاستشارى الذى يعول عليه اليمين لتأسيس ما اسموه « بحكومة ديمقراطية فى اندونيسيا » واضعاف لنفوذ سوكارنو ، فان سوكارنو من ناحيته قام باستدعاء اعضاء المجلس الثلاثى وهددهم بحل المجلس . ذلك انه تحقق انه سيستخدم لتقويض سلطاته الرئاسية التى اصابها الضعف من قبل . فقد هدد الطلبة الثائرون فى شوارع جاكارتا — والذين يحرضهم سوهارتو — بوضع ٦ حراس لكل عضو من اعضاء المؤتمر الـ ٦١٦ ، ليتأكدوا من تصويتهم فى الاتجاه المطلوب، وهو الغاء ترشيح سوكارنو رئيسا لمدى الحياة ودفعه لاعادة انتخابه مرة كل ٥ سنوات ، وقد رفض سوهارتو حل المجلس الاستشارى . الا ان المجلس الثلاثى — اتساقا مع سياسته فى تجنب اى صدام مباشر مع الرئيس سوكارنو — فضل تأجيل عقد هذا المجلس لاجل غير مسمى ، ولم يتحدد مصير التوازن بين تطبى الصراع فى هذه القضية ، حتى كتابة هذا التقرير .

ولا يزال الجنرال سوهارتو يدفع جبهة العمل الطلابية الجامعية (كامى) وجبهة طلاب المدارس الاولية والعالية (كابى) للتظاهرفى العاصمة. فى حين لم تكف لجان الطلاب اليمينية عن الدعوة لمزيد من الاجراءات الاكثر تطرفا فى اتجاه اليمين ، وقد اشارت مجلة « النيوزويك » الامريكية الى ان احد قادة الطلبة اليمينيين قد اشتكى اخيرا من أن « الحكومة تود العمل بسرعة ٣٠ ميلا فى الساعة ، فى حين يرغبون هم العمل بسرعة ١٠٠ ميل فى الساعة » . ومن الناحية الاخرى لم تتأكد حتى كتابة هذا التقرير الانباء التى ترددت ، حول انشاء الشيوعيين الاندونيسيين « لحكومة ظل » تنظم المقاومة السرية ضد « اليمين المتطرف » .

هذا وقد تدهورت الاوضاع الاقتصادية فى البلاد الى حد بالغ الخطورة ، نطرد عشرات الالوف من العمال للاشتباه فى تعاطفهم مع الشيوعيين ، وهبط الانتاج هبوطا كبيرا ، وارتفعت الاسعار ارتفاعا خياليا وبلغت نسبة ارتفاعها ٥٠٠٪ وذلك فى العام الماضى ، وتوقفت الدراسة ، وتدهورت الخدمات العامة واصبحت الدبابات الرابضة فى شوارع جاكارتا اكثر شيوعا من الاتوبيسات .

وقد عبر احد الصحفيين من طبيعة الازمة الطاحنة بقوله : « ان نجاح المجلس الثلاثى او فشله يتوقف على استطاعته معالجته الموقف الاقتصادى او عدم استطاعته » .

■ بانجكوك

النياتو . . . بعد هيئة الامم

انعقد اخيرا فى بانجكوك ، اجتماع تمهيدى لممثلين من اليابان وكوريا الجنوبية ، وفيتنام الجنوبية ، وفورموزا والفلبين واستراليا ونيوزيلنده ، وماليزيا ، وتايلاند ، ناقشوا فيه اقتراحا تدمته حكومة كوريا الجنوبية، بدعوة « مؤتمر لوزراء خارجية البلاد الاسيوية فى منطقة الباسفيكى » يعقد فى سيول فى الفترة بين ١٤ ، ١٨ يونية.

وقد سبق أن نوقشت منذ ١٩٦٤ ، فكرة الدعوة لمؤتمر من هذا النوع ، لتوسيع نطاق حلف جنوبى شرق آسيا ، الا أن تأزم العلاقات بين اليابان وكوريا الجنوبية حينذاك ، لم يسمح للولايات المتحدة ، بتوسيع حدود حلف « السياتو » ، أو بجمع كتلة جديدة لشمال شرق آسيا باسم حلف « النياتو » . ولذا بذلت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة واليابان جهودها لتذليل هذه العقبة ، وهو ما جرى التمهيد له فى الفترة الاخيرة واعقب ذلك عدد من الجولات السياسية فى القارة الاسيوية ، قام بها نائب الرئيس الامريكى ، همفرى ، ووزير الخارجية دين راسك وعدد من كبار الموظفين الرسميين لحكومة الولايات المتحدة . وذلك للمساهمة فى اعداد خطة عسكرية انجلو ـ امريكية لتدعيم وضمهما فى جنوب شرقى آسيا . خاصة بعد أن رفضت كل من فرنسا وباكستان — اللتين أصبحتا عضوين اسميين فى الحلف المشاركة فى أى هذا النشاط . ومن ناحية اخرى قام الجنرال الفليبينى هارجاس السكرتير العام لحلف السياتو — وهو من المناصرين لفكرة تأليف حلف آسيوى جديد « معادى للشيوعية » يكون « مكملا للسياتو » — بمقابلة عدد من كبار المسئولين الامريكيين ، وعلى رأسهم الرئيس الامريكى جونسون ، وتلقى التعليمات المناسبة كما ربط كثير من المراقبين بين موعد مؤتمر سيول فى حوالى منتصف يوليو ، وبين جلسة حلف السياتو التى ستعقد فى كانبيرا باستراليا فى آخر يونيو، حيث سيتسنى للمشتركين فيه مناقشة نتائج مؤتمر سيول.

وقائمة المشتركين فى المؤتمر ، تكشف بوضوح عن المحركين الحقيقيين له من بينهم ٤ دول اعضاء فى حلف السياتو ، و٦ دول تساعد الولايات المتحدة بنشاط فى عدوانها على شعب فيتنام ، وبينهن منهم مرتبطين مع الولايات المتحدة فى اتفاقات عسكرية ثنائية .

ويرى عدد كبير من المراقبين التقدميين أن هذا التنظيم الذى يجرى تشكيله ، تستهدف منه الولايات المتحدة مساندة وتدعيم حربها العدوانية فى فيتنام وسياستها فى القارة الاسيوية ككل كما يرون أن تزايد النشاط لخلق حلف السياتو الجديد فى الفترة الاخيرة انما يرتبط بالفشل العسكرى المتوالى الذى يلاحق القوات الامريكية فى فيتنام كما يرتبط بخطة الولايات المتحدة لتدويل حربها هناك باستخدام الدمى السياسية الاسيوية التى تحركها وشركائها فى المحالفات العسكرية الثنائية مثلما فعلت مع اكبر حلفائها فى حلف شمال الاطلنطى عندما أشركتهم فى عديد من أعمالها العدوانية ودخلت الحرب ضد كوريا باسم هيئة الامم ، وأضفت عليها الطابع الدولى ورميت المسئولية بتوزيعها على أطراف عديدة . الا أن الجديد فى الامر أن هذه المناورات كانت ترتكب تحت راية الامم المتحدة من قبل ، وهى الان تجرى باسم الاحلاف ، مع تجنب اللجوء للامم المتحدة خشية الخذلان .

■ المانيا

حوار يبدأ بين الشرق والغرب

أهتم الرأى العام الاوروبى فى الاسابيع الاخيرة بما لاح فى الافق من احتمال حدوث حوار بين المان الشرق والمان الغرب .

وتبدأ القصة فى ٧ فبراير الماضى، يوم ان ارسل حزب الوحدة الاشتراكية فى المانيا الشرقية رسالة الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المانيا الغربية .

وحزب الوحدة الاشتراكية هو الحزب الحاكم فى المانيا

الشرقية ،وهو نتاج وحدة تمت بين الحزبين الاشتراكي والشيوعي في القطاع الذى احتله السوفييت من المانيا عقب الحرب. اما الحزب الاشتراكى الديمقراطى فهو اكبر احزاب المانيا الغربية (٧٠٠ الف عضو) وان يكن ثانيها بعد الحزب المسيحى الديمقراطى الحاكم، حزب اديناور وايرهارد .والحزب الاشتراكى الديمقراطى هو حزب المعارضة ،وان تكن من نوع معارضة حزب العمال لحزب المحافظين فى بريطانيا .

والمعروف ان الموقف من تقسيم المانيا الى دولتين ومشكلة اعادة توحيدها تحتل مكان الصدارة فى برامج جميع الاحزاب والهيئات السياسية فى المانيا. وتتخذ حكومة بون، والحزب المسيحى الحاكم، والحزب الاشتراكى المعارض، وغيرها من احزاب المانيا الغربية ـ تتخذ كلها مواقف متشابهة من مشكلة الوحدة الالمانية. ويتلخص موقفها فى ان حكومة بون هى الحكومة الشرعية الوحيدة فى المانيا، وان حكومة المانيا الشرقيه حكومة غير شرعية ، وان قادتها وزعماءها اشخاص خارجون على القانون، وانه اذا تجرا احدهم على اجتياز الحدود الى المانيا الغربية فان سلطات الامن فيها يجب ان تلقى القبض عليه فى الحال وتقدمه للمحاكمة بتهمة تعريض حياة المواطنين الالمان للخطر، وبتهمة قتل بعض من حاولوا الفرار عبر سور برلين !

وظل الموقف هكذا حتى ٧ فبراير الماضى .

ففى ذلك التاريخ وجه ارلبرخت، باسم حزب الوحدة الاشتراكية، الرساله المشار اليها، الى مندوبى الحزب الاشتراكى الديمقراطى، الى مؤتمر الحزب المقرر عقده فى شهر يونيو الحالى وقد جاء فى هذه الرسالة : «ان حزبى الطبقة العاملة، وهما اكبر حزبين فى المانيا، لا يتبادلان اى حديث فيما بينهما، ولا تقوم بينهما اية علاقات طيبة. وهذا امر غير طبيعى، ولم يعد ممكنا احتماله اكثر من هذا» . واقترحت الرسالة ان يبذل الحزبان جهدا خاصا للاسهام فى حل مشكلة الوحدة الالمانية باجراء حوار حول ثلاث نقاط اساسية هى:

- كيف يمكن تنمية العلاقات بين الدولتين الالمانيتين .
- ما هى افضل صيغة لمعاهدة الصلح مع المانيا .
- ما هو الشكل الذى يجب ان تكون عليه الدولة الالمانية الموحدة .

وليس فى هذه الرسالة ، بحد ذاتها ، شىء جديد. فقد درج قادة المانيا الشرقيه على بذل الجهود ،وتوجيه مثل هذه الرسائل الى المانيا الغربية لسنوات ، دون ان يبدر عن الاخرين اية استجابة .وانما الجديد فى هذه المرة هو ان الالمان الغربيين قد استجابوا ،اذ سارعت جريدة فورفارتز ،لسان الحزب الاشتراكى الديمقراطى، الى نشر الرسالة، ورد الحزب عليها فى ١٩ مارس. وعلى الرغم من ان الرد احتوى على كثير من التهجمات المعادة، الا انه اعترف ،لاول مرة، بالحاجة الى «بدء تبادل لوجهات النظر حول المشكلات الاساسية للسياسة الالمانية امام كل المانيا» .

تعليق

ضوء من أندونيسيا

بعض النظر عن تفصيلات المعركة السياسية الدموية التى نشبت فى اندونيسيا ، ماهو الدرس الاجمالى الهام الذى يمكن أن تتعلمه الحركات الثورية من الظرف الصعب الذى وجدت فيه الثورة الاندونيسية نفسها ؟ يقوم لدينا الاعتقاد ، بأن عاملا أساسيا من العوامل السلبية فى أوضاع الثورة الاندونيسية، والتى سمحت بقيام الصراع الدموى الاخير ، وأوقع البلاد فى قبضة اليمين، هو عدم تجريد الطبقات الرجعية القديمة، الاقطاعية والراسمالية من اسلحتها الاقتصادية . وبصورة أخرى عدم التحقيق الفعلى لجانب الديموقراطية الاجتماعية ، بالشكل الذى تم بنجاح واضح فى مصر مثلا .

فبعد مضى ما يقرب من ربع قرن على تحقيق الاستقلال الوطنى بقيادة الرئيس احمد سوكارنو ، الا ان الطبقة الاقطاعية لعلاقات الارض ظلت دون تغير جذرى تقريبا ، وحتى الان لايزال الاقطاعيون يقاومون تنفيذ الاصلاح الزراعى ، الذى لم يطبق فى عدد من المناطق مثل جاوة وهى من أكبر الجزر ، وفى لومبجا وجاو يمتلك ١٢ ٪ من السكان ، ٨٤ فى المائة من الارض ، ولا يزال الفلاحون يرسفون فى قيود كبار الملاك والمرابين الفاسدين ... الخ اما الراسماليون البيروقراطيون فانتفخوا بالارباح حتى أصبحت لديهم القدرة المادية على ضرب القطاع العام ، ونجحوا الى حد معين فى التمكين للاستعمار الجديد من الاقتصاد القومى، وأشاعوا فيه أعمال التخريب ، وعرقلوا حوالى ٢٠٠ مشروع من ٢٣٥ مشروعا من خطة الـ ٨ سنوات . ولا يزال الراسمال الاجنبى يملك معظم حقول البترول ، والعناصر الكومبرادورية ـ عملاء الشركات الاجنبية ـ تمارس نشاطا هداما للاقتصاد الوطنى وبالجملة ، كان لتلك الطبقات القدرة باستمرار على « تمويل » رجال يعملون لحسابها على مسرح السياسة الاندونيسية .

وفى الواقع ، كان الانجاز فى حقل الديموقراطية الاجتماعية ضئيلا ، برغم تأميم الممتلكات الهولندية التى أشاع فيها الراسماليون الاندونيسيون الرشوة والفساد . بمعنى ان اندونيسيا اتبعت فى الاجمال ، خطا يساريا على الصعيد السياسى ، بينما ظل الحقل الاقتصادى مرتع حقيقى لنفوذ اليمين . ولذا فان أزمة الثورة لم تكن مجرد ازمة أفقية فى السطح السياسى ، نتجت عن فقدان التوازن بين اليمين واليسار ، كما بدا للكثيرين وانما كانت أيضا ازمة رأسية فى البناء الاجتماعى كله ، نتجت عن عدم التوازى بين « سياسة » مطردة اليسارية ، و « اقتصاد » متخلف جامد بيد اليمين . ولذا فان الثورة الاندونيسية كما تبدو اليوم ، لا تحتاج لتقدمها ، الى مجرد ذلك التعدد فى الواجهات الحزبية والذى لم يسفر اقتصاديا عن تحول جذرى او شبه جذرى ، بقدر ما تحتاج الى القيادة الحازمة القادرة على تحقيق الديموقراطية الاجتماعية ، بتقليم اظافر الطبقات المالكة الكبيرة ، ونزع سلاحها ، تمهيدا لاقامة تحرر سياسى حقيقى يحقق وجهى الحرية اللذين لاينفصلان

وباختصار ، نستطيع ان نقول ان « الاقتصاد » كان السمة السلبية الاكثر وضوحا فى الثورة الاندونيسية لا « السياسة » بحيث لو كانت قد صفيت الطبقات المالكة الكبيرة اقتصاديا لما استطاع اليمين الاندونيسى ـ مستندا اليها كركائز اجتماعية واقعية لها نفوذها المالى والادبى الضخم ـ ان يسدد هذه الضربة القوية لنفوذ اليسار والرئيس سوكارنو .

خيرى عزيز

ووافق الحزب الاشتراكى الديمقراطى على ان تجرى مناقشة بين ممثلين للحزبين على اعلى مستوى، برأس الاول ويلى براندت عمدة برلين الغربية ، ويرأس الثانى وولتر اولبرخت ، رئيس جمهورية المانيا الشرقية. غير ان الحزب كان حريصا على ان يوضح للراى العام ان هذا الرد لا يعنى اعترافا ضمنيا بنظام الحكم فى المانيا الديمقراطية، ولذلك نصت رسالته على ان كلا من براندت واولبرخت سيراسان الوفدين بصفتهما الحزبية وليس بصفتهما الرسمية فى كل من دولتى الغرب والشرق . كذلك وضع الحزب بعض الشروط الاخرى اهمها ان تقوم سلطات المانيا الشرقية بتغطية انباء المناقشات تغطية كاملة عن طريق التليفزيون والاذاعة والصحافة، وان يكون وفدا الطرفين مكونين من عدد متساو من الممثلين يتكلم كل منهم زمنا محددا مساويا لزمن نظيره، وان تكون هناك جولتان من المناقشات تتم اولاهما فى المانيا الشرقية (مدينة كارل ماركس) والثانية فى المانيا الغربية (مدينة هانوفر) .كذلك اقترح الحزب ان تجرى المناقشات ، وتنتهى فى شهر مايو ».

وجاء هذا الرد من اشتراكيى الغرب مفاجأة كبيرة للراى العام كان لها اثرها فى اثارة حماس الجماهير الالمانية التى رات فى كل من الرسالة والرد احتمال اذابة الثلوج فى الموقف بين الدولتين .

وفسرت هذه المفاجأة تفسيرات متباينة من مختلف المراقبين، قال البعض ان هذا راجع الى تزايد الضغط من قواعد الحزب لكى يغير موقفه من السياسة العدوانية التى تنتهجها حكومة بون، سواء تجاه المشكلة الالمانية، او تجاه المشكلات الدولية بصفة عامة (جنوب شرق آسيا، الشرق الاوسط، التسلح الذرى ..) ويقول هؤلاء المراقبون ان المواطن الالمانى العادى، فى الغرب كما فى الشرق، تواق الى توحيد وطنه ،ومدرك فى الوقت نفسه ان الاسس التى تتمسك بها بون غير واقعية ، علاوة على انها ذات طابع عدوانى صريح. وقد تبين قادة الحزب الاشتراكى الديمقراطى ان تسليمهم — على طول الخط — بالسياسة التى تنتهجها حكومة بون لا تجلب لهم الكسب البرلمانى الذى سعوا من اجله ، بأى ثمن ، اكثر من خمسة عشر عاما . ومن ثم فان قادة الحزب يحاولون ان يظهروا امام الناخبين، وكأنهم اكثر حرصا على الوحدة الالمانية من الحزب المسيحى الديمقراطى الحاكم واكثر جدية فى السعى من اجلها ، وبخاصة انهم على أبواب انتخابات تجرى فى وستفاليا فى شهر يوليو الحالى ».

ولم يستطع ايرهارد وحزبه من ان يتجاهل الحماس الشعبى، وانهمكت حكومته وهيئاته التشريعية فى محاولة ايجاد مخرج قانونى يسمح باستقبال قادة المانيا الديمقراطية فى هانوفر «دون القاء القبض عليهم وتقديمهم للمحاكمة» .

ورد حزب الوحدة الاشتراكية فى ٢٥ مارس، ونشر مجموع المراسلات التى بدات فى ٧ فبراير ، فى صحيفته الرسمية ، نيوز دوتشلاند وتناولت الرسالة الجديدة مسائل عديدة اهمها ان الحزب الاشتراكى الديمقراطى لم يشر بأى شىء الى النقاط الثلاث التى طرحها حزب الوحدة الاشتراكية .كذلك رفض قادة المانيا الشرقية ان تجرى المناقشات فى شهر مايو، وطلبوا تأجيلها الى يوليو ،اى بعد ارنفضاض مؤتمر الحزب الاشتراكى الديمقراطى، واجراء انتخابات وستفاليا .

ويبدو عند عدد من المراقبين ان اولبرخت ورجاله لجأوا الى هذا لكى لا تتحول المسالة، من جانب قادة الحزب الاخر، الى مجرد دعاية يستفيد منها قادة الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى تدعيم مراكزهم امام قواعد الحزب فى المؤتمر، وامام الجماهير فى الحزبية فى الانتخابات .

ومهما يكن من أمر، فان المراقبين يجمعون على ان هذا الحوار الذى بدأ بين شرق المانيا وغربها قد كشف عن الحماس الشعبى الكبير لفكرة توحيد المانيا، والى تطلع الشعب الالمانى الى حلول سلمية يمليها العقل والتسليم بحقائق العصر. ويزيد من اهمية هذا الحوار انه يجرى فى جو أوروبى ملىء بالاحتمالات حيث اخذ التصدع يصيب حلف الاطلنطى، واخذت فرنسا تدعم صلاتها بالاتحاد السوفييتى، واخذت الثلوج تذوب بين شرق اوروبا وغربها .

●

■ صوفيا

جسر للتفاهم بين اوربا الغربية والشرقية

انتهت الزيارة التى قام بها المسيو كوف دى مورفيل وزير خارجية فرنسا لبلغاريا . وقد اجرى فيها مباحثات مع القادة البلغار ،وعلى راسهم السيد تودور جيفكوف رئيس مجلس الوزراء والسكرتير الاول للحزب الشيوعى ،والسيد جيورجى كرايكوف رئيس هيئة رئاسة الجمعية الوطنية البلغارية والسيد باشيف وزير الخارجية البلغارية ».

وكوف دى مورفيل هو أول وزير غربى للخارجية ، يستقبله رئيس وزراء بلغاريا . وقد كشفت زيارته عن روح الود الواضح التى تسود الجو السياسى فى صوفيا ازاء الفرنسيين ، وكذلك اهتمام البلغار الحيوى بتوسيع علاقاتهم بقدر الامكان مع فرنسا ».

وقد قام مسيو باشيف بالتفاوض مع الوزير الفرنسى ،بشأن مجموعة جديدة من الاتفاقات بين البلدين ،بعضها ثقافى ،والاخر يهدف الى تدعيم التعاون العلمى والفنى . وعبر عن أمنيته، فى أن تقيم المؤسسات الفرنسية الكبرى علاقات تعاون مع مؤسسات الصناعة البلغارية ، فى انتاج مجموعة من المنتجات من الصناعات المعدنية والصناعات الغذائية ، وقد قبل كوف دى مورفيل هذه الاقتراحات ».

وأكد وزيرى الخارجية المواجهة المشتركة من بلديهما لعديد من المشاكل التى تخص أوربا وآسيا وخاصة فيتنام . وعبرا عن ضرورة عملهما المشترك لتخفيف حدة التوتر بين بلاد أوربا الشرقية والغربية.وعرض مسيو باشف على التقدم فى العلاقات بين بلغاريا وجيرانها . اذ عقدت بلغاريا مع اليونان ١٢ اتفاقا سمحت بتسوية المسائل الرئيسية التى كانت مثار نزاع بين اثينا وصوفيا . كما أصبح الموقف مع تركيا أفضل ، والعلاقات عامة فى البلقان أكثر استقرارا ».

وصرح باشيف فى تسجيل للراديو الفرنسى ، ان مبادرات فرنسا الاخيرة ، قد خلقت ظروفا افضل لتخفيف التوتر الدولى وانه اذا جرت تغيرات جوهرية فى حلف شمال الاطلنطى ، فان تعديلات ستجرى بالمثل فى حلف وارسو ،وأوضح تودور جيفكوف رئيس الوزراء أن « الحكومة البلغارية تقدر تقديرا كبيرا جهود الحكومة الفرنسية والسياسة التى تتبعها فيما يتعلق بتخفيف التوتر الدولى ، وتحقيق سلام دائم ». وأشار كوف دى مورفيل الى حقيقة انه وان كان التحسن فى العلاقات بين فرنسا وبلغاريا يرجع الى تقاليد موجودة من قبل بين البلدين ، فانها أصبحت تتعلق اليوم بشكل أكبر « بضرورات الحياة الدولية »، وعبر الوزير الفرنسى عن رضائه عن المصادقات « والرد الايجابى » الذى رد به مسيو جيفكوف قابلا الدعوة لزيارة باريس هذا فى الوقت الذى قدم فيه الاخير دعوة الى الرئيس ديجول لزيارة بلغاريا .

وفى اجابة لكوف دى مورفيل على سؤال لاحد الصحفيين حول الصعوبات المحتملة فى التبادل التجارى بين دول السوق



● كوف دى مورفيل

المشتركة والبلاد الاشتراكية اعلن انه لا يرى هناك « اى سبب لان تكون التجارة بين دول السوق المشتركة الست وبين اى بلد اشتراكى ، اكثر صعوبة من التجارة بين كل من هذه البلاد على حدة وبين البلاد الاشتراكية ».

وينظر معظم المراقبين الى هذه الزيارة باعتبارها عاملا فعالا فى تخفيف التوتر الدولى بين الشرق والغرب داخل القارة الاوربية

●

■ أدب

ابناء القرية وقضايا الفن

بدعوة من محافظ كفر الشيخ جمال الدين حماد اشتركت مجموعة من أدباء العاصمة فى مهرجانات الادب والفن التى اقيمت فى كفر الشيخ ودسوق . وقد تكون الوفد برياسة يوسف السباعى وعضوية عبد الغنى حسن ونعمات فؤاد وثروت أباظه وعبد القادر القط وعبد الرحمن الشرقاوى وجاذبية صدقى وصالح جودت وملك عبد العزيز ومحمد صدقى وغالى شكرى .

واقتصر الاحتفال فى اليوم الاول على ندوة مفتوحة فى الصباح ، وعرض مسرحى فى المساء . وقد اشترك فى الندوة مع الادباء والجمهور ورجال المحافظة ، السادة : الدكتور سليمان حزين وزير الثقافة ، والدكتور حسين سعيد وزير التعليم العالى ، وأمين هويدى وزير الارشاد . وكان موضوع الندوة هو « فنان الاقليم الصاعد » ماذا نستطيع أن نصنع له حتى يشارك فى بناء المجتمع الجديد مشاركة ذات فعالية ؟.

وكاد الاجماع ان ينعقد على انه ليست هناك مشكلة خاصة بفنان الاقاليم ، بمعزل عن مشكلات فنان المدينة . فالصعوبات التى تواجهه فى مرحلة التكوين هى صعوبات النشر التى يلقاها جميع الادباء الشباب وهم يخطون خطواتهم الاولى . الا ان الثورة تمكنت من تذليل الكثير من العقبات التقليدية التى كان يخلقها فى الماضى الصراع غير المتكافىء بين القديم والجديد . هذا لا ينفى فى راى المتحدثين ان هذه العقبات انتهت تماما ، ولكنها أقل حدة مما كانت عليه فيما مضى . وقد اعترض البعض على التسوية بين فنان الاقليم وفنان المدينة من حيث المناخ والظروف المهيأة لكل منهما ، فقيل ان الفنان الجديد فى المدينة يستطيع ان يتوجه بنفسه الى المسئولين من الصفحات الادبية والمجلات ، وان يحضر الندوات الثقافية التى تقام هنا وهناك . ولكن الرد على هذه النقطة ان الاديب الجديد فى الريف يستطيع بدوره ان يخلق نهضة ادبية وفنية فى اقليمه حتى لا تصبح العاصمة وسيلة الى غاية محددة هى الشهرة فحسب . وتطورت المناقشات هذه الفكرة الى أن من المهام الرئيسية الملقاة على عاتق الفنان بالريف أن يسهم بفنه فى اسعاد اقليمه ، ومن ناحية أخرى فان ظروف الاقاليم مادة فنية للكتابة الفنية .

ثم تناول الحديث دور « الكتاب » فى هذه المعركة الدائمة بين فنان الاقاليم ووسائل النشر . حينئذ تصدى المتحدثون لمشكلة الاجهزة الثقافية الخاضعة لاشراف وزارة الثقافة فنيا واداريا ، وكيف ان مجموعة الموظفين المهيمنين على هذه الاجهزة ليست لهم اية علاقة حقيقية بالادب والفن ، وكيف أنهم يسيئون الى الانتاج الادبى والفنى بمعاييرهم البعيدة عن الفكر والثقافة بشكل عام . وقد دعا البعض الى استبعاد هؤلاء الموظفين من الاشراف الفنى ، وتكوين لجان حية دائمة من كبار الادباء والنقاد ، لتكون بمثابة المعيار الموضوعى للانتاج الفنى دون ما اعتبار الى المعوقات البيروقراطية . ودعا البعض الاخر الى انشاء دور للنشر بالاقاليم ، يتعاون فيها الحكم المحلى مع وزارة الثقافة .

وتوصلت المناقشات بين الادباء والجمهور الى أنه فى امكان المحافظة ووزارتى الثقافة والاعلام ان تتعاون مجتمعة فى انشاء « وحدة انتاج اذاعى » لا اذاعة محلية ، مهمتها أن تسجل النشاط الثقافى والاجتماعى والسياسى للاقليم ، ثم يذاع هذا النشاط من الاذاعة الام « مع الشعب » بدلا من انشاء اذاعة محلية ضعيفة تتضارب برامجها مع بقية الاذاعات المحلية ثم تتلاشى فعاليتها نهائيا فى ظل الموجات القوية التى تحمل صوت « من القاهرة » . على أن وحدة الانتاج الاذاعى هذه ، ستكون معدة باستوديو كامل ، ومذيع مقيم فى الاقليم ، يكون مستعدا فى اية لحظة لتسجيل أحداث الاقليم ، والقيام بتحقيقات اذاعية على الطبيعة . وعند ما تذاع الاشرطة من ميكروفون العاصمة ، تتحقق فائدتين : الاولى ، أن هذا النشاط سوف يحتل اهتمام الموجة القوية ، والثانية أنه سيكون بمثابة همزة الوصل بين جميع اقاليم الجمهورية فتتم الفائدة على المستوى القومى الشامل ، لا على المستوى الاقليمى الضيق . فائدة تبادل الخبرات واكتساب المزيد من التجارب العملية .

كذلك كان من نتائج المناقشات خارج الندوة ضرورة تأسيس الروابط والجمعيات والنوادى الادبية . وحبذا لو انها تأسست كفروع لنادى القصة وجمعية الادباء بالقاهرة . وحبذا ايضا لو كانت على علاقة بالمراكز الثقافية فى الريف ، حيث يمكن ان تمدها بما تحتاج اليه من أدوات التثقيف .

وبنهاية الندوة الاولى فى كفر الشيخ ، كانت الحصيلة الواقعية للمهرجان هى هذه المناقشات البعيدة من الجو الرسمى التى تؤكد ضرورة اللقاءات الدورية بين كبار الادباء

والفنانين وجمهورهم فى الاقاليم ، كما تؤكد ضرورة الاختيار الموضوعى لمن يمثل الاتجاهات الفكرية المتصارعة .
وفى دسوق تميزت الندوة بتنوع القطاعات الجماهيرية التى احتشدت لسماع ادباء القاهرة ومناقشتهم ؛ فبينما كان طلاب المدارس والمعاهد العليا والموظفين يشكلون الطابع السائد لندوة كفر الشيخ ، تميزت ندوة دسوق بكثرة غالبة من

تعليق

الخادم : دراسة فنية فى العلاقات غير الانسانية

« أومن بقدرة الجماهيرعلىالاستمتاع بالاعمال الفنية ، أعتقد أن الانسان هو الذى يصنع حياته ، أمقت العنصرية والعنف »

بهذه الكلمات المعطرة بحب الانسان عبر مخرج فيلم « الخادم » جوزيف لوزى ابن ولاية ويسكونسن الامريكية من فلسفته فى الحياة .

ويبدو أن الفنان الذى يتحلى بمثل هذه القيم المشرقة ، لاحرية له فى بلد تمثال الحرية . فمع اندحار النازية ، وبدء الحرب الباردة بقيام طائرةأمريكية بالقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ، اذا بلجان التحقيق فى النشاط المعادى لامريكا تكتشف فجأة أن الفنان الامريكى جوزيف لوزى قد سبق له ان ارتكب جريمة الالتقاء بشكسبير القرن العشرين برتولد برخت فى موسكو عام ١٩٣٥وقت ان كانت عاصمة الاتحاد السوفيتى مونبارناس اوروبا ، وانه عاود ارتكاب هذه الجريمة حين التقى به مرة أخرى بعد عامين فى فنلندا ليبدءا معا الرحلة الطويلة عبر ثلوج سيبريا وامواج الباسيفيك الى الولايات المتحدة هربا من طاعون النازية وانه لم يكتف بذلك بل قام باخراج مسرحية جاليليو المعادية للقنبلة الذرية تحت اشراف مؤلفها اللاجىء الالمانى « الاحمر » برتولد برخت .

وبداهة كان لابد وأن تؤدى كل هذه الجرائم الى اغلاق ابواب هوليوود مصنع الاحلام فى وجه الابن العاق جوزيف لوزى ، وأن يبدأ أعظم مخرج أمريكى رحلة طويلة ثانية عبر أسفلت الولايات المتحدة وامواج الاطلسى الى أوروبافرارا من جلادىالحرية ، مستبدلا بلدا ببلد بحثا عن فيلم . ولكن الجلادين وراء المحيط كانوا له بالمرصاد . ويظل عاطلا الى ان يكتب لاوروبا أن تسترد حريتها . ومع ربيع التحرر تزدهرطاقاته الخلاقة فى روائعه « زمن بلا شفقة » و « لقاء أعمى » و « المجرمون » و « الملعون » و « حواء » ، وأخيرا « الخادم » .

وفيلم الخادم مستمد من قصة للروائى الانجليزى روبين موجهام عن التدهور الخلقى والجسدى لرجل ضل السبيل

وبفضل سيناريو المسرحى «الغاضب» هارولد بنتر واخراج جوزيف لوزى تتحول القصة الى فيلم هادف يحمل رسالةولكنها رسالة لا تستنفدالشحنات الفنية الزاخر بها الخادم شأنه فىذلك شأن مسرحيات برتولد برخت وافلام لويس بونويل الفنان الهارب منأسبانيا

ورسالة الفيلم هى صدام وهز مشاعر المشاهد لدفعه الى أعمال فكره ، الى البحث عن السر فى استمرار تحكم الفئة الاجتماعية التى ينتمى اليها تونى (جيمس فوكس) هذا السيد العاطل ، الضعيف ، المتهالك ، اذا كانت بمثل هذا الانحطاط والضياع والتفسخ .

ومن هنا هذا العنف الذى يتسم به الخادم ، وهو عنف يرجع الى أن الفيلم شاهد صادق على الافلاس الخلقىلمجتمع ينهض أساسا على علاقات الاستغلال والسيطرة والاستبداد ، وهى علاقات لابد وأن تؤدى فى سبيل الابقاء على هذا الوضع الاجتماعى الشاذ الى افراز مجموعة من المحرمات والمفاهيم غير الطبيعية ، لو كتب لها أن تسود مدة طويلة لانتهت بالجماعة الى الخضوع لسلطان قيم مريضة كالكذب والنفاق والحقد

ولهذا فجوزيف لوزى على حق حين يعتبر الخادم فيلما اجتماعيا لانه يدلع انقسام المجتمع على وجه معين الى طبقات ، ولانه يصم العلاقات الفردية المشوهة داخل اطار هذا الانقسام الذى آن له تاريخيا أن يزول .

وبحكم أن الخادم عمل فنى رائع فالرمز فيه الى افلاس التسلط الطبقى لا يجىء التعبير عنه عن طريق الايحاء المباشر الفج وانما يجىء بفضلاختيار لحالة خاصة ، حالة ابن عاطل من أبناء هذه الارستقراطية البريطانية المرفهة ، المنحلة ، المهذبة ، المؤمنة برسالتها الانسانية ، وخادم (ديرك بوجارد) يعيش بحكم وضعه الوظيفى الخاص لا بعقلية وأخلاقيات الطبقة العاملة وانما بعقلية وأخلاقيات السادة الذين يقوم على خدمتهم . فالاشياء وهى جوهر حياة السادة تستلب كل تفكيره ، وتدفعه دفعا الى ممارسة جميع الانحرافات فى سبيل الوصول ، والوصول هنا يعنى الحصول على مكان تحت الشمس بين الاشياء مع طبقة العاطلين بالوراثة .

واذا كان الفيلم ينتهى بتجريد السيد من كل ما يملك لصالح الخادم المنتصر الرابض فى فراش السيد ، فان هذا الختام المقزز المخزى لايجب أن يؤخذ دليلا على أنه رمز لانتصار العاملين على العاطلين بالوراثة ، أو لنجاح التمرد انتقاما من وضع اجتماعى مهدر للكرامة . فالاطار الاجتماعى الذى يتحرك فيه السيد والخادم معا لم يطرأ عليه أى تغيير ، وهو اطار الجميع سجناء فيه وضحايا له سواءأكانوا سادة أم خدما ولا يغير منهذا انقلابالاوضاع فى العلاقة بين الاثنين بتحول الخادم الى سيد ، ذلك أن هناك تحولا مقابلا هو تحول السيد الى خادم ، ومثل هذا التحول يعنى أن المساواة التى توج بها الصراع بين السيد والخادم هى من هذا النوع الفاضح المشينوليس من شك أن المساواة التى من هذا القبيل منبتة الصلة بالمساواة المتحررة منكل قيد من قيود العبودية والخوف ، فهى لاتعدو ان تكون استمرار لعلاقات التبعية والتسلط ، وهى علاقات منحرفة يرتهن زوالها بزوال هذا النظام الذى يعيش فيه الانسان سيدا كان أم عبدا أسير وضع اجتماعى يسود فيه قانون الدغل قانون رأس المال

وختاما يقول جوزيف لوزى فى شرح الخادم « لايوجد فى الفيلم شخصية ايجابية واحدة فيما عداشخصيةمخرجه» والحق يقال ان تلميذ برتولد برخت هو بالفعل الشخصية الايجابية الوحيدة لانه نجح فى تنبيه اذهاننا عن طريق الفن الخالص الهادف الى انالفضيحة ليست داخل فيلم الخادم ، وانما هى كامنة هناك فى الخارج ، فى هذا الاستمرار لعلاقات العبودية بأسيادها وخدمها ، تلك العلاقات الشاذةالمتخلفة التى تدفع بالانسانية الى حافة هاوية الفناء الذرى

مصطفى درويش

الفلاحين وأعضاء الوحدة الأساسية للاتحاد الاشتراكي .
وقد استضافت ندوة دسوق مجموعة اخرى من ادباء القاهرة

هم عباس خضر وكمال نشات وعبد الحى دياب ورهيبة القلينى ، والمخرج المسرحى حسين جمعة ، فانضموا فور وصولهم الى المجموعة الاولى حيث اشترك الجميع فى موضوع الندوة وهو « دور الفنان فى المجتمع الاشتراكى » .

وتكلم عباس خضر وعبد الحى دياب حول مبدأ الالتزام فى الادب ، فدافع عباس خضر عن المبدأ مفرقا بين الالزام والالتزام ، موضحا ان لا تناقض هناك بين مبدأ الالتزام والمتعة الفنية . ثم دعا الى ان يكون الالتزام مجسدا فى القيم الاشتراكية فيقال « الالتزام الاشتراكى » بدلا من التعبير المجرد بكلمة الالتزام . فالرجعيون ملتزمون بالرجعية ، والتقدميون ملتزمون بالاشتراكية ، وليس هناك التزاما غامضا ومطلقا . أما عبد الحى دياب فقال ان الالتزام فى الفن هو: التطابق الكامل بين الصدق الذاتى والصدق الموضوعى ، ولا ينبغى أن نستثنى الشعر من الالتزام لانه كان قادرا على مر العصور فى حمل امانة الضمير الانسانى وقضايا الشعوب .

ثم تساءل كمال نشات : هل نحن ننتج الان ادبا اشتراكيا ، أو ادبا يتجه نحو الاشتراكية ، أو ادبا ثوريا باية صورة من الصور ؟ واجاب بالنفى قائلا ان الشعر الحديث تحول الى طلاسم يعسر حل الغازها ، وان المسرح تحول الى جنازة تنوح بغير توقف ، وان الرواية تحولت الى ثرثرة فارغة من المعنى .. واصبح ادباؤنا مجرد مستوردين من الغرب .

وقد اثار هذا الراى موجة عنيفة من الجدل ، فاعترض المخرج المسرحى حسين جمعة على تعبير الاستيراد من الغرب ، واقترح ان يحل مكانها لفظ « التفاعل » لان الغرب نفسه

تعليق

متحف « الفن والثورة » .. واتحاد عام للفنانين

ساهم الفنانون التشكيليون فى الاحتفال بمرور اربع سنوات على تقديم الميثاق بإقامة معرض « الفن والميثاق » الذى دعت اليه امانة الدعوة والفكر .

وقد اقيم المعرض دون سابق تحضير له من المشتركين ، وسارع اكثر من ٣٥ فنانا باخراج لوحاتهم من المراسم والبيوت .. وكانت كلها تقول كلمة حول الميثاق ، وهذا جدير بالملاحظة والوقوف امام هذه الظاهرة .

وليس هذا المعرض وحده هو الذى يضعنا امام ظاهرة تدعو الى الاعجاب والتفاؤل ، ولكن فى جولة سريعة بالمعارض التى ازدحمت بها القاهرة خلال الشهر الماضى ، نلمح هذا الخيط الذى يربطها فى اطار واحد وهو .. الالتزام بقضايا المجتمع المطروحة ، بصرف النظر عن الاساليب المتعددة والاتجاهات المختلفة . ولكن مما لا شك فيه ان هناك انفعالا بقضايا التصنيع والبناء والقومية العربية وفلسطين والسلام والتفرقة العنصرية .

اصبحت هذه القضايا تفرض نفسها على فكر الفنان المصرى المعاصر بشكل عام ، ويؤكد هذا نوعية المعارض التى تقام الان ، ففى معرض « العمل » الذى اقيم بمناسبة عيد العمال ، ومعرض الفن والميثاق ، حتى المعارض الفردية كمعرض الفنانة تحية حليم ، والفنان الفقيد عبد الوهاب الجريدلى ، نجدها جميعا تتناول موضوعات العمل والبناء وانطباعاتهم لصور مجتمعنا الحديث ومعاركه .

ولا شك ايضا ان انتهاز فرصة المناسبات القومية لاقامة معارض جماعية يلتقى فيها الفنانون بمختلف اتجاهاتهم .. هى الاخرى ظاهرة تستحق التاييد والعمل على دفعها وتعميقها .

.. ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الان خلال الوجدان الملتهب واغلب الفنانين يخطون الخطوات الاولى على طريق الالتزام — رغم بعض المدارس الفنية — هو:

لماذا لا نجد بصمات حركتنا الفنية على حياة الجماهير ؟ .. ولماذا لا نلمح مساهمتها الايجابية فى بناء حضارتنا ، على آفاق اوسع مما تبدو عليه الان ؟

اننى اعتقد ان هناك عدة اسباب ، اولها واهمها ، هو عدم تعبئة الفنانين وتنظيمهم .. سواء داخل الاتحاد الاشتراكى ، او فى اتحاداتهم وجمعياتهم.

فالملاحظ ان الفنانين مبعثرون فى كثير من الجمعيات والاتحادات ، رغم عدم الاختلاف الكبير فى وجهات النظر لما يجب ان يكون عليه الفن .. فالتشكيلات المتعددة للفنانين ، تحمل كلها — بلا استثناء — شعار تطوير الحركة الفنية وانعاشها ودفعها الى التقدم . كما ان طبيعة هذه الاتحادات والجمعيات ليس لها صفة النقابية والعمل النقابى ، ورعاية مصالح العاملين بالمهنة وتحسين ظروف العمل ... ليس هذا كله من طبيعة هذه الجمعيات والاتحادات التى تجمع الفنانين التشكيليين .

ان تفتيت قوى الفنانين فى هذه التشكيلات والتجمعات الصغيرة — رغم وحدة الهدف المشتركة — لا يحمل معه بالتالى ، الا التفتيت فى وحدة العمل الجماعى وضياع التخطيط والتنسيق فى العمل داخل الحركة الفنية وخارج حدودها عندما تنطلق الى الجماهير .

ان الشعار الذى ينادى بنزول الفن الى الجماهير وخروجه من العاصمة الى المحافظات والاقاليم والقرى .. هذا الشعار الذى اطلق منذ فترة ولم يختلف عليه اثنان .. لكى يتحقق لابد ان يسبقه عملية التعبئة والتنظيم .. وقد يكون هذا الشكل من التعبئة والتنظيم هو « اتحاد عام للفنانين » ، يمكنهم اولا من التفكير الجماعى والتخطيط للحركة الفنية ، دون التدخل فى الاتجاهات الفنية — والتنسيق فى خطة عمل موحدة ، بحيث لا تزدحم القاهرة بستة معارض فى وقت واحد .. وتحرم عواصم الاقاليم من واحد من هذه المعارض .

ان معرض « الفن والميثاق » اطل على حركتنا الفنية بوجه التفاؤل ، وهبت منه نسمة الامل الرقيقة ، لوجدان الفنانين ولم يبق امامنا الا التنظيم لنتمكن بالتالى من التخطيط لنجد العمل العبقرى فى احضان الجماهير .

واقترح ايضا .. ان يحتضن الاتحاد الاشتراكى هذه الاعمال التى ساهم بها الفنانون فى الاحتفال بمناسبة تاريخية عظيمة .. اقترح ان يجعل من هذا المعرض نواة لمتحف للفن الحديث يطلق عليه اسم « متحف الفن والثورة » يضاف اليه فى كل عام بعض الاعمال المختارة . ليكون هذا المتحف كسجل لمساهمة الفنانين بانطباعاتهم فى اعمالهم الفنية لملامح مجتمعنا الذى يتغير .

عبد المنعم القصاص

ليس غربا خالصا ، وانما هو تراث انســـانى شـارك فيه الشرق والغرب امدا طويلا من الزمن ، وقال ان الميثاق حين يدعو الى « **فكر مفتوح لكل التجارب** » فان ذلك يعنى انه لابد من أن نفتح نوافذنا على كافة الاتجاهات كما يقول غاندى ، بشرط الا تقتلعنا من ارضنا . وانتهى الى ان الالتزام بريىء كل البراءة من امثال هذه الدعوات الانعزالية الضيقة ، بعيد تمام البعد عن أن يكون ارتباطا سطحيا ساذجا بالسياسة .

وقال غالى شكرى ان دور الفنان فى المجتمع الاشتراكى يتحدد فى رايه بثلاث نقاط : **أولا ، الارتباط بالتراث الشعبى** حيث ان استلهام الجذور القومية يمنح العمل الفنى صـــدقه واصالته من ناحية . ومن ناحية أخرى فانه استلهام عميق لمشكلات الشعب الحقيقية التى تمنح هـــذا العمل الحرارة والتدفق والحياة . والنقطة الثانية ، **هى الارتباط بروح العصر** التى يمكن ايجازها فى قيم التحرر من الاستعمار ، والســـلام العالمى . والنقطة الثالثة ، **هى الارتبـــاط بمرحـــلة التحول الاشتراكى فى المجتمع** ، وذلك بالتاكيد على وحدة قوى الشعب العاملة التى حددها الميثاق الوطنى ، والتعرف الحميم على المشكلات التى تواجه الثورة من جراء التناقضات الكامنة فى البناء الاجتماعى المتوارث . واذا كانت الدولة تقدم للفنـــان امكانياتها الحالية فى التفرغ للانتاج ، فاله على هذا الفنـــان ان يسلح نفسه بالوعى الثورى دائما ، وأن يرتبط بأحـــداث وطنه والعالم ارتباطا مصيريا . وانتهى الى انه اذا كان للثورة الفرنسية انبياءها مثل روسو وفولتير وديدرو ، واذا كان للثورة الروسية جوركى وتولستوى وتشيكوف ، فان لمصر وثورتها منذ حـــركة عرابى تراثها الادبى والفنى الثورى من محمود سامى البارودى الى العقاد وطه حسين وسلامة موسى الى توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ومحمد مندور وغيرهم من أبناء هذا التراث العظيم الذى يمـــد الفنان المعـــاصر بقوة الاستمرار .

واتفق المتحدثون على ان هناك زيفا كثيرا باســـم الادب الاشتراكى والفن الاشتراكى ، ولكن الفنان الاشتراكى الاصيل سيجعل العملة الجيدة تطرد العملة الرديئة . واتفقوا كذلك على ان اقامة الندوات والمهرجانات والمؤتمرات شىء طيب ، ولكن لنجعل منها نقطة انطلاق الى حياة أدبية وفنية دائمة ، من الريف وللريف .. ولا شك ان ندوة دســـوق — كما عقب الكثيرون — كانت اكثر نجاحا من ندوة كفر الشيخ ، لاشتراك هذه الفئات المنوعة من الجماهير ، والفاعلية الملحوظة لاعضاء الاتحاد الاشتراكى من المثقفين .

●

ديهـــاميل .. الناقـــد والفنــــــان والطبيب

عن ٨٢ عـــاما مات الـــكاتب الفرنسى **جورج ديهاميل** فى ١٣ ابريل الماضى . فقد ولد فى ٣٠ يونيو ١٨٨٤ ، وتتبع فى البداية خطوات والده ودرس الكيمياء والعلوم الطبيعية كى يصبح بدورة طبيبا .

وقد مارس **ديهاميل** مختلف فنون الكتابة كالشعر والرواية والمسرح والنقد ، واتسمت معظم مؤلفاته بعمله الســـابق كطبيب عاش التجربة الانسانية من اكثر زواياها عنفا وقسوة. نشر أولى مؤلفاته عام ١٩١٠ وهى عبارة عن سلســـلة من القصائد والملاحظات عن الفن الشـــعرى . وعند ما اقبلت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ اشترك فيها كضابط طبيب ويقول البعض انه اجرى خلالها حوالى الف جراحة ، اسفرت تجربته معها من « **ذكرى حياة الشهداء** » الذى اصدره عام ١٩١٧ . وفى العام التالى مباشرة ، وبوحى من ميدان القتال والدمار كتب « **مدنية** » التى نشرها أولا بتوقيع مستعار هو « **دنيس تيفان** » ونال عنها جائزة الجونكور . ثم توالى انتاجه الفنى بعدئذ من قصـــائد وروايات ودراســـات ومسرحيات ، استلهم معظمها من جولاته المتابعة فى أوروبا الوســـطى والشرق والامريكتين . ومن بين مؤلفاته التى ظهرت ابان تلك الفترة « **امتلاك العالم** » ثم « **رحلة موسكو** » و « **فصـــول الحياة القادمة** » وسلسلة « **الحياة ومغامرات ســـالافان** » (بين عـــامى ١٩٢٠ و ١٩٣٢) و « **نقد الباســـكييه** » (١٩٣٣ — ١٩٤١) و « **حديقـــة الحيوانات المتوحشـــة** » و « **مشهد للارض الموعودة** » .

بعد رحلاته العـــديدة ، وقد تحـــدث فى كل رحلة منها عن الثقافة الفرنسية ، كان يعود الى القيام بالمهام المختلفة التى تجبره على الابتعاد عن الملجأ الهادىء فى منزله بفالموندواه الواقع فوق هضـــاب الواز ، وذلك للاشتراك فى المؤتمرات العديدة أو فى جلسات اللجنة الدائمة للـــكتاب الفرنسى فى الخارج ، وكان رئيسها لامد طويل .

وفى المرحلة التى تلت الحرب الاخـــيرة ، نشر كتبا جديدة مثل « **حكايات حديقتى** » و « **الموسيقى المعزية** » و « **قياس الارواح** » و « **البهيمى والاعشـــاب اليابســـة** » . وفى عام ١٩٦٢ انتخب عضوا فى الاكاديمية الفرنسية حيث خلف المؤرخ **جون لونتر** . وكان كذلك عضوا فى اكاديمية العلوم الاخلاقية والسياسية وعضوا فى اكاديمية ونسار وأكاديمية الجراحة . ومنذ عام ١٩٦٠ اصبح رئيسا لاكاديمية الطب .

وكان جورج ديهاميل احـــد المعـــاصرين القليلين فى الادب الفرنسى ، الذى يعنيه البناء والوضوح والعواطف ودراســـة الشخصيات « **وقد تبارز مع عصره وخلف لغة واضحة وتعبيرا نقيا** » كما وصفه احد النقاد .

وقد نقل الناقد العربى الراحل الدكتور **محمد مندور** كتابه الشهير « **دفاع عن الادب** » فى منتصف الاربعينات ، كما نقل الدكتور **شكري عياد** روايته المعروفة « **اعترافات منتصف الليل** » واشتملت كلتا الترجمتين على مقدمة تحليلية مسهبة عن ديهاميل الناقد والفنان .

●

■ **مسرح**

بسكاتور أو « الانسان كائن سياسى »

يعد كتاب « المسرح السياسى » الذى اصدره « **بسكاتور** » — الفنان الالمانى الاصل — فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بمثابة الميلاد الاول لفـــكرة المسرح الملحمى التى اصبح بريخت هو علمهـــا الاول . وليس المسرح السياسى عند بسكاتور مجرد نظرية فى الدراما ، بقدر ما هو تحقيق فنى لنظرية فى الانسان . فالانسان كما يقـــول فى هذا الكتاب ، كائن ســـياسى اولا وقبـــل كل شىء ، ولابد للمسرح من أن يستوعب هذه الدلالة جيدا حتى يتمكن مـــن صياغتها فى أدوات تكنيكية تلائم هذا الفهم بالانسان .

ولذلك يفرق بسكاتور تفريقا جوهريا بين ان يكون المسرح او الفن عموما ، مسرحا وفنـــا سياســـيا ، وبين ان تكون السياسة نفسها مسرحا او فنا . فالمسرح الســـياسى يتخذ من الانسان خامة بشرية له . هذه الخامة هى الكائن السياسى الذى يفصح عن نفسه فى مختلف جزئيات الحيـــاة وتفاصيلها وقضاياها الكلية ومشكلاتها الكبرى . ومعنى هذا انه لابد من خلق

« المسرح الكامل » تكنيكيا ؛ وهو المسرح الذى تتبلور فيه كافة منجزات الحضارة الصناعية عبر الديكور الذى انه يمكن استخدام وسائل الحركة السينمائية جنبا الى جنب وسائل التمثيل والنحت فالتصفير الى جانب الرقص الاوبرالى والموسيقى السيمفونية. هذه الادوات جميعها تجعل من المسرح السياسى اما اصيلا على النقيض من ان تكون السياسة نفسها مسرحا هاتفا بالشعارات « ليست هذه الشعارات الا حيلة تستطيع مدمرة للانسان والمسرح معا » .

وقد اخلص بسكاتور لهذا المعنى الجديد فى المسرح الذى كان ثورة جارفة على المذهب التعبيرى السائد فى المانيا ابان العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ، وقد كانت مسرحية « هكذا الحياة » للكاتب الالمانى تولر من اولى المسرحيات التى اخرجها عام ١٩٢٧ ، وهى تقدم صورة شاملة للحالة السياسية فى المانيا بعد الحرب . وكان آخر عمل قدمه عام ١٩٦٥ مسرحية اسمها « التعليم » للكاتب الالمانى بير يتحدث فيها عن معسكرات الاعتقال وافران التعذيب التى اقامها النازى .

ولم يستطع بسكاتور ان يعيش حياته فى المانيا فى ظل الحكم النازى ، فسافر الى الولايات المتحدة الامريكية حيث ادار اكاديمية للفن الدرامى تعلم فيها على يديه نخبة من انضج المسرحيين فى العالم ، وقد تجنس بالجنسية الامريكية وبقى فى امريكا الى وفاته خلال الشهر الماضى .

ظواهر جديدة فى الموسم المسرحى

يتميز الموسم المسرحى ١٩٦٦/٦٥ بانه من اكثر المواسم الفنية اثارة للجدل بين مختلف الاطراف ، بين المسرحيين وبعضهم البعض ، وبينهم وبين النقاد ، واخيرا بينهم وبين الجمهور . ولا شك ان بعض الظواهر التى اثارت الجدل ، كانت من ذلك النوع الذى يمكن تسميته بالظواهر الكاذبة ؛ اى انها حصيلة افتعال متعمد يستهدف الدعاية الاعلانية وحدها الا ان هذا لا ينفى ان ثمة ظواهر جديدة ، صادقة واصيلة ، مهما اختلف الناس فى تقييمها موضوعيا . هى صادقة بمعنى انها نتاج طبيعى لمرحلة التحول التى يجتازها الفن المسرحى فى بلادنا ، وهى اصيلة لكونها اقصى ما استطاع الفنان المسرحى ان يبذله من جهد فى استلهامها من واقعه المحلى . اما تقييمها الموضوعى ، بالجودة او الرداءة ، فهذا ما يعترك حوله الجميع .

والظاهرة الاولى التى تسيطر على اغلب الانتاج المسرحى لهذا العام ، هى ظاهرة « **العرض المسرحى** » بدلا من البناء الدرامى التقليدى ، وهى ظاهرة انحدرت الى هذا الموسم من الموسم قبل الماضى حيث تعرفنا عليها فى مسرحية « الفرافير » . وفيها تخلو خشبة المسرح من الصراع والاحداث والمواقف ، وتكاد تنفرد فيها بعض الشخصيات بالمحاجاة الفكاهية والجدل السكوميدى ، اما فى صورة القفشات والنكات والمفارقات ، او فى صورة تعاطى القافية. وتستلزم هذه الظاهرة ان يسقط الحائط الرابع بين الممثلين والجمهور ، لا كما فعل بيرانديللو من ضرورة الجائسه الى دمج الجمهور فى الظاهرة المسرحية ، وانما كما فعل نجيب الريحانى من قبيل الاثارة الجماهيرية حين كان يقطع على الممثلين ادوارهم ليخاطب فردا جالسا فى الصالة . وقد استغلها يوسف ادريس فى « الفرافير » لخلق التجاوب بين الجمهور و « النقد الاجتماعى » الذى ينفسح بالسخرية على خشبة المسرح .

هذه الظاهرة لم تعد ملمحا فرديا لكاتب بعينه ، وانما اضحت ظاهرة مسرحية شاهدناها فى « سكة السلامة » و « حلاق بغداد » فى الموسم الماضى ، و « اتفرج ياسلام » و« وابور الطحين » و« الليالى الثلاث » و« الشبعانين » فى الموسم الجديد . وهى ظاهرة يتداعى فيها البناء التقليدى ليحل مكانه « الاستعراض » بما يشتمل عليه من مقارعة ساخرة ، وغناء ، ورقص فى بعض الاحيان . هكذا جاءت « اتفرج ياسلام » — للدكتور رشاد رشدى — شيئا قريبا من البابات الشعبية من حيث الاداء التمثيلى المشابه لاسلوب خيال الظل ، كما جاءت فى لغتها شيئا قريبا من السجع المرسل . اما « وابور الطحين » فاستخدمت فرقة « ابو الغيط » بمزمارها ورقصها ، تحول فيها المسرح الى ما يقترب من جو الاوبريت . وفى « الليالى الثلاث » حاول نفس المؤلف — نعمان عاشور — ان يطور هذا المناخ « الاستعراضى » بأن قسم عمله الى ثلاث تمثيليات من ذوات الفصل الواحد ، يجمع بينها « الليل » الذى تختلف صورته من مكان الى آخر ، حتى اذا وصلنا الى الليلة الاخيرة « الحمراء » كانت صورة مصغرة لاسلوب العرض المسرحى الذى يتخلله « المغنى » ويصاحبه « العود » . وفى « الشبعانين » لاحمد سعيد يكاد فتح الستار واسداله لا يعنى شيئا ، لان المشهد واحد لا يتغير هو « المناجاة » التى لا تتوقف بين الشحاذ وبقية الشخصيات ، المناجاة التى تستخدم القافية والقفشة والنكتة فى السخرية من كل شىء . وتبلغ السخرية ذروتها حين يخرج « العرض » من حدود خشبة المسرح الى الباب الخارجى حيث ينتصب تمثال السخرية من الشحاذ وابنته لقمة يستقبلان الجماهير وبقية الممثلين يهتفون جميعا « لتحيا الثورة » . وكما ان الاندماج الذى احدثه اسلوب « العرض » المسرحى ، ليس تقليدا بيرانديليا ، فان تجارب الكورس التى نلاحظها فى بعض هذه المسرحيات ليست تقليدا يونانيا ينوب عن القدر فى الافصاح عما يجهله المشاهد ، وليست تقليدا بريختيا يعلق على الاحداث ، وانما هى اقرب الى اسلوب « الزفة » المتبع فى الافراح وما يرافقه من تجمع بعض الفنون الشعبية فى وقت واحد كالرقص واللعب بالعصا والغناء .

والظاهرة الثانية التى سيطرت على الموسم المسرحى هذا العام ، هى **الاطار التاريخى** المستمد فى معظمها من العصر المملوكى . هكذا كانت « سليمان الحلبى » لالفريد فرج ، و « الفتى مهران » لعبد الرحمن الشرقاوى ، و « اتفرج ياسلام » و « الشبعانين » . بطبيعة الحال يختلف الاطار التاريخى من مسرحية الى اخرى بحسب قدر الفنان على توظيف التاريخ فى خدمة الفن من ناحية ، ووفق استطاعة التاريخ وفكر الفنان فى ان يخاطبا انسان اليوم بلغة العصر وهمومه وقضاياه . وبطبيعة الحال ايضا سوف تتفق جميع الاعمال التى استوحت العصر المملوكى فى بناء هيكلها من حيث ان المادة الخام فى كل منها هى « النظام الاجتماعى » كعلاقة بين السلطة السياسية والفرد او المجتمع المحكوم. فالمادة الخام فى « سليمان الحلبى » هى ذلك الصراع العلنى حينا والخفى فى اغلب الاحيان بين سلطة الاحتلال

الممثلة حينذاك فى الجنرال كليبر ، وجماهير الشعب المصرى التى يشترك فى قيادتها علماء الازهر ورجال الدين من امثال الشيخ السادات . وليس سليمان — هذا الفتى الوافد من حلب — الا احد ابناء الازهر من تلامذة الشيخ السادات . وتدور احداث المسرحيةفيما يشبه المعارضة الفنية والفكرية لمسرحية « هاملت » حيث نجد الفتى الحلبى يحسم الصراع بينه وبين نفسه باغتيـــال كليبر . ومهما كانت آثار هـــذا الاغتيال الفردى على الحركة الوطنية، فان الفنان لم يقصد الى تبرير البطولة الفردية ، وانما هو قد استعان بالتاريخ على فهم ذلك الرباط الحى العميق الذى يصل بين وجدان الفرد ووجدان المجتمع ، وان سلك الفرد من اجل المجتمع مالا يقره هذا المجتمع .

وفى « الفتى مهران » — وهى المسرحية التى اثارت اولى المعارك السياسية فى النقد المسرحى هذا العام — يتخفف المؤلف من الكثير من اغلال التاريخ فلا يرتبط بالمناخ التاريخى قدر ارتباطه بروح العصر .ولربما كانت لغة الشعر الحديث هى العامل الاول الذى ساعد الفنان فى الابتعاد النسبى من لغة التاريخ . ولربما ايضــــا كانت واقعية الاحـــداث المعاصرة التى يستشفها الجمهور المشاهد للمسرحيـــة هى العامل الاخر الـــذى دعم وبرر ابتعاد الفنان عن احـــداث التاريخ .

ولم يبق فى « الفتى مهران » من الاطار التاريخى سوى جزئيات متناثرة اقرب الى الشكل منها الى المضـــــمون ، جزئيات تخص الديكور والملابس والحـــدوته المسرحية اكثر مما تخص الموضوع والقضية .وعلى النقيض من البطـــولة الفردية عند الفريد فرج ، نجد ان الشرقاوى يصوغ بطولة مهران فى اطارها الاجتماعى . فهو لاياتى اعمالا خارقة بل يجسد ارادة الجموع الغاضبة على السلطان ، وهو يخطىء ويصيب مثلهم ، وهو يعيش صراعا داميا بين قلبه وعقله ، الى نهاية هذه المقومات التى تخلق البطل الثورى فى تعبيره الموضوعى عن جماهير الشعب، وتعبيره الذاتى عن مكوناته الشخصية .

وليست « اتفرج ياسلام » و « الشـــــبعانين » — على الرغم من تباين المستوى الفنى — الا استخداما تقـــريريا مباشرا للرمز التاريخى بحيث انه لا يحتمل التاويل او الاجتهاد، فقد بلغ من الوضوح حدا يفقد معه الاطار التاريخى مبررات وجوده .. فالسلطان هنا وهناك ، والشعب هنا وهناك ، لايحتاجان الى اية شبابيك رمزية يستتران بها اية ابعاد موغلة فى العمق .

والظاهرة الثالثة فى هذا الموسم هى طغيان صيـــورة « المثقف السلبى » الذى يوشك على الانهيار فالجنون عند يوسف ادريس فى « المهزلة الارضية » ، ويكاد ان يعجـــز عجزا كليا عند سعد الدين وهبة فى « بير السلم » ويزدوج الشخصية بصورة مقيته فى « النصـــابين » . هو انسان منهار فى المهزلة الارضية ، او يوشك ان يكون كذلك ، لان المجتمع فى نظر المؤلف سلبه كل مايملك . سلبه زوجتـــه حين ارتمت بين احضان احد زملائها،وسلبه ماله حين ابتلى بشقيق همه الوحيد اغتصاب ما للغير من مال وعقـــار — وسلبته الظروف ان يكون مواطنا ايجابيا مشاركا فى بنـــاء وطنه لان الرؤيا التى باغتته ذات يوم هى ان كافة النتائج تســـتوى فى اهميتها مهما اختلفت المقـــدمات فى اهميتها . وبالتالى فليست هناك حقيقة موضوعية واحدة،وانما ما اراه حقا من احدى الزوايا، هو زيف من زاوية اخرى، والعكس صحيح ايضا، وبالتالى تصبح مشكلات المثقفين وسفسطاتهم مجرد ثرثرة لفظية لا قيمة لها ،وتنتهى المسرحية بان يخلع المثقف حامل الدكتوراه والاستاذ بالجامعة ، قميص الجنون ، ليرتديه من بعده الطبيب الذى دارت فى عيادته احداث الدراما .

والمثقف العاجز فى « بير السلم » يرتدى بيجاما حمــراء لفترة من الوقت ، ثم يرتدى بيجاما سوداء لفترة اخرى . وهو فى كلا الفترتين لا يسأم قراءة الكتب بمعزل عن اى عمل آخر يخص زوجته او اهله او ذلك الاب « الغائب » فى بير السلم . وسواء كان هذا الغائب هو الشعب او الله او الضمير ، فان المثقف الملون لايعنيه الامر فى شىء ، كما لا يعنيـــه ان يستجيب لعلاقته المشروعة بزوجته ، فيحـــكم عليها وعلى نفسه وعلى كل شىء ، بالعقم والبوار .

والمثقف « النصاب » عند محمود السعدنى ثلاثة نماذج : اولها ذلك الصحفى التقـــدمى الذى يكتفى بترداد مجموعة من الكليشيهات لا تفهمها الجماهير ، كما يكتفى بدمغ زملائه بالخيانة اذا حاولوا تفهم روح الشعب واسلوبه فى الحياة ، كما يكتفى بانفـــاس الحشيش اذا حـــاول هو « مشاركة » الشعب فى حياته اليومية .والنموذج الثانى لخبير فى الفنون الشعبية ليس له من هدف فى الحياة سوى ابتزاز المال من احدى الراقصات « البلدى » مقابل اشعال احلامها المريضة فى مستقبـــل « مطربة مصر الاولى » حتى تصـــاب بالجنون عندما يحقق احلامه هو بالزواج من احدى ساكنات الزمالك . والنموذج الثالث لعالم فى الاثار يقف الى جانب اهل الحى فى الحيلولة دون هـــدمه لمجرد انه علم بوجود اثر تاريخى فى المنطقة ، ثم لا يلبث ان يستعين بالشرطة لضرب الشعب اذا ارتاب فى ضياع حجر اثرى .

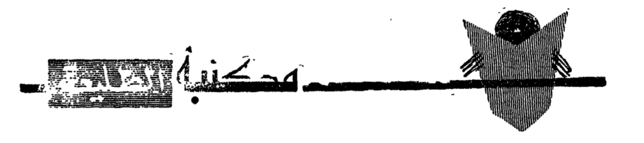
هذه هى صورة المثقفين التى غلبت على التاج الموســـــم المسرحى هذا العام ، وهى فى جوهرها صورة جزئية لقطاع من المثقفين لا يقبل التعميم ،وهى صورة معزولة من بقية الصور التى يمكن التقاطها من زوايا مختلفة تستقيم معها الرؤية الموضوعية .

والظاهرة الرابعة التى يمكن تلمس ابعادها فى هذا الموسم ايضا هى النقد الاجتماعى الصارم لمختلف وجوه السلب فى حياتنا الراهنة . وهو امتداد لذلك النقـــد الذى تعرفنا عليه فى الفرافير وسكة السلامه فيما مضى .وهو نقد يركز على الجوانب السلبية فى بناء المجتمع الجديد تركيزا يصل به الى حـــدود الحالة الحرجة او الخيط الرفيـــع الذى يفصل بين الحق والباطل .وربما كانت هناك بعض القسوة والعنف فى مسرحيات مثل « المهزلة الارضية » و« بير السلم » و« اتفرج ياسلام » و« الفتى مهران » .ولـــكنها لم تتجاوز الخيط الرفيع من موقع الحق الى موقع الباطل . بينما لم تستطع مسرحيات اخرى مثل « الشبعانين » و « النصابين » ان تحتفظ بمجرد التوازن .

واذا كان معظم النقاد قد وصفوا هذا الموسم بالتشاؤم والسواد ، فما ذلك الا احدى النتائج المترتبة على مجموع الظواهر التى اخترنا من بينها الاربع ملاحظات السابقة .. فالمثقف السلبى والجوانب السلبية فى البناء الاجتماعى ، لابد وان تظلل الظاهرة المسرحية كلها بالكآبة والحزن والسواد

على ان اللون الاسود فى الفن ليس عيبا فى ذاته . فالبناء الاشتراكى للمجتمع ،لا يفرض اللون الوردى على الادب ، وانما هو يتيح الفرصة كاملة امام الفنان الصارم لكى يتناول الظاهرة الاجتماعية فى تكاملها من ناحيـــة ، وفى حركتها من الناحية الاخرى . ولا ريب ان النظرة الشـــاملة للظاهرة ، سوف تلون الاداب والفنون المصاحبة لها بمختلف مراحـــل اللون الواقعة بين الابيض والاسود ، تماما وفق تطور الظاهرة الاجتماعية نفسها عبر ازمات كثيرة ومتناقضـــات عديدة تحتم السلب جنبا الى جنب الايجاب .

غالى شكرى



□ أسس الاشتراكية العربية □ الاختيار الثورى فى المغرب □ من المجلات الفكرية العالمية

● تأليف د. عصمت سيف الدولة ● المهدى بن بركة

اسس الاشتراكية العربية

● تأليف : الدكتور عصمت سيف الدولة

دار الحوار لفترة طويلة فى الحركة الثقافية المصرية بين مفهومى « الاشتراكية العربية » و« التطبيق العربى للاشتراكية ». ولم يقم الحوار لمجرد اختلاف فى التعبير او الالفاظ ، وانما قام — فى الاساس — لتباين وجهات النظر حول مفهوم الاشتراكية ذاته ». بمعنى : هل الاشتراكية — كنظام سياسى واقتصادى واجتماعى — واحدة فى مضمونها وما تهدف الى تحقيقه فى كل بلد ؟ ام انها تتمايز — فكرا وتطبيقا — من بلد الى آخر ؟ وكخط عام يقول اتجاه « التطبيق العربى للاشتراكية » بان الاشتراكية — فى مضمونها وخطوطها الفكرية العامة — واحدة ، وانه — بتطبيقها — تراعى — كضرورة — لخصائص وواقع ومكونات ظروف كل بلد ، ومن هنا تختلف — بالضرورة — فى التطبيق ». هذا بينما يقول اتجاه « الاشتراكية العربية » بتمايز الاسس الفكرية نفسها للاشتراكية من بلد الى آخر ، ويترتب على ذلك — تبعا لهذا المنطق — اختلاف مضمونها وما تهدف اليه وفقا لظروف كل مجتمع ».

وقد توقف الحوار لفترة ، بدى فيها اقتناع اكثرية المثقفين المصريين — الظاهرى على الاقل — بمفهوم « التطبيق العربى للاشتراكية » . الا ان الجدل حول المفهومين يبرز مسرة اخرى بين وقت وآخر ، فلقد اهتمت « الدار القومية للطباعة والنشر » — احدى مؤسسات وزارة الثقافة — بنشر كتاب للدكتور عصمت سيف الدولة بعنوان « اسس الاشتراكية العربية » ، فى محاولة للاجابة على سؤال يقول : « هل يمكن ان توجد اشتراكية « عربية » متميزة عن النماذج الاشتراكية القائمة فى العالم الان ؟ » « وما هى تلك الاشتراكية العربية ؟ »

ويحاول الدكتور المؤلف ان يقدم اجابة تمثل — فى رايه — ردا على هذه الاسئلة من خلال سبعة فصول يقول فى اولها « بأن باب الاجتهاد مازال مفتوحا » ويتحدث فى ثانيها عما اسماه « بجدل الانسان » . وفى الفصل الثالث يحاول تحديد مفهوم « الحرية » ثم يضع فى الفصل الرابع تحديدا لمفهوم « الاشتراكية » وفى الفصل الخامس تحديدا لمفهوم « القومية » ويتحدث فى الفصل السادس عن « نقطة الانطلاق واسلوب الثورة العربية » ليختم كتابه فى فصل سابع عن « الاسس التنظيمية للحركة العربية الواحدة ».

وذلك كله بتأكيد « اوجه ثلاثة لمستقبل عربى واحد » : « الحرية والوحدة والاشتراكية » ، كما يؤمن بها — بهذا التسلسل — معلنا فى الوقت ذاته ، ان تحقيق المستقبل العربى — بغير هذا التسلسل — يعد — فى رأيه — « ادراك خاطىء للقومية وللامة التى تحتم وحدتها العضوية الا تحل مشكلات الاجزاء الا فى الكل » فهو يقول فى ص ٣٧٧

« .. اذا كان من الممكن ان يحل كل جزء (يقصد من الوطن العربى) مشكلاته فيصبح اشتراكيا ديمقراطيا حقا فى ظل التجزئة (يقصد قبل تحقيق الوحدة العربية) ، فما جدوى الوحدة ؟ » ثم يضيف « لو كان هذا ممكنا لكان لابد من مراجعة فكرة القومية العربية ». بل يذهب الى حد اعتبار الدعوة الى تحقيق الاشتراكية (مثلا) قبل الوحدة « منطقا اقليميا » يصفه الدكتور المؤلف « بالخيانة القومية » ص ٣٧٨ .

وعلى طول الكتاب يعرض الدكتور المؤلف « لاسس الاشتراكية العربية » من خلال تعرضه بالنقد للاسس الفكرية للماركسية — بشكل خاص — وللمثالية الجدلية (هيجل) كذلك ».

ويعرض الكتاب — بالتفصيل — لظهور الفكر الاشتراكى فى اوربا فى القرن التاسع عشر « كحل للمشكلات الحادة المترتبة على تطبيق الرأسمالية كنظام » . ويرى الدكتور المؤلف ان الاتجاهات الاشتراكية — قبل ظهور الماركسية — قد افترقت « على اسس قومية » . لذلك يطلق تسميات « الاشتراكية الانجليزية » و « الاشتراكية الفرنسية » و « الاشتراكية الالمانية » . واذ يؤكد الكتاب سمة « المثالية » لهذه الاشتراكيات « لانها لم تخرج عن كونها « مدن فاضلة » و « خيالية » ، فهو يؤكد ايضا انها تشترك — فى رايه — فى انها « اوروبية فى مواجهة بقية العالم » بمعنى انها « وضعت حلولا للانسان الاوربى » . بينما « لم تضع حلا لملايين البشر فى المستعمرات » . ثم يعود فى ص ٥٠ لدمغ

هذه الاشتراكيات حيث يسميها « بالاشتراكية الاستعمارية »،
وبعد ان يعرض المؤلف لفكر كارل ماركس ، يقول ان القوانين التى انتهى الى تحديدها — اساسا للتطور — لم تكن « دقيقة » او « محكمة تماما » ، ويتهم ماركس بأنه وضع منهج « المادية الجدلية » ثم راح « ينقب فى الواقع وفى التاريخ لتخرج النتيجة منسجمة ومؤيدة لقوانين الجدلية المادية » . ثم يشرح المؤلف الماركسية بالتفصيل وينتهى الى انها — فى رايه — تقول « بأن العمل وحده يحدد قيمة السلعة » وانه « فى ظل الراسمالية يزيد بؤس العمال ومن ثم يثورون لتدمير الراسمالية والغاء الملكية الخاصة » وان النضال ضد الراسمالية يتم « على اساس وحدة الطبقة العاملة وقيادة الحزب الشيوعى لها ». ويستخلص الدكتور المؤلف حكمه بعدم دقة قوانين الماركسية من خلال مناقشته للتجارب الاشتراكية التى طبقت على اساسها . فهو يرى ان « الثورة الاشتراكية السوفيتية » قد نجحت رغم ان روسيا كانت بلدا زراعيا ولم تتراكم فيه رءوس الاموال (تبعا لنظرية ماركس) ويرى فى نظرية لينين القائلة « بالنمو غير المتكافىء للراسمالية » او مايسمى « بالماركسية فى عهد الامبريالية » تبريرا لعدم دقة الماركسية . وفى راى المؤلف — كمثال آخر — ان الغاء الملكية الخاصة تماما وفور قيام ثورة ١٩١٧ ثم العودة الى التسليم بنوع منها والمشروعات الاقتصادية الجديدة التى وضعها لينين ، دليلا آخر على عدم دقة ماقاله ماركس . ويدلل بمثال آخر على صحة وجهة نظره — اى المؤلف — القائلة بعدم التطابق التام بين ماقاله ماركس وبين ماتم فى البلاد التى طبقت الماركسية ، بقوله ان الثورة الاشتراكية فى الصين بناها الفلاحون وليس العمال . ويذهب الى حد انه يصفها بأنها « ليست اشتراكية ماركسية » ولا « الاشتراكية سوفيتية » « بل انها اشتراكية صينية لحما ودما » . وبالاضافة الى ذلك كله يعتقد المؤلف بأن عديدا من « القضايا الانسانية » لم يكن لماركس قول حاسم فيها ويعطى امثلة متعددة منها : « قضايا التحرر الوطنى من استعمار البلاد المتقدمة » و « قضايا القومية » .. الخ

وينتهى الدكتور المؤلف الى نتائج ثلاث تقول : ● واقع كل امة يبدع اشتراكيته . ● ثمة ظواهر اجتماعية يطرحها الواقع المعاصر لم تستطع الجدلية المادية ان تقدم لها تفسيرا موحدا . ● ثمة انفصام بين نظرية ماركس التى قال بها منذ اكثر من قرن وبين التطبيق الاشتراكى فى القرن العشرين .

جدل الانسان

يشرح المؤلف بالتفصيل السكاف الاسس التى يراها « للاشتراكية العربية » من خلال مناقشته للاسس الفلسفية للمثالية الجدلية (عند هيجل) والمادية الجدلية (عند ماركس) بشكل اساسى . ويحدد المؤلف ان « لا مكان للمثالية عند التصدى لبناء المجتمعات ولن يكون لها مكان عند بناء الاشتراكية العربية » فى رايه .

ويطرح المؤلف السؤال التقليدى : ايهما اسبق على الاخر **الفكر ام المادة ؟** وبعد ان يشرح بالتفصيل راى المثالية فى قولها بأسبقية **الفكر** ، يشرح بالتفصيل كذلك راى المادية الجدلية فى قولها باسبقية **المادة** . واذ يهتم المؤلف بتوضيح الخلاف بين المنهجين (المثالى والمادى) ، يقول بأنهما متفقان حول « التأثير المتبادل بين الفكر والمادة » . وان الخلاف يمتد — بالاضافة الى اسبقية ايهما — الى : **ايهما يلعب الدور الاساسى فى التطور ؟** وبعد ان يعرض **لقوانين الجدل** عند ماركس (وحدة الاشياء وترابطها ، والحركة المتغيرة الدائمة ، والتغير الكمى والتغير الكيفى ، والتناقض والصراع) ، يقول ان الماديين الجدليين قد نهجوا — فى رايه — « اسلوب الهجوم الشديد على المثالية لتحطيمها لتكون المادية قد انتصرت بذلك دون ان تتعرض هى ذاتها للاختبار » .

ويخطىء المؤلف المادية الجدلية من عدة وجوه ، فهو يرى ان اعتراف المادية بفاعلية المادة فى الافكار وفاعلية الافكار فى المادة ، انما هو « اعتراف بفاعلية جزئية للافكار » . وهذا — فى رايه — ازمة المادية . فهو يرى — حتى تتسق الحركة الجدلية — ان الافكار « تعود فتضع امام التطور المادى مهمات جديدة » . اى انها — فى رايه — تعود « فتخلق المادة » . وبالنسبة لقانون التناقض (فى المادية الجدلية) يعمل المؤلف على هدم القانون — فى رايه — بقوله « لقد انتهى ماركس الى ان النظام الشيوعى لن يحتوى متناقضات ، دون ان يفطن (بفهم المؤلف) الى ان النظام الشيوعى **الاول** (مايسميه ماركس بالبدائى) قد تطور . فلابد انه كان يحتوى على متناقضات ، طبقا لوجهة نظره (اى وجهة نظر ماركس) فى محرك التطور التاريخى » . وعلى هذا فلا فرق — عند المؤلف — بين طبيعة المجتمع الشيوعى البدائى فى بداية التاريخ وبين طبيعة المجتمع الشيوعى القائم على « اسس علمية » فى راى ماركس .

ويعد المؤلف ان قول ماوتسى تونج « اننا نعترف بان الاساس المادى خلال المجرى العام للتطور التاريخى يحدد الاساس الروحى والوجود الاجتماعى . لكننا نعترف فى الوقت نفسه — ويجب ان نعترف — بالفعل الراجع للاساس الروحى فى الاساس المادى والفعل الراجع للوعى الاجتماعى » . يرى فى هذا القول « تراجعا » لما يسميه « بالمادية الخجلى » .

كما يعتقد المؤلف ان الكتابات الماركسية الاخيرة وبالتحديد كتاب « اسس الماركسية اللينينية » الذى وضعه ٣٩ مفكرا ماركسيا سوفيتيا ، « تراجعا (فى راى المؤلف) من مفهوم الدور الحاسم الذى يلعبه الاساس المادى فى التطور » وذلك على ان كتاب اسس الماركسية يؤكد على اهمية « الممارسة الفعلية » فى نظرية المعرفة . وعلى هذا يكرر قول لينين بانه « يجب على الاشتراكيين ان يتقدموا فى كافة الاتجاهات اذا ارادوا ان يحفظوا للحياة تقدمها » . فيقول الدكتور المؤلف « وهل يفعل الاشتراكيون العرب غير هذا ؟ » .

وبعد هذا يجيب الدكتور المؤلف على سؤال : « هل نحن مثاليون ام ماديون ؟ » فيقول « ليس من اللازم ان نكون ماديين او مثاليين لنتصرف فى الواقع على الوجه الذى انتهت اليه المادية والمثالية » . وذلك لانه يعتقد « ان المثالية والمادية انتهت الى موقف واحد » . فقد ارغمت المثالية — فى رايه — المادة على ان تقبل جدل الفكر وتكون على صورة ماينتهى اليه تصوره ، كما ارغمت المادية الانسان على ان يقبل جدل المادة فيكون على الصورة التى تنتهى اليها . وعلى ذلك فهو يرى ان موقفهما قد اتحدمن النتائج .

ويرى المؤلف انه يجب ان يكون لكل انسان « مفهوم كلى » للطبيعة ليستطيع تحقيق غايات على ضوء القوانين الكلية مضافة الى القوانين الفرعية لموضوع تلك الغاية . ذلك انه قد « اصبح لكل نوع ولكل فرع من نوع قوانينه وعلمه الخاص به » . ويحاول ان يبرهن على هذا باستعراضه لاخر تطورات العلم وخاصة فى تركيب وحركة الذرة . وعلى هذا فان البحث فى قوانين الانسان كنوع او فى تركيبات الانسان ، اى المجتمعات ، لايجوز ان يكون — فى راى المؤلف — على هدى القوانين الكلية وحدها وانما « على هديها » منضمة الى قوانين الانسان او قوانين المجتمعات . **فالجدل — فى رايه — « قانون نوعى خاص بالانسان وحده »** .

ويقول المؤلف بأن المادة تتحول دون جدل وان الفكر الذى « يخرج من قواعد المنطق »يعتبر هذيانا . ويرتب على ذلك انه يجب ان نبحث عما يسميه « **بالجدل الخلاق فى تلك الوحدة التى يجتمع فيها الفكر والمادة لاينفصلان ولايختلطان** ». والذى يطلق عليه اسم « **جدل الانسان** » والانسان — كما يقول المؤلف « وحدة نوعية من الذكاء والمادة » وان « المادة هى محتوى الفكر ، والفكر محيطها الذى يتحدد بها وتتحدد به وتكون معه وحدة لايمكن انفصالها »وعلى هذا فان « **الحركة الجدلية (للانسان) تبدأ من مشكلة تسهم فيها المادة لتنتهى الى حل مادى يسهم فيه الفكر** » .

والنقيضان — فى جدل الانسان — على حد تعبير المؤلف ، هما « **الماضى والمستقبل** اللذان يتبع احدهما الاخر ويلغيه ولا يلتقى به قط . ومع هذا يجمعهما الانسان ويضعهما وجها الى وجه فى ذاته » . ويحل الانسان هذا التناقض باستعمال « ادراكه » ليعرف وجه التناقض « بين الظروف وبين حاجته » .ويتحقق هذا الحل **بالعمل المادى او الذهنى** تبعا لطبيعة المشكلة . ويخلص المؤلف الى ان مايسميه « بالمعرفة العلمية بقوانين الطبيعة » هى « شرط قانون جدل الانسان » .

وعلى هذا ، يكون الاختلاف بين « جدل الانسان » وبين « الجدلية المثالية » انه لايقوم بين افكار ويحل بأفكار بعيدا عن المادة . ولكنه « تناقض بين **ماض مادى وتصور مستقبل** للمادة حل بتشكيل ذكى للمادة » .

ويختلف «جدل الانسان » عن « الجدلية المادية » من ان الجدل لايتم الا من الانسان لانه كما يقول المؤلف « الجدلى الوحيد » اما المادة فغير جدلية . ويخلص الدكتور المؤلف من كل هذا الى « ان الطبيعة خالية من التناقض والانسان هو محتوى التناقض والصراع » ص ١٢٥ .

الحرية أولا

يعتقد المؤلف ان التطبيقات الاشتراكية فى العالم قد عجزت — حتى الان — « من تحقيق التقدم الاقتصادى **والحرية معا** » فهو لايرى فى استمرار وجود الراسمالية خطرا على الاشتراكية لان « السباق بينهما فى مجال التقدم الاقتصادى يوضح حتمية انتصار الاشتراكية » . ولكن الخطر — فى رايه — ينبع من « عجز الاشتراكية » — كما يقول — فى تحقيق «الحرية الفردية » . وتحدد هذا ، هدفا واجبا على «الاشتراكيين العرب»

واذ ينطلق المؤلف من « قول سهل » : «انا حر افعل ما اريد»» ينتقل الى مايسميه « اعمق جوانب مشكلة الحرية » الا وهى « **الضرورة كشرط للحرية** » وذلك بمعنى « خضوع الطبيعة والانسان نفسه لقوانين علمية حتمية هى الشرط الاول لامكان تحقيق اى فعل فى المستقبل » . وهو اذ يتفق مع مؤلفو كتاب « اسس الماركسية اللينينية » فى ان الضرورة كأساس للحرية بقولهم « ان حرية الانسان ليست فى الانفصال (الموهوم) عن قوانين الطبيعة والمجتمع (حيث ان الانفصال غير ممكن) ، بل انها تكمن فى **معرفة تلك القوانين والعمل على اساس من هذه المعرفة** . » ، يعود فيؤكد تمايز مايسميه « بجدل الانسان » عن النظريات الاخرى التى لاتفصل بين الحرية والضرورة . فحركة الانسان او حريته — فى « جدل الانسان » — تخضع للقوانين الخاصة بالانسان نفسه الذى يخضع بدوره — كجزء من كل — للقوانين الكلية التى تحكمه وتحكم المادة والفكر معه . ومن هنا فالبحث فى الحرية ، بحث — فى رايه — فى علاقة الانسان بكل من المادة والفكر ؟ بمعرفة كيفا يقود الانسان حركة التطور باخضاع المادة والفكر لارادته .

ويعرف الدكتور المؤلف « الحرية » على انها « **المقدرة على التطور** » هى « **ادراك** المشكلة **وحلها** وتنفيذ الحل **بالعمل** .» ولما كان **وجود الانسان** — فى رايه — شرط الجدل فان «**الحرية الوجود** » — فى رايه ايضا — « شرط التطور » اى لها **اولوية** التحقق على اية حريات اخرى . ولما كان « التطور » حركة جدلية « تبدأ بالمشكلة ثم حلها ثم تنفيذ الحل بالعمل» فللانسان — فى رأيه — حرية اخرى هى « حرية فى الجدل » التى تتضمن **حرية المعرفة وحرية الرأى** (أى تصميم الحل) **وحرية العمل** اى تنفيذ الحل) . وتحدد حرية الانسان فى المجتمع — كما يقول المؤلف — « بالحريات الاجتماعية » اى ان حرية الفرد « تنتهى عند حرية وجود المجتمع » .

وعندما يتناول الدكتور المؤلف قضية « الديمقراطية » يخطىء مايعرف « بحكم الشعب بالشعب وللشعب » ويعرف الديمقراطية بأنها « **نظام الجدل** الاجتماعى » بمعنى « أسلوب الشعب فى (١) ادراك مشكلاته (٢) حل تلك المشكلات (٣) تنفيذ الحل بالعمل . » وعلى الاساس « يختلف تطبيق الديمقراطية من مجتمع لاخر تبعا لظروفه » كما يقول الكتاب .

والقادر على تحقيق « الحرية » هم « **الطلائع** » ومنهم يوجد «**الزعيم**» الذى هو « اكثر الناس فى مجتمعه التصاقا بالناس وادراكا لمشكلاتهم واكبرهم مقدرة على ايجاد الحلول العلمية المؤسسة على معرفة صحيحة بقوانين التطور الانسانى واكثرهم مقدرة على العمل تنفيذا للحل .

الاشتراكية .. اخيرا

على اى اساس تتحرك وتتغير المجتمعات ؟ والى اين تتجه فى تطورها ؟ واذ يرفض المؤلف — منذ البداية — منهج النظر الى احداث التاريخ منفصلة عن بعضها دون رابط ، يعرض بعد ذلك — بالتفصيل — « للمادية التاريخية » (تفسير ماركس لتطور التاريخ) القائلة بتطور التاريخ بتأثير التناقض فى اسلوب الانتاج بين قوى الانتاج وعلاقاته ، والصراع الطبقى .. الخ . ويناقش الدكتور المؤلف نظرية ماركس فى « المادية التاريخية » من خلال تطور التاريخ — كما يراه — ليخلص الى نتائج تقول بعدم دقة التفسير المادى للتاريخ . ومن امثلة ذلك — فى رأيه — ان مرحلة « الشيوعية البدائية » قد استغرقت مئات الالوف من السنين دون اى انفصام بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج اى بدون صراع او طبقات ومع ذلك تطورت. وهنا يعتقد المؤلف ان « المادية التاريخية » لاتقدم اجابة دقيقة لتفسير ذلك . وهو يرى — كمثل آخر — ان مايؤدى منطق الجدلية المادية من ان الاشتراكية هى الغاء الملكية الخاصة لادوات الانتاج لايفسر « لماذا تكون الاشتراكية — بهذا المعنى — حلا لأزمة الراسمالية ولم تكن حلا لازمة العبودية او الاقطاع؟» . كما يقول المؤلف بعجز « الجدلية المادية » و«المادية التاريخية» من تفسير « او تبرير » تطور « الدول المتخلفة الى الاشتراكية من غير الطريق الراسمالى مع ان كثيرا من الدول النامية حاليا قد اختارت هذا الطريق »

ثم يحاول المؤلف ان يقدم « الاساس العلمى » لتطور المجتمعات حتى « نستطيع ان نزعم اننا (اى المؤلف) قلنا

شيئا لم يقله الماركسيون واننا صححنا المادية الجدلية او اوجدنا (اى المؤلف) بديلا عنها ». »

ويجيب المؤلف على سؤال : » الى اين يتجه التاريخ؟ وما الذى يحدد للانسان بواعثه وغاياته ؟ » ، فيقول بأن المشكلات التى يقابلها الانسان تحدد غاياته ، وان الصراع هو العنصر المشترك فى كل المشكلات . ولما كانت « الحرية » هى العنصر المشترك فى كل الغايات ، من هنا فالتطور — عند « جدل الانسان » — يسعى الى الحرية فمزيد من الحرية .. الخ وعلى ذلك يعتقد الدكتور المؤلف ان الدولة باقية ببقاء الانسان. القائمة بين ماضى الانسان ومستقبله كما يتصوره ، اى بين ظروف الانسان وحريته . وهذا التناقض قائم ومستمر حتى بعد حل التناقض بين « التخلف والتقدم » اى بين « التقدميين والرجعيين » ، اذ « يبقى التناقض بين التقدميين وظروفهم. » وعلى هذا الاساس يقول « جدل الانسان » بدوام التقدم.

ويرى المؤلف ان الراسمالية لم تنته الى ماقاله ماركس «فلم تتركز رؤوس الاموال فى ايدى قلة من الناس . ولم تنخفض الاجور . ولم تزد ساعات العمل . ولم ينقسم المجتمع الى طبقتين لا ثالث لهما . » وذلك لانه يرى « ان بعض الحلول قد قدمت فى ظل النظام الراسمالى بعد كفاح الطبقات الكادحة وان كان النظام الرأسمالى يشفطها فتبدو قاصرة او مشوهة. » ويخلص من هذا الى ان « الاشتراكية تغزو الراسمالية من الداخل . » ويعتقد المؤلف « ان الاشتراكية تغزو الماركسية إلى حد قبول الماركسيين فكرة التطور غير الراسمالى ودولة كل الشعب والديمقراطية . » ويعد هذه النتيجة التى يقول بها « تنازلا من الماركسيين للحرية التى يتجه اليها التاريخ . » كما يعتقد المؤلف فى نفس الوقت « ان الاشتراكيــة تغــزو الرأسمالية الى حد قبول الراسماليين تدخل الدولة وتأميم بعض وسائل الانتاج والتأمينات الاجتماعية ، تنازلا منهم للحرية التى يتجه اليها التاريخ . »

ويخلص المؤلف الى نتيجة تقول « لقد رفعت اغلب الشعوب شعار عدم الانحياز تعبيرا عن رفض الطريق الماركسى والطريق الراسمالى معا . كما رفعت شعار الاشتراكية تعبيرا عن سعيها الى الحل الصحيح » . ثم يضيف « وراحت الشعوب تحاول بناء المستقبل تحت الشعارين (يقصد الاشتراكية وعدم الانحياز) منهجها التجربة والخطا فيأتى المستقبل آنا راسماليا فتعدله وآنا شيوعيا فتغيره وآنا اشتراكيا فتبقيه ». »

ومشكلة الانسان الخاصة والمميزة للعهد الراسمالى — فى راى المؤلف — مشكلة استغلال وقهر اقتصادى وليست مشكلة ملكية فردية . وان حلها يكون « بتحرر الانسان من الاستغلال والقهر الاقتصادى وليس بالغاء الملكية الفردية ». فالاشتراكية تعنى — عند المؤلف — « تحرير الناس فى المجتمع من الاستغلال عمالا كانوا او فلاحين او غيرهم لتخلص جهودهم لبناء مجتمع الرخاء والحرية ».. ولكن هذا — فى رايه — « لايستبعد امكانية الغاء الملكية الفردية ، وانما يتم ذلك كضرورة للتحــرر من الاستغلال (اذا اثبتت التجربة) وليس لانها اطلاقا واجبة الالغاء » . اذ يرى الدكتور المؤلف « انه من الممكن ان تلعب الملكية الفردية فى المجتمعات النامية دورا تقدميا » .

الوحــدة

يعتقد المؤلف « بجمود » موقف الماركسية — فى رايه — من «المسالة القومية» . ويرى انها تغلب وحدة «الاممية» (وحدة مصالح الطبقات العاملة فى العالم) على « الوحدة القومية ».

ويناقش المؤلف مفهوم الماركسية للامة والقومية وينتهى الى عدم صوابه . ويعرف الدكتور المؤلف الامة على انها مجموعة من الناس تجمعهم وحدة اللغة ووحدة الارض ووحدة التاريخ ووحدة المصير ». ويرى ان مجموعة الناس الذين لاتتوفر فيهم هذه الشروط لايكونون امة ، او ربما يكونون امة غير مكتملة. ويرى المؤلف ان تحقيق الرابطة القومية خطوة محققة للتقدم. كما يرى ان التمايز الاجتماعى على مستوى الاسر او على مستوى الاقاليم لاينفى الرابطة القومية ولا يلغى الوجود القومى ».

ثم يناقش العلاقة بين « الامة » وبين « الدولة » ، فيرى ان الدولة « جهاز تحقيق المصير » . فهى جهــاز — ابتكره الانسان — لادارة المصالح المشتركة بين الناس فى مجتمع ما، وعلى هذا يتطور التاريخ من خلال حل التناقض بين المشكلات ويقتضى وجود الامة الواحدة — فى راى المؤلف — أن تكون لها الدولة القومية الواحدة « جهازا لتحقيق المصير الواحد ». ومشكلات « الافراد » و « الاجزاء » فى الامة الواحدة «لايمكن بل يستحيل — وطبقا لجدل الانسان — ان تجد لهــا الحل التقدمى السليم الا فى ظل الدولة القومية الواحدة » . وعلى هذا يحتم وجود الامة — فى راى المؤلف — تحقيق الوحــدة السياسية . والدولة القومية الواحدة — فى جدل الانسان — لا تلغى الادارات المحلية والاقليمية ولكن « تشملها وتكملها اضافة لمقدرتها على التقدم الى مزيد من الحرية . وتحددها كما تتحدد الاجزاء بالكل الواحد ».

ثم يناقش الدكتور المؤلف مفهوم « الامة » كما حدده ، على الواقع العربى . فيرى ان شروط الامة متوفرة فى الامة العربية ويعتقد انها دخلت طور تكوينها القومى « منذ اكثر من ١٤ قرنا ». اذ يتوفر لها — فى ضوء الشروط التى حددها من قبل — وحدة اللغة والارض والتاريخ . ويحدد الارض التى تقيم فوقهــا الامة العربية فيرى انها تمتد من « الشمال يحدها البحــر الابيض وجبال طوروس وفى الشرق هضــبة ايران والخليج العربى وفى الجنوب المحيط الهندى وهضبة الحبشة والصحراء الافريقية الكبرى ومن الغرب المحيط الاطلسى » . ويرى المؤلف ان « الاســلام » قد لعب دورا فى توفير الاستقرار والتمايز الفكرى والاجتماعى للامة العربية . وعلى هذا الاساس يقول بأن الدين « كان بالنسبة للامة العربية مصدر وجود » بينما يعتقد ان الدين بالنسبة للامم الاخرى كان « آداة للتطور » .

وقد واجهت الامة العربة مهمة مزدوجة — بعد ان فرض الاستعمار عليها التجــزئة والتخلف — هى : الحــرية (اى استقلالها) والتحرر (اى تخطى ظروف التخلف التى فرضت عليها) . ويقول المؤلف انه رغم تحرر معظم « الاقاليم » العربية ، الا ان معظمها تعيش « دون مستوى حرية الوجود الاولى التى هى شرط لكل الحريات — فى جدل الانسان — ونحوها » . ويرى المؤلف ان التجزئة « عبء معوق » حتى للاقطار المتقدمة « لانها محرومة من كل امكانيات الظــروف الواحدة فى الامة العربية » . والامة العربية — كما يقول الكتاب — « لاتنعزل عن الامم الاخرى والعالم » بل انه يكملها ولا يلغيها » . والاستعمار — كمــا يقول المؤلف — مشكلة « عالمية » ويرى ان الامة العربية « جزء من الجبهة العالمية المعادية للاستعمار » .

ويصل الدكتور المؤلف بعد ذلك الى تأكيد ضرورة تحقيق الشعارات الثلاثة « اوجه مستقبل الامة العربية» وهى كما يراها فى تسلسها — : الحرية ثم الوحدة ثم الاشتراكيــة . ويرى

المؤلف ان « الانطلاق الى الاشتراكية قفزا فوق التجزئة : مثالية عقيمة » . وعلى هذا يحدد من هو « الاشتراكي العربي » فهو فى رأيه « من يدعو ويناضل فى سبيل الحرية والوحدة والاشتراكية معا » . ويرى الدكتور المؤلف ان « من يدعو لالغاء الملكية الخاصة ويقبل التجزئة او الدكتاتورية : شيوعي » وان « من يناضل من اجل التوزيع العادل للدخل ، ولو فى ظل الوحدة ، ويقبل الاستبداد : فاشى » وان « من يدعو من اجل رفع مستوى المعيشة فى ظل الاحتلال : عميل استعمارى » .

وبمجرد تحقيق التحرر من الاستعمار « تفرض الوحدة نفسها على من يقبلونها ومن لايقبلونها طريقا علميا وحيدا الى المصير الواحد الى الاشتراكية » ص ٢٨٥ اذ ان الوحدة التى تجب ان تسبق تحقيق الاشتراكية » فى راى الدكتور المؤلف « تحقق النمو المتساوى للاقتصاد فى الاقاليم المجزأة » لتنطلق معا الى الاشتراكية » ■

قضايا أخرى

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى مناقشة قضايا اخرى هامة منها اسلوب تحقيق « الاشتراكية العربية » فيرى ان « الثورة » — طبقا لجدل الانسان — هى وسيلة تحقيقها . « فان تحققت الثورة سلميا كان بها . وان كانت قتالا فاين المفر ؟ كتب القتال علينا وهو كره لنا وعسى ان نكره شيئا وهو خير كثير »

ثم يحدد الدكتور المؤلف مفهوما « للتقدميين » العرب فيقول « هم كل ضحايا الاستعمار الذين يرفضون استمراره ويناضلون فى سبيل التحرر . وكل ضحايا التجزئة . وكل ضحايا الاستبداد . وكل ضحايا التخلف » فهم تقدميون « لانهم يرفضون ان يمتد الماضى كما هو فى المستقبل . فيتصدون لتغييره وبناء مستقبل عربى اكثر حرية » . وعلى هذا الاساس يقول ان « الاغلبية الساحقة من الشعب العربى » تقدميون .

ثم يعرف المؤلف « الرجعية العربية » . فالرجعى هو « كل من يعوق تحقيق الاهداف (يقصد الحرية والوحدة والاشتراكية) على حدة او مجتمعة » . ويحدد موقف الثورة العربية منهم « بتجريدهم من امكانية الوقوف فى طريق التقدم » . لاتستخدم العنف ضدهم « الا دفاعا للتقدميين عن انفسهم » .

وتتجسد الثورة فى الانسان فى خلق حركة ثورية واحدة تضم « الطليعة » . وتقوم فكرة الطليعة — فى جدل الانسان — على اساس ان الانسان وحده هو مبدع مستقبله . « فلا بد من قوة انسانية تتصدى لمواجهة مشكلات الوطن العربى . من هنا فوجود الطليعة العربية ضرورة قومية » . ولا يمكن تجميع « الطليعة » العربية الا « بوجود تنظيم جماهى يلتحم داخله كل التقدميين الثوريين فى حركة عربية واحدة يتبادلون خلالها الجدل » . ويجب ان تبدأ الطليعة بمنهج عقائدى واضح ومحدد « يعطيها القدرة على قيادة الظروف » ويحميها « ضد وباء الانتهازية التى تغير جلدها بين حين وحين » . ويتأثر التنظيم الذى يصبح « قوميا » » فى نوعه ونضاله ، بالظروف المحيطة به ليتخذ الشكل المناسب . ففى الجزء الذى حقق الحرية : تنظيم علنى . وفى ظل الاستبداد : تنظيم سرى .. الخ . وذلك كله فى اطار الغايات القومية ككل .

ويرى المؤلف ان « الديمقراطية » هى المناخ الضرورى لحياة التنظيم الداخلية وانه يجب ان يناضل من اجل « ان تفرض الطليعة العربية الوحدة على اثر التحرر » . والدولة القومية الواحدة لاتلغى الادارات المحلية بل تدعمها . وترفض الطليعة العربية — كما يقول المؤلف — « نمو بذور الراسمالية المستغلة »

ويعرف المؤلف « الطليعى » فيقول « لايكفى الوعى الاكاديمى لافكار الطليعة وقبول مبادئها . ولا يكفى الانضباط الديمقراطى داخلها ولا يكفى المقدرة على النضال الثورى » . بل لابد « من الاستقامة الخلقية شرطا فى اعضائها وغاية من غاياتها » . ويعرف اخلاقيات الطليعة على انها « كل من يسهم فى التطور فضيلة وكل مايعرقله رذيلة . ويرى المؤلف ان « الاخلاقيات » نسبيتان « تختلفان من زمان الى زمان ومن مكان الى آخر » . والطليعى العربى — فى نفس الوقت — غير سلبى وغير متعصب ويثق بالانسان فيدين اى احتقار له ، وهو شجاع لا انهزامى . وهو « لايحاول ارجاع او التمسك بالماضى او التشبث به » . ويكتسب الطليعى هذه الاخلاقيات من خلال « الممارسة » اى بعمله مع الجماهير فى المجتمع والالتحام بها ■

●

الاختيار الثورى فى المغرب

● المهــــــدى بن بركــة

من الحقائق الاساسية البارزة فى عالم اليوم ، ان القائد والمناضل لا ينفصل عن المفكر فى ميدان السياسة . فقد امسى الفكر والعمل وجهين لقضية واحدة ، هى قضية النضال والقيادة . لذلك قلما نجد مناضلا وطنيا او اشتراكيا فى الوقت الحاضر ، ليست له افكاره النظرية التى تشكل فيما بينها بناء متماسكا او قويا من التماسك هو ما ندعوه بالمنهج . وكتاب « الاختيار الثورى فى المغرب » هو نموذج حى عميق لهذه الوحدة النضالية بين الفكر والعمل او بين النظرية والتطبيق عند المناضل العربى المغربى ، المهدى بن بركة . واذا كان الكتاب مجموعة من التقارير والبيانات والقرارات ، فليس هذا سوى « الشكل » ، أما ما تقوله هذه الصفحات فهى المضمون المنهجى الذى يقودنا الى التعرف على طبيعة التجربة العربية فى المغرب ، ومن ثم طبيعة النضال الفكرى والعمل السياسى فى هذه المنطقة الهامة من العالم .

ومن مقدمة التقرير المقدم من السكرتارية العامة للاتحاد الوطنى للقوات الشعبية (بمناسبة المؤتمر الثانى المنعقد فى مايو ١٩٦٢) يتبين لنا أن الفكر المتبلور بين دفتى هذا الكتاب هو الحصيلة الموضوعية والنتاج الطبيعى لذلك الامتزاج الحار بين الفكر والتجربة فى قيادة بن بركة لحزبه المناضل ضد القهر الاجنبى والاستبداد الداخلى معا . وهى معركة ضارية خاضها المناضلون المغاربة فى ظروف شاقة مريرة هى ظروف التخلف المدمر والتقاليد غير الديموقراطية فى اسلوب الحكم .

ويتبين لنا منذ الصفحات الاولى فى الكتاب ، ان مؤلفه شديد الحرص على التأكيد على ضرورة الرؤية الفكرية الواضحة لابعاد المعركة ، لانه بدون البوصلة الفكرية يسقط المناضلون فى هاوية الشك حينا ، والتخاذل احيانا والانتهازية فى كثير من الاحيان . فلا يفيد « الوصف الخارجى » للحكم بانه دكتاتورية فردية ، بل ينبغى مناقشة الاصول التى يرتكز عليها بقاء الحكم الى الان بالرغم من ضعفه وتناقضاته الداخلية المتراكمة « اذ كثيرا ما ارتكبت اخطاء فى التقدير اما بسبب التقليل من اهمية هذه الظروف المساعدة للحكم ، واما بسبب المبالغة فى مواطن الضعف التى تكون مع ذلك عميقة وحقيقية . وان تتبع هذا التوازن المتطور مع الزمن بين العوامل الداخلية العميقة المهددة

لكيان النظام ، وبين العوامل الطارئة المساعدة له سواء كانت داخلية أو خارجية ، هذا التتبع هو الذى نستطيع بفضله فى كل وقت تحديد استراتيجية نضالنا وتكتيك خطتنا السياسية المرحلية الملائمة ».

هذه هى البوصلة الفكرية التى تعين لنا اتجاهات المناضل بن بركة فى اطار الحركة الثورية بالمغرب العربى . فلا شك أن لهذا الجزء من الوطن العربى خصائصه التى يتميز بها من بقيه الأجزاء . ومن ثم كان « الاختيار الثورى » للمغرب مختلفا فى الكثير من تفاصيله عن بقية الاختيارات العربية . وتلك هى القيمة الاولى التى نحصل عليها من هذا الكتاب الهام .

وبتوجيه هذه البوصلة يحدد المهدى بن بركة عاملين أساسيين يحوطان الحركه النضالية فى المغرب . العامل الاول هو تطور حركة التحرر الافريقى ، والعامل الثانى هو تطور الثورة الجزائرية . بالاضافة الى بقية العوامل العربية والعالمية . فهو يحلل عامى ١٩٦١ و ١٩٦٢ كفترة زمنية قصيرة حصلت خلالها مجموعة كبيرة من البلدان الافريقية على استقلالها بأنها ظاهرة خطيرة من شأنها أن تحدث تغييرا جوهريا فى التوازن الدولى « ... ومع حركة التضامن بين القارات الثلاث ، افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وتضافر الجهود مع سائر القوى التقدمية فى العالم ، فان هذا التغيير سوف يؤثر تأثيرا عميقا على تيارات التبادل الاقتصادى الدولى ، وبذلك نلعم الاستعمار نفسه » . ويعى المؤلف المناضل أن البديل الجديد للاستعمار القديم لا يقل خطورة عن سابقه ، لانه يوهم بعض البلدان باستقلالها الشكلى ثم يحاصرها بشبكة اتفاقياته الاقتصادية بحيث يربطها نهائيا بعجلة قيادة استعمارية تماما . وليس هذا تقليد جديد فى تاريخ الامبريالية ، وانما هو استجابة لما طرأ على الاستعمار الاوروبى بعد الحرب العالمية الثانية لمقتضيات النفوذ الامريكى والتخلى عن أساليب القرن الماضى .

ويناقش بن بركة الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى المغرب على ضوء هذه الظاهرة الجديدة المسماة بالاستعمار الجديد ، فيقول ان النظام الراهن فى المغرب يعتمد على دعامتين: الاولى هى سرقة الشعارات الرائجة من الاحزاب التقدمية ، وتنفيذ كل ما هو جزئى وشكلى من البرامج المصاحبة لهذه الشعارات والدعامة الثانية هى القروض الاجنبية من فرنسا والولايات المتحدة بما يرافقها من شروط سياسية مجحفة باستقلال المغرب ونتائج وخيمة على شعبه الكادح . بالاضافة الى تشجيع رأس المال الخاص والاجنبى فى استثمارات ينبغى أن تخضع للتوجيه والتخطيط ونوع من الاشراف والرقابة الشعبية . ويعدد المؤلف مظاهر الفشل الذى منيت به هذه السياسة فى مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعب المغربى .. ثم يضع احتمالا موضوعيا أن تنجح هذه السياسة مرحليا ومؤقتا ، ولكن نتيجتها المؤكدة هى « تركيز طبقة من السماسرة غير المنتجين الذين سيكونون الوسيط بين الاستغلال الاستعمارى فى أسلوبه الجديد وبين الشعب المغربى ، وسيصبحون العدو اللدود لمغربة الاقتصاد القومى » . ولابد للنظام من أن يرتكز على أعمدة من كبار الموظفين المدنيين ، وكبار الضباط فى الشرطة والجيش حتى يحمى نفسه من غائلة انعدام الثقة به لدى الجماهير الشعبية ولكنه حيث ينجح فى شراء بعض الموظفين الكبار ينسى أن هناك جيشا من الموظفين الصغار يئن تحت نفس الضغط الهائل الذى يئن منه الشعب فى مجموعه . وهو حيث ينجح أيضا فى تشييد حاجز ضخم بين الجيش والشعب من كبار الضباط المحترفين ، ينسى أن الجنود وصغار الضباط بأصولهم الشعبية ومصالحهم الطبقية نفسها ليسوا فى واقع الامر الا الاحتياطى الثورى للشعب المغربى ، مهما طال الامد .

ويحدد لنا المؤلف الصورة الاجتماعية للمغرب فى أربع نقاط رئيسية : البورجوازية الكبيرة التى تنازلت عن مطامعها السياسية وربطت مصيرها بالاقطاع . والطبقة العاملة ، وان كانت قوة رئيسية ، الا أنها فى مسيس الحاجة لان تضع بوضوح قواعد العلاقات بين مهامها النقابية وبين أهدافها السياسية . ثم البرجوازية الوطنية (متوسطة وصغيرة) وهى متذمرة ساخطة تحتوى على طاقة ثورية كامنة ، ولكنها مترددة فى استئناف النضال لاستكمال التحرر الوطنى . وأخيرا هناك جماهير صغار الفلاحين والمحرومين من الارض الذين هم فى حاجة الى وضوح الرؤيا لمهامهم ، كما هم فى حاجة الى اطار ينظمون فيه نضالهم الخاص الى جانب نضال الطبقه العاملة « هذه هى الصورة الموضوعية غير الواضحة المعالم للظروف الاجتماعية التى استطاع معها النظام أن يحافظ على وجوده ، متظاهرا ببعض الاستقلال بالنسبة لجميع فئات المجتمع بينما هو يزداد خضوعا يوما بعد يوم لمصالح الاستعمار الجديد . ومن وراء ذلك صورة خلفية للصراع الهائل الدائر بين الاستعمار وقوى التحرر ».

ومن أجل أن تتضح المهام الثورية الملقاة على عاتق المناضلين فى المغرب ، يقدم المهدى بن بركة نقدا ذاتيا بالغ الدلالة والعمق لثلاثة أخطاء رئيسية : أولها يرجع الى سوء التقدير لانصاف الحلول التى اضطر حزبه للاخذ بها . والثانى يتعلق بالاطار المغلق الذى مرت فيه بعض معارك الحزب بمعزل عن المشاركة الشعبية . والخطأ الثالث نشأ عن عدم الوضوح فى المواقف الايديولوجية ، وعدم تحديد الحزب وقادته لهوية حركتهم . لذلك يصبح شعار الدستور كاطار للعمل الوطنى من المهام الاولى باعتبار أن القضية الدستورية انما هى جزء من المشكلة الديموقراطية لانها تطرح مسألة المشاركة الواسعة للجماهير الشعبية فى تسيير الشئون العامة ، وهى لا تنفصل عن مسألة تنظيم الجماهير وتعبئتها كأضمن وسيلة لغرض تحقيق هذا المطلب الشعبى . وهى لا تنفصل كذلك عن المعركه الضارية ضد الاستعمار اذ لا يكفى أن توجه الضربات لنظام الحكم المطلق فى الميدان السياسى وحده بل ينبغى كذلك اضعاف حلفائه فى الميدان الاقتصادى ، وهم المستعمرون والاقطاعيون والبرجوازيه التجاريه الطفيلية . وفى هذا الصدد يقول بن بركة « يجب أن يصبح واضحا عند الجميع أننا لا نستطيع أن نتحرر تحررا كاملا عن طريق اصلاحات جزئية وفى نطاق النظام الرأسمالى ، واننا لن نكون فى مستوى مهامنا التاريخية الا بانتهاج سياسة مقاومة للاستعمار تكون شاملة لمجالات العمل فى الداخل والخارج » فالاختيار الثورى اذن فى ميدان الوسائل معناه ان كل سياسة لا تمر من استئصال جذور الهيكل الاقطاعى والرأسمالى الاستعمارى انما تخدم مصالح الاستعمار الجديد رغم ادعائها بالعمل على التصنيع وحتى الاشتراكية . والنتيجة المنطقية لذلك هى أن الاختيارات السياسية أمام المؤلف ، لا يمكنها أن تخرج عن أحد الخطين . فاما ان يتأكد أن الوضع الحالى مؤقت ، اى انه لا يمكن ان يؤدى الى الغايه المقصودة ، وان أكثر ما يحققه هو وضع القواعد التى يمكن أن يقوم عليها فيما بعد البناء الثورى . واما أن يكتفى بانتقاء الاسلوب الذى تسير عليه السياسية الاصلاحية دون التعرض للوضع فى مجموعه ، وتكون اذ ذاك عملية نقد الجزئيات دون التجرؤ على المساس بمنابع الفساد . « الا أنه اذا كان فى المتيسر ان تقوم فى بلد متقدم معارضة مبنية على انتقاد وسائل الحكم ، فان التجربة أثبتت حتى الان ان مثل هذه المعارضة لا يمكن أن تؤدى الى طائل فى بلد متخلف أو مار بمرحلة انتقالية . انه من البديهى أن من يكتفى بالخطة التكتيكية المرحلية دون ان ينطلق من افق استراتيجى ، يكون مصيره اما أن يسرق منه الخصم سياسته واما أن يظهر بمظهر الانتهازية » .

ونتيجة وطبقا لهذه المعطيات الموضوعية فان الاتحاد الوطنى

للقوات الشعبية : ينبذ الاختيار الراسمالى المعاكس لمصالح الجماهير الشعبية ، والعاجز عن اخراج البلاد من التبعية والتخلف . وان تطور المغرب فى نطاق النظام الراسمالى سيؤدى الى بقاء القطاع الراسمالى الاستعمارى مزدهرا فى دائرة مغلقة ، لا يسمح بالنمو الا للبرجوازية التجارية الكبرى بصفتها خادمة الاحتكارات الاجنبية . ويؤكد ان اشتراكية الانتاج هى وحدها التى تسمح بالتحرر من التبعية ومن التخلف ، بتحقيق تصميم حقيقى للاقتصاد وتطبيق اصلاح زراعى جذرى وبناء مجتمع عادل ، مزدهر متخلص من كل أنواع الاستغلال »

هذا هو الاختيار الثورى فى المغرب كما يراه المفكر المناضل المهدى بن بركة . وهو الاختيار الذى يجعل من هذا الكتاب احدى الوثائق التاريخية فى حياة الثورة العربية الحديثة

●



كسر العمالة الكاملة فى أوربا

● مجلة بارتيزان

مجلة بارتيزان « الانصار » — فرنسية — يصدرها مجموعة من المثقفين اليساريين الفرنسيين لا يرتبطون باى تنظيم او حزب سياسى . وتحرص المجلة عادة على مناقشة الخلافات الفكرية والسياسية بين الماركسيين الحزبيين منهم وغير الحزبيين ، وتقدم بانتظام فى كل قضية مطروحة وجهتى النظر المتعارضتين على لسان اصحابها او انصارها . غير ان هذه الصيغة الموضوعية الى حد كبير لا تستر حقيقة ميول المجلة بصفة عامة . فهى لا تخفى عطفها على الفكر او التطبيق الصينى للماركسية وعلى المفكرين المعروفين بنزعتهم التروتسكية .

فى عددها الاخير أفردت المجلة ٦ صفحات لعرض وجهتى نظر حركتين مسلحتين ثوريتين فى جواتيمالا . واولى الحركتين بقيادة يون سوزا ، زعيم حركة ١٣ نوفمبر الذى هاجمه فيدل كاسترو فى الخطاب الختامى لمؤتمر القارات الثلاث . وتسعى حركة يون سوزا ، التى تضم عددا كبيرا من العناصر التروتسكية الى القيام بثورة مسلحة لتحقيق الاشتراكية فورا . اما الحركة الاخرى فيقودها تركيوس ليما وهى تحظى بتأييد كاسترو وترى أنه لابد أولا من تجنيد كل القوى الثورية الممكنة للقيام بثورة معادية للاستعمار والاقطاع كخطوة ضرورية لا غنى عنها لارساء قواعد البناء الاشتراكى .

و .. .. المجلة هذا العدد بحديث أجرته مع ليوهوبرمان استاذ العلوم الاجتماعية بجامعة كولومبيا ومؤسس مجلة « مونثلى ريفيو » بالاشتراك مع بول سويزى استاذ الاقتصاد فى جامعة هارفارد .

والواقع ان المجلتين « بارتيزان » الفرنسية و « مونثلى ريفيو » المجلة الشهرية الامريكية اليسارية تتفقان معا فى خط سيرهما . ويقول ليو هوبرمان فى الحديث المنشور بالمجلة : « اتجاهنا واضح من شعار مجلتنا « المجلة الاشتراكية المستقلة » نحن نرى انه لا يصح ولا يجب أن تكون هناك ماركسية « رسمية » . فلنا ماركسيتنا كما للحزب الشيوعى والحزب التروتسكى والجماعات الاخرى ماركسيتها ، كل منها على حدة . ونحن نتفق مع هذه التنظيمات فى بعض مواقفها السياسية ونختلف فى الكثير . ونشرت مجلتنا مقالات كتبها شيوعيون وتروتسكيون وغيرهم من الماركسيين يوجهون فيها انتقاداتهم لنا ونرد نحن عليهم . ونحن فى صف الخط الثورى ونتعاطف مع الشعب الصينى الذى نعتبره عماد الكفاح ضد الاستعمار » .

واجاب هوبرمان على سؤال وجه اليه بخصوص دور كوبا فى القارة الامريكية : « لقد اعتبرنا دائما الثورة الكوبية احد الاحداث الهامة فى العهد الراهن . انها تمثل بالنسبة لشعوب امريكا نموذجا للتحدى الناجح للاستعمار الامريكى على مسافة ١٠٠ كيلو متر من شواطئه . ولا يمكن الاقلال من شأن هذه الحقيقة ولكن السحب الداكنة تتكاثر فى الافق . من الواضح ان كوبا تقف فى صف الاتحاد السوفييتى فى النزاع الناشب داخل العالم الاشتراكى . واذا استمر هذا الوضع وظل كاسترو متمسكا بموقفه ضد الصين وباتهاماته لها الغير معقولة فان تأثيره على اليسار الثورى سيتقلص لا فى الولايات المتحدة وحدها ولكن فى أمريكا اللاتينية أيضا » .

ويحتوى نفس العدد على بحث طويل حول العمال المهاجرين الذين يعملون فى اوروبا الغربية وبالاخص فى المانيا الفيدرالية وفرنسا .

ففى عام ١٩٦٤ استقبل ممثل أصحاب الاعمال فى المانيا الغربية العامل المليون المهاجر اليها . أما العمال الاجانب الذين يلتحقون بالعمل فى فرنسا فقد بلغ تعدادهم هم وافراد أسرهم ٢ر٥ مليون نسمة منهم ٥٤٠٫٠٠٠ جزائرى (تقدير ١٩٦٣) .

ومن الاسباب التى تدفع اصحاب الاعمال فى بلدان اوروبا الغربية المتقدمة صناعيا على استخدام اليد العاملة الاجنبية الرغبة فى « كسر العمالة الكاملة » ، بايجاد مستوى معين من البطالة يسمح بمساومة عمال البلاد الاهليين فى مطالبهم ، كما لا يحول دون التخلص من المهاجرين واعادتهم الى اوطانهم فى حالة ما اذا أدى انتشار البطالة الى قلاقل اجتماعية .

ويقدم المهاجر يد عاملة رخيصة وطيعة خوفا من فقد الوظيفة أو تصريح الاقامة . وهكذا يستخدم أصحاب العمل هؤلاء المهاجرين فى اطار سياسة التأثير على قانون « العرض والطلب » فى سوق العمالة لصالحهم . ولذا يخضع المهاجرون العاملون فى اوروبا الغربية لمجموعة من التشريعات الخاصة التى تفصح بجلاء عن اتجاهين متعارضين احدهما يشجع

الهجرة والآخر يقف في وجهها . ويتغلب أحد الاتجاهين على الآخر حسب التذبذبات الاقتصادية واحتمالات زيادة البطالة أو النقص في اليد العاملة .

وتواجه المنظمات العمالية في أوروبا الغربية أحد موقفين اما خدمة سياسة « فرق تسد » البرجوازية ، بحجة حماية اليد العاملة الوطنية ضد « غزو » اليد العاملة الاجنبية واما الدفاع عن العمال الاجانب ورد الاعتداءات على حرياتهم الديمقراطية وجذبهم الى الكفاح النقابي .

غير ان قضية العمال الاجانب ليست جديدة في تاريخ الحركة العمالية العالمية فقد أدرجت لأول مرة في مؤتمر الدولية الثانية المنعقد في شتوتجارت في عام ١٩٠٧ وطالب مندوب الحزب الاشتراكي الامريكي « بمكافحة الهجرة المصطنعة التي تنظمها الوكالات الرأسمالية والحكومات من أجل الحصول على يد عاملة رخيصة » .

وقد حرص المندوب الامريكي وزميله الارجنتيني على التفرقة بين الهجرة « المصطنعة » والهجرة « الطبيعية » باعتبار الهجرة المصطنعة « استيراد متعمد للعمل الاجنبي الرخيص من أجل تحطيم المنظمات العمالية وخفض مستوى معيشة الطبقة العاملة » .

واعترض على هذا الموقف القائد النقابي المجري دينر دينس فقال انه لا مجال للنظر للاجور من زاوية العرض والطلب في حالة استيرادها وانه « اذا كان هذا صحيح فيجب أن نعترض نحن في بلادنا على استيراد الالات الزراعية لانها تؤدي الى زيادة البطالة » .

وهكذا نجحت الرأسمالية في اثارة مشكلة تتنازع عليها الحركة الثورية وتجعلها موزعة بين اهتمامها بالاحتفاظ بمستوى معيشة العمال الوطنيين وبين حرصها على وحدة صفوف العمال في جميع أنحاء العالم .

وبصفة عامة تقوم المنظمات العمالية التقليدية بدور محدود بالنسبة للعمال المهاجرين يقتصر عادة على الاهتمام بشكل خاص بجماعات المهاجرين الذين يتفقون معها في اتجاهاتهم السياسية . ويختتم كاتب المقال قائلا ان القيادة النقابيين التقليديين فشلوا في ادراك حقيقة عميقة وهي أن « حرية تداول اليد العاملة » شأنها شأن « حرية تداول رؤوس الاموال » قانون حتمي من قوانين الرأسمالية وأن واجب الحركات النقابية والثورية ليس منع تدفق اليد العاملة الاجنبية بل وضع برنامج يقف ضد التطرف القوي ويدافع عن حقوق ومصالح العمال المهاجرين تماما كما يدافع عن مصالح وحقوق العمال الوطنيين .

●

التركيب الاجتماعي لافريقيا الاستوائية

● مجلة قضايا السلم والاشتراكية

خصصت مجلة قضايا السلم والاشتراكية — التي تصدر في براغ — عددها الذي صدر أخيرا ، لدراسة « أفريقيا اليوم » فتجيب على عدد من الاسئلة التي تطرحها الظروف المعاصرة حول ما يحدث في أفريقيا اليوم والملامح المميزة لحركة التحرر الافريقي ومستقبلها وتطور الموقف السياسي وعلاقات القوى .

وقد تضمنت دراسة « قضايا السلم والاشتراكية » ، احدى عشر مقالا . يناقش اهم « قضايا الثورة الافريقية المعادية للاستعمار — المغرب : مشكلة وحدة اليسار — غينيا تتطلع الى الامام — السودان — المعركة من أجل الديمقراطية مستمرة — الاحزاب السياسية في افريقيا — افريقيا والاشتراكية » .

كما يناقش نفس العدد القضايا النظرية والتطبيقية للبناء الاشتراكي وقضية الحزب الثوري والتغيرات الاجتماعية . ثم يخصص العدد مقالين يناقش فيهما « الصراع السياسي في الدول الرأسمالية » ومقالين آخرين حول « نشاط الاحزاب الشيوعية والعمالية » .

ومن اهم المقالات التي تتضمن وجهة نظر ، مقال « التركيب الاجتماعي لافريقيا الاستوائية » بقلم تيبرو اومات .

يتحدث اومات في مقاله عن الجهود التي تبذلها شعوب افريقيا لمواجهة الامبريالية والقوى الاجتماعية الاستغلالية والمتخلفة ، ثم يتعرض بالتحليل للتركيب الاجتماعي لافريقيا المعاصرة في محاولة لتوضيح أي القوى الاجتماعية واكثرها قدرة على التصدي لمعوقات التطور .

واذ يقول اومات بصعوبة تحديد ملامح عامة واحدة للتركيب الاجتماعي للدول الافريقية ، نتيجة لعدد من الظروف التاريخية، يخطىء في نفس الوقت وجهة النظر التي تعزي التغيرات التي تتم في افريقيا ، الى الصراعات الشخصية او الصراع بين المجموعات المختلفة دون أن يكون للصراع الطبقي اثر في ذلك . فيرى ان عوامل متعددة « قبلية ودينية وكذلك شخصية » تلعب دورها في هذا الصراع ، ولكنها تحمل على أية حال ملامح طبقية .

ورغم انه يتفق مع وجهة النظر القائلة بأن التمايز الاجتماعي في الريف ما زال في مراحله الاولى ، الا انه يرى ان عدم انتشار الملكية الخاصة للارض لا يعود الى تماسك البنيان الاجتماعي القديم ، بقدر ما يعود الى ان الانتاج مازال ضعيفا جدا . وكما انه يرى ان الملكية الخاصة للارض في هذه المناطق ماتزال في اطار يسميه «بالديمقراطية الجماعية» الا انه يؤكد ان ذلك لا يعني « انتفاء الاستغلال الطبقي » .

ويعتقد اومات بوجود بورجوازية ريفية في هذه المناطق تضم الفئات الوسيطة والمرابين والمزارعين والتجار . ويرى ان الشركات الاوروبية قد حرصت على تدعيم علاقاتها بهذه الفئات .

ويعتقد اومات ان البورجوازية الوطنية قد بدأت تقيم جسرا من العلاقات القوية بينها وبين الاستعمار بعد تحقيق الاستقلال، نتيجة لضعفها الاقتصادي والسياسي وارتباطاتها برأس المال الاجنبي . ويرى أن هناك فئات جديدة قد نمت بعد الاستقلال في هذه المناطق يسميها بالبرجوازية البيروقراطية التي تضم في رأيه رجال الادارة السابقين وبعض المثقفين المتطلعين الى وراثة النفوذ القديم فأخذوا طريقهم الى البرلمان وقيادة الاحزاب حيث تعمل الاحتكارات الغربية على تدعيم نفوذهم .

ويعزي اومات ظهور « البروليتاريا الزراعية » الى سعي الامبريالية الدائب في هذه المناطق الى زيادة انتاجية المحاصيل النقدية ويعد ان يتعرض بالتحليل لنشأة الطبقة العاملة في هذه المناطق، يربط مدى تقدم هذه المناطق بمدى نمو وتطور هذه الطبقة ووحدتها مع الفئات الفلاحية . وذلك رغم أنه يعتقد بضعف هذه الطبقة الحالي بسبب حداثة وجودها وخبرتها وأصولها الريفية وتأثرها بالنفوذ الفكري للبورجوازية الصغيرة وعملها — في معظم الاحوال — في ظل ظروف جسمانية للديمقراطية . ويدعو اومات في نهاية مقاله الى عدم التهوين من شأن الصراع الطبقي في افريقيا .

كتابات جديدة

حول قضايا الانتاج ، يتعرض المواطن سعيد اسماعيل العمروسى — المحاسب بشركة النصر للاجهزة الكهربائية والالكترونية — « فيليبس » ، لاحدى مشاكل التطبيق الاشتراكى .

لماذا نعطل صناعة قائمة من أجل صناعة جديدة ؟

سعيد اسماعيل العمروسى

اعمل فى صناعة الالكترونيات فى مصانع شركة النصر للاجهزة الكهربائية والالكترونيه صاحبة العلامة التجارية العالمية «فيليبس» وقد اصبحت الشركة منذ سنة تقريبا فى حالة توقف شبه مستمر ولا يعمل فيها سوى مصنع اللمبات بصفة دائمة . اما وحدات الراديو والتليفزيون فهى دون مستوى الطاقة الانتاجية الكاملة بكثير .

والسبب فى ذلك لايرجع الى نقص فى كفاية عوامل الانتاج الداخلية او صعوبة التصريف كما قديتبادر الى الذهن ،فعوامل الانتاج الداخلية تنافس جدارة انتاج فيليبس العالمى من حيث مستوى الجودة وكفاية التشغيل . اما التصريف فلا زالت اسواقنا فى حاجة الى الالات من اجهزة الراديو والتليفزيون . ثم امامنا الاسواق الخارجية التى يمكن التصريف فيها باسعار تقل عن مثيلات هذه السلع .

ماسبب التوقف اذن ؟ السبب هو اعتماد هذه الصناعة — بكل اسف — على القطع المستوردة بنسبة لايمكن الاستغناء عنها . واستيرادها مرتبط بعدة اعتبارات اهمها نصيب الصناعة من العملات الصعبة . ومن الطبيعى ان اى ازمة تواجه الدولة فى العملات الصعبة سوف تؤدى الى تخفيض حصص الصناعات عموما والصناعات التى تعتبر قليلة الاهمية نسبيا خاصة

والواضح ان المسئولين عن توجيه استثمارات الخطة قد اعادوا فى الماضى تقييم المشروعات الانتاجية القائمة . وعلى اساس اهميتها النسبية قرروا حصص العملة الصعبة . وذلك حفظا على السير فى تنفيذ الخطة الموضوعة وعدم تاجيل اقامة المشروعات الجديدة . نتيجة لهذا الاتجاه تعطلت وحدات انتاجية كانت مستمرة فى الانتاج تضيف كل ساعة قيمة جديدة الى الدخل القومى ، اما تعطلا كاملا كما حدث فى وحدة انتاج الالكترونيات مثلا ، او تعطلا غير كامل كالصناعات الاخرى المرتبطة بها . فمع تطبيق خاص على الحالة موضع البحث نجد ان توقف انتاج اجهزة الراديو ادى الى انخفاض انتاج شركة صناعات البلاستيك التى كانت تقوم بتصنيع علب وبعض اجزاء تلك الاجهزة . وايضا انتاج شركة صناعات الاخشاب التى كانت تصنع كبائن أجهزة التليفزيون — كذلك انتاج شركة مطابع محرم التى كانت تورد صناديق الورق المقوى لتعبئة الاجهزة والنشرات الدعائية التى كانت توزع مع كل جهاز وغير ذلك

وقد يبدو ان الاخذ بمبدا تفضيل الاهم على المهم ، يقدم لنا الحل الصحيح لهذه المشكله ، ولايعيبه الا خسائر مؤقتة يتحملها اقتصادنا لفترة ثم لاتلبث ان تزول . وهذا طبيعى لان اية ازمة طارئة لابد لها من نتائج مماثله . ولكن اذا نظرنا الى المشكلة بنظرة دراسه يتضح لنا ان هذه النظرية تقدم لنا حلا عاجلا فقط . اما على المدى الطويل الاجل فانه بسبب الاضرار التى لايمكن تجاهلها ، وخاصة ان ازمات العمله الصعبة لايمكن اعتبارها ازمه طارئه لاتتكرر حتى ان كانت كذلك ، فمن الاولى ان نأخذ بمبدا الحيطة والحذر ونعتبرها دورية ليكون لها الاثر المحسوب المدروس بعناية والا فما فائدة تمرسنا بالتخطيط والتجربة والخطأ اذا لم نستخلص منها الخبرة ؟

ولكى نبرز بعض اضرار الاخذ بذلك الحل نبدا بدراسة اثر عدم استمرار الانتاج فى الوحدات الانتاجية القائمة على كفايتها الانتاجية . ومن المؤكد اننا سنجد الكفاية فى انخفاض كمى ونوعى لماذا ؟ لان معدلات الانتاج ستهبط هبوطا ملحوظا نتيجة العاملين لفترات طويلة ، وليس المجال مجال دراسة مشاكل الادارة كى نستطرد فى هذه الناحية الا انه من الثابت علميا وبتجارب اجراها رجال ادارة الاعمال ان الاستمرار فى اداء عمل معين

يؤدى الى ارتفاع مهارة العامل وزيادة سرعته فى التنفيذ وهذه اكبر مزايا التخصص وتقسيم العمل ، ذلك من الناحية النوعية فهى متمشية مع الناحية الكمية ايضا ، اذ أن استمرار أداء عملية معينة لايزيد سرعة التنفيذ فحسب بل يؤدى ذلك ايضا الى زيادة المران والخبرة فى انجاز العمل على مستوى جودة متزايد ويخلق الاستمرار نوعا من التفاهم بين العامل والمهمة التى يقوم بها تجعله يتفهم دقائق وتفاصيل جديدة وتكسبهدراية خاصة من شانها تقدمه فى نوعية الانتاج ، هذا بالاضافة الى ان التوقف لفترات طويلة له اثر نفسانى خطير فهو يؤدى الى هبوط معنويات الافراد لاحساسهم بعدم اهمية الصناعة المنتمية اليها وشعورهم بانهم عبء على المقدرة المالية للشركة اثناء فترات التوقف وكل هذا ينعكس بصورة او باخرى على مستوى الجودة وهكذا يضيع مكسب اخر من مكاسب التخصص .

وهناك مشكلة اخرى اكثر خطورة من شانها ان تؤثر فى الكفاية بعد اعادة تشغيل المصانع ، تلك هى انخفاض جودة معظم المواد من طول فترة التخزين لفترة غير متوقعة وفقدبعض المواد فقدا كاملا اذا كان التخزين الزائد يؤثر على طبيعتها كالمواد الكيماوية مثلا وفى نهاية الامر سنجد المواد الغير صالحة للاستعمال فى تزايد مستمر .

تلك بعض الاضرار الناجمة عن هذا الحل المؤقت لازمةالعملة الصعبة ، واقول بعض الاضرار لان هناك المزيد ، ولاداعى للخوض فى تفاصيل نقضى على تركيز الموضوع ، وهى اضرارتبدو لباحث القضية على مستوى الصناعة الواحدة او الصناعات التى تتاثر بهذا الحل نتقدم الان الى مدخل اخر للقضية ، من وجهة نظر اعم واشمل ، على مستوىالاقتصاد القومى كله كوحدة واحدة ، فماذا نجد ؟ نجد اننا ضحينا باستمرار صناعة قائمة فعلا فى الانتاج من اجل توفير الاعتمادات اللازمة بصناعات جديدة لاتنتج ولاتقدم اضافة للدخل القومى الا بعد حين ولم تحقق بعدعمالة جديدة، وهذا يعنىان الاعتمادات المخصصةلاستثمارات الخطة تكون معطلة عن ادرار عائد سريع يساهم فى حل ازمة العملات الصعبة ، او يمكن أن نقول أن رأس المال لايدور الدورة المثالية اى ان الهيكل الاستثمارى لاقتصادنا لايحقق اقصى عائد طبقا لهذا التوزيع على ابواب الاستثمار المختلفة وهذه خسارة كبيرة يمكن تجنبها لو طرحنا الحل جانبا .

ان دخولنا مرحلة التصنيع الثقيل لايعنى أن الصناعات القائمة فقدت جزءا من اهميتها بالنسبة للاقتصاد القومى . ولايجب أن يكون التركيز على انشاء صناعات ثقيلة جديدة فى بلادنا مصحوبا باهمال تنمية الصناعات الخفيفة او المتوسطة او عدم المحافظة على مستويات أنتاجها على ماهى عليه الان على الاقل . فخطورة ذلك اننا حينما نضحى بصناعات قائمة ومنتجة فى سبيل توسعقطاعصناعىآخر، اننا نتعرض بالضرورة الى نقص كمى ونوعى فى أنتاج الصناعات المضحى بها الى جانب تعريض هذه الصناعات الى مشـــاكل انتاجية معقدة . فاذا كان بعض هذا الانتاج مخصصا للتصدير فان ذلك يعنى نقصا فى الصادرات وبالتالى تتفاقم ازمة العملة الصعبة . اما اذا كان الانتاج معدا للاستهلاك المحلى فمعنى ذلك ازمة فى مواجهة الاحتياجات المتزايدة بسبب التوسع الصناعى الجديد على الاقل ، وازمات أخرى متعلقة بالاسعار كظهور السوق السوداء او زيادة فى الاسعار نتيجة لعجز العرض عن سد حاجة الطلب . ثم هناك احتمال كبير لان نضطر الى استيراد بعض المنتجات التى نقص انتاجها محليا تعويضا للاستهلاك المحلى وبذلك نكون قد وصلناالى نفس النتيجة الاولى وهى تفاقم ازمة العملات الصعبة .

اذن فمبدا تفضيل صناعة جديدة على صناعة قائمة لا يقدم الحل الناجح على المدى الطويل . ولابد ان نتوقع ازمات فى العملة الصعبة دائما بسبب موقف الاستعمار منا . اذ ان سياستنا الخارجيةلها خطاصبح محددا وواضحا ولايقبل الانحناء امام ضغوط اقتصادية او سياسية ، واذا تعاونت معنا احدى الدول الاستعمارية اقتصاديا فان ذلك يتم فى حدود معينة ووفقا لمصالحها الاقتصادية ايضا . ثم لاتلبث هذه الدول ان تكشف عن عدائها ، ومعنى هذا اننا يجب ان نعد العدة وندرس كل تلك الاعتبارات لوضع الخطط البديلة التى تاخذ طريقها الى التطبيق فور اصطدام البرامج الموضوعة بمثل هذه العقبات ولاننتظر وقوعالمشاكل حتىنبدأ فى حلها. بل يجبان نعد حلولها فى نفس الوقت الذى تعد فيه برامج التصنيع .

وبعد هذا العرض السريع الذى عمدت الى تقديمه فى صورة خطوط عريضة ، نعرض لبعض الحلول . وهى ايضا فى اطار خطوط عامة . اولا : الحرص على تنفيذ الخطة وتوفير اعتماداتها . وثانيا : تأجيل تنفيـــذ بعض المشروعات وعـــدم الالتزام بالمواعيد المقررة لها ، ويمكننا فى نفس الوقت أن نجمع بين هذين الاساسيين :

اولا : فيما يتعلق بالمشروعات الجديدة الحيوية التى لايمكن تاجيلها يتطلب الامر الاستعانة بحصص من العملات الصعبة كانت مخصصة لصناعة قائمة ولتلافى توقف عدد من المصانع لفترات طويلة تبعا لذلك اقترح الاخذباحدهذهالاتجاهات او بها جميعا :

- التوسع فى تصدير انتاج الصناعات القائمة التى نضطر الى استخدام الحصص الخاصة بها من العملة الصعبة لتمويل المشروعات الجديدة. ونستخدمحصيلة التصدير فىاعادة تشغيل هذه الصناعات . ولو اقتضى الامر الى تخفيض سعر التصدير عن السعر المجزى او على اسوا الفروض تحقيق خسارة بسيطة فان هذا — فى رايى — اقل ضررا باقتصادنا القومى . ويكفى ان تظل المصانع على مستوى تشغيل ثابت يكفل للوحدة الانتاجية امتصاص الطاقة المعطلة وتجنب التحمل بنفقات ثابتة باهظة بدون أى استعمال لتلك الطاقات .

- اعداد بعض الوحدات الانتاجية ذات الطبيعة المرنة التى يمكن فيها تغيير مواصفات السلعة المنتجة بحيث تعتمد على خامات محلية بديلة . او احلال سلعة اخرى محل تلك التى لايمكن تعديل انتاجها . ونراعى فى هذه الناحية التجهيزات الالية ومدى قابليتها للتعديل

- الاتجاه الى الارتباط بعقود مع الشركات الاجنبية التى تورد لنا المواد الوسيطة . تقضى شروط هذه العقود بان تسدد نسبة من قيمة تلك المواد بجزء من انتاج الصناعة المحلية . والتوسع فى ذلك يضمن استمرار الانتاج واستقراره علىمعدلات ثابتة وهو من ناحية اخرى تصدير للانتاج المحلى الى الخارج فهو بمثابة مجال لاختبار مستوى كفاءة الانتاج المحلية بالمقاييس العالمية ومن ثم تزيد الحوافز لدى الافراد كى يزيدوا منكفايتهم ويرفعوا درجاتالجودة وبهذا نحققتنمية حقيقيةللعمالةالمحلية.

ثانيا : اعتقد ان أزمة العملة الصعبة اذا اضطرتنا الى توقف وحدة انتاجية قائمة فعلا فى سبيل انشاء صناعة جديدة فانه من الافضل تاجيل اقامة الوحدة الانتاجية الجديدة — هذا اذا اعيتنا الحلول لتدبير مايلزم لتمويل هذا المشروع الجديد — ذلك لان توقف الوحدة القائمة التى تتداخل علاقات العمل بها مع غيرها من الوحدات يترتب عليه توقف أنتاج كل السلع التى تحتاج الى تعبئة وتغليف بصورة معينة . وعلى اى حالفالصناعة مهما بلغ عدم ارتباطها بغيرها ، فانها سوف تتحمل اعباء ثابتة لايمكنتجنبها كالاجورواستهلاك الالاتوالمصاريف الثابتةالاخرى. هذا بينما توقف تنفيذ الوحدة الجديدة بعض الوقت لن يؤثر فى شىء لانها غير موجودة اصلا وغير مرتبطة بصناعات اخرى وغير ملتزمة بنفقات ثابتة . ثم هناك ناحية اخرى وهى ان الصناعة الجديدة لايمكن ان نتوقع لها الانتظام فى الانتاج فور تشييد

المصنع وتركيب الالات لان ازمة العملات الصعبة ستؤثر على مستلزمات انتاجه . وهكذا فاننا نخسر فقط العائد الذى كان يمكن الحصول عليه وهذه الخسارة تبدو معقولة تتناسب مع مقدار استثماراتنا الحقيقية .

ما هو أسلوب العلاج ؟

اذا تعرضنا للاسلوب الذى يكفل وصول مقترحات من القاعدة الى المسئولين عن التخطيط وغيره من السلطات التنفيذية . فلابد ان يمس ذلك نشاط الاتحاد الاشتراكى العربى . ولاشك ان وصول افكار القاعدة العاملة فى وحدات الانتاج الى المستوى التنفيذى العالى مكسب كبير لانه اساس صحيح ودقيق يمكن الاستناد اليه فى اتخاذ قرارات لها اهمية توجيه استثمارات التنمية . فمع احترامى لاجهزة الاحصاء القائمة الا ان هناك شبه اجماع على أنها ليست على المستوى المطلوب ، وحسبنا ان جهودا كبيرة تبذل الان للتنسيق بين اجهزة الاحصاء وتبسيط اجراءاتها لابعادها عن اسلوب التقديرات الجزافية . ولااقصد بهذا القول ان اقلل من شان اجهزة الاحصاء القائمة فى بلادنا . فقط اقصد عدم الاقتصار على الاخذ باساس واحد لاتخاذ قرارات توجيه الخطة لاننا مازلنا حديثى العهد بالنظم الاحصائية.

والاساس الذى اقترحه هو الاخذ باراء ومقترحات القاعدة فى كل وحدة . وهنا يأتى دور التنظيم السياسى على مستوى الاقسام ثم المحافظات ثم الجمهورية كلها عن طريق لجنة متفرغة لدراسة هذه المقترحات والاراء وتقديمها على هيئة استشارات للقائمين على التنفيذ . وارى ان ذلك ممكن التنفيذ على خطوات كالاتى :

ـ تعلن اللجنة الاساسية لوحدة الانتاج عن قبولها مقترحات العاملين بخصوص مشاكل العمل وظروف الانتاج ، وتقوم لجنة لفحص هذه المقترحات واعداد تقرير عنها

ـ وعلى مستوى القسم تقوم لجنة اخرى باعادة فحص الاراء المقدمة واعادة تقييمها ـ ثم تعد تقريرا عنها .

ـ يعاد البحث عن طريق لجنة المحافظة المتفرغة وذلك من خلال دراسة حالة كل وحدة دراسة موضوعية

ـ تقدم التقارير النهائية الى لجنة منبثقة من الامانة العامة اقترح ان تكون تحت اسم «اللجنة العامة لدراسة مشكلات الانتاج» . ويقوم اعضاء هذه اللجنة المتفرغين ذوى التخصصات الفنية والادارية المختلفة بدراسة اتجاهات هذه المقترحات وبلورتها فى صورة توصيات واستشارات تجمع بين الجانب الموضوعى المدروس والجانب الشعبى الصادق المستخلص من اصوات العاملين فى المؤسسات الجماهيرية المنتشرة فى انحاء الجمهورية والذين يلمسون بأيديهم مشكلات الانتاج ويعيشون فى ظروفه .

ولابد من وقفة قصيرة نبرز فيها بعض مزايا هذا الاسلوب وبيان نتائج الاخذ به ويمكن التركيز على ميزتين رئيسيتين

اولا : وجود اساس جديد يمكن الاعتماد عليه فى اتخاذ قرارات وضع سياسات خطة التنمية الى جانب الاحصاءات وتحليل البيانات المستمدة من اجهزة الاحصاء ، وايضا الاعتماد عليه فى مقارنة البيانات واختبار صحتها ، ولاشك انه اساس صادق ومستمد من مصادر قوية الصلة بالوحدات الانتاجية .

ثانيا : أن هذا الاسلوب خطوة ايجابية نحو تحقيق الالتحام الجماهيرى مع تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ومع الاجهزة التنفيذية ايضا . لان العاملين بالقاعدة سيشعرون بانهم اصحاب ارادة حقيقية عندما يرون آراءهم محلا للبحث على أعلى مستويات توجيه السياسة الاقتصادية . ولايخفى مالذلك الاحساس من اثر على زيادة الانتاج وتنمية احساس المشاركة وتحمل المسئولية. والعامل الذى يرى اقتراحا له يدرس مجرد دراسة على مستوى اعلى منه يشعر بان له صوت مسموع فى مقاعد القيادة السياسية وهكذا يتاكد الاحساس بالديمقراطية ونقضى على رواسب السلبية الموروثة . وقد ابرز القائد المناضل عبد الناصر اهمية طرح الخطة الثانية للتنمية جماهيرا واشراك قوى الشعب العاملة فى مناقشتها على اوسع نطاق فى لجان الاتحاد الاشتراكى ووحدات الانتاج

● ● ●

من أجل فهم سليم لشعار وحدة القوى الثورية العربية

من بغداد ـ العراق ، يناقش صاحب حسين طاهر ، قضية وحدة القوى الثورية العربية .

صاحب حسين طاهر

طرح

قضية حيوية وهامة كقضية « التوحيد الفكرى والتنظيمى للقوى الثورية الشعبية فى الوطن العربى من أجل تحقيق التحرر الحقيقى لجميع البلاد العربية وتقدمها السياسى والاقتصادى والاجتماعى على طريق الاشتراكية والوحدة » ، مبادرة ثورية واعية ان دلت على شىء فانما تدل على ان الفكر الثورى العربى قد بدأ يتحسس مواقع اقدامه جيدا .

ويشعر اليوم اكثر من أى وقت مضى بخطورة المرحلة التى تجتازها ربوع الوطن العربى والمجتمع الدولى على الامتداد الاوسع والذى يعانى وقع هجوم مستميت من قوى الامبريالية وعملائها . ان قوى الرجعية والاستعمار التى انتعشت آمالها فى هبوب بعض الرياح اليمينية على افريقيا وبعض اجزاء من آسيا على يقين من انها تخوض معركتها النهائية فى العالم

ان قوى الامبريالية واليمين متحدة متماسكة ، بينما قوى الثورة واليسار فى العالم تعانى التمزق والتشتت . صحيح ان تطورا كبيرا قد شمل القوى الثورية فى العالم وفتح مجالا رحبا لتبادل الحوار الثورى الجاد من اجل تقييم حقيقى وسليم لكل

قضايا التقدم والسلام والاشتراكية ولكن ذلك لايعنى ان القوى الثورية الاشتراكية فى العالم كانت فى مستوى مسئوليتها التاريخية.

والوطن العربى كجزء حيوى من المجتمع الانسانى يعانى أيضا من تآمر القوى الرجعية وقوى الاستعمار بشكليه القديم والجديد للنيل من مكتسبات الجماهير العربية الكادحة التى تشيد بناءها الاشتراكى بثقة وأمل . والقوى الرجعية فى الوطن العربى على درجة عالية من اليقظة والانتباه فى هذا الظرف الدقيق . وهى تند اليوم أساليبها العتيقة التى انكشفت وانفضحت وتلجأ الى اساليب ومسالك اكثر حيطة وخطورة فى ذات الوقت . وما مخطط (الحلف الاسلامى) الذى تحيكه قوى الاستعمار والرجعية فى المنطقة الا حلقة من حلقات التآمر الخبيث من اجل نسف الانظمة الثورية الاشتراكية فى الوطن العربى . فالمعركة التى يشتد لهيبها اليوم فى المنطقة العربية معركة بين قوى التقدم والاشتراكية من جهة وبين قوى الاستعمار والرجعية العربيه من جهة أخرى . والقوى الرجعية توحد صفوفها

فاين نقف قوى الثورة العربية الاشتراكية ؟

ان التفاؤل الزائف لايقل خطورة عن التشاؤم، وخاصة فى معركة مصيرية تخوضها جماهيرنا العربية ، فلنقل — بصراحة — ان قوانا الثورية لم ترتفع بعد الى مستوى الاحداث . انها تعانى أمراض (الانغلاق والتقوقع واللاثقة) . ان روح السلبية لازالت تسيطر على سلوك العديد من التنظيمات الشعبية فى الوطن العربى .. ان دراسة موضوعية بسيطة للواقع السياسى للقوى الثورية العربية تبرز لنا تلك الحقائق المفجعة التى تلف قوانا المشتتة وتمنعها من الانطلاق والتحرك السريع ومن ثم تعبئة أوسع الجماهير لخوض معركتها الظافرة ضد قوى الاستعمار والرجعية . ان بعض قوانا لاتزال — للاسف — ترى فى العمل الجماهيرى مجرد حملات دعائية سطحية وصرخات خائرة طنانة على صفحات المنشورات التى تفرزها بين الفينة والفينة . انها لاتفرق بين العمل الثورى الناضج والاصيل وبين الثرثرة .

اذا كان هذا هو واقع قوانا الثورية العربية فما العمل اذن؟

بادىء ذى بدء يجدر بنا ان نوضح أولا ما المقصود بالقوى الثورية العربية ؟ الى ماهى تلك القوى ؟ وهذا التساؤل ليس من السهل الاجابة عليه بل أنه يحمل مشكلة ليست بالهينة . مشكلة فرز القوى الثورية الحقيقية والاصيلة عن قوى أخرى تلبس لبوس الثورية والاشتراكية تزينا وتضليلا . فهل كل تنظيم عربى يرفع شعارات الاشتراكية والوحدة هو جزء من القوى الثورية العربية بالمعنى الذى نريد ترسيخه وتعميقه ؟ أم ان هناك فرق كبير بين الثرثرة والعمل الثورى ؟ ان المشكلة الاولى التى تواجه قضيتنا المطروحة هى تبيان هوية القوى العربية التى يراد توحيدها ؟ وكيف السبيل الى معرفة ذلك ؟

والسبيل الى ذلك — على ما أعتقد — هو الاهتداء بمعيار موضوعى يعتمد على التجارب العديدة الغنية التى مرت على عالمنا العربى ووضعت القوى السياسية فيه فى محك التجربة والاختبار . ومن جهة اخرى على فحص ودراسة الايديولوجيات السياسية والاقتصادية التى تتبناها تلك القوى . ومما يسهل تلك العملية تواجد مبادىء عامة متفق عليها الى حد ما فيما يتعلق بأهداف الاشتراكية والوحدة ، ولتكن نقطة الانطلاق من هنا ، بعد ذلك يجدر بنا ان ننتقل الى توضيح مسألة اخرى هى : ما المقصود بشعار وحدة القوى الثورية العربية ؟ ويقودنا هذا التساؤل الى التفريق بين مدلولين سياسيين هما :

- التوحيد التنظيمى والفكرى للقوى العربية الثورية .
- وأسلوب الجبهات الوطنية والشعبية .

ان ما نريده ليس اقامة تحالف جبهة بين قوانا المتعددة بالمعنى المتعارف عليه فى العمل السياسى ، بل أمر أبعد وأعمق من ذلك بكثير، انها عملية توحيد كامل على مستوى التنظيم والفكر والعمل بين القوى الثورية فى الوطن العربى كله اى بعبارة أخرى خلق هيكل تنظيمى جديد فعال وناضج وفى مستوى المسئولية التاريخية التى يفترض فى التنظيم الاشتراكى السليم أن يتحملها .

ان هدف وحدة القوى الثورية العربية يفترض فى القوى المقصودة روحا ثورية أصيلة وواعية تتحسس جيدا خطورة المرحلة الراهنة وتشابك مشاكلها وشراسة العدو وتنوع اساليبه فى التآمر والتخريب ، ويفترض ذلك الهدف أيضا تجاوزا حقيقيا لبعض المواقف الضيقة الافق التى قد تصدر من أى من القوى الثورية . الهدف اذن ليس سهلا ولا هينا تحقيقه وزرعه فى واقع أرضنا العربية . ولكنه ايضا ليس مستحيلا بل ممكنا جدا . انه ضرورة تاريخية لازمة . ضرورة خلق تنظيم شعبى ثورى واسع وناضج يتولى مهمة قيادة أوسع الجماهير العربية لخوض معاركها ضد قوى الاستعمار والتخلف . أن مرحلة البناء الاشتراكى تجد فى ذلك التنظيم الدعامة الكبرى والمتينة وهكذا سنجد امامنا عدة مؤشرات تساعدنا الى حد ما فى السير ابعد من اجل تحويل الشعار من شعار نظرى الى واقع عملى فعال :

- تعبئة فكرية واسعة للشعار وعلى مستوى الوطن العربى عن طريق النشرات الادبية أو اللقاءات التنظيمية .. الخ .
- تحديد هوية القوى الثورية العربية المطلوبة .
- فضح القوى اليمينية والرجعية التى ترتدى لبوس العروبة والوحدة وتعريتها أمام الجماهير .
- عقد مؤتمر عربى اشتراكى لرسم الصورة النظرية والتنظيمية للوليد الجديد .

بعد ذلك نجد من جانب آخر ركائز عديدة اخرى للشعار يمكن أن يهتدى على ضوئها فى خلال عمليات الاعداد والتهيئة والتنفيذ :

- **الوحدة الفكرية** : ومن اشق المهمات التى تواجه التنظيم الجماهيرى العربى مهمة خلق وحدة فكرية تجمع اعضاءه وترسم لهم طريق التغيير والتقدم بوضوح ودقة . أن التنظيم الاشتراكى الثورى المطلوب ستكون مهمته أشق . وتلك الصعوبة تنبثق من اهمية تجاوز الروابط التنظيمية والتراث الفكرى السابقين ليحل محلهما صورة جديدة للروابط التنظيمية وللدليل النظرى للتنظيم والتمسك به والنضال الدائب فى صفوف الجماهير على هداه وعبر منطلقاته . وما أريد تثبيته هنا هو أن **الوحدة الفكرية هى الركيزة الاساسية** فى سبيل انطلاق التنظيم الجديد ومدى نجاحه.

- **الوعى الثورى والشعور بالمسئولية القومية** : ان تحقيق وحدة القوى الثورية العربية هو الرد الثورى الناجع على العديد من الضغوط والتحديات التى تقوم بها قوى التخلف والاستعمار . ويستلزم هذا من كل قوانا الثورية ارتفاعا مستمرا الى مستوى الاحداث الخطيرة وتحسسا ثوريا عاليا وواعيا بالمسئولية التاريخية والقومية الملقاة على عاتق هذا الجيل، انها مسئولية النضال بين الجماهير وقيادتها. فالجماهير هى وسيلة التنظيم وهى غايته واى انفصام بين كوادر التنظيم وقياداته وبين الجماهير ، يعنى بالتأكيد أن الوليد الجديد بدأ يموت كما تفترض المسئولية القومية فى التنظيم التحاما قويا بالجماهير لرفع مستوى وعيها . أنها مهمة خلق وعى ناضج فى صفوف الجماهير فالوعى الثورى هو صمام الامان لمعركة البناء الاشتراكى بكل ابعادها

- **ممارسة النقد والنقد الذاتى** : دروب النضال مليئة بالعثرات والصخور والمنعطفات الخطيرة، والاحتفاظ بالثورية دائما يعنى الحيلولة وباصرار دون ان يتحول التنظيم الثورى الى هيكل سياسى مغلق ومتقوقع ، بل على العكس تجعل منه جهازا طليعيا مفتوحا يتفاعل مع كل التيارات الفكرية التقدمية

أن ممارسة النقد تعنى ببساطة رصد كافة الاخطاء والانحرافات وفضحها وشجبها بلا هوادة . وممارسة النقد الذاتى تعنى أن قوى التنظيم تتحسس من خلال وعيها الثورى الاصيل انها ليست معصومة من الخطأ بل انها قد تنزلق وتتعثر فتحاسب نفسها قبل ان تحاسب الاخرين .

أن طرح قضية — أى قضية — ليست عملية صعبة لكن الصعوبة كل الصعوبة فى أن تتحول هذه القضية النظرية الى ساحة العمل والتطبيق



صوت من القاعدة

كمشيش ووحدة القوى الثورية

يكتبه هذا العدد
المواطن محمد الكاشف
آداب القاهرة قسم الصحافة

الذى حدث أخيرا فى قرية كمشيش بالمنوفية امر له من الاهمية والخطورة ، درجة ينبغى معها الا يمر هكذا مثل اى حادث عابر دون تحليل أو بحث عماوراءه من دلالة .

والحادث يعنى بوضوح أن القوى الاقطاعية لا تزال فى كثير من قرى الريف المصرى تملك السيطرة وتملك السلاح وقادرة على أن تمسك زمام المبادرة لتضرب القوى الثورية ولو لفترة ما ، ولو للحظة ما بانطلاق رصاصة غدر قاتلة فى ستار الظلام . الذى حدث فى كمشيش ينبغى أن يجعلنا نعيد النظر فى السياسة التى تتبع مع الاقطاعيين وأذنابهم من كبار الاغنياء فى الريف .

مرة أخرى .. الذى حدث فى كمشيش هو حادث ظهر على السطح لان الاهالى ولان الفلاحين تنبهوا الى أن وراء مصرع الشهيد صلاح حسين قوى اقطاعية فأرسلوا البرقيات الى الاتحادالاشتراكى والى المسئولين بالقاهرة تكشف من الحادث . ومن يدرى فقد تكون هناك حوادث أخرى تحدث فى الريف المصرى يسقط ضحاياها اشتراكيون مخلصون ولا يعرف أحد عنها شيئا . الم يظهر عقب هذا الحادث أن هناك جريمة أخرى فى قرية على محمد بالمنيا ؟ الم يظهر ان هناك شهيد اشتراكى آخر اسمه دسوقى احمد قتله الاقطاعيون واخفوا جثته من الانظار ؟ الم يظهر أن هناك عائلة اقطاعية اسمها عائلة التلاوى فى المنيا مثل عائلة الفقى فى المنوفية ؟

الا يعنى هذا ان هناك عشرات من عائلات « الفقى والتلاوى » الاقطاعية فى ريفنا المصرى بعد ١٤ سنة ثورة ، لا تزال تمارس وسائل الارهاب والغدر القديمة ؟

ان المرء تتملكه حيرة هائلة .. اين كانت الصحف والصحفيون من هذه العائلات الاقطاعية ؟ ولماذا لم يذهبوا الى اعماق الريف بحثا عن هذه الجيوب الرجعيه الاقطاعية التى تسىء الى وجه التقدم فى البلد ؟ أم أن صحفيينا لاتزال تشدهم مجتمعات القاهرة باضوائها وضجيجها وملاهيها ؟

وبعيدا عن الدهشة ، وبعيدا عن الحيرة ، لى اقتراحان اقدمهما الى السيد على صبرى أمين عام الاتحاد الاشتراكى :

● فلنسرع بتوحيد وتنظيم القوى الثورية فى الاتحاد الاشتراكى . بعد اعادة الانتخابات من جديد حتى نصفى القوى الاقطاعيه التى تسللت اليه لضربه من الداخل فى كثير من البلاد .

● ثم اقتراح آخر . فلنصفِ وبسرعة بقايا نفوذ وسيطرة القوى الاقطاعية وامكانياتها على التآمر . وليطبق عليهم العزل السياسى حتى لا تحدث جرائم مماثلة أخرى .

الرجعية .. والاشاعات .. والسلبية

بعث المواطن **رجب صابر احمد** ، ليسانس آداب ودبلوم عال فى التربية ، خطابا يقول فيه :

تحاول الرجعية ـ بالاشاعات المسمومة ـ اضعاف قوى الثورة عن طريق ابعاد جماهير الشعب عن كل ما ينير لهـا سبيل العمل الوطنى وينشر بينهـا الوعى السياسى . ولقد بدات همسات مريبة تنتشر خـلال السنوات الاخيـره لتمنع شبابنا وجماهير شعبنا عن كل ما له علاقة بالسياسة والعمل الوطنى . فتارة يوهمون الشباب المثقف والعمال والموظفـين بان الثورة لا ترغب فى ان يناقشوا امور بلادهم . وان كـل ما تطلبه الثورة منهم هو التاييد العاطفى .

هذا ما تحاول الرجعية ان توهم به الجماهير . وتستعين فى ذلك بعناصرها الانتهازية التى اسـتطاعت ان تتسلل الى صفوف الاتحاد الاشتراكى . وتعمل هذه العناصر بوسـائل الارهاب الفكرى والمعنوى على تهديد كل من يجرؤ على مناقشة اساليبهم او كشف محاولاتهم باتهامه بعـدم الاخلاص للثورة متسترين وراء عبارات غامضة واساليب غاية فى المكر والدهاء .

وكلما اجتمع الشباب ، وما ان تبـدا مناقشة سياسية لاهداف الثورة وقراراتها ، يدور الحوار والجدل بين الشباب فى محاولة للفهم والاقتناع . واذ بهؤلاء الانتهازيين المتظاهرين بالجديه والهدوء يلقون عباراتهم المسمومة مثـل (تكلموا فى موضوع آخر)، (خللونا ناكل عيش) ، (احنا مالنا ومال الكلام ده) . وسرعان ما يخيم الصمت على الشباب المتحمس ، فيصيبه التردد المؤلم والسلبية القاتلة . ثم تتحول المناقشة ـ بالتالى ـ الى آخر اخبار الكرة .. والسـينما والافلام والجنس . وتتحول الجلسه الى فراغ قاتل خال من كل عمق او تفكير .

ومن البديهى ان المستفيد الوحيد من هذا الفراغ الفكرى هو الاستعمار والرجعية . وبذلك تترك لهم عقول الشـباب دون مقاومة ليبثوا فيه السموم والاشاعات المغرضة .

وتعلم الرجعية ان المناقشات والجدل وتبادل الاراء سوف يفضح كل الاشاعات والاقاويل التى تروج لها . ولذلك تحارب باستماتة هذه المناقشات وتبادل الاراء داخل الاتحاد الاشتراكى بهدف تفهم الاوضاع وحمايتها . ورغم المحاولات التى تبذلها قيادة الاتحاد الاشتراكى لنشر الوعى السياسى ، الا ان هذه المحاولات تضيع هباء بسبب حمـلات الرجعية المضادة التى تهدف الى عزل جماهير الثورة عن مجريات الامور .

ما هو الحل اذن ؟

لقد بدا الاتحاد الاشتراكى فى الطريق الصحيح الى الحل ، وذلك باقامة معسكرات الشباب واعطـائهم الفرصة كاملة للمناقشة الفكرية المفتوحة دون قيد او شرط ليتحقق الشباب عمليا من حرص قيادة الثورة على اشتراك الشعب فى مناقشة أمور الدولة وسياستها

وارى ان على الاتحاد الاشتراكى ان يفتح مجال المناقشة للجماهير الشعبية العاملة فى كل مكان وبكل الوسائل . وعلى أجهزة الاعلام ان تلعب دورها فى تنشيط الجماهير الشعبية واقناعها بانها مطالبة بان تناقش وان تقول كل ما تفكر فيه وان تنقد وان تقترح وان تلعـب دورا ايجابيـا فى كشف عيوب الرجعية المختفية لحماية ثورتنـا من الضربات التى تحـاول الرجعية ان توجهها فى الظلام .

الشعلة .. وجمعية الطلبة العرب فى كاليفورنيا

ارسلت **جمعية الطلبة العرب** فى جامعة كاليفورنيا ـ بيركلى ، الى الطليعة العدد الاول (ابريل ١٩٦٦) من مجلة **الشعلة** التى تصدرها الجمعية . وتتكون هيئة تحريرها من **العيسوى ابو عماشة وفتحى سالم وفوزى كشك وبهى الدين ابو دنيا ومحمد عامر** . وتنبه **الشعلة** الى ان « الاراء الواردة بهـذه المجلة لا تمثل بالضرورة آراء جمعيـة الطلبة العرب بجامعـة كاليفورنيا ـ بيركلى او هيئة تحرير المجلة . » ويحتوى هذا العدد الاول على ثلاثة موضوعات هى : « **فى الديمقراطية** » و « **الحركة الطلابية فى العالم العربى** » و« **مشكلات الوطن الاقتصادية** » . وذلك بعـد افتتاحيـة « **فى طريق الثورة** » لهيئة التحرير ، جاء فيها : « .. لكننا نلاحـظ بمزيد من الاسف ان القوى التقدمية مختلفة اختلافا كبيرا حتى على مدلول الكلمات .. كما نلاحظ بمزيد من الاسف ان الفكر التقـدمى ما زال بعيدا عن تحقيق مهمتيه الاساسيتين : المساعدة على خلق الانسان الجديد وايضاح الرؤية امام العمل السياسى » . ثم تضيف الافتتاحية « من اجل اثراء الفكر التقدمى ومن اجل خلق المثقفين الثوريين ومن اجل زيادة التقارب والامتزاج بين المؤمنين بالاهداف التقدمية ولكى يتضح اسلوب وطريق تحقيق هذه الاهداف ، نقوم اليوم باصدار العدد الاول من الشعلة » .

وقد دارت حلقة البحث الاولى فى (**الديمقراطية والعـالم العربى**) حول « **الديمقراطية والتجربة المصرية** » . وقـدم البحث **محمد عامر** . وناقش فيه « الدعوى القائلة بانه فى ظل التقدم العلمى والتكنولوجى يبلغ الجـانب الفنى للمشكلات درجة من التعقيد تجعل من المستحيل عمليا على غير المتخصصين اتخاذ اى قرار . » . ثم اضاف « يستطيع الفنى الحصول على افضل حل للمشكلة بعد ان يعطى مقياسا لافضلية الحلول وهذا هو الجانب السياسى من المشكلة الذى يجب ان تتخذ فردا ما او جماعة ما قرارا فيه . وهذا ـ على عكس ما يرى اصحاب هذه الدعوى ـ يؤكد ضرورة الديمقراطية . » وعندما انتقل الى الحديث عن التجربة المصرية ، نبه الى انه « لايجوز منح أى حريات سياسية لاعداء الاشتراكيـة .. أما مناصرى الاشتراكية فيجب كفالة حرية التعبير والعمل لهم مهما اختلفت وجهات نظرهم » . وذكر ان « الشكل الدسـتورى يجب ان يسمح بهذه الحرية الا ان الممارسة تعتمد على جانب متساو فى الاهمية فهى التى تكسب هؤلاء المناصرين فاعليتهم واحقيتهم فى القيادة » . وأضاف « ان بدء التحول الاشـتراكى دون تمهيد كاف مع فساد الجهاز الادارى وعدم وجود تنظيم اشتراكى فعال ، كلها عوامل ادت الى عدم امكانية وجود هذه الممارسة » . واوضح انه منذ مارس ١٩٦٤ والخطوات الهامة التى اتخذت بعد هذا التاريخ « فان الفرصة لهـذه الممارسـة اصبحت موجودة » . ويرى محمد عامر « ان الاتحاد الاشتراكى وجهازه السياسى بدأ يدخل طورا جديدا يوحى بالامل » . واوضح مؤكدا « ان النضال من اجـل بنـاء المجتمـع الاشتراكى الديمقراطى يتطلب كثيرا من التضحيات » .

وتعرض « **الشعلة** » بعد ذلك لوجهة نظر **العيسوى ابو عماشه** حول « الحركة الطلابية فى العالم العربى » ثم وجهـة نظر **نعيم الشربينى** حول « مشكلات الوطن الاقتصادية » .

تود الطليعـة ان تلفت نظر اصـدقائها فى « مناقشات مفتوحـة » الى ان التعليقـات والتعقيبات التى يبعثون بها ، تبلغ من الطول حدا يصعب معه نشرها . وتأمل الطليعة الا تزيد هذه التعليقات والتعقيـبات على ٨٠٠ كلمة .

نحو الطريق .. الى المسرح المصرى

تحت هذا العنوان، كتب المواطن حسنى امين على، مهندس، فى رسالة له يقول فيها :

من المسرح عندنا ان سنتحدث نقلناه عن الغرب ، ولكن فى السنين الاخيرة ازدهر الحقل المسرحى ببعض المسرحيات الهادفة بفضل جهود بعض الكتاب والفنانين المؤمنين برسالة المسرح .

ولكن الطريق الذى سلكه معظم كتابنا — فى الفترة الاخيرة — فى كتابة مسرحياتهم اتسم بالغرابة والدوران فى دائرة مغلقة من الافكار الجامدة السطحية . ولقد اختار كثير منهم لمضمون كتاباته اشكالا فنية منقولة لا تتفق مع روح المضمون ادت بدورها الى طمس افكارهم وما يرمون اليه من اهداف بين هذه القوالب الغير مناسبة .

ان التيارات الغربية الجديدة التى نرى بصماتها واضحة فى اعمال معظم كتابنا الشبان لا يصح ان نفسح لها مجال العرض الا على خشبة المسرح التجريبى يحتضنها حتى يكتمل نموها ويخلق جمهورها ومتذوقيها . اما مسرحياتنا القومية والتى تتناول مشاكلنا الاجتماعية والفكرية فلا بد وان تكتب باسلوب واقعى يتوخى فيها الصدق والصراحة وامانة العرض والتحليل دون الالتجاء الى اساليب الرمزية والسفسطائية واللامعقول لان ذلك من شأنه ان يثير الكثير من الجدل حول مفهوم القضية التى يعالجها الكاتب ويسىء فى كثير من الاحيان الى الكاتب نفسه اثر التفسير الخاطىء لمضمون كتاباته .

اما من ناحية « التكنيك المسرحى » فلقد تأثر كثير من مخرجينا الشبان باساليب الغرب الجديدة فى الاخراج وادخلوها على المسرح المصرى بطريقة مشوهة لا تخدم النص المسرحى بقدر ما تعرض لنا « عضلاتهم الفنية » ومدى اطلاعهم على فنون الغرب . فاستخدام النمط المسرحى الغير مناسب وكذلك الخلط بين الانماط المسرحية فى العمل المسرحى الواحد يؤدى الى الاخلال بالعمل المسرحى ككل جماعى واحد وينشغل من جانب اخر فى عملية « توصيل » افكار المؤلف الى جمهور المشاهدين .

والطريق الى المسرح المصرى لا بد وان يمهد له بالاتى :

● ان يتولى التخطيط للمسرح قيادة جماعية تكون بحكم تكوينها قادرة على تفهم طبيعة المرحلة الراهنة لتقديم كل ما يساند اهدافها ومراميها بطريقة تلائم المناخ الفكرى لافراد المجتمع لتكوين الفكر والوعى الجماعى لديهم تكوينا ثوريا اشتراكيا سليما .

● ان يؤمن الكاتب بانه صاحب رسالة واهداف سامية ويكتب لنا ادبا مسرحيا هادفا تستمد احداثه من تراثنا الشعبى وقضايانا الفكرية والبيئية بشىء من الصدق والصراحة والامانة

● ان يتولى عملية تنفيذ الخطة هيئة فنية تكون من الصلاحية بما يسمح لها بالانطلاق فى حدود الخطة الموضوعة وفى حدود ميزانيتها . على ان يكون هناك جهاز لمتابعة سير تنفيذ الخطة يقدم تقاريره اولا باول الى الجهة العليا المسئولة عن مؤسسة المسرح .

● الاهتمام بمسارح الاقاليم والتنسيق بين فرقها وفرق مسارح القاهرة التى يوزع نشاطها بين القاهرة وجميع انحاء الجمهورية خلال الموسم المسرحى .

● تنظيم نشاط الهواية والتوسع فى انشاء مراكز الثقافة فى الاقاليم وانشاء دور الثقافة فى الاندية الريفية والساحات الشعبية والمدارس والمعاهد والكليات والمصانع لتكوين قاعدة جماهيرية عريضة قادرة على تذوق ما يقدم لها من اعمال مسرحية .

● الاهتمام بتعميم الدراسات الحرة فى المسارح وانشاء مدارس تدريبية ملحقة بكل مسرح — على غرار المدارس الملحقة بمسارح الجيب الايطالية — لتدريب وتنمية المواهب الجديدة من الممثلين والفنيين التى تمد الفرق المسرحية المختلفة بتيار مستمر من المواهب الشابة .

● وضع لائحة تاديبية لكل مسرح لمحاسبة كل منحرف او مستهتر من العاملين بالمسرح .

● ان يتولى زمام الحركة النقدية نقاد متخصصون يقومون باعباء توجيه النهضة المسرحية وحماية الحقل الادبى والفنى من فوضى النقد التى يتزعمها الناقمون على الادب والفن من انصاف المثقفين .

● القضاء على ظاهرة احتكار بعض الفنانين والمخرجين للعمل لبعض الفرق المسرحية واتاحة مبدأ تكافؤ الفرص لجميع العاملين فى الحقل المسرحى .

● ان يؤمن جميع الاداريين والفنيين العاملين بالمسرح برسالته وان يكون رائدهم العمل للجماعة وصالح الوطن فى سبيل النهوض بالمسرح المصرى فى جو من الالفة والتفاهم ووحدة الغرض لخلق مسرح مصرى اصيل جاد هادف متكامل البناء ثورى المضمون .

●

جهود .. فى مجال التربية الاجتماعية

تعليقا على العدد الرابع من الطليعة الذى خصص دراسته الرئيسية للنظرة الاشتراكية لعالم الطفل ، وصلت الطليعة رسالة من مدير الشئون العامة ومفتش اول التربية الاجتماعية بمديرية التربية والتعليم بمحافظة البحيرة ، جاء فيها « ... ويسعدنا ان نرسل لكم بعضا من عملنا فى مجالات التنشئة الاجتماعية بمطبوعات توجيهية بدأ تسجيلها لهيئات التدريس منذ عام ١٩٦٠ . منها مشروع الوعى القومى والاجتماعى ١٩٦١ والمدرسة الابتدائية فى المجتمع الجديد « فى التربية الاجتماعية » . وآخرها دليل مبسط التعبير لاطفال الصف السادس للمرحلة الابتدائية » . ثم تضيف الرسالة « وتلك احدى المشروعات التى نرجو متابعتها فى محاولات اكثر توسعا واحسن تطويرا واخراجا » .

فى الدليل المبسط بعنوان « ولدى .. تعود كيف تسعد

فى مجتمعك الاشتراكى » من اعداد صلاح درويش مفتش التربية الاجتماعية (فبراير ١٩٦٦) ، تعريف بالاشتراكية والسلوك الاجتماعى والميثاق .

ويعرف الكتيب الثانى بمشروع « الوعى القومى والاجتماعى لاطفال المرحلة الابتدائية » . اما الكتيب الثالث بعنوان « المدرسة الابتدائية فى المجتمع الجديد » فيناقش عددا من قضايا التربية الاجتماعية باعتبار المدرسة الابتدائية « وحدة تربوية اولى تستقبل افراد المجتمع فى اولى سنواتهم التكوينية ، وعليها — فى فترة تطورنا الحالى — ان تولى اهتماما كبيرا لدراسة الاتجاهات المحققة لرسالاتها فى دور البناء الجديد » ، ويتضمن الكتيب عدة مقالات تحتوى على توجيهات عامة لتنظيم العمل فى المدرسة وفى بناء الشخصية، وهى كلها موجهة الى المعلمين ، ويقدم الكتيب عددا من المشروعات الخاصة بمجالس الاباء والمعلمين والوعى القومى للاطفال ، والمقصف التعاونى ، والنادى المدرسى والمركز الاجتماعى الريفى .

الطليعة : اننا نحيي اولا هذه الجهود ونامل المزيد منها فى اتجاه علمى وعلى اسس اشتراكية . اما الملاحظة التى ناخذها — بشكل عام — على هذا الدليل المبسط ، انه ليس مبسطا بالقدر الذى يلائم اطفال الصف السادس للمرحلة الابتدائية (حوالى ١٢ سنة) . فكلمات « التكافل والتعاطف الانسانى » و « النظام دليل الرقى والنضج » و « الاستغلال والاحتكار » ، يصعب على طفل الثانية عشرة فهمها دون شرح. فاذا طالعنا الصفحة الاخيرة من الدليل المبسط حيث تشرح « الاشتراكية العربية » ، يتحدث الدليل عما يسميه « ديمقراطية تعاونية تمنع صراع الطبقات وتعمل على الربط الجماهيرى بان تجعل الامر شورى بينهم بالفكر المشترك » . وبغض النظر عن ان الجملة لاتحمل معنى مفهوما للطفل، الا ان صدور الدليل فى فبراير ١٩٦٦ ليتحدث عن الديمقراطية التعاونية التى تمنع صراع الطبقات ، يدعو الى الدهشة . فالميثاق الوطنى لم يتحدث عن منع الصراع الطبقى اى مصادرته وانما تحدث عن تنظيم الصراع الطبقى من اجل حله فى اطار سلمى . اما الديمقراطية التعاونية فالمقصود بها الشكل السياسى الملائم لتعاون قوى الشعب العاملة فى اطار ماحدده الميثاق سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

●

« الفكر الطلابى »
فى تجارة عين شمس

ارسلت جماعة الفكر الطلابى **(اتحاد طلاب كلية التجارة)** للطليعة ، مجلة **« الفكر الطلابى »** التى تصدرها « استجابة لحاجة الشباب المثقف الى منبر ذاتى لفكرهم يلتفون حوله ويعبر بأمانة وموضوعية عن انسياب فكرهم الشبابى وتدفقه » . وذلك على اساس من الالتزام « بالفكر الاشتراكى العلمى والثورى » .

وتبدأ **الفكر الطلابى** عددها بمناقشة قضية اتحاد الطلاب وهى احدى القضايا الهامة التى تشغل بال الاوساط الجامعية والسياسية .. فتحت عنوان **دروس من الماضى** يتحدث **ممدوح البدوى** عن الضرورة الملحة « لتقديم عناصر قيادية جديدة متحررة من أدران ماض طلابى مثقل بمخالفات دنيئة » وتطالب بتوفير « مناخ صحى تستطيع ان تحمل هذه القيادات فى ظله فكرا اشتراكيا علميا وتمارس دورا نضاليا جماهيريا رائدا » . ويرسم المقال الطريق الى تحقيق ذلك الهدف، فيطالب « بتصفية العناصر المخربة والطفيلية فى منظمات الطلاب والتى تجرى وراء اطماعها الشخصية مرتدية حلل الاشتراكية » . وكذلك « محاصرة التيارات الليبرالية والمحافظة (وهى فى نهاية الامر رجعية) التى تهيمن على المناخ الفكرى للجامعات . ثم يدعو المقال الى « حماية العناصر الطلابية المناضلة من اضطهاد وتعسف بعض القوى المناوئة للتحركات الجماهيرية داخل الجامعة » .

وبعد ان تناقش الفكر الطلابى تحت عنوان اقتصاديات قضية حل المعادلة الصعبة ، يناقش **محمد شاهين** ميزانية الدولة . ثم يناقش **آرام يوسف** قضية الفن والالتزام فيقول اننا « فى حاجة ملحة للفنان الحامل لفكر الشعب والمدرك لمشاكل الشعب ورأى الفنان الملتزم الى جانب خبرته وتمكنه فى ممارسة اداته الفنية » وعن النظام الجمركى ، يوضح **محمود بكر** كيف تطور نظامنا الجمركى من « مجرد وسيلة لجمع الاموال » الى « اداة مؤثرة فى الاقتصاد القومى » .

وتطرح الفكر الطلابى نداء الى « اعضاء الاتحاد » من اجل ان يرتقى الى مستوى تحمل مسئولياته . كما نشرت بعض مقتطفات من « **الطليعة** » عدد فبراير عن الشباب . وفى ثلاث صفحات تتعرض الفكر الطلابى لقضايا المسرح ومفهوم الدراما .

وتفتح الفكر الطلابى صفحاتها لشباب من طلاب الجامعات الاخرى من اجل ادارة حوار بين طلبة الجامعات ، فيتحدث **عبد المنعم فهيم** من هندسة اسيوط عن الشباب وبناء الاشتراكية . وبعد ان تعرض الفكر الطلابى لعدد من اخبار « محيط الكلية » والنشاط الطلابى ، تنشر جزءا من محاضرة **د. ابراهيم سعد الدين** مدير المعهد العالى للدراسات الاشتراكية حول « معنى الخطة » وتختم الفكر الطلابى صفحاتها الاخيرة بتعريف القارىء بالفنان **هشام ابو النصر** — احد القائمين باخراجها — كفنان يعمل « على تدعيم امكانية ممارسة الطلاب لفن تشكيلى حقيقى يقترب من واقعية الاعمال الفنية ويبعد عن الاطار المدرسى (البدائى الاولى) » .

واذ تعرض الطليعة لبعض ماجاء بمجلة الفكر الطلابى ، فانها ترحب بصدورها وتقدر للقائمين عليها اتجاههم نحو تأسيس صحافة طلابية جادة ترتفع الى مستوى المهام الملقاة على الجيل الجديد من شبابنا .

●

مؤتمر الطلبة اليمنيين فى الاتحاد السوفيتى

ارسلت رابطة الطلبة اليمنيين الذين يدرسون فى الاتحاد السوفيتى ، الى الطليعة ، بنتائج وقرارات المؤتمر العام الاول الذى عقدوه فى الفترة ما بين ٣ — ٥ مايو بكييف .

وقد ناشد الطلبة اليمنيون فى بيانهم « الشباب فى الوطن والخارج » ان « يرص صفوفه وأن يسعى دائما بكل الوسائل الى دعم حكومتنا الوطنية بالاشتراك النشيط فى بناء يمن حر موحد ديمقراطى » .

وفى قراراتهم الخاصة باليمن ، اكدوا ان « الجمهورية العربية اليمنية مكسب عظيم اسس بدماء شعبنا خلال اجيال عدة ، لذا لا يمكن ان نسمح بان تمس او يصبح مصيرها مجالا للنقاش والمساومة والحلول الوسطى » . وادانت القرارات « ما يسمى بالكتلة الثالثة » وطالبوا « بتطبيق عقوبة العزل السياسى على هذه الكتلة » . كما ادانوا « كل الدعوات الطائفية وكل حركة رجعية ترمى الى ايجاد تجمع او تكتل سياسى على اسس طائفية او قبلية » . ثم طالبوا الحكومة « بتصفية الجهاز الحكومى من العناصر المخربة الرجعية » . واكدوا « ان عسير ونجران وجيزان جزء لا يتجزأ من التراب اليمنى ونؤيد قرارات الرئيس عبد الله

السلال بتحرير هذه الاجزاء المحتلة » .

واتخذ المؤتمر عدة قرارات بتأييد الكفاح الوطنى المسلح فى جنوب اليمن المحتل وبادانه الاستعمار البريطانى والارهاب الذى يمارسه ضد شعب الجنوب وطالبوا بسحب القوات البريطانية وتصفية القواعد العدوانية فورا . كما طالبوا بالافراج فورا عن جميع المعتقلين السياسيين فى جنوب اليمن المحتل .

كما اتخذ المؤتمر عددا من القرارات حول الوطن العربى تشجب « الحلف الاسلامى والحكم الرجعى العميل فى السعودية وغيرها من البلدان العربيه التى تعانى من ظلم الحكام وعسفهم » . كما ادانوا « مؤامرات السعوديه ضد نظامنا الجمهورى » . واكد المؤتمر ان « الجمهوريه العربية المتحدة قلعة ثورية عربية متحررة كانوما يزال لها دور قومى طليعى » . وقد حيا المؤتمر موقف الجمهورية العربيهالمتحدة واكد تاييده « لكل الاجراءات الثوريه التى تجرى فىالمجتمع المصرى بقيادة جمال عبد الناصر فى طريق التقدموالديمقراطيه والإشتراكيه » . وحيا المؤتمر «موقفالرئيس جمال عبدالناصر الذى اعلنه فى خطابه الاخير بمناسبة عيد العمال والذى ايد فيه نضال الشعب اليمنى لاسترداد اراضيه المغتصبة عسير ونجران وجيزان » . وادان المؤتمر « الارهاب الرجعى فى المغرب ويطالب بمعاقبة الذين اغتالوا الزعيم المهدى بن بركة وبالافراج عن قادة الطلاب المعتقلين » . كما ادان « اعمال الاعتقالات التى تقوم بها الحكومة الاردنية ضد الوطنيين » واستنكر « اعمال الحكومه الاردنيه التى تعرقل نشاط منظمة التحرير الفلسطينيه » .

واتخذ المؤتمر كذلك ، عدة قرارات خاصة بتأييد حركات التحرير الوطنى فى العالم فى نضالها ضد الاستعمار القديم والجديد وشجب « الاعتداءات الوحشيه البربرية الامريكيه على شعب الفيتنام الصديق » واستنكر الانقلابات الاستعماريه فى افريقيا . كما اعلن تأييده لقرارات مؤتمر هافانا للقارات الثلاث .

وفى نهاية القرارات ، اتخذ المؤتمر عدة توصيات « طلابية » تدعو الى تدعيم مجلس منظمات الطلبة العرب فى الاتحاد السوفيتى والسعى لخلق اتحاد عام يشمل كل الطلبة اليمنيين خارج الوطن ويكون على صلة وثيقة بمنظمات الطلبة والشباب داخل الوطن .

●

مملكة بورقيبه والحراب الامريكية

جاءنا البيان التالي من الوفد الخارجي للمعارضة التونسية الوطنية ، ننشر نصه بالكامل .

بيان المعارضة التونسية الوطنية

« قام النظام البورقيبي ، بتوقيع اتفاق سري مع الولايات المتحدة الامريكية ، حصلت بموجبه على حق :

أ — تأسيس قاعدتين عسكريتين ، الاولى فى جنوب تونس والثانية فى الشمال ، بالقرب من الحدود الجزائرية .

ب — اعادة احتلال قاعدة بنزرت بعد اعدادها لتتسق واحتياجات الاسطول الامريكي السادس ،

جـ — احتلال الاسطول السادس للمراكز الاستراتيجية — بناء على طلب الحكومة التونسية — ويكون ذلك فى حالة العدوان الخارجى ، أو «الانقلاب» الداخلى .

د — تجهيز وتدريب الجيش التونسى ، تحت ستار « التعاون العسكرى »

وسيتمم هذا الاتفاق ، من الجانب الامريكى ، بآخر من نفس الطراز ، يعقد مع الحكومة المراكشية .

وقد عقد هذا الاتفاق ، بهدف خداع الجيش التونسى ، الذى لم يكن ينقصه الإحساس بهذا الخداع . وقد فصل أخيرا ٨٢ ضابطا شابا أتهموا بأثارة «الاضطراب» وسيتبعهم آخرون ، لانه من غير المتصور أن جيشنا سيقبل هذه الوصاية المعلنة من جيش أجنبى .

ومن جهة اخرى ، فاتمام هذا الاتفاق ، بجانب انه يقدم للولايات المتحدة الامريكيه ضمانات تعوضها عما تفقده بسبب السياسة الفرنسية بالنسبة لحلف الاطلنطى فانه يجعل من بورقيبة اداة ضغط على الجزائر كما يقصد بورقيبة من ورائه الى اهداف تتعلق بسياسته الداخلية .

ففى الوقت الذى توضع فيه مسألة اختيار «خليفة» لبورقيبة كاحتمال يمكن ان يقع بين لحظة واخرى ، لايجد بورقيبة المريض بداء العظمة ، أى امكانية اخرى لضمان «عرشه» ، سوى فى اسناد الحكم لإبنه الذى يحمل اسم «الحبيب بورقيبه الإصغر»

وتتضمن الخطوة الثانية للسياسه البورقيبية اثارة مبررات تطبيق اتفاقها السرى . خاصة وسيكون احتلال القوات الامريكية للاراضى التونسية افضل ضمان لتولى بورقيبة الثانى السلطة

ان المعارضة التونسية القومية تستنكر وتدين بكل قوة نتائج هذا الاتفاق السرى ، وهى تدعو الشعب التونسي وكوادره الطليعية ، والرأى العام العالمى لمقاومة هذه السياسة الانهزامية طالما كان هناك متسع من الوقت . فالسياسة البورقيبية التى وصلت الى طريق مسدود ، لايمكن أن تخرج منه الا باللجوء الى المغامرة . ولم يكن من الصدفة أن يرفع الستار عن مقلب «الحد رقم ٢٣٣»

والشعب التونسى لن يقاتل من أجل قضية تونسية أو جزائرية فحسب بل من أجل قضية المغرب العربى ككل ، كما لن يشعل حربا ليضمن استمرار عائلة بورقيبة فى الحكم .

ولن يقبل الشعب التونسي احتلال اراضيه لتسهيل اعتلاء بورقيبة جديد للعرش .

ولن يقبل اذلال كوادره السياسية والعسكرية ، بوضع الحبيب بورقيبة الاصغر على رأس «مملكة» بورقيبة ، فوق أسنة الحراب الامريكية .

ان الرأى العام العالمى ، لن يسمح للامبريالية الامريكية ان تمارس عن طريق تسول بورقيبة وزمرة الملوك ، مخططها الهدام لتصفية الثورة الجزائرية ، التى تعتبر جزءا لايتجزأ من حركات التحرر فى المغرب العربى وافريقيا .

والمعارضة التونسية الوطنية ، اذ تدين هذه المؤامرة التى تدبر على نطاق افريقيا الشمالية والبلاد العربية ، وافريقيا ، فهى بازاء الاضطلاع بمسئوليتها التاريخية . وستضطلع بها » .

الوفد الخارجي الرئيس ابراهيم طوبال باريس فى ١٠ مايو سنة ١٩٦٦

وثائق



محاضر التحقيقات مع محمود سامى البارودى

تواصل الطليعة نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات الخاصة بالثورة العرابية . ونقدم فى هذا العدد نص محاضر التحقيقات مع محمود (باشا) سامى البارودى الذى تولى نظارة الأوقاف فى وزارة رياض باشا ، ثم عين ناظرا للجهادية . وطلب تعيين أحمد عرابى وكيلا لها ، ثم عين رئيسا لنظار مصر ، واستقال عندما قبل الخديوى توفيق ، اللائحة التى قدمها قنصلى انجلترة وفرنسا ورفضها العرابيون . وهو أحد الرواد الكبار للتجديد فى الشعر العربى الحديث

محضر استجواب محمود باشا سامى فى ٢٣ ذا سنة ١٢٩٩

بناء على ما تقرر فى جلسة يوم الجمعة ٢٣ ذا سنة ٩٩ ، الموافق ٦ أكتوبر سنة ١٨٨٢ صار استحضار محمود باشا سامى من السجن ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة اللازمة وجاوب عنها كما يأتى :

س — فى نظارة سعادة رياض باشا ، كنت ناظر الاوقاف ، ووقتها تشكى الميرالايات فى حق **عثمان رفقى باشا** ، وبعدها حصل توقيفهم بقصر النيل ، وهجموا عساكر وضباط برنجى الاى واخرجوهم ، فأفد عن كيفية ذلك وما تعلمه وماذا كان ذلك التقرير .

— كان تقدم منهم عريضة بالتشكى من عدم المساواة ، وعقد مجلس النظار بعابدين تحت رئاسة الجناب الخديوى ، وتليت فيه وحصلت فيها مداولة كثيرة ، واخيرا عين عثمان باشا لمحاكمتهم ، وكان وقتها سعادة رياض باشا يعارضه بقوله انه يخشى حصول فتن ، واخيرا قال له ان كنت واثقا بعدم حصول ادنى امر ، فلا مانع من الاجراء — وقد تكفل بذلك عثمان باشا — وبعدها تقرر فى المجلس توقيفهم وتشكيل مجلس عسكرى مركب من ذوات ابناء عرب واجانب ، وتشكل فعلا — ولما حصل توقيفهم ، جرى ما جرى مما لايخفى على سعادتكم الذى لا اعلمه الا بالسمع فقط .

س — من التحقيق علم ان الميرالايات كان بلغهم قبل بوقت انه مصمم على توقيفهم ، والمعلوم انكم مائلين معهم ، فمن اى طرق كان بلغهم حتى تهيأوا للاتفاق مع ضباط آلاياتهم ، بانهم يجرون تخليصهم وتوجه فعلا برنجى الاى واجرى تخليصهم .

ج — اعرض للمجلس بكمال الشرف ، انى لم اجتمع بأحد من ضباط العسكرية قط مدة نظارتى بالاوقاف — وكيف يسوغ لعضو بمجلس النظار مثلى ان يفشى اسرار المجلس .

س — بعد ذلك كانوا توجهوا الى عابدين ، واقاموا العساكر تحت السلاح ، وطلبوا طلبات من الحضرة الخديوية وصمموا على انجازها ، وانهم لاينصرفون بدونها ، فماذا تعلم فى ذلك .

ج — انى كنت فى منزلى ذلك اليوم فحضر لى جاويش ينادينى من طرف الحضرة الخديوية ، فتوجهت الى سراى عابدين ، ووجدت انه حصل اجتماع بعض النظار ثم تكاملوا وحضر ايضا بعض الذوات مستخدمين وغيرهم ، وحصل التحدث فى هذه المادة ، واستحسن لدى الحضرة الخديوية ، انى اتوجه مع سعادة **خيرى باشا** للتكلم مع الميرالايات فى كيفية طلباتهم ، فتوجهنا ووجدنا العساكر واضعين الموسيقة فى الحوش ، وبعض عساكر موجودة فيه ، والبعض فى الاوض .

وبدخولنا سألنا عن الميرالايات فوجدناهم فى اوضة مع بعض ضباط ، وتكلمنا معهم بنوع الاستفهام مع النصيحة فقالوا انهم لاينقادون لعثمان باشا رفقى ، وان السبب هو كونه يستحضر ضباطا كبارا فى السن للالايات ويرفت الشبان ، وانهم يطلبون عزله ويلتمسون العفو عنهم مما اخطأوا به ، لان عثمان باشا هو السبب فيما ذكر ، فتوجهت انا وسعادة خيرى باشا واعرضنا الكيفية للحضرة الخديوية ، فأمر باحضارهم لطرفه ، وتوجهنا لهم فتوقفوا ابتداء خوفا من حصول شىء لهم — ثم آمنوا وتوجهوا معنا ، وعفى عنهم الجناب الخديوى .

س — هل لم يطلبوا تعيينكم ناظرا للجهادية ضمن طلباتهم المذكورة .

ج — لا ، ولم اسمع بذلك .

س — كيف كان بعدها تعيينكم لنظارة الجهادية .

ج — كان بأمر عال لا اعلم سببه — ولما صدر لى الامر المشار اليه ، توجهت لسعادة رياض باشا واوريته التضرر من ذلك ، وبعدها طلبتنى الحضرة الخديوية وامرتنى بالقبول وقبلت ، ثم اعرضت بأن العفو عنهم لازم لاجل تمهيد الراحة وعدم وقوع الخوف فى قلوبهم ، خشية من وقوع امر مثل ذلك منهم ، فاكد لى جنابه العالى انه عفى عنهم حقيقة ، واحضرت الميرالايات واخبرتهم بذلك .

س — هل اثر ذلك فيهم واستقاموا بعدها .

ج — انه حال دخولى فى نظارة الجهادية ، اشتبهوا فى لعدم سبق معرفتى بهم وحصلت جملة مشاكل فى بعض الالايات ، وكنا نهديها ونسكتها .

س — حينئذ لم يحصل تاثير من العفو ولا استقامة من الميرالايات بل كان الامر بخلاف ذلك .

ج — فى الاوائل ماكان حاصل عندهم اطمئنان ، لعدم سبق معرفة بينى وبينهم ، وبعدها لما نظروا سيرى بالاستقامة ، وسألوا فى السوارى الذين يعرفوننى ، استقاموا ثم ابتدأت بعض امور فى الالايات كما تعلمون وصار حسمها بعد التحقيق وهى التى كانت تهيج الافكار وهذه لايلزم ذكرها .

س — هل لايتيسر ايضاح تلك الامور .

ج — احب ان المجلس لايسألنى من ذلك لانها مسندة لبعض مصادر لا اظن صدورها منها .

س — الاوفق ايضاحها حسب ماتعلمونه سواء كانت محققة عندكم او غير ذلك .

— كانت حصلت شكاية من عبد العال بأن **يوسف باشا كمال** ، كان قصده يعمل عصبة فى الالاى ، لاجل قتل الميرالاى وبعض ضباط ، وذلك حسب الدعوى التى تقدمت رسميا ولا اعلم صدقها من كذبها ، ومع ذلك ارجو المجلس ان يسألنى عما يخصنى لاخبر به بالشرف .

س — حيث ان هذه المسائل معلومة فلا بأس من ايضاحها .

ج — بعد ان تقدمت الدعوى هكذا وبلغها لى الميرالاى ، أخبرت سعادة رياض باشا عنها فى الحال . وهو توجه وانا معه لطرف الحضرة الخديوية واخبره وحصلت فيها مداولات ، حتى ان الحضرة الخديوية استصوبت وقتها رفع يوسف باشا من وظيفته ، اخمادا للفتن .

س — وغير ذلك .

ج — مسالة **فرج بك الزينى** وهى مماثلة لهذه ، وفى نفس الاى عبد العال ، ولها جرنال تحقيق من مطالعته تعلم .

س — هل كان يحصل من ذلك اخلال بالايات اخرى .

ج — ان استلامى للنظارة كان حالة كونها مخلة ولا يخفى ان هجوم العساكر على نفس ديوان الجهادية بقصر النيل وكسر الشبابيك والابواب ، واخراج الميرالايات بالحالة المعلومة هو اكبر اختلال .

س — اما كان يمكن منع حصول مثل ذلك .

ج — انى وجدت اتحادا بين اغلب الضباط ، وما كنت اقدر على تمشية احكام ولا معاملة ، لم يمكن اقلبها

بالتلطيف ، خصوصا وان مدتها كانت حصلت مسألة التسعة عشر ضابطا .

س — ماهى هذه المسألة .

ج — هى ان تسعة عشر ضابطا قدموا عريضة فى حق عبد العال واحمد عرابى واحضرها لمنزلى اربعة منهم ، وكنت يومها عازما على السفر مع النظار الى الاسكندرية لطرف الجناب العالى ، فوعدتهم بالانتظار لعودتى ، ولما عدت وجدت هيجانا زائدا ، وحضر لى للديوان عرابى وعبد العال وقالوا انى انا الذى اغريت التسعة عشر ضابطا على الشكوى فقمت واخبرت سعادة رياض باشا ، وطلبت انفكاكى من تلك النظارة لعدم امكانى اطاعتهم ، فوعدنى الى انتظر حتى نتوجه الى الاسكندرية مرة ثانية . لاننا كنا نتوجه كثيرا لطرف الحضرة الخديوية ونعرض لها . ولما توجهنا قدمت استعفائى فما قبل منى ، واظنه كان برأى سعادة رياض باشا ، اى هو الذى اعرض للحضرة الخديوية بعدم قبول الاستعفاء .

س — بعد ذلك كيف قبل استعفاؤك .

ج — بعد الحاح زائد وتكرار رجاء على سعادة رياض باشا .

س — بعد استعفائك — هل كان يجتمع عليك احد الضابطان .

ج — بعد الاستعفاء بالاسكندرية قصدت مصر وحضرت منزلى لاجل اخذ الشنطة وبعض لوازم ، وعزمت ان اتوجه الى ابعاديتى قاصدا عن القيل والقال ، وبوصولى لمصر ودخولى منزلى ، صعدت فوق ثم حضر لى اغا الحريم واخبرنى ان خليل باشا يكن حضر تحت ، فأخبرته لا اريد النزول ، وبأن يعتذر بكونى عيان ، وبعدها حضر الاغا واخبرنى ان عرابى ومعه بعض ضباط حضروا ، فاخبرته بالاعتذار ايضا ، وبعدها انصرفوا وفى ثانى يوم سافرت .

س — اين كنت فى يوم واقعة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ .

ج — كنت حضرت الى مصر من البلد التى كنت توجهت اليها واقمت بمنزلى .

س — كيف بلغتك الواقعة .

ج — بلغتنى الواقعة من الناس .

س — بلغ القومسيون أن فى انتهاء تلك الواقعة توجه عرابى ومن معه امام منزلكم الكائن فى عابدين وطلب ماء وشرب وترك لك خبرا بأن المسألة انتهت .

ج — انا اخبرت المجلس انى كنت مقتصرا فى منزلى الكائن فى درب الجماميز ، ولا اجتمع على احد إنما بلغنى انه حصل ذلك .

س — من ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ لغاية رجوعك الى نظارة الجهادية ثانيا ، الم تجتمع على احد .

ج — لم اجتمع على احد ولكن فى عقب ذلك جاء لمنزلى زهراب بك ، ومحمد بك الشواربى ، وابراهيم بك توفيق وخلافهم ، واخبرونى ان الحضرة الخديوية تريد رجوعى للجهادية فقلت انى لا اقبل ، وبعدها توجهت وقابلت الحضرة الخديوية ، ورجوت اعفائى من ذلك .

س — بعد ذلك كيف كان تعيينك .

ج — بواسطة شريف باشا رئيس النظار .

س — الم تعلم ان الضباط هم الذين طلبوا تعيينك .

ج — لا وانما شريف باشا لما كلفنى وقال لى ، انى اريد تعيينك لنظارة الجهادية والضباط يريدون ايضا ذلك ، فامتنعت كثيرا ، وبعد كل صعوبة او جبنى للقبول .

س — ماهى كيفية نقل (طلبه) من الدائرة للجهادية .

ج — ان (طلبه) كان له اجتماع زائد مع الضباط ، ونظرت فيه النباهة والمودة بينهم ، فكنت اكلفه بنصائح يعطيها اليهم لكونى وجدت افكاره سليمة حتى انى كنت اوسط الشيخ محمد عبده ايضا معهم .

س — ان رتبة (طلبة) كانت ملكية ، فكيف قبل رتبة ميرالاى جهادى ، وهل كان يحصل تأثير من نصائحه .

ج — ان رتبته كانت قائمقام واخذ للالايات برتبة ميرالاى ، وكان يحصل تأثير نوعا من نصائحه لانه لايخفى انه لم يكن فى امكانى استعمال طريقة خلاف النصائح والملاطفة لتسكين الافكار ، اذ ان القسوة لايمكن دفعها الا بقسوة اعلى منها تصدها ، وهذه القوة كانت مفقودة .

س — ان اغلب الضباط نالوا رتبا فى مدتك ، فكيف تتوسط فى ترقيتهم مع علمك بعدم استقامتهم .

ج — لم يترق جميعهم فى مدتى ، بل ان ترقيهم كان فى مدة عرابى .

س — لكن كان بتصديقك حين كنت رئيس نظار .

ج — ان التصديق أمر عادى ، اما الترقى فكان موكولا لقومسيون امتحان مخصوص .

س — هل كانت افكارك مطابقة على ذلك .

ج — هذه لا دخل لها فى المطابقة .

س — لو لم تستحسن ترقيتهم ، كنت اوضحت للخديوى ذلك .

ج — كانوا طلبوا طلبات ، وصرفت وصدر امر عال بعمل قومسيون لنظر طلباتهم وعملوا قوانين واجراءات وجرى مفعولها ، وبمقتضاها اخذوا الترقى وازداد عدد الجيش .

س — لكن مسألة ترقى ضباط كانت فى مدة وجودك رئيس النظار ، وترقى هذا العدد فى آن واحد لم يكن امرا عاديا .

ج — لايخفى ان المسائل المتعلقة بالنظارات ، لكل ناظر ان يجريها مادامت خصوصية به ، وله حدود فى اجراءاتها . وان المسائل العمومية هى التى كانت تعرض لمجلس النظار ، وكان التصديق يحصل برأى الجميع .

س — هل كنت تستحسن ترقيهم مع كونه فيهم الميرالايات الذين كانوا هجموا على عابدين .

ج — هل لما تقدمت عرائض رتبهم للحضرة الخديوية ، استحسنت أم لا .

س — القصد انك تفيد من استحسانك بحسب ضميرك .

ج — لا لزوم للاستفهام عن الضمائر .

س — لزوم ذلك هو لاجل ان يعلم المجلس سيرك وضمائرك .

ج — انا فى مصر من مدة ولست حادث الوجود فيها ، وسيرى واستقامتى معلومان .

س — لا بأس ايضا من ايضاح سرورك من ذلك وعدمه .

ج — عندى على حد سواء .

س — هل تعيين عرابى لوكالة الجهادية كان بطلبك .

ج — نعم .

س — هل بعد تعيينه ناظرا للجهادية وطلب رتبة اللواء اليه ، كان ذلك بناء على غرض منك .

ج — نعم ضرورى أن يعرض للحضرة الخديوية حتى يصدر الامر بالاجابة .

س — كيف صار طلب مستخدمين من الملكية للجهادية وخصوصا لهم برتب ، مع وجود جملة ضباط مستودعين .

ج — راجعوا التاريخ ليعلم ، انه لم يكن فى مدتى لانى لست متذكرا ، وهناك قاعدة عمومية ، وهى ان الامر لايعتبر الا بعد نشره تماما فى الجرائد .

س — لما تعينت رئيس نظار ، كان بناء على رغبة الحضرة الخديوية أو بناء على طلب زمرة العسكرية .

ج — فى ذلك الوقت بعض اشخاص من النواب المتقدمين لست متذكرا اسماءهم ، ولا ان كان فيهم سلطان باشا السنوديس ام لا قد حضروا لطرفى ، واخبرونى أن اتفقنا فيهم ان يطلبوا تعيينى رئيس نظار وبعدها طلبنى الجناب الخديوى وامر بتعيينى وحصل .

س — اذا كان تعيينك بأمر الحضرة الخديوية خاصة ، فلماذا توسطت النواب بينكما .

ج — الحضرة الخديوية طلبت لجنة من النواب واشتركت معها فى انتخاب رئيس للنظار ، وتقرر فيها تعيينى ولذلك حضر ارباب اللجنة واخبرونى انه صار تعيينى .

س — حينئذ اللجنة هى التى عينتك .

ج — اذا كان افندينا اراد تعيينى

مباشرة ، فكان يجرى ذلك ، وانما كان بالاشتراك مع اللجنة .

س — كيف كان تعيين باقى الوزراء .

ج — بعد تعيينى لرئاسة النظار ، اردت الاشتراك مع الحضرة الخديوية فى تعيين الوزراء ، فصدر لى النطق الكريم بانتخابهم بالاشتراك مع اجنة النواب ، وقد سار الاجراء حسب الامر ، وبعد تعيينى سألت من الحضرة الخديوية عن قبول وعدم قبول الخلاف الذى كان حاصلا بين النواب ومجلس النظار بخصوص ميزانية الحكومة ، وترتب عليه عزل الوزارة السابقة ، فأمرنى بقبول ماكان توقف فيه المجلس السابق .

س — كيف عينت احمد عرابى ناظر الجهادية ، مع كونه من اكبر المخالفين الذين قلت انهم كانوا دائما يفعلوا هيجانا وهجموا على سراى عابدين .

ج — سبق انى قلت ان التقدم ربما يكون موجبا للاستقامة ، فان كثيرا من الناس الاصاغر المرتكبين مخالفات يحصل استقامتهم، وانتظام سيرهم ، عندما يبلغون درجة عليا او يكونون فقراء ويفتنون .

س — كيف كانت مسألة ضبط الجراكسة وسجنهم وصدور حكم مجلس عسكرى عليهم .

ج — الحقيقة انى لا اعلم تفاصيلها ، وانما بلغنى عنها ان شخصا يسمى راشد نور اعرض لناظر الجهادية عرابى ، بأن هناك عصبة من ضباط الجراكسة تريد الفتك ببعض ضباط من ضمنهم احمد عرابى وبناء على ذلك مسك فى المسألة ، واجرى التحقيق الذى اجراه .

س — هل كان ذلك برأى مجلس النظار .

ج — لا اعلم ، وانما انا كنت دائما اتوجه الى القشلاق المقيمين فيه وانظر اجراءاتهم واعرض عنها للحضرة الخديوية .

س — ماذا حكم به عليهم ، وهل مجلس النظار صدق على الحكم .

ج — حكم عليهم بالنفى للسودان ، وتقدم الجرنال مباشرة للحضرة الخديوية — وهى لصعوبة الحكم ارادت تلاوته بحضورنا نحن النظار ، لكون الحكم كان صعبا حقيقة ، فطلبنا من الحضرة الخديوية رسميا تخفيفه وقد حصل .

س — الم تحصل معارضة من ناظر الجهادية فى ذلك التخفيف .

ج — الذى اعلمه انه بعد ان طلبنا التخفيف ، صدر امر من الحضرة الخديوية بالتنفيذ .

س — الذى بلغنا انكم كنتم تريدون تنفيذ الحكم الاول بدون تخفيف ، ولذلك الحضرة الخديوية قالت لكم انها عرضت للباب العالى تفصيلات المسألة ومنتظرة الجواب .

ج — لا — هذا بخلاف ونحن طلبنا التخفيف ، واجابتنا الحضرة الخديوية ، وحقيقة كان اخبرنا الجناب الخديوى ، بأن الباب العالى سأله عن الكيفية ، واجاب انه سينظر فيها ويفيد الباب العالى — وبعد ان اتفقنا على تلاوة الجرنال حرفيا وحصل، فصدر الامر بالتخفيف حسب التماسنا ، انما هذا الامر صدر اولا بعنوان نظارة الداخلية ولمناسبة انها لم تكن واسطة فى مثل ذلك ، لماستصوب برأى مجلس النظار ان اتوجه انا به لاعرض الكيفية ، فتوجهت وقدمته الحضرة الخديوية ، وصدر امر آخر بعنوان نظارة الجهادية ، وبعد ذلك سألت انا الحضرة الخديوية ان كان صدر شىء من الباب العالى حتى يسوغ تنفيذ الحكم حينئذ ام لا ، فقال انه هو ينفذه .

س — هل لم تغلظ على الجناب الخديوى فى طلب تنفيذ الحكم القاسى الذى صدر اولا من المجلس العسكرى .

ج — حاشا .

س — هل لم تقل للجناب الخديوى ان لم يختم على الامر بالتنفيذ، فموجود غيره يختم .

ج — استغفر الله الف مرة .

(صار وقت الظهر فاعيد للسجن ، وانفضت الجلسة الاولى الساعة ٧ عربى) .

(بعد انتهاء فسحة الظهر ، طلب محمود سامى ثانيا ، ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الاتية ، فاجاب عنها بما يأتى) :

س — ما اسباب استعفاء الوزارة التى كانت تحت رئاستك .

ج — سبب ذلك هو ان قنصلى فرنسا وانكلترا حضرا لديوان الداخلية فى وقت انعقاد المجلس ، وطلبانى وسلمانى لائحة اطلعت عليها وتلوتها على المجلس ، ثم توجهت للاعتاب السنية لعرضها على الحضرة الفخيمة الخديوية . وكان مطلوبا بها استعفاء الوزارة ، وابعاد احمد عرابى وعبد العال وعلى فهمى . وذكر بها ان سعادة سلطان باشا هو الذى استحسن ذلك ، ولما استفهمت منه عما ذكر ، اجاب انه لم يتوجه لطرفهما بصفة رسمية ، ولا تكلم معهما بهذه الصفة . ولما عرضت تلك اللائحة على الحضرة الخديوية، صدر لى نطقها الشريف ، ان القنصلين المذكورين قدما لها لائحة بالنص عينه . ولما سئل جنابه العالى عن رأيه ، استصوب عقد جمعية ، والمذاكرة فى هذا الامر وما يقرعليه الرأى يحرر به كتابه ، فانه ارسل نسخة بتلك اللائحة تلغرافيا للباب العالى، ولم نعلم منه وقوعها لديه موقع الاستحسان او عدمه ، طلبه علينا بالحضور فى ثانى يوم ، فبناء على ذلك اجتمعنا بالمنزل ، وتداولنا وكتبنا ما قر رأينا عليه .

س — ما هو الذى قر رأيكم عليه .

ج : ذلك مثبوت بالجرائد . والكتابة التى حررناها مضمونها ان الفرمان الشاهانى مقتضاه ، ان الاجراءات الداخلية من خصائص الخديوى الافخم . وتقديم اللائحة من القناصل ، بمعنى ما ذكر آنفا يعد تداخلا ، فانها اما ان تكون متعلقة بأمور داخلية ، فتكون من خصائص الحضرة الخديوية ، واما ان تكون متعلقة بأمور خارجية سياسية ، فتكون مختصة بالباب العالى ، فتوجهت مع مصطفى باشا فهمى ، ومعنا تلك الكتابة ، وتلوناها على الحضرة الخديوية فأجابنا ان هذه الكتابة موافقة ، ولكنى انا استحسنت قبول اللائحة ؛ ولو انى حررت تلغرافا عنها للباب العالى أمس تاريخه ، وبناء على ذلك استعفينا .

س — حيث انكم استعفيتم بناء على اللائحة ، فلماذا لم تنفذوا باقى ما طلب بها!

ج — اننا استعفينا واصبحنا بغير صفة رسمية ، وكان حصل قبل ذلك كلام فى شأن ما ذكر باللائحة مع موسيو مونج) فانه حضر لطرفى ، واخبرنى ان الاحسن سفر هؤلاء الاشخاص، فاجبته اما لجهة شخصى ، فأنا مستعد للسفر ، ولو ان اسمى لم يكن مذكورا، ونصحت باقى اخوانى بذلك ولم يقبلوا .

س — هل لم تستخدم من ذلك الوقت

ج — لم استخدم .

س — المعلوم ان استعفاءكم فى ذلك الوقت لم يكن بناء على اللائحة، بل بناء على قبول الحضرة الخديوية لها .

ج — قبول الحضرة الخديوية لها ، دليل على انه يلزم استعفاؤنا فاستعفينا .

س — قل بعبارة صريحة ، هل قبلتم اللائحة او رفضتموها ، ولسبب رفضها استعفيتم .

ج — العبارة التى قلتها عن ذلك واضحه

س — حيث علم لك ان الخديوى قبل اللائحة ، فلماذا لم تجمع النظار وتقبلوها انتم ايضا .

ج — كل انسان حر فى افكاره ، فانى ان لم اقبلها ، ما على سوى الاستعفاء ، ومتى تشكلت هيئة اخرى تقبلها .

س — فى علمكم ان من ضمن امتيازات الخديوى ، الحكم فيما يختص بالمستخدمين ، فلماذا ذكرتم فيما كتبتموه ، ان اللائحة تمس حقوق الجناب العالى ، مع انها مختصة ببعض مستخدمى الحكومة . وزيادة على ذلك ان الخديوى هو المسئول لدى الباب العالى لا النظار .

ج — هذه كانت افكارنا وبنينا عليها الاستعفاء .

س — هل اجتمع الضباط بطرفك فى اثناء خلوك من الخدامة .

ج — كان احمد عرابى يحضر لطرفى ، ولا يخفى انه لما كان يتوجه لجهه من الجهات يتبعه كثير من الضباط .

س — الم تحصل مذاكرة فى هذه الاجتماعات فى مسائل سياسية .

ج — اجتماعنا فى الحوش علانية .

س — هل حضر فيها حسن موسى العقاد

ج — احيانا .

س — هل حضر لطرفك ايضا عثمان باشا فوزى .

ج — نعم مرارا قليلة .

س — بلغ حسين باشا وكيل الاوقاف ان شخصا يسمى محمود صدقى حرر محضرا بعدم رضاء الناس بالخديوى الحالى ، ورغبتهم فى تعيين حليم باشا ، وكان جاريا تختيم مستخدمى الاوقاف عليه ، وضبط حسين باشا المحضر المذكور ومزقه ، ثم ظهر له انه ربما ذلك يخص النظار فتوجه اليك واخبرك بهذا الامر ، فأجبته ان كل انسان حر فى افكاره ، فهل هذا حقيقى .

ج — حاشا وزيادة على ذلك لم يحضر حسين باشا لطرفى ، الا لرؤية العمار الذى كان حاصلا بمنزلى .

س — تحررت جملة عرائضات بطلب عزل الخديوى ، فهل علمت بشىء من ذلك .

ج — حصل كثير منها فى منزل احمد عرابى ، وهذا معلوم مشهور .

س — هل توجهت لمنزل حسن موسى فى بعض الليالى .

ج — لم اتوجه الا مرة واحدة .

س — هل سمعت فيها مقالات .

ج : لم اسمع سوى القرآن الشريف .

س — حصل جمعيات ايضا فى منزل محمد الصدر ، فهل حضرت فيها .

ج — نعم .

س — قيل انك القيت مقالة فى تلك الليلة .

ج — حاشا لم الق مقالة لافى هذه الليلة ، ولا فى غيرها .

س — من القى المقالات اذا .

ج — الناس كثيرون منهم اديب اسحق ومحمد عبده ، واللقانى ، ثم اقول . يظهر لى ان بعض الناس يزعم انى عدو الاوروبيين ، فعندى دليل لنفى ذلك . وهو انه قبل دخولى لديوان الاوقاف ، لم يوجد به افرنج ولا اقباط . ولما تعينت شكلت فيه قلما مركبا من الاوروبيين ، وزياده على ذلك ان بعض خدمى الخصوصيين فى منزلى هم من الاوروبيين .

س — هل بلغتك واقعة ١١ جونيو التى قتل فيها كثير منهم .

ج — نعم بلغتنى .

س — حيث احمد عرابى كان يحضر لطرفك احيانا ، فما كانت أفكاره فى هذا الشأن .

ج — هذه المسألة شنيعة جدا ، وكل الناس وبالجملة احمد عرابى استقبحها .

س — وماذا تظن فى شأن منشأها .

ج — لا اعلم .

س — لما قدمتم للحضرة الخديوية الحكم الصادر فى دعوى الجراكسة ، قيل انه حصل اختلاف وتهور ، فقل ماذا جرى .

ج — الخديوى جمع هيئة النظار واراد الاشتراك معهم فى تلاوة جرنال التحقيق ، وكنت من قبل أخبرت اخوانى ، ان المسألة شنيعة والاصوب ان نطلب من الحضرة الخديوية العفو او تخفيف الجزاء ، وفى الواقع صدر امره السامى بالتخفيف ، ولكن صدوره كان للداخلية لتنفيذه ، وحيث ان التنفيذ فى مثل هذه المسألة ، لم يكن من خصائصها ، عقدنا مجلس النظار وتداولنا فى هذا الامر ، فقر الرأى على ان اتوجه الى الاعتاب السنية ، وأعرض لها ان تنفيذ هذا الحكم ليس من خصائص الداخلية .

س — لماذا طلبتم النواب فى ذلك الوقت .

ج — حيث ان جميع ما حصل فى هذه المسالة مثبوت بمحاضر جلسات مجلس النظار ، فاطلبوها واطلعوا عليها ، وان وجدتم انه حصل خطأ منى فيها ، فاسألونى عنه .

س : لما انعقد مجلس النظار لاجل هذه المادة ، قر رأيكم على طلب النواب وحررتم اليهم بالحضور أم لا .

ج : نعم حصل ذلك ولكن حيث ان حصوله كان لاسباب مبينة بالمحاضر ، فاطلبوها واطلعوا عليها .

س : الطلب للنواب كان بختمك او لا .

ج : طبعا .

س : هل ارسلت حسين باشا الدرملى فى اثناء انعقاد المجلس للحضرة الخديوية لاخبارها بان المجلس قر رأيه على طلب النواب أم لا .

ج — نعم .

س — هل حضر طلبه باشا فى اثناء انعقاد المجلس جملة مرار ، ومكث فيه معكم وقتا مديدا أم لا .

ج — لم يحصل ذلك .

س — الم يتقرر فى ذلك المجلس ، أن يطلب النواب لينظروا اذا كان الخطأ وقع من الخديوى الافخم ؟ او من النظار .

ج — لما تعينت لجنة فى وقت استعفاء النظارة السابقة لانتخاب رئيس مجلس نظار آخر وانتخبونى ، ونبه على الخديوى باستشارتهم فى الامور المهمة ، وتحرر بطلبهم لينظروا فى هذه المسألة ، وان كان يرى لهم خطأنا ، كنا مستعدين للاستعفاء ، ومع ذلك تفاصيل هذه المسألة مبينة بمحاضر مجلس النظار ، فاطلبوها ومتى ثبت لكم خطأ منى ، فيمكنكم الحكم على بما شئتم بدون استفهام منى عن شىء ، وانا قابل ذلك الحكم من الان .

س — فى ش . يناير سنة ١٨٨٢ اثناء المكالمة فى سقوط وزارة شريف باشا ، اجتمع الضباط بمنزلك حالة كون النواب كانوا مجتمعين بمنزل سلطان باشا ام لا .

ج — لم اتذكر حصول جمعيات مخصوصة فى هذا الشهر الا نادرا جدا ، بل عند حضور عرابى ، كان كثير من الضباط يحضرون معه كما قلت آنفا

س — قد بلغنا انك قلت لسعادة شريف باشا ، انك لاتقبل مطلقا الدخول فى وزارة خلاف وزارته ، فهل حصل ذلك .

ج — اسألوا شريف باشا ، فان اجاب اننى قلت له ذلك فيكون هذا صحيحا .

س : منذ كنت بنظارة الداخلية كان موسيو موكلين رئيس قلم المطبوعات والموسيو المذكور حرر نبذة بخصوص مصر وتلاها عليك واستحسنتها ، حتى انك قدمت له هدية ، فهل هذا حقيقى .

ج : لم يحصل ذلك .

س : الم تعطه نقدية .

ج : نعم ، كان عزم على السفر ووردت لى تذكرة من رفعت بك ، ان هذا الرجل فقير ومديون ، فأعطيته مبلغ ستين جنيها .

س : الم تعطه نقودا وقت وجودك بالنظارة .

ج : لم اعطه شيئا .

س : ألم يبلغك خبر مقتلة الاسكندرية .

ج : نعم .

س : كيف بلغك ذلك .

ج : كباقى الناس .

س : لما كنت رئيس النظار ، الم يخاطبك عمر باشا المحافظ ، فى شأن احوال الاسكندرية ، وتجمع الضباط وارتباطهم بالشبان .

ج : ان كان تحرر منه شىء فى هذا الشأن ، فطبعا يوجد عنده الرد .

س : لما حصل ضرب الاسكندرية ، نظرت فيها بملابس عسكرية ، فهل كان ذلك بناء على طلب .

ج : لم يكن توجهى بناء على طلب ، بل فى يوم الحرب ، حضرت تلغرافات

رسمية قيل فيها ، ان الحرب انتشبت بين الحكومة المصرية وبين حكومة الانكليز ، فتكون الادارة عرفية ، فتوجهت لمجرد الفرجة .

س : لماذا لبست حينئذ ملابس العسكرية .

ج : لانى عسكرى وتوجهت لبلد فيها حرب ، ومع ذلك ، اذا كان شخص عسكريا الم يجز له لبس الملابس العسكرية وان لم يكن موظفا .

س : لا يمكن لبس الملابس العسكرية الا بأمر .

ج : لا يخفى ان المحاربة حصلت فى مصر ، وكل انسان يرغب التوجه ، فتوجهت بهذه الملابس ، لانى كنت عسكريا .

س : هل توجهت للفرجةفقط او للمحاربة

ج : للتفرج فقط .

س : متى قمت من هنا .

ج : العصر ووصلت الاسكندرية ليلا ، وتوجهت لمنزل راغب باشا ولجهة الضبطية ولباب شرقى .

س : اين قضيت الليلة .

ج : لم استقر فى مكان واحد ، بل ذهبت لمحلات متعددة ، فانه عند وصولى الى الاسكندرية توجهت لمنزل راغب باشا ، وخرجت من هناك ، فتقابلت مع عساكر وسالتهم عن عرابى باشا ، فقيل لى انه بباب شرقى ، وقيل لى بالباب المذكور ، انه بديوان البحرية ، فتوجهت للبلد .

س : هل كنت بمفردك .

ج : كان معى محمود افندى صادق .

س : اين توجهت بعد ذلك .

ج : استرحت بالضبطية وكان هناك مأمورها ، ووكيلها وطلبة باشا وعمر بك رحمى ، وبعد الاستراحة خرجت ومررت فى الشوارع . وفى اثناء مرورى تقابلت مع عبدالله نديم فسألته عن جهة قصده فأجابنى انه يمر مثلى ، فاستفهمت منه عن محل لقضاء الليلة فيه ، فقال انه اذا وجد أباه بالمنزل يمكننا قضاء الليلة هناك وقد كان .

وفى الصباح توجهت لمنزل راغب باشا ، فلم أجده ، فتوجهت لباب شرقى فوجدت أحمد عرابى ، وعمر رحمى ، وعيد بك فى أوضة ميرالاى الالاى الذى لا أعرف اسمه ، وكان ذلك فى الساعة ٣ وبقيت هناك ثم حضر طلب لعرابى من طرف الحضرة الخديوية ، فتوجه وبقى الى العصر ثم عاد .

س : عند عودته ألم تسأله عن سبب طلبه ؟

ج : قيل انه انعقد مجلس وتقرر فيه حصول الموافقة .

س : تمم لنا كلامك الاول .

ج : وبقينا حتى الساعة ١١ وبالقرب من الغروب ، رأيت العساكر حاملة السلاح ومزدحمة فقمت واستفهمت فقيل لى ان راغب باشا حضر ونبه بتوجه العساكر لحجر النواتية .

س : ألم تر منهوبات او غير ذلك .

ج : الذى رايته هو ان أحمد عرابى كان واقفا أمام الباب ، وكلما رأى عسكريا او بربريا او خلافه معه منهوبات اخذها منه والقاها هناك ، ثم حضر فى ذلك الوقت سلطان باشا ، وسليمان باشا اباظة ، وشريعى باشا ، واحد ياوران درويش باشا ، وتكلموا مع احمد عرابى . واخبروه ان العساكر موجودة بالرمل ، ولما رأت المراكب بالقرب من هناك احتاطت بالسراية ، فأجابهم انه لم يعلم بذلك . وحضر لى الياوران واخبرنى بهذه الحكاية ، وترجانى ان اتكلم مع احمد عرابى فى هذا الشأن فتكلمت معه . وبناء على ذلك ، طلب احمد عرابى طلبة باشا ، ونبه عليه بالتوجه لرفع الكوردون ، وقمت من باب شرقى فى الساعة ١١ وقضيت الليلة فى نمرة ٣ باذن ناظر السراية .

س : هل قضى معك احمد عرابى تلك الليلة فى نمرة ٣ .

ج : لا : بل كنت أنا ومحمود باشا فهمى وموسيو نينه ومحمود افندى صادق .

س : هل كانت السراية خالية .

ج : نعم

س : الا تعلم المحل الذى قضى فيه أحمد عرابى تلك الليلة .

ج : لا أعلم .

س : ماذا جرى فى الصباح .

ج : فى الصباح ركبت عربة ومعى من ذكروا ، وتوجهنا لحجر النواتية وعدينا الى البر الثانى ، فوجدنا هناك أحمد عرابى .

س : ماذا قال لك .

ج : قال لى انه تقابل مع راغب باشا ، واستصوب الباشا المشار اليه ، عدم بقاء العساكر بمركزهم الاصلى وانه عزم على عمل المعسكر فى كفر الدوار ، ثم تركته وحضرت حالا لمصر أنا ومحمود صادق .

س : هل تعرف موسيو نينه .

ج : لم اعرفه بل وجدته فى باب شرقى ، وعند قيامنا من هناك ترجانى أن لا اتركه ، فأخذته معى .

س : الم يبلغك حريق الاسكندرية .

ج : نعم بلغنى .

س : كيف بلغك .

ج : من أفواه كثيرين .

س : الم يبلغك كيف حرقت .

ج : كان موجودا الآيات بالاسكندرية ، فاسألوا أحمد عرابى عمن كانوا هناك .

س : قل لنا ما تعلمه .

ج : قيلت اخبار مختلفة منها ان بعض أروام كانت مختفية بالمنازل ، ولما خلت البلد خرجوا ونهبوها وأحرقوها .. وقيل ان البرابرة اشتركوا معهم فى هذا الفعل ، وقيل ان العساكر هم الذين اجروا ذلك .

س : لما كنت فى باب شرقى الم تر حسن صادق وكيل الضبطية .

ج : لم اتذكر انى رايته ، ومع ذلك معرفتى به قليلة ، حتى انى لو رايته الان لا اعرفه .

س : الم يحضر اليك نسيم بك واخبرك بحرق البلد .

ج : لم يحضر الى .

س : قلت انك كنت بباب شرقى من الصباح الى الغروب ، ورايت العساكر حاملة السلاح ، وخرجت من هناك للتوجه الى حجر النواتية ، فألم تر ايضا العساكر منذ خرجت وتوجهت الى المنشية عقب ذلك الحريق .

ج : نعم كنت موجودا هناك وكان موجودا عمر رحمى وباقى الضباط ، فاسألوهم عما جرى فانى حين ما بلغنى حصول الحريق بحثت عن احمد عرابى لاجل تدارك المسألة .

س : لما حصل الحريق وكنت بباب شرقى ، هل كان موجودا هناك احمد عرابى .

ج : لم يكن هناك ، ولكن لما حضر فيما بعد أخبرناه .

س : ماذا جرى .

ج : رايته واقفا أمام باب شرقى يصرخ ويضرب وغير ذلك ، ويمنع العساكر من الخروج .

س : لما سمعت بالحريق انت واحمد عرابى ، فلماذا لم تتوجها لتدارك ذلك .

ج : اجريت ما أمكنى واجتهدت ، ومتى سألتم باقى الضباط الذين كانوا حاضرين ، تظهر لكم الحقيقة .

س : الم تتوجه سواء كان بمفردك او مع عساكر لمنع ذلك .

ج : لم يكن التوجه ممكنا لى فانه لم يكن لى امر نافذ على العساكر .

س : الم يجتهد أمراء الالايات فى منع النهب والحريق .

ج : لم ار الا عيد بك بباب شرقى ، وكانت الآيات اخرى بالاسكندرية .

س : قلت انك اجتهدت بمنع النهب والحريق فاخبرنا بما اجريته من الاجتهاد .

ج : تكلمت مع الضباط ومنهم عمر رحمى الذى توجه الى الاسكندرية ، وحذرت باقيهم من الوقوع فى مثل هذه الامور .

س : لما توجه عمر رحمى الى الاسكندرية ، كان معه عساكر .

ج : توجه بمفرده ، فانه لم توجد عساكر تحت قيادته ، ومع ذلك كان هناك عساكر كثيرة ..

س : هل أمرت أحد الضباط بمنع الحريق ولم يذعن لامرك .

ج : أمرت عمر رحمى .

س : ولكن عمر لم يكن معه عساكر فهل أمرت غيره .

ج : لم آمر غيره لعدم نفوذ كلمتى . وغاية ما امكننى اجراؤه ، هو انى بحثت عن أحمد عرابى لاخباره بالمسألة ، ليتداركها وكلفت عمر بك رحمى بالتوجه الى الاسكندرية لينظر ويتدبر الامر .

س : لما أمرت عمررحمى ، كانت ابتدأت الحريقة .

ج : لا .

س : كيف علمت بها مقدما .

ج : قيل من جميع الناس انه مزمع على حرق البلد .

س : حينئذ اشترك جميع الناس فى النهب .

ج : نعم عربجية وحمارة وبرابرة وغيرهم

س : لماذا لم تمنع النهب .

ج : توجهت بنفسى مع عمر بك رحمى واجتهدت بذلك .

س : هل منعت النهب .

ج : ما كان قد ابتدأ حينئذ .

س : متى علمت به .

ج : عند خروجنا رايت العساكر واناسا آخرين معهم منهوبات ، وطالما ناديت عليهم لردعهم فلم يسمعوا قولى . وفى ذلك الوقت حضر أحمد عرابى واوقف جزء من العساكر .

س : حيث ان احمد عرابى لما حضر حجز جزء من العساكر واخذ منهم منهوبات ، فكان يمكنكم اجراء ذلك قبل حضوره .

ج : قلت لم تكن لى كلمة نافذة ولا حق ، ومع ذلك اجريت ما امكننى اجراؤه .

س : هل رأيت العساكر فى حالة النهب .

ج : لم أرهم . انما رأيت ازدحامهم وازدحام الناس الآخرين بباب شرقى .

س : بعد حضورك لمصر هل بلغك ان الخديوى عزل أحمد عرابى أم لا .

ج : لما نشر التلغراف الذى حضر بأن الادارة تكون عسكرية ، تشكل مجلس بديوان الجهادية من ملكية وجهادية .

س : لم اسألك عن هذا السؤال . بل اسألك عما اذا كان بلغك عزل أحمد عرابى او لا .

ج : لما توجهت لديوان الداخلية فى الجمعية الاولى ، بناء على تذكرة من حسين باشا الدره مللى ، بلغنى ذلك ووجدت اناسا كثيرين هناك — وتلى تلغراف من رئيس النظار ، بعدم لزوم المدافعة — والتجهيزات لحصول المكالمة فى الصلح ، فقيل من بعض الحاضرين أن وصول هذا التلغراف غير رسمى لانقطاع المواصلات ، فقر الرأى على ارسال وفد الى الاسكندرية مؤلف من على باشا مبارك ورءوف باشا ، واحمد بك السيوفى ، وسعيد الشماخى ، وعلى نائل ليبحث عن الحقيقة . وفى ثانى مجلس توجهت أيضا ، بناء على تذكرة من حسين باشا ، ووجدت العلماء والاعيان والرؤساء الروحانيين والمديرين ، وتلى علينا تلغراف بعزل أحمد عرابى من نظارة الجهادية ، فقال جميع الحاضرين بأنه لا يعزل لاستمرار المحاربة .

س : وهل كان رايك ايضا كذلك .

ج : كان رأى الجميع .

س : ماذا كان رايك الخصوصى .

ج : لم اتفوه بكلمة انما تلوا ورقة ذكر فيها لزوم بقاء أحمد عرابى فى وظيفته ، واستمراره على المدافعة وختم عليها جميع الحاضرين وانا بالجملة .

س : هل ختمت تلك الورقة برضاك أم بالجبر .

ج — ختمت لانى رأيت اغلب الناس من عظماء البلد ختموا .

س — الم يحصل جبر او تخويف .

ج — قلت ان الخوف كان موجودا عموما من الاصل ، فان لنا عيالا واموالا ، وربما لو امتنعنا لمسها ضرر .

س — ممن الخوف .

ج — من العسكرية بالنظر لما حصل فى الاسكندرية .

س — هل ختمت بسبب ذلك الخوف .

ج — ختمت بناء على اغلبية الاراء وفى نوادر العسكرية ماحصل لى ، وهو انه بعد سقوط وزارتنا بيوم ، بينما كنت بمنزلى بالسلاملك بمفردى ، دخل على محمد عبيد ، شاهرا سيفه ، وقال لى لماذا استعفيت ، هل يستعفى احد فى هذا الوقت الصعب ، هل ترغب حصول شىء مضر .

س — هذا دليل على انك ختمت جبرا .

ج — معلوم ان زمرة العسكرية كانت معادية للجميع ، وقد حصلت مسألة اخرى فى هذا الزمن ، وهى انه كان موسيو مونج توجه لمنزل احمد عرابى فى وقت تكليفه بقبول نظارة الجهادية بعد استعفائه منها ، وطلبت الى هناك . ولما توجهت وجدت محمد عبيد خارجا من الاوضة التى كان فيها احمد عرابى مع موسيو مونج بهيئة شر . وقال ما هذه الامور التى تجرونها ، ولهذه الزمرة نوادر اخرى كثيرة من هذا القبيل منعتنى من السفر مع خرينى بعد ان تأهبت لذلك ، فانهم قالوا وقتئذ ان من يخرج من البلد لانسمح له بالعودة اليها ، بل ننهب امواله ونحرق املاكه .

س — ومن تفوه بهذه التهديدات .

ج — اشخاص من زمرة العصاة .

س — ماهى اسماؤهم .

ج — لايمكننى ذكر اسمائهم ولو عاقبتمونى

س — كيف تعينت قومندان فرقة الصالحية

ج — حضر تلغرافان من احمد عرابى بذلك ، احدهما لوكيل الجهاديه والاخر لى ، وحيث انى كنت امتنعت دفعتين قبل ذلك من قبول تعيينى فى مريوط ورشيد ، ففى ثالث دفعة توجهت لوكيل الجهادية . وقلت له انى لا ارغب تعيينى ، فأجابنى انه لايصح امتناعى حيث انى عسكرى فقلت ان كان الامر كذلك اقبل ولكن لا اتوجه بصفة رسمية ولا اقبل ماهية .

س — يعلم من ذلك انك اجبرت .

ج — نعم .

س — حيث انك جبرت ، فلماذا لم تتوجه لطرف الحضرة الخديوية لما ذهبت للصالحية .

ج — لايمكننى ذلك لوجود العساكر ، فانهم ربما كانوا يلحقون بى اذى ، ولا سيما انهم عينوا اناسا لملاحظتى ، وملاحظة راشد باشا .

س — هل تعرف من تعينوا .

ج — سمعت من سليمان بك سامى قال لى مرة ، انه عند رغبتى الركوب ، لا اخرج بمفردى فانه يخشى على كما يخشى على راشد باشا ، وبالملاطفة فهمت منه انه مناظر به ملاحظتى حتى انه كان يرافقنى عند الخروج أو يرفق بى ضباطا آخرين .

س — كان يمكنك الامتناع فى الدفعة الثالثة ، كما امتنعت فى الدفعتين الاوليين .

ج — خشيت فى الدفعة الثالثة من ان يلحق بى الضرر لما ان يعقوب باشا ، قال لى انك امتنعت فى الدفعتين الاوليين ، فلا يصح امتناعك فى الدفعة الثالثة ايضا ، فتوجه اولى من حصول شىء ، فتوجهت .

س — زعم كثيرون من المسئولين انهم لم يجروا ما اجروه الا خوفا ، فممن كان الخوف .

ج — من العسكرية

س — لايمكن الخوف من عموم العسكرية بل لابد ان كان من الرؤوس فقل لنا من هم .

ج — قلت ان الخوف كان من الهيئة العسكرية عموما ، فانها كانت متحدة ومركبة من الرؤساء ويتبعهم المرؤوسون .

س — ارسلت محاضر من المجلس العرفى للاستانة ، فهل ختمت عليها .

ج — حاشا .

س — هل حصلت مكاتبات بينك وبين الاستانة .

ج — لم يحصل .

س — الم يعرض منك شىء للباب العالى منذ كنت فى نظارة الجهادية .

ج — لم يعرض منى شىء ، ولكن معلوم ان حضور على نظامى باشا وفؤاد بك ، كان بناء على محضر ارسل من اناس كثيرين لا اعرف عددهم ،

انما اعرف منهم احمد عرابى ، واحمد عبد الغفار وعبد العال ، ولم اعلم ما اشتمل عليه ذلك المحضر ، وعند وصول من ذكروا ، كانوا رؤساء العسكرية حرروا محضرا آخر من عموم الضباط والعساكر بالتشكى ، وكان غرضهم تقديمه لنظامى باشا علمت به،واخبرت الجناب الخديوى لنبه على بالاجتهاد فى منعهم من ذلك ، وفى الواقع طلبتهم وحلفتهم على عدم تقديمه ، حتى انهم قبلوا بذلك وحلفتهم بعدم اجراء شيء من هذا القبيل فيما بعد .

س — لما حضر الشيخ احمد اسعد ، الم يحضر لمنزلك .

ج — حضر دفعتين بمصر ، ولكن لم يزرنى الا فى الدفعة الاخيرة .

س — ماذا قال لك ؟

ج — فهمت منه انه كان بينه وبين احمد عرابى مكاتبات فانه استفهم منى عما اذا كنا مرتاحين ام لا ، وقال لى ان السلطان يسأل عن ذلك .

س — اما نبه عليك درويش باشا بشيء عند حضوره .

ج — لما حضر دعانى للحضور بطرفه ، ولما توجهت كلفنى ان اسكن نفوس احمد عرابى ورفقائه .

(وبعد ذلك اعيد للسجن)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم ٢٦ القعدة سنة ١٢٩٩ الموافق ٩ اكتوبر سنة ١٨٨٢ طلب محمود سامى من السجن لاستيفاء استجوابه ، فحضر ووجه اليه سعادة الرئيس الاسئلة الآتية فاجاب عنها كما يأتى) :

س — علم من التحقيق انك مذ كنت رئيس مجلس النظار فى ذات يوم بعد خروجكم من منزل عمر رشدى ! حيث كنتم مدعوين فيه ، توجهتم لقشلاق عابدين ، وجمعتم الضباط واحضرتم الشيخ محمد عبده وحلفتموهم يمينا فلماذا كان هذا اليمين وما هو .

ج — لم يحصل ذلك .

س — الم تجتمعوا ابدا فى قشلاق عابدين وتحلفوا ذلك اليمين .

ج — توجهت لقشلاق عابدين اربع دفعات فقط اثناء حادثة الجراكسة .

س — الم تجمع الضباط وتحلفهم .

ج — نعم جمعتهم لما سمعت بحضور على باشا نظامى الى مصر ، وكان شائعا ان ضباط العسكرية عازمون على تقديم عريضة الى الباشا المشار اليه ، فعرضت الى الحضرة الخديوية ، واخبرت سعادة شريف باشا بذلك وجمعتهم وحلفتهم على انهم لايقدمون شكايا وانهم يتجاوزون عن كل شيء .

س — اين جمعتهم

ج — عندى فى المنزل ، وفى الواقع حلفوا بعدم تقديم شكايا ، وترتب على ذلك توجه الاى احمد عرابى لرأس الوادى ، والاى عبد العال لدمياط ، لاجل عدم وجودهما بمصر فى وقت حضور على باشا نظامى .

س — بما حلفتهم .

ج — انا حلفتهم على المصحف وعلمت بذلك الوقت ، انه سبق تقديم عريضه للباب العالى من احمد عرابى وعبد العال واحمد عبد الغفار .

س — السبب الذى ذكرته ان تحليفك اليمين لهم هو لعدم تقديم شكوى لعلى باشا نظامى ، لم يكن مقبولا ، لان الباشا المشار اليه ، لم يحضر الا للنظر فى حالة الضباط واستماع اقوالهم .

ج — الذى بلغنى هو ان فى عزم الضباط تقديم شكاوى ، واخبرت الحضره الخديوية وشريف باشا بذلك ، واستحسنا جمعهم وتحليفهم اليمين وخصوصا الحضرة الخديوية التى سبق لها ايضا جمع الضباط وتحليفهم .

س — قلنا لك انك لما كنت رئيس مجلس النظار ، جمعت الضباط فى قشلاق عابدين وحلفتهم يمينا ، فقل ما الحقيقة .

ج — لم ادخل لقشلاق عابدين لما كنت رئيس مجلس النظار ألا بعلم الحضرة الخديوية . ولم اجمع فى ذلك الوقت الضباط واحلفهم يمينا .

س — الم تتذكر ان الشيخ محمد عبده فى قشلاق عابدين ، حلفهم اليمين على المصحف فى حضورك وبناء على طلبك .

ج — لم يحصل ذلك .

س — يعقوب باشا سامى والشيخ محمد عبده كانا حاضرين فى القشلاق، وقالا انه صار جمع الضباط وتحليفهم اليمين بمعرفة احدهما ، الشيخ محمد عبده ، بناء على امرك وطلبك وبحضورك بالقشلاق ، فاذا حضرا واقرا بذلك امامك ، فما قولك .

ج — اذا حضرا وقالا ذلك اكذبهما .

(بناء على هذا الجواب تقرر طلب الشيخ محمد عبده من السجن ، فطلب وحضر وساله سعادة الرئيس الاسئلة المحررة اثناه ، فاجاب بما يأتى) :

س — لما سألناك الان عما اذا كنت توجهت لقشلاق عابدين ، وحلفت الضباط الذين كانوا مجتمعين هناك يمينا بحضور محمود باشا سامى ام لا ، فماذا قلت ؟

ج — قلت نعم حصل .

س — محمود باشا انكر ذلك .

ج — فى مدة وزارته توجهنا للقشلاق ، وكان معى محمود باشا وصار تحليف الضباط وهو حلف ايضا .

س — ماذا تقول يا محمود باشا .

ج — اقول ان هذا لم يحصل . نعم توجهت للقشلاق مرارا ، ولكن لم يكن الشيخ محمد عبده معى .

س — صار تحليف الضباط ام لا .

ج — الضباط حلفوا جملة يمينات ، لكن بغير واسطتى .

س — نحن نسألك عن الذى كان بواسطتك وحضورك .

ج — لم يحصل ذلك البتة ، والشيخ محمد عبده يكذب .

س — ماذا تقول يا شيخ محمد .

ج — اقول انه طلبنى وتوجهنا ، وحلف الضباط اليمين على مصحف كان موجودا هناك ، وجميع الحاضرين وضعوا ايديهم عليه وبالجملة هو.

(ثم ان الشيخ محمد عبده اعيد للسجن واستحضر طلب يعقوب باشا سامى من السجن فطلب وحضر وساله سعادة الرئيس الاسئلة المحررة اثناه فاجاب عنها بما يأتى بمواجهة محمود سامى) :

س — انت اخبرتنا انه بعد خروج الضباط من منزل عمر رشدى فى احدى الليالى ، توجهوا الى قشلاق عابدين، وكان محمود باشا سامى هناك وحلفوا يمينا ، ولما سألنا محمود باشا عن ذلك انكر ، فماذا تقول .

ج — الانكار عيب منه .

ثم التفت يعقوب باشا الى محمود باشا وقال له الم تحلف معهم ، فاجاب محمود باشا حلفت بدلا من الدفعة خمسا ، بعضها فى القشلاق ، انما لم يكن بالصفة التى ذكرت .

س — الم تحلف وانت رئيس مجلس النظار ، مع الضباط بالكيفية التى ذكرت .

ج — لم اتذكر انه حصل ذلك قبلها .

س — لما تعينت للصالحية ، قلت لنا انك امتنعت دفعتين ، وانه فى الدفعة الثالثة قبلت بسبب تهديد يعقوب

باشا لك ، ولما سئل يعقوب باشا عن ذلك ، قال انه لم يحصل منه تهديد لك ، بل انت توجهت برغبتك، فما تقول .

ج ـ نعم عند تعييني للصالحية ، حضر تلغراف لي وتلغراف آخر لوكيل الجهادية ، فتأخرت يومين فحضر تلغراف من احمد عرابي بخصوص تأخيري ، فتوجهت لطرف يعقوب باشا واستشرته ، فقال لي انه لايصح التأخير ، ولم اقل انه هددني .

س ـ هل سافرت اذن متطوعا برغبتك

ج ـ كانت الحالة وقتئذ حالة حرب ، وكان موجودا مجلس عرفي ، فهل تعين احد وتأخر .

س ـ انت قلت ان يعقوب باشا هددك.

ج ـ لم اقل ذلك ، بل قلت انى سألت يعقوب باشا عما اذا كان يصح الامتناع ام لا فأجابني سلبا .

س ـ هل كان عندكم خوف من يعقوب باشا سامى ام لا ، فانك قلت لنا انك كنت خائفا منه .

ج ـ لم اكن خائفا منه ، بل استصحبته، انما كان عندى خوف من غيره .

« عند ذلك قال يعقوب باشا »

ج ـ حضر جوابات احدهما لى بأن محمود باشا تعين للصالحية والاخر باسمه ، وتكلفت بأرساله اليه ، فبعثت به اليه ، وهو توجه طوعا .

« ثم سأل سعادة الرئيس محمود باشا ما يأتى » :

س ـ موجود تلغرافات منك ، تثبت عدم وجود خوف عندك ، بل تثبت الاهتمام الزائد منك .

ج ـ قلت ان عندى خوف من عبيد ، لانه اشهر السيف على فى منزلى فى احدى المرات ، ونفس عرابى كان خائفا من ضباط آخرين .

س ـ ها هى التلغرافات ستتلى عليك (تلى عليه التلغراف الاتية صورته وهى) من سامى لعرابى ، ان وافق يسأل من احمد بك ناشد المهندس ، عما اذا كان يمكنه تغريق اراضى الشرقية والقليوبية بواسطة قطع جسور الشرقاوية والترعة الاسماعيلية كى لا يكون للعدو طريق لمصر خلاف الخانكة (ثم سئل عما اذا كان كتبه ام لا فأجاب) .

ج : نعم كتبت هذا التلغراف .

س : لم كتبته .

ج : حيث اننا كنا نحارب ويلزم اجراء جميع ما تقتضيه المحاربة .

س : قلت انك توجهت على غير رغبتك فانك لو تمكنت من الهرب لهربت ، فمن كانت هذه افكاره ، لا يحرر تلغرافا مثل ذلك .

ج : هذا التلغراف حررته جوابا لاحمد عرابى عن تلغراف سبق وروده الى منه بالاستفهام .

س : « موجود تلغراف آخر وتلى عليه وها هى صورته » من سامى الى عرابى « انه لا يجوز السكوت لحد الصباح عن قطع السكه الحديدية قطعا مهولا من فوق منيا القمح وبلبيس حالا ، مع قطع جسور ترعه الشرقاويه وترعة الاسماعيلية لاجل غرق الشرقية والقليوبية حالا قبل طلوع الصباح ، وذلك يكون بمعرفة مرعشلى باشا ، واحمد بك ناصف المهندس ، واظن انهما الان موجودان فى مصر واخبرونا حالا عن راى سعادتكم » .

ج : هذا التلغراف منى ايضا ومماثل للاول ، فان المذاكرة كانت جارية فى جميع اجراءات المدافعة ، وكان قد عمل بلان بمعرفة اركان حرب بجميع النمط لغاية اصوان .

س : لما سألناك عن المذاكرة التى حصلت بشأن النوته ، وطلب النواب فى مجلس النظار ، احلت عليها المحاضر فأين هذه المحاضر وماذا جرى بها .

ج : موجودة فى طرف احمد بك رفعت

س : هل اخذت من النظارة وتسلمت لاحمد بك رفعت

ج : لم تؤخذ بل بقيت هناك عنده .

س : منها اربعة محاضر مختصة بالخلاف الذى حصل بينكم وبين الحضرة الخديوية ، فهل بقيت هذه عند احمد رفعت .

ج : نعم

س : وبعد حصول الصفح عنكم من الحضرة الخديوية ، هل حصل ابطال الاربعة محاضر المذكورة وتحرر بدلها .

ج : لم يحصل ذلك .

س : قل لنا على اى شيء كانت تحتوى هذه المحاضر

ج : على الخلاف الذى كان حاصلا

س : هل تريد ان تقول لنا ما بها ام لا

ج : ذات المحاضر موجودة ، فيمكن طلبها والاطلاع عليها .

س : قل لنا الى اين توجهت فى يوم ٢٢ يوليو سنة ١٨٨٢ وبين لنا المحلات التى ذهبت اليها .

ج : فى الصباح توجهت لباب شرقى ، وبعد الظهر خرجت من الباب الشرقى مع عمر رحمى وتوجهنا بعربة الى المنشية .

س : الم تقل شيئا لمأمور الضبطية فى ذلك اليوم .

ج ـ لم اره .

س : الم تطلب معاونا من الضبطية

ج : لم اطلب .

س : الم ترسل جاويشية لهناك

ج : لم أرسل ، فانه قيل ان الضبطية كانت مقفولة فى ذلك اليوم .

س : لما توجهت الم تر ما كانت تفعل العساكر

ج : لما وصلت هناك ، طلبت سليمان سامى وقلت له انى رأيتك متهورا فى باب شرقى ، وخشيت ان تفعل شيئا فحضرت الان ونصحتك ، واقول لك الحذر من حرق البلد

س : من كان موجودا لما قال سليمان سامى ، انه مزمع على حرق البلد .

ج : عيد بك وعمر بك رحمى ، ولم اتذكر ان فرج الذكر كان موجودا ، انما اعلم انه يعرف حقيقة المسألة .

(بعد ان اجاب بذلك اعيد الى السجن فى ٢٦ القعدة سنة ١٢٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء ٢٧ القعدة سنة ١٢٩٩ الموافق ١٠ أكتوبر طلب محمود سامى من السجن ، فسئل واجاب كما هو موضح ادناه) .

س : علم لنا ان حضرتك واحمد عرابى والضباط خلافكم ، حضرت لهم صور حليم وعليها كتابة من خلف ، فهل حصل ذلك .

ج : لم يحضر لى صور ، انما بلغنى حضور صور لم اعلم لمن ، وبلغنى ايضا انه حضر جواب من حليم باشا وضبط فى البوسطة وفتح وقرىء بالمجلس العرفى ، ولم اعلم باسم من كان .

س : لم يعط لك صورة عثمان باشا فوزى .

ج : لم تعط لى .

س : هل تعرف شخصا يدعى على راغب قبطان ، وهل حضر لمنزلك .

ج : نعم اعرفه وحضر لمنزلى منذ كان يحضر عرابى لطرفى ، وكان يحضر جوابات اليه .

س : علم القومسيون ، انك كنت تعطيه الجوابات لاشخاص بالاستانة ويحضر لك ردها ، فأفد من ذلك .

ج : لم اعطه جوابات ، ولم يحضر لى شيئا .

س : لم يحضر لك جوابات من احمد ظافر ، وبسيم بك ، واحمد اسعد .

ج : لم يحضر لى ، ولم اعرف بسيم بك ، ولا احمد ظافر ، بل بلغنى انه يوجد شخص يدعى الشيخ ظافر بالاستانة ، اما احمد اسعد فلم اعرفه ، الا بعد حضوره لمصر .

س : علم لنا ان الضباط كانوا مجتمعين فى منزلك فى احدى الليالى ، ونادوا بخلع الخديوى الافخم ، فأفد عن ذلك :

ج : معاذ الله

(واذن له بالانصراف واعيد الى السجن فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٩٩)

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الثلاثاء فى ٤ الحجة سنة ١٢٩٩ ، جرى احضار محمود باشاسامي من السجن وسئل فاجاب بما ياتي) .

س : حيث انه ثبت للقومسيون ؟ ان سليمان سامى هو الذى باشر بالايه نهب وحرق الاسكندريه ، وحيث انك كنت موجودا في الاسكندرية في ذلك اليوم ، فلابد أن يكون لك معلومات في هذا الشأن ، ولابد ان يكون بلغك من الذى امر سليمان سامى باجراء ذلك .

ج : ان الحقيقة هى ما سبق فاوضحته للقومسيون عند استجوابى قبل الان

س : يتصور انه لم يكن لك معلومات فى هذا الشأن ، فانك فى ذلك اليوم كنت بباب شرقى وتوجهت للمنشية ورأيت سليمان سامى ، ورأيت العساكر خارجين من الباب بالمنهوبات ولابد ان يكون روى لك ان سليمان سامى فعل ما فعل برضاء الجميع من الرؤساء ام لا .

ج : حقيقة انى رأيت سليمان سامى وتوجهت للمنشية ، ورأيت العساكر خارجين بالمنهوبات ، ولكن لم اعلم ان كان فعل سليمان سامى برضاء من ذكروا أم لا .

س : ان الذى حصل من الحريق والنهب مثبوت ، وكنت أنت بالاسكندرية ، وحيث انك من اعظم الرجال ، فلابد ان تكون سألت عن ذلك ، والاصوب ان تقدم لنا التوضيحات اللازمة .

ج : قلت انى لم اتوجه الا بصفة متفرج وتصادف حصول ما حصل بوجودى هنالك ، **فلا اكون اذن مسئولا عن** ذلك .

س : لا يعقل ان الضباط الصغيرين هم الذين وضعوا النار من تلقاء انفسهم **مع وجود الميرالايات وناظر الجهادية ، فبين لنا صراحة ، بامر من حصل الحرق والنهب ، سواء كان بحسب** الفكر او السمع .

ج : لم اسمع احد امر بذلك ، وأفتكر ان سليمان سامى هو الذى اجرى ذلك من تلقاء نفسه ، لانه قيل لى من بعض الضباط ، ان منزل سليمان سامى كان حرق قبل هذا اليوم ، وهو اذن حرق البلد انتقاما .

س : من الذى حرق منزل سليمان سامى فان المعلوم ان قنابل البواخر الانكليزية ، لم تحرق محلا ما .

ج : لم اعلم ان كان منزل سليمان سامى حرق من القنابل ، أم من غيرها .

س : معلوم لك وللجميع ، ان سليمان كان حكمدار آلاى فقط ، وكان موجودا فى ذلك الوقت غيره من الميرالايات واللوايات وانت وناظر الجهادية ، فكيف يتمكن من الحرق ، ولم يعارضه احد ممن ذكر .

ج : الذى اعلمه سبق ابداه للقومسيون

س : قبل توجه سليمان سامى للمنشية **بالالاى . كان موجودا احمد عرابى فى باب شرقى ، وموجودا انت ايضا** فكيف لم تعارضه .

ج : لم اكن متذكرا انه حصل ذلك ، **والذى اتذكره هو انه فى يوم الاربعاء** صباحا حضر لنا طعام الفطور ، وكان حاضرا احمد عرابى وسليمان سامى وعمر رحمى ، وعيد بك ، وبعد تعاطى الاكل ، خرج سليمان سامى ولم اعلم اين توجه .

س : هل كان محمود فهمى موجودا معكم

ج : لم اكن متذكرا

س : الم يحصل مذاكرة فى اثناء اجتماعكم كما ذكرت ، فى شأن حرق البلد ، وقر راى بعضكم على ذلك ، وربما تكون حصلت معارضة منكم .

ج : لم تحصل المذاكرة .

س : ثبت من التحقيق انه فى ذلك اليوم كان معقودا مجلس ، وكان احد المعاونين واقفا على الباب يمنع من يريد الدخول ، فيماذا كانت المذاكرة

ج : لم نعقد مجالس .

س : هل تنكر أنهم كانوا مجتمعين

ج : لا انكر ذلك .

س : لماذا كانوا مجتمعين .

ج : كانوا يتكلمون فى شأن الحرب وما حصل فيه ، وكان احمد عرابى موجودا ، وعمر رحمى مشتغلا بكتابة واظن ان سليمان سامى كان موجودا اثناء الاكل فى الصباح .

س : الم يحصل كلام فى شأن اخلاء البلد .

ج : احمد عرابى كان حلف يمينا بعدم الخروج من البلد ، ولكن الساعة ١١ كان المذكور واقفا فى الباب يمنع الناس من الخروج ، وانا كنت جالسا بعيدا مع شخص أوروباوى يسمى نينه ، ثم رأيت آلاى عيد بك الذى كان موجودا هنالك خارج البلد ، فسألت أحد الضباط عن السبب ، فقال لى ان واقب باشا حضر لباب شرقى ، وامر باخراج العساكر من البلد ، وتوجههم الى حجر النواتية.

س : ماذا عملت اذن فى ذلك اليوم.

ج : انا توجهت بصفة غير رسمية اعنى انى لم اكن متوظفا ، واحمد عرابى لم يكن طول النهار فى باب شرقى، بل توجه للرملة ، وفى الوقت الذى وجد فيه فى باب شرقى ، كان واقفا خارجا ، ومع ذلك سأقول لكم ماذا حصل فى الصباح . فانه فى الصباح حضر احمد عرابى وتكلمنا فيما حصل ، ثم حضر الفطور ، وبعد تناول الطعام حضر احد الجاويشية وقال انه حصل ضرب ، فخرج احمد عرابى الى جهة البحر وانا بقيت .

س : قيل من ابراهيم فوزى انك انت ومحمود فهمى ، ارسلتماه مع نسيم بك لسليمان سامى ، ليقول له ان لا يحرق البلد ، فهل هو حقيقى .

ج : لم أرسله

س : لما نزلتم فى الرقاص مع احمد عرابى ، وبعد جلوسك برهة من الزمن ، عزمت على السفر لمصر ، فعند وداعك لاحمد عرابى ، قال لك عند وصولك لمصر ، انظر هذا الشغل مع يعقوب باشا فما هذا الشغل ،

ج : لم يحصل ذلك .

س : لما قضيتم ليلة الخميس فى نمرة ٣ هل كان معكم ابراهيم فوزى

ج : نعم كان معنا .

(ثم اعيد الى السجن فى ٤ الحجة سنة ٩٩)

« بناء على ما تقرر يوم ٦ ذى الحجة سنة ٩٩ ، جرى احضار المذكور من السجن ، وسئل فاجاب بما هو آت)

س : مذ كنت فى باب شرقى فى يوم ١٢ يوليه سنة ١٨٨٢ وحضر احمد عرابى هل قلت له شيئا عن النهب والحريق الذى كان جاريا بالاسكندرية ، وان كنت قلت له ، فما الذى قاله لك ؟

ج : قلت له تفصيلات المسألة ، وقال طيب .

س : هل عندما كان عرابى يحجز العالم عن الخروج من الاسكندرية ، كان هذا الحجز للعساكر خاصة أو العساكر والاهالى معا .

ج : كان يحجز جميع الخارجين من عساكر واهالى

س : حينئذ كان مرامه رجوع الاهالى الى الاسكندرية ثانيا .

ج : لا ادرى انما كان يحجز الجميع فى الباب .

س : من المعلوم ان اشخاصا كثيرين ، خرجوا وقتها ، فكيف كان خروجهم اذا كان العرابى مانعا ذلك لجميع الناس .

ج : لا أدرى لانى لما قلت له ما ذكر ونظرته ، يأمر بالحجز ، ويجرى ما توضح تركته .

س : فى اقوالك السابقة ، اوضحت انك توجهت مع عمر رحمى الى المنشية لاجل منع النهب والحريق ، فهل تعلم ان كان عرابى امر احدا بمنع اجراء ذلك ام لا .

ج : لا أعلم

س : حيث انك كنت فى باب شرقى فبالضرورة انه اذا كان احمد عرابى أمر بشيء كان يعلم اليك .

ج : ما نظرت شيئا ، ولا أعلم أن كان امر او لم يأمر .

س : حيث أنك نظرت الناس خارجين من باب شرقي ، وقابلت عرابي عند حضوره من الرمل ، وقلت له الكيفية ونظرته ، أمر بحجز الناس ، فبالضرورة لو كان أمر بمنع النهب او الحريق كنت تعلمه .

ج : لا اعلم صدور شيء منه بخصوص ذلك ، واذا كان أصدر أمرا بما ذكر وسمعته ، لما كنت أتأخر من ايضاحه انما حيث ان الذى اجرى حرق الاسكندرية بعد نهبها هو سليمان سامى ، ومثبوت ذلك عليه ، وهذا له رؤساء اكبر منه ، مثل لواء وفريق وناظر جهادية ، وهؤلاء كلهم كان الواجب عليهم منعه أو محاكمته ، فلأى سبب تركوه من المسئولية والمحاكمة على ذلك .

س : هل نظرت عيد بك يتكلم مع احمد عرابى فى باب شرقى .

ج . كان يتكلم معه كثيرا ، وجملة مرار لانه كان موجودا بالآلاي هناك .

س : هل لم يخبرك عيد بك ، ان احمد عرابى نبه عليه او امره بارسال عساكر لمنع النهب والحرق .

ج : لم يخبرنى .

س : اذا كان صدر امر من عرابى الى عيد بك بماذكر ، فهل كان يعلمك به .

ج . ضرورى كنت اعلمه ، او انا كنت انظر العساكر حال توجهها .

س : أوضحت أولا ان عمر رحمى توجه للمنشية دفعتين ، اولاهما بمفرده والثانية معك . والمعلوم ان عمر رحمى كان حائزا لثقة احمد عرابى به ، ومعتبرا عنده ، فما الذى يكون أجراه عمر رحمى لما توجه .

ج : انه كان يخبر سليمان سامى ، بعدم اجراء شىء من الضرر والنهب والحرق ، ويريه انه لوجود الآلاي فى المنشية ، فالواجب انه يحافظ على البلد ، ولا يجرى فيها شيئا مضرا .

س : اما كان مع سليمان سامى عسكر سوارى

ج : لا اعلم

س : هل أحمد عبد الغفار كان موجودا بالآلاي السوارى بالاسكندرية .

ج : لا .

س : هل اورطة المستحفظين التى بها عساكر سوارى ، كانت تحت امر سليمان سامى .

ج : لا اعلم .

س : المظنون ان سليمان سامى ، لم تكن تحت أوامره عساكر المستحفظين ، لانه حكمدار الآلاي مخصوص وقومندان عساكر الاسكندرية هو طلبه عصمت .

ج : نعم أظن ذلك أنا ايضا .

(أعيد الى السجن فى ٦ ذى الحجة سنة ٩٩) .

(بناء على ما تقرر بجلسة يوم الخميس ٢٠ الحجة سنة ٩٩ ، طلب محمود باشا سامى من السجن ، وسئل فاجاب كما يأتى) :

س : هل حصلت مخاطبات بينك وبين الاستانة .

ج : لم يكن لى مخاطبة مع احد ، ولو انى اعرف كثيرين هناك .

س : الم تكاتب أحدا من المابين

ج : لم اكاتب احدا .

س : الم تعرف واحدا من رجال المابين يسمى محمود بك

ج : لم أعرفه .

س : الم ترسل اليه جوابات

ج : لم ارسل

س : هل تعرف على راغب

ج : اعرفه

س : الم تكلفه بتوصيل جوابات للاستانة

ج : لم اكلفه .

(بناء على هذا الجواب استصوب طلب على راغب لمواجهته بمحمود باشا فحضر وسئل كما يأتى) :

(سؤال الى على راغب)

س : لما سألنا محمود باشا قال انه لم يسلم اليك جوابات لتوصيلها للاستانة فماذا تقول :

ج : محمود باشا سلمنى جوابا لمحمود بك ، مختوم بخمسة اختام من شمع احمر ، عندما كان فى منزله يوم كان عيانا وكان عنده احمد عرابى وعيد بك وشخص ثالث ، لم اتذكر ان كان عمر رحمى ام خلافه ، فاسألوا ايضا أحمد عرابى عن ذلك

(سؤال الى محمود باشا)

س : ماذا تقول

ج : لم اكن متذكرا انى سلمت اليه جوابات ، وان كان موجودا جواب احضروه لى .

(سؤال الى على راغب)

س : هل انت متحقق ما قلته

ج : نعم سلمنى جوابا لمحمود بك الذى اخبرت عنه ، وقال لى اوصل هذا الجواب له ، وبلغه سلامى .

(سؤال الى محمود باشا)

س : ها هو على راغب ، حقق انك سلمته الجواب القائل عنه

ج : انى لم أعرف محمود بك ابداحتى انه اذا حضر الان لا اعرفه ، انما اعرف ضباطا كثيرين ، ولكنى لم اكاتبهم

س : موجود جواب باللغة التركية وعليه امضاء عبد الرحمن باشا الصدر الاعظم وهاهى صورة ترجمته باللغة العربية .

« صورة ترجمة ورقة تركية عليها اسم عبد الرحمن بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٢٩٩ »

« تلغرافكم المحتوى انكم بكمال الرغبة منتظرون ورود المأمور المخصوص من طرف الدولة العلية ، وان الضباط الموجودين هناك ، يتقولون علينا بالمحافل ، على ان الامر الذى سيصدر من طرف الدولة العلية ، اذا لم يكن موافقا لمزاجهم يردونه ، والمذاكرة جارية هنا عما سيلزم اجراؤه بشأن مصر ، واللازم على المؤمنين الموحدين الذين يقولون لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، انهم يقبلون ولا يردون الاوامر التى ستصدر من طرف الدولة العلية لان الدين والملة فى شرع الاسلام لامر واحد ، كما هو لدى الملل المغايرة للجنسية الاسلامية ، ولهذا فاهل الايمان مكلفون بالاخوة والطاعة والاجتماع على كلمة التوحيد ، فهل حضر اليك هذا الجواب » .

ج : لم يحضر لى ولم أره

س : موجود جواب آخر من على راغب وها هو فهل اطلعت عليه (وصورة الجواب معيدة فى محضر على راغب)

ج : لم اطلع عليه

س : الم تعرف الشيخ ظافر

ج : لم أعرفه ، انما سمعت عنه وبلغنى ان اخاه او احد اقاربه موجود بمصر

س : الم تعلم ان كان بينه وبين احمد عرابى مكاتبات

ج : نعم اعلم .

س : الم تعلم بخصوص اى شىء

ج : لم أعلم

(بعد ذلك اعيد الى السجن)

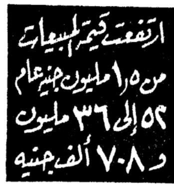
اعضا	اعضا	اعضا
محمد مختار	مصطفى خلوصى	سليمان يسرى
اعضا	اعضا	اعضا
مصطفى راغب	محمد حمدى	سعد الدين
اعضا	اعضا	اعضا
محمد ذكى	يوسف شهدى	على غالب

اسماعيل ايوب
رئيس القومسيون

تواصل الطليعة نشر النصوص الكاملة لمحاضر التحقيقات مع رجال الثورة العرابية

قصة الجمعية التعاونية للبترول .. و ٣٢ عاما من الكفاح

بدأت الجمعية نشاطها برأسمال قدره ٩٣٢ جنيها فقفز إلى ١٦ مليون جنيه




اكبر شبكة من محطات الخدمة والتموين لخدمة المواصلات ..

فى غمرة الانتصارات الثورية ، والمكاسب الاشتراكية ، والنهضة الصناعية التى حققناها فى كل قطاع ، ينبغي علينا ان نعود قليلا الي الماضى ، نستعرض تاريخنا ، لنعرف كيف كنا . ومن خلال الطريق الشاق الذى قطعناه ، وسنوات الكفاح التى ناضلناها . نستطيع أن نزيد من اكتشاف انفسنا ، ومعرفة قوتنا ومقدرتنا على صنع الحياة .. والمستقبل ..

والحديث عن سنوات الكفاح .. طويل ، لا تكفى المجلدات لتسجيله .. ولذلك .. سنقتصر الحديث هنا عن قطاع من اهم القطاعات وهو « البترول » ، الذى يمثل بالنسبة لكل دولة فى العالم دعامة صناعية واقتصادية كبرى ..

رحلة .. مع التاريخ ..

والان .. سنبدأ رحلتنا مع التاريخ .. من عام ١٩٣٤ .. كانت صناعة البترول فى هذا العام وما قبله فى قبضة مجموعة من الاحتكاريين الاجانب ، الذين ضربوا حولها بسياج من حديد ، منعوا الدخول اليه كل عناصر مصرية وطنية ..

وبقدر حرص الشركات الاجنبية وجهودها فى سبيل وقف الاشتغال فى هذه الصناعة عليهم وحدهم ، كان اصرار العناصر الوطنية فى اختراق هذا الحصار الرهيب .. وبقوة الايمان والعزيمة . تحول الامل الى حقيقة . وولد اول مشروع وطنى ، يرفع وسط الشركات الاجنبية راية مصر فوق اسم « الجمعية التعاونية للبترول » .وكان عدد اعضائها المؤسسين ٦١ جمعية تعاونية زراعية ومنزلية ..ثم فتح باب انضمام الافراد اليها طبقا للقانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ .. وفى شهر مايو سنة ١٩٦٣ صدر القرار الجمهورى بتحويلها الى شركة مساهمة عربية ، ليساهم فى تدعيمها كل الشعب .. افرادا وشركات ، سواء الذين يعملون فى مجالات التعاون او الذين يعملون فى مجالات انتاج اخرى ..

راس المال ١٦ مليون جنيه

اما راس المال الذى بدأت به الجمعية عام ١٩٣٤ ، فقد كان ٩٣٢ جنيها فقط . ارتفع فأصبح ١٩٫٩٠٠ جنيه فى عام ١٩٣٦ ثم ٩١٫٤٧٢ جنيه فى عام ١٩٤٦ ثم الى ٢٥٠ الف جنيه عام ١٩٥٢ .

وفى ظل الثورة ، قفز بصورة خيالية ، اذ اصبح ٣ مليون و ٨٩٠ الف جنيه فى عام ١٩٥٧ ثم قفز الى ٩ مليون و ٣٤٤ الف جنيه فى عام ١٩٦٠ ، ثم الى ١٦ مليون جنيه عام ٦٤/٦٥ ..

٣٥ — ١٩٣٦

ويعتبر عام ١٩٣٥ .. هو بدء النشاط الحقيقى للجمعية التعاونية للبترول ، اذ انشأت اول مستودع للمواد البترولية فى المكس بالاسكندرية . ثم تعاقدت مع شركة البراهوفا الرومانية على أن تورد لها المواد البترولية ..

وفى ٢٦ مايو ١٩٣٦ .. تلقت مستودعات الجمعية اول شحنة من المواد البترولية ، وفى اول يونيو من نفس العام ، انطلقت اول عربة بترول تحمل الكيروسين الى الجمعية التعاونية الزراعية بالمطيعة ، ثم انطلقت عربة اخرى الي الجمعية التعاونية الزراعية بمنطقة بلتيان بالقليوبية .

ولم تكن المهمة سهلة امام الجمعية وسط الشركات الاجنبية الاحتكارية ، فقد تحولت المنافسة الى صراع ، كللت فيه جهود الجمعية بالنجاح والتوفيق ، تمثل فى زيادة مبيعاتها ، وانخفاض ارباح الشركات الاجنبية بالتدريج من ٧٥٪ الى ٣٦٪ ثم الى ٢٤٪ واخيرا الى ١٦٪ ، وذلك نتيجة خفض الجمعية التعاونية للبترول لاسعارها ، حتى تضع حدا لاطماع الشركات الاحتكارية .

المبيعات ٣٦ مليون و ٧٠٨ الف جنيه

وعلى الرغم من هذه الظروف ، سجلت ارقام المبيعات فى عام ١٩٣٦ (١٤ الف طن) ارتفعت الى ٩١٤٧٢ طن فى عام ١٩٤٦ ، وفى عام ١٩٥٢ قفزت الى ٧٠٠٠٠ طن قيمتها ١٫٥٣٨٫٢٤٣ جنيه ، ثم الى ١٫٣٩٠٫٩٨٧ طن قيمتها ١٦٫١٠٫١٦٨ جنيه فى عام ١٩٥٧ ثم الى ١٫٦٧٧٫٨١٢ طن قيمتها ٢٤٫٥٨٩٫٠٠٠ جنيه فى عام ١٩٦٠ ، ثم حققت انتصارها الكبير فى عام ٦٤/٦٥ عندما قفزت المبيعات الى ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ طن قيمتها ٣٦ مليون و ٧٠٨ الف جنيه .

اما سعة التخزين ، فلم تتعد ١٢ الف طن فى عام ١٩٣٦ ، فارتفعت الى ١٤ الف طن عام ١٩٤٦ ثم الي ١٥ الف طن فى عام ١٩٥٢ ..

بدأت بعد ذلك مرحلة انطلاقها فوصلت الى ١٥٠ الف طن عام ١٩٥٧ ثم الى ٢٢٥٫٨٤٣ طن عام ١٩٦٠ ثم الي ٢٥٠ الف طن عام ٦٤/٦٥ .

١٩٤٠ – ١٩٥٢

وفى خلال الفترة ما بين ١٩٤٠ و ١٩٥٢ ، استطاعت الجهود الوطنية بالجمعية ان تحقق نشساطا وتقدما ملحوظا . دعمته الثورة عندما قامت فجر يوم ٢٣ يوليو ، فبينما انشأت خلال الاثنى عشر عاما السابقة للثورة ١٧ محطه خدمة وتموين حتى عام ١٩٥٢ نجد ان عدد محطات الخدمة والتموين يرتفع حتى يصل الى ١٩٧ محطة عام ٦٤ – ٦٥ فى القاهرة والاقاليم .

والحديث عن العاملين بالجمعية يدعونا الى التأمل فى الزيادة المضطردة فى عددهم والاجور التى يتقاضونها فقد كان عدد العاملين بها فى عام ١٩٣٦ وهو ٣٥ فردا ارتفع الى ١٨٢ فردا فى عام ١٩٤٦ ثم الى ٣٠٠ فرد عام ١٩٥٢ ثم الى ٢٤٠٠ فرد سنة ١٩٥٧ ثم الى ٤٤٦٢ سنة ١٩٦٠ وفى عام ٦٤ – ١٩٦٥ قفز الى ٥٩٠٠ فرد . اما اجورهم ، فقد بلغت فى عام ١٩٥٢ مبلغ ٢٥ الف جنيه، فقفزت واصبحت ٢ مليون و ١٠٧ جنيه فى عام ٦٤/٦٥ .

وكان طبيعيا بعيد ان استطاعت الجمعية ان تشق طريقها بقوة ونجاح ، ان تبادل الخبرات والتجارب مع المؤسسات الدولية التى سبقتنا فى هذا المضمار ، فانضمت فى عام ١٩٤٩ الى عضوية الجمعية التعاونية الدولية فى امريكا ، ثم انضمت فى عام ١٩٥١ الى عضوية الاتحاد التعاونى العام بلندن ، وكان هذا التاريخ ، هو بداية معرفة العالم حقيقه الحركة التعاونية البترولية ، التى شقت طريقها فى مصر بنجاح واصرار ..

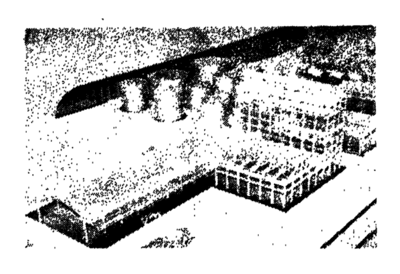
١٩٥٢ .. عام الثورة ..

وفى عام ١٩٥٢ .. بدأت الجمعية التعاونية للبترول عهدا جديدا .. بعيدا عن القلق من المنافسات الاجنبية ، فقد كانت مبادىء واهداف الثورة كفيلة بان تهيىء لها الجو النقى الذى تعمل فيه، لتحقيق اهداف الدولة الكبرى ، بتحرير البترول وصناعته من كل سيطرة اجنبية، حتى يصبح بترول العرب . للعرب .

ومن هنا .. بدأت الانطلاقة الكبرى، بارتيادها ميادين جديدة ، كان يحتكرها الاجانب .

فى عام ١٩٥٧

ففى عام ١٩٥٧ .. تولت الجمعية التعاونية للبترول اعمال تموين السفن، وقامت بهذه المهمة بنجاح انتزع اعجاب الخبراء العالميين ، وهى تملك الان ٩ ناقلات تعمل فى موانىء الاسكندرية والسويس وبورسعيد



مستودعات ضخمة تبلغ سعتها ٢٥٠٠٠ طن .

وقد بلغت قيمة مواد ووقود السفن التى تولت تموينها فى عام ١٩٦٠ مبلغ ٥٧٧ر٤٥١ جنيه ، وقد بلغت قيمة هذه العمليات عام ٦٤/٦٥ – ٢ مليون جنيه بالعملات الاجنبية . كما عقدت عدة اتفاقيات مع كبرى شركات البترول لتبادل الخدمات معها .

وفى عام ١٩٥٧ ايضا ، اشترت الجمعية الشركة المصرية للغازات السائلة واعادت تنظيمها ، وتم الاتفاق مع المصانع الحربية على تصنيع الافران ، ثم مع هيئة الطيران على تصنيع السخانات، وقد بلغت قيمة ما وفرته للدولة نتيجة لذلك مبلغ مليونين من الجنيهات بالعملات الصعبة .

كما قامت الجمعية بانشاء ٣ محطات لتعبئة الغاز السائل (البوتاجاز) بالقاهرة والسويس والاسكندرية ، هذا الى جانب مراكز التوزيع المنتشرة فى جميع البلاد ومختلف الاحياء .

وقد حققت الجمعية فى هذا الميدان نجاحا كبيرا يبدو من تطور الارقام ، اذ بلغ عدد الاسطوانات التى كانت توزعها فى عام ١٩٥٢ (٣٠٠ الف) اسطوانة ، فارتفع الرقم الى مليون و ٧٥٠ الف اسطوانة فى عام ١٩٦٠ ثم تقفز الى ٤ مليون و ٧٠٠ الف اسطوانة فى عام ٦٤/٦٥ .

عام ١٩٦٦

وفى عام ١٩٦٦ .. قامت الشركة بتنفيذ اول مشروع من نوعه لخلط الزيوت المعدنية بمختلف انواعها . طبقا لاحدث المواصفات العالمية .

وعندما اكتشفت المؤسسة المصرية العامة للبترول اننا نستهلك ٧٠ الف طن سنويا من الزيوت المعدنية نستوردها من الخارج بالعملات الصعبة ، وان هذه الزيوت يزداد معدل استهلاكها عاما بعد عام مع التطور الصناعى ، لتشغيل المحركات المختلفة .

فقد تقرر تصنيع الزيوت محليا لتحقيق الاكتفاء الذاتى ، فانشأت شركة السويس لتصنيع البترول اول معمل لها ضمن الخطة الخمسية الاولى وقامت الجمعية التعاونية للبترول بتصميم مشروع اول معمل لخلط الزيوت بالسويس ، يقوم باستقبال الزيوت الاساسية من انتاج معامل التكرير ، ويتم معالجتها وخلطها واضافة ما يلزمها من مواد كيماوية وتعبئتها مع اكتمال تصنيع كل انواع الزيوت المعدنية طبقا للمواصفات العالمية .

وقد بلغت تكاليف هذا المشروع ٥٠٠ الف جنيه ، ويوفر للدولة مليون ونصف مليون دولار سنويا ، وتصل كفاءته الى خلط وتعبئة ٢٠ الف طن من انواع الزيوت المختلفة ، وقد رسمت الجمعية خطتها على اساس زيادة هذه الكميات فى المستقبل ، حسب حاجة الاستهلاك المحلى .

وقد الحق بالمشروع معمل كيمائى لمراقبة جودة الزيوت يضم عدة محركات لاجراء تجارب الاداء على الزيوت لتطويرها ، حتى تواجه احتياجات الصناعة فى مختلف الضغوط ، كما الحق به ورشة للكشف واختبار البراميل . واستصلاحها ، كما سطحق به ورشة اخرى لتصنيع عبوات الصفيح .

والجدير بالذكر ، ان الذين قاموا بوضع تصميمات الالات والمعدات الخاصة بهذا المشروع هم الخبراء العرب بالجمعية التعاونية للبترول


سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
فى تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التى كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
كيما
بأسوان
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهــرام

